موسوعة الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

تحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنة وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الأول

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص . ب : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

١

الطبعة الأولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠ ،
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

كلمة النــاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لقـد وقع في اليـوم الثامن عشر من ذي الحجـة الحرام بعـد فتـح مكـة ، حدث تاريخي مهم ومهم جداً للمسلمين ، وذلك بعد انصراف النبيِّ (ص) من مكة متوجهاً إلى المدينة في بقعة تسمى «غدير خُم»[1] حيث نزل (ص) بأمـر من الله تبـارك وتعالىٰ في هـذه البقعـة ، وأمـر جيشـه أن ينـزلـوا ويستقـروا فيهـا ، فاجتمعوا جميعاً فيها بحيث رجع المتقدم ووصل المتأخر ، وبلغ عددهم أكـثر من مائة وعشرين ألف رجل ، وبقي النبيِّ (ص) ثلاثة أيام فيها فهبط جبرائيل (ع) ونزل بهذه الآية : ﴿**يا أيُّها الرسول بَلِّغ ما أُنزل إليك من ربّك فإن لم تفعـل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[2] .

فعند ذلك أمر بنصب منبر من أقتاب الجمل ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، وخطب خطبة طويلة شهيرة بليغة ، وقال : «أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم ، قـالوا بـلى يا رسـول الله» فأخـذ بيد عـلي (ع) ورفعها حتى ظهـر بياض إبطه ، ونصّب علياً خليفة للمسلمين من بعده .

وقال : «ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللَّهُمَّ وال من والاه ، وعاد من عـاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خـذله» فبـايعه المسلمـون قاطبـة ، وهنّئوه بالولاية وسلموا عليه بالإمارة حتى قـال بعض كبار الصحـابة : «بـخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[3] .

إن هـذا الحدث الجلل لجـديـر أن يقف كـل مسلم عنـده ، ويبحث عن

---

(١) خُم : واد بين مكة والمـدينة بينـه وبين الجحفـة ميلان ، بـه غديـر وعنده خـطب رسول الله (ص) معجم البلدان مادة «خُم» .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

(٣) سر العالمين للإمام الغزالي ص ٢١ و٢٢ .

أُصـوله وفـروعه ومن كـل جوانبـه ، فقد تصـدّى العلاّمـة العلم والحجة الملهم المرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي لهذه المهمة ، وجاء بموسوعتـه القيمة «الغدير» بعد البحث والتدقيق والتقصي من دون تطرف أو تعصب فأورد حديث الغدير ورواتـه من أجلاء الصحـابة والتـابعين رضي الله عنهم ، وذكـر أسانيـده والكُتب التي ورد فيها مع ذكر الأجزاء والطبعات ورقم الصفحات منها .

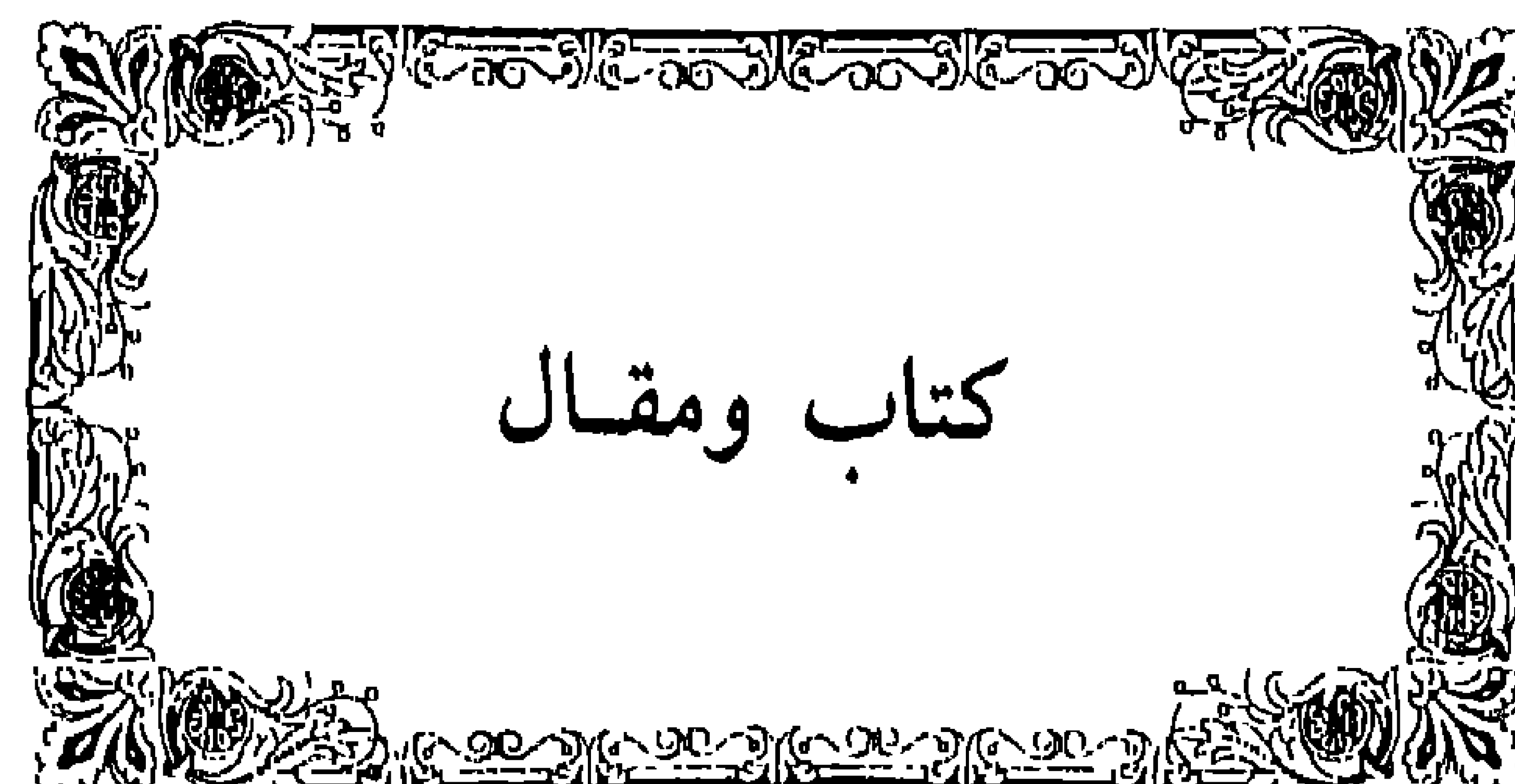
ولم يقتصر العلاّمة الأميني على ذلك بل ضمّن كتابه أبحاثاً علمية وتاريخية ودينية ، لا غنى للباحثين عن الحقيقة من دراستها والإلمام بها ، وقد بذل المؤلّف قصـارى جهده لمـراجعة أكـبر عـدد ممكن من المصـادر بحيث بلغت المئـات من المراجع المطبوعة والمخطوطة .

وتطرّق الأميني أيضاً لشعراء الغديـر وشعرهم وتـرجمتهم من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر فجـاء الكتاب في أحـد عشر مجلداً وطبع في حيـاة المؤلّف في النجف الأشرف أولاً ، ثم في طهـران ثم أُعيـد طبعـه بـطريقـة الأوفست في بيروت وبقي القرن الثالث عشر والرابع عشر مخطوطة في مكتبته الشهـيرة بمكتبة الإمام أمير المؤمنين (ع) في النجف الأشرف للمراجعة الأخيرة والتبييض والـطبع فوافاه الأجل ومع الأسف الشديد لم ير النور الأجزاء الباقيـة ولم يطبـع للظروف القاسية التي مرت على النجف الأشرف ومكتبته بعد وفاته .

ونظراً لأهمية هذه الموسوعة فقد أخذت (مؤسسة الأعلمي للمطبـوعات في بـيروت) على عـاتقها كعـادتها في إحيـاء تـراث أهـل البيت (ع) بمـراجعـة هـذه الموسوعـة وصفّه وإخـراجه وتـدقيقه عـلى الطرز الحـديث وطبعه بـأسلوب يليق ومكانة هذا الكتاب فاستجازت نجل الإمام الأميني الأكبر العلامـة الشيخ محمـد هادي الأميني حول إعادة طبع الكتاب فأجازها وأعطاها الرخصة لـذلك أصـالة عن نفسه ونيابة عن بقية إخـوته وإخـوانه الـورثة الشرعيـين لهذا الكتـاب إجازة حصريّة بحيث لا يمكن لأي دار التصدي لطبع هـذا الكتاب ، فحيـاه الله وبيّاه ونرجو من الله تبارك وتعالىٰ أن يوفقنا وإياه لما فيه خير الإسـلام والمسلمين آمـين رب العالمين .

بيروت في ١٥ /ربيع الأول/ ١٤١٤هـ ١/١٠/١٩٩٣ م　　　**حسين الأعلمي**

بسم الله الرحمن الرحيم



كتاب ومقال

تفضل بهما أحد رجالات «مصر» وشخصياتها البارزة، ألا وهو: الاستاذ الكبير، شاعر «الأهرام» المفلق ـ محمد عبد الغني حسن ـ المصري أحد شعراء الغدير[1]». فقد ازدانت هذه الطبعة من كتاب «الغدير» بذلك المقال الكريم المعرب عن مكانة الأستاذ في الثقافة، ومبلغه من الفضائل، ومبوّأه من النفسيات الكريمة، وتحليه بالشعور الحيّ والفكرة الحرّة الصالحة، وسعيه وراء صالح الأمّة، وتوحيد كلمتها العليا، وبثّ علمها الناجع، وإخباته إلى حقائق الإسلام المقدّس.

ونحن نردف المقال بالكتاب في النشر، ونشفعهما بالشكر المتواصل، كل ذلك تقديراً لقلمه السيال، ويراعه الثبت، وكلمته القيمة، وإعجاباً بروحه الشاعرة، حيّاه الله وبيّاه.

---

(١) يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله، وله في تقريظ كتابنا هذا قريض عسجدي نشرناه في مفتتح الجزء الثامن.

نصّ الكتاب

القاهرة

٧ من ربيع الأول سنة ١٣٧٢
٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٢

سيدي الاستاذ العلامة الكبير عبد الحسين أحمد الأميني

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلقد أسعفتني لحظات قصار من الصحّة التي تروح وتجيء بكلمات قليلة ضئيلة عن كتابكم «الغدير» الذي يتضاءل أمامه كلُّ كلام مهما كان. وكم كنت أودُّ لو أمكنتني العافية المُولّية عنّي هذه الأيّام من إطالة الوقوف مع غديركم حتّى أستطيع أن أؤدّي نحو هذا العمل العظيم ما يليق به من الدراسة والتحليل، ولكن عذري معي، ومعي - فوق ذلك - من جميل مغفرتكم ما أرجو به قبول الكلمة المرفقة بهذا تحت عنوان «في ظلال الغدير» تاركاً لفضيلتكم أمر نشرها كما تشاؤون.

والله يجزيكم أحسن الجزاء ويوفّقكم إلى إتمام هذا العمل الذي تنوءُ به العصبة أولوا القوّة.

محمّد عبد الغني حسن

نصّ المقال

في ظلال الغدير

ليس في هذا العنوان أثرٌ لروح شاعريَّة، أو جنوحٌ إلى عاطفة من عواطف الخيال المقتنص، أو ميلٌ إلى شوارد التعبير عمّا يجول في الخاطر الكليل...

وإنَّما هي حقيقةٌ ناصعة الوجه واليد واللسان حين نقرِّر أنّ القارىء «للغدير» يفيء منه إلى ظلٍّ ظليل، ويلتمس عنده من راحة الإطمئنان، وحلاوة القرار، ورضى الثقة ما يجده المرء حين يأوي إلى الواحة المخضرَّة بعد وعثاء السفر، في بيداء واسعة المتاهات، فيجد في ظلالها انس الإستقرار، وسلامة المقام، ودعة المصير.

ولن أكون في هذه الكلمة جانحاً إلى خيال، أو محلقاً في جواء من التصوُّر الحالم، أو الوهم الهائم... ولكنَّني سأجتاز هذا «الغدير» عابراً، مفكّراً، مقلّباً النظر في صفحاته الرجراجة بكلِّ فكرة، المتموِّجة بكلِّ مبحث، مستخرجاً من أصفى لآلئه، وأكرم عناصره ما يُعينني عليه تقليب النظر في شُطآنه، وإطالة الفكر بين دفَّتيه، وكثرة الوقوف على مباحثه كما يقف العربيُّ على الديار التي لم يُبلها القدم...

ولقد بلغ الجزء الأوَّل من «الغدير» ما حسبت معه أنَّ الجهد قد أوفى فيه على الغاية، واستشرف على نشز الكمال في صفحاته التي تساوي أيّام السنة الهجريَّة عدّاً...

وقد كان يحسب العلاّمة المكِبُّ الدؤوب الجليل الأستاذ «عبد الحسين

الأميني» أن يرضى منه بحث «حديث الغدير» بجزء واحد أو بجزئين أو ثلاثة يستوفي فيها الكلام عن رواة «حديث الغدير» من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وطبقات الرواة من العلماء إلى عصرنا هذا، والإحتجاج بالحديث، وتحقيق سنده وروايته، ودلالته على تأكيد الولاية للإمام عليٍّ كرّم الله وجهه، سواءٌ كان ذلك المفهوم مشتقّاً من حرفيَّة الحديث، أو مستفاداً من القرآن الملابسة للحديث حين نطق به الرَّسول الكريم على مرأى ومسمعٍ ومشهدٍ من الصحابة.

نعم: قد كان بحسب العلّامة «الأمينيّ» هذا حين يحتجُّ لحديث الغدير ـ غدير خمّ ـ وحين يحقّق روايته وسنده. . . ولكنّه ذهب في البحث عن «الغدير» وراء كلّ مذهب، وجاوز في تعمّق الدرس والتقصّي كلّ حدٍّ معروف عند المؤلّفين حين يُؤلّفون، وعند الباحثين حين يبحثون. . .

نعم: لقد مضى «الأمينيُّ» الجليل في البحث على طريق وعر المسالك، متشعّب النواحي، كثير المسائل، ولم يزده السير في الطريق إلّا مواصلة في السير، كوجه البدر المنير يزيدك حسناً إذا ما زدته نظراً. . .

ورأينا كتاب «الغدير» يمتدُّ به الطريق إلى أجزاء تسعة ضخام تبلغ من الصفحات بضعة آلاف. . . ولا يزال الكتاب ينتظر من صبر العلّامة «عبد الحسين» وإكبابه وتوفّره على التنقير والتنقيب ما يمضي به إلى الغاية التي يستهدفها المؤلّف، حتّى يتمّ الكتاب على الوجه الذي يرضى عنه الله، والعلم الصحيح، والضمير السليم.

وقد يكون العلّامة «الأمينيُّ» النجفيّ مُشرباً بحبِّ الإمام عليّ وشيعته حين يبذل من ذات نفسه، وحين يبذل من ماء عينيه ما يبتغي به الوسيلة عند أهل البيت العلوي الكريم. . . وقد يكون في عمله هذا مُستجيباً لنداء المذهب الذي يدين به. . فإنّ الحبَّ يفرض على المحبِّ من الإلتزامات والإرتباطات ما يسقط به وجه الإعتراض.

ولكنَّ الحقَّ الذّي يجب أن يُجهر به، أنَّ العلّامة الأستاذ «عبد الحسين

الأمينيّ» لم يكن محبّاً متعصّباً، ولا ذا هوى متطرِّف جموح، وإنّما كان عالماً وضع علمه بجانب محبّته لعليّ وشيعته، وكان باحثاً وضع أمانة العلم ونزاهة البحث فوق إعتبار العاطفة..

ولا يُلام المرء حين يحبُّ فيسرف في حبِّه، أو حين يهوى فيشتدُّ به الهوى.. ولكنَّ اللّوم يقع حين تميل دواعي الهوى بالمرء عن صحيح وجه الحقِّ... وما كان استاذنا الجليل في شيء من هذا، وإنّما كان باحثاً وراء الحقيقة، كاشفاً النقاب عن وجهها، معنياً نفسه بالوصول إليها سافرة الوجه، واضحة المعالم.

ونجد في الجزء الأوَّل من «الغدير» رواة الحديث من الصحابة رضي الله عنهم وقد رتّبهم المؤلِّف وفق حروف الهجاء، فبلغوا مائة وعشرة من أجلّاء أصحاب الرسول ﷺ يبتدئون بأبي هريرة، وينتهون بأبي مرازم يعلى بن مرَّة بن وهب الثقفي.

والمؤلِّف هنا لا يكتفي بذكر أسماء الرُّواة من الصحابة، بل يذكر الكتب الَّتي جاء فيها هذا الحديث مسنداً إلى الصحابيِّ، ثمَّ لا يكتفي بذلك بل يذكر أجزاء الكتب وأرقام الصفحات.

وهنا يجد المتصفِّح «للغدير» سيلاً وافراً بل بحراً زاخراً من الكتب كأُسد الغابة، والإصابة، وتهذيب التهذيب، والإستيعاب، وتاريخ بغداد للخطيب، وتهذيب الكمال، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، والبداية والنهاية لابن كثير، ونخب المناقب، ومسند أحمد، وسنن ابن ماجة، وعشرات وعشرات من كتب الحديث والتفسير والتاريخ التي روى فيها الرُّواة من الصحابة حديث الغدير.

فإذا فرغ المؤلِّف من ذكر طبقات الرُّواة من الصحابة إنتقل إلى الرُّواة من التابعين، ثمَّ من العلماء مرتِّباً هؤلاء الأخيرين وفق ترتيب الوفيات قرناً فقرناً مُبتدئاً بابن دينار الجمحي، ومنتهياً برواة الحديث في عصرنا الحديث.

ولَمّا كانت واقعة الغدير ـ غدير خمّ ـ من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل، وكان الحديث ـ حديث الغدير ـ ممّا كاد ينعقد إجماع الأمَّة الإسلاميَّة ـ

سنّة وشيعة - على صحّته، فقد حدث الحجاج به ومناشدته بين الصحابة والتابعين، ولهذا عقد العلاّمة عبد الحسين فصلاً في المناشدة والحجاج بحديث الغدير. وممّن إحتجّ به فاطمة بنت الرّسول، والحسن، والحسين، وعبدالله بن جعفر، وعمر بن عبد العزيز، والخليفة المأمون العباسي.

ولَمّا كان حديث الغدير قد بلغ من الصحّة والتواتر وقوّة السند مبلغاً لا يحتاج معه إلى إثبات مُثبت، أو تأييد مؤيِّد، فقد كان المؤلِّف الجليل في غنىً عن أن يخصَّ صحّة إسناد الحديث بفصل، فإنّه لا يصحُّ في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل.. ولكنّه جرى في المنهج العلميِّ على سَنن الجادَّة، وإستقامة القصد فذكر في صفحة ٢٦٦ وما بعدها كلمات الرُّواة والحفّاظ حول سند الحديث.

فالترمذيُّ يقول في صحيحه: إنَّ هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. والحافظ ابن عبد البرّ القرطبي يقول بعد ذكر حديث المؤاخاة وحديثي الراية والغدير: هذه كلّها آثارٌ ثابتةٌ. وهكذا يمضي في هذا الفصل حتّى يستوفي كلمات الحفّاظ حول سند الغدير.

وعلى الرغم من مقاربة الإجماع على صحّة حديث الغدير، فقد نظر إليه بعض رجال المسلمين نظرة تخالف منعقد الإجماع... وهنا يظهر صاحب كتاب «الغدير» في مظهر المحبِّ الغاضب... الغاضب على مخالفيه، فيوقفهم موقف المقاضاة، وينزلهم منزل المحاكمة؛ بل يعقد فصلاً عنيفاً عن «ابن حزم» الأندلسي الذي فتح الباب واسعاً حول الشكّ في صحّة الحديث.

ولو أنّ كتاب «الغدير» كان إحتجاجاً لحديث غدير خمّ، وتأييداً لصحّته، وتبياناً لرواته وطرق روايته على مرّ العصور، وإثباتاً لما يُستفاد منه من معنى الولاية للإمام «عليّ» لكان بذلك كافياً، ولكنَّ العلاّمة الأستاذ «عبد الحسين أحمد» أراد أن يجعل من «الغدير» بحراً متلاطم الأمواج، جياش العباب... وشاء أن يجعل منه موسوعةً كبيرةً تدور حول الكلمات الطاهرة الّتي نطق بها الرَّسول ﷺ للإمام عليّ كرّم الله وجهه، فأثبت الشعراء الذين ذكروا الغدير في

قصيدتهم، وعطّروا بذكره أنفاس أشعارهم، وصاحبهم المؤلِّف الدؤوب في موكب رائع الجلال من عهد النبيِّ صلوات الله عليه إلى القرون الإسلاميَّة قرناً فقرناً، فهو يذكر في كلِّ قرن شعراء الغدير فيه ويذكر غديريّاتهم، ولا يكتفي بذلك كلّه، بل يُترجم لهؤلاء الشعراء تراجم لا يستغني عنها مؤرِّخ أو باحثٌ أو أديبٌ. ثمّ لا يكتفي بذلك، بل يذكر المصادر الكثيرة الموزعة لهؤلاء الشعراء، فيقع القارىء من هذه المصادر على ذخيرة من المعرفة بالكتب قلَّ أن تُتاح لباحث من باحثي زماننا هذا.

ولست هنا مبالغاً في تقدير هذه التراجم، فترجمة الشاعر «الكميت» مثلاً من شعراء الغدير في القرن الثاني قد بلغت ثلاثين صفحة من الجزء الثاني، حتى كادت تصلح أن تكون في ذاتها كتاباً قائماً بدراسة «الكميت». وترجمة «السيِّد الحميري» الشاعر قد بلغت من الجزء الثاني ستِّين صفحةً، وهي ترجمةٌ تلمُّ بأطراف الشاعر وتضعه في الإطار الّذي يخصّه بين شعراء عصره. وترجمة «ابن الرّومي» في الجزء الثالث من «الغدير» تبلغ ٢٦ صفحةً. وقس على هذا بقيّة مواكب الشعراء.

وليس العبرة في طول التراجم وإتِّساع صفحاتها.. ولكنَّ العبرة في هذا الصبر العجيب الذي تابع به المؤلِّف حياة الشعراء الّذين يُترجم لهم، فقد رجع علاّمتنا الجليل حين كتب عن «ابن الروميّ» إلى عشرات من الكتب في القديم والحديث، وجمع أخباره ونوادره من مصادر لم يطَّلع عليها الأكثرون، ولم يكد يفوته كتابٌ واحدٌ ذُكر فيه «ابن الرّومي» بخير أو شرّ... حتّى مجلّة الهدى العراقيّة، وكتاب الأستاذ عبّاس محمود العقّاد.

وعلى ذكر المراجع والمصادر نودُّ أن نسجِّل للحقِّ أنَّ مؤلِّف «الغدير» الجليل قد أحاط منها بما لا يُحيط به إلاّ من رزقه الله قدرةً وصبراً وحسن وقوع على الموارد، فهو حين يُترجم مثلاً لأبي تمام الشاعر في الجزء الثاني من «الغدير» يذكر أسماء الأعلام الذين شرحوا ديوان الحماسة، فيبلغون سبعة وعشرين... يَبدأون بأبي عبدالله محمَّد بن القاسم، وينتهون بالمرحوم الشيخ سيد بن علي المرصفي من رجال الأدب في زماننا هذا، وهو حين يذكر المؤلِّفين

من أخبار أبي تمام وترجمته يعدُّ عشرات يُبدأون بأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر من رجال القرن الثالث الهجري، ويبلغ في زماننا هذا الدكتور عمر فروخ من كتّاب عصرنا الحديث.

هذا هو «الغدير» في نظرةٍ عاجلةٍ، أعجلني بها من أمر الـزمان وشغـل الحدثان ما كنت أودُّ أن تطول معه الوقفة وتعمّق النظرة، ولكن علاّمتنا الكبير الأستاذ «عبد الحسين أحمد الأمينيّ» حريٌّ أن يغفر لصديقه السُنّيِّ المصريِّ ما لـم يسعفه به زمانه.

وأسأل الله أن يجعل من هذا الغدير الصّافي صفاءً لِما بين أهـل السنّة والشيعة من أخوّة إسلاميّة، يتّجهون بها في كُتلة واحدةٍ وبناءٍ مرصوص، إلى الحياة الحرّة الكريمة التي يعتزُّ بها الإسلام، ويعلو له بها في العالم مقامٌ.

والله يوفّق أستاذنا العلاّمة الجليل.

محمّد عبد الغني حسن

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة المؤلف

لا يذهب على الباحث ما عانيته من الجهود خلال سنين متمادية في سدّ هذا الفراغ، وما ثابرت عليه من المتاعب، واستسهلته من المشاقّ في تنسيق كتابي هذا، خدمةً للعلم والأدب وتشييداً للمبدأ، ونشراً لألوية لغة القرآن الكريم، لغة الدين المقدّس.

عملت ذلك وأنا واثقٌ بأنّه سوف يُقدّره منّي كلُّ عربيّ صميم، ويشكرني عليه أيُّ دينيّ محنّك، ويُؤازرني في نشره رُوّاد العلم والأدب، ويُساعدني فيه رجالات الدعاية والنشر، وحملة عبء المعارف، غير أنَّ الأحوال الحاضرة كانت تُؤيسني عن نشر الكتاب وتُمثّل بيني وبين ضالّتي المنشودة عراقيل، لم تزل أمثال هذه الهاجسة تتراوح على الفكر، ويتردّد الأمل بين نشاط وإخفاق، وكنت أقدّم رِجلاً وأؤخّر أخرى، حتّى ألهمت بالنجاح الباهر، وشعرت الفوز ببركة البيت الهاشميّ الرفيع المتسنّم عرش مملوكته العراق، وقد تبلّجت أرجاؤه، وتأرّجت أجواؤه بالملك المفدّى صاحب الجلالة الهاشميّة ـ فيصل الثاني ـ ومشغل منصّة الوصاية سموّ الوصيّ الأمير المعظّم ـ عبد الإله ـ تزهر بهما ربوع الرافدين، وترفع راية الشعب العربي الخفّاق، وحقيق علينا أن نخاطب تلك وهذه ونقول:

يا ربوع الفرات ميدي سرورا	والبسي مطرف الهناء النضيرا
واستعيدي من المآثر ما قد	كان في لوحة العُلى مسطورا
وارفعي راية العروبة فخراً	وانثري كنز جحدك الموفورا

فإنَّ صميمين من البيت الطاهر كعاهل البلاد، ووصيٍّ عرشها المعلّى، لا بدَّ وأن تروقهما الإشادة بذكر سلفهما المقدَّس، فإنَّ فيها توطيداً لشرفهما الباذخ، وتشييداً لمباني الإسلام، وإحكاماً لعُرى العروبة، وهما لا زال الإسلام بملكهما منوطاً بالخلود ورثا المكارم كابراً عن كابر، ورثا الشهامة والفضيلة، عن آباء كرام من شرفاء وملوك منذ العهد العلويّ، وقد نطق عن رأينا العام فيهم شاعرنا المفلق (محمد بندر) في قصيدة له بقوله:

نحن قومٌ نرى الولاية فيكم ... هي نصٌّ لا تقبل التحويرا
بيعةٌ في غدير خمّ بأمر ... نصب المصطفى عليّاً أميرا
بيعةٌ أكمل المهيمن فيها ... ديننا فارتضاه للناس نورا
ومن الرجس والخبائث طرّاً ... طهَّر الله بيتكم تطهيرا
أنجبتكم أمّ المعالي فحزتم ... قصب السبق أوّلاً وأخيرا

وقد نيط بهم أمن البلد الأمين، وحفظ البيت الطاهر، وعمارة الحرم النبويّ الأقدس، ودعة الحجيج، قروناً متطاولة، ثم فُوّضت إليهم ملوكيّة بلادنا المحبوبة، وفيها المشاهد الكريمة لأسلافهم أئمة الحُكم والحِكَم صلوات الله عليهم، فرعوها وكلأوها عن عادية الهرج، وتمكّنوا من الحصول على إنقاذ الأمّة وإستعادة عزّها ومجدها، فهي لا تزال تشكرهم على يدهم الواجبة، وبرّهم المتواصل، ولا غرابة في ذلك فإنّهما دوحتان لأصحاب الجلالة الملوك السعداء: الملك حسين، والملك فيصل الأول، والملك علي، والملك غازي. المغفور لهم الذين كانوا يعملون لخير العباد، وصالح البلاد.

وفي ناموس الوراثة أن يرث الأبناء ما في الآباء فبيُمن هذين الهاشميِّين الكريمين عاد إليَّ الإخبات بنجاحي في نشر مشروعي هذا العائد فضله إليهما. ولله الحمد أولاً وأخيراً.

وها أنا أقدّم جزيل شكري إلى كل من آزرني في نشر مشروعي هذا، وفي مقدّمهم الأستاذ الفذّ السيد أحمد زكي الخياط مدير الدعاية والنشر، وأسأل المولى سبحانه له ولهم كلَّ توفيق وسداد.

الأميني النجفي

البلاغ المبين
بلسان
النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

عنوان صحيفة المؤمن: حبّ عليّ بن أبي طالب[١].

من سرّه أن يحيى حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي؛ فليوال علياً من بعدي؛ وليوال وليّه؛ وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خُلقوا من طينتي رُزقوا فهماً وعلماً؛ وويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أمّتي القاطعين فيهم صلتي؛ لا أنالهم الله شفاعتي[٢].

أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تأريخه ٤ ص ٤١٠

أخرجه الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء ١ ص ٨٠

الإهداء

لم أجد أحداً أولى بإهداء كتابي
هذا إليه من صاحبه حامل عبء الولاية
الكبرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه يا صاحب
الولاية! وسيّد الأمّـة! وأبا الأئمّة!

﴿يا أيُّها العزيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا آلضُّرُ وَجِئْنَا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إنّ الله يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ اهديك كتـابي هذا وهـو: بضاعتي المزجاة وصحائف ولائي الخالص؛ فتفضل عليَّ بالقبول؛ وأحسن إليَّ إنَّ الله يُحبّ المحسنين.

عبد الحسين أحمد الأميني



الحمد لوليّه، والصلاة على نبيّه، وآله الائمة، وأولياء الامّة

هذا كتابُنا يَنْطقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقّ

حديث النبأ العظيم في «غدير خمّ» حديث الدعوة الآلهيّة؛ حديث الولاية الكبرى، حديث إكمال الدين؛ وإتمام النعمة، ورضى الربّ، على ما نزل به كتاب الله المبين؛ وتواترت به السنّة النبويَّة، وتواصلت حلقات أسانيده منذ عهد الصحابة والتابعين إلى اليوم الحاضر؛ وما حوله من حقائق ناصعة تتعلّق بالمتن أو الإسناد؛ وإرحاض ما هنالك من جلبة وتركاض، حتى يتجلّى للقارىء الحقّ الصراح بأجلى مظاهره.

وجُلّ قصدنا من إرداف ذلك بتراجم شعراء الغدير وشعرهم فيه على ترتيب القرون الهجريّة إثبات شهرة الحديث وتواتره في كلّ جيل، وانّه من أظهر ما تلوكه الأشداق نظماً ونثراً، وتأتي هذه كلها في ستّة عشر جزءاً.

وإنّا نعدّ ذلك كله خدمةً للدين، وإعلاءً لكلمة الحق، وإحياءً للامّة الإسلامية، وإشادةً بالذكر العلويّ الخالد، وولاءً لصاحب الولاية، وأستمدُّ من المولى سبحانه أن يمدّني بإنجاز ما أعده وتحقيق ما أضمره؛ وله الحمد أوّلا وآخراً.

الأميني



التاريخ الصحيح

لا يكون إنبعاث أيّة فِرقة من الفِرق إلى تدوين التاريخ، أقلّ من إنبعاث أخواتها إليه، فكلٌ يتحرّى منه غاية؛ ويرمي إلى غرض يخصّه، فإن كان المؤرّخ يريد به الحيطة بحوادث الدهر، والوقوف على أحوال الأجيال الغابرة. فالجغرافيّ يطلبه لتحقيق القسم السياسيّ به لاختلافه بتغلّبات الدول، وانعكاف أمم على خطط معيّنة وانثيال أمم عنها.

وإن إنبعث الخطيب إلى سبر غور التاريخ لما فيه من عِبر وعِظات بالغة في تدهور الأحوال، وفناء الأجيال وهلاك ملوك، واستخلاف آخرين، وما انتاب أقواماً من جرّاء ما اجترحوه من السَّيئات، وما فاز به آخرون بما جاؤوا به من صالح الأعمال؛ فالدينيّ يبتغيه للوقوف على ما وطّد به أسس المعتقد، وعلّى عليها صروحه وعلاليه، وإفرازه عمّا كان حوله من لعب الأهواء، وتركاض أهل المطامع.

وإذا كان الأخلاقيّ يقصد به التجاريب الصالحة في ملكات النفوس التي تحلّى بالصحيحة منها فِرقٌ من الناس فأفلحوا، وتردّى بالرديئة منها آخرون فخابوا، فيستنتج من ذلك دستوراً عامّاً للمجتمع ليعمل به متى راقه أن يأخذ حذراً عن سقوط الفرد أو ملاشاة الجامعة، فالسياسيّ يريد به الوقوف على مناهج الأمم التي تقدَّم بها الغابرون، ومساقط الشهوات التي أسفّت بمعتنقيها إلى هُوّة البوار والضعة فغادرتهم كحديث أمس الدابر، ويريد به البصيرة فيما سلفت به

التجاريب الصحيحة في المضائق والمآزق الحرجة، وافتراع عقبات كأداء، فيتّخذ من ذلك كله برنامجاً صالحاً لرقيّ أُمّته، وتقدّم بيئته.

والأديب يقتنص شوارد التاريخ؛ لأنّ ما يتحرّاه من تنسيق لفظه، وفخامة معناه، وما يجب أن يكون في شعره أو نثره من محسِّنات الأسلوب، ومقرّبات المغزى بإشارة أو إستعارة منوطٌ بالإطلاع على أحوال الأمم والوقوف على ما قصدوه من دقائق ورقائق.

وإذا عمَّمنا التاريخ على مثل علم الرجال والطبقات، فحاجة الفقيه إليه مسيسةٌ في تصحيح الأسانيد، وإتقان مدارك الفتاوى، وبه يظهر إفتقار المحدّث إليه في مزيد الوثوق برواياته، على أنّ لفنِّ الحديث مواضيع متداخلة مع التاريخ كما يُروى من قصص الأنبياء وتحليل تعاليمهم، حيث يجب على المحدّث المحاكمة بين ما يتلقّاه وما يسرده التاريخ! أو التطبيق بينهما إن جاءا متّفقين في بيان الحقيقة.

والمفسّر لا مُنتدح له من التوغّل في التاريخ عندما يقف على آيات كريمة توعز إلى قصص الماضين وأحوالهم، لضرب من الحكمة، ونوع من العِظة، وعلى آيات أُخرى نزلت في شؤون خاصّة، يفصِّلها التاريخ تفصيلاً؛ والباحث إذا دقّق النظرة في أيّ علم يجد أنّ له مسيساً بالتاريخ لا يتمّ لصاحبه غايته المتوخّاة إلا به.

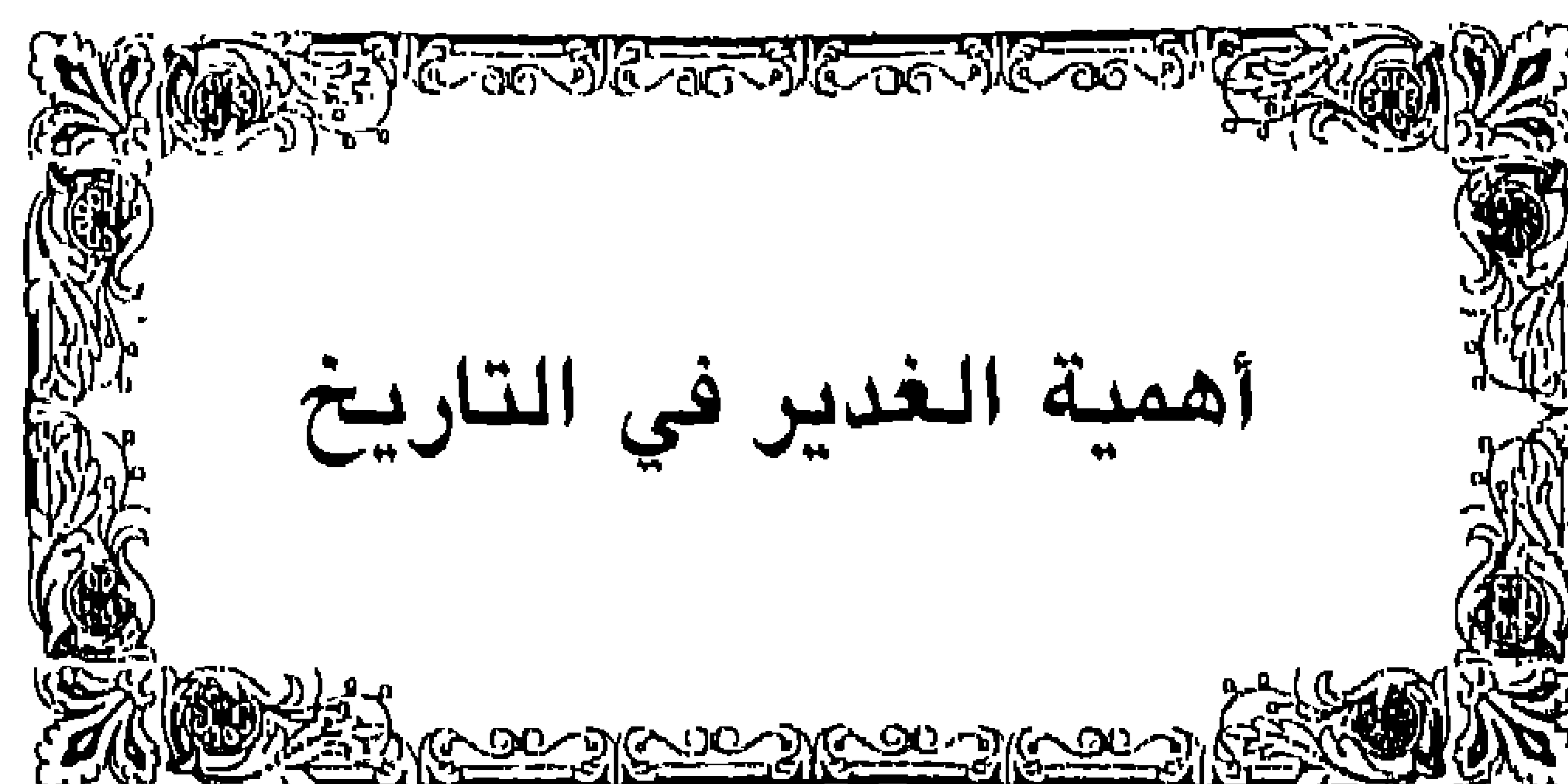
فالتاريخ إذاً ضالّة العالِم، وطلبة المتفنّن، وبغية الباحث، وأمنية أهل الدين ومقصد الساسة، وغرض الأديب، والقول الفصل: إنه مأرب المجتمع البشريّ أجمع وهو التاريخ الصحيح الذي لم يُقصد به إلاّ ضبط الحقائق على ما هي عليه؛ فلم تعبث به أغراض مستهدفة، ولم يعث فيه نزعات أهوائية ككثير مما أُلِّف من زبر التاريخ التي روعي في جملة منها جلب مرضاة القادة والأمراء؛ أو تدعيم مبدأ، أو فكر مفكّر، أو أُريد به التحليق بأشخاص معلومين إلى أوج العظمة، والإسفاف بآخرين إلى هُوّة الضعة، لمغاز هنالك تختلف باختلاف الظروف والأحوال؛ أو اختلط فيه الحابل بالنابل، بتوسّع المؤلفين لما حسبوه من

أنّ الإحاطة بكل ما قيل توسّع في العلم، وإحسانٌ في السمعة، ذهولاً منهم عن أنّ مقادير الرجال بالدراية لا بالرواية[1] فأدخلوا في التاريخ هفوات لا تحصى، غير شاعرين بأنّ رواة تلك السفاسف زبائن عصبة، وحناقٌ على عصبة؛ أو أنهم قصّاصون غير مكترثين من الإكثار في النقل الخرافي أو الإفتعال، إكباراً للسمعة، أو نزولاً على حُكم النهمة، فتلقّتها عنهم السذَّج في العصور المتأخّرة كحقائق راهنة، وتنبّه لها المنقّب فوجدها أحاديث خرافيّة فرفضها؛ غير مبالٍ بالطعن على التاريخ، فلا شعر أولئك أنها وليدة تقاليد أو مطامع؛ ولا عرف هذا أنّ الآفة عن ورطات القالة، وسوء صنيع الكتبة، لا في أصل الفن، ولو ذهبنا إلى ذكر الشواهد لهذه كلها لخرج الكتاب عن وضعه، هكذا خفيت الحقيقة بين مفرط ومفرّط، وذهبت ضحيّة الميول والشهوات.

فواجب الباحث أن يسبر هذا الغور، متجرّداً عن النعرات الطائفيّة، غير متحيِّز إلى فئة، متزحزحاً عن عوامل الحبّ والبغض، ونصب عينيه مقياسٌ من أصول مسلّمة، يقابل به صفحة التاريخ، فإن طالته أو قصرت عنه رفضها، وإن قابلته مقابلة المثل بالمثل إعتمد عليها، على تفصيل لا يسعه نطاق البحث هٰهنا.

---

(١) في كتاب زيد الزراد عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال: قال أبو جعفر عليه السلام. يا بني اعرف منازل شيعة عليّ على قدر روايتهم ومعرفتهم فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجة الإيمان، إني نظرت في كتاب لعليّ (ع) فوجدت فيه: ان زنة كل امرىء وقدره معرفته، ان الله يحاسب العباد على قدر ما أتاهم من العقول. وفي غيبة النعماني ص ٧٠ في حديث عن الإمام الصادق (ع) خبر تدريه خير من عشر ترويه إن لكل حق حقيقة، ولكل صواب نوراً. وفي كشف الغمة للشعراني ج ١ ص ٤٠: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: كونوا للعلم وعاة، ولا تكونوا له رواة.



أهمية الغدير في التاريخ

لا يستريب أيّ ذي مسكة في أنّ شرف الشيء بشرف غايته، فعليه أنّ أوّل ما تكسبه الغايات أهميّة كبرى من مواضيع التاريخ هو ما أسّس عليه دين، أو جرت به نحلة، واعتلت عليه دعائم مذهب، فدانت به أمم، وقامت به دُول، وجرى به ذكرٌ مع الأبد، ولذلك تجد أئمة التاريخ يتهالكون في ضبط مبادىء الأديان وتعاليمها، وتقييد ما يتبعها من دعايات، وحروب، وحكومات، وولايات التي عليها نسلت الحقب والأعوام، ومضت القرون الخالية ﴿**سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً**﴾(١) وإذا أهمل المؤرخ شيئاً من ذلك فقد أوجد في صحيفته فراغاً لا تسدّه أيّة مهمّة، وجاء فيها بأمر خداج، بتر أوّله، ولا يعلم مبدءه، وعسى أن يوجب ذلك جهلاً للقارىء في مصير الأمر ومنتهاه.

إنّ واقعة (غدير خمّ) هي من أهمّ تلك القضايا، لما ابتنى عليها وعلى كثير من الحجج الدامغة، مذهب المقتصّين أثر آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم. وهم معدودون بالملايين، وفيهم العلم والسؤدد، والحكماء، والعلماء، والأماثل، ونوابغ في علوم الأوائل والأواخر، والملوك، والساسة، والأمراء، والقادة، والأدب الجمّ؛ والفضل الكثار؛ وكتب قيّمة في كل فنّ؛ فإن يكن المؤرخ منهم فمن واجبه أن يفيض على أمّته نبأ بدء دعوته، وإن يكن من غيرهم فلا يعدوه أن يذكرها بسيطة عندما يسرد تاريخ أمّة كبيرة كهذه؛ أو يشفعها بما يرتئيه حول القضيّة من غميزة في الدلالة، إن كان مزيج نفسه النزول على

---

(١) سورة الأحزاب/ ٦٢.

حكم العاطفة؛ وما هنالك من نعرات طائفته، على حين أنه لا يتسنّى له غمزٌ في سندها، فإنّ ما ناء به نبيّ الإسلام يوم الغدير من الدعوة إلى مفاد حديثه لم يختلف فيه إثنان؛ وإن اختلفوا في مؤدّاه لأغراض وشوائب غير خافية على النابه البصير.

فذكرها من أئمة المؤرخين البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ في أنساب الأشراف، وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ في المعارف؛ والإمامة والسياسة، والطبري المتوفى ٣١٠ في كتاب مفرد؛ وابن زولاق الليثي المصري المتوفى ٢٨٧ في تأليفه، والخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ في تاريخه، وابن عبد البر المتوفى ٤٦٣ في الاستيعاب، والشهر ستاني المتوفى ٥٤٨ في الملل والنحل، وابن عساكر المتوفى ٥٧١ في تاريخه، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ج ١٨ ص ٨٤ من الطبعة الأخيرة، وابن الأثير المتوفى ٦٣٠ في اسد الغابة، وابن أبي الحديد المتوفى ٦٥٦ في شرح نهج البلاغة، وابن خلكان المتوفى ٦٨١ في تاريخه، واليافعي المتوفى ٧٦٨ في مرآة الجنان، وابن الشيخ البلوي في ألف باء، وابن كثير الشامي المتوفى ٧٧٤ في البداية والنهاية، وابن خلدون المتوفى ٨٠٨ في مقدّمة تاريخه، وشمس الدين الذهبي في تذكرة الحفّاظ، والنويري المتوفى حدود ٨٣٣ في نهاية الإرب في فنون الأدب، وابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ في الإصابة وتهذيب التهذيب، وابن الصباغ المالكي المتوفى ٨٥٥ في الفصول المهمّة، والمقريزي المتوفى ٨٤٥ في الخطط، وجلال الدين السيوطي المتوفى ٩١٠ في غير واحد من كتبه، والقرماني الدمشقي المتوفى ١٠١٩ في أخبار الدول، ونور الدين الحلبي المتوفى ١٠٤٤ في السيرة الحلبية، وغيرهم.

وهذا الشأن في علم التاريخ لا يقلّ عنه الشأن في فنّ الحديث، فإنّ المحدِّث إلى أيّ شطر ولّى وجهه من فضاء فنّه الواسع، يجد عنده صحاحاً ومسانيد تثبت هذه المأثرة لوليّ أمر الدين عليه السلام، ولم يزل الخلف يتلقّاه من سلفه حتى ينتهي الدور إلى جيل الصحابة الوعاة للخبر، ويجد لها مع تعاقب الطبقات بلجاً ونوراً يذهب بالأبصار، فإن أغفل المحدّث عمّا هذا شأنه، فقد

بخس للأمّة حقاً، وحرمها عن الكثير الطيّب ممّا أسدى إليها نبّيها نبيّ الرحمة من برّه الواسع، وهدايته لها إلى الطريقة المثلى.

فذكرها من أئمة الحديث: إمام الشافعية أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ كما في نهاية ابن الأثير، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ في مسنده ومناقبه، وابن ماجة المتوفى ٢٧٣ في سننه، والترمذي المتوفى ٢٧٦ في صحيحه، والنسائي المتوفى ٣٠٣ في الخصائص، وأبو يعلى الموصلي المتوفى ٣٠٧ في مسنده، والبغوي المتوفى ٣١٧ في السنن، والدولابي المتوفى ٣٢٠ في الكنى والأسماء، والطحاوي المتوفى ٣٢١ في مشكل الآثار، والحاكم المتوفى ٤٠٥ في المستدرك، وابن المغازلي الشافعي المتوفى ٤٨٣ في المناقب، وابن مندة الأصبهاني المتوفى ٥١٢ بعدّة طرق في تأليفه، والخطيب الخوارزمي المتوفى ٥٦٨ في المناقب ومقتل الإمام السبط عليه السلام، والكنجي المتوفى ٦٥٨ في كفاية الطالب، ومحب الدين الطبري المتوفى ٦٩٤ في الرياض النضرة، وذخائر العقبي، والحمويني المتوفى ٧٢٢ في فرائد السمطين، والهيثمي المتوفى ٨٠٧ في مجمع الزوائد، والذهبي المتوفى ٧٤٨ في التلخيص، والجزري المتوفى ٨٣٠ في أسنى المطالب، وأبو العباس القسطلاني المتوفى ٩٢٣ في المواهب اللدنية، والمتقي الهندي المتوفى ٩٧٥ في كنز العمال، والهروي القاري المتوفى ١٠١٤ في المرقاة في شرح المشكاة، وتاج الدين المناوي المتوفى ١٠٣١ في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق. وفيض القدير، والشيخاني القادري في الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ، وباكثير المكّي المتوفى ١٠٤٧ في وسيلة الآمال في مناقب الآل، وأبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفى ١١٢٢ في شرح المواهب، وابن حمزة الدمشقي الحنفي في كتاب البيان والتعريف، وغيرهم.

كما أنّ المفسّر نصب عينيه آيٌّ[1] من القرآن الكريم نازلةً في هذه المسألة

---

(١) كقوله تعالى. ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ في سورة المائدة: ٣ وقوله فيها: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾. الآية: ٦٧. وقوله في المعارج الآية: ١ ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾.

يرى من واجبه الإفاضة بما جاء في نزولها وتفسيرها، ولا يرضى لنفسه أن يكون عمله مبتوراً، وسعيه مخدجاً، فذكرها من أئمة التفسير الطبري المتوفى ٣١٠ في تفسيره، والثعلبي المتوفى ٤٢٧/ ٤٣٧ في تفسيره، والواحدي المتوفى ٤٦٨ في أسباب النزول، والقرطبي المتوفى ٥٦٧ في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره، والفخر الرازي المتوفى ٦٠٦ في تفسيره الكبير، وابن كثير الشامي المتوفى ٧٧٤ في تفسيره، والنيشابوري المتوفى في القرن الثامن في تفسيره، وجلال الدين السيوطي في تفسيره، والخطيب الشربيني في تفسيره، والآلوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠ في تفسيره، وغيرهم.

والمتكلّم حين يقيم البراهين في كلّ مسألة من مسائل علم الكلام، إذا انتهى به السير إلى مسألة الإمامة فلا مُنتدح له من التعرّض لحديث الغدير حجّةً على المدّعي أو نقلاً لحجّة الخصم، وإن أردفه بالمناقشة في الحساب عند الدلالة، كالقاضي أبي بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ٤٠٣ في التمهيد، والقاضي عبد الرحمن الإيجي الشافعي المتوفى ٧٥٦ في المواقف، والسيد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦ في شرح المواقف، والبيضاوي المتوفى ٦٨٥ في طوالع الأنوار، وشمس الدين الأصفهاني في مطالع الأنظار؛ والتفتازاني المتوفى ٧٩٢ في شرح المقاصد، والقوشجي المولى علاء الدين المتوفى ٨٧٩ في شرح التجريد. وهذا لفظهم:

إنّ النبيّ ﷺ قد جمع الناس يوم غدير خمّ، موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، وذلك بعد رجوعه من حجّة الوداع، وكان يوماً صائفاً حتى إنّ الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدّة الحرّ، وجمع الرحال. وصعد عليها، وقال مخاطباً: معاشر المسلمين ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللّهم بلى، قال: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال مَن والاه، وعاد من عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله[1].

ومن المتكلّمين القاضي النجم محمّد الشافعي المتوفى ٨٧٦ في بديع

---

(١) ذكرنا لفظهم لكونه غير مسند بل ذكروه إرسال المسلم.

المعـاني، وجلال الـدين السيوطي في أربعينـه، ومفتي الشام حـامد بن علي العمـادي في الصلاة الفـاخرة بـالأحـاديث المتـواتـرة، والآلـوسي البغـدادي المتوفى ١٣٢٤ في نثر اللآلي، وغيرهم.

واللغويّ لا يجد مُنتدحاً من الإيعاز إلي حديث الغدير عند إفاضة القول في معنى المولى أو الخمّ، أو الغدير، أو الوليّ. كابن دريد محمد بن الحسن المتوفّى ٣٢١ في جمهرته ج ١ ص ٧١[(١)] وابن الأثير في النهاية، والحموي في معجم البلدان في خمّ، والـزبيدي الحنفي في تـاج العروس، والنبهـاني في المجموعة النبهانية.

---

(١) قال: غدير خم معروف وهو الموضع الذي قام فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم خطيباً بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كذا في المطبوع من الجمهرة، وقد حكى عنه ابن شهر اشوب وغيره في العصور المتقدمة من النسخ المخطوطة من الجمهرة ما نصه: هو الموضوع الذي نص النبي عليه السلام فيه على عليّ (ع) اهـ وقد حرفته يد الطبع الأمينة.



واقعة الغدير

أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحج في سنة عشر من مهاجره، وأذّن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمّون به في حجّته تلك التي يُقال عليها حجّة الوداع، وحجّة الإسلام، وحجّة البلاغ، وحجّة الكمال، وحجّة التمام[1] ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله. فخرج صلّى الله عليه وآله من المدينة مُغتسلاً متدهّناً مُترجّلاً مُتجرّداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامّة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس[2].

وعند خروجه صلّى الله عليه وآله أصاب الناس بالمدينة جدري (بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما) أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحج معه صلّى الله عليه وآله، ومع ذلك كان معه جموعٌ لا يعلمها إلاّ الله تعالى، وقد يقال: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدة من خرج معه، وأما الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة

---

(١) الذي نظنه «وظن الألمعي يقين» أن الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾، الآية كما أن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول قوله سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾، الآية.

(٢) الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٢٢٥، إمتاع المقريزي ص ٥١٠، إرشاد الساري ج ٦ ص ٤٢٩.

والذين أتوا من اليمن مع عليّ (أمير المؤمنين) وأبي موسى[١].

أصبح صلّى الله عليه وآله يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعشّى بشرف السيالة، وصلّى هناك المغرب والعشاء، ثم صلّى الصبح بعرق الظبية، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب والعشاء بالمتعشّى وتعشّى به، وصلّى الصبح بالأثابة، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج واحتجم بلحي جمل «وهو عقبة الجحفة» ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلّى هناك ثم راح من الأبواء ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد وسبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصفّوا صفوفاً فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالنسلان «مشيٌ سريعٌ دون العدو» ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الإثنين بمرّ الظهران فلم يبرح حتى أمسى وغربت له الشمس بسرف فلم يصلّ المغرب حتى دخل مكة، ولمّا انتهى إلى الثنيّتين بات بينهما فدخل مكة نهار الثلاثاء[٢].

فلما قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات ووصل إلى غدير خمّ من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيّين والمصريّين والعراقيّين، وذلك يوم الخميس[٣] الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك، الآية. وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ ما تحتهنّ حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهنّ فصلّى بالناس تحتهنّ،

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣، سيرة أحمد زيني دحلان ج ٣ ص ٣، تاريخ الخلفاء لابن الجوزي في الجزء الرابع، تذكرة خواص الأمة ص ١٨، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٣ ص ٥٤٢.

(٢) الإمتاع للمقريزي ص ٥١٣ - ٥١٧.

(٣) هو المنصوص عليه: في لفظ البراء بن عازب وبعض آخر من رواة حديث الغدير وسيوافيك كلامنا فيه ص ٦٥.

وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الرمضاء، وظلّل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلمّا انصرف صلّى الله عليه وآله من صلاته قام خطيباً وسط القوم[١] على أقتاب الإبل[٢] وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته فقال:

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ـ أما بعد ـ: أيها الناس قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلاّ مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أُدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنته حقّ وناره حقّ وأنّ الموت حقّ وأنّ السعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللّهم اشهد، ثمّ قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى[٣] فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلّفوني في الثقلين[٤] فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عز وجل وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد عليّ فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيّها الناس مَن أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه،

---

(١) جاء في لفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥٦ وغيره.
(٢) ثمار القلوب ص ٥١١ ومصادر أخر كما مرت ص ٢٥
(٣) الصنعاء. عاصمة اليمن اليوم. وبصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.
(٤) الثقل، بفتح المثلثة والمثناة: كل شيء خطير نفيس.

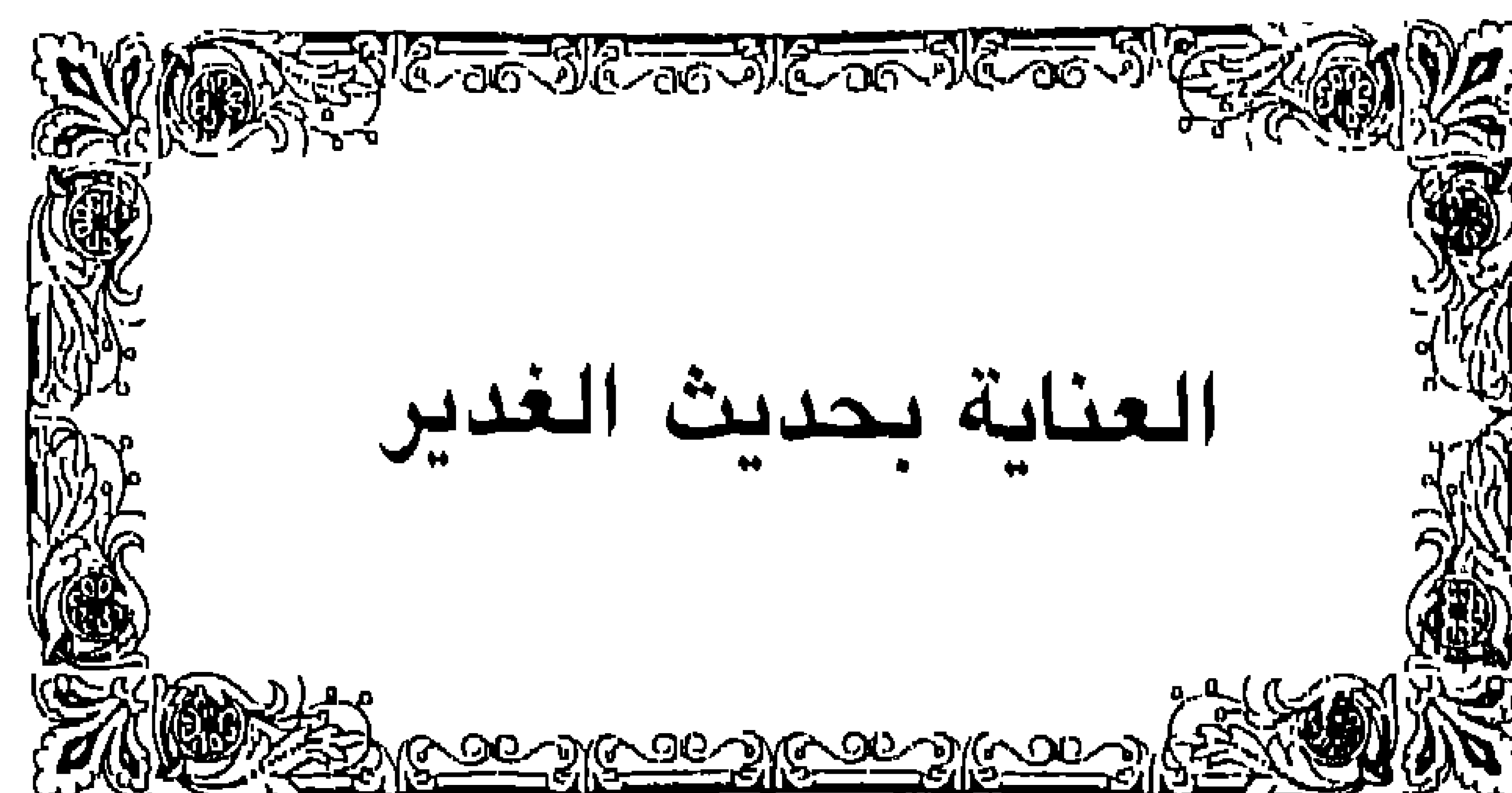
يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلّغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، الآية فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعلّي من بعدي، ثم طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنّأه في مقدّم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر كلٌّ يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهن، فقال: قل على بركة الله، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية ثم قال:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم بخمّ فأسمع بالرسول مناديا[١]

هذا مجمل القول في واقعة الغدير وسيوافيك تفصيل ألفاظها، وقد أصفقت الأمّة على هذا وليست في العالم كله وعلى مستوى البسيط واقعةٌ إسلاميةٌ غديريـةٌ غيره، ولو أطلق يومه فلا ينصرف إلاّ إليـه، وإن قيل محلّه فهـو هذا المحـلّ المعروف على أمم من الجحفة، ولم يعرف أحد من البحّاثة والمنقّبين سواه، نعم: شذّ عنهم (الدكتور ملحم إبراهيم الأسود) في تعليقه على ديوان أبي تمام فإنّه قال: هي واقعة حرب معروفة. ولنا حول ذلك بحثٌ ضاف تجده في ترجمة أبي تمام من الجزء الثاني إن شاء الله.

---

(١) إلى آخر الأبيات الآتية في ترجمة حسان في شعراء القرن الأول من الجزء الثاني.



العناية بحديث الغدير

كان للمولى سبحانه مزيد عناية بإشهار هذا الحديث، لتتداوله الألسن وتلوكه أشداق الرواة، حتى يكون حجّة قائمة لحامية دينه الإمام المقتدى صلوات الله عليه، ولذلك أنجز الأمر بالتبليغ في حين مزدحم الجماهير عند منصرف نبيِّه صلّى الله عليه وآله من الحج الأكبر، فنهض بالدعوة وكراديس الناس وزرافاتهم من مختلف الديار محتفَّةٌ به، فردّ المتقدّم، وجعجع بالمتأخّر، وأسمع الجميع[1] وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كلهم رواة هذا الحديث، وهم يربون على مائة ألف ولم يكتف سبحانه بذلك كله حتى أنزل في أمره الآيات الكريمة تُتلا مع مرّ الجديدين بكرةً وعشيّاً، ليكون المسلمون على ذكر من هذه القضية في كل حين، وليعرفوا رشدهم، والمرجع الذي يجب عليهم أن يأخذوا عنه معالم دينهم.

ولم يزل مثل هذه العناية لنبينا الأعظم صلّى الله عليه وآله حيث استنفر أمم الناس للحج في سنته تلك، فالتحقوا به ثباً ثباً، وكراديس كراديس،

(١) روى النسائي في إحدى طرق حديث الغدير عن زيد بن أرقم في الخصائص ص ٢١ وفيه: قال أبو الطفيل: سمعته من رسول الله ﷺ فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه. وصححه الذهبي كما في تاريخ ابن كثير الشامي ج ٥ ص ٢٠٨، وفي مناقب الخوارزمي في أحد أحاديث الغدير ص ٩٤: ينادي رسول الله بأعلى صوته، وقال ابن الجوزي في المناقب: كان معه صلّى الله عليه وآله من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة مائة وعشرون الفاً وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة.

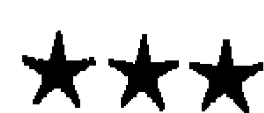
وهو ﷺ يعلم أنه سوف يبلّغهم في منتهى سفره نبأً عظيماً، يقام به صرح الدين، ويشاد علاليه، وتسود به أُمّته الأمم، ويدبّ ملكها بين المشرق والمغرب، لو عقلت صالحها، وأبصرت طريق رشدها(١) ولكن . . .

ولهذه الغاية بعينها لم يبرح أئمة الدين سلام الله عليهم يهتفون بهذه الواقعة، ويحتجّون بها لإمامة سلفهم الطاهر، كما لم يفتأ أمير المؤمنين صلوات الله عليه بنفسه يحتجّ بها طيلة حياته الكريمة، ويستنشد السامعين لها من الصحابة الحضور في حجّة الوداع في المنتديات ومجتمعات لفائف الناس، كل ذلك لتبقى غضّةً طريَّةً، بالرغم من تعاور الحقب والأعوام ولذلك أمروا شيعتهم بالتعيّد في يوم الغدير والاجتماع وتبادل التهاني والبشائر، إعادةً لجدَّة هاتيك

(١) اخرج أحمد في مسنده ج ١ ص، ١٠٩ عن زيد بن يثيع عن علي عن النبي صلّى الله عليه وسلم في حديث: وإن تؤمروا علياً رضي الله عنه ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم. وروى الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ٤٧ بإسناده عن حذيفة في حديث «حرف صدره وزيد عليه» عن النبي ﷺ: وإن وليتموها (الخلافة) علياً وجدتموه هادياً مهدياً يسلك بكم على الطريق المستقيم وفي رواية أبي داود: إن تستخلفوه (عليًا) ولن تفعلوا ذلك يسلك بكم الطريق وتجدوه هادياً مهدياً. وفي حديث أبي نعيم في الحلية ج ١ ص ٦٤ عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال: إن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم. وفي لفظ آخر: وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم، وفي كنز العمال ج ٦ ص ١٦٠ عن فضائل الصحابة لأبي نعيم، وفي حليته ج ١ ص ٦٤ ان تستخلفوا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء، وأخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في الكفاية ص ٦٧ بهذا اللفظ وبلفظ أبي نعيم الأول، وفي الكنز ج ٦ ص ١٦٠ عن الطبراني وفي المستدرك للحاكم ان وليتموها علياً فهاد مهدي يقيمكم على طريق مستقيم، وروى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٦٨ مسنداً عن عبدالله بن مسعود قال: كنت مع رسول الله ﷺ وقد أصحر فتنفس الصعداء، فقلت: يا رسول الله ما لك تتنفس؟ قال: يابن مسعود نعيت إليّ نفسي، فقلت: يا رسول الله استخلف، قال: من؟ قلت: أبا بكر فسكت، ثم تنفس، فقلت: ما لي أراك تتنفس؟ قال: نعيت إليّ نفسي. فقلت: استخلف يا رسول الله، قال: من؟ قلت: عمر بن الخطاب. فسكت، ثم تنفس قال فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال نعيت إليّ نفسي فقلت: يا رسول الله استخلف قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب قال: أوه ولن تفعلوا إذاً أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة، ورواه ابن كثير في البداية ج ٧ ص ٣٦٠ عن الحاكم أبي عبدالله النيسابوري عن أبي عبدالله محمد بن علي الآدمي عن إسحاق الصنعاني عن عبد الرزاق عن أبيه عن ابن ميناء عن عبدالله بن مسعود.

الواقعة العظيمة، كما ستمرّ عليك تفاصيل هذه الجمل في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فإلى الملتقى.

وللإمامية مجتمعٌ باهرٌ يوم الغدير عند المرقد العلويّ الأقدس، يضمّ إليه رجالات القبائل ووجوه البلاد من الدانين والقاصين، إشادةً بهذا الذكر الكريم، ويروون عن أئمة دينهم ألفاظ زيارة مطنبة فيها تعداد أعلام الإمامة، وحجج الخلافة الدامغة من كتاب وسنّة، وتبسّط في رواية حديث الغدير، فترى كل فرد من أفراد تلكم الآلاف المؤلّفة يلهج بها، رافعاً عقيرته، مبتهجاً بما اختصه الله من منحة الولاية والهداية إلى صراطه المستقيم، ويرى نفسه راوياً لتلك الفضيلة؛ مثبتاً لها؛ يدين الله بمفادها؛ ومن لم يتح له الحظوة بالمثول في ذلك المشعر المقدّس فإنّه يتلوها في نائية البلاد؛ ويومي إليه من مستقرّة وليوم الغدير وظائف من صوم وصلاة ودعاء فيها هتافٌ بذكره؛ تقوم بها الشيعة في أمصارها، وحواضرها، وأوساطها، والقرى، والرساتيق فهناك تجدُ ما يعَدّون بالملايين، أو يُقدّرون بثلث المسلمين أو نصفهم رواتاً للحديث، مخبتين إليه معتنقين له ديناً ونحلة.



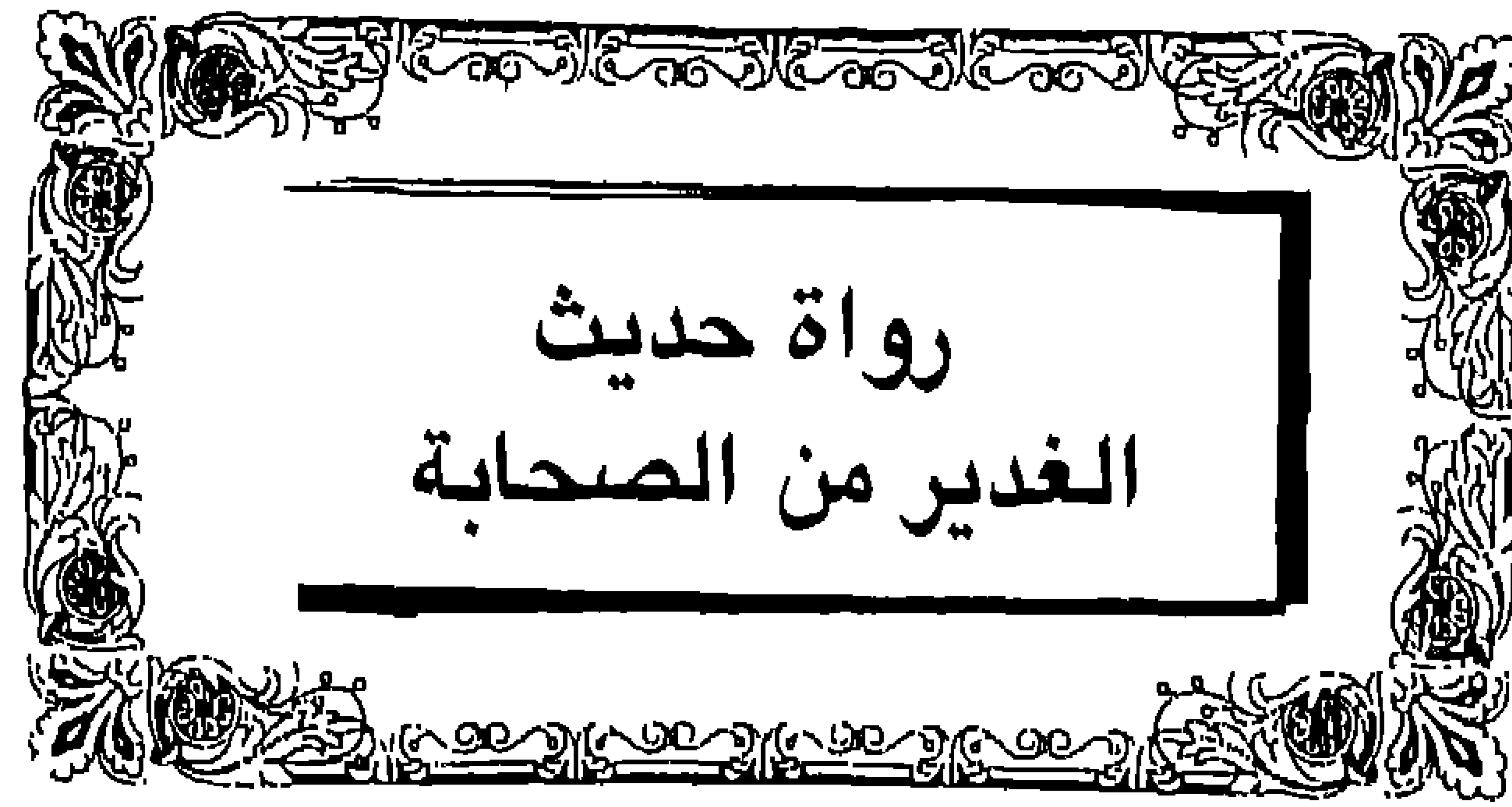
وأمّا كتب الإماميّة في الحديث والتفسير والتاريخ وعلم الكلام فضع يدك على أيّ منها تجده مفعماً بإثبات قصّة الغدير والاحتجاج بمؤدّاها، فمن مسانيد عنعنتها الرواة إلى منبثق أنوار النبوّة، ومراسيل أرسلها المؤلّفون إرسال المسلّم، حذفوا أسانيدها لتسالم فرق المسلمين عليها.

ولا أحسب أنّ أهل السنّة يتأخّرون بكثير من الإمامية في إثبات هذا الحديث، والبخوع لصحته، والركون إليه، والتصحيح له، والإذعان بتواتره، اللّهمّ إلاّ شذّاذ تنكّبت عن الطريقة، وحدت بهم العصبيّة العمياء إلى رمي القول على عواهنه، وهؤلاء لا يُمثّلون من جامعة العلماء إلا أنفسهم، فإنّ المثبتين

المحققين للشأن المتولِّعين في الفن لا تخالجهم أيّة شبهة في اعتبار أسانيدهم التي أنهوها متعاضدةً متظافرةً بل متواترة[١] إلى جماهير من الصحابة والتابعين، وإليك أسماء جملة وقفنا على الطرق المنتهية إليهم على حروف الهجاء.

---

(١) رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً؛ وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً؛ والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق؛ وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً؛ وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً؛ وفي تعليق هداية العقول ص ٣٠ عن الأمير محمد اليمني (أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر): أن له مائة وخمسين طريقاً.



(حرف الألف)

١ ـ أبو هريرة الدوسي المتوفى ٥٧/ ٥٨/ ٥٩ وهو ابن ثمان وسبعين عاماً. يوجد حديثه مسنداً في تاريخ الخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢٩٠ بطريقين عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عنه بلفظه الآتي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزّي، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٢٧، ومناقب الخوارزمي ص ١٣٠ وعدّه في كتابه مقتل الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه ممن روى حديث الغدير من الصحابة، والجزري في أسنى المطالب ص ٣، والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٩ عن ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بطرقهم عنه، وتاريخ الخلفاء ص ١١٤ نقلاً عن أبي يعلى الموصلي بطريقه عنه، وفرائد السمطين للحمويني بإسناده عن شهر بن حوشب عنه، وكنز العمال للمتقي الهندي ج ٦ ص ١٥٤ بطريق ابن أبي شيبة عنه وعن إثنى عشر من الصحابة وج ٦ ص ٤٠٣ عن عميرة بن سعد عنه، والاستيعاب لابن عبد البرّ ج ٢ ص ٤٧٣، والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج ٥ ص ٢١٤ نقلاً عن الحافظين أبي يعلى وابن جرير بإسنادهما عن إدريس وداود عن أبيهما يزيد عنه، وعن شهر بن حوشب عنه، وعن عميرة بن سعد عنه، وحديث الولاية لابن عقدة[1] ونخب المناقب لأبي بكر الجعابي[2]، ونزل الأبرار ص ٢٠ من طرق

---

(١) أخذنا طرق ابن عقدة في كتابه حديث الولاية من اسد الغابة والإصابة وطرائف السيد الأكبر السيد ابن طاوس وغيرهم.

(٢) طرق الجعابي حكاها العلامة السروي في المناقب ج ١ ص ٥٢٩ عن الصاحب ابن عباد عن الجعابي ونقل طرقه عن كتابه (نخب المناقب) العلامة أبو الحسن الشريف في ضياء العالمين فنحن نأخذها عنها.

أبي يعلى الموصلي وابن أبي شيبة عنه.

٢ ـ أبو ليلى الأنصاري يقال: إنه قتل بصفين سنة ٣٧. يوجد لفظه مسنداً في مناقب الخوارزمي ص ٣٥ بالإسناد عن ثوير بن أبي فاختة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن والده قال قال أبي: دفع النبيّ صلّى الله عليه وآله الراية يوم خيبر إلى علي بن أبي طالب ففتح الله تعالى على يده، وأوقفه يوم غدير خمّ فأعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة، وروى عنه حديث الغدير ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤، والسمهودي في جواهر العقدين.

٣ ـ أبو زينب بن عوف الأنصاري. يوجد لفظه في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥، والإصابة ج ٣ ص ٤٠٨ عن الأصبغ بن نباته، وج ٤ ص ٨٠ عن حديث الولاية لابن عقدة من طريق علي بن الحسن العبدي عن سعد الإسكاف عن الأصبغ، وذكر حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم الرحبة وفي المستنشدين أبو زينب المذكور، وستقف على لفظ الحديث إن شاء الله.

٤ ـ أبو فضالة الأنصاري من أهل بدر قتل بصفين مع علي عليه السلام. ممن شهد لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم الرحبة في رواية أصبغ بن نباته المرويّة في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥ عن حديث الولاية، وعدّه القاضي في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

٥ ـ أبو قدامة الأنصاري[1] أحد المستنشدين يوم الرحبة كما في اسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٦ عن ابن عقدة بإسناده عن محمّد بن كثير عن فطر وابن الجارود عن أبي الطفيل عنه لمّا شهد لعلي عليه السلام يوم الرحبة، وفي حديث الولاية لابن عقدة، وجواهر العقدين للسمهودي، والإصابة في ج ٤ ص ١٥٩ عن ابن عقدة في حديث الولاية من طريق محمّد بن كثير عن فطر عن أبي

(١) قال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥٩: لعله هو أبو قدامة بن سهيل بن الحارث بن جعدبة بن ثعلبة بن سالم بن مالك بن واقف وهو سالم.

الطفيل قال: كنّا عند عليّ عليه السلام فقال: أنشد الله من شهد يوم غدير خمّ، الحديث كما يأتي وفيه: ممن شهد لعليّ عليه السلام به أبو قدامة الأنصاري.

٦ ـ أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري. روى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ حديث المناشدة وشهادته لعلي عليه السلام في الكوفة بحديث الغدير، ورواه ابن عقدة في حديث الولاية.

٧ ـ أبو الهيثم بن التيهان قتل بصفين سنة ٣٧. يوجد حديثه في حديث الولاية لابن عقدة، ونخب المناقب للجعابي، وفي مقتل[١] الخوارزمي عدّه ممن روى حديث الغدير من الصحابة وفي جواهر العقدين للسمهودي عن فطر وأبي الجارود عن أبي الطفيل عنه شهادته لعلي عليه السلام بحديث الغدير يوم المناشدة، وفي تاريخ آل محمّد ص ٦٧ عدّه من رواة حديث الغدير.

٨ ـ أبو رافع القبطي[٢] مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. روى حديثه ابن عقدة في حديث الولاية، وأبو بكر الجعابي في نخبه، وعدّه الخوارزمي في مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٩ ـ أبو ذؤيب خويلد (أو خالد) بن خالد بن محرث الهذلي الشاعر الجاهلي الإسلامي المتوفى في خلافة عثمان. روى الحديث عنه ابن عقدة في حديث الولاية، والخطيب الخوارزمي في الفصل الرابع من مقتل الإمام السبط سلام الله عليه.

١٠ ـ أبو بكر بن أبي قحافة التيمي المتوفّى ١٣. روى عنه حديث الغدير ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، وأبو بكر الجعابي في النخب، والمنصور الرازي في كتابه في حديث الغدير، وعدّه شمس الدين الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص ٣ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

١١ ـ اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي المتوفّى ٥٤ وهو ابن ٧٥ عاماً.

---

(١) نسخته موجودة عندنا.

(٢) اختلف في اسمه بين إبراهيم وأسلم وهرمز وثابت وسنان ويسار وقرمان وعبد الرحمن ويزيد.

يوجد حديثه في حديث الولاية، ونخب المناقب.

١٢ ـ أبيّ بن كعب الأنصاري الخزرجي سيّد القرّاء المتوفّى ٣٠/ ٣٢ وقيل غير ذلك. روى عنه الحديث أبو بكر الجعابي بإسناده في نخب المناقب.

١٣ ـ أسعد بن زرارة الأنصاري. روى ابن عقدة في حديث الولاية عن محمّد بن الفضل بن إبراهيم الأشعري عن أبيه عن المثنّى بن القاسم الحضرمي عن هلال بن أيوب الصيرفي عن أبي كثير الأنصاري عن عبدالله بن أسعد بن زرارة عن أبيه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حديث الغدير(١) وأبو بكر الجعابي في النخب، وأبو سعيد مسعود السجستاني في كتاب الولاية(٢) عن أبي الحسن أحمد بن محمّد البزاز الصيني إملاءً في صفر سنة ٣٩٤ قال: حدّثني أبو العباس أحمد بن سعيد الكوفي الحافظ سنة ٣٣٠، وأخبرنا أبو الحسين بن محمّد بن محمّد بن علي الشروطي قال: أخبرنا أبو الحسين محمّد بن عمر بن بهتة، وأبو عبدالله الحسين بن هارون بن محمّد القاضي الصيني، وأبو محمّد عبدالله بن محمّد الأكفاني القاضي، قالوا: أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد قال: حدّثنا محمّد بن الفضل بن إبراهيم الأشعري إلى آخر السند المذكور لابن عقدة، وعدّه شمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص ٤ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

١٤ ـ أسماء بنت عميس الخثعمية. روى عنها ابن عقدة بالإسناد في كتاب الولاية.

١٥ ـ أمّ سلمة زوجة النبيّ الطاهر ﷺ. أخرج ابن عقدة من طريق عمرو بن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدّه عن أم سلمة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ بغدير خمّ فرفعها حتى رأينا بياض إبطيه فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ثم قال: أيّها الناس! إني مُخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، ورواه عنها السمهودي الشافعي في

---

(١) راجع كتاب اليقين في الباب السابع والثلاثين.

(٢) حكاه عنه ابن طاوس في «اليقين» وابن حاتم في «الدر النظيم في الأئمة اللهاميم».

جواهر العقدين كما في ينابيع المودّة ص ٤٠، والشيخ أحمد بن الفضل بن محمَّد باكثير المكي الشافعي في وسيلة المآل من طريق ابن عقدة باللفظ المذكور.

١٦ ـ أمّ هاني بنت أبي طالب سلام الله عليهما. قالت: رجع رسول الله ﷺ من حجّته حتى نزل بغدير خمّ ثم قام خطيباً بالهاجرة فقال: أيّها الناس! الحديث. أخرجه عنها البزّار في مسنده، ورواه عنه السمهودي الشافعي كما ذكره القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ص ٤٠، وأخرجه عنها ابن عقدة في كتاب حديث الولاية بإسناده.

١٧ ـ أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي خادم النبيّ صلّى الله عليه وآله المتوفّى ٩٣. يروي الحديث عنه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٧ ص ٣٧٧، وابن قتيبة الدينوري في المعارف ص ٢٩١، وابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عن مسلم الملائي عن أنس، وأبو بكر الجعابي في نخبه، والخطيب الخوارزمي في المقتل، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ بطريق الطبراني، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ و٤٠٣ عن عميرة بن سعيد عنه، والبدخشي في نزل الأبرار ص ٢٠ من طريق الطبراني والخطيب، وعُدّ من رواة حديث الغدير في أسنى المطالب للجزري ص ٤.

(حرف الباء الموحّدة)

١٨ ـ براء بن عازب الأنصاري الأوسي نزيل الكوفة المتوفّى ٧٢. يوجد الحديث بلفظه في مسند أحمد ج ٤ ص ٢٨١ بإسناده عن عفّان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء، وبطريق آخر عن عدي عن البراء بلفظ يأتي في حديث التهنئة إن شاء الله، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٨ و٢٩ عن ابن جدعان عن عدي عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجّته التي حجّ فنزل في بعض الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من

نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فهذا وليّ من أنا مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

وفي خصائص النسائي ص ١٦ عن أبي إسحاق عنه، وتاريخ الخطيب البغدادي ج ١٤ ص ٢٣٦، وتفسير الطبري ج ٣ ص ٤٢٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، والكشف والبيان للثعلبي يأتي بلفظه وسنده، واستيعاب ابن عبد البر ج ٢ ص ٤٧٣، والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج ٢ ص ١٦٩ من طريق الحافظ ابن السمان، ومناقب الخطيب الخوارزمي ص ٩٤ بالإسناد عن عدي عنه، والفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥ نقلاً عن الحافظ أبي بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي والإمام أحمد بن حنبل، وذخائر العقبى للمحبّ الطبري ص ٦٧، وكفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي ص ١٤ عن عدي بن ثابت عنه، وتفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ٦٣٦، وتفسير النيسابوري ج ٦ ص ١٩٤، ونظم درر السمطين لجمال الدين الزرندي، والجامع الصغير ج ٢ ص ٥٥٥ من طريق أحمد وابن ماجة، ومشكاة المصابيح ص ٥٥٧ ما روي من طريق أحمد عن البراء وزيد بن أرقم، وشرح ديوان أمير المؤمنين عليه السلام للميبدي بطريق أحمد، وفرائد السمطين بخمس طرق عن عديٍ بن ثابت عنه، وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ من طريق أحمد عنه وص ٣٩٧ نقلاً عن سنن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده عنه، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٩ عن عدي عنه نقلاً عن ابن ماجة، والحافظ عبد الرزاق، والحافظ أبي يعلى الموصلي، والحافظ حسن بن سفيان، والحافظ ابن جرير الطبري، وفي ج ٧ ص ٣٤٩ من طريق الحافظ عبد الرزاق عن معمّر عن ابن جدعان عن عدي عن البراء قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا غدير خمّ بعث منادياً ينادي فلمّا اجتمعنا قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ألست أولى بكم من أمهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ألست أولى بكم من آبائكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ألست؟ ألست؟ ألست؟ قلنا: بلى يا

رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه[١] اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت اليوم وليّ كل مؤمن، وكذا رواه ابن ماجة من حديث حمّاد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي عن عدي بن ثابت عن البراء، وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن ابن إسحاق عن البراء به اهـ.

ورواه الحافظ أبو محمَّد العاصمي في «زين الفتى» عن أبي بكر الجلاب عن أبي أحمد الهمداني عن أبي جعفر محمَّد بن إبراهيم القهستاني عن أبي قريش محمَّد بن جمعة عن أبي يحيى المقري عن أبيه عن حمّاد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بلفظ يأتي في حديث التهنئة، ويوجد حديثه في نزل الأبرار ص ١٩ من طريق أحمد وص ٢١ من طريق أبي نعيم في فضائل الصحابة عن البراء، وفي الخطط للمقريزي ج ٢ ص ٢٢٢ بطريق أحمد عنه، ومناقب الثلاثة من طريق أحمد والحافظ أبي بكر البيهقي عنه، وفي روح المعاني ج ٢ ص ٣٥٠ عنه، وتفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٤ من طريق أحمد وابن ماجة عنه، وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٣ من رواة الحديث.

١٩ - بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي المتوفّى ٦٣. يوجد حديثه في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٠ عن محمَّد بن صالح بن هاني قال: حدّثنا أحمد بن نصر وأخبرنا محمّد بن علي الشيباني بالكوفة حدّثنا أحمد بن حازم الغفاري حدَّثنا محمّد بن عبدالله العمري، حدّثنا محمّد بن إسحق، حدّثنا محمّد بن يحيى وأحمد بن يوسف، قالوا: حدّثنا إبو نعيم حدّثنا ابن إبي غنية[٢] عن حكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنه، وفي حلية الأولياء ج ٤ ص ٢٣ بإسناده من طريق ابن عيينة المذكور، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٤٧٣ في

---

(١) كذا في المطبوع من البداية وفي المخطوط كما ينقل عنه في العبقات: من كنت مولاه فإن علياً بعدي مولاه.

(٢) كذا في المستدرك، وفي الحلية لأبي نعيم: ابن عيينة. وفي بعض النسخ: ابن أبي عتبة. وفي بعضها ابن عينة. ويقال: الصحيح ابن أبي غنية.

ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، وعدّه في مقتل الخوارزمي وأسنى المطالب للجزري الشافعي ص ٣ ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وفي تاريخ الخلفاء ص ١١٤ رواه عنه من طريق البزّار، وفي الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٥٥ من طريق أحمد وفي كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبة وابن جرير وأبي نعيم بإسنادهم عنه، وفي مفتاح النجا ونزل الأبرار ص ٢٠ من طريق البزّار عنه، وفي تفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٤ من طريق أحمد عنه.

(حرف الثاء المثلثة)

٢٠ - أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري الخزرجي المدني. ممن شهد لعليّ عليه السلام بحديث الغدير كما يأتي في حديث المناشدة في رواية ابن عقدة في حديث الولاية، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥، وعُدّ في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ ممن روى حديث الغدير.

(حرف الجيم الموحّدة)

٢١ - جابر بن سمرة بن جنادة أبو سليمان السوائي نزيل الكوفة والمتوفّى بها بعد سنة سبعين وفي الإصابة أنه توفي سنة ٧٤. روى الحديث بلفظه ابن عقدة في حديث الولاية، والخوارزمي في الفصل الرابع من مقتله عدّه ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وروى المتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده عنه، قال: كنّا بالجحفة «غدير خمّ» إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

٢٢ - جابر بن عبدالله الأنصاري المتوفّى بالمدينة ٧٣/ ٧٤/ ٧٨ وهو ابن ٩٤ عاماً. روى الحافظ الكبير ابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عنه قال: كنّا مع النبي صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع فلمّا رجع إلى الجحفة نزل ثمّ خطب الناس فقال: أيها الناس إني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت وأدّيت، قال: إني لكم فرَط وأنتم واردون عليّ الحوض وإني مخلّفٌ فيكم الثقلين إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله

وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: ألستم تعلمون أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، فقال آخذاً بيد علي: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، ثم قال: اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

ورواه عنه أبو بكر الجعابي في نخبه، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٣، ويوجد حديثه في أسماء الرجال لأبي الحجاج، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧، وكفاية الطالب ص ١٦ بطريق عالٍ عن مشايخه الحفّاظ: الشريف أبي تمام علي بن أبي الفخار الهاشمي، وأبي طالب عبد اللطيف بن محمّد القبيطي، وإبراهيم بن عثمان الكاشغري بطرقهم عن عبدالله بن محمّد ابن عقيل قال: كنت عند جابر بن عبدالله في بيته وعلي بن الحسين ومحمّد بن الحنفية وأبو جعفر فدخل رجل من أهل العراق فقال: بالله إلاّ ما حدَّثتني ما رأيت وما سمعت من رسول الله؟ إلى آخر ما يأتي في حديث مناشدة رجل عراقي جابر بن عبدالله.

ورواه الحافظ الحمويني في فرائد السمطين في السمط الأوّل في الباب التاسع من طريق الحافظ ابن البطي، وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩ بالإسناد عن عبدالله بن محمّد بن عقيل عنه ثم قال: قال شيخنا الذهبي: هذا حديثٌ حسنٌ، وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بنحوه، والمتقي في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ نقلاً عن البزّار بإسناده عنه، والسمهودي في جواهر العقدين كما نقله عنه القندوزي الحنفي في ينابيعه ص ٤١ باللفظ المذكور عن ابن عقدة، والوصّابي الشافعي في الإكتفاء نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبة في سننه بإسناده عنه.

وأخرج الحافظ ابن المغازلي كما في العمدة «لابن بطريق» ص ٥٣ بإسناده عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبدالله إنّ رسول الله ﷺ نزل بخمّ فتنحّى الناس عنه وأمر عليّاً فجمعهم فلمّا اجتمعوا قام فيهم وهو متوسّدٌ يد علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال: أيّها الناس إني قد كرهت تخلّفكم عنّي حتى خُيّل لي أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني؟ ثم قال: لكن علي بن أبي طالب أنزله الله منّي بمنزلتي منه فرضى الله عنه كما أنا راض عنه، فإنّه لا يختار على قربي ومحبّتي شيئاً ثم رفع يديه فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فابتدر الناس إلى رسول الله ﷺ يبكون ويتضرّعون ويقولون: يا رسول الله ما تنحّينا عنك إلاّ كراهية أن نثقل عليك فنعوذ بالله من سخط رسوله فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك. ورواه الثعلبي في تفسيره كما في ضياء العالمين.

وعدّه الخوارزمي في مقتله، والجزري في أسنى المطالب ص ٣، والقاضي في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

٢٣ - جبلة بن عمرو الأنصاري. رواه عنه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية.

٢٤ - جُبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي المتوفّى ٥٧/ ٨/ ٩ عدّه القاضي بهلول بهجت في تاريخ آل محمّد ص ٦٨ ممن روى حديث الغدير، وروى الهمداني في مودّة القربى عنه شطراً من الحديث، وذكره الحنفي في الينابيع ص ٣١ و٣٣٦.

٢٥ - جرير بن عبدالله بن جابر البجلي المتوفّى ٥١/ ٥٤. توجد روايته الحديث في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٩ ص ١٠٦ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني بإسناده عنه قال: شهدنا الموسم في حجّة الوداع فبلغنا مكاناً يقال له: غدير خمّ فنادى الصلاة جامعة فاجتمع المهاجرون والأنصار فقام رسول الله ﷺ وسطنا، قال: يا أيّها الناس بِمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا آله إلاّ الله، قال: ثمّ مَه؟ قالوا: وأنّ محمّداً عبده ورسوله، قال: فمن وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله مولانا. ثمّ ضرب بيده إلى عضد علي فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه، فقال: من يكن الله ورسوله مولاه فإنّ هذا مولاه اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهمّ من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً،

اللهمّ إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين[1] فاقض له بالحسنى. قال بشر: قلت مَن هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري.

ورواه عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ بطريق الطبراني، وابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص١٥٤ و٣٩٩ بطريق الطبراني؛ والوصّابي في كتاب الإكتفاء؛ والبدخشي في مفتاح النجا؛ وعدّه الخوارزمي في مقتله من رواة الحديث من الصحابة.

٢٦ ـ أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري المتوفّى ٣١. يُروى حديثه في حديث الولاية لابن عقدة؛ ونخب المناقب للجعابي؛ وفرائد السمطين في الباب الثامن والخمسين؛ وعدّه الخطيب الخوارزمي في مقتله ممّن روى حديث الغدير وكذلك شمس الدين الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص ٤.

٢٧ ـ أبو جنيدة جندع بن عمرو بن مازن الأنصاري. روى ابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٣٠٨ بالإسناد عن عبدالله بن العلا عن الزهري عن سعيد بن جناب عن أبي عنفوانة المازني عن جندع قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار. وسمعته وإلّا صمتا يقول وقد انصرف من حجة الوداع فلما نزل غدير خمّ قام في الناس خطيباً وأخذ بيد عليّ وقال: من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. وقال عبدالله بن العلا: فقلت للزهري: لا تُحدّث بهذا بالشام وأنت تسمع ملء أذنيك سبّ علي فقال: والله إنّ عندي من فضائل عليّ ما لو تحدّثت لَقُتلتُ. أخرجه الثلاثة.

---

(١) في تعليق هداية العقول ص ٣١: لعله أراد بالعبدين الصالحين أبا بكر وعمر وقيل: الخضر والياس وقيل: حمزة وجعفر رضي الله عنهما لأن عليّاً عليه السلام كان يقول عند اشتداد الحرب واحمزتاه ولا حمزة لي! واجعفراه ولا جعفر لي! أقول: هذا رجم بالغيب إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدين الصالحين بمن ذكر إلّا أن يعثر على نص والظاهر عدم ذلك لما ذكره سيدي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل رحمه الله لما سأله بعضهم عن تفسير الحديث فأجاب بما لفظه: لم أعثر عليه في شيء من كتب الحديث إلّا أن في رواية مجمع الزوائد ما يدل على عدم معرفة الراوي أيضاً بالمراد بالرجلين لأن فيه قال بشر أي الراوي عن جرير: قلت من هذين العبدين الصالحين؟ قال لا أدري. قال رحمه الله: ومثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر اهـ.

وروى الشيخ محمّد صدر العالم في معارج العلى من طريق الحافظ أبي نعيم بإسناده عن جندع، وعُدّ في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

(حرف الحاء المهملة)

٢٨ ـ حَبَّة «بفتح أوله وتشديد الموحّدة» بن جوين أبو قدامة العرني «بضم العين وفتح الراء» البجلي المتوفّى ٧٦/ ٧٩. وثّقه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص١٠٣، وحكى الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢٧٦ ثقته عن صالح بن أحمد عن أبيه وذكر أنّه تابعي، روى عنه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والدولابي في الكنى والأسماء ج ٢ ص ٨٨ عن الحسن بن علي بن عفان قال: حدّثنا الحسن بن عطية قال: أنبأ يحيى بن سلمة بن كهيل عن حَبَّة العرني عن أبي قلابة[1] قال: نشد الناس عليٌّ في الرحبة فقام بضعة عشر رجلاً فيهم رجل عليه جبّة عليها إزار حضرميّة فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وروى الحافظ ابن المغازلي في المناقب عنه حديث المناشدة الآتي إن شاء الله، والخطيب الخوارزمي عدّه في مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وقال ابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٣٦٧ في ترجمة حبَّة: ذكره أبو العباس بن عقدة في الصحابة وروى عن يعقوب بن يوسف بن زياد وأحمد بن الحسين بن عبد الملك قال: أخبرنا نصر بن مزاحم أخبرنا عبد الملك بن مسلم الملائي عن أبيه عن حبّة بن جوين العرني البجلي قال: لمّا كان يوم غدير خمّ دعا النبيّ ﷺ الصلاة جامعة نصف النهار قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أتعلمون أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا نعم، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. وأخذ بيد عليّ حتى رفعها حتى نظرت إلى آباطهما وأنا يومئذٍ مشرك، أخرجه أبو موسى وروى ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣٧٢ من كتاب الموالاة لابن عقدة الحديث المذكور، والقندوزي في ينابيع المودّة ص ٣٤.

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: عن حبة العرني أبي قدامة.

٢٩ ـ حُبشي «بضم المهملة» بن جنادة السلولي نزيل الكوفة. ممن شهد لعلي عليه السلام يوم المناشدة كما في حديث أصبغ الآتي، رواه ابن عقدة في حديث الولاية، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩ نقلاً عن الذهبي، وروى السيوطي في جمع الجوامع من طريق الطبراني في المعجم الكبير، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١١ عن أبي إسحاق عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، ورواه عنه أيضاً في ج ٧ صحيفة ٣٤٩.

وروى الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ قال: قال حبشي: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: اللهمَّ من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ وليست فيه كلمة «اللهمَّ» في صدر الحديث، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص ٢٠ ومفتاح النجا، والشيخ إبراهيم الوصّابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء من طريق الطبراني عنه بلفظ السيوطي. وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٤ من رواة الحديث.

٣٠ ـ حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي. روى الحديث عنه بإسناده ابن عقدة في حديث الولاية،، وابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٣٦٨ من كتاب الموالاة لابن عقدة بإسناده عن زر بن حبيش حديث الركبان المسلّمين على عليّ عليه السلام بقولهم: السلام عليك يا مولانا. وفيه شهادة حبيب لعلي عليه السلام بحديث الغدير، وسيأتي في حديث الركبان، ورواه ابن حجر ملخصاً في الإصابة ج ١ ص ٣٠٤.

٣١ ـ حذيفة بن اسيد أبو سريحة «بفتح السين» الغفاري من أصحاب الشجرة تُوفي ٤٠ / ٤٢. روى عنه حديث الغدير ابن عقدة في كتاب حديث

الموالاة كما نقله عن السمهودي عنه صاحب ينابيع المودة ص ٣٨ قال:

قال السمهودي: وأخرج ابن عقدة في (المـوالاة) عن عامـر بن ضمرة وحذيفة بن أُسيد قالا: قال النبي ﷺ: أيها الناس! إنّ الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم ألا ومن كنت مولاه فهذا مولاه. وأخذ بيد عليّ فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون ثم قـال: اللهمّ وال من والاه وعاد من عـاداه، ثم قال: وإني سائلكم حين تردون عليّ الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، قالوا: وما الثقلان؟ قال: الثقل الأكبـر كتاب الله سببٌ طـرفه بيـد الله وطرفـه بأيديكم، والأصغر عترتي. الحديث، وأخرجه أيضاً بطريق آخر ثم قال: أخرجه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة.

وروى الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٩٨ عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل عن حذيفة أبي سريحة، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن الأثير في اسد الغابة بالإسناد عن سلمة بن كهيل عنه من طريق الحفّاظ: أبي عمرو وأبي نعيم وأبي موسى، والحمويني في فرائد السمطين وإبن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة ص ٢٥ نقلاً عن أبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل العجلي في الموجز في فضائل الخلفاء الأربعة يرفعه بسنده إلى حذيفة بن اسيد وعامر بن ليلى بن ضمرة قالا:

لمّـا صدر رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ولـم يحجّ غيرها أقبل حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرات متغاديات[١] بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فقمّ ما تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلّى بالناس تحتهن وذلك يوم غدير خمّ وبعد فـراغه من الصلاة قال: أيها الناس! إنه قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبيّ إلا نصف عمر النبيّ الذي كـان قبله وإنّي لأظنّ بأني أُدعى وأُجيب وإني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون هل بلّغت؟ فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقـول: قد بلّغت، وجهـدت، ونصحت وجزاك الله خيراً، قال: ألستم تشهدون أن لا آله إلاّ الله، وأنّ محمّداً

---

(١) كذا في النسخ، والصحيح: متقاربات، كما في سائر المصادر.

عبده ورسوله، وأنّ جنته حقّ، وأنّ ناره حقّ، والبعث بعد الموت حقّ؟ قالوا: اللهمّ اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ ألا فإن الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم؛ ألا ومن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وأخذ بيد علي فرفعها حتى نظره القوم، ثم قال: اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

ونقله عن كتاب الموجز للحافظ أبي الفتوح أيضاً صاحب مناقب الثلاثة المطبوع بمصر ص ١٩، ورواه ابن عساكر في تاريخه عن أبي الطفيل عنه، وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩ وج ٧ ص ٣٤٨ قال: وقد رواه معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد قال: لمّا قفل رسول الله ﷺ من حجّة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهنّ ثمّ بعث إليهنّ فصلّى تحتهنّ ثم قام فقال: أيها الناس! قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله وإني لأظنّ أن يوشك أن أُدعى فأُجيب وإني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت، ونصحت، وجهدت، فجزاك الله خيراً، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأن جنته حقّ، وأنّ ناره حقّ، وأنّ الموت حق، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهمّ اشهد، ثم قال: يا أيّها الناس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فهذا مولاه اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. ثمّ قال: أيها الناس! إني فرَطكم وإنّكم واردون عليّ الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بصرى وصنعاء، فيه آنيةٌ عدد النجوم قِدحان من فضّة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلّفوني فيها: الثقل الأكبر: كتاب الله سببٌ طرفه بيد الله وطرفٌ بأيديكم فاستمسكوا به، لا تضلّوا ولا تبدّلوا، والثقل الأصغر: عترتي أهل بيتي فإنه قد نبّأني اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض رواه ابن عساكر بطوله من طريق معروف.

وبهذا اللفظ رواه عنه ابن حجر في الصواعق ص ٢٥ عن الطبراني وغيره بسند صحيح عنده، والحلبي في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠١ نقلاً عن

الطبراني. ورواه بهذا اللفظ الحكيم الترمذي في كتابه «نوادر الأصول» والطبراني في الكبير بسند صحيح كما نقل عنهما صاحب (مفتاح النجا في مناقب آل العبا)، وبهذا التفصيل رواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٥ من طريقي الطبراني وقال: رجال أحد الإسنادين ثقات، وفي نزل الأبرار ص ١٨ من طريق الترمذي في نوادر الأصول والطبراني في الكبير بإسنادهما عن أبي الطفيل عنه والقرماني في أخبار الدول ص ١٠٢ عنه عن النبي ﷺ بطريق الترمذي. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ نقلاً عن الترمذي، وعدّه الخطيب الخوارزمي في مقتله والقاضي في تاريخ آل محمّد ص ٦٨ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٣٢ ـ حذيفة بن اليمان اليماني المتوفّى ٣٦[1]. روى الحديث بلفظه ابن عقدة في حديث الولاية، وأبو بكر الجعابي في نخبه، والحاكم الحسكاني في كتابه (دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة) وقال بعد ذكر حديثه: قرأت حديثه على أبي بكر محمّد بن محمّد الصيدلاني فأقرّ به، وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٤ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٣٣ ـ حسان بن ثابت. أحد شعراء الغدير في القرن الأول فراجع هناك شعره وترجمته.

٣٤ ـ الإمام المجتبى الحسن السبط صلوات الله عليه. روى حديثه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والجعابي في النخب، وعدّه الخوارزمي من رواة حديث الغدير.

٣٥ ـ الإمام السبط الحسين الشهيد سلام الله عليه. رواه عنه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والجعابي في النخب، وعدّه الخطيب الخوارزمي في مقتله ممن روى حديث الغدير، وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى عن شيخه أبي بكر الجلاب عن أبي سعيد الرازي عن أبي الحسن علي بن مهرويه

---

(١) قال ابن حجر في التقريب ص ٨٢: صحابي جليل من السابقين صح في مسلم عنه أن رسول الله أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. حديث مسلم هذا أخرجه كثير من الحفاظ.

القزويني عن داود بن سليمان عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه عن أبيه علي عن الحسين عن أمير المؤمنين، قال: قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره. ورواه عن شيخه محمّد بن أبي زكريا عن أبي الحسن محمّد بن علي الهمداني عن أحمد بن علي بن صدقة الرقي عن أبيه عن علي بن موسى عن أبيه موسى. إلى آخر السند واللفظ المذكورين، ورواه الحافظ ابن المغازلي في المناقب عن أبي الفضل محمّد بن الحسين البرحي الأصبهاني يرفعه إلى الحسين السبط عليه السلام، والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٩ ص ٦٤ بلفظ وسند يأتيان إن شاء الله تعالى، ويأتي احتجاجه عليه السلام بحديث الغدير في محلّه.

(حرف الخاء المعجمة)

٣٦ ـ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري استشهد غازياً بالروم سنة ٥٠/ ٥١/ ٥٢. روى حديثه ابن عقدة في حديث الولاية، والجعابي في نخب المناقب، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ٦ بالإسناد عن يعلى بن مرّة عنه وج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥ بالإسناد عن أصبغ بن نباتة عنه، وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩ عن أحمد بن حنبل عن ابن آدم عن الأشجعي عن رياح بن الحارث عنه، والسيوطي في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء ص ١١٤ من طريق أحمد عنه، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٢ ص ١٥٤ بطريق أحمد والطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي عنه وعن جمع من الصحابة، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج ٧ ص ٧٨٠ وج ٦ ص ٢٢٣ وج ٢ من الطبعة الأولى ص ٤٠٨، والسمهودي في جواهر العقدين عن أبي الطفيل عنه، والبدخشي في نزل الأبرار ص ٢٠ من طريقي أحمد والطبراني، راجع حديثي الرحبة والركبان من هذا الكتاب، وعدّه الجزري في اسنى المطالب ص ٤ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٣٧ ـ أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي المتوفّى ٢١/

٢٢. أخرج الجعابي حديثه بإسناده في النخب.

٣٨ - خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين المقتول بصفين سنة ٣٧. روى حديثه ابن عقدة في حديث الولاية، والجعابي في نخب المناقب، والسمهودي في جواهر العقدين بالإسناد عن أبي الطفيل عنه، وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ بطريق أبي موسى عن علي بن الحسن العبدي عن الأصبغ بن نباتة حديث المناشدة يوم الرحبة وفيه شهادة خزيمة لعليّ عليه السلام بحديث الغدير، وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٤ والقاضي في تاريخ آل محمَّد ص ٦٧ من رواة الحديث من الصحابة.

٣٩ - أبو شريح خويلد «على الأشهر» ابن عمرو الخزاعي نزيل المدينة المتوفّى ٦٨. أحد الشهود لأمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم المناشدة كما يأتي في حديثها.

(حرف الراء المهملة وأختها المعجمة)

٤٠ - رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري. توجد روايته في حديث الولاية بإسناد ابن عقدة، ونخب المناقب للجعابي، وكتاب الغدير لِمنصور الرازي.

٤١ - زبير بن العوام القرشي المقتول سنة ٣٦. روى الحديث عنه ابن عقدة في كتاب الولاية، والجعابي في نخبه، والمنصور الرازي في كتاب الغدير، وهو أحد العشرة المبشَّرة الذين عدَّهم الحافظ ابن المغازلي من رواة الغدير، وعدّه الجزري الشافعي من رواة حديث الغدير في أسنى المطالب ص ٣.

٤٢ - زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي المتوفّى ٦٦/ ٦٨. أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٦٨ عن ابن نمير عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطية العوفي، قال: سألت زيد بن أرقم؟ فقلت له: إن ختناً لي حدَّثني عنك بحديث في شأن عليّ يوم غدير خمّ فأنا أحبّ أن أسمعه منك؟ فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك مني بأس، فقال: نعم كنّا بالجحفة فخرج رسول الله ﷺ إلينا ظهراً وهو آخذٌ بعضد عليّ،

فقال: يا أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه؛ قال: فقلت له: هل قال: اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟ قال: إنّما أخبرك كما سمعت[1].

وفي المسند ج ٤ ص ٣٧٢ عن سفيان عن أبي عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبدالله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له: وادي خمّ فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظُلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: ألستم تعلمون؟ أولستم تشهدون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللهمّ عاد من عاداه، ووال من والاه، ورواه في المسند ج ٤ ص ٣٧٢ عن محمّد بن جعفر عن شعبة عن ميمون، ورواه النسائي عن زيد بإسناده في الخصائص ص ١٦.

وفي الخصائص للنسائي ص ١٥ عن أحمد بن المثنّى قال: حدّثنا يحيى بن حماد قال: أخبرنا أبو عوانة عن سليمان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع النبيّ ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأني دُعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما الأكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلّفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا وليّ كل مؤمن ثم إنه أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحدٌ إلاّ رآه بعينيه وسمعه بأذنيه.

وفي الخصائص أيضاً ص ١٦ عن قتيبة بن سعيد عن ابن أبي عدي عن عوف عن أبي عبدالله ميمون قال: قال زيد بن أرقم: قام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟

---

(١) كتمان زيد ذيل الحديث عن عطية كان للتقية كما يعرب عنها نفس الحديث وقد رواه عنه غيره كما ترى.

قالوا: بلى نشهد لأنت أولى بكل مؤمن من نفسه قال: فإني من كنت مولاه فهذا مولاه، وأخذ بيد عليّ. وبهذا اللفظ رواه الدولابي في الكنى والأسماء ج ٢ ص ٦١ عن أحمد بن شعيب عن قتيبة بن سعيد عن ابن أبي عدي عن عوف عن ميمون عن زيد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بين مَكّة والمدينة إذ نزلنا منزلاً يقال له: غدير خمّ فنودي: إنّ الصلاة جامعة فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه. الحديث.

وروى مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٣٢٥ طبعة سنة ١٣٢٧ بإسناده عن أبي حيّان عن يزيد بن حيّان عن زيد وبطرق أخرى شطراً من حديث الغدير وقال: خطب النبيّ ﷺ بماء يُدعى خمّاً. ولم يرو منه ما في الولاية (مع رواية مشايخه إيّاه) لمرمى هو أعرف به، وروى الحافظ البغوي في مصابيح السنّة ج ٢ ص ١٩٩ حديث الولاية عن زيد وعدّه من الحسان، والحافظ الترمذي رواه في صحيحه عن أبي عبدالله ميمون عن زيد ج ٢ ص ٢٩٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

وروى الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٩ عن أبي الحسين محمّد بن أحمد بن تميم الحنظلي ببغداد عن أبي قلابة عبد الملك بن محمّد الرقاشي عن يحيى بن حمّاد قال: وحدَّثني أبو بكر محمَّد بن بالويه ومحمَّد بن جعفر البزّار قالا: حدّثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي حدّثنا يحيى بن حمّاد. وحدّثنا أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه البخاري حدّثنا صالح بن محمَّد الحافظ البغدادي حدّثنا خلف بن سالم المخرمي حدّثنا يحيى بن حماد حدّثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد، وصحَّحه، وبهذا السند رواه أحمد في المسند ج ١ ص ١١٨ عن شريك عن الأعمش.

وفي ص ١٠٩ عن أبي بكر بن إسحٰق ودعلج بن أحمد السجزي قالا، أنبأ محمّد بن أيوب حدّثنا الأزرق بن عليّ حدّثنا حسان بن إبراهيم الكرماني حدّثنا محمَّد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الطفيل عن زيد، يقول: نزل رسول

الله ﷺ بين مكة والمدينة عند سمرات[1] خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت السمرات ثم راح رسول الله ﷺ عشيّة فصلّى ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال: ما شاء الله أن يقول؛ ثم قال: أيها الناس! إني تاركٌ فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي، ثمّ قال: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ثلاث مرّات قالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وفي ص ٥٣٣ عن محمّد بن علي الشيباني بالكوفة حدّثنا أحمد بن حازم الغفاري حدّثنا ابو نعيم حدّثنا كامل أبو العلا قال سمعت حبيب بن أبي ثابت يخبر عن يحيى بن جعدة عن زيد،قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى غدير خمّ فأمر بدوح فكسح في يوم ما أتى علينا يوم كان أشد حرّاً منه فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنه لم يُبعث نبيٌّ قطّ إلا ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله وإني أوشك أن ادعى فأُجيب وإني تارك فيكم ما لن تضلّوا بعده: كتاب الله عزّ وجل، ثم قام فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى، قال: أخبرني الشيخ أحمد بن محمَّد بن إسحق بن جمع، قال: أخبرنا علي بن الحسين بن علي الدرسكي عن محمَّد بن الحسين بن القاسم عن الإمام أبي عبدالله محمَّد بن كرام رضي الله عنه عن علي بن إسحق عن حبيب بن حسيب أخو حمزة الزيات عن أبي إسحق الهمداني عن عمرو عن زيد بن أرقم أن نبيّ الله ﷺ أتى غدير خمّ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه حتى إذا فرغ من خطبته أخذ بيد عليّ وبعضده حتى رُؤي بياض إبطه فقال: أيها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، وأحبّ من أحبه، ثم قال لعلي: يا علي ألا أعلّمك كلمات تدعو بهنّ لو كانت ذنوبك

(١) جمع السمرة بضم الميم: ضرب من شجر الطلح.

مثل عدد الذرّ لغفر لك مع أنك مغفور لك: اللهمّ لا إله إلاّ أنت تباركت سبحانك ربّ العرش العظيم.

ورواه عنه بإسناده صاحب فرائد السمطين في الباب الثامن والخمسين، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩، والميبدي في شرح ديوان أمير المؤمنين من طريق أحمد، والذهبي في تلخيصه ج ٣ ص ٥٣٣ وصححه، ورواه بطرق اخرى عن زيد، وفي ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٢٤ رواه عن غندر عن شعبة عن ميمون أبي عبدالله عن زيد، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة ص ٢٤ عن الترمذي والزهري عن زيد، وقال: روى الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، هذا اللفظ بمجرّده رواه الترمذي ولم يزد عليه، وزاد غيره وهو الزهري ذكر اليوم والزمان والمكان قال: لمّا حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع وعاد قاصداً المدينة قام بغدير خمّ وهو ماء بين مكة والمدينة، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام وقت الهاجرة، فقال: أيها الناس! إنّي مسؤولٌ وأنتم مسؤولون هل بلّغت؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت ونصحت، قال: وأنا أشهد أني قد بلّغت ونصحت ثم قال: أيّها الناس أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله. قال: وأنا أشهد مثل ما شهدتم. ثم قال: أيّها الناس قد خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وأهل بيتي، ألا وإنّ اللطيف أخبرني: إنّهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، حوضي ما بين بُصرى وصنعاء عدد آنيته عدد النجوم إن الله مسائلكم كيف خلّفتموني في كتابه وأهل بيتي، ثمّ قال: أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي، يقول ذلك ثلاث مرّات، ثم قال في الرابعة وأخذ بيد علي: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. يقولها ثلاث مرّات، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب.

ورواه ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ص ١٦ نقلاً، عن الترمذي، عن زيد، والحافظ أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٤

من طريق أحمد، والطبراني، والبزّار، بإسنادهم عن زيد وفي ص ١٦٣ ولفظه في الثانية، قال: نزل رسول الله ﷺ الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني لا أجد لنبيّ إلاّ نصف عمر الذي قبله وإني أوشك أن ادعى فأُجيب فما أنتم قائلون؟ قالوا: نصحت، قال: أليس تشهدون أن لا إلّه إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنة حقّ، وأنّ النار حقّ؟ قالوا: نشهد، قال: فرفع يده فوضعها على صدره ثم قال: وأنا أشهد معكم، ثم قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: فإني فرَطٌ على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضّة انظروا كيف تخلّفوني في الثقلين، فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرفٌ بيد الله عز وجل وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا، الآخر عشيرتي[١] وإنّ اللطيف الخبير نبّأني: إنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تُعلّموهما فهم أعلم منكم، ثمّ أخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: مَن كنت أولى به من نفسه فعليٌّ وليّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وفي رواية أخصر من هذه: فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، وقال فيها أيضاً: الأكبر كتاب الله والأصغر عترتي، وفي رواية. لَمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن، ثم قام فقال: كأني قد دُعيت فأجبت، وقال في آخره: فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه.

وروى في ج ٩ ص ١٠٥ نقلاً عن الترمذي، والطبراني، والبزّار، بإسنادهم عن زيد، قال: أمر رسول الله ﷺ بالشجرات فقمّ ما تحتها ورشّ ثم خطبنا فوالله ما من شيء يكون إلى يوم الساعة إلاّ قد أخبرنا به يومئذٍ، ثم قال: أيّها الناس مَن أولى بكم مِن أنفسكم؟ قلنا: الله ورسوله أولى بنا من أنفسنا قال: فمن كنت مولاه فهذا مولاه. يعني عليّاً ثم أخذ بيده فبسطها ثمّ قال: اللهمّ وال

(١) كذا في النسخ، والصحيح، عترتي.

من والاه، وعاد من عاداه. ووثق رجاله، انتهى لفظ الحافظ الهيثمي. وأخرج ما رواه الترمذي والنسائي بطريقهما عن زيد بن أرقم.

ورواه عن زيد بن أرقم، الحافظ الزرقاني المالكي في شرح المواهب ج ٧ ص ١٣، ثم قال: وصحّحه الضياء المقدسي، وذكر من طريق الطبراني من الحديث قوله صلّى الله عليه وآله: يا أيها الناس! إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

ورواه الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٩٣، بإسناده عن الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، عن أبي عبدالله الحافظ محمّد بن يعقوب عن الفقيه أبي نصر أحمد بن سهل، عن الحافظ صالح بن محمّد البغدادي، عن خلف بن سالم، عن يحيى بن حمّاد عن، أبي عوانة عن سليمان الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم(١) بلفظ الحافظ النسائي، وقد مرّ عن خصائصه في ص ٥٢!

ورواه عن زيد بن أرقم، ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٣، وأبو الحجّاج في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٨ عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بطريق النسائي، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ نقلاً عن الذهبي، وج ٥ ص ٢٠٩ عن أبي الطفيل ويحيى بن جعدة وأبي عبدالله ميمون عن زيد، وقال: هذا إسنادٌ جيِّدٌ رجاله ثقات، وفي ج ٧ ص ٣٤٨ من طريق غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل عن أبي مريم أو زيد بن أرقم، ومن طريق أحمد بالسند واللفظ المذكورين ص ٥٢، ثم قال: وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعي وحبيب الأسّاف، وعطية العوفي، وأبو عبدالله الشامي، وأبو الطفيل عامر بن واثلة.

---

(١) هذا هو سند الحاكم المذكور في ص ٥٣ وقد صححه.

ورواه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١٤ بطرق ثلاثة لأحمد بن حنبل، وقال بعد ذكر ألفاظه بطرقه في ص ١٥: هكذا أخرجه في مسنده وناهيك به راوياً بسند واحد وكيف وقد جمع طرقه مثل هذا الإمام، ثم روى عن مشايخه الحفاظ الأربعة وهم: شيخ الإسلام أبو محمّد عبدالله بن أبي الوفاء محمّد الباذرائي، والقاضي أبو الفضائل عبد الكريم بن عبد الصمد الأنصاري، وأبو الغيث فرج بن عبدالله القرطبي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي بكر بن أبي إلياس، بأسانيدهم إلى جامع الترمذي بإسناده عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل عن زيد.

ويوجد حديث زيد في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٤، والجامع الصغير ج ٢ ص ٥٥٥ نقلاً عن الترمذي والنسائي والضياء المقدسي، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٣٧، ورياض الصالحين ص ١٥٢، والبيان والتعريف ج ٢ ص ١٣٦ عن الطبراني والحاكم بإسنادهما عن أبي الطفيل عنه، وفي ص ٢٣٠ عن الترمذي والنسائي والضياء المقدسي بإسنادهم عنه، قال: قال السيوطي: حديثٌ متواتر، وفي كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٢ عن الترمذي والضياء المقدسي وص ١٥٤ عن أحمد، والطبراني في المعجم الكبير، والضياء المقدسي عن زيد وعن ثلاثين رجلاً من الصحابة وص ١٥٤ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني وفي ص ٣٩٠ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي عبدالله ميمون، وعطية العوفي وأبي الضحى جميعاً عن زيد، نقلاً عن محمّد بن جرير الطبري في حديث الولاية وص ١٠٢ عن يزيد بن أبي حيّان عن زيد.

وفي مشكاة المصابيح ص ٥٥٧ من طريق أحمد، عن البراء بن عازب، وزيد، وتذكرة خواص الامّة ص ١٨ قال: قال أحمد في الفضائل حدّثنا ابن نمير حدّثنا عبدالملك عن عطية العوفي، قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم الغدير وأنا أحب أن أسمعه منك، فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم. فقلت: ليس عليك منّي بأس. فقال: نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله ﷺ علينا ظهراً وهو آخذ بعضد

عليّ بن أبي طالب فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى، فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، قالها أربع مرّات.

قال محمّد بن إسماعيل اليمني في «الروضة النديّة شرح التحفة العلويّة» بعد ذكر حديث الغدير بشتى طرقه: وذكر الخطبة بطولها الفقيه العلاّمة الحميد المحلّي في «محاسن الأزهار» بسنده إلى زيد بن أرقم، قال: أقبل النبيّ ﷺ في حجّة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فقمّ ما تحتهن من شوك ثم نادى الصلاة جامعة فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ وإنّ منّا من يضع بعض ردائه على رأسه وبعضه على قدمه من شدّة الرمضاء حتى أتينا إلى رسول الله ﷺ فصلّى بنا الظهر ثم انصرف إلينا، فقال: الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضلَّ[1] ولا مضلّ لمن هدى وأشهد أن لا إلّه إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله - أما بعد -: أيّها الناس! فإنه لم يكن لنبيّ من العمر إلّا النصف من عمر الذي قبله وإنّ عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة وإني شرعت في العشرين ألا وإني يوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون، فهل بلّغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيبٌ يقولون: نشهد أنك عبدالله ورسوله قد بلّغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، جزاك الله خير ما جزى نبيّاً عن امّته، فقال: ألستم تشهدون أن لا آله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حقّ، وأنّ النار حق، وتؤمنون بالكتاب كلّه؟ قالوا: بلى، قال: فإنّي أشهد أن قد صدقتكم وصدقتموني، ألا وإني فرطكم وأنتم تبعي توشكون أن تردوا عليّ الحوض فأسألكم حين تلقوني عن الثقلين كيف خلّفتموني فيهما، قال: فاعتلّ علينا ما ندري ما الثقلان حتى قام رجل من المهاجرين، فقال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما الثقلان؟ قال الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفٌ بيد الله وطرفٌ بأيديكم تمسّكوا به ولا تولّوا ولا تضلّوا،

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: أضل ونقلناه ص ٢٩ على ما وجدنا.

والأصغـر منهما عتـرتي، مَن استقبل قبلتي وأجـاب دعـوتي فـلا تقتلوهم ولا تنهروهم ولا تقصروا عنهم، فـإنّي قد سـألت لهم اللطيف الخبير فـأعطاني، وناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليّهما لي وليّ، وعدوّهما لي عدوّ، ألا فإنّها لن تهلك أمّـة قبلكم حتى تدين بأهوائها، وتظاهر على نبوّتها، وتقتل مَن قام بالقسط، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ورفعها، فقال: مَن كنت وليّه فهذا وليّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، قالها ثلاثاً ع: ج٢ ص ٢٣٦.

ورواه بهذا اللفظ والتفصيل حرفياً، الحافظ أبو الحسن علي بن المغازلي الواسطي الشافعي في المناقب قال: أخبرنا أبو يعلى علي بن أبي عبدالله بن العلاف البزّار إذناً قال: أخبرني عبد السلام بن عبد الملك بن حبيب البزّاز، قال: أخبرني عبدالله[1] محمّد بن عثمان، قال: حدَّثني محمّد بن بكر بن عبد الرزاق، حدَّثني أبو حاتم مغيـرة بن محمّد المهلبي، قـال: حدَّثني مسلم بن إبراهيم، قال: حدَّثني نوح بن قيس الحُداني (بضم المهملة الأولى) حدَّثني الوليد بن صالح عن ابن امرأة زيد بن أرقم. الحديث[2].

وذكر حديث الغـدير بلفظ زيـد بن أرقم، البدخشـاني في نزل الأبـرار ص ١٩ من طريق أحمد، والطبراني، وفي ص ٢١ عن أبي نعيم، والطبراني أيضاً، عن أبي الطفيل عنه، والآلوسي في روح المعاني ج ٢ ص ٣٥٠. ويأتي في التابعين بلفظ أبي ليلى الكندي حديث عن زيد.

٤٣ ـ أبو سعيد زيد بن ثابت المتوفّى ٤٥/ ٤٨ وقيل بعد الخمسين. رواه عنه ابن عقدة في حديث الولاية، وأبو بكر الجعابي في نخبه، وعدّه الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص ٤ ممن روى حديث الغدير.

٤٤ ـ زيد / يزيد بن شراحيل الأنصاري. أحد الشهود لأمير المؤمنين عليه

---

(١) كذا في النسخ وفيه سقط كما لا يخفى.

(٢) نقله عن مناقب «ابن المغازلي» العلامة ابن البطريق المتوفى ٦٠٠ «المترجم في لسان الميزان لابن حجر» في العمدة ص ٥١.

السلام بحديث الغدير يوم المناشدة الآتي حديثه، روى حديث شهادته الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية ونقله عنه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٣، وابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٥٦٧، وعُدَّ في مقتل الخوارزمي، وتاريخ آل محمّد ص ٦٧ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٤٥ - زيد بن عبدالله الأنصاري. أخرج حديثه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية.

(حرف السين المهملة)

٤٦ - أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص المتوفّى ٥٤/ ٥٥/ ٥٦/ ٥٨. أخرج الحافظ النسائي في خصائصه ص ٣ بإسناده عن مهاجر بن مسمار بن سلمة عن عائشة بنت سعد، قالت: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجحفة فأخذ بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني وليّكم؟ قالوا: صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: هذا وليّي، ويُؤدّي عني دَيني، وأنا موالي مَن والاه، ومعادي مَن عاداه.

وفي الخصائص ص ٤ بإسناده عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد قال: كنت جالساً فتنقّصوا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: في عليّ خصال ثلاث لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم - سمعته يقول: إنّه منّي بمنزلة هٰرون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي. وسمعته يقول: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. وسمعته يقول: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

وفي الخصائص ص ١٨ وفي طبعة ص ٢٥ بالإسناد عن مهاجر بن مسمار قال: أخبرتني عائشة بنت سعد عن سعد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بطريق مكّة وهو متوجّهٌ إليها[1] فلمّا بلغ غدير خم وقف للناس ثم ردَّ مَن تبعه ولحقه مَن تخلّف فلمّا اجتمع الناس إليه قال: أيها الناس مَن وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله. ثلاثاً ثمّ أخذ بيد علي فأقامه ثمّ قال: مَن كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه، اللهمّ

(١) كذا في النسخ والصحيح: وهو متوجه إلى المدينة.

وال من والاه، وعاد من عاداه، ورواه في ص ١٨ عن عامر بن سعد عنه، وعن ابن عيينة عن عائشة بنت سعد عنه، ورواه عبدالله بن أحمد بن حنبل كما في العمدة ص ٤٨ بالإسناد عن عبدالله بن الصقر سنة ٢٩٩ قال حدَّثنا يعقوب بن حمدان بن كاسب حدَّثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه، وربيعة الجرشي عن سعد.

وأخرج الحافظ الكبير محمّد بن ماجة في السنن ج ١ ص ٣٠ بإسناده عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد قال: قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد فذكروا عليّاً فنال منه فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وسمعته يقول: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. وسمعته يقول: لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله.

وروى الحافظ الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٦ عن أبي زكريا يحيى بن محمَّد العنبري عن إبراهيم بن أبي طالب عن علي بن المنذر عن أبي فضيل عن مسلم الملائي عن خيثمة بن عبد الرحمن عن سعد قال له رجل: إنّ عليّاً يقع فيك أنّك تخلّفت عنه. فقال سعد: والله إنّه لرأي رأيته وأخطأ رأيي: إنّ علي بن أبي طالب أعطي ثلاثاً لإن أكون أعطيت إحداهنّ أحبُّ إليّ مِن الدنيا وما فيها لقد قال له رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ بعد حمد الله والثناء عليه: هل تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين؟ قلنا: بلى، قال: اللهمَّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وال من والاه، وعاد من عاداه. وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر فقال: يا رسول الله إنّي أرمد فتفل في عينيه ودعا له فلم يرمد حتى قُتل وفتح عليه خيبر وأخرج رسول الله ﷺ عمَّه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس: تُخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليّاً؟ فقال: ما أنا أُخرجكم واسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه.

وروى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٤ ص ٣٥٦ بإسناده عن شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: في علي بن أبي طالب ـ ثلاث خلال ـ لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله

ورسوله. وحديث الطير. وحديث غدير خمّ.

وروى حديث الغدير عن سعد الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن سعد[١] والحافظ أبو محمّد العاصمي في زين الفتى من طريق ابن عقدة يأتي لفظه في حديث التهنئة، والحافظ الطحاوي الحنفي في مشكل الآثار ج ٢ ص ٣٠٩ بإسناده عن مصعب بن سعد عن سعد من طريق شعبة بن الحجّاج وقال: إنّه المأمون على الرواية الضابط لها الحجّة فيها. والحمويني في فرائد السمطين بإسناده عن عائشة بنت سعد عن أبيها، وعدَّه الخطيب الخوارزمي في مقتله والجزري في أسنى المطالب ص ٣ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

وروى الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١٦ بطريق الحافظين يوسف بن خليل الدمشقي وأبي الغنائم محمد بن علي النرسي بإسنادهما عن ابن جدعان عن سعيد بن المسيّب عن سعد قال: قلت لسعد. إلى آخر اللفظ الآتي في حديث التهنئة، وقال في الكفاية ص ١٥١: أخبرنا شيخ الشيوخ عبدالله بن عمر بن حمويه بدمشق أخبرنا الحافظ أبو القاسم عليّ ابن الحسن بن هبة الله الشافعي، أخبرنا أبو الفضل الفضيلي، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أحمد بن شدّاد الترمذي، أخبرنا علي بن قادم، أخبرنا إسرائيل عن عبدالله بن شريك عن الحرث بن مالك قال: أتيت مكّة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: هل سمعت لعليّ منقبة؟ قال: قد شهدت له أربعاً لئن تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح، إنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة ثم قال لعلي: أتبع أبا بكر فخذها وبلّغها فردَّ عليٌّ عليه السلام أبا بكر فرجع يبكي فقال: يا رسول الله أنزل فيَّ شيء؟ قال: لا إلّا خيراً إنّه ليس يبلّغ عنّي إلّا أنا أو رجل منّي. أو قال: من أهل بيتي. وكنّا مع النبيّ في المسجد فنودي فينا ليلاً: ليخرج من المسجد إلّا آل الرسول وآل

---

(١) نقله عنه الحافظ العاصمي، والعلامة الحلي في إجازته الكبيرة.

علي. قال: فخرجنا نجرّ نعالنا فلمّا أصبحنا أتى العباس النبيّ ﷺ فقال: يـا رسول الله أخرجت أعمامك وأسكنت هذا الغلام. فقال رسول الله ﷺ: ما أنا أمرت بإخراجكم ولا بإسكان هذا الغلام إنّ الله أمر به. قال: والثالثة: إنّ نبيّ الله بعث عمر وسعداً إلى خيبر فجرح سعد ورجع عمر فقال رسول الله ﷺ: لاعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله - في ثناء كثير أخشى أن أحصي - فدعا عليّاً فقالوا: إنّه أرمد فجيء به يُقاد فقال له: إفتح عينيك. فقال: لا أستطيع. قال: فتفل في عينيه من ريقه ودلكها بإبهامه وأعطاه الرايـة قال: والرابعة: يوم غدير خمّ قال رسول الله ﷺ وأبلغ ثم قال: أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرّات، قالوا: بلى، قال: أُدنُ يا عليٌّ فرفع يده ورفع رسول الله يده حتى نظرت بياض إبطيه فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. حتى قالها ثلاثاً، ثم قال الحافظ الكنجي: هذا حديثٌ حسنٌ وأطرافه صحيحة (إلى أن قـال): والرابـع: (حديث الغـدير). رواه ابن مـاجة والتـرمـذي عن محمّد بن بشّار عن محمّد بن جعفر.

وروى الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٧ من طريق البزّار عن سعـد أنّ رسول الله ﷺ أخـذ بيد عليّ فقـال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ مَن كنت وليّه فعلي وليّه ثم قال الهيثمي: رواه البزّار ورجاله ثقات.

وروى ابن كثير الشامي في البـداية والنهـاية ج ٥ ص ٢١٢ عن كتـاب الغدير لابن جرير الطبري، عن أبي الجوزاء أحمد بن عثمان، عن محمّد بن خالد، عن عثمة، عن موسى بن يعقوب الزمعي وهو صدوق، عن مهاجر بن مسمار، عن عائشة بنت سعد، عن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيد عليّ فخطب ثم قال: أيّها الناس إنّي وليّكم، قالوا: صدقت، فرفع يد عليّ فقال: هذا وليّي والمؤدّي عنّي وإن الله والي من والاه. قال شيخنا الذهبي: وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كثير، عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وأنّه عليه السلام وقف حتى لحقه مَن بعده وأمر بردّ مَن كان تقدّم فخطبهم. الحديث.

وفي ج٧ ص٣٤٠ قال الحسن بن عرفة العبدي حدثنا محمّد بن خازم أبو

معاوية الضرير، عن موسى بن مسلم الشيباني، عن عبد الرحمن بن سابط، عن سعد بن أبي وقّاص قال: قدم معاوية في بعض حجّاته فأتاه سعد بن أبي وقاص فذكروا عليّاً فقال سعد: له ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، الحديث بلفظ ابن ماجة المذكور في ص ٦٢، ثم قال ابن كثير: لم يخرجوه وإسناده حسن.

وبطريق سعد رواه جمال الدين السيوطي في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء ص ١١٤ عن الطبراني، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ عن أبي نعيم في فضائل الصحابة وص ٤٠٥ عن ابن جرير الطبري، والوصّابي في الإكتفاء في فضائل الأربعة الخلفاء نقلاً عن ابن أبي عاصم وسعيد بن منصور في سننهما بإسنادهما، والبدخشاني في نزل الأبرار ص ٢٠ عن الطبراني وأبي نعيم في فضائل الصحابة، وهو أحد العشرة المبشّرة الذين عدّهم الحافظ ابن المغازلي في مناقبه من رواة حديث الغدير وكذلك الخوارزمي في مقتله.

٤٧ - سعد بن جنادة العوفي والد عطية العوفي. رواه عنه ابن عقدة في حديث الولاية، والقاضي أبو بكر الجعابي في النخب، وعدّه الخوارزمي في مقتله من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٤٨ - سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي المتوفّى ١٤/ ١٥ أحد النقباء الإثني عشر. روى الحديث عنه أبو بكر الجعابي في نخب المناقب.

٤٩ - أبو سعيد سعد بن مالك الأنصاري الخدري المتوفّى ٦٣/ ٦٤/ ٦٥/ ٧٤ والمدفون بالبقيع. أخرج الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية بالإسناد عن سهم بن حصين الأسدي قال: قدمت مكّة أنا وعبدالله بن علقمة وكان عبدالله سبّابة لعلي عليه السلام دهراً فقلت له: هل لك في هذا يعني أبا سعيد الخدري تحدث به عهداً؟ قال: نعم، فأتيناه فقال: هل سمعت لعليّ منقبة؟ قال: نعم إذا حدّثتك بها تسأل عنها المهاجرين والأنصار وقريشاً إنّ رسول

الله ﷺ قال يوم غدير خمّ فأبلغ ثمّ قال: أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قالها ثلاث مرّات قال: ادنُ يا عليّ فرفع رسول الله ﷺ يديه حتى نظرت إلى بياض آباطهما قال: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه. قال: فقال عبدالله بن علقمة: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال أبو سعيد: نعم وأشار إلى أذنيه وصدره فقال: قد سمعته أذناي ووعاه قلبي. قال عبدالله بن شريك: فقدم علينا ابن علقمة وابن حصين فلمّا صلّينا الهجير قام عبدالله بن علقمة فقال: إنّي أتوب إلى الله وأستغفره من سبّ عليّ، ثلاث مرّات.

وأخرج الحافظ أبو بكر بن مردويه بإسناده عن أبي سعيد إنَّ النبيّ ﷺ يوم دعا الناس إلى غدير خمّ أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ وذلك يوم الخميس[1] ودعا الناس إلى عليّ الحديث يأتي بتمامه في آية الإكمال.

وأخرج الحافظ أبو نعيم في كتابه ما نزل من القرآن في عليّ بإسناده عن أبي سعيد إنّ النبيّ ﷺ دعا الناس إلى عليّ في غدير خمّ وأمر بما تحت الشجر من الشوك فقمّ، يأتي بسنده وتمام لفظه إن شاء الله، ووافقه سنداً ومتناً الحافظ أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني في كتاب الولاية فيما أخرجه عن أبي سعيد كما يأتي، ويوافقهما في السند والمتن ما أخرجه الحافظ أبو القاسم عبيد الله الحسكاني، كما يُذكر إن شاء الله.

وروى الحافظ أبو الفتح محمّد بن علي النطنزي في «الخصائص العلويّة» عن الحسن بن أحمد المهري، عن أحمد بن عبدالله بن أحمد، قال: حدَّثنا محمد بن أحمد بن علي، قال: حدَّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدَّثنا يحيى الحِمّاني، قال: حدَّثنا قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: إنَّ رسول الله ﷺ دعا الناس إلى عليّ رضي الله عنه، في غدير خمّ وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فَقُمّ وذلك يوم الخميس فدعا

---

(١) هكذا ورد في لفظ غير واحد من رواة حديث الغدير كما ستقف عليه وهو لا يوافق مع إجماع الجمهور على أن يوم عرفة تاسع ذي حجة من حجة الوداع كان يوم الجمعة فعليه يكون يوم الغدير الثامن عشر ذي حجة يوم الأحد، ولا يجتمع مع نصهم على أن أول ذي حجة كان يوم الخميس.

عليّاً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله ﷺ ثم لم يتفرّقوا حتى نزلت هذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم. الآية. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ من بعدي، قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. فقال حسان بن ثابت: إئذن لي يا رسول الله فأقول في عليّ أبياتاً لتسمعها، فقال: قل على بركة الله، فقام حسان فقال: يا معشر قريش إسمعوا قولي بشهادة من رسول الله ﷺ في الولاية الثابتة.

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم «إلى آخر الأبيات الآتية في شعراء القرن الأول».

وروى (حديث الغدير) عنه النيسابوري في تفسيره ج ٦ ص ١٩٤، والحمويني في فرائد السمطين بطريقين عن العبدي عنه، والخوارزمي في المناقب ص ٨٠، عن أبي هارون العبدي عنه، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة ص ٢٧، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ من طريق الطبراني في الأوسط، وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٤ نقلاً عن ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد، وفي البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٩ و٣٥٠ عن ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد، والسيوطي في جمع الجوامع وتاريخ الخلفاء ص ١١٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٩ عن طريق ابن مردويه، وابن عساكر وص ٢٩٨ عن ابن أبي حاتم السجستاني، وابن مردويه، وابن عساكر عنه، والمتقي الهندي ج ٦ ص ٣٩٠ عن عطيّة العوفي عنه، من طريق ابن جرير الطبري بلفظ زيد بن أرقم المذكور في حديث زيد من طريق النسائي، وفي ص ٤٠٣ عن عُميرة بن سعد شهادة أبي سعيد لأمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم مناشدة الرحبة، والبدخشاني في نزل الأبرار ص ٢٠ من طريق الطبراني عنه، والآلوسي في روح المعاني ج ٢ ص ٣٤٩ عن السيوطي، عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، وصاحب تفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٣، عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه،

وابن عساكر، وبدر الدين محمود الشهير بابن العيني الحنفي في عمدة القاري، من طريق الحافظ الواحدي عن عطيّة العوفي عن أبي سعيد، وسيأتي ألفاظ هذا الجمع في مواضعها إن شاء الله، وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٣ من رواة الحديث.

٥٠ ـ سعيد بن زيد القرشي العدوي المتوفّى ٥٠/ ٥١. أحد العشـرة المبشّرة الذين عدّهم الحافظ ابن المغازلي في مناقبه، من المائة الرواة لحديث الغدير بطرقه.

٥١ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري. رواه عنه الحافظ ابن عقدة في كتاب الولاية.

٥٢ ـ أبـو عبدالله سلمـان الفارسي المتـوفّى ٣٦/ ٣٧ عن عمـر يقـدّر بثلاثمائة سنة. أخرج الحديث بطريقه الحافظ ابن عقدة في حديث الولايـة، والجعابي في نخبه، والحمويني الشافعي في الباب الثامن والخمسين من فرائد السمطين، وعدّه شمس الدين الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص ٤ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٥٣ ـ أبو مسلم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي المتوفّى ٧٤. يروي عنه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية.

٥٤ ـ أبو سليمان سمرة بن جندب الفـزاري، حليف الأنصار المتـوفّى بالبصرة سنة ٥٨/ ٥٩/ ٦٠. هو أحد رواة حديث الغدير في حديث الولاية لابن عقدة، ونخب المناقب للجعابي، وعدّه شمس الدين الجزري الشافعي من رواة حديث الغدير من الصحابة في أسنى المطالب ص ٤.

٥٥ ـ سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي المتوفّى ٣٨. أخرجه بطريقـه الحافظ ابن عقدة، والجعابي، وعدّه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ ممّن شهد لعليّ عليه السلام يوم الرحبة في حديث أصبغ بن نباتة الآتي، وقال: أخرجه أبو موسى. وعدّه الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص ٤ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٥٦ ـ أبو العباس سهل بن سعد الأنصاري الخزرجي الساعدي المتوفّى ٩١ عن مائة سنة. ممن شهد لعليّ صلوات الله عليه بحديث الغدير في حديث المناشدة الآتي بطريق أبي الطفيل، ورواه السمهودي عنه في جواهر العقدين من طريق ابن عقدة، والقندوزي الحنفي عن السمهودي في ينابيع المودّة ص ٣٨، وعدّه في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

(حرف الصاد المهملة وأختها المعجمة)

٥٧ ـ أبو إمامة الصدي ابن عجلان الباهلي نزيل الشام والمتوفّى بها سنة ٨٦. عُدّ ممن أخرج عنه حديث الغدير من الصحابة ابن عقدة في حديث الولاية.

٥٨ ـ ضميرة الأسدي. يُروى لفظه في حديث الولاية، وفي كتاب الغدير لمنصور الرازي، وذُكر اسمه هناك ضمرة بن الحديد، وأحسبه ضميرة بن جندب، أو ابن حبيب فراجع.

(حرف الطاء المهملة)

٥٩ ـ طلحة بن عبيدالله التميمي المقتول يوم الجمل سنة ٣٦ وهو ابن ٦٣ عاماً. شهد لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل بحديث الغدير، ورواه المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ١١، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٧١، والخوارزمي في المناقب ص ١١٢، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٧، والسيوطي في جمع الجوامع، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٩١ نقلاً عن الحافظ النسائي، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ٨٣ نقلاً عن الحافظ ابن عساكر، وفي ص ١٥٤ عن مستدرك الحاكم غير حديث المناشدة يوم الجمل، وهناك طرقٌ اخرى كثيرة تأتي بألفاظها في حديث المناشدة يوم الجمل.

وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى، عن محمّد بن أبي زكريّا عن أبي الحسن محمّد بن أبي إسماعيل العلوي، عن محمّد بن عمر البزّاز، عن عبدالله بن زياد المقبري عن أبيه، عن حفص بن عمر

العمـري عن غياث بن إبـراهيم، عن طلحة بن يحيى، عن عمّـه عيسى عن طلحة بن عبيدالله إنّ النبيّ ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

وأخرج ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٩ حديث الغدير بلفظ البـراء بن عازب، ثمّ قـال: وقد رُوي هـذا الحديث عن سعـد، وطلحـة بن عبيدالله، وجابر بن عبدالله وله طرق، وأبي سعيد الخدري، وحُبشي بن جنادة، وجرير بن عبدالله، وعمر بن الخطاب، وأبي هريرة. وعدّ الحافظ ابن المغازلي في مناقبه العشرة المبشّرة من المائة الرواة لحديث الغدير بطرقه وطلحة منهم، وعدّه الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص ٣ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

(حرف العين المهملة)

٦٠ ـ عامر بن عُمير النميري. أخرج الحديث عنه ابن عقدة في حديث الـولاية، وروى عنـه ابن حجر في الإصـابـة ج ٢ ص ٢٥٥، عن مـوسى بن أكتل بن عُمير النميري عن عمّه عامر.

٦١ ـ عامر بن ليلى بن ضمرة. أخرج الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عنه، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٩٢ بطريق أبي موسى، عن أبي الطفيل عنه قال: لمّا صدر رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ولم يحجّ غيرها أقبل حتى إذا كان بالجحفة وذلك يوم غدير خمّ من الجحفة وله بها مسجد معروف فقال: أيّها الناس! الحديث، وابن الصبـاغ المالكي نقـلاً عن كتاب المـوجز للحافظ أسعد ابن أبي الفضائل بسنده إلى عامر، وابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٢٥٧ عن كتاب الموالاة لابن عقدة، من طريق عبدالله بن سنان، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن اسيد، وعامر بن ليلى، قال: لمّا صدر رسول الله ﷺ من حجّة الوداع أقبل حتى إذا كان بالجحفة. الحديث قال: وأخرجه أبو موسى، ورواه السمهـودي نقلاً عن الحـافظ ابن عقـدة، وأبي مـوسى، وأبي الفتـوح العجلي، بطرقهم عن عامر، وحذيفة بن اسيد قالا:

لمّا صدر رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ولم يحجَّ غيرها، أقبل حتى إذا

كان بالجحفة نهى عن شجرات بالبطحاء متقاربات لا ينزلوا تحتهنّ، حتى إذا نزل القوم وأخذوا منازلهم سواهنّ أرسل إليهنّ فَقُمَّ ما تحتهنّ وشذّين[١] عن رؤوس القوم حتى إذا نودي للصلاة غدا إليهنّ فصلّى تحتهنّ، ثم انصرف إلى الناس وذلك يوم غدير خمّ، وخمّ من الجحفة وله بها مسجد معروف فقال: أيّها الناس! إنه قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبيّ إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله وإني لأظنّ أن أُدعى فأُجيب وإني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون، هل بلّغت؟ فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول، قد بلّغت، وجهدت، ونصحت، فجزاك الله خيراً. وقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ ناره حقّ، والبعث بعد الموت حقّ؟ قالوا: بلى، قال: اللهمَّ اشهد، ثم قال: أيّها الناس ألا تسمعون؟ ألا فإنَّ الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا ومَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. وأخذ بيد عليّ فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون، ثمّ قال: اللهمَّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه. ثمّ قال: أيّها الناس! إنّي فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض أعرض مما بين بُصرى وصنعاء فيه عدد نجوم السماء قِدحانٌ من فضّة ألا وإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلّفوني فيهما حين تلقوني، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله سببٌ طرفه بيد الله وطرفٌ بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا بعدي ولا تبدّلوا وعترتي، فإني قد نبّأني الخبير أن لا يتفرّقا حتى يلقياني. الحديث.

وبهذا اللفظ رواه الشيخ أحمد أبو الفضل بن محمّد باكثير المكي الشافعي في (وسيلة المآل في مناقب الآل) عن حذيفة وعامر، وعدّه الخطيب الخوارزمي في مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٩٣ عن عمر بن عبدالله بن يعلى عن أبيه عن جدّه شهادته لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم الرحبة الآتي حديثه.

٦٢ ـ عامر بن ليلى الغفاري. أفرده ابن حجر بالذكر بعد عامر السابق في

---

(١) كذا في النسخ بالياء المثناة والصحيح: بالباء الموحدة من شذب، أي: قطع وفرق.

الإصابة ج ٢ ص ٢٥٧ وقال: ذكره ابن منـدة أيضاً وأورد من طـريق عمر بن عبدالله بن يعلى بن مرّة عن أبيه، عن جدّه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه فلمّا قدم عليّ الكوفة نشد الناس سبعة عشر رجلاً منهم عامر بن ليلى الغفاري، وجوّز أبو موسى أن يكون هو الذي قبله وتبعه ابن الأثير ووجّهه بأن يكون هو عامر بن ليلى بن ضمرة فصحفت من فصارت إبن، ولا شك أنّ كلّ غفاريّ فهو من ضمرة لأنّه غفار بن مليل بن ضمرة، قلت: إلاّ أنّ اختلاف المخرج يُرجّح التعدد.

٦٣ ـ أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثيّ المتوفّى ١٠٠/٢/٨/١٠. أخرج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١١٨ عن علي بن حكيم، عن شريك، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم باللفظ المذكـور في حديث زيـد ص٥٣، وفي ج ٤ ص٣٧٠ عن أبي الطفيل حديث المناشدة في الرحبة الآتي بلفظه وسنده، وأخرج النسـائي في الخصائص ص ١٥ باسناده عنه عن زيد وص ١٧ عن ابن المقدام ومحمّد بن سليمان عن فطر عنه، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٩٨ عن سلمة بن كهيل عنه عن حذيفة بن اسيد كما مرّ ص٤٨ ومرّ في ص ٥٤ ما أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٩ و١١٠ و٥٣٣ بطرق صحّحها عنه عن زيد، وأخرج أبو محمّد العاصمي في زين الفتى، بإسناده عن فطر عنه حديث المناشدة الآتي، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٩٢ وج ٥ ص ٣٧٦، وروى الخوارزمي في المناقب ص ٩٣ بإسناده عنه حديث زيد بن أرقم وفي ص ٢١٧ حديث الشورى الآتي المتضمّن للإحتجاج بحديث الغدير، والگنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١٥ حديث زيد، والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٩، وابن حمزة الحنفي الدمشقي في البيان والتعريف، نقلاً عن الطبراني، والحاكم، وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١١ من طريق أحمد، والنسائي، والترمذي، وج ٧ ص ٢٤٦ عن أحمد والنسائي وج ٧ ص ٣٤٨ من طريق غندر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل عنـه عن زيد، وإبن حجـر في الإصابـة ج ٤ ص ١٥٩ وج ٢ ص ٢٥٢ عنه عن حذيفة، وعامر باللفظ الآتي، والمتقي في كنز العمّال ج ٦

ص ٣٩٠ نقلاً عن ابن جرير، والسمهودي في جواهر العقدين نقله عنه القندوزي الحنفي في ينابيعه ص ٣٨.

٦٤ - عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة زوجة النبيّ ﷺ. أخرج الحديث عنها ابن عقدة في حديث الولاية.

٦٥ - عبّاس بن عبدالمطلب بن هاشم عمّ النبيّ ﷺ توفّي ٣٢. أخرج الحديث بطريقه ابن عقدة، وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٣ من رواته.

٦٦ - عبد الرحمن بن عبد ربّ الأنصاري. أحد الشهود لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم الرحبة كما يأتي في حديث أصبغ بن نباتة، رواه عنه الحافظ ابن عقدة، وذكر عنه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥: وابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٤٠٨، وعدّه القاضي في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

٦٧ - أبو محمّد عبدالرحمن بن عوف القرشيّ الزهريّ المتوفّى ٣١/ ٣٢. رواه عنه بإسناده ابن عقدة في حديث الولاية، والمنصور الرازي في كتاب الغدير، وهو من العشرة المبشّرة الذين عدّهم الحافظ ابن المغازلي من المائة الرواة لحديث الغدير بطرقه، وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص ٣ ممّن روى حديث الغدير.

٦٨ - عبد الرحمن بن يعمر الديلي[١] نزيل الكوفة. رواه عنه ابن عقدة في حديث الولاية، وفي مقتل الخوارزمي عُدّ ممّن رواه.

٦٩ - عبدالله بن أبي عبد الأسد المخزومي. رواه عنه ابن عقدة.

٧٠ - عبدالله بن بديل بن ورقاء سيّد خزاعة المقتول بصفين. أحد الشهود لأمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم الركبان كما يأتي حديثه.

٧١ - عبدالله بن بشير[٢] المازني. عُدّ ممّن رواه عنه ابن عقدة.

---

(١) في النسخ: الديلمي. وهو تصحيف والصحيح ما ذكر بكسر الدال وسكون المثناة.
(٢) كذا في النسخ والصحيح: بسر بضم الموحدة وسكون المهملة هو اخو عطية الآتي.

٧٢ ـ عبدالله بن ثابت الأنصاري. شهد لعليّ بحديث الغدير يوم مناشدته بالرحبة في لفظ الأصبغ الآتي، ، وعُدّ في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

٧٣ ـ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشميّ المتوفّى ٨٠. أخرج الحديث عنه ابن عقدة، ويأتي حديث إحتجاجه على معاوية بحديث الغدير.

٧٤ ـ عبدالله بن حنطب القرشيّ المخزوميّ. حكى السيوطيّ في إحياء الميت، عن الحافظ الطبراني أنّه أخرج بإسناده عن المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن أبيه خطبة النبي ﷺ في الجحفة.

٧٥ ـ عبدالله بن ربيعة. عدّه الخوارزمي في مقتله ممن رواه.

٧٦ ـ عبدالله بن عبّاس المتوفى ٦٨. أخرج الحافظ النسائي في الخصائص ص ٧ عن ميمون بن المثنّى، قال: حدَّثنا أبو الوضاح[١] وهو أبو عوانة قال: حدَّثنا أبو بلج بن أبي سليم، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، في حديث طويل، قال: إني لجالسٌ إلى ابن عباس إذا أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا، وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء؟ فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم قال: وهو يومئذ صحيحٌ قبل أن يعمى قال فانتدبوا[٢] فحدَّثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ينفض ثوبه وهو يقول: أُف وتُف[٣] وقعوا في رجل له بضع عشر فضائل ليست لأحد غيره وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ: لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. فاستشرف لها مستشرفٌ فقال: أين عليّ؟ فقالوا: إنّه في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدٌ ليطحن؟ قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إيّاه فجاء عليّ بصفيّة بنت حيّ. قال: ابن عباس: ثم بعث

(١) كلمة أب في أبي الوضاح وأبي سليم زائدة والصحيح: الوضاح وسليم.
(٢) كذا في النسخ والصحيح انتدوا كما في بعض المصادر. أي جلسوا في النادي.
(٣) أي قذر له يقال: أف له وتف، وأفة وتفة، والتنوين فيه ست لغات حكاها الأخفش أف أف أوف بالكسر والفتح والضم دون تنوين وبالثلاثة معها.

رسول الله فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلاّ رجل هو منّي وأنا منه فقال ابن عباس: وقال النبيّ لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا قال: وعليّ جالس معهم فقال عليّ: أنا اواليك في الدنيا والآخرة قال: فتركه وأقبل على رجل رجل منهم فقال: أيّكم يُواليني في الدنيا والآخرة فأبوا فقال عليّ: أنا اواليك في الدنيا والآخرة فقال لعليّ: أنت وليّي في الدنيا والآخرة. قال ابن عباس: وكان عليّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها. قال: وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على عليّ، وفاطمة، وحسن، وحسين، وقال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً. قال ابن عباس: وشرى عليّ نفسه فلبس ثوب النبيّ ﷺ ثم نام مكانه، قال ابن عباس: وكان المشركون يرمون رسول الله فجاء أبو بكر وعليٌّ نائمٌ قال؛ وأبو بكر يحسب أنّه رسول الله قال فقال: يا نبيّ الله. فقال له عليّ: إنّ نبيّ الله قد إنطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل عليٌّ رضي الله عنه يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى نبيُّ الله وهو يتضوّر[1] وقد لفَّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيم وكان صاحبك لا يتضوّر ونحن نرميه وأنت تتضوّر، وقد إستنكرنا ذلك. فقال ابن عباس: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج الناس معه قال له عليٌّ: أخرجُ معك؟ قال فقال النبيّ ﷺ: لا. فبكى عليٌّ، فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنّه ليس بعدي نبيّ إنه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي. قال ابن عباس: وقال له رسول الله ﷺ: أنت وليُّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة. قال ابن عباس: وسدّ رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب عليّ، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. قال ابن عباس: وقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فإنّ مولاه عليٌّ. الحديث.

هذا الحديث بطوله أخرجه جمعٌ كثيرٌ من الحفّاظ بأسانيدهم الصحاح منهم: إمام الحنابلة أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٣١ عن يحيى بن حماد عن أبي

(١) التضور: التلوي والتقلب ظهراً لبطن.

عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، والحافظ الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، والخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٧٥ رواه بطريق الحافظ البيهقي، ومحب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٠٣، وفي ذخائر العقبى ص ٨٧، والحافظ الحمويني في فرائده بإسناده عن ضحّاك عنه بطريق الطبراني أبي القاسم بن أحمد، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٧ عن طريق أحمد بالسند المذكور وعن أبي يعلى عن يحيى بن عبد الحميد عن أبي عوانة إلى آخر السند، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ عن أحمد والطبراني وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري وهو ثقةٌ وفيه لين، وروى أيضاً حديث الغدير عن ابن عباس في ص ١٠٨ فقال: رواه البزّار في أثناء حديث ورجاله ثقاتٌ، ورواه بطوله الحافظ الكنجي في الكفاية ص ١١٥ نقلاً عن أحمد وابن عساكر في كتابه الأربعين الطوال، وذكره ابن حجر في الإصابة ج٢ ص ٥٩ .

أخرج الحافظ المحاملي في أماليه على ما نقله عنه الشيخ إبراهيم الوصّابي الشافعي في كتاب الاكتفاء بإسناده عن ابن عباس قال: لَمّا امر النبيّ ﷺ أن يقوم بعليّ بن أبي طالب المقام الذي قام به فانطلق النبيُّ ﷺ إلى مكّة، فقال: رأيت الناس حديثي عهد بكفر بجاهلية، ومتى أفعل هذا به يقولوا صنع هذا بابن عمِّه. ثم مضى حتى قضى حجَّة الوداع ثم رجع حتى إذا كان بغدير خمّ، أنزل الله عزّ وجل: يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربِّك. الآية. فقام منادٍ فنادى الصلاة جامعة ثمَّ قام وأخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهم وال مَن والاه، وعاد من عاداه، ونقله عن المحاملي في أماليه المتّقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، وبهذا اللفظ حرفياً رواه بطريق ابن عباس، جمال الدين عطاء الله بن فضل الله في أربعينه، ورواه عن ابن عباس جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء بطريق البزّار ص ١١٤، والقرشي في شمس الأخبار ص ٣٨ عن أمالي المرشد بالله، والبدخشاني في نزل الأبرار ص ٢٠ بطريق البزّار وابن مردويه وفي ص ٢١ من

طريق أحمد وابن حبّان والحاكم وسمّويه.

وأخرج الحافظ السجستاني، في كتاب الولاية الذي أفرده في حديث الغدير بإسناده عن ابن عباس قال: لمّا خرج النبيّ ﷺ إلى حجّة الوداع نزل بالجحفة فأتاه جبرئيل عليه السلام فأمره أن يقوم بعليّ فقال ﷺ: أيّها الناس ألستم تزعمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبّ مَن أحبّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، وأعزّ مَن أعزّه، وأعن مَن أعانه، قال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم.

وروى حديث الغدير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٨ ويأتي عنه حديث في ذكر التابعين في الضحاك، وأخرج الحافظ ابن مردويه، وأبو بكر الشيرازي فيما نزل من القرآن، وأبو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان، والحاكم الحسكاني، وفخر الدين الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٦٣٦، وعزّ الدين الموصلي الحنبلي، ونظام الدين النيسابوري في تفسيره ج ٦ ص ١٩٤، والآلوسي في روح المعاني ج ٢ ص ٣٤٨ والبدخشاني في مفتاح النجا وغيرهم بطرقهم حديث الغدير عن ابن عباس يأتي لفظهم في آيتي التبليغ وإكمال الدين إن شاء الله.

٧٧ - عبدالله بن أبي أوفى علقمة الأسلمي المتوفّى ٨٦/ ٨٧ أخرج الحديث بطريقه الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية.

٧٨ - أبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي المتوفّى ٧٢/ ٧٣. أخرج الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦، من طريق الطبراني عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال مَن ولاه وعاد مَن عاداه.

وأخرجه الحافظ ابن أبي شيبة في سننه، ونقله عنه الوصّابي الشافعي في الإكتفاء ورواه السيوطي في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء ص ١١٤، نقلاً عن الطبراني، والمتّقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ بطريق الطبراني في

المعجم الكبير، وبطريقه رواه البدخشاني في نزل الأبرار ص ٢٠ ومفتاح النجا، وعدّه الخطيب الخوارزمي من الصحابة الراوين لحديث الغدير في الفصل الرابع من مقتله وكذلك الجزري في أسنى المطالب ص ٤ .

٧٩ ـ أبو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود الهذلي المتوفى ٣٢/ ٣٣ والمدفون بالبقيع. أخرج الحافظ ابن مردويه بإسناده عنه نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام يوم الغدير، ورواه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ ، والقاضي الشوكاني في تفسيره ج ٢ ص ٥٧، والآلوسي البغدادي عن السيوطي عن ابن مردويه في روح المعاني ج ٢ ص ٣٤٨ وعدّه الخوارزمي وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص ٤ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٨٠ ـ عبدالله بن ياميل[1]. أخرج الحافظ ابن عقدة في كتابه المفرد في الحديث بسند له إلى إبراهيم بن محمَّد عن جعفر بن محمَّد عن أبيه وأيمن بن نابل (بالنون والموحّدة) بن عبدالله بن ياميل عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. الحديث، ورواه عنه بطريق الحافظ أبي موسى المديني ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٧٤ ، وابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٨٢ من طريق الحافظين ابن عقدة وأبي موسى، والقندوزي الحنفي في الينابيع ص ٣٤.

٨١ ـ عثمان بن عفّان المتوفّى ٣٥. أخرج عنه بإسناده الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية، والمنصور الرازي في كتاب الغدير، وهو أحد العشرة المبشَّرة الذين عدّهم ابن المغازلي من المائة الرواة لحديث الغدير بطرقه.

٨٢ ـ عبيد بن عازب الأنصاري، أخو البراء بن عازب. هو ممن شهد لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم المناشدة بالرحبة يأتي في حديثها.

٨٣ ـ أبو طريف عدي بن حاتم المتوفّى ٦٨ وهو ابن مائة سنة. من الذين

---

(١) كذا في النسخ، وفي بعض المصادر: يامين بالنون الموحدة.

شهدوا لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم مناشدته بالرحبة، في حديث أخرجه الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية من طريق محمَّد بن كثير، عن فطر، وابن الجارود، عن أبي الطفيل، وذكره السيِّد نور الدين السمهودي في جواهر العقدين وعنه القندوزي في ينابيع المودّة ص ٣٨، والشيخ أحمد المكي الشافعي في «وسيلة المآل في مناقب الآل» وعُدّ في تاريخ آل محمَّد ص ٦٧ ممّن روى حديث الغدير.

٨٤ - عطيَّة بن بسر[1] المازني. أخرج الحديث عنه ابن عقدة في حديث الولاية.

٨٥ - عقبة بن عامر الجهني ولي أمر مصر لمعاوية ثلاث سنين مات في قرب الستين. روى الحافظ ابن عقدة شهادته لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم الرحبة في حديث أوعزنا إليه في شهادة عديّ بن حاتم به، وعدّه القاضي في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

٨٦ - أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. شعره عليه السلام في الغدير مشهورٌ، رواه الثقات يأتي ذكره وذكر رواته في شعراء القرن الأول، ويأتي حديث احتجاجه يومي الشورى، والجمل، بحديث الغدير، واستنشاده به يوم الرحبة.

وأخرج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١٥٢، عن حجّاج الشاعر عن شبابة عن نعيم بن حكيم قال: حدّثني أبو مريم، ورجل من جلساء عليّ عليه السلام عن عليّ: أنّ رسول الله ﷺ قال: يوم غدير خمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. ورواه عنه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٤٨ ثمّ قال: وقد روي هذا من طرق متعدّدة عن عليّ رضي الله عنه، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٧ من طريق أحمد وقال: رجاله ثقاتٌ وذكره «بطريق أحمد» السيوطي في جمع الجوامع وتاريخ الخلفاء ص ١١٤، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧، والبدخشاني في نزل الأبرار ص ٢٠ من طريق

---

(١) في النسخ: عطية بن بشير، وهو تصحيف.

أحمد، والحاكم، وفي مفتاح النجا بطريق أحمد، والحاكم عنه عليه السلام.

وأخرج الحافظ الطحاوي في مشكل الآثار ج ٢ ص ٣٠٧ عن يزيد بن كثير[1] عن محمّد بن عمر بن عليّ (أمير المؤمنين) عن أبيه عن عليّ، إنّ النبيّ ﷺ حضر الشجرة بخمّ فخرج آخذاً بيد عليّ فقال: أيّها الناس ألستم تشهدون انّ الله ربّكم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تشهدون انّ الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم؟ وانّ الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه إني تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلّوا بعدي: كتاب الله بأيديكم وأهل بيتي.

ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١١ بطريق ابن جرير، وابن أبي عاصم بإسنادهما عن كثير بن زيد، عن محمّد بن عمر بن عليّ، عن أبيه عن عليّ، وذكره المتّقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤، عن مستدرك الحاكم، وأحمد، والطبراني في المعجم الكبير، والضياء المقدسي، وفي ج ٦ ص ٣٩٧ نقلاً عن ابن أبي عاصم، وص ٤٠٦ عن ابن راهويه وابن جرير، وص ٣٩٩ عن ابن جرير، وابن أبي عاصم، والمحاملي في أماليه وصحّحه، وفي لفظهم: فمن كان الله ورسوله مولاه فإنّ هذا مولاه، ورواه الوصّابي في الإكتفاء نقلاً عن سنني ابن أبي عاصم، وسعيد بن منصور (ابن شعبة النسائي).

وأخرج الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٠٣ عن مخول بن إبراهيم، عن جابر بن الحرّ، عن أبي إسحاق عمرو بن ذي مرّ، عن أمير المؤمنين. الحديث. ثمّ قال: رُوي هذا بإسناد أصلح من هذا، وروى الحمويني في فرائد السمطين عن عمرو ذي مرّ عن أمير المؤمنين، وعن أبي راشد الحراني[2] عنه عليه السلام.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني ج ٩ ص ٦٤ عن عبدالله بن

---

(١) كذا في مشكل الآثار، وفي غيره: كثير بن زيد وهو الصحيح.

(٢) كذا في النسخ هنا وفي غيره والضبط على ما في الخلاصة والتقريب: الحبراني بضم المهملة وسكون الموحدة.

جعفر، عن أحمد بن يونس الضبّي، عن عمّار بن نصر، عن إبراهيم بن اليسع المكّي، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جدّه عن عليّ [أمير المؤمنين] قال: خطب رسول الله ﷺ بالجحفة. الحديث[1] وسيأتيك حديث أخرجه الحافظ العاصمي في مفاد حديث الغدير عنه عليه السلام.

٨٧ - أبو اليقظان عمّار بن ياسر العنسي، الشهيد بصفّين سنة ٣٧. يأتي عن كتاب صفّين لنصر بن مزاحم ص ١٨٦ إحتجاج عمّار بحديث الغدير، على عمرو بن العاص، ويوجد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٣، وأخرج الحمويني بإسناده في فرائد السمطين في الباب الأربعين، والثامن والخمسين حديث الغدير بطريقه، وعدّه الخوارزمي وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص ٤ ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وهو من الركبان الشهود لعليّ عليه السلام بحديث الغدير في حديثه الآتي.

٨٨ - عمارة الخزرجي الأنصاري المقتول يوم اليمامة. روى الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٧ من طريق البزّار عن حميد بن عمارة قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، وهو آخذٌ بيد عليّ: مَن كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، ثم قال: رواه البزّار، وحميد لم أعرفه وبقيّة رجاله وثقوا، ونقله السيوطي عنه في تاريخ الخلفاء ص ٦٥، والبدخشاني في مفتاح النجا، ونزل الأبرار بطريق البزّار عنه.

٨٩ - عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ربيب النبيّ صلّى الله عليه وآله، امّه ام سلمة زوج النبيّ توفي ٨٣. أخرج الحديث عنه الحافظ ابن عقدة بإسناده.

٩٠ - عمر بن الخطاب المقتول ٢٣. أخرج الحافظ ابن المغازلي في المناقب بطريقين، عن عمران بن مسلم، عن سويد بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، ورواه السمعاني في فضائل الصحابة بإسناده عن

(١) في النسخة سقط ولعب بالحديث لا يخفى على القارىء.

أبي هريرة عنه، ومحبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦١ نقلاً عن مناقب أحمد، وابن السمان بطريقهما عنه، وأشـار إليـه، في ص ٢٤٤ وفي ذخائر العقبى ص ٦٧ نقلاً عن مناقب أحمد وشعبة بإسنادهما عنه، والحافظي محمَّد خواجه پارسا في فصل الخطاب، وعدّه الخطيب الخوارزمي في مقتله، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٩، وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص ٣ ممَّن روى حديث الغدير من الصحابة.

وفي مـودّة القربى لشهـاب الـدين الهمـداني: عن عمـر بن الخـطاب رضي الله عنه قال: نصب رسول الله ﷺ عليّاً علماً فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، واخذل مَن خـذله، وانصـر مَن نصره، اللهمّ أنت شهيدي عليهم. قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله؟ وكان في جنبي شابٌّ حسن الوجه طيِّب الريح، قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحلّهُ إلّا منافق فأخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر إنّه ليس من وُلد آدم لكنّه جبرائيل أراد أن يؤكِّد عليكم ما قلته في عليٍّ، ورواه عنه الشيخ القندوزي الحنفي في ينابيعه ص ٢٤٩.

وروى ابن كثير ج ٥ ص ٢١٣ عن الجزء الأوّل من كتاب غدير خمّ (لابن جـرير) حـدَّثنا محمـود[١] بن عوف الـطائي حدّثنا عبد الله بن مـوسى، أنبـأنـا إسماعيل بن كشيط[٢]، عن جميل بن عمارة[٣] عن سالم بن عبدالله بن عمر، قال ابن جرير: أحسبه قال عن عمر وليس في كتابي، سمعت رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بيد عليّ يقول: مَن كنت مولاه فهذا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه.

٩١ ـ أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي المتوفّى ٥٢ بالبصرة. أخرج الحديث عنه ابن عقدة في حديث الولاية، والمولوي محمَّد سالم البخاري نقلاً

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: محمد.
(٢) كذا. والصحيح: نشيط. م.
(٣) كذا وفي تاريخ البخاري كما يأتي صفحة ٩٠: عامر. م.

عن الحافظ الترمذي، وعدّه الخطيب الخوارزمي، وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص ٤ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٩٢ - عمرو بن الحمق الخزاعي الكوفي المتوفّى ٥٠. رواه عنه ابن عقدة، وعدّه الخوارزمي من رواة حديث الغدير من الصحابة في مقتله.

٩٣ - عمرو بن شراحيل. عدّه الخوارزمي في مقتله من رواته من الصحابة.

٩٤ - عمرو بن العاصي. أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الأوّل، وسيوافيك حديث إحتجاج برد عليه بحديث الغدير وإعترافه به، أخرجه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ٩٣، ويأتي كتابه إلى معاوية وفيه حديث الغدير أخرجه الخوارزمي بالإسناد في المناقب ص ١٢٦.

٩٥ - عمرو بن مرّة الجهني أبو طلحة أو أبو مريم. أخرج أحمد بن حنبل، والطبراني بالمعجم الكبير بإسنادهما عن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال بغدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه وانصر مَن نصره، وأعن مَن أعانه، ونقله عن الطبراني صاحب كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤، والشيخ إبراهيم الوصّابي الشافعي في الإكتفاء، ومحمّد صدر العالم في معارج العلى، ونقله البدخشاني في مفتاح النجا، ونزل الأبرار عن أحمد، ومعجم الطبراني.

(حرف الفاء الموحّدة)

٩٦ - الصدّيقة فاطمة بنت النبيّ الأعظم ﷺ. رواه ابن عقدة في حديث الولاية، والمنصور الرازي في كتاب الغدير، ويأتي إحتجاجها بحديث الغدير بطريق الجزري الشافعي، عن شيخه الحافظ المقدسي، وروى شهاب الدين الهمداني في مودّة القربى عنها سلام الله عليها قالت: قال رسول الله ﷺ مَن كنت وليّه فعليٌّ وليّه، ومَن كنت إمامه فعليٌّ إمامه.

٩٧ - فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب. روى الحديث عنها ابن عقدة، والمنصور الرازي في كتاب الغدير.

(حرف القاف والكاف)

٩٨ ـ قيس بن ثابت بن شماس الأنصاري. أحد الركبان الشهود لأمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير الآتي حديثهم، أخرجه الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عن أبي مريم زرّ بن حبيش، نقله عنه وعن أبي موسى ابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٣٦٨، وابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣٠٥، والشيخ محمَّد صدر العالم في معارج العُلى.

٩٩ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي. أحد شعراء الغدير في القرن الأوّل، كما أنّه أحد الشهود لعليّ عليه السلام بحديث الغدير في حديث الركبان الآتي، ويأتي إحتجاجه على معاوية بن أبي سفيان بحديث الغدير.

١٠٠ ـ أبو محمد كعب بن عجرة الأنصاري المدني المتوفّى ٥١. رواه عنه ابن عقدة.

(حرف الميم)

١٠١ ـ أبو سليمان مالك بن الحويرث الليثي المتوفّى ٧٤. أخرج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل في المناقب، والحافظ ابن عقدة في حديث الولاية بإسنادهما عن مالك بن الحسين بن مالك بن الحويرث، عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ قال يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

ورواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ من طريق الطبراني بإسناده عن مالك، ثم قال: ورجاله وثقوا وفيهم خلاف، وجلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ نقلاً عن الطبراني، والبدخشاني في مفتاح النجا، وفي نزل الأبرار ص ٢٠، بطريق الطبراني، والشيخ محمَّد صدر العالم في معارج العُلى عن الطبراني أيضاً، والوصّابي الشافعي في الإكتفاء نقلاً عن أبي نعيم في فضائل الصحابة، وعدّه الخوارزمي في مقتله ممّن روى حديث الغدير.

١٠٢ ـ المقداد بن عمرو الكندي الزهري المتوفّى ٣٣ وهو ابن سبعين

عاماً. أخرج الحديث عنه ابن عقدة في حديث الولاية، والحافظ الحمويني في فرائده.

(حرف النون)

١٠٣ ـ ناجية بن عمرو الخزاعي. ممن شهد لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم مناشدته بالكوفة، أخرجه الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية بطريق عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرّة عن أبيه عن جدّه، ورواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ٦ نقلاً عن أبي نعيم، وأبي موسى، وابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٥٤٢ من طريق ابن عقدة، وعدّه الخطيب الخوارزمي ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

١٠٤ ـ أبو برزة فضلة بن عتبة[1] الأسلمي المتوفّى بخراسان سنة ٦٥. أخرج الحديث عنه بطريقه ابن عقدة في حديث الولاية.

١٠٥ ـ نعمان بن عجلان الأنصاري. تأتي شهادته لعليّ عليه السلام بحديث الغدير يوم المناشدة بطريق أصبغ بن نباتة، وعدّه القاضي في تاريخ آل محمّد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

(حرف الهاء إلى آخر الحروف)

١٠٦ ـ هاشم المرقال ابن عتبة بن أبي وقاص الزهري المدني المقتول بصفّين سنة ٣٧. أخرج الحافظ ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية عن أبي مريم زرّ ابنُ حبيش شهادته لعليّ عليه السلام بحديث الغدير بالكوفة يوم الركبان، ورواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٣٦٨ على ما وجده من ابن عقدة، ورواه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣٠٥ وأسقط شطراً من أوّله، ولم يذكر إسم هاشم بن عتبة المرقال، وكم له من نظير في تآليف ابن حجر.

١٠٧ ـ أبو وسمة وحشيّ بن حرب الحبشيّ الحمصيّ. أخرج ابن عقدة الحديث بلفظه في حديث الولاية، وعدّه الخطيب الخوارزمي في مقتله من رواة

---

(١) في الإصابة: عبيد، وقد يقال: عبدالله.

حديث الغدير من الصحابة.

١٠٨ ـ وهب بن حمزة[1] عدّه الخوارزمي في الفصل الرابع من مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

١٠٩ ـ أبو جحيفة وهب بن عبدالله السُوائي [بضم المهملة] يقال له وهب الخير المتوفّى ٧٤. أخرج الحديث بطريقه الحافظ ابن عقدة في حديث الولاية.

١١٠ ـ أبو مُرازم (بضم الميم) يعلى بن مرّة بن وهب الثقفي. أخرج الحديث عنه الحفّاظ: ابن عقدة، وأبو موسى، وأبو نعيم بطرقهم، نقله عنهم ابن الأثير في اسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٣ وج ٣ ص ٩٣ وج ٥ ص ٦، وابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٥٤٢ يأتي لفظه والطريق إليه في حديث المناشدة يوم الرحبة.

هؤلاء مائة وعشرة من أعاظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير ولعلّ فيما ذهب علينا أكثر من ذلك بكثير، وطبع الحال يستدعي أن تكون رواة الحديث أضعاف المذكورين، لأنّ السامعين الوعاة له كانوا مائة ألف أو يزيدون، وبقضاء الطبيعة إنّهم حدّثوا به عند مرتجعهم إلى أوطانهم شأن كل مسافر يُنبىء عن الأحداث الغريبة الني شاهدها في سفره، نعم: فعلوا ذلك إلا أشذاذ منهم صدّتهم الضغائن عن نقله، والمحدِّثون منهم وهم الأكثرون فمنهم هؤلاء المذكورون، ومنهم من طوت حديثه أجواز الفلى بموت السامعين في البراري والفلوات قبل أن ينهوه إلى غيرهم، ومنهم من أرهبته الظروف والأحوال عن الإشادة بذلك الذكر الكريم، وقد مرّ تلويحٌ إلى ذلك في رواية زيد بن أرقم، وجملةٌ من الحضور كانوا من أعراب البوادي لم يُتلقَّ منهم حديثٌ ولا انتهى إليهم الإسناد، ومع ذلك كلّه ففي مَن ذكرناه غنىً لإثبات التواتر.

فالْحَمْدُ لله أوَّلاً وَآخِراً

---

(١) في الإصابة ج ٣ ص ٦٤١ بالإسناد عن ركين عن وهب بن حمزة قال سافرت مع علي فرأيت منه جفاء فقلت: لئن رجعت لأشكونه فرجعت فذكرت علياً لرسول الله ﷺ فنلت منه فقال: لا تقولن هذا لعلي فإنه وليّكم بعدي.



على ترتيب الحروف

(حـرف الألف)

١ ـ أبو راشـد الحبراني الشـامي (اسمه خضـر/ نعمان) وثّقه العجلي وقال: لم يكن بدمشق في زمانه أفضل منه، ووثّقـه ابن‌حجر في التقريب ص ٤١٩. مرّ حديثه ص ٨١.

٢ ـ أبو سلمة (إسمه عبدالله وقيل: اسماعيل) ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، في خلاصة الخزرجي ص ٣٨٠ عن ابن سعد كان ثقة فقيهاً كثير الحديث، وفي التقريب ص ٤٢٢ ثقةٌ مكثرمات ٩٤. تنتهي الطرق إليه إلى جابر الأنصاري والطريق صحيحٌ رجاله ثقاتٌ راجع ص ٤٣.

٣ ـ أبو سليمان المؤذّن، في التقـريب (أبو سليمـان) من كبار التـابعين مقبولٌ. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بطريق رجاله ثقات.

٤ ـ أبو صالح السمّان ذكوان المدني مولى جويرية الغطفانيّة: قال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٧٨: ذكره أحمد فقال: ثقةٌ من أجلّ الناس وأوثقهم تُوفّي سنة ١٠١، راجع الطرق المذكورة في ص ٨٢ ويأتي في آية التبليغ عنه نزولها في عليّ عليه السلام.

٥ ـ أبو عنفوانة المازني. مرّ الطريق إليه عن جندع ص ٤٥.

٦ ـ أبو عبد الرحيم الكندي. تأتي الطرق إليه في حديث مناشدة الرحبة بلفظ زاذان.

٧ ـ أبو القاسم أصبغ بن نُباتة (بضم النون) التميمي الكوفي، تابعيٌّ ثقةٌ قاله العجلي وابن معين. تأتي الطرق إليه في مناشدة الرحبة، ومرّت ص٥١ .

٨ ـ أبو ليلى الكندي[١] في التقريب ٤٣٥ ثقةٌ من كبار التابعين. روى أحمد بن حنبل في المناقب عن عليّ بن الحسين قال حدَّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه عن سلمة بن كهيل، عن أبي ليلى الكندي أنّه حدَّثه قال: سمعت زيد بن أرقم يقول ونحن ننتظر جنازة، فسأله رجل من القوم فقال: يا أبا عامر أسمعت رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول لعليّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ قال: نعم. قال أبو ليلى: فقلت لزيد: قالها رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالها أربع مرّات.

٩ ـ إياس بن نُذير (بضم النون وفتح المعجمة) ذكره ابن حبّان في الثقات. ستقف على الرواة عنه في حديث إحتجاج عليّ عليه السلام يوم الجمل بحديث الغدير.

(حرف الجيم والحاء والخاء)

١٠ ـ جميل بن عمارة. مرَّ عن ابن كثير من طريق ابن جرير الطبري عنه ص ٨٣.

١١ ـ حارثة بن نصر. يأتي عنه حديث المناشدة بالرحبة.

١٢ ـ حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي، قال الذهبي: إنّه فقيه الكوفة من ثقات التابعين تُوفي ١١٧/ ١١٩ وترجمه في تذكرته ج ١ ص ١٠٣، وحكى ابن حجر توثيقه عن غير واحد في تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٧٨. مرّت الطرق إليه ص ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٨ ـ ٧٣.

١٣ ـ الحرث بن مالك. مرَّ الطريق إليه ص ٦٤.

١٤ ـ الحسين بن مالك الحويرث. مرّت الطرق إليه ص ٨٥.

---

(١) يقال: اسمه سلمة بن معوية: وقيل: سعيد بن بشر، وقيل: المعلّى.

١٥ ـ حكم بن عتيبة الكوفي الكندي؛ ثقةٌ ثبتٌ فقيهٌ صاحب سُنَّة وأتباع، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٠٤ توفّي ١١٤/ ١١٥. مرَّ الطريق إليه ص ٤١، ٦٣ وتأتي إليه طرقٌ كثيرة.

١٦ ـ حميد بن عمارة الخزرجي الأنصاري. مرّ حديثه ص ٨٢.

١٧ ـ حميد الطويل أبو عبيدة ابن أبي حميد البصري المتوفّى ١٤٣ قال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٣٦: حميد الحافظ المحدّث الثقة أحد مشيخة الأثر. يأتي حديثه في حديث التهنئة.

١٨ ـ خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، حكى ابن حجر في التهذيب ج ٣ ص ١٧٩ عن ابن معين والنسائي، والعجلي ثقته مات بعد سنة ٨٠ وأرّخه ابن قانع بالثمانين. مرّ الإسناد إليه ص ٦٣.

(حرف الراء وأختها المعجمة)

١٩ ـ ربيعة الجُرشي[1] (بضم الجيم وفتح المهملة) المقتول سنة ٦٠/ ٦١/ ٧٤ مختلفٌ في صحبته، في التقريب ١٢٣: كان فقيهاً وثّقه الدارقطني وغيره. مرّ الطريق إليه ص ٦٣.

٢٠ ـ أبو المثنّى رياح بن الحارث النخعي الكوفي، وثّقه ابن حجر في التقريب وعدّه من كبار التابعين، وحكى ثقته عن العجلي وابن حبّان في التهذيب ج ٣ ص ٢٩٩. تأتي الطرق إليه في حديث الركبان.

٢١ ـ أبوعمرو زاذان بن عمر الكندي البزّار «أو: البزاز» الكوفي في ميزان الاعتدال من كبار التابعين، وحكى ابن حجر ثقته عن غير واحد في التهذيب ج ٣ ص ٣٠٣ توفّي ٨٢. راجع حديث المناشدة.

٢٢ ـ أبو مريم زِرّ «بكسر المعجمة وشَدّة المهملة» بن حُبيش [مصغَّراً] الأسدي من كبار التابعين توفي ٨١/ ٨٢/ ٨٣ قال الذهبي في تذكرته ج ١

---

(١) في الخلاصة للخزرجي: الجرسي. بالسين المهملة.

ص ٤٠: إنّه الإمام القدوة. وفي التقريب ثقةٌ جليلٌ مخضرمٌ، وثّقه غير واحد كما في التهذيب ج ٣ ص ٣٢٢، وعقد له أبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٨١ - ١٩١ ترجمةً ضافية. تأتي الطرق إليه في حديثي المناشدة في الرحبة والركبان.

٢٣ - زياد بن أبي زياد وثّقه الحافظ الهيثمي في مجمعه وابن حجر في التقريب. تأتي الطرق إليه في حديث مناشدة الرحبة.

٢٤ - زيد بن يُثيع «بالمثناة والمثلثة بعدها مصغّراً» الهمداني الكوفي في التقريب ١٣٦ ثقةٌ مخضرمٌ من كبار التابعين. تأتي طرقٌ كثيرةٌ إليه في مناشدة الرحبة.

(حرف السين وأختها المعجمة)

٢٥ - سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٧٧ وقال: إنّه الفقيه الحجّة أحد مَن جمع بين العلم والعمل والزهد والشرف، وفي التقريب أحد الفقهاء السبعة كان ثبتاً عابداً يشبه بأبيه في الهدى والسمت، من كبار الثالثة، مات في آخر سنة ١٠٦ على الصحيح. يأتي الطريق إليه في حديث الركبان، ومرّ في ص٨٣.

وأخرج البخاري في تاريخه ج ١ قسم ١: ٣٧٥، من طريق عبيد عن يونس بن بكير، عن اسماعيل بن نشيط العامري، عن جميل بن عامر، أنّ سالماً حدّثه سمع من سمع النبي ﷺ يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

٢٦ - سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٦٥ وبالغ في الثناء عليه، وفي خلاصة الخزرجي ص ١١٦ عن اللالكائي ثقةٌ إمامٌ حجةٌ، وعن ابن مهران مات سعيد وما على ظهر الأرض أحد إلاّ وهو محتاجٌ إلى علمه، وفي التقريب ص ١٣٣ ثقةٌ ثبتٌ فقيهٌ من الثالثة قُتل بين يدي الحجّاج سنة ٩٥، ولم يكمل الخمسين، وفي تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٣ عن الطبري: إنّه ثقةٌ حجّةٌ على المسلمين. مرٌّ الطريق إليه ص ٤١ و٧٨.

٢٧ - سعيد بن أبي حدّان ويقال ذي حُدّان (بضم المهملة وتشديد الدال)

الكوفي، في تهذيب التهذيب ذكره ابن حبّان في الثقات. يأتي حديثه في مناشدة الرحبة.

٢٨ ـ سعيد بن المسيب القرشي المخزومي، صهر أبي هريرة توفي ٩٤، قال الذهبي في تذكرة الحفّاظ ج ١ ص ٤٧: قال أحمد بن حنبل وغيره: مرسلات سعيد صحاحٌ، وقال ابن المدني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، هو عندي أجلّ التابعين. وعدّه أبو نعيم من الأولياء وترجمه في الحلية ج ٢ ص ١٦١. يأتي بطريق جمع من الحفّاظ عنه حديث التهنئة ومرّ عنه غيره ص ٦٤.

٢٩ ـ سعيد بن وهب الهمداني الكوفي، في خلاصة تهذيب الكمال ص ١٢٢: وثّقه ابن معين مات سنة ستّ وسبعين. روى بطريقه جمعٌ كثير من أئمة الحديث حديث مناشدة الرحبة كما يأتي.

٣٠ ـ أبو يحيى سلمة بن كهيل الحضرمي المتوفّى ١٢١، وثّقه أحمد، والعجلي كما في خلاصة التهذيب ص ١٣٦، والتقريب ١٥٤. مرّت الطرق إليه ص ٤٦، ٤٨، ٥٤، ٥٨، ٧٣.

٣١ ـ أبو صادق سليم بن قيس الهلالي المتوفى ٩٠، وهو ممّن يُحتجّ به وبكتابه عند الفريقين كما يأتي. روى حديث الغدير في غير موضع واحد من كتابه الموجود عندنا.

٣٢ ـ أبو محمّد سليمان بن مهران الأعمش، وثّقه الذهبي وغيره وكان يسمّى المصحف من صدقه، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٣٨ توفي ١٤٧/ ١٤٨ ومولده ٦١. مرّت الطرق إليه ص ٥٣، ٥٨، ٧٣ وتأتي في حديث المناشدة وفي آية البلاغ.

٣٣ ـ سهم بن الحصين الأسدي. مرّ عنه ص ٦٦.

٣٤ ـ شهر بن حوشب. تأتي ترجمته والطرق إليه في آية إكمال الدّين وحديث التهنئة وحديث صوم الغدير.

(حرف الضاد المعجمة)

٣٥ ـ الضحّاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم المتوفّى ١٠٥؛ وثّقه أحمد، وابن معين وأبو زرعة. مرّ عنه عن ابن عباس ص ٥١، وروى الحافظ الحمويني في فرائد السمطين في الباب العاشر، نقلاً عن أبي القاسم بن أحمد الطبراني، عن الحسين النيري، عن يوسف بن محمد بن سابق، عن أبي ملك الحسن، عن جوهر، عن ضحّاك، عن عبدالله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: اللّهم أعنه وأعن به، وارحمه وارحم به، وانصره وانصر به، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وروي هذا اللفظ بإسناد آخر عن عمرو ذي مرّة عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(حرف الطاء المهملة)

٣٦ ـ طاووس بن كيسان اليماني الجَندي (بفتح الجيم والموحّدة) المتوفى ١٠٦ عدّه أبو نعيم من الأولياء وترجمه في حليته ج ٤ ص ٢٠/ ٢٣ وقال في ص ٢٣: حدّثنا أحمد بن جعفر بن سلم، حدّثنا العباس بن عليّ النسائي، حدّثنا محمّد بن عليّ بن خلف، حدّثنا حسين الأشقر حدّثنا ابن عيينة[١] عن عمرو بن دينار، عن طاووس، عن بريدة عن النبيّ ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

٣٧ ـ طلحة بن المصرف الأيامي «اليمامي» الكوفي، قال ابن حجر: ثقةٌ قارىءٌ فاضلٌ توفي ١١٢ أو بعدها. تأتي الطرق إليه في حديث مناشدة الرحبة.

(حرف العين المهملة)

٣٨ ـ عامر بن سعد بن أبي وقّاص المدني، في التقريب ص ١٨٥ ثقةٌ من الثالثة مات ١٠٤. راجع ص ٦٣.

---

(١) يظهر من هذا السند أن ابن عيينة كابن البيع أخذ الحديث من مشايخه ولم يبلغ العشرة من عمره إذ ابن عيينة ولد سنة سبع بعد المائة وتوفي عمرو بن دينار سنة ١١٥/ ١٦.

٣٩ ـ عائشة بنت سعد توفيت ١١٧، وثّقها ابن حجر في تقريبه ٤٧٣. مرَّ حديثها ص٦٢، ٦٤، ٦٥.

٤٠ ـ عبد الحميد بن المنذر بن الجارود العبدي، وثّقه النسائي، وابن حجر في التقريب ٢٢٤. يأتي عنه عن أبي الطفيل حديث مناشدة الرحبة بطريق رجاله كلّهم ثقات.

٤١ ـ أبو عمارة عبد خير بن يزيد الهمداني الكوفي المخضرمي، وثّقه ابن معين والعجلي كما في الخلاصة ص ٢٦٩ ووثّقه ابن حجر في تقريبه ٢٢٥ وعدّه من كبار التابعين. يأتي الطريق إليه في حديث المناشدة بالرحبة بلفظ سعيد.

٤٢ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى المتوفى ٨٢/ ٣/ ٦، في الميزان ج ٢ ص ١١٥ من أئمّة التابعين وثقاتهم، وأثنى عليه في التذكرة بالفقه ووثّقه في التقريب. يأتي حديث مناشدة الرحبة عنه بطرق كثيرة ومرّ الحديث عنه ص ٣٦ و٦٣.

٤٣ ـ عبد الرحمن بن سابط، ويقال: ابن عبدالله بن سابط الجمحي المكّي، ووثّقه ابن حجر في التقريب وعدَّه من الطبقة الوسطى من التابعين توفي ١١٨. مرّت الطرق إليه ص٦٢، ٦٣، ٦٦.

٤٤ ـ عبدالله بن أسعد بن زرارة. راجع ص ٣٨.

٤٥ ـ أبو مريم عبدالله بن زياد الأسدي الكوفي، وثقه ابن حبّان كما في خلاصة الخزرجي ص ١٦٨، ووثّقه ابن حجر في التقريب ١٣٠. راجع ص ٨٠.

٤٦ ـ عبدالله بن شريك العامري الكوفي، في التقريب ص ٢٠٢ صدوقٌ يتشيّع أفرط الجوزجاني فكذّبه، وثّقه أحمد وابن معين وغيرهما كما في ميزان الذهبي ج ٢ ص ٤٦. مرّ الطريق إليه ص ٦٤.

٤٧ ـ أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن عقيل الهاشمي المدني المتوفّى بعد

الأربعين والمائة، في خلاصة الخزرجي والتقريب عن الترمذي: إنّه صدوقٌ، وكان أحمد، وإسحاق، والحميدي يحتجّون بحديثه. راجع طريق جابر ص ٤٣، وفي البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٣ عن ابن جرير الطبري قال: قال المطلب بن زياد، عن عبدالله بن محمّد بن عقيل، سمع جابر بن عبدالله يقول: كنّا بالجحفة بغدير خمّ فخرج علينا رسول الله ﷺ من خباء أو فسطاط فأخذ بيد عليّ فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، قال شيخنا الذهبي: هذا حديثٌ حسنٌ وقد رواه ابن لهيعة. إلى آخر ما مرّ في ص ٤٣ ويأتي في مناشدة رجل عراقي جابر الأنصاري.

٤٨ - عبدالله بن يعلى بن مرّة. تأتي الطرق إليه في حديث المناشدة ومرّ بعضها في ص٧٣.

٤٩ - عديّ بن ثابت الأنصاري الكوفي الخطمي المتوفى ١١٦، قال الذهبي في ميزانه ج ٢ ص ١٩٣: عالم الشيعة وصادقهم وقاصّهم وإمام مسجدهم، ولو كانت الشيعة مثله لقلّ شرّهم، وثّقه أحمد، والعجلي، والنسائي. مرّت الطرق إليه ص ٣٩ و٤٠ وتأتي في حديث التهنئة.

٥٠ - أبو الحسن عطيّة بن سعد بن جُنادة «بضم الجيم» العوفيّ الكوفيّ التابعيّ المشهور المتوفّى ١١١، وثّقه سبط ابن الجوزي في تذكرته ٢٥، والحافظ الهيثمي في مجمعه ج ٩ ص ١٠٩، نقلاً عن ابن معين. وفي مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٢٤٢: ضربه الحجّاج أربع مائة سوط على أن يشتم عليّاً رضي الله عنه فلم يشتم. مرّت الطرق إليه ص ٥٢ و٥٨ و٥٩ و٦٨ وتأتي في آية التبليغ.

٥١ - عليّ بن زيد بن جدعان البصري المتوفى ١٢٩ / ٣١؛ وثّقه ابن أبي شيبة وعن الترمذي: إنّه صدوقٌ؛ وأثنى عليه الذهبي في تذكرته بالإمامة. راجع ما مرّ عنه ص ٣٩ و٤٠ و٤١ تأتي طرق كثيرة إليه في حديث التهنئة، وأخرج الخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٣٧٧ قال: أخبرنا محمّد بن عبد الرحمن المعدّل - باصبهان -: حدَّثنا محمد بن عمر التميمي الحافظ: حدَّثنا الحسن بن

عليّ بن سهل العاقولي: حدَّثنا حمدان بن المختار: حدَّثنا حفص بن عبيدالله بن عمر، عن سفيان الثوري، عن عليّ بن زيد، عن أنس قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

٥٢ ـ أبو هارون عمارة بن جوين العبدي المتوفى ١٣٤. سبقت الطرق إليه ص ٤١ و٦٧ ويأتي بعضها في آية إكمال الدين، وحديث التهنئة.

٥٣ ـ عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المتوفّى ١٠١. يأتي إحتجاجه به.

٥٤ ـ عمر بن عبد الغفار. يأتي عنه حديث إنشاد شابّ أبا هريرة.

٥٥ ـ عمر بن عليّ أمير المؤمنين، في التقريب ٢٨١ ثقةٌ من الثالثة، مات في زمن الوليد وقيل قبل ذلك. راجع ص ٨١.

٥٦ ـ عمرو بن جعدة بن هبيرة. مرَّ حديثه ص ٣٨.

٥٧ ـ عمرو بن مرّة أبو عبدالله الكوفي الهمداني المتوفّى ١١٦ يقال عليه: ذو مرّة[1] في تهذيب التهذيب ج ٨: تابعيٌّ ثقةٌ عن العجلي، وترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٠٨ وأثنى عليه بالثقة والثبت والإمامة. مرّ حديثه ص ٨١ وإليه طرقٌ كثيرة تأتي في حديث المناشدة بالرحبة، غير واحد منها صحيحٌ رجاله ثقات.

٥٨ ـ أبو إسحاق عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني، قال الذهبي في ميزانه: من أئمّة التابعين بالكوفة وأثباتهم، وترجمه في تذكرته بالثناء عليه ج ١ ص ١٠١، وفي التقريب: مكثرٌ ثقةٌ عابدٌ توفّي ١٢٧ وقيل أكثر. مرّ حديثه ص ٥٥ و ٥٨ وتأتي إليه طرقٌ كثيرة في المناشدة وحديث التهنئة.

---

(١) قد وقع اشتباه في معاجم كثيرة بينه وبين عمرو بن مرة الصحابي المذكور ص ٨٤.

٥٩ - أبو عبدالله عمرو بن ميمون[١] الأودي؛ ذكره الذهبي في التذكرة ج ١ ص ٥٦ بالإمامة والثقة، وفي التقريب ٢٨٨: ثقةٌ عابدٌ نزل الكوفة، مات ٧٤ وقيل بعدها. مرّت الطرق إليه ص ٧٥ و٧٧ ويأتي إحتجاجه بحديث الغدير.

٦٠ - عُميرة[٢] بن سعد الهمداني الكوفي؛ وثّقه ابن حبّان وفي التقريب ص ٢٩١: مقبولٌ. تأتي طرق الحفّاظ إليه وهي كثيرةٌ في المناشدة بالرحبة، ومرّ بعضها ص ٣٩ و٦٨.

٦١ - عُميرة بنت سعد بن مالك المدنيّة اخت سهل ام رفاعة ابن مبشّر. يأتي الطريق إليها في حديث مناشدة أمير المؤمنين في الرحبة، ولنا في هذا السند نظرٌ يأتي في محلّه.

٦٢ - عيسى بن طلحة بن عبيدالله التميمي أبو محمّد المدني، أحد العلماء وثّقه ابن معين مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، كذا ترجمه الخزرجي في خلاصته ص ٢٥٧. مرّ الطريق إليه ص ٧١.

(حرف الفاء والقاف)

٦٣ - أبو بكر فطر بن خليفة المخزومي، مولاهم الحنّاط؛ ثقةٌ صدوقٌ وثّقه أحمد، وابن معين، والعجلي، وابن سعد توفي ١٥٠/ ١٥٣، أو أكثر كما في تهذيب التهذيب. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بطرقٍ كثيرةٍ صحيحةٍ رجالها ثقات ومرّ الطريق إليه ص ٧٣ و٨٠.

٦٤ - قبيصة بن ذؤيب؛ ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٥٢ وأثنى عليه، ووثّقه ابن حبّان كما في الخلاصة ص ٢٦٨؛ مات ٨٦. مرّ الطريق إليه ص ٤٣.

---

(١) في الخصائص للنسائي: عمرو بن ميمونة، وفي المناقب للخوارزمي: عمر بن ميمون، والصحيح ما ذكر.

(٢) في الخصائص للنسائي: عمرو. وفي مجمع الهيثمي وغيره: عمير، وقال الذهبي: الصحيح عميرة.

٦٥ ـ أبو مريم قيس الثقفي المدائني، وثّقه النسائي كما في خلاصة الخزرجي ٣٩٥. مرّ الطريق إليه ص ٨٠ ورجاله ثقات.

(حرف الميم إلى آخر الحروف)

٦٦ ـ محمّد بن عمر بن علي أمير المؤمنين، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ويقال: سنة ١٠٠ وثّقه ابن حبان وقال ابن حجر: صدوقٌ من السادسة مات بعد الثلاثين. راجع الطرق إليه ص ٨٠ و٨١.

٦٧ ـ أبو الضحى مسلم بن صُبيح (بالتصغير) الهمدانيّ الكوفيّ العطار، وثّقه ابن معين، وأبو زرعة كما في خلاصة التهذيب ٣٢١؛ والتقريب ٤٢٢. مرّ الطريق إليه ص ٥٩.

٦٨ ـ مسلم الملائي [بضم الميم]. مرّت الطرق إليه ص ٤٦ و٦٣.

٦٩ ـ أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدنيّ، في التقريب ٣٣٤ ثقةٌ توفي سنة ١٠٣، راجع ص ٦٤.

٧٠ ـ مطلب بن عبدالله القرشي المخزوميّ المدنيّ، وثّقه أبو زرعة، والدارقطني. مرّ حديثه ص ٧٥.

٧١ ـ مطر الورّاق. تأتي ترجمته وحديثه في صوم الغدير، وآية إكمال الدين، وحديث التهنئة.

٧٢ ـ معروف بن خُربوذ «بضم الموحَّدة آخره ذال معجمة»[1] وثّقه ابن حبّان. راجع ص ٤٩ ويأتي أيضاً فيما بعد إن شاء الله تعالى.

٧٣ ـ منصور بن ربعيّ. يأتي حديثه وترجمته في آية سَأل سائِلٌ.

٧٤ ـ مهاجر بن مسمار الزهري المدني، وثّقه ابن حبّان. مرّت الطرق إليه ص ٦٢ و٦٥.

٧٥ ـ موسى بن أكتل بن عُمير النميريّ. سلف الطريق إليه ص ٧١.

---

(١) ضبط الخزرجي في الخلاصة بفتح المعجمة والمهملة المشددة والدال المهملة.

٧٦ - أبو عبدالله ميمون البصري مولى عبد الرحمن بن سمرة، وثّقه ابن حبّان كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١، وقال ابن حجر في القول المسدّد ص ١٧ : ميمون وثّقه غير واحد وتكلّم بعضهم في حفظه وقد صحّح له الترمذي حديثاً. طُرق الحفّاظ إليه كثيرةٌ مرّت ص ٥٣ و٥٤ و٥٦ و٥٨ وصحّحه ابن كثير.

٧٧ - نذير الضبي الكوفيّ؛ من كبار التابعين. يأتي عنه حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل.

٧٨ - هاني بن هاني الهمداني الكوفيّ، نفى البأس عنه النسائيّ كما في التقريب. يأتي حديثه في مناشدة الرحبة.

٧٩ - أبو بلج يحيى بن سليم الفزاري الواسطيّ؛ وثّقه ابن معين، والنسائيّ، والدارقطني كما في خلاصة الخزرجي ٣٨٣ ووثّقه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائدج ٩ ص ١٠٩. مرّت الطرق إليه ص ٧٥ و٧٧ والحديث بطريقه عن ابن عباس صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

٨٠ - يحيى بن جعدة بن هبيرة المخزوميّ؛ في التقريب ٣٨٩ ثقةٌ من الثالثة. راجع ص ٥٥ و٥٨.

٨١ - يزيد بن أبي زياد الكوفيّ، أحد أئمّة الكوفة توفي ١٣٦ وله تسعون عاماً أو دونها بقليل. يأتي حديثه في مناشدة الرحبة.

٨٢ - يزيد بن حيّان التيميّ الكوفيّ، وثّقه العاصمي في زين الفتى، والنسائي كما في خلاصة الخزرجي ص ٣٧٠، ووثّقه ابن حجر في تقريبه وعدّه من الطبقة الوسطى من التابعين. مرّت الطرق إليه ص ٥٤ و٥٩؛ وأخرج الحافظ العاصمي في زين الفتى بإسناده عن إسحق بن إبراهيم المروزي الثقة، عن جرير بن عبد الحميد الضبّي الثقة، عن أبي حيّان يحيى بن سعيد التيمي الثقة،

عن يزيد بن حيّان الكوفيّ الثقة بالحرم[١] قام رسول الله بغدير خمّ فوعظ وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد: أيّها الناس! فإنّما أنا بشرٌ مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب. الحديث.

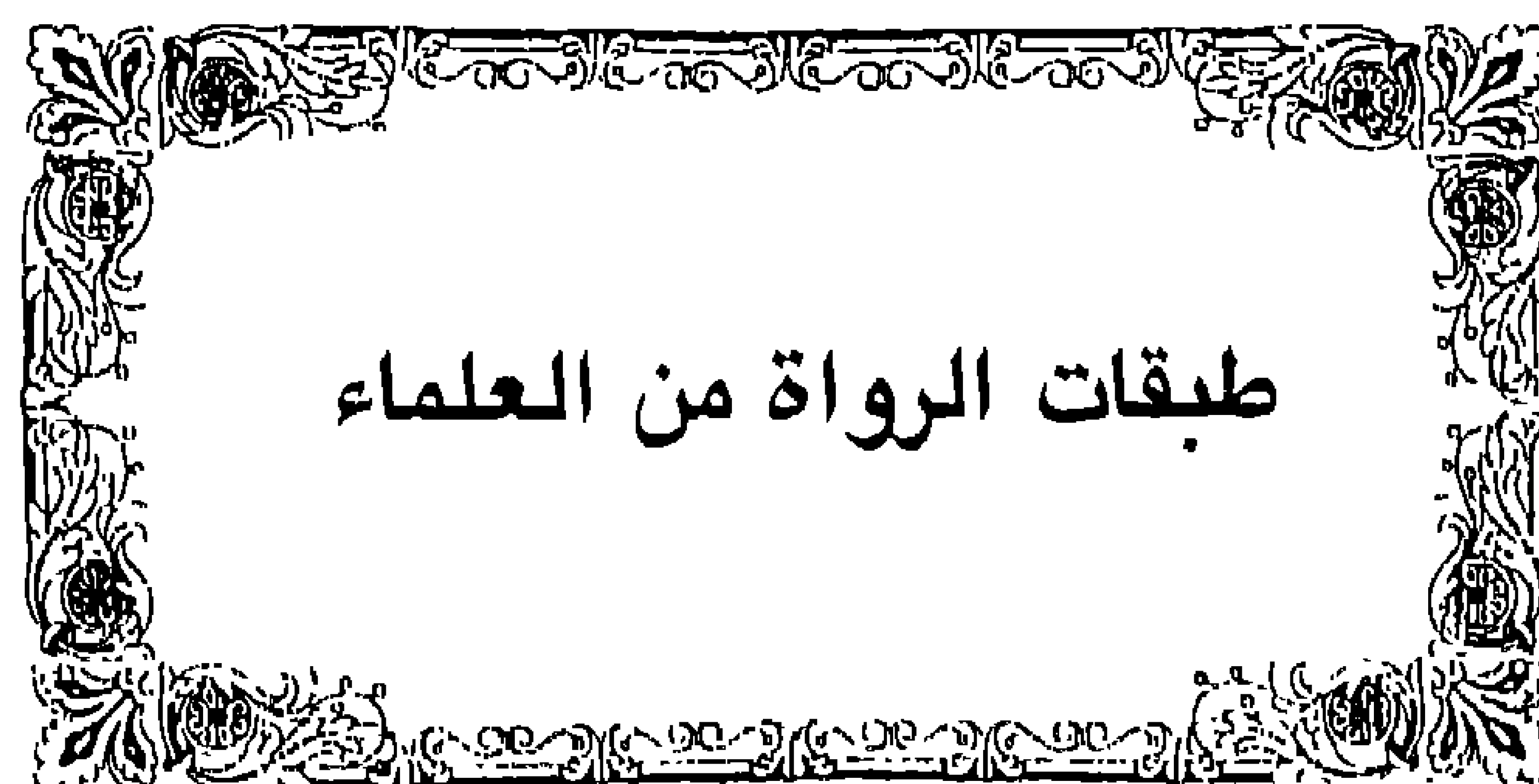
٨٣ ـ أبو داود يزيد بن عبد الرحمن بن الأودي الكوفي، وثّقه ابن حبّان كما في خلاصة الخزرجي ص ٣٧٢. مرّت الطرق إليه ص ٣٥، وتأتي في حديث مناشدة شابّ أبا هريرة.

٨٤ ـ أبو نجيح يسار الثقفي المتوفّى ١٠٩، وثّقه ابن معين كما في خلاصة الخزرجي ص ٣٨٤. مرّت الطرق إليه ص ٦٣.

آخِرُ دَعْوانا
أنِ الْحَمدُ لله رَبِّ الْعَالمين

---

(١) كذا في النسخة، وقد سقط عنها اسم الراوي عن النبي صلّى الله عليه وآله، وهو زيد بن أرقم فاللفظ لفظه والطريق إليه طريق مسلم فيها ذكره من حديث الغدير في صحيحه عن زيد.



على ترتيب الوفيات

ليست الصحابة والتابعين بالعناية بحديث الغدير بِدعاً من علماء القرون المتتابعة بعد قرنهم، فإنّ الباحث يجد في كلّ قرن زرافات من الحفّاظ الأثبات، يروون هذه الأثارة من عِلم الدين، متلقّين عن سلفهم، ويلقّونها إلى الخلف، شأن ما يتحقّق عندهم، ويخضعون لصحّته من الأحاديث، فإليك يسيراً من أسمائهم في كلّ قرن شاهداً على الدعوى، ونُحيل الحيطة بجميعها إلى طول باع القارىء الكريم، والوقوف على الأسانيد، ومعرفة المشيخة.

(القرن الثاني)

١ - أبو محمّد عمرو بن دينار الجمحي المكي المتوفّى ١١٥ / ١٦؛ قال مسعر: كان ثقةً ثقةً ثقةً كما في خلاصة الخزرجي ٢٤٤. راجع طاووس التابعي ص ٩٤.

٢ - أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيدالله القرشي الزهري المتوفّى ١٢٤، أحد الأئمّة الأعلام عالم الحجاز، والشام؛ ترجمه كثيرٌ من أرباب المعاجم بالثناء عليه وقال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٩٦: مناقب الزهري وأخباره تحتمل أربعين ورقة. مرّ الحديث عنه ص ٤٥ و٥٦.

٣ - عبد الرحمن بن القاسم بن محمّد بن أبي بكر التيمي، أبو محمّد المدني المتوفّى ١٢٦، وثّقه أحمد، وابن سعد، وأبو حاتم، وأثنى عليه الخزرجي في خلاصته ١٩٧ بالإمامة والثقة. روى مناشدة شاب أبا هريرة بحديث الغدير.

٤ ـ بكر بن سوادة بن ثمامة أو ثمامة البصري المتوفّى ١٢٨، أحد الفقهاء والأئمّة كما في خلاصة الخزرجي ٤٤ وثّقه ابن معين، وابن سعد، والنسائي. طريقه إلى جابر صحيحٌ رجاله كلهم ثقات مرّ ص ٤٣.

٥ ـ عبدالله بن أبي نجيح يسار الثقفي أبو يسار المكّي المتوفّى ١٣١، وثّقه أحمد كما في الخلاصة ١٨٣، وابن حجر في التقريب ص ١٤٥. مرّ حديثه ص ٦٣ بطريق صحيح رجاله ثقات.

٦ ـ الحافظ مغيرة بن مقسم أبو هشام الضبّي الكوفي الأعمى (وُلد أعمى) المتوفّى ١٣٣، وثّقه العرزمي، والعجلي، كما في تذكرة الذهبي ج ١ ص ١٢٨، وخلاصة الخزرجي ص ٣٢٠. مرّ حديثه ص ٥٣.

٧ ـ أبو عبد الرحيم خالد بن زيد الجمحي المصري المتوفّى ١٣٩، كان فقيهاً مفتياً، وثّقه أبو زرعة، والعجلي، ويعقوب بن سفيان، والنسائي، وذكره ابن حبّان في الثقات، تُرجم في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٢٩. يأتي عنه حديث المناشدة بلفظ زاذان بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٨ ـ الحسن بن الحكم النخعي الكوفي المتوفّى بعد الـ ١٤٠، وثّقه ابن معين كما في خلاصة الخزرجي ٦٧. يأتي بطريقه حديث الركبان، والطريق صحيحٌ رجاله ثقات.

٩ ـ إدريس بن يزيد أبو عبدالله الأودي الكوفي وثّقه النسائي. مرّ عنه ص ٣٥ بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات، ويأتي عنه حديث مناشدة شابّ أبا هريرة بطريق صحيح رجاله ثقات.

١٠ ـ يحيى بن سعيد بن حيّان التيميّ الكوفيّ المدنيّ، قال العجلي: ثقة صالح، وقال ابن حبّان: مات ١٤٥، كذا في خلاصة الخزرجي ٣٦٣. مرّ الطريق إليه في عمّه التابعي يزيد بن حيّان ص ٩٨ سنده سند مسلم في صحيحه رجاله ثقات.

١١ ـ الحافظ عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي الكوفي المتوفّى

١٤٥، وثّقه أحمد بن حنبل، والنسائي، وقال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٣٩: كان من الحفّاظ الأثبات. مرّ عنه ص ٥٢ و٥٩ باسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات، ويأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بلفظ زاذان.

١٢ - عوف بن أبي جميلة العبديّ الهجريّ البصريّ المتوفّى ١٤٦ وثّقه النسائي، وجماعة ذكره الخزرجي في خلاصته ٢٥٣، وابن حجر في تقريبه ١٩٩. راجع ص٥٣ رجال إسناده ثقات.

١٣ - عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي العمري المدني، أحد الفقهاء السبعة، وثّقه ابن معين، والنسائي، وأبو زرعة، وأبو حاتم توفي ١٤٧ وقيل غير ذلك، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٨ ص ٤٠. أخرج الحافظ العاصمي بطريقه عنه في زين الفتى.

١٤ - نعيم بن الحكيم المدائني المتوفّى ١٤٨ يروي عنه الحافظان أبو عوانة، والقطان، وثّقه ابن معين والعجلي؛ ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٣ ص ٣٠٢. مرّ الطريق إليه ص ٨٠ وهو صحيحٌ رجاله ثقات.

١٥ - طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله التيميّ الكوفي المتوفّى ١٤٨، وثّقه العجلي، وابن معين، وقال أبو زرعة، والنسائي: صالحٌ، ترجمه الخزرجي في الخلاصة ١٥٣، وابن حجر في تهذيب التهذيب، مرّ حديثه ص٧١.

١٦ - أبو محمّد كثير بن زيد[1]. الأسلمي المتوفّى بعد الـ ١٥٠، يعرف بابن ما قبَة (بفتح القاف والموحّدة) قال أبو زرعة: صدوقٌ وفيه لين، ترجمه الخزرجي في الخلاصة ٢٨٣. مرّ الحديث عنه ص ٨١ بطريق بقيّة رجاله كلّهم ثقات.

١٧ - الحافظ محمد بن إسحاق المدني صاحب السيرة المتوفّى ١٥١/١٥٢، أطراه الأعلام بالثقة والإمامة والعلم والحفظ والثبت، ترجمه الذهبي في

---

(١) كذا في الخلاصة وغيرها، وفي التقريب: زبيد.

تذكرتـه ج ١ ص ١٥٥، والخزرجي في الخـلاصة ص ٢٧٩. روى الحـاكم بطريقه في المستدرك ج ٣ ص ١١٠ كما مرّ ص ٤١ وغيرها.

١٨ ـ الحافظ معمّر بن راشد أبو عروة الأزدي البصري المتوفّى ١٥٣/ ٤، وثّقـه العجلي، والنسائي، والسمعـاني، ذكره الـذهبي في تذكـرتـه ج ١ ص ١٧١ معبّراً عنه بالإمام الحجّة مرّ حـديثه ص ٤٠ بـطريق صحيح رجـاله ثقات.

١٩ ـ الحافظ مسعر بن كدام (بكسر أوله) ابن ظهير الهـلالي الرواسي [بفتح أوّله] الكوفي المتوفّى ١٥٣/ ٥٥، قال القطان: ما رأيت مثله، كان من أثبت الناس وقال شعبة: كان يُسمّى المصحف لإتقانه، وثّقه أحمد، وأبو زرعة، والعجلي، راجع تذكرة الذهبي ج ١ ص ١٦٩ وخلاصة الخزرجي ٣٢٠. يأتي عنه حديث المناشدة بلفظ عُميرة الهمداني.

٢٠ ـ أبو عيسى الحكم بن أبان العدني المتوفّى ١٥٤/ ٥ قال العجلي: ثقةٌ صاحب سنّة كان إذا هدأت العيون وقف في البحـر إلى ركبتيه يـذكر الله تعالى. كذا ترجمه الخزرجي في الخلاصة ص ٧٥. مرّ حديثه ص ٤١[1].

٢١ ـ عبدالله بن شوذب البلخي نزيل البصرة المتوفّى ١٥٧، ستقف على ترجمته في صوم الغدير، ويأتيك قول ابن الوليد فيه: كان إذا نظرت إليه ذكرت الملائكة. روى حديث صوم الغدير بطريق صحيح رجاله كلهم ثقات.

٢٢ ـ الحافظ شعبة بن الحجاج أبو بسطام نزيل البصرة المتوفّى ١٦٠ عن ابن معين: أنه إمام المتقين، وعن الحَكم: إمام الأئمّة، وعن الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحـديث. تـرجمـه الـذهبي في التـذكـرة ج ١ ص ١٧٤ والخزرجي في الخلاصة ١٤٠. مرّ حديثه ص ٥٣ بطريق صحيح رجاله ثقات وكذلك ما مرّ في ص ٥٦ و٥٨ و٦٣ و٧٣ ويأتي عنه حـديث المناشـدة بلفظ زيد بن يُثيع.

---

(١) يروي عنه سفيان بن عيينة فما مرّ في ص ٤١ من ابن أبي غنية في المتن تصحيف، والصحيح ما ذكر هناك في الهامش عن أبي نعيم.

٢٣ - الحافظ أبو العلاء كامل بن العلا التميمي الكوفي المتوفّى حدود ١٦٠، وثّقه ابن معين، ونفى عنه البأس ابن عدي، والنسائي كما في خلاصة الخزرجي ٢٧٢ وصحّح حديثه الحاكم في المستدرك مرّ حديثه ص ٥٥ بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٢٤ - الحافظ سفيان بن سعيد الثوري أبو عبدالله الكوفي المتوفّى بالبصرة ١٦١، وكان مولده ٧٧ قال الخطيب في تاريخه ج ٩ ص ٢٥٢: كان إماماً من أئمّة المسلمين، وعَلماً من أعلام الدين، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع. في تاريخ الخطيب ج ٧ ص ٣٧٧: أخبرنا أبو الفتح محمّد بن الحسين العطار - قطيط - أخبرنا محمّد بن أحمد بن عبد الرحمن المعدّل - بأصبهان - حدّثنا أبو بكر محمّد بن عمر التميمي الحافظ [الجعابي] حدّثنا الحسن بن علي بن سهل العاقولي، حدّثنا حمدان بن المختار، حدّثنا حفص بن عبيدالله(١) بن عمر عن سفيان الثوري عن عليّ بن زيد عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

٢٥ - الحافظ إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي أبو يوسف الكوفي المتوفّى ١٦٢، وثّقه ابن معين وغيره، وبالغ في الثناء عليه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٩٣. مرّ الحديث عنه ص ٦٤، ويأتي عنه بطريق صحيح رجاله ثقات في حديث المناشدة.

٢٦ - جعفر بن زياد الكوفي الأحمر المتوفّى ١٦٥/ ٧، قال أبو داود: ثقةٌ شيعيٌّ وقال أبو زرعة: صدوقٌ، ونفى النسائي عنه البأس، كذا في خلاصة الخزرجي ٥٣. يأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بلفظ عبد الرحمن بطريق صحيح رجاله ثقات.

٢٧ - مسلم بن سالم النهدي أبو فروة الكوفي المتوفّى في أواسط القرن الثاني، وثّقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صالح الحديث ليس به بأس. يأتي عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى حديث المناشدة بالرحبة بطريق صحيح رجاله ثقات.

---

(١) هو بقرينة حمدان والثوري: حفص بن عبدالله السلمي أبو عمرو.

٢٨ ـ الحافظ قيس بن الربيع أبو محمَّد الأسدي الكوفي المتوفّى ١٦٥، قال عفان: كان ثقةً، وقال يعقوب بن شيبة: هو عند جميع أصحابنا صدوقٌ وكتابه صالحٌ وهو رديّ الحفظ، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٠٥، والخزرجي في الخلاصة ٢٧٠. مرّ عنه ص ٦٧ ويأتي عنه حديث نزول آية إكمال الدين في عليّ عليه السلام يوم الغدير.

٢٩ ـ الحافظ حمّاد بن سلمة أبو سلمة البصري المتوفّى ١٦٧، قال ابن معين: ثقةٌ، وقال ابن معمّر: كان يُعدّ من الأبدال، وقال القطان: إذا رأيت الرجل يقع في حمّاد فاتّهمه على الإسلام، وقال وهيب: كان حمّاد سيّدنا وأعلمنا، وقال الذهبي: كان بارعاً في العربيَّة فقيهاً فصيحاً مفوّهاً صاحب سنّة، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٨٢، والخزرجي في الخلاصة ٧٨. راجع ص ٣٩ فالحديث بطريقه إلى البراء صحيحٌ رجاله ثقات، ويأتي عنه حديث التهنئة بإسناد صحيح رجاله ثقات.

٣٠ ـ الحافظ عبدالله بن لهيعة أبو عبد الرحمن المصري المتوفّى ١٧٤، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢١٥. وقال: الإمام الكبير قاضي الديار المصريّة وعالمها ومحدّثها، وقال: قال أحمد بن حنبل: ما كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه، وقال أحمد بن صالح: كان صالح الكتاب طلاباً للعلم. راجع ص ٤٣ فالطريق منه إلى جابر الأنصاري صحيحٌ رجاله ثقات.

٣١ ـ الحافظ أبو عوانة الوضّاح بن عبدالله اليشكري الواسطي البزّاز المتوفّى ١٧٥/ ٦، كان صدوقاً ثقةً أجمعوا على حجيّته فيما حدّث، كما في تهذيب التهذيب، وتذكرة الذهبي ج ١ ص ٢٤١. مرّت الطرق إليه ص ٥٣ بأسانيد صحيحة وص ٥٤ و٧٥ و٧٧ وكثيرٌ من طرقه صحيحٌ.

٣٢ ـ القاضي شريك بن عبدالله أبو عبدالله النخعي الكوفي المتوفّى ١٧٧، قال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢١٠: أحد الأئمّة الأعلام كان حسن الحديث إماماً فقيهاً ومحدّثاً مكثراً ليس هو في الإتقان كحمّاد بن زيد، وقد

إستشهد به البخاري وخرَّج له مسلم متابعة، وثّقه يحيى بن معين، وعدّه محيي الدين ابن أبي الوفاء في الجواهر المضيئة ج ١ ص ٢٥٦ من الحنفيَّة. مرّ حديثه ص ٥٤ بطريق صحيح رجاله ثقات وكذلك في ص ٧٣، ويأتي عنه بطريق صحيح حديث المناشدة في الرحبة، وحديث مناشدة شابّ أبا هريرة.

٣٣ - الحافظ عبدالله «عبيدالله» بن عبيد الرحمن «عبد الرحمن» الكوفي أبو عبد الرحمن الأشجعي المتوفّى ١٨٢، وثّقه ابن معين، والذهبي، وابن حجر، راجع تذكرة الحفّاظ ج ١ ص ٢٨٤، والتقريب ١٧٠. مرّ حديثه بطريق صحيح رجاله ثقات ص٥١ .

٣٤ - نوح بن قيس أبو روح الحُدّاني (بضم المهملة آخره نون) البصريّ المتوفّى ١٨٣، وثّقه مرّة وابن معين كما في الخلاصة وهامشها ص ٣٤٧. مرّ حديثه ص ٦١ .

٣٥ - المطلب بن زياد بن أبي زهير الكوفي أبو طالب المتوفّى ١٨٥، اعتمد على الرواية عنه جمعٌ كثيرٌ من الحفاظ وأئمّة الحديث ووثّقه ابن معين، وعند أبي داود، وابن حجر صدوقٌ، وعند غيرهم محدِّثٌ جليلٌ، توجد ترجمته في التقريب ٢٤٧، والخلاصة ٣٢٤. يأتي عنه حديث مناشدة رجل عراقي جابر الأنصاري بطريق صحيح رجاله ثقات.

٣٦ - القاضي حسّان بن إبراهيم العَنزي [بفتح العين والمعجمة الموحَّدة] أبو هاشم المتوفّى ١٨٦، وثّقه أحمد، وأبو زرعة، وابن معين، وابن عدي كما في الخلاصة وهامشها ص ٦٤. مرّ حديثه ص ٥٤ بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٣٧ - الحافظ جرير بن عبد الحميد أبو عبدالله الضبيّ الكوفيّ ثم الرازيّ المتوفّى ١٨٨، عن ٧٨ عاماً، ذكره الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٤٧ وقال: رحل إليه المحدِّثون لثقته وحفظه وسعة علمه. مرّ الحديث بطريق الحافظ العاصمي عنه ص ١٠٠ باسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات وهو سند مسلم في صحيحه فيما رواه من خطبة يوم الغدير.

٣٨ - الفضل بن موسى أبو عبدالله المروزي السيناني [بمهملة مكسورة

وموحَّدتين] المتوفّى ١٩٢، وثَّقه ابن معين وأبو حاتم كما في الخلاصة ٢٦٣، وفي التقريب ٢٠٥: ثقةٌ ثبت. يأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بلفظ سعيد، وزيد بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٣٩ ـ الحافظ محمّد بن جعفر المدني البصري أبو عبدالله غندر المتوفّى ١٩٣، من الحفّاظ المتقنين، قال ابن معين: كان أصحّ الناس كتاباً أراد بعض أن يخطّئه فلم يقدر، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٧٤. مرّ الحديث عنه بإسناد صحيح رجاله ثقات ص ٥٤ وكذلك في ص ٥٦ و٥٨ و٧٣، ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ سعيد بإسناد صحيح رجاله ثقات.

٤٠ ـ الحافظ إسماعيل بن علية أبو بشر بن إبراهيم الأسدي المتوفّى ١٩٣، حكى الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٩٥، عن أبي داود أنّه قال: ما من أحد إلّا وقد أخطأ إلّا ابن علية، وبشر، وقال ابن معين: كان ثقةً ورعاً تقيّاً وعن شعبة إنه سيّد المحدِّثين. يأتي حديثه في حديث التهنئة «بعنوان ابن أخت حميد الطويل».

٤١ ـ الحافظ محمد بن إبراهيم أبو عمرو بن أبي عدي السلمي البصري المتوفّى بالبصرة ١٩٤، وثّقه النسائي، وأبو حاتم، والذهبي، كما في تذكرة الحفّاظ ج ١ ص ٢٩٦ وخلاصة الخزرجي ٢٧٦. مرّ الحديث بطريقه ص ٥٣، ٥٤ بإسناد صحيح رجاله ثقات.

٤٢ ـ الحافظ محمّد بن خازم (بالمعجمتين) أبو معاوية التميميّ الضرير المتوفّى ١٩٥ وثّقه العجلي، والنسائي، وابن خراش، كما في الخلاصة وهامشها ٢٨٥، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٩. مرّ الحديث عنه ص ٦٥ بإسناد صحيح.

٤٣ ـ الحافظ محمّد بن فضيل أبو عبد الرحمن الكوفي المتوفّى سنة ١٩٥، قال ابن معين: ثقةٌ، وقال أبو زرعة: صدوقٌ، والنسائي نفى عنه البأس، وقال ابن حجر في التقريب: صدوقٌ عارفٌ، وذكره الذهبي في التذكرة ج ١

ص ٢٨٨ وحكى ثقته. يأتي عنه حديث الركبان بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٤٤ - الحافظ الوكيع بن الجراح الرواسي أبو سفيان الكوفي المتوفّى ١٩٦/ ٧، وثّقه ابن معين، والعجلي، وابن سعد، وقال أحمد: ما رأيت مثله في العلم والحفظ والإتقان مع خشوع وورع، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٣ ص ٤٦٦، والذهبي في التذكرة ج ١ ص ٢٨٠، والخزرجي في الخلاصة ٣٥٦. أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مناقبه (على ما نُقل) عن الحافظ الوكيع، قال: حدَّثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، مرّ الإيعاز إليه ص ٤٠ عن الجامع الصغير، والإسناد صحيحٌ رجاله ثقات.

٤٥ - الحافظ سفيان بن عيينة أبو محمّد الهلالي الكوفي المتوفّى بمكّة ١٩٨، وكان مولده ١٠٧، قال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٣٩: كان إماماً حجّةً حافظاً واسع العلم كبير القدر، وقال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٢٢٦: كان إماماً عالماً ثبتاً زاهداً ورعاً مجمعاً على صحّة حديثه وروايته، وترجمه كثير من أرباب المعاجم بالثناء عليه. يأتي عنه نزول آية سأل سائلٌ حول قضية الغدير، ومرّ عنه الحديث بطريق صحيح رجاله ثقات ص ٤١ و٩٤.

٤٦ - الحافظ عبدالله بن نمير أبو هشام الهمدانيّ الخارفيّ، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٩٩، وقال: وثَّقه يحيى بن معين وغيره وكان من كبار أصحاب الحديث توفي ١٩٩، وله ٨٤ عاماً. راجع ص ٥٢ و٥٩ وهذا الطريق صحيحٌ رجاله ثقات على ما إختاره ابن سعد، وابن معين، والهيثمي من ثقة عطيَّة العوفي، ويأتي عنه حديث المناشدة يوم الرحبة بلفظ زاذان.

٤٧ - الحافظ حنش بن الحرث بن لقيط النخعيّ الكوفيّ، وثَّقه أبو نعيم، والهيثمي، وقال أبو حاتم: ما به بأس. يأتي عنه حديث الركبان بطريق صحيح رجاله ثقات.

٤٨ - أبو محمّد موسى بن يعقوب الزمعي المدنيّ، وثّقه ابن معين، وقال

أبو داود: صالحٌ، توفي في آخر خلافة المنصور. مرّ حديثه ص ٦٥ بطريق صحيح رجاله ثقات.

٤٩ ـ العلاء بن سالم العطار الكوفيّ، شيخ الأشج أبي سعيد الإمام الثقة. روى الخطيب وغيره بطريقه حديث المناشدة الآتي.

٥٠ ـ الأزرق بن علي بن مسلم الحنفيّ أبو الجهم الكوفيّ، وثّقه ابن حبان كما في الخلاصة ص ٢١. مرّ حديثه ص ٥٤ بسند صحيح كل رجاله ثقات.

٥١ ـ هاني بن أيّوب الحنفي الكوفي، قال ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١ ثقة. أخرج النسائي عنه حديث المناشدة بلفظ عُميرة، فالطريق صحيحٌ رجاله ثقات.

٥٢ ـ فُضيل بن مرزوق الأغرّ الرقاشي الرواسي الكوفي أبو عبد الرحمن المتوفّى حدود ١٦٠، وثّقه الثوري، وابن عيينة، وابن معين، وقال الهيثم بن جميل: كان من أئمّة الهدى زهداً وفضلاً، وقد أخرج مسلم حديثه في صحيحه، ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٩. يأتي عنه حديث المناشدة بلفظ سعيد وعمرو بإسناد صحيح رجاله ثقات.

٥٣ ـ أبو حمزة سعد بن عُبيدة [بالضم] السلميّ الكوفيّ المتوفّى في ولاية عمرو بن هُبيرة، وثّقه النسائي، وابن حجر كما في الخلاصة ١١٥، والتقريب ٨٩. مرّ حديثه ص١١٠ بإسناد صحيح رجاله ثقات رواه عن عبدالله بن بريدة الثقة عن أبيه.

٥٤ ـ موسى بن مسلم الحزامي الشيباني أبو عيسى الكوفي الطحّان المعروف بموسى الصغير، وثّقه ابن معين، وذكره ابن حبّان في الثقات، ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٧٢. مرّ حديثه ص ٦٦ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٥٥ ـ يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني، يروي عن

موسى بن يعقوب الزمعي الثقة المذكور، وعنه محمّد بن يحيى بن أبي عمر الثقة المتوفّى ٢٤٣. مرّ حديثه ص ٦٥ ويأتي.

٥٦ ـ عثمان بن سعد بن مرّة القرشي أبو عبدالله (أبو علي) الكوفي المكفوف، ذكره ابن حبّان في الثقات، ويروي عنه أئمة الحديث الحافظ أبو كريب ونظراؤه. يأتي عنه حديث المناشدة عن شريك.

(القرن الثالث)

٥٧ ـ الحافظ ضمرة بن ربيعة القرشي المدني المتوفّى ٢٠٢، تأتي ترجمته وحديثه بطرق كثيرة في صوم الغدير، وتسمع هناك عن أحمد إنّه قال: كان أحد الثقات المأمونين لم يكن بالشام من يشبهه. جُلّ الطرق الآتية إليه في حديثه صحيحٌ لو لم يكن كلّها.

٥٨ ـ الحافظ محمّد بن عبدالله الزبيري[١] أبو أحمد الكوفي المتوفّى ٢٠٣، وثّقه العجلي وغيره وأثنى عليه بعض الأعلام بقوله: إنّه الثقة الحافظ العابد المجتهد، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٢٧. يأتي عنه حديث المناشدة بالرحبة بلفظ زياد بإسناد صحّحه الهيثمي وقال: رجاله ثقات.

٥٩ ـ مصعب بن المقدام الخثعمي أبو عبدالله الكوفي المتوفّى ٢٠٣، وثّقه ابن معين، والدارقطني، ونفى عنه البأس أبو داود، وقال أبو حاتم: صالحٌ، ترجمه الخزرجي في الخلاصة ص ٣٢٣. يأتي عنه حديث المناشدة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات، ومرّ عنه ص ٧٣.

٦٠ ـ الحافظ يحيى بن آدم بن سليمان القرشيّ الأموي أبو زكريا الكوفيّ المتوفّى ٢٠٣، وثّقه ابن معين، والنسائي، ويعقوب بن شيبة، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٣٠. راجع ص ٥١ سنده صحيحٌ رجاله ثقات، ويأتي بطريقه حديث الركبان بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٦١ ـ الحافظ زيد بن الحُباب «بضم المهملة» أبو حسين الخراسانيّ

---

(١) وقد يقال: العمري، نسبة إلى جده عمر بن درهم الأسدي.

الكوفيّ المتوفّى ٢٠٣، وثّقه ابن المدني، والسبتي، وابن معين، وأحمد بن صالح، والدارقطني، وابن ماكولا، وابن أبي شيبة، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٤٠٤. يأتي عنه بطرق شتّى حديث مناشدة أمير المؤمنين في الرحبة، ومنها ما هو صحيحٌ.

٦٢ ـ إمام الشافعيّة أبو عبدالله محمّد بن إدريس الشافعي المتوفّى ٢٠٤. روى حديث الغدير كما في نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ٢٤٦.

٦٣ ـ الحافظ أبو عمرو شبابة بن سوار الفزاري المدائني المتوفّى ٢٠٦، وثّقه ابن معين وغيره كما في خلاصة الخزرجي ١٤٢. راجع ص ٨٠ فالحديث بطريقه عن أمير المؤمنين عليه السلام صحيحٌ رجاله ثقات.

٦٤ ـ محمّد بن خالد الحنفي البصري، ذكره ابن حبّان في الثقات، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وأبو زرعة نفى عنه البأس، يروي عن أمّه عُثمة [بالمثلثة الساكنة] مرّ حديثه ص ٦٥.

٦٥ ـ الحافظ خلف بن تميم الكوفي أبو عبد الرحمن نزيل المصيصة المتوفّى ٢٠٦/ ١٣، وثّقه يعقوب بن شيبة، وأبو حاتم، وابن حبّان كما في تذكرة الذهبي ج ١ ص ٣٤٧، وقال ابن حجر في التقريب: صدوقٌ عابدٌ. روى النسائي بطريقه حديث المناشدة بلفظ عمرو ذي مرّة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٦٦ ـ الحافظ أسود بن عامر أبو عبد الرحمن المعروف بشاذان الشامي نزيل بغداد المتوفّى ٢٠٨، وثّقه ابن المديني، وقال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٣٨: أحد الأثبات. وترجمه الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٣٤. يأتي بطريقه حديث المناشدة بلفظ زيد بن أرقم وحديث مناشدة شابٍّ أبا هريرة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٦٧ ـ أبو عبدالله الحسين بن الحسن الأشقر الفزاريّ الكوفيّ المتوفّى ٢٠٨، ذكره ابن حبّان في الثقات، ووثّقه الذهبي في تلخيص المستدرك ج ٣ ص ١٣٠ وحكم بصحة حديثه كما ذهب إليه الحاكم في مستدركه، وهو عند

غيرهما صدوقٌ فلا قيمة لقول من نفى القوَّة عنه. مرّ حديثه ص ٩٤، ويأتي عنه نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام.

٦٨ ـ الحافظ حفص بن عبد الله بن راشد أبو عمرو السلمي قاضي نيسابور المتوفّى ٢٠٩، ذكره ابن حبّان في الثقات، ونفى النسائي عنه البأس كما في الخلاصة وهامشها ص ٧٤ ويروي عنه البخاري في صحيحه. مرّ حديثه ص ٩٧ بإسناد صحيح.

٦٩ ـ الحافظ عبد الرزاق بن همام أبو بكر الصنعاني المتوفّى ٢١١ وكانت ولادته ١٢٦، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٣٤ وقال: قلت: وثّقه غير واحد وحديثهُ مُخرجٌ في الصحاح وله ما ينفرد به ونقموا عليه بالتشيّع وما كان يغلو فيه بل كان يحبّ عليّاً رضي الله عنه ويغضّ من قاتله. ا هـ. مرّ الحديث بطريقه ص ٣٩ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات، ويأتي عنه حديث المناشدة بلفظ سعيد، وعبد خير، بطريق صحيح رجاله ثقات.

٧٠ ـ الحسن بن عطية بن نجيح القرشيّ الكوفيّ أبو عليّ البزّار المتوفّى ١١٢، يروي عنه الحفّاظ، وقال أبو حاتم: صدوقٌ، ويروي عنه البخاري في تاريخه. مرّ حديثه ص ٤٦ بقيّة رجال سنده ثقات.

٧١ ـ عبدالله بن يزيد العدوي مولى آل عمر أبو عبد الرحمن المقري القصير نزيل مكّة المتوفّى ٢١٢/ ٣، وهو في حدود ١٠٠ عاماً وثّقه النسائي، وابن سعد، وابن قانع، وقال الخليلي: ثقةٌ حديثه عن الثقات يُحتجّ به ويتفرد بأحاديث، وذكره ابن حبّان في الثقات، كذا ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٦ ص ٨٤. يأتي حديثه في حديث التهنئة، برواية الحافظ العاصمي بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٧٢ ـ الحافظ حسين بن محمّد بن بهرام أبو محمّد التميميّ المروروذيّ، نزيل بغداد المتوفّى ٢١٣/ ٤، وثّقه ابن سعد، وابن قانع، وابن مسعود، والعجلي، وغيرهم قاله ابن حجر في تهذيبه ج ٢ ص ٣٦٧، وترجمه الخطيب

في تاريخه ج ٨ ص ٨٨. يأتي عنه حديث المناشدة بلفظ أبي الطفيل بسند صحيح رجاله ثقات.

٧٣ ـ الحافظ أبو محمّد عبيدالله بن موسى العبسي الكوفي المتوفّى ٢١٢، صاحب المسند، وثّقه أبو حاتم، وابن معين، والعجلي، وابن عدي، وابن سعد، وعثمان ابن أبي شيبة، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٢٤، وابن حجر في تهذيبه ج ٧ ص ٥٣. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ زيد بن يُثيع، وعُميرة بن سعد بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٧٤ ـ أبو الحسن علي بن قادم الخزاعيّ الكوفيّ المتوفّى ٢١٣، ذكره ابن حبّان في الثقات ووثّقه ابن خلفون، وقال ابن قانع: كوفيٌّ صالحٌ. وقال أبو حاتم: محلّه الصدق، كذا ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٧ ص ٣٧٤. مرّ حديثه ص ٦٤.

٧٥ ـ محمّد بن سليمان بن أبي داود الحرّاني أبو عبدالله المعروف ببومة (بضم الموحّدة وسكون الواو) المتوفّى ٢١٣، وثّقه أبو عوانة الإسفرائيني، وذكره ابن حبّان في الثقات ووثّقه غيرهما، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٩ ص ١٩٩ مر حديثه ص ٧٣.

٧٦ ـ عبدالله بن داود بن عامر الهمداني أبو عبد الرحمن الكوفي المعروف بالخُرَيبي (بضم المعجمة وفتح الراء محلّةٌ بالبصرة) وثّقه ابن سعد، وابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، والدارقطني، وابن قانع، توفي ٢١٣، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٥ ص ٢٠٠. أخرج النسائي في خصائصه ص ٢٢ قال: أخبرنا زكريّا بن يحيى: قال نصر بن علي قال: حدّثنا عبدالله بن داود، عن عبد الواحد[1] بن أيمن، عن أبيه أن سعداً قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، سند الحديث صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

---

(١) عبد الواحد بن أيمن المخزومي المكي، وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه غيرهما، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٦ ص ٤٣٤، ووالده أيمن الحبشي مولى ابن عمرو المخزومي، وثقه أبو زرعة وأخرج حديثه البخاري في صحيحه، مترجم في تهذيب ابن حجر ج ١ ص ٣٩٤.

٧٧ ـ الحافظ أبو عبد الرحمن علي بن الحسن بن دينار العبدي المروزي المتوفّى ٢١٥، أحد المشايخ يروي عنه البخاري، وأحمد، وابن معين، وابن أبي شيبة وقال أحمد: لا أعلم فيمن قدم علينا من خراسان أفضل منه. وذكره ابن حبّان في الثقات كذا ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٧ ص ٢٩٨. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٣٦ و٥٢ ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ الأصبغ[١].

٧٨ ـ الحافظ يحيى بن حماد الشيباني البصري المتوفّى ٢١٥، ختن أبي عوانة المذكور وراويته، وثّقه العجلي، وأبو حاتم، وابن سعد، وذكره ابن حبّان في الثقات كما في خلاصة الخزرجي ٣٦١، وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٩٩. مرّ ص ٥٣ عنه بطريق صحيح رجاله ثقات وكذلك بطريق صحيح ص٥٤ و٥٨ و٧٦.

٧٩ ـ الحافظ حجاج بن منهال السلمي أبو محمّد الأنماطي البصري المتوفّى ٢١٧، وثّقه العجلي، وابن قانع، وأبو حاتم، والنسائي، وابن سعد، وقال الفلاس: ما رأيت مثله فضلاً وديناً، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٧٠، والخزرجي في الخلاصة ٦٣، وابن حجر في تهذيبه ج ٢ ص ٢٠٦. يأتي عنه حديث التهنئة بإسناد صحيح رجال ثقات.

٨٠ ـ الحافظ الفضل بن دكين أبو نعيم الكوفي المتوفّى ٢١٨/ ٩ قال يعقوب بن شيبة: ثقةٌ ثبتٌ صدوقٌ، ووثّقه أحمد، وأبو حاتم، وابن المدني، والعجلي، وابن سعد، وابن شاهين، والخطيب في تاريخه، وقال يعقوب بن سفيان: أجمع أصحابنا على أنّ أبا نعيم كان غايةً في الإتقان، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٤١، وابن حجر في تهذيبه ج ٨ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٦، مرّ بطريقه ص ٤١ و٥٥ وكلا السندين صحيحٌ رجالهما ثقات، ويأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بعدّة طرق، وحديث نزول آية سألَ سائِلٌ بعد نصّ الغدير حوله.

٨١ ـ الحافظ عفّان بن مسلم أبو عثمان الصفّار الأنصاري البصري

---

(١) يروي العبدي، عن الأصبغ بواسطة واحدة كما مرّ في صحيفة ٤١، ويأتي من روايته عنه بلا واسطة لا يصححه ما في سائر طرق الحديث.

البغدادي المتوفّى ٢١٩، ذكره الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٣٤٧، وقال: قال العجلي: عفان ثقةٌ ثبتٌ صاحب سنّة، وقال أبو حاتم: ثقةٌ متقنٌ متينٌ، وحكى ابن حجر في تهذيبه ج ٧ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥ عن ابن عدي: إنه أشهر وأصدق وأوثق من أن يُقال فيه شيءٌ، وحكى عن ابن معين، وابن سعد، وابن خراش، وابن قانع، ثقته وثبته. مرّ الحديث بطريقه ص ٣٩ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٨٢ ـ الحافظ عليّ بن عياش بن مسلم الألهاني أبو الحسن الحمصي المتوفّى ٢١٩، أحد الأثبات وثّقه النسائي، والدارقطني، والعجلي كما في تذكرة الذهبي ج ١ ص ٣٥٢ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٦٨. روى بطريقه الواحدي نزول آية التبليغ في ولاية علي عليه السلام كما يأتي.

٨٣ ـ الحافظ مالك بن إسماعيل بن درهم أبو غسان النهدي الكوفي المتوفّى ٢١٩، قال ابن معين: ليس بالكوفة أتقن منه، وقال ابن شيبة: ثقةٌ صحيح الحديث من العابدين، ووثّقه النسائي، ومرّة، وأبو حاتم، وذكره ابن حبّان في الثقات، وكذلك ابن شاهين، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٣. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ عبد الرحمن وسعيد وعمرو بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٨٤ ـ الحافظ قاسم بن سلام أبو عبيد الهروي المتوفّى بمكة ٢٢٣/ ٤ كان ربّانيّاً متقناً في أصناف علوم الإسلام، حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه، كذا ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٤٥٧. يأتي عن تفسيره غريب القرآن، حديث نزول آية سأل سائِلٌ حول واقعة الغدير.

٨٥ ـ محمَّد بن كثير أبو عبدالله العبدي البصري أخو سليمان بن كثير، وكان أكبر منه بخمسين سنة، قال ابن حبّان: ثقةٌ فاضلٌ مات ٢٢٣ عن مائة سنة، كذا في خلاصة الخزرجي ٢٩٥، وقال ابن حجر في التقريب ٢٣٢: ثقةٌ لم يُصب مَن ضعّفه، وفي التهذيب عن أحمد: ثقةٌ لقد مات على سنّة. يأتي

عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ أبي الطفيل، ومـرّ الإيعاز إليـه ص ٣٦ فالطريق صحيحٌ رجاله ثقات ومرّ عنه ص ٨٠ .

٨٦ ـ مـوسى بن إسماعيـل المنقري البصـري المتوفّى ٢٢٣، عن ابن معين: إنّه ثقةٌ مأمونٌ، وعن ابن حاتم، عن الطيالسي: إنه ثقةٌ صدوقٌ، ووثّقه ابن سعد، ترجمه بذلك ابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٣٣٤. يأتي حديثه في حديث التهنئة برواية ابن كثير، بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٨٧ ـ قيس بن حفص بن القعقاع أبو محمّد البصري المتوفّى ٢٢٧، وثّقه ابن معين، والدارقطني: وذكره ابن حبّان في الثقات، روى عنه البخاري ١٢ حديثاً، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٨ ص ٣٩٠. يأتي حديثه في آية إكمال الدين برواية الخطيب الخوارزمي.

٨٨ ـ الحافظ سعيد بن منصور بن شعبة النسائي أبو عثمان الخراساني، نزيل مكّة المتوفّى ٢٢٧، قال الخزرجي في الخلاصة ١٢١: كان حافظاً جوّالاً صنّف السنن جمع فيها ما لم يجمعه غيره، قال أبو حاتم: متقنٌ ثبتٌ مصنِّفٌ، وقال ابن حجر في تقريبه ٩٤: ثقةٌ مصنِّفٌ، وحكى ثقته في تهذيبه ج ٤ ص ٤ عن ابن نمير، وابن خراش، وأبي حاتم، وابن قانع، والخليلي، ومسلمة بن قاسم. مرّ الحديث بطريقه ص٦٦ و٨١ .

٨٩ ـ الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني «بكسر المهملة» أبو زكريا الكوفي المتوفّى ٢٢٨، قال مرّة، وابن معين: كان صدوقاً، ووثّقه أحمد، وابن نميـر، والبوشنجي، وقـال ابن معين: ثقةٌ وبـالكوفـة رجلٌ يحفظ معـه هؤلاء يحسدونه، وعن ابن مرّة: أكثر الناس فيه وما أدري ذلك إلاّ من سلامة صدره، وقال ابن عدي: له مسندٌ صالحٌ ولم أر شيئاً منكراً في مسنده وأرجو أنه لابأس به.

يقول المؤلِّف الأميني: هذه الشهادات من هؤلاء الأئمّة تنفي ما هناك من الغمز في الرجـل، ترجمـه ابن حجر في تهـذيبه ج ١١ ص ٢٤٣ ـ ٤٩. مـرّ

الحديث عنه ص ٦٧ و٧٧ بإسناد رجاله ثقات، ويأتي عنه نزول آية إكمال الدين في عليّ عليه السلام.

٩٠ ـ الحافظ إبراهيم بن الحجاج بن زيد أبو إسحاق السامي (بالمهملة) البصري المتوفّى ٢٣١/ ٣، ذكره ابن حبّان في الثقات كما في الخلاصة ١٤، ووثّقه ابن حجر في التقريب ١٢ وحكى ثقته عن الدارقطني وصلاحه عن ابن قانع في تهذيبه ج ١ ص ١١٣. يأتي عنه حديث التهنئة في رواية الحموبي بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٩١ ـ الحافظ علي بن حكيم بن ذبيان (بمعجمة مضمومة بعدها الموحّدة الساكنة) الكوفي الأودي المتوفّى ٢٣١، وثّقه ابن معين، والنسائي، ومحمّد بن عبدالله الحضرمي، وابن قانع كما في خلاصة الخزرجي، وتهذيب ابن حجر ج ٧ ص ٣١١. مرّ حديثه بطريق صحيح رجاله ثقات ص ٧٣، ويأتي عنه بطريق صحيح حديث المناشدة بلفظ سعيد، وزيد بن يُثيع.

٩٢ ـ الحافظ خلف بن سالم المهلبي المُخرمي (بضم الميم وفتح المعجمة) البغدادي المتوفّى ٢٣١، وثّقه النسائي، وابن شيبة، وحمزة الكناني، كما في الخلاصة ٩٠، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٥٢، وحكى الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٣٢٨ عن غير واحد ثقته وصدقه وثبته. مرّ الحديث عنه ص ٤١ ٥ بطريق صحيح رجاله ثقات، وكذلك ما مرّ عنه ص ٥٨.

٩٣ ـ الحافظ عليّ بن محمّد أبو الحسن الطنافسيّ الكوفيّ نزيل الري المتوفّى ٢٣٣/ ٥، قال أبو حاتم: كان ثقةً صدوقاً: وقال الخليلي: إمامٌ هو وأخوه الحسن بقزوين، ولهما محلٌ عظيم وارتحل إليهما الكبار، وذكره ابن حبّان في الثقات، كذا ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٧ ص ٣٧٩، وقال في تقريبه ١٨٦ ثقةٌ عابدٌ، وذكر ثقته الخزرجي في خلاصته ١٣٥. أخرج الحافظ ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٣٠ عن علي بن محمّد الطنافسي قال، حدّثنا أبو معاوية (محمّد بن خازم) حدّثنا موسى بن مسلم الشيباني، عن عبد الرحمن بن سابط، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية. إلى آخر اللفظ المذكور

ص ٣٩ والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

وأخرج ابن ماجة أيضاً في سننه ج ١ ص ٢٩ قال: حدَّثنا عليّ بن محمَّد حدّثنا أبو الحسن (زيد بن الحباب) أخبرني حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد بن جدعان عن عديّ بن ثابت عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ إلى آخر اللفظ المذكور عنه ص ٣٩ وهذا الإسناد صحيحٌ رجاله كلهم ثقات.

٩٤ - الحافظ هدبة بن خالد أبو خالد القيسي البصري المتوفّى ٢٣٥، وثّقه ابن معين، وابن حبّان، ومسلمة بن قاسم، وأبو يعلى، وعن ابن عدي صدوقٌ لا بأس به وقد وثّقه الناس. ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٥٠، والخزرجي في خلاصته ٣٥٥، وابن حجر في تهذيبه ج ١١ ص ٢٥. يأتي عنه حديث التهنئة بطريق صحيح رجاله ثقات.

٩٥ - الحافظ عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة أبو بكر العبسيّ الكوفيّ المتوفّى ٢٣٥، وثّقه العجلي، وأبو حاتم، وابن خراش، وقال ابن حبّان، كان متقناً حافظاً ديّناً، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٠، والخطيب في تاريخه ج ١٠ ص ٦٦ - ٧١، وابن حجر في تهذيبه ج ٦ ص ٤. يأتي عنه حديث مناشدة شابّ أبا هريرة بسند صحيح، وحديث الركبان بإسناد رجاله كلّهم ثقات، وحديث التهنئة.

٩٦ - الحافظ أبو سعيد عبيدالله بن عمر الجشميّ القواريريّ البصريّ المتوفّى ٢٣٥، وثّقه ابن معين، والعجلي، والنسائي، والحافظ صالح جزرة، كما في تاريخ الخطيب ج ١٠ ص ٢٢٠ - ٢٣. يأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بلفظ عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٩٧ - الحافظ أحمد بن عمر بن حفص الجلّاب أبو جعفر الوكيعي الكوفي، نزيل بغداد المتوفّى ٢٣٥، وثّقه ابن معين، وعبدالله بن أحمد، ومحمّد بن عبدوس، كما في تاريخ الخطيب ج ٤ ص٢٨٤. يأتي بطريقه حديث مناشدة الرحبة بلفظ عبد الرحمن.

٩٨ ـ الحافظ إبراهيم بن المنذر بن عبدالله الحزامي (بالزاي) أبو إسحاق المدني المتوفّى ٢٣٦، وثَّقه الدارقطني، وابن الوضّاح، وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال الخطيب في ردّ من قال: عنده مناكير: وأمّا المناكير فقلّما توجد في حديثه إلّا أن يكون عن المجهولين، ومع هذا فإنّ يحيى بن معين وغيره من الحفّاظ كانوا يرضونه ويوثّقونه، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ١٦٧. أخرج الحافظ النسائي في خصائصه ص ٢٥ قال: أخبرني أبو عبد الرحمن زكريا بن يحيى السجستاني قال: حدَّثني محمّد بن عبد الرحيم قال: أخبرنا إبراهيم حدَّثنا معن[1] حدَّثني موسى بن يعقوب عن مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد، وعامر بن سعد، عن سعد: إنّ رسول الله ﷺ خطب فقال: أيّها الناس! فإنّي وليّكم، قالوا: صدقت. ثم أخذ بيد عليّ فرفعها ثمّ قال: هذا وليّي والمؤدّي عنّي، وال الله من والاه، وعاد من عاداه، والإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٩٩ ـ أبو سعيد يحيى بن سليمان الكوفي الجعفي المقرىء المتوفّى ٢٣٧، وثَّقه الدارقطني، والعقيلي، وذكره ابن حبّان في الثقات كما في تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٢٧ والخلاصة ٣٦٤. يأتي عنه حديث الركبان بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٠٠ ـ الحافظ ابن راهويه إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ المروزيّ المتوفّى ٢٣٧، قال أحمد: لا أعلم له نظيراً عندنا من أئمّة المسلمين، ووثَّقه جمع كما في خلاصة الخزرجي ٢٣، وقال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٦٨: جمع بين الحديث والفقه والورع، وكان أحد أئمّة الإسلام له مسندٌ مشهورٌ. مرّ عنه ص ٨١ و ١٠٠ بإسناد صحيح.

١٠١ ـ الحافظ عثمان بن محمد بن أبي شيبة أبو الحسن العبسي الكوفي، صاحب المسند، والتفسير المتوفّى ٢٣٩، وثَّقه ابن معين، والعجلي،

---

(١) هو معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي أبو يحيى المدني المتوفى ١٩٨، وثقه ابن معين، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث ثبتاً مأموناً، كذا ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١٠ ص ٢٥٢.

كما في تاريخ الخطيب ج ١١ ص ٢٨٣ - ٢٨٨، وتذكرة الذهبي ج ٢ ص ٣٠. أخرج الحديث في سننه بطرق صحيحة رجالها كلهم ثقات راجع ص٣٥ و٤٠ و٤٢ و٤٣ و٧٨ ويأتي عنه حديث التهنئة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٠٢ - الحافظ قتيبة بن سعيد بن جميل البغلاني (بغلان قرية في بلخ) أبو رجاء الثقفي المتوفّى ٢٤٠ عن ٩٢ عاماً، قال السمعاني في أنسابه: إنّه المحدِّث في الشرق والغرب، رحل إليه أئمّة الدنيا من الأمصار، وروى عنه الأئمّة الخمسة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو عيسى، وأبو عبد الرحمن، ومن لا يحصى كثرة. ا هـ. وثَّقه ابن معين، والنسائي، والذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٣٣. مرّ حديثه ص ٥٣ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٠٣ - إمام الحنابلة أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني المتوفّى ٢٤١. أخرج حديث الغدير بطرق كثيرة صحيحة في المسند والمناقب، مضت جملةٌ منها وهناك بقيّةٌ وافيةٌ تأتي إن شاء الله.

١٠٤ - الحافظ يعقوب بن حميد[1] بن كاسب أبو يوسف المدني المتوفّى ٢٤١، وثَّقه ابن معين، ومصعب بن الزبير، ومسلمة بن قاسم، وذكره ابن حبّان في الثقات، ونفى عنه البأس ابن عدي وقال البخاري: لم نر فيه إلّا خيراً هو في الأصل صدوقٌ، فلم يُسمع تضعيف من ضعّفه. توجد ترجمته في التذكرة ج ٢ ص ٥١، والخلاصة ٣٧٥، وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٨٤. مرّ حديثه ص ٦٣.

١٠٥ - الحافظ الحسن بن حمّاد بن كُسيب [مصغراً] أبو علي سجادة البغدادي المتوفّى ٢٤١، قال أحمد: صاحب سنّة، وذكره ابن حبّان في الثقات كما في خلاصة الخزرجي ص ٦٦ وهامشها، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٢٩٥ ووثَّقه. يأتي بطريق الحافظ الواحدي عنه نزول آية التبليغ في ولاية عليّ عليه السلام.

(١) مر في صفحة ٦٣ يعقوب بن حمدان. نقلاً على ما وجدناه وهو تصحيف.

١٠٦ ـ الحافظ هارون بن عبدالله بن مروان أبو موسى البزّار المعروف بالحمّال المتوفّى ٢٤٣، وثّقه الدارقطني، والنسائي، والذهبي في التذكرة ج ٢ ص ٦٢، والخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٢٢. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ أبي الطفيل بطريق صحيح رجاله ثقات.

١٠٧ ـ أبو عمار الحسين بن حريث المروزي المتوفّى بقصر اللصوص سنة ٢٤٤، وثّقه النسائي كما في تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٦، ووثّقه ابن حجر في تقريبه ٥٧. يأتي بروايته حديث المناشدة بلفظ سعيد بالإسناد الصحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٠٨ ـ هلال بن بشر بن محبوب أبو الحسن البصري الأحدب المتوفّى ٢٤٦، وثّقه النسائي، وذكره ابن حبّان في الثقات. أخرج النسائي في خصائصه ص ٣٠ قال: أخبرنا هلال بن بشر البصري، قال: حدَّثنا محمَّد بن خالد (ابن عثمة) قال: حدَّثني موسى بن يعقوب الزمعي، قال: حدَّثنا مهاجر بن مسمار، عن عائشة بنت سعد، قالت: سمعت أبي يقول. إلى آخر اللفظ المذكور ص ٣٨ والإسناد صحيحٌ رجاله ثقات.

١٠٩ ـ أبو الجوزاء أحمد بن عثمان البصري المتوفّى ٢٤٦، وثّقه أبو حاتم، وقال ابن أبي عاصم: كان من نُسّاك أهل البصرة، وقال البزّار: ثقةٌ مأمون، وذكره ابن حبّان في الثقات، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٦١. مرّ عنه الحديث ص ٦٥ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات غير عثمة أمّ محمّد بن خالد الثقة، ولم أعرفها وما قرأت فيها غمزاً.

أخرج النسائي في خصائصه ص ٢٥ قال: أخبرنا أحمد بن عثمان البصري أبو الجوزاء، قال: أخبرنا ابن عيينة[1] بنت سعد، عن سعد قال: أخذ

---

(١) كذا في النسخ وصححها المحشي عليها، وقال: بسقوط (أخبرتنا بنت سعد) أو (عن بنت سعد) وهذا التصحيح لا يتم لعدم رواية ابن عيينة عن عائشة إذ ولد سفيان سنة سبع بعد المائة، وتوفيت عائشة سنة سبع عشر بعد المائة، وابن عيينة انتقل إلى مكة سنة ١٦٣، فالراوي عن عائشة قد سقط عن السند، وهو: مهاجر بن مسمار كما يظهر من سائر طرق الحديث.

رسول الله ﷺ بيد عليّ فخطب فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: ألم تعلموا أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم صدقت يا رسول الله. ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: مَن كنت وليّه فهذا وليّه، وإن الله ليوالي من والاه، ويعادي من عاداه. والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

١١٠ - الحافظ محمَّد بن العلاء الهمداني الكوفي أبو كريب المتوفّى ٢٤٨، وثَّقه الذهبي في التذكرة ج ٢ ص ٨٠. يأتي بطريقه حديث مناشدة شابٍّ أبا هريرة بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١١١ - يوسف بن عيسى بن دينار الزهري أبو يعقوب المروزي المتوفّى ٢٤٩، في التقريب ثقةٌ فاضلٌ، وثَّقه غير واحد من الحفّاظ كما في خلاصة الخزرجي ٣٧٨. روى النسائي بطريقه حديث المناشدة بلفظ حارثة الآتي، والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

١١٢ - نصر بن عليّ بن نصر أبو عمرو الجهضميّ البصريّ المتوفّى ٢٥١، وثَّقه أبو حاتم، والنسائي، وابن خراش، وقال مسلمة: ثقةٌ عند جميعهم، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١٠ ص ٤٣٠. مرّ حديثه ص ١١٥ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١١٣ - الحافظ محمَّد بن بشار الشهير بـ (بندار) أبو بكر العبديّ البصريّ المتوفّى ٢٥٢، يروي عنه الأئمة الستة أصحاب الصحاح، وثَّقه العجلي، وابن سيّار، ومسلمة بن قاسم وغيرهم، وقال الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٥٣: لا عبرة بقول مَن ضعَّفه. مرّ عنه ص ٦٥ بطريق ابن ماجة، والترمذي بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١١٤ - الحافظ محمَّد بن المثنّى أبو موسى العَنَزي (بالمهملة ثمّ الموحّدة المفتوحتين بعدهما الزاي) البصري المتوفّى ٢٥٢، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٦ وقال: كان ثقةً ثبتاً إحتجَّ سائر الأئمّة بحديثه، توجد ثقته والثناء عليه في كثير من معاجم التراجم. يأتي عنه حديث المناشدة بإسناد

صحيح رجاله كلّهم ثقات بلفظ سعيد، ومرّ عنه بإسناد صحيح ص ٥٣[١].

١١٥ ـ الحافظ يوسف بن موسى أبو يعقوب القطّان الكوفي المتوفّى ٢٥٣، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٣٠٤ وقال: قد وصفه غير واحد من الأئمّة بالثقة واحتجّ به البخاري في صحيحه. يأتي عنه حديث المناشدة بلفظ زيد بن يُثيع بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١١٦ ـ الحافظ محمّد بن عبد الرحيم أبو يحيى البغدادي البزّار المعروف بصاعقة المتوفّى ٢٥٥ والمولود ١٨٥، وثّقه عبدالله بن أحمد، والنسائي، وأحمد بن صاعد، وابن إسحاق السراج، ومسلمة، والقراب، وغيرهم، وقال الخطيب: كان متقناً ضابطاً عالماً حافظاً. ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣١١. مرّ الحديث عنه ص ١٢١ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١١٧ ـ محمّد بن عبدالله «المذكور ص١١٤» العدوي المقري المتوفّى ٢٥٦، قال ابن أبي حاتم: سمعت منه مع أبي سنة ٢٥٥، وهو صدوقٌ ثقةٌ سُئل عنه أبي فقال: صدوقٌ، ووثّقه النسائي، ومسلمة بن قاسم، وقال الخليلي: ثقةٌ متّفقٌ عليه: وذكره ابن حبّان في الثقات، كذا ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٩ ص ٢٨٤. يأتي حديثه في حديث التهنئة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١١٨ ـ الحافظ أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري المتوفّى ٢٥٦، صاحب الصحيح الدائر السائر أحد الصحاح الستّ. ذكره في تاريخه ج ١ قسم ١ ص ٣٧٥ كما مرّ في طريق سالم بن عبدالله بن عمر.

١١٩ ـ الحافظ الحسن بن عرفة بن يزيد أبو علي العبدي البغدادي المتوفّى ٣٥٧ بسامراء، وقد عاش مائة وعشر سنين، وثّقه ابن معين، وأبو حاتم، وابن قاسم، وذكره ابن حبان في الثقات كما في تاريخ الخطيب ج ٧ ص ٣٩٤، وخلاصة الخزرجي ٦٧، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٣٩. مرّ

---

(١) نقلنا هناك على ما في النسخ أحمد بن المثنى عن يحيى بن معاذ، وهو تصحيف والصحيح محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد.

الحديث بطريقه ص ٦٥ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٢٠ ـ الحافظ عبدالله بن سعيد الكندي الكوفي، أبو سعد الأشجّ صاحب التفسير والتصانيف المتوفّى ٢٥٧، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٨٤ وأثنى عليه بالإمامة، وقال: قال أبو حاتم: ثقةٌ إمام أهل زمانه، وقال النسائي: صدوقٌ وقال ابن حجر: وثّقه الخليليّ، ومسلمة بن قاسم. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ عبد الرحمن، وحديث مناشدة رجل عراقي جابر الأنصاري بطريق صحيح رجاله ثقات.

١٢١ ـ الحافظ محمّد بن يحيى بن عبدالله النيسابوري الذهلي (مولى بني ذهل) الزهري [جامع الزهريات أحاديث الزهري] المتوفّى ٢٥٨، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١١١، وأثنى عليه بالإمامة، وقال: انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان مع الثقة والصيانة والدين ومتابعة السنن، وقال الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ٤١٥: كان أحد الأئمة العراقيّين والحفّاظ المتقنين والثقات المأمونين. أخرج النسائي بطريقه حديث الرحبة بلفظ عُميرة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات ومرّ عنه ص ٤٥ و٥٦ .

١٢٢ ـ الحافظ حجاج بن يوسف الثقفي البغدادي أبو محمّد الشهير بابن الشاعر المتوفّى ٢٥٩، ترجمه السمعاني في أنسابه في نسبة (الشاعر) بالثقة والفهم والحفظ، والذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٢٩ وحكى عن ابن أبي حاتم ثقته، والخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢٤٠، وحكى ابن حجر في تهذيبه ج ٢ ص ٢١٠ ثقته عن غير واحد. مرّ عنه ص ٥٤ بطريق صحيح رجاله ثقات.

١٢٣ ـ أحمد بن عثمان بن حكيم أبو عبدالله الأودي (بفتح الهمزة وسكون الواو) المتوفّى ٢٦١/ ٦٢، وثّقه النسائي، وابن خراش، وترجمه الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢٩٦. يأتي عنه حديث المناشدة بلفظ عُميرة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٢٤ ـ الحافظ عمر بن شَبَّه (بفتح أوّله والموحّدة المشدَّدة) النميري أبو زيد البصري الأخباري المتوفّى ٢٦٢، وثّقه الدارقطني كما في تذكرة الذهبي

ج ٢ ص ٩٨، وخلاصة الخزرجي ٢٤٠، ووثّقه الخطيب في تاريخه ج ١١ ص ٢٠٨، وقال المرزباني في معجم الشعراء كما حكي: صدوقٌ ثقةٌ. يأتي عنه حديث إحتجاج عمر بن عبد العزيز بحديث الغدير.

١٢٥ ـ الحافظ حمدان أحمد بن يوسف بن حاتم السلمي أبو الحسن النيسابوريّ المتوفّى ٢٦٤ في عشر التسعين، وثّقه مسلم، والخليلي، والدارقطني، وقال الحاكم: هو أحد أعلام الحديث كثير الرحلة واسع الفهم، كذا ترجمه الخزرجي في الخلاصة ١٢، وابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٩٢. مرّ حديثه ص ٤١ بإسناد صحيح رجاله ثقات وص ٩٣ بسند صحيح أيضاً.

١٢٦ ـ الحافظ عبيدالله بن عبد الكريم بن يزيد أبو زرعة المخزومي الرازي المتوفّى ٢٦٤/ ٨، قال الخطيب ج ١٠ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧: كان إماماً ربّانياً حافظاً مكثراً صادقاً، وقال أبو حاتم: حدَّثني أبو زرعة وما خلف بعده مثله علماً وفهماً وصيانةً وصدقاً، ولا أعلم في المشرق والمغرب من كان يفهم هذا الشأن مثله، وإذا رأيت الرازي يتنقّص أبا زرعة فاعلم أنه مُبتدع، ووثّقه النسائي، وأثنى عليه غيره ووثّقه: ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٧ ص ٣ ـ ٣٤. يأتي عنه حديث التهنئة برواية ابن كثير بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٢٧ ـ الحافظ أحمد بن منصور بن سيّار أبو بكر البغدادي صاحب المسند المتوفّى ٢٦٥ عن ٨٣ عاماً، وثّقه أبو حاتم، والدارقطني، كما في تاريخ الخطيب ج ٥ ص ١٥١ ـ ٥٣، وحكى ابن حجر في تهذيبه ثقته عن الخليلي، ومسلمة بن قاسم. روى حديث المناشدة بلفظ زيد بن يُثيع، وعبد خير الآتي بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٢٨ ـ الحافظ إسماعيل بن عبدالله بن مسعود العبدي أبو بشر الأصفهاني الشهير بسمّويه المتوفّى ٢٦٧، قال أبو الشيخ: كان حافظاً متقناً، وقال أبو نعيم: كان من الحفّاظ والفقهاء، وقال ابن أبي حاتم: صدوقٌ، كذا ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٤٥. راجع ص ٧٨.

١٢٩ ـ الحافظ الحسن بن علي بن عفان العامري أبو محمّد الكوفيّ

المتوفّى ٢٧٠، أحد مشايخ الحافظ الكبير ابن ماجة ونظرائه، وثّقه الدارقطني، ومسلمة بن قاسم، وذكره ابن حبّان في الثقات، ترجمه الخزرجي في الخلاصة ٦٨، وابن حجر في تهذيبه ج ٢ ص ٣٠٢. مرّ الحديث عنه ص ٤٦ بطريق حسن إن لم يكن صحيحاً لمكان حسن بن عطيّة بن نجيح (وهو صدوق يروي عنه البخاري) ويأتي عنه حديث المناشدة بلفظ زيد بن يُثيع بطريق صحيح رجاله ثقات.

١٣٠ - الحافظ محمّد بن عوف بن سفيان أبو جعفر الطائي الحمصي المتوفّى ٢٧٢، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٥٩ وقال: وقد وثّقه غير واحد وأثنوا على معرفته ونبله. مرّ الحديث بطريقه ص ٨٣.

١٣١ - الحافظ سليمان بن سيف بن يحيى الطائي أبو داود الحرّاني المتوفّى ٢٧٢، وثّقه النسائي ويروي عنه كثيراً، وذكره ابن حبّان في الثقات، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٤ ص ١٩٩. يأتي بطريقه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ زيد بن يُثيع.

١٣٢ - الحافظ محمّد بن يزيد القزويني أبو عبدالله ابن ماجة صاحب السنن المتوفّى ٢٧٣، ترجمه كثير من الأعلام، قال الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٠٩: قال أبو يعلى الخليلي: ابن ماجة ثقةٌ كبيرٌ متّفقٌ عليه محتجٌ به له معرفةٌ وحفظٌ. مرّ حديثه ص ٤٠ و ٤١ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات وص ٦٣ و ٦٥.

١٣٣ - أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ[1] البغداديّ المتوفّى ٢٧٦، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٠ ص ١٧٠ وقال: كان ثقةً ديّناً فاضلاً، ووثّقه ابن خلكان في تاريخه وذكر فضله. يأتي عنه حديث إحتجاج برد على عمرو بن العاصي، وحديث مناشدة شابّ أبا هريرة.

١٣٤ - الحافظ عبد الملك بن محمّد أبو قلابة الرقاشي الزاهد، محدّث

---

(١) دينور (بكسر الدال وفتح النون والواو) بلد عند قرميسين (كرمانشاه) قاله ابن خلكان.

البصرة المتوفّى ٢٧٦ والمولود ١٩٠، قال أبو داود: أمينٌ مأمونٌ كتبت عنه، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٩٧، وحكى ابن حجر في تهذيبه ج ٦ ص ٤٢٠ ثقته عن ابن الأعرابي، ومسلمة بن قاسم، وذكره ابن حبّان في الثقات. مرّ الحديث عنه ص ٥٤ بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٣٥ ـ الحافظ أحمد بن حازم الغفاري الكوفي الشهير بابن عُزيزة المتوفّى ٢٧٦ صاحب المسند، ذكره ابن حبّان في الثقات وقال: كان متقناً. كذا ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٧١. مرّ الحديث بطريقه ص ٤١ بإسناد صحيح رجاله ثقات، وكذلك ما مرّ عنه ص ٥٥، ويأتي بإسناده حديث المناشدة بلفظ عمرو ذي مرّة بطريق صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٣٦ ـ الحافظ محمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي المتوفّى ٢٧٩، أحد الأئمّة الستّة صاحبي الصحاح، غنيٌّ عن كلّ توثيق. راجع ص ٥٠ و٥٦ و٥٧ و٥٩ و٦٥ و٧٣ وغيرها وكثيرٌ من طرقه صحيحٌ رجاله ثقات.

١٣٧ ـ الحافظ أحمد بن يحيى البلاذري المتوفّى ٢٧٩، اعتمد عليه وعلى كتابه أئمّة الإسلام في النقل عنه وعن تآليفه منذ عصره حتى اليوم. أخرجه في أنساب الأشراف.

١٣٨ ـ الحافظ إبراهيم بن الحسين الكسائي الهمداني أبو إسحاق المعروف بابن ديزيل المتوفّى ٢٨٠/ ٢٨١، يروي عن أبي سعيد يحيى الجعفي المتوفّى ٢٣٧ كما يأتي، قال الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٨٣: قال الحاكم: ثقة مأمون. روى حديث الركبان الآتي في كتاب صفين بطريق صحيح رجاله ثقات، ونزول آية سأل سائِلٌ حول واقعة الغدير.

١٣٩ ـ الحافظ أحمد بن عمرو أبو بكر الشيباني الشهير بابن أبي عاصم المتوفّى ٢٨٧، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢١٤ وأثنى عليه بالإمامة والزهد والصدق والفقه. مرّ عنه ص ٦٦ و٨١، ويأتي عنه حديث المناشدة يوم الرحبة بلفظ زاذان.

١٤٠ - الحافظ زكريا بن يحيى بن إياس أبو عبد الرحمن السجزي[1] نزيل دمشق المعروف بخيّاط السنّة، المتوفّى ٢٨٩ عن ٩٤ عاماً، وثّقه النسائي، والأزدي، والذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٢٣. مرّ عنه ص ١٠٩ بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وأخرج النسائي في خصائصه ص ٢٥ قال: أخبرنا زكريا بن يحيى قال: حدّثنا يعقوب بن جعفر بن كثير بن أبي كثير، عن مهاجر بن مسمار قال: أخبرتني عائشة بنت سعد، عن سعد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بطريق مكّة، إلى آخر اللفظ المذكور ص ٦٢.

١٤١ - الحافظ عبدالله بن أحمد بن حنبل أبو عبد الرحمن الشيباني المتوفّى ٢٩٠، أطراه الخطيب في تاريخه ج ٩ ص ٣٧٥ بالثقة والثبت والفهم، وقال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٣٧: مازلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون لعبدالله بمعرفة الرجال ومعرفة علل الحديث والأسماء، والمواظبة على الطلب حتى أفرط بعضهم وقدّمه على أبيه (إمام الحنابلة) في الكثرة والمعرفة. راجع ص ٥٤ مرّ عنه بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات، وكذلك بسند صحيح ص ٦٣، يأتي عنه حديث المناشدة بطرق صحيحة.

١٤٢ - الحافظ أحمد بن عمرو أبو بكر البزّار البصري المتوفّى ٢٩٢، صاحب المسند المعلّل، قال الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٣٣٤: كان ثقةً حافظاً صنّف المسند وتكلّم على الأحاديث وبيّن عللها، وترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٢٨ وحكى ثقته عن الدارقطني. مرّ حديثه ص ٤٣ و٥٦ و٦٥ و٧٧ و٨٢، ويأتي عنه بطرق اخرى وغير واحد من طرقه صحيح رجاله ثقات صحّحه الحافظ الهيثمي.

١٤٣ - الحافظ إبراهيم بن عبدالله بن مسلم الكجي البصري، صاحب السنن المتوفّى ٢٩٢، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ١٩٥ وقال: وثّقه الدارقطني وغيره، وكان سريّاً نبيلاً عالماً بالحديث مدحه البحتري. روى حديث التهنئة كما يأتي بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

---

(١) بمهملة مكسورة وجيم ساكنة اسم لسجستان.

١٤٤ ـ الحافظ صالح بن محمَّد بن عمرو البغدادي الملقب بـ (جزرة) المتوفّى ٢٩٣/ ٤، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٩ ص ٣٢٢، وقال: كان حافظاً عارفاً من أئمّة الحديث وممن يُرجعُ إليه في علم الآثار ومعرفة نقلة الأخبار، وكان صدوقاً ثبتاً أميناً، وذكره الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢١٥، وحكى عن الدارقطني أنه قال: كان ثقةً حافظاً عارفاً. مرّ حديثه ص ٥٤ بإسناد صحيح رجاله ثقات، وكذلك ما مرّ عنه ص ٥٨، إسناده صحيحٌ رجاله ثقات.

١٤٥ ـ الحافظ محمَّد بن عثمان بن أبي شيبة أبو جعفر العبسي الكوفي المتوفّى ٢٩٧، وثّقه الحافظ صالح جزرة، وصحّح الحاكم، والذهبي ما أخرجاه بطريقه في المستدرك وتلخيصه، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٣٣. مرّ الحديث بإسناده ص ٦٧، ويأتي بإسناده حديث نزول آية التبليغ يوم غدير خمّ.

١٤٦ ـ القاضي عليّ بن محمَّد المَصّيصي (بفتح الميم وتشديد المهملة الأولى) شيخ الحافظ النسائي ونظرائه، وثّقه النسائي في سننه كما في خلاصة الخزرجي ١٣٥، وابن حجر في تقريبه وحكى ثقته في تهذيبه ج ٧ ص ٣٨٠ عن النسائي، وابن حبّان، ومسلمة بن قاسم. أخرج النسائي عنه حديث المناشدة بلفظ سعيد وزيد بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٤٧ ـ إبراهيم بن يونس بن محمَّد المؤدِّب البغدادي نزيل طرطوس الملقَّب بـ (حَرَميّ) (بالمهملتين) ذكره ابن حبّان في الثقات، وقال النسائي: صدوقٌ وتبعه ابن حجر في التقريب. أخرج النسائي في خصائصه ص ٤ قال: أخبرنا حَرَمي بن يونس بن محمَّد الطرطوسي قال: أخبرنا أبو غسان (مالك بن إسماعيل) قال: أخبرنا عبد السلام[1] عن موسى الصغير (المترجم ص١١١) عن عبد الرحمن بن سابط، عن سعد قال: كنت جالساً فتنقّصوا. إلى آخر اللفظ المذكور ص ٦٢ والسند صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

---

(١) هو الحافظ عبد السلام بن حرب النهدي أبو بكر الكوفي الملائي المتوفى ١٨٧، عن ٩٦ عاماً، وثقه أبو حاتم، والترمذي، والدارقطني، ويعقوب بن أبي شيبة، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٦ ص ٣١٧، وبقية السند قد مرت تراجم رجالها.

١٤٨ - أبو هريرة محمّد بن أيوب الواسطي، قال أبو حاتم: صالحٌ، كذا ذكره الخزرجي، وبالصلاح ترجمه ابن حجر في التقريب، وقال في تهذيبه ج ٣ ص ٦٩: ذكره ابن حبّان في الثقات وقال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي سنة ٢١٤، وصحّح حديثه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٩. مرَّ حديثه ص ٥٤ بإسناد صحّحه الحاكم، ويأتي عنه حديث نزول آية سأل سائلٌ حول قضيّة الغدير.

(القرن الرابع)

١٤٩ - الحافظ عبدالله بن الصقر بن نصر أبو العباس السكري البغدادي المتوفّى ٣٠٢، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٩ ص ٤٨٣ وقال: كان ثقة، وقال الدارقطني: صدوقٌ. مرّ حديثه ص ٦٣ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٥٠ - الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، صاحب السنن المتوفّى ٣٠٣، وله ٨٨ عاماً، حكى الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٦٨ عن الدارقطني إنه قال: كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث، وعن النيسابوري إنّه الإمام بلا مدافعة، وحكى السبكي في طبقاته ج ٢ ص ٨٤ عن أبي جعفر الطحاوي أنه قال: النسائي إمام من أئمّة المسلمين، وحكى ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١٢٣ عن ابن يونس إنه قال: كان النسائي إماماً في الحديث ثقةً ثبتاً حافظاً. أخرج حديث الغدير في سننه وخصائصه بطرق كثيرة جلّها صحيحٌ رجاله ثقاتٌ منها ما يأتي ومنها ما مرّ ص ٤٠ و٥٣ و٥٨ و٦٢ و٧٠ و٧٣ و٧٥ و١١٥ و١٢١ و١٢٣.

١٥١ - الحافظ الحسن بن سفيان بن عامر أبو العباس الشيبانيّ النسويّ البالوزيّ[1] صاحب المسند الكبير المتوفّى ٣٠٣، قال السمعاني في أنسابه: كان مقدَّماً في الفقه والعلم والأدب. وقال في موضع آخر: إمامٌ متقنٌ ورعٌ حافظٌ، وقال السبكي في طبقاته ج ٢ ص ٢١٠: قال الحاكم: كان محدّث

---

(١) البالوز من قرى نسا على ثلاث أو أربع فراسخ منها (أنساب السمعاني).

خراسان في عصره مقدّماً في الثبت والكثرة والفهم والفقه والأدب. مرّ عنه ص ٤٠ ويأتي عنه حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، وحديث التهنئة، بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٥٢ ـ الحافظ أحمد بن علي الموصلي أبو يعلى صاحب المسند الكبير المتوفّى ٣٠٧، وثّقه ابن حبان، والحاكم، والذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٢٧٤، وقال ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١٣٠: كان حافظاً خيِّراً حسن التصنيف عدلاً فيما يرويه ضابطاً لِما يحدِّث به. مرّ عنه ص ٣٥ و٤٠ و٧٧ ويأتي عنه حديث المناشدة ومناشدة شابّ أبا هريرة بإسناد صحيح رجاله ثقات وحديث التهنئة بإسناد صحيح.

١٥٣ ـ الحافظ محمّد بن جرير الطبري أبو جعفر صاحب التفسير، والتاريخ السائرين المتوفّى ٣١٠، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٩ وقال: كان أحد العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، ثمّ أطراه وأكثر، وذكره الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٣ وأثنى عليه بالإمامة والزهد والرفض للدنيا. أفرد كتاباً في الغدير، ومرّ عنه ص ٣٥ و٤٠ و٤٢ و٦٥ و٦٨ و٧٣ و٨١ و٨٣ و٩٦ ويأتي عنه بطرق اخرى.

١٥٤ ـ أبو جعفر أحمد بن محمّد الضبعي الأحول المتوفّى ٣١١. يأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بلفظ عبد الرحمن.

١٥٥ ـ الحافظ محمّد بن جمعة بن خلف القهستاني، أبو قريش صاحب المسند الكبير المتوفّى ٣١٣، قال الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ١٦٩: كان ضابطاً حافظاً متقناً كثير السماع والرحلة، وحكى الذهبي في تذكرته ج ٢ ص ٣٢٨ عن أبي علي الحافظ إنّه قال: خيرنا أبو قريش الحافظ الثقة الأمين. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٤١ ويأتي في حديث التهنئة بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٥٦ ـ الحافظ عبدالله بن محمّد البغوي أبو القاسم المتوفّى ٣١٧، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٠ ص ١١١ ـ ١١٧ وقال: كان ثقةً ثبتاً مكثراً

فهماً عارفاً، وحكى عن موسى بن هارون: إنَّه قال: لو جاز أن يُقال لإنسان إنّه فوق الثقة لقيل لأبي القاسم. أخرج في معجمه حديث الركبان الآتي، ومرّ عنه بإسناد حسن ص ٥٤.

١٥٧ - أبو بشر محمَّد بن أحمد الدولابي[1] المولود ٢٢٤ والمتوفّى ٣٢٠، معتمدٌ عليه في الرواية عنه كما في تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٨٥. مرّ عنه ص ٤٦ و٥٤ بإسنادين صحيحين كلّ رجالهما ثقات.

١٥٨ - أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن أحمد البزّاز المعروف بابن النيري المولود ٢٣٢ والمتوفّى ٣٢٠، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢٢٦ وقال: ثقةٌ. يأتي حديثه في آية إكمال الدين، وفي حديث التهنئة، بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٥٩ - الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمَّد الأزديّ الطحاويّ[2] الحنفيّ المصريّ المولود ٢٢٩ والمتوفّى ٣٢١، شيخ الفقه والحديث إنتهت إليه الرئاسة الدينيّة بمصر، ترجمه ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١٧٤ وقال: أحد الثقات الأثبات والحفّاظ الجهابذة، وحكى الذهبي، عن ابن يونس في التذكرة ج ٣ ص ٣٠: كان ثقةً ثبتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله. مرّ حديثه ص ٦٤ بإسناد صحيح رجاله ثقاتٌ وكذلك ص ٨١.

١٦٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي المتوفّى ٣٢٥، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٦ ص ١٣٧. يأتي بطريقه حديث مناشدة رجل عراقي جابر الأنصاري بحديث الغدير.

١٦١ - الحافظ الحكيم محمَّد بن علي الترمذي الصوفي الشافعيّ، صاحب كتاب الفروق، ونوادر الأصول، يروي عن بعض مشايخه سنة ٢٨٥ كما في ترجمته في أول كتابه نوادر الأصول، أثنى عليه الحافظ أبو نعيم في حليته، وترجمه السبكي في طبقاته ج ٢ ص ٢٠. مرّ الحديث عنه ص ٥٠.

---

(١) الدولاب قرية من أعمال الري وأخرى باهواز وموضع في شرقي بغداد.

(٢) نسبة إلى طحا وهي قرية بصعيد مصر، وإلى الأزد حي من اليمن.

١٦٢ ـ الحافظ ابن الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس التميميّ الحنظليّ الرازيّ المتوفّى ٣٢٧، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٤٨ وأثنى عليه بالإمامة والحفظ والنقد، وحكى عن أبي الوليد الباجي ثقته، ترجمه السبكي في طبقاته ج ٢ ص ٢٣٧، وحكى عن أبي يعلى الخليلي إنّه قال: كان زاهداً يُعدّ من الأبدال. مرّ عنه ص ٦٨ ويأتي عنه نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام.

١٦٣ ـ أبو عمر أحمد بن عبد ربّه القرطبي المتوفّى ٣٢٨، ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣٤ وقال: كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والإطّلاع على أخبار الناس، وصنّف كتابه العقد، وهو من الكتب الممتعة. قال في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٥ أسلم عليٌّ وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو أول مَن شهد أن لا آله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه. ويأتي عنه إحتجاج المأمون على أربعين فقيهاً بأحاديث منها حديث الغدير.

١٦٤ ـ الفقيه أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل بن سعيد المحامليّ الضبّي المتوفّى ٣٣٠ عن ٩٥ سنة، قال السمعاني في أنسابه: كان فاضلاً صادقاً ديِّناً ثقةً صدوقاً، وقال ابن كثير في تاريخه ج ٣ ص ٢٠٣: كان صدوقاً ديِّناً فقيهاً محدِّثاً ولي قضاء الكوفة ستّين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها، ثم استعفى من ذلك كلّه ولزم منزله واقتصر على إسماع الحديث وسماعه. مرّ عنه ص ٧٧ و٨١ بإسناد صحّحه في أماليه، ويأتي عنه حديث المناشدة بلفظ زيد بن يُثيع بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١٦٥ ـ أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال المتوفّى ٣٣١، وكان مولده ٢٣٤، شيخ الحافظ الدارقطني ونظرائه، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢٩٠ وقال: كان ثقةً. يأتي حديثه وترجمته في صوم الغدير، وستقف على صحّة إسناده وأنّ رجاله كلّهم ثقات.

١٦٦ ـ الحافظ أبو العباس أحمد بن عقدة المتوفّى ٣٣٣، ضع يدك على أيٍّ من معاجم التراجم تجد هناك ترجمته والثناء عليه. أفرد كتاباً في حديث الغدير، وستقف في ذكر المؤلفين على تفصيله، وقد رواه بطرق كثيرة صحيحة منها ما مرّ ومنها ما يأتي.

١٦٧ ـ أبو عبدالله محمّد بن علي بن خلف العطار الكوفيّ نزيل بغداد، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ٥٧، وقال: سمعت محمّد بن منصور يقول: كان محمّد بن علي بن خلف ثقةً مأموناً حسن العقل. مرّ حديثه ص ٩٤ بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١٦٨ ـ الحافظ الهيثم بن كليب أبو سعيد الشاشي المتوفّى ٣٣٥، صاحب المسند الكبير، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٦٦ ووثّقه. مرّ حديثه ص ٤٠ قال الگنجي: هذا حديثٌ حسنٌ وأطرافه صحيحةٌ.

١٦٩ ـ الحافظ محمّد بن صالح بن هانىء أبو جعفر الورّاق النيسابوري المتوفّى ٣٤٠، ترجمه ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية ج ١١ ص٢٢٥، وقال: كان ثقةً زاهداً لا يأكل إلّا من كسب يده ولا يقطع صلاة الليل، وترجمه السبكي في طبقاته ج ٢ ص ١٦٤ وأثنى عليه. مرّ حديثه ص ٤١ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٧٠ ـ الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري المعروف بابن الأخرم المولود ٢٥٠، والمتوفى ٣٤٤، صاحب المسند الكبير، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٨٢ وأثنى عليه، وقال: وكان من أئمّة هذا الشأن. وقال الحاكم: كان من أنحى الناس ما اخذ عليه لحنٌ قطّ، وله كلام حسن في العلل والرجال، وسمعت محمّد ابن صالح بن هانىء يقول: كان ابن خزيمة يقدّم أبا عبدالله ابن يعقوب على كافّة أقرانه ويعتمد على قوله فيما يرد عليه وإذا شكّ في شيء عرضه عليه. روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحافظ الحاكم النيسابوري عنه ما مرّ في ص ٥٨ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٧١ ـ الحافظ يحيى بن محمّد بن عبدالله أبو زكريّا العنبري البغياني المتوفّى ٣٤٤، وهو ابن ٧٦ سنة، ترجمه السمعاني في أنسابه وأثنى عليه، وذكره السبكي في طبقاته ج ٢ ص ٣٢١ وقال: أحد الأئمّة قال الحاكم فيه: العدل الأديب المفسّر الأوحد بين أقرانه، وسمعت أبا علي الحافظ يقول: الناس يتعجّبون من حفظنا لهذه الأسانيد، وأبو زكريا العنبري يحفظ من العلوم ما لو كُلّفنا حفظ شيء منها لعجزنا عنه وما أعلم أني رأيت مثله. مرّ حديثه ص ٦٣.

١٧٢ ـ المسعودي علي بن الحسين البغدادي المصري المتوفّى ٣٤٦، ينتهي نسبه إلى عبدالله بن مسعود، ترجمه السبكي في طبقات الشافعيّة ج ٢ ص ٣٠٧ وقال: كان أخباريّاً مفتياً علامةً، وقيل: إنه كان معتزليّ العقيدة. يأتي عنه إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة يوم الجمل بحديث الغدير.

١٧٣ ـ أبو الحسين محمَّد بن أحمد بن تميم الخيّاط القنطريُّ (كان ينزل قنطرة البردان) الحنظلي المولود ٢٥٩ والمتوفّى ٣٤٠، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١ ص ٢٨٣. مرّ حديثه ص ٥٤ بإسناد كلّ رجاله ثقات.

١٧٤ ـ الحافظ جعفر بن محمَّد بن نصير أبو محمَّد الخواصّ المعروف بالخلديّ المتوفّى ٣٤٧، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٣١ وقال: كان ثقةً صادقاً ديِّناً فاضلاً. يأتي عنه حديث نزول آية الإكمال في عليٍّ عليه السلام، بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

١٧٥ ـ أبو جعفر محمّد بن علي الشيبانيُّ الكوفيُّ ممّن ألّف في الحديث، صحّح حديثه الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه في غير موضع. مرّ حديثه ص ٤١ بإسناد صحيح رجاله ثقات وكذلك ص ٥٥.

١٧٦ ـ الحافظ دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن أبو محمَّد السجستانيُّ المعدّل المتوفّى ٣٤١، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٣٨٧ ـ ٣٩٢ وقال: كان ثقةً ثبتاً قبل الحكّام شهادته وأثبتوا عدالته وجمع له المسند، قال الدارقطني: لم أر في مشايخنا أثبت منه وكان ثقةً مأموناً، وقال عمر البصري: ما رأيت ببغداد ممّن انتخبت عليهم أصحّ كتباً ولا أحسن سماعاً من

دعلج. مرّ حديثه ص ٥٤ بإسناد صحّحه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٩.

١٧٧ ـ أبو بكر محمّد بن الحسن بن محمّد النقّاش المفسّر الموصليُّ البغداديُّ المتوفّى ٣٥١، ترجمه ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٢٤٢ وقال: كان رجلاً صالحاً في نفسه عابداً ناسكاً له تفسير «شفاء الصدور». يأتي عنه حديث آية سأَلَ سائِلٌ حول نصّ الغدير.

١٧٨ ـ الحافظ محمّد بن عبدالله الشافعيُّ البزّاز البغداديُّ المتوفّى ٣٥٤، والمولود ٢٦٠، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٤٥٦ وقال: كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث حسن التصنيف، وحكى عن الدارقطني أنّه قال: كان ثقةً مأموناً. وذكره الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٩٦ وقال: ثقةٌ ثبتٌ مأمونٌ ما كان في ذلك الوقت أحدٌ أوثق منه. وقال ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٢٦٠: كان ثقةً ثبتاً كثير الرواية. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ زيد بن أرقم بإسناد صحيح.

١٧٩ ـ الحافظ أبو حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميميُّ البستيُّ المتوفّى ٣٥٤، ترجمه الذهبيُّ في التذكرة ج ٣ ص ١٣٣ وقال: كان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار، قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ من عقلاء الرجال، وقال الخطيب: كان ثقةً نبيلاً فهماً، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٢٥٩ وقال: أحد الحفّاظ الكبار المصنّفين المجتهدين. روى الحافظ محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩ حديث المناشدة في الرحبة الآتي بلفظ أبي الطفيل ثمّ قال: خرّجه أبو حاتم.

١٨٠ ـ الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميُّ أبو القاسم الطبراني المولود ٢٦٠، والمتوفّى ٣٦٠، ترجمه الذهبيُّ في تذكرته ج ٣ ص ٢٦ ـ ٣١ وقال: الإمام العلامة الحجّة مسند الدنيا حدّث عن ألف شيخ ويزيدون، وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة، قال أبو العباس الشيرازي: ثقةٌ. روى الحديث بطرق كثيرة جلّها صحيحٌ رجال إسناده ثقاتٌ راجع ص ٣٩ و٤٥ و٤٧

و٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٧ و٥٩ و٦١ و٦٦ و٦٨ و٧٣ و٧٥ و٧٧ و٧٨ و٨١ و٨٤ و٨٥ و٩٤ ويأتي عنه حديث المناشدة بلفظ زيد بن يُثيع بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

١٨١ ـ أحمد بن جعفر بن محمّد بن سلم أبو بكر الحنبليُّ، صاحب المسند الكبير المتوفّى ٣٦٥، قال ابن كثير ج ١١ ص ٢٨٣: كان ثقةً وقد قارف التسعين. مرّ حديثه ص ٩٤ بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١٨٢ ـ أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعيُّ[١] المتوفّى ٣٦٧ عن ٩٦ عاماً، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٧٤، وحكى عن ابن مالك أنّه قال: كان شيخاً صالحاً، وعن غيره أنّه صدوقٌ، وعن البرقاني: إنّه غرقت قطعةٌ من كتبه فنسخها من كتاب ذكروا أنه لم يكن سماعه فيه فغمزوه لأجل ذلك وإلّا فهو ثقةٌ، وقال ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٢٩٣: كان ثقةً كثير الحديث، وصحّح حديثه الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه. يأتي حديث المناشدة في الرحبة بطريقه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبي الطفيل بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات، وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٢ قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ببغداد، من أصل كتابه حدّثنا عبد الله بن حنبل، حدّثني أبي حدّثنا يحيى بن حمّاد، حدّثنا أبو عوانة، حدّثنا أبو بلج، حدّثنا عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس عند إبن عباس إذ أتاه تسعة رهط. إلى آخر الحديث المذكور ص ٧٥، والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

١٨٣ ـ أبو يعلى الزبير بن عبدالله[٢] بن موسى بن يوسف البغداديُّ التوزيّ[٣] نزيل نيسابور المتوفّى ٣٧٠، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٨

---

(١) نسبة إلى قطيعة الرقيق محلة في أعلى غربي بغداد.
(٢) في الكامل: عبد الواحد بن موسى، وفي المحكي عن الحاكم: عبيدالله بن موسى.
(٣) توز: بفتح أوّله وتشديد الزاي، مدينة بفارس قريبة من كازرون (معجم البلدان).

ص ٤٧٣ ، وذكره ابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ٤ . يأتي عنه حديث التهنئة بإسناد صحيح .

١٨٤ ـ أبو يعلى ـ أبو بكر ـ محمَّد بن أحمد بن بالويه النيسابوريُّ المعدّل المتوفّى ٣٧٤ عن ٩٤ عاماً، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١ ص ٢٨٢ وحكى ثقته عن البرقاني ، وأكثر الرواية عنه الحاكم في المستدرك، وصحّح حديثه فيه، والذهبي في تلخيصه. مرّ حديثه ص ٥٤ بإسناد رجاله كلّهم ثقات.

١٨٥ ـ الحافظ عليُّ بن عمر بن أحمد الدارقطنيُّ المتوفّى ٣٨٥، توجد ترجمته في كثير من معاجم التراجم والتاريخ ، قال الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٣٤ : كان فريد عصره وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة والفقه والعدالة وقبول الشهادة وصحّة الإعتقاد وسلامة المذهب والإضطلاع بعلوم سوى علم الحديث. يأتي عنه حديثا صوم الغدير والمناشدة في الرحبة كلاهما بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١٨٦ ـ الحافظ الحسن بن إبراهيم بن الحسين أبو محمَّد المصري الشهير بابن زولاق المتوفّى ٣٨٧ عن ٨١ عاماً، ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ١٤٦ ، وابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٢١. رواه في تاريخه كما حكاه المقريزيُّ في الخطط ج ٢ ص ٢٢٢ .

١٨٧ ـ الحافظ عبيدالله بن محمَّد العكبريُّ أبو عبدالله البطيُّ الحنبليُّ الشهير بابن بطّة المتوفّى ٣٨٧، ذكره السمعاني في أنسابه وأثنى عليه بالإمامة والفضل والعلم والحديث والفقه والزهد. أخرج حديث التهنئة الآتي بلفظ البراء بن عازب.

١٨٨ ـ الحافظ محمَّد بن عبد الرحمن بن العباس أبو طاهر الشهير بالمخلص الذهبيّ المتوفّى ٣٨٨، ترجمه ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٣٣٣ وقال: شيخٌ كثير الرواية وكان ثقةً من الصالحين. روى محب الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩ حديث الغدير بلفظ حبشي المذكور ص ٤٧،

وقال: خرَّجه المخلص الذهبي.

١٨٩ ـ الحافظ أحمد بن سهل الفقيه البخاري، أحد مشايخ الحاكم قد أكثر الرواية عنه في مستدركه وصحّح فيه حديثه وكذلك الذهبيُّ في تلخيصه. مرّ حديثه ص ٥٤ بإسنادين صحيحين كلّ رجالهما ثقات.

١٩٠ ـ العباس بن عليّ بن العباس النسائيُّ، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ١٥٤ وقال: كان ثقة. مرّ حديثه ص ٩٤ بإسناد صحيح رجاله ثقات.

١٩١ ـ يحيى بن محمَّد الأخباري أبو عمر البغداديُّ، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٢٣٦ وأخرج هناك بطريقه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ عبد الرحمن بإسناد حسن يأتي.

(القرن الخامس)

١٩٢ ـ المتكلّم القاضي محمَّد بن الطيب بن محمَّد أبو بكر الباقلانيُّ المتوفّى ٤٠٣، من أهل البصرة سكن بغداد، من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام، وثّقه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٣٧٩ وأثنى عليه. روى حديث الموالاة، وحديث التهنئة الآتي في كتابه التمهيد في الردّ على المذاهب ص ١٦٩، ١٧١، ٢٢٧.

١٩٣ ـ الحافظ محمَّد بن عبدالله بن محمَّد أبو عبدالله الحاكم الضبِّي المعروف بابن البيِّع النيسابوريُّ المتوفّى ٤٠٥، صاحب المستدرك على الصحيحين السائر الدائر ولد ٣٢١، وطلب الحديث من صغره فسمع سنة ثلاثين[1] وثَّقه الخطيب، والذهبي، وابن كثير في التاريخ ج ٦ ص ٢٧٣، والتذكرة ج ٣ ص ٢٤٢، والبداية والنهاية ج ١١ ص ٣٥٥. أخرج الحديث في مستدركه بطرق شتى صحَّح أكثرها، مرّ منها ص ٤١ و٥٤ و٥٥ و٥٩ و٦٣ و٧٠ و٧٣ و٧٧ و٨١، ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ زيد بن يُثيع بإسناد صحيح رجاله ثقات، وحديث الإحتجاج يوم الجمل.

---

(١) ذكره الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٢٤٢، وبهذا تصح روايته عن المحاملي المتوفى ٣٣٠.

١٩٤ ـ أحمد بن محمَّد بن موسى بن القاسم بن الصلت أبو الحسن المجبِّر البغدادي المتوفّى ٤٠٥، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٩٥ وحكى عن الدقاق إنَّه قال: كان شيخاً صالحاً ديِّناً. يأتي عنه حديث مناشدة رجل عراقي جابر الأنصاري بإسناد صحيح.

١٩٥ ـ الحافظ عبد الملك بن أبي عثمان أبو سعد النيسابوريُّ الشهير بخَر گوشيِّ[1] المتوفّى ٤٠٧، ترجمه الذهبي في عِبره، وقال: قال الحاكم: لم أر أجمع منه علماً وزهداً وتواضعاً وإرشاداً إلى الله. يأتي بطريقين عنه حديث التهنئة.

١٩٦ ـ الحافظ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد أبو بكر الفارسيُّ الشيرازيُّ المتوفّى ٤٠٧ / ١١، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٢٦٧ وقال: الحافظ الإمام الجوّال أبو بكر، وحكى عن أبي الفرج البجليِّ إنّه قال: كان صدوقاً حافظاً يحسن هذا الشأن جيِّداً جيِّداً. أخرج الحديث عن ابن عباس فيما نزل من القرآن في أمير المؤمنين، مرّ الإيعاز إليه ص ٧٨ ويأتي في آية التبليغ.

١٩٧ ـ الحافظ محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن سهل أبي الفتح ابن أبي الفوارس (جدّه سهل يُكنّى بأبي الفوارس) وُلد ٣٣٨ وتوفّي ٤١٢، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ١ ص ٣٥٢ وقال: كَتب الكثير وجَمع، وكان ذا حفظٍ ومعرفةٍ وأمانةٍ وثقةٍ مشهوراً بالصلاح وكَتب الناس عنه بانتخابه على الشيوخ وتخريجه. يأتي عنه حديث التهنئة.

١٩٨ ـ الحافظ أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني أبو بكر المتوفّى ٤١٦، ذكره الذهبيُّ في تذكرته ج ٣ ص ٢٥٢، وقال: الحافظ الثبت العلامة، كان قيِّماً بمعرفة هذا الشأن بصيراً بالرجال طويل الباع مليح التصانيف. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٣٥ و٦٧ و٦٨ و٧٨ و٧٩ ويأتي في حديث الركبان، وآية إكمال الدين، وحديث التهنئة.

---

(١) بفتح أوله وسكون المهملة بعده سكة بمدينة نيسابور.

١٩٩ ـ أبو علي أحمد بن محمَّد بن يعقوب الملقَّب بمسكويه صاحب كتاب التجارب المتوفّى ٤٢١، أثنى عليه أبو حيّان في الإمتاع ج ١ ص ٣٥، وياقوت في معجم الأدباء ج ٥ ص ٥ ـ ١٩، وابن شاكر في الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٦٩ وغيرهم. رواه في (نديم الفريد) يأتي لفظه في إحتجاج المأمون الخليفة العباسي، على الفقهاء بحديث الغدير.

٢٠٠ ـ القاضي أحمد بن الحسين بن أحمد أبو الحسن المعروف بابن السمّاك البغداديُّ المتوفّى ٤٢٤ عن ٩٥ سنة، كان رجلاً كبيراً، وكان له مجلس وعظ يتكلّم فيه في جامع المنصور، قاله الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١١٠. روى حديث نزول آية إكمال الدين في عليّ عليه السلام.

٢٠١ ـ أبو إسحاق أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبيُّ النيسابوريُّ المفسِّر المشهور المتوفّى ٤٢٧ / ٣٧، ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٢٢ وقال: كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنَّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، وذكره الفارسي في تاريخ نيسابور، وقال: هو صحيح النقل موثوقٌ به، حدَّث عن أبي طاهر ابن خزيمة والإمام أبي بكر بن مهران المقري، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ. أخرج في تفسيره الكشف والبيان حديثي نزول آيتي التبليغ، وسألَ سائِلٌ حول واقعة الغدير.

٢٠٢ ـ أبو محمَّد عبدالله بن علي بن محمَّد بن بشران المولود ٣٥٥ والمتوفّى ٤٢٩، شيخ الخطيب البغداديِّ، قال في تاريخه ج ١٠ ص ١٤: كتبت عنه وكان سماعه صحيحاً. يأتي حديثه في حديث التهنئة، وصوم الغدير، بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٢٠٣ ـ أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبيُّ النيسابوريُّ المتوفّى ٤٢٩ صاحب يتيمة الدهر، ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣١٥ وأثنى عليه وعلى تآليفه القيِّمة، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٤٤ وقال: كان إماماً في اللغة والأخبار وأيّام الناس بارعاً مفيداً. رواه في ثمار القلوب ص ٥١١ يأتي لفظه في عيد الغدير.

٢٠٤ ـ الحافظ أحمد بن عبدالله أبو نعيم الإصبهانيُّ المولود ٣٣٦ والمتوفّى ٤٣٠، توجد ترجمته والثناء عليه في كثير من معاجم التراجم والتاريخ، قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٢٧: كان من الأعلام المحدّثين وأكابر الحفّاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه وانتفعوا به، وكتابه الحلية من أحسن الكتب، وقال الذهبيُّ في تذكرته ج ٣ ص ٢٩٢: قال ابن مردويه: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه لم يكن في أُفق من الآفاق أحدٌ أحفظ منه وأسند، كان حافظ الدنيا قد إجتمعوا عنده وكل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر. مرّ عنه ص ٤٢ و٤٦ و٤٨ و٥١ و٦١ و٦٣ و٦٦ و٦٧ و٨٠ و٨٧ و٩٤ ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة، وإحتجاج عمر بن عبد العزيز، ونزول آية التبليغ، وإكمال الدين في عليّ عليه السلام، وغير واحد من أسانيده صحيحٌ رجاله ثقات.

٢٠٥ ـ أبو علي الحسن بن علي بن محمّد التميميُّ الواعظ المعروف بابن المذهّب المتوفّى ٤٤٤ عن ٨٩ سنة، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٣٩٠ وقال: كان صحيح السماع لمسند أحمد عن القطيعي إلاّ في أجزاء منه فإنّه ألحق إسمه فيها، قال ابن كثير[1]: قال ابن الجوزي: وليس هذا بقدح في سماعه لأنّه إذا تحقّق سماعه جاز أن يلحق اسمه فيما تحقّق سماعه له. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة، بلفظ عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٢٠٦ ـ الحافظ إسماعيل بن علي بن الحسين أبو سعيد الرازيُّ المعروف بابن السمّان المتوفّى ٤٤٥، ترجمه ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٣٥ وقال: سمع الحديث من نحو من أربعمائة شيخ، وكان إمام المعتزلة في وقته، وكان من الحفّاظ الكبار وكان فيه زهدٌ وورعٌ، وقال عمر الكلبي: كان شيخ العدليّة ـ يعني المعتزلة ـ وعالمهم وفقيههم ومتكلّمهم ومحدّثهم، وكان إماماً بلا مدافعة في القراءات والحديث ومعرفة الرجال والأنساب والفرائض والحساب والشروط والمقدورات، وكان إماماً أيضاً في فقه أبي حنيفة. إلى كلمات ضافية في الثناء عليه. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٤٠ و٨٢.

---

(١) في البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٤.

٢٠٧ ـ الحافظ أحمد بن الحسين بن عليّ أبو بكر البيهقيُّ المتوفّي ٤٥٨ عن ٧٤ سنة، ترجمه جُلُّ أرباب معاجم التراجم والتاريخ، قال السبكي في طبقاته ج ٣ ص ٣: كان الإمام البيهقي أحد أئمّة المسلمين وهُداة المؤمنين والدعاة إلى حبل الله المتين، فقيهٌ جليلٌ حافظٌ كبيرٌ اصوليٌّ نحريرٌ زاهدٌ ورعٌ قانتٌ لله قائمٌ بنصرة المذهب أصولاً وفروعاً، جبلٌ من جبال العلم، وقال ابن الأثير في الكامل ج ١٠ ص ٢٠: كان إماماً في الحديث والفقه على مذهب الشافعيّ، وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبرى عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفاً زاهداً. مرّ عنه ص ٤٠ و٤٢ و٧٦ بأسانيد غير واحد منها صحيحٌ ويأتي عنه حديث صوم الغدير، وفيه نزول آية الإكمال بإسناد صحيح رجاله ثقات.

٢٠٨ ـ الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبد البرّ النمريُّ القرطبيُّ المولود ٣٦٨ والمتوفّى ٤٦٣، صاحب الاستيعاب، قال الذهبيُّ في تذكرته ج ٣ ص ٣٢٤: الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر ساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان، قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث، دأب في طلب الحديث وافتنّ به وبرع براعة فاق بها مَن تقدّمه من رجال الأندلس وكان مع تقدُّمه في علم الأثر وبصره بالفقه والمعاني له بسطةٌ كبيرة في علم النسب والأخبار، وكان ديِّناً صيِّناً ثقةً حجَّةً صاحب سنَّةٍ وأتباع، وكان أوّلاً ظاهرياً أثريّاً ثمَّ صار مالكيّاً مع ميل كثير إلى فقه الشافعيِّ. مرّ حديثه بطرق شتّى ص و٣٥ و٤٢ و٤٣ و٥٨ وعدَّه من الآثار الثابتة.

٢٠٩ ـ الحافظ أحمد بن عليّ بن ثابت أبو بكر الخطيب البغداديُّ المتوفّى ٤٦٣، قال ابن الأثير في الكامل ج ١٠ ص ٢٦: كان إمام الدنيا في عصره، وترجمه السبكي في طبقاته ج ٣ ص ١٢ ـ ١٦ وأثنى عليه وأكثر، وقال: قال ابن ماكولا: كان أبو بكر آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفةً وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفنّناً في علله وأسانيده وعلماً بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره ومطروحه ولم يكن للبغداديِّين بعد أبي الحسن الدارقطنيّ مثله. وتوجد له ترجمة ضافية في تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٣٩٨. مرّ الحديث عنه ص ٣٥ و٤٠ و٩٦ و١١٦ ويأتي عنه حديث صوم الغدير، وغير واحد من

أسانيده صحيحٌ رجاله ثقات.

٢١٠ ـ المفسّر الكبير أبو الحسن بن أحمد بن محمّد بن عليّ بن متّويه[١] الواحديُّ النيسابوريُّ المتوفّى ٤٦٨، قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣٦١: كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ورُزق السعادة في تصانيفه وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرِّسون في دروسهم منها الوسيط، والبسيط، والوجيز في التفسير، وله كتاب أسباب النزول. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٦٩ ويأتي بإسناده حديث نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام حول واقعة الغدير.

٢١١ ـ الحافظ مسعود بن ناصر بن عبدالله بن أحمد أبو سعيد السجزيّ [السجستانيّ] المتوفّى ٤٧٧، ترجمه الذهبيُّ في تذكرته ج ٤ ص ١٦ وقال: الحافظ الفقيه الرّحال صاحب المصنَّفات، قال محمَّد بن عبد الواحد الدقّاق: لم أر في المحدِّثين أجود إتقاناً ولا أحسن ضبطاً منه، وقال ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ١٢٧: رحل في الحديث وسمع الكثير وجمع الكتب النفيسة، وكان صحيح الخطِّ صحيح النقل حافظاً ضابطاً. أفرد كتاباً في حديث الغدير مرّ الإيعاز إلى بعض طرقه ص ٣٨ و٦٧ و٧٨ ويأتي عنه بعض آخر.

٢١٢ ـ أبو الحسن علي بن محمَّد الجلابيُّ الشافعيُّ المعروف بابن المغازليِّ المتوفّى ٤٨٣، كتابه «المناقب» يُعرب عن تضلّعه في الحديث وفنونه. مرّ الحديث عنه ص ٤٣ و٤٦ و٥١ و٥٢ و٦١ و٦٦ و٦٩ و٧٤ و٨٢ ويأتي عنه غير هذه.

٢١٣ ـ أبو الحسن عليّ بن الحسن بن الحسين القاضي الخلعيُّ موصليُّ الأصل مصريُّ الدار، ولد بمصر ٤٠٥ وتوفي ٤٩٢، ترجمه السبكي في طبقاته ج ٣ ص ٢٩٦ وقال: كان مسند ديار مصر في وقته ابن سكرة: فقيهٌ له تصانيف ولي القضاء وحكم يوماً واحداً واستعفى وانزوى بالقرافة، وكان مسند مصر بعد

(١) بفتح الميم وتشديد المثناة وسكون الواو وفتح الياء، كذا ضبط ابن خلكان وأحسبه بفتح الواو وسكون الياء.

الحبّال. يأتي عن كتابه الخلعيّات حديث المناشدة في الرحبة بلفظ زيد بن يُثيع.

٢١٤ ـ الحافظ عبيدالله بن عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن محمَّد ابن حسكان أبو القاسم الحاكم النيسابوريُّ الحنفيُّ المعروف بابن الحذّاد الحسكانيُّ، ترجمه الذهبيُّ في تذكرته ج ٣ ص ٣٩٠، وقال: شيخٌ متقنٌ ذو عناية تامّة بعلم الحديث كان معمَّراً عالي الاسناد صنَّف وجمع، تُوفّي بعد ٤٩٠. أفرد كتاباً في حديث الغدير، مرَّ عنه ص ٥٠ و٦٧ و٧٨ ويأتي بإسناده حديثي نزول آيتي إكمال الدين، وسأل سائلٌ في واقعة الغدير.

٢١٥ ـ أبو محمَّد أحمد بن محمَّد بن علي العاصميُّ أحد أئمة القرن الخامس، مؤلِّف [زين الفتى في شرح سورة هل أتى] وتأليفه هذا ينمُّ عن تضلّعه في التفسير، والحديث، والأدب، كما يُعرب عن شدَّة نكيره على الرفض والتشيّع. أخرج الحديث في زين الفتى بطرق شتّى مرّ بعضها ص ٤١ و٥٠ و٦٤ و٧٠ و٧٣ و١٠٠ ويأتي عنه بطرق اخرى.

(القرن السادس)

٢١٦ ـ الحافظ أبو حامد محمَّد بن محمَّد الطوسيُّ الغزاليُّ الشهير بحجّة الإسلام المتوفّى ٥٠٥، توجد ترجمته والثناء عليه في طيّات معاجم التراجم؛ وقد ترجمه السبكي في طبقاته ج ٤ ص ١٠١ ـ ١٨٢، وأفرد الدكتور أحمد فريد رفاعي المصري كتاباً في ترجمته في مجلّدات ثلاث، وهذا التأليف يُعدّ من حسنات هذا العصر، فللباحث عن الغزالي أن يراجع إليهما. يأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث.

٢١٧ ـ الحافظ أبو الغنائم محمَّد بن علي الكوفيُّ النرسيُّ المولود ٤٢٤ والمتوفّى ٥١٠ محدِّث الكوفة، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٤ ص ٥٧، وحكى عن إبن طاهر إنه قال: كان النرسي حافظاً ثقةً متقناً ما رأينا مثله كان يتهجّد ويقوم الليل. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٦٤ ويأتي في حديث التهنئة.

٢١٨ ـ الحافظ يحيى بن عبد الوهاب أبو زكريا الأصبهانيُّ الشهير بابن

منـدة المتوفّى ٥١٢، قـال ابن خلكان في تـاريخه ج ٢ ص ٣٦٦: كـان من الحفّاظ المشهورين، وأحد أصحاب الحديث المبرّزين. وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقةً حافظاً مكثراً صدوقاً كثير التصانيف. مرّ عنه ص ٧٣.

٢١٩ - الحافظ الحسين بن مسعود أبـو محمّد الفـرّاء البغويُّ الشـافعيُّ المتوفّى ٥١٦، ترجمه الذهبيُّ في تذكرته ج ٤ ص ٥٤ وقال: الإمام الحافظ المجتهد محيي السنّة، كان من العلماء الربّانيّين ذا تعبّد ونسك وقناعة باليسير، وقـال ابن كثير في تـاريخه ج ١٢ ص ١٩٣: صـاحب التفسير وشـرح السنّـة والتهذيب في الفقه والجمع بين الصحيحين. والمصابيح في الصحاح والحسان وغير ذلك، برع في هذه العلوم وكان علامة زمانه فيها، وكان ديِّناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٥٤ عن المصابيح.

٢٢٠ - أبو القاسم هبة الله بن محمَّد بن عبد الواحد الشيبانيُّ المتـوفّى ٥٢٥ عن ٩٤ سنة، قال بن كثير في تاريخه ٢٠٣: راوي المسند عن أبي علي ابن المذهّب عن أبي بكر بن مالك عن عبدالله بن أحمد عن أبيه، وقد روى عنه ابن الجوزي وغير واحد، كان ثقةً ثبتاً صحيح السماع. يأتي بطريقـه حديث المناشدة بالرحبة بلفظ عبد الرحمن.

٢٢١ - ابن الـزاغوني علي بن عبـدالله بن نصـر بن السـريّ الـزاغـونيُّ المتوفّى ٥٢٧، قال ابن كثير ج ١٢ من تاريخه ص ٢٠٥: الإمام المشهور قرأ القراءات وسمع الحديث واشتغل بالفقه والنحو واللغة، وله المصنّفات الكثيرة في الأصول والفقه وله يدٌ في الوعظ واجتمع الناس في جنازته وكانت حـافلة جدّاً. يأتي عنه حديث مناشدة رجل عراقي جابر الأنصاريّ بإسناد صحيح.

٢٢٢ - أبو الحسن رزين بن معاوية العبدريُّ الأندلسيُّ المتوفّى ٥٣٥، ترجمه الذهبيُّ في عِبره. قال في كتابه الجمع بين الصحـاح الستّة: عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم: إنّ رسول الله ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

٢٢٣ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ[١] المتوفّى ٥٣٨،

---

(١) الزمخشر بفتح أوله وثانيه ثم السكون: قرية من قرى خوارزم كبيرة.

ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ١٩٧ وقال: الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع تُشدُّ إليه الرحال في فنونه، وقال اليافعي في مرآته كان متقناً في التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان إمام عصره في فنونه، وله التصانيف الكبيرة البديعة الممدوحة. وذكره السيوطي في بغية الوعاة ص ٣٨٨ وقال: كان واسع العلم كثير الفضل غاية في الذكاء وجودة القريحة متقناً في كلِّ علم معتزليّاً قويّاً في مذهبه مجاهراً به حنفيّاً، ثمَّ ذكر مشايخه وتآليفه، وتوجد ترجمته في الفوائد البهيّة ص ٢٠٩ وأثنى عليه وعدَّ تآليفه، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢١٩. يأتي عنه حديث إحتجاج دارميَّة على معاوية بن أبي سفيان نقلاً عن كتابه ربيع الأبرار الموجود عندنا، وقال فيه: ليلة الغدير معظَّمةٌ عند الشيعة محياةٌ عندهم بالتهجّد وهي الليلة التي خطب فيها رسول الله ﷺ بغدير خمّ على أقتاب الجمال وقال في خطبته: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

٢٢٤ ـ الحافظ القاضي عياض بن موسى اليحصبيُّ السبتيُّ المتوفّى ٥٤٤، ترجمه كثيرٌ من أرباب معاجم التراجم، قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٤٢٨: كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيّامهم وأنسابهم، وصنَّف التصانيف المفيدة. ثم ذكر تآليفه ونماذج من شعره. روى حديث الغدير في كتابه الدائر السائر: الشفاء.

٢٢٥ ـ أبو الفتح محمّد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستانيّ الشافعيّ المتكلّم على مذهب الأشعريِّ المتوفّى ٥٤٨، قال ابن خلكان: كان إماماً مبرَّزاً فقيهاً متكلّماً، وترجمه السبكي في طبقاته ج ٤ ص ٧٨ وأثنى عليه وعلى كتابه «الملل والنحل». ذكر حديث الغدير في الملل والنحل يأتي لفظه في حديث التهنئة.

٢٢٦ ـ أبو الفتح محمَّد بن عليٍّ بن إبراهيم النطنزيّ المولود ٤٨٠ (لم أقف على وفاته)، ذكره السمعانيُّ في أنسابه وقال: أفضل مَن بخراسان والعراق في اللغة والأدب والقيام بصنعة الشعر، قدم علينا مرو سنة إحدى وعشرين، وقرأت عليه طرفاً صالحاً من الأدب، وإستفدت منه واغترفت من بحره، ثمَّ لقيته

بهمدان ثمَّ قدم علينا بغداد غير مرَّة في مدَّة مقامي بها وما لقيته إلّا وكتبت عنه واقتبست منه، ثمّ ذكر مشايخه. مرَّ الحديث بإسناده ص ٦٧ ويأتي عنه بطريق آخر في آية إكمال الدين.

٢٢٧ ـ الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن أحمد السمعانيُّ الشافعيُّ المولود ٥٠٦ والمتوفّى ٥٦٢/ ٣، صاحب الأنساب، وفضائل الصحابة. ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣٢٦ وأثنى عليه، وقال الذهبيُّ في تذكرته ج ٤ ص ١١١: كان ثقةً حافظاً حجَّة واسع الرحلة عدلاً ديِّناً جميل السيرة حسن الصحبة كثير المحفوظ، قال ابن النجار: سمعت مَن يذكر أنَّ عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ، وهذا شيءٌ لم يبلغه أحدٌ. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٨٢.

٢٢٨ ـ أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزديُّ القرطبيُّ الملقّب بـ (سابق الدين) المولود ٤٨٦/ ٧ والمتوفّى ٥٦٧، صاحب التفسير الكبير، قال ابن الأثير في الكامل ج ١١ ص ١٥٢: كان إماماً في القراءة والنحو وغيره من العلوم زاهداً عابداً إنتفع به الناس في كثير من البلاد ولا سيّما أهل الموصل فإنّه أقام بها وفيها تُوفِّي، وترجمه ياقوت في معجميه قال في البلدان ج ٧ ص ٥٤: قرأ عليه كثيرٌ من شيوخنا وكان أديباً فاضلاً مقرياً عارفاً بالنحو واللغة سمع كثيراً من كتب الأدب، وقال في الأدباء ج ٢٠ ص ١٤: شيخٌ فاضلٌ عارفٌ بالنحو ووجوه القراءات، وكان ثقةً صدوقاً ثبتاً ديِّناً كثير الخير. يأتي عن تفسيره حديث نزول آية سألَ سائِلٌ حول قضية الغدير.

٢٢٩ ـ موفَّق بن أحمد أبو المؤيَّد أخطب الخطباء الخوارزميُّ المتوفّى ٥٦٨، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن السادس. روى الحديث في مناقبه ومقتله بطرق كثيرة مرّ بعضها ص ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٩ و٤٢ و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٥٠ و٥٨ و٦٤ و٦٦ و٧٣ و٧٥ يأتي عنه بطرق أخرى.

٢٣٠ ـ عمر بن محمّد بن خضر الأردبيليُّ المعروف بملّا. رواه في وسيلة

المتعبِّدين(١) بلفظ البراء بن عازب، يأتي في حديث التهنئة.

٢٣١ ـ الحافظ عليُّ بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقيُّ الشافعيُّ الملقَّب به (ثقة الدين) الشهير بابن عساكر المتوفّى ٥٧١، صاحب التاريخ الكبير السائر الدائر، ترجمه ابن خلكان ج ١ ص ٣٦٣، وأثنى عليه ابن الأثير في الكامل ج ١١ ص ١٧٧، وابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٩٤ وقال: أحد أكابر حفَّاظ الحديث ومَن عنى به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً وإطّلاعاً وحفظاً لأسانيده ومتونه وإتقاناً لأساليبه وفنونه، صنَّف تاريخ الشام في ثمانين مجلّدة(٢) ثم أطنب في الثناء عليه وعلى تآليفه، وأوفى ترجمة له ما ذكره السبكي في طبقاته ج ٤ ص ٢٧٣ ـ ٧٧، أكثر في الثناء عليه وعلى ثقته وإتقانه وتآليفه. أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة في تاريخه كما ذكره ابن كثير مرّ منها ص ٣٥ و٤٩ و٦٤ و٦٩ و٧٠ و٧٧ ويأتي عنه حديث نزول آيتي التبليغ والإكمال في عليّ عليه السلام.

٢٣٢ ـ الحافظ محمَّد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد أبو موسى المدينيُّ(٣) الأصبهانيُّ الشافعيُّ المولود ٥٠١ والمتوفّى ٥٨١. ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ١٦١ وقال: كان إمام عصره في الحفظ والمعرفة وله في الحديث وعلومه تآليف مفيدة. ثمَّ ذكر تآليفه، وذكره السبكيّ في طبقاته ج ٤ ص ٩٠، والذهبيُّ في تذكرته ج ٤ ص ١٢٨ وقال: الحافظ شيخ الإسلام الكبير، انتهى إليه التقدُّم في هذا الشأن مع علوِّ الإسناد، وقال ابن الزينبيِّ: عاش أبو موسى حتى صار وحيد وقته وشيخ زمانه إسناداً وحفظاً، قال السمعاني: سمعت منه وكتب عني وهو ثقةٌ صدوقٌ، قال عبد القادر: حصل له من المسموعات بأصبهان ما لم يحصل لأحد في زمانه، وانضمَّ إلى ذلك الحفظ والإتقان، وله التصانيف التي أربى فيها على المتقدّمين مع الثقة والعفَّة. مرّ

---

(١) ذكرها له الجلبي في كشف الظنون ج ٢ ص ٦٣٤.
(٢) ذكر ابن كثير في تاريخه: ان ثلاث مجلدات منها في ترجمة علي «أمير المؤمنين» ومناقبه.
(٣) نسبة إلى مدينة أصبهان، ذكرها السمعاني في الأنساب.

الإيعاز إلى طرقه في الحديث ص ٤٥[1] و٤٨ و٥٢ و٦٩ و٧١ و٧٩ و٨٥ و٨٦ و٨٧ وله غير ذلك.

٢٣٣ - الحافظ محمَّد بن موسى بن عثمان أبو بكر الحازميّ (نسبة إلى جدِّه حازم) الهمدانيّ الشافعيّ المولود ٥٤٨ والمتوفّى ٥٨٤، ترجمه السبكي في طبقاته ج ٤ ص ١٨٩ وقال: إمامٌ متقنٌ مبرِّزٌ، وعن ابن الزيني: كان من أحفظ الناس للحديث وأسانيده ورجاله مع زهد وتعبّد ورياضة وذكر، صنّف في علم الحديث مصنَّفات، وقال ابن النجّار: كان من الأئمّة الحفّاظ العالمين بفقه الحديث ومعانيه ورجاله، وكان ثقةً حجَّةً نبيلاً زاهداً ورعاً ملازماً لِلخلوة والتصنيف ونشر العلم. صرّح بخطبة النبيِّ صلّى الله عليه وآله في غدير خمّ كما في تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٢٣، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٦.

٢٣٤ - الحافظ عبد الرحمن بن علي بن محمَّد أبو الفرج ابن الجوزي البكريُّ (نسبة إلى جدّه أبي بكر الصدّيق) البغداديُّ الحنبليُّ المتوفّى ٥٩٧، قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣٠١: كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ صنَّف في فنون عديدة، تُرجم في غير واحد من معاجم التراجم والتاريخ. روى حديث المناشدة بالرحبة بلفظ زاذان من طريق أحمد ويأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث.

٢٣٥ - الفقيه أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف العجليُّ أبو الفتوح و(يقال: أبو الفتح) الشافعيّ الأصبهانيُّ المتوفّى ٦٠٠ عن ٨٥ سنة، قال ابن الأثير في الكامل ج ١٢ ص ٨٣: وكان إماماً فاضلاً. وقال ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٤٠: سمع الحديث وتفقّه وبرع وصنّف، كان زاهداً عابداً، وترجمه السبكيُّ في طبقاته الكبرى ج ٥ ص ٥٠ وأثنى عليه وأكثر وعدّ تآليفه، وذكره ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٧١ وأثنى عليه. مرّ الإيعاز إلى حديثه عن كتابه «الموجز» في فضائل الخلفاء الأربعة ص ٤٨ و٧١.

---

(١) أحد الثلاثة المذكورة هناك س ٢ وهم: هو، وابن عقدة، وأبو نعيم.

(القرن السابع)

٢٣٦ ـ أبو عبدالله محمّد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٠٦، صاحب التفسير الكبير الشهير، ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ٤٨ وقال: فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، ثم ذكر تآليفه، وقال ابن الأثير: كان إمام الدنيا في عصره، وذكر ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٥٥، وبسط القول في ترجمته السبكي في طبقاته ج ٥ ص ٣٣ ـ ٤٠ وأثنى عليه وبالغ في الردِّ على الذهبيِّ في غمزه على المترجم في ميزان الاعتدال. مرّ الحديث عنه ص ٤٠ و٧٨، ويأتي عنه في آية التبليغ.

٢٣٧ ـ أبو السعادات مبارك بن محمَّد بن عبد الكريم ابن الأثير الشيبانيُّ الجزريُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٠٦، ترجمه أخوه ابن الأثير في كامله ج ١٢ ص ١٢٠ وقال: أخي مجد الدين أبو السعادات كان عالماً في عدَّة علوم منها الفقه والأصولان والنحو والحديث واللغة، وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث، وله رسائل مدوَّنة، وكان كاتباً مُفلقاً يُضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم. قال في جامع الاصول في أحاديث الرَّسول: عن زيد بن أرقم أو أبي سَريحة شكّ شعبة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، أخرجه الترمذيُّ، وحكاه عن الشافعيِّ (إمام الشافعيّة) في نهايته ج ٤ ص ٢٤٦.

٢٣٨ ـ أبو الحجاج يوسف بن محمَّد البلويُّ المالكيُّ الشهير بابن الشيخ المتوفّى حدود ٦٠٥، مؤلِّف «ألف باء» تأليفه هذا ينمُّ عن فضله الجمِّ وأدبه الكثار ذكره الزركلي في الأعلام ج ٣ ص ١١٨٤. يأتي لفظه في المجلّد الثاني في شعراء القرن الأوَّل في ما يتبع أبيات أمير المؤمنين عليه السلام.

٢٣٩ ـ تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكنديُّ أبو اليمن البغداديُّ المولد والمنشأ المتوفّى ٦١٣، إنتقل إلى الشام فأقام بها، قال ابن الأثير في الكامل ج ١٢ ص ١٣٠: كان إماماً في النحو واللغة وله الإسناد العالي في

الحديث، وكان ذا فنون كثيرة من أنواع العلوم. يأتي بإسناده حديث المناشدة في الرحبة بلفظ عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٢٤٠ - الشيخ عليٌّ بن حميد القرشيُّ المتوفّى ٦٢١. ذكره في (شمس الأخبار المنتقى من كلام النبيِّ المختار) كما مرّ في ص ٧٦، ويأتي لفظه في مفاد الحديث.

٢٤١ - أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الروميُّ الجنس، الحمويُّ المولد، البغداديُّ الدار المتوفّى ٦٢٦، أسر من بلاده صغيراً وإبتاعه ببغداد رجل تاجر، له معجم البلدان، ومعجم الأدباء، كانت له أشواطٌ بعيدةٌ في الأدب، وكان متعصِّباً على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، بسط القول في ترجمته محتداً وعلماً وأدباً وتأليفاً ومذهباً ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ٣٤٩ - ٥٥. ذكر في معجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٦ عن الحازمي: أنّ رسول الله ﷺ خطب عند غدير خمّ، ويأتي كلامه عن «معجم الأدباء» في المؤلِّفين في حديث الغدير.

٢٤٢ - الحافظ أبو الحسن علي بن محمَّد الشيبانيُّ المعروف بابن الأثير الجزريّ(١) المتوفّى ٦٣٠، صاحب التاريخ الكامل، واسد الغابة، ترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ٣٧٨ وقال: كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلّق به وحافظاً للتواريخ المتقدِّمة والمتأخِّرة، ثم ذكر تآليفه وأثنى عليها، وذكره اليافعيُّ في مرآة الجنان ج ٤ ص ٧٠ وأثنى عليه وعلى تآليفه، وعدّه الذهبيُّ من الحفّاظ في تذكرته ج ٤ ص ١٩١ وأطراه. رواه بطرق كثيرة منها ما يأتي ومنها ما مرّ ص ٣٥ و٤١ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٥٠ و٦٢ و٦٩ و٧١ و٧٢ و٧٤ و٧٩ و٨٥ و٨٦.

٢٤٣ - حنبل بن عبدالله بن الفرج البغداديُّ الرصافيُّ المتوفّى ٦٤٠ عن ٩٠ سنة، محدِّثٌ مكثرٌ يروي باسناده الآتي مسند أحمد بن حنبل، عن ابنه عبدالله، ترجمه أبو شامة في ذيل الروضتين(٢). يأتي بإسناده حديث مناشدة

---

(١) نسبة إلى جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة أيام كانت تحيط بها دجلة إلا من ناحية.
(٢) ذكر في تعليق ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الدمشقي ص ٣٣.

الرحبة بلفظ عبد الرحمن.

٢٤٤ ـ الحافظ ضياء الدين محمَّد بن عبد الواحد أبو عبدالله المقدسيُّ الدمشقيُّ الحنبليُّ المولود ٥٦٩، والمتوفّى ٦٤٣، ذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ١٦٩ وأطراه وأثنى على تآليفه، وترجمه الذهبي في تذكرته ج ٤ ص ١٩٧ وحكى عن عمر بن الحاجب إنّه قال: شيخنا أبو عبدالله شيخ وقته ونسيج وحده علماً وحفظاً وثقةً وديناً من العلماء الربّانيّين كان، شديد التحرِّي في الرواية مجتهداً في العبادة كثير الذكر منقطعاً متواضعاً، (إلى أن قال في الثناء عليه): قال ابن النجار: حافظٌ متقنٌ حجّةٌ عالمٌ بالرجال ورعٌ تقيٌّ ما رأيت مثله في نباهته وعفّته وحسن طريقته. إلخ. مرّ حديثه ص٤٨ و٥١ و٥٨ و٥٩ و٨١ و٨٤ ويأتي عنه غير ذلك.

٢٤٥ ـ أبو سالم محمَّد بن طلحة القرشيُّ النصيبيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٥٢ أحد شعراء الغدير في القرن السابع يأتي هناك شعره وترجمته. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص٥٦، ويأتي عنه غيره نقلاً عن كتابه المطبوع غير مرّة (مطالب السئول).

٢٤٦ ـ أبو المظفَّر يوسف الأمير حسام الدين قز اوغلي[1] ابن عبدالله البغداديُّ الحنفيُّ المتوفّى ٦٥٤، سبط الحافظ ابن الجوزيِّ الحنبليِّ من كريمته (رابعة) ترجمه اليافعيُّ في مرآته ج ٤ ص ١٣٦، وابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ١٩٤، وأثنى على علمه وفضله وحسن خطابته، وذكره أبو الحسنات في فوائده البهيّة ص ٢٣٠ وقال: تفقّه وبرع وكان عالماً فقيهاً واعظاً حسن المجانسة، وقال أبو المعالي السلاميُّ كما في «منتخب المختار» ٢٣٦: كان شيخاً صالحاً عالماً بالتفسير والحديث والفقه له تفسير كبير في تسعة وعشرين مجلّداً، وذكر مشايخه وتآليفه. مرَّ عنه ص ٥٩ ويأتي عنه في عناوين اخرى بألفاظ غير ما مرَّ نقلاً عن تأليفه السائر (تذكرة خواص الامّة).

---

(١) في تاريخ ابن خلكان، والفوائد البهية. قرغلي. وفي غيرهما قزغلي، والصحيح كما في تاريخ ابن كثير: قزاغلي بكسر القاف وسكون الزاي كلمة تركية معناها (ابن البنت) أي السبط.

٢٤٧ - عزُّ الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد المعتزليُّ المتوفّى ٦٥٥، مؤلِّف شرح نهج البلاغة الدائر السائر، وتأليفه هذا ينمُّ عن تضلّعه في الحديث والكلام والتأريخ والأدب، توجد ترجمته في شرح النهج له ج ٤ ص ٥٧٥. مرَّ الحديث عنه ص٨٢ ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة، وحديث الدعوة، وحديث الركبان، وإحتجاج عمّار بحديث الغدير، ومناشدة شابّ أبا هريرة.

٢٤٨ - الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يوسف الكنجيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٥٨، صاحب كتاب كفاية الطالب[1] المطبوع بمصر في ١٦٠ صحيفة محذوف الأسانيد، وفي النجف الأشرف مسنداً على ما هو في الأصل، والكتابُ يعرب عن تقدُّم مؤلِّفه في الحديث وعن علمه الجمّ، وفضله الكثار وكثرة إعتنائه بشأن الحديث وفنونه، ينقل عنه ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمَّة، مُعبّراً عن المؤلِّف بالإمام الحافظ. مرّ الحديث عنه ص٤٠ و٤٣ و٥٩ و٦٤ و٧٣ و٧٧ ويأتي عنه حديث مناشدة الرحبة بطرق شتّى، ومناشدة رجل عراقيّ جابر الأنصاريّ، وحديث التهنئة.

٢٤٩ - الحافظ أبو محمَّد عبد الرزّاق بن عبدالله بن أبي بكر عزُّ الدين الرسعنيُّ الحنبليُّ المتوفّى ٦٦١، ذكره الذهبيُّ في تذكرة الحفّاظ ج ٤ ص ٢٤٣، وقال: كان إماماً متقناً ذا فنون وأدب صنّف كتاب مقتل الحسين عليه السلام، وجمع وصنَّف تفسيراً حسناً رأيته يروي فيه بأسانيده، وأثنى عليه ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٢٤١، ويأتي بعض القول في ترجمته عن زميله الأربلي. يأتي عنه حديث نزول آية التبليغ في عليٍّ عليه السلام.

٢٥٠ - فضل الله بن أبي سعيد الحسن الشافعيّ التور بشتيُّ (بالمثناة المضمومة) ترجمه السبكيُّ في طبقاته ج ٤ ص ١٤٦ وقال: رجلٌ محدِّثٌ فقيهٌ من أهل شيراز شرح مصابيح البغوي شرحاً حسناً، وروى صحيح البخاري عن عبد الوهاب ابن المغرم (بإسناده) وأظنُّ هذا الشيخ مات في حدود الستين

---

(١) ذكره له الجلبي في كشف الظنون ج ٢ ص ٣٢٣.

والستمائة. ووقعة التتار أوجبت عدم المعرفة بحاله. ثم ذكر من الفوائد المذكورة في شرح المصابيح له. رواه في كتابه «المعتمد في المعتمد»[١].

٢٥١ ـ الحافظ محيي الدين يحيى بن شرف بن حسن أبوزكريّا النوويّ[٢] الدمشقيّ الشافعيّ المتوفّى ٦٧٦، ترجمه السبكيّ في طبقاته ج ٥ ص ١٦٦ ـ ٦٨ وبالغ في الثناء عليه، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٢٧٨ وقال: شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه، وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحري والإنجماع عن الناس على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وذكر تآليفه وأطراه، وبسط القول في ترجمته الذهبي في تذكرته ج ٤ ص ٢٥٩ ـ ٦٤. مرّ الحديث عن تأليفه رياض الصالحين ص ٥٩ وقال في تهذيبه الأسماء واللغات: وفي كتاب الترمذيّ عن أبي سريحة الصحابيّ أو زيد بن أرقم ـ شكٌّ ـ شعبة ـ عن النبيّ ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، رواه الترمذيّ وقال: حديثٌ حسنٌ والشك في عين الصحابيّ لا يقدح في صحّة الحديث لأنّهم كلّهم عُدولٌ.

٢٥٢ ـ الشيخ مجد الدين عبدالله بن محمود بن مورود الحنفيّ الموصليّ المولود ٥٩٩ والمتوفّى ٦٨٣، ترجمه أبو الحسنات في الفوائد البهيّة ص ١٠٦، وقال: كان من أفراد الدهر في الفروع والأصول ولم يزل يفتي ويدرّس إلى أن مات. يروي عنه ابن الحمويه صاحب فرائد السمطين حديث مناشدة رجل جابر الأنصاريّ الآتي.

٢٥٣ ـ القاضي ناصر الدين عبدالله عمر أبو الخير البيضاويّ الشافعيّ المتوفّى ٦٨٥، صاحب الطوالع، والمصباح في أصول الدين، والغاية القصوى في الفقه، والمنهاج في أصول الفقه، ومختصر الكشاف في التفسير، وشرح المصابيح في الحديث، قال السبكي في طبقاته ج ٥ ص ٥٩: كان إماماً مبرّزاً نظّاراً صالحاً متعبّداً زاهداً ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز، وترجمه ابن

---

(١) ذكره له الجلبي في كشف الظنون ج ٢ ص ٤٦٢.
(٢) نوى: قرية من قرى حوران.

كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٣٠٩ وقال: مات بتبريز. مرّ عن طوالع أنواره ص٢٥.

٢٥٤ ـ الحافظ أحمد بن عبدالله فقيه الحرم محبُّ الدين أبو العباس الطبريُّ المكي الشافعيُّ المتوفّى ٦٩٤، ترجمه السبكيُّ في طبقاته ج ٥ ص ٩ وأثنى عليه، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٣٤٠، وعدَّه الذهبيُّ من الحفّاظ في تذكرته ج ٤ ص ٢٦٤ وقال: تفقَّه ودرس وأفتى وصنَّف وكان شيخ الشافعيَّة ومحدِّث الحجاز، وكان إماماً صالحاً زاهداً كبير الشأن. أخرج حديث الغدير في كتابيه الرياض النضرة، وذخائر العقبى بعدَّة طرق يأتي ببعضها حديث مناشدة الرحبة، وحديث الركبان، والتهنئة، ومرَّ ببعضها في ص٤٠ و٤٧ و٥١ و٥٦ و٧٣ و٧٧ و٨٣.

٢٥٥ ـ إبراهيم بن عبدالله الوصّابي اليمنيُّ الشافعيُّ، مؤلّف كتاب الإكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء. ذكر حديث الغدير بعدَّة طرق في الإكتفاء المذكور يأتي بعضها في حديثي المناشدة في الرحبة، وإحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، ونزول آية سأل سائِلٌ حول قضية الغدير، ومرَّ منها ص٤٣ و٤٥ و٤٧ و٦٦ و٧٧ و٧٨ و٨١ و٨٤ و٨٥.

٢٥٦ ـ سعيد الدين محمّد بن أحمد الفرغانيّ شارح القصيدة التائيَّة لابن فارض توفّي حدود ٧٠٠، وأرَّخ الذهبيُّ وفاته في العِبر ٦٩٩، وهو أوَّل شارح للتائيَّة المذكورة حكي أنه قرأها أوَّلاً على جلال الدين الروميِّ المولويِّ، ثم شرحها فارسيّاً ثمّ عربيّاً وسمّاه «منتهى المدارك» وهو كبير، كذا ذكره الچلبي في كشف الظنون ج ١ ص ٢٠٩، وعن الكفوي: إنّه كان جامعاً للعلوم الشرعيَّة والحقيقيَّة وكان لسان عصره وبرهان دهره ودليل طريق الحق وسرَّ الله بين الخلق. توجد ترجمته في عبقات الأنوار ج ١ ص ٢٧٠. يأتي لفظه في الكلمات حول مفاد الحديث.

(القرن الثامن)

٢٥٧ ـ شيخ الاسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين محمّد بن المؤيَّد الحمويه الخراسانيُّ الجوينيُّ المتوفّى ٧٢٢، عن٧٨ عاماً، أطراه الذهبيُّ في

تذكرته ج ٤ ص ٢٩٨ بالإمام المحدِّث الأوحد الأكمل، وقال: كان شديد الإعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء وعلى يده أسلم الملك غازان، وترجمه ابن حجر في الدرر ج ١ ص ٦٧ وأطراه. أخرج حديث الغدير بطرق كثيرة في كتابه - فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين - الموجود عندنا، مرّ عنه ص ٣٥ و٤٠ و٤٣ و٤٥ و٤٨ و٥٦ و٦٤ و٦٨ و٦٩ و٨١ و٨٢ و٩٤، ويأتي عنه حديث المناشدة بالرحبة، ومناشدة رجل عراقي جابر الأنصاري، وإحتجاج عمر بن عبد العزيز، ونزول آية إكمال الدين في عليّ عليه السلام، ونزول آية سألَ سائِلٌ حول قضية الغدير، وحديث التهنئة.

٢٥٨ - علاء الدين أحمد بن محمّد بن أحمد السمنانيُّ المولود ٦٥٩ والمتوفّى ٧٣٦[١] ترجمه ابن حجر في الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥٠ وقال: تفقّه وطلب الحديث وشارك في الفضائل وبرع في العلم، قال الذهبيُّ: كان إماماً جامعاً كثير التلاوة وله وقع في النفوس، وذكر أنَّ مصنَّفاته تزيد على ثلاثمائة، أخذ عنه صدر الدين ابن حمويه. يأتي لفظه عن كتابه «العروة الوثقى» في ذكر الكلمات حول سند الحديث.

٢٥٩ - الحافظ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الدمشقي أبو الحجاج المزّي[٢] الشافعيُّ المتوفى ٧٤٢ ترجمه السبكيُّ في طبقاته ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٦٧ وقال: شيخنا وأستاذنا وقدوتنا الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزّي حافظ زماننا، حامل راية السنَّة والجماعة، والقائم بأعباء هذه الصناعة، والمتدرِّع بجلباب الطاعة، إمام الحفّاظ، إلخ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٤ ص ١٩١، وابن حجر في الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥٧ - ٤٦١، وحكى عن ابن سيِّد الناس إنّه قال: وجدت بدمشق من أهل العلم الإمام المقدَّم والحافظ الذي فاق من تأخّر من أقرانه ومَن تقدَّم، أبا الحجاج، بحر هذا العلم الزاخر وحبره القائل: كم ترك الأوَّل للآخر، أحفظ الناس للتراجم

(١) ذكره السلامي كما في منتخب المختار ص ١٦٢ وأرخ وفاته بسنة ٧٣٥.
(٢) نسبة إلى مزة بالتشديد: قرية من قرى دمشق.

وأعلمهم بالرواة. إلى آخر الثناء عليه. روى الحديث في تهذيب الرجال، مرّ عنه ص ٣٥ و٣٩ و٤٣ و٥٨، ورواه في «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» عن الترمذي، والنسائي، بإسنادهما عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم بالسند واللفظ المذكورين ص ٥٣ وعن ابن ماجة، بالسند واللفظ المذكورين في ص ٦٣ عن عبد الرحمن عن سعد.

٢٦٠ ـ الحافظ شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٧٤٨ ترجمه الجزريُّ في طبقات القرّاء ج ٢ ص ٧١ وقال: أستاذٌ ثقةٌ كبيرٌ (إلى أن قال): واشتغل بالحديث وأسماء رجاله فبلغت شيوخه في الحديث وغيره ألفاً، وذكره السبكي في طبقاته ج ٥ ص ٢١٦ ـ ٢١٩ وأثنى عليه وبالغ وأطنب، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ١٤ ص ٢٢٥ وقال: الحافظ الكبير مؤرِّخ الإسلام وشيخ المحدِّثين، قد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه، وترجمه ابن حجر في الدرر ج ٣ ص ٣٣٦ ـ ٣٨ وقال: مهر في فنّ الحديث وجمع تاريخ الاسلام فأربى فيه على من تقدَّم بتحرير أخبار المحدِّثين خصوصاً، ثم ذكر تآليفه وأثنى عليها. أفرد كتاباً في حديث الغدير كما يأتي في المؤلِّفين فيه، ومرّ عنه ص٥٦ و٥٨ و٦٥ و٨١.

٢٦١ ـ نظام الدين حسن بن محمَّد القميُّ النيسابوريُّ صاحب التفسير الكبير المسمّى بغرائب القرآن المطبوع غير مرّة بمصر وإيران. رواه في تفسيره، راجع ص ٤٠ و٦٨ و٧٨، ويأتي عنه حديث نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام حول واقعة الغدير.

٢٦٢ ـ وليُّ الدين محمَّد بن عبدالله الخطيب العمريُّ التبريزيُّ مؤلّف «مشكاة المصابيح» سنة ٧٣٧. مرّ عنه ص ٤٠ و٥٩، ويأتي عنه حديث التهنئة بطريق أحمد.

٢٦٣ ـ تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم أبو محمَّد القيسيُّ الحنفيُّ النحويُّ المتوفّى ٧٤٩، ترجمه الجزريّ في طبقات القراء ج ١ ص ٧٠ وأثنى عليه، وابن حجر في الدرر ج ١ ص ١٧٤ ـ ٦، وذكر مشايخه وتآليفه

وقال: تقدَّم في الفقه ودرس وناب في الحكم، وعدَّ من تآليفه التذكرة، وذكره السيوطيُّ في بغية الوعاة ص ١٤٠ ـ ٤٣ وأثنى عليه، وذكر تآليفه وعدَّ منها التذكرة وقال: في ثلاث مجلّدات سمّاها «قيد الأوابد» وقفت عليها بخطِّه من المحموديَّة. ذكر في كتابه التذكرة المذكورة أبيات حسان في حديث الغدير تأتي في شعراء القرن الأوّل.

٢٦٤ ـ زين الدين عمر بن مظفَّر بن عمر المعرّيُّ الحلبيُّ الشافعيُّ المشهور بابن الورديِّ المتوفّى ٧٤٩، ترجمه السيوطيُّ في بغية الوعاة وقال: كان إماماً بارعاً في الفقه والنحو والأدب مفنِّناً في العلم، ونظمه في الذروة العليا والطبقة القصوى، وله فضائل مشهورة، ثم ذكر تآليفه وشطراً من شعره، وذكره ابن حجر في الدرر ج ٣ ص ١٩٥، وأثنى عليه وعلى تآليفه وذكر نماذج من شعره. روى حديث الولاية في [تتمَّة المختصر في أخبار البشر] المطبوع بمصر.

٢٦٥ ـ جمال الدين محمَّد بن يوسف بن الحسن بن محمَّد الزرنديُّ المدنيُّ الحنفيُّ شمس الدين المتوفّى بضع وخمسين وسبعمائة، ترجمه معاصره السلاميُّ كما في منتخب المختار ص ٢١٠، وذكر مشايخه وإجتماعه به، وذكره ابن حجر في الدرر ج ٤ ص ٢٩٥ وقال: صنَّف [نظم درر السمطين في مناقب السبطين]، ورأس بعد أبيه بالمدينة وصنَّف كتباً عديدة ودرس في الفقه والحديث، ثم رحل إلى شيراز فولي القضاء بها حتى مات سنة سبع أو ثمان وأربعين، ذكره ابن فرحون، وحكي عن مشيخة الجنيد إنّه أرَّخ وفاته بشيراز سنة بضع وخمسين، وعبَّر عنه ابن الصبّاغ المالكيُّ في فصوله المهمّة بالشيخ الإمام العلامة المحدِّث بالحرم الشريف النبويِّ. قال في [نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين]: روى الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله، بسنده إلى البراء بن عازب قال: أقبلنا مع النبيِّ ﷺ. إلى آخر اللفظ الآتي في حديث التهنئة.

٢٦٦ ـ القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجيُّ الشافعيّ المتوفّى ٧٥٦،

قال السبكي في طبقاته ج ٦ ص ١٠٨ : كان إماماً في المعقولات عارفاً بالأصلين والمعاني والبيان والنحو مشاركاً في الفقه له في علم الكلام كتاب المواقف، وذكره ابن حجر في الدرر ج ٢ ص ٣٢٢ وأثنى عليه وعَدَّ تآليفه. مرّ لفظه عن المواقف ص ٢٥.

٢٦٧ - سعيد الدين محمَّد بن مسعود بن محمد بن خواجة مسعود الكازروني المتوفّى ٧٥٨، ترجمه ابن حجر في الدرر ج ٤ ص ٢٥٥ وذكر مشايخه ثمّ قال: كان سعيد الدين محدِّثاً فاضلاً سمع الكثير وأجاز له المزّي. اهـ. وهو تلميذ ابن الحمويه مؤلِّف «فرائد السمطين» المذكور ص ١٥٨ والراوي عنه. قال في كتابه [المنتقى في سيرة المصطفى]: وقال: ﷺ في عليٍّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

٢٦٨ - أبو السعادات عبدالله بن أسعد بن علي اليافعيُّ الشافعيُّ اليمنيُّ ثمَّ المكيُّ المتوفّى ٧٦٨، ذكره السبكيُّ في طبقاته ج ٦ ص ١٠٣، وأثنى عليه بالصلاح والتصانيف الكثيرة والنظم الكثير، وترجمه ابن حجر في الدرر ج ٢ ص ٢٤٧ - وذكر مشايخه في الحديث والفقه وأطراه، وقال: له كلام في ذمِّ ابن تيميَّة. عدَّ حديث الغدير إرسال المسلّم من مناقب أمير المؤمنين في تاريخه مرآة الجنان ج ١ ص ١٠٩ من طريق أحمد بن حنبل.

٢٦٩ - الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعيُّ القيسيُّ الدمشقيُّ المتوفّى ٧٧٤، ترجمه ابن حجر في الدرر ج ١ ص ٣٨٤، وذكر مشايخه وتآليفه، ثمّ قال: قال الذهبيُّ في المعجم المختصّ: الإمام المفتي المحدِّث البارع فقيهٌ متفنِّنٌ محدِّثٌ متقنٌ مفسِّرٌ نقّالٌ له تصانيف مفيدة. روى الحديث بطرقه الكثيرة في تاريخه الكبير، مرّ منها ص ٣٥ و٤٠ و٤٥ و٤٧ و٤٩ و٥١ و٥٨ و٦٥ و٦٨ و٧١ و٧٣ و٧٧ و٧٨ و٨٠ و٨١ و٨٣ و٩٦، ويأتي عنه حديث المناشدة بالرحبة، وحديث الركبان، ومناشدة شابٌّ أبا هريرة، ومناشدة رجل عراقيٍّ جابر الأنصاري.

٢٧٠ ـ أبو حفص عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة المراغيُّ(١) ثمّ الحلبيُّ ثمّ الدمشقيُّ ثم المزّي الشهير بابن أميلة المولود ٦٧٩ والمتوفى ٧٧٨، ترجمه الجزريُّ في طبقات القرّاء ج ١ ص ٥٩٠، وابن حجر في الدرر ج ٣ ص ١٥٩ وقال: مسند العصر حدّث بالكثير وكثر الإنتفاع به وحدّث نحواً من خمسين سنة، وكان كثير التلاوة. ا هـ. وأثنى عليه بالثقة والدين والصلاح والخير ابن الجزري في طبقات القرّاء، وعن فضل بن روز بهان: كان ثقةً متقناً إليه ينتهي إسناد أكابر المشايخ وأجلّة الأصحاب. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بلفظ عبد الرحمن.

٢٧١ ـ شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن علي الهواريُّ المالكيُّ الشهير بابن جابر الأندلسيُّ المتوفّى ٧٨٠، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثامن.

٢٧٢ ـ السيِّد عليٌّ(٢) بن شهاب بن محمّد الهمداني المتوفّى ٧٨٦، أثنى عليه وعلى تآليفه ومقاماته وكراماته غير واحد من الأعلام، توجد ترجمته في غدير العبقات ج ١ ص ٢٤١ ـ ٤٤. روى حديث الغدير بعدّة طرق في كتابه «مودّة القربى» المطبوع الدائر، مرّ بعضها ص٤٤ و٨٣ و٨٤، ويأتي عنه نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام، وحديث التهنئة.

٢٧٣ ـ الحافظ شمس الدين أبو بكر محمّد بن عبدالله بن أحمد المقدسيُّ الحنبليُّ المعروف بالصامت المتوفّى ٧٨٩، ترجمه الجزريُّ في طبقاته ج ٢ ص ١٧٤ وقال: إمامنا ومبرِّزنا الحافظ الكبير شمس الدين. ثمّ ذكر بعض مشايخ قراءته وتآليفه فأثنى عليه نثراً ونظماً، وترجمه ابن حجر في الدرر ج ٣ ص ٤٦٥، وذكر مشايخه وإجازاته وقال: كان مكثراً شيوخاً وسماعاً وطلب بنفسه فقرأ الكثير فأجاد وخرَّج وأفاد، وكان عالماً متفنِّناً متقشِّفاً منقطع القرين وحدَّث دهراً مات بالصالحيَّة، وتفقَّه إلى أن فاق الأقران وأفتى ودرس وكان كثير

---

(١) نسبة إلى المراغة في آذربايجان قرية من تبريز (أنساب السمعاني).
(٢) يظهر عن بعض المعاجم تلقبه بشهاب الدين.

المروءة. يروي عنه الجزريُّ في أسنى المطالب حديث إحتجاج الصديقة الطاهرة سلام الله عليها بحديث الغدير كما يأتي.

٢٧٤ ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله الهرويُّ التفتازانيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٧٩١ عن نحو ٨٠ عاماً، ترجمه ابن حجر في الدرر ج ٤ ص ٣٥٠ وعدَّ تآليفه ثمّ قال: وله غير ذلك من التصانيف في أنواع العلوم التي تنافس الأئمّة في تحصيلها والإعتناء بها، وكان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار، لم يكن له نظيرٌ في معرفة هذه العلوم، وأثنى عليه وأطراه، وعدَّ تآليفه السيوطيُّ في بغية الوعاة ص ٣٩١. مرّ لفظه عن كتابه شرح المقاصد ص ٢٥.

(القرن التاسع)

٢٧٥ ـ الحافظ عليُّ بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن الهيثميُّ (بالمثلثة) القاهريُّ الشافعيُّ المولود ٧٣٥ والمتوفّى ٨٠٧، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٠٠ ـ ٣ وذكر مشايخه وتآليفه وأثنى عليه وأكثر، وحكى عن التقيِّ الفاسي إنّه قال: كان كثير الحفظ للمتون والآثار صالحاً خيِّراً، وقال الأقفهسي(١): كان إماماً عالماً حافظاً زاهداً متواضعاً متودّداً إلى الناس ذا عبادة وتقشّف وورع. ا هـ. ثمّ قال: والثناء على دينه وزهده وورعه ونحو ذلك كثيرٌ جدّاً، بل هو في ذلك كلمة إتّفاق، وذكره عبد الحيِّ الحنبلي في شذراته ج ٧ ص ٧٠ وأثنى عليه وذكر مشايخه وتآليفه. أخرج حديث الغدير في كتابه الكبير (مجمع الزوائد) بطرق كثيرة صحّح غير واحد منها، مرّ بعضها ص ٤٤ و٤٧ و٥٠ و٥٦ و٥٧ و٦٥ و٦٨ و٧٠ و٧٧ و٧٨ و٨٠ و٨٢ و٨٥، ويأتي عنه حديث المناشدة بلفظ زاذان، وزياد، وزيد بن أرقم، وأبي الطفيل، وحديث الركبان بطريقه صحّحه وقال: رجاله ثقات.

٢٧٦ ـ الحافظ وليُّ الدين عبد الرحمن بن محمّد الشهير بابن خلدون الحضرميُّ الأشبيليُّ المالكيُّ المولود ٧٣٢ والمتوفّى ٨٠٨، صاحب التأريخ

---

(١) أبو الخير محمد بن محمد الزبيري المصري الشافعي المتوفى ٨٤٣.

الدائر، بسط في ترجمته المحبّي في ضوئه اللامع ج ٤ ص ١٤٥ ـ ٤٩، وذكر مشايخه في العلوم المتنوّعة معقولاً ومنقولاً، وعدَّ تآليفه وأثنى عليها وعليه. ذكر في مقدّمة تاريخه ص ١٣٨ في بيان النصّ على الإمامة عند الإماميّة: أنه جليٌّ وخفيٌّ فالجليُّ مثل قوله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. ثمّ قال: قالوا: ولم تطّرد هذه الولاية إلّا في عليٍّ، ولهذا قال عمر: أصبحت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، ثم أوعز إلى المناقشة في مفاده.

٢٧٧ ـ السيِّد الشريف الجرجاني عليُّ بن محمَّد بن عليٍّ أبو الحسن الحسينيُّ الحنفيُّ المتوفّى ٨١٦ بشيراز، ترجمه السخاويُّ في الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ ـ ٣٠ وأثنى عليه، وقال: وصفه العفيف الجرهي في مشيخته بالعلامة فريد عصره ووحيد دهره سلطان العلماء العالمين إفتخار أعاظم المفسِّرين، ثم ذكر جمل الثناء عليه وعدَّ تآليفه، وبسط القول في ترجمته أبو الحسنات في الفوائد البهيَّة ص ١٢٥ ـ ١٣٤ بذكر مشايخه وتآليفه وإطرائه. روى حديث الغدير في شرح المواقف كما مرّ ص ٢٥.

٢٧٨ ـ محمَّد بن محمَّد بن محمود الحافظيُّ البخاريُّ المعروف بـ (خواجة پارسا) المولود ٧٥٦ والمتوفّى ٨٢٢، ترجمه السخاوي في ضوئه اللامع ج ١٠ ص ٢٠، وذكره أبو الحسنات في فوائده ص ١٩٩، وقال: قرأ على علماء عصره ومهر على أقرانه، وحصل الفروع والأصول، وبرع في المعقول والمنقول، أخذ الفقه عن أبي الطاهر محمَّد (إلى أن قال): وله تصانيف منها الفصول الستَّة، وفصل الخطاب، وهو تصنيفٌ لطيفٌ شريفٌ حافلٌ لحقائق العلم اللدني وكافلٌ لدقائق الطريق النقشبندي. إلخ. وترجمه طاشكبري زاده في الشقائق ج ١ ص ٢٨٦. يأتي ذكره حديث الغدير عن كتابه المذكور (فصل الخطاب).

٢٧٩ ـ أبو عبدالله محمَّد بن خليفة الوشتانيُّ المالكيُّ المتوفّى ٨/٨٢٧، يأتي عن شرحه صحيح مسلم، إحتجاج أمير المؤمنين يوم الجمل بحديث الغدير.

٢٨- شمس الدين محمّد بن محمَّد بن محمَّد أبو الخير الدمشقيُّ المقريُ الشافعيُّ المعروف بابن الجزري المتوفّى سنة ٨٣٣، توجد له ترجمة ضافية في الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٥٥ - ٢٦٠، وذكر مشايخه في الفقه وأصوله والحديث والمعاني والبيان، وقال: أذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإقراء، وعدّ تصانيفه في شتّى العلوم وأثنى عليها وذكر منها أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، وله ترجمة مفصَّلة في الشقائق النعمانيَّة ج ١ ص ٣٩ - ٤٩، وفي تعاليق الفوائد البهيّة ص ١٤٠. ذكر حديث الغدير بطرق شتّى في كتابه المذكور: أسنى المطالب، مرّ الإيعاز إلى بعضها في ص٣٧ و٣٨ و٤١ و٤٤ ٤٥ و٤٧ و٥٠ و٥١ و٦١ و٦٤ و٦٩ و٧١ و٧٤ و٧٩ و٨٣ و٨٤، ويأتي عنه إحتجاج الصدّيقة صلوات الله عليها بحديث الغدير.

٢٨١ - تقي الدين أحمد بن عليّ بن عبد القادر الحسينيُّ القاهريُّ المقريزيُّ[١] الحنفيُّ المتوفّى ٨٤٥، توجد ترجمته ضافيةً في الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ - ٢٥ وقال: نظر في عدّة فنون وشارك في الفضائل وخطّ بخطه الكثير وانتقى، وقال الشعر والنثر وحصل وأفاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة غير مرّة، والخطابة بجامع عمرو، والإمامة بجامع الحاكم، وقراءة الحديث بالمؤيّديَّة. ثمَّ عدَّ تآليفه وأثنى عليها وقال: قرأت بخطه أنَّ تصانيفه زادت على مائتي مجلّدة كبار وأنَّ شيوخه بلغت ستمائة نفس. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٤٠ ويأتي عنه حديث التهنئة.

٢٨٢ - القاضي شهاب الدين أحمد بن شمس الدين عمر الدولت الآبادي المتوفّى ٨٤٩، صاحب الإرشاد في النحو، وهداية السعداء، والبحر الموّاج في التفسير، توجد له ترجمةٌ ضافيةٌ في العبقات ج ٢ ص ٢٩ - ٣٣. يأتي لفظه في الكلمات حول مفاد الحديث، ونزول آية سأل سائِلٌ حول قضيَّة الغدير.

٢٨٣ - الحافظ أحمد بن عليّ بن محمَّد أبو الفضل العسقلانيُّ المصريُّ الشافعيُّ المعروف بابن حجر المولود ٧٧٣ والمتوفّى ٨٥٢، صاحب الإصابة،

---

(١) نسبة إلى حارة ببعلبك كانت تعرف بحارة المقارزة.

وتهذيب التهذيب، بسط القول في ترجمته السخاوي في ضوئه اللامع ج ٢ ص ٣٦ ـ ٤٠ وذكر مشايخه وتآليفه وأطراه وقال: إمام الأئمَّة، قد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامّة والذهن الوقّاد والذكاء المفرط وسعة العلم في فنون شتّى، وشهد له شيخه العراقي بأنّه أعلم أصحابه بالحديث، وقال: كلٌّ من التقيّ الفاسي والبرهان الحلبي: ما رأينا مثله، وذكره عبد الحيّ في شذراته ج ٧ ص ٢٧٠ ـ ٧٣ وقال: برع في الفقه والعربيّة وصار حافظ الإسلام. ثم أطنب في الثناء عليه وذكر تآليفه وأطراها. مرّ الإيعاز إلى حديثه في ص ٣٦ و٤٢ و٤٦ و٥١ و٥٩ و٦٢ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٩ و٨٠ و٨٥ و٨٦، ويأتي عنه حديثا مناشدة الرحبة، والركبان.

٢٨٤ ـ نور الدين علي بن محمَّد بن أحمد الغزّيُّ الأصل المكيُّ المالكيُّ المعروف بابن الصبّاغ المولود ٧٨٤ والمتوفّى ٨٥٥، يروي عنه السخاوي بالإجازة وترجمه في ضوئه اللامع ج ٥ ص ٢٨٣، وذكر مشايخه في الفقه وغيره ثمّ قال: له مؤلّفات منها الفصول المهمَّة لمعرفة الأئمَّة وهما اثنا عشر، والعِبر فيمن شفَّه النظر. اهـ. ينقل عن فصوله المهمَّة الصفوريّ في نزهة المجالس، والشيخ أحمد بن عبد القادر الشافعيُّ في ذخيرة المآل، والشبلنجيُّ في نور الأبصار. مرّ حديثه ص ٤٠ و٤٨ و٥٦ و٦٨ و٧١ ويأتي عنه في آية التبليغ، وحديث التهنئة.

٢٨٥ ـ محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد قاضي القضاة بدر الدين الشهير بالعينيّ[1] الحنفيُّ المولود بمصر ٧٦٢ والمتوفّى ٨٥٥، توجد ترجمته في الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣١ ـ ١٣٥ ذكر أساتذته في الفقه وأصوله والحديث والأدب، وعدّ تآليفه وأثنى عليها، وقال: حدَّث وأفتى ودرس وأخذ عنه الأئمَّة من كلٍّ مذهب طبقة بعد اخرى، بل أخذ عنه أهل الطبقة الثالثة وكنت ممن قرأ عليه أشياء، ذكره ابن الخطيب الناصريَّة في تاريخه فقال: إمامٌ عالمٌ فاضلٌ مشاركٌ في علوم وعنده حشمةٌ ومروءةٌ وعصبيَّةٌ وديانةٌ وترجمه السيوطيُّ في بغية

---

(١) نسبة إلى عين تاب: بلدة كبيرة على ثلاث مراحل من حلب.

الوعاة ص ٣٨٦ وأثنى عليه وذكر مشايخ قراءته وتآليفه وقال: كان إماماً عالماً علامةً عارفاً بالعربيّة والتصريف وغيرهما، وذكره أبو الحسنات في فوائده ص ٢٠٧. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٦٩ ويأتي لفظه في آية التبليغ.

٢٨٦ ـ نجم الدين محمَّد ابن القاضي عبدالله بن عبد الرحمن الأذرعيُّ (الزرعي) الدمشقيُّ الشافعيُّ المعروف بابن عجلون المولود ٨٣١، والمتوفّى ٨٧٦، قال السخاوي في ضوئه اللامع ج ٨ ص ٩٦: كان إماماً علامةً متقناً حجَّة ضابطاً جيِّد الفهم لكن حافظته أجود ديِّناً عفيفاً وافر العقل. وذكر مشايخ قراءته في الفقه وأصوله والحديث والتفسير والمنطق والعربية وعدّ تصانيفه، وترجمه عبد الحي في شذراته ج ٧ ص ٣٢٢، وقال: إنّه الإمام العلامة أخذ عن علماء عصره وبرع ومهر أخذ عنه مَن لا يُحصى، وتوجد ترجمته في البدر الطالع ج ٢ ص ١٩٧. يأتي لفظه في شعر أبي عبدالله الشيباني في شعراء الغدير.

٢٨٧ ـ علاء الدين عليُّ بن محمَّد القوشجي[1] المتوفّى ٨٧٩، ترجمه بدر الدين في تعاليق الفوائد البهيَّة ص ٢١٤، وذكر تآليفه وقال: كان ماهراً في العلوم الرياضيّة وعبَّر عنه الكاتب الچلبي في كشف الظنون في ذكر شرح التجريد له بالمولى المحقِّق. وأثنى على شرحه، وترجمه الطاشكبري زاده في الشقائق النعمانيَّة ج ١ ص ١٧٧ ـ ١٨١ وأثنى عليه بالمولى الفاضل وترجمه الشوكانيُّ في البدر الطالع ج ١ ص ٤٩٥. ذكره في شرح التجريد كما مرّ ص ٢٥.

٢٨٨ ـ عبدالله بن أحمد بن محمّد الشهير بالسيّد، أصيل الدين الحسينيّ الإيجيّ الشافعيّ نزيل مكّة المتوفى ٨٨٣، ترجمه المؤرِّخ الكبير غياث الدين في حبيب السير التاريخ الكبير، وأثنى عليه وأكثر وقال بالفارسية ما معناه: له تقدُّمٌ على علماء العالم وسادات بني آدم بالجلالة والنباهة والتقوى والدين والورع، له كتاب: درج الدرر في سيرة سيِّد البشر. وذكره السخاوي في ضوئه اللامع ج ٥

(١) كلمة تركية معناها صاحب الطير، لقب بها والده خادم الغ بيك ملك ما وراء النهر حافظ البازي له.

ص ١٢ وقال: هو من الأفاضل الذين أخذوا عنّي بمكّة مع الدين والتواضع والتقنّع والأدب وجودة الخطّ والضبط والمحاسن الجمّة. ذكر ترجمة حديث الغدير المرويّ بلفظ البراء الآتي في حديث التهنئة في كتابه المذكور «درج الدرر» وعدّه من الأمور الكلّية الواقعة في حجّة الوداع.

٢٨٩ ـ أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن يوسف الحسينيُّ السنوسيُّ التلمسانيُّ المتوفّى ٨٩٥، أفرد تلميذه الملالي كتاباً في أحواله وسيره وفوائده أسماه بـ [المواهب القدسيّة في المناقب السنوسية] أثنى عليه وأكثر راجع معجم المطبوعات، ج ١ ص ١٠٥٨. يأتي عن شرحه صحيح مسلم إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة يوم الجمل بحديث الغدير.

٢٩٠ ـ أبو الخير فضل الله بن روز بهان بن فضل الله الخنجيُّ الشيرازيُّ الشافعيُّ المعروف بخواجة ملا، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ج ٦ ص ١٧١ وذكر مشايخه وقال: تقدّم في فنون من عربيّة ومعان وأصلين وغيرها مع حسن سلوك وتوجّه (إلى أن قال): وبلغني في سنة سبع وتسعين أنه كان كاتباً في ديوان السلطان يعقوب لبلاغته وحسن إشارته. يأتي لفظه عن كتابه [إبطال الباطل] في الكلمات حول سند الحديث.

(القرن العاشر)

٢٩١ ـ كمال الدين حسين بن معين الدين اليزديُّ الميبذيُّ[1] شارح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، شرحه سنة ٨٩٠، وألّف كتاباً في الحكمة والفلسفة بشيراز سنة ٨٩٧، وله شرح حديث ألّفه ٩٠٨، فما في بعض المعاجم من انّه توفي ٨٧٠ ليس في محلّه، وتآليفه تنمُّ عن مشاركته في العلوم. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٤٠ و٥٦، ويأتي عنه في حديث التهنئة، وآية إكمال الدين.

٢٩٢ ـ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين المصريُّ

---

(١) نسبة إلى ميبذ. معجمة الآخر، قرية كبيرة على رأس عشرة فراسخ من يزد.

السيوطيُّ(١) الشافعيُّ المتوفّى سنة ٩١١، ترجمه عبد الحيّ في شذراته ج ٨ ص ٥١ ـ ٥٥ وقال: المسند المحقّق المدقّق صاحب المؤلّفات الفائقة النافعة، وأثنى عليه وأكثر وذكر تآليفه وقال: انّه رأى النبيَّ ﷺ بضعاً وسبعين مرّة يقظة، وحكى له كرامة طيِّ الأرض وأخذ صاحبه معه من القرافة إلى مكة ذهاباً وإياباً بخطوات عديدة، وذكره ابن العيدروس في النور السافر ص ٥٤ ـ ٥٧ وأثنى عليه، وذكر بعض كراماته وتآليفه. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٣٥ و٣٩ و٤٢ و٤٥ و٤٧ و٥٠ و٥٩ و٦٦ و٦٨ و٧٠ و٧٧ و٧٨ و٨٠، ويأتي عنه حديث مناشدة امير المؤمنين عليه السلام يومي الشورى، والرحبة بحديث الغدير، ونزول آيتي التبليغ، وإكمال الدين، في عليّ عليه السلام حول واقعة الغدير.

٢٩٣ ـ نور الدين عليُّ بن عبدالله بن أحمد الحسنيُّ المدنيُّ السمهوديُّ الشافعيُّ المتوفّى ٩١١، ترجمه عبد الحيّ في شذرات الذهب ج ٨ ص ٥٠ وقال: نزيل المدينة المنوَّرة وعالمها ومفتيها ومدرِّسها ومؤرِّخها الشافعي الإمام القدوة الحجَّة المفنِّن، ثم عدّ مشايخه وتآليفه وأثنى عليها، وذكره ابن العيدروس في النور السافر ص ٥٨ ـ ٦٠ وذكر مشايخه وعدّ تآليفه وأطراها، وترجمه الشوكاني في النور الطالع ج ١ ص ٤٧٠. مرَّ الإيعاز إلى حديثه ص ٣٧ و٣٨ و٣٩ و٤٣ و٤٨ و٥١ و٧٠ و٧٤ و٨٠، ويأتي عنه إحتجاج عمر بن عبد العزيز بحديث الغدير، وحديث التهنئة.

٢٩٤ ـ الحافظ أحمد بن محمّد بن أبي بكر أبو العباس القسطلانيُّ المصريُّ الشافعيُّ المتوفّى ٩٢٦، توجد ترجمته في النور السافر ص ١١٣ ـ ١٥ ذكر مشايخه وعدَّ تآليفه، وقال: كان إماماً حافظاً متقناً جليل القدر، حسن التقرير والتحرير، لطيف الإشارة بليغ العبارة، حسن الجمع والتأليف، لطيف الترتيب والترصيف، كان زينة أهل عصره، ونقاوة ذوي دهره، وذكر من تآليفه المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّدية، وشرح صحيح البخاري (كلاهما موجودان عندنا)

---

(١) نسبة إلى أسيوط، مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد.

وترجمه الشوكاني في النور الطالع ج ١ ص ١٠٢. يأتي لفظه عن مواهبه اللدنية في الكلمات حول سند الحديث.

٢٩٥ ـ السيِّد عبد الوهاب بن محمَّد رفيع الدين أحمد الحسينيُّ البخاريُّ المتوفّى ٩٣٢ توجد ترجمته والثناء عليه وذكره الجميل بالعلم والعمل في (أخبار الأخيار) للشيخ عبد الحق الدهلوي، وتذكرة الأبرار للسيِّد محمّد[1]. يأتي عن تفسيره نزول آية التبليغ في عليّ عليه السلام حول واقعة الغدير.

٢٩٦ ـ الحافظ عبد الرحمن بن عليّ المعروف بـ (ابن الديبع)[2] أبو محمّد الشيبانيّ الشافعيُّ المولود ٨٦٦، والمتوفّى ٩٤٤، ترجمه ابن العيدروس في النور السافر ص ٢١٢ ـ ٢٢١، وأكثر في الثناء عليه وذكر تآليفه وقال: الإمام الحافظ الحجَّة المتقن شيخ الإسلام، علامة الأنام، الجهبذ الإمام، مسند الدنيا، أمير المؤمنين في حديث سيِّد المرسلين، خاتمة المحقّقين، شيخ مشايخنا المبرَّزين. وذكره الشوكاني في البدر الطالع ج ١ ص ٣٣٥، وعدّ مشايخه في الفقه والحديث والتفسير والحساب والهندسة وذكر تآليفه. في تيسير الوصول إلى جامع الأصول ج ٣ ص ٢٧١.

٢٩٧ ـ الحافظ شهاب الدين أحمد بن محمَّد بن عليِّ بن حجر الهيتميُّ السعديُّ الأنصاريُّ الشافعيّ المولود ٩٠٩، والمتوفّى بمكة المكرَّمة ٩٧٤، بسط القول في ترجمته ابن العيدروس في النور السافر ص ٢٨٧ ـ ٩٢، وقال: الشيخ الإمام شيخ الإسلام خاتمة أهل الفتيا والتدريس، كان بحراً في علم الفقه وتحقيقه لا تدركه الدلاء، إمام الحرمين كما أجمع على ذلك العارفون وانعقدت عليه خناصر الملأ، إمام إقتدت به الأئمة، وهمام صار في إقليم الحجاز امَّة، مصنَّفاته في العصر آية يعجز عن الإتيان بمثلها المعاصرون فهم عنها قاصرون، ثم عدّ مشايخه وتآليفه وأثنى عليها، وتوجد ترجمته في البدر الطالع ج١ ص ١٠٩. مرَّ الحديث عنه ص ٤٩ ويأتي عنه تفصيل ما ذكره في الكلمات حول سند الحديث.

---

(١) راجع العبقات ج ١ ص ٥٣٤ ـ ٣٧.

(٢) معناه بلغة النوبية، الأبيض.

٢٩٨ - المتّقي عليّ بن حسام الدين ابن القاضي عبد الملك القرشيّ الهنديُ نزيل مكّة المشرَّفة والمتوفّى بها سنة ٩٧٥، صاحب الكتاب القيِّم الكبير كنز العمال، توجد له ترجمةٌ ضافيةٌ في النور السافر ص ٣١٥ - ١٩ قال: كان من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين على جانب عظيم من الورع والتقوى والإجتهاد في العبادة ورفض السوي، له مصنَّفات عديدة، وذكروا عنه أخباراً حميدة. ثمّ ذكر من مناقبه قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله له في المنام: انَّه أفضل الناس في زمانه. فقال: مؤلَّفاته كثيرةٌ نحو مائة مؤلَّف ما بين صغير وكبير، ومحاسنه جمَّة ومناقبه ضخمة قد أفردها العلامة عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكّي في تأليف لطيف سمّاه [القول النقيُّ في مناقب المتقي] ذكر فيه من سيرته الحميدة ورياضاته العظيمة ومجاهداته الشاقَّة ما يبهر العقول، إلى أن قال: وبالجملة فما كان هذا الرجل إلاّ من حسنات الدهر وخاتمة أهل الورع ومفاخر الهند، وشهرته تغني عن ترجمته، وتعظيمه في القلوب يغني عن مدحه. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٣٥ و٣٩ و٤٢ و٤٣ و٤٥ و٤٤ و٥١ و٦٦ و٦٨ و٧٣ و٧٧ و٨١ و٨٤ ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بطرق شتى.

٢٩٩ - شمس الدين محمَّد بن أحمد (في الشذرات: محمَّد) الشربينيُّ القاهريُّ الشافعيُّ المتوفّى ٩٧٧، صاحب التأليفين الضخمين: تفسيره (السراج المنير ط ج ٤) المؤلَّف سنة ٩٦٨، والإقناع في حلِّ ألفاظ أبي شجاع (ط ج ٢) وعُدَّ له في المعاجم من مطبوع تآليفه ثمانية، ترجمه عبد الحيّ في شذراته ج ٨ ص ٣٨٤ وقال: الخطيب الإمام العلامة (الشربيني) قال في الكواكب: أخذ عن الشيخ أحمد البرلسي (فعدَّ مشايخه إلى أن قال): وأجازوه بالإفتاء والتدريس، فدرس وأفتى في حياة أشياخه وانتفع به خلائق لا يُحصون، وأجمع أهل مصر على صلاحه ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة النسك والعبادة (ثم ذكر بعض تآليفه وخطواته في الإصلاح) فقال: وبالجملة كان آيةً من آيات الله تعالى وحجَّةً من حججه على خلقه. يأتي عن تفسيره حديث نزول آية سأل سائِلٌ في عليٍّ عليه السلام حول واقعة الغدير.

٣٠٠ - ضياء الدين أبو محمَّد أحمد بن محمَّد الوتريُّ الشافعيُّ المتوفّى

بمصر عشر الثمانين والتسعمائة. ذكر حديث الولاية إرسال المسلّم في كتابه روضة الناظرين ص ٢.

٣٠١ ـ الحافظ جمال الدين محمَّد طاهر الملقَّب بملك المحدِّثين الهنديُّ الفتَّنيُّ[١] المقتول ٩٨٦، من تلامذته ابن حجر الهيتميِّ والشيخ علي المتقي الهنديِّ، ترجمه ابن العيدروس في النور السافر ص ٣٦١ وأثنى عليه وأكثر وبالغ، وعدَّ جمعاً من مشايخه وقال: برع في فنون عديدة وفاق الأقران حتى لم يُعلم أن أحداً من علماء كجرات بلغ مبلغه في فنِّ الحديث، كذا قاله بعض مشايخنا، وله تصانيف نافعة منها [مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار]. وتوجد ترجمته في تعاليق الفوائد البهيّة ص ١٦٤، قال بعد الثناء عليه: وقد طالعت من تصانيفه مجمع البحار في غريب الحديث، والمغني في ضبط أسماء الرجال[٢] وقانون الموضوعات في ذكر الضعفاء والوضّاعين، وتذكرة الموضوعات في الأحاديث الموضوعة، وكلّها مشتملة على فوائد جليلة، وذكره عبد الحيّ في الشذرات ج ٨ ص ٤١٠ وذكر مشايخه، وقال: كان عالماً عاملاً متضلّعاً متبحِّراً ورعاً وله مصنَّفات منها مجمع بحار الأنوار. إلخ. ذكر في مجمع البحار المذكور ما ذكره ابن الأثير في النهاية حول حديث الغدير.

٣٠٢ ـ ميرزا مخدوم بن عبد الباقي المتوفّى حدود ٩٩٥. ذكر تواتر حديث الغدير ونفى الجزم بدلالته على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في تأليفه نواقض الروافض.

٣٠٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوريّ الشافعيّ مؤلّف «نزهة المجالس» المطبوع بمصر عدّة طبعات. يأتي عنه نزول آية سأل سائِلٌ في عليّ عليه السلام نقلاً عن القرطبي.

٣٠٤ ـ جمال الدين عطاء الله بن فضل الله الحسينيُّ الشيرازيُّ المتوفّى ١٠٠٠، له كتاب الأربعين في مناقب أمير المؤمنين، وروضة الأحباب

---

(١) نسبة إلى فتن بفتح أوّله والمثناة المشددة المفتوحة بلدة من بلاد الكجرات.

(٢) طبع في هامش التقريب لابن حجر بالهند في المطبع الفاروقي الدهلوي سنة ١٢٩٠.

في سيرة النبيّ والآل والأصحاب، ذكر تفصيل فصوله الكاتب الچلبي في كشف الظنون ج ١ ص ٥٨٢. مرّ الحديث عنه سابقاً ورواه في أربعينه بلفظ حذيفة بن اسيد ويأتي عنه نزول آية التبليغ في عليٍّ عليه السلام، وحديث الركبان، ونصّه بتواتر الحديث في الكلمات حول سند الحديث.

(القرن الحادي عشر)

٣٠٥ ـ الملا عليّ بن سلطان محمَّد الهروي المعروف بالقاري الحنفيُّ نزيل مكّة المشرَّفة المتوفّى ١٠١٤، صاحب تآليف كثيرة قيّمة، ترجمه المحبّي في خلاصة الأثر ج ٤ ص ١٨٥ وقال: أحد صدور العلم فرد عصره الباهر السمت في التحقيق وتنقيح العبارات، وشهرته كافيةٌ عن الإطراء في وصفه، ولد بهراة ورحل إلى مكّة وأخذ بها عن الأستاذ أبي الحسن البكري، ثم عدّ مشايخه فقال: واشتهر ذكره وطار صيته وألَّف التآليف الكثيرة اللطيفة المحتوية على الفوائد الجليلة منها: شرحه على «المشكاة» في مجلّدات أسماه «المرقاة» وهو أكبرها وأجلّها، وشرح الشفاء، وشرح الشمائل، فعدَّ تآليفه وأرّخ وفاته، وقال: ولمّا بلغ خبر وفاته علماء مصر صلّوا عليه بجامع الأزهر صلاة الغيبة في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر، وترجمه الزركلي في أعلامه ج ٢ ص ٦٩٧ وعدَّ تآليفه، وذكر في معجم المطبوعات ج ١ ص ١٧٩٢ عشرين من تآليفه المطبوعة. قال في المرقاة شرح المشكاة في شرح قول المصنّف ـ رواه أحمد، والترمذي ـ: وفي الجامع: رواه أحمد، وابن ماجة، عن البراء، وأحمد عن بريدة، والترمذي، والنسائي، والضياء، عن زيد بن أرقم، ففي إسناد المصنف الحديث عن زيد بن أرقم إلى أحمد، والترمذي مسامحة لا تخفى، وفي رواية لأحمد، والنسائي، والحاكم، عن بريدة بلفظ: مَن كنت وليَّه فعليٌّ وليّه، وروى المحاملي في أماليه عن ابن عباس ولفظه: عليٌّ ابن أبي طالب مولى مَن كنت مولاه، ويأتي عنه في الكلمات حول سند الحديث.

٣٠٦ ـ أبو العباس أحمد چلبي ابن يوسف بن أحمد الشهير بابن سنان القرمانيُّ الدمشقيُّ المتوفّى ١٠١٩، مؤلِّف التاريخ المشهور: أخبار الدُول وآثار

الأول، المطبوع غير مرّة ترجمه المحبّي في خلاصته ج ١ ص ٢٠٩. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٥٠.

٣٠٧ ـ زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدّاديُّ المناويُّ القاهريُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٣١ عن ٧٩ عاماً، بسط القول في ترجمته المحبّي في خلاصة الأثر ج ٢ ص ٤١٢ وقال: الإمام الكبير الحجّة الثبت القدوة صاحب التصانيف السائرة، أجلّ أهل مصره من غير إرتياب، وكان إماماً فاضلاً زاهداً عابداً قانتاً لله خاشعاً له كثير النفع، وكان متقرّباً بحسن العمل، مثابراً على التسبيح والأذكار، صابراً صادقاً، وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام، وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره، ثم ذكر مشايخه في الفقه والأصول والتفسير والحديث والأدب والطريقة والخلوة وعدّ تآليفه الكثيرة وأثنى عليها وأكثر. روى في كنوز الحقائق ص ١٤٧: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. و: مَن كنت وليّه فعليٌّ وليّه. و: عليٌّ مولى مَن كنت مولاه، ويأتي عن كتابه «فيض القدير» في شرح الجامع الصغير حديث نزول آية سأل سائل في واقعة الغدير، كما يأتي ما أفاده في صحة الحديث في الكلمات حول سنده.

٣٠٨ ـ الفقيه شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس الحسينيُّ اليمنيُّ المولود ٩٣٣ والمتوفّى ١٠٤١، ترجمه المحبّي في الخلاصة ج ٢ ص ٢٣٥، وأثنى عليه بالأستاذ الكبير المحدِّث الصوفيِّ الفقيه، وعدّ مشايخه في القراءة باليمن والحرمين والهند وذكر له كرامة برء جرح السلطان إبراهيم المقعد له بأمر منه وإعتناق السلطان مذهب أهل السنّة والجماعة بيده بعد ما كان رافضيّاً، وأثنى عليه السيِّد محمود القادريُّ المدنيُّ في كتابه [الصراط السويِّ] عند النقل عن تأليف المترجم (العقد النبويِّ والسرّ المصطفويِّ) بقوله: الشيخ الإمام والغوث الهمام بحر الحقائق والمعارف السيِّد السند والفرد الأمجد. يأتي عن تأليفه المذكور: العقد النبويِّ. نزول آية سأل سائلٌ حول واقعة الغدير.

٣٠٩ ـ محمود بن محمَّد بن علي الشيخانيُّ القادريُّ المدنيُّ، مؤلِّف

الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ، وكتاب حياة الذاكرين. يأتي عنه نزول آية سأل سائِلٌ حول قضية الغدير، ع ١ ص ٢١٤.

٣١٠ ـ نور الدين عليٌّ بن إبراهيم بن أحمد الحلبيُّ القاهريُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٤٤، صاحب السيرة النبويَّة الشهيرة، ترجمه المحبّيّ في الخلاصة ٣ ص ١٢٢ وقال: الإمام الكبير أجلّ أعلام المشايخ وعلامة الزمان، كان جبلاً من جبال العلم، وبحراً لا ساحل له، واسع الحلم، علامةً جليل المقدار، جامعاً لأشتات العلى، صارفاً نقد عمره في بثّ العلم النافع ونشره، وحظى فيه حظوة لم يحظها أحد مثله، فكان درسه مجمع الفضلاء ومحطّ رحال النبلاء، وكان غايةً في التحقيق، حادَّ الفهم، قويَّ الفكرة، متحرّياً في الفتاوي، جامعاً بين العلم والعمل، صاحب جدٍّ واجتهاد، عمَّ نفعه الناس فكانوا يأتونه لأخذ العلم عنه من البلاد. ثم أطنب في الثناء عليه وذكر مشايخه وتآليفه وأثنى عليها وهي كثيرة. مرّ الحديث عنه ص ٤٩، ويأتي عنه حديث نزول آية سأل سائِلٌ حول واقعة الغدير، كما تأتي كلمته في الكلمات حول سند الحديث.

٣١١ ـ الشيخ أحمد بن الفضل بن محمَّد باكثير المكيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٤٧، ذكره المحبي في الخلاصة ج ١ ص ٢٧١ وقال: من أدباء الحجاز وفضلائها المتمكّنين، كان فاضلاً أديباً له مقدارٌ عليٌّ وفضلٌ جليٌّ، وكان له في العلوم الفلكيَّة وعلم الآفاق والزابرجا يدٌ عالية، وكان له عند أشراف مكّة منزلة وشهرة (إلى أن قال): ومن مؤلَّفاته: حسن المآل في مناقب الآل، جعله باسم الشريف إدريس أمير مكّة، ثم ذكر له قصيدة يمدح بها الشريف الحسنيَّ علي بن بركات. يأتي عنه نزول آية سأل سائل حول واقعة الغدير، ومرّ عنه ص ٣٩ و٧٢ و٨٠، وله كلام حول صحّة الحديث يأتي في الكلمات، كما يأتي كلامه في مفاده في الكلمات حول المفاد.

٣١٢ ـ الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمَّد بن علي اليمنيُّ المتوفّى ١٠٥٠، صاحب التأليف القيِّم المطبوع في مجلّدين ضخمين في الهند أسماه «غاية السئول في علم الاصول» وشرحه هداية العقول فرغ منه سنة ١٠٤٩، ترجمه المحبّي في الخلاصة ج ٢ ص ١٠٤ وقال: قال القاضي

الحسيني المهلا في حقِّه: إمام علوم محمَّد الذي إعترف أولو التحقيق بتحقيقه، وأذعن أرباب التدقيق لتدقيقه، وإشتهر في جميع الأقطار اليمنيَّة بالعلوم السنيّة، أخذ عن والده الإمام المنصور، وذكر بقيَّة مشايخه، وعدّ من تصانيفه الغاية المذكورة وشرحها وكتاباً في آداب العلماء والمتعلّمين، ثم قال: إختصره من كتاب جواهر العقدين للسيِّد السمهودي، ثم ذكر قطعةً من نماذج شعره. ذكر في كتابه المذكور: هداية العقول (الموجود عندنا) حديث الغدير بطرق كثيرة لو افردت تأتي رسالة، وتأتي له كلمة في الكلمات حول سند الحديث.

٣١٣ - الشيخ أحمد بن محمَّد بن عمر قاضي القضاة الملقَّب بشهاب الدين الخفاجيُّ المصريُّ الحنفيُ المتوفّى ١٠٦٩، وقد أناف على التسعين، بسط القول في ترجمته المولى المحبّي في خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٣١ - ٣٤٣ بالثناء عليه وذكر مشايخه وعدَّ تآليفه وتولّيه القضاء ونزوله بدمشق، ونماذج من شعره، قال: صاحب التصانيف السائرة وأحد أفراد الدنيا المجمع على تفوُّقه وبراعته، وكان في سماء عصره بدر العلم ونير افق النثر والنظم، رأس المؤلِّفين ورئيس المصنِّفين، سار ذكره سير المثل، وطلعت أخباره طلوع الشهب في الفلك، وكلُّ مَن رأيناه وسمعنا به ممن أدرك وقته معترفون له بالتفرُّد في التقرير والتحرير وحسن الإنشاء وليس فيهم من يلحق شأوه، وتآليفه كثيرة ممتعة مقبولة وانتشرت في البلاد ورُزق فيها سعادة عظيمة. إلخ. ذكر الحديث في كتابه شرح «الشفاء» للقاضي عياض الموسوم بـ «نسيم الرياض» المطبوع في أربع مجلّدات ج ٣ ص ٤٥٦ قال عند قول المصنّف: قال رسول الله ﷺ في عليّ: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه: وهو عند غدير خمّ وقد خطب الناس.

٣١٤ - عبد الحقِّ بن سيف الدين الدهلويُّ البخاريُّ المتوفّى ١٠٥٢، صاحب التآليف القيِّمة منها: اللمعات في شرح المشكاة، رجال المشكاة، ترجمة فصل الخطاب، جذب القلوب، أخبار الأخيار، مدارج النبوّة. يأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث.

٣١٥ - محمَّد بن محمَّد المصريُّ مؤلِّف الدرر العوال بحلِّ ألفاظ بدء

المآل. قال في كتابه المذكور عند ذكر أمير المؤمنين عليه السلام: ورد في فضله أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه ع ١ ص ٢٢٢.

٣١٦ ـ محمَّد محبوب العالم ابن صفيِّ الدين جعفر بدر العالم، مؤلف التفسير الشهير بـ (تفسير شاهي). يأتي عن تفسيره المذكور نزول آية التبليغ في علي عليه السلام، ونزول آية سألَ سائِلٌ حول قضية الغدير.

(القرن الثاني عشر)

٣١٧ ـ السيِّد محمّد بن عبد الرسول بن عبد السيِّد بن عبد الرسول الحسينيُّ الشافعيُّ البرزنجيُّ المولود ١٠٤٠ والمتوفّى ١١٠٣، ترجمه المراديُّ في سلك الدرر ج ٤ ص ٦٥، وذكر مشايخه في القراءة وقد دخل همدان وبغداد ودمشق وقسطنطينة ومصر وأخذ عن علمائها وقطن بالمدينة المنوَّرة، وكان من رؤسائها وعدَّ له تآليف منها: النواقض للروافض، ومن تآليفه التي لم يذكره المراديُّ: كتاب في نجاة أبوي النبيِّ وعمّه أبي طالب، لخَّص منه ما في نجاة أبي طالب العلامة زيني دحلان وأسماه: أسنى المطالب في نجاة أبي طالب. وقال في أوّله: وقد وقفت على تأليف جليل للعلامة النبيل مولانا السيِّد محمَّد بن رسول البرزنجيُّ المتوفّى سنة ألف ومائة في نجاة أبوي النبيّ ﷺ وذيَّله في آخره بخاتمة في نجاة أبي طالب عمِّ النبيِّ ﷺ وأثبت نجاته وأقام أدلّة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنَّة وأقوال العلماء يحصل لمن تأمّلها أنَّه ناج بيقين، مع بيان معان صحيحة للنصوص التي تقتضي خلاف ذلك حتى صارت جميع النصوص صريحةً في نجاته، وسلك في ذلك مسلكاً ما سبقه إليه أحد بحيث ينقاد لأدلّته كلُّ مَن أنكر نجاته وجحد، وكلُّ دليل استدلَّ به القائلون بعدم نجاته قلّبه عليهم وجعله دليلاً لنجاته، وتتبَّع كلَّ شبهة تمسَّك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها وأقام دليلاً على دعواه، وكان من بعض تلك المباحث مواضع دقيقة لا يفهمها إلاّ الفحول من العلماء ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم، وبعض تلك المباحث زائدةٌ عن إثبات المطلوب

ذكرها تقويةً لمـا أثبته، وكشفاً لحجاب كلّ محجوب، فأردت أن ألخّص إلخ. يأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث.

٣١٨ ـ برهان الدين إبراهيم بن مـرعي بن عطيَّـة الشبرخيتيُّ المصـريُّ المـالكيُّ المتـوفّى ١١٠٦، من أعـلام مصـر وأفـاضلهـا، تفقّـه على الشيـخ الأجهوري والشيخ يوسف الفيشي، وألّف في الحديث والنحـو وغيرهمـا، له الفتوحات الوهبيَّة بشرح الأربعين حديثاً للنووي طبع بمصر، توفّي غريقـاً في النيل وهو متوجِّه إلى رشيد. ذكر في الفتوحات الوهبيَّة المذكورة في الحديث الحادي عشر إسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: القائل فيه المصطفى ﷺ: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

٣١٩ ـ ضياء الدين صالح بن مهدي بن عليٍّ بن عبدالله المقبليُّ[١] ثم الصنعانيُّ ثم المكيُّ المولود ١٠٤٧ والمتوفّى بمكّة ١١٠٨، ترجمه الشوكاني في البدر الطالع ج ١ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٢ وقال: هو ممن برع في جميع علوم الكتاب والسنَّة، وحقّق الاصولين والعربيَّة والمعاني والبيان والحديث والتفسير وفاق في جميع ذلك وله مؤلّفات مقبولةٌ كلّها عند العلماء محبوبةٌ إليهم يتنافسـون فيها ويحتجّون بترجيحاته وهو حقيقٌ بذلك. ثم ذكر مؤلّفاته وعـدَّ منها: الأبحـاث المسدَّدة في الفنون المتعدِّدة. يأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث ونصّه على تواتره.

٣٢٠ ـ إبراهيم بن محمَّد بن محمَّد كمال الدين الحنفيُّ المعروف بابن حمزة الحرَّانيّ الدمشقيُّ المتوفّى ١١٢٠، ترجمه المراديُّ في سلك الدرر ج ١ ص ٢٢ ـ ٢٤ وقال: العالم الإمام المشهور المحدِّث النحويُّ العلامة كان وافر الحرمة مشهوراً بالفضل الوافر أحد الأعلام المحدِّثين والعلماء الجهابذة السيِّد الشريف الحسيب النسيب، ولد في دمشق وبهـا نشأ، ثم ذكـر مشايـخ أخذه وروايته وقال: رأيت بخطه في إجازته أنَّ مشايخه يبلغون ثمانين شيخاً، ثمّ ذكر

---

(١) المقبل: قرية من أعمال بلاد كوكبان باليمن.

تآليفه ووفاته. ذكر الحديث في تأليفه [البيان والتعريف] مرَّ الإيعاز إلى حديثه ص ٧٣.

٣٢١ - أبو عبدالله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقانيُّ المصريُّ المالكيُّ المولود بمصر ١٠٥٥ والمتوفّى ١١٢٢، خاتمة المحدِّثين بالديار المصريَّة مشاركٌ في العلوم، ترجمه المراديُّ في سلك الدرر ج ٤ ص ٣٢ وذكر مشايخه وتآليفه القيِّمة كشرح المواهب اللدنيَّة (ط بولاق ج ٨) وشرح الموطَّأ (ط مصر ج ٤) ويُثني عليه الجلبي في كشف الظنون بالمولى العلامة خاتمة المحدِّثين. مرّ حديثه ص ٥٨ ويأتي عنه حديث التهنئة بلفظ سعد، وله كلمةٌ في صحَّة الحديث وتواتره تأتي في الكلمات حول سند الحديث.

٣٢٢ - حسام الدين بن محمَّد با يزيد السهارنپوريُّ، صاحب مرافض الروافض. قال في تأليفه المذكور: عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم: أنّ رسول الله ﷺ لَمّا نزل بغدير خمّ أخذ بيد عليٍّ فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. رواه أحمد ع [1] ج ١ ص ٢٢٥.

٣٢٣ - ميرزا محمَّد بن معتمد خان البدخشيُّ مؤلّف مفتاح النجا في مناقب آل العبا، ونزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار (ط بمبىء) والكتابان ينمّان عن طول باع مؤلّفه في علم الحديث وفنونه والتضلّع في مسانيده. روى الحديث في كتابيه المذكورين بطرق كثيرة مرّ نقلاً عنهما ص ٣٥ و٣٩ و٤٢ و٤٥ و٤٧ و٥٠ و٥١ و٦١ و٦٨ و٧٧ و٧٩ و٨٠ و٨٤، ويأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة، وله كلمةٌ حول صحّة الحديث تأتي في الكلمات حول سنده.

٣٢٤ - محمَّد صدر العالم مؤلِّف المعارج العلى في مناقب المرتضى.

---

(١) إشارة إلى كتاب (العبقات).

ذكر الحديث بعدَّة طرقه في كتابه المعارج مرّ بعض منها ص ٤٦ و٨٥، ويأتي عنه حديث نزول آية سأل سائل حول قضيّة الغدير؛ وحديث التهنئة؛ وله كلمة في تواتره وصحته تأتي في الكلمات حول سند الحديث، ع : ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

٣٢٥ ـ حامد بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحيم الحنفيُّ الدمشقيُّ المعروف بالعماديّ المولود بدمشق ١١٠٣ والمتوفّى ١١٧١، ترجمه المراديُّ في سلك الدرر ج ٢ ص ١١ ـ ١٩ وقال: مفتي الحنفيّة بدمشق وابن مفتيها، وصدرها وابن صدرها الصدر المهاب المحتشم الأجلُّ المبجّل العالم الفقيه الفاضل الفرضيُّ، كان عالماً محقِّقاً أديباً عارفاً نبيهاً كاملاً مهذَّباً، ثم عدَّ مشايخه وتآليفه الكثيرة القيِّمة منها: الصلاة الفاخرة بالأحاديث المتواترة (ط مصر) وذكر نماذج من نظمه ونثره المعربين عن تضلّعه في الأدب. رواه من طرق كثيرة وعدّه من الأحاديث المتواترة في تأليفه (الصلاة الفاخرة) يأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث.

٣٢٦ ـ عبد العزيز أبو ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمريُّ الدهلويُّ المتوفّى ١١٧٦، أحد المؤلِّفين المكثرين، طبع من تآليفه الممتعة أجوبة المسائل الثلاث، الإنصاف في بيان سبب الإختلاف، تنوير العينين، رسائل الدهلوي، حجَّة الله البالغة في أسرار الأحاديث وعلل الأحكام، شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، عقد الجيد في الإجتهاد والتقليد، فتح الخبير بما لا بدَّ من حفظه في علم التفسير، الفوز الكبير مع فتح الخبير في اصول التفسير، القول الجميل في التصوُّف، وله: قرّة العينين، وإزالة الخفا. قال في قرّة العينين: عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم: أنّ رسول الله ﷺ لمّا نزل بغدير خمّ أخذ بيد عليٍّ فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، أخرجه أحمد، وروى في إزالة الخفا ما أخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم من حديث الغدير بلفظيه وطريقيه اللذين مرّا في ص ٥٤.

٣٢٧ ـ محمَّد بن سالم بن أحمد المصريُّ الحفنيُّ(١) شمس الدين الشافعيُّ المولود ١١٠١ والمتوفّى ١١٨١، أحد الفقهاء مشاركٌ في العلوم من أساتذة القاهرة الفنيِّين توجد ترجمته في سلك الدرر ج ٤ ص ٤٩، والخطط الجديدة ج ١٠ ص ٧٤، له تآليف قيّمة منها: أنفس نفائس الدرر، طبع بهامش المنح المكيَّة، وحاشيته على شرح العزيزي على الجامع الصغير، والثمرة البهيَّة في أسماء الصحابة البدريَّة. ذكر الحديث في حاشية الجامع الصغير المطبوع.

٣٢٨ ـ السيِّد محمّد بن إسماعيل بن صلاح الأمير اليمانيُّ الصنعانيُّ الحسينيُّ المولود ١٠٥٩ المتوفّى ١١٨٢، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثاني عشر. مرّ عنه الحديث ص٦٠، ويأتي عنه حديث التهنئة، وله كلمة تأتي في الكلمات حول سند الحديث.

٣٢٩ ـ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الحفظيُّ الشافعيُّ، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثاني عشر. يأتي لفظه في الكلمات حول سند الحديث وفي ترجمته.

(القرن الثالث عشر)

٣٣٠ ـ أبو الفيض محمّد بن محمّد المرتضى الحسينيُّ الزبيديُّ الحنفيُّ المولود ١١٤٥ والمتوفّى ١٢٠٥، مؤلِّف [تاج العروس في شرح القاموس] المرجع الوحيد في اللغة، محتده واسط العراق، ولد في الهند ونشأ في زبيد (باليمن) ورحل إلى الحجاز وأقام بمصر وشارك في العلوم وتضلّع فيها وطار صيته واشتهر فضله وألَّف الكتب القيِّمة النفيسة جدّاً منها: إتحاف السادة المتَّقين في شرح إحياء العلوم للغزالي (ط.ج١٠) وأسانيد الصحاح الستّ، وطبعت جملةٌ من تآليفه. قال في تاج العروس ج ١٠ ص ٣٩٩ في عدّ معاني المولى: وأيضاً (الولي) الذي يلي عليك أمرك وهما بمعنى واحد منه الحديث: وأيُّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها. ورواه بعضهم بغير إذن وليّها، وروى ابن سلام عن يونس: إنَّ المولى في الدين هو الوليّ وذلك قوله تعالى: ذلك بأن الله

(١) نسبة إلى حفنة من أعمال بلبيس بمصر.

مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم أي لا وليّ لهم ومنه الحديث: مَن كنت مولاه. أي مَن كنت وليّه، وقال الشافعيُّ: يُحمل على ولاء الإسلام، وأيضاً (الناصر) نقله الجواهري وبه فُسِّر أيضاً مَن كنت مولاه[1].

٣٣١ ـ أبو العرفان الشيخ محمَّد بن عليٍّ الصبّان الشافعيُّ المتوفّى ١٢٠٦، ولد بمصر ونشأ بها وتخرّج على علمائها حتى برع في العلوم العقليّة والنقليَّة واشتهر بالتحقيق والتدقيق وشاع ذكره في مصر والشام، وألَّف تآليف كثيرة ممتعة طبع منها ما يربو على عشرة منها: إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين المؤلَّف ١١٨٥. قال في الإسعاف المذكور (ط هامش نور الأبصار) ص ١٥٢: قال ﷺ يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار. رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابيّاً وكثيرٌ من طرقه صحيحٌ أو حسنٌ.

٣٣٢ ـ رشيد الدين خان الدهلويُّ. قال في رسالته الفتح المبين في فضائل أهل بيت سيِّد المرسلين: أخرج الطبراني عن ابن عمر وغيره: أنّ رسول الله ﷺ قال بغدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، ع ١ ص ٢٣٨.

٣٣٣ ـ المولوي محمَّد مبين اللكهنويّ. ذكر الحديث في [وسيلة النجاة] من طريق الحاكم بلفظ زيد بن أرقم وابن عباس، ومن طريق الطبراني بسند صحيح عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن اسيد، ومن طريق أحمد، عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، ومن طريق ابن حبّان، والحاكم، عن ابن عباس، وبطريق أحمد، والطبراني، عن أبي أيوب، وجمع من الصحابة عن عليٍّ وزيد بن أرقم وثلاثين رجلاً من الصحابة، وعن مسند الطبراني، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، وعن المشكاة عن البراء بن عازب، وزيد من طريق أحمد، والترمذي، وعن الصواعق لابن حجر مرسلاً. ع ١ ص ٢٣٩.

---

(١) العبرة بروايته للحديث لا ما سرده حول مفاده.

٣٣٤ ـ المولوي محمّد سالم البخاري الدهلوي. ذكر في رسالته (اصول الايمان) ما رواه أحمد، عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم (ع ١ ص ٢٤٠) مرّ عنه ص ٨١.

٣٣٥ ـ المولوي وليُّ الله اللكهنوي. ذكر في [مرآة المؤمنين في مناقب أهل بيت سيِّد المرسلين] ما ذكره ابن حجر في الصواعق، عن الطبراني، وما مرَّ عن عامر بن سعد، وعائشة بنت سعد، عن سعد، وما يأتي عن الخصائص للنسائي من حديث المناشدة بالرحبة بلفظ زيد بن يُثيع، وأبي الطفيل عامر، ثم أورد كلام ابن حجر في صحّة الحديث وأنّه لا التفات لمن قدح في صحّته. ع ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤.

٣٣٦ ـ المولوي حيدر علي الفيض آبادي. ذكر الحديث في (منتهى الكلام) نقلاً عن أحمد بن حنبل وابن ماجة (ع ١ ص ٢٤٤).

٣٣٧ ـ القاضي محمَّد بن علي بن محمَّد الشوكانيُّ الصنعانيُّ المولود ١١٧٣[1] والمتوفّى ١٢٥٠، فقيهٌ متضلّع مشاركٌ في العلوم، بارعٌ في الفضائل، ألَّف وأكثر وأحسن في تآليفه وأجاد، توجد له ترجمةٌ ضافيةٌ بقلمه في كتابه البدر الطالع ج ٣ ص ٢١٤ ـ ٢٢٥ ذكر مشايخه في الحكمة والكلام والفقه وأصوله والحديث وفنونه والمعاني والبيان والعلوم العربيَّة، وعدّ من رسالاته وكتاباته ما يبلغ المائة وهناك تآليف اخرى لم يذكرها في عدِّ كتبه استدركها من علّق على كتابه البدر الطالع في هامشه، وقد طُبع كثيرٌ من تآليفه وهي تُعرب عن تضلّعه في الفنون، وطول باعه في العلوم الشرعيَّة كتاباً وسنَّة وما يتعلق بهما من معرفة المشيخة والمسانيد، وله ترجمته في مقدِّمة كتابه نيل الأوطار (ط بولاق ٨ ج) بقلم حسين بن محسن السبعي. يأتي عن تفسيره فتح القدير نزول آية التبليغ في أمير المؤمنين عليه السلام حول قضية الغدير.

٣٣٨ ـ السيِّد محمود بن عبدالله الحسينيُّ الآلوسيُّ شهاب الدِّين أبو الثناء البغدادي الشافعيُّ المولود بكرخ ١٢١٧، والمتوفّى ١٢٧٠، أحد نوابغ العراق

(١) كذا أرّخ ولادته هو نفسه في البدر الطالع نقلاً عن والده وأرّخها غيره ١١٧٢.

وأعلامها، الطائر الصيت في الآفاق، المتضلّع في الفنون، المشارك في العلوم، من اسرة عراقيّة شهيرة عريقة في العلم والأدب له تآليف قيِّمةٌ كثيرةٌ لا يُستهان بعدّتها[١]. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص٤١ و٦١ و٦٨ و٧٨ و٧٩، ويأتي عنه نزول آية التبليغ في أمير المؤمنين، وله كلمةٌ حول صحّة الحديث تأتي في الكلمات حول سنده.

٣٣٩ - الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٢٧٦. قال في أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب (ط بيروت): حديث مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، رواه أصحاب السنن غير أبي داود، ورواه أحمد وصحَّحوه، ورُوي بلفظ مَن كنت وليَّه فعليٌّ وليّه، رواه أحمد، والنسائي، والحاكم وصحَّحه.

٣٤٠ - الشيخ سليمان ابن الشيخ إبراهيم المعروف بـ (خواجه كلان) ابن الشيخ محمّد المعروف بـ (بابا خواجة) الحسينيُّ البلخيُّ القندوزيُّ الحنفيُّ، من أهل بلخ توفي في القسطنطينة ١٢٩٣[٢] كان من الأعلام الأفذاذ، من نوابغ الحديث وفنونه ألّف كتاب أجمع الفوائد، ومشرق الأكوان، وينابيع المودّة، الدائر السائر المكرَّر طبعه في شتّى الأقطار. مرّ حديثه ص٣٩ و٤٤ و٤٦ و٤٨ و٧٠ و٧٤ و٧٩.

٣٤١ - السيِّد أحمد بن مصطفى القادين خاني، مؤلِّف [هداية المرتاب في فضائل الأصحاب] «ط آستانة». يأتي عنه شعر أمير المؤمنين عليه السلام في الغدير.

(القرن الرابع عشر)

٣٤٢ - السيِّد أحمد بن زيني بن أحمد دحلان المكيُّ الشافعيُّ المولود بمكّة ١٢٣٢ والمتوفّى بالمدينة المنوَّرة ١٣٠٤، مفتي الشافعيّة بمكّة المشرَّفة

(١) توجد ترجمته في أعلام العراق ص ٢١، ومشاهير العراق ج ٢ ص ١٩٨، وجلاء العينين ص ٢٧ و٢٨ وغيرها.

(٢) أرّخ الزركلي وفاته في الأعلام ج ٢ ص ٣٩٠ بسنة ١٢٧٠.

وشيخ الإسلام بها عالمٌ متفنِّنٌ، فقيهٌ مشاركٌ في العلوم، مؤرِّخٌ متضلّعٌ، له تآليف كثيرة طبع منها ما يربو على عشرين، أفرد أبو بكر عثمان بن محمّد البكري الدمياطي في ترجمته كتاباً أسماه: نفحة الرحمان في مناقب السيِّد أحمد زيني دحلان (ط مصر). يأتي عنه حديث التهنئة.

٣٤٣ - الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانيُّ البيروتيُّ، رئيس محكمة الحقوق في بيروت مؤلِّف منتخب الصحيحين من كلام سيِّد الكونين (ط مصر ١٣٢٩) بحّاثةٌ كبيرٌ له في الأدب نصيبه الأوفى، يُعبِّر عنه الحدّاد في القول الفصل ١ ص ٤٤٤، بعالم العصر الشيخ العلامة، ألَّف في الحديث والأدب وأكثر، وقد طبع في مصر وبيروت من تآليفه ما يناهز الخمسين، كتب ترجمته بقلمه في كتابه الشرف المؤبَّد ص ١٤٠ - ٤٣. يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة.

٣٤٤ - السيِّد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجيُّ[1] مؤلِّف «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيِّ المختار» المطبوع خمس مرّات أو أكثر له في أوَّله ترجمته ذكر فيها مشايخه في شتَّى العلوم وعدّ بعض تآليفه، ولد سنة بضع و١٢٥٠ ولم أقف على تأريخ وفاته. يأتي عنه نزول آية سأل سائلٌ حول قضية الغدير.

٣٤٥ - الشيخ محمّد عبده بن حسن خيرالله المصريُّ المتوفّى ١٣٢٣، مفتي الديار المصريَّة وعلامتها الكبير، له شهرةٌ طائلةٌ في العلم، وقدمٌ راسخة في الإصلاح، والسعي وراء صالح الامَّة، سجّلها له التأريخ في صحائف مشاهير الشرق ١ ص ٣٠٠، وتاريخ الأدب العربيِّ ص ٤٣٤ - ٤٣٩ وغيرهما. مرّ الإيعاز إلى حديثه ص ٤٢ و٦٨ ويأتي عنه نزول آية التبليغ في أمير المؤمنين عليه السلام حول قضيَّة الغدير.

٣٤٦ - السيِّد عبد الحميد بن السيِّد محمود الآلوسيُّ البغداديُّ الشافعيُّ الضرير[2] المولود ١٢٣٢، والمتوفّى ١٣٢٤ علامة عاصمة العراق «بغداد»

---

(١) نسبة إلى شبلنجا قرية من قرى مصر.

(٢) ذهب الجدري بنور عينيه وكان لم يبلغ من عمره عاماً.

وأديبها الفذّ، طبع له نثر اللآلي في شرح نظم الأمالي. عَدَّ حديث الغدير في كتابه المذكور ص ١٦٦ من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وفي ص ١٧٠ تكلّم في مفاده مسلّماً صدوره عن مصدر الوحي الآلهيِّ وفي ص ١٧٢ عيَّن غدير خمّ وأشار إلى الحديث.

٣٤٧ ـ الشيخ محمّد حبيب الله بن عبدالله اليوسفيُّ نسباً، المدنيُّ مهاجراً، الشنقيطيُّ إقليماً، بحّاثة مصر ومحدِّثها العلامة، له: إكمال المنّة باتصال سند المصافحة المدخلة للجنة، وإيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم مصحف الإمام، وثبت الشيخ الأمير الكبير، والخلاصة النافعة، ويليها أرجوزة له تسمى بالنصائح الدينيَّة، كلّها مطبوعة في المعاهد سنة ١٣٤٥، ذكر في كتابه: كفاية الطالب لمناقب عليٍّ بن أبي طالب «ط مصر» ص ٢٨ ـ ٣٠ ما أخرج الترمذي عن أبي سَريحة، أو زيد، وما أخرجه ابن السمّان، عن البراء بن عازب، وأحمد، عن زيد في مسنده، وعن عمر في مناقبه، ومن طريق أبي حاتم حديث المناشدة في الرحبة، ومن طريق أحمد، عن سعيد بن وهب حديث المناشدة أيضاً، ومن طريق أحمد، والبغوي حديث الركبان، وما ذكره ابن عبد البر في الإستيعاب، عن بريدة، وأبي هريرة، وجابر، والبراء، وزيد من حديث الغدير.

٣٤٨ ـ القاضي بهلول بهجت الشافعي قاضي زنكه زور مؤلِّف تاريخ آل محمّد باللغة التركيَّة، ترجمه إلى الفارسيَّة الأديب ميرزا مهدي التبريزي، وإلى العربيَّة الفاضل البارع الشيخ ميرزا علي القمشهي، وكتابه هذا من حسنات العصر، يعرب عن تضلّع مؤلّفه في الحديث والتاريخ، وطول باعه في المباحث الدينيَّة، ومن تآليفه (مائة يوم) في واقعة صفّين روائيٌّ، والإرشاد الحمزوي، وحجر بن عدي نظماً، والحقوق الإرثيّة، وآثار آذربايجان أدبيٌّ تاريخيٌّ جغرافيٌّ. مرّ الإيعاز إلى طرق ذكرها لحديث الغدير ص ٣٦ و٤٢ و٤٤ و٤٦ و٥٠ و٥٢ و٦٢ و٧٠ و٧٤.

٣٤٩ ـ الكاتب الشهير عبد المسيح الأنطاكيُّ المصريُّ. أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر يأتي هناك شعره وترجمته.

٣٥٠ - الدكتور أحمد فريد رفاعي. ذكر في تعليق معجم الأدباء ج ١٤ ص ٤٨ بيتي أمير المؤمنين عليه السلام في الغدير.

٣٥١ - الأستاذ أحمد زكي العدويُّ المصريُّ، رئيس قسم التصحيح بدار الكتب المصريَّة له آثار قيِّمة خالدة في تعاليق الكتب. ذكره في تعليقات الأغاني ج ٧ ص ٣٦٣ من الطبعة الأخيرة.

٣٥٢ - الأستاذ أحمد نسيم المصريُّ عضو القسم الأدبيِّ بدار الكتب المصريَّة. ذكره في تعليقه ديوان مهيار ج ٣ ص ١٨٢.

٣٥٣ - الأستاذ حسين علي الأعظميُّ البغداديُّ مدير كلّية الحقوق بها. أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر، وأخبرني شفهيّاً بأنَّ له كتاب في الإمام (أمير المؤمنين) عليه السلام ذكر فيه حديث الغدير أيضاً.

٣٥٤ - السيِّد علي جلال الدين الحسينيُّ المصريُّ، بحّاثةٌ متضلّعٌ أديبٌ شاعرٌ طبع له ديوانه الموسوم بحديث النفس، وكتابه (الحسين عليه السلام) في جزئين (ط القاهرة). ذكر حديث الولاية في تأليفه المذكور ج ١ ص ١٣٢.

٣٥٥ - الأستاذ محمَّد محمود الرافعيُّ المصريُّ، ينمُّ عن تضلّعه في التأريخ والأدب شرحه هاشميات الكميت المطبوع بمصر غير مرّة. قال في شرح قول الكميت ص ٨١.

ويوم الدوح دوح غدير خمّ ... أبان له الولاية لو اطيعا

الدوح: الشجر العظيم، الواحدة: دوحة، وغدير خمّ موضعٌ بين مكّة والمدينة. أبان: بيَّن. قال رسول الله ﷺ: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فقال عمر: طوبى لك يا عليُّ أصبحت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

٣٥٦ - الأستاذ محمَّد شاكر الخيَّاط النابلسيُّ الأزهريُّ المصريُّ شارح الهاشميات للكميت المطبوع بمصر ١٣٢١. قال في الشرح المذكور ص ٦٠

في شرح قول الكميت:

ويوم الدوح دوح غدير خمّ　　　أبان له الولاية لو اطيعا

غدير خمّ موضع بين مكّة والمدينة بالجحفة أبان له الولاية، روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل قال: جمع عليٌّ الناس سنة خمس وثلاثين في الرحبة ثم قال لهم: أنشد بالله كلَّ امرىء مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما قال لمّا قام؟ فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا: أنّ رسول الله ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

٣٥٧ ـ الأستاذ عبد الفتّاح عبد المقصود المصريُّ، صاحب كتاب «الإمام علي» في أربع مجلّدات. أخبت إلى الحديث في تقريظه كتابنا هذا وسيأتيك لفظه في مقدِّمة الجزء السادس.

٣٥٨ ـ الأستاذ الشيخ محمَّد سعيد دحدوح أحد أئمة الجماعة في حلب. أثبته في كتاب له إلى العلامة الحجَّة الشيخ محمَّد حسين المظفَّري، وسيوافيك بنصّه وفصّه في مفتتح الجزء الثامن.

٣٥٩ ـ الأستاذ صفا خلوصي، نزيل لندن وخرّيج جامعتها والمدرِّس بها. رآه من المقطوع به في كتاب له إلينا، سيأتي بنصِّه في أوَّل الجزء الخامس.

٣٦٠ ـ الحافظ المجتهد ناصر السنَّة شهاب الدين أبي الفيض أحمد بن محمَّد بن الصدِّيق صاحب التآليف القيِّمة. ذكره في كتابه الفخم «تشنيف الآذان» ص ٧٧ نقلاً عن جمع كثير من الحفّاظ بأسانيدهم عن أربع وخمسين صحابيّاً، وهم: عليٌّ أمير المؤمنين. الامام الحسن السبط، الامام الحسين السبط. عبدالله بن عباس. البراء بن عازب. زيد بن أرقم. بريدة. أبو أيّوب، حذيفة بن اسيد. سعد بن أبي وقّاص. أنس بن مالك. أبو سعيد الخدري. جابر بن عبدالله. عمرو بن ذي مرّة عبدالله بن عمر. مالك بن الحويرث. حُبشي بن جنادة. جرير بن عبدالله البجليُّ. عمارة. عمّار بن ياسر. رياح بن الحارث. عمر بن الخطاب. نُبيط بن شُريط. سمرة بن جندب. أبو ليلى. جندب الأنصاري. حبيب بن بُديل. قيس بن ثابت. زيد بن شرحبيل. العباس

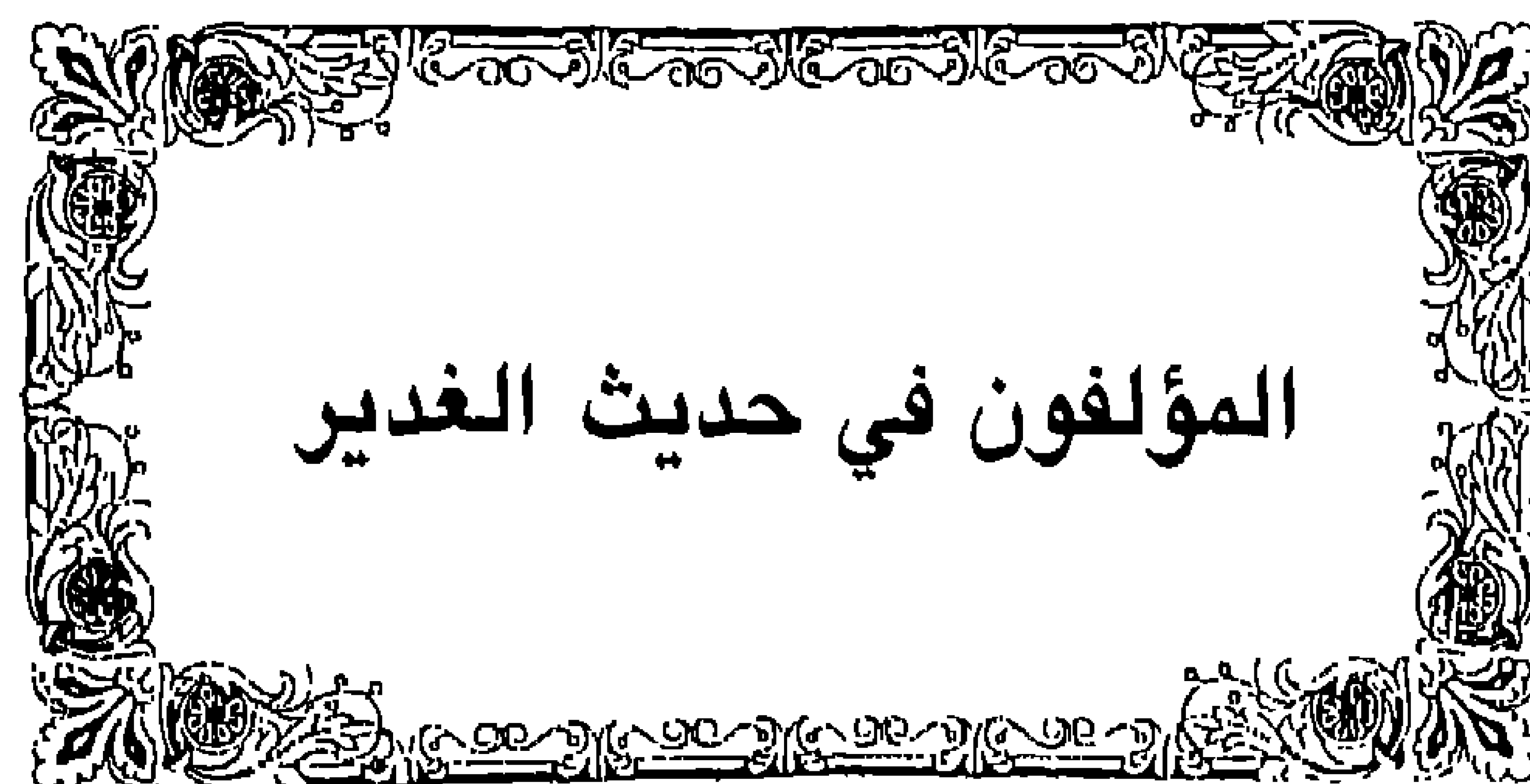
ابن عبد المطلب. عبد الله بن جعفر. سلمة بن الأكوع زيد بن أبي ثابت. أبو ذر الغفاري. سلمان الفارسي. يعلى بن مرّة. خزيمة بن ثابت. سهل بن حنيف. أبو رافع. زيد بن حارثة. جابر بن سمرة. ضمرة الأسلميُّ. عبدالله بن أبي أوفى. عبدالله بن بسر المازني. عبد الرحمن بن يعمر الديلمي. أبو الطفيل عامر. سعد بن جنادة. عامر بن عُميرة. حبّة العرني. أبو إمامة. عامر بن ليلى. وحشيّ بن حرب عائشة. أمُّ سلمة. طلحة بن عبيدالله.

وسيوافيك لفظه في الكَلِم عند البحث عن سند الحديث إن شاء الله[1].

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[سورة ق / الآية ٣٧].

---

(١) من رقم ٣٥٧ إلى آخر البحث ملحق من زيادات الطبعة الثانية.



بلغ إهتمام العلماء بهذا الحديث إلى غاية غير قريبة، فلم يُقنعهم إخراجه بأسانيد مبثوثة خلال الكتب، حتى أفرده جماعة بالتأليف، فدوّنوا ما انتهى إليهم من أسانيده، وضبطوا ما صحَّ لديهم من طريقه، كلُّ ذلك حرصاً على كلاءة متنه من الدثور، وعن تطرُّق يد التحريف إليه، فمنهم:

١ - أبو جعفر محمَّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبريُّ الآمليُّ المولود ٢٢٤، والمتوفّى ٣١٠ (المترجم ص١٣٣) له كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير» رواه فيه من نيف وسبعين طريقا، قال الحموي في معجم الأدباء ج ١٨ ص ٨٠ في ترجمة الطبري: له كتاب فضائل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، تكلَّم في أوَّله بصحَّة الأخبار الواردة في غدير خمّ، ثم تلاه بالفضائل ولم يتمّ، وقال في ص ٧٤: وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده وأطرحه، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد: بتكذيب غدير خمّ وقال: إنّ عليّ ابن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله ﷺ بغدير خمّ، وقال هذا الإنسان في قصيدة مزدوجة يصف فيها بلداً بلداً ومنزلاً منزلاً أبياتاً يلوّح فيها إلى معنى حديث غدير خمّ فقال:

ثمَّ مررنا بغدير خمّ كم قائل فيه بزور جمّ

على عليّ والنبيِّ الأمّي

وبلغ أبا جعفر ذلك فابتدأ بالكلام في فضائل عليٍّ بن أبي طالب، وذكر طرق حديث خمّ فكثر الناس لاستماع ذلك، واستمع قومٌ من الروافض مَن بسط

لسانه بما لا يصلح في الصحابة رضي الله عنهم فابتدأ بفضائل أبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما.

[وقال الذهبيُّ في طبقاته ج ٢ ص ٢٥٤: لمّا بلغ (محمّد بن جرير) أنّ ابن أبي داود تكلّم في حديث غدير خمّ عمل كتاب الفضائل وتكلّم في تصحيح الحديث ثمّ قال: قلت: رأيت مجلّداً من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق].

وقال ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١٤٦، في ترجمة الطبري: إنّي رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خمّ، في مجلّدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير. ونسبه إليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧.

وذكره له شيخ الطائفة الطوسي، في فهرسته وقال: أخبرنا به أحمد بن عبدون، عن أبي بكر الدوري، عن ابن كامل، وقال السيّد ابن طاوس في الإقبال: ومن ذلك ما رواه محمَّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير صنّفه وسمّاه [كتاب الردّ على الحرقوصيّة] روى فيه حديث يوم الغدير، وروى ذلك من خمس وسبعين طريقاً.

٢ - أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمدانيُّ الحافظ المعروف بابن عقدة المتوفّى ٣٣٣، له كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، رواه بمائة وخمس طرق، أكثر النقل عنه ابن الأثير في اسد الغابة، وابن حجر في الإصابة كما مرّ، وقال الثاني في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧، بعد ذكر حديث الغدير: صحّحه واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة فأخرجه من حديث سبعين صحابيّاً أو أكثر، وقال في فتح الباري: أمّا حديث مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقد أخرجه الترمذيُّ، والنسائيُّ، وهو كثير الطرق جدّاً وقد استودعها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثيرٌ من أسانيدها صحيحٌ وحسانٌ، وذكر له شمس الدين المناويُّ الشافعيُّ في «فيض القدير» ج ٦ ص ٢١٨ وحكى قول ابن حجر: حديثٌ كثير الطرق صحّحه إلخ، ونسبه إليه الحافظ الكنجيُّ الشافعيُّ في كفاية الطالب ص ١٥، وذكره له النجاشيُّ في فهرسته ص ٦٧، وقال السيِّد ابن

طاوس في الإقبال ص ٦٦٣: وجدته قد كتب في زمن أبي العباس مصنّفه في سنة ٣٣٠، وعليه خطّ الشيخ الطوسي، وجماعة من شيوخ الإسلام، وقد روى فيه نصّ النبيّ ﷺ بولاية عليٍّ عليه السلام من مائة وخمس طرق والآن موجود عندي. وقال الهدّار في القول الفصل ج ١ ص ٤٤٥: أخرج الحديث ابن عقدة عن مائة وخمسة من الصحابة.

٣ ـ أبو بكر محمَّد بن عمر بن محمَّد بن سالم التميميُّ البغداديُّ المعروف بالجعابيِّ المتوفّى ٣٥٥[١] له كتاب «من روى حديث غدير خمّ» عدَّه النجاشي من كتبه في فهرسته ص ٢٨١، وقال السرويُّ في مناقبه ج ١ ص ٥٢٩، ذكره أبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وذكر عن الصاحب الكافي أنَّه قال: روى لنا قصّة غدير خمّ القاضي أبو بكر الجعابي، عن أبي بكر، وعمر، وعثمان إلى أن عدّ ثمانية وسبعين صحابيّاً كما مرّ الإيعاز إليهم، وفي ضياء العالمين: إنه روى حديث الغدير في كتابه «نخب المناقب» من مائة وخمس وعشرين طريقاً.

٤ ـ أبو طالب عبيدالله[٢] بن أحمد بن زيد الأنباريُّ الواسطيُّ المتوفّى بواسط ٣٥٦، له كتاب «طرق حديث الغدير» ذكره له النجاشي في فهرسته ص ١٦١.

---

(١) توجد ترجمته في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٦ ـ ٣١، وتذكرة الذهبي ج ٣ ص ١٣٨ ـ ١٤١ وغيرهما، وذكروه من مقدمي الحفاظ، وأنه كان يحفظ مائتي ألف حديث بأسانيدها ويجيب عن مثلها وأنه فاق حفاظ عصره على كثرتهم وحفظهم، وروى عنه الدارقطني، وابن شاهين، وابن زرقويه، وابن الفضل القطان، وعلي المقري، وعلي الرزاز، ومحمد بن طلحة الثعالبي وأبو نعيم الحافظ، وابن حسنويه، وأبو عبدالله الحاكم وغيرهم، وعن أبي علي المعدل: انه كان إماماً في المعرفة بعلل الحديث، وثقات الرجال من معتليهم وضعفاءهم وأسماءهم وأنسابهم وكناهم ومواليدهم وأوقاتهم ومذاهبهم وما يطعن به على كل واحد وما يوصف به من السداد، وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه حتى لم يبق في زمانه من يتقدمه فيه في الدنيا اهـ. هكذا كان ابن الجعابي مسلم الفضيلة عند الكل تهتف المعاجم بعلمه، وتعترف العلماء برفعة مقامه، غير أن ما كن مزيج نفسيته من حب أهل البيت عليهم السلام حدا حثالة من الناس إلى الطعن عليه بقذائف وطامات لا يوصم بها ساقة من المسلمين فكيف بالأعالي منهم من المترجم وأمثاله.

(٢) في فهرست شيخ الطائفة: عبدالله.

٥ ـ أبو غالب أحمد بن محمَّد بن محمَّد الزُراري المتوفّى ٣٦٨، له جزء في خطبة الغدير نصّ عليه هو بنفسه في رسالته في آل أعين التي ألّفها لحفيده أبي طاهر الزراري.

٦ ـ أبو الفضل محمّد بن عبدالله بن المطلب الشيبانيُّ المتوفّى ٣٧٢، له كتاب «مَن روى حديث غدير خمّ» ذكره له معاصره النجاشي في فهرسته ص ٢٨٢.

٧ ـ الحافظ عليُّ بن عمر الدارقطنيُّ البغداديُّ المتوفّى ٣٨٥، قال الكنجيُّ الشافعيُّ في كفايته ص ١٥ عند ذكر حديث الغدير: أجمع الحافظ الدارقطنيُّ طرقه في جزء.

٨ ـ الشيخ محسن بن الحسين بن أحمد النيسابوريُّ الخزاعيُّ عمّ شيخنا عبد الرحمن النيسابوري، له كتاب «بيان حديث الغدير» ذكره له الشيخ منتجب الدين في فهرسته.

٩ ـ عليُّ بن عبد الرحمن بن عيسى بن عروة الجرّاح القناتي المتوفّى ٤١٣، له كتاب «طرق خبر الولاية» عدَّه النجاشي من تآليفه في فهرسته ص ١٩٢.

١٠ ـ أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله بن إبراهيم الغضائريُّ المتوفّى ١٥ صفر سنة ٤١١، له: «كتاب يوم الغدير» ذكره له النجاشي في فهرسته ص ١٥.

١١ ـ الحافظ أبو سعيد مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجستانيُّ(١) المتوفّى ٤٧٧ (مرّت ترجمته ص١٤٦) له كتاب «الدراية في حديث الولاية» في ١٧ جزءاً جمع فيه طرق حديث الغدير، ورواه عن مائة وعشرين صحابياً، ذكره له ابن شهر أشوب في المناقب ج ١ ص ٥٢٩، وقال جمال الدين السيِّد

---

(١) يقال في النسبة إلى سجستان: السجزي على غير قياس، أو: إن سجزآ اسمه الآخر كما في المعجم، قد توهم بعض التعدد بين مسعود السجستاني والسجزي وذكر لكل واحد منهما كتاباً في حديث الغدير، وما في المناقب والمعالم لابن شهر أشوب من قوله في الأول: مسعود الشجري. وفي الثاني: معوية السجزي، تصحيف.

ابن طاوس في الإقبال ص ٦٦٣: إنّه كان يوجد عنده وإنّه مجلّد أكثر من عشرين كراساً، وينقل عنه في كتاب «اليقين» ويروي عنه ابن أبي حاتم الشاميُّ في الدرِّ النظيم في الأئمّه اللهاميم، وكان يوجد عند الشيخ عماد الدين الطبريِّ ينقل عنه في كتابه [بشارة المصطفى لشيعة المرتضى] معبِّراً عنه بكتاب الولاية.

١٢ ـ أبو الفتح محمَّد بن علي بن عثمان الكراجكيُّ المتوفّى ٤٤٩، له كتاب «عدَّة البصير في حجِّ يوم الغدير» قال العلامة النوريُّ في المستدرك ج ٣ ص ٤٩٨: هذا كتاب مفيدٌ يختصُّ باثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، جزء واحد مائتا ورقة، بلغ الغاية فيه حتى حصل في الإمامة كافياً للشيعة، عمله بطرابلس للشيخ الجليل أبي الكتائب عمّار.

١٣ ـ عليُّ بن بلال[1] بن معاية بن أحمد المهلبي، له كتاب «حديث الغدير» ذكره له شيخ الطائفة في فهرسته ص ٩٦، وابن شهر اشوب في المناقب ج ١ ص ٥٢٩، وفي المعالم ص ٥٩.

١٤ ـ الشيخ منصور اللائي الرازي، له كتاب «حديث الغدير» ذكر فيه أسماء رواته على ترتيب الحروف، ذكره له ابن شهر اشوب في المناقب ج ١ ص ٥٢٩، والشيخ أبو الحسن الشريف في ضياء العالمين.

١٥ ـ الشيخ عليُّ بن الحسن الطاطريُّ الكوفيُّ، صاحب كتاب «فضائل أمير المؤمنين» له: «كتاب الولاية» ذكره له شيخ الطائفة في فهرسته ص ٩٢.

١٦ ـ أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكانيُّ (المترجم ص١٤٧) له كتاب «دُعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة» يذكر فيه حديث الغدير، ذكره له السيِّد في الإقبال ص ٦٦٣ وقال: إنّه يوجد عندنا، ونسبه إليه الشيخ أبو الحسن الشريف في ضياء العالمين.

١٧ ـ شمس الدين محمَّد بن أحمد الذهبيُّ المتوفّى ٧٤٨ (مرّت ترجمته ص ١٦٠) له كتاب «طريق حديث الولاية» ذكره لنفسه هو في كتابه تذكرة

---

(١) في مناقب ابن شهراشوب: هلال، وفي فهرست الشيخ: بلال.

الحفّاظ ج ٣ ص ٢٣١، وقال: أمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جدّاً، قد أفردتها بمصنَّف ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل، وأما حديث: مَن كنت مولاه. فله طرقٌ جيِّدةٌ وقد أفردت ذلك أيضاً.

١٨ ـ شمس الدين محمَّد بن محمَّد الجزريُّ الدمشقيُّ المقري الشافعيُّ المتوفّى ٨٣٣ (مرَّت ترجمته ص ١٦٦) أفرد رسالة في إثبات تواتر حديث الغدير وأسماها «أسنى المطالب في مناقب عليٍّ بن أبي طالب» ورواه من ثمانين طريقاً ونسب منكره إلى الجهل والعصبيَّة، عدَّه من تآليفه السخاوي في الضوء اللامع (كما مرَّ ص ١٦٦) توجد منه نسختان في مكتبة السيِّد مير حامد حسين اللكهنويِّ الهندي صاحب العبقات، وذكره لـه الشيخ أبـو الحسن الشريف في ضيـاء العالمين.

١٩ ـ المولى عبدالله بن شاه منصور القزوينيُّ الطوسيُّ، من معـاصري شيخنا صاحب الوسائل، له «الرسالة الغديريَّة» كما في أمل الآمل.

٢٠ ـ السيِّد سبط الحسن الجايسيُّ الهنديُّ اللكهنويُّ له كتاب «حديث الغدير» بلغة اردو طبع في الهند.

٢١ ـ السيِّد مير حامد حسين بن السيِّد محمَّد قلي المـوسويُّ الهنـديُّ اللكهنويُّ المتوفّى ١٣٠٦، عن ٦٠ سنة، ذكر حديث الغدير وطرقه وتواتره ومفاده في مجلّدين ضخمين في ألف وثمان صحائف، وهما من مجلّدات كتابه الكبير (العبقات) وهذا السيِّد الطاهر العظيم كوالده المقدَّس، سيفٌ من سيوف الله المشهورة على أعدائه، وراية ظفـر الحق والدين، وآيـة كبرى من آيـات الله سبحانه، قد أتمَّ به الحجَّة، وأوضح المحجَّة، وأمّا كتابه (العبقات)[١] فقد فاح أريجه بين لابتي العالم، وطبَّق حديثه المشرق والمغرب، وقد عرف مَن وقف عليه انَّه ذلك الكتاب المعجز المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد استفدنا كثيراً من علومه المودعة في هذا السفر القيِّم، فله ولوالده الطاهر منّا الشكر المتواصل، ومن الله تعالى لهما أجزل الأجور.

---

(١) نرمز إليه في كتابنا هذا عند النقل عنه بـ ع.

٢٢ ـ السيِّد مهدي ابن السيِّد علي الغريفيُّ البحرانيُّ النجفيُّ المتوفّى ١٣٤٣، له كتاب «حديث الولاية في حديث الغدير» عدَّه شيخنا الرازي من تآليفه في الذريعة، وذكره له ولده في ترجمة والده التي كتبها لنا.

٢٣ ـ الحاج الشيخ عباس بن محمَّد رضا القميُّ المتوفّى في النجف الأشرف ليلة الثلاثاء ٢٣ ذي الحجّة ١٣٥٩، له كتاب «فيض القدير في حديث الغدير»، فيما ينوف على الثلاثمائة صحيفة، وقد جمع فيه فأوعى؛ وهو من نوابغ الحديث والتأليف في القرن الحاضر، وأياديه المشكورة على الامَّة لا تخفى.

٢٤ ـ السيِّد مرتضى حسين الخطيب فتحيوري الهندي له كتاب «تفسير التكميل» في آية اليوم أكملت لكم دينكم النازلة في واقعة الغدير، طبع بالهند.

٢٥ ـ الشيخ محمَّد رضا ابن الشيخ طاهر آل فرج الله النجفيُّ، زميلنا العلامة الفذُّ له كتاب (الغدير في الإسلام) طبع في النجف الأشرف، وقد أدّى فيه حقَّ المقال.

٢٦ ـ الحاج السيِّد مرتضى الخسرو شاهيُّ التبريزيّ المعاصر، أفرد كتاباً في دلالة الحديث وأسماه [إهداء الحقير في معنى حديث الغدير] طبع في العراق، أغرق نزعاً في التحقيق، ولم يبق في القوس منزعاً.

تكملة

قال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٨: وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتأريخ فجمع فيه مجلّدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة، نحن نورد عيون ما روى في ذلك[1].

وقال الشيخ سليمان الحنفيُّ في ينابيع المودَّة ص ٣٦: حُكي عن أبي

(١) ذكر من عيون ما روى فيه ما يأتي رسالة.

المعاليّ الجوينيّ(١) الملقّب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي رحمهما الله يتعجّب ويقول: رأيت مجلّداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خمّ مكتوباً عليه المجلّدة الثامنة والعشرون من طرق قوله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. ويتلوه المجلّدة التاسعة والعشرون. ا هـ.

وقال العلويُّ الهدّار الحدّاد في القول الفصل ج ١ ص ٤٤٥: كان الحافظ أبو العلاء العطار الهمدانيّ(٢) يقول: أروي هذا الحديث بمائتي وخمسين طريقاً. وهناك تآليف اخرى تخصُّ بهذا الموضوع يأتي ذكرها في صلاة الغدير إن شاء الله.

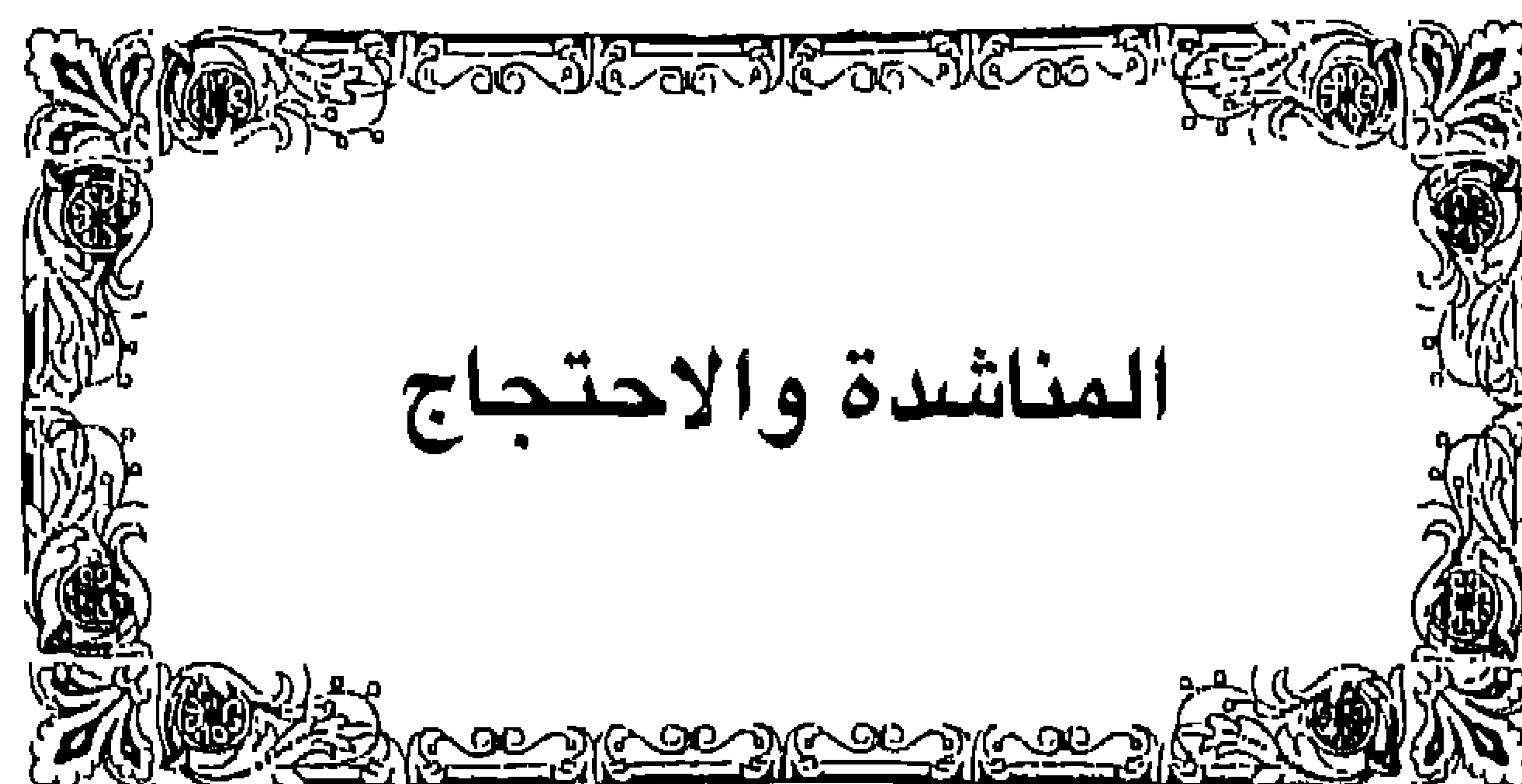
إنَّها تَذكِرةٌ
فَمَنْ شَاء ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مكَرَّمَةٍ

سورة عبس: ١٣

---

(١) قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣١٢: انه أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الاطلاق المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته، وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك، ولد ٤١٩ وتوفي ٤٧٨، أكثر المترجمون في الثناء عليه واطراء تآليفه.

(٢) ولد ٤٨٨ وتوفي ٥٦٩ توجد ترجمته في تذكرة الذهبي ج ٤ ص ١١٨ قال السمعاني: حافظ متقن، ومقري فاضل، حسن السيرة، مرضي الطريقة، وعن عبد القادر الحافظ، له تصانيف منها زاد المسافر في خمسين مجلداً، وكان إماماً في القرآن وعلومه، جمل الثناء عليه كثيرة في المعاجم.



بحديث الغدير الشريف

لم يفتأ هذا الحديث منذ الصدر الأوَّل، وفي القرون الأولى حتى القرن الحاضر من الاصول المسلّمة، يؤمن به القريب، ويرويه المناوىء، من غير نكير في صدوره، وكان ينقطع المجادل إذا خصمه مناظره بإنهاء القضيَّة إليه، ولذلك كثر الحجاج به، وتوفَّرت مناشدته بين الصحابة والتابعين، وعلى العهد العلويِّ وقبله، وإنَّ أوَّل حجاج وقع بهذا الحديث ما كان من أمير المؤمنين عليه السلام، بمسجد رسول الله ﷺ بعد وفاته، ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه المطبوع، مَن أراده فليراجعه، ونحن نذكر ما وقع بعده من المناشدات.

١ -(مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام)

يوم الشورى سنة ٢٣ هـ أو: أوّل ٢٤

قال أخطب الخطباء الخوارزمي الحنفيُّ في المناقب ص ٢١٧: أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفّاظ أبو النجيب سعد بن عبدالله بن الحسن الهمدانيُّ المعروف بالمروزيِّ، فيما كتب إليَّ من همدان، أخبرني الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين فيما أذن لي في الرواية عنه، أخبرني الشيخ الأديب أبو يعلى عبد الرزّاق بن عمر بن إبراهيم الهمدانيُّ سنة ٤٣٧، أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدّثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه.

وقال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبدالله الهمدانيُّ: وأخبرنا بهذا الحديث عالياً الإمام الحافظ سليمان بن محمَّد بن أحمد، حدَّثني

يعلى بن سعد الرازي، حدّثني محمّد بن حميد، حدَّثني زافر بن سليمان، حدَّثني الحارث بن محمَّد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال:

كنت على الباب يوم الشورى مع عليّ عليه السلام في البيت وسمعته يقول لهم: لأحتجّن عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك، ثمّ قال: انشدكم الله أيّها النفر جميعاً أفيكم أحدٌ وحّد الله قبلي؟قالوا: لا. قال: فانشدكم الله هل منكم أحدٌ له أخٌ مثل جعفر الطيار في الجنّة مع الملائكة؟ قالوا: اللهمّ لا، قال: فانشدكم الله هل فيكم أحدٌ له عمّ كعمّي حمزة اسد الله وأسد رسوله سيِّد الشهداء غيري؟قالوا: اللهمّ لا، قال فانشدكم الله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمَّد سيِّدة نساء أهل الجنَّة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال، انشدكم بالله هل فيكم أحدٌ له سبطان مثل سبطيّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا، قال فانشدكم بالله هل فيكم أحدٌ: ناجى رسول الله مرّات قدَّم بين يدي نجواه صدقة قبلي؟ قالوا: اللهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، ليبلّغ الشاهد الغائب غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. الحديث.

وأخرجه الإمام الحمويني، في فرائد السمطين في الباب الثامن والخمسين قال: أخبرني الشيخ الإمام تاج الدين عليٌّ بن الحبّ بن عبدالله الخازن البغداديُّ المعروف بابن الساعيِّ قال: أنبأ الإمام برهان الدين أبو المظفّر ناصر بن أبي المكارم المطرزيُّ الخوارزميُّ قال: أنبأ أخطب خوارزم ضياء الدين أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّي، إلى آخر السند بطريقيه المذكورين.

ورواه ابن حاتم الشاميُّ، في الدرِّ النظيم من طريق الحافظ ابن مردويه بسند آخر له قال: حدَّث أبو المظفَّر عبد الواحد بن حمد بن محمَّد بن شيذه المقرىء قال: حدّثنا عبد الرزّاق بن عمر الطهراني قال: حدَّثنا أبو بكر أحمد بن موسى الحافظ (إبن مردويه) قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمَّد بن أبي دام[1]

(١) كذا في النسخ، والصحيح: أبي دارم، هو ابن دارم الكوفي سمع عنه التلعكبري سنة ٣٣٠ وله منه إجازة.

قال: حدَّثنا المنذر بن محمَّد قال: حدَّثني عمِّي قال: حدَّثني أبي عن أبان بن تغلب عن عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى وعليٌّ في البيت فسمعته يقول (باللفظ المذكور إلى أن قال): قال: انشدكم بالله أمنكم من نصبه رسول الله يوم غدير خمّ للولاية غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

وحديث الشورى هذا أخرجه الحافظ الكبير الدارقطني، وينقل عنه بعض فصوله ابن حجر في الصواعق قال ص ٧٥: أخرج الدارقطني إنَّ عليّاً قال للستَّة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: انشدكم الله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ: يا عليّ أنت قسيم الجنَّة والنار يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا، وقال ص ٩٣: أخرج الدارقطني إنَّ عليّاً يوم الشورى إحتجّ على أهلها فقال لهم: انشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله في الرحم منّي؟.

وأخرجه الحافظ الأكبر ابن عقدة، قال: حدَّثنا عليُّ بن محمَّد بن حبيبة الكندي، قال: حدَّثنا حسن بن حسين، حدّثنا أبو غيلان سعد بن طالب الشيباني، عن إسحاق، عن أبي الطفيل قال: كنت في البيت يوم الشورى وسمعت عليّاً يقول. الحديث، ومنه المناشدة بحديث الغدير.

وقال الحافظ ابن عقدة أيضاً: حدَّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا الأزديُّ الصوفيُّ قال: حدّثنا عمرو بن حمّاد بن طلحة القنّاد، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الأزديُّ، عن معروف بن خربوذ، وزياد بن المنذر، وسعيد بن محمَّد الأسلمي، عن أبي الطفيل قال: لَمَّا احتضر عمر بن الخطاب جعلها (الخلافة) شورى بين ستَّة بين عليٍّ بن أبي طالب، وعثمان ابن عفّان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وعبدالله بن عمر، فيمن يشاور ولا يولّى، قال أبو الطفيل: فلمَّا اجتمعوا أجلسوني على الباب أردُّ عنهم الناس فقال عليٌّ. الحديث. وفيه المناشدة بحديث الغدير[1].

(١) نقله عن ابن عقدة شيخ الطائفة في أماليه ص ٧ و٢١٢.

وأخرجه الحافظ العقيلي(١) قال حدَّثنا محمَّد بن أحمد الوراجيتيُّ، حدَّثنا يحيى بن المغيرة الرازي، حدَّثنا زافر عن رجل عن الحارث بن محمَّد عن أبي الطفيل قال: كنت على الباب يوم الشورى. وذكر من الحديث جملةً ضافيةً(٢).

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٦١: نحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدة أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم قد روى الناس ذلك فأكثروا، والذي صحّ عندنا أنّه لم يكن الأمر كما روي من تلك التعديدات الطويلة، ولكنّه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكّأ هو عليه السلام عن البيعة: إنَّ لنا حقّاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى. في كلام قد ذكره أهل السيرة وقد أوردنا بعضه فيما تقدّم، ثمَّ قال لهم: انشدكم الله أفيكم أحدٌ آخى رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض، غيري؟ فقالوا: لا؛ فقال: أفيكم أحدٌ قال له رسول الله: مَن كنتُ مولاه فهذا مولاه، غيري؟ فقالوا: لا.

وذكر شطراً منه ابن عبد البرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٣٥ هامش الإصابة مسنداً قال: حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا قاسم، حدَّثنا أحمد بن زهير، قال: حدَّثنا عمرو بن حمّاد القناد قال: حدَّثنا اسحق بن إبراهيم الأزدي، عن معروف بن خربوذ، عن زياد بن المنذر، عن سعيد بن محمَّد الأزدي عن أبي الطفيل.

وقال الطبري في تفسيره ج ٣ ص ٤١٨ في قوله تعالى إنَّما وليّكم الله ورسوله. الآية: إنَّ عليَّ بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتجَّ بها في محفل من المحافل، وليس للقوم أن يقولوا: إنّه تركه للتقيّة فإنّهم ينقلون عنه أنّه تمسّك يوم

---

(١) أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى صاحب كتاب الضعفاء، قال الحافظ القطان: أبو جعفر ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ توفي ٣٢٢ ترجمه الذهبي في التذكرة ج ٣ ص ٥٢.

(٢) حكاه عن العقيلي الذهبي في ميزانه ج ١ ص ٢٠٥، وابن حجر في لسانه ج ٢ ص ١٥٧.

الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع فضائله ومناقبه ولم يتمسّك البتة بهذه الآية في إثبات إمامته. ا هـ.

وأنت تعلم أنَّ الطبري في إسناد رواية الإحتجاج بحديث الغدير وغيره إلى الروافض فحسب مندفعٌ إلى ما يتحرّاه بدافع العصبيّة، فقد عرفت إسناد الخوارزمي الحنفي عن مشايخه الأئمّة الحفّاظ وهم عن مثل أبي يعلي وابن مردويه من حفّاظ الحديث وأئمّة النقل، كما أنّا أوقفناك على تصريح ابن حجر بإخراج الحافظ الدارقطني من غير غمز فيه؛ وإخراج الحافظ ابن عقدة، والحافظ العقيلي، وسمعت كلمة ابن أبي الحديد وحكمه باستفاضة حديث الإحتجاج وما صحّ منه عنده.

ومن ذلك كلّه تعرف قيمة ما جنح إليه السيوطيُّ في اللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٨٧، من الحكم بوضع الحديث لمكان زافر ورجل مجهول في إسناد العقيلي، وقد أوقفناك على أسانيد ليس فيها زافر ولا مجهول، وهب أنّا غاضيناه على الضعف في زافر، فهل الضعف بمجرّده يحدو إلى الحكم الباتّ بالوضع؟ كما حسبه السيوطيُّ في جميع الموارد من لآليه خلاف ما ذهب إليه المؤلّفون في الموضوعات غيره، لا. وإنّما هو من ضعف الرأي وقلّة البصيرة، فإنَّ أقصى ما في رواية الضعفاء عدم الإحتجاج بها وإن كان للتأييد بها مما لا بأس به، على أنّا نجد الحفّاظ الثقات المتثبّتين في النقل ربما أخرجوا عن الضعفاء لتوفّر قرائن الصحّة المحفوفة بخصوص الرواية أو بكتاب الرجل الخاص عندهم، فيروونها لإعتقادهم بخروجها عن حكم الضعيف العام أو لإعتقادهم بالثقة في نقل الرجل وإن كان غير مرضيٍّ في بقيّة أعماله، راجع صحيحي البخاري، ومسلم، وبقيّة الصحاح والمسانيد تجدها مفعمة بالرواية عن الخوارج والنواصب، وهل ذلك إلّا للمزعمة التي ذكرناها؟ على أنَّ زافراً وثّقه أحمد وابن معين وقال أبو داود: ثقةٌ كان رجلاً صالحاً. وقال أبو حاتم: محلّه الصدق[1].

وقلّد السيوطيُّ في طعنه هذا الذهبيَّ في ميزانه حيث رأى الحديث منكراً

(١) راجع تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٠٤.

غير صحيح، وجاء بعده ابن حجر وقلّده في لسانه وإتّهم زافراً بوضعه، وقد عرف الذهبيَّ، وابن حجر من عرفهما بالميزان الذي فيه ألف عين، وباللسان الذي لا يبارحه الطعن لأغراض مستهدفة، وهلمّ إلى تلخيص الذهبيِّ مستدرك الحاكم تجده طعّاناً في الصحاح مما رُوي في فضائل آل الله، وما الحجّة فيه إلاّ عداءه المحتدم وتحيّزه إلى مَن عداهم، وحَذا حَذوه ابن حجر في تآليفه.

٢ (مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام)
أيّام عثمان بن عفّان

روى شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين ابن الحمويه (المترجم ص ١٥٨) بإسناده في فرائد السمطين في السمط الأول في الباب الثامن والخمسين عن التابعيِّ الكبير سليم بن قيس الهلالي قال: رأيت عليّاً صلوات الله عليه في مسجد رسول الله ﷺ في خلافة عثمان وجماعة يتحدَّثون ويتذاكرون العلم والعفّة فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها وما قال فيها رسول الله ﷺ من الفضل مثل قوله ص: الأئمّة من قريش، وقوله: الناس تبعٌ لقريش وقريش أئمّة العرب. إلى أن قال(بعد ذكر مفاخرة كل حيّ برجال قومه): وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل فيهم عليٌّ بن أبي طالب، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، والمقداد، وهاشم بن عتبة، وابن عمر، والحسن، والحسين، وابن عباس، ومحمَّد بن أبي بكر، وعبدالله بن جعفر، ومن الأنصار ابيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، ومحمّد بن سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبدالله بن أبي أوفى، وأبو ليلى ومعه ابنه عبد الرحمن قاعدٌ بجنبه غلامٌ صبيح الوجه أمرد، فجاء أبو الحسن البصري ومعه الحسن البصري غلامٌ أمرد صبيح الوجه معتدل القامة، قال: فجعلت أنظر إليه وإلى عبد الرحمن بن أبي ليلى فلا أدري أيّهما أجمل غير أنَّ الحسن أعظمهما وأطولهما، فأكثر القوم، وذلك من بُكرة إلى حين الزوال وعثمان في داره لا يعلم بشيء مما هم فيه، وعليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ساكت لا ينطق ولا أحدٌ من أهل بيته، فأقبل القوم عليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن

تتكلّم؟ فقال: ما من الحيّين إلّا وقد ذكر فضلاً وقال حقّاً فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار بمن أعطاكم الله هذا الفضل بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومنّ به علينا بمحمّد ﷺ وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرنا ولا بأهل بيوتاتنا، قال. صدقتم يا معشر قريش والأنصار ألستم تعلمون؟ أنّ الذي نلتم من خير الدنيا والآخرة منّا أهل البيت خاصّة دون غيرهم وإنّ ابن عمّي رسول الله ﷺ قال: وإنّي وأهل بيتي كنّا نوراً يسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة، فلمّا خلق الله تعالى آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثمّ حمله في السفينة في صلب نوح عليه السلام، ثمّ قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام، ثمّ لم يزل الله عزّ وجلّ ينقلنا في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمّهات لم يلق منهم على سفاح قطّ. فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل احد: نعم قد سمعنا من رسول الله ﷺ ثمّ قال: انشدكم الله؟ إنّ الله عزّ وجلّ فضّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وإنّي لم يسبقني إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسول الله ﷺ أحدٌ من أهل الامّة قالوا: اللهم نعم قال: فانشدكم الله؟ أتعلمون حيث نزلت والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، والسابقون السابقون أولئك المقرّبون؟ سُئل عنها رسول الله ﷺ فقال: أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعليّ بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء: ثمّ قالوا: اللهمّ نعم. قال فانشدكم الله أتعلمون حيث نزلت يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم؟ وحيث نزلت لم تتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة؟ قال الناس: يا رسول الله أخاصّة في بعض المؤمنين؟ أم عامّة لجميعهم؟ فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ أن يعلمهم ولاة أمرهم، وأن يُفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجّهم، وينصبني للناس بعد غدير خمّ ثمّ خطب وقال: أيّها الناس! إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أنّ الناس مكذّبي فأوعدني لابلّغها أو ليعذّبني ثمّ أمر فنودي بالصلاة جامعة ثمّ خطب فقال: أيّها الناس أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا

مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا عليّ. فقمت فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فقام سليمان فقال: يا رسول الله ولاءٌ كما ذا؟ فقال: ولاءٌ كولاي مَن كنت أولى به من نفسه. فأنزل الله تعالى ذكره: اليوم أكملت لكم دينكم. الآية. فكبَّر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية عليّ بعدي. فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصّة في عليٍّ عليه السلام. قال: بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالا: يا رسول الله بيِّنهم لنا. قال: عليٌّ أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في امّتي ووليُّ كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد إبني الحسين واحدٌ بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليَّ الحوض. فقالوا كلّهم: اللهمَّ نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت. وقال بعضهم: قد حفظنا جلَّ ما قلت لم نحفظ كلّه وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا. فقال عليٌّ عليه السلام: صدقتم ليس كلّ الناس يستوون في الحفظ، انشد الله عزَّ وجلَّ مَن حفظ ذلك مِن رسول الله ﷺ لَمّا قام فأخبر به؟ فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمّار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: أيّها الناس! إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيِّي وخليفتي والّذي فرض الله عزَّ وجلَّ على المؤمنين في كتابه طاعته فقرَّب بطاعته طاعتي وأمركم بولايته، وأني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني لابلّغها أو ليعذِّبني، يا أيّها الناس! إنَّ الله أمركم في كتابه الصَّلاة[١] فقد بيَّنها لكم والزكاة والصوم والحجّ فبيّنها لكم وفسَّرتها وأمركم بالولاية، وإني اشهدكم أنَّها لهذا خاصّة، ووضع يده على عليِّ بن أبي طالب، قال: ثمّ لإبنه بعده ثمّ للأوصياء من بعدهم من ولدهم لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن حتى يردوا عليَّ حوضي، أيّها الناس! قد بيّنت لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ووليّكم وهاديكم وهو أخي عليّ بن أبي طالب، وهو فيكم

---

(١) كذا في النسخة والظاهر بالصلاة.

بمنزلتي فيكم، فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم، فإنّ عنده جميع ما علّمني الله من علمه وحكمته فسلوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده ولا تعلّموهم ولا تتقدّموهم ولا تخلفوا عليهم فإنّهم مع الحقِّ والحقُّ معهم لا يزايلونه ولا يزايلهم، ثمّ جلسوا. الحديث.

هذا لفظ الحمويني، وفي كتاب سليم نفسه إختلاف يسير وزيادات. ويأتيك كلامنا حول سليم وكتابه.

٣ (مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام)
يوم الرحبة سنة ٣٥[١]

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام، لَمَّا بلغه إتِّهام الناس له فيما كان يرويه من تقديم رسول الله صلّى الله عليه وآله إياه على غيره، ونوزع في خلافته حضر في مجتمع الناس بالرحبة في الكوفة واستنشدهم بحديث الغدير، ردّاً على مَن نازعه فيها، وقد بلغ الاهتمام بهذه المناشدة إلى أن رواها غير يسير من التابعين وتظافرت إليها الأسانيد في كتب العلماء ونحن وقفنا على رواية أربعة صحابيين، وأربعة عشر تابعيّاً[٢] فإلى الملتقى.

١ ـ أبو سليمان المؤذِّن (المترجم ص ٨٩). قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١ص ٣٦٢: روى أبو إسرائيل[٣] عن الحكم[٤] عن أبي سليمان المؤذِّن (هذا سند أحمد الآتي) إنَّ عليّاً عليه السلام، نشد الناس مَن سمع رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ فشهد له قومٌ وأمسك زيد بن أرقم فلم يشهد، وكان يعلمها فدعا عليٌّ عليه السلام عليه بذهاب البصر فعمي، فكان يُحدِّث الناس بالحديث بعد ما كُفَّ بصره. ومرّ في ص ٥٣ بطرق

---

(١) وقع النص بها في حديث أبي الطفيل الآتي، وفي رواية يعلى بن مرة أن عليّاً لما قدم الكوفة نشد الناس، ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام قدمها سنة ٣٥.
(٢) كثير من طرق هذه المناشدة صحيح رجاله ثقات.
(٣) إسماعيل بن خليفة الملائي المتوفى ١٦٩، وثقه الحافظ الهيثمي في مجمعه، وصحح حديثه.
(٤) هو ابن عتيبة الثقة المترجم ص ٩١.

اخرى عنه عن زيد بن أرقم، ولعلّ هذا من ذلك وفيه سقط.

٢ ـ أبو القاسم أصبغ بن نباتة (المترجم ص ٩٠). روى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٠٥ عن الحافظ ابن عقدة، عن محمّد بن إسماعيل بن إسحاق الراشدي، حدَّثنا محمَّد بن خلف النميري، حدَّثنا عليُّ بن الحسن العبدي، عن الأصبغ قال، نشد عليٌّ الناس في الرحبة من سمع النبيَّ ﷺ يوم غدير خمّ ما قال إلّا قام؟ ولا يقوم إلّا من سمع رسول الله يقول؛ فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيّوب الأنصاريُّ، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن، وأبو زينب (ابن عوف الأنصاريُّ) وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت الأنصاريُّ، وحبشي بن جنادة الصلوليُّ، وعُبيد بن عازب الأنصاريُّ، والنعمان بن عجلان الأنصاريُّ، وثابت بن وديعة الأنصاريُّ، وأبو فضالة الأنصاريُّ، وعبد الرحمن بن عبد ربّ الأنصاريُّ، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ألا مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبه وأبغض مَن أبغضه، وأعن مَن أعانه.

وفي اسد الغابة، عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد عليٌّ الناس مَن سمع رسول الله ﷺ يقول: يوم غدير خمّ ما قال إلّا قام؟ فقام بضعة عشر فيهم أبو أيّوب الأنصاريُّ، وأبو زينب فقالوا: نشهد انّا سمعنا رسول الله ﷺ وأخذ بيدك يوم غدير خمّ فرفعها فقال: ألستم تشهدون أني بلّغت ونصحت؟ قال: ألا إنَّ الله عزَّ وجلَّ وليّي وأنا وليُّ المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبّ مَن أحبَّه، وأعن مَن أعانه، وأبغض مَن أبغضه. أخرجه أبو موسى.

ورواه ابن حجر العسقلاني في الإصابة ج ٢ ص ٤٠٨ من طريق ابن عقدة عن الأصبغ قال: لَمّا نشد عليٌّ الناس في الرحبة مَن سمع؟ فقام بضعة عشر رجلاً منهم: أبو أيّوب، وأبو زينب، وعبد الرحمن بن عبد ربّ، فقالوا: نشهد انّا سمعنا رسول‌الله ﷺ يقول وأخذ بيدك يوم غدير خمّ فرفعها فقال: ألستم تشهدون إنّي قد بلّغت؟ قالوا: نشهد. قال فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

ورواه في الإصابة ج ٤ ص ٨٠ وقال: قال أبو موسى: ذكره أبو العباس ابن عقدة في كتاب الموالاة من طريق عليّ بن الحسن العبديّ، عن سعد هو الاسكاف، عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد عليٌّ الناس في الرحبة مَن سمع رسول الله ﷺ يقول: يوم غدير خمّ ما قال: إلاّ قام؟ فقام بضعة عشر رجلاً منهم أبو أيّوب، وأبو زينب بن عوف، فقالوا: نشهد إنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: وأخذ بيدك يوم غدير خمّ فرفعها فقال: ألستم تشهدون أنّي قد بلّغت؟ قالوا: نشهد. قال: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

٣ ـ حَبَّة بن جوين العرني أبو قُدّامة البجليٌّ الصحابيٌّ المتوفّى ٧٦/ ٧٩. روى الحافظ ابن المغازلي الشافعيّ في المناقب عن أبي طالب محمَّد بن أحمد بن عثمان، عن أبي عيسى الحافظ، يرفعه إلى حبَّة العرني يذكر يوم الغدير واستنشاد عليٍّ به فقال: فقام إثنا عشر رجلاً من أهل بدر منهم: زيد بن أرقم فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. الحديث.

ومرّ ص ٤٦ عن الدولابيّ بإسناده عن أبي قدامة قال: نشد الناس عليٌّ في الرحبة فقام بضعة عشر رجلاً فيهم رجلٌ عليه جبّةٌ عليها إزارٌ حضرميَّةٌ فشهدوا. الحديث.

٤ ـ زاذان بن عمر (المترجم ص ٩١) أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده ج ١ ص ٨٤ قال: حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك، عن أبي عبد الرحيم الكندي، عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ وهو يقول ما قال إلاّ قام؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انّهم سمعوا رسول الله ﷺ وهو يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

ورواه عن زاذان الحافظ الهيثميّ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٧ من طريق أحمد باللفظ المذكور، وأبو الفرج ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١٢١، وأبو سالم محمّد بن طلحة الشافعيُّ في مطالب السئول ص ٥٤

(ط سنة ١٣٠٢) وابن كثير الشاميُّ في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٠ وج ٧ ص ٣٤٨ من طريق أحمد، وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٧، والسيوطيُّ في جمع الجوامع نقلاً عن أحمد، وابن أبي عاصم في السنَّة كما في كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٧.

٥ - زِرّ بن حُبيش الأسدي (المترجم ص ٩١). قال الحافظ أبو عبدالله الزرقاني المالكي في شرح المواهب ج ٧ ص ١٣، أخرج ابن عقدة عن زِرّ بن حبيش قال: قال عليٌّ مَن ههنا من أصحاب محمَّد؟ فقام إثنا عشر رجلاً فشهدوا انّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

٦ - زياد بن أبي زياد (المترجم ص ٩٢). أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٨٨ قال: حدثنا محمَّد بن عبدالله حدّثنا الربيع يعني ابن أبي صالح الأسلمي، حدَّثنا زياد بن أبي زياد: سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ينشد الناس فقال: انشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما قال؟ قال: فقام إثنا عشر بدريّاً فشهدوا.

ورواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ من طريق أحمد، وقال: رجاله ثقات: وابن كثير في البداية ج ٧ ص ٣٤٨ عن أحمد، والحافظ محبُّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٠، وذخائر العقبى ص ٦٧.

٧ - زيد بن أرقم الأنصاريُّ الصحابيُّ. أخرج أحمد عن أسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان عن زيد بن أرقم قال: نشد عليٌّ الناس فقال: انشد الله رجلاً سمع النبيَّ ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ فقام إثنا عشر رجلاً بدريّاً فشهدوا بذلك وكنت فيمن كتم فذهب بصري.

وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ عن أحمد، والطبراني في الكبير باللفظ المذكور، ووثّق رجاله وقال: وفي رواية عنده: وكان عليٌّ دعا على مَن كتم، ورواه ابن المغازلي في المناقب عن أبي الحسين علي بن عمر بن عبدالله بن شوذب عن أبيه، عن محمَّد بن الحسين الزعفراني، عن

أحمد بن يحيى بن عبد الحميد، عن أبي إسرائيل، عن الحكم، عن أبي سليمان، عن زيد باللفظ المذكور، وفيه: وكنت ممن كتم فذهب الله ببصري وكان عليٌّ كرَّم الله وجهه دعا على مَن كتم[1]، ورواه الشيخ إبراهيم الوصّابي في الإكتفاء باللفظ المذكور عن الطبراني في المعجم الكبير.

وروى الحافظ محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ٦٧ عن زيد أنَّه قال: نشد عليٌّ الناس فقال: انشد الله رجلاً سمع النبيَّ ﷺ يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ فقام ستَّة عشر رجلاً فشهدوا بذلك، وبهذا اللفظ رواه الهيثمي في مجمعه ص ١٠٧ من طريق أحمد، ورواه السيوطيّ في جمع الجوامع، كما في كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣ نقلاً عن المعجم الأوسط للطبراني، وفيه: فقام إثنى عشر رجلاً فشهدوا بذلك.

وأخرج الحافظ محمَّد بن عبدالله (المترجم ص ١٣٨) في فوائده (الموجودة في مكتبة الحرم الآلهي) قال: حدَّثنا محمَّد بن سليمان بن الحرث حدثنا عبيدالله بن موسى حدثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذّن عن زيد: إنّ عليّاً إنتشد الناس مَن سمع رسول الله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ فقام ستَّة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم[2] وحكاه عنه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦.

٨ - زيد بن يُثيع (المترجم ص٩٢). أخرج أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١١٨ قال: حدّثنا عليُّ بن حكيم الأودي أنبأنا شريك عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وزيد بن يُثيع قالا: نشد عليٌّ الناس في الرحبة مَن سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ إلّا قام؟ قال: فقام من قِبَل سعد ستَّة، ومن قبل زيد ستَّة، فشهدوا أنَّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعليّ يوم غدير خمّ أليس

(١) ينقل عنه ابن بطريق في العمدة ص ٥٢.

(٢) المراد من قوله: وكنت فيهم، أنه كان في المخاطبين المقصودين بالمناشدة لا في الشهود منهم لما مرّ عن زيد نفسه من أنه كان ممن كتم وأن من جرّاء ذلك ذهب بصره، فما يؤثر عنه من روايته للحديث فهو بعد إصابة الدعوة كما سيأتي تفصيله، أو قبل أن تخالجه الهواجس المردية.

رسول الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه. ورواه من طريق أحمد بهذا اللفظ ابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص ٢١٠،والكنجيُّ الشافعيُّ في كفاية الطالب ص ١٧، والجزري في أسنى المطالب ص ٤.

وروى النسائي في الخصائص ص ٢٢ عن القاضي عليٍّ بن محمَّد بن عليّ عن خلف (ابن تميم) عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد وزيد. وفي ص ٢٣ عن أبي داود (سليمان الحرّاني) عن عمران (المتوفّى ٢٠٥) ابن أبان عن شريك عن أبي إسحاق عن زيد قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول على منبر الكوفة: إنّي انشد الله رجلاً ولا يشهد إلّا أصحاب محمَّد سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه؟ فقام ستّة من جانب المنبر الآخر[1] فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: ذلك. قال شريك: فقلت لأبي إسحاق: هل سمعت البراء بن عازب يحدِّث بهذا عن رسول الله؟ قال: نعم.

وأخرج ابن جرير الطبري، عن أحمد بن منصور، عن عبيدالله بن موسى، عن فطر بن خليفة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب وزيد بن يُثيع وعمرو ذي مرّة، أنَّ عليّاً أنشد الناس بالكوفة. وذكر الحديث. حكاه عن ابن جرير، ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١٠.

وأخرجه الحافظ ابن عقدة عن الحسن بن عليٍّ بن عفّان العامري، عن عبيدالله بن موسى عن فطر عن أبي إسحاق عن عمرو بن مرَّة وسعيد بن وهب وزيد بن يُثيع، قالوا: سمعنا عليّاً يقول في الرحبة، فذكر الحديث وفيه: فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنَّ رسول الله قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث: يا أبا بكر أيّ أشياخ هم؟ رواه عن ابن عقدة، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٧.

---

(١) فيه سقط ولعله كذا: فقام ستة من جانب المنبر وستة من جانبه الآخر.

ورواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٥ من طريق البزّار، وقال: رجاله رجال الصحيح غير فطر وهو ثقة؛ وفي ج ٧ ص ١٠٧ رواه من طريق البزّار وعبدالله بن أحمد رواه السيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣ عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مرّة وسعيد بن وهب وزيد بن يُثيع نقلاً عن الحفّاظ: البزّار، وابن جرير، والخلعي في الخليعيّات، ثمّ قال: قال الهيثمي: رجالُ إسناده ثقاتٌ. ولفظهم:

قالوا: سمعنا عليّاً يقول نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما قال لَمّا قام؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى يا رسول الله. فأخذ بيد عليّ وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. وذكره الشيخ يوسف النبهاني في الشرف المؤبّد ص ١١٣ من طريق ابن أبي شيبة عن زيد بن يُثيع.

١٩ ـ سعيد بن أبي حدّان «المترجم ص٩٢». روى شيخ الإسلام الحمويني في فرائد السمطين في الباب العاشر، قال: أخبرنا الشيخ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بقراءتي عليه قلت له: أخبرك القاضي محمّد بن عبد الصمد بن أبي الفضل الخزستاني إجازةً قال: أنبأ أبو عبدالله محمّد بن الفضل العراوي إجازةً قال: أنبأ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الحافظ قال: أنبأ أبو بكر أحمد بن الحسين القاضي قال: أنبأ أبو جعفر محمّد بن علي بن نعيم قال: أنبأ أحمد بن حازم بن عزيزة قال: أنبأ أبو غسّان «مالك» قال: أنبأ فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي حدّان وعمرو ذي مرّة قالا: قال علي: أنشد الله ولا أنشد إلاّ أصحاب رسول الله من سمع خطبة رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ؟ قال فقام إثنى عشر رجلاً ستّة من قِبَل سعيد وستّة من قِبل عمرو ذي مرّة فشهدوا: أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: [1] اللّهم والِ مَن

(١) كذا لفظه في النسخة ولا يخفى عليك ما فيه من السقط.

والاه، وعاد مَن عاداه: وآنصر من نصره وأحبَّ من أحبّه، وآبغض من أبغضه.

١٠ ـ سعيد بن وهب «المترجم ص٩٣». أخرج ابن حنبل في مسنده ج١ ص ١١٨ عن عليّ بن حكيم الأودي عن شريك عن أبي إسحاق عن سعيد وزيد بن يُثيع بلفظ أسلفناه ص ٢١١، وروى في ج ٥ ص ٣٦٦ عن محمّد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب قال: نشد عليٌّ الناس؟ فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبيِّ ﷺ وشهدوا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

وروى النسائي في الخصائص ص ٢٦ عن الحسين بن حريث المروزي قال: أخبرنا الفضل بن موسى عن الأعمش «سليمان» عن أبي إسحاق «عمرو» عن سعيد قال: قال عليٌّ كرَّم الله وجهه في الرحبة: انشد بالله مَن سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول: إنَّ الله ورسوله وليُّ المؤمنين، ومَن كنت وليَّه فهذا وليّه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره؟ قال: فقال سعيد: قام إلى جنبي ستَّة، وقال زيد بن يُثيع: قام عندي ستّة، وقال عمرو ذي مرّة: أحبَّ مَن أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه. وساق الحديث، رواه إسرائيل عن إسحاق عن عمرو ذي مرّة. ورواه ص ٤٠ عن يوسف بن عيسى عن الفضل بن موسى عن الأعمش إلى آخر السند واللفظ.

وقال في الخصائص ص ٢٢: أخبرنا محمّد بن المثنى قال: حدّثنا محمَّد (ابن جعفر غندر) قال: حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: حدَّثني سعيد بن وهب قال: قام خمسة أو ستّة من أصحاب رسول الله ﷺ فشهدوا: انَّ رسول الله ﷺ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

وأخرج العلامة العاصمي في زين الفتى عن أبي بكر الجلاب عن أبي سعيد عبدالله بن محمَّد الرازي عن أبي أحمد بن مُنَّة النيسابوريِّ عن أبي جعفر الحضرميِّ عن عليٍّ بن سعيد الكنديِّ عن جرير بن السريِّ الهمدانيِّ عن سعيد قال: نشد أمير المؤمنين كرّم الله وجهه الناس بالرحبة فقال: انشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن

عاداه؟ فقام إثنا عشر رجلاً فشهدوا.

وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٢١ عن أبي العباس ابن عقدة من طريق موسى بن النضر عن أبي غيلان سعد بن طالب عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب، وعمرو ذي مرّة، وزيد بن يُثيع، وهاني بن هاني، وقال أبو إسحاق: وحدَّثني مَن لا احصي أنَّ عليّاً نشد الناس في الرحبة مَن سمع قول رسول الله ﷺ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ فقام نفرٌ فشهدوا أنَّهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وكتم قومٌ فما خرجوا من الدنيا حتى عموا وأصابتهم آفة، منهم: يزيد بن وديعة، وعبد الرحمن بن مدلج. أخرجه أبو موسى.

وحديث ابن عقدة هذا ذكره ابن حجر في الاصابة ج ٢ ص ٤٢١ قال في ترجمة عبد الرحمن بن مدلج: ذكره أبو العباس ابن عقدة في كتاب الموالاة، وأخرج من طريق موسى بن النضر بن الربيع الحمصي، حدَّثني سعد بن طالب أبو غيلان، حدَّثني أبو إسحاق، حدَّثني من لا أُحصي انَّ عليّاً نشد الناس في الرحبة مَن سمع قول رسول الله ﷺ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ فقام نفرٌ منهم عبد الرحمن بن مدلج فشهدوا أنَّهم سمعوا إذ ذاك من رسول الله ﷺ، وأخرجه ابن شاهين عن ابن عقدة واستدركه أبو موسى.

وأنت ترى كيف لعب ابن حجر بالحديث سنداً ومتناً فقلّبه ظهراً لبطن باسقاط أسماء رُواته الأربعة المذكورين فيه، وحذف قصَّة الكاتمين وإصابة الدعوة عليهم، وعَدِّ عبد الرحمن بن مدلج الكاتم للحديث راوياً له، وعدم ذكر يزيد بن وديعة رأساً (حيَّا الله الأمانة في النقل) وكم لابن حجر نظير ذلك في خصوص الاصابة.

ورواه الحافظ الهيثميُّ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٤ من طريق أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح غير فطر وهو ثقةٌ، وابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢٠٩ نقلاً عن أحمد بطريقيه، والنسائي، ومن طريق ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد وعبد خير، وفي

ج ٧ ص ٣٤٧ من طريق ابن عقدة بسند أسلفناه في زيد بن يُثيع، ومن طريق الحافظ عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد، ومن طريق أحمد عن محمَّد «غندر» عن شعبة عن أبي إسحاق عنه، والخوارزمي في المناقب ص ٩٤ بإسناده إلى الحافظ عبد الرزّاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عنه وعن عبد خير أنهما قالا: سمعنا عليّاً برحبة الكوفة يقول: انشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ قال: فقام عدَّةٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ فشهدوا جميعاً أنَّهم سمعوا رسول الله يقول ذلك. وهناك طرقٌ اخرى مرَّت في زيد بن يُثيع.

١١ - أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثيُّ المتوفّى ١٠٠/ ٢/ ٨/ ١٠. روى أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٧٠ عن حسين بن محمَّد وأبي نعيم المعنى قالا: حدّثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع عليٌّ رضي الله عنه الناس في الرحبة ثمّ قال لهم: انشد الله كلّ امرىء مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما سمع لَمّا قام؟ فقام ثلاثون من الناس. وقال أبو نعيم: (المترجم ص ١١٦) فقام ناسٌ كثيرٌ فشهدوا حين أخذه بيده فقال للناس: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله؟ قال مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه. قال: فخرجت وكأنَّ في نفسي[1] شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّي سمعت عليّاً رضي الله عنه تعالى يقول: كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول له ذلك. وحكاه عن أحمد سنداً ومتناً الحافظ الهيثمي في مجمعه ج ٩ ص ١٠٤ ثمّ قال: رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقةٌ.

وأخرجه النسائي في الخصائص ص ١٧ قال: أخبرني هارون بن عبدالله البغدادي الحمّال قال: حدّثنا مصعب بن المقدام قال: حدّثنا فطر بن خليفة عن أبي الطفيل. وعن أبي داود قال: حدّثنا محمَّد بن سليمان عن فطر عن أبي الطفيل باللفظ المذكور. ورواه باللفظ المذكور أبو محمَّد أحمد بن محمَّد

(١) في الرياض لمحب الدين الطبري: فخرجت وفي نفسي من ريبة شيء.

العاصمي في زين الفتى عن شيخه ابن الجلاب عن أبي أحمد الهمداني عن أبي عبدالله محمّد الصفار عن أحمد بن مهران عن علي بن قادم عن فطر عن أبي الطفيل. وعن شيخه محمّد بن أحمد عن علي بن إبراهيم بن علي الهمداني عن محمّد بن عبدالله عن أحمد بن محمّد اللبّاد عن أبي نعيم عن فطر عن أبي الطفيل. وبهذا اللفظ رواه الكنجي في كفايته ص ١٣ عن شيخه يحيى بن أبي المعالي محمّد بن علي القرشي عن أبي علي حنبل بن عبد الله البغدادي عن أبي القاسم بن الحصين عن أبي علي إبن المذهب عن أبي بكر القطيعي عن عبدالله بن أحمد عن أبيه. إلى آخر سند أحمد. وباللفظ المذكور رواه محبُّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩ وفي آخره قلت لفطر يعني الذي روى عنه الحديث: كم بين القول وبين موته؟ قال: مائة يوم، أخرجه أبو حاتم وقال: يريد موت عليٍّ بن أبي طالب[1] ومن طريق أحمد ولفظه رواه ابن كثير في البداية ج ٥ ص ٢١١، والبدخشي في نزل الأبرار ص ٢٠.

وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٦ عن شيخه أبي موسى عن الشريف أبي محمّد حمزة العلوي عن أحمد الباطرقاني عن أبي مسلم بن شهدل عن أبي العباس ابن عقدة عن محمّد الأشعري عن رجا بن عبدالله عن محمّد بن كثير عن فطر وابن الجارود عن أبي الطفيل قال: كنّا عند عليّ رضي الله عنه فقال: انشد الله تعالى مَن شهد يوم غدير خمّ إلّا قام؟ فقام سبعة عشر رجلاً منهم: أبو قدّامة الأنصاري فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع حتى إذا كان الظهر خرج رسول الله ﷺ فأمر بشجرات فشددن والقي عليهنّ ثوبٌ ثمّ نادى الصلاة فخرجنا فصلّينا ثمَّ قام فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أيّها الناس! أتعلمون أن الله عزَّ وجلَّ مولاي وأنا مولى المؤمنين واني أولى بكم من أنفسكم؟ يقول ذلك مراراً. قلنا: نعم، وهو آخذٌ بيدك يقول: مَن كنت مولاه

---

(١) وفي لفظ العاصمي: كم بين قول رسول الله إلى وفاته. وهذا التقدير لا يلائم أياً من وفاة النبي صلّى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه، أما الثاني فلأنّ المناشدة كانت في أوليات خلافته الصورية سنة ٣٥ وقد عاش بعدها ما يقرب من خمسة أعوام، وأما رسول الله صلّى الله عليه وآله فتوفّي بعد يوم الغدير بسبعين يوماً، لكنه إلى التقريب أقرب.

فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. ثلاث مرّات: أخرجه أبو موسى، ورواه من طريق ابن عقدة عن كتابه «الموالاة في حديث الغدير» ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥٩.

وروى السيّد نور الدين السمهودي في «جواهر العقدين» نقلاً عن الحافظ أبي نعيم الإصبهاني في حلية الأولياء، عن أبي الطفيل قال: إنَّ عليّاً رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: انشد الله من شهد يوم غدير خمّ إلاّ قام؟ ولا يقوم رجلٌ يقول: إنّي نُبِّئت أو بلغني إلاّ رجلٌ سمعت أذناه ووعاه قلبه. فقام سبعة عشر رجلاً منهم: خزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وعديٌّ بن حاتم، وعقبة بن عامر، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وأبو شريح الخزاعي، وأبو قدّامة الأنصاري، وأبو ليلى(١) وأبو الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش، فقال عليٌّ رضي الله عنه وعنهم: هاتوا ما سمعتم. فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع حتى إذا كان الظهر خرج رسول الله ﷺ فأمر بشجرات فشذبن والقي عليهن ثوبٌ ثمّ نادى بالصلاة فخرجنا فصلّينا ثمّ قام فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس! ما أنتم قائلون؟ قالوا: قد بلّغت. قال: اللهمَّ اشهد. ثلاث مرّات قال: إنّي أوشك أن ادعى فاجيب وإنّي مسؤولٌ وأنتم مسؤولون ثمَّ قال: أيّها الناس! إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا فانظروا كيف تخلفوني فيهما وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض نبّأني بذلك اللطيف الخبير. ثمَّ قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، ألستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى ذلك. ثلاثاً، ثمَّ أخذ بيدك يا أمير المؤمنين فرفعها وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فقال عليٌّ: صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين. وحكاه عن السمهودي صاحب ينابيع المودّة ص ٣٨، وذكره بهذا اللفظ عن أبي الطفيل الشيخ أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكي الشافعيُّ في [وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل].

---

(١) في ينابيع المودة. أبو يعلى. وهو شداد بن أوس المتوفى ٥٨.

١٢ ـ أبو عمارة عبد خير بن يزيد الهمدانيُّ الكوفيُّ (المترجم ص ٩٥). أخرج الخوارزمي في المناقب ص ٩٤ بإسناده عن الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي قال: أخبرني أبو محمَّد عبدالله بن يحيى بن هارون بن عبد الجبار السكري ببغداد، أخبرني إسماعيل بن محمَّد الصفّار، حدّثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدّثني عبد الرزاق، حدّثني إسرائيل، عن أبي إسحاق قال: حدّثني سعيد بن وهب، وعبد خير، إلى آخر ما مرّ ص ٢١٦ ومرّ هناك عن ابن كثير من طريق ابن جرير عن سعيد وعبد خير، راجع.

١٣ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى (المترجم ص ٩٥) أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١١٩ عن عبيدالله بن عمر القواريري، حدّثنا يونس بن أرقم، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّاً رضي الله عنه في الرحبة ينشد الناس انشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. لَمّا قام فشهد؟ قال عبد الرحمن: فقام إثنا عشر بدريّاً كأنّي أنظر إلى أحدهم[1] فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي امّهاتهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: فمَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

وأخرج أيضاً ص ١١٩ عن أحمد بن عمر الوكيعي، حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثنا الوليد بن عقبة بن نزار العبسي، حدّثني سماك بن عبيد بن الوليد العبسي، قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدّثني: إنه شهد عليّاً رضي الله عنه في الرحبة قال: انشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدير خمّ إلاّ قام؟ ولا يقوم إلاّ مَن قد رآه. فقام إثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. فقام إلاّ ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته.

وروى أحمد بن محمَّد العاصمي في زين الفتى، عن الشيخ الزاهد أبي

---

(١) في اللفظ سقط راجع ما يأتي بعيد هذا حكاية عن ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤: ٢٨.

عبدالله أحمد بن المهاجر، عن الشيخ الزاهد أبي علي الهروي، عن عبدالله بن عروة، عن يوسف بن موسى القطّان، عن مالك بن إسماعيل، عن جعفر بن أبي زياد الأحمر،عن يزيد بن أبي زياد،وعن مسلم بن سالم عن عبد الرحمن بلفظه الأوّل من حديثي أحمد المذكور، وبذلك اللفظ رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٤ ص ٢٣٦ عن محمَّد بن عمر بن بكير قال: أخبرنا أبو عمر يحيى بن محمَّد بن عمر الأخباري سنة ٣٦٣ عن أبي جعفر أحمد بن محمَّد الضبعي حدَّثنا عبدالله بن سعيد الكندي - أبو سعيد الأشجّ - حدّثنا العلاء بن سالم العطّار عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن قال: سمعت عليّاً بالرحبة. الحديث.

وأخرج الطحاوي في مشكل الآثار ج ٢ ص ٣٠٨ عن عبد الرحمن قال: سمعت عليّاً ينشد يقول:اشهد الله كلّ امرىء سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ إلاّ قام؟ فقام إثنا عشر بدريّاً فقالوا: أخذ رسول الله بيد عليّ فرفعها فقال: يا أيّها الناس! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: اللهمّ من كنت مولاه فهذا مولاه. وذكر الحديث.

وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢٨ عن أبي الفضل بن عبيدالله الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن علي، أنبأنا القواريري حدَّثنا يونس بن أرقم حدّثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّاً في الرحبة يناشد الناس: انشد الله مَن سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، لَمّا قام؟ قال عبد الرحمن. فقام إثنا عشر بدريّاً كأنّي أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي امّهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. ثمّ قال: وقد روي مثل هذا عن البراء بن عازب وزاد: فقال عمر بن الخطاب: يا بن أبي طالب أصبحت اليوم وليّ كلّ مؤمن.

وروى الحمويني في فرائد السمطين في الباب العاشر قال: أخبرني

الشيخ أبو الفضل إسماعيل بن أبي عبدالله بن حمّاد الفسفلاني في كتابه، أنبأ الشيخ حنبل بن عبدالله بن سعادة المكّي الرصافي سماعاً عليه، أنبأ أبو القاسم هبة الله بن محمَّد بن عبد الواحد بن الحصين سماعاً عليه، أنبأ أبو عليّ ابن المذهِّب سماعاً عليه، أنبأ أبو بكر القطيفي، أنبأ أبو عبدالله عبدالله بن أحمد بن حنبل، إلى آخر سنده ولفظه المذكورين.

ورواه شمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص ٣ قال: أخبرني فيما شافهني به أبو حفص عمر بن الحسن المراغي، عن أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني، عن أبي اليمن زيد الكندي، عن أبي منصور القزّاز عن أبي بكر بن ثابت، عن محمَّد بن عمر، عن أبي عمر. إلى آخر سند الخطيب البغدادي المذكور قُبيل هذا. ثمّ قال: هذا حديثٌ حسنٌ من هذا الوجه وصحيحٌ من وجوه كثيرة تواتر عن أمير المؤمنين عليٍّ وهو متواتر أيضاً عن النبيِّ ﷺ ورواه الحافظ أبو بكر الهيثمي باللفظ المذكور عن ابن الأثير في مجمعه ج ٩ ص ١٠٥ عن عبدالله بن أحمد، والحافظ أبي يعلى ووثّق رجاله.

ورواه ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١ من طريقي أحمد ولفظيه المذكورين، وقال بعد اللفظ الثاني: وروى أيضاً عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي «بالمثلّثة ثمّ المهملة» وغيره عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به. وفي ج ٧ ص ٣٤٦ رواه من طريق أبي يعلى، وأحمد بإسناديه ثمّ قال: وهكذا رواه أبو داود الطُهوي «بضم الطاء» واسمه عيسى بن مسلم، عن عمرو بن عبدالله بن هند الجملي، وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي، كلاهما عن عبد الرحمن فذكره بنحوه، ورواه السيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ عن الدارقطني، ولفظه:

خطب عليٌّ فقال: انشد الله امرءً نشدة الإسلام سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ أخذ بيدي يقول: ألست أولى بكم يا معشر المسلمين من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، إلاّ قام فشهد؟ فقام بضعة عشر رجلاً فشهدوا وكتم قومٌ فما فنوا من الدنيا إلاّ عموا وبرصوا.

ورواه في ج ٦ ص ٤٠٧ بلفظ أحمد الأوّل من طريق عبدالله بن أحمد، وأبي يعلى الموصلي، وابن جرير الطبري، والخطيب البغدادي. والضياء المقدسي، ورواه الوصّابي في الإكتفاء باللفظ الأوّل من لفظي أحمد نقلاً عن زوائد المسند لعبدالله بن أحمد، ومن طريق أبي يعلى في مسنده، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار، والخطيب في تاريخه، والضياء في المختارة. ع ٢ ص ١٣٢.

١٤ - عمرو ذي مرَّة «المترجم ص ٩٧». أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١١٨ قال: حدَّثنا عليُّ بن حكيم أنبأنا شريك، عن أبي إسحاق، عن عمرو وبمثل حديث أبي إسحاق عن سعيد وزيد المذكور ص ٢١٢ وزاد فيه: وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله.

وروى النسائي في الخصائص ص ١٩ وفي طبعة ٢٦ قال: أخبرنا عليُّ بن محمَّد بن عليّ قال: حدَّثنا خلف بن تميم، قال: حدّثنا إسرائيل حدَّثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مرَّة قال: شهدت عليّاً بالرحبة ينشد أصحاب محمَّد أيّكم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما قال؟ فقام أناس فشهدوا أنَّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبّه، وابغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره. ورواه في ص ٤١ بإسناد آخر عنه.

وروى الحمويني في فرائد السمطين الباب العاشر عنه بالسند واللفظ المذكورين ص ٢١٢، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٥ عنه وعن زيد بن يُثيع، وسعيد بلفظ ابن عقدة المذكور ص ٢١٢ من طريق البزّار ومرَّ هناك قوله: رجاله رجال الصحيح، إلخ. والگنجيُّ الشافعيُّ في كفايته ص ١٧ بإسناد عن عمرو بن مرَّة، وزيد بن يُثيع، وسعيد بن وهب، والذهبيُّ في ميزانه ج ٢ ص ٣٠٣ عن أبي إسحاق عن عمرو، وابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١ من طريق أحمد والنسائي وابن جرير، وج ٧ ص ٣٤٦ من طريق ابن عقدة عن الحسن بن علي بن عفّان العامري عن عبيدالله بن موسى عن فطر عن عمرو بلفظه المذكور ص ٢١٢ وذكر قول أبي إسحاق: يا أبا بكر؟ أيّ أشياخ هم،

والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤، وجمع الجوامع كما في كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣ عن أبي إسحاق عن عمرو وسعيد وزيد بلفظ أسلفناه، عن طريق البزّار وابن جرير والخليعي. والجزري في أسنى المطالب ص ٤ بلفظ أحمد.

١٥ ـ عُميرة بن سعد (المترجم ص ٩٨). أخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٦ قال: حدّثنا سليمان بن أحمد (الطبراني) حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن كيسان: حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي[١]:حدثنا مسعر بن كدام عن طلحة بن مصرف عن عُميرة بن سعد قال: شهدت عليّاً على المنبر ناشداً أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم: أبو سعيد، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وهم حول المنبر وعليٌّ على المنبر وحول المنبر إثنى عشر رجلاً هؤلاء منهم فقال عليٌّ: نشدتكم بالله هل سمعتم رسول الله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ فقاموا كلّهم فقالوا: اللهمَّ نعم. وقعد رجلٌ. فقال: ما منعك أن تقوم؟ قال: يا أمير المؤمنين! كبرت ونسيت فقال: اللهمّ إن كان كاذباً فاضربه ببلاء حسن[٢] قال: فما مات حتى رأينا بين عينيه نكتة بيضاء لا تواريها العمامة. غريبٌ من حديث طلحة تفرَّد به مسعر عنه مطوَّلاً، ورواه ابن عائشة عن إسماعيل مثله، ورواه الأجلح[٣] وهاني[٤] بن أيّوب عن طلحة مختصراً.

وروى النسائي في خصائصه ص ١٦، عن محمَّد بن يحيى بن عبدالله

(١) ذكره ابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٣٢٠ وقال: وما أظنه إلّا تصحيفاً من إسماعيل بن عمر الواسطي، وحكى في إسماعيل بن عمر الواسطي ثقته عن الخطيب، وابن المديني، وابن حبان وقال: مات بعد المائتين. اهـ. وفي سند ابن المغازلي، وابن كثير كما يأتي: عمر. وهو الصحيح.

(٢) لفظة: حسن. من زيادة الرواة أو النساخ، فإن ما أصاب الرجل وهو أنس بمعونة بقية الأحاديث من العمى أو البرص كانت نقمة عليه من جراء دعواه الكاذبة من النسيان المسبب من الكبر لا بلاء حسناً، كيف وقد أريد به الفضيحة وكان هو يلهج بذلك.

(٣) يقال اسمه يحيى بن عبدالله بن (حجية) بالتصغير الكوفي المكنى بأبي حجية توفي ١٤٠ / ١٤٥ وثقه ابن معين، والعجلي، وقال ابن عدي: يعد في الشيعة مستقيم الحديث. وقال ابن حجر: صدوق شيعي.

(٤) قال ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١: ثقة.

النيسابوري، وأحمد بن عثمان بن حكيم، عن عبيدالله بن موسى، عن هاني بن أيّوب عن طلحة، عن عُميرة بن سعد إنّه سمع عليّاً رضي الله عنه وهو ينشد في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ فقام ستّة نفر فشهدوا.

وروى أبو الحسن ابن المغازلي في مناقبه، قال: حدّثني أبو القاسم الفضل بن محمَّد بن عبدالله الإصفهاني قدم علينا بواسط إملاء من كتابه لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وأربع مائة قال: حدَّثني محمَّد بن عليّ بن عمر بن المهدي، قال: حدَّثني سليمان بن أحمد بن أيّوب الطبراني، قال: حدَّثني أحمد بن إبراهيم بن كيسان الثقفي الإصفهاني قال: حدَّثني إسماعيل بن عمر البجلي، قال: حدَّثني مسعر بن كدام، عن طلحة بن مصرف عن عُميرة بن سعد قال: شهدت عليّاً على المنبر ناشداً أصحاب رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول ما قال فليشهد؟ فقام إثنى عشر رجلاً منهم: أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة وأنس بن مالك[1] فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

ورواه ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١ من طريق إسماعيل بن عمر البجلي، عن مسعر عن طلحة عن عُميرة، ومن طريق عبيدالله بن موسى، عن هاني بن أيوب عن طلحة عن عميرة، وفي ج ٧ ص ٣٤٧ من طريق الطبراني المذكور، ورواه السيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٣ من طريق الطبراني في الأوسط بلفظيه وفي أحدهما فقام ثمانية عشر رجلاً فشهدوا، وفي الثاني إثنا عشر رجلاً، والشيخ إبراهيم الوصّابي في كتاب الإكتفاء نقلاً عن المعجم الأوسط للطبراني بلفظيه.

«فائدةٌ»: أخرج الحافظ الهيثميُّ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ من طريق الطبراني في الأوسط، والصغير، عن عُميرة بنت سعد حديث المناشدة بلفظ

(١) ان أنساً كان ممن حول المنبر لا من شهود الحديث كما مر في هذه الرواية بلفظ أبي نعيم في الحلية وكذلك في بقية الأحاديث وهو الذي أصابته دعوة الإمام عليه السلام، ففي هذا المتن تحريف واضح.

عُميرة بن سعد المذكور عن ابن المغازلي، ثمّ جاء بعض المتأخّرين وذكر الحديث عن عُميرة بنت سعد وترجمها وعرّفها بما مرّ ص ٩٨ وقد خفي عليه انّه تصحيفٌ وأنّه هو الحديث الذي نقله الحفّاظ من طريق الطبراني عن عُميرة بن سعد.

١٦ - يعلى بن مرّة بن وهب الثقفيُّ الصحابيُّ. روى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ٦ من طريق أبي نعيم، وأبي موسى المديني بإسنادهما إلى أبي العباس ابن عقدة، عن عبدالله بن إبراهيم بن قتيبة عن الحسن بن زياد عن عمرو بن سعيد البصري عن عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرّة، عن أبيه عن جدّه يعلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فلمّا قدم عليٌّ عليه السلام الكوفة نشد الناس، فانتشد له بضعة عشر رجلاً فيهم: أبو أيّوب صاحب منزل رسول الله ﷺ، وناجية بن عمرو الخزاعي. ورواه ابن حجر عن كتاب الموالاة لابن عقدة في الإصابة ج ٣ ص ٥٤٢.

وفي اسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٣ من طريق الحافظ ابن عقدة، وأبي موسى المديني بالإسناد واللفظ المذكورين غير أنّ فيه: فانتشد له بضعة عشر رجلاً منهم: يزيد أو زيد بن شراحيل الأنصاري. ورواه عنه حرفيّاً ابن حجر في الإصابة ج ١ص ٥٦٧ نقلاً عن كتاب الموالاة لابن عقدة. ورواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٩٣ بالإسناد وباللفظ المذكور بَيد أنّ فيه: فانتشد له بضعة عشر رجلاً فيهم عامر بن ليلى الغفاري.

١٧ - هاني بن هاني الهمدانيُّ الكوفيُّ التابعيُّ. روى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٣٣١ من طريق ابن عقدة وأبي موسى عن أبي غيلان عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مرّة، وزيد بن يُثيع، وسعيد بن وهب، وهاني بن هاني بلفظ مرّ ص ٢١٥، وسمعت هناك تحريف ابن حجر في إصابته الحديث.

١٨ - حارثة بن نصر التابعيُّ. أخرج النسائي في الخصائص ص ٤٠ قال: أخبرنا يوسف بن عيسى قال: أخبرنا الفضل بن موسى قال: حدّثنا الأعمش عن

أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قال. قال عليٌّ رضي الله عنه في الرحبة: انشد الله مَن سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول: الله وليّي وأنا وليُّ المؤمنين، ومَن كنت مولاه فهذا وليّه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره؟ فقال سعيد: قام إلي جنبي ستّة وقال حارثة بن نصر: قام ستّة. وقال زيد بن يُثيع: قام عندي ستّة. وقال عمرو ذي مرّة: أحبَّ مَن أحبّه وأبغض مَن أبغضه.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٩: روى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبدالله (القاضي المتوفّى ١٧٧) قال: لمّا بلغ عليّاً عليه السلام إنّ الناس يتّهمونه فيما يذكره من تقديم النبيّ له وتفضيله على الناس قال: انشد الله مَن بقي ممن لقي رسول الله وسمع مقاله في يوم غدير خمّ إلاّ قام فشهد بما سمع؟ فقام ستّة ممّن عن يمينه من أصحاب رسول الله، وستّة ممّن على شماله من الصحابة أيضاً، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله يقول ذلك اليوم وهو رافعٌ بيدي عليّ عليه السلام: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأحبَّ من أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه.

وقال برهان الدين الحلبيّ في سيرته ج ٣ ص ٣٠٢: قد جاء انَّ عليّاً كرّم الله وجهه قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: انشد الله من ينشد يوم غدير خمّ إلاّ قام؟ ولا يقوم رجلٌ يقول. انبئت أو بلغني، إلاّ رجل سمعت أذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيّاً، وفي رواية ثلاثون صحابيّاً، وفي المعجم الكبير ستّة عشر، وفي رواية إثنا عشر، فقال: هاتوا ما سمعتم. فذكروا الحديث ومن جملته: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وفي رواية: فهذا مولاه. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه: وكنت ممّن كتم فذهب الله ببصري، وكان عليٌّ كرَّم الله وجهه دعا على مَن كتم. ١ هـ. وهناك جمعٌ آخرون من متأخّري المحدِّثين رووا هذه المناشدة نضرب عن ذكرهم صفحاً ونقتصر على ما ذكر.

(أعلام الشهود لأمير المؤمنين)

يوم الرحبة بحديث الغدير:

١ ـ أبو زينب بن عوف الأنصاريّ.
٢ ـ أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاريّ.
٣ ـ أبو فضالة الأنصاريُّ استشهد بصفّين مع أمير المؤمنين «بدريٌّ».
٤ ـ أبو قدامة الأنصاريُّ الشهيد بصفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ أبو ليلى الأنصاريُّ يقال: استشهد بصفّين(١).
٦ ـ أبو هريرة الدوسيّ المتوفّى ٥٧/ ٨/ ٩.
٧ ـ أبو الهيثم ابن التيهان الشهيد بصفّين «بدريٌّ».
٨ ـ ثابت بن وديعة الأنصاريُّ الخزرجيُّ المدنيُّ.
٩ ـ حُبشي بن جنادة السلوليُّ شهد مع عليّ مشاهده.
١٠ ـ أبو أيوب خالد الأنصاريُّ المستشهد غازياً بالروم ٥٠/ ١/ ٢ «بدريٌّ».
١١ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاريُّ ذو الشهادتين الشهيد بصفّين «بدريٌّ».
١٢ ـ أبو شريح خويلد بن عمرو الخزاعيُّ المتوفّى ٦٨.
١٣ ـ زيد. أو يزيد بن شراحيل الأنصاريُّ.
١٤ ـ سهل بن حنيف الأنصاريُّ الأوسيُّ المتوفّى ٣٨ «بدريٌّ».
١٥ ـ أبو سعيد سعد بن مالك الخدريُّ الأنصاريُّ المتوفّى ٦٣/ ٤/ ٥.
١٦ ـ أبو العباس سهل بن سعد الأنصاريُّ المتوفّى ٩١.
١٧ ـ عامر بن ليلى الغفاريُّ.
١٨ ـ عبد الرحمن بن عبد ربّ الأنصاريُّ.
١٩ ـ عبدالله بن ثابت الأنصاريُّ خادم رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٢٠ ـ عبيد بن عازب الأنصاريّ من العشرة الدُعاة إلى الإسلام(٢).
٢١ ـ أبو طريف عديّ بن حاتم المتوفّى ٦٨ عن ١٠٠ عاماً.
٢٢ ـ عقبة بن عامر الجهني المتوفّى قرب الـ ٦٠ كان ممّن يمتُّ بمعاوية.

(١) في بعض الألفاظ: أبو يعلى الأنصاري وهو شداد بن أوس المتوفى ٥٨.
(٢) الذين وجههم عمر إلى الكوفة مع عمار بن ياسر.

٢٣ ـ ناجية بن عمرو الخزاعيّ.
٢٤ ـ نعمان بن عجلان الأنصاريّ لسان الأنصار وشاعرهم.

هذا ما أوقفنا السير عليه من أعلام الشهود لأمير المؤمنين عليه السلام، بحديث الغدير يوم مناشدة الرحبة، حسب ما مرّت من الأحاديث المتقدّمة، وقد نصَّ الإمام أحمد في حديث مرَّ ص ٢١٦ على أنَّ عدَّة الشهود في ذلك اليوم كانت ثلاثين، وأخرجه الحافظ الهيثمي في مجمعه كما مرَّ وصحّحه، وتجده في تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، والسيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٣٠٢، وفي لفظ أبي نعيم «فضل بن دكين»: فقام ناسٌ كثيرٌ فشهدوا كما مرّ ص ٢١٦.

(لفت نظر)

وأنت جِدُّ عليم بأنّ تاريخ هذه المناشدة وهو السنة الـ ٣٥، الهجريَّة كان يبعد عن وقت صدور الحديث بما يربو على خمسة وعشرين عاماً، وفي خلال هذه المدَّة كان كثير من الصحابة الحضور يوم الغدير قد قضوا نحبهم؛ وآخرون قُتلوا في المغازي، وكثيرون منهم مبثوثين في البلاد، وكانت الكوفة بمنتىءً عن مجتمع الصحابة «المدينة المنوَّرة» ولم يك فيها إلاّ شراذم منهم تبعوا الحقَّ فهاجروا إليها في العهد العلوي، وكانت هذه القصَّة من ولائد الإتفاق من غير أيَّة سابقة لها حتى تقصدها القاصدون فتكثر الشهود، وتتوفّر الرواة، وكان في الحاضرين من يُخفي شهادته حنقاً أو سفهاً كما مرَّت الإشارة إليه في غير واحد من الأحاديث وسيمرُّ عليك التفصيل، وقد بلغ مَن رواه والحال هذه هذا العدد الجمّ فكيف به؟ لو تُزاح عنه تلكم الحواجز فبذلك كلّه تعلم مقدار شهرة الحديث وتواتره في هاتيك العصور المتقادمة.

وأمّا إختلاف عدد الشهود في الأحاديث فيحمل على أنَّ كلاً من الرواة ذكر مَن عرفه أو إلتفت إليه، أو من كان إلى جنبه أو أنّه ذكر مَن كان في جانبي المنبر، أو في أحدهما ولم يتلفت إلى غيرهم، أو أنّه ذكر مَن كان بدريّاً، أو أراد مَن كان من الأنصار، أو أنّه لَمّا علت عقيرة القوم بالشهادة وشخصت الأبصار

والأسماع للتلقي ووقعت اللَّجبة كما هو طبع الحال في أمثاله من المجتمعات ذهل بعضٌ عن بعض، وآخر عن آخرين، فنقل كلٌّ مَن يضبطه من الرجال.

٤ (مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام)
يوم الجمل سنة ٣٦ على طلحة

أخرج الحافظ الكبير أبو عبدالله الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧١ عن الوليد، وأبي بكر بن قريش قالا: حدّثنا الحسن بن سفيان: حدّثنا محمَّد بن عبدة: حدّثنا الحسن بن الحسين[1] حدّثنا رفاعة بن إياس الضبّي عن أبيه عن جدّه[2] قال: كنّا مع عليّ يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيدالله أن القني فأتاه طلحة فقال: نشدتك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ قال: نعم. قال: فلِمَ تقاتلني؟ قال: لم أذكر. قال: فانصرف طلحة.

ورواه المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ١١ ولفظه: ثمّ نادى عليٌّ رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمَّد مَا الذي أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان. قال عليٌّ: قتل الله أولادنا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله يقول: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ وأنت أوَّل مَن بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: مَن نكث فإنّما ينكث على نفسه[3] فقال: أستغفر الله، ثمّ رجع.

ورواه الخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ١١٢ بإسناده من طريق الحافظ أبي عبدالله الحاكم، عن رفاعة عن أبيه عن جدِّه قال: كنَّا مع عليٍّ يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيدالله التميمي فأتاه فقال: أنشدتك الله هل سمعت رسول الله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه،

---

(١) كذا في النسخ والصحيح بمكان رفاعة: حسين بن حسن الأشقر المترجم ص ١١٣
(٢) هو نذير (بالتصغير) الضبي الكوفي من كبار التابعين، وحفيد رفاعة المذكور ثقة كما في التقريب توفي بعد ١٨٠.
(٣) سورة الفتح: ١٠.

وعاد مَن عاداه، واخذل مَن خذله، وانصر مَن نصره؟ قال: نعم. قال: فلِمَ تقاتلني؟ قال: نسيت ولم أذكر. قال: فانصرف طلحة ولم يردّ جواباً.

ورواه الحافظ الكبير ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٧ ص ٨٣، وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٤٢، والحافظ أبو بكر الهيثميّ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٧ من طريق البزّار، وابن حجر في تهذيبه ج ١ ص ٣٩١ بإسناده من طريق النسائي، والسيوطيّ في جمع الجوامع كما في كنز العمال ج ٦ ص ٨٣ قريباً من لفظ الخوارزمي من طريق ابن عساكر، وأبو عبدالله محمّد بن محمّد بن يوسف السنوسي في شرح مسلم ج ٦ ص ٢٣٦، وأبو عبدالله محمّد بن خليفة الوشتاني المالكي في شرح مسلم ج ٦ ص ٢٣٦، والشيخ إبراهيم الوصّابي في الإكتفاء من طريق ابن عساكر.

٥ (حديث الركبان)

في الكوفة سنة ٣٦/ ٣٧هـ

أخرج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل، عن يحيى بن آدم، عن حَنش بن الحارث بن لقيط النخعيّ الأشجعيّ عن رياح (بالمثناة) بن الحارث[١] قال: جاء رهطٌ إلى عليٍّ بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا! قال: وكيف أكون مولاكم وأنتم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال رياح: فلمّا مضوا تبعتهم فسألتُ مَن هؤلاء؟ قالوا: نفرٌ من الأنصار فيهم: أبو أيوب الأنصاري.

وبإسناده عن رياح قال: رأيت قوماً من الأنصار قدموا على عليٍّ في الرحبة فقال: مَن القوم؟ فقالوا: مواليك يا أمير المؤمنين؟ الحديث. وعنه قال: بينما عليٌّ جالسٌ إذ جاء رجلٌ فدخل، عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يا مولاي! قال: مَن هذا؟ قال: أبو أيوب الأنصاري. فقال عليٌّ: أفرجوا له ففرّجوا فقال أبو أيّوب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

---

(١) رجال الحديث من طريق أحمد، وابن أبي شيبة، والهيثمي، وابن ديزيل كلهم ثقات كما مرت تراجمهم في التابعين، وطبقات العلماء.

وقال إبراهيم بن الحسين[1] بن علي الكسائي المعروف بابن ديزيل (المترجم ص ١٢٩) في كتاب صفّين[2] حدّثنا يحيى بن سليمان (الجعفي) قال: حدّثنا ابن فضيل (محمّد الكوفي) قال: حدّثنا الحسن بن الحكم النخعي عن رياح بن الحارث النخعي، قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام، إذ قدم عليه قومٌ متلثّمون فقالوا: السلام عليك يا مولانا! فقال لهم: أوَلستم قوماً عُرباً؟ قالوا: بلى. ولكنّا: سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. فقال: لقد رأيت عليّاً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثمَّ قال: اشهدوا. ثمَّ إنَّ القوم مضوا إلى رحالهم فتبعتهم فقلت لرجل منهم: من القوم؟ قالوا: نحن رهطٌ مَن الأنصار، وذلك يعنون رجلاً منهم: أبو أيّوب صاحب منزل رسول الله صلّى الله عليه وآله. قال: فأتيته وصافحته.

وروى الحافظ أبو بكر ابن مردويه (كما في كشف الغمّة ص ٩٣) عن رياح بن الحارث، قال: كنت في الرحبة مع أمير المؤمنين إذ أقبل ركبٌ يسيرٌ حتى أناخوا بالرحبة ثمّ أقبلوا يمشون حتى أتوا عليّاً عليه السلام، فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! ورحمة الله وبركاته، قال: مَن القوم؟ قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين! قال: فنظرت إليه وهو يضحك ويقول: مِن أين وأنتم قومٌ عُرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خمّ وهو آخذٌ بعضدك: أيّها الناس! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وعليٌّ مولى مَن كنت مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فقال: أنتم تقولون ذلك؟ قالوا: نعم. قال: وتشهدون عليه؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم. فانطلق القوم وتبعتهم فقلت لرجل منهم: مَن أنتم يا عبدالله؟ قالوا: نحن رهطٌ من الأنصار وهذا أبو أيّوب صاحب منزل رسول الله ﷺ فأخذت بيده فسلّمت عليه وصافحته.

---

(١) في النسخ. الحسن وهو تصحيف.

(٢) كما في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٨٩، قال ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٧١: كتاب ابن ديزيل في وقعة صفين مجلد كبير.

وروى عن حبيب بن يسار، عن أبي رميلة، إنّ ركباً أربعة أتوا عليّاً عليه السلام حتى أناخوا بالرحبة ثمّ أقبلوا إليه فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! ورحمة الله وبركاته. قال: وعليكم السّلام أنّى أقبل الركب؟ قالوا: أقبل مواليك من أرض كذا وكذا، قال أنّى أنتم مواليّ؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٣٦٨ عن كتاب الموالاة لابن عقدة، بإسناده عن أبي مريم زرّ بن حُبيش قال: خرج عليٌّ من القصر فاستقبله ركبان متقلّدي السيوف فقالوا: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين! السَّلام عليك يا مولانا! ورحمة الله وبركاته. فقال عليٌّ عليه السلام: مَن ها هنا مِن أصحاب النبيِّ ﷺ؟ فقام إثنى عشر منهم: قيس بن ثابت بن شماس. وهاشم بن عتبة، وحبيب بن بديل بن ورقاء، فشهدوا أنَّهم سمعوا النبيَّ ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، . وأخرجه أبو موسى «المديني».

ورواه عن كتاب الموالاة لابن عقدة ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣٠٥ وأسقط صدره إلى قوله: «فقال عليٌّ» ولم يذكر من الشهود هاشم بن عتبة، جرياً على عادته بتنقيص فضائل آل الله.

وروى محبُّ الدين الطبري في «الرياض النضرة» ج ٢ ص ١٦٩ من طريق أحمد بلفظه الأوّل، وعن معجم الحافظ البغوي أبي القاسم بلفظ أحمد الثاني، وابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١٢ عن أحمد بطريقيه ولفظيه الأوّلين، وفي ج ٧ ص ٣٤٧ عن أحمد بلفظه الأوَّل، وقال في ص ٣٤٨: قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا شريك،عن حنش،عن رياح بن الحارث قال: بينا نحن جلوسٌ في الرحبة مع عليّ إذ جاء رجلٌ عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يا مولاي! قالوا: مَن هذا؟ فقال أبو أيّوب: سمعت رسول الله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

ورواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٤ بلفظ أحمد الأوَّل

ثمّ قال: رواه أحمد، والطبراني، إلاّ أنّه قال: قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وهذا أبو أيّوب بيننا. فحسر أبو أيّوب العمامة عن وجهه ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه. ورجال أحمد ثقاتٌ. اهـ.

وقال جمال الدين عطاء الله بن فضل الله الشيرازي في كتابه: (الأربعين في مناقب أمير المؤمنين) عند ذكر حديث الغدير: ورواه زِرّ بن حُبيش فقال: خرج عليٌّ من القصر فاستقبله ركبان متقلّدي السيوف عليهم العمائم حديثي عهد بسفر فقالوا: السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم يا مولانا! فقال عليٌّ بعد ما ردّ السلام: مَن ها هنا مِن أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقام إثنا عشر رجلاً منهم خالد بن زيد أبو أيّوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن ثابت بن شماس، وعمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وحبيب بن بديل بن ورقاء فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله يوم غدير خمّ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. الحديث فقال عليٌّ لأنس بن مالك والبراء بن عازب: ما منعكما أن تقوما فتشهدا فقد سمعتما كما سمع القوم؟ فقال: اللهمّ إن كانا كتماها معاندةً فأبلهما. فأمّا البراء فعمي فكان يسأل عن منزله فيقول: كيف يرشد من أدركته الدعوة؟ وأمّا أنس فقد برصت قدماه. وقيل: لَمّا استشهد عليٌّ عليه السلام قول النبيّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، إعتذر بالنسيان. فقال: اللهمّ إن كان كاذباً فاضربه ببياض لا تواريه العمامة. فبرص وجهه فسدل بعد ذلك برقعاً على وجهه. ع ١ ص ٢١١ وج ٢ ص ١٣٧.

وقال أبو عمرو الكشي في فهرسته ص ٣٠: فيما روي من جهة العامَّة، روى عبدالله بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو مريم الأنصاري، عن المنهال بن عمرو عن زِرّ بن حُبيش قال: خرج عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام من القصر فاستقبله ركبان متقلّدون بالسيوف عليهم العمائم فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا مولانا! فقال عليٌّ: مَن ها هنا مِن أصحاب

رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ فقام خالد بن زيد أبو أيّوب، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبدالله بن بديل بن ورقاء، فشهدوا جميعاً أنهم سمعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عليٌّ عليه السلام لأنس بن مالك والبراء بن عازب: ما منعكما أن تقوما فتشهدا فقد سمعتما كما سمع القوم؟ ثمّ قال: اللهمّ إن كانا كتماها معاندةً فابتلهما. فعمي البراء بن عازب وبرص قدما أنس بن مالك، فحلف أنس بن مالك أن لا يكتم منقبةً لعليٍّ بن أبي طالب ولا فضلاً أبداً، أمّا البراء بن عازب فكان يسأل عن منزله فيقال: هو في موضع كذا وكذا. فيقول: كيف يُرشد من أصابته الدعوة؟.

وهناك غير واحد من محدّثي المتأخّرين ذكروا هذه الأثارة لا نطيل بذكرهم المقال.

(أعلام الشهود لأمير المؤمنين عليه السلام)

بحديث الغدير يوم الركبان حسب ما مرَّ من الأحاديث.

١ - أبو الهيثم بن التيهان «بدريٌّ».
٢ - أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاريُّ.
٣ - حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعيُّ.
٤ - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الشهيد بصفّين «بدريّ».
٥ - عبدالله بن بديل بن ورقاء الشهيد بصفّين.
٦ - عمّار بن ياسر قتيل الفئة الباغية بصفّين «بدريٌّ».
٧ - قيس بن ثابت بن شماس الأنصاريُّ.
٨ - قيس بن سعد بن عبادة الخزرجيُّ «بدريٌّ».
٩ - هاشم المرقال بن عتبة صاحب راية عليٍّ والشهيد بصفّين.

(من أصابته الدعوة)

بإخفاء حديث الغدير.

قد مرَّ الإيعاز في غير واحد من أحاديث المناشدة يومي الرحبة، والركبان،

إلى أنَّ قوماً من أصحاب النبيِّ صلّى الله عليه وآله الحضور في يوم غدير خمّ، قد كتموا شهادتهم لأمير المؤمنين عليه السلام بالحديث فدعا عليهم فأخذتهم الدعوة، كما وقع النصُّ بذلك في غير واحد من المعاجم، والقوم هم:

١ ـ أبو حمزة أنس بن مالك المتوفّى ٩٠/ ١/ ٣.
٢ ـ براء بن عازب الأنصاريُّ المتوفّى ٧١/ ٢.
٣ ـ جرير بن عبدالله البجليُّ المتوفّى ٥١/ ٥٤.
٤ ـ زيد بن أرقم الخزرجيُّ ٦٦/ ٨.
٥ ـ عبد الرحمن بن مدلج.
٦ ـ يزيد بن وديعة.

(نظرة في حديث إصابة الدعوة)

رُبما يقف في صدر القارىء الإختلاف بين الأحاديث الناصَّة بأنَّ أنساً قد أصابته الدعوة بكتمان الشهادة، وما جاء موهماً بشهادته، لكن: عرفتَ أنّ الفريق الأخير منهما محرَّف المتن فيه تصحيفٌ، وعلى تقدير سلامته لا يقاوم الأوَّل كثرةً وصحَّةً وصراحةً، مع ما هناك من نصوص اخرى غير ما ذكر. منها:

قال أبو محمَّد ابن قتيبة (المترجم ص ١٢٨) في المعارف ص ٢٥١: أنس بن مالك كان بوجهه برصٌ وذكر قومٌ: إنَّ عليّاً رضي الله عنه سأله عن قول رسول الله: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فقال: كبرت سنِّي ونسيت، فقال عليٌّ: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواريها العمامة.

(قال الأميني) هذا نصُّ ابن قتيبة في الكتاب، وهو الذي اعتمد عليه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٨٨ حيث قال: قد ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنسٍ بن مالك في كتاب المعارف في باب البرص من أعيان الرجال وابن قتيبة غير متّهم في حقِّ عليّ عليه السلام على المشهور من إنحرافه عنه. اهـ. وهو يكشف عن جزمه بصحَّة العبارة وتطابق النسخ على ذلك كما يظهر من غيره أيضاً ممن نقل هذه الكلمة عن كتاب المعارف، لكن: اليد الأمينة على ودائع العلماء في

كتبهم في المطابع المصريَّة دسَّت في الكتاب ما ليس منه فزادت بعد القصَّة ما لفظه: قال أبو محمَّد: ليس لهذا أصلٌ. ذهولاً عن أنَّ سياق الكتاب يعرب عن هذه الجناية، ويأبى هذه الزيادة إذ المؤلِّف يذكر فيه من مصاديق كلِّ موضوع ما هو المسلّم عنده. ولا يوجد من أول الكتاب إلى آخره حكمٌ في موضوع بنفي شيء من مصاديقه بعد ذكره إلاّ هذه فأوَّل رجل يذكره في عدِّ مَن كان عليه البرص هو أنس ثمّ يعدُّ مَن دونه، فهل يُمكن أن يذكر مؤلِّفٌ في إثبات ما يرتئيه مصداقاً ثم ينكره بقوله لا أصل له؟ وليس هذا التحريف في كتاب المعارف بأوّل في بابه فسيوافيك في المناشدة الرابعة عشرة حذفها منه، وقد وجدنا في ترجمة المهلب بن أبي صفرة من تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٧٣ نقلاً عن المعارف ما حذفته المطابع.

وقال أحمد بن جابر البلاذري المتوفّى ٢٧٩ في الجزء الأوَّل من أنساب الأشراف: قال عليٌّ على المنبر: انشد الله رجلاً سمع رسول الله يقول يوم غدير خمّ: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، إلاّ قام وشهد؟ وتحت المنبر أنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجرير بن عبدالله البجلي، فأعادها فلم يجبه أحدٌ فقال: اللهمّ مَن كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تُخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يُعرف بها. قال: فبرص أنس، وعمي البراء، ورجع جرير أعرابيّاً بعد هجرته فأتى الشراة فمات في بيت امِّه. وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٤٨: المشهور انَّ عليّاً عليه السلام ناشد الناس في الرحبة بالكوفة فقال: انشدكم الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول لي وهو منصرفٌ من حجَّة الوداع: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ فقام رجالٌ فشهدوا بذلك. فقال عليه السلام لأنس بن مالك: ولقد حضرتّها فمالك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! كبرت سني وصار ما أنساه أكثر ممّا أذكره فقال له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العمامة. فما مات حتى أصابه البرص.

وقال في ج ١ ص ٣٦١: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديِّين إنَّ عدَّةً من الصحابة والتابعين والمحدِّثين كانوا منحرفين من عليّ عليه السلام قائلين فيه السوء ومنهم مَن كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا وإيثاراً للعاجلة، فمنهم:

أنس بن مالك، ناشد عليٌّ عليه السلام في رحبة القصر أو قالوا برحبة الجامع بالكوفة: أيّكم سمع رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقام إثنا عشر رجلاً فشهدوا بها وأنس بن مالك في القوم لم يقم. فقال له: يا أنس! ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها فقال: يا أمير المؤمنين! كبرت ونسيت. فقال: اللهمَّ إن كان كاذباً فارمه بيضاء لا تواريها العمامة. قال طلحة بن عُمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه، وروى عثمان بن مطرف: إنَّ رجلاً سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن عليٍّ بن أبي طالب؟ فقال: إني آليتُ أن لا أكتم حديثاً سُئلت عنه في عليٍّ بعد يوم الرحبة، ذاك رأس المتّقين يوم القيامة، سمعته والله من نبيِّكم.

وفي تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ١٥٠: قال أحمد بن صالح العجلي: لم يبتل أحد من أصحاب النبيِّ ﷺ إلا رجلين مُعيقيب[1] كان به داء الجذام، وأنس بن مالك كان به وضحٌ يعني البرص، وقال أبو جعفر: رأيت أنساً يأكل فرأيته يلقم لقماً كباراً ورأيت به وضحاً وكان يتخلّق بالخلوق. وقول العجلي المذكور حكاه أبو الحجّاج المزّي في تهذيبه كما في خلاصة الخزرجي ص ٣٥ وقد نظم السيِّد الحميري[2] إصابة الدعوة عليه في لاميّته الآتية بقوله:

في ردّه سيِّدَ كلِّ الورى ... مولاهم في المحكم المنزلِ
فصدَّه ذو العرش عن رُشده ... وشانه بالبرص الأنكلِ

وقال الزاهي[3] في قصيدته التي تأتي:

ذاك الذي استوحش منه أنس ... أن يشهد الحق فشاهد البرصْ
إذ قال: مَن يشهد بالغدير لي ... فبادر السامعُ وهو قد نكصْ
فقال: أنسيت. فقال: كاذبٌ ... سوف ترى ما لا تواريه القمصْ

(١) معيقيب (مصغراً) هو ابن أبي فاطمة الدوسي الأزدي، من أمناء عمر بن الخطاب على بيت المال، ترجمه ابن قتيبة في المعارف ص ١٣٧.
(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الثاني، يأتي هناك شعره وترجمته.
(٣) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع، يأتي هناك شعره وترجمته.

وهناك حديثٌ مجملٌ أحسبه إجمال هذا التفصيل، أخرج الخوارزمي من طريق الحافظ ابن مردويه في مناقبه، عن زاذان أبي عمرو: إنَّ عليّاً سأل رجلاً في الرحبة من حديث فكذَّبه، فقال عليٌّ: إنَّك قد كذَّبتني، فقال: ما كذَّبتك. فقال: أدعو الله عليك إن كنت كذَّبتني أن يعمي بصرك، قال: ادع الله. فدعا عليه فلم يخرج من الرحبة حتى قبض بصره.

ورواه خواجه پارسا في فصل الخطاب من طريق الإمام المستغفري[١] وكذلك نور الدِّين عبد الرحمن الجامي عن المستغفري، وعدَّه ابن حجر في الصواعق ص ٧٧ من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام، ورواه الوصّابي في محكيِّ الإكتفاء عن زاذان من طريق الحافظ عمر بن محمَّد الملائي في سيرته وجمع آخرون.

٦ (مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام)
يوم صفّين سنة ٣٧

قال أبو صادق سليم بن قيس الهلالي التابعي الكبير في كتابه[٢]: صعد

---

(١) جعفر بن محمد النسفي المستغفري المولود ٣٥٠ والمتوفى ٤٣٢ صاحب التآليف القيمة ترجمه الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٣٠٠.

(٢) كتاب سليم من الأصول المشهورة المتداولة في العصور القديمة، المعتمد عليها عند محدثي الفريقين وحملة التاريخ، قال النديم في الفهرست ص ٣٠٧: (ان سليماً) لما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليَّ حقاً وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي! إنه كان من أمر رسول الله كيت وكيت. وأعطاه كتاباً وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور، إلى أن قال: وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم. وفي التنبيه والإشراف للمسعودي ص ١٩٨ ما نصه: والقطيعة بالإمامة الإثنا عشرية منهم الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه. وقال السبكي في محاسن الرسائل في معرفة الأوائل. إنّ أوّل كتاب صنف للشيعة هو كتاب سليم. واللام في كلام النديم، والسبكي للمنفعة نمفادهاأنهمكانوا يحتجون به فيخصمون المجادل لاقتناعه بما فيه ثقة بأمانة سليم في النقل لا محض أن الشيعة تقتنع بما فيه وهو الذي يعطيه كلام المسعودي حيث أسند احتجاج الإمامية الإثنى عشرية في حصر العدد بما فيه، فإن الاقتناع بمجرده غير مجد في عصور قام الحجاج فيها على أشدها، ولذلك أسند إليه وروى عنه غير واحد من أعلام العامة منهم الحاكم الحسكاني (المترجم ص ١٤٧) في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، والإمام الحمويني (المترجم ص ١٥٨) في فرائد السمطين، والسيد ابن شهاب الهمداني (المذكور ص ١٦٣) في مودة القربى، والقندوزي الحنفي (المترجم =

عليٌّ عليه السلام المنبر (في صفّين) في عسكره وجمع الناس ومَن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار، ثمَّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: معاشر الناس! إنّ مناقبي أكثر من أن تُحصى وبعد ما أنزل الله في كتابه من ذلك وما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، أكتفي بها عن جميع مناقبي وفضلي، أتعلمون أنَّ الله فضَّل في كتابه السابق على المسبوق وأنّه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحدٌ من الامَّة، قالوا: نعم. قال: انشدكم الله سُئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن قوله: السابقون السابقون أولئك المقرّبون. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم وأنا أفضل أنبياء الله ورسله ووصيّي عليٌّ بن أبي طالب أفضل الأوصياء! فقام نحو من سبعين بدريّاً جُلّهم من الأنصار وبقيّتهم من المهاجرين منهم: أبو الهيثم بن التيهان، وخالد بن زيد أبو أيّوب الأنصاري، وفي المهاجرين عمّار بن ياسر، فقالوا: نشهد أنّا قد سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله قال ذلك. قال: فأنشدكم بالله! في قول الله: يا أيّها الَّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسولَ وأولي الأمر مِنكم. وقوله: إنَّما وَليّكم الله ورَسوله وَالَّذين آمنوا. الآية. ثمّ قال: ولم يتَّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة. فقال الناس: يا رسول الله؟ أخاصٌّ لبعض المؤمنين؟ أم عامٌّ لجميعهم؟ فأمر الله جلَّ وعزَّ رسوله أن يعلمهم وأن يُفسِّر لهم من صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجِّهم، فنصبني بغدير خمّ، وقال: إنَّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أنَّ الناس مكذِّبي فأوعدني لابلغها أو يعذِّبني، قم يا عليُّ! ثمّ نادى بالصلاة جامعةً فصلّى بهم الظهر ثمّ قال: أيّها الناس! إنَّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم، مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. فقام عليه سلمان الفارسي فقال: يا رسول الله! ولاءٌ كماذا؟ فقال: ولاءٌ كولاي مَن كنت أولى به من نفسه، فعليٌّ أولى به من نفسه، وأنزل الله: اليومَ أكملت لكم دينكم

ص ١٨٥) في ينابيع المودة، وغيرهم وحول الكتاب كلمات درية أفردناها في رسالة، وإنما ذكرنا هذا الإجمال لتعلم أن التعويل على الكتاب مما تسالم عليه الفريقان، وهو الذي حدانا إلى النقل عنه في كتابنا هذا.

وَأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً (إلى أن قال): فقام إثنا عشر رجلاً من البدريِّين فقالوا: نشهد إنّا سمعنا ذلك من رسول الله كما قلت. الحديث وهو طويلٌ وفيه فوائد جمَّة.

٧ (إحتجاج الصدّيقة فاطمة)
بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله

قال شمس الدين أبو الخير الجزريُّ الدمشقيُّ المقريُّ الشافعيُّ (المترجم ص ١٦٦) في كتابه أسنى المطالب في مناقب عليِّ بن أبي طالب[١]: وألطف طريق وقع لهذا الحديث «يعني حديث الغدير» وأغربه ما حدَّثنا به شيخنا خاتمة الحفّاظ أبو بكر محمّد بن عبدالله بن المحبّ المقدسي مشافهةً، أخبرتنا الشيخة أمُّ محمَّد زينب إبنة أحمد بن عبد الرحيم المقدسية، عن أبي المظفَّر محمَّد بن فتيان بن المثنّى، أخبرنا أبو موسى محمَّد بن أبي بكر الحافظ، أخبرنا ابن عمَّة والدي القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمَّد بن عبد الواحد المدني بقراءتي عليه، أخبرنا ظفر بن داعي العلويّ باستراباد، أخبرنا والدي وأبو أحمد ابن مطرف المطرفي قالا: حدَّثنا أبو سعيد الإدريسي إجازةً فيما أخرجه في تاريخ أستراباد، حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن الحسن أبو العباس الرشيدي من ولد هارون الرشيد بسمرقند وما كتبناه إلّا عنه، حدَّثنا أبو الحسن محمَّد بن جعفر الحلواني، حدَّثنا عليُّ بن محمَّد بن جعفر الأهوازي مولى الرشيد، حدَّثنا بكر بن أحمد القصري، حدّثتنا فاطمة، وزينب، وام كلثوم، بنات موسى بن جعفر عليه السلام قلن: حدَّثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمَّد الصادق، حدَّثتني فاطمة بنت محمَّد بن علي، حدَّثتني فاطمة بنت عليِّ بن الحسين. حدَّثتني فاطمة، وسكينة إبنتا الحسين بن عليٍّ عن امّ كلثوم بنت فاطمة بنت النبي، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها قالت: أنسيتم قول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ، مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ وقوله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟ وهكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المديني في كتابه

(١) ذكره السخاوي في الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٥٦، والشوكاني في البدر الطالع ج ٢ ص ٢٩٧.

المسلسل بالأسماء وقال: هذا الحديث مسلسلٌ من وجه وهو إنَّ كلَّ واحدة من الفواطم تروي عن عمَّة لها فهو رواية خمس بنات أخ كلّ واحدة منهنَّ عن عمَّتها.

٨ (إحتجاج الإمام السبط)
أبي محمّد الحسن عليه السلام سنة ٤١

أخرج الحافظ الكبير أبو العباس ابن عقدة، أنّ الحسن بن عليٍّ عليهما السلام لمّا أجمع على صلح معاوية قام خطيباً وحمد الله وأثنى عليه وذكر جدَّه المصطفى بالرسالة والنبوَّة، ثمّ قال: إنا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واختارنا واصطفانا وأذهب عنَّا الرجس وطهَّرنا تطهيراً، لم تفترق الناس فرقتين إلاّ جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدّي محمَّد. فلمّا بعث الله محمَّداً للنبوَّة واختاره للرسالة وأنزل عليه كتابه ثمّ أمره بالدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ فكان أبي أوَّل من استجاب لله ولرسوله، وأوَّل مَن آمن وصدَّق الله ورسوله ﷺ وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيِّه المرسل: أفمن كان على بيّنةٍ من ربّه وَيتلوهُ شاهدٌ منه. فجدّي الذي على بيِّنةٍ من ربِّه وأبي الذي يتلوه وهو شاهدٌ منه «إلى أن قال»: وقد سمعت هذه الامَّة جدّي ﷺ يقول: ما ولَّت امّة أمرها رجلاً وفيهم مَن هو أعلم منه إلاّ لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوه. وسمعوه يقول لأبي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنَّه لا نبيَّ بعدي. وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خمّ وقال لهم: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، ثمَّ أمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب. وذكر شطراً من هذه الخطبة القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ٤٨٢) وفيه الحجاج بحديث الغدير.

٩ (مناشدة الإمام السبط)
الحسين عليه السلام بحديث الغدير سنة ٥٨/ ٩

ذكر التابعيُّ الكبير أبو صادق سليم بن قيس الهلالي في كتابه جملاً ضافية حول شدَّة نكير معاويـة بن أبي سفيان على شيعـة أمير المؤمنين عليـه السلام

ومواليه، بعد شهادته ثمّ قال:

فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين[١] حجّ الحسين بن علي عليه السلام، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم مَن حجّ منهم ومن لم يحجّ، ومن الأنصار ممّن يعرف الحسين وأهل بيته ثمّ لم يترك أحداً حجّ ذلك العام، من أصحاب رسول الله ومن التابعين من الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعهم، واجتمع عليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه عامّتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد: فإنّ هذا الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أريد أن أسألكم عن شيءٍ فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذّبوني واسمعوا مقالتي، واكتبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم ومن ائتمنتموه من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقّنا فإنّا نخاف أن يدرس هذا الحق ويذهب ويغلب والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، وما ترك شيئاً ممّا أنزل الله في القرآن فيهم إلّا تلاه وفسّره ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله ﷺ في أبيه وامّه ونفسه وأهل بيته إلّا رواه وكلّ ذلك يقولون: اللهمّ نعم قد سمعنا وشهدنا. ويقول التابعون: اللهمّ نعم قد حدّثني به من أصدقه وآتمنه من الصحابة - إلى أن قال -: قال عليه السلام: انشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله نصبه يوم غدير خمّ فنادى له بالولاية وقال: ليبلّغ الشاهد الغائب؟ قالوا: اللهمّ نعم. الحديث وفيه طُرفٌ ممّا تواترت أسانيده من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فراجع.

١٠ إحتجاج عبدالله بن جعفر)

على معاوية بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب: كنت عند معاوية، ومعنا الحسن،

---

(١) في بعض النسخ: بسنة.

والحسين عليهما السلام وعنده عبدالله بن العباس، والفضل بن عباس، فالتفت إليّ معاوية فقال: يا عبدالله! ما أشدَّ تعظيمك للحسن، والحسين! وما هما بخير منك ولا أبوهما خيرٌ من أبيك، ولولا أنَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ لقلت: ما امّك أسماء بنت عميس بدونها فقلت: والله إنَّك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبامِّهما، بل والله لهما خيرٌ منّي وأبوهما خيرٌ من أبي وأمّهما خيرٌ من امّي، يا معاوية! إنَّك لغافلٌ عمّا سمعته أنا من رسول الله ﷺ يقول فيهما وفي أبيهما وامّهما قد حفظته ووعيته ورويته، قال: هات يا ابن جعفر! فوالله ما أنت بكذّاب ولا متَّهم، فقلت: إنَّه أعظم ممّا في نفسك، قال: وإن كان أعظم من احد وحرآء «بكسر المهملة» جميعاً فلست ابالي إذا قتل الله صاحبك، وفرَّق جمعكم وصار الأمر في أهله، فحدِّثنا فما نبالي بما قلتم ولا يضرُّنا ما عددتم، قلت: سمعت رسول الله ﷺ وقد سُئل عن هذه الآية، ﴿وَمَا جَعلنا الرُّؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس والشَّجرةَ الملعونةَ في القرآن﴾[1]. فقال: إنّي رأيت إثني عشر رجلاً من أئمّة الضلالة يصعدون منبري، وينزلون، يردّون امّتي على أدبارهم القهقرى ـ وسمعته يقول: إنَّ بني أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً.

يا معاوية! إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر، وأنا بين يديه وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام، وهو يقول: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلى. يا رسول الله، قال: أليس أزواجي امَّهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، أولى به من نفسه. وضرب بيده على منكب عليٍّ فقال: اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، أيّها الناس! أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، وعليٌّ من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر، ثمَّ ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر، ثمّ عاد فقال: أيّها الناس! إذا أنا استشهدت فعليّ أولى بكم من

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

أنفسكم، فإذا استشهد عليٌّ فإبني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، وإذا استشهد الحسن فإبني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم [إلى أن قال]: فقال معاوية يا بن جعفر! لقد تكلّمت بعظيم ولئن كان ما تقول حقّاً لقد هلكت امّة محمَّد من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأولياءكم وأنصاركم؟ فقلت: والله إنّ الذي قلتُ حقٌّ سمعته من رسول الله ﷺ قال معاوية: يا حسن ويا حسين ويا بن عباس ما يقول إبن جعفر؟ فقال إبن عباس: إن كنت لا تؤمن بالذي قال فأرسل إلى الّذين سمّاهم فاسألهم عن ذلك. فأرسل معاوية إلى عمر بن أبي سلمة وإلى أسامة بن زيد فسألهما فشهدا أنَّ الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله ﷺ كما سمعه «إلى أن قال من كلام ابن جعفر»: ونبينا ﷺ قد نصب لامَّته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خمّ وفي غير موطن واحتجَّ عليهم به وأمرهم بطاعته وأخبرهم انَّه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنَّه وليُّ كلِّ مؤمن من بعده، وأنَّه كلّ مَن كان هو وليّه فعليٌّ وليّه ومَن كان أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به، وأنَّه خليفته فيهم ووصيّه وأنَّ مَن أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصى الله. ومَن والاه والى الله ومَن عاداه عادى الله. الحديث وفيه فوائد كثيرة قيِّمةٌ جدّاً «كتاب سليم».

١١ (إحتجاج برد على عمرو)
ابن العاصي بحديث الغدير

قال أبو محمَّد ابن قتيبة «المترجم ص١٢٨» في الإمامة والسياسة ص ٩٣: وذكروا أنّ رجلاً من همدان يقال له: برد. قدم على معاوية فسمع عَمْراً يقع في عليٍّ عليه السلام فقال له يا عمرو إنَّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فحقٌّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقٌّ وأنا أزيدك: إنّه ليس أحدٌ من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليٍّ. ففزع الفتى فقال عمرو: إنَّه أفسدها بأمره في عثمان. فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا ولكنه آوى ومنع. قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيعته؟ قال: إتِّهامي إيّاه في عثمان، قال له: وأنت أيضاً قد اتُّهِمت: قال صدقت

فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم، عليٌّ على الحقّ فاتّبعوه.

١٢ (إحتجاج عمرو بن العاص)
على معاوية بحديث الغدير

ذكر الخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ١٢٤ كتاباً لمعاوية كتبه إلى عمرو بن العاص، يستهويه لنصرته في حرب صفّين ثمّ ذكر كتاباً لعمرو مجيباً به معاوية وستقف على الكتابين في ترجمة عمرو بن العاص، ومن كتاب عمرو قوله:

وأمّا ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله ووصيّه إلى البغي والحسد على عثمان، وسمّيت الصحابة فسقةً وزعمت انّه أشلاهم على قتله، فهذا كذبٌ وغوايةٌ، ويحك يا معاوية! أما علمت أنّ أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله ﷺ وبات على فراشه؟ وهو صاحب السبق إلى الإسلام والهجرة، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: هو منّي وأنا منه، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ انّه لا نبيّ بعدي. وقال فيه يوم غدير خمّ: ألا مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله.

١٣ (إحتجاج عمار بن ياسر)
يوم صفّين على عمرو بن العاصي سنة ٣٧

روى نصر(١) بن مزاحم الكوفي في كتاب [صفّين] ص ١٧٦ في حديث طويل عن عمّار بن ياسر يخاطب عمرو بن العاصي يوم صفّين قال:

أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله، أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأمّا المارقين فما أدري أدركهم أم لا، أيّها

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٨٣: ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم من كتاب صفين في هذا المعنى، فهو في نفسه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال، وهو من رجال أصحاب الحديث.

الأبتر! ألستَ تعلم أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعليٍّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ وأنا مولى الله ورسوله وعليٌّ بعده، وليس لك مولى، فقال له عمرو: لِمَ تشتمني يا أبا اليقظان؟ يأتي تمام الحديث في ترجمة عمرو بن العاصي فراجع، وذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٣.

١٤ (إحتجاج أصبغ بن نباتة)

بحديث الغدير في مجلس معاوية سنة ٣٧

كتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه أيّام صفّين كتاباً إلى معاوية بن أبي سفيان، وأرسله إليه بيد أصبغ (المترجم ص٩٠) ابن نباتة، قال الأصبغ: فدخلت على معاوية وهو جالسٌ على نطح من الادم متَّكئاً على وسادتين خضراويّتين، ومن يمينه عمرو بن العاص، وحوشب، وذو الكلاع[1] وعن شماله أخوه عتبة (المتوفّى ٤٣/ ٤) وابن عامر بن كريز (عبدالله المتوفّى ٥٧/ ٨) والوليد (الفاسق بنصِّ القرآن) ابن عقبة، وعبد الرحمن (المتوفّى ٤٧) ابن خالد، وشرحبيل (المتوفّى ٤٠/ ١) ابن السمط، وبين يديه أبو هريرة، وأبو الدَّرداء[2] والنعمان (المتوفّى ٦٥) ابن بشير، وأبو أمامة الباهلي (صدي المتوفّى ٨١) فلمَّا قرأ الكتاب قال: إنَّ عليّاً لا يدفع إلينا قتلة عثمان. قال الأصبغ: فقلت له: يا معاوية! لا تعتلَّ بدم عثمان فإنَّك تطلب الملك والسلطان، ولو كنت أردت نصره حيّاً لنصرته، ولكنك تربَّصت به لتجعل ذلك سبباً إلى وصول الملك. فغضب من كلامي فأردت أن يزيد غضبه فقلت لأبي هريرة: يا صاحب رسول الله! إنّي أحلّفك بالذي لا آله إلّا هو عالم الغيب والشهادة، وبحقِّ حبيبه المصطفى عليه وآله السلام إلّا أخبرتني أشهدت يوم غدير خمّ؟ قال: بلى شهدته. قلت: فما سمعته يقول في عليٍّ؟ قال: سمعته يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر

---

(١) حوشب الحميري وذو الكلاع كانا مع معاوية في حرب صفين وقتلا بها.
(٢) عويمر الأنصاري قال ابن عبد البر في الاستيعاب في الكنى: قال أهل الأخبار: انه توفي بعد صفين.

مَن نصره، واخذل مَن خذله. فقلت له، فإذا أنت يا أبا هريرة! واليت عدوَّه وعاديت وليَّه. فتنفَّس أبو هريرة الصعداء وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

رواه الحنفي في مناقبه ص ١٣٠، وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٤٨.

١٥ (مناشدة شابّ أبا هريرة) بحديث الغدير بمسجد الكوفة[1]

أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلي(المترجم١٣٣) قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا شريك عن أبي يزيد داود الأودي المتوفّى ١٥٠ عن أبيه يزيد الأودي، وأخرج الحافظ ابن جرير الطبري، عن أبي كريب عن شاذان عن شريك عن إدريس، وأخيه داود عن أبيهما يزيد الأودي، قال: دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع إليه الناس فقام إليه شابٌّ فقال: انشدك بالله سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ قال: فقال: إنّي أشهد أنّي سمعت رسول الله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه.

ورواه الحافظ أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٥ نقلاً عن أبي يعلى والطبراني، والبزّار بطريقيه وصحَّح أحدهما ووثّق رجاله وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١٣ من طريق أبي يعلى الموصلي، وابن جرير الطبري.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٦٠: روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم، عن عمر بن عبد الغفار، إنَّ أبا هريرة لَمّا قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيّات بباب كندة ويجلس الناس إليه فجاء شابٌّ من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة! انشدك الله أسمعت من رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ بن أبي طالب: اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟

---

(١) إسناد هذه المناشدة من طريق إدريس بن يزيد صحيح رجاله كلهم ثقات.

فقال: اللهمّ نعم قال: فاشهد بالله لقد واليت عدوّه وعاديت وليّه. ثمّ قام عنه. وروت الرواة أنّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم، وكان يخطب وهو أمير المدينة فقال: الحمد لله الذي جعل الدِّين قياماً، وأبا هريرة إماماً. يضحك الناس بذلك، وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه ضرب برجليه الأرض ويقول الطريق الطريق قد جاء الأمير. يعني نفسه. قلت: قد ذكر ابن قتيبة هذا كلّه في كتاب المعارف في ترجمة أبي هريرة وقوله فيه حجّةٌ لأنّه غير متّهم عليه.

(قال الأميني) هذا كلّه قد أسقطته عن كتاب المعارف (ط مصر ١٣٥٣ هـ) يد التحريف اللاعبة به، وكم فعلت هذه اليد الأمينة هذه في عدّة موارد منه كما أنّها أدخلت فيه ما ليس منه وقد مرَّ الإيعاز إليه ص ٢٣٥.

١٦ (مناشدة رجل زيد)
ابن أرقم بحديث الغدير

رُوي عن أبي عبدالله الشيباني[1] رضي الله عنه قال: بينما أنا جالسٌ عند زيد بن أرقم، إذ جاء رجلٌ فقال: أيّكم زيد بن أرقم؟ فقال القوم: هذا زيد. فقال: انشدك بالذي لا آله إلّا هو سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه؟ قال: نعم. مودّة القربى، وينابيع المودّة ص ٢٤٩.

١٧ (مناشدة رجل عراقي)
جابر الأنصاري بحديث الغدير[2]

أخرج العلامة الكنجيُّ الشافعيُّ في كفاية الطالب ص ١٦ قال: أخبرني بذلك عالياً المشايخ منهم: الشريف الخطيب أبو تمام عليُّ بن أبي الفخار بن

---

(١) كذا في النسخ ولعل الصحيح: أبو عمرو الشيباني، وهو التابعي الكبير شيبان بن ثعلبة الكوفي المتوفى ٩٨، كان يقرأ القرآن في المسجد الأعظم بالكوفة، ترجمه الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٥٩.

(٢) سند هذه المناشدة صحيح رجاله كلهم ثقات.

أبي منصور الهاشمي بكرخ بغداد، وأبو طالب عبد اللطيف بن محمَّد بن عليّ بن حمزة القبيطي بنهر معلّى، وإبراهيم بن عثمان بن يوسف بن أيوب الكاشغري، قالوا جميعاً: أخبرنا أبو الفتح محمَّد بن عبد الباقي بن سليمان المعروف بنسيب ابن البطّي، وقال الكاشغري أيضاً: أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن أبي القاسم الطوسي المعروف بابن تاج القرّاء، قالا: أخبرنا أبو عبدالله مالك بن أحمد بن علي البانياسي، ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمَّد بن موسى بن الصلت، حدَّثنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدَّثنا أبو سعيد الأشجّ، حدّثنا مطلب بن زياد عن عبدالله بن محمَّد بن عقيل قال: كنت عند جابر بن عبدالله في بيته، وعليّ بن الحسين، ومحمَّد بن الحنفيَّة، وأبو جعفر، فدخل رجلٌ من أهل العراق فقال: بالله[١] إلاّ ما حدَّثتني ما رأيت وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ فقال: كنّا بالجحفة بغدير خمّ وثمَّ ناسٌ كثيرٌ من جهينة ومزينة وغفار فخرج علينا رسول الله ﷺ من خباء (في الفرائد: أو فسطاط) فأشار بيده ثلاثاً فأخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب وقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

ورواه الحمويني في «فرائد السمطين» في الباب التاسع قال: أخبرني الشيخ مجد الدين عبدالله بن محمود بن مودود الحنفي بقراءتي عليه ببغداد ثالث رجب سنة إثنين وسبعين وستمائة: قال الشيخ أبو بكر المسمار بن عمر بن العويس البغدادي سماعاً عليه قال: أنبأنا أبو الفتح محمَّد بن عبد الباقي المعروف بابن البطّي سماعاً عليه.

وأخبرنا الإمام الفقيه كمال الدين أبو غالب هبة الله السامري بقراءتي عليه بجامع النصر[٢] ببغداد ليلة الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان سنة إثنين وثمانين وستمائة قال: أنبأ الشيخ محاسن بن عمر بن رضوان الحرائيني سماعاً عليه في الحادي والعشرين من المحرَّم سنة إثنين وعشرين وستمائة، قال: أنبأ

---

(١) في لفظ شيخ الإسلام الحمويني: أنشدك الله الأحد.

(٢) كتب إلينا الدكتور مصطفى جواد البغدادي: والصواب «بجامع القصر» وهو جامع سوق الغزل الحالي.

أبو بكر محمّد بن عبدالله بن نصر الزعفراني سماعاً عليه في السادس عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسمائة، قال: أنبأ أبو عبدالله مالك بن أحمد بن عليّ بن إبراهيم الفرا البانياسي سماعاً عليه قال: ابن الزاغوني «المترجم ص ١٤٨» في شهر شعبان سنة ثلاث وستّين وأربعمائة، قال: أنبأ أبو الحسن أحمد بن محمّد بن موسى بن القاسم بن الصلت قراءةً عليه وأنا أسمع في رجب ثالث عشر من الشهر سنة خمس وأربعمائة، قال: إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي المكنّى بأبي إسحاق قال: أنبأ أبو سعيد الأشجّ، قال: أنبأ أبو طالب المطلب بن زياد عن عبدالله بن محمّد بن عقيل قال: كنت عند جابر «الحديث بلفظه».

ورواه ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١٣ قال: قال المطلب بن زياد عن عبدالله بن محمّد بن عقيل: سمع جابر بن عبدالله يقول: كنّا بالجحفة بغدير خمّ فخرج علينا رسول الله ﷺ من خباء أو فسطاط فأخذ بيد عليٍّ فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال شيخنا الذهبيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ.

(قال الأميني): لا يُهمنا إسقاط ابن كثير من الحديث شطراً فيه الجمع الحضور عند جابر ومناشدة العراقي إيّاه، وذكره الحديث بصورة مصغَّرة، إذ صحائف تاريخه «البداية والنهاية» تنمُّ عن لسانه البذيِّ، ويده الجانية على ودائع النبيِّ الأعظم «فضائل آل الله» وعن قلبه المحتدم بعدائهم، فتراه يسبُّ ويشتم مَن والاهم ويمدح ويُثني على من ناواهم، وينبز الصحاح من مناقبهم بالوضع، ويقذف الراوي لها على ثقته بالضعف، كل ذلك تحكّماً منه بلا دليل، ويُحرف الكلم عن مواضعها، ولو ذهبنا لنذكر كلَّ ما فيه من هذا القبيل لجاء منه كتاباً ضخماً، وحسبك من تحريفه ما ذكره من حديث بدء الدعوة النبويَّة عند نزول قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين. قال في تاريخه ج ٣ ص ٤٠ بعد ذكر الحديث الوارد في الآية الشريفة من طريق البيهقي: وقد رواه أبو جعفر ابن جرير عن محمّد بن حميد الرازي. وساق إلى آخر السند ثمّ قال: وزاد بعد قوله «وإنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة»: وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا؟ قال: فأحجم القوم عنها

جميعاً، وقلت ولأني لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: إنّ هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع. وبهذا اللفظ ذكره في تفسيره ج ٣ ص ٣٥١، وقال: وقد رواه أبو جعفر ابن جرير عن ابن حميد. إلى آخره حرفيّاً.

(وها نحن نذكر لفظ الطبريِّ بنصِّه حتى يتبيَّن الرشد من الغيِّ).

قال في تاريخه ج٢ ص ٢١٧ من الطبعة الأولى: إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوَكم إليه، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع. فإلى الله المشتكى.

نعم: رواه الطبري في تفسيره ج ١٩ ص ٧٤ محرَّفاً فهلاّ وقف ابن كثير على ما في تاريخه وقد أخرجه غير محرَّفٍ، أو على ما أخرجه غير الطبري من أئمة الحديث والتاريخ في تآليفهم؟ أو حدته ضغينته على اختيار المحرَّف من الكلم؟ والله يعلم ما تكنُّ صدورهم.

١٨ (إحتجاج قيس بن سعد)

بحديث الغدير على معاوية سنة ٥٠/ ٥٦

قدم معاوية بن أبي سفيان حاجّاً إلى المدينة في أيّام خلافته بعد ما تُوفِّي الإمام السبط الحسن صلوات الله عليه، فاستقبله أهل المدينة، فجرى بينه وبين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريِّ الخزرجيِّ الصحابيِّ الكبير حديثاً يأتي ذكره بطوله في ترجمة قيس في شعراء القرن الأوَّل، وفيه بعد قول قيس: ولعمري ما لأحدٍ من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حقٌّ مع عليٍّ وولده من بعده ما نصّه:

فغضب معاوية وقال: يا ابن سعد؟ ممَّن أخذت هذا؟ وعمَّن رويته؟ وعمَّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟ فقال قيس: سمعته وأخذته ممَّن هو خيرٌ من أبي وأعظم حقاً من أبي. قال: من؟ قال: عليٌّ بن أبي طالب عالم هذه الأمَّة وصدّيقها الذي أنزل الله فيه: قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب. فلم يَدَع آيةً نزلت في عليٍّ عليه السلام إلاّ ذكرها.

قال معاوية. فإنَّ صدّيقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام. قال قيس: أحقُّ هذه الأسماء وأولى بها الذي أنزل الله فيه: أفمن كان على بيِّنة من ربِّه ويتلوه شاهدٌ منه، والذي نصبه رسول الله صلّى الله عليه وآله بغدير خمّ فقال: مَن كنت مولاه أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه. وفي غزوة تبوك: أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنَّه لا نبيَّ بعدي (كتاب سليم الهلالي).

١٩ (إحتجاج دارميّة الحجونيّة)

على معاوية سنة ٥٠/ ٥٦

قال الزمخشري (المترجم ص ١٤٨) في ربيع الأبرار في الباب الحادي والأربعين: حجَّ معاوية فطلب امرأة يقال لها: دارميَّة[١] الحجونيّة من شيعة عليٍّ وكانت سوداء ضخمة فقال: كيف حالك؟ يا بنت حام؟ فقالت: بخير ولست بحام إنّما أنا امرأة من بني كنانة. فقال: صدقت، هل تعلمين لِمَ دعوتكِ؟ قالت: يا سبحان الله! وإنّي لم أعلم الغيب. قال: لأسألك لِمَ أحببتِ عليّاً وأبغضتيني، وواليته وعاديتيني؟ قالت: أوَتعفيني؟ قال: لا. قالت: أمّا إذا أبيتَ فإنّي أحببت عليّاً على عدله في الرعيَّة، وقسمه بالسويَّة، وأبغضتك على قتال مَن هو أولى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، وواليتُ عليّاً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاية يوم خمّ بمشهدٍ منك، وحبّه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وشقِّك العصا، وجورك في القضاء،

(١) نسبة إلى (داروم) قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر على ساحل البحر نزل بها بنو حام كما يظهر من قول معاوية: يا بنت حام. والحجون مكان معروف بمكة كانت الدارمية تنزل بها فنسبت إليها.

وحكمك بالهوى. الحديث[١].

٢٠ (إحتجاج عمرو الأودي)
على مناوئي أمير المؤمنين عليه السلام

روى مفتي الكوفة وقاضيها شريك بن عبدالله النخعي (المترجم ص١٠٧) عن أبي إسحاق السبيعيّ (المترجم ص٩٧) عن عمرو بن ميمون الأودي (المترجم ص٩٨) أنه ذُكر عنده عليٌّ بن أبي طالب (أمير المؤمنين) فقال: إنَّ قوماً ينالون منه أولئك هم وقود النار ولقد سمعت عدَّة من أصحاب محمَّد عليه السلام منهم: حذيفة بن اليمان، وكعب بن عجرة يقول كلّ رجل منهم: لقد أُعطي عليٌّ ما لم يعطه بشرٌ هو زوج فاطمة سيِّدة نساء الأوَّلين والآخرين، فمن رأى مثلها؟ أو سمع أنه تزوَّج بمثلها أحدٌ في الأوَّلين والآخرين؟ وهو أبو الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة من الأوَّلين والآخرين فمن له أيّها الناس مثلهما؟ ورسول الله حموه وهو وصيٌّ رسول الله في أهله وأزواجه. وسُدّت الأبواب التي في المسجد كلّها غير بابه. وهو صاحب باب خيبر. وهو صاحب الراية يوم خيبر. وتفل رسول الله يومئذٍ في عينيه وهو أرمد فما اشتكاهما من بعدُ ولا وجد حَرّاً ولا برداً بعد يوم ذلك. وهو صاحب يوم الغدير إذ نوَّه رسول الله باسمه وألزم امّته ولايته وعرّفهم بخطره وبيَّن لهم مكانة فقال: أيّها الناس! مَن أولى بكم مِن أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. الكلام.

٢١ (إحتجاج عمر بن عبد العزيز)
الخليفة الأمويّ المتوفّى ١٠١

روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٥ ص ٣٦٤ عن أبي بكر محمَّد التستري عن يعقوب. وعن عمر بن محمَّد السري (المتوفّى ٣٧٨) عن ابن أبي

---

(١) يوجد هذا الاحتجاج بألفاظ اخرى في بلاغات النساء ص٧٢، والعقد الفريد ج ١ ص١٦٢، وصبح الأعشى ج ١ ص٢٥٩.

داود قالا: حدَّثنا عمر بن شبّة عن عيسى عن يزيد بن عمر بن مورق قال: كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يُعطي الناس فتقدَّمت إليه فقال لي: ممَّن أنت؟ قلت من قريش. قال: من أيِّ قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: فسكت فقال: من أيِّ بني هاشم؟ قلت: مولى علي؟ قال: مَن عليٌّ؟ فسكت قال: فوضع يده على صدره فقال: وأنا والله مولى عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، ثمّ قال: حدَّثني عدَّةٌ إنَّهم سمعوا النبيَّ ﷺ يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. ثمّ قال: يا مزاحم[1] كم تُعطي أمثاله؟ قال مائة أو مائتي درهم. قال: اعطه خمسين ديناراً. وقال ابن أبي داود: ستّين ديناراً لولايته عليَّ بن أبي طالب ثم قال: الحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتي نظراءك[2].

وأخرجه أبو الفرج في الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ من طريق عمر بن شبَّة، عن عيسى بن عبدالله بن محمَّد بن عمر بن عليّ، عن يزيد بن عيسى بن مورق.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٣٢٠ عن رزيق القرشي المدني مولى أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب.

ورواه الحمويني في «فرائد السمطين» في الباب العاشر عن شيخه أبي عبدالله بن يعقوب الحنبلي بإسناده عن الحافظ أبي نعيم بالسند واللفظ المذكورين، وذكره الحافظ جمال الدين الزرندي في نظم درر السمطين. والسمهودي في «جواهر العقدين» عن يزيد بن عمرو بن مرزوق (فيه تصحيف).

٢٢ (إحتجاج المأمون الخليفة)

على الفقهاء بحديث الغدير

روى أبو عمر ابن عبد ربِّه «المترجم ص ١٣٥» في العقد الفريد ج ٣ ص ٤٢ عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد، قال: بعث إليَّ

---

(١) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز، وثقه ابن حبان.

(٢) في نسخة الحلية أغلاط لا تخفى على من راجع فقد صححناها من لفظ الحمويني.

يحيى بن أكثم وإلى عدَّة من أصحابي وهو يومئذٍ قاضي القضاة فقال: إنَّ أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلّهم فقيهٌ يفقه ما يُقال له ويحسن الجواب، فسمّوا من تظنّونه يصلح لِما يطلب أمير المؤمنين، فسمَّينا له عدَّة وذكر هو عدَّة حتى تمَّ العدد الذي أراد وكتب تسمية القوم وأمر بالبكور في السحر، وبعث إلى مَن يحضر فأمره بذلك، فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالسٌ ينتظرنا فركب وركبنا معه حتى صرنا إلى الباب فإذا بخادم واقف فلمّا نظر إلينا قال يا أبا محمَّد! أمير المؤمنين ينتظرك، فأدخلنا فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها فلم نستتمَّها حتى خرج الرسول فقال: ادخلوا. فدخلنا فإذا أمير المؤمنين جالسٌ على فراشه ـ إلى أن قال ـ ثمَّ قال: إنّي لم أبعث فيكم لهذا ولكنّني أحببت أن أبسطكم أنَّ أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به. قلنا: فليفعل أمير المؤمنين وفَّقه الله فقال: إنَّ أمير المؤمنين يدين الله على أنَّ عليَّ بن أبي طالب خيرُ خلفاء الله بعد رسول الله ﷺ وأولى الناس بالخلافة له. قال إسحاق: فقلت: يا أمير المؤمنين! إنّ فينا من لا يَعرف ما ذكر أمير المؤمنين في عليٍّ وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة. فقال: يا إسحاق! إختر، إن شئت سألتك أسألك، وإن شئت أن تسأل فقل؟ قال إسحاق: فاغتنمتها منه فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين! قال: سل. قلت: مِن أين قال أمير المؤمنين: إنَّ عليّ بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقّهم بالخلافة بعده؟ قال: يا إسحاق! خبِّرني عن الناس بِمَ يتفاضلون حتى يُقال: فلانٌ أفضل من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة. قال: صدقت. قال: فأخبرني عمَّن فضل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ، ثمّ إن المفضول إن عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله أيلحق به؟ قال: فأطرقت: فقال لي: يا إسحاق! لا تقل: نعم. فإنَّك إن قلت. نعم. أوجدتك في دهرنا هذا مَن هو أكثر منه جهاداً وحجّاً وصياماً وصلاةً وصدقةً. فقلت: أجل. يا أمير المؤمنين! لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبداً.

قال: يا إسحاق! هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم. يا أمير المؤمنين!

قال إروه. ففعلت. قال: يا إسحاق! أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ قلت: إنّ الناس ذكروا أنّ الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين عليٍّ وأنكر ولاء عليٍّ فقال رسول الله ﷺ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه. قال: في أيّ موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجّة الوداع؟ قلت: أجل. قال: فإنَّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا؟ أخبرني لو رأيت إبناً لك قد أتت عليه خمسة عشر سنة يقول: مولاي مولى ابن عمّي أيّها الناس! فاعلموا ذلك. أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهمَّ نعم. قال: يا إسحاق أفتنزّه إبنك عمّا لا تنزّه عنه رسول الله ﷺ؟ ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إنَّ الله جلَّ ذكره قال في كتابه: اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله. ولم يصلّوا لهم ولا صاموا ولا زعموا انَّهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم(١).

وروى ابن مسكويه «المترجم ١٤٢» للمأمون الخليفة في تأليفه «نديم الفريد» كتاباً كتبه إلى بني هاشم وذكر منه قوله: فلم يقم مع رسول الله ﷺ أحد من المهاجرين كقيام عليٍّ بن أبي طالب، فإنَّه آزره ووقاه بنفسه ونام في مضجعه. ثمّ لم يزل بعدُ متمسِّكاً بأطراف الثغور، يُنازل الأبطال، ولا ينكل عن قرن، ولا يُولّي عن جيش، منيع القلب، يؤمَّر على الجميع، ولا يؤمَّر عليه أحدٌ، أشدُّ الناس وطأةً على المشركين وأعظمهم جهاداً في الله، وأفقههم في دين الله، وأقرأهم لكتاب الله، وأعرفهم بالحلال والحرام، وهو صاحب الولاية في حديث غدير خمّ. وصاحب قوله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي(٢).

(كلمة المسعودي)

قال أبو الحسن المسعودي الشافعي «المترجم ص١٣٧» في مروج

---

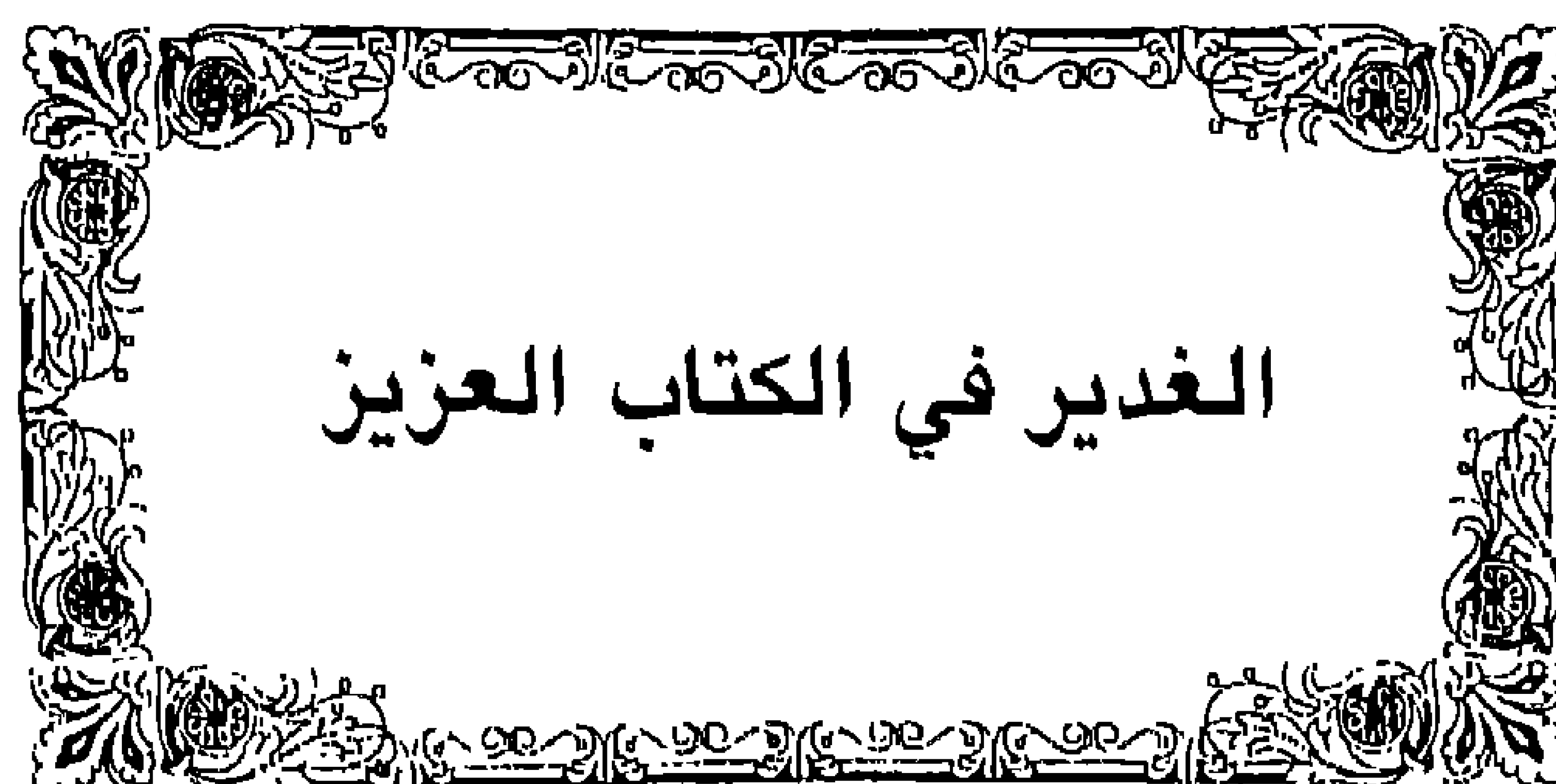
(١) أخذنا من الحديث محل الحاجة وهو طويل غزير الفائدة جداً.

(٢) ينابيع المودة ص ٤٨٤، والعبقات ج ١ ص ١٤٧.

الذهب ج ٢ ص ٤٩ : والأشياء التي إستحقّ بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل هي السبق إلى الإيمان والهجرة، والنصرة لرسول الله ﷺ، والقربى منه، والقناعة، وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل الله؛ والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والعفّة، والعلم، وكلّ ذلك لعليٍّ عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه: أنت أخي وهو ﷺ لا ضدّ له ولا ندّ. وقوله صلوات الله عليه: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي. وقوله عليه السلام: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. ثمّ دعاؤه عليه السلام وقد قدّم إليه أنس الطائر: اللهمّ ادخل إليَّ أحبَّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر. فدخل عليه عليٌّ. الكلام.

﴿إنَّ هذِهِ تذكِرَةٌ فَمَن شَآءَ آتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾

«سورة المزمّل: ١٩».



الغدير في الكتاب العزيز

سلف الإيعاز منّا إلى أنّ المولى سبحانه شاء أن يبقى حديث الغدير غضّاً طريّاً لا يُبليه المَلَوان، ولا يأتي على جِدَّته مَرّ الحقب والأعوام، فأنزل حوله آيات ناصعة البيان، تُرتِّله الامَّة صباحاً ومساءاً، فكأنّه سبحانه في كلّ ترتيلة لأيٍّ منها يلفت نظر القارىء، وينكت في قلبه، أو ينقر في اذنه ما يجب عليه أن يدين الله تعالى به في باب خلافته الكبرى، فمن الآيات الكريمة قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنزلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ وَإن لَم تَفعَل فما بَلَّغت رسالَتَهُ وَالله يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾.

نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجَّة سنة حجَّة الوداع (١٠ هـ) لَمّا بلغ النبيُّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم غدير خمّ، فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار، فقال: يا محمّد! إنَّ الله يقرءك السلام ويقول لك: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك «في عليٍّ» وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ـ الآية ـ وكان أوائل القوم ـ وهم مائة ألف أو يزيدون ـ قريباً من الجحفة فأمره أن يُردَّ مَن تقدَّم منهم، ويُحبس مَن تأخَّر عنهم في ذلك المكان، وأن يقيم عليّاً عليه السلام عَلماً للناس ويبلِّغهم ما أنزل الله فيه، وأخبره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عصمه من الناس. وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإماميّة، غير أنّا نحتجُّ في المقام بأحاديث أهل السنَّة في ذلك. فإليك البيان:

١ ـ الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى ٣١٠ (المترجم ص ١٣٣) أخرج بإسناده في ـ كتاب الولاية في طرق حديث الغدير ـ عن زيد بن

أرقم قال لَمّا نزل النبيُّ ﷺ بغدير خمّ في رجوعه من حجّة الوداع وكان في وقت الضحى وحرّ شديد أمر بالدوحات فقمّت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثمّ قال: إنّ الله تعالى أنزل إليَّ: بلّغ ما انزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته والله يَعصمك من الناس، وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أن أقوم في هذا المشهد واعلم كلَّ أبيض وأسود: أنّ عليَّ بن أبي طالب أخي ووصيِّي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربّي لعلمي بقلّة المتَّقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعليٍّ وشدَّة إقبالي عليه حتى سمّوني اذناً، فقال تعالى: ومنهم الّذينَ يُؤذونَ النبيَّ ويقولونَ هُوَ اذن قل اذنُ خيرٍ لكم. ولو شئت أن اسمّيهم وأدلَّ عليهم لفعلتِ ولكنّي بسترهم قد تكرَّمت، فلم يرض الله إلاّ بتبليغي فيه فاعلموا.

معاشر الناس! ذلك: فإن الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، ماضٍ حكمه، جائز قوله، ملعونٌ مَن خالفه، مرحومٌ مَن صدَّقه؛ إسمعوا وأطيعوا، فإنَّ الله مولاكم وعليٌّ إمامكم، ثمّ الامامة في ولدي من صلبه إلى القيامة لا حلال إلاّ ما أحلّه الله ورسوله، ولا حرام إلاّ ما حرَّم الله ورسوله وهم، فما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيَّ ونقلته إليه فلا تضلّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نُكراً أبد الآبدين، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعونٌ مَن خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد.

إفهموا محكم القرآن ولا تتّبعوا متشابهه، ولن يفسِّر ذلك لكم إلاّ مَن أنا آخذٌ بيده وشائلٌ بعضده ومعلمكم: إنَّ مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، وموالاته من الله عزَّ وجلَّ أنزلها عليَّ. ألا وقد أدَّيتُ، ألا وقد بلّغتُ، ألا وقد أسمعتُ، ألا وقد أوضحتُ، لا تحلُّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره. ثمَّ رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبيِّ ﷺ وقال:

معاشر الناس! هذا أخي ووصيِّي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي

وعلى تفسير كتاب ربّي. وفي رواية. اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، والعن مَن أنكره، واغضب على مَن جحد حقَّه، اللهمَّ! إنَّك أنزلت عند تبيين ذلك في عليٍّ اليوم أكملت لكم دينكم، بإمامته فمن لم يأتمَّ به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنَّ إبليس أخرج آدم «عليه السلام» من الجنَّة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم، في عليٍّ نزلت سورة والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر[1].

معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردَّها على أدبارهم أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت. النور من الله فيَّ ثمَّ في عليٍّ ثمَّ في النسل منه إلى القائم المهديِّ. معاشر الناس! سيكون من بعدي أئمَّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون، وإن الله وأنا بريئان منهم إنَّهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً إغتصاباً فعندها يفرغ لكم أيّها الثقلان! ويُرسل عليكما شواظٌ مِن نار ونحاس فلا تنتصران. الحديث «ضياء العالمين».

٢ - الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمَّد الحنظليّ الرازيّ المتوفّى ٣٢٧ «المترجم ص ١٣٥» أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنَّ الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب[2].

٣ - الحافظ أبو عبدالله المحاملي المتوفّى ٣٣٠ «المترجم ص ١٣٥» أخرج في أماليه بإسناده عن ابن عباس حديثاً مرَّ ص ٧٧ وفيه: حتّى إذا كان [رسول الله] بغدير خمّ أنزل الله عزَّ وجلَّ: يا أيّها الرَّسول بلّغ ما انزل إليك من ربِّك. الآية. فقام مناد فنادى الصلاة جامعة. الحديث.

٤ - الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي المتوفّى ٤٠٧ / ١١ «المترجم

---

(١) في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٩٢ من طريق ابن مردويه، عن ابن عباس أن قوله تعالى: ﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ نزل في علي وسلمان.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨، وفتح القدير ج ٢ ص ٥٧.

ص ١٤٣» روى في كتابه ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين بالإسناد عن ابن عباس: أنّ الآية نزلت يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب.

٥ ـ الحافظ ابن مردويه المولود ٣٢٣ والمتوفّى ٤١٦ «المترجم ص ١٤٣» أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري، أنَّها نزلت يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب. وبإسناد آخر عن ابن مسعود أنَّه قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربِّك ـ انّ عليّاً مولى المؤمنين ـ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس[1].

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: لَمّا أمر الله رسوله صلّى الله عليه وآله أن يقوم بعليّ فيقول له ما قال، فقال: يا ربّ إنّ قومي حديث عهد بجاهلية ثمّ مضى بحجّه فلمّا أقبل راجعاً نزل بغدير خمّ أنزل الله عليه: يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربِّك﴾. الآية. فأخذ بعضد عليٍّ ثمَّ خرج إلى الناس فقال: أيّها الناس! ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأعن مَن أعانه، واخذل مَن خذله، وانصر مَن نصره، وأحبَّ مَن أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه قال ابن عباس: فوجبت والله في رقاب القوم. وقال حسان بن ثابت:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم ... بخمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
يقول: فمن مولاكُم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولم تر منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ! فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

وروى عن زيد بن علي، أنّه قال: لمّا جاء جبرئيل بأمر الولاية ضاق النبيُّ صلّى الله عليه وآله بذلك ذرعاً وقال: قومي حديثوا عهدٍ بالجاهليَّة فنزلت الآية. (كشف الغمّة ٩٤).

---

(١) روى الحديثين عنه السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨، والشوكاني في فتح القدير، والاربلي في كشف الغمة ٩٤ عنه عن زر عن ابن مسعود.

٦ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفّى ٤٢٧/ ٣٧ (المترجم ١٤٤) روى في تفسيره «الكشف والبيان» عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ (الإمام الباقر) إنّ معناها بلِّغ ما انزل إليك مِن ربِّك في فضل عليٍّ. فلمّا نزلت أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد عليٍّ فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

وقال: أخبرني أبو محمَّد عبد الله بن محمّد القاينى، أخبرنا أبو الحسين محمَّد بن عثمان النصيبي، نا أبو بكر محمَّد بن الحسن السبيعي، نا عليّ بن محمَّد الدهّان والحسين بن إبراهيم الجصّاص، نا حسين بن حكم، نا حسن بن حسين، عن حبّان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: يا أيّها الرَّسول بلِّغ ما انزل إليك من ربِّك. الآية قال: نزلت في عليّ، امر النبيُّ صلّى الله عليه وآله أن يبلِّغ فيه فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد عليٍّ فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه[1].

٧ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفّى ٤٣٠ (المترجم ص ١٤٤) روى في تأليفه ما نزل من القرآن في عليٍّ: عن أبي بكر بن خلاد عن محمَّد بن عثمان بن أبي شيبة عن إبراهيم بن محمَّد بن ميمون عن عليٍّ بن عابس عن أبي الحجاف والأعمش عن عطيَّة قال: نزلت الآية على رسول الله ﷺ في عليٍّ يوم غدير خمّ (الخصائص ٢٩).

٨ - أبو الحسن الواحديّ النيسابوريّ المتوفّى ٤٦٨ (المترجم ١١١) روى في «أسباب النزول» ص ١٥٠ عن أبي سعيد محمَّد بن عليّ الصفّار عن الحسن بن أحمد المخلّدي عن محمّد بن حمدون بن خالد عن محمّد بن إبراهيم الحلواني عن الحسن بن حمّاد سجادة عن عليّ بن عابس عن الأعمش وأبي الحجاف عن عطيَّة عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) روى الحديثين عنه ابن بطريق في العمدة ص ٤٩، والسيد ابن طاوس في الطرائف، والاربلي في كشف الغمة ٩٤، ونقل الطبرسي في مجمعه ج ٢ ص ٢٢٣ ثاني الحديثين عن تفسيره الكشف والبيان، وابن شهر آشوب عنه أول الحديثين في مناقبه ج ١ ص ٥٢٦.

٩ ـ الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفّى ٤٧٧ (المترجم ١٤٦) في كتاب الولاية بإسناده من عدّة طرق عن ابن عباس قال: امر رسول الله ﷺ أن يبلّغ بولاية عليٍّ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك**﴾. الآية. فلمّا كان يوم غدير خمّ قام فحمد الله وأثنى عليه وقال ﷺ: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال ﷺ: فمَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، وأعزَّ مَن أعزَّه، وأعن من أعانه (الطرائف).

١٠ ـ الحافظ الحاكم الحسكاني أبو القاسم (المترجم ١٤٧) روى في «شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل» بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر الأنصاري قالا: أمر الله تعالى محمَّداً ﷺ أن ينصب عليّاً للناس فيخبرهم بولايته فتخوَّف النبيُّ أن يقولوا: حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك. الآية. فقام رسول الله ﷺ بولايته يوم غدير خمّ [مجمع البيان ج ٢ ص ٢٢٣].

١١ ـ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعيُّ المتوفّى ٥٧١ [المترجم ١٥١] أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنّها نزلت يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب[١].

١٢ ـ أبو الفتح النطنزي (المترجم ص ١٤٩) أخرج في الخصائص العلويَّة بإسناده عن الإمامين محمَّد بن عليٍّ الباقر وجعفر بن محمَّد الصادق «صلوات الله عليهم» قالا: نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ [ضياء العالمين].

١٣ ـ أبو عبدالله فخر الدين الرازيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٠٦ [المترجم ١٥٣] قال في تفسيره الكبير ج ٣ ص ٦٣٦: العاشر[٢]: نزلت الآية

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨، وفتح القدير ج ٢ ص ٥٧.
(٢) من أسباب نزول الآية وسيوافيك الكلام عليها.

في فضل عليٍّ ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فلقيه عمر رضي الله عنه فقال. هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمَّد بن عليّ.

١٤ ـ أبو سالم النصيبيّ الشافعيّ المتوفّى ٦٥٢، تأتي ترجمته في شعراء القرن السابع قال في مطالب السئول ص ١٦: نقل الإمام أبو الحسن عليّ الواحدي في كتابه المسمّى بأسباب النزول يرفعه بسنده إلى أبي سعيد لخدري رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب.

١٥ ـ الحافظ عزُّ الدين الرسعني[١] الموصليُّ الحنبليُّ المولود ٥٨٩ والمتوفّى ٦٦١ «المترجم ١٥٦» روى في تفسيره [مرّ الثناء عليه عن الذهبي] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لَمّا نزلت هذه الآية أخذ النبيُّ بيد عليٍّ فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه[٢].

١٦ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويني المتوفّى ٧٢٢ «المترجم ص ١٥٨» أخرج في فرائد السمطين عن مشايخه الثلاث: السيّد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسيني المدني، والشيخ الإمام مجد الدين عبدالله بن محمود الموصلي، وبدر الدين محمَّد بن محمَّد بن أسعد البخاري بإسنادهم عن أبي هريرة: أنّ الآية نزلت في عليٍّ.

١٧ ـ السيّد علي الهمداني المتوفّى ٧٨٦ «المترجم ص ١٢٧» قال في مودّة القربى: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع فلمّا كان بغدير خمّ نودي الصلاة جامعة فجلس رسول الله ﷺ

---

(١) بفتح المهملة وسكون السين وفتح المهملة الثالثة ثم النون نسبة إلى مدينة رأس عين بديار بكر يخرج منها ماء دجلة (شرح المواهب ج ٧ ص ١٤)

(٢) نقله عنه البدخشاني في مفتاح النجا في مناقب آل العبا. وزميله الاربلي في كشف الغمة ص ٩٢ مرفوعاً إلى ابن عباس، ومحمد بن علي الباقر عليه السلام، ثم قال في ص ٩٦: كان صديقنا وكنا نعرفه وكان حنبلي المذهب. وقال في ص ٢٥: كان رجلاً فاضلاً أديباً حسن المعاشرة، حلو الحديث، فصيح العبارة، اجتمعت به في الموصل.

تحت شجرة وأخذ بيد عليٍّ وقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله! فقال: ألا من أنا مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا عليَّ بن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وفيه نزلت: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك﴾. الآية.

١٨ ـ بدر الدين ابن العينيّ الحنفيّ المولود ٧٦٢ والمتوفّى ٨٥٥ «المترجم ص ١٦٧» ذكر في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٨٤ في قوله تعالى: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل. عن الحافظ الواحدي ما مرَّ عنه من حديث حسن بن حمّاد سجادة سنداً ومتناً، ثمّ حكى عن مقاتل الزمخشري بعض الوجوه الاخرى المذكورة في سبب نزول الآية فقال: قال أبو جعفر محمَّد بن عليِّ بن الحسين: معناه بلّغ ما انزل إليك من ربّك في فضل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فلمّا نزلت هذه الآية أخذ بيد عليٍّ وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

١٩ ـ نور الدين ابن الصباغ المالكي المكّي المتوفّى ٨٥٥ «المترجم ص ١٦٧» ذكر في «الفصول المهمّة» ص ٢٧ ما رواه الواحدي في أسباب النزول من حديث أبي سعيد.

٢٠ ـ نظام الدين القمي النيسابوريّ قال في تفسيره السائر الدائر ج ٦ ص ١٧٠ عن أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت في فضل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فلقيه عمر وقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمَّد بن علي. ثمَّ ذكر أقوالاً اخر في سبب نزولها.

٢١ ـ كمال الدين الميبذي المتوفّى بعد ٩٠٨ «المذكور ص ١٦٩» قال في شرح ديوان أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤١٥: روى الثعلبي أنَّ رسول الله ﷺ قال ما قال في غدير خمّ بعدما نزل عليه قوله تعالى: يا أيّها

الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك. ولا يخفى على أهل التوفيق أنّ قوله تعالى: النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم يلائم حديث الغدير. والله أعلم.

٢٢ - جلال الدين السيوطيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٩١١ «المترجم ص ١٦٩» قال في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨: أخرج أبو الشيخ عن الحسن أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وعرفت أنّ الناس مكذّبي فوعدني لابلغنّ أو ليعذّبني فأنزل: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد قال: لمّا نزلت: بلّغ ما انزل إليك من ربّك قال: يا ربّ! إنّما أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع عليَّ الناس؟ فنزلت وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك - أنّ عليّاً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس.

٢٣ - السيّد عبد الوهاب البُخاريُّ المولود ٨٦٩ والمتوفّى ٩٣٢ (المترجم ١٧١) في تفسيره عند قوله تعالى: قُلْ لا أسألكم عَلَيهِ أجراً إلاّ المودَّة في القربى. قال: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال في قوله تعالى: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك. أي بلّغ من فضائل عليٍّ. نزلت في غدير خمّ فخطب رسول الله ﷺ ثمَّ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر رضي الله عنه: بخ بخ يا عليُّ! أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة: رواه أبو نعيم وذكره أيضاً الثعالبي في كتابه.

٢٤ - السيِّد جمال الدين الشيرازيُّ المتوفّى ١٠٠٠ كما مرَّ ص ١٧٣، روى في أربعينه نزول الآية في غدير خمّ عن ابن عباس بلفظ مرّ في ص ٧٧.

٢٥ - محمَّد محبوب العالم (المذكور ص ١٧٨) حكى في تفسيره الشهير ب (تفسير شاهي): ما مرَّ عن تفسير نظام الدين النيسابوري.

٢٦ - ميرزا محمَّد البدخشاني [المذكور ص ١٨٠] قال في «مفتاح النجا»: الآيات النازلة في شأن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه

كثيرةٌ جدّاً لا أستطيع إستيعابها فأوردت في هذا الكتاب لبّها ولبابها ـ إلى أن قال ـ: وأخرج «ابن مردويه» عن زرّ عن عبدالله رضي الله عنه قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله. وذكر إلى آخر ما مرّ عن ابن مـردويه ص ٢٦١ ثمَّ روى من طريقه عن أبي سعيد الخدري وفي آخره فنزلت: اليـوم أكملت لكم دينكم، وروى ما أخرجه الحافظ الرسعني بلفظه المذكور ص ٢٦٦.

٢٧ ـ القاضي الشوكاني المتوفّى ١٢٥٠ «المترجم ص ١٨٤» في تفسيره «فتح القدير» ج ٣ ص ٥٧ قال: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك. على رسول الله يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ يا أيّها الرسول بلِّغ ما انزل إليك من ربِّك ـ انَّ عليّاً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس.

٢٨ ـ السيِّد شهاب الدين الآلوسي الشافعيُّ البغداديُّ المتـوفّى ١٢٧٠ (المترجم ص ١٨٤) قال في روح المعاني ج ٢ ص ٣٤٨: زعمت الشيعة[1] انَّ المـراد من الآية بمـا أنزل الله إليـك خلافـة عليٍّ كرَّم الله وجهـه، فقد رووا بأسانيدهم عن أبي جعفر وأبي عبدالله رضي الله عنهما: إنّ الله تعالى أوحى إلى نبيِّه ﷺ أن يستخلف عليّاً كرَّم الله تعالى وجهه فكان يخاف أن يشقَّ ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له عليه السلام بما أمره بأدائه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في عليٍّ كرّم الله وجهه حيث أمر سبحانه أن يخبر الناس بولايته فتخوّف رسول الله ﷺ أن يقولوا: حابى ابن عمِّه وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية فقام

(١) ليس قوله: زعمت الشيعة: تخصيصاً للرواية بهم فقد اعترف بعد ذلك برواية أهل السنة لها وذكر شيئاً من ذلك، وإنما الذي حسبه مزعمة للشيعة فحسب هو إفادة الآية الكريمة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وبما أنا أرجأنا القول في الدلالة إلى محله من مستقبل كتابنا الكشاف فإنا لا نجابهه بشيء من الحجاج وستقف على ما هو فصل الخطاب في المقام إن شاء الله تعالى.

بولايته يوم غدير خمّ وأخذ بيده فقال عليه السلام: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه.

وأخرج الجلال السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر راوين عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ في عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ يا أيّها الرسول بلِّغ ما انزل إليك من ربِّك ـ انّ عليّاً وليُّ المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته.

٢٩ ـ الشيخ سليمان القندوزيُّ الحنفيُّ المتوفّى ١٢٩٣ [المترجم ص ١٨٥] قال في ينابيع المودّة ص ١٢٠: أخرج الثعلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وعن محمّد الباقر رضي الله عنهما قالا: نزلت هذه الآية في عليٍّ أيضاً الحمويني في فرائد السمطين أخرجه عن أبي هريرة، أيضاً المالكي في «الفصول المهمّة» عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية في عليٍّ في غدير خمّ. هكذا ذكره الشيخ محيي الدين النووي.

٣٠ ـ الشيخ محمَّد عبده المصريُّ المتوفّى ١٣٢٣ [المترجم ص ١٨٦] قال في تفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٣: روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب.

(القول الفصل)

هذا ما وسعنا من الحيطة بأحاديث الباب وأقواله في نزول الآية الكريمة حول قصَّة الغدير، وذكر المتوسِّعون في النقل وجوهاً اخر لنزولها، وأوَّل مَن عرفناه ممَّن ذكرها الطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٩٨ ثمَّ تبعه مَن تأخَّر عنه وأنهاها الفخر الرازي إلى تسعة أوجه وعاشرها ما ذكرناه في هذا الكتاب.

أمّا ما ذكره الطبري فعن ابن عباس: يعني إن كتمتَ آيةً ممّا انزل عليك من ربّك لم تبلّغ رسالتي. وهو غير منافٍ لنزولها في قصَّة الغدير، سواءٌ أخذنا لفظة آية في قوله نكرةً محضة، أو نكرةً مخصَّصة، فعلى الثاني يراد بها ما

نحاول إثباته بمعونة ما ذكرناه من الأحاديث والنقول. وعلى الأوّل فهو تأكيدٌ لإنجاز ما أمر بتبليغه بلفظ مطلق ويكون حديث الغدير أحد المصاديق المؤكّدة.

وعن قتادة: أنه سيكفيه الناس ويعصمه منهم وأمره بالبلاغ. وهو أيضاً غير مضادٍّ لما نقوله إذ ليس فيه غير أن الله سبحانه ضمن له العصمة والكفاية في تبليغ أمر كان يحاذر فيه إختلاف امَّته ومناكرتهم له، ولا يمتنع أن يكون ذلك الأمر هو نصُّ الغدير، ويتعيّن ذلك بنصِّ هذه الأحاديث.

وعن سعيد بن جبير، وعبدالله بن شقيق، ومحمّد بن كعب القرظي، وعائشة واللفظ لها: كان النبيُّ ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: والله يعصمك من الناس. قالت: فأخرج النبيُّ رأسه من القبّة فقال: أيّها الناس! إنصرفوا فإنّ الله قد عصمني. وليس فيه الاّ إنّه صلّى الله عليه وآله فرَّق الحرس عنه بعد نزول الوعد بالعصمة من غير أيّ تعرّض للأمر الذي كان يخشى لأجله بادرة الناس في هذه القصّة أو مطلقاً، وليس من الممتنع أن يكون ذلك مسألة يوم الغدير، ويُعيِّنه الروايات المذكورة في هذا الكتاب وغيره.

وذكر الطبري أيضاً في سبب نزول الآية عن القرظي: إنّه كان النبيُّ إذا نزل منزلاً إختار له أصحابه شجرةً ظليلة يُقيل تحتها فأتاه أعرابيٌّ فاخترط بسيفه ثمّ قال: مَن يمنعك منّي؟ قال: الله. فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منها. قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله: والله يعصمك من الناس. ا هـ. وهو يناقض لما تقدَّم من أنّه صلّى الله عليه وآله كان يحتف به الحرس إلى نزول الآية فمن المستبعد جدّاً وصول الأعرابي إليه وهو نائمٌ، والسيف معلّق عنده، والحرس حول قبّة النبيِّ. على أنَّ لازمَ هذا: التفريق في نزول الآية فإنّه ينصّ على أنّ النازل بعد قصّة الأعرابيِّ هو قوله تعالى: والله يعصمك من الناس. ولا مسانخة بين هذه القصّة وصدر الآية، ومن المستصعب البخوع لِما تفرَّد به القرظي في مثل هذا.

وليس من المستحيل أن يكون قصّة الأعرابيِّ من ولائد الإتّفاق حول نصِّ الغدير ونزول الآية فحسب السذَّج أنّها نزلت لأجلها، وفي الحقيقة لنزولها سببٌ

عظيمٌ هو أمر الولاية الكبرى، ولم تـك هاتيـك الحادثـة بمهمّة تنـزل لأجلها الآيات، وكم سبقت لها ضرائب وأمثال لم يحتفل بها غير أنّ المقارنة بينها وبين نصِّ الولاية على تقدير صحّة الرواية أوقعت البسطاء في الوهم.

وروى الطبري عن ابن جريج: إنّ النبيَّ ﷺ كان يهاب قريشاً فلمّا نزلت: والله يعصمك من النّاس. استلقى ثمّ قال: مَن شاء فليخذلني. مرَّتين أو ثلاثاً. وأيّ وازعٍ من أن يكون الأمر الذي كان رسول الله ﷺ يهاب قريشاً لأجله هو نصّ الخلافة؟ كما فصّلته الأحاديث الآنفة فليس هو بمضادّ لِما نقوله.

وروى الطبري بأربعة أسانيد عن عائشة: من زعم أنَّ محمّداً ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: يا أيّها الرسول بلِّغ ما انزل إليك وما كانت عائشة بقولها في صدد بيان سبب النزول، وإنما احتجَّت بالآية الكريمة على انّه صلّى الله عليه وآله قد أغرق نزعاً بالتبليغ، ولم يدع آية من الكتاب إلاّ وبثّها، وهذا ما لا يُشكّ فيه ونحن نقول به قبل هذه الآية وبعدها.

وأمّا ما حشده الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٦٣٥ من الوجـوه العشرة[(١)] وجعل نصَّ الغدير عاشرها، وقصَّة الأعرابيِّ المذكور في تفسير الطبري ثامنها، وهيبة قريش مع زيادة اليهود والنصارى تاسعها، وقد عرفت حقَّ القول فيهما، فهي مراسيل مقطوعة عن الإسناد غير معلومة القائل، ولذا عـزي جميعها في تفسير نظام الدين النيسابوري إلى القيل، وجعل ما رُوي في نصِّ الولاية أوّل الـوجوه، وأسنـده إلى ابن عبـاس والبـراء بن عـازب وأبي سعيـد الخـدري ومحمَّد بن عليٍّ عليهما السلام.

---

(١) ١ - نزلت في قصة الرجم والقصاص على ما تقدم في قصة اليهود. ٢ - نزلت في عيب اليهود واستهزائهم بالدين. ٣ - لما نزلت آية التخيير وهي قوله ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الآية، فلم يعرضها عليهن خوفاً من اختيارهن الدنيا. ٤ - نزلت في أمر زيد وزينب. ٥ - نزلت في الجهاد فإنه كان يمسك أحياناً عن حث المنافقين على الجهاد. ٦ - لما سكت النبي عن عيب آلهة الثنويين فنزلت. ٧ - لما قال في حجة الوداع بعد بيان الشرائع والمناسك: هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهمّ فاشهد فنزلت الآية. ٨ - نزلت في أعرابي أراد قتله وهو نائم تحت شجرة. ٩ - كان يهاب قريش واليهود والنصارى فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بالآية. ١٠ - نزلت في قصة الغدير هذه ملخص الوجوه التي ذكرها.

والطبريّ الذي هو أقدم وأعرف بهذه الشؤون أهملها رأساً، وهو وإن لم يذكر حديث الولاية أيضاً لكنه أفرد له كتاباً أخرجه فيه بنيف وسبعين طريقاً كما سبق ذكره وذكر مَن عزاه إليه في هذا الكتاب، وروى هناك نزول الآية عندئذ باسناده عن زيد بن أرقم، والرازي نفسه لم يعتبر منها إلاّ ما زاد على رواية الطبري في تاسع الوجوه من التهيّب من اليهود والنصارى وستقف على حقيقة الحال فيه.

فهي غير صالحة للاعتماد عليها، ولا ناهضة لمجابهة الأحاديث المعتبرة السابق ذكرها التي رواها مَن قدَّمنا ذكرهم من أعاظم العلماء كالطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، وأبي نعيم، وأبي إسحاق الثعلبي، والواحدي، والسجستاني والحسكاني، والنطنزي، والرسعني وغيرهم بأسانيد جمَّة، فما ظنّك بحديث يعتبره هؤلاء الأئمَّة؟ على أنّ اللائحة على غير واحد من الوجوه لوائح الإفتعال السائد عليها عدم التلائم بين سياق الآية وسبب النزول، فلا يعدو جميعها أن يكون تفسيراً بالرأي، أو إستحساناً من غير حجَّة، أو تكثيراً للّغة، أمام حديث الولاية، فتّاً في عضده، وتخذيلاً عن تصديقه، ويأبى الله إلاّ أن يتمَّ نوره.

قال الرازي بعد عدِّ الوجوه: إعلم أنَّ هذه الروايات وإن كثرت إلاّ أنَّ الأولى حمله على أنَّه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك: لأنّ ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لَمّا كان كلاماً مع اليهود والنصارى امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبيَّة عمّا قبلها وما بعدها. ا هـ.

وأنت ترى أنَّ ترجيحه لهذا الوجه مجرَّد إستنباط منه بملائمة سياق الآيات من غير إستناد إلى أيَّة رواية، ونحن إذا علمنا أنَّ ترتيب الآيات في الذكر غير ترتيبها في النزول نوعاً فلا يهمّنا مراعاة السياق تجاه النقل الصحيح، وتزيد إخباتاً إلى ذلك بملاحظة ترتيب نزول السور المخالف لترتيبها في القرآن، والآيات المكيَّة في السور المدنيَّة وبالعكس، قال السيوطي في الإتقان ج ١

ص ٢٤ : فصل: الإجماع والنصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفيٌّ لا شبهة في ذلك، أمّا الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين. ثمّ ذكر نصوصاً على أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُلقِّن أصحابه ويُعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبرئيل إيّاه على ذلك، وإعلامه عند نزول كلِّ آية: أنَّ هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا. ا هـ.

على أنَّ طبع الحال يستدعي أن يكون تهيّبه صلّى الله عليه وآله من اليهود والنصارى في أوليات البعثة، وعلى فرض التنازل بعد الهجرة بيسير لا في اخريات أيّامه التي كان يهدِّد فيها دُول العالم، وتهابه الامم، وقد فتح خيبر واستأصل شأفة بني قريظة والنضير، وعنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب طوعاً وكرهاً، وفيها كانت حجَّة الوداع التي نزلت فيها الآية كما عرفت ذلك من الأحاديث السابقة، ويعلمنا القرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٣٠ بالإجماع على أنَّ سورة المائدة مدنيَّةٌ. ثمّ نقل عن النقّاش نزولها في عام الحديبيَّة «سنة ٦» فأتبعه بالنقل عن ابن العربي: بأنّ هذا حديثٌ موضوعٌ لا يحلُّ لمسلم اعتقاده. إلى أن قال: ومن هذه السورة ما نزل في حجَّة الوداع ومنها ما نزل عام الفتح وهو قوله تعالى: لا يجرمنَّكم شنآن قومٍ. الآية. وكلّ ما نزل بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدنيٌّ، سواءٌ نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار، إنّما يرسم بالمكّي ما نزل قبل الهجرة.

وقال الخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٤٨: سورة المائدة نزلت بالمدينة إلّا قوله تعالى: اليوم أكملتُ لَكم دينَكم. فإنَّها نزلت بعرفة في حجَّة الوداع. وأخرجا «القرطبي والخازن» عن النبيّ ﷺ قوله في حجَّة الوداع: انّ سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً.

وقال السيوطي في الإتقان ج ١ ص ٢٠ عن محمَّد بن كعب من طريق أبي عبيد: أنَّ سورة المائدة نزلت في حجَّة الوداع فيما بين مكّة والمدينة. وفي ج ١

ص ١١ عن فضائل القرآن لإبن الضريس عن محمَّد بن عبدالله بن أبي جعفر الرازي عن عمرو بن هارون عن عثمان بن عطا الخراساني عن أبيه عن ابن عباس: إنَّ أوَّل ما انزل من القرآن: إقرأ باسم ربِّك ثمَّ ن ثمَّ يا أيّها المزمِّل - إلى أن عدَّ - الفتح ثمَّ المائدة ثمَّ البراءة فجعل البراءة آخر سورة نزلت المائدة قبلها.
وروى ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٢ عن عبدالله بن عمر: إنّ آخر سورة انزلت: سورة المائدة والفتح (يعني سورة النصر) ونقل من طريق أحمد والحاكم والنسائي عن عائشة: انَّ المائدة آخر سورة نزلت.

وبهذه كلّها تعرف قيمة ما رواه القرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٢٤٤، وذكره السيوطي في لباب النقول ص ١١٧ من طريق ابن مردويه الطبراني عن ابن عباس من أنَّ أبا طالب كان يرسل كلَّ يوم رجالاً من بني هاشم يحرسون النبيَّ حتى نزلت هذه الآية: والله يعصمك من الناس. فأراد أن يُرسل معه مَن يحرسه فقال: يا عمّ! إن الله عصمني من الجنِّ والإنس. فإنّه يستدعي أن تكون الآية مكيَّة وهو أضعف من أن يقاوم الأحاديث المتقدِّمة والإجماع الآنف ونصوص المفسّرين.

(ذيلٌ في المقام)

قال القرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٢٤٢ في قوله تعالى: يا أيّها الرسول بلِّغ ما انزل إليك من ربِّك. هذا تأديبٌ للنبيِّ ﷺ وتأديبٌ لحملة العلم من امَّته ألاّ يكتموا شيئاً من أمر شريعته وقد علم الله تعالى من أمر نبيِّه أنَّه لا يكتم شيئاً من وحيه، وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنَّها قالت: من حدَّثك أنّ محمَّداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، والله تعالى يقول: يا أيّها الرسول بلِّغ ما انزل إليك من ربِّك. الآية. وقبَّح الله الروافض حيث قالوا: إنَّه عليه السلام كتم شيئاً ممّا أوحى الله إليه كان بالناس حاجة إليه. ا هـ. وزاد القسطلاني في فتح الباري ج ٧ ص ١٠١ ضغثاً على ابّالة فقال: قالت الشيعة: انَّه قد كتم أشياء على سبيل التقيّة.

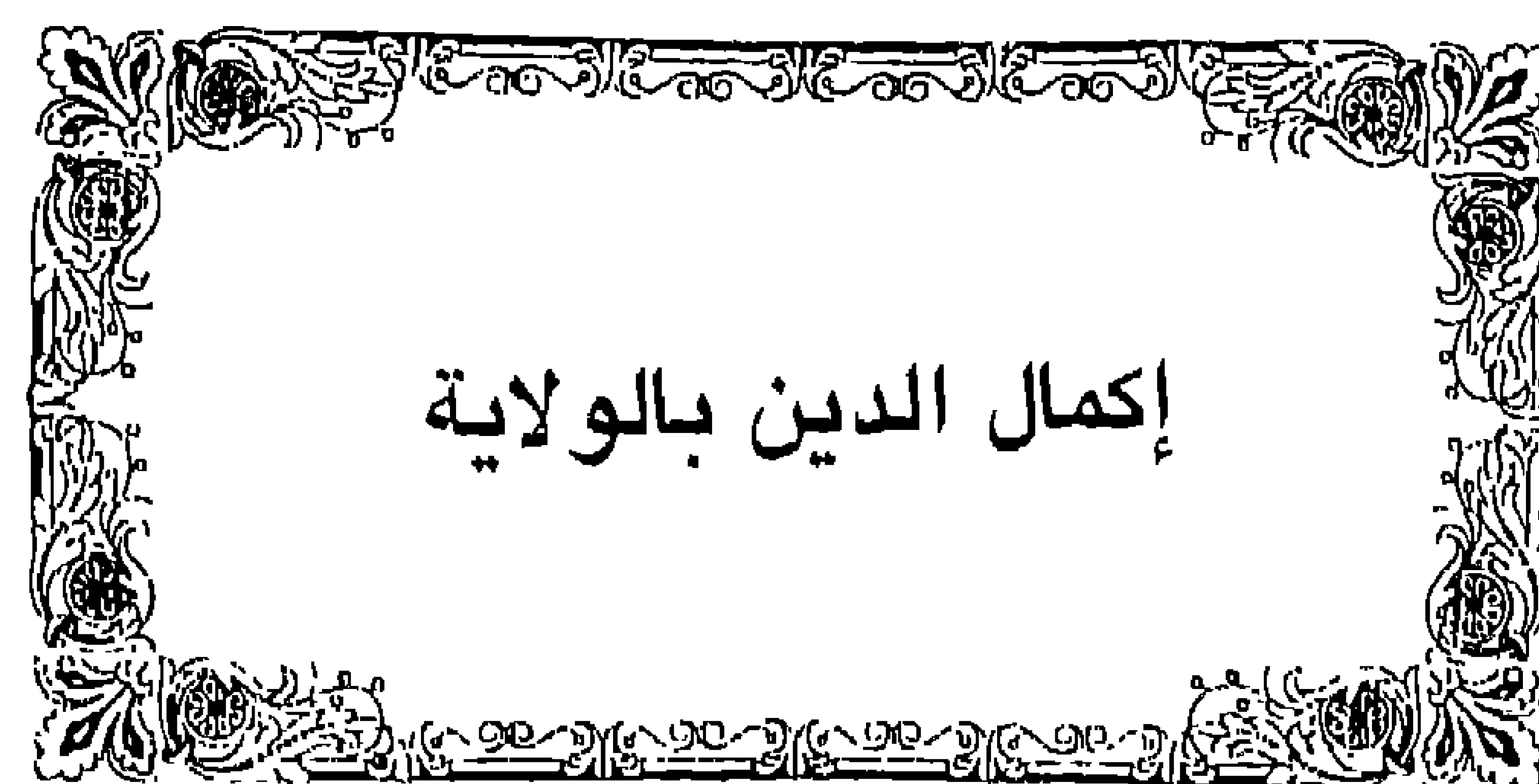
وليتهما أوعزا إلى مصدر هذه الفرية على الشيعة من عالم ذكرها؛ أو

مؤلَّف تضمَّنها، أو فرقة تنتحلها، نعم: لم يجدا شيئاً من ذلك بل حسبا أنَّهما مصدَّقان في كلِّ ما ينبزان به امّةً من الامم على أيِّ حال، أو أنَّه ليس للشيعة تاليف محتوية على معتقداتهم هي مقاييس في كلِّ ما يُعزى إليهم، أو أنَّ جيلهم المستقبل لا يُنتج رجالاً يناقشون المفترين الحساب، فمن هنا وهنا راقهما تشويه سمعة الشيعة كما راق غيرهم. فتحرّوا الوقيعة فيهم بالمفتريات ليثيروا عليهم عواطف، ويخذِّلوا عنهم امماً فحدَّثوا عنهم كما يحدِّثون عن الامم البائدة الذين لا مُدافع عنهم، والشيعة لم تجرأ قطُّ على قدس صاحب الرسالة بإسناد كتمان ما يجب عليه تبليغه إليه صلّى الله عليه وآله إلاّ أن يكون للتبليغ ظرفٌ معيَّن فما كان يسبق الوحي الإلٓهي بتقديم المظاهرة به قبل ميعاده.

اللهمَّ! إن كان الرجلان يمعنان النظر في أقاويل أصحابهم المقولة في الآية الكريمة من الوجوه العشرة التي ذكرها الرازيُّ لَوقفا على قائل ما قذفا الشيعة به فإنَّ منهم من يقول: إنَّ الآية نزلت في الجهاد فإنَّه صلّى الله عليه وآله كان يُمسك أحياناً من حثِّ المنافقين على الجهاد. وآخر منهم يقول: إنّها نزلت لمّا سكت النبيُّ عن عيب آلهة الثنويّين. وثالث يقول: كتم آية التخيير عن أزواجه كما مرّ ص ٢٧٠ فنزول الآية على هذه الوجوه يُنبىء عن قعود النبيِّ عمّا ارسل إليه. حاشا نبيّ العظمة والقداسة.

﴿إنَّهُ لتَذْكِرةٌ للمُتَّقِينَ وَإنّا لَنعلَمُ أنَّ مِنكُم مُكذِّبينَ﴾

«سورة الحاقّة: ٤٨»



إكمال الدين بالولاية

ومن الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى:

﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[١].

أصفقت الإماميَّة عن بكرة أبيهم على نزول هذه الآية الكريمة حول نصِّ الغدير، بعد إصحار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، بألفاظ دريَّة صريحة، فتضمَّن نصّاً جليّاً عرفته الصحابة وفهمته العرب فاحتجَّ به مَن بلغه الخبر، وصافق الإماميَّة على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمَّة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنَّة؛ وهو الذي يُساعده الإعتبار ويؤكِّده النقل الثابت في تفسير الرازي ج ٣ ص ٥٢٩ عن أصحاب الآثار: إنَّه لَمّا نزلت هذه الآية على النبيِّ ﷺ لم يعمر بعد نزولها إلاّ أحداً وثمانين يوماً. أو: إثنين وثمانين، وعيَّنه أبو السعود في تفسيره بهامش تفسير الرازي ج ٣ ص ٥٢٣، وذكر المؤرِّخون منهم[٢]: انَّ وفاته صلّى الله عليه وآله في الثاني عشر من ربيع الأوَّل، وكأنَّ فيه تسامحاً بزيادة يوم واحد على الإثنين وثمانين يوماً بعد إخراج يومي الغدير والوفاة، وعلى أيٍّ فهو أقرب إلى الحقيقة من كون نزولها يوم عرفة كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما لزيادة الأيّام حينئذٍ، على أنَّ ذلك معتضدٌ بنصوص كثيرة لا محيص عن الخضوع لمفادها، فإلى الملتقى:

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) راجع تأريخ الكامل ج ٢ ص ١٣٤، وإمتاع المقريزي ص ٥٤٨، وتاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٣٣٢ وعده مشهوراً، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٢.

١ - الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى ٣١٠، روى في كتاب الولاية بإسناده عن زيد بن أرقم نزول الآية الكريمة يوم غدير خمّ في أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث الذي مرّ ص ٢٥٨.

٢ - الحافظ ابن مردويه الاصفهاني المتوفّى ٤١٠، روى من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري: إنّها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ حين قال لعليٍّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، ثمّ رواه عن أبي هريرة وفيه: انّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، يعني مرجعه عليه السلام من حجّة الوداع. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٤.

وقال السيوطي في الدرِّ المنثور ج ٢ ص ٢٥٩: أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال: لَمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدير خمّ فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية: **﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينكم﴾**. وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف[1] عن أبي هريرة قال: لَمّا كان غدير خمّ وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة قال النبيُّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فأنزل الله: **﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينكم﴾**. وروى عنه في الإتقان ج ١ ص ٣١ «ط سنة ١٣٦٠» بطريقيه.

وذكر البدخشي في «مفتاح النجا» عن عبد الرزاق الرسعني عن ابن عباس ما مرَّ ص ٢٦٤ ثمَّ قال: وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مثله، وفي آخره فنزلت: **﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينكم﴾**. الآية. فقال النبيُّ ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربِّ برسالتي والولاية لعليٍّ بن أبي طالب. ونقله بهذا اللفظ عن تفسيره الإربلي في «كشف الغمّة» ص ٩٥.

وقال القطيفي في الفرقة الناجية: روى أبو بكر ابن مردويه الحافظ بإسناده إلى أبي سعيد الخدري: انّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله يوم دعا الناس إلى غدير

---

(١) ستعرف صحته في صوم الغدير، وأن تضعيفه تحكم والحديث واضح ورجال إسناده كلهم ثقات.

خمّ أمر بما كان تحت الشجرة من شوك فقمَّ وذلك يوم الخميس ودعا الناس إلى عليٍّ فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر النـاس إلى بياض إبط رسـول الله، فلم يفترقا حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينكم﴾. الآية. فقال. إلى آخر ما يأتي عن أبي نعيم الاصبهاني حرفيّاً.

٣ ـ الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفّى ٤٣٠، روى في كتابه «ما نزل في القرآن في عليٍّ» قال: حدّثنا محمَّد بن أحمد بن علي بن مخلّد (المحتسب المتوفّى ٣٥٧) قال: حدَّثنا محمَّد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدَّثني يحيى الحِمّاني قال: حدَّثني قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: انّ النبيَّ ﷺ يوم دعا الناس إلى عليٍّ في غدير خمّ أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ وذلك يوم الخميس فدعا عليّاً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله، ثمّ لم يتفرَّقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينكم﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الـربِّ برسـالتي، وبالـولاية لعليٍّ عليه السلام من بعدي. ثمّ قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. فقال حسّان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهنَّ. فقال: قل على بركة الله. فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش! أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية. ثمّ قال:

يناديهمُ يوم الغـديـر نبيهم ... بخمّ فاسمع بالرسـول مناديـا
يقول: فمن مولاكمُ ووليّكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
: إلهـك مـولانـا وأنت ولِيّنـا ... ولم ترَ منّا في الولاية عـاصيا
فقـال له: قم يـا عليُّ! فإنَّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنتُ مـولاهُ فهـذا وليّـهُ ... فكونوا له أنصار صدق مواليـا
هناك دعا: اللهمَّ! والِ وليّـهُ ... وكن للّذي عـادا عليّاً معـاديا

وبهذا اللفظ رواه الشيخ التابعيُّ سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ رسول الله دعا الناس بغدير خمّ فأمر بما كان تحت الشجر من الشوك فقمَّ، وكان ذلك يوم الخميس، ثمّ دعا الناس إليه وأخذ بضبع عليٍّ بن أبي طالب فرفعها حتّى نظرت إلى بياض إبط رسول الله: الحديث بلفظه.

٤ ـ الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديُّ المتوفّى ٤٦٣، روى في تاريخه ج ٨ ص ٢٩٠ عن عبدالله بن عليٍّ بن محمَّد بن بشران عن الحافظ عليٍّ بن عمر الدارقطني، عن حبشون الخلال، عن عليٍّ بن سعيد الرملي عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر الورّاق عن ابن حوشب عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ.

وعن أحمد بن عبدالله النيري عن عليٍّ بن سعيد عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر عن ابن حوشب عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجَّة كتب له صيام ستين شهراً. وهو يوم غدير خمّ لَمّا أخذ النبيُّ ﷺ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم. فأنزل الله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾. الآية.

٥ ـ الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفّى ٤٧٧، في كتاب الولاية بإسناده عن يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني الكوفي عن قيس بن الربيع عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري: أنَّ رسول الله ﷺ لَمّا دعا الناس بغدير خمّ أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ وذلك يوم الخميس. إلى آخر اللفظ المذكور بطريق أبي نعيم الاصبهاني.

٦ ـ أبو الحسن ابن المغازليِّ الشافعيُّ المتوفّى ٤٨٣، روى في مناقبه عن أبي بكر أحمد بن محمَّد بن طاوان قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن الحسين بن السمّاك قال: حدَّثني أبو محمَّد جعفر بن محمَّد بن نصير الخلدي، حدَّثني عليٌّ بن سعيد بن قتيبة الرملي قال: حدَّثني ضمرة بن ربيعة القرشيّ عن

ابن شوذب عن مطر الورّاق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة. إلى آخر اللفظ المذكور بطريق الخطيب البغدادي (العمدة ص ٥٢) وذكره جمع آخرون.

٧ ـ الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني (المترجم ص ١٤٧) قال: أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي، قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قال: حدَّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثنا أحمد بن عمّار بن خالد، قال: حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني، قال: حدّثنا قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري: انَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملتُ لَكم دينكم﴾. قال: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، وولاية عليّ بن أبي طالب من بعدي. وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله.

٨ ـ الحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعيُّ الدمشقيُّ المتوفّى ٥٧١، روى الحديث المذكور بطريق ابن مردويه عن أبي سعيد وأبي هريرة كما في الدرّ المنثور ج ٢ ص ٢٥٩.

٩ ـ أخطب الخطباء الخوارزميُّ المتوفّى ٥٦٨، قال في المناقب ص ٨٠: أخبرنا سيِّد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي فيما كتب إليَّ من همدان: أخبرني أبو الفتح عبدوس بن عبدالله بن عبدوس الهمداني كتابة، حدَّثني عبدالله بن إسحاق البغوي، حدّثني الحسن بن عليل الغنوي، حدّثني محمَّد بن عبد الرحمن الزرّاع، حدَّثني قيس بن حفص، حدَّثني عليّ بن الحسن العبدي عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري إنّه قال: إنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله يوم دعا الناس إلى غدير خمّ أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ وذلك يوم الخميس، ثمّ دعا الناس إلى عليٍّ فأخذ بضبعه فرفعها حتّى نظر الناس إلى إبطيه[1] حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم

(١) في فرائد السمطين نقلاً عن الخوارزمي: ثم لم يتفرقا حتى نزلت، وفي لفظه الآخر عنه: ثم لم يتفرقوا حتى نزلت. مثل لفظ أبي نعيم.

أكملتُ لَكم دينكم﴾. الآيـة إلى آخـر الحـديث بلفظٍ مـرَّ بـطريق أبي نعيم الأصفهاني.

وروى في المنـاقب ص ٩٤ بـالإسنـاد عن الحـافظ أحمـد بن الحسين البيهقي، عن الحـافظ أبي عبدالله الحـاكم، عن أبي يعلى الزبيـر بن عبدالله الثوري، عن أبي جعفر أحمد بن عبدالله البزّاز، عن عليٍّ بن سعيد الرملي، عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر الورّاق. إلى آخر ما مرَّ عن الخطيب البغدادي سنداً ومتناً.

١٠ - أبو الفتح النطنزي، روى في كتابه «الخصائص العلويَّة» عن أبي سعيد الخدري بلفظ مرَّ ص٦٧، وعن الخدري وجابر الأنصاري أنّهما قالا: لَمّا نزلت: اليومَ أكملتُ لكم دينكم. الآية. قال النبيُّ ﷺ. الله أكبر على إكمال الـدين، وإتمام النعمـة، ورضى الربِّ بـرسالتي، وولايـة عليٍّ بن أبي طالب بعدي.

وفي الخصائص بإسناده عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قالا: نزلت هذه الآية (يعني آية التبليغ) يوم الغدير. وفيه نزلت: ﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينكم﴾. قال: وقال الصادق عليه السلام: أي: اليوم أكملت لكم دينكم بإقامة حافظه، وأتممت عليكم نعمتي أي: بولايتنا، ورضيت لكم الإسلام ديناً أي: تسليم النفس لأمرنا. وبإسناده في خصائصه أيضاً عن أبي هريرة حديث صوم الغدير بلفظ مرَّ بطريق الخطيب البغدادي وفيه نزول الآية في عليٍّ يوم الغدير.

١١ - أبو حامد سعد الدين الصالحاني، قال شهاب الدين أحمـد في - تـوضيح الـدلائل على تـرجيح الفضـائل -: وبـالإسناد المـذكور عن مجـاهد رضي الله عنـه قال: نـزلت هذه الآيـة اليومَ أكملتُ لكم، بغـديـر خمّ فقـال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وبارك وسلّم: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرَّبِّ برسالتي، والولاية لعليّ. رواه الصالحاني[1].

---

(١) قال شهاب الدين في توضيح دلائله: قال الإمام العالم الأديب الأريب، المحلى بسجايا المكارم الملقب بين الأجلة الأئمة بمحيي السنة وناصر الحديث ومجدد الإسلام العالم الرباني والعارف السبحاني =

١٢ ـ أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفي البغداديّ المتوفّى ٦٥٤، ذكر في تذكرته ص ١٨ ما أخرجه الخطيب البغدادي المذكور ص ٢٧٨ من طريق الحافظ الدارقطني.

١٣ ـ شيخ الإسلام الحمويني الحنفي المتوفّى ٧٢٢، روى في «فرائد السمطين» في الباب الثاني عشر قال: أنبأني الشيخ تاج الدين أبو طالب عليٌّ بن الحبّ بن عثمان بن عبدالله الخازن، قال: أنبأ الإمام برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي إجازة قال: أنبأ الإمام أخطب خوارزم أبو المؤيِّد الموفّق بن أحمد المكي الخوارزمي قال: أخبرني سيِّد الحفّاظ فيما كتب إليَّ من همدان. إلى آخر ما مرّ عن أخطب الخطباء الخوارزمي سنداً ومتناً.
وروى عن سيِّد الحفّاظ أبي منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد المعرّي الحافظ قال: نبأ أحمد بن عبدالله بن أحمد قال: نبأ محمَّد بن أحمد قال: نبأ محمَّد بن عثمان بن أبي شيبة قال: نبأ يحيى الحِمّاني قال: نبأ قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري إنَّ رسول الله ﷺ دعا الناس إلى عليٍّ. إلى آخر الحديث بلفظ مرَّ بطريق أبي نعيم ص ٢٧٨ ثم قال: حديثٌ له طرقٌ كثيرة إلى أبي سعيد سعد بن مالك الخدري الأنصاري.

١٤ ـ عماد الدين ابن كثير القرشيّ الدمشقيّ الشافعيّ المتوفّى ٧٧٤، روى في تفسيره ج ٢ ص ١٤ من طريق ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أنهما قالا: إنّ الآية نزلت يوم غدير خمّ في عليٍّ. وروى في تاريخه ج ٥ ص ٢١٠ حديث أبي هريرة المذكور بطريق الخطيب البغدادي. وله هناك كلامٌ يأتي بيانه في صوم الغدير.

١٥ ـ جلال الدين السيوطي الشافعي المتوفّى ٩١١، رواه في «الدرّ المنثور» ج ٢ ص ٢٥٩ من طريق ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بلفظ مرَّ في رواية ابن مردويه.

سعد الدين أبو حامد محمود بن محمد بن حسين بن يحيى الصالحاني في عباراته الفائقة وإشاراته الرائقة من كتابه شكر الله تعالى مسعاه وأكرم بفضله مثواه. إلخ.

وقال في الإتقان ج ١ ص ٣١ في عدِّ الآيات السفريّة: منها اليومَ أكملتُ لكم دينكم. في الصحيح عن عمر أنَّها نزلت عشيّة عرفة يوم الجمعة عام حجّة الوداع، له طرقٌ كثيرةٌ لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت يوم غدير خمّ، وأخرج مثله من حديث أبي هريرة وفيه: انّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة مرجعه من حجّة الوداع. وكلاهما لا يصحّ. اهـ.

(قلنا) إن كان مراده من عدم الصحّة غميزة في الإسناد ففيه أنّ رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند أساتذة الفنّ، منصوصٌ على رجالها بالتوثيق، وسنفصِّل ذلك عند ذكر صوم الغدير، وحديث أبي سعيد له طرقٌ كثيرةٌ كما مرَّ في كلام الحمويني في فرائده. على أنَّ الرواية لم تختصَّ بأبي سعيد وأبي هريرة فقد عرفت أنّها رواها جابر بن عبدالله، والمفسِّر التابعيّ مجاهد المكي، والإمامان الباقر والصادق صلوات الله عليهما، وأسند إليهم العلماء مخبتين إليها.

كما أنّها لم تختصّ روايتها من العلماء وحفّاظ الحديث بابن مردويه وقد سمعت عن السيوطي نفسه في درِّه المنثور رواية الخطيب وابن عساكر، وعرفت أن هناك جمعاً آخرين أخرجوها بأسانيدهم وفيها مثل الحاكم النيسابوري، والحافظ البيهقي، والحافظ ابن أبي شيبة، والحافظ الدارقطني، والحافظ الديلمي، والحافظ الحدّاد وغيرهم كلُّ ذلك من دون غمز فيها عن أيٍّ منهم.

وإن كان يريد عدم الصحّة من ناحية معارضتها لِما رُوي من نزول الآية يوم عرفة فهو مجازفٌ في الحكم الباتّ بالبطلان على أحد الجانبين، وهب أنه ترجّح في نظره الجانب الآخر لكنّه لا يستدعي الحكم القطعي ببطلان هذا الجانب كما هو الشأن عند تعارض الحديثين، لا سيّما مع إمكان الجمع بنزول الآية مرَّتين كما احتمله سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٨ كغير واحدة من الآيات الكريمة النازلة غير مرّة واحدة ومنها البسملة النازلة في مكّة مرَّة وفي المدينة أُخرى وغيرها مما يأتي.

على أنَّ حديث نزولها يوم الغدير معتضدٌ بما قدَّمناه عن الرازي وأبي

السعود وغيرهما من أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله لم يعمر بعد نزولها إلّا أحداً أو إثنين وثمانين يوماً. فراجع ص ٢٧٥، والسيوطي في تحكّمه هذا قلّد ابن كثير فإنّه قال في تفسيره ج ٢ ص ١٤ بعد ذكر الحديث بطريقيه: لا يصلح لا هذا ولا هذا. فالبادي أظلم.

١٦ ـ ميرزا محمّد البدخشي، ذكر في «مفتاح النجا» ما أخرجه ابن مردويه كما مرَّ في ص ٢٧٦.

وبعد هذا كلّه فإن تعجب فعجبٌ قول الآلوسي في روح المعاني ج ٢ ص ٢٤٩: أخرج الشيعة عن أبي سعيد الخدري أنَّ هذه الآية نزلت بعد أن قال النبيُّ ﷺ لعليٍّ كرَّم الله وجهه في غدير خمّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فلما نزلت قال عليه الصّلاة والسلام: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، وولاية عليٍّ كرم الله تعالى وجهه بعدي. ولا يخفى أنّ هذا من مفترياتهم، وركاكة الخبر شاهدٌ على ذلك في مبتدا الأمر. اهـ.

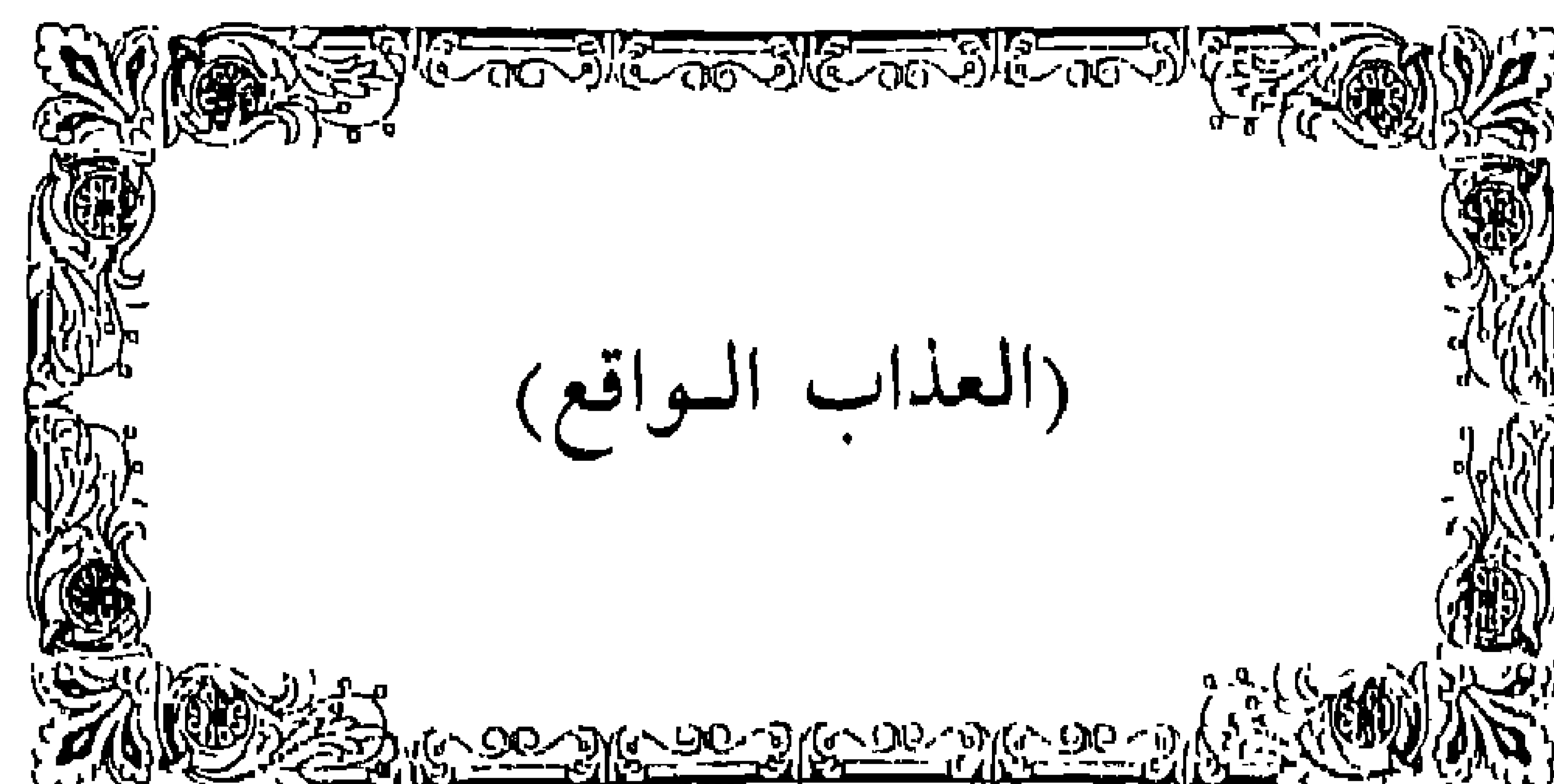
ونحن لا نحتمل أنَّ الألوسي لم يقف على طرق الحديث ورواته حتى حداه الجهل الشائن إلى عزو الرواية إلى الشيعة فحسب، لكن بواعثه دعته إلى التمويه والجلبة أمام تلك الحقيقة الراهنة، وهو لا يحسب أنّ وراءه مَن يناقشه الحساب بعد الإطلاع على كتب أهل السنّة ورواياتهم.

ألا مسائلٌ هذا الرجل عن تخصيصه الرواية بالشيعة؟ وقد عرفت من رواها من أئمّة الحديث وقادة التفسير وحملة التاريخ من غيرهم. ثمَّ عن حصره إسناد الحديث بأبي سعيد؟ وقد مضت رواية أبي هريرة وجابر بن عبدالله ومجاهد والإمامين الباقر والصادق عليهما السلام له. ثمَّ عن الركاكة التي حسبها في الحديث وجعلها شاهداً على كونه من مفتريات الشيعة أهي في لفظه؟ ولا يعدوه أن يكون لدة سائر الأحاديث المرويّة وهو خال عن أيّ تعقيد، أو ضعف في الأسلوب، أو تكلّف في البيان، أو تنافر في التركيب، جارٍ على مجاري العربيّة المحضة. أو في معناه؟ وليس فيه منها شيءٌ غير أن يقول الألوسي: إنّ ما يُروى في فضل أمير المؤمنين عليه السلام وما يُسند إليه من فضائل كلّها ركيكة لأنّها

في فضله، وهذا هو النصب المسفُّ بصاحبه إلى هوَّة الهلكة وليت شعري ما ذنب الشيعة إن رووا صحيحاً وعضدتهم على ذلك روايات أهل السنَّة؟ غير أنَّ الناصب مع ذلك يتيه في غلوائه، ويجاثيك على العناد فيقول: أخرج الشيعة إلخ. ولا يخفى أنَّ هذا من مفترياتهم. إلخ. وبوسعنا الآن أن نسرد لك الأحاديث الركيكة التي شحن بها كتابه الضخم حتى يميز الناقد المنصف الركيك من غيره لكنّا نمرُّ عليها كراماً.

﴿كَلّا إنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَن شآءَ ذَكَرَهُ وَما يَذْكُرونَ إلّا أنْ يَشآءَ اللهُ﴾

«سورة المدَّثِّر: ٥٤ - ٥٦»



ومن الآيات النازلة بعد نصّ الغدير قوله تعالى من سورة المعارج:

﴿سأَلَ سائِلٌ بِعذَابٍ وَاقِعٍ ١ » لِلكافِرينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ ٢ » مِنَ الله ذي الْمَعارِجِ ٣»﴾

وقد أذعنت به الشيعة وجاء مثبتاً في كتب التفسير والحديث لمن لا يُستهان بهم من علماء أهل السنّة ودونك نصوصها:

١ ـ الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفّى بمكّة ٢٢٣/٤ «المترجم ص١١٧ روى في تفسيره غريب القرآن قال: لَمّا بلّغ رسول الله ﷺ في غدير خمّ ما بلّغ، وشاع ذلك في البلاد أتى جابر[1] بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري. فقال: يا محمَّد! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ثمّ لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمِّك ففضّلته علينا وقلت: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فهذا شيءٌ منك أم من الله؟ فقال رسول الله: والذّي لا إله إلاّ هو انّ هذا من الله. فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهمَّ إن كان ما يقول محمَّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله تعالى: ﴿سأَلَ سائِلٌ بِعذابٍ واقعٍ﴾. الآية.

٢ ـ أبو بكر النقّاش الموصليّ البغداديّ المتوفّى ٣٥١ (المترجم

---

(١) في رواية الثعلبي الآتية التي أصفق العلماء على نقلها أسمته: الحارث بن النعمان الفهري ولا يبعد صحة ما في هذه الرواية من كونه (جابر بن النضر) حيث ان جابراً قتل أمير المؤمنين عليه السلام والده: النضر صبراً بأمر من رسول الله لما أسر يوم بدر الكبرى كما يأتي ص٢٨١٧ وكانت الناس يومئذ حديثي عهد بالكفر، ومن جراء ذلك كانت البغضاء محتدمة بينهم على الأوتار الجاهلية.

ص ١٣٨) روى في تفسيره «شفاء الصدور» حديث أبي عبيد المذكور إلاّ أنّ فيه مكان جابر بن النضر: الحارث بن النعمان الفهري كما يأتي في رواية الثعلبي وأحسبه تصحيحاً منه.

٣ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفّى ٤٢٧/٣٧، قال في تفسيره (الكشف والبيان): انَّ سفيان بن عيينة سُئل عن قوله عزَّ وجل: ﴿سأل سائلٌ بعذابٍ واقع﴾. فيمن نزلت؟ فقال للسائل[1] سألتني عن مسألة ما سألني أحدٌ قبلكٌ. حدَّثني أبي عن جعفر بن محمَّد عن آبائه صلوات الله عليهم قال: لمّا كان رسول الله بغدير خمّ نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد عليٍّ فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له حتى أتى الأبطح[2] فنزل عن ناقته فأناخها فقال: يا محمَّد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمِّك ففضَّلته علينا وقلت: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فهذا شيءٌ منك أم من الله عزَّ وجلّ؟ فقال: والذي لا إله إلا هو إنَّ هذا من الله. فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهمَّ إن كان ما يقول محمَّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿سأل سائلٌ بعذابٍ واقع﴾. الآيات.

٤ - الحاكم أبو القاسم الحسكاني «المترجم ص ١٤٧» روى في كتاب - دعاة الهداة إلى أداء حقّ الموالاة - فقال: قرأت على أبي بكر محمَّد بن محمَّد الصيدلاني فأقرَّ به، حدَّثكم أبو محمَّد عبدالله بن أحمد بن جعفر الشيباني، حدَّثنا عبدالرحمن بن الحسين الأسدي، حدَّثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي

---

(١) في رواية فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره والكراجكي في كنز الفوائد: ان السائل هو: الحسين بن محمد الخارقي.

(٢) يأتي الكلام فيه بأبسط وجه إن شاء الله تعالى.

(ابن ديزيل)، حدَّثنا الفضل بن دكين، حدَّثنا سفيان بن سعيد (الثوري)، حدَّثنا منصور[١] عن ربعي. عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. قال النعمان بن المنذر (فيه تصحيفٌ) الفهري: هذا شيءٌ قلته مِن عندك؟ أو شيء أمرك به ربّك؟ قال: لا. بل أمرني به ربّي. فقال: اللهمَّ أنزل (كذا في النسخ) علينا حجارةً من السماء. فما بلغ رحله حتى جاءه حجرٌ فأدماه فخرَّ ميّتاً فأنزل الله تعالى: ﴿ سألَ سائِلٌ بِعذابٍ واقع﴾. [٢]

وقال حدَّثنا أبو عبدالله الشيرازي، قال: حدَّثنا أبو بكر الجرجاني، قال: حدَّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدَّثنا محمَّد بن سهل، قال: حدَّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصار قال: حدَّثنا محمَّد بن أيّوب الواسطي، قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمَّد الصادق عن آبائه عليهم السلام: لَمّا نصب رسول الله عليّاً يوم غدير خمّ وقال: مَن كنت مولاه، طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحرث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا آله إلاّ الله وانّك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحّج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثمَّ لم ترض حتى نصبتَ هذا الغلام فقلت: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فهذا شيءٌ منك؟ أو أمرٌ من عند الله؟ فقال: والله الذي لا آله إلاّ هو انَّ هذا من الله. فولّى النعمان بن الحرث وهو يقول: اللهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء. فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى: ﴿سأل سائِلٌ بِعذابٍ واقع﴾. الآيات.

٥ ـ أبو بكر يحيى القرطبي المتوفّى ٥٦٧ (المترجم ١٥٠) قال في تفسيره في سورة المعارج: لمّا قال النبيُّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال

(١) منصور بن المعتمر بن ربيعة الكوفي، يروي عن ربعي بن حراش، مجمع على ثقته توفي ١٣٢، ذكره الذهبي في تذكرته ج ١ ص ١٢٧ وأثنى عليه بالإمام الحافظ الحجة.

و ربعي بن حراش أبو مريم الكوفي المتوفى ١٠٠/١/٤ من رجال الصحيحين قال الذهبي في تذكرته ج ١ ص ٦٠: متفق على ثقته وإمامته والإحتجاج به.

(٢) إسناد هذا الحديث صحيح رجاله كلهم ثقات.

النضر بن الحارث[1] لرسول الله ﷺ أمرتنا بالشهادتين عن الله فقبلنا منك، وأمرتنا بالصلاة والزكاة، ثمّ لم ترض حتى فضّلتَ علينا ابن عمّك آلله أمرك؟ أم من عندك؟ فقال: والذي لا آله إلاّ هو إنّه من عند الله. فولّى وهو يقول: اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء. فوقع عليه حجر من السماء فقتله.

٦ - شمس الدين أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى ٦٥٤، رواه في تذكرته ص ١٩ قال: ذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أنّ النبيّ ﷺ لَمّا قال ذلك (يعني حديث الولاية) طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد[2] ثم عقلها وجاء فدخل في المسجد فجثا بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد! إنّك أمرتنا أن نشهد أن لا آله إلاّ الله وأنّك رسول الله فقبلنا منك ذلك، وانّك أمرتنا أن نصلّي خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان ونحجّ البيت ونزكّي أموالنا فقبلنا منك ذلك، ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك وفضّلته على الناس وقلت: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فهذا شيءٌ منك أو من الله؟ فقال رسول الله ﷺ وقد احمرّت عيناه: والله الذي لا إله إلاّ هو انّه من الله وليس مني: قالها ثلاثاً. فقام الحرث وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فأرسل من السماء علينا حجارةً أو ائتنا بعذاب أليم. قال: فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات وأنزل الله تعالى: ﴿سأَلَ سائِلٌ بِعذابٍ واقع﴾. الآيات.

٧ - الشيخ إبراهيم بن عبدالله اليمنيّ الوصّابي الشافعيّ، روى في كتابه - الإكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء - حديث الثعلبي المذكور ص ٢٨٦.

٨ - شيخ الإسلام الحمويني المتوفى ٧٢٢. روى في «فرائد السمطين» في الباب الثالث عشر قال: أخبرني الشيخ عماد الدين الحافظ بن بدران بمدينة

---

(١) هو النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن كلدار، وفي الحديث تصحيف، إذ النضر أُخذ أسيراً يوم بدر الكبرى، وكان شديد العداوة لرسول الله فأمر بقتله، فقتله أمير المؤمنين صبراً، كما في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٦، وتأريخ الطبري ج ٢ ص ٢٨٦، وتأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤ وغيرها.

(٢) لعله مسجد رسول الله بغدير خم بقرينة سائر الأحاديث.

نابلس فيما أجاز لي أن أرويه عنه، إجازةً عن القاضي جمال الدين عبد القاسم بن الصمد الأنصاري، إجازةً عن عبد الجبار بن محمَّد الحواري البيهقي، إجازة عن الإمام أبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي قال: قرأت على شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره: انَّ سفيان بن عيينة سُئل عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سألَ سائِلٌ بِعذابٍ واقع﴾. فيمن نزلت؟ فقال. الحديث إلى آخر لفظ الثعلبي المذكور ص ٢٨٦.

٩ ـ الشيخ محمَّد الزرندي الحنفي المترجم ص١٦١، ذكره في كتابيه «معارج الوصول» و«نظم درر السمطين».

١٠ ـ شهاب الدين أحمد دولت آبادي المتوفّى ٨٤٩، روى في كتابه ـ هداية السعداء ـ في الجلوة الثانية من الهداية الثامنة: انَّ رسول الله ﷺ قال يوماً: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. فسمع ذلك واحدٌ من الكفرة من جملة الخوارج[1] فجاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا محمَّد! هذا من عندك أو من عند الله؟ فقال ﷺ: هذا من عند الله. فخرج الكافر من المسجد وقام على عتبة الباب وقال: إن كان ما يقوله (محمَّد) حقّاً فأنزل علَيَّ حجراً من السماء. قال فنزل حجرٌ ورضخ رأسه فنزلت: ﴿سألَ سائِلٌ﴾.

١١ ـ نور الدين ابن الصباغ المالكيّ المكّي المتوفّى ٨٥٥. رواه في كتابه الفصول المهمَّة ص ٢٦.

١٢ ـ السيِّد نور الدين الحسنيّ السمهوديّ الشافعيّ المتوفّى ٩١١ (المترجم ص ١٧) رواه في جواهر العقدين.

١٣ ـ أبو السعود العمادي [2] المتوفّى ٩٨٢، قال في تفسيره ج ٨ ص ٢٩٢: قيل: هو (أي سائل العذاب) الحرث بن النعمان الفهري، وذلك أنَّه

(١) أراد من الخوارج المعنى الأعم من محارب لحجة وقته أو مجابهه برد، نبياً كان أو خليفة.

(٢) المولى محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي ولد ٨٩٨ بقرية قريبة من قسطنطينية وأخذ العلم وقلد القضاء والفتيا وتوفي بقسطنطينية مفتياً ٩٨٢ ترجمه أبو الفلاح في شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠.

لَمّا بلغه قول رسول الله عليه السلام في عليّ رضي الله عنـه: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه قال: اللهمَّ إن كان ما يقوله محمَّد حقّاً فـأمطر علينـا حجارةً من السماء. فما لبث حتّى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته.

١٤ - شمس الدين الشربينيّ القاهريّ الشافعيّ المتوفّى ٩٧٧ (المترجم ص ١٧٢) قـال في تفسيره السـراج المنيـر ج ٤ ص ٣٦٤: اختُلِف في هـذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر بن الحرث. وقيل: هو الحرث بن النعمان. وذلك أنَّه لَمّا بلغه قول النبيِّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثمّ قال: يا محمَّد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا آله إلا الله وأنّك رسول الله فقبلناه منك، وأن نصلّي خمساً ونزكّي أموالنا فقبلنـاه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كلِّ عام فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك، ثمَّ لم ترض حتى فضّلتَ ابن عمِّك علينا، أفهذا شيءٌ منك أم من الله تعالى؟ فقال النبيُّ ﷺ: والذي لا آله إلا هو ما هو إلاّ من الله. فولّى الحرث وهو يقول: اللّهمَّ إن كان ما يقول محمَّدٌ حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم. فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرجَ من دبره فقتله فنزلت: ﴿سأَلَ سائِلٌ﴾. الآيات.

١٥ - السيّد جمال الـدين الشيرازيّ المتـوفّى ١٠٠٠، قال في كتـابه - الأربعين في مناقب أمير المؤمنين -: الحديث الثالث عشر عن جعفر بن محمَّد عن آبائه الكرام: انَّ رسول الله ﷺ لَمّا كان بغدير خمّ نادى الناس فـاجتمعوا فأخذ بيد عليٍّ وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأدر الحقَّ معه حيث كان. وفي رواية: اللهمَّ أعنه وأعن به، وارحمه وارحم به، وانصره وانصر به. فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له. وذكر إلى آخر حديث الثعلبي.

١٦ - الشيخ زين الدين المنـاويّ الشافعيّ المتـوفّى ١٠٣١ (المترجم ص ١٧٥) رواه في كتابه «فيض القدير في شرح الجامع الصغير» ج ٦ ص ٢١٨

في شرح حديث الولاية.

١٧ ـ السيِّد ابن العيدروس الحسينيّ اليمنيّ المتوفّى ١٠٤١ (المترجم ص ١٧٥) ذكره في كتابه ـ العقد النبويّ والسرِّ المصطفويّ ـ.

١٨ ـ الشيخ أحمد بن باكثير المكي الشافعيّ المتوفّى ١٠٤٧ (المترجم ١٧٦) نقله في تأليفه ـ وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل ـ.

١٩ ـ الشيخ عبد الرّحمن الصفوري، روى في نزهته ج ٢ ص ٢٤٢ حديث القرطبي.

٢٠ ـ الشيخ برهان الدين عليّ الحلبيّ الشافعيّ المتوفّى ١٠٤٤، روى في السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٣٠٢ وقال: لَمّا شاع قوله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. في سائر الأمصار وطار في جميع الأقطار بلغ الحرث بن النعمان الفهري فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبيُّ جالسٌ وحوله أصحابه فجاء حتى جثا بين يديه، ثمَّ قال: يا محمَّد! إلى آخر لفظ سبط ابن الجوزي المذكور ص٢٦٦.

٢١ ـ السيِّد محمود بن محمَّد القادريّ المدنيّ، قال في تأليفه ـ الصراط السويّ في مناقب النبيّ ـ: قد مرَّ مراراً قوله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. الحديث قالوا: وكان الحارث بن النعمان مسلماً فلمّا سمع حديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. شك في نبوَّة النبيِّ ثمّ قال: اللهمّ إن كان ما يقوله محمَّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ثمّ ذهب ليركب راحلته فما مشى نحو ثلاث خطوات حتى رماه الله عزّ وجلّ بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله فأنزل الله تعالى: ﴿سألَ سائِلٌ بعذابٍ واقع﴾. الآيات.

٢٢ ـ شمس الدين الحفني الشافعي المتوفى ١١٨١ (المترجم ص ١٨٢) قال: في شرح الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٣٨٧ في شرح قوله صلّى الله عليه واله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. لمّا سمع ذلك بعض الصحابة قال: أما يكفي رسول الله أن نأتي بالشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. إلخ. حتى يرفع علينا ابن أبي طالب؟ فهل هذا من عندك أم من عند الله؟ فقال ﷺ: والله الذي

لا آله إلا هو انَّه من عند الله. فهو دليلٌ على عظم فضل عليٍّ عليه السلام.

٢٣ ـ الشيخ محمَّد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا، قال في كتابه ـ معارج العلى في مناقب المرتضى ـ انَّ رسول الله ﷺ قال يوماً: اللهم مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فسمع ذلك واحدٌ من الكفرة من جملة الخوارج فجاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمَّد! هذا من عندك أو من عند الله؟ فقال النبيُّ ﷺ هذا من عند الله فخرج الكافر من المسجد وقام على عتبة الباب وقال: إن كان ما يقوله حقّاً فأنزل عليَّ حجراً من السماء، قال: فنزل حجرٌ فرضخ رأسه.

٢٤ ـ الشيخ محمَّد محبوب العالم. رواه في تفسيره الشهير بتفسير شاهي.

٢٥ ـ أبو عبدالله الزرقانيّ المالكيّ المتوّفى ١١٢٢ حكاه في [شرح المواهب اللدنيَّة] ج ٧ ص ١٣.

٢٦ ـ الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظيّ الشافعيّ. ذكره في كتابه ـ ذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآل ـ.

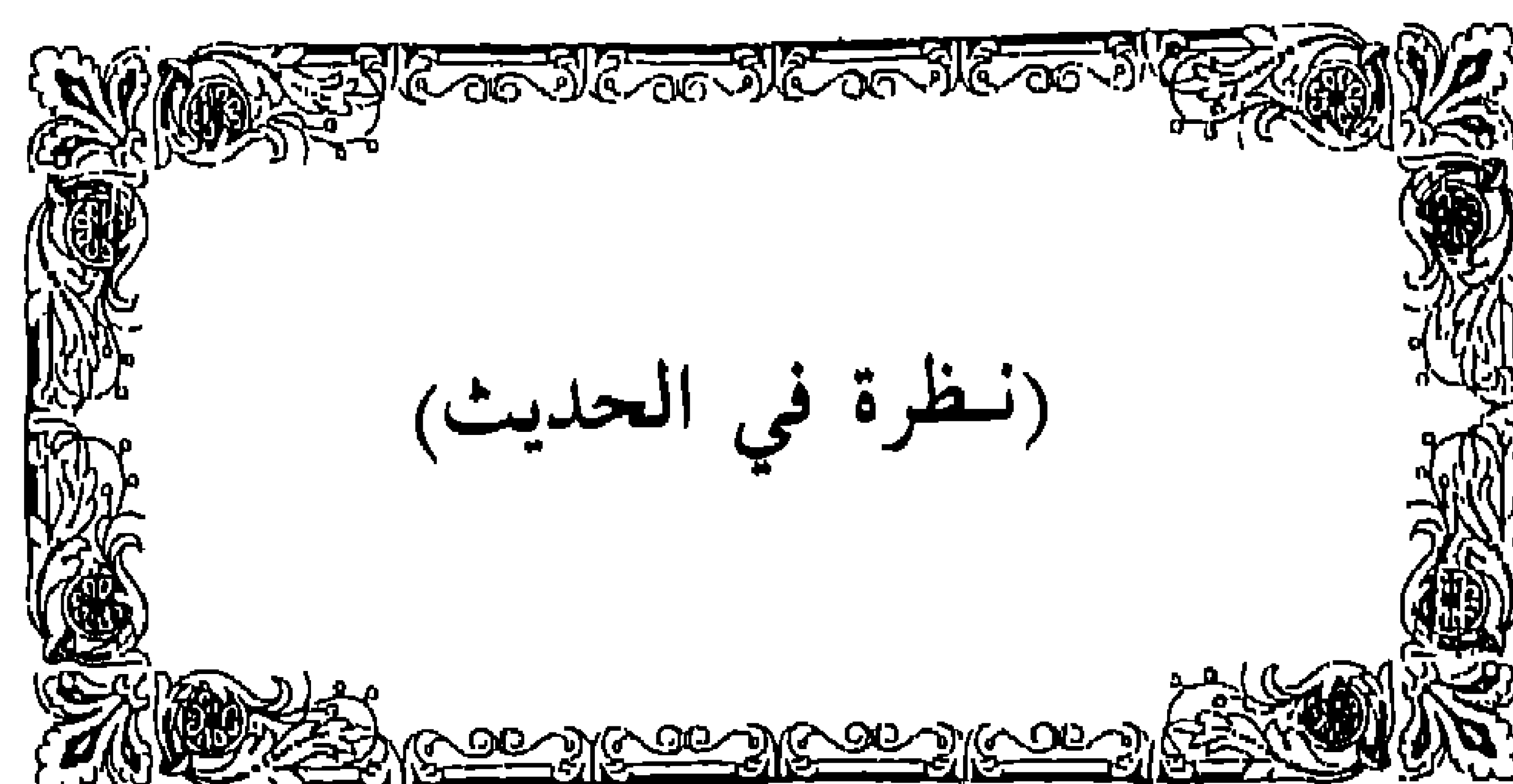
٢٧ ـ السيِّد محمَّد بن إسماعيل اليماني المتوفّى ١١٨٢، ذكره في كتابه ـ الروضة النديَّة في شرح التحفة العلويّة ـ.

٢٨ ـ السيِّد مؤمن الشبلنجي الشافعيّ المدنيّ، ذكره في كتابه ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيِّ المختار ـ ص ٧٨.

٢٩ ـ الاستاذ الشيخ محمَّد عبده المصريّ المتوفّى ١٣٢٣، ذكره في تفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٤ عن الثعلبي، ثمَّ استشكل عليه بمختصر ما أورد عليه ابن تيميَّة، وستقف على بطلانه وفساده.

﴿وإن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُممٌ مِنْ قَبلِكُمْ وما عَلَى الرَّسولِ إلاَّ الْبَلاغُ الْمُبينُ﴾

سورة العنكبوت: ١٨.



قد عرفت مصافقة التفسير والخبر، في سبب نزول الآية الكريمة، ومطابقة النصوص والأسانيد في إثبات الحديث والإخبات إليه، وقد أفرغته الشعراء في بوتقة النظم منذ عهد متقادم كأبي محمَّد العوني الغسّاني المترجم في شعراء القرن الرابع في قوله:

يقـول رسـول الله: هـذا لامّتي هو اليوم مولىً ربٌّ ما قلت فاسمع
فقـال جحـودٌ ذو شقـاقٍ منـافقٍ ينادي رسول الله من قلب موجعِ
: أعن ربّنا هذا أم أنت اخترعته ؟ فقال: معاذ الله من قلب بمبدعِ
فقـال عـدو الله: للهمَّ إن يكن كما قال حقّاً بي عذابـاً فأوقـعِ
فعـوجل من أفق السمـاء بكفـره بجنـدلـة فـانكبَّ ثـاوٍ بمصـرعِ

وقال آخر في أرجوزته:

ومـا جـرى لحـارث النعمـانِ في أمـره من أوضح البـرهانِ
على اختيـاره لأمـر الأمّـة فمن هـنـاك سـائـهُ وغمَّـهِ
حتى أتى النبيَّ بـالمـدينـةِ محبنـطئـاً من شـدَّة الضغينـةِ
وقـال مـا قـال من المقـالِ فبـآء بـالعـذاب والنكـالِ

ولم نجد من قريب أو مناوىء غمزاً فيه أو وقيعةً في نقله مهما وجدوا رجـال

إسناده ثقاتاً فأخبتوا إليه، عدا ما يؤثر عن ابن تيميَّة[1] في منهاج السنَّة ج ٤ ص ١٣ فقد ذكر وجوهاً في إبطال الحديث كشف بها عن سوءته كما هو عادته في كلِّ مسألة تفرَّد بالتحذلق فيها عند مناوءة فِرق المسلمين، ونحن نذكرها مختصرةً ونجيب عنها.

(الوجه الأول): إنَّ قصَّة الغدير كانت في مرتجع رسول الله ﷺ حجَّة الوداع وقد أجمع الناس على هذا، وفي الحديث: أنَّها لَمّا شاعت في البلاد جاءه الحارث وهو بالأبطح بمكّة وطبع الحال يقتضي أن يكون ذلك بالمدينة فالمفتعِل للرواية كان يجهل تاريخ قصّة الغدير.

(الجواب): أوّلاً ما سلف في رواية الحلبي في السيرة، وسبط ابن الجوزي في التذكرة، والشيخ محمَّد صدر العالم في معارج العلى؛ من أنَّ مجيء السائل كان في المسجد - إن أُريد منه مسجد المدينة - ونصَّ الحلبي على أنّه كان بالمدنية، لكن ابن تيميَّة عزب عنه ذلك كلّه، فطفق يهملج في تفنيد الرواية بصورة جزميَّة.

(ثانياً) فإنَّ مغاضاة الرجل عن الحقائق اللغويَّة، أو عصبيَّته العمياء التي أسدلت بينه وبينها ستور العمى: ورَّطته في هذه الغمرة، فحسب إختصاص الأبطح بحوالي مكّة. ولو كان يراجع كتب الحديث ومعاجم اللغة والبلدان والأدب لوجد فيها نصوص أربابها بأنّ الأبطح كلُّ مسيل فيه دقاق الحصى، وقولهم في الإشارة إلى بعض مصاديقه: ومنه بطحاء مكّة. وعَرف أنَّه يطلق على كلِّ مسيل يكون بتلك الصفة، وليس حجراً على أطراف البلاد وأكناف المفاوز أن تكون فيها أباطح.

روى البخاري في صحيحه ج ١ ص ١٨١، ومسلم في صحيحه ج ١

---

(١) ابن تيمية الذاهب على إنكار الضروريات، والمتجرىء على الوقيعة في المسلمين؛ وعلى تكفيرهم وتضليلهم، ولذلك عاد غرضاً لنبال الجرح من فطاحل علماء أهل السنة منذ ظهرت مخاريقه وإلى هذا اليوم، وحسبك قول الشوكاني في البدر الطالع ج ٢ ص ٢٦٠: صرح محمد البخاري الحنفي المتوفى ٨٤١ بتبديعه ثم تكفيره ثم صار يصرح في مجلسه: ان من أطلق القول على ابن تيمية: انه شيخ الإسلام. فهو بهذا الإطلاق كافر.

ص ٣٨٢ عن عبدالله بن عمر: انَّ رسول الله ﷺ أناخ بالبطحاء بذي الحليفة فصلّى بها.

وفي الصحيحين عن نافع: انَّ ابن عمر كان إذا صدر عن الحجّ أو العمرة أناخ بالبطحاء التي بذي الحليفة التي كان النبيُّ ﷺ يُنيخ بها.

وفي صحيح مسلم ج ١ ص ٣٨٢ عن عبدالله بن عمر: انَّ رسول الله ﷺ أتى في معرَّسه[1] بذي الحليفة فقيل له: إنَّك ببطحاء مباركة. وفي إمتاع المقريزي وغيره: انّ النبيَّ إذا رجع من مكّة دخل المدينة من معرَّس الأبطح، فكان في معرَّسه في بطن الوادي فقيل له: إنَّك ببطحاء مباركة.

وفي صحيح البخاري ج ١ ص ١٧٥ عن ابن عمر: انَّ رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر، وفي حجَّته حين حجَّ تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزو ـ كان في تلك الطريق ـ أو حجّ أو عمرة هبط ببطن واد فإذا ظهر من بطن أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقيَّة فعرَّس ثمَّ حتى يصبح وكان ثَمَّ خليجٌ يصلّي عبدالله عنده، وفي بطنه كثبٌ كان رسول الله ﷺ ثَمّ يصلّي فدحا فيه السيل بالبطحاء. الحديث. وفي رواية ابن زبالة: فإذا ظهر «النبيُّ» من بطن الوادي أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقيَّة.

وفي مصابيح البغوي ج ١ ص ٨٣: قال القاسم بن محمَّد: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أُماه؟ اكشفي لي عن قبر النبيِّ ﷺ فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة[2] ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء.

وروى السمهودي في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٢١٢ من طريق ابن شبّة، والبزّار، عن عائشة عن النبيِّ ﷺ إنّه قال: بطحان على ترعة من ترع الجنَّة.

وقبل هذه الأحاديث كلِّها ما ورد في حديث الغدير من طريق حذيفة بن

---

(١) التعريس. نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والإستراحة.
(٢) أصله من الشرف: العلو. واللاطئة من لطىء بالأرض: لزق.

اسيد وعامر بن ليلى قالا: لَمّا صدر رسول الله من حجَّة الوداع ولم يحجّ غيرها أقبل حتى كان بالجحفة نهى عن سمرات متقاربات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحدٌ. الحديث، راجع ص ٤٧ و٧١.

وأمّا معاجم اللغة والبلدان ففي معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٣: البطحاء في اللغة مسيلٌ فيه دقاق الحصى، والجمع: الأباطح والبطاح على غير قياس - إلى أن قال -: قال أبو الحسن محمَّد بن عليّ بن نصر الكاتب: سمعت عوّادة تغنّي في أبيات طريح بن إسماعيل الثقفي في الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان من أخواله:

أنت ابن مسلنطح البطاح. ولم تطرق عليك الحنيّ والولج(١)

فقال بعض الحاضرين: ليس غير بطحاء مكّة، فما معنى الجمع؟ فثار البطحاوي العلويّ فقال: بطحاء المدينة، وهو أجلّ من بطحاء مكّة وجدّي منه، وانشد له:

وبطحاء المدينة لي منزلُ فيا حبذا ذاك من منزلِ

فقال: فهذان بطحاوان فما معنى الجمع؟ قلنا: العرب تتوسّع في كلامها وشعرها فتجعل الإثنين جمعاً، وقد قال بعض الناس: إنّ أقل الجمع إثنان، وممّا يؤكد أنها بطحاوان قول الفرزدق:

وانت ابن بطحاوي قريش فإن تشأ تكن في ثقيفٍ سيل ذي ادب عفر

«ثمَّ قال» قلت أنا: وهذا كلّه تعسّفٌ. وإذا صحّ بإجماع أهل اللغة أنّ البطحاء: الأرض ذات الحصى فكلُّ قطعة من تلك الأرض بطحاء، وقد سميت: قريش البطحاء، وقريش الظواهر. في صدر الجاهليَّة ولم يكن بالمدينة منهم أحد. وأمّا قول الفرزدق وابن نباتة فقد قالت العرب: الرقمتان ورامتان. وأمثال ذلك كثيرٌ تمرُّ في هذا الكتاب قصدهم بها إقامة الوزن فلا اعتبار به.

«البطاح» بالضم: منزل لبني يربوع وقد ذكره لبيد فقال:

---

(١) الحنى: ما انخفض من الأرض. الولج ج ولاج بالكسر: النواحي. الأزقة. ما اتسع من الأودية. أي لم تكن بينها فيخفى حسبك.

تــربَّعت الأشــراف ثم تصيَّفت   حساء البطاح وانتجعن السلائلا

وقيل: البطاح ماءٌ في ديار بني أسد، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد وأهل الردة، وكان ضرار بن الأزور الأسدي، قد خرج طليعة لخالد بن الوليد، وخرج مالك بن نويرة طليعة لأصحابه، فالتقيا بالبطاح فقتل ضرار مالكاً فقال أخوه متمِّم يرثيه:

سأبكي أخي ما دام صوت حمامة   تــورَّق في وادي البـطاح حمــامــا

وقال وكيع بن مالك يذكر يوم البطاح:

فلمّــا اتــانــا خــالــدٌ بلوائـه   تخطَّت إليه بـالبطاح الـودايعُ

وقال في ص ٢١٥: البطحاء: أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى. وقال النضر: الأبطح والبطحاء بطن الميثاء، والتلعة، والوادي. هو التراب السهل في بطونها ممّا قد جرته السيول يقال: أتينا أبطح الوادي، وبطحاءه مثله وهو ترابه وحصاه السهل الليّن. والجمع الأباطح، وقال بعضهم: البطحاء كـل موضع متّسع. وقول عمـر رضي الله عنه: بـطِّحوا المسجـد. أي ألقوا فيـه الحصى الصغار. وهو موضع بعينه قريب من ذي قار. وبطحاء مكّة وأبطحها ممدودٌ. وكذلك بطحاء ذي الحليفة، قال ابن إسحاق: خرج النبيُّ ﷺ غازياً فسلك نقب بني دينار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق، فصلّى تحتها فَثمَّ مسجده، وبطحاء أيضاً مدينة بالمغرب قرب تلمسان.

بطحان «روي فيه الضم والفتح» واد بالمدينة وهو أحـد أوديتها الثـلاثة وهي: العقيق وبطحان، وقناة، قال الشاعر وهو يقوي رواية من سكن الطاء:

أبــا سعيــد لم أزل بعــدكمُ   في كــربٍ للشـوق تغشــاني
كـم مـجـلس ولّـى بــلذّاتــه   لم يهنني إذ غـاب نـدمــاني
سقيــا لسلع ولـســاحــاتهــا   والعيش في أكنـاف بـطحـان

وقال ابن مقبل في قول من كسر الطاء:

عفـا بطحـان من سليمى فيثـرب   فملقى الرمال من منى فالمحصب

وقال أبو زياد: بطحان من مياه الضباب.

وقال في ص ٢٢٢: البَطيحة بالفتح ثم الكسر وجمعها البطائح، والبطيحة والبطحاء واحد. وتبطّح السيل إذا إتّسع في الأرض. وبذلك سُمّيت بطائح واسط. لأن المياه تبطّحت فيها أي سالت، واتسعت في الأرض، وهي أرض واسعةٌ بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متّصلة وأرضاً عامرة، فاتّفق في أيّام كسرى ابرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة، وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة، فعجز عن سدّها فتبطّح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها. إلخ.

وقال ابن منظور في لسان العرب ج ٣ ص ٢٣٦، والزبيدي في تاج العروس ج ٢ ص ١٢٤ ما ملخّصه: بطحآء الوادي تراب ليِّن ممّا جرته السيول. وقال ابن الأثير بطحاء الوادي وأبطحه حصاه الليِّن في بطن المسيل، ومنه الحديث: انَّه صلّى بالأبطح يعني أبطح مكّة. قال: هو مسيل واديها. وعن أبي حنيفة: الأبطح لا ينبت شيئاً إنّما هو بطن المسيل. وعن النضر: البطحاء بطن التلعة والوادي وهو التراب السهل في بطونها ممّا قد جرته السيول. يقال: أتينا أبطح الوادي فنمنا عليه. وبطحاؤه مثله وهو ترابه وحصاه السهل الليّن. وقال أبو عمرو: سُمِّي المكان أبطح لأنَّ الماء ينبطح فيه أي يذهب يميناً وشمالاً ج أباطح وبطائح. وفي الصحاح: تبطّح السيل إتّسع في البطحاء. وقال ابن سيدة: سال سيلاً عريضاً

قال ذو الرمة:

ولا زال من نوء السماك عليكما   ونوء الثريا وابلٌ متبطّحٌ

وقال لبيد:

يزع الهيام عن الثرى ويمدّه   بطحٌ يهايله عن الكثبان

وقال آخر:

إذا تبطّحن على المحامل   تبطّح البطِّ بجنب الساحل

وبطحاء مكّة وأبطحها معروفة لإنبطاحها، بُطحان بالضّم وسكون الطاء وهو الأكثر قال ابن الأثير في النهاية: ولعلّه الأصحّ. وقال عياض في المشارق:

هكذا يرويه المحدِّثون. وكذا سمعناه من المشايخ (والصواب الفتح وكسر الطاء) كقَطران كذا قيَّد القالي في البارع، وأبو حاتم والبكري في المعجم، وزاد الأخير: ولا يجوز غيره. هو أحد أودية المدينة الثلاثة: وهو العقيق وبَطحان وقناة، وروى ابن الأثير فيه الفتح أيضاً وغيره بالكسر وفي الحديث كان عمر أوّل مَن بطح المسجد وقال: أبطحوه من الوادي المبارك. تبطيح المسجد إلقاء الحصى فيه وتوثيره، وفي حديث ابن الزبير: فأهاب بالناس إلى بطحه أي تسوينه. وإنبطح الوادي في هذا المكان وإستبطح، أي استوسع فيه، ويقال في النسبة إلى بطحان المدينة: البطحانيون. ا هـ[1].

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان ص ٨٤: ومن واسط إلى البصرة في البطائح لأنّه تجتمع فيها عدَّة مياه، ثمَّ يصير من البطائح في دجلة العوراء، ثمّ يصير إلى البصرة فيرسي في شط نهر ابن عمر ا هـ ويوم البطحاء: من أيام العرب المعروفة منسوب إلى بطحاء ذي قار، وقعت الحرب فيها بين كسرى وبكر بن وائل.

وهناك شواهد كثيرة من الشعر لمن يُحتجّ بقوله في اللغة العربيَّة، منها ما يُعزى إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله يخاطب به وليد بن المغيرة:

يهدّدني بالعظيم الوليد ... فقلت: أنا ابن أبي طالبِ
أنا ابن المبجَّل بالأبطحين ... وبالبيت من سلفي غالبِ

وذكر الميبذي في شرحه: انّه عليه السلام يريد أبطح مكة والمدينة. وقال نابغة بني شيبان[2] في ديوانه ص ١٠٤ من قصيدةٍ يمدح بها عبد الملك بن مروان:

والأرض منه جمّ النبات بها ... مثل الزرابي للونه صبحُ
وارتدت الأكم من تهاويل ذي ... نور عميم والأسهل البطحُ

(١) ولهذه المذكورات شواهد في الصحاح والقاموس والنهاية والصراح والطراز وغيرها من معاجم اللغة.
(٢) عبدالله بن المخارق بن سليم.

وللسيِّد الحميري يصف الكوثر الذي يسقي منه أمير المؤمنين عليه السلام شيعته يوم القيامة قوله من قصيدة تأتي في ترجمته في شعراء القرن الثاني:

بـطحآؤه مسـكٌ وحـافـاتـه   يهتـزُّ منهـا مـونِقٌ مـربـعُ

وقال أبو تمام المترجم في شعراء القرن الثالث في المديـح في ديوانـه ص ٦٨:

قومٌ همُ آمنوا قبل الحمام بها   من بين ساجعها الباكي ونائحها
كانوا الجبال لها قبل الجبال وهم   سالوا ولم يك سيل في أباطحها

وقال الشريف الرضي[1] من قصيدة في ديوانه ج ١ ص ٢٠٥:

دعوا ورد ماء لستُم من حلاله   وحلّوا الروابي قبل سيل الأباطحِ

وله من قصيدة اخرى توجد في ديوانه ص ١٩٨ قوله:

متى أرى البيض وقد أمطرت   سيل دم يغلب سيل البطاحْ

ويقول من اخرى ص ١٩٤:

قلوب عيش فيك رقَّ نسيمه   كالماء رقَّ على جنوب بطاحِ

وله من اخرى ص ١٩١:

بكـلِّ فـلاة تقــود الجيـاد   تعثَّر فيها ببيض الأداحي[2]
فيلجم أعنـاقهـا بـالجبـال   وينعـل أرساعهـا بالبـطاحِ

وقال مهيار الديلمي[3] في قصيدة كتبها إلى النهرواني يهنِّئه بعقد نكاح:

فما اتَّفق السعدان حتى تكافآ   أعـزّ بطون في أعـزِّ بطاحِ
ولو قيل غير الشمس سيقت هديَّة   إلى البدر لم أفرح له بنكاحِ

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع تأتي هناك ترجمته.
(٢) الدحية بكسر المهملة: رئيس الجند.
(٣) أحد شعراء الغدير في القرن الخامس تأتي هناك ترجمته.

وله في ديوانه ج ١ ص ١٩٩ من قصيدة كتبها إلى الصاحب أبي القاسم قوله:

فكن سامعاً في كلّ نادي مسرَّة   شوارد في الدنيا ولسنَ بوارحا
حـوامل أعبـاء الثناء خفـائفـاً   صعدن الهضاب أو هبطن الأباطحا

وقال في مستهلّ قصيدة كتبها إلى ناصر الدولة بعمّان:

لمن صاغيات(١) في الجبال طلائحُ   تسيل على نعمان منها الأباطحُ

وقال أبو إسحاق ابن خفاجة الأندلسي المتوفّى ٥٣٣ من مقطوعة:

فإن أنا لم أشكرك والدار غربة   فلا جادني غاد من المزن رائحُ
ولا استشرفت يوما إليَّ به الربا   جلالاً ولا هشّت إليَّ الأباطحُ

وله من قصيدة اخرى في ديوانه ص ٣٧:

تخايل نخوةً بهم المذاكي   وتعسـل هزَّةً لهم الـرمـاحُ
لهم هممٌ كما شمخت جبالٌ   وأخـلاقٌ كما دمثت بـطاحُ

ومن مقطوعة له يصف الكلب والأرنب في ديوانه ص ٣٧:

يجول بحيث يكشر عن نصال   مـؤلّـلة وتـحـمـله رمـاحُ
وطوراً يرتقي حدب الروابي   وآونـة تسيـل بـه البـطاحُ

ويقول في قصيدة يهنِّىء بها قاضي القضاة:

بشرى كما أسفر وجه الصباحْ   واستشرف الرائد برقاً ألاحْ
وارتجـز الرعـد بلجّ الندى   ريّاً ويحدو بمـطايا الـرياحْ
فـدنّس الـزهرُ متـونَ الـرُّبى   ودَرهم القطرُ بطونَ البطاحْ

وله من قصيدة يصف معركاً قوله:

زحمت مناكبه الأعادي زحمة   بسطتهمُ فوق البطاح بطاحا

---

(١) الصاغيات: المائلات.

وله من اخرى قوله:

غلامٌ كما استخشنت جانب هضبة ... ولان على طشّ من المزن أبطح

وللأرَّجاني المتوفّى ٥٤٤ من قصيدة يمدح بها الوزير شمس الملك في ديوانه ص ٨٠ قوله:

لا غرو إن فاضت دماً مقلتي ... وقد غدت ملءَ فؤادي جراحْ

بل يا أخا الحيِّ! إذا زرته ... فحيٍّ عنّي ساكنات البطاحْ

ولشهاب الدين المعروف بحيص بيص المتوفّى ٥٧٤ المدفون في مقابر قريش، في رثاء أهل البيت عليهم السلام عن لسانهم يخاطب مَن ناوأهم، وتجرّأ على الله بقتلهم قوله:

ملكنا فكان العفو منّا سجيَّةً ... فلمّا ملكتم سال بالدم أبطحُ

وحلّلتمُ قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرا نعفُّ ونصفحُ(١)

وأنت جدّ عليم أن مصارع أهل البيت عليهم السلام نوعاً كانت بالعراق في مشهد الطفّ وغيره، ومنهم مَن قُتل بفخّ من أعمال مكّة غيرَ أنّه واقعٌ بينها وبين المدينة يبعد عنها نحو ستّة أميال لا في جهة الأبطح الذي هو وادي المحصَّب بمقربة من منى في شرقي مكّة. ولبعضهم يرثي الإمام السبط الشهيد عليه السلام قوله من قصيدة:

وتأنّ نفسي للربوع وقد غدا ... بيت النبيِّ مقطَّع الأطناب

بيتٌ لآل المصطفى في كربلا ... ضربوه بين أباطح وروابي

(الوجه الثاني): إنَّ سورة المعارج مكّية بإتفاق أهل العلم فيكون نزولها قبل واقعة الغدير بعشر سنين أو أكثر من ذلك.

---

(١) هذه الأبيات خمسها جماعة وشطرتها فممن خمسها السيد راضي بن السيد صالح القزويني المتوفى سنة ١٢٨٧، والعلامة الأكبر السيد ناصر بن أحمد بن عبد الصمد الغريفي المتوفى سنة ١٣٣١، والشيخ عبد الحسين بن القاسم الحلي النجفي المعاصر وله تشطيرها أيضاً.

(الجواب): إنّ المتيقّن من معقد الإجماع المذكور هو نزول مجموع السورة مكيّاً لا جميع آياتها فيمكن أن يكون خصوص هذه الآية مدنيّاً كما في كثير من السور، ولا يرد عليه أنّ المتيقّن من كون السورة مكيَّة أو مدنيَّة هو كون مفاتيحها كذلك، أو الآية التي أُنتزع منها اسم السورة، لما قدَّمناه من أنَّ هذا الترتيب هو ما اقتضاه التوقيف لا ترتيب النزول، فمن الممكن نزول هذه الآية أخيراً وتقدّمها على النازلات قبلها بالتوقيف، وإن كنّا جهلنا الحكمة في ذلك كما جهلناها في أكثر موارد الترتيب في الذكر الحكيم، وكم لها من نظير ومن ذلك:

١ ـ سورة العنكبوت فإنَّها مكيَّة إلّا من أوَّلها عشرة آيات كما رواه الطبري في تفسيره في الجزء العشرين ص ٨٦، والقرطبي في تفسيره ج ١٣ ص ٣٢٣، والشربيني في السراج المنير ج ٣ ص ١١٦.

٢ ـ سورة الكهف فإنّها مكيَّةٌ إلّا من أوَّلها سبع آيات فهي مدنيَّةٌ وقوله: وَاصبر نَفسكَ. الآية. كما في تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٤٦، وإتقان السيوطي ج ١ ص ١٦.

٣ ـ سورة هود مكيَّةٌ إلّا قوله: وَأَقِم الصَّلاة طَرفي النَهار. كما في تفسير القرطبي ج ٩ ص ١ وقوله: فلعلّك تاركٌ بَعضَ ما يُوحى إليكَ. كما في السراج المنير ج ٢ ص ٤٠.

٤ ـ سورة مريم مكيَّةٌ إلّا آية السجدة وقوله: وإن منكم إلّا واردها. كما في إتقان السيوطي ج ١ ص ١٦.

٥ ـ سورة الرعد فإنّها مكيَّةٌ إلّا قوله: وَلا يزالُ الّذين كَفَروا. وبعض آيها الاخر أو بالعكس كما نصَّ به القرطبي في تفسيره ج ٩ ص ٢٧٨، والرازي في تفسيره ج ٦ ص ٢٥٨، والشربيني في تفسيره ج ٢ ص ١٣٧.

٦ ـ سورة إبراهيم مكيَّةٌ إلّا قوله: ألم تر إلى الّذين بدَّلوا نعمةَ الله. الآيتين نص به القرطبي في تفسيره ج ٩ ص ٣٣٨، والشربيني في السراج المنير ج ٢ ص ١٥٩.

٧ ـ سورة الإسراء مكيَّةٌ إلاّ قوله: وإن كادوا لَيَستفزّونكَ مِن الأرضِ إلى قوله: وَاجعل لي مِن لَدنك سُلطاناً نَصيراً. كما في تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٠٣، والرازي ج ٥ ص ٥٤٠، والسراج المنير ج ٢ ص ٢٦١.

٨ ـ سورة الحج مكيَّةٌ إلاّ قوله: ومِنَ الناس مَن يَعبدُ الله عَلى حَرف. كما في تفسيري القرطبي ج ١٢ ص ١، والرازي ج ٦ ص ٢٠٦، والسراج المنير ج ٢ ص ٥١١.

٩ ـ سورة الفرقان مكيَّةٌ إلاّ قوله: والّذين لا يَدعون مَعَ الله إلَهاً آخَر. كما في تفسير القرطبي ج ١٣ ص ١، والسراج المنير ج ٢ ص ٦١٧.

١٠ ـ سورة النمل مكيَّة إلاّ قوله: وإن عاقَبتم فعاقِبوا. الآية إلى آخر السورة، نصّ بذلك القرطبي في تفسيره ج ١٥ ص ٦٥، والشربيني في تفسيره ج ٢ ص ٢٠٥.

١١ ـ سورة القصص مكيَّةٌ إلاّ قوله: الّذين آتَيناهمُ الكتابَ مِن قَبله. وقيل: إلاّ آية: إنّ الذي فرض عليك القرآن. الآية. كما في تفسيري القرطبي ج ١٣ ص ٢٤٧، والرازي ج ٦ ص ٥٨٥.

١٢ ـ سورة المدّثر مكيَّةٌ غير آية من آخرها على ما قيل كما في تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٤٣.

١٣ ـ سورة القمر مكيَّةٌ إلاّ قوله: سَيهزمُ الجمعُ وَيُولّون الدُّبر، قاله الشربيني في السراج المنير ج ٤ ص ١٣٦.

١٤ ـ سورة الواقعة مكيَّةٌ إلا أربع آيات كما في السراج المنير ج ٤ ص ١٧١.

١٥ ـ سورة المطففين مكيَّة إلاّ الآية الأولى ومنها انتزع إسم السورة كما أخرجه الطبري في الجزء الثلاثين من تفسيره ص ٥٨.

١٦ ـ سورة الليل مكيَّةٌ إلاّ أوّلها ومنها إسم السورة كما في الإتقان ج ١ ص ١٧.

١٧ ـ سورة يونس مكيَّةٌ إلاّ قوله: وإن كنتَ في شَك. الآيتين أو الثلاث أو قوله: وَمِنهم مَن يُؤمِنُ بِه. كما في تفسير الرازي ج ٤ ص ٧٧٤، وإتقان السيوطي ج ١ ص ١٥، وتفسير الشربيني ج ٢ ص ٢.

(كما أنّ غير واحد من السور المدنيَّة فيها آيات مكيَّة)

منها: سورة المجادلة فإنَّها مدنيَّة إلاّ العشر الاول ومنها تسمية السورة كما في تفسير أبي السعود في هامش الجزء الثامن من تفسير الرازي ص ١٤٨، والسراج المنير ج ٤ ص ٢١٠. ومنها: سورة البلد مدنيَّة إلاّ الآية الأولى (وبها تسميتها بالبلد) إلى غاية الآية الرابعة كما قيل في الإتقان ج ١ ص ١٧. وسور اخرى لا نطيل بذكرها المجال.

على أنَّ من الجائز نزول الآية مرَّتين كآيات كثيرة نصَّ العلماء على نزولها مرَّة بعد اخرى عظةً وتذكيراً، أو اهتماماً بشأنها، أو اقتضاء موردين لنزولها غير مرَّة نظير البسملة، وأوَّل سورة الروم، وآية الروح، وقوله: ما كان للنبيِّ والَّذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين. وقوله: وإن عاقَبتم فعاقِبوا بمثل ما عوقبتم بِه. إلى آخر النحل. وقوله: مَن كان عدوّاً لله. الآية. وقوله: أقِم الصَّلاةَ طرفي النهار. وقوله أليس الله بِكاف عَبده. وسورة الفاتحة فإنَّها نزلت مرَّةً بمكّة حين فُرضت الصَّلاة ومرَّة بالمدينة حين حُوّلت القبلة. ولتثنية نزولها سُمِّيت بالمثاني[1].

(الوجه الثالث): إنَّ قوله تعالى: **﴿وإذْ قالوا اللهمَّ إن كانَ هذا هُوَ الحقُّ مِنْ عِندكَ فأمطِرْ علينا حجارةً مِنَ السماء﴾**. نزلت عقيب بدر بالإتفاق قبل يوم الغدير بسنين.

(الجواب): كأنَّ هذا الرجل يحسب أنَّ من يروي تلك الأحاديث المتعاضدة يرى نزول ما لهج به الحارث بن النعمان الكافر من الآية الكريمة السابق نزولها وأفرغها في قالب الدعاء، في اليوم المذكور، والقارىء لهاتيك

(١) راجع إتقان السيوطي ج ١ ص ٦٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١١.

الأخبار جِدُّ عليم بمينه في هذا الحسبان، أو أنّه يرى حَجراً على الآيات السابق نزولها أن ينطق بها أحد، فهل في هذه الرواية غير أنّ الرجل المرتدّ (الحارث أو جابر) تفوَّه بهذه الكلمات؟ وأين هو من وقت نزولها؟ فدعها يكن نزولها في بدر أو احد. فالرجل أبدى كفره بها كما أبدى الكفّار قبله إلحادهم بها. لكن ابن تيميّة يريد تكثير الوجوه في إبطال الحقِّ الثابت.

(الوجه الرابع): إنّها نزلت بسبب ما قاله المشركون بمكّة، ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبيِّ ﷺ بينهم لقوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذِّبهم وأنت فيهم. وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون**﴾.

(الجواب): لا ملازمة بين عدم نزول العذاب في مكّة على المشركين، وبين عدم نزوله ههنا على الرجل فإنّ أفعال المولى سبحانه تختلف باختلاف وجوه الحكمة، فكان في سابق علمه إسلام جماعة من أولئك بعد حين، أو وجود مسلمين في أصلابهم، فلو أبادهم بالعذاب النازل لأهملت الغاية المتوخّاة من بعث الرسول صلّى الله عليه وآله. ولمّا لم ير سبحانه ذلك الوجه في هذا المنتكس على عقبه عن دين الهدى بقيله ذلك، ولم يكن ليولد مؤمناً كما عرف ذلك نوح عليه السلام من قومه فقال: ولن يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً. قطع جرثومة فساده بما تمنّاه من العذاب الواقع، وكم فرق بين أولئك الذين عومل معهم بالرفق رجاء هدايتهم، وتشكيل امّةٍ مرحومةٍ منهم ومن أعقابهم، مع العلم بأنّ الخارج منهم عن هاتين الغايتين سوف يُقضى عليه في حروب دامية، أو يأتي عليه الخزي المبير؛ فلا يسعه بثّ ضلالة، أو إقامة عيث. وبين هذا الذي أخذته الشدَّة، مع العلم بأنّ حياته مثار فتن، ومنزع إلحاد، وما عساه يتوفَّق لهدايته، أو يُستفاد بعقبه. ووجود الرسول صلّى الله عليه وآله رحمةٌ تدرع العذاب عن الامّة، إلّا أنّ تمام الرحمة أن يكون فيها مكتسح للعراقيل أمام السير في لاحب الطريق المهيع، ولذلك قمَّ سبحانه ذلك الجذم الخبيث، للخلاف عمّا أبرمه النبيُّ الأعظم في أمر الخلافة، كما أنّه في حروبه ومغازيه كان يجتاح أصول الغيِّ بسيفه الصارم، وكان يدعو على من شاهد عتوَّه، ويئس من إيمانه، فتجاب دعوته.

أخرج مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٤٦٨ بالإسناد عن ابن مسعـود: إنَّ قريشاً لَمّا استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام قال: اللهمَّ أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف. فأصابتهم سنةٌ فحصت كل شيء حتى أكلوا الجيف والميتة حتى انّ أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع فذلك قوله: يومَ تأتي السَّماءُ بدخانٍ مبين. ورواه البخاري ج ٢ ص ١٢٥.

وفي تفسير الرازي ج ٧ ص ٤٦٧: إنّ النبيّ ﷺ دعا على قومه بمكّة لَمّا كذّبوه فقال: اللهمَّ اجعل سنيهم كسني يوسف. فارتفع المطر واجدبت الأرض وأصابت قريشاً شدَّة المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف، فكان الرجل لِما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان، وهذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود.

وروى ابن الأثير في النهايـة ج ٣ ص ١٢٤: إنّ النبيَّ ﷺ قال: اللهمَّ اشدد وطأتك على مضر مثل سني يوسف فجهدوا حتى أكلوا العلهز[1] ورواه السيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥٧ من طريق البيهقي عن عروة ومن طريقه وطريق أبي نعيم عن أبي هريرة.

وقـال ابن الأثير في الكـامل ج ٢ ص ٢٧: كـان أبو زمعـة الأسـود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى وأصحابه يتغامزون بالنبيِّ صلّى الله عليه وآله دعا عليه رسول الله ﷺ أن يعمى ويثكل ولـده فجلس في ظلِّ شجـرةٍ فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه ورقة من ورقها وبشوكها حتى عمي.

وقال: دعا رسول الله ﷺ على مالك بن الطلالة بن عمرو بن غبشان فأشار جبريل إلى رأسه فامتلأ قيحاً فمات.

وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب هامش الإصـابة ج ١ ص ٢١٨: إنّ النبيَّ ﷺ كان إذا مشى يتكفأ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيـه، فالتفت

(١) دم كانوا يخلطونه بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه.

النبيُّ ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ: فكذلك فلتكن. فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذٍ فعيَّره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

إنّ اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلَّجاً مجنونا
يمسي خميص البطن من عمل التقى ويظلُّ من عمل الخبيث بطينا

وروى ابن الأثير في النهاية ج ١ ص ٣٤٥ من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر: انّ الحكم بن أبي العاص بن أميَّة أبا مروان كان يجلس خلف النبيِّ ﷺ فإذا تكلَّم إختلج بوجهه فرآه فقال له: كن كذلك. فلم يزل يختلج حتى مات وفي رواية: فضرب به شهرين ثمَّ أفاق خليجاً، أي: صرع، ثمَّ أفاق مُختلجاً(١) قد اخذ لحمه وقوّته. وقيل: مُرتعشاً.

وروى ابن حجر في الإصابة ص ٣٤٥١ من طريق الطبراني، والبيهقي في الدلائل، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٧٩ عن الحاكم وصحَّحه وعن البيهقي والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى النبيِّ ﷺ فإذا تكلّم النبيُّ ﷺ إختلج بوجهه فقال له النبيُّ: كن كذلك، فلم يزل يختلج حتى مات. وروى مثله بطريق آخر.

وفي الإصابة ج ١ ص ٣٤٦: أخرج البيهقي من طريق مالك بن دينار: حدَّثني هند بن خديجة زوج النبيِّ ﷺ: مرَّ النبيُّ ﷺ بالحكم فجعل الحكم يغمز النبيَّ ﷺ باصبعه فإلتفت فرآه فقال: اللهمَّ اجعله وزغاً. فزحف مكانه.

وفي الإصابة ج ١ ص ٢٧٦، والخصائص الكبرى ج ٢ ص ٧٩: ذكر ابن فتحون عن الطبري: إنَّ النبيَّ ﷺ خطب إلى الحارث بن أبي الحارثة ابنته جمرة بنت الحارث فقال: إنَّ بها سوء. ولم تكن كما قال، فرجع فوجدها قد برصت.

وفي الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٧٨ من طريق البيهقي عن أسامة بن يزيد قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً فكذب عليه فدعا عليه رسول الله فوجد ميتاً

(١) الحلج بالمهملة. والخلج بالمعجمة، بمعنى واحد أي الحركة والإضطراب.

قد انشقَّ بطنه ولم تقبله الأرض.

وفي الخصائص ج ١ ص ١٤٧: أخرج البيهقي، وأبو نعيم، من طريق أبي نوفل ابن أبي عقرب عن أبيه قال: أقبل لهب بن أبي لهب يسبُّ النبيَّ، فقال النبيُّ ﷺ: اللهمَّ سلِّط عليه كلبك. قال وكان أبو لهب يحتمل البزَّ إلى الشام ويبعث بولده مع غلمانه ووكلائه ويقول: إنَّ ابني أخاف عليه دعوة محمَّد فتعاهدوه. فكانوا إذا نزلوا المنزل ألزقوه إلى الحائط وغطّوا عليه الثياب والمتاع ففعلوا ذلك به زماناً فجاء سبعٌ فقتله.

وأخرج البيهقي عن قتادة: إنَّ عتبة[1] بن أبي لهب تسلَّط على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: أما إنِّي أسأل الله أن يسلِّط عليه كلبه فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له: الزرقاء ليلاً فأطاف بهم الأسد ـ فعدا (أي: وثب) عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فضغمه[2] ضغمة فذبحه.

وأخرج البيهقي عن عروة: إنَّ الأسد لَمّا كان بهم تلك الليلة إنصرف عنهم فقاموا وجعلوا عتبة في وسطهم فأقبل الأسد يتخطّاهم حتى أخذ برأس عتبة ففدغه[3] ورُوي عن أبي نعيم وابن عساكر من طريق عروة مثله. وأخرجه ابن إسحاق وأبو نعيم من طريق آخر عن محمَّد بن كعب القرظي وغيره. وزاد: إنّ حسان بن ثابت قال في ذلك:

سائل بني الأشقر إن جئتهم[4] ... ما كان أنباءُ أبي واسعٍ[5]
لا وسَّع الله لـه قبـره ... بل ضيَّق الله على القاطعِ
رحم نبيٍّ جدّه ثابت ... يدعو إلى نور له ساطعِ
أسبل بالحجر لتكذيبه ... دون قريشٍ نهزة القارعِ

---

(١) ورواه ابن الأثير في النهاية ج ٣ ص ٢١ في عتبة بن عبد العزى.
(٢) ضغم ضغماً: عض بملء فمه يقال: ضغمه ضغمة الأسد.
(٣) الفدغ معجمة الآخر ومهملته: الشدخ والكسر.
(٤) في ديوان حسان: بني الأشعر.
(٥) أبو واسع: كنية عتبة بن أبي لهب.

فاستوجب الدعوةَ منه بما   بيَّن للناظر والسامعِ
أن سلَّط الله بها كلبه   يمشي الهوينا مشية الخادعِ
حتى أتاه وسط أصحابه   وقد علتهم سنةُ الهاجعِ
فالتقم الرأس بيافوخه   والنحر منه فغرة الجائعِ

قلت: لا يوجد في ديوان حسان من هذه الأبياتْ إلاّ البيت الأوَّل وفيه بعده قوله:

إذ تركوهُ وهو يدعوهمُ   بالنسب الأقصى وبالجامعِ
والليث يعلوه بأنيابه   منعفراً وسط دم ناقعِ
لا يرفع الرَّحمن مصروعهم   ولا يوهِّن قوّة الصارعِ

وأخرج أبو نعيم عن طاووس قال: لَمّا تلا رسول الله ﷺ وَالنَّجم إذا هَوى. قال عتبة بن أبي لهب: كفرتُ بربِّ النجم. فقال رسول الله ﷺ: سلّط الله عليك كلباً من كلابه. الحديث. وأخرج أبو نعيم عن أبي الضحى قال: قال ابن أبي لهب: هو يكفر بالذي قال: والنَّجمِ إذا هَوى. فقال النبيُّ ﷺ: الحديث.

وبهذه كلِّها تعلم انَّ العذاب المنفيَّ في الآيتين بسبب وجوده المقدّس يراد به النفي في الجملة لا بالجملة، وهو الذي تقتضيه الحكمة، ويستدعيه الصالح العام، فإنَّ في الضرورة ملزماً لقطع العضو الفاسد، إتِّقاء سراية الفساد منه إلى غيره، بخلاف الجثمان الدنف بعضه، بحيث لا يخشى بداره إلى غيره، أو المضنى كلّه ويؤمل فيه الصحّة، فإنّه يعالج حتى يبرأ.

وإنّ الله سبحانه هدَّد قريشاً بمثل صاعقة عاد وثمود إن مردوا عن الدين جميعاً وقال: فإن أعرضوا فقل أنذرتكم مثل صاعقة عاد وثمود، وإذ كان مناط الحكم إعراض الجميع لم تأتهم الصاعقة بحصول المؤمنين فيهم، ولو كانوا استمروا على الضلال جميعاً لأتاهم ما هُدّدوا به، ولو كان وجود الرسول صلّى الله عليه وآله مانعاً عن جميع أقسام العذاب بالجملة لما صحَّ ذلك التهديد، وَلما اصيب النفر الذي ذكرناهم بدعوته، ولَما قُتل أحد في مغازيه

بعضبه الرهيف، فإنَّ كلّ هذه أقسام العذاب أعاذنا الله منها.

(الوجه الخامس): إنَّه لو صحَّ ذلك لكان آيةً كآية أصحاب الفيل ومثلها تتوفّر الدواعي لنقله، وَلمّا وجدنا المصنِّفين في العلم من أرباب المسانيد والصحاح والفضائل والتفسير والسير ونحوها قد أهملوه رأساً فلا يُروى إلّا بهذا الإسناد المنكر فعُلم انَّه كذبٌ باطلٌ.

(الجواب): إنَّ قياس هذه التي هي حادثة فرديَّة لا تحدث في المجتمع فراغاً كبيراً يُؤبه له، ووراءها أغراضٌ مستهدفة تحاول إسدال ستور الإنساء عليها كما أسدلوها على نصِّ الغدير نفسه، وهملجوا وراء إبطاله حتى كادوا أن يبلغوا الأمل بصور خلابة، وتلفيقات مموّهة، وأحاديث مائنة، بيد أنّ الله أبى إلّا أن يُتمّ نوره.

إنّ قياسها بواقعة أصحاب الفيل تلك الحادثة العظيمة التي عدادها في الإرهاسات النبويَّة وفيها تدمير أُمَّة كبيرة يشاهد العالم كلّه فراغها الحادث، وإنقاذ أُمَّة هي من أرقى الامم، والإبقاء عليها وعلى مقدَّساتها، وبيتها الذي هو مطاف الامم، ومقصد الحجيج، وتعتقد الناس فيه الخير كلّه والبركات بأسرها، وهو يومئذٍ أكبر مظهر من مظاهر الصقع الربوبيِّ.

إنَّ قياس تلك بهذه في توفّر الدواعي لِنقلها مجازفةٌ ظاهرةٌ، فإنَّ مِن حكم الضرورة أنّ الدواعي في الأولى دونها في الثانية، كما تجد هذا الفرق لائحاً بين معاجز النبيِّ صلّى الله عليه وآله فمنها: ما لم يُنقل إلّا بأخبار آحاد. ومنها: ما تجاوز حدّ التواتر. ومنها: ما هو المتسالم عليه بين المسلمين بلا اعتناء بسنده. وما ذلك إلّا لإختلاف موارد العظمة فيها أو المقارنات المحتفّة بها.

وأمّا ما ادّعاه ابن تيميَّة من إهمال طبقات المصنِّفين لها، فهو مجازفةٌ اخرى لِما أسلفناه من رواية المصنِّفين لها من أئمَّة العلم، وحملة التفسير، وحفّاظ الحديث، ونقلة التاريخ الذين تضمَّنت المعاجم فضائلهم الجمَّة، وتعاقب من العلماء إطراؤهم. وإلى الغاية لم نعرف المشار إليه في قوله: بهذا الإسناد المنكر. فإنَّه لا ينتهي إلّا إلى حذيفة بن اليمان، (المترجم ص٥٠)

الصحـابيٍّ العظيم، وسفيـان بن عيينة المعـروف إمامتـه في العلم والحـديث والتفسير وثقته في الرواية (المترجم ص١١٠) وأمّا الإسنـاد إليهما فقـد عرفـه الحفّاظ والمحدِّثون والمفسِّرون المنقّبون في هذا الشأن فوجدوه حريّاً بالذكر والإعتماد، وفسَّروا به آيةً من الذكر الحكيم من دون أيِّ نكيـر، ولـم يكونـوا بالّذين يفسِّرون الكتاب بالتافهات. نعم: هكذا سبق العلماء وفعلوا لكن ابن تيميَّة استنكر السند وناقش في المتن لأنَّ شيئاً من ذلك لا يلائم دعارة خُطّته.

(الوجه السادس): انَّ المعلوم من هذا الحديث أنَّ حارثاً المذكور كان مسلماً بإعترافه بالمبادىء الخمسة الإسلاميّة ومن المعلوم بالضرورة أنّ أحداً من المسلمين لم يصبه عذابٌ على العهد النبويِّ.

(الجواب): إنّ الحديث كما أثبت إسلام الحارث فكذلك أثبت ردَّته بردّه قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله وتشكيكه فيما أخبر به عن الله تعالى، والعذاب لم يأته على حين إسلامه وإنّما جاءه بعد الكفر والإرتداد، وقد مرَّ في ص ٢٨٥ أنه بعد سماعـه الحديث شـكَّ في نبوَّة النبيِّ صلّى الله عليـه وآله. على أنَّ في المسلمين من شملته العقوبة لَمّا تجرَّؤا على قدس صاحب الرِّسالة كجمرة ابنة الحارث التي أسلفنا حديثها ص ٣٠٨ وبعض آخر مرَّ حديثه في جواب الوجه الرابع، وروى مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع: انَّ رجلاً أكل عند النبيِّ بشماله فقال: كل بيمينك. قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، قـال: فما رفعها إلى فيه بعدُ.

وفي صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٢٧: إنّ النبيَّ دخل على أعرابيٍّ يعوده قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: لابـأس طهورٌ. قـال: قلتَ: طهور كلّا بل هي حمى تفور (أو: تثور) على شيخ كبير تزيره القبور. فقال النبيُّ ﷺ: فنعم إذاً. فما أمسى من الغد إلّا ميِّتاً.

وفي أعلام النبوّة للماوردي ص ٨١ قال: نهى رسول الله ﷺ أن ينقي الرجل شعره في الصَّلاة فرأى رجلاً ينقي شعره في الصَّلاة، فقـال: قبَّح الله شعرك. فصلع مكانه.

(الوجه السابع): إنّ الحارث بن النعمان غير معروف في الصحابة ولم يذكره ابن عبد البر في الاستيعاب؛ وابن مندة، وأبو نعيم الإصبهاني، وأبو موسى في تآليف ألّفوها في أسماء الصحابة فلم نتحقّق وجوده.

(الجواب): إنّ معاجم الصحابة غير كافلة لإستيفاء أسمائهم، فكلّ مؤلّف من أربابها جمع ما وسعته حيطته وأحاط به إطّلاعه ثمّ جاء المتأخّر عنه فاستدرك على من قبله بما أوقفه السير في غضون الكتب وتضاعيف الآثار، وأوفى ما وجدناه من ذلك كتاب [الإصابة بتمييز الصحابة] لابن حجر العسقلاني، ومع ذلك فهو يقول في مستهلّ كتابه: فإنّ من أشرف العلوم الدينيّة علم الحديث النبويّ، ومن أجلّ معارفه تمييز أصحاب رسول الله ﷺ ممّن خلف بعدهم، وقد جمع في ذلك جمعٌ من الحفّاظ تصانيف بحسب ما وصل إليه اطلاع كلٍّ منهم، فأوّل من عرفته صنّف في ذلك أبو عبدالله البخاري أفرد في ذلك تصنيفاً فنقل منه أبو القاسم البغوي وغيره، وجمع أسماء الصحابة مضمومةً إلى من بعدهم جماعةٌ من طبقة مشايخه كخليفة بن خيّاط، ومحمّد بن سعد ومن قرنائه كيعقوب بن سفيان، وأبي بكر بن أبي خيثمة، وصنّف في ذلك جمعٌ بعدهم كأبي القاسم البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، وعبدان، ومن قبلهم بقليل كمطين، ثمّ كأبي علي بن السكن، وأبي حفص بن شاهين، وأبي منصور الماوردي، وأبي حاتم بن حبّان، وكالطبراني ضمن معجمه الكبير، ثمّ كأبي عبدالله بن مندة، وأبي نعيم ثمّ كأبي عمر بن عبد البرّ وسمّى كتابه «الاستيعاب» لظنّه أنه استوعب ما في كتب مَن قبله ومع ذلك ففاته شيءٌ كثير فذيّل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلاً حافلاً وذيّل عليه جماعة في تصانيف لطيفة، وذيّل أبو موسى المديني على ابن مندة ذيلاً كبيراً، وفي أعصار هؤلاء خلائق يتعسّر حصرهم ممن صنّف في ذلك أيضاً إلى أن كان في أوائل القرن السابع فجمع عزّ الدين ابن الأثير كتاباً حافلاً سمّاه «اسد الغابة» جمع فيه كثيراً من التصانيف المتقدّمة إلاّ أنّه تبع من قبله فخلط مَن ليس صحابياً بهم، وأغفل كثيراً من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة في كتبهم، ثمّ جرّد الأسماء التي في كتابه مع زيادات عليها الحافظ أبو عبدالله الذهبيّ وعلم لمن ذكر غلطاً ولمن لا تصحّ صحبته ولم

يستوعب ذلك ولا قارب، وقد وقع لي بالتتبّع كثيرٌ من الأسماء التي ليست في كتابه ولا أصله على شرطهما فجمعتُ كتاباً كبيراً في ذلك ميّزت فيه الصحابة من غيرهم، ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك جميعاً الوقوف على العُشر من أسامي الصحابة بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي، قال توفّي النبيّ ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلّهم قد روى عنه سماعاً أو رؤيةً، قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب بعد أن ذكر ذلك: أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصّة فكيف بغيرهم، ومع هذا فجميع مَن في «الاستيعاب» يعني بمن ذكر فيه باسم أو كنية وهما ثلاثة آلاف وخمسمائة، وذكر أنه استدرك عليه على شرطه قريباً ممّن ذكر، قلت: وقرأت بخطّ الحافظ الذهبي من ظهر كتابه التجريد: لعلّ الجميع ثمانية آلاف إن لم يزيدوا لم ينقصوا. ثمّ رأيت بخطّه: إنّ جميع مَن في «اسد الغابة» سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفساً، وممّا يؤيد قول أبي زرعة ما ثبت في الصحيحين عن كعب بن مالك في قصّة تبوك: والناس كثيرٌ لا يحصيهم ديوان. وثبت عن الثوري فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه قال: من قدّم عليّاً على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألفاً مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فقال النووي: وذلك بعد النبيّ بإثني عشر عاماً بعد أن مات في خلافة أبي بكر في الردّة والفتوح الكثير ممّن لم يضبط أسماءهم، ثمّ مات في خلافة عمر في الفتوح وفي الطاعون العام وعمواس(١) وغير ذلك من لا يُحصى كثرةً، وسبب خفاء أسمائهم أنّ أكثرهم حضروا حجّة الوداع. والله أعلم. اهـ.

وقد أسلفنا في ص٢٧: إنَّ الحضور في حجّة الوداع مع رسول الله كانوا مائة ألف أو يزيدون. إذاً فأين لهذه الكتب إستيفاء ذلك العدد الجمِّ؟ وليس في مجاري الطبيعة الخبرة بجميع هاتيك التراجم بحذافيرها، فإنَّ أكثر القوم كانوا مبثوثين في البراري والفلوات تُقلّهم مهابط الأودية وقلل الجبال، ويقطنون المفاوز والحزوم ولا يختلفون إلى الأوساط والحواضر إلّا لغايات وقتيّة تقع

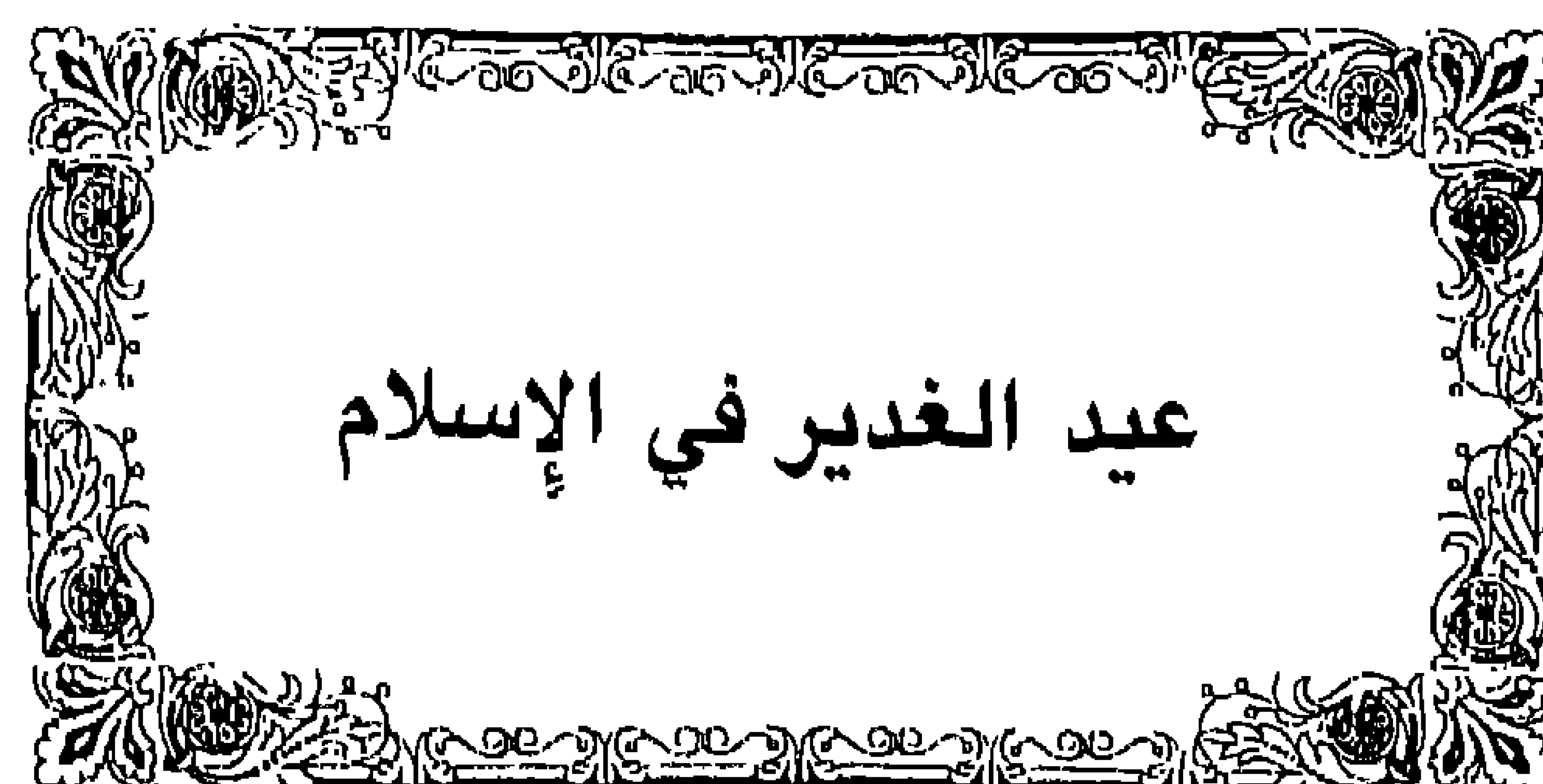
(١) كورة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس منها، كان ابتداء الطاعون في سنة ١٨ هـ ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة.

عندها الصحبة والرواية في أيّام وليالي تبطىء بهم الحاجات فيها، وليس هناك ديوانٌ تسجّل فيه الأسماء ويتعرَّف أحوال الوارد والصادر.

إذاً فلا يسع أيَّ باحث الإحاطة بأحوال امَّة هذه شؤونها، وإنَّما قيَّد المصنِّفون أسماءاً كثر تداولها في الرواية، أو لأربابها أهميّة في الحوادث، وبعد هذا كلّه فالنافي لشخص لم يجد إسمه في كتب هذا شأنها خارجٌ عن ميزان النصفة، ومتحايدٌ عن نواميس البحث، على أنّ من المحتمل قريباً: أنّ مؤلفي معاجم الصحابة أهملوا ذكره لردّته الأخيرة.

﴿وَمِنَ النَّاس مَنْ يُجَادِلُ في الله بِغيرِ عِلمٍ وَلا هُدىً وَلا كتابٍ مُنيرٍ﴾

«سورة لقمان: ٢٠»



عيد الغدير في الإسلام

وممّا شيء من جهته لحديث الغدير الخلود والنشور؛ ولمفاده التحقّق والثبوت، إتّخاذه عيداً يُحتفل به وبليلته بالعبادة والخشوع، وإدرار وجوه البرّ، وصلة الضعفاء، والتوسّع على النفس، والعائلات، وإتّخاذ الزينة والملابس القشيبة، فمتى كان للملاء الدينيّ نزوعٌ إلى تلكم الأحوال فطبع الحال يكون له اندفاعٌ إلى تحرّي أسبابها، والتثبت في شؤونها فيفحص عن رواتها. أو أنّ الإتفاق المقارن لهاتيك الصفات يوقفه على من ينشدها ويرويها، وتتجدّد له وللأجيال في كلّ دور لفتةٌ إليها في كلّ عام، فلا تزال الأسانيد متواصلة، والطرق محفوظة، والمتون مقروءة، والأنباء بها متكرّرة.

إنَّ الذي يتجلّى للباحث حول تلك الصفة أمران: الأوّل: إنّه ليس صلة هذا العيد بالشيعة فحسب، وإن كانت لهم به علاقة خاصّة، وإنّما إشترك معهم في التعيّد به غيرهم من فرق المسلمين فقد عدّه البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية ص ٣٣٤ ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد، وفي مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص ٥٣: يوم غدير خمّ ذكره (أمير المؤمنين) في شعره وصار ذلك اليوم عيداً وموسماً لكونه كان وقتاً نصّه رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذه المنزلة العليّة، وشرّفه بها دون الناس كلّهم. وقال ص ٥٦: وكلّ معنى أمكن إثباته ممّا دلّ عليه لفظ المولى لرسول الله صلّى الله عليه وآله فقد جعله لعليٍّ وهي مرتبةٌ ساميةٌ، ومنزلةٌ سامقةٌ، ودرجةٌ عليّةٌ، ومكانةٌ رفيعةٌ، خصّصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد وموسم سرور لأوليائه اهـ. تفيدنا هذه الكلمة اشتراك المسلمين قاطبة في التعيّد بذلك اليوم سواء رجع

الضمير في (أوليائه) إلى النبيِّ أو الوصيِّ صلّى الله عليهما وآلهما، أمّا على الأوّل: فواضح. وأمّا على الثاني: فكلّ المسلمين يوالون أمير المؤمنين عليّاً شرع سواء في ذلك من يواليه بما هو خليفة الرسول بلا فصل، ومن يراه رابع الخلفاء فلن تجد في المسلمين من ينصب له العداء إلّا شذّاذ من الخوارج مرقوا عن الدين الحنيف.

وتُقرئنا كتب التاريخ دروساً من هذا العيد، وتسالم الامّة الإسلاميَّة عليه في الشرق والغرب، وإعتناء المصريِّين والمغاربة والعراقيِّين بشأنه في القرون المتقادمة وكونه عندهم يوماً مشهوداً للصلاة والدعاء والخطبة وإنشاد الشعر على ما فُصِّل في المعاجم.

ويظهر من غير مورد من الوفيات لابن خلكان التسالم على تسمية هذا اليوم عيداً ففي ترجمة المستعلي ابن المستنصرج ١ ص ٦٠: فبويع في يوم عيد غدير خمّ وهو الثامن عشر من ذي الحجَّة سنة ٤٨٧. وقال في ترجمة المستنصر بالله العبيدي ج ٢ ص ٢٢٣: وتوفّي ليلة الخميس لاثنتي عشر ليلة بقيت من ذي الحجَّة سنة سبع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى، قلت: وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجَّة وهو غدير خمّ «بضم الخاء وتشديد الميم». ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجّة، وهذا المكان بين مكّة والمدينة وفيه غدير ماء ويقال: إنّه غيضة هناك، ولَمّا رجع النبيُّ ﷺ من مكّة شرَّفها الله تعالى عام حجَّة الوداع ووصل إلى هذا المكان وآخى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: عليٌّ مني كهارون من موسى، اللهمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. وللشيعة به تعلّقٌ كبير، وقال الحازمي: وهو واد بين مكّة والمدينة عند الجحفة غدير عنده خطب النبيُّ ﷺ وهذا الوادي موصوفٌ بكثرة الوخامة وشدَّة الحرّ. اهـ.

وهذا الذي يذكره ابن خلكان من كبر تعلّق الشيعة بهذا اليوم هو الذي يعنيه المسعودي في التنبيه والإشراف ص ٢٢١ بعد ذكر حديث الغدير بقوله:

وولد عليٍّ رضي الله عنه وشيعته يعظِّمون هذا اليوم. ونحوه الثعالبي في ثمار القلوب بعد أن عدَّ ليلة الغدير من الليالي المضافات المشهورة عند الامَّة بقوله ص ٥١١، وهي الليلة التي خطب رسول الله ﷺ في غدها بغدير خمّ على أقتاب الإبل فقال في خطبته: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، فالشيعة يعظِّمون هذه الليلة ويحيونها قياماً. اهـ.

وذلك إعتقادهم وقوع النصِّ على الخلافة بلا فصل فيه، وهم وإن انفردوا عن غيرهم بهذه العقيدة لكنّهم لم يبرحوا مشاطرين مع الامَّة التي لم تزل ليلة الغدير عندهم من الليالي المضافة المشهورة، وليست شهرة هذه الإضافة إلّا لإعتقاد خطر عظيم، وفضيلة بارزة في صبيحتها، ذلك الذي جعله يوماً مشهوداً أو عيداً مباركاً.

ومن جرّاء هذا الإعتقاد في فضيلة يوم الغدير وليلته وقع التشبيه بهما في الحسن والبهجة قال تميم بن المعزّ صاحب الديار المصريَّة المتوفّى ٣٧٤ من قصيدة له ذكرها الباخرزي في دمية القصر ص ٣٨:

تروح علينا بأحداقها ... حسانٌ حكتهنَّ من نشرهنَّهْ
نواعمُ لا يستطعنَ النهوض ... إذا قمن من ثقل أردافهنَّهْ
حسنَّ كحسن ليالي الغدير ... وجئنَ ببهجة أيّامهنَّهْ

وممّا يدلُّ على ذلك: التهنئة لأمير المؤمنين عليه السلام من الشيخين، وامَّهات المؤمنين وغيرهم من الصحابة بأمر من رسول الله صلّى الله عليه وآله كما ستقف على ذلك مفصَّلاً إن شاء الله، والتهنئة من خواصِّ الأعياد والأفراح.

(الأمر الثاني) أنَّ عهد هذا العيد يمتدُّ إلى أمد قديم متواصل بالدور النبوي فكانت البدئة به يوم الغدير من حجَّة الوداع بعد أن أصحر نبيُّ الإسلام صلّى الله عليه وآله بمرتكز خلافته الكبرى، وأبان للملأ الدينيِّ مستقرَّ إمرته من الوجهة الدينيَّة والدنيويَّة وحدّد لهمْ مستوى أمر دينه الشامخ، فكان يوماً مشهوداً يسرُّ موقعه كلّ معتنق للإسلام، حيث وضح له فيه منتجع الشريعة، ومنبثق أنوار

أحكامها، فلا تلويه من بعده الأهواء يميناً وشمالاً، ولا يسفُّ به الجهل إلى هوّة السفاسف، وأيّ يوم يكون أعظم منه؟ وقد لاح فيه لاحب السنن، وبان جدد الطريق، وأكمل فيه الدين، وتمّت فيه النعمة، ونوّه بذلك القرآن الكريم.

وإن كان حقّاً إتخاذ يوم تسنّم فيه الملوك عرش السلطنة عيداً يحتفل به بالمسرَّة والتنوير، وعقد المجتمعات وإلقاء الخطب وسرد القريض، وبسط الموائد كما جرت به العادات بين الامم والأجيال، فيوم إستقرَّت فيه الملوكيَّة الإسلاميّة، والولاية الدينيَّة العظمى لمن جاء النصُّ به من الصادع بالدين الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى أولى أن يُتَّخذ عيداً يُحتفل به بكلّ حفاوةٍ وتبجيلٍ، وبما أنَّه من الأعياد الدينيَّة يجب أن يزاد فيه على ذلك بما يقرّب إلى الله زلفى من صوم وصلاة ودعاء وغيرها من وجوه البرّ كما سنوقفك عليه في الملتقى إن شاء الله تعالى.

ولذلك كلّه أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله مَن حضر المشهد من أُمّته ومنهم الشيخان ومشيخة قريش ووجوه الأنصار كما أمر أمَّهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين عليه السلام وتهنئته على تلك الخطوة الكبيرة بإشغاله منصَّة الولاية ومرتبع الأمر والنهي في دين الله.

(حديث التهنئة)

أخرج الإمام الطبريُّ محمَّد بن جرير في كتاب (الولاية) حديثاً بإسناده عن زيد بن أرقم مرّ شطر كبير منه ص٢٥٨ - ٢٦٠ وفي آخره فقال: معاشر الناس! قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤدّيه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيدٌ علينا وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فإنَّ الله يعلم كلَّ صوت وخائنة كلّ نفس فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً، قولوا ما يُرضي الله عنكم فإن تكفروا فإنَّ الله غنيٌّ عنكم.

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على

أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أوَّل من صافق النبيَّ صلّى الله عليه وآله وعليّاً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد وامتدَّ ذلك إلى أن صلّى العشائين في وقت واحد وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً.

ورواه أحمد بن محمَّد الطبريُّ الشهير بالخليليِّ في كتاب (مناقب عليِّ بن أبي طالب) المؤلَّف سنة ٤١١ بالقاهرة من طريق شيخه محمَّد بن أبي بكر بن عبد الرحمن وفيه: فتبادر الناس إلى بيعته وقالوا: سمعنا وأطعنا لِما أمرنا الله ورسوله بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا ثم انكبّوا على رسول الله وعلى عليٍّ بأيديهم، وكان أوَّل من صافق رسول الله[1] أبو بكر وعمر وطلحة والزبير ثمّ باقي المهاجرين والناس على طبقاتهم ومقدار منازلهم إلى أن صُلّيت الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول الله كلّما بايعه فوجٌ بعد فوجٍ يقول: الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين، وصارت المصافقة سنّة ورسماً واستعملها مَن ليس له حقٌّ فيها.

وفي كتاب ـ النشر والطيّ ـ فبادر الناس بنعم نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله آمنّا به بقلوبنا. وتداكوا على رسول الله وعليٍّ بأيديهم إلى أن صُلّيت الظهر والعصر في وقت واحد وباقي ذلك اليوم إلى أن صُلّيت العشاءان في وقت واحد، ورسول الله كان يقول كلّما أتى فوجٌ: الحمد لله الذي فضّلنا على العالمين.

وقال المولوي ولي الله اللكهنوي في «مرآة المؤمنين» في ذكر حديث الغدير ما معرّبه: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا بن أبي طالب! أصبحت وأمسيت. إلخ. وكان يُهنِّىء أمير المؤمنين كلُّ صحابيّ لاقاه.

وقال المؤرِّخ ابن خاوند شاه المتوفّى ٩٠٣ في «روضة الصفا»[2] في

---

(١) فيه سقط تعرفه برواية الطبري الأول.

(٢) ينقل عنه عبد الرحمن الدهلوي في «مرآة الأسرار» وغيره معتمدين عليه.

الجزء الثاني من ج ١ ص ١٧٣ بعد ذكر حديث الغدير ما ترجمته: ثمّ جلس رسول الله في خيمة تخصّ به وأمر أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة اخرى وأمر أطباق الناس بأن يهنّئوا عليّاً في خيمته، ولّما فرغ الناس عن التهنئة له أمر رسول الله أمّهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهنّئنه ففعلن، وممّن هنّأه من الصحابة عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات.

وقال المؤرّخ غياث الدين المتوفّى ٩٤٢ في حبيب السير(١) في الجزء الثالث من ج ١ ص ١٤٤ ما معرّبه: ثمّ جلس أمير المؤمنين بأمر من النبيّ صلّى الله عليه وآله في خيمة تخصّ به يزوره الناس ويهنّئونه وفيهم: عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا بن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. ثم أمر النبيّ أمّهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين والتهنئة له.

وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمّة الحديث والتفسير والتأريخ، من رجال السنّة كثيرٌ لا يستهان بعدّتهم بين راوٍ مرسلاً له إرسال المسلّم، وبين راوٍ إيّاه بمسانيد صحاح برجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة كابن عباس وأبي هريرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم فممّن رواه:

١ ـ الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة المتوفّى ٢٣٥ (المترجم ص١٢٠). أخرج بإسناده في (المصنّف) عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خمّ فنودي الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلّى الظهر فأخذ بيد عليّ فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. فأخذ بيد عليّ فقال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

(١) في كشف الظنون ج ١ ص ٤١٩: انه من الكتب الممتعة المعتبرة. وعده حسام الدين في «مرافض الروافض» من الكتب المعتبرة. واعتمد عليه أبو الحسنات الحنفي في «الفوائد البهية» وينقل عنه في ص ٨٦ و٨٧ و٩٠ و٩١ وغيرها.

٢ ـ إمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفّى ٢٤١. في مسنده ج ٤ ص ٢٨١ عن عفّان عن حمّاد بن سلمة عن عليٍّ بن زيد عن عديٍّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله. إلى آخر اللفظ المذكور من طريق ابن أبي شيبة غير أنّه ليست فيه كلمة «اللهمّ» الأولى.

٣ ـ الحافظ أبو العباس الشيبانيُّ النسويُّ المتوفّى ٣٠٣ «المترجم ص ١٣|٢» قال: حدَّثنا هدبة حدّثنا حمّاد بن سلمة عن زيد، وأبو هارون عن عديّ بن ثابت عن البراء قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع فلّما أتينا على غدير خمّ كسح لرسول الله تحت شجرتين ونودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول الله عليّاً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال: ألست أولى بكلّ امرىءٍ من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فإنّ هذا مولى مَن أنا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

٤ ـ الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفّى ٣٠٧ «المترجم ص ١٣٣». رواه في مسنده عن هدبة عن حمّاد. إلى آخر السند والمتن المذكورين في طريق الشيبانيِّ.

٥ ـ الحافظ أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبريُّ المتوفّى ٣١٠ في تفسيره ج ٣ ص ٤٢٨. قال بعد ذكر حديث الغدير: فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمَّد بن علي.

٦ ـ الحافظ أحمد بن عقدة الكوفيُّ المتوفّى ٣٣٣. أخرج في كتاب الولاية وهو أوّل الكتاب عن شيخه إبراهيم بن الوليد بن حمّاد عن يحيى بن يعلى عن حرب بن صبيح عن ابن اخت حميد الطويل عن ابن جدعان عن سعيد بن المسيّب قال: قلت لسعد بن أبي وقّاص: إنّي أريد أن أسألك عن شيء وإنّي أتّقيك. قال: سل عمّا بدا لك فإنّما أنا عمّك. قال: قلت: أقام رسول الله صلّى الله عليه وآله فيكم يوم غدير خمّ قال: نعم قام فينا بالظهيرة

فأخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعاد من عاداه. قال فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا بن أبي طالب! مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

٧ ـ الحافظ أبو عبدالله المرزبانيُّ البغداديُّ المتوفّى ٣٨٤. رواه بإسناده عن أبي سعيد الخدري في كتابه (سرقات الشعر).

٨ ـ الحافظ عليّ بن عمر الدارقطنيُّ المتوفّى ٣٨٥. أخرج بإسناده حديث الغدير وفيه: إنّ أبا بكر، وعمر، لَمّا سمعا قالا له: أمسيت يا بن أبي طالب! مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. حكاه عنه ابن حجر في الصواعق ص ٢٦، ومرَّ عنه من طريق الخطيب البغدادي بلفظ آخر ص ٢٧٨.

٩ ـ الحافظ أبو عبدالله ابن بطّة الحنبليُّ المتوفّى ٣٨٧. أخرجه بإسناده في كتابه (الإبانة) عن البراء بن عازب بلفظ الحافظ أبي العباس الشيبانيِّ المذكور بإسقاط كلمة (أمسيت).

١٠ ـ القاضي أبو بكر الباقلانيُّ البغداديُّ المتوفّى ٤٠٣ (المترجم ص ١٤١). أخرجه في كتابه «التمهيد في أصول الدين» ١٧١.

١١ ـ الحافظ أبو سعيد الخركَوشيُّ النيسابوريُّ المتوفّى ٤٠٧. رواه في تأليفه (شرف المصطفى) بإسناده عن البراء بن عازب بلفظ أحمد بن حنبل، وبإسناد آخر عن أبي سعيد الخدريِّ ولفظه: ثمَّ قال النبيُّ ﷺ هنِّئوني هنِّئوني إنّ الله تعالى خصَّني بالنبوَّة وخصَّ أهل بيتي بالإمامة فلقي عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فقال: طوبى لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

١٢ ـ الحافظ أحمد بن مردويه الأصبهانيُّ المتوفّى ٤١٦. أخرجه في تفسيره عن أبي سعيد الخدريِّ وفيه: فلقي عليّاً عليه السلام عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

١٣ ـ أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى ٤٢٧. أخرج في تفسيره [الكشف والبيان] قال: أخبرنا أبو القاسم يعقوب بن أحمد السري، أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عبدالله بن محمَّد، حدّثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبدالله الكجي، حدّثنا حجّاج بن منهال، حدّثنا حمّاد (ابن سلمة) عن عليٍّ بن زيد عن عديٍّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال: لَمّا نزلنا مع رسول الله في حجَّة الوداع كنّا بغدير خمّ فنادى إنّ الصلاة جامعة وكسح للنبيِّ تحت شجرتين فأخذ بيد عليٍّ فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: هذا مولى مَن أنا مولاه، اللهمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

١٤ ـ الحافظ ابن السمّان الرازيُّ المتوفّى ٤٤٥. أخرجه بإسناده عن البراء بن عازب باللفظ المذكور عن أحمد بن حنبل. حكاه عنه محب الدين الطبريُّ في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩، والشنقيطيُّ في (حياة عليّ بن أبي طالب) ص ٢٨.

١٥ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى ٤٥٨. رواه مرفوعاً إلى البراء بن عازب كما في (الفصول المهمَّة) لابن الصباغ المالكيِّ المكّي ص ٢٥، و(درر السمطين) لجمال الدين الزرندي الحنفيِّ، بسند يأتي عنه عن أبي هريرة، ويأتي من طريق الخوارزمي عنه عن البراء وأبي هريرة.

١٦ ـ الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديُّ المتوفّى ٤٦٣. مرّ عنه بسندين صحيحين عن أبي هريرة ص ٢٧٨، ٢٧٩.

١٧ ـ الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي المتوفّى ٤٨٣. في كتاب [المناقب] قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمَّد بن طاوان قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن الحسين بن السمّاك قال: حدَّثني أبو محمَّد جعفر بن محمَّد بن نصير الخلدي، حدَّثني عليُّ بن سعيد بن قتيبة الرملي قال: حدّثني ضمرة. إلى آخر السند واللفظ المذكورين من طريق الخطيب البغداديِّ ص ٢٧٨، ٢٧٩.

وقال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر العطّار، قال: أخبرنا أبو محمَّد

ابن السقاء وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبدالله القصّاب البيّع الواسطي ممّا أذن لي في روايته أنّه قال: حدّثني أبو بكر محمَّد بن الحسن بن محمّد البياسري، قال: حدَّثني أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الحسن الجوهري، قال: حدَّثني محمّد بن زكريا العبدي، قال: حدَّثني حميد الطويل عن أنس في حديث فأخذ بيده وأرقاه المنبر فقال: اللهمّ هذا منّي وأنا منه إلّا أنّه منّي بمنزلة هارون من موسى، ألا مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. قال: فانصرف عليٌّ قرير العين فاتبعه عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا أبا الحسن! أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم.

١٨ ـ أبو محمّد أحمد العاصمي. قال في تأليفه (زين الفتى): أخبرني شيخي محمّد بن أحمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو أحمد الهمداني، قال: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عبدالله[1] بن جبلة القهستاني، قال: حدَّثنا أبو قريش محمّد بن جمعة بن خلف القايني، قال: حدَّثنا أبو يحيى محمَّد بن عبدالله بن يزيد المقري، قال: حدَّثنا أبي قال: حدَّثنا حمّاد بن سلمة عن عليٍّ بن زيد بن جدعان عن عديٍّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال: لَمّا قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال عمر: هنيئاً لك يا أبا الحسن! أصبحت مولى كلِّ مسلم.

وقال: أخبرنا محمّد بن أبي زكريّا رحمه الله قال: أخبرنا أبو الحسن محمّد[2] بن عمر بن بهتة البزّاز بقراءة أبي الفتح بن أبي الفوارس الحافظ عليه ببغداد فأقرَّ به قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد بن عبد الرحمن بن عقدة الهمداني مولى بني هاشم قراءة عليه من أصل كتابه سنة ثلاثين وثلاثمائة لَمّا قدم علينا بغداد قال: حدَّثنا إبراهيم بن الوليد بن حمّاد قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا يحيى بن يعلى. إلى آخر المذكور ص ٣٢٢ من طريق الحافظ ابن عقدة سنداً ومتناً.

---

(١) في تاريخ الخطيب ج ١ ص ٤١١: عبدان بن جبلة.

(٢) من أهل باب الطاق توفي ٣٧٤، ترجمه الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ٣٥ وحكى عن العتيق ثقته وعنه عن البرقاني: نفى البأس عنه وأنه طالبي يعني بذلك أنه شيعي.

١٩ ـ الحافظ أبو سعد السمعاني المتوفّى ٥٦٢. في كتابه ـ فضائل الصحابة ـ بالإسناد عن البراء بن عازب بلفظ أحمد بن حنبل المذكور ص ٣٢٢.

٢٠ ـ حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي المتوفّى ٥٠٥. قال في تأليفه (سرّ العالمين) ص ٩: أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته ﷺ في يوم غدير خمّ باتّفاق الجميع وهو يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه فقال عمر: بخ بخ لك يا أبا الحسن! لقد أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

٢١ ـ أبو الفتح الأشعري الشهرستانيُّ المتوفّى ٥٤٨. قال في (الملل والنحل) المطبوع في هامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٢٢٠: ومثل ما جرى في كمال الإسلام وإنتظام الحال حين نزل قوله تعالى: يا أيّها الرسول بلِّغ ما انزل إليك من ربِّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته. فلما وصل إلى غدير خمّ أمر بالدرجات[١] فقممَّ ونادوا: الصلاة جامعة ثمّ قال عليه السلام وهو على الرحال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأدر الحق معه حيث دار، الا هل بلّغت؟ ثلاثاً. فادَّعت الإماميّة أنّ هذا نصٌّ صريحٌ فإنّا ننظر مَن كان النبيُّ مولى له وبأيِّ معنى فتطَّرد ذلك في حقِّ عليٍّ وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه[٢] حتى قال عمر حين استقبل عليّاً: طوبى لك يا عليّ! أصبحت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

٢٢ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي الحنفيُّ المتوفّى ٥٦٨. أخرج في مناقبه ص ٩٤ عن أبي الحسن عليّ بن أحمد العاصميّ الخوارزمي عن إسماعيل بن أحمد الواعظ عن الحافظ أبي بكر البيهقي عن علي بن أحمد بن حمدان عن أحمد بن عبيد عن أحمد بن سليمان المؤدِّب عن عثمان (ابن أبي شيبة) عن زيد بن الحباب عن حمّاد بن سلمة عن عليِّ بن زيد بن جدعان عن عديِّ بن

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: بالدوحات.

(٢) سنوقفك على حق القول في المفاد وأن الصحابة ما فهمت إلا ما ترتأيه الإمامية.

ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجّه حتى إذا كنّا بين مكّة والمدينة نزل النبيّ فأمر منادياً بالصلاة جامعة قال: فأخذ بيد عليٍّ فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: فهذا وليُّ مَن أنا وليّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. ينادي رسول الله بأعلى صوته، فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

وبالإسناد المذكور عن الحافظ أبي بكر البيهقي عن الحافظ أبي عبدالله الحاكم عن أبي يعلى الزبير بن عبدالله الثوري[1] عن أبي جعفر أحمد بن عبدالله البزّاز عن عليِّ بن سعيد عن ضمرة عن ابن شوذب. إلى آخر الحديث المذكور من طريق الخطيب البغداديِّ ص ٢٧٨، ٢٧٩ سنداً ومتناً.

٢٣ ـ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبليُّ المتوفّى ٥٩٧. أخرج في مناقبه من طريق أحمد بن حنبل بالإسناد عن البراء بن عازب بلفظه المذكور.

٢٤ ـ فخر الدين الرازيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٠٦. رواه في تفسيره الكبير ج ٣ ص ٦٣٦ في طبعة ٤٤٣ بلفظ مرّ ص ٢٦٣.

٢٥ ـ أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير الشيبانيُّ المتوفّى ٦٠٦. قال في (النهاية) ج ٤ ص ٢٤٦ بعد عدِّ معاني المولى: ومنه الحديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. إلى أن قال: وقول عمر لعليٍّ: أصبحت مولى كلِّ مؤمن.

٢٦ ـ أبو الفتح محمَّد بن عليٍّ النطنزيُّ. أخرج في كتابه ـ الخصائص العلويّة ـ بإسناده حديث أبي هريرة بلفظه المذكور من طريق الخطيب البغداديِّ ص ٢٧٨.

٢٧ ـ عزُّ الدين أبو الحسن ابن الأثير الشيبانيُّ المتوفّى ٦٣٠. أخرجه بإسناده عن البراء بن عازب بلفظ مرَّ ص ٢١٢.

٢٨ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٥٨. قال في «كفاية

---

(١) كذا في المناقب. وفي فرائد الحموي: النوري. وفي تاريخ الخطيب: التوزي راجع ص ١٣٩.

الطالب» ص ١٦: أخبرنا الحافظ يوسف بن خليل الدمشقي بحلب، قال: أخبرنا الشريف أبو المعمّر محمَّد بن حيدرة الحسيني الكوفي ببغداد. وأخبرنا أبو الغنائم محمَّد بن عليٍّ بن ميمون النرسي بالكوفة، أخبرنا أبو المثنّى دارم بن محمَّد بن زيد النهشلي، حدَّثنا أبو حكيم محمَّد بن إبراهيم بن السريِّ التميميِّ، حدَّثنا أبو العباس أحمد بن محمَّد بن سعيد الهمدانيّ (الشهير بابن عقدة) حدَّثنا إبراهيم بن الوليد بن حمّاد، أخبرنا أبي أخبرنا يحيى بن يعلى عن حرب بن صبيح عن ابن أخت حميد الطويل. إلى آخر ما مرَّ ص ٣٢٢ عن ابن عقدة سنداً ومتناً.

٢٩ - شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ المتوفّى ٦٥٤. حكى في تذكرته ص ١٨ عن فضائل أحمد بن حنبل، بإسناده عن البراء بن عازب، باللفظ والسند المذكورين ص ٣٢١.

٣٠ - عمر بن محمَّد الملا. رواه في «وسيلة المتعبِّدين» عن البراء بلفظ أحمد.

٣١ - الحافظ أبو جعفر محبّ الدين الطبريُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٩٤. أخرج في (الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٦٩ بطريق أحمد بن حنبل، عن البراء، وزيد بن أرقم بلفظه المذكور، ورواه في ذخائر العقبى ص ٦٧ من طريق أحمد، بلفظ البراء بن عازب.

٣٢ - شيخ الإسلام الحمويني المتوفّى ٧٢٢. قال في «فرائد السمطين» في الباب الثالث عشر: أخبرنا الشيخ الإمام عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بقراءتي عليه بمدينة نابلس، في مسجده قلت له: أخبرك القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمَّد بن أبي الفضل الأنصاريُّ الحرستانيُّ إجازةً فأقرَّ به، قال: أنبأ أبو عبدالله محمَّد بن أبي الفضل العراوي إجازةً قال: أنبأ شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيُّ الحافظ، قال: أنبأ الحاكم أبو يعلى الزبير بن عبدالله النوريُّ نبّأ أبو جعفر أحمد بن عبدالله البزّاز. نبّأ عليُّ بن سعيد البرقي، نبّأ ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الورّاق، عن شهر بن حوشب عن أبي

هريرة. بلفظ الخطيب البغداديِّ المذكور ص ٢٧٨.

وقال: أخبرنا الإمام الزاهد وحيد الدين محمَّد بن أبي بكر بن أبي يزيد الجويني بقراءتي عليه، بخير آباد في جمادى الأوّل سنة ثلاث وستين وستمائة قال: أنبأنا الإمام سراج الدين محمَّد بن أبي الفتوح اليعقوبي سماعاً، قال: أنبأنا والدي الإمام فخر الدين أبو الفتوح بن أبي عبدالله محمَّد بن عمر بن يعقوب قال: أنبأنا الشيخ الإمام محمَّد بن عليٍّ بن الفضل القارىء.

وأخبرني السيِّد الإمام الأطهر فخر الدين المرتضى بن محمود الحسينيُّ الأشتريُّ إجازةً في سنة إحدى وسبعين وستمائة، بروايته عن والده، قال: أخبرني الإمام مجد الدين أبو القاسم عبدالله بن محمَّد القزويني، قال: أنبأنا جمال السنّة أبو عبدالله محمَّد بن حمويه بن محمَّد الجوينيُّ، قال: أنبأنا جمال الإسلام أبو المحاسن عليّابن شيخ الإسلام الفضل بن محمَّد الفارندي، قال: أنبأنا الإمام عبدالله بن علي شيخ وقته المشار إليه في الطريقة ومقدَّم أهل الإسلام في الشريعة قال: نبَّأنا أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن بندار القزوينيُّ بمكّة؛ نبَّأنا عليّ بن عمر بن محمَّد الحبري قراءة عليه، نبَّأنا محمَّد بن عبيدة القاضي، نبَّأنا إبراهيم بن الحجّاج، نبَّأنا حمّاد عن عليٍّ بن زيد وأبي هارون العبديِّ عن عديٍّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع النبيِّ ﷺ في حجّة الوداع حتى إذا كنّا بغدير خمّ فنادى فينا الصلاة جامعة وكسح للنبيِّ تحت شجرتين فأخذ النبيّ ﷺ بيد عليٍّ وقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال ألست أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: أليس أزواجي امّهاتهم؟ قالوا: بلى. فقال رسول الله: فإنَّ هذا مولى مَن أنا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. ولقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة ثمَّ قال:

أورده الإمام الحافظ شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في فضائل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ونقلته من خطّه المبارك وقال: أخبرنا الشيخ الإمام عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرحان المقدسيّ

بقراءتي عليه بمدينة نابلس، والشيخ الصالح محمَّد بن عبدالله الأنصاريُّ الحرستانيُّ[١] إجازةً بروايته عن أبي عبدالله محمَّد بن الفضل العراوي إذناً بروايته عن الشيخ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين قال: أنبأنا عليّ بن أحمد بن عُبيد قال: نبّأنا أحمد بن سليمان المؤدّب قال: حدَّثنا عثمان قال: حدَّثنا زيد بن الحباب قال: حدَّثنا حمّاد بن سلمة عن عليٍّ بن زيد بن جدعان عن عديٍّ بن ثابت عن البراء قال: أقبلنا مع رسول الله. الحديث.

٣٣ - نظام الدين القميُّ النيسابوريُّ. مرّت روايته بلفظ أبي سعيد الخدري ص ٢٦٥.

٣٤ - وليُّ الدين الخطيب. أخرج في مشكاة المصابيح (المؤلّف سنة ٧٣٧) ص ٥٥٧ بطريق أحمد عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم بلفظه المذكور ص ٣٢١.

٣٥ - جمال الدين الزرنديُّ المدنيّ المتوفّى سنة بضع وخمسين وسبعمائة. رواه في كتابه «نظم درر السمطين» من طريق الحافظ أبي بكر البيهقيِّ، بإسناده عن البراء بن عازب باللفظ المذكور عن الحمويني. وفيه: حتى إذا كنّا بغدير خمّ يوم الخميس ثامن عشر من ذي الحجّة فنودي فينا الصلاة جامعة.

٣٦ - أبو الفدا ابن كثير الشاميُّ الشافعيُّ المتوفّى ٧٧٤. روى في كتابه «البداية والنهاية» ج ٥ ص ٢٠٩ - ٢١٠ بلفظ أحمد بن حنبل عن البراء بن عازب من طريق الحافظين أبي يعلى الموصليِّ، والحسن بن سفيان المذكورين، وعن البراء أيضاً من طريق ابن جرير، عن أبي زرعة عن موسى بن إسماعيل «المنقري» عن حمّاد بن سلمة عن عليٍّ بن زيد وأبي هارون العبديِّ، عن عديٍّ بن ثابت عن البراء، ومن حديث موسى بن عثمان الحضرميِّ عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء، وزيد بن أرقم، وأخرج في ص ٢١٢ عن أبي هريرة بلفظ الخطيب البغداديِّ.

---

(١) نسبة إلى حرستا بالتحريك وسكون السين: قرية على نحو فرسخ من دمشق.

٣٧ ـ تقيّ الدين المقريزيُّ المصري المتوفّى ٨٤٥. ذكره في الخطط ج ٢ ص ٢٢٣ بطريق أحمد عن البراء بن عازب بلفظه المذكور.

٣٨ ـ نور الدين ابن الصباغ المالكيُّ المكيُّ المتوفّى ٨٥٥. حكاه في «الفصول المهمَّة» ص ٢٥ عن أحمد والحافظ البيهقي، عن البراء بن عازب بلفظهما المذكور.

٣٩ ـ القاضي نجم الدين الأذرعيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٨٧٦. قال في «بديع المعاني» ص ٧٥: وقد ورد أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع قول النبيِّ ﷺ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال: لعليٍّ رضي الله عنه: هنيئاً لك أصبحت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

٤٠ ـ كمال الدين الميبذي. ذكر في شرح الديوان المعزوِّ إلى أمير المؤمنين ص ٤٠٦ حديث أحمد، عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم بلفظه المذكور.

٤١ ـ جلال الدين السيوطيُّ المتوفّى ٩١١. رواه في «جمع الجوامع» كما في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبة بلفظه المذكور ص ٣٢١.

٤٢ ـ نور الدين السمهودي المدنيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٩١١. رواه في كتابه [وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى] ج ٢ ص ١٧٣ نقلاً عن أحمد بطريقه عن البراء وزيد.

٤٣ ـ أبو العباس شهاب الدين القسطلانيُّ المتوفّى ٩٢٣. قال في «المواهب اللدنيَّة» ج ٢ ص ١٣ في معنى المولى: وقول عمر: أصبحت مولى كلِّ مؤمن، أي: وليُّ كلِّ مؤمن.

٤٤ ـ السيِّد عبد الوهاب الحسينيُّ البخاريُّ المتوفّى ٩٣٢. مرّ لفظه ص ٢٦٦.

٤٥ ـ ابن حجر العسقلاني الهيثميُّ المتوفّى ٩٧٣. قال في «الصواعق

المحرقة» ص ٢٦ في مفاد الحديث: سلَّمنا أنّه أولى لكن لا نسلّم أنّ المراد أنّه أولى بالإمامة بل بالإتّباع والقرب منه [إلى أن قال]: وهو الّذي فهمه[1] أبو بكر، وعمر، وناهيك بهما من الحديث، فإنّهما لَمّا سمعاه قالا له: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة! أخرجه الدارقطني.

٤٦ - السيِّد عليّ بن شهاب الدين الهمدانيُّ. رواه في مودَّة القربى بلفظ البراء.

٤٧ - السيِّد محمود الشيخانيُّ القادريُّ المدنيُّ. قال في كتابه [الصراط السويّ في مناقب آل النبيِّ]: أخرج أبو يعلى، والحسن بن سفيان، في مسنديهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله في حجة الوداع. إلى آخر اللفظ المذكور عنهما ثمّ قال: قال الحافظ الذهبي.: هذا حديثٌ حسنٌ إتّفق على ما ذكرنا جمهور أهل السنّة. اهـ. ثمَّ قال في بيان ما هو الصحيح من خطبة الغدير:

والصحيح ممّا ذكرنا أيضاً قوله ﷺ: ألست أولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا مولى مَن كنت مولاه، اللهمّ وال مَن والاه وعاد مَن عاداه. فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. انتهى ما هو الصحيح والحسان وليس في ذلك من مخترعات المدَّعي ومفترياته. إلخ. يأتي تمام كلامه في الكلمات حول سند الحديث.

٤٨ - شمس الدين المناويُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٣١. قال في [فيض القدير] ج ٦ ص ٢١٨: لَمّا سمع أبو بكر وعمر ذلك (حديث الولاية) قالا فيما أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة!

٤٩ - الشيخ أحمد باكثير المكيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٤٧. رواه في [وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل] بلفظ البراء بن عازب.

---

(١) ستقف على حق القول في المفاد وأن الملأ الحضور ما فهم إلا ما ترتأيه الإمامية.

٥٠ ـ أبو عبدالله الزرقانيُّ المالكيُّ المتوفّى ١١٢٢. قال في «شرح المواهب» ج ٧ ص ١٣: روى الدارقطني عن سعد قال: لَمّا سمع أبو بكر، وعمر، ذلك قالا: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة!

٥١ ـ حسام الدين بن محمَّد بايزيد السهارنپوري. ذكره في «مرافض الروافض» بلفظ مرَّ ص ١٨٠.

٥٢ ـ ميرزا محمَّد البدخشاني. ذكره في كتابيه [مفتاح النجا في مناقب آل العبا] و[نزل الأبرار بما صحّ في أهل البيت الأطهار] عن البراء وزيد من طريق أحمد.

٥٣ ـ الشيخ محمَّد صدر العالم. ذكره في «معارج العلى في مناقب المرتضى» من طريق أحمد عن البراء وزيد.

٥٤ ـ أبو ولي الله أحمد العمريُّ الدهلويُّ المتوفّى ١١٧٦. مرّ لفظه ص ١٨١.

٥٥ ـ السيّد محمَّد الصنعانيُّ المتوفّى ١١٨٢. ذكر في [الروضة النديّة شرح التحفة العلويّة] عن محبِّ الدين الطبري ما أخرجه من طريق أحمد، عن البراء.

٥٦ ـ المولوي محمَّد مبين اللكهنويُّ. ذكره في «وسيلة النجاة» عن البراء وزيد.

٥٧ ـ المولوي وليّ الله اللكهنويُّ. وذكره في [مرآة المؤمنين في مناقب أهل بيت سيِّد المرسلين] بلفظ أحمد ثمَّ قال: وفي رواية: بخ بخ لك يا عليُّ! أصبحت وأمسيت: إلخ.

٥٨ ـ محمَّد محبوب العالم. ذكر في [تفسير شاهي] عن أبي سعيد الخدري ما مرّ في ص ٢٦٦ بلفظ النيسابوري.

٥٩ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان المكيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٣٠٤. قال في الفتوحات الإسلاميَّة ج ٢ ص ٣٠٦: وكان عمر رضي الله عنه يحبُّ عليَّ بن أبي

طالب، وأهل بيت رسول الله ﷺ وقد جاء عنه في ذلك شيءٌ كثير، فمن ذلك أنّه لَمّا قال النبيُّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كُلّ مؤمن ومؤمنة!.

٦٠ ـ الشيخ محمَّد حبيب الله الشنقيطي المدنيُّ المالكيُّ. ذكره [في كفاية الطالب في حياة عليٍّ بن أبي طالب] ص ٢٨ من طريق ابن السمّان، عن البراء بن عازب، ومن طريق أحمد، عن زيد بن أرقم باللفظ المذكور.

(عـودٌ إلى البـدء)

إنَّ هذه التهنئة المشفوعة بأمر من مصدر النبوَّة، والمصافقة بالبيعة المذكورة مع إبتهاج النبيِّ بها، بقوله: الحمد لله الذي فضَّلنا على جميع العالمين. على ما عرفته من نزول الآية الكريمة في هذا اليوم المشهود، الناصَّة بإكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربِّ فيما وقع فيه. وقد عرف ذلك طارق بن شهاب الكتابيُّ الذي حضر مجلس عمر بن الخطاب، فقال: لو نزلت فينا هذه الآية[1] لإتَّخذنا يوم نزولها عيداً[2] ولم ينكرها عليه أحدٌ من الحضور، وصدر من عمر ما يشبه التقرير لكلامه. وذلك بعد نزول آية التبليغ، وفيها ما يشبه التهديد إن تأخَّر عن تبليغ ذلك النصِّ الجليِّ حِذار بوادر الدهماء من الامّة.

كلُّ هذه لا محالة قد أكسب هذا اليوم منعةً وبذخاً ورفعةً وشموخاً، سرَّ موقعها صاحب الرسالة الخاتمة، وأئمَّة الهدى ومن اقتصَّ أثرهم من المؤمنين، وهذا هو الذي نعنيه من التعيّد به، وقد نوَّه به رسول الله فيما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي، في القرن الثالث، عن محمَّد بن ظهير، عن عبدالله بن الفضل الهاشميِّ، عن الإمام الصادق، عن أبيه عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: يوم غدير خمّ أفضل أعياد امَّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي

(١) يعني قوله تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾. الآية راجع ص ٢٧٥ ـ ٢٨٤.

(٢) أخرجه الأئمة الخمسة: مسلم، ومالك، والبخاري، والترمذي، والنسائي، كما في تيسير الوصول ج ١ ص ١٢٢، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار ج ٣ ص ١٩٦، والطبري، في تفسيره ج ٦ ص ٤٦، وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٣ عن أحمد، والبخاري. ورواه جمع آخر.

عليٍّ بن أبي طالب علماً لامّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتمَّ على امّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً. كما يُعرب عنه قوله صلّى الله عليه وآله في حديث أخرجه الحافظ الخركوشيّ كما مرَّ ص ٣٢٣: هنِّئوني هنِّئوني.

واقتفى أثر النبيِّ الأعظم، أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، نفسه فاتّخذه عيداً وخطب فيه سنة إتّفق فيها الجمعة، والغدير، ومن خطبته قوله: إنّ الله عزَّ وجلَّ جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين، عظيمين، كبيرين، ولا يقوم أحدهما إلاّ بصاحبه ليكمل عندكم جميل صنعه، ويقفكم على طريق رشده، ويقفو بكم آثار المستضيئين بنور هدايته، ويسلككم منهاج قصده، ويوفِّر عليكم هنيء رفده، فجعل الجمعة مجمعاً ندب إليه لتطهير ما كان قبله وغسلِ ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله وذكرى للمؤمنين، وتبيان خشية المتّقين، ووهب من ثواب الأعمال فيه أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيّام قبله، وجعله لا يتمّ إلاّ بالإيتمار لما أمر به، والإنتهاء عمّا نهى عنه، والبخوع بطاعته فيما حثَّ عليه وندب إليه، فلا يُقبل توحيده إلاّ بالإعتراف لنبيِّه صلّى الله عليه وآله بنبوَّته، ولا يقبل ديناً إلاّ بولاية من أمر بولايته، ولا تنتظم أسباب طاعته إلاّ بالتمسك بعصمه وعصم أهل ولايته، فأنزل على نبيِّه صلّى الله عليه وآله في يوم الدوح ما بيّن به عن إرادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق وضمن له عصمته منهم - إلى أن قال.

عودوا رحمكم الله بعد إنقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، وبالبرِّ بإخوانكم، والشكر لله عزَّ وجلَّ على ما منحكم، وأجمعوا يجمع الله شملكم، وتبارّوا يصل الله أُلفتكم، وتهادوا نعمة الله كما منّكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلاّ في مثله، والبرّ فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه وهيِّئوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم، وبما تناله القدرة من إستطاعتكم، وأظهروا البشر فيما بينكم والسرور في ملاقاتكم. الخطبة[1]

(١) ذكرها شيخ الطائفة بإسناده في مصباح المتهجد ص ٥٢٤.

وعرفه أئمّة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، فسمّوه عيداً وأمروا بذلك عامّة المسلمين، ونشروا فضل اليوم ومثوبة مَن عمل البرّ فيه، ففي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي في سورة المائدة، عن جعفر بن محمّد الأزدي، عن محمّد بن الحسين الصايغ، عن الحسن بن علي الصيرفي، عن محمد البزّاز، عن فرات بن احنف، عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟ قال: فقال لي: نعم أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيِّه محمّد: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**. قال قلت: وأيّ يوم هو؟ قال: فقال لي: إنَّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصيّة والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً، وإنّه اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ عليّاً للناس علماً وأنزل فيه ما أنزل، وكمل فيه الدين، وتمّت فيه النعمة على المؤمنين. قال: قلت وأيّ يوم هو في السنة؟ قال فقال لي: إنّ الأيّام تتقدّم وتتأخّر وربما كان يوم السبت والأحد والإثنين إلى آخر الأيام السبعة[١] قال: قلت: فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم؟ قال هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له وسرور لِما منَّ الله به عليكم من ولايتنا. فإنّي أُحبّ لكم أن تصوموه.

وفي الكافي لثقة الإسلام الكليني ج ١ ص ٣٠٣ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن! أعظمهما وأشرفهما، قلت: وأيّ يوم هو؟ قال: يوم نصب أمير المؤمنين عليه السلام علماً للناس، قلت: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصوم يا حسن! وتكثر الصلاة على محمّد وآله، وتبرأ إلى الله ممّن ظلمهم، فإنّ الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء اليوم الذي كان يُقام فيه الوصيُّ

---

(١) الظاهر أن في لفظ الحديث سقطاً ولعله ما سيأتي في لفظ الكليني عن الإمام نفسه من تعيينه باليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

أن يتّخذ عيداً قال: قلت: فما لمن صامه؟ قال صيام ستّين شهراً[١].

وفي الكافي أيضاً ج ١ ص ٢٠٤، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام هل للمسلمين عيدٌ غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم أعظمها حرمةً، قلت: وأيّ عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله، أمير المؤمنين وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قلت: وأيّ يوم هو؟ قال: وما تصنع باليوم إنّ السنة تدور ولكنه يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة، فقلت: ما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟ قال: تذكرون الله عزَّ ذكره فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمّد وآل محمّد فإنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتّخذوا ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء تفعل كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتّخذونه عيداً.

وبإسناده عن الحسين بن الحسن الحسيني، عن محمّد بن موسى الهمدانيّ، عن علي بن حسان الواسطيّ، عن علي بن الحسين العبديّ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: صيام يوم غدير خمّ يعدل عند الله في كلّ عام مائة حجّة، ومائة عمرة مبرورات متقبّلات وهو عيدالله الأكبر. الحديث.

وفي (الخصال) لشيخنا الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كم للمسلمين من عيد؟ فقال: أربعة أعياد قال: قلت: قد عرفت العيدين، والجمعة، فقال لي: أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله، أمير المؤمنين عليه السلام، ونصبه للناس علماً قال قلت: ما يجب علينا في ذلك اليوم؟ قال: يجب[٢] عليكم صيامه شكراً لله وحمداً له مع أنّه أهلٌ أن يُشكر كلَّ ساعة، كذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يُقام فيه الوصيُّ ويتّخذونه عيداً. الحديث.

---

(١) ستوافيك هذه المثوبة من رواية الحفاظ بإسناد رجاله كلهم ثقات.

(٢) المراد بالوجوب هو الثبوت في السنة الشامل للندب أيضاً، كما يكشف عنه التعبير بـ (ينبغي) في بقية الأحاديث وله في أحاديث الفقه نظائر جمة.

وفي (المصباح) لشيخ الطائفة الطوسي ص ٥١٣ عن داود الرقّي، عن أبي هارون عمّار بن حريز العبدي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة فوجدته صائماً، فقال لي: هذا يومٌ عظيمٌ عظّم الله حرمته على المؤمنين وأكمل لهم فيه الدين، وتمّم عليهم النعمة، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق فقيل له: ما ثواب صوم هذا اليوم؟ قال: إنّه يوم عيد وفرح وسرور ويوم صوم شكراً لله، وإنَّ صومه يعدل ستّين شهراً من أشهر الحرم. الحديث.

وروى عبدالله بن جعفر الحميري، عن هارون بن مسلم، عن أبي الحسن الليثي، عن أبي عبدالله عليه السلام، إنّه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟ فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو؟ يا سيّدنا؟ قال: لا قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة وانَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، لمّا انصرف من حجّة الوداع وصار بغدير خمّ. الحديث.

وفي حديث الحميري، بعد ذكر صلاة الشكر يوم الغدير، وتقول في سجودك: اللهمّ إنّا نُفرِّج وجوهنا في يوم عيدنا الذي شرَّفتنا فيه بولاية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلّى الله عليه.

وقال الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي سنة تسع وخمسين ومائتين، وقد بلغ التسعين: انَّه شهد أبا الحسن عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام في يوم الغدير، وبحضرته جماعة من خاصّته قد احتبسهم للإفطار، وقد قدَّم إلى منازلهم الطعام والبرَّ والصِّلات والكسوة حتى الخواتيم والنعال، وقد غيّر من أحوالهم وأحوال حاشيته وجدّدت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقِدمه.

وفي مختصر بصائر الدرجات، بالإسناد عن محمَّد بن العلاء الهمداني

الواسطيّ، ويحيى بن جريح البغداديّ قالا في حديث: قصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمي، صاحب الإمام أبي محمّد العسكريّ «المتوفّى ٢٦٠» بمدينة قم وقرعنا عليه الباب فخرجت إلينا من داره صبيّة عراقيّة فسألناها عنه فقالت: هو مشغولٌ بعيده فإنّه يوم عيد، فقلنا: سبحان الله أعياد الشيعة أربعة: الأضحى، والفطر والغدير، والجمعة. الحديث.

(ما عشتَ أراك الدهرُ عجباً)

إلى هنا أوقفك البحث والتنقيب على حقيقة هذا العيد وصلته بالامّة جمعاء، وتقادم عهده المتّصل بالدور النبويّ، ثمَّ جاء من بعده متواصلة العرى من وصيّ إلى وصيّ يُعلم به أئمّة الدين، ويشيد بذكره أُمناء الوحي كالإمامين أبي عبدالله الصادق، وأبي الحسن الرضا بعد أبيهم أمير المؤمنين صلوات الله عليهم، وقد توفّي هذان الإمامان ونطف البويهيّين لم تنعقدبعدُ، وقد جاءت أخبارهما مرويّةً في تفسير فرات، والكافي المؤلّفين في القرن الثالث، وهذه الأخبار هي مصادر الشيعة ومداركها في اتّخاذ يوم الغدير عيداً، منذ عهد طائل في القِدَم، ومنذ صدور تلكم الكلم الذهبيّة من معادن الحُكم والحِكَم.

إذا عرفت هذا فهلمّ معي نسائل النويري، والمقريزي، عن قولهما: إنّ هذا العيد إبتدعه معزّ الدوله عليّ بن بُويه سنة ٣٥٢ قال الأوّل في «نهاية الإرب في فنون الأدب» ج ١ ص ١٧٧، في ذكر الأعياد الإسلاميّة: وعيدٌ إبتدعته الشيعة وسمّوه عيد الغدير، وسبب إتخاذهم له مؤاخاة النبيِّ ﷺ عليّ بن أبي طالب يوم غدير خمّ، والغدير: تصبّ فيه عين وحوله شجرٌ كبيرٌ ملتفٌّ بعضها ببعض، وبين الغدير والعين مسجد رسول الله ﷺ واليوم الذي إبتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذي الحجة، لأنَّ المؤاخاة كانت فيه في سنة عشر من الهجرة وهي حجّة الوداع، وهم يحيون ليلتها بالصَّلاة ويُصلّون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال، وشعارهم فيه لبس الجديد، وعتق الرقاب وبرّ الأجانب والذبائح.

وأوّل من أحدثه معزُّ الدولة أبو الحسن عليّ بن بُويه على ما نذكره إن شاء الله في أخباره في سنة ٣٥٢، ولَمّا ابتدع الشيعة هذا العيد واتخذوه من

سننهم عمل عوام السنّة يوم سرور نظير عيد الشيعة في سنة ٣٨٩، وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيّام وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله ﷺ الغار هو، وأبو بكر الصدّيق، وأظهروا في هذا اليوم الزينة ونصب القباب وايقاد النيران. ا هـ.

وقال المقريزي في الخطط ج ٢ ص ٢٢٢: عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ولا عمله أحد من سالف الامّة المقتدى بهم، وأوّل ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معزّ الدولة عليٍّ بن بُويه، فإنّه أحدثه سنة ٣٥٢ فاتّخذه الشيعة من حينئذٍ عيداً. ا هـ.

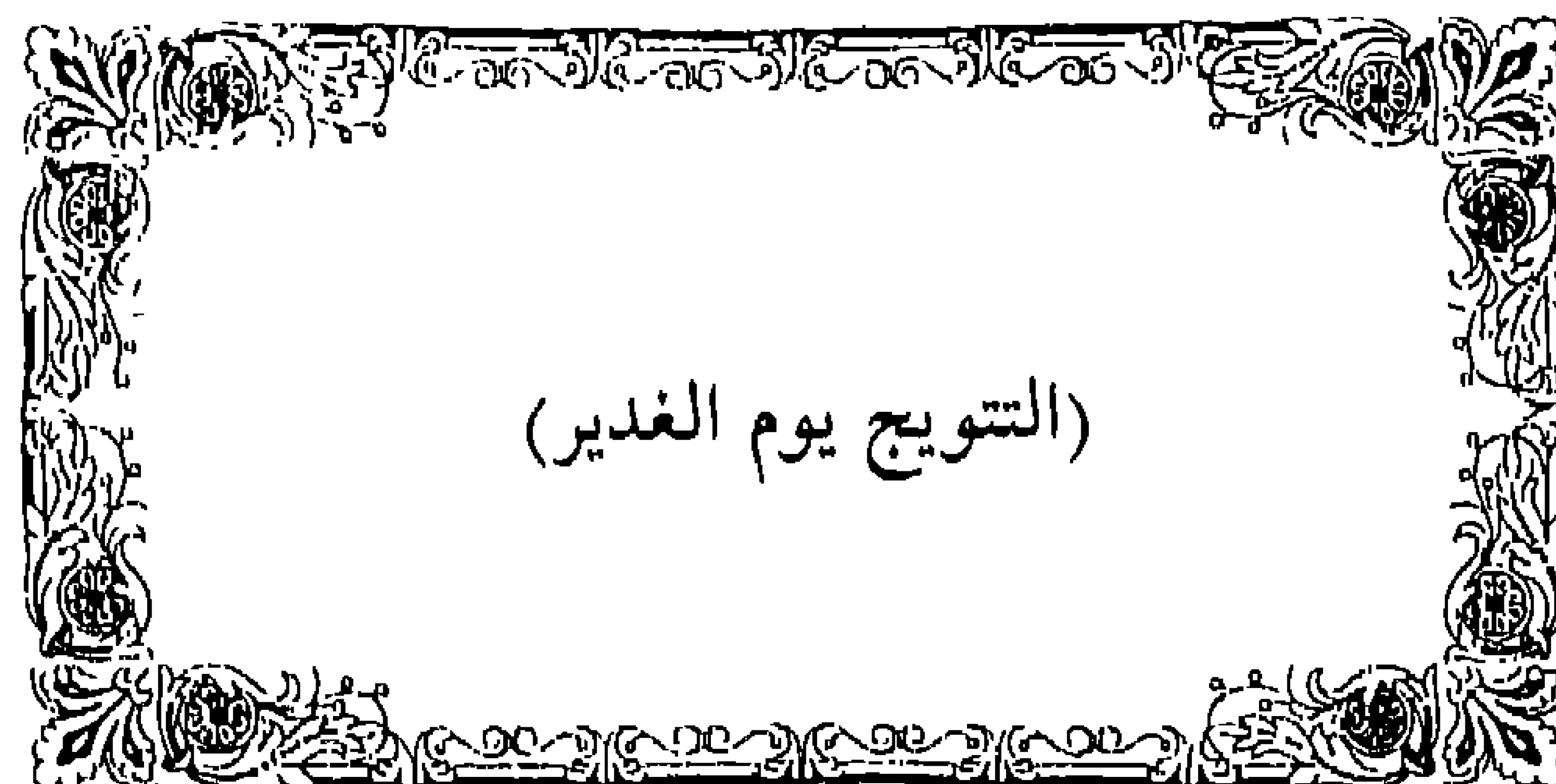
وما عساني أن أقول في بحّاثة يكتب عن تأريخ الشيعة قبل أن يقف على حقيقته أو أنّه عرف نفس الأمر فنسيها عند الكتابة، أو أغضى عنها لأمر دُبِّر بليل، أو أنّه يقول ولا يعلم ما يقول، أو أنّه ما يبالي بما يقول، أوَ ليس المسعودي المتوفّى ٣٤٦ يقول في التنبية والإشراف ص ٢٢١: وولد عليٍّ رضي الله عنه وشيعته يعظّمون هذا اليوم. أو ليس الكليني الراوي لحديث عيد الغدير في الكافي توفّي سنة ٣٢٩؟ وقبله فرات بن إبراهيم الكوفي، المفسّر الراوي لحديثه الآخر في تفسيره «الموجود عندنا» الذي هو في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني المذكور، فالكتب هذه أُلِّفت قبل ما ذكراه «النويري، والمقريزي» من التأريخ (٣٥٢) أو ليس الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي قد أخبر به سنة ٢٥٩؟ وذكر أنّه شاهد الإمام الرضا سلام الله عليه «المتوفى سنة٢٠٣» يتعيَّد في هذا اليوم، ويذكر فضله وقدمه، ويروي ذلك عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام. والإمام الصادق المتوفّى سنة ١٤٨، قد علّم أصحابه بذلك كلّه وأخبرهم بما جرت عليه سنن الأنبيآء من إتخاذ يوم نصبوا فيه خلفاءهم عيداً كما جرت به العادة عند الملوك والامراء من التعيّد في أيّام تسنّموا فيها عرش الملك، وقد أمر أئمة الدين عليهم السلام في عصورهم القديمة شيعتهم بأعمال برِّيَّة ودعوات مخصوصة بهذا اليوم وأعمال وطاعات خاصّة به. والحديث الذي مرَّ عن مختصر بصائر الدرجات يُعرب عن كونه من أعياد الشيعة الأربعة المشهورة في أوائل القرن الثالث الهجري.

هذه حقيقة عيد الغدير، لكن الرجلين أرادا طعناً بالشيعة فأنكرا ذلك

السلف الصالح، وصوَّراه بدعةً معزوَّةً إلى معزِّ الدولة وهما يحسبان أنَّه لا يقف على كلامهما مَن يعرف التاريخ فيناقشهما الحساب.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبطَلَ ما كانوا
يَعمَلونَ، فَغُلبوا هُنالِكَ وَانْقلبوا صاغرينَ﴾

«الأعراف ١١٦، ١١٧»



(التتويج يوم الغدير)

ولَمّا عرفت من تعيين صاحب الخلافة الكبرى للملوكيَّة الإسلاميّة ونيله ولاية العهد النبويِّ، كان من الحريّ تتويجه بما هو شارة الملوك، وسمة الأُمراء، ولَمّا كانت التيجان المكلّلة بالذهب والمرصَّع بالجواهر، من شناشن ملوك الفرس، ولم يكن للعرب منها بدلٌ إلّا العمائم، فكان لا يلبسها إلّا العظماء والأشراف منهم، ولذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: العمائم تيجان العرب. رواه القضاعي والديلمي، وصحّحه السيوطيُّ في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٥٥ وأورده ابن الأثير في النهاية.

وقال المرتضى الحنفيُّ الزبيديُّ في تاج العروس ج ٢ ص ١٢: (التاج: الإكليل) والفضّة والعمامة والأخير على التشبيه (ج تيجان) وأتواج، والعرب تسمّي العمائم: التاج وفي الحديث: العمائم تيجان العرب. جمع تاج، وهو ما يُصاغ للملوك من الذهب، والجوهر، أراد أنَّ العمائم بمنزلة التيجان للملوك لأنّهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤس أو بالقلانس، والعمائم فيهم قليلة، والأكاليل تيجان ملوك العجم (وتوّجه) أي سوَّده، وعمّمه.

وفي ج ٨ ص ٤١٠: ومن المجاز (عمّم بالضم) أي (سوّد) لأن تيجان العرب العمائم، فكما قيل في العجم: توِّج من التاج، قيل في العرب: عمّم قال: وفيهم إذ عُمِّمَ المعمَّم، وكانوا إذا سوَّدوا رجلاً عمّموه عمامةً حمراء، وكانت الفرس تتوِّج ملوكها فيقال له: المتوَّج.

وعدّ الشبلنجيُّ في نور الأبصار ص ٢٥، من ألقاب رسول الله صلّى الله

عليه وآله: صاحب التاج. فقال: المراد العمامة لأنّ العمائم تيجان العرب كما جاء في الحديث.

فعلى هذا الأساس عمّمه رسول الله صلّى الله عله وآله، هذا اليوم بهيئة خاصّة تُعرب عن العظمة والجلال، وتوَّجه بيده الكريمة بعمامته (السحاب) في ذلك المحتشد العظيم، وفيه تلويحٌ إنَّ المتوَّج بها مقيَّضٌ [بالفتح] بإمرة كإمرته صلّى الله عليه وآله وسلّم، غير أنّه مبلّغٌ عنه وقائمٌ مقامه من بعده. روى الحافظ عبدالله ابن أبي شيبة، وأبو داود الطيالسي، وابن منيع البغوي، وأبو بكر البيهقي كما في كنز العمال ج ٨ ص ٦٠ عن عليّ قال: عمّمني رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ بعمامة فسدلها خلفي. وفي لفظ: فسدل طرفها على منكبي، ثمّ قال: إنّ الله أمدَّني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمّون هذه العمّة وقال: إنَّ العمامة حاجزةٌ بين الكفر والإيمان. ورواه من طريق السيوطي عن الأعلام الأربعة السيِّد أحمد القشاشي[1] في «السمط المجيد».

وفي كنز العمال ج ٨ ص ٦٠ عن مسند عبدالله بن الشخير، عن عبد الرحمن بن عديٍّ البحرانيِّ، عن أخيه عبد الأعلى بن عديٍّ: أنَّ رسول الله ﷺ دعا عليَّ بن أبي طالب فعمّمه وأرخى عَذبة[2] العمامة من خلفه (الديلمي).

وعن الحافظ الديلمي، عن ابن عبّاس قال: لَمّا عمّم رسول الله ﷺ عليّاً بالسحاب[3] قال له: يا عليُّ! العمائم تيجان العرب.

وعن ابن شاذان في مشيخته عن عليّ أنَّ النبيَّ ﷺ: عمّمه بيدة فذنَّب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثمّ قال له النبيُّ ﷺ: أدبر. فأدبر، ثمّ قال له: أقبل. فأقبل وأقبل على أصحابه فقال النبيُّ ﷺ: هكذا تكون تيجان الملائكة.

وأخرج الحافظ أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ومحبّ الدين الطبري في «الرياض النضرة» ج ٢ ص ٢١٧ عن عبد الأعلى بن عديٍّ النهروانيِّ: إنّ

---

(١) المتوفى ١٠٧١ ترجمه المحبي في خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٤٣ - ٤٦ وأثنى عليه.
(٢) عذبة بفتح المهملة: طرف الشيء.
(٣) قال ابن الأثير في النهاية ج ٢ ص ١٦٠: كان اسم عمامة النبي ﷺ «السحاب».

رسول الله ﷺ دعا عليّاً يوم غدير خمّ، فعمّمه وأرخى عَذبة العمامة من خلفه. وذكره العلامة الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ١٠.

وأخرج شيخ الإسلام الحمويني في الباب الثاني عشر من «فرائد السمطين» من طريق أحمد بن منيع بإسناده فيه عدَّةٌ من الحفّاظ الأثبات عن أبي راشد عن عليٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزَّ وجلَّ أيّدني يوم بدر، وحنين بملائكة معتمّين هذه العمّة، والعمّة الحاجز بين المسلمين والمشركين. قاله لعليٍّ لَمّا عمّمه يوم غدير خمّ بعمامة سدل طرفها على منكبه.

وأخرج بإسناد آخر من طريق الحافظ أبي سعيد الشاشي (المترجم ص ١٣٦) أنّ رسول الله ﷺ عمّم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، عمامته السحاب فأرخاها من بين يديه ومن خلفه ثمّ قال: أقبل. فأقبل، ثمَّ قال: أدبر. فأدبر، قال: هكذا جاءتني الملائكة. وبهذا اللفظ رواه جمال الدين الزرندي الحنفي في [نظم درر السمطين]، وجمال الدين الشيرازي في أربعينه، وشهاب الدين أحمد في توضيح الدلائل وزادوا: ثمَّ قال ﷺ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله.

وأخرج الحمويني بإسناد آخر من طريق الحافظ أبي عبد الرحمن ابن عائشة، عن عليٍّ قال: عمّمني رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ بعمامة فسدل نمرقها على منكبي وقال: إنَّ الله أيّدني يوم بدر وحنين بملائكة معتمِّين بهذه العمامة. وبهذا اللفظ رواه ابن الصبّاغ المالكيُّ في «الفصول المهمَّة» ص ٢٧، والحافظ الزرندي في [نظم درر السمطين]، والسيّد محمود القادريُّ المدنيُّ في «الصراط السويّ».

(فائدةٌ) قال أبو الحسين الملطي[١] في التنبيه والردّ ص ٢٦: قولهم «يعني الروافض»: عليٌّ في السحاب، فإنّما ذلك قول النبي ﷺ لعليٍّ: أقبل وهو معتمّ بعمامة للنبيّ ﷺ كانت تدعى «السحاب» فقال ﷺ: قد أقبل عليٌّ في السحاب.

(١) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي المتوفى ٣٧٧.

يعني في تلك العمامة التي تسمّى «السحاب» فتأوّلوه هؤلاء على غير تأويله.

وقال الغزالي كما في البحر الزخّار ج ١ ص ٢١٥: كانت له عمامة تسمّى السحاب فوهبها من عليٍّ فربما طلع عليٌّ فيها فيقول ﷺ: أتاكم عليٌّ في السحاب.

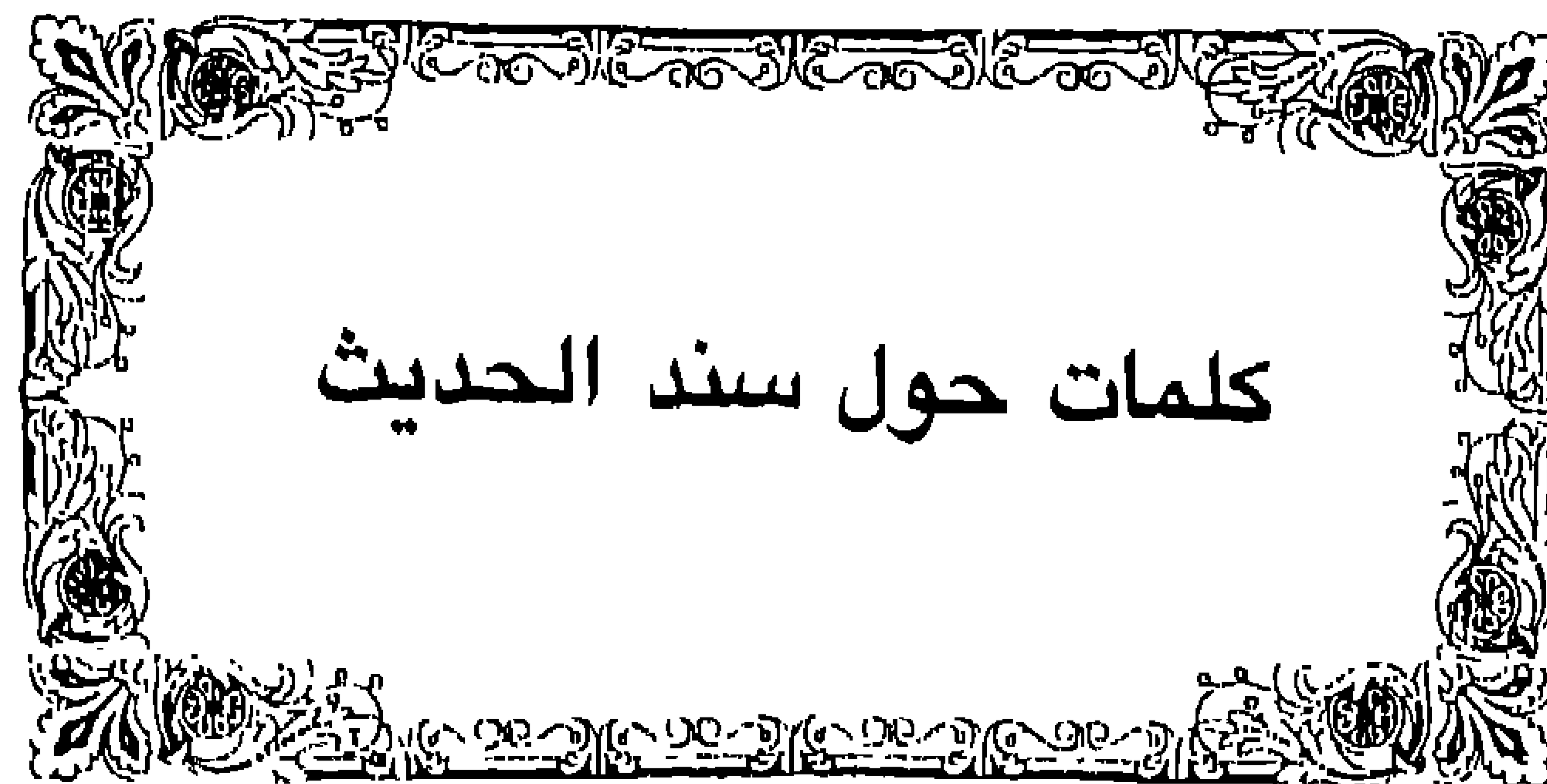
وقال الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٦٩: كان له ﷺ عمامة تسمى السحاب كساها عليَّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فكان ربما طلع عليه عليٌّ كرّم الله وجهه، فيقول ﷺ: أتاكم عليٌّ في السحاب، يعني عمامته التي وهبها له ﷺ.

قال الأميني: هذا معنى ما يُعزى إلى الشيعة من قولهم: إنّ عليّاً في السحاب. ولم يؤوّله أيُّ أحد منهم قطُّ من أوّل يومهم على غير تأويله كما حسبه الملطي، وإنّما أوّله الناس إفتراءً علينا، والله من ورائهم حسيب.

فيوم التتويج هذا أسعد يوم في الإسلام، وأعظم عيد لموالي أمير المؤمنين عليه السلام، كما أنّه مثار حنق وأحقاد لمن ناوأه من النواصب.

﴿وجوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسفِرَةٌ. ضاحِكَةٌ مستبشِرَةٌ ووجوهٌ يَوْمَئِذٍ عَليهَا غَبَرةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾.

«سورة عبس: ٣٨ ـ ٤١»



للحفّاظ الأثبات والأعلام الفطاحل

لم نندفع إلى عقد هذا البحث، بدافع الحاجة إلى إثبات صحّة الحديث، ولا دعانا إليه الإعواز عن إثبات تواتره، فإنَّ ذات الحديث وجوهريَّتها القائمة بنفسها في غنىً عن أيِّ تحوير في ذلك، ومَن ذا الذي يسعه إنكـار صحّته، ورجال كثير من أسانيده رجال الصحيحين، وأيّ متعنّد يمكنه ردُّ تواتره اللفظي في الجملة والمعنويِّ في تفاصيله والإجماليِّ في جملة من شؤونه، وقد شهد به القريب والبعيد، ورواه القاصي والداني، وأثبته أكثر المؤلِّفين في الحديث والتاريخ والتفسير والكلام، وأفرده بالتأليف آخرون، فلن تجد له إلّا رنَّة تصكُّ المسامع، منذ هتف به داعي الرشاد حتى عصرنا الحاضر، وسيبقى ذكره مخلَّداً ما تعاقب الملوان، فليس مَن يجابهه بالإنكار إلّا كمن يتعاما عن الشمس الضاحية، وإنّما راقنا البحث عمّا قيل في ذلك إصحاراً بحقيقة راهنة، ألا وهي إصفاق علماء الفريقين على صحّة الحديث وتواتره، ليعلم القارىء أنَّ مَن يحيد عن تلكم الخطَّة شاذٌّ عن الطريقة المثلى، خارجٌ تجاه ما اجتمعت عليه الامّة، وهو يقول: إنَّ الامّة لا تجتمع على خطأ. فمنهم:

١ - الحافظ أبو عيسى الترمذي المتوفّى ٢٧٩. قال في صحيحه ج ٢ ص ٢٩٨ بعد ذكر الحديث: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢ - الحافظ أبو جعفر الطحاويُّ المتوفّى ٢٧٩. قال في «مشكل الآثار» ج ٢ ص ٣٠٨: قال أبو جعفر: فدفع دافع هذا الحديث وزعم أنّه مستحيلٌ وذكر

أنّ عليّاً لم يكن مع النبيِّ ﷺ في خروجه إلى الحجِّ من المدينة الذي مرَّ في طريقه بغدير خمّ بالجحفة ،وذكر في ذلك ما قد حدَّثنا أحمد بإسناده قال: حدّثنا جعفر بن محمَّد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبدالله فذكر حديثه في حجّة النبيِّ ﷺ. فقال: فقدم عليٌّ من اليمن ببدن النبيِّ. ثمّ ذكر بقيّة الحديث.

قال أبو جعفر: فهذا الحديث صحيح الإسناد، ولا طعن لأحد في رواته، وفيه: إنّ ذلك القول كان من رسول الله ﷺ لعليٍّ بغدير خمّ في رجوعه من حجِّه إلى المدينة لا في خروجه لحجِّه من المدينة.

فقال هذا القائل: فإنّ هذا الحديث رُوي عن سعد بن أبي وقاص في هذه القصَّة، وإنّ ذلك القول إنّما كان من رسول الله ﷺ بغدير خمّ، في خروجه من المدينة إلى الحجِّ لا في رجوعه من الحجِّ إلى المدينة.

قال أبو جعفر: وكان الصحيح في ذلك أنّ الحَكم[1] ما أخذ هذا عن عائشة إبنة سعد، وإنّما أخذه عن مصعب بن سعد، كذلك رواه غير الليث في روايته المأمون عليها، الضابط لها، الحجّة فيها، وهو شعبة بن الحجّاج.

٣ ـ الفقيه أبو عبدالله المحامليُّ البغداديُّ المتوفّى ٣٣٠. صحَّحه في «أماليه» كما مرَّ ص ٨١.

٤ ـ أبو عبدالله الحاكم المتوفّى ٤٠٥. رواه بعدَّة طرق وصحَّحها في «المستدرك» كما مرَّ في محلّها.

٥ ـ أبو محمَّد أحمد بن محمَّد العاصميُّ. قال في «زين الفتى»: قال النبيُّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وهذا حديثٌ تلقّته الامَّة بالقبول، وهو موافقٌ بالاصول. ثمّ رواه بطرق شتّى كما مرَّت في محلِّها.

٦ ـ الحافظ ابن عبد البرّ القرطبيُّ المتوفّى ٤٦٣. قال في الإستيعاب ج ٢ ص ٣٧٣ بعد ذكر حديث المؤاخاة وحديثي الراية والغدير: هذه كلّها آثارٌ ثابتةٌ.

٧ ـ الفقيه أبو الحسن ابن المغازليّ الشافعيُّ المتوفّى ٤٨٣. قال في كتابه

---

(١) راجع حديث سعد بن أبي وقاص في رواة الحديث من الصحابة.

«المناقب» بعد روايته الحديث عن شيخه أبي القاسم الفضل بن محمَّد الإصبهاني: قال أبو القاسم: هذا حديثٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ وقد رواه نحو مائة نفس منهم العشرة المبشَّرة، وهو حديثٌ ثابتٌ لا أعرف له علَّة، تفرَّد عليٌّ بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحدٌ.

٨ - حجّة الإسلام أبو حامد الغزاليّ المتوفّى ٥٠٥. قال في «سرّ العالمين» ص ٩ أسفرت الحجَّة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خمّ باتِّفاق الجميع وهو يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر: بخ بخ. إلخ. يأتي تمام الكلام في المفاد إن شاء الله.

٩ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبليُّ المتوفّى ٥٩٧. قال في «المناقب» إتّفق علماء السير على أنَّ قصَّة الغدير كانت بعد رجوع النبيِّ ﷺ من حجّة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجّة، وكان معه من الصحابة ومن الأعراب وممَّن يسكن حوالي مكّة والمدينة مائة وعشرون ألفاً، وهم الذين شهدوا معه حجَّة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة، وقد أكثر الشعراء في ذلك في تلك الحكاية.

١٠ - أبو المظفر سبط ابن الجوزيِّ الحنفيُّ المتوفّى ٦٥٤. قال في تذكرته ص ١٨ بعد ذكره الحديث مع صدره وذيله وتهنئة عمر بعدّة طرق: وكلّ هذه الروايات خرَّجها أحمد بن حنبل في الفضائل بزيادات، فإن قيل: فهذه الرواية التي فيها قول عمر رضي الله عنه: أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. ضعيفةٌ. فالجواب: إنَّ هذه الرواية صحيحةٌ. وإنّما الضعيف حديثٌ رواه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب، عن عبدالله بن علي بن بشر، عن علي بن عمر الدارقطني عن أبي نصر حبشون[1] بن موسى بن أيّوب الخلال يرفعه إلى أبي هريرة، وقال في آخره: لمّا قال النبيُّ ﷺ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. نزل قوله: اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي. الآية. قالوا: وقد إنفرد بهذا الحديث حبشون ونحن نقول: نحن ما استدللنا بحديث حبشون بل

---

(١) في التذكرة: أبي نضير خيشون. وفيه تصحيف. وسنوقفك على صحة حديث حبشون.

بالحديث الذي رواه أحمد في الفضائل عن البراء بن عازب وإسناده صحيحٌ. إلى أن قال: إتّفق علماء السير على أنّ قصّة الغدير كانت بعد رجوع النبيِّ ﷺ من حجّة الوداع في الثامن عشر من ذي حجّة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. الحديث. نصَّ ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة. اهـ. وسيأتي تمام كلامه في المفاد إن شاء الله.

١١ - ابن أبي الحديد المعتزليّ المتوفّى ٦٥٥. عدّه في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٤٩ من الأخبار العامّة الشائعة من فضائل أمير المؤمنين، ومرّ عنه ص ٢٠٢: إستفاضة حديث إحتجاج أمير المؤمنين يوم الشورى وفيه حديث الغدير.

١٢ - الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعيُّ المتوفّى ٦٥٨. قال في «كفاية الطالب» ص ١٥ بعد ذكر الحديث من طرق أحمد: أقول: هكذا أخرجه في مسنده وناهيك به راوياً بسند واحد وكيف وقد جمع طرقه مثل هذا الإمام. وقال بعد روايته من طرق الحافظ أبي عيسى الترمذي في جامعه: وجمع الدارقطني الحافظ طرقه في جزء، وجمع الحافظ ابن عقدة الكوفي كتاباً مفرداً فيه، ورووا أهل السير والتواريخ قصّة غدير خمّ، وذكره محدِّث الشام في كتابه بطرق شتّى عن غير واحد من الصحابة والتابعين، أخبرني بذلك عالياً المشايخ. وروى بإسناده ص ١٧ عن المحاملي ثمَّ قال: قلت: هذا حديثٌ مشهورٌ حسنٌ روته الثقات، وانضمام هذه الأسانيد بعضها إلى بعض حجّة في صحّة النقل.

١٣ - الشيخ أبو المكارم علاء الدين السمنانيُّ المتوفّى ٧٣٦. قال في (العروة الوثقى): وقال «رسول الله» لعليّ عليه السلام وسلام الملائكة الكرام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبيَّ بعدي. وقال في غدير خمّ بعد حجّة الوداع على ملأ من المهاجرين والأنصار آخذاً بكتفه: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. وهذا حديثٌ متّفقٌ على صحّته، فصار سيِّد الأولياء وكان قلبه على قلب محمّد عليه التحيَّة والسلام، وإلى هذا السرِّ أشار سيِّد الصدّيقين صاحب غار النبيِّ ﷺ أبو بكر حين بعث أبا عبيدة ابن

الجراح إلى عليٍّ لاستحضاره قال: يا أبا عبيدة! أنت أمين هذه الامّة أبعثك إلى مَن هو في مرتبة مَن فقدناه بالأمس ينبغي أن تتكلّم عنده بحسن الأدب. إلى آخر مقالته بطولها.

١٤ - شمس الدين الذهبيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٧٤٨. مرّ ص ١٩٥: إنّه أفرد كتاباً في حديث الغدير. وذكره بطرق شتّى في «تلخيص المستدرك» وصحّح غير واحد منها ويأتيك قوله: صدر الحديث متواترٌ أتيقّن أنّ رسول الله ﷺ قاله، وأمّا: اللهمَّ وال مَن والاه. فزيادةٌ قويّةُ الإسناد. واعتمد على تصحيحه جمعٌ من أعلام أصحابه كما ستقف على كلمات بعضهم.

١٥ - الحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعيُّ الدمشقيُّ المتوفّى ٧٧٤. روى في تأريخه ج ٥ ص ٢٠٩ عن سنن الحافظ النسائي، عن محمّد بن المثنّى، عن يحيى بن حمّاد، عن أبي عوانة عن الأعمش «سليمان» عن حبيب بن ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم بلفظه المذكور بطريق النسائي ص ٥٢ ثمّ قال: تفرَّد به النسائي من هذا الوجه[١] قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديثٌ صحيحٌ، وروى حديث المناشدة في الرحبة، وقال: هذا إسنادٌ جيِّدٌ. ورواه بطرق أحمد عن زيد وقال: هذا إسنادٌ جيِّدٌ رجاله ثقات على شرط السنن، وقد صحّح الترمذي بهذا السند حديثاً في الريث. ورواه بطريق ابن جرير الطبري، عن سعد بن أبي وقاص، وقال: قال شيخنا الذهبي: وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٢] ورواه بطريق آخر عن جابر بن عبدالله وقال: قال شيخنا الذهبي: هذا حديثٌ حسنٌ. ورواه بطرق اخرى ثمّ قال: قال الذهبيُّ: وصدر الحديث متواترٌ أتيقّن أنّ رسول الله قاله. وأمّا: اللهمَّ وال مَن والاه. فزيادةٌ قويّة الإسناد.

١٦ - الحافظ نور الدين الهيثميُّ المتوفّى ٨٠٧. روى في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٤ - ١٠٩ حديث الركبان المذكور من طريق أحمد، والطبراني،

---

(١) تحكم باطل يظهر على من راجع طرق زيد من كتابنا ص ٥٢ - ٦١.
(٢) لا أعرف للحديث غرابة إلّا كونه في فضل أمير المؤمنين (ع).

فقال: رجال أحمد ثقاتٌ. وروى حديث المناشدة من طريق أحمد عن أبي الطفيل، وقال: رجاله رجال الصحيح إلّا فطر وهو ثقةٌ. ورواه من طريق أحمد الآخر عن سعيد بن وهب وقال: رجاله رجال الصحيح. ورواه من طريق البزّار عن سعيد، وزيد ثمّ قال: رجاله رجال الصحيح إلّا فطر وهو ثقة. ورواه من طريق أبي يعلى عن عبد الرحمن بن أبي يعلى ووثّق رجاله. ورواه من طريق أحمد، عن زياد بن أبي زياد ووثّق رجاله. ورواه عن حُبشي بن جنادة، من طريق الطبراني، ووثّق رجاله. ورواه بطرق وأسانيد أُخرى وصحّحها ووثّق رجالها كما مرّت في محلّها.

١٧ ـ شمس الدين الجزريُّ الشافعيُّ المتوفّى ٨٣٣. روى حديث الغدير بثمانين طريقاً، وأفرد في إثبات تواتره رسالته «أسنى المطالب» المطبوعة، وقال بعد ذكر مناشدة أمير المؤمنين يوم الرحبة: هذا حديثٌ حسنٌ من هذا الوجه صحيحٌ من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهو متواترٌ أيضاً عن النبيِّ ﷺ رواه الجمُّ الغفير عن الجمّ الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لا إطّلاع له في هذا العلم فقد ورد مرفوعاً عن أبي بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعبّاس بن عبد المطلب وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عبّاس، وحُبشي بن جنادة وعبدالله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعمّار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأسعد بن زرارة، وخزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وسهل بن حنيف وحذيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، وصحَّ عن جماعة منهم ممَّن يحصل القطع بخبرهم، وثبت أيضاً أنَّ هذا القول كان منه ﷺ يوم غدير خمّ كما أخبرنا شيخنا أبو عمر محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي قراءة عليه: أخبرنا الإمام فخر الدين عليّ بن أحمد المقدسي. ثمَّ ذكر حديث المناشدة بعدَّة طرق.

١٨ - الحافظ ابن حجر العسقلانيُّ المتوفّى ٨٥٢. رواه في «تهذيب التهذيب» في مواضع بعدّة طرق منها ج ٧ : ٣٣٧، وقال في ص ٣٣٩ : قلت: لم يجاوز المؤلّف (أبو الحجّاج المزّي المتوفّى ٧٤٢) ما ذكر ابن عبد البر وفيه مقنعٌ ولكنه ذكر حديث الموالاة عن نفر سمّاهم فقط، وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلّف فيه أضعاف مَن ذكر، وصحّحه واعتنى بجمع طرقه أبو العبّاس ابن عقدة، فأخرجه من حديث سبعين صحابيّاً أو أكثر. وقال في فتح الباري ج ٧ ص ٦١ : وأوعب من جمع مناقبه (يعني عليّاً) من الأحاديث الجياد النسائي في كتاب «الخصائص» وأمّا حديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدّاً، وقد إستودعها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاحٌ وحسانٌ. وقد روينا عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن عليٍّ بن أبي طالب.

١٩ - أبو الخير الشيرازيُّ الشافعيُّ (المترجم ص ١٦٩). قال في (إبطال الباطل) الذي ردَّ به على نهج الحقّ: وأمّا ما رُوي من أنَّ رسول الله ﷺ ذكره يوم غدير خمّ حين أخذ بيد عليٍّ وقال: ألست أولى؟ فقد ثبت هذا في الصحاح وقد ذكرنا سرَّه في ترجمة كتاب [كشف الغمّة في معرفة الأئمة].

٢٠ - الحافظ جلال الدين السيوطيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٩١١. قال: إنّه حديثٌ متواترٌ. وحكاه عنه غير واحد ممن تأخّر عنه كما يأتي.

٢١ - الحافظ أبو العباس شهاب الدين القسطلانيُّ المتوفّى ٩٢٣. قال في «المواهب اللدنيّة» ج ٧ ص ١٣ : وأمّا حديث الترمذي والنسائي: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال الشافعيُّ: يريد بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى: ﴿ذلك بأنَّ الله مَولى الَّذينَ آمنوا وأنَّ الكافرينَ لا مَولى لهم﴾. وقول عمر: أصبحت مولى كلِّ مؤمن. أي: وليّ كلِّ مؤمن، وطرق هذا الحديث كثيرةٌ جدّاً إستوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد له وكثيرٌ من أسانيدها صحاحٌ وحسانٌ.

٢٢ - الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيتميُّ المكيُّ المتوفّى ٩٧٤. قال في «الصواعق المحرقة» ص ٢٥ عند ردِّ استدلال الشيعة بحديث الغدير:

وجـواب هذه الشبهـة التي هي أقوى شبههم يحتـاج إلى مقدِّمـة، وهي بيـان الحديث ومخرجه، وبيانه: انّه حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعةٌ كـالترمـذي والنسائي، وأحمـد، فطرقـه كثيرةٌ جـداً، ومن ثمّ رواه ستة عشـر صحابيّاً، وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابيّاً، وشهدوا به لعلي لَمّا نوزع أيّام خلافته كما مرّ وسيأتي، وكثيرٌ من أسانيدها صحاحٌ وحسانٌ، ولا التفات لمن قدح في صحّته ولا لمن ردّه بأنَّ عليّاً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحجَّ مع النبيِّ ﷺ. وقول بعضهم: إنَّ زيادة اللهمَّ وال مَن والاه. إلى آخره موضوعةٌ مردودٌ فقد ورد ذلك من طرق صحَّح الذهبيُّ كثيراً منها، ثمّ تكلَّم في مقام الردِّ عليه في تواتره تارةً وفي مفـاده اخرى فقـال: ولفظه عنـد الطبراني وغيره بسند صحيح أنَّه ﷺ خطب بغدير خمّ تحت شجرات فقال: أيّها الناس! انَّه قد نبأني اللطيف الخبير. إلى آخر ما مرّ ص ٤٩ - ٥٠.

وقال في ص ٧٣ في عدِّ مناقب أمير المؤمنين عليـه السلام: الحـديث الرابع: قال ﷺ يوم غـدير خمّ: مَن كنت مـولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. الحديث وقد مرَّ في حادي عشر الشبه وأنَّـه رواه عن النبيِّ ﷺ ثلاثون صحابيّاً[1] وأنّ كثيراً من طرقه صحيحٌ أو حسنٌ، ومرَّ الكلام ثَمَّ على معناه مستوفى. وقال في شرح همزيَّة البوصيري ص ٢٢١ في شرح قوله:

وعـليٌّ صنــو الـنبـيِّ ومَن　　　دين فؤادي وداده والــولاءُ

أي مناصرته والذبُّ عنه، والردّ على مَن نازع في خلافته، ولم يبال بوقوع الإجماع عليها وعلى مَن خرجوا عليه ونازعوه الأمر ورموه بما هو بريءٌ منه، وذلك عملاً بما صحّ عنه ﷺ وهو: اللهمّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه، انّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي، ولتأكيد الذبِّ عنه لكثرة أعدائه من بني اميَّة والخوارج الذين بالغوا في سبِّه وتنقيصه مدَّة ألف شهر حتى المنابر خصَّه

(١) هؤلاء هم الشهود لعلي عليه السلام يوم الرحبة لا كل رواة الحديث.

الناظم بذلك، ولهذا اشتغل جهابذة الحفّاظ ببثّ فضائله رضي الله عنهُ نصحاً للأُمّة ونصرةً للحق، ومِن ثَمَّ قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعليّ. وقال إسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بأسانيد الصحاح الحسان أكثر ما ورد في حق عليّ، فمن ذلك ما صحَّ: انَّ الله تعالى يحبّه وانَّ رسول الله ﷺ يحبّه. بل روى الترمذي: إنه كان أحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ. إلى أن قال: وإنَّ آية المباهلة (سورة آل عمران ٦٠) لَمّا نزلت دعا ﷺ عليّاً وفاطمة وابنيها وقال: اللهمّ هؤلاء أهلي. وانّه قال: أنا سيِّد ولد آدم وعليٌّ سيِّد العرب. لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا، وانّه قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، رواه ثلاثون صحابياً. وانَّ الله تعالى أمره أن يحبَّ أربعة وأخبره بأنه يحبّهم منهم عليٌّ. وانّه لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق. وانّ من سبَّه فقد سبَّ النبيَّ ﷺ. وانّه يقاتل على (تأويل) القرآن كما قاتل ﷺ على تنزيله. وانّه يهلك فيه إثنان: محبٌّ مفرطٌ، ومبغضٌ مبهتٌ. وأنّ قاتله اللعين ابن ملجم أشقى الآخرين، كما أنَّ عاقر الناقة أشقى الأوَّلين.

٢٣ ـ جمال الدين الحسينيُّ الشيرازيُّ المتوفّى ١٠٠٠. قال في (أربعينه) بعد ذكر حديث الغدير، ونزول آية سأل سائلٌ في القضيَّة: أصل هذا الحديث سوى قصَّة الحارث تواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو متواترٌ عن النبيِّ ﷺ أيضاً، رواه جمعٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ من الصحابة فرواه ابن عبّاس، ثمَّ روى لفظ ابن عبّاس، وحذيفة ابن أُسيد الغفاري، وحديث الركبان.

٢٤ ـ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن صلاح الدين الحنفيُّ. قال في [المعتصر من المختصر] ص ٤١٣: روى أبو الطفيل واثلة بن الأسقع[1] قال: جمع الناس عليّ بن أبي طالب في الرحبة فقال: أُنشد بالله عزَّ وجلَّ كلَّ امرىء سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ يقول ما سمع؟ فقام أناس من الناس فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال يوم غدير خمّ: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من

(١) كذا في المعتصر والصحيح: أبو الطفيل عامر بن واثلة.

أنفسهم، وهو قائمٌ ثمَّ أخذ بيد عليّ فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه. قال أبو الطفيل: فخرجت وفي نفسي منه شيء فلقيت زيد بن أرقم فأخبرته فقال: ما تتّهم أنا سمعته من رسول الله ﷺ. لا يُلتفت إلى مَن أنكر خروج عليّ إلى الحجّ مع النبيّ ﷺ ومروره في طريقه بغدير خمّ، وقال: قدم عليٌّ من اليمن بالبدن، لأنّه وإن لم يكن معه في خروجه إلى الحجّ فكان معه في رجوعه على طريقه الذي كان مروره به بغدير خمّ، فيحتمل أنّه كان هذا الكلام في الرجعة يؤيّده الحديث الصحيح: إنّه كان القول من رسول الله ﷺ بغدير خمّ في رجوعه إلى المدينة من حجّه عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل بغدير خمّ أمر بدوحاته فقممن. وذكر الحديث بلفظ زيد المذكور من طريق النسائي ص ٥٣.

٢٥ ـ الشيخ نور الدين الهرويّ القاري الحنفيّ المتوفّى ١٠١٤. قال في [المرقاة شرح المشكاة] ج ٥ ص ٥٦٨ بعد رواية الحديث بطرق شتّى: والحاصل أنَّ هذا حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه، بل بعض الحفّاظ عدّه متواتراً إذ في رواية لأحمد أنّه سمعه من النبيّ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعليّ لمّا نوزع أيّام خلافته[1] وقال ص ٥٨٤: رواه أحمد في مسنده وأقلّ مرتبته أن يكون حسناً، فلا إلتفات لمن قدح في ثبوت هذا الحديث. وأبعد من ردّه بأنَّ عليّاً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحجّ مع النبيّ ﷺ ولعلّ سبب قول هذا القائل أنّه وهم أنَّ النبيّ ﷺ قال هذا القول عند وصوله من المدينة إلى غدير خمّ. ثم قول (بعضهم): انَّ زيادة اللهمّ والِ مَن والاه. موضوعةٌ مردودٌ فقد ورد من طرق صحّح الذهبيُّ كثيراً منها.

٢٦ ـ زين الدين المناوي الشافعيُّ المتوفّى ١٠٣١. قال في «فيض القدير» ج ٦ ص ٢١٨: قال ابن حجر: حديثٌ كثير الطرق جِدّاً، قد إستوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد منها صحاحٌ ومنها حسانٌ. وفي بعضها: قال ذلك يوم

---

(١) إذا كان بلوغ رواة الحديث ثلاثين موجباً لتواتر فكيف به إذا أنهيناهم في هذا الكتاب إلى ما ينيف على المائة صحابياً؟ ثم كيف به إذا أنهاهم الحافظ أبو العلاء العطار إلى مائتين وخمسين طريقاً؟.

غدير خمّ، وزاد البزّار[١] في روايته: اللهمَّ وال مَن والاه، وعـاد مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبَّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل من خذله، وَلمّا سمع أبو بكر، وعمر ذلك قالا فيما أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وأخرج أيضاً: قيل لعمر: إنك تصنع بعليّ شيئاً لا تصنعه بأحد من الصحابة قال: إنّه مولاي. ثمَّ قال: بعد رواية حديث نزول آية: سألَ سائل بِعذابٍ واقِع يوم الغدير: قال الهيثميُّ: رجال أحمد ثقاتٌ. وقال في موضع آخر: رجاله رجال الصحيح وقال المصنِّف (السيوطي) حديثٌ متواترٌ.

٢٧ - نور الدين الحلبيُّ الشافعيُّ ١٠٤٤. ذكر في «السيرة الحلبيَّة» ج ٣ ص ٣٠٢ ما مرَّ عن ابن حجر من صحَّة الحديث، ووروده بأسانيد صحاح وحسانٍ وعدم الإلتفات إلى القادح في صحَّته، وعدم كون ذيله موضوعاً، ووروده من طرق صحَّح الذهبيُّ كثيراً منها.

٢٨ - الشيخ أحمد بن باكثير المكيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٤٧. قال في «وسيلة المآل في مناقب الآل» بعد رواية الحديث بلفظ حذيفة بن أُسيد، وعامر بن ليلى، وابن عباس، والبراء بن عازب: أخرج هذه الرواية البزّار برجال الصحيح عن فطر بن خليفة وهو ثقةٌ. وعن أُم سلمة رضي الله عنها فذكر لفظها ثمَّ لفظ سعد بن أبي وقاص فقال: أخرج الدارقطني في الفضائل عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول: عليّ بن أبي طالب عترة رسول الله ﷺ أي الذي حثَّ النبيّ ﷺ على التمسّك بهم والأخذ بهديهم، فإنّهم نجوم الهدى من إقتدى بهم إهتدى، وخصّه أبو بكر بذلك رضي الله عنه لأنَّه الإمام في هذا الشأن وباب مدينة العلم والعرفان، فهو إمام الأئمة وعالم الأُمَّة، وكأنّه أخذ ذلك من تخصيصه ﷺ له من بينهم يوم غدير خمّ بما سبق، وهذا حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه ولا شكّ ينافيه، ورُوي عن الجمِّ الغفير من الصحابة وشاع واشتهر، وناهيك بمجمع حجَّة الوداع، قال شيخ

---

(١) إضافة هذه الزيادة إلى البزار فحسب تحكم باطل وقد أخرجها زرافات من الحفاظ كما أوقفناك عليه.

الإسلام العسقلاني رحمه الله تعالى: حديث مَن كنت مولاه. أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدّاً، وقد إستوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثيرٌ من أسانيدها صحاحٌ وحسانٌ. ويدلّ على ذلك ما روى أبو الطفيل رضي الله عنه: انّ عليّاً رضي الله عنه وكرّم وجهه جمع الناس وهو خليفة في الرحبة موضعٌ بالعراق، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه. إلى آخر اللفظ المذكور ص ٢١٨.

٢٩ ـ الشيخ عبد الحق الدهلويُّ البخاريُّ المتوفّى ١٠٥٢. قال في شرح المشكاة ما تعريبه: وهذا الحديث صحيحٌ بلا شك، رواه جمعٌ مثل الترمذي، والنسائي، وأحمد وطرقه كثيرة رواه ستة عشر صحابيّاً، وفي رواية: سمعه عن النبيِّ ﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به، ولعليّ لَمّا نوزع أيّام خلافته. وكثيرٌ من أسانيده صحاحٌ وحسانٌ، ولا يُلتفت إلى قول مَن تكلّم في صحته ولا إلى قول بعضهم: إنَّ زيادة اللهمَّ وال مَن والاه. موضوعٌ لأنَّها رُويت بطرق شتّى صحّح أكثرها الذهبيُّ. وقال في (لمعاته): هذا حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي. إلى آخر كلامه المذكور ثمّ قال: كذا قال الشيخ ابن حجر في «الصواعق المحرقة».

٣٠ ـ الشيخ محمود بن محمَّد الشيخانيُّ القادريُّ المدنيُّ. قال في (الصراط السويّ في مناقب آل النبيِّ): ومن تلك الأحاديث الواردة الصحيحة قوله ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. أخرجه الترمذي، والنسائي والإمام أحمد وغيرهم، وكم حديث صحيح ما أخرجه الشيخان. ثمَّ روى حديث الرحبة بلفظ سعيد بن وهب، فقال: قال الذهبيُّ: هذا حديث صحيح. ثمّ ذكر رواية أحمد حديث الرحبة، عن أبي الطفيل، وزيد بن أرقم فقال: قال الحافظ الذهبيُّ: هذا الحديث صحيحٌ غريبٌ[1] ثمّ رواه من طريق أبي عوانة، عن أبي الطفيل، عن زيد فقال: قال الحافظ الذهبيُّ: هذا حديثٌ صحيحٌ. ثمَّ رواه من طريق الحافظين أبي يعلى، والحسن بن سفيان فقال: قال الحافظ الذهبيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ إتَّفق على ما ذكرنا جمهور أهل السنَّة.

---

(١) ليس لغرابته وجه بالمعنى الإصطلاحي ولا بغيره إلاّ كونه في فضل أمير المؤمنين (ع).

وأمّا ما انفرد به أهل البدع من الإسماعيليّة[١] ببلاد اليمن وخالف به أهل الجمعة والجماعة والسنن فإنَّهم قالوا في قوله ﷺ يوم غدير خمّ أي مرجعه من حجَّة الوداع بعد أن جمع أصحابه وكرَّر عليهم قوله: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ ثلاثاً وهم يجيبونه بالتصديق والإعتراف، ثمَّ رفع يد عليٍّ رضي الله عنه وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، واخذل مَن خذله، وانصر مَن نصره، وأدر الحقَّ معه حيث دار: معنى المولى في هذا الحديث: الأولى لا الناصر وغيرهما من المعاني المشتركة، قال المدَّعي من الإسماعيلية: وإنَّما أراد النبيُّ ﷺ أنَّ لعليٍّ رضي الله عنه ما لرسول الله من الولاء عليهم وجعل قوله أولاً: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ سنداً. وقال المدّعي أيضاً: لو كان المولى بمعنى الناصر والسيِّد وغيرهما لما احتاج إلى جمع الصحابة وإشهادهم، ولا أن يأخذ بيد عليٍّ ويرفعها، لأنَّ ذلك يعرفه كلّ أحد، ولا يحتاج إلى الدعاء له بقوله: اللهمَّ وال مَن والاه. إلى آخره، وقال المدّعي أيضاً: ولا يكون هذا الدعاء إلّا لإمام معصوم مفترض الطاعة بعده. وبدليل جعله الحقَّ تابعاً لعليٍّ لا متبوعاً له، ولا يكون ذلك إلّا لمن وجبت طاعته وعصمته. وقال المدّعي: فصحَّ بهذا أنَّ عليّاً رضي الله عنه هو الوصيُّ وأنَّه نصٌّ من رسول الله ﷺ وأنَّ خلافة مَن تقدّمه معصيةٌ. إنتهى إفتراء المدّعي.

أقول: قد مرَّ الأحاديث الصحاح والحسان وليس فيها جميع ما ذكره المدَّعي بل الصحيح ممّا ذكرنا: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. والصحيح ما ذكرناه أيضاً: اللهمَّ وال مَن والاه، والصحيح ما ذكرناه أيضاً: إنَّ الله وليُّ المؤمنين ومَن كنت وليَّه فهذا وليّه، اللهمَّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره. والصحيح ممّا ذكرنا أيضاً قوله ﷺ للناس: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله! قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه. والصحيح ممّا ذكرنا أيضاً:

---

(١) سيوافيك في بيان مفاد الحديث أن هذه البرهنة لم تختص بالإسماعيلية، وإنما هي مقتضى الحق الصراح، وقد قال به كل من يرى ولاءً لأمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كولائه خلافة عنه.

قوله ﷺ: كأنّي دُعيت فأجبت وانّي قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. ثمَّ قال: إنّ الله مولاي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن. ثمّ أخذ بيد عليٍّ فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهمَّ، وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. والصحيح ممّا ذكرنا أيضاً: قوله ﷺ: ألست أولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى. قال: فإنَّ هذا مولى مَن أنا مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه. فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

إنتهى ما هو الصحيح والحسان وليس في ذلك من مخترعات المدَّعي ومفترياته.(١) وقد إستوعب طرق الأحاديث المذكورة وغيرها ابن عقدة في كتاب مفرد.

٣١ ـ السيّد محمَّد البرزنجيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١١٠٣. قال في تـأليفه (النواقض): إعلم أنَّ الشيعة يدَّعون أنَّ هذا الحديث نصٌّ جليٌّ في إمامة عليٍّ رضي الله عنه وهو أقوى شبههم. والقدر الذي ذكرناه وهو: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. من دون تلك الزيادة من الحديث صحيحٌ وروي من طرق كثيرة(٢).

٣٢ ـ ضياء الدين المقبليُّ المتوفّى ١١٠٨. عدَّ حديث الغدير في كتابه ـ الأبحاث المسدَّدة في الفنون المتعدِّدة ـ من الأحاديث المتواترة المفيدة للعلم.

وفي تعليق [هداية العقول إلى غاية السئول] ج ٢ ص ٣٠: نقل العلامة السيِّد عبدالله بن علي الوزير في «طبق الحلوى» تاريخه المعروف عن السيِّد محمَّد إبراهيم: انَّ حديث مَن كنت مولاه. له مائة وخمسون طريقاً، لكن لم يعرف كلّ ذلك من حفّاظ الحديث إلاّ الأفراد، وقال السيِّد العلامة محمَّد(٣) بن

---

(١) لم يأت المدعي إلاّ بشيء مما صححه هذا الرجل ولم يزد عليه إلا بياناً في سرد الإحتجاج به (ولا مناص له من ذلك) فإن كان له نظر في الحجة فلماذا لم يبده؟ وستقف على لباب القول في هذه كلها إن شاء الله تعالى.

(٢) مر الإيعاز إلى نص الحفاظ على صحة صدر الحديث وذيله وأنها قويا الإسناد وسيوافيك القول الفصل في (القرائن المعينة) من الكتاب **إن شاء الله** تعالى.

(٣) أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر تأتي هناك ترجمته.

إسماعيل الأمير رحمه الله: انَّ له مائة وخمسين طريقاً. قال العلامة المقبلي (المترجم ص ١٧٩) بعد سرده لبعض طرق هذا الحديث: فإن لم يكن هذا معلوماً فما في الدين معلومٌ. وجعل هذا في الفصول من المتواتر لفظاً وكذلك حديث المنزلة، وأقرَّ الجلال كلام الفصول في تواتر حديث الغدير ولم يسلّمه في حديث المنزلة قال: وإنّما هو (يعني حديث المنزلة) صحيحٌ مشهورٌ لا متواتر[١].

وقال السيِّد الأمير محمَّد الصنعاني المذكور في - الروضة النديَّة شرح التحفة العلويَّة -: وحديث الغدير متواترٌ عند أكثر أئمَّة الحديث، قال الحافظ الذهبيُّ في تذكرة الحفّاظ في ترجمة الطبري: ألَّف محمَّد بن جرير فيه كتاباً. وقال الذهبيُّ: وقفت عليه فاندهشت لكثرة طرقه. وقال الذهبيُّ في ترجمة الحاكم: فله طرقٌ جيِّدةٌ أفردتها بمصنَّف. قلت: عدَّه الشيخ المجتهد نزيل حرم الله ضياء الدين صالح بن مهدي المقبلي في الأحاديث المتواترة التي جمعها في أبحاثه، وهو من أئمة العلم والتقوى والإنصاف، ومع إنصاف الأئمَّة بتواتره فلا يُملّ بإيراد طرقه بل يُتبرَّك ببعض منها.

٣٣ - الشيخ محمَّد صدر العالم. قال في - معارج العلى في مناقب المرتضى -: ثمّ اعلم أنَّ حديث الموالاه متواترٌ عند السيوطيِّ رحمه الله كما ذكره في (قطف الأزهار) فأردت أن أسوق طرقه ليتَّضح التواتر فأقول: أخرج أحمد والحاكم عن ابن عباس وابن أبي شيبة وأحمد عنه عن بريدة. وأحمد وابن ماجة عن البرآء. والطبراني عن جرير. وأبو نعيم عن جندع الأنصاري. وابن قانع عن حُبشي بن جنادة. والترمذي وقال: حسنٌ غريبٌ. والنسائي والطبراني والضياء المقدسي عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم أو حذيفة بن أسيد. وابن أبي شيبة والطبراني عن أبي أيوب. وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والضياء عن سعد بن أبي وقاص. والشيرازي في الألقاب عن عمر. والطبراني عن مالك بن الحويرث. وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم

---

(١) خفي عليه تواتر حديث المنزلة وأنه من المتفق عليه.

وابن عقدة في كتاب الموالاة عن حبيب بن بديل بن ورقاء وقيس بن ثابت وزيد بن شراحيل الأنصاري. وأحمد عن عليٍّ وثلاثة عشر رجلاً. وابن أبي شيبة عن جابر. وأخرج أحمد وابن أبي عاصم في السنَّة عن زاذان بن عمر قال: سمعت عليّاً في الرحبة (فذكر إلى آخر الحديث) ثمَّ قال: وأخرج أحمد عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم (فذكر لفظهما ثمَّ قال): وأخرج الطبراني عن ابن عمر. وابن أبي شيبة عن أبي هريرة وإثني عشر من الصحابة. وأحمد والطبراني والضياء عن أبي أيّوب وجمع من الصحابة. والحاكم عن عليّ وطلحة. وأحمد والطبراني والضياء عن عليّ وزيد بن أرقم وثلاثين رجلاً من الصحابة. وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن سعد. والخطيب عن أنس. وأخرج عبدالله بن أحمد وأبو يعلى وابن جرير والخطيب والضياء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّاً في الرحبة (فذكر الحديث بتمامه) ثمَّ قال: وأخرج الطبراني عن عمرو بن مرَّة وزيد بن أرقم معاً. وأخرج الطبراني والحاكم عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم (فذكر الحديث باللفظ الذي أسلفناه) فقال: وأخرج الطبراني عن حُبشي بن جنادة. وأخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة عن زيد بن أرقم والبراء بن عازب.

٣٤ ـ السيِّد ابن حمزة الحرّانيُّ الدمشقيُّ الحنفيُّ المتوفّى ١١٢٠. روى حديث الغدير في كتابه «البيان والتعريف» ج ٢ ص ١٣٦ و٢٣٠ من طرق الترمذي والنسائي والطبراني والحاكم والضياء المقدسي، ثمّ قال: قال السيوطي حديثٌ متواترٌ.

٣٥ ـ أبو عبدالله الزرقانيُّ المالكي المتوفّى ١١٢٢. قال في «شرح المواهب» ج ٧ ص ١٣ بعد ذكر كلام المصنف المذكور ص ٣٥٢ وخصّه لمزيد علمه، ودقائق إستنباطه وفهمه، وحسن سيرته، وصفاء سريرته، وكرم شيمه، ورسوخ قدمه (إلى أن قال): وللطبراني وغيره بإسناد صحيح: انَّه ﷺ خطب بغدير خمّ وهو موضعٌ بالجحفة برجعه من حجَّة الوداع (فذكر الحديث) وفيه: يا أيّها الناس! إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وأحبَّ من أحبَّه،

وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأدر الحق معه حيث دار. وزعم بعضٌ أنَّ زيادة: اللهمّ وال. إلخ. موضوعةٌ، مردودةٌ بأنَّ ذلك جاء من طرق صحّح الذهبي كثيراً منها، وروى الدارقطني عن سعد قال: لَمّا سمع أبو بكر وعمر ذلك قالا: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (ثمّ ذكر حديث نزول آية سألَ سائِلٌ حول القضيّة وترجم ابن عقدة وأثنى عليه فقال): وهو متواترٌ رواه ستّة عشر صحابيّاً[١] وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النبيِّ ﷺ ثلاثون صحابيّاً وشهدوا به لعلّي لَمّا نوزع أيّام خلافته، فلا إلتفات إلى مَن قدح في صحّته ولا لمن ردَّه بأنّ عليّاً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحجَّ معه ﷺ.

٣٦ ـ شهاب الدين الحفظيُّ الشافعيُّ، أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر. قال في ـ ذخيرة الأعمال في شرح عقد جواهر اللآل ـ: هذا حديث صحيحٌ لا مرية فيه أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرةٌ. قال الإمام أحمد رحمه الله وشهد به لعليٍّ ثلاثون صحابيّاً لَمّا نوزع أيّام خلافته.

٣٧ ـ ميرزا محمّد البدخشي. قال في «نزل الأبرار» ص ٢١: هذا حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ، ولم يتكلّم في صحته إلّا متعصّبٌ جاحدٌ لا اعتبار بقوله، فإنَّ الحديث كثير الطرق جِدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وقد نصَّ الذهبيُّ على كثير من طرقه بالصحّة، ورواه من الصحابة عددٌ كثيرٌ.

وقال في [مفتاح النجا في مناقب آل العبا]. أخرج الحكيم في «نوادر الاصول» و الطبراني بسند صحيح في الكبير عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أُسيد رضي الله عنه: إنَّ رسول الله ﷺ خطب بغدير خمّ تحت شجرة فقال: يا أيّها الناس! قد نبّأني اللطيف الخبير ـ إلى آخر ما مرَّ ص ٥٠ ـ فقال: وأخرج أحمد عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهما ـ باللفظ الذي أسلفناه ص ٥٣ ـ ثمَّ قال: وأخرج أحمد عن عليٍّ وأبي أيّوب الأنصاري. وعمرو بن

(١) هذا ما وصلت إليه حيطته وهو يرى تواتر الحديث به، وقد أسلفنا أن رواته من الصحابة تربو على المائة.

مـرَّة. وأبو يعلى عن أبي هـريـرة. وابن أبي شيبـة عنـه وعن إثني عشـر من الصحابة. والبـزّار عن ابن عبّاس وعمـارة وبريـدة. والطبـراني عن ابن عمر ومالك بن الحويرث وأبي أيوب وجرير وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وأنس. والحاكم عن عليّ وطلحة. وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن سعد. والخطيب عن أنس رضي الله عنهم ـ ثمّ ذكر الحديث فقال: وفي رواية اخرى للطبـراني عن عمرو بن مـرَّة وزيد بن أرقم وحُبشي بن جنـادة رضي الله عنهم مرفوعاً بلفظ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، وأعن مَن أعانه. وعند ابن مردويه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما مرفوعاً: اللهمّ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، واخذل مَن خـذله، وانصـر مَن نصره، وأحبَّ مَن أحبَّـه، وأبغض من أبغضه. وفي اخرى لأبي نعيم في «فضائل الصحابة» عن زيد بن أرقم والبراء بن عازب معاً مرفوعاً: ألا إنَّ الله وليّي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن، مَن كنت مولاه فعليٌّ مـولاه. ولأحمد في روايـة اخرى. ولابن حبّـان والحاكم والحـافظ أبي بشـر إسماعيل بن عبدالله العبدي الإصبهاني المشهور بسمُّويه عن ابن عبـاس عن بريدة (وذكر لفظه) وللطبراني في رواية أُخرى عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم (وذكر لفظه) وعند الترمذي والحاكم عن زيد بن أرقم (وذكر لفظه) أقول: هذا حديثٌ صحيحٌ مشهـورٌ نصّ الحافظ أبـو عبدالله محمَّـد بن أحمد بن عثمـان الذهبيُّ التركمانيُّ الفارقيُّ ثمَّ الدمشقيُّ على كثير من طرقه بالصحَّة. وهو كثير الطرق جدّاً. وقد إستوعبها الحافظ أبو العبّاس أحمد بن محمَّد بن سعيد الكوفي المعروف بابن عقدة في كتاب مفرد. وأخرج أحمد عن أبي الطفيل قال جمع عليٌّ كرَّم الله وجهه الناس في الرحبة (ثمّ ذكر حديث الرحبة).

٣٨ ـ مفتي الشام العماديُّ الحنفيُّ الدمشقيُّ المتوفّى ١١٧١. عدَّه في ـ الصلاة الفاخرة ـ ص ٤٩ من الأحاديث المتواترة، يرويه كما قال في أوّل كتابه من عشرة مشايخ فأكثر نقلاً عن الترمذي والبزّار وأحمد والطبري وأبي نعيم وابن عساكر وابن عقدة وأبي يعلى.

٣٩ ـ أبو العرفان الصبّان الشـافعيُّ المتوفّى ١٢٠٦. قـال في (إسعاف

الراغبين) في هامش نور الأبصار ص ١٥٣ بعد رواية الحديث: رواه عن النبيِّ ثلاثون صحابياً، وكثيرٌ من طرقه صحيحٌ أو حسنٌ.

٤٠ ـ السيِّد محمود الآلوسي البغدادي المتوفّى ١٢٧٠. قال في «روح المعاني» ج ٢ ص ٢٤٩ : نعم ثبت عندنا أنّه ﷺ قال في حقِّ الأمير هناك (يعني غدير خمّ): مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وزاد على ذلك كما في بعض الروايات، لكن: لا دلالة[1] في الجميع على ما يدّعونه من الإمامة الكبرى والزعامة العظمى. وقال في ج ٢ ص ٣٥٠: قال الذهبيُّ: انّه صحيحٌ: ونقل عن الذهبيِّ أيضاً أنّه قال: إنَّ مَن كنت مولاه. متواترٌ يُتيقَّن أنَّ رسول الله قاله، وأمّا اللهمّ وال مَن والاه: فزيادةٌ قويَّةُ الإسناد.

٤١ ـ الشيخ محمّد الحوت البيروتيُّ الشافعيُّ المتوفّى ١٢٧٦. قال في «أسنى المطالب» ص ٢٢٧: حديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. رواه أصحاب السنن غير أبي داود ورواه أحمد وصحّحوه. ورُوي بلفظ: مَن كنت وليّه فعليٌّ وليّه. ورواه أحمد والنسائي والحاكم وصحّحه.

٤٢ ـ المولوي ولي الله اللكهنوي. قال في ـ مرآة المؤمنين في مناقب أهل بيت سيِّد المرسلين ـ بعد ذكر الحديث بغير واحد من طرقه ما تعريبه: وليعلم أنّ هذا الحديث صحيحٌ وله طرقٌ عديدةٌ، وقد أخطأ من تكلّم في صحته إذ أخرجه جمعٌ من علماء الحديث مثل الترمذي والنسائي، ورواه جمعٌ من الصحابة وشهدوا به لعليٍّ في أيّام خلافته، ثمّ ذكر حديث المناشدة وإصابة الدعوة.

٤٣ ـ الحافظ المعاصر شهاب الدين أبو الفيض أحمد بن محمَّد بن الصدّيق الحضرمي. قال في كتابه: «تشنيف الآذان» ص ٧٧: وأمّا حديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فتواتر عن النبيِّ ﷺ من رواية نحو ستّين شخصاً لو أوردنا أسانيد الجميع لطال بنا ذلك جدّاً، ولكن: نشير إلى مخرجيها تتميماً للفائدة، ومن أراد الوقوف على طرقها وأسانيدها فليرجع إلى كتابنا في المتواتر فنقول:

---

(١) ستقف على دلالته في بيان مفاد الحديث. وإنما الغرض من كلامه هو البخوع لصحة السند.

رواه أحمد في مسنده وابن أبي عاصم في السنّة عن عليٍّ وثلاثة عشر رجلاً من الصحابة، ورواه النسائي في الخصائص عن عليّ وبضعة عشر رجلاً، ورواه عنه وعن جماعة معه أيضاً الطحاويّ في مشكل الآثار والبزّار في المسند وابن عساكر وآخرون، ورواه ابن راهويه في المسند وابن جرير في تهذيب الآثار وابن أبي عاصم في السنّة والطّحاوي في مشكل الآثار والمحاملي في الأمالي وابن عقدة والخطيب من حديث ابن عبّاس، ورواه أحمد والنسائي في الكبرى والخصائص وابن ماجة والحسن بن سفيان والدولابي في الكنى وابن عساكر في التاريخ من حديث البراء بن عازب، ورواه أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى وابن حبّان في الصحيح والبزار والدولابي في الكنى والطبراني والحاكم وآخرون عن زيد بن أرقم، ورواه أحمد والنسائي في الكبرى والخصائص وسمّويه في فوائده وعثمان بن أبي شيبة وابن جرير في التهذيب وابن حبّان والحاكم والطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية وتاريخ اصبهان والفضائل وابن عقدة وابن عساكر من طرق تبلغ حدَّ التواتر عن بريدة، ورواه أحمد والنسائي في الكبرى والطبراني من حديث أبي أيّوب، ورواه الترمذي وابن عقدة والطبراني والدارقطني ومن طريقه ابن عساكر من حديث حذيفة بن أُسيد إلاّ أنّه عند الترمذي على الشكّ، ورواه النسائي وابن ماجة وسعيد بن منصور وابن جرير في التهذيب والبزّار وابن عقدة وابن عساكر من حديث سعد بن أبي وقّاص، ورواه ابن أبي شيبة والبزّار في مسنديهما وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عقدة، ورواه الطبراني في الصغير وابن عقدة وأبو نعيم في الحلية والتاريخ والخطيب وابن عساكر من حديث أنس بن مالك، ورواه الحاكم والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في التاريخ وابن عساكر من حديث أبي سعيد ورواه عثمان بن أبي شيبة والنسائي في سننهما وابن عقدة وأبو يعلى والطبراني والبانياسي في جزئه وأبو نعيم في تاريخ إصبهان وابن عساكر في تاريخ دمشق من حديث جابر بن عبدالله، ورواه الطبراني من حديث عمرو بن ذي مرّة، ورواه عثمان بن أبي شيبة في سننه وابن عقدة والطبراني وابن عدي ومن طريقه ابن عساكر من حديث ابن عمر، ورواه ابن عقدة والطبراني وابن عساكر من حديث مالك بن الحويرث،

ورواه أبو نعيم في الحلية والطبراني وأبو طاهر المخلص وابن قانع وابن عساكر عن حُبشي بن جنادة، ورواه الطبراني وابن عقدة من حديث جرير بن عبدالله البجلي، ورواه البزّار من حديث عمارة، والطبراني وابن عقدة وابن عساكر من حديث عمّار بن ياسر، وابن عساكر من حديث رباح بن الحارث، ومن حديث عمر بن الخطاب، ومن حديث نُبيط بن شُريط، ورواه ابن عقدة وابن عساكر من حديث سمرة بن جندب، ورواه الطوسي في أماليه من حديث أبي ليلى، ورواه أبو نعيم في الصحابة من حديث جندب الأنصاري، ورواه ابن عقدة في كتاب الموالاة من حديث جماعة بأسانيد متعدِّدة منهم: حبيب بن بُديل، وقيس بن ثابت، وزيد بن شرحبيل، والعبّاس بن عبد المطلب، والحسن بن علي وأخوه، وعبدالله بن جعفر، وسلمة بن الأكوع، وزيد بن أبي ثابت، وأبو ذر، وسلمان الفارسي، ويعلى بن مرّة، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن حنيف، وأبو رافع، وزيد بن حارثة، وجابر بن سمرة، وضمرة الأسلمي، وعبدالله بن أبي أوفى، وعبدالله بن بسر المازني، وعبد الرحمن بن يعمر الديلمي، وأبو الطفيل، وسعد بن جنادة، وعامر بن عميرة، وحبَّة بن جوين؛ وأبو أمامة، وعامر بن ليلى، ووحشي بن حرب، وعائشة، وأُم سلمة، ورواه الحاكم من حديث طلحة بن عبيدالله . . .

﴿وتَمَّت كَلِمةُ ربِّكَ صِدقاً وَعَدلاً لا مُبدِّلَ لِكَلِماتِهِ
وَهوَ السَّميعُ العليِمُ. وَإن تُطِع أكثَرَ مَن في
الأرضِ يُضِلّوكَ عَن سَبيلِ الله إنْ يَتَّبِعُونَ
إلاَّ الظنَّ وَإن هُم إلاَّ يَخرُصُونَ﴾

(سورة الأنعام ١١٥، ١١٦)



﴿وأن احكمْ بَينهم بِما أنزلَ الله وَلا تتَّبع أهوائَهم﴾

[سورة المائدة / الآية ٤٩].

لقد أوقفك البحث والتنقيب البالغان على زرافات من علماء الأُمَّة وحفّاظ الحديث ورؤساء المذهب (السنَّة والجماعة) رووا حديث الغدير وأخبتوا وسكنوا إليه وعلى آخرين رووا عنه كلَّ ريبة وشك، وحكموا بصحة أسانيد جمَّة من طرقه، وحسن طرق أُخرى، وقوَّة طائفة منها، وهناك امّة من فطاحل العلماء حكموا بتواتر الحديث، وشنّعوا على من أنكر ذلك، ولقد علمت أنَّ من رواه من الصحابة في ما وقفنا على روايته مائة وعشرة صحابيّ، ومرَّ ص ١٩٤ أنَّ الحافظ السجستاني رواه عن مائة وعشرين صحابيّاً. وأسلفنا ص ١٩٨ عن الحافظ أبي العلاء الهمداني: انّه رواه بمائتي وخمسين طريقاً وعليه فقس رواية التابعين ومن بعدهم في الأجيال المتأخرة. فلن تجد فيما يُؤثر عن رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم حديثاً يبلغ هذا المبلغ من الثبوت واليقين والتواتر. وقد أفرد شمس الدين الجزري (المترجم ص ١٦٦) رسالة في إثبات تواتره ونسب منكره إلى الجهل، فهو كما مرّ ص ٣٥٩ عن الفقيه ضياء الدين المقبلي: إن لم يكن معلوماً فما في الدين معلومٌ. وص ٣٤٧ عن العاصمي: حديثٌ تلقّته الأمّة بالقبول، وهو موافقٌ بالأصول. وص ٣٤٨ عن الغزالي: انه أجمع الجمهور على متنه. وص ٣٤٧: إتّفق عليه جمهور أهل السنَّة. وص ٣٦٢ عن البدخشي: حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ ولم يتكلّم في صحته إلاّ متعصّبٌ جاحدٌ لا اعتبار بقوله وص ٣٥٠: انّه حديثٌ متّفقٌ على صحته، وإنّ صدره متواترٌ يُتيقّن أنّ رسول الله قاله، وذيله زيادةٌ قويّة

الإسناد. وص ٣٦٤: انه حديثٌ صحيحٌ قد أخطأ من تكلّم في صحته. وص ٣٦٣: انّه حديثٌ مشهور كثير الطرق جدّاً. ص ٣٦٤ من قول الآلوسي: نعم ثبت عندنا أنّه ﷺ قاله في حق عليّ. وص ٣٥٥، حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه. وص ٣٥١، ٣٥٤أ: انّه متواترٌ عن النبيّ ﷺ ومتواترٌ عن أمير المؤمنين أيضاً، رواه الجمّ الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا إطّلاع له في هذا العلم (يعني علم الحديث). وص ٣٥٧: انّه حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه ولا شكّ ينافيه، ولا يُلتفت إلى قول مَن تكلّم في صحته، ولا إلى قول مَن نفى الزيادة. وص ٣٥١: انّه متواترٌ لا يُلتفت إلى مَن قدح في صحته وصحَّ عن جماعة ممّن يحصل القطع بخبرهم. وص ٣٤٨ عن الاصبهاني: حديث صحيحٌ ثابتٌ لا أعرف له علّةً، قد رواه نحو مائة نفس منهم العشرة المبشرة. إلى كلمات اخرى ذُكرت مفصّلة.

لكن بين ثنايا العصبيَّة ومن وراء رَبَوات الأحقاد حثالةٌ حدى بهم الإنحياز عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى تعكير هذا الصفو وإقلاق تلك الطمأنينة بكلّ جلبة وَلغط، فمن منكر صحّة صدور الحديث[١] معلّلاً بأنَّ عليّاً كان باليمن وما كان مع رسول الله في حجّته تلك. إلى آخر ينكر صحَّة صدر الحديث[٢] ويقول: يروه أكثر مَن رواه. إلى ثالث يضعِّف ذيله[٣] ويقول: لا ريب أنَّه كذبٌ. ورابع يطعن في أصله، ويعتبر الدعاء الملحق به[٤] ويقول: لم يخرِّج غير أحمد إلاّ الجزء الأخير من قوله ﷺ اللهمّ وال مَن والاه. إلخ.

وقد عرفت تواتر الجميع والإتّفاق على صحته ونصوص العلماء على إعتبار هذه كلّها، غير آبهين بكلِّ ما هناك من الصخب واللَّغَب، فالإجماع قد سبق المهملجين ولحقهم حتّى لم يبق لهم في مستوى الإعتبار مقيلا.

---

(١) حكاه الطحاوي وغيره عن بعض وأجابوا عنه كما سبق ص٣٤٦ - ٣٥٠.
(٢) التفتازاني في المقاصد ص ٣٩٠ وقلده بعض من تأخر عنه.
(٣) ابن تيمية في منهاج السنة ج ٤ ص ٨٥.
(٤) محمد محسن الكشميري في نجاة المؤمنين.

وهناك مَن يقول تارةً: إنّه لم يروه علماؤنا[١] واخرى: إنّه لا يصحّ من طريق الثقات[٢] وقلّده بعض مقلّدي المتأخرين وقـال: لم يذكـره الثقات من المحدِّثين[٣] وهو بنفسه يقول بتواتره في موضع آخر من كتابه. ونحن لا نقابل البادي والتابع إلاّ بالسلام كما أمرنا الله سبحانه بذلك[٤].

وأنا لا أدري أنَّ قصر الباع لم يدع البادي يعرف علماء أصحابه؟ أو أن يقف على الصحاح والمسانيد؟ أو أنَّه لا يقول بثقة كلِّ أولئك الأعلام؟

فإن كان لا يدري فتلك مصيبةٌ وإن كان يدري فالمصيبة أعظمُ

وفي القوم من يلوك بين أشداقه أنّه ما أخرجه إلاّ أحمد في مسنده[٥] وهو مشتملٌ على الصحيح والضعيف. فكأنَّه لم يقف على تأليف غيرَ مسند أحمد، أو أنَّه لم يوقفه السير على الأسـانيد الجمَّـة الصحيحة والقـويَّة في الصحـاح والمسانيد والسنن وغيرها، وكأنَّه لم يطّلع على ما أفرده الأعلام بالتأليف حول أحمد ومسنده أو لم يطرق سمعه ما يقوله السبكي في طبقاته ج ١ ص ٢٠١ من أنّه ألّف (أحمد) مسنده وهو أصلٌ من أُصول هذه الأُمة، قال الإمام الحافظ أبو موسى المديني «المترجم ص ١٥١ »: مسند الإمام أحمد أصلٌ كبيرٌ ومرجعٌ وثيقٌ لأصحاب الحديث، إنتقى من أحاديث كثيرة ومسموعات وافرة، فجعل إمـاماً ومعتمداً وعند التنازع ملجأ ومستنداً على ما أخبرنا والدي وغيره بأنَّ المبارك بن عبد الجبار كتب إليهما من بغداد قال: أخبرنا. ثمَّ ذكر السند من طريق الحافظ ابن بطة إلى أحمد إنّه قال: إنَّ هذا الكتاب قد جمعته وإنتقيتـه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله فارجعوا إليه فإن كان فيه وإلاّ ليس بحجَّة. وقال عبدالله: قلت لأبي: لِمَ كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند؟ فقال: عملت هذا الكتاب إماماً إذا اختلف الناس

---

(١) قاله ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة.
(٢) حكاه عن ابن حزم ابن تيمية في منهاج السنة ج ٤ ص ٨٦.
(٣) الهروي سبط ميرزا مخدوم بن عبد الباقي في السهام الثاقبة.
(٤) في محكم كتابه بقوله: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.
(٥) قاله محمد محسن الكشميري في «نجاة المؤمنين».

في سنّة عن رسول الله رجع إليه. وقال: قال أبو موسى المديني: ولمْ يُخرج إلاّ عمّن ثبت عنده صدقه وديانته دون من طعن في أمانته. وقال أبو موسى: ومن الدليل على أنَّ ما أودعه الإمام أحمد قد إحتاط فيه إسناداً ومتناً لم يورد فيه إلاّ ما صحَّ سنده. ثمَّ ذكر دليل مدَّعاه. إنتهى ملخّصاً.

وكأنّه لم يقف على ما يقول الحافظ الجزري «المترجم ص ١٦٦» من قصيدة له يمدح بها الإمام أحمد ومسنده وذكرها في [المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد] ص ٤٥.

وإنّ كتاب المسند البحر للرضى   فتى حنبل للدين أيّة مُسندِ
حوى من حديث المصطفى كلَّ جوهر   وجمّع فيه كلَّ درٍّ مُنضَدِ
فما من صحيحٍ كالبخاريِّ جامعاً   ولا مسندٌ يُلفى كمسند أحمدِ

وهذا الحافظ السيوطي يقول في ديباجة «جمع الجوامع» كما في كنز العمال ج ١ ص ٣: وكلُّ ما في مسند أحمد فهو مقبولٌ، فإنَّ الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن. فهب أنّا سالمنا الرجل على ما يقول ولكن ما ذنب أحمد؟ وما التبعة على المسند؟ إن كان هذا الحديث من قسم الصحاح من رواياته. على أنّه ليس من الممكن مسالمته على تخصيص الرواية بأحمد وأولئك رُواته امم من الأئمّة أدرجوه في الصحاح والمسانيد وأخرجوه ثقةً عن ثقة ورجال كثير من أسانيده رجال الصحيحين.

وجاء آخر يقول(١): نقل [حديث الغدير] في غير الكتب الصحاح. ذاهلاً عن أنَّ الحديث أخرجه الترمذي في صحيحه، وابن ماجة في سننه، والدارقطني بعدّة طرق، وضياء الدين المقدسي في المختارة ووو... وسمعت في ص ٣٦٤ قول الشيخ محمّد الحوت: رواه أصحاب السنن غير أبي داود ورواه أحمد وصحّحوه. وأصحابه يقولون: إنّها كتبٌ صحاحٌ فالعزو إليها معلمٌ بالصحّة.

---

(١) حسام الدين السهارنپوري في «مرافض الروافض».

وبهذا تعرف قيمة قول مَن قدح[1] في صحّته بعدم رواية الشيخين في صحيحيهما. وجاء آخرُ يصحّحه ويُثبت حسنه وينقل إتّفاق جمهور أهل السنة عليه ويقول: وكم حديث صحيح ما أخرجه الشيخان كما مرَّ ص ٣٥٧. ونحن نقول: حتى أنّ الحاكم النيسابوري إستدرك عليهما كتاباً ضخماً لا يقلُّ عن الصحيحين في الحجم، وصافقه على كثير ممّا أخرجه الذهبيُّ في الملخَّص، وتجد في تراجم العلماء مستدركات أُخرى على الصحيحين.

وهذا الحاكم النيسابوري يقول في المستدرك ج ١ ص ٣: لم يحكما [يعني البخاري ومسلم] ولا واحدٌ منهما بأنّه لم يصحّ من الحديث غير ما أخرجاه. وقد نبغ في عصرنا هذا جماعةٌ من المبتدعة يشمتون برواة الآثار بأنّ جميع ما يصحّ عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء أو أقلّ أو أكثر منه كلّها سقيمةٌ غير صحيحة.

وقد سألني جماعةٌ من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتاباً ويشتمل على الأحاديث المرويّة بأسانيد يحتجُّ محمَّد بن إسماعيل [البخاري] ومسلم بن الحجّاج بمثلها، إذ لا سبيل إلى إخراج ما لا علّة له فإنّهما رحمهما الله لم يدّعيا ذلك لأنفسهما.

وقد خرَّج جماعةٌ من علماء عصرهما ومن بعدهما عليهما أحاديث قد أخرجاها وهي معلولةٌ وقد جهدت في الذبِّ عنها في المدخل إلى الصحيح بما رضيه أهل الصنعة، وأنا أستعين الله على إخراج أحاديث رُواتها ثقاتٌ قد إحتجّ بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أو أحدهما، وهذا شرط الصحيح عند كافّة فقهاء أهل الإسلام، أنّ الزيادة في الأسانيد والمتون من الثقات مقبولةٌ. ا هـ.

وقال الحافظ الكبير العراقي في «فتح المغيث» ص ١٧ في شرح قوله في ألفيّة الحديث:

ولم يعمّاه ولكن قلَّ ما   عند ابن الأخرم منه قد فاتهما

---

(١) القاضي عضد الإيجي في «المواقف» والتفتازاني في «شرح المقاصد».

أي لم يعمَّ البخاري ومسلم كلّ الصحيح، يريد لم يستوعباه في كتابيهما ولم يلتزما ذلك، وإلزام الدارقطني وغيره إيّاهما بأحاديث ليس بلازم، قال الحاكم في خطبة المستدرك: ولم يحكما ولا واحد منهما أنَّه لم يصحّ من الحديث غير ما أخرجاه. ا هـ. قال البخاري: ما أدخلت في كتاب الجامع إلاّ ما صحّ وتركت من الصحاح لحال الطول. وقال مسلم: ليس كلّ صحيح وضعته هنا إنما وضعت هنا ما أجمعوا عليه. يريد ما وجد عنده فيها شرائط المجمع عليه وإن لم يظهر إجتماعها في بعضها عند بعضهم. وقال العراقيُّ أيضاً ص ١٩ في شرح قوله:

وخذ زيادة الصحيح إذْ تُنصّ   صحّته أو من مصنِّف بنصّ
بجمعه نحو ابن حبّان الزكي   وابن خزيمة وكالمستدرك

لمّا تقدَّم أنَّ البخاري ومسلماً لم يستوعبا إخراج الصحيح فكأنّه قيل: فمن أين يعرف الصحيح الزائد على ما فيهما؟ فقال: خذه إذ تنصّ صحته. أي حيث ينصّ على صحته إمام معتمد كأبي داود والترمذي والنسائي والدارقطني والخطابي والبيهقي في مصنَّفاتهم المعتمدة كذا قيّده ابن الصلاح بمصنّفاتهم ولم أُقيِّده بها بل إذا صحَّ الطريق إليهم انّهم صحَّحوه ولو في غير مصنَّفاتهم، أو صحّحه من لم يشتهر له تصنيفٌ من الأئمة كيحيى بن سعيد القطّان وابن معين ونحوهما فالحكم كذلك على الصواب، وإنّما قيَّده ابن الصلاح بالمصنّفات لأنّه ذهب إلى انّه ليس لأحد في هذه الأعصار أن يصحِّح الأحاديث فلهذا لم يعتمد على صحّة السند إلى من صحَّحه في غير تصنيف مشهور. ويُؤخذ الصحيح أيضاً من المصنّفات المختصّة بجمع الصحيح فقط كصحيح أبي بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة، وصحيح أبي حاتم محمَّد بن حبّان، وكتاب المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم، وكذلك ما يوجد في المستخرجات على الصحيحين من زيادة أو تتمَّة لمحذوف فهو محكومٌ بصحته. إنتهى.

ولا يخفى على الباحث أنَّ القرون الأولى لم يكن يوجد فيها شيءٌ من كلِّ هذا اللغط أمام ما أصحر به نبيُّ الإسلام يوم الغدير. نعم كان هناك شرذمةٌ من أهل الحنق والأحقاد على آل الله، وكانوا ينحتون له قضيَّةً شخصيَّةً واقعة بين

أمير المؤمنين وزيد بن حارثة، كلّ ذلك تصغيراً لموقعه العظيم في النفوس، إلى أن جاء المأمون الخليفة العبّاسي وأحضر أربعين من فقهاء عصره وناظرهم في ذلك، وأثبت عليهم حقَّ القول في الحديث كما مرّ ص ٢٥٤، ثمّ في القرن الرابع تلقّته الأُمة بالقبول، وأخبت به الحفّاظ الأثبات من دون غمز فيه رادّين عنه قول من يقدح فيه ممّن لا يُعرف باسمه ورسمه: بأنَّ عليّاً ما كان مع رسول الله في حجته تلك كما مرّ ص ٣٤٧.

وقد أسلفنا لك صريح كلمات الأعلام باتّفاق جمهور أهـل السنَّة على صحَّة الحديث وأقوالهم في تواتره. وهناك أعاظم مشايخ الشيخين (البخاري ومسلم) قد رووه بأسانيد صحاح وحسان، مخبتين إليه وفيهم جمعٌ من الذين يروي عنهم الشيخان بأسانيدهم في الصحيحين من مشيخة القرن الثالث. ألا وهم:

يحيى بن آدم المتوفى	٢٠٣	عبد الرزاق بن همام المتوفى	٢١١	عبد الله بن يزيد المتوفى	٢١٢
عبيد الله بن موسى المتوفى	٢١٣	حجاج بن منهال المتوفى	٢١٧	فضل بن دكين المتوفى	٢١٨
عفان بن مسلم المتوفى	٢١٩	علي بن عياش المتوفى	٢١٩	محمد بن كثير المتوفى	٢٢٣
موسى بن إسماعيل المتوفى	٢٢٣	قيس بن حفص المتوفى	٢٢٧	هدبة بن خالد المتوفى	٢٣٥
عبد الله بن شيبة المتوفى	٢٣٥	عبيد الله بن عمر المتوفى	٢٣٥	إبراهيم بن المنذر المتوفى	٢٣٦
ابن راهويه إسحاق المتوفى	٢٣٧	عثمان بن أبي شيبة المتوفى	٢٣٩	قتيبة بن سعيد المتوفى	٢٤٠
حسين بن حريث المتوفى	٢٤٤	أبو الجوزاء أحمد المتوفى	٢٤٦	أبو كريب محمد المتوفى	٢٤٨
يوسف بن عيسى المتوفى	٢٤٩	نصر بن علي المتوفى	٢٥١	محمد بن بشار المتوفى	٢٥٢
محمد بن المثنى المتوفى	٢٥٢	محمد صاعقة المتوفى	٢٥٥	يوسف بن موسى المتوفى	٢٥٣

فعدم إخراج البخاري ومسلم هذا الحديث المتَّفق على صحته وتواتره والحال هذه لا يكون قدحاً في الحديث إن لم يكن نقصاً في الكتابين ومؤلِّفيهما. وكأن

---

(١) سبقت تراجم هؤلاء جميعاً من ص١١٢ ـ ١٢٣ .

الشيخ محمود القادري فطن بهذا وحاول بقوله المذكور ص ٣٥٧: وكم حديث صحيح ما أخرجه الشيخان. تقديس ساحة الكتابين ومؤلّفيهما عن هذا النقص. لا أنّه أراد إثبات صحّة الحديث بذلك، كيف؟ وهو يقول: إتّفق على ما ذكرنا جمهور أهل السنّة.

وغير خافٍ على النابه البصير أنَّ البادي بخلاف الأجماع في ردِّ الحديث هو ابن حزم الأندلسي[1] وهو يقول: إنَّ الامة لا تجتمع على خطأ. ثمَّ تبعه في ذلك ابن تيميّة وجعل قوله مدرك قدحه في الحديث ولم يجد غميزة فيه غيره بَيدَ أنّه زاد عليه قوله: نقل عن البخاري وإبراهيم الحرّاني وطائفة من أهل العلم بالحديث أنّهم طعنوا فيه وضعّفوه. ذاهلاً عن قوله في منهاج السنّة ج ٤ ص ١٣: إنَّ قصّة الغدير كانت في مرتجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع وقد أجمع الناس على هذا. ثمَّ قلّدهما من راقه الإنحياز عن الحق الثابت من نظراء التفتازاني والقاضي الإيجي والقوشجي والسيِّد الجرجاني وزادوا ضغثاً على إبّالة فلم يكتفوا في ردِّ الحديث بعدم إخراج الصحيحين، ولم يقفوا على فرية ابن تيميّة في عزوه الطعن إلى البخاري والحرّاني، أو ما راقتهم النسبة إلى البخاري والحرّاني لمكان ضعف الناقل (ابن تيميّة) عندهم، فقالوا بارسال مسلّم: قد طعن فيه ابن أبي داود وأبو حاتم السجستاني. ثمَّ جاء ابن حجر فزاد على أبي داود والسجستانيّ قوله: وغيرهم إلى أن جاد الدهر بالهرويِّ فزحزح السجستانيّ ووضع في محلِّه الواقدي وابن خزيمة فقال في السهام الثاقبة: قدح في صحّة الحديث كثيرٌ من أئمّة الحديث كأبي داود والواقدي وابن خزيمة وغيرهم من الثقات.

لا أدري ما أجرأهم على الرَّحمـٰن [وقد خاب من إفترى] وما عساني أن أقول في بحّاثة يذكر هذه النسب المفتعلة على أئمّة الحديث وحفّاظ السنّة في كتابه؟ ألا مسائل هؤلاء عن مصدر هذه النقول والإضافات؟ أفي مؤلَّف وجدوها؟ فما هو؟ وأين هو؟ ولِمَ لم يسمّوه. أم عن المشايخ رووها؟ فلِمَ لم يُسندوها؟ ألا

---

(١) ستقف على الرأي العام فيه بعد تمام المحاكمة.

مسائلٌ هؤلاء كيف خفي طعن مثل البخاري وقرنائه في الحديث على ذلك الجمّ الغفير من الحفّاظ والأعلام ومهرة الفنِّ في القرون الأولى إلى القرن السابع والثامن قرن ابن تيميَّة ومقلِّديه؟ فلمَ يفُه به أحدٌ، ولا يوجد منه أثرٌ في أيّ تأليف ومسند، أو أنّهم أوقفهم السير عليه ولكنَّهم لم يروا في سوق الحق له قيمةً فضربوا عنه صفحاً؟.

وبعد هذا كلّه فأين تجد مقيل القول بإنكار تواتره من مستوى الحقيقة؟ والقول: بأنَّ الشيعة إتّفقوا على اعتبار التواتر فيما يُستدلُّ به على الإمامة فكيف يسوغ لهم الإحتجاج بحديث الغدير وهو من الآحاد؟(١) يقول الرجل ذلك وهو يرى الحديث متواتراً لرواية ثمانية صحابيّ(٢) وأنَّ في القوم من يرى الحديث متواتراً لرواية أربعة من الصحابة له ويقول: لا تحلّ مخالفته(٣) ويجزم بتواتر حديث: الأئمَّة من قريش(٤) ويقول: رواه أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، ومعاوية، وروى معناه جابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة، وعبادة بن الصامت. وآخر يقول ذلك في حديث آخر رواه عليٌّ عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله ويرويه عن علي إثنى عشر رجلاً فيقول(٥): هذه إثنتا عشرة طريقاً إليه ومثل هذا يبلغ حدّ التواتر وآخر يرى حديث: تقتلك الفئة الباغية. متواتراً ويقول(٦): تواترت الروايات به روي ذلك عن عمّار وعثمان وابن مسعود وحذيفة وابن عبّاس في آخرين، وجوَّد السيوطي قول مَن حدَّد التواتر بعشرة وقال في ألفيَّته ص ١٦.

وما رواه عددٌ جمٌّ يجبْ ... إحالة اجتماعهم على الكذبْ
فمتواترٌ وقومٌ حدَّدوا ... بعشرةٍ وهو لديَّ أجودُ

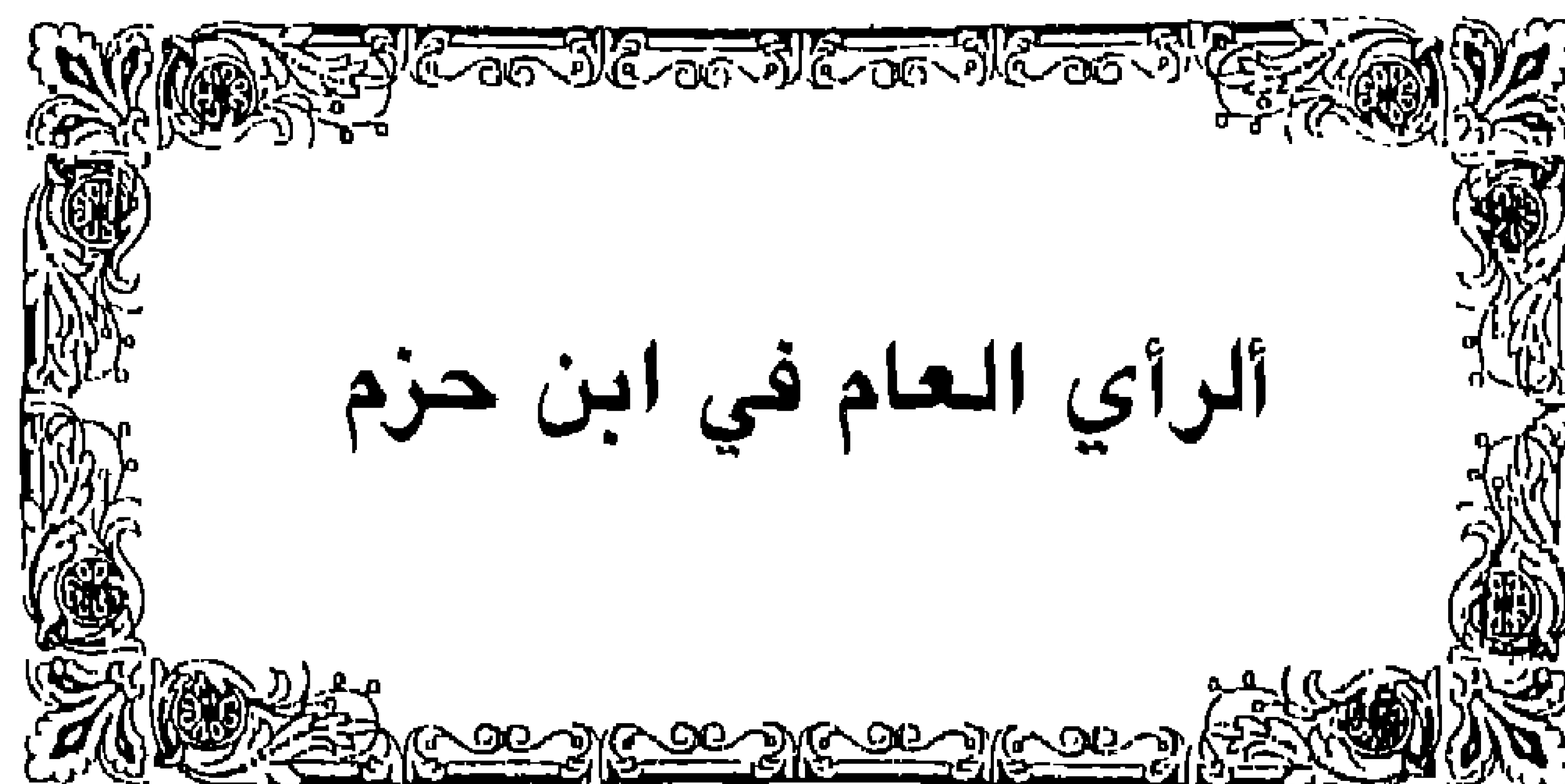
(١) التفتازاني في المقاصد ص ٢٩٠، وابن حجر في الصواعق ص ٢٥ ومقلديهما.
(٢) راجع الصواعق ص ١٣.
(٣) قال ابن حزم في المحلى في مسألة عدم جواز بيع الماء: فهؤلاء أربعة من الصحابة رضي الله عنهم فهو نقل تواتر لا تحل مخالفته.
(٤) راجع الفصل ج ٤ ص ٨٩.
(٥) راجع تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٨٩.
(٦) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩، والإصابة ج ٢ ص ٥١٢.

هذه نظريّتهم المشهورة في تحديد التواتر، لكنهم إذا وقفوا على حديث الغدير اتّخذوا له حدّاً أعلى لم تبلغه رواية مائة وعشر صحابيٍّ أو أكثر بالغاً ما بلغ.

ومن غرائب اليوم ما جاء به أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام تعليق ص ١٩٤ من: انّه يرويه الشيعة عن البراء بن عازب. وأنت تعلم أنّ نصيب رواية البراء من إخراج علماء أهل السنّة أوفر من كثير من روايات الصحابة، فقد عرفت ص ٣٩، ٤٠، ٤١ وص ٣٢١ - ٣٣٠: انّه أخرجها ما يربو على الأربعين رجلاً من فطاحل علمائهم وفيهم مثل أحمد وابن ماجة والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة ونظرائهم، وجملةٌ من أسانيدها صحيحةٌ رجالها كلّهم ثقات، لكن: أحمد أمين راقه أن تكون الرواية معزوّةً إلى الشيعة فحسب، إسقاطاً للإحتجاج بها، وليس هذا ببدع من تقوّلاته في صحائف إسلامه صبحاً وضحاً وظهراً.

﴿كبُرَتْ كَلِمةً تَخرُجُ مِنْ أفواهِهِمْ إنْ يقولوا إلاّ كَذِبا فَلَعَلّكَ باخِعٌ نَفسَكَ على آثارِهِم إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الَحدِيثِ أسَفاً﴾

(سورة الكهف: ٥ - ٦)



ألرأي العام في ابن حزم

الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ

مـا عساني أن أكتب عن شخصيّـة أجمع فقهـاء عصـره على تضليله والتشنيع عليه ونهي العوام عن الإقتراب منه، وحكموا بإحراق تآليفه ومدوّناته مهما وجدوا الضلال في طيّاتها كما في لسان الميزان ج ٤ ص ٢٠٠، ويُعرِّفه الآلوسي عند ذكره بقوله: الضالّ المضلّ كما في تفسيره ج ٢١ ص ٧٦.

ما عساني أن أقول في مؤلِّف لا يتحاشا عن الكذب على الله ورسوله، ولا يبالي بالجرأة على مقدَّسات الشرع النبويِّ، وقذف المسلمين بكلّ فاحشـة، والأخذ بمخاريق القول وسقطات الرأي.

ما عساني أن أذكر عن بحّاثة لا يُعرف مبدؤه في أقواله، ولا يستند على مصدر من الكتاب والسنّة في آرائه، غير أنّه إذا أفتى تحكّم، وإذا حكم مان، يعزو إلى الأُمّة الإسلاميّة ما هي بريئةٌ منه، ويضيف إلى الأئمّة وحفّاظ المذهب ما هم بعداء منه، تعرب تآليفه عن حقِّ القول من الرأي العام في ضلاله وإليك نماذج من آرائه.

قال في فقهه (المحلّى) ج ١٠ ص ٤٨٢: مسألة: مقتولٌ كان في أوليائه غائبٌ أو صغيرٌ أو مجنونٌ، إختلف الناس في هذا. ثمَّ نقل عن أبي حنيفة أنّه يقول: انَّ للكبير أن يقتل ولا ينتظر الصغار. وعن الشافعي: انَّ الكبير لا يستقيد حتى يبلغ الصغيـر ثمَّ أورد على الشافعيَّـة بأنّ الحسن بن علي قـد قتل عبـد الرحمن بن ملجم ولعليٍّ بنون صغـار، ثمَّ قال: هـذه القصّة (يعني قتـل ابن ملجم) عائدةٌ على الحنفيّين بمثل ما شنّعوا على الشافعيِّين سواء سواء، لأنّهم

والمالكيِّين لا يختلفون في أنَّ من قتل آخر على تأويل فلا قَوَد في ذلك. ولا خلاف بين أحد من الأُمَّة في أنَّ عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليّاً رضي الله عنه إلّا متأوِّلاً مجتهداً مقدِّراً على أنّه صواب، وفي ذلك يقول عمران بن حطّان شاعر الصفريَّة:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البريَّة عند الله ميزانا

أي لأُفكّر فيه ثمَّ أحسبه، فقد حصل الحنفيّون في خلاف الحسن بن عليّ على مثل ما شنّعوا به على الشافعيِّين، وما ينقلون أبداً من رجوع سهامهم عليهم، ومن الوقوع فيما حفروه[1].

فهلمّ معي نسائل كلّ معتنق للإسلام أين هذا الفتوى المجرَّدة من قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله في حديث صحيح لعليّ عليه السلام: قاتلك أشقى الآخرين. وفي لفظ: أشقى الناس: وفي الثالث: أشقى هذه الأمَّة كما أنَّ عاقر الناقة أشقى ثمود؟ أخرجه الحفّاظ الأثبات والأعلام الأئمّة بغير طريق، ويكاد أن يكون متواتراً على ما حدّد ابن حزم التواتر به. منهم:

إمام الحنابلة أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٦٣، والنسائي في الخصائص ص ٣٩، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣٥، والحاكم في المستدرك عن عمّار ج ٣ ص ١٤٠، والذهبيُّ في تلخيصه وصحّحاه، ورواه الحاكم عن إبن سنان الدؤلي ص ١١٣ وصحَّحه وذكره الذهبيُّ في تلخيصه، والخطيب في تاريخه عن جابر بن سمرة ج ١ ص ١٣٥، وابن عبد البرّ في الإستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٦٠ ذكره عن النسائي ثمّ قال: وذكره الطبري وغيره أيضاً، وذكره ابن إسحاق في السير، وهو معروف من رواية محمّد بن كعب القرظي عن يزيد[2] بن جشم عن عمَّار بن ياسر، وذكره ابن أبي خيثمة من طرق، وأخرجه محبُّ الدين الطبريُّ في رياضه عن عليٍّ من

(١) وحكاه عنه ابن حجر في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - ط هند سنة ١٣٠٣ - ص ٤١٦.

(٢) كذا في النسخ والصحيح: عن أبي يزيد بن خثيم.

طريق أحمد وابن الضحاك، وعن صهيب من طريق أبي حاتم والملا، ورواه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٢٣ من طريق أبي يعلى، وص ٣٢٥ من طريق الخطيب، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤١١ عن ابن عساكر والحاكم والبيهقي، وص ٤١٢ بعدَّة طرق عن ابن عساكر، وص ٤١٣ من طريق ابن مردويه، وص ١٥٧ من طريق الدارقطني، وص ٣٩٩ من طريق أحمد والبغوي والطبراني والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم وابن عساكر وابن النجّار.

وأين هذا من قوله الآخر ﷺ لعليّ: ألا أخبرك بأشدِّ الناس عذاباً يوم القيامة؟ قال: أخبرني يا رسول الله! قال: فإنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة عاقر ناقة ثمود وخاضب لحيتك بدم رأسك. رواه ابن عبد ربِّه في «العقد الفريد» ج ٢ ص ٢٩٨.

وأين هذا من قوله الثالث صلّى الله عليه وآله: قاتلك شبه اليهود وهو يهود أخرجه ابن عدي في الكامل، وابن عساكر كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٦ ص ٤١٢.

وأين هذا ممّا ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٢٣ من أنَّ عليّاً كان يكثر أن يقول: ما يحبس أشقاها! وأخرجه السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤١١ بطريقين عن أبي سعد وأبي نعيم وابن أبي شيبة وص ٤١٣ من طريق ابن عساكر.

وأين هذا من قول أمير المؤمنين الآخر لابن ملجم: لا أراك إلّا من شرّ خلق الله؟ رواه الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٨٥، وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦٩. وقوله الآخر عليه السلام: ما ينظر بي إلّا شقيّ؟ أخرجه أحمد بإسناده كما في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٤. وقوله الرابع لأهله: والله لوددت لو انبعث أشقاها أخرجه أبو حاتم والملا في سيرته كما في الرياض ج ٢ ص ٢٤٨. وقوله الخامس: ما يمنع أشقاكم؟ كما في الكامل ج ٣ ص ١٦٨، وفي كنز العمّال ج ٦ ص ٤١٢ من طريق عبد الرزّاق و ابن سعد وقوله السادس: ما ينتظر

أشقاها؟ أخرجه المحاملي كما في الرياض ج ٢ ص ٢٤٨.

ليت شعري أيَّ إجتهاد يؤدِّي إلى وجوب قتل الإمام المفترض طاعته؟ أو أيّ إجتهاد يسوِّغ جعل قتله مهراً لنكاح[1] إمرأة خارجيَّة عشقها أشقى مراد؟ أو أيَّ مجال للإجتهاد في مقابل النصِّ النبويِّ الأغرِّ؟ ولو فتح هذا الباب لتسرَّب الإجتهاد منه إلى قتلة الأنبياء والخلفاء جميعاً، لكن ابن حزم لا يرضى أن يكون قاتل عمر أو قتلة عثمان مجتهدين، ونحن أيضاً لا نقول به.

ثمَّ ليتني أدري أيّ أُمّة من الامم أطبقت على تعذير عبد الرحمن بن ملجم في ما ارتكبه؟ ليته دلَّنا عليها، فإنَّ الأُمَّة الإسلامية ليس عندها شيءٌ من هذا النقل المائن، اللهمَّ إلاّ الخوارج المارقين عن الدين، وقد إقتص الرجل أثرهم وإحتجَّ بشعر قائلهم عمران.

اللهمّ! ما عمران بن حطّان وحكمه في تبرير عمل ابن ملجم من إراقة دم وليّ الله الإمام الطاهر أمير المؤمنين؟ ما قيمة قوله حتى يُستدلّ به ويُركن إليه في أحكام الإسلام؟ وما شأن فقيه «ابن حزم» من الدين يحذو حذو مثل عمران ويأخذ قوله في دين الله، ويخالف به النبيَّ الأعظم في نصوصه الصحيحة الثابتة ويردّها ويقذف الأُمَّة الإسلاميَّة بسخب خارجيّ مارق؟ وهذا معاصره القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله الشافعي[2] يقول في عمران ومذهبه هذا.

إنّي لأبـرأ ممّـا أنت قـائلهُ ... عن ابن ملجمٍ الملعون بهتانا
يا ضربةً من شقيٍّ ما أراد بها ... إلاّ ليهدم للإسـلام أركانـا
إنّي لأذكـره يـومـاً فـألعنـه ... دنياً وألعن عمراناً وحطّانـا
عليه ثمَّ عليه الدهر متَّصلاً ... لعـائن الله إسراراً وإعـلانا

---

(١) راجع الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣٤، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨٣، والمستدرك ج ٣ ص ١٤٣، والكامل ج ٣ ص ١٦٨، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٨.

(٢) من فقهاء الشافعية، قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٢٥٣: كان ثقة صادقاً ديناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه، محققاً في علمه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب، يقول الشعر على طريقة الفقهاء، ولد بآمل ٣٤٨ وتوفي ببغداد ٤٥٠.

فأنتما من كلاب النّار جاء به — نصُّ الشريعة برهاناً وتبيانا[1]

وقال بكر بن حسّان الباهلي :

قال لابن ملجم والأقدار غالبةٌ — : هدَّمتَ ويلك للإسلام أركانا
قتلتَ أفضل من يمشي على قدمٍ — وأول الناس إسلاماً وإيمانا
وأعلم النّاس بالقرآن ثُمَّ بما — سنَّ الرسولُ لنا شرعاً وتبيانا
صهر النبيِّ ومولانا وناصره — أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له — مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً — ليثاً إذا ما لقى الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع مخددٌّ — فقلت: سبحان ربِّ الناس سبحانا
إنِّي لأحسبه ما كان من بشرٍ — يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عُدَّت قبائلها — وأخسر الناس عندالله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت — على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها — قبل المنية أزماناً فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمَّله[2] — ولا سقى قبر عمران بن حطّانا
لقوله في شقيٍّ ظلّ مجترماً — ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
(يا ضربة من تقيٍّ ما اراد بها — إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا)
بل ضربة من غويّ أورثته لظى[3] — وسوف يلقى به الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصداً بضربته — إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا[4]

قال ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ١٧٩ :صاحب الأبيات بكر بن حمّاد التاهرتي ، وهو من أهل القيروان في عصر البخاري وأجازه عنها السيِّد الحميري الشاعر المشهور الشيعيّ وهو في ديوانه. اهـ.

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣.
(٢) في الكامل: فلا عفا الله عنه سوء فعلته.
(٣) في الكامل: بل ضربة من غوى أوردته لظى.
(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣ ، الإستيعاب في ترجمة أمير المؤمنين، الكامل لابن الأثيرج ٣ ص ١٧١ ، تمام المتون للصفدي ص ١٥٢ .

وفي الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٢ : أبو بكر ابن حمّاد التاهرتي، وذكر له أبياتاً في رثاء مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أوّلها :

وهزَّ عليٌّ بالعراقين لحيةً　　مصيبتها جلّت على كلّ مسلم

وقال محمّد بن أحمد الطيب[1] ردّاً على عمران بن حطّان :

يا ضربةً من غدورٍ صار ضاربها　　أشقى البريّة عند الله إنسانا
إذا تفكّرت فيه ظلتُ ألعنه　　وألعن الكلب عمران بن حطّانا

على أنّ قتل الإمام المجتبى لابن ملجم وتقرير المسلمين له على ذلك صحابيّهم وتابعيّهم حتى أنَّ كلّ أحدٍ منهم كان يودُّ أنّه هو المباشر لقتله يدلّنا على أنَّ فعل اللعين لم يكن ممّا يتطرَّق إليه الإجتهاد فضلاً عن أن يُبرِّره، ولو كان هناك إجتهاد فهو في مقابلة النصوص المتضافرة، فكان من الصالح العام لكافّة المسلمين إجتياح تلك الجرثومة الخبيثة، وهو واجب أيِّ أحد من الأُمّة الإسلامية، غير انَّ إمام الوقت السيِّد المجتبى تقدَّم إلى تلك الفضيلة كتقدُّمه إلى غيرها من الفضائل.

فليس هو من المواضيع التي حرَّرها ابن حزم فتحكم أو تهكم على الشافعيَّة والحنفيَّة والمالكيَّة وإنّما هو من ضروريّات الإسلام في قاتل كلّ إمام حقٍّ، ولذلك ترى أنَّ القائلين بإمامة عمر بن الخطاب لم يشكّوا في وجوب قتل قاتله، ولم ير أحد منهم للإجتهاد هناك مجالاً، كما سيأتي في كلام ابن حزم نفسه : انّه لم ير له مجالاً لقتلة عثمان.

فشتّان بين ابن حزم وبين ابن حجر، هذا يبرِّر عمل عبد الرحمن وذاك يعتذر عن ذكر اسمه في كتابه لسان الميزان.

ويصفه بالفتك وأنّه من بقايا الخوارج في تهذيب التهذيب ج ٧ : ٣٣٨.

وابن حجر في كلامه هذا إتّبع أثر الحافظ أبي زرعة العراقيِّ في قوله في

---

(١) يوجد البيتان في كامل المبرد ج ٣ : ٩٠ ط محمد بن علي صبيح وأولاده، وليسا من أصل الكتاب كما لا يخفى.

طرح التثريب ج ١ : ٨٦: إنتدب له «لعليٍّ» قومٌ من الخوارج فقاتلهم فظفر بهم ثمَّ انتدب له من بقاياهم أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وكان فاتكاً ملعوناً فطعنه.

(ومن نماذج آرائه)

قوله في الفِصَل ج ٤ ص ١٦١ في المجتهد المخطي: وعمّار رضي الله عنه قتله أبو الغادية يسار بن سبع السلمي، شهد (عمّار) بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بأنَّه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه ورضي عنه، فأبو الغادية رضي الله عنه متأوّلٌ مجتهدٌ مخطىء فيه باغ عليه مأجور أجراً واحداً، وليس هذا كقتلة عثمان رضي الله عنه لأنَّهم لا مجال للإجتهاد في قتله، لأنّه لم يقتل أحداً ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد إحصان ولا ارتدَّ فيسوِّغ المحاربة تأويلٌ، بل هم فسّاقٌ محاربونَ سافكونَ دماً حراماً عمداً بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان، فهم فُسّاقٌ ملعونونَ. إنتهى.

لم أجد معنى لإجتهاد أبي الغادية (بالمعجمة) وهو من مجاهيل الدنيا، وأفناء الناس، وحُثالة العهد النبويِّ، ولم يعرَّف بشيء غير أنَّه جُهنيٌّ، ولم يُذكر في أيِّ معجم بما يُعرب عن إجتهاده، ولم يُروَ منه شيءٌ من العلم الآلهي سوى قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله: دماؤكم وأموالكم حرام. وقوله: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. وكان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يتعجَّبون من أنَّه سمع هذا ويقتل عمّاراً(١) ولم يفُه أيُّ أحد من أعلام الدين إلى يوم مجيء ابن حزم باجتهاد مثل أبي الغادية.

ثمَّ لم أدر ما معنى هذا الإجتهاد في مقابل النصوص النبويَّة في عمَّار، ولست أعني بها قوله صلّى الله عليه وآله في الصحيح الثابت المتواتر(٢) لعمّار: تقتلك الفئة الباغية. وفي لفظ: الناكبة عن الطريق. وإن كان لا يدع مجالاً للإجتهاد في تبرير قتله، فإنَّ قاتله مهما تأوَّل فهو عادٍ عليه ناكبٌ عن الطريق،

---

(١) الإستيعاب ج ٢ ص ٦٨٠، والإصابة ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) ذكر تواتره ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥١٢، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩.

ونحن لا نعرف إجتهاداً يُسوّغ العدوان الذي استقلّ العقـل بقبحه، وعـاضده الدين الآلهيّ الأقدس. وإن كان أوّله معاوية أورده لَمّا حدّث به عبدالله بن عمرو وقال عمرو بن العاص: يا معاوية! أما تسمع ما يقول عبدالله؟ بقوله:

إنّك شيخٌ أخرق، ولا تزال تُحدِّث بالحديث، وأنت ترحض في بولك، أنحن قتلناه؟ إنّما قتله عليٌّ واصحـابه جـاؤوا به حتّى ألقـوه بين رماحنـا.(١) وبقوله: أفسدت عليَّ أهل الشام، أكلّ ما سمعت من رسول الله تقوله؟ فقال عمرو: قُلتها ولستُ أعلم الغيب، ولا أدري أنّ صفّين تكون، قُلتها وعمّار يومئذٍ لك وليّ وقد رويتَ أنت فيه مثل ما رَويتُ. ولهما في القضيّة معاتبةٌ مشهورةٌ وشعرٌ منقولٌ، منه قول عمرو:

تعاتبني إن قلتُ شيئاً سمعته ... وقد قلتَ لو أنصفتني مثله قبلي
أنعلك فيما قلت نعلٌ ثبيتة؟ ... وتزلق بي في مثلِ ما قلته نعلي
وما كان لي علمٌ بصفّين أنّها ... تكون وعمّارٌ يحثّ على قتلي
ولو كان لي بالغيبب علمٌ كتمتها ... وكابدت أقواماً مراجلهم تغلي
أبى الله إلّا أنّ صدرك واغرٌ ... عليَّ بلا ذنب جنيت ولا ذحلِ
سوى أنّني والراقصات عشيّة ... بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل

وأجابه معاوية بأبيات منها:

فيا قبّح الله العتـاب وأهله ... ألم تر ما أصبحت فيه من الشغل؟
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلةٌ ... تردُّ بها قوماً مراجلهم تغلي؟
دعاهم عليٌّ فاستجابوا لدعوة ... أحبَّ إليهم من ثرى المال والأهل(٢)

كما لستُ أعني ما أخرجه الطبراني(٣) عن ابن مسعود عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله: إذا اختلف الناس كان ابن سُميَّة مع الحقّ. وإن كان قاطعاً للحجاج فإنّ المناوىء لابن سميّة (عمّار) على الباطـل لا محالـة، ولا تجد إجتهـاداً يبرِّر مناصرة المبطل على المحق بعد ذلك النصّ الجليّ.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٣، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٦٩.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤.
(٣) جمع الجوامع للسيوطي كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٨٤.

وإنّما أعني ما أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٨٧ وصحّحه وكذلك الذهبيُّ في تلخيصه، بالإسناد عن عمرو بن العاص: انّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: اللّهمَّ أولعت قريش بعمّار إنَّ قاتل عمّار وسالبه في النار. وأخرجه السيوطيُّ من طريق الطبرانيِّ في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٣، وابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥١.

وأخرج السيوطيُّ في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٧٣ قوله صلّى الله عليه وآله لعمّار: يدخل سالبك وقاتلك في النار. من طريق ابن عساكر، وج ٦ ص ١٨٤ من طريق الطبرانيِّ في الأوسط، وص ١٨٤ من طريق الحاكم.

وأخرج الحافظ أبو نعيم وابن عساكر كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٧ ص ٧٢ عن زيد بن وهب قال: كان عمّار بن ياسر قد ولع بقريش وولعت به فغدوا عليه فضربوه فجلس في بيته فجاء عثمان بن عفان يعوده فخرج عثمان وصعد المنبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتلك الفئة الباغية، قاتل عمّار في النار.

وأخرج الحافظ أبو يعلى وابن عساكر كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٧ ص ٧٤ عن عبدالله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بعمّار: تقتلك الفئة الباغية، بشِّر قاتل عمّار بالنار.

وفي جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٧٥ وج ٦ ص ١٨٤ من طريق الحافظ ابن عساكر عن أُسامة بن زيد قال: قال النبيُّ ﷺ: ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار؟ قاتله وسالبه في النار. أخرجه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٦٨.

وفي ترتيب الجمع ج ٧ ص ٧٥ من طريق ابن عساكر عن مسند عليٍّ: إنَّ عمّاراً مع الحقِّ والحقُّ معه يدور عمّار مع الحقّ أينما دار، وقاتل عمّار في النار.

وأخرج أحمد وابن عساكر عن عثمان. وابن عساكر عن أُم سلمة عن رسول الله ﷺ لعمّار: تقتلك الفئة الباغية قاتلك في النار. كنز العمال ج ٦

ص ١٨٤ ، وأخرجه عن ام سلمة ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٧٠ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة .

وأخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٨٩ عن خالد بن الوليد قال: قال رسول الله ﷺ: مَن عادى عمّاراً عاداه الله ، ومَن أبغض عمّاراً أبغضه الله . وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٩١ بطريقين صحّحهما هو والذهبيُّ ، والخطيب في تاريخه ج ١ ص ١٥٢ ، وابن الأثير في أُسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١١ ، وابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٧٣ من طريق ابن أبي شيبة وأحمد ، ، وفي ج ٦ ص ١٨٤ من طرق أحمد وابن حبّان والحاكم .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٩٠ بإسناد صحّحه هو والذهبيُّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بلفظ: مَن يسبُّ عمّاراً يسبّه الله ، ومَن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومَن يسفه عمّاراً يسفهه الله . ورواه السيوطي في الجمع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٧٣ من طريق ابن النجّار والطبراني بلفظ مَن سبّ عماراً سبّه الله ، ومَن حقّر عمّاراً حقّره الله ، ومَن سفه عمّاراً سفهه الله .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٩١ بإسناده بلفظ: مَن يحقّر عمّاراً يحقّره الله ، ومَن يسبّ عماراً يسبّه الله ، ومَن يبغض عمّاراً يبغضه الله . وأخرجه السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٧٣ من طريق أبي يعلى وابن عساكر ، وفي ج ٦ ص ١٨٥ عن أبي يعلى وابن قانع والطبراني والضياء المقدسي في المختارة .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٨٩ بإسناد صحّحه هو والذهبيُّ في تلخيصه بلفظ: مَن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومَن يعاد عمّاراً يعاده الله .

وأخرج أحمد في المسند ج ٤ ص ٩٠ باسناده بلفظ: مَن يُعاد عمّاراً يُعاده الله عزَّ وجلَّ ، ومَن يبغضه يبغضه الله عزَّ وجلَّ ، ومَن يسبّه يسبّه الله عزَّ وجلَّ .

فأين هذه النصوص الصحيحة المتواترة[1] من إجتهاد أبي الغادية؟ أو أين هو من تبرير ابن حزم عمل أبي الغادية؟ أو أين هو من رأيه في إجتهاده، ومحاباته له بالأجر الواحد؟ وهو في النار لا محالة بالنصّ النبويِّ الشريف، وهل تجد بغضاً أو تحقيراً أعظم من القتل؟.

وهناك دروسٌ في هذه كلّها يقرأها علينا التأريخ، قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٣٤: إنَّ أبا الغادية قتل عمّاراً وعاش إلى زمن الحجّاج ودخل عليه فأكرمه الحجّاج وقال له: أنت قتلت ابن سُميَّة؟ يعني عمّاراً قال: نعم، فقال: مَن سرَّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سُميَّة، ثمَّ سأله أبو الغادية حاجته فلم يجبه إليها، فقال: نوطِّىء لهم الدنيا ولا يُعطونا منها ويزعم أنِّي عظيم الباع يوم القيامة، فقال الحجّاج: أجل والله مَن كان ضرسه مثل أُحد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة انَّه لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أنَّ عمّاراً قتله أهل الأرض كلّهم لدخلوا كلّهم النار. وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥١.

وفي الإستيعاب «هامش الإصابة» ج ٤ ص ١٥١: أبو الغادية كان محبّاً في عثمان وهو قاتل عمّار وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمّار بالباب، وكان يصف قتله له إذا سُئل عنه لا يباليه، وفي قصّته عجبٌ عند أهل العلم روى عن النبيِّ قوله: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. وسمعه منه ثمَّ قتل عمّاراً.

وهذه كلّها تنمّ عن غايته المتوخّاة في قتل عمّار وإطِّلاعه ووقوفه على ما أخبر به النبيّ الأقدس في قاتل عمّار، وعدم إرتداعه ومبالاته بقتله بعدهما، غير أنَّه كان بطبع الحال على رأي إمامه معاوية ويقول لمحدّثي قول النبي بمقاله المذكور: إنّك شيخٌ أخرق، ولا تزال تُحدِّث بالحديث، وأنت ترحض في بولك.

وأنت أعرف منِّي بمغزى هذا الكلام ومقدار أخذ صاحبه بالسنَّة النبويَّة

(١) على ما اختاره ابن حزم من حد التواتر في سائر الأحاديث.

واتّباعه لما يُروى عن مصدر الوحي الإلهيّ، وبأمثال هذه كان إجتهاد أبي الغادية فيما إرتكبه أو ارتبك فيه.

وغاية ما عند ابن حزم في قتلة عثمان: أنّ إجتهادهم في مقابلة النصّ: (لا يحلّ دم امرىء مسلم يشهد أن لا آله إلّا الله وأنّي رسول الله إلّا بإحدى ثلاث، الثيِّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[1] لكنه لا يقول ذلك في قاتل عليٍّ عليه السلام ومقاتليه وقاتل عمّار، وقد عرفت أنّ الحالة فيهم عين ما حسبه في قتلة عثمان.

ثمّ إنّ ذلك على ما أصّله هو في غير مورد لا يُؤدّي إلّا خطأ القوم في إجتهادهم فَلِمَ لَم يحابهم الأجر الواحد كما حابى عبد الرحمن بن ملجم ونظراءه؟ نعم: له أن يعتذر بأنّ هذا قاتل عليّ وأولئك قتلة عثمان.

على أنَّ نفيه المجال للإجتهاد هناك إنّما يصحُّ على مزعمته في الإجتهاد المصيب وأمّا المخطىء منه فهو جارٍ في المورد كأمثاله من مجاريه عنده.

ثمّ إنَّ الرجل في تدعيم ما إرتئاه من النظريّات الفاسدة وقع في ورطة لا تروقه، ألا وهي سبُّ الصحابة بقوله: فهم فسّاقٌ ملعونونَ. وذهب جمهور أصحابه على تضليل من سبّهم بين مُكفِّرٍ ومُفسِّق، وأنّه موجبٌ للتعزير عند كثير من الأئمة بقول مطلق من غير تفكيك بن فرقة وأُخرى أو إستثناء أحد منهم، وهو إجماعهم على عدالة الصحابة أجمعين[2] وهو بنفسه يقول في الفصَل ج ٣ ص ٢٥٧: وأما من سبَّ أحداً من الصحابة رضي الله عنهم فإن كان جاهلاً فمعذورٌ، وإن قامت عليه الحجّة فتمادى غير معاند فهو فاسقٌ كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله ﷺ فهو كافرٌ، وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبيِّ ﷺ عن حاطب وحاطب مهاجرٌ بدريٌّ: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً بل كان مخطئاً متأوِّلاً، وقد قال

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي في السنن، وابن سعد في الطبقات، واحمد والطيالسي في المسندين، وابن هشام في السيرة، والواقدي في المغازي ٤٣٠ و٤٣٢.

(٢) راجع الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٥٧٢ - ٥٩٢، والإحكام في أصول الأحكام ج ٢ ص ٦٣١، والشرف المؤبد للشبراوي ص ١١٢ - ١١٩.

رسول الله ﷺ آية النفاق بغض الأنصار. وقال لعليّ: لا يبغضك إلاّ منافق. انتهى.

وكم عند ابن حزم من المجتهدين نظراء عبد الرحمن بن ملجم وأبي الغادية حَكم في الفِصَل بأنّهم مجتهدون وهم مأجورون فيما أخطأوا قال في ج ٤ ص ١٦١: قطعنا أنّ معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً. وعدَّ في ص ١٦٠ معاوية وعمرو بن العاص من المجتهدين، ثمَّ قال: إنّما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي إجتهد فيها المفتون وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل الحرِّ بالعبد وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه، فأيُّ فرق بين هذه الإجتهادات وإجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما؟ لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم. إنتهى.

وشتّان بين المفتين الذين إلتبست عليهم الأدلّة في الفتيا، أو اختلفت عندهم بالنصوصيَّة والظهور ولو بمبلغ فهم ذلك المفتي، أو أنّه وجد إحدى الطائفتين من الأدلّة أقوى من الأُخرى لصحّة الطريق عنده، أو تضافر الإسناد، فجنح إلى جانب القوّة، وارتأى مقابله بضرب من الإستنباط تقوية الجانب الآخر، فأفتى كلٌّ على مذهبه، كلّ ذلك إخباتاً إلى الدليل من الكتاب والسنّة.

فشتّان بين هؤلاء وبين محاربي عليّ عليه السلام وبمرأى الملأ الإسلاميّ ومسمعهم كتاب الله العزيز وفيه آية التطهير الناطقة بعصمة النبيِّ وصنوه وصفيَّته وسبطيه، وفيه آية المباهلة النازلة فيهم وعليٌّ فيها نفس النبيِّ، وغيرهما ممّا يناهز ثلاثة مائة آية[1] النازلة في الإمام أمير المؤمنين.

وهذه نصوص الحفّاظ الأثبات، والأعلام الأئمّة، وبين يديهم الصحاح والمسانيد وفيها حديث التطهير. وحديث المنزلة. وحديث البراءة. ذلك الهتاف

---

(١) راجع تاريخي الخطيب ج ٦ ص ٢٢١ وابن عساكر، وكفاية الكنجي ص ١٠٨، والصواعق ص ٧٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٥، والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٤٢، ونور الأبصار ص ٨١، وهناك مصادر كثيرة اخرى.

النبويّ المبين المتواتـر، كلّ ذلـك كانت تلوكـه أشداق الصحـابة وأُنهي إلى التابعين.

أفترى من الممكن أن يهتف المولى سبحانه في المجتمع بطهارة ذاتٍ وقدسه من الدنس، وعصمته من كلّ رجس؟ أو ينزِّله منزلة نفس النبيِّ الأعظم ويُسمع به عباده؟ أو يوجب بنصِّ كتابه المقدَّس على أُمَّة نبيِّه الأقدس مودَّة ذي قرباه؟ (وأمير المؤمنين سيّدهم) ويجعل ولاءهم أجر ذلك العبء الفادح الرسالة الخاتمة العظمى؟ و يُخبر بلسان نبيِّه امَّته بأنَّ طـاعة (عليٍّ) طـاعته ومعصيتـه معصيته؟[1] ويكون مع ذلك كلِّه هناك مجال للإجتهاد بأن يُقاتل؟ أو يُقتل؟ أو يُنفى من الأرض؟ أو يُسبَّ على رؤوس الأشهاد؟ أو يُلعن على المنابر؟ أو تُعلن عليه الدعايات؟ وهل يحكم شعورك الحرُّ بأنَّ الإجتهاد في كلِّ ذلك كاجتهاد المفتين وإختلافهم في قتل الساحر وأمثاله؟.

وابن حزم نفسه يقـول في الفِصل ج ٣ ص ٢٥٨ : ومن تـأوَّل من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجَّة، ولا تبيَّن له الحقّ، فهو معذورٌ مأجورٌ أجراً واحداً لطلبه الحقّ وقصده إليه، مغفورٌ له خطؤه إذ لم يتعمَّد، لقول الله تعالى: وليس عليكم جناحٌ فيما أخطأتم به ولكن ما تعمَّدت قلوبكم. وإن كان مصيباً فله أجران أجرٌ لإصابته وأجرٌ آخر لطلبه إيّـاه، وإن كان قـد قامت الحجَّة عليه، وتبيَّن له الحقّ فعَنَدَ عن الحقِّ غير معارض له تعالى ولا لرسوله ﷺ فهو فاسقٌ لجرأته على الله تعالى باصراره على الأمر الحرام. فإن عَنَدَ عن الحقِّ معارضاً لله ولرسوله ﷺ فهو كافرٌ مرتدٌّ حلال الدم والمـال، لا فرق في هـذه الأحكام بين الخطأ في الإعتقاد في أيّ شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفتيا في أيّ شيء كان. إنتهى.

فهل من الممكن إنكار حجِّيَّة كتاب الله العزيز؟ أو نفي ما تلوناه منه؟ أو إحتمال خفاء هذه الحجج الدامغة كلها على أهل الخطأ من أولئك المجتهدين؟ وعدم تبيّن الحقِّ لهم؟ وعدم قيام الحجَّة عليهم؟ أو تسرّب الإجتهاد والتأويل في

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢١، ١٢٨، والذهبي في تلخيصه وصححاه.

تلك النصوص أيضاً؟

على أنّ هناك نصوصٌ نبويّة حول حربه وسلمه منها: ما أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٩ عن زيد بن أرقم عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم. وذكره الذهبيُّ في تلخيصه، وأخرجه الكنجي في الكفاية ص ١٨٩ من طريق الطبراني والخوارزمي في المناقب ص ٩٠ والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٢١٦ من طريق الترمذي وابن ماجة وابن حبّان والحاكم.

وأخرجه الخطيب باسناده عن زيد في تاريخه ج ٧ ص ١٣٧ بلفظ: أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم، والحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٦، ورواه الكنجي في كفايته ص ١٨٩ من طريق الترمذي، وابن حجر في الصواعق ص ١١٢ من طريق الترمذي وابن ماجة وابن حبّان والحاكم، وابن الصبّاغ المالكي في فصوله ص ١١، ومحبّ الدين في الرياض ج ٢ ص ١٨٩، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ١٠٢ من طريق ابن أبي شيبة والترمذي والطبراني والحاكم والضياء المقدسي في المختارة.

وأخرجه ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٣٦ باللفظ الأوّل عن أبي هريرة من طريق النسائي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وابن ماجة من حديث وكيع كلاهما عن سفيان الثوري.

وأخرج أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٤٢ عن أبي هريرة بلفظ: أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم. والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٩، والخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢٠٨، والكنجي في الكفاية ص ١٨٩ من طريق أحمد وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، والمتّقي في الكنز ج ٦ ص ٢١٦ من طريق أحمد والطبراني والحاكم.

وأخرج محبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٨٩ عن أبي بكر الصدِّيق: رأيت رسول الله ﷺ خيَّم خيمة وهو متّكىءٌ على قوسٍ عربيّة وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين أنا سلمٌ لمن

سالم أهل الخيمة، حربٌ لمن حاربهم، وليٌّ لمن والاهم، لا يُحبّهم إلّا سعيد الجدِّ طيِّب المولد، ولا يُبغضهم إلّا شقيُّ الجدِّ رديء الولادة.

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٩ عن جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بضبع عليٍّ بن أبي طالب وهو يقول: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصورٌ مَن نصره، مخطولٌ من خذله. ثمّ مدَّ بها صوته. وأخرجه ابن طلحة الشافعي في مطالب السئول ص ٣١ عن أبي ذر بلفظ: قائد البررة، وقاتل الكفرة. إلخ. ورواه ابن حجر في الصواعق ص ٧٥ عن الحاكم، وأحمد زيني دحلان في الفتوحات الإسلاميَّة ج ٢ ص ٣٣٨.

إلى أحاديث كثيرة لو جمعت لتأتي مجلَّدات ضخمة، على أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يبثّ الدعاية بين أصحابه حول تلك المقاتلة التي زعم ابن حجر فيها إجتهاد معاوية وعمرو بن العاص ومن كان معهما، وكان صلّى الله عليه وآله يأمرهم ويأمر أميرهم (وليّ الله الطاهر) بحربهم وقتالهم، وبطبع الحال ما كان ذلك يخفى على أيِّ أحد من أصحابه، وإليك نماذج من تلك[1] الدعاية النبويَّة.

أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٩ والذهبيُّ في تلخيصه عن أبي أيّوب الأنصاري: انّ رسول الله ﷺ أمر عليّ بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. ورواه الكنجي في كفايته ص ٧٠. وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٠ عن أبي أيّوب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. وأخرج الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٣٤٠ وج ١٣ ص ١٨٧ وإبن عساكر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين. وأخرجه الحمويني في فرائد السمطين في الباب الثالث والخمسين، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٢. وأخرج الحاكم وابن عساكر كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٦ ص ٣٩١ عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل

(١) لم نذكرها بجميع طرقها التي وقفنا عليها روماً للإختصار وستوافيك في الجزء الثالث.

أُمّ سلمة فجاء عليٌّ فقال رسول الله ﷺ: يا أُم سلمة؟ هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي. وأخرج الحمويني في فرائد السمطين في الباب الرابع والخمسين بطريقين عن سعد بن عبادة عن عليٍّ قال: أُمرت بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

وأخرج البيهقي في المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٣١ والخوارزمي في المناقب ص ٥٢ و٥٨ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأمِّ سلمة: هذا عليّ بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي، يا أُمَّ سلمة هذا أمير المؤمنين وسيِّد المسلمين ووعاء علمي ووصيِّي وبابي الذي أُؤتى منه، أخي في الدنيا والآخرة ومعي في المقام الأعلى، عليٌّ يقتل القاسطين والناكثين والمارقين. ورواه الحمويني في الفرائد في الباب السابع والعشرين والتاسع والعشرين بطرق ثلاث، وفيه: وعيبة علمي مكان وعاء علمي، والكنجي في الكفاية ص ٦٩، والمتّقي في الكنز ج ٦ ص ١٥٤ من طريق الحافظ العقيلي.

وأخرج شيخ الإسلام الحمويني في فرائده عن أبي أيّوب قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين. من طريق الحاكم، ومن طريقه الآخر عن غياث بن ثعلبة عن أبي أيّوب قال (غياث): قاله أبو أيّوب في خلافة عمر بن الخطاب.

وأخرج في الفرائد في الباب الثالث والخمسين عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ قال: مع عليِّ بن أبي طالب.

وقال ابن عبد البرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٥٣ هامش الإصابة: ورُوي من حديث عليٍّ، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي أيّوب الأنصاري: إنّه أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

فلعلّك باخعٌ بما ظهرت عليه من الحقِّ الجليِّ غير أنّك باحثٌ عن القول الفصل في معاوية وعمرو بن العاصي فعليك بما في طيّات كتب التأريخ من

كلماتهما وسنوقفك على ما يبين الرشد من الغيّ في ترجمة عمرو بن العاصي وعند البحث عن معاوية في الجزء العاشر.

هذا مجمل القول في آراء ابن حزم وضلالاته وتحكّماته فأنت (كما يقول هو) لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم. تجد الرأي العام في ضلاله قد صدر من أهله في محلّه، وليس هناك مجال نسبة الحسد والحنق إلى مَن حكم بذلك من المالكيّين أو غيرهم، ممَّن عاصره أو تأخّر عنه، وكتابة الِفصَل أقوى دليلٍ على حقِّ القول و صواب الرأي.

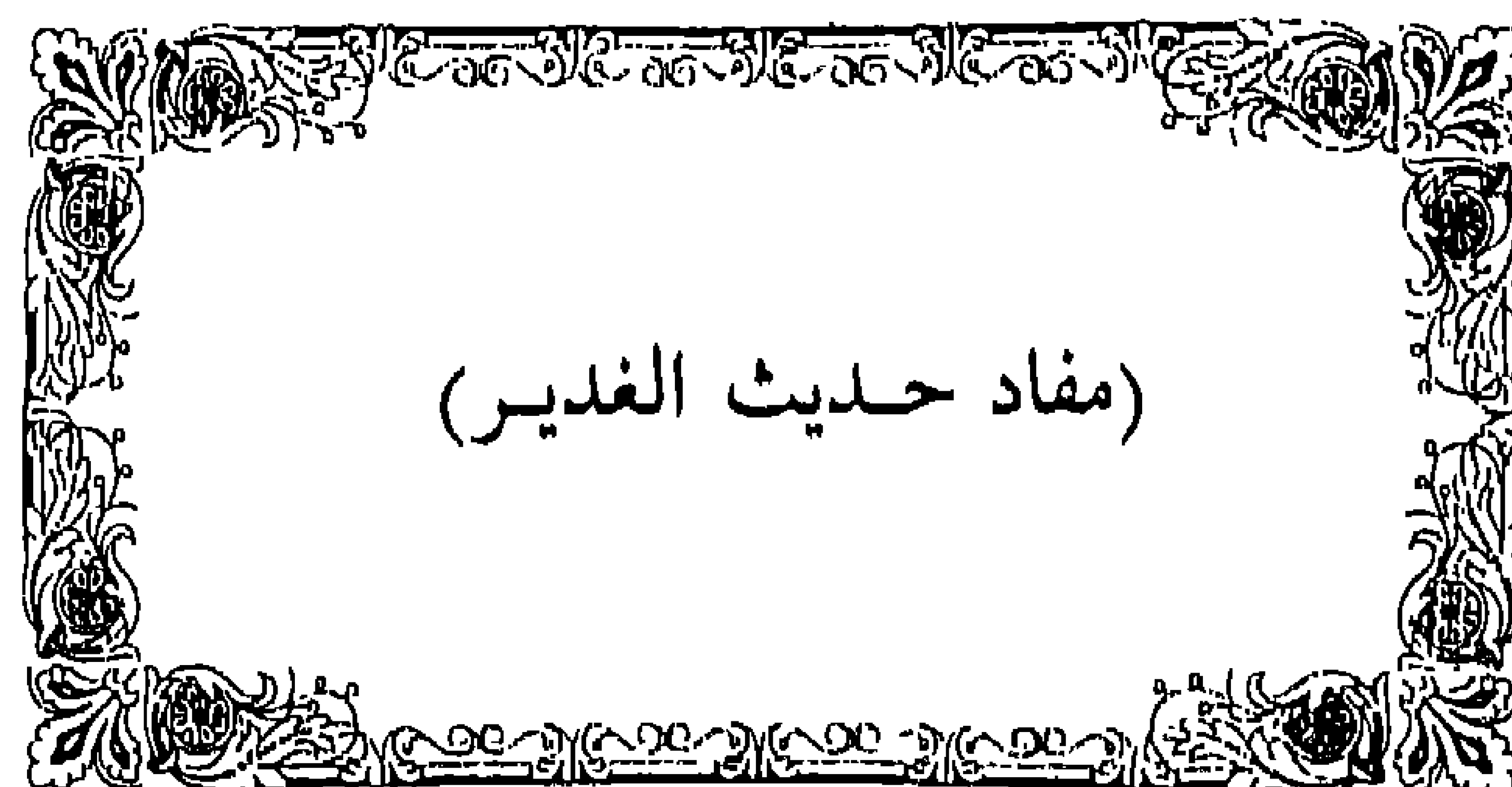
قال ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣٧٠: كان كثير الوقوع في العلماء المتقدِّمين لا يكاد أحدٌ يسلم من لسانه قال ابن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقين. قال لكثرة وقوعه في الأئمَّة، فنفرت منه القلوب، واستهدف لفقهاء وقته، فتمالؤوا على بغضه، وردّوا قوله، وإجتمعوا على تضليله، وشنَّعوا عليه، وحذَّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم من الدنوِّ إليه، والأخذ عنه فأقصته الملوك، و شرّدته عن بلاده، حتى انتهى إلى بادية لبلة[1]: فتوفّي بها في آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ستّ وخمسين وأربعمائة.

﴿وَلَقَدْ حَقَّ عَلَيهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ
أَفَأَنتَ تُنْقِذُ مَنْ في النّار؟﴾

«سورة الزمر: ١٩»

---

(١) بفتح اللامين من بلاد الأندلس.



(مفاد حديث الغدير)

لعلَّ إلى هنا لم يبق مسلكٌ للشكِّ في صدور الحديث عن المصدر النبويِّ المقدَّس وأمّا دلالته على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّا مهما شككنا في شيء فلا نشكُّ في أنَّ لفظة المولى سواءٌ كانت نصّاً في المعنى الذي نحاوله بالوضع اللغوي أو مجملةً في مفادها لإشتراكها بين معان جمَّة، وسواءٌ كانت عريَّة عن القرائن لإثبات ما ندَّعيه من معنى الإمامة أو محتفَّة بها، فإنَّها في المقام لا تدلّ إلّا على ذلك لفهم مَن وعاه من الحضور في ذلك المحتشد العظيم، ومَن بلغه النبأ بعد حين ممَّن يُحتجُّ بقوله في اللغة من غير نكير بينهم، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجالات الأدب حتى عصرنا الحاضر، وذلك حجّةٌ قاطعةٌ في المعنى المراد، وفي الطليعة من هؤلاء مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كتب إلى معاوية في جواب كتاب له من أبيات ستسمعها ما نصّه.

وأوجب لي ولايته عليكم　　　رسول الله يوم غدير خمِّ

ومنهم: حسّان بن ثابت الحاضر مشهد الغدير وقد استأذن رسول الله ﷺ أن ينظم الحديث في أبيات منها قوله:

فقال له: قم يا عليُّ فإنّني　　　رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

ومن أولئك: الصحابيُّ العظيم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي يقول:

وعليٌّ إمامنا وإمامٌ　　　لسوانا أتى به التنزيلُ
يوم قال النبيُّ: مَن كنت مولا　　　هُ فهذا مولاه خطبٌ جليلُ

ومن القوم: محمَّد بن عبدالله الحميري القائل:

تناسوا نصبه في يوم خمٍّ   من الباري ومن خير الأنامِ

ومنهم: عمرو بن العاصي الصحابيُّ القائل.

وكم قد سمعنا من المصطفى   وصايا مخصَّصةً في علي
وفي يوم خمٍّ رقى منبراً   وبلّغ والصحب لم ترحلِ
فأمنحه إمرة المؤمنين   من الله مستخلف المنحلِ
وفي كفّه كفّه معلناً   ينادي بأمر العزيز العلي
وقال: فمن كنت مولىً له   عليٌّ له اليوم نعم الولي

ومن أولئك: كميت بن زيد الأسدي الشهيد ١٢٦ حيث يقول:

ويوم الدوح دوح غدير خمّ   أبان له الولاية لو أُطيعا

ومنهم السيدُّ إسماعيل الحميري المتوفى ١٧٩ في شعره الكثير الآتي ومنه:

لذلك ما اختاره ربّه   لخير الأنام وصيّاً ظهيرا
فقام بخمّ بحيث الغدير   وحطَّ الرحال وعاف المسيرا
وقُمَّ له الدوح ثمّ ارتقى   على منبر كان رحلاً وكورا
ونادى ضحىً باجتماع الحجيج   فجاءوا إليه صغيراً كبيرا
فقال وفي كفّه حيدرٌ   يليح إليه مبيناً مشيرا
: ألا إنَّ من أنا مولىً له   فمولاه هذا قضاً لن يجورا
فهل أنا بلَّغت؟ قالوا: نعم   فقال اشهدوا غُيَّباً أو حضورا
يبلِّغ حاضركم غائباً   وأشهد ربّي السميع البصيرا
فقوموا بأمر مليك السما   يبايعه كلٌّ عليه أميرا
فقاموا لبيعته صافقين   أكفّاً فأوجس منهم نكيرا
فقال: إلهيَ! وال الوليَّ   وعاد العدوَّ له والكفورا
وكن خاذلاً للأولى يخذلون   وكن للأولى ينصرون نصيرا
فكيف ترى دعوة المصطفى   مجاباً بها أم هباءاً نثيرا؟
أُحبّك يا ثاني المصطفى   ومن أشهد الناس فيه الغديرا

ومنهم: العبد الكوفي من شعراء القرن الثاني في بائيته الكبيرة بقوله:

وكـان عنهـا لهم في خمّ مـزدجـرٌ ... لَمّـا رقى أحمـد الهـادي على قتبِ
وقـال والنـاس من دانٍ إليـه ومن ... ثـاوٍ لـديـه من مُصـغٍ ومُـرتقبِ
: قم يـا عليُّ! فإنّي قـد أُمرت بـأن ... أُبلغ النـاس والتبـليـغ أجـدر بي
إنّي نصبت عـليّـاً هـاديـاً علمـاً ... بعـدي وإنَّ عليّـاً خيـر منتصبِ
فـبـايـعـوك وكـلٌّ بـاسطٌ يـده ... إليـك من فـوق قلب عنـك منقلب

ومنهم شيخ العربية والأدب أبو تمام المتوفّى ٢٣١ في رائيته بقوله:

ويـوم الغديـر إستوضـح الحقّ أهله ... بضحيـاء لا فيهـا حجـاب ولا سترُ
أقـام رسـول الله يـدعـوهم بهـا ... ليقـربـهم عـرفٌ وينـآهمُ نـكـرُ
يـمـدّ بـضـبـعـيـه ويُعـلم: أنَّـه ... وليٌّ ومـولاكم فهـل لكُمُ خبـرُ؟
يـروح ويغـدو بـالبيـان لمشعـر ... يـروح بهم غمرٌ ويغـدو بهم غمـرُ
فكـان لهم جهـرٌ بـإثبـات حقّـه ... وكـان لهم في بزِّهم حقّـه جهـرُ

وتبع هؤلاء جماعة من بواقع العلم والعربية الذين لا يعدون مواقع اللغة، ولا يجهلون وضع الألفاظ، ولا يتحرّون إلّا الصحّة في تراكيبهم وشعورهم، كدعبل الخزاعي. والحمّاني الكوفي. والأمير أبي فراس. وعلم الهدى المرتضى. والسيّد الشريف الرضيّ. والحسين بن الحجّاج. وابن الروميّ. وكشاجم. والصنوبري. والمفجّع. والصّاحب بن عبّاد. والناشي الصغير والتنوخي والزاهي. وأبي العلا السروي. والجوهري. وابن علويّة. وابن حمّاد. وابن طباطبا. وأبي الفرج. والمهيار. والصولي النيلي. والفنجكردي. إلى غيرهم من أساطين الأدب وأعلام اللغة، ولم يزل أثرهم مقتصّاً في القرون المتتابعة إلى يومنا هذا، وليس في وسع الباحث أن يحكم بخطأ هؤلاء جميعاً وهم مصادره في اللغة ومراجع الأُمّة في الأدب.

وهنالك زرافات من الناس فهموا من اللفظ هذا المعنى وإن لم يُعربوا عنه بقريض لكنهم أبدوه في صريح كلماتهم، أو أنّه ظهر من لوائح خطابهم، ومن أولئك الشيخان وقد أتيا أمير المؤمنين عليه السلام مهنّئين ومبايعين وهما يقولان:

أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[١] فليت شعري أيّ معنى من معاني المولى الممكنة تطبيقه على مولانا لم يكن قبل ذلك اليوم حتى تجدّد به فأتيا يهنّئانه لأجله ويصارحانه بأنّه أصبح متلفّعاً به يوم ذاك؟ أهو معنى النصرة أو المحبّة اللتين لم يزل أمير المؤمنين عليه السلام متّصفاً بهما منذ رضع ثُديّ الإيمان مع صنوه المصطفى صلّى الله عليه وآله؟ أم غيرهما مما لا يمكن أن يراد في خصوص المقام؟ لاها الله لا ذلك ولا هذا، وإنّما أرادا معنىً فهمه كلّ الحضور من أنّه أولى بهما وبالمسلمين أجمع من أنفسهم وعلى ذلك بايعاه وهنّئاه.

ومن أولئك: الحارث بن النعمان الفهري (أو: جابر) المنتقم منه بعاجل العقوبة يوم جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يقول: يا محمّد! أمرتنا بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وقد سبق حديثه ص ٢٨٥ ـ ٢٩٣ فهل المعنى الملازم للتفضيل الذي إستعظمه هذا الكافر الحاسد، وطفق يشكّك أنّه من الله أم أنّه محاباة من الرسول، يمكن أن يراد به أحد ذينك المعنيين أو غيرهما؟ أحسبُ أنّ ضميرك الحرَّ لا يستبيح لك ذلك، ويقول لك بكلّ صراحة: إنّه هو تلك الولاية المطلقة التي لم يؤمن بها طواغيت قريش في رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ بعد قهر من آيات باهرة، وبراهين دامغة، وحروب طاحنة، حتى جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فكانت هي في أمير المؤمنين أثقل عليهم وأعظم، وقد جاهر بما أضمره غيره الحارث بن النعمان فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

ومن أولئك: النفر الذين وافوا أمير المؤمنين عليه السلام في رحبة الكوفة قائلين: السّلام عليك يا مولانا. فاستوضح الإمام عليه السلام الحالة لإيقاف السامعين على المعنى الصحيح وقال: كيف أكون مولاكم وأنتم رهطٌ من العرب؟ فأجابوه إنّا سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ:

---

(١) مر حديث التهنئة بأسانيده وتفاصيله ص ٣١٩ ـ ٣٣٤

مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه[1] عرف القارىء الكريم أنّ المولويّة المستعظمة عند العرب الذين لم يكونوا يتنازلون بالخضوع لكلِّ أحد ليست هي المحبَّة والنصرة ولا شيء من معاني الكلمة وإنّما هي الرئاسة الكبرى التي كانوا يستصعبون حمل نيرها إلاّ بموجب يخضعهم لها وهي التي إستوضحها أمير المؤمنين عليه السلام للملأ باستفهام فكان من جواب القوم: أنّهم فهموها من نصِّ رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وهذا المعنى غير خافٍ حتّى على المخدَّرات في الحجال فقد أسلفنا ص ٢٥٢ عن الزمخشري في ربيع الأبرار عن الدارميَّة الحجونيّة التي سألها معاوية عن سبب حبِّها لأمير المؤمنين عليه السلام وبغضها له فاحتجَّت عليه بأشياء منها: إنَّ رسول الله عقد له الولاية بمشهد منه يوم غدير خمّ، وأسند بغضها له إلى أنّه قاتل مَن هو أولى بالأمر منه وطلب ما ليس له. ولم يُنكره عليها معاوية.

وقبل هذه كلّها مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام وإحتجاجه به يوم الرحبة وقد أوقفناك على تفصيل أسانيده وطرقه الصحيحة المتواترة ص ٢٠٧ ـ ٢٢٨، وكان ذلك لَمّا نوزع في خلافته وبلغه إتِّهام الناس له فيما كان يرويه من تفضيل رسول الله صلّى الله عليه وآله له وتقديمه إيّاه على غيره كما مرَّ ص ٢٢٦ و ٣٥٢ و٣٥٧ و٣٦٢، وقال برهان الدين الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣٠٣: إحتجَّ به بعد أن آلت إليه الخلافة ردّاً على من نازعه فيها. أفترى والحالة هذه معنىً معقولاً للمولى غير ما نرتأيه وفهمه هو عليه السلام ومَن شهد له من الصحابة ومَن كتم الشهادة إخفاءاً لفضله حتى رُمي بفاضح من البلاء، ومن نازعه حتى أُفحم بتلك الشهادة؟ وإلاّ فأيّ شاهد له في المنازعة بالخلافة في معنى الحبِّ والنصرة وهما يعمّان سائر المسلمين؟ إلاّ أن يكونا على الحدِّ الذي سنصفه إن شاء الله وهو معنى الأولويَّة المطلوبة.

والواقف على موارد الحجاج بين أفراد الامَّة وفي مجتمعاتها وفي

(١) راجع ما أسلفناه من أسانيد هذا الحديث ومتنه ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥.

تضاعيف الكتب منذ ذلك العهد المتقادم إلى عصورنا هذه جِدُّ عليم بأنّ القوم لم يفهموا من الحديث إلّا المعنى الذي يُحتجُّ به للإمامة المطلقة وهو الأولويَّة من كلِّ أحد بنفسه وماله في دينه ودنياه الثابت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وآله وللخلفاء المنصوصين عليهم من بعده، نحيل الوقوف على ذلك على حيطة الباحث وطول باع المتتبِّع فلا نطيل بإحصائها المقام.

(مفعل بمعنى أفعل)

أمّا أنّ لفظ مولى يراد به لغةً الأولى، أو أنّه أحد معانيه، فناهيك من البرهنة عليه ما تجده في كلمات المفسِّرين والمحدِّثين من تفسير قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿فَاليومَ لا يُؤخذُ مِنكم فِديةٌ ولا مِن الذينَ كفروا مَأوَاكُم النّارُ هِيَ مَولاكمْ و بِئسَ المصير﴾. فمنهم من حصر التفسير بأنّها أولى بكم، ومنهم من جعله أحد المعاني في الآية، فمن الفريق الأوّل:

١ ـ ابن عباس في تفسيره من تفسير الفيروز آبادي ص ٣٤٢.

٢ ـ الكلبي[١] حكاه عنه الفخر الرازي في تفسيره ج ٨ ص ٩٣.

٣ ـ الفرّاء يحيى بن زياد الكوفيُّ النحويُّ المتوفّى ٢٠٧، حكاه عنه الفخر الرازيُّ في تفسيره ج ٨ ص ٩٣.

٤ ـ أبو عبيدة معمّر بن مثنّى البصريُّ المتوفّى ٢١٠، ذكره عنه الرازيّ في تفسيره ج ٨ ص ٩٣ وذكر إستشهاده ببيت لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنّه مولى المخافة خلفها وأمامها

وذكره عنه شيخنا المفيد في رسالته في معنى المولى، والشريف المرتضى في الشافي من كتابه «غريب القرآن» وذكر إستشهاده ببيت لبيد، واحتجَّ الشريف الجرجاني في «شرح المواقف» ج ٣ ص ٢٧١ بنقل ذلك عنه ردّاً على الماتن.

٥ ـ الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة النحوي المتوفّى ٢١٥، نقله عنه الفخر الرازي في «نهاية العقول» وذكر إستشهاده ببيت لبيد.

---

(١) محمد بن سائب المفسر النسابة المتوفى ١٤٦ بالكوفة.

٦ ـ أبو زيد سعد بن أوس اللغويُّ البصريُّ المتوفّى ٢١٥، حكاه عنه صاحب «الجواهر العبقريَّة».

٧ ـ البخاري أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل المتوفّى ٢١٥، قاله في صحيحه ج ٧ ص ٢٤٠.

٨ ـ ابن قتيبة المتوفّى ٢٧٦ (المترجم ص١٢٨) قاله في «القرطين» ج ٢ ص ١٦٤ واستشهد ببيت لبيد.

٩ ـ أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى النحويُّ الشيبانيُّ المتوفّى ٢٩١، قال القاضي الزوزني حسين بن أحمد المتوفّى ٤٨٦ في شرح السبع المعلقة في بيت لبيد المذكور قال ثعلب: إنَّ المولى في هذا البيت بمعنى الأولى بالشيء كقوله: مَأويكم النارُ هِيَ مَوْليكم. أي هي أولى بكم.

١٠ ـ أبو جعفر الطبري المتوفّى ٣١٠، ذكره في تفسيره ج ٩ ص ١١٧.

١١ ـ أبو بكر الأنباري محمَّد بن القاسم اللغويُّ النحويُّ المتوفّى ٣٢٨، قاله في تفسيره ـ مشكل القرآن ـ نقله عنه الشريف المرتضى في الشافي وذكر استشهاده ببيت لبيد، وابن بطريق في «العمدة» ص ٥٥.

١٢ ـ أبو الحسن الرماني عليّ بن عيسى المشهور بالورّاق النحوي المتوفّى ٣٨٤ ـ ٨٢، ذكره عنه الفخر الرازي في (نهاية العقول).

١٣ ـ أبو الحسن الواحدي المتوفّى ٤٦٨ (المترجم ص ١٤٦) ففي الوسيط: مأويكُم النارُ هِي مَوْلاكُم. هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب، والمعنى: انّها هي التي تلي عليكم لأنّها قد ملكت أمركم فهي أولى بكم من كل شيء.

١٤ ـ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى ٥٩٧ (المترجم ص١٥٢) نقله في تفسيره «زاد المسير» عن أبي عبيدة مرتضياً له.

١٥ ـ أبو سالم محمَّد بن طلحة الشافعيُّ المتوفّى٦٥٢، قاله في «مطالب السئول» ص ١٦.

١٦ ـ شمس الدين سبط ابن الجوزي الحنفيُّ المتوفّى ٦٥٤، قاله في «التذكرة» ص ١٩.

١٧ ـ محمَّد بن أبي بكر الرازيّ، صاحب «مختار الصحاح» قال في «غريب القرآن» (فرغ منه ٦٦٨): المولى: الذي هو أولى بالشيء ومنه قوله: مَأويكُم النّارُ هِيَ مَوْلاكُم، أي هي أولى بكم، والمولى في اللغة على ثمانية أوجه (وعدّ منها). الأولى بالشيء.

١٨ ـ التفتازانيُّ المتوفّى ٧٩١، ذكره في «شرح المقاصد» ص ٢٨٨ نقلاً عن أبي عبيدة.

١٩ ـ ابن الصبّاغ المالكيّ المتوفّى ٨٥٥ (المترجم ص ١٦٧) عدّ في «الفصول المهمّة» ص ٢٨، الأولى بالشيء من معاني المولى المستعملة في الكتاب العزيز.

٢٠ ـ جلال الدين محمَّد بن أحمد المحلّي الشافعيّ المتوفّى ٨٥٤، في تفسير الجلالين.

٢١ ـ جلال الدين أحمد الخجندي، ففي ـ توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل ـ عنه أنَّه قال: المولى يطلق على معان، ومنها: الأولى في قوله تعالى: ﴿**هِي موْلاكُم**﴾ أي أولى بكم.

٢٢ ـ علاء الدين القوشجي المتوفّى ٨٧٩، ذكره في شرح التجريد.

٢٣ ـ شهاب الدين أحمد بن محمَّد الخفاجيُّ المتوفّى ١٠٦٩، قاله في حاشية تفسير البيضاوي مستشهداً ببيت لبيد.

٢٤ ـ السيِّد الأمير محمَّد الصنعاني، قاله في «الروضة النديّة» نقلاً عن الفقيه حميد المحلّي.

٢٥ ـ السيّد عثمان الحنفيُّ المكيُّ المتوفّى ١٢٦٨، قاله في «تاج التفاسير» ج ٢ ص ١٩٦.

٢٦ ـ الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكيّ المتوفّى ١٣٠٣، قال في

«النور الساري» ـ هامش صحيح البخاري ـ ج ٧ ص ٢٤٠ : هِيَ مَوْلاكم: أولى بكم من كلٍّ منزل على كفركم وإرتيابكم.

٢٧ ـ السيِّد محمَّد مؤمن الشبلنجي، ذكره في «نور الأبصار» ص ٧٨.

(ومن الفريق الثاني)

٢٨ ـ أبو إسحاق أحمد الثعلبي المتوفّى ٤٢٧، قال في «الكشف والبيان»: مأويكم النار هِيَ مَولاكم. أي صاحبتكم وأولى وأحقُّ بأن تكون مسكناً لكم، ثمَّ استشهد ببيت لبيد المذكور.

٢٩ ـ أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الشنتميري المتوفى ٤٧٦، قاله في - تحصيل عين الذهب ـ (ط تعليق كتاب سيبويه) ج ١ ص ٢٠٢ في قول لبيد واستشهد بالآية الكريمة.

٣٠ ـ الفرّاء حسين بن مسعود البغوي المتوفّى ٥١٠، قاله في «معالم التنزيل».

٣١ ـ الزمخشري المتوفّى ٥٣٨، ذكره في «الكشّاف» ج ٢ ص ٤٣٥، واستشهد ببيت لبيد، ثمَّ قال: لا يجوز أن يراد هي ناصركم. إلخ.

٣٢ ـ أبو البقاء محبّ الدين العكبريّ البغداديّ المتوفّى ٦١٦، قاله في تفسيره ص ١٣٥.

٣٣ ـ القاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفّى ٦٩٢، ذكره في تفسيره ج ٢ ص ٤٩٧ واستشهد ببيت لبيد.

٣٤ ـ حافظ الدين النسفي المتوفّى ٧٠١ ـ ٧١٠، ذكره في تفسيره (هامش تفسير الخازن) ج ٤ ص ٢٢٩.

٣٥ ـ علاء الدين علي بن محمَّد الخازن البغداديُّ المتوفّى ٧٤١، قاله في تفسيره ج ٤ ص ٢٢٩.

٣٦ ـ ابن سمين أحمد بن يوسف الحلبي المتوفّى ٨٥٦، قال في تفسيره ـ المصون في علم الكتاب المكنون ـ: هي مولاكم. يجوز أن يكون مصدراً أي

ولايتكم أي ذات ولايتكم، وأن يكون مكاناً أي مكان ولايتكم. وأن يكون أولى بكم كقولك. هو مولاه.

٣٧ ـ نظام الدين النيسابوري، قاله في تفسيره (هامش تفسير الرازي) ج ٨.

٣٨ ـ الشربيني الشافعي المتوفّى ٩٧٧، قاله في تفسيره ج ٤ ص ٢٠٠ واستشهد ببيت لبيد.

٣٩ ـ أبو السعود محمَّد بن محمَّد الحنفيُّ القسطنطينيُّ المتوفّى ٩٧٢، ذكر في تفسيره (هامش تفسير الرازي) ج ٨ ص ٧٢، ثمَّ ذكر بقيَّة المعاني.

٤٠ ـ الشيخ سليمان جمل، ذكر في تعليقه على تفسير الجلالين الذي أسماه بالفتوحات الإلٓهيَّة وفرغ منه سنة ١١٩٨.

٤١ ـ المولى جار الله آبادي، قال في حاشية تفسير البيضاوي: المولى مشتقٌ من الأولى بحذف الزائد.

٤٢ ـ محبّ الدين أفندي، قاله في شرح بيت لبيد في كتابه [تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات] ط سنة ١٢٨١.

ولولا أنَّ هؤلاء وهم أئمّة العربيَّة وبواقع اللغة عرفوا أنّ هذا المعنى من معاني اللفظ اللغويّة لما صحَّ لهم تفسيره، وأمّا قول البيضاوي بعد أن ذكر معنى الأولى: وحقيقته محراكم أي مكانكم الذي يقال فيه: هو أولى بكم كقولك: هو مئنة الكرم. أي مكان قول القائل: إنّه الكريم. أو: مكانكم عمّا قريب، من الولي وهو القرب. أو ناصركم على طريقة قوله: تحيَّة بينهم ضربٌ وجيعٌ. أو متولّيكم يتولاّكم كما تولَّيتم موجباتها في الدنيا. اهـ.

فإنه لا يعني به الحقيقة اللغويَّة التي نصَّ بها أوّلاً وإنَّما يريد الحاصل من المعنى، ويشعر إلى ذلك تقديم قوله: هي أولى بكُم. واستشهاده ببيت لبيد الّذي لم يحتمل فيه غير هذا المعنى. وقوله أخيراً مكانكم الذي يقال فيه. إلخ. وانَّه أخذ في تقريب بقيَّة المعاني بأنحاء من العناية يناسب كلٌ منها واحداً منهنَّ

إلّا معنى ـ الأولى ـ فإنَّه لم يقرِّبه من الوجهة اللغويَّة، بل أثبته بتقديمه والإستشهاد بالشعر، وإنَّما طفق يقرِّبه من وجهة القصد والإرادة. ويقرب منه ما في تفسير النسفي.

وقال الخازن: هي مولاكم أي وليّكم. وقيل: أولى بكم لِما أسلفتم من الذنوب. والمعنى هي الّتي تلي عليكم لأنها ملكت أمركم وأسلمتم إليها فهي أولى بكم من كلِّ شيء، وقيل: معنى الآية: لا مولى لكم ولا ناصر، لأنَّ من كانت النار مولاه فلا مولى له اهـ.

أمّا تفسيره بالوليِّ، فلا منافاة فيه لِما نرتأيه لِما ثبت من مساوقة الوليِّ مع المولى في جملة من المعاني، ومنها: الأولى بالأمر، وسيوافيك ايضاح ذلك إن شاء الله، فيكون القولان محض تغاير في التعبير لا تبايناً في الحقيقة. وما استرسل بعد ذلك من البيان فهو تقريبٌ لإرادة المعنى كما أسلفناه. والقول الثالث هو ذكر لازم المعنى سواءٌ كان هو الوليّ أو الأولى، فلا معاندة بينه وبين ما تقدَّمه من تفسير اللفظ. وهناك آيات أخرى استُعمل فيها المولى أيضاً بمعنى الأولى بالأمر منها:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**أنت مولانا**﴾. قال الثعلبي في [الكشف والبيان]: أي ناصرنا وحافظنا ووليّنا وأولى بنا.

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**بل الله مولاكم**﴾. قال أحمد بن الحسن الزاهد الدرواجكي في تفسيره المشهور بالزاهدي: أي الله أولى بأن يُطاع.

وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ **ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنون**﴾. قال أبو حيّان في تفسيره ج ٥ ص ٥٢: قال الكلبي: أي أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة. وقيل: مالكنا وسيّدنا فلهذا يتصرّف كيف شاء. وقال السجستاني العزيزي في [غريب القرآن] ص ١٥٤: أي وليّنا، والمولى على ثمانية أوجه المعتِق «بالكسر» والمعتَق «بالفتح» والوليّ. والأولى بالشيء. وابن العمّ. والصهر. والجار. والحليف.

(كلام الرازي في مفاد الحديث)

أقبل الرازي يتتعتع ويتلعثم بشُبه يبتلعهـا طوراً، ويجتـرّها تـارةً، وأخذ يُصعِّد ويُصوِّب في الإتيان بالشُبه بصورةٍ مكبَّرة فقال بعد نقله معنى الأولى عن جماعة ما نصّه:

قـال تعالى: ﴿مَـأْواكُمُ النّارُ هيَ مَـوْلاكُم وَبِئسَ الْمَصيـر﴾. وفي لفظ المولى هٰهنا أقوال: أحدها: قال ابن عبّاس: مولاكم أي مصيركم. وتحقيقه أنّ المولى موضع الولي وهو القرب، فالمعنى: انّ النار هي موضعكم الذي تقربون منه وتصلون إليه والثـاني: قال الكلبي: يعني أولى بكم. وهـو قول الـزجّاج والفرّاء وأبي عبيدة. واعلم أنَّ هذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير اللفظ لأنّه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة لصحَّ إستعمال كلٍّ واحد منهما في مكان الآخر فكان يجب أن يقال: هذا مولى من فلان. ولمّا بطل ذلك علمنا أنّ الذي قالوه معنىً وليس بتفسير، وإنّما نبَّهنا على هذه الدقيقة لأنَّ الشريف المرتضى لَمّا تمسَّك في إمامة عليّ بقوله عليه السَّلام: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال: أحد معاني مولى أنّه أولى. واحتجَّ في ذلك بأقوال أئمّة اللغة في تفسير هذه الآية بأنَّ مولى معناه أولى، وإذا ثبت أنّ اللفظ محتملٌ له وجب حمله عليه لأنَّ ما عداه إمّا بيِّن الثبـوت ككونـه ابن العم[١] والناصـر، أو بيِّن الإنتفاء كـالمعتق والمعتَق فيكون على التقدير الأوّل عبثاً، وعلى التقدير الثاني كذباً. وأمّا نحن فقد بيَّنّا بالدليل أنّ قول هؤلاء في هذا الموضع معنىً لا تفسير وحينئذٍ يسقط الإستدلال به. تفسير الرازي ج ٨ ص ٩٣.

وقال في نهاية العقول: إنّ المولى لو كان يجيىء بمعنى الأولى لصحَّ أن يقرن بأحدهما كلُّ ما يصحُّ قرنه بالآخر، لكنَّه ليس كذلك، فامتنع كون المولى بمعنى الأولى، بيان الشرطيَّة: أنّ تصرُّف الواضع ليس إلاّ في وضـع الألفاظ

---

(١) هذه غفلة عجيبة وسيوافيك ان النبي ﷺ كان ابن عم جعفر وعقيل وطالب وآل أبي طالب كلهم ولم يكن أمير المؤمنين ابن عم لهم، فإنه كان أخاهم، فهذا مما يلزم منه الكذب لو أريد من لفظ المولى لا مما هو بين الثبوت.

المفردة للمعاني المفردة، فأمّا ضمّ بعض تلك الألفاظ إلى البعض بعد صيرورة كلٍّ واحد منهما موضوعاً لمعناه المفرد فذلك أمرٌ عقليٌّ، مثلاً إذا قلنا: الإنسان حيوانٌ فإفادة لفظ الإنسان للحقيقة المخصوصة بالوضع، وإفادة لفظ الحيوان للحقيقة المخصوصة أيضاً بالوضع، فأمّا نسبة الحيوان إلى الإنسان بعد المساعدة على كون كلٍّ واحد من هاتين اللفظين موضوعةً للمعنى المخصوص فذلك بالعقل لا بالوضع، وإذا ثبت ذلك فلفظة الأولى إذا كانت موضوعةً لمعنىً ولفظة مِن موضوعة لمعنى آخر، فصحّة دخول أحدهما على الآخر لا يكون بالوضع بل بالعقل.

وإذا ثبت ذلك فلو كان المفهوم من لفظة الأولى بتمامه من غير زيادة ولا نقصان هو المفهوم من لفظة المولى، والعقل حكم بصحّة إقتران المفهوم من لفظة مِن بالمفهوم من لفظة الأولى، وجب صحّة إقترانه أيضاً بالمفهوم من لفظة المولى لأنَّ صحّة ذلك الإقتران ليست بين اللفظين بل بين مفهوميهما.

بيان أنّه ليس كلّما يصح دخوله على أحدهما صحَّ دخوله على الآخر: إنّه لا يقال: هو مولى مِن فلان، ويصحّ أن يقال هو مولى وهما موليان، ولا يصحّ أن يقال: هو أولى ـ بدون مِن ـ وهما أوليان وتقول: هو مولى الرجل ومولى زيد، ولا تقول: هو أولى الرجل وأولى زيد. وتقول: هما أولى رجلين وهم أولى رجال، ولا تقول: هما مولى رجلين ولا هم مولى رجال. ويقال: هو مولاه ومولاك، ولا يقال: هو أولاه وأولاك. لا يقال: أليس يقال: ما أولاه! لأنّا نقول: ذاك أفعل التعجب لا أفعل التفضيل، على أنَّ ذاك فعلٌ وهذا إسمٌ، والضمير هناك منصوبٌ وهنا مجرورٌ، فثبت أنّه لا يجوز حمل المولى على الأولى. إنتهى.

وإن تعجب فعجبٌ أن يعزب عن الرازي إختلاف الأحوال في المشتقّات لزوماً وتعديةً بحسب صيغها المختلفة، إنّ إتحاد المعنى أو الترادف بين الألفاظ إنّما يقع في جوهريّات المعاني لا عوارضها الحادثة من أنحاء التركيب وتصاريف الألفاظ وصيغها، فالإختلاف الحاصل بين المولى والأولى بلزوم مصاحبة الثاني للباء وتجرُّد الأوَّل منه إنّما حصل من ناحية صيغة أفعل من هذه المادّة كما أنَّ

مصاحبة مِن هي مقتضى تلك الصيغة مطلقاً، إذن فمفاد فلانٌ أولى بفلان، وفلانٌ مولى فلان واحدٌ حيث يراد به الأولى به من غيره. كما أنّ (أفعل) بنفسه يُستعمل مضافاً إلى المثنّى والجمع أو ضميرهما بغير أداة فيقال: زيد أفضل الرجلين أو أفضلهما، وأفضل القوم أو أفضلهم، ولا يُستعمل كذلك إذا كان ما بعده مفرداً فلا يقال: زيد أفضل عمرو، وإنّما هو أفضل منه، ولا يرتاب عاقلٌ في إتّحاد المعنى في الجميع، وهكذا الحال في بقيَّة صيغ أفعل كأعلم وأشجع وأحسن وأسمح وأجمل إلى نظائرها.

قال خالد بن عبدالله الأزهري في باب التفضيل من كتابه التصريح: إنَّ صحَّة وقوع المرادف موقع مرادفه إنَّما يكون إذا لم يمنع من ذلك مانعٌ، وههنا منع مانع وهو الإستعمال، فإنَّ إسم التفضيل لا يصاحب من حروف الجرِّ إلّا (مِن) خاصَّة، وقد تُحذف مع مجرورها للعلم بها نحو: والآخرةُ خَيرٌ وأبقى.

على أنَّ ما تشبَّث به الرازي يطَّرد في غير واحد من معاني المولى التي ذكرها هو وغيره، منها ما أختاره معنىً للحديث وهو: الناصر. فلم يستعمل هو مولى دين الله مكان ناصره، ولا قال عيسى على نبيِّنا وآله وعليه السلام: مَن موالي إلى الله. مكان قوله: مَن أنصاري إلى الله، ولا قال الحواريّون: نحن موالي الله. بدل قولهم: نحن أنصار الله.

ومنها الوليُّ فيقال للمؤمن: هو وليُّ الله ولم يرد من اللغة مولاه، ويقال: الله وليُّ المؤمنين ومولاهم. كما نصَّ به الراغب في مفرداته ص ٥٥٥.

وهلمَّ معي إلى أحد معاني المولى المتَّفق على إثباته وهو المنعَم عليه فإنَّك تجده مخالفاً مع أصله في مصاحبة (على) فيجب على الرازي أن يمنعه إلّا أن يقول: إنَّ مجموع اللفظ وأداته هو معنى المولى لكن ينكمش منه في الأولى به لأمر ما دبَّره بليل.

وهذه الحالة مطَّردة في تفسير الألفاظ والمشتقّات وكثير من المترادفات على فرض ثبوت الترادف فيقال: أجحف به وجحفه. أكبَّ لوجهه وكبَّه الله. أحرس به وحرسه. زريت عليه زرياً وأزريت به. نسأ الله في أجله وأنسأ أجله.

رفقت به وأرفقته. خرجت به وأخرجته. غفلت عنه وأغفلته. أبذيت القوم وبذوت عليهم. أشلتُ الحجر وشلتُ به.

كما يقال: رأمت الناقة ولدها أي عطفت عليه. إختتأ له أي خدعه. صلّى عليه أي دعا له. خنقته العبرة أي غصَّ بالبكاء. إحتنك الجراد الأرض وفي القرآن: لأحتنكنّ ذرِّيَّته. أي إستولى عليها وأستولينّ عليهم. ويقال: إستولى عليه أي غلبه وتمكَّن منه. وكلّها بمعنى واحد. ويقال: أجحف فلان بعبده أي كلَّفه ما لا يُطاق. وقال شاه صاحب في الحديث: إنَّ أولى في قوله ﷺ ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم. مشتقٌّ من الولاية بمعنى الحبّ. اهـ. فيقال: أولى بالمؤمنين أي أحبّ إليهم. ويقال بصر به ونظر إليه ورآه وكلّها واحدٌ.

وأنت تجد هذا الإختلاف يطّرد في جُلّ الألفاظ المترادفة التي جمعها الرماني المتوفّى ٣٨٤ في تأليف مفرد في ٤٥ صحيفة (ط مصر ١٣٢١) ولم ينكر أحدٌ من اللغويّين شيئاً من ذلك لمحض إختلاف الكيفيَّة في أداة الصحبة كما لم ينكروا بسائر الإختلافات الواردة من التركيب فإنَّه يقال: عندي درهمٌ غير جيِّد. ولم يجز: عندي درهمٌ إلّا جيِّد. ويقال: إنّك عالمٌ. ولا يقال: إن أنت عالم. ويدخل «إلى» إلى المضمر دون حتّى مع وحدة المعنى. ولاحظ أم وأو فانَّهما للترديد ويفرقان في التركيب بأربعة أوجه. وكذلك هل والهمزة فإنّهما للإستفهام ويفرقان بعشرة فوارق، وأيّان وحتّى مع إتِّحادهما في المعنى يفرقان بثلاث. وكم وكأيِّن بمعنى واحد ويفرقان بخمسة. وأيّ ومَن يفرقان بستَّة مع إتحادهما. وعند ولَدُن ولدى مع وحدة المعنى فيها تفرق بستَّة أوجه.

ولعلَّ إلى هذا التهافت الواضح في كلام الرازي أشار نظام الدين النيسابوري في تفسيره بعد نقل محصَّل كلامه إلى قوله: وحينئذ يسقط الإستدلال به. فقال: قلت: في هذا الإسقاط بحثٌ لا يخفى.

(الشبهة عند العلماء)

لم تكن هذه الشبهة الرازيَّة الداحضة بالتي تخفى على العرب والعلماء لكنَّهم عرفوها قبل الرازي وبعده، وما عرفوها إلّا في مدحرة البطلان، ولذلك

تراها لم تزحزحهم عن القول بمجيء المولى بمعنى الأولى، قال التفتازاني في شرح المقاصد ص ٢٨٩، والقوشجي في شرح التجريد ولفظهما واحدٌ: إنّ المولى قد يراد به المعتق والحليف والجار وابن العم والناصر والأولى بالتصرّف قال الله تعالى: ﴿مأونكم النار هي مولاكم﴾. أي أولى بكم ذكره أبو عبيدة وقال النبيُّ ﷺ: أيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها. أي الأولى بها والمالك لتدبير أمرها، ومثله في الشعر كثيرٌ، وبالجملة إستعمال المولى بمعنى المتولّي والمالك للأمر والأولى بالتصرُّف شائعٌ في كلام العرب منقولٌ عن كثير من أئمّة اللغة، والمراد أنّه إسمٌ لهذا المعنى لا انّه صفةٌ بمنزلة الأولى ليعترض بأنّه ليس من صيغة أفعل التفضيل وأنّه لا يستعمل إستعماله اهـ.

ذكرا ذلك عند تقريب الإستدلال بالحديث على الإمامة ثمّ طفقا يردّانِه من شتّى النواحي عدا هذه الناحية فأبقياها مقبولةً عندهما، كما أنّ الشريف الجرجاني في شرح المقاصد حذا حذوهما في القبول، وزاد بأنّه ردَّ بذلك مناقشة القاضي عضد بأنّ مفعلاً بمعنى أفعل لم يذكره أحدٌ فقال: أُجيب عنه بأنّ المولى بمعنى المتولّي والمالك للأمر والأولى بالتصرف شائعٌ في كلام العرب منقولٌ من أئمّة اللغة، قال أبو عبيدة: هي موليكم أي أولى بكم، وقال عليه السلام: أيّما إمرأة نكحت بغير إذن مولاها. أي الأولى بها والمالك لتدبير أمرها. ا هـ.

وابن حجر في الصواعق ص ٢٤ على تصلّبه في ردِّ الإستدلال بالحديث سلّم مجيء المولى بمعنى الأولى بالشيء لكنّه ناقش في متعلق الأولويَّة في أنَّه هل هي عامَّة الأمور؟ أو أنّها الأولويَّة من بعض النواحي؟ واختار الأخير ونسب فهم هذا المعنى من الحديث إلى الشيخين أبي بكر وعمر في قولهما: أمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وحكاه عنه الشيخ عبد الحق في لمعاته، وكذا حذا حذوه الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الشافعي في «ذخيرة المآل» فقال: التولّي: الولاية وهو الصديق والناصر أو الأولى بالإتّباع والقرب منه كقوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه﴾. وهذا الذي فهمه عمر رضي الله عنه من الحديث فإنه لمّا سمعه قال: هنيئاً يا بن أبي طالب! أمسيت وليَّ كلِّ

مؤمن ومؤمنة ا هـ .

وسبق عن الأنباري في «مشكل القرآن»: انَّ للمولى ثمان معان أحدها: الاولى بالشيْ، وحكاه الرازي عنه وعن أبي عبيدة فقال في «نهاية العقول»: لا نسلّم أنَّ كلّ من قال: انّ لفظة المولى محتملةٌ للأولى قال بدلالة الحديث على إمامة علي رضي اللّه عنه، أليس انّ أبا عبيدة وابن الأنباري حكما بأنَّ لفظة المولى للأولى مع كونهما قائلين[1] بإمامة أبي بكر رضي الله عنه اهـ . ونقل الشريف المرتضى عن أبي العباس المبرَّد أنَّ أصل يا وليّ أي الذي هو أولى وأحقّ ومثله المولى، وقال أبو نصر الفارابي الجوهري المتوفّى ٣٩٣ في «صحاح اللغة» ج ٢ ص ٥٦٤ مادَّة ولي في قول لبيد: أنّه يريد أولى موضع أن يكون فيه الخوف. وأبو زكريا الخطيب التبريزي في شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٢ في قول جعفر بن علبة الحارثي:

ألهفي بقرِّي سجل حين أحلبت علينا الولايا والعدوّ المباسل

عدَّ من وجوه معاني المولى الثمانية[2] الوليّ والأولى بالشيء، وعن عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني في «كشف الكشاف» في بيت لبيد: انَّ مولى المخافة، أي أولى وأحرى بأن يكون فيه الخوف، وعدّ سبط ابن الجوزي في «التذكرة» ص ١٩ ذلك من معاني المولى العشرة المستندة إلى علماء العربيّة، ومثله ابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ١٦، وذكر الأولى في طليعة المعاني التي جاء بها الكتاب وتبعه الشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٨ وأسند ذلك إلى العلماء. وقال شارحا المعلقات السبع: عبد الرحيم بن عبد الكريم، ورشيد النبيّ في بيت لبيد: إنّه أراد بوليّ المخافة: الأولى بها.

وبذلك كلّه تعرف حال ما أسنده صاحب التحفة الإثنى عشريَّة إلى أهل العربيَّة قاطبة من إنكار إستعمال المولى بمعنى الأولى بالشيء. أو يَحسب الرجل أنّ من ذكرناهم من أئمّة الأدب الفارسي؟ أو أنَّهم لم يقفوا على موارد لغة

---

(١) لا يهمنا ما يرتأيانه في الإمامة وإنما الغرض تنصيصهما بمعنى اللفظ اللغوي.

(٢) وهي: العبد، والسيد، وابن العم، والصهر، والجار، والحليف، والولي، والأولى بالشيء.

العرب كما وقف عليها الشاه صاحب الهندي؟ وليس الحَكَم في ذلك إلّا ضميرك الحرّ.

مضافاً إلى أنَّ إنكار الرازي عدم استعمال أولى مضافاً ممنوعٌ على إطلاقه لما عرفت من إضافته إلى المثنّى والمجموع، وجاءت في السنّة إضافته إلى النكرة، ففي صحيح البخاري في الجزء العاشر ص ٧ و٩ و١٠ و١٣ بأسانيد جمّة قد إتّفق فيها اللفظ عن ابن عبّاس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: ألحقوا الفرائض بأهلها فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر. ورواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٢، وفيما أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ٣١٣: فلأولى ذكر، وفي ص ٣٣٥: فلأولى رجل ذكر، وفي نهاية ابن الأثير ٢ ص ٤٩: لأولى رجل ذكر.

ويُعرب عمّا نرتأيه في حديث الغدير ما يماثله في سياقه جدّاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما من مؤمن إلّا أنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة إقرؤا إن شئتم: النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فأيّما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه. أخرجه البخاري في صحيحه ج ٧ ص ١٩٠ وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٤ بلفظ: إن على الأرض من مؤمن إلّا أنا أولى الناس به، فأيّكم ما ترك دَيناً أو ضياعاً فأنا مولاه.

(كلمة اخرى للرازي)

وللرازي كلمةٌ اخرى صعّد فيها وصوّب فحسب في كتابه «نهاية العقول» أنَّ أحداً من أئمّة النحو واللغة لم يذكر مجيئ «مفعل» الموضوع للحدثان أو الزمان أو المكان بمعنى «أفعل» الموضوع لإفادة التفضيل. وأنت إذا عرفت ما تلوناه لك من النصوص على مجيء مولى بمعنى الأولى بالشيء علمت الوهن في إطلاق ما يقوله هو ومن تبعه كالقاضي عضد الإيجي في المواقف، وشاه صاحب الهندي في التحفة الإثنى عشريّة والكابلي في الصواقع، وعبد الحق الدهلوي في لمعاته، والقاضي سناء الله الپاني پتي في سيفه المسلول، وفيهم

من بالغ في النكير حتى أسند ذلك إلى انكار أهل العربيَّة، وأنت تعلم أنَّ أساس الشبهة من الرازي ولم يسندها إلى غيره، وقلّده أولئك عميً مهما وجدوا طعناً في دلالة الحديث على ما ترتأيه الإماميَّة.

أنا لا ألوم القوم على عدم وقوفهم على كلمات أهلِ اللغة وإستعمالات العرب لألفاظها فإنَّهم بُعداَء عن الفنِّ، بُعداَء عن العربيَّة، فمن رازيّ إلى إيجيّ. ومن هنديّ إلى كابليّ. ومن دهلويّ إلى پاني پتّي. وأين هؤلآء من العرب الأقحاح؟ وأين هم من العربيَّة؟ نعم ـ حنَّ قدحٌ ليس منها ـ وإذا آختلط الحابل بالنابل طفق يحكم في لغة العرب من ليس منها في حلّ ولا مرتحل.

إذا ما فُضِّلت عليا قـريش فلا في العير أنت ولا النفير

أوَ ما كان الذين نصّوا بأنَّ لفظ المولى قد يأتي بمعنى الأولى بالشيء أعرف بمواقع اللغة من هذا الذي يخبط فيها خبط عشواء؟ كيف لا؟ وفيهم مَن هو من مصادر اللغة، وأئمَّة الأدب، وحُذَّاق العربيَّة، وهم مراجع التفسير، أو ليس في مصارحتهم هذه حجَّة قاطعة على أنّ مَفعلاً يأتي بمعنى أفعل في الجملة؟ إذن فما المبرِّر لذلك الإنكار المطلق؟ نعم، لأمر ما جدع قصيرٌ أنفه.

وَحسبُ الرازي مبتدع هذا السفسطة قول أبي الوليد ابن الشحنة الحنفي الحلبي في «روض المناظر» في حوادث سنة ستّ وستمائة من أنّ الرازي كانت له اليد الطولى في العلوم خلا العربيَّة. وقال أبو حيّان في تفسيره ج ٤ ص ١٤٩ بعد نقل كلام الرازي: إنّ تفسيره خارجٌ عن مناحي كلام العرب ومقاصدها، وهو في أكثره شبيهٌ بكلام الذين يُسمّون أنفسهم حكماء.

وقال الشوكـاني في تفسيره ج ٤ ص ١٦٣ في قـوله تعـالى ﴿**لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾ (القصص): وللرازي في هذا الموضع إشكالات باردة جدّاً لا تستحق أن تُذكر في تفسير كلام الله عزّ وجلّ والجواب عليها يظهر للقصَّر فضلاً عن الكامل.

ثمَّ إنّ الدلالة على الزمان والمكان في «مَفعل» كالدلالة على التفضيل في «أفعل» وكخاصّـة كلٍّ من المشتقّـات من عوارض الهيئـات لا من جوهـريّات

الموادّ، وذلك أمرٌ غالبيٌّ يُسار معه على القياس ما لم يرد خلافه عن العرب، وأمّا عند ذلك فإنّهم المحكّمون في معاني ألفاظهم، ولو صفي لِلرازي إختصاص المولى بالحدثان أو الواقع منه في الزمان أو المكان لوجب عليه أن ينكر مجيئه بمعنى الفاعل والمفعول وفعيل وها هو يصرّح بإتيانه بمعنى الناصر. والمعتق بالكسر. والمعتَق بالفتح. والحليف. وقد صافقه على ذلك جميع أهل العربيَّة وَهتَفَ الكلُّ مجيء المولى بمعنى الوليّ، وذكر غير واحد من معانيه الشريك. والقريب. والمحبّ. والعتيق. والعقيد. والمالك. والمليك. على أنّ مَن يذكر الأولى في معاني المولى وهم الجماهير ممن يُحتجُّ بأقوالهم لا يعنون أنّه صفةٌ له حتى يناقش بأنّ معنى التفضيل خارجٌ عن مفاد المولى مزيدٌ عليه فلا يتّفقان وإنّما يريدون أنّه إسمٌ لذلك المعنى، إذن فلا شيء يفتّ في عضدهم.

وهب أنَّ الرازي ومن لفَّ لفَّه لم يقفوا على نظير هذا الإستعمال في غير المولى فإنَّ ذلك لا يوجب إنكاره فيه بعد ما عرفته من النصوص، فكم في لغة العرب من إستعمال مخصوص بمادَّة واحدة فمنها: كلمة عجاف جمع أعجف. فلم يجمع أفعل على فِعال إلاّ في هذه المادّة كما نصّ به الجوهري في الصحاح، والرازي نفسه في التفسير، والسيوطي في المزهر ج ٢ ص ٦٣ وقد جاء بالقرآن الكريم: وقال الملك إنّي أرى سبع بقرات سمان يأكلهنَّ سبعٌ عجافٌ (سورة يوسف) ومنه شعر العرب في مدح سيِّد مضر هاشم بن عبد مناف.

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكّة مسنتون عجافُ

ومنها: انّ ما كان على فعَلتُ (مفتوح العين) من ذوات التضعيف متعدِّياً مثل رددت وعددت يكون المضارع منه مضموم العين إلاّ ثلاثة أحرف تأتي مضمومة ومكسورة وهي: شدَّ. ونمَّ. وعلَّ. وزاد بعض: بثَّ (أدب الكاتب ص ٣٦١).

ومنها أنْ ضمير المثنى والمجموع لا يظهر في شيء من أسماء الأفعال كصه ومه إلاّ: ها [بمعنى خذ] فيقال: هاؤما، وهاؤم، وهاؤنَّ، وفي الذكر الحكيم قوله سبحانه: ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ راجع التذكرة لابن هشام، والأشباه والنظائر للسيوطي.

ومنها: انَّ القياس المطَّرد في مصدر تفاعل هو التفاعُل بضمِّ العين إلاّ في مادَّة (التفاوت) فذكر الجوهري فيها ضمَّ الواو أوَّلاً ثمَّ نقل عن ابن السكيت عن الكلابيّين فتحه، وعن العنبري كسره، وحُكي عن أبي زيد الفتح والكسر كما في «أدب الكاتب» ص ٥٩٣، ونقل السيوطي في المزهر ج ٢ ص ٣٩: الحركات الثلاث.

ومنها: أنّ المطَّرد في مضارع «فَعَلَ» بفتح العين الذي مضارعه «يفعِل» بكسره أنّه لا يستعمل مضموم العين إلاّ في «وجَد» فإنّ العامريّين ضمّوا عينه كما في الصحاح وقال شاعرهم لبيد:

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة فدع الصوادي لا يجُدن غليله

وصرَّح به ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٣٦١، والفيروز آبادي في القاموس ج ١ ص ٣٤٣، وفي المزهر ج ٢ ص ٤٩ عن ابن خالويه في شرح الدريديّة إنّه قال: ليس في كلام العرب فَعَل يفعُل ممّا فاؤه واو إلاّ حرفٌ واحد: وَجَدَ يَجُدُ.

ومنها: انّ إسم الفاعل من «أفعل» لم يأت على «فاعل» إلاّ أبقل. وأورس. وَأيفعَ فيقال: أبقل الموضع فهو باقل. وأورس الشجرة فهو وارس. وأيفع الغلام فهو يافع: كذا في المزهر ج ٢ ص ٤٠، وفي الصحاح: بلدٌ عاشبٌ ولا يقال في ماضيه إلاّ أعشبت الأرض.

ومنها: انّ إسم المفعول من «أفعل» لم يأت على فاعل إلاّ في حرف واحد وهو قول العرب: أسامت الماشية في المرعى فهي سائمة. ولم يقولوا: مُسامة. قال تعالى: ﴿فيه تُسيمون﴾. من أسام يسيم. ذكره السيوطي في المزهر ج ٢ ص ٤٧.

وتجد كثيراً من أمثال هذه من النوادر في المخصَّص لابن سيدة، ولسان العرب، وذكر السيوطي في المزهر ج ٢ منها أربعين صحيفة.

(جواب الرازي عما أثبتناه)

هناك لِلرازي جوابٌ عن هذه كلّها يكشف عن سوئة نفسه قال في «نهاية العقول»: وأمّا الذي نقلوا عن أئمّة اللغة من: أنّ المولى بمعنى الأولى فلا حجّة لهم، إذ أمثال هذا النقل لا يصلح أن يُحتجَّ به في إثبات اللغة فنقول: إنَّ أبا عبيدة وإن قال في قوله تعالى: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾: معناه هي أولى بكم. وذكر هذا ايضاً الأخفش، والزجّاج، وعليّ بن عيسى واستشهدوا ببيت لبيد ولكن ذلك تساهلٌ من هؤلاء الأئمّة لا تحقيق، لأنَّ الأكابر من النقلة مثل الخليل وأضرابه لم يذكروه إلّا في تفسير هذه الآية أو آية أُخرى مرسلاً غير مسند، ولم يذكروه في الكتب الأصليّة من اللغة. إنتهى.

ليت شعري من ذا الذي أخبر الرازي: انَّ ذلك تساهلٌ مِن هؤلاء الأئمّة لا تحقيق؟ وهل يطّرد عنده قوله في كلِّ ما نقل عنهم من المعاني اللغويّة؟ أو أنَّ له مع لفظ المولى حساباً آخر؟ وهل على اللغويِّ إذا أثبت معنىً إلّا الإستشهاد ببيت للعرب؟ أو آية من القرآن الكريم؟ وقد فعلوه.

وكيف تجد عدم ذكر الخليل وأضرابه حجّةً على التسامح؟ بعد بيان نقله عن أئمّة اللغة، وليس من شرط اللغة أن يكون المعنى مذكوراً في جميع الكتب، وهل الرازي يقتصر فيها على كتاب العين وأضرابه؟

ومَن ذا الذي شرط في نقل اللغة عنعنة الإسناد؟ وهل هو إلّا ركونٌ إلى بيت شعر؟ أو آية كريمة؟ أو سنّة ثابتة؟ أو إستعمال مسموع؟ وهل يجد الرازي خيراً من هؤلاء لتلقّي هاتيك كلِّها؟ وما باله لا يقول مثل قوله هنا إذا جاءه أحد من القوم بمعنى من المعاني العربيّة؟ أقول: لأنّ له في المقام مرمىً لا يعدوه.

وهل يشترط الرجل في ثبوت المعنى اللغويِّ وجوده في المعاجم اللغويّة فحسب؟ بحيث لا يقيم له وزناً إذا ذُكر في تفسير آية، أو معنى حديث، أو حلّ بيت من الشعر، ونحن نرى العلماء يعتمدون في اللغة على قول أيِّ ضليع في

العربيَّة حتى الجارية الأعرابيَّة(١) ولا يشترط عند الأكثر بشيء من الإيمان والعدالة والبلوغ، فهذا القسطلاني يقول في شرح البخاري ج ٧ ص ٧٥: قول الشافعي نفسه حجَّةٌ في اللغة. وقال السيوطي في المزهر ج ١ ص ٧٧: حُكم نقلِ واحدٍ من أهل اللغة القبول. وحكى في ص ٨٣ عن الأنباري قبول نقل العدل الواحد ولا يشترط أن يوافقه غيره في النقل. وفي ص ٨٧ بقول شيخ أو عربيّ يثبت اللغة. وحكى في ص ٢٧ عن الخصائص لابن جنّي قوله: من قال: إنّ اللغة لا تُعرف إلّا نقلاً فقد أخطأ فإنَّها قد تعلم بالقرائن أيضاً، فإنّ الرجل إذا سمع قول الشاعر:

قومٌ إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووُحدانا

يعلم أنّ الزرافات بمعنى الجماعات. وذكر أيضاً ثبوت اللغة بالقرينة وبقول شاعر عربيّ. فهذه المصادر كلّها موجودةٌ في لفظ المولى غير أنَّ الرازي لا يعلم أنَّ اللغة بماذا تثبت، ولذلك تراه يتلجلج ويرعد ويبرق من غير جدوى أو عائدة، ولا أحسبه يحير جواباً عن واحد من الأسئلة التي وجَّهناها إليه.

وكأنّه في إحتجاجه بخلوِّ كتاب «العين» عن ذلك نسي أو تناسى ما لهج به في «المحصول» من إطباق الجمهور من أهل اللغة على القدح في كتاب «العين» كما نقله عنه السيوطي في المزهر ج ٢ ص ٤٧ و٤٨.

وأنا لا أدري ما المراد من الكتب الأصليَّة من اللغة؟ ومَن الذي خصَّ هذا الإسم بالمعاجم التي يقصد فيها سرد الألفاظ وتطبيقها على معانيها في مقام الحجِّيَّة، وأخرج عنها ما أُلِّف في غريب القرآن أو الحديث أو الأدب العربيِّ؟ وهل نيَّة أرباب المعاجم دخيلةٌ في صحَّة الإحتجاج بها؟ أو أنَّ ثقة أرباب الكتب وتضلّعهم في الفنِّ وتحرِّيهم موارد إستعمال العرب هي التي تكسبها الحجِّيَّة؟ وهذه كلّها موجودةٌ في كتب الأئمَّة والأعلام الذين نُقل عنهم مجيء المولى بمعنى الأولى.

---

(١) راجع المزهر ج ١ ص ٨٣ و٨٤.

(مفعل بمعنى فعيل)

هلمَّ معي إلى صخب وهياج تهجّم بها على العربيَّة (ومن العزيز على العروبة والعرب ذلك) الشاه وليّ الله صاحب الهندي في تحفته الإثني عشرية فحسب في ردّ دلالة الحديث أنّها لا تتمّ إلاّ بمجيء المولى بمعنى الوليّ وأنّ «مَفعلاً» لم يأت بمعنى «فعيل» يريد به دحض ما نصَّ به أهل اللغة من مجيء المولى بمعنى الوليِّ الذي يراد به وليّ الأمر كما وليّ المرأة، ووليّ اليتيم، ووليّ العبد، وولاية السلطان، ووليّ العهد لمن يقيِّضه الملك عاهل مملكته بعده.

نعم عزب الدهلوي قول الفرّاء المتوفّى ٢٠٧ في (معاني القرآن) وأبي العبّاس المبرّد: بأنَّ الوليّ والمولى في لغة العرب واحدٌ. وذهل عن إطباق أئمَّة اللغة على هذا، وعدِّهم الوليَّ من معاني المولى في معاجم اللغة وغيرها كما في «مشكل القرآن» للأنباري، و«الكشف والبيان» للثعلبي في قوله تعالى: ﴿أنت مولانا﴾، و «الصحاح» للجوهري ج ٢ ص ٥٦٤، و(غريب القرآن) للسجستاني ص ١٥٤، وقاموس الفيروز آبادي ج ٤ ص ٤٠١، و«الوسيط» للواحدي، وتفسير القرطبي ج ٣ ص ٤٣١، ونهاية ابن الأثير ج ٤ ص ٢٤٦ وقال: ومنه قول عمر لعليّ: أصبحت مولى كلِّ مؤمن. وتاج العروس ج ١٠ ص ٣٩٩ واستشهد بقوله تعالى: ﴿بأنَّ الله وليُّ الذين آمنوا وأنَّ الكافرين لا مولى لهم﴾. وبقوله صلّى الله عليه وآله: وأيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها. وبحديث الغدير: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه(١).

(نظرة في معاني المولى)

ذكر علماء اللغة من معاني المولى السيِّد غير المالك والمعتق كما ذكروا من معاني الوليِّ الأمير والسلطان مع إطباقهم على اتّحاد معنى الوليِّ والمولى: وكلٌّ من المعنيين لا يُبارح معنى الأولويَّة بالأمر، فالأمير أولى من الرعيَّة في تخطيط الأنظمة الراجعة إلى جامعتهم، وبإجراء الطقوس المتكفِّلة لتهذيب أفرادهم، وكبح عادية كلٍّ منهم عن الآخر، وكذلك السيِّد أولى ممّن يسوده

---

(١) لا يسعنا ذكر المصادر كلها أو جلها لكثرتها جداً ولا يهمنا مثل هذا التافه.

بالتصرف في شؤونهم، وتختلف دائرة هذين الوصفين سعةً وضيقاً باختلاف مقادير الإمارة والسيادة فهي في والي المدينة أوسع منها في رؤساء الدواوين، وأوسع من ذلك في وُلاة الأقطار، ويفوق الجميع ما في الملوك والسلاطين، ومنتهى السعة في نبيٍّ مبعوث على العالم كلّه وخليفةٍ يخلفه على ما جاء به من نواميس وطقوس.

ونحن إذا غاضينا القوم على مجيء الأولى بالشيء من معاني المولى فلا نغاضيهم على مجيئه بهذين المعنيين، وانّه لا ينطبق في الحديث إلّا على أرقى المعاني. أو أوسع الدوائر، بعد أن علمنا أنَّ شيئاً من معاني المولى المنتهية إلى سبعة وعشرين معنى لا يمكن إرادته في الحديث إلّا ما يطابقهما من المعاني ألا وهي:

١ ـ الربّ ٢ ـ العمّ ٣ ـ ابن العمّ ٤ ـ الإبن ٥ ـ ابن الأخت ٦ ـ المعتِق ٧ ـ المعتَق ٨ ـ العبد ٩ ـ المالك ١٠[1] ـ التابع ١١ـ المنعَم عليه ١٢ ـ الشريك ١٣ ـ الحليف ١٤ ـ الصاحب ١٥ ـ الجار ١٦ ـ النزيل ١٧ ـ الصهر ١٨ ـ القريب ١٩ ـ المنِعم ٢٠ ـ الفقيد ٢١ ـ الوليّ ٢٢ ـ الأولى بالشيء ٢٣ ـ السيّد غير المالك والمعتِق ٢٤ ـ المحبّ ٢٥ ـ الناصر ٢٦ ـ المتصرِّف في الأمر ٢٧ ـ المتولّي في الأمر.

فالمعنى الأوّل يلزم من إرادته الكفر إذ لا ربّ للعالمين سوى الله. وأمّا الثاني والثالث إلى الرابع عشر فيلزم من إرادة شيء منها في الحديث الكذب، فإنَّ النبيَّ عمُّ أولاد أخيه إن كان له أخ وأمير المؤمنين ابن عمّ أبيهم. وهو صلّى الله عليه وآله ابن عبدالله وأمير المؤمنين ابن أخيه أبي طالب، ومن الواضح إختلاف امّهما في النسب فخؤلة كلّ منهما غير خؤلة الآخر، فليس هو عليه السلام بابن أُخت لمن صلّى الله عليه وآله ابن أخته. وأنت جِدُّ عليم بأنَّ مَن أعتقه رسول الله لم يعتقه أمير المؤمنين مرّةً أُخرى، وإن كلاًّ منهما سيّد

---

(١) في صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٧: المليك. وقال القسطلاني في شرح الصحيح ج ٧ ص ٧٧: المولى المليك لأنه يلي أمور الناس: وشرحه كذلك أبو محمد العيني في عمدة القاري. وكذا قال لفظياً العدوي الحمزاوي في النور الساري.

الأحرار من الأوّلين والآخرين، فلم يكونا معتَقين لأي ابن أُنثى واعطف عليه العبد في السخافة والشناعة. ومن المعلوم أنَّ الوصيَّ صلوات الله عليه لم يملك مماليك رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يمكن إرادة المالك منه. ولم يكن النبيُّ تابعاً لأي أحد غير مُرسِله جلَّت عظمته، فلا معنى لهتافه بين الملأ بأنَّ من هو تابعه فعليٌّ تابعٌ له. ولم يكن على رسول الله لأيِّ أحد من نعمة بل له المنن والنعم على الناس أجمعين فلا يستقيم المعنى بإرادة المنعَم عليه. وما كان النبيُّ صلّى الله عليه وآله يُشارك أحداً في تجارة أو غيرها حتى يكون وصيّه مشاركاً له أيضاً، على أنّه معدودٌ من التافهات إن تحقَّقت هناك شراكة، وتجارته لأُمّ المؤمنين خديجة قبل البعثة كانت عملاً لها لا شراكة معها، ولو سلّمناها فالوصيُّ سلام الله عليه لم يكن معه في سفره ولا له دخلٌ في تجارته. ولم يكن نبيُّ العظمة محالِفاً لأحد ليعتزَّ به، وإنّما العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين أجمع، إذن فكيف يمكن قصده في المقام؟ وعلى فرض ثبوته فلا ملازمة بينهما.

وأمّا الصاحب والجار والنزيل والصهر والقريب سواءٌ أُريد منه قربى الرحم أو قرب المكان فلا يمكن إرادة شيء من هذه المعاني لسخافتها لا سيّما في ذلك المحتشد الرهيب: في أثناء المسير، ورمضاء الهجير، وقد أمر صلّى الله عليه وآله بحبس المقدَّم في السير، ومنع التالي منه في محلٍّ ليس بمنزل له، غير أنَّ الوحي الإلهيّ المشفوع بما يشبه التهديد إن لم يبلِّغ حبَسه هنالك، فيكون صلّى الله عليه وآله قد عقد هذا المحتفَل والناس قد أنهكهم وعثاء السفر، وحرُّ الهجير، وحراجةُ الموقف حتى انَّ أحدهم ليضع رداءه تحت قدميه، فيرقى هنالك منبر الأهداج، ويُعلمهم عن الله تعالى أنَّ نفسه نعيت إليه، وهو مهتمٌّ بتبليغ أمر يخاف فوات وقته بانتهاء أيّامه، وأنَّ له الأهميَّة الكبرى في الدين والدنيا فيخبرهم عن ربِّه بأمور ليس للإشادة بها أيّ قيمة وهي: انّ مَن كان هو صلّى الله عليه وآله مصطحباً أو جاراً أو مصاهراً له أو نزيلاً عنده أو قريباً منه بأيّ المعنيين فعليٌّ كذلك. لاها الله لا نحتمل هذا في أحد من أهل الحلوم الخائرة، والعقليّات الضعيفة، فضلاً عن العقل الأوّل، والإنسان الكامل نبيِّ الحكمة، وخطيب البلاغة، فمن الإفك الشائن أن يُعزى إلى نبيّ الإسلام إرادة شيء

منها، وعلى تقدير إرادة شيء منها فأيّ فضيلةٍ فيها لأمير المؤمنين عليه السلام حتى يُبخبخ ويُهنّأ بها، ويُفضِّلها سعد ابن أبي وقاص في حديثه[1] على حمر النعم لو كانت، أو تكون أحبّ إليه من الدنيا وما فيها، عمر فيها مثل عمر نوح.

وأمّا المنعِم: فلا ملازمة في أن يكون كلُّ من أنعم عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله يكون أمير المؤمنين عليه السلام منعماً عليه ايضاً بل من الضروريِّ خلافه، إلاّ أن يراد أنَّ مَن كان النبيُّ صلّى الله عليه وآله منعِماً عليه بالدين والهدى والتهذيب و الإرشاد والعزَّة في الدنيا والنجاة في الآخرة فعليٌّ عليه السلام منعِمٌ عليه بذلك كلِّه لأنه القائم مقامه، والصادع عنه، وحافظُ شرعه، ومبلِّغٌ دينه، ولذلك أكمل الله به الدين، وأتمَّ النعمة بذلك الهتاف المبين، فهو حينئذ لايبارح معنى الإمامة الذي نتحرّاه ويساوق المعاني التي نحاول إثباتها فحسب.

وأمّا العقيد: فلا بدَّ أن يراد به المعاقدة والمعاهدة مع بعض القبائل للمهادنة أو النصرة فلا معنى لكون أمير المؤمنين عليه السلام كذلك إلاّ أنَّه تبعٌ له في كلِّ أفعاله وتروكه، فيساوقه حينئذ المسلمون أجمع، ولا معنى لتخصيصه بالذكر مع ذلك الإهتمام الموصوف، إلاّ أن يُراد أنَّ لعليٍّ عليه السلام دخلاً في تلك المعاهدات التي عقدها رسول الله صلّى الله عليه وآله لتنظيم السلطنة الإسلامية، وكلاءة الدولة عن الملاشاة بالقلاقل والحرج، فله التدخّل فيها كنفسه صلّى الله عليه وآله، وإن أمكن إرادة معاقدة الأوصاف والفضائل كما يقال: عقيد الكرم، وعقيد الفضل، أي: كريمٌ وفاضلٌ. ولو بتمحّل لا يقبله الذوق العربيُّ، فيقصد أنَّ مَن كنت عقيد الفضائل عنده فليعتقد في عليٍّ مثله، فهو والحالة هذه مقاربٌ لِما نرتأيه من المعنى، وأقرب المعاني أن يراد به العهود التي عاهدها صلّى الله عليه وآله مع مَن بايعه من المسلمين على إعتناق دينه، والسعي وراء صالحه؛ والذبّ عنه، فلا مانع أن يُراد من اللفظ والحالة هذه فإنَّه عبارةٌ أخرى لأن يقول: إنّه خليفتي والإمام مِن بعدي.

---

(١) راجع ص٦٢ - ٧٠.

(المحبّ والناصر)

على فرض إرادة هذين المعنيين لا يخلو إمّا أن يُراد بالكلام حثُّ الناس على محبّته ونصرته بما أنّه من المؤمنين به والذابّين عنه. أو أمره عليه السلام بمحبّتهم ونصرتهم وعلى كلٍّ فالجملة إمّا إخباريَّة أو إنشائيَّة.

فالإحتمال الأوَّل وهو الإخبار بوجوب حبِّه على المؤمنين فممّا لا طائل بحثه، وليس بأمر مجهول عندهم لم يسبقه التبليغ حتى يأمر به في تلك الساعة ويناط التواني عنه بعدم تبليغ شيء من الرسالة كما في نصِّ الذكر الحكيم، فيحبس له الجماهير، ويعقد له ذلك المنتدى الرهيب، في موقف حرج لإقرار به، ثمّ يكمل به الدين، وتتمّ به النعمة، ويرضى الربّ، كأنّه قد أتى بشيء جديد، وشرَّع ما لم يكن وما لا يعلمه المسلمون، ثم يُهنِّأه مَن هنَّأه بأصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، مؤذناً بحدوث أمر عظيم فيه لم يعلمه القائل قبل ذلك الحين، كيف؟ وهم يتلون في آناء الليل وأطراف النهار قوله سبحانه: ﴿**والمؤمنون بعضهم أولياء بعض**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إنَّما المؤمنون اخوة**﴾ مشعراً بلزوم التوادد بينهم كما يكون بين الأخوين، نُجلُّ نبيَّنا الأعظم عن تبليغ تافهٍ مثله، ونُقدِّس إلهنا الحكيم عن عبثٍ يشبهه.

والثاني: وهو إنشاء وجوب حبِّه ونصرته بقوله ذلك، وهو لا يقلُّ عن المحتمل الأوَّل في التفاهة، فإنّه لم يكن هناك أمرٌ لم يُنشأ وحُكمٌ لم يُشرَّع حتى يحتاج إلى بيانه الإنشائيِّ كما عرفت، على أنَّ حقَّ المقام على هذين الوجهين أن يقول صلّى الله عليه وآله: مَن كان مولاي فهو مولى عليٍّ أي محبّه وناصره، فهذان الإحتمالان خارجان عن مفاد اللفظ، ولعلَّ سبط ابن الجوزي نظر إلى هذا المعنى وقال في تذكرته ص ١٩: لم يجز حمل لفظ المولى في هذا الحديث على الناصر. وسيأتي لفظه بتمامه على أنّ وجوب المحبّة والمناصرة على هذين الوجهين غير مختصّ بأمير المؤمنين عليه السلام وإنّما هو شرع سواء بين المسلمين أجمع، فما وجه تخصيصه به والإهتمام بأمره؟ وإن أُريد محبَّة أو نصرة مخصوصةً له تربو عن درجة الرعيَّة كوجوب المتابعة، وامتثال الأوامر، والتسليم له، فهو معنى الحجيَّة والإمامة، لا سيَّما بعد مقارنتها بما هو مثلها في

النبيِّ صلّى الله عليه وآله بقوله: مَن كنت مولاه، والتفكيك بينهما في سياق واحد إبطالٌ للكلام.

والثالث: وهو إخباره بوجوب حبّهم أو نصرتهم عليه، فكان الواجب عندئذ إخباره صلّى الله عليه وآله عليّاً والتأكيد عليه بذلك لا إلقاء القول به على السامعين، وكذلك إنشاء الوجوب عليه وهو المحتمل الرابع، فكان صلّى الله عليه وآله في غنىً عن ذلك الإهتمام وإلقاء الخطبة وإستسماع الناس والمناشدة في التبليغ، إلاّ أن يُريد جلب عواطف الملأ وتشديد حبِّهم له عليه السلام إذا علموا أنَّه محبّهم أو ناصرهم ليتّبعوه، ولا يخالفوا له أمراً، ولا يردّوا له قولاً.

وبتصديره صلّى الله عليه وآله الكلام بقوله: مَن كنت مولاه. نعلم أنَّه على هذا التقدير لا يُريد من المحبّة أو النصرة إلاّ ما هو على الحدِّ الذي فيه صلّى الله عليه وآله منهما، فإنَّ حبّه ونصرته لامَّته ليس كمثلهما في أفراد المؤمنين، وإنّما هو صلّى الله عليه وآله يحبّ امَّته فينصرهم بما أنّه زعيم دينهم ودنياهم، ومالك أمرهم وكالىء حوزتهم، وحافظ كيانهم، وأولى بهم من أنفسهم، فإنَّه لو لم يفعل بهم ذلك لأجفلتهم الذئاب العادية، وانتأشتهم الوحوش الكواسر، ومدت إليه الأيدي من كلِّ صَوب وحَدَب، فمن غارات تُشنّ، وأموال تُباح، ونفوس تُزهق، وحُرمات تُهتك، فينتقض غرض المولى من بثّ الدعوة، وبسط أديم الدين، ورفع كلمة الله العليا، بتفرّق هاتيك الجامعة، فمن كان في المحبَّة والنصرة على هذا الحدِّ فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله، والمعنى على هذا الفرض لا يحتمل غير ما قلناه.

(المعاني التي يمكن إرادتها من الحديث)

لم يبق من المعاني إلاّ الوليُّ. والأولى بالشيء. والسيِّد غير قسيميه: المالك والمعتِق. والمتصرِّف في الأمر ومتولّيه. أمّا الوليُّ فيجب أن يراد منه خصوص ما يراد في الأولى لعدم صحَّة بقيّة المعاني كما عرَّفناكه، وأمّا السيِّد[1] بالمعنى المذكور فلا يُبارح معنى الأولى بالشيء لأنّه المتقدِّم على غيره لا سيّما

(١) عده من معاني المولى جمع كثير من أئمة التفسير والحديث واللغة، لا يستهان بعدتهم.

في كلمة يصف بها النبيُّ صلّى الله عليه وآله نفسه ثم ابن عمِّه على حذو ذلك، فمن المستحيل حمله على سيادة حصل عليها السائد بالتغلّب والظلم، وإنّما هي سيادةٌ دينيَّةٌ عامَّةٌ يجب إتِّباعها على المسودين أجمع.

وكذلك المتصرِّف في الأمر، ذكره الرازي في تفسيره ج ٦ ص ٢١٠ عن القفّال عند قوله تعالى: ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم﴾ «الحجّ» فقال: قال القفّال: هو مولاكم سيِّدكم والمتصرِّف فيكم، وذكرهما سعيد الچلبي مفتي الروم، وشهاب الدين أحمد الخفاجي في تعليقيهما على البيضاوي، وعدَّه في الصواعق ص ٢٥ من معانيه الحقيقيَّة، وحذا حذوه كمال الدين الجهرمي في ترجمة الصواعق، ومحمَّد بن عبد الرسول البرزنجيّ في النواقض، والشيخ عبد الحقّ في لمعاته، فلا يمكن في المقام إلّا أن يُراد به المتصرِّف الذي قيَّضه الله سبحانه لأن يُتَّبع فيحدو البشر إلى سَنن النجاح فهو أولى من غيره بأنحاء التصرُّف في الجامعة الإنسانيَّة، فليس هو إلّا نبيٌّ مبعوث أو إمامٌ مفترض الطاعة منصوصٌ به من قِبَله بأمر إلٰهيٍّ لا يُبارحه في أقواله وأفعاله وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى.

وكذلك متولّي الأمر الذي عدَّه من معاني المولى أبو العبّاس المبرَّد، قال في قوله: إنَّ الله مولى الّذين آمنوا: والوليُّ والمولى معناهما سواء، وهو الحقيق بخلقه المتولّي لأمورهم[(١)] وأبو الحسن الواحدي في تفسيره الوسيط، والقرطبي في تفسيره ج ٤ ص ٢٣٢ في قوله تعالى في آل عمران: ﴿بل الله مولاكم﴾ وابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ٢٤٦، والزبيدي في تاج العروس ج ١٠ ص ٣٩٨، وابن منظور في لسان العرب ٢٠ وقالوا: ومنه الحديث: أيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل وفي رواية: وليّها. أي متولّي أمرها، والبيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ما كتب لنا هو مولانا﴾ (التوبة) في تفسيره ج ١ ص ٥٠٥، وفي قوله تعالى: ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم﴾ (الحجّ) ج ٢ ص ١١٤، وفي قوله تعالى: ﴿والله مولاكم﴾ «التحريم» ج ٢ ص ٥٣٠، وأبو السعود العمادي

---

(١) حكاه عنه الشريف المرتضى في الشافي.

في تفسير قوله تعالى: ﴿والله مولاكم﴾ «التحريم» (هامش تفسير الرازي) ج ٨ ص ١٨٣، وفي قوله تعالى: ﴿هي مولاكم﴾. والراغب في المفردات، وعن أحمد بن الحسن الزاهد الدرواجكي في تفسيره: المولى في اللغة من يتولّى مصالحك فهو مولاك يلي القيام بامورك وينصرك على أعدائك، ولهذا سُمّي ابن العمّ والمعتِق مولى ثمَّ صار إسماً لمن لزم الشيء، والزمخشري في «الكشاف» وأبو العبّاس أحمد بن يوسف الشيباني الكواشي المتوفّى سنة ٦٨٠ في تلخيصه، والنسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿أنت مولانا﴾، والنيسابوري في «غرائب القرآن» في قوله تعالى: ﴿أنت مولانا﴾ وقوله تعالى: ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾. وقوله تعالى: ﴿هي مولاكم﴾ وقال القسطلاني في حديث مرَّ في ص ٣٧٢ عن البخاري ومسلم في قوله (ص): أنا مولاه، أي: وليّ الميِّت أتولّى عنه أموره، والسيوطي في تفسير الجلالين في قوله تعالى: ﴿أنت مولانا﴾ وقوله: ﴿فاعلموا أنّ الله مولاكم﴾. وقوله: ﴿قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا﴾. فهذا المعنى لا يُبارح أيضاً معنى الأولى لا سيّما بمعناه الذي يصف به صاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله نفسه على تقدير إرادته.

على أنَّ الذي نرتأيه في خصوص المقام بعد الخوض في غمار اللغة، ومجاميع الأدب، وجوامع العربيَّة، إنَّ الحقيقة من معاني المولى ليس إلاّ الأولى بالشيء، وهو الجامع لهاتيك المعاني جمعاء؛ ومأخوذ في كلٍّ منها بنوعٍ من العناية، ولم يطلق لفظ المولى على شيء منها إلاّ بمناسبة هذا المعنى.

١ ـ فالربّ سبحانه هو أولى بخلقه من أيّ قاهر عليهم خلق العالمين كما شاءت حكمته ويتصرَّف بمشيئته.

٢ ـ والعمّ أولى الناس بكلاءة ابن أخيه والحنان عليه وهو القائم مقام والده الذي كان أولى به.

٣ ـ وابن العمِّ أولى بالإتِّحاد والمعاضدة مع ابن عمِّه لأنَّهما غصنا شجرة واحدة.

٤ - والإبن أولى الناس بالطاعة لأبيه والخضوع له قال الله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذلّ من الرَّحمة﴾.

٥ - وابن الأخت أيضاً أولى الناس بالخضوع لخاله الذي هو شقيق أُمِّه.

٦ - والمعتِق بالكسر أولى بالتفضّل على مَن أعتقه من غيره.

٧ - والمعتَق بالفتح أولى بأن يعرف جميل مَن أعتقه عليه ويشكره بالخضوع بالطاعة.

٨ - والعبد أيضاً أولى بالإنقياد لمولاه من غيره وهو واجبه الذي نيطت سعادته به

٩ - والمالك أولى بكلاءة مماليكه وأمرهم والتصرُّف فيهم بما دون حدِّ الظلم.

١٠ - والتابع أولى بمناصرة متبوعه ممَّن لا يتبعه.

١١ - والمنعَم عليه أولى بشكر منعِمه من غيره.

١٢ - والشريك أولى برعاية حقوق الشركة وحفظ صاحبه عن الأضرار.

١٣ - والأمر في الحليف واضح، فهو أولى بالنهوض بحفظ مَن حالفه ودفع عادية الجور عنه.

١٤ - وكذلك الصاحب أولى بأن يُؤدِّي حقوق الصحبة من غيره.

١٥ - كما أنَّ الجار أولى بالقيام بحفظ حقوق الجوار كلِّها من البعداء.

١٦ - ومثلها النزيل فهو أولى بتقدير مَن آوى إليهم ولجأ إلى ساحتهم وأمن في جوارهم.

١٧ - والصهر أولى بأن يرعى حقوق مَن صاهره فشدَّ بهم أزره، وقوي أمره، وفي الحديث الآباء ثلاثة: أبٌ ولَّدك. وأبٌ زوَّجك. وأبٌ علّمك.

١٨ - واعطف عليها القريب الذي هو أولى بأمر القريبين منه والدفاع عنهم والسعي وراء صالحهم.

١٩ ـ والمنعِم أولى بـالفضـل على من أنعم عليـه، وأن يُتبـع الحسنـة بالحسنة.

٢٠ ـ والعقيد كالحليف في أولويَّة المناصرة له مع عاقده، ومثلهما.

٢١ ـ المحبّ و٢٢ الناصر، فإنّ كلاًّ منهما أولى بالدفاع عمّن أحبَّـه أو إلتزم بنصرته.

وقد عرفت الحال في الوليِّ ٢٣ ـ والسيِّد ٢٤ ـ والمتصرِّف في الأمر ٢٥ ـ والمتولّي له ٢٦.

إذن فليس للمـولى إلاّ معنىً واحد وهـو الأولى بـالشيء وتختلف هـذه الأولويَّة بحسب الإستعمال في كلٍّ من موارده، فالإشتراك معنويٌّ وهو أولى من الإشتراك اللفظيِّ المستدعي لأوضاع كثيـرة غير معلومـة بنصٍّ ثابت والمنفيَّـة بالأصل المحكّم، وقد سبقنا إلى بعض هذه النظريَّة شمس الدين ابن البطريق في العمدة ص ٥٦ وهو أحد أعلام الطائفة في القرن السادس، وتطفح بشيء من ذلك كلمات غير واحد من علماء أهل السنَّة[1] حيث ذكروا المناسبات في جملة من معاني المولى تشبه ما ذكرنا.

ويكشف عن كون المعنى المقصود (الأولى) هو المتبادر من المولى إذا أُطلق كما يأتي بيانه عن بعض في الكلمات حول المفاد ما رواه مسلم بإسناده في صحيحه ص ١٩٧ عن رسول الله ﷺ: لا يقل العبد لسيِّده مولاي. وزاد في حديث أبي معاوية: فإنّ مولاكم الله. وأخرجه غير واحد من أئمّة الحديث في تآليفهم.

(القرائن المعينة)
متَّصلة ومنفصلة

إلى هنا لم يبق للباحث ملتحدٌ عن البخوع لمجيء المولى بمعنى الأولى بالشيء، وإن تنازلنا إلى أنّه أحد معانيه وأنّه من المشترك اللفظيِّ، فإنَّ للحديث

(١) راجع ما أسلفناه عن الدرواجكي وغيره وما يأتي عن سبط ابن الجوزي وغيره، فتجد هناك كثيراً من نظرائها في مطاوي كلمات القوم.

قرائنُ متَّصلة وأُخرى منفصلة تنفي إرادة غيره. فإليك البيان:

(القرينة الأولى): مقدِّمة الحديث وهي قوله صلّى الله عليه وآله: ألست أولى بكم من أنفسكم. أو ما يُؤدّي مؤدّاه من ألفاظ متقاربة، ثمّ فرَّع على ذلك قوله: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وقد رواها الكثيرون من علماء الفريقين فمن حفّاظ أهل السنّة وأئمَّتهم.

١ - أحمد بن حنبل ٢ - ابن ماجة ٣ - النسائي ٤ - الشيباني ٥ - أبو يعلى
٦ - الطبري ٧ - الترمذي ٨ - الطحاوي ٩ - ابن عقدة ١٠ - العنبري
١١ - أبو حاتم ١٢ - الطبراني ١٣ - القطيعي ١٤ - ابن بطَّة ١٥ - الدارقطني
١٦ - الذهبي ١٧ - الحاكم ١٨ - الثعلبي ١٩ - أبو نعيم ٢٠ - ابن السمّان
٢١ - البيهقي ٢٢ - الخطيب ٢٣ - السجستاني ٢٤ - ابن المغازلي ٢٥ - الحسكاني
٢٦ - العاصمي ٢٧ - الخلعي ٢٨ - السمعاني ٢٩ - الخوارزمي ٣٠ - البيضاوي
٣١ - الملا ٣٢ - ابن عساكر ٣٣ - أبو موسى ٣٤ - أبو الفرج ٣٥ - ابن الأثير
٣٦ - ضياء الدين ٣٧ - قزاوغلي ٣٨ - الكنجي ٣٩ - التفتازاني ٤٠ - محبّ الدين
٤١ - الوصابي ٤٢ - الحمويني ٤٣ - الإيجي ٤٤ - وليّ الدين ٤٥ - الزرندي
٤٦ - ابن كثير ٤٧ - الشريف ٤٨ - شهاب الدين ٤٩ - الجزري ٥٠ - المقريزي
٥١ - ابن الصبّاغ ٥٢ - الهيثمي ٥٣ - الميبدي ٥٤ - ابن حجر ٥٥ - أصيل الدين
٥٦ - السمهودي ٥٧ - كمال الدين ٥٨ - البدخشي ٥٩ - الشيخاني ٦٠ - السيوطي
٦١ - الحلبي ٦٢ - ابن باكثير ٦٣ - السهارنپوري ٦٤ - ابن حجر المكّي

وقد ألمعنا إلى موارد ذكر المقـدِّمة بتعيين الجزء والصفحات من كتب هؤلاء الأعلام فيما أسلفنا عند بيان طرق الحديث عن الصحابة والتابعين، وهناك جمعٌ آخرون من رواتها لا يُستهان بعدَّتهم لا نطيل بذكرهم المقال، أضف إلى ذلك من رواها من علماء الشيعة الذين لا يُحصى عددهم.

فهذه المقدِّمة من الصحيح الثابت الذي لا محيد عن الإعتراف به كما صرَّح بذلك غير واحد من الأعلام المذكورين[١] فلو كان صلّى الله عليه وآله

---

(١) راجع رواة الحديث من الصحابة والكلمات حول سند الحديث.

يريد في كلامه غير المعنى الذي صرَّح به في المقدِّمة لَعاد لفظه (ونُجلّه عن كلِّ سقطة) محلول العُرى، مختزلاً بعضه عن بعض، وكان في معزل عن البلاغة وهو أفصح البلغاء، وأبلغ من نطق بالضاد، فلا مساغ في الإذعان بإرتباط أجزاء كلامه، وهو الحقّ في كلِّ قول يلفظه عن وحي يوحى، إلاّ أن نقول باتّحاد المعنى في المقدِّمة وذيلها.

ويزيدك وضوحا وبيانا ما في «التذكرة» لسبط ابن الجوزي الحنفي ص ٢٠ فإنَّه بعد عدِّ معانٍ عشرة للمولى وجعل عاشرها الأولى قال: والمراد من الحديث: الطاعة المخصوصة، فتعيَّن الوجه العاشر وهو الأولى ومعناه: مَن كنت أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به، وقد صرَّح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن سعيد الثقفي الاصبهاني في كتابه المسمّى بمرج البحرين فإنّه روى هذا الحديث بإسناده إلى مشايخه وقال فيه: فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ فقال: مَن كنت وليَّه وأولى به من نفسه فعليٌّ وليّه. فعلم أنَّ جميع المعاني راجعةٌ إلى الوجه العاشر، ودلَّ عليه أيضاً قوله عليه السلام: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وهذا نصٌّ صريحٌ في إثبات إمامته وقبول طاعته اهـ. ونصَّ ابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ١٦ على ذهاب طائفة إلى حمل اللفظ في الحديث على الأولى. وسيوافيك نظير هذه الجمل في محلّه إن شاء الله تعالى.

(القرينة الثانية): ذيل الحديث وهو قوله صلّى الله عليه وآله: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. في جملة من طرقه بزيادة قوله: وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. أو ما يؤدّي مؤدّاه، وقد أسلفنا ذكر الجماهير الراوين له فلا موجب إلى التطويل بإعادة ذكرهم، ومرَّ عليك في ذكر الكلمات المأثورة حول سند الحديث ص ٣١٦ـ ٣٤١ بأنَّ تصحيح كثير من العلماء له مصبّه الحديث مع ذيله، وفي وسع الباحث أن يقرِّب كونه قرينةً للمدّعى بوجوه لا تلتئم إلاّ مع معنى الأولويَّة الملازمة للإمامة.

«أحدها»: أنّه صلّى الله عليه وآله لمّا صدع بما خوَّل الله سبحانه وصيَّه من المقام المشامخ بالرئاسة العامّة على الأُمّة جمعاء، والإمامة المطلقة من بعده، كان يعلم بطبع الحال أنّ تمام هذا الأمر بتوفّر الجنود والأعوان وطاعة أصحاب الولايات والعمّال مع علمه بأنّ في الملأ مَن يحسده كما ورد في

الكتاب العزيز(١) وفيهم من يحقده، وفي زمر المنافقين من يُضمر له العداء لأوتار جاهليَّة، وستكون من بعده هناة تجلبها النهمة والشَرَه من أرباب المطامع لطلب الولايات والتفضيل في العطاء، ولا يدع الحقّ عليّاً عليه السلام أن يُسعفهم بمبتغاهم لعدم الحنكة والجدارة فيهم فيقلّبون عليه ظهر المجن، وقد أخبر صلّى الله عليه وآله مجمل الحال بقوله: إن تُؤمِّروا عليّاً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهديّاً. وفي لفظ إن تستخلفوا عليّاً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهديّاً راجع ص ٣٢ الهامش من هذا الكتاب.

فطفق صلّى الله عليه وآله يدعو لمن والاه ونصره، وعلى مَن عاداه وخذله ليتمّ له أمر الخلافة، وليعلم الناس أنَّ موالاته مَجلبةٌ لموالاة الله سبحانه، وأنّ عداءه وخذلانه مدعاةٌ لغضب الله وسخطه، فيزدلف إلى الحقِّ وأهله، ومثل هذا الدعاء بلفظ العام لا يكون إلّا فيمن هذا شأنه، ولذلك إنّ أفراد المؤمنين الّذين أوجب الله محبَّة بعضهم لبعض لم يُؤثر فيهم هذا القول، فإنّ منافرة بعضهم لبعض جزؤيّات لا يبلغ هذا المبلغ، وإنَّما يحصل مثله فيما إذا كان المدعوّ له دعامة الدين، وعلم الإسلام، وإمام الأُمَّة، وبالتثبّط عنه يكون فتٌّ في عضد الحقِّ وإنحلالٌ لِعُرى الإسلام.

«ثانيها»: انّ هذا الدعاء بعمومه الأفراديِّ بالموصول، والأزماني، والأحواليِّ بحذف المتعلّق تدلّ على عصمة الإمام عليه السلام لإفادته وجوب موالاته ونصرته والإنحياز عن العداء له وخذلانه على كل أحد في كلِّ حين وعلى كلِّ حال، وذلك يوجب أن يكون عليه السلام في كلِّ تلك الأحوال على صفة لا تصدر منه معصية، ولا يقول إلّا الحق، ولا يعمل إلّا به، ولا يكون إلّا معه، لأنَّه لو صدر منه شيء من المعصية لوجب الإنكار عليه ونصب العداء له لعمله المنكر والتخذيل عنه، فحيث لم يستثن صلّى الله عليه وآله من لفظه العام شيئاً من أطواره وأزمانه علمنا أنَّه لم يكن عليه السلام في كلِّ تلك المدد والأطوار إلّا

(١) في قوله: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. أخرج ابن المغازلي في المناقب، وابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٣٦، والحضرمي الشافعي في الرشفة ص ٢٧: أنها نزلت في علي وما خص به من العلم.

على الصفة التي ذكرناها، وصاحب هذه الصفة يجب أن يكون إماماً لقبح أن يأمّه مَن هو دونه على ما هو المقرَّر في محلِّه، وإذا كان إماماً فهو أولى الناس منهم بأنفسهم.

«ثالثها»: أنّ الأنسب بهذا الدعاء الذي ذيَّل صلّى الله عليه وآله به كلامه، ولا بدَّ أنَّه مرتبطٌ بما قبله أن يكون غرضه صلّى الله عليه وآله بيان تكليف على الحاضرين من فرض الطاعة ووجوب الموالاة، فيكون في الدعاء ترغيبٌ لهم على الطاعة والخضوع له، وتحذيرٌ عن التردد والجموح تجاهِ أمره، وذلك لا يكون إلّا إذا نزّلنا المولى بمعنى الأولى، بخلاف ما إذا كان المراد به المحبّ أو الناصر فإنَّه حينئذ لم يعلم إلّا أنَّ عليّاً عليه السلام محبّ من يحبّه رسول الله صلّى الله عليه وآله أو ينصر من ينصره، فيناسب إذن أن يكون الدعاء له إن قام بالمحبَّة أو النصرة لا للناس عامَّة إن نهضوا بموالاته، وعليهم إن تظاهروا بنصب العداء له، إلّا أن يكون الغرض بذلك توكيد الصلات الودِّيَّة بينه وبين الامَّة إذا علموا أنّه يحبّ وينصر كلَّ فردٍ منهم في كلِّ حال وفي كلِّ زمان كما أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله كذلك فهو يخلِّفه عليهما، وبذلك يكون لهم منجاةٌ من كلِّ هلكة، ومأوى من كلِّ خوف، وملجأً من كلِّ ضعة، شأن الملوك ورعاياهم، والامراء والسوقة، فإنَّهما في النبيّ صلّى الله عليه وآله على هذه الصفة، فلا بدَّ أن يكونا فيمن يحذو حذوه أيضاً كذلك وإلّا لاختلَّ سياق الكلام، فالمعنى على ما وصفناه بعد المماشاة مع القوم متَّحدٌ مع معنى الإمامة، ومؤدٍّ مفاد الأولى.

وللحديث ألفاظ أثبتها حفّاظ الحديث متّصلة به في مختلف تخريجاتهم لا تلتئم إلّا مع المعنى الذي حاولنا من المولى.

(القرينة الثالثة) قوله صلّى الله عليه وآله، يا أيّها الناس! بمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا آله إلّا الله، قال: ثم مَه؟ قالوا: وانَّ محمَّداً عبده ورسوله، قال: فمن وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله مولانا. ثمَّ ضرب بيده إلى عضد عليٍّ فأقامه فقال: مَن يكن الله ورسوله مولاه فإنَّ هذا مولاه. الحديث.

هذا لفظ جرير وقريبٌ منه لفظ أمير المؤمنين عليه السلام ولفظ زيد بن

أرقم وعامر بن ليلى، وفي لفظ حذيفة بن اسيد بسند صحيح: ألستم تشهدون أن لا آله إلاّ الله وأنَّ محمّداً عبده ورسوله؟ (إلى أن قال): قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهمَّ اشهد، ثمّ قال: يا أيها الناس إنَّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه. يعني عليّاً.(١)

فإنَّ وقوع الولاية في سياق الشهادة بالتوحيد والرسالة وسردها عقيب المولويَّة المطلقة لله سبحانه ولرسوله من بعده لا يمكن إلاّ أن يُراد بها معنى الإمامة الملازمة للأولويَّة على الناس منهم بأنفسهم.

(القرينة الرابعة): قوله صلّى الله عليه وآله عقيب لفظ الحديث: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الربِّ برسالتي، والولاية لعليٍّ بن أبي طالب. وفي لفظ شيخ الإسلام الحمويني: الله أكبر تمام نبوّتي، وتمام دين الله بولاية عليّ بعدي.(٢)

فأيّ معنى تراه يكمل به الدين ويُتمّ النعمة، ويُرضي الربَّ في عداد الرسالة غير الإمامة التي بها تمام أمرها وكمال نشرها وتوطيد دعائمها؟ إذن فالناهض بذلك العبء المقدَّس أولى الناس منهم بأنفسهم.

(القرينة الخامسة): قوله صلّى الله عليه وآله قبل بيان الولاية: كأنّي دُعيت فأجبت. أو: انّه يوشك أن أُدعى فأُجيب. أو: ألا وانّي أوشك أن افارقكم. أو: يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب. وقد تكرّر ذكره عند حفّاظ الحديث كما مرّ(٣).

وهو يُعطينا علماً بأنّه صلّى الله عليه وآله كان قد بقي من تبليغه مهمّة يحاذر أن يدركه الأجل قبل الإشادة بها، ولولا الهتاف بها بقي ما بلّغه مخدجاً، ولم يذكر صلّى الله عليه وآله بعد هذا الإهتمام إلاّ ولاية أمير المؤمنين وولاية عترته الطاهرة الذين يُقدّمهم هو صلوات الله عليه كما في نقل مسلم، فهل من

---

(١) راجع ص ٤٣ و٤٨ و٤٩ و٥٦ و٦٠ و٧٢ و٨١.
(٢) راجع ص ٦٧ و٢٠٦ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و٢٨٠.
(٣) راجع ص ٤٨ و٤٩ و٥٣ و٥٥ و٥٧ و٥٩ و٧٢ و٢١٨.

الجائز أن تكون تلك المهمَّة المنطبقة على هذه الولاية إلاّ معنى الإمامة المصرَّح بها في غير واحدٍ من الصحاح؟ وهل صاحبها إلاّ أولى الناس بأنفسهم؟

(القرينة السادسة): قوله صلّى الله عليه وآله بعد بيان الولاية لعليٍّ عليه السلام: هنِّئوني هنِّئوني إنَّ الله تعالى خصَّني بالنبوَّة وخصَّ أهل بيتي بالإمامة كما مرَّ ص٣٢٣. فصريح العبارة هو الإمامة المخصوصة بأهل بيته الذين سيِّدهم والمقدَّم فيهم هو أمير المؤمنين عليه السلام وكان هو المراد في الوقت الحاضر.

ثمَّ نفس التهنئة والبيعة والمصافقة والإحتفال بها وإتِّصالها ثلاثة أيّام كما مرَّت هذه كلّها ص ٣١٨ ـ٣٣٩ لا تُلائم غير معنى الخلافة والأولويَّة، ولذلك ترى الشيخين أبي بكر وعمر لقيا أمير المؤمنين فهنّئاه بالولاية. وفيها بيان لمعنى المولى الذي لهج به صلّى الله عليه وآله، فلا يكون المتحلّي به إلاّ أولى الناس منهم بأنفسهم.

(القرينة السابعة): قوله صلّى الله عليه وآله بعد بيان الولاية: فليبلّغ الشاهد الغائب. كما مرَّ ص٥٦ و٢٠٠ و٢٤١. أو تحسب أنَّه صلّى الله عليه وآله يؤكّد هذا التأكيد في تبليغ الغائبين أمراً علمه كلُّ فرد منهم بالكتاب والسنَّة من الموالاة والمحبَّة والنصرة بين أفراد المسلمين مشفوعاً بذلك الإهتمام والحرص على بيانه؟ لا أحسب أنَّ ضئولة الرأي يُسفُّ بك إلى هذه الخطَّة، لكنّك ولا شك تقول: انّه صلّى الله عليه وآله لم يُرد إلاّ مهمّة لم تتح الفرص لتبليغها ولا عرفته الجماهير ممّن لم يشهدوا ذلك المجتمع، وما هي إلاّ مهمّة الإمامة التي بها كمال الدين، وتمام النعمة، ورضى الربِّ، وما فهم الملأ الحضور من لفظه صلّى الله عليه وآله إلاّ تلك، ولم يؤثر له صلّى الله عليه وآله لفظ آخر في ذلك المشهد يليق أن يكون أمره بالتبليغ له، وتلك المهمّة لا تساوق إلاّ معنى الأولى من معاني المولى.

(القرينة الثامنة): قوله صلّى الله عليه وآله بعد بيان الولاية في لفظ أبي سعيد وجابر المذكور ص ٦٧ و٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨٠و٢٨٣. الله أكبر على إكمال

الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي. وفي لفظ وهب المذكور ص ٨٧: إنّه وليّكم بعدي. وفي لفظ عليّ الذي أسلفناه ص ٢٠٦: وليٌّ كلِّ مؤمن بعدي.

وكذلك ما أخرجه الترمذي، وأحمد، والحاكم، والنسائي، وابن أبي شيبة والطبري، وكثيرون آخرون من الحفّاظ بطرق صحيحة من قوله صلّى الله عليه وآله إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي، وفي آخر: هو وليّكم بعدي.

وما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٨٦ وآخرون بإسناد صحيح من قوله صلّى الله عليه وآله: من سرَّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي خُلقوا من طينتي. الحديث.

وما أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٨٦ بإسناد صحيح رجاله ثقات عن حذيفة وزيد وابن عباس عنه صلّى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسّك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده ثمّ قال لها: كوني فكانت، فليتولَّ عليَّ بن أبي طالب من بعدي.

فإنَّ هذه التعابير تُعطينا خُبراً بأنَّ الولاية الثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام مرتبةٌ تساوق ما ثبت لصاحب الرسالة مع حفظ التفاوت بين المرتبتين بالأوّلية والأولويَّة سواءٌ أُريد من لفظ (بعدي) البعديَّة الزمانيَّة أو البعديَّة في الرتبة، فلا يمكن أن يراد إذن من المولى إلّا الأولويَّة على الناس في جميع شؤونهم، إذ في إرادة معنيي النصرة والمحبَّة من المولى بهذا القيد ينقلب الحديث ويُعدُّ منقصةً دون مفخرة كما لا يخفى.

(القرينة التاسعة): قوله صلّى الله عليه وآله بعد إبلاغ الولاية: اللهمَّ أنت شهيدٌ عليهم أنيّ قد بلّغت ونصحت. فالإشهاد على الاُمّة بالبلاغ والنصح يستدعي أن يكون ما بلّغه صلّى الله عليه وآله ذلك اليوم أمراً جديداً لم يكن قد بلّغه قبلُ. مضافاً إلى أنَّ بقيَّة معاني المولى العامَّة بين أفراد المسلمين من الحبِّ

والنصرة لا تُتصوَّر فيها أيُّ حاجة إلى الإشهاد على الامَّة في عليٍّ خاصَّة، إلاّ أن تكون فيه على الحدِّ الذي بيّنّاه.

(القرينة العاشرة): قوله صلّى الله عليه وآله قبل بيان الحديث وقد مرَّ ص ٢٠٦ و٢٤٠: إنَّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت أنَّ الناس مكذِّبي فأوعدني لابلّغها أو ليعذِّبني. ومرَّ في ص ٢٦٦ بلفظ: انَّ الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وعرفت أنَّ الناس مكذِّبي فوعدني لابلّغنَّ أو ليعذِّبني. وص ٢٠٦ بلفظ: إنّي راجعت ربيّ خشية طعن أهل النفاق ومكذِّبيهم فأوعدني لابلّغها أو ليعذِّبني.

ومرَّ ص ٧٧: لَمّا أُمر النبيُّ أن يقوم بعليٍّ بن أبي طالب المقام الذي قام به فانطلق النبيُّ ﷺ إلى مكّة فقال: رأيت الناس حديثي عهد بكفر بجاهليّة ومتى أفعل هذا به يقولوا: صنع هذا بابن عمّه ثمَّ مضى حتى قضى حجَّة الوداع. الحديث.

ومرَّ ص ٢٦٣: إنَّ الله أمر محمَّداً أن ينصب عليّاً للناس فيخبرهم بولايته فتخوَّف النبيُّ ﷺ أن يقولوا: حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه. الحديث. ومرَّ ص ٢٦٢: لَمّا أمر الله رسوله ﷺ أن يقوم بعليّ فيقول له ما قال فقال: يا ربّ إنَّ قومي حديث عهد بجاهليَّة (كذا في النسخ) ثمَّ مضى بحجّه فلمّا أقبل راجعاً نزل بغدير خمّ. الحديث. ومرَّ ص ٢٦٢: لَمّا جاء جبرئيل بأمر الولاية ضاق النبيُّ ﷺ بذلك ذرعاً وقال: قومي حديثو عهدٍ بالجاهليَّة فنزلت: يا أيّها الرسول. الآية.

هذه كلّها تنمُّ عن نبأ عظيم كان يخشى في بثّه بوادر أهل النفاق وتكذيبهم، فالذي كان يحاذره ﷺ ويتحقّق به القول بأنَّه حابى ابن عمِّه يستدعي أن يكون أمراً يخصُّ أمير المؤمنين لا شيئاً يشاركه فيه المسلمون أجمع من النصرة والمحبّة وما هو إلاّ الأولويَّة بالأمر وما جرى مجراها من المعاني.

١١ ـ جاء في أسانيد متكثِّرة: التعبير عن موقوف يوم الغدير بلفظ النصب فمرَّ ص ٨٢ عن عمر بن الخطاب: نصب رسول الله عليّاً علماً. و٢٠٦ عن عليّ

عليه السلام أمر الله نبيه ـ ينصبني للناس. وفي قوله الآخر في رواية العاصمي كما تأتي: نصبني عَلماً. ومرَّ ص ٢٤١ عن الإمام الحسن السبط: أتعلمون أنَّ رسول الله نصبه يوم غدير خمّ. وص ٢٤٢ عن عبدالله بن جعفر: ونبيّنا قد نصب لامته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خمّ. وص ٢٥١ عن قيس بن سعد: نصبه رسول الله بغدير خمّ. وص ٢٦٣ عن ابن عبّاس وجابر: أمر الله محمّداً أن ينصب عليّاً للناس فيخبرهم بولايته. وص ٢٧٦ عن أبي سعيد الخدري: لَمّا نصب رسول الله عليّاً يوم غدير خمّ فنادى له بالولاية.

فإنّ هذا اللفظ يُعطينا خُبراً بإيجاد مرتبةٍ للإمام عليه السلام، في ذلك اليوم لم تكن تُعرف له من قبلُ غير المحبَّة والنصرة المعلومتين لكلِّ أحد والثابتتين لأيّ فرد من أفراد المسلمين، على ما ثبت من إطّراد إستعماله في جعل الحكومات، وتقرير الولايات، فيقال: نصب السلطان زيداً والياً على القارَّة الفلانيّة، ولا يقال: نصبه رعيَّةً له أو محبّاً أو ناصراً أو محبوباً أو منصوراً به على زنة ما يتساوى به أفراد المجتمع الذين هُم تحت سيطرة ذلك السلطان.

مضافاً إلى مجيء هذا اللفظ في غير واحد من الطرق، مقروناً بلفظ الولاية أو متلوّاً بكونه للناس أو للأمّة. وبذلك كلّه تعرف أنّ المرتبة المثبتة له هي الحاكميَّة المطلقة على الامَّة جمعاء، وهي معنى الإمامة الملازمة للأولويَّة المدَّعاة في معنى المولى، ويستفاد هذا المعنى من لفظ ابن عبّاس الآخر الذي مرّ ص ٧٦ و٢٦١: قال: لَمّا أُمر النبيُّ ﷺ أن يقوم بعليّ المقام الّذي قام به.

ويُصرّح بالمعنى المراد ما مرّ ص ٢٠٦ من قوله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله أمر أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيّي وخليفتي والّذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته فقرَّب بطاعته طاعتي وأمركم بولايته. وقوله المذكور ص ٢٥٨: فإنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلِّ أحد، ماضٍ حكمه، جائزٌ قوله.

١٢ ـ ما مرَّ ص ٧٥ و٢٦١ من قول ابن عبّاس بعد ذكره الحديث: فوجبت والله في رقاب القوم. في لفظ، وفي أعناق القوم. في آخر، فهو يُعطي ثبوت

معنىً جديد مستفاد من الحديث غير ما عرفه المسلمون قبل ذلك وثبت لكلِّ فرد منهم، وأكَّد ذلك باليمين وهو معنى عظيم يلزم الرقاب، ويأخذ بالأعناق لدة الإقرار بالرِّسالة لم يُساو الإمام عليه السلام فيه غيره، وليس هو إلّا الخلافة التي إمتاز بها من بين المجتمع الإسلاميّ، ولا يُبارحه معنى الأولويَّة.

١٣ ـ ما أخرجه شيخ الإسلام الحمويني في «فرائد السمطين» عن أبي هريرة قال: لمّا رجع رسول الله عن حجّة الوداع نزلت آية: ﴿يا أيّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك﴾. الآية. و لَمّا سمع قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ إطمئنَّ قلبه (إلى أن قال بعد ذكر الحديث): وهذه آخر فريضة أوجب الله عباده، فلمَّا بلَّغ رسول الله ﷺ نزلت قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾. الآية.

يُعطينا هذا اللفظُ خبراً بأنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صدع في كلمته هذه بفريضة لم يسبقها التبليغ، ولا يجوز أن يكون ذلك معنى المحبّة والنصرة لسبق التعريف بهما منذ دهر كتاباً وسنّةً، فلم يبق إلّا أن يكون معنى الإمامة الذي أخَّر أمره حتى تكتسح عنه العراقيل، وتمرَّن النفوس بالخضوع لكلِّ وحي يوحى، فلا تتمرَّد عن مثلها من عظيمة تجفل عنها النفوس الجامحة، وهي الملائمة لمعنى الأولى.

١٤ ـ تقدَّم ص٥٢ و٥٩ في حديث زيد بن أرقم بطرقه الكثيرة: إنَّ ختناً له سأله عن حديث غدير خمّ فقال له: أنتم أهل العراق فيكم ما فيكم. فقلت له: ليس عليك منّي بأس. فقال: نعم: كنّا بالجحفة فخرج رسول الله. الحديث. ومرّ ص ٤٥ عن عبدالله بن العلا أنّه قال للزهري لَمّا حدّثه بحديث الغدير: لا تُحدّث بهذا بالشام. وأسلفناك ص ٣٢٢ عن سعيد بن المسيَّب أنه قال: قلت لسعد بن أبي وقّاص: إنّي أُريد أن أسألك عن شيء وإنّي أتَّقيك. قال: سل عمّا بدا لك فإنّما أنا عمّك.

فإنّ الظاهر من هذه كلّها أنَّه كان بين الناس للحديث معنىً لا يأتمن معه راويه من أن يصيبه سوءُ أولدته العداوة للوصيِّ صلوات الله عليه في العراق وفي الشام، ولذلك إنَّ زيداً إتّقى ختنه العراقيَّ وهو يعلم ما في العراقيِّين من النفاق

والشقاق يوم ذاك، فلم يُبد بسرِّه حتى أمن من بوادره فحدَّثه بالحديث، وليس من الجائز أن يكون المعنى حينئذٍ هو ذلك المبتذل بكلِّ مسلم، وإنّما هو معنى ينوء بعبئه الإمام عليه السلام بمفرده، فيفضل بذلك على مَن سواه، وهو معنى الخلافة المتَّحدة مع الأولويَّة المرادة.

١٥ - إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بالحديث يوم الرحبة بعد أن آلت إليه الخلافة ردّاً على مَن نازعه فيها كما مرّ ص ٣٩٩ وإفحام القوم به لَمّا شهدوا، فأيّ حجّة له في المنازعة بالخلافة في المعنى الذي لا يلازم الأولويَّة على الناس من الحبِّ والنصرة؟

١٦ - مرَّ في حديث الركبان ص ٢٣٠ - ٢٣٤ : أنّ قوماً منهم أبو أيّوب الأنصاري سلّموا على أمير المؤمنين عليه السلام بقولهم: السلام عليك يا مولانا! فقال عليه السلام كيف أكون مولاكم وأنتم رهطٌ من العرب؟ فقالوا: إنّا سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

فأنت جِدّ عليم بأنَّ أمير المؤمنين لم يتعجَّب أو لم يُرد كشف الحقيقة للملأ الحضور لمعنىً مبذول هو شرعٌ سواء بين أفراد المسلمين، وهو أن يكون معنى قولهم السلام عليك يا محبّنا أو ناصرنا. لا سيَّما بعد تعليل ذلك بقوله: وأنتم رهط من العرب. فما كانت النفوس العربيَّة تستنكف من معنى المحبَّة والنصرة بين أفراد جامعتها، وإنَّما كانت تستكبر أن يخصَّ واحدٌ منهم بالمولويَّة عليهم بالمعنى الذي نحاوله، فلا ترضخ له إلّا بقوَّةٍ قاهرةٍ عامّتهم، أو نصٍّ آلهيٍّ يُلزم المسلمين منهم، وما ذلك إلّا معنى الأولى المرادف للإمامة والولاية المطلقة التي إستحفى عليه السلام خبرها منهم فأجابوه بإستنادهم في ذلك إلى حديث الغدير.

١٧ - قد سلفت في ص ٢٣٤، إصابة دعوة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أُناساً كتموا شهادتهم بحديث الغدير في يومي مناشدة الرحبة والركبان، فأصابهم العمى والبرص، والتعرّب بعد الهجرة، أو آفة اخرى، وكانوا من الملأ الحضور في مشهد يوم الغدير.

فهل يجد الباحث مساغاً لإحتمال وقوع هاتيك النِقم على القوم، وتشديد الإمام عليه السلام بالدعاء عليهم لمحض كتمانهم معنى النصرة والحبِّ العامّين بين أفراد المجتمع الدينيّ، فكان من الواجب إذن أن تصيب كثيراً من المسلمين الـذين تشاحنـوا، وتلاكمـوا، وقاتلوا، فقمّـوا جذوم تينـك الصفتين، وقلعـوا جذورهما، فضلاً عن كتمان ثبوتهما بينهم، لكنَّ المنقِّب لا يرى إلّا أنَّهم وُسموا بشيمة العار، وأصابتهم الدعوة بكتمانهم نبأً عظيماً يختصّ به هذا المولى العظيم صلوات الله عليه، وما هو إلّا ما أصفقت عليه النصوص، وتراكمت القرائن من إمامته وأولويَّته على الناس منهم بأنفسهم.

ثمَّ إنَّ نفس كتمانهم للشهادة لا تكون لأمر عاديّ هو شرعٌ سواء بينه وبين غيره، وإنَّما الواجب أن تكون فيـه فضيلة يختصُّ بها، فكـأنَّهم لم يرقهم أن يتبجَّح الإمام بها فكتموها لكن الدعوة الصالحة فضحتهم بإظهار الحقِّ، وأبقت عليهم مثلبة لائحة على جبهاتهم وجنوبهم وعيونهم ما داموا أحياءاً، ثم تضمَّنتها طيّات الكتب فعادت تلوكها الأشداق، وتتناقلها الألسن حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

١٨ ـ مرَّ بإسناد صحيح ص ٢١٦ و٢١٧ في حديث مناشدة الرحبة من طـريق أحمد والنسـائي والهيثمي ومحبّ الدين الـطبـري: انّ أميـر المؤمنين عليه السلام لَمّا ناشد القوم بحديث الغدير في الرحبة شهد نفـرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ بأنَّهم سمعـوه منه قـال أبو الـطفيل: فخـرجت وكأنَّ في نفسي شيئاً[1] فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّي سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: كذا وكذا، قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقوله له ذلك.

فما الذي تراه يستكبره أو يستنكـره أبو الـطفيل من ذلـك؟ أهو صـدور الحـديث؟ ولا يكون ذلـك لأنَّ الرجـل شيعيٌّ متفـانٍ في حبِّ أميـر المؤمنين عليه السلام ومن ثقاته، فلا يشكُّ في حـديث رواه مولاه، لا، بـل هو معنـاه

(١) كذا في لفظ أحمد، وفي لفظ النسائي: وفي نفسي منه شيء. وفي لفظ محب الدين: وفي نفسي من ريبة شيء.

الطافح بالعظمة فكان عجبه من نكوس القوم عنه وهم عرب أقحاح يعرفون اللفظ وحقيقته، وهم أتباع الرّسول صلّى الله عليه وآله وأصحابه فاحتمل أنّه لم يسمعه جلّهم، أو حجزت العراقيل بينهم وبين ذلك، فطمّنه زيد بن أرقم بالسماع، فعلم أنّ الشهوات حالت بينهم وبين البخوع له، وما ذلك المعنى المستعظم إلّا الخلافة المساوقة للأولويّة دون غيرها من الحبِّ والنصرة، وكلٌّ منهما منبسطٌ على أيِّ فرد من أفراد الجامعة الإسلاميَّة.

١٩ - سبق أيضاً ص ٢٨٥ - ٢٩٣ حديث إنكار الحارث الفهريِّ معنى قول النبي صلّى الله عليه وآله في حديث الغدير، وشرحنا ص ٣٩٨ تأكّد عدم إلتئامه مع غير الأولى من معاني المولى.

٢٠ - أخرج الحافظ ابن السمّان كما في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٠، وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٦٨، ووسيلة المآل للشيخ أحمد بن باكثير المكّي، ومناقب الخوارزمي ص ٩٧، والصواعق ص ١٠٧ عن الحافظ الدارقطني عن عمر وقد جاءه أعرابيّان يختصمان فقال لعليّ: إقض بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ما تدري مَن هذا؟ هذا مولاي ومولى كلِّ مؤمن، ومَن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

وعنه وقد نازعه رجلٌ في مسألة فقال: بيني وبينك هذا الجالس، وأشار إلى عليٍّ بن أبي طالب فقال الرجل: هذا الأبطن؟ فنهض عمر عن مجلسه وأخذ بتلبيبه حتى شاله من الأرض ثمَّ قال: أتدري مَن صغّرت؟ هذا مولاي ومولى كلِّ مسلم.

وفي الفتوحات الإسلاميَّة ج ٢ ص ٣٠٧ حكم عليٌّ مرَّة على أعرابيّ بحكم فلم يرض بحكمه فتلبَّبه عمر بن الخطاب وقال له: ويلك انّه مولاك ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وأخرج الطبراني أنّه قيل لعمر: إنّك تصنع بعليٍّ - أي من التعظيم - شيئاً لا تصنع مع أحد من أصحاب النبيِّ ﷺ فقال: إنّه مولاي. وذكره الزرقاني المالكي في شرح المواهب ص ١٣ عن الدارقطني.

فإنَّ المولويَّة الثابتة لأمير المؤمنين التي إعترف بها عمر على نفسه وعلى

كلِّ مؤمن زِنَة ما إعترف به يوم غدير خمّ، وشفع ذلك بنفي الإيمان عمَّن لا يكون الوصيُّ مولاه، أي لم يعترف له بالمولويَّة، أو لم يكن هو مولىً له أي محبّاً أو ناصراً، ولكن على حدّ ينفي عنه الإيمان إن انتفى عنه ذلك الحبّ والنصرة، لا ترتبط إلّا مع ثبوت الخلافة له، فإنَّ الحبَّ والنصرة العاديّين المندوب إليهما بين عامَّة المسلمين لا ينفي بانتفائه الإيمان، ولا يمكن القول بذلك نظراً إلى ما شجر من الخلاف والتباغض بين الصحابة والتابعين حتى آل في بعض الموارد إلى الشتائم، والتلاكم، وإلى المقاتلة، والمناضلة، وكان بعضها بمشهد من النبيِّ صلّى الله عليه وآله فلم ينف عنهم الإيمان، ولا غمز القائلون بعدالة الصحابة أجمع في أحد منهم بذلك، فلم يبق إلّا أن تكون الولاية التي هذه صفتها معناها الإمامة الملازمة للأولويَّة المقصودة سواء أوعز عمر بكلمته هذه إلى حديث الغدير كما تومي إليه رواية الحافظ محب الدين الطبري لها في ذيل أحديث الغدير، أو أنّه أرسلها حقيقة راهنة ثابتة عنده من شتّى النواحي.

(تذييل)

عزى ابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ٢٤٦، والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٠٤ وبعض آخر إلى القيل وذكروا أنّ السبب في قوله صلّى الله عليه وآله: مَن كنت مولاه: أنّ أُسامة بن زيد قال لعليّ: لستَ مولاي إنّما مولاي رسول الله. فقال صلّى الله عليه وآله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

إنَّ من روى هذه الرواية المجهولة أراد حطّاً من عظمة الحديث، وتحطيماً لمنعته فصوَّره بصورةٍ مصغَّرةٍ لا تعدو عن أن تكون قضيَّةً شخصيَّةً، وحواراً بين إثنين من أفراد الأُمّة، أصلحه رسول الله بكلمته هذه، وهو يجهل أو يتجاهل عن أنّه تخصمه على تلك المزعمة الأحاديث المتضافرة في سبب الإشادة بذلك الذكر الحكيم من نزول آية التبليغ إلى مقدِّمات ومقارنات أُخرى لا يلتئم شيءٌ منها مع هذه الاكذوبة، ومثلها الآية الكريمة الناصَّة بكمال الدين، وتمام النعمة، ورضى الرَّب بذلك الهتاف المبين، وليست هذه لعظمة من قيمة

الإصلاح بين رجلين تلاحيا، لكن ذهب على الرجل أنّه لم يزد إلّا تأكيداً في المعنى وحجّةً على الخصم على تقدير الصحّة.

فهب أنَّ السبب لذلك البيان الواضح هو ما ذكر لكنّا نقول: إنَّ ما أنكره أُسامة على أمير المؤمنين عليه اسلام من معنى المولى وأثبته لرسول الله خاصّة دون أيِّ أحد لا بدّ أن يكون شيئاً فيه تفضيل لا معنى ينوء به كلُّ أحد حتى أُسامة نفسه ولا تفاضل بين المسلمين من ناحيته في الجملة، وذلك المعنى المستنكر المثبت لا يكون إلّا الأولويّة أو ما يجري مجراها من معاني المولى.

ونقول: إنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله لمّا علم أنّ في أُمته من لا يلاحي ابن عمِّه ويناوئه بالقول ويخشى أن يكون له مغبّة وخيمة تؤول إلى مضادَّته، ونصب العراقيل أمام سيره الإصلاحيِّ من بعده، عقد ذلك المحتشد العظيم فنوَّه بموقف وصيّه من الدين، وزلفته منه، ومكانته من الجلالة، وإنّه ليس لأحد من أفراد الامة أن يقابله بشيء من القول أو العمل وإنّما عليهم الطاعة له، والخضوع لأمره، والرضوخ لمقامه، وأنه يجري فيهم مجراه من بعده، فاكتسح بذلك المعاثر عن خُطّته، وألحب السنن إلى طاعته، وقطع المعاذير عن محادَّته بخطبته التي ألقاها، ونحن لم نألُ جُهداً في إفاضة القول في مفاده.

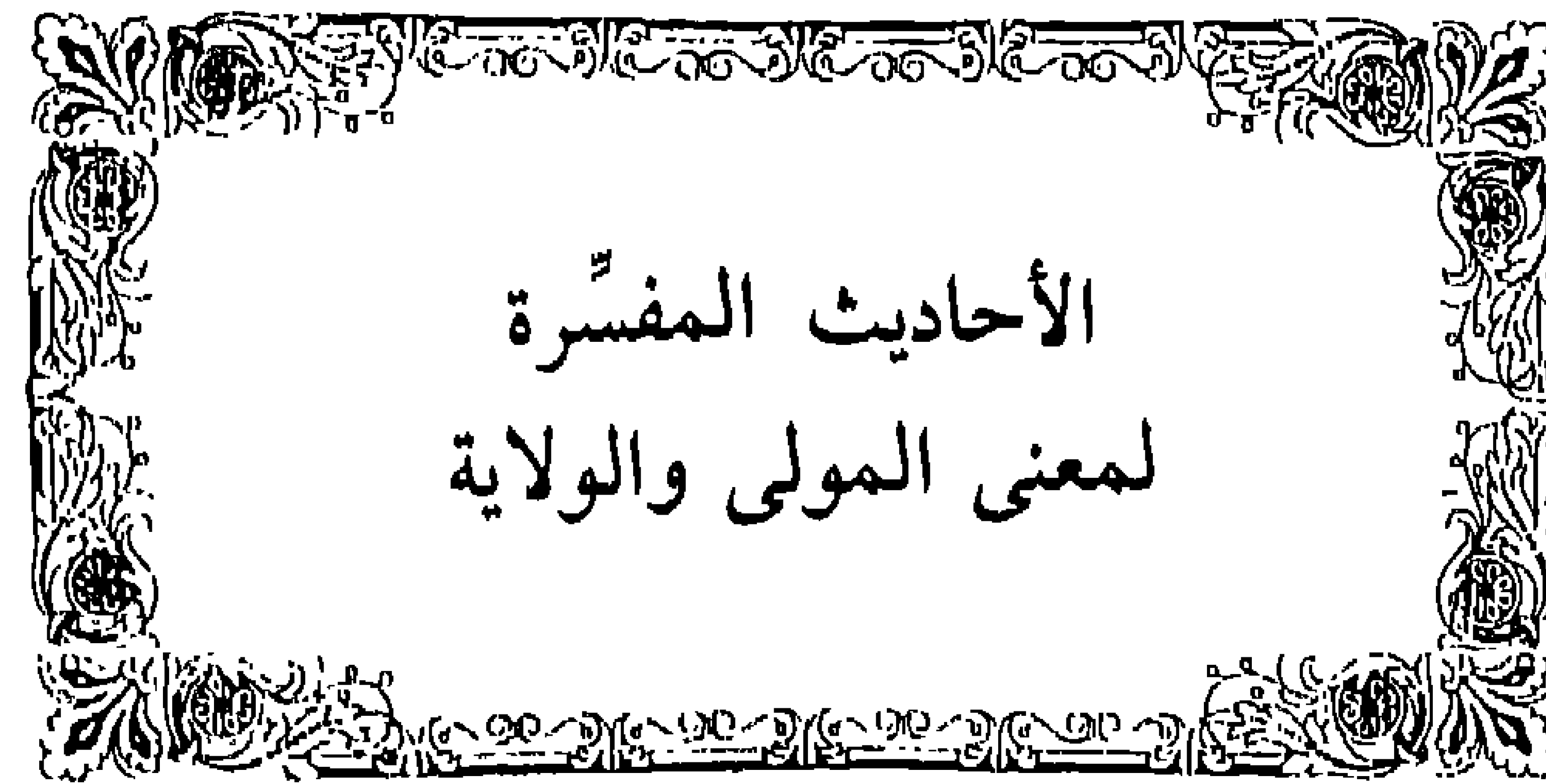
ويشبه هذا ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٣٤٧ وآخرون عن بريدة قال: غزوت مع عليٍّ اليمن فرأيت منه جفوةً فلمّا قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت عليّاً فتنقّصته فرأيت وجه رسول الله يتغيَّر فقال: يا بريدة! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

فكأنَّ راوي هذه القصَّة كراوي سابقتها أراد تصغيراً من صورة الأمر فصبَّها في قالب قضيَّةٍ شخصيَّةٍ، ونحن لا يهمّنا ثبوت ذلك بعد ما أثبتنا حديث الغدير بطرقه المربية على التواتر، فإنَّ غاية ما هنالك تكريره صلّى الله عليه وآله اللفظ بصورة نوعيَّة تارة وفي صورة شخصيَّةٍ أُخرى، لتفهيم بريدة أنَّ ما حسبه جفوة من أمير المؤمنين لا يسوغ له الوقيعة فيه على ما هو شأن الحكّام المفوّض إليهم أمر الرعيَّة، فإذا جاء الحاكم بحكم فيه الصالح العامّ ولم يرق ذلك لفرد من السوقة

ليس له أن يتنقّصه، فإنَّ الصالح العامّ لا يدحضه النظر الفرديُّ، ومرتبة الولاية حاكمةٌ على المبتغيات الشخصيَّة فأراد صلّى الله عليه وآله أن يُلزم بريدة حدَّه فلا يتعدّى طوره بما أثبته لأمير المؤمنين من الولاية العامّة نظير ما ثبت له صلّى الله عليه وآله بقوله ﷺ: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟.

﴿هذَا بَيانٌ لِلنّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾

«آل عمران ١٣٨»



الأحاديث المفسِّرة لمعنى المولى والولاية

وقبل هذه القرائن كلّها تفسير رسول الله صلّى الله عليه وآله نفسه معنى لفظه وبعده مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حذو القذّة بالقذّة.

أخرج القرشي عليّ بن حميد في - شمس الأخبار - ص ٣٨ نقلاً عن (سلوة العارفين) للموفّق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني والد المرشد بالله بإسناده عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه لمّا سُئل عن معنى قوله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قال: الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومَن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي فعليٌّ مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه.

ومرَّ في صفحة ٢٤٢ في حديث إحتجاج عبدالله بن جعفر على معاوية قوله: يا معاوية! إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول على المنبر وأنا بين يديه، وعمر بن أبي سلمة، وأُسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقّاص، وسلمان الفارسي، و أبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام، وهو يقول: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله! قال: أليس أزواجي امّهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه أولى به من نفسه، وضرب بيده على منكب عليّ فقال: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه! أيها الناس أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، وعليٌّ من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر (إلى أن قال عبدالله): ونبيّنا صلّى الله عليه وآله قد نصب لأمّته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خمّ، وفي غير

موطن، واحتجَّ عليهم به؛ وأمرهم بطاعته، وأخبرهم أنَّه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنَّه وليّ كلِّ مؤمن من بعده، وأنَّه كلُّ من كان هو وليّه فعليٌّ وليّه، ومَن كان أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به، وأنَّه خليفته فيهم ووصيّه. الحديث.

ومرَّ ص ٢٠٤ فيما أخرجه شيخ الإسلام الحمويني في حديث إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام أيّام عثمان قوله: ثمّ خطب رسول الله ﷺ فقال: أيّها الناس أتعلمون أنَّ الله عزَّ وجلَّ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا بلى يا رسول الله! قال: قم يا عليُّ! فقمت فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. فقام سلمان فقال: يا رسول الله! ولاءٌ كمَاذا؟ قال: ولاءٌ كولاي، مَن كنت أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه.

وسبق ص ٢٤٠ في حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفّين قوله: ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها الناس! إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم، مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر من نصره، واخذل مَن خذله. فقام إليه سلمان الفارسي فقال: يا رسول الله! ولاءٌ كماذا؟ فقال: ولاءٌ كولاي؛ مَن كنت أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه.

وروى الحافظ العاصمي في «زين الفتى» قال: سُئل عليُّ بن أبي طالب عن قول النبيِّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال: نصبني عَلماً إذ أنا قمت فمن خالفني فهو ضالٌّ.

يريد عليه السلام بالقيام قيامه في ذلك المشهد (يوم الغدير) لمّا أمره به رسول الله صلّى الله عليه وآله ليرفعه فيعرّفه وينصبه عَلماً للامّة وقد مر ذلك ص ٣٥ و٤٤ و٢٠٤ و٢٦١ وأشار إليه حسّان في ذلك اليوم بقوله:

فقال له: قم يا عليُّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

وفي حديث رواه السيِّد الهمداني في مودَّة القربى: فقال (رسول الله): معاشر الناس! أليس الله أولى بي من نفسي يأمرني وينهاني ما لي على الله أمر

ولا نهي؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: مَن كان الله وأنا مولاه فهذا عليٌّ مولاه يأمركم وينهاكم ما لكم عليه من أمر ولا نهي، اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، اللهمَّ أنت شهيدٌ عليهم إنّي قد بلّغت ونصحت.

وقال الإمام الحافظ الواحدي بعد ذكر حديث الغدير: هذه الولاية التي أثبتها النبيُّ ﷺ لعليٍّ مسؤولٌ عنها يوم القيامة، رُوي في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾. أي عن ولاية عليّ رضي الله عنه والمعنى: انّهم يُسألون هل والوه حقَّ الموالاة كما أوصاهم النبيُّ ﷺ؟ أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وذكره وأخرج حديثه شيخ الإسلام الحمويني في «فرائد السمطين» في الباب الرابع عشر، وجمال الدين الزرندي في - نظم درر السمطين -، وابن حجر في «الصواعق» ص ٨٩، والحضرمي في «الرشفة» ص ٢٤.

وأخرج الحمويني من طريق الحاكم أبي عبدالله ابن البيِّع عن محمّد بن المظفَّر قال: حدّثنا عبدالله بن محمَّد بن غزوان: حدَّثنا عليّ بن جابر: حدّثنا محمَّد بن خالد الحافظ ابن عبدالله: حدّثنا محمَّد بن فضيل: حدّثنا محمَّد بن سوقة عن إبراهيم عن الأسود عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمَّد سل مَن أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بُعثوا؟ فقالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب.

وقال: ورُوي عن عليّ عيله السلام أنّه قال: جعلت الموالاة أصلاً من اصول الدين: وأخرج من طريق الحاكم ابن البيِّع: حدّثنا محمّد بن عليّ: حدّثنا أحمد بن حازم: حدّثنا عاصم بن يوسف اليربوعي عن سفيان بن إبراهيم الحرنوي عن أبيه عن أبي صادق قال: قال عليّ: أُصول الإسلام ثلاثة لا ينفع واحدٌ منها دون صاحبه: الصلاة. والزكاة. والموالاة. ومرَّ ص ٤٤٠ عن عمر بن الخطاب نفي الإيمان عمَّن لا يكون أمير المؤمنين مولاه.

وقال الآلوسي في تفسيره ج ٢٣ ص ٧٤ في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم

مسئولون﴾. بعد عدّ الأقوال فيها: وأولى هذه الأقوال أنَّ السؤال عن العقائد والأعمال ورأس ذلك لا إله إلاّ الله ومن أجلّه ولاية عليٍّ كرّم الله تعالى وجهه.

ومن طريق البيهقي عن الحافظ الحاكم النيسابوري بإسناده عن رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنّم لم يجزها أحدٌ إلاّ مَن كانت معه براءة بولاية عليٍّ بن أبي طالب. وأخرجه محبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٧٢.

ولا يسعنا المجال لذكر ما وقفنا عليه من المصادر الكثيرة المذكور فيها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسئولون﴾. وقوله: ﴿سل مَن أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ وما أخرجه الحفّاظ عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله من حديث البراءة والجواز. فلا أحسب أنّ ضميرك الحرَّ يحكم بملاءمة هذه كلّها مع معنىً أجنبيٍّ عن الخلافة والأولويَّة على الناس من أنفسهم، ويراه مع ذلك أصلاً من أُصول الدين. وينفي الإيمان بإنتفائه، ولا يرى صحَّة عمل عامل إلاّ به.

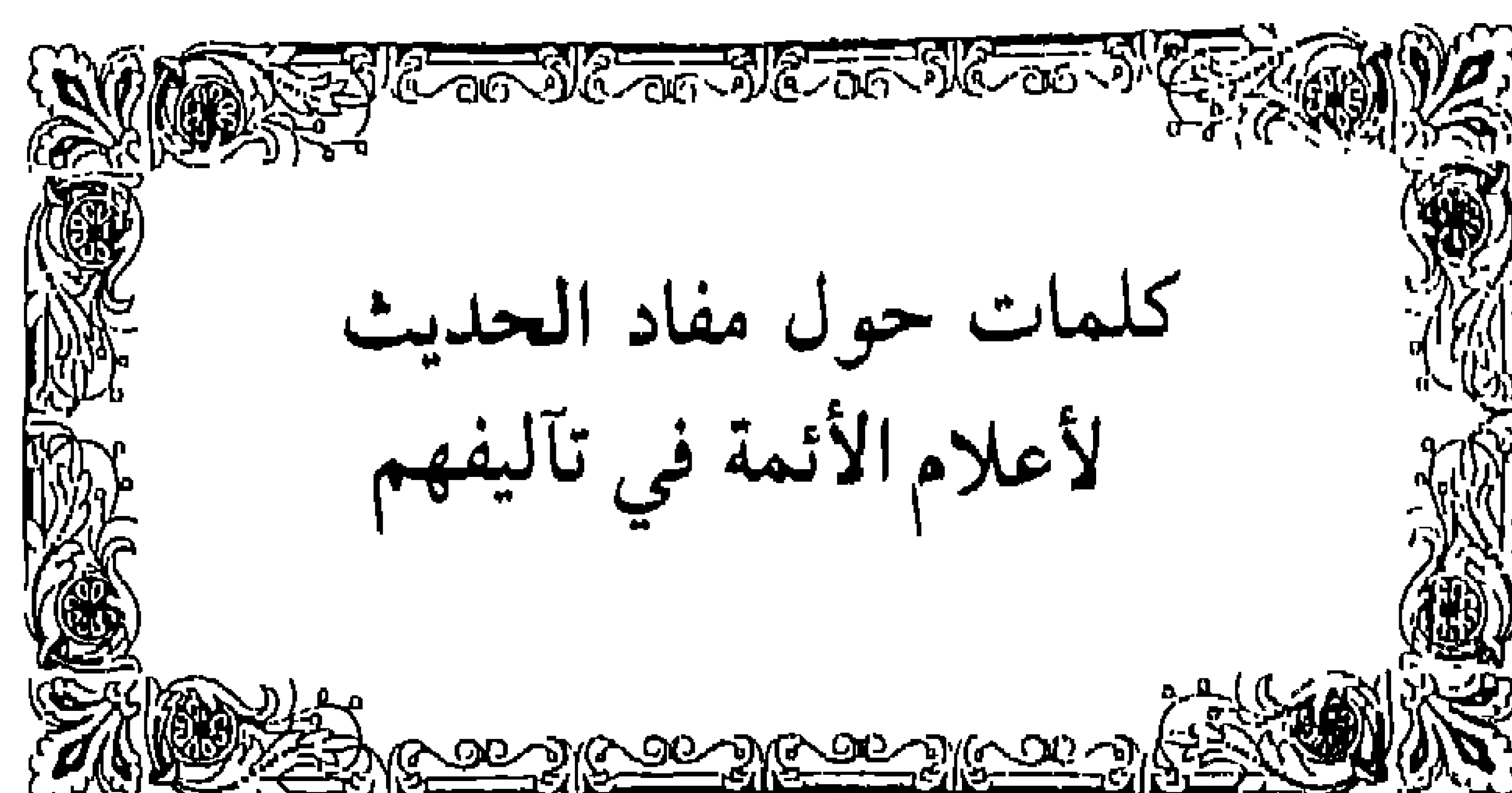
وهذه الأولويَّة المعدودة من أُصول الدين والمولويَّة التي ينفي الإيمان بإنتفائها كما مرَّ في كلام عمر ص ٤٤٠ صرّح بها عمر لإبن عباس في كلام الآخر ذكره الراغب في محاضراته ج ٧ ص ٢١٣ عن ابن عبّاس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر عليِّ بن أبي طالب فقال: أما والله يا بني عبد المطلب! لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. فقلت في نفسي لا أقالني الله إن أقلته، فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ وأنت وصاحبك وثبتما وأفرغتما الأمر منّا دون الناس، فقال: إليكم يا بني عبد المطلب! أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب؛ فتأخّرتُ وتقدّم هنيهة، فقال: سر، لا سرتَ، وقال: أعد عليَّ كلامك. فقلت: إنّما ذكرتَ شيئاً فرددتُ عليه جوابه ولو سكتَّ سكتنا. فقال: إنّا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوةٍ ولكن إستصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب و قريش لِمَا قد وترها، قال: فأردتُ أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترى؟ والله ما نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه.

وفي شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠ قال «عمر»: يا بن عبّاس أما والله إنَّ صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ﷺ إلّا أنّا خفناه على إثنين - إلى أن قال ابن عبّاس -: فقلت: وما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خفناه على حداثة سنِّه، وحبّه بني عبد المطلب، وفي ج ٢ ص ١١٥: كرهناه على حداثة السنِّ وحبِّه بني عبد المطلب.

والشهادة بولاية أمير المؤمنين بالمعنى المقصود هي نورٌ وحكمةٌ مودوعةٌ في قلوب مواليه عليه السلام، ودونها كانت تُشدّ الرحال، ولتعيين حامل عبئها كانت تبعث الرسل، كما ورد فيما أخرجه البيهقي في [المحاسن والمساوىء] ج ١ ص ٣٠ في حديث طويل جرى بين ابن عبّاس ورجل من أهل الشام من حمص ففيه: قال الشاميُّ: يابن عبّاس! إنّ قومي جمعوا لي نفقة وأنا رسولهم إليك وأمينهم ولا يسعك أن تردَّني بغير حاجتي فإنَّ القوم هالكون في أمر عليّ ففرِّج عنهم فرَّج الله عنك. فقال ابن عبّاس: يا أخا أهل الشام! إنَّ مثل عليٍّ في هذه الامَّة في فضله وعلمه كمثل العبد الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام - ثمّ ذكر حديث أُمّ سلمة وفيه لعليٍّ فضائل جمَّة - فقال الشاميُّ يابن عبّاس ملأتَ صدري نوراً وحكمةً، وفرَّجت عني فرَّج الله عنك، أشهد أنَّ عليّاً رضي الله عنه مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

﴿هَذا صِرَاطُ رَبِّكَ مُستَقيماً قَد فَصَّلنَا الآيَاتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

«الأنعام ١٣٦»



كلمات حول مفاد الحديث لأعلام الأئمة في تآليفهم

لقد تمخّضت الحقيقة من معنى المولى، وظهرت بأجلى مظاهرها، بحيث لم يبق للخصم منتدحٌ عن الخضوع لها، إلّا مَن يبغي لِداداً، أو يرتاد إنحرافاً عن الطريقة المثلى، ولقد أوقفنا السير على كلمات دُرِّيَّة لجمع من العلماء حداهم التنقيب إلى صراح الحقِّ، فلهجوا به غير آبهين بما هنالك من جلبة ولغط، فإليك عيون ألفاظهم:

١ ـ قال ابن زولاق الحسن بن إبراهيم أبو محمَّد المصريُّ المتوفّى ٣٨٧ في «تاريخ مصر»: وفي ثمانية عشر من ذي الحجَّة سنة ٣٦٢ وهو يوم الغدير تجمَّع خلقٌ من أهل مصر والمغاربة ومَن تبعهم لِلدعاء، لأنّه يوم عيد، لأنَّ رسول الله ﷺ عهد إلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب فيه واستخلفه[1].

يُعرب هذا الكلام عن أنَّ ابن زولاق وهو ذلك العربيُّ المتضلِّع لم يفهم من الحديث إلّا المعنى الذي نرتأيه، ولم ير ذلك اليوم إلّا يوم عهد إلى أمير المؤمنين واستخلاف.

٢ ـ قال الإمام أبو الحسن الواحديُّ المتوفّى ٤٦٨ بعد ذكر حديث الغدير: هذه الولاية التي أثبتها النبيُّ ﷺ هي مسؤولٌ عنها يوم القيامة. راجع تمام العبارة ص ٣٨٧.

٣ ـ قال حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي المتوفّى ٥٠٥ في كتابه: سرّ

---

(١) وحكاه عنه المقريزي في الخطط ج ٢ ص ٢٢٢.

العالمين(١) ص ٩: إختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها إليه، فمنهم من زعم أنّها بالنصّ، ودليلهم في المسألة قوله تعالى: ﴿قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد فقاتلوهم أو يسلمون فإن تُطيعوا يُؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولّوا كما تولّيتم من قبلُ يُعذِّبكم عذاباً شديداً﴾. وقد دعاهم أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ إلى الطاعة فأجابوا، وقال بعض المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً﴾، قال في الحديث: انَّ أباك هو الخليفة من بعدي يا حُميراء. وقالت امرأة: إذا فقدناك فإلى مَن نرجع؟ فأشار إلى أبي بكر. ولأنّه أمَّ بالمسلمين على بقاء رسول الله والإمامة عماد الدين.

هذا جملةٌ ما يتعلّق به القائلون بالنصوص ثمَّ تأوّلوا وقالوا: لو كان عليٌّ أوّل الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا يقدح في كونه رابعاً كما لا يقدح في نبوّة رسول الله ﷺ إذا كان آخراً، والذين عدلوا عن هذا الطريق زعموا أنَّ هذا وما يتعلّق به فاسدٌ وتأويلٌ باردٌ جاء على زعمكم وأهويتكم، وقد وقع الميراث في الخلافة والأحكام مثل داود، وزكريا، وسليمان، ويحيى قالوا: كان لأزواجه ثُمن الخلافة، فبهذا تعلّقوا وهذا باطلٌ إذ لو كان ميراثاً لكان العبّاس أولى.

لكن أسفرت الحجَّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خمّ بإتّفاق الجميع وهو يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر: بخٍ بخٍ يا أبا الحسن! لقد أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، فهذا تسليمٌ، ورضى وتحكيمٌ، ثمَّ بعد هذا غلب الهوى لحبِّ الرئاسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك إزدحام الخيول، وفتح الأمصار سقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأوّل فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

(١) لا شك في نسبة الكتاب إلى الغزالي فقد نص عليه الذهبي في «ميزان الإعتدال» في ترجمة الحسن بن صباح الإسماعيلي وينقل عنه قصته، وصرح بها سبط ابن الجوزي في «التذكرة» ص ٣٦ وشطراً من الكلام المذكور.

٤ ـ قال شمس الدين سبط ابن الجوزي الحنفيُّ المتوفّى ٦٥٤ في [تذكرة خواصّ الأمّة] ص ١٨ : إتّفق علماء السير إنّ قصّة الغدير كانت بعد رجوع النبيِّ ﷺ من حجّة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجّة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين الفاً وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. الحديث. نصَّ ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة، وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أنّ النبيّ ﷺ لَمّا قال ذلك طار في الأقطار، وشاع في البلاد والأمصار (ثمّ ذكر ما مرَّ في آية سأل) فقال: فأمّا قوله: مَن كنت مولاه. فقال علماء العربيّة: لفظ المولى ترد على وجوه (ثمّ ذكر من معاني المولى تسعة[1] فقال): والعاشر بمعنى الأولى قال الله تعالى: ﴿فاليوم لا يُؤخذُ مِنكم فِديةٌ ولا مِنَ الَّذين كفروا مَأوَاكُم النارُ هِيَ مَولاكم﴾. ثمَّ طفق يبطل إرادة كلٍّ من المعاني المذكورة واحداً واحداً فقال:

والمراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة فتعيّن الوجه العاشر وهو: الأولى ومعناه: مَن كنت أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به، وقد صرّح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن سعيد الثقفي الإصبهاني في كتابه المسمّى بـ «مرج البحرين» فإنّه روى هذا الحديث بإسناده إلى مشايخه وقال فيه: فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليٍّ عليه السلام فقال: مَن كنت وليّه وأولى به من نفسه فعليٌّ وليّه. فعلم أنّ جميع المعاني راجعةٌ إلى الوجه العاشر، ودلَّ عليه أيضاً قوله عليه السلام: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهذا نصٌّ صريحٌ في إثبات إمامته وقبول طاعته وكذا قوله ﷺ: وأدر الحق معه حيثما دار وكيفما دار. ا هـ.

٥ ـ قال كمال الدين ابن طلحة الشافعيُّ المتوفّى ٦٥٤ في «مطالب السئول» ص ١٦ بعد ذكر حديث الغدير ونزول آية التبليغ فيه: فقوله ﷺ. من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. قد اشتمل على لفظة مَن وهي موضوعةٌ للعموم، فاقتضى أنَّ كلَّ إنسان كان رسول الله ﷺ مولاه كان عليٌّ مولاه، واشتمل على

---

(١) وهي المالك. المعتق بالكسر. المعتق بالفتح. الناصر. ابن العم. الحليف. المتولي لضمان الجريرة. الجار. السيد المطاع.

لفظة المولى وهي لفظةٌ مستعملةٌ بإزاء معان متعدِّدة قد ورد القرآن الكريم بها، فتارةً تكون بمعنى أولى قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَأوَاكُم النارُ هي مولاكم﴾. معناه: أولى بكم. ثمّ ذكر من معانيها: الناصرة والوارث والعصبة والصديق والحميم والمعتِق، فقال: وإذا كانت واردةً لهذه المعاني فعلى أيِّها حملت إمّا على كونه أولى كما ذهب إليه طائفة، أو على كونه صديقاً حميماً فيكون معنى الحديث: مَن كنت أولى به أو ناصره أو وارثه أو عصبته أو حميمه أو صديقه فإنَّ عليّاً منه كذلك. وهذا صريحٌ في تخصيصه لعليٍّ عليه السلام بهذه المنقبة العليَّة وجعله لغيره كنفسه بالنسبة إلى من دخلت عليهم كلمة مَن التي هي للعموم بما لا يجعله لغيره.

وليُعلم أنَّ هذا الحديث هو من أسرار قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿قل تَعالوا نَدْع أبنائنا وَأبنائكم وَنِسائنا ونسائكم وأنفسنا وَأنفسكم﴾. والمراد نفس عليٍّ على ما تقدَّم فإنّ الله تعالى لَمّا قرن بين نفس رسول الله ﷺ وبين نفس عليٍّ وجمعهما بضمير مضافٍ إلى رسول الله ﷺ أثبت رسول الله لنفس عليّ بهذا الحديث ما هو ثابت لنفسه على المؤمنين عموماً فإنّه ﷺ أولى بالمؤمنين، وناصر المؤمنين، وسيِّد المؤمنين، وكلّ معنى أمكن إثباته ممّا دلَّ عليه لفظ المولى لرسول الله فقد جعله لعليٍّ عليه السلام وهي مرتبةٌ ساميةٌ، ومنزلةٌ سامقةٌ، ودرجةٌ عليَّةٌ، ومكانةٌ رفيعةٌ خصَّصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد وموسم سرور لأوليائه.

تقرير ذلك وشرحه وبيانه: إعلم أظهرك الله بنوره على أسرار التنزيل، ومنحك بلطفه تبصرةً تهديك إلى سواء السبيل، انّه لمّا كان من محامل لفظة المولى (الناصر) وانَّ معنى الحديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ ناصره، فيكون النبيُّ ﷺ قد وصف عليّاً بكونه ناصراً لكلّ مَن كان النبيُّ ناصره فإنّه ذكر ذلك بصيغة العموم، وإنّما أثبت النبيُّ هذه الصفة وهي الناصريَّة لعليٍّ لَمّا أثبتها الله عزّ وجلّ لعليٍّ فإنّه نقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي يرفعه بسنده في تفسيره إلى أسماء بنت عميس قال: لَمّا نزل قوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه فإنَّ الله هُو مَولاه وجبريل وصالحُ المؤمنينَ﴾. سمعت رسول الله ﷺ يقول: صالح

المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام. فلمّا أخبر الله فيما أنزله على رسوله وأنّه ناصره هو الله وجبريل وعليٌّ، يثبت الناصريّة لعليّ فأثبتها النبيُّ صلّى الله عليه إقتداءً بالقرآن الكريم في إثبات هذه الصفة له.

ثمَّ وصفه ﷺ بما هو من لوازم ذلك بصريح قوله رواه الحافظ أبو نعيم في حليته (ج ١ ص ٦٦) بسنده: إنَّ عليّاً دخل عليه فقال: مرحباً بسيِّد المسلمين، وإمام المتّقين. فسيادة المسلمين وإمامة المتّقين لمّا كانت من صفات نفسه ﷺ وقد عبَّر الله تعالى عن نفس عليّ بنفسه ووصفه بما هو من صفاته. فافهم ذلك.

ثمَّ لم يزل ﷺ يخصِّصه بعد ذلك بخصائص من صفاته نظراً إلى ما ذكرناه حتّى روى الحافظ أيضاً في حليته (ج ١ ص ٦٧) بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله لأبي برزة وأنا أسمع: يا أبا برزة! إنَّ الله عهد إليَّ في عليٍّ بن أبي طالب: أنّه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، يا أبا برزة! عليٌّ إمام المتّقين، مَن أحبَّه أحبَّني، ومَن أبغضه أبغضني، فبشّره بذلك. فإذا وضح لك هذا المستند ظهرت حكمة تخصّصه ﷺ عليّاً بكثير من الصفات دون غيره، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون[١].

٦ ـ قال صدر الحفّاظ فقيه الحرمين أبو عبدالله الكنجيُّ الشافعيُّ المتوفّى ٦٥٨ في «كفاية الطالب» ص ٦٩ بعد ذكر قول رسول الله ﷺ لعليّ: لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحدٌ أحقَّ منك لقدمتك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله، وصهرك عندك فاطمة سيِّدة نساء العالمين. وهذا الحديث وإن دلَّ على عدم الإستخلاف لكن حديث غدير خمّ دليلٌ على التولية وهي الإستخلاف، وهذا الحديث أعني حديث غدير خمّ ناسخٌ لأنّه كان في آخر عمره ﷺ.

٧ ـ قال سعيد الدين الفرغانيُّ المتوفّى ٦٩٩ ـ كما ذكره الذهبيُّ في العبر ـ في شرح تائيّة ابن الفارض الحموي المتوفّى ٥٧٦، التي أوّلها.

---

(١) نقلنا هذا الكلام على علاته وإن كان لنا نظر في بعض أجزائه.

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً   عليٌّ بعلمٍ ناله بالوصيَّةِ

وكذا هذا البيت مبتدأ محذوف الخبر تقديره: وبيان عليّ كرَّم الله وجهه وايضاحه بتأويل ما كان مشكلاً من الكتاب والسنَّة بوساطة علم ناله بأن جعله النبيُّ ﷺ وصيَّه وقائماً مقام نفسه بقوله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وذلك كان يوم غدير خمّ على ما قاله كرّم الله وجهه في جملة أبيات منها قوله:

وأوصاني النبيُّ على آختياري   لأمته رضىً منه بحكمي

وأوجب لي ولايته عليكم   رسول الله يوم غدير خمِّ

وغدير خمّ ماءٌ على منزل من المدينة على طريق يقال له الآن: طريق المشاة إلى مكّة، كان هذا البيان بالتأويل بالعلم الحاصل بالوصيَّة من جملة الفضائل التي لا تُحصى خصَّه بها رسول الله ﷺ فورثها عليه الصلاة والسلام. وقال:

وأمّا حصَّة عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه من العلم والكشف، وكشف معضلات الكلام العظيم، والكتاب الكريم الذي هو من أخصِّ معجزاته ﷺ بأوضح بيان بما ناله بقوله ﷺ: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. وبقوله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. مع فضائل أُخر لا تُعدُّ ولا تُحصى.

٨ - قال علاء الدين أبو المكارم السمنانيُّ البياضيُّ المكيُّ المتوفّى ٧٣٦ في - العروة الوثقى - وقال لعليّ عليه السلام وسلام الملائكة الكرام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبيَّ بعدي. وقال في غدير خمّ بعد حَجَّة الوداع على ملأ من المهاجرين والأنصار آخذاً بكتفه: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. وهذا حديثٌ متَّفقٌ على صحَّته فصار سيِّد الأولياء، وكان قلبه على قلب محمَّد عليه التحية والسلام، وإلى هذا السرِّ أشار سيِّد الصدّيقين صاحب غار النبيِّ ﷺ أبو بكر حين بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى علي لإستحضاره بقوله: يا أبا عبيدة! أنت أمين هذه الامَّة أبعثك إلى مَن هو في مرتبة مَن فقدناه بالأمس، ينبغي أن تتكلّم عنده بحسن الأدب.

٩ - قال الطيبي حسن بن محمَّد المتوفّى ٧٤٣ في «الكاشف» في شرح

حديث الغدير، قوله: إنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يعني به قوله تعالى: ﴿النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾. أطلق فلم يُعرِّف بأيّ شيء هو أولى بهم من أنفسهم، ثمّ قيّد بقوله: ﴿وأزواجه أمّهاتهم﴾. ليؤذن بأنّه بمنزلة الأب، ويؤيِّده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبٌ لهم. وقال مجاهد: كلّ نبيّ فهو أبو امّته. ولذلك صار المؤمنون اخوة، فإذن وقع التشبيه في قوله: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. في كونه كالأب، فيجب على الامّة إحترامه وتوقيره وبرّه، وعليه رضي الله عنه أن يشفق عليهم ويرأف بهم رأفة الوالد على الأولاد، ولذا هنّأ عمر بقوله: يابن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

١٠ ـ قال شهاب الدين ابن شمس الدين دولت آبادي المتوفّى ١٠٤٩ في «هداية السعداء»: وفي «التشريح» قال أبو القاسم (رح) مَن قال: إنّ عليّاً أفضل من عثمان فلا شيء عليه لأنّه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال ابن مبارك: مَن قال: إنّ عليّاً أفضل العالمين، أو: أفضل الناس، وأكبر الكبراء فلا شيء عليه لأنّ المراد منه أفضل الناس في عصره وزمان خلافته كقوله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. أي في زمان خلافته ومثل هذا الكلام قد ورد في القرآن والأحاديث وفي أقوال العلماء بقدر لا يُحصى ولا يُعدّ.

وقال أيضاً في «هداية السعداء»: وفي حاصل التمهيد في خلافة أبي بكر ودستور الحقائق: انّ النبيّ ﷺ لَمّا رجع من مكة نزل في غدير خمّ فأمر أن يُجمع رحال الإبل فجعلها كالمنبر فصعد عليها فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: نعم فقال النبيّ ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إنّما وليّكم الله وَرَسوله وَالّذين آمنوا الّذين يُقيمون الصّلاة ويُؤتون الزّكاة وَهُم راكِعون﴾. قال أهل السنّة: المراد من الحديث: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. أي في وقت خلافته وإمامته[1].

---

(١) قصدنا من إيراد هذا القول وما يأتي بعده محض الموافقة في المفاد، وأما ظرف الولاية والأفضلية فلا نصافق الرجل عليه، وقد قدمنا البحث عن ذلك مستقصى وسيأتي فيه بياننا الواضح.

١١ - قال أبو شكور محمَّد بن عبد السعيد بن محمَّـد الكشيُّ السالميُّ الحنفيُّ في - التمهيد في بيان التوحيد - قـالت الروافض: الإمـامة منصـوصة لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه بدليل أنّ النبيَّ ﷺ جعله وصيّاً لنفسه وجعله خليفةً من بعده حيث قال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي. ثمَّ هارون عليه السلام كان خليفة موسى عليه السلام فكذلك عليٌّ رضي الله عنه. والثاني: وهو: انَّ النبيَّ عليه السلام جعله وليّاً للناس لَمّا رجع من مكّة ونزل في غدير خمّ فأمر النبيُّ أن يجمع رحال الإبل فجعلها كالمنبر وصعد عليها فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقـالوا: نعم. فقـال عليه السلام: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، والله جلَّ جلاله يقول: ﴿إنّما وليّكم الله وَرَسوله وَالّذينَ آمَنوا الَّذين يُقيمون الصَّلاة ويُؤتون الزَّكاةَ وهُم راكعونَ﴾. الآية. نزلت في شأن عليّ رضي الله عنه دلَّ على أنَّـه كان أولى النـاس بعد رسول الله ﷺ.

ثمّ قال في الجواب عمّا ذكر: وأمّا قوله: بأنَّ النبيَّ عليـه السلام جعله وليّاً، قلنا: أراد به في وقته يعني بعد عثمان رضي الله عنه، وفي زمن معاوية رضي الله عنه ونحن كذا نقول. وكذا الجواب عن قوله تعالى: ﴿إنَّما وَليّكم الله وَرَسوله وَالَّذين آمنوا﴾. الآية. فنقول: إنَّ عليّاً رضي الله عنه كان وليّاً وأميراً بهذا الدليل في أيّامه ووقته وهو بعد عثمان رضي الله عنه وأمّا قبل ذلك فلا.

١٢ - قال ابن باكثير المكّيّ الشافعيُّ المتوفّى ١٠٤٧ في - وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل - بعد ذكر حديث الغدير بعدَّة طرق: وأخرج الدارقطني في الفضائل عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول: عليّ بن أبي طالب عترة رسول الله ﷺ أي: الّذين حثَّ النبيُّ ﷺ على التمسّك بهم، والأخذ بهـديهم فإنَّهم نجـوم الهدي مَن إقتـدى بهم إهتدى، وخصَّه أبو بكر بذلك رضي الله عنه لأنَّه الإمام في هذا الشأن، وباب مدينة العلم والعرفان، فهو إمام الأئمّة، وعالم الامَّة، وكأنه أخذ ذلك من تخصيصه ﷺ له من بينهم يوم غدير خمّ بما سبق، وهذا حديثٌ صحيحٌ لا مرية فيه ولا شك

ينافيه، ورُوي عن الجمِّ الغفير من الصحابة، وشاع واشتهر، وناهيك بمجمع حجّة الوداع.

١٣ ـ قال السيِّد الأمير محمّد اليمنيُّ المتوفى ١١٨٢ في ـ الروضة النديَّة شرح التحفة العلويّة ـ بعد ذكر حديث الغدير بعدَّة طرق، وتكلّم الفقيه حميد على معانيه وأطال وننقل بعض ذلك (إلى أن قال): ومنها قوله: أخذ بيده ورفعها وقال: مَن كنت مولاه فهذا مولاه. والمولى إذا أُطلق من غير قرينة فُهم منه أنَّه المالك المتصرِّف، وإذا كان في الأصل يُستعمل لمعان عدَّة منها: المالك للتصرُّف ولهذا إذا قيل: هذا مولى القوم سبق إلى الأفهام أنَّه المالك للتصرُّف في أُمورهم. ثمَّ عدَّ منها: الناصر وابن العمّ والمعِتق والمعتَق. فقال: ومنها: بمعنى الأولى قال تعالى: ﴿مَأوَاكُم النارُ هي مَولاكم﴾. أي أولى بكم وبعذابكم. وبعدُ فلو لم يكن السابق إلى الأفهام من لفظة مولى السابق المالك للتصرّف لكانت منسوبة إلى المعاني كلّها على سواء وحملناها عليها جميعاً إلّا ما يتعذَّر في حقّه عليه السلام من المعتِق والمعتَق فيدخل في ذلك المالك للتصرُّف، والأولى المفيد ملك التصرُّف على الامّة، وإذا كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم كان إماماً ومنها قوله ﷺ: مَن كنت وليَّه فهذا وليّه. والوليّ المالك للتصرّف بالسبق إلى الفهم، وإن استعمل في غيره، وعلى هذا قال ﷺ: والسلطان وليُّ مَن لا وليَّ له. يريد ملك التصرُّف في عقد النكاح يعني أنَّ الإمام له الولاية فيه حيث لا عصبة بطريق الحقيقة، فإنّه يجب حملها عليها أجمع إذا لم يدلّ على التخصيص.

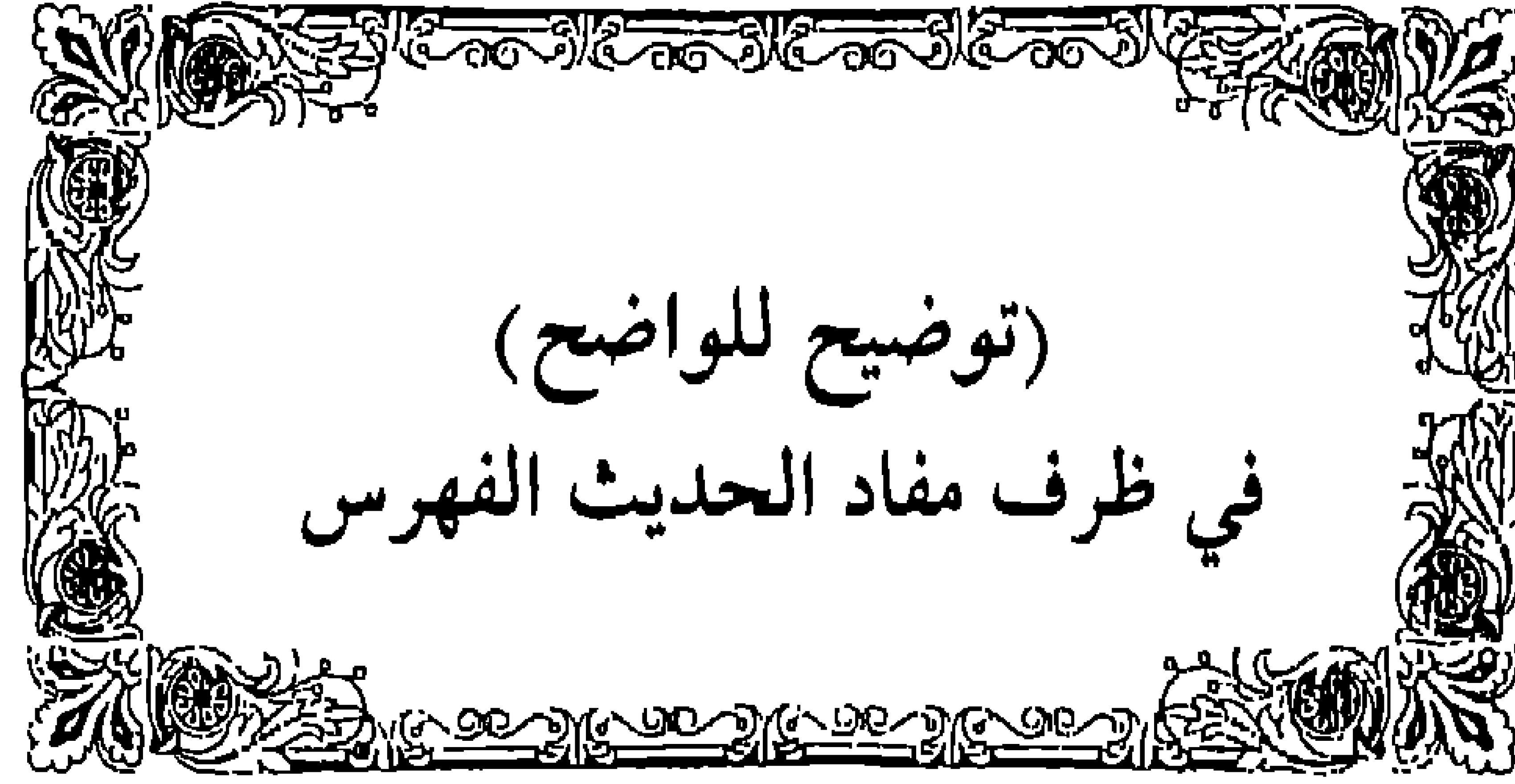
١٤ ـ قال الشيخ أحمد العجيليُّ الشافعيُّ في ـ ذخيرة المآل شرح عقد جواهر اللآل في فضائل الآل ـ بعد ذكر حديث الغدير وقصَّة الحارث بن نعمان الفهري: وهو من أقوى الأدلَّة على أنَّ عليّاً رضي الله عنه أولى بالإمامة والخلافة والصداقة والنصرة والإتِّباع باعتبار الأحوال والأوقات والخصوص والعموم، وليس في هذا مناقضة لِما سبق وما سيأتي إن شاء الله تعالى من أنَّ عليّاً رضي الله عنه تكلّم فيه بعض من كان معه في اليمن فلمّا قضى حجَّه خطب بهذا تنبيهاً على قدره وردّاً على مَن تكلّم فيه كبريدة فإنّه كان يُبغضه ولَمّا خرج إلى اليمن

رأى جفوةً فقصَّه للنبيِّ ﷺ فجعل يتغيَّر وجهه ويقول: يا بريـدة! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه. لا تقع يا بريدة في عليٍّ فإنَّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي.[١]

﴿وَهُدوا إلَى الطيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إلى صِرَاطِ الْحَميدِ﴾

«سورة الحج ٢٤»

(١) مر الكلام حول هذا الحديث وأمثاله ص ٤٤١ ٤٤٢.



(توضيح للواضح) في ظرف مفاد الحديث الفهرس

دعانا إليه إغضاء غير واحد(١) ممّن إعترف بالحقّ في مفاد الحديث، حيث وجده كالشمس الضاحية بلجاً ونوراً، أو تسالم عليه(٢) عن لازم هذا الحقّ، وهو: انّه إذا ثبتت لمولانا أمير المؤمنين خلافة الرسول صلّى الله عليه وآله فإنّ لازمه الذي لا ينفكُّ عنه أن تكون الخلافة بلا فصل كما هو الشأن في قول الملِك الذي نصب أحدَ مَن يمتُّ به وليَّ عهده من بعده، أو مَن حضره الموت أوصى إلى أحد، وأشهدا على ذلك، فهل يحتمل الشهداء أو غيرهم أنَّ الملوكيَّة للأوَّل والوصاية للثاني تثبتان بعد رَدحٍ من الزمن مضى على موت الملك والموصي؟ أو بعد قيام أُناس آخرين بالأمر بعدهما ممّن لم يكن لهم ذكرٌ عند عقد الولاية، أو بيان الوصيَّة؟ وهل من المعقول مع هذا النصِّ أن ينتخبوا للملوكيَّة بعد الملِك، ولتنفيذ مقاصد الموصي بعده، رجالاً ينهضون بذلك؟ كما هو المطّرِد فيمن لا وصيَّة له ولا عهد إلى أحد؟ اللهمّ لا. لا يفعل ذلك إلاّ مَن عزب عن الرأي، فصدف عن الحقِّ الصراح.

وهلاّ يوجد هناك مَن يُجابه المنتخِبين «بالكسر» بأنَّه لو كان للملِك نظرٌ إلى غير مَن عهد إليه وللموصي جنوحٌ إلى سوى من أفضى إليه أمره فلماذا لَم

(١) راجع من كتابنا هذا ص٤٥٦ و٤٥٧.

(٢) راجع شرح المواقف ج ٣ ص ٢٧١، والمقاصد ص ٢٩٠، والصواعق ص ٢٦، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٣.

ينصّا به وهما يشهدانه ويعرفانه؟ فأين أولئك الرجال؟ لِيجابهوا مَن مرّت عليك كلماتهم من أنَّ الولاية الثابتة لمولانا بنصِّ يوم الغدير تثبت له في ظرف خلافته الصوريَّة بعد عثمان.

أوَ ما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعرف المتقدِّمين على ابن عمِّه، ويشهد موقفهم، ويعلم بمقاديرهم من الحنكة؟ فلماذا خصَّ النصَّ بعليّ عليه السلام؟ بعد ما خاف أن يُدعى فيجيب، وأمر الملأ الحضور أن يُبايعوه، ويُبلّغ الشاهد الغائب(١) ولو كان يرى لهم نصيباً من الأمر فلِماذا أخَّر البيان عن وقت الحاجة؟ وهو أهمُّ فرائض الدين، وأصلٌ من أصوله، وبطبع الحال أنَّ الآراء في مثله تتضارب [كما تضاربت] وقد يتحوَّل الجدال جلاداً، والحوار قتالاً، فبأيِّ مبرِّر ترك نبيُّ الرَّحمة أُمَّته سُدى في أعظم معالم الدين.

لم يفعل نبيُّ الرحمة ذلك، ولكن حسن ظنِّ القوم بالسلف الماضين العاملين في أمر الخلافة، المتوثّبين على صاحبها لحداثة سنّه وحبّه بني عبد المطلب كما مرَّ ص ٤٤٧ حداهم إلى أن يُزحزحوا مفاد النصِّ إلى ظرف الخلافة الصوريَّة، ولكن حسن اليقين برسول الله صلّى الله عليه وآله يُلزمنا بالقول بأنَّه لم يترك واجبه من البيان الوافي لحاجة الأمَّة. هدانا الله إلى سواء السبيل.

(القربات يوم الغدير)

بما أنَّ هذا اليوم يومٌ أكمل الله به الدين؛ وأتمَّ النعمة على عباده، حيث رضي بمولانا أمير المؤمنين إماماً عليهم، ونصبه عَلماً للهدى، يحدو بالأمَّة إلى سَنن السعادة وصراط حقّ مستقيم، ويقيهم عن مساقط الهلكة ومهاوي الضلال، فلن تجد بعد يوم المبعث النبويِّ يوماً قد أُسبغت فيه النعم ظاهرةً وباطنةً، وشملت الرحمة الواسعة، أعظم من هذا اليوم الذي هو فرع ذلك الأساس المقدَّس ومسدِّد تلك الدعوة القدسيَّة.

كان من واجب كلِّ فرد من أفراد الملأ الديني القيام بشكر تلكم النِعم بأنواع من مظاهر الشكر، والتزلّف إليه سبحانه بما يتسنّى له من القرَب من صَلاة

(١) تجد هذه الجمل الثلاث في غير واحد من الأحاديث فيما تقدم.

وصوم وبرّ وصلة رحم وإطعام واحتفال باليوم بما يناسب الوقت والمجتمع، وفي المأثور من ذلك أشياء منها: الصوم.

(حديث صوم يوم الغدير)

أخرج الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديُّ المتوفّى ٤٦٣ في تاريخه ج ٨ ص ٢٩٠ عن عبدالله بن عليٍّ بن محمَّد بن بشران، عن الحافظ عليٍّ بن عمر الدارقطني، عن أبي نصر حبشون الخلّال، عن عليٍّ بن سعيد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة، عن عبدالله بن شوذب، عن مطر الورّاق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجَّة كتب له صيام ستّين شهراً وهو يوم غدير خمّ لَمّا أخذ النبيّ ﷺ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: ألست وليَّ المؤمنين قالوا: بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم فأنزل الله: اليوم أكملت لكم دينكم. ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب، كتب له صيام ستّين شهراً وهو أوّل يوم نزل جبريل عليه السلام على محمَّد ﷺ بالرسالة.

ورواه بطريق آخر عن عليٍّ بن سعيد الرملي. وأخرج العاصمي في «زين الفتى» قال: أخبرنا محمَّد بن أبي زكريا، أخبرنا أبو إسماعيل بن محمَّد الفقيه، أخبرنا أبو محمَّد يحيى بن محمَّد العلويُّ الحسينيُّ، أخبرنا إبراهيم بن محمّد العامي، أخبرنا حبشون بن موسى البغداديُّ، حدَّثنا عليُّ بن سعيد الشاميّ، حدَّثنا ضمرة عن ابن شوذب، إلى آخر السند والمتن المذكورين من دون ذكر صوم المبعث.

وأخرجه ابن المغازلي الشافعيّ في مناقبه عن أبي بكر أحمد بن محمّد بن طاوان قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن الحسين بن السمّاك، حدَّثني أبو محمّد جعفر بن محمّد بن نصير الخلدي، حدَّثني عليُّ بن سعيد الرملي. إلى آخر السند والمتن. ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٨، والخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ٩٤ من طريق الحافظ البيهقي عن الحافظ الحاكم

النيسابوري ابن البيِّع صاحب «المستدرك» عن أبي يعلى الزبيري عن أبي جعفر أحمد بن عبدالله البزّاز عن علي بن سعيد الرملي. إلخ. وشيخ الإسلام الحمويني في «فرائد السمطين» في الباب الثالث عشر من طريق الحافظ البيهقي.

(رجال سند الحديث)

١ - أبو هريرة أجمع الجمهور على عدالته وثقته فلا نحتاج إلى بسط المقال فيه.

٢ - شهر بن حوشب الأشعري، عدّه الحافظ أبو نعيم من الأولياء وأفرد له ترجمة ضافية في حليته ج ٦ ص ٥٩ - ٦٧، وحكى الذهبيُّ في ميزانه ثناء البخاري عليه، وذكر عن أحمد بن عبدالله العجلي ويحيى وابن شيبة وأحمد والنسوي ثقته. وترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ٣٤٣ وقال سُئل عنه الإمام أحمد فقال: ما أحسن حديثه ووثّقه وأثنى عليه، وقال مرَّة: ليس به بأس، وقال العجلي: هو شاميٌّ تابعيٌّ ثقة، ووثَّقه يحيى بن معين، وقال يعقوب بن شيبة: هو ثقةٌ على أنَّ بعضهم طعن فيه.

وترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٧٠ وحكى عن أحمد ثقته وحسن حديثه والثناء عليه، وعن البخاري حسن حديثه وقوّة أمره، وعن ابن معين ثقته وثبته، وعن العجلي ويعقوب والنسوي ثقته، وعن أبي جعفر الطبري أنَّه كان فقيهاً قارئاً عالماً. وهناك من ضعّفه فهو كما قال أبو الحسن القطّان: لم يُسمع له حجّة. وقد أخرج الحديث عنه البخاري ومسلم والأئمَّة الأربعة الآخرون أرباب الصحاح: الترمذي. أبو داود. النسائي. ابن ماجة.

٣ - مطر بن طهمان الورّاق أبو رجاء الخراساني، مولى علي سكن البصرة وأدرك أنس، عدّه الحافظ أبو نعيم من الأولياء وأفرد له ترجمة في حليته ج ٣ ص ٧٥ وروى عن أبي عيسى أنَّه قال: ما رأيت مثل مطر في فقهه وزهده. وترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ١٠ ص ١٦٧ ونقل قول أبي نعيم المذكور، وذكر ابن حبّان له في الثقات وعن العجلي صدقه ونفي البأس عنه، وعن البزّار: ليس

به بأس رأى أنساً ولا نعلم أحداً يترك حديثه مات ١٢٥، وقيل: ١٢٩. وقيل: قتله المنصور قرب ١٤٠. أخرج عنه الحديث البخاري ومسلم وبقيَّة الأئمّة الستّة أرباب الصحاح.

٤ ـ أبو عبد الرحمن بن شوذب، ذكره الحافظ أبو نعيم من الأولياء في حليته ج ٦ ص ١٢٩ ـ ١٣٥، وروى عن كثير بن الوليد إنّه قال: كنت إذا رأيت ابن شوذب ذكرت الملائكة، وحكى الجزري في خلاصته ص ١٧٠ عن أحمد وابن معين ثقته. وفي تهذيب ابن حجر ج ٥ ص ٢٥٥ ما ملخَّصه: سمع الحديث وتفقّه كان من الثقات قال سفيان الثوري: كان من ثقات مشايخنا، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير وغيره. وعن أبي طالب والعجلي وابن عمّار وابن معين والنسائي: انَّه ثقةٌ وُلد ٨٦ وتُوفّي ١٤٤/١٥٦/١٥٧. أخرج حديثه الأئمّة الستّة غير مسلم. وصحَّح حديثه الحاكم في «المستدرك» والذهبيُّ في تلخيصه.

٥ ـ ضمرة بن ربيعة القرشيّ أبو عبدالله الدمشقيُّ المتوفّى ١٨٢/ ٢٠٠/ ٢٠٢ ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٣٦ وحكى عن أحمد أنَّه قال: بلغني أنَّه كان شيخاً صالحاً. وقال لما سُئل عنه: ذلك الثقة المأمون رجلٌ صالحٌ مليحُ الحديث ونقل عن ابن معين ثقته. وعن ابن سعد: كان ثقةً مأموناً خيِّراً لم يكن هناك أفضل منه. وعن ابن يونس: كان فقيهاً في زمانه. وذكر الجزري في خلاصته ص ١٥٠ ثقته عن أحمد والنسائي وابن معين وابن سعد. وفي تهذيب ابن حجر ما ملخَّصه: عن أحمد: رجلٌ صالح الحديث من الثقات المأمونين لم يكن بالشام رجل يشبهه، وعن ابن معين والنسائي وابن حبّان والعجلي: ثقةٌ. وعن أبي حاتم: صالحٌ. وعن ابن سعد وابن يونس ما مرَّ عنهما. أخرج الحديث من طريقه الأئمَّة أرباب الصحاح غير مسلم وصحَّح حديثه الحاكم في «المستدرك» والذهبيُّ في تلخيصه.

٦ ـ أبو نصر عليّ بن سعيد أبي حملة الرمليُّ المتوفّى ١١٦ كذا أرَّخه البخاريُّ، وثَّقه الذهبيُّ في «ميزان الإعتدال» ج ٢ ص ٢٢٤ وقال: ما علمت به بأساً ولا رأيت أحداً إلى الآن تكلّم فيه، وهو صالح الأمر، ولم يُخرج له أحدُ من

أصحاب الكتب الستّة مع ثقته. وترجمه بعنوان عليٍّ بن سعيد أيضاً وقال: يثبت في أمره كأنّه صدوق. واختار ابن حجر ثقته في لسانه ج ٤ ص ٢٢٧ وأورد على الذهبيّ وقال: إذا كان ثقة ولم يتكلّم فيه أحدٌ فكيف تذكره في الضعفاء؟.

٧ - أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلّال المتوفّى ٣٣١؛ ترجمه الخطيب البغداديُّ في تاريخه ج ٨ ص ٢٨٩ - ٢٩١ وقال: كان ثقةً يسكن باب البصرة «من بغداد» وحكى عن الحافظ الدارقطنيِّ: أنّه صدوق.

٨ - الحافظ عليّ بن عمر أبو الحسن البغداديُّ الشهير بدارقطني صاحب السنن المتوفّى ٣٨٥، ترجمه الخطيب البغداديُّ في تاريخه ج ١٢ ص ٣٤ - ٤٠ وقال: كان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، إنتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة والفقه والعدالة وقبول الشهادة وصحّة الإعتقاد وسلامة المذهب والإضطلاع بعلوم سوى علم الحديث وحكى عن أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري أنّه قال: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث، وما رأيت حافظاً ورد بغداد إلّا مضى إليه وسلّم له، يعني: فسلّم له التقدمة في الحفظ وعلوِّ المنزلة في العلم. ثمَّ بسط القول في ترجمته والثناء عليه.

وترجمه ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٣٥٩ وأثنى عليه. والذهبيُّ في تذكرته ج ٣ ص ١٩٩ - ٢٠٣ وقال: قال الحاكم: صار الدارقطنيُّ أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع، وإماماً في القرّاء والنحويِّين، وأقمت في سنة سبع وستّين ببغداد أربعة أشهر وكثر إجتماعنا فصادفته فوق ما وُصف لي، وسألته عن العلل والشيوخ، وله مصنّفات يطول ذكرها فأشهد أنّه لم يخلف على أديم الأرض مثله. إلخ.

وهناك توجد في كثير من المعاجم جمل الثناء عليه في تراجم ضافية لا نطيل بذكرها المقام، ولقد أطلنا القول في إسناد هذا الحديث لأن نوقفك على مكانته من الصحّة وأنَّ رجاله كلّهم ثقات، وبلغت ثقتهم من الوضوح حدّاً لا

يسع معه أيَّ محوِّر للقول أو متمحِّل في الجدل أن يغمز فيها، فتلك معاجم الرجال حافلةٌ بوصفهم بكل جميل.

على أنَّ ما فيه من نزول الآية الكريمة﴿**اليومَ أكملتُ لَكم دينكم**﴾يوم غدير خمّ معتضَدٌ بكلِّ ما أسلفناه من الأحاديث الناصّة بذلك، وفي رواتها مثل الطبري وابن مردويه وأبي نعيم والخطيب والسجستاني وابن عساكر والحسكاني وأضرابهم من الأئمّة والحفّاظ راجع ص ٢٧٥ ـ ٢٨٤ .

فإذا وضح لديك ذلك فهلمَّ معي إلى ما يتعقّبه ابن كثير[١] هذا الحديث، ويحسب أنّه حديثٌ منكَرٌ بل كذبٌ لما رُوي من نزول الآية يوم عرفة من حجة الوداع، وإن تعجب فعجبٌ أن يجزم جازمٌ بمنكريَّة أحد الفريقين في الروايات المتعارضة وهما متكافئان في الصِّحة، فليت شعري أيَّ مرجِّح في الكفَّة المقابلة لحديثنا بالصحَّة وما المطفِّف في الميزان في كفَّة هذا الحديث؟ مع إمكان معارضة ابن كثير بمثل قوله في الجانب الآخر لمخالفته لما أثبتناه من نزول الآية الكريمة، وهل لمزعمة ابن كثير مبرِّر؟ غير أنّه يهوى أن يُزحزح القرآن الكريم عن هذا النبأ العظيم، وإلاّ لكان في وسعه أن يقول كما قال سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٨ : بإمكان نزولها مرَّتين كما وقع في البسملة وآيات اخرى قدَّمنا ذكرها ص ٣٠٥ .

ولابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١٤ شبهةٌ اخرى في تدعيم إنكاره للحديث، وهو: حسبان أنَّ ما فيه من أنَّ صوم يوم الغدير يعدل ستّين شهراً يستدعي تفضيل المستحبّ على الواجب، لأنَّ الوارد في صوم شهر رمضان كلّه أنّه يقابل بعشرة أشهر، وهذا منكَرٌ من القول باطلٌ. اهـ .

ويُقال في دحض هذه المزعمة بالنقض تارةً وبالحلِّ اخرى، أمّا النقض فبما جاء من أحاديث جمّة لا يسعنا ذكر كلِّها بل جلّها[٢] ونقتصر منها بعدّة أحاديث وهي :

---

(١) قلد الذهبي في قوله هذا كما يظهر من تاريخه ج ٥ ص ٢١٤.

(٢) راجع نزهة المجالس ج ١ ص ١٥١ ـ ١٥٨ ـ و١٦٧ ـ ١٧٦ .

١ ـ حديث من صام رمضان ثمَّ أتبعه بستّ من شوّال فكأنّما صام الدهر. أخرجه مسلم بعدَّة طرق في صحيحه ج ١ ص ٣٢٣، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٣٨١، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٤، والدارمي في سننه ج ٢ ص ٢١، وأحمد في مسنده ج ٥ ص ٤١٧ و٤١٩، وابن الديبع في تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٢٩ نقلاً عن الترمذي ومسلم: وعليه أسند قوله كلٍّ من ذهب إلى استحباب صوم هذه الأيّام الستّة.

٢ ـ حديث من صام ستَّة أيّام بعد الفطر كان تمام السنة. أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٤، والدارمي في سننه ج ٢ ص ٢١، وأحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٠٨ و٣٢٤ و٣٤٤ وج ٥ ص ٣٨٠، والنسائي وابن حبّان في سننهما وصحّحه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٩.

٣ ـ كان رسول الله ﷺ يأمر بصيام الأيّام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ويقول: هو كصوم الدهر أو كهيئة الدهر. أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٢، والدارمي في سننه ج ٢ ص ١٩.

٤ ـ ما من أيّام الدنيا أيّام أحبّ إلى الله سبحانه أن يتعبّد له فيها من أيّام العشر (في ذي الحجّة) وإنَّ صيام يوم فيها ليعدل صيام سنة وليلة فيها بليلة القدر. أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٧، والغزالي في إحياء العلوم ج ١ ص ٢٢٧ وفيه: من صام ثلاثة أيّام من شهر حرام: الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكلّ يوم عبادة تسعمائة عام.

٥ ـ عن أنس بن مالك قال: كان يقال في أيّام العشر بكلّ يوم ألف يوم، ويوم عرفة عشرة آلاف يصوم. قال: يعني في الفضل. أخرجه المنذري في «الترغيب والترهيب» ج ٢ ص ٦٦ نقلاً عن البيهقي والاصبهاني.

٦ ـ صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر صيام الدهر وإفطاره. أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٣٤، وابن حبّان في صحيحه، وصحّحه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٨، وأخرجه النسائي وأبو يعلى في مسنده والبيهقي عن جرير بلفظ: صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر صيام الدهر. كما في الجامع الصغير ج ٢

ص ٧٨. وأخرج الترمذي والنسائي كما في تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٣٠: من صام من كلّ شهر ثلاثة أيّام فذلك صيام الدهر. فأنزل الله تعالى تصديق ذلك في كتابه: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ اليوم بعشرة أيام وأخرجه بلفظ يقرب من هذا مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣١٩ و٣٢١، وأخرج النسائي من حديث جرير: صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر كصيام الدهر ثلاث أيّام البيض. وأخرجه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» ج ٢ ص ٣٣ وذكره ابن حجر في «سبل السلام» ج ٢ ص ٢٣٤ وصحّحه.

٧ ـ صيام يوم عرفة كصيام ألف يوم. أخرجه ابن حبّان عن عائشة كما في «الجامع الصغير» ج ٢ ص ٧٨، وأخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي كما في «الترغيب والترهيب» ج ٢ ص ٢٧ و٦٦.

٨ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كنّا ونحن مع رسول الله ﷺ نعدل صوم يوم عرفة بسنتين. رواه الطبراني في الأوسط، وهو عند النسائي بلفظ: سنة. كما في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٧.

٩ ـ من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستّين شهراً أخرجه الحافظ الدمياطي[1] في سيرته كما في «السيرة الحلبيّة» ج ١ ص ٢٥٤، ورواه الصفوري في «نزهة المجالس» ج ١ ص ١٥٤.

١٠ ـ عن أبي هريرة وسلمان عن رسول الله ﷺ، أنّ في رجب يوماً وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة سنة وقامها وهي: لثلاث بقين من رجب. رواه الشيخ عبد القادر الجيلاني في «غنية الطالبين» كما في «نزهة المجالس» للصفوري ج ١ ص ١٥٤.

١١ ـ شهر رجب شهرٌ عظيمٌ من صام منه يوماً كتب الله له صوم ثلاثة آلاف سنة. رواه الكيلاني في غنيته كما في «نزهة المجالس» للصفوري ١٥٣.

(١) قال الذهبي في تذكرته ج ٤ ص ٢٦٨: شيخنا الإمام العلامة الحافظ الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن الدمياطي الشافعي. ثم أكثر في الثناء عليه وقال: توفي ٧٠٥.

١٢ ـ من صام يوم عاشوراء فكأنّما صام الدهر كلّه، مكتوبٌ في التوراة. ذكره الصفوري في نزهته ج ١ ص ١٧٤.

١٣ ـ من صام يوماً من المحرّم فله بكلّ يوم ثلاثون يوماً. رواه الطبراني في الصغير كما ذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» ج ٢ ص ٢٨.

(وأمّا الحلّ) فليس عندنا أصلٌ مسلّم يُركن إليه في لزوم زيادة أجر الفرائض على المثوبة في المستحبّات، بل أمثال الأحاديث السابقة في النقض تُرشدنا إلى إمكان العكس بل وقوعه، وتؤكّد ذلك الأحاديث الواردة في غير الصيام من الأعمال المرغَّب فيها.

على أنّ المثوبة واقعةٌ تجاه حقائق الأعمال ومقتضياتها الطبيعيّة، لا ما يعروها من عوارض كالوجوب والندب حسب المصالح المقترنة بها، فليس من المستحيل أن يكون في طبع المندوب في ماهيّات مختلفة، أو بحسب المقارنات المحتفّة به في المتّحدة منها، ما يوجب المزيد له.

ويقال في المقام: إنَّ ترتّب المثوبة على العمل إنّما هو بمقدار كشفه عن حقيقة الإيمان، وتوغّله في نفس العبد، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الإتيان بما هو زائدٌ على الوظائف المقرَّرة من الواجبات وترك المحرَّمات من المستحبات والتجنّب عن المكروهات أكشف عن ثبات العبد في مقام الإمتثال، وخضوعه لمولاه، وحبّه له، وبه يكمل الإيمان، ولم يزل العبد يتقرَّب به إلى المولى سبحانه حتى أحبّه كما ورد فيما أخرجه البخاري في صحيحه ج ٩ ص ٢١٤ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، الحديث(١).

بل من الممكن أن يُقال: انّه ليس في نواميس العدل ما يُحتّم ترتيب أجر على إقامة الواجب وترك المحرَّم، زائداً على ما منح به من الحياة والعقل

(١) وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٤١٦و والذهبي في ميزانه ج ١ ص ٣٠١.

والعافية ومُؤن الحياة، ومُعدَّات العمل، والنجاة من النار في الآخرة، بل إنَّ كُلّاً من هاتيك النعم الجزيلة يصغر عنه صالحات العبد جمعاء، وليس هناك إلّا الفضل.

وهذا الذي يُستفاد من غير واحد من آيات الكتاب العزيز نظير قوله تعالى: ﴿إنَّ المتَّقينَ في مقام أمين، في جَنّات وَعُيُون، يَلبسونَ مِن سُندس وإستبرقٍ مُتقابلين، كذلك وَزَوَّجناهم بِحورٍ عين، يَدعون فيها بكلِّ فاكهة آمنين، لا يذوقون فيها الموتَ إلّا الموتَةَ الأولى وَوَقاهُمْ عَذاب الجحيم، فضلاً من ربِّك ذلكَ هُوَ الفوزُ العظيمْ﴾ «سورة الدخان» فكلّ ما هناك من النعيم والمثوبات إنّما هو بفضله وإحسانه سبحانه وتعالى.

قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٤٥٩: إحتجَّ أصحابنا بهذه الآية على أنَّ الثواب يحصل تفضّلاً من الله تعالى لا بطريق الإستحقاق لأنّه تعالى لَمّا عدَّ أقسام ثواب المتّقين بيّن أنّها بأسرها إنّما حصلت على سبيل الفضل والإحسان من الله تعالى ثمَّ قال تعالى: ﴿ذلِكَ هُوَ الفوز العظيم﴾. واحتجَّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ التفضيل أعلى درجة من الثواب المستحقّ فإنّه تعالى وصفه بكونه فضلاً من الله ثمَّ وصف الفضل من الله بكونه فوزاً عظيماً، ويدلّ عليه أيضاً، انَّ الملِك العظيم إذا أعطى الأجير أُجرته ثمَّ خلع على إنسان آخر فإنَّ تلك الخلعة أعلى حالاً من إعطاء تلك الاجرة: إنتهى.

وقال ابن كثير نفسه في الآية الشريفة في تفسيره ج ٤ ص ١٤٧: ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ إنّه قال: إعلموا وسدِّدوا وقاربوا واعلموا أنَّ أحداً لن يُدخله عمله الجنّة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله برحمةٍ منه وفضل. إنتهى.

وبوسعك إستشعار هذا المعنى من الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٢٦٤ عن رسول الله ﷺ إنّه قال: حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يُعذِّب من لا يشرك به شيئاً. وأنت جِدُّ عليم بأنَّ هذا المقدار من الحقِّ الثابت على الله للعباد إنّما هو

بتقرير العقل السليم، وأمّا الزائد عليه من النعيم الساكت عنه نبيُّ البيان فليس إلّا الفضل والإحسان من المولى سبحانه.

وأنت تجد في معاملات الدُول مع أفراد الموظّفين أنّه ليس بإزاء واجباتهم وعدم الخيانة فيها من الأجر إلّا الرتبة والراتب، وإنّما يحظى أحدهم بترفيعٍ في المرتبة أو زيادة في الرتبة بخدمةٍ زائدة على مقرّراتها عليهم، وليس في الناس من ينقم على الحكومات ذلك، وهذه الحالة عيناً جاريةٌ بين الموالي والعبيد، وهي من الإرتكازات المرتسخة في نفسيّات البشر كلّهم، غير أنَّ الله سبحانه بفضله المتواصل يُثيب العاملين بواجبهم بأجور جزيلة.

وهٰهنا كلمةٌ قدسيَّة لسيِّدنا ومولانا زين العابدين الإمام الطاهر عليٍّ بن الحسين صلوات الله عليهما وآلهما لا مُنتدح عن إثباتها، وهي قوله في دعائه إذا إعترف بالتقصير عن تأدية الشكر من صحيفته الشريفة:

اللهمّ انَّ أحداً لا يبلغ من شكرك غايةً إلّا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً، ولا يبلغ مبلغاً من طاعتك وإن اجتهد إلّا كان مقصِّراً دون إستحقاقك بفضلك، فأشكر عبادك عاجزٌ عن شكرك وأعبدهم مقصِّرٌ عن طاعتك، لا يجب لأحد أن تَغفر له بإستحقاقه، ولا أن تَرضى عنه بإستيجابه، فمن غفرتَ له فبطولك؛ ومَن رضيتَ عنه فبفضلك، تشكر يسير ما شكرتَ به، وتثيب على قليل ما تُطاع فيه، حتى كأنَّ شكر عبادك الّذي أوجبت عليهم ثوابهم، وأعظمت عنه جزاءهم، أمرٌ ملكوا إستطاعة الإمتناع منه دونك فكافيتهم، أو لم يكن سببه بيدك فجازيتهم، بل ملكتَ يا إلٰهي أمرهم قبل أن يملكوا عبادتك، وأعددتَ ثوابهم قبل أن يُفيضوا في طاعتك، وذلك أنَّ سنّتك الإفضال، وعادتك الإحسان، وسبيلك العفو، فكلُّ البريَّة معترفةٌ بأنَّك غير ظالم لمن عاقبتَ، وشاهدةٌ بأنّك متفضّلٌ على مَن عافيتَ، وكلٌّ مقرٌّ على نفسه بالتقصير عمّا إستوجبت، فلولا أنَّ الشيطان يختدعهم عن طاعتكَ، ما عصاك عاصٍ، ولولا أنَّه صوَّر لهم الباطل في مثال الحقِّ، ما ضلَّ عن طريقك ضالٌّ، فسبحانك ما أبين كرمك في معاملة مَن أطاعك أو عصاك، تشكر للمطيع ما أنت تولّيته له، وتُملي للعاصي فيما تملك معاجلته فيه، أعطيتَ كلّاً منهما ما لم

يجب له، وتفضَّلتَ على كلٍّ منهما بما يقصر عمله عنه، ولو كافأت المطيع على ما أنت تولَّيته لأوشك أن يفقد ثوابك، وأن تزول عنه نعمتك، ولكنَّك بكرمك جازيته على المدَّة القصيرة الفانية بالمدَّة الطويلة الخالدة، وعلى الغاية القريبة الزائلة بالغاية المديدة الباقية.

ثمَّ لم تسمه القصاص فيما أكل من رزقك الذي يقوى به على طاعتك، ولم تحمله على المناقشات في الآلات التي تسبّب بإستعمالها إلى مغفرتك، ولو فعلتَ ذلك به لذهب بجميعِ ما كدح له، وجملة ما سعى فيه، جزاءً للصغرى من أياديك ومننك، وَلبقي رهيناً بين يديك بسائر نعمك، فمتى كان يستحقُّ شيئاً من ثوابك لا متى؟ إلخ.

وفي يوم الغدير صلاةٌ ألّف فيها أبو النضر العيّاشيُّ، والصابونيُّ المصريُّ كتاباً مفرداً، راجع فيها وفي الأدعية المأثورة يوم ذاك إلى التآليف المعدَّة لها.

﴿هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعوهُ وَاتّقوا لَعَلّكم تُرحَمون﴾

«الأنعام آية ١٥٥»



الفهرست

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي

مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنة وأدباً

ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة

من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ

عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

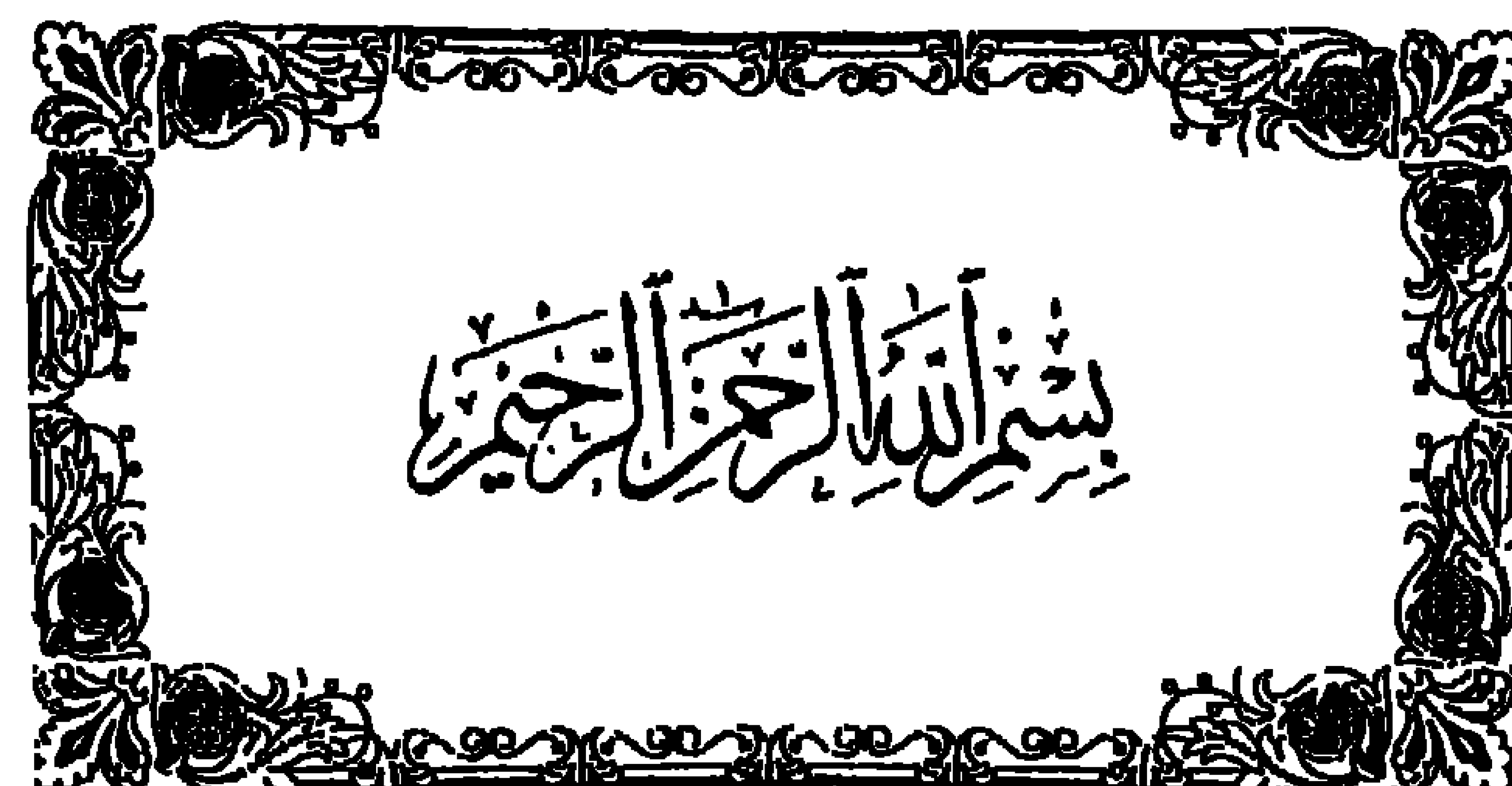
٢

الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



كتاب كريم

أتانا من الأستاذ الفذّ الشيخ محمد سعيد دحدوح ، أحد أئمّة الجمعة والجماعة من حلب «محلة الفوقاني» والكتاب كغيره مما بعثه إلينا يد ولائه من الأيكة الغرّاء تطفح من جوانبه بينات ثقافته وحرّيته في الرأي الصالح ، وتحليه بمكارم الأخلاق ، وبخوعه بحقائق التاريخ الناصعة ، وسيره وراء العلم العربي ، وتجرّده عمّا يشين المرء من النزعات الوبيلة ، وتزحزحه عن الإنكباب على بهرج القول والهوى السائد .

فقد زينا هذه الطبعة من «الغدير» بكتابه العزيز تقديراً لمكانته ، وإعجاباً بذلك الخطاب المبين ، مشفوعاً بشكر غير مجذوذ .

نص الكتاب

بِسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسوله ومُجتباه، وآله وصحبه ومَن والاه السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سيِّدي العلاّمة الأوحد والحجَّة الجليل الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ، حفظه الله وأبقاه.

وصلني كتابك المؤرِّخ ٢٣ الماضي في غرّة الحاضر، وقرأت وأكبرت فيك تلك الأخلاق الكريمة والسجايا، والولاء الأكيد، والحبّ السعيد،

والنفسيّة الطاهرة، والشمائل الباهرة التي نمت وربت بحبِّ آل البيت الأطهار، وأعطت أُكلها، وأظهرت نتاجها، وفاح عبير حبِّها، وعبيق ياسمين ودِّها، فأرج الأرجاء، وعمَّ الآفاق، وجعل حديث المحبِّين يفوح من شذاء المسكيِّ، وريحه الطيِّب نداً كبيراً .

سيِّدي أبيت إلّا أن تتحفني بتقديم « الغدير » في طبعته الجديدة، ولم ترض منّي عذراً، وأنا كنت أحبُّ أن أتحف «الغدير» بغير هذه الكلمة بدراسة واسعة، بعد أن تنتهي من طبعه كلّه، وبعد أن يطّلع عليه كافّة الأدباء وجميع أهل الخبرة بالتاريخ وأدواره، ولكن نزولاً عند رغبتك، أرسل هذه الجمل وأنا العليم بعجزي الآن عن ايفاءها للغدير من حقِّ عليٍّ، وما لصاحبه من عملٍ قدّمه لروّاد الحقيقة، وطلّاب البحث الحرِّ.

الغــــديـــر

كلمةٌ عذبةٌ، ولفظٌ جميلٌ، أُطلق على مؤلَّف ضمَّ وجمع ما قيل عن تلك الوقفة الّتي وقفها الرَّسول ﷺ بعد إنصرافه من حجّة الوداع، يُعلن لذلك الجمِّ الغفير، والجمع المحتشد ما [لعلّي عليه السلام] من مكانة عنده بعد أن ربّاه وأنشأه، وما هو عليه من فضائل ومحامد أهّلته أن يكون وصيّاً، وجعلته إماماً بعد الرَّسول وخليفةً هادياً مهديّاً، يأخذ بالناس إلى الطريق المستقيم، والمهيع الحقِّ .

فالغدير ألّف هذا، والغدير يُحدِّث حول ما قيل في هذا البحث، وكشف للناس عن أمور كانوا غافلين عنها ـ وإن كانت في الكتب ـ وعن أنباء أصبحت نسياً منسياً، فأظهر صورها من كتاب الله ـ دامت قدسيّته ـ وسنّة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى، وقول المحدِّثين والمفسِّرين، وكلام أهل السير والتاريخ، ونثر الأدباء، وقصائد الشعراء.

ولم يكتف بما قيل سابقاً عن هذا، ولم يقنع بما سطرته أقلام القرون الأولى حتى صال وجال، وتوسَّع بتراجم الرجال وامتدَّ إلى كلِّ بحث، يمتُّ بصلةٍ ما إليه، وينسب بوشيجة مضارعةٍ ومشابهةٍ بوجه من الوجوه معه .

فهو موسوعةٌ تذكر كـلام المادح والقـادح، والمحكم، والمتشابـه، ثمَّ يدحض كلَّ حديثٍ مُفترى، وقـولٍ مشينٍ، وإعتقادٍ فـاسدٍ، ولفظٍ دخيـلٍ، وجملةٍ نكراء، أُريد بها إلصاق تُهمٍ باطلةٍ، وآراءٍ فاسدةٍ بالمرتضى علي عليه‌السلام وبوالده شيخ الأبطح أبي طالب، وأهله وذويه وأبناءه وأحفاده وذريَّته، وعترته وأشياعه وأتباعه الأموات والأحياء ما هم برءاء منها، وبيَّن ماللإمام علي عليه‌السلام من خصائص، وما للأوصياء من مـزايا وفضـائل بكـلامٍ سهبٍ، وسياقٍ رصينٍ، وسباقٍ متينٍ.

هذا ما لمسته من « الغدير » حينما أرسل إليَّ بعض أجزاء العلاَّمة الحجَّة محمَّد الحسين المظفَّري حفظه الله وأبقاه، صاحب المؤلَّفات النافعة الدالَّـة على رجحان عقله وقوَّة بيانه، والَّذي رأيت فيه فكر العلماء، وثقابة العرفاء، وأخلاق الخيار، وسمة الصلحاء الأبرار.

وهذا الَّذي جعلني أمرح وأسرُّ حينما علمت بتجديد طبع أجزاءه الأُول، لأنَّني على علم بنفادها، وعلى اطِّلاع انَّها تحوي أبحاثاً جمَّة، وعلماً وافراً، واموراً كانت كأن لم تكن، ولكن بنشرها بالغدير عاد للعلم ما فاته، وللباحث ما يرجوه، وللمؤرِّخ ما يجهله، وللمفكّر ما يستند عليه عقله ويستنتجه من أسباب وأحوال.

فـالغديـر دعم اموراً، وأزال أوهـاماً، وأقـرَّ حقائق، وأثبت أشيـاء كنَّـا نجهلها، ودحض أقوالاً مشينا عليها قـروناً عـديدة ونحن نقـول: ـ أي هكذا خلقت ـ لا نعلم لها مأتى ولا نفكّر بأسرارها.

والحوادث يجب أن تُعطينا أخباراً تجعلنا نبني عليها صرحاً مـتينـاً من التفكير والتعمّق بما جرى وما وقع.

وكلُّ ذلك أصبح من الضروريِّ للباحث أن يعلمه ويفقهه لا ليثير خلافا، ولا لينبش أحقـاداً، وإنمّـا ليبين للنَّـاس: مـا هــو الحقُّ؟! ومن هم شيعـة المـرتضى؟! ومن أين أتاهم ذلـك الحبُّ للبيت الطاهـر النبوي؟! ومـا منشأ العاطفة؟! وما هي الأشياء التي نسبت إليهم إفكا وزوراً؟!

نعم للباحث أن يعلم هذا، ويسير وراء الوعي ويدع العاطفة جانبا، ويأخذ من أخطاء الماضي درساً للحاضر، ووصايا لأبناء هذا الجيل تكلّمهم: أنَّ الخلاف منشأ التفرقة، وأنَّ التباغض معولٌ يهدم الوحدة، ويقضي على الإعتصام، ويدع المسلمين لا حبَّ بينهم ولا إخاء يجمعهم، كلٌّ يعمل لمصلحة قومه، وتدعيم آراء من يحبُّ، ويدعون ناحية الأخلاق، ولا يُقيمون لها وزنا.

فبالأخلاق تُعرف الأمم، وبالأخلاق يكون السموُّ، وعليها يُبنى العزُّ، وبغيرها فلا نجاح لنا، وطالما الرَّسول الأعظم وآله الأطهار دعونا إليه، وحضّونا على التمسّك بالإتّحاد، والقرآن يُنادي: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾. ويقول: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. ﴿وتلك أُمّةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾. ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرىٰ﴾. ﴿إتّقوا وكونوا مع الصّادقين﴾.

وإنّني لا يسعني قبل أن يجفَّ القلم، إلّا أن أقوم بما يجب عليَّ من تقديم الشكر، والثناء على جهود مؤلِّفه العلاّمة الحجّة سماحة الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ، على ما أسداه للعصر وللأجيال في مؤلّفه ممّا يدلُّ على غزارة علم، ووفرة فهم، واستطلاع واسع، واستقراء بعيد المدى، وسبك بارع، فجزاه الله أحسن الجزاء، وجعل مؤلّفه يدعو إلي الحقيقة، وإلى الوحدة معاً، ويشير وراءده الإتّحاد، وبغيته جمع الكلمة والإعتصام بالثقلين: الكتاب الكريم والعترة الّذين طهّرهم الله من الرِّجس والآثام تطهيرا.

وفي الختام تقبّل سلام أخيك ومحبّك

٤/ربيع الآخر - ١٣٧٢ هـ.

٢١/١٢/١٩١٢ م

محمد سعيد دحدوح

شعراء الغدير
في القرن الاول والثاني ،
وشطر من القرن الثالث
وهم عشرة كاملة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وسلام على عباده الّذين اصطفى :

نُجّز الجزء الأوّل ولله الحمد من هذا الكتاب، بعد أن ألمسك باليد حقيقة ناصعة، هي من أجلى الحقائق الدينيّة. ألا وهي: مغزى نصّ الغدير ومفاده، ذلك النصُّ الجليُّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين، بحيث لم يدع لقائل كلمةً، ولا لمجادل شبهة في تلك الدلالة، وقد أوعزنا في تضاعيف ذلك البحث الضافي، إلى أنَّ هذا المعنى من الحديث هو الذي عرفته منه العرب منذ عهد الصحابة الوعاة له، وفي الأجيال من بعدهم وإلى عصرنا الحاضر؛ فهو معنى اللفظ اللغويُّ المراد لا محالة قبل القرائن المؤكِّدة له وبعدها، وقد أسلفنا نزراً من شواهد هذا المدَّعى، غير أنَّه يروقنا هٰهنا التبسّط في ذلك بإيراد الشعر المقول فيه؛ مع يسيرٍ من مكانة الشاعر وتوغّله في العربيَّة، ليزداد القارىء بصيرةً على بصيرته.

ألا إنَّ كلاًّ من أولئك الشعراء الفطاحل (وقل في أكثرهم: العلماء) معدودٌ من رواة هذا الحديث، فإنَّ نظمهم إيّاه في شعرهم القصصي، ليس من الصور الخياليَّة الفارغة، كما هو المطّرد في كثير من المعاني الشعريّة، ولدى سواد عظيم من الشعراء، ألم ترهم في كلِّ وادٍ يهيمون؟ لكن هؤلاء نظموا قصَّةً لها خارجٌ، وأفرغوا ما فيها من كلم منثورة أو معان مقصودة، من غير أيِّ تدخّل للخيال فيه، فجاء قولهم كأحد الأحاديث المأثورة، فتكون تلكم القوافي المنضَّدة في عقودها الذهبيَّة، من جملة المؤكِّدات لتواتر الحديث.

ومن هنا لم نعتبر في بعض ما أوردناه أن يكـون من عليَّة الشعـر، ولا لاحظنا تناسبه لأوقات نبوغ الشاعر في القوَّة، لما ذكرناه من أنَّ الغاية هي روايته للحديث وفهمه المعنى المقصود منه، ولن تجد أيَّ فصيح من الشعراء والكتّاب تشابهت ولائد فكرته في القوَّة والضعف في جميع أدواره وحالاته.

الشعر والشعراء

ونحن لا نرى شعر السلف الصالح، مجرَّد ألفاظ مسبوكة في بوتقة النظم، أو كلمات منضَّدة على أسلاك القريض فحسب، بل نحن نتلقّاه بما هناك من الأبحاث الراقية في المعارف من علمي الكتاب، والسنَّة، إلى دروس عالية من الفلسفة والعِبر، والموعظة الحسنة والأخلاق، أضف إليهـا ما فيـه من فنون الأدب، وموادِّ اللغة، ومباني التاريخ، فالشعر الحافل لهذه النواحي بغية العالم، ومقصد الحكيم، ومأرب الأخلاقيِّ، وطلبة الأديب، وأُمنيَّة المؤرِّخ وقل: مرمى المجتمع البشريِّ أجمع.

وهنـاك للشعر المـذهبيِّ مآرب أُخرى هي من أهمِّ ما نجـده في شعر السلف. ألا وهي الحجاج في المذهب، والدعوة إلى الحقِّ، وبثُّ فضائل آل الله، ونشر روحيّات العترة الطاهـرة في المجتمع، بصـورةٍ خلّابـة، وأُسلوب بديع، يُمازج الأرواح، ويُخالط الأدمغة، فيبلغ هتافه القاصي والداني، وتلوكه أشـداق الموالي والمنـاوىء مهما علت في الكـون عقيرتـه، ودوّخت الأرجاء شهرته، وشاع وذاع وطار صيته في الأقطار، وقرَّطت به الآذان.

مهما صار أُحدوَّة تحدو بها الحُداة، وأغاني تغنّي بها الجواري في أندية الملوك والخلفاء والأمراء، وتُناغي بها الأُمَّهات الرضَّع في المهود، ويرقصنها بها بعد الفطام في الحجور، ويُلقِّنها الآباء أولادهم على حين نعومة الأظفار، فينمو ويشبُّ، وفي صفحة قلبه أسطرٌ نوريَّة من الولاء المحض بسبب تلك الأهازيج، وهذه الناحية (الفارغة اليوم) لا تسدّها خطابة أيِّ مفوَّهٍ لَسِن، ولا تلحقه دعاية أيِّ متكلِّم، كما يقصر دون إدراكها السيف والقلم.

وأنت تجد تأثير الشعر الرائق في نفسيّتك فوق أيِّ دعاية وتبليغ، فأيُّ أحد يتلو ميميَّة الفرزدق، فلا يكاد أن يطير شوقاً إلى الممدوح وحبّاً لـه؟ أو ينشد هاشميّات الكميت، فلا يمتلىء حِجاجاً لِلحقّ؟ أو يترنّم بعينيَّة الحميري، فلا يعلم أن الحقَّ يدور على الممدوح بها؟ أو تلقى عليه تائيَّة دعبل، فلا يستاء لاضطهاد أهل الحقِّ؟ أو تصكُّ سمعه ميميّة الأمير أبي فراس فلا تقف شعرات جلدته؟ ثمَّ لا يجد كلُّ عضو منه يخاطب القوم بقوله:

يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم لِعصبةٍ بيعهم يوم الحياج دمُ

وكم وكم لهذه من أشباه ونظائر، في شعراء أكابر الشيعة، وسوف تقف عليها في طيّات أجزاء كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

وبهذه الغاية المهمَّة كان الشعر في القرون الاولى، مدحاً وهجاءاً ورثاءاً كالصارم المسلول بيد موالي أئمَّة الدين، وسهماً مغرقاً في أكباد أعداء الله، ومجلّة دعاية إلى ولاء آل الله في كلِّ صقع وناحية، وكانوا صلوات الله عليهم يُضحّون دونه ثروةً طائلة، ويبذلون من مال الله للشعراء ما يُغنيهم عن التكسّب والاشتغال بغير هذه المهمَّة، وكانوا يُوجّهون الشعراء إلى هذه الناحية، ويحتفظون بها بكلِّ حول وَطوْل، ويُحرِّضون الناس عليها، ويُبشِّرونهم عن الله و(هم أُمناء وحيه) بمثل قولهم: مَن قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنَّة. ويحثّونهم على تعلّم ما قيل فيهم وحفظه، بمثل قول الصادق الأمين عليه السلام. علّموا أولادكم بشعر العبدي. وقوله: ما قال فينا قائلٌ بيت شعر حتى يؤيّد بروح القدس[1]. وروى الكشي في رجاله ص ١٦٠ عن أبي طالب القمي، قال: كتبت إلى أبي جعفر بأبيات شعر وذكرت فيها أباه وسألته أن يأذن لي في أن أقول فيه، فقطع الشعر وحبسه، وكتب في صدر ما بقي من القرطاس: قد أحسنت فجزاك الله خيراً. وعنه في لفظ آخر: فأذن لي أن أرثي أبا الحسن أعني أباه وكتب إليَّ: أن اندبه واندب لي.

---

(١) عيون أخبار الرضا، رجال الكشي ص ٢٥٤.

الشعر والشعراء في السنّة والكتاب

كلّ ما ذكرنا عنهم صلوات الله عليهم، كان تأسّياً بقدوتهم النبيِّ الطاهر صلّى الله عليه وآله، فإنّه أوّل فاتح لهذا الباب بمصراعيه مدحاً وهجاءاً، بإصاخته للشعراء المادحين له ولأسرته الكريمة، وكان ينشد الشعر ويستنشده ويجيز عليه ويرتاح له، ويكرم الشاعر مهما وجد في شعره هذه الغاية الوحيدة، كإرتياحه لشعر عمّه شيخ الأباطح أبي طالب سلام الله عليه، لمّا استسقى فسقي قال: لله درُّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرَّت عيناه، مَن يُنشدنا قوله؟ فقام عمر بن الخطاب فقال: عسى أردت يا رسول الله: .

وما حملت من ناقة فوق ظهرها   أبـرّ وأوفى ذمّـةً من محمّـدِ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ليس هذا من قول أبي طالب، هذا من قول حسّان بن ثابت. فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كأنّك أردت يا رسول الله:

وأبيضُ يُستسقى الغمام بوجهه   ربيع اليتامى عصمةٌ للأراملِ
تلوذ به الهُلّاكُ من آل هاشم   فهل عنده في نعمةٍ وفواضلِ

فقال رسول الله: أجل. فقام رجل من بني كنانة فقال:

لك الحمدُ والحمدُ ممَّن شكر   سُقينا بوجه النبيِّ المطر
دعا الله خالقه دعوةً   وأشخص منه إليه البصر
فلم يك إلّا كإلقا الردا   وأسرع حتى أتانا الدّرر
دفاق العزالى جمّ البُعاق[1]   أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمّه   أبو طالب ذا رواءٍ غزر
به الله يسقي صيوب الغمام   فهذا العيان وذاك الخبر

فقال رسول الله: يا كناني؟ بوَّأك الله بكلِّ بيت قلته بيتاً في الجنّة[2].

---

(١) العزالى جمع العزلاء: مصب الماء. والبعاق بالضم: السحاب الممطر بشدة.
(٢) أمالي شيخ الطائفة ص ٤٦.

ولَمّا نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله، يوم بدر إلى القتلى مصرَّعين قال لأبي بكر: لو أنّ أبا طالب حيٌّ لعلم أن أسيافنا أخذت بالأماثل وذلك لقول أبي طالب:

وإنّا لعمر الله إن جدّ ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله لشعر عمّه العبّاس بن عبد المطلب، لَمّا قال: يا رسول الله! أُريد أن أمتدحك. فقال رسول الله: قل لا يفضض الله فاك. فأنشأ يقول:

من قبلها طبتَ في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورقُ
ثمّ هبطتَ البلاد لا بشرٌ أنت ولا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفةٌ تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرقُ
تُنقل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطقُ
وأنت لَمّا وُلدتَ أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترقُ(١)

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لشعر عمرو بن سالم، وقوله له: نصرت يا عمرو بن سالم لَمّا قدمه وأنشده أبياتاً أوّلها(٢):

لا همَّ إنّي ناشدٌ محمّدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أباً وكنّا ولدا ثُمّتَ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً عتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

إلى آخر الأبيات:

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لِشعر النابغة الجعدي، ودعائه له بقوله: لا يفضض فاك. لَمّا أنشده أبياتاً من قصيدته مائتي بيت أوّلها:

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٧، اسد الغابة ج ١ ص ١١٩.
(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١١، اسد الغابة ج ٤ ص ١٠٤.

خليليَّ غضّا ساعة وتهجّرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

وممّا أنشده رسول الله صلّى الله عليه وآله:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرَّة نيِّرا
وجاهدت حتى ما أحسَّ ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثمّ تحوّرا
أُقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

ولمّا بلغ إلى قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنّةُ. قال: أجل إن شاء الله تعالى. ثمَّ قال:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يُكدَّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أجدتَ لا يفضض الله فاك. مرّتين فكانت أسنانه كالبَرد المنهل ما انفصمت له سن ولا انفلتت وكان معمَّراً[1].

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لِشعر كعب بن زهير، لَمّا أنشده في مسجده الشريف لاميّته التي أوّلها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ مُتيَّمٌ أثرها لم يفد مكبولُ

فكساه النبيُّ صلّى الله عليه وآله بردة إشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين[2]، وفي مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٨٢: لَمّا أنشد كعب قصيدته هذه رسول الله وبلغ قوله:

إنَّ الرّسول لسيفٌ يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلولُ

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٦، الاستيعاب ج ١ ص ٣١١، الإصابة ج ٣ ص ٥٣٩.
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٢، الامتاع للمقريزي ٤٩٤، الإصابة ج ٥ ص ٢٩٦.

أشار صلّى الله عليه وآله بكمّه إلى الخلق ليسمعوا منه. ويُروى أنَّ كعباً أنشد (من سيوف الهند) فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: من سيوف الله[1].

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لِشعر عبدالله بن رواحة، قال البراء بن عازب: رأيت النبيَّ صلّى الله عليه وآله ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلد بطنه وهو يرتجز بكلمة عبدالله بن رواحة.

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينةً علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ أولاء قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا[2]

ويظهر من رواية ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير، انَّ الأبيات لعامر بن الأكوع، روى الثاني في اسد الغابة ج ٣ ص ٧٢ انَّ النبيَّ ﷺ قال لعامر في مسيره إلى خيبر: انزل يا بن الأكوع واحد لنا من هناتك[3] قال: نزل يرتجز رسول الله ﷺ:

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلّينا «الخ»

فقال رسول الله ﷺ: يرحمك ربّك. وفي لفظ: رحمك الله. وفي الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٩: غفر لك ربّك.

وكإرتياحه ﷺ لِشعر حسّان بن ثابت، يوم غدير خمّ، ودعائه له بقوله: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وكان صلّى الله عليه وآله، يضع لحسّان منبراً في مسجده الشريف، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله، ويقول رسول الله: إن الله يؤيِّد حسّان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله[4].

---

(١) شرح قصيدة: بانت سعاد. لجمال الدين الأنصاري ص ٩٨.
(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٠٢.
(٣) أي كلماتك وأراجيزك وفي رواية: هنيأتك. على التصغير، وفي اخرى: هنيهاتك.
(٤) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٤٧٧ وصححه هو والذهبي في تلخيصه.

وكإرتياحه لِشعر أبي كبير الهذلي، قالت عائشة: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وعرقه يتولّد نوراً قالت: فبهتُّ فنظر إليّ فقال: ما لك بهتّ؟ فقلت يا رسول الله! نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وعرقك يتولّد نوراً، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنّك أحقّ بشعره، قال: وما يقول أبو كبير؟ قلت يقول:

ومبرّىءٌ من كلّ غبّر حيضة وفساد مرضعة وداء معضل
وإذا نظرت إلى أسرَّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فوضع رسول الله صلّى الله عليه وآله ما كان بيده وقام وقبّل ما بين عينيّ، وقال: جزاك الله خيراً يا عائشة؟ ما سررت منّي كسروري منك(١).

وكان صلّى الله عليه وآله، يحثُّ الشعراء إلى هذه الناحية، ويأمرهم بالاحتفاظ بها، ويُرشدهم إلى أخذ حديث المخالفين له، وأحسابهم وتأريخ نشئاتهم ممّن يعرفها وهجاءهم، كما كان يأمرهم بتعلّم القرآن العزيز، وكان يراه نصرةً للإسلام، وجهاداً دون الدين الحنيف؛ وكان يصوّر للشاعر جهاده وينصّ به ويقول: إهجوا بالشعر إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والّذي نفس محمّد بيده كأنّما تنضحونهم بالنبل. وفي لفظ آخر: فكأنّ ما ترمونهم به نضح النبل. وفي ثالث: والّذي نفس محمّد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر(٢).

وكان صلّى الله عليه وآله، يثوّر شعراءه إلى الجدال بنبال النظم وحسام القريض ويحرّضهم إلى الحماسة في مجابهة الكفّار، في قولهم المضادّ لمبدئه القدسيّ، ويبثّ فيهم روحاً دينيّاً قويّاً، ويؤكّد فيهم حميّةً تجاه الحميّة الجاهليّة، وكان يوجد فيهم هياجاً ونشاطاً في النشر والدعاية، وشوقاً مؤكّداً إلى الدفاع عن حامية الإسلام المقدّس، ورغبةً في المجاهدة بالنظم بمثل قوله صلّى الله عليه

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٤٥، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٥٣.
(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦، ٤٦٠، ج ٦ ص ٣٨٧.

وآله، للشاعر: إهج المشركين فإنّ روح القدس معك ما هاجيتهم[١] وقوله: إهجهم فإنَّ جبريل معك[٢].

قال البراء بن عازب: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قيل له: إنّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله؟ إئذن لي فيه فقال: أنت الذي تقول: ثبّت الله؟ قال: نعم قلت يا رسول الله:

فثبّت الله ما أعطاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً مثل ما نُصروا

قال صلّى الله عليه وآله: وأنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك. قال: ثُمَّ وثب كعب فقال: يا رسول الله؟ ائذن لي فيه. قال: أنت الذي تقول: همَت؟ قال: نعم، قلت يا رسول الله :

همت سخينة أن تغالب ربّها   فليغلبنَّ مغالب الغلّابِ

قال صلّى الله عليه وآله: إنّ الله لم ينس ذلك لك. قال ثمّ قام حسّان فقال: يا رسول الله! ائذن لي فيه وأخرج لساناً له أسود فقال: يا رسول الله! إئذن لي إن شئت أفريت به المزاد[٣] فقال: إذهب إلى أبي بكر ليحدِّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثمَّ إهجهم وجبريل معك[٤].

وهذه الطائفة من الشعراء هم المعنيّون بقوله تعالى: ﴿إلّا الّذين آمنوا وعَملوا الصّالحات وذَكروا الله كثيراً وانتصروا مِن بَعدِ ما ظُلموا﴾ وهم المستثنون في صريح القرآن من قوله تعالى: ﴿والشعراء يتّبعهم الغاوون﴾. الآية، سورة الشعراء ولَمّا نزلت هذه الآية جاءت عدّةٌ من الشعراء إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، قائلين إنّا شعراء، والله أنزل هذه الآية فتلا

---

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٧.

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) أي شققته. كناية عن إسقاطه بالفضيحة.

(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٨.

النبيُّ ﷺ: إلاّ الّذين آمنوا وعَملوا الصّالحات. قال: أنتم. وذَكروا الله كثيراً، قال: أنتم. وانتصروا مِنْ بَعدِ ما ظُلموا، قال: أنتم(١).

وإنّ كعب بن مالك، أحد شعراء النبيِّ الأعظم حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النبي ﷺ فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه؟ فقال النبيُّ ﷺ إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه(٢).

على أنّ في وسع الباحث أن يقول: إنّ المراد بالشعراء في الآية الكريمة كلُّ من يأتي بكلام شعريّ- منظوماً أو منثوراً، فتكون مصاديقها أحزاب الباطل وقوّالة الزور، فعن مولانا الصادق عليه السلام: إنّهم القصّاصون. رواه شيخنا الصدوق في عقائده، وفي تفسير علي بن إبراهيم ص ٤٧٤ أنّه قال: نزلت في الّذين غيّروا دين الله وخالفوا أمر الله، هل رأيتم شاعراً قطّ تبعه أحد؟ إنّما عني بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم على ذلك الناس، ويؤكّد ذلك قوله: ألم ترهم في كلّ واد يهيمون. يعني يُناظرون بالأباطيل ويُجادلون بالحجج وفي كلّ مذهب يذهبون. وفي تفسير العيّاشي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هم قومٌ تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا.

فليس في الآية حطٌّ لمقام الشعر بما هو شعر، وإنّما الحطُّ على الباطل منه، ومن المنثور، وقد ثبت عنه صلّى الله عليه وآله عند فريقي الإسلام قوله: إنّ من الشعر لحكمة. ـ وإنّ من البيان لسحرا(٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤.

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٣٢، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٩٦، صحيح البخاري كتاب الطب، باب: إن من البيان سحراً، المجنى لابن دريد ص ٢٢، تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ٩٨، ٢٥٨، وج ٤ ص ٢٥٤، وج ٨ ص ١٨، ٣١٤، البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢١٢، ٢٧٥، رسائل الجاحظ ص ٢٣٥، مصابيح السنة للبغوي ج ٢ ص ١٤٩، الروض الانف ج ٢ ص ٣٣٧، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٤٥، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٣٤٨، وج ٦ ص ٤٢٣، الإصابة ج ١ ص ٤٥٣، وج ٤ ص ١٨٣، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٥٣.

الهواتف بالشعر

وهناك هتافاتٌ غيبيَّة شعريَّة في الدعاية الدينيَّة، خوطبَ بها أُناسٌ في بدء الإسلام فاهتدوا بها، وهي معدودةٌ من معاجز النبيِّ صلّى الله عليه وآله، وتنمُّ عن أهميَّة الشعر في باب الإلقاء والحجاج وإفهام المستمع، وإنَّ أخذه بمجامع القلوب والأفئدة، آكد من الكلام المنثور، فليتَّخذ دستوراً في إصلاح المجتمع، وبثِّ الدعاية الروحيَّة ومنها:

١ ـ سمعت آمنة بنت وهب في ولادة النبيِّ صلّى الله عليه وآله، هاتفاً يقول:

صلّى الإله وكلُّ عبد صالح ... والطيِّبون على السراج الواضحِ
المصطفى خير الأنام محمَّد ... الطاهر العلم الضياء اللايحِ
زين الأنام المصطفى علم الهدى ... الصادق البرّ التقيّ الناصحِ
صلّى عليه الله ما هبت الصبا ... وتجاوبت ورق الحمام النايحِ (١)

٢ ـ هتف هاتفٌ من صنم بصوت جهير ليلة مولد النبيِّ ﷺ وقد خرّت فيها الأصنام، وهو يقول:

تردّى لمولودٍ أنارت بنوره ... جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب
وخرَّت له الأوثان طُرّاً وأرعدت ... قلوب ملوك الأرض طُرّاً من الرعبِ
ونارُ جميع الفرس باخَت وأظلمت ... وقد بات شاه الفرس في أعظم الكربِ
وصدَّت عن الكهّان بالغيب جِنّها ... فلا مخبرٌ منهم بحقٍّ ولا كذبِ
فيالقصيٍّ إرجعوا عن ضلالكم ... وهبّوا إلى الإسلام والمنزل الرحبِ (٢)

٣ ـ قال ورقة: بتُّ ليلة مولد النبيِّ ﷺ عند صنم لنا إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

وُلد النبيُّ فذلَّت الأملاكُ ... ونأى الضلالُ وأدبر الإشراكُ

---

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٧٣.

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤١، الخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٥٢.

ثمّ انتكس الصنم على رأسه(١).

٤ ـ قال العوام بن جُهيل (مصغّراً) الهمداني سادن (يغوث): بتُّ ليلاً في بيت الصنم: وسمعت هاتفاً من الصنم يقول: يا ابن جُهيل! حلَّ بالأصنام الويل، هذا نورٌ سطع من الأرض الحرام، فودِّع يغوث بالسّلام. فكلّمت قومي ما سمعت فإذا هاتفٌ يقول:

هل تسمعنَّ القول يا عوام   أم أنت ذو وقرٍ عن الكلام؟
قد كشفت دياجر الظلامِ   وأصفقَ الناس على الإسلام

فقلت:

يا أيّها الهاتف بالعوامِ   لست بذي وقرٍ عن الكلامِ
فبيِّنن عن سنّة الإسلامِ

قال: وما كنت والله عرفت الإسلام قبل ذلك فأجابني يقول:

أرحل على اسم الله والتوفيق   رحلةً لا وانٍ ولا مَشيقِ
إلى فريق خير ما فريقِ   إلى النبيِّ الصادقِ المصدوقِ

فرميت الصنم وخرجت أُريد النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فصادفت وفد همدان يدور بالنبيِّ فدخلت عليه فأخبرته خبري، فسرَّ النبيُّ ﷺ ثمّ قال: أخبر المسلمين: وأمرني بكسر الأصنام فرجعت إلى اليمن وقد إمتحن الله قلبي بالإسلام وقلت في ذلك:

من مبلغٌ عنّا شآم قومنا   ومن حلَّ بالأجواف سرّاً وجهرا
بأنّا هدانا الله لِلحقِّ بعدما   تهوَّد منّا حائرٌ وتنصَّرا
وإنّا سرينا من يغوث وقربه   يعوق، وتابعناك يا خيِّر الورى(٢)

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٥٢.
(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ١٩٣، الإصابة ج ٣ ص ٤١.

٥ ـ أخرج أبو نعيم في دلائل النبوّة ج ١ ص ٣٤ عن العبّاس بن مرداس السلمي قال: دخلت على وثن يقال له (الضمار) فكنست ما حوله ومسحته وقبّلته فإذا بصائحٍ يصيح يا عبّاس بن مرداس!

قل للقبايل من سليم كلّها هلك الأنيس وفاز أهل المسجدِ
أودى «ضمار» وكان يعبد مرّة قبل الكتاب إلى النبيِّ محمَّدِ
إنّ الذي ورث النبوّة والهدى بعد ابن مريم من قريش مُهتدِ

فخرج العبّاس في ثلاثمائة راكب من قومه إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله فلمّا رآه النبيُّ تبسّم ثمّ قال: يا عبّاس بن مرداس، كيف كان إسلامك؟ فقصَّ عليه القصّة فقال: صدقت وسرَّ بذلك[1].

٦ ـ أخرج أبو نعيم في دلائله ج ١ ص ٣٣ عن رجل خثعميّ قال: إنّ قوماً من خثعم كانوا مجتمعين عند صنم لهم، إذ سمعوا بهاتف يهتف:

يا أيّها الناس ذَوو الأجسامِ ومسندو الحكم إلى الأصنامِ
ما أنتمُ وطائش الأحلامِ هذا نبيٌّ سيِّدُ الأنامِ
أعدل ذي حُكم من الحكّامِ يصدع بالنور وبالإسلامِ
ويردع الناس عن الآثامِ مستعلنٌ في البلد الحرامِ

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال: سمعت هاتفاً يهتف ويقول:

يا أيّها الناس ذَوو الأجسامِ ومسندوا الحكم إلى الأصنامِ
ما أنتم وطائش الأحلامِ فكلّكم أوره كالنعامِ[2]
أما ترون ما أرى أمامي؟ قد لاح لِلناظر من تهامِ

---

(١) ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٦١، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤١.
(٢) في البحار ج ٦ ص ٣١٩. فكلكم أوره كالكهام. وره فهو أوره. أي حمق. الكهام: الكليل. البطيء. المسنّ.

أكـــرم بـــه لله مـــن إمـــامِ قد جاء بعد الكفر بـالإسلامِ
والبرّ والصّلات للأرحام(١)

ورواه الخرائطي كما في تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣ بإسناده واللفظ فيه:

يـا أيّها النـاس ذَوو الأجسامِ من بين أشيـاخ إلـى غـلامِ
مـا أنتمُ وطـائش الأحـلامِ ومسنـد الحُكم إلى الأصنـامِ
أكـلّكم فـي حيـر النيـامِ؟ أم لا ترون ما الّـذي أمامي؟
من ساطعٍ يجلو دُجى الظلامِ قـد لاح للنـاظـر من تهـامِ
ذاك نـبـيٌّ سـيِّـد الأنـامِ قد جاء بعـد الكفر بـالإسلام
أكـرمـه الـرَّحمٰن من إمـامِ ومن رسـول صـادق الكـلامِ
أعـدل ذي حُكم من الحكّامِ يـأمـر بـالصَّـلاة والصيـامِ
والبرّ والصّـلات لـلأرحـامِ ويـزجـر النـاس عن الآثـامِ
والـرجس والأوثـان والحـرامِ من هـاشم في ذروة السنـامِ
مستعلناً في البلد الحرامِ

٧ - أخرج أبو نعيم عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التيمي، عن رجل قال: كنّا بقفرة من الأرض إذا هاتفٌ من خلفنا يقول:

قـد لاح نجمٌ فأضـاء مشرقـه يخرج من ظلماء عسوف موبقه
ذاك رسـولٌ مفلحٌ مَن صدّقـه الله أعـلى أمـره وحقّـقـه(٢)

٨ - أخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عبّاس، إنّ رجلاً قال: يا رسول الله! خرجت في الجاهليّة أطلب بعيراً شرد فهتف بي هاتفٌ في الصبح يقول:

يا أيّها الراقد في اللّيل الأجمْ قـد بعث الله نبيّاً في الحـرمْ
من هاشمٍ أهل الوفاء والكرمْ يجلو دجنّات الدياجي والظلمْ

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٣٣.
(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٤.

فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً فقلت:

يا أيّها الهاتف في داجي الظُّلَمْ　　أهلاً وسهلاً بك مِن طيف ألمْ
بيِّن هداك الله في لحن الكَلِمْ　　ماذا الذي يدعو إليه؟ يغتنمْ

فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول:

ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمَّداً بالخيور. ثمّ أنشأ يقول:

الحمد لله الّذي　　لم يخلق الخلق عبثْ
أرسلَ فينا أحمداً　　خير نبيٍّ قد بَعثْ
صلّى عليه الله ما　　حجَّ لهُ ركبٌ وحثّ(١)

٩ ـ أخرج أبو سعد في (شرف المصطفى) عن الجعد بن قيس المرادي قال: خرجنا أربعة أنفس نريد الحجَّ في الجاهليَّة فمررنا بواد من أودية اليمن إذا بهاتف يقول:

ألا أيّها الركب المعرِّس بلِّغوا　　إذا ما وقفتم بالحطيم وزمزما
محمَّدٍ المبعوث منّا تحيّةً　　تُشيِّعه من حيث سار ويمَّما
وقولوا له: إنّا لدينك شيعةٌ　　بذلك أوصانا المسيح بن مريما(٢)

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٥٣، عن عيش بن جبر، قال: سمعت قريش في ليلة قائلاً يقول على أبي قبيس:

فإن يسلم السعدان يصبح محمَّدٌ　　بمكّة لا يخشى خلافَ مخالف

فظنَّت قريش أنّهما سعد تميم، وسعد هذيم، فلمّا كانت الليلة الثانية سمعوه يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً　　ويا سعد سعد الخزرجين الغطارفِ

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٩.
(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص١٠٩.

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنّيا على الله في الفردوس منية عارفِ
فإنّ ثواب الله يا طالب الهدى! جنانٌ من الفردوس ذات رفارفِ

فلمّا أصبحوا قال سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة[1].

١١ - روى ابن سعد في طبقاته الكبرى ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٩ ما ملخّصه: لَمّا هاجر رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة، ومرَّ هو ومن معه بخيمتي أُمّ معبد الخزاعيّة، وهي قاعدة بفناء الخيمة فسألوها تمراً أو لحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون[2] مسنتون[3] فقالت: والله لو كان عندنا شيءٌ ما أعوزكم القِرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أُمّ معبد؟ قالت: هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأُمي إن رأيت بها حلباً، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله وقال: اللهمّ بارك لها في شاتها. قال: فتفاجّت[4] ودرّت واجترّت[5] فدعا بإناء لها يربض[6] الرهط فحلب فيه ثجّاً[7] حتى غلبه الثُمال[8] فسقاها فشربت حتّى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا وشرب ﷺ آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل[9] حتّى أراضوا[10] ثمّ حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثمّ ارتحلوا عنها.

---

(١) ورواه ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ١٥٩.
(٢) نفد زادهم وافتقروا.
(٣) مجدبون.
(٤) من التفاج هو المبالغة في تفريج ما بين الرجلين، وهو من الفج أي الطريق.
(٥) من الجرة وهي: ما يخرجه البعير من بطنه فيمضغه ثانياً.
(٦) أي يرويهم حتى يناموا ويأخذوا راحتهم.
(٧) ثج الماء ثجوجاً: سال.
(٨) الثمال بضم الثاء واحده ثمالة: الرغوة. وما بقي في الإناء من ماء غيره.
(٩) عللاً. بالتحريك: شرباً بعد شرب. نهل بالتحريك: أول الشرب.
(١٠) من أراض إراضة: روى.

الحديث. وأصبح صوت بمكّة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون مَن يقول وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه رفيقين حلّا خيمتي أمّ معبدِ
هما نزلا بالبرِّ وارتحلا به فأفلح مَن أمسى رفيق محمَّدِ
فيالقُصيٍّ ما زوى الله عنكم به من فعالٍ لا يجازى وسؤددِ
سلوا أُختكم عن شاتها وإنائها فإنّكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبت له بصريحٍ ضرَّة الشاة مزبدِ(١)
فغادره رهناً لديها لحالبٍ تدرُّ بها في مصدر ثمّ موردِ(٢)

١٢ ـ أخرج ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ١٨٨ عن أبي ذؤيب الهذلي الشاعر أنّه سمع ليلة وفاة النبيِّ ﷺ هاتفاً يقول:

خطبٌ أجلّ أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الأطامِ (٣)
قُبض النبيُّ محمَّدُ فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجامِ

وهناك هواتف في شؤون العترة النبويّة منها:

١٣ ـ أخرج الحافظ الگنجي في كفايته ص ٢٦١: لَمّا وُلد في الكعبة عليٌّ «أمير المؤمنين» دخل أبو طالب الكعبة، وهو يقول:

يا ربَّ هذا الغسق الدُّجيّ والقمر المنبلج المضيّ
بيِّن لنا من أمرك الخفيّ ماذا ترى في اسم ذا الصبيّ

قال: فسمع صوت هاتفٍ وهو يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيّ خُصصتمُ بالولد الزكيّ
إنَّ اسمه من شامخ العليّ عليٌّ اشتقّ من العليّ

---

(١) الصريح: الخالص. الضرة. أصل الثدي. المزبد: القاذف بالزبد.
(٢) ورواها أبو نعيم في دلائل النبوة ج ٢ ص ١١٨.
(٣) واحده الاطم بالضم: الأبنية المرتفعة كالحصون.

ثمّ قال: هذا حديثٌ تفرَّد به مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الشافعيِّ.

١٤ - ذكر الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤٧: إنّ عليّاً «أمير المؤمنين» كان يزور قبر فاطمة في كلِّ يوم فأقبل ذات يوم فانكبَّ على القبر وبكى، وأنشأ يقول:

ما لي مررت على القبور مسلّماً | قبر الحبيب فلا يردّ جوابي
يا قبرُ ما لك لا تجيب منادياً؟ | أمللت بعدي خُلّة الأحبابِ؟

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قال الحبيب:

وكيف لي بجوابكم وأنا | رهين جنادل وترابِ؟
أكل التراب محاسني فنسيتكم | وحُجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكمُ منّي السّلام تقطعت | منّي ومنكم خُلّة الأحباب

١٥ - روى ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣٤١، والگنجي في الكفاية، عن أُمّ سلمة قالت: لَمّا كانت ليلة قتل الحسين (الإمام السبط) سمعت قائلاً يقول:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً | أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
كلُّ أهل السماء يدعو عليكم | من نبيٍّ ومرسلٍ وقبيلِ
قد لُعنتم على لسان ابن داود | وموسى وحامل الإنجيل(١)

موكب الشعراء

فمن هنا وهنا جاء بيمن السنّة والكتاب، من الصحابة الواكبين على الشعر مواكب بعين سيِّدهم نبيِّ العظمة كالأسود الضارية، تفترس أعراض الشرك والضلال، وصقور جارحة تصطاد الأفئدة والمسامع، وتلك المواكب كانت ملتفَّة حوله في حضره، وتسري معه في سفره، ورجالها فرسان الهيجاء، ومعهم حسام

(١) ذكر ابن حجر منها بيتين، ورواها شيخنا ابن قولويه المتوفّى سنة ٣٦٧ وفي الكامل ج ٨ ص ٣٠.

الشعر ونبل القريض، يُجادلون دون مبدء الإسلام المقدّس، ويُجاهدون بألسنتهم في سبيل الله، وفيهم نظراء:

العبّاس عمّ النبيّ	كعب بن مالك	عبدالله بن رواحة	حسّان بن ثابت
النابغة الجعدي	ضرار الأسدي	ضرار القرشي	كعب بن زهير
قيس بن صرمة	أُميَّة بن الصلت	نعمان بن عجلان	العبّاس بن مرداس
طفيل الغنوي	كعب بن نمط	مالك بن عوف	صرمة بن أبي أنس
قيس بن بحر	عبدالله بن حرب	بُحير بن أبي سلمى	سراقة بن مالك

وقد أخذت هذه الروح الدينيَّة بمجامع قلوب أفراد المجتمع، ودبّت في النفوس ودبّجتها، وخالطت الأرواح، حتى مازجت نفوس المسلمات، فأصبحت تغار على الدين وتكلأه، وهنَّ ربّات الحجال تذبُّ عن نبيِّ الأمَّة ببديع النظم وجيِّد الشعر نظيرات:

١ ـ أُمّ المؤمنين (الملِكة) خديجة بنت خويلد، زوج النبيِّ الطاهر صلّى الله عليه وآله، وكانت رقيقة الشعر جدّاً، ومن شعرها في تمريغ البعير وجهه على قدمي النبيِّ، ونطقه بفضله كرامةً له صلّى الله عليه وآله قولها:

نطق البعير بفضل أحمد مخبراً ... هذا الّذي شرفت به أُمُّ القرى
هـذا محمَّد خيـر مبعوث أتى ... فهو الشفيع وخير من وطىء الثرى
يا حاسديه تمزَّقوا من غيظكم ... فهو الحبيب ولا سواه في الورى[1]

٢ ـ سعدى بنت كريز، خالة عثمان بن عفان، ومن شعرها في الدعاية الدينيَّة:

عثمان يا عثمانُ يا عثمانُ! ... لـك الجمالُ ولـك الشانُ

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ١٠٣.

هـذا نبيٌّ معـه البـرهـانُ أرسـله بـحـقِّـه الـديّـانُ
وجـاءه التنـزيـل والبـرهـانُ فـاتبعـه لا تغيـا بـك الأوثـانُ

فقالت: إنّ محمَّد بن عبدالله رسول الله، جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله.

مصباحه مصباحُ وقولـه صلاحُ ودينـه فـلاحُ وأمـره نجـاحُ
لِقرنه نـطاحُ ذلّت له البـطاحُ ما ينفع الصياحُ لو وقع الرماحُ
وسـلّت الـصـفـاحُ ومـدّت الـرمـاحُ

وتقول في إسلام عثمان:

هدى الله عثمان الصفيَّ بقوله فأرشده والله يهدي إلى الحقِّ
فتابع بالرأي السديد محمَّداً وكان ابن أروى لا يصدُّ عن الحقِّ
وأنكحه المبعوث إحدى بناته فكان كبدر مازج الشمس في الأُفقِ
فداءك يابن الهاشميِّين مهجتي فأنت أمين الله أُرسلت في الخلقِ(١)

٣ ـ الشيمـاء بنت الحارث بن عبـد العـزّى، أُخت النبيِّ الأقـدس من الرضاعة، تقول في النبيِّ صلّى الله عليه وآله:

يـا ربّنا! أبق لنـا محمَّـدا حـتـى أراه يـافـعـاً وأمـردا
ثـمَّ أراه سـيِّـداً مـسـدَّدا واكبتْ أعـاديه معـاً والحسَّـدا
وأعطه عزّاً يدوم أبدا(٢)

٤ ـ هند بنت أبان(٣) بن عباد بن المطلب، لها عدّة قواف في النبيِّ الطاهر صلّى الله عليه وآله، توجد في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤.ص ١٤٨، وهي تجابه هند بنت عتبة في وقعة أُحد في قولها تفتخر بقتل حمزة ومن أُصيب من المسلمين:

نحن جـزينـاكم بيـوم بـدرِ والحرب بعد الحرب ذات سعرِ

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٧٢ و٣٢٨.
(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٤٤.
(٣) في الطبقات الكبرى لابن سعد واسد الغابة: أثاثة بن عباد.

ما كان عن عتبة لي من صبرِ　　أبي وعمّي وشقيق بكري
شفيت وحشيّ غليل صدري　　شفيت نفسي وقضيت نذري

فأجابتها هند بنت أبان بقولها:

جزيت في بدر وغير بدر　　يا بنت وقّاع عظيم الكفرِ
صبّحك الله غداة الفجرِ　　بالهاشميّين الطوال الزهرِ
بكلّ قطّاع حسام يفري　　حمزة ليثي وعليٌّ صقري[1]

٥ ـ خنساء بنت عمرو حفيدة امرىء القيس، قد أكثرت من الشعر، وأجمع أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن إمرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشده[2].

٦ ـ رُقيقة (بقافين مصغّرة) بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم، هي التي أخبرت رسول الله بأنّ قريشاً قد اجتمعت تريد شأنك الليلة فتحوّل رسول الله ﷺ عن فراشه وبات فيه عليٌّ أمير المؤمنين[3] لها شعرٌ جيّد منها قولها في استسقاء عبد المطلب لقريش، ومعه رسول الله ﷺ يافعاً أوّله:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا　　وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطرُ[4]

٧ ـ أروى بنت عبد المطلب، عمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وصاحبة الإحتجاج المشهور على معاوية يأتي في ترجمة عمرو بن العاص، ولها شعر في رثاء النبيّ صلّى الله عليه وآله منه أبيات أوّلها:

ألا يا عين ويحكِ أسعديني . بدمعكِ ما بقيتِ وطاوعيني

ومنها أبيات مستهلّها:

ألا يا رسول الله، كنتَ رجاءنا　　وكنتَ بنا برّاً ولم تك جافيا

---

(١) اسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٩، الإصابة ج ٤ ص ٤٢١.
(٢) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٤ ص ٢٩٥، ٢٩٦، اسد الغابة ج ٥ ص ٤٤١.
(٣) الإصابة ج ٤ ص ٣٠٣.
(٤) اسد الغابة ج ٥ ص ٤٥٥، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٠.

وتقول فيها:

أفاطم، صلّى الله ربُّ محمَّد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
أبا حسن، فارقته وتركته ... فبكِّ بحزن آخر الدهر شاجيا[1]

٨ عاتكة بنت عبد المطلب ... ٩ صفيَّة بنت عبد المطلب
١٠ هند بنت الحارث ... ١١ زوج النبيِّ أُمّ سلمة
١٢ عاتكة بنت زيد بن عمرو ... ١٣ خادمة النبيِّ أُمُّ أيمن [2].

وكانت عائشة زوج النبيِّ صلّى الله عليه وآله، تحفظ الشعر الكثير، وكانت تقول: أُرويت للبيد إثنى عشر ألف بيت[3] وكان صلّى الله عليه وآله، يستنشدها الشعر ويقول: أبياتكِ. وممّا أنشدت:

إذا ما التِّبرُ حُكَّ على محكٍّ ... تبيَّن نشّه من غير شكٍّ
وبان الزيف والذهب المصفّى ... «عليٌّ» بيننا شبه المحكِّ[4]

الشعر والشعراء عند الأئمة

هذه الدعاية الروحيَّة، والنصرة الدينيَّة، المرغَّب فيها بالكتاب والسنَّة، والمجاهدة دون المذهب بالشعر ونظم القريض، كانت قائمة على ساقها في عهد أئمَّة العترة الطاهرة تأسِّياً منهم بالنبيِّ الأعظم، وكانت قلوب أفراد المجتمع تلين لِشعراء أهل البيت، فتتأثَّر بأهازيجهم حتى تعود مزيجة نفسيَّاتهم.

وكان الشعراء يقصدون أئمَّة العترة، من البلاد القاصية بقصائدهم المذهبيَّة، وهم صلوات الله عليهم يحسنون نزل الشاعر وقِراه، ويرحِّبون به بكلِّ

---

(١) توجد بقية الأبيات في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٤٢، ١٤٣.
(٢) تجد شعر هؤلاء في طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٤٤، ١٤٨، مناقب ابن شهر اشوب ج ١ ص ١٦٩ وغيرهما.
(٣) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٢٨.
(٤) الكنز المدفون للسيوطي ص ٢٣٦.

حفاوة وتبجيل، ويحتفلون بشعره ويدعون له، ويُزوِّدونه بكلِّ صلة وكرامة، ويُرشدونه إلى صواب القول إن كان هناك خللٌ في النظم، ومن هنا أخذ الأدب في تلك القرون في التطوُّر والتوسّع حتى بلغ إلى حدّ يقصر دونه كثيرٌ من العلوم والفنون الإجتماعيّة.

وقد يكسب الشعر بناحيته هذه أهميّة كبرى عند حماة الدين أهل بيت الوحي حتى يُعدُّ الإحتفال به، والإصغاء إليه، وصرف الوقت النفيس دون سماعه واستماعه من أعظم القربات وأولى الطاعات، وقد يُقدَّم على العبادة والدعاء في أشرف الأوقات وأعظم المواقف، كما يُستفاد من قول الإمام الصادق عليه السلام وفعله بهاشميّات الكميت لمّا دخل عليه في أيّام التشريق بمنى فقال له: جعلت فداك ألا أُنشدك؟ قال: إنّها أيّام عظام قال: إنّها فيكم، فلمّا سمع الإمام عليه السلام مقاله بعث إلى ذويه فقرّبهم إليه وقال: هات فأنشده لاميّته من الهاشميّات فحظي بدعائه عليه السلام له وألف دينار وكسوة. وسنوقفك على تفصيل هذا الإجمال في ترجمة كميت والحميري ودعبل.

ونظراً إلى الغايات الإجتماعيّة كان أئمّة الدين يغضّون البصر من شخصيّات الشاعر المذهبيّ وأفعاله، ويضربون عنها صفحاً إن كان هناك عملٌ غير صالح يسوؤهم مهما وجدوه وراء صالح الأُمّة، وفي الخير له قدم، وصرح به الحقّ عن محضه، وصرح المحض عن الزبد، وصار الأمر عليه لزام[1] وكانوا يستغفرون له ربّه في سوء صنعه، ويجلبون له عواطف الملأ الدينيّ بمثل قولهم: لا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا، وقولهم أيعزُّ على الله أن يغفر الذنوب لمحبِّ عليّ، وإنَّ محبَّ عليٍّ لا تزلُّ له قدمٌ إلّا تثبت له أُخرى[2]. وفي تلك القدم الثابتة صلاح المجتمع، وعليها نموت ونحيى.

وهناك لأئمة الدين صلوات الله عليهم فكرةٌ صالحةٌ، صرفت في هذه

---

(١) مَثل من هذه الجمل مثل يضرب لزام بكسر الميم مثل حدام، أي: صار هذا الأمر لازماً له.

(٢) توجد هذه الأحاديث في ترجمة أبي هريرة الشاعر والسيد الحميري وغيرهما.

الناحية، وهي كدستور فيها تعاليم وإرشادات إلى مناهج الخدمة للمجتمع، وتنوير أفكار المثقّفين وتوجيهها إلى طرق النشر والدعاية، ودروسٌ في توطيد أُسس المذهب، وكيفيَّة احتلال روحيّات البلاد وقلوب العباد، وبرنامجٌ في صرف مال الله، وتلويحٌ إلى أهمّ موارده.

تُعرب عن هذه الفكرة المشكورة إيصاء الإمام الباقر، ابنه الإمام الصادق عليه السلام، بقوله: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى(١) وفي تعيينه عليه السلام ظرف الندبة من الزمان والمكان، لأنّهما المجتمع الوحيد لزرافات المسلمين، من أدنى البلاد وأقاصيها من كلِّ فجّ عميق، وليس لهم مجتمعٌ يضاهيه في الكثرة، دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ الغاية من ذلك إسماع الملأ الدينيِّ مآثر الفقيد «فقيد بيت الوحي» ومزاياه، حتى تنعطف عليه القلوب، وتحنُّ إليه الأفئدة، ويكونوا على أمم من أمره، وبمقربة من اعتناق مذهبه، فيحدوهم ذلك بتكرار الندبة في كلِّ سنة إلى الإلتحاق به، والبخوع لحقِّه، والقول بإمامته، والتحلّي بمكارم أخلاقه، والأخذ بتعاليمه المنجية، وعلى هذا الأساس الدينيِّ القويم أُسِّست المآتم والمواكب الحسينيَّة، ليس إلا.

ونظراً إلى المغازي الكريمة المتوخّاة من الشعر، كان شعراء أهل البيت ممقوتين ثقيلين جدّاً على مناوئيهم، وكانت العداء عليهم محتدمة، والشحناء لهم متشزِّنة، وكان حامل ألوية هذه الناحية من الشعر لم يزل خائفاً يترقَّب، آيساً من حياته مستميتاً مستقتلاً، لا يقرُّ له قرار؛ ولا يأويه منزل. وكان طيلة حياته يكابد المشاقّ، ويقاسي الشدائد من شنقٍ وقتلٍ وحرقٍ وقطع لسانٍ وحبسٍ وعذابٍ وتنكيلٍ وضربٍ وهتك حرمةٍ وإقصاءٍ من الأهل والوطن إلى شدائد اخرى سجّلها لهم التاريخ في صحائفه.

---

(١) رواه بطريق صحيح رجاله ثقات شيخنا الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٦١.

الشعر والشعراء عند أعلام الدين

إقتفى أثر الأئمّة الطاهرين فقهاء الأُمّة، وزعماء المذهب، وقاموا لخدمة الدين الحنيف، بحفظ هذه الناحية من الشعر كلاءةً لناموس المذهب، وحرصاً لبقاء مآثر آل الله، وتخليداً لذكرهم في الملأ، وكانوا يتّبعون منهاج أئمّتهم في الإحتفاء بشاعرهم وتقديره، والإثابة على عمله والشكر له بكلّ قول وكرامة، وكانوا يحتفظون بهذه المغازي بالتأليف في الشعر وفنونه، ويعدّونه من واجبهم كما كانوا يؤلّفون في الفقه وسائر العلوم الدينيّة، مهما كان كلّ منهم للغايات حفيّاً.

هذا: شيخنا الأكبر الكليني، الذي قضى من عمره عشرين سنة في تأليف الكافي أحد الكتب الأربعة مراجع الإماميّة، له كتاب ما قيل من الشعر في أهل البيت. والعيّاشي، الذي ألّف كتباً كثيرة في الفقه الإماميّ لا يستهان بعدّتها، له كتاب «معاريض الشعر». وشيخنا الأعظم الصدوق، الذي بذل النفس والنفيس دون التأليف والنشر في الفقه والحديث، له كتاب الشعر. وشيخ الشيعة بالبصرة الجلودي ذلك الشخصيّة البارزة في العلم وفنونه، له كتاب ما قيل في عليّ عليه السلام من الشعر. وشيخ الإماميّة بالجزيرة أبو الحسن الشمشاطي مؤلّف مختصر فقه أهل البيت، له كتبٌ قيّمة في فنون الشعر. ومعلّم الأُمّة شيخنا المفيد الذي لا تخفى على أيٍّ أحد أشواطه البعيدة في خدمة الدين، وإحياء الأُمّة، وإصلاح الفاسد، له كتاب مسائل النظم. وسيّد الطائفة المرتضى علم الهدى، له ديوان، وتآليف في فنون الشعر، إلى زرافات آخرين من حملة الفقه وأعضاد العلم الإلٓهي من الطبقة العليا.

ولم يزالوا يعقدون الحفلات والأندية في الأعياد المذهبيّة، من مواليد أئمّة الدين عليهم السّلام ويوم العيد الأكبر (الغدير) ومجالس تعقد في وفياتهم، فتأتي إليها الشعراء شُرّعاً فيلقون ولائد أفكارهم من مدائح وتهاني وتأبينات ومراثي فيها إحياء أمرهم، فتثبت لها القلوب، وتشتدُّ بها العلائق الودّية بين أفراد

المجتمع ومواليهم عليهم السّلام، ويتبعها الحفاوة والتكريم والإثابة والتعظيم لمنضّدي تلك العقود وجامعي أوابدها، هذا وما عند الله خيرٌ وأبقى.

وكانت الحالة في بعض تلك القرون الخالية أكيدة، والنشاط الروحيُّ بالغاً في رجالاته فوق ما يُتصوّر، والأُمّة بيمن تلك النفوس الطاهرة سعيدةٌ جدّاً كعصر سيّد الأُمّة آية الله بحر العلوم، والشيخ الأكبر كاشف الغطاء، وأمّا اليوم فإنّ تلك المحتشدات الروحيّة:

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا　　أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ

نعم بالأمس، كان بقيّة العترة الطاهرة الإمام المجدِّد الشيرازي، نزيل سامراء المشرَّفة ذلك العلم الخفّاق للأُمّة جمعاء، الذي طنّبت زعامته الدينيّة على أطراف العالم كلّه، لا تنقطع حفلاته في الأيّام المذكورة كلّها فتقصدها صاغة القريض بأناشيدهم المبهجة من شتّى النواحي، فتجد عنده فناءً رحباً، وانبساطاً شاملاً، وتقديراً معجباً، ونائلاً جزيلاً، وبشاشةً مرغّبة. ولكن:

ذهب الّذين يُعاش في أكنافهم　　..........

ومن نماذج هاتيك الأحوال، أنّ شاعر أهل البيت المفلق السيّد حيدر الحلي، قصده بشعر في بعض وفداته إليه فأضمر السيّد المجدِّد في نفسه أن يُثيبه بعشرين ليرة عثمانيّة، فأفضى بعزمه إلى ابن عمّه العلم الحجّة[1] الحاج ميرزا إسماعيل، فاستقلّ ذلك المبلغ، وقال: إنّه شاعر أهل البيت، وإنّه أجلّ وأفضل من أمثال دعبل، والحميري ونظرائهما، وكان أئمّة الدين يُقدِّمون إليهم الصُّرر والبُدر، فاستحفاه عن مقتضى الحال فقال له: إنّ الحريَّ أن تعطيه مائة ليرة بيدك الشريفة. هناك قصد السيّد المجدِّد زيارة السيّد حيدر، وناوله المبلغ المذكور بكلِّ حفاوة وتبجيل، وقبّل يد شاعر أهل البيت. حكاه جمعٌ ممّن أدرك ذلك العصر الذهبيّ، ومنهم خلفه الصالح آية الله ميرزا علي آغا، الذي خلف

---

(١) تأتي ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر.

والـده على تلك المجالس والمجتمعـات واستنشاد الشعـر، والإصـاخـة إليـه والتقدير والترحيب في النجف الأشرف.

ولا يسعنا بسط المقال حـول هذه كلّهـا. وليس هذا المجمـل إلاّ نفثة مصدور، ولهفة متحسّر على فراغ هذه الناحية في اليوم، وإهمال تلك الغاية المهمّة، وإقلاق تلك الطمأنينة، وضياع تلك الفوائد الجمّة على الأمّة، فالأيّام عوج رواجع[1]، فكأنّ الدنيا رجعت إلى ورائها القهقرى، واكتسى الشعر كسوة الجاهليّة الاولى، وذهب أمس بما فيه[2]، فلا فقيه هناك كأولئك، ولا شاعـر كهؤلاء، ولا رأي لمن لا يُطاع.

ومهما نتلقّى شعر السلف (في القرون الاولى) تلقّي الحديث والسنّـة، نذكر في شعرهم المقول في فضائل آل الله بعض ما وقفنا عليـه من الحديث الوارد هناك من طرق العامّه، ولعلّ الباحث يقف بذلك على سعة باع الشاعر، في علمي الكتاب والسنّة.

عبد الحسين الأميني

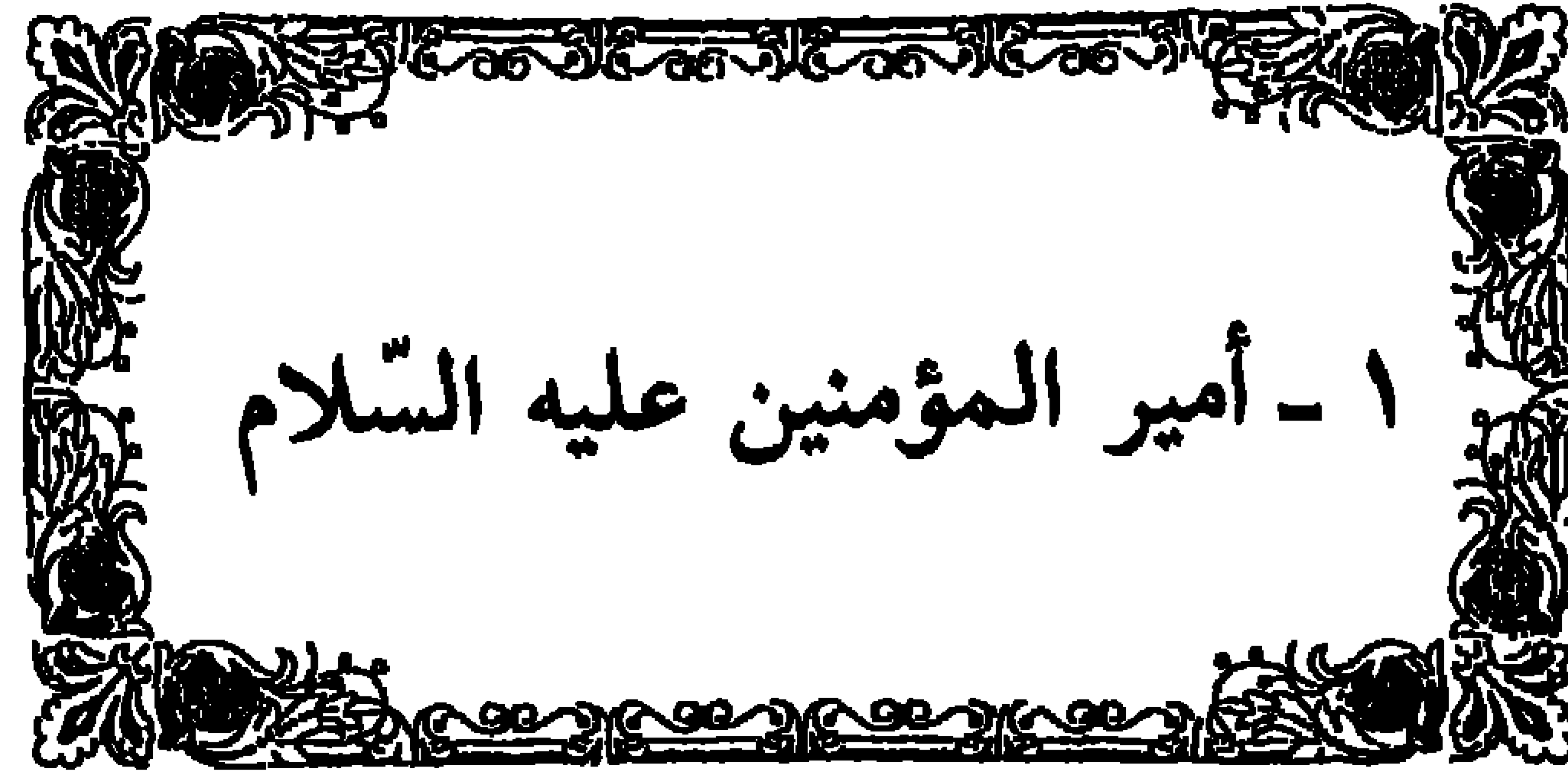
﴿آخِرُ دَعْوانَا أَنِ الْحَمدُ لله رَبِّ العَالَمينَ﴾

---

(١) مثل يضرب يعني: الدهر تارة يعرج عليك وتارة يرجع إليك.

(٢) مثل سائر يضرب.

شعراء الغدير
في القرن الأوّل



١ - أمير المؤمنين عليه السّلام

نتيمّن في بدء الكتاب بذكر سيّدنا أمير المؤمنين عليّ، خليفة النبيّ المصطفى، صلّى الله عليهما وآلهما، فإنّه أفصح عربيٍّ، وأعرف الناس بمعاريض كلام العرب، بعد صنوه النبيِّ الأعظم، عرف من لفظ المولى في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، معنى الإمامة المطلقة، وفرض الطاعة التي كانت لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وقال عليه السلام:

محمّدٌ النبيُّ أخي وصنوي[١] ... وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وجعفر الذي يُضحي ويُمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي ... منوطٌ لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيّكمُ له سهمٌ كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طرّاً ... على ما كان من فهمي وعلمي[٢]
فأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمٍّ[٣]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر وغير واحد من المصادر: صهري.

(٢) في رواية ابن أبي الحديد وابن حجر وابن شهر آشوب: غلاماً ما بلغت أوان حلمي. وفي رواية ابن الشيخ وبعض آخر: صغيراً ما بلغت أوان حلمي. وفي رواية الطبرسي بعد هذا البيت:

وصليت الصلاة وكنت طفلاً ... مقراً بالنبي في بطن امي

(٣) وذكر الدكتور أحمد رفاعي في تعليقه على معجم الادباء:

وأوصاني النبي على اختيار ... ببيعته غداة غدير خم

وهناك في هذا البيت تصحيف سنوقفك عليه.

فـويـلٌ ثـمَّ ويـلٌ ثمَّ ويـلٌ   لمن يلقى الإلّـه غداً بـظلمي

ما يتبع الشعر :

هذه الأبيات كتبها الإمام عليه السلام، إلى معاوية لمّا كتب معاوية إليه: إنّ لي فضائل كان أبي سيّداً في الجاهليّة، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، فقـال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أبالفضائل يبغي عليٌّ ابن اكلة الأكباد؟ اكتب يا غلام! :

محمَّـدٌ النبيُّ أخي وصنـوي   إلى اخـر الأبيات المـذكـورة

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

والأمّة قد تلقّتها بالقبول، وتسالمت على روايتها، غير أنَّ كُلاًّ أخذ منها ما يرجع إلى موضوع بحثه، من دون أيِّ غمز فيها، بل ستقف على أنّها مشهورة، ورواها النقلة الأثبات، ونقلها الحفظة الثقـات، وذكر جمـع من أعلام السنّة والجماعة عن البيهقي: أنَّ هذا الشعر ممّا يجب على كلِّ متوالٍ لعليٍّ حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام. فرواها من أصحابنا:

١ ـ معلّم الأمّة شيخنا المفيد المتوفّى سنة ٤١٣، رواها بـأجمعها في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٧٨ وقال: كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين في ذلك؟ وقد شاع في شهرته على حدٍّ يـرتفع فيـه الخلاف، وانتشر حتى صار مذكوراً مسموعاً من العامّة فضلاً عن الخاصّة، وفي هذا الشعر كفايةٌ في البيان عن تقدُّم إيمانه عليه السلام، وانّه وقع مع المعرفة بالحجّة والبيان، وفيه أيضاً: أنّه كان الإمام بعد الرسول صلّى الله عليه واله، بدليل المقال الظاهر في يوم الغدير الموجب له للإستخلاف.

٢ ـ شيخنـا الكراجكي المتـوفى سنة ٤٤٩، رواهـا في «كنز الفـوائد» ص١٢٢.

٣ ـ أبو علي الفتّال النيسابوري، في «روضة الواعظين» ص ٧٦.

٤ - أبو منصور الطبرسي أحمد مشايخ ابن شهر آشوب، في «الإحتجاج» ص ٩٧.

٥ - ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨، في «المناقب» ج ١ ص ٣٥٦.

٦ - أبو الحسن الأربلي المتوفّى سنة ٦٩٢، في «كشف الغمّة» ص ٩٢.

٧ - ابن سنجر النخجواني، في «تجارب السلف» ص ٤٢ وقال ما تعريبه: لِعليٍّ ديوان(١) لا مجال لِلترديد والشكّ فيه.

٨ - الشيخ علي البياضي المتوفّى سنة ٨٧٧، في «الصراط المستقيم».

٩ - المجلسيُّ العظيم المتوفّى سنة ١١١١، في «بحار الأنوار» ج ٩ ص ٣٧٥.

١٠- السيِّد صدر الدين علي خان المدنّي المتوفّى سنة ١١٢٠ ، في درجاته الرفيعة.

١١ - الشيخ أبو الحسن الشريف، في «ضياء العالمين» المؤلّف ١١٣٧.

ورواها من أعلام العامّة

١ - الحافظ البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ (المترجم ج١ ص ١٤٥) رواها برمّتها، وقال: إن هذا الشعر ممّا يجب على كلّ أحد متوال في عليّ حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام.

٢ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد البلوي المالكي الشهير بابن الشيخ، المتوفّى حدود سنة ٦٠٥، قال في كتابه «ألف باء» ج ١ ص ٤٣٩: وأمّا عليٌّ رضي الله عنه فمكانه عليٌّ، وشرفه سنيٌّ، أوّل من دخل في الإسلام، وزوج فاطمة عليها السلام بنت النبيِّ، وقد نظم في أبيات المفاخرة، وذكر فيها مآثره

---

(١) لعله يريد ما دونه الفنجكردي من شعره عليه السلام مما يبلغ مائتي بيت كما يأتي في ترجمته، لا هذا الديوان الكبير المطبوع المنتشر فإن فيه كل الشك.

حين فاخره بعض عداه ممّن لم يبلغ مداه، فقال رضي الله عنه يفخر بحمزة عمّه وبجعفر ابن عمّه رضي الله عنهم:

محمّـد النبيُّ أخي وصنوي وذكـر إلى آخـر بيت الغـديـر

فقال: يريد بذلك قوله عليه السلام: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاده.

٣ ـ أبـو الحسين الحافظ زيـد بن الحسن تاج الـدين الكندي الحنفي المتوفّى سنة ٦١٣، رواه من طريق ابن دُريد في كتابه «المجتنى» ص ٣٩ ذكر منها خمسة أبيات.

٤ ـ ياقوت الحموي المتوفّى سنة ٦٢٦ (المترجم ج ١ ص ١٥٤) ذكر ستّة أبيات منها في «معجم الادباء» ج ٥ ص ٢٦٦، وزاد الدكتور أحمد رفاعي المصري بيتين في التعليق.

٥ ـ أبو سالم محمّد بن طلحة الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٢، تأتي ترجمته في شعراء القرن السابع، رواها برمّتها في «مطالب السئول» ص ١١ (ط إيران) فقال: هذه الأبيات نقلها عنه عليه السلام الثقات، ورواها النقلة الأثبات.

٦ ـ سبط ابن الجوزي الحنفيّ المتوفّى سنة ٦٥٤ (المترجم ج ١ ص ١٥٥) رواها بجملتها في [تذكرة خواصّ الأمّة] ص ٦٢ وفي بعض أبياته تغييرٌ يسيرٌ.

٧ ـ ابن أبي الحديد المتوفّى سنة ٦٥٨، ذكر منها في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧٧ بيتين مكتفياً عن البقيّة بشهرتها.

٨ ـ أبو عبدالله محمّد بن يوسف الگنجيّ الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٨، رواه في «المناقب» المطبوع بمصر ص ٤١، وقال في الإستدلال على سبق أمير المؤمنين إلى الإسلام: وقد أشار عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه إلى شيء من ذلك في أبيات قـالها، رواهـا عنه الثقـات. ثمّ ذكر البيت الأول، والثـالث، والخامس، والسابع.

٩ ـ سعيد الدين الفرغاني المتوفّى سنة ٦٩٩ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) ذكر في شرح تائيّة ابن الفارض في قوله:

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً　　عليٌّ بعلم ناله بالوصيّةِ

بيتين وهما:

وأوصاني النبيُّ على اختيار　　لأُمّته رضىً منه بحكمي
وأوجب لي ولايته عليكم　　رسول الله يوم غدير خمّ

١٠ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويي المتوفّى سنة ٧٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) رواها في «فرائد السمطين» وذكر من أوّلها إلى آخر بيت الولاية وزاد قبله:

وأوصاني النبيُّ على اختيار　　لأُمّته رضىً منه بحكمي

١١ ـ أبو الفداء المتوفّى سنة ٧٣٢، أخذ منها في تاريخه ج ١ ص ١١٨، ما يرجع إلى إسلامه عليه السلام.

١٢ ـ جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي المتوفّى بضع و٧٥٠ ذكرها برمّتها غير البيت الأخير: فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ. إلخ في كتابه [نظم درر السمطين].

١٣ ـ ابن كثير الشاميّ المتوفّى سنة ٧٧٤ (المترجم ج ١ ص ١٦٢) رواها في «البداية والنهاية» ج ٨ ص ٨ عن أبي بكر ابن دريد، عن دماد، عن أبي عبيدة، وذكر منها خمسة أبيات.

١٤ ـ خواجه پارسا الحنفي المتوفّى سنة ٨٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٦٥) رواها برمّتها في «فصل الخطاب» عن الإمام تاج الإسلام الخدابادي البخاري في أربعينه.

١٥ ـ ابن الصبّاغ المكّيُّ المالكيّ المتوفّى سنة ٨٥٥ (المترجم ج ١ ص ١٦٧) رواها في «الفصول المهمّة» ص ١٦ وذكر منها أربعة أبيات، وقال: رواها الثقات الأثبات.

١٦ ـ غياث الدين خواندمير[1] رواها في «حبيب السير» ج ٢ ص ٥ نقلاً عن «فصل الخطاب» لخواجه پارسا.

١٧ ـ ابن حجر المتوفّى سنة ٩٧٤ (المترجم ج ١ ص ١٧١) ذكر خمسة أبيات منها في «الصواعق» ص ٧٩ ونقل كلام الحافظ البيهقي المذكور.

توجد في المخطوط من الصواعق سبعة أبيات، وكذلك في المنقول عنه كينابيع المودّة للقندوزي ص ٢٩١، ويؤيِّد صحَّة نقله عن البيهقي، فإنَّه ذكرها برمَّتها، لكن يد الطبع الأمينة حرَّفت عنه بيت الولاية وما بعده.

١٨ ـ المتّقي الهندي المتوفّى سنة ٩٧٥ (المترجم ج ١ ص ١٧٢) روى كتاب معاوية في «كنز العمّال» ج ٦ ص ٣٩٢ وذكر من الأبيات خمسة.

١٩ ـ الإسحاقي روى كتاب معاوية باللفظ المذكور في [لطائف أخبار الدول] ص ٣٣ وذكر الأبيات كلّها، ولفظ بيت الولاية فيه كذا:

وأوجب طاعتي فرضاً عليكم رسـول الله يوم غـدير خمِّ
فـويـلٌ ثـمّ ويـلٌ ثمّ ويـلٌ لمن يرد القيامة وهو خصمي

٢٠ ـ الحلبيُّ الشافعيُّ المتوفّى سنة ١٠٤٤ (المترجم ج ١ ص ١٧٦) أخذ منها في «السيرة النبويّة» ج ١ ص ٢٨٦ ما يرجع إلى إسلامه عليه السلام.

٢١ ـ الشبراويّ الشافعي شيخ جامع الأزهر، المتوفّى سنة ١١٧٢ رواها في [الإتحاف بحبِّ الأشراف] ص ١٨١، وفي طبع ص ٦٩ وذكر منها خمسة أبيات.

٢٢ ـ السيد أحمد قادين خاني، رواها في «هداية المرتاب» وحكى عن البيهقي قوله المذكور.

٢٣ ـ السيِّد محمود الآلوسي البغداديُّ المتوفّى سنة ١٢٧٠ (المترجم ج١

(١) مذهبه يحتاج إلى إمعان النظر فيه.

ص ١٨٤) رواها غير البيت الأوّل والأخير، في شرح عينيّة الشاعر المفلق عبد الباقي العمري ص ٧٨، وقال: هي ممّا رواها الثقات عنه عليه السلام.

٢٤ ـ القندوزي الحنفيُّ المتوفّى سنة ١٢٩٣ (المترجم ج ١ ص ١٨٥) رواها في «ينابيع المودَّة» ص ٢٩١، نقلاً عن ابن حجر، وص ٣٧١ نقلاً عن أربعين الإمام تاج الإسلام الخدابادي البخاري.

٢٥ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان المتوفّى سنة ١٣٠٤ (المترجم ج ١ ص ١٨٥) ذكر منها في «السيرة النبويَّة» ـ هامش السيرة الحلبيَّة ـ ج ١ ص ١٩٠ ما يرجع إلى إسلامه، وقال: هي ممّا كتبه عليٌّ عليه السلام، لمعاوية ثمَّ ذكر كلام البيهقي المذكور.

٢٦ ـ الشيخ محمَّد حبيب الله الشنقيطيّ المالكيّ، ذكرها برمَّتها في «كفاية الطالب» ص ٣٦ وعدَّها ممّا وثق به أنّه من شعر أمير المؤمنين.

(لفت نظر):

أخذ منها ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ٣١٥ بيتاً في بيان الفرق بين الصهر والختن، وقال: قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه:

محمَّدٌ النبيُّ أخي وصهري أحبُّ الناس كلّهمُ إليّا

وذهل عن أنَّ الشطر الثاني المذكور، هو لأبي أسود الدؤلي من قوله:

بنو عمِّ النبيِّ وأقربوه أحبُّ الناس كلهمُ إليّا

تصحيح غلط

لا أحسب أنَّ أساتذة مصر، يخفى عليهم صحيح لفظة (غدير خمّ) أو لا يوقفهم السير على مسمّاها وقصّتها، وإن قال قائلهم: إنّها واقعة حرب معروفة، أو يكون لهم معها حساب آخر دون سائر الألفاظ، أو يروقهم أن تكون الأُمّة على جهل منها، لكن أسفي على إغضائهم من تصحيح هذه اللفظة في غير واحد من التآليف، بل تركوها بصورة يتيه بها القارىء.

هذا الدكتور أحمد رفاعي، ذلك الأستاذ الفذّ فإنّه يذكر في تعليقه على «معجم الأدباء» ـ ط مصر سنة ١٣٥٧ هـ ج ١٤ ص ٤٨ من شعر أمير المؤمنين بيت الولاية بهذه الصورة:

وأوصـاني النبيُّ على اختيـار ببيعتـه غـداة غـد بـرحـم

وأعجب من ذلك، أنّه جعل للكتاب فهرس البلدان والبقاع والمياه في ٤٧ صحيفة وأهمل فيها غدير خمّ، وقد ذكرت في عدّة مواضع من المعجم.

والأستاذ محمّد حسين مصحّح «ثمار القلوب» (ط مصر سنة ١٣٢٦ هـ) فإنه يقف على هذه اللفظة، في صحيفة واحدة ص ٥١١ وهي مذكورةٌ فيها غير مرّة ص ٦ و٨ و١٢ ويدعها (غدير خمّ) وهذا «ثمار القلوب» المخطوط بين أيدينا وفيها: (غدير خمّ).

ومصحّح لطائف أخبار الدول (ط مصر سنة ١٣١٠ هـ) فإنّـه يترك البيت المذكور من شعر أمير المؤمنين في ص ٣٣ هكذا:

وأوجب طاعتي فرضـاً عليكم رسـول الله يوم غـدا بـرحمي

وأنت تجد في مطبوعات غير مصر، لدة هذا التصحيف أيضاً.

شكر ونقد

لا أفتىء معجباً بكتابين فخمين هما من حسنات العصر الحاضر، عني بجمعهما بحّاثة كبير حظي به هذا القرن، ألا وهما: كتاب جمهرة خطب العرب، وجمهرة رسائل العرب، للكاتب الشهير أحمد زكي صفوت. فقد أسدى بهما إلى الأُمّة يده الواجبة، أعاد ذكريات قديمة للأُمّة العربيّة أتى عليها الدثور، وكابد في ذلك جهوداً جبّارة، فعلى الأُمّة جمعاء أن تشكره على تلك المثابرة الناجعة، وتقدّر منه ذلك الجهاد المتواصل، فله العتبى على ما أجاد وأفاد.

غير أنّا نعاتب الأستاذ على إهماله هذه الرسالة الموجودة في جملة من مصادر كتابه، وغيرها من الكتب القيِّمة، وقد ذكر ما هو أخصر منه، وأضعف مدركاً، وأقلّ نفعاً، وذكر من التافهات ما لم يقلّه مستوى الصدق والأمانة كبعض رسائل ابن عبّاس، إلى أمير المؤمنين عليه السلام، المكذوبة على حَبر الأُمّة خطّتها أقلام مستأجرة من زبائن الأمويّين، هذا ما نعاتبه عليه، وأمّا هو فلماذا ذكر؟ ولماذا أهمل؟ فلنطو عنه كشحاً.

ويشبه هذا الإهمال أو يزيد عليه إهماله خطبة الغدير، في جمهرة خطب العرب، ولها وليومها المشهود أهميّة كبرى في تاريخ الإسلام، وقد أثبتتها المصادر الوثيقة بأسانيد تربو على حدّ التواتر، كما وقفت عليها في الجزء الأوّل من كتابنا، هب أنّ تمام الخطبة لم يثبت عنده في كتب يعوّل عليها، إلّا أنّ المقدار الذي أصفق عليه الفريقان، وأنهوا إليه أسانيدهم لا مفرّ له عن إثباته، لكن الكاتب يعلم أنّه لِماذا ترك، ونحن أيضاً لم يفتنا عرفانه، لكن نضرب عن البيان صفحاً.

ويروى لأمير المؤمنين عليه السلام

ما أخرجه الإمام عليّ بن أحمد الواحدي، عن أبي هريرة قال: اجتمع عدّة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل بن عبّاس، وعمّار، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم فدخل عليهم عليٌّ عليه السلام فسألهم: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا ممّا سمعنا من رسول الله فقال عليٌّ إسمعوا منّي. ثمّ أنشأ يقول:

لقد علم الأُناس بأنّ سهمي ... من الإسلام يفضل كلّ سهمِ
وأحمد النبيُّ أخي وصهري ... عليه الله صلّى وابن عمّي
وإنّي قائدٌ لِلناس طرّاً ... إلى الإسلام من عرب وعجمِ

وقاتل كلَّ صنديدٍ رئيسٍ　　وجبّارٍ من الكفّار ضخمِ
وفي القرآن ألزمهم ولائي　　وأوجب طاعتي فرضاً بعزمِ
كما هارون من موسى أخوه　　كذاك أنا أخوه وذاك إسمي
لذاك أقامني لهمُ إماماً　　وأخبرهم به بغدير خمّ
فمن منكم يعادلني بسهمي　　وإسلامي وسابقتي ورحمي؟
فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ　　لمن يلقى الإلّه غداً بظلمي
وويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ　　لجاحد طاعتي ومريد هضمي
وويلٌ لِلذي يشقي سفاهاً　　يريد عداوتي من غير جرمي

وذكره عن الواحدي القاضي الميبذيّ الشافعيّ، في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين ص ٤٠٥ ـ ٤٠٧، والقندوزيّ الحنفيّ في ينابيع المودّة ص ٦٨.

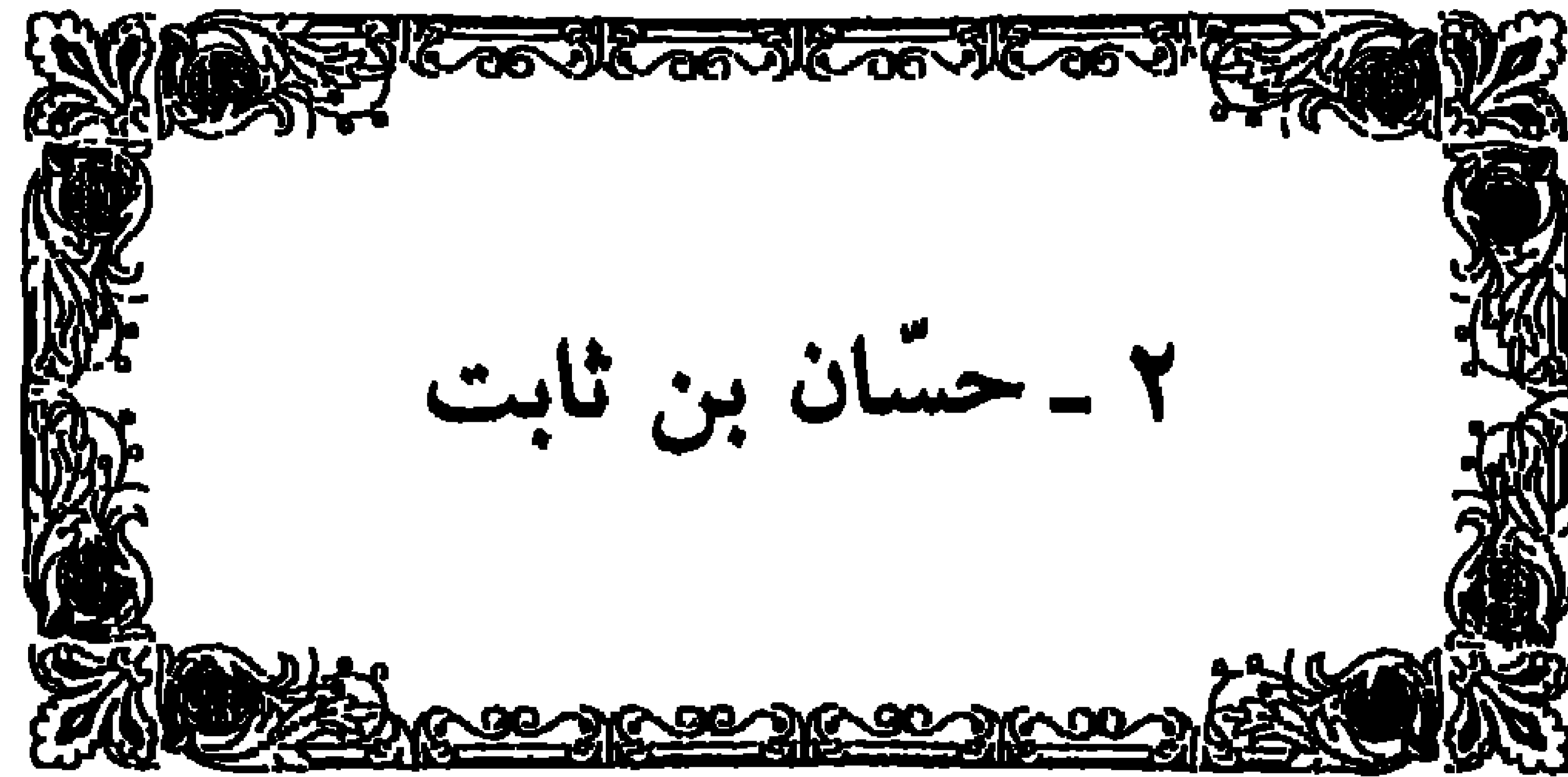
الشاعر

أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وأوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضيّة، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة النبيّ الأقدس[1] صلّى الله عليهما وآلهما.

عليُّ بن أبي طالب الهاشميُّ الطاهر، وليد الكعبة المشرّفة، ومطهّرها من كلّ صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلّهيّ (جامع الكوفة) في محرابه حال صلاته سنة ٤٠، وقد اتّصل ها هنا المنتهى بالمبدأ، فوليد البيت فاض شهيداً في بيت هو من أعظم بيوت الله، وبين الحدّين لم تزل عرى حياته متواصلة بالمبدأ الأعلى سبحانه.

---

(١) كل من هذه الجمل الخمس عشرة كلمة قدسية نبوية أخرجها الحفاظ، راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٣١، وج ٥ ص ١٨٢، ١٨٩، حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٨.



٢ - حسّان بن ثابت

يُناديهمْ يومَ الغدير نبيّهم ... بخمّ وأسمع بالرّسول مناديا
فقال: فمن مولاكُم ونبيّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا:
إلهك مولانا وأنت نبيّنا ... ولم تلق منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ! فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاهُ فهذا وليّه ... فكونوا له أتباع صدقٍ مواليا
هناك دعا اللهمَّ! وال وليَّه ... وكن لِلذي عادا عليّاً معاديا

ما يتبع الشعر

هذا أوّل ما عُرف من الشعر القصصيِّ في رواية هذا النبأ العظيم، وقد ألقاه في ذاك المحتشد الرهيب، الحافل بمائة ألف أو يزيدون، وفيهم البلغاء، ومداره الخطابة، وصاغة القريض، ومشيخة قريش العارفون بلحن القول، ومعارض الكلام، بمسمع مِن أفصح مَن نطق بالضاد (النبيّ الأعظم) وقد أقرّه النبيُّ صلّى الله عليه وآله على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرّظه بقوله: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك[١].

وأقدم كتاب سبق إلى رواية هذا الشعر هو كتاب سليم بن قيس الهلالي التابعيّ، الصدوق الثبت المعوّل عليه عند علماء الفريقين (كما مرّ في ج ١ ص ٢٣٨) فرواه بلفظ يقرب ممّا يأتي عن كتاب «علم اليقين» للمحقّق الفيض الكاشاني، وتبعه على روايته لفيفٌ من علماء الإسلام لا يستهان بعدّتهم فرواه

(١) هذا من أعلام النبوة ومن مغيبات رسول الله، فقد علم أنه سوف ينحرف عن إمام الهدى صلوات الله عليه في اخريات أيامه، فعلق دعائه على ظرف استمراره في نصرتهم.

من الحفّاظ:

١ ـ الحافظ أبو عبدالله المرزباني محمّد بن عمران الخراساني المتوفّى سنة ٣٧٨[1] أخرج في (مرقاة الشعر) عن محمّد بن الحسين عن حفص عن محمّد بن هارون عن قاسم بن الحسن عن يحيى بن عبد الحميد، عن قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: لَمّا كان من غدير خمّ أمر رسول الله منادياً فنادى الصلاة جامعة فأخذ بيد عليّ وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهّم وال مَن والاه، وعاد من عاداه. فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله! أقول في عليّ شعراً؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إفعل، فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم الأبيات

٢ ـ الحافظ الخركوشي أبو سعد المتوفّى سنة ٤٠٦ (المترجم ج١ ص ١٤٢) أخرجه في كتابه (شرف المصطفى).

٣ ـ الحافظ ابن مردويه الأصبهاني المتوفّى سنة ٤١٠ (المترجم ج١ ص ١٤٢) أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري، حديث الغدير كما مرّ ج ١ ص ٢٧٦ وفيه: فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله! أتأذن لي أن أقول أبياتاً؟ فقال: قل على بركة الله فقال: يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم الأبيات

ورواه عن ابن عبّاس بلفظ مرّ ج ١ ص ٢٦١ .

٤ ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ (المترجم ج١ ص١٤٤) أخرجه في كتابه ـ ما نزل من القرآن في عليّ ـ بالسند والمتن اللذين أسلفناهما ج ١ ص ٢٧٧ وفيه: فقال حسّان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ. فقال: قل على بركة الله. فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش! أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية. إلخ..

٥ ـ الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفّى سنة ٤٧٧ (المترجم ج١ ص

(١) لنا في مذهب الرجل نظر.

١٤٦) أخرجه في ـ كتاب الولاية ـ بسند ولفظ مرّا ج ١ ص ٢٧٨ .

٦ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفّى سنة ٥٦٨، تأتي ترجمته في شعراء القرن السادس، رواه في ـ مقتل الإمام السبط الشهيد ـ و«المناقب» ص ٨٠ بسند ولفظ ذُكرا في ج ١ ص ٢٧٩

٧ ـ الحافظ أبو الفتح النطنزي (المترجم ج١ ص ١٤٩) رواه في ـ الخصائص العلويّة على سائر البريّة ـ عن الحسن بن أحمد المهري، عن أحمد بن عبدالله بن أحمد، عن محمّد بن أحمد بن علي، عن ابن أبي شيبة محمَّد بن عثمان، عن الحِمّاني عن ابن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري بلفظ أبي نعيم الإصبهاني، وذكر من الأبيات أربعة من أوَّلها.

٨ ـ أبو المظفَّر سبط الحافظ ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ (المترجم ج ١ ص ١٥٥) رواه في ـ تذكرة خواصّ الأمّة ـ ص ٢٠.

٩ ـ صدر الحفّاظ الكنجيّ الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٨ (المذكور ج ١ ص ١٥٦) ذكره في «كفاية الطالب» ص ١٧ بلفظ أبي نعيم المذكور.

١٠ ـ شيخ الإسلام صدر الدين الحمّويي المتوفّى سنة ٧٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) رواه في ـ فرائد السمطين ـ في الباب الثاني عشر عن الشيخ تاج الدين أبي طالب علي بن الحب بن عثمان الخازن، عن برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي، عن أخطب خوارزم بسنده ولفظه المذكورين.

١١ ـ الحافظ جمال الدين محمَّد بن يوسف الزرندي شمس الدين الحنفيّ المتوفّى بضع و٧٥٠ «المترجم ج ١ ص ١٦١» أخرجه في كتابه: [نظم درر السمطين].

١٢ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ (المترجم ج ١ ص ١٦٩) ذكره في رسالته ـ الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار ـ نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم الحنفي المتوفّى سنة ٧٤٩.

ورواه من أعلام الإمامية

١ ـ أبو عبدالله محمّد بن أحمد المفجّع المتوفّى سنة ٢٢٧[١]، رواه في شرح قصيدته المعروفة بالأشباه، عن عبدالله بن محمّد بن عائشة القرشي، عن المبارك، عن عبدالله بن أبي سلمان عن عطا، عن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله صلّى الله عليه واله نزل بغدير خمّ، ونصب بدوحات، وكان يوم حارّ وإنّ أحدنا ليستظلّ بثوبه، ويبلّ خرقةً فيضعها على رأسه من شدّة الحرّ فقام عليه السلام فقال: أيّها االناس! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجي أمّهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! فأخذ بيد عليّ فرفعها ثمّ قال: اشهدوا مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهّم وال من والاه، وعاد من عاداه. يقولها ثلاثاً. فقال عمر: هنيئاً لك يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فقام رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! أتاذن لي في إنشاء أبيات في عليّ؟ فقال عليه السلام: قل يا حسّان! فقال:

يُنـاديهمُ يـوم الغـدير نبيّهم   إلى آخر الأبيات .

٢ ـ أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم بن يزيد الطبري رواه في (المسترشد) بإسناده عن يحيى الجمّاني، عن قيس عن العبدي، عن أبي سعيد بلفظ الحافظ أبي نعيم الإصبهاني المذكور إلاّ أنّ البيت الثالث فيه:

إلهـك مـولانـا وأنت وليّنـا   ولا تجدن منّا لك اليوم عاصيا

٣ ـ شيخنا أبو جعفر الصدوق محمّد بن بابويه القمّي المتوفّى سنة ٣٨١، رواه في «الأمالي» ص ٣٤٣ بالسند والمتن المذكورين عن الحافظ المرزباني.

٤ ـ الشريف الرضيّ المتوفّى سنة ٤٠٦ صاحب نهج البلاغة[٢] في

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع يأتي هناك شعره وترجمته.

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع يأتي هناك شعره وترجمته.

خصائص الأئمّة.

٥ ـ معلّم الامّة شيخنا المفيد المتوفّى سنة ٤١٣، رواه في «الفصول المختارة» ج ١ ص ٨٧ وقال: وممّا يشهد بقول الشيعة في معنى المولى وأنّ النبيَّ أراد به يوم الغدير، الإمامة قول حسّان بن ثابت على ما جاء به الأثر: انّ رسول الله لَمّا نصب عليّاً يوم الغدير لِلناس عَلماً وقال فيه ما قال، استأذنه حسّان بن ثابت في أن يقول شعراً فأنشأ يقول:

يُنـاديهمُ يـوم الغـديـر نبيّهم   إلى آخر الأبيات .

فلمّا فرغ من هذا القول، قال له النبيُّ صلّى الله عليه وآله: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، فلولا أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله، أراد بالمولى الإمامة لمَا أثنى على حسّان بإخباره بذلك، ولأنكره عليه، وردّه عنه.

ورواه في رسالته في معنى المولى وقال بعد ذكره: شعر حسّان مشهورٌ في ذلك، وهو شاعر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد قال له: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وهذا صريحٌ في الإقرار بإمامته من جهة القول الكائن في يوم الغدير من رسول الله له، لا يمكن تأويله، ولا يسوغ صرفه إلى غير حقيقته.

ورواه في تأليفه ـ النصرة لسيّد العترة في حرب البصرة ـ وفي كتابه «الإرشاد» ص ٣١، ٦٤ بلفظ يقرب من رواية الحافظ أبي نعيم الإصبهاني المذكور.

٦ ـ الشريف المرتضى علم الهدى المتوفّى سنة ٤٣٦، في شرح بائيّة السيّد الحميري.

٧ ـ أبو الفتح الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ في «كنز الفوائد» ص ١٢٣ وقال ما ملخّصه: إنَّ شعر حسّان هذا قد صارت به الركبان، وقد تضمّن الإقرار

لأمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، والرياسة على الأنام لَمّا مدحه بذلك يوم الغدير، بحضرة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعلى رُؤوس الأشهاد فصوَّبه النبيُّ في مقاله، وقال له: لا تزال يا حسّان مؤيَّداً ما نصرتنا بلسانك.

٨ ـ الشيخ عبيدالله بن عبدالله السد آبادي رواه في «المقنع» في الإمامة.

٩ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ في تلخيص الشافي.

١٠ ـ المفسِّر الكبير الشيخ أبو الفتوح الخزاعي الرازي من مشايخ ابن شهر اشوب المتوفّى سنة ٥٨٨، رواه في تفسيره ج ٢ ص ١٩٢ بلفظ يقرب من لفظ الحافظ أبي نعيم وزاد فيه[1]:

فخصّ بها دون البريَّة كلّها   عليّاً وسمّاه الوزير المواخيا

١١ ـ شيخنا الفتّال أبو علي الشهيد المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ٣٧، رواه في «روضة الواعظين» ص ٩٠.

١٢ ـ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، رواه في «إعلام الورى» ص ٨١.

١٣ ـ ابن شهر اشوب السروي المتوفّى سنة ٥٨٨، في «المناقب» ج ٣ ص ٣٥.

١٤ ـ أبو زكريّا يحيى بن الحسن الحلّي الشهير بابن بطريق، رواه في «الخصائص» ص ٣٧ من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني.

١٥ ـ السيّد هبة الدين رواه في كتابه (المجموع الرائق) المخطوط.

١٦ ـ رضي الدين سيّدنا عليّ بن طاووس المتوفّى سنة ٦٦٤ في «الطرائف» ص ٣٥.

---

(١) ستقف على أن هذه الزيادة في محلها من شعر حسان.

١٧ - بهاء الدين أبو الحسن الإربلي المتوفّى سنة ٣/٦٩٢ في «كشف الغمّة» ص ٩٤.

١٨ - عماد الدين الحسن الطبري، في «الكامل البهائي» ص ١٥٢ و٢١٧.

١٩ - الشيخ يوسف بن أبي حاتم الشامي، في موضعين من كتابه (الدرّ النظيم).

٢٠ - الشيخ عليّ البياضي العاملي، في كتابه «الصراط المستقيم».

٢١ - القاضي نور الله المرعشي الشهيد سنة ١٠١٩، المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ١٧١، ذكره في «مجالس المؤمنين» ص ٢١.

٢٢ - مولانا المحقّق المحسن الكاشاني المتوفّى سنة ١٠٩١ في «علم اليقين» ص ١٤٢ نقلاً عن - إلتهاب نيران الأحزان - بلفظ يقرب من لفظ سليم بن قيس الهلاليّ التابعيّ في كتابه وهو:

يُناديهمُ يوم الغدير نبيّهم بخمٍّ وأسمع بالنبيِّ مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربِّه بأنّك معصومٌ فلا تك وانيا
وبلّغهمُ ما أنزل الله ربّهم إليك ولا تخش هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه بكفِّ عليٍّ مُعلن الصوت عاليا
فقال: فمن مولاكمُ ووليّكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
: إلٰهك مولانا وأنت وليّنا ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاهُ فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهمّ وال وليّه وكن لِلّذي عادى عليّاً معاديا
فيا ربّ أُنصر ناصريه لنصرهم إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

٢٣ - الشيخ إبراهيم القطيفي، في «الفرقة الناجية» بلفظ الكاشاني.

٢٤ - السيّد هاشم البحراني المتوفّى سنة ١١٠٧، في «غاية المرام» ص ٨٧.

٢٥ ـ العلّامة المجلسي المتوفّى سنة ١١١١ في «بحار الأنوار» ج ٩ ص ٢٣٤، ٢٥٩.

٢٦ ـ شيخنا البحراني صاحب «الحدائق» المتوفّى سنة ١١٨٦، في «كشكوله» ج ٢ ص ١٨.

وهناك جمع آخرون رووا هذا الحديث وفي المذكورين كفاية.

لفت نظر

والذي يظهر لِلباحث، أنَّ حسّاناً أكمل هذه الأبيات قصيدةً ضمنها نبذاً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فكلٌّ أخذ منها شطراً يناسب موضوعه، وذكر الحافظ ابن أبي شيبة قال: حدّثنا ابن فضل، قال: حدَّثنا سالم بن أبي حفصة، عن جُميع بن عمير، عن عبدالله بن عمر، وصدر الحفّاظ الگنجي الشافعي في كفايته (ط نجف) ص ٣٨، و(ط مصر) ص ١٦، و(ط إيران) ص ٢١، وابن الصبّاغ المالكي في فصوله المهمّة ص ٢٢ وغيرهم منها قوله:

وكان عليٌّ أرمد العين يبتغي ... دواءً فلمّا لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلةٍ ... فبورك مرقيّاً وبورك راقيا
فقال: سأُعطي الراية اليوم ضارباً ... كميّاً محبّاً لِلرسول مواليا
يحبُّ إلٰهي والإلٰه يحبّه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخصَّ بها دون البريّة كلّها ... عليّاً وسمّاه الوزير المؤاخيا(١)

هذه الأبيات إشارة إلى حديث صحيح متواتر، أخرجه أئمّة الحديث بأسانيد رجال جلّها كلّهم ثقات أنهوها إلى:

بريدة بن الخصيب	عبدالله بن عمر	عبدالله بن العبّاس
عمران بن حصين	أبي سعيد الخدري	أبي ليلى الأنصاري

(١) ورواه شيخنا الطبري في «المسترشد» رواية عن الحافظ ابن أبي شيبة المذكور، وأبو علي الفتال في «روضة الواعظين» وغيرهما.

سهل الساعدي　　أبي هريرة الدوسي　　سلمة بن الأكوع.
البراء بن عازب　　سعد بن أبي وقّاص

فأخرجه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٣٢٣ عن سهل، وج ٥ ص ٢٦٩ عنه، و ٢٧٠ عن سلمة، وج ٢ ص ١٩١ عن سلمة وسهل، وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٣٢٤، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٣٠٠ وصحّحه، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٩٩، وج ٥ ص ٣٥٣، ٣٥٨ وغيرها، وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٥٨، وابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٣٨٦، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٩٣، والنسائي في خصائصه ج ٤ ص٨، ١٦، ٢٣، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٩٠، ١١٦ وقال: هذا حديثٌ دخل في حدّ التواتر، والخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٣٨٧، وأبو نعيم الإصبهاني في الحلية ج ١ ص ٦٢، بعدَّة طرق وصحَّح بعضها، وج ٤ ص ٣٥٦، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٣٦٣، في ترجمة عامر، والحمّويي[1] في فرائده وقال: قال الإمام محيي السنّة: هذا حديثٌ صحيحٌ متّفقٌ على صحّته، ومحبُّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٨٧، واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ١٠٩ وصحّحه، والقاضي الإيجي في المواقف ج ٣ ص ١٠، ١٢، وهناك آخرون رووا هذه الأثارة وصحّحوها لو نذكرهم بأجمعهم لجاء منه كتاب مفرد، ونحن نقتصر من المتون على لفظ البخاري ألا وهو:

إنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قال فبات الناس يدوكون[2] ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن

---

(١) بفتح المهملة ثم الميم المضمومة المشددة نسبة إلى جده حمويه، ونحن تبعاً على المؤلفين ذكرناه في المجلد الأول (الحمويني) وقد أوقفنا السير على كلام ابن الأثير من أن رجال هذه الاسرة يكتبون لأنفسهم (الحمويي) وضبطه على ما ذكر فعدلنا عما كنا عليه.

(٢) أي يخوضون. يقال: الناس في دوكة. أي: في اختلاط وخوض. وأصله من الدوك، وهو السحق. وفي كثير من الكتب: يذكرون. وهو تصحيف.

يُعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتّى لم يكن به وجعٌ فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله! أُقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لإن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النّعم وفي لفظه الآخر: ففتح الله عليه.

ديوان حسان

إنَّ لحسّان في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، مدائح جمّة غير ما سبقت الإشارة إليه، وسنوقفك على ما التقطناه من ذلك، فمن هـذه الناحية نعرف أنَّ يد الأمانة لم تقبض عليها يوم مدّت إلى ديوانه، فحرّفت الكلم عن مواضعها، ولعبت بديوان حسّان كما لعبت بغيره من الدواوين والكتب والمعاجم التي أسقطت منها مدائح أهـل البيت عليهم السلام و فضائلهم، والذكـريات الحميدة لأتباعهم، كديوان الفرزدق الذي أسقطوا منه ميميّته المشهورة في مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام، مع إشارة الناشر إليها في مقدّمة شرح ديوانه، وقد طفحت بذكرها الكتب والمعاجم، وكديوان كميت، فإنّه حرّفت منه أبيات كما زيدت عليه اخرى، وكديوان أمير الشعراء أبي فراس، وكديوان كشاجم، الذي زحزحوا عنه كميّةً مهمّة من مراثي سيّدنا الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه، وكتاب «المعارف» لابن قتيبة الذي زيد فيـه ما شاءه الهوى للمحـرِّف ونقّص منه ما يلائم خُطّته، بشهادة الكتب الناقلة عنه من بعده كما مرّ بعض ما ذكر في محلّه من هذا الكتاب ويأتي بعضه، إلى غير هذه من الكتب التي عاثوا فيها لَدى النشر، أو حرّفوها عند النقل، ونحن نحيل تفصيل ذلك إلى مظانّه من مواقع المناسبة لئلّا نخرج عن وضع الكتاب، فلنعد الآن إلى ما شذَّ من شعر حسان عن ديوانه، وأثبتته له المصادر الوثيقة كنفس يائيّته السابقة فمن ذلك:

في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٧، وشرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٤

وغيرهما: صعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله ﷺ بمرقاة ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّي وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوّموني، لا أقول إنّي أفضلكم فضلاً، ولكنّي أفضلكم حملاً، وأثنى على الأنصار خيراً وقال: أنا وإيّاكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنّا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فولّتِ
أبوا أن يملّونا ولو أنّ أُمّنا ... تلاقي الذي يلقون منّا لملّتِ

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلّم خطباؤها، وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش: قم فتكلّم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلك، فقام الفضل بن العبّاس فردّ عليهم، ثمّ صار إلى عليّ فأخبره وأنشده شعراً قاله، فخرج عليٌّ مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير وردّ على عمرو بن العاص قوله، فلمّا علمت الأنصار ذلك سرّها وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول عليّ، واجتمعت إلى حسّان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل، فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحني فقالوا[1]: فاذكر عليّاً فقط، فقال:

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه ... أبا حسن عنّا ومَن كأبي حسن؟
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله ... فصدرك مشروحٌ وقلبك ممتحن[2]
تمنّت رجالٌ من قريش أعزّةٌ ... مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كلّ منزل ... بمنزلة الطرف البطين من الرسن
غضبت لنا إذ قال عمرو بخصلة ... أمات بها التقوى وأحيى بها الإحن
وكنت المرجّى من لؤيّ بن غالب ... لما كان منه والذي بعدُ لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده ... إليك ومَن أولى به منك مَن ومَن؟

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد: فقال له خزيمة بن ثابت: اذكر علياً وآله يكفيك عن كل شيء.
(٢) هذان البيتان ذكرهما لحسان شيخ الطائفة المفيد كما في (الفصول) ج ٢ ص ٦١ و٦٧.

ألستَ أخاه في الهدى ووصيَّه   وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن؟
فحقّك ما دامت بنجد وشيجةٌ   عظيمٌ علينا ثمَّ بعدُ على اليمن

قوله:

فصندرك مشروحٌ .إشارةإلى ما ورد في قولهتعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾، فإنّها نزلت في عليّ وحمزة. رواه الحافظ محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٠٧ عن الحافظين الواحدي، وأبي الفرج، وفي ذخائر العقبى ص ٨٨.

قوله:

وقلبك ممتحَن .أشاربهإلى الحديث النبويِّ الواردفي أمير المؤمنين :إنّه امتحن الله قلبه بالإيمان(١) أخرجه جمعٌ من الحفّاظ والعلماء منهم: النسائي في خصائصه ص ١١، والترمذي في الصحيح ج ٢ ص ٢٩٨، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ١٣٣، والبيهقي في المحاسن والمساوي ج ١ص ٢٩، ومحبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٩١، وذخائر العقبى ص ٧٦ وقال: أخرجه الترمذي وصحّحه، والكنجي في الكفاية ص ٣٤، وقال: هذا حديثٌ عالٍ حسنٌ صحيحٌ، والحمّويي في فرائده في الباب الـ ٣٣، والسيوطي في جمع الجوامع بعدّة طرق كما في كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٣ و٣٩٦، والبدخشي في نزل الأبرار ص ١١ وغيرهم.

قوله:

ألست أخاه في الهدى ووصيّه. أوعز به إلى حديثي الإخاء والوصيّة وهما من الشهرة والتواتر بمكان عظيم يجدهما الباحث في جلّ مسانيد الحفّاظ والأعلام.

قوله:

وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن. أراد به ما ورد في علم عليّ أمير المؤمنين بالكتاب

---

(١) كذا في لفظ الخطيب، وفي بعض المصادر: على الإيمان. وفي بعضها: للإيمان.

والسنّة. أخرج الحفّاظ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، في حديث فاطمة سلام الله عليها: زوّجتكِ خير أهلي أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم إسلاماً. وفي حديث آخر: أعلم أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب. وفي ثالث: أعلم الناس بالله وبالناس.

وفي حديث: يا عليّ لك سبع خصال، وعدّ منها: وأعلمهم بالقضيّة(١) وأخرج محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ١٩٣، والذخائر ص ٧٨، وابن عبد البرّ في الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٠ عن عائشة: أنّه أعلم الناس بالسنّة. وفي كفاية الكنجي ص ١٩٠ عن أبي أمامة عنه صلّى الله عليه وآله: أعلم أمّتي بالسنّة والقضاء بعدي عليّ بن أبي طالب. وأخرج الخوارزمي في المناقب ص ٤٩، وشيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الثامن عشر بإسناده عن سلمان عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أعلم أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب.

وأخرج الحفّاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت وعلى مَن نزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً(٢) وعن النبيّ ﷺ قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاًواحداً(٣).

وقال السيّد أحمد زيني دحلان في «الفتوحات الإسلاميّة» ج ٢ ص ٣٣٧: كان عليٌّ رضي الله عنه،أعطاه الله علماً كثيراً وكشفاً غزيراً،قال أبو الطفيل: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: سلوني(٤) من كتاب الله فوالله ما من آية إلّا وأنا

---

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، ١٥٦، ٣٩٨.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٨، كفاية الكنجي ص ٩٠، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٦، إسعاف الراغبين ص ١٦٢.

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

(٤) في الإصابة ج ٢ ص ٥١٩: سلوني سلوني عن كتاب الله. الحديث.

أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب، وقال ابن عبّاس رضي الله عنه: علم رسول الله من علم الله تبارك وتعالى، وعلم عليّ رضي الله عنه من علم النبيّ ﷺ وعلمي من علم عليّ رضي الله عنه، وما علمي وعلم أصحاب محمّد ﷺ في علم عليّ رضي الله عنه إلاّ كقطرة في سبعة أبحر، ويقال: إنّ عبدالله بن عبّاس أكثر البكاء على عليّ رضي الله عنه حتى ذهب بصره، وقال ابن عبّاس أيضاً، لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر، وكان معاوية رضي الله عنه، يسأله ويكتب له فيما ينزل به فلمّا توفّي عليٌّ رضي الله عنه قال معاوية: لقد ذهب الفقه والعلم بموت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يتعوّذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن[1]، وسُئل عطاء أكان في أصحاب محمّد ﷺ أحدٌ أعلم من عليّ؟ قال: لا والله ما أعلمه. انتهى. وعن عبدالله بن مسعود: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلاّ وله ظهرٌ وبطنٌ، وإنّ علياً عنده علم الظاهر والباطن[2].

وهناك نظير هذه الأحاديث والكلمات، حول علم أمير المؤمنين، بالكتاب والسنّة، كثير جدّاً لو جمعته يد التأليف لجاء كتاباً ضخماً.

ومن شعر حسّان في أمير المؤمنين

ذكر له أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفيّ في تذكرته ص ١١٥، والگنجي الشافعي في كفايته ص ٥٥، وابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ٢٠ وقال: فشت هذه الأبيات من قول حسّان، وتناقلها سمعٌ عن سمعٍ ولسانٌ عن لسانٍ:

أنـزل الله والكتـاب عـزيـز   في عليٍّ وفي الـوليـد قـرانـا

---

(١) أخرجه كثير من الحفاظ وأئمّة الحديث.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

فتبوَّأ الـوليـد من ذاك فسقـاً وعـلـيٌّ مـبـوَّأ إيـمـانـا
ليس من كان مؤمناً عرف الله كمن كـان فـاسقـاً خـوَّانـا
فعليٌّ يـلقى لـدى الله عـزّاً ووليـدٌ يلقى هناك هـوانـا
سوف يُجزى الوليد خزياً وناراً وعليٌّ لا شـكَّ يُجزى جنـانـا

ورواها له ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠٣، وفيه بعد البيت الثالث:

سوف يُدعى الوليد بعـد قليلٍ وعليٌّ إلى الحسـاب عيـانـا
فعليٌّ يُجـزى بـذاك جنـانـاً ووليـدٌ يُجزى بـذاك هوانـا(١)
رُبَّ جَـدٍّ لـعقبـة بن أبـان لابسٌ في بـلادنـا تُبَّـانـا(٢)

وذكرها له نقلاً عن شرح النهج الأستاذ أحمد زكي صفوت في «جمهرة الخطب» ج ٢ ص ٢٣.

أشار بهذه الأبيات إلى قوله تعالى: ﴿أفَمَن كان مُؤمِناً كمَن كانَ فاسِقاً لا يَستَوون﴾ ونزوله في عليّ عليه السلام، والوليد بن عقبة بن أبي معيط فيما شجر بينهما، أخرج الطبري في تفسيره ج ٢١ ص ٦٢ بإسناده عن عطاء بن يسار قال: كان بين الوليد وعليّ كلامٌ فقال الوليد: أنا أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأردُّ منك للكتيبة فقال عليٌّ: اسكت فإنّك فاسقٌ. فأنزل الله فيهما: ﴿أفَمنْ كانَ مؤمِناً كمنْ كانَ فاسقاً﴾ الآية.

وفي الأغاني ج ٤ ص ١٨٥، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٤٧٠: كان بين عليّ والوليد تنازعٌ وكلامٌ في شيء فقال الوليد لعليّ: اسكت فإنّك صبيٌّ وأنا شيخ، والله إنّي أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ

---

(١) في التذكرة: هناك. بدل «بذاك» في الموضعين.
(٢) أبان: هو أبو معيط جد الوليد. والتبان: سروال صغير مقدار شبر يستر العورة فقط كـان يخص بالملاحين.

منك حشواً في الكتيبة. فقال له عليٌّ: اسكت فإنّك فاسقٌ. فأنزل الله هذه الآية.

وأخرجه: الواحدي بإسناده من طريق ابن عبّاس في «أسباب النزول» ص ٢٦٣، ومحب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٠٦، عن ابن عبّاس، وقتادة من طريق الحافظين السلفي، والواحدي، وفي ذخائر العقبى ص ٨٨، والخوارزمي في المناقب ص ١٨٨، والگنجي في الكفاية ص ٥٥؛ والنيسابوري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٦٢ قال: ذكر عطاء بن يسار والسدّي وغيرهما: أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب وعقبة (فيه تصحيفٌ لا يخفى)، ورواه جمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين».

وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٩٤، ج ٢ ص ١٠٣، وحكى عن شيخه: أنّه من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به وإطباق الناس عليه. وأخرجه السيوطي في الدرّ المنثور ج ٤ ص ١٧٨، وقال: أخرج أبو الفرج في الأغاني، والواحدي، وابن عدي، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، من طرق عن ابن عبّاس، وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، عن عطا بن يسار، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدّي رضي الله عنه مثله، واخرج ابن أبي حاتم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه، وأخرج ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، عن ابن عبّاس. ـ وذكره الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٥.

ومن شعر حسان في أمير المؤمنين

ذكر له أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ في تذكرته ص ١٠:

مَن ذا بخاتمه تصدَّق راكعاً ... وأسرَّها في نفسه إسرارا
مَن كان بات على فراش محمَّد ... ومحمَّدٌ أسرى يؤمُّ الغارا
مَن كان في القرآن سُمِّي مؤمناً ... في تسع آيات تُلين غزارا[1]

(١) وذكرها الكنجي في الكفاية ص ١٢٣ ونسبها إلى بعضهم وفيه: في تسع آيات جعلن كبارا.

في البيت الأوّل إيعازٌ إلى مأثرة تصدّقه صلوات الله عليه بخاتمه للسائل راكعاً وفيها نزل قوله تعالى: ﴿إنّما وَلِيّكم الله وَرَسولهُ وَالّذينَ آمنوا﴾. الآية. وسنوقفك على بيانها في شرح البيت الثالث إن شاء الله تعالى.

وبثاني الأبيات أشار إلى حديث أصفقت الامّة عليه من أنّ عليّاً عليه السلام، لبس بُرد النبيّ صلّى الله عليه وآله، الحضرميّ الأخضر ونام على فراشه ليلة هرب النبيّ من المشركين إلى الغار وفداه بنفسه ونزلت فيه: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يشري نَفسهُ إبتغاء مرضاةِ الله﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٧).

قال أبو جعفر الإسكافي، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٠: حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يجحده إلّا مجنونٌ أو غير مخالط لأهل الملّة، وقد روى المفسّرون كلّهم: أنّ قول الله تعالى: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَشري﴾. الآية. نزلت في عليّ ليلة المبيت على الفراش. وروى الثعلبي في تفسيره: أنّ النبيّ ﷺ لَمّا أراد الهجرة إلى المدينة خلّف عليّ بن أبي طالب، بمكّة لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه وقال له: إتّشح ببردي الحضرميّ الأخضر ونم على فراشي فإنّه لا يصل منهم إليك مكروهٌ إن شاء الله تعالى ففعل ذلك عليٌّ عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: إنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل عليٍّ بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه. فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا عليُّ؟ يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة. فأنزل الله على رسوله وهو متوجّهٌ إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿ومِن الناسِ مَنْ يَشري نَفسه إبتغاءَ مَرضاةِ الله﴾. وقال ابن عباس: نزلت الآية في عليّ حين هرب ـ رسول الله ـ من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام على فراش النبيّ.

وحديث الثعلبيِّ هذا، رواه بطوله الغزالي في «إحياء العلوم» ج ٣ ص ٢٣٨، والگنجي في «كفاية الطالب» ص ١١٤، والصفوريّ في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٠٩ نقلاً عن الحافظ النسفي. ورواه ابن الصبّاغ المالكيّ في فصوله ص ٣٣، وسبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ٢١، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٨٦، وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: قال ابن عبّاس: أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيتُ بنفسي خير من وطىء الحصا وأكرم خلقٍ طاف بالبيت والحجرْ
وبتُّ أُراعي منهمُ ما يسوءني وقدصبرت نفسي على القتل والأسرْ
وبات رسول الله في الغار آمناً وما زال في حفظ الإله وفي السترْ(١)

ويوجد حديث ليلة المبيت في مسند أحمد ج ١ ص ٣٤٨، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٩ - ١٠١، الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢١٢، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٩، سيرة ابن هشام ج٢ ص ٢٩١، العقد الفريد ج ٣ ص ٢٩٠، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٩١، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢، تاريخ أبي الفدا، ج ١ ص ١٢٦، مناقب الخوارزمي ص ٧٥، الإمتاع للمقريزي ص ٣٩، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٨، السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٢٩.

ويوجد الإيعاز إلى هذه المأثرة، في حديث صحيح عن ابن عبّاس أخرجه جمعٌ من الحفّاظ الأثبات راجع ما مرّ ج ١ ص ٧٦ و ٧٧، وهي مرويّةٌ في حديث عن الإمام السبط الحسن، وقال: بات أمير المؤمنين يحرس رسول الله صلّى الله عليه وآله، من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشري نَفسهُ إبتغاءَ مرضاةِ الله﴾(٢).

(البيت الثالث)

أشار به إلى الآيات التسع، النازلة في أمير المؤمنين التي سُمّي فيها مؤمناً،

---

(١) وتوجد هذه الأبيات في مناقب الخوارزمي مع زيادة بيت.

(٢) تذكرة السبط ص ١١٥، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢.

ونحن وقفنا من تلك على عشر[١] آيات، ولم نعرف خصوص التسع المراد لحسّان في قوله، وقال معاوية بن صعصعة في قصيدة له ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفّين ص ٣١:

ومن نزلت فيه ثلاثون آية تُسمّيه فيها مؤمناً مخلصاً فردا
سوى موجبات جئن فيه وغيره بها أوجب الله الولاية والودّا

والآيات:

١ - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾.
«سورة السجدة، الآية ١٨».

مرَّ الإيعاز إلى حديث نزولها في عليّ عليه السلام ص ٤٦ من هذا الجزء.

٢ - ﴿هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنصرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

«سورة الأنفال، الآية ٦٢»

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن مسلم الشافعيّ، أخبرنا أبو القاسم بن العلا، وأبو بكر محمّد بن عمر بن سليمان العرينيّ النصيبيّ، حدّثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد، حدّثنا أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل المهري، حدّثنا عبّاس بن بكّار، حدّثنا خالد بن أبي عمر الأسدي، عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: مكتوبٌ على العرش لا إلَه إلاّ الله وحدي لا شريك لي، ومحمّد عبدي ورسولي أيّدته بعليّ، وذلك قوله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: هُوَ الذي أيّدكَ بنصرهِ وَبالمؤمنينَ عليٌّ وحده.

ورواه بإسناده الكنجيّ الشافعيّ في كفايته ص ١١٠، ثمّ قال: قلت: ذكره ابن جرير في تفسيره[٢] وابن عساكر في تاريخه في ترجمة عليّ

---

(١) وكذا قال الإمام الحسن السبط الزكي في حديث: سمّي أبي مؤمناً في عشر آيات.
(٢) لم نجد هذا الحديث في تفسير الطبري تحت هذه الآية.

عليه السلام. ورواه الحافظ جلال الدين السيوطي في الدرّ المنثور ج ٣ ص ١٩٩، نقلاً عن ابن عساكر، والقندوزي في ينابيعه ص ٩٤ نقلاً عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن أبي هريرة، ومن طريق أبي صالح، عن ابن عبّاس.

وصدر الحديث أخرجه جمعٌ من الحفّاظ منهم: الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١١ ص ١٧٣، بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال النبيُّ ﷺ: لَمّا عُرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إلّه إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته بعليّ، نصرته بعليّ. ومحبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ٢ ص ١٧٢ عن أبي الحمراء من طريق الملّا في سيرته، وفي ذخائر العقبى ص ٦٩، والخوارزمي في المناقب ص ٢٥٤، والحمّويي في فرائده في الباب السادس والأربعين من طريقين بلفظ: لَمّا أُسري بي إلى السماء رأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إلّه إلّا الله محمَّدٌ رسول الله صفوتي من خلقي، أيّدته بعليّ ونصرته به. وبإسناد آخر عن أبي الحمراء خادم النبيِّ صلّى الله عليه وآله، بلفظ: ليلة أُسري بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً: أنا الله وحدي لا إلّه غيري، غرست جنّة عدن بيدي لمحمَّد صفوتي أيّدته بعليّ. وبهذا اللفظ رواه الحافظ السيوطي كما في كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٨، من غير طريق عن أبي الحمراء. ومن طريق آخر عن جابر، عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله: مكتوبٌ في باب الجنة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي سنة: لا إلّه إلّا الله محمَّدٌ رسول الله أيّدته بعليّ. ـ وذكره الحافظ الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٢١ من طريق الطبراني عن أبي الحمراء، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٧ نقلاً عن ابن عدي، وابن عساكر من طريق أنس.

وروى السيِّد الهمداني في «مودَّة القربى» في المودَّة الثامنة، عن عليّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّي رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن: فلمّا بلغت البيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرة بها: لا إلّه إلّا الله محمَّدٌ رسول الله، أيّدته بعليّ وزيره. ولَمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت عليها: إنّي أنا الله لا إلّه إلّا أنا وحدي، محمَّد صفوتي

من خلقي أيّدته بعليّ وزيره ونصرته به. ولمّا انتهيت إلى عرش ربّ العالمين فوجدت مكتوباً على قوائمه: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، محمّد حبيبي من خلقي، أيّدته بعليّ وزيره ونصرته به. فلمّا وصلت الجنّة وجدت مكتوباً على باب الجنّة: لا إله إلّا أنا، ومحمّد حبيبي من خلقي أيّدته بعليّ وزيره ونصرته به.

٣ - ﴿يا أيّها النبيُّ حَسبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمِنينَ﴾.

«سورة الأنفال، الآية ٦٣».

أخرج الحافظ أبو نعيم في فضائل الصحابة بإسناده: إنّها نزلت في عليّ، وهو المعنيُّ بقوله: المؤمنين.

٤ - ﴿مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صَدَقوا ماعاهدوا الله عليهِ فَمنهُم مَن قَضى نَحبَهُ وَمِنهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمابَدَّلوا تَبديلا﴾. [سورة الأحزاب، الآية ٢٣].

أخرج الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ١٨، وصدر الحفّاظ الگنجي في «الكفاية» ص ١٢٢ نقلاً عن ابن جرير، وغيره من المفسّرين أنّه نزل قوله: فمنهم من قضى نحبه في حمزة وأصحابه، كانوا عاهدوا الله تعالى لا يُولّون الأدبار فجاهدوا مقبلين حتّى قُتلوا، ومنهم مَن ينتظر، عليُّ بن أبي طالب مضى على الجهاد ولم يُبدِّل ولم يُغيِّر الآثار.

وفي الصواعق لابن حجر ص ٨٠: سُئل (عليٌّ) وهو على المنبر بالكوفة، عن قوله تعالى: ﴿مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾. الآية. فقال: اللهمّ غفراً هذه الآية نزلت فيَّ وفي عمِّي حمزة وفي ابن عمّي عُبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، فأمّا عُبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أُحد، وأمّا أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهد عهده إليَّ حبيبي أبو القاسم ﷺ.

٥ - ﴿إنّما وَليّكم الله وَرَسولُهُ وَالَّذينَ آمنوا الَّذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاة وَيُؤتُون الزكاةَ وَهُمْ رَاكِعونَ﴾.

«سورة المائدة ٥٥»

أخرج أبو إسحاق الثعلبي، في تفسيره بإسناده عن أبي ذرّ الغفاري قال: أما إنّي صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيّام الظهر فسأل سائلٌ في المسجد فلم يُعطه أحدٌ شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء، وقال. اللهمّ أشهد إنّي سألت في مسجد نبيّك محمّد ﷺ فلم يُعطني أحدٌ شيئاً، وكان عليٌّ رضي الله عنه في الصّلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وفيه خاتمٌ فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبيّ ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السّماء وقال: اللهمَّ إنّ أخي موسى سألـك فقال: ربِّ اشـرح لي صَدري، وَيَسِّر لي أمري، واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قـولي، واجعل لي وزيراً مِن أهلي هارون أخي، أشدد به أرزي، وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً: سنشدُّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما اللهمَّ وإنّي محمَّد نبيّك وصفيّك اللهمَّ، واشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به ظهري. قال أبو ذر رضي الله عنه: فما استتمَّ دعاءه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزَّ وجلَّ وقـال: يا محمَّـد ﴿إقرأ إنّمـا وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾. الآية.

أخرج هذه الأثارة، ونزول الآية فيها جمعٌ كثيرٌ من أئمّة التفسير والحديث منهم: الطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥ من طريق ابن عبّاس، وعتبة بن أبي حكيم، ومجاهد. الواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨ من طريقين. الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ عن عطا عن عبدالله بن سلام وابن عبّاس وحديث أبي ذرّ المذكور. الخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦. أبو البركات في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦. النيسابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١. ابن الصبّاغ المـالكي في «الفصول المهمّة» ص ١٢٣ حديث الثعلبي المذكور. ابن طلحة الشافعي في «مـطالب السئـول» ص ٣١ بلفظ أبي ذر المـذكـور. سبط ابن الجـوزي في «التذكرة» ص ٩ عن تفسير الثعلبي، عن السدّي، وعتبة، وغالب بن عبدالله. الگنجي الشافعيّ في «الكفاية» ص ١٠٦ بإسناده عن أنس، وص ١٢٢ عن ابن عبّاس من طريق حافظ العراقين، والخوارزمي ، وابن عساكر، عن أبي نعيم،

والقاضي أبي المعالي. الخوارزمي في مناقبه ص ١٧٨ بطريقين. الحمّوبي في فرائده في الباب الرابع عشر من طريق الواحدي، وفي التاسع والثلاثين عن أنس، ومن طرق اخرى عن ابن عبّاس، وفي الباب الأربعين عن ابن عباس وعمّار بن ياسر. القاضي عضد الإيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦. محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ٢ ص ٢٢٧ عن عبدالله بن سلام من طريق الواحدي، وأبي الفرج والفضائلي، وص ٢٠٦، وفي الذخائر ص ١٠٢ من طريق الواقدي، وابن الجوزي. ابن كثير الشامي في تفسيره ج ٢ ص ٧١ بطريق عن أمير المؤمنين، ومن طريق ابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل، وعن ابن جرير الطبري بإسناده عن مجاهد، والسديّ، وعن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن ابن عبّاس، وبطريق الحافظ ابن مردويه بالإسناد عن سفيان الثوري، عن ابن عبّاس، ومن طريق الكلبي عن ابن عبّاس فقال: هذا إسنادٌ لا يُقدح به، وعن الحافظ ابن مردويه بلفظ أمير المؤمنين، وعمّار، وأبي رافع. ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٧ عن الطبراني بإسناده عن أمير المؤمنين، ومن طريق ابن عساكر عن سلمة بن كهيل. الحافظ السيوطي في «جمع الجوامع» كما في الكنز ج ٦ ص ٣٩١ من طريق الخطيب في «المتفق» عن ابن عبّاس، وص ٤٠٥ من طريق أبي الشيخ، وابن مردويه عن أمير المؤمنين. ابن حجر في «الصواعق» ص ٢٥. الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٧٧ حديث أبي ذرّ المذكور عن الثعالبي. الآلوسي في «روح المعاني» ج ٢ ص ٣٢٩ وغيرهم. ولحسّان بن ثابت في هذه المأثرة شعرٌ يأتي إن شاء الله تعالى.

٦ - ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَجاهَدَ في سَبيلِ اللهِ لا يَستَوُون عِندَ اللهِ﴾.

(سورة التّوبة، الآية ١٩).

أخرج الطبري في تفسيره ج ١٠ ص٥٩ بإسناده عن أنس أنّه قال: قعد العبّاس وشيبة (ابن عثمان) صاحب البيت يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف منك أنا عمُّ رسول الله ووصيُّ أبيه وساقي الحجيج. فقال شيبة: أنا أشرف منك

أنا أمين الله على بيته، وخازنه أفلا ائتمنك كما ائتمنني. فهما على ذلك يتشاجران حتّى أشرف عليهما عليٌّ، فقال له العبّاس: إنَّ شيبة فاخرني فزعم أنّه أشرف منّي، فقال: فما قلت له يا عمّاه؟ قال: قلت: أنا عمُّ رسول الله ووصيُّ أبيه وساقي الحجيج أنا أشرف منك. فقال لشيبة: ماذا قلت أنت يا شيبة؟ قال قلت: أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه أفلا ائتمنك كما ائتمنني. قال فقال لهما: إجعلاني معكما فخراً، قالا: نعم. قال: فأنا أشرف منكما أنا أوّل من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأُمّة وهاجر وجاهد. وانطلقوا ثلاثتهم إلى النبيِّ فأخبر كلٌّ واحد منهم بمفخره فما أجابهم النبيُّ بشيء فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل عليه السلام بالوحي بعد أيّام فيهم، فأرسل النبيُّ إليهم ثلاثتهم حتى أتوه فقرأ عليهم: ﴿أَجَعلتم سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارةَ الْمسجدِ الْحَرامِ كمن آمَنَ بالله وَالْيوْمِ الآخرِ﴾. الآية.

حديث هذه المفاخرة ونزول الآية فيها أخرجه كثيرٌ من الحفّاظ والعلماء مجملاً ومفصّلاً منهم: الواحدي في أسباب النزول ص ١٨٢ نقلاً عن الحسن والشعبي والقرظي. القرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ عن السدِّي. الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢. الخازن في تفسيره ج ٢ ص ١٢٢ قال: وقال الشعبي، ومحمّد بن كعب القرظي: نزلت في عليّ بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطلب، وطلحة بن أبي شيبة، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه. وقال العبّاس: وأنا صاحب السقاية والقيام عليها. وقال عليٌّ: ما أدري ما تقولون، لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله هذه الآية.

ومنهم: أبو البركات النسفي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢١. الحمّويي في «الفرائد» في الباب الواحد والأربعين بإسناده عن أنس. ابن الصبّاغ المالكيّ في «الفصول المهمّة» ص ١٢٣ من طريق الواحدي عن الحسن والشعبي والقرظي جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي في نظم درر السمطين. الگنجي في «الكفاية» ص ١١٣ من طريق ابن جرير، وابن عساكر، عن أنس بلفظه

المذكور. ابن كثير الشامي في تفسيره ج ٢ ص ٣٤١ عن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن الشعبي، ومن طريق ابن جرير، عن محمَّد بن كعب القرظي، وعن السدّي وفيه: افتخر عليٌّ، والعبّاس، وشيبة كما مرّ، ومن طريق الحافظ عبد الرزاق أيضاً عن الحسن، ومحمَّد بن ثور عن معمَّر عن الحسن. الحافظ السيوطي في الدرِّ المنثور ج ٣ ص ٢١٨ من طريق الحافظ ابن مردويه، عن ابن عبّاس، ومن طريق الحفّاظ عبد الرزّاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن منذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن الشعبي، وعن ابن مردويه عن الشعبي، وعن عبد الرزاق، عن الحسن، ومن طريق ابن أبي شيبة، وأبي الشيخ، وابن مردويه، عن عبيدالله بن عبيدة، ومن طريق الفرياني، عن ابن سيرين، وعن ابن جرير، عن محمَّد بن كعب القرظي، ومن طريق ابن جرير، وأبي الشيخ، عن الضحّاك، وعن الحافظين أبي نعيم، وابن عساكر بإسنادهما عن أنس باللفظ المذكور.

ومنهم: الصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٢ وفي طبعة ٢٠٩ نقلاً عن شوارد الملح وموارد المنح: أنّ العباس، وحمزة رضي الله عنهما، تفاخرا فقال حمزة: أنا خيرٌ منك لأنّي على عمارة الكعبة. وقال العبّاس: أنا خيرٌ منك لأنّي على سقاية الحاجّ فقالا: نخرج إلى الأبطح ونتحاكم إلى أوَّل رجل نلقاه فوجدا عليّاً رضي الله عنه، فتحاكما على يديه فقال: أنا خيرٌ منكما لأنّي سبقتكما إلى الإسلام. فأخبر النبيُّ بذلك فضاق صدره لافتخاره على عمّيه فأنزل الله تعالى تصديقاً لكلام عليّ وبياناً لفضله: ﴿أجَعلتم سِقايَة الحاجِّ﴾. الآية.

ولا يسعنا ذكر جميع المصادر التي وقفنا فيها على هذه المفاخرة، ونزول الآية فيها وكذلك في بقيَّة الآيات والأحاديث، بل لم نذكر جلّها روماً للإختصار، وقد بسطنا القول في جميعها في كتابنا (العترة الطاهرة في الكتاب العزيز) يتضمَّن الآيات النازلة فيهم صلوات الله عليهم.

وهذه المفاخرة ونزول الآية فيها نظمها غير واحد من شعراء السلف،

الحافظين لناموس الحديث كسيِّد الشعراء الحميري، والناشي، والبشنوي، ونظرائهم وستقف عليه في تراجمهم إن شاء الله.

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمنوا وَعمِلوا الصَّالحاتِ سَيَجعَلُ لهُمُ الرَّحمنُ وُدّاً﴾.

«سورة مريم آية ٩٦»

أخرج أبو إسحاق الثعلبي، في تفسيره بإسناده عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: قل: اللهمَّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودَّة. فأنزل الله هذه الآية.

ورواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ في تذكرته ص ١٠ وقال: ورُوي عن ابن عبّاس: إنَّ هذا الودّ جعله الله لعليّ في قلوب المؤمنين. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ عن ابن عبّاس قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب: ﴿إنَّ الذين آمنوا﴾. الآية. قال: محبّة في قلوب المؤمنين. وأخرج الخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ١٨٨ حديث ابن عبّاس وبعده بإسناده عن عليّ عليه السلام، أنّه قال: لقيني رجلٌ فقال: يا أبا الحسن والله إنّي أحبّك في الله. فرجعت إلى رسول الله فأخبرته بقول الرجل، فقال: لعلّك يا عليُّ اصطنعت إليه معروفاً. قال فقلت: والله ما اصطنعت إليه معروفاً. فقال رسول الله: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودَّة. فنزل قوله: ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن وُدّا﴾.

وأخرجه صدر الحفّاظ الكنجي في الكفاية ص ١٢١. وأخرج محبُّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٠٧ في الآية من طريق الحافظ السلفي عن ابن الحنفيَّة: لا يبقى مؤمنٌ إلاّ وفي قلبه ودٌّ لعليّ وأهل بيته. وأخرج الحمّويي في فرائده في الباب الرابع عشر من طريق الواحدي بسندين عن ابن عباس، والسيوطي في الدرّ المنثور ج ٤ ص ٢٨٧ من طريق الحافظ ابن مردويه، والديلمي، عن البراء، ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، عن ابن عبّاس، والقسطلاني في المواهب ج ٧ ص ١٤ من طريق النقّاش، والشبلنجي في نور

الأبصار ص ١١٢ عن النقّاش وذكر ما مرّ عن ابن الحنفيّة، والحضرمي في رشفة الصادي ص ٢٥.

٨ - ﴿أمْ حَسِبَ الّذينَ اجتَرَحوُا السَّيِّئاتِ أنْ نَجعَلهُمْ كالّذين آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحات﴾.

«سورة الجاثية الآية ٢١»

قال أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١١: قال السدّي، عن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام يوم بدر: فَالّذينَ اجترحوا السيِّئات عتبة، وشيبة، والوليد والمغيرة، والّذينَ آمنوا وَعمِلوا الصالحاتِ عليٌّ عليه السلام. وتجد ما يقرب منه في كفاية الگنجي ص ١٢٠.

٩ - ﴿إنَّ الّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ أولئِكَ هُمْ خَيرُ البَريَّة﴾.

«سورة البيّنة الآية ٧»

أخرج الطبري في تفسيره ج ٣٠ ص ١٤٦ بإسناده، عن أبي الجارود، عن محمَّد بن علي: أولئك هُمْ خَيرُ البريَّة. فقال: قال النبيُّ ﷺ أنت يا عليُّ وشيعتك. وروى الخوارزمي في مناقبه ص ٦٦ عن جابر قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل عليٌّ بن أبي طالب فقال رسول الله: قد أتاكم أخي ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمّ قال: والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال: إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيَّة، وأقسمكم بالسويَّة، وأعظمكم عند الله مزيَّة، قال: وفي ذلك الوقت نزلت فيه: ﴿إنَّ الّذين آمنوا وَعمِلوا الصّالحاتِ أولئِكَ هُم خَيرُ البريَّة﴾، وكان أصحاب النبيِّ ﷺ إذا أقبل عليٌّ قالوا: قد جاء خير البريَّة.

وروى في ص ١٧٨ من طريق الحافظ ابن مردويه، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت عليّاً يقول: حدَّثني رسول الله وأنا مسنده إلى صدري فقال: أي عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى إنَّ الّذينَ آمنوا وَعمِلوا الصالحاتِ هُم خَيرُ البريَّةِ؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض

إذا جاءت الأُمم للحساب تُدعون غرّاً محجّلين. وأخرج الگنجي في الكفاية ص ١١٩ حديث يزيد بن شراحيل.

وأرسل ابن الصبّاغ المالكيّ في فصوله ص ١٢٢ عن ابن عبّاس قال: لَمّا نزلت هذه الآية قال (النبيّ ﷺ) لعليّ: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيّين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين. وروى الحمّويي في فرائده بطريقين عن جابر: إنّها نزلت في عليّ، وكان أصحاب محمّد إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البريّة.

وقال ابن حجر في «الصواعق» ص ٩٦ في عدِّ الآيات الواردة في أهل البيت: الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إنّ الّذين آمنوا وَعَمِلوا الصالِحاتِ أولئكَ هُمْ خير البريّة﴾.

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: إنّ هذه الآية لَمّا نزلت قال صلّى الله عليه وآله لعليّ: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوُّك غضاباً مقمحين، قال: ومَن عدوّي؟ قال: مَن تبرّأ منك ولعنك، ثمّ قال رسول الله ﷺ: ومن قال: رحم الله عليّاً، رحمه الله.

وقال جلال الدين السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٦ ص ٣٧٩: أخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ فقال النبيّ ﷺ: والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أولئكَ هُمْ خير البريّة﴾، فكان أصحاب النبيّ ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريّة، وأخرج ابن عدي عن ابن عبّاس قال: لَمّا نزلت ﴿إنّ الّذين آمَنوا وعَمِلوا الصالحات﴾. الآية قال رسول الله ﷺ لعليّ: أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر حديث يزيد بن شراحيل المذكور، وذكر الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٧٨ و١١٢ عن ابن عبّاس باللفظ المذكور عن ابن الصبّاغ المالكيّ.

١٠ - ﴿وَالْعَصرِ إنَّ الإنسانَ لَفي خُسر إلاّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوُا الصَّالِحاتِ﴾.

(سورة العصر)

قال جلال الدين السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٦ ص ٣٩٢: أخرج ابن مردويه، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿والعصر إنَّ الإنسان لَفي خُسر﴾. يعني أبا جهل بن هشام ﴿إلاّ الّذين آمنوا وَعَمِلوا الصالحاتِ﴾. ذكر عليّاً، وسلمان.

ومن شعر حسّان في أمير المؤمنين

أبا حسن! تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيءٍ في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبِّين ضايعاً؟ ... وما المدح في ذات الإله بضايعِ
فأنت الّذي أعطيت إذ أنت راكعٌ ... فدتك نفوس القوم يا خير راكعِ
بخاتمك الميمون يا خيرَ سيِّد ... ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خيرَ بايعِ
فأنزل فيك الله خيرَ ولاية ... وبيَّنها في محكمات الشّرايعِ

نظم بها حديث تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام، خاتمه للسائل راكعاً ونزول قوله تعالى: ﴿إنَّما وَلِيّكم الله ورَسوله وَالّذين آمَنوا يُقيمونَ الصَّلاة ويُؤتونَ الزَّكاةَ وهُم راكعون﴾. فيه كما مرّ حديثه ص ٧١ .

ذكرها لحسّان الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ١٧٨، وشيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب التاسع والثلاثين، وصدر الحفّاظ الگنجيّ في «الكفاية» ص ١٠٧ وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٠، وجمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين».

ومن شعر حسّان في أمير المؤمنين

جبريلُ نادى معلناً ... والنقعُ ليس بمنجلي
والمسلمون قد أحدقوا ... حول النبيِّ المرسلِ
لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ... ولا فتى إلاّ علي

يشير بها إلى ما هتف به أمين الوحي جبرئيل عليه السلام، يوم أُحد في عليّ وسيفه. أخرج الطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٧، عن أبي رافع قال: لَمّا قَتل عليٌّ بن أبي طالب (يوم أُحد) أصحاب الألوية أبصر رسول الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش، فقال لعليّ: إحمل عليهم. فحمل عليهم ففرَّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي قال: ثمَّ أبصر رسول الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش، فقال لعليّ: إحمل عليهم. فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك، فقال جبريل: يا رسول الله! إنّ هذا للمواساة فقال رسول الله ﷺ: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبريل: وأنا منكما. قال فسمعوا صوتاً:

لا سـيـف إلّا ذو الـفـقـار ولا فـتـى إلّا عـليّ

وأخرجه أحمد بن حنبل في الفضائل، عن ابن عبّاس، وابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٥٢ عن ابن أبي نُجيح، الخثعمي في «الروض الانف» ج ٢ ص ١٤٣، وابن أبي الحديد في «شرح النهج» ج ١ ص ٩ وقال: إنّه المشهور المرويّ، وفي ج ٢ ص ٢٣٦ وقال: إنّ رسول الله قال: هذا صوت جبريل، وج ٣ ص ٢٨١، والخـوارزمي في «المـنـاقب» ص ١٠٤ عـن محـمّـد بن إسحاق بن يسار، قال: هاجت ريحٌ في ذلك اليوم فسمع منادٍ يقول:

لا سـيـف إلّا ذو الـفـقـار ولا فـتـى إلّا عـليّ
فـإذا نـدبـتـم هـالـكـاً فـابكوا الـوفيَّ أخـا الـوفيّ[1]

وروى الحمّويي نحوه في فرائده في البـاب التاسع والأربعين، وروى بإسناده من طرق شتّى عن الحافظ البيهقي إلى عليّ عليه السلام قـال: أتى جبريل النبيَّ ﷺ فقال: إنّ صنماً في اليمن مغفّراً في حديد فابعث إليه فادققه وخذ الحديد، قال: فدعاني وبعثني إليه فدققت الصنم وأخذت الحديد فجئت بـه إلى رسول الله، فـاستنصرت منـه سيفين فسمّى واحداً ذا الفقـار، والآخر

(١) يعني حمزة سيد الشهداء قتيل ذلك اليوم سلام الله عليه.

مجذماً، فقلّد رسول الله ذا الفقار، وأعطاني مجذماً ثمّ أعطاني بعدُ ذا الفقار، ورآني رسول الله وأنا أُقاتل دونه يوم أُحد فقال:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٦: ذكر أحمد في الفضائل أيضاً أنّهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم (يوم خيبر) وقائلاً يقول:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

فاستأذن حسّان بن ثابت رسول الله ﷺ أن ينشد شعراً فأذن له فقال:

جبريلُ نادى مُعلناً إلى آخر الأبيات المذكورة

ثمّ قال ما ملخّصه: يقال: إنّ الواقعة كانت يوم أُحد كما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عبّاس، وقيل: إنّ ذلك كان يوم بدر، والأصحّ أنّه كان في يوم خيبر، فلم يطعن فيه أحدٌ من العلماء. إنتهى.

قال الأميني: إنّ الأحاديث تؤذننا بتعدّد الواقعة، وأنّ المنادي يوم أُحد كان جبريل كما مرّ، والمنادي يوم بدر ملَك يقال له: رضوان، قد أجمع أئمّة الحديث على نقله كما قال الكنجي، وأخرجه في كفايته ص ١٤٤ من طريق أبي الغنائم، وابن الجوزي، والسلفي، وابن الجواليقي، وابن أبي الوفا البغدادي، وابن الوليد، وابن أبي الفهم، والمفتي عبد الكريم الموصلي، ومحمّد بن القاسم العدل، والحافظ محمّد بن محمود، وابن أبي البدر، والفقيه عبد الغني بن أحمد، وصدقة بن الحسين، ويوسف بن شروان المقري، والصاحب أبي المعالي الدوامي، وابن بطّة، وشيخ الشيوخ عبد الرحمن بن اللطيف، وعليّ بن محمّد المقري، وابن بكروس، والحافظ ابن المعالي، وأبي عبدالله محمّد بن عمر، بأسانيدهم عن سعد بن طريف الحنظلي، عن أبي جعفر محمّد بن علي «الإمام الباقر» قال: نادى ملَكٌ من السماء يوم بدر يقال له:

رضوان:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ

ثمّ قال: قلت: أجمع أئمّة الحديث على نقل هذا الجزء كابراً عن كابر رزقناه عالياً بحمد الله عن الجمّ الغفير كما سقناه، ورواه الحاكم مرفوعاً، وأخرجه عنه البيهقي في مناقبه، أخبرنا بذلك الحافظ ابن النجّار، أخبرنا المؤيّد الطوسي (إلى آخر السند) عن جابر بن عبدالله، قال قال رسول الله يوم بدر: هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ

وأخرجه محبّ الدين الطبري باللفظ المذكور في رياضه ص ١٩٠، وذخائر العقبى ص ٧٤، والخوارزمي في المناقب ص ١٠١ حديث جابر، وفي كتاب «صفّين» لنصر بن مزاحم ص ٢٥٧، وفي ط مصر ص ٥٤٦ عن جابر بن نُمير ـ الصحيح: عُمير ـ الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول كثيراً:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ

ومن شعر حسّان

وإن مريمٌ أحصنت فرجها وجاءت بعيسى كبدر الدجى
فقد أحصنت فاطم بعدها وجاءت بسبطي نبيٍّ الهدى[1]

يشير إلى ما صحّ عن النبيِّ الطاهر في بضعته الصدّيقة (فاطمة): إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار. أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥٢ وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد. والخطيب في تاريخه ج ٣

(١) ذكره ابن شهر آشوب السروي في «المناقب» ج ٤ ص ٢٤.

ص ٥٤، ومحبّ الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص ٤٨ عن أبي تمام في فوائده، وصدر الحفّاظ الكنجيّ الشافعيّ في «الكفاية» ص ٢٢٢ بإسناده عن حذيفة بن اليمان، قال قال رسول الله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذرّيتها على النار، وفي ص ٢٢٣ بسند آخر عن ابن مسعود بلفظ حذيفة، والسيوطي في «إحياء الميت» ص ٢٥٧ عن ابن مسعود من طريق البزّار، وأبي يعلى، والعقيلي، والطبراني، وابن شاهين، وأخرجه في «جمع الجوامع» من طريق البزّار، والعقيلي، والطبراني، والحاكم بلفظ حذيفة اليماني، وذكر المتّقي الهندي في إكماله في «كنز العمّال» ج ٦ ص ٢١٩ من طريق الطبراني بلفظ: إنّ فاطمة أحصنت فرجها وإنّ الله أدخلها بإحصان فرجها وذرّيتها الجنّة. وابن حجر في «الصواعق» من طريق أبي تمام[١] والبزّار، والطبراني، وأبي نعيم، باللفظ المذكور وقال: وفي رواية فحرّمها الله وذرّيتها على النار. ورواه في ص ١١٢ من طريق البزّار، وأبي يعلى، والطبراني، والحاكم، باللفظ الثاني، وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٤٥ باللفظين.

الشاعر

أبو الوليد حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك النجّار (تيم الله) بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة العنقاء (سُمّي به لطول عنقه) ابن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرىء القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٢].

بيت حسّان أحد بيوتات الشعر، عريقٌ في الأدب ونظم القريض، قال

(١) في الصواعق: تمام. والصحيح: أبو تمام.
(٢) كذا سرده أبو الفرج في الأغاني ج ٤ ص ٣.

المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٦٦: قال دعبل، والمبرّد: أعرق الناس كانوا في الشعر آل حسّان، فمنهم يُعدّون ستّة في نسق كلّهم شاعر: سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام. اهـ. وولده عبد الرحمن المذكور شاعرٌ قليل الحديث تُوفّي سنة ١٠٤، وفيه وفي والده حسّان قال شاعر:

فمن للقوافي بعد حسّان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وأمّا المترجم نفسه فعن أبي عبيدة: انّ العرب قد اجتمعت على أنّ حسّان أشعر أهل المدن، وأنّه فضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار. وشاعر النبيّ في أيّامه صلّى الله عليه وآله. وشاعر اليمن كلّها في الإسلام. قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثمّ قال: والله إنّي لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه، وما يسرّني به مقول من معد[1] وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يضع له منبراً في مسجده الشريف يقوم عليه قائماً ويفاخر عن رسول الله ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله يؤيّد حسّان بروح القدس ما نافَحَ أو فاخَرَ عن رسول الله[2].

كانت الحالة على هذا في عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله، ولمّا توفّي صلّى الله عليه وآله مرّ عمر على حسّان وهو ينشد في المسجد فانتهره[3] فقال: أفي مسجد رسول الله تنشد؟ فقال: كنت أُنشد وفيه مَن هو خيرٌ منك. ثمّ التفت إلى أبي هريرة فقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أجب عنّي، اللهمّ أيّده بروح القدس، قال: نعم. قال أبو عبدالله الآبيّ المالكيّ في شرح صحيح مسلم ٣١٧: وهذا يدلّ على أن عمر رضي الله عنه، كان يكره إنشاد

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٦٨ و١٥٠.
(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨٧ بإسناد صححه هو والذهبي.
(٣) كذا في لفظ ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٢٦، وفي لفظ مسلم في الصحيح ج ٢ ص ٣٨٤: فلحظ إليه. وفي لفظ لأحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٢٢: فقال: مه.

الشعر في المسجد، وكان قد بنى رحبةً خارجه وقال: من أراد أن يلغط أو ينشد شعراً فليخرج إلى هذه الرحبة.

كلُّ ذلك على خلاف ما كان عليه النبيُّ صلّى الله عليه وآله، وفي وقته أفحمه حسّان بما ذكر من قوله: لكن لا رأي لمن لا يُطاع. وقبل حسّان نهاه النبي صلّى الله عليه وآله، عن فكرته هذه وفهّمه بما هناك من الغاية الدينيّة المتوخّاة حين تعرَّض على عبدالله بن رواحة، لَمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يطوف البيت على بعير وعبدالله آخذٌ بغرزه وهو يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيلهِ   خلّوا فكلُّ الخير مع رسولهِ
نحن ضربناكم على تنزيلهِ   ضرباً يُزيل الهام عن مقيلهِ
ويُذهل الخليل عن خليلهِ   يا ربّ إنّي مؤمنٌ بقيلهِ

فقال له عمر: أو ها هنا يا ابن رواحة أيضاً؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله :أو ما تعلمن أو لا تسمع ما قال؟؟!! (وفي رواية أبي يعلى) إنّ النبيَّ قال: خلِّ عنه يا عمر؟ فوالّذي نفسي بيده لكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل(١).

وكان حسّان من المعروفين بالجبن، ذكره ابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٢ ص ٦ وقال: كان من أجبن الناس. وعدّه الوطواط في «غرر الخصائص» ص ٣٥٥ من الجبناء وقال: ذكر ابن قتيبة في كتاب «المعارف»: إنّه لم يشهد مع رسول الله ﷺ مشهداً قطُّ، قالت صفيّة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله: كان معنا حسّان في حصن فارع يوم الخندق مع النساء والصبيان، فمرَّ بنا في الحصن رجلٌ يهوديٌّ فجعل يطوف بالحصن (وقد حاربت بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا أتانا آتٍ) قالت: فقلت: يا حسّان! أنا والله لا آمن أن يدلَّ علينا هذا اليهوديُّ أصحابه، ورسول الله ﷺ قد شغل عنّا

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٩١.

فانزل إليه واقتله، قال: يغفر الله لكِ (يا ابنة عبد المطلب) ما أنا بصاحب شجاعة، قالت: فلمّا قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً إعتجرت[1] ثمَّ أخذت عموداً ونزلت إليه فضربته بالعمود حتّى قتلته، ثمّ رجعت إلى الحصن وقلت: يا حسّان انزل إليه واسلبه فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجل، فقال: ما لي بسلبه من حاجة [يا ابنة عبد المطلب][2] وكان حسّان اقتدى في فعله بهذا الشاعر في قوله:

باتت تشجّعني هندٌ وما علمت ... انَّ الشجاعة مقرونٌ بها العطبُ
لا والّذي مَنعَ الأبصار رؤيته ... ما يشتهي الموت عندي من له إربُ
للحرب قومٌ أضلّ الله سعيهمُ ... إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهمُ ... لا القتل يُعجبني منهم ولا السلبُ

قال الأميني: هذا ما نقله الوطواط عن «المعارف» لابن قتيبة، لكن أسفي على مطابع مصر، وعلى يد الطبع الأمينة فيها فإنّها تُحرِّف الكلم عن مواضعها فأسقطت هذه القصّة عن «المعارف» كما حرّفت عنه غيرها.

وُلد المترجم قبل مولد النبيِّ القدسيِّ صلّى الله عليه وآله بثمان سنين، وعاش عند الجمهور مائة وعشرين سنة، وقال ابن الأثير: لم يختلفوا في عمره. وفي المستدرك ج٣ ص ٤٨٦، واسد الغابة ج ٢ ص ٧: أربعة تناسلوا من صلب واحد عاش كلّ منهم مائة وعشرين سنة، وهم: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

يُكنى بأبي الوليد، وأبي المضرب، وأبي حسام، وأبي عبد الرحمن، والأوّل أشهر، وكان يقال له: الحسام. وذلك لكثرة دفاعه عن حامية الإسلام

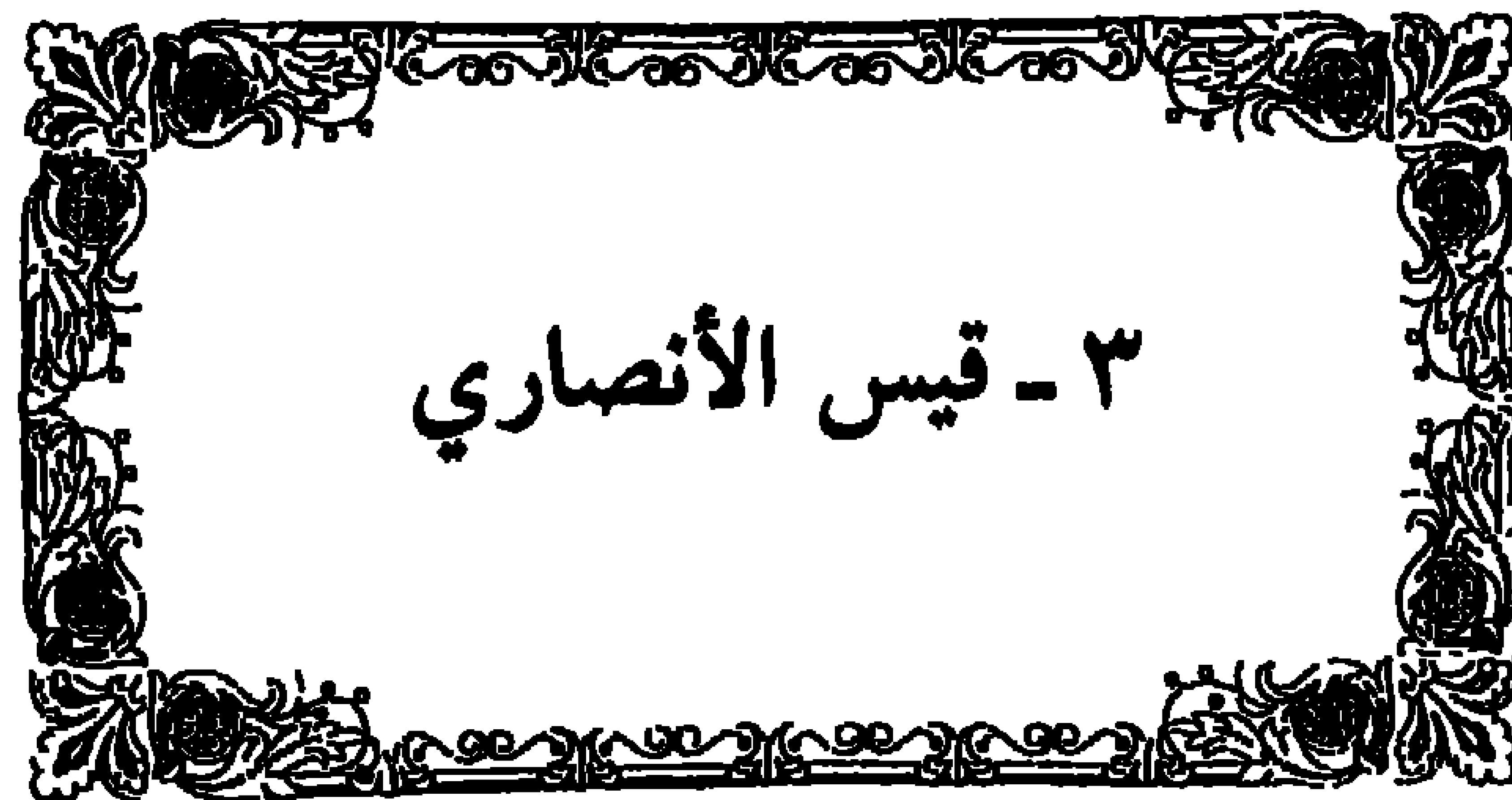
---

(١) أي لبست المعجر. وفي سيرة ابن هشام: احتجزت. يقال: احتجزت المرأة. أي شدت وسطها.
(٢) وإلى هنا ذكره ابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٢٤٦، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٤٠، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٢ ص ٦، والعباسي في المعاهد ج ١ ص ٧٤، والجمل التي جعلناها بين القوسين من لفظ ابن هشام.

المقدَّس بشعره. وروى الحاكم عن المصعب أنَّه قال: عاش حسّان ستّين في الجاهليَّة وستّين في الإسلام. وذهب بصره وتُوفّي على قول سنة ٥٥[١] أعمى البصر والبصيرة كما نصَّ عليه الصحابيُّ الكبير سيِّد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة لَمّا عزله أمير المؤمنين عليه السلام من ولاية مصر، ورجع إلى المدينة فإنَّه حينما قدمها جاءه حسّان شامتاً به وكان عثمانيّاً بعدما كان علويّاً فقال له: نزعك عليٌّ بن أبي طالب وقد قتلتَ عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر. فزجره قيسٌ وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر، والله لولا أن أُلقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثمَّ أخرجه من عنده[٢].

---

(١) هذا أحد القولين في المستدرك، وقد كثر الخلاف في وفاته، وصحح ابن كثير في تاريخه سنة ٥٤.
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥.



٣ ـ قيس الأنصاري

قلتُ لَمّا بغى العدوُّ علينا   حسبنا ربّنا ونعم الوكيلُ
حسبنا ربّنا الذي فتح البصـ   ـرة بالأمس والحديث طويلُ

ويقول فيها:

وعليٌّ إمامنا وإمامٌ   لسوانا أتى به التنزيلُ
يوم قال النبيُّ: من كنت مولا   هُ فهذا مولاه خطبٌ جليلُ
إنّما قاله النبيُّ على الأمّة   حتمٌ ما فيه قالٌ وقيلُ

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات أنشدها الصحابيُّ العظيم،سيِّد الخزرج،قيس بن سعد بن عبادة بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين، رواها شيخنا المفيد، معلّمُ الأُمّة المتوفّى سنة ٤١٣ في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٨٧ وقال بعد ذكرها: إنَّ هذه الأشعار مع تضمنها الإعتراف بإمامة أمير المؤمنين، فهي دلائل على ثبوت سلف الشيعة وإبطال عناد المعتزلة في إنكارهم ذلك.

وذكرها في رسالته في معنى المولى وقال فيها: قصيدة قيس التي لا يشكُّ أحدٌ من أهل النقل فيها، والعلم بها من قبوله كالعلم بنصرته لأمير المؤمنين وحربه أهل البصرة وصفّين معه، وهي التي أوّلها:

قلتُ لَمّا بغى العدوُّ علينا   حسبنا ربّنا ونعم الوكيلُ

فشهد هكذا شهادةً قطعيَّةً بإمامة أمير المؤمنين عليه السّلام من جهة خبر يوم الغدير، صرّح بأنَّ القول فيه يوجب رياسته على الكلِّ وإمامته عليهم.

ورواها سيِّدنا الشريف الرضيُّ المتوفّى سنة ٤٠٦ في خصائص الأئمّة، وقال: اتّفق حملة الأخبار على نقل شعر قيس وهو يُنشده بين يدي أمير المؤمنين عليه السَّلام، بعد رجوعهم من البصرة في قصيدته التي أوّلها:

قلتُ لَمّـا بغى العـدوُّ علينـا حسبنـا ربّنـا ونعم الـوكيـلُ

وهذان الشاعران [قيس، وحسّان] صحابيّان شهدا بالإمامة لأمير المؤمنين شهادة من حضر المشهد وعرف المصدر والمورد.

وأخرجها العَلم الحجَّة الشيخ عبيدالله السدابادي في المقنع ـ الموجود عندنا ـ فقال: قالوا: ومن الدليل على أنّ أمير المؤمنين، هو الإمام المنصوص عليه قول قيس بن سعد بن عبادة، وقال الكميت بن زيد يصدِّق قول قيس بن سعد، وحسّان بن ثابت.

ورواها العلاّمة الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ في كنز الفوائد ص ٢٣٤ فقال: إنّه ممّا حُفظ عن قيس بن سعد بن عبادة وإنّه كان يقوله بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين ومعه الراية.

وأخرجها أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ المتـوفّى سنة ٦٥٤ في «التذكرة» ص ٢٠ فقال: انَّ قيس أنشدها بين يدي عليّ بصفِّين.

ورواها سيِّدنا هبة الـدين الراونـدي في «المجموع الـرائق» ـ الموجـود عندنا ـ والمفسِّر الكبير الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيـره ج ٢ ص ١٩٣، وشيخ السرويّ الآتي شيخنا الشهيد الفتّـال في «روضة الـواعظين» ص ٩٠، وسيِّدنا القاضي نور الله المرعشيّ الشهيد سنة ١٠١٩ في «مجالس المؤمنين» ص ١٠١، والعـلاّمـة المجلسي المتـوفّى سنـة ١١١١ في «البحـار» ج ٩ ص ٢٤٥، والسيِّد علي خان المتـوفّى سنة ١١٢٠ في «الـدرجات الـرفيعة» ـ الموجود عندنا ـ في ذكر غزوة صفِّين، وشيخنا صاحب «الحدائق» البحراني

المتوفّى سنة ١١٨٦ في كشكوله ج ٢ ص ١٨. وجمع آخر من متأخّري أعلام الطائفة.

الشاعر

أبو القاسم وقيل: أبو الفضل[١] قيس بن سعد بن عبادة بن دليم[٢] بن حارثة ابن أبي حزيمة [بالحاء المهملة المفتوحة][٣] ابن ثعلبة بن ظريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر[٤] بن حارثة بن ثعلبة. إلى آخر النسب المذكور ص ٨٢، امّه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة.

هو ذلك الصحابيُّ العظيم، كان يعدُّ من أشراف العرب، وأمرائها، ودهاتها وفرسانها، وأجوادها، وخطبائها، وزهّادها، وفضلائها، ومن عمد الدين وأركان المذهب.

أما شرفه

فكان هو سيِّد الخزرج وابن سادتها، وقد حاز بيته الشرف والمجد جاهليَّةً وإسلاماً، قال سليم بن قيس الهلالي في كتابه: إنّ قيس بن سعد، كان سيِّد الأنصار وابن سيِّدها. وفي كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩: كان شجاعاً جواداً سيِّداً. وقال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ٧٣: لم يزل قيس سيِّداً في الجاهليَّة والإسلام وأبوه وجدُّه وجدُّ جدِّه لم يزل فيهم الشرف، وكان سعد يُجير فيُجار وذلك له لسؤدده، ولم يزل هو وأبوه أصحاب إطعام في الجاهليَّة والإسلام، وقيس ابنه بعده على مثل ذلك. وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨: كان قيس شريف قومه غير مدافع هو وأبوه وجدُّه. وفي اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥: كان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم. وقال ابن كثير في تاريخه ج ٨

---

(١) وقيل: أبو عبدالله. وقيل: أبو عبد الملك.

(٢) في تهذيب التهذيب: دليهم.

(٣) وقيل: حارثة بن خزيم بن أبي خزيمة بالمعجمة المضمومة، تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٧٧.

(٤) هنا يتحد المترجم مع حسان في النسب.

ص ٩٩: كان سيِّداً مطاعاً كريماً ممدوحاً شجاعاً. وقال المترجم له في أبيات له:

وإنّي من القوم اليمانين سيِّدٌ — وما النّاس إلاّ سيِّدٌ ومسودُ
وبَزَّ جميع النّاس أصلي ومنصبي — وجسمٌ به أعلو الرجالَ مديدُ

وكان والده أحد النقباء الإثني عشر الذين ضمنوا لرسول الله ﷺ إسلام قومهم والنَّقيب: الضمين: راجع تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٨٦.

وأما إمارته

ففي العهد النبويِّ كان من النبيِّ صلّى الله عليه وآله، بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير يلي ما يلي من أموره(١) وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة، وكان من ذوي الرأي من الناس(٢) وبعده ولاّه أمير المؤمنين عليه السلام، مصر وكان أميرها الطاهر.

كان قيس من شيعة عليٍّ عليه السلام، ومناصحيه بعثه عليٌّ أميراً على مصر في صفر سنة ٣٦، وقال له: سر إلى مصر فقد ولَّيتكها، واخرج إلى ظاهر المدينة، واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر ومعك جند، فإنَّ ذلك أرعب لعدوِّك وأعزُّ لوليِّك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشدد على المريب، وارفق بالعامّة والخاصَّة فإنَّ الرفق يُمنٌ.

فقال قيس: رحمك الله يا أمير المؤمنين، قد فهمتُ ما ذكرتَ، فأمّا الجند فإنّي أدعه لك، فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك، وإن أردتَ بعثتهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدَّة، ولكنّي أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي، وأمّا ما أوصيتني به من الرفق والإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

---

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٧، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٥، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٥١، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، الإصابة ج ٥ ص ٣٥٤، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٩٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٩.

فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتّى دخل مصر مستهل ربيع الأوّل، فصعد المنبر فجلس عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: الحمد لله الّذي جاء بالحق. وأمات الباطل، وكبت الظالمين، أيّها الناس، إنّا بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا محمّد «صلّى الله عليه وآله» فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنّة رسوله، فإن نحن لم نعلم لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عمّاله إلا أنّ قريةً منها يقال لها: خربتا[1] قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له: يزيد بن الحارث، فبعث إلى قيس إنّا لا نأتيك فابعث عُمّالك فالأرض أرضك ولكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس، ووثب محمّد بن مسلمة بن مخلّد بن صامت الأنصاري، فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه. فأرسل إليه قيس: ويحك أعليّ تثب؟ والله ما أُحبُّ أنّ لي ملك الشام، ومصر، وانّي قتلتك فاحقن دمك. فأرسل إليه مسلمة: إنّي كافٌّ عنك ما دمت أنت والي مصر، وكان قيس له حزمٌ ورأيٌ[2].

خرج أمير المؤمنين عليه السلام، إلى الجمل، وقيس على مصر، ورجع من البصرة إلى الكوفة، وهو بمكانه ووليها أربعة أشهر وخمسة أيّام، دخلها كما مرّ في مستهلّ ربيع الأوّل، وصرف منها لخمس خلون من رجب، كما في الخطط للمقريزي، فما في الإستيعاب وغيره: إنّه شهد الجمل الواقع في جمادى الآخرة سنة ٣٦ في غير محلّه، نعم يظهر من التاريخ شهوده في مقدّمات الجمل.

وولّاه عليٌّ أمير المؤمنين، آذربيجان كما في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٨ وكتب إليه وهو عليها: أمّا بعد: فأقبل على خراجك بالحقّ، وأحسن

---

(١) بفتح الخاء وكسرها وكسر الراء المهملة ثم الموحدة الساكنة.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي.

إلى جندك بالإنصاف، وعلّم مَن قبلك ممّا علّمك الله، ثمّ انّ عبدالله بن شبيل الأحمسي، سألني الكتاب إليك فيه بوصايتك به خيراً، فقد رأيته وادعاً متواضعاً، فألن حجابك، وافتح بابك، واعمد إلى الحقّ، فإنّ مَن وافق الحقّ ما يحبو أسره، ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله، إنّ الذين يُضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب.

قال غياث: ولَمّا أجمع عليٌّ على القتال لمعاوية كتب أيضاً إلى قيس: أمّا بعد: فاستعمل عبدالله بن شبيل الأحمسي خليفةً لك وأقبل إليّ، فإنّ المسلمين قد أجمع ملأهم وانقادت جماعتهم، فعجّل الإقبال فأنا سأحضرنّ إلى المحلّين عند غرّة الهلال إن شاء الله، وما تأخّري إلاّ لك، قضى الله لنا ولك بالإحسان في أمرنا كلّه.

وروى الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٩١، وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٤ عن الزهري أنّه قال: جعل عليٌّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمة من أهل العراق إلى قبل آذربيجان وعلي أرضها، وشرطة الخميس التي ابتدعتها العرب وكانوا أربعين ألفاً بايعوا عليّاً عليه السلام على الموت، ولم يزل قيس يُداري ذلك البعث حتى قُتل عليٌّ عليه السلام، واستخلف أهل العراق الحسن بن عليّ عليه السّلام على الخلافة.

حديث دهائه

يجد القارىء شواهد قويّة على ذلك من مواقفه العظيمة في المغازي، ونظراته العميقة في الحروب، وآرائه المتّبعة في مهمّات القضايا، وأفكاره العالية في إمارته، وإعظام الإمام أمير المؤمنين محلّه من الدهاء، وإكباره رأيه في حكومته، فإنّه لَمّا قدم قيس من ولاية مصر على عليٍّ، وأخبره الخبر الجاري بينه وبين رجال مصر، ومعاوية علم أنّه كان يقاسي اموراً عظاماً من المكايدة، فعظم محلّ قيس عنده، وأطاعه في الأمر كلّه (تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١).

فعندها تجد سيّد الخزرج (قيس) في الطبقة العليا من أصحاب الرأي،

ومن مقدِّمي رجالات النُهى والحجا، وتشاهد هناك آيات عقله المطبوع والمكتسب، وتعدُّه أعظم دهاة العرب حين ثارت الفتن، وسعرت نار الحرب، إن لم نقل: أعظم دهاة العالم، ونرى له التقدُّم في الفضيلة على الخمسة[1] الذين عدّوه منهم، وأولاهم بالعقليَّة الناضجة، وتجد دون محلّه الشامخ ما في الإستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨ وغيره[2] من: إنَّه أحد الفضلاء الجلّة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب، مع النجدة والسخاء والشجاعة. قال الحلبي في سيرته: من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لرأى العجب من وفور عقله. وقال ابن كثير في البداية ج ٨ ص ٩٩: ولّاه عليٌّ نيابةَ مصر وكان يُقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص.

وكان الإمام السبط الحسن، يوصي أمير عسكره عبيدالله بن العبّاس وهو أمير اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء مصر بمشاورة قيس بن سعد والمراجعة إليه في مهامِّ الحرب مع معاوية والأخذ برأيه في سياسة الجيش، كما يأتي حديثه.

وكان ثقيلاً جدّاً على معاوية وأصحابه، ولَمّا قدم قيس إلى المدينة من مصر، أخافه مروان والأسود بن أبي البختري، فظهر قيس إلى عليٍّ عليه السلام، فكتب معاوية، إلى مروان، والأسود يتغيّظ عليهما، ويقول: أمددتما عليّاً بقيس بن سعد ورأيه ومكايدته، فوالله لو أنّكما أمددتماه بمأة ألف مقاتل، ما كان ذلك بأغيظ إليَّ من إخراجكما قيس بن سعد إلى عليّ (تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٣) وعالج معاوية قلوب أصحابه وأمنهم من ناحية قيس، بافتعال كتاب عليه وقرائته على أهل الشام، كما يأتي تفصيله.

وكان قيس يرى نفسه في المكيدة والدهاء فوق الكلّ وأولى الجميع،

---

(١) هم: معاوية. عمرو بن العاص. قيس بن سعد. المغيرة بن شعبة. عبدالله بن بديل: راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٣، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥.

(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٥، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣.

ويقول: لولا أنّي سمعت من رسول الله ﷺ يقول: المكر والخديعة في النار. لكنت مِن أمكر هذه الأمّـة[١] ويقول: لـولا الإسلام لمكـرت مكراً لا تـطيقه العرب[٢].

فشهرته بالدهاء مع تقيّـد المعروف بـالدين، وكـلاءته حمي الشـريعة، والتزامه البالغ في إعمال الرأي بما يوافق رضى مولاه سبحانه، وكفّه نفسه عمّا يُخالف ربّه، تُثبت له الأولويّة والتقدّم والبروز بين دهاة العرب، ولا يعادله من الدهاة الخمسة الشهيرة أحدٌ إلّا عبدالله بن بُديل وذلك لاشتراكهما في المبدء، والتزامهما بالدين الحنيف، والكفّ عن الهوى، والوقوف عند مُضلّات الفتن.

وكلامه لمالك الأشتر (مالك وما مالك؟) ينمّ عن غـزارة عقله، وحسن تدبيره، واستقامة رأيه، وقوّة إيمانه، وهو من غُرر الكَلِم، ودُرر الحِكَم، رواه شيخ الطائفة في أماليـه ص ٨٦ في حديث طـويل فقـال: قال الأشتـر لعليٍّ عليه السّلام: دعني يا أمير المؤمنين، أُوقع بهؤلاء الذين يتخلّفون عنك. فقال له: كفّ عنّي. فانصرف الأشتر وهو مغضبٌ، ثمّ إنّ قيس بن سعد لقي مالكاً في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: يا مالك؟ كلّما ضاق صدرك بشيء أخرجته، وكلّـما استبطأت أمـراً استعجلته، إنّ أدب الصبـر: التسليم، وأدب العجلة: الأناة، وإنّ شرّ القول: ما ضاهى العيب، وشرّ الرأي: ما ضاهى التهمة، فإذا ابتُليت فاسأل، وإذا أُمرت فأطع، ولا تسأل قبل البلاء، ولا تكلّف قبل أن ينزل الأمر، فإنّ في أنفسنا ما في نفسك، فلا تشقّ على صاحبك.

ولّما بويع أمير المؤمنين بلغه: أنّ معاوية قد وقف من إظهـار البيعة لـه وقال: إن أقرّني على الشام وأعمالي التي ولّانيها عثمان بايعته. فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية مَن قد عرفت وقد ولّاه الشام مَن كان قبلك فولّه أنت كيما تتّسق عُرى الأمور ثمّ اعزله إن بدا لك فقال

(١) اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠١.
(٢) الدرجات الرفيعة، الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩.

أمير المؤمنين: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا. قال: لا يسألني الله عزَّ وجلَّ عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً، وما كنت متَّخذ المضلّين عضداً، لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحقِّ، فإن أجاب فرجلٌ من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله، فولّى المغيرة وهو يقول: فحاكمه إذاً، فحاكمه إذاً، فأنشأ يقول:

نصحتُ عليّاً في ابن حرب نصيحةً ... فردّ فما منّي لـه الدَّهـر ثانيـهْ
ولم يقبل النصح الذي جئته به ... وكانت له تلك النصيحة كافيهْ
وقالوا له: ما أخلص النصح كلّه ... فقلت له: إنَّ النصيحة غـاليهْ

فقام قيس بن سعد، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ المغيرة أشار عليك بأمر لم يُرد الله به، فقدَّم فيه رجلاً وأخَّر فيه اخرى، فإن كان لك الغلبة يقرِّب إليك بالنصيحة، وإن كانت لمعاوية يقرِّب إليه بالمشورة. ثمّ أنشأ يقول:

يكاد ومَن أرسى بُثيراً مكانه(١) ... مغيرةُ أن يقوى عليك معاويـهْ
وكنت بحمـدالله فينـا مـوفَّقـاً ... وتلك التي أرءاكها غير كـافيهْ
فسبحان من علاّ السماء مكانها ... وأرضاً دحاها فاستقرَّت كما هيه

فكان هو صاحب الرأي الوحيد بعين الإمام الطاهر تجاه تلك الآراء التعسة الفارغة عن النزعات الروحيَّة في كلِّ منحسة ومَتعسة بين حاذف وقاذف(٢).

فروسيته

إنَّ الباحث لا يقف على أيّ معجم يُذكر فيه قيس، إلاّ ويجد في طيِّه جمل الثناء متواصلةً على حماسته وشجاعته، ويقرأ له دروساً وافية حول فروسيَّته، وبأسه في

---

(١) الواو: للقسم. بثير مصغراً: جبل معروف بمنى.
(٢) مثل يضرب لمن هو بين شرين: الحاذف بالعصا، القاذف بالحصا.

الحروب وشدّته في المواقف الهائلة، فما عساني أن أكتب عن فارس سجّل له التاريخ: إنّه كان سيّاف النبيّ الأعظم، وأشدّ الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين[١]؟ وما عساني أن أقول في باسل كان أثقل خلق الله على معاوية؟ جبّن أصحابه الشجاع والجبان، وكان أشدّ عليه من جيش عرام، وكتائب تُحشد مائة ألف مقاتل، وكان يوم صفّين يقول والله إنّ قيساً يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس القيل[٢].

تُعرب عن هذه الناحية مواقفه في العهدين: النبويّ والعلويّ. أمّا مواقفه على العهد النبويّ فتجد نبأها العظيم في صحائف بدر وفتح وحنين وأُحد وخيبر ونضير وأحزاب، وهو يعدّ مواقفه هذه كلّها في شعره ويقول:

إنّنـا إنّنـا الّـذين إذا الفتـح شهـدنـا وخيبـراً، وحُنينـا
بعد بدر وتلك قاصمة الظهر وأُحـد، وبـالنضيـر، ثنينـا

وقال سيّدنا صاحب «الدرجات الرفيعة»: إنّه شهد مع النبيّ المشاهد كلّها، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله، أخذ النبيّ ﷺ يوم الفتح الراية من أبيه ـ سعد ـ ودفعها إليه. وقال الخطيب في تاريخه ج ١ ص ١٧٧: إنّه حمل لواء رسول الله في بعض مغازيه. وفي تاريخي الطبري وابن الأثير ج ٣ ص ١٠٦: إنّه كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ وكان من ذوي الرأي والبأس. وفي الاستيعاب[٣]: إنّه كان حامل راية النبيّ في فتح مكّة إذ نزعها من أبيه، وأرسل عليّاً رضي الله عنه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس ففعل.

وأمّا مواقفه على العهد العلويّ فكان يحضّ أمير المؤمنين، على قتال معاوية ويحثّه على محاربة مناوئيه ويقول: يا أمير المؤمنين، ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إلينا أن يُقيم فينا منك. لأنّك نجمنا الّذي نهتدي به، ومفزعنا الّذي نصير

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ج ٢ ص ٢٠١.
(٢) يأتي ذكر مصادر هذه كلها إن شاء الله تعالى.
(٣) ج ٢ ص ٥٣٧، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣، وهامشها سيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٢٦٥.

إليه، وإن فقدناك لتظلمنَّ أرضنا وسماؤنا، ولكن والله لو خلّيت معاوية للمكر ليرومنَّ مصر، وليفسدنَّ اليمن، وليطمعنَّ في العراق، ومعه قومٌ يمانيّون قد أُشربوا قتل عثمان، وقد اكتفوا بالظنِّ عن العلم، وبالشكِّ عن اليقين، وبالهوى عن الخير، فسر بأهل الحجاز وأهل العراق ثمّ ارمه بأمرٍ يضيق فيه خناقه، ويقصر له من نفسه. فقال: أحسنت والله يا قيس وأجملت(١).

فأرسله عليٌّ عليه السلام، مع ولده الحسن الزكيِّ، وعمّار بن ياسر إلى الكوفة، ودعوا أهلها إلى نصرته فخطب الحسن عليه السلام، هناك وعمّار وبعدهما قام قيس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى، لكان عليٌّ أحقَّ الناس به في سابقته وهجرته وعلمه، وكان قتل مَن أبى ذلك حلالاً وكيف؟ والحجّة قامت على طلحة، والزبير وقد بايعاه وخلعاه حسداً. فقام خطباؤهم وأسرعوا إلى الردِّ بالإجابة فقال النجاشي:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا ... عليّاً وأبناء النبيِّ محمّدِ
وقلنا له: أهلاً وسهلاً ومرحباً ... نُقبّل يديه من هوى وتودّدِ
فمرنا بما ترضى نجبك إلى الرضى ... بصمِّ العوالي والصفيح المهنّدِ (٢)
وتسويد مَن سوّدت غير مدافع ... وإن كان من سوّدت غير مسوّدِ
فإن نلتَ ما تهوى فذاك نريده ... وإن تخط ما تهوى فغير تعمدِ

وقال قيس بن سعد حين أجاب أهل الكوفة:

جزى الله أهل الكوفة اليوم نصرة ... أجابوا ولم يأبوا بخذلان مَن خذلْ
وقالوا: عليٌّ خير حافٍ وناعلٍ ... رضينا به من ناقضي العهد مِن بدلْ
هما أبرزا زوج النبيِّ تعمّداً ... يسوق بها الحادي المنيخ على جملْ

---

(١) أمالي شيخ الطائفة، ص ٨٥.

(٢) صم الرجل بحجر: ضربه به. السيف المصمم: الماضي. العوالي ج العالية: ما يلي السنان من القناة. ويطلق على الرمح. الصفيح ج الصفيحة. السيف العريض. هند السيف: أحد.

فما هكذا كـانت وصاة نبيِّكم   وما هكذا الإنصاف أعظم بذا المثلْ
فهل بعد هذا من مقال لقائل؟   ألا قبَّـح الله الأمـانيَ والعللْ

هذا لفظ شيخ الطائفة في أمالي ولده ص ٨٧ و٩٤، ورواه شيخنا المفيد في(النصرة لسيِّد العتـرة) ونسب الأبيات الـداليَّة إلى قيس بن سعـد، بتغيير وزيـادة وهذا لفـظه: فلمّا قـدم الحسن عليه السـلام، وعمّار، وقيس الكـوفة مستنفرين لأهلها (إلى أن قال): ثمَّ قام قيس بن سعـد رحمه الله فقـال: أيّها الناس إنَّ هذا الأمر لو استقبلناه فيه شورى لكان أمير المؤمنين أحقَّ الناس به لمكانه من رسول الله، وكان قتال من أبى ذلك حلالاً، فكيف في الحجة على طلحة والزبير؟ وقد بايعاه طوعاً ثمّ خلعاه حسداً وبغياً، وقد جـاءكم عليٌّ في المهاجرين والأنصار، ثمَّ أنشأ يقول:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا   عليّاً وأبناء الـرسول محمَّـدِ
وقلنا لهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً   نمـدُّ يدينـا من هـوى وتـودُّدِ
فما للزبير الناقض العهد حرمةٌ   ولا لأخيه طلحة اليـوم من يدِ
أتاكم سليل المصطفى ووصيّه   وأنتم بحمد الله عار من الهَدِّ[1]
فمن قائم يُرجى بخيل إلى الوغا   وصمّ العوالي والصفيح المهنَّدِ
يسـوَّد مَن أدنـاه غيـر مـدافـع   وإن كان ما نقضيه غير مسوَّدِ
فإن يأتي ما نهوى فذاك نُريده   وإن نخط ما نهوى فغير تعمّدِ

وكان يسير في تلك المواقف بكلِّ عـظمة وجـلال بهيئة فخمـة، تُرهب القلوب، وتُرعب الفوارس، وتُرعد الفـرائص، قال المنـذر بن الجارود يصف مواكب المجاهدين مع أمير المؤمنين وقد رآهم في الزاوية[2]: ثمَّ مرَّ بنا فارسٌ على فرس أشقر عليه ثياب بيض، وقلنسوة بيضاء، وعمـامة صفـراء، متنكِّبٌ قوساً، متقلّدٌ سيفاً تخطّ رِجلاه في الأرض، في ألف من الناس، الغالب على

(١) الهد: الضعيف والجبان.

(٢) موضع قرب البصرة، وقرية بين واسط والبصرة على شاطىء دجلة.

تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، قلت: مَن هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبناءهم وغيرهم من قحطان. «مروج الذهب ج ٢ ص ٨».

ولَمّا أراد أمير المؤمنين، المسير إلى أهل الشام دعا إليه مَن كان معه مِن المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد: فإنّكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ؛ مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم.

فقام قيس بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنكمش[1] بنا إلى عدوّنا، ولا تعرّج[2] فوالله لجهادهم أحبُّ إليّ من جهاد الترك والروم لادّهانهم في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار، والتابعين بالإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه، وفيأنا لهم في أنفسهم حلالٌ، ونحن لهم فيما يزعمون قطينٌ. قال: يعني رقيق «كتاب صفّين ص ٥٠».

قال صعصعة بن صوحان: لَمّا عقد عليّ بن أبي طالب الألوية لأجل حرب صفّين أخرج لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم يُرَ ذلك اللواء منذُ قبض رسول الله، فعقده عليٌّ ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفع إليه واجتمعت الأنصار وأهل بدر، فلمّا نظروا إلى لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله بكوا فأنشأ قيس بن سعد يقول:

هذا اللواء الذي كنّا نحفُّ به ... مع النبيِّ وجبريلٌ لنا مددُ
ما ضرَّ مَن كانت الأنصار عيبته ... أن لا يكون له من غيرهم أحدُ
قومٌ إذا حاربوا طالت أكفّهم ... بالمشرفيّة حتّى يُفتح البلدُ

---

(١) انكمش الرجل: أسرع.
(٢) من عرج: وقف ولبث.

ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٢٤٥، وابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٥٣٩، وابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٤ ص ٢١٦، والخوارزمي في «المناقب» ص ١٢٢[١].

ولمّا تعاظمت الأمور على معاوية دعاعمرو بن العاص، وبُسر بن أرطأة، وعبيدالله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنّه قد غمّني رجال من أصحاب عليٍّ منهم: سعيد بن قيس في همدان، والأشتر في قومه، والمرقال (هاشم بن عتبة)، وعديّ بن حاتم، وقيس بن سعد في الأنصار، وقد وقتكم يمانيكم بأنفسها حتّى لقد استحييت لكم وأنتم عُدَدتم من قريش، وقد أردت أن يعلم الناس أنّكم أهل غنا، وقد عبّأت لكلّ رجل منهم رجلاً منكم فاجعلوا ذلك إليّ. فقالوا: ذلك إليك. قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً. وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة: المرقال. وأنت يا بُسر لقيس بن سعد. وأنت يا عبيدالله للأشتر النخعي. وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيّ يعني: عديّ بن حاتم. ثمّ ليرد كلّ رجل منكم عن حماة الخيل فجعلها نوائب في خمسة أيّام لكلّ رجل منهم يوماً.

وإنّ بُسر بن أرطأة، غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الأنصار فاشتدّت الحرب بينهما وبرز قيس كأنّه فنيق[٢] مقرم[٣] وهو يقول:

أنا ابن سعد زانه عُباده ... والخزرجيّون رجالٌ ساده
ليس فراري بالوغا بعاده ... إنّ الفرار للفتى قلاده
يا ربّ أنت لقّني الشهاده[٤] ... والقتل خيرٌ من عناق غاده

حتّى متى تُثنى لي الوساده

---

(١) ذكر الأبيات له شيخنا المفيد في يوم الجمل وهو في غير محله.

(٢) فنيق كشريف: الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته.

(٣) أقرم الفحل: ترك عن الركوب والعمل للفحلة.

(٤) في مناقب ابن شهر آشوب: يا ذا الجلال لقني الشهادة.

فطعن خيل بُسر وبرز له بعد مليّ وهو يقول:

أنا ابن أرطاة عظيم القدر ... مراود في غالب بن فهرِ
ليس الفرار من طباع بُسر ... إن يرجع اليوم بغير وترِ
وقد قضيت في عدوّي نذري ... يا ليت شعري ما بقي من عمري

وجعل يطعن بُسر قيساً فيضربه قيس فيردّه على عقبيه، ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل (كتاب صفّين ص ٢٢٦).

وروى نصر في كتابه ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠: إنّ معاوية دعا النعمان بن بشر بن سعد الأنصاري، ومسلمة بن مخلّد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال: يا هذان؟ لقد غمّني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النـزال حتّى والله جبّنوا أصحابي الشجاع والجبان، وحتّى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلّا قالوا: قتلته الأنصار، أما والله لألقينّهم بحدّي وحديدي، وَلأعبينَّ لكل فارس منهم فارساً ينشب[1] في حلقه، ثمّ لأرمينهم بأعدادهم من قريش رجالاً لم يغذهم التمر والطُفيشل[2] يقولون: نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقّهم بباطلهم.

فغضب النعمان فقال: يا معاوية، لا تلومنَّ الأنصار بسرعتهم في الحرب، فإنّهم كذلك كانوا في الجاهليّة، فأمّا دعاؤهم إلى النـزال فقد رأيتهم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمّا لقاؤك إيّاهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفاً، فافعل، وأمّا التمر والطُفيشل فإنّ التمر كان لنا فلمّا أن ذقتموه شاركتمونا فيه، وأمّا الطُفيشل فكان لليهود فلمّا أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريشٌ على سَخينة[3] ثمّ تكلّم مسلمة بن مخلد (إلى أن قال):

---

(١) نشب الشيء في الشيء: علق فيه.
(٢) كسميدع: نوع من المرق.
(٣) طعام يتخذ من دقيق وسمن كانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها وسميت: قريش السخينة.

وانتهى الكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار ثمّ قام خطيباً فيهم فقال: إنّ معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه، فجدّوا اليوم جدّاً تنسونه به ما كان أمس، وجدّوا غداً جدّاً تنسونه به ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يُقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب، وأمّا التمر فإنا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه، وأمّا الطُفيشل فلو كان طعامنا لَسُمّينا به كما سُمّيت: قريش السخينة. ثمّ قال قيس بن سعد في ذلك:

يابن هند: دع التوثّب في الحرب ... إذا نحن في البلاد نأينا[1]
نحن مَن قد رأيت فادنُ إذا شئتَ بمن شئتَ في العجاج إلينا
إن برزنا بالجمع نلقك في الجمع ... وإن شئتَ محضةً أُسرينا
فالقنا في اللفيف نلقك في الخزرج ... تدعو في حربنا أبوينا
أيَّ هذين ما أردتَ فخذه، ... ليس منّا وليس منك الهُوينا
ثمّ لا يُنزع العجاجة حتّى ... تنجلي حوبنا لنا أو علينا
ليت ما تطلب العداة أتانا ... أنعم الله بالشهادة عينا
إننا إنّنا الّذين إذا الفتح ... شهدنا وخيبراً وحنينا
بعد بدرٍ وتلك قاصمة الظهر ... وأُحد وبالنضير ثنينا
يوم الأحزاب قد علم النّاس ... شفينا من قبلكم واشتفينا

فلمّا بلغ معاوية شعره، دعا عمرو بن العاص فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟ قال: أرى أن توعد ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمَّهم ذمّ أبدانهم ولا تذمّ أحسابهم قال معاوية: إنّ خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كلّ يوم خطيباً وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس القيل، فما الرأي؟ قال: الرأي: التوكّل والصبر.

---

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٩٧ ستة من هذه الأبيات مع اختلاف فيها.

فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار فعاتبهم، منهم: عقبة بن عمرو، وأبو مسعود والبراء بن عازب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعمرو بن عمرو، والحجّاج بن غُزيَّة. وكانوا هؤلاء يُلقون في تلك الحرب فبعث معاوية بقوله: لتأتوا قيس بن سعد. فمشوا بأجمعهم إلى قيس فقالوا: إنَّ معاوية لا يريد شتمنا فكفَّ عن شتمه فقال: إنَّ مثلي لا يشتم ولكنّي لا أكفُّ عن حربه حتّى ألقى الله. وتحرَّكت الخيل غدوة فظنَّ قيس بن سعد أنَّ فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فقنَّعه بالسيف فإذا غير معاوية، وحمل الثانية على رجل يشبهه أيضاً فضربه ثم انصرف وهو يقول:

قولوا لهذا الشاتمي معاويه ... إن كلّما أوعدت ريحٌ هاويه
خوَّفتنا لكلب قوم عاويه ... إليَّ بابن الخاطئين الماضيه
ترقل إرقال العجوز الخاويه[1] ... في أثر الساري ليال الشاتيه

فقال معاوية: يا أهل الشام، إذا لقيتم هذا الرجل فأخبروه بمساويه (فلمّا تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتماً قبيحاً وشتم الأنصار)[2] فغضب النعمان ومسلمة على معاوية، فأرضاهما بعدما همّا أن ينصرفا إلى قومهما.

ثمَّ إنَّ معاوية، سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السِّلم، فخرج النعمان حتى وقف بين الصفَّين فقال يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا ابن بشير؟ فما حاجتك؟ فقال النعمان: يا قيس، إنَّه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه، ألستم معشر الأنصار تعلمون أنَّكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار؟ وقتلتم أنصاره يوم الجمل؟ وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفّين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكان واحدة بواحدة، ولكنَّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً، ثمَّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتّى أعلمتم

---

(١) أرقل: أسرع. الخاوية: الساقطة.
(٢) هذه الجملة من لفظ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

في الحرب، ودعوتم إلى البراز، ثمَّ لم ينزل بعليٍّ أمرٌ(١) قط إلّا هوَّنتم عليه المصيبة، ووعدتموه الظفر، وقد أخذت الحرب منّا وعنكم ما قد رأيتم فاتّقوا الله في البقيَّة.

فضحك قيس ثمَّ قال:ما كنت أراك يا نعمان تجتري على هذه المقالة، انَّه لا ينصح أخاه مَن غشَّ نفسه، وأنت والله الغاشُّ الضالُّ المضلُّ. أمّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ منّي واحدة: قتل عثمان من لستَ خيراً منه، وخذله من هو خيرٌ منك، أمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. وأمّا معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار. وأمّا قولك: إنّا لسنا كالناس فنحن في هذا الحرب كما كنّا مع رسول الله نتّقي السيوف بوجوهنا، والرماح بنحورنا، حتى جاء الحقُّ وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان، هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابياً أو يمانيّاً مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم، ثمَّ انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك؟ ولستما والله ببدريّين ولا أُحديّين ولا لكما سابقةٌ في الإسلام، ولا آيةٌ في القرآن(٢) ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك. ثمَّ قال قيس في ذلك:

والرّاقصات بكلِّ أشعث أغبر ... خوص العيون تحثّها الركبانُ
ما ابن المخلّد ناسياً أسيافنا ... عمّن نحاربه ولا النعمانُ
تركا العيان وفي العيان كفايةٌ ... لو كان ينفع صاحبيه عيانُ

ثمَّ إنَّ عليّاً عليه السلام، دعا قيس بن سعد فأثنى عليه خيراً وسوَّده على الأنصار(٣) وخرج قيس في نهروان إلى الخوارج فقال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدوِّنا وعدوِّكم فإنَّكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، والشرك

(١) في شرح النهج: خطب.
(٢) وإلى هنا رواه ابن قتيبة أيضاً في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٤.
(٣) إلى هنا تنتهي رواية نصر بن مزاحم في كتاب صفين.

ظلمٌ عظيم، تسفكون دماء المسلمين، وتعدّونهم مشركين. فقال له عبدالله بن شجرة السلمي: إنّ الحقّ قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال قيس: ما نعلمه فينا غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم، قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فإنّي لا أرى الفتنة إلاّ وقد غلبت عليكم(١).

أمّا موقفه بعد العهدين فكان مع الإمام السبط المجتبى سلام الله عليه ولمّا وجّه عسكره إلى قتال أهل الشام دعا عليه السلام عبيدالله بن العبّاس بن عبد المطلب فقال له: يا بن عمّ؟ إنّي باعثٌ إليك إثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء مضر، الرجل منهم يريد الكتيبة، فسِر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم في مجلسك، فإنّهم بقيّة ثقات أمير المؤمنين، وسِر بهم على شطّ الفرات حتّى تقطع بهم الفرات حتّى تسير بمسكن(٢). ثم امض حتّى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتّى آتيك فإنّي على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين يعني: قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتّى يقاتلك فإن فعل فقاتله، وإن أصبت فقيس بن سعد، وإن أُصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس. فسار عبيدالله....

فأمّا معاوية فإنّه وافى حتّى نزل قرية يقال لها: الحيوضة (بمسكن) وأقبل عبيدالله بن عبّاس، حتى نزل بإزائه فلمّا كان من غدٍ وجّه معاوية بخيل إلى عبيدالله فيمن معه فضربهم حتى ردّهم إلى معسكرهم، فلمّا كان الليل أرسل معاوية إلى عبيدالله بن عبّاس أنّ الحسن قد أرسلني في الصلح، وهو مسلّمٌ الأمر إليّ فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلاّ دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، أُعجّل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فأقبل عبيدالله إليه ليلاً فدخل عسكر معاوية،

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٧، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) بفتح الميم ثم السكون ثم الكسر: موضع قريب من أوانا ناحية دجيل بينه وبين بغداد عدة فراسخ من جهة تكريت.

فوفى له بما وعده، وأصبح الناس ينتظرون عبيدالله أن يخرج حتّى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثمّ خطبهم فثبّتهم وذكر عبيدالله فنال منه، ثمّ أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدوّ فأجابوه بالطاعة وقالوا له: انهض بنا إلى عدوّنا على اسم الله فنزل فنهض بهم وخرج إليه بسر بن أرطأة فصاح إلى أهل العراق: ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين: إمّا القتال مع غير إمام، وإمّا أن تبايعوا بيعة ضلال. فقالوا: بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتّى ردّوهم إلى مصافهم، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويُمنّيه فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح. (شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٤).

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩١: إنّه وجّه الحسن عليه السلام بعبيدالله بن العبّاس في إثني عشر ألفاً لقتال معاوية، ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وأمر عبيدالله، أن يعمل بأمر قيس ورأيه فسار إلى ناحية الجزيرة وأقبل معاوية لمّا انتهى إليه الخبر بقتل عليّ فسار إلى الموصل بعد قتل عليّ بثمانية عشر يوماً، والتقى العسكران فوجّه معاوية إلى قيس بن سعد: يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه، فأرسل إليه بالمال وقال: تخدعني عن ديني؟

فيقال: إنّه أرسل إلى عبيدالله بن عبّاس، وجعل له ألف ألف درهم فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس على محاربته، وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن مَن يتحدّث: أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ووجّه إلى عسكر قيس مَن يتحدّث: أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه.

وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٢٢٥ عن عروة قال: كان قيس مع الحسن بن عليّ على مقدّمته ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات عليٌّ وتبايعوا على الموت، فلمّا دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل وقال لأصحابه: ما شئتم؟ إن شئتم جادلت بكم حتى يموت الأعجل منّا، وإن شئتم

أخذت لكم أماناً؟؟!! فقالوا: خُذ لنا أماناً، فأخذ لهم انَّ لهم كذا وكذا، وأن لا يعاقَبوا بشيء وأنَّه رجلٌ منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصَّة شيئاً. (ثمَّ ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه).

حديث جوده

لا يسعنا بسط المقال في أخبار (قيس) من هذه الناحية لكثرتها، غير أنّا نورد لك شيئاً من ذلك الكثير الطيّب، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق[١] وكانت هذه الخلّة من هذا البيت على عنق الدهر «أي قديماً» وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: الجود من شيمة أهل ذلك البيت[٢].

باع قيس مالاً من معاوية بتسعين ألفاً فأمر منادياً فنادى في المدينة: من أراد القرض فليأت منزل سعد فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على مَن أقرَّ له صكّاً فمرض مرضاً قلَّ عوّاده فقال لزوجته قُريبة بنت أبي قحافة اخت أبي بكر: يا قريبة! لِمَ ترين قلّ عُوَّادي؟ قالت للّذي لك عليهم من الدين. فأرسل إلى كلِّ رجل بصكه المكتوب عليه فوهبه ما له عليهم[٣].

قال جابر: خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد ونحر لهم تسع ركائب فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له من أمر قيس فقال: إنَّ الجود من شيمة أهل ذلك البيت، ولمّا ارتحل من العراق نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كلَّ يوم جزوراً حتى بلغ[٤].

روى عبدالله بن المبارك، عن جويرة قال: كتب معاوية إلى مروان: أن اشتر دار كُثير بن الصلت منه فأبى عليه فكتب معاوية إلى مروان: أن خذه بالمال الذي عليه، فإن جاء به وإلاّ بع عليه داره، فأرسل إليه مروان فأخبره قال: إني

---

(١) مثل يضرب: أي حسبك بالقليل من الكثير.
(٢) الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.
(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١ ص ١٧٧، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٦٩.
(٤) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٥، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٤.

أؤجلك ثلاثاً فإن جئت بالمال وإلّا بعت عليك دارك. قال: فجمعها إلّا ثلاثين ألفاً فقال: مَن لي بها؟ ثمَّ ذكر قيس بن سعد فأتاه فطلبها منه فأقرضه فجاء بها إلى مروان فلمّا رآه قد جاء بها ردّها إليه وردَّ عليه داره، فردَّ كُثير الثلاثين ألفاً على قيس فأبى أن يقبلها(١).

روى المبرّد في كامله ج ١ ص ٣٠٩: أنَّ عجوزاً شكت إلى قيس أن ليس في بيتها جرذ فقال: ما أحسن ما سألت، أما والله لأكثرنَّ جرذان بيتك. فملأ بيتها طعاماً وودكاً وإداماً، وقال ابن عبد البرّ: هذه القصّة مشهورةٌ صحيحةٌ.

في كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩: إنّه توفّي أبوه عن حمل لم يعلم به، فلمّا وُلد وقد كان سعد رضي الله عنه قسّم ماله في حين خروجه من المدينة بين أولاده، فكلّم أبو بكر وعمر في ذلك قيساً وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة فقال: نصيبي للمولود ولا أُغيّر ما صنع أبي ولا أنقضه. وذكره ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٥٢٥ وقال: صحيحٌ من رواية الثقات.

ومن مشهور أخبار قيس: أنّه كان له مالٌ كثيرٌ ديوناً على الناس فمرض واستبطأ عوّاده فقيل له: إنّهم يستحيون من أجل دَينك، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من العيادة. فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس عليه مالٌ فهو في حلٍّ. فأتاه الناس حتى هدموا درجةً كانوا يصعدون عليها إليه، وفي لفظ: فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العوّاد(٢).

كان قيس في سريّة فيها أبو بكر وعمر فكان يستدين ويطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه فمشيا في الناس فلمّا سمع سعد قام خلف النبيِّ فقال: مَن يعذرني من ابن ابي قحافة، وابن الخطاب يبخّلان عليَّ ابني. «اسد الغابة» ج ٤ ص ٤١٥.

وفي لفظ: كان قيس مع أبي بكر، وعمر في سفر في حياة رسول الله ﷺ

---

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٥، الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٦، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠.

فكان يُنفق عليهما وعلى غيرهما، ويفضل فقال له أبو بكر: إنّ هذا لا يقوم به مال أبيك فأمسك يدك. فلمّا قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبي بكر: أردت أن تبخِّل ابني، إنّا لَقومٌ لا نستطيع البخل(١).

حكى ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٩٩: إنّه كانت لقيس صحفة يُدار بها حيث داروا كان ينادي له مناد: هلمّوا اللحم، والثريد. وكان أبوه، وجدّه، من قبله يفعلان كفعله.

قال الهيثم بن عدي: اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم فقال أحدهم: عبدالله بن جعفر. وقال الآخر: قيس بن سعد. وقال الآخر: عُرابة الأوسي. فتماروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة، فقال لهم رجل: فليذهب كلُّ رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنّه أكرم من غيره، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان. فذهب صاحب عبدالله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الغرز(٢) ليذهب إلى ضيعة له، فقال له: يا ابن عمّ رسول الله! ابن سبيل ومنقطعٌ به. قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستوِ عليها، فهي لك بما عليها، وخذ ما في الحقيبة(٣) ولا تخدعنَّ في السيف فإنّه من سيوف عليّ، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار، ومطارف من خزّ وغير ذلك، وأجلُّ ذلك سيف عليّ بن أبي طالب. ومضى صاحب قيس إليه فوجده نائماً، فقالت له الجارية: ما حاجتك إليه؟ قال ابن سبيل ومنقطعٌ به. قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس مالٌ غيره اليوم، واذهب إلى مولانا في معاطن الإبل فخذ لك ناقةً وعبداً، واذهب راشداً. فلمّا استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت، فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك وقال. هلّا أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً، فلعلّ الذي أعطيته لا يقع منه موقع حاجته. وذهب صاحب عُرابة

(١) الدرجات الرفيعة نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن سعيد الثقفي.

(٢) الغرز بالفتح ثم السكون: ركاب من جلد.

(٣) الحقيبة بفتح المهملة: ما يحمل على الفرس خلف الراكب.

الأوسي إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكّأ على عبدين له - وكان قد كفّ بصره - فقال له: يا عرابة! فقال: قل. فقال: ابن سبيل ومنقطعٌ به. قال: فخلى عن العبدين ثمّ صفق بيديه باليمنى على اليسرى ثمّ قال: أوه أوه والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عُرابة شيئاً ولكن خذ هذين العبدين. قال: ما كنت لأفعل. فقال: إن لم تأخذهما فهما حرّان، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ. وأقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه. قال فحكم الناس على أنّ ابن جعفر قد جاد بمال عظيم وأنّ ذلك ليس بمستنكر له، إلاّ أن السيف أجلّه. وإنّ قيساً أحد الأجواد حكمت مملوكته في ماله بغير علمه، واستحسن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت، وأجمعوا على أنّ أسخى الثلاثة عُرابة الأوسي، لأنّه جاد بجميع ما يملكه، وذلك جهد من مقلّ. « البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠ ».

حديث خطابته

إنّ تقدّم سيّد الأنصار في المعالم الدينيّة، وتضلّعه في علمي الكتاب والسنّة، وعرفانه بمعاريض القول، ومخاريق القيل، وسقطات الرأي، وتحلّيه بما يحتاج إليه مداره الكلام ومشيخة الخطابة من العلم الكثار، والأدب الجمّ، وربط الجاش، وقوّة العارضة، وحسن التقرير، وجودة السرد، وبلاغة المنطق، وطلاقة اللسان، ومعرفة مناهج الحجاج والمناظرة، وأساليب إلقاء المحاضرة، كلّها براهين واضحة على حظّه الوافر وقسطه البالغ من هذه الخُلّة، وانّه أعلى الناس ذافوق[1] على أنّ فيما مرّ وما يأتي من كلمه وخطبه خُبراً يصدّق الخبر، وشاهد صدق على أنّه أحد أمراء الكلام كما كان في مقدّم أمراء السيف، فهو خطيب الأنصار المفوّه، واللسن الفذّ من الخزرج، ومتكلّم الشيعة الأكبر، ولسان العترة الطاهرة الناطق، والمجاهد الوحيد دون مبدئه المقدّس بالسيف والنسان، أخطب من سحبان وائل، وأنطق من قُسّ الأيادي، وأصدق في مقاله من قطاة[2].

---

(١) مثل يضرب: أي أعلى الناس سهماً. (٢) أصدق من قطاة. مثل مشهور.

وناهيك بقول معاوية بن أبي سفيان لقومه يوم صفّين: إنّ خطيب الأنصار قيس بن سعد، يقوم كلّ يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس القيل(مرّ ص ١٠٣) وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام له عند بعض مقاله كما مرّ ص ٩٧: أحسنت والله يا قيس وأجملت، لغنىً وكفاية عن أيٍّ إطراء وثناءٍ عليه.

حديث زهده

لا نُحاول في البحث عن هذه النواحي في أيّ من التراجم سرد تاريخ امّة غابرة، أو ذكريات أماثل الامّة أو حثالتها في القرون الخالية فحسب، بل إنّما نخوض فيها بما فيها من عظات دينيّة، وفلسفة أخلاقيّة، وحِكَم عمليّة، ومعالم روحيّة، ومصالح اجتماعيّة، ودستور في مناهج السير إلى المولى سبحانه، وبرنامج في إصلاح النفس، ودروس في التحلّي بمكارم الأخلاق التي بُعث لإتمامها نبيُّ الإسلام.

وهناك نماذج من نفسيّات شيعة العترة الطاهرة وما لهم دون مناوئيهم من خلاق من المكارم والفضائل والقداسة والنزاهة يحقُّ بذلك كلّه أن يكون كلٌّ من نظراء قيس قدوةً للبشر في السلوك إلى المولى، وقادةً للخلق في تهذيب النفس، ومؤدِّباً للامّة بالخلائق الكريمة، ومُصلحاً للمجتمع بالنفسيّات الراقية، والروحيّات السليمة، فلن تجد فيهم جُرفٌ منهال، ولا سحابٌ مُنجال[1].

ففي وسع الباحث أن يستخرج من تاريخ تلكم النفوس القدسيّة مِن قيس ومَن يصافقه في المبدء الدينيّ، ومِن ترجمة مَن يضادُّهم في التشيّع بآل الله من عمرو بن العاص ومَن يُشاكله، حقيقةً راهنةً دينيّة أثمن وأغلى من معرفة حقائق الرجال، والوقوف على تاريخ الأجيال الماضية، ويمكنه أن يقف بذلك على غاية كلٍّ من الحزبين (العلويّ والأمويّ) مهما يكن القارىء شريف النفس، حرّاً في تفكيره، غير مقلّد ولا أمّعة، مهما حداه التوفيق إلى اتّباع الحقّ، والحقُّ أحقُّ

(١) مثل يضرب. جرف منهال: أي لا حزم عنده ولا عقل. سحاب منجال: أي لا يطمع في خيره.

أن يُتّبع، غير ناكبٍ عن الطريقة المثلى في البخوع للحقائق، والجنوح إليها.

فخذ قيس بن سعد، وعمرو بن العاص مثالاً من الفريقين وقس بينهما، وضع يدك على أيّ مأثرة تحاوله من طهارة مولـد، وإسلام، وعقـل، وحزم، وعفّة، وحياء، وشمم، وإباء، ومنعة، وبذخ، وصدق، ووفاء، ووقار، ورزانة، ومجد، ونجدة، وشجاعة، وكرم، وقداسة، وزهد، وسداد، ورشد، وعدل، وثبات في الدين، وورع عن محارم الله، إلى مآثر اخرى لا تُحصى؛ تجد الأوّل منهما حامل عبء كلّ منها بحيث لو تجسّم أيٌّ من تلكم الصفات ليكون هو مثاله وصورته. وهل ترى الثاني كذلك؟ اللهمّ لا. بل كلٌّ منها في ذاته محكومٌ بالسلب؛ أضف إلى مخاز في المولد والمحتـد والدين والفـروسيّة والأخـلاق والنفسيّات كلّها، وسنلمسك كلّ هذه بيديك عن قريب إن شاء الله تعالى.

عندئذٍ يعرف المنقّب نفسيّة كلٍّ من إمامي الحزبين (إذ الناس على دين ملوكهم) ويكـون على بصيرة من أمـرهما، وحقيقـة دعوة أيٍّ منهمـا، وتكون أمثلتهما نصب عينيه، إن لم يتّبع الهوى، ولا تضلّه تعمية مَن يروقه جهل الامّة الإسلاميّة بالحقائق بقوله في مقاتلي أمير المؤمنين والخارجين عليه: إنّهم كانوا مجتهدين مخطئين ولهم أجرٌ واحدٌ، أو بقوله: الصحابة كلّهم عدول. وإن فعل أحدهم ما فعل وجنت يداه ما جنت، وخرج عن طاعة الإمام العادل، وسنّ لعنه وسبّه وحاربه وقاتله وقتله.

فالناظر إلى هذه التراجم بعين النصفة إذا أمعن فيها بما فيها من المغازي المذكورة يعتقد بأنّ[١] أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ هُدي وهَدى فأقام سنّةً معلومةً وأمات بدعةً مجهولة وإنّ السُّنن لنيّرةٌ لها أعلامٌ، وإنّ البدع لظاهرةٌ لها أعلامٌ، وإنّ شرّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ضلّ وأُضلّ به، فأمات سنّةً مأخوذةً، وأحيا بدعةً متروكةً، وصدّق بقول النبيّ الطاهر: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر

---

(١) من هنا إلى آخر الكلمة لمولانا أمير المؤمنين إلا كلمتي صدق والطاهر.

وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيلقى في نار جهنّم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثمّ يرتبط في قعرها.

لعلّ الباحث لا يمرُّ على شيء من خُطب سيِّد الخزرج وكتبه وكلمه ومحاضراته إلّا ويجده طافحاً بقداسة جانبه عن كلّ ما يلوِّث ويدنّس من اتّباع الهوى، وبزهادته عن حطام الدنيا، مُعرباً عن ورعه عن محارم الله وخشونته في ذات ربِّه، وتعظيمه شعائر الدين، وقيامه بحقِّ النبيِّ الأعظم، ورعايته في أهل بيته وذويه بكلِّ حول وطول، وبذل النفس والنفيس دون كلائة دينه وإعلاء كلمة الحقِّ، وإدحاض معرَّة الباطل، وإصلاح الفاسد، وكسر شوكة المعتدين، وبعد اليأس عن صلاح امّته، والعجز عن الدعوة إلى الحقِّ، لزم عقر داره بالمدينة المشرَّفة بقيَّة حياته، وأقبل على العبادة حتى أدركه أجله المحتوم كما ذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٤.

وأوفى كلمة في زهده وعبادته، ما قاله المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣ قال: كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى عليّ بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه لله وطاعته إيّاه أنّه كان يُصلّي فلمّا أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبانٌ عظيمٌ مطرقٌ، فمال على الثعبان برأسه وسجد إلى جانبه، فتطوَّق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته، ولا نقَّص منها شيئاً حتى فرغ ثمَّ أخذ الثعبان فرمى به. كذلك ذكر الحسن بن علي بن المغيرة، عن معمَّر بن خلّاد عن أبي الحسن (الإمام) عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. اهـ. والحديث الرضويّ هذا رواه الكشي بإسناده عنه عليه السلام في رجاله ص ٦٣.

وكان ذلك الخشوع والإقبال إلى الله في العبادة، وإفراغ القلب بكلّه إلى الصلاة من وصايا والده الطاهر له قال: يا بُنيَّ اوصيك بوصيَّة فاحفظها فإذا أنت ضيّعتها فأنت لغيرها من الأمر أضيع، إذا توضّأت فأتمّ الوضوء، ثمَّ صلِّ صلاة امرىءمودِّع يرى أنّه لا يعود، وأظهر اليأس من الناس فإنّه غنى، وإيّاك وطلب الحوائج إليهم فإنّه فقرٌ حاضرٌ، وإيّاك وكلَّ شيء تعتذر منه (تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠).

وكان من دعاء سيّدنا المترجم كما في «الدرجات الرفيعة» «وتاريخ الخطيب» وغيرهما قوله: اللهمّ ارزقني حمداً ومجداً، فإنّه لاحمد إلّا بفعال، ولا مجد إلّا بمال. اللهم وسّع عليّ، فإنّ القليل لا يسعني ولا أسعه. وفي البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠: كان قيس يقول: اللهمّ ارزقني مالاً وفعالاً، فإنّه لا تصلح الفعال إلّا بالمال.

ومعلوم أنّ طلب المال غير مناف للزهادة فإنّ حقيقة الزهد أن لا يملكك المال لا أن لا تملك المال.

حديث فضله

إنّ خطابات (قيس) وكتاباته ومحاضراته ومقالاته المبثوثة في طيّات الكتب ومعاجم السير، شواهد صادقة على تضلّعه في المعارف الآلهيّة، وأشواطه البعيدة في علمي الكتاب والسنّة، وفي خدمته النبيّ الأعظم مدّة عشر سنين[1] أو مدّة غير محدودة، وقد كان أبوه دفعه إلى النبي صلّى الله عليه وآله، ليخدمه كما في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ ومسامرته معه صلّى الله عليه وآله سفراً وحضراً طول عمره مع ما كان له من العقل والحزم والرأي السديد والشوق المؤكّد إلى تهذيب نفسه والولع التامّ إلى تكميل روحيّاته لَغنى وكفاية عن أيّ ثناء على علمه المتدفّق، وفضله الكثار، وتقدّمه في علمي الكتاب والسنّة.

ومن المفضول أن نتعرّض لإحصاء شواهد حسن تعليم النبيّ صلّى الله عليه وآله إيّاه، وانّه كان يُجيد تربيته، ويُعلّمه معالم دينه، ويُفيض عليه من نمير فضله، ويُلقّنه بما يحتاج إليه الإنسان الكامل من المعارف الدينيّة، وإنّ ملازمته لصاحب الرسالة وهو سيّد الخزرج وابن سادتها لم تكن خدمةً بسيطةً كما هو الشأن في الخدم والأتباع من الناس، وإنّما هي كخدمة تلميذ لأستاذه للتعلّم وأخذ المعارف الدينيّة، والاقتباس من أنوار علمه، وممّا لا شك فيه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يُعلّمه معالم دينه في كلّ حال يجده، وكان قيس يغتنم

---

(١) البداية ج ٨ ص ٩٩، الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

الفرص ويظهر الشوق إليه، وينمُّ عن ذلك ما رواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ عن قيس قال: مرَّ بي النبيُّ ﷺ وقد صلّيت وقال: ألا أدلّك إلى باب من أبواب الجنّة؟ قلت: نعم. قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

وسماعه بعد وفاة النبي ﷺ عن أمير المؤمنين باب مدينة العلم النبويِّ، وأخذه منه علمي الكتاب والسنّة كما قاله لمعاوية في حديث يأتي لما جرت بينهما مناظرة واحتجَّ قيس عليه بكلّ آية نزلت في عليّ وبكلِّ حديث ورد في فضله حتّى قال معاوية: يا بن سعد: عمَّن أخذت هذا، وعمَّن رويته؟ وعمَّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك؟ وعنه أخذته؟ قال قيس: سمعته وأخذته ممَّن هو خيرٌ من أبي، وأعظم حقّاً من أبي. قال: مَن؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام عالم الامّة وصدّيقها.

كلّ هذه آيةٌ محكمةٌ تدلّ على اطّلاعه الغزير في المعالم الدينيّة، وبرهنةٌ واضحة تُثبت طول باعه في العلوم الإلَهيّة، ومثل قيس إذا كان أخذه وسماعه وروايته عن مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ينحسر البيان عن استكناه فضله، ويقصر التعريف عن درك مداه.

ومن شواهد غزارة علمه إسلامه الراسخ، وإيمانه المستقرّ، وعرفانه بأولياء الأمر بعد نبيِّه، وتهالكه في ولائهم، وتفانيه في نصرتهم إلى آخر نفَس لَفَظه، وعدم اكتراثه للومة أيِّ لائم، وكان هناك قومٌ حناق عليه من أهل النفاق وحملة الحقد والضغينة يُعيِّرونه بولاء العترة الطاهرة، وعدم إيثاره على دينه عوامل النهمة، وعدم تأثّره ببواعث الفخفخة أو دواعي الجشَع، وعدم انتظاره منهم في دولتهم لرُتبة ولا راتب، وعدم إرادته منهم على ولائه جزاءاً عاجلاً ولا شكوراً، ويشفُّ عن ذلك ما وقع بينه وبين حسّان بن ثابت لَمّا عزله أمير المؤمنين عن ولاية مصر ورجع إلى المدينة فإنّه حينما قدمها جاءه حسّان شامتاً به وكان عثمانيّاً فقال له: نزعك عليٌّ بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر، فزجره قيس وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر، والله لولا

أن أُلقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثمَّ أخرجه من عنده[١].

ولولا أنّ قيساً مستوْدع العلوم والمعارف، ومستقى معالم الدين، ومعقد جمان الفضيلة، كما كانت له الشهرة الطائلة في الدهاء والحزم، لَما ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام مصر لإدارة شئونها الدينيَّة، والمدنيَّة، كما فوَّض إليه إقامة امورها السياسيَّة والإداريَّة والعسكريَّة، ولما كتب إليه بما مرَّ ص ٩٢ من كلامه عليه السلام: وعلّم مَن قِبلك ممّا علّمك الله، فإنّ عامل الخليفة هو مرجع تلكم الشئون كلّها في الوسط الذي استعمل به، وموئل امَّته في كلّ مشكلة دينيّة: كما أنّ له إمامة الجمعة والجماعة، وما كان للخليفة من مُنتدح عن استعمال مَن له الكفاية لذلك كلّه.

قال الماوردي في (الأحكام السلطانيّة) ص ٢٤: وإذا قلّد الخليفة أميراً على إقليم أو بلد كانت إمارته على ضربين: عامّة وخاصّة. فأمّا العـامّة على ضربين: إمارة إستكفاء بعقدٍ عن إختيار، وإمارة استيلاء بعقدٍ عن اضطرار، فأمّا إمـارة الإستكفاء التي تنعقـد عن اختياره، فتشمـل على عمل محـدود، ونظر معهود، والتقليد فيها أن يفوِّض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ولايةً على جميع أهله، ونظراً في المعهود من سائر أعماله فيصير عامّ النظر فيما كان محدوداً من عمل، ومعهوداً من نظر، فيشتمل نظره فيه على سبعة امور:

١ - النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم إلّا أن يكون الخليفة قدّرها فيدرّها عليهم.

٢ - النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

٣ - جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمّال فيهما وتفريق ما استحق منهما.

٤ - حماية الدين والذبُّ عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥.

٥ ـ إقامة الحدود في حقّ الله وحقوق الآدميّين.

٦ ـ الجُمع والجماعات حتى يؤمّ بها أو يستخلف عليها.

٧ ـ تسيير الحجيج من عمله.

فإن كان هذا الإقليم ثغراً متاخماً للعدوّ اقترن بها ثامنٌ وهو: جهاد مَن يليه مِن الأعداء، وقسم غنائمهم في المقاتلة، وأخذ خمسها لأهل الخمس، وتعتبر في هذه الإمارة الشروط المعتبرة في وزارة التفويض.

وقال في ص ٢٠: يُعتبر في تقليد وزارة التفويض شروط الإمامة إلاّ النسب. وذكر الشروط المعتبرة في الإمامة ص ٤ وقال: إنّها سبعة.

١ ـ العدالة على شروطها الجامعة.

٢ ـ العلم المؤدّي إلى الإجتهاد في النوازل والأحكام.

٣ ـ سلامة الحواسّ من السمع والبصر واللسان.

٤ ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة.

٥ ـ الرأي المفضي إلى سياسة الرعيّة وتدبير المصالح.

٦ ـ الشجاعة والنجدة المؤدّية إلى حماية البيضة وجهاد العدوّ.

٧ ـ النسب وهو أن يكون من قريش.

إذا عرفتَ معنى التقليد بالولاية على المسلمين ومغزاها، ووقفتَ على الامور الثمانية التي ينظر إليها كلّ أمير بالإستكفاء بعقد عن اختيار كأمير الإسلام الكبير (قيس بن سعد) واطّلعتَ على ما يُعتبر فيها من الشروط الستّة المعتبرة في الإمامة ووزارة التفويض، فحدّث عن فضل قيس ولا حرج.

كلمتنا الأخيرة عن قيس

إنّه من عمد الدين وأركان المذهب.

لعلّك بعد ما تلوناه عليك من فضائل المترجم له وفواضله، وعلومه ومعارفه، وحزمه وسداده، وصلاحه وإصلاحه، وتهالكه في نصرة إمامه الطاهر، وإقامته علم الدين منذ عهد النبوّة وعلى العهد العلويّ الناصع، وثباته عند تخاذل الأيدي وتدابر النفوس على العهد الحسنيّ، ومصارحته بكلمة الحقّ في كلّ محتشد إلى آخر حياته، وعدم إنخداعه ببهرجة الباطل، وزبرجة الإلحاد السفيانيّ؛ وثراء معاوية الطائل الهاطل عليه لخدعه عن دينه حينما بذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه كما مرّ ص ١٠٦ إنّك لا تشكّ بعد ذلك كلّه في أنّ قيساً من عُمد الدين، وأركان المذهب، وعظماء الامّة، ودُعاة الحق، فدون مقامه الباذخ ما في المعاجم والكتب من جمل الثناء عليه مهما بالغوا فيها.

ولولا مثل قيس في آل سعد لما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو رافعٌ يديه: اللهمّ اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة. وما كان يقول في غزوة ذي قرد: اللهمّ ارحم سعداً وآل سعد، نعم المرء سعد بن عبادة. وما كان يقول لَمّا أكل طعاماً في منزل سعد: أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون وما كان يقول لسعد وقيس لمّا أتيا بزاملة تحمل زاداً يوم ضلّت زاملة النبيّ: بارك الله عليكما يا أبا ثابت(١) أبشر فقد أفلحت إنّ الأخلاف بيد الله فمن شاء أن يمنحه منها خلفاً صالحاً منحه، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً(٢).

فلينظر القارىء في قيس بن سعد إلى آثار رحمة الله، ومظاهر صلواته، ومجالي فضله، وما أثّرت فيه تلك الدعوة النبويّة وما ظهر فيه وفي آله من بركاتها وقد حقّت به الصلوات والرحمة الإلَهيّة. صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

---

(١) كنية سعد والد المترجم له.

(٢) توجد هذه الأحاديث في امتاع المقريزي ص ٢٦٣، ٥١٥، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٨٢، ٨٨، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨.

ولقيس محاضرةٌ ومناظرةٌ مع الشيخين في قصّة طوق خالد ذكرها أبو محمّد الديلمي الحسن بن أبي الحسن في (إرشاد القلوب) ج ٢ ص ٢٠١، أفاضها بلسان ذلق، وإيمان مستقرّ وجنان ثابت نضرب عنها صفحاً تحرّياً للإيجاز.

مشايخ قيس والرواة عنه

يروي سيِّد الخزرج عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وصنوه الطاهر، وعن والده السعيد (سعد) كما في الإصابة وتهذيب التهذيب، ومن رواياته عن والده ما أخرجه الحافظ محمّد بن عبد العزيز الجنابذي الحنبليّ في كتاب «معالم العترة» مرفوعاً إلى قيس عن أبيه: إنّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول: أصابتني يوم أُحد ستّ عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ فجاء رجلٌ حسن الوجه طيّب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال: أقبل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسوله وهما عنك راضيان. قال عليٌّ: فأتيت النبيَّ صلّى الله عليه وآله فأخبرته فقال: يا عليُّ! أقر الله عينك ذاك جبريل (كفاية الطالب ط مصر ص ٣٧، نور الأبصار ص ٨٧).

ويروي عن عبدالله بن حنظلة بن الراهب الأنصاري المقتول يوم الحرَّة سنة ٦٣ وكانت الأنصار قد بايعته يومئذ، ذكر روايته عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٩٣، وج ٥ ص ١٩٣ وج ٨ ص ٣٩٦.

ويروي عن سيِّدنا قيس زرافات من الصحابة والتابعين، ذكر منهم في حلية الأولياء واسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، والإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٦:

١ ـ أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ بكر بن سوادة يروي عن قيس حديثاً في الملاهي كما في «السنن الكبرى» للبيهقي ج ١٠ ص ٢٢٢.

٣ ـ ثعلبة بن أبي مالك القرظي.

٤ ـ عامر بن شراحيل الشعبيّ المتوفّى سنة ١٠٤.

٥ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري خاصّة أمير المؤمنين، وصاحب رايته يوم الجمل، ضربه الحجّاج حتى اسودّ كتفاه على سبِّ عليّ فما فعل، كان أصحاب رسول الله يسمعون لحديثه، وينصتون له، قال عبدالله بن حارث: ما ظننت أنّ النساء ولدن مثله. ووثّقه ابن معين والعجلي وغيرهما تُوفّي سنة ٦/٣/٢/٨١، ترجمه ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٦ وكثيرٌ من أرباب المعاجم.

٦ ـ عبدالله بن مالك الجيشاني المتوفّى سنة ٧٧، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٥ ص ٣٨٠، وحكى عن جمع ثقته، وعن مرثد: كان أعبد أهل مصر، يروي عن أمير المؤمنين، وعمر، وأبي ذرّ ومعاذ بن جبل، وعقبة.

٧ ـ أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني.

٨ ـ أبو عمّار عريب بن حميد الهمداني. يروي عن أمير المؤمنين وحذيفة وعمّار وأبي ميسرة، وثّقه أحمد وغيره، راجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٩١.

٩ ـ أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي المتوفّى سنة ٦٣، أثنى عليه شيخنا الشهيد الثاني في درايته وقال: تابعيٌ فاضلٌ من أصحاب محمّد بن مسعود. وترجمه ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ١١٤، وفي تهذيبه ج ٨ ص ٤٧ وقال: ذكره ابن حبّان في الثقات وقال: كان من العبّاد وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصّلاة.

١٠ ـ عمرو بن الوليد السهمي المصريّ المتوفّى سنة ١٠٣ مولى عمرو بن العاص، يروي عن جمع من الصحابة منهم: المترجم له (قيس) كما في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ١١٦، ومن أحاديثه عنه حديثٌ في الملاهي أخرجه من طريقه البيهقي في «السنن» ج ١٠ ص ٢٢٢

١١ ـ أبو نصر ميمون بن أبي شبيب الربعيُّ الكوفيُّ المتوفى سنة ٨٣ ويُقال: الرقّيّ. يروي عن أمير المؤمنين، وعمر، ومعاذ بن جبل، وأبي ذر،

والمقداد، وابن مسعود، ترجمه ابن حجر في تهذيبه.

١٢ ـ هُزيل بن شرجيل الأزدي الكوفي. كما في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٤، والإصابة ج ٣ ص ٦٢٠.

١٣ ـ الوليد بن عَبَدة [بفتح الباء] مولى عمرو بن العاص، يروي عن المترجم له كما في تهذيب ابن حجر ج ١١ ص ١٤١، ولعلّه عمرو بن الوليد المذكور كما يظهر من كلام الدارقطني.

١٤ ـ أبو نُجيح يسار الثقفي المكّي المتوفّى سنة ١٠٩، حكى ابن حجر في تهذيبه عن جمع ثقته، وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ عنه عن قيس عن النبيّ ﷺ قوله: لو كان العلم متعلّقاً بالثّريا لناله ناسٌ من فارس. وأخرجه أبو بكر الشيرازي المتوفّى سنة ٤٠٧ في «الألقاب» كما في «تبييض الصحيفة» ص ٤.

معاوية وقيس قبل وقعة صفّين

ذكر غير واحد من رجال التاريخ في معاجمهم[1]: أنّه لَمّا قرب يوم صفّين خاف معاوية على نفسه أن يأتيه عليٌّ بأهل العراق، وقيس بأهل مصر، فيقع بينهما ففكّر في استدراج قيس، واختداعه فكتب إليه: أمّا بعد: فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو في شتمه رجلاً، أو تسييره أحداً، أو في استعماله الفتيان من أهله، فقد علمتم أنّ دمه لم يحلّ لكم بذلك، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً إدّا، فتب يا قيس إلى ربّك إن كنتَ من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً، فأمّا صاحبك فإنّا استيقنّا أنّه الّذي أغرى الناس وحملهم حتّى قتلوه، وأنّه لم يسلم من دمه عظيم قومك فإن استطعت أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فبايعنا على

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٨٨، وابن الأثير في كامله ج ٣ ص ١٠٧، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي المتوفّى سنة ٢٨٣.

عليّ في أمرنا، ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرتُ ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطانٌ، وسلني غير هذا ما تحبّ فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فقد وصل إليّ كتابك، وفهمتُ الذي ذكرتَ من أمر عثمان، وذلك أمرٌ لم أُقاربه، وذكرتَ أنَّ صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان ودسَّهم إليه حتّى قتلوه وهذا أمرٌ لم أطّلع عليه، وذكرت لي أنّ عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إنَّ أولى الناس كان في أمره عشيرتي، وأمّا ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدم عثمان وما عرضته عليَّ فقد فهمته وهذا أمرٌ لي فيه نظرٌ وفكرٌ، وليس هذا ممّا يعجل إلى مثله، وأنا كافّ عنك وليس يأتيك من قبلي شيءٌ تكرهه حتى ترى ونرى.

فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد: فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدُّك سلماً، ولم أرك تتباعد فأعدُّك حرباً، أراك كحبل الجزور، وليس مثلي يُصانع بالخداع، ولا يُخدع بالمكايد، ومعه عدد الرجال، وبيده أعنّة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وإن أنت لم تفعل ملأتُ عليك خيلاً ورجلاً، والسّلام.

فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني - لاأبا لغيرك - الخروج عن طاعة أولى الناس بالأمر، وأقولهم للحقّ، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول الله وسيلة، ولديك قومٌ ضالّون مضلّون، طاغوتٌ من طواغيت إبليس، وأمّا قولك: إنّك تملأ عليَّ مصر خيلاً ورَجلاً فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنّك لذو جدّ، والسّلام.

وفي لفظ الطبري: فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتّى تكون نفسك أهمّ إليك، إنّك لذو جدّ.

فلما آيس معاوية منه كتب إليه[1]:

أمّا بعد: فإنك يهوديّ ابن يهوديّ، إنْ ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك، واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وكان أبوك وتر قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحزّ، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، ثمّ مات طريداً بحوران والسّلام.

فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، وقد كان أبي وتر قوسه، ورمى غرضه، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه، ولم يشقّ غباره، ونحن أنصار الدين الّذي خرجتَ منه، وأعداء الدين الّذي دخلتَ فيه. والسّلام.

راجع كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩، البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٨، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٣، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢١٣، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢، مناقب الخوارزمي ص ١٧٣، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٥.

لفظ الجاحظ في كتاب التاج ص ١٠٩:

كتب قيس إلى معاوية: يا وثن ابن وثن! تكتب إليّ تدعوني إلى مفارقة عليّ بن أبي طالب، والدخول في طاعتك، وتخوّفني بتفرّق أصحابه عنه، وإقبال الناس عليك وإجفالهم إليك، فوالله الذي لا إلّه غيره لو لم يبق له غيري، ولم يبق لي غيره، ما سالمتك أبداً وأنت حربه، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدوّ الله على وليه، ولا حزب الشيطان على حزب الله. والسّلام.

---

(١) من هنا كلام الجاحظ في «البيان والتبيين» ج ٢ ص ٦٨ والكتب المذكورة توجد في تعليق البيان ج ٢ ص ٤٨.

كتاب مُفتعلٌ

فلمّا آيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره، شقَّ عليه ذلك، وثقل عليه مكانه، لما كان يعرف من حرمه وبأسه، ولم تنجع حيلة فيه تكاده من قبل عليّ فقال لأهل الشام: إنّ قيساً قد تابعكم فادعوا الله له ولا تسبّوه ولا تدعوا إلى غزوه فإنّه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرّاً ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل (خربتا) يجري عليهم عطاياهم وأرزاقهم ويحسن إليهم. واختلق كتاباً ونسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام وهو:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد: سلامٌ عليك، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إلّه إلّا هو، أمّا بعد: فإنّي لَمّا نظرت لنفسي وديني فلم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرّماً برّاً تقيّاً فنستغفر الله عزَّ وجلَّ لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا، ألا وإنّي قد ألقيت إليكم بالسلم، وإنّي أجبتك إلى قتال قتلة عثمان رضي الله عنه إمام الهدى المظلوم، فعوِّل عليَّ فيما أحببت من الأموال والرجال أُعجِّل عليك. والسّلام(١).

إنَّ شنشنة التقوُّل والإفتعال غريزةٌ ثابتةٌ في سجايا معاوية، ومنذ عهده شاعت الأحاديث المزوَّرة فيما يعنيه من فضل بني اميَّة والوقيعة في بني هاشم عترة الوحي وأنصاره يوم كان يَهبُ القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة لأهل الجباه السود فيضعون له في ذلك روايات معزوَّة إلى صاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله، فإنّه بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم ليروي أنّ قوله تعالى: ﴿ومِنَ النّاس مَن يَشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾. نزل في ابن ملجم أشقى مراد. وقوله تعالى: ﴿ومِن النّاس مَن يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام﴾ الآية. نزل في عليّ أمير المؤمنين. فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٩، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٤.

فقبل[1] وله نظائر هذا شيءٌ كثيرٌ.

فليس من البدع اختلاقه على قيس وهو يفتعل على سيِّده النبيِّ الأطهر ما لم يقله، وعلى أمير المؤمنين ما لم يكن، وعلى سروات المجد من بني هاشم الأطيبين ما هم عنه بُعداء. فهو مبتدع هذه الخزايات العائدة عليه وعلى لفيفه في عهد ملوكيَّته المظلم، وعلى هذا كان دينه وديدنه، ثمَّ تمرَّنت رواة السوء من بعده على رواية الموضوعات وشاعت وكثرت إلى أن ألقت العلماء وحفظة الحديث في جهود متعبة بالتأليف في تمييز الموضوع من غيره، والخبيث من الطيِّب.

لم يزل معاوية دائباً على ذلك متهالكاً فيه حتى كبر عليه الصغير، وشاخ الكهل وهرم الكبير، فتداخل بغض أهل البيت عليهم السلام، في قلوب ران عليها ذلك التمويه، فتسنّى له لعن أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه في أعقاب الصَّلوات في الجمعة والجماعات وعلى صهوات المنابر في شرق الأرض وغربها حتى في مهبط وحي الله (المدينة المنوَّرة) قال الحموي في معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨: لُعن عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب ولم يُلعن على منبر سجستان إلّا مرّة وامتنعوا على بني اميَّة حتى زادوا في عهدهم: وأن لا يُلعن على منبرهم أحدٌ. وأيّ شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم وهو يُلعن على منابر الحرمين مكّة والمدينة. اهـ.

لمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام، حجَّ معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله صلّى الله عليه وآله فقيل له: إنَّ ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك فقال: إن فعلت لأخرجنَّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد فلمّا مات لعنه على المنبر وكتب إلى عمّاله: أن يلعنوه على

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦١.

المنابر. ففعلوا فكتبت امّ سلمة زوج النبيِّ صلّى الله عليه وآله إلى معاوية: إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انّكم تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومن أحبَّه وأنا أشهد أن الله أحبَّه ورسوله. فلم يلتفت إلى كلامها[1].

قال الجاحظ في كتاب الردِّ على الإماميَّة: إنّ معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك. وصدَّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذِّبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر إلى أيّام عمر بن عبد العزيز. وإنّ قوماً من بني اميَّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنّك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً.

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٥٦.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار على ما يعلق بالخاطر، والحافظ السيوطي: انّه كان في أيّام بني اميّة أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها عليّ بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول العلاّمة الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في ارجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي: إنّهْ ... قد كان فيما جعلوهُ سُنّهْ
سبعون ألف منبر وَعَشَرَهْ ... من فوقهنّ يلعنون حيدرهْ
وهذه في جنبها العظائمُ ... تصغر بل تُوجّه اللوائمُ
فهل ترى مَن سنّها يُعادى؟ ... أم لا وهل يُستر أو يهادى؟؟
أو عالمٌ يقول: عنه نسكتُ؟ ... أجب فإنّي للجواب منصتُ
وليت شعري هل يقال: إجتهدا ... كقولهم في بغيه أم ألحدا
أليس ذا يُؤذيه أم لا؟؟ فاسمعن ... إنّ الذي يُؤذيه مَن ومَن ومَن؟؟؟
بل جاء في حديث امّ سلمهْ ... : هل فيكم الله يُسبُّ مَهْ لِمَهْ؟
عاون أخا العرفان بالجوابِ ... وعاد من عادى أبا ترابِ

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٠.

وكان أمير المؤمنين يخبر بذلك كلّه ويقول: أما انّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم، مندحق البطن[١] يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وانّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي. (نهج البلاغة).

ونحن لو بسطنا القول في المقام لخرج الكتاب عن وضعه إذ صحائف تاريخ معاوية السوداء ومن لفّ لفّه من بني اميّة إنّما تعدّ بالآلاف لا بالعشرات والمئات.

الصلح بين قيس، ومعاوية

أمّرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم (وكان يُعرف بصاحب شرطة الخميس كما في الكشي ص٧٢) وتعاهد هو معهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ ولمن كان اتّبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فأرسل معاوية إلى قيس يقول: على طاعة مَن تُقاتل؟ وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك. فأبى قيس أن يلين له حتّى أرسل إليه معاوية بسجلّ قد ختم عليه في أسفله وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله. فقال معاوية: على رسلك فإنّا لا نخلص إلى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنّي والله لا اقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بُدّاً. فلمّا بعث إليه معاوية ذلك السجل إشترط قيس له ولشيعة عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل في سجلّه ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته[٢].

قال أبو الفرج: فأرسل معاوية إليه يدعوه إلى البيعة، فلمّا أرادوا إدخاله إليه قال: إنّي حلفت أن لا ألقاه إلاّ بيني وبينه الرمح أو السيف. فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينهما ليبرّ يمينه، فلمّا دخل قيس ليبايع وقد بايع الحسن عليه السلام فأقبل على الحسن عليه السلام فقال: أفي حلّ أنا من بيعتك؟

---

(١) مندحق البطن: واسعها. كان معاوية موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل.

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٦٣.

فقال: نعم. فألقي له كرسيٌّ وجلس معاوية على سرير والحسن معه فقال له معاوية: أتبايع يا قيس؟ قال: نعم. ووضـع يده على فخـذه ولم يمدّهـا إلى معاوية، فجاء معاوية من سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده وما رفع إليه قيسٌ يده[١].

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٢: بويع معاوية بالكوفة في ذي القعدة سنة ٤٠، وأحضر الناس لبيعته، وكان الرجل يحضـر فيقول: والله يـا معاوية إنّي لأُبايعك وإنّي لكارهٌ لك. فيقول: بايع فإنّ الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً، ويأتي الآخر فيقول: أعوذ بالله من نفسك. وأتاه قيس بن سعد بن عبادة، فقال: بايع قيس. قال: إنّي كنت لأكره مثل هذا اليوم يامعاوية! فقال له: مَه رحمك الله. فقال: لقد حرصت أن افرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا بن أبي سفيان إلّا ما أحبّ. قال: فلا يُردّ أمر الله. قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال:

يا معشر الناس! لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين، وقد وليكم الطليق ابن الطليق، يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون؟.

فجثا معاوية على ركبته ثمّ أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثمّ صفق على كفّه ونادى الناس: بايع قيس. فقال: كذبتم والله ما بايعتُ. ولم يبايع لمعاوية أحدٌ إلّاأخـذ عليه الأيمان، فكان أوّل من استحلف على بيعته.

أخرج الحافظ عبد الرزّاق عن ابن عُيينة قال: قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية: وأنت يا قيس؟ تلجم عليَّ مع من ألجم؟ أما والله لقد كنت أُحبُّ أن لا تأتيني هذا اليوم إلّا وقد ظفر بك ظفرٌ من أظافري موجع. فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأُحيّيك بهذه التحيّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٧.

فقال له معاوية: ولِمَ؟ وهل أنتَ حبرٌ من أحبار اليهود؟!. فقال له قيس: وأنت يا معاوية! كنت صنماً من أصنام الجاهليَّة، دخلتَ في الإسلام كارهاً، وخرجتَ منه طائعاً. فقال معاوية: اللهمّ غفراً مدَّ يدك. فقال له قيس: إن شئت زدت وزدت (تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٩).

قيس، ومعاوية في المدينة بعد الصلح بينهما

دخل قيس بن سعد بعد وقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار! بِم تطلبون ما قِبلي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليَّ، ولفللتم حدّي يوم صفّين حتى رأيت المنايا تلظّى في أسنّتكم، وهجوتموني في أسلافي بأشدّ من وقع الأسنّة، حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله، قلتم: ارع وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله. هيهات يأبى الحقين العذرة.

فقال قيس: نطلب ما قِبلك بالإسلام الكافي به الله لا بما نمت به إليك الأحزاب، وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، وأما هجاؤنا إيّاك فقولٌ يزول باطنه ويثبت حقّه، وأمّا استقامة الأمر فعلى كُره كان منّا، وأمّا فللنا حدّك يوم صفّين فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعة الله طاعته، وأمّا وصيّة رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده، وأمّا قولك: يأبى الحقين العذرة، فليس دون الله يدٌ تحجزك منّا يا معاوية! فدونك أمرك يا معاوية! فإنّما مثلك كما قال الشاعر:

يـا لـك مـنْ قبَّـرة بـمَـعـمـر خلا لك الجـوّ فبيضي واصفـري

فقال معاوية يموِّه: إرفعوا حوائجكم.

العقد الفريد ج ٢ ص ١٢١، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣، الإمتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٧٠.

بيان

قول معاوية: يأبى الحقين العذرة. مثلٌ سائر، أصله: أنّ رجلاً نزل بقوم فاستسقاهم لبناً فاعتلّوا عليه وزعموا أن لا لبن عندهم، وكان اللبن محقوناً في وطاب عندهم، يُضرب به للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له، يعني: أنّ اللبن

المحقون لديكم يكذّبكم في عذركم. فما في مروج الذهب من: يأبى الحقير العذرة. وفي العقد الفريد أبى الخبير العذر. فهو تصحيف.

قيس ومعاوية في المدينة

روى التابعيُّ الكبير أبو صادق سليم بن قيس الهلالي في كتابه قال: قدم معاوية حاجّاً في أيّام خلافته بعدما مات الحسن بن عليّ عليهما السلام، فاستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذين استقبلوه عامّهم قريش فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال: ما فعلت الأنصار: وما بالها ما تستقبلني؟؟!! فقيل: إنّهم محتاجون ليس لهم دواب فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلّى الله عليه وآله حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون. فقال معاوية: اللّهمّ اغفر. فقال قيس: أما إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: سترون بعدي أثرة. فقال معاوية: فما أمركم به؟ قال أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه. قال: فاصبروا حتّى تلقوه.

ثمّ قال يا معاوية! تعيّرنا بنواضحنا؟ والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله، وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا؛ ثمّ دخلتَ أنت وأبوك كرهاً في الإسلام الذي ضربناكم عليه. فقال معاوية: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا فللّه ولقريش بذلك المنّ والطول. ألستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله؟ وهو من قريش وهو ابن عمّنا ومنّا، فلنا المنّ والطول إن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا. فقال قيس:

إنّ الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله، رحمةً للعالمين فبعثه إلى الناس كافّة، وإلى الجنّ والإنس والأحمر والأسود والأبيض اختاره لنبوّته، واختصّه برسالته، فكان أوّل من صدّقه وآمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبو طالب يذبُّ عنه ويمنعه ويحول بين كفّار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه وأمره أن يبلّغ رسالة ربّه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتى مات عمّه أبو طالب، وأمر ابنه بمؤازرته فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كلّ شديدة وكلّ ضيق

وكلّ خوف، واختصّ الله بذلك عليّاً عليه السلام من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم، فجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله جميع بني عبد المطلب فيهم أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وخادمه عليّ عليه السلام ورسول الله صلّى الله عليه وآله في حجر عمّه أبي طالب فقال: أيّكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كل مؤمن بعدي. فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال عليّ عليه السلام: أنا يا رسول الله صلّى الله عليك. فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهمّ املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثمّ قال لأبي طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنك وأطع فقد جعله الله من نبيّه بمنزلة هرون من موسى. وآخى صلّى الله عليه وآله بين عليّ وبين نفسه فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلاّ ذكره واحتجّ به.

وقال: منهم: جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنّة بجناحين اختصّه الله بذلك من الناس. ومنهم: حمزة سيّد الشهداء. ومنهم: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة. فإذا وضعت من قريش رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيّبين فنحن والله خيرٌ منكم يا معشر قريش وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم، لقد قُبض رسول الله فاجتمعت الأنصار إلى أبي ثمّ قالوا: نُبايع سعداً فجاءت قريش فخاصمونا بحجة عليّ وأهل بيته، وخاصمونا بحقّه وقرابته، فما يعدو قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار وظلموا آل محمّد، ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لِقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حقٌّ مع عليّ بن أبي طالب وولده من بعده.

فغضب معاوية وقال: يا بن سعد! عمّن أخذت هذا؟ وعمّن رويته؟ وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟؟!! فقال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خيرٌ من أبي وأعظم عليّ حقّاً من أبي. قال: مَن؟ قال: عليّ بن أبي طالب عالم هذه الامّة، وصدّيقها الّذي أنزل الله فيه: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾. فلم يدع آية نزلت في عليّ إلاّ ذكرها ـ قال معاوية: فإنّ صدّيقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والّذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام. قال

قيس: أحقّ هذه الأسماء وأولى بها الّذي أنزل الله فيه: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهدٌ منه﴾ والّذي نصبه رسول الله صلّى الله عليه وآله بغدير خمّ فقال: مَن كنت مولاه وأولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه، وقال في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

كلّما ذكره قيس في هذه المناظرة من الآيات النازلة في أمير المؤمنين، والأحاديث النبويّة المأثورة في فضله، أخرجها الحفّاظ والعلماء في المسانيد والصحاح نذكر كُلاًّ منها في محلّه إن شاء الله كما مرّ بعضها.

قيس في خلقته

إنّ للأشكال والهيئات دخلاً في مواقع الأُبّهة والإكبار، فإنّها هي التي تملأ العيون بادىء بدء، وهي أوّل ما يقع عليه النظر من الإنسان قبل كلّ ما انحنت عليه أضالعه، من جاشٍ رابط، وبطولة وبسالة، ودهاء وحزم، ولذلك قيل: إنّ للهيئة قسطاً من الثمن، وهذا في الملوك والأمراء، وذوي الشئون الكبيرة آكد، فإنّ الرعيّة تتفرّس في العظيم في جثّته عظماً في معنويّاته، وتترسّم منه كبر نفسياته، وشدّة أمره، ونفوذ عزائمه، وترضخ له قبل الضئيل الذي يحسب أنّه لا حول له ولا طول، وانّه يضعف دون إدارة الشئون طوقه وأوقه، ولذلك انّ الله سبحانه لَمّا عرَّف طالوت لبني إسرائيل مِلِكاً عرَّفه بأنّه أوتي بسطةً في العلم والجسم، فبعلمه يُدير شئون الشعب الدينيّة والمدنيّة، ويكون ما أوتي من البسطة في الجسم من مؤكّدات الأُبّهة والهيبة التي هي كقوّة تنفيذيّة لموادّ العلم وشئونه.

إنّ سيد الأنصار «قيس» لَمّا لم يدع الله سبحانه شيئاً من صفات الفضيلة ظاهرةً وباطنةً إلاّ وجمعه فيه من علم، وعمل، وهدى وورع، وحزم، وسداد، وعقل، ورأي ودهاء، وذكاء، وإمارة، وحكومة، ورياسة، وسياسة، وبسالة، وشهامة، وسخاء، وكرم، وعدل، وصلاح، لم يشأ أن يخليه عن هذه الخاصّة المربية بمقام العظماء.

فقال شيخنا الديلمي في إرشاده ج ٢ ص ٣٢٥: إنّه كان رجلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار، وكان أشدَّ الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين. وقال أبو الفرج: وكان قيس رجلاً طوالاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطّان في الأرض. ومرَّ ص ٩٨ عن المنذر بن الجارود أنه رآه في الزاوية على فرس أشقر تخطُّ رجلاه في الأرض وقال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ٧٣: كان قيس من العشرة الذين لحقهم النبيّ ﷺ من العصر الأوّل ممّن كان طولهم عشرة أشبار بأشبار أنفسهم، وكان قيس وأبوه سعد طولهما عشرة أشبار بأشبارهم. وعن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي أنّه قال: كان قيس طوالاً أطول الناس وأمدّهم قامة، وكان سناطاً أصلع شيخاً شجاعاً مجرَّباً مناصحاً لعليّ ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

عدَّ الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٤٨٠ من الأمثال الدائرة والمضافات المعروفة والمنسوب السائر: سراويل قيس. وقال: إنّه يُضرب مثلاً لثوب الرجل الضخم الطويل، وكان قيصر بعث إلى معاوية بعلج من علوج الروم طويل جسيم، معجباً بكمال خلقته وامتداد قامته، فعلم معاوية انّه ليس لمطاولته ومقاومته إلاّ قيس بن سعد بن عبادة فإنّه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوماً وعنده العلج: إذا أتيت رحلك فابعث إليَّ بسراويلك. فعلم قيس مراده فنزعها ورمى بها إلى العلج والناس ينظرون فلبسها العلج فطالت إلى صدره، فعجب الناس وأطرق الرومي مغلوباً، وليمَ قيس على ما فعل بحضرة معاوية فأنشد يقول:

أردتُ لكيما يعلم الناس أنّها ... سراويل قيس والوفود شهودُ
وأن لا يقولوا: غاب قيسٌ وهذه ... سراويل عادٍ قد نمته ثمودُ
وإنّي من القوم اليمانين سيِّدٌ ... وما الناس إلاّ سيِّدٌ ومسودُ
وبزَّ جميع الناس أصلي ومنصبي ... وجسمٌ به أعلو الرجال مديدُ

ورواها ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٨ ص ١٠٣ بتغيير فيها ثمّ قال: وفي رواية: أنّ ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أنّ أحدهما أقوى الروم والآخر أطول الروم: فانظر هل في قومك من يفوقهما في قوّة هذا

وطول هذا؟؟ فإن كان في قومك مَن يفوقهما بعثت إليك من الاسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك مَن هو أقوى وأطول منهما فهادنّي ثلاث سنين. فلمّا حضروا عند معاوية قال: مَن لهذا القوي؟ فقالوا: ما له إلاّ أحد رجلين إمّا محمّد بن الحنفيّة أو عبدالله بن الزبير، فجيء بمحمّد بن الحنفيّة وهو ابن عليّ بن أبي طالب فلمّا اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية: أتعلم فيمَ أرسلت إليك؟ قال: لا. فذكر له أمر الروميّ وشدّة بأسه فقال للروميّ: إمّا أن تجلس لي أو أجلس لك، وتناولني يدك أو أُناولك يدي فأيّنا قدر على أن يُقيم الآخر من مكانه غلبه وإلاّ فقد غُلب. فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الروميُّ: بل اجلس أنت. فجلس محمّد بن الحنفيّة وأعطى الروميَّ يده فاجتهد الروميُّ بكلّ ما يقدر عليه من القوّة أن يُزيله من مكانه أو يحرّكه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ولا وجد إليه سبيلاً، فغُلب الروميُّ عند ذلك وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنّه قد غُلب، ثمّ قام محمّد بن الحنفيّة فقال للروميّ: اجلس لي. فجلس وأعطى محمّداً يده فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفعه في الهواء ثمّ ألقاه على الأرض، فسرّ بذلك معاوية سروراً عظيماً؛ ونهض قيس بن سعد فتنحّى عن الناس ثمّ خلع سراويله وأعطاها لذلك الروميّ الطويل فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخطّ بالأرض، فاعترف الروميُّ بالغلب وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية.

يستفيد القارىء من أمثال هذه الموارد من التاريخ أنّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم كانوا هم المرجع لحلّ المشكلات من كلّ الوجوه كما أنّ مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام كان هو المرجع الفذّ فيها لدى الصدر الأوّل.

وفاته

قال الواقدي، وخليفة بن خيّاط، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ١٧٩ وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٠٢ وغيرهم بكثير: انّه تُوفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية فإن عُدّت سنة وفاة معاوية من سني خلافته فالمترجم له تُوفّي في سنة ستّين، وإلاّ ففي تسع وخمسين، ولعلّ هذا منشأ ترديد ابن عبد البرّ في الاستيعاب وابن الأثير في اسد الغابة في تاريخ وفاته بين السنتين، ففي

الأوّل: أنّه توفّي سنة ستّين. وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وفي الثاني بالعكس، وذكر ابن الجوزي سنة ٥٩ وتبعه ابن كثير في تاريخه، وهناك قول لابن حبّان متروكٌ قال: إنّه هرب من معاوية ومات سنة ٨٥ في خلافة عبد الملك. ذكره ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، وأستصوب قول خليفة ومن وافقه.

بيت قيس

كان في العصور المتقادمة آل قيس من أشرف بيوتات الأنصار، وما زال منبثق أنوار العلم والمجد في أدواره، بين زعيم، وحافظ، وعالم، ومحدِّث، ومشفوع بالصلاح والقداسة، منهم:

أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عمّـار بن يحيى بن العبّاس بن عبـد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري: تـرجم له السمعاني في «الأنساب» وقال: من أشرف بيت في الأنصار، ومن أوحد مشايخ نيسابور في الثروة والعدالة والورع والقبول والإتقان من الرواية، وأكثرهم طلباً للحديث والفهم والمعرفة، سمع بنيسابور محمّد بن رافع، وإسحاق بن منصور، وعبد الرحمن بن بشير بن الحكم، وبالعراق عمر بن شبّه النميري، والحسن بن محمّد بن الصباح، ومحمّد بن إسماعيل الأحمسي، وأحمد بن سنان القطّان، وبالحجاز بحر بن نصر الخولاني، وبالري أبا زرعة، ومحمّد بن مسلم بن داره، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن عبدوس، ومحمّد بن شريك الإسفرايني، وأبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريّا، مات في جمادى الآخر سنة ٣١٧ بنيسابور.

ومنهم: أبو بكر محمّـد بن أبي نصر أحمـد بن العبّاس بن الحسن بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى بن قيس بن سعد الأنصاري الشهيربالعِيـاضي[بكسر العين] ذكره السمعاني في «الأنساب» وقال: من أهل سمرقند كان فقيهاً جليلاً من رؤساء البلدة والمنظورين إليهم، روى عن أبي علي محمّد بن محمّد بن الحرث الحافظ السمرقندي لقيه أبو سعد الإدريسي[1] ولم

(١) أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الأسترابادي نزيل سمرقند والمتوفّى بها في سلخ ذي الحجة سنة ٤٠٥.

يكتب عنه شيئاً[١].

ومنهم: أبو أحمد بن أبي نصر العياضي أخو أبي بكر العياضي المذكور.

ومنهم: ابن المطري أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عسّاس بن يوسف بن بدر بن عثمان الأنصاري الخزرجي العبادي المدني. قال أبو المعالي السلامي في «المختار» كما في منتخبه ص ٧٢: إنّه من ولد قيس بن سعد بن عبادة.

كان حافظ وقته، حسن الأخلاق، كثير العبادة، جميل العشرة مع العلماء وروّاد العلم، ارتحل في سماع الحديث إلى الشام ومصر والعراق، ورأى في حياته كوارث، نهبت داره سنة ٧٤٢ وحبس مدّة ثمّ أُطلق، له كتاب [الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام] سمع الحديث بالمدينة المشرّفة من أبي حفص عمر بن أحمد السوداني، وبالقاهرة من أبي الحسن عليّ بن عمر الواني، ويوسف بن عمر الختني، ويوسف بن محمّد الدبابيسي، وبالإسكندريّة من عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة، وبدمشق من أحمد بن أبي طالب بن الشحنة، والقاسم بن عساكر، وأبي نصر ابن الشيرازي، وببغداد من محمّد بن عبد المحسن الدواليبي. توفّي بالمدينة المشرّفة في ربيع الأوّل سنة ٧٦٥[٢].

ومنهم: أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي بن مكّي بن طرد بن حسين بن مخلوف بن أبي الفوارس بن سيف الإسلام[٣] بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري المكّي المالكي النحوي، المولود سنة ٧٠٩ والمتوفّى في المحرّم سنة ٨٠٨، ترجم له السيوطي في «بغية الوعاة» ص ١٦١.

﴿الحمدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذين اصطَفى﴾

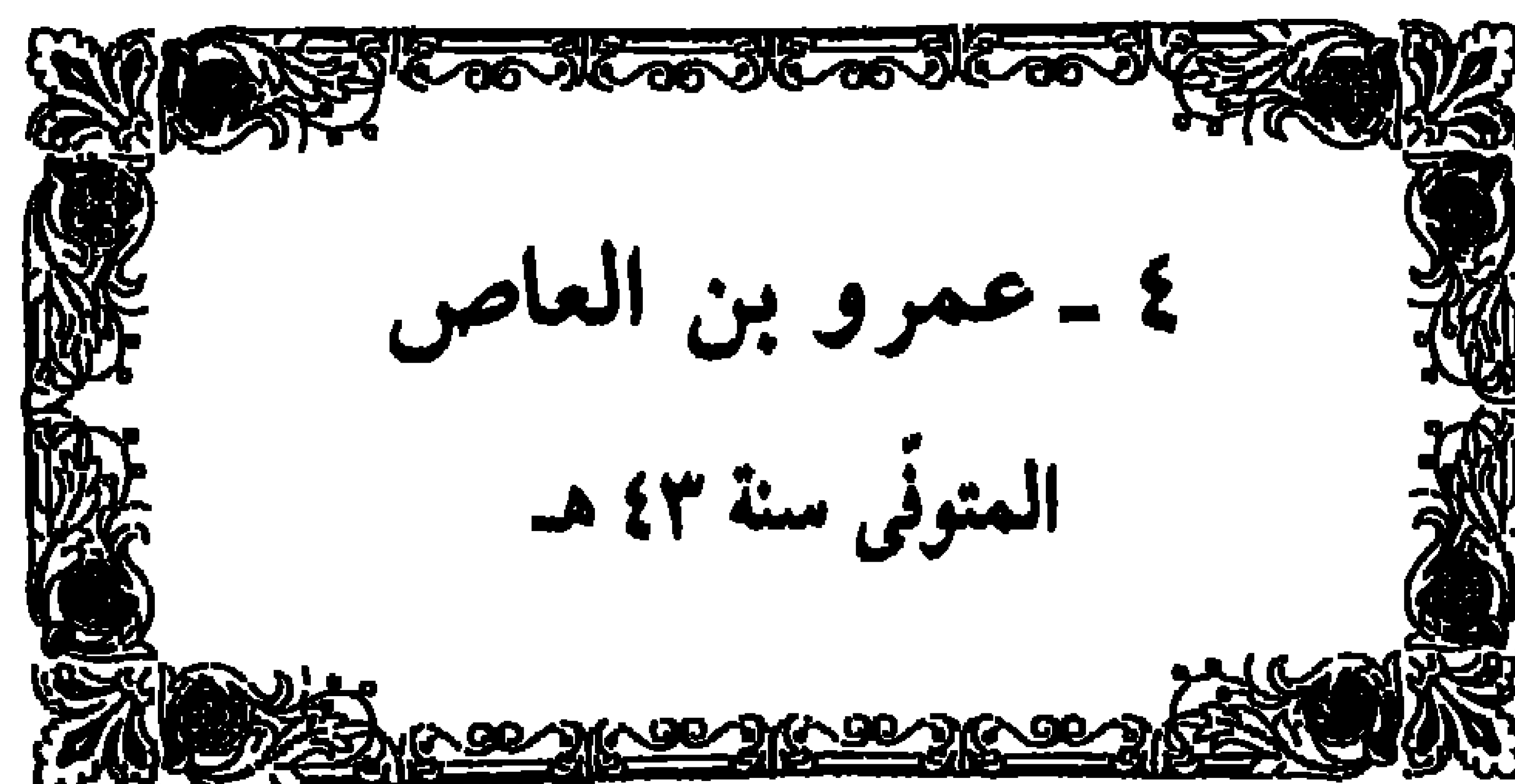
سورة النمل: الآية: ٥٩

---

(١) وذكره وأخاه محيي الدين ابن أبي الوفاء في «الجواهر المضيئة» ص ١٣ .

(٢) أخذناها من «منتخب المختار» ص ٧٢، «الدرر الكامنة» ص ٢٨٤ .

(٣) أحسب هنا سقطاً في النسب كما لا يخفى.



٤ ـ عمرو بن العاص

المتوفّى سنة ٤٣ هـ

معـاويـةُ الحـال لا تجهـلِ ... وعن سُبـل الحقِّ لا تعـدلِ
نـسيـت احتيـالي فـي جُلّق ... على أهلها يوم لبس الحلي؟
وقـد أقبلوا زمـراً يهـرعـون ... مهـاليـع كـالبقـر الجفّـلِ (١)
وقولي لهم: إنّ فرض الصّلاة ... بـغيـر وجـودك لـم تُقبـلِ
فـولّـوا ولم يعبأوا بـالصّـلاة ... ورمت النفـار إلى القسـطلِ
ولمّـا عصيت إمـام الهـدى ... وفي جيشـه كـلُّ مُستفحـلِ
أبـا البقـر البكم أهـل الشآم ... لأهـل التقى والحجى ابتلي؟
فقلت: نعم، قم فـإنّي أرى ... قتـال المفضّـل بـالأفضـلِ
فبي حـاربـوا سيّـد الأوصيآء ... بقولي: دمٌ طُلَّ من نعثلِ (٢)
وكدتُ لهم أن أقاموا الرّماح ... عليها المصاحف في القسطلِ
وعلّمتهم كشف سـوءاتهم ... لـردِّ الغضـنفـرة الـمقبـلِ
فقـام البغـاة على حيـدرٍ ... وكفّوا عن المشعل المصطلي
نسيـت محـاورة الأشعـري ... ونحن على دومـة الجنـدلِ؟
ألين فيـطمـع في جـانـبي ... وسهمي قد خاض في المقتلِ
خلعتُ الخـلافة من حيـدرٍ ... كخلع النعـال من الأرجـلِ

---

(١) أهرع: أسرع. الهلع: الجزع. الجفل: النفر والشرد.
(٢) طل الدم: هدر أو لم يُثار له فهو طليل ومطلول ومطل.

وألبستها فيك بعد الأياس كلبس الخواتيم بالأنملِ
ورقّيتك المنبر المشمخرّ بلا حدِّ سيف ولا منصلِ
ولو لم تكن أنت من أهله وربِّ المقام ولم تكملِ
وسيّرت جيش نفاق العراق كسير الجنوب مع الشمألِ
وسيّرتُ ذكرك في الخافقين كسير الحَمير مع المحملِ
وجهلك بي يا بن آكلة الـ ـكبود لأعظم ما أبتلي
فلولا موازرتي لم تُطع ولولا وجوديَ لم تُقبلِ
ولولاي كنتَ كمثل النساء تعاف الخروج من المنزلِ
نصرناك من جهلنا يابن هند على النبأ الأعظم الأفضلِ
وحيث رفعناك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصّصة في علي؟
وفي يومِ «خمّ» رقى منبراً يُبلِّغ والركب لم يرحلِ[(١)]
وفي كفِّه كفّه معلناً يُنادي بأمر العزيز العلي
ألستُ بكم منكمُ في النفوس بأولى؟ فقالوا: بلى فافعلِ
فأنحله إمرة المؤمنين من الله مُستخلف المنحلِ
وقال: فمن كنت مولى له فهذا له اليوم نعم الولي
فوال مواليه يا ذا الجلا ل وعاد معادي أخ المرسلِ
ولا تنقضوا العهد من عترتي فقاطعهم بي لم يوصلِ
فبخبخ شيخك لَمّا رأى عُرى عقد حيدرَ لم تُحللِ
فقال: وليّكمُ فاحفظوه فمدخله فيكمُ مدخلي
وإنّا وما كان من فعلنا لفي النّار في الدرك الأسفلِ
وما دمُ عثمان منجٍ لنا من الله في الموقف المُخجلِ
وإنّ عليّاً غداً خصمنا ويعتزُّ بالله والمرسلِ[(٢)]

---

(١) في بعض النسخ: وبلغ والصحب لم ترحل.
(٢) في رواية الخطيب التبريزي: سيحتج بالله والمرسل.

يُحاسبنا عن أمور جرت ونحن عن الحقّ في معزلِ
فما عذرنا يوم كشف الغطا؟ لك الويل منه غداً ثمّ لي
ألا يا بن هند أبعتَ الجنان بعهد عهدت ولم توف لي
وأخسرتَ اخراك كيما تنال يسير الحطام من الأجزلِ
وأصبحت بالنّاس حتّى استقام لك الملك من ملِك محولِ
وكنت كمقتنص في الشراك(١) تذود الظماء عن المنهلِ
كأنّك أنسيت ليل الهرير بصفّين مع هولها المهولِ
وقد بتّ تذرق ذَرق النّعام حذاراً من البطل المقبلِ
وحين أزاح جيوش الضلا ل وافاك كالأسد المبسلِ
وقد ضاق منك عليك الخناق وصار بك الرّحب كالفلفلِ(٢)
وقولك: يا عمروا أين المفرّ من الفارس القسور المسبلِ؟
عسى حيلة منك عن ثنيه فإنّ فؤاديَ في عسعلِ
وشاطرتني كلّما يستقيم من الملك دهرك لم يكملِ
فقمت على عجلتي رافعاً وأكشف عن سوأتي أذيلي
فستّر عن وجهه وانثنى حياءً وروعك لم يُعقلِ
وأنت لخوفك من بأسه هناك ملأت من الأفكلِ(٣)
ولمّا ملكت حماة الأنام ونالت عصاك يد الأوّلِ
منحتَ لغيريَ وزن الجبال ولم تُعطني زنة الخردلِ
وأنحلتَ مصراً لعبد الملك(٤) وأنت عن الغيّ لم تعدلِ
وإن كنت تطمع فيها فقد تخلّى القطا من يد الأجدلِ
وإن لم تسامح إلى ردّها فإنّي لحوبكمُ مُصطلي

---

(١) اقتنص الطير أو الظبي: اصطاده.
(٢) الفلفل: القرب بين الخطوات.
(٣) الأفكل: الرعدة من الخوف.
(٤) عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين.

بخيلٍ جيادٍ وشمّ الأُنوف   وبـالمرهفـات وبـالـذبّـلِ
وأكشف عنك حجاب الغرور   وأيـقظ نـائمـة الأثـكـل
فـإنّـك من إمـرة المؤمنين   ودعـوى الخلافـة في معـزلِ
وما لك فـيـهـا ولا ذرّة   ولا لـجـدودك بـالأوّلِ
فـإن كـان بينكمـا نـسبـةٌ   فـأين الحسام من المنجـلِ؟
وأين الحصا من نجوم السما؟   وأيـن مـعـاويـةٌ مـن عـلي؟
فـإن كنتَ فيهـا بلغتَ المنى   ففي عنقي عَلق الجلجـلِ (١)

ما يتبع الشعر

هذه القصيدة المسمّـاة بالجلجليّة، كتبها عمرو بن العاص، إلى معاوية بن أبي سفيان، في جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر ويُعاتبه على امتناعه عنه، توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبة الخديويّة بمصر كمـا في فهرستهـا المطبوع سنة ١٣٠٧ ج ٤ ص ٣١٤ وروى جملةً منها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغـة ج ٢ ص ٥٢٢ وقال: رأيتهـا بخطّ أبي زكريّـا يحيى(٢) بن عليّ الخطيب التبريزيّ المتوفّى سنة ٥٠٢.

وقال الإسحاقي في «لطائف أخبار الدول» ص ٤١: كتب معاوية، إلى عمرو بن العاص: أنّه قد تردّد كتابي إليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتُدافع ولم تسيِّره فسيِّره إليّ قولاً واحداً وطلباً جازماً، والسّلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً وهي القصيدة الجلجليّة المشهورة التي أوّلها:

معـاويـة الفضـل لا تنس لي   وعن نهـج الحقّ لا تعـدلِ

(١) مثل يضرب راجع مجمع الأمثال للميداني ص ١٩٥.
(٢) أحد أئمّة اللغة والنحو قال ابن ناصر: كان ثقة في النقل وله المصنفات الكثيرة. كذا ترجم له ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ١٧١.

نسيتَ احتيالي في جلّق ... على أهلها يوم لبس الحلي؟
وقد أقبلوا زمراً يهرعون ... ويأتون كالبقر المهَّلِ

ومنها أيضاً:

ولولاي كنتَ كمثل النساء ... تُعاف الخروج من المنزلِ
نسيت محاورة الأشعري ... ونحن على دومة الجندلِ؟
وألعقته عسلاً بارداً ... وأمزجت ذلك بالحنظلِ[1]
ألين فيطمع في جانبي ... وسهميَ قد غاب في المفصلِ
وأخلعتها منه عن خدعة ... كخلع النعال من الأرجلِ
وألبستها فيك لَمّا عجزت ... كلبس الخواتيم في الأنمل

ومنها أيضاً:

ولم تك والله من أهلها ... وربِّ المقام ولم تكملِ
وسيِّرتُ ذكرك في الخافقين ... كسير الجنوب مع الشمألِ
نصرناك من جهلنا يا بن هند ... على البطل الأعظم الأفضلِ
وكنتَ ولن ترها في المنام ... فزُفّت إليك ولا مهر لي
وحيث تركنا أعالي النفوس ... نزلنا إلى أسفل الأرجلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصَّصة في علي

ومنها أيضاً:

وإن كان بينكما نسبةٌ ... فأين الحسام من المنجلِ؟
وأين الثريّا وأين الثرى؟ ... وأين معاويةُ من علي؟

فلمّا سمع معاوية هذه الأبيات لم يتعرَّض له بعد ذلك. اهـ.

---

(١) في رواية الخطيب التبريزي:

فالمظه علاً بارداً ... وأخبأ من تحته حنظلي

وذكر الشيخ محمّد الأزهري، وفي شرح مغني اللبيب ج ١ ص ٨٢ هذه الأبيات برمّتها حرفيّاً نقلاً عن تاريخ الإسحاقي غير أنّه حذف قوله:

وحيث تركنا أعالي النفوس   نزلنا إلى أسفل الأرجلِ

وذكر منها ثلاث عشر بيتاً ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٣ ص ١٠٦.

وأخذ منها السيِّد الجزائري في «الأنوار النعمانيَّة» ص ٤٣ عشرين بيتاً.

وذكر برمّتها الزنوزي في الروضة الثانية من رياض الجنّة وقال: هذه القصيدة تسمّى بالجلجليَّة لِما في آخرها: وفي عنقي عَلق الجلجل.

وخمّسها بطولها الشاعر المفلق الشيخ عبّاس الزيوري البغدادي، وقفت عليه في ديوانه المخطوط المصحّح بقلمه، ويوجد التخميس في إحدى نسختي المكتبة الخديويَّة بمصر.

﴿يَقُولُونَ بِأَفواهِهِمْ ما لَيسَ في قُلُوبِهِم والله أعلَمُ بِما يَكتُمُونَ﴾

سورة آل عمران: آية ١٦٧

الشاعر

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بنُ سُعيد (بالتصغير) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي القرشي أبو محمّد وأبو عبد الله.

أحد دُهاة العرب الخمس، منه بدئت الفتن وإليه تعود، وتقحّمه في البوائق والمخاريق ثابتٌ مشهورٌ تضمَّنته طيّات الكتب، وتناقلته الآثار والسِير، وإذا استرسلتَ في الكلام عن الجور والفجور فحدِّث عنه ولا حرج، كما تجده في كلمات الصحابة الأوَّلين، فالبغل نغل وهو لذلك أهل[١]. ويقع الكلام في ترجمته عن نواحي شتّى.

---

(١) مثل يضرب لمن لؤم أصله فخبث فعله.

نسبه

أبوه هو الأبتر بنصّ الذكر الحميد(إنّ شانئك هو الأبتر)وعليه أكثر أقوال المفسّرين والعلماء[١] وفي بعض التفاسير وإن جاء ترديدٌ بينه وبين أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم إلّا أنّ القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي من: أنّ كُلًّا من أولئك كانوا يشنئون رسول الله ﷺ إلّا أنّ ألهجهم به وأشدّهم شنئةً العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، ويخصّ اللعين بخزيٍ آكد، ولذلك اشتهر بين المفسّرين أنّه هو المراد.

قال الرازي في تفسيره ج ٨ ص ٥٠٣، رُوي أنّ العاص بن وائل كان يقول: إنّ محمّداً أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة، وهذا قول ابن عبّاس ومقاتل والكلبي وعامّة أهل التفسير. وقال ص ٥٠٤ بعد نقل الأقوال االأُخر: ولعلّ العاص بن وائل كان أكثرهم مواظبةً على هذا القول، فلذلك اشتهرت الروايات بأنّ الآية نزلت فيه.

وروى التابعيُّ الكبيرُ سليم بن قيس الهلالي في كتابه: أنّ الآية نزلت في المترجم نفسه، كان أحد شانئي رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا مات ولده إبراهيم فقال: إنّ محمّداً قد صار أبتر لا عقب له. وذكره بذلك أمير المؤمنين في أبيات له تأتي فقال:

إن يقرنوا وصيّه والأبترا　　　شاني الرسول واللعين الأخزرا

وذكره بذلك عمّار بن ياسر يوم صفّين، وعبدالله بن جعفر في حديثيهما الآتيين. فالمترجم له هو (الأبتر ابن الأبتر) وبذلك خاطبه أمير المؤمنين

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١١٥، والمعارف لابن قتيبة ص ١٢٤، وتاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٣٠.

عليه السلام في كتاب له يأتي بقوله: من عبدالله أمير المؤمنين، إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص شانىء محمّد وآل محمّد في الجاهليّة والإسلام.

تُعرِّفنا الآية الكريمة المذكورة أنَّ كلَّ معزوٍّ إلى العاص من الولد من ذكر أو انثى من المترجم له أو غيره ليسوا لرشدة، فمن هنا تعرف فضيلة عمرو من ناحية النسب، أضف إلى ذلك حديث امّه ليلى العنزيّة الجلّانيّة.

كانت امّه ليلى أشهر بغيّ بمكّة وأرخصهنّ اجرةً، ولمّا وضعته ادّعاه خمسة كلّهم أتوها غير أنَّ ليلى ألحقته بالعاص لكونه أقرب شبهاً به، وأكثر نفقةً عليها، ذكرت ذلك أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لمّا وفدت إلى معاوية فقال لها: مرحباً بك يا عمّةا فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: يا بن أخي! لقد كفرتَ يد النعمة، وأسأت لابن عمّك الصحبة، وتسمّيت بغير اسمك، وأخذتَ غير حقّك، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمّد صلّى الله عليه وآله فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود، حتى ردّ الله الحقَّ إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله هو المنصور على مَن ناواه ولو كره المشركون، فكنّا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظّاً ونصيباً وقدراً حتّى قبض الله نبيّه صلّى الله عليه وآله مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً عند الله مرضيّاً، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يُذبِّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وصار ابن عمّ سيِّد المرسلين فيكم بعد نبيِّنا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: يابن امّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، ولم يجمع بعد رسول الله لنا شملٌ، ولم يسهل لنا وعرٌ، وغايتنا الجنّة، وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: أيّها العجوز الضالّة؟ اقصري من قولكِ، وغضّي من طرفكِ. قالت: ومن أنت؟ لا امٌّ لك. قال: عمرو بن العاص. قالت يا بن اللخناء النابغة تتكلّم وامّك كانت أشهر إمرأة بمكّة وآخذهن لأجرة، إربع على

ظلعك[١] وأعن بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها، ولقد ادّعاك ستّة[٢] نفر من قريش كلّه يزعم أنّه أبوك فسألت امّك عنهم فقالت: كلّهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به، ولقد رأيت امّك أيام منى بمكّة مع كل عبد عاهر، فأتمّ بهم فإنّك بهم أشبه[٣].

وقال الإمام السبط الحسن الزكيّ سلام الله عليه، بمحضر من معاوية وجمع آخر: أمّا أنت يا بن العاص فإنّ أمرك مشترك، وضعتك امّك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة[٤] من قريش فغلب عليك جزّارها، ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شانئي محمّد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل[٥].

وعدّه الكلبي أبو المنذر هشام المتوفّى سنة ٢٠٦ / ٤ في كتابه «مثالب العرب» الموجود عندنا، ممّن يدين بسفاح الجاهليّة، وقال في باب تسمية ذوات الرايات: وأمّا النابغة امّ عمرو بن العاص: فإنّها كانت بغيّاً من طوائف مكّة فقدمت مكّة ومعها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل في الجاهليّة في عدّة من قريش منهم: أبو لهب، وأميّة بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن

---

(١) مثل يضرب لمن يتوعد. ربع في المكان أي أقام به. الظلع: العرج. يقال: ظلع البعير أي غمز في مشيته فالمعنى: لا تجاوز حدك في وعيدك، وأبصر نقصك وعجزك عنه.

(٢) في العقد الفريد، وروض المناظر: خمسة.

(٣) بلاغات النساء ص ٢٧، العقد الفريد ج ١ ص ١٦٤، روض المناظر ج ٨ ص ٤، ثمرات الأوراق ج ١ ص ١٣٢، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ١ ص ٢١٥، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤) في لفظ الكلبي وسبط ابن الجوزي: خمسة.

(٥) أخذنا هذه الجملة من حديث المهاجاة الطويلة الواقعة بين الإمام الحسن بن علي وبين عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، في مجلس معاوية رواه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٠١ نقلاً عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١١٤.

حرب، في طهر واحد فولدت عمراً فاختصم القوم جميعاً فيه كلٌ يزعم أنه ابنه، ثمَّ إنّه أضرب عنه ثلاثة وأكبَّ عليه إثنان: العاص بن وائل، وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان: أنا والله وضعته في حر أمّه. فقال العاص: ليس هو كما تقول هو ابني فحكّما امّه فيه فقالت للعاص. فقيل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعتِ وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إنَّ العاص كان ينفق على بناتي، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليَّ العاص شيئاً وخفت الضيعة، وزعم ابنها عمرو بن العاص أنَّ امّه إمرأة من غنزة بن أسد بن ربيعة.

وكان الزناة الذين اشتهروا بمكّة جماعةٌ منهم هؤلاء المذكورون وأميَّة بن عبد شمس، وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعقبة بن أبي مُعيط[١].

وعدَّه الكلبي من الأدعياء في باب - أدعياء الجاهليَّة - وقال: قال الهيثم: ومن الأدعياء عمرو بن العاص، وامّه النابغة حبشيَّةٌ، وأُخته لأمّه أُرينب (بضم الألف) وكانت تُدعى لعفيف بن أبي العاص، وفيها قال عثمان لعمرو بن العاص: لمن كانت تُدعى أُختك أُرينب يا عمرو؟ فقال: لعفيف بن أبي العاص. قال عثمان: صدقت. انتهى.

وروى أبو عبيدة معمَّر بن المثنّى المتوفّى سنة ٢٠٩ / ١١ في كتاب «الأنساب»: إنَّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان، والعاص، فقيل: لتحكم أُمّه فقالت: إنّه من العاص بن وائل. فقال أبو سفيان. أما إني لا أشكّ إنّني وضعته في رحم امّه فأبت إلّا العاص فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً. فقالت: إنَّ العاص بن وائل كثير النفقة عليَّ وأبو سفيان شحيحٌ. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت، لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله:

---

(١) وإلى هنا ذكره سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١١٧ عن المثالب.

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت ... لنا فيك منه بيّنات الدلائلِ
ففاخر به إمّا فخرت ولا تكن ... تُفاخر بالعاص الهجين بن وائلِ
وإنّ التي في ذاك يا عمرو حكّمت ... فقالت رجاءً عند ذاك لنائلِ
من العاص عمرو تُخبر الناس كلّما ... تجمّعت الأقوام عند المحاملِ (١)

وقال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: كانت النابغة امّ عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة (بالتحريك) فسبيت فاشتراها عبدالله بن جذعان التيميّ بمكّة فكانت بغيّاً. ثمّ ذكر نظير الجملة الاولى من كلام الكلبي ونسب الأبيات المذكورة إلى أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب. وقال: جُعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن امّه ولم تكن بمنصب مرضيٍّ فأتاه بمصر أميراً عليها فقال: أردت أن أعرف امّ الأمير. فقال: نعم، كانت امرأة من عَنزة، ثمّ من بني جلّان تُسمّى ليلى وتلقّب النابغة، اذهب وخذ ما جُعل لك(٢).

وقال الحلبي في سيرته ج ١ ص ٤٦ في نكاح البغايا. ونكاح الجمع من أقسام نكاح الجاهليّة: الأوّل أن يطأ البغيَّ جماعةٌ متفرّقين واحداً بعد واحد فإذا حملت وولدت أُلحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم. الثاني: أن تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلّهم يطؤوها فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجلٌ أن يمتنع حتّى يجتمعوا عندها فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان. تسمّي مَن أحبّت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منهم الرجل إن لم يغلب شبهه عليه، وحينئذٍ يحتمل أن تكون امّ عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني فإنّه يقال: إنّه وطئها أربعة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠١.

(٢) ورواه المبرد في الكامل، ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٨٤، ابن عبد البر في الاستيعاب، وذكر في شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٠، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٩.

وهم: العاص، وأبو لهب، وأميَّة، وأبو سفيان، وادَّعى كلّهم عمراً فألحقته بالعاص لإنفاقه على بناتها. ويُحتمل أن يكون من القسم الأوَّل ويدلُّ عليه ما قيل: إنّه أُلحق بالعاص لغلبة شبهه عليه، وكان عمرو يُعيَّر بذلك عيَّره عليّ وعثمان والحسن وعمّار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وسيأتي ذلك في قصّة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة(1).

عبدالله وعمرو

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٧ ص ٣٣٠: إنّ عمرو بن العاص قال لعبدالله بن جعفر الطيّار ذي الجناحين، في مجلس معاوية: يابن جعفر! يريد تصغيره. فقال له: لئن نسبتني إلى جعفر فلست بدعيّ ولا أبتر ثمّ ولّى وهو يقول:

تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة ... لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفرت اختياراً آمنت خيفةً ... وبغضك إيّانا شهيدٌ بذلكا



أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٧ص ٤٣٨: إنّ عبدالله بن أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشميّ قدم على معاوية وعنده عمرو فجاء الآذن فقال: هذا عبدالله وهو بالباب. فقال: إئذن له. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتلهّي، والطربات للتغنّي، صدوفٌ عن السنان، محبٌّ للقيان، كثيرٌ مزاحه، شديدٌ طماحه، ظاهر الطيش، ليّن العيش، أخّاذٌ للسلف، صفّاقٌ للشرف. فقال عبدالله: كذبت يا عمرو! وأنت أهله ليس كما وصفت ولكنّه: لله ذكورٌ، ولبلائه شكورٌ، وعن الخنا زجورٌ، سيّدٌ كريمٌ، ماجدٌ

---

(1) ذكر قتل عثمان عند الكلام على بناء المسجد ج ٢ ص ٧٢، ٨٨ ولم يوجد هناك شيء مما أوعز إليه.

صميمٌ، جوادٌ حليمٌ، إن ابتدأ أصاب، وإن سُئل أجاب، غير حصر ولا هيَّاب، ولا فاحش عيّاب، كذلك قضى الله في الكتاب، فهو كالليث الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعيّ ولا دنيّ كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزّارها، فأصبح ينوء بالدليل، ويأوي فيها إلى القليل، قد بدت بين حيّين، كالساقط بين المهدين، لا المعتزي إليهم قبلوه ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري بأيّ حَسب تُنازل للنضال؟ أم بأيِّ قديم تُعرِّض للرجال؟ أبنفسك؟ فأنت الخوّار الوغد الزنيم. أم بمن تنتمي إليه؟ فأنت أهل السفه والطيش والدّناءة في قريش، لا بشرف في الجاهليّة شهر، ولا بقديم في الإسلام ذُكر، غير انَّك تنطق بغير لسانك، وتنهض بغير أركانك، وأيم الله إن كان لأسهل للوعث[1] وألمّ للشعث[2] أن يكعمك[3] معاوية على ولوعك بأعراض قريش كعام الضبع في وجاره[4] فأنت لست لها بكفيّ، ولا لأعراضها بوفيّ. قال: فتهيَّأ عمرو للجواب فقال له معاوية: نشدتك الله إلاّ ما كففت. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين دعني أنتصر فإنّه لم يدع شيئاً. فقال معاوية: أمّا في مجلسك هذا فدع الإنتصار وعليك بالإصطبار. وأشار إلى هذه القصّة ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٢٠.

إسلامه

إنّ الذي حدانا إليه يقينٌ لا يُخالجه شكٌّ بعد الأخذ بمجامع ما يُؤثر عن الرجل في شئونه وأطواره: أنّه لم يعتنق الدين إعتناقاً، وإنّما انتحله انتحالاً وهو في الحبشة، نزل بها مع عمارة بن الوليد لإغتيال جعفر وأصحابه رُسل النبيِّ الأعظم تنتهي إليه الأنباء عن أمر الرسالة، ويبلغه التقدُّم والنشور له، وسمع من النجاشي

---

(١) الوعث بالفتح: العسر الغليظ.
(٢) يقال: لم الله شعثهم. أي جمع أمرهم.
(٣) يقال: كعم البعير. أي شد فمه لئلاّ يعض أو يأكل.
(٤) الوجار بكسر الواو وفتحها: جحر الضبع وغيرها.

قوله: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ فقال: أيّها الملك! أكذلك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو أطعني واتّبعه فإنّه والله لعلى الحقّ وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده[١].

فراقه التزلّف إلى صاحب الرسالة بالتسليم له فلم ينكفىء إلى الحجاز إلّا طمعاً في رتبة، أو وقوفاً على لُماظة العيش، أو فَرَقاً من البطش الإلّهي بالسلطة النبويّة. فنحن لا نعرفه في غضون هاتيك المُدد التي كان يُداهن فيها المسلمين ويُصانعهم إبقاءاً لحياته، واستدراراً لمعاشه، إلّا كما نعرفه يوم كان يهجو رسول الله صلّى الله عليه وآله بقصيدة ذات سبعين بيتاً فلعنه صلّى الله عليه وآله عدد أبياته. وهو كما قال أمير المؤمنين: متى ما كان للفاسقين وليّاً، وللمسلمين عدّواً أ؟؟ وهل يشبه إلّا أمّه الّتي دفعت به[٢]. وكان كما يأتي عن أمير المؤمنين من قوله: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا.

قال ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ١٣٧: قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى: قول عمرو بن العاص لمعاوية لَمّا قال له معاوية: يا أبا عبدالله! إنّي لأكره لك أن تتحدّث العرب عنك انّك إنّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا: دعنا عنك. كنايةٌ عن الإلحاد بل تصريحٌ به، أي: دع هذا الكلام لا أصل له، فإنّ اعتقاد الآخرة وانّها لا تُباع بعرض الدنيا من الخرافات، وما زال عمرو بن العاص مُلحداً ما تردّد قطّ في الإلحاد والزندقة وكان معاوية مثله.

وقال في ج ٢ ص ١١٣: نقلت أنا من كتب متفرّقة كلمات حكميّة تُنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها وأوردتها لأنّي لا أجحد لفاضل فضله وإن كان دينه عندي غير مرضيّ. وقال في ص١١٤: قال شيخنا أبو عبدالله: أوّل مَن قال بالإرجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنّه لا يضرّ مع الإيمان

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣١٩ وغير واحد من كتب السيرة النبوية والتاريخ.

(٢) تذكرة خواص الامة ص ٥٦، السيرة الحلبية وغيرهما.

معصيةً، ولذلك قال معاوية لمن قال: حاربت مَن تعلم وارتكبت ما تعلم. فقال: وثقت بقوله تعالى: ﴿إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾.

وقال في ج ٢ ص ١٧٩: وأمّا معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والإنحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص ومن تبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم.

وهناك كلماتٌ ذكرت في مصادر وثيقة تمثّل الرجل بين يدي القارىء بروحيّاته وحقيقته، وتخبره بعُجره وبُجره[1] وإليك نماذج منها:

١ كلمة النبيّ الأعظم

دخل زيد بن أرقم على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالسٌ معه على السرير فلمّا رأى ذلك زيد جاء حتّى رمى بنفسه بينهما فقال له عمرو بن العاص أما وجدت لك مجلساً إلاّ أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ثمّ رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كلّ ذلك يُديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما فإنّهما لن يجتمعا على خير.

كذا أخرجه ابن مزاحم في كتاب «صفّين» ص ١١٢ ورواه ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ج ٢ ص ٢٩٠ عن عبادة بن الصامت وفيه: إنّه صلّى الله عليه وآله قاله في غزوة تبوك ولفظه: إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما فإنّهما لا يجتمعان على خير.

---

(١) العجر: العروق المتعقدة. البجر: العروق المتعقدة في البطن. مثل يضرب لمن يخبر بجميع عيوبه.

٢ كلمة أمير المؤمنين

روى أبو حيّان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» ج٣ ص١٨٣ قال: قال الشعبي: ذكر عمرو بن العاص عليّاً فقال: فيه دُعابة فبلغ ذلك عليّاً فقال: زعم ابن النابغة انّي تلعابة، تمراحة، ذو دُعابة، أُعافس، وأُمارس. هيهات يمنع من العِفاس والمِراس[١] ذكر الموت وخوف البعث والحساب، ومَن كان له قلبٌ ففي هذا مِن هذا له واعظٌ وزاجرٌ، أما وشرُّ القول الكذب، إنّه ليعد فيُخلف، ويُحدِّث فيَكذب، فإذا كان يوم الباس فإنّه زاجرٌ وآمرٌ ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال، فإذا كان ذاك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم إسته.

ورواه بهذا اللفظ شيخ الطائفة في أماليه ص ٨٢ من طريق الحافظ ابن عقدة.

صورةٌ اخرى على رواية الشريف الرضي

عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيَّ دُعابة، وانّي امرؤ تلعابة، أُعافس وأُمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً، أما وشرُّ القول الكذب، إنّه ليقول فيَكذب، ويعد فيُخلف، وَيسأل فيُلحف، ويُسئل فيبخل، ويخون العهد، ويقطع الإلّ، فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو؟؟!! ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبّته، أما والله إنّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة، وإنّه لم يُبايع معاوية حتّى شرط له أن يُؤتيه أتيّة، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[٢].

«نهج البلاغة» ج ١ ص ١٤٥.

---

(١) العفاس بالكسر: الفساد. المراس: العبث واللعب.

(٢) يقال: رضخ له من ماله رضيخة. أي: قليلاً من كثير.

صورةٌ اخرى على رواية ابن قتيبة

قال زيد بن وهب: قال لي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: عجباً لابن النابغة يزعم انّي تلعابة، أُعافس وأُمارس، أما وشرُّ القول أكذبه، إنّه يَسأل فيُلحف، ويُسئل فيَبخل، فإذا كان عند البأس فإنّه امرؤٌ زاجرٌ ما لم تؤخذ السيوف مآخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همّه أن يُبرقِط ويمنع الناس إسته، قبّحه الله وترحه. (عيون الأخبار ج ١ ص ١٦٤).

صورةٌ اخرى على رواية ابن عبد ربّه

ذُكر عمرو بن العاص عند عليّ بن أبي طالب فقال فيه عليٌّ: عجباً لابن الباغية يزعم انّي بلقائه أُعافس وأُمارس، ألا وشرُّ القول أكذبه، إنّه يَسأل فيُلحف، ويُسئل فيَبخل، فإذا احمرَّ البأس، وحمي الوطيس، وأخذت السيوف مآخذها من هام الرجال لم يكن له همٌّ إلاّ غرقة ثيابه، ويمنح الناس إسته، فضّه الله وترحه. (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٧).

٣ كلمة اخرى له عليه السلام

لَمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يوم صفّين يَدعون إلى حكم القرآن قال عليٌّ عليه السلام: عباد الله! أنا أحقُّ مَن أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرَّ أطفال، وشرَّ رجال، إنّها كلمة حقّ يراد بها الباطل، إنّهم والله ما رفعوها، إنّهم يعرفونها ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلاّ خديعة ومكيدة.

«كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٦٤».

٤ كلمة أخرى له عليه السلام

قال أبو عبد الرحمن المسعودي: حدَّثني يونس بن أرقم بن عوف عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنّا مع عليّ بصفّين فرفع عمرو بن العاص شقّة خميصة في رأس رمح فقال ناسٌ: هذا لواء عقده له رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم يزالوا كذلك حتى بلغ عليّاً فقال عليٌّ: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إنَّ عدوَّ الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الشقّة فقال: مَن يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تُقاتل به مسلماً، ولا تقرَّ به من كافر. فأخذها، فقد والله قرَّبه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين، والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلّا أنهم لم يدعوا الصّلاة.

«كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١١٠».

٥ كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص بن وائل شانىء محمّد وآل محمّد في الجاهليّة والإسلام. سلامٌ على من اتّبع الهدى ـ أمّا بعد ـ فإنّك تركت مروءتك لامرىء فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل: وافق شنٌّ طبقة[1] فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك، وكان علم الله بالغاً فيك، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا، أو أتى الصبح يلتمس فاضل سؤره، وحوايا فريسته، ولكن لا نجاة من القدر، ولو بالحقّ أخذت لأدركت ما رجوتَ، وقد رشد من كان الحقُّ قائده، فإن يمكن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد

---

(١) مثل سائر له قصة يستفاد منها. شن: اسم رجل. طبقة: اسم امرأة. راجع مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٢١.

ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلّى الله عليه وأله، وإن تعجزا[١] وتبقيا بعدي فالله حسبكما، وكفى بانتقامه انتقاما، وبعقابه عقابا. والسّلام.

فائدةٌ

هذا الكتاب بهذه الصورة ذكرها ابن أبي الحديد[٢] في شرحه ج ٤ ص ٦١ نقلاً عن كتاب صفّين لنصر بن مزاحم ولم نجده فيه فمن أمعن النظر في جلّ ما نقله ابن أبي الحديد عن هذا الكتاب يعلم بأنّ المطبوع منه هو مختصره لا أصله وهو أكبر من الموجود بكثير.

صورة أخرى له

فإنّك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرىء ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتّبعتَ أثره، وطلبت فضله، اتّباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته، فأذهب دنياك وأخرتك، ولو بالحقّ أخذتَ، أدركتَ ما طلبتَ، فإن يمكّن الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما، وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شرٌّ لكما. والسّلام. «نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٤».

٦ خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم

لمّـا خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكّة وردّ عليٌّ عليه السلام ابن عبّاس إلى البصرة قام في الكوفة خطيباً فقال: الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ليس معه إلهٌ غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه واله ـ أمّا بعد ـ:

---

(١) عجز الشيء: مؤخره.

(٢) وذكره عنه الدكتور أحمد زكي صفوت في جمهرة الرسائل ج ١ ص ٤٨٦.

فإنَّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرِّب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونحلت لكم مخزون رأيي، لو كان يُطاع لقصير أمرٌ[١] فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجُفاة، والمنابذين العُصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، وضنَّ الزند بقدحه، فكنت أنا وإيّاكم كما قال أخو هارون[٢]:

أمرتكمُ أمري بمنعرج اللّوى فلم يستبينوا النصح إلّا ضُحى الغدِ

ألا إنَّ هذين الرجلين: (عمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري) اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، وأماتا ما أحيى القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هُدى من الله، فحكما بغير حجّة بيِّنة، ولا سنَّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد[٣]، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، واستعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام.

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٩، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٥، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥، نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٦.

ذكر ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٨٦ هذه الخطبة ولَمّا لم يُعجبه ذكر أهل العيث والفساد بما هم عليه، أو لم يره صادراً من أهله في محلّه، أو لم يرض أن تطّلع الامّة الإسلاميّة على حقيقة عمرو بن العاص وصُويحبه فبتر الخطبة وذكرها إلى آخر البيت فقال: ثمَّ تكلّم فيما فعله الحكمان فردَّ عليهما ما حكما به وأنّبهما، وقال ما فيه حطٌّ عليهما. اهـ.

---

(١) قصير هو مولى جذيمة الأبرش، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة، وقد دعته إليها ليزوجها، فخالفه وقصد إليها فقتلته فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر. فذهب مثلاً.

(٢) دريد بن الصمة.

(٣) في الإمامة والسياسة: لم يرشدهما الله.

وهناك لأمير المؤمنين عليه السلام في خطبه كلماتٌ كثيرةٌ حول الرجل مثل قوله: قد سار إلى مصر ابن النابغة عدوُّ الله ووليُّ مَن عادى الله. وقوله: إنّ مصراً افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوّجا[١]. نضرب عنها صفحاً روماً للإختصار.

٧ قنوت أمير المؤمنين بلعن عمرو

أخرج أبو يوسف القاضي في «الآثار» ص ٧١ من طريق إبراهيم قال: إنّ عليّاً رضي الله عنه قنت يدعو على معاوية رضي الله عنه حين حاربه فأخذ أهل الكوفة عنه، وقنت معاوية يدعو على عليّ فأخذ أهل الشام عنه.

وروى الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٤٠ قال: كان عليٌّ إذا صلّى الغداة يقنتُ فيقول: اللهمّ العن معاوية، وعمراً، وأبا الأعور السلمي، وحبيباً، وعبد الرحمن بن خالد، والضحّاك بن قيس، والوليد. فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عليّاً، وابن عبّاس، والأشتر، وحسناً، وحسيناً.

ورواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٣٠٢ وفي ط مصر ص ٦٣٦ وفيه: كان عليٌّ إذا صلّى الغداة والمغرب وفرغ من الصّلاة يقول: اللهمّ العن معاوية، وعمراً، وأبا موسى، وحبيب بن سلمة. إلى آخر الحديث باللفظ المذكور، غير أنّ فيه: قيس بن سعد مكان الأشتر.

وقال ابن حزم في المحلّى ج٤ص١٤٥ كان عليٌّ يقنت في الصّلوات كلّهنّ، وكان معاوية يقنت أيضاً، يدعو كلّ واحد منهما على صاحبه.

ورواه الوطواط في «الخصائص» ص ٣٣٠ وزاد فيه: ولم يزل الأمر على ذلك برهةً من ملك بني أميّة إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك. وذكره ابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٣ ص ١٤٤ بلفظ الطبري.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب» في الكنى في ترجمة أبي الأعور السلمي:

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦١ و٦٢.

كان هو وعمرو بن العاص مع معاوية بصفّين، وكان من أشدّ مَن عنده على عليّ رضي الله عنه، وكان عليٌّ رضي الله عنه يذكره في القنوت في صلاة الغداة يقول: اللهمّ عليك به. مع قوم يدعو عليهم في قنوته. وذكره على لفظ الطبري أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٧٩.

وقال الزيلعي في نصب الراية ج ٢ ص ١٣١: قال إبراهيم: وأهل الكوفة إنّما أخذوا القنوت عن علي، قنت يدعو على معاوية حين حاربه، وأهل الشام أخذوا القنوت عن معاوية قنت يدعو على عليٍّ.

ورواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفيّ في تذكرته ص ٥٩ بلفظ الطبري حرفيّاً إلى قنوت معاوية وزاد فيه: محمّد بن الحنفيّة، وشريح بن هاني. وذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٠ نقلاً عن كتابي صفّين لابن ديزيل (المترجم له ج ١ ص ٩٣) ونصر بن مزاحم. وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١١٠.

٨ دعاء عائشة على عمرو

لَمّا بلغ عائشة قتلُ محمّد بن أبي بكر جزعت عليه جزعاً شديداً وجعلت تقنت وتدعو في دبر الصلاة على معاوية وعمرو بن العاص.

رواه الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٦٠، ابن الأثير في «الكامل» ج ٣ ص ١٥٥، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١٤، ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٣٣.

٩ الإمام الحسن الزكي وعمرو

روى الزبير بن بكار في كتاب «المفاخرات» قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام

قوارص[١] ويلغه عنهم مثل ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصُدِّق، وأمر فأُطيع، وخفقتْ له النعال، وإنّ ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا قال معاوية: فما تريدون ؟ قالوا: إبعث عليه فليحضر لنسبُّه ونسبُّ أباه ونعيِّره ونُوبِّخه ونُخبره أنَّ أباه قتل عثمان ونقرِّره بذلك، ولا يستطيع أن يُغيِّر علينا شيئاً من ذلك. قال معاوية: إنّي لا أرى ذلك ولا أفعله. قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين، لتفعلنَّ. فقال: ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قطُّ جالساً عندي إلّا خفتُ مقامه وعيبه لي. قالوا: إبعث إليه على كلِّ حال. قال: إن بعثتُ إليه لأنصفنَّه منكم. فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقِّنا؟ أو يربي قوله على قولنا؟ قال معاوية: أما إنّي إن بعثتُ إليه لآمرنَّه أن يتكلّم بلسانه كلّه. قالوا: مُره بذلك. قال: أمّا إذا عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلّا ذلك فلا تمرضوا له في القول واعلموا أنَّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يَلصق بهم العار، ولكن إقذفوه بحجره تقولون له: إنَّ أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال: إنَّ أمير المؤمنين يدعوك. قال: مَن عنده؟ فسمّاه، فقال الحسن عليه السلام: ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثمَّ قال: يا جارية، أبغيني ثيابي، اللهمَّ إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت بحول منك وقوّة يا أرحم الراحمين. ثمَّ قام فدخل على معاوية. إلى أن قال: فتكلّم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلّى على رسوله ثمَّ ذكر عليّاً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنّه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثمَّ بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلماً، وادَّعى من الخلافة ما ليس له. ثمَّ ذكر الفتنة يعيِّره بها وأضاف إليه مساوي.

---

(١) الكلمة القارصة: التي تنغص وتؤلم. ج قوارص.

وقال: إنّكم يا بني عبد المطلب، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرَّم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحلُّ، ثمَّ إنّك يا حسن، تُحدِّث نفسك أنّ الخلافة صائرةٌ إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه، كيف ترى الله سبحانه، سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنّما دعوناك لنسبّك وأباك، فأمّا أبوك فقد تفرَّد الله به وكفانا أمره، وأمّا أنت فإنّك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثمٌ من الله، ولا عيبٌ من النّاس، فهل تستطيع أن تردَّ علينا وتكذِّبنا؟؟ فإن كنت ترى أنّا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا، وإلاّ فاعلم أنّك وأباك ظالمان.

فتكلّم الحسن بن عليّ عليهما السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله (إلى أن قال لعمرو بعد جمل ذكرت ص ١٤٥): وقاتلت رسول الله صلّى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكّة، وكدته كيدك كلّه، وكنت من أشدّ الناس له تكذيباً وعداوةً، ثمّ خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكّة، فلمّا أخطأك ما رجوت، ورجّعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلتَ حسدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسداً لِما ارتكب من حليلته ففضحك الله وفضح صاحبك، فأنت عدوُّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام، ثمّ إنّك تعلم وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون: أنّك هجوت رسول الله صلّى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله: اللهمّ إنّي لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهمّ العنه بكلِّ حرف ألف لعنة. فعليك إذن من الله ما لا يُحصى من اللعن.

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ثمّ لحقت بفلسطين فلمّا أتاك قتله قلت: أنا عبدالله إذا نكأتُ (أي: قشرتُ) قرحةً أدميتها. ثمّ حبستَ نفسك إلى معاوية، وبعتَ دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نُعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرتَ عثمان حيّاً، ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا بن العاص! ألست القائل؟ في بني هاشم لمّا خرجت من مكّة إلى النجاشي:

تقول ابنتي: أين هذا الرحيل؟ وما السير منّي بمستنكرِ
فقلت: ذريني فإنّي امرؤٌ أُريد النجاشي في جعفرِ
لأكويَه عنده كيَّةً أقيم بها نخوة الأصعرِ
وشانيءُ أحمد من بنيهم وأقولهم فيه بالمنكرِ
وأجري إلى عتبة جاهداً ولو كان كالذهب الأحمرِ
ولا أنثني عن بني هاشم وماسطعت في الغيب والمحضرِ
فإن قبل العتب منّي له وإلّا لويت له مشفري(١)

تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٤، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢.

بيانٌ قوله عليه السلام: لتأتي بجعفر وأصحابه إلى مكّة. يُشير إلى هجرته الثانية إلى الحبشة وقد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة إمرأة. وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب، ولمّا رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة الوليد بهدايا إلى النجاشيّ وبطارقته ليسلم المسلمين، فرجعا خائبين، وأبى النجاشيُّ أن يخفر ذمّته.

قوله عليه السلام: لما ارتكب من حليلته. ذلك: إنّ عمراً وعمارة ركبا البحر إلى الحبشة، وكان عمارة جميلاً وسيماً تهواه النساء، وكان مع عمرو بن العاص إمرأته، فلمّا صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معها فانتشى عمارة فقال لإمرأة عمرو: قبّليني. فقال لها عمرو: قبّلي ابن عمّك. فقبّلته، فهواها عمارة وجعل يُراودها عن نفسها، فامتنعت منه، ثمّ إنّ عمراً أجلس على منجاف(٢) السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر، فلمّا وقع عمرو وسبح حتّى أخذ بمنجاف السفينة، وضغن على عمارة في نفسه، وعلم أنّه كان أراد قتله،

---

(١) لوى الحبل: فتله. لوت الناقة بذنبها والوت: حركته. المشفر: الشدة والمنعة.
(٢) منجاف السفينة: سكانها الذي تعدل به.

ومضيا حتّى نزلا الحبشة، فلمّا اطمأنّا بها لم يلبث عمارة أن دبَّ لإمرأة النجاشيّ فأدخلته فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمراً بما كان من أمره فيقول عمرو: لا أُصدِّقك انَّك قدرت على هذا، إنَّ شأن هذه المرأة أرفع من ذلك، فلمّا أكثر عليه عمارة بما كان يخبره ورأى عمرو من حاله وهيئته ومبيته عندها حتّى يأتي إليه من السحر ما عرف به ذلك قال له: إن كنت صادقاً فقل لها: فلتدهنك بدهن النجاشيِّ الّذي لا يدهن به غيره، فإنّي أعرفه وآتني بشيء منه حتّى أصدِّقك. قال: أفعل. فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئاً في قارورة، فقال عمرو: أشهد أنَّك قد صدقت لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدٌ من العرب مثله قطُّ: إمرأة الملك. ما سمعنا بمثل هذا، ثمَّ سكت عنه حتى اطمأنَّ ودخل على النجاشيِّ فأعلمه شأن عمارة وقدَّم إليه الدهن. فلمّا أثبت أمره دعا بعمارة ودعا نسوة اخر فجردوه من ثيابه، ثمَّ أمرهنَّ ينفخن في إحليله حتّى خلّى سبيله فخرج هارباً. عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٧، الأغـاني ج ٩ ص ٥٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٧، قصص العرب ج ١ ص ٨٩.

١٠ كتاب ابن عباس إلى عمرو

كتب ابن عبّاس مجيباً إلى عمرو بن العاص: أمّا بعد: فإنّي لا أعلم رجلاً من العرب أقلَّ حياءاً منك، أنَّه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بـالثمن اليسير، ثمَّ خبطت بالناس في عشوة طمعاً في الملك، فلمّا لم تر شيئاً، أعظمتَ الدنيا إعظام أهل الذنوب وأظهرتَ فيها نزهة أهل الورع، لا تريد بـذلك إلاّ تمهيد الحرب، وكسر أهل الدين، فإن كنتَ تريد الله بذلك فدع مصر، وارجع إلى بيتك، فإنَّ هذه الحرب ليس فيها معاوية كعليّ بدأها عليٌّ بالحقِّ، وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالغيِّ، وانتهى فيها إلى السـرَف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليّاً وهو خيرٌ منهم، وبايع أهل الشام معاوية وهم خيرٌ منه، ولستُ أنـا وأنت فيها بسـواء، أردتُ الله، وأردتَ أنت مصر، وقد عرفتِ الشيء الذي باعدك منّي، وأعرف الشيء الذي قـرَّبك من

معاوية، فإن تُرد شرّاً لا نسبقك به، وإن تُرد خيراً لا تسبقنا إليه، ثمّ دعا الفضل بن عبّاس فقال له: يا بن امّ، أجب عمراً. فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواسِ ... فاذهب فليس لداء الجهل من آسِ[1]
إلّا تواتر طعن في نحوركم ... يشجي النفوس ويشفي نخوة الراسِ
هذا الدواء الّذي يشفي جماعتكم ... حتى تُطيعوا عليّاً وابن عبّاس
أمّا عليٌّ فإنّ الله فضّله ... بفضل ذي شرف عالٍ على الناسِ
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيّسة[2] ... أو تبعثوها فإنّا غير أنكاسِ
قد كان منّا ومنكم في عجاجتها ... ما لا يُردّ وكلٌّ عُرضة الباسِ
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبةٌ ... هذا بهذا وما بالحقّ من باسِ
لا بارك الله في مصر لقد جلبت ... شرّاً وحظّك منها حسوة الكاسِ[3]
يا عمرو إنّك عار من مغانمها ... والراقصات ومن يوم الجزا كاسِ

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٥، كتاب صفّين ص ٢١٩، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٨.

وهناك أبياتٌ تعزى إلى حبر الامّة ابن عبّاس في كتاب «صفّين» لابن مزاحم ص ٣٠٠ ذكر فيها عمراً بكلّ قولٍ شائنٍ.

١١ ابن عباس وعمرو

حجّ عمرو بن العاص فمرّ بعبدالله بن عبّاس فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له، وموقعه من قلوبهم، فقال له: يا بن عباس! ما لك إذا رأيتني ولّيتني قَصرة[4] كأنّ بين عينيكَ دبَرة[5] وإذا كنت في ملأ من الناس كنتَ

---

(١) أسا أسواً وأساً الجرح: داواه.
(٢) خيس: ذلل. يقال: خيس الجمل: راضه وذلله بالركوب.
(٣) الحسوة المرة من حساء: الجرعة الواحدة ج حسوات.
(٤) القصر والقصرة بفتح الصاد: الكسل.
(٥) الدبر بفتح المهملة والموحدة: قرحة الدابة تحدث من الرحل ونحوه ج دبر وأدبار.

الهوهاة[١] الهمزة[٢]؟ فقال ابن عبّاس: لأنّك من اللئام الفجرة، وقريشٌ من الكرام البررة، لا ينطقون بباطل جهلوه، ولا يكتمون حقّاً علموه، وهم أعظم النّاس أحلاماً، وأرفع النّاس أعلاماً، دخلتَ في قريش ولستَ منها، فأنت الساقط بين فراشين، لا في بني هاشم رحلك، ولا في بني عبد شمس راحلتك، فأنت الأثيم الزنيم، الضالُّ المضلُّ، حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحمله، وتسعو بكرمه. فقال عمرو: أما والله إنّي لمسرورٌ بك فهل ينفعني عندك؟ قال ابن عبّاس: حيث مال الحقُّ ملنا، وحيث سلك قصدنا.

«العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦».

١٢ ابن عباس وعمرو

حضر عبدالله بن جعفر، مجلس معاوية وفيه عبدالله بن عبّاس، وعمرو بن العاص، فقال عمرو: قد جاءكم رجلٌ كثير الخلوات بالتمنّي، والطربات بالتغنّي، محبٌّ للقيان، كثيرٌ مزاحه، شديدٌ طماحه، صدودٌ عن الشبّان، ظاهر الطيش، رخيّ العيش، أخّاذٌ بالسلف، منفاق بالسرف، فقال ابن عبّاس: كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنّه: لله ذكورٌ ولنعمائه شكورٌ، وعن الخنا زجورٌ، جوادٌ كريمٌ، سيِّد حليمٌ، إذا رمى أصاب، وإذا سُئل أجاب، غير حصر ولا هيّاب، ولا عيّابة مغتاب، حلَّ من قريش في كريم النصاب، كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعيٍّ ولا دنيء لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب عليه جزّارها، فأصبح ألأمها حسباً، وأدناها منصباً، ينوء منها بالذليل، ويأوي منها إلى القليل، مذبذبٌ بين الحيّين، كالساقط بين المهدين، لا المضطرُّ فيهم عرفوه، ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري بأيِّ قدر تتعرَّض للرجال؟ وبأيِّ حَسَب تعتدُّ به تُبارز عند النضال؟ أبنفسك؟ وأنت: الوغد اللئيم، والنكد الذميم، والوضيع الزنيم، أم بمن تنمي

---

(١) الهوهاة: ضعيف القلب. أحمق.

(٢) همز الشيطان الإنسان: همس في قلبه وسواساً.

إليهم؟ وهم: أهل السفه والطيش، والدناءة في قريش، ولا بشرف في الجاهليَّة شهروا، ولا بقديم في الإسلام ذُكروا، جعلت تتكلّم بغير لسانك، وتنطق بالزور في غير أقرانك، والله لكان أبين للفضل، وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق، فإنّه طالما سلس داؤك، وطمح بك رجاؤك إلى الغاية القصوى الّتي لم يخضرَّ فيها رعيك، ولم يورق فيها غصنك. فقال عبدالله بن جعفر: أقسمت عليك لَمّا أمسكتَ فإنَّك عنّي ناضلتَ، ولي فاوضت. فقال ابن عبّاس: دعني والعبد، فإنَّه قد يهدر خالياً إذ لا يجد مرامياً، وقد أُتيح له ضيغم شرس، للأقران مفترس، وللأرواح مختلس، فقال عمرو بن العاص: دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئاً. قال ابن عبّاس: دعه فلا يبقي المبقي إلّا على نفسه، فوالله إنَّ قلبي لشديد، وإنّ جوابي لعتيد، وبالله الثقة، وانّي لكما قال نابغة بني ذبيان:

وقدماً قد قرعتُ وقارعوني فما نزر الكلام ولا شجاني
يصدُّ الشاعر العرّاف عنّي صدود البكر عن قرمٍ هجانِ

هذا الحديث أخرجه الجاحظ في (المحاسن والأضداد) ص ١٠١، والبيهقي في (المحاسن والمساوي) ج ١ ص ٦٨، وقد مرَّ ص ١٢٥ عن ابن عساكر لعبدالله بن أبي سفيان نحوه، وفي بعض ألفاظه تصحيفٌ يُصحّح بهذا.

١٣ معاوية وعمرو

لَمّا علم معاوية أنّ الأمر لم يتمّ له إن لم يبايعه عمرو فقال له: يا عمرو أتبعني. قال. لِماذا؟ للآخرة؟ فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا؟ فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها. قال: فأنت شريكي فيها. قال: فاكتب لي مصر وكورها. فكتب له مصر وكورها، وكتب في آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: واكتب: أنّ السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً. قال معاوية: لا ينظر الناس إلى هذا. قال عمرو: حتّى تكتب. قال: فكتب، ووالله ما يجد بدّاً من كتابتها، ودخل عُتبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يُكلّم عمراً في مصر

وعمرو يقول له: إنّما أُبايعك بها ديني. فقال عتبة: إئتمن الرجل بدينه فإنّه صاحب من أصحاب محمّد. وكتب عمرو إلى معاوية:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنياً فانظرنْ كيف تصنعُ
ومَا الدين والدنيا سواءٌ وإنّني ... لآخذ ما تُعطي ورأسي مقنَّعُ
فإن تُعطني مصراً فأربح صفقة ... أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفعُ

«العقد الفريد ج ٢ ص ٢٩١».

١٤ معاوية وعمرو بصورة مفصّلة

كتب أمير المؤمنين عليه السلام، إلى معاوية بن أبي سفيان يدعوه إلى بيعته، فاستشار معاوية بأخيه عُتبة بن أبي سفيان فقال له: استعن بعمرو بن العاص، فإنّه مَن قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته، وهو لأمرك أشدُّ إلّا أن تثمن له بدينه فسيبيعك، فإنّه صاحب دنيا، فكتب إليه معاوية وهو بالسبع من فلسطين: - أمّا بعد -: فإنّه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة[1] أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة عليّ، وقد حبستُ نفسي عليك حتى تأتيني، أقبل أذاكرك أمراً. فلمّا قرأ الكتاب استشار ابنيه عبدالله ومحمّداً فقال لهما: ما تريان؟ فقال عبدالله: أرى أنّ نبيَّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قُبض وهو عنك راضٍ والخليفتان من بعده، وقُتل عثمان وأنت عنه غائب، فقرّ في منزلك فلستَ مجعولاً خليفة، ولا تريد أن تكون حاشيةً لمعاوية على دنياً قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها. وقال محمّد: أرى أنّك شيخ قريش وصاحب أمرها، وأن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خاملٌ تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان، فإنّك قد استلمت فيه إلى بني

(١) الرافضة: كل جند تركوا قائدهم

اميَّة. فقال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خيرٌ لي في ديني، وأمّا أنت يا محمَّد فأمرتني بما هو خيرٌ لي في دنياي، وأنا ناظرٌ فيه، فلمّا جنّه الليل رفع صوته وأهله ينظرون إليه:

تطاولَ ليلي للهموم الطوارقِ ... وخوف الّتي تجلو وجوه العوائقِ
وإنّ ابن هند سائلي أن أزوره ... وتلك الّتي فيها بنات البوائقِ
أتاه جريرٌ من عليّ بخطّة ... أمرّت عليه العيش ذات مضائقِ
فإن نال منّي ما يُؤمّل ردّه ... وإن لم ينله ذَلَّ ذلَّ المطابقِ
فوالله ما أدري وما كنت هكذا ... أكون ومهما قادني فهو سائقي
أُخادعه، إنّ الخداع دنيَّةٌ ... أم أُعطيه من نفسي نصيحة وامقِ
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحةٌ ... لشيخ يخاف الموت في كلّ شارقِ
وقد قال عبدالله قولاً تعلّقت ... به النفس إن لم تقتطعني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمّد ... وإنّي لصلب العود عند الحقائقِ

فقال عبدالله: رحل الشيخ. وفي لفظ اليعقوبي: بال الشيخ على عقبيه وباع دينه بدنياه. فلمّا أصبح دعا عمرو غلامه «وردان» وكان داهياً مارداً فقال: ارحل يا وردان، ثمّ قال: حطّ يا وردان، ثمّ قال: ارحل يا وردان، حطّ يا وردان، فقال له وردان: خلطت أبا عبدالله؟ أما إنّك إن شئتَ أنبأتك بما في نفسك. قال: هات ويحك: قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلتَ: عليٌّ معه الآخرة في غير دنيا وفي الآخرة عوضٌ من الدنيا. ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض الآخرة، فأنت واقفٌ بينهما. قال: فإنّك والله ما أخطأت فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهلِ الدنيا لم يستغنوا عنك. قال: الآن لَمّا شهدت العرب مسيري إلى معاوية، فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله وردانا وفطنته ... أبدى لعمرك ما في النفس وردانُ
لَمّا تعرّضت الدنيا عرضت لها ... بحرص نفسي وفي الأطباع إدهانُ

نفسٌ تعفّ واخرى الحرص يقلبها[١] والمرء يأكل تِبناً وهو غرثانُ[٢]
أمّا عليٌّ فدينٌ ليس يشركه دنيا وذاك له دنياً وسلطانُ
فاخترت من طمعي دنياً على بصرٍ وما معي بالذي أختار برهانُ
إنّي لأعرف ما فيها وأبصره وفيَّ أيضاً لما أهواهُ ألوانُ
لكنَّ نفسي تُحب العيش في شرف وليس يرضى بذلّ العيش إنسانُ
عمروٌ لعمر أبيه غير مُشتبه والمرءُ يعطس والوسنان وسنانُ

فسار حتّى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكايد كلٌّ واحد منهما صاحبه، فلمّا دخل عليه قال: يا أبا عبدالله، طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها وردٌ ولا صدرٌ. قال: وما ذاك؟ قال ذاك: أنّ محمّد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين. ومنها: انّ قيصر زحف بجماعة الروم إليّ ليغلب على الشام. ومنها: انّ عليّاً نزل الكوفة متهيّئاً للمسير إلينا. قال: ليس كلّ ما ذكرت عظيماً، أمّا ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرُّك؟! وأمّا قيصر فاهد له من وصفاء[٣] الروم ووصائفها وآنية الذهب والفضّة وسله الموادعة فإنّه إليها سريع. وأما عليٌّ فلا والله يا معاوية ما تستوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء إنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش، وإنّه لصاحب ما هو فيه إلّا أن تظلمه.

وفي رواية اخرى قال معاوية يا أبا عبدالله! إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرّق الجماعة، وقطع الرحم. قال عمرو: إلى مَن؟ قال: إلى جهاد عليّ. فقال عمرو: والله يا معاوية، ما أنت وعليٌّ بعكمي[٤] بعير، ما لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد: يغلبها.
(٢) غرث غرثاً: جاع. فهو غرثان ج غرثى وغراث وغراثى.
(٣) الوصيف الغلام دون المراهق ج وصفاء. مؤنثه الوصيفة ج وصائف.
(٤) العكم بالكسر: العدل بالكسر.

جهاده ولا فقهه ولا علمه، والله إنّ له مع ذلك حدّاً وحدوداً وحظّاً وحظوةً وبلاءً من الله حسناً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه؟ وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر. قال: حكمت. قال: مصر طعمة فتلكّأ عليه[١].

وفي حديث: قال له معاوية: إنّي أكره لك أن يتحدّث العرب عنك، أنّك إنّما دخلتَ في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال: دعني عنك[٢] قال معاوية: إنّي لو شئت أن أُمنّيك وأخدعك لفعلت. قال عمر: لا لعمر الله ما مثلي يُخدع لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: ادن منّي برأسك أسارك. قال: فدنا منه عمرو يسارّه فعضّ معاوية أُذنه، وقال: هذه خدعة، هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك؟ فأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا أُعطيك ديني ولم أنل ... بذلك دنياً فانظرنْ كيف تصنعُ
فأن تُعطني مصراً فاربح بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفعُ[٣]
وما الدّين والدنيا سواءٌ وإنّني ... لآخذ ما تُعطي ورأسي مقنّعُ
ولكنّني أغضي الجفون وإنني ... لأخدع نفسي والمخادع يُخدعُ
وأُعطيك أمراً فيه للملك قـوّةٌ ... وإنّي به إن زلّت النعل أصرعُ
وتمنعني مصراً وليست برغبة[٤] ... وإنّي بذا الممنوع قدماً لمولعُ

قال: أبا عبدالله! ألم تعلم أنّ مصراً مثل العراق؟ قال: بلى ولكنّها إنّما تكون لي إذا كانت لك، وإنّما تكون لك إذا غلبت عليّاً على العراق، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلى عليٍّ قال: فدخل عُتبة بن أبي سفيان فقال لمعاوية: أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر إن هي صفت لك؟ ليتك لا تغلب على الشام.

---

(١) تلكّأ عن الأمر. أبطأ وتوقف.
(٢) مر تحليل هذه الكلمة في ص ١٤٩ .
(٣) البيتان يوجدان في عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٨١ .
(٤) الرغبة بكسر المهملة وفتحها: العطاء الكثير.

فقال معاوية : يا عُتبة ، بت عندنا الليلة فلمّا جنَّ على عُتبة الليل رفع صوته ليسمع معاوية وقال :

أيّها المانع سيفاً لم يُهزّ ... إنّما ملت على خزٍّ وقزّ
إنّما أنت خروفٌ ماثلٌ ... بين ضرعين وصوف لم يُجزّ
أعط عمراً إنَّ عمراً تاركٌ ... دينه اليوم لدنيا لم تُحزّ
يا لك الخير فخذ من درّه ... شخبه الأولى وأبعد ما غرز[1]
واسحب الذيل وبادر فوتها ... وانتهزها إنَّ عمراً يُنتهزْ[2]
أعطه مصراً وزده مثلها ... إنّما مصر لمن عزَّ فبزّ[3]
واترك الحرص عليها ضلّة ... واشبب النّار لمغرور يكزّ
إنَّ مصراً لعليّ ولنا ... تغلب اليوم عليها من عجزْ

فلمّا سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصراً فقال له عمرو: لي الله عليك بذلك شاهدٌ. قال له معاوية: نعم لك الله عليَّ بذلك لئن فتح الله علينا الكوفة قال عمرو: والله على ما نقول وكيل. فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. قالا: وما مصر في ملك العرب؟!. قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر، وكتب معاوية على أن لا ينقض شرط طاعة. وكتب عمرو على أن لا ينقض طاعةٌ شرطاً. فكايد كلٌّ واحد منهما صاحبه.

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٠ - ٢٤، كامل المبرّد ج ١ ص ٢٢١، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٨، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٣، رغبة الآمل من كتاب الكامل ج ٣ ص ١٠٨، قصص العرب ج ٢ ص ٣٦٢.

---

(١) الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب. الشخبة: الدفعة منه ج : شخاب. غرز الغنم: ترك حلبها لتسمن.
(٢) يقال: جاء يسحب ذيله: اي يمشي متبختراً. انتهز: ابتدر واغتنم.
(٣) بزه غلبه. بز الشيء منه: أخذه بجفاء وقهر.

١٥ عمار بن ياسر وعمرو

اجتمع عمّار بن ياسر، مع عمرو بن العاص، في المعسكر يوم صفّين، فنزل عمّار والّذين معه فاحتبوا بحمائل سيوفهم فتشهد عمرو بن العاص (يعني قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله) فقال عمّار: أُسكت فقد تركتها في حياة محمّد ومن بعده، ونحن أحقُّ بها منك، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقّنا باطلك، وإن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تُكذِّبني. قال عمرو: يا أبا اليقظان، ليس لهذا جئت إنّما جئت لأنّي رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم، أُذكِّرك الله إلاّ كففت سلاحهم، وحقنت دمائهم وحرضت على ذلك فعلام تقاتلنا؟! أو لسنا نعبد إلّهاً واحداً؟ ونصلّي قبلتكم؟ وندعو دعوتكم؟ ونقرأ كتابكم؟ ونؤمن برسولكم؟ قال عمّار: الحمد لله الّذي أخرجها من فيك إنّها لي ولأصحابي القبلة، والدين وعبادة الرحمن، والنبيّ والكتاب، من دونك ودون أصحابك، الحمد لله الذي قرّرك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالاّ مضلاّ لا تعلم هادٍ أنت أم ضالّ، وجعلك أعمى، وسأُخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك، أمرني رسول الله أن أُقاتل الناكثين وقد فعلتُ، وأمرني أن أُقاتل القاسطين فأنتم هم، وأمّا المارقين فما أدري أُدركهم أم لا.

أيّها الأبتر! ألست تعلم أنّ رسول الله قال لعليّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟! وأنا مولى الله ورسوله وعليٌّ من بعده وليس لك مولى. قال له عمرو: لم تَشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك؟ قال عمّار: وبِمَ تشتمني؟ أتستطيع أن تقول: إنّي عصيت الله ورسوله يوماً قطّ؟ قال له عمرو: إنّ فيك لمسبّات سوى ذلك. قال عمّار: إنّ الكريم مَن أكرمه الله، كنتُ وضيعاً فرفعني الله، ومملوكاً فأعتقني الله، وضعيفاً فقوّاني الله، وفقيراً فأغناني الله. وقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال فتح لكم باب

كل سوء. قال عمرو: فعليٌّ قتله. قال عمّار: بل الله ربُّ عليّ قتله(١).

وروى نصر في كتابه ص ١٦٥ في حديث: فلمّا دنا عمّار بن ياسر رحمه الله بصفّين من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو! بعتَ دينك بمصر، تبّاً لك، وطال ما بغيتَ الإسلام عوجاً. ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٥٣ وزاد: والله ما قصدك وقصد عدوّ الله ابن عدوّ الله بالتعلّل بدم عثمان إلّا الدنيا.

١٦ - أبو نوح الحميري وعمرو

أتى أبو نوح الحميري الكلاعي، يوم صفّين مع ذي الكلاع إلى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس، وعبدالله بن عمر يحرِّض الناس على الحرب، فلمّا وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا أبا عبدالله! هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر لا يكذبك؟ قال عمرو: ومَن هو؟ قال ذو الكلاع: ابن عمّي هذا وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو: إنّي لأرى عليك سيما أبي تراب. قال أبو نوح: عليَّ سيما محمّد صلّى الله عليه وأصحابه وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون.

كتاب صفّين ص ١٧٤، شرح النهج لابن أبي الحديد.

١٧ - أبو الأسود الدؤلي وعمرو

قدم أبو الأسود(٢) الدؤلي على معاوية بعد مقتل عليّ رضي الله عنه وقد استقامت لمعاوية البلاد، فأدنى مجلسه، وأعظم جائزته، فحسده عمرو بن العاص فقدم على معاوية فاستأذن عليه في غير وقت الإذن فأذن له فقال له معاوية: يا أبا عبدالله! ما أعجلك قبل وقت الإذن فقال: يا أمير المؤمنين؟ أتيتك لأمر قد أوجعني وأرّقني وغاظني، وهو من بعد ذلك نصيحةٌ لأمير المؤمنين. قال

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٧٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٧٣.
(٢) ظالم بن عمرو التابعي الكبير المتوفّى سنة ٦٩ وهو ابن خمس وثمانين سنة.

وما ذاك يا عمرو؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا الأسود رجلٌ مفوَّهٌ له عقلٌ وأدبٌ، مَن مثله للكلام يُذكر؟ وقد أذاع بمصرك من الذكر لعليٍّ، والبغض لعدوِّه وقد خشيت عليك أن يترى[1] في ذلك حتّى يُؤخذ لعنقك، وقد رأيت أن تُرسل إليه، وتُرهبه، وتُرغبه، وتَسبره، وتُخبره، فإنّك من مسألته على إحدى خبرتين، إمّا أن يُبدي لك صفحته فتعرف مقالته، وإمّا أن يستقبلك فيقول ما ليس من رأيه، فيحتمل ذلك عنه فيكون لك في ذلك عاقبة صلاح إن شاء الله تعالى.
فقال له معاوية: إنّي امرؤٌ والله لقلَّ ما تركت رأياً لرأي امرىءٍ قطُّ إلّا كنت فيه بين أن أرى ما أكره وبين بين، ولكن إن أرسلتُ إليه فسألته فخرج من مساءلتي بأمر لا أجد عليه مقدماً ويملأني غيظاً لمعرفتي بما يُريد، وإنَّ الأمر فيه أن يُقبل ما أبدى من لفظه فليس لنا أن نشرح عن صدره وندع ما وراء ذلك يذهب جانباً.
فقال عمرو: أنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفّين، وقد عرفت رأيي ولست أرى خلافي وما آلوك خيراً، فأرسل إليه ولا تفرش مهاد العجز فتتّخذه وطيئاً.

فأرسل معاوية إلى أبي الأسود فجاء حتى دخل عليه فكان ثالثاً فرحّب به معاوية وقال: يا أبا الأسود! خلوتُ أنا وعمرو فتناجزنا[2] في أصحاب محمّد ﷺ وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين. قال: سل يا أميـر المؤمنين! عمّا بدا لك فقال: يا أبا الأسود! أيّهم كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقال: أشدّهم حبّاً لرسول الله ﷺ وأوقاهم له بنفسه، فنظر معاوية إلى عمرو وحرَّك رأسه، ثمَّ تمادى في مسألته فقال: يا أبا الأسود! فأيّهم كان أفضلهم عنده؟ قال أتقاهم لربِّه وأشدُّهم خوفاً لدينه. فاغتاظ معاوية على عمرو، ثمَّ قال: يا أبا الأسود! فأيّهم كان أعلم؟ قال: أقولهم للصواب وأفصلهم للخطاب. قال: يا أبا الأسود! فأيّهم كان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاءً، وأحسنهم عناءً، وأصبرهم على اللقاء. قال: فأيّهم كان أوثق عنده؟ قال من أوصى إليه فيما بعده. قال: فأيّهم كان

---

(١) ترى تريـاً في الأمر: تراخى فيه.
(٢) ناجزه: خاصمه. والمناجزة في الحرب المبارزة.

للنبيِّ ﷺ صَديقاً؟ قال: أوّلهم به تصديقاً. فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا جزاك الله خيراً، هل تستطيع أن تردَّ مما قال شيئاً؟ فقال أبو الأسود: إنّي قد عرفت مِن أين أتيت، فهل تأذن لي فيه؟ فقال: نعم. فقل ما بدا لك فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا الذي ترى هجا رسول الله ﷺ بأبيات من الشعر فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنّي لا أُحسن أن أقول الشعر فالعن عمراً بكلِّ بيت لعنة. أفتراه بعد هذا نائلاً فلاحاً؟ أو مدركاً رباحاً؟ وأيم الله انّ امرءاً لم يُعرف إلاّ بسهم أُجيل عليه فجال لحقيقٌ أن يكون كليل اللسان ضعيف الجنان، مستشعراً للإستكانة، مقارناً للذلّ والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكرام أقعى[1] متعيصٌ لدينه لعظيم دينه، غير ناظر في أُبّهة الكرام ولا منازع لهم، ثمَّ لم يزل في دجَّة ظلماء مع قلّة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، والمكر والخداع في النّار.
فقال عمرو: يا أخا بني الدؤل! والله إنّك لأنت الذليل القليل، ولولا ما تمتُّ به من حسب كنانة لاختطفتك من حولك اختطاف الأجدل الحديَّة[2] غير أنّك بهم تطول، وبهم تصول، فلقد استطبت مع هذا لساناً قوّالاً، سيصير عليك وبالاً، وأيم الله انّك لأعدى النّاس لأمير المؤمنين قديماً وحديثاً، وما كنت قطُّ بأشدِّ عداوةٍ له منك الساعة، وأنّك لتوالي عدوَّه، وتعادي وليّه، وتبغيه الغوائل، ولئن أطاعني ليقطعنّ عنه لسانك، وليخرجنَّ من رأسك شيطانك، فأنت العدوُّ المطرق له إطراق الأفعوان[3] في أصل الشجرة.

فتكلّم معاوية فقال: يا أبا الأسود، أغرقت في النزع ولم تدع رجعة لصلحك. وقال لعمرو: فلم تغرق كما أغرقت ولم تبلغ ما بلغت، غير أنّه كان منه الإبتداء والإعتداء، والباغي أظلم، والثالث أحلم، فانصرفا عن هذا القول

---

(١) أقعى الكلب: جلس على إسته.
(٢) الأجدل: الصقر. والحداة بكسر الحاء: طائر من الجوارح. والعامة تسميه الحدية.
(٣) الافعوان بضم الأول: ذكر الأفعى.

إلى غيره وقوما غير مطرودين، فقام عمرو وهو يقول:

لعمري لقد أعيى القرون التي مضت   لغشّ ثـوى بين الفؤاد كمينِ

وقام أبو الأسود وهو يقول:

ألا إنّ عمراً رام ليث خفيّة(١)   وكيف ينال الذئب ليث عرينِ

«تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٠٤ ـ ١٠٦».

١٨ ـ حديث أبي جعفر وزيد

قال أبو جعفر وزيد بن الحسن: طلب معاوية إلى عمرو بن العاص يوم صفّين أن يسوي صفوف أهل الشام فقال له عمرو: على أنّ لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب واستوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنّة؟ وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي لا يُفتّر عنهم وهم فيه مبلسون؟ فقال معاوية: إنّ لك حكمك أبا عبدالله، إن قُتل ابن أبي طالب، رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك. فقال لهم عمرو: يا معشر أهل الشام سوّوا صفوفكم، أعيروا ربّكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدوّ الله وعدوّكم، واقتلوهم قتلهم الله وأدبارهم، واصبروا إنّ الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين.

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١٢٣، شرح ابن أبي الحديد.

هذه أكبر كلمة تدلّ على ضئولة الرجل في دينه لأنّها تنمّ عن عرفانه بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام ومغبّة أمر من ناواه ومع ذلك فهو يحرّض الناس على قتاله ويموّه عليهم، وهي تردّ قول مَن يبرّر عمله بإجتهاده أو بعدله.

١٩ ـ عمرو وابن أخيه

كان لعمرو بن العاص ابن أخ (٢)أريب من بني سهم جاءه من مصر، فقال

---

(١) الخفية: الغيضة الملتفة.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ابن عم.

له: ألا تخبرني يا عمرو بأيِّ رأي تعيش في قريش؟ أعطيت دينك، وتمنّيت دنيا غيرك، أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعليٌّ حيٌّ؟ وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدَّمه في الكتاب (١) فقال عمرو: يا بن أخي إنَّ الأمر لله دون عليّ ومعاوية. فقال الفتى:

ألا يا هندُ أخت بني زياد ... رُمي عمروٌ بداهية البلادِ
رُين عمروٌ بأعور عبشميّ ... بعيد القعر محشيٌّ الكبادِ(٢)
له خدعٌ يحار العقل فيها ... مزخرفةٌ صوائد للفؤادِ
فشرَّط في الكتاب عليه حرف ... يُناديه بخدعته المنادي
وأثبت مثله عمروٌ عليه ... كلا المرأين حيَّة بطن وادي
ألا يا عمرو ما أحرزت مصراً ... وما ملتَ الغداة إلى الرَّشادِ
وبعتَ الدين بالدنيا خساراً ... فأنت بذاك من شرِّ العبادِ
فلو كنت الغداة أخذت مصراً ... ولكن دونها خرط القتادِ
وفدت إلى معاوية بن حرب ... فكنت بها كوافد قوم عادِ
وأُعطيت الذي أعطيت منها ... بطرس فيه نضحُ من مدادِ
ألم تعرف أبا حسن عليّاً ... وما نالت يداه من الأعادي؟؟!!
عدلتَ به معاوية بن حرب ... فيا بُعد البياض من السوادِ
ويا بُعد الأصابع من سُهيل ... ويا بُعد الصلاح من الفسادِ
أتأمن أن تراه على خِدبّ ... يحثّ الخيل بالاسل الخدادِ(٣)
ينادي بالنزال وأنت منه ... قريبٌ فانظرن مَن ذا تُعادي

فقال عمرو: يابن أخي، لو كنت مع عليّ وسعني بيتي ولكن الآن مع معاوية. فقال له الفتى: إنّك إن لم تُرد معاوية لم يُردك. ولكنّك تُريد دنياه ويُريد

---

(١) يعني كتاباً كتبه معاوية لعمرو بمصر وجعلها طعمة له.
(٢) يعني معاوية: يقال ي النسبة إلى عبد شمس: عبشمي. حشا حشواً: ملا. احتشى: امتلأ.
(٣) خدب بالكسر وتشديد الموحدة: سنام البعير الضخم. الاسل: الرماح.

دينك. ويلغ معاوية قول الفتى، فطلبه فلحق بعليّ فحدَّثه بأمر عمرو ومعاوية. قال فسرَّ ذلك عليّاً وقرَّبه قال: وغضب مروان وقال: ما بالي لا أشتري كما اشترى عمرو؟! فقال معاوية: إنّما يشتري الرجال لك. قال: فلما بلغ عليّاً ما صنع معاوية وعمرو قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا ... كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا ... ما كان يرضى أحمد لو أخبرا
أن يقرنوا وصيَّه والأبترا ... شاني الرسول واللعين الأخزرا[1]
كلاهما في جنده قد عسكرا ... قد باع هذا دينه فأفجرا
مَن ذا بدنيا بيعه قد خسرا ... بملك مصر إن أصاب الظفرا
إنّي إذا الموت دنا وحضرا ... شمَّرت ثوبي ودعوتُ قنبرا
قدِّم لوائي لا تُؤخِّر حذرا ... لن ينفع الحذار ممّا قُدِّرا
لَمّا رأيت الموت موتاً أحمرا ... عبَّأت همدان وعبّوا حِميرا
حيٌّ يمانٍ يعظمون الخطرا ... قرنٌ إذا ناطح قرناً كسرا
قل لابن حرب لا تدبَّ الحمرا ... أرود قليلاً أبد منك الضجرا[2]
لا تحسبنّي يابن حرب عمرا ... وسل بنا بدراً معاً وخيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا ... إذ وردوا الأمر فذمّوا الصَّدَرا[3]
لو أنَّ عندي يابن حرب جعفرا ... أو حمزة القرم الهمام الأزهرا

رأت قريشٌ نجم ليل ظهرا

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٤، كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٤، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٨.

---

(١) الخزر: ضيق العين. الخزرة بالضم: انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول.

(٢) أدب الصبي: سيَّرة. أرود في السير: رفق وتمهل. الضجر بفتح الفاء والعين: القلق من غم وضيق نفس.

(٣) الجزرة. الشاة التي تذبح ج جزر. بالفتح وقد تكسر. الصدر، بالتحريك: رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد.

٢٠ - غانمة بنت غانم وعمرو

بلغ غانمة بنت غانم، سبُّ معاوية، وعمرو بن العاص، بني هاشم وهي بمكّة قالت: يا معشر قريش، والله ما معاوية بأمير المؤمنين ولا هو كما يزعم، هو والله شانىء رسول الله ﷺ إنّي آتيةٌ معاوية وقائلةٌ له بما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله. فكتب عامل معاوية إليه بذلك فلمّا بلغه أنّ غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وأُلقي فيها فرش، فلمّا قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلمّا دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد: إنّ أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته وكان لا تعرفه فقالت: مَن أنت؟ كلأك الله. قال: يزيد بن معاوية. قالت: فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد. فتغيّر لون يزيد فأتى أباه فأخبره فقال: هي أسنُّ قريش وأعظمهم. فقال يزيد: كم تعدُّ لها يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت تعدُّ على عهد رسول الله ﷺ أربعمائة عام وهي من بقيّة الكرام، فلمّا كان من الغد أتاها معاوية فسلّم عليها فقالت: على المؤمنين السّلام وعلى الكافرين الهوان. ثمّ قالت: مَن منكم ابن العاص؟[1] قال عمرو: ها أنا ذا. فقالت: وأنت تسبُّ قريشاً وبني هاشم؟ وأنت أهل السبِّ وفيك السبُّ وإليك يعود السبّ يا عمرو؟ إنّي والله لعارفةٌ بعيوبك وعيوب امِّك وإنّي أذكر لك ذلك عيباً عيباً: وُلدتَ من أمة سوداء مجنونة حمقاء، تبول من قيام، وتعلوها اللئام، إذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً، وأمّا أنت فقد رأيتك غاوياً غير راشد، ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرتَ ولا أنكرتَ، وأمّا أنت يا معاوية! فما كنت في خير ولا رُبّيت في خير، فما لك ولبني هاشم؟ أنساء بني أُمية كنسائهم؟! الحديث. وهو طويلٌ وقد حذفنا من أوّله مقدار ما ذكر، راجع [المحاسن والأضداد] للجاحظ ص ١٠٢ - ١٠٤، وفي ط ١١٨ - ١٢١ و[المحاسن والمساوي] للبيهقي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ - .

---

(١) في لفظ الجاحظ: أفيكم عمرو بن العاص؟.

هذه حقيقة الرجل ونفسيّاته وروحيّاته منذ العهد الجاهليّ وفي دور النبوّة وبعده إلى ما أثاره من فتن إلتقت بها حلقتا البطان في أيّام أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم تحيّزه إلى ابن آكلة الأكباد لدحض الحقّ وأهله، وما كان يتحرّى فيها من الغوائل وبعدها إلى أن اصطلمه القدَر الحاتم، واخترمته منيّته يوم خابت امنيّته فطفق يتغلّل بين أطباق الجحيم وتضربه زبانيتها بمقامع من حديد، ولعلّنا ألمسناك هذه الحقيقة باليد فلن تجد في تضاعيف هاتيك الأعوام له مأثرة يتبجّح بها ابن انثى خلا ما تقوّله زبائنه من أعداء أهل البيت عليهم السَّلام، وما عسى أن يكون مقيلها من ظلٍّ الحقّ؟ بعدما أثبتناه من الحقيقة الراهنة، ووقفنا عليه من أحوال رواة السوء وشناشنهم في افتعال المدائح للزعانفة المؤتلفة معهم في النزعات الباطلة.

وأمّا تأميره في غزوة ذات السلاسل فلا يُجديه نفعاً بعد ما علمناه من أنّه كان يتظاهر بالإسلام ويبطن النفاق في طيلة حياته، وما كان الصالح العامّ والحكمة الإلّهية يحدوان رسول الله صلّى الله عليه وآله على العمل بالبواطن، وإنّما يجاري القوم مجاري ظواهرهم لأنّهم حديثو عهد بالجاهليّة، والإسلام لَما يتحكّم في أفئدتهم، فلو كاشفهم على السرائر لا تنكصوا على أعقابهم، وتقهقروا إلى جاهليّتهم الأولى، فكان يُسايرهم على هذا الظاهر لعلّهم يتمرّنوا باعتناق الدين، ويأخذ من قلوبهم محلّه، ولذلك انه صلّى الله عليه وآله كان يعلم بنفاق كثير من أصحابه كما أخبره الله تعالى بقوله ﴿ومِن أهل المدينة مَردوا عَلى النِّفاقِ﴾. إلى غيرها من الآيات الكريمة، لكنّه يستر عليهم رعايةً لما أبرمه حذار الإنتكاث، فكان تأمير عمرو مع علمه بنفاقه لتلك الحكمة البالغة غير ملازم لحسن حاله على ما عرفته من كلام مولانا أمير المؤمنين من أنّه صلّى الله عليه وآله لَمّا عقد له الراية شرط عليه شرطاً قد أخلفه.

ويُعرب عن حقيقة ما نرتأيه قولُ أبي عمرو وغيره: إنّ عمرو بن العاص إدّعى على أهل الإسكندريّة أنّهم قد نقضوا العهد الّذي كان عاهدهم، فعهد إليها فحارب أهلها وافتتحها، وقتل المقاتلة، وسبى الذرّية، فنقم ذلك عليه

عثمان، ولم يصحّ عنده نقضهم العهد، فأمر بردّ السبي الّذي سُبوا من القرى إلى مواضعهم، وعزل عَمْراً عن مصر وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري مصراً بدله، فكان ذلك بدوُّ الشرِّ بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان، فلمّا بدا بينهما من الشرِّ ما بدا اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله، وكان يأتي المدينة أحياناً ويطعن على عثمان (١) وولّى عمر عمرو بن العاص على مصر وبقي والياً عليها إلى أوّل خلافة عثمان، سعّر عليه الدنيا ناراً، ولّما أتاه قتله قال: أنا أبو عبدالله إذا نكأت(٢) قرحةً أدميتها. ثمَّ إنّ عثمان عزله عن الخراج واستعمله على الصّلاة، واستعمل على الخراج عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثمَّ جمعهما لعبدالله بن سعد وعزل عَمْراً، فلمّا قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به. فقال: يابن النابغة؟ ما أسرع ما قمل جربّان (٣) جُبّتك! إنّما عهدك بالعمل عام أوّل، أتطعن عليَّ وتأتيني بوجه وتذهب عنّي بالآخر؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك. فقال عمرو: إنَّ كثيراً ممّا يقول الناس وينقلون إلى وُلاتهم باطل، فاتقّ الله يا أمير المؤمنين في رعيّتك؟ فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعك(٤) وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عنّي راض. فقال عثمان: وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت، ولكنّي لنتُ لك فاجترأتَ عليَّ. فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقدٌ عليه يأتي عليّاً مرّة فيؤلّبه على عثمان. ويأتي الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان. ويأتي طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان. ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان.

ولّما قصد الثوّار إلى المدينة أخرج لهم عثمان عليّاً فكلّمهم فرجعوا عنه وخطب عثمان الناس فقال: إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم

---

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٢.
(٢) نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ.
(٣) جربان الجبة بضم الميم والراء وكسرهما وتشديد الباء جيبها.
(٤) أي على ما فيك من عيب وميل. والظلع في الأصل غمز البعير في مشيه.

أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم، فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: إتّق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهابير[١] وركبناها معك، فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان فقال: وإنّك هناك يابن النابغة؟ قملت والله جبّتك منذ تركتك من العمل. وفي لفظ البلاذري في الأنساب: يابن النابغة! وإنّك ممّن تُؤلّب عليَّ الطغام لأنّي عزلتك عن مصر.

فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج عمرو من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبع. فنزل بها، وكان يقول: أنا أبو عبدالله إذا حككتُ قرحةً نكأتها، والله إن كنت لألقى الراعي فأُحرِّضه عليه. وفي لفظ البلاذري: وجعل يحرِّض الناس على عثمان حتّى رعاة الغنم. فبينما هو بقصره بفلسطين إذ مرَّ به راكبٌ من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال: تركته محصوراً. قال عمرو: أنا أبو عبدالله قد يضرط العير والمكواة في النار، فلمّا بلغه مقتل عثمان قال عمرو: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، مَن يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقَّ[٢] وهو أكره مَن يليه إليَّ.

فلمّا بلغه أنّ علياً قد بويع له، فاشتدَّ عليه وتربّص لينظر ما يصنع الناس، ثمَّ نمى إليه معاوية بالشام يأبى أن يبايع عليّاً، وأنّه يُعظِّم قتل عثمان ويُحرِّض على الطلب بدمه، فاستشار ابنيه عبدالله ومحمّداً في الأمر، وقال: ما تريان؟ أمّا عليٌّ فلا خير عنده وهو رجلٌ يدلّ[٣] بسابقته، وهو غير مشركي في شيء من أمره. فقال عبدالله بن عمرو: توفّي النبيّ ﷺ وهو عنك راض، وتوفّي أبو بكر رضي الله عنه وهو عنك راض، وتوفّي عمر رضي الله عنه وهو عنك راض، أرى أن تكفّ يدك وتجلس في بيتك حتّى يجتمع الناس على إمام فتبايعه. وقال محمّد بن عمرو: أنت نابٌ من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس

---

(١) جمع نهبورة بالضم: المهلكة.
(٢) استنظف الشيء. أخذ كله.
(٣) أدل وتدلل: انبسط واجترأ.

لك فيه صوتٌ ولا ذكرٌ. قال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله؟ فأمرتني بالّذي هو خيرٌ لي في آخرتي، وأسلم في ديني، وأمّا أنت يا محمّد فأمرتني بالّذي أنبه لي في دنياي، وأشرّ لي في آخرتي. ثمّ خرج عمرو بن العاص ومعه إبناه حتّى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحقّ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم. ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو، فقال إبنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك؟! إنصرف إلى غيره. فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لعجب لك إنّي أرفدك بما أرفدك وأنت معرضٌ عنّي، أمّا والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إنّ في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا. فصالحه معاوية وعطف عليه.

أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٧٤، ٨٧، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٨ - ١١١ و٢٢٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٦٨، تذكرة السبط ص ٤٩، جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٨٨.

وكان بعد تلك المساومة المشؤومة يحضّ الناس على قتل الإمام أمير المؤمنين كما فعله على عثمان حتّى قتله وافتخر به بقوله: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع. ثمّ جعل قميصه وسيلة النيل إلى الرُتبة والراتب وقام بطلب دمه قائلاً: إنّ في النفس من ذلك ما فيها. وممّن حثّ على أمير المؤمنين وألّبه حريثٌ مولى معاوية بن أبي سفيان قال ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١١٣: قال معاوية لحريث: إتّق عليّاً ثمّ ضع رمحك حيث شئت، فقال له عمرو بن العاص: إنّك والله يا حريث، لو كنت قرشيّاً لأحبّ معاوية أن تقتل عليّاً ولكن كره أن يكون لها حظّها، فإن رأيت منه فرصة فاقتحم عليه.

ولَمّا قُتل أمير المؤمنين عليه السلام إستبشر بذلك وبشّره به سفيان بن عبد شمس بن أبي وقّاص قال ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ١٨١: لَمّا طُعن أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب سفيان يبشّر معاوية وعمرو بن

العاص بقتله فكتب معاوية إلى عمرو وهو يقول:

وقتـك وأسباب المنـون كثيرةٌ ... منيَّة شيخٍ من لويٍّ بن غالبِ
فيا عمرو مهلاً إنَّما أنت عمّه ... وصاحبه دون الرجال الأقاربِ
نجوت وقد بلَّ المراديُّ سيفه ... من ابن أبي شيخ الأباطح طالبِ
ويضـربني بالسيف آخـر مثله ... فكانت عليه تلك ضربة لازبِ
وأنت تنـاغي كـلَّ يـوم وليلة ... بمصرك بيضاً كالظباء الشوازبِ

هذه نفسيَّة الرجل وتمام حقيقته اللائحة على تجارته البـائرة، وصفقتـه الخاسرة، وبضاعته المزجاة من الدين المبطن بالإلحاد، والمكتنف بالنِّفاق، ولو لم يكن كذلك لما اقتنع بتلك المساومة، وهـو يعرف الثمن والمثمن، ويعلم سابقة أمير المؤمنين وفضله وقرابته ويقول: إن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقَّ. ومع ذلك يُظهر بغضه وعداه بقوله: وهو أكره مَن يليه إليَّ. ويعترف بالحقِّ ويتحيّز إلى خلافه، ويعرف الموضع الصالح للخلافة ثمَّ يميل مع الهوى ويقول: إنّما أردنا هذه الدنيا. فيبيع دينه لمعاوية بثمن بخس (مصر وكورها) ويؤلّب الناس على الإمام الطاهر بنصِّ الكتاب العزيز، ويسرُّ بقتله، ولقد صارح بكـلِّ ذلك صـراحة لا تقبـل التأويـل وهي مستفادةٌ من نصـوصه ونصوص الصحابة الأوّلين، وبها عُرِّف في التاريخ الصحيح كما سمعت من دون أيِّ استنباط أو تحوير، فلا بارك الله في صفقة يمينه، ولا غار له بخير.

حديث شجاعته

لم نعهد لابن النابغة موقفاً مشهوداً في المغازي والحروب سواءٌ في ذلك العهد الجاهليّ، ودور النبوَّة، وأمّا وقعة صفّين فلم يُؤثر عنه سوى مخزاة سوئته مع أمير المؤمنين، وفراره من الأشتر، وقد بقي عليه عار الأولى مدى الحقب والأعوام، وجرى بها المثَل وغنّى بهـا أهل الحجـاز وجاء شعـر عتبة بن أبي سفيان:

سـوى عمـرو وقتـه خصيتـاه ... نجى ولـقلبـه مـنـه وجيـبُ

وفي شعر معاوية بن أبي سفيان يذكر عمراً وموقفه كما يأتي :

فلو لم يُبـد عـورتـه لـلاقى ... بـه ليثـاً يُـذلّـل كـلَّ غـازي
فـقـد لاقى أبـاحسنٍ عـليـاً ... فـآب الـوائليُّ فـآب غـازي

وفي شعر الحارث بن نصر السهميِّ :

فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا ... سبيلكمـا لا تلقيا الليث ثـانيهْ
ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما ... همـا كانتـا لِلنفس والله واقيـهْ

وفي شعر الأمير أبي فراس:

ولا خير في دفع الردى بمذلّة ... كما ردّها يوماً بسـوئته عمـرو

وفي شعر الزاهي البغدادي :

وصـدَّ عن عمرو وبُسـر كرمـا ... إذ لقيا بالسـوأتين مَن شخصْ

وقال آخر:

ولا خير في صون الحياة بذلّة ... كما صانها يومـاً بذلّتـه عمرو

وقال عبد الباقي الفاروقيُّ العمريُّ :

وليلة الهـريـر قـد تكشّفت ... عن سوءة ابن العاص لَمّا غُلبا
فحـاد عنـه مغضبـاً حيـدرةٌ ... وعفٌّ والعفـو شعـار النجبـا
ولـو يشـأ ركّب فيـه زجّـةً ... تركيب مزجيٍّ كمعـدي كربـا

وكان قد تكرّر منه هذا العمل المخزي كما سيأتي، ولو كان للرجل شيءٌ من البسالة لجبه معيِّريه بتعداد مشـاهده، وسلقهم بلسـان حديـد، وهو ذلـك الصلف المفوّه، وفيما أمَّر من الحروب كان الزحف للجيش الباسل دونه، فلم يَسط أمامه، وإنّما كان رئيّاً في أمرهم يُدير وجه الحيلة فيه، كما أنَّه كان في

صفّين كذلك لم يُبارح سرادق معاوية وطفق يُبديه دهائه إلّا في موقفين سيوافيك تفصيلهما، ولذلك كلّه اشتهر بدهاء دون الشجاعة. قال البيهقي في [المحاسن والمساوي] ج ١ ص ٣٩: قال عمرو بن العاص لابنه عبدالله يوم صفّين: تبيّن لي هل ترى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قال عبدالله: فنظرت إليه فرأيته فقلت: يا أبه! ها هو ذاك على بغلة شهباء عليه قباءٌ أبيض وقلنسوةٌ بيضاء. قال فاسترجع وقال: والله ما هذا بيوم ذات السلاسل ولا بيوم اليرموك ولا بيوم أجنادين، وددت أنّ بيني وبين موقفي بُعد المشرقين.

هذا هو الذي عرفه منه معاصروه، وستقف على أحاديثهم، نعم جاء ابن عبد البرّ بعد لأيٍ من عمر الدهر فتهجّس في «الإستيعاب» فعدّه من فُرسان قريش وأبطالهم في الجاهليّة مذكوراً بذلك فيهم. ولعلّ ابن منير[1] المولود بعد ابن عبد البرّ بعشر سنين وقف على كلامه في «الإستيعاب» وحكمه ببطولة الرجل فقال في قصيدته التَريّة:

وأقول إن أخطأ معاويةٌ فما أخطأ القَدَرْ
هذا ولم يَغدر معاويةٌ ولا عمروٌ مكرْ
بطلٌ بسوءته يُقاتل لا بصارمه الذَكَرْ

فإليك ما يُؤثر في مواقفه حتى ترى عيَّه عن القُحوم إلى الفوارس في مضمار النضال والدنوّ من نقع الحومة، وتقف على حقيقته من هذه الناحية أيضاً، وتعرف قيمة كلام ابن حجر في «الإصابة» ج ٣ ص ٢ من: أنّ النبيّ ﷺ كان يُقرِّبه ويُدنيه لمعرفته وشجاعته، ولا نُسائله متى قرَّبه وأدناه.

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن السادس تأتي هناك قصيدته التترية وترجمته.

أمير المؤمنين وعمرو
في معترك القتال بصفين

كان عمرو بن العاص عدوّاً للحرث بن نضر الخثعمي، وكان من أصحاب عليٍّ عليه السّلام، وكان عليٌّ قد تهيّبته فرسان الشام وملأ قلوبهم بشجاعته وامتنع كلٌّ منهم من الإقدام عليه وكان عمرو ما جلس مجلساً إلّا ذكر فيه الحرث بن نضر الخثعميّ وعابه فقال الحرث:

ليس عمرو بتارك ذكره الحرث ... مدى الدّهر أو يُلاقي عليّا
واضع السيف فوق منكبه الأيـ ... ـمن لا يحسب الفوارس شيّا
ليت عمراً يلقاه في حومة النقع ... وقد أمست السيوف عصيّا
حيث يدعو البراز حاميةُ القوم ... إذا كان بالبراز مليّا
فوق شِهب مثل السحوق[1] من ... النخل يُنادي المبارزين: إليّا
ثمّ يا عمرو تستريح من الفخر ... وتلقى به فتىً هاشميّا
فالقه إن أردت مكرمة الدهر ... أو الموت كلّ ذاك عليّا

فشاعت هذه الأبيات حتّى بلغت عمراً فأقسم بالله ليلقينّ عليّاً ولو مات ألف موتة. فلمّا اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدّم عليٌّ وهو مخترطٌ سيفاً، معتقلٌ رمحاً، فلمّا رهقه همز فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه، كاشفاً عورته، فانصرف عنه عليٌّ لافتاً وجهه، مستدبراً له، فعدَّ الناس ذلك من مكارم عليّ وسؤدده، وضرب بها المثل.

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٢٤، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٠.

وقال ابن قتيبة - في الإمامة والسياسة - ج ١ ص ٩١: ذكروا أنّ عمراً قال

---

(١) سحقت النخلة. طالت. فهي سحوق بالفتح ج سحق. بالضم.

لمعاوية: أتجبن عن عليٍّ وتتّهمني في نصيحتي إليك؟؟!! والله لأبارزن عليّاً ولو متُّ ألف موتة في أوّل لقائه، فبارزه عمرو فطعنه عليٌّ فصرعه، فاتّقاه بعورته فانصرف عنه عليٌّ وولّى بوجهه دونه، وكان عليٌّ رضي الله عنه لم ينظر قطُّ إلى عورة أحد حياءً وتكرُّماً وتنزُّهاً عمّا لا يحلُّ، ولا يجلُّ بمثله كرّم الله وجهه.

وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥: إنَّ معاوية أقسم على عمرو لمّا أشار عليه بالبراز إلى أن يبرز إلى عليّ فلم يجد عمرو من ذلك بُدّاً فبرز، فلمّا التقيا عرفه عليٌّ وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال: مُكرهٌ أخوك لا بطل. فحوّل عليٌّ وجهه وقال: قبحت. ورجع عمرو إلى مصافه.

اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفّين عمرو بن العاص، وعُتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعي، فقال عُتبة: إنّ أمرنا وأمر عليٍّ بن أبي طالب لعجيب، ما فينا إلّا موتورٌ مُجتاحٌ، امّا انا فقتل جدّي عتبة بن ربيعة وأخي حنظلة وشرك في دم عمّي شيبة يوم بدر، وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك صبراً، وأمّا أنت يا ابن عامر فصرّع أباك وسلب عمّك، وأمّا أنت يا بن طلحة فقتل أباك يوم الجمل، وأيتم إخوتك، وأمّا أنت يا مروان فكما قال الشاعر[1]:

وأفلتهنّ علباء جريضاً ... ولو أدركته صفر الوطاب[2]

فقال معاوية: هذا الإقرار فأيّ غير غيَّرت؟ قال مروان: وأيَّ غير تُريد؟! قال: أُريد أن تشجروه بالرماح. قال: والله يا معاوية ما أرك إلا هاذياً أو هاذئاً وما أرانا إلّا ثقلنا عليك. فقال ابن عقبة:

يقول لنا معاوية بن حرب ... : أما فيكم لواتركم طلوبُ؟

(١) البيت لامرىء القيس، قوله. صفر الوطاب. مثل يضرب لمن مات أو قتل.

(٢) أفلته حلصه وأطلقه. أفلت: تخلص. علباء من علب اللحم: تغيرت رائحته بعد اشتداده، الجريض المشرف على الهلاك. الصفر بالحركات الثلاث: الخالي. الوطب: سقاء اللبن ج وطاب

يشـدُّ على أبي حسنٍ عليٍّ بـأسمر لا تُهجِّنه العَكوبُ(١)
فيهتك مجمع اللبّـات منه ونقـع القـوم مـطرِّدٌ يثـوبُ
فقلت له: أتلعب يا بن هند؟ كـأنـك بيننـا رجـلٌ غـريبُ
أتُغـرينـا بـحيَّـة بـطن وادٍ إذا نَهشت فليس لهـا طبيبُ
ومـا ضبـعٌ يـدبُّ ببطن وادٍ أُتيح(٢)، لـه بـه أسدٌ مهيبُ
بـأضعف حيلة منّـا إذا مـا لـقينـاه ولُـقيـاه عـجيبُ
دعـا لِلقـاه في الهيجـاء لاقٍ فـأخطأ نفسه الأجل القـريبُ
سـوى عمـرو وقتـه خصيتـاهُ نجى ولـقلبـه منـه وجيبُ
كـأنّ القـوم لمّـا عـاينـوهُ خلال النقع ليس لهم قلوبُ
كعمـرو أي معاويـة بن حرب ومـا ظنّي ستلحقه العيـوبُ
لقـد نـاداه في الهيجـا عليٌّ فـأسمعـه ولكن لا يُـجيبُ

فغضب عمرو وقال: إن كان الوليد صادقاً فليلق عليّاً، أو فليقف حيث يسمع صوته وقال عمرو:

يُـذكّرني الـوليـد دعـا عليٌّ وبـطن المرء يمـلأه الـوعيـدُ
متى يـذكـر مشـاهـده قـريش يطر من خوفه القلب الشديـدُ
فـأمّـا في اللقـاء فـأين منـهُ معـاويـة بن حـرب والـوليـدُ
وعيّـر في الـوليـد لقاء ليث إذا مـا زار(٣) هـابته الاسـودُ
لـقيـتُ ولست أجهـله عليّـاً وقـد بلّت من العلق اللبُودُ(٤)
فـأطعنه ويـطعنني خـلاساً(٥) ومـاذا بعـد طعنتـه أُريدُ؟
فـرُمهـا أنت يـابن أبي مُعيط وأنت الفارس البطل النَّجيدُ(٦)

---

(١) هجنه الأمر: قبحه وعابه. العكوب بالفتح: الغبار.
(٢) تاح تيحاً وتوحاً: قدر وتهيأ. رجل متيح: أي لا يزال يقع في بلية.
(٣) من الزئير: صوت الأسد.
(٤) اللبد بالكسر: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد. ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج ج لبود ولباد.
(٥) يقال: الرجلان يتخالسان: أي يروم كل منهما قتل صاحبه.
(٦) النجيد: الشجاع الماضي فيما يعجز غيره.

وأُقسم لــو سمعت نـدا عليٍّ لـطار القلب وانتفـخ الـوريـدُ
ولــو لاقيتــهُ شقَّت جيــوبٌ عليك ولطَّمت فيك الخدودُ(١)

وفي رواية سبط ابن الجوزي:

ثمَّ التفت الوليد إلى عمرو بن العاص وقال: إن لم تصدِّقوني وإلاّ فسلوا. أراد تبكيت عمرو، قال هشام بن محمَّد: ومعنى هذا الكلام: إنَّ عليّاً خرج يوماً من أيام صفِّين فرأى عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يعـرفه فـطعنه، فوقع، فبدت عورته، فاستقبل عليّاً فأعرض عنه ثمَّ عرفه فقال: يابن النابغة! أنت طليق دبرك أيّام عمرك، وكان قد تكرَّر منه هذا الفعل.

رواية ابن عباس:

روى نصر بإسناده عن ابن عبّاس قال: تعرَّض عمرو بن العاص لعليّ يوماً من أيّام صفِّين، وظنَّ أنَّه يطمع منه في غِرة (أي: في غفلة) فيصيبه، فحمل عليه عليٌّ عليه السَّلام فلمّا كاد أن يُخالطه أذرى (أي: ألقى) نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه، وشغر(٢) برجله فبدت عورته، فصرف عليه السَّلام وجهه عنه، وقام معفَّراً بالتراب، هارباً على رجليه، معتصماً بصفوفه، فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين؟ أفلت الرجل. فقال: أتدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: إنَّه عمرو بن العاص تلقّاني بسوأته فذكرني بالرحم (لفـظ ابن كثـير) فصرفت وجهي عنه، ورجع عمرو إلى معاوية فقـال: ما صنعت يـا أبا عبـدالله؟ فقال: لقيني عليٌّ فصرعني. قال: أحمد الله وعورتك ـ وفي لفظ ابن كثير: أحمـد الله وأحمد إستك ـ والله إنّي لأظنّك لو عرفته لما اقتحمت عليه. وقال معاوية في ذلك:

ألا لله مـن هفـوات عـمـرو يُعـاتبني على تـركي بـرازي
فقــد لاقى أبــا حسن عليّــاً فـآب الـوائليُّ مـآب خـازي

---

(١) كتاب صفين ص ٢٢٢، شرح ابن أبي الحديد ص ١١٠، تذكرة السبط ص ٥١.
(٢) شغر الكلب: رفع إحدى رجليه فبال.

فلو لم يُبـد عورتـه لَلاقى ... به ليثاً يُـذلّل كـلّ غـازي
لـه كـفٌّ كـأنّ بـراحتيهـا ... منايا القوم يخطف خطف بازِ
فـإن تكن المنيّة أخطأتـه ... فقد غنّى بها أهل الحجازِ

فغضب عمرو وقال: ما أشدّ تعظيمك عليّاً في كسري هذا - وفي لفظ ابن أبي الحديد: ما أشدّ تغليطك أبا تراب في أمري - هل أنا إلاّ رجلٌ لقيه ابن عمّه فصرعه؟. أفترى السماء قاطرةً لذلك دماً؟! قال: لا ولكنّها مُعقبة لك خزياً. كتاب صفّين ص ٢١٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٧، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٣.

معاوية وعمرو

إستأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان فلمّا دخل عليه استضحك معاوية فقال عمرو: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ أدام الله سرورك. قال: ذكرتُ ابن أبي طالب وقد غشيك بسيفه فاتّقيته وولّيت. فقال: أتشمتُ بي يا معاوية؟ وأعجب من هذا يوم دعاك إلى البراز فالتمع لونك، وأطت[1] أضالعك، وانتفخ منخرك، والله لو بارزته لأوجع قذالك[2] وأيتم عيالك، وبزّك سلطانك، وأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا تشمت بفارس بُهمة ... لقى فارساً لا تعتريه الفوارسُ
معاوي إن أبصرت في الخيل مقبلاً ... أبا حسن يهوي دهتك الوساوسُ
وأيقنت أنّ الموت حقٌّ وانّه ... لنفسك إن لم تمض في الركن حابسُ
فإنّك لو لاقيته كنت بومة[3] ... أُتيح لها صقرٌ من الجوّ رايسُ[4]
وماذا بقاء القوم بعد اختباطه؟ ... وإنّ امرؤ يلقى عليّاً لآيس

(١) أط: صوت. الإبل: حنت.
(٢) القذال: بين الاذنين من مؤخر الرأس ج قذل وأقذلة.
(٣) البوم والبومة: طائر يسكن الخراب. يضرب به المثل في الشؤم.
(٤) من راس يريس. مشى متبختراً. يقال راس القوم. اعتلى عليهم وغلبهم.

دعـاك فصمَّت دونـه الاذن هــاربـاً فنفسك قد ضاقت عليها الأمالسُ(١)
وأيقنتَ أنَّ المـوت أقـرب مـوعـد وأنَّ الذي ناداك فيهـا الدهـارسُ(٢)
وتشمتُ بي إن نـالني حـدُّ رمحـه وعضّضني نابٌ من الحرب ناهسُ(٣)
أبـى الله إلاّ أنَّـه لـيـثُ غـابـة أبـو أشبـل تُهـدى إليـه الفـرايسُ
وأيُّ امـرىء لاقـاه لم يُلف شـلوه بمعتـرك تسفي عليـه الـروامسُ(٤)
فإن كنت في شكّ فـأوهج عجـاجه وإلاّ فتلك التّـرهـات البسـابسُ(٥)

فقال معاوية: مهلاً يا أبا عبدالله! ولا كلّ هذا. قال: أنت استدعيته.

وفي لفظ ابن قتيبـة في «عيون الأخبـار» ج ١ ص١٦٩: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: مِمَّ تضحك يا أمير المؤمنين؟ أضحك الله سنّك. قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب، أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين! أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك، وربا سَحرك(٦) وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أو دع.

وفي لفظ البيهقي في [المحـاسن والمسـاوي] ج ١ ص ٣٨: دخـل عمرو بن العاص، على معاوية وعنده ناسٌ فلمّا رآه مقبلاً استضحك فقال: يا أمير المؤمنين! أضحك الله سنّك وأدام سرورك وأقرَّ عينك ما كلّ ما أرى يوجب الضحك. فقال معاوية: خطر ببالي يوم صفّين يوم بارزتَ أهل العراق فحمل عليك عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه فلمّا غشيك طرحتَ نفسك عن دابّتك وأبديت عورتك، كيف حضرك ذهنـك في تلك الحال؟ أمـا والله لقد واقفت

---

(١) الأمالس والأماليس ج امليس: الفلاة التي ليس فيها نبات.
(٢) الدهرس: الشدة والبلية.
(٣) نهس اللحم نهساً بفتح العين وكسره: أخذه ونتفه ومده بالفم.
(٤) الرمس: الستر والتغطية. ويقال لما يحثى على القبر من التراب: رمس.
(٥) كتاب صفين ٢٥٣، أمالي الشيخ ص ٨٤، تذكرة السبط ص ٥٢.
(٦) ربا ربواً: انتفخ. السحر بفتح السين وضمه: الرئة.

هاشميّاً منافياً ولو شاء أن يقتلك لقتلك. فقال عمرو: يا معاوية إن كان أضحكك شأني فمن نفسك فاضحك، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذي بدا له من صفحتي لأوجع قذالك، وأيتم عيالك، وأنهب مالك، وعزل سلطانك، غير أنّك تحرّزتَ منه بالرجال في أيديها العوالي، أما أنّي قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك، وأربد شدقاك، وتنشّر منخراك، وعرق جبينك، وبدا من أسفلك ما أكره ذكره. فقال معاوية: حسبك حيث بلغت لم نرد كلّ هذا.

وفي لفظ الواقدي: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبدالله، لا أراك إلّا ويغلبني الضحك قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفّين فأذريت نفسك فَرقاً من شبا سنانه، وكشفت سوأتك له. فقال عمرو: أنا منك أشدُّ ضحكاً إنّي لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سَحرك، وربا لسانك في فمك، وعصب ريقك، وإرتدّت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك. فقال معاوية: لم يكن هذا كلّه، وكيف يكون؟ ودوني عكٌّ والأشعريّون. قال: إنّك لتعلم أنَّ الذي وصفتُ دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكٌّ والأشعريّون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب؟ قال: يا أبا عبدالله، خض بنا الهزل إلى الجدّ: إنّ الجبن والفرار من عليّ لا عار على أحد فيهما. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١١.

قال نصر في كتابه ص ٢٢٩: وكان معاوية لم يزل يشمت عمراً ويذكر يومه المعهود ويضحك، وعمرو يعتذر بشدّة موقفه بين يدي أمير المؤمنين، فشمت به معاوية يوماً وقال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس وفررتم وإنّك لجبان، فغضب عمرو ثمّ قال: والله لو كان عليّاً ما قحمتَ عليه يا معاوية! فهلّا برزتَ إلى عليٍّ إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم؟ وقال عمرو في ذلك:

تسير إلى ابن ذي يزن سعيد ... وتترك في العجاجة مَن دعاكا
فهل لك في أبي حسن عليٍّ؟ ... لعلّ الله يُمكن مِن قفاكا
دعاك إلى النزال فلم تُجبه ... ولو نازلته تربتْ يداكا
وكنت أصمّ إذ ناداك عنه ... وكان سكوته عنه مناكا

فآب الكبش قد طحنت رحاه   بنجدته ولم تطحن رحاكا
فما أنصفت صحبك يا بن هند   أتفرقه وتغضب مَن كفاكا؟؟!!
فلا والله ما أضمرت خيراً   ولا أظهرتَ لي إلاّ هواكا

أشار عمرو بن العاص، في هذه الأبيات إلى ما رواه نصر في كتاب صفّين ص ١٤٠ وغيره من المؤرّخين من: أنّ عليّاً عليه السّلام قام يوم صفّين بين الصفّين ثمّ نادى يا معاوية! يُكرّرها فقال معاوية: إسألوه ما شأنه؟ قال: أُحبُّ أن يظهر لي فأُكلّمه كلمة واحدة. فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية: ويحك على مَ يقتتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً؟؟!! أبرز إليّ فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له. فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبدالله فيما هٰهنا ؟ أبارزه؟؟!! فقال عمرو: لقد أنصفك الرّجل واعلم أنّه إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيٌّ. فقال معاوية: يا عمرو! ليس مثلي يُخدع عن نفسه. والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قطُّ إلاّ سقى الأرض من دمه. ثمّ انصرف معاوية راجعاً حتّى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه.

خرج عليٌّ عليه السّلام ذات يوم في صفّين منقطعاً من خيله ومعه الأشتر يتسايران رُويداً يطلبان التلّ ليقفا عليه وعليٌّ يقول:

إنّي عليٌّ فسلوا لتخبروا   ثمّ ابرزوا إلى الوغا أو ادبروا
سيفي حسامٌ وسناني أزهرُ   منّا النبيُّ الطيِّبُ المطهَّرُ
وحمزة الخير ومنّا جعفرُ   له جناحٌ في الجنان أخضرُ
ذا أسد الله وفيه مفخرُ   هذا بهذا وابن هند محجرُ
مذبذبٌ مطّردٌ مؤخّرُ

إذ برز له بُسر بن أرطاة مقنّعاً في الحديد لا يُعرف فناداه: ابرز إليَّ أبا

حسن! فانحدر إليه على تؤدَةٍ[١] غير مكترثٍ به حتّى إذا قاربه طعنه وهو دارعٌ فألقاه على الأرض. ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتّقاه بُسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه عليه السّلام مستدبراً له فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين! هذا بُسر بن أرطاة هذا عدوّ الله وعدوّك. فقال: دعه عليه لعنة الله، أبَعد أن فعلها؟ فحمل ابن عمّ لبسر شابّ على عليّ وهو يقول:

أرديت بُسراً والغلام ثايرهْ ... أرديت شيخاً غاب عنه ناصرهْ

وكلّنا حام لبسر واترهْ

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

أكلّ يوم رجل شيخ شاغرهْ ... وعورةٌ تحت العجاج ظاهرهْ

تبرزها طعنة كفٍّ واترهْ ... عمروٌ وبُسر رُميا بالفاقرهْ

فطعنه الأشتر فكسر صلبه، وقام بُسر من طعنة عليّ وولّت خيله، وناداه عليٌّ يا بسر! معاوية كان أحقّ بهذا منك. فرجع بُسر إلى معاوية فقال له معاوية: إرفع طرفك قد أدال[٢] الله عمراً منك. فقال في ذلك الحارث بن نضر السهمي:

أفي كلّ يوم فارسٌ تندبونه ... له عورةٌ تحت العجاجة باديهْ

يكفّ بها عنه عليٌّ سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويهْ

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه ... وعورة بُسر مثلها حذو حاذيهْ

فقولا لعمرو وابن أرطأة أبصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيهْ

ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما ... هما كانتا لِلنفس والله واقيهْ

فلولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهيهْ

---

(١) أي تأنى وتمهل.

(٢) أدال الشيء. جعله متداولاً. يقال أدال الله زيداً من عمرو، أي نزع الدولة من عمرو وحولها إلى زيد.

متى تلقيا الخيل المشيجة صيحة — وفيها عليٌّ فاتركا الخيل ناحيهْ
وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا — ونار الوغى إنّ التجارب كافيهْ
وإن كان منه بعدُ في النفس حاجةٌ — فعودوا إلى ما شئتما هي ماهيهْ

كتاب صفّين ص ٢٤٦، الإستيعاب ج ١ ص ٦٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠٠، مطالب السئول ص ٤٣، تاريخ ابن كثيـر ج ٤ ص ٣٠، نور الأبصار ص ٩٥.

يُنبئنا التاريخ أنّ عمرو ليس بأوّل رجل كشف عن سوءته من بأس أمير المؤمنين وإنّما قلّد طلحة بن أبي طلحة فإنّه لَمّا حمل عليه أمير المؤمنين يوم أُحد ورأى أنّه مقتولٌ لا محالة، فاستقبله بعورته وكشف عنها. راجع تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٢٠ وذكره الحلبي في سيرته ج ٢ ص ٢٤٧ ثمّ قال: وقع لسيِّدنا عليٍّ كرّم الله وجهه مثل ذلك في يوم صفّين مرّتين: الأولى: حمل على بُسر بن أرطأة والثانية: حمل على عمـرو بن العاص فلمّـا رأى أنّه مقتـولٌ كشف عن عورته، فانصرف عنه عليٌّ كرّم الله وجهه.

الأشتر، وعمرو بن العاص
في معترك القتال بصفّين

إنّ معاوية دعا يوماً بصفّين مروان بن الحكم فقال: إنّ الأشتر قد غمّني وأقلقني، فاخرج بهذه الخيل في يحصب والكلاعيِّين فالقه فقاتل بها. فقـال مروان: أُدع لها عمراً فإنّه شعارك دون دثارك. قال: وأنت نفسي دون وريدي. قال: لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء أو ألحقته بي في الحرمان، ولكنّك أعطيته ما في يدك، ومنّيته ما في يد غيرك، فإن غلبتَ طاب له المقام، وإن غُلبت خفّ عليه الهرب. فقال معاوية: سيُغني الله عنك. قال: أمّا إلى اليوم فلن يغني، فدعا معاوية عمراً وأمره بالخروج إلى الأشتر. فقال: أما إنّي لا أقول لـك ما قـال مروان. قـال: فكيف تقول؟! وقـد قدّمتـك وأخّرتـه، وأدخلتك وأخرجته. قال: أما والله إن كنتَ فعلتَ لقد قدَّمتني كافياً، وأدخلتني ناصحاً،

وقد أكثر القوم عليك في أمر مصر وإن كان لا يُرضيهم إلاّ أخذها فخذها، ثمَّ قام فخرج في تلك الخيل فلقيه الأشتر أمام القوم وهو يقول:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو؟ ذاك الذي أوجبتُ فيه نذري
ذاك الذي أطلبه بوتري ذاك الذي فيه شفاء صدري
ذاك الذي إن ألقه بعمري تغلي به عند اللقاء قِدري
أجعله فيه طعام النسر أو لا فربّي عاذري بعذري

فلمّا سمع عمرو هذا الرجز وعرف أنَّه الأشتر فشل وجبن واستحى أن يرجع وأقبل نحو الصوت وقال:

يا ليت شعري كيف لي بمالكِ كم جاهل خيَّبته وحاركِ(١)
وفارس قتلته وفاتكِ ومقدمٌ آبَ بوجهٍ حالكِ(٢)
ما زلت دهري عُرضة المهالكِ

فغشيه الأشتر بالرمح فزاغ عنه عمرو فلم يصنع الرمح شيئاً، ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على وجهه وجعل يرجع راكضاً نحو عسكره، فنادى غلامٌ مِن يحصب: يا عمروا عليك العفا ما هبت الصبا.

كتاب صفّين ص ٢٣٣، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٥.

يُنبئك صدر هذا الحديث عن نفسيّات أولئك المناضلين عن معاوية الدُّعاة إلى إمامته، ويُعرب عن غايات تلك الفئة الباغية بنصِّ النبيِّ الأطهر إماماً ومأموماً في تلك الحرب الزَّبون، فما ينبغي لي أن أكتب عن إمام يكون مثل عمرو بن العاص شعاره، ومثل مروان بن الحكم نفسه؟؟!! وما يحقُّ لك أن تعتقد في مأموم هذه محاوراته في معترك القتال مع إمامه المفترضة عليه طاعته ـ إن صحّت الأحلام ـ ومشاغبته دون الرُّتبة والراتب؟؟!!.

---

(١) حرك. امتنع من الحق الذي عليه. غلام حرك: خفيف ذكي.
(٢) حلك. اشتد سواده فهو حالك وحلك.

ابن عباس وعمرو

حجَّ عمرو بن العاص، وقام بالموسم فأطرى معاوية وبني أُميَّة وتناول بني هاشم ثمَّ ذكر مشاهده بصفّين، فقال ابن عبّاس: يا عمرو! إنّك بعتَ دينك من معاوية فأعطيته ما في يدك ومنّاك ما في يد غيره، فكان الّذي أخذ منك فوق الّذي أعطاك، وكان الّذي أخذت منه دون ما أعطيته، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى، فلمّا صارت مصر في يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقّص، حتّى لو أنّ نفسك في يدك لألقيتها إليه، وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلاّ بالغدر، ولا منّيت إلاّ بالفجور والغشّ، وذكرت مشاهدك بصفّين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، ولا نكتنا فيها حربك، ولقد كنت فيها طويل اللسان، قصير السنان، آخر الحرب إذا أقبلت، وأوّلها إذا أدبرت، لك يدان: يدٌ لا تبسطها إلى خير، ويدٌ لا تقبضها عن شرّ، ووجهان: وجهٌ مونسٌ ووجه موحشٌ، ولعمري انَّ من باع دينه بدنيا غيره لحريٌّ أن يطول حزنه على ما باع واشترى، لك بيانٌ وفيك خطل، ولك رأيٌ وفيك نكد ولك قدرٌ وفيك حسد، فأصغر عيب فيك أعظم عيب غيرك. فقال عمرو: أما والله ما في قريش أحدٌ أثقل وطأةً عليَّ منك، ولا لأحد من قريش قدر عندي مثل قدرك.

البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣٩، العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٦ نقلاً عن البلاذري.

ابن عباس، وعمرو
في حفلة اخرى

روى المدائني قال: وفد عبدالله بن عبّاس على معاوية مرَّة وعنده ابنه يزيد، وزياد بن سميّة، وعُتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن أُمّ الحكم فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أوّل الشرّ، وأُفول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادَّته فبادره بالحملة، وانتهز منه الفرصة، واردع

بالتنكيل به غيره، وشرّد به مَن خلفه، فقال ابن عبّاس: يا بن النابغة! ضلّ والله عقلك، وسفه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك، هلاّ تولّيت ذلك بنفسك يوم صفّين حين دُعيت نزال[١] وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح، وتقصّفت[٢] الرّماح، وبرزتَ إلى أمير المؤمنين مصاولاً، فانكفأ نحوك بالسيف حاملاً، فلمّا رأيت الكواثر من الموت، أعددتَ حيلة السّلامة قبل لقائه، والإنكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتك، وكشفت له خوف بأسه سوءتك، حذراً أن يصطلمك بسطوته، أو يلتهمك[٣] بحملته، ثمّ أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته، وحسّنت له التعرّض لمكافحته، رجاء أن تكتفي مؤنته، وتعدم صورته، فعلم غلّ صدرك، وما انحنت عليه من النفاق أضلعك، وعرف مقرّ سهمك في غرضك، فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فإنّك بين أسدٍ خادر، وبحر زاجر، إن تبرّزت للأسد إفترسك، وإن عُمت في البحر قمسك - أي: غمسك وأغرقك -. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٥، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٩٣.

عبدالله المرقال وعمرو

كان في نفس معاوية من يوم صفّين إحنٌ على هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال وولده عبدالله، فلمّا استعمل معاوية زياداً على العراق كتب إليه: أمّا بعد: فانظر عبدالله بن هاشم فشدّ يده إلى عنقه ثمّ ابعث به إليّ، فحمله زياد من البصرة مقيّداً مغلولاً إلى دمشق، وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة فأُدخل إلى معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا الّذي يقول أبوه يوم صفّين:

إنّي شريت النفس لمّا اعتلاّ   وأكثر اللوم وما أقلاّ

---

(١) نزال: اسم فعل بمعنى: انزل. أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض: انزل.

(٢) تقصفت: تكسرت.

(٣) التهم الشيء: ابتلعه بمرة.

أعـور يبغـي أهـله مـحـلّا قـد عـالـج الحيـاة حتّى مـلّا
لا بـدّ أن يـفـلّ أو يُفـلّا أسلهمُ بـذي الكعـوب سـلّا
لا خير عندي في كريم ولّى

فقال عمرو متمثّلاً:

وقد نبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وإنّه لهو، دونك يا أمير المؤمنين الضبَّ المضبَّ[1] فأشخب أوداجه على أسباجه (أثباجه) ولا تُرجعه إلى أهل العراق فإنّهم أهل فتنة ونفاق، وله مع ذلك هوىً يُرديه وبطانةٌ تغويه، فوالّذي نفسي بيده لئن أفلتَ من حبـائلك ليجهزنّ إليك جيشاً تكثر صواهله لشرِّ يوم لك، فقال عبدالله وهو المقيَّد: يا ابن الأبترا هلّا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفّين؟ ونحن ندعوك إلى البراز، وأنت تلوذ بشمائل الخيل كالأمة السوداء والنعجة القوداء، أما انّه إن قتلني قتل رجلاً كريم المخبرة، حميد المقدرة، ليس بالحبس المنكوس، ولا الثِّلِب[2] المركوس[3]. فقال عمرو: دع كيت وكيت، فقد وقعت بين لحيي لَهذم[4] فروس للأعداء، يسعطك إسعاط[5] الكودن[6] الملجم. قال عبدالله: أكثر إكثارك، فإنّي أعلمك بطراً في الرّخاء جباناً في اللقاء، عيَّابةً عند كفاح الأعداء، ترى أن تقي مهجتك بأن تُبدي سوأتك، أنَسيت صفّين وأنت تُدعى إلى النزال؟ فتحيـد عن القتال خوفاً أن يغمرك رجالٌ لهم أبدانٌ شدادٌ، وأسنّةٌ حدادٌ، ينهبون السرح، ويذلّون العزيز. فقال عمرو: لقد علم معاوية أنّي شهدت تلك المواطن، فكنت فيها كمدرة الشوك، ولقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن، تخفق أحشاؤه، وتنقّ

(١) من أضب يضب: أي صاح وتكلم وغاض وحقد.
(٢) الثلب: المعيب المهان.
(٣) المركوس: الضعيف.
(٤) اللهذم: الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب.
(٥) الأسعاط: إدخال الدواء في الأنف. يقال: اسعطه الرمح أي طعنه به في أنفه.
(٦) الكودن: البرذون الهجين. الفيل ج كوادن.

أمعاؤه. قال: أما والله لو لقيك أبي في ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك ولم تسلم منه مهجتك، ولكنّه قاتل غيرك، فقُتل دونك. فقال معاوية: ألا تسكت لا أمّ لك؟ فقال: يا بن هند! أتقول لي هذا؟ والله لئن شئت لأغرقنّ جبينك، ولأقيمنّك وبين عينيك وسمٌ يلين له خدعاك، أبأكثر من الموت تخوّفني؟. فقال معاوية: أوَ تكفّ يا ابن أخي؟ وأمر بإطلاق عبدالله، فقال عمرو لمعاوية:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... وكان من التوفيق قتل ابن هاشمِ
أليس أبوه يا معاوية الّذي ... أعان عليّا يوم حزّ الغلاضمِ؟!(١)
فلم ينثني حتّى جرت من دمائنا ... بصفّين أمثال البحور الخضارمِ(٢)
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه(٣) ... ويوشك أن تقرع به سنّ نادمِ

فقال عبدالله يُجيبه:

معاوي إنّ المرء عمراً أبت له ... ضغينةُ صدر غشّها غير نائمِ
يرى لك قتلي يابن هند وإنّما ... يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجمِ
على أنّهم لا يقتلون أسيرهم ... إذا كان منه بيعةٌ للمسالمِ
وقد كان منّا يوم صفّين نقرةٌ ... عليك جناها هاشمٌ وابن هاشمِ
قضى ماانقضى منها وليس الّذي مضى ... ولا ما جرى إلّا كأضغاث حالمِ
فإن تعفُ عنّي تعف عن ذي قرابة ... وإن تر قتلي تستحلّ محارمي

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلةً ... إلى الله في اليوم العصيب القماطرِ(٤)
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم ... بإدراك ثاري في لُويّ وعامرِ
بل العفو عنه بعدما بان جرمه ... وزلّت به إحدى الجدود العواثرِ

(١) جمع غلضمة: اللحم بين الرأس والعنق: يعني: أيام الحرب.
(٢) الخضرم بالكسر: البحر العظيم الماء.
(٣) في كامل المبرد: عيصه. يعني: أصله.
(٤) القماطر بالضم: الشديد.

فكـان أبـوه يـوم صفِّين جمـرةً علينـا فـأردتـه رمـاح النهـابـرِ[1]

كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٨٢، كامل المبرّد ج ١ ص ١٨١، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٧ ـ ٥٩، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧٦.

درس دين وأخلاق

لعلَّ الباحث لا يخفى عليه أنَّ كلَّ سوءة وعورة ذُكر بها المترجم له في التـاريخ الصحيـح، وما يُعـزى إليه وعُـرِّف به من المسـاوي في طيّات تلكم الكلمـات الصادقـة المذكـورة من الوضـاعة والغـواية والغـدر والمكر والحيلة والخدعة والخيانة والفجور ونقض العهد وكذب القول وخلف الوعد وقطع الإلّ والحقد والوقاحة والحسد والرياء والشحّ والبذاء والسفه والوغد والجور والظلم والمراء والدناءة واللئم والملق والجلافة والبخل والطمع واللدد وعدم الغيرة على حليلته. إلى غير ذلك من المعاير النفسيَّة وأضداد مكارم الأخلاق، ليست هذه كلّها إلّا من علائم النِّفاق، ومن رشحات عدم الإسلام المستقرِّ، وانتفاء الإيمان بالله وبما جاء به النبيُّ الأقدس، إذ الإسلام الصحيح هو المصلح الوحيد للبشر، ومهـذِّب النفس بمكارم الأخـلاق، ومجتمع الفضائل، وأسـاس كـلّ فضـل وفضيلة، وأصل كلِّ مَحمدة ومَكرمة، وبه يتأتّى الصلاح في النفوس مهما سرى الإيمان من عاصمة مملكة البدن (القلب) إلى سائر الأعضاء والجوارح واحتلّها واستقرَّ بها.

وذلك أنَّ مثل الإيمان في المملكة البدنيَّة الجامعة لشتات آحاد الجوارح والأعضاء، كمثل دستور الحكومات في الممالك الجامعة لأفراد الأشخاص، فكما أنَّ القوانين المقرَّرة في الحكومات والدُّول مبثوثةٌ في الأفراد، وكلُّ فرد من المجتمع له تكليفٌ يخصُّ به، وواجبٌ يحقّ عليه أن يقوم به، وحـدٌّ محدودٌ يجب عليه رعايته، وبصلاح الأفـراد وقيام كـلِّ فرد منهم بـواجبه يتمُّ صـلاح

(١) النهابر والنهابير: المهالك. الواحدة: نهبرة. نهبور. نهبورة.

المجتمع، ويحصل التقدُّم والرقيُّ في الحكومات، كذلك الإيمان في المملكة البدنيّة فإنّه قوانين مبثوثة في الأعضاء والجوارح العاملة فيها، ولكلٍّ منها بنصِّ الذكر الحكيم تكليفٌ يخصُّ به، وحدٌّ معيَّنٌ في السنّة يجب عليه رعايته والتحفّظ به، وأخذ كلٍّ بما وجب عليه هو إيمانه وبه يحصل صلاحه، فواجب القلب غير فريضة اللسان، وفريضته غير واجب الاذن، وواجبها غير ما كلّف به البصر، وفرضه غير واجب اليدين، وواجبهما غير تكليف الرجلين وهكذا وهكذا، وإنَّ السمع والبصر والفؤاد كلٌّ أولئك كان عنه مسؤولاً، وهذا البيان يُستفاد من قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله فيما أخرجه الحافظ ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٣٥، الإيمان معرفةٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعمل بالأركان[١] وقوله صلّى الله عليه وآله: الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان[٢] ومن هنا يقبل الإيمان ضعفاً وقوّةً وزيادةً ونقصاً، ويتّصف الإنسان في آن واحد بطرفي السلب والإيجاب باعتبارين، فيثبت له الإيمان من جهة وينفى عنه بأُخرى، ومن هنا يُعلم معنى قوله صلّى الله عليه وآله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمنٌ[٣] فلا يتأتّى صلاح الحكمة البدنيّة إلاّ بالسلم العامّ وقيام جميع أجزائها بواجبها، وامتثال كلٍّ فرد منها فيما فُرض عليه، ولا يكمل الإيمان إلاّ بتحقّق شُعبه.

وكما أنّ انتفاء الإيمان عن كلٍّ عضو وجارحة مكلّفة يكشف عن ضعف إيمان القلب، وتضعضع حكومة الإسلام فيه، إذ هو أمير البدن ولا ترد الجوارح ولا تصدر إلاّ عن رأيه وأمره، كذلك الصفات النفسيّة فإنّ منها ما هو الكاشف عن قوّة الإيمان القلبي وضعفه كما ورد في الحديث النبويِّ الشريف فيما أخرجه الحافظ

---

(١) وبهذا اللفظ يروى عن أمير المؤمنين كما في «نهج البلاغة».
(٢) أخرجه البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.
(٣) أخرجه مسلم وغيره.

المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٧١ : إنَّ المرء ليكون مؤمناً وإنَّ في خلقه شيءٌ فينقص ذلك من إيمانه. ومنها ما يُلازم النفاق ولا يُفارقه ولا يجتمع مع شيء من الإيمان وإن صلّى صاحبه وصام وبه عُرِّف المنافق في القرآن العزيز. فإليك ما ورد عن النبيِّ الأقدس في كثير من الصفات المذكورة المعزوّة إلى المترجم له، حتّى تكون على بصيرة من الأمر، فلا يغرنَّك تقلّب الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد.

١ ـ آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن خان. أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية مسلم: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم.

٢ ـ أربعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النّفاق حتّى يدعها: إذا ائتمن خان. وإذا حدَّث كذب. وإذا عهد غدر. وإذا خاصم فجر، أخرجه البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي.

٣ ـ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له. أخرجه أحمد. البزّار الطبراني. ابن حبّان. أبو يعلى. البيهقي.

٤ ـ المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه. متّفقٌ عليه.

٥ ـ الكذب مُجانبٌ للإيمان. ابن عدي، البيهقي.

٦ ـ المكر والخديعة في النار. الديلمي. القضاعي.

٧ ـ المؤمن ليس بحقود. الغزالي. ابن الدبيع.

٨ ـ لا إيمان لمَن لا حياء له. ابن حبّان. ابن الدبيع.

٩ ـ الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. الديلمي. ابن الدبيع.

١٠ ـ الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق، الديلمي. القضاعي. ابن الدبيع.

١١ ـ اليسير من الرياء شركٌ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة. ابن ماجة. الحاكم. البيهقي.

١٢ - من أرضى سلطاناً بما يُسخط به ربَّه خرج من دين الله. الحاكم.

١٣ - الحياء من الإيمان. البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.

١٤ - سُباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ. البخاري. مسلم. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.

١٥ - لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد. ابن حبّان. البيهقي.

١٦ - الشحُّ والعجز والبذاء من النفاق. الطبراني. أبو الشيخ.

١٧ - لا يجتمع شحٌّ وإيمانٌ في قلب عبد أبداً. النسائي. ابن حبّان. الحاكم.

١٨ - خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق. البخاري. الترمذي وغيرهما.

١٩ - المؤمن غرٌّ كريم والفاجر خبٌّ[1] لئيم. أبو داود. الترمذي. أحمد.

٢٠ - إنّ الرجل لا يكون مؤمناً حتى يكون قلبه مع لسانه سواء، ويكون لسانه مع قلبه سواء، ولا يُخالف قوله عمله. الإصبهاني.

٢١ - الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر. الحاكم. الطبراني.

٢٢ - إنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلاّ مَقيتاً مُمقتاً، فإذا لم تلقه إلاّ مَقيتاً مُمقتاً نُزعت منه الأمانة، فإذا نُزعت منه الأمانة لم تلقه إلاّ خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلاّ خائناً مخوناً نُزعت منه الرَّحمة، فإذا نُزعت منه الرَّحمة لم تلقه إلاّ رجيماً مُلعناً، فإذا لم تلقه إلاّ رجيماً مُلعناً نُزعت منه ربقة الإسلام. ابن ماجة. المنذري.

---

(١) الخب الخداع.

وفاته

توفّي ليلة الفطر سنة ٤٣ على ما هو الأصحّ عند المؤرّخين وقيل غير ذلك، وعاش نحو تسعين سنة وقال العجلي: عاش تسعاً وتسعين سنة. قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٨: لمّا حضرت عمراً الوفاة قال لابنه: لودَّ أبوك أنّه كان مات في غزاة ذات السلاسل، إنّي قد دخلت في امور لا أدري ما حجّتي عند الله فيها. ثمَّ نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: يا ليته كان بعراً، يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني، آثرت دنياي وتركت آخرتي، عمي عليَّ رشدي حتى حضرني أجلي، كأنّي بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي.

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦: دخل ابن عبّاس على عمرو بن العاص في مرضه فسلّم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان الّذي أصلحت هو الذي أفسدت والّذي أفسدت هو الّذي أصلحت لَفُزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان يُنجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنخنق بين السماء والأرض، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا بن أخي. فقال له ابن عبّاس: هيهات يا أبا عبدالله! صار ابن أخيك أخاك، ولا تشاء أن تبكي إلّا بكيت، كيف يؤمن برحيل مَن هو مقيمٌ؟. فقال عمرو: وعلى حينها[1] حين ابن بضع وثمانين سنة تقنطني من رحمة ربّي؟ اللهمَّ إنَّ ابن عبّاس تقنطني من رحمتك، فخذ منّي حتى ترضى. قال ابن عبّاس: هيهات يا أبا عبدالله! أخذت جديداً وتُعطي خلقاً. فقال عمرو: ما لي ولك يابن عبّاس؟ ما أرسلتُ كلمة إلّا أرسلتَ نقيضها.

قال عبد الرحمن بن شماسة: لَمّا حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبدالله: لِمَ تبكي أجزعاً من الموت؟؟!! قال: لا والله ولكن لِما

---

(١) يعني حين الوفاة.

بعده. فقال له: قد كنت على خير. فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام، فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلك: شهادة أن لا إلّه إلاّ الله. إنّي كنت على ثلاث أطباق ليس منها طبقٌ إلاّ عرفت نفسي فيه، كنت أوّل شيء كافراً فكنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ فلو متُّ يومئذٍ وجبت لي النار. فلمّا بـايعتُ رسـول الله ﷺ كنت أشـدَّ النـاس حيـاءً منه فمـا مـلأتُ عيني من رسول الله ﷺ حياءً منه، فلو متُّ يومئذٍ قال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فتُرجى له الجنَّة. ثمَّ بُليت بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعليَّ أم لي؟؟!! فإذا متُّ فلا تبكينَّ عليَّ باكيةٌ، ولا يتبعني مادحٌ ولا نار، وشدّوا عليّ إزاري فإنّي مخاصم، وشنّوا عليَّ التراب فإنَّ جنبي الأيمن ليس بأحقّ بالتراب من جنبي الأيسر. الحديث.

فائدةٌ

يوجد اسم والد المترجم له في كثير من كلمات الأصحاب (العـاصي) بالياء وكذا ورد في شعر أمير المؤمنين:

لا وردنَّ العاصي بن العاصي سبعين ألفاً عاقـدي النواصي

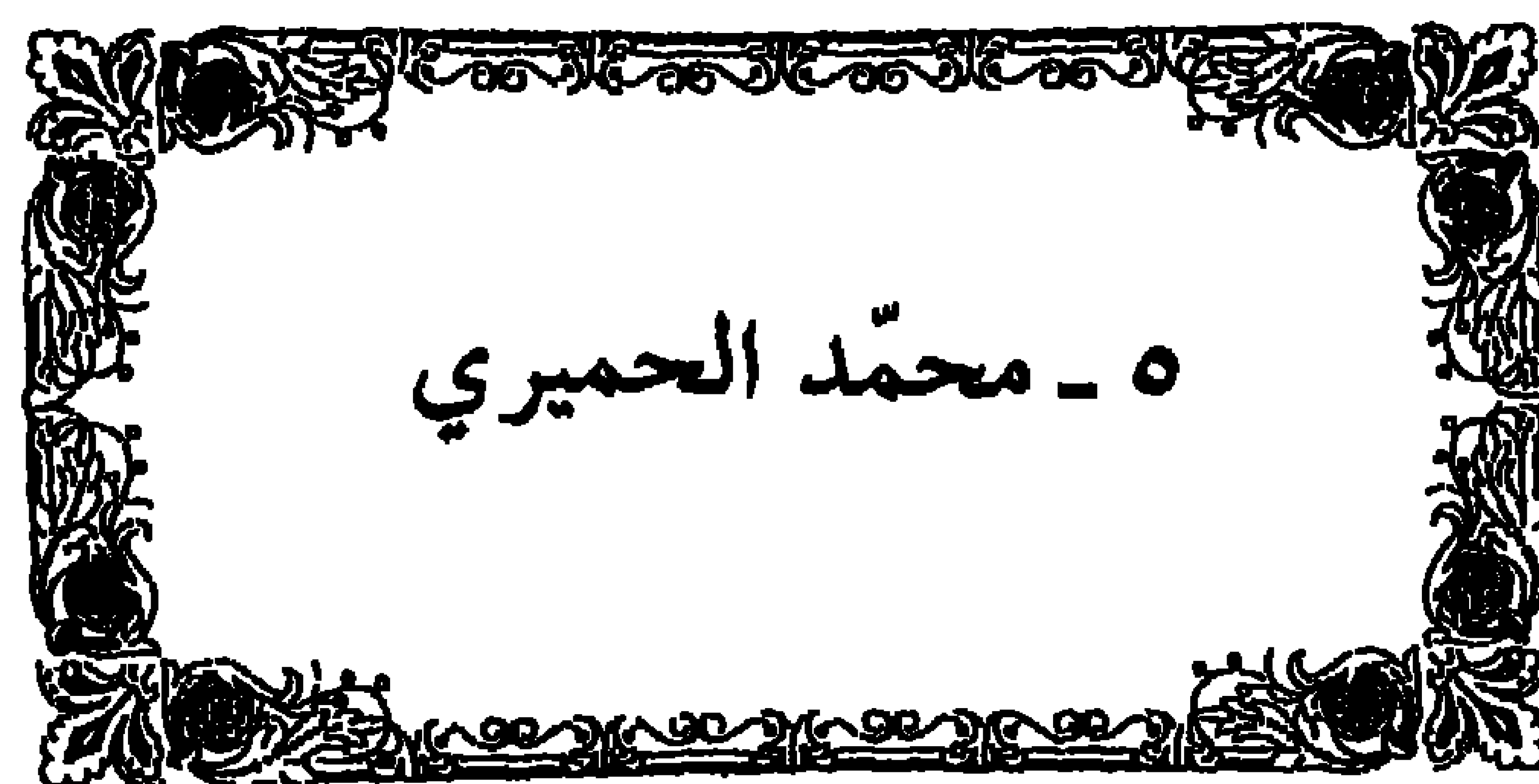
وفي رجز الأشتر:

ويـحـك يـا ابن الـعـاصي تـنـحَّ فـي الـقـواصـي

ويُذكر بالياء في كتب غير واحد من الحفّاظ، وقال الحافظ النووي في تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٠: وعليه الجمهور وهو الفصيح عند أهل العربيّة. ثمَّ قال: ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه أو أكثرها بحذف الياء وهي لغةٌ وقد قُرىء في السبع نحوه كالكبير المتعال والداع.

مهمات مصادر ترجمة عمرو بن العاص

أسماء الكتب	أعلام المؤلفين
الصحيح	البخاري
الصحيح	مسلم
السنن	أبو داود
السنن	الترمذي
السنن	النسائي
كتاب التاريخ	سليم بن قيس
السيرة النبويّة	ابن هشام
عيون الأخبار	ابن قتيبة
المعارف	ابن قتيبة
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة
المحاسن والأضداد	الجاحظ
البيان والتبيين	الجاحظ
الأنساب	أبو عبيدة
أنساب الأشراف	البلاذري
بلاغات النساء	ابن أبي طاهر
الكامل	المبرّد
المثالب	الكلبي
التاريخ	اليعقوبي
الإمتاع والمؤانسة	أبو حيّان
الأغاني	أبو الفرج
الطبقات	ابن سعد
العقد الفريد	ابن عبد ربّه
مروج الذهب	المسعودي
المستدرك	الحاكم النيسابوري
المحاسن والمساوي	البيهقي
الإستيعاب	ابن عبد البرّ
تاريخ الأمم	الطبري
تاريخ الشام	ابن عساكر
ربيع الأبرار	الزمخشري
الخصائص	الوطواط
التفسير الكبير	الفخر الرازي
الترغيب والترهيب	المنذري
شرح النهج	ابن أبي الحديد
الكامل	ابن الأثير
البداية والنهاية	ابن كثير
تمييز الخبيث	ابن الديبع
التذكرة	سبط ابن الجوزي
ثمرات الأوراق	ابن حجّة
السيرة النبويّة	الحلبي
روض المناظر	ابن شحنة
نور الأبصار	الشبلنجي
جمهرة الخطب	أحمد زكي
جمهرة الرسائل	أحمد زكي
دائرة المعارف	فريد وجدي



٥ ـ محمّد الحميري

بحقّ محمّدٍ قولوا بحقٍّ ... فإنّ الإفك من شيم اللئامِ
أبعد محمّدٍ بأبي وأمّي ... رسول الله ذي الشرف التهامي
أليس عليٌّ أفضل خلق ربي ... وأشرف عند تحصيل الأنامِ ؟!
ولايته هي الإيمان حقّاً ... فذرني من أباطيل الكلامِ
وطاعة ربّنا فيها وفيها ... شفاءٌ للقلوب من السّقامِ
عليٌّ إمامنا بأبي وأمّي ... أبو الحسن المطهّر من حرامِ
إمام هدىً أتاه الله علماً ... به عُرف الحلال من الحرامِ
ولو أنّي قتلت النّفس النّفس حبّاً ... له ما كان فيها من أثامِ
يحلُّ النار قومٌ أبغضوه ... وإن صلّوا وصاموا ألف عامِ
ولا والله لا تزكو صلاةٌ ... بغير ولاية العدل الإمامِ
أمير االمؤمنين بك اعتمادي ... وبالغرُّ الميامين اعتصامي
فهذا القول لي دينٌ وهذا ... إلى لقياك يا ربّي كلامي
برأت مِن الذي عادى عليّاً ... وحاربه من أولاد الطغامِ
تناسوا نصبه في يوم « خمّ » ... من الباري ومن خير الأنامِ
برغم الأنف من يشنأ كلامي ... عليٌّ فضله كالبحر طامي
وأبرأ من أُناس أخّروه ... وكان هو المقدّم بالمقامِ
عليٌّ هزّم الأبطال لمّا ... رأوا في كفّه برق الحسامِ

ما يتبع الشعر

هذه القصيدة رواها شيخ الإسلام الحمّويي في الباب الثامن والستّين من «فرائد السمطين» بإسناده عن الحافظ الكبير أبي عبدالله محمّد بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم النطنزي مصنّف كتاب ـ الخصائص العلويّة على سائر البريّة ـ قال: أنبأنا أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمّد بن محمودالثقفي بقرائتي عليه قال: أنبأنا أبو طاهر محمّد بن أحمد بن عبد الرحيم قال: أنبأنا الشيخ قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن معدان: حدّثنا محمّد بن زكريّا: حدّثنا عبدالله بن الضحّاك: حدّثنا هشام بن محمّد عن أبيه قال: إجتمع الطرمّاح الطائي، وهشام المرادي، ومحمّد بن عبدالله الحميري عند معاوية بن أبي سفيان فأخرج بَدرةً فوضعها بين يديه وقال: يا معشر شعراء العرب! قولوا قولكم في عليٍّ بن أبي طالب ولا تقولوا إلاّ الحقّ وأنا نفيٌّ من صخر بن حرب إن أعطيت هذه البدرة إلاّ من قال الحقّ في عليٍّ. فقام الطرمّاح وتكلّم في عليٍّ ووقع فيه فقال له معاوية: إجلس فقدعرف الله نيّتك ورأى مكانك. ثمّ قام هشام المرادي فقال أيضاً ووقع فيه فقال له معاوية: إجلس مع صاحبك فقد عرف الله مكانكما. فقال عمرو بن العاص لمحمّد بن عبدالله الحميري وكان خاصّاً به: تكلّم ولا تقل إلاّ الحقّ ثمّ قال: يا معاوية قد آليت أن لا تُعطي هذه البدرة إلاّ مَن قال الحقّ في عليّ قال: نعم أنا نفيٌّ من صخر بن حرب إن أعطيتها منهم إلاّ مَن قال الحقّ في عليّ. فقام محمّد بن عبدالله فتكلّم ثمّ قال:

بحقّ محمّد قولوا بحقّ. القصيدة.

فقال معاوية: أنت أصدقهم قولاً فخذ هذه البدرة.

ورواها شيخنا الفقيه الكبير عماد الدين أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم بن محمّد الطبري الآملي في الجزء الأوّل من (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) قال: أخبرنا الشيخ ابو عبدالله أحمد بن محمّد بن شهريار الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في شوّال سنة إثنتي عشرة وخمسمائة قال: حدّثني

الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن محسن الخزاعي قال: حدَّثنا أبو الطيِّب عليّ بن محمّد بن بنان قال: حدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمّد السكري من كتابه قال: حدثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن مسروق ببغداد من كتابه قال: حدَّثنا محمّد بن دينار الضبِّي قال: حدَّثنا عبدالله بن الضحّاك إلى آخر السند والمتن.

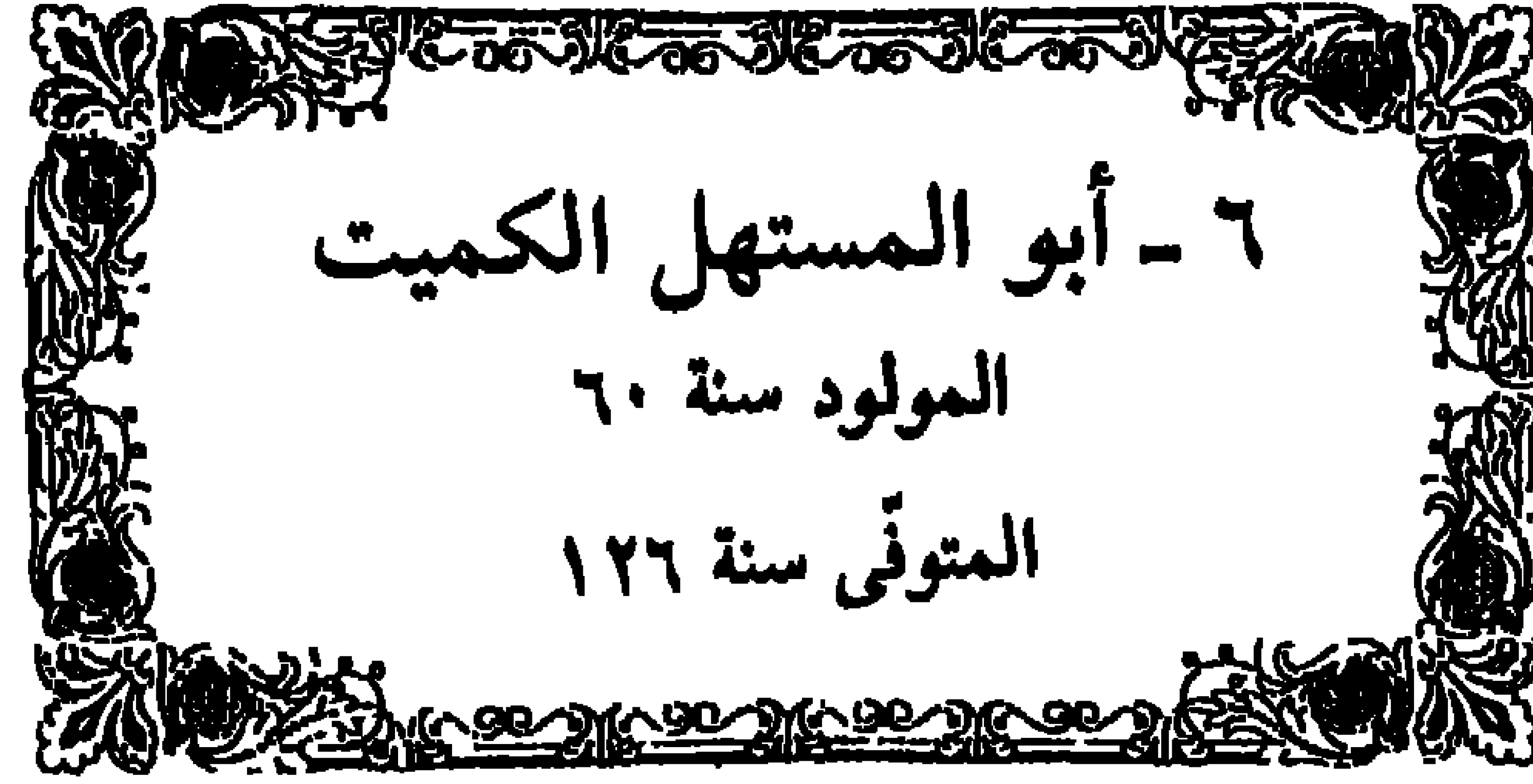
وذكرها صاحب «رياض العلماء» في ترجمة الشريف المرتضى نقلاً عن شيخ الإسلام الحمّويي.

(الشاعر)

محمَّد بن عبدالله الحميري، زميل عمرو بن العاص، أحسبه ابن القاضي عبدالله بن محمّد الحميري الّذي قلّده معاوية بن أبي سفيان ديوان الخاتم، وكان قاضياً كما ذكره الجهشياري في كتاب «الوزراء والكتّاب» ص ١٥ قال: كان معاوية أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم، وكان سبب ذلك: أنّه كتب لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم إلى زياد وهو عامله على العراق ففضّ عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم، فلمّا رفع زياد حسابه قال معاوية: ما كتبت له إلاّ بمائة ألف. وكتب إلى زياد بذلك وأمره أن يأخذ المائة ألف منه، فحبسه بها فاتّخذ معاوية ديوان الخاتم وقلّده عبدالله بن محمَّد الحميري، وكان قاضياً اهـ. ويُحتمل قويّاً أن يكون صاحب الشعر هو القاضي عبدالله نفسه ووقع الإشتباه بتقديم الوالد على الولد.

وأمّا ديوان الخاتم فقد اخترعه معاوية، قال ابن الطقطقي في «الآداب السلطانيّة» ص ٧٨: وممّا اخترع معاوية من امور الملك «ديوان الخاتم» وهذا ديوانٌ معتبرٌ من أكابر الدواوين، لم تزل السنّة جارية به إلى أواسط دولة بني العبّاس فأُسقط، ومعناه: أن يكون ديوانٌ وبه نوّابٌ فإذا صدر توقيعٌ من الخليفة بأمر من الأمور أُحضر التوقيع إلى ذلك الديوان وأُثبتت نسخته فيه وحُزم بخيط وخُتم بشمع كما يُفعل في هذا الزمان بكتب القضاة وخُتم بختم صاحب ذلك الديوان.

شعراء الغدير
في القرن الثاني



٦ ـ أبو المستهل الكميت

المولود سنة ٦٠

المتوفّى سنة ١٢٦

نفى عن عينك الأرق الهجوعا   وهمٌّ يمتري منها الدموعا
دخيلٌ في الفؤاد يهيج سقماً   وحزناً كان من جذل(١) منوعا
وتوكاف الدموع على اكتئاب   أحلَّ الدهر موجعه الضلوعا
ترقرق أسحماً درراً وسكباً   يشبِّه سحَّها غرباً هموعا(٢)
لفقدان الخضارم من قريش   وخير الشافعين معاً شفيعا
لدى الرَّحمن يصدع بالمثاني   وكان له أبو حسن قَريعا(٣)
حطوطاً في مسرَّته ومولى   إلى مرضاة خالقه سريعا
وأصفاه النبيُّ على اختيار   بما أعيى الرَّفوض له المذيعا
ويوم الدَّوح دَوح غدير خمّ   أبان له الولاية لو أُطيعا
ولكنَّ الرجال تبايعوها   فلم أر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكن   أساء بذاك أوَّلهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل   إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا   وأقومهم لدى الحدثان ريعا

---

(١) الجذل: الفرح.

(٢) رقرقت العين: أجرت دمعها. الأسحم: السحاب. يقال: اسحمت السماء. صبت ماءها.السح: الصب. الغرب: الدلو العظيمة. الهموع: السيال.

(٣) القريع: السيد. الرئيس.

تنــاســوا حقّــه وبغــوا عليــه بــلا تــرةٍ وكــان لهم قَــريعــا
فقــل لبني أُميَّة حيث حلّوا وإن خفتَ المهنّــد والقـطيعـا
ألا أفّ لــدهــر كــنت فيــه هــدانـاً طـائعـاً لكمُ مُـطيعـا
أجــاع الله مَــن أشبـعتـمــوهُ وأشبـع مَن بجـوركُمُ أجيعا
ويـلعن فــذَّ امّــتــه جهــاراً إذا ســاس البـريّــة والخليعـا
بمـرضيٍّ السيـاســة هــاشميّ يكــون حيــاً لامّتــه ربيـعــا
وليثاً في المشاهـد غير نكس لتقــويم البـريّــة مستــطيعــا
يُقيم امــورهـا ويــذبُّ عنهـا ويتـرك جـدبهـا أبـداً مـريعـا

ما يتبع الشعر

هذه من غرر قصائد الكميت (الهاشميّات) المقدَّرة بخمسمائـة وثمانيـة وسبعين بيتاً كما نصَّ به صاحب [الحدائق الورديَّة] غير أنَّه عاثت في طبعها يد النشر الأمينة على ودائع العلم فنقَّصت منها شيئاً كثيراً لا يُستهـان به مثـل ما اجترحت في طبع ديوان حسَّان والفرزدق وأبي نواس وغيرها كما مرّ ص ٥٩ ، وقد آن ليد التنقيب أن تميط الستار عن تلكم الجنايات المخبئة ، فالمطبوع منها في ايدن سنة ١٩٠٤ يتضمَّن ٥٣٦ بيتـاً. والمشروحـة بقلم الأستاذ محمَّـد شاكـر الخيّـاط ٥٦٠ بيتاً، والمشـروحة بقلم الأستـاذ الـرافعي ٤٥٨ بيتـاً على هـذا الترتيب.

مَـن لقـلبٍ متيَّمٍ مُستـهــام غيـر مـا صبـوةٍ ولا أحـلامِ ؟

ط ليدن والخيّاط ١٠٣ بيتاً، ومشروحة الرافعي ١٠٢ .

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعبُ؟

ط ليدن والخيّاط ١٤٠ ، ومشروحة الرافعي ١٣٨ .

أنّى ومِن أين آبــك الــطربُ من حيث لا صبوة ولا ريبُ؟؟!!

ط ليدن ١٣٣ . مشروحة الخيّاط ١٣٢ . مشروحة الرافعي ٦٧ بيتاً .

ألا هل عم في رأيه متـأمِّـلُ وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ؟؟!!

ط ليدن والخيّاط ١١١، مشروحة الرافعي ٨٩ بيتاً.

طـربتَ وهل بـك من مطربِ ولِم تتصـاب ولِم تلعب؟؟!!

ط ليدن والخيّاط ٣٣. مشروحة الرافعي ٢٨ بيتاً.

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهمٌّ يمتـري منهـا الـدمـوعـا

ط ليدن ٢٠، ومشروحة الخيّاط ٢١، والرافعي ١٩ بيتاً.

سل الهموم لقلب غيـر مَتبول ولا رهين لدى بيضاء عُطبول[1]

ط ليدن والخيّاط ٧ أبيات، وذكر الرافعي منها ٥ أبيات .

أهوى عليّاً أميـر المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا

ط ليدن والخيّاط ٧ أبيات، وحذف الرافعي منها بيتاً.

ستّة أبيات فائيّة وقافيّة ونونيّة ولم يذكر الرافعي البيتين النونيّتين.

فلمّـا كانت العينيّة التي أثبتناها من (الهاشميّات) نذكر أوّلاً ما يخصّ بها ثمّ نورد ما يرجع إلى (الهاشميّات) جملة واحـدة، ونردفـه بما ورد في بعض قصائدها غير العينيّة.

العينية من الهاشميّات

قال شيخنا المفيد في رسالته في معنى المولى: الكميت ممّن استشهد بشعره في كتاب الله، وأجمع أهل العلم على فصاحته ومعرفته باللغة ورياسته في النظم وجلالته في العرب حيث يقول:

ويـوم الدَّوح دَوح غـديـر خمّ أبـان لـه الـولايـة لـو أُطيعا

---

(١) تبله الحب أو الدهر فهو متبول: أسقمه. العطبول: المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق.

أوجب له الإمامة بخبر الغدير ووصفه بالرياسة من جهة المولى، وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة والعربيَّة وضع عبارة على معنى لم توضع عليه قطُّ في اللغة، ولا استعملها قبله أحدٌ من أهل العربيَّة، ولا عرفها بشيء كما وصف أحدٌ منهم لأنَّه لو جاز على غيره ممَّن هو مثله وفوقه ودونه حتّى تفسد اللغة بأسرها، ولا يكون لنا طريقٌ إلى معرفة لغة العرب على الحقيقة وينغلق الباب في ذلك. اهـ.

وروى الكراجكي في كنز الفوائد ص ١٥٤ بإسناده عن هنّاد[1] بن السري قال: رأيت أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب في المنام فقال لي: يا هنّاد! قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين! قال انشدني قول الكميت:

ويـوم الدَّوح دوح غـديـر خمٍّ أبـان لـه الـولايـة لـو أُطيعـا

قال: فأنشدته فقال لي: خذ إليك يا هنّاد! فقلت: هات يا سيـدي! فقال عليه السَّلام:

ولم أر مثـل ذاك اليـوم يـومـاً ولـم أر مثـله حقّـاً أُضيعا

وقال الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٢ ص ١٩٣: رُوي عن الكميت قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السَّلام في المنام فقال: أنشدني قصيدتك العينيَّة فأنشدته حتّى إنتهيت إلى قولي فيها:

ويـوم الدَّوح دَوح غـديـر خمٍّ أبـان لـه الـولايـة لـو أُطيعـا

فقال صلوات الله عليه: صدقت. ثم أنشد عليه السَّلام.

ولم أر مثـل ذاك اليـوم يـومـاً ولـم أر مثـله حقّـاً أُضيعا

ورواه السيِّـد في [الـدرجـات الـرفيعـة]، والعقيلي نقـلاً عن (منهـاج

---

(١) يروي عنه البخاري وجمع كثير، وثقه النسائي وغيره، وصدقه أبو حاتم ولد سنة ١٥٢، وتوفي سنة ٢٤٣، راجع تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٧١.

الفاضلين) للحمويني و (مرآة الزمان) لابن الجوزي، ورواه سبط ابن الجوزي الحنفيّ في تذكرته ص ٢٠ عن شيخه عمرو بن صافي الموصلي عن بعض.

وقال المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٤٨: مذهب الكميت في التشيّع ومدح أهل البيت عليهم السّلام في أيّام بني اميّة مشهور ومن قوله فيهم:

فقل لبني اميّة حيث حلّوا ... وإن خفتَ المهنّد والقطيعا
: أجاع الله من أشبعتموه ... وأشبع مَن بجوركُمُ أُجيعا

ويُروى: إنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ (الإمام الطاهر) رضي الله عنه لمّا أنشده الكميت هذه القصيدة دعا له. اهـ.

وفي «الصراط المستقيم» للبياضي العاملي: أنّه روى ابن الكميت: أنّه رأى النبيَّ صلّى الله عليه وآله في النوم فقال: أنشدني قصيدة أبيك العينيّة فلمّا وصل إلى قوله:

ويوم الدَّوح دَوح غدير خمٍّ ... أبان له الولاية لو أُطيعا

بكى شديداً وقال: صدق أبوك رحمه الله، أي والله لم أر مثله حقّاً أُضيعا.

الهاشميات

ذكرها له المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ١٩٤. وقال أبو الفرج[١] والسيِّد العبّاسي[٢] قصائد الكميت (الهاشميّات) من جيِّد شعره ومختاره. وقال الآمدي[٣] وابن عمر البغدادي[٤]: لكميت بن زيد في أهل البيت الأشعار المشهورة وهي أجود شعره. وقال السندوبي[٥]: كان الكميت من خيرة شعراء الدوله الأمويّة، وكان عالماً بلغات العرب وأيّامهم، ومن خير شعره

(١) في الأغاني ج ٣ ص ١١٣.
(٢) في معاهد التنصيص ج ٢ ص ٢٦.
(٣) في المؤتلف والمختلف ص ١٧٠.
(٤) في خزانة الأدب ص ٦٩.
(٥) في تعليقه على البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٤.

وأفضله (الهاشميّات) وهي القصائد التي ذكر فيها آل بيت الرسول بالخير.

روى أبو الفرج في الأغاني ج ١٥ ص ١٢٤ بإسناده عن محمَّد بن عليّ النوفلي قال: سمعت أبي يقول: لَمّا قال الكميت بن زيد الشعر كان أوَّل ما قال (الهاشميّات) فسترها، ثمَّ أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس، إنَّك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني فقلت شعراً فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى مَن ستره عليَّ. فقال له الفرزدق: أمَّا عقلك فحسنٌ وإنّي لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت فأنشده:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ.

قال فقال لي: فيمَ تطرب يا ابن أخي؟! فقال:

ولالعباً مني. وذو الشيب يلعب؟!

فقال: بلى يا بن أخي! فالعب فإنَّك في أوان اللعب. فقال:

ولم يُلهني دارٌ ولا رسم منزل ... ولم يتــطرَّبني بنــانٌ مخضَّبُ

فقال: ما يُطربك يابن أخي؟! فقال:

ولا السانحات البارحات عشيَّة ... أمرَّ سليم القرن أم مرّ أغضبُ

فقال: أجل لا تتطيَّر. فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتّقى ... وخير بني حوّاء والخير يُطلبُ

فقال: ومَن هؤلاء؟! ويحك. قال:

إلى النفر البيض الّذين بحبِّهم ... إلى الله فيمـا نـابني أتقــرَّبُ

قال: أرحني ويحك من هؤلاء؟! قال:

بني هـاشم رهط النبيِّ فـإنَّني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ
خفضت لهم منّي جناحي مودّةً ... إلى كنف عطفاه أهلٌ ومرحبُ

وكنت لهم من هؤلآء وهـؤلاء   محبّـاً على أنّي أُذمّ وأُغضبُ
وأرمي وأرمي بـالعداوة أهلهـا   وإنـي لأوذى فـيـهـمُ وأُؤنّبُ

فقال له الفرزدق: يا بن أخي؟ أذع ثمّ أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعـر من بقي ورواه المسعودي في مـروجه ج ٢ ص ١٩٤، والعبّـاسي في «المعاهد» ج ٢ ص ٢٦.

روى الكشي في رجاله ص ١٣٤ بـإسناده عن أبي المسيـح عبدالله بن مروان الجواني قال: كان عندنا رجلٌ من عباد الله الصالحين وكان راوية شعر الكميت يعني (الهاشميّات) وكان يُسمع ذلك منه وكان عالماً بها فتركه خمساً وعشرين سنة لا يستحلّ روايته وإنشاده ثمَّ عاد فيه فقيل له: ألم تكن زهدت فيه وتركتها؟؟!! فقال: نعم ولكنّي رأيت رؤياً دعتني إلى العود لها، فقيل له: وما رأيت؟ قال: رأيت كأنّ القيامة قد قامت وكأنّما أنا في المحشر فدفعت إليَّ مجلّة قال أبو محمّد: فقلت لأبي المسيح: وما المجلّة؟ قال: الصحيفة. قال: نشرتها فإذا فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم. أسماء من يدخل الجنّة من محبّي عليّ بن أبي طالب قال: فنظرت في السطر الأوّل فإذا أسماء قوم لم أعرفهم، ونظرت في السطر الثاني فإذا هو كذلك، ونـظرت في السطر الثـالث والرابـع فإذا فيهـا: والكميت بن زيد الأسدي. قال: فذلك دعاني إلى العود فيه.

قال البغدادي في «خزانة الأدب» ج ١ ص ٨٧: بلغ خالد القسري خبر هذه القصيدة.

(يعني قصيدة الكميت المسمّاة بالمذهّبـة التي أوّلها: ألا حيِّيت عنّـا يا مدينا).

فقال: والله لأقتلنّه ثمّ اشترى ثلاثين جارية في نهاية الحسن فـرواهنَّ القصائد (الهاشميّات) للكميت ودسّهنَّ مـع نخاس إلى هشـام بن عبد الملك فاشتراهنَّ فأنشدنه يوماً القصائد المذكورة فكتب إلى خالد وكان يومئذٍ عـامله بالعراق: أن ابعث إليَّ برأس الكميت. فأخذه خالدٌ وحبسه فوجّه الكميت إلى امرأته ولبس ثيابها وتركها في موضعه وهرب من الحبس، فلمّـا علم خالدٌ أراد

أن ينكل بالمرأة فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة لنا خُدعت فخافهم وخلّى سبيلها[١].

قال الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ١٧١: عهدي بالخوارزمي يقول: مَن روى حوليات زُهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميّات الكميت، ونقائض جرير، والفرزدق، وخمريّات أبي نواس، وزهريّات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتزّ، وروضيّات الصنوبري، ولطائف كشاجم وقلائد المتنبّي، ولم يتخرَّج في الشعر فلا أشبَّ الله تعالى قرنه.

خمَّس الهاشميّات غير واحد من الشعراء منهم: الشيخ ملاّ عباس الزيوري البغداديّ، والعلاّمة الشيخ محمّد السماوي، والسيِّد محمَّد صادق آل صدر الدين الكاظمي، وشرحها الأستاذ محمَّد محمود الرافعي المصري وأحسن فيه وفي مقدِّمته وترجمة الكميت وأجاد وقال: الهاشميّات هي من مختار الكلام، ومن رائق الشعر وشيقه، وجيِّد القول وطريفه، أحسن فيه كلَّ الإحسان، وأجاد كلَّ الإجادة. وشرحها الأستاذ محمَّد شاكر الخيّاط النابلسي.

الميمية من الهاشميات

مَن لقلبٍ متيَّمٍ مُستهامِ غير ما صبوةٍ ولا أحلام؟!

قال صاعد مولى الكميت: دخلنا على أبي جعفر محمَّد بن علي عليهما السَّلام فَأنشده الكميت قصيدته هذه فقال: اللهمَّ اغفر للكميت. أللهمَّ اغفر للكميت. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣.

قال نصر بن مزاحم المنقري: انَّه رأى النبيَّ صلّى الله عليه وآله في النوم وبين يديه رجلٌ يُنشده:

مَن لِقلبٍ مُتيَّمٍ مُستهامِ غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ؟!

---

(١) سيأتيك عن الأغاني تفصيل القصة إن شاء الله تعالى.

قال: فسألت عنه فقيل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي قال: فجعل النبيُّ ﷺ يقول: جزاك الله خيراً، وأثنى عليه. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤، «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧.

روى الكشي في رجاله ص ١٣٦ بإسناده عن زرارة قال: دخل الكميت على أبي جعفر عليه السّلام وأنا عنده فأنشده:

مَن لِقلبٍ متيَّم مُستهامِ   غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ؟!

فلمّا فرغ منها قال للكميت: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا.

وروى في ص ١٣٥ بإسناده عن يونس بن يعقوب قال: أنشد الكميت أبا عبدالله عليه السّلام شعره:

أخلص الله في هواي فما أغر   ق نزعاً وما تطيش سهامي

فقال أبو عبدالله عليه السّلام: لا تقل هكذا ولكن قل: قد أغرق نزعاً. ورواه ابن شهر آشوب في «المناقب» وفي لفظه: فقلت يا مولاي أنت أشعر منّي بهذا المعنى وروى الحديثين الطبرسي في [إعلام الورى] ص ١٥٨.

قال المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ١٩٥: قدم الكميت المدينة فأتى أبا جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فأذن له ليلاً وأنشده فلمّا بلغ الميميّة قوله:

وقتيلٌ بالطفِّ غودر منهم   بين غوغاء امَّةٍ وطغامِ

بكى أبو جعفر ثمَّ قال: يا كميت لو كان عندنا مالٌ لأعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤيَّداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت. فخرج من عنده فأتى عبدالله بن الحسن بن عليّ فأنشده فقال: يا أبا المستهلّ إنّ لي ضيعةً أُعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهوداً. وناوله إيّاه، فقال: بأبي أنت وامّي إنّي كنت أقول الشعر في غيركم أُريد بذلك الدنيا ولا والله ما قلت فيكم إلّا لله، وما

كنت لآخذ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً. فألحَّ عبدالله عليه وأبى من إعفائه، فأخذ الكميت الكتاب، ومضى، فمكث أيّاماً ثمّ جاء إلى عبدالله فقال: بأبي أنت وامّي يابن رسول الله، إنَّ لي حاجة قال: وما هي؟ وكلُّ حاجة لك مقضيَّة. قال: وكائنة ما كانت؟ قال: نعم. قال: هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة. ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبدالله، ونهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوباً جلداً فدفعه إلى أربعة من غلمانه، ثمَّ جعل يدخل دور بني هاشم ويقول: يا بني هاشم، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم، وعرض دمه لبني اميَّة فأثيبوه بما قدرتم. فيطرح الرجل في الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم. وأعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى انَّها لتخلع الحليَّ عن جسدها، فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم، فجاء بها إلى الكميت فقال: يا أبا المستهلّ أتيناك بجهد المقلِّ ونحن في دولة عدوِّنا وقد جمعنا هذا المال وفيه حليُّ النساء كما ترى، فاستعن به على دهرك فقال: بأبي أنت وأُمي قد أكثرتم وأطيبتم وما أردت بمدحي إيّاكم إلاّ الله ورسوله ولم أك لآخذ لكم ثمناً من الدنيا فاردده إلى أهله. فجهد به عبدالله أن يقبله بكل حيلة فأبى فقال: إن أبيت أن تقبل فإنّي رأيت أن تقول شيئاً تُغضب به بين الناس لعلَّ فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب. فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وأياد وأنمار ابني نزار ويُكثر فيها من تفضيلهم ويُطنب في وصفهم وأنَّهم أفضل من قحطان فغضب بها بين اليمانيَّة والنزاريَّة فيما ذكرناه وهي قصيدته التي أوَّلها:

الا حيِّيت عنّا يا مدينا وهل ناسٌ تقول مسلّمينا؟

قال ابن شهر اشوب في «المناقب» ج ٥ ص ١٢: بلغنا أنَّ الكميت أنشد الباقر عليه السّلام:

مَن لقلبٍ مُتيَّمٍ مُستهامٍ غير ما صبوةٍ ولا أحلام؟!

فتوجَّه الباقر عليه السّلام إلى الكعبة فقال: اللهمَّ ارحم الكميت واغفر

له. ثلاث مرّات. ثمّ قال: يا كميت هذه مائة ألف قد جمعتها لـك من أهل بيتي. فقال الكميت: لا والله لا يعلم أحدٌ أنّي آخذ منها حتّى يكون الله عزَّ وجلَّ الذي يكافيني ولكن تكرمني بقميص من قمصك فأعطاه. وذكـره العبّاس في «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧ وفيه: فأمر له (أبو جعفر) بمالٍ وثيابٍ فقال الكميت: والله ما أحببتكم لِلدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت مَن هي في يديه، ولكنّني أحببتكم للآخرة، فأمّـا الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأمّا المال فلا أقبله فرده وقبل الثياب.

قال البغدادي في (خـزانة الأدب) ج ١ ص ٦٩: حكى صـاعد مـولى الكميت قال: دخلت مع الكميت على عليٍّ بن الحسين رضي الله عنه فقال: إنّي قد مدحتك بما أرجـو أن يكون لي وسيلة عنـد رسول الله ﷺ ثمَّ أنشـده قصيدته التي أوّلها:

مَن لِقلبٍ مُتيَّمٍ مُستهـامِ غيـر مـا صَبـوةٍ ولا أحـلام؟!

فلمّـا أتى على آخرها قال له: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنَّ الله لا يعجز عن مكافاتك. اللهمّ اغفر للكميت. ثمَّ قسَّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له: خُذ يا أبا المستهلّ فقال له: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً لي ولكن إن أحببتَ أن تحسن إليَّ فادفع إليَّ بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرَّك بها. فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلّها ثمَّ قال: اللهمّ إنَّ الكميت جاد في آل رسولك وذرِّيَّة نبيِّك بنفسه حين ضنَّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ، فأحيه سعيداً، وأمته شهيـداً، وأره الجزاء عـاجلاً، وأجـزل له جـزيل المثوبة آجلاً، فإنّا قد عجزنا عن مكافاته. قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه.

قال محمّد بن كناسة: لَمّا أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت:

فبهم صـرتُ للبعيـد ابن عمّ واتّهمت القـريب أيَّ اتّهام[1]

---

(١) هو البيت الثمانون من القصيدة.

مُبدياً صفحتي على الموقف المعـ ـلم بالله قوّتي واعتصامي(١)

قال: استقتل المرائي. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٧.

البائية من الهاشميات

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

روى أبو الفرج «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤ بإسناده عن إبراهيم بن سعد الأسدي قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: من أيّ الناس أنت؟ قلت: من العرب قال: أعلم فمن أيِّ العرب؟ قلت: من بني أسد. قال: من أسد بن خزيمة. قلت: نعم. قال: أهِلاليٌّ أنت؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله عمّي ومن قبيلتي. قال: أتحفظ من شعره؟ قلت: نعم قال أنشدني.

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

قال؛ فأنشده، حتّى بلغت إلى قوله:

فما لي إلّا آل أحمد شيعةٌ وما لي إلّا مَشعب الحقّ مَشعبُ

فقال لي: إذا أصبحت فاقرأ عليه السّلام وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة وذكره العبّاسي في [معاهد التنصيص] ج ٢ ص ٢٧ وغيره.

وفي «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤: عن دعبل بن علي الخزاعي قال: رأيت النبيّ ﷺ في النوم فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله ما بيني وبينه إلّا كما بين الشعراء. فقال: لا تفعل، أليس هو القائل؟

فلا زلتُ فيهم حيث يتّهمونني ولا زلتُ في أشياعكم أتقلّبُ

فإنّ الله قد غفر له بهذا البيت قال. فانتهيت عن الكميت بعدها.

---

(١) هو البيت الخامس والثمانون من القصيدة.

هذا البيت

من أبيات حرَّفتها يد النشر المصريَّة عن القصيدة بعد قوله:

وقالوا تُرابيٌّ هواه ورأيه ... بذلك أُدعى فيهمُ وأُلقَّبُ

قال السيوطي في [شرح شواهد المغني] ص ١٣: أخرج ابن عساكر بإسناده عن محمَّد بن عقير[1] كانت بنو أسد تقول: فينا فضيلةٌ ليست في العالم، ليس منزل منّا إلاّ وفيه بركة وراثة الكميت لأنَّه رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: أنشدني:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

فأنشده فقال له: بوركت وبورك قومك.

وفي «شرح الشواهد» أيضاً ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن أبي عكرمة الضبّي عن أبيه قال: أدركت الناس بالكوفة مَن لم يرو:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعبُ؟

فليس بهاشميّ. ورواه السيِّد في [الدرجات الرفيعة] وفيها: فليس بشيعيّ.

وقال السيوطي في «الشرح» ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن محمّد بن سهل قال قال الكميت: رأيت في النوم وأنا مختف رسول الله ﷺ فقال: مِمَّ خوفك؟ قلت: يا رسول الله! من بني اميَّة وأنشدته:

ألم ترني من حبِّ آل محمَّد ... أروح وأغدو خائفاً أترقَّبُ[2]

فقال: إظهر فإنَّ الله قد أمَّنك في الدنيا والآخرة.

---

(١) في غير شرح الشواهد: عقبة.

(٢) هو البيت الخامس والسبعين من القصيدة.

وقال في ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن الجاحظ قال: ما فتح للشيعة الحجاج إلّا الكميت بقوله:

فإن هي لم تصلح لحيّ سواهُم فإنّ ذوي القُربى أحقُّ وأوجبُ
يقولون: لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيها بكيل وأرحبُ

وذكر كلام الجاحظ الشيخ المفيد كما في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٨٤، ولعلّ الجاحظ لم يقف على مواقف احتجاج الشيعة بنفس هذه الحجّة وغيرها المتكثرة منذ عهدهم المتقادم المتّصل بالعهد النبويّ. أو أنّه يرمي بكلمته إلى إنكار سلف الشيعة في الصدر الأوّل، لكن فضحه تاريخهم المجيد والمأثورات في فضلهم عن صاحب الرسالة وهلمّ جرّا، وإنّك تجد الاحتجاج بما ذكر وغيره في كثير من شعر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي كلماتهم المنثورة قبل أن تنعقد نطفة الكميت كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين. وعبدالله بن عبّاس، والفضل بن عبّاس، وعمّار بن ياسر، وأبي ذرّ الغفاري وقيس بن سعد الأنصاري، وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، وعبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، وزفر بن زيد بن حذيفة، والنجاشي بن الحرث بن كعب، وجرير بن عبدالله البجلي، وعبد الرحمن بن حنبل حليف بني جُمع، وآخرين كثيرين.

وقد فتح لهم هذا الباب بمصراعيه أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه في كتبه وخطبه الطافحة بذلك، المبثوثة في طيّات الكتب ومعاجم الخطب والرسائل، قال شيخنا المفيد كما في «الفصول» ج ٢ ص ٨٥: إنّما نظم الكميت معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في منثور كلامه في الحجّة على معاوية، فلم يزل آل محمّد عليهم السلام بعد أمير المؤمنين يحتجّون بذلك ومتكلّمو الشيعة قبل الكميت وفي زمانه وبعده وذلك موجودٌ في الأخبار المأثورة والرّوايات المشهورة، ومن بلغ إلى الحدّ الذي بلغه الجاحظ في البهت سقط كلامه.

اللاميّة من الهاشميّات

ألا هـل عم في رأيه مُتـأمِّـلُ   وهل مدبرٌ بعد الإساءة مُقبلُ؟؟!!

روى أبو الفرج في «الأغـاني» ج ١٥ ص ١٢٦ بالإسنـاد عن أبي بكر الحضرمي قال: إستأذنت للكميت على أبي جعفر محمَّد بن علي عليهما السَّلام في أيَّام التشريق بمنى فأذن له فقال له الكميت: جعلت فداك إنّي قلت فيكم شعراً أُحبُّ أن أُنشدكه فقال: يا كميت أُذكر الله في هذه الأيّام المعلومات وفي هذه الأيّام المعدودات. فأعاد عليه الكميت القول فرقَّ له أبو جعفر عليه السَّلام فقال: هات. فأنشده قصيدته حتّى بلغ:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيا آخرٌ أسدى له الغيَّ أوَّلُ

فرفع أبو جعفر عليه السلام يديه إلى السماء وقال. اللهمَّ اغفر للكميت.

وعن محمّد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمَّد عليه السَّلام فقال له: جعلت فداك ألا انشدك؟ قـال: إنّها أيّـامٌ عظامٌ. قـال: إنَّها فيكم. قـال: هـات. وبعث أبـو عبـدالله عليـه السَّلام إلى بعض أهله فقـرَّب فأنشـده فكثر البكـاء حتّى أتى على هذا البيت:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيـا آخرٌ أسـدى له الغيَّ أوَّل

فرفع أبو عبدالله عليه السَّلام يديه فقال: اللهمَّ اغفر للكميت ما قدَّم وما أخَّـر، وما أسـرَّ وما أعلن، واعـطه حتّى يرضى. «الأغـاني» ج ١٥ ص ١٢٣ «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧.

ورواه البغدادي في «خزانة الأدب» ج ١ ص ٧٠ وفيه بعد قوله: فكثر البكاء وارتفعت الأصوات فلمّا مرَّ على قوله في الحسين رضي الله عنه:

كـأنَّ حسيناً والبهـاليل حـولـه   لأسيـافهم مـا يختلى المتبتّـلُ
وغـاب نبيُّ الله عنهم وفقـده   على الناس رزءٌ ما هناك مُجلّلُ
فلم أر مخذولاً لأجل مصيبـة   وأوجب منه نصرةً حين يخذلُ

فرفع جعفر الصّادق رضي الله عنه يديه وقال: اللهم اغفر للكميت ما قدَّم وأخَّر، وما أسرَّ وأعلن، وأعطه حتّى يرضى. ثمّ أعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيتُ مَن هو في يديه، ولكنّني أحببتكم للآخرة فأمّا الثياب التي أصابت أجسادكم فإنّي أقبلها لبركتها، وأمّا المال فلا أقبله.

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١١٩ عن عليّ بن محمّد بن سليمان عن أبيه قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتُّهم خالد بن عبدالله وكان يُقال: إنّه يريد خلعك فوجد بباب هشام يوماً رقعةً فيها شعرٌ فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي:

تألّق برقٌ عندنا وتقابلت — أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قدر الحرب وهي مقرّةٌ — لكفّيك واجعل دون قدر جعالها
ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حدَّه — فنلها برسلٍ قبل أن لا تنالها
فتجشم منها ما جشمت من الّتي — بسورٍ أهرَّت نحو حالك حالها
تلاف امور الناس قبل تفاقمٍ — بعقدة حزم لا يُخاف انحلالها
فما أبرم الأقوام يوماً لحيلةٍ — من الأمر إلاّ قلّدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرّها — وإن لم يبح مَن لا يُريد سؤالها

فأمر هشام أن يجتمع له مَن بحضرته من الرواة فجمعوا فأمر بالأبيات فقُرئت عليهم فقال: شعر مَن تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنّه كلام الكميت بن زيد الأسدي. فقال هشام: نعم: هذا الكميت يُنذرني بخالد بن عبدالله. ثمّ كتب إلى خالد يُخبره وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذٍ بواسط فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه: إنّ هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني اميّة فأتوني من شعر هذا بشيء فأُتي بقصيدته اللاميّة التي أوّلها:

ألا هل عم في رأيه مُتأمِّلُ — وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ؟؟!!

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول: هذا شعر الكميت فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك. فلمّا قُرئت على هشام إغتاظ فلمّـا سمع قوله:

فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم   ففيكم لعمري ذو أفانين مقولُ

اشتدَّ غيظه فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها. فلمّا قرأ خالد الكتاب كـره أن يستفسد عشيرته وأعلن الأمر رجاء أن يتخلَّص الكميت فقال: كتب إليَّ أمير المؤمنين وإنّي لأكره أن أستفسد عشيرته. وسمّاه فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال: إن أنت وردت الكوفة فأنذرت الكميت لعلَّه أن يتخلّص من الحبس فأنت حرٌّ لوجه الله والبغلة لك ولك عليَّ بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك. فركب البغلة فسار بقيَّة يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها فدخل الحبس متنكّراً فخبَّر الكميت بالقصَّة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمِّه يأمرها: أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفَّان. ففعلت فقال: ألبسيني لبسة النساء. ففعلت، ثمّ قالت له: أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقالت: ما أدري إلاّ يبساً في منكبيك إذهب في حفظ الله. فمرَّ بالسجّان فظنَّ أنَّه المرأة فلم يعرض له فنجا وأنشأ يقول:

خرجت خروج القدح قِدح ابن مقبلِ   على الرغم من تلك النوابح والمشلي
عليَّ ثيـاب الغـانيـات وتـحتـهـا   عـزيمـة أمـر أشبهت سلّة النصـلِ

وورد كتاب خالد إلى والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فينفذ فيه أمر خـالد، فـدنا من بـاب البيت فكلّمتهم المرأة وخبَّرتهم: إنَّها في البيت، وإنَّ الكميت قد خرج. فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حرَّة كريمة أفدت ابن عمِّها بنفسها. وأمر بتخليتها فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الحبس ويقول:

أسـوديـنـا واحـمـريـنـا   •   •   •   •

فهاج الكميت ذلك حتّى قال:

ألا حيّيت عنّا يا مدينا (وهي ثلاثمائة بيت)

وقال في ص ١١٤: إنّ خالد بن عبدالله القسري روى جاريةً حسناء قصائد الكميت (الهاشميّات) وأعدّها ليهديها إلى هشام وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني اميّة وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيا ربِّ هل إلّا بك النصر يُبتغى ويا ربِّ هل إلّا عليك المعوَّلُ

وهي طويلةٌ يرثي فيها زيد بن عليّ وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني هاشم، فلمّا قرأها أكبرها وعظمت عليه واستنكرها وكتب إلى خالد: يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده. فلم يشعر الكميت إلّا والخيل محدقةٌ بداره فأُخذ وحبس في المحبس، وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بغلام على بغل وقال له: أنت حرٌّ - إلى آخر ما يأتي إن شاء الله تعالى.

وللكميت في حديث الغدير من قصيدة قوله:

عليٌّ أمير المؤمنين وحقّه من الله مفروضٌ على كلِّ مسلمِ
وإنّ رسول الله أوصى بحقّه وأشركه في كلِّ حقٍّ مقسَّمِ
وزوّجه صدّيقةً لم يكن لها معادلةٌ غير البتولة مريمِ
وردّم أبواب الذين بنى لهم بيوتاً سوى أبوابه لم يردّمِ
وأوجب يوماً بالغدير ولاية على كلِّ برٍّ من فصيح وأعجمِ

[تفسير أبي الفتوح ج ٢ ص ١٩٣]

الشاعر

أبو المستهلّ الكميت بن زيد بن خنيس بن مخالد[1] بن وُهيب بن

---

(١) وقيل: مخالد بن ذويبة بن قيس بن عمرو.

عمرو بن سُبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

قال أبو الفرج: شاعرٌ مقدَّمٌ عالمٌ بلغات العرب، خبيرٌ بأيّامها، من شعراء مضر وألسنتها والمتعصّبين على القحطانيّة المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيّام المفاخرين بها، وكان في أيّام بني اميّة ولم يدرك الدولة العبّاسيّة ومات قبلها، وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم مشهوراً بذلك.

سُئل معاذ الهراء: مَن أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليّين أم من الإسلاميّين؟؟ قالوا: بل من الجاهليّين. قال: امرؤ القيس، وزهير، وعُبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميّين قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والراعي. قال فقيل له: يا أبا محمّد! ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت؟ قال: ذاك أشعر الأوّلين والآخرين[1].

وقد مرَّ ص ٢١٩ قول الفرزدق له: أنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي. وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومأتين وتسعة وثمانين بيتاً على ما في الأغاني، والمعاهد ج ٢ ص ٣١، أو أكثر من خمسة آلاف قصيدة كما في كشف الظنون نقلاً عن عيون الأخبار لابن شاكر ج ١ ص ٣٩٧. وقد جمع شعره الأصمعي وزاد فيه ابن السكيت، ورواه جماعة عن أبي محمّد عبدالله بن يحيى المعروف بابن كناسة الأسدي المتوفّى سنة ٢٠٧، ورواه ابن كناسة عن الجزّي، وأبي الموصل، وأبي صدقة الأسديّين، وألّف كتاباً أسماه (سرقات الكميت من القرآن وغيره)[2].

ورواه ابن السكيت عن أستاذه نصنران وقال نصران: قرأت شعر الكميت على أبي حفص عمر ابن بكير. وعمل شعره السكّري أبو سعيد الحسن بن

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١١٥ و١٢٧.

(٢) التعبير بالسرقة لا يخلو من مسامحة فإنها ليست إلاّ أخذاً بالمعنى أو تضميناً لكلم من القرآن، وحسب الكميت (وأي شاعر) أن يقتص أثر الكتاب الكريم.

الحسين المتوفّى سنة ٢٧٥، كما في فهرست ابن النديم ص ١٠٧ و٢٢٥. وصاحب شعره محمّد بن أنس كما في تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٤٢٩.

وحكى ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ٤١٠ عن ابن نجّار عن أبي عبدالله أحمد بن الحسن الكوفي النسّابة أنّه قال: قال ابن عبدة النسّاب: ما عرف النسّاب أنساب العرب على حقيقة حتّى قال الكميت (النزاريّات) فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيّامها، فلمّا سمعت هذا أجمعت شعره فكان عوني على التّصنيف لأيّام العرب.

وقال بعضهم: كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب أسد، فقيه الشيعة، حافظ القرآن العظيم، ثبت الجنان، كاتباً حسن الخطّ، نسّابة جدلاً، وهو أوّل من ناظر[1] في التشيّع، رامياً لم يكن في أسد أرمى منه، فارساً شجاعاً، سخيّاً ديِّناً. خزانة الأدب ج ٢ ص ٦٩، شرح الشواهد ص ١٣.

ولم تزل عصبيّته للعدنانيّة ومهاجاته شعراء اليمن متّصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته، وفي إثرها ناقض دعبل وابن عُيينة قصيدته المذهّبة بعد وفاته وأجابهما أبو الزلفاء البصري مولى بني هاشم، وكان بينه وبين حكيم الأعور الكلبي مفاخرةٌ ومناظرةٌ تامّة.

فائدةٌ

حكيم الأعور المذكور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني اميّة بدمشق، ثمّ انتقل إلى الكوفة، جاء رجلٌ إلى عبدالله بن جعفر فقال له: يا بن رسول الله! هذا حكيم الأعور ينشد الناس هجاكم بالكوفة. فقال: هل حفظت شيئاً؟ قال: نعم وأنشد.

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهديّاً على الجزع يُصلبُ

---

(١) مر فساد هذه النسبة إلى المترجم له ص ٢٢٦.

وقستم بعثمـان عليّاً سفـاهـةً   وعثمـان خيـرٌ من عليٍّ وأطيبُ

فرفع عبدالله يديه إلى السماء وهما تنتفضان رعدة فقال: اللهمّ إن كان كاذباً فسلّط عليه كلباً. فخرج حكيم من الكوفة فأدلج[1] فافترسه الأسد.

«معجم الأدباء ج ٤ ص ١٣٢».

الكميت وحياته المذهبية

يجد الباحث في خلال السِّيَر وزبـر الحديث شـواهد واضحـة على أنّ الرجل لم يتّخذ شاعريّته وما كان يتظاهر به من التهالـك في ولاء أهل البيت عليهم السـلام، وسيلةً لما يقتضيـه النهمة، ومـوجبات الشّـره من التلمّظ بما يستفيده من الصِّلات والجوائز، أو تحرّي مُسانحات وجرايـات، أو الحصول على رُتبةٍ أو راتب، أنّى؟ وآل رسول الله كما يقول عنهم دعبل الخزاعي:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً   وأيـديهمُ من فيئهم صفـراتُ

وهم سلام الله عليهم فضلاً عن شيعتهم:

مشرّدون نُفوا عن عُقـر دارهم   كأنّهم قد جنوا ما ليس يُغتفـرُ

وقد انهالت الدنيا قضها بقضيضها على أضداد هم يوم ذلك من طغمة الأمويّين ولو كان المتطلّب شيئاً من حطام الدنيا، أو حصولاً على مرتبة، أو زلفةً تربى به لطلبها من أولئك المتغلّبين على عرش الخلافة الإسلاميّة، فرجلٌ يلوي بوجهه عنهم إلى أناس مضطهدين مقهورين، ويقاسي من جرّاء ذلك الخوف والاختفاء تتقاذف به المفاوز والحزون، مفترعاً ربوة طوراً ومسفّاً إلى الأحضّة تارة، وورائه الطلب الحثيث، وبمطلع الاكمة النطح والسيف، ليس من الممكن أن يكون ما يتحرّاه إلّا خاصّة فيمن يتولاهم، لا توجد عند غيرهم، وهذا هو شأن

---

(١) أدلج القوم: ساروا الليل كله أو في آخره.

الكميت مع أئمّة الدين عليهم السّلام فقد كان يعتقد فيهم أنّهم وسائله إلى المولى سبحانه، وواسطة نجاحه في عقباه، وانَّ مودَّتهم أجر الرسالة الكبرى.

روى الشيخ الأكبر الصفّار في «بصائر الدرجات» بإسناده عن جابر قال: دخلت على الباقر عليه السّلام فشكوت إليه الحاجة فقال: ما عندنا درهمٌ. فدخل الكميت فقال: جعلت فداك أُنشدك؟ فقال: أنشد فأنشده قصيدة فقال: يا غلام! أخرج من ذلك البيت بدرةً فادفعها إلى الكميت. فقال: جعلت فداك أُنشدك أخرى؟ فانشده فقال: يا غلام! أخرج بدرةً فادفعها إليه. فقال: جعلت فداك أُنشدك أُخرى؟ فأنشده فقال: يا غلام! أخرج بدرةً فادفعها إليه. فقال: جعلت فداك والله ما أُحبّكم لعرض الدنيا وما أردت بذلك إلاّ صلة رسول الله وما أوجب الله عليَّ من الحقِّ. فدعا له الباقر عليه السّلام فقال: يا غلام رُدَّها إلى مكانها. فقلت: جعلت فداك قلت لي: ليس عندي درهمٌ وأمرت للكميت بثلاثين ألفاً(١) فقال: أُدخل ذلك البيت. فدخلت فلم أجد شيئاً، فقال: ما سترنا عنكم أكثر ممّا أظهرنا. الحديث.

قال صاعد: دخلنا مع الكميت على فاطمة بنت الحسين عليه السّلام فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقَدح فيه سويقٌ فحرَّكته بيدها وسقت الكميت فشربه ثمَّ أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها إنّي لم أحبّكم للدنيا. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣.

وللكميت في ردِّه الصِّلات الطائلة على سروات المجد من بني هاشم مكرمةٌ ومحمدةٌ عظيمةٌ أبقت له ذكرى خالدة وكلٌّ من تلكم المواقف شاهد صدق على خالص ولائه وقوَّة إيمانه، وصفاء نيَّته، وحسن عقيدته ورسوخ دينه، وإباء نفسه، وعلوِّ همَّته، وثباته في مبدئه (العلويِّ) المقدَّس، وصدق مقاله للإمام السجّاد زين العابدين عليه السّلام: إنّي قد مدحتك أن يكون لي وسيلة عند رسول الله ويُعرب عن ذلك كلّه صريح قوله للإمام الباقر محمّد بن علي عليهما

(١) في مناقب ابن شهر آشوب ج ٥ ص ٧: خمسين ألف درهم.

السّلام: والله ما أُحبكمُ لعَرَض الدنيا وما أردت بذلك إلاّ صلة رسول الله وما أوجب الله عليَّ من الحقِّ. وقوله الآخر عليه السّلام: ألا والله لا يعلم أحدٌ أنّي منها حتّى يكون الله عزَّ وجلَّ الذي يكافيني. وقوله للإمامين الصادقين عليهما السّلام: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه ولكني أحببتكم للآخرة. وقوله لعبدالله بن الحسن بن عليّ عليه السلام: والله ما قلت فيكم إلاّ لله وما كنت لآخذ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً. وقوله لعبدالله الجعفري: ما أردت بمدحي إيّاكم إلاّ الله ورسوله، ولم أك لآخذ لكم ثمناً من الدُّنيا. وقوله لفاطمة بنت الإمام السبط: والله إنّي لم أُحبّكم لِلدنيا. وهذا شأن الشيعة سلفاً وخلفاً، وشيمة كلِّ شيعيٍّ صميم، وأدب كلِّ متضلّع بالنزعات العلويَّة، وروح كلّ علويٍّ جعفريٍّ، وهذا شعار التشيّع ليس إلاّ. وبمثل هذا فليعمل العاملون.

وكان أئمّة الدين ورجالات بني هاشم يُلحّون في أخذ الكميت صلاتهم، وقبوله عطاياهم، مع إكبارهم محلّه من ولائه، واعتنائهم البالغ بشأنه، والإحتفاء والتبجيل له، والإعتذار عنه بمثل قوم الإمام السجّاد صلوات الله عليه له: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنّ الله لا يعجز عن مكافاتك. وهو مع ذلك كلّه كان على قَدَم وساق من إبائه واستعفائه إظهاراً لولائه المحض لآل الله، وقد مرّ أنّه ردَّ على الإمام السجّاد عليه السّلام أربعمائة ألف درهم وطلب من ثيابه التي تلي جسده ليتبرّك بها. وردّ على الإمام الباقر مائة ألف مرَّة، وخمسين ألف اخرى وطلب قميصاً من قمصه. وردَّ على الإمام الصادق ألف دينار وكسوة واستدعى منه أن يكرمه بالثوب الّذي مسَّ جلده. وردَّ على عبدالله بن الحسن ضيعته التي أعطى له كتابها وكانت تسوى بأربعة آلاف دينار. وردَّ على عبدالله الجعفري ما جمع له من بني هاشم ما كان يقدَّر بمائة ألف درهم.

فكلٌّ من هذه خبرٌ يصدِّق الخبر بأنَّ مدح الكميت عترة نبيِّه الطاهر وولائه لهم، وتهالكه بكلّه في حبِّهم، وبذله النفس والنفيس دونهم، ونيله من مناوئيهم، ونصبه العداء لمخالفيهم، لم يكن إلاّ لله ولرسوله فحسب، وما كان

له غرضٌ من حطام الدنيا وزخرفها، ولا مرمى من الثواب العاجل دون الآجل، وكلُّ واقف على شعره يراه كالباحث بظلفه عن حتفه، وَيجدهُ مستقتلاً بلسانه، قد عرض لبني اميَّة دمه، مُستقبلاً صوارمهم كما نصَّ عليه الإمام زين العابدين عليه السلام وقال: اللهمّ إنّ الكميت جاد في آل رسولك وذريَّة نبيِّك نفسه حين ضنَّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره. وقال عبدالله الجعفري لبني هـاشم: هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس من فضلكم وعرض دمه لبني اميَّة. وخالد القسري لَمّا أراد قتله رأى في شعره غنىً وكفاية عن أيِّ حيلة وسعايـة عليه، فاشترى جاريةً وعلَّمها الهاشميّات وبعثها إلى هشام بن عبد الملك وهو لمّا سمعها منها قال: استقتل المرائي. وكتب إلى خالد بقتله وقطع لسانه ويده.

فكان الكميت، منذ غضاضة من شبيبته التي نظم فيها «الهاشميّات» خائفاً يترقّب طيلة عمره مختفياً في زوايا الخمول إلى أن أقام بقريضه الحجَّة، وأوضح به المحجَّة، وأظهر به الحقَّ، وأتمَّ به البرهنة، وبلغ ضالّته المنشودة من بث الدعاية إلى العترة الطاهرة، فلمّا دوَّخ صيت شعره الأقطار، وقرَّطت به الآذان، ودارت على الألسن استجاز الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام أن يمدح بني اميَّة صوناً لدمه فأجاز له، رواه أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٦ بإسناده عن ورد بن زيد أخي الكميت قال: أرسلني الكميت إلى أبي جعفر عليه السّلام فقلت له: إنَّ الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني اميَّة؟ قال: نعم هو في حلٍّ فليقل ما شاء. فنظم قصيدته الرائية التي يقول فيها.

فـالآن صـرتُ إلـى امـيَّـ ـة والامـور إلى المصـائـر

ودخل على أبي جعفر عليه السّلام فقال له: يا كميت! أنت القائل:

فـالآن صـرتُ إلـى امـيَّـ ـة والامـور إلى المصـائـرْ

قال: نعم، قد قلت ولا والله ما أردت به[1] إلّا الدنيا ولقد عرفت فضلكم

---

(١) أي أراد بقوله: صرت. مصير الدنيا إليهم لا الخلافة.

قال: أما إن قلت ذلك إنّ التقيّة لتحلّ.

وروى الكشي في رجاله ص ١٣٥ بإسناده عن درست بن أبي منصور قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السّلام وعنده الكميت بن زيد فقال للكميت: أنت الذي تقول:

فالآن صرتُ إلى اميَّـ ـة والامور إلى المصائرْ

قال: قد قلت ذلك فوالله ما رجعت عن إيماني، وإنّي لكم لمُوال، ولعدوِّكم لقالٍ، ولكنّي قلته على التقيَّة. قال: أما لئن قلت ذلك إنَّ التقيّة تجوز في شرب الخمر.

لفت نظر

أحسب أنّ الإمام المذكور في حديث الكشي هو أبو عبدالله الصادق عليه السّلام ولا يتمُّ ما فيه من أبي الحسن موسى عليه السّلام، إذ الكميت توفّي بلا اختلاف أجده سنة ١٢٦ قبل ولادة أبي الحسن موسى بسنتين أو ثلاث. كما لا يتمُّ القول باتّحاده مع حديث أبي الفرج المرويِّ عن الإمام أبي جعفر إذ درست بن أبي منصور لا يروي عنه عليه السّلام وليس من تلك الطبقة.

الكميت ودعاء الأئمة له

من الواضح أنَّ أدعية ذوي النفوس القدسيَّة، والألسنة الناطقة بالمشيئة الإلٓهيَّة المعبِّرة عن الله، من الذين يوحي إليهم ربّهم، ولا يتكلّمون إلاّ بإذنه، وما ينطقون عن الهوى، ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى، ليست مجرَّد شفاعة لأيِّ أحد، ومسئلة خير من المولى لكلِّ إنسان كائناً من كان، بل فيها إيعاز بأنَّ المدعوَّ له من رجال الدين، وحلفاء الخير والصلاح، ودعاة الامَّة إليهما، وممَّن قيّضه المولى للدعوة إليه، والأخذ بناصر الهدى، رغماً على أباطيل الحياة وأهوائها الضالَّة، إلى فضائل لا تُحصى على اختلاف المدعوِّين لهم فيها.

وقلَّ ما دُعي لأحد مثل ما دُعي للكميت وقد أكثر النبيُّ الأعظم والأئمَّة من أولاده صلوات الله عليه وعليهم دعائهم له، فاسترحم له النبيُّ صلّى الله عليه وآله مرَّة كما مرّ في حديث البياضي، واستجزى له بالخير وأثنى عليه اخرى كما في منام نصر بن مزاحم، وقال له ثالثة: بوركت وبورك قومك. كما في حديث السيوطي، ودعا له الإمام السجّاد زين العابدين عليه السّلام بقوله: اللهمَّ أحيه سعيداً وأمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً، ودعا له أبو جعفر الباقر عليه السلام في مواقف شتّى في مثل أيّام التشريق بمنى وغيرها، متوجِّهاً إلى الكعبة بالإسترحام والإستغفار له غير مرَّة، وبقوله: لا تزال مؤيَّداً بروح القدس تارةً اخرى، ومن دعائه عليه السّلام له في أيّام البيض ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزّاز القمّي في [كفاية الأثر في النصوص على الأئمَّة الإثني عشر] بإسناده عن الكميت أنَّه قال: دخلت على سيِّدي أبي جعفر محمَّد بن علي الباقر فقلت: يابن رسول الله! إنّي قد قلت فيكم أبياتاً أفتأذن لي في إنشادها؟ فقال: أيّام البيض. قلت: فهو فيكم خاصّة. قال: هات فأنشأت أقول:

أضحكني الدَّهرُ وأبكاني ... والدَّهرُ ذو صرفٍ وألوانِ
لتسعةٍ بالطفِّ قد غودروا ... صاروا جميعاً رهن أكفانِ

فبكى عليه السَّلام، وبكى أبو عبدالله عليه السّلام، وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء، فلمّا بلغت إلى قولي:

وستَّةٌ لا يُتجارى بهم ... بنو عقيل خير فرسانِ
ثمَّ عليٌّ الخير مولاهمُ ... ذكرهمُ هيَّج أحزاني

فبكى ثمَّ قال عليه السلام: ما من رجل ذكرنا أو ذُكرنا عنده يخرج من عينيه ماءٌ ولو مثل جناح البعوضة إلاّ بنى الله له بيتاً في الجنَّة، وجعل ذلك الدمع حجاباً بينه وبين النّار. فلمّا بلغت إلى قولي:

مَن كان مسروراً بما مسَّكم ... أو شامتاً يوماً من الآنِ

فقـد ذللتم بعـد عـزّ فمـا　　　أدفـع ضيماً حين يغشـاني

أخذ بيدي ثمّ قال: اللهمّ اغفر للكميت ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. فلمّا بلغت إلى قولي:

متى يقـوم الحقّ فيكم متى　　　يقـوم مهـديّكم الثـاني؟؟!!

قال: سريعاً إن شاء الله سريعاً. ثمّ قال: يا أبا المستهلّ! إنّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين لأنّ الأئمّة بعد رسول الله إثني عشر الثاني عشر هو القائم. قلت: يا سيّدي! فمَن هؤلاء الإثنى عشر؟ قال: أوّلهم عليٌّ بن أبي طالب وبعده الحسن والحسين وبعد الحسين عليّ بن الحسين وبعده أنا ثمّ بعدي هذا ووضع يده على كتف جعفر قلت: فمَن بعد هذا؟ قال: ابنه موسى وبعد موسى ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه محمّد وبعد محمّد ابنه عليّ وبعـد عليّ ابنه الحسن وهـو أبو القاسم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجـوراً ويشفي صدور شيعتنا. قلت: فمتى يخرج يا بن رسول الله؟ قال: لقد سُئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذلك فقال: إنّما مَثله كمثل السّاعة لا تأتيكم إلاّ بغتة.

وناهيك به فضلاً دعاء الإمام الصادق عليه السّلام له في مواقفه المشهودة في أشرف الأيّام رافعاً يديه قائلاً: اللهمّ اغفر للكميت ما قدّم وأخّر، وما أسرّ وأعلن، وأعطه حتى يرضى. وينمّ عن إجابة تلك الأدعية الصالحة الصادرة من النفوس الطاهرة بالألسنة الصادقة أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله أبا إبراهيم سعد الأسدي في منامه بقراءة سلامه عليه، وإنباءه بأنّ الله قد غفر له. وكذلك نهيه صلّى الله عليه وآله دعبل الخزاعي في الطيف عن معارضة الكميت وقوله له: إن الله قد غفر له. وكان بنو أسد (قبيلة الكميت) يحسّون بركة دعاء النبيّ له ولهم بقوله: بوركت وبورك قـومك. ويُشـاهدون آثـار الإجابـة فيهم، ويجدون في أنفسهم نفحاتها، وكانوا يقولون: إنّ فينا فضيلةً ليست في العالم، ليس منّا إلاّ وفيه بركة وراثة الكميت[١].

(١) مر الحديث ص ٢٢٥.

ومن تلك الأدعية المستجابة التي شوهدت آثارها، وأبقت للكميت فضيلة مع الأبد ما رواه شيخنا قطب الدين الراوندي في [الخرائج والجرائح] أنّ محمّد بن علي الباقر عليه السّلام دعا للكميت لَمّا أراد أعداء آل محمّد أخذه وهلاكه وكان متوارياً فخرج في ظلمة الليل هارباً وقد أقعدوا على كلّ طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج في خفية، فلمّا وصل الكميت إلى الفضاء وأراد أن يسلك طريقاً فجاء أسدٌ يمنعه من أن يسري منها فسلك جانباً آخر فمنعه منه أيضاً، كأنّه أشار إلى الكميت أن يسلك خلفه ومضى الأسد في جانب الكميت إلى أن أمن وتخلّص من الأعداء.

وفي «معاهد التنصيص» ج ٢ ص ٢٨ قال المستهلّ: أقام الكميت مدّة متوارياً حتّى إذا أيقن أنّ الطلب خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه «صاعد» غلامه وأخذ الطريق على «القطقطانة» وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها فلمّا صار سحيراً صاح بنا هوّموا[١] يا فتيان فهوّمنا وقام فصلّى، قال المستهلّ: فرأينا شخصاً فتضعضعت له فقال: ما لك؟ قلت: أرى شخصاً مُقبلاً فنظر إليه فقال: هذا ذئبٌ قد جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحيةً فأطعمناه يد جزور فتعرّقها ثمّ أهوينا له بإناء فيه ماءٌ فشرب منه فارتحلنا وجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ما له ويله ألم نطعمه ونسقه؟؟ وما أعرفني بما يريد هو يدلّنا انّا لسنا على الطريق تيامنوا يا فتيان! فتيامنّا فسكن عواؤه فلم نزل نسير حتّى جئنا الشام فتوارى في بني أسد، وبني تميم.

وهذا جانبٌ عظيمٌ من نواحي مكرمات الكميت وفضائله لو أُضيف إلى ما يظهر من كلماته المُعربة عن نفسيّاته، ومواقفه الكاشفة عن خلائقه الكريمة، وما قيل فيه وفي مآثره الجمّة يُمثّله بين يدي القارىء بمظاهر روحيّاته، ونصب عينيه مجالي نفسيّاته، وأمثلة مكارم أخلاقه وما كان يحمله بين جنبيه من العلم، والفقه، والأدب، والإباء، والشمم، والحماسة، والهمّة، واللباقة، والفصاحة،

---

(١) هوم تهويماً: نام قليلاً.

والبلاغة، والخلق الكامل، وقوّة القلب، والدين الخالص، والتشيّع الصحيح، والصلاح المحض، والرشد والسداد، إلى فضائل تكسبه فوز النشأتين لا تُحصى.

الكميت وهشام بن عبد الملك

كان خالد بن عبدالله القسري، قد أنشد قصيدة الكميت التي يهجو فيها اليمن وهي التي أوّلها.

ألا حيّيت عنّا يا مدينا   وهل ناسٌ تقول مسلّمينا

فقال: والله لأقتلنّه ثمّ اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيّرهنّ نهايةً في الحسن والكمال والأدب فرواهنّ (الهاشميّات) ودسّهنّ مع «نخاس» إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهنّ جميعاً فَلمّا أنس به واستنطقهنّ رأى منهنّ فصاحةً وأدباً فاستقراهنّ القرآن فقرأن واستنشدهنّ الشعر فأنشدن قصائد الكميت (الهاشميّات) فقال هشام: ويلكنّ مَن قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدي. قال: في أيّ بلد هو؟ قلن بالعراق ثمّ بالكوفة فكتب إلى خالد عامله في العراق إبعث إليّ برأس الكميت بن زيد. فلم يشعر الكميت إلّا والخيل محدقةٌ بداره فأُخذ وحبس في الحبس وكان أبان بن الوليد، عاملاً على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بغلام على بغل وقال له: أنت حرٌّ إن لحقته والبغل لك. وكتب له: أمّا بعد. فقد بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلّا أن يدفع الله عزّ وجلّ، وأرى لك أن تبعث إلى حبّى - يعني زوجة الكميت وكانت ممّن تتشيّع أيضاً - فإذا دخلت عليك تنقّبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإنّي أرجو الأوبة لك. قال: فركب الغلام البغل وسار بقيّة يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها فدخل الحبس متنكّراً وأخبر الكميت بالقصّة فبعث إلى امرأته وقصّ عليها القصّة وقال لها: أي ابنة عمّ إنّ الوالي لا يقدم عليكِ ولا يسلمكِ قومكِ ولو خفت عليكِ ما عرضتك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرته وقالت له: أقبل وأدبر ففعل فقالت: ما أُنكر منك شيئاً إلّا يبساً في كتفيك، فاخرج على اسم الله تعالى. وأخرجت معه جاريتين لها فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح

حبيب بن بُدير ومعه فتيان من أسد فلم يُؤبه له، ومشى الفتيان بين يديه إلى سكّة شبيب بناحية الكناس فمرَّ بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم: رجلٌ وربِّ الكعبة وأمر غلامه فأتبعه فصاح به أبو الوضاح يا كذا وكذا! أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومى إليه بنعله فولّى العبد مدبراً وأدخله أبو الوضاح منزله، ولمّا طال على السجّان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة، وراءك لا امَّ لك. فشقَّ ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد فأخبر الخبر فأحضر المرأة فقال لها: يا عدوّة الله احتلتِ على أمير المؤمنين وأخرجت عدوَّ أمير المؤمنين لأنكلنَّ بكِ ولأصنعنَّ ولأفعلنَّ. فاجتمعت بنو أسد عليه وقالوا له: ما سبيلك على امرأة منّا خُدعت. فخافهم فخلّى سبيلها وسقط غرابٌ على الحائط ونعب فقال الكميت لأبي الوضاح: إنّي لمأخوذٌ وإنَّ حائطك لساقطٌ. فقال: سبحان الله هذا ما لا يكون إن شاء الله تعالى، وكان الكميت خبيراً بالزجر (الكهانة) فقال له: لا بدَّ أن تحوّلني. فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيّعون فأقام فيهم، ولم يصبح حتّى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

قال المستهلّ: وأقام الكميت مدّةً متوارياً حتّى إذا أيقن أنَّ الطلب خفَّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد وبني تميم وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيّدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص فمشت رجالات قريش بعضهـا إلى بعض وأتوا عنبسة، فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمةٌ أتاك بها الله تعالى، هذا: الكميت بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجا حتّى تخلّص إليك وإلينا. قال: فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بديـر حنيناء. فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال: يا أبا شاكر مكرمةٌ أتيتك بها تبلغ الثريّا إن اعتقدتها فإن علمت أنّك تفي بها وإلّا كتمتها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر وقال: إنّه قد مدحكم عامّة وإيّاك خاصّة بما لم يُسمع بمثله. فقال: عليَّ خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند امّه في غير وقت دخول فقال له هشام: أجئت لحاجة؟ قال: نعم. قال: هي مقضيةٌ إلّا أن تكون الكميت. فقال: ما أُحبُّ أن تستثني عليَّ في حاجتي وما أنا

والكميت. فقالت امّه: والله لتقضينَّ حاجته كائنةً ما كانت قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها. قال: يا أمير المؤمنين وهو آمنٌ بأمان الله عزَّ وجلَّ وأماني وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولاً لم يُقل مثله. قال: قد أمّنته وأجزت أمانك له، فأجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا. فعقد مجلساً وعنده الأبرش الكلبي فتكلّم بخطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قطُّ، وامتدحه بقصيدته الرائيَّة ويقال: إنّه قالها ارتجالاً وهي قوله:

قف بـالـديـار وقـوف زائـرْ . . . .

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

مـاذا عـلـيـك مـن الـوقـو ... ف بهـا وإنّـك غيـر صـاغـرْ؟
درجـت عـلـيـك الـغـاديـا ... ت الـرابحـات من الأعـاصـرْ

ويقول فيها:

فـالآن صـرت إلـى امـيّـ ... ـة والامـور إلى المـصـائـرْ

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول: إسمع إسمع. ثمَّ استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فيها فأنشده قوله:

سـأبكيك للدنيـا وللدين إنّني ... رأيت يد المعروف بعدك شلّتِ
أدامت عليكم بـالسّلام تحيَّـة ... مـلائكـة الله الكـرام وصلّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً فوثب الحاجب فسكّتـه، ثمَّ جاء الكميت إلى منزله آمناً فحشدت له المضريَّة بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنّه لا سلطان له عليهم. قال: وجمعت له بنو اميَّة فيما بينها مالاً كثيراً، ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذٍ إلّا ما حفظه الناس منها فأُلّف وسُئل عنها فقال: ما أحفظ منها شيئاً إنّما هو كلام ارتجلته.

وفي رواية: إنّه لَمّا أجاره مسلمة بن هشام وبلغ ذلك هشاماً دعا به وقال

له: أتُجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟ فقال: كلّا ولكنّي انتظرت سكون غضبه. قال: أحضرنيه الساعة فإنّه لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهلّ، إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك. قال أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلّا ولكنّي أحتال لك. ثمّ قال له: إنّ معاوية بن هشام مات قريباً وقد جزع عليه جزعاً شديداً فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدّمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحقّ بإجارته. فأصبح هشام على عادته متطلّعاً من قصره إلى القبر فقال: ما هذا؟ فقالوا: لعلّه مستجيرٌ بالقبر. فقال: يُجار مَن كان إلاّ الكميت فإنّه لا جوار له. فقيل: فإنّه الكميت. فقال: يُحضر أعنف إحضار. فلمّا دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلمّا نظر هشام إليهم إغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين إستجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظّه من الدنيا فاجعله هبةً له ولنا ولا تفضحنا في مَن استجار به. فبكى هشام حتى انتحب ثمّ أقبل على الكميت فقال له: يا كميت! أنت القائل:

وإلاّ فقولوا غيرها تتعرّفوا نواصيها تُروى بنا وهي شزّب(١)

فقال: لا والله أتان من أُتن الحجاز وحشيّة. فقال الكميت: الحمد لله. قال هشام: نعم الحمد لله. ما هذا؟ قال الكميت: مبتدىء الحمد ومبتدعه، الذي خصّ بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنّته، أحمد حمد مَن علم يقيناً، وأبصر مُستبيناً، وأشهد له بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده العربيّ، ورسوله الاميّ، أرسله والناس في هفوات حيرة، ومُدلهمّات ظلمة، عند استمرار ابّهة الضلال، فبلّغ عن الله ما أُمر به، ونصح لامّته، وجاهد في سبيله، وعبد ربّه حتّى أتاه اليقين، صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ تكلّم واعتذر عن هجائه

---

(١) تروى: أي ترمى. تشازب القوم على الامر. أي كان لكل واحد منهم حظ ينتظره يقال: هم متشازبون.

بني اميّة وأنشد أبياتاً من رائيَّته في مدحهم فقال له هشام: ويلك يا كميت مَن زيَّن لك الغوايه ودلاك في العماية؟ قال: الّذي أخرج أبانا من الجنّة وأنساه العهد فلم يجد له عزماً. فقال له: إيه يا كميت! ألست القائل؟:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ

فقال: بل أنا القائل:

إلى آل بيت أبي مالك ... مناخٌ هو الأرحب الأسهلُ
نمتّ بأرحامنا الداخلا ... ت من حيث لا يُنكر المدخلِ
بمرّة والنضر والمالكين ... رهطٌ هم الأنبل الأنبلُ
وجدنا قريشاً قريش البطاح ... على ما بنى الأوّل الأوّلُ
بهم صلح الله بعد الفساد ... وحيص من الفتق ما رعبلوا[1]

قال له: وأنت القائل:

لا كعبد المليك أو كوليد ... أو سليمان بعدُ أو كهشامِ
مَن يمت لا يمت فقيداً ومن يحـ ... ـي فلا ذو إلّ ولا ذو ذمامِ

ويلك يا كميت جعلتنا ممّن لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمةً. فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

فالآن صرت إلى اميّـ ... ـة والامور إلى المصائرْ
والآن صرت بها إلى المصيـ ... ـب كمهتدٍ بالأمس حائرْ
فقل لبني اميّة حيث حلّوا ... وإن خفتَ المهنّد والقطيعا
أجاع الله مَن أشبعتموه ... وأشبع مَن بجوركمُ أُجيعا
بمرضيٍّ السياسة هاشميّ ... يكون حياً لأمّته ربيعا

---

(١) حاص حيصاً: عدل وحاد. رعبلوا: مزقوا.

فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تمحو عنّي قولي الكاذب. قال: بما ذا؟ قال بقولي الصادق:

أورثتـه الحصـان امّ هشـام حسبـاً ثـاقبـاً ووجهـاً نضيـرا
وتعـاطى به ابن عائشة البـد ر فـأمسى لـه رقيبـاً نـظيـرا
وكسـاه أبـو الخلائف مروا ن سنـاء المكـارم المـأثـورا
لم تجهّم[1] لـه البطاح ولكن وجـدتهـا لـه مَعـانـاً[2] ودورا

وكان هشام متّكئاً فاستوى جالساً وقال: هكذا فليكن الشعر. يقولها لسالم ابن عبدالله بن عمر وكان إلى جانبه ثمّ قال: قد رضيت عنك يا كميت فقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تزيد في تشريفي فلا تجعل لخالد عليّ إمارة. قال: قد فعلت. وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشاميّة وكتب إلى خالد أن يخلّي سبيل إمرأته ويُعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك.

الأغاني ج ١٥ ص ١١٥ـ ١١٩، العقد الفريد ج ١ ص ١٨٩.

كان هشام بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها (صدوف) مدنيّة اشتريت له بمال جزيل فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغمومٌ بذلك فقال: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين لاغمّك الله. فأخبره هشام بالقصّة فأطرق الكميت ساعةً ثمّ أنشأ يقول:

أعتبتَ أم عتبتْ عليك (صدوف) وعتـابُ مثلك مثلهـا تشـريفُ
لا تقعـدنّ تلوم نفسـك دائبـاً فيهـا وأنت بحبّهـا مشغـوفُ
إنّ الصـريمة لا يقـوم بثقلهـا إلاّ القـويّ بهـا وأنت ضعيفُ

---

(١) تجهم له: استقبله بوجه عبوس كريه.
(٢) المعان بفتح الميم: المنزل. يقال: هم منك بمعان. أي: بحيث تراهم بعينك.

فقال هشام: صدقت والله ونهض من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته، وانصرف الكميت فبعث إليه هشام بألف دينار وبعثت إليه بمثلها.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٢]

الكميت ويزيد بن عبد الملك

حدّث حُبيش بن الكميت قال: وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس فأُدخلت إليه والكميت حاضرٌ فقال له: يا أبا المستهلّ هذه جاريةٌ تُباع أفترى أن نبتاعها؟ فقال، أي والله يا أمير المؤمنين، وما أرى أنّ لها مثيلاً فلا تفوتنّك. قال فصفها لي في شعر حتّى أقبل رأيك. فقال الكميت:

هي شمس النهار في الحسن إلاّ   أنّها فُضّلت بفتك الطرافِ
غَضّةٌ بضّةٌ رخيمٌ لعوبٌ   وعثة المتن ثخنة الأطراف[1]
زانها دلّها وثغرٌ نقيٌّ   وحديثٌ مرتّلٌ غير جافِ
خُلقت فوق مُنية المتمنّي   فاقبل النصح يا بن عبد منافِ

قال: فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهلّ. فأمر له بجائزة سنيّة.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٢]

(وللكميت مع خالد) بن عبدالله القسري أخبارٌ عند قدومه الكوفة منها: أنّه مرَّ وقد تحدَّث الناس بعزله عن العراق فلمّا جاز تمثّل الكميت وقال:

أراها وإن كانت تحبُّ كأنّها   سحابة صيف عن قليل تُقشّع

فسمعه خالد فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتّى يغشاك منها شؤبوب

---

(١) الغض: الطريء الناعم. يقال: شباب غض. أي: ناضر. البضة: رقيقة الجلد ناعمة في السمن. الرخيم من رخمت الجارية: صارت سهلة المنطق فهي رخيمة ورخيم. الوعث: الهزال: ثخن: غلظ.

برد، ثمَّ أمر به فجرِّد وضُرب مائة سوط، ثمَّ خلّى عنه ومضى (رواه ابن حبيب).

[الأغاني ج ١٥ ص ١١٩]

(ومن ملح الكميت): إنّ الفرزدق مرَّ به وهو ينشد والكميت يومئذ صبيٌّ فقال له الفرزدق أيسرُّك انّي أبوك فقال: لا، ولكن يسرني أن تكون امّي فحصر الفرزدق فأقبل على جلسائه وقال. ما مرَّ بي مثل هذا قطّ.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٣]

ولادته وشهادته

وُلد الكميت في سنة الستّين، عام شهادة الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه وعاش عيشة مرضيَّة سعيداً في دنياه، باذلاً كلّه في سبيل ما اختاره له ربّه، داعياً إلى سنن الهدى حتّى أُتيحت له الشهادة ببركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السّلام له بها، وبعين الله ما هُريق من دمه الطاهر وذلك بالكوفة في خلافة مروان بن محمّد سنة ١٢٦.

وكان سبب موته ما حكاه حجر بن عبد الجبّار قال: خرجت الجعفريّة[1] على خالد القسري وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم فخرجوا في التبابين ينادون: لبّيك جعفر، لبّيك جعفر، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم ما يقول فزعاً فقال: أطعموني ماءً ثمّ خرج الناس إليهم فأُخذوا فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طنُّ قصب فيُطلى بالنفط ويُقال للرجل منهم: احتضنه. ويُضرب حتّى يفعل ثمّ يحرق فحرقهم جميعاً، فلمّا عُزل خالدٌ عن العراق ووليه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن عليّ فأنشده قوله فيه:

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرتاج المضبَّبُ
وما خالدٌ يستطعم الماء فاغراً ... بعدلك والداعي إلى الموت ينعبُ

---

(١) هم المغيرة بن سعيد وبيان وأصحابهما الست وكانوا يسمون: الوصفاء.

قال والجند قيامٌ على رأس يوسف بن عمر وهم ثمانية فتعصّبوا لخالد فوضعوا نعال سيوفهم في بطن الكميت فوجؤوه بها وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره؟ فلم يزل ينزف الدم حتى مات.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢١]

وحدّث المستهلّ[1] بن الكميت قال حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه وأُغمي عليه ثمّ أفاق ففتح عينيه ثمّ قال: اللهمّ آل محمّد، اللهمّ آل محمّد، اللهمّ آل محمّد. ثلاثاً ثمّ قال: يا بُنيَّ وددت أنّي لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت وهو:

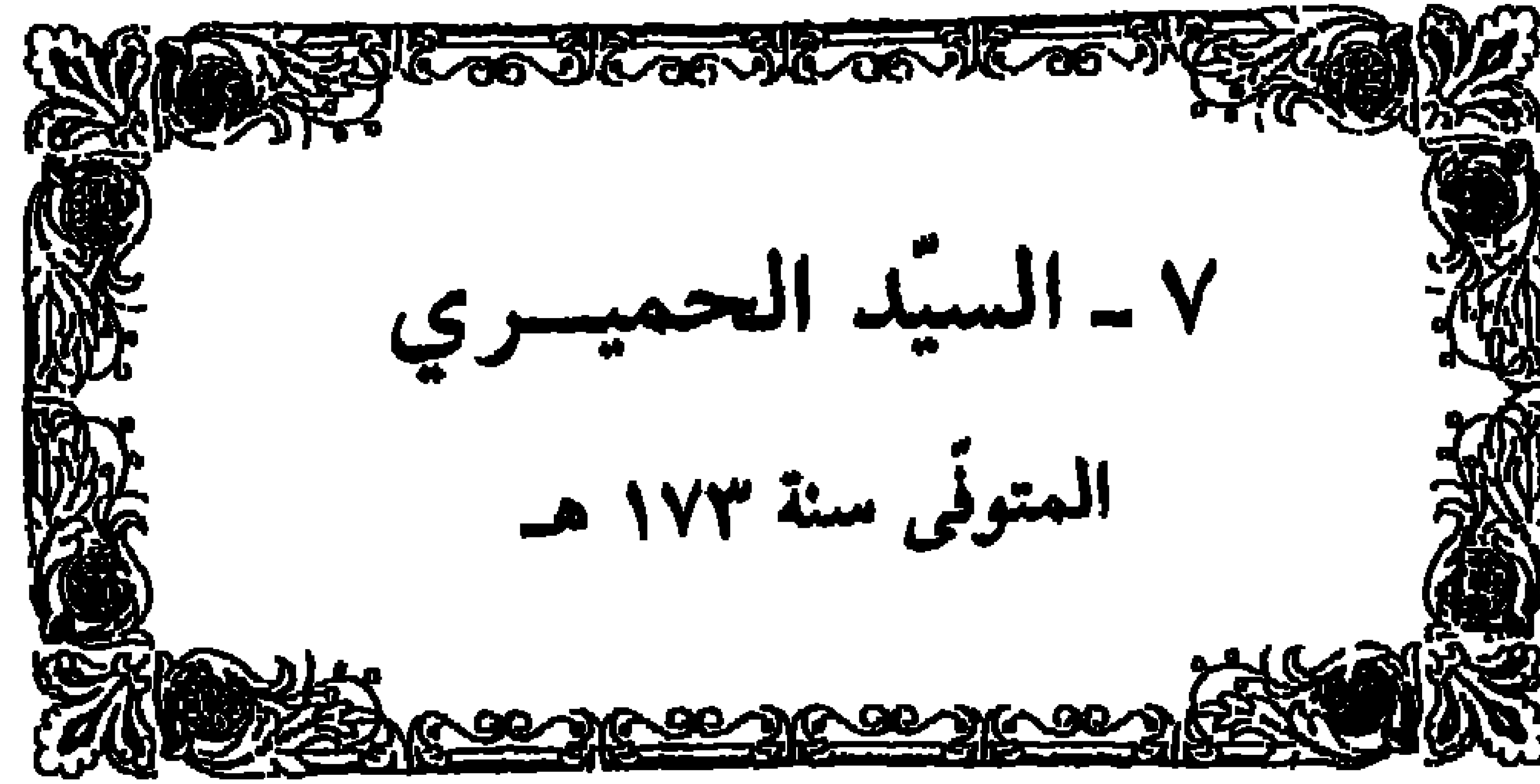
مع العضروط والعسفاء ألقوا بـرادعهنّ غيـر محصّنينـا

فعممتهنَّ قذفاً بالفجور، والله ما خرجت ليلاً قطُّ إلاّ خشيت أن أُرمى بنجوم السماء لذلك. ثمّ قال: يا بُنيَّ إنّه بلغني في الروايات: إنّه يُحفر بظهر الكوفة خندقٌ، ويُخرجِ فيه الموتى من قبورهم، ويُنبشون منها فيُحوّلون إلى قبور غير قبورهم. فلا تدفنّي في الظهر ولكن إذا متُّ فامض بي إلى موضع يقال له: «مكران» فادفنّي فيه. فدفن في ذلك الموضع وكان أوّل من دُفن فيه وهو مقبرةُ بني أسد إلى الساعة.

«الأغاني» ج ١٥ ص ١٣٠، «المعاهد» ج ٢ ص ١٣١.

---

(١) كان المستهل من الشعراء المعروفين وله ديوان كما في فهرست ابن النديم ص ٢٣٣.



٧ ـ السيّد الحميـري

المتوفّى سنة ١٧٣ هـ

١

يـا بائـع الـدين بـدنيـاه   لـيس بـهـذا أمـر الله
من أين أبغضتَ عليَّ الوصيَّ؟   وأحمـد قـد كـان يـرضـاه
مَن الّـذي أحمـدُ في بينهم   يـوم «غـديـر الخمّ» نـاداه؟
أقـامـه من بيـن أصحـابـه   وهـم حـواليـه فـسمّـاه
: هـذا عليٌّ بن أبي طـالب   مـولى لمن قـد كنت مـولاه
فـوال مَن والاهُ يـا ذا العـلا   وعـاد مَن قـد كـان عـاداه

٢

هلاّ وقفت على المكان المُعشبِ   بين الطويلع فاللوى من كبكبِ

ويقول فيها:

وبخمّ إذ قـال الإلّه بعـزمـه: قم يا محمّد في البريّة فاخطب
وانصب أبا حسن لقومـك إنّه   هـادٍ وما بلّغت إن لم تنصب
فـدعـاه ثمَّ دعـاهُمُ فـأقـامـه   لهُمُ فبين مصـدِّق ومكـذِّب
جعـل الولايـة بعـده لمهـذَّب   مـا كان يجعلهـا لغير مهـذَّب
ولـه مناقبُ لا تُـرام متى يُـرد   ساعٍ تناول بعضهـا بتذبـذب
إنّـا نـدين بحبِّ آل محمّـد   دينـاً ومَن يُحبّهمُ يستـوجب
منّا المودّة والـولاء ومن يُـرد   بـدلاً بـآل محمّـد لا يُحبب
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد   حوض الرسول وإن يُرده يُضرب

ضرب المحاذر أن تعر ركابه ... بالسوط سالفة البعير الأجرب
وكأنَّ قلبي حين يذكر أحمداً ... ووصيُّ أحمد نيط من ذي مخلب
بذرى القوادم من جناح مصعَّد ... في الجوِّ أو بذرى جناح مصوب
حتّى يكاد من النزاع إليهما ... يفري الحجاب عن الضلوع القلّب
هبة وما يهب الإلّه لعبده ... يزدد ومهما لا يهب لا يوهب
يمحو ويُثبت ما يشاء وعنده ... علم الكتاب وعلم ما لم يكتب

هذه القصيدة ذات ١١٢ بيتاً تسمّى بالمذهَّبة شرحها سيِّد الطائفة الشريف المرتضى علم الهدى وطبع بمصر سنة ١٣١٣ وقال في شرح قوله:

وانصب أبا حسن لقومك إنَّه ... هادٍ وما بلّغت إن لم تنصب

هذا اللفظ يعني (النصب) لا يليق إلّا بالإمامة والخلافة دون المحبّة والنصرة، وقوله: جعل الولاية بعده لمهذّب: صريحٌ في الإمامة لأنَّ الإمامة هي التي جعلت له بعده والمحبّة والنصرة حاصلتان في الحال وغير مختصّين بعد الوفاة.

وشرحها أيضاً الحافظ النسّابة الأشرف بن الأغر المعروف بتاج العُلى الحسيني المتوفّى سنة ٦١٠.

٣

خف يا محمّد فالق الإصباح ... وأزل فساد الدين بالإصلاح
أتسبُّ صنو محمّد ووصيّه؟ ... ترجو بذاك الفوز بالإنجاحِ
هيهات قد بعدا عليك وقرَّبا ... منك العذاب وقابض الأرواحِ
أوصى النبيُّ له بخير وصيّة ... يوم « الغدير » بأبين الإفصاحِ
مَن كنت مولاهُ فهذا واعلموا ... مولاهُ قول إشاعة وصراحِ
قاضي الديون ومرشدٌ لكُم كما ... قد كنت أرشد من هدى وفلاحِ
أغويت أمّي وهي جدّ ضعيفة ... فجرت بقاع الغيِّ جري جماحِ
بالشتم للعَلم الإمام ومن له ... إرث النبيِّ بأوكد الإيضاحِ

إنّي أخاف عليكما سخط الّذي أرسى الجبال بسبسب صحصاح
أبـويَّ فـاتّقيـا الإلـه وأذعنـا للحقِّ[١]

هذه الأبيات رواها المرزباني، كتبها السيِّد إلى والديهيدعوهما إلى التشيّع وولاء أمير المؤمنين وينهاهما عن سبّه وكانا أباضيّين.

٤

إذا أنـا لم أحفظ وصـاة محمّـد ولا عهـده يـوم «الغـديـر» مؤكّـدا
فإنّي كمن يشري الضلالة بالهدى تنصّر من بعد الهـدى أو تهوّدا
وما لي وتيمـاً أو عـديّـاً وإنّمـا أولـو نعمتى في الله من آل أحمـدا
تتمُّ صـلاتـي بـالصَّـلاة عـليهـمُ وليست صـلاتي بعـد أن أتشهّـدا
بكـاملة إن لـم أصلِّ عليـهـمُ وأدعـو لهم ربّاً كـريمـاً ممجّـدا
بـذلت لهم ودّي ونُصحي ونُصرتي مدى الدهر ما سُمّيت يا صاح سَيِّدا
وإنَّ امرأً يُلحى على صدق ودِّهم أحقُّ وأولـى فيـهـم أن يُفـنَّـدا
فـإن شئتَ فاختـر عاجـل الغمِّ ظلّة وإلاّ فـأمسـك كي تُصـان وتُحمـدا

هذه القصيدة يوجد منها ٢٥ بيتاً. روى أبـو الفرج في «الأغـاني» ج ٧ ص ٢٦٢ : إنّ أبا الخلّال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيِّد عنده وقد أمر له بجائزة وكان أبو الخلّال شيخ العشيرة وكبيرها فقال له: أيّها الأمير، أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتر عن سبِّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عقبة: ما علمت ذاك ولا أعطيته إلّا على العشرة والمودَّة القديمة وما يوجبه حقّه وجواره مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حقّهم ورعايتهم. فقال له أبو الخلّال: فمره ان كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما يُنسب إليه من الرفض. فقال: ، قد سمعك فإن شاء فعل. فقال السيِّد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمّد.

---

(١) هكذا وجدناه بياضاً في الأصل.

إلى آخر الأبيات، ثمّ نهض مغضباً فقام أبـو الخلّال إلى عقبـة فقال: أعذني من شرّه أعاذك الله من السوء أيّها الأمير، قـال: قد فعلت على أن لا تعرض له بعدها.

٥

قد أطلتم في العذل والتنقيـدِ ... بهـوى السيِّد الإمـام السديـدِ

يقول فيها:

يـوم قـام النبيُّ في ظـلِّ دَوحٍ ... والورى في وديقة صيخـودِ[1]
رافعـاً كفَّـه بيمـنى يـديـه ... بـايحاً بـاسمه بصـوت مديـدِ
أيّهـا المسلمـون هـذا خليلي ... ووزيـري ووارثي وعقيـدي
وابن عمّي ألا فمن كنت مولاه ... فهـذا مولاه فـارعـوا عهـودي
وعليٌّ منّي بمنـزلـة هـارون ... بن عمـران من أخيـه الـودودِ

٦

أجـدّ بـآل فـاطمـة البكـورُ ... فـدمـع العين منهلٌ غـزيـرُ

يقول فيها:

لقـد سمعـوا مقـالتـه بخمٍّ ... غـداة يضمّهم وهـو الغـديـرُ
فمن أولى بكم منكم فقـالـوا ... مقـالـة واحـدٍ وهم الكثيـرُ
جميعـاً: أنت مـولانـا وأولى ... بنـا منّـا وأنت لنـا نـذيـرُ
فـإنَّ وليّـكـم بعـدي علـيٌّ ... ومـولاكم هو الهـادي الوزيـرُ
وزيري في الحياة وعند موتي ... ومن بعـدي الخليفـة والأميـرُ
فـوال الله مـن والاه مـنكـم ... وقـابله لدى المـوت السـرور
وعـاد الله من عـاداه منكـم ... وحلّ به لـدى الموت النشـورُ

---

(١) الوديقة: شدة الحر. والصيخود: شديد الحر. يقال: يوم صيخود وصخدان.

٧

ألا الحمد لله حمداً كثيراً وليُّ المحامد ربّاً غفوراً
هداني إليه فوحّدته وأخلصت توحيده المستنيرا

ويقول فيها:

لذلك ما اختاره ربّه لخير الأنام وصيّاً ظهيرا
فقام بخمّ بحيث «الغدير» وحطّ الرحال وعاف المسيرا
وقمّ له الدوح ثمّ ارتقى على منبر كان رحلاً وكورا
ونادى ضحى باجتماع الحجيج فجاؤوا إليه صغيراً كبيرا
فقال وفي كفّه حيدرٌ يُليح إليه مُبيناً مُشيرا
ألا إنّ من أنا مولى له فمولاه هذا قضاً لن يجورا
فهل أنا بلّغت؟ قالوا: نعم فقال: اشهدوا غُيَّباً أو حضورا
يبلّغ حاضركم غائباً وأُشهد ربّي السميع البصيرا
فقوموا بأمر مليك السما يبايعه كلٌّ عليه أميرا
فقاموا لبيعته صافقين أكفّاً فأوجس منهم نكيرا
فقال: إلٰهيَ وال الوليّ وعاد العدوّ له والكفورا
وكن خاذلاً للأولى يخذلون وكن للأولى ينصرون نصيرا
فكيف ترى دعوة المصطفى مُجاباً بها أو هباءاً نثيرا؟؟!!
أُحبّك يا ثاني المصطفى ومن أشهد الناس فيه الغديرا
وأشهد أنّ النبيَّ الأمين بلّغ فيك نداءاً جهيرا
وإنّ الّذين تعادوا عليك يُصلون ناراً وساءت مصيرا

٨

قف بالديار وحيّهنّ ديارا واسق الرسوم المدمع المدرارا
كانت تحلُّ بها النوار وزينب فرعى إلٰهي زينباً ونوارا
قل للذي عادى وصيَّ محمّد وأبان لي عن لفظه إنكارا

يقول فيها:

مَن خاصفٌ نعلَ النبيِّ محمّد ... يُرضي بذاك الواحد الغفّارا
فيقول فيه معلناً خير الورى ... جهراً وما ناجى به إسرارا
هذا وصيّي فيكمُ وخليفتي ... لا تجهلوه فترجعوا كفّارا
وله بيوم «الدَّوح» أعظم خطبة ... أدّى بها وحي الإلّه جهارا

٩

بلغ سوّار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة قول شاعرنا السيِّد الحميري في حديث الطائر المشويِّ المتَّفق عليه:

لَمّا أتى بالخبر الأنبلِ ... في طائر أُهدي إلى المرسلِ
في خبر جاء أبانٌ به ... عن أنس في الزمن الأوَّلِ
هذا وقيس الحَبر يرويه عن ... سفينة ذي القلّب الحوَّلِ
سفينةٌ يمكن مِن رشده ... وأنسٌ خان ولم يعدلِ
في ردِّه سيِّد كلِّ الورى ... مولاهُم في المحكم المنزلِ
فصدّه ذو العرش عن رشده ... وشانه بالبرص الأنكلِ

فقال سوّار: ما يدع هذا أحداً من الصحابة إلّا رماه بشعر يُظهر عواره. وأمر بحبسه فاجتمع بنو هاشم والشيعة وقالوا له: والله لئن لم تُخرجه وإلّا كسرنا الحبس وأخرجناه أيمتدحك شاعرٌ فتثيبه ،ويمتدح أهل البيت شاعرٌ فتحبسه؟؟!! فأطلقه على مضض فقال يهجوه:

قولا لسوَّار أبي شملة ... : يا واحداً في النوك والعار
ما قلت في الطير خلاف الذي ... رويته أنت بآثار
وخبر المسجد إذ خصَّه ... محلّلاً مِن عرصة الدار
إن جنباً كان وإن طاهراً ... في كلِّ إعلان وإسرار
وأخرج الباقين منه معاً ... بالوحي من إنزال جبّار
حبا عليّاً وحسيناً معاً ... والحسن الطهر لأطهار

وفـاطماً أهـل الكسـاء الأولى — خـصّـوا بـإكـرام وايـثـار
فمبـغض الله يـرى بغـضهـم — يـصيـر لـلخـزي ولـلنّـار
عليه من ذي العرش في فعله — وسمٌ يـراه العـائب الـزاري
وأنـت يـا سُـوّار رأسٌ لهـم — في كـلّ خـزي طـالب الثار
تعيب من آخـاه خيـر الـورى — مـن بيـن أطـهـار وأخـيـار
وقـال في «خمّ» لـه معلنـاً — مـا لـم يُـلقّـوه بـإنـكـار
من كنـت مـولاه فهـذا لـه — مـولى فكـونـوا غيـر كفّـار
فعـوّلـوا بعـدي عليـه ولا — تبغوا سراب المهمه الجاري

وقال يهجو سوّار القاضي بعد موته:

يا من غدا حاملاً جثمان سوّارٍ — من داره ظاعناً منهـا إلى النّار
لا قدّس الله روحاً كان هيكلها — لقد مضت بعظيم الخزي والعارِ
حتّى هوت قعر بيروت معذّبة — وجسمـه في كنيف بين أقذارِ
لقد رأيت من الرّحمن معجبة — فيـه وأحكامـه تجري بمقـدارِ
فاذهب عليك من الرّحمن بَهلته — يا شرّحيٍّ يراه الواحـد الباري
يا مبغضاً لأميـر المؤمنين وقد — قـال النبيُّ له من دون إنكـارِ
يوم الغدير وكلّ الناس قد حضروا — مَن كنت مولاه في سرّ وإجهارِ
هذا أخي ووصيّي في الأمور ومَن — يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
يا ربّ عاد الذي عاداه من بشر — وأصله في جحيم ذات إسعارِ
وأنت لا شكّ عاديت الإِلٓه به — فيـا جحيمُ ألا هبّي لِسـوّارِ

١٠

لأمّ عمـرو بـاللّوى مـربـعُ — طـامسـةٌ أعـلامهـا بلقـعُ
تـروع عنهـا الـطيـر وحشيّـةً — والـوحش من خيفته تفـزعُ
رقشٌ يخاف الموت من نقشها — والسمُّ في أنيـابهـا منقـعُ
بـرسم دار مـا بهـا مـونسٌ — إلّا صـلالٌ في الثرى وُقّـعُ
لَمّـا وقفتُ العيس في رسمها — والعين من عـرفـانـه تـدمـعُ

ذكـرتُ مَن قد كنت ألهـو بـه   فبتُّ والقلب شـجٌ مـوجـعُ
كـأنَّ بـالنـار لمـا شفَّني   من حبِّ أروى كبـدي لُـدَّغُ
عجبت من قـوم أتـوا أحمداً   بخـطَّة ليس لهـا مـوضـعُ
قـالوا لـه: لـو شئتَ أعلمتنا   إلى مَن الغـايـةُ والمـفـزعُ
إذا تـوفِّـيـت وفـارقـتـنـا   وفيهمُ في الملك مَن يـطمعُ
فقـال: لـو أعلمتكم مفـزعـاً   كنتم عسيتم فيـه أن تصنعـوا
صنيع أهل العجـل إذ فارقـوا   هـارون فـالتـرك لـه أوسـعُ
وفي الّـذي قـال بيـانٌ لمن   كـان إذا يعقـل أو يـسمـعُ
ثـمَّ أتتـه بـعـد ذا عـزمـةٌ   من ربِّـه ليس لهـا مـدفـعُ
بـلِّغ وإلاّ لم تـكـن مـبلغـاً   والله منهـم عـاصمٌ يـمـنـعُ
فعنـدهـا قـام النبيُّ الّـذي   كـان بمـا يؤمر بـه يصـدعُ
يخـطب مـأمـوراً وفي كفِّـه   كـفُّ عـليٍّ ظـاهـرٌ تـلمـعُ
رافعهـا أكـرم بكفِّ الّـذي   يـرفـع والكفُّ الّـذي تُـرفـعُ
يقـول والأمـلاك من حـولـه   والله فيهم شـاهـدٌ يسـمـعُ
مَن كنـت مـولاه فهـذا لـه   مـولىً فلم يرضـوا ولم يقنـعُ
فـاتَّـهمـوه وحـنـت فـيـهـمُ   على خـلاف الصّادق الأضلعُ
وضـلَّ قـومٌ غـاضهم فـعله   كـأنَّـمـا آنـافهـم تُـجـدعُ
حتّى إذا واروه فـي لـحـده   وانصـرفـوا عن دفنـه ضيَّعـوا
مـا قـال بـالأمس وأوصى بـه   واشتـروا الضـرَّ بمـا ينفعُ

القصيدة ٥٤ بيتاً

ما يتبع الشعر

عن فضيل الرسّان قال: دخلت على جعفر بن محمَّد عليه السلام، أُعزِّيه عن عمِّه زيد ثمَّ قلت: ألا أُنشدك شعر السيِّد؟ فقال: أنشد. فأنشدته قصيدة يقول فيها:

فـالنـاس يـوم البعث رايـاتهم   خمسٌ فمنهـا هـالـكٌ أربـعُ

قـائـدهـا العجـل وفـرعـونهم وسـامـريُّ الأمَّـة المفـظعُ
ومـارقٌ مـن دينـه مـخـرجٌ أسـود عـبـد لـكّـع أوكـعُ
ورايـةٌ قـائـدهـا وجـهـه كـأنّـه الـشـمس إذا تـطلعُ

فسمعت نحيباً من وراء الستور فقال: مَن قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيِّد. فقال: رحمه الله فقلت: جعلت فداك إنّي رأيته يشرب الخمر. فقال: رحمه الله فما ذنب على الله أن يغفره لآل عليّ، إنَّ محبَّ عليٍّ لا تزلُّ له قدمٌ إلاّ ثبتت له اخرى.

الأغاني ج ٧ ص ٢٥١.

ورواه أيضاً في الأغاني ج ٧ ص ٢٤١ وفيه: فسألني لمن هي؟ فأخبرته أنَّها للسيِّد وسألني عنه فعرَّفته وفاته[1] فقال: رحمه الله. قلت: إنّي رأيته يشرب النبيذ في الرستاق قال: أتعني الخمر؟ قلت: نعم. قال: وما خطر ذنب عند الله أن يغفره لمحبِّ عليٍّ عليه السّلام؟!.

وروى الحافظ المرزباني في «أخبار السيِّد» عن فُضيل قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السّلام بعد قتل زيد فجعل يبكي ويقول: رحم الله زيداً إنّه للعالم الصدوق، ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه. فقلت: انشدك شعر السيِّد؟ فقال: أمهل قليلاً. وأمر بستور فسدلت وفتحت أبوابٌ غير الأولي ثمَّ قال: هات ما عندك. فأنشدته:

لامّ عمرو باللّوى مربعُ

وذكر ١٣ بيتاً

فسمعت نحيباً من وراء الستور ونساء تبكين فجعل يقول: شكراً لك يا إسماعيل قولك. فقلت له: يا مولاي انّه يشرب نبيذ الرساتيق. فقال: يلحق مثله التوبة ولا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا.

---

(١) هذه الكلمة دخيلة لا تتم إذ الحميري توفّي بعد وفاة الصادق عليه السلام بستين سنة. ولا توجد هي في رواية المرزباني والكشي.

ورواه الكشّي في رجاله ص ١٨٤ بتغيير يسير في بعض ألفاظه.

وروى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥١ عن زيد بن موسى بن جعفر عليهما السّلام أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وقدّامه رجلٌ جالسٌ عليه ثياب بيض فنظرت عليه فلم أعرفه إذ التفت إليه رسول الله فقال: يا سيدا! أنشدني قولك:

لامٌ عمرو باللّوى مربعُ   طامسةٌ أعلامها بلقعُ

فأنشده إيّاها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً فحفظتها عنه كلّها في النوم، قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحّانة رديء الإنشاد فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتعتع فيها ولم يلحن. وهذا الحديث رواه الحافظ المرزباني في أخبار السيِّد.

وفي «الأغاني» ج ٧ ص ٢٧٩ عن أبي داود المسترقّ عن السيِّد أنّه رأى النبيّ ﷺ في النوم فاستنشده فأنشده قوله:

لامٌ عمرو باللّوى مربعُ   طامسةٌ أعلامها بلقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا   إلى مَن الغاية والمفزعُ

فقال: حسبك. ثمّ نفض يده وقال: قد والله أعلمتهم.

وقال الشريف الرضي في [خصائص الأئمّة]: حُكي أنّ زيد بن موسى بن جعفر بن محمّد عليهم السّلام رأى رسول الله ﷺ في المنام كأنّه جالسٌ مع أمير المؤمنين عليه السّلام في موضع عال شبيه بالمسناة وعليها مراقٍ فإذا منشد ينشد قصيدة السيِّد ابن محمّد الحميري هذه وأوّلها:

لامٌ عمرو باللّوى مربعُ   طامسةٌ أعلامها بلقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا   إلى مَن الغاية والمفزعُ

قال: فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وتبسّم وقال: أو لم أُعلمهم؟ أو لم أعلمهم؟ أو لم أُعلمهم؟ ثمّ قال لزيد: إنّك تعيش بعدد كلّ مرقاة رقيتها سنة واحدة. قال: فعددت المراقي وكان نيفاً وتسعين مرقاة، فعاش زيد نيفاً وتسعين سنة، وهو الملقّب بزيد النار.

قال العلاّمة المجلسي في «بحار الأنوار» ج ١١ ص ١٥٠: وجدت في بعض تأليفات أصحابنا أنّه روى بإسناده عن سهل بن ذبيان قال: دخلت على الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام في بعض الأيّام قبل أن يدخل عليه أحدٌ من الناس فقال لي: مرحباً بك يا بن ذبيان! السّاعة أراد رسولنا أن يأتيك لتحضر عندنا. فقلت: لِماذا؟ يا بن رسول الله؟ فقال: لمنام رأيته البارحة وقد أزعجني وأرّقني. فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى. فقال: يا بن ذبيان! رأيت كأنّي قد نُصب لي سُلّمٌ فيه مائة مرقاة فصعدت إلى أعلاه. فقلت: يا مولاي! اهنّيك بطول العمر وربما تعيش مائة سنة. فقال عليه السلام ما شاء الله كان. ثمّ قال: يا بن ذبيان! فلمّا صعدت إلى أعلا السلّم رأيت كأنّي دخلت في قبّة خضراء يُرى ظاهرها من باطنها ورأيت جدّي رسول الله جالساً وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجههما، ورأيت امرأة بهيّة الخلقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهيّ الخلقة جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ:

لأمٍّ عمـرو بـاللّوى مـربـعُ طـامسـةٌ أعـلامهـا بلقـعُ

فلمّا رآني النبيُّ قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا عليٌّ بن موسى الرّضا! سلّم على أبيك عليّ. فسلّمت عليه، ثمّ قال لي: سلّم على امّك فاطمة الزهراء عليها السّلام فسلّمت عليها، فقال لي: فسلّم على أبويك الحسن والحسين. فسلّمت عليهما، ثمّ قال لي: وسلّم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيّد إسماعيل الحميري. فسلّمت عليه وجلست فالتفت النبيُّ إلى السيّد إسماعيل وقال له. عُد إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة فأنشد يقول:

لأمّ عمـرو بـاللّوى مـربـعُ طـامسـةٌ أعـلامهـا بلقـعُ

فبكى النبيُّ صلّى الله عليه وآله فلمّا بلغ إلى قوله:

ووجههُ كالشمس إذ تطلعُ

بكى النبيُّ، وفاطمة ومن معه، ولمّا بلغ إلى قوله:

قـالوا لـه: لـو شئت أعلمتنـا   إلى مَن الغـايـة والمـفـزعُ

رفع النبيّ صلّى الله عليه وآله يديه وقال: إلٓهي أنت الشاهد عليٌّ وعليهم انّي أعلمتهم: أنَّ الغاية والمفزع عليُّ بن أبي طالب. وأشار بيده إليه وهو جالسٌ بين يديه، قال عليٌّ بن موسى الرضا: فلمّا فرغ السيِّد إسماعيل الحميري من إنشاد القصيدة التفت النبيُّ إليَّ وقال لي: يا عليُّ بن موسى! إحفظ هذهالقصيدة ومر شيعتنا بحفظها وأعلمهم أنَّ مَن حفظها وأدمن قرائتها ضمنت له الجنَّة على الله تعالى. قال الرضا: ولم يزل يُكرِّرها عليٌّ حتى حفظتها منه والقصيدة هذه. ثمَّ ذكرها برمّتها.

(قال الأميني): هذا المنام ذكره القاضي الشهيد المرعشي في «مجالس المؤمنين» ص ٤٣٦ نقلاً عن رجال الكشي ولم يوجد في المطبوع منه، ولعلّ القاضي وقف على أصل النسخة الكاملة ووجده فيه، ونقله الشيخ أبو علي في رجاله (منتهى المقال) ص ١٤٣ «عن عيون الأخبار» لشيخنا الصدوق، وتبعه الشيخ المعاصر في «تنقيح المقال» ج ١ ص ٥٩، والسيِّد الأمين في «أعيـان الشيعة» ج ١٣ ص ١٧٠، ولم نجده في نسخ العيون المخطوطة والمطبوعة.

ورواه شيخنا المولى محمّـد قاسم الهـزار جريبي في شـرح القصيدة، والسيِّد الزنوزي في الروضة الأولى من كتابه الضخم الفخم «رياض الجنَّة». والسيِّد محمّد مهدي في آخر كتابه «رياض المصائب».

شروح القصيدة

شرح هذه العينيّة جمعٌ من أعلام الطائفة منهم:

١ ـ الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانساري المتوفّى سنة ١٠٩٩.

٢ ـ ميرزا علي خان الگلپايگاني تلميذ العلاّمة المجلسي.

٣ ـ المولى محمّد قاسم الهزار جريبي المتوفّى بعد سنة ١١١٢ وقد صنّف فيها كتابه (التحفة الأحمدية) يوجد هذا الشرح في النجف الأشرف.

٤ ـ بهاء الدين محمَّد بن تاج الدين الإصبهاني الشهير بالفاضل الهندي المولود سنة ١٠٦٢ والمتوفّى سنة ١١٣٥.

٥ ـ الحاج المولى محمَّد حسين القزويني المتوفّى في القرن الثاني عشر.

٦ ـ الحاج المولى صالح بن محمَّد البرغاني.

٧ ـ الحاج ميرزا محمّد رضا القراجة داغي التبريزي فرغ منه سنة ١٢٨٩ وطبع في تبريز سنة ١٣٠١

٨ ـ السيِّد محمّد عبّاس ابن السيِّد علي أكبر الموسوي المتوفّى سنة ١٣٠٦، أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر يأتي هناك شعره وترجمته.

٩ ـ الحاج المولى حسن بن الحاج محمَّد إبراهيم ابن الحاج محتشم الأردكاني المتوفّى سنة ١٣١٥.

١٠ ـ الشيخ بخشعلي اليزدي الحائريّ المتوفّى سنة ١٣٢٠

١١ ـ ميرزا فضعلي ابن المولى عبد الكريم الإرواني التبريزي المتوفّى سنة نيف و١٣٣٠ مؤلِّف «حدائق العارفين».

١٢ ـ الشيخ علي بن علي رضا الخوئي المتوفّى سنة ١٣٥٠.

١٣ ـ السيِّد أنور حسين الهندي المتوفّى سنة ١٣٥٠.

١٤ ـ السيِّد علي أكبر ابن السيِّد رضي الرضوي القمي المولود سنة ١٣١٧.

١٥ ـ الحاج المولى علي التبريزي مؤلِّف (وقائع الأيام) المطبوع[١].

وخمَّسها جمعٌ من العلماء والأدباء منهم: شيخنا الحرُّ العاملي صاحب «الوسائل» وحفيده الشيخ عبد الغني العاملي نزيل البصرة والمتوفّى بها ومطلع تخميسه:

جواً به كأس الأسى أجرعُ صرفاً وأجفاني حياً تدمعُ
فاسمع حديثاً بالأسى مسمعُ لأمِّ عمرو باللّوى مربعُ

ومنهم: الشيخ حسن بن مجلي الخطّي وأوّل تخميسه:

لا تنكروا إن جيرتي أزمعوا هجراً وحبل الوصل قد قطّعوا
كم دمنةٌ خاويةٌ تجزعُ لامِّ عمرو باللّوى مربعُ
كانت بأهل الودِّ إنسيّة تزهو بزهر الروض موشيّة
فأصبحت بالرغم منسيّة تروع عنها . . .

ومنهم: سيِّدنا السيِّد علي النقي النقوي الهندي الآتي شعره وترجمته في القرن الرابع عشر ومستهلُّ تخميسه:

أتنطوي فوق الأسى الأضلعُ صبراً وترقى منّي الأدمعُ؟؟!!
وذاك حيث الظعن قد أزمعوا لامّ عمرو باللّوى مربعُ
قد ذاكرته السحب وسميّةً ولاعبته الريح شرقيّةً
لأرسم أصبحن منسيّةً تروع عنها . . .

---

(١) هذه الشروح وقفت على بعضها ونقلت جملة منها عن «الذريعة» لشيخنا الرازي.

ومن غديريّات السيِّد الحميري

١١

هبَّ عليٌّ بـالمـلام والعـذلْ وقال: كم تذكر بالشعر الأوّلْ؟!
كفّ عن الشرِّ فقلت: لا تقل ولا تخل أكفُّ عن خير العملْ
إنّي أُحبُّ حيـدراً مُناصحـاً لمن قفـا مُـواثبـاً لمن نكـلْ
أُحبُّ مَـن آمـن بـالله ولـم يشرك به طرفة عين في الأزلْ
ومن غدا نفس الرسول المصطفى صلّى عليـه الله عند المبتهلْ
وثـاني النبيِّ في يـوم الكسـا إذ طهَّـر الله بـه مَن اشتمـلْ
وقـال: خلّفت لكم كتـابـه وعتـرتي وكـلٌّ هـذين ثقَـلْ
فليت شعـري كيف تخلفونني في ذا وذا إذا أردت المرتحلْ؟
وجـاء من مكّة والحجيج قد صاحبه من كـلِّ سهل وجبـلْ
حتّى إذا صـار بخمٍّ جـاءه جبريلُ بـالتبليـغ فيهم فنـزلْ
وقُمَّ ذاك الدوح فاستوى على رحـل ونادى بعليٍّ فـارتحـلْ
وقـال: هـذا فيكمُ خليفتـي ومَن عليه في الأمور المتّكـلْ
نحن كهـاتين وأومـا بـاصبـع مِن كفِّه عن إصبعٍ لم تنفصلْ
لا تبتغـوا بالـطهـر عنهُ بـدلا فليس فيكم لعليٍّ مـن بـدلْ
ثـمَّ أدار كـفَّـه لـكـفِّـه يـرفعها منه إلى أعـلا محـلْ
فقـال: بايعـوا له وسلّمـوا الـ ـأمر إليه واسلمـوا من الزَّلـلْ
ألست مولاكم؟ فذا مولى لكم والله شـاهـدٌ بـذا عـزَّ وجـلْ
يـا ربِّ وال مَن يوالي حيـدراً وعاد من عاداه واخذل مَن خذلْ
يـا شاهـدي بلّغت مـا أنـزلـه إليَّ جبـريـل وعنـه لم أحـلْ
فبـايعـوا وهنئـوا وبخبخـوا والصدر مطويٌّ لـه على دغلْ
فقل لمن ينقم منه: ما رأى؟! وقل لمن يعدل عنه: لِم عدلْ؟!

١٢

أعلمـاني أيُّ بـرهـان جلي فتقـولان بـتفـضيـل عـلي؟

بعد ما قام خطيباً معلناً ... يوم «خمّ» باجتماع المحفلِ
أحمد الخير ونادى جاهراً ... بمقال منه لم يفتعلِ
قال: إنَّ الله قد أخبرني ... في معاريض الكتاب المنزلِ
إنَّه أكمل ديناً قيماً ... بعليٍّ بعد أن لم يكملِ
وهو مولاكم فويلٌ للّذي ... يتولّى غير مولاه الولي
وهو سيفي ولساني ويدي ... ونصيري أبداً لم يزلِ
وهو صنوي وصفيّي والّذي ... حبّه في الحشر خيرُ العملِ
نوره نوري ونوري نوره ... وهو بي متّصلٌ لم يفصلِ
وهو فيكم من مقامي بدلٌ ... ويل من بدَّل عهد البدل
قوله قولي فمن يأمره ... فليُطعه فيه وليمتثلِ
إنّما مولاكُمُ بعدي إذا ... حان موتي ودنا مُرتحلي
ابن عمّي ووصيّي وأخي ... ومجيبي في الرَّعيل الأوَّلِ
وهو بابٌ لعلومي فسقوا ... ماء صبر بنقيع الحنظلِ
فطبوا في وجهه وائتمروا ... بينهم فيه بأمرٍ معضلِ

١٣

أشهد بالله وآلائه ... والمرء عمّا قاله يُسألُ
أنَّ عليَّ بن أبي طالب ... خليفة الله الذي يعدلُ
وانَّه قد كان من أحمد ... كمثل هارون ولا مُرسلُ
لكن وصيٌّ خازنٌ عنده ... علمٌ من الله به يعملُ
قد قام يوم «الدوح» خير الورى ... بوجهه للنَّاس يستقبلُ
وقال: مَن قد كنت مولى له ... فذا له مولى لكم موئلُ
لكن تواصوا بعليٍّ الهدى ... أن لا يُوالوه وأن يخذلوا

١٤

قام النبيُّ يوم خمٍّ خاطباً ... بجانب الدوحات أو حيالها
فقال: من كنت له مولى فذا ... مولاه ربّي اشهد مراراً قالها

قـالـوا: سمعنـا وأطعنـا كلّنـا — وأسـرعوا بـالألسن اشتغـالهـا
وجـاءهم مشيخـةٌ يقـدمهم — شيـخٌ يُهنّي حيـدراً مثـالهـا
قـال له: بـخٍ بخٍ من مثلكـا — أصبحت مولى المؤمنين يا لها
يـا عجبـاً وللزمـان عجـبٌ — تلقى ذوو الفكر بـه ضـلالهـا
إنّ رجـالاً بـايعتـه إنّمـا — بـايعت الله، فما بـدا لهـا؟!
وكيف لم تشهد رجالٌ عندما — استشهد في خطبته رجالها؟!
ونـاشـد الشيـخ فقـال: إنّني — كبـرت حتّى لم أجد أمثـالهـا
فقـال: والكاذبُ يُـرمى بالّتي — ليس تـواري عمّـة تنـالهـا

أشار في الأبيات الأخيرة إلى ما مرّ ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٢٨ و٢٣٤ - ٢٣٨ من حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السّلام في الرحبة بحديث الغديـر، لمّا نوزع في خلافته وكتمان أنس بن مالك شهادته له، وإصابة دعوته عليه السّلام عليه.

١٥

لمن طللٌ كـالـوشم لم يتكلّم — ونؤيٌ وآثارٌ كترقيش معجمِ ؟؟
ألا أيّها العاني الذي ليس في الأذى — ولا اللوم عندي في عليّ بمحجمِ
ستـأتيك منّي في علي مقـالةٌ — تسوؤك فاستأخر لهـا أو تقدّمِ
عليٌّ له عندي على مَن يعيبه — من الناس نصرٌ باليدين وبالفم
متى ما يُرد عندي معاديه عيبه — يجد ناصراً من دونه غير مفحمِ
عليٌّ أحبُّ النـاس إلّا محمّداً — إليَّ فدعني من ملامـك أو لُمِ
عليٌّ وصيُّ المصطفى وابن عمّه — وأوّل مَن صلّى ووحّد فاعلمِ
عليٌّ هو الهادي الإمام الذي به — أنـار لنا من ديننـا كلَّ مـظلمِ
عليٌّ وليُّ الحوض والذائد الذي — يُذبّب عن أرجاءه كلَّ مجرمِ
عليٌّ قسيم النار من قوله لها: — ذري ذا وهذا فاشربي منه واطعمي
خذي بالشوى ممّن يصيبك منهمُ — ولا تقربي مَن كان حزبي فتظلمي
عليٌّ غـداً يُدعـا فيكسوه ربّـه — ويُـدنيه حقـاً من رفيق مكرَّمِ

فإن كنت منه يوم يُدنيه راغماً وتُبدي الرضا عنه من الآن فارغمِ
فإنّك تلقاه لدى الحوض قائماً مع المصطفى الهادي النبيِّ المعظَّمِ
يُجيزان مَن والاهما في حياته إلى الروح والظلِّ الظليلِ المكمَّمِ
عليٌّ أميـر المؤمنيـن وحقّـه من الله مفروضٌ على كلِّ مُسلمِ
لأنَّ رسـول الله أوصى بحقّـه وأشـركه في كـلِّ فيءٍ ومغنمِ
وزوجتـه صدّيقـةٌ لم يكن لها مقـارنـةٌ غيـر البتـولـة مـريمِ
وكان كهارون بن عمران عنده من المصطفى موسى النجيب المكلّم
وأوجب يـومـاً بـالغـديـر ولاءه على كلِّ برٍّ من فصيحٍ وأعجمِ
لدى دوح «خمّ» آخذاً بيمينـه يُنادي مبيناً باسمه لم يُجمجمِ
أما والذي يهوي إلى ركن بيته بشعث النواصي كلّ وجناء عيهمِ
يُوافين بالـركبان من كـلِّ بلدة لقد ضلَّ يوم «الدوح» من لم يسلّمِ
وأوصى إليـه يوم ولّى بـأمـره وميراث علم من عرى الدين محكمِ

(القصيدة يوجد منها ٤٢ بيتاً)

قال الحافظ المرزباني في «أخبار السيِّد» : إنَّ السيِّد الحميري كتب بهذه القصيدة إلى عبدالله بن أبـاض رأس الأباضيـة لمّا بلغـه أنّه يعيب على عليٍّ عليه السّلام ويتهدَّد السيِّد بذكره عند المنصور بما يوجب قتله، فلمّا وصلت إلى ابن أباض امتعض منها جِدّاً وأجلب في أصحابه وسعى به إلى الفقهاء والقرّاء فاجتمعوا وصاروا إلى المنصور وهو بدجلة البصـرة فرفعـوا قصَّته فـأحضرهم وأحضر السيِّد فسألهم عن دعواهم، فقالوا: إنّه يشتم السلف، ويقول بالرَّجعة، ولا يرى لك ولا لأهلك إمامة فقال لهم: دعوني أنا واقصدوا لما في أنفسكم. ثمَّ أقبل على السيِّد فقال: ما تقول فيما يقولون؟ فقال: ما أشتم أحـداً وإنّي لأترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ وهذا ابن أباض قل له: يترحم على عليٍّ، وعثمان، وطلحة، والزبير. فقال له: ترحَّم على هؤلاء. فتلوى (تثاقل) ساعة فحذفه المنصور بعود كان بين يديه وأمر بحبسه فمات في الحبس وأمر بمن كان معه فضُربوا بالمقارع وأمر للسيِّد بخمسة آلاف درهم.

١٦

يـا لقـومي لِلنبيِّ المصــطفى ولِمـا قد نـال من خيـر الأُمَمْ
جحـدوا مـا قـال في صِنوه ويـوم خمٍّ بين دوح مُنتـظمْ
أيهـا النـاس فمن كنتُ لـه وليـاً يوجب حقّي في القـدمْ
فـعليٌّ هـو مـولاه لِـمـن كنت مـولاه قضـاءً قـد حُتمْ
أفـلا ينفـذ فيهم حكـمـه؟ عجباً يولـع في القلب الضرمْ

١٧

ألا إنّ الـوصيَّـة دون شـكٍّ لخير الخلق من سامٍ وحـامِ
وقـال محمَّـدٌ بغـديـر خمٍّ عن الرَّحمن ينطق باعتـزامِ
يصيـح وقـد أشـار إليه فيكم إشـارة غيـر مُصـغٍ للكـلامِ
ألا من كنـت مـولاه فهـذا أخي مـولاه فاستمعـوا كلامي
فقـال الشيـخ يقـدمهم إليـه وقد حصدت يداه من الزحامِ
ينادي: أنت مولاي ومولى الـ أنام. فلم عصى مولى الأنام؟!
وقـد ورث النبيٌّ رداه يـومـاً وبـردتـه ولائـكـة اللجـامِ

١٨

على آل الـرَّسـول وأقـربيـه سـلامٌ كلّمـا سجـع الحمـامُ
أليسوا في السماء وهم نجـومٌ وهم أعـلام عزٍّ لا يُـرام؟؟!!
فيـا مَن قد تحيَّـر في ضلالٍ أميـر المؤمنين هـو الإمـامُ
رسـول الله يـوم «غـديـر خمّ» أنـاف بـه وقـد حضـر الأنـامُ

تأتي القصيدة بتمامها في ترجمته. قال المعتز في طبقاته ص ٨: حكوا عن بعضهم أنّه قال: رأيت حمّالاً عليه حملٌ ثقيلٌ وقد جهده، فقلت: ما هذا؟ فقال: ميميّات السيِّد.

١٩

نفسي فداء رسول الله يوم أتى جبريل يـأمر بـالتبليغ إعـلانا

إن لم تُبلّغ فما بلّغت فانتصب النبيُّ ممتثلاً أمراً لمن دانا
وقال للناس: مَن مولاكُمُ قبلا يوم الغدير؟ فقالوا: أنت مولانا
أنت الرسول ونحن الشاهدون على أن قد نصحت وقد بيَّنت تبيانا
هذا وليّكمُ بعدي أُمرت به حتماً فكونوا له حزباً وأعوانا
هذا أبرُّكُمُ برّاً وأكثركم علماً وأوّلكم بالله ايماناً
هذا له قربةٌ منّي ومنزلةٌ كانت لهارون من موسى بن عمرانا

٢٠

أتى جبرئيلُ والنبيّ بضحوة فقال: أقم والناس في الوخد تمحنُ
وبلّغ وإلا لم تُبلّغ رسالة فحطَّ وحطَّ الناس ثمَّ ووطّنوا
على شجرات في الغدير تقادمت فقام على رحل ينادي ويُعلنُ
وقال: ألا من كنت مولاه منكُمُ فمولاه من بعدي عليٌّ فأذعنوا
فقال شقيٌّ منهمُ لقرينه وكم من شقيٍّ يستزلُّ ويفتنُ
يمدُّ بضبعيه عليّاً وإنّه لِما بالذي لم يُؤته لَمزيِّنُ
كأن لم يكن في قلبه ثقةٌ به فيا عجباً أنّى ومن أين يُؤمن؟؟!

٢١

منحت الهوى المحض مني الوصيّا ولا أمنح الودَّ إلّا عليّا
دعاني النبيُّ عليه السّلام إلى حبِّه فأجبت النَّبيَّا
فعاديتُ فيه وواليته وكنت لمولاه فيه وليَّا
أقام بخمّ بحيث الغدير فقال فأسمع صوتاً نَديّا
ألا ذا إذا متُّ مولاكُمُ فأفهمه العُرب والأعجميّا

٢٢

به وصّى النبيُّ غداة «خُمّ» جميع الناس لو حفظوا النَّبيَّا
وناداهم: ألستُ لكم بمولى؟ عباد الله فاستمعوا إليَّا
فقالوا: أنت مولانا وأولى بنا منّا فضمَّ له عليَّا

وقـال لهم بصـوت جهـوريّ — وأسمع صوتـه من كـان حيًّـا
فمن أنــا كنت مـولاهُ فـإنّي — جعلت لــه أبـا حسنٍ وليًّـا
فعــاد الله من عــاداه منكـم — وكــان بـمن تـوّلاه حـفيًّـا

٢٣

وقـام محمَّــدٌ بغـديـر خمّ — فنـادى معلنـاً صـوتـاً نـديًّـا
لمن وافــاه من عُـرب وعُجم — وحفّـوا حـول دوحتـه حنيًّا
ألا مَـن كنـت مـولاه فهــذا — لــه مـولىً وكــان بـه حفيًّـا
إلٓهي عــاد من عــادى عليّـاً — وكـن لـوليّـه ربـي وليًّـا

الشاعر

أبو هاشم وأبو عامر إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن وداع الحميري الملقَّب بالسيِّد «نسبه» ذكر أبو الفرج الإصبهاني وكثيرٌ من المؤرِّخين: أنّه حفيد يزيد بن ربيعة مفرّغ أو ابن مفرّغ الحميري الشاعر المشهور الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبسه عبدالله بن زياد لـذلك وعـذّبه ثم أطلقـه معاوية، لكن المرزباني نسبه إلى يزيد بن وداع وقال في كتاب «أخبار الحميري»: امّه من حُدّان[1] تزوَّج بها أبوه لأنّه كان نازلاً فيهم، وامُّ هذه المرأة بنت يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميري الشاعر المعروف، وليس ليزيد بن مفرّغ عقبٌ من ولد ذكر، ولقد غلط الأصمعي في نسبة السيِّد إلى يزيد بن مفرّغ من جهة أبيه لأنّه جدُّه من جهة امّه. اهـ. وذكر المرزباني له في «معجم الشعراء»:

إنّي امرؤٌ حميريٌّ حين تنسبني — جدّي رعينٌ وأخوالي ذوو يزنِ
ثمَّ الولاء الّذي أرجو النجاة به — يوم القيامة للهادي أبي الحسنِ[2]

---

(١) حدان بضم المهملة إحدى محال البصرة القديمة يقال لها: بنو حدان. سميت باسم قبيلة أبوها حدان بن شمس بن عمرو من الأزد.
(٢) البيتان من أبيات له تأتي قصتها.

يُكنّى بأبي هاشم وقال شيخ الطائفة: بأبي عامر، وكان يلقّب منذ صغر سنّه بالسيّد قال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ١٨٦: رُوي أنّ أبا عبدالله عليه السلام لقي السيّد بن محمّد الحميري وقال: سمّتك امّك سيّداً، وُفّقت في ذلك، وأنت سيّد الشعراء. ثمّ أنشد السيّد في ذلك:

ولقد عجبت لقائل لي مرّةً ... علّامةٍ فهمٍ من الفقهاءِ
سمّاك قومك سيّداً صدقوا به ... أنت الموفّق سيّد الشعراءِ
ما أنت حين تخصّ آل محمّد ... بالمدح منك وشاعرٌ بسواءِ
مدح الملوك ذوي الغنى لعطائهم ... والمدح منك لهم بغير عطاء
فابشر فإنّك فائزٌ في حبّهم ... لو قد وردت عليهمُ بجزاءِ
ما يعدل الدنيا جميعاً كلّها ... من حوض أحمد شربة من ماءِ

أبواه وقصّته معهما

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج٧ ص ٢٣٠ بإسناده عن سليمان بن أبي شيخ: إنّ أبوي السيّد كانا إباضيّين[1] وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبّة، وكان السيّد يقول: طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة، فإذا سُئل عن التشيّع من أين وقع له؟ قال: غاصت عليَّ الرحمة غوصاً، وروى عن السيّد: أنّ أبويه لَمّا علما بمذهبه همّا بقتله فأتى عقبة بن مسلم الهنائي فأخبره بذلك فأجاره وبوّأه منزلاً وهبه له فكان فيه حتّى ماتا فورثهما.

وروى المرزباني في [أخبار السيّد] بإسناده عن إسماعيل بن الساحر راوية السيّد قال: كنت أتغدّى مع السيّد في منزله فقال لي: طال والله ما شُتم أمير المؤمنين عليه السّلام وُلعن في هذا البيت. قلت: ومن فعل ذلك؟ قال: أبواي كانا إباضيّين. قلت: فكيف صرت شيعيّاً؟ قال غاصت عليَّ الرحمة فاستنقذتني.

---

(١) الإباضية بكسر الهمزة أصحاب عبدالله بن اباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد وهم قوم من الحرورية زعموا أن مخالفهم كافر، وكفروا علياً أمير المؤمنين عليه السلام، وأكثر الصحابة.

وروى المرزباني أيضاً عن حودان الحفّار ابن أبي حودان عن أبيه وكان أصدق الناس أنّه قال: شكى إليَّ السيِّد: أنَّ امّه توقظه بالليل وتقول: إني أخاف أن تموت على مذهبك فتدخل النّار، فقد لهجت بعلي وولده فلا دنيا ولا آخرة. ولقد نغصت عليَّ مطعمي ومشربي، وقد تركت الدخول إليها وقلت أنشد قصيدة منها:

إلى أهل بيت ما لمن كـان مؤمناً ... من الناس عنهم في الولاية مذهبُ
وكم من شقيق لامني في هواهمُ ... وعـاذلـةٍ هبّت بـليـل تُـؤنِّـبُ
تقـول ولم تقصـد وتعتب ضلّة ... وآفـة أخـلاق النسـاء التعـتّبُ
وفـارقت جيـرانـاً وأهـل مـودّة ... ومن أنت منه حين تُدعى وتُنسبُ
فـأنت غـريبٌ فيهمُ متبـاعـدُ ... كـأنـك ممـا يتّقـونـك أجـربُ
تعيبهـم في دينهـم وهمُ بمـا ... تـدين بـه أزرى عليـك وأعيبُ
فقلت: دعيني لن أُحبِّر مـدحـةً ... لـغيـرهـمُ مـا حـجَّ لله أركـبُ
أتنهينني عن حبِّ آل محمّـد؟! ... وحبّهـمُ ممّـا بـه أتـقـرّبُ
وحبّهـمُ مـثـل الـصّـلاة وإنّـه ... على الناس من بعد الصّلاة لأوجب[1]

وقال المرزباني أخبرني محمّد بن عبيدالله البصري عن محمّد بن زكريّا العلائي، قال:حدّثتني (العبّاسة) بنت السيِّد قالت: قال لي أبي: كنت وأنا صبيّ أسمع أبويَّ يثلبان أمير المؤمنين عليه السّلام فأخرج عنهما وأبقى جائعاً وأوثر ذلك على الرجوع إليهما فأبيت في المساجدجائعـاً لحبّي فراقهما وبغضي إيّاهما حتى إذا أجهدني الجوع رجعت فأكلت ثمَّ خرجت، فلمّا كبرت قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر قلت لأبويَّ: إنّ لي عليكما حقّاً يصغر عند حقّكمـا عليَّ فجنّباني إذا حضرتكما ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام بسوء، فإنّ ذلك يزعجني وأكره عقوقكما بمقابلتكما، فتماديا في غيِّهما فانتقلت عنهما، وكتبت إليهمـا شعراً وهو:

خف يا محمّد فالق الأصباحِ ... وأزل فساد الدين بـالإصلاحِ

---

(١) في بعض النسخ: من بعض الصلاة لأوجب. وحق المقام أن يقول: من قبل الصلاة.

أتسبُّ صنو محمّد ووصيه ترجو بذلك فوزة الإنجاحِ ؟؟!!
هيهات قد بعدا عليك وقرّبا منك العذاب وقابض الأرواحِ
أوصى النبيُّ له بخير وصيّة يوم «الغدير» بأبين الإفصاحِ

إلى آخر الأبيات المذكورة في غديريّاته. فتواعدني بالقتل فأتيت الأمير عقبة بن مسلم فأخبرته خبري فقال لي: لا تقربهما وأعدَّ لي منزلاً أمر لي فيه بما أحتاج إليه وأجرى عليَّ جراية تفضُل على مؤونتي.

وقال: كان أبواه يُبغضان عليّا عليه السّلام فسمعهما يسبّانه بعد صلاة الفجر فقال:

لعن الله والديَّ جميعاً ثمَّ أصلاهما عذاب الجحيمِ
حكما غدوةً كما صلّيا الفجـ ـر بلعن الوصيِّ باب العلومِ
لعنا خير من مشى فوق ظهر الـ أرض أو طاف محرماً بالحطيمِ
كفرا عند شتم آل رسول الـ له نسل المهذّب المعصومِ
والوصيّ الذي به تثبت الأ رض ولولاه دكدكت كالرميمِ
وكذا آله اولو العلم والفهـ ـم هداةٌ إلى الصراط القويمِ
خلفاء الإله في الخلق بالعد ل وبالقسط عند ظلم الظلومِ
صلوات الإله تترى عليهم مقرنات بالرّحب والتسليمِ

ورواها ابن شاكر في «الفوات» ج ١ ص ١٩

عظمته والمؤلفون في أخباره

لم تفتء الشيعة تُبجِّل كلَّ متهالك في ولاء أئمّة أهل البيت، وتقدِّر له مكانة عظيمة، وتكبر منه ما أكبره الله سبحانه ورسوله من منصّة العظمة أضف إلي ذلك ما كان بمرأىً منهم ومسمع في حقّ السيِّد خاصّة، من تكريم أئمّة الحقّ صلوات الله عليهم مثواه، وتقريبهم لمحلّه منهم، وإزلافهم إيّاه، وتقديرهم لسعيه المشكور في الإشادة بذكرهم والذبِّ عنهم، والبثُّ لفضائلهم، وتظاهره بموالاتهم، وإكثاره من مدائحهم مع ردِّه الصِّلات تجاه هاتيك العقود

الذهبيّة لأنّ ما كان يصدر منه من تلكم المظاهر لم تكن إلّا تزلّفاً منه إلى المولى سبحانه، وأداءً لأجر الرِّسالة، وصلةً للصادع بها صلّى الله عليه وآله، ولقد كاشف في ذلك كلّه أبويه الناصبيّين الخارجيّين، فكان معجزة وقته في التلفّع بهذه المآثر كلّها، والتظاهر بهذا المظهر الطاهر، ومنبته ذلك المنبت الخبيث، فما كان الشيعيُّ يوم ذاك وهلمّ جرّاً يجد من واجبه الدينيّ إلا إكباره وخفض الجناح عند عظمته.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩: السيِّد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقي له وسادة بمسجد الكوفة، وفي حديث شيخ الطائفة الآتي: قال جعفر بن عفّان الطائي للسيِّد: يا أبا هاشم؟ أنت الرأس ونحن الأذناب.

وليس ذلك ببدع من الشيعة بعدما أزلفه الإمام الصادق عليه السَّلام، وأراه من دلائل الإمامة ما أبقى له مكرمة خالدة حفظها له التأريخ كحديث انقلاب الخمر لبناً. والقبر وإطلاق لسانه في مرضه وغيرهما، واستفاض الحديث بترحّمه عليه السَّلام إيّاه والدعاء له والشكر لمساعيه، وبلغهم قوله عليه السَّلام لعذّاله فيه: لو زلّت له قدمٌ فقد ثبتت الاخرى، وقد أخبره بالجنّة.

وكان يستنشد الإمام عليه السَّلام شعره ويحتفل به وقد أنشده إيّاه فُضيل الرسّان، وأبو هارون المكفوف، والسيِّد نفسه، روى أبو الفرج عن عليّ بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمَّد عليه السَّلام إذ استأذن آذنه السيِّد فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس فاستنشده فأنشد قوله:

أمرر على جدث الحسيـ ـن فقل لأعظمه الزكيّه
يا أعظماً لا زلت من وطفاء[1] ساكبة رويّه
فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيّه

(١) وطف المطر: انهمر. يقال: سحابة وطفاء. أي مسترخية لكثرة مائها.

وابـك الـمـطهَّـر للمـطهّـ ـر والـمـطهّـرة الـنـقـيَّـه
كـبـكـاء مُـعـولـةٍ أتـت يـومـاً لواحدها المنيَّه (١)

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمّد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك قـال: فحدَّثت أبي بـذلك لَمّا انصرفتُ فقال لي: ويلي على الكيسانيِّ الفاعل ابن الفاعل يقول:

فـإذا مـررت بـقـبـره فـأطـل بـه وقـف الـمـطيَّـه

فقلت: يا أبت؟ وماذا يصنع؟ قال: أو لا ينحـر؟! أو لا يقتل نفسـه؟! فثكلته امّه.

[الأغاني ج ٧ ص ٢٤٠]

وهذه القصيدة أنشدها أبو هارون المكفوف، الإمام الصادق عليه السّلام، روى شيخنا ابن قولويه في «الكامل» ص ٣٣ و٤٤ عن أبي هارون قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام يا أبا هارون! أنشدني في الحسين عليه السّلام قال: فأنشدته فبكى فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرقة قال: فأنشدته:

أُمرر على جدث الحسيـ ـن فقل لأعظمه الزكيَّـه

ثمّ قال: زدني. قال: فأنشدتـه القصيدة الاخـرى. وفي لفظه الآخـر: فأنشدته:

يا مريمُ قـومي فانـدبي مولاكِ وعلى الحسين فأسعدي ببكاكِ

قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر. الحديث. ورواه شيخنا الصدوق في «ثواب الأعمال». وهناك منامات صادقة تنمُّ عن تزلّف السيِّد عند النبيِّ الأعظم صلّى الله عليه وآله مرّت جملة منها ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣، وروى أبو الفرج عن إبراهيم بن هاشم العبدي إنّه قال: رأيت النبيَّ ﷺ وبين يديه السيِّد الشاعر وهو ينشد:

أجـدّ بـآل فـاطمـة البكـور فـدمـع العين منهمـرٌ غـزيـرُ

---

(١) يوجد من القصيدة ٢٣ بيتاً.

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع: قال: فحدَّثت هذا الحديث رجلاً جمعتني وإيّاه طوس عند قبر عليٍّ بن موسى الرضا فقال لي: والله لقد كنت على خلاف فرأيت النبيَّ ﷺ في المنام وبين يديه رجلٌ ينشد:

أجدٌّ بآل فاطمة البكورُ   إلى آخرها

فاستيقظت من نومي وقد رسخ في قلبي من حبِّ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنت أعتقده.

[الأغاني ج ٧ ص ٢٤٦]

هذه مكرمةٌ للسيِّد تشفُّ عن عظمة محلّه، وحسن عقيدته، وخلوص نيَّته، وسلامة مذهبه، وطهارة ضميره، وصدق موقفه، ومهما عرف أعلام الامَّة مسيس حاجة المجتمع إلى سرد تأريخ مثل السيِّد من رجالات الفضيلة سلفاً وخلفاً، أفرد جمعٌ منهم تآليف في أخبار السيِّد وشعره فمنهم:

١ ـ أبو أحمد عبد العزيز الجلودي الأزدي البصري المتوفّى سنة ٣٠٢.

٢ ـ الشيخ صالح بن محمّد الصراي شيخ أبي الحسن الجندي.

٣ ـ أبو بكر محمّد بن يحيى الكاتب الصولي المتوفّى سنة ٣٣٥.

٤ ـ أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمّي البصري، ذكر له شيخ الطائفة في فهرسته ص ٣٠: كتاب أخبار السيِّد وشعره، وفي معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٢٦: كتاب أخبار السيِّد، ويظهر من رجال النجاشي ص ٧٠ ومعالم العلماء أنّه ألّف كتاباً في أخباره وكتاباً في شعره.

٥ ـ أبو عبدالله أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن عبدون شيخ النجاشي.

٦ ـ أبو عبدالله محمّد بن عمران المرزباني المتوّفى سنة ٣٧٨، له كتاب «أخبار السيِّد» وقفنا على بعض أجزائه وهو جزء من كتابه «أخبار الشعراء» المشهورين المكثرين في عشرة آلاف ورقة كما في فهرست ابن النديم.

٧ - أبو عبدالله أحمد بن محمّد بن عيّاش الجوهري المتوفّى سنة ٤٠١.

٨ - إسحاق بن محمّد بن أحمد بن أبان النخعي.

٩ - المستشرق الفرنسوي [بربيه دي مينار] جمع أخباره في مائة صحيفة طبعت في باريس.

فهرست النجاشي ص ٥٣، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ١٤١، ١٧١، فهرست ابن النديم ص ٢١٥، فهرست شيخ الطائفة ص ٣٠، معالم العلماء ص ١٦، الأعلام ج ١ ص ١٢٢.

الثناء على أدبه وشعره

كان السيّد في مقدّمي المكثرين المجيدين وأحد الشعراء الثلاثة الذين عدّوا أكثر الناس شعراً في الجاهليّة والإسلام وهم: السيّد، وبشّار وأبو العتاهية. قال أبو الفرج: لا يُعلم أنّ احداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. وقال المرزباني: لم يُسمع أن أحداً عمل شعراً جيّداً وأكثر غير السيّد، وروي عن عبد الله بن إسحاق الهاشمي قال: جمعت للسيّد ألفي قصيدة وظننت أنّه ما بقي عليّ شيءٌ فكنت لا أزال أرى من ينشدني ما ليس عندي فكتبت حتى ضجرت ثمّ تركت. وقال: سُئل أبو عبيدة من أشعر المولّدين؟ قال: السيّد وبشّار. ونقل عن الحسين بن الضحّاك أنّه قال: ذاكرني مروان بن أبي حفصة أمر السيّد بعد موته وأنا أحفظ الناس بشعر بشّار والسيّد فأنشدته قصيدته المذهّبة التي أوّلها[1]:

أين التطرُّب بالولاء وبالهوى ... أإلى الكواذب من بروق الخلّب؟!

أإلى اميّة أم إلى شيع التي ... جاءت على الجمل الخدبِّ الشوقب؟!

حتّى أتى على آخرها، فقال لي مروان: ما سمعت قطُّ شعراً أكثر معاني

---

(١) مر أول القصيد ص ٢٥١ والبيتان هما البيت الخامس عشر والسادس عشر منها.

وألخص منه وعدد ما فيه من الفصاحة. وكان يقول لكلِّ بيت منها: سبحان الله، ما أعجب هذا الكلام! وروى عن التوزي أنَّه قال: لو أنَّ شعراً يستحقُّ أن لا يُنشد إلاّ في المساجد لحسنه لكان هذا، ولو خطب به خاطبٌ على المنبر في يوم الجمعة لأتى حسناً ولحاز أجراً.

وقال أبو الفرج: كان شاعراً متقدِّماً مطبوعاً؛ وله طراز من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلحق فيه أو يُقاربه. وروى عن ليطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي فقال: إنَّ هاهنا لَرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء. فسألناه مَن هما؟ فقال: السيِّد الحميري، وعمران بن حطّان السدوسي، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قد شغل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه.

الأغاني ج ٧ ص ٢٣١.

وعن التوزي قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيِّد فقال لِمَن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم عليَّ أن أخبره فأخبرته فقال: أنشدني قصيدةً منه فأنشدته قصيدةً ثمَّ اخرى وهو يستزيدني ثمَّ قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدَّمت عليه أحداً من طبقته. وفي لفظه الآخر: لما تقدَّمه من طبقته أحدٌ. وعن أبي عُبيدة أنَّه قال: أشعر المحدثين: السيِّد الحميري وبشّار (الأغاني ج ٦ ص ٢٣٢، ٢٣٦)

وقف السيِّد على بشّار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أيّها المادح العباد ليُعطى ... إنَّ لله ما بأيدي العبادِ
فاسئل الله ما طلبت إليهم ... وارجُ نفع المنزِّل العوّادِ
لا تقل في الجواد ما ليس فيه ... وتسمّي البخيل باسم الجواد

قال بشّار. مَن هذا؟ فعرَّفه. فقال: لولا أنَّ هذا الرجل قد شُغل عنّا بمدح بني هاشم لشَغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٧)

وعن غانم الورّاق قال: خرجتُ إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن نعيم فجلسوا إليّ فأنشدتهم للسيِّد:

أتعرف رسماً بالثويِّين قد دثر؟ عفته أهاضيب السحائب والمطرْ
وجرَّت به الأذيال ريحان خلفه صباً ودبورٌ بـالعشيّات والبكَـرْ
منازل قد كانت تكون بجـوِّها هضيم الحشا ريا الشوى سحرها النظرْ
قطوف الخطا خمصانةٌ بخترية كـأنَّ مُحيّاهـا سنا دارة القمـرْ
رمتني ببعد بعد قرب بها النوى فبانت ولما أقضِ من عندها الوطرْ
ولَمّا رأتني خشية البين موجعاً أُكفكف منّي أدمعاً بيضها دُررْ
أشـارت بأطـراف إليَّ ودمعها كنظم جمان خانه السلك فانتثرْ
وقد كنت ممّا أحدث البين حاذراً فلم يُغنِ عنّي منه خوفي والحذرْ

قال: فجعلوا يُمزِّقون لإنشادي ويطربون وقالوا: لمن هذا؟ فأُعلمتهم. فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٨)

عن الزبير بن بكار قال: سمعت عمّي يقول: لو أنَّ قصيدة السيِّد التي يقول فيها:

إنَّ يـوم التـطهيـر يـومٌ عـظيمٌ خُصَّ بالفضل فيه أهل الكساءِ

قُرئت على منبر ما كان فيها بأس، ولو أنَّ شعره كلّه كان مثله لرويناه وما عبناه، وروى عن الحسين بن ثابت قال: قدم علينـا رجلٌ بـدويٌّ وكان أروى الناس لجرير، فكان ينشـدني الشيء من شعره فأُنشد في معنـاه للسيِّد حتى أكثرت فقال لي: ويحك مَن هذا: هو والله أشعر من صاحبنا.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٩)

ويروى عن إسحاق بن محمَّد قال: سمعت العتبي[1] يقـول: ليس في

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيدالله الأموي الشاعر البصري المتوفّى سنـة ٢٢٨ ينسب إلى جده عتبة بن أبي سفيان.

عصرنا هذا أحسن مذهباً في شعره، ولا أنقى ألفاظاً من السيِّد، ثمَّ قال لبعض مَن حضر: أنشدنا قصيدته اللاميَّة التي أنشدتناها اليوم فأنشده قوله:

هل عند مَن أحببت تنويل ... أم لا؟ فإنَّ اللوم تضليل
أم في الحشى منك جوىً باطنٌ ... ؟! ليس تداويه الأباطيل
علقت يا مغرور خدّاعة ... بالوعد منها لك تخييل
ريّاً رداح النوم خُمصانة ... كأنّها إدماء عُطبول
يشفيك منها حين تخلو بها ... ضمٌّ إلى النحر وتقبيل
وذَوق ريقٍ طيِّبٍ طعمه ... كأنّه بالمسك معلول
في نسوة مثل المها خرَّدٍ ... تضيق عنهنَّ الخلاخيل

يقول فيها:

أُقسم بالله وآلائه ... والمرء عمّا قال مسئول
إنَّ عليَّ بن أبي طالب ... على التُّقى والبر مجبول(١)

فقال العتبي: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب [الأغاني ج ٧ ص ٢٤٧].

وقبل هذه كلّها حسبه ثناءاً عليه قول الإمام الصادق عليه السَّلام: أنت سيِّد الشعراء. فينمُّ عن مكانته الرفيعة في الأدب، يقصر الوصف عن إستكناهها ولا يُدرك البيان مداها فكان يُعدُّ من شعرائه عليه السلام وولده الطاهر الكاظم كما في «نور الأبصار» للشبلنجي.

إكثاره في آل الله

كان السيِّد بعيد المنزعة، ولعاً بإعادة السهم إلى النزعة، وقد أشفَّ وفاق كثيرين من الشعراء بالجدِّ والإجتهاد في الدعاية إلى مبدئه القويم، والإكثار في

---

(١) تأتي بقية القصيدة في ذكر أخبار المترجم له وملحه.

مدح العترة الطاهرة، وساد الشعراء ببذل النفس والنفيس في تقوية روح الإيمان في المجتمع وإحياء ميت القلوب ببثّ فضائل آل الله، ونشر مثالب مناوئيهم ومساوي أعدائهم قائلاً:

أيا ربّ إنّي لم أرد بالذي به   مدحتُ عليّاً غير وجهك فارحمِ

وصدّق بشعره رؤياه الّتي رواها عنه أبو الفرج والمرزباني في أخباره أنّه قال: رأيت النبيَّ ﷺ في النوم وكأنّه في حديقة سبخة فيها نخلٌ طوال وإلى جانبها أرضٌ كأنّها الكافور ليس فيها شيءٌ فقال: أتدري لمن هذا النخل؟! قلت: لا يا رسول الله! قال: لامرىء القيس بن حجر فاقلعها واغرسها في هذه الأرض. ففعلت. وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه. فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا. قال: أما انّك ستقول شعراً مثل شعر امرىء القيس إلاّ أنّك تقوله في قوم بررةٍ أطهار.

وكان كما قال أبو الفرج لا يخلو شعره من مدح بني هاشم أو ذمٍّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم. وروى عن الموصلي عن عمّه قال: جمعت للسيّد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة فخلت أن قد استوعبت شعره حتّى جلس إليَّ يوماً رجلٌ ذو أطمار رثّة فسمعني أنشد شيئاً من شعره فأنشدني به ثلاث قصائد لم تكن عندي فقلت في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثمّ أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً فكيف وهو لا يعلم وإنّما أنشد ما حضره، وعرفت حينئذٍ أنَّ شعره ليس ممّا يُدرك ولا يمكن جمعه كلّه. الأغاني ج ٧ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

قال أبو الفرج كان السيِّد يأتي الأعمش سليمان بن مهران ـ الكوفي المتوفّى سنة١٤٨ ـ فيكتب عنه فضائل عليٍّ أمير المؤمنين سلام الله عليه، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثمَّ قال: يا معشر الكوفيِّين! من جاءني منكم بفضيلة لعليٍّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يحدِّثونه وينشدهم حتى أتاه رجلٌ منهم وقال: إنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب سلام الله عليه عزم على الركوب فلبس ثيابه

وأراد لبس الخفّ فلبس أحد خفّيه ثمّ أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقضّ عقابٌ من السماء فحلق به ثمّ ألقاه فسقط منه أسود وإنساب فدخل جحراً فلبس عليٌّ عليه السلام الخفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً ففكّر هُنيهة ثمّ قال:

ألا يا قوم للعجب العجابِ — لخفِّ أبي الحسين وللحُبابِ
عدوٌّ من عُداة الجنِّ وغدٌ — بعيدٌ في المرادة من صوابِ
أتى خفّاً له وانساب فيه — لينهش رجله منه بنابِ
لينهش خير من ركب المطايا — أميـر المؤمنين أبـا ترابِ
فخرَّ من السماء له عقابٌ — من العقبان أو شبه العقابِ
فطار به فحلّق ثمّ أهوى — به للأرض من دون السحابِ
فصكَّ بخفِّه وانساب منه — وولّى هارباً حذر الحصابِ
إلى جحر له فانساب فيه — بعيد القعر لم يرتج ببابِ
كريه الوجه أسود ذو بصيص — حديد الناب أزرق ذو لعاب
يهلُّ له الجريُّ إذا رآه — حثيث الشدِّ محذور الوثابِ
تأخَّر حينه ولقد رماه — فأخطاه بأحجارٍ صلابِ
ودوفع عن أبي حسن عليٍّ — نقيع سمامه بعد انسيابِ(١)

قال المرزباني: ثمّ حرّك فرسه وثناها وأعطى ما كان معه من المال والفرس للّذي روى له الخبر وقال: إنّي لم أكن قلت في هذا شيئاً. وذكر المرزباني عن تشبيبها أحد عشر بيتاً لم يرو أبو الفرج منه إلّا مستهلّها:

صبوت إلى سليمى والربابِ — وما لأخي المشيب وللتصابي

قال أبو الفرج: أما العقاب الذي انقضّ على خفّ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه فحدَّثني بخبره أحمد بن محمَّد بن سعيد الهمداني قال: حدّثني جعفر بن عليٍّ بن نُجيح، قال: حدَّثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود

---

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٥٧ غير أن الأبيات المرموزة أخذناها عن أخبار السيد للمرزباني.

الطهوي عن أبي الزغل المرادي قال: قام عليٌّ بن أبي طالب رضي الله ٤ فتطهر للصّلاة ثمّ نزع خفّه فانساب فيه أفعى فلمّا عاد ليلبسه انقضت عقابٌ فأخذته فحلقت به ثمّ ألقته فخرج الأفعى منه. وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ.

وقال ابن المعتز في طبقاته ص ٧: كان السيِّد أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر لم يترك لعليٍّ بن أبي طالب فضيلةً معروفةً إلاّ نقلها إلى الشعر، وكان يُملّه الحضور في محتشد لا يُذكر فيه آل محمّد صلوات الله عليهم، ولم يأنس بحفلة تخلو عن ذكرهم روى أبو الفرج عن الحسن بن عليٍّ بن حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: كنّا جلوساً عند أبي عمرو ابن العلاء فتذاكرنا السيِّد فجاء فجلس وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا: يا أبا هاشم مِمَّ القيام؟! فقال:

إنّي لأكره أن أُطيل بمجلس ... لا ذكر فيه لفضل آل محمّدِ
لا ذكر فيه لأحمد ووصيّه ... وبنيه ذلك مجلسٌ نطفٌ ردي[1]
إنّ الّذي ينساهُمُ في مجلس ... حتى يُفارقه لغير مسدَّدِ

وكان إذا استشهد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلاّ بقوله:

أجدٌّ بآل فاطمة البكورُ ... فدمع العين منهمرٌ غزيرُ

الأغاني ج ٧ ص ٢٤٦، ٢٦٦

رواة شعره وحفاظه

١ - أبو داود سليمان بن سفيان المسترق الكوفي المنشد المتوفّى سنة ٢٣٠ عن ٧٠ عاماً، كان راوية شعره كما في «الأغاني» و«فهرست» الكشي ص ٢٠٥.

٢ - إسماعيل بن الساحر كان روايته كما في «الأغاني» في غير موضع.

---

(١) النطف: النجس.

٣ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنّى المتوفّى سنة ٢٠٩/ ٢١١ ، كان يـروي شعره كما في «الأغاني» و«لسان الميزان» ج ١ ص ٤٣٧ .

٤ ـ السدري كان راويته كما في طبقات ابن المعتز ص ٧ .

٥ ـ محمّد بن زكريّا الغلابي الجوهري البصري المتوفّى سنة٢٩٨ ، كان يحفظ شعر السيِّد ويقرأه على العبّاسة بنت السيِّد ويصحِّحه عليها كما في «أخبار السيِّد» للمرزباني .

٦ ـ جعفر بن سليمان الضبعيّ البصريّ المتوفّى سنة ١٧٨ ، كان ينشد شعر السيِّد كثيراً فمن أنكره عليه لم يحدِّثه كما في «الأغاني» و«لسان الميزان» ج ١ ص ٤٣٧ .

٧ ـ يزيد بن محمّد بن عمر بن مذعور التميميّ كان يروي للسيِّد ويعاشره كما في «أخبار السيِّد» للمرزباني وقال أبو الفرج : كان يحفظ شعر السيِّد وينشده لأبي بُجير الأسدي .

٨ ـ فضيل بن الزبير الرسّان الكوفيّ ، كان يُنشد شعر السيِّد وقد أنشده للإمام الصادق عليه السَّلام وقد مرَّ بعض حديثه .

٩ ـ الحسين بن الضّحاك قال المرزباني : كان أحفظ الناس بشعره .

١٠ ـ الحسين بن ثابت كان يروي كثيراً من شعره .

١١ ـ العبّاسة بنت السيِّد ، كانت حافظة لشعر أبيها وكانت الرُّواة يقرأون عليها شعر السيِّد وتُصحِّحه لهم كما ذكره المرزباني في «أخبار السيِّد» .

وكانت للسيِّد كريمتان اخريان تحفظان شعره وفي بعض المعاجم كانت كلّ واحدة تحفظ ثلاثمائة قصيدة وقال ابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ٨ : حُكي عن السدري أنّه قال : كان له أربع بنات ، وأنّه كان حفّظ كلَّ واحدة منهنَّ أربعمائة قصيدة من شعره .

١٢ ـ عبدالله بن إسحاق الهاشمي ، جمع شعره كما مرَّ عن المرزباني .

١٣ - عمُّ الموصلي جمع شعره في بني هاشم كما مرَّ عن الأغاني.

١٤ - الحافظ أبو الحسن الدارقطني عليُّ بن عمر المتوفّى سنة ٣٨٥ كان يحفظ ديوان السيِّد كما في تاريخي الخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٥، وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٩، وتذكرة الحفّاظ ج ٣ ص ٢٠٠.

مذهبه وكلمات الاعلام حوله

عاش السيِّد ردحاً من الزمن على الكيسانيَّة[1] يقول بإمامة محمَّد بن الحنفيَّةوغيبته وله في ذلك شعرٌ ثمَّ أدركته سعادة ببركة الإمام الصادق صلوات الله عليه وشاهد منه حججه القويّة وعرف الحقَّ ونبذ ما كان عليه من سفاسف الكيسانيَّة عندما نزل الإمام عليه السلام الكوفة عند منصرفه من عند المنصور أو ملاقاته إيّاه في الحجِّ.

ولعبدالله بن المعتز المتوفّى سنة ٢٩٦، وشيخ الامَّة الصدوق المتوفّى سنة ٣٨١، والحافظ المرزباني المتوفّى سنة٣٨٤، وشيخنا المفيد المتوفّى سنة ٤١٢، وأبي عمرو الكشي، والسروي المتوفّى سنة٥٨٨، والإربلي المتوفّى سنة ٦٩٢ وغيرهم حول مذهبه كلمات ضافيةٌ يُكتفى بواحدة منها في إثبات الحقِّ فضلاً عن جميعها. فإليك نصوصها.

١ - كلمة المعتز: قال في «طبقات الشعراء» ص ٧: حدَّثني محمَّد بن عبدالله قال: قال السدري راوية السيِّد كان السيِّد أوّل زمانه كيسانيّاً يقول برجعة محمَّد بن الحنفيَّة وأنشدني في ذلك:

حتّى متى؟ وإلى متى؟ ومتى المدى   يا بن الوصيِّ وأنت حيٌّ ترزق؟!

---

(١) هم أصحاب مختار بن أبي عبيد يقال في تسميتهم بذلك: أن المختار كان يلقب بكيسان مأخوذاً مما رواه الكشي في رجاله ص ٨٤ من قول أمير المؤمنين عليه السلام له: يا كيس يا كيس وقيل: ان كيسان اسم صاحب شرطته ويكنى بأبي عمرة كما في رجال الكشي والفصل لابن حزم. وقيل: ان كيسان هو مولى أمير المؤمنين وهو الذي حمل المختار على الطلب بدم الحسين السبط عليه السلام ودل على قتلته وكان صاحب سره والغالب على أمره كما ذكره الكشي.

والقصيدة مشهورةٌ وحدَّثني محمَّد بن عبدالله قال: قال السدري: ما زال السيِّد يقول بذلك حتَّى لقي الصَّادق عليه السلام بمكَّة أيّام الحجِّ فناظره وألزمه الحجَّة فرجع عن ذلك فذلك قوله في تركه المقالة ورجوعه عمّا كان عليه ويذكر الصَّادق:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ ... وأيقنتُ أنّ الله يعفــو ويغفــرُ
ويثبت مهمـا شاء ربِّي بـأمـره ... ويمحو ويقضي في الأمور ويقدرُ

٢ ـ كلمة الصدوق: قال في «كمال الدين» ص ٢٠: فلم يزل السيِّد ضالاً في أمر الغيبة يعتقدها في محمَّد بن الحنفيَّة حتّى لقي الصادق جعفر بن محمّد عليه السَّلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد منه دلالات الوصيَّة فسـأله عن الغيبة فذكر له انَّها حقٌّ ولكنَّها تقع بالثاني عشر من الأئمَّة عليهم السَّلام وأخبره بموت محمَّد بن الحنفيَّة وأنَّ أباه محمَّـد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ عليهم السَّلام شاهد دفنه فرجع السيِّد عن مقالته، واستغفر من اعتقـاده، ورجع إلى الحقِّ عند اتِّضاحه له ودان بالإمامة.

حدَّثنا عبد الواحد بن محمَّد العطَّار رضي الله عنه قال: حدَّثنا عليٌّ بن محمَّـد بن قتيبة النيسـابوري قـال: حدّثنـا حمدان بن سليمـان عن محمَّد بن إسماعيل بن بزيع عن حيَّان السرّاج قال: سمعت السيِّد ابن محمَّد الحميري يقول: كنت أقول بالغلوِّ وأعتقد غيبة محمَّد بن عليٍّ الملقب بابن الحنفيَّة قد ضللت في ذلك زماناً فمنَّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمَّد عليهما السـلام وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط فسألته بعـد ما صحَّ عندي بالدلائل التي شاهدتها[١] منه أنّه حجَّة الله عليَّ وعلى جميع أهل زمانه، وأنّه الإمام الذي فرض الله طاعته، وأوجب الإقتداء به فقلت له: يا بن رسول الله قد رُوي لنا أخبار عن آبائك عليهم السَّلام في الغيبة وصحّة كونها فأخبرني بمن

(١) ستقف على بعض تلكم الدلائل.

تقع؟ فقال عليه السّلام: إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، أوّلهم أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحقِّ بقيَّة الله في الأرض وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوحٌ في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً. قال السيِّد: فلمّا سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدتي التي أوّلها:

ولمّا رأيت الناس في الدين قد غووا ... تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
ونـاديتُ بـاسم الله والله أكبـرُ ... وأيقنـتُ أن الله يعـفـو ويغـفـرُ
ودنتُ بـدين غيـر مـا كنتُ دايناً ... بـه ونهـاني سيِّـدُ النـاس جعفـرُ
فقلت: فهبني قـد تهوَّدت بـرهة ... وإلا فـديني ديـن من يتنـصَّـرُ
وإنّي إلى الرَّحمن من ذاك تائبٌ ... وإنّـي قـد أسلمـت والله أكبـرُ
فلست بغـالٍ مـا حييتُ وراجـعٌ ... إلى ما عليه كنت أُخفي وأُضمـر
ولا قائلاً حيٌّ برضوى محمَّـدٌ[1] ... وإن عاب جُهّالٌ مقـالي فاكثـروا
ولـكنَّـه ممَّـا مضـى لسبيـله ... على أفضل الحالات يُقفى ويخبرُ
مع الطَّيبين الطاهرين الأولي لهم ... من المصطفى فرعٌ زكيٌّ وعنصـرُ

إلى آخر القصيدة وهي طويلةٌ وقلت بعد ذلك قصيدة اخرى:

أيا راكباً نحـو المدينـة جسرةً ... عذافرةً يُطوى بها كلُّ سبسبِ[2]
إذا ما هداك الله عاينت جعفراً ... فقل لوليِّ الله وابن المهـذَّبِ
ألا يـا أمين الله وابن أمينـه ... أتوب إلى الرَّحمن ثمَّ تـأوُّبي
إليك من الأمر الذي كنت مطنباً ... أُحارب فيه جاهداً كلَّ معربِ
وماكان قولي في ابن خولة مبطناً ... معـانـدةً منّي لنسـل المـطيَّبِ
ولكن رُوينا عن وصيٍّ محمَّد ... وما كان فيمـا قال بالمتكذِّبِ

---

(١) في لفظ ابن شهر آشوب: ولا قائلاً قولاً بكيسان بعدها.

(٢) الجسرة: العظيمة من الإبل. والعذافرة: الشديدة منها.

بـأنّ وليَّ الأمر يفقـد لا يـرى　　ستيراً[1] كفعل الخائف المترقّبِ
فيقسم أمـوال الفقيـد كـأنّمـا　　تغيّبـه بين الصفيـح المنصّبِ
فيمكث حينـاً ثمّ ينبـع نبعـة　　كنبعة جدى من الافق كوكب[2]
يسيـر بنصر الله من بيت ربّـه　　على سـودد منـه وأمـرٍ مُسبّبِ
يسيـر إلى أعـدائـه بلوائـه　　فيقتلهم قتـلاً كحرّان مغضبِ
فلمّا رُوي أنّ ابن خولة غايبٌ　　صـرفنا إليـه قولنـا لم نكذّبِ
وقلنا هو المهديُّ والقائم الّذي　　يعيش به من عدله كلُّ مجدبِ[3]
فإن قلت لا فالحق قولك والذي　　أمرتَ فحتمٌ غير ما متعصّبِ
وأُشهد ربِّي أنَّ قولـك حجّةٌ　　على الخلق طرّاً من مطيع ومذنبِ
بـأنَّ وليّ الأمر والقـائم الذي　　تـطلّع نفسي نحـوه بتـطرُّبِ
لـه غيبةٌ لا بـدَّ من أن يغيبهـا　　فصلّى عليـه الله من متغـيّبِ
فيمكث حينـاً ثمَّ يظهـر حينـه　　فيملأ عدلاً كلَّ شرق ومغربِ
بـذاك أمين الله سـرّاً وجهـرةً　　ولستُ وإن عوتبتُ فيه بمعتبِ

وكان حيّان السّراج الراوي لهذا الحديث من الكيسانيّة، ورواه الإربلي في كشف الغمّة.

٣ ـ كلمـة المرزبـاني: قال في أخبـار السيِّد: كـان السيِّد ابن محمّـد رحمه الله بلا شك كيسانيّاً يذهب أنَّ محمَّد بن الحنفيَّة رضي الله عنه هو القائم المهدي وانّه مقيمٌ في جبال رضوى وشعره في ذلك يدلُّ على أنَّه كان كما ذكرنا كيسانيّاً فمن قوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يُرى　　وبنا إليه من الصبـابة أولقٌ[4]

---

(١) في لفظ المرزباني والمفيد: سنين.
(٢) وفي رواية المرزباني:
ويمكث حينـاً ثم يشـرق شخصـه　　مـضيئـاً بـنـور العـدل إشـراق كـوكـب
(٣) في رواية الحافظ المرزباني: يعيش بجدوى عدله كل مجدب.
(٤) الأولق: الجنون أو مس منه.

حتى متى وإلى متى ؟ وكم المدى   يا بن الوصيِّ وأنت حيٌّ تُرزقُ ؟
إنّي لآمـل أن أراك وإنّـني   من أن أموت ولا أراك لأفرقُ

غير أنّه رحمه الله رجع عن ذلك وذهب إلى إمامة الصادق عليه السّلام وقال :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ   وأيقنتُ أنّ الله يعفـو ويغفـرُ

ومن زعم انَّ السيِّد أقام على الكيسانيَّة فهو بذلك كاذبٌ عليه ، وطاعنٌ فيه ومن أوضح ما دلّ على بطلان ذلك دعاء الصادق له عليه السّلام وثناؤه عليه فمن ذلك ما أخبرنا به محمَّد بن يحيى قال : حدَّثنا أبو العينا قال : حدَّثني عليٌّ بن الحسين بن عليٍّ بن عمر بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قال : قيـل لأبي عبدالله عليـه السّلام وذكـر عنده السيِّـد : بأنّـه ينال من الشراب . فقال عليه السّلام : إن كان السيِّد زلّت به قدمٌ فقد ثبتت له اخرى .

و(بإسناده) عن عبّاد بن صهيب قال : كنت عنـد أبي عبدالله جعفـر بن محمَّد عليهما السّلام فذكر السيِّد فدعا له فقال له : يا بن رسول الله أتدعو له وهو يشرب الخمر ، ويشتم أبا بكر وعمر ، ويوقن بالرَّجعة ؟! فقال : حدّثني أبي عن أبيه عليّ بن الحسين أنّ محبّي آل محمَّد صلّى الله عليـه وآله لا يمـوتون إلاّ تائبين . وإنَّه قد تاب ثمَّ رفع رأسه وأخرج من مصلّى عليه كتاباً من السيِّد يتوب فيه ممّا كان عليه[1] وفي آخر الكتاب .

يا راكباً نحو المدينة جسرةً

(إلى آخر الأبيات كما مرَّت)

و(روى بإسناده) عن خلف الحادي قال : قـدم السيِّد من الأهـواز بمال ورقيق وكراع فجئته مهنّئاً له فقال : إنَّ أبا بجير[2] إمامي وكان يُعيِّرني بمذهبي

---

(١) في الأغاني ج ٧ ص ٢٧٧ : أخرج كتاباً من السيد يعرّفه فيـه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له .
(٢) هو أبو بجير عبدالله بن النجاشي الأسدي والي الأهواز للمنصور .

ويأمل منّي تحوُّلاً إلى مذهبه فكتبت أقول له: قد انتقلت إليه، وقلت:

أيا راكباً نحو المدينة جسرةً

وذكر الأبيات إلى آخرها كما مرّت

ثمّ قال: فقال له أبو بجير يوماً: لو كان مذهبك الإمامة لقلت فيها شعراً. فأنشدته هذه القصيدة فسجد وقال: الحمد لله الذي لم يذهب حبيّ لك باطلاً. ثمّ أمر لي بما ترى. وروى بإسناده عن خلف الحادي قال: قلت للسيّد: ما معنى قولك؟

عجبت لكرّ صروف الزمانِ ... وأمر أبي خالد ذي البيانِ
ومن ردّه الأمر لا ينثني ... إلى الطيّب الطّهر نور الجنانِ
عليّ وما كان من عمّه ... بردّ الإمامة عطف العنانِ
وتحكيمه حجراً أسوداً ... وما كان من نطقه المستبانِ
بتسليم عمٍّ بغير امتراءٍ ... إلى ابن أخٍ منطقاً باللسانِ
شهدتُ بذلك صدقاً كما ... شهدت بتصديق آي القرانِ
عليٌّ إماميَ لا أمتري ... وخلّيت قولي بكان وكانِ

قال لي: كان حدّثني عليّ بن شجرة عن أبي بجير عن الصادق أبي عبدالله عليه السّلام: إنّ أبا خالد الكابلي كان يقول بإمامة ابن الحنفيّة فقدم من كابل شاه إلى المدينة فسمع محمّداً يخاطب عليّ بن الحسين فيقول: يا سيّدي! فقال أبو خالد: أتخاطب ابن أخيك بما لا يُخاطبك بمثله؟ فقال: إنّه حاكمني إلى الحجر الأسود وزعم أنّه ينطقه فصرت معه إليه فسمعت الحجر يقول: يا محمّدا! سلّم الأمر إلى ابن أخيك فإنّه أحقُّ منك. فقلت شعري هذا، قال: وصار أبو خالد الكابلي إماميّاً. قال: فسألت بعض الإماميّة عن هذا، فقال لي: ليس بإماميّ من لا يعرف هذا. فقلت للسيّد: فأنت على هذا المذهب أو على ما أعرف؟!؟! فأنشدني بيت عقيل بن علفة:

خُذا جنب هرشى[1] أوقفاه فإنّه ... كلا جانبي هرشى لهنّ طريقُ

---

(١) ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة وله طريقان يفضيان إلى موضع واحد.

وممّا رواه المرزباني له في مذهبه قوله:

صحّ قولي بالإمامة   وتعجلت السّلامة
وأزال الله عنّي   إذ تجعفرتُ الملامة
قلت من بعد حسين   بعليٍّ ذي العلامة
أصبح السجّاد لِلـ   إسلام والدين دعامه
قد أراني الله أمراً   أسأل الله تمامه
كي ألاقيه به في   وقت أهوال القيامة

٤ - كلمة المفيد: قال في «الفصول المختارة» ص ٩٣: وكان من الكيسانيّة أبو هاشم إسماعيل بن محمّد الحميري الشاعر رحمه الله وله في مذهبهم أشعارٌ كثيرةٌ ثمّ رجع عن القول بالكيسانيّة وتبرّأ منه ودان بالحقِّ، لأنّ أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السّلام دعاه إلى إمامته، وأبان له عن فرض طاعته، فاستجاب له فقال بنظام الإمامة وفارق ما كان عليه من الضلالة، وله في ذلك أيضاً شعرٌ معروفٌ ومن بعض قوله في إمامة محمّد رضوان الله عليه، ومذهب الكيسانيّة قوله:

ألا حيِّ مقيمٌ شعب رضوى   وأهدِ له بمنزله السّلاما

إلى أن قال: وله عند رجوعه إلى الحقّ وفراقه الكيسانيّة:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ   وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفرُ
ودنت بدين غير ما كنت دايناً   [إلى آخر ما مرّ باختلاف يسير]

وقال في «الإرشاد»: فصلٌ وفيه (يعني الإمام الصادق) يقول السيِّد إسماعيل بن محمّد الحميري رحمه الله وقد رجع عن قوله بمذهب الكيسانيّة لمّا بلغه إنكار أبي عبدالله عليه السّلام مقاله ودعاؤه له إلى القول بنظام الإمامة:

أيا راكباً نحو المدينة جسرةً   عذافرةً يُطوى بها كلُّ سبسبِ

وذكر منها ١٣ بيتاً ثم قال: وفي هذا الشعر دليلٌ على رجوع السيِّد عن مذهب الكيسانيّة وقوله بإمامة الصادق عليه السّلام، ووجوه الدعوة ظاهرة من

الشيعة في أيّام أبي عبدالله إلى إمامته والقول بغيبة صاحب الزمان وأنّها إحدى علاماته، وهو صريحُ قول الإماميَّة الإثني عشريّة.

٥ ـ كلمة ابن شهر آشوب: روى في «المناقب» ج ٢ ص ٣٢٣ عن داود الرقّي قال: بلغ السيِّد الحميري: إنّه ذُكر عند الصادق عليه السَّلام فقال: السيِّد كافرٌ. فأتاه وسأل يا سيدي! أنا كافرٌ مع شدَّة حبّي لكم ومعاداتي الناس فيكم؟ قال: وما ينفعك ذاك وأنت كافرٌ بحجَّة الدهر والزمان؟! ثمّ أخذ بيده وأدخله بيتاً فإذا في البيت قبرٌ فصلّى ركعتين ثمَّ ضرب بيده على القبر فصار القبر قطعاً فخرج شخصٌ من قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق: من أنت؟ قال: أنا محمّد بن علي المسمّى بابن الحنفيّة. فقال: فمن أنا؟ فقال جعفر بن محمّد حجّة الدهر والزمان[1] فخرج السيِّد يقول:

تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفرا . . . . . .

وفي (أخبار السيِّد): إنّه ناظر معه مؤمن الطاق في ابن الحنفيَّة فغلبه عليه فقال:

تركتُ ابن خولة لا عن قلى	وإنّي لكالكلف الوامقِ
وإنّي له حافظٌ في المغيب	أدين بما دان في الصّادقِ
هو الحَبر حَبر بني هاشم	ونورٌ من الملك الرّازقِ
به ينعش الله جمع العباد	ويجري البلاغة في الناطقِ
أتاني برهانه معلناً	فدنت ولم أك كالمائقِ
كمن صدَّ بعد بيان الهدى	إلى حبتر وأبي حامقِ

فقال الطائي: أحسنت الآن أتيتَ رشدك. وبلغت أشدَّك. وتبوَّأت من الخير موضعاً ومن الجنَّة مقعداً. وأنشأ السيِّد يقول:

تجعفرت باسم الله والله أكبرُ . . . . . .

---

(١) هذه من علامات الإمامة التي مرّ الإيعاز إليها في كلمة الصدوق.

ذكر منها خمسة أبيات ثمّ ذكر من بائيّته المذكورة ستّة أبيات فقال: وأنشد فيه (يعني الصّادق عليه السّلام):

أمدح أبا عبد الإلّه   فتى البريّة في احتماله
سبط النبيّ محمّدٍ   حبلٌ تفرّع من حباله
تغشى العيون الناظرات   إذا سمون إلى جلاله
عذب الموارد بحره   يروي الخلائق من سجاله
بحرٌ أطلّ على البحور   يمدّهنّ ندى بلاله(١)
سقت العباد يمينه   وسقى البلاد ندى شماله
يحكي السحاب يمينه   والودق يخرج من خلاله
الأرض ميراثٌ له   والناس طرّاً في عياله
يا حجّة الله الجليل   وعينه وزعيم آله
وابن الوصيّ المصطفى   وشبيه أحمد في كماله
أنت ابن بنت محمّد   حذواً خُلقت على مثاله
فضياء نورك نوره   وظلال روحك من ظلاله
فيك الخلاص عن الرّدى   وبك الهداية من ضلاله
أُثني ولست ببالغ   عشر الفريدة من خصاله

٦ - كلمة الإربلي: قال في «كشف الغمّة» ص ١٢٤: السيّد الحميري رحمه الله كان كيسانيّاً يقول برجعة أبي القاسم محمّد بن الحنفيّة فلما عرّفه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام الحقّ والقول بمذهب الإماميّة الإثني عشريّة ترك ما كان عليه ورجع إلى الحقّ وقال به، وشعره رحمه الله في مذهبه مشهورٌ لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره.

ويُنبئك عن مذهبه الحقّ الصحيح قوله:

على آل الرّسول وأقربيه   سلامٌ كلّما سجع الحمامُ

---

(١) كذا في النسخة وأحسبه: نواله.

أليسوا في السماء هُمُ نجومٌ؟ وهـم أعـلام عـزٍّ لا يُـرامُ
فيـا من قد تحيَّـر في ضـلال أميـر المؤمنـين هـو الإمـامُ
رسـول الله يـوم [غدير خمّ] أنـاف بـه وقـد حضـر الأنـامُ
وثـاني أمره الحسن المرجّى لـه بيتُ المشـاعـر والمقـامُ
وثـالثـه الحسين فليس يخفى سنـا بـدر إذا اختلط الـظلامُ
ورابعهم عليٌّ ذو المسـاعـي بـه لِلدين والـدنيـا قـوامُ
وخـامسهم محمَّـدٌ ارتضـاه لـه في المـأثـرات إذن مقـامُ
وجعفـر سـادس النجبـاء بـدرٌ ببهجتـه زهـا البـدر التمـامُ
ومـوسى سـابـعٌ ولـه مقـامٌ تقـاصـر عن أدانيـه الكـرامُ
علـيٌّ ثـامنٌ والـقبـر منـه بأرض الطوس إن قحطوا رهامُ[1]
وتـاسعهم طريـد بني البغـايا محمَّـدٌ الـزكيُّ لـه حسـامُ
وعـاشـرهم عليٌّ وهـو حصنٌ يجنُّ لفقـده الـبلد الـحـرامُ
وحادي العشر مصباح المعالي منيـر الضـوء الحسن الهمـامُ
وثـاني العشر حـان له القيـام محمَّـدٌ الـزكيُّ بـه اعتصـامُ
أولئك في الجنان بهم مساغي وجيـرتي الخـوامس والسَّـلامُ

نقد أو إصحار بالحقيقة:

قال الدكتور طه حسين المصـري في ـ ذكرى أبي العـلاء ـ ص ٣٥٨: التناسخ معروفٌ عند العرب منذ أواخر القرن الأول، والشيعة تدين به وببعض المذاهب التي تقرب منه كالحلول والرجعة، وليس بين أهل الأدب مَن يجهل ما كان من سخافات الحميري وكثيرٌ في ذلك. اهـ.

كنت لا أعجب لو كان هذا العزو المختلق صادراً ممَّن تقدَّم طه حسين من بسطاء الأعصر الخرافيَّة الَّذين قالوا وهم لا يشعرون، وجمعوا من غير تمييز،

(١) الرهمة: المطر الخفيف الدائم ج رهم ورهام.

وألّفوا لا عن تنقيب، وعزوا من دون دراية. لكن عجبي كلّه من مثل هذا الذي يرى نفسه منقّباً ويحسبه فذّاً من أفذاذ هذا العصر الذهبيّ، عصر النور، عصر البحث والتنقيب الّذي مُني بمثل هذا الدكتور وأمثاله من جمال مُستنوقة[١] يسرّون حسواً في ارتغاء[٢] يُريدون أن يُفخّذوا امّة كبيرة تُعدّ بالملايين عن الامّة الإسلاميّة بنسبة الإلحاد إليهم من تناسخ وحلول، فتلعن هؤلاء أولئك لاعتقادهم بكفرهم، وتغضب أولئك على هؤلاء عندما يقفون على مثل هذا الإفك الشائن، فيقع ما لا تُحمد مغبّته من شقّ العصا وتفريق الكلمة، وذلك منية مَن قيّض طه «حسين» لمثل هذه المعرّة وأثابه عليها.

ألم يسائل هذا الرجل باحثٌ عن مصدر هاتين الفريتين؟! هل قرأهما في كتاب من كتب الشيعة؟! أم سمعهما عن شيعيّ؟! أو بلغه الخبر عن عالم من علماء الإماميّة؟! وهؤلاء الشيعة وكتبهم منذ العصور المتقادمة حتّى اليوم تحكم بكفر من يقول بالتناسخ والحلول وتدين بالبرائة منه، فهلّا راجع الدكتور هاتيك الكتب قبل أن يرمي لا عن سدد؟! وتخطّ يمينه لا عن رشد؟! نعم سبقه في نسبة التناسخ إلى السيّد ابن حزم الأندلسي في «الفصل» وقد عرفت ابن حزم ونزعاته في الجزء الأوّل ص ٣٧٧ ـ ٣٩٤. وأمّا القول بالرجعة فليس من سنخ القول بالتناسخ والحلول وقد نطق بها الكتاب والسنّة كما فُصّل في طيّات الكتب الكلاميّة وتضمّنته التآليف الّتي أفردها أعلام الإماميّة فيها، وقد عرف من وقف على أخبار السيّد وشعره وحجاجه برائته عن كلّ ما نبذه به من سخافة إن لم يكن الدكتور ممّن يرى أنّ التهالك في موالاة أهل البيت ومودّتهم ومدحهم والذبّ عنهم سخافةً.

حديثه مع من لم يتشيع

لم يكن يرى السيّد لمناوئي العترة الطاهرة صلوات الله عليهم حرمةً

---

(١) مثل سائر.

(٢) مثل يضرب.

وقدراً، وكان يشدِّد النكير عليهم في كلِّ موقف ويلفظهم بألسنة حداد بكلِّ حول وطول،وله في ذلك أخبارٌ منها:

١ ـ عن محمَّد بن سهل الحميري عن أبيه قال: إنحدر السيِّد الحميري في سفينة إلى الأهواز، فماراه رجلٌ في تفضيل عليٍّ عليه السّلام وباهله على ذلك، فلمّا كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة، فدفعه السيِّد فغرقه، فصاح الملّاحون: غرق والله الرجل. فقال السيِّد: دعوه فإنّه باهلي[1]

٢ ـ إن السيِّد كان بالأهواز، فمرَّت به إمرأةٌ من آل الزبير تزفُّ إلى إسماعيل بن عبدالله بن العباس، وسمع الجلبة فسأل عنها فأُخبر بها، فقال:

أتتنا تزفُّ على بغلة ... وفوق رحالتها قُبَّه
زبيريَّةٌ من بنات الّذي ... أحلَّ الحرام من الكعبه[2]
تزفُّ إلى ملك ماجد ... فلا اجتمعا وبها الوجبه

فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء فنهشتها أفعى فماتت فكان السيِّد يقول: لحقتها دعوتي.

٣ ـ عن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر قال: خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيِّد وعليه ثيابُ خزٍّ وجُبّةٌ ومطرفٌ وعمامةٌ فجعل يجرُّ مطرفه ويقول:

اهبط إلى الأرض فخذ جلمداً ... ثمَّ ارمهم يا مُزن بالجلمدِ
لا تسقهم من سبل قطرة ... فإنَّهم حربُ بني أحمدِ

٤ ـ حدَّثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليُّ عهد، فبدأ ببني هاشم ثمَّ بسائر قريش فجاء السيِّد فرفع

---

(١) الظاهر: باهلني.
(٢) يعني عبدالله بن الزبير وقد تحصن بالبيت الحرام وقاتل به.

إلى الربيع ـ حاجب المنصور ـ رقعة مختومة وقال: إنَّ فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه. فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عبّاس سميِّ محمَّد لا تُعطينَّ بني عديّ درهما
أحرم بني تيم بن مرّة إنَّهم شرُّ البريَّة آخراً ومقدَّما
إن تُعطهم لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تُذمَّ وتُشتما
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم خانوك واتَّخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهمُ لقد بدءوكمُ بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تراث محمَّد أعمامه وابنيه وابنته عديلة مريما
وتأمّروا من غير أن يستخلفوا وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لم يشكروا لمحمَّد انعامه أفيشكرون لغيره إن أنعما؟!
والله منَّ عليهمُ بمحمَّد وهداهمُ وكسا الجنوب وأطعما
ثمَّ انبروا لوصيِّه ووليِّه بالمنكرات فجرَّعوه العلقما

قال: فرمى بها إلى أبي عبيدالله معاوية بن يسار الكاتب للمهدي ثمَّ قال: اقطع العطاء فقطعه، وانصرف الناس، ودخل السيِّد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل! ولم يُعطهم شيئاً.

٥ ـ عن سويد بن حمدان بن الحصين قال: كان السيِّد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذات يوم فخلفه رجلٌ وقال: لكم شرفٌ وقدرٌ عند السلطان فلا تجالسوا هذا فإنَّه مشهورٌ بشرب الخمر وشتم السلف. فبلغ ذلك السيِّد فكتب إليه:

وصفت لك الحوض يابن الحصين على صفة الحارث الأعور[١]
فإن تسق منه غداً شربة تفز من نصيبك بالأوفر
فما لي ذنبٌ سوى أنَّني ذكرت الَّذي فرَّ عن خيبر

---

(١) هو الحارث الأعور الهمداني المتوفّى سنة ٦٥ من مقدمي أصحاب أمير المؤمنين، يأتي ذكره في ترجمة والد شيخنا البهائي في شعراء القرن العاشر.

ذكرت امرأً فرَّ عن مرحب   فرار الحمارِ من القسورِ
فأنكر ذاك جليسٌ لكم   زنيمٌ أخو خلقٍ أعورِ
لحاني بحبِّ إمام الهدى   وفاروق أُمَّتنا الأكبر
سأحلق لحيته إنَّها   شهودٌ على الزور والمنكرِ

قال: فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك ولزموا محبَّة السيِّد ومجالسته.
الأغاني ج ٧ ص ٢٥٠ - ٢٥٤.

٦ - عن معاذ بن سعيد الحميري قال: شهد السيِّد إسماعيل بن محمَّد الحميري رحمه الله عند سوّار القاضي بشهادة، فقال له: ألست إسماعيل بن محمَّد الَّذي يُعرف بالسيِّد؟ فقال: نعم. فقال له: كيف أقدمت على الشهادة عندي وأنا أعرف عداوتك للسلف؟ فقال السيِّد: قد أعاذني الله من عداوة أولياء الله وإنّما هو شيءٌ لزمني. ثمَّ نهض فقال له: قم يا رافضيّ! فوالله ما شهدت بحقّ. فخرج السيِّد رحمه الله وهو يقول:

أبوك ابن سارق عنز النبيِّ   وأنت ابن بنت أبي جحدرِ
ونحن على رغمك الرافضو   ن لأهل الضَّلالة والمنكرِ

ثمَّ عمل شعراً وكتبه في رقعة وأمر من ألقاها في الرقاع بين يدي سوّار. قال: فأخذ الرقعة سوّار فلما وقف عليها خرج إلى أبي جعفر المنصور وكان قد نزل الجسر الأكبر ليستعدي على السيِّد فسبقه السيِّد إلى المنصور فأنشأ قصيدته التي يقول فيها[1]:

يا أمين الله يا منـ   ـصور يا خير الولاةِ
إنَّ سوّار بن عبد اللّـ   ـه من شرِّ القضاةِ

---

(١) أولها:
قم بنا يا صاح واربع   في المغاني الموحشات

نـعـثـلـيٌّ (١) جـمـلـيٌّ   لـكـمُ غـيـر مـواتـي
جـدُّه سـارق عـنـز   فـجـرةً مـن فـجـراتِ
لـرسـول الله والـقـا   ذفـة بـالـمـنـكـرات (٢)
والّـذي كـان يُـنـادي   مـن وراء الـحُـجـراتِ (٣)
يـا هنـاة اخـرج إلينـا   إنّـنـا أهـل هـنـاتِ
فـاكفنيـه لا كفـاه الـلّـ   ـه شـرَّ الـطارقـاتِ
سـنَّ فـيـنـا سـنـنـاً كـا   نـت مـواريـث الـطـغـاةِ
فهجـونـاه ومـن يهجـو   يـصب بـالـفـاقـراتِ (٤)

قال: فضحك أبو جعفر المنصور وقال: نصبتك قاضياً فامدحه كما هجوته فأنشد رحمه الله يقول:

إنّي امـرؤٌ من حِميـر أُسرتي   بحيث تحـوي سروهـا حِميـرُ
آلـيـت لا أمـدح ذا نـائـل   لـه سـنـاءٌ ولـه مـفـخـرُ
إلّا مِـن الغـرِّ بـني هـاشـم   إنَّ لهم عنـدي يـداً تُشكـرُ
إنَّ لهم عنـدي يـداً شكـرهـا   حـقٌّ وإن أنكـرهـا منـكـرُ
يـا أحمـد الخيـر الّـذي إنّمـا   كـان علينـا رحمـة تُنشـرُ
حمـزة والـطيّـار في جنّـة   فحيث مـا شـاء دعـا جعفـرُ
منهم وهادينا الـذي نحن مِن   بعـد عمـانـا فيـه نَستبصـرُ
لَمّـا دجـا الدين ورقّ الهـدى   وجار أهل الأرض واستكبـروا
ذاك عـليٌّ بـن أبـي طـالـب   ذاك الّـذي دانت لـه خيبـرُ

---

(١) قال الأستاذ العدوي في تعليقه على الأغاني ج ٧ ص ٢٦١: نعثل في الأصل: اسم رجل يهودي من أهل المدينة، وقيل: نعثل: رجل لحياني (طويل اللحية) من أهل مصر. كان يشبه به عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه.

(٢) اخذنا هذا البيت من الأغاني ج ٧ ص ٢٦١، والطبقات لابن المعتز ص ٨.

(٣) إشارة إلى نزول آية الحجرات في بني العنبر أجداد القاضي سوار.

(٤) الفاقرة: الداهية الشديدة. هذا البيت أخذناه من طبقات ابن المعتز ص ٧.

دانت ومـا دانت لـه عـنـوةً حتّى تـدهـدا عـرشـه الأكبـرُ
ويـوم سلع إذ أتى عـاتـبـاً عمـرو بن عبد مُصلتاً يخـطرُ
يخـطر بـالسيف مُـدلاً كما يخطر فحل الصرمة الدوسرُ(١)
إذ جلّل السيف عـلى رأسـه أبيض عضبـاً حـدّه مبتـرُ
فـخـرَّ كالجذع وأوداجـه ينصبّ منهـا حلبٌ أحـمـرُ

وكان أيضاً ممّا جرى له مع سوّار ما حدَّث به الحرث بن عبيدالله الربيعي، قال: كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوّار عنده والسيِّد ينشده:

إنَّ الإِلَه الذي لا شيء يشبهه آتـاكم الملك للدنيا وللدينِ
آتـاكم الله ملكـاً لا زوال لـه حتّى يُقاد إليكم صاحب الصينِ
وصاحب الهند مـأخوذٌ بـرمّته وصاحب الترك محبوسٌ على هونِ

حتّى أتى القصيـدة والمنصور يضحـك فقال سـوّار، هذا والله يـا أميـر المؤمنين يُعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إنّ القوم الذين يدين بحبّهم لغيركم، وإنّه لينطوي في عداوتكم. فقال السيِّد: والله إنّه لكاذب وإنّني في مديحكم لصادقٌ، ولكنّه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإنّ انقطاعي ومودَّتي لكم أهل البيت لعرقٌ لي فيها عن أبويَّ، وإنَّ هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهليَّة والإِسلام، وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه عليه وآله السَّلام في أهل بيت هذا(٢)إنَّ الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. (سـورة الحجرات آيه ٤) فقال: المنصور: صدقتَ. فقال سوّار: يا أمير المؤمنين إنّه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسبِّ والوقيعة فيهما. فقال السيِّد: أمّا قوله: بأنّي أقول بالرجعة فإنّ قولي في ذلك ما قال الله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يُكذّب بآياتنا فهم يوزَعون﴾ (سورة النمل آية ٨٣) وقد قال في

---

(١) الصرمة بالكسر: القطعية من الإبل. الدوسر: الضخم الشديد.

(٢) راجع تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٤ .

موضع آخر: ﴿وحشرناهم فلم نُغادِر منهم أحداً﴾ (سورة الكهف آية ٤٧) فعلمت أنّ ها هنا حشرين أحدهما عامٌّ والآخر خاصّ. وقال سبحانه: ﴿ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خُروج من سبيل﴾ (سورة غافر آية ١١) وقال الله تعالى: ﴿فأماته الله مائة عام ثمَّ بعثه﴾ (سورة البقرة آية ٢٥٩) وقال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الّذينَ خَرجُوا مِن ديارهم وهُمْ أُلوفٌ حذَر الموت فقالَ لهم الله موتوا ثُمَّ أحياهم﴾ (سورة البقرة آية ٢٤٣) فهذا كتاب الله عزَّ وجلَّ وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يُحشر المتكبّرون في صُوَر الذرِّ يوم القيامة[١] وقال صلّى الله عليه وآله: لم يجر في بني إسرائيل شيءٌ إلاّ ويكون في امّتي مثله حتّى المسخ والخسف والقذف[٢] وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الامّة قردةً وخنازير[٣] فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنّة. وإنّني لأعتقد أنّ الله تعالى يردُّ هذا - يعني سواراً - إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرّةً فإنّه والله متجبرٌ متكبّرٌ كافرٌ. قال: فضحك المنصور وأنشد السيِّد يقول:

جـاثيت سـوّاراً أبـا شـملة ... عنـد الإمام الحـاكم العـادلِ
فـقـال قـولاً خـطأً كـلّه ... عند الورى الحـافي والنائـلِ
مـا ذبَّ عمّا قلت من وصمـة ... في أهله بـل لجَّ في البـاطلِ
وبـان للمنصور صـدقي كمـا ... قد بان كذب الأنوك الجاهلِ
يبغض ذا العرش ومن يصطفي ... من رسله بـالنيِّـر الفـاضـلِ
ويشنـأ الحبـر الجـواد الـذي ... فُضِّل بالفضل على الفاضـلِ
ويعتـدي بـالحكم في معشـر ... أدّوا حقـوق الرُّسـل للراسـلِ
فـبـيّـن الله تـزاويـقـه ... فصـار مثـل الهـائم الهـائـلِ

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٥، وابن الديبع في تيسير الوصول ج ٤ ص ١٥١.

(٢) راجع سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٥٠٣.

(٣) راجع سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٨٩، والترغيب والترهيب ج٣ ص ١٠٧.

قال: فقال المنصور: كفَّ عنه. فقال السيِّد: يا أمير المؤمنين البادي أظلم يكفّ عنّي حتّى أكفّ عنه. فقال المنصور لسوّار: تكلّم بكلام فيه نصفة، كفَّ عنه حتّى لا يهجوك. الفصول المختارة ج ١ ص ٦١ ـ ٦٤ .

وروى أبو الفرج للسيِّد مما أنشده المنصور في سوّار القاضي قوله:

قل للإمام الذي يُنجى بطاعته ... يوم القيامة مِن بحبوحة النارِ
لا تستعينن جزاك الله صالحه ... يا خير من دبَّ في حكم بسوّارِ
لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف ... جمّ العيوب عظيم الكبر جبّارِ
تضحي الخصوم لديه من تجبّره ... لا يرفعون إليه لحظ أبصارِ
تيهاً وكبراً ولولا ما رفعت له ... من ضبعه كان عين الجائع العاري

فدخل سوّار، فلمّا رآه المنصور تبسّم وقال: أما بلغك خبر أياس[1] بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود، فما أحوجك للتعريض للسيِّد ولسانه ثمَّ أمر السيِّد بمصالحته وأمره بأن يصير إليه معتذراً ففعل فلم يعذره، فقال:

أتيت دعيَّ بني العنبر ... أروم اعتذاراً فلم أعذرِ
فقلت لنفسي وعاتبتها ... على اللؤم في فعلها: أقصري
أيعتذر الحرّ ممّا أتى ... إلى رجل من بني العنبرِ؟!
أبوك ابن سارق عنز النبيّ ... وامّك بنت أبي جحدرِ
ونحن على رغمك الرافضو ... ن لأهل الضّلالة والمنكرِ

قال: وبلغ السيِّد أنَّ سوّاراً قد أعدَّ جماعة يشهدون عليه بسرقة ليقطعه، فشكاه إلى أبي جعفر، فدعا بسوّار وقال له: قد عزلتك عن الحكم للسيِّد أو عليه، فما تعرَّض له بسوء حتّى مات .

---

(١) هو أياس بن معاوية بن قرة المزني البصري ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة توفّي سنة ١٢٢، وحديث قبوله شهادة الفرزدق يوجد في الأغاني ج ١١ ص ٥٠ طبع ١٩ ص ٥٠ طبع بولاق.

٧ - عن إسماعيل بن الساحر قال: تلاحى رجلان من بني عبدالله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله ﷺ فرضيا بحكم أوّل من يطلع فطلع السيِّد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضِّل عليّ بن أبي طالب عليه السلام منهما: إنّي وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقلت: عليّ بن أبي طالب. فقطع السيِّد كلامه ثمَّ قال: وأيّ شيء قال هذا الآخر ابن الزّانية؟! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحر جواباً. الأغاني ج ٧ ص ٢٤١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧ عن محمَّد بن عبدالله السدوسي عن السيِّد نفسه.

٨ - في كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٩١ شبّه السيِّد ابن محمَّد الحميري عائشة رضي الله عنها في نصبها الحرب يوم الجمل لقتال بنيها بالهرَّة حين تأكل أولادها فقال:

جاءت مع الأشقين في هودج ... تزجى إلى البصرة أجنادها
كأنّها في فعلها هرَّةٌ ... تُريد أن تأكل أولادها

أخباره وملحه

روى أبو الفرج وغيره شطراً وافياً من أخبار السيِّد وملحه ونوادره لو جمعت ليأتي كتاباً ونحن نضرب عن ذكر جميعها صفحاً ونقتصر منها بنبذة يسع لذكرها المجال.

١ - روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥٠ بإسناده عن رجل قال: كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن[1] فلقيني السيِّد يوماً وأنا منصرفٌ من عندهما، فقال: أرني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلّا أخذتها فمحوت ما فيها. فأعطيته ألواحي فكتب فيها:

لشربة من سويق عند مسغبة ... وأكلة من ثريد لحمه واري

---

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي يسار البصري المتوفّى سنة ١١٠، قال ابن أبي الحديد: كان ممن قيل: انه يبغض عليّاً عليه السلام ويلمه.

أشدُّ، ممّـا روى حبّاً إليَّ بنـو قيس وممّا روى صلت بن دينارِ
ممّـا رواه فـلانٌ عن فــلانهم ذاك الذي كان يدعوهم إلى النارِ

٢ ـ جلس السيِّد يوماً إلى قوم فجعل ينشدهم وهم يلغطون فقال:

قد ضيَّع الله ما جمَّعت من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقرِ
لا يسمعون إلى قول أجيء به وكيف تستمع الأنعام للبشرِ؟!
أقول ما سكتوا: إنسٌ فإن نطقوا قلت الضفادع بين الماء والشجرِ

٣ ـ اجتمع السيِّد في طريقه بامرأة تميميَّة إباضيَّة، فأعجبها وقالت: أُريد أن أتزوَّد بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنكاح امِّ خارجة قبل حضور وليٍّ وشهود، فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

إن تسأليني بقومي تسألي رجلاً في ذروة العزِّ من أحياء ذي يمنِ
حولي بها ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمـدان وذو يـزنِ
والأزد أزد عمان الأكرمون إذا عُدّت مآثرهم في سالف الزمنِ
بـانت كريمتهم عنّي فـدارهُمُ داري وفي الرحب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلحج منـزلٌ وسطٌ منها ولي منزلٌ للعزِّ في عدنِ
ثمَّ الولاء الّذي أرجو النجاة به من كبَّة النار للهادي أبي حسنِ

فقالت: قد عرفناك ولا شيء أعجب من هذا يمانٌ وتميميَّة ؛ ورافضيٌّ وإباضيَّة، فكيف يجتمعان؟ فقال: بحسن رأيك فيَّ، تخسو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيّات الأمور؟؟!! قال: أعرض عليكِ اخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحدٌ. قالت: تلك أُخت الزنا. قال: أعيذك بالله أن تكفري بالقـرآن بعد الإيمـان. قالت: فكيف؟ قـال: قال الله تعـالى: ﴿فما استمتعتم به منهنَّ فآتوهنَّ أجورهنَّ فريضة ولا جُناح عليكم فيما تراضيتم به مِن بعدالفريضة﴾. فقالت: ألا تستخير الله وأُقلدك إن كنت صاحب قياس؟! قال: قد فعلت. فانصرفت معه وبات معرِّساً بها، وبلغ أهلها من الخوارج أمـرها،

فتوعّدوها بالقتل وقالوا: تزوّجت بكافر؟! فجحدت ذلك ولم يعلموا بالمتعة. فكانت مدّة تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتّى افترقا.

(قول السيّد) في صدر القصّة: يكون كنكاح أمّ خارجة: ايعازٌ إلى المثل الساير: أسرع من نكاح أُمّ خارجة. يُضرب به في السرعة، وأُمّ خارجة هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب. فتقول: نكح. فيقول: أنزلي. فتقول: أنخ. قال المبرّد: ولدت أُمّ خارجة للعرب في نيف وعشرين حيّاً من آباء متفرقة، وكانت هي إحدى النساء اللاّتي إذا تزوّجت واحدة الرّجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت، وعلامة إرتضائها للزّوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح.

٢ - قال عليُّ بن المغيرة: كنت مع السيّد على باب عقبة بن سلم، ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ ننتظره وقد أسرج له ليركب، إذ قال ابن سليمان بن عليّ يعرّض بالسيّد: أشعر الناس والله الّذي يقول:

محمّد خير من يمشي على قدم ... وصاحباه وعثمان بن عفّانا

فوثب السيّد وقال: أشعر والله منه الّذي يقول:

سائل قريشاً إذا ما كنت ذا عمه ... مَن كان أثبتها في الدين أوتادا؟!
مَن كان أعلمها علماً؟! وأحلمها ... حلماً؟! وأصدقها قولاً وميعادا؟!
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن ... إن أنت لم تلق للأبرار حُسّادا

ثمّ أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى! نعم الخلف أنت لشرف سلفك، أراك تهدم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله، وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك، فوثب الفتى خجلاً ولم ينتظر عقبة بن سلم. وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الركوبة حتّى خرجت الجائزة للسيّد.

٥ - روى أبو سليمان الناجي: أنّ السيّد قدم الأهواز وأبو بُجير بن سمّاك الأسدي يتولاها وكان له صديقاً، وكان لأبي بُجير مولى يُقال له يزيد بن مذعور

يحفظ شعر السيِّد ويُنشده أبا بُجير، وكان أبو بُجير يتشيَّع. فذهب السيِّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم فلمّا أمسى انصرف، فأخذه العَسَس[١] فحبس فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مذعور، فدخل على أبي بُجير وقال: قد جنى عليك صاحب عَسَسك ما لاقوام لك به. قال: وما ذلك؟! قال: اسمع هذه الأبيات كتبها السيّد من الحبس، فأنشده يقول:

قف بالديار وحيِّها يا مربعُ ... واسأل وكيف يجيب من لا يسمعُ؟!
إنَّ الديار خلت وليس بجوِّها ... إلّا الضوابح والحمام الوقَّعُ
ولقد تكون بها أوانس كالدمى[٢] ... جملٌ وعزَّة والرباب ويوزعُ
حورٌ نواعم لا ترى في مثلها ... أمثالهنَّ من الصيانة أربعُ
فعرين بعد تألُّفٍ وتجمّعٍ ... والدهر - صاح - مشتِّتٌ ما تجمعُ
فاسلم فإنَّك قد نزلت بمنزلٍ ... عند الأمير تضرُّ فيه وتنفعُ
تأتي هواك إذا نطقت بحاجة ... فيه وتشفع عنده فيشفَّعُ
قل للأمير إذا ظهرت بخلوة ... منه ولم يك عنده مَن يسمعُ
هب لي الَّذي أحببته في أحمد ... وبنيه إنَّك حاصدٌ ما تزرعُ
يختصُّ آل محمَّدٍ بمحبَّةٍ ... في الصدر قد طويت عليها الأضلعُ

ويقول فيها:

قم يابن مذعور فأنشد نكَّسوا ... خضع الرقاب بأعين لا ترفعُ
لولا حذار أبي بُجير أظهروا ... شنآنهم وتفرَّقوا وتصدَّعوا
لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا ... سبعين عاماً والأنوف تُجدَّعُ
إذ لا يزال يقوم كلّ عروبة[٣] ... منكم بصاحبنا خطيبٌ مصقعُ
مستحفزٌ في غيِّه متتابعٌ ... في الشتم مثَّله بخيل يسجعُ
ليسرَّ مخلوقاً ويسخط خالقاً ... إنَّ الشقيَّ بكلِّ شرٍّ مولعُ

---

(١) جمع العاس من عس عساً: طاف بالليل يحرس الناس.
(٢) الدمى ج الدمية: الصورة المزينة فيها حمرة كالدم.
(٣) يوم الجمعة كان يسمى قديماً: يوم عروبة ويوم العروبة. والأفصح عدم إدخال الألف واللام.

فلمّا سمعها أبو بُجير دعا صاحب عَسعسه فشتمه وقال: جنيت عليّ ما لا يُدلى به. اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيّكم أبو هاشم؟ فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابّتك وامش معه صاغراً حتّى تأتيني به. ففعل، فأبى السيِّد ولم يُجبه إلى الخروج إلاّ بعد أن يطلق له كلّ من أُخذ معه، فرجع إلى أبي بُجير فأخبره. فقال: الحمد لله الذي لم يقل: أخرجهم وأعط كلّ واحد منهم مالاً. فما كنّا نقدر على خلافه، افعل ما أحبّ برغم أنفك الآن. فمضى فخلّى سبيله وسبيل كلّ من كان معه ممّن أُخذ في تلك الليلة، وأتى به إلى أبي بُجير: فتناوله بلسانه وقال: قدمت علينا فلم تأتنا وأتيت بعض أصحابك الفسّاق، وشربت ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى. فاعتذر من ذلك إليه. فأمر له أبو بُجير بجائزة سنيّة وحمله وأقام عنده مدّة.

٦ - قال أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥٩: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثنا حاتم بن قبيصة قال: سمع السيِّد محدِّثاً يُحدِّث: إنَّ النبيَّ ﷺ كان ساجداً فركب الحسن والحسين على ظهره، فقال عمر رضي الله عنه: نعم المطيُّ مطيّكما. فقال النبي ﷺ: ونعم الراكبان هما. فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك:

أتى حسنٌ والحسين النبيَّ ... وقد جلسا حجره يلعبان
ففدّاهما ثمَّ حيّاهما ... وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه ... فنعم المطيَّة والراكبان
وليدان امّهما برَّةٌ ... حصانٌ مطهرةٌ للحسان
وشيخهما ابن أبي طالبٍ ... فنعم الوليدان والوالدان
خليليَّ لا تُرجيا واعلما ... بأنَّ الهدى غير ما تزعمان
وأنَّ عمى الشكِّ بعد اليقين ... وضعف البصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تلججا فيهما ... فبئست لعمركما الخصلتان
أيُرجى عليٌّ إمام الهدى ... وعثمان ما أعند المرجيان
ويُرجى ابن حرب وأشياعه ... وهوج الخوارج بالنهروان

يكــون إمــامهمُ في المعــاد   خبيث الهوى مؤمن الشيصبان[1]

وذكر ابن المعتز في طبقاته ص ٨ أبياتاً من دون ذكر الحديث وهي:

أتى حسناً والحسين الرسـولُ   وقـد برزوا ضحـوةً يلعبـان
وضـمّـهـمـا وتـفـدّاهـمـا   وكـانـا لـديه بـذاك المكـان
وطـأطـأ تحتهمـا عـاتقيـه   فنعم المـطيَّـة والـركبـان

وذكر المرزباني في أخبار السيِّد ستَّة أبيات منها ولم يذكر الحديث وزاد:

جــزى الله عنّـا بني هــاشم   بـانعـام أحمـد أعلى الجنـان
فـكـلّهـمُ طـيِّـبٌ طـاهـرٌ   كـريم الشمائـل حلو اللسـان

(قـال الأميني): هـذه القصيـدة تتضمَّن أحـاديث وردت في الإمـامين السبطين وقد تلفت جملةٌ من أبياته فقوله:

أتى حسـنٌ والحسيـن النبيَّ   وقـد جلسـا حجـره يلعبـان

إشارةٌ إلى ما أخرجه الطبراني وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٤ عن أبي أيّوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه في حجره فقلت: يا رسول الله! أتُحبّهما؟! فقال: كيف لا أُحبّهما؟! وهما ريحانتي من الدُّنيا أشمّهما.

وعن جابر: قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما فقلت: نعم الجمل جملكما. فقال: نعم الراكبان هما. وفي لفظ: دخلت عليه والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع يقول ﷺ: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما. أخرجه ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٤ ص ٢٠٧.

---

(١) الشيصبان: اسم الشيطان.

وقوله:

أتى حسناً والحسين الرّسولُ وقد برزوا ضحوةً يلعبان

وبعده من أبيات إشارة إلى ما أخرجه الطبراني عن يعلى بن مرّة وسلمان قالا: كنّا حول النبي ﷺ فجاءت امُّ أيمن فقالت: يا رسول الله! لقد ضلّ الحسن والحسين وذلك راد النهار. يقول: ارتفاع النهار. فقال رسول الله ﷺ: قوموا فاطلبوا ابنيّ وأخذ كلُّ رجل تجاه وجهة وأخذتُ نحو النبيِّ ﷺ فلم يزل حتّى أتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين يلتزق كلٌّ، واحد منهما صاحبه وإذا شجاعٌ على ذنبه يخرج من فيه شبه النار فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثمَّ انساب فدخل بعض الأحجرة ثمَّ أتاهما فأفرق بينهما ومسح وجوههما وقال: بأبي وامّي أنتما ما أكرمكما على الله. ثمَّ حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوبا لكما نعم المطيّة مطيّتكما. فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما وأبوهما خيرٌ منهما. الجامع الكبير للسيوطي كما في ترتيبه ج ٧ ص ١٠٦.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٧ عن عمر: قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبيِّ فقلت. نعم الفرس راحلتكما. وفي لفظ ابن شاهين في السنّة: نعم الفرس تحتكما: فقال النبيُّ ﷺ: ونعم الفارسان هما

٧ - عن سليمان بن أرقم قال: كنت مع السيِّد فمرَّ بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يوزن رسول الله ﷺ يوم القيامة في كفّة بامّته أجمع فيرجح بهم، ثمَّ يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح، فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمري انّ رسول الله ﷺ ليرجح على امّته في الفضل، والحديث حقٌّ، وإنما رجح الآخران الناس في سيِّئاتهم، لأنَّ من سنَّ سنّةً سيِّئة فعُمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها[1] قال: فما

(١) أخرج حديث: من سن. ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٩٠ ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم.

أجابه أحدٌ فمضى فلم يبق أحدٌ من القوم إلّا سبَّه. [الأغاني ج ٧ ص ٢٧١].

٨ ـ عن محمّد بن كناسة قال: أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيِّد رداءاً عدنيّاً، فكتب إليه السيِّد فقال:

وقد أتانا رداءٌ من هديَّتكم　　فلا عدمتك طول الدهر من والِ
هو الجمال جزاك الله صالحة　　لو أنّه كان موصولاً بسربالِ

فبعث إليه بخلعة تامَّة وفرس جواد وقال: يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيّانا.

٩ ـ روى المرزباني مسنداً عن الحرث بن عبيدالله بن الفضل قال: كنّا عند المنصور فأمر بإحضار السيِّد فحضر قال: أنشدني مدحك لنا في قصيدتك الميميَّة التي أوَّلها:

أتعرف داراً عفى رسمها　　. . . .

ودع التشبيب. فأنشده وقال:

فدع ذا وقل في بني هاشم　　فإنَّك والله تستعصمُ
بني هاشم حبّكم قربةٌ　　وحبّكمُ خير ما يُعلمُ
بكم فتح الله باب الهدى　　كذاك غداً بكمُ يختمُ
ألام وألقى الأذى فيكمُ　　ألا لائمي فيكمُ ألومُ
وما لي ذنبٌ يعدّونه　　سوى أنّني بكمُ مُغرمُ
وإنّي لكم وامقٌ ناصحٌ　　وإنّي بحبِّكمُ مُعصمُ
فأصبحت عندهمُ مأثمي　　مآثر فرعون أو أعظمُ
فلا زلت عندكمُ مرتضى　　كما أنا عندهمُ مُتهمُ
جعلت ثنائي ومدحي لكم　　على رغم أنف الّذي يُرغمُ

فقال له المنصور: أظنّك أوديت في مدحنا كما أودى حسّان بن ثابت في مدح رسول الله ﷺ وما أعرف هاشميّاً إلّا ولك عليه حقٌّ. والسيِّد يشكره وهو يكلِّمه بكلام من وصفه ما سمعته يقول لأحد مثله.

١٠ ـ روى المرزباني في أخبار السيِّد بإسناده عن جعفر بن سليمان قال: كنّا عند المنصور فدخل عليه السيِّد فقال له: أنشدني قصيدتك التي تقول فيها:

ملك ابن هند وابن أروى قبله ... ملكاً أمرّ بحلّه الإبرامُ
وأضاف ذاك إلى يزيد ملكه ... إثمٌ عليه في الورى وغرامُ
أخزى الإله بني اميّة إنّهم ... ظلموا العباد بما أتوه وحاموا
نامت جدودهمُ وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنامُ
جزعت اميّة من ولاية هاشم ... وبكت ومنهم قد بكى الإسلامُ
إن يجزعوا فلقد أتتهم دولة ... وبها تدوم عليكمُ الأيّامُ
فلكم يكون بكلِّ شهر أشهرٌ ... وبكلِّ عامٍ واحدٍ أعوامُ
يا رهط أحمد إنَّ مَن أعطاكمُ ... ملك الورى وعطاؤه أقسامُ
ردَّ الوراثة والخلافة فيكمُ ... وبنو اميّة صاغرون رغامُ
لَمتمِّمٌ لكم الذي أعطاكمُ ... ولكم لديه زيادة وتمامُ
أنتم بنو عمِّ النبيِّ عليكمُ ... من ذي الجلال تحيَّةٌ وسلامُ
وورثتموه وكنتمُ أولى به ... إنَّ الولاء تحوزه الأرحامُ
ما زلت أعرف فضلكم ويحبّكم ... قلبي عليه وإنَّني لغلامُ
أُوذى وأُشتم فيكمُ ويُصيبني ... من ذي القرابة جفوةٌ وملامُ
حتى بلغت مدى المشيب فأصبحت ... منّي القرون كأنّهن ثغامُ[1]

قال: فرأيت المنصور يلقمه من كلِّ شيء كان بين يديه ويقول: شكراً لله ولك يا إسماعيل حبّك لأهل البيت صلّى الله عليهم، ومدحك لهم، وجزاك عنّا خيراً، يا ربيع ادفع إلى إسماعيل فرساً وعبداً وجاريةً وألف درهم واجعل الألف له في كلِّ شهر.

١١ ـ عن الجاحظ عن إسماعيل الساحر قال: كنت أسقي السيِّد الحميري

---

(١) الثغام: شجر أبيض الزهر واحدته: ثغامة. يقال: صار الراس ثاغماً. أي أبيض.

وأبا دلامة فسكر السيِّد وغمض عينيه حتّى حسبناه نام فجاءت بنتٌ لأبي دلامة قبيحة الصورة فضمَّها إليه ورقَّصها وهو يقول:

ولم ترضعك مريمُ امّ عيسى ... ولم يكفلك لقمان الحكيمُ

ففتح السيِّد عينه وقال:

ولكن قد تضمّك امّ سوء ... إلى لبّاتها وأبٌ لئيمُ

«لسان الميزان ج ١ ص ٤٣٨».

١٢ ـ روى شيخ الطائفة كما في أمالي ولده ص ١٢٤ بإسناده عن محمَّد ابن جبلة الكوفي قال: اجتمع عندنا السيِّد بن محمَّد الحميري، وجعفر بن عفّان الطائي[١] فقال له السيِّد: ويحك أتقول في آل محمَّد عليهم السّلام شرّاً:

ما بال بيتكمُ يُخرّب سقفه ... وثيابكم من أرزل الأثواب؟!؟!

فقال جعفر: فما أنكرت من ذلك؟ فقال له السيِّد: إذا لم تحسن المدح فاسكت أيوصف آل محمد بمثل هذا؟! ولكنّي أعذرك هذا طبعك وعلمك ومنتهاك وقد قلت أنحو عنهم عار مدحك:

أُقسم بالله وآلائه ... والمرء عمّا قال مسئول
إنَّ عليَّ بن أبي طالب ... على التّقى والبرِّ مجبول
وإنّه كان الإمام الذي ... له على الامَّة تفضيل
يقول بالحقِّ ويعني به ... ولا تُلهِّيه الأباطيل
كان إذا الحرب مرتها القنا ... وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفِّه ... أبيض ماضي الحدِّ مصقول
مشي العفرني[٢] بين أشباله ... أبرزه للقَنص[٣] الغيل[٤]

---

(١) أبو عبدالله المكفوف من شعراء الكوفة له في أهل البيت مراثي استنشدها الإمام الصادق صلوات الله عليه.

(٢) يقال: أسد عفرني. أي: شديد.

(٣) قنص الطير قنصاً: صاده. والقنص بفتح القاف والنون: المصيدة.

(٤) الغيل: الأجمة. موضع الاسد ج أغيال وغيول.

ذاك الّـذي سلّم فـي لـيـلة عـليـه ميكـالٌ وجبـريـل
ميكـال في ألف وجبريـل في ألـف ويتـلوهـم سـرافيـل
لـيلة بـدر مـدداً أنـزلـوا كـأنّـهـم طـيـرٌ أبـابـيـل
فسلّمـوا لـمـا أتـوا حـذوه وذاك إعـظامٌ وتـبـجـيـل

كذا يُقال فيه يا جعفرا! وشعرك يُقال مثله لأهل الخصاصة والضعف. فقبّل جعفر رأسه وقال: أنت والله الراس يا أبا هاشم، ونحن الأذناب. وهذا الحديث رواه أبو جعفر الطبري في الجزء الثاني من «بشارة المصطفى» عن الشيخ أبي علي ابن شيخ الطائفة عن أبيه بإسناده.

خلفاء عصره:

أدرك السيّـد عشراً من الخلفـاء: خمسة من بني اميّـة وخمسة من بني العبّاس وهم:

١ ـ هشام بن عبد الملك المتوفّى سنة ١٢٥ عن خلافة ١٩ سنة و٩ أشهر. وُلد السيّد في أوّل خلافته.

٢- وليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول سنة ١٢٦.

٣- يزيد بن الوليد المتوفّى سنة ١٢٦ عن ملك ستّة أشهر.

٤- إبراهيم بن الوليد المتوفّى سنة ١٢٧ عن ملك ثلاثة أشهر.

٥ ـ مـروان بن محمّـد بن مـروان بن الحكم المقتـول سنـة ١٣٢ وبـه انقرضت دولتهم.

٦ ـ السفّاح أوّل من تسنّم بالملك من بني العبّاس سنة ١٣٢ توفّي سنة ١٣٦ وللسيّد فيه شعرٌ يوجد في الأغاني، وفوات الوفيات، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢١٤. وكـانت جراية السيّد منـه كلّ سنـة جاريـةً ومن يخدمها، وبدرة دراهم وحاملها، وفرساً وسائسهـا، وتختاً من صنـوف الثياب وحامله.

٧ ـ المنصور المتوفّى سنة ١٥٨ وكان حسن الحال عنده يطلق لسانه بما أراد،وكانت جرايته للسيِّد كلّ شهر ألف درهم.

٨ ـ المهدي بن المنصور المتوفّى سنة ١٦٩ تورَّع عنه السيِّد في أوَّل خلافته وهجاه فأُخذ واعتذر فرضي عنه فمدحه. مرَّ بعض أخباره معه.

٩ ـ الهادي بن المهدي المتوفّى سنة ١٧٠.

١٠ ـ الرشيد المتوفّى سنة ١٩٣ بعد ملك ٢٣ عاماً مدحه السيِّد بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرَّقهما فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورَّع عن قبول جوائزنا.

قال المرزباني في أخبار السيِّد: لمّا ولي الرشيد رُفع إليه في السيِّد أنَّه رافضيٌّ فأحضره فقال: إن كان الرافضيُّ هو الّذي يحبُّ بني هاشم ويُقدِّمهم على سائر الخلق فما أعتذر منه ولا أزول عنه، وإن كان غير ذلك فما أقول به ثمَّ أنشد:

شجاك الحي إذ بانوا ... فدمع العين هتّانُ
كأنّي يوم ردّوا العيس ... للرّحلة نشوانُ
وفوق العيس إذ ولّوا ... بها حورٌ وغزلانُ
إذا ما قمن فالأعجا ... ز في التشبيه كثبانُ
وما جاوز للأعلى ... فأقمارٌ وأغصانُ

ومنها:

عليٌّ وأبو ذرّ ... ومقداد وسلمانُ
وعبّاسٌ وعمّار ... وعبدالله إخوانُ
دعوا فاستودعوا علماً ... فأدّوه وما خانوا
أدين الله ذا العزّة ... بالدين الّذي دانوا
وعندي فيه إيضاحٌ ... عن الحقّ وبرهانُ
وما يجحد ما قد قلـ ... ـت في السبطين إنسانُ

وإن أنكــر ذو النّـصـب　　فـعنـدي فيـه عـرفـانُ
وإن عــدّوه لــي ذنـبــاً　　وحــال الـوصــل هجـرانُ
فــلا كـان لهـذا الـذنب　　عـنــد الـقــوم غــفــرانُ
وكــم عــدّت إســاءات　　لــقــوم وهـي إحــســانُ
وســرّي فيــه يــا داعـيَ　　ديــن الله إعــلانُ
فــحبّــي لــك إيــمــانُ　　ومـيـلي عـنـك كـفـرانُ
فـعــدَّ القــوم ذا رفـضــاً　　فــلا عــدّوا ولا كــانــوا

قال: فألطف له الرشيد ووصله جماعةٌ من بني هاشم.

صفته في خلقته:

كان السيِّد الحميري أسمر، تامَّ القامة، أشنب[1] ذا وفرة[2]، جميل الوجه، رحيب الجبهة، عريض ما بين السالفتين، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدَّث في مجلس قوم أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه، وكان من أظرف الناس.

قال شيبان بن محمَّد الحرّاني ـ وكان يُلقّب بعَوضة من سادات الأزد ـ: كان السيِّد جاري وكان أدلم وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيِّ فيهم فتىً مثله أدلم غليظ الأنف والشفتين مزنج الخلقة. وكان السيِّد من أنتن الناس إبطين وكانا يتمازحان فيقول له السيِّد: أنت زنجيُّ الأنف والشفتين. ويقول الفتى للسيِّد: أنت زنجيُّ اللون والإبطين. فقال السيِّد:

أعــارك يــومَ بـعنــاهُ رباحٌ[3]　　مشـافـرهُ وأنفـك ذا القبيحـا
وكــانت حصّتي إبـطيٌّ منــه　　ولـوناً حـالكاً أمسى فضـوحـا

---

(١) الشنب: البياض والبريق والتحديد في الأسنان.
(٢) الوفرة: ما جاوز شحمة الاذنين من الشعر.
(٣) من أسماء العبيد.

فهل لك في مبادلتيك إبطي بأنفك؟ تحمد البيع الرَّبيحا
فإنّك أقبح الفتيان أنفاً وإبطي أنتن الآباط ريحا

الأغاني ج ٧ ص ١٣٣، أمالي ابن الشيخ ص ٤٣.

ولادته، ووفاته:

ولد سيِّد الشعراء الحميري سنة ١٠٥ بعمّان[1] ونشأ في البصرة في حضانة والديه الإباضيِّين إلى أن عقل وشعر فهاجرهما واتَّصل بالأمير عقبة بن سلم وتزلّف لديه حتى مات والداه فورثهما كما مرّ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ثمَّ غادر البصرة إلى الكوفة وأخذ فيها الحديث عن الأعمش وعاش متردِّداً بينهما.

وتوفِّي في الرميلة ببغداد في خلافة الرشيد وهذا هو المتسالم عليه وكفِّن بأكفان وجَّهها الرشيد بأخيه وصلّى عليه أخوه علي بن المهدي[2] وكبَّر خمساً على طريق الإماميَّة ووقف على قبرة إلى أن سُطح بأمر من الرشيد ودفن في جُنينة[3] ناحية من الكرخ مما يلي قطيعة الربيع[4].

أمّا سنة وفاته فقد أرّخها المرزباني بسنة ١٧٣ ونقلها القاضي المرعشي في مجالسه عن خطِّ الكفعمي[5] وقال ابن حجر بعد نقل التأريخ المذكور عن أبي الفرج: أرَّخه غيره سنة ١٧٨ وأرَّخه ابن الجوزي سنة تسع.

روى المرزباني بإسناده عن ابن أبي حودان قال: حضرت السيِّد ببغداد عند موته فقال لغلام له: إذا متُّ فأت مجمع البصريِّين وأعلمهم بموتي وما أظنّه يجيء منهم إلّا رجلٌ أو رجلان ثمَّ اذهب إلى مجمع الكوفيِّين فأعلمهم بموتي أنشدهم:

---

(١) لسان الميزان ج ١ ص ٤٣٨.

(٢) فما في مجالس المؤمنين وبعض المعاجم: صلى عليه المهدي فيه تصحيف إذ المهدي توفي سنة ١٦٩ قبل المترجم بسنين.

(٣) الجنينة تصغير جنة وهي الحديقة والبستان.

(٤) تنسب إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور.

(٥) أحد شعراء الغدير في القرن العاشر تأتي هناك ترجمته.

يا أهل كوفان إنّي وامقٌ لكمُ ... مذ كنت طفلاً إلى السبعين والكبرِ
أهواكمُ وأواليكم وأمدحكم ... حتماً عليَّ كمحتوم من القدرِ
لحبّكم لوصيِّ المصطفى وكفى ... بالمصطفى وبه من سائر البشرِ
والسيّدين أولي الحسنى ونجلهمُ ... سميٌّ من جآء بالآيات والسورِ
هو الإمام الّذي نرجو النجاة به ... من حرِّ نار على الأعداء مستعرِ
كتبت شعري إليكم سائلاً لكمُ ... إذ كنت أنقل من دار إلى حفرِ
أن لا يليني سواكم أهل بصرتنا ... الجاحدون أو الحادّون للبدرِ
ولا السلاطين إنَّ الظلم حالفهم ... فعرفهم صائرٌ لا شكَّ للنُكرِ
وكفّنوني بياضاً لا يخالطه ... شيءٌ من الوشي أو من فاخر الحبرِ
ولا يُشيعني النصّاب إنّهمُ ... شرُّ البريّة من انثى ومن ذكرِ
عسى الإلّه ينجّيني برحمته ... ومدحي الغرر الزّاكين من سقرِ

فإنّهم ليسارعون إليّ ويكبرون. فلمّا مات فعل الغلام ذلك فما أتى من البصريّين إلّا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان وعطر، وأتى من الكوفيّين خلقٌ عظيم معهم سبعون كفناً، ووجّه الرشيد بأخيه عليّ وبأكفان وطيب؛ فرُدّت أكفان العامّة عليهم وكفّن في أكفان الرشيد، وصلّى عليه عليُّ بن المهدي وكبّر خمساً ووقف على قبره إلى أن سُطح ومضى، كلُّ ذلك بأمر الرشيد. وروى مجيء الكوفيّين بسبعين كفناً عن أبي العينا[١] عن أبيه وزاد: فلمّا مات دفن بناحية الكرخ ممّا يلي قطيعة الربيع.

وفي حديث موته له مكرمةٌ خالدةٌ تُذكر مدى الدهر، وتُقرأ في صحيفة التأريخ مع الأبد. قال بشير بن عمّار حضرت وفاة السيّد في الرميلة ببغداد فوجّه رسولاً إلى صفِّ الجزّارين الكوفيّين يُعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب إلى صفِّ المسموسين (كذا) فشتموه ولعنوه، فعلم أنّه قد غلط، فعاد إلى الكوفيّين يُعلمهم بحاله ووفاته فوافاه سبعون كفناً قال: وحضرنا جميعاً وإنّه

(١) أبو عبدالله محمد بن القاسم بن خلاد البصري المتوفّى سنة ٢٨٣.

ليتحسّر تحسّراً شديداً وانّ وجهه لاسودّ كالقار وما يتكلّم إلّا أن أفاق إفاقة وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة (جهة النجف الأشرف) ثمّ قال: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليِّك؟ قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد اخرى قال: فتجلّى والله في جبينه عرقٌ بياضٌ فما زال يتّسع ولبس وجهه حتّى صار كلّه كالبدر وتوفي فأخذنا في جهازه ودفنّاه في الجُنينة ببغداد وذلك في خلافة الرشيد.

الأغاني ج ٧ ص ٢٧٧.

وقال أبو سعيد محمّد بن رشيد الهروي: إنّ السيِّد اسودّ وجهه عند الموت فقال: هكذا يُفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ فابيضّ وجهه كأنّه القمر ليلة البدر فأنشأ يقول:

أُحبُّ الذي من مات من أهل ودِّه ... تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحكُ
ومن مات يهوى غيره من عدوّه ... فليس له إلّا إلى النّار مسلكُ
أبا حسن أفديك نفسي واسرتي ... ومالي وما أصبحت في الأرض أملكُ
أبا حسن إنّي بفضلك عارفٌ ... وإنّي بحبل من هواك الممسّكُ
وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه ... فإنّا نُعادي مبغضيك ونتركُ
ولاح لحاني في عليٍّ وحزبه ... فقلت: لحاك الله إنّك أعفكُ
مواليك ناجٍ مؤمنٌ بيِّن الهدى ... وقاليك معروف الضّلالة مشركُ

رجال الكشي ص ١٨٥، أمالي ابن الشيخ ص ٣١، بشارة المصطفى.

وقال الحسين بن عون: دخلت على السيِّد الحميري عائداً في علّته التي مات فيها فوجدته يُساق به ووجدت عنده جماعةً من جيرانه وكانوا عثمانيّة وكان السيِّد جميل الصورة رحيب الجبهة عريض ما بين السالفتين فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ثمّ لم تزل تزيد وتنمى حتّى طبقت وجهه يعني اسوداداً فاغتمّ لذلك مَن حضره من الشيعة فظهر من الناصبة سرورٌ وشماتةٌ فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل

تزيد بياضاً وتنمى حتّى اسفرَّ وجهه وأشرق وافترّ السيِّد ضاحكاً وأنشأ يقول:

كـذب الـزاعمـون انَّ عليّـاً ... لن يُنجّي محبَّـه من هنـاتِ
قـد وربي دخلت جنَّـة عـدن ... وعفى لي الإلٓـه عن سيّـآتي
فـابشـروا اليـوم أوليـاء عليّ ... وتـولّـوا عليَّ حتّى الممـاتِ
ثمَّ من بعـده تـولّـوا بنيـه ... واحـداً بعد واحـد بالصِّفـاتِ

ثمَّ أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إلٓه إلا الله حقّاً حقّاً. وأشهد أنَّ محمَّداً رسول الله حقّاً حقّاً[١] وأشهد أنَّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً. أشهد أن لا إلٓه إلا الله ثمَّ غمَّض عينيه لنفسه فكـأنّما كـانت روحه ذبـالة[٢] طفـأت أو حصاة سقطت.

أمالي الشيخ ص ٤٣، مناقب السروي ج ٢ ص ٢٠، كشف الغمة ص ١٢٤.

تضلعه في العلم والتاريخ:

إنَّ مَن يقف على موارد حجاج السيِّد الحميري والمعاني التي طرقها في شعره ومحاوراته مع مَن عاصره مِن رجال الفريقين، جِدُّ عليم بما له من خطوات واسعة والشوط البعيد في فهم مغازي الكتاب الكريم وفقه السنَّة الشريفة، وأنَّ تهالكه في ولاء أهل البيت عليهم السَّلام كان على بصيرة من أمره عن علم متدفق، ومعرفة ناضجة لا كمن يتلقّى المبدأ عن تقليد بحت ومدرك بسيط، ويغلب على فكره الجلبة والسخب فمن نماذج علمه ما مرَّ ص ٣٠١ من حجاجه مع القاضي سوّار في مجلس المنصور حول القول بالرجعة وإفحامه إيّاه بالكتاب والسنَّة. وما مرَّ ص ٣٠٨ .

---

(١) في لفظ السروي: صدقاً صدقاً. وأشهد أن عليّاً وليّ الله رفقاً رفقاً.
(٢) الذبالة: الفتيلة ج ذبال.

قال المرزباني في أخبار السيِّد: قيل: إنَّ السيِّد حجَّ أيّام هشام فلقي الكميت فسلّم عليه وقال: أنت القائل:

ولا أقول إذا لم يُعطيا فدكاً   بنت الرَّسول ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به   يوم القيامة من عذر إذا حضرا؟!

قال: نعم قلته تقيَّة من بني اميَّة وفي مضمون قولي شهادةٌ عليهما أنّهما أخذا ما كان في يدها. فقال السيِّد: لولا إقامة الحجَّة لوسعني السكوت، لقد ضعفت يا هذا عن الحقِّ، يقول رسول الله ﷺ: فاطمةُ بضعةٌ منّي يُريبني ما رابها، وإنَّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. فخالفت رسول الله ﷺ، وهب لها فدكاً بأمر الله له وشهد لها أمير المؤمنين والحسن والحسين وامّ أيمن بأنَّ رسول الله ﷺ أقطع فاطمة فدكاً فلم يحكما لها بذلك والله تعالى يقول: يَرثني ويَرثُ من آل يعقوب. ويقول: وورث سليمان داود. وهم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم الصَّلاة وشهادة المرأة لأبيها: إنَّ رسول الله ﷺ قال: مروا فلاناً بالصَّلاة بالناس. فصُدِّقت المرأة لأبيها ولا تُصدَّق فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين وامُّ أيمن في مثل فدك، وتُطالب مثل فاطمة بالبيِّنة على ما ادعت لأبيها، وتقول أنت مثل هذا القول. وبعد: فما تقول في رجل حلف بالطلاق أنَّ الذي طلبت فاطمة عليها السَّلام هو حقٌّ وأنَّ عليّاً والحسن والحسين وأمّ أيمن ما شهدوا إلاّ بحقّ ما تقول في طلاقه؟! قال: ما عليه طلاق قال: فإن حلف بالطلاق أنّهم قالوا غير الحق؟! قال: يقع الطلاق لأنّهم لم يقولوا إلاّ الحقّ. قال: فانظر في أمرك. فقال الكميت أنا تائبٌ إلى الله ممّا قلت وأنت يا أبا هاشم أعلم وأفقه منّا.

وهو مع تضلّعه في علمي الكتاب والسنَّة ومعرفته بالحجج الدينيَّة وبصيرته بمناهج الحجاج في المذهب وإقامة الحجَّة على من يُضادّه في المبدأ كان له يدٌ غير قصيرة في التاريخ وله كتاب (تاريخ اليمن) ذكره له الصفدي في «الوافي بالوفيات» ج ١ ص ٤٩.

وفي شعره الطافح بمعاني الكتاب والسنَّة شهادةٌ صادقةٌ على إحاطته بما

فيها من مرامي وإشارات ونصوص وتصريحات، وكلّما ازدادت الفضيلة قوّةً، والبرهان وضوحاً، وكانت الحجّة بالغةً كان اعتناؤه بسرد القريض فيها أكثر كحديث الغدير والمنزلة والتطهير والراية والطير وأمثالها، ومنها: حديث العشيرة الوارد في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، في بدء الدعوة النبويّة فقد أشار إليه في عدّة قصايد منها قوله:

بأبي أنت وامّي ... يا أمير المؤمنينا
بأبي أنت وامّي ... وبرهطي أجمعينا
وبأهلي وبمالي ... وبناتي والبنينا
وفدتك النفس منّي ... يا إمام المتّقينا
وأمين الله والوا ... رث علم الأوّلينا
ووصيّ المصطفى ... أحمد خير المرسلينا
ووليّ الحوض والذا ... ئد عنه المحدثينا
أنت أولى الناس بالنا ... س وخير الناس دينا
كنت في الدنيا أخاه ... يوم يدعو الأقربينا
ليُجيبوهُ إلى اللّـ ... ـه فكانوا أربعينا
بين عمّ وابن عمّ ... حوله كانوا عرينا
فورثت العلم منه ... والكتاب المستبينا
طبت كهلاً وغلاماً ... ورضيعاً وجنينا
ولدى الميثاق طيناً ... يوم كان الخلق طينا
كنت مأموناً وجيهاً ... عند ذي العرش مكينا
في حجاب النور حيّاً ... طيّباً للطاهرينا

وقوله من قصيدة لم نقف على تمامها:

من فضله أنّه قد كان أوّل من ... صلّى وآمن بالرّحمن إذ كفروا
سنين سبعاً وأيّاماً محرّمة ... مع النبيِّ على خوف وما شعروا
ويوم قال له جبريل: قد علموا ... أنذر عشيرتك الأدنين إن بصروا

فقـام يـدعـوهمُ من دون امّتـه ... فمـا تخلّف عنـه منهـمُ بشـرُ
فمنهمُ آكـلٌ في مجلس جـذعـاً ... وشارب مثل عُسّ[١] وهو محتضرُ
فصدَّهم عن نواحي قصعـة شبعاً ... فيها من الحبّ صاع فوقه الوذرُ[٢]
فقـال: يـا قـوم انَّ الله أرسلني ... إليكـمُ فـأجيبـوا الله واذّكـروا
فـأيّكم يجتبي قـولي ويُؤمن بي ... إنّي نبيٌّ رسـولٌ فـانبـرى غـدِرُ
فقـال: تبّـاً أتـدعـونـا لتلفتنـا ... عن ديننا؟ ثمَّ قام القوم فاشتمروا
مَن ذا الذي قال منهم وهو أحدثهم ... سناً وخيرهم في الذكر إذ سطروا
آمنت بـالله قـد أعـطيت نـافلة ... لم يُعـطهـا أحـدٌ جنٌّ ولا بشـرُ
وإنَّ مـا قـلتَـه حـقٌّ؟! وإنَّـهـمُ ... إن لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسرَوا
ففـاز قـدمـاً بهـا والله أكـرمـه ... وكـان سبّاق غـايات إذا ابتـدروا

وقوله من قصيدة لم توجد بتمامها:

عليٌّ عليـه رُدَّت الـشمس مـرَّة ... بـطيبـة يـوم الـوحي بعـد مغيبِ
ورُدَّت لـه اخرى ببـابـل بعـدمـا ... عفت وتـدلّت عينهـا لغـروبِ
وقيل له: أنـذر عشيرتـك الأولى ... وهـم من شبـاب أربعين وشـيبِ
فقـال لهم: إنّي رسـولُ إليكمُ ... ولست أراني عنـدكم بكـذوبِ
وقـد جئتكم من عند ربّ مهيمن ... جـزيل العـطايا للجـزيل وهـوبِ
فـأيّكمُ يقفو مقـالي؟! فـأمسكـوا ... فقـال: ألا من نـاطقٍ فمجيبي؟!
ففـاز بهـا منهم عليٌّ وسـادهم ... ومـا ذاك من عـاداتـه بغـريبِ

حديث بدء الدعوة
في السنّة والتاريخ والأدب

أخرجه غير واحد من الأئمّة وحفّاظ الحديث من الفريقين في الصحاح والمسانيد ومرَّ عليه آخرون منهم ممّن يُعتدّ بقوله وتفكيره مخبتين به من دون أيِّ

---

(١) العس بضم العين: القدح أو الإناء الكبير ج عساس وأعساس.
(٢) الوذرة من اللحم: القطعة الصغيرة منه ج وذر ووذَر.

غمز في الإسناد أو توقّف في متنه. وتلقّاه المؤرِّخون من الامّة الإسلاميّة وغيرها بالقبول، وأُرسل في صحيفة التاريخ إرسال المسلّم، وجاء منظوماً في أسلاك الشعر والقريض وسيوافيك في شعر الناشي الصغير المتوفّى سنة ٣٦٥ وغيره.

لفظ الحديث

أخرج الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٦ عن ابن حميد قال: حدَّثنا سلمة قال: حدَّثني محمَّد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبدالله بن العبّاس عن عليّ بن أبي طالب قال: لَمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: وأنذر عشيرتك الأقربين[1] دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا عليّ! إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت انّي متى أُبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتُ عليه حتى جاء جبريل فقال: يا محمد! إنّك إلاّ تفعل ما تُؤمر به يُعذِّبك ربّك. فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسّاً من لبن ثمّ اجمع لي بني عبد المطلب حتّى أكلِّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به. ففعلت ما أمرني به ثمَّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الَّذي صنعت لهم فجئت به فلمّا وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصحفة ثمَّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلاّ موضع أيديهم، وأيم الله الّذي نفس عليّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم، ثمّ قال: إسق القوم. فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بَدرَه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقدماً سحركم صاحبكم. فتفرَّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ فقال في الغد: يا عليُّ! إنَّ هذا

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤.

الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمَّ اجمعهم إليَّ. قال: ففعلت ثمَّ جمعتهم ثمَّ دعاني بالطعام فقرَّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة ثمَّ قال: إسقهم. فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رُووا منه جميعاً ثمَّ تكلّم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنّي جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وانّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله! أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتُطيع.

وبهذا اللفظ أخرجه الإسكافي المتكلّم المعتزلي البغداديّ المتوفّى سنة ٢٤٠ في كتابه نقض العثمانيّة[1] وقال: إنّه رُوي في الخبر الصحيح. ورواه الفقيه برهان الدين[2] في [أنباء نجباء الأبناء] ص ٤٦ - ٤٨. وابن الأثير في «الكامل» ج ٢ ص ٢٤. وأبو الفدا عماد الدين الدمشقي في تاريخه ج ١ ص ١١٦. وشهاب الدين الخفاجي في «شرح الشفا» للقاضي عياض ج ٣ ص ٣٧ (وبتر آخره) وقال: ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح. والخازن علاء الدين البغدادي في تفسيره ص ٣٩٠. والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٢ نقلاً عن الطبري وفي ص ٣٩٧ عن الحفّاظ الستّة: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبي نعيم، والبيهقي، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٤. وذكره

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢) محمد بن محمد بن ظفر المكي المغربي المولود سنة ٤٩٧ والمتوفّى سنة ٥٦٧ / ٦٥.

المؤرِّخ جرجي زيدان في تاريخ التمدّن الإسلامي ج ١ ص ٣١، والاستاذ محمّد حسين هيكل في حياة محمَّد ص ١٠٤ من الطبعة الأولى.

ورجال السند كلّهم ثقاتٌ إلّا أبو مريم عبد الغفار بن القاسم فقد ضعَّفه القوم وليس ذلك إلّا لتشيّعه فقد أثنى عليه ابن عقدة وأطراه وبالغ في مدحه كما في (لسان الميزان) ج ٤ ص ٤٣، وأسند إليه وروى عنه الحفّاظ المذكورون وهم أساتذة الحديث، وأئمّة الأثر، والمراجع في الجرح والتعديل، والرفض والإحتجاج، ولم يقذف أحدٌ منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبي مريم في اسناده، واحتجّوا به في دلائل النبوّة والخصائص النبويّة.

وصحَّحه أبو جعفر الإسكافي وشهاب الدين الخفاجي كما سمعت وحكى السيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٦ تصحيح ابن جرير الطبري له. على أنّ الحديث ورد بسند آخر رجاله كلّهم ثقاتٌ كما يأتي، أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ١١١ بسند رجاله كلّهم من رجال الصحاح بلا كلام وهم: شريك، الأعمش، المنهال، عبّاد.

وليس من العجيب ما هملج به ابن تيميَّة من الحكم بوضع الحديث فهو ذلك المتعصِّب العنيد، وانَّ من عادته إنكار المسلّمات، ورفض الضروريّات، وتحكّماته معروفةٌ، وعرف منه المنقِّبون أنَّ مدار عدم صحَّة الحديث عنده هو تضمّنه فضائل العترة الطاهرة.

صورة اخرى:

جمع رسول الله ﷺ أو: دعا رسول الله ﷺ. بني عبد المطلب فيهم رهطٌ كلّهم يأكل الجذع ويشرب الفرق قال: فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتّى شبعوا قال: وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يُمسّ، ثمَّ دعا بغمر فشربوا حتّى رووا وبقي الشراب كأنّه لم يُمسّ. أو: لم يُشرب. ثمّ قال: يا بني عبد المطلب، إنّي بُعثت إليكم خاصَّة وإلى الناس عامّة وقد رأيتم من هذا الأمر ما رأيتم، فأيّكم يُبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟! فلم يقم إليه أحدٌ فقمتُ إليه

وكنتُ أصغر القوم قال: فقال: اجلس. قال: ثمّ قال ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس. حتّى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي.

أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ١٥٩ عن عفّان بن مسلم (الثّقة المترجم له ج ١ ص ١١٦) عن أبي عوانة (الثّقة المترجم له ج ١ص ١٠٧) عن عثمان بن المغيرة (الثّقة) عن أبي صادق (مسلم الكوفي الثّقة) عن ربيعة بن ناجذ (التابعيّ الكوفي الثّقة) عن عليٍّ أمير المؤمنين.

وبهذا السند والمتن أخرجه الطبري في تاريخه ج ١ ص ٢١٧، والحافظ النسائي في «الخصائص» ص ١٨، وصدر الحفّاظ الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ٨٩، وابن أبي الحديد في [شرح النهج] ج ٣ ص ٢٥٥، والحافظ السيوطي في [جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٨].

صورة ثالثة:

عن أمير المؤمنين قال: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. دعا بني عبد المطلب وصنع لهم طعاماً ليس بالكثير فقال: كلوا باسم الله من جوانبها فإنّ البركة تنزل من ذروتها. ووضع يده أوّلهم فأكلوا حتّى شبعوا ثمّ دعا بقدح فشرب أوّلهم ثمّ سقاهم فشربوا حتّى رووا، فقال أبو لهب: لَقدماً سَحرَكم. وقال: يا بني عبد المطلب إنّي جئتكم بما لم يجىء به أحدٌ قطُّ أدعوكم إلى شهادة أن لا إلّه إلّا الله وإلى الله وإلى كتابه. فنفروا وتفرّقوا مثل ذلك، ثمّ قال لهم ومدَّ يده: من بايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليّكم من بعدي؟! فمددت يدي وقلت: أنا أُبايعك، وأنا يومئذ أصغر القوم عظيم البطن فبايعني على ذلك. قال: وذلك الطعام أنا صنعته.

أخرجه الحافظ ابن مردويه بإسناده، ونقله عنه السيوطي في [جمع الجوامع] كما في الكنز ج ٦ ص ٤٠١.

صورة رابعة:

(بعد ذكر صدر الحديث) ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، إنّ

الله قد بعثني إلى الخلق كافّة وبعثني إليكم خاصّة، فقال: وأنذر عشيرتك الأقربين. وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان: شهادة أن لا إله إلّا الله. وأنّي رسول الله. فمن يُجيبني إلى هذا الأمر ويُوازرني يكن أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي. فلم يُجبه أحدٌ منهم، فقام عليٌّ وقال: أنا يا رسول الله! قال: اجلس. ثمّ أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا فقام عليٌّ وقال: أنا يا رسول الله! فقال: اجلس. ثمّ أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يُجبه أحدٌ منهم فقام عليٌّ فقال: أنا يا رسول الله! فقال: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي.

أخرجه الحافظان ابن أبي حاتم، والبغوي، ونقله عنهما ابن تيميّة في (منهاج السنّة) ج ٤ ص ٨٠، وعنه الحلبي في سيرته ج ١ ص ٣٠٤.

صورة خامسة:

مرّ ص ١١٨ في حديث قيس ومعاوية فيما رواه التابعيُّ الكبير أبو صادق الهلالي في كتابه عن قيس: فجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله جميع بني عبد المطلب فيهم: أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وخادمه عليٌّ عليه السلام ورسول الله في حجر عمّه أبي طالب فقال: أيّكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في امّتي وولي كلّ مؤمن من بعدي؟! فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال عليٌّ أنا يا رسول الله صلّى الله عليك فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهمّ املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثمّ قال لأبي طالب: يا أبا طالب! اسمع الآن لإبنك وأطع فقد جعله الله من نبيّه بمنزلة هارون من موسى.

صورة سادسة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى سنة ٤٢٧/ ٣٧، المترجم له ج ١ ص ١٤٣ في تفسيره (الكشف والبيان) عن الحسين بن محمّد بن الحسين قال:

حدّثنا موسى بن محمّد حدّثنا الحسن بن عليّ بن شُعيب[١] العمري حدَّثنا عباد بن يعقوب، حدَّثنا عليُّ بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العُسّ، فأمر عليّاً برجل شاة فأدمها ثمَّ قال: أُدنوا بسم الله. فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتّى صدروا ثمّ دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعةً ثمّ قال لهم: اشربوا باسم الله. فشربوا حتّى رووا فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سَحرَكم به الرجل. فسكت يومئذ ولم يتكلّم ثمَّ دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثمَّ أنذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب! إنّي أنا النذير إليكم من الله عزَّ وجلَّ والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثمَّ قال: مَن يؤاخيني ويوازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي يقضي ديني؟! فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كلّ ذلك يسكت القوم ويقول عليٌّ: أنا. فقال في المرّة الثالثة: أنت. فقام وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أُمّر عليك.

وبهذا السند والمتن أخرجه صدر الحفّاظ الكنجي الشافعي في الكفاية ص ٨٩، وجمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين» بتغيير يسير في لفظه.

صورة سابعة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبي في ـ الكشف والبيان ـ عن أبي رافع وفيه: ثمَّ قال إنّ الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم عشيرتي ورهطي، وإنَّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصيّاً وخليفة في أهله، فأيّكم يقوم فيبايعني على أنّه أخي ووزيري ووصيّي ويكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي؟! فسكت القوم فقال: ليقومنَّ قائمكم أو ليكوننّ

---

(١) في كفاية الكنجي: شبيب.

في غيركم ثمّ لتندمنّ. ثمّ أعاد الكلام ثلاث مرّات فقام عليّ فبايعه وأجابه ثمّ قال: أُدن منّي. فدنا منه ففتح فاه ومجّ في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبو لهب: فبئس ما حبوت به ابن عمك! إن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً. فقال ﷺ: ملأته حكمةً وعلماً.

وفي كتاب [الشهيد الخالد الحسين بن علي] تأليف الأستاذ حسن أحمد لطفي. قال في ص ٩: إنّ النبيّ على ما رواه كثيرون لَمّا جمع أعمامه واسرته لينذرهم قال لهم فأيّكم يُوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟! فأحجم الجميع إلّا عليّ وكان أصغرهم فقال: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ الرسول صلّى الله عليه وآله برقبته ثمّ قال: هذا وصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .

وفي (كتاب محمّد) تأليف توفيق الحكيم ص ٥٠: ما «أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه، فأيّكم يُوازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟!.

قريش: لا أحد، لا أحد.

أعرابيّ: نعم لا أحد يُوازرك على هذا حتّى ولا كلب الحيّ.

عليّ: أنا يا رسول الله عونك، أنا حربٌ على مَن حاربت .

وذكر الحديث الصحافيّ القدير عبد المسيح الأنطاكيّ المصريّ[1] في تعليقه على علويّته المباركة ص ٧٦ ولفظ الحديث فيه: فمن يُجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني على القيام به يكن أخي ووزيري وخليفتي من بعدي؟! فلم يُجبه أحدٌ من بني عبد المطلب إلّا عليّ وكان أحدثهم سنّاً فقال: أنا يا رسول الله!. فقال المصطفى: اجلس. ثمّ أعاد القول ثانياً فصمت القوم وأجاب عليّ: أنا يا

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأتي هناك ترجمته.

رسول الله. فقال المصطفى: اجلس. ثم أعاد القول ثالثاً فلم يكن في بني عبد المطلب مَن يُجيبه غير عليّ فقال: أنا يا رسول الله. حينئذ قال المصطفى عليه الصلاة والسّلام: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي. فمضى القوم. الخ. ونظم هذه الإثارة بقوله من قصيدته المذكورة:

وتلك بعثته الزهراء عليه صلا ... ة الله للخلق عربيها وعجميها
فصار يدعو إليها من توسّم فيـ ... ـه الخير سرّاً وخوف الشر يُخفيها
بذا ثلاثة أعوام قضى وله ... قد دان بعض قريش واهتدوا فيها
وبعدها جاءه جبريل يأمره ... بأن يجاهر بالإسلام مُجريها
وقال: فاصدع بأمر الله إنّك مبعـ ... ـوثٌ لتدعو إليه الناس تهديها
أنذر عشيرتك الدنيا بشرعتك الـ ... ـغرّا وأظهر لها أسنى معانيها
ومذ تبلّغ أمر الله همّ به ... بهمّة ما اعتدا الكفّار يثنيها
ولم يجد عضداً كي يستعين به ... على مجاهرةٍ قد كان خاشيها
إلّا العليّ فناداهُ وأخبره ... ببغيه حسب أمر الله باغيها
وقال هيّىء لنا في الحال مأدبة ... وليتقننَّ لها الألوان طاهيها
فرجل شاة على صاع الطعام واعـ ... ـساس لها اللبن النوقيُّ يمليها
وادع الهواشم باسمي كي أُشافهها ... بأمر ربِّيَ باريٍّ وباريها
قام العليّ بأمر المصطفى ودعا ... إلى وليمته أكرم بداعيها
أبناء هاشم هم كانوا عشيرته ... ولم يكن فيهمُ إلّا مُلبّيها
وعدُّهم كان عند الأربعين وهم ... رجالة العرب في إحصاء محصيها
هذي عشيرة طه بل قرابته الـ ... ـدُّنيا التي كان للاسلام راجيها
وإذ أتته تلقّاها على رحب ... ببشره وانثنى صفواً يُحيّيها
حتّى إذا ما استوى فيها المقام لها ... مدّ السماط وفيه ما يُشّهيها
فأقبلت ورسول الله يخدمها ... على الطعام ويعني كي يُهنّيها
حتّى إذا أكلت ذاك الطعام ومن ... ألبانه سُقيت والله كافيها
ظلّ الطعام كما قد كان وهو وأيـ ... ـم الله ما كان يكفي مُستجيعيها

وتلك معجزةٌ للمصطفى وبها قـام العليُّ وعنه نحن نـرويها
وثَمَّ ابتدر القوم الرَّسول بذكـ ـرى يُمن بعثته يبدي خوافيها
وإذ أبو لهب في الحال قاطعه وموَّه الحقَّ بالتضليـل تمويهـا
وقـال: يا نـاس طه جـاء يسحـركم بذا الطعام احذروا الإضلال والتيها
هي انهضــوا ودعـوه أن يغشَّ نفــو س الغير في هذه الـدعوى ويُصبيهـا
وهـكـــذا ارفضَّ ذاك الإجتـــماع وأنـفس الجمـــع داجـي الكـفـر غــاشيـهـا
وعاد طه إلى تكرار دعوته وكـان حيدرةُ المقـدام راعيها
حتّى إذا اجتمعت للأكل ثانية على الخوان انثنى طه يفاهيها
فقال: ما جاء قبلي قومه أحدٌ بمثلها جئت من نعماء أُسديها
لكم بها الخير في دنيا وآخرة إذا انضويتم إلى زاهي مغانيها
فمن يوازرني منكم فذاك أخي وذاك يُخلفني في رعي ناميها
فلم يجد من لبيب راح مقتنعاً بصـدق بعثته أو راح راضيهـا
وكلّمـا ازداد تبيانـاً لبعثتـه الـ زهـراء زادته تكـذيباً وتسفيهـا
وثَمَّ بـو لهب ناداه: ويلك لم يجيء فتى قومه ما جئتنا ايها
تبّت يـداه فإنَّ الجهـل توّهـه والكفر في دركات النار تتويها
وكـرَّر المصطفى أقـواله علنـاً وقـد تـوسَّـع إنـذاراً وتنبيهـــا
فمـا رأى غير ألبـاب مُحجَّـرة هيهات ليس يلين النصح قاسيها
وأنفساً عن كتاب الله معـرضةً والكفر قد كان والإشراك معميها
وأحجمت كلّها عن فيض رحمته مـع يُمن دعوتـه فالكـلُّ آبيها
إلّا العليّ فنـادى دونها: فـأنا نعماك يا هادي الأكوان باغيها
نادى: أن أجلس ثلاثاً وهو يعرض دعـ ـواهُ عـلى القـوم يبغي مُستجيبيهـا
حتى إذا بات مأيوساً ومنزعجاً من الهواشم مُعيٍ عن ترضّيها
عنها تولّى إلى حيث العليُّ منوٌ هاً به بين ذاك الجمع تنويهـا
وكان ماسكـه من طوق رقبتـه يقـول: هذا لهـا والله يحميها
وقال: هذا أخي ذا وارثي وخليـ ـفتي على أُمتّي يحمي مراعيها
وقال: فرضٌ عليكم حسن طاعته بعـدي وإمرتـه ويلٌ لعـاصيها

فارفضّ جمعهمُ والهزء آخذهم إلى الغواية في أدجى دياجيها
وهم يقولون: أحكام الغلام علـ ـيٍّ يا أبا طالب كن من مطيعيها
كذاك حيدرةٌ ماشى النبوّة مـذ نادى بها المصطفى لبّى مُناديها
وشارك المصطفى من يوم أن وضع الأ ســاس حتّى انتهت عليـا مبـانيهـا

كلمة الإسكافي حول الحديث
في كتابه النقض على العثمانيّة

قال بعد ذكر الحديث باللفظ المذكور ص ٣٢٣: فهل يكلّف عمل الطعام ودعاء القوم صغيرٌ غير مميِّز؟! وغرٌّ غير عاقل؟! وهل يُؤتمن على سرِّ النبوَّة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟!؟! وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلّاعاقلٌ لبيبٌ؟! وهل يضع رسول الله صلّى الله عليه وآله يده في يده ويُعطيه صفقة يمينه بالأُخوَّة والوصية والخلافة إلّا وهو أهلٌ لذلك ؟!؟! بالغ حدَّ التكليف، محتملٌ لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! ولم يلصق بأشكاله؟! ولم يُرَ مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدهم في طبقته، كبعضهم في معرفته، وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من سـاعاتـه؟! فيقال: وعاه بعض الصبا، وخاطر من خواطر الدنيا، وعملته الغرَّة والحداثة على حضور لهوهم، والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلّا مـاضياً على إسـلامه، مصمّماً في أمره، محقّقاً لقوله بفعله، قد صدَّق إسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله صلّى الله عليه وآله من بين جميع مَن بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته، وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه، لِما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لَمّا دعا رسول الله ﷺ الشجرة فأقبلت تخذ الأرض فقـالت قريش: سـاحرٌ خفيف السحـر. فقال عليٌّ عليـه السلام: يـا رسول الله! أنا أوَّل من يُؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدَّقتك فيما جئت به وأنا أشهد أنَّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوَّتك وبرهاناً على دعوتك.

فهل يكون إيمانٌ قطُّ أصح من هذا الإيمان؟! وأوثق عقـدة؟! وأحكم مرّة؟! ولكن حنق العثمانيَّة وغيظهم وعصبيَّة الجاحظ وانحرافه ممّا لا حيلة فيه.

جنايات على الحديث

منها: ما ارتكبه الطبري في تفسيره ج ١٩ ص ٧٤ فإنَّه بعد روايته له في تاريخه كما سمعت قلّب عليه ظهر المجنّ في تفسيره فأثبته برمَّته حرفيّاً متنـاً وإسناداً غير أنَّه أجمل القول فيما لهج به رسول الله صلّى الله عليه وآله في فضل مَن يُبادر إلى تلقي الدعوة بالقبول قال فقال: فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا؟! وقال في كلمته صلّى الله عليه وآلـه الأخيرة: ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي وكذا وكذا.

وتبعه على هذا التقلّب ابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ وفي تفسيره ج ٣ ص ٣٥١ فعل ابن كثير هذا وثقل عليه ذكر الكلمتين وبين يديه تاريخ الطبري وهو مصدره الوحيد في تاريخه وقد فصّل فيه الحديث تفصيلاً لأنَّه لا يروق إثبات النصّ لأمير المؤمنين بالوصيَّة والخلافة الدينيّة، والدلالة عليـه والإشارة إليه. وهل هذه الغاية مقصد الطبري حينما حرَّف الكلم عن مواضعه في التفسير بعد ما جاء به صحيحاً في التاريخ على حين غفلة عنها؟! أنا لا أدري، لكن الطبري يدري. وأحسبك أيّها القارىء جِدَّ عليم بذلك.

ومنها: خزاية فاضحة تحمَّلها محمَّد حسين هيكل حيث أثبت الحديث كما أوعزنا إليه في الطبعة الأولى من كتابه ـ حياة محمَّد ـ ص ١٠٤ بهذا اللفظ:

نزل الوحي: أن أنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين. وقل إنّي أنا النذير المبين. فاصدع بما تُؤمر وأعرض عن المشركين، ودعا محمَّد عشيرته إلى طعام في بيته وحاول أن يُحدثهم داعياً إياهم إلى الله. فقطع عمه أبو لهب حديثه. واستنفر القوم ليقوموا. ودعاهم محمَّد في الغداة كرَّة اخرى. فلمّا طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه فأيّكم

يُوازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟! فأعرضوا عنه وهمّوا بتركه لكن عليّاً نهض وما يزال صبيّاً دون الحلم وقال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت. فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثمَّ انصرفوا مستهزئين. اهـ.

فإنّه أسقط من الحديث أوّلاً ما فرّع به رسول الله ﷺ كلامه من قولـه لعليّ: فأنت أخي ووصيّي ووارثي. ثمَّ نسب إلى أمير المؤمنين ثانياً أنَّه قال: أنا يا رسول الله عونك أنا حربٌ على من حاربت. ليته دلّنا على مصدر هذه النسبة في لفظ أيِّ محدِّث أو مؤرِّخ من السلف؟! ووراءه أن يحكم في الحضور في تلك الحفلة بتبسّم بني هاشم وقهقهة بعضهم ولم نجد لهذا التفصيل مصدراً يعوَّل عليه.

ومهما لم يجد (هيكل) وراءه من يأخذه بمقاله، ولم ير هناك من يُناقشه الحساب في تقوُّلاته وتصرُّفاته أسقط منه ما يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩، ولعلَّ السرَّ فيه لفتة منه إلى غاية ابن كثير وأمثاله بعد النشر، أو أنَّ اللغط والصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئي العترة الطاهرة، فأخذته أمواج اللوم والعتب حتّى اضطرته إلى الحذف والتحريف. أو أنَّ العادة المطّردة في جملة من المطابع عاثت في الكتاب فغضَّ عنها الطرف صاحبه لإشتراكه معها في المبدء أو عجزه عن دفعها. وعلى أيٍّ فحيَّ الله الشعور الحيَّ، والأمانة الموصوفة، والحقُّ المضاع المأسوف عليه.

أسفي على بُسطاء الامَّة الإسلاميَّة واعتنائهم بمثل هذه الكتب المشحونة بزخرف القول وأباطيل الكلم المموَّهة وقد جاءت بذات الرعد والصليل[1] وسيل بالامَّة وهي لا تدري[2]. ثمَّ أسفي على مصر وحملة علمها المتدفّق، وعلى تآليفها القيِّمة، وكتّابها النزهاء، فإنّها راحت ضحيَّة تلكم الشهوات والميول،

---

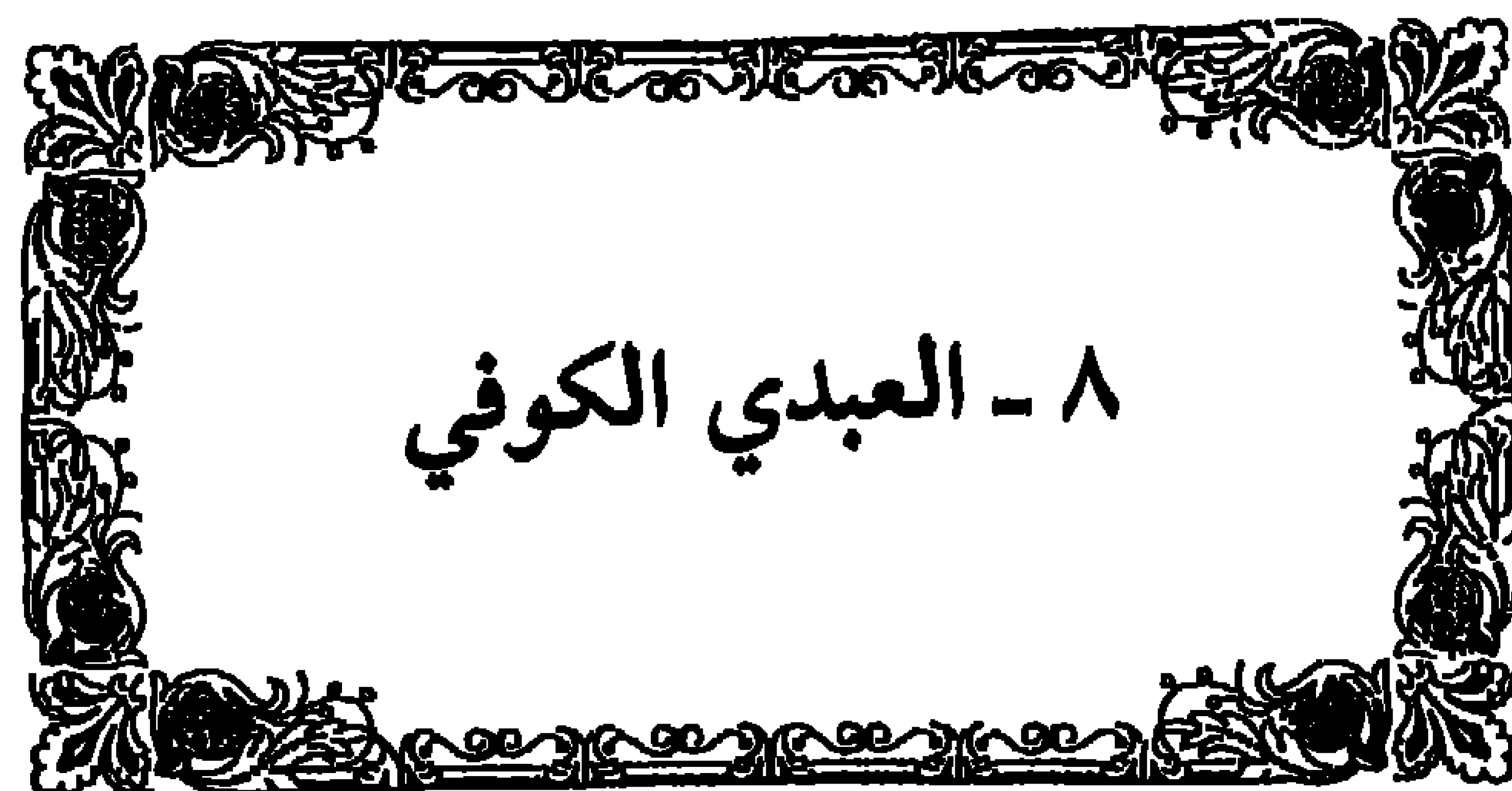
(١) مثل يضرب لمن جاء بشر وعر.
(٢) مثل يضرب للساعي الغافل.

ضحيّة تلكم النفوس الخائرة، ضحيّة تلكم الكفريّات المبيدة للمجتمع، ضحيّة تلكم الأقـلام المستأجـرة وقد اتخـذت الباطـل دغـلاً، وشغـرت لهـا الـدنيـا برجلها[1].

﴿قُل هَلْ نُنبِّئُكم بالأخسرين أعمالاً الَّذينَ ضلَّ سعيُهمْ في الحيَاةِ الدُّنيا وهُمْ يَحسَبُونَ أنَّهم يحسنُونَ صُنعاً﴾. [سورة الكهف: الآية ١٠٣].

---

(١) مثل يضرب لمن ساعدته الدنيا فنال منها حظه.



٨ ـ العبدي الكوفي

هل في سؤالك رسم المنزل الخربِ برءٌ لقلبك من داء الهوى الوصبِ؟!
أم حـرّه يـوم وشـك البين يبـرده ما استحدثته النوى من دمعك السربِ
هيهـات أن ينفد الـوجد المثير لـه نـأي الخليط الـذي ولّى ولم يؤبِ
يا رائد الحيّ حسب الحيّ ما ضمنت لـه المـدامـع من مـاء ومن عشبِ
ما خلت من قبل أن خالت نوى قذف إنّ العيون لهم أهمى[1] من السحبِ
بانوا فكم أطلقـوا دمعاً وكم أسـروا لبّاً وكم قـطعـوا لِلوصـل من سببِ
من غـادرٍ لم أكن يـومـاً أسرٌ لـه غدراً وما الغدر من شأن الفتى العربي
وحـافظ العهد يُبـدي صفحتي فرح للكـاشحين[2] ويُخفي وجد مكتئبِ
بـانـوا قبـابـاً وأحبـابـاً تصـونهم عن النـواظـر أطـراف القنـا السلب
وخلّفـوا عـاشقـاً مُلقىً رمى خلساً بـطرفه خـدر من يهـوي فلم يصبِ
لهفي لما استودعت تلك القباب وما حجبن من قضب عـنّـا ومن كـثبِ
من كلّ هيفاء أعـطاف هضيم حشاً لعسـاء[3] مُـرتشف غـرّاء مُنتقبِ
كـأنّمـا ثغـرهـا وهنـا وريقتهـا ما ضمّت الكاس من راح ومن حببِ
وفي الخـدور بـدورٌ لـو بـرزن لنـا بـرّدن كـلّ حشـا بـالـوجـد مُلتهبِ

---

(١) همى يهمي همياً: سال. العين: صبت دمعتها.
(٢) كاشح فلاناً كشاحاً ومكاشحة وكشح له كشحاً: عاداه.
(٣) لعس: سواد مستحسن في الشفة.

وفي حشـاي غليـلٌ بـات يضـرمـه ... شوقٌ إلى برد ذاك الظلم والشنبِ[١]
يا راقد اللوعة اهبب[٢] من كراك فقد ... بـان الخليط ويا مُضنى الغـرام ثُبِ
أمـا وعصـر هـوى دبَّ العـزاء لـه ... ريب المنـون وغـالتـه يـد النُـوب
لأشـرقنَّ[٣] بـدمعي إن نـأت بهمُ ... دارٌ ولم أقض ما في النفس من إربِ
ليس العجيب بـأن لم يبق لي جلدٌ ... لكن بقـائي وقد بـانـوا من العجبِ
شبت ابن عشرين عاماً والفراق لـه ... سهمٌ متى ما يصب شمل الفتى يشبِ
مـا هزَّ عـطفي من شوق إلى وطني ... ولا اعتـراني من وجـدٍ ومن طـربِ
مثـل اشتيـاقي من بُعـدٍ ومُنتـزح ... إلى الغـريِّ ومـا فيـه من الحسبِ
أزكى ثرى ضمَّ أزكى العالمين فـذا ... خيـر الرجـال وهذا أشـرف التـربِ
إن كان عن ناظري بالغيب محتجباً ... فـإنّـه عن ضميـري غيـر محتجبِ

إلى أن يقول:

يـا راكباً جسـرةً تطوي مناسمها ... مـلاءة البيد بالتقريب والجنب[٤]
تُقيّـد المغزل الأدمـاء في صعـد ... وتطلح الكاسر الفتخاء في صببِ[٥]
تثني الـريـاح إذا مـرَّت بغـايتهـا ... حسرى الطلائح بالغيطان والخربِ
بلّغ سـلامي قبراً بـالغريِّ حـوى ... أوفى البريَّة من عُجم ومن عربِ
واجعـل شعارك لله الخشـوع بـه ... ونـاد خيـر وصيٍّ صنـو خيـر نبي
اسمع أبا حسن إنَّ الأولى عدلوا ... عن حكمك انقلبوا عن شرِّ مُنقلبِ
ما بالهم نكبوا نهج النجاة؟! وقد ... وضحته واقتفوا نهجاً من العطبِ[٦]

---

(١) الظلم بالفتح: ماء الأسنان وبريقها. الشنب: بياض الأسنان وحسنها.
(٢) أهبه من نومه: أيقظه.
(٣) أشرقه بريقه: أي أغصه ومنعه التنفس.
(٤) جنبه جنْبا جنَباً: أبعده ونحاه.
(٥) المغزل: من أغزلت الظبية إذا ولدت الغزال. الأدم من الظباء بيضاً تعلوهن طرائق فيهن غبرة. طلح: أتعب وأعيى. الكاسر: العقاب. الفتخاء: اللينة الجناح. الصبب: ما انحدر من الأرض.
(٦) العطب: الهلاك.

ودافعوك عن الأمر الذي اعتقلت ... زمامه من قريش كفُّ مُغتصبِ
ظلّت تُجاذبها حتّى لقد خرمت ... خشاشها تربت من كفٍّ مُجتذبِ(١)
وكان بالأمس منها المُستقيل فلِم ... أرادها اليوم لو لم يأت بالكذبِ؟!
وأنت توسعه صبواً على مضض ... والحلم أحسن ما يأتي مع الغضبِ
حتّى إذا الموت ناداهُ فأسمعه ... والموت داع متى يدع امرءاً يُجبِ
حبا بها آخراً فاعتاض محتقباً(٢) ... منه بأفضع محمول ومحتقبِ
وكان أوّل من أوصى ببيعته ... لك النبيُّ ولكن حال من كثبِ
حتّى إذا ثالثٌ منهم تقمّصها ... وقد تبدّل منها الجدُّ باللعبِ
عادت كما بُدأت شوهاء جاهلة ... تجرٌّ فيها ذئابٌ اكلة الغلبِ
وكان عنها لهم في «خمّ» مزدجرٌ ... لَمّا رقى أحمد الهادي على قتَبِ
وقال والناس من دانٍ إليه ومن ... ثاوٍ لديه ومن مُصغٍ ومُرتقبِ
قم يا عليٌّ فإنّي قد أُمرت بأن ... أُبلّغ الناس والتبليغ أجدر بي
إنّي نصبت عليّاً هادياً علماً ... بعدي وإنّ عليّاً خير منتصبِ
فبايعوك وكلٌّ باسطٌ يده ... إليك من فوق قلب عنك منقلبِ
عافوك لا مانعٌ طولاً ولا حصرٌ ... قولاً ولا لهجٌ بالغشِّ والرِّيبِ
وكنت قطب رحى الإسلام دونهم ... ولا تدور رحىً إلاّ على قطبِ
ولا تُماثلهم في الفضل مرتبة ... ولا تشابههم في البيت والنسبِ
إن تَلحظ القرن والعسال في يده ... يظلّ مضطرباً في كفّ مضطربِ
وإن هززت قناةً ظلت توردها ... وريد ممتنع في الرّوع مُجتنبِ
ولا تسلّ حساماً يوم ملحمة ... إلاّ وتحجبه في رأس مُحتجبِ
كيوم خيبر إذ لم يمتنع زفرٌ ... عن اليهود بغير الفرِّ والهربِ
فأغضب المصطفى إذ جرَّ رايته ... على الثرى ناكصاً يهوي على العقبِ
فقال: إنّي سأُعطيها غداً لفتىً ... يحبّه الله والمبعوث منتجبِ

(١) خرم الخرزة: شق وترة الأنف. الخشاشة: عود يجعل في أنف الجمل.
(٢) اعتاض: أخذ بدلاً وخلفاً. احتقب: أركبه وراءه.

حتّى غدوت بها جـذلان تحملها تلقاء أرعن من جمع العدى لجبِ[١]
جمّ الصلادم والبيض الصوارم وا لزرق اللهاذم والماذيّ واليلبِ[٢]
فـالأرض من لاحقيّات مـطهّمـة والمستظلّ مثار القسطل الهدبِ
وعـارض الجيش من نقع بـوارقه لمـع الأسنّة والهنـديّـة القضبِ
أقدمت تضرب صبراً تحته فغـدا يصوب مزناً ولو أحجمت لمن يصبِ
غادرت فرسـانه من هـاربٍ فَرق أومُقعص[٣] بدم الأوداج مُختضبِ
لك المناقب يعيى الحاسبون بها عـدّاً ويعجـز عنهـا كـلّ مُكتتبِ
كرجعة الشمس إذ رمت الصّلاة وقد راحت توارى عن الأبصار بالحجبِ
رُدّت عليك كأنّ الشهب ما اتّضحت لنـاظـرٍ وكـأنّ الشمس لم تغبِ
وفي بـراءة أنبـاء عـجـائبهـا لم تطو عن نازحٍ يـوماً ومُقتـربِ
وليلة الغـار لَمّـا بتّ ممتلئاً أمنـاً وغيـرك مـلآنٌ من الـرعبِ
ما أنت إلاّ أخو الهادي وناصـره ومظهر الحقّ والمنعوت في الكتبِ
وزوج بضعته الزّهـراء يكنفها[٤] دون الـورى وأبو أبنـائـه النّجبِ
من كـلّ مجتهد في الله مُعتضـد بـالله مُـعـتـقـد لله مُـحـتـسـب
هادين للرشد إن ليل الضلال دجا كانوا لطارقهم أهدى من الشّهبِ
لُقّبتُ بـالـرفض لَمّـا إن منحتهمُ وُدّي وأحسن مـا أُدعى بـه لقبي
صلاة ذي العرش تترى كلّ آونة على ابن فاطمة الكشّاف لِلكربِ
وأبنيه من هالـك بالسمّ مُختـرمٍ ومن مُعفّـر خدٌّ في الثـرى تَـربِ
والعـابد الـزاهـد السجّـاد يتبعـه وبـاقر العلم داني غـايـة الـطلبِ
وجعفـر وابنـه مـوسى ويتبعـه الـ ـبرُّ الرِّضا والجواد العابد الـدئبِ

(١) جذل وجذلان: فرح وفرحان. أرعن: أحمق. جيش لجب: ذو كثرة وجلبة.
(٢) الصلادم ج الصلدم: الصلب. الأسد.الزرق: يكنى به عن الأسنة والنصال لما في لونها من الزرقة. اللهاذم ج اللهذم: الحاد القاطع. الماذي: كـل سلاح من الحـديد. اليلب. الفـولاذ وخالص الحديد.
(٣) قعصه وأقعصه: قتله مكانه.
(٤) كنف الشيء. صانه وحفظه وحاطه وضمه إليه.

والعسكريين والمهديّ قائمهم ذو الأمر لابس أثواب الهدى القشبِ
مَن يملأ الأرض عدلاً بعدما مُلأت جوراً ويقمع أهل الزيغ والشغبِ
القائد البهم الشوس الكماة إلى حرب الطغاة على قبِّ الكلا الشزبِ[1]
أهل الهدى لا أُناس باع بائعهم دين المهيمن بالدنيا وبالرُّتبِ
لو أنّ أضغانهم في النّار كامنةٌ لأغنت النّار عن مُذك ومُحتطبِ
يا صاحب الكوثر الرقراق زاخرة ذود النواصب عن سلساله العذبِ
قارعتُ منهم كماةً في هواك بما جرَّدتُ من خاطر أو مقول ذربِ
حتّى لقد وسمت كلماً جباههمُ خواطري بمضاء الشعر والخطبِ
صحبت حبّك والتقوى وقد كثرت ليّ الصحاب فكانا خير مصطحبِ
فاستجلِ من خاطر العبديّ آنسةً طابت ولو جاوزتك اليوم لم تطبِ
جاءت تُمايل في ثوبي حياً وهدىً إليك حالية بالفضل والأدبِ
أتعبتُ نفسي في مدحيك عارفةً بأنّ راحتها في ذلك التّعبِ

وذكر ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ص ١٨١ ط إيران للعبديّ قوله:

ما لعليٍّ سوى أخيه محمّد في الورى نظير
فداه إذ أقبلت قريشٌ عليه في فرشه الأميرُ
وافاه في خمّ وارتضاه خليفة بعده وزيرُ

الشاعر

أبو محمّد سفيان بن مصعب العبديّ الكوفيّ. من شعراء أهل البيت الطاهر المتزلّفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيّته وانقطاعه إليهم؛ وقد ضمن شعره غير يسير من مناقب مولانا أمير المؤمنين الشهيرة، وأكثر من مدحه ومدح ذريّته الأطيبين وأطاب. وتفجّع على مصائبهم ورثاهم على ما انتابهم من المحن، ولم نجد في غير آل الله له شعراً.

(١) البهم ج البهمة: الشجاع. الشوس: الشديد الجريء في القتال. القب: القطع.

استنشده الإمام الصَّادق صلوات الله عليه شعره كما في رواية ثقة الإسلام الكليني في «روضة الكافي» بإسناده عن أبي داود المسترق عنه قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السَّلام فقال: قولوا لامٌ فروة: تجيء فتسمع ما صُنع بجدّها. قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثمَّ قال: فأنشدنا. قال: فقلت:

فرو جودي بدمعكِ المسكوب . . . . . .

قال: فصاحت وصحن النساء فقال أبو عبدالله عليه السلام: الباب. فاجتمع أهل المدينة على الباب قال: فبعث إليهم أبو عبدالله: صبيٌّ لنا غُشي عليه فصحن النساء. واستنشد شعره الإمام أبا عمارة المنشد كما في «الكامل لإبن قولويه» ص ١٠٥ بإسناده عن أبي عمارة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا عمارة! أنشدني للعبديٍّ في الحسين عليه السلام قال: فأنشدته فبكى ثمَّ أنشدته فبكى ثمَّ أنشدته فبكى. قال: فوالله ما زلت أُنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدّار. الحديث.

عدَّه شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الإمام الصّادق ولم يك صحبته مجرَّد أُلفة معه، أو محض اختلاف إليه، أو أنَّ عصراً واحداً يجمعهما لكنّه حظي بزلفة عنده منبعثة عن صميم الودّ وخالص الولاء، وإيمان لا يشوبه أيُّ شائبة حتّى أمر الإمام عليه السلام شيعته بتعليم شعره أولادهم وقال: إنَّه على دين الله. كما رواه الكشي في رجاله ص ٢٥٤ بإسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السَّلام: يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبديِّ فإنَّه على دين الله.

وينمُّ عن صدق لهجته، واستقامة طريقته في شعره، وسلامة معانيه عن أيِّ مغمز، أمر الإمام عليه السَّلام إيّاه بنظم ما تنوح به النساء في المأتم كما رواه الكشي في رجاله ص ٢٥٤.

وكان يأخذ الحديث عن الصّادق عليه السَّلام في مناقب العترة الطاهرة فينظمه في الحال ثمَّ يعرضه عليه كما رواه ابن عيّاش في «مقتضب الأثر» عن

أحمد بن زياد الهمداني قال: حدَّثني عليٌّ بن إبراهيم بن هاشم قال: حدَّثني أبي عن الحسن بن عليّ سجاده عن أبان بن عمر ختن آل ميثم قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السَّلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي قال: جعلني الله فداك ما تقول في قوله تعالى ذكره﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾[1] قال: هم الأوصياء من آل محمَّد الإثني عشر لا يعرف الله إلاّ من عرفهم وعرفوه. قال: فما الأعراف جعلت فداك؟! قال: كثائب من مسك عليها رسول الله والأوصياء يعرفون كلاً بسيماهم. فقال سفيان: أفلا أقول في ذلك شيئاً؟! فقال من قصيدة:

أيا ربعهم هل فيك لي اليوم مربعُ؟!   وهل لليالٍ كنَّ لي فيك مرجعُ؟!

يقول فيها:

وأنتم وُلاة الحشر والنشر والجزاء   وأنتم ليوم المفزع الهول مفزعُ
وأنتم على الأعراف وهي كثائبٌ   من المسك ريّاها بكم يتضوَّعُ
ثمانيةٌ بالعرش إذ يحملونهُ   ومن بعدهم في الأرض هادون أربعُ

والقارىء إذا ضمَّ بعض ما ذكرنا من حديث المترجم له إلى الآخر يقف على رتبة عظيمة له من الدين تقصر دون شأوها الوصف بالثقة، ويُشاهد له في طيّات الحديث والتّاريخ حسن حال وصحّة مذهب تفوق شؤون الحسان، فلا مجال للتوقّف في ثقته كما فعله العلاّمة الحلّي، ولا لعدِّه من الحسان كما فعله غيره، ولا يبقى لنسبته إلى الطيّارة [أي الغلوّ والإرتفاع في المذهب] وزنٌ كما رآه أبو عمروالكشي في شعره، ولم نجد في شعره البالغ إلينا إلاّ المذهب الصحيح، والولاء المحض لعترة الوحي، والتشيّع الخالص عن كلِّ شائبة سوء.

ويزيدك ثقةً به واعتماداً عليه رواية مثل أبي داود المنشد سليمان بن سفيان المسترق المتسالم على ثقته عنه، وأبو داود هو شيخ الأثبات الأجلّة نظراء

---

(١) سورة الأعراف: آية ٤٦.

الحسن بن محبوب، ومحمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، وعليّ بن الحسن بن فضّال.

كما أنَّ إفراد مثل الحسين بن محمّد بن عليّ الأزدي الكوفي المجمع على ثقته وجلالته تأليفاً في أخبار المترجم له وشعره كما عدّه النجاشي في فهرسته ص ٤٩ من كتبه يُؤذن بموقفه الشامخ عند أعاظم المذهب، ويُنبىء عن إكبارهم محلّه من العلم والدين.

نبوغه في الأدب والحديث:

إنَّ الواقف على شعر شاعرنا (العبديّ) وما فيه من الجودة، والجزالة، والسهولة، والعذوبة، والفخامة، والحلاوة، والمتانة. يشهد بنبوغه في الشعر، وتضلّعه في فنونه، ويعترف له بالتقدم والبروز، ويرى ثناء الحميري سيّد الشعراء عليه بأنّه «أشعر الناس» من أهله في محلّه، روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٢ عن أبي داود المسترق سليمان بن سفيان: أنَّ السيِّد والعبديّ اجتمعا فأنشد السيِّد:

إنّي أدني بما دان الوصيُّ به ... يوم الخريبة[1] من قتل المحلّينا
وبالذي دان يوم النهراوان به ... وشاركت كفّه كفّي بصفّينا

فقال له العبدي: أخطأت، لو شاركت كفّك كفّه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفّه كفّي، لتكون تابعاً لا شريكاً. فكان السيِّد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلّا العبدي.

والمتأمّل في شعره يرى موقفه العظيم في مقدّمي رجال الحديث، ومكثري حملته ويجده في الرعيل الأوّل من جامعي شتاته، وناظمي شوارده، ورُواة نوادره، وناشري طُرفه، ويشهد له بكثرة الدّراية والرّواية، ويُشاهد همّته

(١) الخريبة: موضع بالبصرة كانت به واقعة الجمل.

العالية، وولعه الشديد في بثّ الأخبار المأثورة في آل بيت العصمة صلوات الله عليهم، وستقف على ذلك كلّه في ذكر نماذج شعره.

ولادته ووفاته:

لم نقف على تأريخي ولادة المترجم له ووفاته ولم نعثر على ما يقرّبنا إليهما إلّا ما سمعت من روايته عن الإمام جعفر بن محمّد عليه السّلام واجتماعه مع السيّد الحميري المولود سنة ١٠٥ والمتوفّى سنة ١٧٨ ومع أبي داود المسترق، وملاحظة تاريخي ولادة أبي داود المسترق الراوي عنه ووفاته يُؤذننا بحياة شاعرنا العبديّ إلى حدود سنة وفاة الحميري فإنّ أبا داود تُوفي سنة ٢٣١ كما في فهرست النجاشي أو في سنة ٢٣٠ كما في رجال الكشي[1] وعاش سبعين سنة كما ذكره الكشي، فيكون ولادة أبي داود سنة ١٦١ على قول النجاشي و١٦٠ على اختيار الكشي، وبطبع الحال كان له من عمره حين روايته عن المترجم أقلّ ما تستدعيه الرِّواية، فيستدعي بقاء المترجم أقلاً إلى أواخر أيّام الحميري، فما في أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٠ من كون وفاة المترجم في حدود سنة ١٢٠ قبل ولادة الراوي عنه أبي داود المسترق بأربعين سنة خالٍ عن كلّ تحقيق وتقريب.

ومن نماذج شعره:

إنّا روينا في الحديث خبراً	يعرفه سائر من كان روى
إنّ ابن خطاب أتاه رجلٌ	فقال: كم عدّة تطليق الإما؟!
فقال: يا حيدر كم تطليقة	للأمة؟ اذكره فأومى المرتضى
بإصبعيه فثنى الوجه إلى	سائله قال: اثنتان وانثنى
قال له: تعرف هذا؟ قال: لا	قال له: هذا عليٌّ ذو العلا

(١) ما في نسخ الكشي من ذكر تاريخ وفاة أبي داود برقم ١٣٠ تصحيف ٢٣٠، ويشهد بالتصحيف رواية طبقة أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام عنه، وكذلك رواية الحسن بن محبوب المولود سنة ١٤٩ والمتوفّى سنة ٢٢٤، ورواية محمد بن الحسين بن أبي الخطاب المتوفّى سنة ٢٦٢.

وقـد روى عكـرمـةٌ في خبـر مـا شكٌ فيـه أحدٌ ولا امتـرى
مـرَّ ابن عبّاس على قـوم وقد سبّـوا عليّـاً فـاستـراع وبكـا
وقـال مغتـاظـاً لهم: أيّكمُ سبَّ إلٓه الخلق جلَّ وعـلا؟!
قـالـوا: معـاذ الله قـال: أيّكمْ سبَّ رسول الله ظلماً واجترا؟!
قـالـوا: معـاذ الله قـال: أيّكمْ سبَّ عليّاً خير من وطىء الحصا؟!
قالوا: نعم قد كان ذا فقال: قد سمعت والله النبيَّ المجـتبـا
يقـول: من سبَّ عليّاً سبَّني وسبَّتي سبُّ الإلٓـه واكـتفـا
مـحـمَّـدٌ وصـنـوه وابـنـتـه وابنيه خير من تحفّى واحتـذا
صلّى عليهم ربّنا باري الورى ومنشىء الخلق على وجه الثرى
صفـاهم الله تعـالى وارتضى واختـارهم من الأنـام واجتبى
لـولاهمُ الله مـا رفـع السمـا ولا دحى الأرض ولا أنشأ الورى
لا يقبل الله لعبدٍ عملاً حتى يُواليهم بإخلاص الولا
ولا يـتـمُّ لامرىءٍ صـلاتـه إلّا بذكراهم ولا يـزكو الـدُّعا
لو لم يكونوا خير من وطىء الحصا ما قال جبريل بهم تحت العبا
هل أنا منكم؟! شرفاً ثمَّ علا يُفاخر الأملاك إذ قالـوا: بلى
لـو أنَّ عبـداً لقي الله بـأعمـ ـال جميـع الخلق بـرّاً وتُقى
ولم يكن والى عليّـاً حبطت أعمـالـه وكبَّ في نـار لـظى
وإنَّ جبـريـل الأمين قـال لي عن ملكيـه الكـاتبين مذ دنا
إنَّهمـا مـا كتبـوا قطُّ على الـ ـطّهـر عليّ زلّـةً ولا خـنـا

بيان ما حوته الأبيات من الحديث
ممّا أخرجه أعلام العامّة

قوله:

إنّـا روينا في الحـديث خبـراً يعـرفـه سائر من كـان روى

أخرج الحافظ الدارقطني وابن عساكر: إنّ رجلين أتيا عمر بن الخطاب

وسألاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجلٌ أصلعُ فقال: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة؟! فرفع رأسه إليه ثمَّ أومى إليه بالسبّابة والوسطى، فقال لهما عمر: تطليقتان. فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومى إليك. فقال لهما: تدريان من هذا؟! قالا: لا. قال: هذا عليُّ بن أبي طالب أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: إنَّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعا في كفّة ثمَّ وضع إيمان عليّ في كفّة لرجح إيمان عليٍّ بن أبي طالب.

وفي لفظ الزمخشري: جئناك وأنت الخليفة فسألناك عن طلاق فجئت إلى رجل فسألته، فوالله ما كلّمتك. فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ الحديث.

ونقله عن الحافظين الدارقطني وابن عساكر: الكنجي في الكفاية ص ١٢٩ وقال: هذا حسنٌ ثابتٌ. ورواه من طريق الزمخشري خطيب الحرمين الخوارزمي في المناقب ص ٧٨، والسيِّد علي الهمداني في مودَّة القربى. وحديث الميزان رواه عن عمر محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ١ ص ٢٤٤، والصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٠.

قوله:

وقد روى عكرمةٌ في خبر ما شكَّ فيه أحدٌ ولا امترا

أخرج أبو عبدالله الملاّ في سيرته عن ابن عبّاس: إنّه مرَّ بعد ما كفَّ بصره على قوم يسبّون عليّاً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟! قال: سبّوا عليّاً. قال: رُدّني إليهم. فردَّه فقال: أيّكم السابُّ لله عزَّ وجلَّ؟! قالوا: سبحان الله من سبَّ الله فقد أشرك. قال: فأيّكم السابّ لرسول الله؟! قالوا: سبحان الله ومن سبَّ رسول الله فقد كفر. قال: أيّكم السابُّ عليَّ بن أبي طالب؟! قالوا: أمّا هذا فقد كان. قال: فأنا أُشهد بالله وأشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من

سبَّ عليّاً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله عزَّ وجلَّ ومَن سبَّ الله كبَّه الله على منخريه في النّار. ثمّ ولّى عنهم فقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟! قال: ما قالوا شيئاً. قال: فكيف رأيت وجوههم إذ قلت ما قلت؟! قال:

نـظروا إليـك بـأعين محمَّرة نظر التيوس إلى شفار الجازرِ

قال: زدني فداك أبوك. قال:

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهرِ

قال: زدني فداك أبوك. قال: ما عندي غير هذا قال: لكن عندي:

أحيـاؤهم عـارٌ على أمـواتهم والميِّتـون فضيحةٌ للغـابـرِ

وأخرجه محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ١ ص ١٦٦، والكنجي في «الكفاية» ص ٢٧، وشيخ الإسلام الحمويي في «الفرائد» في الباب السادس والخسين، وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ص ١٢٦.

قوله:

مـحـمَّـدٌ وصـنـوه وابـنـتـه وابنيـه خيـر من تحفّى واحتـذا

عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟! قال: لا يا آدم! قال: فمَن هؤلاء الخمسة الأشباح الّذين أراهم في هيئتي وصورتي؟! قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهمُ ما خلقتك، هؤلاء خمسةٌ شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنّة والنار، ولا العرش ولا الكرسيّ، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين. آليت بعزّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخله ناري، ولا أُبالي يا آدم! هؤلاء صفوتي

بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسَّل. فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة، فليسأل بنا أهل البيت.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّويي في الباب الأوّل من «فرائد السمطين» وروى قريباً منه الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥٢. وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥١ عن أبي ذرّ وصحّحه بلفظ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق. وأخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٩١ عن أنس. والبزّار عن ابن عبّاس، وابن الزبير. وابن جرير، والطبراني عن أبي ذرّ وأبي سعيد الخدري. وأبو نعيم، وابن عبد البّر، ومحبّ الدين الطبري، وكثيرون آخرون. وأشار إليه الإمام الشافعيّ بقوله المأثور عنه في «رشفة الصادي» ص ٢٤:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغيِّ والجهلِ
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسلِ
وأمسكت حبل الله وهو ولائهم كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبلِ [1]

قوله:

لا يقبل الله لعبد عملاً حتى يُواليهم بإخلاص الولا

عن ابن عبّاس في حديث عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله: لو أنَّ رجلاً صفن[2] بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمَّ لقي الله وهو مُبغضٌ لأهل بيت محمَّد دخل النار. أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٩ وصحّحه، والذهبي في تلخيصه.

وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي ليلى عن الإمام السبط الشهيد

---

(١) يأتي شرح هذا البيت الأخير في محله إن شاء الله تعالى.

(٢) صفن الرجل: صف بين قدميه.

عن جدّه رسول الله ﷺ أنّه قال: الزموا مودّتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والّذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا. وذكره الهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٧٢، وابن حجر في «الصواعق»، ومحمّد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت» ج ١ ص ٨. والنبهاني في «الشرف المؤبّد» ص ٩٦ والحضرمي في «رشفة الصادي» ص ٤٣.

وأخرج الحافظ السمّان في أماليه بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو أنّ عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة وهو عمر الدنيا ثمّ أتى الله عزّ وجلّ يبغض عليّ بن أبي طالب جاحداً لحقّه ناكثاً لولايته لأتعس الله خيره وجدع أنفه. وذكره القرشي في شمس الأخبار ص ٤٠.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب» ص ٣٩ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ: يا عليّ! لو أنّ عبداًعبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يُوالك ،يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها.

عن أمّ سلمة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يا أمّ سلمة أتعرفينه؟! قلت: نعم هذا عليّ بن أبي طالب. قال: صدقت سجيّته سجيّتي ودمه دمي وهو عيبة علمي فاسمعي وأشهدي لو أنّ عبداً من عباد الله عزّ وجلّ عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي أكبّه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنم. أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ثمّ قال: هذا حديثٌ سنده مشهورٌ عند أهل النقل.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ في حديث: يا عليّ! لو أنّ أُمّتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتّى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبّهم الله في النار. وذكره الكنجي في

«الكفاية» ص ١٧٩ وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب» ونقله عنه القرشي في «شمس الأخبار» ص ٣٣. ورواه شيخ الإسلام الحمّوييي في «الفرائد» في الباب الأوّل.

وهناك أخبارٌ كثيرة تضاهي هذه في ولاء أمير المؤمنين وعترته لا يسعنا ذكرها.

قوله:

ولا يتمُّ لامرئٍ صلاته   إلاّ بذكراهم . . .

أشار إلى كون الصَّلاة عليهم مأموراً بها في الصَّلاة وفي المقام أخبارٌ كثيرةٌ وكلماتٌ ضافيةٌ توجد في طيّات كتب الفقه والتفسير والحديث. ذكر ابن حجر في «الصواعق» ص ٨٧ قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصّلون على النبيِّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسَلّموا تسليماً﴾. وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قرن الصَّلاة على آله بالصلاة عليه لَمّا سُئل عن كيفيَّة الصَّلاة والسَّلام عليه ثمَّ قال: وهذا دليلٌ ظاهرٌ على أنَّ الأمر بالصَّلاة على أهل بيته وبقيَّة آله مرادٌ من هذه الآية وإلاّ لم يسألوا عن الصَّلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يُجابوا بما ذكر فلمّا أُجيبوا به دلَّ على أنَّ الصَّلاة عليهم من جملة المأمور به وأنَّه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لأنَّ القصد من الصَّلاة عليهم مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثمَّ لَمّا دخل من مرَّ في الكساء قال: اللهمّ إنّهم منّي وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم[1] وقضيَّة استجابة هذا الدعاء: إنَّ الله صلّى عليهم معه فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه. ويُروى: لا تصلّوا عليَّ الصَّلاة البتراء. فقالوا: وما الصَّلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وتمسكون بل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٢٣.

قولوا: اللهمّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد. ثمَّ نقل عن الإمام الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم القـدر انَّكمُ مَن لم يُصلِّ عليكم لا صلاة لهُ[1]

فقال: فيُحتمل لا صلاة له صحيحةً فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصَّلاة على الآل، ويُحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه.

وقال ص ١٣٩ من «الصواعق»: أخرج الدارقطني والبيهقي حديث من صلّى صلاةً ولم يُصلِّ فيها عليَّ وعلى أهلِ بيتي لم تُقبل منه. وكأنَّ هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه: إنَّ الصَّلاة على الآل من واجبات الصَّلاة كالصَّلاة عليه ﷺ لكنَّه ضعيفٌ فمستنده الأمر في الحديث المتَّفق عليه: قولوا: اللهمّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد. والأمر للوجوب حقيقةً على الأصحّ.

وقال الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩١: إنَّ الدعاء للآل منصبٌ عظيمٌ ولذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصَّلاة وقوله: اللهمّ صلّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، وارحم محمَّداً وآل محمَّد. وهذا التعظيم لم يوجد في حقِّ غير الآل فكلُّ ذلك يدلُّ على أنَّ حبَّ آل محمَّد واجبٌ. وقال: أهل بيته ﷺ ساووه في خمسة أشياء: في الصَّلاة عليه وعليهم في التشهّد، وفي السَّلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبَّة.

وقال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودَّة في القربى﴾: كفى شرفاً لآل رسول الله ﷺ وفخراً ختم التشهّد بذكرهم والصّلاة عليهم في كلِّ صلاة.

وروى محبُّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ١٩ عن جابر رضي الله عنه

---

(١) ونسبهما إلى الإمام الشافعي الزرقاني في شرح المواهب ج ٢ ص ٧ وجمع آخرون.

أنّه كان يقول: لو صلّيت صلاةً لم أُصلِّ فيها على محمّد وعلى آل محمّد ما رأيت أنّها تُقبل.

وأخرج القاضي عياض في الشفا عن ابن مسعود مرفوعاً: من صلّى صلاةً لم يُصلِّ عليَّ فيها وعلى أهل بيتي لم تُقبل منه. وللقاضي الخفاجي الحنفي في شرح الشفا ج ٣ ص ٥٠٠ ـ ٥٠٥ فوائد جمّة حول المسئلة وذكر مختصر ما صنّفه الإمام الخيصري في المسئلة سمّاه [زهر الرياض في ردّ ما شنّعه القاضي عياض]. وصور الصلوات المأثورة على النبيّ وآله مذكورةٌ في (شفاء السقام) لتقيِّ الدين السبكي ص ١٨١ ـ ١٨٧، وأورد جملةً منها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٣ وأوّل لفظ ذكره عن بُريدة قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟! قال. قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمّد وآل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيدٌ.

قوله:

ولا يزكو الدّعا . إشارةٌ إلى ما أخرجه الديلمي أنّه ﷺ قال: الدعاء محجوبٌ حتّى يُصلّى على محمّد وأهل بيته: اللهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآله. ورواه عنه ابن حجر في «الصواعق» ص ٨٨.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: كلُّ دعاء محجوب حتّى يُصلّى على محمّد وآل محمّد. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٠ وقال: رجاله ثقات.

وأخرج البيهقي وابن عساكر وغيرهما عن عليّ عليه السلام مرفوعاً ما معناه: الدعاء والصّلاة معلّقٌ بين السّماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيءٌ حتى يُصلّى عليه وعلى آل محمّد. «شرح الشفا للخفاجي» ج ٣ ص ٥٠٦.

قوله:

لو لم يكونوا خير من وطىء الحصا ... ما قال جبريلٌ لهم تحت العبا

أشار إلى ما ورد في لفظ بعض رواة حديث الكساء الصحيح المتواتر المتّفق عليه من أنّه صلّى الله عليه وآله أدرج معهم جبرئيل وميكائيل. ذكره الشبلنجي في [نور الأبصار] ص ١١٢، والصبّان في «الإسعاف» [هامش نور الأبصار] ص ١٠٧.

قوله:

وإنّ جبرئيل الأمين قال لي عن ملكيه الكاتبين مذ دنا

أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٤ ص ٤٩ عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ حافظي عليّ بن أبي طالب ليفخران على سائر الحفظة لكينونتهما مع عليّ بن أبي طالب وذلك أنّهما لم يصعدا إلى الله تعالى بعمل يسخطه. وفي لفظه الآخر: قطّ. وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب». والخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥١. والقرشي في [شمس الأخبار] ص ٣٦.

ومن شعر العبدي

آل النبيّ محمّدٍ أهل الفضائل والمناقبْ
المرشدون من العمى والمنقذون من اللوازبْ
الصّادقون النّاطقون السّابقون إلى الرغائبْ
فولاهمُ فرضٌ من الرّ حمن في القرآن واجبْ
وهمُ الصراط فمستقيمٌ فوقه ناجٍ وناكبْ
صدّيقةٌ خُلقت لصدّ يقٍ شريفٍ في المناسبْ
واختاره واختارها طُهرين من دنس المعائبْ
اسماهما قرنا على سطر بظلّ العرش راتبْ
كان الإله وليّها و أمينه جبريل خاطبْ
والمهر خُمس الأرض مو هبة تعالت في المواهبْ
وتهابها من حمل طوبى طيبت تلك المواهب

بيان ما ضمنته الأبيات من الحديث

قوله:

الصادقون. إشارةٌ إلى ما روي في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. (سورة التوبة) من طريق الحافظ أبي نعيم وابن مردويه وابن عساكر وآخرين كثيرين عن جابر وابن عبّاس: أي كونوا مع عليٍّ ابن أبي طالب. ورواه الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ١١١. والحافظ السيوطي في (الدرّ المنثور) ج ٣ ص ٢٩٠. وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١٠: قال علماء السير: معناه: كونوا مع عليّ وأهل بيته. قال ابن عبّاس: عليٌّ سيِّد الصّادقين.

قوله:

السابقون إلى الرغائب. إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿والسّابقون السّابقون أولئك المقرّبون﴾. (سورة الواقعة) وإنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام. أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس: أنّها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون. وحبيب النجّار الّذي ذُكر في يس. وعليّ بن أبي طالب. وكلّ رجلٍ منهم سابق أُمّته وعليٌّ أفضلهم. وفي لفظ ابن أبي حاتم يوشع بن نون بدل حزقيل. وأخرج الديلمي عن عائشة. والطبراني وابن الضحّاك والثعلبي وابن مردويه وابن المغازلي عن ابن عبّاس: إنّ النبيَّ ﷺ قال: السبّق. وفي لفظ: السبّاق ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون. وصاحب ياسين إلى عيسى. والسابق إلى محمّد عليٌّ بن أبي طالب. وزاد الثعالبي في لفظه: فهم الصدّيقون وعليٌّ أفضلهم.

ورواه محبُّ الدين الطبري في رياضه ج ١ ص ١٥٧، والهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٠٢، والكنجي في «الكفاية» ص ٤٦ بلفظ: سبّاق الأمم ثلاثةٌ لم يشركوا بالله طرفة عين: عليٌّ بن أبي طالب. وصاحب ياسين. ومؤمن آل فرعون. فهم الصدّيقون وعليّ أفضلهم. ثمّ قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به.

ورواه باللفظ الأوّل الحافظ السيوطي في [الدرّ المنثور] ج ٦ ص ١٥٤. وابن حجر في «الصواعق» ص ٧٤. وسبط ابن الجوزي في «التذكرة» ص ١١.

قوله:

فـولاهـمُ فـرضٌ مـن الـرَّ حـمـان في الـقـرآن واجبْ

أشار به إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى، ومَن يَقترف حَسنةً نزد لهُ فيها حُسناً﴾[1] توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلمات ضافية حول الآية الشريفة لا يسعنا بسط المقال فيها غير أنا نقتصر بجملة منها.

١ - أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لَمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟! فقال: عليٌّ وفاطمة وابناهما.

ورواه محبُّ الدين الطبريّ في «الذخائر» ص ٢٥، والزمخشريُّ في «الكشّاف» ج ٢ ص ٣٣٩. والحمّويي في «الفرائد»، والنيسابوري في تفسيره، وابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ٨ وصححه، والرازيّ في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره ج ١ (هامش تفسير الرازي) ج ٧ ص ٦٦٥، وأبو حيّان في تفسيره ج ٧ ص ٥١٦، والنسفيّ في تفسيره (هامش تفسير الخازن) ج ٤ ص ٩٩، والحافظ الهيثميُّ في «المجمع» ج ٩ ص ١٦٨، وابن الصباغ المالكي في [الفصول المهمّة] ص ١٢، والحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٣١، والقسطلاني في «المواهب» وقال: ألزم الله مودّة قرباه كافّة بريّته،

---

(١) سورة الشورى. آية ٢٣.

وفرض محبّة جملة أهل بيته المعظّم وذريّته فقال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾. ورواه الزرقاني في (شرح المواهب) ج ٧ ص ٣ و٢١، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١ و١٣٥، والسيوطي في [إحياء الميت] هامش «الإتحاف» ص ٢٣٩، والشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١١٢، والصبّان في «الإسعاف» هامش نور الأبصار ص ١٠٥.

٢ ـ أخرج الحافظ أبو عبدالله الملاّ في سيرته: أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله جعل أجري عليكم المودَّة في أهل بيتي وإنّي سائلكم غداً عنهم. ورواه محبّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ٢٥، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠٢ و١٣٦، والسمهودي في [جواهر العقدين].

٣ ـ قال جابر بن عبدالله: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ وقال: يا محمَّد أعرض عليَّ الإسلام فقال: تشهد أن لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟! قال: لا إلاّ المودَّة في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك؟! قال: قرابتي. قال: هات، أُبايعك، فعلى مَن لا يحبّك ولا يحبّ قرابتك لعنة الله. فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: آمين. أخرجه الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٣١ من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمَّد بن أحمد بن مخلّد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

٤ ـ أخرج الحافظ الطبريّ وابن عساكر والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، بعدّة طرق عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى وخلقني من شجرة واحدة فأنا أصلها، وعليٌّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أنَّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثمَّ ألف عام ثمَّ ألف عام ثمَّ لم يُدرك صحبتنا أكبّه الله على منخريه في النّار. ثمّ تلا: قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى. وذكره الكنجي في «الكفاية» ص ١٧٨.

٥ ـ أخرج أحمد وأبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ومَن يقترف

حسنة﴾ قال: المودَّة لآل محمَّد. ورواه الثعلبي في تفسيره مسنداً، وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ص ١٣، وابن المغازلي في «المناقب»، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١، والسيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٦ ص ٧، و«إحياء الميت» - هامش الإتحاف ص ٢٣٩، والحضرمي في «الرشفة» ص ٢٣، والنبهاني في [الشرف المؤبّد] ص ٩٥.

٦ - أخرج أبو الشيخ ابن حبّان في كتابه «الثواب» من طريق الواحدي عن عليّ عليه السلام قال: فينا آل حم آيةٌ لا يحفظ مودَّتنا إلاّ كل مؤمن. ثمَّ قرأ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾. وذكره ابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١ و١٣٦، والسمهودي في [جواهر العقدين].

٧ - عن أبي الطفيل قال: خطبنا الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه خاتم الأوصياء ووصيٌّ الأنبياء وأمين الصدّيقين والشهداء ثمَّ قال: أيّها الناس لقد فارقكم رجلٌ ما سبقه الأوّلون ولا يُدركه الآخرون لقد كان رسول الله ﷺ يُعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتّى يفتح الله عليه، ولقد قبضه الله في الليلة الّتي قُبص فيها وصيُّ موسى وعرج بروحه في الليلة الّتي عرج فيها بروح عيسى بن مريم، وفي الليلة الّتي أنزل الله عزَّ وجل فيها الفرقان، والله ما ترك ذهباً ولا فضّة، وما في بيت ماله إلاّ سبعمائة وخمسون درهماً فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأُمّ كلثوم. ثمَّ قال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمَّد. ثمَّ تلا هذه الآية قول يوسف: ﴿واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾. ثمَّ أخذ في كتاب الله. ثمَّ قال: أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، أنا ابن النبيِّ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الّذي أُرسل رحمةً للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الّذين افترض الله عزَّ وجلَّ مودّتهم وولايتهم فقال فيما أنزل على محمَّد: ﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى﴾.

وفي لفظ الحافظ الزرندي في [نظم درر السمطين] وأنا من أهل البيت الّذين كان جبريل عليه السّلام ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الّذين افترض الله تعالى مودّتهم على كلّ مسلم وأنزل الله فيهم: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومَن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً﴾**. واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

أخرجه البزّار والطبراني في الكبير. وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٤ ص ١١. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦. وابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٦٦ وقال: رواه جماعةٌ من أصحاب السير وغيرهم. والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٣٢ من طريق ابن عقدة عن أبي الطفيل. والنسائي عن هبيرة، وابن حجر في الصواعق ص ١٠١ و١٣٦. والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٣١. والحضرمي في الرشفة ص ٤٣.

٨ ـ أخرج الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ١٦ بإسناده عن السديّ عن أبي الديلم قال: لمّا جيء بعليّ بن الحسين (الإمام السجّاد) رضي الله عنهما أسيراً فأُقيم على درج الدمشق قام رجلٌ من أهل الشام فقال: الحمد لله الّذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة. فقال له عليٌّ بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟! فقال: نعم. قال: فقرأت آل حم؟! قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت: **﴿ قل لا أسألكم عَليه أجراً إلّا المودّة في القُربى﴾**. قال: وإنّكم لأنتم هم؟! قال: نعم.

ورواه الثعلبي في تفسيره بإسناده. وأشار إليه أبو حيّان في تفسيره ج ٧ ص ٥١٦. وأخرجه السيوطي في الدرّ المنثور ج ٦ ص ٧. وابن حجر في الصواعق ص ١٠١ و ١٣٦ عن الطبراني. والزرقاني في شرح المواهب ج ٧ ص ٢٠.

٩ ـ روى الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ١٦ و١٧ عن سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب أنّهما قالا: هي قُربى رسول الله ﷺ. ورواه عنهما وعن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السدي أبو حيّان في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور. قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩٠: وأنا أقول: آل محمّد ﷺ هم الّذين يؤول أمرهم إليه فكلّ مَن كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلول بالنقل المتواتر، وجب أن يكونوا هم الآل.

وقال المناوي: قال الحافظ الزرندي. لم يكن أحدٌ من العلماء المجتهدين والأئمّة المهتدين إلّا وله في ولاية أهل البيت الحظّ الوافر والفخر الزاهر كما أمر الله بقوله: ﴿قُل لا أسألكم عَليهِ أجراً إلّا المودّة في القربى﴾[1].

وقال ابن حجر في الصواعق ص ٨٩: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ ﷺ قال: وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية عليّ. وكأنّ هذا هو مراد الواحدي بقوله: رُوي في قوله تعالى: وقفوهم إنهم مسؤولون أي عن ولاية عليٍّ وأهل البيت لأنّ الله أمر نبيّه ﷺ أن يعرِّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرِّسالة أجراً إلّا المودّة في القُربى. والمعنى انّهم يُسألون: هل والوهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ ﷺ أم أضاعوها وأهملوها؟!؟! فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وذكر في الصواعق ص ١٠١ للشيخ شمس الدين ابن العربي قوله:

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغه إلّا المودّة في القربى

وذكر ابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٣ لقائل:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وإنزالِ

مناقب في شورى وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم آل بيت المصطفى فودادهم ... على الناس مفروضٌ بحكم وإسجالِ

---

(١) وقفنا على (نظم درر السمطين) للحافظ الزرندي، فوجدنا الكلمة على ما حكاها المناوي.

وذكر لآخر:

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً تمسّك في أُخراه بالسبب الأقوى
هم القوم ضاقوا العالمين مناقباً محاسنهم تُجلى وآثارهم تُروى
موالاتهم فرضٌ وَحبّهمُ هدىً وطاعتهم ودٌّ وودُّهمُ تقوى

وذكر الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٣ لأبي الحسن بن جبير:

أُحبُّ النبيَّ المصطفى وابن عمِّه عليّاً وسبطيه وفاطمة الزّهرا
همُ أهل بيت أذهب الرجس عنهمُ وأطلعهم أُفق الهدى أنجماً زهرا
موالاتهم فرضٌ على كلِّ مسلم وحبّهمُ أسنى الذخائر للأُخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإنّي أرى البغضاء في حقّهم كفرا

قوله:

وهم الصراط فمستقيمٌ فوقه ناجٍ وناكبْ

أخرج الثعلبي في «الكشف والبيان» في قوله تعالى: **﴿إهدنا الصِّراط المستقيم﴾**. قال مسلم بن حيّان: سمعت أبا بُريدة يقول: صراط محمَّد وآله.

وفي تفسير وكيع بن الجراح عن سفيان الثوري عن السدي عن أسباط ومجاهد عن عبدالله بن عبّاس في قوله تعالى: **﴿إهدنا الصِّراط المستقيم﴾**. قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حبِّ محمَّد وأهل بيته.

وأخرج الحمّويي في «الفرائد» بإسناده عن أصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السَّلام في قوله تعالى: **﴿وإنَّ الَّذين لا يُؤمنون بالآخرة عن الصِّراط لناكبون﴾**[1] قال: الصِّراط ولايتنا أهل البيت.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراطٌ في الدنيا. وصراطٌ في الآخرة. فأمّا صراط الدنيا فهو عليٌّ بن أبي طالب. وأما صراط

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٧٥.

الآخرة فهو جسر جهنم. مَن عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة. ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي كما في «الصواعق» ص ١١١ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: أثبتكم على الصراط أشدُّكم حبّاً لأهل بيتي ولأصحابي.

وأخرج شيخ الإسلام الحمّويي بإسناده في فرائد السمطين في حديث عن الإمام جعفر الصّادق قوله: نحن خيرةُ الله ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله.

فهم الصراط إلى الله فمن تمسّك بهم فقد اتّخذ إلى ربّه سبيلاً كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوّة بإسناده عن رسول الله ﷺ قال: أنا وأهل بيتي شجرةٌ في الجنّة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسّك بنا اتّخذ إلى ربّه سبيلاً. [ذخائر العقبى ص ١٦].

قوله: صدّيقةٌ.

يعني به فاطمة بنت النبيِّ صلّى الله عليه وآله سمّاها بها أبوها فيما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوّة» عن رسول الله ﷺ انّه قال لعليّ: أوتيتَ ثلاثاً لم يُؤتهنَّ أحدٌ ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي. وأوتيتَ زوجة صدّيقة مثل إبنتي ولم أُوت مثلها زوجة. وأوتيتَ الحسن والحسين من صلبك ولم أُوت من صلبي مثلهما، ولكنّكم منّي وأنا منكم. الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢.

وعن عائشة امِّ المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الّذي ولدها ﷺ. حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٢، الاستيعاب ج ٢ ص ٧٥١، ذخائر العقبى ص ٤٤، تقريب الأسانيد وشرحه ج ١ ص ١٥٠، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١ وقال: رجاله رجال الصحيح.

قوله: لصدّيق.

يعني به أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو صدّيقُ هذه الأُمّة وذلك لقبه الخاصّ، قال محبُّ الدين الطبري في رياضه: إنَّ رسول الله ﷺ سمّاه صدّيقاً

وقال في ص ١٥٥: قال الخجندي: وكان يلقّب بيعسوب الأُمّة وبالصدِّيق الأكبر. وهناك أخبارٌ كثيرةٌ نذكر بعضها:

١ ـ أخرج ابن النجّار وأحمد في المناقب عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ الصدِّيقون ثلاثةٌ: حزقيل مؤمن آل فرعون. وحبيب النجّار صاحب آل يسين. وعليٌّ بن أبي طالب. وأخرجه أبو نعيم في المعرفة، وابن عساكر، عن أبي ليلى، وزادا في لفظهما: وهو أفضلهم. وأخرجه محبُّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٥٤، والگنجي في الكفاية ص ٤٧ بلفظ أبي ليلى، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢، وابن حجر في الصواعق ص ٧٤ بلفظ ابن عبّاس، وص ٧٥ بلفظ أبي ليلى.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: إنَّ هذا أوّل مَن آمن بي، وهو أوَّل مَن يصافحني يوم القيامة، وهو الصدِّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمّة، يفرق بين الحقِّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين.

أخرجه الطبراني عن سلمان وأبي ذر، والبيهقي، والعدني، عن حذيفة، والهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٢، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٩ من طريق الحافظ ابن عساكر وفي آخره: وهو بابي الّذي أوتى منه وهو خليفتي من بعدي. وذكره باللفظ الأوَّل المتّقي الهندي في إكمال كنز العمّال ج ٦ ص ٥٦.

٣ ـ عن ابن عبّاس وأبي ذرّ قالا: سمعنا النبيَّ صلّى الله عليه وآله يقول لعليّ: أنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقِّ والباطل.

أخرجه محبُّ الدين في الرياض ج ٢ ص ١٥٥ وقال: وفي رواية: وأنت يعسوب الدين. عن الحاكمي والقرشي في شمس الأخبار ص ٣٥ وفيه: وأنت يعسوب المؤمنين. ورواه مع الزيادة شيخ الإسلام الحمّوي في الفرائد في الباب الرابع والعشرين. وابن أبي الحديد عن أبي رافع في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ ولفظه: قال أبو رافع: أتيت أبا ذر بالربذة أُودِّعه فلمّا أردت الإنصراف قال لي ولأُناس معي: ستكون فتنةٌ فاتّقوا الله وعليكم بالشيخ عليٍّ بن أبي طالب فاتّبعوه، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول له: أنت أوَّل من آمن

بي ، وأوّل من يُصافحني يوم القيامة ، وأنت الصدّيق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين ، وأنت أخي ووزيري وخير من أترك بعدي وتنجز موعدي ، وذكره القاضي الإيجي في «المـواقف» ج ٣ ص ٢٧٦ ، والصفوري في (نـزهـة المجـالس) ج ٢ ص ٢٠٥ .

٤ ـ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ، قال قال لي ربي عزَّ وجلَّ ليلة أسرى بي : من خلّفتَ على أُمّتك يا محمّد؟ قال قلت : يا ربِّ أنت أعلم . قال : يا محمّـد! إنتجبتك برسالتي ، واصطفيتك لنفسي ، وأنت نبيّي وخيرتي من خلقي ، ثمَّ الصدِّيق الأكبر الطاهر المطهر الّذي خلقته من طينتك وجعلته وزيرك وأبي سبطيك السّيدين الشهيدين الطاهرين المطهَّرين سيّدي شباب الجنّـة ، وزوجته خير نساء العالمين ، أنت شجرة وعليٌّ غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها ، خلقتهما من طينة علّيين وخلقت شيعتكم منكم ، إنَّهم لو ضُربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلاّ حبّاً . قلت : يا ربِّ ومَن الصدِّيق الأكبر؟! قال : أخوك عليٌّ بن أبي طالب .

أخرجه القرشي في «شمس الأخبار» ص ٣٣ .

٥ ـ عن عليّ عليه السّلام أنّه قال : أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب مفتري ، لقد صلّيت قبل الناس سبع سنين . أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح . والنسائي في «الخصـائص» ص ٣ بسند رجاله ثقات . وابن أبي عاصم في «السنّـة» . والحاكم في «المستـدرك» ج ٣ ص ١١٢ وصحّحه . وأبو نعيم في «المعرفة» . وابن ماجه في سننه ج١ ص٥٧ بسند صحيح . والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٣ بـإسناد صحيـح ، والعقيلي ، والخلعي ، وابن الأثير في «الكامل» ج ٢ ص ٢٢ . وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ . ومحبّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ٦٠ ، و«الرياض» ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٨ و١٦٧ . والحمّويي في «الفرائد» في الباب التاسع والأربعين . والسيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٤ . وفي طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥ : قال عليٌّ رضي الله عنه : أنا الصِّدِّيق الأكبر لا

يقولها بعدي إلّا كاذب.

٦ ـ عن معاذة قالت: سمعت عليًا وهو يخطب على منبر البصرة يقول: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يُؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. أخرجه ابن قتيبة في «المعارف» ص ٧٣، وابن أيّوب، والعقيلي، ومحبُّ الدين في «الذخائر» ص ٥٨، و«الرياض» ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٧، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥١، ٢٥٧، والسيوطي في الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٥.

قوله:

إسماهما قرنا على سطرٍ   بظلِّ العرش راتب

أشار إلى حديث كتابة أسماء فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها في ظلِّ العرش وقد كتبت على باب الجنّة كما أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه ج ١ ص ٢٥٩ عن ابن عبّاس قال قال رسول الله ﷺ ليلة عُرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً لا إلّه إلّا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمةُ خيرة الله، على مبغضهم لعنة الله. ورواه الخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ٢٤٠.

قوله:

كان الإلّه وليّها   وأمينه جبريل خاطبْ

إشارةٌ إلى أنَّ الله تعالى هو زوَّج فاطمة عليّاً وكان وليُّ أمرها وخطب فيه الأمين جبرئيل عليه السّلام كما ورد عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها الناس! هذا عليُّ بن أبي طالب أنتم تزعمون أنّني أنا زوَّجته ابنتي فاطمة ولقد خطبها إليَّ أشراف قريش فلم أُجب، كلُّ ذلك أتوقّع الخبر من السماء حتّى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمّد: العليُّ الأعلى يقرأ عليك السّلام، وقد جمع الروحانيّين والكرّوبيّين في وادٍ يُقال له: الأفيح. تحت شجرة طوبى وزوَّج فاطمة عليّاً وأمرني، فكنت الخاطب: والله تعالى الوليُّ. الحديث .[كفاية الطالب ص ١٦٤].

وأخرج محبُّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ٣١ عن عليّ قال قال رسول الله ﷺ: أتاني ملكٌ فقال: يا محمَّد، إنَّ الله تعالى يقرأ عليك السَّلام ويقول لك: إنّي قد زوَّجت فاطمة ابنتك من عليٍّ بن أبي طالب، في الملأ الأعلى فزوِّجها منه في الأرض.

وأخرج النسائي والخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١٢٩ بالإسناد عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: أصاب فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبيح العرس رعدة فقال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة، إنّي زوَّجتك سيِّداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصَّالحين يا فاطمة! إنّي لَمّا أردت أن أُملكك لعليّ أمر الله جبريل فقام في السَّماء الرابعة فصفَّ الملائكة صفوفاً ثمَّ خطب عليهم جبريل فزوَّجك من عليّ، ثمَّ أمر شجر الجنان فحملت الحليَّ والحُلل ثمَّ أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذٍ أكثر ممّا أخذ صاحبه أو أحسن افتخر به إلى يوم القيامة. قالت امّ سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حيث أوّل من خطب عليها جبريل. وذكره الكنجي في «الكفاية» ص ١٦٥ ثمَّ قال: حسنٌ عال رزقناه عالياً. ومحبّ الدين في «الذخائر» ص ٣٢.

وروى الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٥ عن جبرئيل أنّه قال لرسول الله ﷺ: إنَّ الله أمر رضوان أن ينصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وأمر ملكاً يُقال له: «راحيل» أن يصعده، فعلا المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحاً وسروراً، وأوحى الله إليَّ أن أعقد عقدة النِّكاح، فإنّي زوَّجت عليّاً بفاطمة أمتي بنت محمَّد رسولي، فعقدت وأشهدت الملائكة وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة، وإنّي أُمرت أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان. وهناك في هذا المعنى أخبارٌ كثيرةٌ.

قوله:

والمهر خُمس الأرض مو هبةٌ تعالت في المواهب

أشار به إلى ما أخرجه شيخ الإسلام الحمّويي في (فرائدالسمطين) في

الباب الثامن عشر عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعليّ: يا عليّ! إنّ الأرض لله يورثها من يَشاءُ من عباده، وإنّه أوحى إليّ أن أُزوِّجك فاطمة على خُمس الأرض، فهي صداقها فمن مشى على الأرض وهو لكم مبغضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشي عليها.

قوله:

وتهابها من حمل طوبى   طيِّبت تلك المواهب

أشار إلى حديث النثار المرويّ عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ذات يوم متبسّماً ضاحكاً ووجهه مسرورٌ كدارة القمر فقام إليه عبدالرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: بشارةٌ أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي، بأنّ الله زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاعاً، يعني صكاكاً، بعدد محبّي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كلّ ملك صكاكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محبٌّ لأهل البيت إلاّ دفعت له صكاً فيه فكاكه من النّار، فصار أخي وابن عمّي وبنتي فكّاك رقاب رجال ونساء امّتي من النّار.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢١٠. وابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٢٠٦ وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمّة»، وأبو بكر الخوارزمي في «المناقب»، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠٣، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٥، والحضرمي في «رشفة الصادي» ص ٢٨.

وأخرج أبو عبدالله الملاّ في سيرته عن أنس قال بينما رسول الله ﷺ في المسجد إذ قال لعليّ: هذا جبريل يخبرني أنّ الله زوّجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى: أن انثري عليهم الدرّ والياقوت. فنثرت عليهم الدرّ والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يتلقّطن في أطباق الدرّ والياقوت فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة. ورواه محبّ الدين في

« الذخائر » ص ٣٢، وفي «الرياض» ج ٢ ص ١٨٤، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٣.

ومن شعر العبدي

يا سادتي يا بني عليّ ... يا آل طه وآل صاد
من ذا يُوازيكمُ وأنتم ... خلائف الله في البلادِ
أنتم نجوم الهدى اللواتي ... يهدي بها الله كلَّ هادِ
لولا هداكم إذاً ضللنا ... والتبس الغيُّ بالرَّشادِ
لا زلت في حبِّكم أوالي ... عمري وفي بغضكم أُعادي
وما تزوَّدتُ غير حبّي ... إيّاكمُ وهو خير زادِ
وذاك ذخري الذي عليه ... في عرصة الحشر اعتمادي
ولاكمُ والبراء ممَّن ... يشنأكمُ اعتقادي

وللعبديِّ قوله:

وزُوِّج في السماء بأمر ربّي ... بفاطمة المهذَّبة الطهورِ
وصيِّر مهرها خُمساً بأرض ... لما تحويه من كرم وحور
فذا خير الرجال وتلك خير الـ ... ـنساء ومهرها خير المهورِ

وله:

إذ أتته البتولُ فاطمُ تبكي ... وتُوالي شهيقها والزفيرا
إجتمعن النساء عندي وأقبلن ... يطلن التقريع والتعبيرا
قلن إنَّ النبيَّ زوَّجك اليوم ... عليّاً بعلاً مُعيلاً فقيرا
قال يا فاطمُ اصبري واشكري الله ... فقد نلت منه فضلاً كبيرا
أمر الله جبرئيل فنادى ... مُعلناً في السماء صوتاً جهيرا
إجتمعن الأملاك حتى إذا ما ... وردوا بيت ربِّنا المعمورا
قام جبريل خاطباً يكثر الـ ... ـتحميد لله جلَّ والتكبيرا
خُمس أرضي لها حلالٌ فصيِّر ... هُ على الخلق دونها مبرورا
نثرت عند ذاك طوبى الحور ... من المسك والعبير نثيرا

بيان: قوله:

اذ أتتـه البتـولُ فـاطم تبكي   وتُـوالي شهيقهـا والـزفيـرا

إشارةٌ إلى ما أخرجه الحافظ عبد الرزّاق عن معمّر عن ابن أبي نُجيح عن مجاهد عن ابن عبّاس والخطيب بإسناده في تاريخه ج ٤ ص١٩٥ عن ابن عبّاس قال: لَمّا زوَّج النبيُّ ﷺ فاطمة من عليٍّ قالت فاطمة: يا رسول الله؟! زوَّجتني من رجل فقير ليس له شيءٌ. فقال النبيُّ ﷺ أما ترضين؟! إنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك. وذكره الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٩ وصحّحه، والهيثميُّ في «المجمع» ج ٩ ص ١١٢، والسيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩١، والصفوري في «النزهة» ج ٢ ص ٢٢٦.

وفي نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦ عن العقائق: انَّ فاطمة رضي الله عنها بكت ليلة عرسها فسألها النبيُّ ﷺ عن ذلك فقالت له: تعلم انّي لا أُحب الدنيا ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة فخشيت أن يقول لي عليٌّ: بأيِّ شيء جئت؟! فقال النبيُّ ﷺ: لكِ الأمان فإنَّ عليّاً لم يزل راضياً مرضيّاً. ثمَّ بعد ذلك تزوَّجت امرأة من اليهود وكانت كثيرة المال فدعت النِّساء إلى عرسها فلبسن أفخر ثيابهنَّ ثمَّ قلن: نُريد أن ننظر إلى بنت محمّد وفقرها. فدعونها، فنزل جبريل بحلّة من الجنّة فلمّا لبستها واتّزرت وجلست بينهنَّ رفعت الإزار فلمعت الأنوار فقالت النساء: مِن أين لكِ هذا يا فاطمة؟! فقالت: من أبي. فقلن: مِن أين لأبيك؟! قالت: من جبريل. قلن: من أين لجبريل؟! قالت من الجنّة. فقلن: نشهد أن لا إلّه إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله فمن أسلم زوجها استمرَّت معه وإلّا تزوّجت غيره. مرَّ بيان ما في بقيَّة الأبيات من الحديث المأثور

وللعبديِّ قوله من قصيدة يمدح عليّاً عليه السَّلام:

وكان يقول: يـا دنياي غـرّي   سواي فلست من أهل الغـرورِ

ومن اخرى.

لم تشتمل قلبه الدنيا بزخرفها   بل قال: غرّي سواي كلّ محتقرِ

أشار بهما إلى ما في حديث ضرار بن ضمرة الكناني لَمّا وصف أمير المؤمنين لمعاوية بن أبي سفيان قال: لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرّضتِ؟! أم إليّ تشوّقتِ؟! هيهات هيهات قد باينتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمركِ قصيرٌ، وعيشكِ حقيرٌ، وخطرك يسيرٌ. الحديث.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ج ١ ص ٨٤، وابن عبد البرّ في «الاستيعاب»، وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٣٥ وكثيرون آخرون من الحفّاظ والمؤرّخين.

وله قوله:

لَمّا أتاه القوم في حجراته ... والطّهر يخصف نعله ويرقّعُ
قالوا له: إن كان أمرٌ مَن لنا ... خلفٌ إليه في الحوادث نرجعُ؟!
قال النبيُّ: خليفتي هو خاصف ... النعل الزكيُّ العالم المتورّعُ

أشار بهذه الأبيات إلى حديث امّ سلمة، قالت لعائشة امّ المؤمنين في بدء واقعة الجمل: أُذكركِ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليٌّ يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعلٌ فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد في ظلّ سمرة وجاء أبوكِ ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يُحدّثانه فيما أرادا ثمّ قالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا مَن يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً. فقال لهما: أما إنّي قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا ثمّ خرجا فلمّا خرجنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله قلتِ له وكنتِ أجرأ عليه منّا: مَن كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟! فقال: خاصف النعل. فنزلنا فلم نر أحداً إلّا عليّاً فقلت: يا رسول الله! ما أرى إلّا عليّاً. فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. فقالت: فأيّ خروج تخرجين بعد هذا؟! فقالت: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن

شاء الله فقالت: أنتِ ورأيكِ. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٨.

ولشاعرنا العبديّ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السّلام:

يامن شكت شوقه الأملاك إذ شغفت   بحبّه وهواه غاية الشغفِ
فصاغ شبهك ربُّ العالمين فما   ينفكُّ من زائرٍ منها ومُعتكفِ

وله في مدحه صلوات الله عليه:

صوَّر الله لأملاك العلى   مثله أعظمه في الشرفِ
وهي ما بين مُطيف زائرٍ   ومُقيم حوله مُعتكفِ
هكذا شاهده المبعوث في   ليلة المعراج فوق الرفرفِ

في هذه الأبيات إشارة إلى حديث الحافظ المتقن الكبير الثقة يزيد بن هارون عن حميد الطويل الثقة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مررت ليلة أُسري بي إلى السماء فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟! قال: أُدن منه وسلّم عليه. فدنوت منه وسلّمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمّي عليٍّ بن أبي طالب. فقلت: يا جبرئيل سبقني عليٌّ إلى السماء الرابعة؟! فقال لي: يا محمّد لا، ولكن الملائكة شكت حبّها لعليّ فخلق الله تعالى هذا الملك من نور على صورة عليّ، فالملائكة تزوره في كلِّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرّة يسبّحون الله ويُقدّسونه ويهدون ثوابه لمحبِّ عليّ. أخرجه الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٥١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ عال لم نكتبه إلّا من هذا الوجه.

ومن شعر العبديّ قوله:

وزوَّجه بفاطم ذو المعالي   على الأرغام من أهل النّفاقِ
وخُمس الأرض كان لها صداقاً ألا للّه ذلك من صداقِ

وقوله يمدح به أمير المؤمنين:

وكم غمرة للموت في الله خاضها ولجّة بحر في الحكوم أقامها
وكم ليلة ليـلاء لله قـامـهـا وكم صبحة مشجورة الحرّ صامها

وقوله في مدحه عليه السّلام:

أنت عين الإلـه والجنب من فـ ـرّط فيه يصلى لظىً مذموما
أنت فلك النجاة فينا وما زلـ ـت صراطاً إلى الهدى مستقيما
وعليك الورود تسقي مِن الحو ض ومَن شئت ينثني محروما
وإليك الجواز تُدخل مَن شئت جنـانـاً ومَن تشـاء جحيمـا

مرّ بيان ما في بعض هذه الأبيات. (قوله):

وعليك الورود تسقي مِن الحو ض ومَن شئت ينثني محروما

فيه ايعازٌ إلى أنّ سقاية الحوض (الكوثر) يوم القيامة بيد عليّ أمير المؤمنين يسقي منه محبّيه ومواليه ويذود عنه المنافقين والكفّار، وورد في ذلك أحاديث في الصحاح والمسانيد ونحن نذكر بعضها:

١ - أخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقاتٌ عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ ﷺ: يا عليُّ معك يوم القيامة عصا من عصيّ الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض.

«الذخائر» ص ٩١ «الرياض» ج ٢ ص ٢١١، «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٥، «الصواعق» ص ١٠٤.

٢ - أخرج أحمد في «المناقب» بإسناده عن عبدالله بن إجاره قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وهو على المنبر يقول: أنا أذود عن حوض رسول الله بيديَّ هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاة غريبة الإبل عن حياضهم..

ورواه الطبراني في الأوسط. وذكر في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٩، والرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢١١، وكنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٣.

٣ ـ أخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال لعليّ: أنت أمامي يوم القيامة فيدفع إليّ لواء الحمد فأدفعه إليك وأنت تذود الناس عن حوضي. وذكره السيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٠ وفي ص ٣٩٣ عن ابن عبّاس عن عمر في حديث طويل عنه ﷺ: وأنت تتقدّمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي.

٤ ـ أخرج أحمد في «المناقب» بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت في عليّ خمساً هو أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها، أمّا واحدة: فهو تكأتي بين يدي الله عزَّ وجلَّ حتى يفرغ من الحساب. وأمّا الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته. وأمّا الثالثة: فواقفٌ على عقر حوضي يسقي من عرف من امّتي. الحديث.

وذكر في الرّياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣، وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣.

٥ ـ أخرج شاذان الفضيلي بإسناده عن أمير المؤمنين قال قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، سألت ربّي عزَّ وجلَّ فيك خمس خصال فأعطاني أمّا الأولى: فإنّي سألت ربّي أن تنشقّ عنّي الأرض وانفضّ التراب عن رأسي وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثانية: فسألته أن يوقفني عند كفّة الميزان وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون والفائزون بالجنّة، فأعطاني. وأمّا الرابعة: فسألت ربّي أن تسقي امّتي من حوضي، فأعطاني. وأمّا الخامسة: فسألت ربّي، أن يجعلك قائد امّتي إلى الجنّة فأعطاني. فالحمد لله الّذي منَّ به عليّ.

وتجده في «المناقب» للخطيب الخوارزمي ص ٢٠٣، و[فرائد السمطين] في الباب الثامن عشر، و[كنز العمّال] ج ٦ ص ٤٠٢.

٦ ـ أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة في حديث قال قال رسول الله ﷺ: كأنّي بك (يا عليّ) وأنت على حوضي تذود عنه الناس وإنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء وإنّي وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل

وجعفر في الجنّة إخواناً على سُرُر متقابلين أنت معي وشيعتك في الجنّة. [مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٣].

٧ - عن جابر بن عبدالله في حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: يا عليّ، والذي نفسي بيده إنّك لذائدٌ عن حوضي يوم القيامة تذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الضالّ عن الماء بعصاً لك من عوسج وكأني أنظر إلى مقامك من حوضي. [مناقب الخطيب ص ٦٥].

٨ - أخرج الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٣٨ بإسناده وصحّحه عن عليّ بن أبي طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة ومعنا معاوية بن حُديج - بالتصغير - فقيل للحسن: إنّ هذا معاوية بن حُديج السابّ لعليّ. فقال: عليّ به فأُتي به فقال: أنت السابُّ لعليّ؟! فقال: ما فعلت: قال: والله إن لقيته وما أحسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله ﷺ يذود عنه رايات المنافقين بيده عصاً من عوسج، حدَّثنيه الصادق المصدوق ﷺ وقد خاب من افترى..

وأخرجه الطبراني وفي لفظه: لتجدنّه مشمِّراً حاسراً عن ذراعيه يذود الكفّار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ قول الصادق المصدوق محمَّد..

قوله:

وإليك الجواز تُدخل مَن شئت جناناً ومَن تشاء جحيما

أشار به إلى معنى ورد في أخبار كثيرة نقتصر بذكر بعضها:

١ - أخرج الحافظ ابن السمّان في الموافقة عن قيس بن حازم قال: التقى أبو بكر الصدّيق وعليّ بن أبي طالب فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ فقال له: ما لك تبسّمت؟! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحدٌ الصراط إلاّ من كتب له عليٌّ الجواز. وذُكر في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ و٢٤٤. والصواعق ص ٧٥، وإسعاف الراغبين ص ١٦١.

٢ ـ عن مجاهد عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّ وجلّ جبريل ومحمّداً على الصراط فلا يجوز أحدٌ إلاّ مَن كان معه براءة من عليٍّ بن أبي طالب. أخرجه الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥٣. والفقيه ابن المغازلي في «المناقب» بلفظ: عليٌّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل إلاّ من جاء بجواز من عليٍّ بن أبي طالب. وذكره القرشيُّ في شمس الأخبار ص ٣٦.

٣ ـ أخرج الحاكمي عن عليّ قال قال رسول الله ﷺ: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنّم ما جازها أحدٌ حتّى كانت معه براءة بولاية عليٍّ بن أبي طالب. وذُكر في [فرائد السمطين] في الباب الرابع والخمسين. و[الرياض النضرة] ج ٢ ص ١٧٢.

٤ ـ عن الحسن البصري عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليٌّ بن أبي طالب على الفردوس وهو جبلٌ قد علا على الجنّة وفوقه عرش ربِّ العالمين، ومن سفحه يتفجّر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنان، وهو جالسٌ على كرسيٍّ من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحدٌ الصّراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنة ومبغضيه النار. أخرجه الخوارزمي في «المناقب» ص ٤٢، والحمّويي في [فرائدالسمطين] في الباب الرابع والخمسين.

٥ ـ أخرج القاضي عياض في «الشفا» عن النبي ﷺ انّه قال: معرفة آل محمّد براءةٌ من النّار. وحبُّ آل محمّد جوازٌ على الصّراط. والولاية لآل محمّد أمانٌ من العذاب. ويوجد في «الصواعق» ص ١٣٩ و «الإتحاف» ص ١٥، و«رشفة الصادي» ص ٤٥٩.

٦ ـ أخرج الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ١٦١ عن ابن عبّاس قال: قلت للنبيِّ ﷺ يا رسول الله لِلنار جواز؟! قال: نعم. قلت: وما هو؟! قال: حبُّ عليٍّ بن أبي طالب. ويأتي حديث: عليٌّ قسيم الجنّة والنار، في محلّه إن شاء الله تعالى.

ومن شعر العبديّ يمدح أمير المؤمنين

وعلّمك الّذي علم البرايا وألهمك الّذي لا يعلمونا
فزادك في الورى شرفاً وعزّاً ومجداً فوق وصف الواصفينا
لقد أعطيتَ ما لم يُعط خلقاً هنيئاً يا أمير المؤمنينا
إليك اشتاقت الأملاك حتّى تحنّت من تشوُّقها حنينا
هناك برا لها الرّحمن شخصاً كشبهك لا يُغادره يقينا

أشار بالبيت الأوّل إلى حديث مرّ ص٥٨ ومرَّ بيان بقيَّة الأبيات ص ٣٤٥
ومن شعره:

لأنتم على الأعراف عرف عارف بسيما الذي يهواكمُ والّذي يشنا
أئمّتنا أنتم سنُدعى بكم غداً إذا ما إلى ربِّ العباد معاً قمنا
بجدِّكمُ خير الورى وأبيكمُ هُدينا إلى سبل النجاة وأُنقذنا
ولولاكمُ لم يخلق الله خلقه ولا لقّب الدنيا الغرور ولا كنّا
ومن أجلكم أنشأ الإلّه لخلقه سماءً وأرضاً وابتلى الإنس والجنّا
تجلّون عن شبه من النّاس كلّهم فشأنكمُ أعلى وقدركمُ أسنا
إذا مسّنا ضرٌّ دعونا إلّهنا بموضعكم منه فيكشفه عنّا
وإن دهمتنا غُمَّةٌ أو مُلمَّة جعلناكمُ منها ومن غيرنا حصنا
وإن ضامنا دهرٌ فعذنا بعزِّكم فيبعد عنّا الضيم لَمّا بكم عُذنا
وإن عارضتنا خفيةٌ من ذنوبنا بـراةٌ لنا منها شفاعتكم أمنا

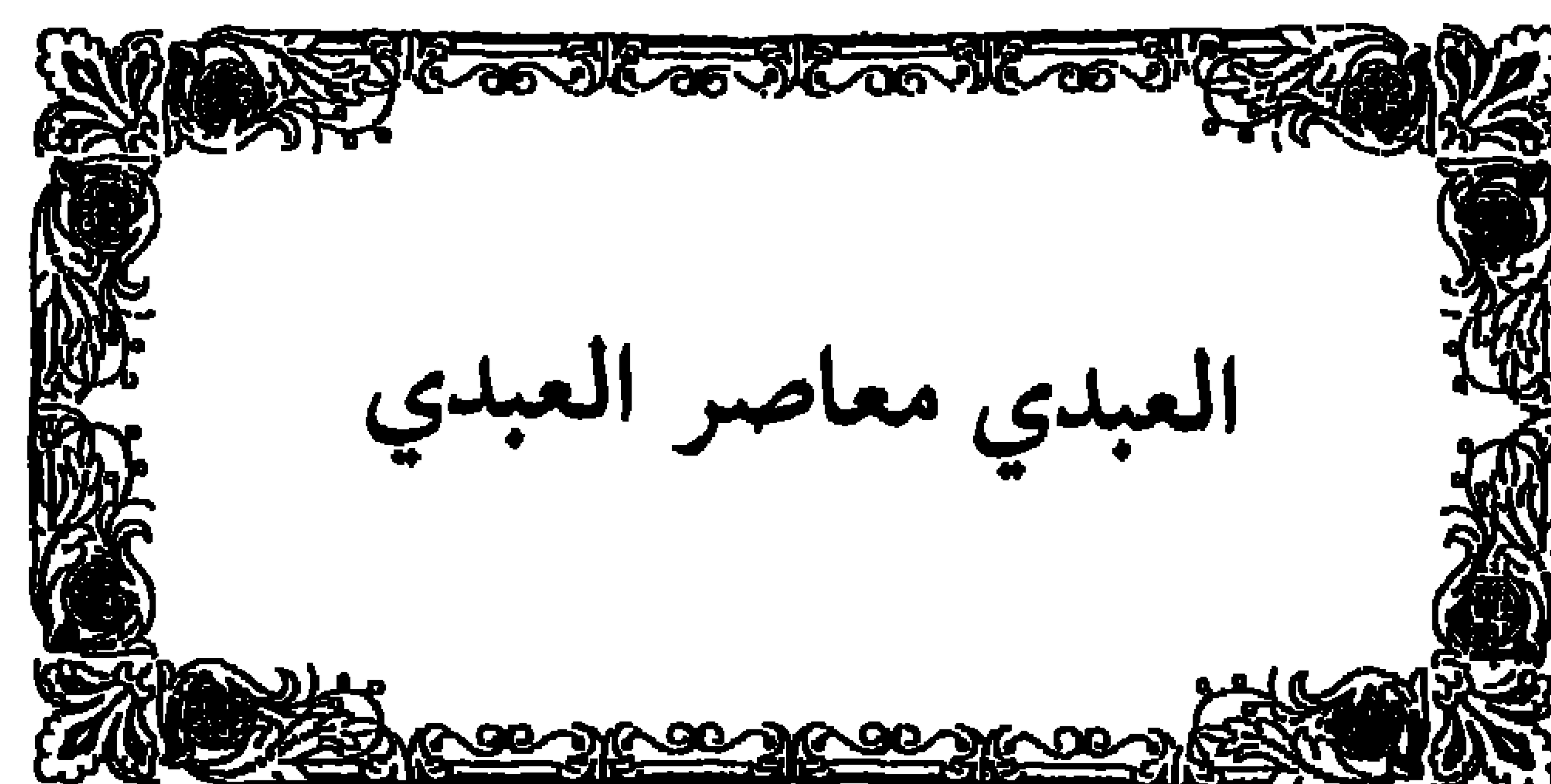
البيت الأوّل إشارةٌ إلى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كُلّاً بسيماهم﴾. وما ورد فيه. أخرج الحاكم ابن الحداد الحسكاني (المترجم ج ١ ص ١٤٧) بإسناده عن أصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند عليّ فأتاه ابن الكوّا فسأله عن قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ﴾. الآية. فقال: ويحك يا بن الكوا نحن نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار.

وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في ـ الكشف والبيان ـ في الآية الشريفة عن ابن عبّاس انه قال: الأعراف موضعٌ عالٍ من الصِّراط عليه العباس وحمزة وعليٌّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه. ورواه ابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ١٧ وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١، والشوكاني في «فتح القدير» ج ٢ ص ١٩٨.

والبيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كلَّ أُناس بإمامهم﴾. وأئمّة الشيعة هم العترة الطاهرة يُدعون بهم ويُحشرون معهم إذ المرء كما قال النبيُّ الأقدس مع من أحبّ[1] ومن أحبَّ قوماً حُشر معهم[2] ومن أحبَّ قوماً حشره الله في زمرتهم[3].

وبقيّة الأبيات بعضها واضحةٌ وبعضها مرَّ بيانه.

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن أنس وابن مسعود.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث ص ١٥٣.
(٣) أخرجه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة وصححه السيوطي في الجامع الصغيرج ٢ ص ٤٨٨.



العبدي معاصر العبدي

عاصر المترجم من شعراء الشيعة مشاركه في كنيته ولقبه وبيئة نشأته ومذهبه ألا وهو أبو محمَّد يحيى بن بلال العبديُّ الكوفيُّ، فنذكره لكثرة وقوع الإشتباه بينهما وقلّة ذكره، قال المرزباني في معجمه ص ٤٩٩: إنّه كوفيٌّ نزل همدان وهو شاعرٌ محسنٌ يتشيَّع وله في الرشيد مدائح حسنة وهو القائل:

وَللموت خيرٌ من حياةٍ زهيدةٍ   وَللمنع خيرٌ من عطاءٍ مكدَّرِ
فعش مُثرياً أومكدراً؟من عطيّةٍ   تمنّى وإلاّ فاسأل الله واصبرِ

وله:

لعمري لإن حارت اميَّة واعتدت   لأوّلُ مَن سنَّ الضلالة أجورُ

وأنشد (العبديُّ هذا) عبدالله[1] بن علي بن العبّاس بنهر أبي فطرس وله فيه خبر:

أمّا الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ   وبنو اميَّة من دُعاة النّارِ
أاميَّ ما لك مِن قرار فالحقي   بالجنِّ صاغرةً بأرض وبارِ
فلئن رحلت لترحلنَّ ذميمةً   وإذا أقمتِ بذلّة وصغارِ

---

(١) أحد أعمام أبي العباس السفاح، كان من رجال الدهر حزماً ورأياً ودهاءاً وشجاعة انهدم عليه الحبس سنة ١٤٧ وكان قد حبسه المنصور سراً. وقيل: إنه قتل سراً وهدم عليه الحبس قصداً. قال الوطواط: انه جلس يوم الجمعة في جامع دمشق وقتل من بني امية خمسين ألفاً.

وخبر العبديّ هذا وإنشاده الشعر المذكور عبدالله العبّاسي ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٧؛ واليعقوبي في تأريخه ج ٣ ص ٩١، وابن رشيق في العمدة ج ١ ص ٤٨، وأحسب أنّ من علّق على هذه الكتب لم يقف على ترجمة الشاعر فضرب عن ترجمته صفحاً وسكت عن تعريفه.

فقال ابن قتيبة: ولمّا افتتح المنصور الشام وقتل مروان قال[1] لأبي عون ومن معه من أهل خراسان: إنّ لي في بقيّة آل مروان تدبيراً فتأهّبوا يوم كذا وكذا في أكمل عدّة، ثمّ بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنّه يفرض لهم في العطاء فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولدهم ثمّ أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممّن أنت؟! قال: من كلب وقد ولدتهم قال: فانصرف ودع القوم فأبى أن يفعل. وقال: إنّي خالهم ومنهم فلمّا استقرّ بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟! ليدخل فأيقن القوم بالهلكة، ثمّ خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟! ليدخل. ثمّ خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن عليّ بن الحسين؟! ثمّ خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟! ثمّ قيل: إئذنوا لهم فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأومأ إليه: أن ارتفع فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين: اجلسوا. وأهل خراسان قيامٌ بأيديهم العمد فقال: أين العبديّ؟! فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها:

أمّا الدُعاة إلى الجنان فهاشمٌ   وبنو اميّة من دُعاة النّارِ

فلمّا أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يا بن الزانية! فانقطع العبديُّ وأطرق عبدالله ساعة ثمّ قال: إمض في نشيدك. فلمّا فرغ رمى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار ثمّ تمثّل بقول القائل:

ولقد ساءني وساء سواي   قربهم من منابر وكراسي

---

(١) الظاهر أن في العبارة سقطاً إذ القصة وقعت مع عبدالله بن علي وكان أميراً على الشام من قبل المنصور كما في ذيل العبارة ومعجم المرزباني وتاريخي اليعقوبي وابن الأثير وعمدة ابن رشيق.

أنـزلـوهـا بحيث أنـزلهــا اللّـ ـه بـدار الهـوان والإتعـاسِ
لا تُقيلنَّ عبــد شمس عثــاراً واقـطعـوا كـلَّ نخلة وغـراس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيـلًا بجـانب المهـراسِ

ثمَّ قال لأهل خراسان: دهيد[1] فشدخوا بالعمد حتّى سالت أدمغتهم وقام الكلبي فقال: أيّها الأميرا أنا رجلٌ من كلب لست منهم. فقال:

ومُـدخلٌ رأسـه لم يُدنـه أحدٌ بين الفريقين حتى لزّه القـرنُ

ثمَّ قال: دهيد. فشدخ الكلبي معهم ثمَّ التفت إلى النمر فقال: لا خير لك في الحياة بعدهم. قال: أجل. فقتل ثمّ دعا ببراذع[2] فألقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإنَّ أنين بعضهم لم يهدأ حتّى فرغ ثمَّ قال: ما تهنّأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلّا يومي هذا. وقام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم وأغنم أهل خراسان أموالهم ثمَّ صُلبوا في بستانه، وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق إلى البستان فإذا رائحة الجيف تملأ 'الأُنوف، فقيل له: لو أمرت أيّها الأمير بردِّ هذا الباب. فقال: والله لرائحتها أحبُّ إليَّ وأطيب من رائحة المسك. ثمَّ قال:

حسبت اميَّة أن سترضى هاشمٌ عنها ويذهب زيدها وحسينهـا
كـلّا وربُّ مـحمَّـد وإلٓـهـه حتّى تُباح سهولهـا وحزونهـا
وتــذلَّ ذلَّ حليلة لـحليـلهـا بالمشرفيِّ وتستردُّ ديـونـهـا

وقال اليعقوبي: وانصرف عبدالله به عليّ إلى فلسطين فلمّا صار بنهر أبي فطرس بين فلسطين والأردن جمع إليه بني اميَّة ثمَّ أمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز والعطايا ثمَّ جلس من غد وأذن لهم فدخل عليه ثمانون رجلًا من بني اميّة وقد أقام على رأس كلِّ رجل منهم رجلين بالعمد وأطرق مليّاً ثمَّ قام العبديُّ فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أمَّا الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ وبنــو اميَّـة من دُعــاة النّــارِ

---

(١) كلمة فارسية.
(٢) البرذعة: كساء يلقى على ظهر الدابة.

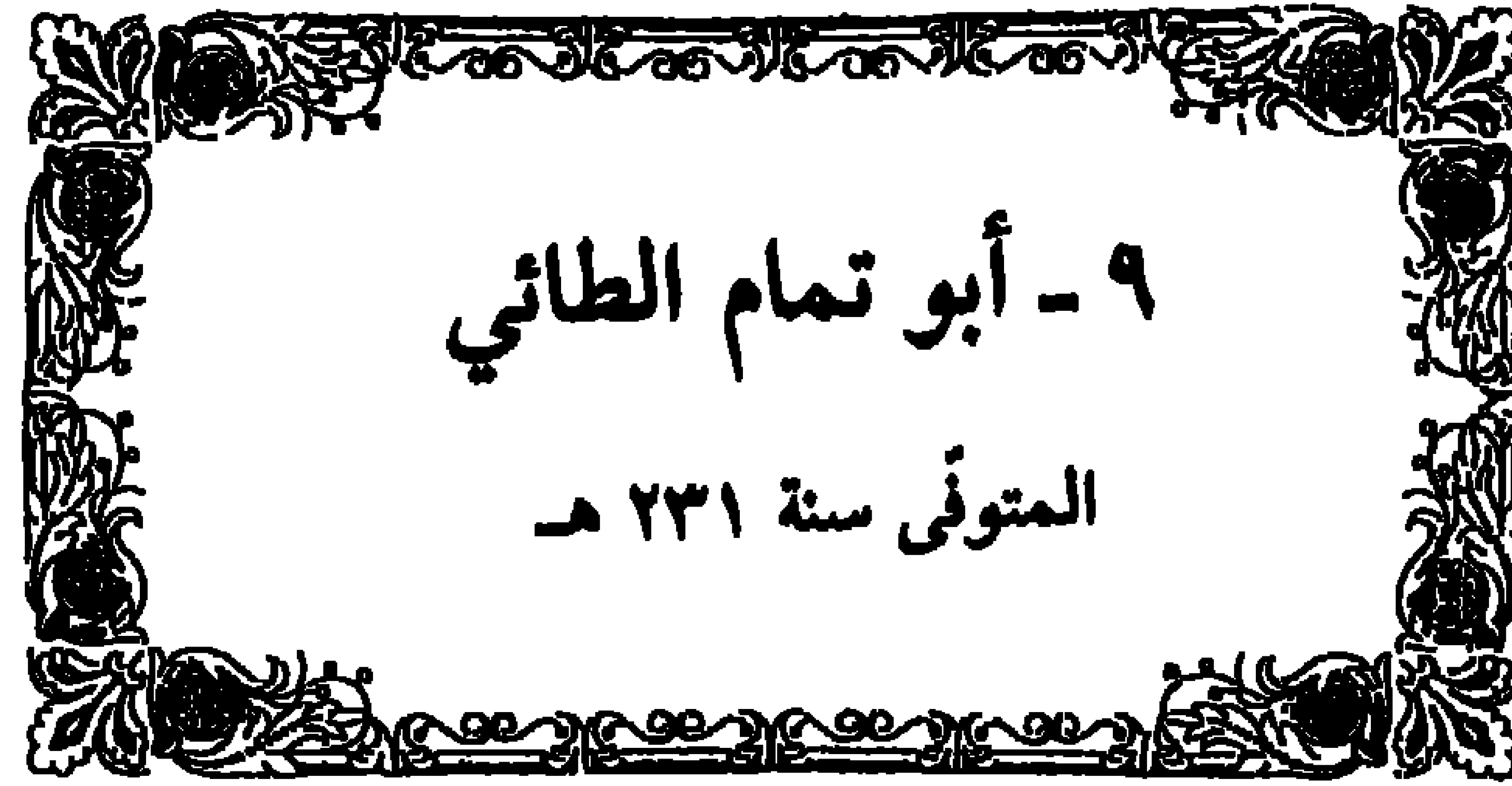
وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً إلى جنب عبدالله بن علي فقال له: كذبت يابن اللخناء، فقال لـه عبدالله بن علي: بـل صدقت يـا أبا محمّد فامض لقولك ثمّ أقبل عليهم عبدالله بن علي فذكر لهم قتل الحسين عليه السّلام وأهل بيته ثمّ صفق له بيده فضرب القومِ رؤوسهم بالعمد حتّى أتوا عليهم فناداه رجلٌ من أقصى القوم:

عبـد شمس أبوك وهـو أبـونـا   لا نُنـاديـك من مكـانٍ بعيـدِ
فـالقـرابـات بيننـا ،واشجـاتٌ   محكمات القوى بعقدٍ شديـدِ

فقال: هيهات قـطع ذلك قتـل الحسين. ثمّ أمر بهم فسُحبـوا فطرحت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام فأكل فقال: يوم كيوم الحسين بن عليّ ولا سواء. وكان قد دخل معهم رجلٌ من كلب قال: رجوت أن ينالوا خيراً فأنال معهم. فقال عبدالله بن علي: اضربوا عنقه.

ومُـدخلٌ رأسـه لم يُدنـه أحدٌ   بين الفريقين حتّى لزّه القـدرُ

شعراء الغدير
في القرن الثالث الهجري



٩ ـ أبو تمام الطائي

المتوفّى سنة ٢٣١ هـ

أظبيةُ حيث استنّت الكثب العفرُ رويدكِ لا يغتالك اللّوم والزّجرُ
أسـرّي حذاراً لم تُقيِّـدك ردّةٌ فيحسر ماءٌمن محاسنك الهذرُ
أراكِ خـلال الأمر والنهي بُـوّةً عداكِ الرّدى ما أنتِ والنهي والأمرُ؟!
أتشغلني عمّـا هـرعتُ لمثله حوادثُ أشجانٍ لصاحبها نكرُ؟
ودهرٌ أساء الصنع حتّى كأنّما يقضّي نذوراً في مساءتي الدّهر
له شجراتٌ خيَّم المجد بينها فـلا ثمرٌ جـانٍ ولا ورقٌ نضرُ
وما زلت ألقى ذاك بالصبر لابساً رداءيه حتّى خفتُ أن يجزع الصبرُ
وإنّ نكيـراً أن يضيق بمن لـهُ عشيـرة مثلي أو وسيلته مصـرُ
وما لإمرىءٍ من قاتلٍ يوم عثرةٍ لعـاً وخديناه الحداثـةُ والفقرُ
وإن كانت الأيّام آضت وما بها لذي غلّةٍ وردٌ ولا سائلٍ خبرُ
هم النـاس سار الـذمُّ والحرب بينهم وحُمّـر أن يغشـاهم الحمـدُ والأجـرُ
صفيّكِ منهم مُضمرٌ عُنجهيّةً[1] فقـائـدهُ تيـهٌ وسـائقـهُ كبـرُ
إذا شام برق اليُسر فالقرب شأنه وأنأى من العيّوق إن ناله عسرُ
أريني فتىً لم يَقله النّاس أو فتىً يصـحُّ له عـزمٌ وليس له وقـرُ
ترى كلّ ذي فضل يطول بفضله على مُعتفيه والذي عنده نزرُ
وإنّ الـذي أحـذاني الشيب للّذي رأيتِ ولم تكمـل لـه السبـع والعشرُ

---

(١) العنجهيّة بضم العين والجيم: الكبر.

واخرى إذا استودعتها السرَّ بيِّنت — به كرهاً ينهاض من دونها الصدرُ
طغى من عليها واستبدَّ برأيهم — وقــولـهمُ إلاّ أقـلّهم الـكفــرُ
وقــاسـوا دُجى أمــريهمُ وكـلاهمـــا — دليـلٌ لهم أولى بـه الشمس والبــدرُ
سيحدوكم استسقاؤكم حلب الردى — إلى هُــوَّةٍ لا المــاء فيهــا ولا الخمــرُ
سأمتم عبور الضحل خوضاً فأيةٌ — تعدّونها لو قد طغى بكم البحرُ
وكـنتـم دمــاء تحت قِــدرٍ مـغــارةٍ — عـلى جهل مـا أمست تفور بـه القدرُ
فهـلاّ زجرتم طـائـر الجهـل قبـل أن — يجيء بمـا لا تبسـأون بـه الـزَّجـرُ ؟!
طـويتم ثنـايــا تخبـأون عــوارهـــا — فـأين لكم خبءٌ وقد ظهـر النشرُ؟!
فعلتم بــأبنـاء النبيِّ ورهـــطه — أفاعيل أدناها الخيانة والغـدرُ
ومن قبله أخلفـتمُ لــوصيِّــه — بـداهيةٍ دهيـاءَ ليس لهـا قَـدرُ
فجأتم بها بكراً عَواناً ولم يكن — لها قبلها مثـلٌ عَوانٌ ولا بِكـرُ
أخـوه إذا عُدّ الفخـار وصهره — فــلا مثله أخٌ ولا مثله صهــرُ
وشُــدَّ بـه أزر النبيِّ محمَّــدٍ — كما شُدَّ من موسى بهارونه الأزرُ
وما زال كشّافـاً دياجيـر غمرةٍ — يمزِّقها عن وجهه الفتح والنصرُ
هـو السيف سيف الله في كلِّ مشهـد — وسيف الـرسـول لا ددانٌ ولا دثــرُ
فـأيّ يد للذمِّ لم يبـرِ زنـدهـا — ووجه ضلالٍ ليس فيه له أثـرُ
ثوى ولأهل الـدين أمنٌ بحدّه — وللواصمين الدينُ في حدِّه ذعرُ
يسـدُّ بـه الثغـر المخـوف من الـرَّدى — ويعتـاض من أرض العدوِّ بـه الثغـرُ
بأُحدٍ وبـدرٍ حين ماجَ بـرجله — وفرسانـه أُحدٌ ومـاج بهم بدرُ
ويـوم حُنينٍ والنضيـر وخيبــرٍ — وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو
سما للمنايا الحمر حتّى تكشّفت — وأسيـافه حمـرٌ وأرماحـه حمرُ
مشاهدُ كان الله كاشفَ كربها — وفـارجَـه والأمــر ملتبسٌ إمرُ
و«يوم الغدير» استوضـح الحقّ أهله — بضحياء[1] لا فيها حجـابٌ ولا سترُ
أقام رسول الله يـدعوهمُ بهـا — ليقـربهمُ عـرفٌ وينآهمُ نكـرُ

---

(١) وفي نسخة: بفيحاء.

يمدّ بضبعيه ويُعلم(١): أنّه ولّيٌ ومولاكم فهل لكمُ خبرُ؟!
يروح ويغدو بالبيان لمعشر يروح بهم غمرٌ ويغدو بهم غمرُ
فكان لهم جهرٌ بإثبات حقّه وكان لهم في بزِّهم حقّه جهرُ
أثمَّ جعلتم حظّه حدّ مرهفٍ من البيض يوماً حظُّ صاحبه القبرُ
بكفّي شقيٍّ وجّهته ذنوبه إلى مرتع يُرعى به الغيُّ والوزرُ

القصيدة ٧٣ بيتاً توجد في ديوانه ص ١٤٣.

ما يتبع الشعر

لا أجد لذي لبٍّ مُنتدحاً عن معرفة يومِ الغدير لا سيّما وبين يديه كتب الحديث والسير ومدونات التاريخ والأدب. كلٌّ يومي إليه بسبّابته، ويوعز إليه ببنانه، كلٌّ يلمس يدي القارىء حقيقة يوم الغدير، فلا يدع له ذكراً خالياً منه، ولا مخيّلة تعدوه، ولا أضالع إلّا وقد انحنت عليه، فكأنّه وهو يتلقّى خبره بعد لأيٍ من الدهر يرنو إليه من كثب، ويستشفُّ أمره على أمم، ولعلَّ الواقف على كتابنا هذا من البدء إلى الغاية يجد فيه نماذج ممّا قلناه.

إذاً فهلمَّ معي واعجب من الدكتور ملحم إبراهيم الأسود شارح ديوان شاعرنا المترجم حيث يقول عند قوله:

ويوم الغدير استوضح الحقّ أهله ....

يوم الغدير واقعة حرب معروفة. وذكر بعده في قوله:

يمدُّ بضبعيه ويعلم أنّه ....

ما يكشف عن أنّها كانت من المغازي النبويّة قال ص ٣٨١: يمدُّ بضبعيه يساعده وينصره والهاء راجعة إلى الإمام عليّ، أي: كان رسول الله ﷺ ينصره ويعلم أنّه وليّ، كان العضد والمساعد الوحيد للنبيِّ ﷺ في الغدير والرسول

---

(١) من أفعل. ويظهر من الدكتور ملحم شارح ديوان أبي تمام أنه قرأه مجرداً من علم لا مزيداً من أعلم كما قرأناه ومختارنا هو الصحيح الذي لا يعدوه الذوق العربي.

نفسه كان ينصره عالماً أنّه سيكون وليّاً على شعبه بعده وخليفةً له، وهذه هي الحقيقة، فهل تعلمون؟! اهـ.

ألا مسائل هذا الرجل عن مصدر هذه الفتوى المجرَّدة؟! أهل وجد هاتيك الغزوة في شيء من السير النبويَّة؟! أو نصَّ عليها أحدٌ من أئمّة التاريخ؟! أم أنَّ تلك الحرب الزبون وحدها قد توسّع بنقلها المتوسعون من نقلة الحديث؟! دع ذلك كلّه هل وجد قصّاصاً يقصّها؟! أو شاعراً يصوِّرها بخياله؟!

ألا مَن يُسائله عن أنَّ هذه الغزوة متى زيدت على الغزوات النبويَّة المحدودة؟! المعلومة بكمِّها وكيفها، المدوَّنة أطوارها وشئونها، وليس فيها غزءة يوم الغدير، متى زيدت هذه على ذلك العدد الثابت بواحدة؟! فكان فيها عليٌّ والنبيُّ يتناصران، ويعضد كلٌّ صاحبه، ويدفع كلٌّ عن الآخر كما يحسبه هذا الكاتب.

وإنَّك لتجد الكاتب عيّاً عن جواب هذه الأسئلة لكنّه حبَّذت له بواعثه أن يستر حقيقة الغدير بذيل أمانته، وهو يحسب أنّه لا يقف على ذلك التعليق إلاّ الدهماء، أو أنَّ البحّاثة يمرّون عليه كراماً، لكنَّ المحافظة على حقيقة دينيَّة أولى من التحفظ على اعتبار هذا الكاتب الذي يكتب ولا يبالي بما يكتب، ويرى الكذب حقيقة راهنة.

نعم كان في الجاهليَّة يوم أغار فيه دُريد بن الصمَّة (المقتول كافراً بعد فتح مكّة) على غطفان يطالبهم بدمه فاستقراهم حيّاً حيّاً وقتل من بني عبس ساعدة بن مرّ وأسر ذؤاب بن أسماء الجشمي فقالت بنو جشم: لو فاديناه. فأبى ذلك دُريد عليهم وقتله بأخيه عبدالله وأصاب جماعة من بني مرَّة ومن بني ثعلبة ومن أحياء غطفان. قال في الأغاني ج ٩ ص ٦: وذلك في «يوم الغدير» وذكر لدُريد شعراً في ذلك.

وعُدَّ في العقد الفريد ج ٣ ص٧١ من حروب الجاهليَّة يوم [غدير قلياد] قال: قال أبو عبيدة، فاصطلح الحيّان إلاّ بني ثعلبة بن سعد فإنّهم أبوا ذلك

وقالوا: لا نرضى حتّى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها فخرجوا من قطن(١) حتّى وردوا [غدير قلياد] فسبقهم بنو عبس إلى الماء فمنعوهم حتّى كادوا يموتون عطشاً ودوابّهم فأصلح بينهم عوف ومعقل إبنا سبيع من بني ثعلبة، وإيّاها يعني زهيرٌ بقوله:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشم «الخ»

«وقلياد» في الكلام المذكور مصحّف «قلهى» كما يظهر من معجم البلدان ج ٧ ص ١٥٤، وبلوغ الإرب ج ٢ ص ٧٣، وفي الأخير عدّه من أيّام العرب المشهورة.

هذا كلّ ما رُوي في حديث هذا اليوم الذي لم يكن لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولا لأحد من الهاشميّين فيه حلٌ ولا مرتحل ولا لوصيّه أمير المؤمنين عليه السّلام فيه صولةٌ أو جولةٌ، فالحديث ليس فيه أيّ صلة بهما، أفمن المعقول إذن أن يريده أبو تمام المادح للوصيّ الأعظم؟! ويعدّه مأثرةً له؟! على أنّ الشعر نفسه يأبى أن يكون المراد به واقعة حرب دامية فإنّ الشاعر بعد أن عدّ مواقف أمير المؤمنين عليه السّلام في الغزوات النبويّة وذكر منها غزاة أُحد وبدر وحنين والنضير وخيبر والخندق وختمها بقوله:

مشاهد كان الله كاشف كربها وفارجه والأمر ملتبسٌ إمرُ

أخذ في ذكر منقبة ناءَ بها اللسان دون السيف والسنان فقال: ـ ويوم الغدير ـ وأنت ترى أنّه يوعز إلى قصّة فيها قيامٌ ودعوةٌ وإعلامٌ وبيانٌ ومجاهرةٌ بإثبات الحقّ لأهله.

الشاعر

أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجع بن يحيى بن مُزينا بن سهم بن ملحان بن مروان بن رفافة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن

---

(١) يوم قطن من حروب الجاهلية، راجع إلى العقد الفريد ج ٣ ص ٦.

عمـرو بن عـدي بن عمـرو بن الحـارث بن طيء جلهم بن أدد بن زيـد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. تـاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨.

أحد رؤساء الإماميّة كما قال الجاحظ(١) والأوحد من شيوخ الشيعة في الأدب في العصور المتقادمة، ومن أئمّة اللغة، ومنتجع الفضيلة والكمال، كان يُؤخذ عنه الشعر وأساليبه، وينتهي إليه السير، ويُلقى لديه المقالد، ولم يختلف اثنان في تقدُّمه عند حلبات القريض، ولا في تـولّعه بـولاء آل الله الأكرمين صلوات الله عليهم، وكان آيةً في الحفظ والذكاء حتّى قيل: إنّه كان يحفظ أربعة آلاف ديوان من الشعر غير ألف أرجوزة للعـرب غيرالمقـاطيع والقصائد(٢) وفي [معاهد التنصيص]: أنّه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وفي التكملة: أنّه أخمل في زمانه خمسمائة شاعر كلّهم مجيد.

المترجم له شاميُّ الأصل وُلد بقريـة «جاسم» من قـرى «الجيدور» من أعمال «دمشق» وانَّ أباه كان يُقال له: ندوس(٣) العطّار فجعلوه أوساً، وفي دائرة المعارف الإسلاميّة: انَّ المترجم هو الّذي بدَّله وكان أبوه نصرانيّاً. نشأ المترجم بمصر وفي حداثته كان يسقي الماء في المسجد الجامع ثمّ جالس الأُدباء فأخذ عنهم وتعلّم منهم وكان فطناً فهماً وكان يحبُّ الشعر فلم يزل يُعانيه حتّى قال الشعر وأجاد، وشاع ذكره، وسار شعره، وبلغ المعتصم خبره فحمله إليه وهو بسرَّ من رأى، فعمل أبو تمام فيه قصائد عدَّة وأجازه المعتصم وقدَّمه على شعراء وقتـه، وقدم إلى بغـداد وتجوَّل في العـراق وإيران، ورآه محمَّـد بن قدَّامـة بقزوين، فجالس بها الأُدباء وعـاشر العلمـاء وكان مـوصوفـاً بالـظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس.

قال الحسين بن إسحاق قلت للبحتري: الناس يزعمون أنّك أشعر من أبي

---

(١) فهرست النجاشي ص ١٠٢.

(٢) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) لهذا الاسم قراءات مختلفة: تدوس. تدرس. ندوس. ثدوس. ثادوس. ثيودوس.

تمام فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضرّ أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلّا به ولوددت أنّ الأمر كما قالوا ولكنّي والله تابعٌ له لائذٌ به آخذٌ منه، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه. [تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨].

كان البحتري أوّل أمره في الشعر ونباهته فيه أنّه سار إلى أبي تمام وهو بحمص فعرض عليه شعره وكانت الشعراء تقصده لذلك، فلمّا سمع شعر البحتري أقبل عليه وترك سائر النّاس فلمّا تفرّقوا قال له: أنت أشعر مَن أنشدني، فكيف حالك؟! فشكى إليه القلّة. فكتب أبو تمام إلى أهل معرّة النعمان وشهد له بالحذق وشفع له إليهم وقال له: إمتدحهم. فسار إليهم فأكرموه بكتاب أبي تمام ووظفوا أربعة آلاف درهم فكانت أوّل مال أصابه ثمّ أقبل عليه أبو تمام يصف شعره ويمدحه فلزمه البحتري بعد ذلك، وقيل للبحتري: أنت أشعر أم أبو تمام؟! فقال: جيِّده خيرٌ من جيِّدي، ورديّي خيرٌ من رديئه. وقيل: سُئل أبو العلاء المعرّي: مَن أشعر الثلاثة؟! أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟! فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنّما الشاعر البحتري. وقيل: أنشد البحتري أبا تمام شيئاً من شعره فقال له: أنت أمير الشعراء بعدي. قال البحتري: هذا القول أحبّ إليّ من كلِّ ما نلته.

وقال ابن المعتز: شعره كلّه حسنٌ. وذكر اعتناءه البالغ بشعر مسلم بن الوليد صريع الغواني وأبي نواس. وعن عمارة بن عقيل في حديث نقله عنه ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٢٢: أنّه لَمّا سمع قوله:

وطول مقام المرء بالحيِّ مخلقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدَّد
فإني رأيت الشمس زيدت محبّةً ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

قال: إن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، وأطراف المراد، واستواء الكلام، فهي لأبي تمام، وهو أشعر الناس، وإن كان بغيرها فلا أدري. وكان في لسانه حبسة وفي ذلك يقول ابن المعدّل أو أبو العميثل:

يا نبيَّ الله في الشعـ ... ـر ويا عيسى بن مريمْ
أنت من أشعر خلق اللّـ ... ـه ما لم تتكلَّمْ

مدح الخلفاء والأُمراء فأحسن، وحدَّث عن صهيب بن أبي الصحباء الشاعر، والعطاب بن هارون، وكرامة بن أبان العدوي، وأبي عبد الرحمن الأموي، وسلامة بن جابر النهدي، ومحمَّد بن خالد الشيباني، وروى عنه خالد بن شريد الشاعر، والوليد بن عبادة البحتري، ومحمَّد بن إبراهيم بن عتاب، والعبدويّ البغدادي. [تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٨].

رُوي أنَّه لمّا مدح الوزير محمّد بن عبد الملك الزيّات بقصيدته التي يقول فيها:

ديمةٌ سمحة القياد سكوبٌ ... مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ
لو سعت بقعةٌ لأعظام أُخرى ... لسعى نحوها المكان الجديبُ

قال له ابن الزيّات: يا أبا تمام! إنّك لَتحلي شعرك من جواهر لفظك ودرر معانيك ما زيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يدَّخر لك شيءٌ من جزيل المكافأة إلاّ ويقصر عن شعرك في الموازرة، وكان بحضرته الكندي الفيلسوف فقال له: إنَّ هذا الفتى يموت شابّاً. فقيل له: من أين حكمت عليه بذلك؟! فقال: رأيت فيه من الحدَّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحسن وجودة الخاطر ما علمت به أنَّ النفس الروحانيَّة تأكل جسمه كما يأكل السيف المهنَّد غمده. [تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١٣٢].

ذكر الصولي: إنَّ المترجم امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينيَّة فلمّا انتهى إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياسِ

قال له الكندي الفيلسوف وكان حاضراً: الأمير فوق ما وصفت. فأطرَق قليلاً ثمَّ رفع رأسه فأنشد:

لا تنكروا ضربي لـه من دونه ... مثلاً شروداً في النّدى والباسِ
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فعجبوا من سرعة فطنته.

ديوان شعر أبي تمام

قد يقال: إنّ المترجم لم يُدوِّن شعره. لكنَّ الظاهر من قراءة عثمان بن المثنّى القرضي المتوفّى سنة ٢٧٣ ديوانه عليه كما في «بغية الوعاة» ص ٣٢٤، أنّ شعره كان مدوَّناً في حياته. واعتنى بعده جمعٌ من الأعلام والأدباء بترتيبه وتلخيصه وشرحه وحفظه ومنهم:

١ ـ أبو الحسن محمّد بن إبراهيم بن كيسان المتوفّى سنة ٣٢٠، له شرحه.

٢ ـ أبو بكر محمّد بن يحيى الصولي المتوفّى سنة ٣٣٥/ ٦، رتّبه على حروف المعجم في نحو ثلاثمائة ورقة.

٣ ـ عليّ بن حمزة الأصبهاني، رتّبه على الأنواع.

٤ ـ أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري الشافعيّ المتوفّى سنة ٣٨٠، له شرحه.

٥ ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفّى سنة ٣٧١، له شرحه.

٦ ـ الخالع حسين بن محمد الرافعي كان حيّاً في حدود سنة ٣٨٠، له شرحه.

٧ ـ الوزير حسين بن عليّ المغربيّ المتوفّى سنة ٤١٨، له كتاب اختيار شعره.

٨ ـ أبو ريحان محمّد بن أحمد البيروني المتوفّى سنة ٣٤٠، له شرحه رآه الحموي بخطه.

٩ ـ أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعرّي المتوفّى سنة ٤٤٩، له تلخيصه المسمّى بـ «ذكرى حبيب» وشرحه.

١٠ ـ أبو زكريا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي المتوفّى سنة ٥٠٢، له شرحه.

١١ ـ أبو البركات ابن المستوفي مبارك الأربلي المتوفّى سنة ٦٣٧، له شرحه في عشر مجلّدات.

١٢ ـ أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمّد المتوفّى سنة ٦٣٧، كان يحفظه.

١٣ ـ أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة ٦٧٢، كان يحفظه ويحفظ الحماسة.

١٤ ـ محيي الدين الخيّاط، له شرحه(١).

١٥ ـ الدكتور ملحم إبراهيم أسود، له شرحه المطبوع بمصر.

والظاهر أنّ النسخة المطبوعة من ديوان أبي تمام، هو ترتيب الصولي لأنّها مرتّبة على الحروف إلّا أنّ فيها سقطاً كثيراً من شعره لأنّ النجاشي قال في فهرسته ص ١٠٢: له شعرٌ في أهل البيت كثيرٌ، وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله: أنّه رأى نسخة عتيقة ولعلّها كتبت في أيّامه أو قريباً منه وفيها قصيدةٌ يذكر فيها الأئمّة حتّى انتهى إلى أبي جعفر الثاني عليه السّلام لأنّه توفّي في أيّامه. اهـ. ولا يوجد في الديوان المطبوع شيءٌ من ذلك الكثير عدا رائيّته المذكورة في هذا الكتاب، فإمّا أنّ يد الأمانة في طبع الكتب حذفت تلكم القصائد عند تمثيل الديوان إلى عالم الطباعة كما صنعت مع غيره أيضاً، أو أنّها لم تصل إليها عند النشر، أو أنّ المطبوع اختصار أبي العلاء المعرّي المذكور.

ديوان الحماسة وشروحه

ولأبي تمام ممّا أفرغه في قالب التأليف ديوان الحماسة الذي سار به الرّكبان واستفادت به الأجيال بعده، جمع فيه عيون الشعر ووجوهه من كلام

---

(١) راجع فهرست ابن النديم ص ٢٣٥، فهرست النجاشي ص ١٠٢، الطبقات لابن أبي صبيعة ج ٢ ص ٢٠ تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٠، ١٣٣، بغية الوعاة ص ٣٢٤، ٤٠٤، ٤٢٣، كشف الظنون، معجم المطبوعات.

العرب، جمعه بدار أبي الوفاء ابن سلمة بهمدان عندما اضطرّته الثلوج إلى الإلتجاء إلى هذه المدينة أثناء أوبته من زيارة عبدالله بن طاهر، ورتّبه على عشرة أبواب خصّ كلّ باب بفنّ وقد اعتنى بشرحه جمعٌ كثيرٌ من أعلام الأدب منهم :

١ ـ أبو عبدالله محمّد بن القاسم ماجيلويه البرقي.

٢ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد السُميساطي[1] المتوفّى أواسط المائة الرابعة.

٣ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا اللغويّ الرازيّ المتوفّى سنة ٣٦٩.

٤ ـ أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن عبدالله النمري المتوفّى سنة ٣٨٥، ولأبي محمّد الأسود الحسن الغندجاني ردٌّ على النمري هذا في شرح الحماسة كما في [معجم الأدباء] ج ٣ ص ٢٤.

٥ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢، له «المنهج» في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة وشرح مستغلق الحماسة.

٦ ـ أبو الحسن عليّ بن زيد البيهقي.

٧ ـ أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري كان حيّاً إلى سنة ٣٩٥.

٨ ـ أبو المظفّر محمّد بن آدم بن كمال الهروي. النحوي المتوفّى سنة ٤١٤.

٩ ـ الشيخ أبو عليّ أحمد بن محمّد المرزوقي الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٢١.

١٠ ـ أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعرّي التنوخيّ المتوفّى سنة ٤٤٩.

---

(١) نسبة إلى سميساط بالمهملتين بضم أوله وفتح ثانيه، فما في كثير من المعاجم «الشمشاطي» بالمعجمتين تصحيف.

١١ - أبو الحسن عليّ بن أحمد بن سيدة الأندلسي المتوفّى سنة ٤٥٨.

١٢ - أبو الحسين عبدالله بن أحمد بن الحسين الشاماتي المتوفّى سنة ٤٧٥.

١٣ - أبو القاسم زيد بن علي بن عبدالله الفارسي المتوفّى سنة ٤٦٧.

١٤ - أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخبري المتوفّى سنة ٤٧٦.

١٥ - أبو الحجّاج يوسف بن سلمان الشنتمري المتوفّى سنة ٤٧٦، شرحها شرحاً كبيراً ورتّبها على الحروف.

١٦ - أبو زكريّا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي المتوفّى سنة ٥٠٢، له شروحها الثلاثة.

١٧ - أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن الأشبيلي المتوفّى سنة ٥١٤.

١٨ - أبو المحاسن مسعود بن عليّ البيهقي المتوفّى سنة ٥٤٤.

١٩ - أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد الأنباري المتوفّى سنة ٥٧٧.

٢٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الحضرمي الأشبيلي المتوفّى سنة ٥٨٤.

٢١ - أبو محمّد القاسم بن محمّد الديمرتي الإصبهاني.

٢٢ - الشيخ عليّ بن الحسن الشميم الحلّي المتوفّى سنة ٦٠١.

٢٣ - أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي المتوفّى سنة ٦١٦.

٢٤ - أبو عليّ الحسن بن أحمد الأسترابادي اللغويّ النحويّ.

٢٥ - المولوي فيض حسين شرحها مختصراً وأسماه بالفيضي.

٢٦ - الشيخ لقمان.

٢٧ - الشيخ سيد بن علي المرصفي الأزهري المعاصر.

راجع فهرست النجاشي: فهرست ابن النديم، معجم الأدباء، بغية الوعاة، الذريعة.

دواوين الحماسة

تبع أبا تمام في صناعة الحماسة كثيرون، منهم:

١ - البحتري أبو عبادة الوليد بن عُبيدة المتوفّى سنة ٢٨٤.

٢ - أبو الحسين أحمد بن فارس اللغويّ الرازيّ المتوفّى سنة ٣٦٩.

٣ - الخالديّان إبنا هاشم: أبو بكر محمّد وأبو عثمان سعيد المتوفّى سنة ٣٧١.

٤ - أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكريّ النحويّ.

٥ - أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الشنتمري المتوفّى سنة ٤٧٦.

٦ - أبو حصين محمّد بن علي الإصبهاني الديمرتي.

٧ - أبو دماش عدّه ابن النديم من النحويّين اللغويّين.

٨ - أبو العبّاس محمّد بن خلف بن المرزباني.

٩ - أبو السعادات هبة الله بن عليّ المعروف بابن الشجري المتوفّى سنة ٥٤٢.

١٠ - الشيخ عليّ بن الحسن الشميم الحلّي المتوفّى سنة ٦٠١.

١١ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأندلسي المتوفّى سنة ٦٥٣.

١٢ - صدر الدين عليّ بن أبي الفرج البصري المقتول سنة ٦٥٩.

١٣ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة ٦٧٢[١].

---

(١) فهرست ابن النديم. معجم الأدباء. بغية الوعاة.

ومن آثار أبي تمام الأدبيَّة: الاختيارات من شعر الشعراء، الاختيار من شعر القبائل، اختيار المقطعات، المختار من شعر المحدثين. نقائض جرير والأخطل. الفحول وهو مختارات من قصائد شعراء الجاهليَّة والإسلام تنتهي بابن هرمة، ذكرها له ابن النديم في فهرسته ص ٢٣٥ وغيره.

المؤلفون في أخبار أبي تمام

لقد جمع أخباره وما يُؤثر عنه غضون حياته من نوادر وظرف ونكت وأدب وشعر جماعةٌ منهم:

١ - أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفّى سنة ٢٨٠، له كتاب: [سرقات النحويِّين من أبي تمام].

٢ - أبو بكر محمَّد بن يحيى الصولي المتوفّى سنة ٣٣٦، له «أخبار أبي تمام». طبع مع فهرسته في ٣٤٠ صحيفة.

٣ - أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري المتوفّى سنة ٣٧١، له كتاب [الموازنة بين أبي تمام والبحتري] في عشرة أجزاء. ولياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ٢ ص ٥٩ كلمات حول هذه الموازنة. وللآمدي هذا ردٌّ على ابن عمّار فيما خطّأ فيه أبا تمام.

٤ - الخالديّان إبنا هاشم: أبو بكر محمَّد وأبو عثمان سعيد المتوفّى سنة ٣٧١، لهما كتاب [أخبار أبي تمام ومحاسن شعره].

٥ - أبو علي أحمد بن محمَّد المرزوقي الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٢١، له كتاب [الإنتصار من ظلمة أبي تمام] دفع عنه ما انتقد به.

٦ - أبو عبدالله محمَّد بن عمران المرزباني المتوفّى سنة ٤٤٤، له كتاب «أخبار أبي تمام» في نحو من مائة ورقة.

٧ - أبو الحسين عليّ بن محمَّد العدوي السُميساطي، له كتاب [أخبار

أبي تمام والمختار من شعره]. وله كتاب تفضيل أبي نواس على أبي تمام.

٨ ـ أبو ضياء بشر بن يحيى النصيبي له كتاب [سرقات البحتري من أبي تمام].

٩ ـ أحمد بن عبيدالله القطربلي المعروف بالفريد، صنّف في أخطاء أبي تمام في الإسلام وغيره.

١٠ ـ الشيخ يوسف البديعي القاضي بالموصل المتوفّى سنة ١٠٧٣ له كتاب [هبة الأيّام فيما يتعلّق بأبي تمام] في ٣٠٩ صحيفة طبع بمصر سنة ١٣٥٢.

١١ ـ الشيخ محمّد علي بن أبي طالب الزاهدي الجيلاني المتوفّى بنبارس الهند سنة ١١٨١.

١٢ ـ سيّدنا المحسن الأمين العاملي مؤلّف أعيان الشيعة.

١٣ ـ عمر فرّوخ من كتّاب العصر الحاضر، له تأليفٌ في المترجم طبع ببيروت في مائة صحيفة.

وتوجد ترجمته في طبقات ابن المعتزّ ص١٣٣، فهرست ابن النديم ص ٢٣٥، تأريخ الطبري ج ١١ ص ٩، فهرست النجاشي ص ١٠٢، تأريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨، مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ و٣٥٧، معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧، تأريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٨ ـ ٢٧، نزهة الألبّاء ص ٢١٣، تأريخ ابن خلّكان ج ١ ص ١٣١، رجال ابن داود. خلاصة العلّامة، رمرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢، معاهد التنصيص ج ١ ص ١٤، شذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢، مجالس المؤمنين ص ٤٥٨، كشف الظنون ج ١ ص ٥٠١، رياض الجنّة للزنوزي في الروضة الرابعة، أمل الآمل ص ٨، منتهى المقال ص ٩٦، منهج المقال ص ٩٢، تكملة أمل الآمل لسيّدنا الصدر الكاظمي، دائرة المعارف للبستاني ج ٢ ص ٥٦، دائرة المعارف الإسلاميّة ج ١ ص ٣٢٠، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٢ ص ٦٨٥ ـ ٦٩٣. وغيرها.

ولادته ووفاته

لم نجزم فيهما بشيء ممّا في المعاجم لتكثّر الاختلاف فيها، وكان الحقيق أن يُؤخذ بالمنقول عن ابنه تمام إذ أهل البيت أدرى بما فيه، لكن اختلاف المعاجم في المنقول عنه يسلب الثقة به، فمجموع الأقوال: أنّه وُلد سنة ١٧٢، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢ وتوفّي سنة ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، بالموصل ودفن بها وبنى عليه أبو نهشل بن حميد الطوسي قبّة خارج باب الميدان على حافّة الخندق ورثاه عليٌّ بن الجهم بقوله:

غاضت بدائع فطنة الأوهام ... وغدت عليها نكبة الأيّامِ
وغدا القريض ضئيل شخص باكياً ... يشكو رزيّته إلى الأقلامِ
وتأوّهت غور القوافي بعده ... ورمى الزّمان صحيحها بسقامِ
أودى مثقّفها ورائد صعبها ... وغدير روضتها أبا تمامِ

وقال الحسن بن وهب يرثيه:

فُجع القريض بخاتم الشعراءِ ... وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً فتجاورا في حفرةٍ ... وكذاك كانا قبلُ في الأحياءِ

قد يُعزى البيتان إلى ديك الجنّ. ورثاه الحسن بن وهب أيضاً بقوله من قصيدة:

سقى بالموصل القبر الغريبا ... سحائبُ ينتحبن له نحيبا
إذا أظللنه أظللن فيه ... شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطّمن البروق به خدوداً ... وأشققن الرّعود به جيوبا
فإنّ تراب ذاك القبر يحوي ... حبيباً كان يُدعى لي حبيبا

ورثاه محمّد بن عبد الملك الزيّات وزيرالمعتصم، وقيل: إنّه لأبي الزبرقان عبدالله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أُميّة بقوله:

نبأٌ أتى من أعظم الأنباءِ ... لمّا ألمّ مقلقل الأحشاءِ
قالوا: جبيبٌ قد ثوى فأجبتهم ... ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

سُئل شرف الدين أبو المحاسن محمَّد بن عنين عن معنى قوله:

سقى الله روح الغوطتين ولا ارتوت   من الموصل الجدباء إلّا قبورها

لِمَ حرَّمها وخصَّ قبورها؟! فقال: لأجل أبي تمام.

خلف المترجم ولده الشاعر تمام، قصد بعد موت أبيه عبدالله بن طاهر فاستنشده فأنشده:

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا   إذ بجمال الوجه روّاكا
بغداد من نورك قد أشرقت   وأورق العود بجدواكا

فأطرق عبدالله ساعة ثمَّ قال:

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا   إنَّ الذي أمَّلت أخطاكا
أتيت شخصاً قد خلا كيسه   ولو حوى شيئاً لأعطاكا

فقال: أيّها الأمير، إنَّ بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما فضلاً من المال. فضحك منه وقال: لئن فاتك شعر أبيك فما فاتك ظرفه: فأمر له بصلة. [غرر الخصائص لوطواط ص ٢٥٩].

الجواد قد يكبو:

لا ينقضي العجب وكيف ينقضي من مثل أبي تمام العريق في المذهب، والعارف بنواميسه، والبصير بأحوال رجالاته، وما لهم من مآثر جمَّة، وجهود مشكورة، وهو جِدُّ عليم بما لأضدادهم من تركاض وهملجة في تشويه سمعتهم، وإعادة تأريخهم المجيد المملوء بالأوضاح والغرر، إلى صورة ممقوتة، محفوفة بشية العار، مشفوعة كلّ هاتيك بجلبة ولغط، وقد انطلت لديه أمثلة من تلكم السفاسف حول رجل الهدى، الناهض المجاهد، والبطل المغوار، المختار بن أبي عُبيد الثقفي؛ فحسب ما قذفته به خصماؤه الألدّاء في دينه وحديثه ونهضته حقائق راهنة حتّى قال في رائيّته المثبتة في ديوانه ص ١١٤:

والهاشميّون استقلّت عيرهم   من كربلاء بأوثق الأوتارِ

فشفاهم المختار منه ولم يكن　　في دينه المختار بالمختارِ
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا　　منه براء السمع والأبصارِ

ومَن عطف على التاريخ والحديث وعلم الرجال نظرةً تشفعها بصيرة نفّاذة علم أنّ المختار في الطليعة من رجالات الدين والهدى والإخلاص؛ وأنّ نهضته الكريمة لم تكن إلاّ لإقامة العدل باستئصال شأفة الملحدين، واجتياح جذوم الظلم الأمويّ، وأنّه بمنزح من المذهب الكيساني؛ وأنّ كل ما نبزوه من قذائف وطامّات لا مقيل لها من مستوى الحقيقة والصدق، ولذلك ترحّم عليه الأئمّة الهداة سادتنا: السجّاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم، وبالغ في الثناء عليه الإمام الباقر عليه السلام، ولم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر هو وأعماله.

وقد أكبره ونزّهه العلماء الأعلام منهم: سيّدنا جمال الدين ابن طاوس في رجاله. وآية الله العلاّمة في الخلاصة. وابن داود في الرجال. والفقيه ابن نما فيما أفرد فيه من رسالته المسمّاة بذوب النضار. والمحقّق الأردبيلي في حديقة الشيعة. وصاحب المعالم في التحرير الطاوسي. والقاضي نور الله المرعشي في المجالس. وقد دافع عنه الشيخ أبو عليّ في منتهى المقال. وغيرهم.

وقد بلغ من إكبار السلف له أنّ شيخنا الشهيد الأوّل ذكر في مزاره زيارةً تخصّ به ويُزار بها وفيها الشهادة الصريحة بصلاحه ونصحه في الولاية وإخلاصه في طاعة الله ومحبّة الإمام زين العابدين، ورضا رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما عنه؛ وأنّه بذل نفسه في رضا الأئمّة ونصرة العترة الطاهرة والأخذ بثارهم.

والزيارة هذه توجد في كتاب «مراد المريد» وهو ترجمة مزار الشهيد للشيخ علي بن الحسين الحائري، وصحّحها الشيخ نظام الدين الساوجي مؤلّف «نظام الأقوال» ويظهر منها أنّ قبر المختار في ذلك العصر المتقادم كان من جملة المزارات المشهورة عند الشيعة، وكانت عليه قبّةٌ معروفةٌ كما في رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٨ .

ولقد تصدّى لتدوين أخبار المختار وسيرته وفتوحه ومعتقداته وأعماله جماعةٌ من الأعلام فمنهم:

١ ـ أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفّى سنة ١٥٧، له كتاب [أخذ الثار في المختار].

٢ ـ أبو المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطّار المتوفّى سنة ٢١٢، له «أخبار المختار».

٣ ـ أبو الحسن عليّ بن عبدالله بن أبي سيف المدائني المتوفّى سنة ٢١٥/ ٢٥، له «أخبار المختار».

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد الثقفي الكوفي المتوفّى سنة ٢٨٣، له «أخبار المختار».

٥ ـ أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة ٣٠٢، له «أخبار المختار».

٦ ـ أبو جعفر محمَّد بن علي بن بابويه القمي الصدوق المتوفّى سنة ٣٨١، له «كتاب المختار».

٧ ـ أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٩، له [مختصر أخبار المختار].

٨ ـ أبو يعلى محمَّد بن الحسن بن حمزة الجعفري الطالبي خليفة شيخنا المفيد، له «أخبار المختار».

٩ ـ الشيخ أحمد بن المتوّج له «الثارات» أو «قصص الثار». منظومة.

١٠ ـ الفقيه نجم الدين جعفر الشهير بابن نما المتوفّى سنة ٦٤٥، له (ذوب النضار في شرح الثار) طبع برمَّته في المجلد العاشر من البحار.

١١ ـ الشيخ عليّ بن الحسين العاملي المروزي له [قرَّة العين في شرح ثارات الحسين] فرغ منه ٢٠ رجب سنة ١١٢٧.

١٢ - الشيخ أبو عبدالله عبد بن محمَّد له [قرَّة العين في شرح ثار الحسين] طبع مع [نور العين ومثير الأحزان].

١٣ - السيِّد إبراهيم بن محمَّد تقي حفيد العلاّمة الكبير السيِّد دلدار علي النقوي النصير آبادي له [نور الأبصار في أخذ الثار].

١٤ - المولى عطاء الله بن حسام الهروي له (روضة المجاهدين) طبع سنة ١٣٠٣.

١٥ - المولى محمَّد حسين بن المولى عبدالله الأرجستاني، له «حملة مختاريَّة».

١٦ - الكاتب الهندي نوّاب علي نزيل لكهنو له «نظارة انتقام» طبع في جزئين.

١٧ - الحاج غلام علي بن إسماعيل الهندي، له «مختار نامه».

١٨ - سيِّدنا السيِّد محسن الأمين العاملي له [أصدق الأخبار في قصَّة الأخذ بالثار] ط.

١٩ - السيِّد حسين الحكيم الهندي، له ترجمة (ذوب النضار) لابن نما.

٢٠ - السيِّد محمَّد حسين ابن السيِّد حسين بخش الهندي المولود سنة ١٢٩٠، له (تحفة الأخيار في إثبات نجاة المختار).

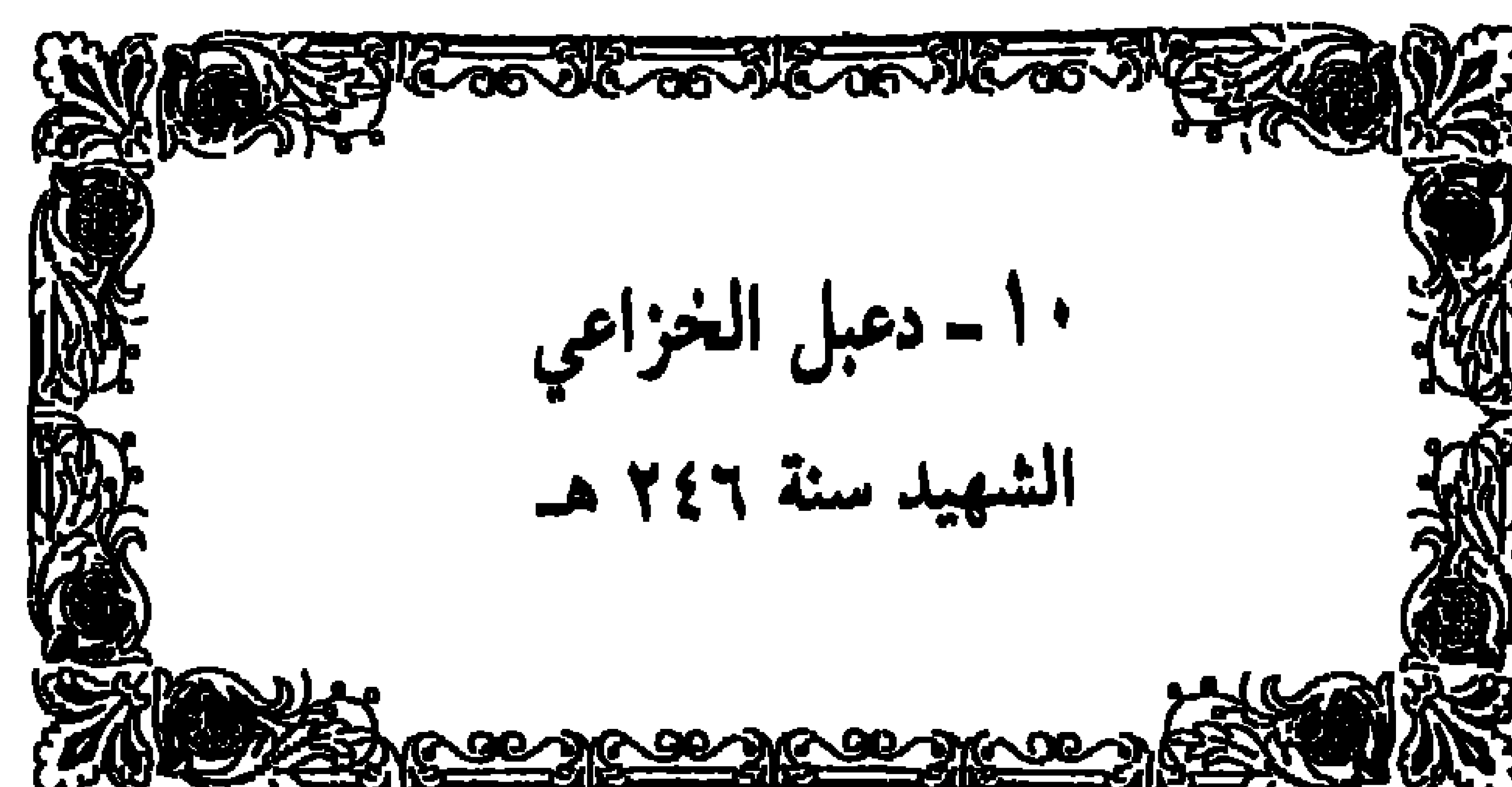
٢١ - الشيخ ميرزا محمَّد علي الأوردبادي، له [سبيك النضار. أو: شرح حال شيخ الثار] في مائتين وخمسين صحيفة وقد أدّى فيه حق المقال، وأغرق نزعاً في التحقيق، ولم يُبق في القوس منزعاً، قرأت كثيراً منه ووجدته فريداً في بابه لم يؤلَّف مثله، جزاه الله عن الحقِّ والحقيقة خيراً. وله في المختار قصيدةً على رويِّ قصيدة أبي تمام عطف فيها على مديحه إطراء صاحبه ومشاطره في الفضيلة: إبراهيم بن مالك الأشتر وهي:

يهنيك يا بطل الهدى والثارِ ... ما قد حويت بمدرك الأوتارِ

لك عند آل محمَّد كم من يد   مشكورة جلّت عن الأكبارِ
عرفتك مقبلة الخطوب محنَّكاً   فيه جنان مهذّب مغوارِ
أضرمت للحرب العوان لظىً بها   أضحت بنو صخر وقود النارِ
وأذقت نغل سُميَّة بأس الهدى   وأُميَّةً كأس الرَّدى والعارِ
فرؤا هواناً عند ضفَّة خاذرٍ   بمهنَّد عند الكريهة وارِ
فرَّقت جمعهم العرمرم عنوةً   يوم الهياج بفَيلق جرَّارِ
وفوارس من حزب آل المصطفى   أُسد الوغى خوَّاضة الأخطار
ويواسل لم تغرهم وثباتهم   إلاّ بكلّ مدجّج ثُوّارِ
لم يعرفوا إلاّ الإمام وثاره   فتشادقوا فيها بيا لَلثارِ
فتفرَّقت فرقاً علوج أُميَّة   من كلّ زنّاء إلى خمّارِ
وأخذت ثاراً قبله لم تكتحل   علويَّةٌ مذ أُرزئت بالثّارِ
وعمرت دوراً هدّمت منذ العدى   بالطفّ قد أودت بربّ الدارِ
عظم الجراح فلم يُصب أعماقه   إلاّك يا حُيّيت من مسبارِ
في نجدةٍ ثقفيَّة يسطو بها   في الروع من نخع هزبر ضاري
الندب إبراهيم من رضخت له   الصيد الأباة بملتقى الأصارِ
من زانه شرف الهدى في سودد   وعلاً يفوح بها أريج نجارِ
حشو الدروع أخو حجى من دونه   هضب الرواسي الشمّ في المقدارِ
إن يحكه فالليث في حملاته   والغيث في تسكابه المدرارِ
أو يحوه فقلوب آل محمَّد   المصطفين السّادة الأبرارِ
ما إن يخض عند اللّقا في غمرة   إلاّ وأرسب من سطا بغمارِ
أو يمّم الجلّى بعزمٍ ثاقب   إلاّ وردّ شواظها بأُوارِ
المرتدي حلل المديح مطارفاً   والممتطي ذللاً لكلّ فخارِ
وعليه كلّ الفضل قصرٌ مثلما   كلّ الثنا قصرٌ على المختارِ
عن مجده أرج الكبا وحديثه   زهت الروابي عنه بالأزهارِ
ومآثرٌ مثل النجوم عدادها   قد شفّعت بمحاسن الآثارِ
وكفاه آل محمَّد ومديحهم   عمّا يُنضّد فيه من أشعارِ

أسفي على أن لم أكن من حزبه ... وكمثلهم عند الكفاح شعاري
فهناك إمّا موتةٌ أرجو بها ... أجر الشهادة في ثناءٍ جاري
أو أنّني أحظى بنيل المبتغى ... من آل حرب مدركاً أوتاري
وأخواض في الأوساط منهم ضارباً ... ثبج العدى بالمقضب البتّارِ
ولأثكلنَّ أراملاً في فتيةٍ ... نشئوا على الإلحاد في استهتارِ
ومشيخة قد أورثوا كلّ الخنا ... والعار أجرية من الكفّارِ
لكن على ما فيَّ من مضض الجوى ... إذ لم أكن أحمي هناك ذماري
لم تعدني تلك المواقف كلّها ... إذ إنَّ ما فعلوا بها مختاري
فلقد رضيت بما أراقوا من دمٍ ... فيها لكلِّ مذمَّم كفّارِ
ولأشفينَّ النفس منهم في غدٍ ... عند اشتباك الجحفل الموّارِ
يوم ابن طه عاقدٌ لبنوده ... وجنوده تلتاح في إعصارِ
تشوي الوجوه لظىً به نزّاعة ... لشوى الكماة بأنصل وشفارِ
فهنالك الظفر المريح جوى الحشا ... من رازحٍ في كربه بأسارِ
ويتمُّ فيه القصد من عُصب الولا ... لبني الهدى كالسيِّد المختارِ
يا أيّها النّدب المؤجَّج عزمه ... وأمين آل المصطفى الأطهارِ
يا نجعة الخطب الملمِّ وآلة الـ ... ـكرب المهمِّ وندحة الأوزارِ
لاغرو إن جهلت علاك عصابةٌ ... فالقوم في شُغل عن الإبصارِ
فلقد بزغت ذكاً وهل يُزرى بها ... إن تعش عنها نظرةُ الأبصارِ؟!
لك حيث مرتبع الفخار مباءةٌ ... ولمن قلاك مزلّة الأغرارِ
ومبوَّءٌ لك في جوار محمّدٍ ... وملاذ عترته حماة الجارِ
فلئن رموك بمحفظ من إفكهم ... فالطود لا يلوى بعصف الذاري
أو يجحدوك مناقباً مأثورةً ... مشكورةً في الورد والإصدارِ
فلك الحقيقة والوقيعة لم تزل ... عن قدس مجدك في شفير هارِ
فتهنّ محتبياً بسوددك الذي ... تزورّ عنه جلبة المهذارِ
خذها إليك قصيدةً منضودةً ... من جوهرٍ أو من سبيك نضارِ
لم يحكها نجم السماء لأنّها ... بزغت بشارقة من الأقمارِ

كلّا ولا ضاهى محاسن نظمها ما عن حُطيئة جاء أو بشّارِ
هي غادةٌ زفّت إليك ولم يُشن إقبالها بذُعارة ونفارِ
هبّت عليك نسائمٌ قدسيّة حيّت ثراك برحمةٍ ويسارِ
وسقى لإبراهيم مضطجع الهدى ودق الغمام المرزم المكثارِ
ما نافح الروض النسيم مشفّعاً سجع البلابل فيه شدو هزارِ
يتلو كما يُتلى بكلّ صحيفة مرّ العشيّ وكرّة الإبكارِ



١٠ - دعبل الخزاعي

الشهيد سنة ٢٤٦ هـ

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ … نوائح عجم اللفظ والنطقاتِ
يخبّرن بالأنفاس عن سرّ أنفس … أُسارى هوى ماضٍ وآخر آتِ
فأسعدن أو أسعفن حتّى تقوّضت(١) … صفوف الدجا بالفجر منهزماتِ
على العرصات الخاليات من المها … سلام شجٍ صبٍّ على العرصاتِ(٢)
فعهدي بها خضر المعاهد مألفاً … من العطرات البيض والخفراتِ(٣)
ليالي يعدين الوصال على القلا … ويعدى تدانينا على الغرباتِ
وإذ هنَّ يلحظن العيون سوافراً … ويسترن بالأيدي على الوجناتِ
وإذ كلُّ يوم لي بلحظيَ نشوةٌ … يبيت بها قلبي على نشواتِ
فكم حسرات هاجها بمحسِّرٍ(٤) … وقُوفيَ يوم الجمع من عرفاتِ
ألم تر للأيّام ما جرَّ جورها … على الناس من نقص وطول شتاتِ؟!
ومن دُول المستهزئين ومن غدا … بهم طالباً للنور في الظلماتِ
فكيف ومن أنّى بطالب زلفة … إلى الله بعد الصوم والصلواتِ؟!؟!
سوا حبٍّ أبناء النبيِّ ورهطه … وبغض بني الزرقاء والعبلاتِ
وهند وما أدّت سُميَّة وابنها … اولوا الكفر في الإسلام والفجراتِ

---

(١) تقوضت الصفوف: انتقضت وتفرقت.
(٢) المها: البقرة الوحشية. الصب: العاشق وذو الولع الشديد.
(٣) خفرت الجارية: استحيت أشد الحياء.
(٤) وادي محسر بكسر السين المشددة: حد «منى» إلى جهة «عرفة».

هُمُ نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومحكمه بالزور والشبهاتِ
ولم تك إلاّ محنة قد كشفتهم بدعوى ضلال من هَنٍ وهناتِ
تراثٌ بلا قربى وملكٌ بلا هدى وحكمٌ بلا شورى بغير هداتِ
رزايا أرتنا خضرة الأُفق حمرة وردّت أجاجاً طعم كلِّ فراتِ
وما سهلت تلك المذاهب فيهمُ على الناس إلاّ بيعة الفلتاتِ
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة بدعوى تراث في الضلال نتاتِ
ولو قلّدوا الموصى إليه أمورها لزمّت بمأمون عن العثراتِ
أخي خاتم الرسل المصفّى من القذى ومفترسِ الأبطال في الغمراتِ
فإن جحدوا كان « الغدير » شهيده وبدرٌ وأحدٌ شامخ الهضباتِ
وآيٌ من القرآن تُتلى بفضله وإيثاره بالقوت في اللّزباتِ
وغرٌّ خلال أدركته بسبقها مناقب كانت فيه مؤتنفاتِ[١]

(القصيدة ١٢١ بيتاً)

ما يتبع من الشعر
من كلمات أعلام العامّة

١ ـ قال أبو الفرج في الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ : قصيدة دعبل :

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ[٢]

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السّلام، قصد بها عليَّ ابن موسى الرِّضا عليه السّلام بخراسان قال: دخلت على عليِّ بن موسى الرِّضا عليه السّلام فقال لي : أنشدني شيئاً ممّا أحدثت. فأنشدته :

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ

---

(١) أنف كل شيء : أوله . وروض أنف : ما لم يرعه أحد : كاس أنف : لم يشرب بها . المستأنف : ما لم يسبق إليه .

(٢) هو البيت الثلاثون من القصيدة وتسمى به .

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ

قال: فبكى حتّى أُغمي عليه وأومأ إلي خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكتُّ فمكث ساعة ثمَّ قال لي: أعد. فأعدت حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرَّة الأولى وأومأ الخادم إليَّ: أن اسكت. فسكتُّ فمكث ساعة أُخرى ثمَّ قال لي: أعد. فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها. فقال لي: أحسنت - ثلاث مرّات - ثمَّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه ولم تكن دفعت إلى أحد بعدُ وأمر لي من في منزله بحليّ كثير أخرجه إليَّ الخادم، فقدمت العراق فبعت كلَّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة فحصل لي مائة ألف درهم فكان أوَّل مال اعتقدته(١).

قال ابن مهرويه: وحدَّثني حذيفة بن محمَّد: إنَّ دعبلاً قال له: إنّه استوهب من الرِّضا عليه السَّلام ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه فخلع جبَّة كانت عليه فأعطاه إيّاها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غصباً وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل وإلّا فأنت أعلم. فقال لهم: إنّي والله لا أُعطيكم إيّاها طوعاً ولا تنفعكم غصباً وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السَّلام فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف الدرهم وفرد كُمٍّ من بطانتها، فرضي بذلك فأعطوه فرد كُمٍّ فكان في أكفانه وكتب قصيدته:

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ

فيما يقال على ثوب وأحرم فيه وأمر بأن يكون في أكفانه(٢).

وروى في ص ٣٩ عن دعبل قال: لمّا هربت من الخليفة بتُّ ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبدالله بن طاهر في تلك

---

(١) في معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، عيون أخبار الرضا ص ٢٨٠.

(٢) وذكر في معجم الأدباء ج ٤ ص ١٩٦، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، وعصر المأمون ص٣.

الليلة فإنّي لفي ذلك إذ سمعت والباب مردودٌ عليَّ: السَّلام عليكم ورحمة الله أُنج يرحمك الله. فاقشعرَّ بدني من ذلك ونالني أمرٌ عظيمٌ فقال لي: لا ترع عافاك الله فإنّي رجلٌ من إخوانك من الجنِّ من ساكني اليمن طرء إلينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومنـزلُ وحي مقفر العـرصاتِ

فأحببت أن أسمعها منك. قال فأنشدته إيّاها فبكى حتّى خرَّ، ثمَّ قال: رحمك الله ألا أُحدِّثك حديثاً يزيد في نيَّتك ويعينك على التمسّك بمذهبك؟! قلت: بلى. قال مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمَّد عليه السَّلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه أنَّ رسول الله ﷺ قال: عليٌّ وشيعته هم الفائزون. ثمَّ ودَّعني لينصرف فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان بن عامر[1].

٢ - قال أبو إسحاق القيرواني الحصري المتوفّى سنة ٤١٣ في «زهر الآداب» ج ١ ص ٨٦: كان دعبل مدّاحاً لأهل البيت عليهم السَّلام كثير التعصّب لهم والغلوِّ فيهم وله المرثية المشهورة وهي من جيِّد شعره وأوّلها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومنـزلُ وحي مقفر العـرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديـار عليٍّ والحسين وجعفـر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفنـاتِ
قفـا نسـأل الـدار التي خفَّ أهلها ... متى عهـدها بـالصوم والصلواتِ؟!
وأين الأولى شطّت بهم غربـة النوى ... أفـانين في الآفـاق مفـترقـاتِ؟!
أُحبُّ قصيَّ الـدار من أجـل حبّهم ... وأهـجـر فيـهـم أُسرتي وثـقـاتي

٣ - قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤: ثمَّ إنَّ المأمون لمّا ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه أقبل بجمع الآثار في فضائل

(١) وذكره صاحب معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥.

آل الرسول فتناهى إليه فيما تناهى من فضائلهم قول دعبل:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنـزلُ وحي مقفر العـرصاتِ
لآل رسـول الله بالخيف من منى وبـالبيت والتعريف والجمـراتِ

فما زالت تردَّد في صدر المأمون حتّى قدم عليه دعبل[1] فقال له: أنشدني قصيدتك التائيَّة ولا بأس عليك ولك الأمان من كلّ شيء فيها فإنّي أعرفها وقد رويتها إلاّ أنّي أُحبُّ أن أسمعها من فيك. قال: فأنشده حتّى صـار إلى هٰذا الموضع:

ألم تـر أنّي مذ ثـلاثين حجَّة أروح وأغـدو دائم الحسـراتِ
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيــديهمُ من فيئهم صفـراتِ
فآل رسول الله نحفٌ جسومهم وآل زيــاد غـلّظ القـصـراتِ
بنات زياد في الخدور مصونةٌ وبنت رسـول الله في الفلواتِ
إذا وتـروا مـدّوا إلى واتـريهمُ أكفّـاً عن الأوتـار منقبضــاتِ
فلولا الذي أرجوه في يوم أو غد تقـطّع نفسي إثرهم حسـراتِ

فبكى المأمون حتّى اخضلّت لحيته وجرت دموعه على نحره، وكان دعبل أوّل داخل عليه وآخر خارج من عنده.

٤ ـ قال ياقوت الحموي في «معجم الأدبـاء» ج ٤ ص ١٩٦: قصيدتـه التائيَّة في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنىٰ المدائح قصد بها عليَّ بن موسى الرِّضا عليه السلام بخراسان [وذكر حديث البردة وقصّتها المذكورة ثمَّ قـال:] ويقال: انَّه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونُسخ هذه القصيدة مختلفةٌ في بعضها زيادات يُظنّ[2] أنها مصنوعةٌ ألحقها بها أُناس من الشيعة وإنّا موردون ما صحَّ منها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنـزلُ وحي مُقفر العـرصاتِ

(١) ومن هنـا يوجـد في الأغاني ج ١٨ ص ٥٨، وزهـر الآداب ج ١ ص ٨٦، ومعـاهـد التنصيص ص ٢٠٥، والاتحاف ص ١٦٥.

(٢) يأتي في آخر ما يتبع الشعر: ان هذا الظن إثم ولا يغني من الحق شيئاً.

لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمراتِ
ديار عليٍّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفناتِ
ديارٌ عفاها كلُّ جون مبادرٍ ... ولم تعف للأيّام والسنواتِ
قفا نسأل الدار التي خفَّ أهلها ... متى عهدها بالصّوم والصّلواتِ؟!
وأين الاولى شطّت بهم غربة النوى ... أفانين في الآفاق مفترقاتِ؟!
همُ أهل ميراث النبيِّ إذا اعتزوا ... وهم خيرُ قاداتٍ وخيرُ حماةِ
وما الناس إلّا حاسدٌ ومكذِّبٌ ... ومضطغنٌ ذو إحنة وتراتِ
إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حُنين أسبلوا العبراتِ
قبورٌ بكوفان وأُخرى بطيبة ... وأُخرى بفخٍّ نالها صلواتي
وقبرٌ ببغداد لنفس زكيّة ... تضمّنها الرّحمن في الغرفاتِ
فأمّا المصمّات التي لست بالغاً ... مبالغها منّي بكنه صفاتِ
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً ... يفرِّج منها الهمّ والكرباتِ
نفوسٌ لدى النهرين من أرض كربلا ... معرّسهم فيها بشطِّ فراتِ
تقسّمهم ريبُ الزمان كما ترى ... لهم عقرةٌ مغشيّة الحجراتِ
سوى أنَّ منهم بالمدينة عصبةً ... مدى الدهر أضناه من الأزماتِ
قليلة زوّارٍ سوى بعض زوّرٍ ... من الضبع والعقبان والرخماتِ
لهم كلَّ حين نومةٌ بمضاجع ... لهم في نواحي الأرض مختلفاتِ
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير يختارون في السّرواتِ
تنكّب لأواء السنين جوارهم ... فلا تصطليهم جمرة الجمراتِ
إذا وردوا خيلاً تشمّس بالقنا ... مساعر جمر الموت والغمراتِ
وإن فخروا يوماً أتوا بمحمَّد ... وجبريل والفرقان ذي السوراتِ
ملامك في أهل النبيِّ فإنّهم ... أحبّاي ما عاشوا وأهل ثقاتي
تخيّرتهم رشداً لأمري فإنّهم ... على كلِّ حال خيرة الخيراتِ
فيا ربِّ زدني من يقيني بصيرة ... وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
بنفسيَ أنتم من كهول وفتية ... لفكِّ عَناة أو لحمل دياتِ
أحبُّ قصيَّ الرحم من أجل حبِّكم ... وأهجر فيكم أُسرتي وبناتي

وأكتمُ حبّيكم مخافة كاشحٍ عتيدٍ لأهل الحقِّ غير مواتِ
لقد حفّت الأيّام حولي بشرّهـا وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أنّي مذ ثلاثين حجّة أروح وأغدو دائم الحسرات؟!
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ
فآل رسول الله نحفٌ جسومهم وآل زياد حفّل القصراتِ(١)
بنات زياد في القصور مصونةٌ وآل رسول الله في الفلواتِ
إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم أكفّاً من الأوتار منقبضاتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ لقطّع قلبي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارجٌ يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميّز فينا كلّ حقٍّ وباطلٍ ويجزي على النعماء والنقماتِ
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم كفانيَ ما ألقى من العبراتِ
فيا نفس طيبي ثمّ يا نفس أبشري فغير بعيد كلّ ما هو آتِ
فإن قرّب الرّحمن من تلك مدّتي وأخّر من عمري لطول حياتي
شفيت ولم أترك لنفسي رزيّة وروّيت منهم منصلي وقناتي
أحاول نقل الشمس من مستقرّها وأسمع أحجاراً من الصلداتِ
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ يميل -مع الأهواء- والشبهات
قصاراي منهم أن أموت بغصّة تردّد بين الصدر واللهواتِ
كأنّك بالأضلاع قد ضاق رحبها لما ضمنت من شدّة الزفراتِ.

٥ ـ أخرج شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمّويي (المترجم له ج ١ ص ١٥٨) عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعي قال: أنشدت قصيدة لمولاي عليّ الرِّضا رضي الله عنه:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلُ وحي مُقفر العرصاتِ

---

(١) الحفل من الحافل: الممتلىء. القصرات جمع قصرة: أصل العنق.

قال لي الرِّضا: أفلا ألحق البيتين بقصيدتك؟! قلت: بلى يا بن رسول الله! فقال:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحّت بها الأحشاء بالزّفراتِ
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يفرّج عنّا الهمّ والكرباتِ(١)

قال دعبل: ثمّ قرأت باقي القصيدة فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم الله والبركاتِ

بكى الرِّضا بكاء شديداً ثمّ قال: يا دعبل نطق روح القدس بلسانك أتعرف مَن هذا الإمام؟! قلت: لا إلا أنّي سمعت خروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. فقال: إنّ الإمام بعدي ابني محمّد وبعد محمّد ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، وأمّا متى يقوم فإخبارٌ عن الوقت لقد حدَّثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلّا بغتة. ويأتي هذا الحديث عن الشبراوي أيضاً.

٦ - قال أبو سالم ابن طلحة الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٢ في «مطالب السئول» ص ٨٥ قال دعبل: لَمّا قلت: مدارس آيات قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرِّضا وهو بخراسان، وليّ عهد المأمون فأحضرني المأمون وسألني عن خبري ثمّ قال لي: يا دعبل! أنشدني - مدارس آيات خلت من تلاوة - فقلت: ما أعرفها يا أمير المؤمنين! فقال: يا غلام أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام. فلم يكن إلّا ساعة حتّى حضر فقال له: يا أبا الحسن! سألت دعبلاً عن - مدارس آيات خلت من تلاوة - فذكر أنّه لا يعرفها. فقال لي أبو الحسن: يا دعبل! أنشد أمير المؤمنين. فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها فأمر لي بخمسين ألف درهم. وأمر لي أبو الحسن الرِّضا بقريب من

---

(١) ألحقهما الإمام عليه السلام بعد قول دعبل:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمان في الغرفات

ذلك فقلت: يا سيِّدي! إن رأيت أن تهبني شيئاً من ثيابك ليكون كفني. فقال: نعم. ثمَّ دفع لي قميصاً قد ابتذله ومنشفة لطيفة، وقال لي: احفظ هذا تُحرس به. ثمَّ دفع ذو الرياستين أبو العبّاس الفضل بن سهل وزير المأمون صلةً وحملني على برذون أصفر خراسانيّ، وكنت أُسايره في يوم مطير وعليه ممطر خزّ وبرنس فأمر لي به ودعا بغيره جديد ولبسه وقال: إنّما آثرتك باللبيس لأنّه خير الممطرين. قال: فأُعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه، ثمَّ كررت راجعاً إلى العراق فلمّا صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا فكان ذلك اليوم يوماً مطيراً فبقيت في قميص خلق وضرّ شديد متأسِّف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة ومفكّر في قول سيّدي الرِّضا إذ مرّ بي واحدٌ من الأكراد الحراميَّة تحته الفرس الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر ووقف بالقرب منّي ليجتمع إليه أصحابه وهو ينشد ـ مدارس آيات خلت من تلاوة ـ ويبكي فلمّا رأيت ذلك عجبت من لصٍّ من الأكراد يتشيَّع ثمّ طمعت في القميص والمنشفة فقلت: يا سيِّدي. لمن هذه القصيدة؟! فقال: وما أنت وذلك؟! ويلك فقلت: لي فيه سببٌ أُخبرك به. فقال: هي أشهر بصاحبها من أن تجهل. فقلت: مَن؟! قال: دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل محمَّد جزاه الله خيراً. قلت له: يا سيِّدي فأنا والله دعبل وهذه قصيدتي. الحديث.

وقال ص ٨٦ بعد ذكر الحديث ما لفظه: فانظر إلى هذه المنقبة وما أعلاها وما أشرفها وقد يقف على هذه القصَّة بعض الناس ممن يطالع هذا الكتاب ويقرأه فتدعوه نفسه إلى معرفة هذه الأبيات المعروفة بـ ـ مدارس آيات ـ ويشتهي الوقوف عليها وينسبني في إعراضي عن ذكرها إمّا أنّني لم أعرفها، أو: أنّني جهلت ميل النفوس حينئذ إلى الوقوف عليها فأحببت أن أُدخل راحةً على بعض النفوس وأن أدفع عنّي هذا النقص المتطرِّق إلى بعض الظنون فأوردت منها ما يُناسب ذلك، وهي:

ذكرتُ محلَّ الربع من عرفاتِ وأرسلت دمع العين بالعبراتِ
وفلَّ عرى صبري وهاج صبابتي رسوم ديار أقفرت وعراتِ

مدارسُ آيات خلت من تلاوة — ومهبطُ وحي مُقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى — وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديـار عليٍّ والحسين وجعفرٍ — وحمزة والسجّاد ذي الثفناتِ(١)
ديـارٌ عفاها جور كـلِّ مُنابـذ — ولم تعف بـالأيّام والسنـواتِ
ودارٌ لعبـدالله والفضل صنـوه — سليل رسول الله ذي الدعواتِ
منـازلُ كانت للصّـلاة وللتّقى — وللصّـوم والتطهيـر والحسناتِ
منـازلُ جبريـل الأمين يحلّهـا — من الله بـالتسليم والـزكـواتِ
منازل وحي الله معدن علمـه — سبيـل رشاد واضحالـطرقاتِ
منـازلُ وحي الله ينزل حـولها — على أحمد الروحات والغدواتِ
فأين الأولى شطّت بهم غربة النوى — أفانين في الأقطار مفترقاتِ؟!
همُ آل ميراث النبيِّ إذا انتموا — وهم خيرُ سادات وخيرُ حماتِ
مطاعيم في الأعسار في كلِّ مشهد — لقد شُرِّفوا بالفضل والبركـاتِ
إذا لم نُنـاج الله في صلواتنـا — بـذكـرهمُ لم يقبـل الصّلواتِ
أئمّـة عـدل يُقتـدى بفعـالهم — وتُؤمن منهم زلّـة العثـراتِ
فيا ربّ زد قلبي هدىً وبصيرةً — وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
ديـار رسول الله غُلّت رقـابهم — وآل زيـاد غُـلّظ القصـراتِ
وآل رسول الله تُدمى نحورهم — وآل زيـاد زيّنـوا الحجـلاتِ
وآل رسول الله تُسبى حريمهم — وآل زيـاد آمنـوا السـرياتِ
وآل زياد في القصور مصونةٌ — وآل رسـول الله في الفـلواتِ
فيـا وارثي علم النبيِّ وآلـه — عليكم سـلامٌ دائم النفحـاتِ
لقد آمنت نفسي بكم في حياتها — وانّي لأرجو الأمن بعد مماتي

٧ ـ ذكر شمس الدين سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ١٣٠ من القصيدة ٢٩ بيتاً وفيها ما لم يذكره الحمويّ في «معجم

(١) ذكر الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٣ بيتين من القصيدة أحدهما: مدارس ايات. والثاني هذا البيت وقال: (ذو الثفنات) كـان يقال لكـل من علي بن الحسين بن علي عليه السـلام وعلي بن عبدالله بن عباس: ذو الثفنات. لما على أعضاء السجود منهما من السجدات الشبيهة بثفنات الإبل وذلك لكثرة صلاتهما.

الأدباء». وذُكرت في هامش التذكرة القصيدة من أوّلها إلى ـ مدارس آيات ـ.

٨ ـ ذكر صلاح الدين الصفدي المتوفّى سنة ٧٦٤ في «الوافي بالوفيات» ج ١ ص ١٥٦ طريق رواية القصيدة عن عبيدالله (١) بن جخجخ النحوي عن محمّد بن جعفر بن لنكك أبي الحسن البصري النحوي عن أبي الحسين العباداني عن أخيه عن دعبل، وهذا الطريق ذكره جلال الدين السيوطي في «بغية الوعاة» ص ٩٤.

٩ ـ روى الشبراوي الشافعيُّ المتوفّى سنة ١١٧٢ في «الإتحاف» ص ١٦٥ عن الهروي قال: سمعت دعبلاً يقول: لمّا أنشدت مولاي الرِّضا قصيدتي الّتي أوّلها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومهبطُ وحي مقفر العرصاتِ

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميِّز فينا كلَّ حقّ وباطل ويُجزي على النعماء والنقمات

بكى الرِّضا عليه السَّلام بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعيُّ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام؟! ومتى يقوم؟! فقلت: لا يا سيِّدي! إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم (إلى آخر ما مرّ عن الحمّويي)(٢).

وفي «الإتحاف» ص ١٦١: نقل الطبري في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال: دخل الخزاعيُّ على عليِّ بن موسى الرِّضا بمرو فقال: يا بن رسول الله! إنّي قلت فيكم أهل البيت قصيدةً وآليت على نفسي أن لا أُنشدها أحداً قبلك وأُحبُّ أن تسمعها منّي فقال له عليُّ الرِّضا: هات قل، فأنشأ يقول:

ذكرت محلَّ الربع من عرفاتِ فأجريتُ دمع العين بالعبراتِ

---

(١) قال ياقوت الحموي: كان ثقة صحيح الكتابة.

(٢) وذكره الصدوق في العيون ص ٣٧٠؛ والأمالي ص ٢١٠، والطبرسي في أعلام الورى ص ١٩٢؛

وفلَّ عُرى صبري وهاجت صبابتي ... رسوم ديار أقفرت وعراتِ
مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومهبطُ وحي مُقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديار عليّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذو الثفناتِ
ديارٌ لعبدالله والفضل صنوه ... نجيُّ رسول الله في الخلواتِ
منازلُ كانت للصّلاة وللتّقى ... وللصوم والتطهير والحسناتِ
منازلُ جبريل الأمين يحلّها ... من الله بالتعليم والرّحماتِ
منازلُ وحي الله معدن علمه ... سبيل رشاد واضح الطرقاتِ
قفا نسأل الدار الّتي خفّ أهلها ... متى عهدها بالصّوم والصّلواتِ
وأين الأولى شطّت بهم غربة النوى ... فأمسين في الأقطار مفترقاتِ؟!
أُحبُّ قضاء الله من أجل حبّهم ... وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
همْ أهل ميراث النبيِّ إذا انتموا ... وهم خيرُ سادات وخيرُ حماةِ
مطاعيم في الأعسار في كلّ مشهد ... لقد شرُّفوا بالفضل والبركاتِ
أئمّة عدل يُقتدى بفعالهم ... وتؤمن منهم زلّة العثراتِ
فيا رب زد قلبي هدىً وبصيرةً ... وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
لقد آمنت نفسي بهم في حياتها ... وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني مذ ثلاثين حجّة ... أروح وأغدو دائم الحسراتِ؟!
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً ... وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ
إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم ... أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ
وآل رسول الله نحفٌ جسومهم ... وآل زياد غلّظ القصراتِ
سأبكيهمُ ما ذرَّ في الأُفق شارقٌ ... ونادى منادي الخير بالصّلواتِ
وما طلعت شمسٌ وحان غروبها ... وبالليل أبكيهم وبالغدواتِ
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً ... وآل زياد تسكن الحجراتِ
وآل زياد في القصور مصونةٌ ... وآل رسول الله في الفلواتِ
فلولا الّذي أرجوه في اليوم أو غدٍ ... تقطّع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله بالبركاتِ

يُميِّز فينا كلَّ حسن وباطل ويُجزي عن النعماء والنقماتِ
فيا نفس طيبي ثمَّ يا نفس فاصبري فغير بعيد كلّ ما هو آتِ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ عدَّة أبياتها مائةٌ وعشرون بيتاً. ولَما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن الرِّضا وقال: لا تبرح. فأنفذ إليه صرّة فيها مائة دينار واعتذر إليه. فردَّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وإنَّما جئت للسَّلام عليه والتبرُّك بالنظر إلى وجهه الميمون وإنِّي لفي غنىً فإن رأى أن يُعطيني شيئاً من ثيابه للتبرُّك فهو أحبُّ إليَّ. فأعطاه الرِّضا جبَّة خزّ عليه الصرَّة وقال للغلام: قل له: خذها ولا تردَّها فإنَّك ستصرفها أحوج ما تكون إليها. فأخذها وأخذ الجبَّة. [إلى آخر حديث اللّصوص المذكور].

١٠ ـ ذكر الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١٥٣ ما مرَّ عن الشبراوي برمَّته حرفيّاً.

أمّا أعلام الطائفة

فقد ذكر القصيدة وقصَّة الجبَّة واللصوص جمعٌ كثيرٌ لا نطيل المقال بذكر كلماتهم بل نقتصر منها على ما لم يُذكر في الكلمات المذكورة. روى شيخنا الصدوق في «العيون» ص ٣٦٨ و«الأمالي» ص ٢١١ عن الهروي قال: دخل دعبل على أبي الحسن الرِّضا عليه السلام بمرو فقال له: يا بن رسول الله! إنّي قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أُنشدها أحداً قبلك فقال عليه السلام: هاتها. فأنشده فلمّا بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ

بكى أبو الحسن عليه السّلام وقال له: صدقتَ يا خزاعيُّ! فلمّا بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتار مُنقبضاتِ

جعل أبو الحسن عليه السّلام يقلّب كفّيه ويقول: أجل والله مُنقبضات: فلمّـا بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيّـام سعيها وإنّي لأرجو الأمن بعد وفـاتي

قال الرِّضا: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. فلمّا انتهى إلى قوله:

وقبـرٌ ببغـداد لنـفس زكيّـة تضمّنها الرَّحمن في الغرفاتِ

قال له الرِّضا: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟؟! فقال: بلى يا بن رسول الله. فقال عليه السّلام:

وقبرٌ بطوس يا لها من مصيبـة توقّد في الأحشـاء بالحـرقاتِ
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يفـرِّج عنّـا الهمَّ والكـربـاتِ

فقال دعبل: يابن رسول الله! هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟! فقال الـرِّضا: قبـري ولا تنقضي الأيّام والليـالي حتّى تصير طـوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيـامة مغفوراً له. ثمّ نهض الرِّضا عليه السّلام وأمر دعبل أن لا يبرح من موضعه. فذكر قصّة الجبّة واللصوص ثمّ قال:

كانت لدعبل جاريةٌ لها من قِبله محلٌ فرمدت عينها رمداً عظيماً فأدخل أهل الطبّ عليها فنظروا إليها فقالوا: أمّـا العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت، وأمّـا اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم. فاغتمّ لذلك دعبل غمّـاً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً، ثمّ انّه ذكر ما كان معه من وصلة الجبّة فمسحها على عيني الجاريـة وعصبها بعصـابة منهـا من أوّل الليل فـأصبحت وعيناها أصحّ ما كانتا قبلُ ببركة أبي الحسن الرِّضا عليه السّلام[1].

في مشكاة الأنوار[2] ومؤجّج الأحزان[3]: رُوي أنّه لَمّا قرأ دعبل قصيدته

(١) وذكره الطبرسي في أعلام الورى ص ١٩١، والأربلي في كشف الغمة ص ٢٧٥.
(٢) تأليف الشيخ محمد بن عبد الجبار البحراني.
(٣) تأليف الشيخ عبد الرضا بن محمد الأوالي البحراني.

على الرِّضا عليه السلام وذكر الحجَّة عجَّل الله فرجه بقوله:

فلولا الذي أرجوه اليوم أوغدٍ تقطع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركاتِ.

وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه وتواضع قائماً ودعى له بالفرج. وحكاه عن «المشكاة» صاحب الدمعة الساكبة وغيره.

ولهذه التائيَّة عدَّة شروح لأعلام الطائفة منها:

شرح العلاّمة الحجَّة السيِّد نعمة الله الجزائري المتوفّى سنة ١١١٢.
شرح العلاّمة الحجَّة كمال الدين محمَّد بن محمَّد القنوي الشيرازي.
شرح العلاّمة الحاج ميرزا علي العلياري التبريزي المتوفّى سنة ١٣٢٧.

لفت نظر

إنَّ مستهلّ هذه القصيدة ليس كلّ ما ذكروه فإنَّها مبدوَّةٌ بالنسيب ومطلعها:

تجاوبن بالأرنان والزَّفراتِ نوائح عجم اللفظ والنطقاتِ

قال ابن الفتّال في روضته ص ١٩٤، وابن شهر اشوب في «المناقب» ج ٢ ص ٣٩٤: ورُوي أنَّ دعبل أنشدها الإمام عليه السَّلام من قوله: مدارس آيات ـ وليس هذا البيت رأس القصيدة ولكن أنشدها من هذا البيت فقيل له: لم بدأت بمدارس آيات؟! قال: استحييت من الإمام عليه السَّلام أن أُنشده التشبيب فأنشدته المناقب ورأس القصيدة:

تجاوبن بالأرنان والزَّفراتِ نوائح عجم اللفظ والنطقات

ذكرها برمَّتها وهي مائة وعشرون بيتاً الإربلي في [كشف الغمَّة]. والقاضي في «المجالس» ص ٤٥١، والعلاّمة المجلسي في «البحار» ج ١٢ ص ٧٥، والزنوزي في الرَّوضة الاولى من «رياض الجنَّة» ونصَّ على عددها المذكور الشبراوي والشبلنجي كما مرَّ. فما قدَّمناه عن الحموي من أنَّ [نسخ هذه القصيدة مختلفةٌ في بعضها زياداتٌ يُظنُّ أنَّها مصنوعةٌ ألحقها بها أُناسٌ من

الشيعة وإنّا موردون هنا ما صحّ] من بعض الظنّ الذي هو إثمٌ وقد ذكر هو في معجم البلدان ما هو خارجٌ عمّا أثبته في معجم الأدباء من الصحيح عنده فحسب راجع ج ٢ ص ٢٨، وذكر المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٢٣٩ وغيره بعض ما ذكره في معجم البلدان، وأثبت سبط إبن الجوزي في «التذكرة»، وإبن طلحة في «المطالب» والشبراوي في «الإتحاف»، والشبلنجي في «نور الأبصار» زيادات لا توجدفي ما استصحّه الحموي، وليس من الممكن قذف هؤلاء الأعلام بإثبات المفتعل. وبما أنّ العلم تدريجيٌّ الحصول فمن المحتمل أنّ الحموي يوم تأليفه «معجم الأدباء» لم يقف به البحث على أكثر ممّا ذكر ثمّ لمّا توسّع في العلوم ثبت عنده غيره أيضاً فأدرجه في «معجم البلدان» الذي هو متأخّر في التأليف، ولذلك يحيل فيه على «معجم الأدباء» في أكثر مجلّداته راجع ج ٢ ص ٤٥و ١١٧و ١٣٥، ١٨٦، وج ٣ ص ١١٧، ١٨٤، وج ٤ ص ٢٢٨، ٤٠٠، وج ٥ ص ١٨٧، ٢٨٩، وج ٦ ص ١٧٧ وغيرها لكن سوء ظنّه بالشيعة حداه إلى نسبة الإفتعال إليهم عند تدوين الترجمة، ونحن لا نناقشه بالحساب في هذا التظنّي فإنّ الله لهم بالمرصاد وهو نعم الرقيب والحسيب.

الشاعر

أبو عليّ - أبو جعفر - دعبل بن عليّ بن رزين(١) بن عثمان بن عبدالرحمن بن عبدالله بن بُديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبدالعزّى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي.

أخذناه من فهرست النجاشي ص ١١٦. وتأريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٨٢، وأمالي الشيخ ص ٢٣٩، وتأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٧، ومعجم الأدباء للحموي ج ١١ ص ١٠٠ وقال: وعلى هذا الأكثر، والإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٤١.

---

(١) في الأغاني ج ٨ ص ٢٩: ابن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقيا.

بيت رزين

بيت علم وفضل وأدب وإن خصّه ابن رشيق في عمدته ج ٢ ص ٢٩٠ بالشعر، فإنّ فيهم محدِّثون وشعراء، وفيهم السؤدد والشرف، وكلُّ الفضل والفضيلة ببركة دعاء النبيِّ الأطهر لجدِّهم الأعلى: بُديل بن ورقاء، لمّا أوقفه العبّاس بن عبد المطلب يوم الفتح بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: وقال: يا رسول الله! هذا يوم قد شرُفت فيه قوماً فما بال خالك بُديل بن ورقاء؟! وهو قعيد حبّه. قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلّم: أحسر عن حاجبيك يا بُديل! فحسر عنهما وحدر لثامه فرأى سواداً بعارضه فقال: كم سنوك يا بُديل؟! فقال: سبعٌ وتسعون يا رسول الله! فتبسّم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: زادك الله جمالاً وسواداً وأمتعك وولدك(١).

ومؤسِّس شرفهم الباذخ: البطل العظيم عبدالله بن ورقاء الذي كان هو وأخواه عبدالرَّحمن ومحمَّد رُسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى اليمن كما في رجال الشيخ. وكانوا هم وأخوهم عثمان من فرسان مولانا أمير المؤمنين الشهداء في صفِّين(٢) وأخوهم الخامس: نافع بن بُديل استشهد على عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله ورثاه ابن رواحة بقوله:

رحم الله نافع بن بُديل ... رحمة المبتغي ثواب الجهادِ
صابراً صادق الحديث إذا ما ... أكثر القوم قال قول السداد(٣)

فحسب هذا البيت شرفاً أنّ فيه خمسة شهداء وهم بعين الله ومع ابن عمّ رسول الله ﷺ وكان عبدالله من متقدِّمي الشجعان، والمتبرّز في الفروسيَّة والمتحلِّي بأعلى مراتب الإيمان، وعدّه الزهري من دُهاة العرب الخمسة كما في الإصابة ج ٢ ص ٢٨١ قال له أمير المؤمنين يوم صفِّين: احمل على القوم.

---

(١) أمالي الشيخ ص ٢٣٩، الإصابة ج ١ ص ١٤١.

(٢) صفين لابن مزاحم ص ١٢٦، خصال الصدوق، شرح النهج ج ١ ص ٤٨٦. الإصابة ج ٣ ص ٣٧١.

(٣) الإصابة ج ٣ ص ٥٤٣.

فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذٍ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدماً ويقول:

لم يبق غير الصبر والتوكّلِ والتُرس والرمح وسيف مصقلِ
ثمّ التمشّي في الرعيل الأوّلِ مشي الجمال في حياض المنهلِ

فلم يزل يحمل حتّى انتهى إلى معاوية والّذين بايعوه إلى الموت فأمرهم أن يصمدوا لعبدالله بن بُديل ويبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه. واختلط الناس واضطرم الفيلقان ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشّام وأقبل عبدالله بن بُديل يضرب الناس بسيفه قدماً حتّى أزال معاوية عن موقفه وجعل ينادي: يا ثارات عثمان! وإنّما يعني أخاً له قُتل، وظنّ معاوية وأصحابه أنّه يعني: عثمان بن عفان. وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرّة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتّى لم يبق مع ابن بُديل إلاّ نحو مائة إنسان من القرّاء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولجّ ابن بُديل في الناس وصمّم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتّى انتهى إليه ومع معاوية عبدالله بن عامر واقفاً فنادى معاوية بالناس: ويلكم الصخر والحجارة. حتّى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه، وجاء معاوية وعبدالله بن عامر حتّى وقفا عليه فأمّا عبدالله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحّم عليه وكان له من قبلُ أخاً وصديقاً، فقال معاوية: اكشف عن وجهه. فقال: لا والله لا يُمثّل به وفيَّ روح فقال معاوية: اكشف عن وجهه فإنّا لا نُمثّل به قد وهبناه لك. فكشف ابن عامر عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم وربّ الكعبة اللهمّ اظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي والله ما مثل هذا إلاّ كما قال الشاعر:(١)

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا
ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه قدى السير يحمي الأنف أن يتأخّرا

(١) هو حاتم الطائي من قصيدة في ديوانه ص ١٢١ ولم يرو فيه البيت الثالث.

كليث هزبر كان يحمي ذماره   رمته المنايا قصدها فتقطّرا(١).

ثمَّ قال: إنَّ نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلتْ(٢).

ومرَّ بعبدالله بن بُديل وهو بآخر رمق من حياته الأسود بن طهمان الخزاعي فقال له: عزَّ عليَّ والله مصرعك أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولو رأيت الَّذي أشعرك لأحببت أن لا أُزيله ولا يزايلني حتّى أقتله أو يلحقني بك. ثمَّ نزل إليه فقال: رحمك الله يا عبد الله! إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله. قال: اوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتّى يظهر الحقّ أو تلحق بالله، وأبلغ أمير المؤمنين عنّي السّلام وقل له: قاتل على المعركة حتّى تجعلها خلف ظهرك ، فإنَّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب. ثمَّ لم يلبث أن مات فأقبل الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال: رحمه الله جاهد معنا عدوَّنا في الحياة ونصح لنا في الممات.(٣).

وينمُّ عن عظمة عبدالله بن بُديل بين الصحابة العلويَّة قول ابن عدي بن حاتم رضوان الله عليه يوم صفّين:

أبعد عمّار وبعد هاشمِ   وابن بُديلٍ فارس الملاحمِ
نرجو البقاء مثل حلم الحالمِ   وقد عضضنا أمس بالأباهم

وقول سُليم (سليمان) بن صرد الخزاعي يوم صفّين:

يا لك يوماً كاسفاً عصبصبا   يا لك يوماً لا يُواري كوكبا
يا أيّها الحيّ الَّذي تذبذبا   لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا
لأنَّ فينا بطلاً مجرَّبا   ابن بُديل كالهزبر مغضبا

---

(١) تقطر: سقط صريعاً.
(٢) كتاب صفين لابن مزاحم ص ١٢٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦.
(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٤٣ ط إيران و٥٢٠ ط مصر، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٩.

أمسى عليٌّ عندنا محبَّبا نفديه بالأُمّ ولا نبقي أبا

وقول الشنّي في أبيات له:

فإن يك أهل الشّام أودوا بهاشم وأودوا بعمّار وأبقوا لنا ثكلا
وبابني بُديل فارسي كلِّ بُهمة وغيث خزاعيّ به ندفع المحلا[1]

وأمّا أبو المترجم عليُّ بن رزين فكان من شعراء عصره، ترجمه المرزباني في «معجم الشعراء» ج ١ ص ٢٨٣، وجدّه رزين كان مولى عبدالله بن خلف الخزاعي أبي طلحة الطلحات كما ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء.

وعمُّ المترجم عبدالله بن رزين، أحد الشعراء كما ذكره ابن رشيق في «العمدة».

وابن عمّه أبو جعفر محمَّد أبو الشيص ابن عبدالله المذكور، شاعرٌ له ديوان عمله الصولي في مائة وخمسين ورقة، توجد ترجمته في «البيان والتبيين» ج ٣ ص ٨٣، «الشعر والشعراء» ص ٣٤٦، «الأغاني» ج ١٥ ص ١٠٨، «فوات الوفيات» ج ٢ ص ٢٥. وغيرها. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص ٢٦ - ٣٣ وذكر له قصائد طويلة غير أنَّه عكس في اسمه واسم أبيه وذكره بعنوان: عبدالله بن محمّد. والصحيح: محمّد بن عبدالله. وعبدالله بن أبي الشيص المذكور، شاعرٌ له ديوانٌ في نحو سبعين ورقة، وذكره أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٠٨ وقال: إنّه شاعرٌ صالح الشعر وكان منقطعاً إلى محمّد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج إلى الناس. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص ١٧٣.

أبو الحسن عليّ أخو دعبل

كان شاعراً له ديوان شعر نحو خمسين ورقة كما في فهرست ابن النديم، سافر مع أخيه المترجم إلى أبي الحسن الرِّضا سلام الله عليه سنة ١٩٨ وحظيا

---

(١) البهمة بالضم: الجيش. المحل: الخديعة والكيد. الشدة. الجدب.

بحضرته الشريفة مدّة طويلة، قال أبو الحسن عليّ هذا: رحلنا أنا ودعبل سنة ١٩٨ إلى سيّدي أبي الحسن عليّ بن موسى الرِّضا فأقمنا عنده إلى آخر سنة مأتين وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيّدي أبو الحسن الرِّضا على أخي دعبل قميصاً خزّاً أخضر وخاتماً فصّه عقيق، ودفع إليه دراهم رضويّة وقال له: يا دعبل! صر إلى قم فإنّك تفيد بها. فقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صلّيت فيه ألف ليلة ألف ركعة وختمت فيه القرآن ألف ختمة[١]. ولد سنة ١٧٢ وتوفّي سنة ٢٨٣.

وخلف أبا القاسم إسماعيل بن عليّ الشهير بالدعبلي المولود سنة ٢٥٧، يروي كثيراً عن والده أبي الحسن كان مقامه بواسط وولي الحسبة[٢] بها. له كتاب تاريخ الأئمّة، وكتاب النكاح.

رزين أخو دعبل

وأخوه هذا أحد شعراء هذا البيت ولدعبل فيه أبيات في تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٣٩ وقال الأزدي: وخرج إبراهيم بن العبّاس ودعبل ورزين ابني عليّ رجالة إلى بعض البساتين (أو: إلى زيارة أبي الحسن الرِّضا عليه السّلام كما في روايه العيون) فلقوا جماعة من أهل السواد من حمّال الشوك فأعطوهم شيئاً وركبوا حميرهم فقال إبراهيم:

أُعيدت بعد حمل الشو ... ك أحمالاً من الخزفِ
نشاوى لا من الخمرة ... بل من شدّة الضعفِ

ثمّ قال لرزين: أجزها. فقال:

فلو كنتم على ذاك ... تصيرون إلى القصفِ
تساوت حالكم فيه ... ولا تبقوا على الخسفِ

---

(١) فهرست النجاشي ص ١٩٧، أمالي الشيخ ص ٢٢٩.
(٢) يأتي كلامنا في الحسبة في الجزء الرابع عند ترجمة ابن الحجاج البغدادي.

ثمّ قالا لدعبل: أجز يا أبا عليّ! فقال:

فـإذ فـات الـذي فـات فكـونـوا من ذوي الـظرفِ
وخـفّـوا نـقـصـف الـيـو م فـإنّـي بـايـعٌ خـفّـي

بدائع البداية ج ٢ ص ٢١٠.

أما المترجم

فهو دعبل[1] يكنى أبا عليّ عند الجميع وعن ابن أيّوب[2] أبو جعفر. وفي الأغاني عن ابن أيّوب: إنّ اسمه محمّد، وفي تاريخ الخطيب ج٨ ص ٣٨٣: زعم أحمد بن القاسم انّ اسمه الحسن، وقال ابن أخيه إسماعيل: اسمه عبدالرّحمن. وقال غيرهما: محمّد. وعن إسماعيل: إنّما لقّبته دايته بدعبل لدعابة كانت فيه فأرادت ذعبلاً فقلبت الذال دالاً.

يُقال: أصله كوفيٌّ كما في كثير من المعاجم، وقيل: من قرقيسا. وكان أكثر مقامه ببغداد وخرج منها هارباً من المعتصم لمّا هجاه وعاد إليها بعد ذلك وجوّل في الآفاق فدخل البصرة ودمشق ومصر على عهد المطلب بن عبدالله بن مالك المصريّ وولاه أسوان فلمّا بلغ هجاؤه إيّاه عزله فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له وقال: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه. فلمّا أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب فقال له دعبل: دعني أخطب فإذا نزلت قرأته قال: لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتّى تقرأه. فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً وخرج منها إلى المغرب إلى بني الأغلب.

الأغاني ج ١٨ ص ٤٨.

سافر إلى الحجاز مع أخيه رزين، وإلى الري وخراسان مع أخيه عليّ، وقال أبو الفرج[3]: كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلّها ويرجع وقد

(١) الدعبل: الناقة التي معها ولدها. البعير المسن. الشيء القديم (الأغاني).
(٢) في الأغاني. ومعاهد التنصيص. ونهاية الارب.
(٣) في الأغاني ج ١٨ ص ٣٦.

أفاد وأثرى، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه ولا يؤذونه ويُواكلونه ويُشاربونه ويبرّونه وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه: ثقيف وشعف. وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يُواصلونه ويصلونه، وأنشد دعبل لنفسه في بعض أسفاره:

حللت محلاً يقصر البرق دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشّما

وقال ابن المعتز في طبقاته ص ١٢٥: وكان يجتاز بقم فيقيم عند شيعتها فيقسطون له في كلّ سنة خمسة آلاف درهم.

يقع البحث في ترجمته من نواحي أربع.

١ ـ تهالكه في ولاء أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم.

٢ ـ نبوغه في الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه.

٣ ـ روايته للحديث والرواة عنه ومن يروي هو عنه.

٤ ـ سيره مع الخلفاء. ثم ملحه ونوادره ثم ولادته ووفاته.

أمّا الاولى

فجليّة الحال فيها غنيّةٌ عن البرهنة عليها فما ظنّك برجل كان يُسمع منه وهو يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها. وقيل للوزير محمّد بن عبد الملك الزيات. لَم لا تُجيب دعبلاً عن قصيدته الّتي هجاك فيها؟! قال: إنّ دعبلاً جعل خشبته على عنقه يدور بها يطلب من يصلبه عليها منذ ثلاثين سنة وهو لا يُبالي[1].

كلّ ذلك من جرّاء ما كان يُنافح ويُناطح ويُناضل ويُنازل في الذبّ عن البيت النبويّ الطاهر، والتجاهر بموالاتهم، والوقيعة في مناوئيهم، لا يقرّ به

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢٥.

قرارٌ، فلا يُقلّه مأمنٌ ولا يُظلّه سقف منتجع، وما زالت تتقاذف به أجواز الفلا فرَقاً من خلفاء الوقت، وأعداء العترة الطاهرة، ومع ذلك كلّه فقصائده السائرة تلهج بها الركبان، وتزدان بها الأندية، وهي مسرّات للموالين، ومحفظاتٌ للأعداء، ومثيرات للعهن والضغائن حتّى قُتل على ذلك شهيداً.

وما يُنقم من المترجم له من التوغّل في الهجاء في غير واحد من المعاجم فإنّ نوع ذلك الهجو والسباب المُقذع فيمن حسبهم أعداءً للعترة الطاهرة وغاصبي مناصبهم، فكان يتقرّب به إلى الله وهو من المقرّبات إليه سبحانه زُلفى، وانّ الولاية لا تكون خالصةً إلّا بالبراءة ممّن يُضادُّها ويُعاندها كما تبرّأ الله ورسوله من المشركين، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، غير أنّ أكثر أرباب المعاجم من الفئة المتحيِّزة إلى أعداء هذا البيت الطاهر حسبوا ذلك منه ذنباً لا يُغفر كما هو عادتهم في جلّ رجالات الشيعة.

أمّا نبوغه في الأدب

فأيّ برهنة له أوضح من شعره السائر؟! الّذي تلهج به الألسن، وتتضمّنه طيّات الكتب، ويُستشهد به في إثبات معاني الألفاظ وموادّ اللغة، ويُهتف به في مجتمعات الشيعة آناء الليل وأطراف النّهار، ذلك الشعر السهل الممتنع الّذي يحسب السامع لأوّل وهلة أنّه يأتي بمثيله ثمّ لَمّا خاض غماره، وطفق يرسب ويطفو بين أواذيِّه، علم أنّه قصير الباع، قصير الخُطا، قصير المقدرة عن أن يأتي بما يُدانيه فضلاً عمّا يُساويه.

كان محمّد بن القاسم بن مهرويه يقول: سمعت أبي يقول: خُتم الشعر بدعبل. وقال البحتري: دعبل بن عليّ أشعر عندي من مسلم بن الوليد فقيل له: كيف ذلك؟! قال: لأنّ كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصّب له[1].

وعن عمرو بن مسعدة قال: حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ١٨، ٣٧.

المأمون أبيّ شيءً تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟! فقال: وأيّ أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومَن تعرف فيهم شاعراً؟! فقال: أمّا من أنفسهم فابو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين، وأمّا من مواليهم فطاهر وابنه عبدالله. فقال: ومَن عسى في هؤلاء أن يُسئل عن شعره سوى دعبل؟! هات أيّ شيء عندك فيه. وقال الجاحظ: سمعت دعبل بن عليّ يقول: مكثت نحو ستّين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلاّ وأنا أقول فيه شعراً[١]. ولّما أنشد دعبل أبا نواس شعره:

أين الشباب؟! وأيّة سلكا؟! ... لا أين يُطلب؟! ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: أحسنت ملء فيك وأسماعنا. قال محمّد بن يزيد: كان دعبل والله فصيحاً[٢] وهناك كلماتٌ ضافيه حول أدبه والثناء عليه لا يهمّنا ذكرها.

أخذ الأدب عن صريع الغواني مسلم بن الوليد [٣] واستقى من بحره وقال: ما زلت أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي: أُكتم هذا حتّى قلت:

أين الشباب؟! وأيّة سلكا؟! ... لا أين يطلب؟! ضلّ بل هلكا

فلمّا أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئت لمن شئت. وقال أبو تمام: ما زال دعبل مائلاً إلى مسلم بن وليد مقرّاً بأستاذيّته حتّى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وكان فيه بخلٌ فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا مخلد كنّا عقيدي مودّة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا
أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي ... وأنجع إشفاقاً لأن تتوجّعا
فصيّرتني بعد انتحائك متهماً ... لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا
عششت الهوى حتّى تداعت أُصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتّى تقطّعا

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٤٤.
(٢) تاريخي ابن خلكان وابن عساكر.
(٣) كان شاعراً متصرفاً في فنون القول حسن الأسلوب أستاذ الفن: ويقال: انه أول من قال الشعر المعروف بالبديع ووسعه وتبعه فيه أبو تمام وغيره توفّي بجرجان سنة ٢٠٨.

وأنزلت من بين الجوانح والحشى ... ذخيرة ودّ طالما قد تمنّعا
فلا تعذلنّي ليس لي فيك مطمعٌ ... تخرّقت حتّى لم أجد لك مرقعا
فهبك يميني استأكلت فقطعتها ... وجشّمت قلبي صبره فتشجّعا(١)

ويروي عنه في الأدب محمّد بن يزيد. والحمدوي الشاعر، ومحمّد بن القاسم بن مهرويه، وآخرون.

آيات نبوغه

له كتاب: الواحدة. في مناقب العرب ومثالبها. وكتاب: طبقات الشعراء. وهو من التآليف القيّمة، والأصول المعوّل عليها في الأدب والتراجم، ينقل عنه كثيراً المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٧، ٣٦١، ٤٣٤، ٤٧٨. والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٣٤٢ وج ٤ ص ١٤٣ وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٤٦، ٤٧. وابن خلّكان في تاريخه ج ٢ ص ١٦٦. واليافعي في المرآة ج ٢ ص ١٢٣. وأكثر النقل عنه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٦٩، ١٣٢، ١٧٢، ٣٧٠، ٤١١، ٥٢٥، ٥٢٧، وج ٢ ص ٩٩، ١٠٣، ١٠٨. وج ٣ ص ٩١ و١١٩، ١٢٣، ٢٧٠، ٥٦٥، وج ٤ ص ٧٤، ٥٦٥ وغيرها.

وأحسب أنّه كتابٌ ضخمٌ مبوّبٌ على البلدان كيتيمة الدهر للثعالبي ففيه:

أخبار شعراء البصرة. وبهذا العنوان ينقل عنه الآمدي في [المؤتلف والمختلف] ص ٦٧، وابن حجر في «الإصابة» ج٣ ص ٢٧٠.

أخبار شعراء الحجاز. وبهذا الاسم ينقل عنه ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٧٤، ١٦٣، ويقول: ذكر دعبل في طبقات الشعراء في أهل الحجاز.

أخبار شعراء بغداد. ينقل عنه باسم كتاب شعراء بغداد الآمدي في «المؤتلف» ص ٦٧.

---

(١) ويروى: وحملت قلبي فقدها. الأغاني ج ١٨ ص ٤٧.

وله ديوان شعر مجموع كما في تأريخ ابن عساكر. وقال ابن النديم: عمله الصولي نحو ثلاثمائة ورقة. وعدّ في فهرسته ٢١٠ من تآليف أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر: كتاب: إختيار شعر دعبل.

ومن آيات نبوغه: قصيدته في ذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرهم على نحو ستمائة بيتاً كما في [نشوار المحاضرة] للتنوخي ص ١٧٦. مطلعها:

أفيقي من ملامك يا طعينا ... كفاك اللوم مرّ الأربعينا

يردُّ بها على الكميت في قصيدته التي يمتدح بها نزاراً وهي ثلاثمائة بيت أوّلها:

ألا حيّيت عنّا يا مدينا ... وهل ناسٌ تقول مسلّمينا؟!

قالها الكميت ردّاً على الأعور الكلبي في قصيدته الّتي أوّلها:

أسودينا وأحمرينا ... .

فرأى دعبل النبيَّ ﷺ في النوم فنهاه عن ذكر الكميت بسوء. ولم يزل دعبل كان عند الناس جليل القدر حتّى ردّ على الكميت فكان ممّا وضعه[1] وردّ عليه أبو سعد المخزومي بقصيدة. وعلى أثر هذه المناجزة والمشاجرة افتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار؛ وأدلى كلُّ فريق بما له من المفاخر، وتحزّبت الناس، وثارت العصبيّة في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمّد الجعدي، وتعصّبه لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسيّة وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني اميّة إلى بني هاشم، ثمّ ما تلا ذلك من قصّة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصّباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم. إلى آخر ما في مروج الذهب ج ٢ ص ١٩٧.

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٢٩، ٣١.

أما روايته في الحديث:

فعدَّه ابن شهر اشوب في «المعالم» ص ١٣٩ من أصحاب الكاظم والرِّضا عليهما السّلام، وحكى النجاشي في فهرسته ص ١٩٨ عن ابن أخيه: إنّه رأى موسى بن جعفر ولقي أبا الحسن الرِّضا. وقد أدرك الإمام محمَّد بن عليٍّ الجواد عليه السّلام ولقيه، وروى الحميري في «الدلائل» وثقة الإسلام الكليني في «اصول الكافي»: إنّه دخل على الرِّضا عليه السلام فأعطاه شيئاً فلم يحمد الله تعالى فقال: لِمَ لم تحمد الله تعالى؟! ثمَّ دخل على الجواد فأعطاه فقال: الحمد لله. فقال عليه السلام: تأدَّبت.

ويروي شاعرنا عن جماعة منهم:

١ ـ الحافظ شعبة بن الحجّاج المتوفّى سنة ١٦٠[1] وبهذا الطريق يُروى عنه الحديث في كتب الفريقين كما في أمالي الشيخ ص ٢٤٠. وتأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨.

٢ ـ الحافظ سفيان الثوري المتوفّى سنة ١٦١ (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٣ ـ إمام المالكيّة مالك بن أنس المتوفّى سنة ١٧٩ (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٤ ـ أبو سعيد سالم بن نوح البصري المتوفّى بعد المأتين (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٥ ـ أبو عبدالله محمّد بن عمرو الواقدي المتوفّى سنة ٢٠٧ (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٦ ـ الخليفة المأمون العبّاسي المتوفّى سنة ٢١٨، تأريخ الخلفاء ص ٢٠٤، ٢٢٨.

---

(١) يروي عنه وعن الثوري وهو لم يبلغ الحلم.

٧ ـ أبو الفضل عبدالله بن سعد الزهري البغدادي المتوفّى سنة ٢٦٠، يروي عنه عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر عن ابن حوشب عن أبي هريرة حديث صوم الغدير المذكور ج ١ ص ٤٠١(١).

٨ ـ محمّد بن سلامة يروي عنه بطريقه شيخ الطائفة في أماليه ص ٢٣٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبته الشهيرة بالشقشقيّة التي أوّلها: والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى؛ ينحدر عني السّيلُ ولا يرقى إليّ الطير ولكنّي سدلت عنها ثوباً، وطويت عنها كشحا.

٩ ـ سعيد بن سفيان الأسلمي المدني. (أمالي الشيخ ص ٢٢٧)

١٠ ـ محمّد بن إسماعيل «مشترك» (أمالي الشيخ ص ٢٢٧)

١١ ـ مجاشع بن عمر يروي عنه عن مسيرة عن الجزري عن ابن جُبير عن ابن عبّاس أنّهُ سئل عن قول الله عزّ وجلّ: وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيما.

الحديث. أمالي الشيخ ص ٢٤٠.

١٢ ـ موسى بن سهل الراسبي، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٤٨ شيخاً للمترجم له ولم يعرفه.

وعدّ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٢٨ ممّن يقال برواية المترجم عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري وخفي عليه أنّ يحيى الأنصاري توفّي سنة ١٤٣ قبل ولادة المترجم بسنين.

والرّواة عن المترجم هم

١ ـ أبو الحسن عليّ أخوه كما في كثير من كتب الحديث والمعاجم.

٢ ـ موسى بن حمّاد اليزيدي. فهرست النجاشي ص ١١٧.

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ص ٢.

٣ - أبو الصلت الهروي المتوفّى سنة ٢٣٦. في مصادر كثيرة.

٤ - هارون بن عبدالله المهلبي. في الأمالي والعيون.

٥ - عليّ بن الحكيم. في اصول الكافي.

٦ - عبدالله بن سعيد الأشقري. الأغاني وغيره.

٧ - موسى بن عيسى المروزي.الأغاني وغيره.

٨ - ابن المنادي أحمد بن أبي داود المتوفّى سنة ٢٧٢. تاريخ ابن عساكر[1].

٩ - محمّد بن موسى البُريري. تاريخ ابن عساكر.

أمّا سيره مع الخلفاء والوزراء

فهذه ناحيةٌ واسعة النطاق، طويلة الذيل، يجد الباحث في طيّات كتب التاريخ ومعاجم الأدب المفصّلة حولها كراريس مسطّرة فيها لغو الحديث نضرب عنها صفحاً ونقتطف منها النزر اليسير.

١ - عن يحيى بن أكثم قال: إنّ المأمون أقدم دعبل رحمه الله وآمنه على نفسه فلمّا مثل بين يديه وكنت جالساً بين يدي المأمون فقال له:أنشدني قصيدتك «الرائيّة» فجحدها دعبل وأنكر معرفتها، فقال له: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك. فأنشده:

تأسّفت جارتي لَمّا رأت زوري ... وعدّت الحلم ذنباً غير مغتفرِ
ترجو الصبى بعدما شابت ذوائبها ... وقد جرت طلقاً في حلبة الكبرِ
أجارتي إنّ شيب الرأس يُعلمني ... ذكر المعاد وأرضاني عن القدرِ
لو كنت أركن لِلدنيا وزينتها ... إذاً بكيت على الماضين من نفرِ
أخنى الزمان على أهلي فصدّعهم ... تصدُّع الشيب لاقى صدمة الحجرِ

---

(١) ج ٥ ص ٢٢٨. وابن المنادي في المعاجم: محمد بن عبيدالله.

بعضٌ أقام وبعضٌ قد أصار به — داعي المنيَّة والباقي على الأثرِ
أمّا المقيم فأخشى أن يُفارقني — ولست أوبة من ولّى بمنتظرِ
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي — كحالم قصَّ رؤيا بعد مدَّكر
لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا — من أهل بيت رسول الله لم أقرِ
وفي مواليك للحرّين مشغلةٌ — من أن تبيت لمشغول على أثرِ
كم من ذراع لهم بالطفِّ بائنةٍ — وعارضٍ بصعيد الترب مُنعفرِ
أمسى الحسين ومسراهم لمقتله — وهم يقولون: هذا سيِّد البشرِ
يا أمّة السوء ما جازيت أحمد في — حسن البلاء على التنزيل والسورِ
خلفتموه على الأبناء حين مضى — خلافة الذئب في إنفاد ذي بقرِ

قال يحيى: وأنفذني المأمون في حاجة فقمت فعدت إليه وقد انتهى إلى قوله:

لم يبق حيٌّ من الأحياء نعلمه — من ذي يمان ولا بكر ولا مضرِ
إلّا وهم شركاءُ في دمائهم — كما تُشارك ايسارٌ على جزرِ
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبةً — فعل الغزاة بأرض الروم والخزرِ
أرى اميَّة معذورين إن قتلوا — ولا أرى لبني العبّاس من عذرِ
قومٌ قتلتم على الإسلام أوّلهم — حتّى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
أبناء حربٍ ومروانٍ وأُسرتهم — بنو مُعيط وُلاة الحقد والزعر
إربع بطوس على قبر الزكيِّ بها — إن كنت تربع من دين على وطرِ
قبران في طوس خير النّاس كلّهمُ — وقبر شرّهمُ هذا من العبر
ما ينفع الرِّجس من قبر الزكّي ولا — على الزكيِّ بقرب الرِّجس من ضررِ
هيهات كلُّ امرىء رهن بما كسبت — له يداه فخذ ما شئت أو فذرِ

قال: فضرب المأمون عمامته الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل[1].

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٥٧. تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٣٣. أمالي المفيد. أمالي الشيخ ص ٦١.

روى شيخنا الصَّدوق في أماليه ص ٣٩٠ بإسناده عن دعبل انَّه قال: جائني خبر موت الرِّضا عليه السلام وأنا مقيمٌ بقم فقلت القصيدة الرائيَّة. ثمَّ ذكر أبياتاً منها.

٢ - دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون فشكى إليه حاله وقال: يا أمير المؤمنين إنّ الله سبحانه وتعالى فضَّلك في نفسك عليَّ، وألهمك الرأفة والعفو عنّي، والنسب واحدٌ، وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال: وما قال؟! لعلَّ قوله:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله ... فهفا إليه كلّ أطلس مائقِ

وأنشده الأبيات فقال: هذا من بعض هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من هذا فقال المأمون: لك أُسوة بي فقد هجاني واحتملته، وقال فيَّ [1]:

أيسومني المأمون خطَّة جاهل ... أو ما رأى بالأمس رأس محمَّدِ؟!
إنّي من القوم الَّذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرَّفتك بمقعدِ [2]
شادوا بذكرك بعد طول خمولة ... واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ

فقال إبراهيم: زادك الله حلماً يا أمير المؤمنين وعلماً، فما ينطق أحدنا إلاّ عن فضل علمك، ولا تحمل إلا اتِّباعاً لحلمك.

٣ - حدَّث ميمون بن هرون قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دعبل يحرِّضه عليه فضحك المأمون وقال: إنَّما تحرِّضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجياد لا تقنطوا ... وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطون حُنينيَّةً ... يلتذُّها الأمرد والأشمطُ
والمعبديَّات لقوَّادكم ... لا تدخل الكيس ولا تربطُ

---

(١) أول القصيدة:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد ... والنائبات من الأنام بمرصد

(٢) أشار إلى قضية طاهر الخزاعي وقتله الأمين محمد بن الرشيد وبذلك ولي المأمون الخلافة.

وهكذا يرزق قوّاده خليفةٌ مصحفة البربطُ

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين. فقال: دع هذا عنك، فقد عفوت عنه في هجائه إيّاي لقوله هذا. وضحك ثمَّ دخل أبو عبّاد فلمّا رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم: دعبل يجسر على أبي عبّاد بالهجاء ولا يحجم عن أحد. فقال له: وكان أبو عبّاد أبسط يداً منك؟! قال: لا، ولكنه حديدٌ جاهلٌ لا يُؤمن وأنا أحلم وأصفح، والله ما رأيت أبا عبّاد مقبلاً إلاّ أضحكني قول دعبل فيه:

أولى الأُمور- بضيعة وفسادِ أمرٌ يُدبّره أبو عبّاد[1]

٤ ـ حدَّث أبو ناجية قال: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنّه يُريد اغتياله وقتله فهرب إلى الجبل وقال يهجوه:

بكى لشتات الدين مكتئبٌ صبُّ وفاض بفرط الدمع من عينه غربُ
وقام إمامٌ لم يكن ذا هداية فليس له دينٌ وليس له لبُّ
وما كانت الأنباء تأتي بمثله يُملّك يوماً أو تدين له العربُ
ولكن كما قال الّذين تتابعوا من السلف الماضين إذ عظم الخطبُ
ملوك بني العبّاس في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامن لهم كُتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ خيارٌ إذا عُدّوا وثامنهم كلبُ
وإنّي لأُعلي كلبهم عنك رفعةً لأنّك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ
وفضل بن مروان يثلم ثلمة يظلّ لها الإسلام ليس له شعبُ

٥ ـ حدَّث ميمون بن هارون قال: لَمّا مات المعتصم، قال محمّد بن عبد الملك الزيّات يرثيه:

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا في خير قبر لخير مدفونِ
: لن يجبر الله امّةً فقدت مثلك إلاّ بمثل هارونِ

---

(١) توجد بقية الأبيات في الأغاني ج ١٨ ص ٣٩.

فقال دعبل يعارضه:

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا ... في شرّ قبر لشرّ مدفونِ
: اذهب إلى النار والعذاب فما ... خلتك إلّا من الشياطينِ
ما زلت حتّى عقدت بيعة من ... أضرّ بالمسلمين والدينِ

٦ ـ حدَّث محمَّد بن قاسم بن مهرويه قال: كنت مع دعبل بالضميرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل: أمعك شيء تكتب فيه؟! فقلت: نعم، وأخرجت قرطاساً فأملى عليَّ بديهاً:

الحمد لله لا صبر ولا جلدُ ... ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا
خليفةٌ مات لم يحزن له أحدٌ ... وآخرٌ قام لم يفرح به أحدُ

٧ ـ حدَّث محمَّد بن جرير قال: أنشدني عبيدالله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه:

ولست بقائل قذعاً ولكن ... لأمر ما تعبَّدك العبيدُ

قال: يرميه في هذا البيت بالأبنة.

٨ ـ دخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له المأمون: أيّ شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل؟! فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين. قال: هاتها ويحك. فأنشده عبدالله قول دعبل:

سقياً ورعياً لأيام الصباباتِ ... أيّام أرفل في أثواب لذّاتي
أيّام غصني رطيبٌ من لیانته ... أصبو إلى خير جاراتٍ وكنّاتِ
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ... واقذف برجلك عن متن الجهالاتِ
واقصد بكلّ مديحٍ أنت قائله ... نحو الهداة بني بيت الكراماتِ

فقال المأمون: إنَّه قد وجد والله مقالاً ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم. ثمَّ قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه:

ألم يأن للسفر الذين تحمَّلوا ... إلى وطن قبل الممات رجوعُ؟!

فقلت ولم أملك سوابق عبـرةٍ   نطقن بما ضمّت عليه ضلوعُ
تبين فكم دار تفرّق شملها   وشمل شتيت عاد وهو جميـعُ
كذاك الليالي صرفهنّ كما ترى   لكلّ أُناس جـدبـة وربيعُ

ثمّ قال: ما سافرت قطُّ إلّا كانت هذه الأبيـات نصب عينيَّ في سفري وهجيرتي ومسيلتي حتّى أعود.

٩ ـ حدَّث ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينـار بن عبدالله وأخاه يحيى فلم يرضيا فعله فقال يهجوهما:

مـا زال عصيـاننـا لله يـرذلنـا   حتّى دفعنـا إلى يحيى ودينـارِ
وغدين عجلين لم تقطع ثمارهما   قد طال ما سجدا لِلشمس والنارِ

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل والحسن بن رجاء وأبيه يقول دعبل:

ألا فاشتروا منّي ملوك المخزّم   أبع حسناً وابني رجاء بدرهمِ
وأعط رجـاءً فـوق ذاك زيـادة   وأسمـع بـدينـار بغيـر تنـدمِ
فإن رُدَّ من عيب عليَّ جميعهم   فليس يردّ العيب يحيى بن أكثمِ

ملح ونوادر

١ ـ حدَّث أحمد بن خالد قال: كنّا يوماً بدار صالح بن عليّ، من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعةٌ من أصحابنا، فسقط على كنيسة في سطحه ديكٌ طار من دار دعبل فلمّا رأيناه قلنا: هذا صيدنا فأخذناه فقال صالح: ما نصنع به؟! قلنا: نذبحه. فذبحناه وشويناه فخرج دعبل وسأل عن الديك، فعرف انّه سقط في دار صالح فطلبه منّا فجحدناه وشربنا يومنا فلمّا كان من الغد، خرج دعبل فصلّى الغداة ثمّ جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعةٌ من العلماء وينتابهم الناس فجلس دعبل على المسجد، وقال.

أسـر المؤذّن صالـحٌ وضيوفـه   أسر الكميِّ هفا خلال الماقطِ
بعثـوا عليـه بنيهمُ وبنـاتهم   من بين نـاتفـة وآخـر سـامطِ

يتنـازعـون كـأنّهم قـد أوثقوا   خاقان أو هزموا كتائب ناعطِ(١)
نهشـوه فانتـزعت له أسنـانهم   وتهشّمت أقفـاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا فقـال لي أبي وقد رجـع إلى البيت: ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل؟! ثمّ أنشدنا الشعر وقال لي: لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلاّ اشتريته وبعثت به إلى دعبل وإلاّ وقعنا في لسانه ففعلت ذلك.

٢ ـ عن إسحاق النخعي قال: كنت جالساً مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف فمرّ به أعرابيٌّ يرفـل في ثياب خـزّ فقال لغـلامه: أُدع لي هـذا الأعرابي فأومأ الغلام إليه فجاء فقال له دعبل: ممّن الرجـل؟! قال: من بني كلاب. قال: من أيِّ وُلد كلاب أنت؟! قال: من وُلد أبي بكر. فقال دعبل: أتعرف القائل :

ونبّأت كلباً من كـلاب يسبّني   ومحض كلاب يقطع الصّلواتِ
فـإن أنا لم أعلم كـلاباً بـأنّها   كـلابٌ وانّي باسـل النقمـاتِ
فكان إذاً من قيس عيلان والدي   وكانت إذاً امّي من الحبطاتِ

قال: هذا الشعر لدعبـل يقولـه في عمرو بن عـاصم الكلابي فقـال له الأعرابيّ: ممّن أنت؟! فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم فقال: انا أنتمي إلى القوم الّذين يقول فيهم الشاعر:

أُناسٌ عليٌّ الخير منهم وجعفرٌ   وحمـزةُ والسجّادُ ذو الثفنـاتِ
إذا فخـروا يومـاً أتـوا بمحمّد   وجبريل والفـرقان والسـوراتِ

فوثب الأعرابيُّ وهو يقول: ما لي إلى محمّد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى.

٣ ـ حدَّث الحسين بن أبي السرى قال: غضب دعبل على أبي نصر بن

---

(١) ناعط: قبيلة من همدان. وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه.

جعفر بن محمَّد بن الأشعث وكان دعبل مؤدِّبه قديماً لشيء بلغه عنه فقال يهجو أباه:

ما جعفر بن محمَّد بن الأشعث ... عندي خير أُبوَّة من عثعثِ
عبثاً تمارس بي تمارس حيَّة ... سوارت إن هجتها لم تلبثِ
لو يعلم المغرور ماذا حاز من ... خزي لوالده إذاً لم يعبثِ

قال: فلقيه عثعث فقال له: أي شيء كان بيني وبينك؟! حتى ضربت بي المثل في خسَّة الآباء. فضحك دعبل وقال: لا شيء والله إلاّ إتِّفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية، أو لا ترضى أن أجعل أباك وهو أسود خيراً من آباء الأشعث بن قيس؟!

٤ ـ عن الحسين بن دعبل قال: قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضلِ ... وقلت فسيَّرت المقالة في الفضلِ
ألا إنَّ في الفضل بن سهل لعبرةً ... إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضلِ
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظٌ ... إذا فكَّر الفضل بن مروان في الفضلِ
فأبق حميداً من حديث تفز به ... ولا تدع الإحسان والأخذ بالفضلِ
فإنَّك قد أصبحت للملك قيِّماً ... وصرت مكان الفضل والفضل والفضلِ
ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها ... جميع قوافيها على الفضل والفضلِ
وليس لها عيبٌ إذا هي أُنشدت ... سوى أنَّ نصحي الفضل كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له: قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرَّك[1].

نماذج من شعر دعبل في المذهب

قال في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

أتسكب دمع العين بالعبراتِ؟! ... وبتَّ تقاسي شدَّة الزفراتِ؟!

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٢.

وتبكي لآثار لآل محمَّد؟! فقد ضاق منك الصدر بالحسراتِ
ألا فابكهم حقّاً وبلَّ عليهمُ عيوناً لريب الدهر منسكباتِ
ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم وداهيةً من أعظم النكباتِ
سقى الله أجداثاً على أرض كربلا مرابيع أمطار من المزناتِ
وصلّى على روح الحسين حبيبه قتيلاً لدى النهرين بالفلواتِ
قتيلاً بلا جرم فُجعنا بفقده فريداً يُنادي: أين أين حُماتي؟!؟!
أنا الظامىء العطشان في أرض غربة قتيلاً ومظلوماً بغير تراتِ
وقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساءً وُلّهاً خفراتِ
فقل لابن سعد، عذب الله روحه: ستلقى عذاب النّار باللعناتِ
سأقنتُ طول الدهر ما هبت الصبا وأقنتُ بالآصال والغدواتِ
على معشر ضلّوا جميعاً وضيّعوا مقال رسول الله بالشّبهات

ويمدح أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر تصدُّقه خاتمه للسائل في الصَّلاة ونزول قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يُقيمون الصَّلاة ويُؤتون الزكاة وهم راكعون﴾. فيه[1] بقوله:

نطق القران بفضل آل محمَّد وولايةٍ لعليِّه لم تُجحدِ
بولاية المختار من خير الّذي بعد النبيِّ الصادق المتودّد
إذ جاءه المسكين حال صلاته فامتدَّ طوعاً بالذراع وباليدِ
فتناول المسكين منه خاتماً هبة الكريم الأجود بن الأجودِ
فاختصَّه الرَّحمن في تنزيله مَن حاز مثل فخاره فليعددِ
إنَّ الإلٓه وليّكم ورسوله والمؤمنين فمن يشأ فليجحدِ
يكن الإلٓه خصيمه فيها غداً والله ليس بمخلف في الموعدِ

وله يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

سقياً لبيعة أحمد ووصيِّه أعني الإمام وليّنا المحسودا

---

(١) راجع ما مر صفحة ٤٧ من هذا الجزء.

أعني الذي نصر النبيَّ محمَّداً قبل البريَّة ناشئاً ووليدا
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن في الحرب عند لقائه رعديدا
أعني الموحِّد قبل كل موحِّد لا عابداً وثناً ولا جلمودا

وله يرثي الإمام السبط شهيد الطفّ سلام الله عليه:

إن كنت محزوناً فما لك ترقدُ؟! هلاّ بكيتَ لمن بكاه محمَّدُ؟!
هلاّ بكيتَ على الحسين وأهله؟! إنَّ البكاء لمثلهم قد يُحمدُ
لتضعضع الإسلام يوم مصابه فالجود يبكي فقده والسوددُ
فلقد بكته في السماء ملائكٌ زهرٌ كرامٌ راكعون وسُجَّدُ
أنسيت إذ صارت إليه كتائبٌ فيها ابن سعد والطغاة الجحَّدُ؟!
فسقوه من جُرع الحتوف بمشهدٍ كثر العداة به وقلَّ المُسعدُ
لم يحفظوا حقَّ النبيِّ محمَّدٍ إذ جرَّعوه حرارةً ما تبردُ
قتلوا الحسين فأثكلوه بسبطه فالثكل من بعد الحسين مبرَّدُ
كيف القرار؟! وفي السبايا زينبٌ تدعو بفرط حرارة: يا أحمدُ
هذا حسينٌ بالسيوف مُبضَّعٌ مُتلطّخٌ بدمائه مُستشهدُ
عار بلا ثوب صريعٌ في الثرى بين الحوافر والسنابك يُقصدُ
والطيِّبون بنوك قتلى حوله فوق التراب ذبائح لا تُلحدُ
يا جدُّ قد منعوا الفرات وقتَّلوا عطشاً فليس لهم هنالك موردُ
يا جدُّ من ثكلي وطول مصيبتي ولما أُعانيه أقوم وأقعدُ

وله من قصيدة طويلة في رثاء الشهيد السبط عليه السلام قوله:

جاؤا من الشام المشومة أهلها للشوم يقدم جندهم إبليسُ
لُعنوا وقد لُعنوا بقتل إمامهم تركوه وهو ضدٌّ مخموسُ
وسُبوا فوا حزني بنات محمَّد عبرى حواسر ما لهن لبوسُ
تبّاً لكم يا ويلكم أرضيتمُ بالنّار؟! ذلَّ هنالك المحبوسُ
بعتم بدنيا غيركم جهلاً بكم عزَّ الحياة وإنَّه لنفيسُ
أخزِ بها من بيعةٍ أمويَّةٍ لُعنت وحظُّ البائعين خسيسُ

بؤســاً لمن بــايعتمُ وكــأنّني بإمامكم وسط الجحيم حبيسُ
يــا آل أحمــد مــا لقيتم بعــده؟! من عصبــة هم في القيــاس مجــوسُ
كم عــبرة فــاضت لكم وتقــطّعت يــوم الطفــوف على الحسـين نفـوسُ
صبراً موالينـا فسوف نـديلكم يــومـاً على آل اللّعين عبــوسُ
مـا زلتُ متّبعـاً لكم ولأمـركم وعليه نفسي ما حييت أسوسُ

وذكر له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ١١ ص ١١٠ في رثـاء الإمام السبط عليه السلام قوله:

رأس ابن بنت محمَّـد ووصيِّه يـا للرجـال على قنـاةٍ يُـرفـعُ
والمسلمـون بمنظرٍ وبمسمـع لا جـازعٌ من ذا ولا متخشّـعُ
أيقظتَ أجفاناً وكنتَ لها كرى وأنمتَ عيناً لم تكن بكَ تهجعُ
كحلت بمنظركَ العيون عمايةً وأصمَّ نعيـكَ كلَّ أُذنٍ تسمـعُ
مـا روضــةٌ إلّا تمنّـت أنّهـا لك مضجعٌ ولخطِّ قبرك موضعُ

وله في مدح الإمام الطاهر عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه:

أبــو تــراب حــيــدره ذاك الإمام .القسوره
مُــبــيــد كــلِّ الــكــفــره لــيس لــه مــنــاضــلُ
مــبــارزٌ مــا يــهــبُ وضــيــغــمٌ مــا يُــغــلــبُ
وصــادقٌ لا يــكــذبُ وفــارسٌ مــحــاولُ
ســيــف الــنــبــيِّ الــصّــادقِ مُــبــيــد كــلِّ فــاســقِ
بــمــرهــف ذي بــارقِ أخــلــصــه الــصــيــاقــلُ

وله يرثي الإمام السبط صلوات الله عليه:

مــازل بين أكنــاف الغــريّ إلى وادي المياه إلى الطويّ
لقد شغل الدموع عن الغواني مصــاب الأكــرمين بني عليٍّ
أتى أسفي على هفوات دهري تضــاءل فيــه أولاد الــزكـيّ
ألم تقف البكاء على حسين؟! وذكـرك مصـرع الحبـر التقيّ

ألم يحـزنـك أنَّ بني زيـاد أصـابوا بـالترات بني النبيِّ؟!
وإنَّ بني الحصـان يمـرُّ فيهم عـلانيـةً سيـوف بني البغيِّ

ولادته ووفاته:

وُلد سنة ١٤٨ واستشهد ظلماً وُعدواناً وهو شيخٌ كبير سنة ٢٤٦ فعاش سبعاً وتسعين سنة وشهوراًمن السنةالثامنة. يُقال: إنَّه هجاما لـك بن طوق بأبيات وبلغت مالكاً فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العبّاس العبّاسي وكان بلغه هجاء دعبل نزاراً فلمّا دخل البصرة بعث مَن قبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها، وبكلِّ يمين تبرّىء من الدم انَّه لم يقلها، وانّ عدوّاً له قالها، إمّا أبو سعيد أو غيره ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرَّع إليه ويقبِّل الأرض ويبكي بين يديه، فرقَّ له فقال: أما إذا عفيتك من القتل فلا بدَّ من أن أشهرك. ثمَّ دعى بالعصا فضربه حتّى سلح وأمر به وأُلقي على قفاه وفتح فمه فردَّ سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف: أن لا يكفَّ عنه حتّى يستوفيه ويبلعه أو يقتله. فما رفعت عنه حتّى بلع سلحه كلّه ثمَّ خلاّه فهرب إلى الأهواز، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً[١] مقداماً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل يطلبه حتّى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعُكّاز[٢] لها زجٌّ مسمومٌ فمات من غد ودفن بتلك القرية. وقيل: بل حُمل إلى السوس ودُفن بها[٣] وفي تاريخ ابن خلكان: قُتل بـ (الطيب) وهي بلدةٌ بين واسط العراق وكور الأهواز. وقال الحموي[٤]: وبزويلة[٥] قبر دعبل ابن علي الخزاعي قال بكر بن حمّاد:

المـوت غـادر دعبـلاً بـزويلة في أرض برقة أحمد بن خصيبِ

(١) الحصيف: الجيد الرأي محكم العقل.
(٢) العكاز بالعين المضمومة والكاف المشددة: عصا ذات زج في أسفلها يتوكأ عليها.
(٣) الأغاني ج ١٨ ص ٦٠، معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٨.
(٤) معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٨.
(٥) أول حدود بلاد السودان.

لا يخفى على الباحث أنَّ ترديد ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٢ بعد ذكر وفاة المترجم سنة ٢٤٦ وقوله: [قيل: إنّه هجا المعتصم فقتله. وقيل: إنّه هجا مالك فأرسل إليه مَن سمّه بالسوس] ترديدٌ بلا تأمّل، ونقلٌ بلا تدبّر، إذ المعتصم توفّي سنة ٢٢٧ قبل شهادة المترجم بتسع عشرة سنة. كما أنَّ ما ذكره الحموي في «معجم البلدان» ج ٤ ص ٤١٨ من [أنّ دعبلاً لمّا هجا المعتصم أهدر دمه فهرب إلى طوس واستجار بقبر الرشيد فلم يُجره المعتصم وقتله صبراً في سنة ٢٢٠] خلاف ما اتّفق عليه المؤرّخون وعلماء الرجال من شهادته سنة ٢٤٦.

كان البحتري صديقاً للمترجم وأبي تمام المتوفّى قبله فرثاهما بقوله:

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي ... مثوى حبيب يوم مات ودعبلِ
أخويّ لا تزل السماء مخيلة[1] ... تغشاكما بسماء مزنٍ مُسبلِ
جدثٌ على الأهواز يبعد دونه ... مسرى النعيّ ورمسه بالموصلِ

قال أبو نصر محمّد بن الحسن الكرخي الكاتب: رأيت على قبر دعبل مكتوباً:

أعدَّ لله يوم يلقاهُ ... دعبلُ: أن لا إلٰه إلّا هو
يقولها مخلصاً عساه بها ... يرحمه في القيامة الله
الله مولاه والرَّسول ومن ... بعدهما فالوصيُّ مولاهُ

خلف المترجم ولداه: عبدالله وحسين الشاعر: ذكر النديم للثاني منهما ديواناً في نحو مائتي ورقة، وترجمه ابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ١٩٣ وذكر نماذج من شعره وقال: الدعبليُّ مليح الشعر جِداً.

---

(١) خيل السحاب: رعد وبرق وتهيّأ للمطر.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

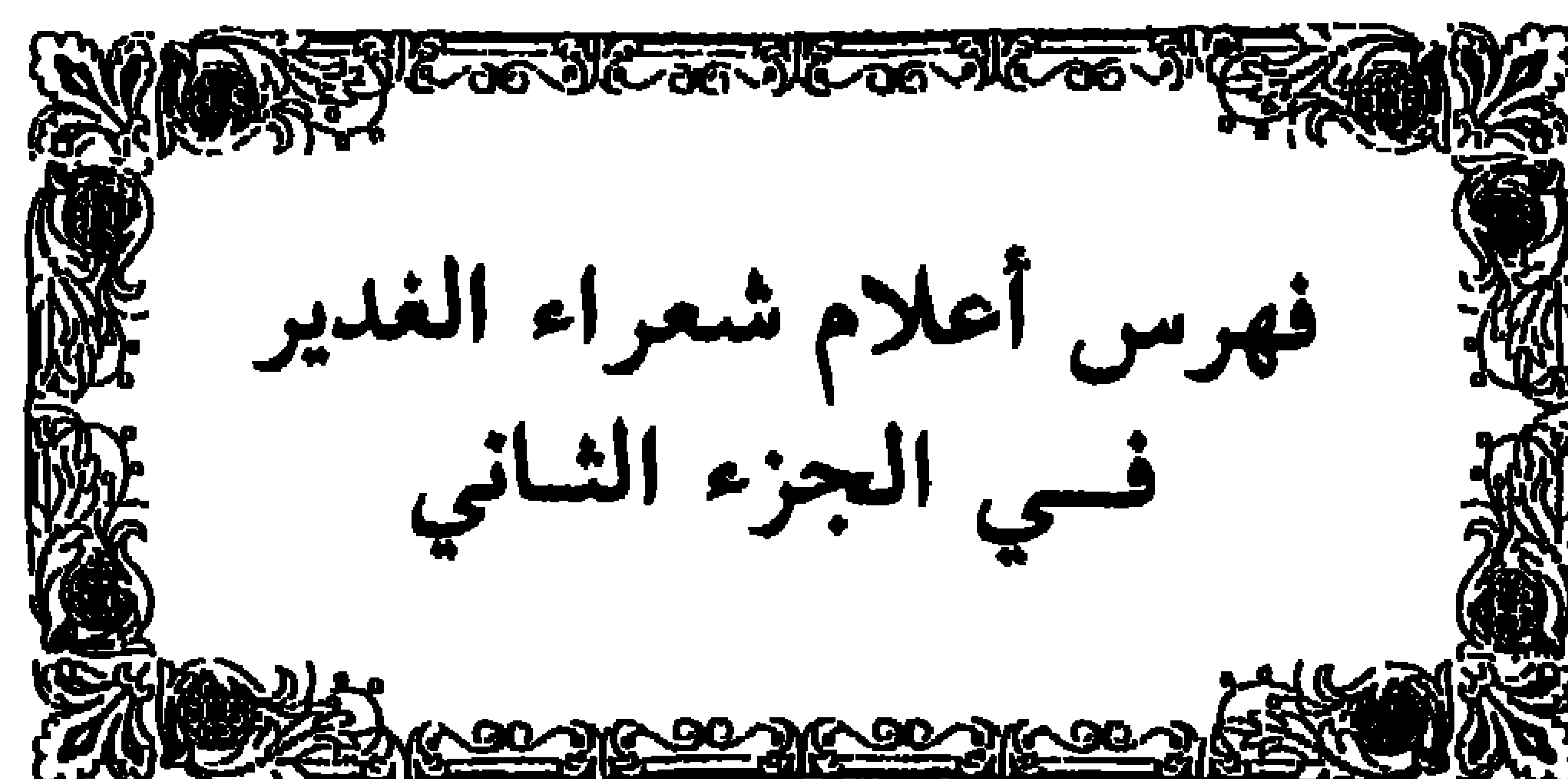
هنا ينتهي الجزء الثّاني، ويتلوه الجزء الثالث، ويُبدأ ببقيَّة شعراء القرن الثّالث، أوّلهم أبو إسماعيل العلويّ

والله المستعان وعليه التكلان

شكر على تقدير

كان في هواجس ضميري: أنّ كتابي هذا سيقدِّره كلُّ رجلٍ دينيٍّ، ومَن يحمل ولاء العترة الطاهرة، فصدَّق الخُبر الخَبر، وأتتنا رسائل كريمة وكتابات أنيقة من أرجاء العراق وخارجها من شتّى الأقطار من الجمعيّات والشخصيّات البارزة في تقريظ الكتاب والإعجاب به نظماً ونثراً، كلّ ذلك ينمُّ عن روحيَّةٍ حاسَّةٍ قويَّةٍ في الملأ الإسلاميِّ، وفكرةٍ صالحةٍ في المجتمع الدينيِّ، وشعورٍ حيٍّ في رجالات الامَّة، فحيَّا الله العرب ودينه الحقَّ، ومرحباً بالتابعين له بإحسان من الامم الإسلاميَّة، فنحن نقدِّم إلى الجميع شكرنا المتواصل، ونسأل لهم التوفيق، ونأمل الرقي والتقدّم لحملة القرآن الأقدس.

المؤلف الأميني



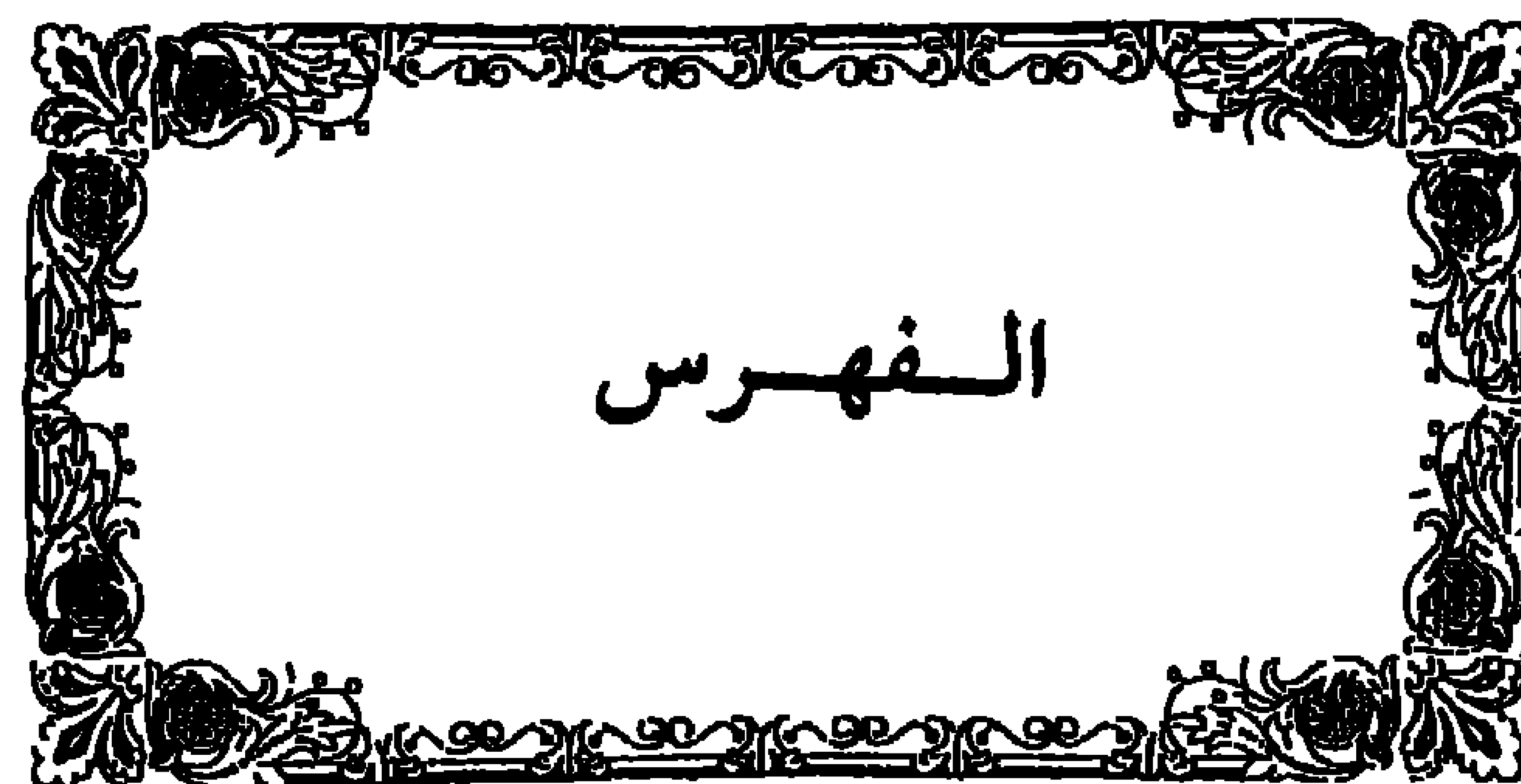
فهرس أعلام شعراء الغدير في الجزء الثاني

الأعلام	الصفحات

شعراء الغدير في القرن الأول

شعراء الغدير في القرن الثاني

شعراء الغدير في القرن الثالث



الموضوع الصفحة

شعراء الغدير في القرن الأوّل

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

شعراء الغدير في القرن الثاني

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

شعراء الغدير في القرن الثالث

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنة وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الثالث

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

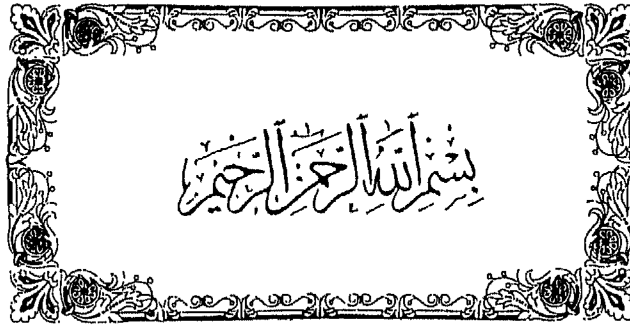
٣

الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

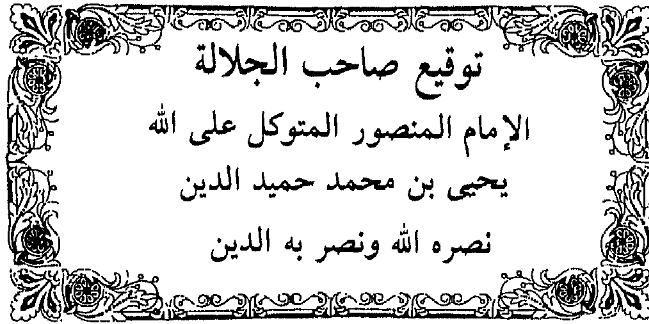
مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



كلمة المؤلف

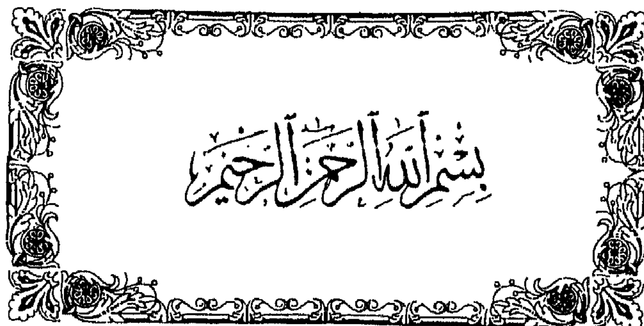
تشرّفنا بتوقيعين كريمين من صاحبي الجلالة الهاشميَّة : إمام اليمن ، وملك شرقي الأردن ، أعزّ الله بهما الإسلام ، ورفع بهما راية الحقّ . وفيهما حياةٌ لروح المجتمع الإسلامي ، وتقديرٌ للعلم والأدب وروّادهما ، ونحن شكراً لهما على هذه العاطفة الملوكيَّة نبدأ بهما هذا الجزء من كتابنا ، وندعو لصاحبي الجلالة بكلِّ خير ، فلتكن الناس على دين ملوكهم .



بسم الله الرحمن الرحيم



حضرة العلامة الالمعي والهمام النحابة اللوذعي عبد الحسين احمد الاميني فسح الله مدته
وبارك فيه وله فيما خلفه ووجه اليه همته وقصده وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
لقد سرنا ايما سرور ما ادركناه بكل الحواس من سعيكم المشكور المودع في مؤلفكم الغدير
وعرفنا من جزئيه الاول والثاني مدى الاهتمام المبذول وكنه ما تحضره المؤلف من طول الباع
وسعة الاطلاع وفقاهة النفس وبلاغة النفس وشكرناكم اتم الشكران على الاتحاف
بالجزئين والعدة ببقية الاجزاء . والحق كما قلتم انه لم يؤلف في موضوعه مثله وكفى . وقد
راينا ان من المستحسن تأجيل توفية الكتاب النفيس حقه الاوفى من التقريظ الى ان يتم لنا الوقوف
على ما بقي منه فالنفس اليه شائقة والى الوفاء بحقه توافقة ونسال الله تعالى ان يجزيكم
الجزاء الاوفى ويوردكم من معين المثوبة موردها الاصفى والسلام عليكم ورحمة الله حرر في ٥ رجب ١٣٦٥



من أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحيى

ردّ العلامة الألمعي، والهمام البحاثة اللوذعي، عبد الحسين احمد الأميني فتح الله امده، وبارك فيه وله فيما خلّده، ووجّه اليه همته وقصده وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد سرنا أيّما سرور، ما ادركناه بكل الحواس من سعيكم المشكور، المودع في مؤلفكم الغدير، وعرفنا من جزئيه الاول والثاني مدى الاهتمام المبذول، وكنه ما لحضرة المؤلف من طول الباع وسعة الإطلاع، وفقاهة النّفْس وبلاغة النّفَس، وشكرناكم أتم الشكران على الاتحاف بالجزئين، والعدة ببقية الاجزاء، والحق كما قلتم انه لم يؤلف في موضوعه مثله وكفى.

وقد رأينا أن من المستحسن تأجيل توفية الكتاب النفيس حقه الأوفى من التقريظ الى أن يتم لنا الوقوف على ما بقي منه، فالانفس اليه مشتاقة، والى الوفاء بحقه توّاقة، ونسأل الله تعالى أن يجزيكم الجزاء الأوفى، ويوردكم من معين المثوبة موردها الأصفى.

والسلام عليكم ورحمة الله حرّر في ٢٥ رجب ١٣٦٥ هـ.





عبد اللّه بن الحسين

ايها الحبر زر مقاما كريما ... وابتهل لي مستغفرا عن ذنوبي
وارو عني دعاء عبد فقير ... يشتكي ما يمسه من لغوب
ندعاء المحب للآل ينفي ... كل خطب وكل هم مريب
واقر عني الامام اسنى سلام ... والثم الأرض في المقام الرهيب

حضرة الحبر الجليل

اما بعد ، فانني احمد الله الملك الذي لا اله الا هو وأصلي واسلم على محمد وآله وصحبه واقول : انني تلقيت رسالتكم وبها تهدون الي كتابكم القيم (الغدير) الذي تعبتم في تأليفه وجمع ما يعود اليه من اخبار صحيحة في كثير من البلدان وشتى دور الكتب فأخرجتم به سفرا دينيا وادبيا وتاريخيا . واحببتم ان أقرظه ليصدر الجزء الثالث من الكتاب وبه الكلمة التي طلبتموها ، فشكرا لكم والثناء لله . وماذا عساى ان اقول في اثر تصدى لتأليفه عالم نحرير في حديث نبوى يتعلق بالوصي عليه السلام ، غير تكرير الشكر والرغبة الصحيحة في ان يروج هذا الكتاب وتكثر الأستفادة منه لدى الخاص والعام .

والتقريظ لغة تبادل المدح بين اثنين في امر من الأمور ، وهذا مالا اميل اليه . بل يروقني ان اقرأ فأنتقد فأحث او انهى ، ولعلي من الآن احث الناس على الأقبال على هذه الرسالة السامية في معناها ، الغالية في غايتها . فكتابكم يسر آل البيت وشيعتهم ويسر كل مؤمن بالله ورسوله حيث تناول فضائل حيدرة الكرار ابي السبطين ، المنافح عن رسول الله في المشاهد كلها والخارج من الدنيا في غير رغبة اليها والذي قاتل اهل العناد كما قاتل اهل الكفر والشرك في ايامهم والجهاد . فالكتاب في كل فقرة من فقره وصفحة من صفحاته وفي مقدمته وفي نهايته هو لله ولرسوله وللآل وشيعتهم ومحبيهم ولذا فالملتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عمان في ١٢ ذى القعدة ١٣٦٥
الموافق ٧ تشرين الأول ١٩٤٦

أيهــا الحبــر زرمقــامــاً كــريمــاً ❊ وابتهـل لي مستغفـراً عن ذنـوبي
واروعــني دعــاء عـبــد فـقـيــر ❊ يشتكي مــا يمســه مـن لغــوب
فــدعــاء المحـب لــلآل ينـفي ❊ كــل خــطب وكــل هم مــريب
واقــرعني الإمــام أسنى ســلام ❊ والثم الأرض في المقـام الرهيب

حضرة الحبر الجليل :

أما بعد : فإنني أحمد الله إليـك الذي لا إلـه إلاّ هو وأُصلّي وأُسلم على محمد وآله وصحبه وأقول : إنني تلقيت رسـالتكم وبها تهـدون إليّ كتابكم القيم (الغدير) الذي تعبتم في تأليفه وجمع ما يعـود إليه من أخبـار صحيحـة في كثير من البلدان وشتى دور الكتب فـأخرجتم بـه سفـراً دينيـاً وأدبياً وتاريخياً . وأحببتم أن أُقرظـه ليصدر الجـزء الثالث من الكتـاب وبه الكلمة التي طلبتموها . فشكراً لكم والثناء لله . وماذا عسـاي أن أقول في أثر تصدى لتأليفه عالم نحرير في حديث نبوي يتعلق بالوصي ﷺ ، غير تكرير الشكر والرغبة الصحيحة في أن يروج هذا الكتـاب وتكثر الاستفـادة منه لدى الخاص والعام .

والتقريظ لغة تبادل المدح بين اثنين في أمر من الأُمور ، وهـذا مالا أميـل إليه . بـل يروقني أن أقـرأ فأنتقـد فـأحث أو أنهى ، ولعلّي من الآن أحث الناس على الإقبال على هذه الرسالة السامية في معناها ، الغالية في غايتها . فكتـابكم يسـر آل البيت وشيعتهم ويسر كـل مؤمن بالله ورسـوله ، حيث تناول فضائل حيدرة الكـرار أبي السبطين ، المنـافح من رسـول الله في المشاهد كلها والخارج من الدنيا في غير رغبة إليها والذي قـاتل أهـل العناد كما قاتل أهل الكفر والشرك في أيامهم والجهاد . فالكتـاب في كل فقرة من فقره وصفحة من صفحاته وفي مقدمته وفي نهايته هو لله ولرسولـه ولــلآل وشيعتهم ومحبيهم وهـذا مــا طلبتم والسـلام عليكم ورحمــة الله وبركاته .

عمان في ١٢ ذي القعدة ١٣٦٥
الموافق ٧ تشرين الأول ١٩٤٦

الـغـــديـــر
في صحيفة بيضاء عالمية

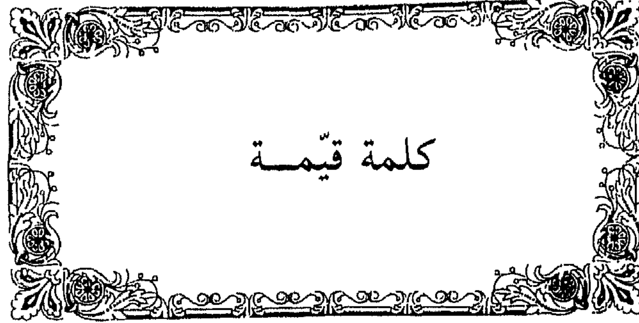
قـرأنا في أعـداد مجلة «الكتاب» الغـراء المصرية الصـادرة بالقـاهرة تقـريظاً بعد تقريظ لأجزاء كتابنا هذا، وهي آية محكمة تشف صاحبها الأستاذ الكبير عادل غضبان، وتشهد له بما حازه من الفضائل من عقل نضيج، ورأي منضد، وثقافة ونباهة، وبخوع بالتاريخ الصحيح، وسعي وراء الصالـح العام، وصـدق في تـوحيد الكلمـة، كلمـة الصـدق والعـدل. فنحن نقـدم إلى الأستـاذ شكـرنـا المتواصل، ونوقف الملأ على كلمته الأخيرة المنشورة في شعبان سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢م.

الغـديــر
في الكتاب والسنة والأدب الجــزء الثامـن

لا يزال مؤلف هذا الكتـاب - الحجَّة الثبت - مـاضياً في إتمـام بحثه عن مـوضوع الغـدير - غـدير خُم - ومـا يتَّصل بـه من مباحث في الكتـاب الكريم ، والسنَّة المطهَّرة ، والأدب العربيّ ، على مختلف العصور ، وقد بلغ المؤلِّف في شعراء الغدير إلى القرن التاسع الهجري في الجزء السابع من الكتـاب ، وأمَّا ثـامن الأجزاء فلم يتَّسـع لشعـراء الغـديـر في القـرون التالية ، فقـد ملأه المؤلّف ببحـوث ضافيـة في مسائـل كثيرة من الشـريعة والتاريخ ؛ وهي تبين وجهـة النظر الشيعيّ التي يجب على أهـل السنّة أن يعرفوها على وجهها الصحيح ، وأن يأخذوها من منابع سليمة غير مشـوَّهة لا محرَّفة ، فقـد يعين هذا الفهم الصحيـح لوجهـات النظر المتبـاينة على تقريب الشقَّة بين المسلمين تقريباً تقوى به كتلتهم ، وتتوحَّد صفوفهم .

والمؤلِّف في هذا الجزء الثامن هو بعينـه في الأجزاء السـابقة تمكّنـاً من الموضوع ، وإحاطةً به من جميع نواحيه ، وسعة إطلاع على مـا صغُر وكبـر من المصادر ، ومتـابعةً للمؤلَّفـات العربيّـة في القـديم والحـديث ، ويقظةً بالغةً بكلِّ ما يُنشر في الصّحف والمجلّات والرَّسائل والكتب .

الكتاب . السنة السابعة . العدد الخامس



بقلم العلاّمة
الحجَّة شيخنا
ميرزا محمد علي الأوردبادي حيّاه الله

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

بين الحقائق والأوهام

اللّهم لك العظمة والكبرياء، ولك الجلال والجمال والبهاء، والصَّلاة على صفوة أنبيائك وخلفائه أئمّة الهدى من أصفيائك.

لقد طال الحوار محتدماً بين هذين الفريقين، لا بمعنى أنَّ للوهم مثولاً أمام الحقيقة، أو أنَّ للزبرجة كياناً يقابل الواقع، لكنّها جلبةٌ وصخبٌ من أنصار الأوهام تناطح دعوة الحقّ، وقحَّةٌ وصلفٌ من سماسرة الأهواء تطاول هتاف الصَّلاح، فلم يبرح الحجاج قائماً على ساق في قرون متطاولة، غير أنَّ المستشفَّ لنفس الأمر يجد نصب عينه أنَّ للحقِّ دولةً، وللباطل جولةً، وأنَّ عقيرة الجهل وإن علت أحياناً فإنَّ نور المعرفة لا يفتأُ متبلّجاً، وعَرف الحقائق الراهنة لا يزال متأرِّجاً، فهي بين ألق وعبق تكتسح ظلمات الغيّ، وفتن الرعونة، وإن طال لصاحب الهلجة تركاضه.

نعم: حسب أبناء حزم وتيميّة والقيّم وكثير وحجر ونظرائهم أنَّ ما سقوا إليه من القذائف والطامّات ستنطلي بين الرجرجة الدهماء، وسوف تكتسي في الأجيال المقبلة رونقاً يضعضع أركان المذهب، ذهب على الأغرار أنَّ نوابغ القرون سيقفون لهم بالمرصاد، وأنَّ المستقبل الكشّاف بفضل التنقيب من رجالاته لا محالة يكشف عن سوءتهم، فيتجلّى للملأ الباحث أنَّهم لم يردّوا برهنة الهدى إلاّ [كما ردَّها يوماً بسوءته عمرو].

وشتّان بين علالٍ أُقيمت على أُسس رصينة وبين ما علّي على شفا جُرفٍ

هار، وهل الفرية تدحر شيئاً من الصِّدق؟ وبالفتاوى المجرَّدة يُحاول الحجاج؟.

عبثاً حاولوا تشويه سمعة الشيعة بنسب مختلقة، وردّ حججهم بشبهٍ تافهةٍ، وفي الامَّة بحّاثةٌ تميِّز الشعرة من الشعرة، وتضمّ الذرَّة إلى الذرَّة، وفي القرن الرابع عشر صاعقة عاد أو عذابٌ واصب، أو أنَّ في عصر النور إعصارٌ فيه نار تذر وما أنبتوه رمادا.

قيَّض المولى سبحانه للعصر الذهبيِّ بطل النهضة العلميَّة، بطل الجهاد والحفاظ، بطل التحقيق والتنقيب، والمثل الأعلى من كلِّ فضيلة، وعلَم العلم الخفَّاق، ومنار الهدى العلاّمة الحجّة [الأمينيّ] الأمين، فيمَّم امَّته وفي يمناه كتابه الضخم الفخم، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتّقين، قائلاً بملء فمه: هاؤم أقرءوا كتابيه، ففيه البرهنة الصادقة، والحجَّة الدامغة، وفيه الطريق المهيع، والسبيل الجدد، وفيه حياة الحقائق، وبوار الأوهام، فإنَّ سحب الشّبه وإن أطلّت على الامَّة ردحاً من الزّمن فها أنا قُيِّضت لأقشعها.

أراها وإن طالت علينا فإنها سحابة صيف عن قليل تقشَّع

وإنَّ معاثر التمويه وإن تكدَّست فإنَّ ذمَّتي رهينة باكتساحها، وكتابي هذا هو العلَم الهادي، وضياء النادي، يوقفكم على مركز الخلافة، ومرتكز لوائها، ومصبِّ نصوصها، ومنبثق أنوارها، ويلمسكم الحقّ الصراح، مسفراً عن محيّاه الوضّاء، بعد أن جللته ظلم التمويه.

وها أنا ذا أُعرِّف القالة من أين يؤكل الكتف، وكيف يفشل التدجيل، إنّ الواقف على مجلّدات كتاب [الغدير] من كثب يعلم أنَّ هذا الوصف دون ما فيه، وأنَّ السامع به يحسب لأوَّل وهلة أنّه مقصورٌ على موضوعه، لكنّه عند ورود منهله العذب يجد فيه البحث والتنقيب حول كثير من براهين الإمامة، والاكتساح لطوائف من الأشواك المتكدّسة أمام سير السالكين، ودحض ما هنالك من قوارص تشق العصا، وتفرِّق الكلمة، والكشف عمّا وراء الأكمة من نوايا سيئة، ومعاول هدّامة، والتنزيه لأُمَّته عمّا ألصقت بها أقلامٌ مستأجرة من شية العار، وشوّهت سمعتها سماسرة الأهواء بأساطيرهم المائنة، وهنالك مسائل جمَّة من

فقه وكلام وتفسير وحديث وتاريخ كشف عنها الغطاء بعد تمويهٍ متطاول، وإصفاقٍ عليه متواصل، بعد ما تصادمت عليه نزعاتٌ وأهواءٌ، واحتدمت إحنٌ وشحناء.

ما أسفت كأسفي على عصر الثقافة والتنقيب، عصر النور والتَّفاهم، هذا العصر الذي تمخَّضت فيه الحقائق، وظهرت البواطن، وعرفت المغازي، وتمرّنت الأحلام، بتحرّي كلِّ صحيح، وتحكيم الاصول الثابتة، أن يحصل فيه دجّالون يقتصّون أثر اولئك الماضين الذين نمتهم العصور المظلمة، فطفقوا يعشون في حلك العمى، ويتخبطون في طخيات جهلٍ دامسة، فيعثرون بكلِّ ربوة، ويسفون إلى كلِّ هوّة، ولهم قلوبٌ لا يفقهون بها، وعيونٌ لا تبصر ضوء الحق، وأسماعُ لا تصيخ إلى هتافه.

وشتّان بين هؤلاء واولئك فإنَّ قضاء الطبيعة كان يلزم من عاصرناه بالتكهرب بمقتضيات الوقت من علمٍ وهُدى، لكن الحقد المتضرّم أبى للقوم إلّا أن يخلدوا إلى حمأة التعصّب الشائن، وحسبوا أن لا رقيب ولا محاسب، ولا أنَّ الحفظة الكرام يكتبون ما يتقوّلون، والله من ورائهم محيط.

أو يحسبون أنَّ من يقعون فيه ويتهجّمون عليه إحدى الأُمم البائدة قد أكل عليها الدهر وشرب؟ فلم يبق مَن يدافع عن كيانها، أو يناضل عن معتقداتها ويبرزها بجمالها المبهج، وجلالها المرهب، ومحيّاها الوضّاح، وكأنَّهم في سِنةٍ عن العلماء والمؤلِّفين والبحّاثة والمنقِّبين طيلة الحقب والأعوام، وما لهم من أقلامٍ نزهةٍ حرَّة، ونسيج من كَلِمِ الحقِّ، موشّى بسنا الحقيقة.

نعم: لم يزل القوم في غلوائهم تائهين حتّى جاءهم سيل [الكتاب الغدير] الأتيُّ وتيّار علمه الجارف، فذهب ما لفّقوه جفاءً، فليحي مؤلِّفنا المجاهد الناهض [الأميني] وبيّاه الله، والحمدلله على إحقاق الحقِّ، وإدحاض معرَّة الباطل، وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الطاهرين.

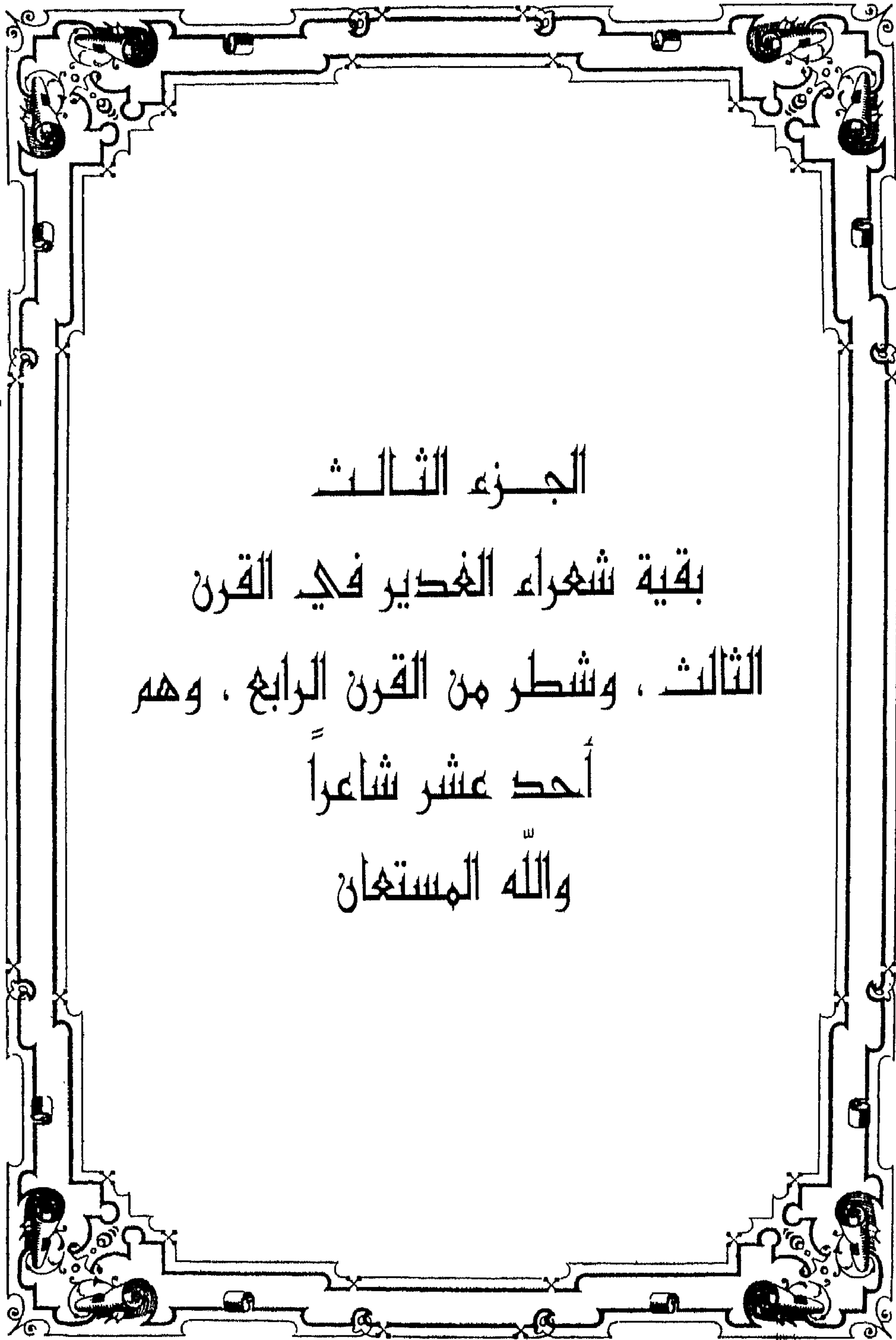
محمد علي الغروي الأوردبادي



بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

حَمْدكَ اللَّهُمَّ يَا ذَا المِنَن السَّابِغَةِ عَلىٰ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ وِلايَتِك وَوِلَايةِ سَيدِ رُسُلِك ، وَعِتْرتِهِ الأَطْهَار وَلَاةُ أمْرِكَ ، وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَتَصْلح لَنَا خَبْيئَةَ أَسْرَارنا وَتَسْتَعْمِلُنا بِحُسْنِ الإيمَانِ ، وَأَنْ تَأخُذَ بِيَدي فِي خِدْمتي لِلْمُجْتَمَع ، وَالدَّعْوَة إلىٰ الْحَقّ ، وَالسَّيْرِ وَرَاء الصَّالِح العَامّ ؛ وَإعْلاء كَلِمَةِ التَّوحيْدِ ، وَبَثّ مآثرِ رِجَالاتِ الأُمَّةِ وَسَادَاتِهِمْ ، وَمَا تُوفِيقِي إلَّا بِكَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإلَيْكَ أَنْتَ .

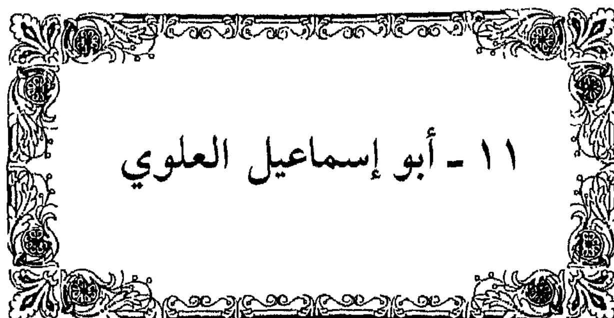
عبد الحسين أحمد الأميني



الجزء الثالث

بقية شعراء الغدير في القرن الثالث ، وشطر من القرن الرابع ، وهم أحد عشر شاعراً

والله المستعان



١١ - أبو إسماعيل العلوي

وجدّي وزير المصطفى وابن عمِّه ... عليّ شهاب الحرب في كلِّ ملحمِ
أليس ببدر كان أوّل قاحم ... يطير بحدّ السيف هام المقحَّمِ ؟!
وأوّل من صلّى ووحّد ربّه ... وأفضل زوّار الحطيم وزمزمِ
وصاحب يوم الدوح إذ قام أحمد ... فنادى برفع الصوت لا بتهمهمِ
: جعلتك منّي يا علي؟ بمنزل ... كهارون من موسى النجيب المكلّمِ
فصلّى عليه الله ما ذرّ شارقٌ ... وأوفت حجور البيت أركب محرمِ (١)

الشاعر

أبو إسماعيل محمَّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن الإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

هو من فروع دوح الخلافة، ومن مفاخر العترة الطاهرة، كان يرفل في حلّة المجد الضافية، طافحاً عليه الشرف الظاهر، والسؤدد المعلوم، بين حسبٍ زاكٍ، ونسبٍ وضيءٍ، أحمديُّ المأثرة، علويُّ المنقبة، عبّاسيُّ الشهامة، إلى فضائل كثيرة ينحسر عنها البيان.

(١) معجم الشعراء للحافظ المرزباني ص ٤٣٥.

قال المرزباني في (معجم الشعراء) ص ٤٣٥ : شـاعرٌ يكثـر الإفتخار بآبائه رضوان الله عليهم، وكان في أيّام المتوكّل وبعده دهراً، وهو القائل:

وإنّي كـريمٌ من أكـارم سـادةٍ   أكفّهمُ تندى بجزل المـواهبِ
همُ خير من يحفى وأفضل ناعلٍ   وذروة هضب العرب من آل غالبِ
همُ المنُّ والسلوى لدانٍ بودّهم   وكالسمِّ في حلق العدوِّ المجانبِ

وله:

بعثت إليهم نـاظـري بتحيَّـةٍ   فأبدت لي الإعراض بالنظر الشزرِ
فلمّا رأيت النفس أوفت على الرَّدى   فزعت إلى صبري فأسلمني صبري

أمّا إذا افتخر أبو إسماعيل بآبائه فأيُّ أحد يولده اولئـك الأكارم من آل هاشم فلا يكون حقّاً له أن يطأ السماء برجله؟ وأيّ شريف يكون المحتبي بفناء بيته قمر بني هاشم أبو الفضل ثمّ لا تخضع له قمّة الفلك مجداً وخطراً؟ فإن افتخر المترجم بهؤلاء فقد تبجَّح بنجوم الأرض وأعلام الهدى، ومنار الفضل وسُوى الإيمان.

مَن تلق منهم تلق كهلاً أو فتىً   علم الهدى بحر الندى الموروداً

وهذا جدُّه أبو الفضل العبّاس الثاني كان كما قال الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٣٦ : عالماً شاعراً فصيحاً من رجال بني هاشم لساناً وبياناً وشعراً، ويزعم أكثر العلـويَّـة أنَّه أشعر ولد أبي طالب؛ وكان في صحابة هارون ومن شعره يذكر إخاء أبي طالب (عم النبيِّ) لعبدالله (أبي النبيِّ لأبيه وامِّه) من بين اخوته:

إنّـا وإنَّ رسـول الله يجمعنـا   أبٌ وامٌّ وجـدٌّ غيـر مـوصـومِ
جاءت بنا ربَّة من بين اسرتـه   غرّاء من نسل عمران بن مخزومِ
حزنا بها دون من يسعى ليدركها   قرابة من حواها غيـر مسهومِ
رزقـاً من الله أعطانـا فضيلتـه   والناس من بين مرزوق ومحرومِ

جاء إلى باب المأمون فنظر إليه الحاجب ثمَّ أطرق فقال له: لو أذن لنا

لدخلنا، ولو اعتذر إلينا لقبلنا، ولو صرَّفنا لانصرفنا، فأمّا اللفتة بعد النظرة لا أعرفها[١] ثمَّ أنشد:

وما عن رضاً كان الحمار مطيَّتي ... ولكنَّ من يمشي سيرضى بما ركب

ومن درر كلمه الحكميَّة قوله:

إعلم أنَّ رأيك لا يتَّسع لكلِّ شيء، ففرِّغه للمهمِّ.

وأنَّ مالك لا يغني الناس كلّهم، فخصَّ به أهل الحقِّ.

وأنَّ كرامتك لا تطيق العامَّة، فتوخَّ بها أهل الفضل.

وأنَّ ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن دأبت فيهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك من ذلك.

فإنَّ ما شغلك من رأيك في غير المهمِّ إزراءٌ بالمهمِّ.

وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحقِّ.

وما عمدت من كرامتك إلى أهل النقص أضرّك في العجز عن أهل الفضل.

وما شغلك من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة.

وأخو العبّاس هذا: الفضل بن الحسن الذي يُؤَبِّن جدَّه أبا الفضل شهيد الطفِّ سلام الله عليه بقوله:

أحقّ الناس أن يُبكى عليه ... فتىً أبكى الحسين بكربلاءِ
أخوه وابن والده عليٍّ ... أبو الفضل المضرَّج بالدِّماءِ
ومن واساه، لا يثنيه شيءٌ ... وجاد له على عطشٍ بماءِ

ذكرها له المؤرِّخ الهندي أشرف علي في كتابه المطبوع [روض الجنان في نيل مشتهى الجنان] وشطَّرها زميلنا العلّامة المتضلّع الشيخ محمّد علي

---

(١) هذه الجملة حكيت عن تاريخ الخطيب في تذكرة السبط ص ٣٢ بغير هذه الصورة.

الأوردبادي حيَّاه الله فقال:

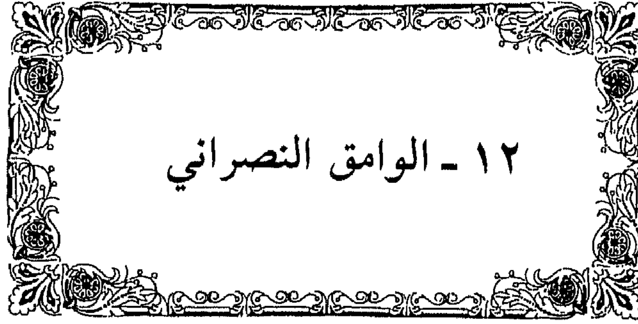
أحقُّ النـــاس أن يُبكى عليــه بـدمـع شــابـه علق الــدمـاءِ
بجنب العلقميِّ سـريّ فهـر فتىً أبكى الحسين بكـربـلاءِ
أخــوه وابــن والــده علـيٍّ هــزبــر الملتـقى ربُّ الـلواءِ
صريعاً تحت مشتبك المواضي أبو الفضل المضـرَّج بالـدماءِ
ومن واســاه لا يثـنيــه شـيءٌ عن ابن المصطفى عند البلاءِ
وقـد ملك الفرات فلم يـذقـه وجـاد لـه على عـطشٍ بمـاءِ

وكان شاعرنا المترجم من رجاحة العقل، ورصافة العارضة، في جانب عظيم مثيل جدِّه تجري كلماته مجرى الحكم والأمثال منها قوله في رجل من أهله:

إنّي لأكره أن يكون لعلمه فضلٌ على عقله، كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على علمه[1].

---

(١) كامل المبرد ج ١ ص ٥٦.



١٢ ـ الوامق النصراني

أليس بخمٍّ قد أقام « محمَّدٌ »   « عليّاً » بإحضار الملا في المواسمِ
فقال لهم: مَن كنت مولاه منكُمُ   فمولاكمُ بعدي « عليّ بن فاطمِ »
فقال: إلٓهي كن وليَّ وليِّه   وعاد أعاديه على رغم راغمِ

ويقول فيها:

أما ردّ عمراً يوم سلع بباترٍ   كأنَّ على جنبيه لطخ العنادمِ (١)
وعاد ابن معدي نحو أحمد خاضعاً   كشارب أثل في خطام الغمائمِ (٢)
وعاديت في الله القبائل كلّها   ولم تخش في الرَّحمن لومة لائمِ
وكنت أحقّ الناس بعد محمَّد   وليس جهول القوم في حكم عالمِ (٣)

ما يتبع الشعر

ربما يستغرب القارىء ما يجده من مدائح النصارى لأمير المؤمنين عليه السلام وهم لا يعتنقون الإسلام فضلاً عن الاعتقاد بالخلافة الإسلاميَّة، ولا

---

(١) السلع: جبل بالمدينة. العندم: الدم والبقم.
(٢) أثل: شجر عظيم لا ثمر له ج أثلة. الخطام: كل ما وضع في فم البعير ليقتاد به. الغمائم جمع الغمامة: خريطة فم البعير. كنايه عن نهاية الذلة والخضوع.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٢٨٦، ٥٣٢.

غرابة في ذلك فإنَّه جريٌ منهم مع الحقائق الراهنة، وسيرٌ مع التاريخ الصحيح، فإنّ المنصف مهما اعتنق مبدءاً غير الإسلام فإنَّه لا يسعه إنكار ما اكتنف مولانا من الفضائل: من نفسيّات كريمة، وعلوم جمَّة، وخوارق لا تحصى؛ وبطولة وبسالة، وما قال فيه نبيُّ الإسلام، الذي لا يعدو عند غير المسلم أن يكون عظيماً من عظماء العالم، وحكيماً من حكمائه، بل أعظم رجالات الدهر كلّهم، لا يرمي القول على عواهنه، فلا بدَّ أن يكون من يثبت له هو صلّى الله عليه وآله وسلم تلك الفضائل عظيماً كمثله أو دونه بمرقاة.

كما أنّك تجد الثناء المتواصل على النبيِّ الأعظم أو وصيِّه في كتب لفيف من النصارى واليهود ككتاب :

١ ـ أقوال محمَّد	تأليف المستر ستنلي لين بول
٢ ـ محمَّد والقرآن	تأليف المستر جون وانتبورت
٣ ـ محمَّد والقرآن	تأليف الأستاذ مونته
٤ ـ عقيدة الإسلام	تأليف غولديسهر
٥ ـ العالم الإسلامي	تأليف ماكس مايرهوف
٦ ـ تاريخ العرب	تأليف الأستاذ هوار
٧ ـ مفكّري الإسلام	تأليف كاداود وفو الافرنسي
٨ ـ مهد الإسلام	تأليف الأب لامنس
٩ ـ خلاصة تاريخ العرب	تأليف سديو الافرنسي
١٠ ـ حياة محمَّد	تأليف السير ويليام ميور الانكليزي
١١ ـ سيرة محمَّد	تأليف السير وليم موير
١٢ ـ مدنيّات الشرق	تأليف المسيو غروسه
١٣ ـ الكياسة الإجماعيَّة	تأليف الدكتور وغسطون كرسطا الإيطالي
١٤ ـ محمَّد والإسلام	تأليف حنادا قنبرت
١٥ ـ حياة محمَّد	تأليف المستر دكالون سل
١٦ ـ محمَّد والإسلام	تأليف المستر بوسرت اسمث

١٧ ـ عرب اسبانيا	تأليف المسيو دوزي
١٨ ـ عن الشرع الدولي	تأليف الدكتور نجيب أرمنازي
١٩ ـ المعلّم الأكبر	تأليف المستر هربرت وايل
٢٠ ـ الأبطال	تأليف توماس كارليل الإنكليزي
٢١ ـ الإسلام خواطر وسوانح	تأليف هنري دي كاستري الفرنسي
٢٢ ـ حاضر العالم الإسلامي	تأليف لوتروب ستودارد الاميركي
٢٣ ـ حكم النبيِّ محمَّد	تأليف تولستوي الروسي
٢٤ ـ مصير المدنيَّة الإسلاميَّة	تأليف هو كنيك الفيلسوف الأميركي
٢٥ ـ سرّ تطوّر الإسلام	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٦ ـ الآراء والمعتقدات	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٧ ـ الحضارات	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٨ ـ التمدّن الإسلامي[١]	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٩ ـ الإسلام ومحمَّد	تأليف والافتنرت
٣٠ ـ محمَّد والحضارة[٢]	تأليف عبد المسيح أفندي وزير

وغير ذلك مئات من كتبهم حول الإسلام أو نبيّه. وما ذلك إلّا أنّ ما وصفوه من صفات الفضيلة حقائق ناصعة لا يسترها التمويه، ولا يأتي على ذكرها الحدثان، وذكريات خالدة يحدّث بها الملوان، ما قام للدهر كيان، وبما أنَّ حديث « الغدير » من هاتيك الحقائق تجد الناس إلباً واحداً في روايته، يهتف به الموالي، ويعترف به الناصب، وينشده المسلم، ويشدو به الكتابيّ.

(الشاعر)

بُقراط بن أشوط الوامق الأرميني النصراني. بطريق[٣] بطارقة أرمينيَّة،

---

(١) طبعت ترجمته بالفارسية بطهران فى ٨٠٤ صحائف.

(٢) مقال نشر في جريدة الاستقلال سنة ١٩٢٧ م.

(٣) البطريق: القائد الحاذق بالحرب وشئونها. معرب.

وقائدهم الأكبر، وأميرهم المقدَّم في القرن الثالث، عدَّه ابن شهر آشوب في « معالم العلماء » من مقتصدي المادحين لأهل البيت عليهم السَّلام.

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٣ ص ٢١٣، وابن الأثير في الكامل ج ٧ ص ٢٠ : إنَّه وثب في سنة ٢٣٧ أهل آرمينية بعاملهم يوسف بن محمَّد فقتلوه، وكان سبب ذلك أنَّ يوسف لمّا سار إلى أرمينية خرج إليه بطريقٌ يقال له: بقراط بن أشوط. ويقال له: بطريق البطارقة يطلب الأمان فأخذه يوسف وابنه نعمة فسيَّرهما إلى باب الخليفة « المتوكّل » فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخي بقراط بن أشوط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط على ابنته فأتى الخبر يوسف ونهاه أصحابه عن المقام بمكانه فلم يقبل فلمّا جاء الشتاء ونزل الثلج مكثوا حتّى سكن الثلج ثمَّ أتوه وهو بمدينة « طرون »[1] فحصروه بها فخرج إليهم من المدينة فقاتلهم فقتلوه وكلَّ من قاتل معه، وأمّا من لم يقاتل معه فقالوا له : انزع ثيابك وانج بنفسك عرياناً ففعلوا ومشوا حفاةً عراةً فهلك أكثرهم من البرد وسقطت أصابع كثير منهم ونجوا، وكان ذلك في رمضان، وكان يوسف قبل ذلك قد فرَّق أصحابه في رساتيق عمّاله فوجَّه إلى كلِّ طائفة منهم طائفة من البطارقة فقتلوهم في يوم واحد، فلمّا بلغ المتوكّل خبره وجَّه بغا الكبير إليهم طالباً بدم يوسف فسار إليهم على الموصل والجزيرة فبدأ بأرزن[2] وبها موسى بن زرارة وله إخوته إسماعيل وسليمان وحمد وعيسى ومحمَّد وهارون فحمل بغا موسى بن زرارة إلى المتوكّل وأباح على قتله يوسف فقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً وسبى منهم خلقاً كثيراً فباعهم.

وهناك جمعٌ آخرون من النصارى مدح أمير المؤمنين عليه السلام منهم: شاعرهم زينبا بن إسحق الرسعني الموصلي النصراني.

ذكر له البيهقي في [المحاسن والمساوىء] ج ١ ص ٥٠، والزمخشري في [ربيع الأبرار]، وأبو حيّان في تفسيره [البحر المحيط] ج ٦ ص ٢٢١،

---

(١) موضع بارمينية.

(٢) أرزن: مدينة من أرباض أرمينية.

وأبو العبّاس القسطلاني في [المواهب اللدنيّة]، وأبو عبد الله الزرقاني المالكي في [شرح المواهب] ج ٧ ص ١٤، والمقري المالكي في [نفح الطيب] ج ١ ص ٥٠٥. والشيخ محمّد الصبّان في [إسعاف الراغبين] ص ١١٧ نقلاً عن إمامهم أبي عبد الله محمّد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي[1] قوله[2]:

عـديٌّ وتيمٌ لا أُحاول ذكرها ... بسوءٍ ولكنّي محبٌّ لهاشمِ
وما تعتريني في عليّ ورهطه ... إذا ذكروا في اللّه لومة لائمِ
يقولون: ما بال النصارى تحبّهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجمِ ؟!
فقلت لهم: إنّي لأحسب حبَّهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائمِ

وذكر الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٢٨، وابن شهرآشوب في مناقبه ج ١ ص ٣٦١، والأربلي في كشف الغمّة ص ٢٠ لبعض النصارى قوله:

عليٌّ أمير المؤمنين صريمة ... وما لسواه في الخلافة مطمعُ
له النسب الأعلى وإسلامه الذي ... تقدَّم فيه والفضائل أجمعوا
بأنَّ عليّاً أفضل الناس كلّهم ... وأورعهم بعد النبيّ وأشجعُ
فلو كنت أهوى ملّة غير ملّتي ... لما كنت إلّا مسلماً أتشيَّعُ

وذكر شيخنا عماد الدين الطبري في الجزء الثاني من كتابه « بشارة المصطفى » لأبي يعقوب النصراني قوله:

يا حبَّذا دوحة في الخلد نابتةٌ ... ما في الجنان لها شبه من الشجرِ
المصطفى أصلها والفرع فاطمةٌ ... ثمَّ اللقاح عليٌّ سيِّد البشرِ
والهاشميّان سبطاها لها ثمرٌ ... والشيعة الورق الملتفّ بالثمرِ
هذا مقال رسول اللّه جاء به ... أهل الروايات في العالي من الخبرِ
إنّي بحبِّهمُ أرجو النجاة غداً ... والفوز مع زمرة من أحسن الزمرِ

---

(١) رضي الدين المولود سنة ٦٠١ والمتوفّى سنة ٦٨٤ والمترجم في نفع الطيب ج ١ ص ١٥٠٥ .
(٢) وذكره له شيخنا الفتال في «روضة الواعظين» ص ١٤٣، وابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٢ ص ٢٣٧.

أشـار بها إلى مـا أخرجـه الحفّاظ[١] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتهـا، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنّة عدن وسائر ذلك في سائر الجنّة.

هذا لفظه عند العامَّة وأمّا عند مشايخنا فهو: خُلق الناس من أشجار شتّى وخُلقتُ أنا وعليٌّ بن أبي طالب من شجرة واحدة، فما قولُكم في شجـرة أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحهـا، والحسن والحسين ثمارهـا، وشيعتنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها ساقته إلى الجنَّة، ومن تركها هوى في النار.

وممَّن مدحه عليه السلام من متأخِّري النصارى عبد المسيـح الأنطاكي المصري بقصيدته العلويَّة المباركة ذات ٥٥٩٥ بيتاً ومنها قوله ص ٥٤٧ فيما نحن فيه:

للمرتضى رتبةٌ بعد الرَّسول لدى أهل اليقين تناهت في تعاليها
ذو العلم يعرفها ذو العدل ينصفها ذو الجهل يسرفها ذو الكفر يكميها
وإنَّ في ذاك إجماعاً بغير خلا فٍ في المذهب مع شتّى مناحيها
وإن أقرَّ بها الإسلام لا عجب فـإنَّه منـذ بدء الـوحي داريها
وإن تنادى جموع المسلمين بها فقد وعت قدرها من هدي هاديها
بل جاوزتهم إلى الأغيار فانصرفت نفوسهم نحوها بالحمد تطريها
وذي فـلاسفة الجحّـاد معجبة بها وقد أكبرت عجباً تسـاميها
وردَّدت بين أهل الأرض مدحتها فيه وقد صدقت وصفاً وتشبيها
كذا النصارى بحبِّ المرتضى شغفت ألبـابُها وشـدت فيـه أغـانيهـا
فلست تسمع منها غير مدحته الغـ ـراء مـا ذكـرتـه في نـواديهـا
ـارجع لقسّانها بين الكنائس مع رهبانها وهي في الأديار تأويها

(١) الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ١١٠، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٨، ومحب الدين في «الرياض» ج ٢ ص ٢٥٣، وابن الصباغ «في الفصول» ص ١١، والصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٢٢.

تجـد محبّتـه بـالاحتـرام أتت نفـوسهـا ولـه أبـدت تصبّيهـا
وانظر إلى الديلم الشجعان خائضة الحـروب والترك في شتّى مغازيها
تلف استعاذتها بالمرتضى ولقد زانت بصورته الحسنا مواضيها
وآمنت أنّ ترصيع السيوف بصو رة الوصيِّ ينيل النصر منضيها

وفي الآونة الأخيرة نظم الأستاذ بولس سلامة قاضي امّة المسيح ببيروت، بعدما قرأ كتابنا هذا « الغدير » قصيدته العصماء تحت عنوان « عيد الغديـر » في ٣٠٨٥ بيتاً، وفيها تحليلٌ وتدقيق، وإعرابٌ عن حقائق ناصعة. وجريٌ مع التاريخ الصحيح، طبعت في ٣١٧ صفحة.



نعرات الجاهلية الأُولى

﴿إنَّ الذين ارتدّوا عَلى أدبارهم من بَعدِ ما تبيَّن لَهم الهُدى الشَّيطانُ سوَّل لَهم وأملى لَهم﴾

سورة محمد: الآية ٢٥

ربما يجد الباحث في بعض تآليف المستشرقين في التاريخ الإسلامي رمزاً من النزاهة في الكتابة والأمانة في النقل وخلوَّ كلِّ محكيٍّ عن أيِّ مصدر (هبه غير وثيق) من التحريف والتصرُّف فيه، وتجرُّده عن سوء صنيع الكتبة، وبعده من الإستهتار، وهذا جمال كلّ تأليف وشأن كلّ مؤلِّف مهما كان شريف النفس، وهو حقُّ كلِّ رائد، والرائد لا يكذب أهله.

غير أنَّ في القوم من ألّف وسخف فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون. فكأنَّ الجهل لم يمت بعدُ وقد مات أبو جهل، ولهب الضلال لم يخمد بعدُ وقد اتَّقد أبو لهب في درك الجحيم، وكأنَّ الدنيا ترجع إلى ورائها القهقرى، وعاد الإسلام كشمس كادت تكون صلاءً[١].

جاء من القوم بعد لأيٍ مِن الدهر مَن يدعو الناس إلى الجاهليَّة الاولى وإلى حميَّتها البائدة، ولا بُقيا للحميَّة بعد الحرائم[٢] نهض يبشِّر عن مسيح مركَّب من طبيعتين: (إلٓهيَّة وبشريَّة) ويحسب نفسه قد أبهر في تأليفه وأتى بأمر جديد، فأخذ كالمتفلسف يتتعتع ويتلعثم، ويحرِّف الكلم عن مواضعه، ويُؤوِّل الكتاب الكريم برأيه الضئيل، ويتحكَّم في الحديث بفكرته الخائرة، ويرى النبيَّ

(١) مثل يضرب في قلة الانتفاع بالشيء.

(٢) الحريمة ما فات من كل مطموع فيه.

الأعظم من المبشِّرين بنصرانيَّته الصحيحة التي ليست هي إلاّ الضَّلال المحض، وهو مع ذلك مائنٌ في نقله، خائنٌ في حكايته، غاشٌّ في نصحه، مدنِّسٌ في كتابته، مهاجمٌ على قدس صاحب الرِّسالة مجانبٌ عن الحقِّ والحقيقة، كلّ ذلك باسم كتاب « حياة محمَّد ».

ألا وهو الأستاذ إميل در منغم.

إنَّ الرجل لمّا شاهد أنَّ الإسلام علا هتافه اليوم، ودوَّخ أرجاء العالم صيته، وأطلَّت سماؤه على الأرض كلّها شرقاً وغرباً، وشعَّ نوره في كلِّ طللٍ ووهَد، وعمَّت أشعَّته كلّ طارفٍ وتليد، وملأ الكون صراخ قومه بالثناء البالغ على الإسلام المقدَّس ونبيِّه الأقدس، وكثر إعجابهم بكتابه السماويِّ، وقانونه الاجتماعيِّ، وشرعه السويِّ، وحكمه السياسيِّ، ودستوره الإصلاحيِّ، ومشعبه الحقِّ المشعب:

عزَّ عليه كما عزَّ على سلفه الغوغاء أن يشاهد هذا السلطان العالميَّ العظيم، وهذه السيطرة الباهرة، وهذه الشرعة العادلة الجبّارة القاهرة للأكاسرة والتابعة والقياصرة والفراعنة، الحاكمة على آراء الأقباط والأقسَّة وآباء الكنائس وزعماء البيع ومعتقداتهم.

عزَّ عليه أن يرى في بيئته الغربيَّة بزوغ الإسلام الشرقيِّ، وتنوُّر أفكار المثقّفين من قومه بلمعات القرآن العربيِّ المجيد، وانتشار معارف الإسلام الخالدة في عواصم أوروبا كالسيل الجارف لأُصول الضَّلال، وأهواء الغرب، وما هناك من فساد الخلائق، ومضلّات البدع.

عزَّ عليه أن يسمع بأُذنيه من قلب العالم الأوروبيِّ بألسنة فلاسفتها نداء أنَّ محمَّداً قاوم الوثنيَّة بعزم واحد طول الحياة ولم يتردَّد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد[١].

---

(١) كلمة الكونت هنري دي كاستري.

أو أن يسمع عن آخر منهم وهو ينادي: إنَّ القرآن هو القانون العامّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو صالحٌ لكلِّ مكان وزمان[١].

أو أن يسمع عن ثالث من قومه وقد ملأ الدنيا صوته وهو يقول: استقرَّت قواعد الإسلام على أساس مكين من الآيات البيِّنات التي أُنزلت تباعاً وكان ختامها: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا[٢]﴾**.

أو أن يسمع بأُذنيه القرآن العزيز وهو يُتلى في الإذاعات كلّ يوم بكرةً وعشيّاً، وتقرع آيه مسامع خلق الدنيا دون كتاب قومه وكتاب أيِّ ملّة.

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرته في الخافقين ومنشدا
: أعبّاد عيسى إنَّ عيسى وحزبه وموسى جميعاً يخدمون محمّدا[٣]

فهناك تعصَّب الرجل وتشزَّر، وشزر إلى الإسلام وكتابه ونبيِّه، ونظر إليها بصدر عينه[٤] وتشذَّر للدفاع عن نحلته والذبِّ عن مبدئه الباطل، فعلى نحيمه بصدرٍ واغر على الحقِّ، وهو يشوب ولا يروب[٥] وشرع يدعو إلى النصرانيَّة باسم الإسلام وحياة محمَّد، ويرى النبيَّ محمَّداً جاء بكتاب عربيٍّ كما لو كان نصرانيّاً ذاكراً أنَّه واحدٌ من الأنبياء ص ١٠٠ .

ويرى للنصرانيَّة أثراً في محمَّد ويزعم أنَّ النصارى قد أيقظت شعور النبيِّ الدينيِّ قبل بعثه ص ١٠٠ . ويجد في القرآن اصول النصرانيَّة ص ١٠٦ .

ويرى تأييد روح القدس لعيسى ذاتيّاً دون موسى ومحمَّد.

ويعتقد لعيسى من عصمة ما لم تكن لمحمَّد ويراه قد جاء في القرآن[٦]

---

(١) كلمة مسيو سنايس.
(٢) كلمة الدكتور نجيب الأرمنازي.
(٣) من أبيات للشاعر المفلق أبي الوفاء راجح الحلّي المتوفّى ٢٦٧ .
(٤) مثل مشهور يضرب.
(٥) الشوب: الخلط. والروب: الإصلاح. مثل يضرب.
(٦) ليته دلنا على الآية الدالة عليه.

ويرى النصرانيَّة تشمل الإسلام وتضيف إليه بعض الشيء ١١٨ .

ويرى المسيح ابن الله الوحيد بمعنىً عرفانيٍّ يُلائم الذوق الخرافيَّ ١١٠ .

ويرى القرآن يدعو إلى النصرانيَّة الصحيحة وهو القول بأُلوهيَّته وبشريَّته وكون الطبيعتين فـي شخص واحد ١٠٧ ؛ ١١٢ .

ويعزو آراءه السخيفة جلّها إلى القرآن المقدّس، ويرى القرآن لم يُحِطْ بكلٍّ ما هو حقٌّ في الأمر ١٠٩ .

ويرى آخر مصحف اعتمد عليه صنع الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وإمكان تلاوة المصحف الشريف على غير ما هو عليه .

ويرى علماء التوحيد قائلين بأُلوهيَّة المسيح ١٠٩ .

ويرى الهوَّة بين المسلمين والنصارى نتيجة سوء التفاهم .

ويرى التباعد بين الملّتين من فكرة مفسِّري القرآن وعلماء الإسلام .

ويرى العقل والتاريخ يستغربان عدم صلب المسيح .

ويرى اعتقاد المسلمين بعدم صلب المسيح بـاطلاً والآيـة الدالّـة عليه غامضة ١١١ .

ويؤوِّل قوله تعالى : ﴿وما قَتلوه وما صَلبوه ولكن شُبّه لهم﴾ . بما يلائم تعاليم النصرانيَّة ١١٢ .

ويعدّ من ضلال جـزيرة العـرب إنكار أُلـوهيَّة المسيـح والقول ببشـريَّته فحسب ١١٣ .

ويرى النبيَّ قد وضع نفسه فوق جميع المعتقدات ما دام على غير علم بالنصرانيَّة الصحيحة ١١٤ .

ويعبِّر عن النبيِّ الأعظم بـ(البدويِّ الحمس) ١١٥ .

فهذه جملة من خرافاته الراجعة إلى التبشير والدعوة إلى النصرانيَّة ، وبها

يقف الباحث على غاية الكاتب وقيمة كتابه، ويعرف أنّه يحطُّ في هواه، ويحطب في حبله[١] جاهلاً بأنّ حماة الدين (دين البدويِّ الحمس) نابهون يحومون حول الحمى، ويعرفون حول الصلبان الزمزمة[٢] ويدافعون عن بيضة الإسلام المقدَّسة كلَّ سخب وصخب ولغطٍ وكذب وإفكٍ وقول زور؛ وينزّهون ساحته عن أرجاس الجاهليَّة وأنجاسها، ﴿**إنَّما يفتري الكذب الَّذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون**[٣]﴾.

ولو أردت الوقوف على الحقيقة في كلِّ ما لفَّقه الرجل من إفكٍ شائنٍ فعليك بكتاب الهدى إلى دين المصطفى، وكتاب الرحلة المدرسيَّة وغيرهما من تآليف شيخنا العلم المجاهد الحجَّة الشيخ محمَّد جواد البلاغي النجفي وما ألَّفه غيره من أعلام الامَّة.

تسافل الشرق أو انحطاط العرب

لا أحسب أنَّ بسطاء الامَّة الإسلاميَّة فضلاً عن أعلامها تخفى عليهم الغايات المتوخّاة في أمثال هذه الكتب المزوَّرة، ولا تأمرهم أحلامهم قطُّ بنشر ما خطَّته تلكم الأقلام المستأجرة لزعانفة الجاهليَّة، ولا يحسب أيُّ حامل حساسات الحيابين جنبيه أنَّ في تلكم التآليف فائدة طائلة قصرت عنها يد الشرق التي هي عاصمة علم الدنيا، ومرتكز لواء كلِّ فضيلة ومحمدة اجتماعيَّة.

ولا يهجس في خلد أيِّ محنَّك أنَّ في طيِّ تلكم الكلم مقيلاً من ظلِّ الحقيقة، أو أنَّ أحداً من اولئك الأساتذة المستشرقين قد أتى بفكرةٍ صالحةٍ جديدةٍ في إصلاح المجتمع من شؤون اجتماعيَّة، أخلاقيَّة، سياسيَّة، أدبيَّة. روحيَّة لم يأت بها نبيُّ الإسلام في كتابه وسنّته، حاشا نبيّ الإصلاح المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق.

---

(١) مثل سائر.

(٢) مثل يضرب لمن يروم الشي ولا يظهر مرامه.

(٣) سورة النحل: آية ١٠٥.

فما حاجة الامَّة العربيَّة الآخذة بناصية الشرق إلى ترجمة هـذه التآليف الفارغة عن أدب الدين، أدب العلم، أدب النزاهة، أدب العفَّة، أدب الصدق والأمانة، أدب الحقِّ والحقيقة؟!.

وما هذا الانحطاط والتسافل البالغ في العروبة، وقد أصبحت «العياذ بالله» في مسيس الحاجة إلى هذه الكتب المخزية تأليف كلِّ خائرٍ بائرٍ، تأليف من صفرت يداه عن كلِّ خير، والضلال سجيّته وقرواه؟!.

كيف تفتقر الامَّة الإسلاميَّة (ولا تفتقر ولن تفتقر) إلى تلك الكتب؟! ولها كتابها العربيُّ المقدَّس، كتابها الاجتماعيُّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتابها الذي لا ريب فيه، هدىً للمتَّقين، كتابها الباحث عن الآداب الاجتماعيَّة وشؤون الصالح العام التي قوامها الحكمة، وأساسها العدل والإحسان، وجامعها العفَّة والقداسة والحنان.

وكيف تفتقر وهي حاملة السنَّة النبويَّة؟! تلك السنَّة الطافحة بغرر الحكم الاجتماعيَّة، والأحكام الحقوقيَّة، والجزائيَّة، والمدنيَّة، والدفاعيَّة، وما به انتظام الكون في قمع المظالم، وصيانة الحقوق، ودستور المعاش والمعاد، وحفظ الصحَّة، والمصالح العامَّة، ومباني الترقّي، ومنقذات البشر من مخالب الجهل والضلال، ودروس التقدُّم في عالم الرشد والصلاح.

تلك السنَّة المؤسَّسة للحياة السياسيَّة، وروح الوحدة الاجتماعيَّة، والجوامع الأخلاقيَّة، والفضائل النفسيَّة، والحقوق النوعيَّة والشخصيَّة التي عليها مدار نظام حياة النوع الإنساني، وتدبير شؤون المجتمع البشريِّ في جميع أدوار الدنيا، وقرونها المتكثِّرة.

وكيف تفتقر؟! وبين يديها برنامج الإصلاح الحيويِّ المشتمل لموجبات الأمن والدعة والسلام والوئام والنزوع إلى كلِّ صالح، والانحياز عن كلِّ ما يفكّك عُرى المدنيَّة الصحيحة، والحضارة الراقية، والدين المبين، ألا وهو كتاب نهج البلاغة (للإمام أمير المؤمنين تأليف الشريف الرضي) الذي تراه

فلاسفة الدنيا دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

يا امه اثكليه

هلمَّ معي أيّها الشرقيُّ الإسلاميُّ نسائل أستاذ فلسطين محمَّد عادل زعيتر [وهو يدبُّ مع القراد(١) وقد أساء القول وأساء العمل] عن ترجمة هذا الكتاب [حياة محمَّد] الطافح بالضَّلال.

نسائله عن جنايته الكبيرة على الامَّة العربيَّة بقوله في مقدِّمة ترجمته: قد تجنّى المستشرقون على الحقائق في سيرة الرسول الأعظم لا ريب، وقد كان تجنّيهم هذا عاملاً في زهد كتّاب العرب عن نقل ما ألفوه إلى العربيَّة على ما يحتمل، ولكن عطل اللغة العربيّة من ذلك يُعدُّ نقصاً في حركتنا العلميَّة على كلِّ حال.

كيف عطل اللغة العربيَّة ممّا جنته يد الجاهليَّة وقد تجنَّت على الحقائق يُعدُّ نقصاً في حركتنا العلميَّة التي تدور مع الكتاب والسنَّة؟! وهما مدار علم العالم، وبصيرة كلّ متنوِّر، ومرمى كلّ مثقَّف، وضالة كلّ حكيم، ومقصد كلّ فيلسوف شرقيّ أو غربيّ. وهذا نفس المؤلِّف يقول في مقدِّمة الكتاب: وأهم المصادر لتبيان حياة محمَّد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة، والقرآن أصحّ هذه المصادر وإن كان أوجزها.

ليته كان يتبع كتّاب العرب في زهدهم عن نقل ما ألفته يد الضلال إلى العربيّة، ويتوقّى قلمه عن نشر كلم الفساد في المجتمع الإسلاميّ من دون أيّ تعليق عليها، وأيّ تنبيه للقارىء بفسادها وهو يقول: لا يظنّ القارىء أنّني أُشاطر المؤلِّف جميع ما ذهب إليه من الامور التي أرى الحقيقة غابت عنه في كثير منها.

اثكليه يا امَّه؟ بأيّ ثمن بخس أو خطير باع شرف أمَّته، وعزَّ نحلته، وعظمة قومه، وقداسة كتابه وسنَّته؟!.

---

(١) مثل يضرب للرجل الشرير.

ولأيٍّ مرمىً بعيد جعل نفسه مع [اميل در منغم] في بردة أخماس[١]؟! وجاء يعاند الإسلام بنشر تلكم الأباطيل والأضاليل المضادَّة مع نحلته، ويشوِّه سمعة مصره العزيزة، وجامعها الأزهر، وأساتذتها النزهاء، وكتّابها القادرين بنشر تلك التافهات المضلّة في مطابعها المأسوف عليها وهو يقـول في المقدِّمـة: المؤلِّف مع ما ساده من حسن النيّة لم تخل سوانحه وآراؤه من زلّات.

ليتني أدري وقومي: ما حاجتنا إلى حسنُ نيّة مؤلِّه المسيح عيسى بن مريم وجاعله ابن الله الوحيد؟! وما الّذي يُعرب عن حسن نيّته؟! وكلّ صحيفة من كتابه أهلك من ترَّهات البسابس[٢] وقلّت صحيفة ليست فيها هنات تنمّ عن سوء طويَّته، وفساد نيَّته، وخبث رأيه.

نعم: والّـذي أراه « والمؤمن ينظر بنـور الله » أَنَّ المترجم راقـه ما في الكتاب من الأكاذيب والمخاريق المعربة عن النزعات والأهواء الأمويّة فبذلك غدا الذئب للضبع[٣] وجاء وقد أدبر غريره وأقبل هريره[٤] ووافق شنٌّ طبقة.

نعم: راقه سلقه أهل بيت النبيِّ الطاهر بسقطات القول وكذب الحديث وسرد تاريخ مفتعل يمسُّ كرامة النبيِّ الأقدس وناموس عترته ممّا يلائم الروح الأمويَّة الخبيثة، ويمثِّل آل الله للملأ بصورة مصغَّرة، ويشوِّه سمعتهم بمـا لا يتحمَّله ناموس الطبيعة، وشرف الإنسانيَّة، من شراسة الخلق، وسيِّىء العشرة، وقبح المداراة. قال:

كانت فاطمة عابسةً دون رقيَّة جمالاً، ودون زينب ذكاءً، ولم تدار فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء الستر أنَّ عليَّ بن أبي طالب ذكر اسمها، وكانت فاطمة تعدُّ عليّاً دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان عليٌّ أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك ص ١٩٧.

---

(١) ضرب من برود اليمن. وهو مثل يضرب للرجلين تحا. ؤتقاربا ءفعلا فعلا ءاحدا.
(٢) الترهات: الطرق الصغار. البسابس جمع بسبس: الصحراء الواسعة.
(٣) مثل يضرب لقريني سوء.
(٤) الغرير: الخلق الحسن. الهرير ما يكره من سوء الخلق.

وكان عليٌّ غير بهيِّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبة أنفه وكبر بطنه وصلعه، وذلك كلّه إلى أنَّ عليّاً كان شجاعاً تقيّاً صادقاً وفياً مخلصاً صالحاً مع توانٍ وتردّد. . .

وكان عليٌّ ينهت فيستقي الماء لنخيل أحد اليهود في مقابل حفنة تمر فكان إذا ما عاد بها قال لزوجته عابساً: كلي وأطعمي الأولاد. . .

وكان عليٌّ يحرد بعد كلِّ منافرة ويذهب لينام في المسجد وكان حموه يُربِّته على كَتفه ويعظه ويُوفِّق بينه وبين فاطمة إلى حين، وممّا حدث أن رأى النبيّ ابنته في بيته ذات مرَّة وهي تبكي من لكم عليٍّ لها.

إنَّ محمَّداً مع امتداحه قـدم عليّ في الإسلام إرضـاءً لابنته كـان قليل الالتفات إليه .وكان صهرا النبيِّ الأمويّان: عثمان الكريم وأبو العاصي أكثر مداراةً للنبيِّ من عليٍّ. وكان عليٌّ يألم من عدم عمل النبيِّ على سعادة ابنته، ومن عدّ النبيِّ له غير قوّامٍ بجليل الأعمال، فالنبيُّ وإن كان يفوِّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنَّب تسليم قيادةٍ إليه. ص ١٩٩.

وأسوأ من ذلك ما كان يقع عند مصاقبة عليٍّ وفاطمة لعـدوّاتهما أزواج النبيِّ وتنازع الفريقين، فكانت فاطمة تعتب على أبيها متحسرةً لأنّه كان لا ينحاز إلى بناته.

إلى غير ذلك من جنايات تاريخيَّة سوَّد بها الرجل صحيفة كتابه.

ما أساء من أعقب

أنا لا ألوم المؤلِّف ـ جدع الله مسامعه ـ وإن جاء بأُذني عناق[١] إذ هو من قوم حناق على الإسلام، وهو مع ذلك جرفٌ منهال وسحابٌ منجال[٢] ينمُّ كتابه عن عُجَره وبجَره. وإنَّـما العتب كلّ العتب على المترجم الجاني على الإسلام

(١) أي جاء بالكذب والباطل، مثل سائر .

(٢) مثل يضرب. يراد أنه لا يطمع في خيره.

والشرق والعرب ـ وهو يحسب نفسه منها ـ نعم: جذب السوء يلجىء إلى نجعة سوء[١] والجنس إلى الجنس يميل.

كلّ ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلفة، والنسب المفتعلة إن هي إلاّ كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، وتضادّ ما أصفقت عليه الامّة الإسلاميّة، وما أخبر به نبيّها الأقدس.

هل تناسب تقوّلاته في فاطمة مع قول أبيها صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة حوراء إنسيّة كلمّا اشتقتُ إلى الجنّة قبّلتها[٢]؟!.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ابنتي فاطمة حوراء آدميّة[٣] ؟! .

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة هي الزهرة[٤]؟!.

أو قول امّ أنس بن مالك؟!: كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله ﷺ شبهاً، والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها　　　وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمُ[٥]
فكأنّها فيه نهارٌ مشرقٌ　　　وكأنّه ليلٌ عليها مظلمُ[٦]

ولقبها الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليّة الحال.

وهل يساعد تلك التحكّمات في ذكاء فاطمة وخلقها قول امّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها: كانت فاطمة تحدّث في بطن امّها، ولمّا ولدت فوقعت

---

(١) مثل دائر. يعني أن الامور كلها تتشاكل في الجودة والرداءة .
(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٥ ص ٨٦.
(٣) الصواعق ص ٩٦، اسعاف الراغبين ص ١٧٢ نقلاً عن النسائي.
(٤) نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٢.
(٥) جثل الشعر: كثر والتفّ واسودّ فهو جثل. سحم فهو أسحم: اسود.
(٦) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٦١.

حين وقعت على الأرض ساجدةً رافعةً اصبعها(١)؟!.

أو يلائمها قولُ عائشة: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبّلها ورحّب بها، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه(٢)؟!.

وفي لفظ البيهقي في السنن ج ٧ ص ١٠١: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله ﷺ. الحديث.

وهل توافق مخاريقه في الإمام عليّ صلوات الله عليه، وعدم بهاء وجهه، وعدّ فاطمة له دميماً وكونه عابساً مع ما جاء في جماله البهيّ: إنّه كان حسن الوجه كأنّه قمر ليلة البدر، وكأنّ عنقه إبريق فضّة(٣) ضحوك السنّ(٤) فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم(٥)؟!.

وأين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له؟!:

إذا استقبلتَ وجه أبي ترابٍ ... رأيتَ البدر حار الناظرينا(٦)

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله ... فالناس أعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً: إنّه لدميمُ

أوَ يخبرك ضميرك الحرّ في عليّ ما سلقه الرجل به من (التواني

(١) سيرة الملا، ذخائر العقبى ٤٥، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٧.
(٢) أخرجه الحافظ ابن حبان كما في ذخائر العقبى ٤٠ والحافظ الترمذي وحسنه، والحافظ العراقي في التقريب كما في شرحه له ولابنه ج ١ ص ١٥٠، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٣، وابن طلحة في مطالب السئول ص ٧، إسعاف الراغبين ١٧١.
(٣) كتاب صفين ٢٦٢، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٩، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٤.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي.
(٥) حلية الأولياء ج ١ ص ٨٤، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٥، المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٣٢.
(٦) تذكرة السبط ص ١٠٤.

والتردُّد)؟! وعليٌّ ذلك المتقحّم في الأحوال، والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب؛ وهو الذي كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلِّ نازلة وكارسة منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه وفداه بنفسه، إلى أن سكن مقرَّه الأخير.

أليس عليٌّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله**﴾. وقوله تعالى: ﴿**ومن النّاس مَن يشري نفسه ابتغاء مَرضاةِ الله**[1]﴾.

فمتى خلى عليٌّ عن مقارعة الرجال والذبِّ عن قدس صاحب الرِّسالة حتى يصحّ أن يُعزى إليه توان أو تردّد في أمر من الامور؟! غير أنَّ القول الباطل لا حدَّ له ولا أمد.

وهل يتصوَّر في أمير المؤمنين تلك العشرة السيِّئة مع حليلته الطاهرة؟! والنبيُّ يقول له: أشبهتَ خَلقي وخُلقي وأنت من شجرتي الّتي أنا منها[2].

وكيف يراه النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أفضل امَّته أعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً، ويقول: عليٌّ خير امَّتي أعلمهم علماً وأفضلهم حلماً[3]؟!.

ويقول لفاطمة: إنّي زوَّجتكِ أقدم امَّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً[4]؟!.

ويقول لها: زوّجتكِ أقدمهم سلماً، وأحسنهم خُلقاً[5]؟!.

يقول هذه كلّها وعشرته تلك كانت بمرأى منه ومسمع، أفك الدجّالون، كان عليٌّ عليه السلام كما أخبر به النبيُّ الصّادق الأمين.

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٧٢

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ١١ ص ١٧١ .

(٣) الطبري، الخطيب،الدولابي،كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، ٣٩٢، ٣٩٨.

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤، ذخائر العقبى ص ٧٨، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠١، ١١٤ وصححه ووثق رجاله.

(٥) أخرجه أبو الخير الحاكمي كما في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٢ .

وهل يقبل شعورك ما قذف به الرَّجل [فضَّ الله فاه] عليّاً بلكم فاطمة بضعة المصطفى؟! وعليٌّ هو ذاك المقتصّ أثر الرَّسول وملأ مسامعه قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: إنَّ الله يغضب لغضبكِ، ويرضى لرضاكِ(١).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعةٌ منّي، هي قلبي وروحي التي بين جنبيَّ، فمن آذاها فقد آذاني(٢).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعةٌ منّي، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها(٣).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعةٌ منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني(٤).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعةٌ منّي، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها(٥).

وهل يقصر امتداح النبيّ عليّاً بقدم إسلامه؟! حتّى يتفلسف في سرِّه ويكون ذلك إرضاءً لابنته، على أنّ امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمة لكان يقتصر صلّى الله عليه وآله وسلم على قوله لفاطمة في ذلك وكان يتأتّى الغرض به، فلما ذا كان يأخذ صلّى الله عليه وآله وسلم بيد عليٍّ في الملأ الصحابيِّ تارةً

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه، ذخائر العقبى ص ٣٩، تذكرة السبط ١٧٥ مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٥٢، كفاية الطالب ص ٢١٩، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٢، كنوز الدقائق للمناوي ص ٣٠، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل ج ١ ص ١٨٥، كنز العمال ج ٧ ص ١١١ عن الحاكم وابن النجار، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٣، الإصابة ج ٤ ص ٣٧٨، الصواعق ١٠٥، الإسعاف ١٧١ عن الطبراني، ينابيع المودة ١٧٣.

(٢) الفصول المهمة ١٥٠، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٨، نور الأبصار ص ٤٥.

(٣) صحاح البخاري ومسلم والترمذي، مسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨، الخصائص للنسائي ص ٤٥، الاصابة ج ٤ ص ٣٧٨.

(٤) صحيح البخاري، خصائص النسائي ص ٣٥.

(٥) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٣، ٣٣٢، الصواعق ١١٢.

ويقول: إنَّ هذا أوَّل من آمن بي، وهذا أوَّل من يصافحني يوم القيامة؟ ولماذا كان يخاطب أصحابه اخرى بقوله: أوَّلكم وارداً عليَّ الحوض أوَّلكم إسلاماً عليّ بن أبي طالب؟!.

وكيف خفي هذا السرّ المختلق على الصحابة الحضور والتابعين لهم بإحسان فطفقوا يمدحونه عليه السَّلام بهذه الأثارة كما يروى عن سلمان الفارسي. أنس بن مالك. زيد بن أرقم. عبدالله بن عبّاس. عبد الله بن حجل. هاشم بن عتبة. مالك الأشتر. عبد الله بن هاشم. محمَّد بن أبي بكر. عمرو بن الحمق. أبو عمرة عديّ بن حاتم. أبو رافع. بريدة، جندب بن زهير. امّ الخير بنت الحريش[١].

وهل القول بقلَّة التفات النبيِّ إلى عليٍّ يساعده القرآن الناطق بأنَّه نفس النبيِّ الطاهر؟! أو جعل مودَّته أجر رسالته؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث الطير المشويِّ الصحيح المرويِّ في الصحاح والمسانيد: اللّهمّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك ليأكل معي؟!.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ عليّاً أحبّ الرجال إليَّ، وأكرمهم عليَّ، فاعرفي له حقَّه وأكرمي مثواه[٢]؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أحبّ الناس إليَّ من الرجال عليٌّ[٣]؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خير من أتركه بعدي[٤]؟!.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: خير رجالكم عليُّ بن أبي طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمَّد[٥]؟!

---

(١) سيأتي في هذا الجزء نص كلماتهم.
(٢) أخرجه الحافظ الخجندي كما في الرياض ج ٢ ص ١٦١، وذخائر العقبى ٦٢،
(٣) وفي لفظ: أحب أهلي. من حديث اسامة.
(٤) مواقف الايجي ج ٣ ص ٢٧٦، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣.
(٥) تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٣٩٢.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خير البشر فمن أبى فقد كفر[(١)]؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: من لم يقل عليٌّ خير الناس فقد كفر[(٢)]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: في حديث الراية المتّفق عليه: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي بمنزلة الرأس (رأسي) من بدني أو جسدي[(٣)]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي بمنزلتي من ربّي[(٤)]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ أحبّهم إليَّ وأحبهم إلى الله[(٥)] ؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ: أنا منك وأنت منّي. أو: أنت منّي وأنا منك[(٦)]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي وأنا منه، وهو وليٌّ كلِّ مؤمن بعدي[(٧)]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث البعث بسورة البراءة المجمع على صحّته: لا يذهب بها إلاّ رجلٌ منّي وأنا منه[(٨)] .

(١) تاريخ الخطيب عن جابر، كنوزالحقائق هامش الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٩.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٣ ص ١٩٢ عن ابن مسعود، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٩.

(٣) تاريخ الخطيب ج ٧ ص ١٢، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢، الصواعق ٧٥، الجامع الصغير للسيوطي، شرح العزيزي ج٢ ص٤١٧، فيض القدير ج٤، ٣٥٧، نور الأبصار ٨٠ مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦.

(٤) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١.

(٥) تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٦٠.

(٦) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٤، خصائص النسائي ٣٦ و٥١.

(٧) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٦ وأخرجه جمع من الحفاظ بإسناد صحيح يأتي.

(٨) خصائص النسائي ٨، راجع ج ١ ص ٤٨ من كتابنا.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لحمك لحمي ودمك دمي والحقُّ معك[١]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ما من نبيّ إلاّ وله نظير في امّته وعليٌّ نظيري[٢]؟

أو ما صحَّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن امّ سلمة قالت: كان رسول الله إذا أغضب لم يجترىء أحدٌ أن يكلّمه غير علي[٣]؟

أو قول عائشة: والله ما رأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله من عليّ ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته[٤] ؟ .

أو قول بريدة وأُبيّ: أحبُّ الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من النساء فاطمة ومن الرِّجال عليٌّ[٥]؟!

أو حديث جُميع بن عُمير؟ قال: دخلت مع عمَّتي على عائشة فسألت أيَّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟! قالت: فاطمة. فقيل: من الرِّجال؟ قالت زوجها، إن كان ما علمت صوَّاماً قوّاماً[٦].

وكيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يُقدِّم الغير على عليٍّ في الإلتفات إليه؟! وهو أوَّل رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لَمّا اطّلع عليهم كما أخبرَ به صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة بقوله: إنَّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منه أباك فبعثه نبيّاً، ثمَّ اطّلع الثانية فاختار بعلكِ فأوحى إليَّ

(١) المحاسن والمساوىء ج١ ص٣١، كفاية الطالب ص ١٣٥، مناقب الخوارزمي ٧٦، ٨٣، ٨٧، فرائد السمطين في الباب ٢ و٢٧.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٤.

(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٠، الصواعق ٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٦.

(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٥، خصائص النسائي ٢٩، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦١.

(٥) خصائص النسائي ٢٩، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٥ صححه هو والذهبي، جامع الترمذي ج ٢ ص ٢٢٧.

(٦) جامع الترمذي ج ٢ ص ٢٢٧ ط هند، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٧، وجمع آخر.

فأنكحته واتّخذته وصيّاً(١).

وبقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوكِ والآخر زوجكِ(٢).

وإنّي لا يسعني المجال لتحليل كلمة الرجل: وكان صهرا النبيِّ الأمويّان. إلخ: وحسبك في مداراة عثمان الكريم حديث أنس عن رسول الله لَمّا شهد دفن رقيَّة ابنته العزيزة وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال: أيّكم لم يُقارف الليلة أهله؟! فقال أبو طلحة: أنا. فأمره أن ينزل في قبرها.

قال ابن بطّال: أراد النبيُّ ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها وقد كان أحقّ الناس بذلك لأنَّه كان بعلها وفقد منها علقاً لا عوض منه لأنّه حين قال عليه السَّلام: أيّكم لم يُقارف الليلة أهله؟! سكت عثمان ولم يقل: أنا لأنَّه قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهمُّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيّ ﷺ عن المقارفة فحرم بذلك ما كان حقّاً له وكان أولى به من أبي طلحة وغيره. وهذا بيّنٌ في معنى الحديث ولعلّ النبي ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقل له شيئاً لأنَّه فعل فعلاً حلالاً غير أنَّ المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتّى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير صريح. (الروض الانف ج ٢ ص ١٠٧).

وما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحديبيَّة، وأُسر مع المشركين مرَّتين، وفرَّق الإسلام بينه وبين زوجته زينب بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ستَّ سنين، وهاجرت مسلمة وتركته لشركه، ولم ترد قطّ بعد إسلامه كلمة تُعرب عن صلته مع النبيِّ ومداراته له فضلاً عن مقايسته بعليٍّ أبي ذرِّيّته وسيِّد عترته.

---

(١) أخرجه الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري كما في إكمال كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٥ عن علي الهلالي.

(٢) المواقف للايجي ص ٨ راجع من كتابنا ج ٢ ص ٣١٨ ط ٢ .

وقد اتّهم الرَّجل نبيَّ الإسلام بعدم العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهَّرة بنصِّ الكتاب العزيز، ويقذف عليّاً بالتألّم من ذلك، وكان صلّى الله عليه وآله وسلم إذا أصبح أتى باب عليٍّ وفاطمة وهو يقول: يرحمكم الله إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً. وكان لم يزل يقول: فاطمة أحبّ الناس إليَّ.

ويقول: أحبُّ الناس إليَّ من النساء فاطمة.

ويقول: أحبُّ أهلي إليَّ فاطمة.

وكان عمر يقول لفاطمة: والله ما رأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله منكِ[(١)].

وما أقبح الرجل في تقوُّله على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم بعدِّه لعليٍّ غير قوّام بجليل الأعمال. وقد وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمة بكلِّ حول وطول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه، فصار بذلك له نفساً وأخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفةً ووارثاً ووليّاً بعده، وكان قائده الوحيد في كروبه ومغازيه، وهو ذلك الملقَّب بقائد الغرِّ المحجَّلين وحياً من الله العزيز في ليلة أسرى بنبيِّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[(٢)].

وأسوأ من ذلك كلّه عدُّ الرَّجل أزواج النبيّ عدوّات عليٍّ وفاطمة وقد ذكر تنازع عائشة معهما وامّ سلمة وبسط القول في ذلك بنقل حادثةٍ موضوعةٍ، وشكّل هناك حزبين منهنَّ: (دمقراطي) و(رستو دمقراطي)، وتقوّل بما يمسُّ ناموس النبيِّ وكرامة أزواجه امّهات المؤمنين، ويُمثِّل آل الله بكلِّ جلافة وسلافة.

ليت شعري كيف يروق المترجم عدُّ عائشة عدوَّةً لفاطمة وهي تقول: ما

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٠ وصححه.

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٨ وصححه، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧، شمس الاخبار ٣٩، اسد الغابة ج ١ ص ٦٩، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١.

رأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح على شرط الشيخين كمافي شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٢ والشرف المؤبّد ص ٥٨ .

وهي كانت تقبّل رأس فاطمة وتقول: يا ليتني شعرة في رأسك (نـزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٧) .

وكيف يرتضي قومه نشر هذه القارصة والقرآن أوجب على الامّة مودّة العترة النبويّة[١] ومن المتسالم عليه بين المسلمين أنّ آية الإيمان والنّفاق في شرعة النبيِّ المحبوب حبُّ عليّ وبغضه كما يأتي حديثه . وقد اتّفقت الامّة على ما مرَّ في حديث الغدير من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في عليٍّ : اللهمَّ وال مَن والاه ، وعاد مَن عاداه . وصحَّ عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله : من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني ، ومن آذى عليّاً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[٢] وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل أنّـه أخبره بـأنّ السعيد كلّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياتي وبعد مماتي ، ألا وإنَّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياتي وبعد مماتي[٣] .

وكيف خفي على هذا الرجل أنَّ عزوعداء سيِّد العترة وسيِّدتها إلى زوجات النبيِّ قذف مقذعٌ ، وسبُّ شائنٌ إن عُرض على محكمة العدل الإسلاميِّ وأُخذ بقوله صلّى الله عليه وآله وسلم في عترته : لا يُحبّهم إلّا سعيد الجدّ طيِّب المولد ، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدِّ رديء الولادة[٤] أو بما ورد من طريق الثقات من : أنَّ عليّاً لا يبغضه أحدٌ قطُّ إلّا وقد شارك إبليس أباه في رحم امِّه[٥] .

(١) راجع من كتابنا ج ٢ ص ٣٥٦

(٢) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦١ ، ذخائر العقبى ٦٥ ، الإصابة ج ٣ ص ١٠٣ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٣) الرياض النضرة ج ٣ ص ٢١٥ ، الفصول المهمة ١٢٤ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٢ . كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٠ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٤) الرياض ج ٢ ص ١٨٩ .

(٥) تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٢٨٩ .

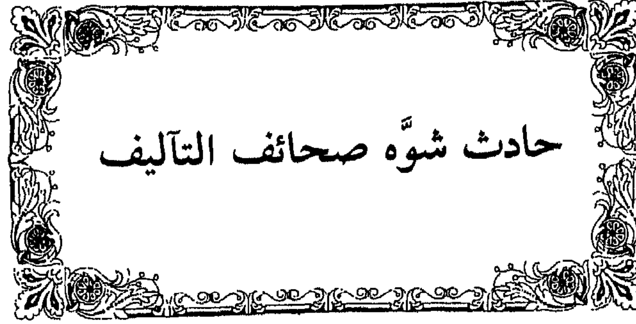
أو بما أخرجه الحافظ الجزري عن عبادة الصامت قال: كنّا نبور أولادنا بحبِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإذا رأينا أحدهم لا يحبُّ عليّاً بن أبي طالب علمنا أنَّه ليس منّا وأنَّه لغير رشدة. ثمَّ قال الحافظ: وهذا مشهورٌ من قديم وإلى اليوم أنَّه ما يُبغض عليّاً رضي الله عنه إلاّ ولد زنا. (أسنى المطالب ص ٨).

هذه نبذٌ من مخاريق كتاب (حياة محمَّد) وكم لها من نظير حول القرآن وتحريفه، وهناك قذف الشيعة بما هي بريئةٌ منه، والعجب أنَّ عادل زعيتر يحسب نفسه معذوراً في بثِّ هذه الأباطيل المضلّة في المجتمع بقوله في مقدِّمة الكتاب: وقد كنت أودُّ أن أُعلِّق عليها بعض حواش لو لم أر أنَّ ذلك يخرجني عن دائرة الترجمة.

أمن العدل سقاية روح الملأ الدينيِّ بهذه السموم القتّالة، والاعتذار بمثل هذا التافه؟! أهكذا خلق الإنسان جهولا؟!.

﴿إنَّ الَّذين يُحبّون أنْ تَشيع الفاحشة في الَّذين آمَنوا لَهمْ عذابٌ أليمٌ في الدّنيا والآخرة﴾

سورة النور: آية ١٩



حادث شوّه صحائف التآليف

هناك فكرةٌ غير صالحة، وإن شئتَ قلت: بدعةٌ سيِّئةٌ فَتحت على الامَّة باب التقوُّل بمصراعيه، وعنها تتشعَّب شجنة الإفك في الحديث، وينبعث القول المزوَّر: وإليها تستند كلُّ بهرجة وسفسطة. ألا وهي: هذه الخطَّة الحديثة في التأليف، واتِّخاذ هذا الاسلوب الحديث الذي يروق بسطاء الامَّة ويسمّونه تحليلاً، ويرونه حُسناً في الكتابة.

هذه الفكرة هي التي خفَّت بها وطأة التأليف، وطأة حزونته، وكثر بذلك المؤلِّفون فجاءلفيف من النّاس يؤلِّف وكلٌّ منهم سلك وادي تضلّل[1] ولا يخفق على جرَّته[2] ويرمي القول على عواهنه، وينشر في الملأ ما ليس للمجتمع فيه درَك، فيتحكَّم في آرائه، ويكذب في حديثه، ويخون في نقله، ويحرِّف الكَلِم عن مواضعه، ويقذف من خالف نحلته، وينسبه إلى ما شاءه هواه، ويسلقه بالبذاء، ولا يكفِّف عنه لغبه.

هذه الفكرة هي التي جرَّت على الامَّة شية العار، ووصمة الشنار، ورمته بثالثة الأثافي، ومدَّت يد الفحشاء على التأليف، وأبدت في صفحاته وصمات سوء، فراح شرف الإسلام، وأدب الدين، وأمانة النقل، ومكانة الصدق، ضحيَّة الميول والشهوات، ضحيَّة الأهواء والنزعات الباطلة، ضحيَّة الأقلام المستأجرة.

(١) مثل يضرب لمن عمل شيئاً فأخطأ فيه.

(٢) مثل يضرب لمن يعجز عن كتمان ما في نفسه.

هذه الفكرة هي التي شوَّهت وجه التأليف، وجنت بها الأقلام، وولدت في القلوب ضغائن، فجاء المفسِّر يُؤَول القرآن برأيه، والمحدِّث يختلق حديثاً يوافق ذوقه، والمتكلّم يذكر فرقاً مفتعلة، والفقيه يُفتي بما يحبِّذه، والمؤرِّخ يضع في التاريخ ما يرتضيه، كلّ ذلك قولاً بلا دليل، وتحكّماً بلا بيِّنة، وتكلّماً بلا مأخذ، ودعوى بلا برهان، وتقوّلاً بلا مصدر، وكذباً بلا مبالاة، وإفكاً بلا تحاشٍ، **﴿فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون﴾**.

البقرة: الآية ٧٩

والقارىء يجد مثال هذه كلّها نصب عينيه في طيِّ كتاب الصراع بين الإسلام والوثنيَّة، والوشيعة في الردّ على الشيعة، وفجر الإسلام وضحاه وظهره، والجولة في ربوع الشرق الأدنى، والمحاضرات للخضري، والسنَّة والشيعة، والإسلام الصحيح، والعقيدة في الإسلام، وخلفاء محمَّد، وحياة محمَّد لهيكل، وفي مقدّمها كتاب « حياة محمَّد » لأميل در منغم.

فخلوُّ تأليف الشرقيِّ المسلم عن ذكر المصادر نسايةٌ للكتاب والسنَّة، وإضاعةٌ لأُصول العلم، وجنايةٌ على السلف؛ وتفويتٌ لمآثر الإسلام، ، وعملٌ مخدجٌ، وسعيٌ أبترٌ، وليس من صالح الامَّة، ولا من صلاح المجتمع الإسلاميِّ، وسيأتيه يومٌ وهو يقرع سنَّ نادم.

وإن تأليفاً هو هكذا لا يمثِّل في علومه ومعارفه إلّا نفسيَّة مؤلِّفه وأنظاره ولا يراه القارىء إلّا كرواية لا تقوم إلّا بقائلها.

خذ إليك في موضوع واحد كتابين هما مثالان لأكثر ما ارتأينا في هذا البحث ألا وهما:

١ ـ كتاب الإمام عليّ تأليف الاستاذ أبي نصر عمر.

٢ ـ كتاب الإمام عليّ تأليف الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود.

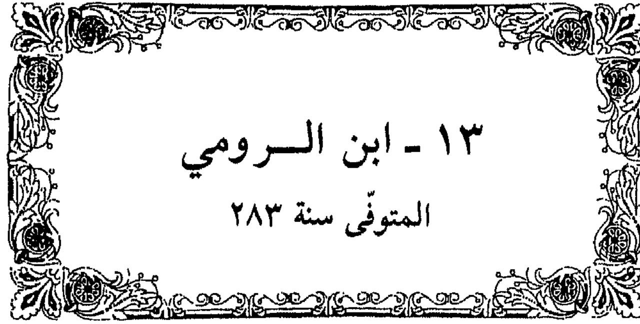
فهما على وحدة الموضوع والنزعة والبيئة والدراسة والهوى السائد طالما

اختلفا في الأبحاث والنظريّات، فهذا الأستاذ أبو نصر أخذ آراء الخضري الأمويَّة ومن يضاهيه فيها، وصبَّها في بوتقة تأليفه، فجاء في كتابه بكلِّ شنآء شوهاء التقت بها حلقة البطان.

وأمّا الأستاذ عبد الفتّاح فإنّه جدَّ وثابر على جهود جبّارة، وأخذ زبدة المخض من الحقائق الناصعة، غير أنَّه ضيَّع أتعابه بإهمال المصادر، فلم يأت كتابه إلّا كنظريَّة شخصيَّة، ولو ازدان تأليفه بذكرها في التعاليق وإرداف ذلك النقل الواضح بما ارتآه من الرأي السديد لكان أبلغ في تمثيل أفكار الجامعة، والإعراب عن نظريّات الملأ الدينيِّ، وإن كان ما ثابره الآن مشفوعاً بشكر جزيل.

﴿وَلَو أنَّهم فعلوا ما يُوعظون بِهِ لَكانَ خَيراً لَهُمْ
وأشَدَّ تَثبيتاً﴾

سورة النساء آية ٦٦.



١٣ - ابن الـــرومي
المتوفّى سنة ٢٨٣

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى ... عشق النسـاء ديانـةً وتحـرُّجـا
لـكنّ حـبّي لـلوصيّ مـخيِّـمٌ ... في الصدر يسرح في الفؤاد تولّجا
فهو السِّراج المستنيـر ومَن به ... سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبَّة لم أجد ... يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أأترك مستقيم طريقه ... جهلاً وأتّبع الطريق الأعوجا؟!؟
وأراه كـالتبر المصفّى جـوهراً ... وأرى سـواه لناقـديه مبهـرجـا
ومحلّه من كــلِّ فضــل بـيِّن ... عال محلّ الشمس أو بدر الدجا
قـال النبيُّ لـه مقـالاً لم يكن ... يوم «الغدير» لسامعيه ممجمجا
: من كنت مولاهُ فذا مولى له ... مثلي وأصبح بالفخـار متوَّجـا
وكذاك إذ منع البتول جماعـة ... خـطبوا وأكـرمه بهـا إذ زوَّجـا
وله عجائب يـوم سار بجيشـه ... يبغي لقصر النهروان المخرجا
رُدَّت عليه الشمس بعد غروبها ... بيضاء تلمع وقـدةً وتأجّجـا[١]

الشاعر

أبـو الحسن عليّ بن عبّاس بن جـريح[٢] مـولى عبيد الله بن عيسى بن

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٣١ ط إيران.

(٢) كذا في فهرست النديم، وتاريخ الخطيب، وكثير من المعاجم. وفي مروج الذهب: سريج. وفي معجم المرزباني: جورجس. وفي تاريخ ابن خلكان: قيل: جورجيس. وفي بعض المعاجم: جرجيس.

جعفر البغدادي الشهير بابن الرومي. مفخرةٌ من مفاخر الشيعة، وعبقريٌّ من عباقرة الامّة، وشعره الذهبيُّ الكثير الطافح برونق البلاغة قد أربى على سبائك التبر حسناً وبهاءً، وعلى كثر النجوم عدداً ونـوراً، برع في المـديح والهجـاء والوصف والغزل من فنون الشعر فقصر عن مَداه الطامحون؛ وشخصت إليـه الأبصار، فجلَّ عن الندِّ كما قصر عن مزاياه العدُّ.

وله في مودَّة ذوي القربى من آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم أشواط بعيدة، واختصاصه بهم ومدائحه لهم ودفاعه عنهم من أظهر الحقـائق الجليَّة؛ وقد عدَّه ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥ في فصوله المهمة ص ٣٠٢، والشبلنجي في نـور الأبصـار ١٦٦ من شعـراء الإمـام الحسن العسكـري صلوات الله عليه.

وكان مجموع شعره غير مرتّب على الحروف: رواه عنه المسيِّبي عليُّ بن عبيد الله بن المسيِّب، ومثقال غلام إبن الرومي في مائة ورقة، ورواه عن مثقال أبـو الحسن عليّ بن العصب الملحي، وكتب أحمد بن أبي قسـر الكاتب من شعره مائة ورقة، وخالد الكاتب كذلك، فرتَّبه الصولي على الحروف في مائتي ورقة، جمع شعره أبو الطيب ورَّاق ابن عبدوس من جميع النسخ فزاد على كلّ نسخة ممّا هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت.

وللخالديَّين: أبي بكر محمَّد وأبي عثمان سعيد كتـابٌ في أخبار شعـر المترجم(١) وانتخب ابن سينا ديـوانه وشـرح مشكلات شعـره كما في كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٨، وعن ابن سينا: انَّ ممّا كلّفني استاذي في الأدب حفظ ديوان ابن الرومي فحفـظته مع عدَّة كتب في ستَّة أيّام ونصف يوماً.

ويروي بعض شعره أبو الحسين عليُّ بن جعفر الحمداني، وإسماعيل بن عليّ الخزاعيّ، وأبو الحسن جحظة الذي مدحه ابن الرومي بقصيدة توجد في ديوانه ١٦٨.

---

(١) راجع فهرست النديم ص ٢٣٥ و٢٤١.

تجد ذكره والثناء عليه في فهرست ابن النديم ٢٣٥، تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٣، معجم الشعراء ٢٨٩، ٤٥٣، أمالي الشريف المرتضى ج ٢ ص ١٠١، مروج الذهب ج ٢ ص ٤٩٥، العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٥٦، ٦١، ٩١، معالم العلماء لابن شهرآشوب، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٥، مرآة الجنان لليافعي ج ٢ ص ١٩٨، شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٨، معاهد التنصيص ج ١ ص ٣٨، كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٨، روضات الجنّات ٤٧٣، نسمة السحر فيمن تشيّع وشعر، دائرة المعارف للبستاني ج ١ ص ٤٩٤، دائرة المعارف الإسلاميّة ج ١ ص ١٨١، الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٦٧٥، الشيعة وفنون الإسلام ١٠٥، مجلّة الهدس العراقيّة الجزء السادس ص ٢٢٣ - ٢٢٧.

وعنى بجمع آثاره وكتابة أخباره وروايتها جمعٌ منهم:

١ - أبو العباس أحمد بن محمَّد بن عبيد الله بن عمّار المتوفّى سنة ٣١٩، قال ابن المسيِّب: لمّا مات ابن الرومي عمل كتاباً[١] في تفضيله ومختار شعره وجلس يمليه على الناس. كما في فهرست ابن النديم ٢١٢. ومعجم الأدباء ج ١ ص ٢٢٧.

٢ - أبو عثمان الناجم، ترجمه في كتاب مقصور عليه.

٣ - أبو الحسن عليّ بن عبَّاس النوبختيّ المتوفّى سنة ٣٢٧، جمع أخباره في كتاب مفرد كما في معجم المرزباني ٢٩٥، ومعجم الادباء ج ٥ ص ٢٢٩.

وأفرد من كتّاب المتأخِّرين الاستاذ عبّاس محمود العقّاد كتاباً في ترجمته في ٣٩٢ صفحة ونحن نأخذ منه ما هو المهمّ ملخّصاً بلفظه قال:

قد أدرك ابن الرومي في حياته ثمانية خلفاء هم: الواثق. المتوكِّل. المنتصر. المستعين. المعتز. المهتدي. المعتمد. المعتضد المتوفّى بعد ابن الرومي.

---

(١) ينقل الحموي عنه ترجمة أحمد بن محمد بن عمار في معجم الادباء.

أثنى عليه العميدي صاحب « الإبانة » وابن رشيق صاحب « العمدة » وقال: أكثر المولّدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحذّاق: أبو تمام وابن الرومي. وأطراه ابن سعيد المغربي المتوفّى ٦٧٣ في كتابه: عنوان المرقصات والمطربات.

ويظهر أنَّ أبا عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من ادباء القرن الرابع توسّع في ترجمته إمّا في كتابه: حماسة المحدثين، أو في كتاب مقصور عليه. ولكن أخباره هذه ذهبت كلّها ولم يبق منها أثر إلّا متفرِّقات في الكتب لا تُغني في ترجمة وافية ولا شبيهة بالوافية فنحن ننقلها كما هي:

ولد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب ٢٢١ ببغداد في الموضع المعروف بالعقيقة[١] ودرب الختليَّة في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر بن منصور[٢].

كان ابن الرومي مولى لعبد الله بن عيسى ولا يشكّ انّه روميُّ الأصل فإنَّه يذكره ويؤكّده في مواضع من ديوانه واسم جدِّه مع هذا: جريج. أو: جرجيس. اسمٌ يونانيٌّ لا شبهة فيه، فلا ينبغي الالتفات إلى من قال: إنَّه سمِّي بابن الرومي لجماله في صباه.

وكان أبوه صديقاً لبعض العلماء والادباء منهم: محمَّد بن حبيب الراوية الضليع في اللغة والأنساب، فكان الشاعر يختلف إليه لهذه الصداقة، وكان محمَّد بن حبيب يخصّه لما يراه من ذكائه وحدَّة ذهنه، وحدَّث الشاعر عنه فقال: إنَّه كان إذا مرَّ به شيءٌ يستغربه ويستجيده يقول لي: يا أبا الحسن ضع هذا في تامورك.

وقد علمنا أنَّ امّه كانت فارسيَّة من قوله: الفرس خؤلي والرّوم أعمامي. وقوله: فلم يلدني أبو السواس ساسان، بعد أن رفع نسبه إلى يونان من جهة

---

(١) في معجم الشعراء: في الجانب الغربي بالعتيقة. وهذا هو الصحيح.
(٢) أخذه من أبي عثمان الخالدي.

أبيه، وربما كانت امّه من أصل فارسيّ ولم تكن فارسيَّة قحّاً لأبيها وامّها وهذا هو الأرجح لأنَّ علمه بالفارسيَّة لم يكن علم رجل نشأ في حجر امّ تتكلّم هذه اللغة ولا تحسن الكلام بغيرها، وماتت امّه وهو كهل أو مكتهل كما يقول في رثائها:

أقول: وقد قالوا: أتبكي لفاقد رضاعاً وأين الكهل من راضع الحلم
هي الامّ يا للناس جزّعت فقدها ومن يبك امّاً لم تذم قطُّ لا يُذم

وكانت امّه تقيّة صالحة رحيمة كما يُؤخذ من أبياته في رثائها.

قال الأميني:

امّه حسنة بنت عبد الله السجزي كما في معجم المرزباني، وسجز بلدةٌ من بلاد الفرس من أرباض خراسان فهي فارسيَّة قحّ.

أخوه وشقيقه محمَّد المكنّى بأبي جعفر وهو أكبر من المترجَم وتوفّي قبله وكان يتفجّع بذكراه ورثاه، ومات أخوه وهو يعمل في خدمة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أحد أركان بيت بني طاهر، ويظهر من ديوان المترجم أنَّه كان أديباً كاتباً أيضاً.

ولم يبق لابن الرومي بعد موت أخيه أحدٌ يعوِّل عليه من أهله أو من يحسبون في حكم أهله إلاّ اناسٌ من مواليه الهاشميِّين العباسيِّين كانوا يبرّونه حيناً ويتناسونه أحياناً، وكان لعهد الهاشميِّين الطالبيِّين أحفظ منه لعهد الهاشميِّين العبّاسيِّين كما يظهر ممّا يلي. أمّا ابن عمِّه الذي أشار إليه في قوله:

لي ابن عمّ يجرُّ الشرَّ مجتهداً إليَّ قدماً ولا يصلي له نارا
يجني فاصلي بما يجني فيخذلني وكلّما كان زنداً كنت مسعارا

فلا ندري أهو ابن عمّ لحّ؟! أو ابن عمّ كلالة؟! ومبلغ ما بينهما من صلة المودَّة ظاهرٌ من البيتين.

أولاده:

رُزق ابن الرومي ثلاثة أبناء وهم: هبة الله. محمَّد. وثالث لم يذكر اسمه

في ديوانه. ماتوا جميعاً في طفولتهم ورثاهم بأبلغ وأفجع ما رثى به والد أبناءه، وقد سبق الموت إلى أوسطهم محمّد فرثاه بداليّةٍ مشهورةٍ يقول فيها:

توخّى حمام الموت أوسط صبيتي. فللّه كيف اختار واسطة العقدِ؟!
على حين شُمت الخير في لمحاته وآنست من أفعاله آية الرشدِ

ومنها في وصف مرضه:

لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه فلم ينس عهد المهد إذْ ضمّ في اللحد
ألحّ عليه النزف حتّى أحاله إلى صفرة الجاديّ[1] عن حمرة الوردِ
وظلّ على الأيدي تساقط نفسه ويذوي كما يذوي القضيب من الرندِ[2]

ويذكر فيها أخويه الآخرين:

محمّد! ما شيء توهّم سلوة لقلبيَ إلاّ زاد قلبي من الوجدِ
أرى أخويك الباقيين كليهما يكونان للأحزان أورى من الزندِ
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا فؤادي بمثل النّار عن غير ما عمدِ
فما فيهما لي سلوةٌ بل حزازةٌ يُهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

أمّا ابنه هبة الله فقد ناهز الشباب على ما يفهم من قوله في رثائه.

يا حسرتا فارقتني فنناً غضّاً ولم يثمر ليَ الفننُ
أبُنيَّ! إنّك والعزاء معاً بالأمس لُفَّ عليكما كفنُ

وفي الديوان أبيات يرثي بها ابناً لم يذكر اسمه وهي:

حماه الكرى همٌّ سرى فتأوّبا فبات يراعى النجم حتّى تصوّبا
أعينيَّ جودا لي فقد جدتُ للثرى بأكثر ممّا تمنعان وأطيبا
بُنيّ الذي أهديته أمس للثرى فللّه ما أقوى قناتي وأصلبا

---

(١) الجادي: الزعفران.

(٢) يذوى من ذوى النبات وذوي: ذبل ونشف ماؤه. الرند: نبات من شجر البادية طيب الرائحة يشبه الآس.

فإن تمنعاني الدمع أرجع إلى أسى   إذا فترت عنه الـدموع تلهّبـا

وهي على الأرجح رثاؤه لأصغر أبنائه الّذي لم يذكر اسمه ولا ندري هل مات قبل أخيه أو بعده؟!؟! ولكن يخيَّل إلينا من المقابلة بين هذه المراثي أنّ الأبيات البائيَّة كانت آخر ما رثى به ولداً لأنَّها تنمُّ عن فجيعة رجل راضه الحزن على فقد البنين حتّى جمدت عيناه ولم يبق عنده من البكاء إلّا الأسى الملتهب في الضلوع، وإلّا العجب من أن يكـون قد عـاش وصلبت قناتـه لكلِّ هـذه الفجائع، وقد كان رثاؤه لابنه الأوسط صرخة الضربة الاولى، ففيها ثورةٌ لا عجةٌ تحسّ من خلل الأبيات، ثمَّ حلَّ الألم المرير محلَّ الألم السوار في مصيبتـه الثانية، فوجم وسكن واستعبر، ثمَّ كانت الخاتمة فهو مستسلمٌ يعجب للحزن كيف لم يقض عليه، ويحسّ وقدة المصاب في نفسه ولا يحسّه في عينيه، ولقد غشيت غبرة الموت حياته كلّها، وماتت زوجته بعد موت أبنائه جميعاً فتمّت بها مصائبه وكبر عليه الأمر. إلخ.

تعليمه:

ذلك كلّ ما استطعنا أن نجمعه من الأخبار النافعة عن نشأة الشاعر وأهله ولا فائدة من البحث في المصادر التي بين أيدينا عن أيّام صباه وتعليمه ومن حضر عليهم وتتلمذ لهم من العلماء والرُّواة فإنَّ هذه المصادر خلوٌ ممّا يُفيد في هذا المقام إلّا ما جاء عرضاً في الجزء السادس من « الأغاني » حيث يروي ابن الرومي عن أبي العبّاس ثعلب عن حمّاد بن المبارك عن الحسين بن الضحّاك. وحيث يروي في موضع آخر عن قتيبة عن عمر السكوني بالكوفة عن أبيه عن الحسين بن الضّحاك، فيصحّ أن تكون الرِّواية هنا رواية تلميذ عن استاذ، لأنّ ثعلباً ولد سنة مائتين فهـو أكبر من الشـاعر بـإحدى وعشـرين سنة، أمّـا قتيبة (والمفهـوم أنّه أبـو رجاء قتيبـة بن سعيد بن جميـل الثقفي المحـدِّث العـالم المشهور) فجائزٌ أن يكون ممَّن أملوا عليه وعلَّموه لأنّه مات وابن الرومي يُناهز العشرين.

وقد مرَّ بنا أنَّه كان يختلف إلى محمَّد بن حبيب الراوية النسّابة الكبير، وسنرى هنا أنَّه كان يرجع إليه في بعض مفرداته اللغويَّة فيذكر شرحها في ديوانه معتمداً عليه قال بعد قوله:

وأصدق المدح مدح ذي حسدٍ ملآن من بغضه ومن شنفِ

قال لي محمَّد بن حبيب: الشنف ما ظهر من البغضة في العينين وأشار إليه بعد بيت آخر وهو:

بانوا فبان جميل الصبر بعدهمُ فللدموع من العينين عينانُ

إذْ فسّر كلمة « عينان » فروى عن ابن حبيبٍ أنَّه قال: عان الماء يعين عيناً وعيناناً إذا ساح. فهؤلاء ثلاثة من أساتذة ابن الرومي على هذا الاعتبار ولا علم لنا بغيرهم فيما راجعناه وحسبنا مع هذا أنَّ الرجل - كيفما كان تعليمه وأيّاً كان معلّموه - قد نشأ على نصيبٍ وافٍ من علوم عصره، وساهم في القديم والحديث منها بقسطٍ وافرٍ في شعره فلو لم يقل المعرِّي: إنَّه كان يتعاطى الفلسفة، والمسعودي: انَّ الشعر كان أقلّ آلاته ،لعلمنا ذلك من شواهد شتّى في كلامه، فهي هناك كثيرةٌ متكرّرةٌ لا يلمُّ المتصفِّح ببعضها إلاّ جزم باطِّلاع قائلها على الفلسفة ومصاحبة أهلها واشتغاله بها، حتّى سرت في اسلوبه وتفكيره، وما كان متعلِّم الفلسفة في تلك الأيّام يصنع أكثر من ذلك ليتعلّمها أو ليعدّ من متعلّميها، فأنت لا تقرأ لرجل غير مشتغل أو ملمّ بالفلسفة والقياس المنطقيِّ والنجوم كلاماً كهذا الكلام :

لِما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ
وإلاّ فما يُبكيه منها وأنَّها لأرحب ممّا كان فيه وأرغدُ؟!

وذكر شواهد كثيرة على إلمامه بالعلوم ومعرفته بمصطلحاتها غضضنا الطرف عنه اختصاراً.

رسائل ابن الرومي:

وقد وردت في أبياته الهمزيَّة إشارة إلى حذقه في الكتابة، ومشاركته في

البلاغة المنثورة تعزِّزها إشارة مثلها في هذا البيت:

ألم تجـدوني آلَ وهب لمـدحكم بشعري ونثري أخطلاً ثم جاحـظا؟

فلا بدَّ أنَّه كان يكتب ويمارس الصناعـة النثريَّـة إلاّ ما استجمعنـاه من منثوراته لا يعدو نبذاً معدودةً موجزة، منها: رسالةٌ إلى القاسم بن عبيد الله يقول فيها متنصِّلاً.

١ ـ ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً، فوالله إنّي لأُطالب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة ممّا لا أعـرفه، لتـزداد تطوّلاً وأَزداد تذلّلاً، وأنا أُعيذ حالي عندك بكرمك من واشٍ يكيدها، وأحرسها بوفائك من باغٍ يحاول إفسادها، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظّي منك بقدر ودّي لك ومحلّي من رجائك بحيث أستحقُّ منك. والسَّلام.

٢ ـ رسالةٌ كتبها يعود صديقاً: أذن الله في شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومسح بيد العـافية عليـك، ووجَّه وفـد السَّلامـة إليك، وجعـل علَّتك مـاحيةً لذنوبك، مضاعفةً لثوابك.

٣ ـ كتب إلى صديق له قَدِم من «سيراف»[1] فأهدى إلى جمـاعة من إخوانه ونسيه: أطال الله بقاءك وأدام عزَّك وسعادتك وجعلني فداءك، لولا أنَّني في حيرة من أمري وشغل من فكري لمـا افترقنـا، وشوقي علـم الله فغـالبٌ، وظمأي فشديدٌ، وإلى الله الرغبة في أن يجعل القدرة على اللقاء حسب المحبَّة إنه قادرٌ جوادٌ.

ومكاننا من جميل رأيك أيَّدك الله يبعثنا على تقاضي حقوقنا قبلك، وكريم سجاياك وأخلاقك يُشجِّعنـا على إمضاء العـزم في ذلك، ومـا تطوَّلت بـه من

(١) سيراف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس، منها إلى شيراز ستون فرسخاً.

الإينـاس يؤنسنا بـك ويبسطنـا إليك، وآثـار يديـك تدلّنـا عليك، وتشهـد لنا بسماحتك؛ والله يُطيل بقاءك ويديم لنا فيك وبك السعادة.

وبلغني أدام الله عزَّك أنَّ سحائب تفضّلك أمـطرت منذ أيّـام مطراً عمّ إخـوانك بهـدايا مشتملة على حسن وطيب، فـأنكرت على عـدلـك وفضلك خروجي منها مع دخولي في جملة من يعتدُّك ويعتقدك وينحوك ويعتمدك؛ وسبق إلى قلبي من ألم سوء الظنِّ برأيك أضعاف ما سبق إليه من الألم بفوت الحظّ من لطفك، فرأيت مداواة قلبي من ظنِّـه، وقلبك من سهـوه، واستبقاء الـودِّ بيننا بالعتاب الذي يقول فيه القائل: (ويبقى الودّ ما بقي العتابُ) وفيما عاتبت كفايةٌ عند من له أُذنك الواعية وعينك الراعية.

٤ - وقـال في تفضيـل النرجس على الـورد: النـرجس يشبـه الأعين والمضاحك، والورد يشبه الخدود، والأعين والمضاحك أشرف من الخدود، وشبيه الأشرف أشرف من شبيه الأدنى، والورد صفةٌ لأنَّه لونٌ والنرجس يضارعه في هذا الاسم، لأنّ النرجس هو الريحان الوارد أعني أنَّه أبداً في الماء، والورد خجل، والنرجس مبتسم، وانظر أدناهما شبهاً بالعيون فهو أفضل.

هذه نماذج من منثوراته لا نعرف غيرها فيما بين أيدينا، وخليقٌ بمن يكتب بهذا الاسلوب أن يُعدَّ في بُلغاء الكتّاب وإن لم يُعدَّ في أبلغهم، على أنّ ابن الرومي لم يكن يحسب نفسه إلّا مع الشعراء إذا اختلفت الطوائف، فإنّه يقول عن نفسه وهو يمدح أبا الحسين كاتب ابن أبي الأصبع:

ونحن معـاشر الشعـراء تنمى إلى نسب من الـكتّـاب دانِ
وإن كـانـوا أحق بكـلِّ فضـل وأبلغ بـاللسـان وبـالبيـان
أبـونـا عنـد نسبتنـا أبـوهم عـطارد السمـاويُّ المكـانِ

أمّا حظّه من علوم العربيَّة والـدين فمن المفضول أن نتعـرَّض لإحصاء الشواهد عليه في كلامه، لأنَّه أبين من أن يحتاج إلى تبيين. وندر في قصائده المطوَّلة أو الموجزة قصيدةٌ تقرأها ولا تخرج منها وأنت موقنٌ باستبحار ناظمها في

اللغة وإحاطته الواسعة بغريب مفرداتها وأوزان اشتقاقها وتصريفها وموقع أمثالها وأسماء مشاهرها، وما يصحب ذلك من أحكام في الدين ومقتبسات من أدب القرآن، فليس في شعر العربيّة مَن تبدو هذه الشواهد في كلامه بهذه الغزارة والدقَّة غير شاعرين اثنين: أحدهما صاحبنا والثاني المعرّي، وقد كان يمدح الرؤساء والادباء أمثال عبيد الله بن عبد الله، وعليّ بن يحيى، وإسماعيل بن بلبل فيفسِّر غريب كلماته في القرطاس الذي يثبت فيه قصائده كأنَّه كان يشفق أن تفوتهم دقائق لفظه وأسرار لغته ثمَّ يعود إلى الاعتذار من ذلك إذا أنس منهم الجفوة والتغيّر.

لم أُفسِّر غريبها لك لكن ... لامرئٍ يجهل الغريب سواكا

لغيرك لا لك التفسير أنّي ... يُفسَّر لابن بجدتها الغريبُ

وكانوا لشهرته باللغة وعلم أسرارها ولطيف نكاتها يختلقون له الكلمات النافرة يسألونه عنها ليعبثوا به أو يعجزوه، وقصَّة «الجرامض» إحدى هذه المعابثات التي تدلّ على غيرها من قبيلها، فقد سأله بعضهم في مجلس القاسم بن عبيد الله: ماالجرامض؟! فارتجل مجيباً:

وسألت عن خبر الجرا ... مض طالباً علم الجرامضْ

وهو الخزا كل والغوا ... مض قد تفسّر بالغوامضْ

وهو السلجكل شئت إذْ ... لك أم أبيت بفرض فارضْ

وكلّها كلمات من مادَّة الجرامض لا معنى لها ولا وجود، وإذا صحَّ استقراؤنا وكان من أساتذته أمثال ثعلب وقتيبة فضلاً عن الاستاذيَّة الثابتة لابن حبيب فلا جرم يصير ذلك علمه بالغريب والأنساب والأخبار، هؤلاء كلّهم من نخبة النخبة في هذه المطالب، ولا سيّما إذا أعانهم تلميذٌ ذو فطنة متوقِّدة الفهم وذاكرة سريعة الحفظ كهذا التلميذ، فقد مرَّ بك أنَّه كان يحفظ الأبيات الخمسة من قراءةواحدة، فهب في الرِّواية بعض مبالغة كالتي تتعرَّض لها أمثال هذه الرِّوايات فهو بعدُ سريع الحفظ وهذا ممّا يعينه على تحصيل اللغة وتعليق المفردات.

عاش ابن الرومي حياته كلّها في بغداد لا يفارقها قليلاً حتّى يعود سريعاً وقد نازعه إليها الشوق وغلبه نحوها حنين، وكانت بغداد يومئذٍ عاصمة الدنيا غير مدافع، وكان صاحب صنيعة ومالك دارين وثراء وتحف موروثة منها قدح زعم أنَّه كان للرشيد ووصفه في شعره لَمّا أهداه إلى عليّ بن المنجم يحيى :

قـدحٌ كـان للرشيـد اصـطفـاهُ　　خلفٌ من ذكـوره غيـر خلفِ
كفم الحبِّ في الحلاوة بل أحلـ　　ـى وإن كان لايناغي بحرفِ
صيغ من جـوهر مصفًّى طباعاً　　لا عــلاجــاً بكيميــاء مصفِّ
تنفـذ العين فيـه حتّى تـراهـا　　أخـطأتـه من رقَّــة المستشفِّ
كهــواه بــلا هبــاءٍ مشــوب　　بضيــاء أرقـق بــذاك وأصفِ

ثمَّ استوعب الكلام في البحث عن مزاجه وأخلاقه ومعيشته وما كـانت تملكه يده وذكرى مطاياباته ومفاكهاته وهجاؤه وفشله وطيرته من ص ١٠٢ ـ ٢٠٣ فشرع في بيان عقيدته (وهناك مواقع للنظر) وقال:

عقيدته

تقدَّم في الكلام عن الحالة الدينيَّة في القرن الثالث للهجرة أنَّه كان عصراً كثرت فيه النحل والمذاهب وقلَّ فيه من لا يرى في العقائد رأياً يفسِّر به إسلامه ويخلصه بين جماعة الدارسين وقرّاء العلوم الحديثة.

فابن الرّومي واحدٌ من هؤلاء القرّاء لا ننتظر أن تمرَّ به هذه المباحث التي كان يدرسها ويحضر مجالسها ويسمع من أهلها بغير أثر محسـوس في تفسير العقيدة، فكان مسلماً صادق الإسلام، ولكنَّه كان شيعيّاً معتزليّاً قـدريّاً يقـول بالطبيعتين، وهي أسلم النحل التي كانت شائعة في عهـده من حيث الإيمان بالدين.

وقد قال المعرّي في رسالة الغفران: إنّ البغداديّين يدَّعـون أنَّه متشيِّـع ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيميّة ثمَّ عقب على ذلك فقال: ما أراه إلاّ على مذهب غيره من الشعراء.

ولا ندري لِماذا شكَّ المعرّي في تشيّعه لأنّه على مذهب غيره من الشعراء، فإنَّ الشعراء إذا تشيَّعوا كانوا شيعة حقاً كغيرهم من الناس، وربما أفرطوا فزادوا في ذلك على غيرهم من عامّة المتشيِّعين، وإنّما نعتقد أنَّ المعرّي لم يطَّلع على شعره كلّه فخفيت عنه حقيقة مذهبه ولولا ذلك لما كان بهذه الحقيقة من خفاء.

على أنَّ القصيدة الجيميَّة وحدها كافية في إظهار التشيّع الذي لا شكَّ فيه ، لأنَّ الشاعر نظمها بغير داعٍ يدعوه إلى نظمها من طمع أو مداراة، بل نظمها وهو يستهدف للخطر الشديد من ناحية بني طاهر وناحية الخلفاء، فقد رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي الثائر في وجه الخلافة ووجه أبناء طاهر ولاة خراسان، وقال فيها يخاطب بني العبّاس ويذكر (ولاة السوء) من أبناء طاهر:

أجنوا بني العبّاس من شنآتكم ... وأوكوا على ما في العياب وأشرجوا
وخلّوا ولاة السوء منكم وغيَّهم ... فأحرى بهم أن يغرقوا حيث لجَّجوا
نظار لكم أن يرجع الحق راجعٌ ... إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
على حين لا عذري لمعتذريكمُ ... ولا لكمُ من حجَّة الله مخرجُ
فلا تلحقوا الآن الضغائن بينكم ... وبينهمُ إنَّ اللواقح تنتجُ
غررتم لئن صدَّقتمُ أنَّ حالة ... تدوم لكم والدهر لونان أخرجُ
لعلَّ لهم في منطوى الغيب ثائراً ... سيسمو لكم والصبح في الليل مولجُ

فماذا يقول الشيعي لبني العبّاس أقسى وأصرح في التربّص بدولتهم وانتظار دولة العلويِّين من هذا الكلام؟! فقد أنذر بني العبّاس بزوال الملك وكاد يتمنّى ـ أو تمنّى ـ لبني عليّ يوماً يهزمون فيه أعداءهم، ويرجعون فيه حقَّهم، ويطلبون تراثهم، وينكلون بمن نكل بهم، وهواه ظاهرٌ من العلويِّين لا مداجاة فيه كهوى كلِّ شيعيّ في هذا المقام. على أنَّه كان أظهر من هذا في النونيَّة التي تمنّى فيها هلاك أعدائهم ولام نفسه على التقصير في بذل دمه لنصرتهم:

إن يوالي الدهر أعداءً لكم　　فلهم فيه كمينٌ قد كمنْ
خلعوا فيه عذار المعتدي　　وغدوا بين اعتراضٍ وأرنْ
فاصبروا يهلكهم الله لكم　　مثل ما أهلك أذواء اليمنْ
قرب النصر فلا تستبطئوا　　قرب النصر يقيناً غير ظنْ
ومن التقصير صوني مهجتي　　فعل من أضحى إلى الدنيا ركنْ
لا دمي يُسفك في نصرتكم　　لا ولا عرضيَ فيكم يمتهنْ
غير أنّي باذلٌ نفسي وإن　　حقن الله دمي فيما حقنْ
ليت إنّي غرضٌ من دونكم　　ذاك أو درعٌ يقيكم ومجن
أتلقّى بجبيني مَن رمى　　وبنحري وبصدري من طعنْ
إنَّ مبتاع الرضى مِن ربِّه　　فيكمُ بالنفس لا يخشى الغبنْ

وليس يجوز الشكُّ في تشيّع من يقول هذا القول ويشعر هذا الشعور، فإنّه يعرض نفسه للموت في غير طائل حبّاً لبني عليٍّ وغضباً لهم وإشهاراً لهم لعاطفة لا تفيده ولا تفيدهم؛ وقد كان لا يذكر يحيى بن عمر إلّا بلقب الشهيد كما ذكره في القصيدة الجيميَّة وفي خاطرة اخرى مفردة نظمها في هذين البيتين:

كسته القنا حلّة من دمٍ　　فأضحت لدى الله من ارجوانِ
جزته معانقة الدارعـ　　ـين معانقة القاصرات الحسان

وبعض هذا يكفي في الدلالة على تشيّعه للطالبيِّين واتّخاذه التشيّع مذهباً في الخلافة كمذهب الشعراء أو غير الشعراء ولا سيَّما التشيّع المعتدل الذي يقول أهله بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، ويستنكرون لعن الصحابة الذين عارضوا عليّاً في الخلافة، ومعظم هؤلاء من الزيديَّة الذين خرجوا في جند يحيى بن عمر لقتال بني العبّاس، فهم لا يقولون في نصرة آل عليّ أشدَّ ممّا قال ابن الرومي، ولا يتمنّون لهم أكثر ممّا تمنّاه.

ويلوح لنا أنّ ابن الرومي ورث التشيّع وراثة من امّه وأبيه لأنّ امّه كانت فارسيَّة الأصل فهي أقرب إلى مذهب قومها الفرس في نصرة العلويِّين، ولأنَّ أباه سمّاه عليّاً وهو من أسماء الشيعة المحبوبة التي يتجنّبها المتشدِّدون من أنصار

الخلفاء، ولا حرج على أبي الشاعر أن يتشيَّع وهو في خدمة بيت من بيوت العبَّاسيِّين، لأنَّ مواليه كانوا اناساً بعيدين مِن الخلافة وولاية العهد وهما علّة البغضاء الشديدة بين العباسيِّين والعلويِّين وقد اتَّفق لبعض الخلفاء وولاة العهد أنفسهم أنّهم يكرمون عليّاً وأبناءه كما كان مشهوراً عن «المعتضد» الخليفة الذي أكثر ابن الرّومي من مدحه، كما كان مشهوراً عن «المنتصر» وليّ العهد الذي قيل: إنَّه قتل أباه «المتوكِّل» جريرة ملاحاة وقعت بينهما في الذبِّ عن حرمة عليٍّ وآله (ثمَّ قال بعد استظهار تشيع بني طاهر ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩):

وإنَّ أحق عقيدة أن يجدَّ المرء فيها لعقيدةٌ تُجرِّئُه إذا خاف، وتبسط له العذر والعزاء إذا سخط من صروف الحوادث، وتمهِّد له الأمل في مقبل خير من الحاضر، وأدنى منه إلى كشف الظلمات وردِّ الحقوق، وكلّ اولئك كان ابن الرومي واجده على أوفاه في التشيّع للعلويِّين أصحاب الإمامة المنتظرة في عالم الغيب على العباسيِّين أصحاب الحاضر الممقوت المتمنّى زواله، فلهذا كان متشيِّعاً في الهوى، متشيِّعاً في الرَّجاء، وكان على مذهب غيره من الشعراء وعلى مذهب غيره من سائر المتشيِّعين.

أمّا الاعتزال فابن الرّومي لا يكتمه ولا يماري فيه، بل يظهره إظهار معتزٍّ به حريصٍ عليه فمن قوله في ابن حريث:

معتزلي مسرٌّ كفر ... يُبدي ظهوراً لها بطونُ
أأرفض الاعتزال رأياً ... كلّا لأنِّي به ضنينُ
لو صحَّ عندي له اعتقادٌ ... ما دنتُ ربي بما يدينُ

وكان مذهبه في الاعتزال مذهب القدريَّة الذين يقولون بالاختيار وينزِّهون الله عن عقاب المجبَر على ما يفعل، وذلك واضحٌ من قوله يخاطب العبّاس بن القاشي ويناشده صلة المذهب:

إن لا يكن بيننا قربى فآصرةٌ ... للدين يقطع فيها الوالد الولدا
مقالة العدل والتوحيد تجمعنا ... دون المضاهين مَن ثنّى ومَن جحدا
وبين مستطرفي غيٍّ مرافقة ... ترعى فكيف اللذان استطرفا رشدا

كن عند أخلاقك الزهر التي جعلت　　عليك موقوفةً مقصورةً أبدا
ما عذر (معتزليٍّ) موسر منعت　　كفّاه معتزليّاً مقتراً صفدا؟!
أيزعم القدر المحتوم أثبطه؟!　　إن قال ذاك فقد حلَّ الذي عقدا
أم ليس مستأهلاً جدواه صاحبه؟!　　أنّى ؟! وما جار عن قصدٍ ولا عندا
أم ليس يمكنه ما يرتضيه لـه ؟!　　يكفي أخاً من أخٍ ميسور ما وجدا
فلا عذر فيما يُريني الرأي أعلمه　　للمرء مثلك ألّا يأتيَ السَّددا

فواضحٌ من كلامه هذا أنّه (معتزليّ) وأنَّه من أهل العدل والتوحيد وهو الأسم الذي تسمّى به القدريَّة لأنَّهم ينسبون العدل إلى الله فلا يقولون بعقوبة العبد على ذنب قُضيَ له وسبق إليه، ولأنَّهم يوحِّدون الله فيقولون: إنَّ القرآن من خلقه وليس قديماً مضاهياً له في صفتي الوجود والقِدم، وقد اختاروا لأنفسهم هذا الاسم ليردّوا به على الَّذين سمّوهم القدريَّة ورووا فيهم الحديث (القدريَّة مجوس هذه الامَّة) فهم يقولون: ما نحن بالقدريَّة لأنَّ الذين يعتقدون القدر أولى بأن ينسبوا إليه، إنَّما نحن من أهل العدل والتوحيد لأنَّنا ننزّه الله عن الظلم وعن الشريك.

وواضحٌ كذلك من كلامه أنَّه يعتقد حريَّة الإنسان فيما يأتي من خير وشرّ، ويحتجُّ على زميله بهذه الحجَّة فيقول له: لِمَ لا تثنيني ؟ إن قلت :إنَّ القدر يمنعك، فقد حللت ما اعتقدت من اختيار الإنسان في أفعاله، وإن قلتَ: إنّك لا تريد؟! فقد ظلمت الصداقة وأخللت بالمروءة. وله عدا هذا أبياتٌ صريحةٌ في اعتقاد (الاختيار) وخلق الإنسان لأفعاله كقوله:

لولا صروف الاختيار لأعنقوا　　لهوى كما اتَّثقت جمال قطار

وقوله:

أنّى تكون كذا وأنت مخَيَّرٌ　　متصرِّفٌ في النقض والإمرارِ؟!

وقوله :

الخير مصنوعٌ بصانعه　　فمتى صنعت الخير أعقبكا

والشـــرُّ مفعـــولٌ بفـــاعـله   فمتى فعلت الشرَّ أعطبكـا

إلّا أنَّه كان يقول بـالقَدَرِ في تقسيم الأرزاق وأنَّ:

الـرزق آتٍ بـلا مـطالبـةٍ   سيّـان مدفـوعهُ ومجتـذبـهْ

ويقول:

أمـا رأيت الفجاج واسعـة   والله حيّاً والرزق مضمونا؟!؟!؟!

(قال الأميني): هذا في الرِّزق الذي يطلبك لا في الرزق الذي تطلبه كما فصَّله الحديث، ولا تناقض عند القدريَّة في هذا، لأنَّهم يقولون بالاختيار فيما يُعاقب عليه الإنسان ويُثاب لا فيما يناله من الرِّزق وحظوظ الحياة.

أمَّا القول بالطبيعتين فأوضح ما يكون في قوله.

فينـا وفيك طبيعـةٌ أرضيَّـةٌ   تهـوي بنا أبـداً لشرِّ قـرارِ

هبـــطت بـــآدم قبلنـــا وبـــزوجـــه   مـن جنة الـفـردوس أفضـل دارِ

فتعوَّضا الدنيا الدنيَّة كاسمها   من تلكم الجنّات والأنهارِ

بئست لعمرِ الله تلك طبيعةً   حرمت أبانا قرب أكرم جارِ

واستأسرت ضعفى بنيه بعده   فهمُ لها أسرى بغيـر إسارِ

لكنّهـا مـأســورةٌ مقصـورةٌ   مقهورة السلطان في الأحرارِ

فجسـومهم من أجلهـا تهـوى بهم   ونفوسهم تسمو سمـوّ النارِ

لولا منازعة الجسوم نفوسهم   نفروا بسورتهـا من الأقطارِ

أو قصَّروا فتناولـوا بأكفّهم   قمر السماء وكلّ نجمٍ سارِ

(قال الأميني): لقد عزى الكاتب ها هنا إلى المترجَم هنات لا مقيل لها في مستوى الحقيقة، ومنشـأ ذلك بُعـده عن علم الأخلاق وعـدم تعقّله معنى الشعر، فحسبه منافياً للتوحيد الذي جاء به نبيُّ الإسلام، لكن العـارف بأساليب الكلام، العالم بما جبل به الإنسان من الغرائز المختلفة لا يكاد يشكُّ في صحَّة معنى الشعر، وهو يُعرب عن إلمام ابن الرومي بالأخلاق، والمتكفِّل لتفصيل هذه الجملة كتب الأخلاق وما يضاهيها، ولخروج البحث عن موضوع الكتاب

ضربنا عنه صفحاً .

قال: وابن الرومي كان مفطوراً على التديّن لأنَّه كان مفطوراً على التهيّب والاعتماد على نصير، وهما منفذان خفيّان من منافذ الإيمان والتصديق بالعناية الكبرى في هذا الوجود، ومن ثمَّ كان بالله مؤمناً خوفاً من الشكّ، مقبلاً على التسليم بسيطاً في تسليمه بساطة من يهرب من القلق ويؤثر السكينة على أيِّ شيء، وبلغ من بساطته أنَّه كان يُنكر على الحكماء الذين يشكّون في حفظ أجساد الأتقياء بعد الموت ويحسبونه من فعل الدواء والحنوط، فقال لابن أبي ناظرة حين تذوَّق بعض الأجساد ليعلم ما فيها من عوامل البقاء:

يا ذائق الموتى ليعلم هل بقوا ... بعد التقادم منهمُ بدواءِ
بيّنتَ عن رعةٍ وصدق أمانةٍ ... لولا اتّهامك خالق الأشياءِ
أحسبتَ أنَّ الله ليس بقادرٍ ... أن يجعل الأموات كالأحياءِ؟!
وظننتَ ما شاهدتَ من آياته ... بلطيفة من حيلة الحكماءِ؟!

ومات وهو يقول في ساعاته الأخيرة:

ألا إنّ لقاء الله هولٌ دونه الهولُ

وما كانت الطيرة عنده إلّا شعبة من ذلك التهيّب الدينيّ الغريزيّ، فهو يتفلسف ويرى الآراء في الدين ولكن في حدودٍ من الشعور لا في حدودٍ من التفكير، ولهذا كان الفنّان ولم يكن الفيلسوف.

(**قال الأميني**): الطيرة ليست من شعب الدين، ولا يركن إليها أيُّ خاضع له وملأ مسامعه قول الصّادع به ﷺ: لا طيرة ولا حام. وإنَّما هي من ضعف النفس غير المتقوِّية بنور اليقين والتوكّل على الله في ورد وصَدَر، ولذا كانت شائعة في الجاهليَّة ونفاها الإسلام.

قال: وليس من الاجتراء أنَّه قال بالاختيار ورأى له في الدين رأياً غير ما اصطلح عليه السواد فإنّه كان يحيل الذنب على الإنسان وينفي الظلم عن القدَر في العقاب والثواب، ويتصوَّر الله على أحسن ما يتصوَّر المتفلسف مثله إلّهه،

فكأنّما جاءه هذا الرأي من مجاباة عالم الغيب لا من الاجتراء عليه، وإنّما دفع به إلى رأي المعتزلة مخاوف الشكوك التي كانت تخامره، فلا يستريح حتى يسكن فيها إلى قرار، وينتهي فيها إلى برِّ الأمان، لذلك كان يأوي إلى الأصدقاء يكاشفهم بما في صدره ويستعين بهم على تفريج غمَّته.

ويدمج أسباب المودَّة بيننا   مودَّتنا الأبرار من آل هاشمِ
وإخلاصنا التوحيد لله وحدهُ   وتذبيبنا عن دينه في المقاومِ
بمعرفةٍ لا يقرع الشكّ بابها   ولاطعن ذي طعن عليها بهاجمِ
وإعمالنا التفكير في كلِّ شبهة   بها حجَّة تعيي دهاة التراجمِ
يبيت كلانا في رضى الله ماحضاً   لحجَّته صدراً كثير الهماهمِ

بيد أنّ الإيمان شيءٌ وأداء الفرائض الدينيَّة شيءٌ آخر، فقصارى الإيمان عنده أنّه يؤمِّنه بقرب آل البيت وتنزيه ربِّه والاطمئنان إلى عدله ورحمته، ثمَّ يدع له سبيله يلعب ويمرح كلّما لذَّ له اللعب والمرح، ولا أهلاً بالصيام إذا قطع عليه ما اشتهى من لذَّة وأرب.

فلا أهلاً بمانع كلِّ خير   وأهلاً بالطعام وبالشَّراب

بل لا حرج عليه إذا قضى ليلة في السرور أن يشبِّهها بليلة المعراج.

رفعتنا السعود فيها إلى الفو   ز فكانت كليلة المعراج

ذلك أنَّه كان في تقواه طوع الإحساس الحاضر، كما كان في كلِّ حالة من حالاته يلعب، فلا يبالي أن يتماجن حيث لا يليق مجونٌ، ويستحضر التقوى والخشوع فلا يُباريه أحدٌ من المتعبِّدين، ويخيَّل إليك أنَّك تستمع إلى متعبِّد عاش عمره في الصوامع حين تستمع إليه يقول:

تتجافى جنوبهم   عن وطيء المضاجعِ
كلّهم بين خائفٍ   مستجيرٍ وطامعِ
تركوا لذّة الكرى   للعيون الهواجعِ
ورعوا أنجم الدُّجى   طالعاً بعد طالعِ

لـو تـراهـم إذا هـمُ   خـطروا بـالأصـابـعِ
وإذا هـم تـأوَّهـوا   عـنـد مـرِّ الـقـوارعِ
وإذا بـاشـروا الثـرى   بـالخـدود الضـوارعِ
واسـتهـلّت عـيـونـهـم   فـائضـات المـدامـعِ
ودعـوا: يـا مليكـنـا   يـا جميـل الصنـائـعِ
اعـف عنّـا ذنـوبـنـا   للوجـوه الخـواشـعِ
اعـف عنّـا ذنـوبـنـا   لـلعـيـون الـدوامـعِ
أنت إن لم يـكن لـنـا   شـافعٌ خيـر شـافـعِ
فـأجـيـبـوا إجـابـةً   لم تقـع في المسامـعِ
ليس ما تصـنعـونـه   أولـيـائـي بـضـائـعِ
أبـذلـوا لي نفـوسكم   إنَّـهـا فـي ودائـعـي

وله من طراز هذا الشعر الخاشع كثيرٌ لا تسمعه من ابن الفارض ولا محيي الدين.

(**قال الأميني**): ليس ما ارتآه ابن الرومي في باب الاختيار نتيجة مخامرة الشبه والشكوك كما يراه (المترجِم) وإنّما هي وليدة البرهنة الصادقة، وانّه لم يعط القدر حقّه محاباةً له، لكن الحجج الدامغة ألجأته إلى ذلك، وكذلك ما يقوله في باب الأرزاق فهي تقادير محضة غير أن الإنسان كلِّف بتحرّي الأسباب الظاهريَّة جرياً على النواميس الإلّهيَّة المطَّردة في النظام العالميِّ الأتمّ، وهذه مسائل كلاميَّة لا يروقنا الخوض فيها إلّا هنالك.

وأمّا اعتماد ابن الرومي على العدل والرحمة وتنزيه ربِّه، فهو شأن كلِّ مؤمن بالله عارف بكمال قدسه وصفاته الجلاليَّة، وليس قرب أهل البيت الطاهر عليهم السَّلام إلّا نتيجة مودَّتهم التي هي أجر الرسالة بنصّ من الذكر الحكيم، وإنَّما مثلهم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق، وهم عدل الكتاب وقد خلفهما رسول الله ﷺ بعده وقال: ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، فأحرِ بهم أن يكون القرب منهم مؤمِّناً للإنسان نشأته الاخرى، وأمّا ما

عزاه إليه من مظاهر من المجون فهي معان شعريّة لا يؤاخذ بها القائل، وكم للشعراء الأعفّاء أمثالها.

هجاؤه:

أخرج القرن الثالث للهجرة شاعرين هجّاءَين، هما أشهر الهجّائين، في أدب العصور الإسلاميَّة عامَّة: أحدهما ابن الرومي. والآخر دعبل الخزاعي، هاجي الخلفاء والأمراء وهاجي النّاس جميعاً وقال:

إنّي لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقد جمع المعرّي بينهما في بيت واحد وضرب بهما المثل لهجاء الدهر لبنيه فقال:

لو أنصف الدهر هجا أهله   كأنَّه الروميُّ أو دعبلُ

وليس للمؤرِّخ الحديث أن يضيف إسماً جديداً إلى هذين الاسمين فإنَّ العصور التالية للقرن الثالث لم تخرج من يضارعهما في قوَّة الهجاء والنفاذ في هذه الصناعة، وكلاهما مع هذا نوعٌ فذٌّ في الهجاء يظهر متى قرن بالآخر.

فدعبل كما قلنا في غير هذا الكتاب (لا يهمّنا ما ذكره في دعبل).

أمّا ابن الرومي فلم يكن مطبوعاً على النفرة من الناس، ولم يكن قاطع طريق على المجتمع في عالم الأدب، ولكنَّه كان فنّاناً بارعاً اوتي ملكة التصوير ولطف التخيّل والتوليد وبراعة اللعب بالمعاني والأشكال، فإذا قصد شخصاً أو شيئاً بهجاء صوَّب إليه «مصوِّرته» الواعية فإذا ذلك الشيء صورةٌ مهيَّأةٌ في الشعر تهجو نفسها بنفسها، وتعرض للنظر مواطن النقص من صفحتها كما تنطبع الأشكال في المرايا المعقوفة والمحدّبة، فكلّ هجوه تصويرٌ مستحضرٌ لأشكاله، أو لعبٌ بالمعاني على حساب من يستثيره.

وابن الرومي يسلب مهجوَّه الفطنة والكياسة والعلم ويلصق به كلَّ عيوب الحضارة التي يجمعها التبذّل والتهالك على اللذّات، فإذا حذفت من هجوه كلَّ ما أوجبته الحضارة والخلاعة الفاشية في تلك الحضارة فقد حذفت منه شرَّ ما فيه

ولم يبق منه الاّ ما هو من قبيل الفكاهة والتصوير.

وكان لصاحبنا فنّاً واحداً من الهجاء لا ترتاب في أنّه كان يختاره ويكثر منه ولو لم تحمله الحاجة وتُلجئه النقمة إليه، ونعني به فنَّ التصوير الهزليِّ والعبث بالأشكال المضحكة والمناظر الفكاهيَّة والمشابهات الدقيقة، فهو مطبوعٌ على هذا كما يطبع المصوِّر على نقل ما يراه وإعطاء التصوير حقَّه من الإتقان والاختراع، وما نراه كان يقع عنه في شعره ولو بطلت ضروراته وحسنت مع الناس علاقاته، لكن هذا الفنّ أدخل في التصوير منه في الهجاء، وهو حسنة وليس بسيِّئة، وقدرةٌ تُطلب وليس بخلَّة تُنبذ، وأنت لا يغضبك أن ترى ابنك الذي تهذِّبه وتهديه ماهراً فيه خبيراً بمغامزه وخوافيه، وإن كان يغضبك أن تراه يشتم المشتوم ويهين المهين، ويهجو مَن يستهدف غرضه للهجاء؛ لأنّك إذا منعته أن يفطن إلى الصور الهزليَّة وأن يفتن في إدراك معانيها وتمثيل مشابهاتها منعت ملكة فيه أن تنمو وأبيت على حاسته الصادقة فيه أن تصدِّقه وتفقه ما تقع عليه، أمّا إذا منعت الهجاء وبواعثه فإنَّك تمنع خلقاً يستغنى عنه، وميلاً لا بدَّ له من التقويم.

ذلك هو فنُّ ابن الرّوميِّ الذي لا عذر له منه ولا موجب للإعتذار، فأمّا ما عدا ذلك من هجائه فهو مسوقٌ فيه لا سائق، ومدافعٌ لا مهاجم، ومستثارٌ عن عمد في بعض الأحيان لا مستثيرٌ، وإنَّك لتقرأ له قوله:

ما استبَّ قطُّ اثنان إلّا غلبا ... شرّهما نفساً وامّاً وأبا

فلا تصدِّق أنَّ قائله هو ابن الرّومي هجّاء اللغة العربيَّة وقاذف المهجوّين بكُلِّ نقيضة، لكنَّ الواقع هو هذا، والواقع كذلك أنّه كان يسكن إلى رشده أحياناً فيتسأم الهجاء ويعافه ويودُّ الخلاص منه حتّى لو كان مهجوّاً معدوّاً عليه ويعتزم التوبة عن الهجاء مقسماً:

آليت لا أهجو طوا ... ل الدّهر إلّا مَن هجاني

لا بل سأطّرح الهجا ... ءَ وإن رماني مَن رماني

أمن الخلائق كلّهم فليأخذوا منّي أماني
حلمي أعزُّ عليَّ من غضبي إذا غضبي عراني
أولى بجهلي بعد ما مكّنت حلمي من عناني

وهذا أشبه بابن الرومي لأنَّه في صميمه خلق مسالماً سهلاً، ولم يخلق شريراً مطويّاً على الشكس والعداوة، بل هو لو كان شريراً لما اضطرَّ إلى كلِّ هذا الهجاء، أو هو لو كان أكبر شرّاً لكان أقلّ هجاءً، لأنَّه كان يأمن من جانب العدوان فلا يقابله بمثله، وما كان الهجاء عنده كما قلنا إلاّ سلاح دفاع لا سلاح هجوم، وما كان هجاؤه يشفُّ عن الكيد والنكاية وما شابههما من ضروب الشرِّ المستقرِّ في الغريزة، كما كان يشفُّ عن الحرج والتبرّم والشعور بالظلم الّذي لا طاقة له باحتماله ولا باتّقائه، وكثيرٌ من الأشرار الّذين يقتلون ويعتدون ويُفسدون في الأرض يقضون الحياة دون أن تسمع منهم كلمة ذمٍّ في إنسان، وكثيرٌ من النّاس يذمّون ويتسخّطون لأنَّهم على ذلك مطبوعون.

ومن قرأ مراثي ابن الرومي في أولاده وامّه وأخيه وزوجته وخالته وبعض أصدقائه علم منها أنّها مراثي رجل مفطور على الحنان ورعاية الرحم والأنس بالأصدقاء والإخوان، فمراثيه هي التي تدلُّ عليه الدلالة المنصفة وليست مدائحه التي كان يمليها الطمع والرغبة أو أهاجيه التي كان يمليها الغيظ وقلّة الصبر على خلائق الناس، ففي هذه المراثي تظهر لنا طبيعة الرجل لا تشوبها المطامع والضرورات، ونرى فيه الولد البارّ، والأخ الشفيق، والوالد الرحيم، والزوج الودود، والقريب الرؤوف، والصديق المحزون، ولا يكون الرجل كذلك ثمَّ يكون مع ذلك شريراً مغلق الفؤاد مطبوعاً على الكيد والإيذاء.

وإذا اختلف القولان بينه وبين أبناء عصره فأحجى بنا أن نصدِّق كلامه هو في أبناء عصره قبل أن نصدِّق كلامهم فيه، لأنّهم كانوا يستبيحون إيذاءه ويستسهلون الكذب عليه لغرابة أطواره، وتعوَّد الناس أن يصدِّقوا كلَّ ما يُرمى به غريبُ الأطوار من التهم والأعاجيب، في حين أنّه كان يتحاشى عن تلك التهم، ويغفر الإساءة بعد الإساءة مخافةً من كثرة الشكاية وعلماً منه بقلّة الإنصاف.

أتاني مقالٌ من أخٍ فاغتفرته … وإن كان فيما دونه وجه معتب
وذكّرت نفسي منه عند امتعاضها … محاسن تعفو الذنب عن كلّ مذنبِ
ومثلي رأى الحسنى بعين جليَّة … وأغضى عن العوراء غير مؤنّبِ
فيا هارباً من سخطنا متنصِّلاً … هربت إلى أنجى مفرٍّ ومهربِ
فعذرك مبسوطٌ لدينا مقدَّمٌ … وودُّك مقبولٌ بأهلٍ ومرحبِ
ولو بلغتني عنك أُذني أقمتها … لديّ مقام الكاشح المتكذِّبِ
ولست بتقليب اللسان مصارماً … خليلي إذا ما القلب لم يتقلَّبِ

فالرَّجل لم يكن شريراً ولا رديء النفس ولا سريعاً إلى النقمة، فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتدَّ وقوعه في أعراض مهجوّيه؟! نظنُّ أنَّه كان كذلك لأنَّه كان قليل الحيلة طيِّب السريرة خالياً من الكيد والمراوغة والدسيسة وما شابه هذه الخلائق من أدوات العيش في مثل عصره، فكان مستغرقاً في فنّه يحسب أنَّ الشعر والعلم والثقافة وحدها كفيلةٌ بنجاحه وارتقائه إلى مراتب الوزارة والرئاسة، لأنّه كان في زمن يتولّى فيه الوزارة الكتّاب والرُّواة ويجمعون في مناصبهم أُلوف الأُلوف ويحظون بالزلفى عند الأُمراء والخلفاء، وقد كان هو شاعراً كاتباً، وكان خطيباً واسع الرِّواية مشاركاً في المنطق والفلك واللغة، وكلّ ما تدور عليه ثقافة زمان، أو كما قال المسعودي: كان الشعر أقلّ أدواته . . . وكان الشعر وحده كافياً لجمع المال وبلوغ الآمال؛ فماذا بعد أن يعرف الناس أنَّه شاعرٌ وأنَّه كاتبٌ وأنَّه راويةٌ مطّلعٌ على الفلسفة والنجوم؟! إلاّ أن تجيئه الوزارة ساعيةً إليه تخطب ودَّه، كما جاءت إلى اناس كثيرين لا يعلمون علمه، ولا يبلغون في البلاغة مكانه، ألم يصل ابن الزَّيات إلى الوزارة بكلمة واحدة فسَّرها للمعتصم وفصَّل له تفسيرها وهي كلمة (الكلاء) التي يعرفها عامَّة الادباء؟! بلى، وابن الرّومي كان يعرف من غرائب اللغة ما لم يكن يعرفه شعراء عصره ولا ادباؤه، فما أولاه إذن بالوزارة ! وما أظلم الدنيا !إذ هي ضنَّت عليه بحقِّه من المناصب والثراء.

فإذا لم تكن الوزارة فهل أقل من الكتابة أو العمالة لبعض الوزراء والكتّاب المبرَّزين؟! فإذا لم يكن هذا ولا ذاك فهل غبنٌ أصعب على النفس من هذا

الغبن؟! وهل تقصيرٌ من الزمان ألام من هذا التقصير؟!.

ونبوءة أبيه ورجاؤه في مستقبله وقوله: (أنت للشرف) أيذهب هذا كلّه هباءً لا يقبض منه اليدين على شيء؟! تلك النبوءات التي تنطبع على أفئدة الصغار بمثل النار، ولا تزال غرارة الطفولة وأحلام الصبا تزخرفها وتوشيها وتعمق في الضمير أغوارها، أيأتي الشباب وهي محوٌ لغوٌ مطموسٌ لا يبين أو لا يبين منه إلاّ ما ينقلب إلى الأضداد وتترجمه الأيّام بالسقم والفقر والكساد؟! وكيف يمحى إلاّ وقد محا القلب الذي طبعت فيه؟! وكيف ينعكس معناه إلاّ وقد انعكس في القلب كلّ قائم والتوى فيه كلّ قويم؟! ذلك صعبٌ على النفوس وليس بالسهل إلاّ على مَن يلهو به وهو بعيدٌ.

وهكذا كان ابن الرومي يسأل نفسه مرَّة بعد مرَّة ويوماً بعد يوم:

مالي أسلّ من القراب وأغمد؟! لِمَ لا أُجرَّد والسيوف تجرَّدُ؟
لِمَ لا أُجرَّب في الضرائب مرَّة يــا للرجـال وإنني لَمهنّـدُ؟!

ولا يدري كيف يجيب نفسه على سؤاله، لأنَّه لم يكن يدري أنَّ فضائله كلّها لا تساوي فتيلاً بغير الحيلة والعلم بأساليب الدخول بين النّاس، وأنَّ الحيلة وحدها قد تغني عن فضائله جميعاً ولو كان صاحبها لا ينظم شعراً، ولا ينظر في كتب الفلسفة والرِّواية والنجوم.

حسن إذن ندع الوزارة والولاية والعمالة بعد يأس مضيض يسهل علينا هنا أن نسطره في كلمة عابرة ولكنَّه لا يسهل على من يعالجه ويشفى بمحنته في ساعةٍ من ساعات حياته، ندع الوزارة والعمالة ونقنع بالمثوبة من الوزراء والولاة والعمّال إن كانوا يثيبون المادحين، فهل تراهم يفعلون؟!.

لا. لأنَّ الحيلة لازمةٌ في استدرار الجوائز والمثوبات لزومها في كلِّ غرض من أغراض المعاش ولا سيَّما في ذلك الزمان الذي شاعت فيه الفتن والسعايات، وما كانت تنقضي منه سنةٌ واحدةٌ بغير مكيدة خبيثة تودي بحياة خليفة أو أمير أو وزير، وربما كانت مصانعة الحجاب والتماس مواقع الهوى من

نفوس الحاشية والندمان واللعب بمغامز النفوس الخفيَّة وإضحاك هؤلاء، وهؤلاء أجدى على الشاعر في هذا الباب من بلاغة شعره وغزارة علمه.

وبسط الكلام في الموضوع إلى ص ٢٣٥ فقال:

هو وشعراء عصره:

عاصر ابن الرومي، في بيئته كثيرٌ من الشعراء أشهرهم في عالم الشعر الحسين بن الضحّاك، ودعبل الخزاعي، والبحتري، وعليٌّ بن الجهم، وابن المعتزّ، وأبو عثمان الناجم.

وليس لهؤلاء ولا لغيرهم ممَّن عاصروه وعرفوه أو لم يعرفوه أثرٌ يُذكر في تكوينه غير اثنين فيما نظنّ هما: الحسين بن الضحّاك، ودعبل الخزاعي.

(**قال الأمينيُّ**): وكان بين ابن الرّومي والشاعر المفلق إبن الحاجب محمَّد بن أحمد صلة ومودَّة وجرت بينهما نوادر منها: إنَّ ابن الحاجب سأله ابن الرومي زيارته في يوم معلوم فصاروا إليه فلم يجدوه فقال ابن الرومي فيه شعراً أوّله:

نجّاك يا بن الحاجب الحاجبُ وليس ينجو منّي الهاربُ

وأجابه ابن الحاجب بأبيات توجد في معجم المرزباني ٤٥٣.

قال: فكان ابن الرومي معجباً بالحسين بن الضحاك يروي شعره ويستملح أخباره ويذكرها لأصحابه، وكان ابن الرومي يافعاً يحضر مجالس الأدب ويتلقّى دروسه والحسين في أوج شهرته يتناشد أشعاره ادباء الكوفة وبغداد ومدن العراق (ثمَّ ذكر بعض ما رواه ابن الرّوميِّ من شعر ابن الضحّاك نقلاً عن الأغاني) فقال:

وقد مات الحسين بن الضحّاك وابن الروميَ في التاسعة والعشرين ولم نر في تاريخه ولا في تاريخ الحسين ما يُشير إلى تلاقيهما في بغداد حيث عاش ابن الرومي معظم حياته، أو في غير بغداد حيث كان يرحل ابن الضحاك.

أمّا دعبل فابن الرّومي عارضه في موضعين أحدهما القصيدة الطائيَّة التي نظمها دعبل حين اتهم خالداً بسرقة ديكه وإطعامه لضيوفه وقال في مطلعها:

أسر المؤذِّن خالدٌ وضيوفه   أسر الكميِّ هفا خلال الماقط[1]

ولآخر في قصيدة لدعبل مطلعها:

أتيت ابن عمرو فصادفته   مريض الخلائق ملتاءَها

وكان دعبل فيما عدا ذلك متشيِّعاً لآل عليٍّ غالياً في تشيّعه[2] فجذب ذلك كلّه نفس ابن الرومي الفتى نحوه وحبَّب إليه محاكاته ومجاراته، وربما كانت الرغبة في مجاراته إحدى دواعيه إلى الهجاء، ومات دعبل وابن الرّومي في الخامسة والعشرين ولا نعلم أنَّهما تعارفا أو كان بينهما لقاء.

وأمّا البحتري وأبو عثمان الناجم فالثابت أنَّ ابن الرّومي كان على معرفة وصحبة معهما، عرف البحتري في بيت الناجم وكان هذا صديقاً له بقي على صداقته إلى يوم موته.

(قال الأميني): لابن الرومي قصيدةٌ في البحتري وأدبه وشعره توجد منها أبيات في ثمار القلوب للثعالبي ص ٢٠٠ و٣٤٢.

وأمّا عليُّ بن الجهم المتوفّى ٢٤٩ فقد كان بينه وبين ابن الرومي برزخٌ واسعٌ من اختلاف المذهب في الدين والشعر، فابن الرومي متشيِّع، وابن الجهم ناصبٌ يذمُّ عليّاً وآله «ولا يلتقي الشيعيُّ والناصب» كما يقول ابن الرومي. وكان ابن الجهم شديد النقمة على المعتزلة وعلى أهل العدل والتوحيد منهم خاصَّة يهجوهم ويدسُّ لهم ويقول في زعيمهم أحمد بن أبي داود:

ما هذه البدع التي سمَّيتها   بالجهل منك العدل والتوحيدا

وابن الرومي كما مرَّ بك من هذه الجماعة، فمذهبه في الدين ينفره ابن

---

(١) راجع من كتابنا ج ٢ ص ٤٤٣

(٢) عزو باطل لا يشوِّه به قدس تشيع مثل دعبل.

الجهم ولا يرغبه في مجاراته، ولو تشابها فيما عدا ذلك من المزاح والنزعة، لقد يهون هذا الفارق ويسهل على ابن الرّومي الإغضاء عنه، وهو ناشئٌ يتلمَّس القدوة، ويخطو في سبيل الشهرة، ولكنّك تقرأ شعر ابن الجهم في فخره ومزاحه فيخيَّل إليك انَّك تقرأ كلام جنديٍّ يتنفَّج أو يُعربد لخلوِّه من كلِّ عاطفة غير عواطف الجند يقضون أوقاتهم بين الفجر والضجيج واللهو والسكر، وليس بين هذه الطبيعة وطبيعة ابن الرومي مسرب للقدوة أو للمقاربة في الميل والإحساس.

وأمّا ابن المعتز فقد ولد سنة سبع وأربعين ومِئتين، فلمّا أيفع وبلغ السنّ التي يقول فيها الشعر كان ابن الرومي قد جاوز الأربعين أو ضرب في حدود الخمسين، ولمّا بلغ واشتهر له كلام يروى في مجالس الادباء كان ابن الرّومي قد أوفي على الستِّين وفرغ من التعلّم والاقتباس، ولو انعكس الأمر وكان ابن المعتزّ هو السابق في الميلاد لما أخذ منه ابن الرومي شيئاً، أو لكان أفسد سليقته بالأخذ عنه، لأنّ ابن المعتزّ إنّما امتاز بين شعراء بغداد في عصره بمزاياه الثلاث وهي: البديع. والتوشيح. والتشبيه بالتحف والنفائس. وابن الرومي لم يُرزق نصيباً معدوداً من هذه المزايا ولم يكن قطُّ من أصحاب البديع أو أصحاب التشبيهات التي تدور على الزخرف، وتستفيد نفاستها من نفاسة المشبهات.

تاريخ وفاته:

قال ابن خلكان: توفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين. وقيل: وسبعين ومِئتين ودفن في مقبرة باب البستان. والذين جاؤا بعد ابن خلكان تابعوه في هذا الشكّ ولا مسوِّغ لهذا الشكِّ بأُمور[1] الأوّل قوله:

طربت ولم تطرب على حين مطرب   وكيف التصابي بابن ستّين أشيب؟!

فبملاحظة تاريخ ولادته المتسالم عليه بين أرباب المعاجم يوافق ستّين مع سنة ٢٨١ فهو لم يمت في سنة ٢٧٦ على التحقيق. ولا يُظن أنَّ الستّين هنا

(١) نحن نذكر ملخصها.

تقريبيَّة لضرورة الشعر فإنَّه ذكر الخمس والخمسين في موضع آخر حيث قال:

كبرت وفي خمس وخمسين مكبر وشبت فألحاظ المها عنك نُفَّر[1]

الثاني: ما في مروج الذهب (ج ٢ ص ٤٨٨) للمسعودي من أن قطر الندى بنت خمارويه وصلت إلى مدينة السَّلام مع ابن الجصّاص في ذي الحجَّة سنة إحدى وثمانين ففي ذلك يقول ابن الرومي:

يا سيِّد العرب الذي زُفَّت لـه باليمن والبركات سيِّدة العجم

(قال الأميني): قال الطبري في تاريخه ج ١١ ص ٣٤٥: كان دخولهم بغداد يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرَّم سنة ٢٨٢.

الثالث: مقطوعاته التي نظمها الشاعر في العرس الذي احتفل به الخليفة سنة اثنتين وثمانين.

(قال الأميني): وممّا ينفي الشكَّ من عدم وقوع وفاة المترجم سنة ٢٧٠ قصيدته التي يمدح بها المعتضد بالله أبا العباس أحمد في أيّام خلافته وقد بويع له في شهر رجب بعد عمِّه المعتمد سنة ٢٧٩ قال فيها:

هنيئاً بني العبّاس إنَّ إمـامكم إمام الهدى والبأس والجود أحمدُ
كما بأبي العبّاس أُنشىء ملككم كذا بأبي العبّاس أيضاً يُجـدّدُ

قال العقّاد: وأمّـا التاريخين الآخرين: أي سنة ثلاث وأربع وثمانين فعندنا تاريخ اليوم والشهر من اولاهما وليس عندنا مثل ذلك من الثانية وهذا ممّا يرجِّح وفاته في سنة ثلاث وثمانين دون أربع وثمانين.

(قال الأميني): لم نعرف وجه الترجيح بذكر تاريخ اليوم والشهر لمجرَّده مع قطع النظر عمَّا ذكره بعدُ من مضاهاة التاريخ بقوله:

ويقوي هذا الترجيح أنَّ مضاهاة التواريخ تُثبت لنا أنَّ جمادى الاخرى من سنة ثلاث وثمانين بدأت يوم جمعة فيكون يوم الأربعاء قد جاء لليلتين بقيتا من

---

(١) ذكر الخمس والخمسين في هذا البيت لا ينافي تقريبيّة الستين في سابقه.

جمادى الاولى في تلك السنة كما جاء في تاريخ الوفاة، وقد ضاهينا هذا اليوم على التاريخ الإفرنجي فوجدناه يوافق الرابع عشر من شهر يونيو، أي يوافق أبان الصيف في العراق، وابن الرومي مات في الصيف كما يُؤخذ من قول الناجم أنَّه دخل عليه في مرضه الذي مات فيه وبين يديه ماءٌ مثلوجٌ، فيجوزلناعلى هذا أن نجزم بأنَّ أصحَّ التواريخ الأوَّل وهو: يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين.

شهادته:

الأقوال بعد ذلك مجمعةٌ على موت ابن الرّومي بالسمّ وأنَّ الذي سمَّه هو القاسم بن عُبيد الله أوأبوه. قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١ ص ٣٨٦): إنَّ الوزير أبا الحسين القاسم بن عُبيدالله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش فدسَّ عليه ابن فراش فأطعمه خشكنانجه مسمومة وهو في مجلسه فلمّا أكلها أحسَّ بالسمّ فقام، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟! فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه. فقال له: سلِّم على والدي. فقال له: ما طريقي على النار.

وقال الشريف المرتضى في أماليه (ج ٢ ص ١٠١): إنَّه قد اتصل بعبيدالله بن سليمان بن وهب أمر عليٍّ بن العبّاس الرّومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم فقال لأبي الحسين: قد أحببت أن أرى ابن روميِّك هذا فدخل يوماً عُبيدالله إلى أبي الحسين وابن الرّومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلاً فقال لأبي الحسين بينه وبينه: إنّ لسان هذا أطول من عقله، ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند أوّل عتب ولا يفكّر في عاقبته، فأخرجه عنك. فقال: أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكّننا. فقال: يا بنيَّ! إنّي لم أرد بإخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حيَّة النميري:

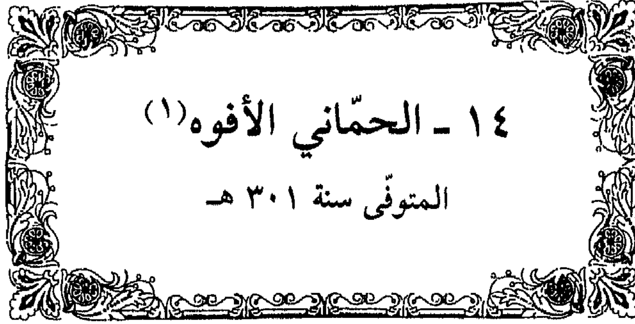
فقلن لها سرّاً: فديناك لا يرح سليماً، وإلّا تقتليه فألممي

فحدَّث القاسمُ بن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرّومي وقد هجاه بأهاج قبيحة فقال له: الوزير أعزَّه الله أشار بأن يغتال حتّى يُستراح منه وأنا أكفيك ذلك. فسمّه في الخشكنانج فمات. قال الباقطاني: والنّاس يقولون: ما قتله ابن فراس وإنَّما قتله عبيدالله.

ثمَّ ضعّف الرواية الاولى بأنّ عُبيد الله بن سليمان مات سنة ٢٨٨ بعد وفاة ابن الرّومي فلا معنى لقول القاسم له: سلّم على والدي. ووالده بقيد الحياة.

واستشكل في الرواية الثانية بأنّ عبيد الله كانت له سوابق معرفة مع ابن الرّومي فلا يتمُّ ما فيها من طلبه رؤيته.

وأنت ترى أنَّ التضعيف الثاني ليس في محلّه إذ الرؤية المطلوبة لعبيدالله كما يظهر من نفس الرّواية رؤية اختبار لا مجرَّد رؤية حتّى تنافي التعارف والاجتماع قبلها، فيحتمل عندئذ أنَّ عبيدالله هو القائل: سلّم على والدي. لا ابنه، والله العالم.



١٤ ـ الحمّاني الأفوه[١]

المتوفّى سنة ٣٠١ هـ

ابن الّذي رُدَّت عليه الشمـ — ـس في يـوم الحـجـابِ
وابن القـسيـم النّـار فـي — يـوم المـواقف والحسـابِ
مـولاهُم يـوم «الغـديـر» — بـرعم مـرتـابٍ وآبي[٢]

وله:

قـالوا: أبـو بكر لـه فضله — قـلنـا لـهـم: هـنّـأه الله
نسيتمُ خـطبة «خمّ» وهـل — يُشبَّـه العبـد بمـولاه؟!
إنَّ «عليّاً» كان مـولى لمن — كان «رسول الله» مـولاه[٣]

الشاعر

أبو الحسين عليُّ بن محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن محمَّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السَّلام الكوفي الحِمّاني المعروف بالأفوه. وفي لباب الأنساب: يُلقَّب هو ووالده محمَّد بالحمّال. ويقال لأولاده: بنو الحمّال.

حِمّان بكسر المهملة وتشديد الميم محلّةٌ بالكوفة والنسبة إلى حِمّان قبيلة

---

(١) تبعاً على المؤرخين ذكرناه في هذا القرن.
(٢) امتدح بها بعض أهل البيت الطاهر، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٤٦٢.
(٣) ذكرها البياضي في صراطه المستقيم.

من تميم وهم: بنو حِمّان بن عبد العزيز بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. واسم حِمّان: عبد العزّى. وقد سكن هذه المحلّة من نسب إليها وإن لم يكن منها[1] فما في بعض المعاجم ضبطه بالمعجمة تصحيفٌ.

المترجم له في الرعيل الأوّل من فقهاء العترة ومدرِّسيهم في عاصمة التشيّع بالعراق في القرون الاولى «الكوفة» وفي السنام الأعلى من خطباء بني هاشم وشعرائهم المفلقين، وقد سار بذكره وبشعره الركبان، وعرفه القريب والبعيد بحسن الصياغة وجودة السرد، أضف إلى ذلك علمه الغزير، ومجده الأثيل، وسؤدده الباهر، ونسبه العلويّ الميمون، وحسبه الوضّاح إلى فضائل جمّة تسنّمت به إلى ذروة الخطر المنيع.

سأل المتوكّل ابن الجهم: من أشعر الناس؟ فذكر شعراء الجاهليّة والإسلام، ثمّ إنه سأل أبا الحسن (الإمام عليّ بن محمّد الهادي) فقال: الحِمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابةٌ بمدِّ خدودٍ وامتداد أصابعِ
فلمّا تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما يهوى نداء الصوامعِ
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا عليهم جهير الصوت في كلِّ جامعِ
فإنَّ رسول الله أحمد جدُّنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالعِ

قال: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟! قال: أشهد أن لا إلّه إلّا الله وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله، جدّي أم جدّك؟! فضحك المتوكّل ثمَّ قال: هو جدُّك لا ندفعك عنه.

هذا الحديث ذكره الجاحظ في [المحاسن والأضداد] ص ١٠٤، والبيهقي في [المحاسن والمساوىء] ج١ ص٧٤ غير أنَّ فيها: الرضى. مكان أبي الحسن. وأحسبه تصحيف «المرتضى» وهو لقب الإمام الهادي سلام الله عليه.

---

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٥، اللباب ج ١ ص ٣١٦.

ورواه شيخ الطائفة في أماليه ص ١٨٠، وبهاء الدين في [تاريخ طبرستان] ص ٢٢٤، وابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٥ ص ١١٨ ط هند.

وأثنى عليه المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٣٢٢ في كلام يأتي له وقال: كان عليُّ بن محمّد الحِمّاني مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدّرسهم ولسانهم، ولم يكن أحدٌ بالكوفة من آل عليٍّ بن أبي طالب يتقدّمه في ذلك الوقت.

وذكره النسّابة العمري في «المجدي» وأطراه بما ملخَّصه: كان مشهوراً بالشعر،رثى يحيى بن عمر وكان أشعر ولد أبيه يكنّى أبا الحسين. وقال في ترجمة الشريف الرضي: هو أشعر قريش إلى وقتنا وحسبك أن يكون قريش في أوّلها الحرث بن هشام والعبلي وعمر بن أبي ربيعة وفي آخرها بالنسبة إلى زمانه محمّد بن صالح الموسوي وعليّ بن محمّد الحِمّاني.

وذكره الرفاعي في «صحاح الأخبار» ص ٤٠ وقال: كان شهماً شجاعاً شاعراً مفلقاً وخطيباً مصقعاً. وأثنى عليه بالعلم وجودة الشعر سهل بن عبدالله البخاري النسّابة في «سرِّ السلسلة» وصاحب (بحر الأنساب المشجَّر) والبيهقي في «لباب الأنساب» وابن المهنّا في «عمدة الطالب» ٢٦٩ وذكر الأخير أنَّ له ديوان شعر مشهور.

وقال الحموي في «معجم الادباء» ج ٥ ص ٢٨٥ في ترجمة محمّد بن أحمد الحسيني العلوي بعدما أثنى عليه بأنّه شاعرٌ مفلقٌ، وعالمٌ محقِّقٌ، شائع الشعر، نبيه الذكر، ليس في ولد الحسن من يشبهه، بل يُقاربه عليُّ بن محمّد الأفوه.

وحكى صاحب «نسمة السحر» عن الحموي أنّه قال: كان المترجم في العلويَّة من الشهرة والأدب والطبع كعبدالله بن المعتز في العبّاسيَّة وكان يقول: أنا شاعرٌ وأبي شاعرٌ وجدِّي شاعرٌ إلى أبي طالب.

كان سيِّدنا الحِمّاني، في جانب عظيم من الإباء والحماسة وقوَّة القلب،

ورباطة الجاش، وصراحة اللهجة، والجرأة على مناوئيه. كلُّ ذلك وراثةً من سلفه الطاهر وبيته الرفيع. قال المسعودي: لمّا دخل الحسن بن إسماعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذي لقي يحيى بن عمر (الشهيد سنة ٢٥٠) قعد على سلامه ولم يمض إليه ولم يتخلّف عن سلامه أحدٌ من آل عليٍّ بن أبي طالب الهاشميين، وكان عليُّ بن محمَّد الحِمّاني مفتيهم بالكوفة (إلى أن قال): فتفقَّده الحسن بن إسماعيل وسأل عنه وبعث بجماعة فأحضروه فأنكر الحسن تخلّفه فأجابه عليُّ بن محمَّد بجواب مستقتلٍ آيسٍ من الحياة فقال: أردتُ أن آتيك مهنِّئاً بالفتح وداعياً بالظفر. وأنشد شعراً لا يقوم على مثله من يرغب في الحياة:

قتلت أعزَّ من ركب المطايا ... وجئتك أستلينك في الكلامِ
وعزَّ عليَّ أن ألقاك إلّا ... وفيما بيننا حدُّ الحسامِ
ولكنَّ الجناح إذا أُهيضت ... قوادمه يرفُّ على الأكامِ

فقال له الحسن بن إسماعيل: أنت موتورٌ فلست أنكر ما كان منك. وخلع عليه وحمله إلى منزله[1].

حبسه أبو أحمد الموفّق بالله المتوفّى سنة ٢٧٨ مرَّتين مرَّة لكفالته بعض أهله. ومرَّة لسعاية عليه من أنَّه يريد الخروج على الخليفة فكتب إليه من الحبس:

قد كان جدّك عبد اللّه خير أب ... لابني عليٍّ حسينٍ الخير والحسنِ
فالكفّ يوهن منها كلّ أنملة ... ما كان من أُختها الأُخرى من الوهنِ

فلمّا وصل إليه الشعر كفل وخلّى سبيله، فلقيه أبو عليّ وقال له: قد عدت إلى وطنك الذي تلذّه، وإخوانك الّذين تحبّهم. فقال: يا أبا علي! ذهب الأتراب والشباب والأصحاب وأنشد:

هبني بقيتُ على الأيّام والأبدِ ... ونلتُ ما شئتُ من مالٍ ومن ولدِ

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٢ وفي طبعة ٤١١.

من لي برؤية من قد كنت آلفه ... وبالشبَاب الَّذي ولى ولم يعدِ
لا فارق الحزن قلبي بعد فرقتهم ... حتّى تفرَّق بين الروح والجسدِ(١)

ومن نماذج شعره قوله:

بين الوصيِّ وبين المصطفى نسبٌ ... تختال فيه المعالي والمحاميد
كانا كشمس نهار في البروج كما ... أدارها ثَمَّ أحكام وتجويدُ
كسيرها انتقلا من طاهرٍ علَم ... إلى مطهَّرة آباؤها صيدُ
تفرّقا عند عبدالله واقترنا ... بعد النبوَّة توفيقٌ وتسديدُ
وذرَّ ذو العرش ذرّاً طاب بينهما ... فانبثَّ نورٌ له في الأرض تخليدُ
نورٌ تفرَّع عند البعث فانشعبت ... منه شعوبٌ لها في الدين تمهيدُ
هم فتيةٌ كسيوف الهند طال بهم ... على المتطاول آباءٌ مناجيدُ
قومٌ لماء المعالي في وجوههمُ ... عند التكرُّم تصويبٌ وتصعيدُ
يدعون أحمد إن عدَّ الفخار أباً ... والعود ينسب في أفنائه العودُ
والمنعمون إذا ما لم تكن نعمٌ ... والذائدون إذا قلَّ المذاويدُ
أوفوا من المجد والعلياء في قلل ... شمٍّ قواعدهنَّ الفضل والجودُ
ما سوَّد الناس إلاّ من تمكّن في ... أحشائه لهمُ ودٌّ وتسويدُ
سبط الأكفّ إذا شيمت مخايلهم ... أُسد اللقاء إذا صيد الصناديدُ
يزهو المطاف إذا طافوا بكعبته ... وتشرئبّ(٢) لهم منها القواعيدُ
في كلِّ يوم لهم بأسٌ يعاش به ... وللمكارم من أفعالهم عيدُ
محسَّدون ومن يعقد بحبِّهم ... حبل المودّة يصحى وهو محسودُ(٣)
لا ينكر الدهر إن ألوى بحقِّهمُ ... فالدهر مذ كان مذمومٌ ومحمودُ(٤)

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٣، وفي طبعة ٤١٤، أنوار الربيع ص ٤٨١.
(٢) اشرأب للشيء وإليه: مد عنقه لينظره. والاسم منه الشرأبيبة. كالطمأنينة.
(٣) في نهاية الارب:
محسدون ومن يعلق بحبهم ... من البرية يصبح وهو محمود
(٤) الفصول المختارة ج ١ ص ١٩، مناقب ابن شهر آشوب ج ٥ ص ٢١، نهاية الارب ج ٣ ص ١٨٤، مجالس المؤمنين نقلاً عن الشريف المرتضى ص ٤٦٨.

ولعلَّ قوله: محسَّدون. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أم يَحسدون الناسَ على ما آتاهم الله مِن فضله**﴾. وقد ورد فيها، أنَّهم الأئمَّة من آل محمّد. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٢٣٦: إنَّها نزلت في عليّ عليه السَّلام وما خصَّ به من العلم. وأخرج ابن حجر في «الصواعق» ص ٩١ عن الباقر عليه السَّلام أنَّه قال في هذه الآية: نحن الناس والله.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالنّاس أعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً: إنَّه لدميمُ

وأخرج الفقيه ابن المغازلي في «المناقب» عن ابن عبّاس: انّ الآية نزلت في النبيِّ ﷺ وعليّ رضي الله عنه. وقال الصبّان في «إسعاف الراغبين» هامش نور الأبصار ص ١٠٩: أخرج بعضهم عن الباقر في قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾. أنَّه قال: أهل البيت هم الناس.

وذكر أبو الفرج في «المقاتل» ص ٤٢٠ للحِمّاني قوله يرثي به يحيى الشهيد:

فإن يك يحيى أدرك الحتف يومه ... فما مات حتّى مات وهو كريمُ
وما مات حتّى قال طلّاب نفسه ... : سقى الله يحيى إنّه لصميمُ
فتىً آنست بالبأس والروع نفسه ... وليس كما لاقاه وهو سؤومُ

«إلى آخر الأبيات»

وذكر له المسعودي وأبو الفرج في رثاء يحيى أيضاً قوله:

تضوَّع مسكاً جانب النهر إذ ثوى ... وما كان إلّا شلوه يتضوَّعُ
مسارع أقوام كرام أعزَّةٍ ... أُبيح ليحيى الخير في القوم مصرعُ

وذكر المسعودي في «مروج الذهب» قوله في يحيى بن عمر أيضاً:

يا بقايا السلف الصَّا ... لح والبحر الربيحِ
نحن للأيّام من بين ... قتيلٍ وجريحِ

خـاب وجـه الأرض كم غيّب من وجـه صبيـحِ
آه مـن يـومـك مـا أو راه لـلقلب الـقـريـحِ

وفي «المروج» للمسعودي و«ربيع الأبرار» للزمخشري قوله:

إنّي وقومي من أحساب قومكمُ كمسجد الخيف من بُحبوبة الخيف
ما علّق السيف منا بابن عاشرة إلّا وهمّته أمضى من السيفِ

وله في رثاء يحيى قوله كما في مروج الذهب:

لعمري لئن سرّت قريش بهلكه لمـا كان وقّـافاً غـداة التوقّفِ
فـإن مات تلقـاء الرِّمـاح فإنّـه لمن معشر يشنون موت التترُّفِ
فلا تشمتوا فالقوم من يبقِ منهمُ على سنن منهم مقام المخلّفِ
لهم معكم إمّا جدعتم أُنوفكم مقامات ما بين الصفا والمعرّفِ
تـراثٌ لهم من آدم ومحمّـد إلى الثقلين من وصايا ومصحفِ

وله في يحيى بن عمر أيضاً قوله:

قد كان حين علا الشباب بـه فـاق السوالف حـالك الشعـرِ
وكـأنّـه قمـرٌ تمنـطق في افق السـمـاء بـدارة البـدرِ
يـا ابن الّذي جعلت فضائله فلك العـلا وقـلائـد السـورِ
من اسـرة جعلت مخـايلهم للعـالمين مخـايـل النـظرِ
تـتـهيَّب الأقـدار قـدرهـمُ فـكـأنّهـم قـدَرٌ عـلى قـدَرِ
والمـوت لا تسـوى رميّتـه فلك العـلا ومـواضـع الغـررِ

وله في رثاء أخيه لأُمّه إسماعيل العلويّ شعرٌ كثيرٌ ومنه قوله:

هـذا ابن أُمّي عـديـل الـروح في جسـدي شـقَّ الـزمـان بـه قـلبـي إلى كـبـدي
فاليوم لم يبق شيءٌ أستريح به إلّا تفتّت أعضـائي من الكمـدِ
أو مقلة بـحيـاء الـهمِّ بـاكيـة أو بيت مـرثيـة تبقى على الأبـدِ
ترى أُناجيـك فيها بـالدمـوع وقد نـام الخليُّ ولم أهجع ولم أكـدِ
مَن لي بمثلك ؟! يا نور الحياة ويا يمنى يديَّ التي شلّت من العضدِ

مَن لي بمثلك؟! أدعوه لحادثة   تُشكى إليه ولا أشكو إلى أحدِ
قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها   على القلوب وأجناها على كبدي
قل للرَّدى: لا تُغادر بعدهُ أحداً   وللمنيَّة من أحببت فاعتمدي
إنَّ الزمان تقضّى بعد فرقته   والعيش آذن بالتفريق والكندِ

وقال في نسب عليٍّ بن الجهم السامي أحد الشعراء المنحرفين عن عليّ أمير المؤمنين عليه السَّلام وكان ممَّن يظهر عداءه وقد طعن على نسبه من طعن وقال اناس: من عقب سامة ابن لوي بن غالب:

وسامة منّا فأمّا بنوه   فأمرهمُ عندنا مظلمُ
اناسٌ أتونا بأنسابهم   خرافة مضطجع يحلمُ
وقلت لهم مثل قول النبيِّ   وكلّ أقاويله محكمُ
: إذا ما سُئلت ولم تدر ما   تقوله فقل: ربّنا أعلمُ

وقال فيه أيضاً:

لو اكتنفت النضر أو معدّا   أو اتَّخذت البيت كفّاً مهدا
وزمزماً شريعةً ووردا   والأخشبين محضراً ومبدى
ما ازددت إلّا في قريش بُعدا   أو كنت إلّا مصقليّاً وغدا[(١)]

وذكر له الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٢٢٣ قوله:

ويوم قد ظللت قرير عين   به في مثل نعمة ذو رعينِ[(٢)]
تفكّهني أحاديث الندامى   وتطربني مثقّفة اليدينِ
فلولا خوف ما تجني اللّيالي   قبضت على الفتوّة باليدينِ

وذكر له قوله في بني طاهر لما مر على دورهم وقد سلبها الدهر البهجة ونزل بها من غدره رجَّة:

مررت بدور بني طاهر   بدور السرور ودور الفرح

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٦، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٦.

(٢) من أذواء اليمن، يضرب به المثل في النعمة.

فشبَّهت سرعة أيّامهم   بسرعة قوس يُسمّى قزحْ
تألّق معترضاً في السماء   قليلاً وما دام حتّى مصحْ(١)

وذكر البيهقي في «المحاسن والمساوىء» ج ١ ص ٧٥ قوله :

عصيت الهوى وهجرت النساءْ   وكنت دواءً فأصبحت داءْ
وما أنس لا أنس حتّى الممات   نزيب(٢) الظباء تُجيب الظباءْ
دعيني وصبري على النائبات   فبالصبر نلت الثرى والثواءْ
وإن يك دهري لوى رأسه   فقد لقي الدهر منّي التواءْ
ونحن إذا كان شرب المدام   شربنا على الصافنات الدماءْ
بلغنا السماء بأنسابنا   ولولا السماء لجزنا السماءْ
فحسبك من سؤدد أنّنا   بحسن البلاء كشفنا البلاءْ
يطيب الثناء لآبائنا   وذكر عليٍّ يزين الثناءْ
إذا ذكر الناس كنّا ملوكاً   وكانوا عبيداً وكانوا إماءْ
هجانيَ قومٌ ولم أهجهم   أبى الله لي أن أقول الهجاءْ

وذكر له النسّابة العمري في «المجدي» قوله:

هبني حننت إلى الشّباب   فطمست شيبي باختضابي
ونفقت عند الغانيات   بحيلتي وجهاز مابي
مَن لي بما وقف المشيب   عليه من ذلّ الخضابِ
ولقد تأمّلت الحياة   بُعيد فقدان التّصابي
فإذا المصيبة بالحياة   هي المصيبة بالشبابِ

ومن شعره ما ذكره الزمخشري في « ربيع الأبرار » في الباب ٣٤ وهو:

لعمرك للمشيب عليَّ مما فقد   ت من الشباب أشدُّ فوتا
تملّيت(٣) الشباب فصار شيباً   وأبليت المشيب فصار موتا

---

(١) توجد في أنوار الربيع ص ٢٥٠ ، ونسمة السحر نقلاً عن الثعالبي .
(٢) نزيب الظباء : أي صوتها .
(٣) من الملاوة: أي البرهة من الدهر، يقال: عشت مع الشباب ملاوة.

وذكر له الحموي في «معجم البلدان» ج ٧ ص ٢٦٦ قوله :

فيا أسفي على النجف المعرّى وأودية منوَّرة الأقاحي
وما بسط الخورنق من رياض مفجَّرة بأفنية فساحِ
ووا أسفاً على القنّاص تغدو خرائطها على مجرى الوشاحِ

ولعلَّ من هذه القصيدة ما ذكره ابن شهر آشوب له :

وإذ بيتي على رغم الملاحي هو البيت المقابل للضراحِ
ووالدي المشار به إذا ما دعى الداعي بحيٍّ على الفلاحِ

ومن شعره في «عمدة الطالب» ص ٢٦٩ قوله :

لنا من هاشم هضبات عزٍّ مطنَّبة بأبراج السماءِ
تطوف بنا الملائك كلَّ يومٍ ونكفل في حجور الأنبياءِ
ويهتزُّ المقام لنا ارتياحاً ويلقانا صَفاه بالصفاءِ

وذكر له ابن شهر آشوب «في المناقب» ج ٤ ص ٣٩ ط هند قوله :

يا بن من بينه من الدين والإسلا م بين المقام والمنبرينِ
لك خير البنيّتين من مسجدي جدِّ ك والمنشأين والمسكنينِ
والمساعي من لدن جدّك إسما عيل حتّى أُدرجت في الربطتينِ
يوم نيطت بك التمائم ذات الـ ـريش من جبرئيل في المنكبينِ

ومنها :

أنتما سيِّدا شباب الجنا ن يوم الفوزين والروعتين
ياعديل القرآن من بين ذا الخلق ويا واحداً من الثقلينِ
أنتما والقرآن في الأرض مذ أ زلٍ مثل السَّماء والفرقدينِ
فهما من خلافة الله في الأر ض بحقّ مقام مستخلفينِ
قاله الصادق الحديث ولن يفترقا دون حوضه واردينِ

أشار إلى ما صحَّ عند أئمَّة فرق الإسلام من قول النبيِّ صّلى الله عليه وآله

وسلم في خطبة له: إنّي تاركٌ أو مخلِّفٌ فيكم الثقلين أو الخليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

وله في حديث الثقلين كما في «المناقب» ج ٥ ص ١٨ قوله:

يا آل حاميم الّذين بحبِّهم ... حكم الكتاب منزَّلٌ تنزيلا
كان المديح حُلى الملوك وكنتمُ ... حُلل المدائح غرة وحجولا
بيتٌ إذا عدَّ المآثر أهله ... عدّوا النبيَّ وثانياً جبريلا
قومٌ إذا اعتدلوا الحمائل أصبحوا ... متقسِّمين خليفةً ورسولا
نشأوا بآيات الكتاب فما انثنوا ... حتّى صدرن كهولةً وكهولا
ثقلان لن يتفرَّقا أو يطفيا ... بالحوض من ظمأ الصدور غليلا
وخليفتان على الأنام بقوله ... الحقّ أصدق من تكلَّم قيلا
فأتوا أكفَّ الآيسين فأصبحوا ... ما يعدلون سوى الكتاب عديلا

وله قوله:

وأنزله منه على رغمة العدى كهارون من موسى على قدم الدهرِ
فمن كان في أصحاب موسى وقومه كهارون لا زلتم على ظلل الكفرِ
وأخاهم مثلاً لمثل فأصبحت أُخوّته كالشمس ضمَّت إلى البدرِ
فآخا عليّاً دونكم وأصاره ... لكم علماً بين الهداية والكفرِ
وأنزله منه النبيُّ كنفسه ... رواية أبرار تأدَّت إلى البشرِ
فمن نفسه منكم كنفس محمّد ... ألا بأبي نفس المطهَّر والطهرِ(١)

كلّ هذه الأبيات مأخوذةٌ من الأحاديث النبويَّة الصحيحة من حديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث المؤاخاة الآتية في محلِّها، وأشار بالبيتين الأخيرين إلى ما أخرجه الحافظ النسائي في خصائصه ص ١٩ بإسناده عن أُبيّ قال قال رسول الله ﷺ: لينتهنَّ بنو ربيعة أو لأبعثنَّ عليهم رجلاً كنفسي ينفذ فيهم أمري. الحديث. وله في «المناقب» قوله في العترة الطاهرة:

(١) هذان البيتان الأخيران ذكرهما له البياض في الصراط المستقيم.

هم صفوة الله التي ليس مثلها   وما مثلهم في العالمين بـديلُ
خيار خيار الناس من لا يحبّهم   فليس لـه إلّا الجحيم مقيـلُ

وذكر له أبو نصر المقدسي في «الظرائف واللطائف» ص ١٢٣ قوله في صديق له ولدت له بنت فسخطها:

قـالـوا لـه: مـاذا رُزقت؟   فـأصاح ثَمَّـة قـال: بنتـا
وأجـلّ مـن ولـد النسـا   ء أبو البنات فلم جـزعتـا
إنَّ الّـذيـن تـودّ مـن   بين الخلائق ما استـطعتـا
نـالـوا بفضـل البنت مـا   كـبتـوا بـه الأعـداء كـبتـا

وذكر له المقدسي أيضاً قوله:

إنَّ صـدر النهار أنضـر شـطر   يه كما نضرة الفتى في فتاتـه

ويوجد له في «مجموعة المعاني» ص ٥٩:

كـان يبكيني الغناء سـرورا   فـأراني أبكي له اليـوم حزنـا
قد مضى ما مضى فليس يُرجّى   وبقي مـا بقي فمـا فيـه مغنى

وله في ص ٨٢:

لا تكتسي النـور الرِّيـاض إذا   لم يـروهنَّ مخـايـل المـطرِ
والغيث لا يُجـدي إذا ذرفت   آمـاق مـدمعـه على حجـرِ
وكـذاك لـو نيـل الغنـا بيـد   لم تجتـذب بسـواعـد القـدرِ

وله في «أنوار الرَّبيع» ص ٤٥٦ قوله:

يـا شـادنـاً أفـرغ من فضَّـة   فـي خـدِّه تفّـاحـةٌ غـضّـه
كـأنـمـا القبـلة فـي خـدِّه   لـلحسـن من رقَّتـه عـضّـه
يـهتـزُّ أعـلاه إذا مـا مـشى   وكـلّه فـي يـمـنـه قـبـضـه
إرحـم فتـىً لمّـا تـملكتـه   أقـرّ بـالـرقّ فلم تـرضـه

وله في «الأنوار» ص ٤٨٠ قوله:

بأبي فم شهد الضمير له   قبل المذاق بأنّه عذبُ
كشهادتي لله خالصةً   قبل العيان بأنّه الرَّبُ
والعين لا تُغني بنظرتها   حتّى يكون دليلها القلبُ

وله في ص ٤٨١ قوله:

كأنّ هموم الناس في الأرض كلّها   عليّ وقلبي بينهم قلب واحدِ
ولي شاهدا عدل سهادٌ وعبرةٌ   وكم مدَّعٍ للحقِّ من غير شاهدِ

وله في ص ٥٢٨ قوله:

وجهٌ هو البدر إلّا أنّ بينهما   فضلاً تحيَّر عن حافاته النورُ
في وجه ذاك أخاليطٌ مسوَّدةٌ   وفي مضاحك هذا الدرِّ منثورُ

وذكر له في «نشوة السكران» ص ٧٩ قوله:

عريتُ عن الشَّباب وكنت غضّاً   كما يعرى عن الورق القضيبُ
ونحتُ على الشَّباب بدمع عيني   فما نفع البكاءُ ولا النحيبُ
ألا ليت الشَّباب يعود يوماً   فأُخبره بما فعل المشيبُ[1]

ولادته ووفاته:

لم نقف على تاريخ ولادة المترجم سيِّدنا «الِحمّاني» غير أنَّ المستَفاد من وفاته سنة ٣٠١، ووفاة والده سنة ستّ بعد المِئتين في خلافة المعتمد كما في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٤١٣: هو أنَّ السيِّد كان من المعمّرين أدرك القرن الثالث من أوّله إلى آخره.

وأمّا وفاته فقد اختلف في تاريخها قال النسّابة العمري في «المجدي» ما ملخَّصه: ذكر شيخنا أبو الحسن بن جعفر: انَّ الحِمّاني مات سنة ٢٧٠ بعد مخرجه من المحبس، وقال ابن حبيب صاحب التاريخ في اللوامع: إنَّه مات سنة ٣٠١. وهذا هو الصحيح. اهـ.

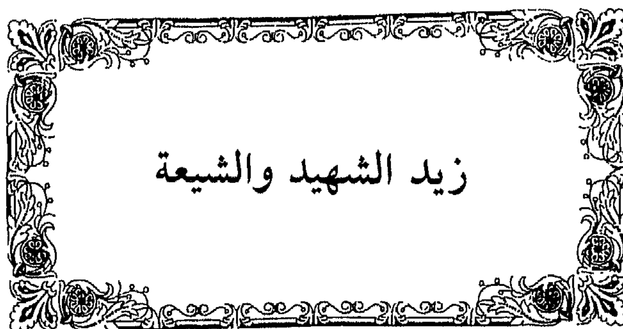
---

(١) توجد هذه الأبيات بتغيير يسير في ديوان أبي العتاهية ص ٢٣.

وقال ابن الأثير في الكامل ج ٧ ص ٩٠: إنَّه توفي سنة ٢٦٠ والله أعلم.

ونحن نرى الصحيح ما صحّحه النسّابة صاحب «المجدي» لمكان أبياته المذكورة في بني طاهر ابن مصعب بعدما حكم عليهم الدهر، وانقرضت حكومتهم بعد موت آخر رئيسهم عبيدالله بن عبدالله بن طاهر المتوفّى في الثاني عشر من شوّال سنة ٣٠٠، فشعره فيهم يقتضي بقائه إلى هذا التاريخ سنة ٣٠١.

ولسيِّدنا المترجم ذريّةٌ كريمةٌ وأحفادٌ علماءُ أئمَّةٌ أعلامٌ، فيهم مَن هو في الطليعة من الشعراء والادباء والخطباء، وإليه ينتهي نسب الاسرة الشهيرة (القزوينيَّة) العريقة في العلم والفضل والأدب النازلين في مدن العراق، كما أنَّ له آباءً أعلامٌ نالوا سنام المجد وذروة الشرف، فمن أولئك جدُّه الأعلى زيد الشهيد، ويهمّنا الآن بيان مجمل اعتقاد الشيعة فيه لإماطة الستر عمّا هناك من الجنايات المخبأة، والنسب المختلقة.



الإماميَّة الإثني عشريَّة

هو أحد أُباة الضيم، ومن مقدَّمي علماء أهل البيت، قد اكتنفته الفضائل من شتّى جوانبه، علمٌ متدفِّقٌ، وورعٌ موصوفٌ، وبسالةٌ معلومةٌ، وشدَّةٌ في البأس، وشممٌ يخضع له كلُّ جامع، وإباءٌ يكسح عنه أيّ ضيم، كلُّ ذلك موصولٌ بشرف نبويٍّ، ومجد علويٍّ، وسؤدد فاطميّ، وروحٍ حسينيٍّ.

والشيعة على بكرة أبيها لا تقول فيه إلّا بالقداسة، وترى من واجبها تبرير كلّ عمل له من جهادٍ ناجعٍ؛ ونهضةٍ كريمة، ودعوة إلى الرِّضا من آل محمَّد، تشهد لذلك كلّه أحاديث أسندوها إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم وأئمَّتهم عليهم السَّلام، ونصوص علمائهم، ومدائح شعرائهم وتأبينهم له، وإفراد مؤلِّفيهم أخباره بالتَّدوين.

أمّا الأحاديث فمنه قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم للحسين السبط: يخرج من صلبك رجلٌ يقال له :زيد يتخطّى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنَّة بغير حساب(١).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم فيه: انَّه يخرج ويُقتل بالكوفة ويُصلب بالكناسة، يخرج من قبره نبشاً، وتُفتح لروحه أبواب السَّماء، وتبتهج به أهل السَّموات والأرض(٢).

(١) عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق في الباب الـ ٢٥، وكفاية الأثر.
(٢) عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق.

وقول أمير المؤمنين عليه السَّلام وقد وقف على موضع صلبه بالكوفة فبكى وبكى أصحابه فقالوا له: ما الّذي أبكاك؟! قال: إنَّ رجلاً من ولدي يُصلب في هذا الموضع، من رضي أن ينظر إلى عورته أكبَّه الله على وجهه في النّار(١).

وقول الإمام الباقر محمّد بن عليّ عليهما السّلام: اللّهمّ اشدد أزري بزيد. وكان إذا نظر إليه يمثِّل:

لعمرك ما إن أبو مالك ... بِواهٍ ولا بضعيفٍ قواهُ
ولا بالألدّ له وازع ... يُعادي أخاه إذا ما نهاهُ
ولكنّه هيِّنٌ ليِّنٌ ... كعالية الرمح عردٌ نساهُ
إذا سدته سدت مطواعة ... ومهما وكلت إليه كفاهُ
أبو مالك قاصرٌ فقره ... على نفسه ومشيعٌ غناهُ(٢)

ودخل عليه زيد فلمّا رآه تلا: **﴿يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شُهداء لله﴾**. ثمّ قال: أنت والله يا زيد من أهل ذلك(٣).

وقول الصادق عليه السَّلام: إنّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما إنّه لو ظفر لَوفى، أما إنّه لو ملك لَعرف كيف يصنعها(٤).

وقوله الاخر لمّا سمع قتله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عندالله أحتسب عمّي إنّه كان نعم العمّ، إنَّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمِّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعليّ والحسين مضى والله شهيداً(٥).

وقوله الآخر: إنّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه وإنَّما دعاكم إلى الرِّضا من آل محمَّد، ولو ظفر لَوفى بما دعاكم إليه، وإنَّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه(٦).

---

(١) كتاب الملاحم لسيدنا ابن طاوس في الباب الـ ٣١.
(٢) الأغاني ج ٢٠ ص ١٢٧.
(٣) الروض النضير ج ١ ص ٥٥.
(٤) رجال الكشي ص ١٨٤.
(٥) عيون أخبار الرضا.
(٦) الكافي.

وقوله الآخر في حديث: «أمّا الباكي على زيد فمعه في الجنّة، أمّا الشامت فشريكٌ في دمه.

وقول الرِّضا سلام الله عليه، إنَّه كان من علماء آل محمَّد غضب لله فجاهد أعداءه حتّى قُتل[١]. والأحاديث في ذلك كثيرةٌ وإنَّما اقتصرنا على المذكور تحرِّياً للإيجاز.

وأمّا نصوص العلماء فدونك كلمة الشيخ المفيد في إرشاده، والخزّار القمّي في كفاية الأثر، والنسّابة العمري في المجدي، وابن داود في رجاله، والشهيد الأوَّل في قواعده، والشيخ محمَّد ابن الشيخ صاحب المعالم في شرح الاستبصار، والأسترابادي في رجاله، وابن أبي جامع في رجاله، والعلّامة المجلسي في مرآة العقول، وميرزا عبدالله الإصبهاني في رياض العلماء، والشيخ عبد النبيِّ الكاظمي في تكملة الرجال، والشيخ الحرِّ العاملي في خاتمة الوسائل، والسيِّد محمَّد جدّ آية الله بحر العلوم في رسالته، والشيخ أبي علي في رجاله، وشيخنا النوري في خاتمة المستدرك، وشيخنا المامقاني في تنقيح المقال.

إلى كثيرين من أمثالهم فقد اتَّفقوا جميعاً على معنى واحد هو تنزيه ساحة زيد عن أيِّ عابٍ وشية، وانَّ دعوته كانت إلّهيّة، وجهاده في سبيل الله.

ويُعرب عن رأي الشيعة جمعاء قول شيخهم بهاء الملّة والدين العاملي في رسالة إثبات وجود الإمام المنتظر: إنّا معشر الإماميَّة لا نقول في زيد بن عليّ إلّا خيراً، والروايات عن أئمّتنا في هذا المعنى كثيرةٌ. وقال العلّامة الكاظميُّ في التكملة: اتَّفق علماء الإسلام على جلالة زيد وورعه وفضله.

وأمّا شعراء الشيعة فللكميت من هاشميّاته قصيدةٌ يرثي بها زيد بن عليّ وابنه الحسين ويمدح بني هاشم مطلعها:

ألا هل عم في رأيه متأمِّـل؟!   وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ؟!

---

(١) عيون الأخبار لشيخنا الصدوق.

وله قوله في زيد:

يعــزّ على أحمــد بــالــذي ... أصاب ابنه أمس من يوسفِ[١]
خبيثٌ من العصبــة الأخبثيــن ... وإن قلت: زانين. لم أقـذفِ

وقال سديف بن ميمون في قصيدة له:

لا تقيلنَّ عبــد شمس عثــارا ... واقـطـعـوا كـلّ نحلة وغـراس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيـلاً بجـانب المهـراسِ[٢]

وقال أبو محمَّد العبديُّ الكوفيُّ المترجم في كتابنا ج ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٩ ط ثاني:

حسبت اميَّة أن سترضى هاشمٌ ... عنها ويذهب زيدها وحسينهـا
كــلاّ وربِّ مـحمّــد وإلـهــه ... حتّى تُباع سهولهـا وحزونهـا
وتــذلَّ ذلّ حليلة لـحليلهـا ... بـالمشـرفيِّ وتستردُّ ديـونهـا

وقال السيِّد الحميري [المترجم ج ٢ ص ٢٧١ - ٣١٩] كما في تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٧٨:

بــتُّ لـيــلي مــســهَّــداً ... ســاهـر الـطرف مقصـدا
ولــقــد قــلـت قــولــة ... وأطــلـت الــتــبــلّدا
: لــعــن الله حــوشــبــاً ... وخــراشــاً ومــزبــدا
ويــزيــداً فــإنّــه ... كــان أعــتــى وأعــنــدا
ألــف ألــف وألــف ألــ ... ـف من اللعـن سـرمـدا
إنّــهــم حــاربــو الإلـ ... ـه وآذوا مــحــمّــدا
شــركــوا فــي دم الـمط ... ـهّــر زيــدٍ تــعــنّــدا
ثــمّ عــالــوه فــوق جــذ ... ع صــريــعــاً مــجــرّدا

(١) يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق وهو قاتل زيد.
(٢) ماء بجبل احد والقتيل بجنبه حمزة بن عبد المطلب سلام الله عليهما.

يـا خراش بن حـوشب[١] أنت أشقى الـورى غـدا

ورثاه الفضل بن عبد الرّحمن بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب المتوفّى سنة ١٢٩ بقصيدة أوَّلها:

ألا يـا عين لا ترقي وجـودي بدمعك ليس ذا حين الجمودِ
غـداة ابن النبيِّ أبـو حسين صليبٌ بـالكناسـة فـوق عـودِ

وأبو ثميلة صالح بن ذبيان الراوي عن زيد بقصيدة مستهلّها:

أأبا الحسين أعار فقـدك لوعـة من يلق ما لاقيت منها يكمـد

والوزير الصاحب بن عبّاد بمقطوعةٍ أوَّلها:

بـدا من الشيب في رأسي تفاريقُ وحـان لِلّهـو تمحيقٌ وتـطليقُ
هـذا فـلا لهـو من همٍّ يعـوِّقني بيـوم زيـد وبعض الهمِّ تعـويقُ

وقال أبو الحسن بن حمّاد في أبيات له تأتي:

ودليل ذلك قول جعفر عنـدما عُـزّي بزيـد قال كـالمستعبـرِ
: لو كان عمّي ظافراً لَوفى بما قد كان عاهد غير أن لم يظفرِ

وللشيخ صالح الكوّاز في قصيدة يرثي بها الإمام السبط قوله:

وزيـد وقد كـان الإباء سجيَّـة لآبـائه الغرِّ الكـرام الأطـايبِ
كـأنَّ عليه أُلقي الشبـح الَّذي تشكَّل فيه شبه عيسى لصالبِ

وقال الشيخ يعقوب النجفي المتوفّى سنة ١٣٢٩:

يبكي الإمام لزيد حين يذكره وإنَّ زيـداً بسهم واحد ضُـربا
فكيف حال عليٍّ بن الحسين وقد رأى ابنه لنبال القوم قد نُصبا؟!

وللشيخ ميرزا محمّد علي الأوردبادي قصيدة في مدحه ورثائه أوّلها:

---

(١) يقال: ان خراش بن حوشب هو الذي أخرج جسد زيد الشهيد من مدفنه الشريف.

أبت علياؤه إلّا الكرامه   فلم تُقبر له نفس مُضامه

«٢٥ بيتاً»

وللسيِّد مهدي الأعرجي قصيدةٌ في رثائه مطلعها:

خليليَّ عوجا بي على ذلك الربعِ   لأسقيه إن شحَّ الحيا هاطل الدمع

«١٩ بيتاً»

ورثاه السيِّد علي النقي النقوي اللكهنوي بقصيدة استهلّها:

أبى الله للأشراف من آل هاشم   سوى أن يموتوا في ظلال الصوارمِ

«٢٢ بيتاً»

وللشيخ جعفر نقدي قصيدةٌ في رثائه أوّلها:

يا منزلاً بالبلا غيَّبْن أرسمه   يبكيه شجواً على بُعد متيَّمه

«٣١ بيتاً»

وأفرد غير واحد من أعلام الإماميَّة تأليفاً في زيد وفي فضله ومآثره، فمنهم:

١ - إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفّى سنة ٢٨٣، له كتاب أخبار زيد.

٢ - محمَّد بن زكريّا مولى بني غلّاب المتوفّى سنة ٢٩٨، له كتاب أخبار زيد.

٣ - الحافظ أحمد بن عقدة المتوفّى سنة ٣٣٣، له كتاب من روى أخبار زيد ومسنده.

٤ - عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة ٣٦٨، له كتاب أخبار زيد.

٥ - محمَّد بن عبدالله الشيباني المتوفّى سنة ٣٧٢، له كتاب فضائل زيد.

٦ ـ الشيخ الصدوق أبو جعفر القمّي المتوفّى سنة ٣٨١، له كتابٌ في أخباره.

٧ ـ ميرزا محمّد الإستراباذي صاحب الرجال الكبير.

٨ ـ السيد عبد الرّزاق المقرّم. أحد أعلام العصر المنقدين المكثرين من التأليف في المذهب، على تضلّعه في العلم، وقدمه في الشرف، واحتوائه للمآثر الجليلة، ومن مهمّات تآليفه وأوفرها فائدة كتاب الإمام السبط المجتبى، وكتاب حياة الإمام السبط الشهيد ومقتله، وكتاب السيِّدة سكينة، ورسالة في عليٍّ بن الحسين الأكبر، وكتاب زيد الشهيد، وكتابٌ في تنزيه المختار بن أبي عبيد الثقفي طبع مع كتاب زيد، وكتاب أبي الفضل العبّاس ابن أمير المؤمنين، إلى غيرها من كتابات ورسائل قد جمع فيها وأوعى وأتى بما خلت عنه زبر الأوّلين فحياه الله ووفّقه للخير كلّه.

القول الفصل:

هذا زيد ومقامه وقداسته عند الشيعة جمعاء، فلست أدري أين يكون إذن مقيل قول ابن تيميَّة من مستوى الحقيقة: إنّ الرافضة رفضوا زيد بن عليّ بن الحسين ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر والفسق؟![1] وتبعه على هذه الهفوة السيِّد محمود الآلوسي في رسالته المطبوعة في كتاب «السنَّة والشيعة» ص ٥٢ وقال: الرافضة مثلهم كمثل اليهود الرّافضة يبغضون كثيراً من أولاد فاطمة رضي الله عنها بل يسبّونهم كزيد بن عليّ، وقد كان في العلم والزهد على جانب عظيم. وأخذ عنه القصيمي هذه الاكذوبة وذكرها في كتابه «الصِّراع بين الإسلام والوثنيَّة».

ذكر هؤلاء عزوهم المختلق هذا إلى الشيعة في عداد مساوئهم فشنّوا عليهم الغارات، ألا مَن يُسائلهم عن أنَّ الشيعة متى لهجت بهذه؟! ومَن ذا الذي حكاها؟! وعلى أيِّ كتاب تستند مزعمتهم؟! ومَن ذا الّذي شافههم بها حيث خلت عنها الكتب؟!.

---

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٦.

نعم: لم يقصدوا إلّا إسقاط محلِّ الشيعة بهذه السفاسف فكشفوا عن سوءة إفكهم. وإذا كان الكاتب عن أيِّ امَّة لا يعرف شيئاً من معالمهم وأحوالهم، أو يعرفها ثمَّ يقلّبها ظهراً لبطن، يكون مثل هؤلاء الكتبة مورداً للمثَل: حنَّ قِدحٌ ليس منها.

وكأنَّ هؤلاء المدافعين عن ساحة قدس زيد يحسبون القرّاء جهلاء بالتاريخ الإسلامي، وأنَّهم لا يعرفون شيئاً منه، وتخفى عليهم حقيقة هذا القول المزوَّر.

ألا مِن مُسائل هؤلاء عن أنَّ زيداً إن كان عندهم وعند قومهم في جانب عظيم من العلم والزهد فبأيِّ كتاب أم بأيَّة سنَّةٍ حاربه أسلافهم وقاتلوه وقتلوه وصلبوه وأحرقوه وداروا برأسه في البلاد؟!

أليس منهم ومن قومهم أمير مناوئيه وقاتله: يوسف بن عمر؟!

أوَليس منهم صاحب شرطته: العبّاس بن سعد؟!:

أوَليس منهم قاطع رأسه الشريف: ابن الحكم بن الصلت؟!

أوَليس منهم مبشِّر يوسف بن عمر بقتله: الحجّاج بن القاسم؟!

أوليس منهم خراش بن حوشب الذي أخرج جسده من قبره؟!.

أوَليس من خلفائهم الآمر بإحراقه: وليدٌ أو هشام بن عبد الملك؟!.

أوَليس منهم حامل رأسه إلى هشام: زهرة بن سليم؟!.

أوَليس من خلفائهم هشام بن عبد الملك وقد بعث رأس زيد إلى مدينة الرَّسول فنصب عند قبر النبيِّ يوماً وليلة؟!

أوَليس هشام بن عبد الملك كتب إلى خالد القسري يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت شاعر أهل البيت ويده بقصيدة رثى بها زيد بن عليّ وابنه ومدح بني هاشم؟!

أوَليس عامل خليفتهم بالمدينة: محمَّد بن إبراهيم المخزومي، كان يعقد

حفلات بها سبعة أيّام ويخرج إليها ويحضر الخطباء فيها فيلعنون هناك عليّاً وزيداً وأشياعهم؟!.

أوَليس من شعراء قومهم الحكيم الأعور؟! وهو القائل:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهديّاً على الجذع يُصلبُ
وقستم بعثمان عليّاً سفاهةً ... وعثمان خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

أوَليس سلمة بن الحرّ بن الحكم شاعرهم هو القائل في قتل زيد ؟ ! :

وأهلكنا جحاجح من قريش ... فأمسى ذكرهم كحديث أمسِ
وكنّا أُسَّ ملكهمُ قديماً ... وما ملكٌ يقوم بغير أُسِّ
ضمنّا منهمُ نكلاً وحزناً ... ولكن لا محالة من تأسِّ

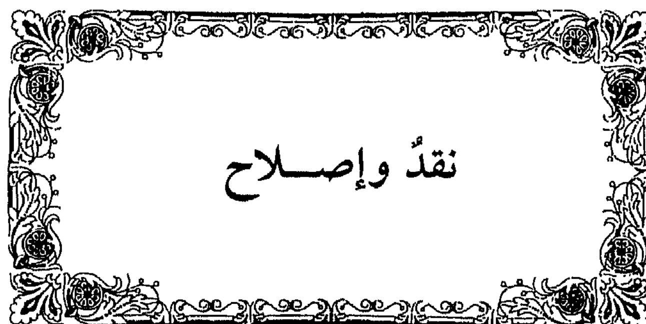
أوَليس منهم مَن يقول بحيال رأس زيد وهو مصلوبٌ بالمدينة؟!:

ألا يا ناقض الميثا ... ق أبشر بالّذي ساكا
نقضت العهد والميثا ... ق قِدماً كان قُدماكا
لقد أخلف إبليس الّـ ... ـذي قد كان منّاكا

هذه حقيقة الحال، فاقض ما أنت قاضٍ.

﴿أفمن هذا الحديثِ تَعجبون. وتَضحكونَ وَ لا تبكون وأنْتم سامدون﴾.

سورة النجم آية ٦٠، ٦١

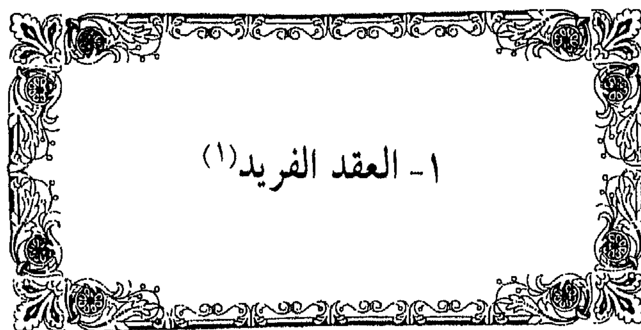


حول الكتب والتآليف المزوَّرة

وإذ لم تكن هذه الفرية الشائنة على الشيعة «حول زيد الشهيد» مجردة عن أمثالها الكثيرة في كتب القوم قديماً وحديثاً - وهي بذرة كلِّ شر وفساد، تحيي في النفوس نعرات الطائفيَّة، وتفرِّق جمع الإسلام، وتُشتِّت شمل الامَّة، وتُضادّ الصالح العام - يهمّنا أن نذكر جملةً منها عن عدَّة من الكتب ليقف القارىء على ما لهم من هوسٍ وهياج في تخذيل عواطف المجتمع عن الشِّيعة، وليعرف محلّهم من الصِّدق والأمانة، وليتّخذ به المتكلِّم دروساً عالية في معرفة الآراء والمعتقدات، ويظهر لِلمفسِّر ما حرَّفته يد التأويل من آي الكتاب العزيز عن مواضعها، وللفقيه ما لعبت به أيدي الهوى من أحكام الله، ولِلمحدِّث ما ضيَّعته الأهواء المضلَّة من السنَّة النبويَّة، ولِلأخلاقيِّ مصارع الهوى ومساقط الاستهتار، وبذلك كلِّه يتّخذ المؤلِّف دستوراً صحيحاً، وخطّةً راقيةً، واسلوباً صالحاً، وأدباً بارعاً في التأليف.

﴿وَلَئن اتَّبعتَ أهواءهُم مِن بَعد ما جاءك منَ العِلم إنَّك إذاً لَمن الظَّالمين﴾

سورة البقرة آية ١٤٥



١ - العقد الفريد[1]

قد يحسب القارىء لأول وهلة أنه كتاب أدب لا كتاب مذهب، فيرى فيه نوعاً من النزاهة، غير أنّه متى أنهى سيره إلى مناسبات المذهب تجد مؤلّفه ذلك المهوّس المهملج، ذلك الأفاك الأثيم قال ج ١ ص ٢٦٩ :

١ - الرافضة يهود هذه الامّة يُبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانيَّة.

ج - كيف يرتضي القارىء هذه الكلمة القارصة؟! وبين يديه القرآن المجيد وفيه قوله تعالى: ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هُم خيرُ البريَّة**﴾. وقد ثبت فيها عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم قوله لعليّ: هم أنت وشيعتك[2].

وكيف يرتضيها؟! وهو يقرأ في الحديث قول الرَّسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السَّلام: أنت وشيعتك في الجنَّة. (تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٨٩).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم وأسماء أُمّهاتهم إلّا هذا «يعني عليّاً» وشيعته فإنَّهم يُدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحَّة ولادتهم[3].

---

(١) تأليف شهاب الدين ابن عبد ربه المالكي المتوفى ٣٢٨.

(٢) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٥٧ ط ثاني.

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٥١.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ: يـا عليّ، إنَّ الله قد غفـر لك ولذريّتك ولولدك ولأهلك وشيعتك ولمحبّي شيعتك[١].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّـك ستقدم على الله أنت وشيعتـك راضين مرضيّين[٢].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أنت أوّل داخل الجنّة من امّتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور مسرورون مبيضّة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنّة جيراني[٣].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أنا الشّجرة وفاطمة فرعها وعليٌّ لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها وأصل الشجرة في جنّة عدن وسائر ذلك في سائر الجنّة[٤].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ إنَّ أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينـا خلف ظهـورنا، وأزواجنا خلف ذرارينـا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا[٥].

وفي لفظ: أمـا تـرضى أنـك معي في الجنـة والحسن والحسين وذرّيّتنا خلف ظهورنا؟! الحديث[٦].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذا «يعني عليّاً» وشيعته هم الفائزون يوم القيامة[٧].

---

(١) الصواعق ص ٩٦، ١٣٩، ١٤٠.
(٢) نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٦.
(٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١، كفاية الطالب ١٣٥.
(٤) راجع من هذا الجزء ص ٨ ط ٢.
(٥) أخرجه الطبراني عن أبي رافع، وابن عساكر عن علي عليه السلام في تاريخه ج ٤ ص ٣١٨، ويوجد في الصواعق ٩٦، وتذكرة السبط ٣١، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١، وكنـوز الحقائق هـامش الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦.
(٦) أخرجه أبو سعد في شرف النبوة كما في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩.
(٧) راجع من كتابنا ج ٢ ص ٥٧، ٥٨ ط ثاني.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في خطبة له: أيّها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديّاً. فقال جابر بن عبدالله: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟! قال: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم، احتجر بذلك من سفك دمه وأن يؤدّي الجزية عن يد وهم صاغرون، مثّل لي أُمّتي في الطين فمرَّ بي أصحاب الرّايات فاستغفرت لعليٍّ وشيعته. أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٢.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: شفاعتي لأُمَّتي من أحبَّ أهل بيتي وهم شيعتي تاريخ الخطيب ج ٢ ص ١٤٦.

٢ ـ قال: محبَّة الرافضة محبَّة اليهود قالت اليهود: لا يكون الملك إلاّ في آل داود. وقالت الرافضة: لا يكون الملك إلاّ في آل عليٍّ بن أبي طالب.

ج ـ إن كانت في قول الرافضة تبعةٌ فهي على مخلّف آل عليٍّ صلّى الله عليه وآله وسلم بقوله الصحيح الثابت المتواتر المتسالم عليه المرويِّ عن بضع وعشرين صحابيّاً كما في الصواعق ص ١٣٦: إنّي تاركٌ أو مخلّفٌ فيكم الثقلين، أو: الخليفتين. ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

فقد خطب به الصادع بالحقِّ على رؤوس الأشهاد في ملأ من الصحابة تبلغ عدَّتهم مائة ألف أو يزيدون، وأنبأ في ذلك المحتشد الحافل عن خلافة آل بيته الطاهر وعليٌّ سيِّدهم وأبوهم.

وهذا الإمام الزرقاني المالكي يحكي في شرح المواهب ج ٧ ص ٨ عن العلاّمة السمهودي أنّه قال: هذا الخبر يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من عترته في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتّى يتوجّه الحثُّ المذكور على التمسّك به كما أنَّ الكتاب كذلك، فلذا كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض. اهـ.

فأيُّ رجل يسعه أن يسمع قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في لفظ من

حديث الثقلين: إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين. الحديث[١]؟!

أو يقرأ قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في لفظه الآخر: أيّها الناس إنّي تاركٌ فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي؟!.

أو يقرع سمعه قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في لفظه الثالث: فسألت ذلك لهما (الثقلين) ربّي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم؟!

أو يقف على قوله في لفظه الرابع: وناصرهما لي ناصرٌ، وخاذ لهما لي خاذلٌ، ووليّهما لي وليٌّ، وعدوّ هما لي عدوٌّ[٢]؟!

ثمَّ لا يتّبع آل عليٍّ ولا يتّخذهم إلى الله سبل السّلام، أو يقتدي بغيرهم ويضلّ عن سبيل الله؟! حاش لله. إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا.

وما ذنب الشيعة بعد قول نبيِّهم صلَّى الله عليه وآله وسلّم: من سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنَّة عدن غرسها ربِّي فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليَّه، ولْيقتدِ بأهل بيتي من بعدي، فإنَّهم عترتي خُلقوا من طينتي، ورُزقوا فهمي وعلمي، فويلٌ للمكذِّبين بفضلهم من امّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[٣]؟!

ونحن نقول: (آمين) ورحم الله من قال: آمينا.

وماذا على الشيعة في قولهم؟! بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: في كلّ خلوف من امّتي عدولٌ من أهل بيتي ينفون من هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إنَّ أئمَّتكم وفدكم إلى الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وجمع كثير من الحفاظ والأئمة.

(٢) راجع في هذه الألفاظ الجزء الأول من كتابنا ص ٥٥

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٦٨، والطبراني والرافعي كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٦ ص ٢١٧.

فانظروا بمن توفدون(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح مَن ركبها نجا ومَن تخلّف عنها غرق(٢).

فأهل بيت مَثلهم في الامَّة كمثل النبيِّ الطاهر كيف لا تقول الشيعة بالخلافة فيهم؟! وكيف يُرى موقفهم في حبِّهم موقف اليهود؟! وإلى من تُوجَّه هذه القارصة؟!.

وهل ابن عبد ربِّه عزب عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمانٌ لأمَّتي من الاختلاف، فإذا خالفها قبيلةٌ اختلفوا فصاروا حزب إبليس(٣)؟!.

اللّهمّ لا، بل طُبع على قلبه وهو ألدّ الخصام.

فأهل بيت هم للأمَّة نجوم الهداية، ونجوم الأمن من الضلال والخلاف كيف لا يُقتدى بهم؟! وما عذر من عدل عنهم؟! وإلامَ مصير من لا يهتدي بهم؟! وما قيمة تلك الحياة؟! وتلك الروح؟! وتلك النزعة؟! وتلك النشأة؟!.

وإنَّ خيرة الله لم تقع على هذه الاسرة الكريمة إلّا بعد كلّ جدارة للولاية المطلقة، وحذق في تدبير الشئون في كلِّ وقت لو انتهت إليهم قيادة البشر، وثنيت لهم الوسادة، غير أنَّ مناوئيهم زحزحوها عن ساحتهم حسداً أو نزولاً على حكم النهمة والشره، إنَّما هي الخلافة الإلّهيَّة لا الملك كما حسبه المغفَّل، وقد نصَّ بها الشعبي كما ذكره ابن تيميَّة في منهاجه ج ١ ص ٧ وقال: محنة الرافضة محنةاليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلّا في آل داود. وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلّا في ولد عليٍّ.

---

(١) أخرجه الملاكما في ذخائر العقبى ١٧، الصواعق ١٤١.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٢ ص ٩١، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥١ وصححه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ : ١٤٩ وصححه .

٣ - قال: اليهود يؤخّرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة.

ج - يجب أوّلاً أن يحفي السؤال عن خبر هذه المسألة اليهود هل هم يعرفون شيئاً منها ومن بقيّة المسائل المعزوّة إليهم؟!.

وليت شعري هل كتب الرجل هذه الكلمة بعد مراجعته لفقه الشيعة وأحاديث أئمّتهم وفيها قول الصادق عليه السّلام: من ترك صلاة المغرب عامداً إلى اشتباك النجوم فأنا منه بريءٌ.

وقيل له عليه السّلام: إنَّ أهل العراق يؤخّرون المغرب حتّى تشتبك النجوم فقال: هذا من عمل عدو الله أبي الخطّاب.

وقال عليه السّلام: من أخّر المغرب حتّى تشتبك النجوم من غير علّة فأنا إلى الله منه بريءٌ.

وقال عليه السّلام: وقت المغرب حين تجبُّ الشمس إلى أن تشتبك النجوم.

وقال عليه السّلام: وقت المغرب من حين تغيب الشمس إلى أن تشتبك النجوم.

وقال عليه السّلام: وقد سُئل عن وقت المغرب: فإذا تغيَّرت الحمرة في الافق وذهبت الصّفرة وقبل أن تشتبك النجوم.

وقال له عليه السّلام ذريحٌ: إنَّ اناساً من أصحاب أبي الخطّاب يمسون بالمغرب حتى تشتبك النجوم. قال: أبرأ إلى الله ممَّن فعل ذلك متعمِّداً.

وقال عليه السّلام: ملعونٌ ملعونٌ من أخّر المغرب طلباً لفضلها[1].

فلِماذا يكذب الرجل في نقله؟! أو أنّه كتب قبل أن يراجع رجماً بالغيب؟! فحيّا الله الأمانة والتنقيب.

---

(١) راجع من لا يحضره الفقيه. وتهذيب شيخ الطائفة واستبصاره ومجالسه.

ولعلّه قرع سمعه عن بعض الضالّة وهم: الخطّابيّة ـ أصحاب أبي الخطّاب إلزاماً بذلك، لكن أين هم من الشيعة ؟! والشيعة على بكرة أبيها تكفر هؤلاء وتضلّلهم وأحاديث أئمّتهم كسحت معرّة عيث هؤلاء، فمن الإفك الشائن عزو هاتيك الشية إلى الشيعة، وهم وأئمتهم عنها بُرآء.

٤ ـ قال: اليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئاً وكذا الرافضة.

ج ـ الشيعة لا ترى ملتحداً عن البخوع للقرآن الكريم وفي أعلى هتافه:

الطّلاق مرّتان فإمساكٌ بمعروف أو تَسريحٌ بإحسانٍ ـ إلى قوله تعالى ـ: فإن طلّقها فلا تحلُّ له من بَعدُ حتّى تنكح زوجاً غيره. الخ.

ومن جليّة الحقائق أنَّ تحقّق المرّتين أو الثلاث يستدعي تكرُّر وقوع الطّلاق كما يستدعي تخلّل الرجعة بينهما أو النكاح، فلا يقال للمطلّقة مرّتين بكلمة واحدة أو في مجلس واحد: إنّها طُلِّقت مراراً كما إذا كان زيد أعطى درهمين لعمرو بعطاء واحد لا يقال: إنّه أعطى درهمين مرّتين، وهذا معنى يعرفه كلُّ عربيٍّ صميم.

ثمّ إنَّ سياق الآية وإن كان خبريّاً غير أنّه متضمِّنٌ معنى الإنشاء الأمريّ كقوله تعالى: ﴿**والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾. وقوله تعالى: ﴿**والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنَّ ثلاثة قروء**﴾. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: الصّلاة مثنى مثنى، والتشهّد في كلِّ ركعتين وتسكّن وخشوع. ولو كان إخباراً لما تخلّف عنه خارجه، ونحن نرى أنَّ في الناس من يطلّق طلقة واحدةً، والقرآن لا يتسرَّب إليه شيءٌ من الكذب.

فعدم الإعداد بالطلاق الثلاث على نحو الجمع عند الشيعة مأخوذٌ من القرآن الكريم، ولهذه الجملة مزيد توضيح في أحكام القرآن لأبي بكر الجصّاص الحنفي ج ١ ص ٤٤٧ وهذه الفتوى هي المنقولة عن كثير من أئمّة أهل السنّة والجماعة، بل المخالف الوحيد في المسألة هو الشافعيُّ، وقد بسط القول في الردّ عليه أبو بكر الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٤ ص ٤٤٩.

وقال الإمام العراقيُّ في «طرح التثريب» ج ٧ ص ٩٣: وممّن ذهب إلى أنَّ جمع الطلقات الثلاث بدعةٌ مالك. والأوزاعي. وأبو حنيفة. والليث، وبه قال داود وأكثر أهل الظاهر.

وقال أبو بكر الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٤ ص ٤٥٩: كان الحجّاج ابن أرطأة يقول: الطّلاق الثلاث ليس بشيء. ومحمَّد بن إسحاق كان يقول: الطّلاق الثلاث تُردُّ إلى الواحدة.

هذا ما نعرفه من الشيعة فإن كان هذا شبهاً بينهم وبين اليهود فهم وأولئك الأئمَّة في ذلك شرعٌ سواء، لكن الأندلسي يحترم جانب أصحابه فشبَّه الشيعة باليهود فهو إمّا جاهلٌ بفقه قومه فضلاً عن فقه الشيعة ولم يعرف شيئاً ممّا عندهم في المسألة، أو يعلم ويتعمَّد الكذب، أو يريد معنىً غير ما ذكر ونحن لا نعرفه ولا نعرف قائلاً به من الشيعة .

وما تقرأ أو تسمع في المسألة غير ما يقوله الشيعة فهو من البدع الحادثة بعد النبيِّ الأعظم لم يأت به الكتاب والسنَّة بل أحدثته أهواءٌ مضلّةٌ، وحبَّذته اناسٌ، وجاءوا به من عند أنفسهم؛ وأمضاه عليهم عمر بن الخطاب وهذا صريح ما أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٥٧٤، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٣٤٤، وأحمد في مسنده ج ١ ص ٣١٤ عن ابن عبّاس قال: كان الطّلاق على عهد رسول الله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: إنَّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناه عليهم. فأمضاه عليهم.

وأخرج مسلم وأبو داود بإسناده عن ابن طاوس عن أبيه: أنَّ أبا الصهباء قال لابن عبّاس: أتعلم أنّما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبيّ ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟! فقال ابن عبّاس: نعم.

وأخرج مسلم بإسناد آخر: أن أبا الصهباء قال لابن عبّاس: هات من هناتك، ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة؟!

فقال: قد كان ذلك فلمّا كان عهد عمر تتابع النّاس في الطّلاق فأجازه عليهم.

وللشرّاح في المقام كلماتٌ متضاربةٌ؛ وآراءٌ واهيةٌ، وتوجيهاتٌ باردةٌ بعيدةٌ عن العلم والعربيَّة، وعدَّه القسطلاني من الأحاديث المشكلة ـ ولعمري مشكلة جدّاً ـ لا يسعنا بسط الكلام في ذلك كلّه.

٥ ـ قال: اليهود لا ترى على النساء عدَّة وكذلك الرافضة.

ج ـ الشيعة ترى على النساء من العدَّة ما حكم به الكتاب والسنَّة. فالمطلّقاتُ يتربَّصنَ بأنفسهنَّ ثلاثة قروء إن كنَّ ذوات الأقراء، وتعتدُّ ذوات الشهور ثلاثة أشهر.

وأولات الأحمالِ أجلهنَّ أن يضعن حملهنَّ.

واللاتي توفّي عنها زوجها يتربَّصن بأنفسهنَّ أربعة أشهر وعشراً إذا كانت حائلاً، والحامل تعتدُّ بأبعد الأجلين من العدَّة والوضع جمعاً بين عموم الآيتين.

والإماء تعتدُّ قرئين من طلاق إن كنَّ ذوات الأقراء وإلّا فشهراً ونصفاً.

وتعتدُّ من الوفاة شهرين وخمسة أيَّام إن كانت حائلاً والحامل عدَّتها أبعد الأجلين.

وامّ الولد لمولاها عدَّتها أربعة أشهر وعشراً.

والمتمتَّع بها إذا انقضى أجلها بعد الدخول أو أعرض عنه الزَّوج فعدَّتها حيضتان في ذوات الأقراء، وخمسة وأربعون يوماً في غيرهنَّ.

وتعتدُّ من الوفاة بأربعة أشهر وعشرة أيّام إن كانت حائلاً أو لم يدخل بها، وبأبعد الأجلين إن كانت حاملاً. ولو كانت أمة فعدَّتها حائلاً شهران وخمسة أيّام.

هذا ما عند الشيعة من العدَّة، وهذه كتب القوم الفقهيّة والتفسيريَّة قديمة وحديثة طافحةٌ بما ذكرناه، فهل وجد عزوه المختلق في شيءٍ منها؟! اللّهم لا. بل إنَّه لا يكترث بالمباهتة وهي شأنه في كثير من الموارد.

٦ ـ قال: اليهود تستحلُّ دم كلِّ مسلم وكذلك الرافضة.

ج ـ هل يعرف الرجل مصدر هذه النسبة من كتب الشيعة وعلمائهم وأعلامهم، بل من ساقتهم وذوي المراتب الواطئة منهم؟! والشيعة هم الَّذين يتلون الكتاب العزيز في آناء الليل وأطراف النهار مخبتين بأنَّ ما بين دفّتيه وحيٌ منزلٌ من الله إلى سيِّد رسله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه آيات التحذير عن قتل المؤمن والإيعاز بالخلود في جهنَّم من جرّائه وفيه آية القصاص. والسنَّة النبويَّة وأحاديث أئمتهم مشحونةٌ بالنهي عنه والعقوبات عليه والأحكام المرتبة عليه من قصاص وديات، ومن المطَّرد في فقههم عقد كتابين فيهما.

فبذلك كلّه تعلم أنَّ هذه النسبة لا مصدر لها إلاّ الخيال المتوهَّم الصادر عن العداء المحتدم، والعصبيَّة الحمقاء.

٧ ـ قال: اليهود حرَّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرَّفت القرآن.

ج ـ إنَّ مصدر الشيعة في التفسير والتأويل، وفي كلِّ حكم أو تعليم ليس إلاّ أحاديثُ معتبرةٌ صادرة عن رجالات بيت الوحي بعد مشرِّفهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل البيت أدرى بما فيه، وليس ما يُروى عنهم من الشئون مستعصياً على العقل والمنطق ولا الاصول المسلّمة في الدين ،وليس بمأخوذ من مثل قتادة والضحّاك والسدّي وأمثالهم المفسِّرين بالرأي البعيدين عن مستقى العلم النبويِّ.

فإذا أردت تحريف الكلم عن مواضعه والنظر إليه فإليك بكتب القوم وتفاسيرهم تجد هناك التعليلات الباردة، والتحكّمات الفارغة، والعلل التافهة، والآراء السخيفة؛ وإنكار المسلّمات، وحسبك ما يأتي من نماذجها نقلاً عن كتاب «منهاج السنَّة» لابن تيميَّة وغيره. إذن فألق الشبه بين اليهود وأيّ فرقة شئت.

٨ ـ قال: اليهود تبغض جبرئيل وتقول: هو عدوُّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول: غلط جبرئيل في الوحي إلى محمَّد بترك عليٍّ بن أبي طالب.

ج - لعلّ الرجل يحسب في أحلامه الطائشة أنّه يحدِّث عن امّة بائدة قد أكل عليها الدهر وشرب، فلم يبق لها مَن يدافع عن شرفها، وما كان يحسب أنَّ المستقبل الكشّاف سوف يُقيِّض مَن يُسائله قائلاً: كيف يعادي جبرئيل من يتلو في كتابه المقدَّس قوله تعالى: **﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين؟!﴾**.

ومتى خالج شيعيّاً الشكُّ في نبوَّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟! أو هجس في خلد أيٍّ منهم نبوَّة أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلام؟! حتّى يحكم بغلط جبريل وهو يقرأ آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى: **﴿وما محمَّدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلت مِن قَبله الرُّسل﴾**.

وقوله تعالى: **﴿وما كان محمّدٌ أبا أحدٍ من رِجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين﴾**.

وقوله تعالى: **﴿وآمنوا بما نزّل على محمّدٍ وَهو الحقُّ مِن ربِّهم﴾**.

وقوله تعالى: **﴿محمَّد رسولُ الله﴾**.

وقوله تعالى: **﴿ومُبشِّراً برسولٍ يأتي مِن بعدي اسمه أحمد﴾**.

وكيف يرى شيعيٌّ أنَّ جبريل قد غلط في الوحي؟! وهو يتشهَّد بالرِّسالة في كل فريضة ونافلة، وفي الأذان والإقامة، وفي دعوات كثيرة مأثورة عن أئمَّتهم صلوات الله عليهم، وتشهد بذلك كلّه مؤلفاتهم في الفقه والحديث والكلام والعقائد والملل والنحل.

وهل من الممكن أن تزعم الشيعة (على هذه الفرية) أنّ الله سبحانه أمضى ذلك الغلط لمجرَّد اشتباه جبريل وهو يريد أن يبعث أمير المؤمنين؟! وهل يقول بهذا معتوهٌ دهش؟! أو بربريٌّ عزب عنه العلوم والمعارف كلّها فضلاً عن الشيعة وهم هم؟! فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟!.

والعجب كلّ العجب أنَّه يكتب كاتب مصر اليوم وعالمها ردّاً على الشيعة

ويسلقهم بهذا التافه الخرافيّ، فلا يصدَّنّك عنها مَن لا يؤمن بها واتَّبع هـواه فتردى.

٩ - قال: اليهود لا تأكل لحم الجزور وكذلك الرافضة.

ج - إقرأ واضحك أو اقرأ وابك.

وإذا تحرَّيت الوقاحة والصلف فإلى صاحب هذه الكلمة، فإن كنت لا تعلم كيف يكذب المائن، ويبهت الخائن، فالأندلسيُّ يوقفك عليه في كتابه.

ليت شعـري ما ذنب الجـزور المخـرج حكمـه ممّـا يؤكـل لحمـه من الحيوانات؟! أو ما كرامته على الشيعة حتى أربوا به عن الذبح؟!.

أنا لا أعلم شيئاً من ذلك، ولعلَّ عند مفتعل الرواية فلسفة راقية تؤول إلى تلك الفرية الشائنة.

والحكم الفـاصـل في هـذه المعضلة مجـازر القصّـابين وسـواطيـرهم وحوانيتهم في بلاد الشيعة من أقطار العالم.

اضحوكة

١٠ - قال: قال أبو عثمان بحر الجاحظ: أخبرني رجلٌ من رؤساء التّجّار قال: كان معنا في السفينة شيخٌ شرس الأخلاق طويل الإطراق وكان إذا ذُكر له الشيعة غضب واربدَّ وجهه، وزوى من حاجبيه فقلت له يوماً: يرحمك الله ما الذي تكرهه من الشيعة؟! فإنّي رأيتك إذا ذُكروا غضبتَ وقبضتَ. قال: ما أكره منهم إلاّ هذه الشين في أوّل اسمهم فإنّي لم أجدها قطُّ إلاّ في كلّ شرٍ وشؤم وشيطانٍ وشغب وشقاءٍ وشفارٍ وشررٍ وشينٍ وشوكٍ وشكوى وشهرةٍ وشتمٍ وشحّ. قال أبو عثمان: فما ثبت لشيعيٍّ بعدها قائمة.

عجباً من سفاهة الشيخ (شرس الأخلاق) وضئولة رأيه حيث لم يجد في الشيعة ما يزري بهم، لكن عداءه المحتدم حداه إلى أن يتّخذ لهم عيباً منحوتاً

من السفاسف، فطفق يؤاخذهم بالاسم لمحض اطّراد حرف من حروفه في أشياء من أسماء الشرّ، ولو اطّرد هذا لتسرَّب إلى كثير من الأسماء المقدَّسة، وإلى كتاب الله العزيز وفيه قوله تعالى: ﴿وإنَّ من شيعته لإبراهيم﴾. وآيٌ اخرى جاءت فيها لفظة الشيعة.

وأسخف من الشيخ أبو عثمان الَّذي يحسب أنَّه لم تثبت للشيعة بعد تلك الكلمة التافهة قائمة، فكأنَّ صاعقة أصابتهم، أو أنَّها خسفت الأرض من تحت أرجلهم، أو دكدكت عليهم الجبال فأهلكتهم، أو أنَّ برهاناً قاطعاً دحض حجَّتهم ففضحهم، ولم يعقل أنَّ الشيخ كشف بقوله عن سوءته، وأقام حجَّةً على شراسة أخلاقه، فاقتدى به أبو عثمان بعقليته الضئيلة.

ولم يبعد عنهما ابن عبد ربِّه حيث أورده في كتابه مرتضياً له، ولِم لَم يرق الشيخ الشرس أن يحبَّ من الشيعة هذه الشين الموجودة في الشريعة. والشمس. والشروق. والشعاع. والشهد. والشفاعة. والشرف. والشباب. والشكر. والشهامة. والشأن والشجاعة. والشفق؟! وقد جاءت غير واحدة من تلكم الألفاظ كلفظة الشيعة في القرآن.

وكيف تجد الشيخ في اكذوبته بأنَّه لم يجد الشين إلاّ في تلك الألفاظ دون هذه؟! ولعلّه كان أعور فلا يبصر ما يحاذي عينه العوراء.

أو ليس في وسع الشيعة أن تقول على وتيرة الشيخ: إنِّي ما أكره من السنِّيّ إلاّ هذه السين في أوّل اسمه التي أجدها في السام. والسئم. والسعر. والسقر. والسبي. والسقم. والسم. والسموم. والسوءة. والسهم. والسهو. والسرطان. والسرقة. والسفه. والسفل. والسخب. والسخط. والسخف. والسقط. والسلّ. والسليطة. والسماجة؟!.

لكنَّ الشيعة عقلاء حكماء لا يعتقدون على التافهات، ولا يخدشون العواطف بالسفاسف، ولا يشوِّهون سمعة أيِّ مبدء بمثل هذه الخرافات.

هذه نبذةٌ من مخاريق ابن عبد ربّه، وكم لها من نظير، ولو ذهبنا إلى

استيعاب ما هناك لجاء كتاباً حافلاً، وهناك له سقطات تاريخيّة كقوله في زيد الشهيد: إنَّه خرج بخراسان فقتل وصُلب[1] نخرج بنقدها عن موضوع البحث ولا يهمنا الإيعاز إليها.

وذكر ابن تيميَّة في «منهاج السنَّة» هذه النسب والإضافات المفتعلة، وراقه أن يُري للمجتمع أَنه أقدر في تنسيق الأكاذيب من سلفه، وأنَّه أبعد منه عن أدب الصدق والأمانة فزاد عليها:

اليهود لا يخلصون السَّلام على المؤمنين إنَّما يقولون: السام عليكم(السام: الموت) وكذلك الرافضة:

اليهود لا يرون المسح على الخفين وكذلك الرافضة.

اليهود يستحلّون أموال الناس كلّهم وكذلك الرافضة.

اليهود تسجد على قرونها في الصَّلاة وكذلك الرافضة.

اليهود لا تسجد حتّى تخفق برؤوسها مراراً تشبيهاً بالرُّكوع وكذلك الرافضة.

اليهود يرون غشَّ الناس وكذلك الرافضة.

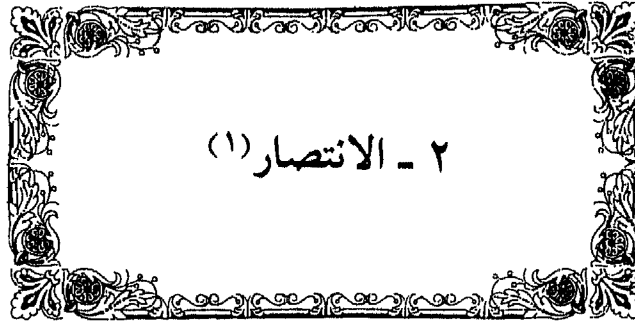
وأمثال هذه من الخرافات والسفاسف، وحسبك في تكذيب هذه التقوّلات المعزوَّة إلى الشيعة شعورك الحرُّ، وحيطتك بفقههم وكتبهم وعقائدهم وأعمالهم، وما عُرف منهم قديماً وحديثاً. فإلى الله المشتكى.

﴿ولئن اتَّبعت أهواءَهم بَعد الّذي جاءَكَ مِنَ العلم
ما لَكَ مِنْ وَليٍّ وَلا نَصير﴾

سورة البقرة: آية ١٢٠

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٦، ٣٥٥، ج ٣ ص ٤١.



٢ ـ الانتصار[١]

إنك غير مائن لو سميته بمصدر الأكاذيب، ولو عزي إليه على عدد صفحاته ـ ١٧٣ ـ اكذوبة لما كذب القائل، ولو جست خلال صحائفه لأوقفك الفحص على العجب العجاب من كذب شائن، وتحكّم بارد، وتهكّم ممض، ونسب مفتعلة، وإنّا نرجىء إيقافك عليها إلى ظفرك بالكتاب نفسه فإنه مطبوع بمصر منشور، ولا نسوّد جبهات صحائف كتابنا بنقل هاتيك الأساطير كلها، وإنما نذكر لك نماذج منها لتعرف مقدار توغله في القذائف، وتهالكه دون الطامات، وتغلغل الحقد في ضميره الدافع له إلى تشويه سمعة امّة كبيرة كريمة نزيهة عن كل ما تقوّله عليها. قال:

١ ـ الرافضة تعتقد أنَّ ربَّها ذو هيئة وصورة يتحرَّك ويسكن ويزول وينتقل وأنَّه كان غير عالم فعلم (إلى أن قال): هذا توحيد الرافضة بأسرها إلّا نفراً منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد فنفتهم الرافضة عنهم وتبرَّأت منهم، فأمّا جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم، وشيطان الطاق، وعلي بن ميثم، وهشام بن الحكم بن منصور، والسكّاك فقولهم ما حكيت عنهم ص ٥.

٢ ـ الرافضة تقول وهي معتقدةٌ: إنَّ ربّها جسمٌ ذو هيئةٍ وصورةٍ يتحرَّك ويسكن ويزول وينتقل وانَّه كان غير عالم ثمَّ علم ص ٧.

٣ ـ فهل على وجه الأرض رافضيٌّ إلّا وهو يقول: إنّ الله صورةٌ، ويروي في ذلك الروايات، ويحتجّ فيه بالأحاديث عن أئمَّتهم؟! إلّا من صحب المعتزلة منهم قديماً فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقرِّبه. ص ١٤٤.

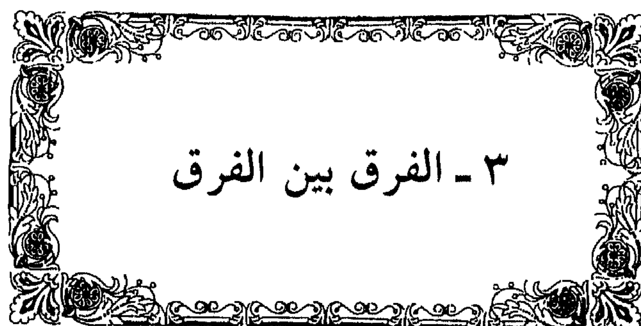
---

(١) تأليف أبي الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلي.

٤ - ترى الرافضة أن يطأ المرأة الواحدة في اليوم الواحد مائة رجل من غير استبراء، ولا قضاء عدَّة، وهذا خلاف ما عليه امَّة محمَّد. ص ٨٩.

ستتضح جليَّة الحال في هذه كلّها وأنَّ الشيعة بريئةٌ منها من أوَّل يومها ﴿وَلئن اتَّبعتَ أهواءَهم مِن بعْدِ ما جاءك من العلم إنَّكَ إذاً لمن الظَّالمين﴾[1].

(١) سورة البقرة آية ١٤٥.



٣ ـ الفرق بين الفرق

تأليف أبي منصور
عبد القاهر بن طاهر البغداديّ
المتوفّى سنة ٤٢٩ في ٣٥٥ صفحة

لم يترك هذا المؤلِّف في قوس إفكه منزعاً لم يرم به الشيعة، إنَّما قحمه في هذه المهلكة حسبانه في ص ٣٠٩ أَنه لم يكن في الروافض قطُّ إمامٌ في الفقه، ولا إمامٌ في رواية الحديث، ولا امامٌ في اللغة والنحو، ولا موثوقٌ به في نقل المغازي والسير والتواريخ، ولا إمامٌ في التأويل والتفسير، وإنَّما كان أئمّة هذه العلوم على الخصوص والعموم أهل السنَّة والجماعة.

وحمداً لله على ذلك وكأنَّ هذه المزعمة عنه كانت عامَّة حتّى للأجيال القادمة نظراً إلى الغيب من وراء ستر رقيق، وبذلك، أمن أن يكون من بعده من يكشف عورته ويطعن في أمانته في العزو، أو أنَّ كتب الشيعة وعلمائها المضادَّة لهاتيك النسب تكذِّبه بأنفسها.

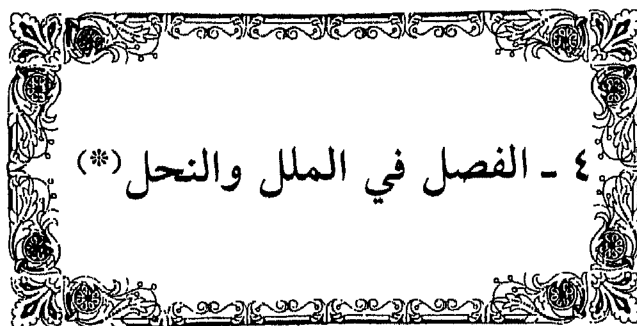
وإن تعجب فعجبٌ أنَّه كان نصب عيني الرجل في بيئته (بغداد) رجالات من الشيعة لا يطعن في إمامتهم في كلّ ما ذكره من العناوين وكانت بيدهم أزمّة الزعامة كشيخ الامَّة ومعلّمها محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد. وعلم الهدى سيّدنا المرتضى والشريف الرضي. وأبي الحسين النجاشي. والشيخ أبي الفتح الكراجكي. والشريف أبي يعلى. وسلّام الديلمي. ونظرائهم فهو إذاً انه لم يحسَّ بهم لخلل في حسّه المشترك، أو أنَّه مندفعٌ إلى الإنكار بدافع الحنق،

وأيّـاً ما كان حن لا بالي بما هو فيه، وكلُّ قصدنا تنبيه القارىء إلى خطّة الرجل حتّى لا يغترّ بما له من صخب وتركاض.

ولعلّك تعرف شيئاً ممّا حوته صفحات هذا الكتاب المزوَّر، من الكذب والزور والبهت والتدجيل والتمويه، عندما تقف على كلماتنا حول ما يضاهيه من الكتب المزوَّرة.

﴿وَلَئِن اتَّبعتَ أهواءَهَم بعد ما جاءكَ مِنَ العلم
ما لَكَ مِنَ الله مِن وليٍّ وَلا واق﴾

سورة الرعد: آية ٣٧



٤ ـ الفصل في الملل والنحل(*)

يجب على من يكتب في الملل والنحل قبل كل شيء الالتزام بالصدق والأمانة أكثر ممن يؤلف في التاريخ والأدب حتى يأمن بوائق هذا الفن من قذف الامم من غير استناد إلى ركن وثيق، وتشويه سمعة الأبرياء بمجرّد الوهم أو الخيال، فلا يخطّ إلا وهو متثبت في النقل، معتمد على أوثق المصادر، حتى يكون ذلك معذراً له عند المولى سبحانه، فلا يؤاخذ بالبهت على الناس والوقيعة فيهم.

غير أن ابن حزم لم يلتزم بهذا الواجب بل التزم بضده في كل ما يكتب، فطفق ينسق الأقاويل، ويروقه تكثير المذاهب، وقذف من يخالفه في المبدأ. فإليك نماذج من تحكّماته قال :

١ ـ إنَّ الروافض ليسوا من المسلمين إنّما هي فرقٌ أوّلها بعد موت النبيِّ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابةً ممَّن خذله الله لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفةٌ تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر.

ج ـ لعمر الحقِّ انَّ هذه جملٌ قارصة تندى منها جبهة الإنسانيَّة ولو كان الظاهريُّ يحملها لوجب أن ينتصب عرقاً ولكن. . .

وليت شعري كيف يمكن سلب الإسلام عن قوم يستقبلون القبلة في فرائضهم، ويلهجون بالشَّهادتين فيها، ويحملون القرآن ويعملون به ويتَّبعون سنَّة النبيِّ الأقدس؟! وملء الّدنيا كتبهم في العقائد والأحكام فهي شهيدةٌ لهم على ما قلناه بعد أعمالهم الخارجيَّة.

(*) تأليف ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦، راجع ج ١ ص ٢٩٠.

وكيف يسع الرجل هذا الحكم الباتّ؟! وآلافٌ من الشيعة هم مشايخ أعلام السنَّة ورواة الحديث في صحاحهم الستّ وغيرها من المسانيد وهي مراجع قومه في معتقداتهم وأحكامهم وآرائهم نظراء:

أبان بن تغلب الكوفي	إبراهيم بن يزيد الكوفي	أبو عبد الله الجدلي
أحمد بن المفضل الحفري	إسماعيل بن أبان الكوفي	إسماعيل بن خليفة الكوفي
إسماعيل بن زكريّا الكوفي	إسماعيل بن عبد الرَّحمٰن	إسماعيل بن موسى الكوفي
تليد بن سليمان الكوفي	ثابت أبو حمزة الثّمالي	ثُوير بن أبي فاختة الكوفي
جابر بن يزيد الجعفي	جرير بن عبد الحميد الكوفي	جعفر بن زياد الكوفي
جعفر بن سليمان البصري	جُميع بن عُميرة الكوفي	الحارث بن حُصيرة الكوفي
الحارث بن عبد الله الهمداني	حبيب بن أبي ثابت الكوفي	الحسن بن حيٍّ الهمداني
حكم بن عُتيبة الكوفي	حمّاد بن عيسى الجهني	خالد بن مخلّد القطواني
أبو الجحّاف ابن أبي عوف	زُبيد بن الحارث الكوفي	زيد بن الحباب الكوفي
سالم بن أبي الجعد الكوفي	سالم بن أبي حفصة الكوفي	سعد بن طريف الكوفي
سعيد بن خثيم الهلالي	سلمة بن الفضل الأبرش	سلمة بن كهيل الحضرمي
سليمان بن صرد الكوفي	سليمان بن طاخان البصري	سليمان بن قرم الكوفي
سليمان بن مهران الكوفي	شعبة بن الحجّاج البصري	صعصعة بن صوحان العبيدي
طاووس بن كيسان الهمداني	ظالم بن عمرو الدؤلي	أبو الطفيل عامر المكّي
عبّاد بن يعقوب الكوفي	عبد الله بن داود الكوفي	عبد الله بن شداد الكوفي
عبد الله بن عمر الكوفي	عبد الله بن لهيعة الحضرمي	عبد الله بن ميمون القداح
عبد الرَّحمٰن بن صالح الأزدي	عبد الرزاق بن همام الحميري	عبد الملك بن أعين
عبيد الله بن موسى الكوفي	عثمان بن عُمير الكوفي	عديّ بن ثابت الكوفي
عطيَّة بن سعد الكوفي	العلاء بن صالح الكوفي	علقمة بن قيس النخعي
عليّ بن بديمة	عليّ بن الجعد الجوهري	عليّ بن زيد البصري
عليّ بن صالح	عليّ بن غراب الكوفي	عليّ بن قادم الكوفي
عليّ بن المنذر الطرائفي	عليّ بن هاشم الكوفي	عمّار بن معاوية الكوفي
عمّار بن زُريق الكوفي	عمرو بن عبد الله السبيعي	عوف بن أبي جميلة البصري

فضل بن دكين الكوفي
مالك بن إسماعيل الكوفي
محمّد بن فضيل الكوفي
محمّد بن عمّار الكوفي
المنهال بن عمرو الكوفي
نوح بن قيس الحدّاني
هُبيرة بن بُريم الحميري
وكيع بن الجراح الكوفي

فضيل بن مرزوق الكوفي
محمّد بن حازم الكوفي
محمّد بن مسلم الطائفي
معروف بن خربوذ الكرخي
موسى بن قيس الحضرمي
هارون بن سعد الكوفي
هشام بن زياد البصري
يحيى بن الجزّار الكوفي

فطر بن خليفة الكوفي
محمّد بن عُبيد الله المدني
محمّد بن موسى المدني
منصور بن المعتمر الكوفي
نفيع بن الحارث بن الحارث الكوفي
هاشم بن البريد الكوفي
هشام بن عمّار الدمشقي
يزيد بن أبي زياد الكوفي[1]

هؤلاء جمعٌ ممَّن احتجّ بهم الأئمَّة السِتَّة في صحاحهم، أضف إليهم رجال الشيعة من الصحابة الأكرمين، والتابعين الأوَّلين، وأعلام البيت العلويّ الطاهر من الَّذين يُحتجُّ بهم وبحديثهم وأنهى أئمَّة أهل السنَّة إليهم الإسناد في الصحاح والسنن والمسانيد وهم مصرِّحون بثقتهم وعدالتهم.

فلو كانت الشيعة (كما زعمه ابن حزم) خارجين عن الإسلام فما قيمة تلك الصحاح؟! وتلك المسانيد؟! وتلك السنن؟! وما قيمة مؤلّفيها أُولئك المشايخ وأُولئك الأئمَّة وأُولئك الحفّاظ؟! وما قيمة تلكم المعتقدات والآراء المأخوذة ممَّن ليسوا من المسلمين؟! اللَّهُمَّ غفرانك وإليك المصير وأنت القاضي بالحقِّ.

نعم: ذنبهم الوحيد الَّذي لا يُغفر عند ابن حزم أنَّهم يُوالون عليّاً أمير المؤمنين عليه السَّلام وأولاده الأئمَّة الامناء صلوات الله عليهم اقتداءً بالكتاب والسنَّة، ومن جرّاء ذلك يستبيح صاحب الفصل من أعراضهم ما لا يُستباح من مسلم، والله هو الحكم الفاصل.

وأمّا ما حسبه من أنّ مبدأ التشيّع كان إجابةً ممَّن خذله الله لدعوه من كاد الإسلام وهو يريد عبدالله بن سبأ الذي قتله أمير المؤمنين عليه السَّلام إحراقاً

(١) راجع في ترجمة هؤلاء وتفصيل حديثهم المراجعات لسيدنا المجاهد حجة الإسلام شرف الدين ص ٤١ ـ ١٠٥.

بالنار على مقالته الإلحادية وتبعته شيعته على لعنه والبراءة منه.

فمتى كان هذا الرجس من الحزب العلويِّ حتى تأخذ الشيعة منه مبدأها القويم؟! وهل تجد شيعيّاً في غضون أجيالها وأدوارها ينتمي إلى هذا المخذول ويمتُّ به؟! لكن الرجل أبى إلاّ أن يقذفهم بكلِّ مائنةٍ شائنةٍ، ولو استشفَّ الحقيقة لعلم بحقِّ اليقين أنَّ ملقي هذه البذرة ـ التشيّع ـ هو مشرِّع الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان يُسمِّي من يوالي عليّاً عليه السَّلام بشيعته ويُضيفهم إليه ويُطريهم ويدعو أُمّته إلى موالاته واتّباعه راجع ص ١٠٧

ولتفاهة هذه الكلمة لا نسهب الإفاضة في ردِّه ونقتصر على كلمة ذهبيَّة للاستاذ محمَّد كرد علي في خطط الشام ج ٦ ص ٢٥١ قال: أمّا ما ذهب إليه بعض الكتّاب من أنَّ مذهب التشيّع من بدعة عبدالله بن سباء المعروف بابن السوداء فهو وهمٌ وقلّة علم بتحقيق مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك علم مبلغ هذا القول من الصواب. اهـ.

٢ ـ قال: كذب مَن قال: بأنَّ عليّاً كان أكثر الصحابة علماً (ج ٤ ص ١٣٦) ثمَّ بسط القول في تقرير أعلميَّة أبي بكر وتقدُّمه على عليٍّ في العلم ببيانات تافهة إلى أن قال: علم كلُّ ذي حَظٍّ من العلم أنَّ الذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليٍّ منه.

وقال في تقدُّم عمر على عليٍّ في العلم: علم كلُّ ذي حسٍّ علماً ضروريّاً أنَّ الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند عليٍّ من العلم. إلى أن قال: فبطل قول هذه الوقّاح الجهّال، فإن عاندنا معاندٌ في هذا الباب جاهلٌ أو قليل الحياء لاح كذبه وجهله فإنّا غير مهتمّين على حظٍّ أحد من الصحابة عن مرتبته.

ج ـ أنا لست أدري أأضحك من هذا الرجل جاهلاً؟! أم أبكي عليه مغفَّلاً؟! أم أسخر منه معتوهاً؟! فإنّ ممّا لا يدور في أيِّ خلد الشكُّ في أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السَّلام كان يربو بعلمه على جميع الصحابة، وكانوا يرجعون

إليه في القضايا والمشكلات ولا يرجع إلى أحد منهم في شيء، وأَنَّ أوَّل مَن اعترف له بالأعلميَّة نبيُّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لفاطمة: أما ترضين أَني زوَّجتكِ أوَّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً[١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: زوّجتكِ خير أُمّتي أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوَّلهم سلماً[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: إنَّه لأوَّل أصحابي إسلاماً، أو: أقدم أمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أعلم أُمّتي من بعدي عليٌّ بن أبي طالب[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ وعاء علمي ووصيّي وبابي الذي اوتى منه[٥].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ باب علمي ومبيِّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي[٦].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خازن علمي[٧].

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣، كنز العمال ج ٦ ص ١٣.
(٢) أخرجه الخطيب في المتفق، السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٨.
(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦، الاستيعاب ج ٣ ص ٣٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠١ و١١٤ بطريقين صحح أحدهما ووثق رجال الآخر، والمرقاة في شرح المشكاة ج ٥ ص ٥٦٩، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ١٨٨ هامش الحلبية.
(٤) أخرجه الديلمي عن سلمان، وذكره الخوارزمي في المناقب ص ٤٩، ومقتل الحسين ج ١ ص ٤٣ والمتقي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣.
(٥) شمس الأخبار ص ٣٩، كفاية الكنجي ٧٠، ٩٣.
(٦) أخرجه الديلمي عن أبي ذر كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦، كشف الخفاء ج ١ ص ٢٠٤.
(٧) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٤٨.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ عيبة علمي(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أقضى أُمّتي عليّ(٢).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أقضاكم عليّ(٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ اخصمك بالنبوَّة ولا نبوَّة بعدي وتخصم بسبع (إلى أن عدَّ منها) وأعلمهم بالقضيَّة. وفي لفظ: وأبصرهم بالقضيَّة(٤).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً(٥).

وكيف كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لَمّا يقضي عليٌّ في حياته: الحمد لله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت(٦) وإذا كان عليٌّ باب مدينة علم رسول الله وحكمته بالنصوص المتواترة عنه(٧) صلى الله عليه وآله وسلم فأيُّ أحد يُوازيه؟! أو يُضاهيه؟! أو يقرب منه في شيء من العلم؟! وهذا الحديث ممّا لا شكَّ في صدوره عن مصدر النبوَّة، وقد أفرده بتدوين طرقه غير واحد في

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٤٨، الجامع الصغير للسيوطي وجمع الجوامع له كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٣. شرح العزيزي ج ٢ ص ٤١٧، حاشية شرح العزيزي للحفني ج ٢ ص ٤١٧، مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦.

(٢) مصابيح البغوي: ج ٢ ص ٢٧٧، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨، مناقب الخوارزمي ص ٥٠، فتح الباري ج ٨ ص ١٣٦، بغية الوعاة ص ٤٤٧.

(٣) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٨ هامش الإصابة، مواقف القاضي الايجي ج ٣ ص ٢٧٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٥، مطالب السئول ص ٢٣، تمييز الطيب من الخبيث ص ٢٥، كفاية الشنقيطي ص ٤٦.

(٤) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ عن الحاكمي، مطالب السئول ص ٣٤، تاريخ ابن عساكر، كفاية الكنجي ص ١٣٩، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣.

(٥) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥، أسنى المطالب للحافظ الجزري ص ١٤.

(٦) أخرجه أحمد في المناقب، محب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٩٤.

(٧) أخرجه كثير من الحافظ بعدة طرق وصححه الطبري وابن معين والحاكم والخطيب والسيوطي وغيرهم.

مؤلّفات مستقلّة.

وبعده صلى الله عليه وآله وسلم عائشة فإنّها قالت: عليٌّ أعلم الناس بالسنّة[١].

وعمر بقوله: عليٌّ أقضانا[٢].

وقوله: أقضانا عليٌّ[٣].

ولعمر كلماتٌ مشهورةٌ تعرب عن غاية احتياجه في العلم إلى أمير المؤمنين منها قوله غير مرّة: لولا عليٌّ لهلك عمر[٤].

وقوله: اللهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب[٥].

وقوله: لا أبقاني الله بأرض لست فيها أبا الحسن[٦].

وقوله: لا أبقاني الله بعدك يا عليٌّ ![٧].

وقوله: أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها[٨].

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠ هامش الإصابة، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٣، مناقب الخوارزمي ص ٥٤، الصواعق ص ٧٦، تاريخ الخلفاء ص ١١٥.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥، طبقات ابن سعد ص ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، الاستيعاب ج ٤ ص ٣٨، ٣٩، هامش الإصابة، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨، ٢٤٤، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٩ وقال: ثبت عن عمر. أسنى المطالب للجزري ١٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٥.

(٣) طبقات ابن سعد ص ٨٦٠، الاستيعاب ج ٣ ص ٤١، تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٢٥، مطالب السئول ص ٣٠.

(٤) أخرجه أحمد والعقيلي وابن السمان، ويوجد في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩، الرياض ج ٢ ص ١٩٤، تفسير النيسابوري في سورة الأحقاف، مناقب الخوارزمي ص ٤٨، شرح الجامع الصغير للشيخ محمد الحنفي ص ٤١٧ هامش السراج المنير. تذكرة السبط ص ٨٧، مطالب السئول ص ١٣، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧.

(٥) تذكرة السبط ص ٨٧، مناقب الخوارزمي ص ٥٨، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٤٥.

(٦) إرشاد الساري ج ٣ ص ١٩٥.

(٧) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٧، مناقب الخوارزمي ص ٦٠، تذكرة السبط ص ٨٨، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧.

(٨) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٩، الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٠٦.

وقوله: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحسن[١].

وقوله: أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن[٢].

وقوله: اللهمّ لا تنزل بي شديدة إلّا وأبو الحسن إلى جنبي[٣].

وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن. ترجمة عليّ بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر ص ٧٩.

وقوله: لا أبقاني الله إلى أن أُدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن. حاشية شرح العزيزي ج ٢ ص ٤١٧، مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦.

وقال سعيد بن المسيِّب: كان عمر يتعوَّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[٤].

وقال معاوية: كان عمر إذا أشكل عليه شيءٌ أخذه منه[٥].

ولَمّا بلغ معاوية قتل الإمام قال: لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب. أخرجه أبو الحجّاج البلوي في كتابه «ألف باء» ج ١ ص ٢٢٢.

ثمّ الإمام السبط الحسن الزكيّ فإنّه قال في خطبة له: لقد فارقكم رجلٌ بالأمس لم يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون بعلم[٦].

---

(١) الرياض النضرة ص ١٩٧، منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٢ ص ٣٥٢.

(٢) فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧، قال: أخرج الدارقطني عن أبي سعيد أن عمر كان يسأل عليّاً عن شيء فأجابه فقال عمر: أعوذ بالله. إلخ.

(٣) أخرجه ابن البختري كما في الرياض ج ٢ ص ١٩٤.

(٤) أخرجه أحمد في المناقب، ويوجد في الاستيعاب هامش الإصابة ج ٣ ص ٣٩، صفة الصفوة ج ١ ص ١٢١. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤، تذكرة السبط ص ٨٥، طبقات الشافعية للشيرازي ص ١٠، الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩، الصواعق ص ٧٦، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧، ألف باء ج ١ ص ٢٢٢.

(٥) مناقب أحمد، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٥.

(٦) أخرجه أحمد كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٢، وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٦٥، وابن أبي شيبة كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٦ ص ٤١٢، وأبو الفرج ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١٢١.

وقال ابن عبّاس حبر الامّة: والله لقد أُعطي عليٌّ بن أبي طالب تسعةُ أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العُشر العاشر(١).

وقال: ما علمي وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم في علم عليٍّ رضي الله عنه إلّا كقطرة في سبعة أبحر(٢).

وقال: العلم ستّة أسداس، لعليٍّ من ذلك خمسة أسداس وللنّاس سُدسٌ، ولقد شاركنا في السّدس حتّى لهو أعلم به منّا(٣).

وقال ابن مسعود: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً، وعليٌّ أعلمهم بالواحد منها(٤).

وقال: أعلم أهل المدينة بالفرائض عليٌّ بن أبي طالب(٥).

وقال: كنّا نتحدّث أنَّ أقضى أهل المدينة عليٌّ(٦).

وقال: أفرض أهل المدينة وأقضاها عليٌّ(٧).

وقال: إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلّا وله ظهرٌ وبطنٌ وإنَّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن. مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠.

وقال هشام بن عتبة في عليّ عليه السّلام: هو أوّل من صلّى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله(٨).

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠، الرياض ج ٢ ص ١٩٤، مطالب السئول ص ٣٠.
(٢) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٤٤، ٤٥ ط ثاني.
(٣) مناقب الخوارزمي ص ٥٥، فرائد السمطين في الباب الـ ٦٨ بطريقين.
(٤) كنز العمال ج ٥ ص ١٥٦، ٤٠١ نقلاً عن غير واحد من الحفاظ.
(٥) الاستيعاب ج ٣ ص ٤١، الرياض ج ٢ ص ١٩٤.
(٦) مستدرك الحاكم ج ٣ وصححه، الاستيعاب ج ٣ ص ٤١، أسنى المطالب للجزري ١٤، تمييز الطيب من الخبيث لابن البديع ص ٢٥، الصواعق ص ٧٦.
(٧) مستدرك الحاكم، الرياض ج ٢ ص ١٩٨، الصواعق ص ٧٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٥.
(٨) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٠٣.

وسُئل عطاء أكان في أصحاب محمّد أحد أعلم من عليٍّ؟! قال: لا والله ما أعلمه(١).

وقال عديّ بن حاتم في خطبة له: والله لئن كان العلم بالكتاب والسنَّة إنَّه - يعني عليّاً - لأعلم النّاس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنَّه لأخو نبيِّ الله والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنّه لأظهر الناس زهداً، وأنهكهم عبادةً، ولئن كان إلى العقول والنَّحائز(٢) إنَّه لأشدُّ الناس عقلاً؛ وأكرمهم نحيزةً(٣).

وقال عبدالله بن حجل في خطبة له: أنت أعلمنا بربِّنا، وأقربنا بنبيِّنا، وخيرنا في ديننا(٤).

وقال أبو سعيد الخدري: أقضاهم عليّ. وأخرج عبد الرزاق عن قتادة مثله. فتح الباري ج ٨ : ١٣٦ .

وقد امتدح جمعٌ من الصحابة أمير المؤمنين عليه السَّلام في شعرهم بالأعلميَّة كحسَّان بن ثابت، وفضل بن عبّاس، وتبعهم في ذلك امَّة كبيرةٌ من شعراء القرون الاولى لا نطيل بذكرهم المقام.

والامَّة بعد أولئك كلّهم مجمعةٌ على تفضيل أمير المؤمنين عليه السَّلام على غيره بالعلم إذ هو الّذي ورث علم النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت عنه بعدّة طرق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّه وصيّه ووارثه. وفيه: قال عليٌّ :وما أرث منك يا نبيَّ الله؟! قال: ما ورث الأنبياء من قبلي. قال: وما ورث الأنبياء من قبلك؟! قال: كتاب الله وسنَّة نبيِّهم.

قال الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٢٦ في ذيل حديث وراثته النبيِّ دون

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤. ألف باء ج ١ ص ٢٢٢. الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٣٧.
(٢) النحائز جمع النحيزة: الطبيعة.
(٣) جمهرة خطب العرب ج ١ ص ٢٠٢.
(٤) جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٠٣.

عمّه العبّاس ما نصّه: لا خلاف بين أهل العلم أنَّ ابن العمّ لا يرث مع العمِّ، فقد ظهر بهذا الإجماع أنَّ عليّاً ورث العلم من النبيِّ دونهم.

وبهذه الوراثة الثابتة صحَّ عن عليّ عليه السَّلام قوله: والله إنِّي لأخوه ووليّه وابن عمِّه ووارث علمه، فمن أحقُّ به منّي[١]؟!.

وهذه الوراثة هي المتسالم عليها بين الصحابة وقد وردت في كلام كثير منهم وكتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية فيما كتب: يا لك الويل، تعدل نفسك بعليٍّ؟! وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه[٢].

فلينظر الرجل الآن إلى من يوجِّه قوارصه وقذائفه؟! ما حكم من يقول ذلك ومن المفضِّلين النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! وأمّا حكم من يقع في الصحابة وفيمن يقع فيه الإمام السبط الحسن وعائشة وعمر بن الخطاب وحبر الامَّة ابن عبّاس ونظراؤهم، فالمرجع فيه زملاء الرجل وعلماء مذهبه.

٣ ـ قال: من قول الإماميَّة كلّها قديماً وحديثاً: إنَّ القرآن مبدَّلٌ زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثيرٌ، وبُدِّل منه كثيرٌ، حاشا عليّ بن الحسن[٣] بن موسى بن محمّد وكان إماميّاً يُظاهر بالاعتزال مع ذلك فإنّه كان يُنكر هذا القول ويُكفِّر مَن قاله.

ج ـ ليت هذا المجترىء أشار إلى مصدر فريته من كتاب للشيعة موثوق به، أو حكاية عن عالم من علمائهم تقيم له الجامعة وزناً، أو طالبٍ من روّاد علومهم ولو لم يعرفه أكثرهم، بل نتنازل معه إلى قول جاهل من جهّالهم، أو قرويّ من بسطائهم، أو ثرثار كمثل هذا الرجل يرمي القول على عواهنه.

لكن القارىء إذا فحص ونقّب لا يجد في طليعة الإماميَّة إلاّ نُفاة هذه الفرية كالشيخ الصدوق في عقائده، والشيخ المفيد، وعلم الهدى الشريف

(١) خصائص النسائي ص ١٨، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ صححه هو والذهبي.
(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٣٣، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩.
(٣) كذا في الفصل والمحكي عنه في كتب العامة، والصحيح: علي بن الحسين، وهو الشريف علم الهدى المرتضى.

المرتضى الّذي اعترف له الرجل بنفسه بذلك، وليس بمتفرِّد عن قومه في رأيه كما حسبه المغفّل، وشيخ الطائفة الطوسي في التبيان، وأمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان وغيرهم.

فهؤلاء أعلام الإماميَّة وحملة علومهم الكالئين لنواميسهم وعقائدهم قديماً وحديثاً يوقفونك على مين الرجل فيما يقول، وهذه فرق الشيعة وفي مقدَّمهم الإماميَّة مجمعةٌ على أنّ ما بين الدفّتين هو ذلك الكتاب الّذي لا ريب فيه وهو المحكوم بأحكامه ليس إلاّ.

وإن دارت بين شدقي أحد من الشيعة كلمة التحريف فهو يريد التأويل بالباطل بتحريف الكلم عن مواضعه لا الزيادة والنقيصة، ولا تبديل حرف بحرف، كما يقول التحريف بهذا المعنى هو وقومه ويرمون به الشيعة كما مرَّ ص ٨٠.

٤ ـ قال: من الإماميَّة من يُجيز نكاح تسع نسوة، ومنهم من حرَّم الكرنب لأنَّه نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك. ج ٤ ص ١٨٢.

ج ـ كنت أودّ أن لا يكتب هذا الرجل عزوه المختلق في النكاح قبل مراجعة فقه الإماميّة حتّى يعلم أنَّهم جمعاء من غير استثناء أحد لا يُبيحون نكاح أكثر من أربع فإنّ النكاح بالتسع من مختصّات النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيه أيُّ خلاف بينهم وبين العامَّة.

ولولا أنَّ هذه نسبةٌ مائنةٌ إلى بعض الإماميَّة لدلَّ القارىء عليه ونوَّه باسمه أو بكتابه لكنَّه لم يعرفه ولا قرأ كتابه ولا سمعت أُذناه ذكره، غير أنَّ حقده المحتدم أبى إلا أن يفتري على بعضهم حيث لم تسعه الفرية على الجميع.

كما كنت أودّ أن لا يُملي عن الكرنب حديثاً يفتري به قبل استطراقه بلاد الشيعة حتّى يجدهم كيف يزرعون الكرنب ويستمرئون أكله مزيجاً بمطبوخ الأرز ومقلي القمح [البلغور] يفعل ذلك علماؤهم والعامَّة منهم وأعاليهم وساقتهم، وما سمعت أُذنا أحد منهم كلمة حظر عن أحد منهم، ولا نُقل عن

محدِّثٍ أو مؤرِّخٍ أو لغويٍّ أو قصّاص أو خضرويٍّ بأنه نبت على دم الحسين عليه السَّلام ولم يكن قبل ذلك.

لكن الرجل ليس بمنتأى عن الكذب وإن طرق البلاد وشاهد ذلك كلّه بعينه لأنَّه أراد في خصوص المقام تشويه سمعة القوم بكذب لا يُشاركه فيه أحدٌ من قومه.

٥ ـ قال: وجدنا عليّاً رضي الله عنه تأخَّر عن البيعة ستَّة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتّى بايع طائعاً مراجعاً غير مكره ص ٩٦ وقال ص ٩٧:

وأظرف من هذا كلّه بقاء عليٍّ ممسكاً عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستَّة أشهر فما سئلها ولا أُجبر عليها ولا كلّفها وهو متصرِّفٌ بينهم في اموره، فلولا أنَّه رأى الحقَّ فيها واستدرك أمره فبايع طالباً حظَّ نفسه في دينه راجعاً إلى الحقِّ لما بايع.

دعا الأنصار إلى بيعة سعد بن عبادة، ودعا المهاجرون إلى بيعة أبي بكر؛ وقعد عليٌّ رضي الله عنه في بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ليس معه أحد غير الزبير بن العوام، ثمَّ استبان الحقّ للزبير رضي الله عنه فبايع سريعاً وبقي عليٌّ وحده لا يرقب عليه.

ج ـ أنا لا أحوم حول هذا الموضوع، ولا أُولّي وجهي شطر هذه الأكاذيب الصريحة، ولا أُقابل هذا التدجيل والتمويه على الحقيقة والجناية على الإسلام وتاريخه. لكنّي أقول: إقرأ هذا ثم انظر إلى ما ذكره الاستاذ الفذّ عبد الفتّاح عبد المقصود في كتابه ـ الإمام علي بن أبي طالب ص ٢٢٥ ـ فإنّه زبدة المخض قال:

واجتمعت جموعهم ـ آونةً في الخفاء واخرى على ملأ ـ يدعون إلى ابن أبي طالب لأنَّهم رأوه أولى الناس بأن يلي امور الناس، ثمَّ تألَّبوا حول داره يهتفون باسمه ويدعونه أن يخرج إليهم ليردوا عليه تراثه المسلوب... فإذا المسلمون أمام هذا الحديث محالفٌ أو نصيرٌ. وإذا بالمدينة حزبان، وإذا

بـالوحـدةالمرجوّةشقّان أو شكا على انفصال، ثمَّ لا يعرف غير الله ما سوف تؤول إليه بعد هذا الحال. . . فهلّا كان عليٌّ ـ كابن عبادة ـ حريّاً في نظر ابن الخطّاب بالقتل حتّى لا تكون فتنة ولا يكون انقسام؟ ! .

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحـدة الإسلام، وبـه تحدَّث الناس ولهجت الألسن كاشفةً عن خلجات خواطر جرت فيها الظنـون مجرى اليقين، فما كان لرجل أن يجزم أو يعلم سريرة ابن الخطّاب، ولكنَّهم جميعاً ساروا وراء الخيال، ولهم سندٌ ممّا عرف عن الرجل دائماً من عنف ومن دفعات، ولعلَّ فيهم من سبق بذهنه الحوادث على متن الاستقراء فرأى بعين الخيال، قبل رأي العيون، ثبات عليٍّ أمام وعيد عمر لو تقدَّم هذا منه يطلب رضاءه وإقراره لأبي بكر بحقِّه في الخلافة ولعلّه تمادى قليلاً في تصوُّر نتائج هذا الموقف وتخيّل عقباه، فعاد بنتيجة لازمة لا معدى عنها، هي خروج عمر عن الجادَّة، وأخذه هذا «المخالف» العنيد بالعنف والشدَّة! .

وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطّاب ذلك النهار، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة، وفي باله أن يحمل ابن عمِّ رسول الله إن طوعاً وإن كرهاً ـ على إقرار ما أباه حتّى الآن، وتحدَّث اناسٌ بأنَّ السيف سيكـون وحده متن الـطاعة! . . . وتحـدَّث آخـرون بـأنَّ السيف سـوف يلقى السيف! . . . ثمَّ تحدَّث غير هؤلاء وهؤلاء بأنّ «النار» هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة وإلى «الرضا» والإقرار . . وهل على ألسنة الناس عقالٌ يمنعها أن تروي قصَّة حطب أمر به ابن الخطّاب فأحاط بدار فاطمة، وفيها عليٌّ وصحبه، ليكون عدة الإقناع أو عدة الإيقاع؟ . . .

على أنَّ هذه الأحاديث جميعها ومعها الخطط المدبَّرة أو المرتجلة كانت كمثل الزبد، أسرع إلى ذهاب ومعها دفعة ابن الخطّاب! . . أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثورة، على دار عليٍّ وقد ظاهره معاونوه ومن جـاء بهم فاقتحمـوها أو أوشكوا على اقتحام، فإذاً وجهٌ كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، وفي عينيه لمعات دمع، وفوق جبينه عبسة غضب فائر

وحنق ثائر...

وتوقّف عمر من خشية وراحت دفعته شعاعاً. وتوقّف خلفه ـ أمام الباب ـ صحبه الذين جاء بهم، إذرأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته الزهراء، وغضّوا الأبصار من خزي أو من استحياء، ثمَّ ولّت عنهم عزمات القلوب وهم يشهدون فاطمة تتحرَّك كالخيال، وئيداً وئيداً بخطوات المحزونة الثكلى، فتقترب من ناحية قبر أبيها... وشخصت منهم الأنظار وأرهفت الأسماع إليها، وهي ترفع صوتها الرقيق الحزين النبرات تهتف بمحمَّد الثاوي بقربها، تناديه باكيةً مريرة البكاء:

«يا أبت رسول الله!... يا أبت رسول الله!...».

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي، من رهبة النداء...

وراحت الزهراء، وهي تستقبل المثوى الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر:

يا أبت رسول الله!... ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب، وابن أبي قحافة!؟!».

فما تركت كلماتها إلّا قلوباً صدعها الحزن، وعيوناً جرت دمعاً، ورجالاً ودّوا لو استطاعوا أن يشقّوا مواطىء أقدامهم ليذهبوا في طوايا الثرى مغيّبين ..... اهـ.

قال الأميني: راجع الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣. تاريخ الطبري ج٣ ص ١٩٨. العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٧. تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٥. تاريخ ابن شحنة في حوادث سنة ١١ شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٩.

٦ ـ قال: الرافضة تجيز إمامة المرأة والحمل في بطن امّه ص ١١٠.

ج ـ هل ترى هذا الرجل عند كتابته هذه الكلمة وكذلك عند بقيَّة فتاواه المجرَّدة عن أيِّ مصدر وقف على شيء من كتب الشيعة في الكلام والعقائد

وخصوص مبحث الإمامة ووجد هـذا الاختلاق مثبتـاً في شيء منها؟!؟! بـل يمكننا أن نتنازل معه إلى سواد على بياض خطّته يمين أيّ شيعيّ جاهلٍ فضلاً عن علمائهم جاء فيه هذا البهتان العظيم.

لقد عرف الشيعة بأنَّ الاماميَّة منهم يحصرون الإمامة في اثني عشر رجلاً ليست فيهم امرأة، ويُفنِّدون كلّ خارج عن هذا العدد، وأمّا الفرق الاخرى منها من الزيديَّة والإسماعيليّة وحتى المنقرضة من فرقها كالكيسانيَّة وأشباههم فينهون الإمامة إلى اناس معيَّنين كلّهم من الرجال غير ما اختلقه الشهر ستاني في الملل والنحل من الاختلاف الواقع في أمر فاطمة بنت الإمام الهـادي وستقف على تفنيده وأنَّه عليه السَّلام لم يخلف بنتاً اسمها فاطمة، ولو كانت الشيعـة تجوِّز الإمامة لامرأة لما عدت بها عن الصدّيقة الطاهرة فاطمة وهـي هي ، ولكنَّها لا تقول لها فيها.

لم يلتفت الرجل إلى شيء من هذه لكنَّه حسب عند تأليف هذا الكتاب أنّ الأجيال الآتية لا تولد منقّبين يناقشونه الحساب، يميِّزون بين الحقائق والأوهام، ويوقظون الامَّة للفصل بين الصحيح والسقيم، فطفق يأفك ويمين غير مكترث بما سوف يلاقيه من سوء الحساب.

وليت شعري بماذا يجيب الرَّجل إذا سُئل عن أنَّ الشيعة مـتـى جـوَّزَت إمامة الحمل في بطن امِّه؟ وأيّ أحد من أيّ فرقة منهم ذهب إلى إمامة حمل لم يولد بعدُ؟ وأيّ حمل قالوا بإمامته؟ ومتى كان ذلك؟ ومن ذا الذي نقله عنه؟ وممَّن سمعه؟ نعم: إنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.

٧ ـ قال: إنَّ محبَّة النبي عليه السَّلام لمن أحبّ ليس فضلاً، لأنَّه قد أحبَّ عمَّه وهوكافرٌ ص ١٢٣. وقال في ص ١٢٤:

وإن كان رسول الله ﷺ أحب أبا طالب فقد حرَّم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبَّته، وافترض عليه عداوته.

ج ـ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وإن أكّد على صلة الأرحام لكنَّه كان

يرى الكفر حاجزاً عنها وإن تأكّدت معه وشائج الرحم، ولذلك قلا أبا لهب وهتف بالبراءة منه بسورة مستقلّة، ولم يرفع قيد الأسار عن عمّه العبّاس وابن عمّه عقيل إلاّ بعد تظاهرهما بالإسلام، وأجرى عليهما حكم الفدية مع ذلك، وفرّق بين ابنته زينب وزوجها أبي العاص طيلة مقامه على الكفر حتّى أسلم وسلم.

فلم تكن محبّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن يحبّه إلاّ لثباته في الإيمان ورسوخ كلمة الحقّ وتمكّنه من فؤاده، فهو إذا أحبَّ أحداً كان ذلك آية تضلّعه في الدين وتحلّيه باليقين، وهذه قضيَّة قياسها معها، وهي مرتكزةٌ في القلوب جمعاء حتّى انَّ ابن حزم نفسه احتجَّ بأفضليَّة عائشة على جميع الامَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث باطل رواه من أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: أنتِ أحبّ الناس إليَّ.

وأمّا أبو طالب فقد اعترف الرَّجل بمحبَّة النبيِّ له أوّلاً ونحن نصدِّقه على ذلك ونراه فضلاً له وأيّ فضل.

وأمّا دعواه تحريم المحبَّة بعد ذلك، ونهي الله عنها، وأمره بعداوته، فغير مقرونة بشاهد، وهل يسعه دعوى الفرق بين يومي النبيِّ معه قبل التحريم وبعده؟! وهل يمكنه تعيين اليوم الذي قلاه فيه؟! أو السنة التي هجره فيها وافترضت عليه عداوته؟! ؟!.

التاريخ خلوٌ من ذلك كلّه بل يُعلمنا الحديث والسيرة أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يُفارقه حتّى قضى أبو طالب نحبه فطفق يُؤبِّنه وقال لعليٍّ: إذهب فاغسله وكفِّنه وواره غفر الله له ورحمه[١] ورثاه عليٌّ بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلمْ
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك وليُّ النعمْ
ولقّاك ربّك رضوانه فقد كنت للطّهر من خير عمْ[٢]

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٥.
(٢) تذكرة السبط ج ٦.

فمن أراد الوقوف على الحقيقة في ترجمة شيخ الأبطح أبي طالب فعليه بكتاب العلاّمة البرزنجيِّ الشافعيِّ وتلخيصه الموسوم بـأسنى المطالب لمفتي الشافعيَّة السيِّد أحمد زيني دحلان (١).

٨ - قال: لسنا من كذب الرافضة في تأويلهم ويُطعمون الطَّعام عَلى حبِّه مِسكيناً ويتيماً وأسيراً. وأنَّ المراد بذلك عليٌّ رضي الله عنه، بل هذا لا يصحُّ، بل الآية على عمومها وظاهرها لكلِّ من فعل ذلك. ج ٤ ص ١٤٦.

ج - إنَّ الواقف على هذه الاضحوكة يعرف موقع الرجـل من التدجيـل لحسبانه أنَّ في مجرَّد عزو هذا التأويل إلى الرافضة فحسب، وقذفهم بالكذب، واتِّباع ذلك بعدم الصحَّة حطّاً في كرامة الحديث الوارد في الآية الشريفة، وهو يعلم أنَّ امَّة كبيرةً من أئمَّة التفسير والحديث يروون ذلك ويثبتونـه مسنداً في مدوَّناتهم. وإن كان لا يدري فتلك مصيبةٌ.

وهذا الحافظ أبو محمَّد العاصمي أفرد ذلك كتاباً في مجلّدين أسماه (زين الفتى في تفسيـر سورة هل أتى) وهو كتابٌ ضخمٌ فخمٌ ممتَّعٌ يَنِمّ عن فضل مؤلِّفه وسعة حيطته بالحديث، وتعالي مقدرته في الكلام والتنقيب، مع أنَّ في غضونه سقطاتٌ تلائم مذهبه وخطَّة قومه.

أو يزعم المغفَّل أنَّ أولئك أيضاً من الرافضة؟! أو يحسبهم جهلاء بشرائط صحّة الحديث؟! أم أنّه لا يعتدُّ بكلِّ ما وافق الرافضة وإن كان مخرجاً بأصحِّ الأسانيد؟! وكيف ما كان فقد رواه :

١ - أبو جعفر الإسكافي المتوفّى سنة ٢٤٠، قال في رسالته التي ردَّ بها على الجاحظ: لسنا كالإماميّة الذين يحملهم الهوى على جحد الامور المعلومة، ولكنّنا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على عليِّ بن أبي طالب، ولسنا ننكر غير ذلك - إلى أن قال -: وأمّا إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقـره وهو الّـذي أطعم الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأُنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورةٌ كاملةٌ

(١) سيوافيك البحث عن إيمان أبي طـالب عليه السلام مفصلاً في الجـزء السابع، والثامن من كتابنا هذا.

من القرآن.

٢ ـ الحكيم أبو عبدالله محمّد بن علي الترمذي كان حيّاً في سنة ٢٨٥، ذكره في «نوادر الاصول» ص ٦٤.

٣ ـ الحافظ محمّد بن جرير الطبري أبو جعفر المتوفّى ٣١٠، ذكره في سبب نزول هل أتى كما في «الكفاية».

٤ ـ شهاب الدين ابن عبد ربّه المالكيّ المتوفّى سنة ٣٢٨، ذكر في «العقد الفريد» ج ٣ ص ٤٢ ـ ٤٧ حديث احتجاج المأمون الخليفة العبّاسي على أربعين فقيهاً وفيه: قال: يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟! قلت: نعم. قال: اقرأ عليَّ: ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر لَم يكن شيئاً مذكوراً﴾. فقرأت منها حتّى بلغت: ﴿يشربون مِنْ كأس كان مِزاجُها كافورا﴾. إلى قوله: ﴿وَيُطعمون الطّعام على حبّه مِسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾. قال: على رسلك، فيمن أُنزلت هذه الآيات؟! قلت في عليٍّ. قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنّما نطعمكم لوجه الله؟! وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً؟! قلت: لا. قال: صدقت لأنّ الله جلّ ثناؤه عرف سيرته. يا إسحاق: ألست تشهد أنّ العشرة في الجنّة؟! قلت: بلى يا أمير المؤمنين! قال: أرأيت لو أنّ رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيحٌ أم لا ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله. أكان عندك كافراً؟! قلت: أعوذ بالله. قال: أرأيت لو أنّه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا كان كافراً؟! قلت: نعم. قال: يا إسحاق أرى بينهما فرقاً.

٥ ـ الحاكم أبو عبدالله النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥، ذكره في مناقب فاطمة سلام الله عليها كما في «الكفاية».

٦ ـ الحافظ ابن مردويه أبو بكر الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦، أخرجه في تفسيره حكاه عنه جمعٌ وقال الآلوسي في «روح المعاني» بعد نقله عنه: والخبر مشهورٌ.

٧ ـ أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى سنة ٤٢٧ ـ ٣٧، في تفسيره «الكشف والبيان».

٨ ـ أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفّى ٤٦٨، في تفسيره البسيط، وأسباب النزول ص ٣٣١.

٩ ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي الأندلسي الشهير بالحميدي المتوفّى سنة ٤٨٨، ذكره في فوائده.

١٠ ـ أبو القاسم الزمخشري المتوفّى ٥٣٨، في «الكشّاف» ج ٢ ص ٥١١.

١١ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨، في «المناقب» ١٨٠.

١٢ ـ الحافظ أبو موسى المديني المتوفّى سنة ٥٨١ في «الذيل» كما في «الإصابة».

١٣ ـ أبو عبدالله فخر الدين الرازي المتوفّى سنة ٦٠٦، في تفسيره ج ٨ ص ٢٧٦.

١٤ ـ أبوعمرو عثمان بن عبد الرّحمن المعروف بابن الصّلاح الشهرزوري الشرخاني المتوفّى سنة ٦٤٣، كما يأتي عنه في «الكفاية».

١٥ ـ أبو سالم محمّد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢، ذكره في «مطالب السئول» ص ٣١ وقال: رواه الإمام أبو الحسن عليُّ بن أحمد الواحدي وغيره من أئمّة التفسير. ثمّ قال: فكفى بهذه عبادةً، وبإطعام هذا الطعام مع شدّة حاجتهم إليه منقبةً، ولولا ذلك لما عظمت هذه القصّة شاناً، وعلت مكاناً، ولما أنزل الله تعالى فيها على رسول الله قرآناً وله في ص ٨ قوله:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحيٍ وإنزالِ
مناقب في الشورى وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم أهــل بيت المصــطفىٰ فــودادهم على النـاس مفـروضٌ بحكم وإسجـالِ

١٦ ـ أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي الحنفيّ المتوفّى سنة ٦٥٤: رواه في تذكرته من طريق البغوي والثعلبي، وردَّ على جدِّه ابن الجوزي في إخراجه في الموضوعات وقال بعد تنزيه سنده عن الضعف: والعجب من قول جدّي وإنكاره وقد قال في كتاب «المنتخب»: يا علماء الشرع أعلمتم لِمَ آثر (عليٌّ وفاطمة) وتركا الطفلين (الحسنين) عليهما أثر الجوع؟! أتراهما خفي عنهما سرُّ ذلك؟! ما ذاك إلّا لأنَّهما علما قوَّة صبر الطفلين، وإنّهما غصنان من شجرة الظلّ عند ربّي، وبعض من جملة فاطمة بضعةٌ منّي، وفرخ البطّ السابح[1].

١٧ ـ عزُّ الدين عبد الحميد الشهير بابن أبي الحديد المعتزليّ المتوفّى سنة ٦٥٥، في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧.

١٨ ـ الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعيّ المتوفّى ٦٥٨، في «الكفاية» سنة ٢٠١ وقال بعد ذكر الحديث: هكذا رواه الحافظ أبو عبد الله الحميدي في فوائده، ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا في سبب نزول هل أتى.

وقد سمعت الحافظ العلّامة أبا عمرو عثمان بن عبد الرَّحمن المعروف بابن الصَّلاح في درس التفسير في سورة هل أتى وذكر الحديث وقال فيه: إنَّ السؤّال كانوا ملائكة من عند ربِّ العالمين، وكان ذلك امتحاناً من الله عزَّ وجلَّ لأهل بيت رسول الله ﷺ.

وسمعت بمكّة حرسها الله تعالى من شيخ الحرم بشير التبريزي في درس التفسير أنَّ السائل الأوَّل كان جبرئيل، والثاني ميكائيل، والثالث كان إسرافيل عليهم السَّلام.

١٩ ـ القاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفّى سنة ٦٨٥، في تفسيره ج ٢ ص ٥٧١.

---

(١) في النسخة تصحيف.

٢٠ ـ الحافظ محبُّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤، في «الرياض النضرة» ج ٢ ص ٢٠٧، ٢٢٧ وقال: وهذا قول الحسن وقتادة.

٢١ ـ الحافظ أبو محمَّد بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٩٩، في «بهجة النفوس» ج ٤ ص ٢٢٥.

٢٢ ـ حافظ الدين النسفي المتوفّى سنة ٧٠١ ـ ٧١٠، في تفسيره هامش تفسير الخازن ج ٤ ص ٤٥٨، رواه في سبب نزول الآية ولم يرو غيره.

٢٣ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويي المتوفّى سنة ٧٢٢، في «فرائد السمطين».

٢٤ ـ نظام الدين القمّي النيسابوري في تفسيره هامش الطبري ج ٢٩ ص ١١٢ وقال: ذكر الواحدي في «السبط» والزمخشري في «الكشّاف»وكذاالإماميّة أطبقوا على أنَّ السورة نزلت في أهل بيت النبيِّ ﷺ ولا سيَّما في هذه الآي ـ ثمَّ ذكر حديث الإطعام فقال: ويُروى أنَّ السائل في الليالي: جبرئيل، أراد بذلك ابتلاءهم بإذن الله سبحانه.

٢٥ ـ علاء الدين عليُّ بن محمّد الخازن البغداديّ المتوفّى سنة ٧٤١، في تفسيره ج ٤ ص ٣٥٨، ذكر أوَّلاً نزولها في عليّ عليه السَّلام وأخرج حديثه ثمَّ قال: وقيل: الآية عامّة في كلٍّ من أطعم موعزاً إلى ضعف بقيل ،مع أنَّ القول بالعموم لا يُنافي نزولها في أمير المؤمنين عليه السَّلام كما لا يخفى لانحصار المصداق به.

٢٦ ـ القاضي عضد الإيجي المتوفّى ٧٥٦، في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٨.

٢٧ ـ الحافظ ابن حجر المتوفّى سنة ٨٥٢ في «الإصابة» ج ٤ ص ٣٨٧ من طريق أبي موسى في «الذيل»، والثعلبي في تفسير سورة هل أتى عن مجاهد عن ابن عبّاس.

٢٨ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١، في «الدرِّ

المنثور» ج ٦ ص ٢٩٩ من طريق ابن مردويه.

٢٩ ـ أبو السعود العمادي محمَّد بن محمَّد الحنفي المتوفّى ٩٨٢، في تفسيره هامش تفسير الرازي ج ٨ ص ٣١٨.

٣٠ ـ الشيخ إسماعيل البروسي المتوفّى سنة ١١٣٧ في تفسير «روح البيان» ج ١٠ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

٣١ ـ الشوكاني المتوفّى سنة ١١٧٣، في تفسيره «فتح القدير» ج ٥ ص ٣٣٨.

٣٢ ـ الاستاذ محمَّد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت» ج ١ ص ١٠ وقال: رواه أهل التفسير.

٣٣ ـ السيِّد الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١٢ ـ ١٤.

٣٤ ـ السيِّد محمود القراغولي البغداديّ الحنفيّ في «جوهرة الكلام» ص ٥٦.

لفظ الحديث

قال ابن عبّاس رضي الله عنه: إنَّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن! لو نذرت على ولدك. فنذر عليٌّ وفاطمة وفضَّة جارية لهما إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام. فشفيا وما معهم شيءٌ، فاستقرض عليٌّ من شمعون الخيبريِّ اليهوديِّ ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السَّلام عليكم أهل بيت محمَّد! مسكينٌ من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنَّة. فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّا الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيمٌ فآثروه، ووقف عليهم أسيرٌ في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليٌّ رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلمّا

أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدَّة الجوع قال: ما أشدَّ ما يسوؤني ما أرى بكم ! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمَّد ! هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.

هذا لفظ جمع من الأعلام المذكورين وهناك لفظٌ آخر ضربنا عنه صفحاً.

٩- قال: قال رسول الله ﷺ: لو كنت متّخذاً خليلاً لا تّخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي. وهذا الَّذي لا يصحُّ غيره، وأمّا أُخوّة عليٍّ فلا تصحُّ إلّا مع سهل بن حنيف.

ج - أنا لا أروم الكلام حول حديث رآه صحيحاً، ولا أُناقش في صدوره ولا أُزيِّفه بما زيَّف عمر بن الخطاب حديث الكتف والدواة، إذ هذا لدة ذاك صدرا في مرض وفاته صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيحين، ولا أقول بما قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٧ من: أنَّه موضوعٌ وضعته البكريَّة في مقابلة حديث الإخاء.

وأنا لا أبسط القول في مفاده بما يُستفاد من كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٥١ من أنَّ الاخوَّة هناك منزلة بالأُخوّة الإسلاميَّة العامَّة الثابتة بقوله تعالىٰ: ﴿إنّما المؤمنون اخوة﴾. نظير ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لعمر: يا أخي[1] ولزيد: أنت أخونا[2] ولأُسامة: يا أخي[3]. وإنّما يُفسِّر تلك الاخوة لفظ البخاري ومسلم والترمذي: لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن اخوة الإسلام ومودته. كما أنَّ الخلّة المنتفية فيه هي الخلّة بالمعنى الخاصّ لا الخلّة العامّة الثابتة بقوله تعالىٰ: ﴿الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلّا المتّقين﴾.

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ٦.

(٢) خصائص النسائي ص ١٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩.

فلم تكن هي تلك الاخوَّة بالمعنى الخاصّ التي تمَّت يومي المؤاخاة [١] بوحي من الله العزيز، وكانت على أساس المشاكلة والمماثلة بين كلِّ اثنين في الدرجات النفسيَّة كما ستسمعه عن غير واحد من الأعلام، ووقعت المؤاخاة فيهما بين أبي بكر وعمر. وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف. وبين طلحة والزبير. وبين أبي عبيدة الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. وبين أُبيّ بن كعب وابن مسعود. وبين معاذ وثوبان. وبين أبي طلحة وبلال. وبين عمّار وحذيفة، وبين أبي الدَّرداء وسلمان. وبين سعد بن أبي وقّاص وصُهيب. وبين أبي ذرّ والمقداد بن عمرو. وبين أبي أيّوب الأنصاري وعبدالله بن سلام. وبين اسامة وهند حجَّام النبيِّ. وبين معاوية والحباب المجاشعي. وبين فاطمة بنت النبيِّ وامِّ سلمة. وبين عائشة وامرأة أبي أيوب[٢].

وأخَّر صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً لنفسه قائلاً له: والّذي بعثني بالحقِّ ما أخَّرتك إلّا لنفسي أنت أخي ووارثي، نت خي ـرفيقي، أنت أخي في الدنيا والآخرة!.

بل أقول عجباً للصلافة التي تحدو الإنسان لأن يقول: لا يصحُّ غير حديث حسبه صحيحاً ويجهل مفاده أو يعلم ويحبُّ أن يُغري الامَّة بالجهل، ثمَّ يعطف على حديث اعترفت به الامَّة جمعاء وجاء مثبتاً في الصحاح والمسانيد ويراه باطلاً.

أهكذا حبُّ الشيء يُعمي ويُصمّ؟!

أهكذا خُلق الإنسان ظلوماً جهولا؟!

هذه الاخوَّة بالمعنى الخاصّ الثابتة لأمير المؤمنين ممّا يخصّ به عليه السَّلام ولا يدَّعيها بعده إلّا كذّاب على ما ورد في الصحيح كما يأتي، وكانت مطَّردة بين الصحابة كلقب يُعرَّف به، تداولته الأندية، وحوته

(١) وقعت المؤاخاة مرتين إحداهما قبل الهجرة واخرى بعدها بخمسة أشهر كما يأتي.

(٢) سيرة ابن هشام، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠، ٢٠٠، اسد الغابة ج ٢ ص ٢٢١، مطالب السئول ص ١٨، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٢٢٧، شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣.

المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمّنه الشعر السائر، ولو ذهبنا إلى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتابٌ ضخمٌ غير أنّا نختار منها نبذاً :

١ - آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر وفلان وفلان فجاءه عليٌّ رضي الله عنه فقال: آخيت بين أصحابك ولم تُؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدّنيا والآخرة.

ينتهي سند هذا الحديث إلى :

أمير المؤمنين عليّ. عمر بن الخطّاب. أنس بن مالك. زيد بن أبي أوفى. عبد الله بن أبي أوفى. ابن عبّاس. مخدوج بن زيد. جابر بن عبد الله. أبي ذرّ الغفاري. عامر بن ربيعة. عبد الله بن عمر. أبي امامة. زيد بن أرقم. سعيد بن المسيِّب[١].

راجع جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣، مصابيح البغوي ج ٢ ص ١٩٩، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ وعدَّ حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١، مشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ٥ ص ٥٦٩، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٧، وقال في ص ٢١٢:

ومن أدلِّ دليل على عظم منزلة عليٍّ من رسول الله ﷺ صنيعه في المؤاخاة فإنّه ﷺ جعل يضمُّ الشكل إلى الشكل يؤلّف بينهما. إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر وادَّخر عليّاً لنفسه وخصَّه بذلك، فيالها مفخرة وفضيلة.

فرائد السمطين في الباب العشرين، الفصول المهمّة ص ٢٢ و٢٩، تذكرة السبط ١٣، ١٥ وحكى عن الترمذي أنّه صحَّحه، كفاية الكنجي ص ٨٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ عال صحيحٌ، فإذا أردت أن تعلم قرب منزلة عليٍّ من رسول الله. إلى آخر ما مرّ عن الرِّياض النضرة.

السيرة النبويَّة لابن سيِّد الناس ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠٣ وصرح بأنَّ هذه هي المؤاخاة قبل الهجرة ثمّ قال:

(١) هذا الحديث بوحدته متواتر على رأي ابن حزم في التواتر.

وقال ابن إسحق: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال: تواخوا في الله أخوين. ثمَّ أخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: هذا أخي. فكان رسول الله وعليٌّ أخوين.

تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٥، أسنى المطالب للجزري ص ٩، مطالب السئول ص ١٨ وقال: فعقد الاخوَّة بين اثنين منهم حثاً على التناصر والتعاضد، وجعل كلَّ واحد مؤاخياً لمن تقرب منه درجته في المماثلة والمساواة.

الصواعق ٧٣، ٧٥، تاريخ الخلفاء ١١٤، الإصابة ج ٢ ص ٥٠٧، المواقف ج ٣ ص ٢٧٦، شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣، طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥، تاريخ القرماني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٦، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٣، ١٠١، وفي هامشها السيرة النبويَّة لزيني دحلان ج ١ ص ٣٢٥، كفاية الشنقيطي ص ٣٤، الإمام عليّ بن أبي طالب للاستاذ محمّد رضا ص ٢١، الإمام عليّ بن أبي طالب للاستاذ عبد الفتّاح عبد المقصود وقال في ص ٧٣:

ولئن كان أبو بكر من نبيِّ الله وزيره الصادق فإنَّ عليّاً كان منه الظلّ اللاصق لم ينأ عنه ولم يبعد إلّا كما أرسله محمّد ليكون له على أعدائه عيناً أو لرجاله طليعة حتّى في بدء ذلك الوقت الذي أخذ رسول الله يُكوِّن فيه ملكه الصغير، ويربط بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، لم يفته أن يُؤثر بإخائه عليّاً دون الباقين. آخى بين صحبه الخارجين من ديارهم معه وبين أصحاب البلدة الّذين آووا، فتخيَّر أن يكون عليٌّ أخاه في الدين، لم يُواخ أبا بكر، ولم يُواخ عمر، ولم يُواخ حمزة أسده وأسد الله ولكنه اصطفى لهذه الاخوَّة المعنويَّة بعد اخوَّة الدم فتاه الربيب، فآثره على كلِّ حبيب بعيدٍ وقريب.

وقد أصفقت هذه المصادر كلّها أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أبي بكر وعمر وليس فيها من مزعمة ابن حزم عينٌ ولا أثر.

٢ ـ زيد بن أبي أوفى قال: لَمّا آخى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه وآخى بين عمر وأبي بكر (إلى أن قال): فقال عليٌّ: لقد ذهب روحي

وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط عليَّ، فلك العتبى والكرامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والّذي بعثني بالحقِّ ما أخَّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيَّ بعدي، وأنت أخي ووارثي. قال: وما أرث منك يا رسول الله؟! قال: ما ورث الأنبياء من قبلي. قال: ما ورث الأنبياء من قبلك؟! قال: كتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم، وأنت معي في قصري في الجنَّة مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي. ثمَّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إخواناً على سرر متقابلين.

مناقب أحمد بن حنبل، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢٠١، تذكرة السبط ١٤ وصحَّحه وقال: رجاله ثقات، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٠، كفاية الشنقيطي ٣٥، ٤٤.

٣ - جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيَّب قالا: إنَّ رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه فبقي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعليٌّ، فآخى بين أبي بكر وعمر وقال لعليّ: أنت أخي وأنا أخوك، فإن ناكرك أحدٌ فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدَّعيها بعدك إلّا كذّاب.

مناقب أحمد، تاريخ ابن عساكر، كفاية الكنجي ٨٢، ٨٣، تذكرة السبط ١٤ وصحّحه وردَّ على جدِّه في تضعيفه سنده، المرقاة في شرح المشكاة ج ٥ ص ٥٦٩.

وفي لفظ أمير المؤمنين ويعلى بن مرَّة: فقال رسول الله ﷺ: إنّما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك فإن حاجّك أحدٌ فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله. لا يدَّعيها بعدك إلّا كذّاب.

كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٤، ٣٩٩ عن الحافظ أبي يعلى في مسنده.

٤ - قال محمّد بن إسحاق: وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا في الله

أخـوين أخوين. ثمّ أخـذ بيد عليٍّ بن أبي طـالب فقـال: هـذا أخي. فكـان رسول الله ﷺ ـ سيِّد المرسلين وإمام المتّقين، ورسول ربِّ العالمين الذي ليس له خطيرٌ ولا نظيرٌ من العباد ـ وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين.

تاريخ ابن هشام ج ٢ ص ١٢٣، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٦، السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ١٠١، الفتاوى الحديثيّة ص ٤٢.

٥ ـ أميـر المؤمنين قال: قـال له رسـول الله ﷺ: أنت أخي وصـاحبي ورفيقي في الجنّـة. تـاريـخ الخـطيب ج ١٢ ص ٢٦٨، كنــز العمّـال ج ٦ ص ٤٠٢.

٦ ـ أميـر المؤمنين قال: آخى رسـول الله بين عمـر وأبي بكـر، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن الحارثة (إلى أن قال:) وبيني وبين نفسه.

أخرجه الخليعي في الخليعات، وسعيد بن منصور في سننه كما في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٤.

٧ ـ ابن عبّـاس في حديث وقـال ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: أنت أخي وصاحبي.

مسنـد أحمـد ج ١ ص ٢٣٠، الإستيعـاب ج ٢ ص ٤٦٠، الإمتـاع للمقريزي ص ٣٤٠، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩١.

٨ ـ أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: اللَّهُمَّ إنّي أقول كما قال أخي موسى، **اللّهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي أخي عليّاً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبِّحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنّك كنت بنا بصيرا.**

مناقب أحمد بن حنبل. الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣.

٩ ـ ابن عبّاس في حديث احتجاجه على الرَّجل الشاميِّ وهو حـديثٌ طويلٌ كثير الفائدة ومنه: وقال (رسول الله): يا امّ سلمة! هل تعرفين هـذا؟! قالت: نعم هذا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله ﷺ: نعم هذا عليٌّ سيط

لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي، يا امّ سلمة! هذا عليٌّ سيِّدٌ مبجَّل، ومأمل المسلمين، وأمير المؤمنين، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي يؤوى إليه، وهو الوصيُّ على أهل بيتي، وعلى الأخيار من أُمّتي، وهو أخي في الدُّنيا والآخرة.

المحاسن والمساوىء ج١ص ٣١، مرَّ حديث امّ سلمة هذا بلفظ آخر ومصادره في ج ١ ص ٣٩٣، ٣٩٤.

١٠ - مرَّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السَّلام في حديث بدء الدعوة: أنت أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي. راجع ج ٢ ص ٣٢٥ - ٣٣١.

١١ - مرَّ ج ١ ص ٢٥٨ من طريق الطبري قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمّ: إنَّ عليَّ بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي. وقوله: معاشر الناس! هذا أخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي.

ويظهر من كلام النويري الذي أسلفناه في ج ١ ص ٣٣٩: أنَّ مؤاخاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السَّلام يوم غدير خمّ كانت مشهورةً في العصور المتقادمة.

١٢ - جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: مكتوبٌ على باب الجنَّة: لا إلّه إلا الله، محمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أخو رسول الله قبل أن تُخلق السَّماوات والأرض بألفي عام.

مناقب أحمد، تاريخ الخطيب ج ٧ ص ٣٨٧، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٨، تذكرة السبط ١٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١، مناقب الخوارزمي ٨٧، شمس الأخبار ص ٣٥ عن مناقب الفقيه ابن المغازلي، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٩ عن ابن عساكر، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٥، كفاية الشنقيطي ٣٤، مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦ نقلاً عن الطبراني.

١٣ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: طلبني النبيُّ ﷺ فوجدني في حائط

نائماً فضربني برجله وقال: قم فوالله لأُرضينَّك، أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنّتي.

مناقب أحمد، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٧، الصواعق ٧٥، كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٤، كفاية الشنقيطي ٢٤.

١٤ ـ مخدوج بن زيد الذهلي قال: إنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ: أما علمت يا عليُّ أنَّه أوَّل مَن يُدعى به يوم القيامة بي؟! (إلى أن قال:) ثمَّ ينادي منادٍ من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ.

مناقب أحمد، مناقب الفقيه ابن المغازلي، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢٠١، مناقب الخوارزمي ٨٣؛ ٢٣٤، ٢٣٨، شمس الأخبار ٣٢، تذكرة السبط ص ١٣ وردَّ على مَن ضعَّفه لمكان ميسرة والحكَم في طريق الحافظ الدارقطني فقال: الحديث الذي رواه أحمد في الفضائل ليس فيه ميسرة ولا الحكَم، وأحمد مقلّدٌ في الباب متى روى حديثاً وجب المصير إلى روايته لأنَّه إمام زمانه، وعالم أوانه، والمبرَّز في علم النقل على أقرانه، والفارس الَّذي لا يجارى في ميدانه.

١٥ ـ أبو برزة قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله تعالى عهد إليَّ عهداً في علي فقلت: يا ربّ! بيِّنه لي فقال: إسمع. فقلت: سمعت. فقال: إن عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتَّقين، مَن أحبَّه أحبَّني ومَن أبغضه أبغضني، فبشِّره بذلك. فجاء عليٌّ فبشَّرته فقال: يا رسول الله! أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يُعذِّبني فبذنبي،، وإن يتمّ لي الذي بشَّرتني به فالله أولى بي. قال: قلت: اللهم أجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان. فقال الله: قد فعلت به ذلك. ثمَّ انّه رفع إليَّ أنَّه سيخصّه من البلاء بشيء لم يخصّ به أحدٌ من أصحابي. فقلت: يا رب! أخي وصاحبي فقال: إنّ هذا شيءٌ قد سبق إنَّه مُبتلى ومُبتلى به.

حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧، الرياض النضرة ج ٢ ص ٤٤٩، شرح ابن

أبي الحديد ج ٢ ص ٤٤٩، فرائد السمطين في الباب الـ ٣٠ و٥٠ بطريقين، مناقب الخوارزمي ٢٤٥، كفاية الكنجي ٩٥، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٤١.

١٦ ـ في خطبة للنبيِّ ﷺ: أيّها النّاس! اوصيكم بحبِّ ذي قرباها أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب، لا يحبّه إلّا مؤمنٌ ولا يبغضه إلّا منافقٌ، من أحبَّه فقد أحبَّني؛ ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذَّبه الله.

مناقب أحمد، تذكرة السبط ١٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص٤٥١، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢١٢، ذخائر العقبى ٩١.

١٧ ـ في حديث مفاخرة عليٍّ وجعفر وزيد وتحاكمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: أنت أخي وخالصتي.

شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٩. وقال: اتَّفق عليه المحدِّثون.

١٨ ـ أبو ذرّ الغفاري قال في حديث: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ: وأنت أخي ووزيري وخير من أترك بعدي.

مرَّ تمام الحديث ومصادره ج ٢ ص ٣١٣ راجع.

١٩ ـ سلمان الفارسيّ قال: إنَّه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنَّ أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي عليُّ بن أبي طالب. مناقب الخوارزمي ٦٧.

٢٠ ـ بلال بن حمامة في حديث زواج عليّ فاطمة سلام الله عليهما وآلهما قال صلى الله عليه وآله وسلم: بشارةٌ أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي (وفيه): فصار أخي وبنتي فكّاك رقاب رجال ونساء من امّتي من النّار. راجع ج ٢ ص ٣١٦.

٢١ ـ عبد الله بن عمر قال في حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: انَّه قال: اللّهمَّ اشهد لهم اللّهمّ قد بلّغت هذا أخي وابن عمّي وصهري وأبو

ولدي، اللّهُمَّ! كبّ من عاداه في النّار.

كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٤ نقلاً عن ابن النَّجار والشيرازي في الألقاب.

٢٢ ـ عبد الله بن عمر قال في حديث:قال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أُرضيك يا علي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنت أخي ووزيري تقضي ديني وتنجز موعدي.

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١ عن الطبراني، وص ١٢٢ عن أبي يعلى، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥.

٢٣ ـ في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: فأمّا أن رجعت نادى مناد من وراء الحجاب: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليٌّ فاستوص به خيراً.

فرائد السمطين في الباب العشرين. كنز العمّال ج ٦ ص ١٦١.

٢٤ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث:قال صلى الله عليه وآله وسلم: ليس في القيامة راكبٌ غيرنا نحن الأربعة (إلى أن قال:) وأخي عليّ على ناقة من نوق الجنَّة بيده لواء الحمد.

تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٢، كفاية الحافظ الكنجي ٧٧، كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٢.

٢٥ ـ إبن عبّاس في حديث زواج عليّ وفاطمة سلام الله عليهما قال: فجاء رسول الله ﷺ فدقَّ الباب فخرجت إليه امّ أيمن فقال. أعلمي أخي. قالت: وكيف يكون أخاك وقد زوَّجته ابنتك؟! قال: إنَّه أخي.

خصائص النسائي ٣٢، الرِّياض ج ٢ ص ١٨١، الصواعق.

٢٦ ـ مرَّ في حديث ليلة المبيت: فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل: أفلا كنتما مثل عليٍّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد. راجع ج ٢ ص ٧٣.

٢٧ ـ في حديث الإسراء عن النسفي وغيره عن جبرئيل أنَّه قال: إنَّ الله تعالى اطَّلع إلى الأرض فاختارك من خلقه وبعثك برسالته، ثمّ اطَّلع إليها ثانية

فاختار لك أخاً ووزيراً وصاحباً فزوَّجه ابنتك فاطمة. فقلت: يا جبريل من هذا الرجل ؟! قال: أخوك في الدارين وابن عمّك في النسب عليٌّ بن أبي طالب.

نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٣ .

٢٨ ـ أخرج الطبراني باسناده عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال لعليّ عليه السلام: أما ترضى أنّك أخي وأنا أخوك؟! مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١ .

٢٩ ـ عبد الله بن عمر قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه: أُدعوا لي أخي. فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه، ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي. فدعوا له عمر فأعرض عنه، ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي. فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي. فدُعي له عليٌّ بن أبي طالب فستره بثوب وأكبَّ عليه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال ؟! قال: علّمني ألف باب يفتح كلّ باب إلى ألف باب.

أخرجه الحافظ إبن عدي عن أبي يعلى عن كامل بن طلحة عن أبي لُهيعة إلى آخر السند، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٩، وحكى تضعيفه عن ابن عدي لمكان ابن لهيعة في سنده ذاهلاً عمّا قال أحمد بن حنبل في حقّه راجع ج ١ ص ١٠٧

٣٠ ـ عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ: عليٌّ أخي في الدنيا والآخرة.

أخرجه الطبراني ، والسيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٠ وحسَّنه . وقال المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٥ بعد ذكره : كيف ؟ وقد بُعث سول الله ﷺ يوم الإثنين فأسلم (عليّ) وصلّى يوم الثلاثاء فمكث يُصلّي مستخفياً سبع سنين كما رواه الطبراني عن أبي رافع ، يريد بذلك بيان المشاكلة والمماثلة في الأخوة بينهما صلّى الله عليهما وآلهما .

٣١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: اشتقَّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماءً فالله عزَّ وجلَّ محمودٌ، وأنا محمّد. والله الأعلى، وأخي عليّ.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الثاني من طريق أبي نعيم والنطنزي.

٣٢ ـ أنس بن مالك قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فذكر قولاً كثيراً ثمّ قال: أين عليٌّ بن أبي طالب؟! فوثب إليه فقال: ها أناذا يا رسول الله! فضمّه إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين! هذا أخي وابن عمّي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين: الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، هذا مفرّج الكروب عنّي، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريءٌ وأنا منه بريءٌ.

أخرجه أبو سعد في شرف النبوّة كما في ذخائر العقبى ٩٢.

٣٣ ـ عن الزهري في حديث حول حرب الجمل: فقالت عائشة لرجل من ضبّة وهو آخذٌ بخطام جملها أو بعيرها: أين ترى عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه؟! قال: ها هوذا واقفٌ رافعٌ يده إلى السّماء. فنظرت فقالت: ما أشبهه بأخيه. قال الضبّي: ومن أخوه؟! قالت: رسول الله ﷺ. قال: فلا أراني أُقاتل رجلاً هو أخو رسول الله عليه الصلاة والسّلام. فنبذ خطام راحلتها من يده ومال إليه. المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٣٥ .

٣٤ ـ عبّاد بن عبد الله الأسدي قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذبٌ، آمنت قبل الناس بسبع سنين. وفي لفظ جمع من الحفّاظ: لا يقولها بعدي إلّا كذّابٌ مُفترٍ، ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين.

خصائص النسائي ص ٣، السنّة لابن أبي عاصم، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٧، المعرفة لأبي نعيم، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٥، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٢، الرّياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٧ من طريق الحافظ ابن أبي شيبة مسنداً،

فرائد السمطين في الباب الـ ٤٩، مطالب السئول ١٩ وقال: كان يقولها في كثير من الأوقات. تاريخ ابن عساكر، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٥، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٤ عن ابن أبي شيبة والنسائي وابن أبي عاصم والعقيلي والحاكم وأبي نعيم.

٣٥ - زيدبن وهب قال: سمعت عليّاً عليه السّلام على المنبر وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله لم يقلها أحدٌ قبلي ولا يقولها أحدٌ بعدي إلّا كذّاب أو مفتر. فقام إليه رجلٌ فقال: أنا أقول كما يقول هذا. فضُرب به الأرض فجاءه قومه فغشّوه ثوباً، فقيل لهم: أكان هذا فيه قبل؟! قالوا: لا.

فرائد السمطين في الباب الـ ٤٤، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٦ عن أبي يحيى من طريق الحافظ العدني، وفيه: فقالها رجلٌ فأصابته جنّة. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ من دون ذيله وقال: رويناه من وجوه، آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ثمَّ آخى بين المهاجرين والأنصار، وقال في كلٍّ واحدةٍ منهما لعليٍّ: أنت أخي في الدنيا والآخرة. فلذلك كان هذا القول وما أشبهه من عليّ رضي الله عنه.

٣٦ - معاذة عن عليّ عليه السّلام أنه قال على رؤس الأشهاد خطيباً: أنا عبد الله وأخو رسوله؛ وأنا الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، صلّيت قبل الناس سبع سنين، وأسلمت قبل إسلام ابي بكر وآمنت قبل إيمانه.

شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٧، راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٣٦٣.

٣٧ - حنان قال سمعت عليّاً يقول: لأقولنَّ قولاً لم يقله أحدٌ قبلي لا يقوله بعدي إلّا كذّابٌ: أنا عبد الله وأخو رسوله، وزير نبيِّ الرَّحمة، نكحت سيِّدة نساء هذه الامَّة، وأنا خير الوصيِّين.

« فرائد السمطين » الباب الـ ٥٧

٣٨ - إنّ عليّاً كرَّم الله وجهه أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبد الله

وأخو رسول الله . فقيل له: بايع أبا بكر. فقال: أنا أحقُّ بهـذا الأمر منكم لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي.

« الإمامة والسياسة » ١٢، ١٣

٣٩ـ أبو الطفيل عامر بن واثلة في حديث مناشدة أميـر المؤمنين عليه السَّلام يوم الشورى قال: قال: أُنشدكم الله أفيكم أحدٌ آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بينه وبين نفسه حيث آخى بين المسلمين غيـري؟! فقالـوا: اللهمّ لا.

أخـرج ابن عبد البرّ خصوص هـذه الفقـرة من حـديث المنـاشـدة في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، وهي ممّا صحّحه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٦١ من فقرات الحديث وعدَّها ممّا استفاض في الرِّوايات، وقد أسلفنا طرق الحديث في ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣.

٤٠ ـ أخرج الحافظ الدارقطني: انَّ عمر سأل عن عليّ فقيل له: ذهب إلى أرضه فقال: اذهبوا بنا إليه. فوجدوه يعمل، فعملوا معه ساعة ثمَّ جلسوا يتحدَّثون فقال له عليٌّ: يا أمير المؤمنين! أرأيت لو جاءك قومٌ من بني إسرائيل، فقال لك أحدهم: أنا ابن عمّ موسى ﵇ أكانت له عندك أثرة على أصحابه؟! قال: نعم. قال: فأنا والله أخو رسول الله ﷺ وابن عمِّه. قال: فنزع عمر رداءه فبسطه فقال: لا والله لا يكون لك مجلسٌ غيره حتّى نفترق. فلم يزل جالساً عليه حتّى تفرّقوا.

« الصواعق » ١٠٧

٤١ ـ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث عن حوريَّة من الجنَّة قال قالت: أنا الراضية المرضيَّة، خلقني الجبّار من ثلاثة أصناف: أعلاي من عنبر. ووسطي من كافور. وأسفلي من مسك. وعجنني بماء الحيوان، ثمَّ قال: كوني فكنت، خلقني لأخيك وابن عمِّك عليِّ بن أبي طالب.

« ذخائر العقبى » ٩٠

٤٢ ـ مرّ في كتاب لأمير المؤمنين عليه السَّلام كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان قوله:

محمّد النبيُّ أخي وصنوي   وحمزة سيِّد الشهداء عمّي

راجع ج ٢ ص ٤٠ ـ ٤٥

٤٣ ـ قال جابر بن عبد الله الأنصاري، سمعت عليّاً عليه السَّلام ينشد ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يسمع شعره:

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي   معه رُبيت وسبطاه هما ولدي
جدّي وجدّ رسول الله منفردٌ   وزوجتي فاطمٌ لا قول ذي فندِ
صدَّقته وجميع الناس في بُهمٍ   من الضَّلالة والإشراك والنَّكدِ
الحمد لله شكراً لا شريك له   البرّ بالعبد والباقي بلا أمدِ

فقال له النَّبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: صدقت يا عليّ

فرائد السمطين في الباب الـ ٤٤، نظم درر السمطين للزرندي، كفاية الكنجي ص ٨٤، مناقب الخوارزمي ص ٩٥، تاريخ ابن عساكر، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٨.

٤٤ ـ قال ابن عبّاس: إنَّ عليّاً كان يقول في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله تعالى يقول: أفإن مات أو قُتل. لأُقاتلنَّ على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لأخوه ووليّه ووارثه (وارث علمه) وابن عمِّه، فمن أحقُّ به منّي؟!.

مناقب أحمد، خصائص النسائي ١٨، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ وصحّحه هو والذهبي، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٦، ذخائر العقبى ص ١٠٠، فرائد السمطين الباب الـ ٢٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٤ من طريق الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

٤٥ ـ قال عديّ بن حاتم في خطبة له: لئن كان إلى الإسلام إنَّه لأخو نبيٍّ

الله والرأس في الإسلام.

[جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٠٢].

٤٦ ـ قال الثعلبي في « العرائس » ص ١٤٩ : قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار: إن الله أهبط تابوتاً على آدم عليه السَّلام من الجنَّة حين أهبط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوتٌ بعدد الرسل منهم، وآخر البيوت بيت محمّد من ياقوتة حمراء (إلى أن قال) : وبين يديه عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوبٌ على جبهته : هذا أخوه وابن عمِّه المؤيَّد بالنصر من عند الله.

٤٧ ـ في كتاب لمحمّد بن أبي بكر إلى معاوية: فكان أوَّل من أجاب وأناب وآمن وصدَّق وأسلم وسلم أخوه وابن عمِّه عليٌّ بن أبي طالب.

كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٣٣ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩

٤٨ ـ قال أبان بن عيّاش: سألت الحسن البصري عن عليّ عليه السَّلام فقال: ما أقول فيه؟! كانت له السابقة والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة ـ إلى أن قال: وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: زوَّجتك خير أُمَّتي. فلو كان في أُمَّته خيراً منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله بين أصحابه فآخى بين عليّ ونفسه،فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم خير النّاس نفساً وخيرهم أخاً. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦٩.

٤٩ ـ في خطبة لعمّار بن ياسر في البصرة قوله: أيّها الناس! أخو نبيّكم وابن عمِّه يستنفركم لنصر دين الله.

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٣]

٥٠ ـ مرَّ ج ١ ص ٢٤٥ من كتاب لعمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان قوله: وأمّا ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله ووصيَّه إلى البغي والحسد على عثمان وسمَّيت الصحابة فسقةً وزعمت أنَّه أشلاهم على قتله فهذا كذبٌ

وغوايةٌ.

ولشهرة هذه الأثارة وثبوتها لأمير المؤمنين ولأهميَّتها الكبرى عند الأُمَّة وإعرابها عن المماثلة والمشاكلة في الفضيلة بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أخذها رجال القريض من الصحابة والتابعين كحسّان بن ثابت والنجاشي وتبعهم شعراء القرون من الفريقين حتّى اليوم فصبّوها في بوتقة النظم، ونحن نصفح عن كلّ ذلك النظم الرائق روماً للاختصار، غير أنَّ القارىء يقف على شيء كثير منه في طيِّ أجزاء كتابنا راجع الجزء الثاني ص ٥٧، ٦٠، ١٣٧، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٨٥، ٤٠٩، ج ٣ ص ٩٤.

١٠ ـ قال: جمهور متكلّمي الرافضة كهشام بن الحكم الكوفي وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما يقول: إنَّ علم الله تعالى محدثٌ، وانَّه لم يكن يعلم شيئاً حتّى أحدث لنفسه علماً. وهذا كفرٌ صحيحٌ، وقد قال هشام هذا في عين مناظرته لأبي الهذيل العلاّف: إنّ ربَّه سبعة أشبار بشبر نفسه. وهذا كفرٌ صحيحٌ، وكان داود الجوازي من كبار متكلّميهم يزعم أنَّ ربّه لحمٌ ودمٌ على صورة الإنسان.

ج ـ أمّا جمهور متكلّمي الشيعة فلن تجد هذه المزعمة في شيء من مؤلّفاتهم الكلاميَّة بل فيها نقيض هذه كلّها ودحض شبه الزاعمين خلافهم، ضع يدك على أيّ من تلك الكتب مخطوطها ومطبوعها، حتّى تأليف هشام نفسه ومَن قصدهم الرجل بالقذف المائن تجده على حدّ ما وصفناه.

وأمّا هشام فأوَّل مَن نسب إليه هذه الفرية الجاحظ[1] عن النظام ورآها ابن قتيبة في « مختلف الحديث » ص ٥٩ والخطّاط في « الانتصار » وكلٌّ منهم هو العدوُّ الألدُّ للرَّجل لا يُؤتمن عليه فيما ينقله ممّا يشوِّه سمعة هشام، فهو

---

(١) قال أبو جعفر الإسكافي: ان الجاحظ ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب، وهو من دعوى الباطل غير بعيد، فمعناه نزر، وقوله لغو، ومطلبه سجع، وكلامه لعب ولهو، يقول الشيء وخلافه، ويحسن القول وضده، ليس له من نفسه واعظ، ولا لدعواه حد قائم. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٧.

لا يزال يتحرّى الوقيعة فيه وفي نظرائه من أيِّ الوسائل كانت صادقةً أو مكذوبةً، والمذاهب والعقائد يجب أن تؤخذ من أفواه المعتنقين بها، أو من كتبهم الثابتة نسبتها إليهم، أو ممَّن يُؤتمن عليه في نقلها، وهذه النسب المفتعلة لم يتسنَّ لها الحصول على شيء من الحالة، وإنَّما الحالة فيها كما وصفناها.

ثمَّ تبع أولئك في العصور المتأخِّرة أهل الهوس والهياج حنقاً على هشام ومبدئه ومن حذا حذوه كابن حزم وأمثاله، ولم يقنع الرجل تفريد هشام بهاتيك الشائنة المائنة حتّى شركه فيها جمهور متكلّمي الرافضة وهم برآء، والرَّجل غير مكترث لما أعدَّ الله لكلِّ أفّاك أثيم.

وهؤلاء متكلّمو الشيعة لا يعترفون بشيء من ذلك، وفيما كتبه عَلمٌ من أعلامهم ألا وهو علم الهدى الشريف المرتضى في «الشافي» ص ١٢ مقنعٌ وكفايةٌ في الدِّفاع عن هشام، على أنَّ نصَّ مناظرة هشام مع أبي الهذيل المذكورة في «الملل والنحل» للشهرستاني ليس فيه إلاّ إلزام مَن يناظره بلازم قوله من أنَّه تعالى جسمٌ لا كالأجسام. وأين هو من الاعتقاد به؟!.

وبقيَّة النسب المعزوَّة إلى غير هشام من رجالات الشيعة من التجسّم وغيره ممّا ذُكر لدة ما يُنسب إلى هشام بعيدةٌ عن مستوى الصِّدق.

١١ ـ قال: (الرافضة) لا يختلفون في أنَّ الشمس رُدَّت على عليٍّ بن أبي طالب مرَّتين، أفيكون في صفاقة الوجه، وصلابة الخدّ، وعدم الحياء، والجرأة على الكذب، أكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق؟!.

وقال ج ٥ ص ٣ بعد نقل جملة من الخرافات: لا فرق بين من ادَّعى شيئاً ممّا ذُكر وبين دعوى الرافضة ردَّ الشمس على عليٍّ بن أبي طالب مرَّتين.

وقال ج ٢ ص ٧٨: وأقلُّ الروافض غلوّاً يقولون: إنَّ الشمس رُدَّت على عليٍّ بن أبي طالب مرَّتين.

ج ـ ربما يحسب قارىء هذه القوارص أنَّ القول بردِّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السَّلام من خاصَّة الشيعة ليس إلاّ. وأنَّ الحديث به منكرٌ وقول

زور، لا يرى الإسلام لقائله قدراً ولا حرمةً، بل يحقّ بكلّ ذلك السباب والقذف المقذع، ولا يتصوَّر أن تكون هذه الوقيعة والتحامل من الرَّجل دون حقيقة راهنةٍ، وقولٍ صحيحٍ، ورأيٍ ثابتٍ بالسنَّة.

فأدب الشيعة وإن يمنعنا عن السباب والتقابل بالمثل غير أنّا نمثّل بين يدي القارىء تلك الحقيقة، ونوقفه على حقّ القول وقائليه ومحدِّثيه، فيرى عندئذٍ نصب عينيه مثال صفاقة الوجه، وصلابة الخدِّ، وعدم الحياء، والجرأة على الكذب فنقول:

إنَّ حديث ردِّ الشمس أخرجه جمعٌ من الحفّاظ الأثبات بأسانيد جمَّة صحّح جمعٌ من مهرة الفنِّ بعضها، وحكم آخرون بحسن آخر، وشدَّد جمعٌ منهم النكير على من غمز فيه وضعَّفه وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأمويَّة الخبيثة ألاوهم: ابن حزم. ابن الجوزي. ابن تيميَّة. ابن كثير.

وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المأثرة النبويَّة والمكرمة العلويَّة الثابتة فأفردوها بالتأليف، وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها فمنهم:

١ ـ أبو بكر الورّاق، له كتاب « من روى ردَّ الشمس » ذكره له ابن شهر آشوب في « المناقب » ج ١ ص ٤٥٨.

٢ ـ أبو الحسن شاذان الفضيلي، له رسالةٌ في طرق الحديث ذكر شطراً منها الحافظ السيوطي في « اللآلي المصنوعة » ج ٢ ص ١٧٥ وقال: أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصحّحه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله.

٣ ـ الحافظ أبو الفتح محمَّد بن الحسين الأزدي الموصلي، له كتابٌ مفردٌ فيه، ذكره له الحافظ الكنجي في « الكفاية ».

٤ ـ أبو القاسم الحاكم ابن الحدّاد الحسكاني النيسابوري الحنفي المترجم ج ١ ص ١٤٧، له رسالةٌ في الحديث أسماها ـ مسألة في تصحيح ردِّ

الشمس وترغيم النواصب الشمس ـ ذكر شطراً منها ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٨٠، وذكره له الذّهبي في تذكرته ج ٣ ص ٣٦٨.

٥ ـ أبو عبد الله الجعل الحسين بن عليّ البصريّ ثمّ البغداديّ المتوفّى سنة ٣٩٩، ذلك الفقيه المتكلّم، له كتاب « جواز ردِّ الشمس » ذكره له ابن شهر آشوب.

٦ ـ أخطب خوارزم أبو المؤيد موفّق بن أحمد المتوفّى سنة ٥٦٨ المترجم في الجزء الرابع من كتابنا هذا، له كتاب « ردّ الشمس لأمير المؤمنين » ذكره له معاصره ابن شهر آشوب.

٧ ـ أبو علي الشريف محمّد بن أسعد بن علي بن المعمّر الحسني النقيب النسّابة المتوفّى سنة ٥٨٨، له جزءٌ في جمع طرق حديث ردّ الشمس لعليّ، أورد فيه أحاديث مستغربة « لسان الميزان» ج ٥ : ٧٦.

٨ ـ أبو عبد الله محمَّد بن يوسف الدمشقي الصالحي تلميذ ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧، له جزء « مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس » ذكره له برهان الدين الكوراني المدني في كتابه « الامم لإيقاظ الهمم » ص ٦٣ كما يأتي لفظه.

٩ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩٩١، له رسالةٌ في الحديث أسماها ـ كشف اللبس عن حديث ردِّ الشمس.

ولا يسعنا ذكر تلكم المتون وتلكم الطرق والأسانيد، إذ يحتاج إلى تأليف ضخم يخصُّ به، غير أنّا نذكر نماذج ممّن أخرجه من الحفّاظ والأعلام بين مَن ذكره مِن غير غمز فيه، وبين مَن تكلّم حوله وصحّحه، وفيها مقنعٌ وكفايةٌ :

١ ـ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي المتوفّى سنة ٢٣٩، رواه في سننه.

٢ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصريّ المتوفّى سنة ٢٤٨، شيخ البخاري في صحيحه ونظرائه، المجمع على ثقته، رواه بطريقين صحيحين عن

أسماء بنت عميس وقال: لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء الذي روي لنا عنه ﷺ لأنَّه من أجلِّ علامات النبوَّة[١].

٣ - محمّد بن الحسين الأزدي المتوفّى سنة ٢٧٧، ذكره في كتابه في مناقب عليّ رضي الله عنه وصحَّحه كما ذكره ابن النديم والكوراني وغيرهما، راجع لسان الميزان ج ٥ : ١٤٠ .

قال الأميني: أحسب أنّ كتاب «المناقب» للأزدي غير ما أفرده في حديث ردّ الشمس.

٤ - الحافظ أبو بشر محمَّد بن أحمد الدولابي المتوفّى سنة ٣١٠، أخرجه في كتابه (الذريَّة الطاهرة) وسيأتي لفظه وإسناده.

٥ - الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمَّد الطحاوي المتوفّى سنة ٣٢١، في «مشكل الآثار» ج ٢ ص ١١، أخرجه بلفظين وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات .

قال الأميني: تواتر نقل هذا التصحيح والتثبيت عن أبي جعفر الطَّحاوي في كتب القوم كالشفاء للقاضي، وستقف على نصوص أقوالهم، غير أنّ يد الطبع الأمينة على ودائع الإسلام حرَّفته عن «مشكل الآثار» حيَّا الله الأمانة.

٦ - الحافظ أبو جعفر محمّد بن عمرو العقيلي المتوفّى سنة ٣٢٢ والمترجم ج ١ ص ٢٠٢.

٧ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ والمترجم ج ١ ص ١٣٨، رواه في معجمه الكبير وقال: إنَّه حسنٌ.

٨ - الحاكم أبو حفص عمر بن أحمد الشهير بابن شاهين المتوفّى سنة ٣٨٥، ذكره في مسنده الكبير.

٩ - الحاكم أبو عبدالله النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ والمترجم ج ١

---

(١) حكاه عنه الحافظ الطحاوي في مشكل الآثار ج ٢ ص ١١ وتبعه جمع آخرون كما يأتي.

ص ١٤١، رواه في تاريخ نيسابور في ترجمة عبدالله بن حامد الفقيه الواعظ.

١٠ ـ الحافظ ابن مردويه الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦ والمترجم ج ١ ص ١٤٢، أخرجه في «المناقب» بإسناده عن أبي هريرة.

١١ ـ أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى سنة ٤٢٧/ ٣٧ والمترجم ج ١ ص ١٤٣، رواه في تفسيره، وقصص الأنبياء الموسوم بـ «العرائس» ص ١٣٩.

١٢ ـ الفقيه أبو الحسن عليّ بن حبيب البصريّ البغداديّ الشافعيّ الشهير بالماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠، عدّه من أعلام النبوَّة في كتابه «أعلام النبوَّة» ص ٧٩، ورواه من طريق أسماء.

١٣ ـ الحافظ أبو بكر البيهقيُّ المتوفّى ٤٥٨ والمترجم ج ١ ص ١٤٥، رواه في «الدلائل» كما في «فيض القدير» للمناوي ج ٥ ص ٤٤٠.

١٤ ـ الحافظ الخطيب البغداديّ المتوفّى سنة ٤٦٣ والمترجم ج ١ ص ١٤٥، ذكره في «تلخيص المتشابه» و«الأربعين».

١٥ ـ الحافظ أبو زكريّا الإصبهاني الشهير بابن مندة المتوفّى سنة ٥١٢ والمذكور ج ١ ص ١٤٧، أخرجه في كتابه «المعرفة».

١٦ ـ الحافظ القاضي عياض أبو الفضل المالكيّ الأندلسيّ إمام وقته المتوفّى سنة ٥٤٤، رواه في كتابه «الشفاء» وصحَّحه.

١٧ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨ أحد شعراء الغدير في القرن السادس يأتي شعره وترجمته في الجزء الرابع من كتابنا، رواه في «المناقب».

١٨ ـ الحافظ أبو الفتح النطنزي المترجم ج ١ ص ١٤٩، رواه في «الخصائص العلويَّة».

١٩ ـ أبو المظفَّر يوسف قزأوغلي الحنفيّ المتوفّى سنة ٦٥٤، رواه في «التذكرة» ص ٣٠، ثمَّ ردّ على جدِّه ابن الجوزي في حكمه [بأنَّه موضوعٌ

وروايته مضطربةٌ لمكان أحمد بن داود، وفضيل بن مرزوق، وعبد الرحمن بن شريك، والمتَّهم هو ابن عقدة فإنَّه كان رافضيّاً] فقال ما ملخَّصه: قول جدِّي بأنَّه موضوعٌ دعوىً بلا دليل، وقدحه في رواته لا يرد لأنّا رويناه عن العدول الثقات الذين لا مغمز فيهم وليس في إسناده أحدٌ ممّن ضعّفه، وقد رواه أبو هريرة أيضاً، أخرجه عنه ابن مردويه فيحتمل أنَّ الذين أشار إليهم في طريقه.

واتِّهام جدِّي بوضعه ابن عقدة من باب الظنِّ والشكِّ لا من باب القطع واليقين، وابن عقدة مشهورٌ بالعدالة كان يروي فضائل أهل البيت ويقتصر عليها ولا يتعرَّض للصحابة رضي الله عنهم بمدح ولا بذم فنسبوه إلى الرَّفض.

والمراد منه حبسها ووقوفها عن سيرها المعتاد لا الردُّ الحقيقي، ولو رُدّت على الحقيقة لم يكن عجباً، لأنَّ ذلك يكون معجزة لرسول الله ﷺ وكرامة لعليٍّ عليه السَّلام وقد حُبست ليوشع بالإجماع، ولا يخلو إمّا أن يكون ذلك معجزةً لموسى أو كرامةً ليوشع، فإن كان لموسى فنبيّنا ﷺ أفضل منه، وإن كان ليوشع فعليٌّ عليه السَّلام أفضل من يوشع، قال ﷺ: علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل. وهذا في حقِّ الآحاد فما ظنّك بعليّ عليه السَّلام؟! ثمَّ استدلَّ على فضل عليّ عليه السَّلام على أنبياء بني إسرائيل وذكر شعر الصاحب بن عبّاد في ردِّ الشمس فقال:

وفي الباب حكايةٌ عجيبةٌ حدَّثني بها جماعةٌ من مشايخنا بالعراق قالوا: شهدنا أبا منصور المظفَّر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجيَّة مدرسة بباب برز محلّة ببغداد وكان بعد العصر وذكر حديث ردِّ الشمس لعلي عليه السَّلام وطرَّزه بعبارته ونمَّقه بألفاظه ثمَّ ذكر فضائل أهل البيت عليهم السَّلام، فنشأت سحابةٌ غطَّت الشمس حتّى ظنَّ النّاس أنَّها قد غابت فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمسُ حتّى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجلهِ
واثني عنانكِ إن أردت ثناءهم ... أنسيتِ إن كان الوقوف لأجلهِ؟!
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجلهِ

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت.

قال الأميني: حكى ابن النجار نحو هذه القضيّة لأبي الوفاء عبيدالله بن هبة الله القزويني الحنفي الواعظ المتوفّى سنة ٥٨٥ قال: أنشدني أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله بن هبة الله القزويني بأصبهان: أنشدني والدي ببغداد على المنبر في المدرسة الناجية مرتجلاً لنفسه وقد دانت الشمس للغروب، وكان ساعتئذٍ شرع في مناقب عليّ رضي الله عنه.

لا تعجلي يا شمس حتّى ينتهي مدحي لفضل المرتضي ولنجلهِ
يثني عنانك إن غربت ثناؤه أنسيت يوماً قد رُددت لأجلِه.

وذكره محيي الدين ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي في «الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة» ج١ ص ٣٤٢.

٢٠ ـ الحافظ أبو عبدالله بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨، جعل في كتابه «كفاية الطالب» ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤ فصلاً في حديث ردِّ الشمس وتكلّم فيه من حيث الإمكان تارة، ومن حيث صحّة النقل اخرى، فلا يرى للمتشرِّع وُسعاً في إنكاره من ناحية الإمكان لحديث ردِّ الشّمس ليوشع المتّفق على صحَّته. وقال في الكلام عن صحّته ما ملخّصه: فقد عدَّه جماعةٌ من العلماء في معجزاته ﷺ ومنهم: ابن سبع ذكره في «شفاء الصدور» وحكم بصحَّته. ومنهم: القاضي عياض في «الشفاء» وحكى عن الطحاوي من طريقين صحيحين ونقل كلام أحمد بن صالح المصري.

وقد شفى الصدور الإمام الحافظ أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي في جمع طرقه في كتاب مفرد. ثمَّ رواه من طريق الحاكم في تاريخه، والشيخ أبي الوقت في الجزء الأوّل من أحاديث أمير أبي أحمد. ثمَّ ردَّ على مَن ضعَّفه إمكاناً ووقوعاً سنداً ومتناً، وذكر مناشدة أمير المؤمنين عليه السَّلام به يوم الشّورى فقال:

أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمّد بن محمود المعروف بابن النجّار: أخبرنا

أبو محمّد عبد العزيز بن الأخضر قال: سمعت القاضي محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي يقول: جلس أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ. (وذكر إلى آخر ما مرَّ عن السبط ابن الجوزي) ثمَّ ذكر شعر الصاحب بن عبّاد في حديث ردِّ الشمس.

٢١ - أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد الأنصاري الأندلسي المتوفّى سنة ٦٧١ قال في «التذكرة بأحوال الموتى وامور الآخرة»: إنّ الله تعالى ردَّ الشمس على نبيّه بعد مغيبها حتّى صلّى عليٌّ. ذكره الطحاوي وقال: إنَّه حديثٌ ثابتٌ. فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنّه لا يتجدَّد الوقت لما ردَّها عليه.

٢٢ - شيخ الإسلام الحمّوي المتوفّى سنة ٢٢، والمترجم ج ١ ص ١٥٨، رواه في «فرائد السمطين».

٢٣ - الحافظ وليُّ الدين أبو زرعة العراقي المتوفّى سنة ٨٢٦، أخرجه في «طرح التثريب[1]» ج ٦ ص ٢٤٧ من طريق الطبراني في معجمه الكبير وقال: حسنٌ.

٢٤ - الإمام أبو الربيع سليمان السبتي الشهير بابن سبع ذكره في كتابه «شفاء الصدور» وصحّحه.

٢٥ - الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ والمترجم ج ١ ص ١٦٦، ذكره في فتح الباري ج ٦ ص ١٦٨ وقال: روى الطحاوي والطبراني في «الكبير» والحاكم والبيهقي في «الدلائل» عن أسماء بنت عميس: انَّه ﷺ دعا لمّا نام على ركبة عليٍّ ففاتته صلاة العصر، فردَّت الشمس حتّى صلّى عليٌّ ثمَّ غربت. وهذا أبلغ في المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات، وهكذا ابن تيميّة في كتاب الردِّ على الروافض في زعم وضعه والله أعلم.

---

(١) هذا الكتاب وإن كان مشتركاً بينه وبين والده غير أن إخراج هذا الحديث يعزى إليه في كتب القوم.

٢٦ ـ الإمام العيني الحنفي المتوفّى سنة ٨٥٥ والمترجم ج ١ ص ١٦٧، قال في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» ج ٧ ص ١٤٦: وقد وقع ذلك أيضاً للإمام عليّ رضي الله عنه، أخرجه الحاكم عن أسماء بنت عميس (وذكر الحديث ثمَّ قال): وذكره الطحاوي في «مشكل الآثار» ـ ثمَّ ذكر كلام أحمد بن صالح المذكور ـ فقال: وهو حديثٌ متَّصلٌ ورواته ثقات وإعلال ابن الجوزي هذا الحديث لا يلتفت إليه.

٢٧ ـ الحافظ السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ والمترجم ج ١ ص ١٦٩، رواه في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٥ ص ٢٧٧ عن عليّ عليه السَّلام في عدِّ معجزات النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم وقال في «الخصائص الكبرى» ج ٢ ص ١٨٣: اوتي يوشع حبس الشمس حين قاتل الجبّارين وقد حُبست لنبيّنا ﷺ في الإسراء، وأعجب من ذلك ردُّ الشمس حين فات عصر عليّ رضي الله عنه.

ورواه في «اللآلي المصنوعة» ج ٢ ص ١٧٤ ـ ١٧٧ عن أمير المؤمنين وأبي هريرة وجابر الأنصاري وأسماء بنت عميس من طريق ابن مندة. والطحاوي. والطبراني. وابن أبي شيبة. والعقيلي. والخطيب. والدولابي. وابن شاهين. وابن عقدة وذكر شطراً من رسالة أبي الحسن الفضلي في الحديث وقال في ج ١ ص ١٧٤: الحديث صرَّح جماعةٌ من الأئمَّة والحفّاظ بأنَّه صحيحٌ.

وروى في «اللآلي» ج ١ ص ١٧٦ من غير غمز في سنده عن أبي ذرّ أنَّه قال: قال عليٌّ يوم الشورى أُنشدكم بالله هل فيكم من رُدَّت له الشمس غيري حين نام رسول الله وجعل رأسه في حجري؟! إلخ.

وقال في «نشر العلَمين» ص ١٣ بعد ذكر كلام القرطبي المذكور: قلت: وهو في غاية التحقيق، واستدلاله على تجدّد الوقت بقصَّة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلاّ لم يكن لرجوعها فائدةٌ، إذ كان يصحُّ قضاء العصر بعد الغروب.

وذكر هذا الاستدلال والاستحسان في «التعظيم والمنة» ص ٨.

٢٨ - نور الدين السمهودي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ والمترجم ج ١ ص ١٧٠، قال في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٣ في ذكر مسجد الفضيخ المعروف بمسجد الشَّمس: قال المجد: لا يظنُّ ظانٌّ أنَّه المكان الذي أُعيدت الشَّمس فيه بعد الغروب لعليٍّ رضي الله عنه، لأنَّ ذلك إنَّما كان بالصهباء من خيبر. ثمّ روى حديث القاضي عياض وكلمته وكلمة الطحاوي فقال: قال المجد: فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشَّمس دون ما سواه، وصرَّح ابن حزم بأنَّ الحديث موضوعٌ وقصَّة ردِّ الشَّمس على عليٍّ رضي الله عنه باطلةٌ بإجماع العلماء وسفَّه قائله. قلت: والحديث رواه الطبراني بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيتمي: رجال أحدها رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحسن وهو ثقةٌ وفاطمة بنت عليٍّ بن أبي طالب لم أعرفها.

وأخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسنٌ وممَّن صحَّحه الطحاوي وغيره. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد ذكر رواية البيهقي له: وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات.

٢٩ - الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ والمترجم ج ص ١٧٠، ذكره في «المواهب اللدنيَّة» ج ١ ص ٣٥٨، من طريق الطحاوي، والقاضي عياض، وابن مندة، وابن شاهين، والطبراني، وأبي زرعة من حديث أسماء بنت عميس ومن طريق ابن مردويه من حديث أبي هريرة.

٣٠ - الحافظ ابن الديبع المتوفّى سنة ٩٤٤ والمترجم ج ١ ص ١٧١، رواه في «تمييز الطيِّب من الخبيث» ص ٨١ وذكر تضعيف أحمد وابن الجوزي له ثمَّ استدركه بتصحيح الطحاوي وصاحب «الشفاء» فقال: وأخرجه ابن مندة، وابن شاهين وغيرهما من حديث أسماء بنت عميس وغيرهما.

٣١ - السيِّد عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن العبّاسي المتوفّى سنة ٩٦٣ ذكر

في «معاهد التنصيص» ج ٢ ص ١٩٠ من مقصورة ابن حازم[١]:

فيـا لهـا من آيـة مبـصـرة أبصرها طرفُ الرقيب فامترى
واعتـورتـه شبهـةٌ فضـلَّ عن تحقيق مـا أبصره ومـا اهتدى
وظنَّ أنَّ الشَّمس قد عادت له فانجاب جنح الليل عنها وانجلى
والشمس ما رُدَّت لغير يـوشع لـمّـا غـزا ولـعـليٍّ إذ غـفـا

ثمَّ ذكـر الحديث بلفظ الـطّحاوي من طـريقيه وأردفـه بذكـر قصَّة أبي المنصور المظفَّر الواعظ المذكورة.

٣٢ ـ الحـافظ شهـاب الـدين ابن حجـر الهيتمي المتـوفّى سنـة ٩٧٤ والمتـرجم ج ١ ص ١٧١. عدّه في «الصـواعق» ص ٧٦ كرامـةً باهـرةً لأمير المؤمنين عليه السلام وقـال: وحديث ردِّهـا صحَّحه الـطحاوي والقـاضي في «الشفاء» وحسَّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردّوا على جمعٍ قالوا: إنَّه موضوعٌ. وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردِّهـا[٢] في محلِّ المنـع بل نقول: كما أنَّ ردَّها خصوصيَّةٌ كذلك: إدراك العصر الآن أداءً خصوصيَّةٌ وكرامةٌ. ثمَّ ذكر قصَّة أبي المنصور المظفَّر بن أردشير العبادي المذكورة.

وقـال في شرح همـزية البـوصيري ص ١٢١ في حـديث شقِّ القمـر: ويُناسب هذه المعجزة ردُّ الشمس له ﷺ بعدما غابت حقيقةً لمّـا نام ﷺ (إلى أن قال): فرُدَّت ليصلّي (عليٌّ) العصر أداءً كرامةً له ﷺ وهذا الحديث اختلف في صحَّته جماعةٌ بل جزم بعضهم بوضعه وصحَّحه آخرون وهو الحقُّ. ثمَّ صرَّح بأنَّ إحدى رواية أسماء صحيحةٌ وأُخرى حسنةٌ.

٣٣ ـ الملاّ علي القارىء المتوفّى سنة ١٠١٤ قال في «المرقـاة شـرح المشكـاة» ج ٤ ص ٢٨٧: أمّـا ردُّ الشمس له ﷺ فرُوي عن أسماء (ثمَّ ذكـر الحديث) وقال بعد ذكر كلام العسقلاني المذكور: وبهذا يُعلم أنَّ ردَّ الشمس

(١) شرحها الشريف أبو عبدالله السبتي المتوفّى سنة ٧٦٠، والشيخ جلال الدين المحلّى المتوفّى سنة ٨٦٤.

(٢) زعمه ابن الجوزي.

بمعنى تأخيرها، والمعنى أنَّها كادت أن تغرب فحبسها، فيندفع بذلك ما قال بعضهم ومن تغفّل واضعه أنَّه نظر إلى صورة فضيلة ولم يلمح إلى عدم الفائدة فيها، فإنّ صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاءً ورجوع الشمس لا يعيدها أداءً. اهـ. مع أنَّه يمكن حمله على الخصوصيّات وهو أبلغ في باب المعجزات والله أعلم بتحقيق الحالات. قيل: يعارضه قوله في الحديث الصحيح: لم تحبس الشمس على أحد إلّا ليوشع. ويُجاب بأنّ المعنى لم تحبس على أحد من الأنبياء غيري إلّا ليوشع[1].

٣٤ ـ نور الدين الحلبي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٤ والمترجم ج ١ ص ١٧٦، قال في «السيرة النبويَّة» ج ١ ص ٤١٣: وأمّا عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له ﷺ في خيبر فعن أسماء بنت عميس (وذكر الحديث ثمَّ قال) قال بعضهم: لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلّف عن حفظ هذا الحديث لأنَّه من أجلِّ أعلام النبوَّة وهو حديثٌ متَّصلٌ وقد ذكر «في الإمتاع» أنَّه جاء عن أسماء من خمسة طرق وذكرها، وبه يردُّ ما تقدَّم عن ابن كثير[2] بأنَّه تفرَّدت بنقله امرأةٌ من أهل البيت مجهولةٌ لا يعرف حالها. وبه يُردّ على ابن الجوزي حيث قال فيه: إنَّه حديثٌ موضوعٌ بلا شكّ. ثمَّ ذكر عن «الإمتاع» خامس أحاديثه وحكى عن سبط ابن الجوزي قصّة أبي المنصور المظفَّر الواعظ في ص ٤١٢.

٣٥ ـ شهاب الدين الخفاجيّ الحنفيّ المتوفّى سنة ١٠٦٩ والمترجم ج ١ ص ١٧٧، قال في شرح الشفا ج ٣ ص ١١: ورواه الطبراني بأسانيد مختلفة رجالُ أكثرها ثقات. وقال ص ١٢: اعترض عليه بعض الشرّاح وقال: «إنَّه موضوعٌ ورجاله مطعونٌ فيهم كذّابون ووضّاعون). ولم يدر أنَّ الحقَّ خلافه، والذي غرَّه كلام ابن الجوزي ولم يقف على أنَّ كتابه أكثره مردودٌ وقد قال خاتمة الحفّاظ السيوطي وكذا السخاوي: إنَّ ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملاً كثيراً حتّى أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة كما أشار إليه ابن الصَّلاح.

---

(١) هذا الجمع ذكره جمع من الحفاظ والأعلام.

(٢) ذكر كلام ابن كثير ص ٤١١.

وهذا الحديث صحّحه المصنِّف رحمه الله أشار إلى أنَّ تعدُّد طرقه شاهد صدق على صحَّته، وقد صحّحه قبله كثيرٌ من الأئمَّة كالطحاوي، وأخرجه ابن شاهين، وابن مندة، وابن مردويه، والطبراني في معجمه وقال: إنَّه حسنٌ وحكاه العراقيُّ في التقريب (ثمَّ ذكر لفظه فقال): وإنكار ابن الجوزي فائدة ردّها مع القضاء لا وجه له فإنَّها فاتته بعذر مانع عن الأداء وهو عدم تشويشه على النبيِّ ﷺ وهذه فضيلةٌ أيَّ فضيلة فلمّا عادت الشمس حاز فضيلة الأداء أيضاً (إلى أن قال):

إنَّ السيوطي صنَّف في هذا الحديث رسالةً مستقلّة سمّاها «كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس». وقال: إنَّه سبق بمثله لأبي الحسن الفضلي أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصحَّحه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله.

وقال في قول الطحاوي: لأنَّه من علامات النبوَّة: وهذا مؤيِّدٌ لصحَّته فإنَّ أحمد(١) هذا من كبار أئمَّة الحديث الثقات ويكفي في توثيقه أنَّ البخاري روى عنه في صحيحه فلا يُلتفت إلى من ضعَّفه وطعن في روايته. وبهذا أيضاً سقط ما قاله ابن تيميَّة وابن الجوزي من أنّ هذا الحديث موضوعٌ. فإنَّه مجازفةٌ منهما. وما قيل من أنَّ هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصِّهم على وضع الحديث وأنَّ كونه من علامات النبوَّة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ، خلطٌ وخبطٌ لا يُعبأ به بعدما سمعت. وذكر من الهمزيَّة.

رُدَّت الشمس والشروق عليه ... لعليٍّ حتّى يتمَّ الأداءُ
ثمَّ ولّت لها صريرٌ وهذا ... لفراق له الوصال دواءُ(٢)

وذكر ص ١٥ قصَّة أبي المنصور الواعظ وشعره.

٣٦ ـ أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني ثمَّ المدني المتوفّى سنة ١١٠٢، ذكره في كتابه «الامم لإيقاظ الهمم» ص ٦٣ عن «الذريّة الطاهرة» للحافظ ابن بشير الدولابي، قال: قال:

---

(١) يعني أحمد بن صالح المصري.

(٢) لا يوجد هذان البيتان في همزية البوصيري.

حدَّثني إسحٰق بن يونس، حدّثنا سُويد بن سعيد عن مطلب بن زياد عن إبراهيم بن حيّان عن عبدالله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر عليٍّ وكان يوحى إليه فلمّا سرى عنه قال لي: يا عليُّ صلّيت الفرض؟! قال: لا. قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّه كان في حاجتك وحاجة رسولك فردَّ عليه الشمس. فردَّها عليه فصلّى وغابت الشمس.

ثمَّ رواه من طريق الطبراني عن أسماء بنت عميس بلفظها الآتي ثمَّ قال: قال الحافظ جلال الدين السيوطي في جزء «كشف اللبس في حديث ردّ الشمس»: إنَّ حديث ردِّ الشمس معجزةٌ لنبيِّنا محمّد ﷺ صحّحه الإمام أبو جعفر الطحاوي وغيره وأفرط الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي فأورده في كتاب الموضوعات، وقال تلميذه المحدِّث أبو عبد الله محمّد يوسف الدمشقي الصالحي في جزء «مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس»: إعلم أنَّ هذا الحديث رواه الطحاوي في كتابه شرح مشكل الآثار عن أسماء بنت عميس من طريقين وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات. ونقله القاضي عياض في «الشفاء» والحافظ ابن سيِّد الناس في «بشرى اللبيب»، والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب «الزهر الباسم»، وصحَّحه الحافظ ابن الفتح[1] الأزدي، وحسَّنه الحافظ أبو زرعة ابن العراقيّ، وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة»، وقال الحافظ أحمد بن صالح وناهيك به: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حديث أسماء لأنَّه من أجلِّ علامات النبوَّة. وقد أنكر الحفّاظ على ابن الجوزي إيراده الحديث في كتاب الموضوعات، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في باب قول النبيِّ ﷺ: أُحلّت لكم الغنائم. من فتح الباري بعد أن أورد الحديث: أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات انتهى. ومن خطّه نقلت ثمَّ قال: إنَّ هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس وعليّ بن أبي طالب وابنه الحسين وأبي سعيد وأبي هريرة رضي الله

(١) كذا والصحيح: أبو الفتح.

عنهم[1] ثمَّ ساقها وتكلّم على رجالها ثمّ قال: قد علمت ممّا أسلفناه من كلام الحفّاظ في حكم هذا الحديث وتبيّن حال رجاله أنّه ليس فيه متّهمٌ ولا من أُجمع على تركه، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه، ولم يبق إلّا الجواب عمّا أُعلّ به وقد أُعلّ بأُمور فَساقَها وأجاب عن الامور التي أُعلّ بها بأجوبة شافية.

٣٧ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ والمترجم ج ١ ص ١٨٠. صحّحه في «شرح المواهب» ج ٥ ص ١١٣ ـ ١١٨ وقال: أخطأ ابن الجوزي في عدِّه من الموضوعات. وبالغ في الردِّ على ابن تيميّة وقال: العجب العجاب انّما هو من كلام ابن تيميَّة. وقال بعد نقل نفي صحَّته عن أحمد وابن الجوزي: قال الشامي: والظاهر أنَّه وقع لهم من طريق بعض الكذّابين ولم يقع لهم من الطرق السابقة وإلّا فهي يتعذَّر معها الحكم عليه بالضعف فضلاً عن الوضع، ولو عرضت عليه أسانيدها لاعترفوا بأنَّ للحديث أصلاً وليس بموضوع. قال: وما مهّدوه من القواعد وذكر جماعة من الحفّاظ له في كتبهم المعتمدة وتقوية من قوّاه يردُّ على من حكم بالوضع.

وقال: وبهذا الحديث أيضاً بَانَ أنَّ الصلاة ليست قضاء بل يتعيَّن الأداءُ وإلّا لم يكن للدعاء فائدة. (ثمَّ قال): ومن القواعد أنَّ تعدُّد الطريق فيه يُفيد أنَّ للحديث أصلاً، ومن لطائف الاتِّفاقات الحسنة أنَّ أبا المنصور المظفّر الواعظ. وذكر القصَّة كما مرَّت.

٣٨ ـ شمس الدين الحفني الشافعيّ المتوفّى سنة ١١٨١ والمترجم ج ١ ص ١٨٢، قال في تعليقه على «الجامع الصغير» للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٣ في قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ما حُبست الشمس على بشر إلّا على يوشع بن نون: لا ينافيه حديث ردِّ الشَّمس لسيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه لأنّ ذلك ردٌّ لها بعد غروبها وما هنا حبسٌ لها لا ردٌّ لها بعد الغروب، والمراد ما حُبست على بشر غير يوشع فيما مضى من الزّمان، لأنَّ حُبس فعل ماض فلا ينافي وقوع الحبس بعد ذلك لبعض أولياء الله تعالى.

---

(١) فالحديث متواتر أخذاً بما ذهب إليه جمع من أعلام القوم في التواتر.

٣٩ ـ ميرزا محمَّد البدخشي المذكور في ج ١ ص ١٨٠ قال في «نزل الأبرار» ص ٤٠: الحديث صرَّح بتصحيحه جماعةٌ من الأئمّة الحفّاظ كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما وقال الطحاوي: هذا حديثٌ ثابتٌ رواته ثقات. ثم نقل كلام الطحّاوي وذكر حكاية أبي المنصور المظفّر الواعظ وقال: إنَّ للحافظ السيوطي جزءً في طرق هذا الحديث وبيان حاله.

٤٠ ـ الشيخ محمَّد الصبّان المتوفّى سنة ١٢٠٦ والمترجم ج ١ ص ١٨٣، عدَّه في إسعاف الراغبين ص ٦٢ من معجزات النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وفي ص ١٦٢ من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام وذكر الحديث ثمَّ قال: وصحَّحه الطحاوي، والقاضي في «الشفاء» وحسَّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردّوا على جمع قالوا: إنَّه موضوعٌ، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردِّها في محلِّ المنع لعود الوقت بعودها كما ذكره ابن العماد واعتمد غيره وإن اقتضى كلام الزركشي خلافه؛ وعلى تسليم عدم عود الوقت نقول: كما أنَّ ردَّها خصوصيَّةٌ كذلك إدراك العصر أداءً خصوصيَّةٌ.

٤١ ـ الشيخ محمَّد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفيَّة في عصره المتوفّى سنة ١٢٥٢ قال في حاشيته[1] ج ١ ص ٢٥١ عند قول المصنِّف: لو غربت الشمس ثمَّ عادت هل يعود الوقت؟! الظاهر: نعم. بحث لصاحب النهر حيث قال: ذكر الشافعيَّة أنَّ الوقت يعود لأنّه عليه الصّلاة والسّلام نام في حجر عليٍّ رضي الله عنه حتّى غربت الشمس فلمّا استيقظ ذكر له أنّه فاتته العصر. فقال: اللهمَّ إنَّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارددها عليه. فردَّت حتّى صلّى العصر، وكان ذلك بخيبر والحديث صحَّحه الطحاوي وعياض وأخرجه بسند صحيح، وأخطأ من جعله موضوعاً كابن الجوزي، وقواعدنا لا تأباه.

(ثمَّ قال): قلت: على أنَّ الشيخ إسماعيل ردَّ ما بحثه في النهر تبعاً للشافعيَّة بأنَّ صلاة العصر بغيبوبة الشَّمس تصير قضاء ورجوعها لا يعيدها أداءً،

(١) تسمى برد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه الحنفية.

وما في الحديث خصوصيَّةٌ لعليٍّ كما يُعطيه قولـه عليه السـلام: انَّه كـان في طاعتك وطاعة رسولك.

٤٢ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان الشافعي المتوفّى ١٣٠٤ والمترجم ج ١ ص ١٨٥ قال في «السيرة النبويَّة» هامش «السيرة الحلبيَّة» ج ٣ ص ١٢٥: ومن معجزاته ﷺ ردُّ الشمس له روت أسماء بنت عُميس (وذكـر الحديث وروايـة الطحاوي وكلام أحمد بن صالح المصري فقال): وأحمد بن صالـح من كبار أئمَّة الحديث الثقات وحسبه أنّ البخاري روى عنه في صحيحه. ولا عبرة بإخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات، فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتّى أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة قال السيوطي:

ومن غـريب مـا تـراه فـاعلمِ فيه حديثٌ من صحيح مسلمِ

ثمّ ذكر كلام القسطلاني في «المواهب اللدنيَّة» وجملة من مقال الزرقاني في شرحه ومنها قصَّة أبي المنصور الواعظ وشعره، ثمَّ حكى عن الحافظ ابن حجر نفي التنافي بين هذا الحديث وبين حديث: لم تُحبس الشمس على أحد إلّا ليوشع بن نون. بأنَّ حبسها ليوشع كان قبـل الغروب وفي قصَّـة عليٍّ كان حبسها بعد الغروب. ثمَّ قال: قيل: كان علم النجم صحيحاً قبل ذلـك فلمّا وقف الشمس ليوشع عليه السَّلام بطل أكثره، ولمّا رُدّت لعليٍّ رضي الله عنه بطل جميعه.

٤٣ ـ السيِّد محمَّد مؤمن الشبلنجي عدّه في «نور الأبصار» ص ٢٨ من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لفظ الحديث

عن أسماء بنت عميس أنَّ رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم صلّى الـظهر بـالصهباء من أرض خيبـر ثمَّ أرسل عليّـاً في حاجـة فجاء وقـد صلّى رسول الله العصر فوضع رأسه في حجر عليٍّ ولم يحرِّكه حتّى غربت الشَّمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللّهم إنَّ عبدك عليّاً احتبس نفسه على نبيّه فردَّ عليه شرقهـا. قالت أسمـاء: فطلعت الشَّمس حتّى رفعت على الجبال فقام عليٌّ فتوضَّأ وصلّى العصر ثمَّ غابت الشَّمس.

وهناك لفظ آخر نصفح عنه روماً للاختصار.

ويُعرب عن شهرة هذه الأثارة بين الصحابة الأقدمين احتجاج الإمام أمير المؤمنين بها على الملأ يوم الشورى بقوله: أُنشدكم الله أفيكم أحدٌ ردَّت عليه الشَّمس بعد غروبها حتّى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا[1].

وأخرج الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٦٠ عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: قيل له: ما تقول في عليٍّ بن أبي طالب؟! فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلّى بالقبلتين، وبايع البيعتين، وأُعطي السبطين، وهو أبو السبطين الحسن والحسين وردَّت عليه الشمس مرّتين بعدما غالت من الثقلين.

ووردت في شعر كثير من شعراء القرون الاولى حتّى اليوم يوجد منه شطرٌ مهمٌّ في غضون كتابنا. راجع ج ٢ ص ٣٤٠ ج ٣ ص ٥١، ٨٣.

فبهذه كلّها نعرف قيمة ابن حزم وقيمة كتابه، ونحن لا يسعنا إيقاف القارىء على كلِّ ما في «الفِصَل» من الطامّات ولا على شطرٍ مهمٍّ منه إذ جميع اجزائه ولا سيَّما الجزء الرابع مشحون بالتحكّم والتقوُّل والتحريف والتدجيل والإفك والزور، وهناك مذاهب مختلقة لا وجود لها إلّا في عالم خيال مؤلِّفه.

وأمّا ما فيه من القذف والسباب المقذع فلا نهاية له بحيث لو أردنا استيفاءه لكلّفنا ذلك جزءاً، ولا يسلم أحدٌ من لدغ لسانه لا في فِصَله ولا في بقيَّة تآليفه حتّى نبيُّ العظمة، قال في «الأحكام» ج ٥ ص ١٧١: قد غاب عنهم (يعني الشيعة) أن سيِّد الأنبياء هو ولد كافر وكافرة.

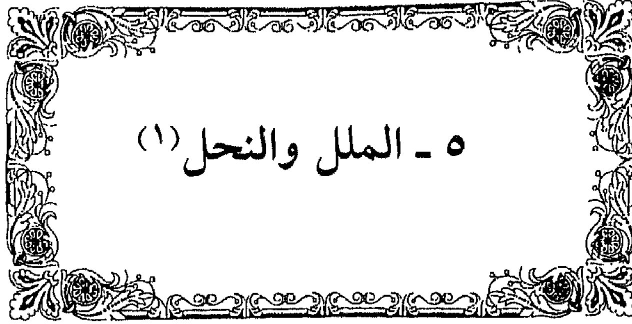
أيُساعده في هذه القارصة أدب الدين؟! أدب التأليف؟! أدب العلم؟! أدب العفَّة؟!

﴿أأُلقي الذِّكرُ عَليه مِنْ بينِنا بلْ هُوَ كـذّابٌ أشر سيَعلمـونَ غداً مَنِ الكذّابُ الأشِر﴾.

سورة القمر: الآيتان: ٢٥، ٢٦.

---

(١) مر الإيعاز إلى حديث المناشدة يوم الشورى ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣



٥ ـ الملل والنحل[١]

هذا الكتاب وإن لم يكن يضاهي «الفصل» في بذاءة المنطق غير أن في غضونه نسباً مفتعلة، وآراء مختلقة وأكاذيب جمة، لا يجد القارىء ملتحداً عن تفنيدها، فإليك نماذج منها:

١ ـ قال: قال هشام بن الحكم متكلّم الشيعة: إنَّ الله جسمٌ ذو أبعاض في سبعة أشبار بشبر نفسه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة[٢] .

٢ ـ قال في حقِّ عليّ: إنَّه إله واجب الطاعة .

٣ ـ وقال هشام بن سالم: إنَّ الله على صورة إنسان أعلاه مجوَّفٌ، وأسفله مصمتٌ، وهو نورٌ ساطعٌ يتلألأ، وله حواسٌّ خمس ويدٌ ورجلٌ وأنفٌ وأُذنٌ وعينٌ وفمٌ، وله وفرةٌ سوداء وهو نورٌ لكنَّه ليس بلحم ولا دم، وإنَّ هشام هذا أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمَّة.

٤ ـ وقال زرارة بن أعين: لم يكن الله قبل خلق الصِّفات عالماً ولا قادراً ولا حيّاً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلّماً.

٥ ـ قال أبو جعفر محمّد بن النعمان: إنَّ الله نورٌ على صورة إنسان ويأبى أن يكون جسماً.

٦ ـ وزعم يونس بن عبد الرَّحمن القمّي: إنَّ الملائكة تحمل العرش والعرش تحمل الربّ، وهو من مشبِّهة الشيعة، وصنَّف لهم في ذلك كتباً.

ج ـ هذه عقائد باطلة عزاها إلى رجالات الشيعة المقتصِّين أثر أئمَّتهم

---

(١) تأليف الفيلسوف الأشعري أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفّى سنة ٥٤٨.

(٢) في المطبوع في هامش الفصل ج ٢ ص ٢٥ .

عليهم السَّلام اقتصاص الظلّ لذيه، فلا يعتنقون عقيدة؛ ولا ينشرون تعليماً، ولا يبثّون حكماً، ولا يرون رأياً إلّا ومن ساداتهم الأئمَّة على ذلك برهنةٌ دامغة، أو بيانٌ شافٍ، أو فتوى سديدة، أو نظر ثاقبٌ .

على أنَّ أحاديث هؤلاء كلهم في العقائد والأحكام والمعارف الإلّهية مبثوثةٌ في كتب الشيعة تتداولها الأيدي، وتشخص إليها الأبصار، وتهشُّ إليها الأفئدة، فهي وما نسب إليهم من الأقاويل على طرفي نقيض، وهاتيك كتبهم وآثارهم الخالدة لا ترتبط بشيء من هذه المقالات بل إنَّما هي تدحرها وتضادُّها بألسنة حداد .

وإطراء أئمَّة الدين عليهم السَّلام لهم بلغ حدَّ الاستفاضة، ولو كانوا يعرفون من أحدهم شيئاً من تلكم النسب لشنّوا عليهم الغارات، كلاءة لملئهم عن الاغترار بها كما فعلوا ذلك في أهل البدع والضّلالات.

وهؤلاء علماء الرجال من الشيعة، بسطوا القول في تراجمهم وهم بقول واحد ينزِّهونهم عن كلِّ شائنة معزوَّة إليهم، وهم أعرف بالقوم من أضدادهم البعداء عنهم الجهلاء بهم وبترجمتهم، غير مجتمعين معهم في حلٍّ أو مرتحل.

وليس في الشيعة منذ القِدَم حتّى اليوم من يعترف أو يعرف بوجود هذه الفرق هشاميّة. زراريّة، يونسيَّة. المنتمية عند الشهرستاني ونظرائه إليهم ككثير من الفرق التي ذكرها للشيعة، وقد نفاها الشيخ العلاّمة أبو بكر ابن العتائقي الحلّي في رسالة له في النحل الموجودة بخطّ يمينه، وحكم سيِّدنا الشريف المرتضى علم الهدى في الشافي والسيِّد العلاّمة المرتضى الرازي «في تبصرة العوام» بكذب ما عزوه إلى القوم جميعاً وأنَّها لا توجد إلاّ في كتب المخالفين لهم في المبدأ إهباطاً لمكانتم عند الملأ، لكن الشيعة الذين هم ذووهم وأعرف الناس بمبادئهم لا يعرفون هاتيك المفتريات، ولا يعترفون بها، ولا يوجد شيءٌ منها في كتبهم، وإنَّما الثابت فيها خلاف ذلك كلّه، كما لا يعتمد على تحقيق شيء من هاتيك الفرق آية الله العلاّمة الحلّي في «مناهج اليقين» وغيرهم من أعلام الشيعة.

فهل في وسع الرَّجل أن يخصم الإماميَّة بحجَّة مثبتة لتلكم الدعاوي؟! لاها الله.

وهل نُسب في كتب الكلام والتاريخ قبل خلق الشهرستاني إلى هشام القول بألوهية عليّ ؟! لاها الله .

وهل رأت عين بشر أو سمعت أُذناه شيئاً ولو كلمة من تلكم الكتب المعزوَّة إلى يونس بن عبد الرَّحمن المصنَّفة في التشبيه؟! لاها الله. والشهرستاني أيضاً لم يره ولم يسمعه (وإن تعجب فعجبٌ قوله):

٧ ـ قال اختلف الشيعة بعد موت عليٍّ بن محمَّد العسكري أيضاً فقال قومٌ بإمامة جعفر بن عليّ وقال قومٌ بإمامة الحسن بن عليّ وكان لهم رئيسٌ يقال له: عليٌّ بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام قوّى أسباب جعفر بن عليّ وأمالَ الناس إليه وأعانه فارس بن حاتم بن ماهويه، وذلك أنَّ محمَّداً قد مات وخلف الحسن العسكريّ قالوا: امتحنّا الحسن ولم نجد عنده علماً. ولقَّبوا من قال بإمامة الحسن «الحماريَّة» وقوّوا أمر جعفر بعد موت الحسن، واحتجّوا بأنَّ الحسن مات بلا خلف، فبطلت إمامته لأنَّه لم يعقب والإمام يكون إلاَّ ويكون له خلفٌ وعقبٌ، وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادّعاها عليه أنه فعل ذلك من حبل في جواريه وغيره وانكشف أمرهم عند السلطان والرعيّة وخواصِّ الناس وعوامهم، وتشتّتت كلمة من قال بإمامة الحسن وتفرَّقوا أصنافاً كثيرةً، فثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر ورجع إليهم كثيرٌ ممَّن قال بإمامة الحسن منهم: الحسن بن عليٍّ بن فضّال وهو من أجلِّ أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث، ثمَّ قالوا بعد جعفر بعليٍّ بن جعفر وفاطمة بنت عليّ أخت جعفر، وقال قومٌ بإمامة عليٍّ بن جعفر دون فاطمة السيِّدة، ثمَّ اختلفوا بعد موت عليٍّ وفاطمة اختلافاً كثيراً.

ج ـ إنَّ الرَّجل يدخل المراقص والمسارح لينظر إلى المفرحات والمضحكات أو يسمع أشياء سارَّة ولو من بعض النواحي، وقد غفل عن أنَّ كتاب الشهرستاني أوفى بمقصده من تلك المنتديات.

غير أنَّه إن كان مضحكاً بجهل صاحبه فهو مُبكٍ من ناحية أن يوجد في بحّاثة المسلمين من تروقه الوقيعة في امم من قومه، لكنَّه لا يعرف كيف يقع، فيثبت ما يتراوح بين جهلٍ شائنٍ، وإفك مفترى، وليته قبل أن يكتب فحص عن أحوال القوم وعقائدهم وتاريخ رجالهم فلا يتحمَّل إثم ما افتعله، ولا يخبط في ذلك خبط عشواء، ولا يُثبت ما لا يعرف.

فإن كان لا يدري؟! فتلك مصيبةٌ وإن كان يدري؟! فالمصيبة أعظمُ

ليت شعري متى وقع الخلاف في الإمامة بين الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبين أخيه جعفر الذي ادَّعى الإمامة بعد وفاة أخيه ؟! .

ومن هو عليّ بن فلان الطاحن الذي قوّى أسباب جعفر وأمال الناس إليه ؟! ومتى خُلق ؟ ! ومتى مات ؟ ! ولست أدري أيُّ هَيّ بن بَيّ هو ؟! وهل وجد لنفسه مقيلاً في مستوى الوجود ؟ ! أنا لا أدري ، والشهرستاني لا يدري ، والمنجّم أيضاً لا يدري .

وكيف أعان جعفراً فارس بن حاتم بن ماهويه وقد قتله جُنيد بأمر والده الإمام عليٍّ الهادي عليه السَّلام؟! .

ومَن هو محمّد الذّي خلف الإمام الحسن العسكري؟! أهو الإمام محمّد الجواد؟! ولم يخلف إلّا ابنه الإمام الهادي سلام الله عليه. أو هو أبو جعفر محمّد بن عليّ؟! صاحب البقعة المعظمة بمقربة من بلد، وقد مات بحياة أبيه الطاهر والإمامة مستقرَّة لوالده، ومتى كان إماماً أو مدَّعياً للإمامة حتّى يخلّف غيره عليها؟! .

ومَن هؤلاء الّذين امتحنوا الحسن الزكيّ العسكريَّ فلم يجدوا عنده علماً؟! ثمَّ وجدوه في جعفر الذي لم يُعرف منه شيء غير أنَّه ادّعى الإمامة باطلاً بعد أخيه، وقصارى ما عندنا أنَّه أدركته التوبة، ولم يوجد له ذكرٌ، بعلم أو ترجمةٌ فيها فضيلةٌ في أيٍّ من الكتب، ولا نشرت عنه كتب الأحاديث شيئاً من علومه المدَّعاة له عند الشهرستاني لو صدقت الأحلام، وهذا الحسن العسكري

عليه السَّلام تجده في التراجم والمعاجم من الفريقين مذكوراً بالعلم والثقة وملءُ كتب العلم والحديث تعاليمه ومعارفه.

ومَن هم الذَّين لقَّبوا أتباع الحسن عليه السَّلام بالحماريَّة؟! نعم: أهل بيت النبوَّة محسودون في كلِّ وقت فكان يحصل لكلّ منهم في وقته من يسبّه حسداً ويسبُّ أتباعه لكن لا يذهب ذلك لقباً له أو لأشياعه، وإنَّما يتدهور في مهوى الضعة.

ومتى كان الحسن بن عليّ بن فضّال في عهد الإمام الحسن العسكري؟! حتّى يرجع عنه إلى جعفر وقد توفّي ابن فضّال سنة ٢٢١ ونطفة الحسن وجعفر بعد لم تنعقد، وقبل أن يبلغ الحلم والدهما الطاهر الإمام الهادي المتولّد سنة ٢١٢.

ومَن ذا الّذي ذَكر للإمام عليٍّ الهادي بنتاً اسمها فاطمة؟! حتّى يقول أحدٌ بإمامتها، فإنَّ الإمام عليه السَّلام لم يخلف من الذكور إلاّ الحسن والحسين، وجعفراً، ومن الإناث إلاّ عليَّة، باتفاق المؤرِّخين.

هذا كلّ ما في علبة الشهرستاني من جهلٍ وفريةٍ سوَّد بهما صحيفةً من كتابه أو صحيفةً من تاريخ حياته، وكم له من لدانها صحائف، ولم يُدهوره إلى تلك الهوَّة إلاّ عدم معرفته بما يقول حتّى انَّه يقول في الإمام الهادي الذي خبط فيه وفي ولده هذا الخبط العظيم: إنَّ مشهده بقُم[1] وهذه سامرّاء المشرَّفة تزدهي بمرقده الأطهر وإلى جنبه ولده الإمام الزكي منذ دفنا فيها قبل الشهرستاني وبعده، وتلك قبّته الذهبيَّة تحكّ السماء بذخاً، وتفوق الذكاء سناءً، وهذه المعاجم والتواريخ مفعمةٌ بتعيين هذا المرقد الأقدس له ولولده لكن الشهرستاني يجهل ذلك كلّه.

٨ ـ خاصَّة الشيعة عند الشهرستاني.

قال: ومن خصائص الشيعة القول بالتناسخ والحلول والتشبيه. ج ٢ ص ٢٥.

---

(١) ج ٢ ص ٥ هامش الفصل.

ج - هل أُنبِّئكم على من تنزَّل الشياطين؟! تنزَّل على كلِّ أفّاك أثيم، يُلقون السَّمع وأكثرهم كاذبون.

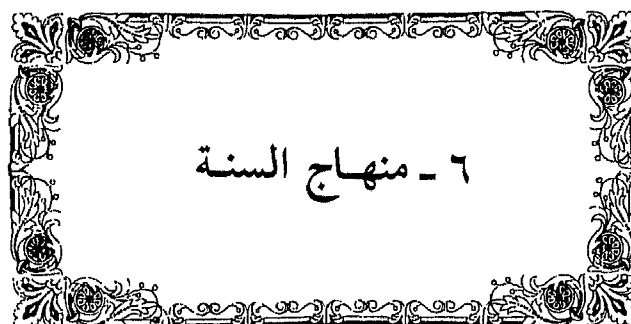
ليس بينك وبين عقائد الشيعة حجزٌ وهي مدوَّنةٌ في مؤلَّفاتهم الكلاميَّة قديماً ِحديثاً، فلن تجد من يضرب على يدك إذا مددتها إلى أيٍّ منها أو من يغشي على بصرك إذا نظرت فيها، فأمعن فيها بصرك وبصيرتك، أو سل مَن شئت من علماء الشيعة وعارفيها، وأتنازل معك إلى جهّالها عن هذه العقائد المعزوَّة إلى الشيعة على لسان الشهرستاني في القرون الوسطى، وعلى لسان طه حسين وأمثاله في القرن الأخير، وسلهم أنَّهم هل يرون لمعتنقي هاتيك العقائد مقيلاً في مستوى الدين؟! أومبوَّءاً على باحة الإسلام؟! أما وإنَّك لا تجد فرداً من أفراد الشيعة إلّا وهو يقول بكفر من يكون هذه معتقده، إذن فاعرف قيمة كتاب الشهرستاني ومحلّه من الأمانة في النقل.

أنا لم أجد في قاموس البيان ما يُعرب عن حقيقة الشهرستاني وكتابه، وكلّ ما ذكر من تقوُّلاته وتحكّماته يقصر عن استكناه بُجره وعُجره، غير أنَّ لمعاصره أبي محمّد الخوارزمي كما في معجم البلدان ج ٥ ص ٣١٥ كلاماً يَنِمّ عن روحيّاته وإليك نصّه، قال بعد ذكر مشايخه في الفقه واصوله والحديث:

ولولا تخبّطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنّا نتعجّب من وفور فضله وكمال عقله وكيف مال إلى شيء لا أصل له، واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً، ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان من نور الإيمان، وليس ذلك إلّا لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة، وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات، فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبِّ عنهم، وقد حضرت عدَّة مجالس من وعظه لم يكن فيها لفظ: قال الله، ولا قال رسول الله ﷺ ولا جواب من المسائل الشرعيَّة والله أعلم بحاله.

﴿أفرأيت مَن اتَّخذ إلٰهه هواه وأضلّه الله على علم وخَتَمَ عَلى سَمعه وقَلبه وجعلَ عَلى بَصره غِشاوةً فمَن يَهديه مِنْ بَعد الله أفلا تذكّرون﴾ .

سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٣



٦ ـ منهاج السنة

إذا أردت أن تنظر إلى كتاب سُمّي بضد معناه فانظر إلى هذا الكتاب الذي استعير له اسم (منهاج السنة) وهو الحريّ بأن يسمى: منهاج البدعة. وهو كتاب حشوه ضلالات وأكاذيب وتحكمات، وإنكار المسلمات، وتكفير المسلمين، وأخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء محتدم على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلا تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه؛ وقول بالبذاء، ورمي بالمقذعات، وقذف بالفواحش، وتحكّك بالوقيعة؛ وتحرّش بالسباب، وإليك نماذج منها:

١ ـ قال: من حماقات الشيعة أنَّهم يكرهون التكلّم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة حتّى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك، لبغضهم العشرة المبشَّرة إلاّ عليَّ بن أبي طالب، ومن العجب أنَّهم يُوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة. ج ١ ص ٩.

وقال: ج ٢ ص ١٤٣: من تعصّب الرافضة أنَّهم لا يذكرون اسم العشرة بل يقولون: تسعة وواحدٌ، وإذا بنوا أعمدة أو غيرها لا يجعلونها عشرةً وهم يتحرَّون ذلك في كثير من امورهم.

ج ـ أوليس عاراً على من يُسمّي نفسه شيخ الإسلام أن ينشر بين المسلمين في كتابه مثل هذه الخزاية ويكرِّرها في طيّه؟ كأنَّه جاء بتحقيقٍ أنيق، أو فلسفةٍ راقية، أو حكمةٍ بالغة تحيي الامَّة.

(*) تأليف ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي المتوفّى في محبس مراكش سنة ٧٢٨.

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ رجلاً ينسب نفسه إلى العلم والفضيلة ثمَّ إذا قال قولاً كِذب، أو إذا نسب إلى أحد شيئاً مان، وكان ما يقوله أشبه شيء بأقاويل رُعاة المعزى، لا، بل هو دونهم وقوله دون ما يقولون، وكأنَّ الرجل مهما ينقل عن الشيعة شيئاً يحدِّث به عن امَّةٍ بائدةٍ لم تُبق منها صروف العبر من يعرف نواميسها، ويُدافع عنها، ويدرأ عنها القول المختلق.

هذا وأديم الأرض يزدهي بملايين من هذه الفرقة، والمكتبات مفعمةٌ بكتبهم، فعند أيِّ رجل منهم؟! وفي أيٍّ من هاتيك الكتب تجد هذه المهزأة؟! نعم في قرآن الشيعة تلك عشرةٌ كاملةٌ. ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. والفجر وليال عشر. فأتوا بعشر سور مثله. وأمثالها وهي ترتِّلها عند تلاوته في آناء الليل وأطراف النهار، وهذا دعاء العشرات يقرأه الشيعة في كلِّ جمعة. وهذه الصَّلوات المندوبة التي تكرَّر فيها السورة عشر مرّات. وهذه الأذكار المستحبَّة التي تُقرأ بالعشرات. وهذه مباحث العقول العشرة. ومباحث الجواهر والأعراض العشرة في كتبهم.

وهذا قولهم: إنّ أسماء النبيِّ عشرة.

وقولهم: إنّ الله قوّى العقل بعشرة.

وقولهم: عشر خصال من صفات الإمام.

وقولهم: كانت لعليٍّ من رسول الله عشر خصال.

وقولهم: بُشِّر شيعة عليٍّ بعشر خصال.

وقولهم: عشر خصال من مكارم الأخلاق.

وقولهم: لا تقوم السّاعة حتّى تكون عشر آيات.

وقولهم: لا يكون المؤمن عاقلاً إلّا بعشر خصال.

وقولهم: لا يُؤكل عشرة أشياء.

وقولهم: عشرة أشياء من الميتة ذكيَّة.

وقولهم: عشرة مواضع لا يُصلّى فيها.

وقولهم: الإيمان عشرُ درجات.

وقولهم: العافية عشرة أجزاء.

وقولهم: الزهد عشرة أجزاء.

وقولهم: الشهوة عشرة أجزاء.

وقولهم: البركة عشرة أجزاء.

وقولهم: الحياء عشرة أجزاء.

وقولهم: في الشيعة عشر خصال.

وقولهم: الإسلام عشرة أسهم.

وقولهم: في السواك عشر خصال.

وهذه قصور الشيعة المشيَّدة، وأبنيتهم العامرة، وحصونهم المنيعة كلّها تكذِّب ابن تيميَّة، ولا يخطر على قلب أحد من بانيها ما لفَّقه ابن تيميَّة من المخاريق.

هذا والشيعة لا ترى للعدد قيمة بمجرَّده، ولا يوسم أحدٌ منهم بحبِّه وبغضه مهما كان المعدود مبغوضاً له أو محبوباً، ولم تسمع أُذن الدّنيا من أحدهم في العشرة: تسعةٌ وواحد. نعوذ بالله من هذه المجهلة.

٢ ـ قال: ومن حماقاتهم: (يعني الشيعة) أنهم يجعلون للمنتظر عدَّة مشاهد ينتظرونه فيها كالسرداب الذي بسامرّا يزعمون أنَّه غائبٌ فيه ومشاهد أُخر ،وقد يقيمون هناك دابّة إمّا بغلةً وإمّا فرساً وإمّا غير ذلك ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إمّا في طرفي النهار وإمّا في أوقات اُخر مَن يُنادي عليه بالخروج: يا مولانا أُخرج. ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقاته دائماً لا يصلّي خشية أن يخرج وهو في الصَّلاة، فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبيِّ ﷺ إمّا في العشرة

الأواخر من شهررمضان،وإمّا غير ذلك يتوجّهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

٣ - قال: ومن حماقاتهم: اتّخاذهم نعجةً وقد تكون نعجة حمراء لكون عائشة تُسمى حميراء يجعلونها عائشة ويعذّبونها بنتف شعرها وغير ذلك، ويرون أنّ ذلك عقوبة لعائشة.

٤ - واتّخاذهم حلساً مملوءاً سمناً ثمَّ يشقّون بطنه فيخرجون السّمن فيشربونه ويقولون: هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه.

٥ - ومثل تسمية بعضهم لحمارين من حمر الرحا أحدهما بأبي بكر والآخر بعمر، ثمَّ عقوبة الحمارين جعلاً منهم تلك العقوبة عقوبةً لأبي بكر وعمر.

وكرَّر هذه النسب الثلاث في ج ٢ ص ١٤٥.

٦ - قال: وتارةً يكتبون أسماءَهم على أسفل أرجلهم حتى انَّ بعض الولاة جعل يضرب رجل مَن فعل ذلك ويقول: إنما ضربت أبا بكر وعمر ولا أزال أضربهما حتى أعدمهما.

٧ - ومنهم من يُسمِّي كلابه باسم أبي بكر وعمر يلعنهم، ج ١ ص ١١.

ج - كنّا نربأ بكتابنا هذا عن أن نسوِّد شيئاً من صحائفه بمثل هذه الخزايات التي سوَّد بها ابن تيميَّة جبهة كتابه وسوَّد بها صحيفة تاريخه بل صحيفة تاريخ قومه. لكنّي خشية أن تنطلي على اناس من السذَّج آثرت نقلها واردافها بأنَّ أمثالها ممّا هو خارجٌ عن الأبحاث العلميَّة ومباحث العلماء، وإنّما هي قذائف تترامى بها ساقة النّاس وأوباشهم، ولعلَّ في السَّاقة من تندى جبهة إنسانيّته عند التلفظ بها لأنّها مخاريق مقيلها قاعة الفرية ليس لها وجود ماثل إلّا في مخيَّلة ابن تيميَّة وأوهامه.

يخترق هذه النسب المفتعلة؛ ويتعمَّد في تلفيق هذه الأكاذيب المحضة ثمَّ جاء يسبّ ويشتم ويُكفِّر ويكثر من البذاء على الشيعة ولا يُراعي أدب الدين.

أدب العلم. أدب التأليف . أدب الأمانة في النقل. أدب النزاهة في الكتابة. أدب العفَّة في البيان.

ولايحسب القارىء أنَّ هذه النسب المختلقة كانت في القرون البائدة ربما تنشأ عن الجهل بمعتقدات الفرق للتباعد بين أهليهـا، وذهبت كحديث أمس الدابر، وأمّا اليوم فالعقول على الرقيّ والتكامل، والمواصلات في البلاد أكبدةٌ جدّاً، ومعتقدات كلِّ قوم شاعت وذاعت في الملأ، فالحريُّ أن لا يوجد هناك في هـذا العصر (الـذي يسميه المغفَّـل) عصر النّـور مَن يرمي الشيعـة بهـذه الخزايات أو يرى رأي السلف.

نعم: إنّ أقلام كتّاب مصر اليوم تنشر في صحائف تآليفها هذه المخاريق نفسها ويزيد عليها تفاهات شائنة اخرى أهلك من ترَّهات البسابس أخذاً بناصر سلفهم، وسنوقفك على نصِّ تلكم الكلم، ونعرِّفك بأنَّ كاتب اليـوم أكثر في الباطل تحوُّراً، وأقبح آثاراً، وأكذب لساناً، وأقول بالزور والفحشاء من سلفه السالف وشيخه المجازف، وهم مع ذلك يدعون الامَّة إلى كلمة التوحيد، ووحدة الكلمة.

٨ ـ قال: إنَّ العلماء كلّهم متّفقون على أنَّ الكذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة: حتّى انّ أصحاب الصحيح كالبخاري لم يرو عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمـرة، والحارث الأعـور، وعبدالله بن سلمة وأمثالهم مع أنّ هؤلاء من خيار الشيعة ج ١ ص ١٥.

ج ـ إنّ هـذه الفتوى المشفـوعـة بنقـل اتِّفـاق العلماء تُعـطي خبـراً عن أنَّ للعلماء بحثـاً ضافيـاً في كتبهم حول مسـألة أنَّ أيَّ طـوائف أهل القبلة أكـذب. فكـانت نتيجـة ذلك البحث والتنقيب: أنّ الكذب في الرافضة... وعليه حصل إجماع العلماء فطفق ابن تيميَّة يرقص ويزمِّر لما هنالك من مُكاء وتصدية وعليه فكلٌ من كتب القوم شاهدُ صدقٍ على كذب الرجل فيما يقول، وإنَّ مراجعـة كتاب «منهـاج السنَّة» و«الفِصل» وما يجري مجراهما في المخزى تعُطينا برهنةً صادقةً على أنّ أيّ الفريقين أكذب.

ومن أعجب الأكاذيب قوله: حتّى انَّ أصحاب الصحيح .... فإنَّك تجد الصحاح الستّ مفعمةً بالرِّواية عن قدماء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان و ممَّن بعدهم من مشايخهم كما فصَّلناها في هذا الجزء ص ٩٢ - ٩٤.

٩ - قال: اصول الدين عند الإماميَّة أربعةٌ: التوحيد. والعدل. والنبوَّة. والإمامة هي آخر المراتب، والتوحيد والعدل والنبوّة قبل ذلك، وهم يُدخلون في التوحيد نفي الصفات والقول بأنَّ القرآن مخلوقٌ، وأنَّ الله لا يُرى في الآخرة، ويُدخلون في العدل التكذيب بالقدرة، وأنَّ الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضلَّ من يشاء، وأنّه قد يشاء مالا يكون ويكون ما لا يشاء، وغير ذلك فلا يقولون: انَّه خالق كلّ شيء، ولا انه على كلِّ شيء قدير، ولا انَّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ج ١٠ ص ٢٣.

ج - بلغ من جهل الرجل أنَّه لم يُفرِّق بين أُصول الدين وأُصول المذهب فيعدُّ الإمامة التي هي من تالي القسمين في الأوَّل. وأنَّه لا يعرف عقائد قوم هو يبحث عنها، ولذلك أسقط المعاد من اصول الدين ولا يختلف من الشيعة إثنان في عدِّه منها.

على أنّ أحداً لوعدَّ الإمامة من اصول الدين فليس بذلك البعيد عن مقاييس البرهنة بعد أن قرن الله سبحانه ولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام بولايته وولاية الرَّسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بقول: **﴿إنَّما وَليّكم الله وَرَسولُهُ وَالّذين آمنوا﴾**. [سورة المائدة/ الآية ٥٥]. وخصَّ المؤمنين بعليٍّ عليه السَّلام كما مرَّ الإيعاز إليه في الجزء الثاني صفحة ٥٢ وسيوافيك حديثه مفصَّلاً بُعيد هذا.

وفي آية كريمة اخرى جعل المولى سبحانه بولايته كمال الدين بقوله: **﴿اليوم أكملتُ لَكم دينكم، وأتممتُ عليكم نعمتي، وَرَضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾** [سورة المائدة: الآية ٣]. ولا معنى لذلك إلّا كونها أصلاً من اصول الدين لولاها بقي الدين مخدجاً، ونعم الله على عباده ناقصة، وبها تمام الإسلام الذي رضيه ربّ المسلمين لهم ديناً.

وجعل هذه الـولاية بحيث إذا لم تُبلَّغ كـان الرَّسـول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم ما بلَّغ رسالته فقال : ﴿يا أيّهـا الرَّسـول بلِّغ ما أُنـزلَ إليك مِنْ ربِّك وإن لَم تفعل فَما بلّغتَ رسالتـه والله يَعصمك مِن النـاس﴾ . [سورة المائدة/الآية : ٦٧] ولعلّك تزداد بصيـرةً فيما قلنـاه لو راجعت الأحـاديث الـواردة من عشرات الـطرق في الآيات الثـلاث كما فصَّلنـاهـا في الجـزء الأوّل ص ٢٥٨ - ٢٦٨ و ٢٧٥ - ٢٨٣ وفي هذا الجزء .

وبمقربة من هذه كلّها ما مرَّ في الجزء الثاني ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ من إناطة الأعمال كلّها بصحَّة الولاية، وقد أُخذت شرطاً فيها، وهذا هو معنى الأصل كما أنّه كذلك بالنسبة إلى التوحيد والنبوَّة، وليس في فروع الدين حكمٌ هو هكذا.

ولعلَّ هذا الذي ذكرناه كان مسلّماً عند الصحابة الأوَّلين ولـذلك يقـول عمر بن الخطاب لمّا جاءه رجلان يتخاصمان عنده: هـذا مولاي ومـولى كلِّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. راجع الجزء الأوّل صفحة ٤٤٠ .

وستوافيك في هذا الجزء زرافةٌ من الأحاديث المستفيضة الدالَّة على أنَّ بغضه صلوات الله عليه سمة النِّفاق وشارة الإلحاد، ولولاه عليه السَّلام لما عُرف المؤمنون بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ولا يُبغضه أحـدٌ إلّا وهو خارجٌ من الإيمان، فهي تدلّ على تنكّب الحائد عن الولاية عن سويِّ الصراط كمن حاد عن التوحيد والنبوَّة، فلترتّب كثير من أحكام الأصلين على الولاية يقرب عدُّها من الاصول، ولا ينافي ذلك شذوذها عن بعض أحكامهما لما هنالك من الحِكَمْ والمصالح الاجتماعيَّة كما لا يخفى.

وأما نفي الصفات فإن كان بالمعنى الّذي تحاوله الشيعة من نفيها زائدةً على الذّات بل هي عينها فهو عين التوحيد، والبحث في ذلـك تتضمَّنه كتب الكلام، وإن كان بالمعنى الذي ترمي إليه المعطِّلة فالشيعة منه براء. وكذلك القول بأنَّ القرآن مخلوقٌ فإنَّه ليس مع الله سبحانه أزليٌّ يضاهيه في القِدَم كما أثبتته البرهنة الصادقة المفصَّلة في كتب العقائد . وأمّا نفي الرؤية فلنفي الجسميَّة عنه، والمنطق الصحيح معتضداً بالكتاب والسنَّة يشهد بذلك، فـراجع مـظانَّ

البحث فيه. وأمّا بقيَّة ما عزاه إليهم فهي أكاذيب محضة لا تشكُّ الشيعة قديماً وحديثاً في ضلالة القائل بها.

١٠ - قال: تجد الرافضة يعطِّلون المساجد التي أمر الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه فلا يُصلّون فيها جمعةً ولا جماعةً: وليس لها عندهم كبير حرمة، وإن صلّوا فيها صلّوا فيها وحُداناً، ويعظِّمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهةً للمشركين ويحجّون اليها كما يحجُّ الحاجُّ إلى البيت العتيق، ومنهم مَن يجعل الحجَّ إليها أعظم من الحجِّ إلى الكعبة، بل يسبّون من لا يستغني بالحجِّ إليها عن الحجِّ الذي فرضه الله تعالى على عباده، ومن لا يستغني بها عن الجمعة والجماعة، وهذا من جنس دين النصارى والمشركين. ج ١ ص ١٣١.

وقال في ج ٢ ص ٣٩: الرافضة يعمرون المشاهد الَّتي حرّم الله ورسوله بناءها، يجعلونها بمنزلة دور الأوثان، ومنهم من يجعل زيارتها كالحجِّ كما صنَّف المفيد كتاباً سمّاه [مناسك حجِّ المشاهد] وفيه من الكذب والشرك ما هو جنس شرك النصارى وكذبهم.

ج - إنَّ المساجد العامرة ماثلةٌ بين ظهرانيِّ الشيعة في أوساطها وحواضرها ومُدنها وحتّى في القرى والرساتيق تحتفي بها الشيعة، وترى حرمتها من واجبها، وتقول بحرمة تنجيسها وبوجوب إزالة النجاسة عنها، وبعدم صحّة صلاة بعد العلم بها وقبل تطهيرها، وعدم جواز مسك الجنب والحائض والنفساء فيها، وعدم جواز إدخال النجس فيها إن كان هتكاً، وتكره فيها المعاملة والكلام بغير الذِّكر والعبادة من امور الدنيا، ومن فعل ذلك يُضرب على رأسه ويقال له: فضَّ الله فاك. وتروي عن النبيِّ أئمَّتها أنَّه لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد. إلى غيرها من الحرمات التي يتضمَّنها فقه الشيعة، وينوءُ بها عملهم، وما يقام فيها من الجماعات، وهذه كلّها أظهر من أن تخفى على من جاسَ خلال ديارهم أو عرف شيئاً من أنبائهم.

وأمّا تعظيمهم المشاهد فليس تشبّهاً منهم بالمشركين فإنَّهم لا يعبدون من فيها وإنّما يتقرَّبون إلى المولى سبحانه بزيارتهم والثناء عليهم والتأبين لهم لأنَّهم أولياء الله وأحبّاؤه، ويروون في ذلك أحاديث عن أئمّتهم، وفيما يُتلى هنا لك من ألفاظ الزيارات شهادةٌ واعترافٌ بأنّهم عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وأمّا السبُّ على ما ذكر فهو مِن أكذب تقوُّلاته، فإنَّ الشيعة على بكرة أبيها تروي عن أئمتها: انَّ الإسلام بُني على خمس: الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية. وأحاديثهم بذلك متضافرة وتعتقد بأنَّ تأخير حَجّة الإسلام عن سنتها كبيرةٌ موبقةٌ، إنّه يُقال لتاركها عند الموت: مُت إن شئت يهوديّاً وإن شئت نصرانيّاً. أفمن المعقول أن تسبَّ الشيعة مع هذه العقائد والأحاديث وفتاوى العلماء المطابقة لها المستنبطة من الكتاب والسنّة من لا يستغني عن الحجِّ بالزِّيارة.

أمّا كتاب الشيخ المفيد فليس فيه إلاَّ أنَّه أسماه [منسك الزِّيارات] وما المنسك إلاّ العبادة وما يُؤدّى به حق الله تعالى، وليست له حقيقة شرعيَّة مخصوصة بأعمال الحجّ وإن تخصَّص بها في العرف والمصطلح، فكلُّ عبادةٍ مرضيَّةٍ لله سبحانه في أيٍّ محلٍّ وفي أيّ وقت يجوز إطلاقه عليها، وإذا كانت زيارة المشاهد والآداب الواردة والأدعية والصلوات المأثورة فيها من تلكم النسك المشروعة من غير سجود على قبرٍ أو صلاةٍ إليه ولا مسألةٍ من صاحبه أوَّلاً وبالذات وإنَّما هو توسّلٌ به إلى الله تعالى لزلفته عنده وقربه منه، فما المانع من إطلاق لفظ المنسك عليه؟!.

وقوله عمّا فيه من كذب وشرك فهو لدة سائر ما يتقوَّل غير مكترث لوباله والكتاب لم يعدم بعدُ وهو بين ظهرانينا وليس فيه إلاّ ما يُضاهيه ما في غيره من كتب المزار ممّا ينزِّل الأئمَّة الطاهرين عمّا ليس لهم من المراتب، ويثبت لهم العبوديَّة والخضوع لسلطان المولى سبحانه، مع ما لهم من أقرب الزلف إليه، فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثاً؟!.

١١ - قال: قد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترى أنّ هذه الآية: **﴿إنّما وَليُّكم الله وَرَسوله وَالّذين آمَنوا الّـذينَ يُقيمونَ الصَّـلاة ويُؤتونَ الـزَّكاة وَهُمْ راكعون﴾**.[سورة المائدة/الآية ٥٥] .

نزلت في عليّ لمَّا تصدَّق بخاتمه في الصَّلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل ج ١ ص ١٥٦.

ثمَّ استدلَّ على كذب القول به بأوهام وتافهات طالما يُكرِّر أمثالها تجاه النّصوص كما سبق منه في حديث ردِّ الشمس ويأتي عنه في آية التطهير. و **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودَّة في القُرْبى﴾** . [سورة الشورى/الآية٢٣] وفي حديث المؤاخاة وأمثالها من الصِّحاح الّتى تأتي .

ج - ماكنت أدري أنَّ القحَّة تبلغ بالإنسان إلى أن يُنكر الحقائق الثابتة، ويزعم أنَّ ما خرَّجته الأئمّة والحفّاظ وأنهوا أسانيده إلى مثل أمير المؤمنين. وابن عبّاس، وأبي ذرّ، وعمّار، وجابر الأنصاري، وأبي رافع، وأنس بن مالك، وسلمة بن كهيل، وعبدالله بن سلام، ممّا قام الإجماع على كذبه، فهو كبقيَّة إجماعاته المدَّعاة ليس له مقيلٌ من مستوى الصِّدق.

ليت شعري كيف يعزو الرَّجل إلى أهل العلم إجماعهم على كذب الحديث وهم يستدلّون بالآية الشريفة وحديثها هذا على أنَّ الفعل القليل لا يُبطل الصَّلاة، وأنَّ صدقة التطوُّع تُسمّى زكاةً. ويعدّونها بذلك من آيات الأحكام[١] وذلك ينمُّ عن اتِّفاقهم على صحّة الحديث.

ويشهد لهذا الإتِّفاق أنَّ مَن أراد المناقشة فيه من المتكلّمين قصرها على الدَّلالة فحسب من دون أيِّ غمزٍ في السند،وفيهم من أسنده إلى المفسِّرين عامة مشفوعاً بما عنده من النقد الدَّلالي. فتلك دلالةٌ واضحةٌ على إطباق المفسِّرين والمتكلّمين والفقهاء على صدور الحديث!..

أضف إلى ذلك إخراج الحفّاظ وحملة الحديث له في مدوَّناتهم مخبتين

(١) كما فعله الجصاص في أحكام القرآن وغيره.

إليه وفيهم من نصَّ على صحّته، فأنظر إذن أين يكون مستوى إجماع ابن تيميّة؟! وأين استقلّ أولئك المجمعون من أديم الأرض؟! ولك الحكم الفاصل، وإليك أسماء جمع ممّن أخرج الحديث أو أخبت إليه وهم:

١ ـ القاضي أبو عبدالله محمَّد بن عمر المدني الواقدي المتوفّى سنة ٢٠٧، كما في «ذخائر العقبى» ١٠٢.

٢ ـ الحافظ أبو بكر عبد الرَّزاق الصنعاني المتوفّى سنة ٢١١، كما في تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ وغيره عن عبد الوهاب بن مجاهد عن مجاهد عن ابن عبّاس.

٣ ـ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة الكوفيّ المتوفّى سنة ٢٣٩ في تفسيره.

٤ ـ أبو جعفر الإسكافي المعتزلي المتوفّى سنة ٢٤٠، في رسالته التي ردَّ بها على الجاحظ.

٥ ـ الحافظ عبد بن حميد الكشي أبو محمَّد المتوفّى سنة ٢٤٩، في تفسيره كما في «الدرِّ المنثور».

٦ ـ أبو سعيد الأشجّ الكوفي المتوفّى سنة ٢٥٧، في تفسيره عن أبي نعيم فضل بن دكين عن موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل، والطريق صحيحٌ رجاله كلهم ثقات .

٧ ـ الحافظ أبو عبد الرَّحمن النسائي صاحب السنن المتوفّى سنة ٣٠٣، في صحيحه.

٨ ـ ابن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠، في تفسيره ج ٦ ص ١٨٦. بعدّة طرق.

٩ ـ ابن أبي حاتم الرازي المتوفّى سنة ٣٢٧، كما في تفسير ابن كثير، والدرّ المنثور، وأسباب النزول للسيوطي، أخرجه بغير طريق ومن طرقه أبو سعيد الأشجّ بإسناده الصحيح الذي أسلفناه.

١٠ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠، في معجمه الأوسط.

١١ - الحافظ أبو الشيخ أبو محمّد عبدالله بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة ٣٦٩، في تفسيره.

١٢ - الحافظ أبو بكر الجصّاص الرّازي المتوفّى سنة ٣٧٠، في «أحكام القرآن» ج ٢ ص ٥٤٢. رواه من عدّة طرق.

١٣ - أبو الحسن عليُّ بن عيسى الرماني المتوفّى سنة ٣٨٤/ ٢ في تفسيره.

١٤ - الحاكم ابن البيّع النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ في معرفة اصول الحديث ١٠٢.

١٥ - الحافظ أبو بكر الشيرازي المتوفّى سنة ٤٠٧/ ١١. في كتابه فيما نزل من القرآن في أمير المؤمنين.

١٦ - الحافظ أبو بكر بن مردويه الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦، من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان سعيد بن سنان البرجمي عن الضحّاك عن ابن عبّاس. إسنادٌ صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات، ورواه بطريق آخر قال: إسنادٌ لايُقدح به. وأخرجه بطرق اخرى عن أمير المؤمنين وعمّار وأبي رافع.

١٧ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٢٧/ ٣٧ في تفسيره عن أبي ذرّ كما مرَّ بلفظه ج ٢ ص ٥٢.

١٨- الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ (فيما نزل من القرآن في عليٍّ) عن عمّار، وأبي رافع، وابن عبّاس، وجابر، وسلمة بن كهيل.

١٩ - أبو الحسن الماوردي الفقيه الشافعيّ المتوفّى سنة ٤٥٠، في تفسيره.

٢٠ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨، في كتابه «المصنّف».

٢١ ـ الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديُّ الشافعيُّ المتوفّى سنة ٤٦٣، في «المتّفق».

٢٢ ـ أبو القاسم زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن النيسابوري المتوفّى سنة ٤٦٥ في تفسيره.

٢٣ ـ الحافظ أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٦٨، في «أسباب النزول» ص ١٤٨ .

٢٤ ـ الفقيه ابن المغازلي الشافعيُّ المتوفّى سنة ٤٨٣ في «المناقب» من خمسة طرق.

٢٥ ـ شيخ المعتزلة أبو يوسف عبد السّلام بن محمَّد القزويني المتوفّى سنة ٤٨٨، في تفسيره الكبير، قال الذهبي: إنّه يقع في ثلاث مائة جزء.

٢٦ ـ الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني المتوفّى سنة ٤٩٠، عن ابن عبّاس وأبي ذرّ وعبدالله بن سلام.

٢٧ ـ الفقيه أبو الحسن عليّ بن محمَّد الكيا الطبري الشافعيّ المتوفّى سنة ٥٠٤، في تفسيره، واستدلَّ به على عدم بطلان الصّلاة بالفعل القليل، وتسمية الصدقة التطوّع بالزَّكاة كما في تفسير القرطبي.

٢٨ ـ الحافظ أبو محمّد الفراء البغوي الشافعيّ المتوفّى سنة ٥١٦ في تفسيره «معالم التنزيل» هامش الخازن ج ٢ ص ٥٥.

٢٩ ـ أبو الحسن رزين العبدري الأندلسي المتوفّى سنة ٥٣٥، في الجمع بين الصِّحاح الستِّ نقلاً عن صحيح النسائي.

٣٠ ـ أبو القاسم جار الله الزمخشري الحنفي المتوفّى سنة ٥٣٨ في «الكشّاف» ج ١ ص ٤٢٢ وقال: فإن قلت: كيف صحَّ أن يكون لعليٍّ رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟! قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه.

٣١ - الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعيّ المتوفّى سنة ٥٦٢ في «فضائل الصحابة» عن أنس بن مالك.

٣٢ - أبو الفتح النطنزي المولود سنة ٤٨٠، في «الخصائص العلويّة» عن ابن عبّاس وفي «الإبانة» عن جابر الأنصاري.

٣٣ - الإمام أبو بكر بن سعدون القرطبي المتوفّى سنة ٥٦٧، في تفسيره ج ٦ ص ٢٢١.

٣٤ - أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨، في «المناقب» ١٧٨ بطريقين. وذكر لحسّان فيه شعراً أسلفناه ج ٢ ص ٧٨.

٣٥ - الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١، في تاريخ الشام بعدّة طرق.

٣٦ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي المتوفّى سنة ٥٩٧؛ كما في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢٢٧ و «ذخائر العقبى» ١٠٢.

٣٧ - أبو عبدالله فخر الدين الرازيّ الشافعيّ، المتوفّى سنة ٦٠٦ في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ عن عطا عن عبدالله بن سلام وابن عبّاس وأبي ذرّ.

٣٨ - أبو السعادات مبارك ابن الأثير الشيباني الجزريّ الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ في «جامع الاصول» من طريق النسائي.

٣٩ - أبو سالم محمَّد بن طلحة النصيبي الشافعيُّ المتوفّى سنة ٦٦٢، في (مطالب السئول) ص ٣١ بلفظ أبي ذرّ.

٤٠ - أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤، في «التذكرة» ص ٩ عن السدي وعتبة وغالب بن عبدالله.

٤١ - عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٦٥٥، في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٥.

٤٢ - الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٨، في «كفاية

الطالب» ص ١٠٦ من طريق عن أنس بن مالك وفيه أبياتٌ لحسّان بن ثابت رويناها ج ٢ ص ٧٩، ورواه في ص ١٢٢ من طريق ابن عساكر، والخوارزمي، وحافظ العراقين، وأبي نعيم، والقاضي أبي المعالي، وذكر لحسّان شعراً غير الأبيات المذكورة ذكرناه ج ٢ ص ٦٥ نقلاً عن سبط ابن الجوزي .

٤٣ ـ القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٨٥، في تفسيره ج ١ ص ٣٤٥، وفي «مطالع الأنظار» ص ٤٧٧ ، ٤٧٩ .

٤٤ ـ الحافظ فقيه الحرم أبو العبّاس محبّ الدين الطبريُّ المكيُّ الشافعيُّ المتوفّى سنة ٦٩٤، في «الرِّياض النضرة» ج ٢ ص ٢٢٧ و«ذخائر العقبى» ص ١٠٢ من طريق الواحدي، والواقدي، وابن الجوزي، والفضائلي .

٤٥ ـ حافظ الدين النسفي المتوفّى سنة ٧٠١/ ١٠، في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦ هامش تفسيره الخازن.

٤٦ ـ شيخ الإسلام الحمّويي المتوفّى سنة ٧٢٢، في «فرائد السمطين» وذكر شعر حسّان فيه.

٤٧ ـ علاء الدين الخازن البغداديّ المتوفّى سنة ٧٤١، في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦.

٤٨ ـ شمس الدين محمود بن أبي القاسم عبد الرَّحمن الإصبهاني المتوفّى ٧٤٦/ ٩ في شرح التجريد الموسوم بتسديد[١] العقائد. وقال بعد تقرير اتِّفاق المفسِّرين على نزول الآية في عليٍّ: قول المفسِّرين لا يقتضي اختصاصها به واقتصارها عليه.

٤٩ ـ جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي المتوفّى سنة ٧٥٠، في «نظم درر السمطين» .

٥٠ ـ أبو حيّان أثير الدين الأندلسي المتوفّى سنة ٧٥٤، في تفسيره «البحر

---

(١) وقد يقال بالمعجمة.

المحيط» ج ٣ ص ٥١٤.

٥١ - الحافظ محمَّد بن أحمد بن جزي الكلبي المتوفّى سنة ٧٥٨، في تفسيره «التَّسهيل لعلوم التنزيل» ج ١ ص ١٨١.

٥٢ - القاضي عضد الأيجي الشافعيّ المتوفّى سنة ٧٥٦، في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦.

٥٣ - نظام الدين القمّي النيسابوري، في تفسيره «غرائب القرآن» ج ٣ ص ٤٦١.

٥٤ - سعد الدين التفتازاني الشافعيّ المتوفّى سنة ٧٩١، في «المقاصد» وشرحه ج ٢ ص ٢٨٨، وقال بعد تقرير إطباق المفسِّرين على نزول الآية في عليٍّ: قول المفسِّرين: إنَّ الآية نزلت في حقِّ عليٍّ رضي الله عنه لا يقتضي اختصاصها به وإقصارها عليه.

٥٥ - السيِّد شريف الجرجاني المتوفّى سنة ٨١٦، في شرح المواقف.

٥٦ - المولى علاء الدين القوشجي المتوفّى سنة ٨٧٩، في شرح التجريد وقال بعد نقل الاتِّفاق عن المفسِّرين على أنَّها نزلت في أمير المؤمنين؛ وقول المفسِّرين: إنَّ الآية نزلت في حقّ عليٍّ إلى آخر كلام التفتازاني.

٥٧ - نور الدين ابن الصبّاغ المكيُّ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥، في «الفصول المهمَّة» ١٢٣.

٥٨ - جلال الدين السيوطي الشافعيُّ المتوفّى سنة ٩١١، في (الدرّ المنثور) ج ٢ ص ٢٩٣ من طريق الخطيب، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عبّاس. ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، عن عمّار بن ياسر ومن طريق أبي الشيخ، والطبراني عن عليٍّ عليه السَّلام. ومن طريق ابن أبي حاتم؛ وأبي الشيخ، وابن عساكر عن سلمة بن كهيل. ومن طريق ابن جرير، عن مجاهد، والسدي وعتبة بن حكيم. ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، عن أبي رافع.

ورواه في [أسباب نزول القرآن] ص ٥٥ من غير واحد من هذه الطرق ثمّ قال: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً. وذكره في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩١ من طريق الخطيب عن ابن عبّاس، وص ٤٠٥ من طريق أبي الشيخ وابن مردويه عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

٥٩ ـ الحافظ ابن حجر الأنصاري الشافعيّ المتوفّى سنة ٩٧٤، في «الصواعق» ٢٤.

٦٠ ـ المولى حسن چلبي في شرح المواقف.

٦١ ـ المولى مسعود الشرواني في شرح المواقف.

٦٢ ـ القاضي الشوكاني الصنعاني المتوفّى ١٢٥٠ في تفسيره.

٦٣ ـ شهاب الدين السيِّد محمود الآلوسيّ الشافعيّ المتوفى سنة ١٢٧٠، في تفسيره ج ٢ ص ٣٢٩.

٦٤ ـ الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المتوفّى سنة ١٢٩٣. في «ينابيع المودَّة» ٢١٢.

٦٥ ـ السيِّد محمَّد مؤمن الشبلنجي في «نور الأبصار» ٧٧.

٦٦ ـ الشيخ عبد القادر بن محمَّد السعيد الكردستاني المتوفّى سنة ١٣٠٤، في [تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام] للتفتازاني ج ٢ ص ٣٢٩ ط مصر، وتكلّم فيه كبقيَّة المتكلّمين مخبتاً إلى اتِّفاق المفسِّرين على أنَّها نزلت في أمير المؤمنين[١].

وأمّا الكلام في الدلالة فلا يخالج الشكُّ فيها أيَّ عربيٍّ صميم مهما غالط وجدانه، وإنَّما الخلاف فيها نشأ من الدخلاء المتطفّلين على موائد العربيَّة. وبسط القول يتكفَّله كتب أصحابنا في التفسير والكلام.

---

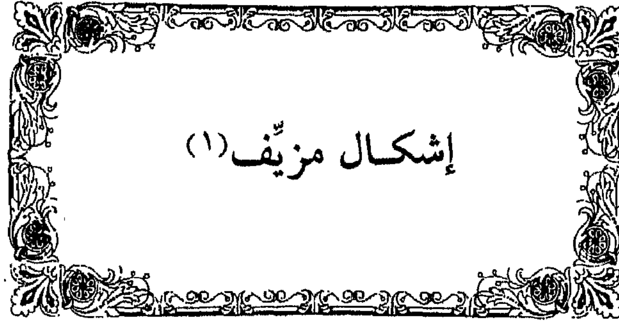
(١) توجد ترجمة كثير من هؤلاء الأعلام في الجزء الأول من كتابنا، راجع باعتبار القرون.

لفظ الحديث

عن أنس بن مالك أنّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول: مَن يُقرض المليَّ الوفيّ وعليٌّ عليه السَّلام راكعٌ يقول بيده خلفه للسائل أي اخلع الخاتم من يدي. قال رسول الله: يا عمر! وجبت. قال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما وجبت؟!. قال: وجبت له الجنَّة والله، وما خلعه من يده حتَّى خلعه الله من كلّ ذنب ومن كلّ خطيئة. قال: فما خرج أحدٌ من المسجد حتّى نزل جبرئيل بقوله عزَّ وجلَّ: إنّما وليّكم الله وَرَسوله والَّذين آمنوا الَّذين يُقيمونَ الصَّلاة وَيُؤتون الزَّكاة وهُمْ راكعونَ. فأنشأ حسّان بن ثابت يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيءٍ في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبّين ضائعاً ؟! ... وما المدح في ذات الإله بضائعِ
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكعٌ ... فدتك نفوس القوم يا خير راكعِ
بخاتمك الميمون يا خير سيِّدٍ ... ويا خير شارٍ ثمَّ يا خير بائعِ
فأنزل فيك الله خير ولايةٍ ... وبيَّنها في محكمات الشرائعِ

وهناك ألفاظ اخرى نقتصر على هذا روماً للاختصار وقد أسلفناه بلفظ أبي ذرّ ج ٢ ص ٧١.



إشكال مزيّف(١)

قال السيِّد حميد الدين عبد الحميد الآلوسي في كتابه «نثر اللآلي على نظم الأمالي» ص ١٦٩ عند ذكره آية الولاية: انَّ الآية ليس نزولها في حقّ عليّ خاصّة كما زعموا، بل نزلت في المهاجرين والأنصار، وهو من جملتهم، فإنّ قوله: الّذين صيغة جمع فلا يكون عليٌّ هو المراد وحده.

قال الأميني: كأنَّ الرجل يضرب في قوله هذا على وتر ابن كثير الدمشقي، وينسج على نوله، ويمتح من قليبه، حيث قال في تاريخه حول الآية كما يأتي بُعيد هذا(٢): ولم ينزل في عليٍّ شيءٌ من القرآن بخصوصيّته. إلخ. وقد عزب عن المغفّلين أنّ إصدار الحكم على الجهة العامَّة، بحيث يكون مصبّه الطبيعة ـ حتّى يكون ترغيباً في الإتيان بمثله، أو تحذيراً عن مثله ـ ثمّ تقييد الموضوع بما يُخصِّصه بفرد معيَّن حسب الانطباق الخارجيّ أبلغ وآكد في صدق القضيَّة من توجيهه إلى ذلك الفرد رأساً، وما أكثر له من نظير في لسان الذكر الحكيم وإليك نماذج منه:

١ ـ ﴿الذينَ قالوا إنَّ الله فقيرٌ ونَحنُ أغنياء﴾ [سورة آل عمران/الآية ١٨١].

ذكر الحسن: انّ قائل هذه المقالة هو حيي بن أخطب. وقال عكرمة

(١) من هنا إلى آخر البحث من ملحقات الطبعة الثانية.

(٢) عند البحث عن مخاريق كتابه ـ البداية والنهاية.

والسدي ومقاتل ومحمّد بن إسحاق: هو فنحاص بن عازوراء. وقال الخازن: هذه المقالة وإن كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنّهم يرضون بمقالته هذه فنسبت إلى جميعهم.

راجع تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٩٤، تاريخ ابن كثير ج١ : ٤٣٤، تفسير الخازن ج ١ : ٣٢٢ .

٢ - **﴿ومنهم الَّذين يؤذونَ النبيَّ ويقولونَ هو أُذنٌ﴾** [سورة التوبة/الآية ٦١].

نزلت في رجل من المنافقين إمّا في الجلاس بن سويلا، أو: في نبتل بن الحرث أو: عتاب بن قشير، راجع تفسير القرطبي ج ٨: ١٩٢ تفسير الخازن ج ٢ : ٢٥٣ ، الإصابة ج ٣ : ٥٤٩ .

٣ - **﴿والَّذين يَبتغونَ الكتابَ ممّا مَلكت أيمانكم فَكاتبوهم إنْ علمتم فيهم خيرا﴾**[سورة النور/الآية ٣٣]. نزلت في صبيح مولى حويطب بن عبد العزّى، قال كنت مملوكاً لحويطب فسألته الكتابة، ففيَّ أُنزلت والذين يبتغون الكتاب : أخرجه ابن مندة وأبو نعيم والقرطبي كما في تفسيره ج ٢ ص ٢٤٤ ، اسد الغابة ج ٣ : ١١ ، الإصابة ج ٢ : ١٧٦ .

٤ - **﴿إنَّ الَّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنَّما يأكلون في بُطونهم ناراً﴾**.[سورة النساء/الآية ١٠].

قال مقاتل بن حبّان: نزلت في مرثد بن زيد الغطفاني «تفسير القرطبي ج٥ ٥٣، الإصابة ج ٣ : ٣٩٧» .

٥ - **﴿لا يَنهاكم الله عَن الَّذين لَمْ يقاتلوكم في الدِّين وَلَمْ يُخرجوكم مِن دياركم﴾** . [سورة الممتحنة/الآية ٨] .

نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أنّ امّها قتيلة بنت عبد العزّى قدمت عليها المدينة بهدايا وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هديَّة، ولا تدخلي عليّ بيتاً حتّى أستأذن رسول الله ﷺ فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية

فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديّتها وتكرمها وتحسن إليها.

أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، كما في تفسير القرطبي ج ١٨ : ٥٩ ، تفسير ابن كثير ج ٤ : ٣٤٩ ، تفسير الخازن ج ٤ : ٢٧٢ .

٦ ـ ﴿**يا أيّها الرَّسولُ لا يحزنك الّذين يُسارعون في الكفر من الَّذين قالوا آمنّا بأفواهِهم**﴾. [سورة المائدة/ الآية ٤١].

ذكر المكي في تفسيره: انّها نزلت في عبدالله بن صوريا. تفسير القرطبي ج ٦ : ١٧٧ ، الإصابة ج ٢ : ٣٢٦ .

٧ ـ ﴿**قال الَّذين لا يَعلمون لولا يكلِّمنا الله أو تأتينا آية**﴾ [سورة البقرة/ الآية ١١٨] .

نزلت في رافع بن حريملة، وأخرج محمَّد بن إسحاق عن ابن عبّاس قال: قال رافع لرسول الله ﷺ: يا محمَّد إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلّمنا حتّى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك الآية، تفسير ابن كثير ج١ : ١٦١ .

٨ ـ ﴿**الَّذين هاجَروا في الله مِن بعد ما ظلموا لنبوِّئنَّهم في الدُّنيا حسنة**﴾ [سورة النحل/الآية ٤١]. أخرج ابن‌عساكر في تاريخ ج٧: ١٣٣ من طريق عبد الرزاق عن داود بن أبي هند: انّ الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل العامري. وذكره القرطبي في تفسيره ج ١٠: ١٠٧ من جملة الأقوال الواردة فيها.

٩ ـ ﴿**إنَّ الَّذين يَتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رَزَقناهم**﴾ [سورة فاطر/ الآية ٢٩] نزلت في حصين بن المطلب بن عبد مناف كما في الإصابة ج ١ : ٣٣٦ .

١٠ ـ ﴿**وَالعصر إنَّ الإنسان لفي خسر**﴾. [سورة العصر/الآيات ١و٢].

عن ابيّ بن كعب قال: قرأت على رسول الله ﷺ سورة والعصر فقلت: يا رسول الله بأبي وأُمّي أفديك ما تفسيرها؟ قال: والعصر قسمٌ من الله بآخر النهار،

إنَّ الإنسان لفي خسر: أبو جهل بن هشام. إلاَّ الذين آمنوا: أبو بكر الصدِّيق. وعملوا الصالحات: عمر بن الخطاب. وتواصوا بالحقِّ: عثمان بن عفان. وتواصوا بالصبر عليّ بن أبي طالب. الرياض النضرة ج ١ : ٣٤ .

قال الأميني: نحن لا نصافق القوم على هذه التأويلات المحرَّفة المزيَّفة، غير أنّا نسردها لإقامة الحجَّة عليهم بما ذهبوا إليه.

١١ - **﴿إنَّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قَليلاً أولئك لا خلاق لَهم في الآخرة﴾**. [سورة آل عمران/الآية ٧٧].

نزلت في عيدان بن أسوع الحضرمي، قاله مقاتل في تفسيره. الإصابة ج٣ : ٥١.

١٢ - **﴿يا أيّها الَّذين آمنوا أطيعوا الله وَأطيعوا الرَّسولَ وَأولي الأمر منكم﴾**. [سورة النساء/ الآية ٥٩]. أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ج٧ : ٦٠، وأحمد في مسنده ٣٣٧، ومسلم في صحيحه كما في تاريخ ابن عساكر ج ٧ : ٣٥٢، وتفسير القرطبي ج ٥ : ٢٦٠ وغيرهم أنّها نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي.

١٣ - **﴿يَقولونَ هَلْ لنا من الأمر منْ شيءٍ، قُلْ إنَّ الأمر كلّه لله، يُخفون في أنفسهم ما لا يُبدونَ لك، يَقولون لو كان مِنَ الأمر شيء ما قتلنا هٰهنا﴾**. [سورة آل عمران/الآية ١٥٤].

القائل هو عبدالله بن أبي مسلول رأس المنافقين وفيه نزلت الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق الزبير أنَّها نزلت في معتب بن قشير.

تفسير القرطبي ج ٤ : ٢٦٢، تفسير ابن كثير ج ١ : ٤١٨، تفسير الخازن ج ١ : ٣٠٦.

١٤ - **﴿الَّذين قال لَهُم النّاسُ إنَّ النّاسَ جمعوا لكم﴾**. [سورة آل عمران/ الآية ١٧٣].

المراد من الناس الأوَّل هو نعيم بن مسعود الأشجعي، قال النسفي في تفسيره[1]: هو جمعٌ أُريد به الواحد، أو: كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه. وقال الخازن: فيكون اللفظ عاماً أُريد به الخاصّ.

وأخرج ابن مردويه بإسناده عن أبي رافع أنّ النبيَّ ﷺ وجّه عليّاً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابيٌّ من خزاعة فقال: إنَّ القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت فيهم هذه الآية.

تفسير القرطبي ج ٤ : ٢٧٩ ، تفسير ابن كثير ج١ : ٤٣٠ ، تفسير الخازن ج ١ : ٣١٨ .

١٥ ـ **﴿يستفتونك قُل الله يفتيكُمْ في الكلالةِ﴾**. [سورة النساء/الآية ١٧٦]. نزلت في جابر بن عبدالله الأنصاري. وهو المستفتي، وكان يقول : أُنزلت هذه الآية فيَّ ، تفسير القرطبي ج ٦ : ٢٨ ، تفسير الخازن ج ١ : ٤٤٧ ، تفسير النسفي هامش الخازن ج١ : ٤٤٧ .

١٦ ـ **﴿يَسألونَكَ ماذا يُنفِقونَ قُل ما أنفَقتُم مِن خَيرٍ﴾**. [سورة البقرة/الآية ٢١٥].

نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدَّق؟! وعلى من نُنفق؟! فنزلت الآية. تفسير القرطبي ج٣: ٣٦، تفسير الخازن ج ١ : ١٤٨ .

١٧ ـ **﴿وَهُمْ يَنهونَ عنهُ وَيَنأونَ عَنهُ﴾** [سورة الانعام/الآية ٢٦].

ذهب القوم إلى أنّها نزلت في أبي طالب ، وقد فصَّلنا القول فيها في الجزء الثامن ص٢١-٢٦.

١٨ ـ **﴿لا تَجِدُ قوماً يُؤمِنون بالله واليوم الآخر يُوادّون مَنْ حادّ الله ورسوله﴾**. [سورة المجادلة/الآية ٢٢].

---

(١) المطبوع في هامش تفسير الخازن ج ١ ص ٣١٨.

نزلت في أبي عبيدة الجرّاح حين قتل أباه يوم بدر. أو: في عبدالله بن أُبيّ تفسيرالقرطبي ج١٧ :٣٠٧، نوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ١٥٧.

١٩ - ﴿وآخرون اعترفوا بِذنبهم خَلَطوا عَملاً صالحاًوآخَرَ سيِّئاً﴾. [سورة التوبة/الآية ١٠٣].

نزلت في أبي لبابة الأنصاري خاصّة.تفسير القرطبي ج ٨ ٢٤٢، لروض الأنف ج ٢: ١٩٦.

٢٠ - ﴿يَحلِفونَ بالله لكم ليُرضوكُمْ﴾. [سورة التوبة/الآية ٦٢].

إنّ رجلاً من المنافقين قال: والله إنَّ هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمَّدٌ حقّاً لهم شرٌّ من الحمير. فسمعها رجلٌ من المسلمين فقال: والله إنَّ ما يقول محمَّدٌ لحقٌّ ولأنت أشرّ من الحمار، فسعى بها الرجل إلى النبي ﷺ فأخبره فأرسل إلى الرَّجل فدعا، فقال: ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتعن ويحلف بالله بأنّه ما قال ذلك، وجعل الرَّجل المسلم يقول: اللهمّ صدِّق الصادق، وكذّب الكاذب. فأنزل الله الآية. تفسير القرطبي ج ٨:١٩٣، تفسير ابن كثير ج ٢ : ٣٦٦.

١٢ - قال: إنّ الرافضيَّ لا يُمكنه أن يُثبت إيمان عليٍّ وعدالته وأنَّه من أهل الجنّة فضلاً عن إمامته إن لم يُثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان وإلاّ فمتى أراد إثبات ذلك لعليٍّ وحده لم تُساعده الأدلَّة، كما أنَّ النصرانيَّ إذا أراد إثبات نبوَّة المسيح دون محمَّد لم تساعده الأدلَّة. ج ١ ص ١٦٢.

وقال ص ١٦٣: الرّافضة تعجز عن إثبات إيمان عليٍّ وعدالته مع كونهم على مذهب الرافضة، ولا يُمكنهم ذلك إلاّ إذا صاروا من أهل السنَّة فإن احتجّوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده فقد تواتر ذلك عن هؤلاء بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أُميَّة وبني العبّاس وصلاتهم وصيامهم وجهادهم لِلكفّار.

ج - ما عشت أراك الدهر عجباً.

ليت شعري متى احتاج إيمان عليّ وعدالته إلى البرهنة؟! ومتى كفر هو حتّى يؤمن؟ وهل كان في بدء الإسلام للنبيِّ أخٌ ومُؤازر غيره؟! على حين أنَّ من سمّاهم لم يسلموا بعدُ، وهل قام الإسلام إلّا بسيفه وسنانه؟! وهل هزمت جيوش الشرك إلّا صولته وجولته؟! وهل هتك ستور الشّبه والإلحاد غير بيانه وبرهانه؟! وهل طهَّر الله الكعبة البيت الحرام عن دنس الأوثان إلّا بيده الكريمة؟! وهل طهر الله في القرآن الكريم بيتاً عن الرِّجس غير بيت هو سيِّد أهله بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ !وهل كان أحدٌ نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله غيره بنصّ الذِّكر الحكيم؟! وهل أحدٌ شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ليلة المبيت غيره؟! وهل أحدٌ من المؤمنين أولى بهم من أنفسهم كرسول الله غيره؟! لاها الله.

إنّ أحاديث الشيعة في كلِّ هذه متواترة وهي التي ألزمتهم بالإخبات إلى هذه المآثر كلّها غير أنَّهم إذا خاصموا غيرهم احتجُّوا بأحاديث أهل السنَّة لأنّ الحجَّة يجب أن تكون ملزمةً للخصم من دون حاجة لهم إليها في مقام الثبوت، وهذا طريق الحجاج المطَّرد لا ما يراه علماء القوم فإنَّهم بأسرهم يحتجّون في كلِّ موضوع بكتب أعلامهم وأحاديثهم، وهذا خروجٌ عن اصول الحجاج والمناظرة.

وليتني أدري ما الملازمة بين إيمان عليٍّ وعدالته وإيمان من ذكرهم، هل يحسبهم وعليّاً أمير المؤمنين نفساً واحدة لا يُتصوّر التبعيض فيها ؟!أو يزعم أنَّ روحاً واحدة سرت في الجميع؟! فأخذت بمفعولها من إيمان وكفر؟!وهل خفيت هذه الملازمة المخترعة وليدة ابن تيميَّة على الصحابة والتابعين الشيعيِّين وبعدهم على أئمَّة الشيعة وعلمائهم وأعلامهم في القرون الخالية في حجاجهم ومناشداتهم ومناظراتهم المذهبيَّة المتكثِّرة في الأندية والمجتمعات؟! أو ذهل عنها مخالفوهم في الذبِّ عنهم والمدافعة عن مبدئهم؟!.

لم يكن ذلك كلّه، ولكن يروق الرَّجل أن يشبِّه الرافضة بالنصارى، ويقرن بين إيمان عليٍّ عليه السَّلام وإيمان معاوية الدهاء، ويزيد الفجور؛ والماجنين

من جبابرة بني اميّة، والمتهتّكين من العبّاسيّين، وهذا مبلغ علمه ودينه وورعه وأدبه.

١٣ - وفي ج ٢ ص ٩٩ قذف شيخ الامَّة نصير الملّة والدين الطوسي، وأتباعه والرافضة كلّهم بأنواع من التهتّك والإستهتار من إضاعة الصّلوات وارتكاب المحرَّمات واستحلالها وعدم التجنّب عن الخمر والفواحش حتّى في شهر رمضان، وتفضيل الشرك بالله على عبادة الله، ويراها حال الرافضة دائماً، إلى غيرها ممّا علمت البحّاثة أنّها أكاذيب وطامّات أُريد بها إشاعة الفحشاء في الّذين آمنوا بتشويه سمعتهم، والله تعالى هو الحَكم الفصل يوم تُنصب الموازين، ويُسأل كلّ أحدٍ عمّا لفظه من قول، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ.

١٤ - قال: أشهر الناس بالردَّة خصوم أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه وأتباعه كمسيلمة الكذّاب وأتباعه وغيرهم، وهؤلاء تتولاهم الرافضة كما ذكر ذلك غير واحد من شيوخهم مثل هذا الإماميّ (يعني العلاّمة الحلّي) وغيره ويقولون: إنّهم كانوا على الحقِّ وإنَّ الصدّيق قاتلهم بغير حقٍّ ج ٢ ص ١٠٢.

ج - ليت هناك مُسائلٌ هذا الرَّجل عن من أخبره بتولّي الرافضة لمسيلمة ونظرائه، وهم لا يفتأون يسمونه بالكذّاب، ويروون الفضائح من أعماله، وكتبهم مفعمةٌ بمخاريقه، وهم لا يحصرون النبوَّة إلاّ بخاتمها محمّد سيِّد الأنبياء صلوات الله عليه وآله وعليهم ويكفِّرون مَن يدَّعيها غيره.

وليته دلّنا على أولئك الشيوخ الّذين نقل عنهم ذلك القول المائن، أوَ هل شافهوه بعقيدتهم؟ إفِلَمَ لم يذكر أسماءهم؟! ولِمَ لم يسمِّ أشخاصهم؟! على أنَّه غير مؤتمن في النقل عنهم، وهو لا يزال يتحرّى الوقيعة فيهم. أو أنّه وجده في كتبهم؟! فما هي تلك الكتب؟! وأين هي؟! ولمن هي؟! وأمّا شيخهم الأكبر العلاّمة الحلّي فهذه كتبه الكلاميَّة وفي العقائد بين مخطوط ومطبوع ففي أيٍّ منها توجد هذه الفرية؟! نعم لا توجد إلاّ في علبة عداء ابن تيميَّة، وفي عيبة مخازيه، أو في كتاب مفترياته اللهمَّ إليك المشتكى.

١٥ـ قال: ذكر (العلاّمة الحلّي) أشياء من الكذب تدلُّ على جهل ناقلها مثل قوله: نزل في حقِّهم (في حقِّ أهل البيت) هل أتى، فإنَّ هل أتى مكيَّةٌ باتِّفاق العلماء، وعليٌّ إنّما تزوَّج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة، وولد الحسن والحسين بعد نزول هل أتى، فقوله: إنَّها نزلت فيهم من الكذب الذي لا يخفى على مَن له علمٌ بنزول القرآن وأحوال هذه السادة الأخيار. ج ٢ ص ١١٧.

إنَّ الرَّجل لا ينحصر جهله بباب دون باب فهو كما أنَّه جاهلٌ في العقائد جاهلٌ في الفِرق، جاهلٌ في السيرة، جاهلٌ في الأحكام، جاهلٌ في الحديث، كذلك جاهلٌ في علوم القرآن حيث لم يعلم أوَّلاً أنَّ كون السورة مكيَّة لا ينافي كون بعض آياتها مدنيَّة وبالعكس، وقد اطرد ذلك في السور القرآنيَّة كما مرَّ ج ١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٦، وهذا معنى قول ابن الحصار: إنّ كل نوع من المكّي والمدنيّ منه آيات مستثناة [1].

وثانياً:

إنَّ أوثق الطرق إلى كون السورة أو الآية مكّيَّة أو مدنيَّة هو ما تضافر النقل به في شأن نزولها بأسانيد مستفيضة دون الأقوال المنقطعة عن الإسناد وقد أسلفنا في ص ١٣٤ ـ ١٣٩ من هذا الجزء شطراً مهماً ممَّن خرَّج هذا الحديث وأخبت إليه فليس هو من كذب الرافضة حتّى يدلَّ على جهل ناقله، ولا على شيخنا العلاّمة الحلّي من تبعه في نقله، فإن كان في نقله شائبةُ سوء فالعلامة ومشايخ قومه على شرع سواء.

وثالثاً:

إنَّ القول بأنَّها مكيَّةٌ ليس ممّا اتَّفق عليه العلماء بل الجمهور على خلافه كما نقله الخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٥٦ عن مجاهد وقتادة والجمهور.

وروى أبو جعفر النحّاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» من طريق الحافظ أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عبّاس حديثاً في تلخيص آي القرآن المدنيِّ من

(١) الاتقان ج ١ ص ٢٣.

المكيِّ وفيه: والمدَّثِّر إلى آخر القرآن إلاّ إذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ بربِّ الفلق، وقل أعوذ بربِّ الناس، فإنَّهنَّ مدنيّات، وفيها سورة هل أتى. وقال السيوطي في الإتقان ج ١ ص ١٥ بعد نقل الحديث: هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيِّدُ رجاله كلّهم ثقات من علماء العربيَّة المشهورين.

وأخرج الحافظ البيهقي في «دلائل النبوَّة» بإسناده عن عكرمة والحسين بن أبي الحسن حديثاً في المكيِّ والمدنيِّ من السور وعدَّ من المدنيّات هل أتى (الإتقان ج ١ ص ١٦).

ويروي ابن الضريس في «فضائل القرآن» عن عطا عدَّ سورة الإنسان من المدنيّات، كما في الإتقان ج ١ ص ١٧.

وعدَّها الخازن في تفسيره ج ١ ص ٩ من السور النازلة بالمدينة.

وهذه مصاحف الدنيا بأجمعها مخطوطها ومطبوعها تخبرك عن جليَّة الحال فإنّها مجمعةٌ على أنَّها مدنيَّةٌ، فهل الامَّة أجمعت فيها على خلاف ما اتَّفق عليه العلماء إن صحَّت مزعمة ابن تيميَّة؟ فما منكم من أحد عنه حاجزين، وإنَّه لتذكرةٌ للمتَّقين، وإنّا لنعلم أنَّ منكم مكذِّبين.

ورابعاً:

انَّ القائلين بأنَّ فيها آية أو آيات مكّيَّة كالحسن وعكرمة والكلبي وغيرهم مصرِّحون بأنَّ الآيات المتعلّقة بقصَّة الإطعام مدنيَّةٌ

وخامساً.

لا ملازمة بين القول بمكيَّتها وبين نزولها قبل الهجرة إذ من الممكن نزولها في حجَّة الوداع، بعد صحّة إرادة عموم قوله: وأسيراً، للمؤمن الداخل فيه المملوك كما قال ابن جُبير، والحسن، والضحّاك، وعكرمة، وعطا، وقتادة، واختاره ابن جرير وجمعٌ آخرون.

١٦ ـ قال: قوله (يعني العلاّمة الحلّي): إيجاب مودَّة أهل البيت بقوله تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى**﴾ غلطٌ وممّا يدلُّ على هذا أنَّ الآية مكيَّةٌ ولم يكن عليٌّ بعدُ قد تزوّج بفاطمة ولا ولد لهما أولاده. ج ٢ ص ١١٨.

وقال في ص ٢٥٠: أمّا قوله (يعني العلاّمة): وأنـزل الله فيهم: ﴿**قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى**﴾. فهذا كذبٌ فإنَّ هذه الآية في سورة الشورى وهي مكيَّةٌ بلا ريب نزلت قبل أن يتزوَّج عليٌّ بفاطمة، وقبل أن يولد له الحسن والحسين (إلى أن قال): وقد ذكر طائفة من المصنِّفين من أهل السنَّة والجماعة والشيعة من أصحاب أحمد وغيرهم حديثاً عن النبيِّ ﷺ: إنَّ هـذه الآية لَمّا نزلت قالوا: يا رسول الله! مَن هؤلاء؟! قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما. وهذا كذبٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث، وممّا يبيِّن ذلك أنَّ هذه الآية نزلت بمكَّة باتِّفاق أهل العلم فإنَّ سورة الشورى جميعها مكيَّةٌ بل جميع ال حميم كلّهن مكّيّات.

ثمَّ فصَّل تاريخ ولادة السبطين الحسنين إثباتاً لاطِّلاعه وعلمه بالتاريخ.

ج ـ لو لم يكن في كتاب الرَّجل إلاّ مـا في هذه الجمـل من التَّدجيل والتمويه على أجر صاحب الرِّسالة، والقول المزوَّر، والفرية الشائنة، والكذب الصريح، لكفى عليه عاراً وشنارا.

لم يصرِّح أحدٌ بأنَّ الآية مكيَّةٌ فضلاً عن الاتِّفـاق المكذوب على أهـل العلم، وإنَّما حسب الرجل ذلك من إطلاق قولهم: إنّ السـورة مكيَّة. فحقُّ المقال فيه ما قدَّمناه ج ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ وفي هذا الجزء ص ٦٩ ـ ١٧١.

ودعوى كون جميع سورة الشورى مكيَّةٌ يُكذبها استثناؤهم قوله تعالى: ﴿**أم يقولون افترى على الله كذباً**﴾. إلى قوله: ﴿**خبيرٌ بصيرٌ**﴾. وهي أربع آيـات. واستثناء بعضهم قوله ﴿**والَّذين إذا أصابهم البغي**﴾. إلى قوله. ﴿**من سبيل**﴾. وهي عدَّة آيات.[1]. فضلاً عن آية المودَّة.

---

(١) تفسير الخازن ج ٥ ص ٩٤، الاتقان ج ١ ص ٢٧.

ونصَّ القرطبي في تفسيره ج ١٦ ص ١، والنيسابوري في تفسيره، والخازن في تفسيره ج ٤ ص ٤٩، والشوكاني في «فتح القدير» ج ٤ ص ٥١٠ وغيرهم عن ابن عبّاس وقتادة على أنّها مكيَّةٌ إلّا أربع آيات أوّلها: قل لا أسألكم عليه أجراً.

وأمّا حديث أنَّ الآية نزلت في عليٍّ وفاطمة وابناهما وإيجاب مودَّتهم بها فليس مختصّاً بآية الله العلّامة الحلّي ولا بأُمّته من الشيعة بل أصفق المسلمون على ذلك إلّا شذّاذ من حملة الروح الأمويَّة نظراء ابن تيميَّة وابن كثير، ولم يقف القارىء ولن يقف على شيء من الاتّفاق المكذوب على أهل المعرفة بالحديث، ليت الرَّجل دلّنا على بعضٍ من أولئك المجمعين، أو على شيء من تآليفهم، أو على نزرٍ من كلماتهم وقد أسلفنا في ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٦٠ ما فيه بلغةٌ وكفايةٌ نقلاً عن جمع من الحفّاظ والمفسّرين من أعلام القوم وهم:

الإمام أحمد	ابن المنذر	ابن أبي حاتم	الطبري	الطبراني
ابن مردويه	الثعلبي	أبو عبد الله الملّا	أبو الشيخ	النسائي
الواحدي	أبو نعيم	البغوي	البزّار	ابن المغازلي
الحسكاني	محبّ الدين	الزمخشري	ابن عساكر	أبو الفرج
الحمّويي	النيسابوري	ابن طلحة	الرازي	أبو السعود
أبو حيّان	ابن أبي الحديد	البيضاوي	النسفي	الهيثمي
ابن الصبّاغ	الكنجي	المناوي	القسطلاني	الزرندي
الخازن	الزرقاني	ابن حجر	السمهودي	السيوطي
الصفوري	الصبّان	الشبلنجي	الحضرمي	النبهاني

وقول الإمام الشافعيِّ في ذلك مشهورٌ قال:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم — فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم القدر أنّكم — من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

ذكرهما له ابن حجر في «الصواعق» ٨٧، الزرقاني في شرح «المواهب»

ج ٧ ص ٧، الحمزاوي المالكي في «مشارق الأنوار» ٨٨، الشبراوي في «الإتحاف» ٢٩، الصبّان في الإسعاف ١١٩.

وقال العجلوني[1] في «كشف الخفاء« ص ١٩ ج ١: وفي هذا مع زيادة قلت:

لقد حاز آل المصطفى أشرف الفخر ... بنسبهم للطاهر الطيِّب الذِّكرِ
فحبّهمُ فرضٌ على كلِّ مؤمن ... أشار إليه الله في محكم الذِّكرِ
ومَن يدَّعي مِن غيرهم نسبةً له ... فذلك ملغونٌ أتى أقبح الوزرِ
وقد خصَّ منهم نسلُ زهراء الأشرف ... بأطراف تيجان من السندس الخضر
ويُغنيهم عن لبس ما خصَّهم به ... وجوهٌ لهم أبهى من الشمس والبدرِ
ولم يمتنع مِن غيرهم لبس أخضر ... على رأي من يعزى لأسيوط ذي الخبرِ
وقد صحَّحوا عن غيره حرمة الّذي ... رآه مباحاً فاعلم الحكم بالسبرِ

وأمّا أنّ تزويج عليّ بفاطمة عليهما السَّلام كان من حوادث العهد المدنيِّ، وقد ماشينا الرَّجل على نزول الآية في مكّة فإنَّه لا ملازمة بين إطباق الآية بهما وبأولادهما وبين تقدُّم تزويجهما على نزولها كما لا منافاة بينه وبين تأخّر وجود أولادهما على فرضه، فإنَّ ممّا لا شبهة فيه كون كلّ منهما من قُربى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بالعمومة والبنوَّة، وأمّا أولادهما فكان من المقدَّر في العلم الأزليّ أن يخلقوا منهما، كما أنَّه كان قد قضى بعلقة التزويج بينهما، وليس من شرط ثبوت الحكم بملاك عامّ يشمل الحاضر والغابر وجود موضوعه الفعليِّ بل إنَّما يتسرَّب إليه الحكم مهما وُجد ومتى وُجد وأنّى وُجد

على أنَّ من الممكن أن تكون قد نزلت بمكّة في حجَّة الوداع وعليٌّ قد تزوَّج بفاطمة وولد الحسنان ولا ملازمة بين نزولها بمكّة وبين كونه قبل الهجرة. ويرى الذين اوتوا العلم الَّذي أُنزل إليك من ربّك هو الحقّ.

١٧ - قال: أمّا حديث المؤاخاة (إنَّ عليّاً واخاه رسول الله) فباطلٌ

---

(١) الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفّى سنة ١١٦٢ توجد ترجمته في «سلك الدرر» للمرادي.

موضوعٌ، فإنَّ النبيَّ لم يُؤاخِ أحداً ولا آخى بين المهاجرين بعضهم من بعض ولا بين الأنصار بعضهم من بعض، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرَّحمن بن عوف، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء كما ثبت ذلك في الصحيح ج ٢ ص ١١٩.

إنَّ حكم الرَّجل ببطلان حديث المؤاخاة الثابت بين المسلمين على بكرة أبيهم يكشف عن جهله المطبق بالحديث والسيرة، أو عن حنقه المحتدم على أمير المؤمنين عليه السَّلام فلا يسعه أن ينال منه إلّا بإنكار فضائله، فكأنَّه آلى على نفسه أن لا يمرَّ بفضيلة إلّا وأنكرها وفنَّدها ولو بالدعوى المجرّدة. فقد أوضحنا في ص ١٤٨ - ١٦٢ أنّ قصَّة المؤاخاة وقعت بين أفراد الصحابة قبل الهجرة مرّة، وبين المهاجرين والأنصار بعدها مرّة أُخرى، وفي كلٍّ منهما، وآخى هو صلّى الله عليه وآله وسلّم أمير المؤمنين عليه السّلام، وحسب الرَّجل ما في فتح الباري ج ٧ ص ٢١٧ للحافظ ابن حجر العسقلاني قال بعد بيان كون المؤاخاة مرَّتين وذكر جملة من أحاديثهما: وأنكر ابن تيميَّة في كتاب الردّ[١] على ابن المطهَّر الرافضي في المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبيِّ لعليٍّ قال: لأنَّ المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبيِّ لأحدٍ منهم ولا لمؤاخاة مهاجريٍّ لمهاجريٍّ. وهذا ردٌّ للنصِّ بالقياس وإغفالٌ عن حكمة المؤاخاة، لأنَّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فآخى بين الأعلى والأدنى، ليرتفقن الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا نظر في مؤاخاته لعليّ لأنَّه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمرَّ، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأنَّ زيداً مولاهم فقد ثبت اخوَّتهما وهما من المهاجرين وسيأتي في عمرة القضاة قول زيد بن حارثة: إنَّ بنت حمزة بنت أخي. وأخرج الحاكم وابن عبد البرّ بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عبّاس: آخى النبي ﷺ بين الزبير و ابن مسعود وهما من المهاجرين (قلت): وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم

---

(١) هو كتاب منهاج السنة الذي نتكلم حوله.

الكبير للطبراني وابن تيميَّة يصرِّح بأنَّ أحاديث المختارة أصحّ وأقوى من أحاديث المستدرك. وقصة المؤاخاة الاولى (ثمَّ ذكر حديثها الصحيح من طريق الحاكم الذي أسلفناه).

وذكر العلاّمة الزرقاني في شرح «المواهب» ج ١ ص٣٧٣ جملةً من الأحاديث والكلمات الواردة في كلتا المرَّتين من المؤاخاة وقال: وجاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبيِّ ﷺ لعليٍّ. ثمَّ أوعز إلى مزعمة ابن تيميَّة وردَّ عليه بكلام الحافظ ابن حجر المذكور. إتَّبعوا ما أُنزل إليكم من ربِّكم ولا تتَّبعوا من دونه أولياء.

١٨ ـ قال: الحديث الذي ذكر (العلاّمة) عن النبيِّ ﷺ: انَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرَّمها الله وذرِّيّتها على النّار كذبٌ باتفاق أهل المعرفة بالحديث. ويظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضاً فإنَّ قوله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها إلخ باطلُ قطعاً فإنَّ سارة أحصنت فرجها ولم يحرِّم الله جميع ذرِّيَّتها على النار، وايضاً فصفيّة عمَّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أحصنت فرجها ومن ذرّيَّتها محسنٌ وظالمٌ، وفي الجملة: اللواتي أحصنَّ فروجهنّ لا يُحصي عددهنَّ إلاّالله ومن ذريَّتهنّ البرّ والفاجر والمؤمن والكافر. وأيضاً ففضيلة فاطمة ومزيّتها ليست بمجرّد إحصان الفرج فإنَّ هذا تشارك فيه فاطمة وجمهور نساء المؤمنين ج ٢ ص ١٢٦.

ج ـ عجباً لهذا الرَّجل وهو يحسب أنَّ الإجماعات والاتِّفاقات طوع إرادته، فإذا لم يرقه تأويل آية أو حديث أو مسألة أو اعتقاد يقول في كلٍّ منها للملأ العلمي: اتَّفقوا. فتُلبِّيه الأحياء والأموات، ثمَّ يحتجُّ باتِّفاقهم. ولعمر الحقِّ لو لم يكن الإنسان منهيّاً عن الكذب ولغو الحديث لما يأتي منهما فوق ما أتى به الرَّجل.

ليت شعري كيف يكون هذا الحديث متَّفقاً على بطلانه وكذبه؟! وقد أخرجته جماعةٌ من الحفّاظ وصحَّحه غير واحدٍ من أهل المعرفة بالحديث، وليته

أوعز إلى مَن شذَّ منهم بالحكم بكذبه، ودلّنا على تآليفهم وكلماتهم، غير أنَّه لم يجد أحداً منهم فكوَّن الاتِّفاق بالإرادة كما قلناه . وقد خرَّجه :

الحاكم	الخطيب البغدادي	البزّار	أبويعلى	العقيلي
الطبراني	ابن شاهين	أبو نعيم	المحبُّ الطبري	ابن حجر
السيوطي	المتّقي الهندي	الهيثمي	الزرقاني	الصبّان
البدخشي .				

إذا ثبتت صحَّة الحديث فأيُّ وزن يُقام للمناقشة فيه بأوهام وتشكيكات، واستحسانات واهية، واستبعادات خياليَّة؟! كما هو دأب الرَّجل في كلِّ ما لا يرتضيه من فضائل أهل البيت عليهم السَّلام، وأيّ ملازمة بين إحصان الفرج وتحريم الذريَّة على النّار، حـتّى يُردّ بالنقض بمثل سارة وصفيّة والمؤمنات؟ !غير أنَّ هذه فضيلةٌ اختصَّت بها سيِّدة النساء فاطمة، وكم لها من فضائل تخصّ بها ولم تحظ بمثلها فضليات النساء من سارة إلى مريم إلى حواء وغيـرهنَّ، فلا غضاضة إذا تفرَّد ذريَّتها بفضيلة لم يحوها غيرهم، وكم لهم من أمثالها.

وقال العلامة الزرقاني المالكي في شرح «المواهب» ج ٣ : ٢٠٣ في نفي هذه الملازمة: الحديث أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وصحَّحه عن ابن مسعود وله شواهد، وترتيب التحريم على الإحصان من باب إظهار مزيَّة شأنها في ذلك الوصف مع الإلماح ببنت عمران ولمدح وصف الإحصان، وإلاّ فهي محرَّمةٌ على النّار بنصّ روايات أُخر[١] ويؤيّد هذا الحديث بأحاديث اخرى منها حديث ابن مسعود: إنّما سُمِّيت فاطمة لأنَّ الله قد فطمها وذريَّتها عن النّار يوم القيامة[٢].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة:إنَّ الله غير معذِّبكِ ولا أحد من ولدكِ[٣].

(١) يأتي تمام كلام الزرقاني في النقد على كتاب (الصراع بين الإسلام والوثنية).
(٢) تاريخ ابن عساكر، الصواعق ص ٩٦، المواهب اللدنية كما في شرحه للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٣ .
(٣) أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات، وابن حجر صححه في الصواعق ص ٩٦، ١٤٠ .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: إنَّ الله قد غفر لك ولذريّتك. راجع ص ٧٨.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: وعدني ربّي في أهل بيتي: من أقرَّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أنّه لا يَعذِّبهم(١).

١٩ ـ قال: حديث أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: عليٌّ مع الحقِّ، والحقُّ يدور معه حيث دار، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض من أعظم الكلام كذباً وجهلاً، فإنَّ هذا الحديث لم يروه أحدٌ عن النبيِّ ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، وهل يكون أكذب ممّن يروي (يعني العلاّمة الحلّي) عن الصحابة والعلماء أنَّهم رووا حديثاً والحديث لا يُعرف عن أحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب، ولو قيل: رواه بعضهم وكان يمكن صحّته لكان ممكناً وهو كذبٌ قطعاً على النبيِّ ﷺ فإنّه كلامٌ ينزَّه عنه رسول الله. ١٦٧، ١٦٨.

ج ـ أمّا الحديث فأخرجه جمعٌ من الحفّاظ والأعلام منهم: الخطيب في التاريخ ج ١٤ ص ٣٢١ من طريق يوسف بن محمّد المؤدّب قال: حدَّثنا الحسن بن أحمد بن سليمان السرّاج: حدَّثنا عبد السّلام بن صالح: حدَّثنا عليُّ بن هاشم بن البريد عن أبيه عن أبي سعيد التميمي عن أبي ثابت مولى أبي ذرّ قال: دخلت على امِّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر عليّاً وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة.

هذه امّ المؤمنين امّ سلمة سيِّدةٌ صحابيَّةٌ، وقد نفى الرجل أن يكون أحد الصحابة قد رواه كما نفى أن يكون أحدٌ من العلماء يرويه إلّا أن يقول: إنّ الخطيب ـ وهو هو ـ ليس من العلماء، أو لم يعتبر امَّ المؤمنين صحابيَّة، وهذا أقرب إلى مبدأ ابن تيميَّة لأنَّها علويَّة النزعة، علويَّة الروح. علويَّة المذهب.

وحديث امّ سلمة سمعه سعد بن أبي وقّاص في دارها قال: سمعت رسول

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥٠ وجمع آخرون نظراء الحافظ السيوطي.

الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقّ. أو: الحقُّ مع عليٍّ حيث كان. قاله في بيت امّ سلمة فأرسل أحدٌ إلى امّ سلمة فسألها فقالت: قد قاله رسول الله في بيتي. فقال الرجل لسعد: ما كنتَ عندي قطُّ ألوم منك الآن. فقال وَلِمَ؟! قال: لو سمعتُ من النبيّ ﷺ لم أزل خادماً لعليٍّ حتّى أموت.

أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٦ وقال: رواه البزّار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

(قال الأميني): الرّجل الذي لم يعرفه الهيثمي وهو سعيد بن شعيب الحضرمي قد خفي عليه لمكان التصحيف، ترجمه غير واحد بما قال شمس الدين إبراهيم الجوزجاني: إنّه كان شيخاً صالحاً صدوقاً. كما في خلاصة الكمال ١١٨، وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٤٨.

وكيف يحكم الرّجل بأنَّ الحديث لم يروه أحدٌ من الصّحابة والعلماء أصلاً وهذا الحافظ ابن مردويه في «المناقب» والسمعاني في «فضائل الصحابة» أخرجا بالإسناد عن محمّد بن أبي بكر عن عائشة أنّها قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع عليٍّ لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وأخرج ابن مردويه في «المناقب» والديلمي في «الفردوس» أَنه لما عقر جمل عائشة ودخلت داراً بالبصرة أتى إليها محمّد بن أبي بكر فسلّم عليها فلم تكلّمه فقال لها: أُنشدك الله أتذكرين يوم حدثتيني عن النبيّ ﷺ أنّه قال: الحقُّ لن يزال مع عليٍّ وعليٌّ مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا؟ فقالت: نعم.

وروى ابن قُتيبة في «الإمامة والسياسة» ج ١ ص ٦٨ عن محمّد بن أبي بكر أنّه دخل على أُخته عائشة رضي الله عنها قال لها: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقّ، والحقُّ مع عليٍّ؟! ثمّ خرجت تُقاتلينه.

وروى الزمخشري في «ربيع الأبرار» قال: استأذن أبو ثابت مولى عليّ على امّ سلمة رضي الله عنها فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت! أين طار قلبك

حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: تبع عليّ بن أبي طالب. قالت: وُفّقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقّ والقرآن، والحقُّ والقرآن مع عليٍّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وبهذا اللفظ أخرجه أخطب الخطباء الخوارزمي في «المناقب» من طريق الحافظ ابن مردويه. وكذا شيخ الإسلام الحمّويي في «فرائد السمطين» في الباب الـ ٣٧ من طريق الحافظين أبي البيهقي والحاكم أبي عبد الله النيسابوري.

وأخرج ابن مردويه في «المناقب» عن أبي ذرّ أنّه سُئل عن اختلاف النّاس فقال: عليك بكتاب الله والشيخ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فإنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقّ والحقُّ معه وعلى لسانه، والحقُّ يدور حيثما دار عليٌّ.

ويوقف القارىء على شهرة الحديث عند الصّحابة احتجاج أمير المؤمنين به يوم الشورى بقوله: أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: الحقُّ مع عليٍّ وعليٌّ مع الحقّ يزول الحقُّ مع عليٍّ كيفما زال؟ قالوا: اللهمَّ نعم(١).

وهنا نُسائل الرَّجل عن أنَّ هذا الكلام لِماذا لا يُمكن صحته؟ أفيه شيءٌ من المستحيلات العقليَّة كاجتماع النقيضين أو ارتفاعهما؟ أو اجتماع الضدَّين أو المثلين؟ وكأنَّ الرَّجل يزعم أنَّ الحقيقة العلويَّة غير قابلةٍ لأن تدور مع الحقِّ وأن يدور الحقُّ معها. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وقد مرَّ ج ١ ص ٣٥٨، ٣٦١ من طريق الطبراني وغيره بإسناد صحيح قول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: اللهمَّ والِ من والاه، وعاد من عاداه (إلى قوله): وأدر الحقَّ معه حيث دار(٢).

وصحَّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم قوله: رحم الله عليّاً، اللّهمَّ أدر الحقَّ

---

(١) مر الكلام في حديث المناشدة ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣.

(٢) وبهذا اللفظ رواه الشهرستاني في نهاية الاقدام ص ٤٩٣.

معه حيث دار[١].

وقال الرازي في تفسيره ج ١ ص ١١١. وأمّا أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتّسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السَّلام: اللَّهم أدر الحقَّ مع عليٍّ حيث دار.

وحكى الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ١٣٥، وأخطب خوارزم في «المناقب» ٧٧ عن مسند زيد قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: إنَّ الحقَّ معك والحقُّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي.

وأخرج غير واحد عن أبي سعيد الخدري عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال مشيراً إلى عليٍّ: الحقُّ مع ذا، الحقُّ مع ذا[٢] وفي لفظ ابن مردويه عن عائشة عنه صلّى الله عليه وآله وسلم: الحقُّ مع ذا يزول معه حيثما زال.

وأخرج ابن مردويه والحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٤ عن امِّ سلمة أنَّها كانت تقول: كان عليٌّ على الحقِّ، من اتَّبعه اتَّبع الحقَّ، ومَن تركه ترك الحقَّ، عهداً معهوداً قبل يومه هذا[٣].

ومرَّ في ج ١ ص ٢٠٧ من طريق شيخ الإسلام الحمّويي قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في أوصيائه: فإنَّهم مع الحقِّ، والحقُّ معهم لا يُزايلونه ولا يُزايلهم.

وليت شعري هذا الكلام لِماذا يُنزَّه عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم؟! ألاشتماله على كلمة إلحاديَّة؟! أو إشراك بالله العظيم؟! أو أمر خارج عن نواميس الدِّين المبين؟!.

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥، جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣، الجمع بين الصحاح لابن الأثير، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧، نزل الأبرار ص ٢٤.

(٢) مسند أبي يعلى، سنن سعيد بن منصور، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٧ ص ٣٥ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) في لفظ الهيثمي: عهد معهود.

أنا أقول عنه لِماذا: لأنَّه في فضل مولانا أمير المؤمنين والرَّجل لا يروقه شيءٌ من ذلك. ونعم الحَكَم الله، والخصيم محمَّد.

ولا يذهب على القارىء أنَّ هذا الحديث عبارة اخرى لما ثبتت صحَّته عن امّ سلمة من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض(١).

وكلا الحديثين يرميان إلى مغزى الصحيح المتواتر الثابت عنه صلّى الله عليه وآله وسلم من قوله: إنّي تاركٌ أو: مخلّفٌ فيكم الثقلين، أو: الخليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

فإذا كان ما يراه ابن تيميَّة غير ممكن الصدور عن مبدأ الرِّسالة فهذه الأحاديث كلّها ممّا يغزو مغزاه يجب أن ينزَّه صلّى الله عليه وآله وسلم عنها، ولا أحسب أنَّ أحداً يقتحم ذلك الثغر المخوف إلاّ مَن هو كمثل ابن تيميَّة لا يُبالي بما يتهوَّر فيه، فدعه وتركاضه، ولا تتَّبع أهواء الذين لا يعلمون.

٢٠ ـ قال: حديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاكِ. فهذا كذبٌ منه، ما رووا هذا عن النبيِّ ﷺ ولا يُعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة، ولا الإسناد معروفٌ عن النبيِّ ﷺ لا صحيح ولا حسن ج ٢٠ ص ١٧٠.

ج ـ ليتني عرفت هل المقحم للرَّجل في أمثال هذه الورطة جهله المطبق وضيق حيطته عن الوقوف على كتب الحديث؟! ثمَّ إنَّ الرعونة تحدوه إلى تكذيب ما لم يجده تكذيباً باتّاً؟! أو: أنّ حقده المحتدم لآل بيت الوحي يتدهور به إلى هوّة المناوءة لهم بتفنيد فضائلهم ومناقبهم.

أحسب أنّ كلا الداءين لا يعدوانه.

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٤ صححه هو وأقره الذهبي، المعجم الأوسط للطبراني وحسن سنده، الصواعق ص ٧٤ ـ ٧٥، الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٦، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٨.

أمّا الحديث فله إسنادٌ معروفٌ عند الحفّاظ والأعلام، صحّحه بعضهم وحسنّه آخر، وأنهوه إلى النبيِّ الأقدس صلوات الله عليه وآله وممّن أخرجه:

١ - الإمام أبو الحسن الرِّضا سلام الله عليه في مسنده كما في «الذخائر» ٣٩.

٢ - الحافظ أبو موسى ابن المثنى البصري المتوفّى سنة ٢٥٢ كما في معجمه.

٣ - الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم المتوفّى سنة ٢٨٧ كما في «الإصابة» وغيره.

٤ - الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفّى سنة ٣٠٧ في سننه.

٥ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ في معجمه.

٦ - الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ في «المستدرك» ج ٣ ص ١٥٤ وصحّحه.

٧ - الحافظ أبو سعيد الخركوشي المتوفّى سنة ٤٠٦ في مؤلّفه.

٨ - الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ في « فضائل الصحابة».

٩ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١ في «تارخ الشام».

١٠ - الحافظ أبو المظفّر سبط ابن الجوزي المتوفّى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ١٧٥.

١١ - الحافظ أبو العباس محبُّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في «الذخائر» ٣٩ .

١٢ - الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ في «الإصابة» ج ٤ ص ٣٧٨.

١٣ ـ الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيثمي المتوفّى سنة ٩٥٤ في «الصواعق» ١٠٥.

١٤ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ في شرح «المواهب» ج ٣ ص ٢٠٢.

١٥ ـ أبو العرفان الصبّان المتوفّى سنة ١٢٠٦ في «إسعاف الرّاغبين» ١٧١ وقال: رواه الطبراني وغيره بإسناد حسن.

١٦ ـ البدخشي صاحب «مفتاح النجا» في «نزل الأبرار» ص ٤٧.

٢١ ـ قال: حديث رسول الله ﷺ في عليٍّ: هذا فاروق امَّتي يفرق بين أهل الحقِّ والباطل. وقول ابن عمر: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبيِّ ﷺ إلّا ببغضهم عليّاً. فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنّهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبيّ ﷺ ولم يُرو واحدٌ منهما في كتب العلم المعتمدة ولا لواحد منهما إسنادٌ معروفٌ ج ٢ ص ١٧٩.

ج ـ إنَّ أجمع كلمة تنطبق على هذا المغفَّل هو ما قيل في غيره قبل زمانه: أُعطي مقولاً ولم يعط معقولاً. فتراه في أبحاث كتابه يقول ولا يعقل ما يقول، ويردّ غير القول الذي قد قيل له، فهذا آية الله العلّامة الحلّي يروي عن ابن عمر قوله: ما كنّا نعرف المنافقين. الخ. وهذا يقول: إنّه حديثٌ مكذوبٌ على النبيِّ ﷺ ولم يعقل أنَّ راويه لم يعزه إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم فكان حقّ المقام أن يفنِّد نسبته إلى ابن عمر، على أنَّ ابن عمر لم يتفرَّد بهذا القول وإنّما أصفق معه على ذلك لفيفٌ من الصِّحابة منهم:

١ ـ أبو ذرّ الغفاري فإنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلّا بثلاث: بتكذيبهم الله ورسوله. والتخلّف عن الصّلاة. وبغضهم عليَّ بن أبي طالب.

أخرجه الخطيب في «المتّفق»، محبُّ الدين الطبري في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢١٥، الجزري في «أسنى المطالب» ص ٨ وقال: وحُكي عن الحاكم

تصحيحه. السيوطي في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٠.

٢ - أبو سعيد الخدري قال: كنّا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّاً.

وفي لفظ الزرندي: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم عليّاً.

جامع الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩، حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٥، الفصول المهمَّة ص ١٢٦، أسنى المطالب للجزري ص ٨، مطالب السئول ص ١٧، نظم الدرر للزرندي، الصواعق ٧٣.

٣ - جابر بن عبدالله الأنصاري قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض - أو: ببغضهم - عليٍّ بن أبي طالب.

أخرجه أحمد في «المناقب»، ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٣ ص ٤٦ هامش الإصابة، الحافظ محبّ الدين في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢١٤، الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٢.

٤ - أبو سعيد محمَّد بن الهيثم قال: إن كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليَّ بن أبي طالب.

أخرجه الحافظ الجزري في «أسنى المطالب» ص ٨.

٥ - أبو الدرداء قال: إن كنّا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلّا ببغضهم عليَّ بن أبي طالب.

أخرجه الترمذي كما في «تذكرة» سبط ابن الجوزي ص ١٧.

ولم تكن هذه الكلمات دعاوى مجرَّدة من القوم وإنَّما هي مدعومةٌ بما وعوه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في عليٍّ عليه السَّلام وإليك نصوصه:

١ - عن أمير المؤمنين أنَّه قال: والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنَّه لعهد

النبيُّ الاميُّ إليَّ: أنَّه لا يُحبّني إلّا مؤمنٌ، ولا يُبغضني إلّا منافق.

مصادره

أخرجه مسلم في صحيحه كما في «الكفاية»، الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢٩٩ من غير قَسَم وقال: حسنٌ صحيحٌ، أحمد في مسنده ج ١ ص ٨٤، ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٥، النسائي في سننه ج ٨ ص ١١٧، وفي خصائصه ٢٧، أبو حاتم في مسنده، الخطيب في تاريخه ج ٢ ص ٢٥٥، البغوي في «المصابيح» ج ٢ ص ١٩٩، محبُّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢١٤، ابن عبد البرّ في «الإستيعاب» ج ٣ ص ٣٧، ابن الأثير في «جامع الاصول» كما في تلخيصه «تيسير الوصول» ج ٣ ص ٢٧٢ عن مسلم والترمذي والنسائي، سبط ابن الجوزي في تذكرته ١٧، ابن طلحة في «مطالب السئول» ١٧، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٤ عن الحافظ عبد الرزّاق وأحمد ومسلم وعن سبعة آخرين وقال: هذا هو الصحيح، شيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الـ ٢٢ بطرق أربعة، الجزري في «أسنى المطالب» ٧ وصحّحه. ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ١٢٤، ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» ٧٣، ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» ج ٧ ص ٥٧، السيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٤ عن الحميدي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والعدني، والترمذي والنسائي، وابن ماجة، وابن حبّان في صحيحه، وأبي نعيم في الحلية، وابن أبي عاصم في سننه، القرماني في تاريخه هامش «الكامل» ج ١ ص ٢١٦، الشنقيطي في «الكفاية» ٣٥ وصحّحه.

والعجلي في كشف الخفاء ج ٢ ص ٣٨٢ عن مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وقد صدَّقه بدر الدين بن جماعة حين قاله ابن حيّان أبو حيّان الأندلسي: قد روى عليٌّ قال: عهد إليّ النبيُّ. إلخ. هل صدق في هذه الرواية؟ فقال له ابن جماعة: نعم. فقال: فالَّذين قاتلوه وسلّوا السيوف في وجهه كانوا يحبّونه أو يبغضونه؟!. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٨.

صورة اخرى:

عن أمير المؤمنين: لعهد النبيّ ﷺ إليَّ: لا يحبّك إلّا مؤمنٌ، ولا يُبغضك إلّا منافقٌ.

(مصادرها) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٩٥، ١٣٨. الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٤٢٦. النسائي في سننه ج ٨ ص ١١٧، وفي خصائصه ٢٧، أبو نعيم في «الحلية» ج ٤ ص ١٨٥ بعدَّة طرق وفي إحدى طرقه: والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة وتردَّى بالعظمة إنَّه لعهد النبيُّ الأُمّيُّ ﷺ إلي. إلخ. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ متَّفقٌ عليه، ابن عبد البرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٣٧ وقال: روته طائفةٌ من الصِّحابة، ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٨٤ وقال: هذا الخبر مرويٌّ في الصِّحاح.

وقال في ج ١ ص ٣٦٤: قد اتَّفقت الأخبار الصحيحة الّتي لا ريب فيها عند المحدِّثين على أنَّ النبيَّ قال له: لا يبغضك إلّا منافقٌ، ولا يحبّك إلّا مؤمنٌ، شيخ الإسلام الحمّويي في الباب الـ ٢٢، الهيثمي في «مجمع لزوائد» ج ٩ ص ١٣٣. السيوطي في جامعه الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢، ٤٠٨ من عدَّة طرق، ابن حجر في «الإصابة» ج ٢ ص ٥٠٩.

صورة ثالثة:

قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: لو ضربتُ خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يُبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يُحبَّني ما أحبَّني، وذلك أنَّه قضي فانقضى على لسان النبيِّ الامِّيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: ياعليُّ! لا يُبغضك مؤمنٌ، ولا يُحبّك منافقٌ.

تجدها في نهج البلاغة، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٤ ص ٢٦٤: مراده عليه السَّلام من هذا الفصل إذكار الناس ما قاله فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

صورة رابعة:

في خطبة لأمير المؤمنين عليه السَّلام: قضاءٌ قضاه الله عزَّ وجلَّ على لسان نبيِّكم النبيّ الأُمّيِّ أن لا يُحبّني إلّا مؤمنٌ، ولا يُبغضني إلّا منافقٌ.

أخرجه الحافظ ابن فارس، وحكاه عنه الحافظ محبُّ الدين في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢١٤، وذكره الزرندي في «نظم درر السمطين» وفي آخره: وقد خاب من افترى.

(صدر الحديث) عن أبي الطفيل قال: سمعت عليّاً عليه السَّلام وهو يقول: لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو نثرت على المنافق ذهباً وفضّة ما أحبَّني، إنَّ الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبِّي وميثاق المنافقين ببغضي، فلا يُبغضني مؤمنٌ، ولا يحبّني منافقٌ أبداً.

صورة اخرى:

عن حبَّة العرني عن عليّ عليه السَّلام أنّه قال: إنَّ الله عزّ وجلَّ أخذ ميثاق كلِّ مؤمن على حبّي، وميثاق كلِّ منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبَّني.

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦٤.

٢ ـ عن امّ سلمة قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يُحبّ عليّاً المنافق، ولا يُبغضه مؤمنٌ.

الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٣ وصحَّحه ابن أبي شيبة. الطبراني. البيهقي في «المحاسن والمساوي» ج ١ ص ٢٩. محب الدين في رياضه ج ٢ ص ٢١٤. سبط ابن الجوزي في تذكرته ١٥. ابن طلحة في «مطالب السئول» ١٧. الجزري في «أسنى المطالب» ٧. السيوطي في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢، ١٥٨.

صورة اخرى:

عن امّ سلمة قالت: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ: لا يُبغضك مؤمنٌ، ولا يُحبّك منافقٌ.

الإمام أحمد في «المناقب»، محبّ الدين في «الرياض» ج ٢ ص ٢١٤، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٤.

صورة ثالثة:

أخرج ابن عدي في كامله عن البغوي بإسناده عن امّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي لعليٍّ: لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ، ولا يبغضك إلاّ منافقٌ.

٣ - في خطبة للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم: يا أيّها النّاس! أُوصيكم بحبِّ ذي قرنيها أخي وابن عمّي عليِّ بن أبي طالب فإنّه لا يُحبّه إلاّ مؤمنٌ، ولا يبغضه إلاّ منافقٌ.

مناقب أحمد، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٤، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٥١، تذكرة السبط ١٧.

٤ - عن ابن عبّاس قال: نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى عليٍّ فقال: لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ولا يُبغضك إلاّ منافق.

أخرجه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٣.

وهذا الحديث ممّا احتج به أمير المؤمنين عليه السّلام يوم الشورى فقال: أُنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له صلّى الله عليه وآله وسلم: لا يُحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق، غيري؟! قالوا: اللّهم لا[1].

هذا ما عثرنا عليه من طرق هذا الحديث ولعلّ ما فاتنا منها أكثر، ولعلّك بعد هذه كلّها لا تستريب في أنّه لو كان هناك حديثٌ متواترٌ يقطع بصدوره عن مصدر الرّسالة فهو هذا الحديث أو أنّه من أظهر مصاديقه، كما أنّك لا تستريب

(١) راجع حديث المناشدة ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣.

بعد ذلك كلّه أنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام بحكم هذا الحديث الصادر ميزان الإيمان ومقياس الهدى بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وهذه صفةٌ مخصوصةٌ به عليه السَّلام وهي لا تبارحها الإمامة المطلقة، فإن من المقطوع به أنَّ أحداً من المؤمنين لم يتحلّ بهذه المكرمة، فليس حبُّ أيٍّ أحد منهم شارة إيمان ولا بغضه سمة نفاق، وإنّما هو نقصٌ في الأخلاق وإعوازٌ في الكمال ما لم تكن البغضاء لإيمانه، وأمّا إطلاق القول بذلك مشفوعاً بتخصيصه بأمير المؤمنين فليس إلّا ميزة الإمامة ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لولاك يا علي ما عُرف المؤمنون بعدي[1]. وقال: والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارجٌ من الإيمان[2].

ألا ترى كيف حكم عمر بن الخطاب بنفاق رجل رآه يسبُّ عليّاً وقال: إنّي أظنّك منافقاً؟! أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٧ ص ٤٥٣.

وحينئذ يحقّ لابن تيميَّة أن ينفجر بركان حقده على هذا الحديث، فيرميه بأثقل القذائف، ويصعد في تحوير القول ويصوِّب.

(وأمّا الحديث الأوَّل).

فينتهي إسناده إلى ابن عبّاس. وسلمان، وأبي ذرّ، وحذيفة اليماني، وأبي ليلى الغفاري، أخرج عن هؤلاء جمعٌ كثيرٌ من الحفّاظ والأعلام منهم:

الحاكم	أبو نعيم	الطبراني	البيهقي	العدني	البزّار
العقيلي	المحاملي	الحاكمي	ابن عساكر	الكنجي	محبّ الدين
الحمّويي	القرشي	الأيجي	ابن أبي الحديد	الهيثمي	السيوطي
المتّقي الهندي	الصفوري				

(١) مناقب ابن المغازلي، شمس الأخبار ص ٣٧، الرياض ج ٢ ص ٢٠٢، كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٢.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٨.

ولفظ الحديث عندهم[١] :

ستكون بعدي فتنةٌ فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنّه أوّل مَن يصافحني يوم القيامة، وهو الصِّديق الأكبر، وهو فاروق هذه الامَّة يفرق بين الحقِّ والباطل؛ وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين[٢] .

وبعد هذا كلّه تعرف قيمة ما يقوله أو يتقوَّ له (ابن تيميَّة) من [أنَّ الحديثين لم يُرو واحدٌ منهما في كتب العلم المعتمدة، ولا لواحد منهما إسنادٌ معروفٌ]. فإذا كان لا يرى الصِّحاح والمسانيد من كتب العلم المعتمدة، وما أسنده الحفّاظ والأئمَّة وصحَّحوه إسناداً معروفاً، فحسبه ذلك جهلاً شائناً، وعلى قومه عاراً وشناراً، وليت شعري بأيِّ شيءٍ يعتمد هو وقومه في المذهب بعد هاتيك العقيدة السخيفة؟! يا قوم اتَّبعونِ أهدكم سبيل الرّشاد.

٢٢ ـ قال: عليٌّ رضي الله عنه لم يكن قتاله يوم الجمل وصفّين بأمر من رسول الله ﷺ وإنَّما كان رأياً رآه ج ٢ ص ٢٣١ .

ج ـ إنِّي لا أعجب من جهل هذا الإنسان (الَّذي خُلق جهولاً) بشؤون الإمامة وأنَّ حامل أعبائها كيف يجب أن يكون في ورده وصدره، فإنه في منتأى عن معنى الإمامة التي نرتئيها، ولا أعجب من جهله بموقف مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام وأنَّه كيف كان قيد الأمر ورهن الإشارة من مخلّفه النبيِّ الأعظم، فإنَّه لم تتح له الحيطة بمكانته وفواضله ومجاري علمه وعمله فإنّ النُصب المُردي قد أعشى بصره، ورماه عن الحقِّ في مرمى سحيقٍ، وإنَّما كلُّ عجبي من جهله بما أخرجه الحفّاظ والأئمَّة في ذلك، ولكنَّه من قوم لهم أعين لا يُبصرون بها.

ونحن نعلم ما توسوس به صدره، غاية الرَّجل من هذا الحكم البّاتّ تغرير الامَّة والتمويه على الحقيقة، وجعل تلك الحروب الدامية نتيجة رأي واجتهاد من الطرفين حتّى يسع له القول بالتساوي بين أمير المؤمنين ومقاتليه في الرأي

(١) باختلاف يسير عند بعضهم لا يضر المغزى.

(٢) راجع ج ٢ ص٣٦٣، ٣٦٤ من كتابنا.

والاجتهاد، وأنَّ كلًّا منهما مجتهدٌ ولـه رأيه مصيباً كان أو مخطئاً، غير أنَّ للمصيب أجرين وللمخطئ أجر واحد، ذاهلاً عن أنَّ المنقِّب لا يخفى عليه هذا التدجيل، ويد التحقيق توقظ نائمة الأثكل، وقلم الحقِّ لا يترك الامَّة سُدى، وينبئهم عن أنَّ اجتهاد القـوم (إن صحَّت الأحلام) إجتهـادٌ في مقابلة النصِّ النبويِّ الأغرِّ.

وليت شعري كيف يخفى الأمر على أيِّ أحد.؟ أو كيف يسع أن يتجاهل أيُّ أحد؟ وبين يدي الملأ العلمي قول رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم لزوجاته: أيّتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب ـ وهو كثير الشعر ـ تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يُقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادت تُقتل[١]؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لهنَّ: كيف بإحداكنَّ إذا نبح عليها كلاب الحوأب[٢]؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لهنَّ: أيّتكنَّ التي تنبح عليها (تنبحها) كلاب الحوأب[٣]؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لهنَّ: ليت شعري أيّتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب سائرةً إلى الشرق في كتيبة «معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥٦».

(١) اخرجه البزار. أبو نعيم. ابن أبي شيبة. الماوردي في الأعلام ص ٨٢. الزمخشري في الفائق ج ١ ص ١٩٠. ابن الأثير في النهاية ج ٢ ص ١٠. الفيروز آبادي في القاموس ج ١ ص ٦٥. الكنجي في الكفاية ص ٧١. القسطلاني في المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٥. شرح الزرقاني ج ٧ ص ٢١٦. الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٨٣. الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣١٣. زيني دحلان في سيرته ج ٣ ص ١٩٣ هامش الحلبية. الصبان في الإسعاف ص ٦٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٥٢، وابن أبي شيبة. نعيم بن حماد في الفتن. وعن الأخيرين السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٨٤.

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ٩٧. تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٨. كفاية الكنجي ص ٧١. جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٨٣، ٨٤، وصححه مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ وقال رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح. تذكرة السبط ٣٩. السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٣. وفي هامشها سيرة زيني دحلان ج ٣ ص ١٩٣. إسعاف الراغبين ص ٦٧.

وفي لفظ الخفاجي في شرح الشفا ج ٣ ص ١٦٦ : ليت شعري أيّتكنّ صاحبة الجمل الأزب[١] تنبحها كلاب الحوأب.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم. لعائشة : كأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب، وإيّاكِ أن تكوني أنت يا حميراء[٢] ! .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لها: يا حميراء! كأنّي بكِ تنبحكِ كلاب الحوأب. تُقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة[٣].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لها: انظري يا حميراء أن لا تكون أنتِ[٤].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: إن وليتَ من أمرها شيئاً. فارفق بها[٥].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: سيكون بعدي قومٌ يُقاتلون عليّاً،على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيءٌ. أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٤، و«كنز العمال» ج ٦ ص ١٥٥، وفي ج ٧ ص ٣٠٥ نقلاً عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم.

وقيل لحذيفة اليماني : حدِّثنا ما سمعت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. قال: لو فعلت لرجمتموني. قلنا: سبحان الله. قال لو حدَّثتكم أنَّ بعض

---

(١) الأزب: كثير شعر الوجه.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٦. تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٧. جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٨٤ وصححه.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٣.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٩. والبيهقي عن ام سلمة. وراجع مناقب الخوارزمي ص ١٠٧. الإجابة للزركشي ص ١١. سيرة زيني دحلان ج ٣ ص ١٩٤. المواهب للقسطلاني ج ٢ ص ١٩٥. شرح المواهب للزرقاني ج ٧ ص ٢١٦.

(٥) نفس المصادر السابقة في رقم ٤.

أُمّهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدَّقتموني. قالوا: سبحان الله، ومَن يُصدِّقك بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها(١).

وأخرج الطبري وغيره(٢): لَمّا سمعت عائشة رضي الله عنها نُباح الكلاب فقالت: أيّ ماء هذا؟! فقالوا: الحوأب: فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّي لهيه، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: لَيت شعري أيّتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب؟ فأرادت الرجوع فأتاها عبدالله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال: إنّ هذا الحوأب. ولم يزل حتّى مضت.

وقال العرني صاحب جمل عائشة: لَمّا طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها قالوا: أيَّ ماء هذا؟ قلت: ماء الحوأب. قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ردوني. تقول ذلك ثلاثاً. فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى حتّى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله عليّ بن أبي طالب. قال: فارتحلوا وشتموني(٣).

وفي حديث قيس بن أبي حازم قال: لمّا بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت: أيّ ماء هذا؟! قالوا: الحوأب قالت: ما أظنّني إلاّ راجعة. فقال الزبير: لا بعد تقدُّمي ويراكِ الناس ويصلح الله ذات بينهم. قالت: ما أظنّني إلاّ راجعة سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: كيف باحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب(٤)؟!.

وفي معجم البلدان ج ٣: ٣٥٦: في الحديث: انّ عائشة لمّا أرادت المضيّ إلى البصرة في وقعة الجمل مرّت بهذا الموضع يعني الحوأب فسمعت

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧١. الخصائص ج ٢ ص ١٣٧.
(٢) تاريخ الطبري ج ٥: ١٧٨، تاريخ أبي الفدا ج ١: ص ١٧٣.
(٣) تاريخ الطبري ج ٥: ص ١٧١.
(٤) مستدرك الحاكم ج ٣: ص ١٢٠.

نباح الكلاب فقالت: ما هذا الموضع؟! فقيل لها: هذا موضعٌ يقال له: الحوأب، فقالت: إنّا لله، ما أراني إلاّ صاحبة القصّة. فقيل لها: وأيّ قصّة؟! قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب سائرةً إلى الشرق في كتيبة. وهمّت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنّه ليس بالحوأب.

قال الأميني: ما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يُبيِّن لهم ما يتّقون، ليهلك مَن هلك عن بيِّنة، ويحيى من حيّ عن بيِّنة، وإنَّ الله لسميعٌ عليم، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

وقد صحّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قوله للزبير: إنَّك تُقاتل عليّاً وأنت ظالمٌ له. وبهذا الحديث احتجَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام على الزبير يوم الجمل وقال: أتذكر لما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّك تُقاتلني وأنت ظالمٌ لي؟! فقال: اللهمَّ نعم. الحديث.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣: ٣٦٦ وصحَّحه هو والذهبي. والبيهقي في الدلائل. وأبو يعلى. وأبو نعيم. والطبري في تاريخه ج٥: ٢٠٠، ٢٠٤. وأبو الفرج في الأغاني ج ١٦: ١٣١، ١٣٢. وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢: ٢٧٩. والمسعودي في مروج الذهب ج٢: ١٠ والقاضي في الشفا. وذكره ابن الأثير في الكامل ج٣: ١٠٢. ابن طلحة في المطالب ص ٤١. محبّ الدين في الرِّياض ج٢: ٢٧٣. الهيثمي في المجمع ج٧: ٢٣٥. ابن حجر في فتح الباري ج١٣: ٤٦. القسطلاني في المواهب ج٢: ١٩٥. الزرقاني في شرح المواهب ج ٣: ٣١٨، ج ٧: ٢١٧. السيوطي في الخصائص ج٢: ١٣٧ نقلاً عن جمعٍ من الحفّاظ بطرقهم عن أبي الأسود، وأبي جروة، وقيس، وعبد السَّلام. الحلبي في سيرته ج٣: ٣١٥. الخفاجي في شرح الشفا ج٣: ١٦٥، والشيخ علي القاري في شرحه هامش شرح الخفاجي ج ٣: ١٦٥.

وهذه كلمات الصحابة مبثوثةٌ في طيّات الكتب والمعاجم، وهي تُعرب عن أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يحثُّ أصحابه إلى نصرة أمير المؤمنين في تلك الحروب، ويدعوهم إلى القتال معه، ويأمر عيون أصحابه بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. منهم:

١ ـ أبو أيّوب الأنصاري ذلك الصحابيُّ العظيم، قال أبو صادق: قدم أبو أيّوب العراق فأهدت له الأزد جزراً فبعثوا بها معي فدخلت فسلّمت إليه وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيِّه ونزوله عليك فما لي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟! تستقبل هؤلاء مرّة وهؤلاء مرَّة فقال: إنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع عليٍّ الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه، وعهد إلينا أن نقاتل مع عليٍّ المارقين فلم أرهم بعدُ[1].

وروى علقمة والأسود عن أبي أيّوب أنه قال: إنَّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع عليٍّ، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. الحديث[2].

وقال عتاب بن ثعلبة: قال أبو أيّوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطّاب: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع عليٍّ. ورواه عنه أصبغ بن نباتة غير أنَّ فيه: أمرنا[3].

٢ ـ أبو سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤١. أربعين الحاكم ولفظه يقرب من هذا. تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٦. كنز العمال ج ٦ ص ٨٨.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٨٧، كفاية الكنجي، ص ٧٠، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٦.

(٣) أخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره السيوطي، ورواه الحاكم في أربعينه، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٣.

والمارقين قلنا: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ قال: مع عليٍّ بن أبي طالب[١].

٣ - أبو اليقظان عمّار بن ياسر قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. أخرجه الطبراني وفي لفظه الآخر من طريق آخر: أمرنا.

أخرجه الطبراني وأبو يعلى وعنهما الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٧ ص ٢٣٨.

وأمّا كون قتال أمير المؤمنين نفسه بأمر من رسول الله وأنّه لم يكن رأياً يخصُّ به فتوقفك على حقِّ القول فيه عدّة أحاديث:

١ - خليد العصري قال: سمعت أمير المؤمنين عليّاً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٢].

٢ - أبو اليقظان عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليُّ! ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحقِّ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس منّي[٣].

٣ - ومن كلام لعمّار بن ياسر خاطب به أبا موسى: أما إنّي أشهد أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أمر عليّاً بقتال الناكثين، وسمّى لي فيهم مَن سمّى، وأمره بقتال القاسطين وإن شئت لأُقيمنَّ لك شهوداً يشهدون أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إنّما نهاكَ وحدك وحذَّرك من الدخول في الفتنة. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٣.

٤ - أبو أيّوب الأنصاري قال في خلافة عمر بن الخطّاب: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عليّاً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٢، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٠٥.

(٢) الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٣٤٠، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، والسيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٥، وحكاه الزرقاني عن ابن عساكر في شرح المواهب ج ٣: ٣١٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٩، وذكره السيوطي في الخصائص ج ٢ ص ١٣٨.

٥ ـ عبدالله بن مسعود قال: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عليّاً. الحديث (١).

٦ ـ علي بن ربيعة الوالبي قال: سمعت عليّاً يقول: عهد إليَّ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أن أُقاتل بعده القاسطين والناكثين والمارقين (٢).

٧ ـ أبو سعيد مولى رباب قال: سمعت عليّاً يقول: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٣).

٨ ـ سعد بن عبادة قال: قال عليٌّ عليه السَّلام: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٤).

٩ ـ أخرج ابن عساكر من طريق زيد الشهيد عن عليّ أنَّه قال: أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٢.

١٠ ـ أنس بن عمرو عن أبيه عن عليّ قال: أُمرت بقتال ثلاثة: المارقين والقاسطين والناكثين. أخرجه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥.

١١ ـ عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فأتى منزل امّ سلمة فجاء عليٌّ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا امّ

---

(١) أخرجه الطبراني والحاكم في أربعينه من طريقين، وأبو عمرو في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٣، هامش الإصابة، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٨.

(٢) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، والحافظ الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ٢٣٨ وقال: أحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان.
وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٤، وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢١٧ وقال: سند جيد.

(٣) إيضاح الاشكال للحافظ عبد الغني بن سعيد، المناقب للخوارزمي ١٠٦ من طريق الحافظ ابن مردويه.

(٤) أخرجه جمع من الحفاظ من غير طريق راجع تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥، وكنز العمال ج ٦ ص ٧٢.

سلمة؟ هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي[١].

١٢ - ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لأُمّ سلمة في حديث مرّ ج ١ ص٣٩٢ وج ٣ ص ١٠٩ يصف عليّاً بأنَّه: يقتل القاسطين والناكثين والمارقين.

١٣ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ! أنت فارس العرب وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت أخي وليّ كل مؤمن ومؤمنة. شمس الأخبار ٣٨.

١٤ - أبو أيّوب الأنصاري قال سمعت النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠.

١٥ - قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٢٤٥: قد ثبت عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال لعلّيٍ عليه السَّلام: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

١٦ - وبهذا الحديث احتجَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم الشورى وقال: أُنشدكم الله هل فيكم أحدٌ يُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبيِّ، غيري؟ قالوا: اللهمَّ لا.

١٧ - أبو رافع قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ: قال: أنا يا رسول الله؟! قال: نعم. قال: أنا؟! قال: نعم. قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟! قال: لا. ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها.

أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ وقال: رواه أحمد والبزّار والطبراني ورجاله ثقات. ويوجد في كنز العمال ج ٦ ص ٣٧، والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٧.

---

(١) أربعين الحاكم، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٠، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥، مطالب السئول ٢٤ نقلاً عن مصابيح البغوي، فرائد السمطين الباب الـ ٢٧، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١.

١٨ ـ أخرج أبو نعيم عن الحارث قال: كنت مع عليٍّ بصفّين فرأيت بعيراً من إبل الشّام جاء وعليه راكبه وثقله فألقى ما عليه وجعل يتخلّل الصفوف إلى عليٍّ فجعل مشفره فيما بين رأس عليٍّ ومنكبه وجعل يحرِّكها بجرانه فقال عليٌّ: والله إنّها للعلامة التي بيني وبين رسول الله ﷺ (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٨).

٢٣ - قال: قال الرافضيُّ (يعني العلاّمة الحلّي): وعن عمرو بن ميمون قال: لعليٍّ بن أبي طالب عشر فضائل ليست لغيره قال النبيُّ ﷺ: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يُحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فاستشرف إليها مَن استشرف فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ قالوا: هو أرمد في الرحا يطحن، وما كان أحدهم يطحن قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه ثمَّ هزَّ الراية ثلاثاً وأعطاها إيّاه فجاء بصفيّة بنت حيّ. قال: ثمَّ بعث أبا بكر بسورة براءة فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه، وقال: لا يذهب بها إلاّ رجلٌ هو منّي وأنا منه. وقال لبني عمِّه: أيّكم يُواليني في الدُّنيا والآخرة. قال: وعليٌّ جالسٌ معهم فأبوا فقال عليٌّ: أنا أُواليك في الدنياوالآخرة. قال: فتركه ثمَّ أقبل على رجل رجل منهم فقال: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا فقال علي: أنا أُواليك في الدنيا والآخرة. فقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة. قال: وكان عليٌّ أوَّل من أسلم من الناس بعد خديجة. قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: إنّما يُريد الله ليُذهبَ عَنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً. قال: وشرى عليّ نفسه ولبس ثوب رسول الله ﷺ ثمَّ نام مكانه وكان المشركون يرمونه بالحجارة. وخرج رسول الله ﷺ بالنّاس في غزوة تبوك فقال له عليٌّ: أخرج معك؟ فقال: لا فبكى عليٌّ. فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟! إلاّ أنّك لستَ بنبيّ، لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي. وقال له رسول الله ﷺ: أنت وليّي في[1] كلِّ مؤمن بعدي. قال: وسدَّ أبواب المسجد إلاّ باب عليٍّ. قال: وكان يدخل المسجد

(١) كذا. والصحيح المحفوظ في اصول الحديث: أنت ولي كل مؤمن بعدي.

جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. وقال له: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه ج ٣ ص ٨ ثمَّ قال ما ملخّصه:

الجواب: إنَّ هذا ليس مسنداً بل هو مرسلٌ لو ثبت عن عمرو بن ميمون. وفيه ألفاظ هي كذبٌ على رسول الله ﷺ كقوله: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي فإنَّ النبيَّ ﷺ ذهب غير مرَّة وخليفته على المدينة غير عليٍّ (ثم ذكر عدَّةً من ولاته على المدينة) فقال: وعام تبوك ما كان الاستخلاف إلّا على النساء والصبيان، ومن عذر الله وعلى الثلاثة الذين خلّفوا أومتَّهم بالنفاق وكانت المدينة آمنةً لا يخاف على أهلها ولا يحتاج المستخلف إلى جهاد.

وكذلك قوله: وسدَّ الأبواب كلّها إلّا باب عليّ. فإنَّ هذا ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة فإنَّ الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ أنّه قال في مرضه الذي مات فيه: إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متَّخذاً خليلاً غير ربِّي لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن اخوَّة الإسلام ومودَّته، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدَّت إلّا خوخة أبي بكر، ورواه ابن عبّاس أيضاً في الصحيحين.

ومثل قوله: أنت وليّي في كلِّ مؤمن بعدي. فإن هذا موضوعٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث. (ثمَّ أردفه بخرافات وتافهات في بيان عدم اختصاص عليٍّ بهذه المناقب).

كان الأحرى بالرَّجل أن يُحرِّج على العلماء النظر في كتابه فيختصّ خطابه بالرعرة الدهماء ممَّن لا يعقل أيّ طرفيه أطول، لأنَّ نظر العلماء فيه يكشف عن سوءته، ويوضح للملأ إعوازه في العلم، وانحيازه عن الصِّدق والأمانة، ويظهر تدجيله وتزويره وتمويهه على الحقائق، ومن المحتمل جِداً أنَّه قد غالى في عظمة نفسه يوم خوطب بشيخ الإسلام، فحسب أنَّ الامَّة تأخذ ما يقوله كأصول مسلّمة لا تُناقشه فيه الحساب، وإذ أخفق ظنّه وأكدى أمله، فهلمَّ معي نمعن النظرة في هملجته حول هذا الحديث وماله فيه من جلبةٍ وسخبٍ.

فأوّل ما يتقوّل فيه: أنّه مرسلٌ وليس بمسند.

فكأنَّ عينيه في غشاوة عن مراجعة المسند لإمام مذهبه أحمد بن حنبل فإنّه أخرجه في ج ١ ص ٣٣١ عن يحيى بن حمّاد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس(١).

ورجال هذا السند رجال الصحيح غير أبي بلج وهو ثقةٌ عند الحفّاظ كما مرَّ فـي ترجمته ج ١ ص ١٠٠

وأخرجه بسند صحيح رجاله كلّهم ثقات: الحافظ النسائي في الخصائص ٧، والحاكم فـي المستدرك ج ٣ ص ١٣٢ وصحّحه هو والذهبي، والطبراني كما في المجمع للحافظ الهيثمي وصحّحه، وأبو يعلى كما في البداية والنهاية، وابن عساكر في الأربعين الطوال، وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وجمعٌ آخرون أسلفناهم في الجزء الأوّل ص ٧٦.

فما عذر الرّجل في نسبة الإرسال إلى مثل هذا الحديث؟! وإنكار سنده المتّصل الصحيح الثابت؟! أهكذا يُفعل بودائع النبوّة؟! أهكذا تلعب يد الأمانة بالسنّة والعلم والدين؟!.

والأعجب: أنّه عطف بعد ذلك على فقرات من الحديث وهـو يُحاول تفنيدها ويحسبها من الأكاذيب منها قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي. فآرتآه كذباً مستدلّاً بأنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم ذهب غير مرّة وخليفته على المدينة غير عليٍّ.

ومن استشفَّ الحقيقة من هذا الموقف علم أنّها قضيّةٌ شخصيّةٌ لا تعدو قصّة تبوك لما كان صلّى الله عليه وآله وسلم يعلمه من عدم وقوع الحرب فيها، وكانت حاجة المدينة إلى خلافة مثل أمير المؤمنين عليها مسيسة لِما تداخل القوم من عـظمة ملك الـروم (هرقـل) وتقدُّم جحفله الجـرّار، وكانـوا يحسبون أنَّ

(١) مر بلفظه ج ١ ص ٧٥.

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحشده الملتفَّ به لا قِبل لهم به، ومن هنا تخلّف المتخلّفون من المنافقين، فكان أقرب الحالات في المدينة بعد غيبة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم أن يرجف بها المنافقون للفتِّ في عضد صاحب الرِّسالة، والتزلّف إلى عامل بلاد الروم الزّاحف، فكان من واجب الحالة عندئذٍ أن يخلف عليها أمير المؤمنين عليه السّلام المهيب في أعين القوم، والعظيم في النفوس الجامحة، وقد عرفوه بالبأس الشديد، والبطش الصارم، اتّقاء بادرة ذلك الشرِّ المترقَّب. وإلّا فأمير المؤمنين عليه السّلام لم يتخلّف عن مشهد حضره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلّا تبوك[1] وعلى هذا اتّفق علماء السير كما قال سبط. ابن الجوزي في «التذكرة» ص ١٢.

وفي وسع الباحث أن يستنتج ما بيّناه من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: كذبوا ولكن خلّفتك لما ورائي. فيما أخرجه ابن اسحق بإسناده عن سعد بن أبي وقاص قال: لَمّا نزل رسول الله الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة عليٍّ وقالوا: إنّما خلّفه استثقالاً فخرج عليٌّ فحمل سلاحه حتّى أتى النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم بالجرف فقال: يا رسول الله! ما تخلّفت عنك في غزوةٍ قطُّ قبل هذه، قد زعم المنافقون أنك خلّفتني استثقالاً. فقال: كذبوا ولكن خلّفتك لما ورائي. الحديث[2] وممّا صحَّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن يغزو أنَّه قال: ولا بدَّ من أن أُقيم أو تُقيم. فخلفه[3].

إذا عرفت ذلك كلّه فلا يذهب عليك أنَّ قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي ،ليس له مغزى إلّا خصوص هذه الواقعة، وليس في لفظه عموم يستوعب كل ما غاب صلّى الله عليه وآله وسلم عن

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٤ هامش الإصابة، شرح التقريب ج ١ ص ٨٥، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣، الصواعق ص ٧٢، الإصابة ج ٢ ص ٥٠٧، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٨، الإسعاف ص ١٤٩.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢، الامتاع للمقريزي ص ٤٤٩، عيون الأثر ج ٢ ص ٢١٧، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٨، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٦٩، سيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٣٣٨.

(٣) أخرجه الطبراني بطريق صحيح كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١.

المدينة، فمن الباطل نقض الرجل باستخلاف غيره على المدينة في غير هذه الواقعة، حيث لم تكن فيه ما أوعزنا إليه من الإرجاف، وكانت حاجة الحرب أمسّ إلى وجود أمير المؤمنين عليه السَّلام حيث لم يكن غيره كمثله يكسر صولة الأبطال، ويغير في وجوه الكتائب. فكان صلّى الله عليه وآله وسلم في أخذ أمير المؤمنين معه إلى الحروب واستخلافه في مغيَّبه يتبع أقوى المصلحتين.

ثمَّ: إنَّ الرّجل حاول تصغيراً لصورة هذه الخلافة فقال: وعام تبوك ما كان الاستخلاف. إلخ. غير أنَّ نظّارة التنقيب لا تزال مكبّرة لها من شتّى النَّواحي:

الأُولـــى:

قوله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟!. وهو يُعطي إثبات كلٍّ ما للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم من رُتبةٍ وعمـلٍ ومقامٍ ونهضـةٍ وحُكمٍ وإمارةٍ وسيادةٍ لأمير المؤمنين عدا ما أخرجه الاستثناء من النبوَّة كما كان هارونَ من موسى كذلك، فهو خلافةٌ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم وإنزالٌ لعليٍّ عليه السَّلام منزلة نفسه لا محض استعمال كما يظنُّه الظانّـون، فقد استعمـل صلّى الله عليه وآله وسلم قبل هذه على البلاد اناساً، وعلى المدينة آخرين وأمَّر على السرايا رجالاً لم يقل في أحد منهم ما قاله في هذاالموقـف، فهي منقبةٌ تخصّ أمير المؤمنين فحسب.

الثانية:

قوله صلّى الله عليه وآله وسلم فيما مرَّ عن سعد بن أبي وقّاص: كذبوا ولكن خلّفتـك لِمـا ورائي. لَمّـا طعن رجـالٌ من المنـافقين في إمـرة عليٍّ عليه السَّلام ولا يوعز صلّى الله عليه وآله وسلم به إلاّ إلى ما أشرنا إليه من خشية الإرجاف بالمدينة عند مغيَّبه، وإنَّ إبقاءه كان لإبقاء بيضة الدين عن أن تنتهك، وحذار أن يتَّسع خرقها بهملجة المنافقين، لولا هناك من يطأ فورتهم بأخمص بأسه وحجاه، فكان قد خلّفه لمهمَّةٍ لا ينوء بها غيره.

الثالثة :

قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السَّلام في حـديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا : قال حين أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يغزو: انَّه لا بدَّ من أن أُقيم أو تقيم فخلّفه. الحديث:[١] وهو يـدلّ على أنَّ بقاء أميـر المؤمنين عليه السَّلام على حدٍّ بقاء رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم في كلاءَة بيضة الدين، وإدحاض معرَّة المفسدين، فهو أمرٌ واحدٌ يُقام بكلٍّ منهما على حدٍّ سواء، وناهيك به من منزلةٍ ومقام.

الرابعة :

ما صحَّ عن سعد بن أبي وقّاص من قوله : والله لَئِنْ يكون لي واحدة من خلال ثلاث أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، لئن يكون قال لي ما قال له حين ردَّه من تبوك: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هـٰرون من مـوسى ؟ إلّا أنَّه لا نبيَّ بعـدي ، أحبّ إليَّ من أن يكون لي مـا طلعت عليه الشمس. الحديث[٢].

وقال المسعودي في المروج ج ٢ ص ٦١ بعد ذكر الحديث. ووجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب عليٍّ بن محمَّد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره أنَّ سعداً لمّا قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: أُقعد حتّى تسمع جواب ما قلت، ما كنتَ عندي قطُّ ألام منك الآن فهلّا نصرته؟ ولِمَ قعدتَ عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبيِّ ﷺ مثل الّذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليٍّ ما عشت. فقال سعد: والله إنّي لأحقُّ بموضعك منك. فقال معاوية : يأبى عليك بنو عذرة. وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة. الكلام.

وصحَّ عند الحفّاظ الإثبات أنَّ معاوية أمر سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ

---

(١) أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح إلا ميمون البصري وهو ثقة وثقه ابن حبان كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١، راجع ما مر في الجزء الأول ص ١٠٠

(٢) خصائص النسائي ص ٣٢، مروج الذهب ج ٢ ص ٦١.

أبا تراب؟! قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالها رسول الله ﷺ فلن أسبَّه، لئن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ وخلّفه في تبوك فقال له عليٌّ: يا رسول الله! تخلّفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي. الحديث(١)

وورد في حديث أنَّ سعداً دخل على معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل معنا؟! فقال: إنّي مرَّت بي ريحٌ مظلمةٌ فقلت: أخ أخ. فأنخت راحلتي حتّى انجلت عنّي ثمَّ عرفت الطريق فسرت. فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ أخ ولكن قال الله تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيىء إلى أمر الله﴾**. فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنَّه لا نبيَّ بعدي. فقال معاوية: مَن سمع هذا معك؟! فقال: فلان وفلان وامّ سلمة. فقال معاوية: أما إنّي لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت عليّاً. تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٧٧.

فإنَّ هذا الذي كان يستعظمه سعدٌ في عداد حديث الراية والتزويج بالصدّيقة الطاهرة بوحي من الله العزيز اللذين هما من أربى الفضائل، ويراه معاوية لو كان سمعه فيه لما قاتل عليّاً، ولكان يخدم عليّاً ما عاش، لا بدَّ وأن يكون على حدٍّ ما وصفناه حتّى يتسنّى لسعد تفضيله على ما طلعت عليه الشمس أو حمر النعم، ولمعاوية إيجاب الخدمة له، دون الاستخلاف على العائلة لينهض بشئون حياتها كما هو شأن الخدم، أو يُنصب عيناً على المنافقين

(١) جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٨ وصححه وأقرّه الذهبي وأخرجه باللفظ المذكور مسلم في صحيحه، ونقله عند الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٨، والبدخشاني في نزل الأبرار ص ١٥ عن مسلم والترمذي، وذكره بهذا اللفظ ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩، عن الترمذي، وميرزا مخدوم الجرجاني في الفصل الثاني من «نواقض الروافض» نقلاً عن مسلم والترمذي.

فحسب، ليتجسّس أخبارهم كما هو وظيفة الطبقة الواطئة من مستخدم الحكومات.

الخامسة:

قول سعيد بن المسيِّب بعد ما سمع الحديث عن إبراهيم أو عامر ابني سعد بن أبي وقّاص: فلم أرض فأحببت أن أُشافه بذلك سعداً فأتيته فقلت: ما حديثٌ حدَّثني به ابنك عامر؟ فأدخل أصبعيه في أُذنيه وقال: سمعت من رسول الله وإلّا فاستكَّتا[1] فماذا كان سعيد يستعظمه من الحديث حتّى طفق يستحفي خبره من نفس سعد بعد ما سمعه من ابنه؟! فأكَّد له سعد ذلك التأكيد، غير أنَّه فهم من مؤدّاه ما ذكرناه من العظمة.

السّادسة:

قول الإمام أبي البسطام شعبة بن الحجّاج في الحديث: كان هارون أفضل امَّة موسى عليه السلام فوجب أن يكون عليٌّ عليه السلام أفضل من كلّ امَّة محمّد ﷺ صيانةً لهذا النص الصحيح الصريح كما قال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي وأصلح[2].

السّابعة:

قال الطيبي: منّي خبر المبتدأ ومن اتِّصاليَّةٌ ومتعلق الخبر خاصٌّ والباء زائدةٌ كما في قوله تعالى: ﴿**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**﴾. أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم، يعني أنت متَّصلٌ ونازلٌ منّي بمنزلة هارون من موسى، وفيه تشبيهٌ ووجه الشبه مبهمٌ بقوله: إلّا أنَّه لا نبيَّ بعدي. فعرف أنَّ الاتِّصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوّة بل من جهة ما دونها وهي الخلافة[3].

وممّا كذَّبه الرَّجل من الحديث قول: وسدّ الأبواب إلّا باب عليٍّ وقال: فإنَّ هذا ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة. إلخ.

---

(١) أخرجه النسائي في الخصائص بعدة طرق ص ١٥.

(٢) أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية ص ١٥٠.

(٣) شرح المواهب للعلامة الزرقاني ج ٣ ص ٧٠.

ج ـ لا لنسبه وضع هذا الحديث إلى الشيعة دافعاً إلّا القحّة والصلف، ودفع الحقائق الثابتة بالجلبة والسخب، فإنَّ نصب عيني الرَّجل كتب الأئمَّة من قومه وفيها مسند إمام مذهبه أحمد، قد أخرجوه فيها بأسانيد جمَّة صحاح وحسان عن جمع من الصحابة تربو عدَّتهم على عدد ما يحصل به التواتر عندهم منهم:

١ ـ زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبوابٌ شارعة في المسجد قال: فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي. قال: فتكلّم في ذلك الناس قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمّا بعد: فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ. فقال فيه قائلكم، وإنّي ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكنّي أُمرت بشيء فاتبعته.

سند الحديث في مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٦٩: حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم. رجاله رجال الصحيح غير أبي عبدالله ميمون وهو ثقةٌ، فالحديث بنصِّ الحفّاظ صحيحٌ رجاله ثقات.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى والخصائص ١٣ عن الحافظ محمّد ابن بشّار بندار الذي انعقد الإجماع على الاحتجاج به «قاله الذهبي» بالإسناد المذكور. والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٥ وصحَّحه. والضياء المقدسي في المختارة ممّا ليس في الصحيحين والكلاباذي في معاني الأخبار كما في القول المسدَّد ١٧. وسعيد بن منصور في سننه. ومحبّ الدين الطبري في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٢. والخطيب البغدادي من طريق الحافظ محمَّد بن بشار. والكنجي في الكفاية ٨٨. وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٤. وابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٤٥١. وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٢. وابن حجر في القول المسدَّد ص ١٧ وقال: أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق النسائي وأعلّه بميمون وأخطأ في ذلك خطأً ظاهراً، وميمون وثَّقه غير واحد وتكلّم بعضهم في حفظه، وقد صحَّح له الترمذي حديثاً غير هذا. ورواه في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ وقال: رجاله ثقات. والسيوطي في جمع الجوامع

كما في الكنز ج ٦ ص ١٥٢ ، ١٥٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤ . والعيني في عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢ . والبدخشي في نزل الأبرار وقال: أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والضياء بإسناد رجاله ثقات .

٢ ـ عبدالله بن عمر بن الخطّاب قال. لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم: زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته فولدت له. وسدّ الأبواب إلّا بابه في المسجد. وأعطاه الراية يوم خيبر.

سند الحديث في مسند أحمد ج ٢ ص ٢٦ :

حدثنا وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن اسيد عن ابن عمر قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠ رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح .

وأخرجه ابن أبي شيبة. وأبو نعيم. ومحبّ الدين في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٢ . وشيخ الإسلام الحمّويي في الفرائد في الباب الـ ٢١ . وابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١٢، والصواعق ٧٦، وصحَّحه في القول المسدَّد ٢٠ وقال: حديث ابن عمر أعلّه ابن الجوزي بهشام بن سعد وهو من رجال مسلم صدوقٌ تكلّموا في حفظه، وحديثه يقوى بالشواهد، ورواه النسائي بسند صحيح . والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٣٩١. والبدخشي في نزل الأبرار ص ٣٥ وقال. إسنادٌ جيِّدٌ.

٣ ـ عبدالله بن عمر بن الخطّاب قال له العلاء بن عرار: أخبرني عن عليٍّ وعثمان قال: أمّا عليٌّ فلا تسأل عنه أحداً وانظر إلى منزله من رسول الله ﷺ فإنّه سدَّ أبو ابنا في المسجد وأقرّ بابه.

أخرجه الحافظ النسائي من طريق أبي إسحاق السبيعي، قال ابن حجر في القول المسدَّد ص ١٨، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢: سندُ صحيحُ ورجاله رجال الصحيح إلّا العلاء وهو ثقةٌ وثَّقه يحيى بن معين وغيره.

وأخرجه الكلاباذي في معاني الأخبار كما في القول المسدد ١٨. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. والسيوطي في اللآلي ج ١ ص ١٨١ عن ابن حجر مع تصحيحه وكلامه المذكور، والبدخشي في نزل الأبرار ٣٥ وصحّحه مثل ما مرَّ عن ابن حجر.

٤ ـ البراء بن عازب رواه بلفظ زيد بن أرقم المذكور قال أحمد: رواه أبو الأشهب (جعفر بن حيّان البصري) عن عوف عن ميمون أبي عبدالله عن البراء. راجع تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٤٢، والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

٥ ـ عمر بن الخطّاب قال أبو هريرة: قال عمر: لقد أُعطي عليٌّ بن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي خصلة منها أحبّ إليَّ من أن أُعطى حمر النعم. قيل: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوّجه فاطمه بنت رسول الله. وسكناه المسجد مع رسول الله، يحلُّ له ما يحلُّ له. والراية يوم خيبر.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٥ وصحّحه. وأبو يعلى في الكبير. وابن السّمان في الموافقة. والجزري في أسنى المطالب ١٢ من طريق الحاكم وذكر تصحيحه له. ومحبُّ الدين في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٢. والخوارزمي في المناقب ص ٢٦١. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١١٦، والخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٣. وابن حجر في الصواعق ص ٧٦.

٦ ـ عبد الله بن عبّاس قال: إنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم أمر بسدِّ الأبواب فسدَّت إلا باب عليٍّ. وفي لفظ له: أمر رسول الله ﷺ بأبواب المسجد فسدَّت إلّا باب عليٍّ.

أخرجه الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٤ عن محمّد بن حميد وإبراهيم ابن المختار كلاهما عن شعبة عن أبي بلج يحيى بن سليم عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس. والإسناد صحيحٌ، رجاله كلّهم ثقات.

وأخرجه النسائي في الخصائص ١٣. أبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٥٣

بطريقين. محبُّ الدين في الرياض ج ٢ ص ١٩٢. الكنجي في الكفاية ٨٧ وقال: حديثٌ حسنٌ عال. سبط ابن الجوزي في تذكرته ٢٥. ابن حجر في القول المسدَّد ١٧. وفي فتح الباري ج ٧ ص ١٢ وقال: رجاله ثقات. الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٣. البدخشي في نزل الأبرار ٣٥ وقال: أخرجه أحمد والنسائي بإسناد رجاله ثقات.

٧ - عبدالله بن عبّاس قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ أبواب المسجد غير باب عليٍّ، فكان يدخل المسجد وهو جنبٌ ليس له طريقٌ غيره.

أخرجه النسائي في الخصائص ص ١٤ قال: أخبرنا محمّد بن المثّنى قال: حدّثنا يحيى بن معاذ قال: حدَّثنا أبو وضاح[1] قال: أخبرنا يحيى حدَّثنا عمرو بن ميمون قال: قال ابن عبّاس: أمر رسول الله ﷺ. إلخ. والإسناد صحيحٌ، رجاله كلّهم ثقات.

ورواه ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ وقال: رجاله ثقات. والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١ عن أحمد والنسائي ووثّق رجاله. ويوجد في نزل الأبرار ٣٥.

وفي لفظ لابن عبّاس: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سدّوا أبواب المسجد كلّها إلاّ باب عليٍّ. أخرجه الكلاباذي في معاني الأخبار. وأبو نعيم وغيرهما.

٨ - عبدالله بن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: انَّ موسى سأل ربَّه أن يطهر مسجده لهارون وذريَّته وإنّي سألت الله أن يطهِّر لك ولذريَّتك من بعدك، ثمَّ أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك فاسترجع وقال: سمعاً وطاعةً. فسدَّ بابه. ثمَّ إلى عمر كذلك، ثمَّ صعد المنبر فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولا فتحت باب عليٍّ ولكن الله سدَّ أبوابكم وفتح باب عليٍّ. أخرجه النسائي كما ذكره السيوطي.

---

(١) كذا في النسخة والصحيح: أبو عوانة وضاح، وثقه أحمد وأبو حاتم. راجع ج ١ ص ٧٨.

٩ ـ عبدالله بن عبّاس قال: لمّا أخرج أهل المسجد وترك عليّاً قال الناس في ذلك فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ولكن الله أخرجكم وتركه، إنّما أنا عبدٌ مأمورٌ، ما أُمرت به فعلتُ، إن أتّبع إلاّ ما يوحى إليَّ.

أخرجه الطبراني. والهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١١٥. والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤.

١٠ ـ أبو سعيد الخدري سعد بن مالك قال عبدالله بن الرقيم الكناني: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها فقال: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليٍّ.

أخرجه الإمام أحمد عن حجّاج عن فطر عن عبدالله بن الرقيم. قال الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١١٤: إسنادُ أحمد حسنٌ. ورواه أبو يعلى والبزّار والطبراني في الأوسط وزاد: قالوا: يا رسول الله! سددت أبوابنا كلّها إلاّ باب عليّ. قال: ما أنا سددت أبوابكم ولكنَّ الله سدَّها.

١١ ـ سعد بن مالك أبو سعيد الخدري قال: إنَّ عليَّ بن أبي طالب أُعطي ثلاثاً لئن أكون أُعطيت إحداها أحبّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمّ بعد حمدالله والثناء عليه (إلى أن قال): جيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر (إلى أن قال): وأخرج رسول الله عمَّه العبّاس وغيره من المسجد فقال له العبّاس: تُخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتُسكن عليّاً؟! فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته ولكنَّ الله أخرجكم وأسكنه.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٧.

١٢ ـ أبو حازم الأشجعي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إنَّ الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ هو وهارون، وإنَّ الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ أنا وعليّ وابنا عليّ. رواه

السيوطي في الخصائص ج ٢ ص ٢٤٣ .

١٣ ـ جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سدّوا الأبواب كلّها إلّا باب عليٍّ، وأومى بيده إلى باب عليٍّ.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٥. ابن عساكر في تاريخه. الكنجي في الكفاية ٨٧. السيوطي في الجمع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٨.

١٤ ـ جابر بن سمرة قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب كلّها غير باب عليٍّ. فقال العبّاس: يا رسول الله قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج. قال: ما أمرت بشيء من ذلك فسدّها غير باب عليٍّ قال: وربما مرَّ وهو جنبٌ.

أخرجه الحافظ الطبراني في الكبير، عن إبراهيم بن نائلة الإصبهاني، عن إسماعيل بن عمرو البجلي، عن ناصح، عن سماك بن حرب عن جابر. والإسناد حسنٌ إن لم يكن صحيحاً لمكان ناصح. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. وابن حجر في القول المسدَّد ١٨، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢. والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١. والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤. والبدخشي في نزل الأبرار ص ٣٥.

١٥ ـ سعد بن أبي وقّاص قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليٍّ.

أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ١٧٥، وقال ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١١ أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قويٌّ. وذكره العيني في عمدة القارىء ج ٧ ص ٥٩٢ وقوّى إسناده.

١٦ ـ سعد بن أبي وقّاص قال: إنَّ رسول الله ﷺ سدَّ أبواب المسجد وفتح باب عليٍّ فقال النّاس في ذلك. فقال: ما أنا فتحته ولكنَّ الله فتحه.

أخرجه أبو يعلى قال: حدثنا موسى بن محمّد بن حسّان: حدثنا محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن الطحان: حدثنا غسّان بن بُسر الكاهلي عن مسلم عن

خيثمة عن سعد. حكاه عنه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٢ من دون غمز في الإسناد.

١٧ ـ سعد بن أبي وقاص قال الحارث بن مالك: أتيت مكّة فلقيت سعد ابن أبي وقّاص فقلت: هل سمعت لعليٍّ بن أبي طالب منقبةً؟ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فنودي فينا ليلاً: ليخرج مَن في المسجد إلّا آل رسول الله. فلمّا أصبح أتاه عمّه فقال: يا رسول الله أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام؟! فقال: ما أنا الذي أمرت بإخراجكم ولا بإسكان هذا الغلام إنَّ الله هو أمر به.

أخرجه النسائي في الخصائص ١٣، وأخرج بإسناد آخر عنه وفيه: إنَّ العبّاس أتى النبيَّ ﷺ فقال: سددتَ أبوابنا إلّا باب عليّ فقال: ما أنا فتحتها ولا أنا سددتها.

١٨ ـ سعد بن أبي وقّاص قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب إلّا باب عليٍّ فقالوا: يا رسول الله! سددت أبوابنا كلّها إلّا باب عليّ. فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولكنَّ الله تعالى سدَّها.

أخرجه أحمد والنسائي والطبراني في الأوسط عن معاوية بن الميسرة بن شريح عن الحكم بن عتيبة عن مصعب بن سعد عن أبيه. والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

راجع القول المسدَّد ١٨. فتح الباري ج ٧ ص ١١ وقال: رجال الرواية ثقات. إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١ وقال: وقع عند أحمد والنسائي إسنادٌ قويٌّ، وفي رواية الطبراني برجال ثقات، نزل الأبرار ص ٣٤ وقال: أخرجه أحمد والنسائي والطبراني بأسانيد قويّة. عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢.

١٩ ـ أنس بن مالك قال: لمّا سدَّ النبيُّ ﷺ أبواب المسجد أتته قريشٌ فعاتبوه فقالوا: سددت أبوابنا وتركت باب عليٍّ. فقال: ما بأمري سددتها ولا بأمري فتحتها.

أخرجه الحافظ العقيلي عن محمَّد بن عبدوس عن محمّد بن حميد عن تميم بن عبد المؤمن عن هلال بن سويد عن أنس.

٢٠ - بُريدة الأسلمي قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب فشقَّ ذلك على أصحابه فلمّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ دعا: الصّلاة جامعة حتّى إذا اجتمعوا صعد المنبر ولم تسمع لرسول الله ﷺ تحميداً وتعظيماً في خطبة مثل يومئذ فقال: يا أيّها الناس ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها بل الله فتحها وسدَّها. ثمَّ قرأ: وَالنجم إذا هَوى ما ضلَّ صاحِبكم ومَا غوى ومَا ينطقُ عَن الهوى إنْ هُو إلاّ وحيٌ يوحى. فقال رجلٌ: دع لي كوَّةً في المسجد. فأبى وترك باب عليٍّ مفتوحاً، فكان يدخل ويخرج منه وهو جنبٌ أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة.

٢١ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: لَمّا أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب التي في المسجد خرج حمزة يجرُّ قطيفة حمراء وعيناه تذرفان يبكي فقال: ما أنا أخرجتك وما أنا أسكنته ولكنَّ الله أسكنه. أخرجه الحافظ أبو نعيم في فضائل الصحابة.

٢٢ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إنَّ موسى سأل ربَّه أن يطهِّر مسجده بهارون، وإنّي سألت ربّي أن يطهِّر مسجدي بك وبذريَّتك ثمَّ أرسل إلي أبي بكر أن سدّ بابك. فاسترجع، ثمَّ قال: سمعاً وطاعة. فسدَّ بابه، ثمَّ أرسل إلى عمر، ثمَّ أرسل إلى العبّاس بمثل ذلك، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب عليٍّ، ولكنَّ الله فتح باب عليّ وسدَّ أبوابكم.

أخرجه الحافظ البزّار. راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٨. السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٧٤.

٢٣ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: قال رسول الله ﷺ: انطلق فمرهم فليسدّوا أبوابهم. فانطلقت فقلت لهم ففعلوا إلاّ حمزة فقلت: يا رسول الله! فعلوا إلاّ حمزة. فقال رسول الله: قل لحمزة: فليحوِّل بابه. فقلت: إنَّ

رسول الله يأمرك أن تحوِّل بابك فحوَّله فرجعت إليه وهو قائمٌ يصلّي فقال: ارجع إلى بيتك.

أخرجه البزَّار بإسناد رجاله ثقات. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٤٠٨ وضعَّفه لمكان حبَّة العرني وقد مرَّ ج ١ ص ٤٦: انَّه ثقةٌ. والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤.

وأنت إذا أحطتَ خُبراً بهذه الأحاديث وإخراج الأئمَّة لها بتلك الطرق الصحيحة وشفعتها بقول ابن حجر في فتح الباري والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١ من: أنَّ كلَّ طريق منها صالحٌ للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، فهل تجد مساغاً لما يحسبه ابن تيميَّة من أنَّ الحديث من موضوعات الشيعة؟! فهل في هؤلاء أحد من الشيعة؟! أو أنَّ من المحتمل الجائز الذي يرتضيه أصحاب الرَّجل أن يكون في هذه الكتب شيءٌ من موضوعات الشيعة؟! وهل ينقم على الشيعة موافقتهم للقوم في إخراجهم الحديث بطرقهم المختصَّة بهم؟!.

وأنا لا أحتمل أنَّ الرَّجل لم يقف على هذه كلّها غير أنَّ الحنق قد أخذ بخناقه فلم يدع له سبيلاً إلاّ قذف الحديث بما قذف غير مكترث لما سيلحقه من جرّاء ذلك الافك من نقد ومناقشة، والمساءلة غداً عند الله أشدّ وأخزى وتبعه تلميذه المغفَّل ابن كثير في تفسيره ج ١: ٥٠١ فقال بعد ذكر [سدّوا كلَّ خوخة في المسجد إلاَّ خوخة أبي بكر]: ومن روى إلا باب عليّ كما في بعض السنن فهو خطأ والصّواب ما ثبت في الصحيح.

وقد بلغ من إخبات العلماء إلى حديث سدِّ الأبواب أنَّهم تحرّوا(١) وجه الجمع «وإن لم يكن مرضيّاً عندنا» بينه وبين الحديث الذي أورده في أبي بكر

---

(١) منهم: أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار، ابن كثير في تاريخه، ابن حجر في غير واحد من كتبه، السيوطي في اللئالي، القسطلاني في إرشاد الساري، العيني في عمدة القاري.

ولم يقذفه أحدٌ غير ابن الجوزي «شقيق ابن تيميَّة في المخاريق» بمثل ما قذفه ابن تيميَّة.

وهناك لأئمَّة القوم وحفّاظهم كلماتٌ ضافية حول الحديث وصحَّته والبخوع له لا يسعنا ذكر الجميع غير أنّا نقتصر منها على كلمات الحافظ ابن حجر قال في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ بعد ذكر ستَّة من الأحاديث المذكورة: هذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً وكلُّ طريق منها صالحةٌ للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم؛ وأعلّه ببعض من تكلّم فيه من رواته وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلّه أيضاً بأنّه مخالفٌ للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر. وزعم أنّه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر - انتهى - وأخطأ في ذلك خطأً شنيعاً فإنَّه سلك في ذلك ردَّ الأحاديث الصحيحة بتوهّمه المعارضة، مع أنَّ الجمع بين القصَّتين ممكنٌ وقد أشار إلى ذلك البزَّار في مسنده فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان في قصَّة عليٍّ، وورد من روايات أهل المدينة في قصَّة أبي بكر، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري يعني الذي أخرجه الترمذي: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: لا يحلُّ لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك. والمعنى: انَّ باب عليٍّ كان إلى جهة المسجد ولم يكن لبيته بابٌ غيره فلذلك لم يُؤمر بسدِّه، ويُؤيِّد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» من طريق المطلب بن عبدالله بن حنطب: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يأذن لأحد أن يمرَّ في المسجد وهو جنبٌ إلّا لعليٍّ بن أبي طالب لأنَّ بيته كان في المسجد. ومحصَّل الجمع: أنَّ الأمر بسدِّ الأبواب وقع مرَّتين ففي الاولى استثني عليٌّ لما ذُكر وفي الاخرى استثني أبو بكر، ولكن لا يتمّ ذلك إلّا بأن يُحمل ما في قصَّة عليٍّ الباب الحقيقيِّ وما في قصَّة أبي بكر على الباب المجازي والمراد به الخوخة كما صرَّح به في بعض طرقه، وكأنَّهم لَمّا أُمروا بسدِّ الأبواب سدّوها

وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها فأُمروا بعد ذلك بسدِّها، فهذه طريقةٌ لا بأس بها في الجمع بين الحديثين؛ وبها جمع بين الحديثين المذكورين أبو جعفر الطحاوي في «مشكل الآثار» وهو في أوائل الثلث الثالث منه، وأبو بكر الكلاباذي في «معاني الأخبار» وصرَّح بأنَّ بيت أبي بكر كان له بابٌ من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد وبيت عليٍّ لم يكن له بابٌ إلّا من داخل المسجد. والله أعلم.

وقال في القول المسدَّد ص ١٦. قول ابن الجوزي في هذا الحديث: انَّه باطلٌ وانَّه موضوعٌ. دعوى لم يُستدلّ عليها إلّا بمخالفة الحديث الّذي في الصحيحين، وهذا إقدامٌ على ردِّ الأحاديث الصحيحة بمجرَّد التوهّم، ولا ينبغي الإقدام على الحكم بالوضع إلّا عند عدم إمكان الجمع، ولا يلزم من تعذّر الجمع في مثل هذا أن يُحكم على الحديث بالبطلان، بل يُتوقَّف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له، وهذا الحديث من هذا الباب هو حديثٌ مشهورٌ له طرقٌ متعدِّدة كلُّ طريق منها على انفراده لا تقصر عن رتبة الحسن، ومجموعها ممّا يُقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث، وأمّا كونه معارضاً لما في الصحيحين فغير مسلّم ليس بينهما معارضة.

وقال في ص ١٩: هذه الطرق المتظافرة بروايات الثقات تدلُّ على أنَّ الحديث صحيحٌ دلالةً قويَّةً وهذه غاية نظر المحدِّث.

وقال في ص ١٩ بعد الجمع بين القضيَّتين: وظهر بهذا الجمع أن لا تعارض فكيف يُدَّعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرّد هذا التوهّم، ولو فُتح الباب لردِّ الأحاديث لادُّعي في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان لكن يأبى الله ذلك والمؤمنون. اهـ.

وأمّا ما استصحّه من حديث الخلّة والخوخة فهو موضوعٌ تجاه هذا الحديث كما قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٧: إنَّ سدَّ الأبواب كلن لعليٍّ عليه السَّلام فقلّبته البكريَّة إلى أبي بكر. وآثار الوضع فيه لائحةٌ لا تخفى على المنقِّب.

منها:

أنَّ الأخذ بمجامع هذه الأحاديث يُعطي خبراً بأنَّ الأبواب الشارعة في المسجد كان لتطهيره عن الأدناس الظاهريَّة والمعنويَّة فلا يمرُّ به أحدٌ جنباً ولا يجنب فيه أحدٌ. وأمّا ترك بابه صلّى الله عليه وآله وسلم وباب أمير المؤمنين عليه السَّلام فلطهارتهما عن كلِّ رجس ودنس بنصِّ آية التطهير، حتّى انَّ الجنابة لا تُحدث فيهما من الخبث المعنويِّ ما تُحدث في غيرهما كما يُعطي ذلك التنظير بمسجد موسى الذي سأل ربَّه أن يطهِّره لهارون وذريَّته، أو أنَّ ربَّه أمره أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا هو وهارون، وليس المراد تطهيره من الأخباث فحسب فإنَّه حكم كلِّ مسجد.

ويُعطيك خبراً بما ذكرناه ما مرَّ في الأحاديث من: أنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام كان يدخل المسجد وهو جنب[١] وربما مرَّ وهو جنبٌ[٢] وكان يدخل ويخرج منه وهو جنب[٣] وما ورد عن أبي سعيد الخدري من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا يحلُّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك[٤].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ألا إن مسجدي حرامٌ على كلِّ حائضٍ من النساء وكلِّ جنبٍ من الرِّجال إلّا على محمَّد وأهل بيته: عليّ وفاطمة والحسن والحسين[٥].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ألا لا يحلُّ هذا المسجد لجنب ولا

---

(١) راجع حديث ابن عباس ص ٢٥٦.

(٢) راجع لفظ جابر بن سمرة ص ٢٥٧.

(٣) راجع ما مر عن بريدة الأسلمي ص ٢٥٩.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٤، البيهقي في سننه ج ٧ ص ٦٦، البزار، ابن مردويه، ابن منيع في مسنده، البغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٦٧، ابن عساكر في تاريخه، محب الدين في الرياض ج ٢ ص ١٩٣، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٢، سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٢٥، ابن حجر في الصواعق، ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١٢، السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٥، البدخشي في نزل الأبرار ص ٣٧، الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤.

(٥) البيهقي في سننه ج ٧ ص ٦٥، الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٥.

لحائض إلّا لرسول الله ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بيَّنت لكم الاسماء أن لا تضلّوا. سنن البيهقي ج ٧ : ٦٥ .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ : أمّا أنت فإنّه يحلُّ لك في مسجدي ما يحلُّ لي ويحرم عليك ما يحرم عليَّ. قال له حمزة بن عبد المطلب: يا رسول الله أنا عمّك وأنا أقرب إليك من عليٍّ. قال: صدقت يا عمّ! إنّه والله ما هو عنّي، إنَّما هو عن الله تعالى[١].

وقول المطلب بن عبدالله بن حنطب، إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن أذن لأحد أن يمرَّ في المسجد ولا يجلس فيه وهو جنبٌ إلا عليّ بن أبي طالب لأنَّ بيته كان في المسجد[٢].

أخرجه الجصاص بالإسناد فقال: فأخبر في الحديث بحظر النبيِّ ﷺ الاجتياز كما حظر عليهم القعود، وما ذكر من خصوصيَّة عليٍّ رضي الله عنه فهو صحيحٌ، وقول الراوي: لأنّه كان بيته في المسجد ظنٌّ منه لأنَّ النبيّ ﷺ قد أمر في الحديث الأوَّل بتوجيه البيوت الشارعة إلى غيره ولم يبح لهم المرور لأجل كون بيوتهم في المسجد وإنَّما كانت الخصوصيَّة فيه لعليّ رضي الله عنه دون غيره، كما خصّ جعفر بأنَّ له جناحين في الجنَّة دون سائر الشهداء، وكما خصّ حنظلة بغسل الملائكة له حين قُتل جنباً، وخُصّ دحية الكلبي بأنَّ جبريل كان ينزل على صورته. وخُصّ الزبير بإباحة ملبس الحرير لَمّا شكا من أذى القمل، فثبت بذلك أنَّ سائر الناس ممنوعون من دخول المسجد مجتازين وغير مجتازين. اهـ.

فزبدة المخض من هذه كلّها :إنَّ إبقاءذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله لرسوله ممّا خصّ به مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلَّ نوع من

(١) أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة، ومن طريقه الحمويي في الفرائد في ب ٤١ .

(٢) أخرجه الجصاص في أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٨ ، والقاضي إسماعيل المالكي في أحكام القرآن كما في القول المسدد لابن حجر ص ١٩ وقال: مرسل قوي، ويوجد في تفسير الزمخشري ج ١ : ص ٣٦٦، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢ ، ونزل الأبرار ص ٣٧ .

الرَّجاسة، ويشهد لذلك حديث مناشدة يوم الشورى وفيه قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: أفيكم أحد يطهِّره كتاب الله غيري حتّى سدَّ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أبواب المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه حتّى قام إليه عمّاه حمزة والعبّاس وقالا: يا رسول الله! سددت أبوابنا وفتحت باب عليٍّ. فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: ما أنا فتحت بابه ولا سددت أبوابكم، بل الله فتح بابه وسدَّ أبوابكم؟ فقالوا: لا.

ولم يكن أبو بكر من أهل هذه الآية حتّى أن يُفتح له بابٌ أو خوخةٌ، فالفضل مخصوصٌ بمن طهَّره الكتاب الكريم.

(ومنها): أنّ مقتضى هذه الأحاديث أنَّه لم يبق بعد قصَّة سدِّ الأبواب بابٌ يُفتح إلى المسجد سوى باب الرَّسول العظيم وابن عمِّه، وحديث خوخة أبي بكر يصرِّح بأنَّه كانت هناك أبوابٌ شارعة وسيوافيك البعد الشاسع[1] بين القصَّتين، وما ذكروه من الجمع بحمل الباب في قصَّة أمير المؤمنين عليه السَّلام على الحقيقة، وفي قصَّة أبي بكر بالتجوز بإطلاقه على الخوخة، وقولهم: كأنَّهم[2] لمّا أُمروا بسدِّ الأبواب سدّوها وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها فأُمروا بعد ذلك بسدِّها، تبرُّعيٌّ لا شاهد له، بل يُكذِّبه أنَّ ذلك ما كان يتسنّى لهم نصب عين النبيِّ وقد أمرهم بسدِّ الأبواب لأن لا يدخلوا المسجد منها، ولا يكون لهم ممرٌّ به، فكيف يمكنهم إحداث ما هو بمنزلة الباب في الغاية المبغوضة للشارع، ولذلك لم يترك لعمَّيه: حمزة والعبّاس ممراً يدخلان منه وحدهما ويخرجان منه، ولم يترك لمن أراد كوَّةً يُشرف بها على المسجد، فالحكم الواحد لا يختلف باختلاف أسماء الموضوع مع وحدة الغاية، وإرادة الخوخة من الباب لا تُبيح المحظور ولا تُغيِّر الموضوع.

(ومنها): ما مرّ ص ٢٥٥ من قول عمر بن الخطّاب في أيّام خلافته: لقد أُعطي عليُّ بن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي خصلةٌ منها أحبّ إليَّ من

---

(١) يأتي أن الأول في أول الأمر والآخر في مرضه، حين بقي من عمره ثلاثة أيام أو أقل.

(٢) تجد هذه العبارة في فتح الباري ج ٧ ص ١٢. عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢. نزل الأبرار ص ٣٧.

أن أُعطى حمر النعم. الحديث. ومثله قول عبدالله بن عمر في صحيحته التي أسلفناها بلفظه ص ٢٠٣ فتراهما يعدّان هذه الفضائل الثلاث خاصّة لأمير المؤمنين لم يحظ بهنَّ غيره، لا سيّما أنَّ ابن عمر يرى في أوّل حديثه أنَّ خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ثمَّ أبوه لكنّه مع ذلك لا يشرك أبا بكر مع أمير المؤمنين عليه السَّلام في حديث الباب ولا الخوخة.

فلو كان لحديث أبي بكر مقيلٌ من الصحّة في الصحابة المشافهين لصاحب الرِّسالة صلّى الله عليه وآله وسلم والسامعين حديثه لما تأتّى منهما هذا السياق.

على أنَّ هذه الكلمة على فرض صدورها منه صلّى الله عليه وآله وسلم صدرت أيّام مرضه فما الفرق بينهما وبين حديث الكتف والدواة المرويّ في الصحاح والمسانيد، فلماذا يؤمن ابن تيميَّة ببعض ويكفر ببعض؟.

وشتان بين حديث الكتف والدواة وبين فتح الخوخة لأبي بكر فإنَّ الأوَّل كما هو المتسالم عليه وقع يوم الخميس، وحديث ابن عبّاس: يوم الخميس وما يوم الخميس لا يخفى على أيٍّ أحد. فأجازوا حوله ما قيل فيه (والنبيُّ يخاطبهم ويقول: لا ينبغي عندي تنازعٌ، دعوني فالَّذي أنا فيه خيرٌ ممّا تدعوني إليه. وأوصى في يومه ذاك بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم[1] فلم يقولوا في ذلك كلّه ما قيل في حديث الكتف والدواة).

وأمّا حديث سدِّ الخوخات ففي اللمعات: لا معارضة بينه وبين حديث أبي بكر لأنَّ الأمر بسدِّ الأبواب وفتح باب عليٍّ كان في أوّل الأمر عند بناء المسجد، والأمر بسدِّ الخوخات إلّا خوخه أبي بكر كان في آخر الأمر في مرضه حين بقي من عمره ثلاثة أو أقل[2] وقال العيني في عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢: إنّ حديث سدِّ الأبواب كان آخر حياة النبيِّ في الوقت الذي أمرهم أن لا يؤمّهم إلّا أبو بكر. والمتّفق عليه من يوم وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم

(١) طبقات ابن سعد ص ٧٦٣.
(٢) راجع هامش جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٤.

الإثنين. فعلى هذا يقع حديث الخوخة يوم الجمعة أو السبت وبطبع الحال إنَّ مرضه صلّى الله عليه وآله وسلم كان يشتدّ كلّما توغّل فيه، فما بال حديث الخوخة لم يحظ بقسطٍ ممّا حظي به حديث الكتف والدواة عند المقدّسين لمن قال قوله فيه؟ أنا أدري لِمَ ذلك، والمنجِّم يدري، والمغفَّل أيضاً يدري، وابن عبّاس أدرى به حيث يقول: الرزيَّة كلُّ الرزيَّة ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وممّا كذَّبه ابن تيميَّة من الحديث. قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي. قال: فإنَّ هذا موضوعٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث.

ج - كان حق المقام أن يقول الرَّجل: إنَّ هذا صحيحٌ باتِّفاق أهل المعرفة، غير أنّه راقه أن يموِّه على صحَّته، ويشوِّهه ببهرجته كما هو دأبه، أفهل يحسب الرَّجل أنَّ من أخرج هذا الحديث من أئمَّة فنِّه ليسوا من أهل المعرفة بالحديث؟ وفيهم إمام مذهبه أحمد بن حنبل أخرجه بإسناد صحيح، رجاله كلّهم ثقاتٌ قال:

حدّثنا عبد الرَّزاق حدثنا جعفر بن سليمان حدّثني يزيد الرشك عن مطرف ابن عبدالله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله سريَّة وأمَّر عليها عليَّ بن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمَّد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران: وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلّمنا عليه قال: فدخلوا عليه فقام رجلٌ منهم فقال: يا رسول الله! إنَّ عليّاً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثمَّ قام الثاني فقال: يا رسول الله! إنَّ عليّاً فعل كذا وكذا فأعرض عنه. ثمَّ قام الثالث فقال: يا رسول الله! إنّ عليّاً فعل كذا وكذا. ثمّ قام الرّابع فقال: يا رسول الله! إنَّ عليّاً فعل كذا وكذا. قال: فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغيَّر وجهه وقال: دعوا عليّاً دعوا عليّاً. دعوا عليّاً إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي.

وأخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن عبدالله بن عمر القواريري والحسن بن عمر الحمري والمعلّى بن مهدي كلّهم عن جعفر بن سليمان. وأخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير الطبري وصحّحه. وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٤. ومحبّ الدين الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٧١. والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٧٥ ولم يذكر صدره. وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٤. والسيوطي والمتّقي في الكنز ج ٦ ص ١٥٤، ٣٠٠ وصحّحه. والبدخشي في نزل الأبرار ٢٢.

صورة اخرى:

ما تريدون من عليٍّ؟! ما تريدون من عليٍّ؟! ما تريدون من عليٍّ؟! إنَّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي.

أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢٢٢ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقاتٌ. وكذلك النسائي في الخصائص ٢٣. الحاكم النيسابوري في المستدرك ج ٣ ص ١١١[١] وصحّحه وأقرّه الذهبي. أبو حاتم السجستاني. محبّ الدين في الرِّياض ج ٢ ص ٧١. ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وقال: إسنادٌ قويٌّ. السيوطي في الجمع كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢. البدخشي في نزل الأبرار ٢٢.

إسناد آخر:

أخرج أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس: إنّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ: أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي. تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٤٥، والإسناد كما مرَّ غير مرّة صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ.

فإن كان هؤلاء الحفّاظ والأعلام خارجين عن أهل المعرفة بالحديث، فعلى إسلام ابن تيميّة السَّلام. وإن كانوا غير داخلين في الاتِّفاق، فعلى معرفته العفاء. وإن كان لم يُحط خبراً بإخراجهم الحديث حين قال ما قال، فزهٍ بطول

(١) لفظة «ما تريدون من علي» في لفظ الحاكم غير مكررة.

باعه في الحديث. وإن لم يكن لا ذاك ولا هذا، فمرحباً بصدقه وأمانته على ودائع النبوَّة .

هذه نبذةٌ يسيرةٌ من مخاريق ابن تيميَّة، ولو ذهبنا إلى استيفاء ما في منهاج بدعته من الضَّلالات والأكاذيب والتحكّمات والتقوُّلات فعلينا أن نعيد استنساخ مجلداته الأربع ونردفها بمجلَّدات في ردِّها، ولم أجد بياناً يُعرب عن حقيقة الرَّجل، ويُمثِّلها للملأ العلميِّ، غير أنّي أقتصر على كلمة الحافظ ابن حجر في كتابه «الفتاوى الحديثيَّة» ص ٨٦ قال:

ابن تيميَّة عبدٌ خذله الله وأضلَّه وأعماه وأصمَّه وأذلَّه، وبذلك صرَّح الأئمَّة الَّذين بيَّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتَّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العزّ بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعيَّة والمالكيَّة والحنفيَّة، ولم يقصر اعتراضه على متأخِّري الصوفيَّة بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

والحاصل: أن لا يُقام لكلامه وزنٌ بل يُرمى في كلِّ وعرٍ وحزن، ويُعتقد فيه أنَّه مبتدعٌ ضالٌّ مضلٌّ غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين. (إلى أن قال): إنَّه قائلٌ بالجهة وله في إثباتها جزءٌ، ويلزم أهل هذا المذهب الجسميَّة والمحاذاة والاستقرار. أي. فلعلّه في بعض الأحيان كان يصرِّح بتلك اللوازم فنُسبت إليه، سيَّما وممَّن نسب إليه ذلك من أئمَّة الإسلام المتَّفق على جلالته وإمامته وديانته، وإنَّه الثقة العدل المرتضى المحقِّق المدقِّق، فلا يقول شيئاً إلاّ عن تثبّت وتحقّق ومزيد احتياطٍ وتحرٍّ، سيّما إن نسب إلى مسلم ما يقتضي كفره وردَّته وضلاله وإهدار دمه (الكلام).

﴿ويلٌ لكلِّ أفّاكٍ أثيمٍ يسمع آيات الله تُتلى عَليهِ
ثمَّ يُصِرُّ مُستكبِراً كأنْ لم يَسمعها فَبشِّره بِعذابٍ أليمٍ﴾
[سورة الجاثية/الآية ٧ - ٨]



٧ - البداية والنهاية

لا تنس ما لهذا الكتاب من التولّع في الفرية والتهالك دون القذائف والشتائم والطعن من غير مبرر، وأن رمية كل هاتيك الطامات الشيعة لا غيرهم؛ وبذلك أخرج كتابه من بساطة التاريخ إلى هملجة التحامل، والنعرات القوميّة والنزول على حكم العاطفة إلى غيرها مما يوجب تعكير الصفو، وإقلاق السلام، وتفريق الكلمة.

زد على ذلك محادّته لأهل البيت عليهم السلام ونصبه العداء لهم حتى إذا وقف على فضيلة صحيحة لأحدهم، أوجرى ذكر أوحديّ منهم، قذف الأولى بالطعن والتكذيب وعدم الصحة، وشنّ على الثاني غارة شأواء. كل ذلك بعد نزعته الأمويّة الممقوتة وإليك نماذج مما ذكر :

١ ـ قال: ذكر ابن إسحق وغيره من أهل السير والمغازي: انَّ رسول الله ﷺ آخى بينه «يعني عليّاً» وبين نفسه وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصحّ شيءٌ منها لضعف أسانيدها وركّة بعض متونها، قاله في (ج ٧ ص ٢٢٣) وقال في ص ٣٣٥ بعد روايته من طريق الحاكم: قلت: وفي صحّة هذا الحديث نظرٌ.

ج ـ إن القارىء إذ ما راجع ما مرّ في ص ١٤٨ ـ ١٦١ و٢١٩ ووقف هناك على طرق الحديث الكثيرة الصحيحة وثقة رجالها وإطباق الأئمّة والحفّاظ وأرباب السير على إخراجه وتصحيحه يعرف قيمة كلمة الرَّجل ومحلّه من الصِّدق، ويعلم أن لا وجه للنظر فيه إلّا بواعث ابن كثير واندفاعه إلى مناوأة أهل

(*) تأليف الحافظ عماد الدين أبي الفداء ابن كثير الدمشقي المتوفّى سنة ٧٧٤.

البيت الناشيء عن نزعته الأمويَّة، والمتربّي في عاصمة الأمويِّين المتأثِّر بنزعاتهم الأهوائيَّة، لا ينقطع عن الوقيعة في مناقب سيِّد هذه الامَّة بعد نبيِّها المتسالم عليها، فدعه وتركاضه مع الهوى.

٢ - ذكر حديث الطير المتواتر الصحيح الذي خضع لتواتره وصحَّته أئمَّة الحديث ثمَّ تخلّص منه بقوله ص ٣٥٣: وبالجملة ففي القلب من صحّة هذا الحديث نظرٌ وإن كثرت طرقه والله أعلم.

ج - هذا قلبٌ طبع الله عليه وإلّا فما وجه ذلك النظر بعد تمام شرائط الصحَّة فيه؟! وليس من البدع أن يكون أيُّ أحدٍ من الناس أحبَّ الخلق إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وليس لأحد حقّ النَّقد ولا الاعتراض عليه فكيف بمثل أمير المؤمنين عليه السَّلام الذي لا تُنكر سابقته وفضائله، وهو نفسه وابن عمِّه وأخوه من دون الناس، وزُلفته إليه وقربه منه ومكانته واختصاصه به وتهالكه دون دينه الحنيف،كلّها من الواضح الذي لا يُجلّله أيُّ ستارٍ، وسنوقفك على الحديث وطرقه المتكثّرة الصحيحة، ونعرِّفك هناك أنَّ النظر في صحَّته شارة الأمويَّة، وسمة رين القلب، واتِّباع الهوى.

٣ - قال: وما يتوهَّمه بعض العوام بل هو مشهورٌ بين كثير منهم: أن عليّاً هو السّاقي على الحوض. فليس له أصلٌ ولم يجيء من طريق مرضيٍّ يُعتمد عليه، والذي ثبت: أنَّ رسول الله ﷺ هو الذي يسقي النّاس ج ٧ ص ٣٥٥.

ج - لا يحسب القاريء أنّ هذا وهمٌ من رأي العوام فحسب، وقد أفك الرجل في حكمه الباتّ، وقد جاء الحديث بطريق مرضيٍّ يُعتمد عليه، وأخرجه الحفّاظ الأثبات مخبتين إليه، راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٣٧٢.

٤ - ذكر في ج ٧ ص ٣٣٤ حديثاً صحيحاً بإسناد الإمام أحمد الترمذي في إسلام أمير المؤمنين وأنَّه أوّل من أسلم وصلّى، ثمَّ أردفه بقوله: وهذا لا يصحُّ من أيِّ وجهٍ كان روي عنه. وقد ورد في أنّه أوّل من أسلم من هذه الامَّة أحاديثُ كثيرةٌ لا يصحّ منها شيءٌ الخ.

ج ـ ألا مسائلٌ هذا الرَّجل لِمَ لا يصحُّ شيءٌ منها من أيّ وجهٍ كان؟! والطرق صحيحةٌ، والرِّجال ثقاتٌ، والحفاظ حكموا بصحَّته، وأرباب السير أطبقوا عليه، وكان من المتسالم عليه بين الصَّحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان.

ونحن لو نقتصر على كلمتنا هذه يحسبها القارىء دعوى مجرَّدة لدة دعوى ابن كثير (أعاذنا الله عن مثلها) وتخفى عليه جليَّة الحال فيهمّنا ذكرُ نزر ممّا يدلُّ على المدَّعى وإن لم يسعنا إيراد كثير منه روماً للاختصار.

النصوص النبوية:

١ ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلم: أوَّلكم وارداً ـ وروداً ـ على الحوض أوَّلكم إسلاماً عليُّ بن أبي طالب.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ وصحَّحه والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ويوجد في. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

وفي لفظ: أوَّل هذه الامّة وروداً على الحوض أوَّلها إسلاماً عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٥. سيرة زيني دحلان ج ١ ص ١٨٨ هامش الحلبيَّة.

وفي لفظ: أوَّل الناس وروداً على الحوض أوَّلهم إسلاماً عليُّ بن أبي طالب مناقب الفقيه ابن المغازلي. مناقب الخوارزمي.

٢ ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: زوجتكِ خير امَّتي أعلمهم علماً. وأفضلهم حلماً. وأوَّلهم سلماً. راجع ما مرَّ ص١٢٩.

٣ ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: إنَّه لأوَّل أصحابي إسلاماً. أو: أقدم امَّتي سلماً.

حديث صحيح راجع ص ١٢٩

٤ ـ أخذ صلّى الله عليه وآله وسلم بيد عليٍّ فقال: إنَّ هذا أوَّل من آمن بي، وهذا أوَّل من يُصافحني يوم القيامة، وهذا الصدِّيق الأكبر. راجع الجزء الثاني ص ٣٦٣، ٣٦٤.

٥ ـ عن أبي أيّوب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يُصلّي غيرنا.

مناقب الفقيه ابن المغازلي بإسنادين. اسدالغابة ج ٤ : ١٨ مناقب الخوارزمي وفيه: ولِمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: لم يكن معي من الرجال غيره. كتاب الفردوس للديلمي. شرح ابن أبي الحديد عن رسالة الإسكافي ج ٣ ص ٢٥٨. فرائد السمطين ب ٤٧.

٦ ـ ابن عبّاس قال: قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ أوَّل من صلّى معي عليٌّ.

[فرائد السمطين الباب الـ ٤٧ بأربع طرق]

٧ ـ معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليُّ! أخصمك بالنبوَّة ولا نبوَّة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يُجاحدك فيه أحدٌ من قريش، أنت أوَّلهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. الحديث. (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦).

٨ ـ أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ ـ وضرب بين كتفيه ـ: يا عليُّ لك سبع خصال لا يُحاجّك فيهنَّ أحدٌ يوم القيامة؛ أنت أوَّل المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. الحديث (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦).

٩ ـ من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند الشعبي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لعليّ عليه السَّلام: هذا أوّل من آمن بي وصدَّقني وصلّى معي. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٦.

١٠ ـ إنَّ أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فردَّهما رسول الله ﷺ وقال: لم أُومر بذلك. فخطبها عليٌّ فزوَّجه إيّاها وقال لها: زوَّجتكِ أقدم الامَّة إسلاماً. روى هذا الحديث جماعةٌ من الصحابة منهم: أسماء بنت عميس. وامّ أيمن. وابن عبّاس. وجابر بن عبدالله، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٧.

كلمات أمير المؤمنين عليه السَّلام

١ ـ قال عليه السَّلام: أنا عبدالله، وأخو رسول الله، وأنا الصِّديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كاذبٌ؛ ولقد صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، وأنا أوَّل من صلّى معه.

إسناده من طريق ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجة والحاكم والطبري[١] صحيحٌ رجاله ثقات، راجع الجزء الثاني من كتابنا ٣٦٤.

٢ ـ قال عليه السَّلام: أنا أوَّل رجل أسلم مع رسول الله ﷺ.

أخرجه أبو داوود بإسناده الصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

٣ ـ قال عليه السَّلام: أنا أوّل من أسلم مع النبيِّ ﷺ.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٢٣٤.

٤ ـ قال عليه السَّلام: أنا أوَّل من صلّى مع رسول الله ﷺ.

أخرجه أحمد والحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رجاله رجال الصحيح غير حبَّة العرني وقد وثق. وأخرجه أبو عمرو في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨. وابن قتيبة في «المعارف» ص ٧٤ من طريق أبي داود عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن حبّة عنه عليه السَّلام. والإسناد صحيحٌ رجاله ثقاتٌ.

٥ ـ قال عليه السَّلام أسلمت قبل أن يسلم النّاس بسبع سنين. «الرِّياض

---

(١) في تاريخه ج ٢ ص ٢١٣.

النضرة» ج ٢ ص ١٥٨.

٦ - قال عليه السَّلام: عبدت الله مع رسول الله ﷺ سبع سنين قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الامَّة. «مستدرك الحاكم» ج ٣ ص ١١٢.

٧ - قال عليه السَّلام: عن حكيم مولى زاذان قال: سمعت عليّاً يقول: صلّيت قبل النّاس سبع سنين، وكنّا نسجد ولا نركع، وأوّل صلاة ركعنا فيها صلاة العصر. شرح (ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨).

٨ - قال عليه السَّلام: عبدت الله قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الامَّة خمس سنين. الاستيعاب، ج ٢ ص ٤٤٨. الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨. السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٨.

٩ - قال عليه السَّلام: آمنت قبل الناس سبع سنين. خصائص النسائي ص ٣.

١٠ - قال عليه السَّلام: ما أعرف أحداً من هذه الامَّة عبدالله بعد نبيِّنا غيري، عبدتُ الله قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الامَّة تسع سنين. خصائص النسائي ص ٣.

١١ - من خطبة له عليه السَّلام يوم صفِّين: وابن عمِّ نبيِّكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى طاعة ربِّكم، ويعمل بسنَّة نبيِّكم صلّى الله عليه. فلا سواء من صلّى قبل كلِّ ذَكر لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله. كتاب نصر ص ٣٥٥. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٣.

١٢ - قال عليه السَّلام: اللهمَّ لا أعرف عبداً من هذه الأُمَّة عبدك قبلي غير نبيِّك [قاله ثلاث مرّات] ثمَّ قال: لقد صلّيت قبل أن يُصلّي الناس. وفي لفظٍ: قبل أن يُصلّي أحدٌ. أخرجه أحمد. أبو يعلى. البزّار. الطبراني. الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٢ وقال: إسناده حسنٌ. شيخ الإسلام الحمّويي في الفرائد الباب الـ ٤٨.

١٣ - من كتاب له عليه السَّلام كتبه إلى معاوية: إنَّ أولى النّاس بأمر هذه

الامَّة قديماً وحديثاً أقربها من رسول الله، وأعلمها بالكتاب، وأفقهها في الدين، وأوَّلها إسلاماً، وأفضلها جهاداً. كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٦٨ ط مصر.

١٤ ـ في حديث عنه عليه السَّلام: لا والله إن كنت أوَّل من صدَّق به فلا أكون أوَّل من كذب عليه. المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٣٦. تاريخ القرماني هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٨.

١٥ ـ قال عليه السَّلام: بُعث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء.

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢. تاريخ القرماني ج ١ ص ٢١٥. الصواعق ٧٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٢. إسعاف الراغبين ١٤٨.

١٦ ـ من كتاب كتبه عليه السَّلام إلى معاوية: إنَّ محمَّداً ﷺ لَمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوَّل من آمن به وصدَّق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرَّمة (أي كاملة) وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا. كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٠٠.

١٧ ـ قال عليه السَّلام يوم صفِّين مخاطباً أصحاب معاوية: ويحكم أنا أوَّل من دعا إلى كتاب الله، وأوَّل مَن أجاب إليه. كتاب نصر ٥٦١.

١٨ ـ قالت معاذة بنت عبدالله العدويَّة: سمعت عليَّ بن أبي طالب على منبر رسول الله ﷺ يقول: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يُؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. راجع الجزء الثاني ص ٣٦٤.

١٩ ـ قال عليه السَّلام في خطبة خطبها في معسكر صفِّين: أتعلمون أنّ الله فضَّل في كتابه السابق على المسبوق، وأنه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحدٌ من الأُمَّة؟!؟! قالوا: نعم راجع الجزء الأوَّل ص ٢٠٧.

٢٠ ـ قال عليه السَّلام صلّيت مع رسول الله ﷺ ثلاث سنين قبل أن يُصلّي معه أحدٌ من النّاس. أخرجه أحمد بإسنادين.

٢١ ـ قال عليه السَّلام يوم الشورى في حديث أسلفناه: أمنكم أحدٌ وحَّد الله قبلي؟ قالوا: لا. أمنكم أحدٌ صلّى القبلتين غيري؟ قالوا: لا. راجع ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٣، وهذه الفقرة من الحديث عدَّها ابن أبي الحديد ممّا استفاضت به الرِّوايات.

٢٢ ـ مرَّ في الجزء الثاني ص ٤٠ في أبيات له عليه السَّلام كتبها إلى معاوية:

سبقتكمُ إلى الإسلام طرّاً غلاماً ما بلغت أوان حلمي

٢٣ ـ ذكر ابن طلحة الشافعي في مطالب السئول ص ١١ له عليه السَّلام:

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نسبي به رُبيت وسبطاه هما ولدي
صدَّقته وجميع النّاس في بُهمٍ من الضَّلالة والإشراك والنكدِ

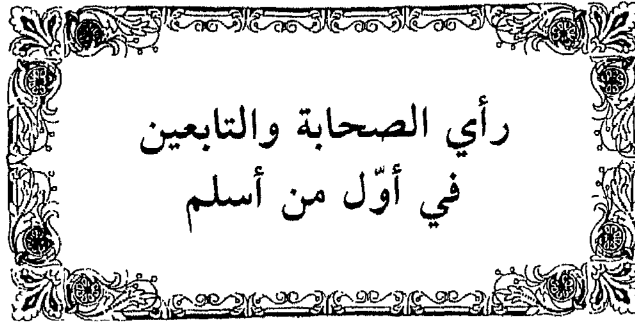
قال: قال جابر: سمعت عليّاً يُنشد بهذا ورسول الله يسمع: فتبسَّم رسول الله وقال: صدقت يا عليّ!.

كلمة الإمام السبط الحسن عليه السَّلام:

٢٤ ـ من خطبة للإمام الحسن عليه السَّلام في مجلس معاوية قوله: أُنشدكم الله أيّها الّهط! أتعلمون أنَّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما؟ وأنت يا معاوية بهما كافرٌ، تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزّى غواية؛ وأُنشدكم الله هل تعلمون أنّه بايع البيعتين كلتيهما: بيعة الفتح وبيعة الرضوان؟ وأنت يا معاوية بإحداهما كافرٌ، وبأُخرى ناكثٌ. وأُنشدكم الله هل تعلمون أنَّه أوَّل الناس إيماناً؟! وأنَّك يا معاوية وأباك من المؤلَّفة قلوبهم.

شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠١

٢٥ ـ وفي خطبة له عليه السَّلام مرَّت ج ١ ص ٢٤١: فلمّا بعث الله محمّداً للنبوَّة، واختاره للرِّسالة، وأنزل عليه كتابه ثمَّ أمره بالدعاء إلى الله، فكان أبي أوَّل من استجاب لله ولرسوله، وأوَّل من آمن وصدَّق الله ورسوله ﷺ وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيِّه المرسل: أفمن كان على بيِّنةٍ من ربِّه ويتلوه شاهدٌ منه. فجدّي الَّذي على بيِّنةٍ من ربِّه، وأبي الذي يتلوه وهو شاهدٌ منه.



رأي الصحابة والتابعين في أوّل من أسلم

١ ـ أنس بن مالك قال: نُبّيء (بُعث) النبيُّ ﷺ بوم الإثنين وأسلم عليٌّ يوم الثُّلاثاء. وفي لفظ له: بُعث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء.

أخرجه الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٤. الطبراني. الحاكم في المستدرك ج ٣ ص١١٢. ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٢. ابن الأثير في جامع الاصول كما في تلخيصه تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١. الحمّويي في فرائد السمطين الباب الـ ٤٧. وأوعز إليه العراقي في التقريب ج ١ ص ٨٥. ويوجد في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨. تذكرة السبط ٦٣. السراج المنير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢٤. شرح المواهب ج ١ ص ٢٤١.

٢ ـ بُريدة الأسلمي قال: أُوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء. أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٢ وصحّحه هو وأقره الذهبي.

٣ ـ زيد بن أرقم قال: أوّل من أسلم مع رسول الله عليّ بن أبي طالب.

تاريخ الطبري بإسنادين صحيحين رجالهما ثقات. مسند أحمد ج ٤ ص ٣٦٨. مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٣٦ وصحّحه هو وأقرّه الذهبي. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٤ ـ زيد بن أرقم قال: أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ عليٌّ.

أخرجه أحمد والطبراني كما في مجمع الهيثمي ج ٩ ص ١٠٣ وقال: رجال أحمد رجال الصحيحين. أبو عمرو في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩.

٥ ـ زيد بن أرقم قال: أوَّل من آمن بالله بعد رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩.

٦ ـ عبدالله بن عبّاس قال: أوَّل من صلّى عليٌّ.

جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٥. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤١ بإسناد صحيح. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٦.

٧ ـ عبدالله بن عبّاس قال: لعليٍّ أربع خصال ليست لأحد: هو أوَّل عربيٍّ وأعجميٍّ صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧.

٨ ـ عبدالله بن عبّاس قال مجاهد: إنَّه قال: أوَّل من ركع مع النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم عليٌّ بن أبي طالب فنزلت فيه هذه الآية: ﴿**أقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكوة واركعوا مع الراكعين**﴾. تذكرة السبط ٨.

٩ ـ عبدالله بن عبّاس قال في خطبة له: إنَّ ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على عليٍّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وصهره وأوَّل ذكر صلّى معه.

كتاب صفِّين لابن مزاحم ٣٦٠ شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤ جمهرة الخطب ج ١ ص ١٧٥.

١٠ ـ عبدالله بن عبّاس قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعليّ في القرآن على كلّ مسلم بقوله تعالى: ﴿**ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾. فكلُّ من أسلم بعد عليٍّ فهو يستغفر لعليٍّ. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٦.

١١ ـ عبدالله بن عبّاس قال: أوّل من أسلم عليٌّ بن أبي طالب.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢.

١٢ ـ عبدالله بن عبّاس قال: كان عليٌّ أوّل من آمن من النّاس بعد خديجة رضي الله عنهما.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ وقال: قال أبو عمرو رضي الله عنه: هذا إسنادٌ لا مطعن فيه لأحد لصحَّته وثقة نقلته. وصحَّحه الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢.

١٣ ـ كان ابن عبّاس بمكّة يُحدِّث على شفير زمزم ونحن عنده فلمّا قضى حديثه قام إليه رجلٌ فقال: يا بن عبّاس! إنّي امرؤٌ من أهل الشام من أهل حمص إنَّهم يتبرَّؤون من علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ويلعنونه. فقال: بل لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّلهم عذاباً مهيناً. أَلِبُعدِ قرابته من رسول الله ﷺ؟ وأنَّه لم يكن أوّل ذكران العالمين إيماناً بالله ورسوله؟ وأوَّل من صلّى وركع وعمل بأعمال البرّ؟ قال الشافعي: إنَّهم والله ما يُنكرون قرابته وسابقته غير أنَّهم يزعمون أنّه قتل الناس. الحديث. المحاسن والمساوىء للبيهقي ج ١ ص ٣٠ .

١٤ ـ عفيف قال: جئت في الجاهليَّة إلى مكّة وأنا أُريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فأتيت العبّاس بن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً فأنا عنده جالسٌ حيث أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السَّماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شابٌّ فرمى ببصره إلى السَّماء ثمَّ قام مستقبل الكعبة ثمَّ لم ألبث إلّا يسيراً حتّى جاء غلامٌ فقام على يمينه، ثمَّ لم يلبث إلّا يسيراً حتّى جاءت امرأةٌ فقامت خلفهما، فركع الشابُّ فركع الغلام والمرأة، فرفع الشابُّ فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشابُّ فسجد الغلام والمرأة فقلت: ياعبّاس! أمرٌ عظيمٌ. قال العبّاس: أمرٌ عظيمٌ، أتدري مَن هذا الشابُّ؟ قلت: لا. قال: هذا محمَّد بن عبدالله ابن أخي. أتدري مَن هذا الغلام؟ هذا عليٌّ ابن أخي. أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إنَّ ابن أخي هذا أخبرني أنَّ ربَّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على الأرض كلّها أحدٌ على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

خصائص النسائي ٣. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١. الرِّياض النضرة ج ٢

ص ١٥٨ الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩. عيون الأثر ج ١ ص ٩٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢. السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٨.

١٥ - سلمان الفارسي قال: أوَّل هذه الامَّة وروداً على نبيِّها الحوض أوَّلها إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ وقال: رجاله ثقاتٌ وعدَّه الاسكافي في رسالته على العثمانيَّة. وأبو عمرو في الاستيعاب. والعراقيُّ في شرح التقريب ج ١ ص ٨٥. والقسطلاني في المواهب ج ١ ص ٤٥ ممَّن روى أنَّ عليّاً أوَّل من أسلم.

١٦ - أبو رافع قال: صلّى النبيُّ ﷺ أوَّل يوم الإثنين وصلّت خديجة آخره وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء من الغد.

أخرجه الطبراني كما في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٠. عيون الأثر ج ١ ص ٩٢. وتجده وسابقه في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

١٧ - أبو رافع قال: مكث عليٌّ يصلّي مستخفياً سبع سنين وأشهراً قبل أن يصلّي أحدٌ. وأخرجه الطبراني. الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٣. الحمّويي في الفرائد ب ٤٧.

١٨ - أبو ذرّ الغفاري، عدَّ ممَّن روى أنَّ عليَّ بن أبي طالب أوَّل من أسلم.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. التقريب وشرحه ج ١ ص ٨٥. المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٥.

١٩ - خباب بن الأرت قال: رأيت عليّاً يُصلّي قبل الناس مع النبيِّ وهو يومئذ بالغٌ مستحكم البلوغ. رسالة الاسكافي. وعُدَّ ممَّن روى أنَّ عليّاً أوَّل مَن أسلم في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. والمواهب اللدنية ج ١ ص ٤٥.

٢٠ ـ المقداد بن عمرو الكندي، ممّن روى أنَّ عليّاً أوّل من أسلم كما في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. والتقريب وشرحه ج ١ ص ٨٥. والمواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٥.

٢١ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: بُعث النبيُّ ﷺ يوم الإثنين وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء. الطبري ج ٢ ص ٢١١. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨. وعدَّه أبو عمرو والعراقيُّ والقسطلاني ممَّن روى أنَّ عليّاً أوَّل من أسلم.

٢٢ ـ أبو سعيد الخدري روى أَنَّ عليَّ بن أبي طالب أوَّل من أسلم. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. شرح التقريب ج ١ ص ٨٥. المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٥.

٢٣ ـ حذيفة بن اليمان قال: كنّا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعليّ من أبناء أربع عشرة سنة قائمٌ يصلّي مع النبيِّ ليلاً ونهاراً، وقريش يومئذ تسافه رسول الله ﷺ ما يذبُّ عنه إلّا عليٌّ. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

٢٤ ـ عمر بن الخطاب قال عبدالله بن عبّاس: سمعت عمر وعنده جماعةٌ فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله يقول: فيه ثلاث خصال. لوددت أن تكون لي واحدة منهنَّ، وكانت أحبّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبيُّ ﷺ على منكب عليٍّ رضي الله عنه فقال له: يا عليُّ! أنت أوَّل المؤمنين إيماناً، وأوَّل المسلمين إسلاماً. وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى. رسالة الإسكافي. مناقب الخوارزمي. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

٢٥ ـ عبد الله بن مسعود قال: أوّل حديث علمته من أمر رسول الله ﷺ أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي (وذكر مثل حديث عفيف المذكور ص ٢٨١) رسالة الإسكافي.

٢٦ ـ أبو أيّوب الأنصاري، أخرج الطبراني عنه أنّه قال: أوَّل الناس

إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب. شرح التقريب ج ١ ص ٨٥. شرح الزرقاني ج ١ ص ٢٤٢.

٢٧ - أبو مرازم يعلى بن مرَّة، عدَّه الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢ ممَّن قال: إنَّ علياً أوَّل الناس إسلاماً.

٢٨ - هاشم بن عُتبة المرقال قال: أنت يا أمير المؤمنين، أقرب الناس من رسول الله رحماً، وأفضل الناس سابقة وقدماً. كتاب نصر ١٢٥. جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥١.

٢٩ - في كلام لهاشم بن عُتبة يوم صفِّين: إنَّ صاحبنا هو أوَّل من صلّى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله.

كتاب نصر ٤٠٣ تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤. الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥. وقال هاشم يوم صفِّين:

مع ابن عمّ أحمد المعلّى ... فيه الرَّسول بالهدى استهلّا
أوّل من صدّقه وصلّى ... فجاهد الكفّار حتى أبلى[1]

٣٠ - مالك بن الحارث الأشتر قال في خطبة له: معنا ابن عمّ نبيِّنا وسيفٌ من سيوف الله عليُّ بن أبي طالب، صلّى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة ذَكَر، حتّى كان شيخاً لم يكن له صبوةٌ ولا نبوةٌ ولا هفوةٌ، فقيهٌ في دين الله، عالمٌ بحدود الله.

كتاب نصر ٢٦٨. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤. جمهرة الخطب ج ١ ص ١٨٣.

٣١ - عديّ بن حاتم قال في خطبة له مخاطباً معاوية: ندعوك إلى أفضل الامَّة سابقة، وأحسنها في الإسلام آثاراً.

كتاب نصر ٢٢١. تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٧١ ط مصر.

ص ٣٤٤. وفي لفظ ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٤: إنَّ ابن عمِّك سيِّد المسلمين أفضلها سابقةً.

٣٢ ـ عديّ بن حاتم قال في خطبة اخرى له: إن كان له (لعليّ) عليكم فضلٌ فليس لكم مثله فسلّموا وإلّا فنازعوا عليه، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة، إنَّه لأعلم الناس بهما. ولئن كان إلى الإسلام، إنّه لأخو نبيٍّ الله والرأس في الإسلام.الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٣.

٣٣ ـ محمّد بن الحنفيَّة قال سالم بن أبي الجعد قلت له: أبو بكر كان أوَّلهم إسلاماً؟! قال: لا. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨. إذا ثبت أنَّ أبا بكر لم يكن أوَّل الناس إسلاماً فعليٌّ عليه السَّلام هو المتعيَّن سبق إسلامه.

٣٤ ـ طارق بن شهاب الأحمسي في كلام له: ثمَّ قلت: ادع عليّاً وهو أوَّل المؤمنين إيماناً بالله وابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ووصيّه، هذا أعظم، الحديث. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٧٦.

٣٥ ـ عبدالله بن هاشم المرقال قال في خطبة له: يا أيّها النّاس! إنَّ هاشماً جاهد في طاعة ابن عمّ رسول الله، وأوَّل من آمن به؛ وأفقههم في دين الله. كتاب نصر ٤٠٥.

٣٦ ـ عبدالله بن حجل قال: يا أمير المؤمنين، أنت أوَّ لنا إيماناً، وآخرنا بنبيِّ الله عهداً. الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٣، كتاب نصر.

٣٧ ـ أبو عمرة بشير بن محصن قال في جمع من أصحاب عليٍّ ومعاوية: إنَّ صاحبي أحقّ البريَّة كلّها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من رسول الله. كتاب نصر ٢١٠.

٣٨ ـ عبدالله بن خباب بن الأرت قال ابن قتيبة: إنّ الخارجة الَّتي خرجت على عليٍّ بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ مؤمنٌ، قالوا: فما تقول في عليِّ بن أبي طالب؟ قال: أقول: إنَّه أمير المؤمنين وأوَّل المسلمين إيماناً بالله ورسوله.

قالوا: فما اسمك؟ قال: وأنا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ.

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢٢.

٣٩ - عبدالله بن بُريدة قال: أوَّل الرِّجال إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب ثمّ الرهط الثلاث: أبو ذر وبُريدة وابن عمّ لأبي ذرّ. أخرجه محمّد بن إسحق المدني في الجزء الأوَّل من المغازي.

٤٠ - محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية كتاباً منه: فكان أوّل من أجاب وأناب، وصدّق ووافق، وأسلم وسلم أخوه وابن عمّه عليٌّ بن أبي طالب - إلى أن قال -: أوَّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيَّة - إلى قوله - يا لك الويل! تعدل نفسك بعليٍّ وهو وارث رسول الله ووصيّه وأبو ولده، وأوّل الناس له اتِّباعاً، وآخرهم به عهداً، يُخبره بسرِّه، ويشركه في أمره. نصر في كتاب صفّين ١٣٣.

٤١ - عمرو بن الحمق قال لعليٍّ: أحببتك لخصال خمس: إنَّك ابن عمِّ رسول الله وأوَّل من آمن به. وفي لفظ: وأسبق النّاس إلى الإسلام، أبو الذريَّة التي بقيت فينا من رسول الله، وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد. كتاب صفِّين ١١٥ جمهرة الخطب ج ١ ص ١٤٩.

٤٢ - سعيد بن قيس الهمداني يرتجز في صفِّين بقوله[1].

هذا عليٌّ وابن عمِّ المصطفى ... أوَّل من أجابه ممَّن دعا
هذا الإمام لا يُبالي من غوى

٤٣ - عبدالله بن أبي سفيان قال مجيباً الوليد:

وإنَّ وليَّ الأمر بعد محمّدٍ ... عليٌّ وفي كلِّ المواطن صاحبه
وصيُّ رسول الله حقّاً وصنوه ... وأوّل من صلّى ومن لان جانبه

---

(١) رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩، وذكره غيره لقيس بن سعد بن عبادة.

رسالة الإسكافي، وذكرهما الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٤٨ للفضل ابن العبّاس .

٤٤ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري عدّه العراقي في شرح التقريب ج ١ ص ٨٥، والزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢ ممّن قال بأنّ عليّاً أوّل الناس إسلاماً. وقالا : أنشد المرزبان له في عليٍّ :

أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعلم النّاس بالقرآن والسنن؟؟

وذكر له الإسكافي في رسالته كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩ :

وصيُّ رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزمنْ
وأوّل من صلّى من الناس كلّهم سوى خيرة النسوان والله ذو المننْ

وذكرهما له الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٤، وذكر قبلهما :

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا أبو حسن ممّا نخاف من الفتنْ
وجدناه أولى النّاس بالنّاس إنّه أطبّ قريش بالكتاب وبالسننْ(١)

٤٥ ـ كعب بن زهير، ذكر الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢ له من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السَّلام :

إنَّ عليّاً لميمون نقيبته بالصّالحات من الأفعال مشهورُ
صهر النبيِّ وخير الناس كلّهمُ فكلّ من رامه بالفخر مفخورُ
صلّى الصلاة مع الامّي أوّلهم قبل العباد وربُّ الناس مكفورُ(٢)

٤٦ ـ ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، ذكر جمعٌ من الأعلام له أبيات وذكرها آخرون لغيره وهي :

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرفٌ عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسنِ

---

(١) ولهذه الأبيات بقية توجد في الفصول المختارة ج ٢ ص ٦٧ .
(٢) في النسخة تصحيف ذكرناها صحيحة .

أليس أوَّل من صلّى لقبلتـهم ؟! وأعلم النّاس بالآيـات والسننِ؟!
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومَن جبريل عون له في الغسل والكفنِ؟
مَن فيه ما فيهمُ ما تمترون بـه؟! وليس في القوم مافيه من الحسنِ
مـاذا الذي ردَّكم عنـه فنعلمه هـا إنَّ بيعتكـم من أوَّل الـفتـنِ

وذكـر الإسكـافي في رسـالتـه البيتين الأوَّلين منهـا ونسبهمـا إلى أبي سليمان بن حرب بن اميَّة بن عبد شمس حين بويع أبـو بكر. شـرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩ .

٤٧ ـ الفضل بن أبي لهب قال ردّاً على قصيدة الوليد بن عقبة:

ألا إنَّ خير النّاس بعد محمّدٍ مهيمنه التاليه في العرف والنكرِ
وخيـرتـه في خيبـر ورسـولـه بنبذ عهود الشرك فوق أبي بكرِ
وأوَّل من صلَّى وصنـو نبيِّـه وأوَّل من أردى الغواة لدى بدرِ
فذاك عليٌّ الخير من ذا يفوقه؟! أبو حسن حلف القرابة والصهرِ

٤٨ ـ مالك بن عبادة الغافقي حليف حمزة بن عبد المطلب قال:

رأيت عليّـاً لا يلبّث قـرنـه إذا ما دعاه حاسراً أو مسربلا
فهذا وفي الإسلام أوَّل مسلم وأوَّل من صلّى وصام وهلّلا

٤٩ ـ أبو الأسود الدؤلي يهدِّد طلحة والزبير بقوله:

وإنَّ عليّـاً لكم مصـحـرٌ يـمـاثله الأسـد الأسـودُ
أمـا إنّـه أوَّل العـابـدين بمكّـة والله لا يُـعـبـدُ(١)

٥٠ ـ جندب بن زهيـر كان يرتجز يوم صفِّين بقوله:

هذا عليٌّ والهدى حقّاً معه يا ربِّ فاحفظه ولا تضيِّعه
فـإنّه يخشـاك ربّي فارفعـه نحن نصرناه على مَن نازعه
صهر النبيِّ المصطفى قد طاوعه أوّل من بايعه وتابعه(٢)

(١) رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩ .
(٢) كتاب نصر بن مزاحم ص ٤٥٣ .

٥١ - زفر بن يزيد[1] بن حذيفة الأسدي قال:

فحوطوا عليّاً فانصروه فإنّه ... وصيٌّ وفي الإسلام أوّل أوّلُ
وإن تخذلوه والحوادث جمّة ... فليس لكم عن أرضكم متحوّل[2]

٥٢ - النجاشي بن الحارث بن كعب قال:

فقل للمضلّل من وائل ... ومن جعل الغثّ يوماً سمينا
جعلت ابن هند وأشياعه ... نظير عليٍّ أما تستحونا؟!
إلى أوّل النّاس بعد الرسول ... أجاب النبيّ من العالمينا
صهر النبيِّ المصطفى قد طاوعه ... أوّل من بايعه وتابعه[2]

٥٣ - جرير بن عبدالله البجلي قال:

فصلّى الإلّه على أحمد ... رسول المليك تمام النعمْ
وصلّى على الطهر من بعده ... خليفتنا القائم المدَّعمْ
عليّاً عنيت وصيّ النبيِّ ... يجالد عنه غواة الامم
له الفضل والسبق والمكرما ... ت وبيت النبوّة لا المهتضمْ

٥٤ - عبدالله بن حكيم التميمي قال:

دعانا الزبير إلى بيعة ... وطلحة من بعد أن أثقلا
فقلنا: صفقنا بأيماننا ... فإن شئتما فخذا الأشملا
نكثتم عليّاً على بيعة ... وإسلامه فيكمُ أوّلا

٥٥ - عبد الرحمن بن حنبل [جعل] الجمحي حليف بني الجمح قال:

لعمري لئن بايعتمُ ذا حفيظة ... على الدين معروف العفاف موفّقا
عفيفاً عن الفحشاء أبيض ماجداً ... صدوقاً وللجبّار قِدما مصدِّقا
أبا حسنٍ فارضوا به وتبايعوا ... فليس كمن فيه يرى العيب منطقا

---

(١) في بعض المصادر: زفير بن زيد.
(٢) رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩.
(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٦٦.

عليٌّ وصيُّ المصطفى ووزيره وأوَّل من صلّى لذي العرش واتّقى [(١)]

٥٦ - أبو عمرو عامر الشعبي الكوفي قال: أوَّل من أسلم من الرِّجال عليّ ابن أبي طالب وهو ابن تسع سنين. رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

٥٧ - أبو سعيد الحسن البصري قال: عليٌّ أوَّل من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد عن عبد الرَّزاق عن معمر عن قتادة عنه. ورواه الإسكافي في رسالته عن عبد الرَّزاق كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

وقال الحجّاج للحسن وعنده جماعةٌ من التابعين وذكر عليّ بن أبي طالب: ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما أقول هو: أوَّل من صلّى إلى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله. وإنَّ لعليٍّ منزلة من ربِّه وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردَّها أحدٌ، فغضب الحجّاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت.

وقال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على عليٍّ وتقرظه؟ قال كيف؟! وسيف الحجّاج يقطر دماً، إنَّه أوَّل من أسلم، وحسبكم بذلك. رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

٥٨ - الإمام محمّد بن عليٍّ الباقر قال: أوَّل من آمن بالله عليٌّ بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

٥٩ - قتادة بن دعامة الأكمه البصري قال: عليٌّ أوَّل من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد كما سمعت، والقسطلاني عدّه ممّن قال به في المواهب ج ١ ص ٤٥، وأقرّه الزرقاني في شرحه ج ١ ص ٢٤٢.

٦٠ - محمّد بن مسلم المعروف بابن شهاب [(٢)] عدَّه القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٤٥، وأقرّه الزرقاني في شرحه ج ١ ص ٢٤٢ من القائلين بأنَّ

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي ص ٤٨.
(٢) نسبة إلى جد جده.

عليّاً أوّل مَن أسلم.

٦١ ـ أبو عبدالله محمّد بن المكندر المدني قال: عليٌّ أوّل من أسلم.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٦٢ـ أبو حازم سلمة بن دينار المدني قال: عليٌّ أوّل من أسلم.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٦٣ ـ أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرَّحمن المدني قال: عليٌّ أوّل من أسلم.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٦٤ ـ أبو النضر محمّد بن السائب الكلبي قال: عليّ أوّل من أسلم، أسلم وهو ابن تسع سنين. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج٢ ص ٢٢.

٦٥ ـ محمَّد بن إسحاق قال: كان أوّل ذَكر آمن برسول الله ﷺ. وصلّى معه وصدَّقه بما جاءه من عند الله عليٌّ بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين[1] وكان ممّا أنعم الله به على عليٍّ بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

وقال: وذكر بعض أهل العلم أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصَّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليٌّ بن أبي طالب، مستخفياً من عمِّه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه فيصلّيان الصَّلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثمَّ إنَّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلِّيان فقال لرسول الله ﷺ: يا بن أخي ما هذا الدين؟ الحديث.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤، ٢٦٥. سيرة ابن سيِّد الناس ج ١ ص ٩٣. الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢. شرح ابن

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢: إحدى عشرة سنة. نقلاً عن ابن إسحاق.

أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠. السيرة الحلبيَّة ج١ ص ٢٨٧.

٦٦ ـ جُنيد بن عبد الرَّحمن قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصلَّيت الجمعة ثمَّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخٌ يقال له: أبو شيبة القاصّ يقصُّ على الناس، فرغَّب فرغبنا، وخوَّف فبكينا، فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب. فلعنوا أبا تراب عليه السَّلام فالتفت إليَّ من على يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: عليٌّ بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله، وزوج ابنته، وأوَّل النّاس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟! فقمت إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتي وساقوني حتّى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبة يقدمني فصاح يا أمير المؤمنين ! قاصّك وقاصّ آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمرٌ عظيمٌ. قال: من فعل ذلك؟ فقال: هذا. فالتفت إليَّ هشام وعنده أشراف النّاس فقال: يا أبا يحيى! متى قدمت؟ فقلت: أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصلَّيت وخرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا، فرغَّب مَن رغَّب، وخوّف مَن خوّف؛ ودعا فأمّنا، وقال في آخر كلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فسألت مَن أبو تراب؟ فقيل: عليٌّ بن أبي طالب، أوَّل الناس إسلاماً، وابن عمِّ رسول الله، وأبو الحسن والحسين، وزوج بنت رسول الله. فوالله يا أمير المؤمنين! لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللت، فكيف لا أغضب لصهر رسول الله وزوج ابنته؟! فقال هشام: بئس ما صنع.

(تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧)

هذه جملةٌ من النصوص النبويَّة، والكلم المأثورة عن أمير المؤمنين والصحابة والتابعين في أنَّ عليّاً أوَّل من أسلم، وهي تربو على مائة كلمة، أضف إليهما ما مرَّ ج ٢ ص ٣٢١ من أنَّ أمير المؤمنين سبّاق هذه الامَّة. واشفع الجميع بما أسلفناه ج ٢ ص ٣٥٥ من أنَّه صلوات الله عليه صدِّيق هذه الامَّة،

وهو الصدِّيق الأكبر.

فهل تجد عندئذ مساغاً لمكابرة ابن كثير تجاه هذه الحقيقة الراهنة وقوله: وقد ورد في أنّه أوّل من أسلم. إلخ؟!؟! فإذا لا يصحُّ مثل هذه فما الذي يصحّ؟ وإن كان لا يصحّ شيءٌ منها فما قيمة تلك الكتب المشحونة بها؟! كلّا، إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون.

وأنت ترى الرجل يزيف هذه الكلم والنصوص الكثيرة الصحيحة بحكم الحفّاظ الأثبات بكلمة واحدة قارصة، ويعتمد في إثبات أيِّ أمر يروقه في تاريخه على المراسيل والمقاطيع والآحاد، ونقل المجاهيل وأفناء الناس.

تذييلٌ

قال المأمون في حديث احتجاجه على أربعين فقيهاً ومناظرته إيّاهم في أنّ أمير المؤمنين أولى الناس بالخلافة: يا إسحاق إيُّ الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟ فلت: الإخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم قال: اقرأ ذلك في كتاب الله يقول: والسابقون السابقون أُولئك المقرَّبون إنّما عُني من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق عليّاً إلى الإسلام؟ قلت يا أمير المؤمنين! إنَّ عليّاً أسلم وهو حديث السنِّ لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكملٌ يجوز عليه الحكم. قال: أخبرني أيّهما أسلم قبلُ؟ ثمَّ أُناظرك من بعده في الحداثة والكمال. قلت: عليٌّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. فقال: نعم فأخبرني عن إسلام عليٍّ حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله. قال فأطرقت فقال لي: يا إسحاق! لا تقل إلهاماً فتقدّمه على رسول الله ﷺ لأنَّ رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالىٰ. قلت: أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام. قال: يا إسحاق! فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من إن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت. فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى تكلّف فإنَّ رسول الله الله يقول: وما أنا من المتكلّفين.

قلت : أجل ، يا أمير المؤمنين ! بل دعاه بأمر الله . قال : فهل من صفة الجبّار جلّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء مَن لا يجوز عليه حكمٌ ؟ قلت : أعوذ بالله . فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إنَّ عليّاً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم قد تكلّف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهل يدعوهم الساعة ويرتدّون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم في إرتدادهم شيءٌ ولا يجوز عليهم حكم الرّسول عليه السّلام ؟ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ﷺ ؟ ! قلت أعوذ بالله . الحديث العقد الفريد ج ٣ ص ٤٣ .

وقال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي المتوفّى سنة ٢٤٠ في رسالته: قد روى الناس كافّة افتخار عليٍّ عليه السّلام بالسبق الى الاسلام وأنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم استنبىء يوم الإثنين وأسلم عليٌّ يوم الثّلاثاء، وأنه كان يقول: صلّيت قبل النّاس سبع سنين وأنّه ما زال يقول، أنا أوّل من أسلم. ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته، والأمر في ذلك أشهر من كلِّ شهير، وقد قدَّمنا منه طرفاً وما علمنا أحداً من النّاس فيما خلا استخفَّ بإسلام عليٍّ عليه السّلام ولا تهاون به، ولا زعم أنّه أسلم إسلام حدث غرير وطفل صغير، ومن العجب أن يكون مثل العبّاس وحمزة ينتظران أبا طالب وفعله ليصدّوا عن رأيه، ثمَّ يخالفه عليٌّ ابنه لغير رغبة ولا رهبة، يؤثر القلّة على الكثرة والذل على العزَّة من غير علم ولا معرفة بالعاقبة، وكيف ينكر الجاحظ والعثمانيَّة أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الإسلام وكلّفه التصديق.

ورُوي في الخبر الصحيح[1] أنّه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكّة أن يصنع له طعاماً وأن يدعو له بني عبد المطلب . فصنع له الطعام ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم ولم ينذرهم صلى الله عليه وآله وسلم لكلمة قالها عمّه أبو لهب فكلّفه اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية . فصنعه ودعاهم فأكلوا ثمَّ كلّمهم صلى الله عليه وآله وسلم

(١) مر هذا الحديث الصحيح بألفاظه وطرقه في ج ٢ ص ٣٢٣

فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنّه من بني عبد المطلب ، ثمّ ضمن لمن يُوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيّه بعد موته وخليفته من بعده ، فأمسكوا كلّهم وأجابه هو وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به أوازرك وأُبايعك . فقال لهم لمّا رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعاين منهم الإباء ومنه الإجابة : هذا أخي ووصيِّي وخليفتي من بعدي فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمَّره عليك .

فهل يكلّف عمل الطعام ودعاء القوم صغيرٌ غير مميِّز ؟ وغرٌّ غير عاقل ؟ وهل يؤتمن على سرِّ النبوَّة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلاّ عاقلٌ لبيبٌ؟ وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويُعطيه صفقة يمينه بالأُخوَّة والوصيَّة والخلافة إلاَّ وهو أهلٌ لذلك ، بالغٌ حدَّ التكليف ، محتملٌ لولاية الله وعداوة أعدائه ؟(١) .

وقال الحاكم النيسابوري صاحب «المستدرك» على الصحيحين في كتاب «المعرفة» ص ٢٢ : ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوَّلهم إسلاماً وإنّما اختلفوا في بلوغه .

وقال ابن عبد البّر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ : اتَّفقوا على أنَّ خديجة أوَّل من آمن بالله ورسوله وصدَّقه فيما جاء به ثمَّ عليٌّ بعدها .

وقال المقريزي في الإمتاع ص ١٦ ما ملخَّصه : وأمّا عليٌّ بن أبي طالب ، فلم يُشرك بالله قطُّ ، وذلك أنَّ الله تعالىٰ أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمّه سيّد المرسلين محمَّد ﷺ فعندما أتى رسول الله ﷺ الوحيُ وأخبر خديجة وصدَّقت ، كانت هي وعليّ بن أبي طالب وزيد بن حارثة يُصلّون معه ، «إلى أن قال» : فلم يحتج عليٌّ رضي الله عنه أن يُدعى ، ولا كان مشركاً حتّى يُوحِّد فيقال : أسلم، بل كان عندما أوحى الله إلى رسوله ﷺ عمره ثماني سنين ، وقيل : إحدى عشرة سنة ، وكان مع

---

(١) مرت جملة من بقية الكلام ج ٢ ص ٣٣٣.

رسول الله ﷺ في منزلـه بين أهله كأحـد أولاده يتبعه في جميـع أحوالـه . إلخ .

وأنت تجد أوّليّة أمير المؤمنين في الإسلام في شعر كثير من السلف مثل قول مسلم بن الوليد الأنصاري :

أذكـرت سيف رسـول اللّه سنّتـه   وسيف أوّل من صلّى ومن صاما؟!

قـال أبـو الفـلاح الحنبلي في شـذراتـه ج ١ ص ٣٠٨ : يعني عليّاً رضي الله عنه إذ كان هو الضرّاب به [بسيف النبيِّ] .

هذا ما اقتضته المسالمة مع القوم في تحديد مبدأ إسلامه عليه السَّلام، وأمّا نحن فلا نقول: إنَّه أوَّل من أسلم بالمعنى الذي يُحاوله ابن كثير وقومه لأنَّ البدءَة به تستدعي سبقاً من الكفر ومتى كفـر أمير المؤمنين حتّى يسلم؟ ومتى أشرك بالله حتّى يؤمن؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفيَّـة البيضاء، واحتضنـه حجر الرِّسالة، وغذَّته يد النبوَّة، وهذَّبه الخلق النبويُّ العظيم، لم يزل مقتصّاً أثر الرَّسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعده، فلم يكن له هوى غير هواه، ولا نزعة غير نزعته، وكيف يمكن لِخصمٍ أن يقذفه بكفر قبل الدَّعوة؟! وهو يقول (وإن لم نر صحَّة ما يقول): إنَّه كان يمنع امَّه من السّجود للصنم وهو حملٌ[1] أيكون إمام الامَّة هكذا في عالم الأجنَّة ثمَّ يُدنِّسه درن الكفر في عالم التكليف. فلقد كان صلوات الله عليه مؤمناً جنيناً ورضيعاً وفطيماً ويافعاً وغـلاماً وكهـلاً وخليفةً.

ولـولا أبـو طـالـب وابـنـه   لما مثل الـدين شخصاً وقـاما

بل نحن نقول: إنَّ المراد من إسلامه وإيمانه وأوَّليَّته فيهمـا وسبقه إلى النبيِّ في الإسـلام هو المعنى المـراد من قـولـه تعـالى عن إبـراهيم الخليـل عليه السَّلام: **﴿وأنا أوّل المسلمين﴾**. وفيما قال سبحانه عنه: **﴿إذ قـال ربّه أسلم قال أسلمت لربِّ العالمين﴾** وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السَّلام:

(١) ذكر حديثه في السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥، سيرة زيني دحلان، نور الأبصار ص ٧٦، نزهـة المجالس ج ٢ ص ٢١٠.

﴿وأنا أوَّل المؤمنين﴾. وفيما قال تعالى عن نبيِّه الأعظم: ﴿آمن الرَّسول بما أُنزل إليه من ربِّه﴾. وفيما قال: ﴿قل إنّي أُمرت أن أكون أوَّل من أسلم﴾. وفي قوله: ﴿أُمرت أن أُسلم لربِّ العالمين﴾ .

وفي وسع الباحث أن يتَّخذ دروساً راقية حول ما نرتئيه من خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السَّلام وقد ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة ج ١ ص ٣٩٢ ألا وهي:

أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه، ويُمسّني جسدَه، ويُشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمَّ يُلقمنيه، وما وجد لي كذبةً في قول، ولا خَطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسنَ أخلاق العالَم، ليله ونهاره، ولقد كنتُ أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امِّه، يرفع لي في كلِّ يوم من أخلاقه عَلَماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحِراء فأراهُ ولا يَراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرِّسالة، وأشمُّ ريحَ النبوَّة، ولقد سمعت رنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنَّة؟ قال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنَّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أنَّك لستَ بنبيٍّ، ولكنَّك وزيرٌ؛ وإنَّك لعلى خيرٍ.

وأمّا الكلام في إسلام أبي بكر، فلايسعني أن أحوم حول هذا الموضوع وبين يديَّ صحيحة محمَّد بن سعد بن أبي وقاص التي أخرجها الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٥ بإسناد صحيح رجاله ثقات قال ابن سعد: قلت لأبي: أكان أبو بكر أوَّلكم إسلاماً فقال: لا. ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً.

وما عساني أن أقول وأبو جعفر الإسكافي المعتزلي البعيد عن عالم التشيّع يقول: أمّا ما احتجَّ به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أوَّل الناس، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتجَّ به أبو بكر يوم السقيفة وما رأيناه صنع ذلك لأنَّه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجرّاح، وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرَّجلين فبايعوا منهما مَن شئتم. ولو كان هذا احتجاجاً لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله شرَّها. ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادّعى واحدٌ من النّاس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحداً ادَّعى له ذلك، على أن جمهور المحدِّثين لم يذكروا أنَّ أبا بكر أسلم إلّا بعد عدَّة من الرِّجال منهم: عليّ بن أبي طالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذرّ الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت، وإذا تأمَّلنا الرِّوايات الصحيحة والأسانيد القويَّة الوثيقة وجدناها كلّها ناطقةً بأنَّ عليّاً عليه السَّلام أوَّل من أسلم.

فأمّا الرِّواية عن ابن عبّاس: أنّ أبا بكر أوَّلهم إسلاماً. فقد روي عن ابن عبّاس خلاف ذلك بأكثر ممّا رووا وأشهر فمن ذلك ما رواه يحيى بن حمّاد (ثمَّ ذكر أحاديث صحيحة ممّا مرَّ عن ابن عبّاس) فقال: فهذا قول ابن عبّاس في سبق عليّ عليه السَّلام إلى الإسلام وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر، على أنّه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي. ثمَّ ذكر حديثه وأحاديث اخرى ممّا ذكر نقلاً عن الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها(١).

هذا. ومن أظلم ممَّن افترى على الله كذباً أو كذَّب بالحقِّ لمّا جاءه.

لفت نظر:

لعلَّ الباحث يرى خلافاً بين كلمات أمير المؤمنين المذكورة ص ٢٧٥ - ٢٧٨ في سني عبادته وصلاته مع رسول الله بين ثلاث وخمس وسبع وتسع سنين فنقول: أمّا ثلاث سنين فلعلَّ المراد منه ما بين أوَّل البعثة إلى إظهار الدَّعوة

---

(١) مرت بقية الكلام ج ٢ ص٣٣٣. وللإسكافي في المقام كلمات ضافية نحيل الحيطة بها إلى رسالته في الرد على الجاحظ.

من المدَّة وهي ثلاث سنين[١] فقد أقام صلّى الله عليه وآله وسلم بمكَّة ثلاث سنين من أوّل نبوَّته مستخفياً ثمَّ أعلن في الرابعة.

وأمّا خمس سنين فلعلَّ المراد منها سنتا[٢] فترة الوحي من يوم نزول ﴿اقرأ باسم ربِّك الذي خلق﴾ إلى نزول يا أيّها المدَّثر. وثلاث سنين من أوَّل بعثته بعد الفترة إلى نزول قوله: ﴿فاصدع بما تُؤمر وأعرض عَن المُشركين﴾. وقوله: ﴿وأنذرْ عَشيرتك الأقربين﴾، سني الدعوة الخفيَّة التي لم يكن فيها معه صلّى الله عليه وآله وسلم إلاّ خديجة وعليّ. وأحسب أنَّ هذا مراد من قال: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان مُستخفياً أمره خمس سنين كما في الإمتاع ص ٤٤.

وأمّا سبع سنين فإنّها مضافاً إلى كثرة طرقها وصحَّة أسانيدها معتضدةٌ بالأحاديث النبويّة المذكورة ص ٢٧٤ وبحديث أبي رافع المذكور ص ٢٨١ وهي سني الدَّعوة النبويَّة من أوّل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم إلى فرض الصَّلاة المكتوبة.

وذلك أنَّ الصَّلاة فُرضت بلا خلاف ليلة الإسراء وكان الإسراء كما قال محمَّد بن شهاب الزهري قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد أقام صلّى الله عليه وآله وسلّم في مكّة عشر سنين فكان أمير المؤمنين خلال هذه المدَّة السنين السبع يعبد الله ويُصلّي معه صلّى الله عليه وآله وسلّم فكانا يخرجان ردحاً من الزَّمن إلى الشعب وإلى حِراء للعبادة ومكثا على هذا ما شاء الله أن يمكثا[٣] حتّى نزل قوله تعالى: ﴿وَاصدع بما تُؤمرْ وأعرض عَن المشركين﴾. وقوله: ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾. وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه الشريف، فتظاهر عليه السَّلام بإجابة الدَّعوة في منتدى الهاشميِّين المعقود لها ولم يلبِّها غيره، ومن يوم

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦، ٢١٨. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٤. طبقات ابن سعد ص ٢٠٠. الامتاع ص ١٥، ٢١.

(٢) عدهما المقريزي أحد الأقوال في أيام فترة الوحي في الامتاع ص ١٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥. راجع ص ٢٩١ من هذا الجزء.

ذاك اتّخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أخاً ووصيّاً وخليفة ووزيراً[١] ثمَّ لم يُلبِّ الدعوة إلى مدّة إلّا آحاد هم بالنسبة إلى عامّة قريش والناس المرتطمين في تمرُّدهم في حيِّز العدم.

على أنَّ إيمان من آمن وقتئذٍ لم يكن معرفةً تامَّةً بحدود العبادات حتّى تدرَّجوا في المعرفة والتهذيب، وإنَّما كان خضوعاً للإسلام وتلفّظاً بالشَّهادتين ورفضاً لعبادة الأوثان. لكن أمير المؤمنين خلال هذه المدَّة كان مقتصاً أثر الرَّسول من أوَّل يومه فيشاهده كيف يتعبَّد، ويتعلّم منه حدود الفرائض ويقيمها على ما هي عليه، فمن الحقِّ الصحيح إذن توحيده في باب العبادة الكاملة، والقول بأنَّه عبدالله وصلّى قبل الناس بسبع سنين.

ويحتمل أن يراد السنين السبع الواردة في حديث ابن عبّاس قال: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أقام بمكّة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت، وثماني سنين يوحى إليه[٢] وأمير المؤمنين كان معه من أوَّل يومه يرى ما يراه صلّى الله عليه وآله وسلم ويسمع ما يسمع إلّا أنّه ليس بنبيٍّ كما مرَّ في ص ٢٩٨.

فإن تعجب فعجبٌ قول الذهبي في تلخيص المستدرك ج ٣ ص ١١٢: إنَّ النبيَّ من أوَّل ما اوحي إليه آمن به خديجة، وأبو بكر، وبلال وزيد، مع عليّ قبله بساعات أو بعده بساعات وعبدوا الله مع نبيِّه فأين السبع السنين؟!.

قال الأميني: هذه السنين السبع، ولكن أين تلك الساعات المزعومة عند الذهبي؟ ومَن ذا الذي يقولها؟ ومتى خُلق قائلها؟ وأين هو؟ وأيُّ مصدر ينصُّ عليها؟ وأيُّ راوٍ رواها؟ بل نتنازل معه ونرضى بقصِّيص يقصّها، غير ما في علبة مفكّرة الذهبي، أو عيبة أوهامه، ومتى كان أبو بكر من تلك الطبقة؟ وقد مرَّ في صحيحة الطبري ص ٢٤٠: أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً. فكأنَّ الرَّجل قرويٌّ من البعداء عن تاريخ الإسلام، أو أنّه عارف به غير أنَّه يروقه الإفك

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص٣٢٣ - ٣٢٩

(٢) طبقات ابن سعد ص ٢٠٩ ط مصر.

والزور.

وأمّا تسع سنين فيمكن أن يُراد منها سنتا الفترة والسنين السبع من البعثة إلى فرض الصَّلوات المكتوبة. والمبنيُّ في هذه كلّها على التقريب لا على الدقَّة والتحقيق كما هو المطَّرد في المحاورات، فالكلُّ صحيحٌ لا خلاف بينها ولا تعارض هناك.

٥ ـ ذكر في ج ٧ ص٣٥٧حديثتصدُّقأمير المؤمنين خاتمه في الصَّلاة وهو راكعٌ ونزول آية: ﴿**إنَّما وليّكم الله ورسوله والَّذين آمنوا**﴾. الآية. من طريق أبي سعيد الأشجّ الذي أسلفناه ص ١٩٩ ثمَّ أردفه بقوله: وهذا لا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه لضعف أسانيده، ولم ينزل في عليٍّ شيءٌ من القرآن بخصوصيَّته وكلّ ما يريدونه[1] في قوله تعالى: ﴿**إنَّما أنت منذرٌ ولكلّ قوم هاد**﴾. وقوله: ﴿**ويُطعمون الطَّعام على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾. وقوله: ﴿**أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر**﴾. وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنَّها نزلت في عليٍّ لا يصحُّ شيءٌ منها.

﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلاّ كذبا**﴾. كيف يحكم الرَّجل بعدم صحّة نزول آية إنَّما وليّكم الله في عليّ عليه السَّلام ويستدلُّ بضعف أسانيده وهو بنفسه يرويه في تفسيره ج ٢ ص ٧١ من طريق ابن مردويه عن الكلبي ويقول: قال: هذا إسنادٌ لا يُقدح به؟! ونحن أوقفناك ص ١٩٩: على أنَّ حديث أبي سعيد الأشجّ الذي ذكره صحيحٌ رجاله ثقاتٌ.

ثمَّ إن كان ما ورد في هذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمة المتكثِّرة من نزولها في مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام، أنَّها مُؤَوّلة به، أو أنَّه عليه السَّلام أحد المصاديق الظاهرة لعمومها كما حسبه المغفَّل ممّا لا يصحُّ شيءٌ منها، فمن واجب الباحث أن يشطب على هذه التفاسير المعتمدة عليها والصحاح والمسانيد ومدوَّنات الحديث المعتبرة بقلمٍ عريض يمحو ما سطَّروه فيها، وما تكون عندئذ

---

(١) كذا في النسخة ولعله: يروونه.

قيمة هاتيك الكتب المشحونة بما لا يصحّ؟! وما غناء هؤلاء العلماء الذين يعتمدون على الأباطيل؟! وهم يقضون أعمارهم في جمعها، ويدّخرونها للأُمّة لتعمل بها وتخبت إلى مفادها، وإذا ذهب هذا ضحيّة هوى ابن كثير فأيُّ كتاب يحقُّ أن يكون مرجعا لرُوّاد العلم، وموئلاً يقصده الباحث؟!؟!.

نعم: هذه الكتب هي المصدر والموئل لا غيرها وابن كثير نفسه لا يرد إلاّ إليها، ولا يصدر إلاّ منها في كلِّ مورد، إلاّ في باب فضائل أمير المؤمنين فعندها تغلي مراجل حقده فيؤمها بلسانٍ بذيءٍ وقلم جريء.

ونحن قد أوقفناك على مصادر نزول هذه الآيات الكريمة في كتابنا هذا ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧٣ وج ٣ ص ١٤٢ ـ ١٤٧ و١٩٨ ـ ٢٠٥ وسنوقفك على حقِّ القول في قوله تعالى: ﴿إنّما أنت منذرٌ ولكلّ قومٍ هاد﴾. فإلى الملتقى.

٦ ـ ذكر في ج ٧ ص ٣٥٦ عن الإمام أحمد عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يُثيع عن أبي بكر حديث البراءة ثمَّ أردفه بقوله: وفيه نكارةٌ من جهة أمره بردِّ الصدِّيق فإنَّ الصدِّيق لم يرجع بل كان هو أمير الحجّ. إلخ.

إقرأ واضحك من هذا الإجتهاد البارد في مقابل النصِّ الثابت الصحيح المجمع على صحّته، وسيوافيك الحديث بطرقه المتكثِّرة.

٧ ـ ذكر في ج ٧ ص ٣٤٣ من طريق الإمام أحمد عن ابن نُمير عن الأجلح الكندي عن عبدالله بن بُريدة حديثاً فيه: فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في عليٍّ فإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي. ثمَّ أردفه بقوله: هذه اللفظة منكرةٌ والأجلح شيعيٌّ، ومثله لا يُقبل إذا تفرَّد بمثلها. وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم، والمحفوظ في هذا رواية أحمد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عُبيدة عن عبدالله بن بُريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ وليّه.

هل يرى عربيٌّ غير أمويّ في هذه اللفظة نُكراً؟! وهو ذلك القول العربيُّ

المبين السهل الممتنع. أو هل يرى عربيٌّ ـ لم تَشُبْهُ عوامل العصبيَّة ـ في معناه شيئاً منكراً؟ وهو ذلك المعنى الصحيح الثابت الصادر عن مصدر الوحي بأسانيد صحيحة المدعوم بما في معناه من الأحاديث الكثيرة الصِّحاح[1] وهل النكر الَّذي حسبه ابن كثير في إسناده إلى قائلهﷺ؟ وهو لا يفتأ يشيد بأمثال هذا الذِّكر الحكيم. أم في المقول فيه صلوات الله عليه؟ فيراه غير لائق بمثل هذه الكلمة، إذن فما ذا يصنع ابن كثير بأمثالها المتكثِّرة التي ملأت بين المشرق والمغرب؟! وهي لا تدافع بغمز في اسناد أو بوقيعةٍ في دلالة.

وهل سمعتْ أُذناك من محدِّثٍ ديني ردَّ ما أخرجه أئمَّة الحديث في الصِّحاح والمسانيد وفي مقدّمها الصحيحان إذا تفرَّد به شيعيٌّ؟ وما ذنب شيعيٍّ إذا كان ثقةً عند أئمَّة الحديث؟ كأجلح فقد وثَّقه مثل ابن معين.

والحديث أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٥٥ بالإسناد المذكور. والترمذي باختصار. والنسائي في الخصائص ٢٤. وابن أبي شيبة كما في كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٤. ومحبُّ الدين الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٧١. والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ وغيرهم، وإسناد أحمد المذكور صحيحٌ رجاله رجال الصحيح إلّا الأجلح وهو ثقةٌ كما سمعت.

وقول الرَّجل: والمحفوظ في هذا رواية أحمد. إلخ. يكشف عن قصور باعه في الحديث، وحسبانه الحديثين واحِداً لانتهاء سندهما إلى بريدة، وإفادة كليهما الولاية، وعدم معرفته بأنَّ حديث (لا تقع) قضيَّةٌ في واقعة شخصيَّة لدة قصَّة عمران بن الحصين المذكورة ص ٢٦٨ وأمّا (مَن كنت مولاه) فهو لفظ حديث الغدير العامّ، وليس هو محفوظ هذه القضيَّة كما لا يخفى على النابه البصير.

٨ ـ يعزو إلى الشيعة في ج ٢ ص ١٩٦ مشفوعاً ذلك بالتكذيب منه أنَّ منهم من زعم أنَّ الإبل البخاتي إنَّما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم (يوم سبي

---

(١) راجع حديث الغدير في الجزء الأول من كتابنا وفي هذا الجزء ص ٢٦٨، ٢٦٩.

عقائل بيت الوحي يوم كربلا) لتستر عوراتهنَّ من قُبلهنَّ ودُبرهن.

لا أحسب أنَّ في الشيعة معتوهاً يزعم أنَّ الأسنمة الموجودة في الإبل بخاتيّها وعرابيّها منذ كُوّنت حدثت بعد واقعة الطفّ، الشيعة لا تقول ذلك وإنّما يأفك بهم من أفك، وهو يريد الوقيعة فيهم بإسناد التافهات إليهم، ولا يعتقد الشيعيُّ أنّ حرائر النبوّة وإن سلبن الحليّ، والحلل، والأزر، والأخمرة، مضين في السبي عراة؛ واستقبلهنّ شيءٌ من مظاهر الخزي، فإنَّ عطف المولى لهنَّ كان يأبى ذلك كلّه.

نعم: إنتابتهنَّ محنٌ ونوائب وكوارث وشدائد في سبيل جهادهنَّ كما انتابت رجالهنَّ في سبيل جهادهم،وكل ما ينتاب المجاهد بعين الله وفي سبيله فيه مأثرةٌ له لا مخزاة فإنّهن شاركن الرِّجال في تلك النهضة المقدَّسة التي أسفرت عن فضيحة الأمويِّين ومكائدهم ونواياهم السيِّئة على الدين والمسلمين، وإضمارهم إرجاع الملأ الدينيِّ إلى الجاهليَّة الاولى.

لكن حسين الدين والهدى، المفوَّض إليه كلاءة دين جدِّه عن عادية أعدائه، الناظر إلى هاتيك الأحوال من أمم، وقف هو وآله وأصحابه ونساؤه ذلك الموقف الرَّهيب، فأنهوا إلى الجمعة الدينيَّة مقاصد القوم، وأبصروهم المعاول الهدّامة لتدمير الشريعة في أيدي آل اميَّة، وإنَّ ذلك المقعي على أنقاض الخلافة الإسلاميَّة لا صلة له برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ولا نصيب له من الخلافة عنه، ولم يزل عليه السَّلام يتلو هاتيك الصحيفة السوداء لبني صخر حتّى لفظ نفسه الأخير في مشهد يوم الطفّ؛ وحتى انتهى السير بنسائه وذراريه إلى الشام.

هنالك مجّت النفوس آل حرب وأشياعهم، وتعاقبت عليهم الثورات، حتّى اكتسح الله سبحانه معرَّتهم عن أديم الأرض أيّام مروان الحمار، ذلك بما كَسَبَتْ أيديهم وما الله بظلّامٍ للعبيد. وهذا مغزى ما يُقال: من أنَّ دين الإسلام كما أنَّه محمَّديُّ الحدوث فهو حسيني البقاء.

هذه حقيقةٌ راهنةٌ مدعمةٌ بالبراهين لكن ابن كثير ونظرائه من حملة الرّوح الأمويَّة لا ينقطعون عن تحاملهم على شيعة الحسين عليه السَّلام بنسبة الأكاذيب إليهم، وقذفهم بالقوارص.

هذه نماذج يسيرة من جنايات ابن كثير، على العلم وودائع الإسلام، وتمويهه على الحقائق، ولا يسعنا استيعاب ما أودع في طيٍّ كتابه من عُجره وبُجره، ولو أردنا أن نسرد كلَّ ما فيه أو جلَّه من المخاريق والتافهات والإضافات المفتعلة إلى الأبرياء، والسباب المقذع لرجال الشيعة عند ذكر تاريخهم من دون أيِّ مبرِّر، و التحامل عليهم بما يستقبحه الوجدان والعقل السليم، لجاء منه كتابٌ حافلٌ، لكنّا نمرُّ عليها كراماً.

﴿وَمَن يُشاقِقِ الرَّسول منْ بَعدِ ما تَبيَّنَ لهُ الهدى ويتَّبعْ غَيرَ سبيلِ المؤْمِنين نولِّه ما تَوَلّى ونُصلِهِ جَهَنَّم وساءتْ مَصيرا﴾

سورة النساء ؛ الآية : ١١٥ .

قـــال الأميني

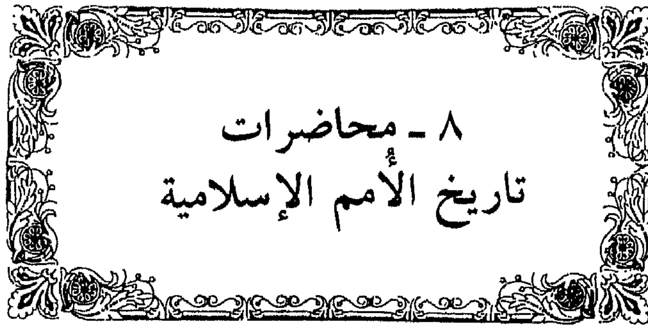
هذه نماذج ممّا في الكتب من التافهات ولم نقصد استقصاءها لأنَّه يكلّفنا تأليف مجلّدات صخمة، وإنّـما أردنا إيقاظ شعور الامَّة إلى عوامل الحقـد والإحن الممتزجين بنفسيّـات ناصبي العـداوة لأهل البيت عليهم السَّلام وأتباعهم، حتّى لا تكبو بتلك المدوَّنات المزخرفة تجاه الطائفة الكبيرة (شيعة آل الله) مثل ما كبـا أولئك المهملجون إلى البهرجة والضلال.

وإذا عرف القارىء هذه النزعة منهم ففي وسعه أن يتفحَّص عن بقيَّة ما هنالك من المخازي والطامّات والقذائف، ويحرى بنا الآن أن نوعز إلى شيءٍ ممّا جاء به متأخِّرو القوم من مؤلّفي اليوم ممَّن اقتصّوا إثر قدمائهم في العصبيَّة العمياء التي فـرَّقت الكلم، وشتّتت جمـع الامم، وأحدثت في القلوب ضغائن، وأورثت في الأفئدة نار العداء؛ وأثمرت الفتق، وأوجـدت الكوارث، وجـرّت على الامَّة كلَّ سوء، وفتحت عليها باب الضِّعة بمصراعيه، وألبستها شيـة العار، ووسمـة الشنار، فـأصبحت والأخلّاء يـومئذٍ بعضهم لبعضٍ عـدوٌّ إلاَّ المتَّقين، ﴿إنّما يُـريد الشيـطان أن يوقـع بينكم العداوة والبغضاء﴾ سورة المائدة: آية ٩١

﴿والله يدعوا إلى دار السَّلام﴾. سورة يونس: آية ٢٥.

﴿يـا أيّها الَّـذين آمنوا ادخُلوا في السّلم كـافَّة ولا تتَّبعـوا خطواتِ الشيطان إنَّه لكم عدوٌّ مُبينٌ﴾. سورة البقرة: آية ٢٠٨

﴿إنَّ الَّذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشَّيطان تذكَّروا فإذا هم مُبصرون﴾. سورة الأعراف: آية ٢٠١



٨ ـ محاضرات تاريخ الأُمم الإسلامية

تأليف الشيخ محمد الخضري

لقد أخرج الرجل هذا الكتاب بصفة التاريخ لكنه لم يجر على بساطته، وإنما أودع فيه نزعاته الأموية فترى في كل ثنية منه هملجة، وفي كل فجوة منه تركاضاً، فلا هو كتاب تاريخ يسكن إلى نقله، ولا كتاب عقيدة ينظر في نقده، وإنما هو هياج ولغط يعكر الصفو، ويقلق الطمأنينة، فكان الأحرى بنا الاعراض عنه وعن أغلاطه، لكن لم نجد بداً من لفت القارىء إلى نزر من سقطاته.

١ ـ قال في ج ٢ ص ٦٧: وممّا يزيد الأسف أنّ هذه الحرب (صفّين) لم يكن المراد منها الوصول إلى تقرير مبدأ دينيٍّ أو رفع حيفٍ حلّ بالأُمّة، وإنّما كانت لنصرة شخص على شخصٍ، فشيعة عليٍّ تنصره لأنّه ابن عم رسول الله ﷺ وأحقُّ النّاس بولاية الأمر، وشيعة معاوية تنصره لأنّه وليّ عثمان وأحقُّ النّاس بطلب دمه المسفوك ظلماً، ولا يرون أنّه ينبغي لهم مبايعة من آوى إليه قتلته.

ج ـ ليت الرَّجل بيّن لنا المبادىء الدينيَّة عنده حتّى ننظر في انطباقها على هذه الحرب، وحيث لم يبيّن فنحن نقول: أيُّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من أن تكون الحرب والمناصرة لتنفيذ كلمة رسول الله يوم أمر أمير المؤمنين عليه السَّلام بقتال القاسطين ـ وهم أصحاب معاوية ـ وأمر أصحابه بمناصرته يومئذٍ[1] ورأى من واجبهم جهاد مقاتليه وقال: سيكون بعدي قومٌ يُقاتلون عليّاً على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيءٌ[2].

---

(١) راجع ص٢٣٦ - ٢٤٤

(٢) أخرجه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم كما مر في ص ٢٣٨.

وأيّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من نصرة الرَّجل مَن يراه أولى الناس بالأمر كما يلهج به الخضري نفسه؟! وأيّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من مناصرة أمير المؤمنين الذي قال رسول الله فيه وفي آله وذويه: حربكم حربي[١]؟! وقال له: يا عليُّ ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحقِّ، فمن لم ينصرك يومئذٍ فليس منّي[٢] وهل يسع المسلم التقاعد عن نصرته عليه السَّلام بعد ما سمع قول نبيِّه صلّى الله عليه وآله وسلم؟!.

وأيّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من مقاتلة الفئة الباغية بنصٍّ من الرَّسول الأمين يوم قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية[٣] ويوم قال: ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النّار[٤].

وأي مبدأ دينيٍّ هو أقوى من المقاتلة تحت راية خليفة الوقت الذي انعقدت له بيعة أهل الحلِّ والعقد، وتمتَّ شروطها عند من يرى الخلافة بالاختيار، وثبت له النصُّ الجليُّ وتواتر عند من لا يختار إلّا المنصوص عليه، وبطبع الحال أنَّ الخارج عليه خارجٌ على إمام الوقت باغٍ عليه يجب مقاتلته بنصٍّ من الكتاب المبين حيث قال: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾[٥].

وليت شعري أيّ حيف يحلّ بالأُمّة أعظم من تغلّب مثل معاوية على بيضة الإسلام ورياسة أهله، واستحوازه الخلافة التي ليست له لا بنصٍّ ولا بيعة ممَّن تقرّر ببيعته الخليفة؟ فلم يعقد له إجماعٌ، ولا أثبتته شورى أو وصيَّة، ولا هو وليٌّ

---

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا ص٣٩١.

(٢) راجع ص ٢٤٢ من هذا الجزء.

(٣) راجع الجزء الأول ص٣٨٣، ٣٨٥، قال السيوطي في الخصائص ج ٢ ص ١٤٠: هذا الحديث متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر كما بينت ذلك في الأحاديث المتواترة. وستوافيك في الجزء التاسع من كتابنا هذا ألفاظه وطرقه وهي خمسة وعشرون طريقاً.

(٤) قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٣٦٦: رواه البخاري في بعض نسخه ومسلم والترمذي وغيرهم. ويوجد في تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧.

(٥) سورة الحجرات: آية ٨.

دم عثمان حتّى ينهض بشاره إن لم نقل: هو المثبِّط جند الشام والمتثاقل عن نصره حتّى قُتل، ولم يكن له سابقةٌ في الإسلام تُشرفه، ولا علمٌ يُسدّده، ولا تقوى تكبحه عن مساقط الشهوات، وإنّما هي ملوكيّةٌ ارتادها ليملك الأزمّة، وتُلقى عنده الأعنّة، ويحتنك أمر الامّة، وفي الأخير تمَّ له ذلك تحت رواعد الإرهاب، ولوائح الأطماع في مُنتأى عن الدين والإصلاح، فثبت عرش ملوكيّته بين مهراق الدِّماء ومنتهك الشرائع، ومضلّات الفتن، ولو لم يكن له بائقةٌ إلّا استخلاف يزيد الفجور على الامّة بالترهيب والإطماع لكفاه حيفاً يجب أن يكتسح عن مستوى الإسلام وبلاد المسلمين.

٢ ـ قال: أمّا معاوية فإنّه بدون ريب يرى نفسه عظيماً من عظماء قريش لأنّه ابن شيخها أبي سفيان بن حرب وأكبر وُلد اميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، كما أنَّ عليّاً أكبر ولد هاشم بن عبد مناف، فهما سيّان في الرفعة النسبيّة (ج ٢ ص ٦٧).

ج ـ ماذا أقول لمغفَّل؟! يرى عنصر النبوَّة، وآصرة القداسة المنتقلة بين أصلابٍ طاهرة، وأرحامٍ زكيَّة؛ من نبيّ إلى وصيٍّ إلى وليٍّ إلى حكيم إلى عظيم إلى شريفٍ إلى خاتم الرِّسالة إلى وصيِّه صاحب الولاية الكبرى، لدة العنصر الأبشميِّ، ويراهما في الرفعة والشرف سيَّان، وشتّان بين الشجرتين: شجرة طيّبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السَّماء. وشجرة خبيثة اجتثَّت من فوق الأرض مالها من قرار. وما أبعد ما بين الشجرتين: شجرة مباركة زيتونة، **والشجرة الملعونة في القرآن**(١) بتأويل من النبيِّ الأعظم(٢) بلا اختلاف بين اثنين في أنَّهم هم المراد من الشجرة الملعونة كما في تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٦.

وكيف يراهما الرَّجل سيّان؟! والنَّبيُّ الأعظم يقول: إنَّ الله اختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش

---

(١) سورة الإسراء: اية ٦٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٦، تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٣٤٣، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨٦، تفسير النيسابوري ج ١٥ ص ٥٥ هامش تفسير الطبري.

بني هاشم، واختارني من بني هاشم[١].

وكيف يراهما سيّان؟! وقد استاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من ثمار هذه الشجرة الملعونة طيلة حياته فما رؤي ضاحكاً من يوم رأى في منامه أنَّهم ينزون على منبره نزو القردة والخنازير[٢]. فأنزل الله: **﴿وما جَعلنا الرُّؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس﴾**.

وكيف يراهما سيّان؟!! وبنو أُميَّة هم الذين اتَّخذوا عبادالله خولا، ومال الله نحلا، وكتاب الله دغلا. كما أخبر به النبيُّ الصّادق الأمين[٣].

وكيف يرى أبا سفيان شيخ قريش؟! وهو عارها وشنارها وهو الملعون بنصِّ النبيِّ الأعظم بقوله: اللهمَّ العن التابع والمتبوع، اللهمَّ عليك بالأُقيعس[٤] يوم رأى أبا سفيان ومعه معاوية. وبقوله: اللهمّ العن القائد والسائق والراكب. يوم نظر إليه وهو راكبٌ ومعه معاوية وأخوه أحدهما قائدٌ والآخر سائق[٥].

وكيف يراه شيخ قريش لدة شيخ الأبطح؟! وفيه قال علقمة:

إنَّ أبا سفيان من قبله   لم يك مثل العُصبة المسلمهْ
لكنَّه نافق في دينه   من خشية القتل على المرغمهْ
بُعداً لصخرٍ مع أشياعه   في جاحم النّار لدى المضرمهْ[٦]

وليت الخضري يقرأ كلمة المقريزي في النزاع والتخاصم ص ٢٨ وهي:

---

(١) أخرجه البيهقي، ابن عدي، الحكيم، الطبراني، ابن عساكر، راجع كنز العمال ج ٦ ص ٢٠٤.
(٢) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٧، تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٦، تاريخ الخطيب ج ٩ ص ٤٤ ج ٨ ص ٢٨٠، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ١٥ ص ٥٥، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨٣، النزاع والتخاصم ص ٥٢، اسد الغابة ج ٣ ص ١٤ من طريق الترمذي، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١١٨ عن الترمذي والحاكم والبيهقي، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٧٧.
(٣) النزاع والتخاصم ص ٥٢، ٥٤، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١١٨.
(٤) قال البراء بن عازب: يعني معاوية.
(٥) كتاب نصر بن مزاحم في حرب صفين ص ٢٤٤، ٢٤٨، تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧.
(٦) كتاب نصر ص ٢١٩.

أبو سفيان قائد الأحزاب الذي قاتل رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقتل من خيار أصحابه سبعين ما بين مهاجريّ وأنصاريّ منهم: أسد الله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، وقاتل رسول الله ﷺ في يوم الخندق أيضاً وكتب إليه:

.. باسمك اللهمّ أحلف باللاّت، والعزّى، وساف، ونائلة، وهبَل، لقد سرت إليك أُريد استئصالكم. فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقائي ولك منّي كيوم أُحد.

وبعث بالكتاب مع أبي سلمة الجشمي فقرأه للنبي ﷺ أبيّ بن كعب رضي الله عنه فكتب إليه رسول الله ﷺ: (قد أتاني كتابك وقديماً غرَّك يا أحمق بني غالب وسفيههم بالله الغرور وسيحول الله بينك وبين ما تُريد، ويجعل لنا العاقبة، وليأتينَّ عليك يومٌ أكسر فيه اللاّت والعزّى وساف ونائلة وهبَل يا سفيه بني غالب).

ولم يزل يُحادّ الله ورسوله حتى سار رسول الله ﷺ لفتح مكّة فأتى به العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله ﷺ وقد أردفه، وذلك أنَّه كان صديقه ونديمه في الجاهليَّة، فلمّا دخل به على رسول الله ﷺ سأله أن يؤمنه فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال له: ويلك يا أباسفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله؟ فقال: بأبي أنت وامّي ما أوصلك وأجملك وأكرمك، والله لقد ظننت أنَّه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً. فقال يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وامّي ما أوصلك وأجملك وأكرمك، أمّا هذه ففي النفس منها شيءٌ. فقال له العبّاس: ويلك! إشهد لشهادة الحقّ قبل أن تُضرب عنقك. فشهد وأسلم. فهذا حديث إسلامه كما ترى، واختلف في حسن إسلامه فقيل: إنه شهد حُنيناً مع رسول الله ﷺ وكانت الأزلام معه يستقسم بها، وكان كهفاً للمنافقين، وأنّه كان في الجاهليَّة زنديقاً، وفي خبر عبدالله بن زبير أنه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان: ايه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنـو الأصفـر الملوك ملوم الـرّ وم لـم يبـق منـهمُ مـذكـورُ[١]

فحدَّث به الزبير أباه فلمّا فتح الله على المسلمين قال الزبير: قاتله الله يأبى إلاّ نفاقاً، أو لسنا خيراً من بني الأصفر؟.

وذكر المدائني عن أبي زكريّا العجلاني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: حجَّ أبو بكر رضي الله عنه ومعه أبو سفيان بن حرب فكلّم أبو بكر أبا سفيان فرفع صوته فقال أبو قحافة: اخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب. فقال أبو بكر: يا أبا قحافة إنَّ الله بنى بالإسلام بيوتاً كانت غير مبنيَّة، وهدم به بيوتاً كانت في الجاهليَّة مبنيَّة وبيت أبي سفيان ممّا هدم. اهـ.

وكان يوم بويع أبو بكر يثير الفتن ويقول: إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم، يا آل عبد مناف! فيمَ أبو بكر من اموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلّان عليٌّ وعبّاس؟ ما بال هذا الأمر في أقلِّ حيٍّ من قريش؟ ثمَّ قال لعليّ: ابسط يدك أُبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجلاً، فأبى عليٌّ عليه السَّلام عليه فتمثل بشعر المتلمس[٢]:

ولن يُقيم على خسف يُراد به إلاّ الأذلّان غير الحيِّ والوتـدُ
هذا على الخسف مربوطٌ برمَّته وذا يشـجُّ فلا يبكي لـه أحـدُ

فزجره عليٌّ وقال: والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصحك[٣]. وجعل يطوف في أزقّة المدينة ويقول:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكمُ ولا سيّما تيم بن مرَّة أو عدي
فمـا الأمـر إلاّ فيكمُ وإليكمُ وليس لهـا إلاّ أبو حسن علي

---

(١) هذا البيت من جملة أبيات للنعمان بن امرىء القيس.

(٢) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة، توجد ترجمته في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«معجم الشعراء».

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٥.

فقال عمر لأبي بكر: إنَّ هذا قد قدم وهو فاعلٌ شرّاً، وقد كان النبيُّ ﷺ يستألفه على الإسلام فدع له ما بيده من الصَّدقة. ففعل فرضي أبو سفيان وبايعه[1].

وقد سبق الخضري في رأيه هذا معاوية فقال فيما كتب إلى عليٍّ أمير المؤمنين: نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضلٌ. فأجاب عنه أمير المؤمنين بقوله: لعمري إنّا بنو أبٍ واحدٍ ولكن ليس اميَّة كهاشم. ولا حربٌ كعبد المطلب. ولا أبو سفيان كأبي طالب. ولا المهاجرُ كالطَّليق. ولا الصَّريح كاللصيق. ولا المحقُّ كالمبطل. ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلَفٌ يتبع سلفاً هوى في نار جهنَّم، وفي أيدينا بعدُ فضل النبوَّة[2].

قال الأميني: ﴿ألم يأتهم نبأ الَّذين من قبلهم قل: هو نبأ عظيمٌ أنتم عنه معرضون﴾. سورة ص؛ الآيتان: ٦٧، ٦٨.

٣ ـ قال: نقول إن فكر معاوية في اختيار الخليفة بعده حسنٌ جميلٌ، وإنَّه ما دام لم توضع قاعدةٌ لانتخاب الخلفاء، ولم يعيِّن أهلَ الحلِّ والعقد الَّذين يُرجع إليهم، فأحسن ما يُفعل هو أن يختار الخليفة وليّ عهد قبل أن يموت، لأنَّ ذلك يبعد الاختلاف الذي هو شرٌّ على الامّة من جور إمامها ص ١١٩.

وقال: وممّا انتقد الناس معاوية أنّه اختار ابنه للخلافة وبذلك سنَّ في الإسلام سنَّة الملك المنحصر في اسرةٍ معيَّنة بعد أن كان أساسه الشورى ويختار من عامّة قريش وقالوا: إنَّ هذه الطريقة التي سنّها معاوية تدعو في الغالب إلى انتخاب غير الأفضل الأليق من الامّة، وتجعل في اسرة الخلافة الترف والانغماس في الشهوات والملاذ والرفعة على سائر الناس.

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٥٣٨، ٥٣٩، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٠، مروج الذهب ج ٢ ص ٦١، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٢٤، ربيع الأبرار للزمخشري باب ٦٦.

أمّا رأينا في ذلك فإنَّ هذا الانحصار كان أمراً حتماً لا بدَّ منه لصلاح أمر المسلمين وألفتهم ولمِّ شعثهم، فإنّه كلّما اتّسعت الدائرة التي منها يُختار الخليفة كثر الذين يرشّحون أنفسهم لنيل الخلافة، وإذا انضمَّ إلى ذلك اتّساع المملكة الإسلاميَّة، وصعوبة المواصلات بين أطرافها، وعدم وجود قوم معيَّنين يرجع إليهم الانتخاب، فإنَّ الانتخاب واقع، ونحن نشاهد أنَّه مع تفوُّق بني عبد مناف على سائر قريش، واعتراف الناس لهم وهم جزءٌ صغيرٌ من قريش فإنَّهم تنافسوا الأمر وأهلكوا الامّة بينهم، فلو رضي الناس عن اسرةٍ ودانوا لها بالطاعة واعترفوا باستحقاق الولاية لكان هذا خير ما يُفعل لضمِّ شعث المسلمين ص ١٢٤.

إنَّ أعظم مَن ينتقد معاوية في تولية ابنه هم الشيعة مع أنّهم يرون انحصار ولاية الأمر في آل عليّ، ويسوقون الخلافة في بنيه، بتركها الأب منهم للابن، وبنو العبّاس أنفسهم ساروا على هذه الخطّة.

ج - لم ينتقد معاوية مَن ينتقده لمحض اختياره وإنّما انتقده من ناحيتين: الاولى عدم لياقته للتفرد وهو كما قال أمير المؤمنين في كلام له: لم يجعل الله عزَّ وجلَّ له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزبٌ من هذه الأحزاب لم يزل لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتّى دخلا في الإسلام كارهين[1] وفي الامّة أهل الحلِّ والعقد الذين اختاروا خلافة أبي بكر، ثمَّ وافقوا على الوصيَّة إلى عمر وأقرّوها؛ وأصفقوا مع أهل الشورى على خلافة عثمان، وأطبقوا على البيعة طوعاً ورغبة لمولانا أمير المؤمنين فثبتت خلافته، ووجبت طاعته، ولزمت معاوية بيعته، فكان هؤلاء موجودين بأعيانهم أو بنظرائهم وهم الَّذين نقموا على معاوية ذلك العقد المشوم.

الثانية: عدم لياقة من عيَّنه من بعده وهو ذلك الماجن المتخلّع المتظاهر بالفجور إن لم نقل بالكفر والإلحاد.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤.

أمّـا عدم تعيين أهل الاختيار فإن أراد عدم تعيّنهم فذلك بهتانٌ عظيمٌ لأنَّ الموجودين في الصدر الأوّل في عاصمة الإسلام المدينة المنوَّرة الذين تصدَّوا لتعيين الخليفة هم أهل الحلِّ والعقد، وكان أكثرهم موجودين إلى ذلك العهد، وأمّـا من توفي منهم فقد قيَّضت الظروف من بعدهم مَن يسدُّ مسدَّهم، فإن يكن هؤلاء مفوَّضاً إليهم أمر الخلافة بادىءبدء فهم المفوض إليهم أمرها مهما تناقلت الخلافة، فليس لأحد أن يختار من دون رضاً منهم، وإنَّ هؤلاء القوم تُعيِّنهم الظروف والأحوال والمقتضيات المكتنفة بهم، ولا يُعيِّنهم نصٌّ من الكتاب أو السنَّة.

وإن أراد عدم تعيين هؤلاء الخليفة من بعد معاوية فإنَّ ظرف التعيين ساعة موت الخليفة لا قبله. نعم: قد تنعقد الضمائر على انتخاب من يرون له الأهليَّة في أبّان الانتخاب، وما أدرى معاوية أنَّهم سوف يهملون أمر الامَّة ساعة هلاكه؟ ولماذا تفرَّد بـالانتخاب من دون رضى منهم؟ ولمـاذا خضَّع أفـراداً من القوم بالتخويف وآخرين بالتطميع؟ ومتى أبعد انتخابه الاختلاف الذي هو شرٌّ على الامَّة؟ وفي الملأ الدينيِّ امَمٌ ينقمون منـه ذلك، وجمـوعٌ ينتقدونـه، وشراذم يضمرون السخط ويتظاهرون به حذار بادرته. نعم: هناك زعانفةٌ اشتروا رضى المخلوق بسخط الخالق، وأعمتهم الصرر والبدر، فأبدوا الرضا.

ولو كانت هذه الفكرة حسنةً جميلةً فلماذا فاتت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حين دنت منه الوفاة؟ فلم يرحض عن امَّته معرَّة الخـلاف، وترك المراجل تغلي حتّى اليوم. وهل ترى لو كان أوصى إلى معيَّن من امَّته بالخلافة يوجد هناك لأحد مطمع غير المنصوص عليه؟ ودعا سعد بن عبادة إلى نفسه؟ وقال قائل الأنصار:منّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ؟ وهتف هاتفٌ أنـا جُذيلهـا المحكّك وعُـذيقها المـرجَّب؟ وازدلف المهاجـرون إلى أبي بكـر؟ واجتمـع نـاسٌ إلى العبّاس؟ وبنو هاشم ومن يمتُّ بهم وينتمي إليهم يقولون: إنَّها لأمير المؤمنين صلوات الله عليه؟ هذه أسئلةٌ حافلةٌ ليس للخضري عنها جوابٌ إلّا أن يدَّعي أنَّ معاوية كان أشفق بالأُمَّة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأيّ خلاف رفعه تعيين يزيد وعلى عهده كانت واقعة الطفّ، وتلاها فاجعةُ الحرَّة، وأعقبهما أمر ابن الزبير، وقصّة البيت المعظّم؟! كلُّ ذلك من جرّاء ذلك الاختيار، وثمرة تلك الفكرة الفاسدة، وفي الناقمين سبط النبوّة حسين العظمة صلوات الله عليه وبقيَّة بني عبد مناف وعامّة المهاجرين والأنصار في المدينة المنوَّرة.

ثمَّ إن كان معاوية لم يجد بُدّاً من الاختيار فلماذا لم يختر صالحاً من صلحاء الصَّحابة؟ وفي مقدَّمهم سبط رسول الله الإمام الطاهر، ولا معدل عنه في حنكة أو علم أو تقوى أو شرف.

وكيف راق «الخضري» أن يرى هذا الاختيار حسناً جميلاً صالح الامّة ولم يره حيفاً وجنايةً عليها وعلى إسلامها ورسولها وكتابها وسنّتها؟! ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوقظ شعور امَّته قبل ذلك بأعوام بقوله: إنَّ أوّل من يُبدِّل سنّتي رجلٌ من بني اميّة[١] وقوله: لا يزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتّى يثلمه رجلٌ من بني اميّة يقال له يزيد[٢].

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى: إنَّ يزيد لمّا كان أبوه أمير الشام غزا المسلمون فحصل لرجل جارية نفيسة فأخذها منه يزيد فاستعان الرجل بأبي ذرّ فمشى معه إليه وأمره بردِّها ثلاث مرّات وهو يتلكّأ فقال: أما والله لئن فعلت سمعت رسول الله ﷺ يقول: أوَّل من يُبدِّل سنَّتي لرجل من بني اميّة: ثمّ ولّى، فتبعه يزيد فقال: أذكرك بالله أنا هو؟ فقال: لا أدري، وردَّها يزيد.

قال ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق ص ١٤٥: لا يُنافي هذا الحديث المذكور المصرِّح بيزيد إمّا لأنّه بفرض كلام أبي ذر على حقيقته لكون أبي ذر لم يعلم بذلك المبهم، فقوله: لا أدري أي في علمي وقد بيّن إبهامه في الرِّواية الاولى، والمفسِّر يقضي على المبهم. وإمّا لأنَّ أبا ذر علم أنّه يزيد

---

(١) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٩، تطهير الجنان في هامش الصواعق ص ١٤٥.

(٢) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٩، تطهير الجنان في هامش الصواعق ص ١٤٥ وقال: مسند رجاله رجال الصحيح إلاّ أن فيه انقطاعاً.

ولكنه لم يصرِّح له بذلك خشية الفتنة، لا سيّما وأبو ذر كان بينه وبين بني اميَّة امورٌ تحملهم على أنَّهم ينسبونه إلى التحامل عليهم.

وأمّا رأيه في حصر الخلافة بأُسرة فإنّا لا نناقشه إلّا من عدم جدارة الاسرة التي يجنح إليها «الخضري» للخلافة. نعم: لا بأس به إذا حُصِرت بأُسرةٍ كريمةٍ تتحلّى باللباقة والحذق من النّاحية الدينيَّة والسياسيَّة، ونحن لا نقول بلزوم الحصر المذكور مع عدم اللياقة، فإنَّه غير وافٍ لقمِّ جذور الفساد، وقمع جذوم الاختلاف، فالأُمَّة متى وجدت من خليفتها الحيف والجنف تثور عليه وتخلعه، وبطبع الحال يطمع في الخلافة عندئذ من هو أزكى منه نفساً، وأطيب أرومةً، وأكرم خلقاً، وحتّى مَن يُساويه في الغرائز، فأيّ مفسدةٍ اكتسحها حصر الخلافة والحالة هذه؟!.

ج ـ إذا حصرت بمن ذكرناه وشاهدت الامَّة منهم التأهّل، فإنَّ فيه منقطع أطماع الخارجين عن الاسرة من ناحية خروجهم عن البيت المعيَّن لها، ودحض معاذير الثوّار والمشاغبين من ناحية عدم وجود أحداث توجب الثورة والخروج، وعندئذ تتأكّد خضوع الامَّة لخليفة شأنه ما ذكرناه، فتعظم شوكته، وتتّسق اموره، وتمتثل أوامره، فلا يدع معرَّة إلّا اكتسحها، ولا صلاحاً إلّا بثّه، والشيعة لا تقول بحصر الخلافة في آل عليٍّ عليهم السَّلام إلّا بعد إخباتها إلى سريان ناموس العصمة في رجالات بيتهم المعيّنين للخلافة المدعومة بالنصوص النبويَّة المتواترة راجع ص ١٠٨ ـ ١١١ من هذا الجزء.

٤ ـ قال: وعلى الجملة فإنَّ الحسين أخطأ في خروجه هذا الذي جرَّ على الامَّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يُريدون بذلك إلّا أن تشتعل النيران في القلوب فيشتدُّ تباعدها، غاية ما في الأمر أنَّ الرجل طلب أمراً لم يُهيَّأ له، ولم يعدّ له عدَّته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقُتل دونه، وقبل ذلك قُتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين ومن يبشع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً، وقد ذهب الجميع إلى ربِّهم يُحاسبهم على ما فعلوا والتاريخ يأخذ من ذلك عبرةً

وهي : إنّه لا ينبغي لمن يـريد عظائم الامور أن يسير إليها بغير عدَّتها الطبيعيَّة ، فلا يرفع سيفه إلاّ إذا كان معه من القوَّة ما يكفل النجاح أو يقرب من ذلك ، كما أنّه لا بدَّ أن تكون هناك أسباب حقيقيَّة لمصلحة الامَّة ، بأن يكون جورٌ ظاهرٌ لا يحتمل ، وعسفٌ شديدٌ ينوء الناس بحمله ، أمّـا الحسين فإنَّه خالف يزيد وقد بايعه الناس ، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عنـد إظهار هـذا الخلاف ١٢٩ ـ ١٣٠ . وقبل هذه الجمل يبرِّر ساحة يزيد عن الظلم والجور ويراه قرَّب عليَّ بن الحسين إليه وأكرمه ونعَّمه .

ج ـ ليت الرَّجل كتب ما كتب بعد الحيـطة بشؤون الخـلافة الإسـلاميَّة وشـروطها ، ومـا يجب أن يكتنفه من حنكـة لتدبيـر الشؤون ، وملكـة لتهذيب النفوس ، ونزاهةٍ عن الرذائل ليكون قدوةً للأُمَّة ، ولا ينقض ما يدعو إليه ببوائقه ، إلى أمثالها من غرائز يجب أن يكون حامل ذلك العبء الثقيل متحلّياً بها ، لكنَّه كتب وهو يجهل ذلك كلّه ، وكتبه على حين أنه لم يحمل إلاّ نفساً ضئيلة تقتنع بما يحسبه دعةً تحت نير الاضطهاد ، وعلى حين أنَّ ضعف الرأي ودقَّة الخطر يُحبذان له راحةً مزعومة في ظل الاستعباد ، فلا نفس كبيرة تدفعه إلى الهرب من حياة الذلِّ ، ولا عقلٌ سليمٌ الضِّعة ، ولا إحاطة بتعاليم الإسلام تُلقِّنه دروس الإباء والشهامة ، ولا معرفة بعناصر الرِّجال ليعلم من نفسيّـاتهم الكمَّ والكيف ، فلا عرف يزيد الطاغية حتى يعلم أنّه لا مقيل له في مستوى الخلافة . ولا عرف حسين السؤدد والشرف والإباء والشهامة ، حسين المجد والإمامة ، حسين الدين واليقين ، حسين الفضل والعظمة ، حسين الحقّ والحقيقة ، حتّى يخبت إلى أنَّ مَن يحمل نفساً كنفسه لا يمكنه البخوع ليزيد الخلاعة والمجون ، يزيد الاستهتار والفسوق ، يزيد النهمة والشره ، يزيد الكفر والإلحاد .

لم ينهض بضعة المصطفى إلاّ بواجبه الدينيِّ ، فإنَّ كلّ معتنقٍ للحنيفيّة البيضاء يرى في أوّل فرائضه أن يُـدافع عن الـدين بجهاد مَن يـريد أن يعبث بنواميسه ، ويعيث في طقوسه ، ويُبدِّل تعاليمـه ، ويُعطِّل أحكـامه ، وانّ أظهـر مصـــداق تنطبـــق عليـه هذه الجمل هو : يزيد الجور والفجور والخمور ، الذي

كان يُعرف بها على عهد أبيه كما قال مولانا الحسين عليه السَّلام لمعاوية لمّا أراد أخذ البيعة له: تريد أن توهم الناس؟! كأنَّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ يزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة[١] عند التحارش، والحمام السبّق لأترابهنَّ، والقينات ذوات المعازف[٢] وضروب الملاهي، تجده ناصراً، دع عنك ما تُحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه[٣].

وقال عليه السَّلام لمعاوية أيضاً: حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل. فقال معاوية: وأمّا ما ذكرت من أنَّك خيرٌ من يزيد نفساً. فيزيد والله خيرٌ لأُمَّة محمَّد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خيرٌ منّي[٤]؟.

وفي كتاب المعتضد الذي تُلي على رؤوس الأشهاد في أيّامه ما نصّه: ومنه: إيثاره (يعني معاوية) بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة، وهو يعلم سفهه. ويطَّلع على خبثه ورهقه، ويُعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمّا تمكّن منه ما مكّنه منه ووطّأه له وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرَّة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبَد نفسه وغليله، وظنَّ أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسلْ

---

(١) المهارشة: تحريش بعضها على بعض.

(٢) المعازف ج معزف: آلات يضرب بها كالعود.

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣.

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٥.

قـد قتلنا القـرم من سـاداتهم وعـدلنـا ميـل بـدرٍ فـاعتـدلْ
فـأهـلّوا واستـهـلّوا فـرحـاً ثمَّ قـالوا: يـا يزيـدُ لا تشـلْ
لستُ من خندف إن لم أنتقم من بني أحمـد ما كـان فعـلْ
لعبت هـاشم بـالملك فـلا خـبـرٌ جاء ولا وحيٌ نـزلْ

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله وإلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله، ثمَّ من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنَّة اجتراءً على الله، وكفراً بدينـه، وعداوةً لرسوله ومجاهدةً لعترته، واستهانةً بحرمته، فكأنَّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمةً، ولا يرقب منه سطوةً، فبتر الله عمره، واجتثَّ أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ما استحقَّه بمعصيته. الخ.

راجع تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٨

وقبل هذه كلّها ما مرَّ ص ٣١٥ من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من أنّ أوَّل من يُبدِّل سنَّته رجلٌ من بني اميَّة، ولا يزال الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتّى يثلمه رجلٌ من بني اميَّة يُقال له: يزيد.

وإلى مثل هذه كان يرمي كلُّ من ينقم بيعة يزيد، فخلافة مثله وهو على هذه الحالة خطرٌ عظيمٌ على الدين والمسلمين من شتّى النواحي:

١ - فقومٌ تتضعضع ضمائرهم عن الدين لِما تمركز في الأدمغـة من أنّ الخليفة يجب أن يكون مسانخاً لمن يتخلّف عنه، والناشئة الذين لم يـدركوا عصر النبوَّة ولم يكهربهم التعاليم الصحيحة في العصور المظلمة، تخالجهم هذه الشبهة بأسرع ما يكون، فيحسبون أنَّ قداسة النبيِّ الأعظم كـانت ملوَّثة (العياذ بالله) بأمثال هذه الأدناس من دون علم بأنَّ الرَّجل خليفة أبيه لا خليفة

رسول الله، وإنَّما سنَّمه ذلك العرش المطامع والشره من جانب، والتخويف والإرهاب من جانب.

٢ ـ قومٌ يروقهم اقتصاص أثر الخليفة في تهتّكه لميل النفوس إلى الاستهتار ورفض القيود تارة، ومن جهة حبِّ التشبّه بالعظماء والساسة طوراً، (والناس على دين مليكهم) والناس إذا استهوتهم الشهوات لا يقفون على حدّ، فتكثر فيهم الموبقات، وتشيع الفواحش، فمن فجورٍ إلى مثله، ومن فاحشةٍ إلى اخرى، فلا يمرُّ يسيرٌ من الزَّمن إلاّ ومملكة الإسلام مباءَة للمنكرات، ومستوىً للفواحش، حتى لا تبقى من نواميس الدين عينٌ ولا أثرٌ.

٣ ـ وهناك أقوامٌ يُنكرون هذه المظاهر وقد أفلتت من أيديهم المظاهر الدينيَّة، فهم بين حائر لا يدري اين يولّي وجهه وممَّن يأخذ معالم دينه، وبين مَن تتسرَّب إليه الشبه خلال هاتيك الظلمات الدامسة، فلا يشعر حتّى يرى نفسه في هلكة الجاهليَّة الاولى.

٤ ـ إذا سادت الخلاعة بين أيِّ امَّة من ملوكها وسوقتها وأمرائها وزعمائها فهي بطبع الحال تلتهي عن الشؤون الاجتماعيَّة والإداريَّة ودحض الفوضى، ومقاومة القلاقل الداخليَّة، فهنالك يسود فيها الضعف اختلال نظامها، فتنبو عن الدفاع عن ثغورها واستقلالها، فتطمع فيها الأجانب، وتكثر عليها الهجمات، فلا يمرُّ عليها ردحٌ قصيرٌ من الزمن إلاّ وهي فريسة الضاري، وأُكلة الجشع، وطعمة كلِّ مخالف.

٥ ـ إنَّ نواميس الإسلام كانت بطبع الحال تبلغ إلى أمم نائية عن مملكته فيروقها جمالها البهيج، وحكمتها البالغة، وموافقتها العقل والمنطق، وأعمال رجالها المخلصين، فيكون فيهم من يتأثر بجاذبتها، أو يكون على وشك من اعتناقها، ولا أقلَّ من الحبّ الممتزج لنفسيّاتهم، لكن بينما القوم على هذه الحالة إذا تعاقب تلك الأنباء ما يُضادّها من عادات هذا الدور الجديد الحالك، وأخبارها الموحشة تحت راية تلك الخلافة الجائرة، ووبلغهم أنَّ هاتيك التعاليم

الوضيئة قد هجرت، والمطَّرد في مملكة الإسلام غيرها بشهوةٍ من الخليفة، وانهماكٍ من القوّاد. وتهالكٍ من الزَّعامة، وتفانٍ من السوقة، فسرعان ما تعود تلك السمعة مشوَّهة، ويعود ذلك الحبّ بغضاً من غير تمييز بين الأصيل والدخيل من الأعمال، فتكون الحالة معثرة في سبيل سير الإسلام وتسرّيه إلى الأجانب.

٦ - أضف إلى هذه كلّها ما كان يظهر من فلتات السنة الأمويِّين، ويُرى في فجوات أعمالهم من نواياهم السيِّئة على الدين والمسلمين، وقد علمنا من ذلك أنَّهم لم يقلعهم عن دينهم الوثنيِّ الأوَّل إلّا خشية السيف، والطمع في الزَّعامة، فأقلّ شيءٍ ينتظر منهم على ذلك عدم اهتمامهم بنشر معالم الدين إن لم يردَّ الامَّة عن سيرها الدينيِّ القهقرى، فتبقى مرتطمة بين هذه وبين تهالكها في الفجور وسيِّىء الخلق، فتعود دولةً قيصريَّةً ومملكةً جاهليَّةً.

ثمَّ إنَّ نفس الخليفة إذا شاهد من استحوذ عليهم من الامم على هذه الأحوال، وعلم أنَّه قد ملك الرقاب ولا منكر عليه من بينهم على مآثم يرتكبها أو سيِّئات يجترحها فإنّه بالطبع يتوغَّل في غلوائه، ويزداد في انهماكه، ويشتدُّ في التفرعن والاستعباد.

فأيّ خطرٍ (أيّها الخضري) أعظم على المجتمع الدينيِّ من هذه الأحوال؟! وأيّ مصلحة أعظم من اكتساح هذه المعرَّة تدفع كل دينيّ غيور إلى النهوض في وجه هذه السلطة القاسية، وأيّ (عسف شديد ينوء الناس بحمله) أو (جور ظاهر لا يحتمل) أشدّ ممّا ذكرنا؟! الذي يترك كلّ متديِّن أن يرى من واجبه الإنكار عليه، والنهضة تجاهه ولو بمفرده، وإن علم أنّه مقتولٌ لا محالة، فإنّه وإن يُقتل في يومه لكن حياته الأبديَّة في سبيل الدين والشريعة لا تزال مُضعضعةً لأركان الدولة الظالمة، وهو فيها يتلو على الملأ صحيفة صاحبها السوداء، وانّه كان مغتصباً ذلك العرش المقدَّس، وانّه إنّما وئد هذا الإنسان دون إنكاره على جرائمه، ويتَّخذ الملأ الواقف على حديثه درساً راقياً من التضحية، والمفادات دون المبدأ الصحيح، فيقتصّون أثره، ويحصل هناك قومٌ يرِقّون لهذا المضحّي

فينهضون لثاراته؛ وفي الامَّة بقيَّةٌ ساخطةٌ لمآثم المتغلّب، وفتكه بالمنكر عليه، فتلتقي الروحان: الثائرة والساخطة، فتنهك هذه قوى الدولة الغاشمة، وتتثبَّط الاخرى عن مناصرتها، فيكون هناك بوار الظلم، وظهور الصالح العام.

وهكذا أثَّرت نهضة الحسين المقدَّسة حتّى أجهزت على دولة الأمويِّين أيّام حمارهم، وهكذا علّمت الامَّة دروسها الراقية، لكنَّ «الخضريّ» ومن يلفُّ لفَّه قد أعشى الجهل أبصار بصائرهم.

لم يكن حسين التضحية يُريد ملكاً عضوضاً حتّى كان خروجه قبل الأُهبة خطا عظيماً كما يحسبه «الخضريُّ» فيقول بملء فمه: فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه...

وإنَّما أراد الفادي الكريم والمجاهد الظافر التضحية في سبيل الدين، ليُعلم الامَّة بفظاظة الأمويِّين، وقسوة سياستهم، وابتعادهم عن الناموس البشريِّ فضلاً عن الناموس الدينيِّ، وتوغلهم في الغلظة الجاهليَّة وعادات الكفر الدفين، ليعلم الملأ الدينيُّ أنَّهم كيف لم يوقروا كبيراً ولم يرحموا صغيراً، ولم يرقّوا على رضيع؛ ولم يعطفوا على امرأة، فقدَّم إلى ساحات المفادات أغصان الرِّسالة، وأوراد النبوَّة، وأنوار الخلافة، ولم تبق جوهرة من هاتيك الجواهر الفردة، فلم يعتم هو ولا هؤلاء إلّا وهم ضحايا في سبيل تلك الطلبة الكريمة.

سل كربلا كم من حشاً لمحمّدٍ ... نهبت بها وكم استجزَّت من يدِ
أقمارُ تُمٍّ غالها خسف الرَّدى ... واغتالها بصروفه الزّمن الرَّدي

وما كان حسين العظمة بالذي تذهب أعماله أدراج الرِّياح لما هو المعلوم بين امَّة جدِّه من شموخ مكانته، ورفعة مقامه، وعلمه المتدفِّق، ورأيه الأصيل، وعدله الواضح، وتقواه المعلومة، وأنَّه ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم المستقي من تيّار فضله، فلن تجد بين المسلمين من يُنكر عليه شيئاً من هذه المآثر وإن كان ممّن لا يدين بخلافته، فما كانت الامّة تفوه بشيءٍ حول نهضته القدسيَّة قبل التنقيب والنظر، وقد نقّبوا وتروَّوا فيها فوجدوها طبقاً لصالح

المجتمع، فلم يُسمع من أحدهم غير تقديس أو إكبار، ولذلك لم تسمع أُذن الدهر من أيّ أحدٍ ما تجرَّأ به «الخضريُّ» بقوله: أخطأ.

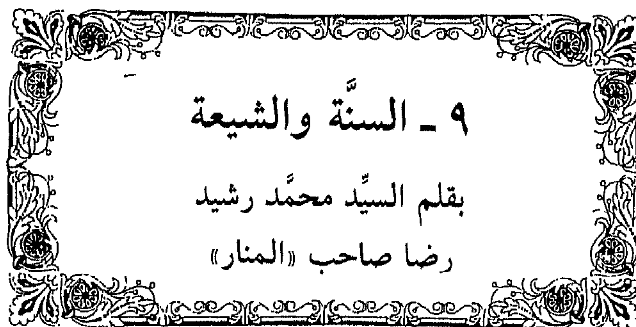
إنّهم يقولون منكراً من القول وزوراً.

فالذي نستفيده من تاريخ السبط المفدىّ هو وجوب النهوض في وجه كلِّ باطلٍ ومناصرة كلِّ حقّ، ولإبقاء هيكل الدين، ونشر تعاليمه، وبثِّ أخلاقه، نعم: يُعلمنا هذا التاريخ المجيد النزوع إلى إيثار الخلود في البقاء ولو باعتناق المنيَّة على الحياة المخدجة تحت نير الاستعباد، والمبادرة إلى الانتهال من مناهل الموت لتخليص الامَّة من مخالب الجور والفجور، ويلزمنا بسلوك سنن المفاداة دون الحنيفيَّة البيضاء، والنزول على حكم الإباء دون مهاوي الذل، هذا غيضٌ من فيض من دروس سيِّدنا الحسين عليه السَّلام التي ألقاها على امَّة جدِّه، لا ما جاء في مزعمة (الخضريِّ) من أنَّ التاريخ... الخ.

وللخضريِّ من ضرائب ما ذُكر بوائق جمَّة ضربنا عنها صفحاً، وإنَّما أردنا إيقاظ شعور الباحث بما ذُكر إلى سنخ آرائه الأمويَّة.

﴿يَسْتَخفون مِنَ النّاسِ وَلَا يَستَخفون مِنَ الله وَهُوَ مَعهُمْ إذ يُبيِّتونَ ما لا يَرضى مِنَ القَوْلِ وَكانَ الله بما يَعمَلونَ مُحيطا﴾

سورة النساء: آية ١٠٨



٩ ـ السنَّة والشيعة

بقلم السيِّد محمَّد رشيد
رضا صاحب «المنار»

لم يقصد صاحب هذه الرسالة نقداً نزيهاً، أو حجاجاً صحيحاً وإن كان قد صبغها بصبغة الرد على العلامة الحجة في علوية الشيعة السيد محسن الأمين العاملي (حياه الله وبياه) لكنه لم يتهجم على حصونه المنيعة إلا بسباب مقذع، أو إهانة قبيحة، أو تنابز بالألقاب، أو هتك شائن، ومعظم قصده إغراء الدول الثلاث العربية: العراقية والحجازية واليمانية بالشيعة بأكاذيب وتمويهات، وعليه فليس من خطة الباحث نقد أمثالها، غير أنه لم نجد منتدحاً من الإيعاز إلى شيء من الأكاذيب والمخاريق المودعة فيها من وليدة فكرته أو ما نقله عن غيره متطلباً من علماء الشيعة تخطئة ما يرونه فيها خطأً، وهو يعلم أن الإعراض عنها هو الحزم لما فيه من السياسة الدولية الخارجة عن محيط العلم والعلماء.

١ ـ بدأ رسالته بتاريخ التشيّع ومذاهب الشيعة فجعل مبتدع اصوله عبدالله بن سبأ اليهودي، ورأى خليفة السبئيِّين في إداراة دعاية التفرُّق بين المسلمين بالتشيّع والغلوِّ زنادقة الفرس، وعدَّ من تعاليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمَّة، وتحريف القرآن، والبدع المتعلّقة بالحجَّة المنتظر، والقول بأُلوهيَّة بعض الأئمَّة والكفر الصريح.

وقسَّم الإماميَّة على المعتدلة القريبة من الزيديَّة، والغلاة القريبة من الباطنيَّة وقال: هم الذي لقَّحوا ببعض تعاليمهم الإلحاديَّة كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته، وأغربها في زعمهم سورةٌ خاصَّةٌ بأهل البيت يتناقلونها بينهم حتّى كتب إلينا سائحٌ سنِّيٌّ مرَّة: أنّه سمع بعض خطبائهم في بلد من بلاد إيران يقرؤها يوم الجمعة على المنبر، وقد نقلها عنهم بعض دعاة النصرانيَّة المبشِّرين، فهؤلاء الإماميَّة الإثنى عشريَّة ويلقَّبون بالجعفريَّة درجات.

وعدَّ من الإماميَّة بدعة البابيَّة ثمَّ البهائيّة الذين يقولون بألوهيَّة البهاء ونسخه لدين الإسلام وإبطاله لجميع مذاهبه. ومن وراء هذه الكلم المثيرة للفتن والإحن يرى نفسه الساعي الوحيد في توحيد الكلمة والإصلاح بعد السيِّد جمال الدين الأفغاني، ثمَّ بسط القول الخرافيّ، والكلم القارصة.

والباحث يجد جواب كثير ممّا لفّقه من المخاريق فيما مرَّ من هذا الجزء من كتابنا، والسائح السنّي الذي أخبر صاحب «المنار» من خطيب إيران لم يولد بعدُ، ومثله الخطيب الذي كان يهتف بتلك السورة المختلقة في الجمعات، ولا أنَّ الشيعة تُقيم لتلك السورة المزعومة وزناً، ولا تراها بعين الكتاب العزيز؛ ولا تجري عليها أحكامه، ويا ليت الرجل راجع مقدّمات تفسير العلّامة البلاغي (آلاء الرَّحمان) وما قاله في حقِّ هذه السورة وهو لسان الشيعة، وترجمان عقائدهم، ثمَّ كتب ما كتب حولها.

ونحن نرحِّب بهذا الحجاج الذي يستند فيه إلى المبشر النصرانيّ، ومن جهله الشائن عدُّ البابيَّة والبهائيَّة من فرق الشيعة، والشيعة على بكرة أبيها لا تعتقد إلّا بمروقهم عن الدين وبكفرهم وضلالهم ونجاستهم، والكتب المؤلّفة في دحض أباطيلهم لعلماء الشيعة أكثر من أن تُحصى وأكثرها مطبوعٌ منشورٌ.

٢ ـ قال: اختلال العراق دائماً إنَّما هو من الأرفاض، فقد تهرى أديمهم من سمِّ ضلالهم، ولم يزالوا يفرحون بنكبات المسلمين حتّى انَّهم اتَّخذوا يوم انتصار الروس على المسلمين عيداً سعيداً، وأهل إيران زيَّنوا بلادهم يومئذ فرحاً وسروراً ص ٥١[١].

ج ـ عجباً للصلافة. أيحسب هذا الإنسان أنَّ لبلاد العراقية والإيرانيّة غير مطروقةٍ لأحد؟ أو أنَّ أخبارهم لا تصل إلى غيرهما؟ أو أنَّ الأكثريَّة الشيعيَّة في العراق قد لازمها العمى والصمم عمّا تفرَّد برؤيته أو سماعه هذا المتقوِّل؟ أو أنَّهم معدودون من الامم البائدة الَّذين طحنهم مرُّ الحقب والأعوام؟ فلم يبق لهم

---

(١) نقلها وما بعدها عن الالوسي في كتاب نسبه إليه كتبها إلى الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي.

من يُدافع عن شرفهم، ويُناقش الحساب مع من يبهتهم، فيسائل هذا المختلق عن أولئك النفر الذين يفرحون بنكبات المسلمين، أهم في عراقنا هذه مجرى الرافدين؟ أم يُريد قارّة لم تُكتشف تُسمّى بهذا الإسم؟ ويُعيد عليه هذا السؤال بعينه في إيران.

أمّا المسلمون القاطنون في تينك المملكتين ومن طرقهما من المستشرقين والسوّاح والسفراء والموظّفين فلا عهد لهم بهاتيك الأفراح، والشيعة جمعاء تحترم نفوس المسلمين ودماءَهم وأعراضهم وأموالهم مطلقاً من غير فرق بين السنيّ والشيعيّ فهي تستاء إذا ما انتابت أيَّ أحد منهم نائبةٌ، ولم تقيِّد الاخوَّة الإسلاميّة المنصوص عليها في الكتاب الكريم بالتشيّع، ويُسائل الرجل أيضاً عن تعيين اليوم، أيُّ يوم هو هذا العيد؟ وفي أيِّ شهر هو؟ وأيُّ مدينة ازدانت لأجله؟ وأيُّ قوم ناؤا بتلك المخزاة ؟ .

لا جواب للرَّجل إلّا الاستناد إلى مثل ما استند إليه صاحب الرِّسالة من سائح سنّيٍ مجهول أو مبشّر نصرانيٍّ.

٣ ـ قال تحت عنوان: بُغض الرافض لبعض أهل البيت:

إنَّ الروافض كاليهود يُؤمنون ببعض ويكفرن ببعض (إلى أن قال): ويبغضون كثيراً من أولاد فاطمة رضي الله عنها بل يسبّونهم كزيد بن عليٍّ بن الحسين.

وكذا يحيى ابنه فإنّهم أيضاً يُبغضونه.

وكذا إبراهيم وجعفر ابنا موسى الكاظم رضي الله عنهم. ولقّبوا الثاني بالكذّاب، مع أنّه كان من أكابر الأولياء وعنه أخذ أبو زيد البسطامي.

ويعتقدون أنَّ الحسن بن الحسن المُثنّى، وابنه عبدالله المحض، وابنه محمّد الملقَّب بالنّفس الزكيّة ارتدّوا (حاشاهم) عن دين الإسلام.

وهكذا اعتقدوا في إبراهيم بن عبدالله.

وزكريّا بن محمّد الباقر

ومحمّد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن.

ومحمّد بن القاسم بن الحسن.

ويحيى بن عمر الذي كان من أحفاد زيد بن عليٍّ بن الحسين.

وكذلك في جماعة حسنيِّين وحسينيِّين كانوا قائلين بإمامة زيد بن عليٍّ بن الحسين، إلى غير ذلك ممّا لا يسعه المقام، وهم حصروا حبّهم بعدد منهم قليل ،كلّ فرقةٍ منهم تخصُّ عدداً وتلعن الباقين، هذا حبّهم لأهل البيت والمودَّة في القربى المسؤول عنها ٥٢ ـ ٥٤ .

ج ـ هذه سلسلة أوهام حسبها الآلوسي حقائق ، أو أنَّه أراد تشويه سمعة الشيعة ولو بأشياء مفتعلة ، فذكر أحكاماً بعضها باطلٌ بانتفاء موضوعة ، وجملةٌ منها لأنَّها أكاذيب .

أمّا زيد بن عليّ. الشهيد فقد مرّ الكلام فيه وفي مقامه وقداسته عند الشيعة جمعاء راجع ص ٩٧ـ١٠٥

وأمّا يحيى بن زيد. الشهيد ابن الشهيد فحاشا أن يُبغضه شيعيٌّ، وهو ذلك الإماميّ البطل المجاهد، يروي عن أبيه الطاهر أنَّ الأئمَّة إثنا عشر، وسمّاهم بأسمائهم وقال: إنّه عهدٌ معهودٌ عهده إلينا رسول الله[1]. ورثاه شاعر الإماميَّة دعبل الخزاعي في تائيَّته السائرة وقرأها للإمام عليٍّ بن موسى الرِّضا عليه السَّلام.

ولم توجد للشيعة حوله كلمة غمز فضلاً عن بغضه، وغاية نظر الشيعة فيه كما في كتاب زيد الشهيد ص ١٧٥ : أنَّه كان معترفاً بإمامة الإمام الصّادق ، حسن العقيدة، متبصِّراً بالأمر، وقد بكى عليه الصّادق عليه السَّلام، وترحم له . فسلام الله عليه وعلى روحه الطاهرة.

وفي وسع الباحث أن يستنتج ولاء الشيعة ليحيى بن زيد ممّا أخرجه أبو

---

(١) مقتضب الأثر في الأئمّة الإثني عشر.

الفرج في «مقاتل الطالبيّين»ص ٦٢ ط إيران قال: لمّا أُطلق يحيى بن زيد وفُكَّ حديده صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحدّاد الذي فكَّ قيده من رجله فسألوه أن يبيعهم إيّاه وتنافسوا فيه وتزايدوا حتّى بلغ عشرين ألف درهم، فخاف أن يشيع خبره فيُؤخذ منه المال فقال لهم: اجمعوا ثمنه بينكم. فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطعه قطعةً قطعةً وقسّمه بينهم فاتّخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبرّكون بها.

وقد أقرّت الشيعة هذا في أجيالها المتأخّرة وحتّى اليوم ولم ينقم ذلك أحدٌ منهم.

وأمّا إبراهيم بن موسى الكاظم فليتني أدري وقومي بغض أيّ إبراهيم يُنسب إلينا؟ هل إبراهيم الأكبر أحد أئمة الزيديَّة الذي ظهر باليمن أيّام أبي السرايا، والشيعة تروي عن الإمام الكاظم: أنّه أدخله في وصيّته وذكره في مقدَّم أولاده المذكورين فيها وقال: إنّما أردت بإدخال الذين أدخلتهم معه (يعني الإمام عليّ بن موسى) من ولدي التنويه بأسمائهم والتشريف لهم[1] وترجمه شيخنا الأكبر المفيد في الإرشاد بالشيخ الشجاع الكريم وقال: ولكلّ واحدٍ من وُلد أبي الحسن موسى عليه السَّلام فضلٌ ومنقبةٌ مشهورة، وكان الرِّضا المقدَّم عليهم في الفضل. وقال سيِّدنا تاج الدين بن زهرة في «غاية الاختصار»: كان سيِّداً أميراً جليلاً نبيلاً عالماً فاضلاً يروي الحديث عن آبائه عليهم السَّلام. وفذلكة رأي الشيعة فيه ما في «تنقيح المقال» ج ١ ص ٣٤، ٣٥: أنّه في غاية درجة التقوى وهو خيِّرٌ دِيِّنٌ.

أم إبراهيم الأصغر الملقَّب بالمرتضى؟ والشيعة تراه كبقيَّة الذريَّة من الشجرة الطيِّبة وتتقرَّب إلى الله بحبِّهم، وحكى سيِّدنا الحسن صدر الدين الكاظمي عن شجرة ابن المهنّا: أنَّ إبراهيم الصغير كان عالماً عابداً زاهداً وليس هو صاحب أبي السّرايا، وإنّي لم أجد لشيعيٍّ كلمة غمز فيه لا في كتب الأنساب

(١) اصول الكافي ص ١٦٣ في باب الإشارة والنص على الإمام أبي الحسن الرضا.

ولا في معاجم الرِّجال حتّى يستشمّ منها بغض الشيعة إيّاه، وهذا سيِّدنا الأمين العاملي عدَّهما من أعيان الشيعة وترجمهما في «الأعيان»ج ٥ ص٤٧٤ - ٤٨٢ .

فنسبة بُغض أيٍّ منهما إلى الشيعة فريةٌ واختلاقٌ.

وأمّا جعفر بن موسى الكاظم فإنّي لم أجد في تآليف الشيعة بسط القول في ترجمته، ولم أقرأ كلمة غمز فيه حتى تكون آية بغضهم إيّاه، ولم أرقطْ أحداً من الشيعة لقَّبه بالكذَّاب، ليت المفتري دلَّنا على من ذكره، أو على تأليف يوجد فيه، والشيعة إنَّما تلقّبه بالخواري وولده بالخواريِّين والشجريِّين كما في «عمدة الطالب» ٢٠٨ . وليتني أدري ممّن أخذ عدّ جعفر من أكابر الأولياء؟ ومن الذي ذكر أخذ أبي يزيد البسطامي عنه؟ .

إنّما الموجود في المعاجم تلمّذ أبي يزيد البسطامي طيفور بن عيسى بن آدم المتوفّى سنة٢٦١ على الإمام جعفر بن محمّد الصّادق، وهذا اشتباه من المترجمين كما صرَّح به المنقِّبون منهم، إذ الإمام الصّادق توفّي سنة ١٤٨ وأبو يزيد في ٢٦١/ ٢٦٤ ولم يعدّ من المعمّرين، ولعلّه أبو يزيد البسطاميّ الأكبر طيفور بن عيسى بن شروسان الزاهد[1] فالرجل خبط خَبْطَعشواءفي فريته هذه.

وأمّا الحسن بن الحسن المثنّى فهو الذي شهد مشهد الطفِّ مع عمّه الإمام الطاهر وجاهد وأبلى وارتثَّ بالجراح فلمّا أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً فحمله خاله أبو حسّان أسماء بن خارجة الفزاري إلى الكوفة وعالجه حتى برىء. ثمَّ لحق بالمدينة[2] ويُعرب عن عقيدة الشيعة فيه قول شيخهم الأكبر الشيخ المفيد في إرشاده: كان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً، وكان يلي صدقات أمير المؤمنين في وقته، وله مع الحجّاج خبرٌ ذكره الزبير بن بكار. إلخ . وعدّه العلاّمة الحجَّة السيِّد محسن الأمين العاملي (الذي ردَّ عليه الآلوسي بكلمته هذه) من أعيان الشيعة وذكر له ترجمة ضافية في ج ٢١ ص ١٦٦ - ١٨٤ .

فالقول بأنَّ الرافضة تعتقد بارتداده عن دين الإسلام قذفٌ بفريةٍ مقذعةٍ

---

(١) راجع معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٠ .

(٢) إرشاد المفيد، عمدة الطالب ص ٨٦ .

تندى منها جبهة الإنسانيَّة.

أما عبدالله المحض بن الحسن المثنّى فقد عدَّه شيخ الشيعة أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصّادق عليه السَّلام، وزاد أبو داود الباقر عليه السَّلام، وقال جمال الدين المهنّا في «العمدة» ٨٧: كان يشبه رسول الله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه، يتولّى صدقات أمير المؤمنين بعد أبيه الحسن.

والأحاديث في مدحه وذمّه وإن تضاربت غير أنَّ غاية نظر الشيعة فيها ما اختاره سيِّد الطائفة السيِّد ابن طاوس في إقباله ص ٥١ من صلاحه وحسن عقيدته وقبوله إمامة الصّادق عليه السَّلام. وذكر من أصل صحيح كتاباً للإمام الصّادق وصف فيه عبدالله بالعبد الصالح ودعا له ولبني عمِّه بالأجر والسعادة، ثمَّ قال: وهذا يدلُّ على أنَّ الجماعة المحمولين [يعني عبدالله وأصحابه الحسنيِّين] كانوا عند مولانا الصّادق معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقِّه عارفين، وقد يوجد في الكتب: أنّهم كانوا للصّادقين عليهم السَّلام مفارقين. وذلك محتملٌ للتقيَّة لئلاّ يُنسب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمَّة الطاهرين، وممّا يدلك على أنَّهم كانوا عارفين بالحقِّ وبه شاهدين ما رويناه (وقال بعد ذكر السند وإنهائه إلى الصّادق): ثمّ بكى عليه السَّلام حتّى علا صوته وبكينا ثمَّ قال: حدّثني أبي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيه أنّه قال: يُقتل منك أو يُصاب نفرٌ بشطِّ الفرات ما سبقهم الأوّلون ولا يعدلهم الآخرون. ثمَّ قال:

أقول: وهذه شهادةٌ صريحةٌ من طرق صحيحةٍ بمدح المأخوذين من بني الحسن عليه وعليهم السَّلام وأنَّهم مضوا إلى الله جلَّ جلاله بشرف المقام، والظفر بالسعادة والإكرام.

ثمَّ ذكر أحاديث تدلّ على حسن اعتقاد عبدالله بن الحسن ومن كان معه من الحسنيِّين فقال: أقول: فهل تراهم إلاّ عارفين بالهدى، وبالحقِّ اليقين، ولله متّقين؟! اهـ.

فأنت عندئذٍ جدُّ عليم بأنَّ نسبة القول بردَّته وردَّة بقيَّة الحسنيِّين إلى

الشيعة بعيدةٌ عن مستوى الصِّدق.

وأمّا **محمّد** بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكيَّة فعدَّه الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصّادق عليه السَّلام. وقال ابن المهنّا في «عمدة الطالب» ٩١: قُتل بأحجار الزيت، وكان ذلك مصداق تلقيبه «النفس الزكيَّة» لأنَّه رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تُقتل بأحجار الزيت من وُلدي نفسٌ زكيَّةٌ.

وذكر سيِّدنا ابن طاووس في «الإقبال» ص ٥٣ تفصيلاً برهن فيه حسن عقيدته وأنَّه خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنَّه كان يعلم بقتله ويُخبر به، ثمَّ قال: كلُّ ذلك يكشف عن تمسّكهم بالله والرَّسول صلّى الله عليه وآله وسلم.

هذا رأي الشيعة في النفس الزكيَّة، وهم مخبتون إلى ما في «مقاتل الطالبيِّين» ص ٨٥ من أنّه أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في علمه بكتاب الله وحفظه له، وفقهه في الدين وشجاعته وجوده وبأسه، والإماميَّة حاشاهم عن قذفه بالردَّة عن الدين، والمفتري عليهم به قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً.

وأمّا **إبراهيم** بن عبدالله قتيل «باخمرى» المكنّى بأبي الحسن، فعدَّه شيخ الطائفة من رجال الصّادق، وقال جمال الدين بن المهنّا في «العمدة» ٩٥: كان من كبار العلماء في فنونٍ كثيرة، وذكره دعبل الخزاعي شاعر الشيعة في تائيَّته المشهورة بـ «مدارس آيات» الّتي رثى بها شهداء الذريَّة الطاهرة بقوله:

قبورٌ بكوفانٍ واخرى بطيبةٍ ... واخرى بفخٍّ نالها صلواتي
واخرى بأرض الجوزجان محلّها ... وقبرٌ بباخمرى لدى الغربات

فلولا شهرة إبراهيم عند الشيعة بالصّلاح وحسن العقيدة، واستيائهم بقتله؛ وكونه مرضيّاً عند أئمّتهم صلوات الله عليهم، لم يرثه دعبل ولم يقرأ رثاءه للإمام عليّ بن موسى سلام الله عليه. ونحن نقول بما قال أبو الفرج في «المقاتل» ١١٢: كان إبراهيم جارياً على شاكلة أخيه محمّد في الدين والعلم والشجاعة والشدَّة. وعدَّه السيِّد الأمين العاملي من أعيان الشيعة وبسط القول في

ترجمته ج ٥ ص ٣٠٨ ـ ٣٢٤. فنسبة القول بردته عن الدين الى الشيعة بهتان عظيم.

وأمّا زكريّا : بن محمّد الباقر فإنّه لم يولد بعدُ ، وهو من مخلوقات عالم أوهام الآلوسي ؛ إذ مجموع أولاد أبي جعفر محمّد الباقر عليه السّلام الذكور ستّةٌ باتّفاق الفريقين ، ولم نجد فيما وقفنا عليه من تآليف العامّة والخاصّة غيرهم ، وهم : جعفر ، عبد الله ، إبراهيم . عليّ ، زيد ، عبيد الله[١] فنسبة القول بردّة زكريّا إلى الشيعة باطلةٌ بانتفاء الموضوع .

وأمّا محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن فإن كان يريد حفيد الحسين الأثرم ابن الإمام المجتبى فلم يذكر النّسّابة فيه إلا قولهم: إنقرض عقبه سريعاً. ولم يسمّوا له ولداً ولا حفيداً. وإن أراد غيره فلم نجد في كتب الأنساب له ذكراً حتّى تُكفِّره الشيعة أو تُؤمن به، ولم نجد في الإماميَّة مَن يُكفِّر شخصاً يسمّى بهذا الإسم حسنيّاً كان أو حسينيّاً.

وأمّا محمَّد بن القاسم بن الحسن فهو ابن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يُلقَّب بالبطحاني[٢]، عدَّه شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الصّادق سلام الله عليه؛ وقال جمال الدين ابن المهنّا في «العمدة» ٥٧ : كان محمَّد البطحاني فقيهاً، ولم نجد لشيعيٍّ كلمة غمزٍ فيه حتّى تكون شاهداً للفرية المعزوَّة إلى الشيعة.

أمّا يحيى بن عمر : فهو أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم، أحد أئمّة الزيديَّة، فحسبك في الإعراب عن رأي الشيعة فيه ما في «عمدة الطالب» لابن المهنّا ص ٢٦٣ من قوله: خرج بالكوفة داعياً إلى الرِّضا من آل محمَّد، وكان من أزهد الناس، وكان مثقل الظهر بالطالبيّات يجهد نفسه في

(١) كذا في «المجدي» للنسابة العمري وجملة من المصادر وفي بعضها: عبدالله . مع التعدد.

(٢) يروى بفتح الموحدة منسوباً إلى «البطحاء»، وبالضم منسوباً إلى «بُطحان» واد بالمدينة(عمدة الطالب ص ٥٧).

بِرِّهنّ ـ إلى أن قال ـ: فحاربه محمَّد بن عبدالله بن طاهر فقُتل وحُمل رأسه إلى سامرّاء ولمّا حُمل رأسه إلى محمَّد بن عبدالله بن طاهر جلس بالكوفة «كذا» للهنا فدخل عليه أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري وقال: إنَّك لتهنأ بقتيلٍ لو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حيّاً لعزّي فيه[1] فخرج وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه مريئاً ... إنَّ لحم النبيِّ غير مريٍّ
إنَّ وتراً يكون طالبه اللّـ ... ـه لوترٌ بالفوت غير حريٍّ اهـ

ورثاه جمعٌ من شعراء الشيعة الفطاحل منهم: أبو العبّاس بن الرومي رثاه بقصيدتين إحداهما ذات ١١٠ أبيات توجد في «عمدة الطالب» ص ٢٢٠ مطلعها:

أمامك فانظر أيّ نهجيك ينهج ... طريقان شتّى مستقيم وأعوج

وجيميَّةٌ اخرى أوّلها:

حييت ربع الصبا والخرَّد الدعجِ ... الآنسات ذوات الدلِّ والغنجِ

ومنهم: أبو الحسين عليُّ بن محمَّد الحِمّاني الأفوه رثاه بشعر كثير مرَّت جملةٌ منه في هذا الجزء ص ٨٨، ٨٩.

هذا صحيح رأي الشيعة في هؤلاء السّادة الأئمَّة، ولم تقل الشيعة ولا تقول ولن تقول بارتداد أحدٍ منهم عن الدين ولا بارتداد الحسنيِّين والحسينيِّين القائلين بإمامة زيد بن عليٍّ بن الحسين المنعقدة على الرِّضا من آل محمَّد سلام الله عليهم. كبرتْ كلمةً تخرج مِنْ أفواههم إنْ يَقولون إلاّ كذباً.

ونحن نُسائل الرَّجل عن هؤلاء الذين يُدافع عن شرفهم وجلالتهم من ذا الذي قتلهم؟ واستأصل شأفتهم؟ وحبسهم في غيابة الجبِّ وأعماق السّجون؟ أهم الشيعة الذين اتَّهمهم بالقول بردَّتهم؟ أم قومه الذين يزعم أنهم يُعظِّمونهم؟ هلُمَّ معي واقرأ صفحة التاريخ فهو نعم المجيب.

أمّا زيد الشهيد فعرَّفناك قاتله وقاطع رأسه ص ١٠٤

---

(١) وذكره اليعقوبي في تاريخه ج ٣ ص ٢٢١.

وأمّا يحيى بن زيد فقتله الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥، وقاتله سلم بن أحوز الهلالي، وجهز إليه الجيش نصر بن سيَّار، ورماه عيسى مولى عيسى بن سليمان الغزي وسلبه[١].

والحسن بن الحسن المثنّى، كتب وليد بن عبد الملك إلى عامله عثمان بن حيّان المري: أنظر إلى الحسن بن الحسن فاجلده مائة ضربة، وقفّه للناس يوماً، ولا أراني إلاّ قاتله، فلمّا وصله الكتاب بعث إليه فجيء به والخصوم بين يديه فعلّمه عليٌّ بن الحسين عليه السَّلام بكلمات الفرج ففرَّج الله عنه وخلّوا سبيله[٢] فخاف الحسن سطوة بني اميَّة فأخفى نفسه وبقي مختفياً إلى أن دسَّ إليه السمّ سليمان بن عبد الملك وقتله سنة ٩٧[٣].

وعبدالله المحض كان المنصور يسميه: عبدالله المذلَّة، قتله في حبسه بالهاشميَّة سنة ١٤٥ لمّا حبسه مع تسعة عشر من ولد الحسن ثلاث سنين، وقد غيَّرت السياط لون أحدهم وأسالت دمه، وأصاب سوطٌ إحدى عينيه فسالت، وكان يستسقي الماء فلا يُسقى، فردم عليهم الحبس فماتوا[٤] وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٦: إنّهم وُجدوا مسمَّرين في الحيطان.

ومحمَّد بن عبدالله النفس الزكيَّة قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥، وجاء برأسه إلى عيسى بن موسى وحمله إلى أبي جعفر المنصور فنصبه بالكوفة وطاف به البلاد[٥].

وأمّا إبراهيم بن عبدالله فندب المنصور عيسى بن موسى من المدينة إلى قتاله فقاتل بباخمرى حتّى قُتل سنة ١٤٥، وجيء برأسه إلى المنصور فوضعه بين

---

(١) تاريخ الطبري ج ٨، مروج الذهب ج ٢، تاريخ اليعقوبي ج ٣.
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٦٤.
(٣) الزينبيات.
(٤) تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٩٦، تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٢٦، مقاتل الطالبيين ص ٧١، ٨٤ ط إيران.
(٥) تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٢٩.

يديه، وأمر به فنُصب في السّوق. ثم قال للربيع: احمله إلى أبيه عبدالله في السجن. فحمله إليه[١] وقال النسّابة العمري في المجدي: ثمَّ حمل ابن أبي الكرام الجعفري رأسه إلى مصر.

ويحيى بن عمر أمر به المتوكّل فضُرب دِرَراً ثمَّ حبسه في دار الفتح بن خاقان فمكث على ذلك ثمَّ أُطلق فمضى إلى بغداد فلم يزل بها حتّى خرج إلى الكوفة في أيّام المستعين فدعا إلى الرِّضا من آل محمَّد فوجَّه المستعين رجلاً يُقال له: كلكاتكين. ووجَّه محمَّد بن عبدالله بن طاهر بالحسين بن إسماعيل فاقتتلوا حتّى قُتل سنة ٢٥٠ وحُمل رأسه إلى محمَّد بن عبدالله فوضع بين يديه في تُرس ودخل الناس يهنّونه، ثمَّ أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غدٍ[٢].

٤ - قال: إنَّ الرَّوافض زعموا أنَّ أصحَّ كتبهم أربعة: الكافي. وفقه من لا يحضره الفقيه. والتهذيب. والاستبصار، وقالوا: إنَّ العمل بما في الكتب الأربعة من الأخبار واجبٌ، وكذا بما رواه الإماميُّ ودوَّنه أصحاب الأخبار منهم، ونصَّ عليه المرتضى وأبو جعفر الطوسي وفخر الدين الملقَّب عندهم بالمحقِّق المحلّي[٣] ص ٥٥.

ج - تعتقد الشيعة أنَّ هذه الكتب الأربعة أوثق كتب الحديث، وأمّا وجوب العمل بما فيها من الأخبار، أو بكلِّ ما رواه إماميٌّ ودوَّنه أصحاب الأخبار منهم فلم يقل به أحدٌ؛ وعَلَم الهدى المرتضى وشيخ الطائفة أبو جعفر ونجم الدين المحقِّق الحلّي أبرياء ممّا قذفهم به، وهذه كتبهم بين أيدينا لا يوجد في أيٍّ منها هذا البهتان العظيم، وأهل البيت أدرى بما فيه.

ويشهد لذلك ردُّ علماء الشيعة لفريق ممّا رُوي من أحاديثهم لطعنٍ في إسناد أو مُناقشة في المتن. ويشهد لذلك تنويعهم الأخبار على أقسامٍ أربعة:

---

(١) تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٦٠، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١١٢ - ١١٤، تذكرة السبط ص ٢٣٠.
(٢) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٨٩، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٢٢١.
(٣) فخر الدين لقب شيخنا محمد بن الحسن العلامة الحلّي. وأما المحقق فيلقب بنجم الدين وينسب إلى الحلة الفيحاء لا المحل.

الصحيح. الحسن. الموثّق. الضعيف. منذ عهد العلَمين جمال الدين السيِّد أحمد بن طاوس الحسني، وتلميذه آية الله العلاّمة الحلّي.

وليت الرَّجل يقف على شروح هذه الكتب وفي مقدَّمها « مرآة العقول» شرح الكافي للعلاّمة المجلسي ويُشاهده كيف يحكم في كلِّ سندٍ بما يُؤدّي إليه اجتهاده من أقسام الحديث. أو كان يُراجع الجزء الثالث من المستدرك لِلعَلم الحجَّة النوريِّ حتّى يُرشده إلى الحقِّ ويُعلمه الصواب وينهاه عن التقوُّل على امَّةٍ كبيرةٍ «الشيعة» بلا علمٍ وبصيرةٍ في أمرها.

ثمَّ زيَّف الكتب الأربعة المذكورة بما فيها من الآحاد، واشتمال بعض أسانيدها برجال قذفهم بأشياء هم بُرآء منها، وآخرين لا يقدح انحرافهم المذهبي في ثقتهم في الرِّواية، وأحاديث هؤلاء من النوع الذي تُسمِّيه الشيعة بالموثَّق، وهناك اناسٌ يُرمون بالضعف لكن خصوص رواياتهم تلك مكتنفةٌ بإمارات الصحَّة، وعلى هذا عمل المحدِّثين من أهل السنَّة والشيعة في مدوَّناتهم الحديثيَّة، فالرجل جاهلٌ بدراية الحديث وفنونه، أو: راقه أن يتجاهل حتّى يتحامل بالوقيعة، ولو راجع مقدمة «فتح الباري» في شرح صحيح البخاري لابن حجر، وشرحه للقسطلاني، وشرحه للعيني، وشرح مسلم للنووي وأمثالها لوجد فيها ما يشفي غلّته، وكفَّ عن نشر الأباطيل مَدَّته(١).

٥ ـ قال: يروي[الطوسي]عن ابن المعلّم وهو يروي عن ابن مابويه الكذوب صاحب الرقعة المزوَّرة، ويروي عن المرتضى أيضاً. وقد طلبا العلم معاً وقرءا على شيخهما محمَّد بن النعمان، وهو أكذب من مسيلمة الكذّاب، وقد جوَّز الكذب لنصرة المذهب. ص ٥٧.

ج ـ إنَّ صاحب التوقيع الذي حسبه الرَّجل رقعةً مزوَّرة هو عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه «بالباءَين الموحَّدتين لا المصدَّرة بالميم» وهو الصدوق الأوَّل توفي ٣٢٩ قبل مولد الشيخ المفيد ابن المعلّم بسبع أو تسع سنين، فإنّه ولد سنة

(١) المدة: غمس القلم في الدواة مرة للكتابة.

٨/٣٣٦ فليس من الممكن روايته عنه، نعم له رواية عن ولـده الصدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ وليس هو صاحب التوقيع.

وليتني علمت مَن ذا الذي أخبر الآلوسي بأنَّ شيخ الامَّة المفيد [المدفون في رواق الإمامين الجوادين صاحب القبَّة والمقام المكين] أكذب من مسيلمة الكذّاب الكافر بالله؟!.

ما أجرأه على هذه القارصة الموبقة! وكيف أحفَّه؟![1] وهـذا اليافعي يعرِّفه في مرآته ج ٣ ص ٢٨ بقوله: كان عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيـد وبابن المعلّم أيضـاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يُناظر أهل كلِّ عقيدةٍ مع الجلالة والعظمـة في الدَّولة البويهيَّة، وقال ابن أبي طيّ: كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس.

وقول ابن كثير في تأريخه ج ١٢ ص ٢٥ : كان مجلسه يحضره كثيرٌ من العلماء من سائر الطوائف. ينمُّ عن أنّه شيخ الامّة الإسلاميَّة لا الإماميّة فحسب، فيجب إكباره على أيِّ معتنق بالدين.

أَهكذا أدب العلم والدين؟ أفي الشريعة والأخلاق مساغٌ للنَّيل من أعراض العلماء والوقيعة فيهم، والتحامل عليهم بمثل هذه القارصة؟ أفي ناموس الإسلام ما يُستباح به أن يُحطَّ بمسلم إلى حضيض يكون أخفض من الكافر مهما شجر الخلاف واحتدمت البغضاء فضلاً عن مثل الشيخ المفيد الذي هـو من عمد الدين وأعلامه، ومن دُعاة الحقِّ وأنصاره، وهو الذي أسَّس مجد العراق العلميّ وأيقظ شعور أهليها، وما ذا عليه؟غير أنَّه عرف المعروف الذي أنكره الآلوسي، وتسنَّم ذروةً من العلم والعمل التي تقاعس عنها المتهجِّم.

وليته أشار إلى المصدر الذي أخذ عنه نسبة تجويز الكذب لنصرة المذهب إلى الشيخ المفيد من كتبه أو كتب غيره، أو إسناد متصل إليه، أمّا مؤلَّفاته فكلّها

---

(١) أحف الرجل: ذكره بالقبيح.

خاليةٌ عن هذه الشائنة، ولا نسبها إليه أحدٌ من علمائنا، وأمّا الإسناد فلا تجد أحداً أسندة إليه متّصلاً كان أو مرسلاً، فالنسبة غير صحيحة، وتعكير الصفو بالنسب المفتعلة ليس من شأن المسلم الامّي فضلاً عن مدّعي العلم.

٦ ـ قال تحت عنوان [تعبّد الإماميّة بالرُّقاع الصادرة من المهديِّ المنتظر]:

نعم: إنّهم أخذوا غالب مذهبهم كما اعترفوا من الرُّقاع المزوّرة التي لا يشكُّ عاقلٌ في أنّها افتراءٌ على الله، والعجب من الروافض أنّهم سمّوا صاحب الرُّقاع بالصَّدوق وهو الكذوب، بل: انّه عن الدين المبين بمعزلٍ.

كان يزعم أنّه يكتب مسألة في رقعةٍ فيضعها في ثُقب شجرة ليلاً فيكتب الجواب عنها المهديّ صاحب الزّمان بزعمهم، فهذه الرُّقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم، فتبّاً....

واعلم أنَّ الرُّقاع كثيرةٌ منها: رقعة عليِّ بن الحسين بن موسى بن مابويه القمّي فإنّه كان يُظهر رقعةً بخطِّ الصاحب في جواب سؤاله ويزعم أنّه كاتب أبا القاسم بن أبي الحسين ابن روح أحد السفرة على يد عليِّ بن جعفر بن الأسود أن يوصل له رقعته إلى الصاحب [أي المهديِّ] وأرسل إليه رقعةً زعم أنّها جواب صاحب الأمر له.

ومنها: رقاع محمَّد بن عبدالله بن جعفر بن حسين بن جامع بن مالك الحريري أبو جعفر القمّي، كاتب صاحب الأمر سأله مسائل في الشريعة قال: قال لنا أحمد بن الحسين: وقفت على هذه المسائل من أصلها والتوقيعات بين السطور، ذكر تلك الأجوبة محمَّد بن الحسن الطوسي في كتابه «الغيبة» وكتاب «الاحتجاج».

والتوقيعات خطوط الأئمّة بزعمهم في جواب مسائل الشيعة، وقد رجّحوا التوقيع على المرويِّ بإسناد صحيح لدى التعارض، قال ابن ما بويه في الفقه بعد ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدّسة في [باب الرّجل يوصي إلى الرّجلين]: هذا التوقيع عندي بخطِّ أبي محمَّد بن الحسن بن عليّ، وفي

الكافي للكليني روايةً بخلاف ذلك التوقيع عن الصّادق، ثمَّ قال: لا أفتي بهذا الحديث بل أفتي بما عندي من خطِّ الحسن بن علي.

ومنها: رقاع أبي العبّاس جعفر بن عبدالله بن جعفر الحميري القميّ.

ومنها: رقاع أخيه الحسين ورقاع أخيه أحمد.

وأبو العبّاس هذا قد جمع كتاباً في الأخبار المرويَّة عنه وسمّاه [قرب الإسناد إلى صاحب الأمر].

ومنها: رقاع عليِّ بن سليمان بن الحسين بن الجهم بن بُكير بن أعين أبو الحسن الرازي، فإنَّه كان يدَّعي المكاتبة أيضاً ويُظهر الرُّقاع.

هذه نبذةٌ ممّا بنوا عليه أحكامهم ودانوا به، وهي نغبةٌ من دأماء[١]، وقد تبينَّ بها حال دعوى الرافضيِّ في تلقّي دينهم عن العترة. إلخ. ص ٥٨، ٦١.

كان حقّاً على الرَّجل نهي جمال الدين القاسمي عن أن يُظهر كتابه إلى غيره، كما كان على السيِّد محمّد رشيد رضا أن يُحرِّج على الشيعة بل أهل النصفة من قومه أيضاً أن يقفوا على رسالته،إذ الأباطيل المبثوثة في طيِّهما تكشف عن السوءَة، وتُشوِّه السمعة، ولا تخفى على أيِّ مُثقَّفٍ، ولا يسترها ذيل العصبيَّة، ولا تُصلحها فكرةُ المدافع عنها، مهما كان القارئ شريف النفس، حرّاً في فكرته وشعوره.

كيف يخفى على الباحث.. أنَّ الإماميَّة لا تتعبَّد بالرّقاع الصادرة من المهديِّ المنتظر؟! وكلام الرَّجل ومَن لفَّ لفَّه كما يأتي عن القصيمي في [الصراع بين الإسلام والوثنيَّة] أو ضح ما هناك من السرِّ المستسرِّ في عدم تعبّدهم بها، وعدم ذكر المحامدة الثلاثة[٢] مؤلِّفي الكتب الأربعة التي هي عمدة مراجع الشيعة الإماميَّة في تلكم التآليف شيئاً من الرُّقاع والتوقيعات الصادرة من الناحية

---

(١) النغبة: الجرعة. الدأماء: البحر.

(٢) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

المقدَّسة، وهذا يوقظ شعور الباحث إلى أنَّ مشايخ الإماميَّة الثلاثة كانوا عارفين بما يؤول أمر الامَّة من البهرجة وإنكار وجود الحجة، فكأنَّهم كانوا منهيِّين عن ذكر تلك الآثار الصادرة من الناحية الشريفة في تآليفهم مع أنَّهم هم رُواتها وحملتها إلى الامّة، وذلك لئلاّ يخرج مذهب العترة عن الجعفريَّة الصادقة إلى المهدويَّة، حتّى لا يبقى لرجال العصبيَّة العمياء مجال للقول بأنَّ مذهب الإماميَّة مأخوذٌ من الإمام الغائب الذي لا وجود له في مزعمتهم، وأنَّهم يتعبَّدون بالرّقاع المزوَّرة في حُسبانهم، وهذا سرٌّ من أسرار الإمامة يُؤكِّد الثقة بالكتب الأربعة والاعتماد عليها.

هذا ثقة الإسلام الكليني مع أنَّ بيئته (بغداد) تجمع بينه وبين سفراء الحجَّة المنتظر الأربعة، ويجمعهم عصرٌ واحدٌ، وقد توفِّي في الغيبة الصغرى سنة ٣٢٣، وألَّف كتابه خلال عشرين سنة، تراه لم يذكر قطُّ شيئاً من توقيعات الإمام المنتظر في كتابه «الكافي» الحافل المشتمل على ستَّة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً، مع أنَّ غير واحد من تلك التوقيعات يُروى من طرقه، وهو يذكر في كتابه كثيراً من توقيعات بقيَّة الأئمّة من أهل بيت العصمة سلام الله عليهم.

وهذا أبو جعفر بن بابويه الصّدوق مع روايته عدَّة من تلك الرّقاع الكريمة في تأليفه [إكمال الدين] وعقده لها باباً فيه ص ٢٦٦ لم يذكر شيئاً منها في كتابه الحافل [مَن لا يحضره الفقيه].

نعم: في موضع واحد منه [على ما وقفت] يذكر حديثاً في مقام الأعتضاد من دون ذكر وتسميةٍ للإمام عليه السَّلام وذلك في ج ٢ ص ٤١ ط لكهنو قال: الخبر الذي رُوي فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمِّداً أنَّ عليه ثلاث كفارات فإنّي أفتي به فيمن أفطر بجماع محرَّم عليه أو بطعام محرَّم عليه لوجود ذلك في روايات أبي الحسين الأسدي رضي الله عنه فيما ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري قدَّس الله روحه.

وبعدهما شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي فإنه مع روايته توقيعات الأحكام

الصادرة من الناحية المقدَّسة إلى محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري في كتاب «الغيبة ص ١٨٤ - ٢١٤ و٢٤٣ - ٢٥٨ لم يورد شيئاً منها في كتابيه [التهذيب والاستبصار] اللذين يُعدّان من الكتب الأربعة عمُد مصادر الأحكام.

ألا تراهم أجمعوا برواية توقيع إسحاق بن يعقوب عن الناحية المقدَّسة ؟ ورواه أبو جعفر الصّدوق عن أبي جعفر الكليني في الإكمال ص ٢٦٦، والشيخ أبو جعفر الطوسي بإسناده عن الكليني أيضاً في كتاب «الغيبة» ص ١٨٨، وفيه أحكام مسائل ثلاث عنونوها في كتبهم الأربعة واستدلّوا عليها بغير هذا التوقيع وليس فيها منه عينٌ ولا أثر ألا وهي:

١ - حرمة الفقّاع:

عنونها الكليني في الكافي ج ٢ ص ١٩٧. والشيخ في التهذيب ج ٢ ص ٣١٣. وفي الإستبصار ج ٢ ص ٢٤٥. وتوجد في الفقيه ج ٣ ص ٢١٧، ٣٦١، ولها عنوان في الوافي جمع الكتب الأربعة في الجزء الحادي عشر ص ٨٨. وتوجد من أدلّة الباب خمسة توقيعات للإمامين: أبي الحسن الرِّضا وأبي جعفر الثاني. وليس فيها عن التوقيع المهدويِّ ذكرٌ.

٢ - تحليل الخمس للشيعة:

عنونها الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٢٥. والشيخ في التهذيب ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٩ والاستبصار في الجزء الثاني ص ٣٣ - ٣٦ وذكرها الصدوق في الفقيه في الجزء الثاني ص ١٤؛ وهي معنونةٌ في الوافي في الجزء السادس ٤٥ - ٤٨، ومن أدلَّة الباب مكاتبة الإمامين: أبي الحسن الرِّضا وأبي جعفر الجواد عليهما السَّلام، وليس فيها ذكرٌ عن توقيع الحجَّة.

٣ - ثمن المغنِّية:

المسألة معنونةٌ في الكافي ج ١ ص ٣٦١. وفي التهذيب ج ٢ ص ١٠٧. وفي الإستبصار ج ٢ ص ٣٦. وتوجد في الفقيه ج ٣ ص ٥٣. وهي معنونة في

جمعها الوافي في الجزء العاشر ص ٣٢. ولا يوجد فيها إيعازٌ إلى توقيع الإمام المنتظر.

فكلمة الآلوسي هذه أرشدتنا إلى جانبٍ مهمّ، وعرّفتنا بذلك السرِّ المكتوم، وأرتنا ما هناك من حكمة صفح المشايخ عن تلكم الأحاديث الصادرة من الإمام المنتظر وهي بين أيديهم وأمام أعينهم. فأنت جِدُّ عليم بأنَّه لو كان هناك شيءٌ مذكورٌ منها في تلكم الاصول المدوَّنة لكان باب الطعن على المذهب الحقِّ (الإماميَّة) مفتوحاً بمصراعيه، ولكان تطول عليهم ألسنة المتقوِّلين، ويكثر عليهم الهوس والهياج ممَّن يروقه الوقيعة فيهم والتحامل عليهم.

إذن فهلمَّ معي نُسائل الرَّجل عن همزه ولمزه بمخاريقه وتقوُّلاته وتحكّماته وتحرُّشه بالوقيعة. نسائله متى أخذت الإماميَّة غالب مذهبهم من الرُّقاع وتعبَّدوا بها؟ ومَن الّذي اعترف منهم بذلك؟ وأنّى هو؟ وفي أيِّ تأليفٍ اعترف؟ أم بأيّ راوٍ ثبت عنده ذلك؟.

وأنّى للصَّدوق رُقاعٌ؟ ومتى كتبها؟ وأين رواها؟ ومَن ذا الذي نسبها إليه؟ وقد جهل الرجل بأنَّ صاحب الرقعة هو والده الذي ذكره بقوله: منها رقعة عليِّ بن الحسين.

ومَا المسوِّغ لتكفيره؟ وهو من حملة علم القرآن والسنَّة النبويَّة، ومن الهُداة إلى الحقِّ ومعالم الدين، دع هذه كلّها ولا أقلَّ من أنَّه مسلمٌ يتشهَّد بالشهادتين، ويُؤمن بالله ورسوله والكتاب الذي أُنزل إليه واليوم الآخر، أهكذا قرّر أدب الدين، أدب العلم، أدب العفة، أدب الكتاب، أدب السنّة؟ أم تأمره به أحلامه؟ أبهذا السباب المقذع، والتحرُّش بالبذاء والقذف، يتأتّى الصالح العام وتسعد الامَّة الإسلاميَّة، وتجد رُشدها وهُداها؟..

ثمَّ مَن الَّذي أخبره عن مزعمة الصَّدوق بنيل حاجته من ثُقب الأشجار؟ والصدوق متى سأل؟ وعمّا ذا سأل؟ حتّى يكتب ويضع في ثقب شجرة أو غيرها ليلاً أو نهاراً ويجد جوابه فيها. ومَن الَّذي روى عنه تلك الأسئلة؟ ومَن رأى

أجوبتها؟ ومَن حكاها؟ ومتى ثبتت عند الرافضة حتّى تكون من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم؟ نعم: فتبّاً . . . .

وليتني أقف وقومي على تلك الرِّقاع الكثيرة وقد جمعها العلاّمة المجلسي في المجلّد الثالث عشر من «البحار» في اثنتي عشرة صحيفة من ص ٢٣٧ ـ ٢٤٩ والتي ترجع منها إلى الأحكام إنّما تُعدُّ بالآحاد ولا تبلغ حدَّ العشرات، فهل مستند تعبّد الإماميّة من بدء الفقه إلى غايته هذه الصحائف المعدودة؟ أم يحقُّ أن تكون تلك المعدودة بالآحاد هي مأخذ غالب مذهبهم؟. أنا لا أدري لكن القارىء يدري، إنّما يفتري الكذب الّذين لا يُؤمنون بآيات الله.

وليته كان يذكر رقعة عليٍّ بن الحسين بن بابويه بنصِّها حتّى تعرف الامَّة أنّها رقعةٌ واحدة ليست إلاّ، وليس فيها ذكرٌ من الأحكام حتّى تتعبد بها الإماميَّة، وإليك لفظها برواية الشيخ في كتاب «الغيبة».

كتب عليُّ بن الحسين إلى الشيخ أبي القاسم حسين بن روح على يد عليٍّ بن جعفر أن يسأل مولانا الصاحب أن يرزقه أولاداً فقهاء. فجاء الجواب: إنّك لا تُرزق من هذه وستملك جاريةً ديلميّةً وتُرزق منها ولدين فقيهين[١]. أترى هذه الرُّقعة ممّا يؤخذ منه المذهب؟! أو فيها مسّةٌ بالتعبّد؟

وأمّا رقاع محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري التي توجد في كتابي «الغيبة» و«الاحتجاج» فليست هي إلاّ رقاعاً أربعاً ذكر الشيخ في «الغيبة» منها اثنين في ص ٢٤٤ ـ ٢٥٠ تحتوي إحداهما تسع مسائل والاخرى خمسة عشر سؤالاً، وزادهما الطبرسي في «الاحتجاج» رقعتين، ولو كان المفتري منصفاً لكان يشعر بأنَّ عدم إدخال الشيخ هذه المسائل في كتابيه: [التهذيب والاستبصار] إنّما هو لدحض هذه الشّبهة، وقطع هذه المزعمة.

وقد خفي على الرَّجل أنَّ كتاب «الاحتجاج» ليس من تآليف الشيخ الطوسي محمّد بن الحسن وإنّما هو للشيخ أبي منصور أحمد بن عليٍّ بن أبي

---

(١) وقد وُلد له أبو جعفر محمد وأبو عبدالله الحسين من ام ولد.

طالب الطبرسي .

وفي قوله : والتوقيعات . . . الخ . جنايةٌ كبيرةٌ وتمويهٌ وتدجيلٌ فإنّه بعدما ادّعى على الإماميَّة ترجيح التوقيع على المرويِّ بالإسناد الصحيح لدى التعارض استدلَّ عليه بقوله : قال ابن مابويه في الفقه : بعد ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدَّسة في باب [الرَّجل يوصي إلى رجل] : هذا التوقيع عندي بخطٍّ أبي محمّد بن الحسن بن عليٍّ ، الخ .

فإنَّك لا تجد في الباب المذكور من الفقيه توقيعاً واحداً ورد من الناحية المقدَّسة فضلاً عن التوقيعات ، وإنَّما ذكر في أوَّل الباب توقيعاً واحداً عن أبي محمَّد الحسن العسكري ، وقد جعله الرَّجل أبا محمّد بن الحسن ليوافق فريته ذاهلاً عن أنَّ كنية الإمام الغائب أبو القاسم لا أبو محمّد ، فلا صلة بما هناك لدعوى الرَّجل أصلاً ، وها نحن نذكر عبارة الفقيه حتّى يتبيَّن الرُّشد من الغيِّ .

قال في الجزء الثالث ص ٢٧٥ : باب الرجلين يوصى إليهما فينفرد كلٌّ واحد منهما بنصف التركة . كتب محمَّد بن الحسن الصفّار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن عليّ عليهما السَّلام : رجلٌ أوصى إلى رجلين أيجوز لأحدهما أن ينفرد بنصف التركة والآخر بالنصف؟ فوقَّع عليه السَّلام : لا ينبغي لهما أن يخالفا الميّت ، ويعملان على حسب ما أمرهما إن شاء الله . وهذا التوقيع عندي بخطِّه عليه السَّلام .

وفي كتاب محمَّد بن يعقوب الكليني رحمه الله عن أحمد بن محمّد عن عليٍّ بن الحسن الميثمي عن أخويه محمّد وأحمد عن أبيهما عن داود بن أبي يزيد عن بُريد بن معاوية قال : إنَّ رجلاً مات وأوصى إلى رجلين فقال أحدهما لصاحبه : خُذ نصف ما ترك وأعطني النصف ممّا ترك . فأبى عليه الآخر ، فسألوا أبا عبدالله عليه السَّلام عن ذلك فقال : ذاك له . قال مصنِّف هذا الكتاب رحمه الله : لست أفتي بهذا الحديث ، بل : أفتي بما عندي بخطِّ الحسن بن عليٍّ عليه السَّلام . اهـ . إقرأ واحكم .

وأمّـا رقاع أبي العبّاس، والحسين، وأحمد، وعليّ، فإنها لم توجد قطُّ في مصادر الشيعة، ولا يُذكر منها شيءٌ في اصول الأحكـام، ومراجـع الفقه الإماميَّة، ولعمري لو كان المفتري يجد فيها شيئاً منها لأعرب عنه بصراحة .

وأبو العبّاس كنية عبدالله بن جعفر الحميري وهو صاحب «قرب الإسناد» لا جعفر بن عبدالله كما حسبه المغفَّل، وإنَّما جعفر ومحمَّد الذي ذكره قبلُ [ولم يعرفه] والحسين وأحمد إخوان أربعة أولاد أبي العبّاس المذكور، ولم يُر في كتب الشيعة برمَّتها لغير محمَّد بن عبدالله المذكور أثـرٌ من الرُّقـاع المنسوبـة إليهـم، ولم يحفظ التـاريخ لهم غيـر كلمـة المؤلِّفين في تـراجمهم: إنَّ لهم مكاتبة. هذه حال الرُّقاع عند الشيعة وبطلان نسبة ابتناء أحكامهم عليها.

وهناك أغلاطٌ للرَّجل في كلمته هذه تكشف عن جهله المطبق وإليك ما يلي :

موسى بن مابويه (في غير موضع)	والصحيح : موسى بن بابويه
أبا القاسم بن أبي الحسين	والصحيح : أبا القاسم الحسين
مالك الحريري . الفقه	والصحيح : مالك الحميري . الفقيه
أبي العبّاس جعفر بن عبدالله	والصحيح : أبي العبّاس عبدالله
سليمان بن الحسين	والصحيح : سليمان بن الحسن
أبو الحسن الرّازي	والصحيح : أبو الحسن الزُّراري

عجباً للرَّجل حين جاء ينسب وينقد ويردّ ويُفنِّد وهو لا يعرف شيئـاً من عقائد القوم وتعاليم مذهبهم ومصادر أحكامهم، وبرهنة عقائدهم، ولا يعرف الرِّجـال وأسماءهم، ويجهل الكتب ونسبها، ولا يفرِّق بين والد ولا وَلد، ولا بين مولود وبين مَن لم يولد بعدُ، ولو كان يروقه صيانة ماء وجهه لكفَّ القلم فهو أستـر لعورته.

٧ ـ ذكر في ص ٦٤، ٦٥ عدّةً من عقائد الشيعة، جملةٌ منها مكـذوبةٌ عليهم كشتمهم جمهـور أصحاب رسـول الله وحكمهم بـارتـدادهم إلاّ العـدد

اليسير، وقولهم: بأنَّ الأئمّة يوحى إليهم[١]. وأنَّ موت الأئمّة باختيارهم. وأنَّهم اعتقدوا بتحريف القرآن ونقصانه وأنّهم يقولون: بأنَّ الحجَّة المنتظر إذا ذُكر في مجلس حضر فيقومون له[٢] وإنكارهم كثيراً من ضروريّات الدين.

قال الأميني: نعم: الشيعة لا يحكمون بعدالة الصحابة أجمع، ولا يقولون إلّا بما جاء فيهم في الكتاب والسنَّة وسنوقفك على تفصيله في النقد على كتاب (الصراع بين الإسلام والوثنيَّة). وأمّا بقيَّة المذكورات فكلّها تحاملٌ ومكابرةٌ بالإفك، ثمَّ جاء بكلمة عوراء، وقارصة شوهاء، ألا وهي قوله في ص ٦٥، ٦٦:

وما تكلّم (يعني السيِّد محسن الأمين) به في المتعة يكفي لإثبات ضلالهم، وعندهم متعةٌ اخرى يسمّونها [المتعة الدوريَّة] ويروون في فضلها ما يروون، وهي: أن يتمتَّع جماعةٌ بامرأةٍ واحدةٍ، فتكون لهم من الصبح إلى الضحى في متعة هذا؛ ومن الضحى إلى الظهر في متعة هذا، ومن الظهر إلى العصر في متعة هذا، ومن العصر إلى المغرب في متعة هذا. ومن المغرب إلى العشاء في متعة هذا، ومن العشاء إلى نصف الليل في متعة هذا، ومن نصف الليل إلى الصبح في متعة هذا. فلا بدع ممّن جوَّز مثل هذا النكاح أن يتكلّم بما تكلّم به ويسميه «الحصون المنيعة» الخ[٣].

ج - نسبةالمتعةالدوريَّةوقل: الفاحشة المبيّنة إلى الشيعة إفكٌ عظيمٌ تقشعرُّ منه الجلود، وتكفهرُّ منه الوجوه، وتشمئزُّ منه الأفئدة، وكان الأحرى بالرَّجل حين أفك أن يتّخذ له مصدراً من كتب الشيعة ولو سواداً على بياض من أيِّ ساقطٍ منهم، بل نتنازل معه إلى كتاب من كتب قومه يسند ذلك إلى الشيعة، أو سماعٍ عن أحدٍ لهج به، أو وقوف منه على عمل ارتكبه اناسٌ ولو من أوباش الشيعة

(١) يأتي البحث عن هذا وما يليه في الجزء الخامس إن شاء الله تعالى.

(٢) قيام الشيعة عند ذكر الإمام ليس لحضوره كما زعمه الالوسي وإنما هو لما جاء عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام من قيامهما عند ذكره وهو لم يولد بعد، وليس هو إلّا تعظيماً له كالقيام عند ذكر رسول الله المندوب عند أهل السنّة كما في «السيرة الحلبية» ج ١ ص ٩٠.

(٣) يوافيك بسط القول في المتعة في الجزء السادس إن شاء الله تعالى.

وأفنائهم، لكنّ المقام قد أعوزه عن كلّ ذلك لأنّه أوّل صارخ بهذا الإفك الشائن، ومنه أخذ القصيمي في [الصراع بين الإسلام والوثنيّة] وغيره.

وليت الشيعة تدري متى كانت هذه التسمية؟ وفي أيّ عصر وقعت؟ ومَن أوّل مَن سمّاها؟ ولِمَ خَلت عنها كتب الشيعة برمّتها؟ أنا أقول «وعند جُهينة الخبر اليقين» : هو هذا العصر الذهبيّ ، عصر النور ، عصر الآلوسي ، وهو أوّل من سمّاها بعد أن اخترعها ، والشيعة لم تعلمها بعدُ .

وليت الرَّجل ذكر شيئاً من تلك الرِّوايات التي زعم أنَّ الشيعة ترويها في فضل المتعة الدوريّة؛ وليته دلّنا على مَن رواها، وعلى كتابٍ أو صحيفةٍ هي مودعةٌ فيها، نعم: الحق معه في عدم ذكر ذلك كلّه لأنَّ الكذب لا مصدر له إلاّ القلوب الخائنة، والصدور المملوكة بالوسواس الخناس.

وأمّا العَلَم الحجّة سيِّدنا المحسن الأمين (صاحب الحصون المنيعة) الذي يزعم الرَّجل أنّه يجوِّز مثل هذا النكاح ففي أيٍّ من تآليفه جوَّز ذلك؟ ولِمَن شافهه به؟ ومتى قاله؟ وأنّى نوَّه به؟ وها هو حيٌّ يُرزق (مدَّ الله في عمره) وهل هو إلاّ رجلٌ هَمٌّ[١] عَلمٌ من أعلام الشريعة، وإمامٌ من أئمّة الإصلاح. لا يتنازل إلى الدَّنايا، ولا يقول بالسفاسف، ولا تُدنّس ساحة قدسه بهذه القذائف والفواحش؟.

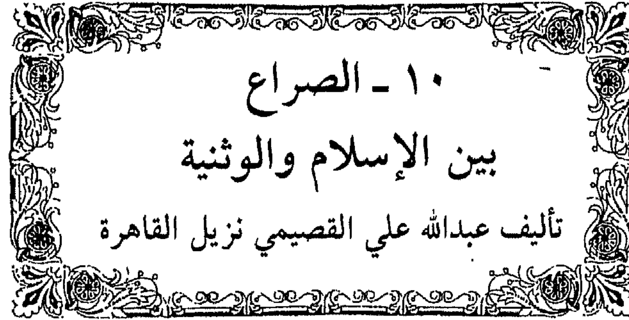
هذه نبذةٌ يسيرةٌ من الأفائك المودعة في رسالة (السنّة والشيعة) وهي مع أنّها رسالةٌ صغيرةٌ لا تعدو صفحاتها ١٣٢ لكن فيها من البوائق ما لعلَّ عدَّتها أضعاف عدد الصفحات، وحسبك من نماذجها ما ذكرناه.

﴿إنَّ الّذينَ جاءوا بالإفك عُصبَةٌ مِنكُمْ لا تَحسبوهُ شَرّاً لَكُمْ
بَلْ هُوَ خيرٌ لكم لِكلِّ امرىءٍ مِنهُمْ ما اكتسب مِنَ الإثم
والّذي تَوَلّى كِبرهُ مِنهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظيمٌ﴾

سورة النور: آية ١١

---

(١) أي ذو همة بطلب معالي الامور.



لعلّ في نفس هذا الاسم دلالة واضحة على نفسيات مؤلفه وروحياته وما أودعه في الكتاب من الخزايات؛ فأول جنايته على المسلمين عامة تسميته بالوثنية أُمماً من المسلمين يُعد كل منها بالملايين، وفيهم الأئمة والقادة والعلماء والحكماء والمفسرون والحفاظ والأدلاء على دين الله الخالص، وفي مقدَّمهم أُمَّة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فهل ترى هذه التسمية تدع بين المسلمين أُلفة؟ وتذر فيهم وئاماً؟ وتبقي بينهم مودة؟ وهل تجد لو اطردت أمثالها كلمة جامعة تتفيأ الامّة بظلها الوارف؟ نعم: هي التي تبذر بين الملأ الديني بذور الفرقة، وتبثّ فيهم روح النفرة، تتضارب من جرائها الآراء، وتتباين الفكر، وربما انقلب الجدال جلاداً، كفى الله المسلمين شرها.

فإلى الدعة والسلام، وإلى الإخاءوالوحدة أيها المسلمون جميعاً من غير اكتراث لصخب هذا المعكر للصفو، والمقلق للسلام، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر.

وأمّا ما في الكتاب من السباب المقذع والتهتك والقذائف والطامات والأكاذيب والنسب المفتعلة فلعلها تربو على عدد صفحاته البالغة ١٦٠٠ وإليك نماذج منها:

١ ـ قال: من الطرائف أنّ شيخاً من الشيعة اسمه بيان كان يزعم أنَّ الله يعنيه بقوله: هذا بيانٌ للنّاسِ. وكان آخر منهم يلقّب بالكسف فزعم هو وزعم له

أنصاره أنَّه المعنيّ بقول الله: ﴿وإن يروا كسفاً مِنَ السّماء﴾. الآيـة. ص ع و٥٣٨.

ج ـ إن هي إلاّ أساطير الأوَّلين التي اكتتبها قلم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص٨٧، وإن هي إلاّ من الفرق المفتعلة التي لم تكن لهـا وجودٌ وما وجدت بعدُ، وإنَّما اختلقتها الأوهام الطائشة، ونسبتها إلى الشيعة أَلْسِنةُ حملة العصبيَّة العمياء نـظراء ابن قتيبة والجـاحظ والخيّاط، ممّن شـوَّهت صحائف تآليفهم بالإفك الفاحش، وعرَّفهم التاريخ للمجتمع بالاختلاق والقول المزوَّر، فجاء القصيمي بعد مضيِّ عشرة قرون على تلك التافهات والنسب المكذوبة يجدِّدها ويردُّ بها على الإماميَّة اليوم، ويتَّبع الذين قد ضلّوا من قبلُ وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواءِ السبيل، فذرهم وما يفترون.

هب أنَّ للرجلين [بيان وكسف] وجوداً خارجيّاً ومعتقداً كما يزعمه القائل وأنَّهما من الشيعة ـ وأنّى لـه بإثبـات شيءٍ منها ـ فهـل في شريعـة الحجاج، وناموس النصفـة، وميزان العـدل، نقد امَّـة كبيرةٍ بمقـالة معتـوهين يُشكُّ في وجودهما أوّلاً، وفي مذهبهما ثانياً، وفي مقالتهما ثالثاً؟...

٢ ـ قال: ذكر الأمير الجليل شكيب أرسلان في كتاب [حـاضر العـالم الإسلامي](١) أنَّه التقى بأحد رجال الشيعة المثقَّفين البارزين فكان هذا الشيعيُّ يمقت العـرب أشـدَّ المقت ويُـزري بهم أيّمـا إزراء، ويغلو في عـليٍّ بن أبي طـالب وولده غلواً يأباه الإسلام والعقل فعجب الأمير الجليل لأمره وسأله كيف تجمع بين مقت العرب هذا المقت وحبّ عليٍّ ووُلده هذا الحبّ؟ وهل عليٌّ وولده إلاّ من ذروة العرب وسنامها الأشمّ؟ فانقلب الشيعيُّ ناصبيّاً واهتاج وأصبح خصماً لعليٍّ وبنيه وقال ألفاظاً في الإسلام والعرب مستكرهة ص ١٤.

ج ـ هذا النقل الخرافيُّ يُسِفُّ بأمير البيان إلى حضيض الجهل والضعة،

(١) كتاب يفتقر جداً إلى نظارة التنقيب. ينم عن قصور باع مؤلفه، وعدم عرفانه بمعتقدات الشيعة، وجهله بأخبارهم وعاداتهم، غير ما لفقه قومه من أباطيل ومخاريق فأخذه حقيقة راهنة، وسود به صحائف كتابه بل صحائف تاريخه.

حيث حكم بثقافة إنسان وبروزه والى اناساً وغلا في حبّهم ردحاً من الزمن وهو لا يعرف عنصرهم، أو كان يَحسب أنّهم من الترك أو الديلم وهل تجد في المسلمين جاهلاً لا يعرف أنَّ محمَّداً وآله صلوات الله عليه وعليهم من ذروة العرب وسنامها الأشمّ؟ وقد منَّ عليه الأمير حيث لم يُخبره بأنَّ مشرِّف العترة الرَّسول الأعظم هو المُحتبي على تلك الذُّروة وذلك السنام لئلّا يرتدَّ المثقّف إلى المجوسيَّة، ولا أرى سرعة انقلاب المثقّف البارز إلّا معجزةً للأمير في القرن العشرين (لا القرن الرابع عشر).

هذا عند مَن يصدِّق القصيميَّ «المصارع» في نقله، وأمّا المراجع كتاب الأمير [حاضر العالم الإسلامي] فيجد في الجزء الأوَّل ص ١٦٤ ما نصّه:

كنت أُحادث إحدى المرار رجلاً من فضلائهم [يعني الشيعة] ومن ذوي المناصب العالية في الدولة الفارسيّة، فوصلنا في البحث إلى قضيّة العرب والعجم، وكان محدِّثي على جانب عظيم من الغلوِّ في التشيّع إلى حدّ أنّي رأيت له كتاباً مطبوعاً مصدَّراً بجملة [هو العليُّ الغالب] فقلت في نفسي: لا شكَّ أنَّ الرَّجل لشدَّة غلوِّه في آل البيت، ولعلمه أنّهم من العرب، لا يمكنه أن يكره العرب الّذين آل البيت منهم. لأنّه يستحيل الجمع بين البغض والحبِّ في مكان واحدٍ، ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه، ولقد أخطأ ظنّي في هذا أيضاً، فإنّي عندما سُقت الحديث إلى مسألة العربيّة والعجميّة وجدته انقلب عجميّاً صرفاً ونسي ذلك الغلوّ كلّه في عليّ عليه السَّلام وآله، بل قال لي هكذا وكان يحدِّثني بالتركيّة: [إيران بر حكومت إسلاميّة دكلدر يالكز دين إسلامي اتخاذ ايتمش برحكومتدر]أي إيران ليست بحكومة إسلاميّة وإنّما هي حكومةٌ اتخذت لنفسها دين الإسلام.

اقرأ واعجب من تحريف الكلم عن مواضعه، هكذا يفعل القصيميُّ بكلمات قومه فكيف بما خطّته يد من يُضادُّه في المبدأ.

والقارىء جِدُّ عليم بأنّ الأمير [شكيب أرسلان] قد غلت أيضاً في فهم ما

صدّر الشيعيُّ الفاضل به كتابه من جملة [هو العليُّ الغالب] واتّخاذه دليلاً على الغلوِّ في التشيّع، فإنّها كلمةٌ مطّردة تُكتب وتُقال كقولهم: [هو الواحدُ الأحد] وما يجري مجراه، تُقصد بهـا أسماء الله الحسنى؛ وهي كـالبسملة في التيمّن بافتتاح القول بها.

وأنت لا تجد في الشيعة من يبغض العروبة، وهو يعتنق ديناً عربيّاً صدع به عربيّ صميمٌ، وجاء بكتاب عربيّ مبينٍ وفي طيِّه: ﴿**أأعجميٌّ وعربيٌّ**﴾[1]؟ وقد خلفـه على أمر الـدين والامّة سـادات العرب، ولا يستنبط أحكـام الـدين إلاّ بالمأثـورات العربيّـة عن اولئك الأئمّـة الطاهـرين صلوات الله عليهم المنتهية علومهم إلى مؤسِّس الدعوة الإسلاميَّة صلّى الله عليه وآله وسلم، وهو يدعو الله في آناء الليل وأطراف النّهار بالأدعية المأثورة عنهم بلغة الضاد، ويطبع وينشر آلافاً من الكتب العربيَّة في فتونها؛ فالشيعيُّ عربيٌّ في دينه، عربيٌّ في هواه، عربيٌّ في مذهبه، عربيٌّ في نزعته، عربيٌّ في ولائه، عربيٌّ في خلائقه، عربيٌّ عربيٌّ عربيٌّ...

نعم: يبغض الشيعيُّ زعانفةً بخسوا حقوق الله، وضعضعوا أركان النبوَّة، وظلموا أئمَّة الدين، واضطهدوا العترة الطاهرة؛ وخانوا على العروبة، عُرباً كانوا أو أعاجم وهذه العقيدة شرعٌ سواءٌ فيها الشيعيُّ العربيُّ والعجميُّ.

ولكن شاء الهوى، ودفعت الضغائن أصحابه إلى تلقين الامَّة بأنَّ التشيّع نزعةٌ فارسيَّةٌ والشيعيُّ يمقت العرب. شقّاً لِلعصا، وتفريقاًللكلم، وتمزيقاً لجمع الامَّة، وأنا أرى أنَّ القصيمي والأمير قبله في كلمات اخرى يُريدان ذلك كلّه، وما أُريكم إلاَّ ما أرى وما أهديكم إلاَّ سبيل الرَّشاد.

٣ ـ قال: إن الشيعة في إيران نصبوا أقواس النصر، ورفعوا أعلام السرور والابتهاج في كلِّ مكان من بلادهم لمَّا انتصر الروس على الدولة العثمانيَّة في حروبها الأخيرة ص ١٨.

---

(١) سورة فصّلت آية ٤٤.

ج ـ هذه الكلمة مأخوذةٌ من الآلوسي الآنف ذكره وذكر فريته والجواب عنها ص ٣٢٦ غير أنَّ القصيمي كساها طلاءً مبهرجةً ؛ وكم ترك الأوَّل للآخر.

٤ ـ قال: الشيعة قائلون في عليٍّ وبنيه قول النصارى في عيسى بن مريم سواءً مثلاً من القول بالحلول والتقديس والمعجزات ومن الاستغاثة به ونداءه في الضرَّاء والسرّاء والانقطاع إليه رغبةً ورهبةً وما يدخل في هذا المعنى ، ومَن شاهد مقام عليٍّ أو مقام الحسين أو غيرهما من آل البيت النبوي وغيرهم في النَّجف وكربلا وغيرهما من بلاد الشيعة وشاهد ما يأتونه من ذلك هناك علم أنَّ ما ذكرناه عنهم دون الحقيقة ، وأن العبارة لا يمكن أن تفي بما يقع عند تلك المشاهد من هذه الطائفة ، ولأجل هذا فإن هؤلاء لم يزالوا ولن يزالوا من شرِّ الخصوم للتوحيد وأهل التوحيد ص ١٩ .

ج ـ أمّا الغلوُّ بالتأليه والقول بالحلول فليس من معتقد الشيعة، وهذه كتبهم في العقائد طافحةٌ بتكفير القائلين بذلك، والحكم بارتدادهم، والكتب الفقهيَّة بأسرها حاكمةٌ بنجاسة أسآرهم .

وأمّا التقديس والمعجزات فليسا من الغلوِّ في شيءٍ فإنَّ القداسة بطهارة المولد ، ونزاهة النفس عن المعاصي والذنوب ؛ وطهارة العنصر عن الدَّنايا والمخازي لازمةُ منصَّة الأئمَّة وشرط الخلافة فيهم كما يُشترط ذلك في النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وأمّا المعجزات فإنها من مثبتات الدعوى، ومتمّات الحجَّة، ويجب ذلك في كلِّ مدَّع للصلة بينه وبين ما فوق الطبيعة، نبيّاً كان أو إماماً، ومعجز الإمام في الحقيقة معجزٌ للنبيِّ الذي يخلفه على دينه وكرامةٌ له، ويجب على المولى سبحانه في باب اللطف أن يحقق دعوى المحقِّ بإجراء الخوارق على يديه، تثبيتاً للقلوب، وإقامةً للحجّة؛ حتّى يقرِّبهم إلى الطاعة ويبعِّدهم عن المعصية، لدة ما في مدَّعي النبوّة من ذلك، كما يجب أيضاً أن ينقض دعوى المبطل إذا تحدّى بتعجيزه كما يؤثر عن مسيلمة وأشباهه.

وإنَّ من المفروغ عنه في علم الكلام كرامات الأولياء، وقد برهنت عليها

الفلاسفة بما لا معدل عنه ويضيق عنه المقام، فإذا صحّ ذلك لكلّ وليٍّ، فلماذا يُعدُّ غلوّاً في حجج الله على خلقه؟ وكتب أهل السنّةوتآليفهممفعمةٌ بكرامات الأولياء، كما أنّها معترفةٌ بكرامات مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وأمّا الاستغاثة والنداء والانقطاع وما أشار إليها فلا تعدو أن تكون توسُّلاً بهم إلى المولى سبحانه، واتّخاذهم وسائل إلى نُجح طلباتهم عنده جلّت عظمته، لقربهم منه، وزلفتهم إليه، ومكانتهم عنده، لأنّهم عبادٌ مكرمون، لا لأنّ لذواتهم القدسيَّة دخلاً في إنجاح المقاصد أوّلاً وبالذّات، لكنّهم مجاري الفيض، وحلقات الوصل، ووسائط بين المولى وعبيده [كما هو الشأن في كلّ متقرّب من عظيم يُتوسَّل به إليه] وهذا حكمٌ عامٌّ للأولياء والصالحين جميعاً، وإن كانوا متفاوتين في مراحل القرب، كلّ هذا مع العقيدة الثابتة بأنّه لا مُؤثِّر في الوجود إلّا الله سبحانه، ولا تقع في المشاهد المقدَّسة كلّها من وفود الزائرين إلّا ما ذكرناه من التوسّل(١)، فأين هذه من مضادَّة التوحيد؟! وأين هؤلاء من الخصومة معه ومع أهله؟! فذرهم وما يفترون إنّما يفتري الكذب الّذين لا يُؤمنون بآيات الله وأولئك هُمُ الكاذبون.

٥ - قال: تذهب الشيعة تبعاً للمعتزلة إلى إنكار رؤية الله يوم القيامة، وإنكار صفاته، وإنكار أن يكون خالقاً أفعال العباد لشبهات باطلةٍ معلومةٍ، وقد أجمع العلماءمن أهل الحديث والسنّة والأثر كالأئمّة الأربعة على الإيمان بذلك كلّه، ليس بينهم خلافٌ في أنّ الله خالقُ كلِّ شيءٍ حتّى العباد وأفعالهم، ولا في رؤية الله يوم القيامة.

ومن عجب أن تُنكر الشيعة ذلك خوف التشبيه وهم يقولون بالحلول والتشبيه الصريح وبتأليه البشر ووصف الله بصفات النقص، وأهل السنّة يعدُّون الشيعة والمعتزلة مبتدعين غير مهتدين في جحدهم هذه الصفات. ج ١ ص ٦٨.

---

(١) فصلنا القول في ذلك في الجزء الخامس من كتابنا هذا.

ج ـ إنَّ الرَّجل قلّد في ذات الله وصفاته ابن تيميَّـة وتلميذه ابن القيِّم، ومذهبهما في ذلك كما قال الزرقاني المالكي في شرح المواهب ج ٥ ص ١٢: إثبات الجهة والجسميَّة وقال: قال المناوي: أمّـا كونهما من المبتدعة فمسلّم. والقصيمي يقدّسهما ورأيهما ويصرِّح بالجهة ويعيِّنها، وله فيها كلماتٌ كثيرةٌ في شتَّى كتابه، ونحن لا نناقشه في هذا الرأي الفاسد، ونحيل الوقوف على فساده إلى الكتب الكلاميَّة من الفريقين، والذي يُهمنا إيقاف القارىء على كذبه في القول واختلاقه في النسب.

إنَّ الشيعة لم تتَّبع المعتزلة في إنكار رؤية الله يوم القيامة بل تتّبع برهنة تلك الحقيقة الراهنة من العقل والسمع، وحاشاهم عن القول بالحلول والتشبيه وتأليه البشر وتوصيف الله بصفات النقص وإنكار صفات الله الثابتة له، بل إنهم يقولون جمعاء بكفر من يعتقد شيئاً من ذلك، راجع كتبهم الكلاميَّة قديماً وحديثاً، وليس في وسع الرجل أن يأتي بشيءٍ ممّا يدلُّ على ما باهتهم، ولعمري لو وجد شيئاً من ذلك لصدح به وصدع.

نعم: تُنكر الشيعة أن تكون لله صفاتٌ ثبوتيَّةٌ زائدة على ذاته وإنَّما هي عينها، فلا يقولون بتعدّد القدماء معه سبحانه، وإنّ لسان حالهم لينـاشد مَن يخالفهم بقوله:

إخـواننـا الأدنين منّـا أرفقـوا ... لقـد رقيتم مـرتقى صعبـا
إن ثـلّثت قـومٌ أقـانيمـهـم ... فـإنَّـكـم ثمَّـنـتـمُ الـربّـا

وللمسألة بحثٌ ضاف مترامي الأطراف تتضمنه كتب الكلام.

وأمّـا أفعال العباد فلو كانت مخلوقةً لله سبحانه خلق تكوين لبطل الوعد والوعيد والثواب والعقاب، وإنَّ من القبيح تعذيب العاصي على المعصية وهو الَّذي أجبره عليها وهذه من عويصات مسائل الكلام قد أُفيض القول فيها بما لا مزيد عليه، وإنَّ من يقول بخلق الأفعال فقد نسب إليه سبحانه القبيح والظلم غير شاعر بهما، وما استند إليه القصيمي من الإجماع وقول القائلين لا يكاد يجديه

نفعاً تجاه البرهنة الدامغة.

وأمّا قذف أهل السنّة الشيعة والمعتزلة بما قذفوه وعدُّهم من المبتدعين فإنّها شنشنةٌ أعرفها من أخزم.

٦ ـ قال في عدّ معتقدات الشيعة: وذرِّيَّة النبيِّ جميعاً محرَّمون على النّار معصومون من كلِّ سوء. في الجزء الثاني صحيفة ٣٢٧ من كتاب «منهاج الشريعة» زعم مؤلِّفه أنّ الله قد حرَّم جميع أولاد فاطمة بنت النبيِّ على النّار، وأنَّ من فاته منهم أوَّلاً فلا بدَّ أن يوفَّق إليه قبل وفاته. قال: ثمَّ الشفاعة من وراء ذلك.

وقال في «أعيان الشيعة» الجزء الثالث صفحة ٦٥: إنَّ أولاد النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام لا يخطئون ولا يذنبون ولا يعصون الله الى قيام الساعة ج ٢ ص ٢٠.

ج ـ إنَّ الشيعة لم تكس حلة العصمة إلاّ خلفاء رسول الله الاثني عشر من ذرّيته وعترته وبضعته الصِّديقة الطاهرة بعد أن كساهم الله تعالى تلك الحلّة الضافية بنصِّ آية التطهير في خمسةٍ أحدهم نفس النبيِّ الأعظم، وفي البقيَّة بملاك الآية والبراهين العقليَّة المتكثرة والنصوص المتواترة، وعلى هذا أصفق علماؤهم والامّة الشيعيَّة جمعاء في أجيالهم وأدوارهم، وإن كان هناك ما يوهم إطلاقاً أو عموماً فهو منزَّلٌ على هؤلاء فحسب. وإن كان في رجالات أهل البيت غيرهم أولياء صدّيقون أزكياء لا يجترحون السيّئات إلاّ أنَّ الشيعة لا توجب لهم العصمة.

وأمّا ما استند إليه الرَّجل من كلام صاحب «منهاج الشريعة» فليس فيه أيّ إشارة إلى العصمة، بل صريح القول منه خلافها لأنّه يثبت أنَّ فيهم من تفوته ثمَّ يتدارك بالتوبة قبل وفاته، ثمَّ الشفاعة من وراء ذلك، فرجلٌ يقترف السيّئة، ثمَّ يوفَّق للتوبة عنها، ثمَّ يُعفى عنها بالشفاعة لا يُسمّى معصوماً، بل هذه خاصة كلِّ مؤمن يتدارك أمره بالتوبة، وإنَّما الخاصَّة بالذريَّة التمكّن من التوبة على أيِّ حال.

قال القسطلاني في «المواهب» والزرقاني في شرحه ج ٣ ص ٢٠٣: (روي) عن ابن مسعود رفعه (إنّما سُمِّيت فاطمة) بإلهام من الله لرسوله إن كانت ولادتها قبل النبوَّة، وإن كانت بعدها فيحتمل بالوحي «لأنَّ الله قد فطمها» من الفطم وهو المنع ومنه فطم الصبيّ «وذرِّيَّتها عن النار يوم القيامة» أي منعهم منها، فأمّا هي وابناها فالمنع مطلقٌ، وأمّا مَن عداهافالممنوع عنهم نار الخلود فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير، ففيه بشرى لآله ﷺ بالموت على الإسلام، وأنّه لا يختم لأحد منهم بالكفر نظيره ما قاله الشريف السمهودي في خبر الشفاعة لمن مات بالمدينة، مع أنَّه يشفع لكلِّ من مات مسلماً، أو أنَّ الله يشاء المغفرة لمن واقع الذنوب منهم إكراماً لفاطمة ﵍ أو يوفِّقهم للتوبة النصوح ولو عند الموت ويقبلها منهم [أخرجه الحافظ الدمشقي] هو ابن عساكر.

«وروى الغسّاني والخطيب» وقال: فيه مجاهيل (مرفوعاً) إنّما سُميت فاطمة «لأنَّ الله فطمها ومحبّيها عن النار» ففيه بشرى عميمة لكلِّ مسلم أحبَّها وفيه التأويلات المذكورة. وأمّا ما رواه أبو نعيم والخطيب: أنَّ عليّاً الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق سُئل عن حديث: إنَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرَّمها الله وذريَّتها على النار. فقال: خاصٌّ بالحسن والحسين. وما نقله الأخباريّون عنه من توبيخه لأخيه زيد حين خرج على المأمون. وقوله: ما أنت قائلٌ لرسول الله؟ أغرَّك قوله: إنَّ فاطمة أحصنت؟ الحديث. إنّ هذا لِمن خرج من بطنها لا لي ولا لك، والله ما نالوا ذلك إلّا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصيته ما نالوه بطاعته إنَّك إذاً لأكرم على الله منهم. فهذا من باب التواضع والحثِّ على الطاعات وعدم الاغترار بالمناقب وإن كثرت، كما كان الصحابة المقطوع لهم بالجنَّة على غايةٍ من الخوف والمراقبة، وإلّا فلفظ «ذريَّة» لا يخصُّ بمن خرج من بطنها في لسان العرب ﴿ومن ذريّته داود وسليمان﴾. الآية. وبينه وبينهم قرونٌ كثيرةٌ، فلا يُريد بذلك مثل عليِّ الرِّضا مع فصاحته ومعرفته لغة العرب، على أنَّ التقييد بالطائع يبطل خصوصيّة ذريَّتها ومحبِّيها إلّا أن يُقال: لله تعذيب

الطائع فالخصوصيَّة أن لا يُعذِّبه إكراماً لها. والله أعلم[١].

وأخرج الحافظ الدمشقي بإسناده عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة تدرين لِم سُمِّيت فاطمة؟ قال عليٌّ رضي الله عنه لِمَ سُمّيت؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فطمها وذريّتها عن النار يوم القيامة. وقد رواه الإمام عليّ بن موسى الرِّضا في مسنده ولفظه: إنَّ الله فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن أحبّهم من النار[٢].

أيرى القصيميُّ بعدُ أنَّ الشيعة قد انفردوا بما لم يقله أعلام قومه؟ أو رووا بحديث لم يروه حفّاظ مذهبه؟ أو أتوا بما يخالف مبادىء الدين الحنيف؟ وهل يسعه أن يتهم ابن حجر والزرقاني ونظرائهما من أعلام قومه، وحفّاظ نحلته المشاركين مع الشيعة في تفضيل الذريَّة؟! ويرميهم بالقول بعصمتهم؟! ويتحامل عليهم بمثل ما تحامل على الشيعة؟.

وليس من البِدْع تفضّل المولى سبحانه على قوم بتمكينه إيّاهم من النزوع من الآثام، والندم على ما فرَّطوا في جنبه، والشفاعة من وراء ذلك، ولا ينافي شيئاً من نواميس العدل ولا الاصول المسلّمة في الدين، فقد سبقت رحمته غضبه ووسعت كلَّ شيءٍ.

وليس هذا القول المدعوم بالنصوص الكثيرة بأبدع من القول بعدالة الصحابة أجمع والله سبحانه يعرِّف في كتابه المقدَّس اناساً منهم بالنفاق وانقلابهم على أعقابهم بآيات كثيرة رامية غرضاً واحداً، ولا تنس ما ورد في الصِّحاح والمسانيد ومنها: ما في صحيح البخاري من أنَّ اناساً من أصحابه ﷺ يُؤخذ بهم ذات الشمال فيقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنَّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

وفي صحيح آخر: ليرفعنَّ رجالٌ منكم ثمَّ ليختلجنَّ دوني فأقول: يا ربّ

---

(١) بقية العبارة مرت ص ٢٢٢. ما بين القوسين لفظ المواهب.

(٢) عمدة التحقيق تأليف العبيدي المالكي المطبوع في هامش روض الرياحين لليافعي ص ١٥.

أصحابي فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي صحيح ثالث: أقول أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي صحيح رابع: أقول إنَّهم منّي فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول سُحقاً لمن غيَّر بعدي.

وفي صحيح خامس: فأقول: يا ربِّ أصحابي. فيقول: إنَّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك. إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى.

وفي صحيح سادس: بينا أنا قائمٌ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمَّ. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى. ثمَّ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمَّ. قلت: أين؟ قال. إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل هَمَل النعم[1] قال القسطلاني في شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٣٢٥ في هذا الحديث: همَل بفتح الهاء والميم: ضوالُّ الإبل واحدها: هامل. أو: الإبل بلا راع. ولا يقال ذلك في الغنم، يعني: أنَّ الناجي منهم قليلٌ في قلّة النعم الضالَّة، وهذا يشعر بأنّهم صنفان كفّارٌ وعُصاةٌ. اهـ.

وأنت من وراء ذلك كلّه جِدُّ عليمٍ بما شجر بين الصحابة من الخلاف الموجب للتباغض والتشاتم والتلاكم والمقاتلة القاضية بخروج أحد الفريقين عن حيِّز العدالة، ودع عنك ما جاء في التاريخ عن الأفراد منهم من ارتكاب المآثم والإتيان بالبوائق.

فإذا كان هذا التعديل عنده وعند قومه لا يستتبع لوماً ولا يعقِّب هماجة، فأيّ حزازةٍ في القول بذلك التفضّل الّذي هو من سنّة الله في عباده؟! ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

---

(١) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ١١٣، ج ٩ ص ٢٤٢ - ٢٤٧.

وأمّا ما أردفه في الاستناد من كلام سيِّدنا الأمين في «أعيان الشيعة» ج ٣ ص ٦٥ فإنّي ألفت نظر القارىء إلى نصِّ عبارته حتّى يعرف مقدار الرَّجل من الصِّدق والأمانة في النقل، ويرى محلّه من الأرجاف وقذف رجل عظيم من عظماء الامَّة بفاحشةٍ مبيَّنة واتِّهامه بالقول بعصمة الذريَّة وهو ينصُّ على خلافه، قال بعد ذكر حديث الثقلين[1] بلفظ مسلم وأحمد وغيرهما من الحفّاظ ما نصّه:

دلت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب والخطأ، لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته في أنَّه أحد الثقلين المخلّفين في الناس، وفي الأمر بالتمسّك بهم كالتمسك بالقرآن، ولو كان الخطأ يقع منهم لَما صحَّ الأمر بالتمسّك بهم الذي هو عبارةٌ عن جعل أقوالهم حجّةً، وفي أنَّ المتمسِّك بهم لا يضلُّ كما لا يضلُّ المتمسِّك بالقرآن، ولو وقع منهم الذنوب أو الخطأ لكان المتمسِّك بهم يضلُّ، وإنَّ في اتِّباعهم الهدى والنور كما في القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتِّباعهم الضّلال، وأنَّهم حبلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض كالقرآن، وهو كناية عن أنَّهم واسطةٌ بين الله تعالى وبين خلقه، وأنَّ أقوالهم عن الله تعالى، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك. وفي أنَّهم لم يُفارقوا القرآن ولن يُفارقهم مدَّة عمر الدُّنيا، ولو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم، وفي عدم جواز مفارقتهم بتقدُّم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم أو تقصير عنهم وائتمام بغيرهم، كما لا يجوز التقدُّم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه أو التقصير عنه باتِّباع أقوال مخالفيه، وفي عدم جواز تعليمهم وردِّ أقوالهم، ولو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم ولم يُنه عن ردِّ قولهم.

ودلّت هذه الأحاديث أيضاً على أنَّ منهم مَن هذه صفته في كلِّ عصر وزمانٍ بدليل قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض وأنَّ اللطيف الخبير أخبر بذلك، وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمانٌ من أحدهما لم يَصدق أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

---

(١) اني تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

إذا عُلم ذلك ظهر أنّه لا يمكن أن يُراد بأهل البيت جميع بني هاشم، بل هو من العامّ المخصوص بمن ثبت اختصاصهم بالفضل والعلم والزهد والعفّة والنزاهة من أئمة أهل البيت الطاهر وهم الأئمّة الإثنا عشر وامّهم الزهراء البتول، للإجماع على عدم عصمة مَن عداهم، والوجدان أيضاً على خلاف ذلك، لأنّ مَن عداهم مِن بني هاشم تصدر منهم الذنوب ويجهلون كثيراً من الأحكام، ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق، فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن في الامور المذكورة بل يتعيّن أن يكون بعضهم لا كلّهم ليس إلاّ مَن ذكرنا، أمّا تفسير زيد بن أرقم لهم بمطلق بني هاشم[1] إن صحَّ ذلك عنه فلا تجب متابعته بعد قيام الدليل على بطلانه.

إقرأ واحكم. حيّاالله الأمانة والصِّدق. هكذا يكون عصر النور.

٧ ـ قال: من آفات الشيعة قولهم: إنَّ عليّاً يذود الخلق يوم العطش فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه، وإنّه قسيم النار وإنّها تطيعه يُخرج منها من يشاء ج ٢ ص ٢١.

ج ـ لقد أسلفنا في الجزء الثاني ص ٣٧٢، أسانيد الحديث الأوّل عن الأئمّة والحفّاظ وأوقفناك على تصحيحهم لغير واحد من طرقه، وبقيّتها مؤكّدة لها، فليس هو من مزاعم الشيعة فحسب، وإنّما اشترك معهم فيه حملة العلم والحديث من أصحاب الرِّجل، لكنَّ القصيمي لجهله بهم وبما يروونه، أو لحقده على من رُوي الحديث في حقّه يحسبه من آفات الشيعة.

وأمّا الحديث الثاني فكالأوّل ليس من آفات الشيعة بل من غرر الفضائل عند أهل الإسلام فأخرجه الحافظ أبو إسحاق ابن ديزيل المتوفى سنة ٢٨٠/٢٨١ عن الأعمش عن موسى بن ظريف عن عباية قال: سمعت عليّاً وهو يقول: أنا قسيم النار يوم القيامة، أقول: خذي ذا، وذري ذا.

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج١ ص ٢٠٠ والحافظ ابن عساكر في

(١) فيما أخرجه مسلم في صحيحه.

تاريخه من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي.

وهذا الحديث سُئل عنه الإمام أحمد كما أخبر به محمّد بن منصور الطوسي قال: كنّا عند أحمد بن حنبل فقال له رجلٌ: يا أبا عبدالله ما تقول في هذا الحديث الذي يُروى: إنَّ عليّاً قال: أنا قسيم النار؟ فقال أحمد: وما تُنكرون من هذا الحديث؟ أليس رُوينا أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال لعليٍّ: لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ولا يُبغضك إلاّ منافق؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النّار. قال: فعليٌّ قسيم النار. كذا في طبقات أصحاب أحمد، وحكى عنه الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٢، فليت القصيمي يدري كلام إمامه.

هذه اللفظة أخذها سلام الله عليه من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم له فيما رواه عنترة عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أنت قسيم الجنَّة والنار في يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي وهذا لك. وبهذا اللفظ رواه ابن حجر في «الصواعق» ص ٧٥.

ويُعرب عن شهرة هذا الحديث النبويِّ بين الصحابة احتجاج أمير المؤمنين عليه السَّلام به يوم الشورى بقوله: أُنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ! أنت قسيم الجنّة يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهمَّ لا. والأعلام يرى هذه الجملة من حديث الاحتجاج صحيحاً وأخرجه الدارقطني كما في الإصابة ٧٥، ويرى ابن أبي الحديد استفاضة كلا الحديثين النبويّ والمناشدة العلويّة فقال في شرحه ج ٢ ص ٤٤٨:

فقد جاء في حقِّه الخبر الشائع المستفيض: أَنه قسيم النار والجنة، وذكر أبو عبيد الهروي في الجمع بين الغريبين: انّ قوماً من أئمَّة العربيّة فسَّروه فقالوا: لأنّه لَمّا كان محبّه من أهل الجنّة ومبغضه من أهل النار. كان بهذا

الاعتبار قسيم النار والجنّة. قال أبو عُبيد: بل هو قسيمها بنفسه في الحقيقة يُدخل قوماً إلى الجنّة وقوماً إلى النّار، وهذا الذي ذكره أبو عبيد أخيراً هو ما يطالب الأخبار الواردة فيه: يقول للنار: هذا لي فدعيه، وهذا لكِ فخُذيه.

وذكره القاضي في الشفا: إنّه قسيم النار. وقال الخفاجي في شرحه ج ٣: ١٦٣: ظاهر كلامه أنَّ هذا ممّا أخبر به النبيُّ ﷺ إلاّ أنّهم قالوا: لم يروه أحد من المحدِّثين إلَّا ابن الأثير قال في النهاية: إلّا أنَّ عليّاً رضي الله عنه قال: أنا قسيم النار. يعني أراد أنَّ الناس فريقان: فريقٌ معي فهم على هدى، وفريقٌ عليَّ فهم على ضلال، فنصفٌ معي في الجنّة، ونصفٌ عليَّ في النّار. انتهى. قلت: ابن الأثير ثقةٌ، وما ذكره عليٌّ لا يُقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع، إذ لا مجال فيه للاجتهاد، ومعناه: أنا ومن معي قسيم لأهل النار، أي مقابلٌ لهم، لأنَّه من أهل الجنّة، وقيل: القسيم: القاسم كالجليس والسمير، وقيل. أراد بهم الخوارج ومن قاتل كما في النهاية.

٨ ـ قال: جاءت رواياتٌ كثيرةٌ في كتبهم [يعني الشيعة] أنَّه [يعني الإمام المنتظر] يهدم جميع المساجد، والشيعة أبداً هم أعداء المساجد، ولهذا يقلّ أن يشاهد الضّارب في طول بلادهم وعرضها مسجداً ج ٢ ص ٢٣.

ج ـ لم يُقنع الرَّجل كلّ ما في علبة مكره من زور واختلاق، ولم يقنعه إسناد ما يفتعله إلى رواية واحدةٍ يسعه أن يُجابه المنكر عليه بأنَّه لم يقف عليه حتّى عزاه إلى روايات كثيرة جاءت في كتب الشيعة، وليته إن كان صادقاً [وأنّى؟ وأين؟] ذكر شيئاً من أسماء هاتيك الكتب، أو أشار إلى واحدةٍ من تلك الروايات، لكنَّه لم تسبق له لفتةٌ إلى أن يفتعل أسماء ويضع أسانيد قبل أن يكتب الكتاب فيذكرها فيه.

إن الحجَّة المنتظر سيِّد مَن آمن بالله واليوم الآخر، الَّذين يعمرون مساجد الله وأين هو عن هدمها؟ وإنَّ شيعيّاً يعزو إليه ذلك لم يُخلق بعدُ.

وأمّا ما ذكره عن بلاد الشيعة فلا أدري هل طرق هو بلاد الشيعة؟ فكتب ما

كتب، وكذب ما كذب، أو أنَّه كان رجماً منه بالغيب؟ أو استند كصاحب المنار إلى سائحٍ سنّي مجهولٍ أو مُبشّرٍ نصرانيّ لم يُخلقا بعدُ؟ وأيّاً ما كان فهو مأخوذٌ بإفكه الشائن، وقد عرف من جاس خلال ديار الشيعة، وحلَّ في أوساطهم وحواضرهم وحتى البلاد الصغيرة والقرى والرساتيق، ما هنالك من مساجد مسيَّدة صغيرة أو كبيرة، وما في كثير منها من الفرش والأثاث والمصابيح، وما تُقام فيها من جمعة وجماعة، وليس من شأن الباحث أن يُنكر المحسوس، ويكذب في المشهور، وينصر المبدأ بالتافهات.

٩ ـ قال: قد استفتى أحد الشيعة إماماً من أئمَّتهم لا أدري أهو الصادق أم غيره؟ في مسألة من المسائل فأفتاه فيها، ثمَّ جاءه من قابلٍ واستفتاه في المسألة نفسها فأفتاه بخلاف ما أفتاه عام أوَّل، ولم يكن بينهما أحدٌ حينما استفتاه في المرَّتين فشكَّ ذلك المستفتي في إمامه وخرج من مذهب الشيعة وقال: إن كان الإمام إنّما أفتاني تقيَّة، فليس معنا مَن يُتَّقى في المرَّتين، وقد كنتُ مخلصاً لهم عاملاً بما يقولون، وإن كان مأتيُّ هذا هو الغلط والنسيان، فالأئمَّة ليسوا معصومين إذن والشيعة تدَّعي لهم العصمة، ففارقهم وانحاز إلى غير مذهبهم، وهذه الرِّواية مذكورةٌ في كتب القوم ج ٢ ص ٣٨.

ج ـ أنا لا أقول لهذا الرَّجل إلَّا ما يقوله هو لمن نسب إلى إمام من أئمَّته لا يشخص هو أنّه أيٌّ منهم، مسألةً فاضحةً مجهولة لا يعرفها؛ عن سائلٍ هو أحد النكرات، لا يُعرّف بسبعين (ألف لامٍ) وأسند ما يقول إلى كتب لم تؤلَّف بعدُ، ثمَّ طفق يشنُّ الغارة على ذلك الإمام وشيعته على هذا الأساس الرصين، فنحن لسنا نردُّ على القصيميِّ إلّا بما يردُّ هو على هذا الرَّجل، ولعمري لو كان المؤلِّف (القصيمي) يعرف الإمام أو السائل أو المسألة أو شيئاً من تلك الكتب لذكرها بهوس وهياج لكنّه لا يعرف ذلك كلَّه، كما أنّا نعرف كذبه في ذلك كلِّه، ولا يخفى على القارىء همزه ولمزه.

١٠ ـ قال: من نظر في كتب القوم علم أنَّهم لا يرفعون بكتاب الله رأساً، وذلك أنّه يقلّ جداً أن يستشهدوا بآية من القرآن فتأتي صحيحةً غير ملحونةٍ

مغلوطةٍ، ولا يُصيب منهم في إيراد الآيات إلّا المخالطون لأهل السنَّة العائشون بين أظهرهم، على أنَّ إصابة هؤلاء لا بدَّ أن تكون مصابة؛ أمّا البعيدون منهم عن أهل السنّة فلا يكاد أحدٌ منهم يورد آيةً فتسلم عن التحريف والغلط، وقد قال مَن طاف في بلادهم: إنّه لا يوجد فيهم مَن يحفظون القرآن، وقالوا: إنّه يندر جدّاً أن توجد بينهم المصاحف.

ج ـ بلاءٌ ليس يشبهه بـلاء عداوة غير ذي حسب ودينِ
يبيعك منه عِرضاً لم يصنه ويرتع منك في عِرض مصونِ

ليتني كنت أعلم أن هذه الكلمة متى كتبت؟ أفي حال السّكر أو الصحو؟ وأنّها متى رُقمت أعند اعتوار الخبل أم الإفاقة؟ وهل كتبها متقوِّلها بعد أن تصفّح كتب الشيعة فوجدها خلاءً من ذكر آية صحيحة غير ملحونة؟ أم أراد أن يصممهم فافتعل لذلك خبراً؟ وهل يجد المائن في الطليعة من أئمّة الأدب العربيّ إلّا رجالاً من الشيعة ألَّفوا في التفسير كُتباً ثمينة، وفي لغة الضّاد أسفاراً كريمة هي مصادر اللغة، وفي الأدب زبراً قيِّمة هي المرجع للملأ العلميِّ والأدبيِّ، وفي النحو مدوَّنات لها وزنها العلميّ، وإنَّك لو راجعت كُتب الإماميّة لوجدتها مفعمةً بالاستشهاد بالآيات الكريمة كأنّها أفلاكٌ لتلك الأنجم الطوالع غير مُغشّاة بلحن أو غلط.

وكما كنّا نعرف حتّى اليوم أنَّ مقياس التلاوة صحيحة أو ملحونةً هو النزعات والمذاهب التي هي عقودٌ قلبيّة لا مدخل لها في اللسان وما يلهج به، ولا أنَّ لها مِساساً باللغة، وسرد الكلمات، وصياغة الكلام، وحكاية ما صيغ منها من قرآن أو غيره.

وليت شعري ما حاجة الشيعة في إصابة القرآن وتلاوته صحيحة إلى غيرهم؟ الإعواز في العربيّة؟ أو لجهل بأساليب القرآن؟ لاها الله ليس فيهم من يتّسم بتلك الشية، أمّا العربيُّ منهم فالتشيّع لم ينأبهم عن لغتهم المقدَّسة، ولا عن جبليّات عنصرهم أو هل ترى أنَّ بلاد العراق وعاملة وما يشابههما وهي مفعمةٌ بالعلماء الفطاحل، والعباقرة والنوابغ، أقلُّ حظّاً في العربيّة من أعراب

بادية نجدٍ والحجاز أكّالة الضبِّ، ومساورة الضباع؟! وأمّا غير العربيِّ منهم فما أكثر ما فيهم من أئمَّة العربيَّة والفطاحل والكتّاب والشعراء، ومن تصفَّح السير علم أن الأدب شيعيٌّ، والخطابة شيعيَّةٌ، والكتابة شيعيَّةٌ، والتجويد والتلاوة شيعيَّان. ومن هنا يقول ابن خلكان في تاريخه في ترجمة عليٍّ بن الجهم ج ١ ص ٣٨: كان مع انحرافه من عليٍّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسّلام وإظهاره التسنّن مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الألفاظ. فكأنَّه يرى أنَّ مطبوعيّة الشعر وقرضه بألفاظ عذبة خاصَّةٌ للشيعة وأنّه المطَّرد نوعاً.

وهذه المصاحف المطبوعة في إيران والعراق والهند منتشرةٌ في أرجاء العالم والمخطوطة منها التي كادت تُعدُّ على عدد مَن كان يحسن الكتابة منهم قبل بروز الطبع، وفيهم من يكتبه اليوم تبرُّكاً به، ففي أيّ منها يجد ما يحسبه الزاعم من الغلط الفاشي؟ أو خلّة في الكتابة؟ أو ركّة في الاسلوب؟ أو خروج عن الفنّ؟ غير طفائف يزيغ عنه بصر الكاتب الذي هو لازم كلِّ إنسان شيعيٍّ أو سنيٍّ عربيٍّ أو عجميٍّ.

وأحسب أنَّ الذي أخبر القصيميَّ بما أخبر من الطائفين في بلاد الشيعة لم يولد بعدُ لكنَّه صوَّره مثالاً وحسب أنّه يُحدِّثه، أو أنّه لَمّا جاس خلال ديارهم لم يزد على أن استطرق الأزقّة والجوادّ فلم يجد مصاحف ملقاةً فيما بينهم وفي أفنية الدور، ولو دخل البيوت لوجدها موضوعةً في عياب وعلب، وظاهرةً مرئيَّةً في كلِّ رفٍّ وكوَّة على عدد نفوس البيت في الغالب، ومنها ما يزيد على ذلك، وهي تُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

هذه غير ما تتحرَّز به الشيعة من مصاحف صغيرة الحجم في تمائم الصبيان وأحراز الرِّجال والنساء. غير ما يحمله المسافر للتلاوة والتحفظ عن نكبات السفر. غير ما يوضع منها على قبور الموتى للتلاوة بكرةً وأصيلا وإهداء ثوابها للميِّت. غير ما تحمله الأطفال إلى المكاتب لدراسته منذ نعومة الأظفار. غير ما يُحمل مع العروس قبل كلِّ شيء إلى دار زوجها، ومنهم من يجعل ذلك المصحف جزءاً من صداقها تيمّناً به في حياتها الجديدة. غير ما يُؤخذ إلى

المساكن الجديدة المتَّخذة لِلسكنى قبل الأثاث كلّه. غير ما يوضع منها إلى جنب النساء لتحصينها عن عادية الجنّ والشياطين الذين يوحون إلى أوليائهم (ومنهم القصيميُّ مخترع الأكاذيب) زخرف القول غروراً.

أفهؤلاء الذين لا يرفعون بالقرآن رأساً؟ أفهؤلاء الذين يندر جدّاً أن توجد بينهم المصاحف؟ وأمّا ما أخبر به الرَّجل شيطانه الطائف بلاد الشيعة من عدم وجود من يحفظ القرآن منهم فسل حديث هذه الاكذوبة عن كتب التراجم ومعاجم السير، وراجع كتاب «كشف الاشتباه»[1] في ردِّ موسى جار الله ص ٤٤٤ ـ ٥٣٢ تجد هناك من حفَّاظ الشيعة وقُرّائهم مائة وثلاثة وأربعين.

١١ ـ قال: هل يستطيع أن يجيء (الشيعيُّ) بحرف واحد من القرآن؟ يدلُّ على قول الشيعة بتناسخ الأرواح، وحلول الله في أشخاص أئمَّتهم، وقولهم بالرجعة، وعصمة الأئمَّة، وتقديم عليٍّ على أبي بكر وعمر وعثمان، أو يدلُّ على وجود عليٍّ في السحاب وأنَّ البرق تبسّمه والرَّعد صوته كما تقول الشيعة الإماميَّة ج ١ ص ٧٢.

ج ـ إن تعجب فعجبٌ أن الرجل ومن شاكله من المفترين بهتوا الشيعة الإماميّة بأشياءهم بُراء منها على حين تداخل الفرق، وتداول المواصلات، وسهولة استطراق الممالك والمدن بالوسائل النقليّة البخاريّة في أيسر مدَّةٍ، ومن المستبعد جدّاً إن لم يكن من المتعذِّر جهل كلِّ فرقةٍ بمعتقدات الاخرى، فمحاول الوقيعة اليوم والحالة هذه على أيِّ فرقة من الفرق قبل الفحص والتنقيب المتيسِّرين بسهولة مستعملٌ للوقاحة والصلافة، وهو الأفّاك الأثيم عند من يطالع كتابه، أو يُصيخ إلى قيله.

ولو كان الرَّجل يتدبّر في قوله تعالى: ﴿**ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيدٌ**﴾. أو يصدِّق ما أوعد الله به كلَّ أفّاكٍ أثيمٍ همّاز مشّاء بنميم، لكفَّ مدَّته عن البهت، وعرف صالحه، ولكان هو المجيب عن سؤال شيطانه بأنَّ الشيعة

---

(١) تأليف العلم الحجة شيخنا المحقق الشيخ عبد الحسين الرشتي النجفي.

الإماميّة متى قالت بالتناسخ وحلول الله في أشخاص أئمّتهم؟ ومَن الذين ذهب منهم قديماً وحديثاً إلى وجود عليٍّ في السحاب. إلخ. حتّى توجد حرفٌ واحدٌ منها في القرآن.

نعم: [عليٌّ في السّحاب] كلمةٌ للشيعة تأسّياً للنبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلم بالمعنى الذي مرّ في الجزء الأوّل ص ٣٤٤ غير أنّ قوّالة الإحنة حرّفتها عن موضعها وأوّلتها بما يشوّه الشيعة الإماميّة].

أليس عاراً على الرّجل وقومه أن يكذب على امّةٍ كبيرةٍ إسلاميّةٍ ولا يبالي بما يباهتهم؟ وينسبهم إلى الآراء المنكرة أو التافهة؟ ولا يتحاشى عن سوء صنيعه؟ أليست كتب الشيعة الإماميّة المؤلّفة في قرونها الماضية ويومها الحاضر وهي لسانهم المعرب عن عقائدهم مشحونة بالبراءة من هذه النسب المختلَقة بألسنة مناوئيهم؟!

فإن كان لا يدري فتلك مصيبةٌ   وإن كان يدري فالمصيبة أعظمُ

نعم: له أن يستند في أفائكه إلى شاكلته طه حسين، وأحمد أمين، وموسى جار الله، رجال الفرية والبذاءة.

وقول الإماميّة بالرجعة نطق به القرآن غير أنَّ الجهل أعشى بصر الرَّجل كبصيرته فلم يره ولم يجده فيه، فعليه بمراجعة كتب الإماميّة، وأفردها بالتأليف جماهير من العلماء، فحبّذا لو كان الرَّجل يراجع شيئاً منها.

كما أنّ آية التطهير ناطقةٌ بعصمة جمعٍ ممّن تقول الإماميّة بعصمتهم وفي البقيّة بوحدة الملاك والنصوص الثابتة، وفيما أخرجه إمام مذهبه أحمد بن حنبل في الآية الشريفة في مسنده ج ١ ص ٣٣١، ج ٣ ص ٢٨٥، ج ٤ ص ١٠٧، ج ٦ ص ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٢٣ مقنعٌ وكفايةٌ.

وكيف لم يقدّم القرآن عليّاً على غيره؟ وقد قرن الله ولايته وولاية نبيِّه بقوله

العزيز: ﴿إنّما وَليّكم الله ورسولُه وَالّذين آمنوا الّذِينَ يُقيمون الصّلاة ويُؤتُون الزَّكاةَ وَهُمْ راكعون﴾. وقد مرَّ في هذا الجزء ص ١٩٨ ـ ٢٠٤ : إطباق الفقهاء والمحدِّثين والمتكلّمين على نزولها في عليٍّ أمير المؤمنين عليه السَّلام.

والباحث إن أعطى النصفة حقّها يجد في كتاب الله آياً تُعدُّ بـالعشرات نزلت في عليّ أمير المؤمنين عليه السَّلام وهي تدلّ على تقديمه على غيره، ولا بِدع وهو نفس النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم بنصّ القرآن، وبولايته أكمل الله دينه، وأتمَّ علينا نعمه، ورضي لنا الإسلام دينا.

ونحن نُعيد السؤال هاهنا على «القصيميِّ» فنقول: هل يستطيع أن يجيء هو وقومه بحرف واحدٍ من القرآن يدلُّ على تقديم أبي بكر، وعمر، وعثمان، على وليِّ الله الطاهر أمير المؤمنين عليه السَّلام؟!.

١٢ ـ قال: والقوم (يعني الإماميّة) لا يعتمـدون في دينهم على الأخبار النبويّة الصحيحة، وإنّما يعتمدون على الرُّقاع المزورة المنسوبة كذباً إلى الأئمّة المعصومين في زعمهم وحدهم ج ١ ص ٨٣.

ج ـ عرفت الحال في التوقيعات الصادرة عن الناحية المقدَّسة، والرَّجل قد أتى من شيطانه بوحيٍ جديد فيرى توقيعات بقيّة الأئمّة أيضاً مكذوبة على الأئمَّة، ويرى عصمتهم مزعومةً للشيعة فحسب، إذ لم يجدها في طامور أوهامه، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول.

١٣ ـ المتعة التي تتعاطاها الرافضة أنواعٌ :صغرى وكبرى. فمن أنواعها: أن يتَّفق الرَّجل والمرأة المرغوب فيها على أن يدفع إليها شيئاً من المال أو من الطعام والمتاع وإن حقيراً جدّاً على أن يقضي وطره منها ويشبع شهوته يوماً أو أكثر حسب ما يتَّفقان عليه، ثمَّ يذهب كلٌّ منهما في سبيله كأنَّما لم يجتمعا ولم يتعارفا، وهذا من أسهل أنواع هذه المتعة.

وهناك نوعٌ آخر أخبث من هذا يُسمّى عندهم بالمتعة الدوريَّة وهي أن يحوز جماعةٌ امرأةً فيتمتَّع بها واحدٌ من الصبح إلى الضحى، ثمَّ يتمتّع بها آخر

من الضحى إلى الظهر، ثمَّ يتمتّع بها آخر من الظهر إلى العصر، ثمَّ آخر إلى المغرب، ثمَّ آخر إلى العشاء، ثمّ آخر إلى نصف الليل، ثمَّ آخر إلى الصبح، وهم يعدّون هذا النوع ديناً لله يُثابون عليه وهو من شرِّ أنواع المحرَّمات ج ١ ص ١١٩.

ج - إنّ المتعة عند الشيعة هي الّتي جاء بها نبيُّ الإسلام، وجعل لها حدوداً مقرَّرة، وثبتت في عصر النبيِّ الأعظم وبعده إلى تحريم الخليفة عمر بن الخطاب، وبعده عند مَن لم ير للرأي المحدث في الشرع تجاه القرآن الكريم وما جاء به نبيُّ الإسلام قيمةً ولا كرامةً، وقد أصفقت فِرَق الإسلام على اصول المتعة وحدودها المفصَّلة في كتبها، ولم يختلف قطُّ إثنان فيها ألا وهي:

١ : الاجرة.

٢ : الأجل.

٣ : العقد المشتمل للإيجاب والقبول.

٤ : الافتراق بانقضاء المدَّة أو البذل.

٥ : العدَّة أمةً وحرَّة حائلاً وحاملاً.

٦ : عدم الميراث.

وهذه الحدود هي الّتي نصَّ عليها أهل السنَّة والشيعة، راجع من تآليف الفريق الأوَّل. صحيح مسلم. سنن الدارمي. سنن البيهقي. تفسير الطبري. أحكام القرآن للجصّاص. تفسير البغوي. تفسير ابن كثير. تفسير الفخر الرّازي. تفسير الخازن. تفسير السيوطي. كنز العمّال[1].

ومن تآليف الفريق الثاني مَن لا يحضره الفقيه الجزء الثالث ص ١٤٩. المقنع للصَّدوق كسابقه. الهداية له أيضاً. الكافي ج ٢ ص ٤٤. الانتصار للشريف علم الهدى المرتضى. المراسم لأبي يعلى سلّار الديلمي. النهاية

(١) يأتي تفصيل كلماتهم في هذا الجزء بعيد هذا.

للشيخ الطوسي. المبسوط للشيخ أيضاً. التهذيب له أيضاً ج ٢ ص ١٨٩. الإستبصار له ج ٢ ص ٢٩. الغنية للسيد أبي المكارم. الوسيلة لعماد الدين أبي جعفر. نكت النهاية للمحقق الحلّي. تحرير العلاّمة الحلّي ج ٢ ص ٢٧. شرح اللمعة ج ٢ ص ٨٢. المسالك ج ١. الحدائق ج ٦ ص ١٥٢. الجواهر ج ٥ ص ١٦٥.

والمتعة المعاطاة بين الامّة الشيعيَّة ليست إلاّ ما ذكرناه،وليست إلاَّ نوعاً واحداً، والشيعة لم تر في المتعة رأياً غير هذا، ولم تسمع اذن الدنيا أنواعاً لِلمتعة تقول بها فرقةٌ من فرق الشيعة، ولم تكن لأيِّ شيعيٍّ سابقة تعارف بانقسامها على الصغرى والكبرى، وليس لأيِّ فقيه من فقهاء الشيعة ولا لعوامهم من أوَّل يومها إلى هذا العصر، عصر الكذب والإختلاق،عصر الفرية والقذف (عصر القصيميِّ) إلماماً بهذا الفقه الجديد المُحْدَث، فقه القرن العشرين لا القرون الهجريَّة.

وأمَّا القصيميُّ [ومن يُشاكله في جهله المطبق] فلا أدري ممَّن سمع ما تخيَّله من الأنواع؟ وفي أيِّ كتابٍ من كُتب الشيعة وجده؟ وإلى فتوى أيِّ عالمٍ من علمائها يستند؟ وعن أيِّ إمام من أئمَّتها يروي؟ وفي أيِّ بلدة من بلادها أو قرية من قراها أو بادية من بواديها وجد هذه المعاطاة المكذوبة عليها؟ أيم الله كلُّ ذلك لم يكن. لكنَّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم زخرف القول غرورا.

١٤ ـ قال: إنَّ أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يأتون بشاة مسكينةٍ وينتفون شعرها ويعذِّبونها أفانين العذاب موحياً إليهم ضلالهم وجرمهم أنَّها السيِّدة عائشة زوج النبيِّ الكريم وأحبُّ أزواجه إليه.

ومَن يأتون بكبشين وينتفون أشعارهما ويعذِّبونهما ألوان العذاب مشيرين بهما إلى الخليفتين: أبي بكر وعمر، وهذا ما تأتيه الشيعة الغالية.

وإنَّ أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين هم الَّذين غيَّبوا إمامهم في السرداب، وغيَّبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومَن يذهبون كلَّ ليلة بخيولهم وحميرهم إلى

ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه ويُنادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام.

وإنَّ أغبى الأغبياءوأجمد الجامدينهم الَّذين يزعمون أنَّ القرآن محرَّفٌ مزيدٌ فيه ومنقوصٌ منه ج ١ ص ٣٧٤.

ج - يكاد القلم أن يرتج عليه القول في دحض هذه المفتريات لأنَّها دعاوٍ شهوديَّة بأشياء لم تظلّ عليها الخضراء ولا أقلّتها الغبراء، فإنَّ الشيعة منذ تكوَّنت في العهد النبويِّ يوم كان صاحب الرِّسالة يلهج بذكر شيعة عليٍّ عليه السَّلام والصحابة تسمّي جمعاً منهم بشيعة عليٍّ إلى يومها هذا لم تسمع بحديث الشاة والكبشين، ولا أبصرت عيناها ما يُفعل بهاتيك البهائم البريئة من الظلم والقساوة، ولا مُدَّت إليها تلك الأيادي العادية، غير أنَّهم شاهدوا القصيميَّ متَّبعاً لابن تيميَّة يُدنِّس برودهم النزيهة عن ذلك الدَّرَن.

وليت الرَّجل يعرِّفنا بأحدٍ شاهد شيعيّاً يفعل ذلك، أو بحاضرةٍ من حواضر الشيعة اطَّردت فيها هذه العادة، أو بصقع وقعت فيه مرَّة واحدة ولو في العالم كلِّه.

وليتني أدري وقومي هل أفتى شيعيٌّ بجواز هذا العمل الشنيع؟ أو استحسن ذلك الفعل التافه؟ أو نوَّه به ولو قصِّيصٌ في مقاله؟ نعم يوجد هذا الإفك الشائن في كتاب القصيميِّ وشيخه ابن تيميَّة المشحون بأمثاله.

وفرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلِّفي أهل السنَّة لكنَّه زاد في الطمّور نغمات بضمِّ الحمير إلى الخيول وادِّعائه اطِّراد العادة في كلِّ ليلة واتِّصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أنَّ غيبة الإمام في السِّرداب، ولا هم غيَّبوه فيه ولا أنَّه يظهر منه، وإنَّما اعتقادهم المدعوم بأحاديثم أنَّه يظهر بمكّة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحدٌ في السرداب: انَّه مغيب ذلك النور، وإنَّما هو سرداب دار الأئمَّة بسامرَّاء، وإنَّ من المطَّرد إيجاد السراديب في الدور وقايةً من قايظ الحرِّ، وإنَّما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ

لانتسابه إلى أئمَّة الدين، وإنّه كان مبوَّءاً لثلاثة منهم كبقيَّة مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السَّلام ومشرِّفهم النبيُّ الأعظم في أيِّ حاضرة كانت، فقد أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقوِّلون في أمر السرداب اتَّفقوا على رأي واحد في الاكذوبة حتّى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة[1] في رحلته ج ٢ ص ١٩٨: إنَّ هذا السرداب المنوَّه به في الحلّة. ولا يقول القرماني في «أخبار الدُّول» إنّه في بغداد. ولا يقول الآخرون: إنّه بسامراء. ويأتي القصيميُّ مِن بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته.

وإنّي كنت أتمنّى للقصيميِّ أن يحدِّد هذه العادة بأقصر من (أكثر من ألف عام) حتّى لا يشمل العصر الحاضر والأعوام المتَّصلة به، لأنَّ انتفاءها فيه وفيها بمشهدٍ ومرأى ومسمع من جميع المسلمين، وكان خيراً له لو عزاها إلى بعض القرون الوسطى حتّى يجوِّز السامع وجودها في الجملة، لكنَّ المائن غير مُتحفِّظ على هذه الجهات.

وأمّا تحريف القرآن فقد مرّ حقُّ القول فيه ص١١٦وغيرها.

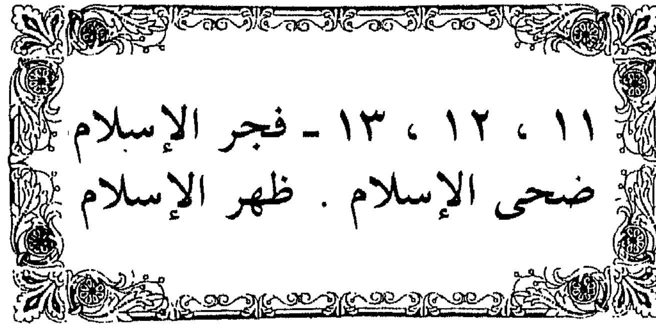
هذه نبذٌ من طامّات «القصيميِّ» وله مئاتٌ من أمثالها، ومَن راجع كتابه عرف موقفه من الصِّدق، ومبوَّأه من الأمانة، ومقيله من العلم، ومحلّه من الدين، ومستواه من الأدب.

﴿الّذين يُجادلون في آيات الله بغيرِ سُلطانٍ أتاهم كَبُر
مَقتاً عند الله وَعند الّذين آمنوا كذلك يطبَع
الله على كلِّ قلبِ متكبِّرٍ جبّار﴾

سورة غافر: آية ٣٥

---

(١) وهكذا ابن خلدون في مقدمة تاريخه ج ١ ص ٣٥٩، وابن خلكان في تاريخه ص ٥٨١.



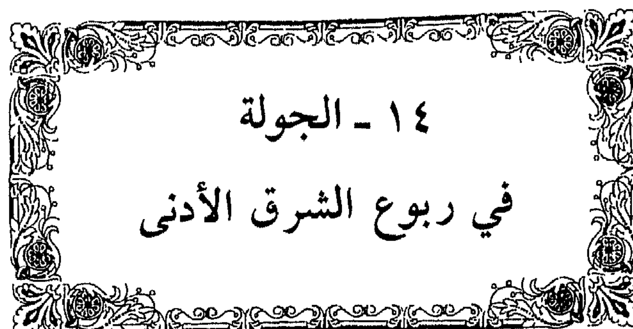
هذه الكتب ألَّفها الاستاذ أحمد أمين المصريّ لغايةٍ هو أدرى بها، ونحن أيضاً لا يفوتنا عرفانها، وهذه الأسماء الفخمة لا تغرُّ الباحث النابه مهما وقف على ما في طيّها من التافهات والمخازي، فهي كاسمه [الأمين] لا تُطابق المسمّى، وأيم الله إنّه لو كان أميناً لكان يتحفَّظ على ناموس العلم والدين والكتاب والسنّة، وكفَّ القلم عن تسويد تلك الصحائف السوداء، ولم يكن يُشوِّه سمعة الإسلام المقدَّس قبل سمعة مصره العزيزة بلسانه اللسّابة السَّلاقة، وكان لم يتَّبع الهوى فيُضلَّ عن السبيل، ولم يطمس الحقائق ولم يُظهرها للناس بغير صورها الحقيقيَّة المبهجة، ولم يُحرِّف الكلم عن مواضعها، ولم يقذف امَّةً كبيرةً بنسبٍ مفتعلة؛ ولم يتقوَّل عليهم بما يُدنِّس ذيل قدسهم.

كما أنّ تآليفه هذه لو كانت إسلاميَّة [كما توهمها أسماؤها] لما كانت مشحونةً بالضَّلال والإفك وقول الزّور، ولما بعدت عن أدب الإسلام، عن أدب العلم، عن أدب العفَّة، عن أدب الإخاء الذي جاء به القرآن، فالإسلام الذي جاء به أمين القرن العشرين (لا القرن الرابع عشر) يضادُّ نداء القرآن البليغ، نداء الإسلام الذي صدع به أمين وحي الله في القرن الأوّل الهجريِّ، فإن كان الإسلام هذا كتابه وهذا أمينه، فعلى الإسلام السَّلام، وإن كان الجامع المصريُّ الأزهر هذا علمه وهذا عالمه، فعليه العفا.

وقد نوَّه غير واحدٍ من محقِّقي الإماميَّة[١] بما فيها من البهرجة والباطل في تآليفهم القيِّمة، وفي [تحت راية الحق[٢]] غنىً وكفاية لمريد الحقّ وإلى الله المشتكى.

﴿بَلْ كذَّبوا بالحقِّ لَمّا جاءَهم فَهُمْ في أمرٍ مريج﴾ سورة ق: آية ٥

(١) كالحجج الفطاحل السيد شرف الدين، والسيد الأمين، وشيخنا كاشف الغطاء.
(٢) تأليف العلامة الشيخ عبدالله السبيتي.



١٤ ـ الجولة
في ربوع الشرق الأدنى

تأليف محمد ثابت المصري مدرس أول العلوم الاجتماعية بمدرسة القبة الثانوية.

النـاموس المـطَّرد في السيّاح أنَّ أكثـر ما يتحـرّى مشاهـدته في البـلاد والأصقاع يكون ملائماً لما انطبعت عليه نفسيَّته، ولذلك تـراهم مختلفين في النزعات، فصـاحب رحلةٍ يكاد أن لا يـذكر فيهـا سوى مـا تلقاه من العلمـاء والادباء، وآخر تجد فيه نزوعاً إلى السّاسة ونظريّاتهم، وثالث يبغي وصف البقاع من ناحية المعيشة والاقتصاد والهواء الطلق والماء العذب النميـر وفواكـه ممّا يشتهون،وعارف يذكر بدائع الصّنع وإتقان حكمة الباري سبحانه من مشهوداته، وهناك ماجنٌ لا يروقه إلّا الشهوات والمخازي، فيصف المواخير؛ ويلمُّ بحانات الخمور، ويحدِّث عن المومسات، وأفّاكٌ أثيمٌ يمين في أكثر ما يحدِّث، ويدنِّس بفـاحش القول سـاحة قـدس مَن لم يُحسن قِراه، وانَّ صـاحب هذه الـرِّحلة [الجولة] من القسمين الأخيرين، وكان الحريّ بنا أن نشطب على اسمه وعلى رحلته بقلمٍ عريضٍ لكنّا نُلمس القارىء ما ادَّعيناه فيه بطفيفٍ ممّا شوَّه به سمعة الرِّحلة والتاريخ.

١ ـ قال: يقول العلماء هناك [في النجف]: إنَّ المدافن فيها عشرة آلاف لا تزيد ولا تنقص لأنَّ سيِّدنا عليّاً يُرسل ما زاد من الجثث بعيداً فلا يعرف أحدٌ مقرَّها ص ١٠٥.

كم مِن جثثٍ كانت تحملها السيّارات وافدة من كلِّ فجٍّ، وبعد الغسل يُطاف بها حول الحرم وبعد الصَّلاة عليها تُدفن وتظلُّ كذلك حتّى يتراءى لسيِّدنا

عليٌّ أن يكشف عن مكنونها فتختفي ويُدفن في مكانها غيرها ص ١٠٦.

ج - لقد فتّشنا علب العطارين، وأوعية أهل الحرف، وجوالق المكارين، ومدوّنات القصص الروائيّة، فلم تُعطنا خبراً بشيء من هذه المفتريات، ولا دلّنا أصحابنا إلى شيء من ذلك، وإنّما قدّمناها وإيّاهم بالتفتيش والسؤال بعد اليأس عن العلماء وكتبهم، فإنّهم يُجلّون كما أنّ كتبهم تجلُّ عن الإشادة بالمخازي والأكاذيب، وليت [السائح] ذكر عالماً من اولئك العلماء الذين شافهوه بذلك الخيال، أو ذكر طرقهم إلى آرائهم، أو ذكر الليلة التي أوحاه إليه شيطانه فيها، لكنّه لم يفعل كلّ ذلك تحفّظاً على ناموس شيطانه؛ فقال ولم يخجل.

من أين تخجل أوجهٌ أمويّةٌ سكبت بلذّات الفجور حياءها؟!

٢ - قال: هي [النجف] مقرُّ أوّل خليفةٍ للنبيِّ ﷺ، وفي زعم بعضهم (يعني الشيعة) هي مقرّ مَن كان أحقُّ بالرِّسالة من النبيِّ نفسه ١٠٤.

ج - ليس في الشيعة قديماً وحديثاً مَن يزعم أنَّ أمير المؤمنين حقُّ بالرِّسالة من النبيِّ وإنّما هو إفكٌ مفترى اختلقه أضداد الشيعة تشويهاً لسمعتها، ولذلك لا تجد في أيٍّ من كتبهم، ولا يُؤثر عن أيٍّ منهم إيعازاً إلى هذه الشائنة فضلاً عن التّصريح.

٣ - قال: قُتل عليٌّ بيد ابن ملجم - بايع الناس الحسن بن عليّ وكان معاوية قد بويع في الشام فزحف لقتال الحسن، وتأهّب الحسن للقتال في العراق، ولكن ثار عليه جنوده وانفضّوا من حوله، فهادن معاوية وتنازل عن الخلافة وفرَّ وقُتل، ثمَّ بايع الجميع معاوية إلّا الخوارج والشيعة [شيعة آل البيت أو آل عليّ] وقد اجتمعوا حول الحسين بن عليّ في مكّة فقتله جنودُ معاوية في كربلا هو وأفراد أُسرته وأتباعه جميعاً إلّا ابنٌ واحدٌ للحسين أمكنه الهرب ص ١١٠.

ج - هذا معرفة الرَّجل بالتاريخ الإسلامي وهو استاذ العلوم الاجتماعيّة في مدرسة القبّة الثانويّة بالقاهرة، ولا احسب أن المقام يستدعي ترسّلاً في تصحيح

أغلاطه التاريخيَّة، وإنَّما أثبتناه في هذا المقام لإيقاف القارىء على مقدار علمه، ولكنَّني أتمنّى أنَّ سائلاً يُسائله عن الموجب للكتابة فيما لا يعلم، أهو بترجيح من طبيب؟ أم تحبيذ من مهندس؟ أم إشارة من سياسي أم أن الرعونة حدَته إلى ذلك؟ وهو يحسب أنَّه يحسن صنعاً، ونحن لا نُقابله هنا إلاّ بالسَّلام كما قال سبحانه تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾.

وما أشبه أساطير رحّالة مصر هذا في كتابه أساطير الرَّحالة الأفرنسيَّة المنشورة في مجلّة الأحرار البيروتيّة ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م ملخَّصها: إنَّ على أساس ذبح الحسين وأولاده في كربلاء قرب بغداد قامت الشيعة في الإسلام، ذلك لأنَّ أقرباء عليٍّ وحلفاءه وتلاميذه وعلماء الشيعة وفلاسفتها لم يطيقوا خلافة عمر، الّذي بسببه أُريق دم عليٍّ وأولاده، فافترقوا عن السنَّة واجتازوا جزيرة العرب إلى العجم، تسير في طليعتهم أرملة عليٍّ فاطمة؟

اقرأ واضحك:

هكذا فليكن رحّالة مصروفرانسة، وللذَّكر مثل حظِّ الأُنثيين.

٤ ـ قال: من فرق الشيعة من يقول: بأنَّ الصحابة كلّهم كفروا بعد موت النبيِّ إذ جحدوا إمامة عليٍّ، وإنَّ عليّاً نفسه كفر لتنازله لأبي بكر، لكنَّه عاد له إيمانه لَمّا تولّى الإمامة وهذه فرقة الإماميَّة. ومن الشيعة قسمٌ أوجب النبوَّة بعد النبيِّ فقالوا بأنَّ الشَبه بين محمَّد وعليٍّ كان قريباً لدرجة أنَّ جبرئيل أخطأ، وتلك فئة [الغالية أو الغلاة] ومنهم مَن قال بأنَّ جبريل تعمَّد ذلك فهو إذن ملعونٌ كافرٌ ص ١١٠.

ج ـ الإماميَّة لا تقول في الصحابة إلاّ بما قدَّمناه في هذا الجزء ص ٣٥٨، ٢٩٧ عن صحيح البخاري وغيره، وهي لا تزال تُوالي أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه وتقول بعصمته وتحقّق الإيمان بولائه منذ بدء خلقته إلى أن لفظ نفسه الأخير، وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وإلى أمدٍ لا مُنتهى له، وتقول بإمامته منذ قبض الله نبيَّه الأمين إليه، سواءٌ سُلّم إليه الأمر أو ابتزَّ منه. وتقول أيضاً بشمول آية التطهير له منذ نزلت إلى آخر الأبد، ولا يتزحزح الشيعيُّ

عن هذه العقائد آناً ما في أدوار الخلافة العلويَّة سواءٌ تصدّى لها أو مُنع عنها، وقد اتَّفق على ذلك علماء الشيعة ومؤلّفاتها، وتطامنت عليه الأفئدة، وانحنت عليه الأضالع، وأخبتت إليه القلوب، فإن كانت هناك نسبةٌ غير هذا إليهم فعزوٌ مُختلقٌ من جاهلٍ بعقائدهم، أو متحرّ بالوقيعة فيهم، ولدة هذا نسبة خطأ جبرئيل إلى بعضهم أو تعمّده إلى بعض آخر وما إليها من المخازي.

٥ ـ قد استرعى نظري في النَّجف كثيرٌ من الأطفال الذين يلبسون آذانهم حلقات خاصَّة هي علامة أنَّهم من ذرَّية زواج المتعة المنتشر بين الشيعة جميعاً وبخاصَّة في بلاد فارس، ففي موسم الحجّ[1] إذا ما حلَّ زائرٌ فُندقاً لاقاه وسيطٌ يعرض عليه أمر المتعة مقابل أجرٍ معيّن، فإن قبل أحضر له الرَّجل جمعاً من الفتيات لينتقي منهنَّ، وعندئذٍ يقصد معها إلى عالم لقراءة صيغة عقد الزَّواج وتحديد مدّته، وهي تختلف بين ساعاتٍ وشهورٍ وسنواتٍ؛ وللفتاة أن تتزوّج مرّات في الليلة الواحدة، والعادة أن يدفع الزَّوج نحو خمسة عشر قرشاً للساعة، وخمسة وسبعين قرشاً لليوم، ونحو أربع جنيهات للشهر، ولا عيب على الجميع في ذلك العمل لأنَّه مشروعٌ، ولا يلحق الذريَّة أيّ عار مطلقاً؛ وعند انتهاء مدَّة الزَّواج يفترق الزَّوجان ولا تنتظر المرأة أن تعتدّ بل تتزوَّج بعد ذلك بيومٍ واحدٍ، فإن ظهر حملٌ فللوالد أن يدّعي الطفل له ويأخذه من امّه إذا بلغ السابعة. إلخ ص ١١١، ١١٢.

ج ـ ليتني كنت أُشافه الرَّجل فأُسائله عن أنّه هل تفرَّد هو بالهبوط إلى النجف الأشرف في أجيالها المتطاولة؟ أو شاركه في ذلك غيره من سوّاح وزوّار وسابلة؟ نعم هذه النجف الأعلى مهبط القداسة ومرقد سيِّد الوصيِّين أمير المؤمنين صلوات الله عليه تأتيها في كلِّ سنة آلاف مؤلَّفة من أقطار الدنيا للتّزوُّد من زورة ذلك المشهد المقدَّس فيمكثون فيها أيّاماً وليالي وأسابيع وأشهراً وفيهم البحّاثة والمنقِّبون، فِلمَ لم يحدِّث أحدهم عن أولئك الأطفال الكثيرين في مخيَّلة هذا

---

(١) يعني أيام زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المخصوصة به.

الزاعم؟ وعن الحَلقات الخاصَّة في آذانهم؟ وعن هاتيك الفنادق المخترقة[١] وعن ذلك الوسيط الموهوم؟وهاتيك الفتيات المعروضة على الوافد؟ وعن تلك العادة المفتراة الشائنة؟ والأسعار المختلقة؟ وعن تواصل المتع من دون تخلّل عدَّة؟ وجلُّ اولئك الوافدين يتحرَّون غرائب ما في النجف من العادات والأطوار شأن كلِّ باحثٍ يرد حاضرةً من الحواضر المهمَّة، ولِمَ لم يشهد هذه الأحوال أحدٌ من أهل النجف الَّذين وُلدوا فيها، وفيها ينشأون، وفيها يموتون وهي وفنادقها وأطفالها وزوّارها بمرأى منهم ومسمع؟! ولعلَّ [الرائد الكذّاب] يحسب أنَّ مشهوداته هذه لا تُدرك بعين البصر وإنَّما أدركها بعين البصيرة فهلمَّ واضحك.

٦ ـ قال: فهم «يعني الإيرانيِّين» يبغضون أهل العراق ويطمحون إلى تملّك بلادهم يوماً، وهم جميعاً يمقتون العرب المقت كلّه، ويتبرَّأون منهم ويقولون بأنَّ العرب رغم أنّهم أدخلوا الإسلام في بلادهم واحتلّوها طويلاً فإنّ فارس حافظت على شخصيَّتها ولغتها، وهم ينظرون إلى العرب نظرة احتقار ويفاخرون بأنَّهم من أصل آري لا سامي ص ١٣٦.

ج ـ لا أحسب وأيم الله إلاَّ أنَّ هذا الرَّجل يُريد تفريق كلمة المسلمين، وتفخيذ امَّةٍ عن امَّةٍ بأباطيله، والواقف على ما بين العراقيِّين والإيرانيِّين ـ من الجوار وحقوقه المتبادلة بين الامَّتين، واختلاف كلٍّ منهما إلى بلاد الاخرى، ونزول الإيراني ضيفاً عند العراقيِّ وعكسه كالنازل في أهله، وما يجري هنالك من الحفاوة والتبجيل، وما جمع بينهما من الوحدة الدينيّة والجامعة المذهبيّة إلى غيرهما من أواصر الالفة والوداد، ونظر الإيرانيِّ إلى كلِّ عراقيٍّ يرد بلاده من المشاهد المقدَّسة نظر تقديس وإكبار، فلا يستقبله إلاّ بالمصافحة والمعانقة والتقبيل، وما يقدِّسه كلُّ مسلم وفيهم الإيرانيّون من لغة الضاد ـ بما أنَّها لغة كتابهم العزيز ـ جدُّ عليم بأنَّ الرَّجل أكذب ناهضٍ لشقِّ عصا المسلمين،

---

(١) لم يكن يوم ورود الرجل النجف الأشرف أي فندق فيها وإنما أُسست فنادق بعد يومه.

ولعمري لم تسمع أُذني ولا أُذن أحدٍ غيري تلك المفاخرة التافهة من أيِّ إيرانيٍّ عاقلٍ .

٧ - قال : السيّارات الكبيرة تمرُّ تباعاً (بين طهران وخراسان) ذهاباً ورجعةً في كثرةٍ هائلةٍ كلّها جماهير الحجّاج ، ويقولون : بأنَّ هذاالخطَّ على وعورته أكثر البلاد حركةً في نقل المسافرين لأنَّ مشهد خيرٌ لديهم من مكّة المكرَّمة تُغنيهم عن بيت الله الحرام في زعمهم ص ١٥٢ .

وقال ص ١٦٢ : والّذي شجّع الفرس على اتِّخاذ مشهد كعبةً مقدَّسةً الشاه عبّاس أكبر الصفويّين ، هناك صرف قومَه عن زيادة مكّة المكرَّمة لكراهتهم للعرب .ولكي يوفِّر على قومه ما كانوا يُنفقون من أموال طائلة في بلاد يكرهونها ، وكثيرٌ من الحجّاج كانوا من السّراة ، فاتَّخذ مشهد كعبةً وجّه إليها الشعب ، ولكي يزيدها قدسيّة حجَّ إليها بنفسه ماشياً على قدميه مسافة تفوق ١٢٠٠ كيلو متر فتحوّل إليها الناس جميعاً ، ويندر من يزور الحجاز اليوم ، وهم يحترمون كلمة (مشهدي) عن كلمة [حجي] لأنَّ من زار مشهد لا شكَّ أكثر قدسيّة واحتراماً ممّن زار مكّة .

ج - اللَّهُمَّ ما أجرأ هذا (الكذْبان) على المفتريات التي لم تطرق سمع أحد من الشيعة ولا وقع عليها نظر أيٍّ منهم ولو في اسطورة كاذبةٍ حتّى وجدها في كتاب هذا المائن ، وليس في الشيعة أحدُ يعتقد في خراسان غير أنّه مرقد خليفة من خلفاء رسول الله ، ومثوى إمام من أئمّتهم ، ولذلك عاد مهبطاً للفيوض الإلَهية ، وأمّا القول بإغنائه عن البيت الحرام وأَن زيارته مسقطةٌ للحجِّ فبهتانٌ عظيمٌ ، والشاه الصفويُّ المغفور له لم يتَّخذه كعبةً ولا قصد زيارته ماشياً إلاّ للتزلّف إلى المولى سبحانه بزيارة وليٍّ من أوليائه ، والتوسّل إليه بخليفةٍ من خلفائه ، ولم يصرف قومه عن الحجِّ لذلك ، ولم يأت برأيٍ جديد يُضادّ رأي الشيعة من أوّل يومهم ، والشيعة إنّما تقصد زيارته بداعي الولاء للعترة الطاهرة الذي هو أجر

الرِّسالة، ورغبة في المثوبات الجزيلة المأثورة عن أئمّتهم عليهم السّلام.

ولم يكن الشاه ولا شعبه الإيرانيّون بـالّذين يشحّـون على الأموال دون الفرائض الّتي من أعظمها الحجُّ إلى الكعبة المعظّمة، ولا يرون لهذه الفريضة أيَّ بدل من زيارة أو عبـادةٍ، وهذه الحقب والأعـوام تشهد لآلاف مؤلّفـة من الإيرانيّين الذين كانوا يحجّون البيت في كلِّ عام.

نعم: في السنين الأخيرة قلَّ عددهم لما هنالك من عدم الطمأنينة على الأحكام والدماء، فالشيعيُّ يرى أن أغلب الحجّاج غير متمكِّنين من أداء المناسك كما ينبغي، وغير آمنين على دمائهم بأدنى فريةٍ يفتريها عدوّ من أعداء الله، ويشهد عليها آخرون أمثاله، فيحكم على إراقة دمه قاض بالجور.

وإن ننس لا ننسى ما جرى فـي سنة ١٣٦٢ هـ من إزهاق حاج مسلمٍ إيرانيّ (يُسمّى طالب) بين الصفا والمروة ببهتان عظيم، وهو يتشهَّد الشهادتين وقد حجَّ البيت واعتمر وأتى بالفرائض كلّها، فقُتل مظلوماً ولا مانع ولا وازع ولا زاجر ولا مدافع، ودع عنك ما يُلاقي الشيعة بأسرها عراقيِّين وإيرانيِّين من هتك وهوان والخطاب بمثل قول الحجازيِّ إيّاهم: يا كافر، يا مشرك. وأمثالهما من الكلم القارصة، وتحرّي الحجج التافهة لهذه المخازي كلّها ولإراقة دمائهم، فمن هنا خارت العزائم، وقلّت الرغبات، ومنعت الحكومة الإيرانيَّة شعبها عن السفر إلى الحجاز كلاءَةً لأُمَّتها، مستندةً على حكم ديني لعدم التمكّن من أداء الفريضة غالباً، لا لِما أفرغه السائح المتحذلق في بوتقة إفكه ممّا سطره من اتِّخاذ المشهد كعبةً، ومن الكراهـة المحتدمـة بين الإيرانيِّين والعـرب، ذينك الفريقين المتواخيين على الدين والمذهب، إلى جوامع كثيرة يعرفها مَن جاس خلال ديارهما بقلب طاهر متجرِّداً عن النَّعـرات الطائفيَّـة غير متحيِّـز إلى فئة (لا كسائحنا الثابت على غيّه) وقد قدَّمنا ما بين العـرب والعجم المسلمين من التحابب والموادَّة.

٨ ـ قال: في نيسابور قبَّةٌ أنيقةٌ عني بإقامتها ونقشها العناية كلّها، فدخلتها

وإذا هي مدفن محمّد المحروق من سلالة الحسين، وقد أسموه بالمحروق لأنّه نزل ضيفاً على أحد سراة القرية وَلمّا أن خيم الليل اعتدى على بنت مضيفه فأحرقه الناس في مكانه هذا، ورغم جرمه هذا شيد قبره وقدّسه الناس لأنّه من سلالة طاهرة ص ١٥٥.

ج ـ لا ينقطع الرّجل يُريد الوقيعة على أهل البيت الطاهر فيختلق لهم قصصاً لا يوجد لها مصدرٌ ولو من أضعف المصادر، ويُلفّق لهم تاريخاً من عند نفسه لا يعلمه إلاّ شيطانه، فإنّ ذلك المدفن قد يُنسب إلى محمد بن زيد بن عليّ الإمام زين العابدين عليه السّلام ترجمه أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص٥٤٢ وقال: بايعه أبو السرايا بالكوفة بعد موت محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل طباطبا واستولى على العراقين وفرّق فيهما عمّاله من بني هاشم إلى أن جهّز الحسن بن سهل ذو الرّياستين له جيشاً مع هرثمة بن أعين فأُسر وحُمل إلى خراسان إلى المأمون فحبسه أربعين يوماً في دار جعل له فيها فرشاً وخادماً فكان فيها على سبيل الاعتقال، دسّ إليه شربة سمٍّ فجعل يختلف كبده وحشوته حتّى مات.

لكنَّ الرجل لم يستسهل أن يمرَّ على هذا العلويِّ المظلوم ولا يخزه بشيء من وخزاته، فجاء يقذفه بعد قرون من شهادته بهذه الشائنة والبهتان العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

٩ ـ قال: إنَّ الحسين تزوَّج (شهر بانو) بنت آخر الملوك الساسانيِّين، وبذلك ورث الحسين العظمة الإلّهيَّة التي ورثها من قِبل الساسانيِّين ٢٠٨.

ج ـ حسين العظمة ورث ما ورثه من جدِّه النبيِّ الأعظم، وإن كان فارس خيرة العجم والعائلة المالكة أشرف عائلات فارس، وقد ازدادت شرفاً ومنزلةً بمصاهرة بيت الرِّسالة، فإنَّ شرف النبوَّة تندكُّ عنده الفضائل كلّها.

وليت شعري ما الصلَة بين مصاهرة الفرس والعظمة الإلّهيَّة ومؤسِّسها نبيُّ العظمة، وقد ورثها منه آله العظماء، وملوك الفرس إن تمكنوا بشيء من المنزلة والمكانة فعن قهر وتغلّب من دون دخل لها في النفسيّات الراقية والمنازل الإلّهيَّة

والعظمة الروحيَّة القدسيَّة.

نعم: هذا شأن كلِّ جاهلٍ فإنَّه لمّا لم يعرف قدره، ويتعدّ طوره، هكذا يكثر لغبه، ويطول لسانه، ويُبتلى بفضول الكلام، وهو يخبط خبْطَ عشواء .

هنا نختم البحث عن عورات الرَّجل غير أنَّها لا تنتهي، وإنّا نضنُّ بالورق واليراع بعد الوقت الثمين عن إتلافها بذكر سقطاته التي تندى منها جبهة الإنسانيَّة، راجع من كتابه ص ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٠.

والرَّجل قد تعلَّم في بلاد فارس ألفاظاً من لغتهم فجاء يذكرها في كتابه مع ترجمة بعضها بالعربيَّة إثباتاً لثقافته غير أنَّ كلَّ ما تعلّمه كآرائه ومعتقداته غلطٌ بعد غلط وإليك نماذج منها مع ذكر صحيحها:

مدر: أُمّ مـادر دِر: باب دَر

باد: رديء. بَد جرم: دافىء كرم.

فاردا: غداً. فردا بسيتون: الصواب بي ستون.

دوك: الصواب. دوغ الانجور: الصواب انگور.

جوهر شاه الصواب گوهر شاد الداشت الصواب دشت

ناخير الصواب نه خير الجوشت الصواب كَوشت

الروغان الصواب روغن الملاه الصواب ملاّ

المولاه الصواب ملاّ صبركون الصواب صبركن

ياخ الصواب يخ صموار الصواب سماور

آلي قابو الصواب عالي قابو البازار الصواب بازار

شربت باشا شراب الأطفال شربت بچه

بردن يحمل بردَن بفتح الدال مصدر

كرافان سراي [في عدَّة مواضع] كاروان سراي

زنده رود الصواب زاينده رود أنزبلي الصواب أنزلي

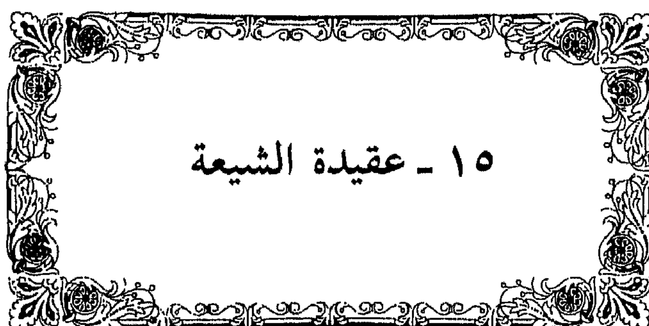
شارود الصواب شاهرود سابزوار الصواب سبزوار
هيرات الصواب هرات بوشهر الصواب أبو شهر
الفولجة الصواب الفلوجه تشهل ستونالصواب چهل ستون
تشهل منار: أي ذات العمادالصواب چهل منار. أربعون منارة
شهل ستون الصواب: چهل ستون راحات: الصواب راحت

حظرة عبد العظيم [في غير موضع] حضرت عبد العظيم. انظر إلى ثقافته العربيَّة.

وهذه الجمل تُعطينا صورةً من تضلّعه بالعربيَّة بإكثاره لإدخال اللام في الألفاظ الفارسيَّة.

﴿ما كَتَبناها عَلَيهِمْ إلا ابْتغاءَ رِضوانِ الله﴾

سورة الحديد: آية ٢٧



١٥ ـ عقيدة الشيعة

تأليف المستشرق روايت م. رونلد سن

قد يحسب الباحث رمزاً من النزاهة في هذا الكتاب، وخلاءً من القذف والسباب المقذع، غير أنَّه مهما أمعن النظر فيه يراه معرباً عن جهل مؤلِّفه المطبق، وقصر باعه في آراء الشيعة ومعتقداتهم، وعدم عرفانه برجالهم وتراجمهم وتآليفهم؛ ويجده مع ذلك: ذلك الأفّاك الأثيم، ذلك الهمّاز المائن، يخبط خبط عشواء، أو كحاطب ليل لا يدري ما يجمع في حزمته، فجاء يكتب عن أُمَّة عظيمة كهذه ويبحث عن عقائدهم ويستند فيها كثيراً إلى كتب قومه المشحونة بالطامّات والآراء الساقطة والمخازي التافهة، والمشوَّهة بأساطيرهم المائنة، أو إلى تآليف أهل السنَّة المؤلَّفة بيد اناس دجّالين محدّثين الذين كتبوا بأقلامهم المسمومة ما شاءت لهم أهواؤهم وأغراضهم الاستعمارية. فكشف عن سوءاته بمثل قوله في ص ٢٥:

يذكر Hlghes في كتابه (قاموس الإسلام) ص ١٢٨ قضيّةً طريفةً عن عيد الغدير قال: وللشيعة عيدٌ في الثامن من ذي الحجّة يصنعون به ثلاثة تماثيل من العجين يملأون بطونها بالعسل، وهي تمثّل أبا بكر وعمر وعثمان ثمَّ يطعنونها بالمدى فيسيل العسل تمثيلاً لدم الخلفاء الغاصبين؛ ويُسمّى هذا العيد بعيد الغدير.

وبمثل قوله في ص ١٥٨: يذكر برتن (Burton) أنَّ الفرس تمكّنوا في بعض الأحيان أن يُنجّسوا المكان الكائن قرب قبري أبي بكر وعمر

بقذف النجاسة الملفوفة بقطعة من الشّال ، يدلّ ظاهرها على أنّها هديّةٌ من الشبّاك .

وبمثل قوله في ص ١٦١ : أمّا الشيعة الإثنى عشرية فيؤكّدون أنَّ الإمام جعفر الصّادق نصَّ على إمامة ابنه الأكبر إسماعيل بعده، غير أنَّ إسماعيل كان سكّيراً، فنقلت الإمامة إلى موسى، وهو الوليد الرابع من بين سبعة أولاد، وكان الخلاف الناجم عن ذلك سبباً في حدوث انقسامٍ كبير بين الشيعة كما أشار إلى ذلك ابن خلدون.

وبمثل قوله في ص ١٢٨ : ادّعى عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن الحسين(١) الإمامة، ويُروى أن وفداً مؤلّفاً من اثنين وسبعين رجلاً جاء إلى المدينة من خراسان، ومعهم أموال يحملونها إلى الإمام وهم لا يعرفونه، فذهبوا إلى عبدالله أوّلاً فأخرج لهم درع النبيِّ ﷺ وخاتمه وعصاه وعمامته، فلمّا خرجوا من عنده على أن يرجعوا غداً لقيهم رجلٌ من أتباع محمّد الباقر فخاطبهم بأسمائهم ودعاهم إلى دار سيِّده فلمّا حضروا كلّهم طلب الإمام محمّد الباقر من ابنه جعفر أن يأتيه بخاتمه فأخذه بيده وحرَّكه قليلاً وتكلّم بكلمات فإذا بدرع الرَّسول وعمامته وعصاه تسقط من الخاتم، فلبس الدرع ووضع العمامة على رأسه وأخذ العصا بيده فاندهش النّاس، فلمّا رأوها نزع العمامة والدرع وحرَّك شفتيه فعادت كلّها إلى الخاتم، ثمَّ التفت إلى زوّاره وأخبرهم أنّه لا إمام إلاّ وعنده مال قارون فاعترفوا بحقّه في الإمامة ودفعوا له الأموال. وقال في تعليقه: انظر دائرة المعارف(٢) الإسلاميَّة. مادة قارون.

ج - سبحانك اللّهُمَّ ما كنّا نحسب أنَّ رجلاً يسعه أن يكتب عن أُمَّة كبيرة ويأخذ معتقداتها عمَّن يُضادُّها في المبدأ ، ويتقوَّل عليها هذه الترهات من دون أيِّ مصدر، وينسب إليها بمثل هذه المخازي من دون أيِّ مبرِّر، فما عساني أن

(١) ليته دلنا على مدّعي الإمامة هذا من ولد الحسين من هو؟ ومتى ولد؟ وأين ولد؟ وأين عاش؟ وأين مات؟ وأين دفن؟ ومتى كان دعواه؟ لم يكن ممن عاصر الإمام الباقر من ولد جده الحسين غير أخيه عبدالله بن علي بن الحسين، وكان فقيهاً فاضلاً مخبتاً إلى إمامة أخيه الباقر فالقضية بهذا الاسم سالبة بانتفاء الموضوع، وفيها ما ينافي اصول الشيعة وقد خفي على الواضع.

(٢) هذا الكتاب فيه من البهرجة والباطل شيء هائل يحتاج جداً إلى نظارة التنقيب.

أكتب عن مؤلِّف حائر بائر ساح بلاد الشيعة، وجاس خلال ديارهم، وحضر في حواضرهم وعاش بينهم (كما يقول في مقدِّمة كتابه) ستّ عشرة سنةً، ولم ير منهم في طيلة هذه المدَّة أثراً ممّا تقوَّل عليهم، ولم يسمع منه ركزاً، ولم يقرأه في تآليف أيِّ شيعيٍّ ولو لم يكن فيهم وسيطاً[1]. ولم يجد في طامور قصّاص، فجاء يفصم عرى الاخوَّة الإسلاميَّة، ويُفرِّق صفوف أهل القرآن، بما لفَّقته يد الإفك والزور من شاكلته، ويبهت أرقى الامم بما همُ بعداء منه، ويعزو إليهم بما يُكذِّبه أدب الشيعة وتُحرِّمه مبادئهم الصحيحة، ويقذفهم بما وضعته يد الإحن والشحناء من أمثال هذه الأفائك الشائنة، فكأنَّ في أُذنيه وقراً لم تسمع ذكراً ممّا ألَّفه أعلام الشيعة قديماً وحديثاً في اصول عقائدهم، وكأنَّ في بصره غشاوة لم ير شيئاً من تلك التآليف التي ملأت مكتبات الدنيا. نعم: إنَّ الذين لا يُؤْمِنونَ في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى. فأتعس الله حظَّ مؤلِّف هذا شأنه، وجَدع أنفه ويُريه وبال أمره في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

والخطب الفظيع أنَّ هذا الكيذبان [وليد عالم التمدُّن] مهما ينقل عن تأليف شيعيٍّ تجده تارةً يمين في نقله كقوله في ترجمة الكليني ص ٢٨٤: يقال إنَّ قبره فتح فوُجد في ثيابه وعلى هيئته لم يتغيَّر وإلى جانبه طفلٌ كان قد دفن معه فبني على قبره مُصلّى. ويذكر في التعليق أنَّه كذلك ص ٢٠٧ فهرست الطوسي رقم ٧٠٩. ولم يوجد في فهرست الطوسي من هذه القيلة أثرٌ.

وتارةً تراه يحرف الكلم عن مواضعها ويشوّه صورتها كما فعل فيما ذكره من زيارة مولانا أمير المؤمنين ص ٨٠ ناقلاً عن الكافي للكليني ج ٢[2] ص ٣٢١ فإنَّه أدخل فيها من عند نفسه ألفاظاً لم توجد قطُّ فيها لا فيه ولا في غيره من كتب الشيعة.

أضف إلى هذه فظيعة جهله برجال الشيعة وتاريخهم. قال في ترجمة الصحابيِّ الشيعيِّ العظيم سلمان الفارسيِّ: يزور كثيرٌ من الشيعة قبره عند عودتهم

(١) وسيط القوم: أرفعهم مقاماً وأشرفهم نسباً. ومن هنا يقال: الحكمة الوسطى.

(٢) والصحيح: ج ١.

من كـربلاء وهـو في قـريـة اسبنـدور من المـدائن ويقـول بعضهم[١] : إنّـه دُفن في جوار إصفهان. وقال ص ٢٦٨ : والمقداد الذي تُوفّي في مصر ودفن بالمدينة. وحذيفة بن اليمان الذي قُتل مع أبيه وأخيه في غزوة أُحد ودُفن في المدينة. وقال ص ٢٦٨ : إنَّ الكليني مات في بغداد ودفن بالكوفة[٢]، وأكثر النقل عن تبصرة العوام للسيِّد المرتضى الرازي، أحد أعلام القرن السابع ونسبه في ذلك كلّه إلى السيِّد الشريف علم الهدى المرتضى، مؤرِّخاً وفاته ٤٣٦.

ولعلّنا نبسط القول حول ما في طيِّه من أباطيـل ومخاريق بتـأليف مفرد ونبرهن فساد ما هنالك في ص ٢٠، ٢١، ٢٤، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٤٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ٨٣، ٩١، ٩٢، ١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٥١، ١٥٨، ١٦١، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠٨، ٢١١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٢٠، ٣٢٩، وغيرها.

ولا يفوت المترجم عرفاننا بأنَّ يده الأمينة على ودائع العلم لعبت بهذا الكتاب وأنّه زاد شوهاً في شوهه، وبذل كلّه في تحريفه، وأخنى عليه ورمَّجه، وقلَّب له ظهر المجن، وأدخل فيه ما حبَّذته نفسيَّته الضئيلة. فتعساً لمترجم راقه ما في الكتاب من التحامل على الشيعة والوقيعة فيهم، فجاء يحمل أثقال أوزار الغرب وينشرها في الملأ ولم يهمّه التحفظ على نامـوس الإسلام، وعصمـة الشرق، وكيان العرب ودينه.

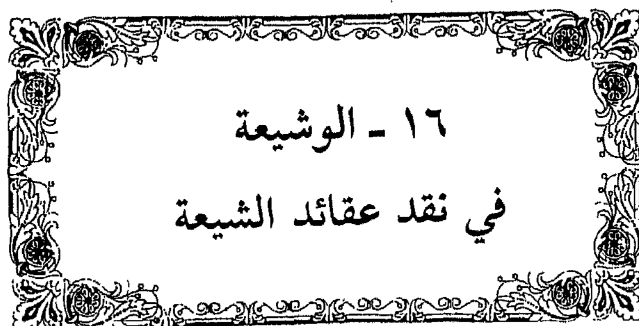
﴿وَلَيحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم، وَلَيُسئلنَّ يوم القيٰـمة عمّا كانوا يَفترون﴾

سورة العنكبوت: آية ١٣

---

(١) ليته دلنا على ذلك البعض.

(٢) خفي عليه أنه (باب الكوفة) وهو من محلات بغداد.



١٦ ـ الوشيعة في نقد عقائد الشيعة

تأليف موسى جارالله

كنت أودُّ أن لا أُحدث لهذا الكتاب ذكراً، وأن لا يسمع أحد منه ركزاً، فإنَّه في الفضائح أكثر منه في عداد المؤلَّفات، لكن طبع الكتاب وانتشاره حداني إلى أن أوقف المجتمع على مقدار الرَّجل، وعلى أُنموذج ممّا سوَّد به صحائفه، وكلُّ صحيفةٍ منه عارٌ على الامَّة وعلى قومه أشدُّ شناراً.

لست أدري ما أكتب عن كتاب رجل نبذ كتاب الله وسنَّة نبيِّه وراءه ظهريّاً، فجاء يحكم وينقد، ويتحكّم ويُفنِّد، وينبر وينبز، ويعبث بكتاب الله ويفسِّره برأيه الضئيل؛ وعقليته السقيمة كيف شاء وأراد، فكأنَّ القرآن قد نزل اليوم ولم يسبقه إلى معرفته أحدٌ، ولم يأت في آيه قولٌ، ولم يُدوَّن في تفسيره كتاب، ولم يرد في بيانه حديثٌ، وكأنَّ الرجل قد أتى بشرعٍ جديد، ورأيٍ حديث، ودين مخترعٍ، ومذهبٍ مبتدعٍ، لا يُساعده أيُّ مبدأ من مبادىء الإسلام، ولا شيءٌ من الكتاب أو السنَّة.

ما قيمة مغفَّل وكتابه وهو يرى الامَّة شريكةً لنبيِّها في كلِّ ما كان له، وفي كلِّ فضيلة وكمال تستوجبها الرِّسالة، وشريكة لنبيِّها في أخص خصائص النبوَّة، ويرى رسالة الامَّة متَّصلة بسورة رسالة النبيِّ من غير فصل، ويستدلُّ على رسالة الامَّة بقوله تعالى ﴿**لَقَدْ جاءَكم رسولٌ من أنفسكم**﴾.[1] وبقوله: ﴿**محمَّدٌ رسول الله والذين معه أشدّاءُ على الكفّار رُحماءُ بينهم**﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

والكلام معه في هذه الأساطير كلّها يستدعي فراغاً أوسع من هذا، ولعلّه يُتاح لنا في المستقبل الكشّاف إن شاء الله تعالى، وقد أغرق نـزعاً في تفنيـد أباطيله العلاّمة المبرور الشيخ مهدي الحجّار النجفي نزيل المعقل(١).

ولو لم يكن للرَّجل في طيِّ كتابه إلا أساطيره الراجعة إلى الامَّـة لكفاه جهلاً وسوءة وإليك نماذج منها قال:

١ - الامَّة معصومةٌ عصمة نبيِّهـا. معصومـةٌ في تحمّلها وحفـظها. وفي تبليغها وأدائها. حفظت كلَّ ما بلّغه النبيُّ مثل حفظ النبيِّ. وبلّغت كلَّ ما بلّغه النبيُّ مثل تبليغ النبيِّ. حفظت كلّيات الدين وجزئيّـات الدين أصـلاً وفرعـاً. وبلّغت كلّيات الدين وجزئيّات الدين أصلاً وفرعاً.

لم يضع من اصول الدين ومن فروع الدين شيءٌ ١] حفظه الله ٢] حفظه نبيّه محمَّد، ٣] حفظته الامَّة: كافَّة عن كافَّة، عصراً بعد عصر، ولا يمكن أن يوجد شيءٌ من الدين غفل عنه أو نسيته الأُمّة.

فالأُمَّة بالقرآن والسنّة أعلم من جميع الأئمّة، وأقرب من اهتداء الأئمّة، وعلم الامّة بالقرآن وسنن النبيِّ اليوم أكثر وأكمل من علم عليٍّ ومن علوم كلِّ أولاد عليٍّ.

ومن عظيم فضل الله على نبيِّه، ثمَّ من عموم وعميم فضل الله على الامّة أن جعل في الامّة من أبناء الامَّة كثيراً هم أعلم بكثير من الأئمّة ومن صحابة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم. «لز».

وكلُّ حادثة إذا وقعت فالأُمَّة لا تخلو من حكم حقٍّ وصواب وجواب يُريه الله الواحد من الامَّة الّتي ورثت نبيَّها وصارت رشيدةً ببركة الرِّسالة وختمها أرشد إلى الهداية وإلى الحق من كلِّ إمام، والامَّة مثل نبيِّها معصومةٌ ببركة الرِّسالة، وكتابها ومعصومةٌ بعقلها العاصم.

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر يأتي هناك شعره وترجمته.

الامَّة بلغت وصارت رشيدةً لا تحتاج إلى الإمام، رشدها وعقلها يُغنيها عن كلِّ إمام. «لح» .

أنا لا أنكر على الشيعة عقيدتها أنّ الأئمّة معصومةٌ، وإنَّما أنكر عليها عقيدتها أنَّ أُمَّة محمَّد لم تزال قاصرةً تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة ، والأُمَّة أقرب إلى العصمة والإهتداء من كلِّ إمام معصوم ، لأنَّ عصمة الإمام دعوى ، أمّا عصمة الأُمَّة فبداهة وضرورة بشهادة القرآن . «لط» .

ليس يُمكن في العالم نازلة حادثة ليس لها جوابٌ عند الامَّة: وعقلنا لا يتصوَّر احتياج الامَّة إلى إمام معصومٍ ، وقد بلغت رشدها، ولها عقلها العاصم، وعندها كتابها المعصوم، وقد حازت بالعصوبة كلَّ مواريث نبيِّها، وفازت بكلِّ ما كان للنبيِّ بالنبوَّة.

الامَّة بعقلها وكمالها ورشدها بعد ختم النبوَّة أكرم وأعزّ وأرفع من أن تكون تحت وصاية وصيٍّ تبقى قاصرةً إلى الأبد. ما.

ج ـ هذه سلسلة أوهام، وحلقة خرافات تبعد عن ساحة أيِّ متعلّمٍ متفقّه فضلاً عمَّن يرى نفسه فقيهاً، فكأنَّ الرجل يتكلّم في الطيف في عالم الأضغاث والأحلام.

ألا مَن يُسائله عن أنَّ الأُمَّة إذا كانت معصومةً حافظةً لكلّيات الدين وجزئيّاته أصلاً وفرعاً، ومبلّغةً جميع ذلك كافَّة عن كافَّة وعصراً بعد عصر، ولم يوجد هناك شيءٌ منسيٌّ أو مغفولٌ عنه، فما معنى أعلميَّتها من جميع الأئمَّة؟ وأقربيّة اهتدائها من اهتدائهم؟ أيراهم خارجين عن الامَّة غير حافظين ولا مهتدين، في جانب عن الدين الذي حفظته الامَّة، لا تشملهم عصمتها ولا حفظها ولا اهتداؤها ولا تبليغها؟ .

وعلى ما يهم الرَّجل يجب أن لا يوجد في الامَّة جاهلٌ، ولا يقع بينها خلافٌ في أمرٍ دينيّ أو حكم شرعيّ، وهؤلاء جهلاء الامَّة الذين سدّوا كلَّ فراغ بين المشرق والمغرب، وتشهد عليهم أعمالهم وأقوالهم بأنَّهم جاهلون ـ وفي

مقدَّمهم هو نفسه ـ وما شجر بين الأُمَّة من الخلاف منذ عهد الصحابة وإلى يومنا الحاضر ممّا لا يكاد يخفى على عاقل، وهل يُتصوَّر الخلاف إلّا بجهل أحد الفريقين بالحقيقة الناصعة؟ لأنَّها وحدانيَّةٌ لا تقبل التجزئة ، أيرى من الدين الذي حفظته الامَّة وبلّغته جهل عليٍّ وأولاده من بينهم بالقرآن والسنن؟ أم يراهم أنَّهم ليسوا من الامَّة؟ فيقول: إنَّ علم الامَّة بالقرآن وسنن النبيِّ اليوم أكثر وأكمل من علم عليّ ومن علوم كلِّ أولاد عليّ. ومتى أحاط هو بعلم عليّ وأولاده عليهم السَّلام وبعلم الامّة جمعاء؟ حتى يسعه هذا التحكّم البات والفتوى المجرَّدة.

والعجب أنَّه يرى أنَّ الامَّة إذا وقعت حادثةٌ يُري الله لواحد منها الحكم وصواب الجواب، وأنها ورثت نبيَّها، ورشدت ببركة الرِّسالة وبها وبكتابها ما تلت نبيّها في العصمة، وأنها معصومة بعقلها العاصم، فما بال الأئمَّة [عليٍّ وأولاد عليّ] لا يكون من اولئك الآحاد الذين يُريهم الله الحق والصواب؟! وما بالهم قصروا عن الوراثة المزعومة؟! وليس لهم شركة في علم الامَّة؟ ولم تشملهم بركة الرِّسالة وكتابها؟ ولا يُماثلون النبيَّ في العصمة؟ ولا يوجد عندهم عقلٌ عاصم؟ وأعجب من هذه كلّها هتافُ الله بعصمتهم في كتابه العزيز، ألا يعلم مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير؟ أم على قلوب أقفالها؟.

ولعلّي يسعني أن أقول بأنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم كان أبصر وأعرف بأُمَّته من صاحب هذه الفتاوى المجرَّدة، وأعلم بمقادير علومهم وبصائرهم، فهو بعد ذلك كلّه خلّف لهداية امَّته من بعده الثقلين: كتاب الله وعترته [ويريد الأئمَّة منهم] وقال: ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي وإنَّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فحصر الهداية بالتمسّك بهما واقتصاص آثارهما إلى غاية الأمد،يُفيدنا أنَّ عندهما من العلوم والمعارف ما تقصر عنها الامَّة، وانَّه ليس في حيِّز الإمكان أن تبلغ الامَّة وهي غير معصومة من الخطأ ولم تكشف لها حجب الغيب مبلغاً يستغنى به عمَّن يرشدها في مواقف الحيرة. .

فأئمَّة العترة أعدال الكتاب في العلم والهداية بهذا النصِّ الأغرّ، وهم

مفسّروه والواقفون على مغازيه ورموزه، ولو كانت الامَّة أو أنَّ فيها مَن يُضاهيهم في العلم والبصيرة فضلاً عن أن يكون أعلم بكثير منهم لكان هذا النصُّ الصريح مجازفة في القول.

لا سيّما وأنَّ الهتاف به كان له مشاهد ومواقف منها مشهد «يوم الغدير» وقد ألقاه صاحب الرِّسالة على مائة ألف أو يزيدون، وهو أكبر مجتمع للمسلمين على العهد النبويِّ، هنالك نعى نفسه وهو يرى امَّته [وحقّاً ما يرى] قاصرةً (ولم تزل قاصرةً) عن درك مغازي الشريعة فيجبره ذلك بتعيين الخليفة من بعده.

وهذا الحديث من الثابت المتواتر الذي لا يعترض صدوره أيّ ريب، وللعلّامة السمهودي كلامٌ حول هذا الحديث أسلفناه ص ١٠٩ وكان يرى صلّى الله عليه وآله وسلم مسيس حاجة امَّته إلى الخليفة من يوم بدء دعوته يوم أمر بإنذار عشيرته كما مرَّ حديثه ج ٢ ص ٣٢٣ وممّا يُماثل هذا النصّ حديث سفينة نوح حيث شبّه فيه نفسه وأهل بيته (ويريد الأئمَّة منهم) بسفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، فحصر النجاة باتِّباعهم المستعار له ركوب السفينة، ولولا أنَّ لهم علوماً وافيةً بإرشاد الامَّة وأنَّها لا تهتدي إليها إلّا بالأخذ منهم لما استقام هذا التشبيه ولا اتَّسق ذلك الكلام.

ومثله حديث تشبيهه صلّى الله عليه وآله وسلم أهل بيته بالنجوم، فأهل بيته أعلامٌ وصوى للهداية يُهتدى بهم في ظلمات الغيِّ والخلاف، كما أنَّ النجوم يُهتدى بها في غياهب الليل البهم، ولولا أنَّهم أركان العلم والهداية لما يتمّ التمثيل.

ولو كان علم الامَّة اليوم بالقرآن والسنن أكثر وأكمل من علم عليٍّ ومن علوم كلِّ أولاد علي (كما زعمه المسكين) فكيف خفي ذلك على رسول الله فقال وكأنَّه لم يعرف امَّته: أعلم امّتي من بعدي عليُّ بن أبي طالب؟.

وكيف اتَّخذه وعاء علمه وبابه الَّذي يُؤتى منه؟

وكيف رآه باب علمه ومبيِّن امَّته بما أُرسل به من بعده؟

وكيف أخبر امَّته بأنَّه خازن علمه وعيبته؟.

وكيف خصَّه بين امَّته بالوصيَّة والوراثة لعلمه ؟ .

وكيف صحَّ عن أمير المؤمنين قوله: والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمِّه ووارث علمه، فمن أحقُّ به منّي؟.

وكيف حكم الحافظ النيسابوري بإجماع الامَّة على أنَّ عليّاً ورث العلم من النبيِّ دون الناس؟.

وعلى هذه كلّها فلازم كون الامَّة أعلم من عليٍّ كونها أعلم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لأنَّه ورث علمه كلّه.

ثمَّ كيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يرى أنَّ الله جعل الحكمة في أهل بيته وفي الامَّة مَن هو أعلم منهم؟ وقد صحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم قوله: أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها.

وكيف يأمر امَّته بالاقتداء بأهل بيته من بعده ويعرِّفهم بأنَّهم خُلقوا من طينتي ورُزقوا فهمي وعلمي؟.

وكيف يراهم أئمَّة امَّته ويقول: في كلِّ خلوف من امَّتي عدولٌ من أهل بيتي ينفون من هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إنَّ أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا بمن توفدون[1].

والامَّة إن كانت غير قاصرة لا تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة كما زعمه المغفَّل ولا يتصوّر عقله احتياجها إلى إمام معصوم فلماذا أخَّرت الامَّة تجهيز نبيِّها صلّى الله عليه وآله وسلم ودفنه ثلاثة أيّام؟ وهذه كتب القوم تنص على أنَّ ذلك إنّما كان لاشتغالهم بالواجب الأهم ألا وهو: أمر الخلافة وتعيين الخليفة.

---

(١) راجع في هذه الأحاديث المذكورة ص ١٠٩، ١١٠، ١٢٨، ١٣٥ ـ ١٦١ من هذا الجزء.

قال ابن حجر في الصواعق ص ٥ٌ: إعلم أنّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أنَّ نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوَّة واجبٌ، بل جعلوه أهمَّ الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور.

والباحث يجد نظير هذه الكلمة في غضون الكتب كثيراً، فكيف يتصوّر عندئذ عقل الرَّجل مسيس حاجة الامَّة يوم ذاك إلى إمام غير معصوم وهي لا تحتاج إلى إمام معصوم قطُّ إلى يوم القيامة؟؟.

٢ ـ بسط القول في المتعة ومُلخَّصه: إنَّها من بقايا الأنكحة الجاهليَّة، ولم تكن حكماً شرعيّاً، ولم تكن مُباحة في شرع الإسلام، ونسخها لم يكن نسخ حكم شرعيٍّ وإنّما كان نسخ أمر جاهليٍّ، ووقع الإجماع على تحريمها، ولم ينزل فيها قرآن، ولا يوجد في غير كتب الشيعة قولٌ لأحد أنَّ: فما استمتعتم به مِنهنَّ فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ نزل فيها، ولا يقول به لا جاهلٌ يدّعي ولا يعي، وكتب الشيعة ترفع القول به إلى الباقر والصّادق وأحسن الاحتمالين أنَّ السند موضوعٌ وإلّا فالباقر والصّادق جاهلٌ ٣٢ ـ ١٦٦.

ج ـ هذه سلسلة جنايات على الإسلام وكتابه وحكمه، وتكذيبٌ على ما جاء به نبيّه وأقرَّ به السلف من الصحابة والتابعين والعلماء من فرق المسلمين بأسرهم. وقد فصَّلنا القول فيها في رسالة تحت: «نواحي خمس» نأخذ منها فهرستها ألا وهو:

١ ـ المتعة في القرآن:

﴿فَما استمتعتم به مِنهنَّ فآتوهنَّ أُجورهنَّ؛ ولا جُناحَ عَليكُمْ فيما تَراضَيتم بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَة، إنَّ الله كان عليماً حكيماً﴾[سورة النساء آية ٢٤] ذُكر نزولها في المتعة في أوثق مصادر التفسير منها:

١ ـ صحيح البخاري ٢ ـ صحيح مسلم ٣ ـ مسند أحمد ج ٤ ص ٤٣٦، بإسنادهم عن عمران بن حصين. وتجده في تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠،

٢٠٢ . وتفسير أبي حيان ج ٣ ص ٢١٨ .

٤ - تفسير الطبري ج ٥ ص ٩ عن ابن عبّاس وأُبيٍّ بن كعب والحَكَم وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وشعبة وأبي ثابت.

٥ - أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٧٨ حكاه عن عدَّة.

٦ - سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٥ رواه عن ابن عبّاس.

٧ - تفسير البغوي ج ١ ص ٤٢٣ عن جمع، وحكى عن عامَّة أهل العلم أنّها منسوخةٌ.

٨ - تفسير الزمخشري ج ١ ص ٣٦٠.

٩ - أحكام القرآن للقاضي ج ١ ص ١٦٢ رواه عن جمع.

١٠ - تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠ قال: قال الجمهور: إنّها في المتعة.

١١ - تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠ ذكر عن الصحيحين حديث عمران أنّها في المتعة.

١٢ - شرح صحيح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٨١ عن ابن مسعود.

١٣ - تفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٧ عن قوم وقال: ذهب الجمهور أنّها منسوخةٌ.

١٤ - تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٦٩ . يروم إثبات نسخها بالسنّة.

١٥ - تفسير أبي حيّان ج ٣ ص ٢١٨ عن جمع من الصحابة والتابعين.

١٦ - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٤ عن جمع من الصحابة والتابعين.

١٧ - تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠ رواه عن جمعٍ من الصحابة والتابعين بطريق الطبراني، وعبد الرزاق. والبيهقي، وابن جرير. وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن الأنباري.

١٨ - تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٥١.

قال الأميني: أليست [أيّها الباحث] هذه الكتب مراجع علم القرآن عند أهل السنّة؟ أم ليسوا هؤلاء أعلامهم وأئمّتهم في التفسير؟ فأين مقيل قول الرّجل: لم ينزل فيها قرآنٌ ولا يوجد في غير كتب الشيعة؟ وهل يسع الرَّجل أن يقول في هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمّة بما قاله في الباقر والصّادق عليهما السّلام ويسلقهم بذلك اللسان البذيّ؟.

٢ ـ حدود المتعة في الإسلام.

أسلفنا في ص ٣٦٩ للمتعة حدوداً جاء بها الإسلام، ولم يكن قطُّ نكاحٌ في الجاهليّة معروفاً بتلك الحدود، ولم ير أحدٌ من السلف والخلف حتى اليوم أنّ المتعة من أنكحة الجاهليّة، ولا يمكن القول بذلك مع تلك الحدود، ولا قيمة لفتوى الرَّجل عندئذ، وهي مفصّلةٌ في كتب كثيرة منها:

١ ـ سنن الدارمي ج ٢ ص ١٤٠.

٢ ـ صحيح مسلم ج ١ في باب المتعة.

٣ ـ تفسير الطبري ج ٥ ص ٩ ذكر من حدودها: النكاح. الأجل. الفراق بعد انقضاء الأجل. الاستبراء. عدم الميراث.

٤ ـ أحكام القرآن للجصّاص ج ٢ ص ١٧٨ ذكر من حدودها: العقد. الأُجرة. الأجل. العدَّة. عدم الميراث.

٥ ـ سن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٠ أخرج أحاديث فيها بعض الحدود.

٦ ـ تفسير البغوي ج ١ ص ٤١٣ ذكر عدَّة من الحدود.

٧ ـ تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٢ ذكر عدَّة من الحدود.

٨ ـ تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠ ذكر عدَّة من الحدود.

٩ ـ شرح صحيح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٨١، ادَّعى اتّفاق العلماء على الحدود.

١٠ ـ تفسير الخازن ج ١ ص ٢٥٧ ذكر الحدود الستّ.

١١ ـ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٤ ذكر الحدود الستّ.

١٢ ـ تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠ ذكر من حدودها خمسةً.

١٣ ـ الجامع الكبير للسيوطي ج ٨ ص ٢٩٥ ذكر من حدودها خمسةً وفي غير واحد من كتب المذاهب الأربعة في الفقه.

٣ ـ (أوّل من نهى عن المتعة):

وقفنا على خمسة وعشرين حديثاً في الصحّاح والمسانيد يدرسنا بأنَّ المتعة كانت مباحةً في شرع الإسلام، وكان الناس تعمل بها في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ورد حاً من خلافة عمر، فنهى عنها عمر في آخر أيّامه وعرف بأنّه أوّل مَن نهى عنها فعلى الباحث أن يُراجع:

صحيح البخاري باب التمتّع. صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩٥، ٣٩٦. مسند أحمد ج ٤ ص ٤٣٦. ج ٣ ص ٣٥٦. الموطّأ لمالك ج ٢ ص ٣٠. سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٦. تفسير الطبري ج ٥ ص ٩. أحكام القرآن للجصّاص ج ٢ ص ١٧٨. النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٩. الغريبين للهروي. الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣٣١. تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠. تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ٣٥٩. المحاضرات للراغب ج ٢ ص ٩٤. تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠١، ٢٠٢ فتح الباري لابن حجر ج ٩ ص ١٤١. تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠. الجامع الكبير للسيوطي ج ٨ ص ٢٩٣. تاريخ الخلفاء له ص ٩٣. شرح التجريد للقوشجي في مبحث الإمامة.

٤ ـ (الصحابة والتابعون):

ذهب جمعٌ من الصحابة والتابعين إلى إباحة المتعة وعدم نسخها مع وقوفهم على نهي عمر عنها، ولهم لرأيهم شأنٌ في الامّة، وفيهم مَن يجب عليها اتباعه.

١ ـ أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام
٢ ـ ابن عبّاس حبر الامّة
٣ ـ عمران بن الحصين الخزاعي
٤ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري
٥ ـ عبدالله بن مسعود الهذلي
٦ ـ عبدالله بن عمر العدوي
٧ ـ معاوية بن أبي سفيان
٨ ـ أبو سعيد الخدري الأنصاري
٩ ـ سلمة بن اميَّة الجمحي
١٠ ـ معبد بن اميّة الجمحي
١١ ـ الزبير بن العوام القرشي
١٢ ـ الحكم
١٣ ـ خالد بن المهاجر المخزومي
١٤ ـ عمرو بن حُريث القرشي
١٥ ـ أُبيٍّ بن كعب الأنصاري
١٦ ـ ربيعة بن اميَّة الثقفي
١٧ ـ سعيد بن جبير
١٨ ـ طاووس اليماني
١٩ ـ عطاء أبو محمّد اليمانيّ
٢٠ ـ السديّ

قال ابن حزم بعد عدِّ جمع من الصحابة القائلين بالمتعة: ومن التابعين طاوس وسعيد بن جبير وعطاء وسائر فقهاء مكّة.

قال أبو عمر: أصحاب ابن عباس من أهل مكّة واليمن كلّهم يرون المتعة حلالاً، قال القرطبي في تفسيره ج ٥ ص ١٣٢: أهل مكّة كانوا يستمتعونها كثيراً.

قال الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٢٠٠ في آية المتعة: اختلفوا في أنّها هل نسخت أم لا؟ فذهب السواد الأعظم من الامّة إلى أنّها صارت منسوخة، وقال السواد منهم: إنّها بقيت مُباحة كما كانت. قال أبو حيّان بعد نقل حديث إباحة المتعة: وعلى هذا جماعةٌ من أهل البيت والتابعين.

قال الأميني: فأين دعوى إجماع الامّة على حرمة المتعة ونسخ آيتها؟ وأين عزو القول بإباحتها إلى الباقر والصّادق عليهما السّلام فحسب؟ وهناك ناحيةٌ خامسةٌ فيها بيان أقوال أهل السنّة في المتعة ونسخها وهي ٢٢ قولاً يُعرب هذا التضارب في الآراء عن فوائد جمّة نُحيل الوقوف عليها إلى دراية الباحث[١].

ونحن لا يسعنا بسط المقال في طامّات هذا الكتاب إذ كلُّ صحيفة منه

---

(١) ولنا القول الفصل في البحث عن المتعة في الجزء السادس من كتابنا هذا.

أهلك من ترّهات البسابس، تُعرِب عن أنَّ مؤلِّفه بعيدٌ عن أدب الإسلام، بعيدٌ عن فقه القرآن والحديث، قصيرُ الباع عن كلِّ علم، قصيرُ الخُطا عن كلِّ ملكة فاضلة، بذيُّ اللسان لسّابة، وهو يعدُّ نفسه مع ذلك في كتابه من فقهاء الإسلام، فإن كان الإسلام هذا فقهه وهذا فقيهه، وهذا علمه وهذا عالمه، وهذا كتابه وهذا كاتبه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

[هذه غاية البحث عن الكتب المزوَّرة].



الآن حصحص الحق

الآن حقٌّ علينا أن نُميط الستر عن خبيئة أسرارنـا، ونُعرب عن غـايتنا المتوخّاة من هذا البحث الضافي حول الكتب، الآن آن لنا أن ننوّه بأنَّ ضالَّتنا المنشودة هي إيقاظ شعور الامَّة الإسلاميَّة إلى جانب مهمّ فيه الصـالح العـام والوئام والسَّلام والوحـدة الاجتماعيَّـة، وحفظ ثغور الإسـلام عن تهجّم سيل الفساد الجارف.

يا قوم! إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكَّلتُ. أُنشدكم بالله أيّها المسلمون هل دعايةٌ أقوى من هذه الكتب إلى تفريق صفوف المسلمين؟ وتمـزيق شملهم؟ وفساد نـظام المجتمع؟ وذهـاب ريح الـوحـدة العربيَّة؟ وفصم عرى الأُخوّة الإسلاميَّة؟ وإثارة الأحقاد الخامدة؟ وحشِّ نيران الضغـائن في نفوس الشعب الإسلاميِّ؟ ونفخ جمرة البغضاء والعداء المحتدم بين فرق المسلمين؟.

يا قوم! اتّبعوني أهدكم سبيل الرَّشاد. هذه الكتب يُضادُّ صراخهـا نداء القرآن البليغ. هذه النعرات المشمرجة[1] تُشيـع الفحشاء والمنكـر في الملأ الدينيِّ. هذه الكلم الـطائشة معـاول هدّامـة لأسِّ مكارم الأخـلاق التي بُعث لتتميمها نبيُّ الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم، هذه الألسنة السَّلاقة اللسّـابة

(١) الشمراج: المخلط من الكلام بالكذب. والشمرج: الباطل.

البذّاءة مدرِّسات الامّة بفاحش القول، وسوء الأدب، وقبح العشرة، وضدّ المداراة، وبالشراسة والقحّة والشياص. هذه التعاليم الفاسدة فيها دَحْسٌ لنظام المجتمع، ودَحلٌ بين الفرق الإسلاميَّة، وهتكٌ لناموس الشرع المقدَّس وعبثٌ بسياسة البلاد، وصدعٌ لتوحيد العباد، هذه الأقلام المسمومة تمنع الأمَّة عن سعادتها ورُقيِّها، وتولد العراقيل في مسيرها ومسربها، وتمحو ما خطَّته يدُ الإصلاح في صحائف القلوب، وتُحيي في النفوس ما عقمته داعية الدين.

﴿يا أيّها النّاس قدْ جاءتكم موعظةٌ مِنْ رَبِّكم وشفاءٌ لِما فِي الصّدور﴾(١).

إنَّ الآراء الدينيَّة الإسلاميَّة اجتماعيَّةٌ يشترك فيها كلُّ معتنق بالإسلام، إذ لا تمثّل في الملأ إلّا باسم الدين الاجتماعيّ، فيهمُّ كلَّ إسلاميّ يحمل بين جنبيه عاطفةً دينيَّةً أن يدافع عن شرف نحلته، وكيان ملّته، مهما وجد هناك زلَّةً في رأي، أو خطأً في فكرةٍ، ولا يسعه أن يُفرِّق بين باءةٍ وأُخرى، أو يخصَّ نفسه بحكومة دون غيرها [إن هي إلّا أسماءٌ سمَّيتموها أنتم وآباؤكم] بل الأرض كلّها بيئة المسلم الصّادق والإسلام حكومته، وهو يعيش تحت راية الحق، وتوحيد الكلمة ضالَّته، وصدق الإخاء شعاره أينما كان وحيثما كان.

هذا شأن الأفراد وكيف بالحكومات العزيزة الإسلاميّة، التي هي شعبُ تلك الحكومة العالميَّة الكبرى، ومفرداتُ ذلك الجمع الصحيح، ومقطَّعات حروف تلك الكلمة الواحدة، كلمة الصدق والعدل، كلمة الإخلاص والتوحيد، كلمة العزِّ والشرف، كلمة الرُقيِّ والتقدُّم.

فأنّى يسوغ لحكومة مصر العزيزة أن تُرخِّص لنشر هذه الكتب في بلادنا وتُشوِّه سمعتها في أرجاء الدنيا؟ وهي ثغر الإسلام المستحكم من أوَّل يومه، وهي مدرسة الشرق المؤسَّسة تحت راية الحقِّ بيد رجال العلم والدين.

أليس عاراً على مصر بعد ما مضت عليها قرونٌ متطاولةٌ بحسن السمعة أن تعرّف في العالم بأُناسٍ دجّالين، وكتّاب مستأجرين، وأقلامٍ مسمومةٍ، وأن

(١) سورة يونس : الآية : ٥٧ .

يُقال: إنَّ فقيهها موسى جار الله، وعالمها القصيميُّ، ومصلحها أحمد أمين، وعضو مؤتمرها محمّد رشيد رضا، ودكتورها طه حسين، ومؤرِّخها الخضري، واستاذ علوم اجتماعها محمّد ثابت، وشاعرها عبد الظاهر أبو السَّمح.

أليس عاراً على مصر أن يتملّج ويتلمَّظ بشرفها الدُّخلاء من ابن نجدٍ ودمشق فيؤلِّف أحدهم كتاباً في الرَّدِّ على الإماميَّة ويسميه [الصراع بين الإسلام والوثنيَّة] ويأتي آخر يُقرِّظه بشعره لا بشعوره ويُعرِّف الشيعة الإماميَّة بقوله:

ويحمل قلبهم بغضاً شنيعاً ... لخير الخلق ليس له دفاعُ
يقولون: الأمين حبا بوحي ... وخان. ومالهم عن ذا ارتداعُ
فهل في الأرض كفرٌ بعد هذا؟ ... ولمن يهوى متاعُ
فما للقوم دينٌ أو حياءٌ ... بحسبهم من الخزي [الصراعُ]

ألم يأنِ للَّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ أيحسب امرؤ مصريّ أنَّ إشاعة هذه الكتب، وبثَّ هذه المخاريق والنسب المفتعلة، ونشر هذه التآليف التافهة حياةٌ للأُمَّة المصريَّة، وإيقاظٌ لشعور شعبها المثقّف، وإبقاءٌ لكيان تلك الحكومة العربيَّة العزيزة، وتقدُّمٌ ورقيٌّ في حركاتها العلميَّة. الأدبيَّة. الأخلاقيَّة. الدينيَّة، الاجتماعيَّة؟.

أسفاً على أقلام مصر النزيهة، وأعلامها المحنّكين، ومؤلِّفيها المصلحين، وكُتّابها الصادقين، وعباقرتها البارعين، وأساتذتها المثقّفين، ورجالها الأمناء على ودائع العلم والدين.

أسفاً على مصر وعلمها المتدفِّق، وأدبها الجمِّ، وروحها الصحيحة، ورأيها الناضج، وعقلها السليم، وحياتها الدينيّة، وإسلامها القديم، وولائها الخالص، وتعاليمها القيّمة، ودروسها العالية، وخلائقها الكريمة، وملكاتها الفاضلة.

أسفاً على مصر وعلى تلكم الفضائل وهي راحت ضحيَّة تلك الكتب المزخرفة، ضحيَّة تلك الأقلام المستأجرة، ضحيَّة تلك النزعات الفاسدة،

ضحيَّة تلك الصحائف السوداء، ضحيَّة تلك النعرات الحمقاء، ضحيَّـة تلك المطابع المأسوف عليها، ضحيَّة أفكار أولئك المحدِّثين المتسرِّعين الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، **﴿وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنَّما نحن مُصلحون، ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**. سورة البقرة: آية ١١ - ١٢.

أليست هذه الكتب بين يدي أعلام مصر ومشايخها المثقَّفين؟ أم لم يوجد هناك مَن يحمل عاطفةً دينيّة وشعوراً حيّاً، وفكرةً صالحة يُـدافع عن نـاموس مصره المحبوبة قبل ناموس الشرق كلّها؟.

والعجب كلُّ العجب أنَّ علاّمة مصر[1] يُري للمجتمع أنَّه الناقد البصير فيقرِّظ كتاباً[2] قيماً لعربيّ صميم عراقيٍّ يُعدُّ من أعلام العصر ومن عظماء العالم ويُناقش دون ما في طيِّه من الأغلاط المطبعيّة ممّا لا يترتَّب به على الامَّة ولا على فردٍ منها أي ضرر وخسارة بمثل قوله: كلّما. صوابه: كلّ ما. شرع. صوابه: شرح. شيخنا. صوابه: شيخا.

مـرحباً بهـذا الحـرص والاستكنـاه في الإصـلاح والتغـاضي عن تلكم الكوارث، مرحباً بكلاءة ناموس لغة العرب والصفح عن دينه وصـالح ملّتـه، مرحباً بهذه العاطفة المصلحة لتآليف مشايخ الشيعة، والتحامل عليهم بـذلك السباب المقذع، مرحباً مرحباً مرحباً.

لمَ لم يرق أمثال هذا النابه النيقد أن يأخذ بميزان القسط، ويُلفت مؤلِّف مصره وناموس النصفة، وشـرعة الحقّ، وواجب الخـدمة للمجتمـع، ويُلفت مؤلِّف مصره العزيزة إلى تلكم الهفوات المخزية في تلكم التـآليف التي هي سلسلة بلاء، وحلقات شقاء تنتهي إلى هلاك الامَّة ودمارها، وتجرُّ عليها كلّ سوءة، وتُسفّها إلى حضيض التّعاسة؟.

---

(١) الاستاذ أحمد زكي.

(٢) أصل الشيعة واصولها. لشيخنا العلاّمة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

وإن تعجب فعجبٌ نشر هذه الكتب في العراق وهي تمسُّ بكرامة ناموسها بعد ناموس الإسلام المقدَّس ورجالها بعدُ أحياء، وشعبها بعدُ نابغ، وشعورها بعدُ حيٌّ، ودينها بعدُ مستقرّ، وغيرة العرب بعدُ هي هي، وشهامة الشبيبة بعدُ لم تهرم، وجلادة الشيوخ بعدُ لم تضعف، وأزمَّة حكومتها بعدُ بيد آل هاشم.

يعزُّ على امِّ العراق أن تسمع أُذنها واعية أنَّ في فنادق النجف وسيطٌ يعرض جمعاً من فتياتها إلى الوافد لينتقي منهنَّ وفتاتها تتزوّج مرّات في الليلة الواحدة[1].

كيف تسمع أُذن العراق نداء أنَّ النجفيِّين هم الدَّجالون والضّالّون المضلّون قد تزيّوا بزيِّ المسلمين وشاركوهم في كثير من الشعائر؟ - إلى آخر ما لا يصلح ذكره - وقبل هذه كلّها تلك الصرخة التي تمسُّ بكرامة رجالات البيت الهاشمي[2].

أيحسب عراقيٌّ حاسّ أنَّ في طيِّ هذه الكتب صلاحاً لمجتمع العراق؟ أو حياةً لروح أبنائها؟ أو درس أخلاق لأمَّتها؟ أو رقيّاً وتقدُّماً لشعبها؟ أو ثقافةً لرجالها؟ أو علماً لطلابها؟ أو أدباً لكتّابها؟ أو ديناً لمسلميها؟ أو مادَّة لمثريها؟ أو لها دخلٌ في سياسة حكومتها الإسلاميَّة المحبوبة؟.

فواجب المسلم الصّادق في دعواه الحافظ على شرفه وعزِّ نحلته، رفض أمثال هذه الكتب المبهرجة، ولفظها بلسان الحقيقة، والكفُّ عن اقتنائها وقراءتها، والتجنّب عن الاعتقاد والتصديق بما فيها، والبعد عن الأخذ والبخوع بما بين دفوفها، والإخبات إلى ما فيها قبل أن يعرضها إلى نظّارة التنقيب، وصيارفة النقد والإصلاح، أو النظر إليها بعين التنقيب وإردافها بالردِّ والمناقشة فيها إن كان من أهلها. ﴿**وإن فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً وأشدّ تثبيتاً**﴾. سورة النساء: آية ٦٦.

---

(١) راجع الجولة في ربوع الشرق الأدنى ص ١١٢.

(٢) راجع السنّة والشيعة ص ٤٨.

وواجب رجال الدعاية والنشر في الحكومات الإسلاميَّة عرض كلِّ تأليفٍ مذهبيٍّ حول أيِّ فرقة من فرق الإسلام إلى اصولها ومبادئها الصحيحة المؤلّفة بيد رجالها ومشايخها، والمنع عمّا يُضادُّها ويُخالفها، إذ هم عيون الامَّة على ودائع العلم والدين، وحفظة ناموس الإسلام، وحرسة عُرى العروبة، إن عقلوا صالحهم، وعليهم قطع جذوم الفساد قبل أن يُؤجِّج المفسد نار الشحناء في الملأ ثمَّ يعتذر بعدم الاطِّلاع وقلّة المصادر عنده كما فعل أحمد أمين [بعد نشر كتابه فجر الإسلام] في ملأ من قومه، والإنسان على نفسه بصيرةٌ ولو ألقى معاذيره، ولا عذر لأيِّ أحد في القعود عن واجبه الدينيِّ الاجتماعيِّ. **﴿وَلتكن مِنكم امَّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هُمُ المفلحون﴾**. سورة آل عمران: آية ١٠٤.

ونحن نُرحِّب بكتاب كلِّ مذهب وتأليف كلِّ ملّة أُلِّف بيد الصِّدق والأمانة، بيد الثقة والرزانة، بيد التحقيق والتنقيب، بيد العدل والإنصاف، بيد الحبِّ والإخاء بيد أدب العلم والدين.

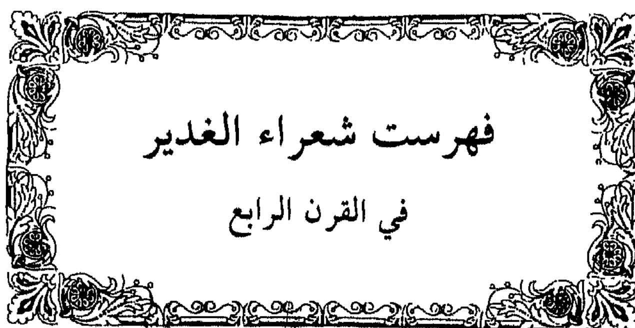
﴿لِيَهلكَ مَنْ هلك عن بيِّنةٍ ويحيى مَنْ حَيَّ عَنْ بيِّنةٍ﴾(١)

﴿ذلكَ يوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤمنُ باللَّه وَالْيوم الآخِر ذلِكمْ أزكى لكم وأطهر﴾(٢)

---

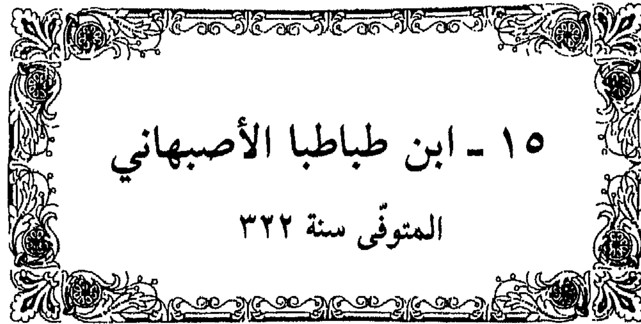
(١) سورة الأنفال؛ الآية: ٤٢.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٣٢.



فهرست شعراء الغدير
في القرن الرابع

١	أبو الحسن ابن طباطبا الاصبهاني	المتوفى ٣٢٢
٢	أبو جعفر أحمد بن علوية الأصبهاني	المتوفى ٣٢٠
٣	أبو عبدالله محمَّد المفجع البصري	المتوفّى نيف و٣٢٧
٤	أبو القاسم أحمد بن محمَّد الصنوبري	المتوفّى ٣٣٤
٥	أبو القاسم علي بن محمَّد التنوخي	المتوفى ٣٤٢
٦	أبو القاسم علي بن إسحاق الزاهي	المتوفّى ٣٥٢
٧	أبو فراس أمير الشعراء الحمداني	المتوفّى ٣٥٧
٨	أبو الفتح محمود بن محمَّد كشاجم	المتوفّى ٣٦٠ - ٥٠
٩	أبو عبدالله الحسين البشنوي	المتوفّى بعد ٣٨٠
١٠	أبو القاسم الوزير الصاحب بن عباد	المتوفّى ٣٨٥
١١	أبو عبدالله بن الحجاج البغدادي	المتوفّى ٣٩١
١٢	أبو العباس الوزير أحمد الضبي	المتوفّى ٣٩٨
١٣	أبو حامد أحمد بن محمَّد الأنطاكي	المتوفى ٣٩٩
١٤	أبو النجيب شداد الظاهر الجزري	المتوفى ٤٠١
١٥	أبو محمَّد طلحة الغسَّاني العوني	
١٦	أبو العلاء محمَّد بن إبراهيم السروي	
١٧	أبو الحسن علي الجوهري الجرجاني	
١٨	أبو الحسن علي بن حماد العبدي	
١٩	أبو الفرج بن هندو الرازي	
٢٠	الناشي الصغير	



١٥ ـ ابن طباطبا الأصبهاني

المتوفّى سنة ٣٢٢

يا مَن يُسرُّ لي العداوة أبدها ... وأعمد لمكروهي بجهدك أوذرِ
لله عنـدي عـادةٌ مشكـورةٌ ... فيمن يعـاديني فـلا تتحيَّـرِ
أنا واثقٌ بدعاء جدي المصطفى ... لأبي غداة «غدير خمّ» فاحذرِ
والله أسعـدنـا بـإرث دعـائـه ... فيمن يُعادي أو يُوالي فاصبرِ[١]

الشاعر

أبـو الحسن محمَّد بن أحمـد بن إبراهيم طبـاطبا ابن إسمـاعيـل بن إبـراهيم بن الحسن ابن الإمـام الحسن ابن الإمـام عليٍّ بن أبي طـالب صلوات الله عليهم ، الشهير بابن طباطبا .

عالمٌ ضليعٌ ، وشاعرٌ مفلقٌ ، وشيخٌ من شيوخ الأدب ، ذكر المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٤٦٣ : إن له كتباً ألَّفها في الأشعار والآداب ، وذكر منها أصحاب المعاجم[٢] :

١ ـ كتاب سنام المعالي .

٢ ـ كتاب عيار الشعر . وفي فهرست ابن النديم ص ٢٢١ : معاير الشعر .

---

(١) خاطب بها أبا علي الرستمي كما في «ثمار القلوب» للثعالبي ص ٥١١ .

(٢) راجع ثمار القلوب ص ٥٠٧ ، فهرست ابن النديم ص ١٩٦ ، معجم الادباء ج ١٧ ص ١٤٣ . عمدة الطالب ص ١٦٢ .

وقال الحموي في «معجم الأدباء» ج ٣ ص ٥٨: ألّف الآمدي الحسن بن بشر كتاباً في إصلاح ما فيه.

٣ - كتاب الشعر والشعراء.

٤ - كتاب نقد الشعر.

٥ - كتاب تهذيب الطبع.

٦ - كتاب العروض. قال الحموي: لم يسبق إلى مثله.

٧ - كتاب فرائد الدرّ. كتب إلى صديق له كان قد استعاره يسترجعه منه:

يا درّ ردّ فرائد الدرِّ وارفق بعبد في الهوى حرِّ

٨ - كتاب المدخل في معرفة المعمّى من الشعر.

٩ - كتاب في تقريض الدفاتر.

١٠ - كتاب ديوان شعره.

١١ - كتاب اختياره ديوان شعره.

ذكره الحموي في «معجم الأدباء» وقال: إنّه كان مذكوراً بالذّكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحّة الذهن وجودة المقاصد، ذكر أبو عبدالله حمزة بن الحسن الإصبهاني قال: سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدّثون عن عبدالله بن المعتزّ: إنّه كان لهجاً بذكر أبي الحسن مقدّماً له على سائر أهله ويقول: ما أشبهه في أوصافه إلاّ محمّد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك، إلاّ أنّ أبا الحسن أكثر شعراً من المسلمي، وليس في ولد الحسن من يشبهه بل يُقاربه عليٌّ بن محمّد الأفوه[1].

قال: وحدّثني أبو عبدالله بن عامر قال: كان أبو الحسن طول أيّامه مشتاقاً إلى عبدالله بن المعتزّ متمنّياً أن يلقاه أو يرى شعره، فأمّا لقاؤه فلم يتّفق له لأنّه

---

(١) هو الحماني أحد شعراء الغدير مرت ترجمته في هذا الجزء ص٨٣ - ٩٦.

لم يُفارق إصبهان قطُّ، وأمّـا ظفره بشعره فإنّه اتّفق له في آخر أيـامه ؛ وله في ذلك قصَّةٌ عجيبةٌ، وذلك أنَّه دخل إلى دار معمر وقد حملت إليه من بغداد نسخة من شعر عبدالله بن المعتز فاستعارها فسوَّف بها فتمكّن عندهم من النظر فيها وخرج وعدل إليّ كالاًّ معيياً كأنَّه ناهضٌ بحمل ثقيل؛ فطلب محبرة وكاغذاً فأخذ على ظهر قلبه مقطّعات ورقات من الشعر فسألته لمن هي؟ فلم يُجبني حتّى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني، وأحصيت الأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تحفَّظها من شعر ابن المعتزّ في ذلك المجلس واختارها من بين سائرها.

يوجد في معجم الحموي شطرٌ مهمٌّ من شعره منه قصيدة في ٣٩ بيتاً ليس فيها راء ولا كاف يمدح بها أبا الحسين محمَّد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل أوّلها:

يـا سيِّـداً دانت لـه السّـاداتُ ... وتتـابعت في فعله الحسنـاتُ
وتواصلت نعماؤه عنـدي فلي ... منــه هبــاتٌ خلفهنَّ هبــاتُ
نعمٌ ثنت عنّي الزّمان وخـطبه ... من بعدها ما هيبت له غدواتُ

ويصف قصيدته بقوله:

ميـزانها عنـد الخليـل معـدَّل ... متفـاعـلٌ متفــاعـلٌ فعــلاتُ

وروى الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٥١٧ له قوله:

أقول وقد أُوقظت من سنة الهوى ... بعذلٍ يُحاكي لذغه لذعة الهجرِ
دعوني وحلم اللهو في ليلة المنى ... ولا توقظوني بالملام وبالزجـرِ
فقــالــوا لي: استيقظ فشيبــك لائـحٌ ... فقلت لهم: طيب الكـرى ساعـة الفجر

وذكر في ص ٤٣٥ له يصف ليلة ممتعة:

ولـيلةٌ أطــربـني صـبـحـهــا ... فخلتني في عـرس الزنـجِ [١]

(١) يضرب به المثل لاختصاص الزنج من بين الامم بشدة الطرب وحب الملاحي والأغاني، والمثل سائر بأطرابهم.

كـأنَّما الجـوزاء جنح الـدجى طبَّـالـة تضـرب بـالصنـجِ
قـائمـةٌ قـد حـرّرت وصفهـا مـائلة الـرأس من الـغنـجِ

وقال في ص ٢٢٩ : دخل يوماً أبو الحسن ابن طباطبا دار أبي علي ابن رستم فرأى على بابه عثمانيَّين أسودين قد لبسا عمامتين حمراوين، فامتحنهما فوجدهمـا من الأدب خاليين، فلمّـا تمكّن في مجلس ابن رستم دعا بـالدَّواة والقرطاس وكتب:

أرى ببـاب الـدار أسـودينِ ذوي عمـامتين حمـراوينِ
كجمـرتين فـوق فـحمـتيـنِ قد غادرا الـرَّفض قرير العينِ
جـدّ كما عثمـان ذو النـورينِ فمـا لـه أنسـل ظلمتيـنِ؟!
يـا قبح شين صـادر عن زينِ حـدائـد تـطبـع من لجينِ
مـا أنـتمـا إلّا غـرابيّيـنِ طيـرا فقـد وقعتما للحينِ
المظهرين الحبّ للشخصينِ ذرا ذوي السنَّة في المصرينِ
وخلّيـا الشيعـة لـلسِّبـطيـنِ لِلحسـن الـطيِّب والـحسيـنِ
ستُعـطيـان في مـدى عـامينِ صكّـاً بخفّيـن إلى حنيـن[١]

فاستظرفها ابن رستم وتحفَّظها الناس. وله قوله يهجو به أبا عليّ بن رستم يرميه بالدَّعوة والبرص:

أنت أُعطيت من دلائل رسل ا لله آيـاً بهـا علوتَ الـرؤوسـا
جئت فـرداً بـلا أب وبيُمناك بياضٌ فأنت عيسى وموسى

وله في أبي عليٍّ بن رستم لَمّا هدم سور إصبهان ليزيد به في داره وأشار فيه إلى كون إصبهان من بناء ذي القرنين:

وقد كان ذو القرنين يبني مدينة فأصبح ذو القرنين يهدم سورها
على أنّه لو كان في صحن داره بقرن له سينـاء زعزع طـورها

وله في ابن رستم يذكر بناءه سور إصبهان:

يـا رستميٌّ استعمـل الجـدّا وكـدنـا فـي حـظّنـا كـدّا

(١) توجد في معجم الادباء ج ١٧ ص ١٥٤ بتغيير يسير.

فـإنّـك المـأمـول والمـرتجى　　تهـوِّن الخـطـب إذا اشتـدّا
أحكمت من ذا السـور مـا لم تجـد　　والـلّه مـن أحـكـامـه بُـدّا
فخلفـه نـسـلٌ كثيـرٌ لمـن　　أصفت لأرزبـونهـا الـودّا(١)
وهم كيـأجـوج ومـأجـوج إن　　عـدَّدتهم لم تحصهـم عـدّا
وأنت ذو القـرنين في عصـره　　جـعلتـه مـا بينـهـم سـدّا

وقال يهجو أبا علي الرستمي :

كفـرا بعلمـك يـا بن رستم طـه　　وبما حفظت سـوى الكتاب المنـزلِ
لـو كنت يـونس في دوائـر نحـوه　　أو كنت قطرب في الغريب المشكـلِ
وحـويتَ فقـه أبي حنيفـة كلّه　　ثمَّ انتهيتَ لـرستم لم تنبـلِ

وله قوله :

لا تنـكُـروا إهداءنـا لك منـطقاً　　منـك استفدنـا حسنه ونـظامه
فالله عزَّ وجلَّ يشكر فعـل مَن　　يتلو عليـه وحيـه وكـلامـه

ويُعاتب أبا عمرو بن جعفر بن شريك على منعه إياه شعر ديـك الجنِّ بقوله :

يـا جواداً يمسي ويصبـح فينا　　واحداً في النّدى بغير شريـكِ
أنت من أسمـع الأنـام لشعـر الـ　　ـناس ماذا اللجـاج في شعر ديـكِ؟!
يـا حليف السَّماح لـو أنَّ ديـك الـ　　ـجن من نسل ديك عرش المليك(٢)
لم يكن فيه طائلٌ بعد أن يـد　　خله الذكر في عـداد الديـوكِ

وله قوله :

---

(١) كنى بالارزبون عن غلامه.

(١) حديث ديك العرش رواه الجاحظ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : إن مما خلق الله لـديكـا عـرفـه تحت العـرش ، وبـراثنـه تحت الأرض السفلى ، وجنـاحـه في الهواء ، فإذا مضى ثلثا الليل وبقي ثلثه ضرب بجناحه قائلاً : سبحان الملك القدوس ، سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح ، فعند ذلك تضرب الديكة وتصيح .

بأبي الّذي نفسي عليه حبيسُ ... مـالي سـواه من الأنـام أنيسُ
ولا تنكـروا أبداً مقـاربتي لـه ... قلبي حـديـدٌ وهـو مغنـاطيسُ

وله:

يا طيب ليل خلوت فيـه بمن ... أقصر عن وصف كنه وجدي به
ليـلٌ كبـرد الشبـاب حـالكـه ... نعمـت في ظـلّه وفي طـيبـه

وله:

أتـاني قـريضٌ كنـظم جمـانٍ ... وروض الجنـان وأمن الفـؤاد
وعهــد الصبـا ونسيم الصبـا ... وبــرد الفؤاد وطيب الــرّقــاد

وذكر المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٤٦٣ له يصف به القلم:

ولــه حسـامٌ بــاتـرٌ في كفّــه ... يمضي بنقض الأمر أو توكيدهِ
ومتـرجمٌ عمّـا يجنُّ ضميــره ... يجري بحكمته لدى تسويـدهِ
قلمٌ يــدور بكـفّــه فكـأنّــه ... فلكٌ يـدور بنحسـه وسعــودهِ

وروى له في «المعجم» أيضاً.

لا وأُنسي وفــرحتي بكتــاب ... أتى منه في عيد أضحى وفطرِ
مـا دجـا ليـل وحشتي قطُّ إلاّ ... كنت لي فيه طالعـاً مثل بـدرِ
بحـديث يُقيم لـلأُنس شـوقـاً ... وابتسـام يكفّ لوعـة صـدري

وذكر له النويري في «نهاية الإرب» ج ٣ ص ٩٧:

إنَّ في نيل المنى وشك الرَّدى ... وقيـاس القصد عنـد السـرفِ
كســراجٍ دهنـه قـوتُ لــه ... فـإذا غــرَّقتـه فيـه طـفـي

وقوله:

لـقــد قــال أبــو بــكــر ... صــوابــاً بـعــدمــا أنـصـت
فــرحـنــا لم نـصــد شيئـاً ... ومــا كــان لــنــا أفــلت

وذكر ابن خلكان نقلاً عن ديوانه قوله:

بانوا وأبقوا في حشاي لبينهم وجداً إذا ظعن الخليط أقاما
لله أيّام السرور كأنّما كانت لسرعة مرِّها أحلاما
لو دام عيشٌ رحمةً لأخي هوى لأقام لي ذاك السرور وداما
يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا عاماً وردّ من الصبا أيّاما

وله قوله:

يا من حكى الماء فرط رِقته وقلبه في قساوة الحجرِ
يا ليت حظّي كحظٍّ ثوبك من جسمك يا واحد البشرِ
لا تعجبوا من بلا غلالته قد زرَّ أزراره على القمرِ

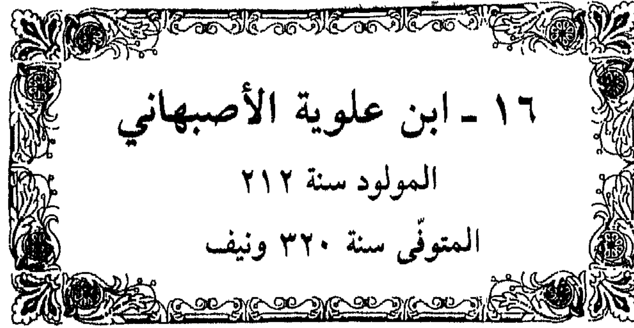
وُلد المترجم كما في «المجدي» باصبهان، وتوفّي بها سنة ٣٢٢ كما في «معاهد التنصيص» فما في «نسمة السحر» من أنّه ولد سنة ٣٢٢ نقلاً عن «المعاهد» اشتباهٌ نشأ عن فهم ما في «المعاهد» من كلامه قال: مولده بإصبهان وبها مات سنة ٣٢٢. فحسب التاريخ ظرف ولادته كما زعمه بعض المعاصرين وهو لا يُقارف الصواب لأنّ أبا علي الرستميّ الذي للمترجم فيه شعرٌ كثيرٌ من رجال عهد المقتدر بالله المقتول سنة ٣٢٠ وفي أيّامه أحدث الرستميّ ما أحدث في إصبهان في سورها وجامعها وهجاه المترجم. ولأنَّ المترجم كما مرَّ عن «معجم الادباء» كان يتمنّى لقاء عبدالله بن المعتز ويشتاق إليه وابن المعتز توفّي سنة ٢٩٦.

توجد ترجمته والثناء عليه في غاية الاختصار. نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر ج ٢. معاهد التنصيص ج ١ ص ١٧٩.

نقل ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٤٢ في ذيل ترجمة أبي القاسم ابن طباطبا المتوفّى سنة ٣٤٥ عن ديوان المترجم الأبيات المذكورة فقال: ولا أدري مَن هذا أبو الحسن ولا وجه النسب بينه وبين أبي القاسم المذكور والله أعلم. اهـ.

واشتبه على سيِّدنا الأمين العاملي فهم كلام ابن خلكان هذا وذيله وأوقعه في خلط عظيم فعقد ترجمةً تحت عنوان (أبو الحسن الحسني المصريّ) في أعيان الشيعة في الجزء السادس ص ٣١٢ وجعله مصريّاً بلا مستند، وأخذ تاريخ وفاة أبي القاسم بن طباطبا وذكره لأبي الحسن، وختم ترجمته بقوله: ولا دليل لنا على تشيّعه غير إصالة التشيّع في العلويِّين والعجب أنَّه ذكر في الجزء التاسع ص ٣٠٥ أبا الحسن باسمه ونسبه وقال: هذا الذي قال ابن خلكان: لا أدري من هذا أبو الحسن. لا عصمة إلّا لله.

وللمترجم عقبٌ كثير باصبهان فيهم علماء ادباء أشراف نقباء، قال النسّابة العمري في «المجدي»: له ذيلٌ طويلٌ فيهم موجَّهون منهم: أبو الحسن أحمد الشاعر الإصبهاني، وأخوه أبو عبدالله الحسين ولي النقابة بها، ابنا عليّ بن محمَّد الشاعر الشهير. ومنهم: الشريف أبو الحسن محمَّد ببغداد يُقال له: ابن بنت خصبة.



١٦ - ابن علوية الأصبهاني

المولود سنة ٢١٢

المتوفّى سنة ٣٢٠ ونيف

ما بالُ عينك ثرَّة الأجفان — عبرى اللحاظ سقيمة الإنسانِ!؟
صلّى الإلَه على ابن عمٍّ محمَّد — منه صلاة تغمّد بحنانِ
وله إذا ذُكِرَ «الغدير» فضيلةٌ — لم ننسها ما دامت الملوانِ
قام النبيُّ له بشرح ولاية — نزل الكتاب بها من الديّانِ
إذ قال: بلّغ ما أُمرتَ به وثق — منهم بعصمة كالىءٍ حنّانِ
فدعا الصَّلاة جماعة وأقامه — علماً بفضل مقالة غرّان
نادى: ألستُ وليّكم؟ قالوا: بلى — حقّاً فقال: فذا الوليُّ الثاني
ودعا له ولمن أجاب بنصره — ودعا الإلَه على ذوي الخذلانِ
نادى ولم يك كاذباً: بخٍّ أبا — حسن ربيع الشيب والشبّانِ
أصبحت مولى المؤمنين جماعةً — مولى إناثهمُ مع الذُّكرانِ
لمن الخلافة والوزارة هل هما — إلّا له وعليه يتّفقانِ؟!؟!
أوَ ما هما فيما تلاه إلا هنا — في محكم الآيات مكتوبانِ؟!
أدلوا بحجّتكم وقولوا قولكم — ودعوا حديث فلانة وفلانِ
هيهات ضلَّ ضلالكم أن تهتدوا — أو تفهموا لمقطع السلطان

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات من القصيدة (المحبّرة) لابن علويَّة قال الحموي في «معجم الادباء» ج ٤ ص ٧٦: لأحمد بن علويَّة قصيدةٌ على ألف قافية شيعيَّة، عُرضت

على أبي حاتم[١] السجستاني فقال: يا أهل البصرة غلبكم أهـل إصفهان وأوّل القصيدة:

مـا بـال عينـك ثـرَّة الأجفـان　　　عبرى اللحاظ سقيمة الإنسان؟!

وفي «معـالم العلماء» لابن شهـر آشوب و«إيضـاح الاشتبـاه» للعـلاّمـة الحلي: له النونيَّة المسمّاة بالألفيَّة والمحبَّرة وهي ثمانمائةونيفـوثلاثون بيتاً. إلى آخر ما ذكره الحموي. يوجد منها شطرٌ مهمٌّ في مناقب ابن شهر آشوب مبثوثاً في أبوابه جمعه العلاّمة السماوي في ديوان يحتوي على ٢١٣ بيتاً، وذكر منها سيِّدنا الحجَّة الأمين في «أعيان الشيعـة» في الجزء التـاسع ص ١١ - ٨٢ نقـلاً عن المناقب ٢٢٤ بيتاً.

والقصيدة تتضمَّن غرر فضائل أمير المؤمنين المأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهي لسان الكتاب والسنَّـة لا الصور الخيـاليَّة الشعـريَّة المطَّردة، وفيها الحجاج والبرهنة الصادقة على إمامة وصيِّ النبيِّ الأمين، وأنَّ ما فهمه من لفظ المولى وهو ذلك الفذُّ من علماء العربيَّة، والناقد البصير من أئمَّة اللغة، والأوحد المفرد من رجال الأدب وصاغة الشعر، لهو الحجَّة القويَّة على ما ترتئيه الشيعة في دلالة هذا اللفظ، وإفادة الحديث بذلك الـولاية المـطلقة لمولى المؤمنين صلوات الله عليه.

الشاعر

أبو جعفر أحمد بن علويَّة[٢] الأصبهاني الكرماني الشهير بأبي الأسود، هو أحد مؤلِّفي الإماميّة المطّرد ذكرهم في المعاجم، وذكر النجاشي فـي فهرسته وابن شهر آشوب في «معالم العلماء» له كتاباً أسماه الأوَّل كتاب [الاعتقاد في

---

(١) سهل بن محمد الإمام في علوم القرآن واللغة والشعر قرأ على الأخفش، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وجمع آخرين، وعنه ابن دريد وغيره توفي سنة ٢٥٥ وقيل غيرها.

(٢) بفتحتين وتشديد الياء كما في إيضاح الاشتباه للساروي، واشتبه عليه كلام النجاشي وعرف المترجم بالرّحال وضبطه وهو لقب محمد بن أحمد الراوي عن المترجم لا لقبه.

الأدعية] والثاني [دعاء الاعتقاد] وفي «المعالم» أنّ لـه كتباً منهـا ذلك، وقـال الحموي في « معجم الادباء» له رسائل مختارة دوَّنها أبو الحسن [أبو الحسين] أحمد بن سعد في كتابه المصنّف في الرَّسائل، وله ثمانية كتب في الدعاء من إنشائه، ورسالةٌ في الشيب والخضاب، وذكر ابن النديم في فهرسته ص ٢٣٧ له ديواناً في خمسين ورقة.

المترجم من أئمّة الحديث، ومن صدور حملته، أخذ عنه مشايخ علماء الإماميّة واعتمدوا عليه

منهم: شيخ القمِّيين أبو جعفر محمّد بن الحسن بن الوليد القمي المتوفّى ٣٤٣، المعلوم حاله في الثقـة، والتحرُّز عن الـرِّواية عن غيـر الثّقة، وطعنـه وإخراجه مَن روى عن الضعفاء من قم، فقد روى عنه كتب إبراهيم بن محمّد الثقفي المعتمد عليه عند الأصحاب كما في مشيخة الفقيه، وفهرست شيخ الطائفـة الطوسي، وممّا رواه أبو جعفر القمي عن المتـرجَم له عن إبـراهيم بن محمّد الثقفي ما أخرجه شيخنا الصدوق في أماليه ٣٥٤، وما رواه أبو جعفر الطبري في (بشارة المصطفى) في أواخر الجزء الرابع باسناد المترجَم له عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلّكم على ما إن استدللتم به لم تهلكوا ولم تضلّوا؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إنَّ إمامكم ووليّكم عليٌّ بن أبي طالب فوازروه وناصحوه وصدِّقوه فإنَّ جبرئيل أمرني بذلك.

ومنهم: فقيه الطائفـة وشيخها ووجههـا سعد بن عبـدالله بن أبي خلف الأشعري المتوفّى سنة ٢٩٩/ ١/٣٠٠ كما في المجلس العشرين من مجالس شيخنا الأكبر محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد.

ومنهم: الحسين بن محمَّد بن عمران الأشعري القمي الثقة الذي أكثر النقل عنه ثقة الإسلام الكليني «في الكافي» وابن قولويه في «الكامل»، كما جاء في «كامل الزيارة» ورجال الشيخ الطوسي. ومن أحاديث الأشعري عن المترجَم ما رواه ابن قولويه بإسناده ص ١٨٦ رفعه إلى الصادق عليه السَّلام أنه كان يقول عند غسل الزيارة إذا فرغ: اللّهمَّ اجعله لي نوراً وطهوراً. إلخ.

ومنهم: عبدالله بن الحسين المؤدّب، أحد مشايخ الشيخ الصَّدوق ووالده المقدَّس كما في مشيخة الفقيه، وممّا رواه المؤدب عن المترجَم ما رواه شيخنا الصَّدوق في أماليه ص ٥٥ بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله: إنَّ في عليٍّ خصالاً لو كانت واحدة منها في جميع النّاس لاكتفوا بها فضلاً. الحديث وص ٧٦ بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا عليُّ! أنت أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي على امّتي في حياتي وبعد وفاتي، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي، وعدوُّك عدوّي، ووليّك وليّي. وفي ص ٢١٧ بإسناده من طريق المترجم عن رسول الله انَّه قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليُّ على نجيب من نور على رأسك تاجٌ قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف. الحديث. وفي ص ٣٥١ بإسناد المترجَم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: إنَّ حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقّت الحلقة على الصفحة طنَّت وقالت: يا عليّ.

وتوجد أحاديث اخرى من طريق المؤدِّب عن المترجم في «الأمالي» ص ٩، ١٥٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٢٦، ٣٧٥، ٣٩٠.

ويروي عنه كتابه «الاعتقاد» في الأدعية محمّد بن أحمد الرّحال كما في فهرست النجاشي ص ٦٤. وأحمد بن يعقوب الإصبهاني كما في «تهذيب» الشيخ الطوسي ج ١ ص ١٤١ في باب الدعاء بين الرّكعات. وذكر النجاشي إسناده إليه ص ٦٤ هكذا: عن ابن نوح عن محمَّد بن عليٍّ القمي عن محمَّد بن أحمد الرَّحال عنه.

وحسب المترجَم جلالةً أن تكون أخباره مبثوثةً في مثل الفقيه، والتهذيب، والكامل، وأمالي الصدوق، ومجالس المفيد، وأمثالها من عُمد كتب أصحابنا رضوان الله عليهم، وحَسبنا آيةً لثقته اعتماد القمِّيين عليه مع تسرّعهم في الوقيعة بأدنى غميزة في الرَّجل.

كان المترجم من علماء العربيَّة البارعين فيها بعد ما كان شيخاً في

الحديث، ولذلك ترجمه السيوطي في «بغية الوعاة» وعدَّه الثعالبي من كتّاب إصبهان وشعرائها في «يتيمة الدهر» ج ٣ ص ٢٦٧، وقال الحموي في «معجم الادباء» ج ٢ ص ٣ (الطبعة الاولى): كان صاحب لغة يتعاطى التأديب ويقول الشعر الجيِّد. وعرَّفه شيخ الطائفة ومن يليه من أصحاب المعاجم حتّى اليوم بالكتابة.

وأمّا شاعريَّته فهي في الذروة والسنام من مراقي قرض الشعر، فقد فاق نظمه بجزالة المعنى، وفخامة اللفظ، وحسن الصياغة، وقوَّة التركيب، وبرع هو بفلج الحجَّة، وجودة الإفاضة، والحصول على البراهين الدامغة، والوصول إلى مغازي التعبيرات، فجاء شعره في أئمَّة الدين عليهم السَّلام كسيفٍ صارم لشبه أهل النصب، أو المعول الهدّام لبيوت عناكب التمويهات ضدَّ إمامة العترة الطاهرة، وقصيدته «المحبَّرة» التي اقتطفنا منها موضع الشاهد لكتابنا هذا لهي الشهيدة بكلِّ ما أنبأناك عنه، كماأنَّها الحجَّة القاطعة على عبقريَّته الشعريَّة كما شهد به أبو حاتم السجستاني فيما عرفت عنه.

وُلد المترجم سنة ٢١٢ وتوفِّي في نيف وعشرين وثلاثمائة، وأنشد سنة ٣١٠ وله ٩٨ عاماً من عمره قوله:

دنياً مغبَّة من أثرى بها عدمُ ... ولذَّةٌ تنقضي من بعدها ندمُ
وفي المنون لأهل اللبِّ معتبرٌ ... وفي تزوُّدهم منها التّقى غنمُ
والمرء يسعى لفضل الرِّزق مجتهداً ... وماله غير ما قد خطّه القلمُ
كم خاشع في عيون الناس منظره ... واللّه يعلم منه غير ما علموا

وقال بعد أن أتت عليه مائة سنة:

حنى الدَّهر من بعد استقامته ظهري ... وأفضى إلى ضحضاح غايته عمري
ودبَّ البلى في كلِّ عضو ومفصلٍ ... ومَن ذا الذي يبقى سليماً على الدَّهر

ومن شعره ما ذكره النويري في «نهاية الإرب في فنون الأدب» في الجزء العاشر ص ١٢٢ من قوله في وصف البقر:

يـا حبّـذا مخضهـا ورائبهـا وحبّـذا في الرِّجـال صاحبهـا
عجـولـةٌ[1] سمحـةٌ مباركـةٌ ميمـونـةٌ طُفَّـحٌ محـالبهـا
تقبـل للحلب كلّمـا دُعيت ورامهـا للحـلاب حـالبهـا
فـتيّـةٌ سـنّهـا مـهـذّبـةٌ معنَّف في النـديِّ عـائبهـا
كـأنّـهـا لـعبـةٌ مـزيّـنـةٌ يـطيـر عُجبـاً بهـا مـلاعبهـا
كـأنَّ ألبـانهـا جنى عسـل يلذّهـا في الإنـاء شـاربهـا
عـروس باقـورة[2] إذا بـرزت من بين أحبـالهـا تـرائبهـا
كـأنّهـا هضبـةٌ إذا انتسبـت أو بكـرةٌ قـد أنـاف غـاربهـا
تـزهي بـروقين كـاللُّجَين إذا مسّهمـا بـالبنـان طـالبهـا
لـو أنّهـا مُهـرةٌ لمـا عـدمت من أن يضمَّ السـرور راكبهـا

توجد ترجمة شاعرنا في فهرست النجاشي ٦٤. رجال شيـخ الطائفـة. معالم العلماء ص ١٩. معجم الأدباء ج ٢ ص ٣. إيضاح الاشتباه للعلاّمـة. بغية الوعاء ١٤٦. جامع الأقوال إيضاح الاشتباه للساروي. جامع الرُّواة. جامع المقال للطريحي. هداية المحدِّثين المعروف بتمييز المشتركات. منتهى المقال. رجال الشيخ عبد اللطيف بن أبي جامع. الشيعة وفنون الإسلام ٩١ وفيه تاريخ وفـاته المـذكور. تنقيـح المقال ج ١ ص ٦٨. أعيـان الشيعة الجـزء التاسـع ص ٦٧. التعاليق على نهاية الإرب ج ١٠ ص ١٢٢.

---

(١) انثى العجول وهو: ولد البقرة.
(٢) الباقورة والباقور: جماعة البقر.



١٧ ـ المفجَّع

المتوفّى سنة ٣٢٧

أيّها اللائمي لحبّي عليّاً قم ذميماً إلى الجحيم خزيّا
أبخير الأنام عرَّضت؟ لا زلـ ـت مذوداً عن الهدى مزويّا
أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً[1] وفطيماً وراضعاً وغذيّا
كان في علمه كآدم عُلِّم شرح الأسماء والمكنيّا
وكنوح نجا من الهلك مَن سـ ـير في الفلك إذ علا الجوديّا
وعليّ لمّا دعاه أخوه سبق الحاضرين والبدويّا
وله من أبيه ذي الأيدي إسما عيل شبهٌ ما كان عنّي خفيّا
إنّه عاون الخليل على الكعبـ ـة إذ شاد ركنها المبنيّا
ولقد عاون الوصيُّ حبيب الـ ـله إذ يغسلان منها الصفيّا
رام حمل النبيِّ كي يقلع الأصنـ ـام عن سطحها المثول الجثيّا
فحناه ثقل النبوَّة حتّى كاد ينآد تحته مثنيّا
فارتقى منكب النبيِّ عليٌّ صنوه ما أجلّ ذاك رُقيّا
فأماط الأوثان عن ظاهر الكعبـ ـة ينفي الأرجاس عنه نفيّا
ولو انَّ الوصيَّ حاول مسَّ النجـ ـم بالكفِّ لم يجده قصيّا
أفهل تعرفون غير عليٍّ وابنه استرحل النبيّ مطيّا؟!
لم يكن أمره بدوحات «خمّ» مشكلاً عن سبيله ملويّا

---

(١) الزول: الغلام الظريف.

إنّ عهـد النبيِّ فـي ثقليـه حجّةٌ كنت عن سواها غنيّا
نصب المرتضى لهم في مقامٍ لم يكن خاملاً هناك دنيّا
عَلماً قائماً كما صدع البد ر تماماً دُجنَّة أو دُجيّا
قال: هذا مولىً لمن كنت مولا ه جهاراً يقولها جهوريّا
وال يا ربِّ من يُواليه وانصر ه وعاد الذي يعادي الوصيّا
إنَّ هذا الدُّعا لمن يتعدّى راعياً في الأنام أم مرعيّا
لا يُبالي أمات موت يهود مَن قلاهُ أو مات نصرانيّا
مَن رأى وجهه كمن عبدالله مديم القنوت رهبانيّا
كان سؤل النبيِّ لمّا تمنّى حين أهدوه طائراً مشويّا
إذ دعا الله أن يسوق أحبّ الخلق طرّاً إليه سوقاً وحيّا
فإذا بالوصيِّ قد قرع البا ب يريد السَّلام ربّانيّا
فثناه عن الدخول مراراً أنسٌ حين لم يكن خزرجيّا
وذخيراً لقومه وأبى الرَّ حمان إلّا إمامنا الطالبيّا
ورمى بالبياض من صدَّ عنه وحبا الفضل سيِّداً أريحيّا

[القصيدة ١٦٠ بيتاً]

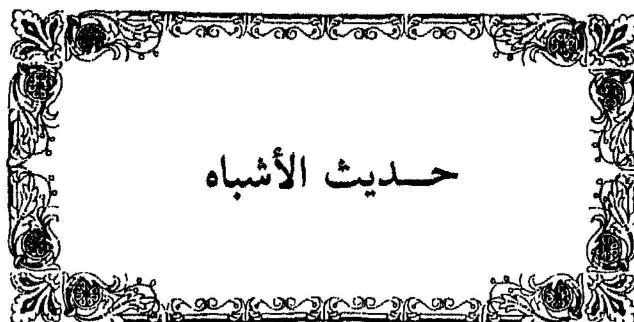
ما يتبع الشعر

هذه القصيدة من غرر الشعر ونفيسه توجد مقطَّعةً في الكتب، نحن عثرنا عليها مشروحةً بذكر الأحاديث المتضمِّنة لمفاد كلِّ فضيلةٍ لأمير المؤمنين عليه السَّلام نظمها في بيت أو بيتين أو أكثر يبلغ عدد أبياتها ١٦٠ بيتاً؛ غير أنَّ فيها أبيات من الدخيل تنافي مذهب المفجّع ومعتقده ألصقها بالقصيدة بعض أضداده، وأدخل شرحها الملائم لمعنى الأبيات في الشرح؛ كما يذكرها في سيِّد البطحا أبي طالب عليه السَّلام والد مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام، وفي أبي إبراهيم الخليل ممّا لا يقول به أحدٌ من الأصحاب، فكيف بالمفجّع الذي

هو من رجالات الشيعة وعلمائها وشعرائها المتبصِّرين؟! وأظنُّ أنّ هذا الشرح أيضاً له، وأحسب أنَّ كلمة شيخ الطائفة الطوسي في «الفهرست» والمرزباني في «المؤتلف والمختلف» والحموي في «معجم الادباء» عند تعداد كتبه: (وكتاب قصيدته في أهل البيت) توعز إلى ذلك الشرح.

وهذه القصيدة تُسمّى بـ [الأشباه] قال الحموي في «معجم الادباء» ج١٧ ص١٩١ في أوّل ترجمة المترجم: إنَّ له قصيدةٌ يُسمّيها بالأشباه يمدح فيها عليّاً ثمَّ قال في ص٢٠٠: له قصيدته ذات الأشباه، وسُمِّيت بذات الأشباه لقصده فيها ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرَّزاق عن معمَّر عن الزهري عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وهو في محفل من أصحابه: إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في فهمه. وإبراهيم في خُلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّته[1]، ومحمّد في هديه وحلمه، فانظروا إلى هذا المُقبل، فتطاول الناس فإذا هو عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام. فأورد المفجّع ذلك في قصيدته، وفيها مناقب كثيرة أوّلها. ثمَّ ذكر منها ١٨ بيتاً.

(١) في الأصل: في سنه.



حـديث الأشباه

هذا الحديث الذي رواه الحموي في معجمه نقلاً عن تاريخ ابن بشران قد أصفق على روايته الفريقان غير أن له ألفاظاً مختلفة وإليك نصوصها:

١ - أخرج إمام الحنابلة أحمد عن عبد الرّزاق بإسناده المذكور بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنّته، وإلى محمّد في تمامه وكماله، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل. فتطاول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنّما ينقلع من صبب، وينحطُّ من جبل.

٢ - أخرج أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ في «فضائل الصحابة» بلفظ: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته: فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

٣ - أخرج الحافظ أحمد بن محمّد العاصمي في كتابه [زين الفتى في شرح سورة هل أتى] بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن نيظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. وبإسناد آخر من طريق الحافظ العبسي أيضاً وزاد: وإلى يحيى بن زكريا في زهده. وأخرج بإسناد ثالث بلفظ أقصر من المذكور. ثمَّ قال:

أمّا آدم عليه السَّلام فإنّه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشياء: أوَّلها: بالخلق والطينة. والثاني: بالمكث والمدَّة. والثالث: بالصاحبة والزوجة. والرابع: بالتزويج والخلعة. والخامس: بالعلم والحكمة: والسادس: بالذهن والفطنة. والسابع: بالأمر والخلافة. والثامن: بالأعداء والمخالفة. والتاسع: بالوفاء والوصيّة. والعاشر: بالأولاد والعترة. ثمَّ بسط القول في وجه هذه كلّها فقال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشياء: أوَّلها: بالفهم. والثاني: بالدَّعوة. والثالث: بالإجابة. والرّابع: بالسفينة. والخامس: بالبركة. والسادس: بالسَّلام. والسابع: بالشكر. والثامن: بالإهلاك. ثمَّ بيَّن وجه الشبه في هذه كلّها إلى أن قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشياء: أوَّلها: بالوفاء. والثاني: بالوقاية. والثالث: بمناظرته أباه وقومه. والرابع: بإهلاك الأصنام بيمينه. والخامس: ببشارة الله إيّاه بالولدين اللذين هما من اصول أنساب الأنبياء عليهم السَّلام. والسادس: باختلاف أحوال ذريَّته من بين محُسن وظالم. والسابع: بابتلاء الله تعالى إيّاه بالنفس والولد والمال. والثامن: بتسمية الله إياه خليلاً حتّى لم يؤثر شيئاً عليه. ثم فصَّل وجه الشبه فيها إلى أن قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف الصدّيق بثمانية أشياء: أوَّلها: بالعلم والحكمة في صغره. والثاني: بحسد الاخوة له. والثالث: بنكثهم العهود فيه. والرابع: بالجمع له بين العلم والملك في كبره. والخامس: بالوقوف على تأويل الأحاديث. والسادس: بالكرم والتجاوز عن إخوته. والسابع: بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم. والثامن: بتحويل الديار. ثمَّ قال بعد بيان وجه الشبه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم عليه السَّلام بثمانية أشياء: أوَّلها: الصلابة والشدَّة. والثاني: بالمحاجَّة والدَّعوة. والثالث: بالعصا

والقـوَّة. والرابـع: بشرح الصـدر والفسحة. والخـامس: بالأُخـوَّة والقـربـة. والسادس: بالودّ والمحبَّة. والسابع: بالأذى والمحنة. والثامن: بميراث الملك والإمرة. وبيّن وجه التشبيه فيها ثمَّ قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين داود بثمانية أشياء: أوَّلها: بالعلم والحكمة. والثاني: بالتقوى على إخوانه في صغـر سنّه. والثالث: بالمبـارزة لقتـل جالـوت. والرابـع: بالقـدر معه من طـالوت إلى أن أورثـه الله ملكـه. والخامس: بإلانة الحديد له. والسادس: بتسبيح الجوامد معه. والسابع: بالولد الصالح. والثامن: بفصل الخطاب. وقال بعد بيان المشابهة فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين سليمان بثمانية أشياء: أوَّلها: بالفتنة والابتلاء في نفسه. والثاني: بتسليط الجسد على كرسِّيه. والثالث: بتلقين الله إيّاه في صغره بما استحقَّ به الخلافة. والرابع: بردِّ الشمس لأجله بعد المغيب. والخامس: بتسخير الهوى والريح له. والسادس: بتسخير الجنِّ له. والسابع: بعلمه منطق الطير والجوامد وكلامه إياه. والثامن: بالمغفرة ورفع الحساب عنه. ثمَّ بيَّن وجه التشبيه فقال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى عليه السَّلام وبين أيّوب بثمانية أشياء: أحدها: بالبلايا في بدنه. والثاني: بالبلايا في ولده. والثالث: بالبلايا في ماله. والرابع: بالصبر على الشدائد. والخامس: بخروج الجميع عليه. والسـادس: بشماتة الأعداء. والسابع: بالدُّعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التواني فيها. والثامن: بالوفاء لِلنذر والاجتناب عن الحنث. وقال بعد بيـان وجه المشـابهة فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يحيى بن زكريّا بثمانية أشياء: أوَّلها: بالحفظ والعصمة. والثاني: بالكتاب والحكمة. والثالث: بالتسليم والتحيَّـة. والـرابع: ببـرّ الوالـدين. والخامس: بـالقتل والشهـادة لأجل امـرأةٍ مُفسـدة. والسادس: بشدَّة الغضب والنقمة من الله تعالى على قتله. والسابع: بالخوف والمراقبة. والثامن بفقد السميِّ والنظر له في التسمية. ثمَّ قال بعد بسط الكلام

حول التشبيه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين عيسى بثمانية أشياء: أوّلها: بالإذعان لله الكبير المتعال. والثاني: بعلمه بالكتاب طفلاً ولم يبلغ مبلغ الرِّجال. والثالث: بعلمه بالكتابة والخطابة. والرابع: بهلاك الفريقين فيه من أهل الضّلال. والخامس: بالزهد في الدنيا. والسادس: بالكرم والإفضال. والسابع: بالإخبار عن الكوائن في الاستقبال. والثامن: بالكفاءة. ثمَّ بيّن وجه الشبه فيها.

وهذا الكتاب من أنفس كتُب العامّة فيه آيات العلم وبيِّنات العبقريَّة، وقد شُغل القوم عن نشر مثل هذه النفائس بالتافهات المزخرفة.

٤ ـ أخرج أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفّى ٥٦٨ بإسناده في «المناقب» ص ٤٩ من طريق البيهقي عن أبي الحمراء بلفظ: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

وأخرج في ص ٣٩ بإسناده من طريق ابن مردويه عن الحارث الأعور صاحب راية عليٍّ بن أبي طالب قال: بلغنا أَن النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم كان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته. فلم يكن بأسرع من أن طلع عليٌّ عليه السَّلام فقال أبو بكر: يا رسول الله! أقستَ رجلاً بثلاثة من الرُّسل؟! بخٍ بخٍ لهذا الرَّجل، مَن هو يا رسول الله؟ قال النبيُّ: أوَلا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: هو أبو الحسن عليُّ بن أبي طالب. فقال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن! وأين مثلك يا أبا الحسن؟

وروى في ص ٢٤٥ بإسناده بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه. وإلى موسى في شدَّته. وإلى عيسى في زهده. فلينظر إلى هذا المقبل، فأقبل عليٌّ. وذكره:

٥ ـ أبو سالم كمال الدين محمَّد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ رواه في «مطالب السئول» نقلاً عن كتاب «فضائل الصحابة» للبيهقي بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام. ثمَّ قال:

فقد أثبت النبيُّ ﷺ لعليّ بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم، وتقوىً تشبه تقوى نوح، وحلماً يشبه حلم إبراهيم، وهيبةً تشبه هيبة موسى، وعبادةً تشبه عبادة عيسى، وفي هذا تصريحٌ لعليٍّ بعلمه وتقواه وحلمه وهيبته وعبادته، وتعلو هذه الصِّفات إلى أوج العلا حيث شبَّهها بهؤلاء الأنبياء المرسلين من الصفات المذكورة والمناقب المعدودة.

٦ ـ عزُّ الدين ابن أبي الحديد المتوفّى سنة ٦٥٥ قال في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ص ٢٣٦: روى المحدِّثون عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزَّته، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

ورواه في ج ٢ ص ٤٤٩ من طريق أحمد والبيهقي نقلاً عن مسند الأوَّل وصحيح الثاني بلفظ: من أراد أن ينظر إلى نوح في عـزمه، وإلى آدم في علمـه، وإلى إبراهيم في حلمـه، وإلى موسى في فـطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

٧ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨، أخرجه في «كفاية الطالب» ص ٤٥ بإسناده عن ابن عبّاس قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالسٌ في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليٌّ عليه السَّلام فلمّا بصر به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. ثمَّ قال:

قلت: تشبيهه لعليٍّ بآدم في علمه لأنّ الله علّم آدم صفة كلّ شيء كما قال عزَّ وجلَّ: وعلّم آدم الأسماء كلّها. فما من شيء ولا حادثة إلاّ وعند عليٍّ فيها علمٌ وله في استنباط معناها فهمٌ.

وشبَّهه بنوح في حكمته. وفي رواية: في حكمه. وكأنَّه أصحُّ لأنَّ عليّاً كان شديداً على الكافرين رؤوفاً بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿**والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم**﴾. وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن شدَّة نوح على الكافرين بقوله: ﴿**ربِّ لا تَذر على الأرض من الكافرين ديّارا**﴾.

وشبَّهه في الحلم بإبراهيم خليل الرَّحمن كما وصفه عزَّ وجلَّ بقوله: إنّ إبراهيم لأوّاهٌ حليمٌ. فكان متخلّقاً بأخلاق الأنبياء متَّصفاً بصفات الأصفياء.

٨ ـ الحافظ أبو العبّاس محبُّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ رواه في «الرّياض النضرة» ج٢ ص ٢١٨ بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. قال: أخرجه القزويني الحاكمي.

وأخرج عن ابن عبّاس بلفظ: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. فقال: أخرجه الملاّ في سيرته.

٩ ـ شيخ الإسلام الحمّويي المتوفّى سنة ٧٢٢، أخرجه في «فرائد السمطين» بعدَّة أسانيد من طرق الحاكم النيسابوري وأبي بكر البيهقي بلفظ محبِّ الدين الطبري المذكور وما يقرب منه.

١٠ ـ القاضي عضد الإيجي الشافعي المتوفّى سنة ٧٥٦؛ رواه في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦ بلفظ: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

١١ - التفتازاني الشافعيّ المتوفّى سنة ٧٩٢ في «شرح المقاصد» ج ٢ ص ٢٩٩ بلفظ القاضي الإيجي المذكور.

١٢ - ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥ روى في «الفصول المهمَّة» ص ٢١ نقلاً عن [فضائل الصّحابة] للبيهقي باللفظ المذكور .

١٣ - السيّد محمود الآلوسي المتوفّى سنة ١٢٧٠ رواه في شرح عينيَّة عبد الباقي العمري ص ٢٧ بلفظ البيهقي .

١٤ - الصفوري قال في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٠ : قال النبيُّ ﷺ مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في زهده، وإلى محمَّد في بهائه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ذكره ابن الجوزي. وفي حديث آخر ذكره الرازي في تفسيره: مَن أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسى في صفوته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

١٥ - السيِّد أحمد القادين خاني في «هداية المرتاب» ص ١٤٦ بلفظ البيهقي .

الشاعر

أبو عبدالله محمَّد بن أحمد بن عبدالله[١] الكاتب النحويّ المصريّ الملقَّب بالمفجَّع. أوحديٌّ من رجالات العلم والحديث، وواسطه العقدبين أئمَّة اللغة والأدب، وبيت القصيد في صاغة القريض، ومن المعدودين من أصحابنا الإماميَّة، مدحوه بحسن العقيدة، وسلامة المذهب، وسداد الرأي، وكان كلُّ جنوحه إلى أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام، وقد أكثر في شعره من الثناء عليهم؛ والتفجّع لما انتابهم من المصائب والفوادح، فلم يزل على ذلك حتّى لقّبه مناوئوه المتنابزون بالألقاب بـ [المفجّع] وإليه يوعز بقوله :

---

(١) عبيدالله، في معجم الادباء.

إن يكن قيل لي: المفجَّع نبزاً   فلعمري أنا المفجَّع همّا

ثمَّ صار لقباً له حتّى عند أوليائه لذلك السبب المذكور كما قاله النجاشي والعلاّمة. ولبيت قاله كما في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٤٦٤، وكأنّه يريد البيت المذكور.

ثمَّ إن المصرَّح به في معجمي الشعراء والادباء للمرزباني والحموي، والوافي بالوفيات للصفدي: انَّ المترجَم من المكثرين من الشعر، وذكر ابن النديم أنَّ شعره في مائة ورقة، ويؤكِّده ما قاله النجاشي والعلاّمة من أنَّ له شعراً كثيراً في أهل البيت عليهم السَّلام، وهو الذي يُعطيه وصفهم له من أنَّه كان كاتباً شاعراً بصيراًبالغريب كمافي «مروج الذهب»، ومن أنَّه من وجوه أهل اللغة والأدب، وقال أبو محمّد بن بشران[1]: كان شاعر البصرة وأديبها، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنَّفات وشعره مشهورٌ، وكان أبو عبدالله الأكفاني راويته، وكتب لي بخطِّه من مليح شعره شيئاً كثيراً، وشعره كثيرٌ حسنٌ، وله في جماعة من كبار أهل الأهواز مدائح كثيرة وأهاجٍ، وله قصيدةٌ في أبي عبدالله بن درستويه يرثيه فيها وهو حيٌّ يقول فيها ويلقِّبه بدهن الآجر.

مات دهن الآجر فاخضرَّت الأر   ض وكادت جبالها لا تزولُ

ويصف أشياء كثيرة فيها، وكان يُكثر عند والدي ويطيل المقام عنده وكنت أراه عنده وأنا صبيّ بالأهواز، وله إليه مراسلات وله فيه مدحٌ كثيرٌ كنت جمعتها فضاعت أيّام دخول ابن أبي ليلى الأهواز ونهب [روزناماتها][2] وكان منها قصيدةٌ بخطِّه عندي يقوله فيها:

لو قيل للجود: مَن مولاك؟ قال: نعم   عبد المجيد المغيرة بن بشران

وأذكر له من قصيدة اخرى:

---

(١) حكاه الحموي في معجم الادباء عن تاريخه ونحن نذكره ملخصاً.

(٢) جمع «روزنامه» فارسية، يعني: الجريدة اليومية.

يـا مَن أطـال يـدي إذ هـاضني زمني وصرت في المصر مجفـوّاً ومـطّرحـا
أنقذتني من اناس عنـد دينهمُ قتل الأديب إذا ما علمه اتَّضحا

لقي المفجّع ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره، وكان بينه وبين ابن دُريد مهاجاة كما في «فهرست» ابن النديم، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، ويقوي القول ما في «مروج الذهب» من أنّه صاحب الباهليّ المصريّ الذي كان ينـاقض ابن دريد. غير أنَّ الثعالبي ذكر في «اليتيمة» أنّه صاحب ابن دريد، وقام مقامه في التأليف والإملاء. ولعلهما كانتا في وقتين من أمد تعاصرهما.

يروي عنه أبو عبدالله الحسين بن خالويه. وأبو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى وأبو بكر الدوري. وكان يُنادم ويُعاشـر مع أبي القـاسم نصر بن أحمـد البصري الخبز أرزي الشاعر المجيد المتوفّى سنة ٣٢٧، وأبي الحسين محمّد بن محمّد المعروف بابن لنكك البصريِّ النحويِّ، وأبي عبدالله الأكفائي الشـاعر البصريِّ.

آثاره القيمة:

١ ـ كتاب المنقذ من الإيمان. قال الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٣٠: يشبه كتاب «الملاحن» لابن دريد وهو أجود منه. ينقل عنه السيوطي في شرح المعنى فوائد أدبيَّة.

٢ ـ كتاب قصيدته في أهل البيت عليهم السَّلام.

٣ ـ كتاب الترجمان في معاني الشعر. يحتوي على ثلاثة عشر حدّاً وهي: حدّ الإعراب. حدّ المديح. حدّ البخل. حدّ الحلم والرأي. حدّ الهجاء. حدّ اللغز. حدّ المال. حدّ الاغتراب. حدّ المطايا. حدّ الخطوب. حدّ النبات. حدّ الحيوان. حدّ الغزل. قال النجاشي: لم يعمل مثله في معناه.

٤ ـ كتاب الإعراب.

٥ ـ كتاب أشعار الجواري. لم يتم.

٦ ـ كتاب عرائس المجالس.

٧ ـ كتاب غريب شعر زيد الخليل الطائي.

٨ ـ كتاب أشعار أبي بكر الخوارزمي.

٩ ـ كتاب سعادة العرب.

ذكر المرزباني للمفجّع في مدح أبي الحسن محمّد بن عبد الوهاب الزينبيِّ الهاشمي من قصيدة قوله:

للزينبيِّ على جلالة قدره … خلقٌ كطعم الماء غير مُزنَّدِ(١)
وشهامةٌ تقصي الليوث إذا سطا … ونـدى يغرِّق كـلَّ بحر مـزبـدِ
يحتـلّ بيتـاً في ذؤابـة هـاشم … طـالت دعائمـه محلَّ الفـرقدِ
حرٌّ يروح المستميح ويغتدي … بمـواهب منه تـروح وتغتـدي
فـإذا تحيَّف مـالـه إعـطاؤه … في يومه نهك البقيَّة في غدِ(٢)
بضيـاء سنَّته المكـارم تهتدي … وبجود راحته السحائب تقتدي
مقدار ما بيني ومـا بين الغنى … مقدار مابيني وبين المـربدِ(٣)

وفي «معجم الادباء» نقلاً عن تاريخ أبي محمّد عبدالله بن بشران أنّه قال: دخل المفجّع يوماً إلى القاضي أبي القاسم عليٍّ بن محمّد التنوخي فوجده يقرأ معاني على العبيسي فأنشد:

قد قدم العُجب على الرّويسِ … وشـارفَ الوهـدُ أبـا قبيسِ(٤)
وطـاول البقـل فـروع الميسِ … وهبَّت العنـز لقـرع التيسِ(٥)

---

(١) أي غير بخيل ولا ضيق الحال.

(٢) تحيف: تنقص. ونهك. أفنى.

(٣) المربد: فضاء وراء البيوت يرتفق به.

(٤) الرويس: تصغير روس. وهو السيِّىء يقال: رجل روس. أي: رجل سوء. والتصغير للتحقير. الوهد: المنخفض من الأرض.

(٥) الميس: نوع من الكرم. وهبت: نشطت وأسرعت.

وادَّعت الـروم أبـاً في قيسِ   واختلط الناس اختلاط الحيسِ[١]
إذ قرأ القاضي حليف الكيسِ   معـانيَ الشعـر على العبيسي

وألقى ذلك إلى التنوخي وانصرف. قال: ومدح أبا القاسم التنوخي فرأى منه جفاءً فكتب إليه:

لو أعرض النـاس كلّهم وأبوا   لم ينقصوا رزقيَ الذي قُسمـا
كـان ودادٌ فـزال وانصـرمـا   وكـان عهـدٌ فبـان وانهـدمـا
وقد صحبنا في عصـرنا أُممـاً   وقـد فقـدنـا من قبلهم امما
فما ملكنا هزلاً ولا ساخت الـ   أرض ولم تقـطر السمـاء دما
في الله من كلِّ هالـك خلفٌ   لا يرهب الدَّهر مَن به اعتصما
حـرٌّ ظنـنّا بـه الجميـل فمـا   حقّق ظنّـاً ولا رعى الـذِّممـا
فكـان مـا ذا مـا كـلّ معتمـد   عليـه يرعى الـوفـاء والكـرمـا
غلطت والنّـاس يغلطون وهل   تعرف خلقاً من غلطةٍ سلمـا؟
من ذا إذا أُعـطي السَّداد فلم   يُعرف بذنبٍ ولم يزل قدمـا؟
شلّت يدي لِمْ جلست عن تفهٍ   أكتب شجويَ وأمتطي القلمـا
يـا ليتني قبلهـا خـرست فلم   أعمـل لسانـاً ولا فتحت فمـا
يـا زلَّـة مـا أقلت عـثرتهـا   أبقت على القلب والحشا ألما
من راعـه بـالهـوان صـاحبـه   فعـاد فيـه فنفسـه ظلمـا

وله قوله:

لنا صديقٌ مليح الوجـد مقتبلٌ   وليس في ودِّه نفـعٌ ولا بركـه
شبَّهتـه بنـار الصيف يـوسعنـا   طولاً ويمنع منّا النوم والحركه

وللمفجَّع كما في شرح ابن أبي الحديد قوله:

إن كـنتُ خـنـتـكـم المـودَّة غـادراً   أو حلتُ عن سنن المحبِّ الـوامـقِ
فمسحت في قبح ابن طلحة إنَّه   ما دلَّ قطُّ على كمال الخالقِ

(١) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن وربما جعل فيه سويق فيمتزج.

وله في «معجم الادباء» ما قاله حين دامت الأمطار وقطعت عن الحركة:

يـا خـالق الخلق أجمعينـا ... وواهـب المـال والبنينـا
ورافـع السَّبع فـوق سبـع ... لم يستعـن فيهمـا معينـا
ومَـن إذا قـال كـن لشيءٍ ... لم تقـع النـون أو يكـونـا
لا تسقنـا العـام صـوب غيث ... أكـثـر من ذا فـقـد روينـا

وله وقد سأل بعض أصدقائه أيضاً رقعةً وشعراً له يهنِّئه في مهرجان إلى بعض فقصَّر حتّى مضى المهرجان قوله:

إنَّ الكتـاب وإن تضمَّن طيّه ... كنه البلاغة كالفصيح الأخرسِ
فـإذا أعـانته عنـاية حـامـل ... فجـوابـه يـأتي بنجـح منفَّسِ
وإذا الرَّسول ونى وقصَّر عامداً ... كان الكتاب صحيفة المتلمّسِ
قـد فـات يـوم المهـرجـان فـذكـره ... في الشعـر أبـرد من سخـاء المفلسِ

فسئل عن سخاء المفلس فقال: يَعد في إفلاسه بما لا يفي به عند إمكانه، ومن ملحه قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر والأُترنج والنارنج:

إنَّ شـيـطانـك في الـظر ... ف لـشـيـطانٌ مـريـدُ
فـلهـذا أنـت فـيـه ... تـبـتـدي ثـمَّ تـعـيـدُ
قـد أتـتـنـا تـحـفـةٌ مـنـ ... ـك عـلى الـحـسـن تـزيـدُ
طـبـقٌ فـيـه قـدودٌ ... ونـهـودٌ وخـدودُ[1]

وذكر له الوطواط في «غرر الخصائص» ص ٢٧٠ قوله يستنجز به:

أيّهـا السيِّـد عش في غبـطة ... مـا تغنّى طائـرُ الأيـك الغـردْ
لـيَ وعـدٌ منـك لا تُنكـره ... فـاقضـه أنجز حـر مـا وعـدْ
أنت أحييت بمبـذول النـدى ... سنن الجـود وقـد كـان همـدْ
فـإذا صـال زمـانٌ أوسـطا ... فعلى مـثلك مـثـلي يعـتـمـدْ

---

(١) النهود جمع النهد: الثدي، وأراد بها الاترنج لاستدارته. وخدود: جمع خد. أراد بها النارنج.

ذكر له النويري في «نهاية الإرب» ص ٧٧:

ظبيٌ إذا عقــرب أصــداغــه　　رأيت مــا لا يحسن العقــربُ
تفّــاح خــدّيــه لــه نضــرةٌ　　كــأنّــه من دمعتي يشــربُ

ولد المفجّع بالبصرة وتوفّي بها سنة ٣٢٧ كما في «معجم الادباء» نقلاً عن تاريخ معاصره أبي محمّد عبدالله بن بشران قال: كانت وفاته قبل وفاة والدي بأيّام يسيرة ومات والـدي في يوم السبت لعشـر خلون من شعبان سنـة سبع وعشرين وثلاثِمئة.

وقال المرزباني: إنّه مات في سنة قبل الثلاثين وثلاثمئـة وأرّخه الصفدي في «الوافي بالوفيات» بسنة عشرين وثلاثمائة، وكذلك القاضي في «المجالس» والسيوطي في «البغية» وتبعهم آخرون. والمختار ما حكاه الحموي عن تأريخ أبي محمّد بن بشران.

تجد ترجمة المفجّع في فهرست ابن النديم ١٢٣. فهرست الشيخ ١٥٠. معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٤. يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٣٤. فهرست النجاشي ٢٦٤، مروج الذهب ج ٢ ص ٥١٩، معجم الادباء ج ١٧ ص ١٩٠ - ٢٠٥، الوافي بالوفيات للصفدي ج ١ ص ١٢٩، خلاصة الأقوال للعلاّمة، بغية الوعاة ١٣، مجالس المؤمنين ٢٣٤، جامع الرواة للأردبيلي، منهج المقـال ٢٨٠، روضات الجنات ٥٥٤، الكنى والألقاب ج ٣ ص ١٦٣، الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٨٤٥، آثار العجم ٣٧٧.



١٨ ـ أبو القاسم الصنوبر

المتوفّى سنة ٣٣٤

ما في المنازل حـاجةٌ نقضيهـا ... إلاّ السَّـلام وأدمـعٌ نـذريهـا
وتفجّـعٌ للعين فيهـا حيث لا ... عيشٌ أُوازيـه بعيشـي فيـهـا
أبكي المنازل وهي لو تدري الذي ... بحث البكـاء لكنت أستبكيها
بالله يا دمع السحائب سقنهـا ... ولئن بخلت فـأدمعي تسقيهـا
يا مغرياً نفسي بوصف عزيزةٍ ... أغـريت عاصيـةً على مغريها
لا خير في وصف النساء فأعفني ... عمّـا تكلفنيـه من وصفيهـا
يـا ربَّ قافيـةٍ حلى إمضاؤهـا ... لم يحل ممضاها إلى ممضيها
لا تطمعنَّ النفس في إعطائها ... شيئاً فتطلب فـوق ما تُعـطيها
حبّ النبيِّ محمَّـد ووصيِّـه ... مـع حبِّ فاطمـة وحبِّ بنيهـا
أهل الكساء الخمسة الغرر التي ... يبني العـلا بعـلاهم بـانيهـا
كم نعمـةٍ أوليت يـا مـولاهمُ ... في حبِّهم فـالحمد للمـوليهـا
إنَّ السفاه بشغل مدحي عنهمُ ... فيحقُّ لي أن لا أكـون سفيها
هم صفوة الكرم الذي أصفاهمُ ... ودِّي وأصفيت الـذي يصفيها
أرجـو شفاعتهم فتلك شفـاعة ... يلتـذُّ بـرد رجـائها راجيها
صلّوا على بنت النبيِّ محمَّـد ... بعـد الصَّلاة على النبيِّ أبيهـا
وابكوا دماء لو تشاهـد سفكها ... في كربلاء لَمـا ونت تبكيها
تلك الدِّماء لو أنَّها تـوقى إذن ... كـانت دمـاء العـالمين تقيهـا
لـو أنَّ منها قـطرة تُفـدى إذن ... كنّا بنا وبغيـرنـا نفـديهـا

إنّ الـذين بغـوا اراقتهـا بغـوا　　مشؤومة العقبى على بـاغيهـا
قُتل ابن من أوصى إليه خير مَن　　أوصى الوصايا قطُّ أو يوصيها
رفـع النبيُّ يمينـه بـيمينـه　　ليـرى ارتفـاع يمينـه رائيهـا
في موضع أضحي عليه منبِّهاً　　فيـه وفيـه يُبـدىء التنبيهـا
آخـاه في «خمّ» ونوَّه بـاسمـه　　لم يـأل في خيـر بـه تنـويهـا
هـو قـال: أفضلكم عليٌّ إنَّـه　　أمضى قضيَّتـه التي يمضيهـا
هو لي كهارون لمـوسى حبَّذا　　تشبيـه هـارون بـه تشبيهـا
يـومـاه يـومٌ للعـدى يـرويهمُ　　جـوراً ويـومٌ للقنى يـرويهـا
يسـع الأنـام مثـوبـة وعقـوبـة　　كلتـاهما تمضي لمـا يمضيها

[إلى آخر القصيدة ٤٢ بيتاً]

وله من قصيدة ذكرها صاحب «الدرِّ النظيم في الأئمَّة اللهاميم»:

هل أُضاخ كماعهدنا أضاخا(١) ؟　　حبَّـذا ذلـك المنـاخ منـاخـا

يقول فيها:

ذكر يوم الحسين بالطفِّ أودى　　بصماخي فلم يدع لي صماخا
متبعـات نسـاؤه النـوح نـوحـاً　　رافعات إثر الصـراخ صراخـا
منعـوهُ مـاء الفـرات وظلّوا　　يتعـاطـونـه زلالاً نُقـاخـا(٢)
بـأبـي عتـرة الـنبـيِّ وامّـي　　سـدَّ عنهم معـانـدٌ أصمـاخـا
خيـر ذا الخلق صبيةً وشبـابـاً　　وكهـولاً وخيـرهم أشيـاخـا
أخذوا صدر مفخر العزِّ مـذكا　　نـوا وخلّوا للعالمين المخـاخا
النقيّـون حيث كـانـوا جيـوبـاً　　حيثلاتأمنمن الجيوب اتّساخا
يـألفون الـطوى إذا ألف النّـا　　س اشتواءً من فيئهم واطِّباخا
خُلقـوا أسخيـاء لا مُتسـاخيـ　　ـن وليس السخيُّ من يتساخى

---

(١) اضاخ: جبل يذكر ويؤنث.
(٢) النقاخ: الماء البارد الصافي.

أهل فضل تناسخو الفضل شيباً — وشـبـابـاً أكرم بذاك انتساخا
بهواهم يزهو ويشمخ من قـد — كان في النّاس زاهياً شمّاخا
يا بن بنت النبيِّ أكرم بـه ابناً — وبـأسنـاخ جـدِّه أسنـاخـا
وابـن مَن وازر النبـيَّ ووالا — ه وصافاه في «الغدير» وواخى
وابن مَن كـان للكـريهـة ركّـا — بـاً وفي وجه هـولهـا رسّـاخـا
للطلى تحت قسطل الحـرب ضرّا — بـاً وللِهـام في الـوغى شـدّاخـا
ذو الـدِّماء التي يُـطيل مـواليـ — ـيه اختضاباً بطيبهـا والتطاخـا
مـا عليكم أناخ كلكله الـدهـ — ـر ولكن على الأنـام أنـاخـا

الشاعر

أبو القاسم وأبو بكر وأبـو الفضل[١] أحمـد بن محمّد بن الحسن بن مرّار الجزري الرقّي[٢] الضبيّ[٣] الحلبي الشهير بالصنوبري .

شاعرٌ شيعيٌّ مجيدٌ. جمع شعره بين طرفي الرقّة والقوّة، ونال من المتانة وجودة الاسلوب حظّه الأوفر، ومن البراعة والظرف نصيبه الأوفى، وتواتـر في المعاجم وصفه بالإحسان تارةً[٤] وبه وبالإجادة اخرى[٥] وإنَّ شعره في الذروة العليا ثالثة[٦] وكان يُسمّى حبيباً الأصغر لجودة شعره[٧] وقال الثعالبي : تشبيهات ابن المعتز . وأوصاف كشاجم، وروضيّات الصنوبري، متى اجتمعت اجتمـع الظرف والطرف، وسمع السامع من الإحسان العجب.

وله في وصف الرياض والأنوار تقدُّمٌ باهرٌ، وذكر ابن عساكر: أنَّ أكثـر

(١) كناه به كشاجم زميله في شعره.
(٢) نسبة إلى الرقة : مدينة مشهورة بشط الفرات عمّرها هارون الرشيد.
(٣) نسبة إلى ضبة أبي قبيلة.
(٤) تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٤٥٦ .
(٥) أنساب السمعاني .
(٦) شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٥ .
(٧) عمدة ابن رشيق ج ١ ص ٨٣ .

شعره فيه. وقال ابن النديم في فهرسته: إنَّ الصولي عمل شعر الصنوبري على الحروف في مِئتَي ورقة. فيكون المدوَّن على ما التزم به ابن النديم من تحديد كلِّ صفحة من الورقة بعشرين بيتاً ثمانية آلاف بيت، وسمع الحسن بن محمَّد الغسّاني من شعره مجلّداً[١].

وله في وصف حلب ومنتزهاتها قصيدةٌ تنتهي إلى مائة وأربعة أبيات توجد في «معجم البدان» للحموي ج ٣ ص ٣١٧ - ٣٢١، وقال البستاني في «دائرة المعارف» ج ٧ ص ١٣٧: هي أجود ما وصف به حلب؛ مُستهلّها:

إحبسا العيس احبساها   وسلا الدار سلاها

وأمّا نسبته إلى الصنوبر فقد ذكر ابن عساكر عن عبدالله الحلبي الصفري أنه قال: سألت الصنوبريّ عن السبب الذي من أجله نسب جدّه إلى الصنوبر حتّى صار معروفاً به. فقال لي: كان جدّي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدَّة مزاجه وقال له: إنَّك لصنوبريُّ الشكل. يريد بذلك الذكاء وحدَّة المزاج. اهـ. وذكر له النويري في «نهاية الأرب» ج ١١ ص٩٨ في نسبته هذه قوله:

وإذا عُزينا إلى الصنوبر لم   نعز إلى خامل من الخشبِ
لا بل إلى باسق الفروع علا   مناسباً في أرومة الحسبِ
مثل خيام الحرير تحملها   أعمدةٌ تحتها من الذهبِ
كأنَّ ما في ذراه من ثمر   طيرٌ وقوعٌ على ذرى القضبِ
باقٍ على الصيف والشتاء إذا   شابت رؤوس النبات لم يشبِ
محصَّن الحبّ في جواشن قد   أمِّن في لبسها من الحرب
حبٌّ حكى الحب صين في قرب الـ   أصداف حتّى بدا من القُربِ
ذو نشَّة ما يُنال من عنب   ما نيل من طيبها ولا رُطبِ
يا شجراً حبّه حداني أن   أفدي بأُمّي محبَّة وأبي

---

(١) أنساب السمعاني.

فـالـحـمـد لله إنَّ ذا لـقـبٌ يـزيد في حسنـه على النسبِ

وأمّـا تشيّعه فهو الذي يطفح به شعره الرائق كما وقفت على شطرٍ منـه وستقف فيما يلي على شطرٍ آخر، ونصَّ بذلك اليماني في نسمة السحر، وعدُّ ابن شهر آشوب له من مادحي أهل البيت عليهم السَّلام يـؤذن بذلـك. وأمّـا دعوى صاحب النسمة أنّه كان زيديّاً واستظهاره ذلك من شعره فأحسب أنّها فتوى مجرَّدة فإنّه لم يدعمها بدليل، وشعره الذي ذكره هو وغيره خالٍ من أيِّ ظهورٍ ادّعاه، وإليك نبذاً ممّا وقفنا عليه في المذهب. قال في قصيدة يمدح بها عليّاً أمير المؤمنين عليه السَّلام:

واخي حبيبي حبيب اللّه لا كـذب وابناه للمصطفى المستخلص ابنـانِ
صـلّى إلى القبلتـين المقتـدى بهـما والنّـاس عن ذاك في صمّ وعميـان
مـا مثل زوجتـه اخـرى يُقـاس بها ولا يُقـاس عـلى سبـطيـه سبـطانِ
فمضـمـر الحبِّ في نـو ريخصُّ بـه ومضمـر البغض مخصـوصٌ بنـيرانِ
هـذا غـداً مـالـكٌ في النّـار يملكـه وذاك رضـوان يـلقـاهُ بـرضـوانِ
رُدَّت لـه الشمس في أفلاكهـا فقضى صـلاتــه غـير مـاسـاهٍ ولا وانِ
أليس مَن حلَّ منه في اخـوَّته محلَّ هارون من موسى بن عمرانِ؟!
وشافع الملَك الرّاجي شفاعته إذ جـاءه ملَكٌ في خلق ثعبانِ
قال النبيُّ له: أشقى البريّة يا عليُّ إذ ذُكـر الأشقى شقيّـانِ
هذا عصى صالحاً في عقر ناقته وذاك فيـك سيلقاني بعصيـانِ
ليخضبن هذه مِن ذا أبا حسن في حين يخضبها من أحمر قانِ

ويرثي فيها أمير المؤمنين وولده السبط الشهيد بقوله:

نعم الشهيدان ربّ العرش يشهد لي والخلق أنّهمـا نعم الشهيدانِ
مَن ذا يُعزّي النبيَّ المصطفى بهما من ذا يُعزّيه من قاصٍ ومن دانِ؟
مَن ذا لفـاطمة اللهفاء ينبئها عن بعلها وابنها إنباءَ لهفانِ؟
من قـابض النفس في المحـراب منتصباً وقـابض النفس في الهيجـاء عـطشـانِ؟
نجمان في الأرض بل بدران قد أفلا نِعَم وشمسان إمّـا قلت شمسانِ

سيفان يغمد سيف الحرب إن برزا   وفي يمينيهما لِلحرب سيفان

وله يرثي الإمام السبط الشهيد عليه السَّلام(١) :

يا خير مَن لبس النبـ   ـوّة من جميع الأنبياءِ
وجدي على سبطيك وجـ   ـدٌ ليس يؤذن بانقضاءِ
هذا قتيل الأشقيا   ءِ وذا قتيل الأدعياءِ
يوم الحسين هرقت دمـ   ـع الأرض بل دمع السماءِ
يوم الحسين تركت با   ب العزّ مهجور الفناءِ
يا كربلاء خُلقتِ من   كربٍ عليَّ ومن بلاءِ
كم فيكِ من وجه تشرّ   ب ماؤه ماء البهاءِ
نفسي فداء المصطلي نار   الوغى أيَّ اصطلاءِ
حيث الأسنَّة في الجوا   شن كالكواكب في السّماءِ
فاختار درع الصبر حيـ   ـث الصبر من لبس السناءِ
وأبى إباء الاسد إنَّ   الاسد صادقةُ الإباءِ
وقضى كريماً إذ قضى   ظمآن في نَفَر ظماءِ
منعوه طعم الماء لا   وجدوا لماء طعم ماءِ
مَن ذا لمعفور الجوا   د ممال أعواد الخباءِ؟
مَن للطريح الشلو عر   ياناً مُخلّى بالعراءِ؟
مَن لِلمحنَّط بالترا   ب ولِلمغسَّل بالدماءِ؟
مَن لابن فاطمة المغيَّـ   ـب عن عيون الأولياءِ؟

ويؤكد ما ذكرنا للمترجم من المذهب شدة الصلة بينه وبين كشاجم المسلّم تشيّعه، ويؤكّد المؤاخاة بينهما كما ستقف عليه في ترجمة كشاجم، ويُعرب عن الولاء الخالص بينهما قول كشاجم في الثناء عليه:

لي من أبي بكر أخي ثقة   لم أسترب بإخائه قطْ
ما حال في قرب ولا بعدٍ   سيّان فيه الشوب والشطْ

---

(١) ج ٢ ص ٢٣٢ من مناقب ابن شهر آشوب.

جسمان والروحان واحدةٌ　　كالنقطتين حواهما خطْ
فإذا افتقرتُ فلي به جدةٌ　　وإذا اغتربتُ فلي به رهطْ
ذاكره أو حاوله مختبراً　　تر منه بحراً ما له شطْ
في نعمةٍ منه جلبت بها　　لا التشبيه يبلغها ولا القرطْ
وبذلة بيضاء ضافية　　مثل الملاءة حاكها القبطْ
متذلل سهل خلائقه　　وعلى عدوٍّ صديقه سلطْ
ونتاج مغناه متمّمةٌ　　ونتاج مغنى غيره سقطْ
وجنان آداب مثمرة　　ما شانها أثلٌ ولا خمطْ
وتواضع يزداد فيه علاً　　والحرُّ يعلو حين ينحطْ
وإذا امرؤٌ شيبت خلائقه　　غدراً فما في ودّه خلطْ

وقصيدته الاخرى وقد كتبها إليه:

ألا أبلغ أبا بكر　　مقالاً من أخٍ برِّ
يُناديك بإخلاصٍ　　وإن ناداك من عقرِ
أظنُّ الدَّهر أعداك　　فأخلدت إلى الغدر
فما ترغب في وصلٍ　　ولا تعرض من هجرِ
ولا تخطرني منك　　على بال من الذِّكرِ
أتنسى زمناً كنّا　　به كالماء في الخمرِ؟!
أليفين حليفين　　على الايسار والعسرِ
مكبَّين على اللذّا　　ت في الصحو وفي السّكرِ
ترى في فَلَك الآدا　　ب كالشمس وكالبدرِ
كما ألّفت الحكمـ　　ـة بين العودِ والزمرِ
فألهتك بساتينك　　ذات النُور والزهرِ
وما شيَّدت للخلو　　ةمن دارٍ ومن قصرٍ

كان المترجم يسكن حلب دمشق وبها أنشد شعره ورواه عنه أبو الحسن محمَّد بن أحمد بن جميع الغسّاني كما في أنساب السمعاني، وتوفّي في سنة

٣٣٤ كما أرَّخه صاحب «شذرات الذهب» وغيره.

وعدَّه ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١١٩ ممَّن توفّي في حدود الثلاثمئة، وهذا بعيدٌ عن الصحَّة جدّاً من وجوه، منها: أنَّه اجتمع[١] مع أبي الطيِّب المتنبِّي بعد ما نظم القريض وقد ولد بالكوفة سنة ٣٠٣. ومنها: مدحه سيف الدولة الحمداني وقد ولد سنة ٣٠٣.

أعقب المترجَم ولده أبا علي الحسين، حكى ابن الجنّي[٢] قال: حدَّثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري قال: خرجت من حلب أُريد سيف الدولة فلمّا برزت من الصور إذا أنا بفارس مُتلثِّم قد أهوى نحوي برمح طويل، وسدَّده إلى صدري، فكدت أطرح نفسي عن الدابَّة فَرِقاً، فلمَّا قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه فإذا المتنبّي (الشاعر المعروف) وأنشدني:

نثرنا رؤوساً بالأُحيدب منهمُ   كما نُثرت فوق العروس الدراهمُ

ثمَّ قال: كيف ترى هذا القول؟ أحسن هو؟ فقلت له: ويحك قد قتلتني يا رجل! قال ابن جني: فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السّلام لأبي الطيِّب فعرفها وضحك لها.

وتوفيت للصنوبري بنت في حياته رثاها زميله [كشاجم] وعزّاه بقوله:

أتأسى يا أبا بكر   لموت الحرَّة البكرِ
وقد زوَّجتها قبراً   وما كالقبر من صهرِ
وعوِّضت بها الأجر   وما للأجر من مهرِ
زفافٌ أُهديت فيه   من الخدر إلى القبرِ
فتاةٌ أسبل الله   عليها أسبغ السترِ
ورده أشبه النعمـ   ـة في الموقع والقدرِ
وقد يختار في المكرو   ه للعبد وما يدري

---

(١) عمدة ابن رشيق ج ١ ص ٨٣.

(٢) كما في يتيمة الدهر ج ١ ص ٩٧.

فـقـابـل نـعـمـة الله الّـ ـتـي أولاك بـالـشـكـرِ
وعـزِّ الـنـفس مـمّـا فـا ت بـالـتـسليم والـصـبـرِ

وكتب المترجم عني كلِّ جانبٍ من جوانب قبَّة قبرها الستَّة بيتين توجد الأبيات في تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٤٥٦، ٤٥٧.

حكاية:

حدَّث المترجَم له أبو بكر أحمد بن محمَّد الصنوبري قال: كان بالرُّها[١] ورّاقٌ يُقال له: سعد. وكان في دكّانه مجلس كلِّ أديب، وكان حسن الأدب والفهم، يعمل شعراً رقيقاً، وما كنّا نفارق دكّانه أنا وأبو بكر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر، وكان لتاجر بالرُّها نصرانيّ من كبار تجّارها ابنٌ اسمه عيسى من أحسن الناس وجهاً، وأحلاهم قدّاً، وأظرفهم طبعاً ومنطقاً، وكان يجلس إلينا ويكتب عنّا أشعارنا وجميعنا يحبّه، ويميل إليه، وهو حينئذ صبيٌّ في الكتّاب فعشقه سعد الورّاق عشقاً مبرحاً وعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكّانه قوله:

إجعل فؤادي دواةً والمداددمي وهاك فابر عظامي موضع القلمِ
وصيِّر اللوح وجهي وامحه بيد فإنَّ ذلك بـرءٌ لي من السَّقمِ
تـرى المعلّم لا يـدري بمـن كلفي وأنت أشهـر في الصبيـان من علَمِ

ثمَّ شاع بعشق الغلام في الرُّها خبره، فلمّا كبر وشارف الائتلاف أحبَّ الرهبنة وخاطب أباه وامَّه في ذلك، وألحَّ عليهما حتّى أجاباه وخرجا به إلى «ديرزكّى» بنواحي الرقَّة[٢] وهو في نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا إلى رأس الدير جملة من المال عنها فأقام الغلام فيها وضاقت على سعد الورّاق الدنيا بما رحبت، وأغلق دكّانه، وهجر إخوانه، ولزم الدير مع الغلام، وسعد في

(١) الرهاء بضم أوله والمد والقصر: مدينة بين الموصل والشام، استحدثها الرهاء بن البلندي فسمّيت باسمه.

(٢) الرقة كل أرض منبسط جانب الوادي يعلوها الماء وقت المد. ولا يظن أن الرقة البلد الذي على شاطىء الفرات فإن الرهابين الموصل والشام.

خلال ذلك يعمل فيه الأشعار، فممّا عمل فيه وهو في الدير والغلام قد عمل شماساً[١].

يا جِمَّةً قد علت غصناً من البانِ   كأنَّ أطرافها أطراف ريحانِ
قدقايسواالشمس بالشّماس فاعترفوا   بأنّها الشمس والشّماس سيّانِ
فقل لعيسى: بعيس كم هراق دماً   إنسان عينك من عين لإنسانِ؟!

ثمَّ إنَّ الرهبان أنكروا على الغلام كثرة إلمام سعد به ونهوه عنه وحرموه إن أدخله وتوعدوه بإخراجه من الدير إن لم يفعل، فأجابهم إلى ما سألوه من ذلك، فلمّا رأى سعد امتناعه منه شقَّ عليه، وخضع للرّهبان ورفق بهم ولم يجيبوه وقالوا: في هذا علينا إثمٌ وعارٌ ونخاف السلطان، فكان إذا وافى الدير أغلقوا الباب في وجهه، ولم يدعوا الغلام يُكلّمه، فاشتدَّ وجده، وازداد عشقه، حتّى صار إلى الجنون فخرق ثيابه وانصرف إلى داره فضرب جميع ما فيها بالنار، ولزم صحراء الدير وهو عريانٌ يهيم، ويعمل الأشعار ويبكي.

قال أبو بكر الصنوبري: ثمَّ عبرت يوماً أنا والمعوج من بستان بتنا فيه فرأيناه جالساً في ظلِّ الدير وهو عريانٌ وقد طال شعره، وتغيَّرت خلقته، فسلّمنا عليه وعذلناه وعتبناه، فقال: دعاني من هذا الوسواس أترَيان ذلك الطائر على هيكل؟ وأومأ بيده إلى طائر هناك فقلنا: نعم. فقال: أنا وحقِّكما يا أخويَّ أُناشده منذ الغداة أن يسقط فأُحمِّله رسالةً إلى عيسى. ثمَّ التفت إليَّ وقال: يا صنوبريُّ معك ألواحك؟ قلت: نعم. قال: اكتب:

بدينك يا حمامة ديرزكّي   وبالإنجيل عندك والصّليب
قفي وتحمّلي عنّي سلاماً   إلى قمر على غصنٍ رطيب
حماه جماعة الرُّهبان عنّي   فقلبي ما يقرُّ من الوجيبِ
عليه مسوحه[٢] وأضاء فيها   وكان البدر في حُلل المغيبِ
وقالوا: رابنا إلمام سعد   ولا والله ما أنا بالمريبِ

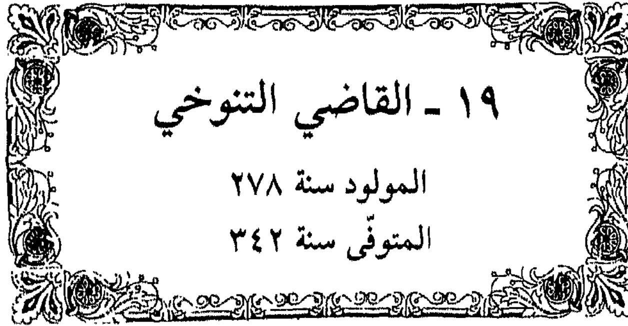
الكلمة سريانية معناها: الخادم.

المسوح: ما يلبس من نسيج الشعر تقشعاً وقهراً للبدن جمع مسح بكسر الميم.

وقولي : سعدك المسكين يشكو لهيب جوىً أحرَّ من اللهيبِ
فصله بنظرةٍ لك من بعيدٍ إذا ما كنت تمنع من قريبِ
وإن أنا متُّ فاكتب حول قبري محبٌّ مات من هجر الحبيبِ
رقيبٌ واحدٌ تنغيص عيشٍ فكيف بمن له ألفا رقيبِ

ثمَّ تركنا وقام يعدو إلى باب الدير وهو مغلقٌ دونه، وانصرفنا عنه وما زال كذلك زماناً، ثمَّ وُجد في بعض الأيّام ميتاً إلى جانب الدير، وكان أمير البلد يومئذ العبّاس بن كيغلغ فلمّا اتَّصل ذلك به وبأهل الرُّها خرجوا إلى الدير، وقالوا ما قتله غير الرُّهبان. وقال لهم ابن كيغلغ: لا بدَّ من ضرب رقبة الغلام وإحراقه بالنّار، ولا بدَّ من تعزير جميع الرُّهبان بالسياط، وتعصَّب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم[1].

(١) توجد ملخصة في تزيين الأسواق ص ١٧٠.



١٩ ـ القاضي التنوخي

المولود سنة ٢٧٨

المتوفّى سنة ٣٤٢

مِن ابن رسـول اللّه وابن وصيّـه ... إلى مدغل في عقبة الدين ناصبِ
نشـابين طُنبـور وزقٍّ ومـزهـر ... وفي حجر شادٍ أو على صدر ضاربِ
ومن ظهر سكران إلى بطن قينةٍ ... على شُبه في ملكها وشـوائبِ
يَعيب عليّاً خير من وطأ الحصى ... وأكرم سارٍ في الأنـام وساربِ
ويُزري على السبطين سبطي محمّد ... فقل في حضيض رام نيل الكواكبِ
وينسب أفعال القراميط كـاذباً ... إلى عترة الهادي الكرام الأطايبِ
إلى معشرٍ لا يبرح الذمُّ بينهم ... ولا تزدري أعراضهم بالمعايبِ
إذا ما انتدوا كانوا شموس بيوتهم ... وإن ركبوا كانوا شموس المواكبِ
وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الرَّدى ... وإن ضحكوا أبكوا عيون النَّوادبِ
نشوابين جبريل وبين «محمَّد» ... وبين «عليّ» خير ماشٍ وراكبِ
وزير النبيِّ المصطفى ووصيّه ... ومُشبهـه في شيمـةٍ وضـرائبِ
ومَن قال في يوم «الغدير» محمَّدٌ ... وقد خاف من غدر العداة النواصبِ
: أما إنَّني أولى بكم من نفوسكم ... فقالوا: بلى قول المريب الموارِبِ
فقال لهم: مَن كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه بعدي وصاحبي
أطيـعـوه طـرّاً فـهـو منّي بمـنـزلٍ ... كهـارون من مـوسى الكليم المخـاطبِ

[القصيدة ٨٣ بيتاً]

ما يتبع الشعر

كان عبدالله بن المعتزّ العبّاسي المتوفّى سنة ٢٩٦ ممَّن ينصب العداء للطالبيّين، ويتحرّى الوقيعة فيهم بما ينمُّ عن سوء سريرته، ويشفُّ عن خبث طينته، وكثيراً ما كان يفرغ ما ينفجر به بركان ضغائنه في قوالب شعريَّة، فجاءت من ذلك قصائد خلّدت له السوءة والعار، ولقد تصدّى غير واحد من الشعراء لنقض حججه الداحضة منهم: الأمير أبو فراس الآتي ذكره وترجمته، غير أنَّه أربى بنفسه الأبيَّة عن أن تقابل ذلك الرِّجس بالموافقة في البحر والقافية، فصاغ قصيدته الذهبيَّة الخالدة الميميَّة، ينصر فيها العلويِّين، وينال من مناوئيهم العبّاسيين، ويوعز إلى فضائحهم وطامّاتهم التي لا تُحصى.

ومنهم: تميم بن معد الفاطمي المولود ٣٣٧ والمتوفى سنة ٣٧٤، ردَّ على قصيدة ابن المعتزّ الرائيَّة أوّلها:

أيَّ ربــع لآل هـــنــد ودارِ؟ . . . . . .

وأوَّل قصيدة ابن معد:

يـا بني هـاشمٍ ولسنـا سـواء في صغـار من العلى وكبـارِ

ومنهم: ابن المنجِّم. وأبو محمّد المنصور بالله المتوفّى سنة ٦١٤ ـ الآتي ذكره في شعراء القرن السابع ـ ومنهم: صفيُّ الدين الحلي المتوفّى سنة ٧٥٢ فقد ردَّ عليه ببائيَّته الرنّانة المنشورة في ديوانه المذكورة في ترجمته الآتية في شعراء القرن الثامن.

ومنهم: القاضي التنوخي المترجَم له فقد نظم هذه القصيدة التي ذكرنا منها شطراً ردّاً عليه، وهي مذكورةٌ في كتاب «الحدائق الورديَّة» ٨٣ بيتاً، وأحسبها كما في غير واحد من المجاميع المخطوطة أنَّها تمام القصيدة، وذُكرت في «مطلع البدور» ٧٤ بيتاً، وذكر منها اليماني في «نسمة السحر» ٤٨ بيتاً؛ والحموي ١٤ بيتاً في «معجم الادباء» ج ١٤ ص ١٨١ وقال: كان عبدالله بن

المعتز قد قال قصيدةً يفتخر فيها ببني العبّاس على بني أبي طالب أوَّلها:

أبى الله إلّا ما ترون فما لكم غضاباً على الأقدار يا آل طالب؟!

فأجابه أبو القاسم التنوخي بقصيدة نحلها بعض العلويِّين وهي مثبتةٌ في ديوانه أوَّلها:

من ابن رسول الله وابن وصيِّه إلى مدغل في عقدة الدين ناصبِ
نشابين طنبور ودفٍّ ومزهرٍ وفي حجر شادٍ أو على صدر ضاربِ
ومن ظهر سَكرانٍ إلى بطن قينةٍ على شُبه في ملكها وشوائبِ

يقول فيها:

وقلت: بنو حرب كسوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائب
صدقت منايانا السيوف وإنَّما تموتون فوق الفرش موت الكواعبِ
ونحن الأُولى لا يسرح الذمُّ بيننا ولا تدري أعراضنا بالمعايبِ
إذا ما انتدوا كانوا شموس نديِّهم وإن ركبوا كانوا بدور الركائبِ
وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الرَّدى وإن ضحكوا بكّوا عيون النوائبِ
وما للغواني والوغى فتعوَّدوا بقرع المثاني من قراع الكتائبِ
ويوم حنين قلت: حزنا فخاره ولو كان يدري عدَّها في المثالبِ
أبوه منادٍ والوصيُّ مضاربٌ(١) فقل في منادٍ صيِّتٍ ومضاربِ
وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه فأبعد بمحجوب بحاجب حاجبِ
وقلتم: نهضنا ثائرين شعارنا بثارات زيد الخير عند التحاربِ
فهلاّ بإبراهيم كان شعاركم فترجع دعواكم تعلّة(٢) خائبِ

ورواها عماد الدين الطبري في الجزء العاشر من كتابه [بشارة المصطفى لشيعة المرتضى] وقال: حدَّثنا الحسين بن أبي القاسم التميمي، قال: أخبرنا أبو سعيد السجستاني، قال أنبأنا القاضي ابن القاضي أبو القاسم عليُّ بن

(١) يريد العباس وعليّاً أمير المؤمنين عليه السلام.
(٢) أي تعلّل.

المحسن بن عليٍّ التنوخي ببغداد؛ قال: أنشدني أبي أبو عليّ المحسن؛ قال: أنشدني أبي أبو القاسم عليُّ بن محمَّد بن أبي الفهم التنوخي لنفسه من قصيدة:

ومن قال في يوم «الغدير» محمَّدٌ ... وقد خاف من غدر العداة النواصبِ
: أما أنا أولى منكمُ بنفوسكم ... فقالوا: بلى قول المريب الموارِبِ
فقال لهم: مَن كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه فيكم وصاحبي
أطيعوه طرّاً فهو منّي كمنزلٍ ... لهارونَ من موسى الكليم المخاطبِ
فقولا له: إن كنت من آل هاشم ... فما كلُّ نجم في السَّماء بثاقبِ

وروى القصيدة وأنها في ردِّ عبدالله بن المعتزّ صاحب طبرستان ص ١٠٠ بهاء الدين محمَّد بن حسن وذكر منها خمسة عشر بيتاً ومنها:

فكم مثل زيد قد أبادت سيوفكم ... بلا سببٍ غير الظنون الكواذبِ
أما حمل المنصور من أرض يثربِ ... بدور هدىً تجلو ظلام الغياهبِ؟
وقطَّعتمُ بالبغي يوم محمَّد ... قرائن أرحام له وقرائبِ
وفي أرض باخمرا مصابيح قد ثوت ... متربة الهامات حمر الترائبِ
وغادر هاديكم بفخ طوائفاً ... يُغاديهمُ بالقاع بقع النواعبِ
وهارونكم أودى بغير جريرةٍ ... نجوم تُقىً مثل النجوم الثواقب
ومأمونكم سمَّ الرِّضا بعد بيعةٍ ... تودّ ذرى شمِّ الجبال الرَّواسبِ
فهذا جوابٌ للذي قال: مالكم ... غضاباً على الأقدار يا آل طالبِ؟!

الشاعر

أبو القاسم التنوخي عليُّ بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم ابن جابر بن هاني بن زيد بن عبيد بن مالك بن مريط بن سرح بن نزار بن عمرو بن الحرث بن صبح بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن الحارث بن عمرو [ملك تنوخ] بن فهم بن تيم الله [وهو تنوخ] بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ملك بن حمير بن سبأ بن سحت بن يعرب بن

قحطان بن غابن بن شالح بن الشحد بن سام بن نوح النبيّ عليه السّلام(١).

من أغزر عيالم العلم، ومُلتقى الفضائل، ومُجتمع الفنون المتنوِّعة، مشاركاً في علوم كثيرةٍ، مقدَّماً في الكلام، متضلّعاً في الفقه والفرائض، حافظاً في الحديث، قدوةً في الشعر والأدب، بصيراً بعلم النجوم والهيئة، خبيراً بالشروط والمحاضر والسجلات، استاذاً في المنطق، مُتبحِّراً في النحو، واقفاً على اللغة، معلّماً في القوافي، عبقرياً في العروض، وكما أنَّه من أعيان العلم فهو مفردٌ في الكرم وحسن الشيم، فذٌّ في الظرف والفكاهة، دمث الخلائق، لين الجانب.

ولادته ونشأته:

وُلد بانطاكيَّة يوم الأحد لأربع ليال بقين من ذي الحجَّة سنة ٢٧٨ ونشأ بها حتى غادرها في حداثته سنة ستٍّ وثلاثمائة إلى بغداد، وتفقَّه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث من الحسن بن أحمد بن حبيب الكرماني صاحب «مسدَّد». وأحمد بن خليل الحلبي صاحب أبي اليمان الحمصي. وأحمد بن محمَّد بن أبي موسى الأنطاكي. وأنس بن سالم الخولاني. والحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فيل. والفضل بن محمّد العطار الأنطاكيّين. والحسين بن عبدالله القطّان الرقّي. وأحمد بن عبدالله بن زياد الجبلي. ومحمّد بن حصن بن خالد الألوسي الطرسوسي. والحسن بن الطيِّب الشجاعي. وعمر بن أبي غيلان الثقفي. وأبي بكر بن محمّد بن محمّد الباغندي. وحامد بن محمّد ابن صعيب البلخي. وأبي القاسم البغوي. وأبي بكر بن أبي داود. وقرأ في النجوم على البنّائي المنجِّم صاحب الزيج.

يروي عنه أبو حفص بن الآجري البغداديّ، وأبو القاسم بن الثلّاج(٢)

(١) النسب ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه نقلاً عن حفيد المترجم أبي القاسم ابن المحسن إلى قضاعة، وذكر بعده السمعاني في «الأنساب» وإلى قضاعة بين الكتابين اختلاف في بعض الأسماء.
(٢) الفلاح. في أنساب السمعاني.

البغدادي، وعمر بن أحمد بن محمّد المقري، وابنه أبو عليّ المحسن التنوخي.

وأوّل مَن قلّده القضاء بعسكر مكرم وتُستر وجندي سابور في أيّام المقتدر بالله الخليفة الذي ولي الخلافة من سنة ٢٩٥ حتّى قتل سنة ٣٢٠ من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي، وكتبه له أبو علي ابن مقلة وكان ذلك سنة ٣١٠ في السنة الثانية والثلاثين من عمره، ثمّ تقلّد القضاء بالأهواز وكورة واسط وأعمالها والكوفة وسقي الفرات، وعدّة نواح من الثغور الشاميّة، وأرّجان وكورة سابور مجتمعاً ومفترقاً، وتولّى قضاء أيذج وجند حمص من قِبل المطيع لله الذي ولي الخلافة سنة ٣٣٤، وكان المطيع لله قد عوّل على أبي السائب عن قضاء القضاة وتقليده إيّاه فأفسد ذلك بعض أعدائه، وكان ابن مقلة قلّده المظالم بالأهواز، واستخلفه أبو عبدالله البريدي بواسط على بعض امور النظر، وقال الثعالبي: كان يتقلّد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً فأكرم مثواه وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتّى أُعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته؛ وكان المهلّبي الوزير وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه جدّاً، ويتعصّبون له ويعدّونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء، ويُعاشرون منه من تطيّب عشرته، وتكرّم أخلاقه، وتحسّن أخباره.

حديث حفظه وذكائه:

كان المترجم آيةً في الحفظ والذكاء، قال ولده القاضي أبو علي المحسن في «نشوار المحاضرة» ص ١٧٦: حدّثني أبي قال: سمعت أبي ينشد يوماً وسنّي إذ ذاك خمس عشرة سنة بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفتخر فيها باليمن ويعدّد مناقبهم ويردُّ على الكميت مناقبه بنزار أوّلها:

أفيقي من ملامك يا ظعينا   كفاني اللوم مرُّ الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيت فاشتهيت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن وأهلي فقلت: يا سيِّدي تُخرجها إليَّ حتّى أحفظها، فدافعني فألححت عليه فقال: كأنّي

بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ثمَّ ترمي بالكتاب وتخلقه عليَّ. فقلت: ادفعها إليّ. فأخرجها وسلّمها إليَّ وقد كان كلامه أثر فيَّ فدخلت حجرةً كانت برسمي من داره فخلوت فيها ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيءٍ غير حفظها فلمّا كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها فخرجت إليه غدوةً على رسمي فجلست بين يديه فقال: هي، كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها. فغضب وقد رآني قد كذبته وقال لي: هاتها؛ فأخرجت الدفتر من كمِّي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أُنشد إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت فصفح منها عدَّة أوراق وقال: أنشد من هٰهنا. فأنشدت مقدار مائة بيت إلى آخرها، فها له ما رآه من حسن حفظي فضمَّني إليه وقبَّل رأسي وعيني وقال: بالله يا بُنيَّ لا تخبر بها أحداً فإنّي أخاف عليك من العين. وذكر ابن كثير هذه القصَّة ملخَّصةً في تاريخه ج ١١ ص ٢٢٧.

وقال أبو علي أيضاً: حفّظني أبي وحفظت بعده من شعر أبي تمام والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين والقدماء مائتي قصيدة قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: مَن حفظ للطائيِّين أربعين قصيدة ولم يقل الشعر فهو حمار في مسلاخ إنسان، فقلت الشعر وسنّي دون العشرين، وبدأت بعمل مقصورتي التي أوَّلها:

لولا التناهي لم أطع نهي النُهى ... أيّ مدى يطلب مَن حاز المدى

وقال أبو علي: كان أبي يحفظ للطائيِّين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين والمخضرمين والجاهليِّين؛ ولقد رأيت له دفتراً بخطِّه هو عندي يحتوي على رؤس ما يحفظه من القصائد مائتين وثلاثين ورقة أثمان منصوري لطاف، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً مع ذلك [إلى أن قال]: وكان مع ذلك يحفظ ويجيب فيما يفوق عشرين ألف حديث، وما رأيت أحداً أحفظ منه، ولولا أنَّ حفظه افترق في جميع هذه العلوم لكان أمراً هائلاً.

تآليفه :

إنَّ تضلّع المترجم في العلوم الجمَّة، وشهرته الطائلة في جلِّ الفنون النقليَّة والعقليَّة والرياضيَّة، وتجوُّله في الأقطار والأمصار، تستدعي وجود تآليف له قيِّمة، كما قال ولده أبو علي: إنَّ له في علم العروض والفقه وغيرهما عدَّة كتب مصنَّفة، وقال الحموي: إنَّ له تصانيف في الأدب منها: كتابٌ في العروض، قال الخالع: ما عمل في العروض أجود منه. وكتاب علم القوافي. وذكر السَّمعاني واليافعي وابن حجر وصاحب الشذرات له ديوان شعر، واختار منه الثعالبي ما ذكر من شعره، وسمعت فيما يتبع شعره في «الغدير» نقل الحموي عن ديوانه بائيَّته كغيرها، وذكر المسعودي له قصيدته [المقصورة] التي عارض بها ابن دريد يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة أوَّلها:

لولا انتهائي لم أطع نهي النُهى ... مدى الصبا نطلب مَن حاز المدى
إن كنت أقصرتُ فما أقصر قلـ ... ـبٌ دامياً ترميه ألحاظ الدمى
ومقلةٌ إن مقلت أهل الفضا ... أغضت وفي أجفانها جمر الغضا

وفيها يقول:

وكم ظباء رعيها ألحاظها ... أسرع في الأنفس من حدِّ الظبى
أسرع من حرف إلى جرٍّ ومن ... حبٍّ إلى حبَّةِ قلبٍ وحشى
قضاعةٌ من ملك بن حمير ... ما بعده للمرتقين مرتقا

وقال أبو علي في «نشوار المحاضرة»: إنَّ ما ضاع من شعره أكثر ممّا حُفظ اهـ. غير أنَّ هذه الكتب قد عصفت عليها عواصف الضياع كما أنَّ التصدِّي لمنصب القضاء عاقه عن الإكثار من التآليف على قدر غزارة علمه .

مذهبه :

من العويص جدّاً البحث والتنقيب عن مذهب مَن نشأ في مثل القرن الثالث والرابع عصر التحزُّب للآراء والنزعات، عصر تشتّت الاعتقادات، عصر تكثّر النحل، وتوفّر الدواعي على انتحال الرَّجل لِما يُخالف عقده القلبي،

وتظاهره بما لا يظهره سرُّ جنانه؛ وقد قضت الأيام، ومرَّت الأعوام على آثارهم، ونتائج أفكارهم ممّا كان يُمكننا منه استظهار المعتقدات، وحكم الـدهر على منشور فلتات ألسن كانت تُعرب عن مكنون الضمائر، وتقرأ علينا دروس الحقيقة من جانب مذهب الغابرين.

واضطراب كلمات أرباب المعاجم حول مذهب شاعرنا التنوخي وولده أبي علي منـذ عهدهم إلى اليـومِ ينمُّ عن أنَّهم كـانـوا يخفـون مختـارهم من المذهب، وكانوا يظهرون في كلِّ صقع وناحية نزلوا ما يلائم مذهب أهليها، فقال الخطيب البغدادي في تاريخـه، والسمعاني في أنسـابه، وابن كثيـر في تاريخه، وصاحب شذرات الذهب، والسيِّد العبّاسي في المعاهد، وشيخنا أبو الحسن الشريف في ضياء العالمين: إنَّ المترجم تفقَّه على مذهب أبي حنيفة. ونصَّ اليافعي في مرآة الجنان، والذهبي في ميزان الاعتدال، والسيوطي في البغية، وأبو الحسنات في الفوائد البهيَّة بأنَّه حنفيٌّ المذهب. وقال الخـطيب البغدادي في تاريخه، والسمعاني في أنسابه: إنّه كان يعرف الكلام في الاصول على مذهب المعتزلة، وفي كامل ابن الأثير: كان عالماً بأُصول المعتزلة. وفي لسان الميزان: إنَّه يُرمى بالاعتزال، وعدَّه سيِّدنا القاضي في مجالس المؤمنين من قضاة الشيعة، وبذلك نصَّ صـاحب مطلع البـدور، ونقل صـاحب نسمة السحـر عن المسوري اليمني: إنّـه كان معتـزليَّ الاصول متشيِّعـاً جدّاً حنفيَّ المذهب.

والذي يجمع بين هذه الشتات أنَّ الرجل كان معتزليَّ الاصول، وحنفيَّ الفروع، زيديَّ المذهب، ويؤكِّد مذهبه هذا ما ذكره معاصـره المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٥١٩ من قوله: إنَّه في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة بالبصرة في جملة الزيديِّين[١] وقصيدته البائيَّة الّتي ذكرنا شـطراً منها ترجِّح كفَّة التشيّع في ميزانه، كما أنَّ غير واحد من قضايا ذكرها ولده أبو علي في كتابه [الفرج بعد الشدَّة] نقلاً عن المترجم يؤذن بذلك.

(١) في النسخة: اليزيديين. وهو تصحيف واضح.

وفاته:

توفّي في عصر يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ٣٤٢ بالبصرة ودفن من الغد في تربة اشتريت له بشارع المربد، قال ولده أبو علي في «نشوار المحاضرة»: وفيما شاهدناه من صحّة أحكام النجوم كفاية، هذا أبي حوّل مولد نفسه في السّنة التي مات فيها وقال لنا: هذه سنةٌ قطع عليَّ مذهب المنجّمين. وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن البهلول القاضي صهره ينعي نفسه ويوصيه؛ فلما اعتلَّ أدنى علّة وقبل أن تستحكم علّته أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً وأنا حاضرٌ فبكى ثمَّ أطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيّته التي مات عنها وأشهد فيها من يومه، فجاء أبو القاسم غلام زُحل المنجّم، فأخذ يطيب نفسه، ويورد عليه شكوكاً، فقال له: يا أبا القاسم! لستُ ممَّن تخفى عليه فأنسبك إلى غلط، ولا أنا ممّن يجوز عليه هذا فتستغفلني، وجلس فوافقه على الموضع الذي خافه وأنا حاضرٌ فقال له: دعني من هذه. بيننا شكٌّ في أنَّه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فهو ساعة قطع عندهم فأمسك أبو القاسم غلام زُحل لأنّه كان خادماً لأبي وبكى طويلاً وقال: يا غلام: طست. فجاؤوه به فغسل التحويل وقطّعه وودَّع أبا القاسم توديع مُفارق فلمّا كان في ذلك اليوم العصر مات كما قال.

أخذنا ترجمته من يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٠٩. نشوار المحاضرة. تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٢ ص ٧٧. تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٨. معجم الادباء ج ١٤ ص ١٦٢. أنساب السمعاني. فوات الوفيات ج ٢ ص ٦٨. كامل ابن الأثير ج ٨ ص ١٦٨. تارخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٢٧. مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٣٤. لسان الميزان ج ٤ ص ٢٥٦. معاهد التنصيص ج ١ ص ١٣٦. شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٤٢. مجالس المؤمنين ص ٢٥٥. الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة ص ١٣٧. مطلع البدور. الحدائق الورديَّة. نسمة السحر ٢. روضات الجنّات ٤٤٧، ٤٧٧. تنقيح المقال ج ٢ ص ٣٠٢.

قد يوجد الاشتباه في غير واحد من هذه المعاجم كمجالس المؤمنين،

ونسمة السحر، وتنقيح المقال بين ترجمة المترجم وبين ترجمة حفيده أبي القاسم عليٍّ بن المحسن للإتحاد في الإسم والكنية والشهرة بالتنوخي فوقع الخلط بين الترجمتين. يطّلع عليه الباحث بمعونة ما ذكرناه.

خلف المترجَم على علمه الجمِّ وفضائله الكثيرة ولده أبو علي المحسن ابن علي وهو كما قال الثعالبي: هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل. بمجد أبيه وفضله، والفرع المشيد لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد وفاته وفيه يقول أبو عبدالله ابن الحجّاج [الآتي ذكره]:

إذا ذُكر القُضاة وهم شيوخٌ تحيَّرت الشباب على الشّيوخ
ومَن لم يرض لم أصفعه إلاّ بحضرة سيِّدي القاضي التنوخي

له كتاب الفرج بعد الشدَّة. ونشوان المحاضرة. والمستجار من فعلات الأجواد. ديوان شعره، وهو أكبر من ديوان أبيه، سمع بالبصرة من مشايخها، ونزل بغداد وحدَّث بها وأوَّل سماعه بالحديث سنة ٣٣٣، وأوّل ما تقلّد القضاء بالقصر وبابل وأرباضهما في سنة ٣٤٩، ثمَّ ولاّه المطيع لله بعسكر مكرم وايذج ورامهرمز وتقلّد غيرهما أعمالاً كثيرة في شتّى الجهات، وُلد ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأوَّل سنة ٣٢٧ بالبصرة. وتوفي ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرَّم سنة ٣٨٤ ببغداد وهو في المذهب شبيه أبيه لكن شواهد التشيّع فيه أكثر وأوضح من أبيه.

وأعقب أبو علي المحسن أبا القاسم عليّ خلف أبيه وجدِّه على علمهما الكثار، وأدبهما الغزير، كان يصحب الشريف المرتضى علم الهدى ويلازمه، وكان من خاصَّته، وصحب أبا العلاء المعرّي وأخذ عنه، وكانت بينه وبين الخطيب أبي زكريّا التبريزي صلة ومؤانسة، وتقلّد قضاء المدائن وأعمالها، ودرزنجان؛ والبردان، وقرميسين وغيرها.

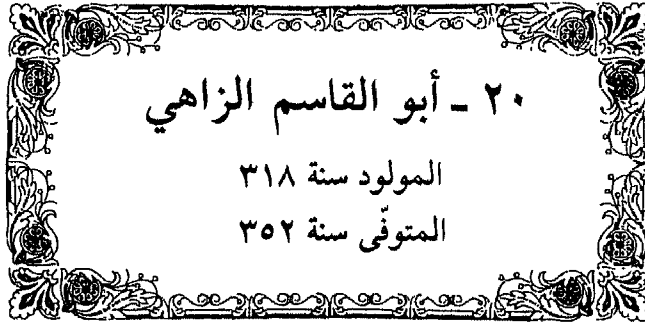
يروي عنه الخطيب البغدادي في تاريخه وترجمه وذكر مشايخه، ويروي عنه أبو الغنائم محمَّد بن عليٍّ بن الميمون النرسي، وهو يروي

عن أبي الحسن عليّ بن عيسى الرّماني كما في إجازة العلاّمة الحلي الكبيرة لبني زهرة وعن أبي عبدالله المرزباني المتوفّى سنة ٣٨٤، وأمره في المذهب أوضح من والده وجدِّه، وتشيّعه من المتسالم عليه عند أرباب المعاجم، وُلد في منتصف شعبان سنة ٣٧٠ بالبصرة، وتوفّي ليلة الإثنين ثاني المحرّم سنة ٤٤٧ ودفن بداره بدرب التلِّ.

حدَّث الحموي في «معجم الادباء» عن القاضي أبي عبدالله ابن الدامغاني قال: دخلت على القاضي أبي القاسم التنوخي (الصغير) قبل موته بقليل وقد علت سنّه فأخرج إليَّ ولده من جاريته فلمّا رآه بكى فقلت: تعيش إن شاء الله وتربِّيه ويقرُّ الله عينك به. فقال: هيهات والله ما يُتربّى إلاّ يتيماً وأنشد:

أرى ولد الفتى كلاًّ عليه لقد سعد الذي أمسى عقيما
فإمّا أن يُخلّفه عدوّاً وإمّا أن يُربِّيه يتيما

ثمّ قال: أُريد أن تُزوِّجني من امِّه - فإنّني قد أعتقتها - على صداق عشرة دنانير. ففعلت، وكان كما قال تربّى يتيماً، وهو أبو الحسن محمَّد بن عليِّ بن المحسن. قبل القاضي أبو عبدالله شهادته ثمَّ مات سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته، بسط القول في ترجمته الحموي في «معجم الادباء» ج ١٤ ص ١١٠ - ١٢٤.



٢٠ - أبو القاسم الزاهي

المولود سنة ٣١٨

المتوفّى سنة ٣٥٢

لا يهتدي إلى الرشاد مَن فَحص ... إلّا إذا والى عليّاً وخلصْ
ولا يذوق شربةً من حوضه ... من غمس الولا عليه وغمصْ
ولا يشمُّ الرَّوح من جنانه ... مَن قال فيه مَن عداه وانتقصْ
نفس النبيِّ المصطفى والصنو والـ ... ـخليفة الوارث للعلم بنصّ
من قد أجاب سابقاً دعوته ... وهو غلامٌ وإلى الله شخصْ
ما عرف اللّات ولا العزّى ولا ... انثنى إليهما ولا حبَّ ونص
مَن ارتقى متن النبيِّ صاعداً ... وكسّر الأوثان في اولى الفرصْ
وطهَّر الكعبة مِن رجس بها ... ثمَّ هوى للأرض عنها وقمصْ
مَن قد فدا بنفسه محمَّداً ... ولم يكن بنفسه عنه حرصْ
وبات من فوق الفراش دونه ... وجاد فيما قد غلا وما رخصْ
مَن كان في بدرٍ ويوم أُحد ... قطُّ من الأعناق ما شاء وقصْ
فقال جبريل ونادى: لا فتى ... إلّا عليٌّ عمَّ في القول وخصْ
مَن قدَّ عمرو العامريَّ سيفه ... فخرّ كالفيل هوى وما فحصْ
وراء ما صاح: ألا مبارزٌ ... فالتوت الأعناق تشكو من وقصْ(١)
من أُعطي الراية يوم خيبر ... من بعدما بها أخو الدعوى نكصْ
وراحِ فيها مبصراً مستبصراً ... وكان أرمداً بعينيه الرمصْ

---

(١) وقص العنق. كسرها ودقها.

فـاقتلع البـاب ونـال فتحـه ودكَّ طود مرحبٍ لَمّا قعصْ[١]
مَن اكسح البصرة مَن ناكثها وقصَّ رجل عسكر بمـا رقصْ
وفـرَّق المـال وقـال: خمسـةٌ لواحد. فساوت الجند الحصصْ
وقال في ذي اليوم يـأتي مددٌ وعـدَّه فلم يـزد ومـا نقصْ
ومَن بصفِّين نضـا حسـامـه ففلق الهام وفرَّق القصصْ[٢]
وصـدَّ عن عمرو وبُسـر كرمـاً إذ لقيا بالسوأتين من شخصْ[٣]
ومَن أسـال النهروان بـالدمـا وقطَّع العرق الذي بها رهصْ
وكـذَّب القائـل أن قد عبـروا وعدَّ من يحصد منهم ويحصْ[٤]
ذاك الذي قد جمع القرآن في أحكـامه للواجبـات والرُّخص
ذاك الـذي آثـر في طعـامـه على صيـامه وجـاد بـالقُـرَصْ
فـأنـزل الله تعـالى هـل أتى وذَكر الجزاء في ذاك وقصْ[٥]
ذاك الذي استوحش منه أنسٌ أن يشهد الحقَّ فشاهد البرصْ[٦]
إذ قال: مَن يشهد بالغدير لي فبادَرَ السامعُ وهو قـد نكصْ
فقال: أنسيت. فقال: كاذب سوف ترى ما لا تُواريه القمصْ
يا بن أبي طالب يا مَن هو مِن خاتم الأنبياء في الحكمة فُصْ
فضلك لا يُنكـر لكن الـولا قد ساغه بعضٌ وبعضٌ فيه غصْ
فـذكـره عنـد مـواليـك شفـا وذكـره عند معاديـك غُصصْ
كالطير بعضٌ في رياض أزهرت وابتسم الوَرد وبعضٌ في قفسْ

وله في ذكر خلافة أمير المؤمنين عليه السَّلام وإنَّها له بنصّ حديث الغدير قوله:

---

(١) قعصه وأقعصه. قتله مكانه. أجهز عليه.
(٢) القص: الصدر أو عظمه.
(٣) مرت قصته عليه السلام مع عمرو وبسر في الجزء الثاني ص ١٨٦ - ١٩٤.
(٤) حص الشيء: قطع عنه.
(٥) أسلفنا نزول هل أتى في العترة الطاهرة وسيّدهم في هذا الجزء ص ١٤٢ - ١٤٦، ٩٧.
(٦) مر تفصيل قصة أنس في الجزء الأول ص ١٩١.

قدَّمتُ حيدر لي مولى بتأمير لَمّـا علمت بتنقيبي وتنقيري
إنَّ الخلافة مِن بعـد النبيِّ له كانت بأمر من الرَّحمن مقدورِ
مَن قـال أحمد في يـوم «الغـديـر» لـه بـالنقـل في خـبرٍ بـالصِّـدق مـأثـور
: قم يـا عـليُّ فكن بعـدي لهم علماً واسعـد بمنقلبٍ في البعص محبـورِ
مولاهمُ أنت والموفي بأمرهمُ نصٌّ بوحي على الأفهام مسطورِ
وذاك أنَّ إلـه العرش قـال لـه : بلّغ وكن عند أمري خير مأمورِ
فـإن عصيت ولم تفعـل فـإنَّـك مـا بلّغت أمـري ولم تصـدع بتـذكـيري

وله قوله يمدح أمير المؤمنين عليه السَّلام ويذكـر فرض ولائه بحـديث الغدير:

دع الشنـاعات أيّهـا الخدعـه واركن إلى الحقِّ واغـدُ متَّبعه
مَـن وحَّـد الله أوَّلاً وأبـى إلاّ الـنـبـيَّ الامـيَّ واتـبـعـه
مَن قال فيه النبيُّ : كان مع ا لحقِّ عليٌّ والحقُّ كـان معـه
مَن سـلَّ سيف الإلـه بينهمُ سيفاً من النور ذو العُلى طبعه
مَن هزَّم الجيش يوم خيبـرهم وهـزَّ باب القمـوص فـاقتلعـه
مَن فرَّض المصطفى ولاه على الخلق بيوم «الغديـر» إذ رفعه
أشهـد أنَّ الـذي تقـول بـه يعلم بـطلانـه الـذي سمعـه

وقال يمدحه صلوات الله عليه:

أُقيم بخُمٍّ للخـلافـة حيـدرٌ ومِن قبلُ قال الطّهر ما ليس يُنكرُ
غداة دعاه المصطفى وهو مُزمعٌ لقصد تبوك وهو للسير مضمرُ
فقال: أقم عنّي بطيبةَ واعلمن بـأنَّـك لِلفُجّـار بـالحقِّ تقهـرُ
ولَمّا مضى الطهر النبيُّ تظاهرت عليه رجالٌ بـالمقال واجهروا
فقالوا: عليٌّ قـد قلاه محمَّـدٌ وذاك مِن الأعداء إفكٌ ومنكـرُ
فـأتبعه دون المعـرَّس فـانثنى وقالوا: عليٌّ قد أتى فتأخـروا
ولَمّـا أبان القـول عمَّن يقولـه وأبدى له ما كان يبدي ويضمرُ
فقال: أما ترضى تكون خليفتي كهارون من موسى؟ وشأنك أكبر
وعلّاه خير الخلق قدراً وقدرةً وذاك مـن الله العـليِّ مـقـدَّرُ

وقال رسول الله: هذا إمامكم   لـه الله نـاجى أيّهـا المتحيِّرُ

الشاعر

أبو القاسم عليّ بن إسحاق بن خلف القطّان البغدادي النازل بالكرخ في قطيعة الرَّبيع[1] الشهير بالزاهي[2] شاعرٌ عبقريٌّ تحيَّز في شعره إلى أهل بيت الوحي، ودان بمذهبهم، وأدّى بمودَّتهم أجر الرسالة، فكان أكثر شعره الواقع في أربعة أجزاء فيهم مدحاً ورثـاءً بحيثُ عدَّ في «معـالم العلماء» في طبقـة المجاهدين من شعرائهم وصّافاً، فلم يزل فيه يُكافح عنهم ويُناطـح، ويُنازل ويُناضل، ولذلك لم يلف نُشوراً بين مَن كان يُناوئهم أو لا يقول بأمرهم،فحسبوه مقلاًّ من الشعر كما في «تاريخ بغداد» وغيـره، غير أنَّ جـزالة شعـره، وجودة تشبيهه، وحسن تصويره، لم يدع لأرباب المعاجم منتدحاً من إطرائه .

وفي فهم المعنى الذي لا يُبارح الخلافة والإمامة من لفظ المولى من مثل الزاهي العارف بمعاريض الكلام، والمتسالم على تضلّعه في اللغة والأدب العربيِّ، وبثّه في نظمه لَحجَّـةُ قويَّـةُ على الصَّواب الـذي ترتئيه الشيعـة في الإستدلال بحديث الغدير على إمامة أمير المؤمنين عليه السَّلام.

وُلد [الزاهي] يوم الإثنين لعشر ليال بقين من صفر سنة ٣١٨ كما نصَّ به ابن خلّكان نقلاً عن «طبقات الشعراء» لعميد الدولة. وتُوفّي ببغداد يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٢ في رواية عميد الدولة ودفن في مقابر قريش. أو بعد سنة ٣٦٠ فيما قاله الخطيب نقلاً عن التنوخي. وأرَّخه السمعاني كذلك نقلاً عن الخطيب.

ولمّا لم يكن في المعاجم عنايةٌ بشعره المذهبيِّ الراقي فنحن نذكر منه

---

(١) تنسب إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ووالد وزير الفضل بن الربيع.

(٢) نسبة إلى «زاه» قرية من قرى نيسابور يقال في النسبة إليها: زاهي . وأزاهي .

شطراً فمن ذلك قوله يمتدح به أمير المؤمنين عليه السَّلام :

يـا سادتي يـا آل يـاسين فقطْ   عليكم الـوحي مـن الله هبطْ
لـولاكمُ لـم يقبل الفـرض ولا   رحنا لبحر العفو من أكرم شطْ
أنتم وُلاة العهد في الذرِّ ومَن   هـواهمُ الله علينـا قـد شـرطْ
مـا أحـدٌ قـايسكم بغيـركم   وما زج السلسل بالشرب اللمطْ
إلاّ كمن ضاهى الجبال بالحصا   أو قايس الأبحر جهـلاً بالنُقطْ
صنـو النبيِّ المصطفى والكـاشف الـ   ـغـمّاء عنـه والحسـام المـختـرطْ
أوّل مَن صـام وصلّى سـابقـاً   إلى المعالي وعلى السبق غُبطْ
مكلّم الشمس ومَن رُدَّت لـه   ببـابل والغـرب منهـا قـد قبطْ
وراكض الأرض ومـن أنبـع لـلـ   ـعسكر ماء العـين في الوادي القحطْ
بحـرٌ لديـه كـلُّ بحـر جـدول   يغـرف من تيَّـاره إذا اغتمطْ
وليث غـابٍ كـلُّ ليثٍ عنـده   ينـظره العقل صغيـراً إذ قلطْ
باسط علم الله في الأرض ومَن   بحبِّـه الـرَّحمن لِلرِّزق بسطْ
سيفٌ لو أنَّ الطفل يلقى سيفه   بكفّـه في يـوم حـرب لشمطْ
يخطو إلى الحرب بـه مدرَّعـاً   فكم به قد قدَّ من رجسٍ وقطْ

قوله : مكلّم الشمس

أشار به إلى ما رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال لعليٍّ : يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنَّها تُكلّمك. قال عليٌّ عليه السَّلام : السَّلام عليكَ أيّها العبد المطيع لله ورسوله. فقالت الشمس : وعليكَ السَّلام يـا أمير المؤمنين، وإمـام المتَّقين، وقائـد الغرِّ المحجَّلين،يـا عليُّ أنت وشيعتـك في الجنَّة، يا عليُّ أوَّل من تنشق عنه الأرض محمَّد ثمَّ أنت، وأوَّل من يُحيى محمَّد ثمَّ أنت، وأوَّل مَن يُكسى محمَّد ثمَّ أنت. فسجد عليّ عليه السَّلام لله تعالى وعيناه تذرفان بالدُّموع، فانكبَّ عليه النبيُّ فقال: يا أخي وحبيبي: ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّوئي في «فرائدالسمطين» ب ٣٨. والخوارزمي في «المناقب» ص ٦٨. والقندوزي في «الينابيع» ص ١٤٠.

(قوله: ومَن رُدّت له ببابل).

حديث ردِّ الشمس لعليٍّ عليه السَّلام ببابل أخرجه نصر بن مزاحم في كتاب صفِّين ص ١٥٢ ط مصر بإسناده عن عبد خير[١] قال كنت مع عليٍّ أسير في أرض بابل وحضرت الصَّلاة صلاة العصر قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح من الآخر. قال: حتّى أتينا على مكانٍ أحسن ما رأينا وقد كادت الشمس أن تغيب. قال: فنزل عليٌّ ونزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشَّمس كمقدارها من صلاة العصر قال: فصلّينا العصر ثمَّ غابت الشمس.

قوله: «ومَن أنبع للعسكر ماء العين».

أشار به إلى ما رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفِّين ص ١٦٢ بإسناده عن أبي سعيد التيمي التابعيّ المعروف بعقيصا أنَّه قال: كنّا مع عليّ في مسيره إلى الشّام حتّى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء؛ فانطلق بنا عليٌّ حتّى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض كأنها ربضة عنز، فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا ماءٌ، فشرب الناس منه وارتووا، قال: ثم أمرنا فأكفأناها عليه. قال وسار الناس حتّى إذا مضينا قليلاً قال عليٌّ: منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فانطلقوا إليه. قال فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاةً فاقتصصنا الطريق حتّى انتهينا الى المكان الذي نرى أنّه فيه، قال: فطلبناها[٢]. فلم نقدر على شيءٍ حتّى إذا عِيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منّا فسألناهم: «أين الماء الذي هو عندكم؟ قالوا: ما قربنا ماءٌ، قالوا: بلى إنّا شربنا منه. قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا: نعم. قال [صاحب الدير]: ما بني هذا الدير إلّا بذلك الماء، وما استخرجه إلّا نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ. وأخرجه الخطيب في تاريخه جزء ١٢ ص ٣٠٥.

(١) مرت ترجمته وثقته في ج ١ ص ٩٥.

(٢) أي الصخرة.

ومن قصيدته الطائيَّة قوله:

وهــو لـكــلِّ الأوصيــاء آخــرٌ بضبطه التوحيد في الخلق انضبطْ
بـاطن علم الغيب والـظاهــر في كشف الإشارات وقطب المغتبطْ
أحيى بحــدِّ سيفـه الــدين كمــا أمــات مـا أبــدع أربـاب اللغطْ
مفقِّــه الأُمَّــة والقــاضي الَّــذي أحاط من علم الهدى مـا لم يُحطْ
والنَّبــأ الأعــظم والـحجَّــة والـ ـمحنةوالمصباحفيالخطبالورطْ
حبــلُ إلى الله وبـاب الحــطَّة الـ ـفـاتح بـالرُّشـد مغاليق الخـططْ
والقـدم الصَّدق الــذي سيط بـه قلب امـرىءٍ بالخـطوات لم يسطْ
ونهــر طــالــوت وجنب الله والـ ـعَينُ التي بنـورهـا العقــل خبطْ
والأُذن الــواعيــة الصـمّــاء عن كــلِّ خنــا يغـلط فيــه مـن غلطْ
حسن مآب عند ذي العـرش ومَن لــولا أيــاديــه لـكنّــا نـختـبطْ

قوله: الأُذن الواعية:

إشارةٌ إلى ما أخرجه الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ١ ص ٦٢ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: يا عليُّ:إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أُدنيك وأُعلّمك لتعي وأُنزلت هذه الآية: ﴿**وتعيها أُذُنٌ واعيةٌ**﴾. فأنت أُذنٌ واعيةٌ لعلمي. وأخرجه جمعٌ من الحفّاظ وقال القاضي عضد الأيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦: أكثر المفسِّرون (في قوله تعالى): ﴿**وتعيها أُذُنٌ واعيـةٌ**﴾ أنّه عليٌّ.

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

وال عليّـاً واستضىء مقبـاسـهُ تـدخل جنـاناً ولتسقي كـاسـهُ
فمن تــولّاه نجـا ومن عَــدا مـا عرف الـدِّين ولا أسـاسـهُ
أوَّل مَن قــد وحّـد الله ومـا ثنى إلى الأوثـان يـومـاً راسـهُ
فـدى النبيَّ المصطفى بنفسـه إذ ضيَّقت أعــداؤه أنفـاســهُ
بــات على فـرش النبيِّ آمنــاً والليـل قد طـافت به أحـراسهُ
حتى إذا مـا هجم القوم على مُستـيقظٍ بـنصـله أشمـاســهُ
ثــار إليهم فتــولّــوا مــزقــاً يمنعهم عن قـربـه حمـاسـهُ

مُكسِّر الأصنام في البيت الذي أُزيح عن وجه الهدى غماسهُ
رقى على الكاهل من خير الورى والدين مقرونٌ به أنباسهُ
ونكّس اللاّت وألقى هبَلاً مُهشّماً يقلبه انتكاسهُ
وقام مولايَ على البيت وقد طهَّره إذ قد رمى أرجاسهُ
واقتلع الباب اقتلاعاً معجزاً يسمع في دويّه ارتجاسهُ
كأنّه شرارةٌ لموقد أخرجها من ناره مقباسهُ
مَن قد ثنى عمرو بن ودٍّ ساجياً إذ جزع الخندق ثمَّ جاسهُ
مَن هبط الجبَّ ولم يخش الرَّدى والماء منحلّ السقا فجاسهُ
مَن أحرق الجنَّ برجم شهبه أشواظه يقدمها نحاسهُ
حتّى انثنت لأمره مذعنةً ومنهمُ بالعوذ احتراسهُ

«بيان»:

أشار بقوله: مَن هَبَط الجبَّ. إلى ما أخرجه الإمام أحمد في المناقب عن عليّ عليه السَّلام قال: لَمّا كان ليلة بدر قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس عنه فقام عليّ فاعتصم بالقربة ثمَّ أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل: تأهّبوا لنصر محمَّد وحزبه. فهبطوا من السَّماء لهم لفظٌ يزعر من سمعه فلمّا مرّوا بالبئر سلّموا عليه من أوَّلهم إلى آخرهم إكراماً له وتبجيلاً. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٥٠.

وله في مدحه صلوات الله عليه قوله:

هذا الَّذي أردى الوليد وعتبة والعامريَّ وذا الخمار ومرحبا
هذا الَّذي هشمت يداه فوارساً قسراً ولم يك خائفاً مترقِّبا
في كلِّ منبت شعرةٍ من جسمه أسدٌ يمدُّ إلى الفريسة مخلبا

وله فيه سلام الله عليه قوله:

أبا حسن جعلتك لي ملاذاً ألوذ به ويشملني الزِّماما
فكن لي شافعاً في يوم حشري وتجعل دار قدسك لي مقاما
لأنّي لم أكن مِن نعثليٍّ ولا أهوى عتيق ولا دماما

وله مادحاً أهل البيت الطاهر قوله:

يا لائمي في الولا هل أنت تعتبرُ   بمن يُوالي رسول الله أو يذرُ؟
قومٌ لو أنَّ البحـار تنزف بـالأ   قلام مشقاً وأقلام الدُّنا شجرُ(١)
والإنس والجنُّ كُتّابٌ لفضلهمُ   والصحف ما احتوت الآصال والبكرُ
لم يكتبوا العُشر بل لم يعد جهدهمُ   في ذلك الفضل إلاّ وهو محتقرُ
أهل الفخار وأقطاب المدارِ وَمَنْ   أضحت لأمـرهمُ الأيّام تـأتمرُ
هم آل أحمد والصيد الجحاجحة الز   هـر الغطارفـة العلويَّـة الغـررُ
والبيض من هـاشم والأكرمـون اولـوا الفضـل الجيـل ومن سـادت بهم مضـرُ.
فافطن بعقلك هل في القدر غيرهمُ   قـومٌ يكـاد إليهم يـرجـع القـدرُ
أُعطوا الصفا نهلاً أعطوا النبوّة مِن   قبـل المـزاج فلم يلحق بهم كـدرُ
وتـوّجـوا شـرفـاً مـا مثله شـرفٌ   وقـلّدوا خـطراً مـا مثـله خـطرُ
حسبي بهم حججـاً للّه واضحـةً   يجري الصَّلاة عليهم أينما ذكروا
هم دوحة المجد والأوراق شيعتهم   والمصطفى الأصل والذريَّة الثمر(٢)

وله في رثاء أهل البيت قوله:-

يا آل أحمد ماذا كان جرمكمُ؟   فكلُّ أرواحكم بالسيف تُنتزعُ
تلفى جمـوعكمُ شتى مُفـرَّقـة   بين العباد وشمل الناس مجتمعُ
وتستبـاحـون أقمـاراً مُنكَّسـةً   تهوي وأرؤسها بالسُّمر تقترعُ
ألستمُ خير من قام الرَّشاد بكم   وقوّضت سنن التضليل والبدعُ؟!
ووُحِّد الصمد الأعلى بهديكمُ   إذ كنتمُ علمـاً للرُّشـد ويُتَّبعُ؟
مـا للحـوادث لا تجـري بـظالكم؟   مـا للمصـائب عنكم ليس تـرتـدعُ

---

(١) أشار إلى ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من قوله: لو أن الأشجار أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.
مناقب الخوارزمي ج ١: ص ٢٥٩. كفاية الطالب ص ١٢٣، تذكرة السبط ص ٨.

(٢) فيه إيعاز إلى ما مر في هذا الجزء ص ٢٥، ٢٦

منكم طريدٌ ومقتولٌ على ظمأٍ ومنكمُ دنفٌ بالسمر مُنصرعُ
وهاربٌ في أقاصي الغرب مغتربٌ ودارعٌ بدم اللبّاب مندرعُ
ومقصد من جدارٍ ظلّ مُنكدراً وآخر تحت ردمٍ فوقه يقعُ
ومن محرَّق جسم لا يُزار له قبرٌ ولا مشهدٌ يأتيه مرتدعُ
وإن نسيت فلا أنسى الحسين وقد مالت إليه جنود الشرك تقترعُ
فجسمه لحوامي الخيل مطَّرد ورأسه لسنان السّمر مرتفعُ

وله في رثائهم سلام الله عليهم قوله :

بنو المصطفى تفنون بالسيف عنوةً ويسلمني طيف الهجوع فاهجعُ!
ظلمتم وذُبّحتم وقسِّم فيئكم وجار عليكم مَن لكم كان يخضعُ
فما بقعةٌ في الأرض شرقاً ومغرباً وإلّا لكم فيه قتيلٌ ومصرعُ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السَّلام قوله :

أُعاتب عيني إذا أقصرتْ وأفني دموعي إذا ما جرتْ
لذكراكمُ يا بني المصطفى دموعي على الخطِّ قد سطَّرتْ
لكم وعليكم جفت غمضها جفوني عن النوم واستشعرتْ
أُمثِّل أجسادكم بالعراق وفيها الأسنَّة قد كسِّرتْ
أُمثلكم في عِراص الطفوف بدوراً تكسَّف إذ أقمرتْ
غدت أرض يثرب من جمعكم كخطِّ الصحيفة إذ أقفرتْ
وأضحى بكم كربلا مغرباً كزهر النجوم إذا غوَّرتْ
كأنّي بزينب حول الحسين ومنها الذوائب قد نُشِّرتْ
تمرِّغ في نحره وجهها وتُبدي من الوجدِ ما أضمرتْ
وفاطمةٌ لها طائرٌ إذ السوطَ في جنبها أبصرتْ
ولِلسبط فوق السرى جُثَّةٌ بفيض دم النحر قد عُفِّرتْ
وفتيته فوق وجد الثرى كمثل الأضاحي إذا جُزِّرتْ
وأرؤسهم فوق سُمر قنا كمثل الغصون إذا أثمرتْ
ورأس الحسين أمام الرّفاق كغرَّة صُبح إذا أسفرتْ

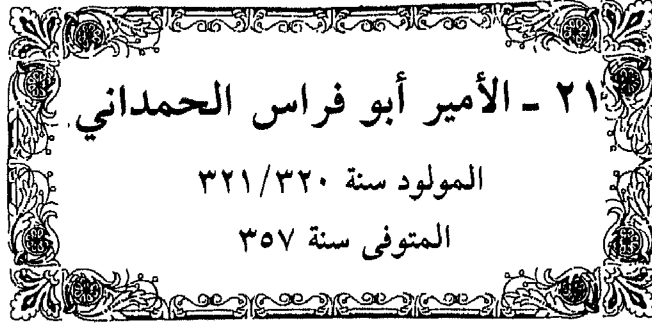
وله في رثائه صلوات الله عليه قوله:

ابكي يا عين ابكي آل رسول ا ... لله حتّى تُخدَّ منكِ الخدودُ
وتقلَّب يا قلبُ في ضَرم الحزن ... فما في الشجا لهم تفنيدُ
فهمُ النخل باسقاتٌ كما قال ... سوامٌ لهنَّ طلعٌ نضيدُ
وهمُ في الكتاب زيتونة النور ... وفيها لكلِّ نارٍ وقودُ
وبأسمائهم إذا ذكر الله ... بأسمائه اقترانٌ أكيدُ
غادرتهم حوادث الدَّهر صرعى ... كلُّ شهم بالنفس منه يجودُ
لست أنسى الحسين في كربلاء ... وهو ظامٍ بين الأعادي وحيدُ
ساجدٌ يلثم الثرى وعليه ... قضب الهند رُكَّعٌ وسجودُ
يطلب الماء والفرات قريبٌ ... ويرى الماء وهو عنه بعيدُ
يا بني الغدر مَن قتلتم؟ لعمري ... قد قتلتم مَن قام فيه الوجودُ

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم:

قومٌ سماؤهمُ السيوف وأرضهم ... أعداؤهم ودم النّحور بُحورها
يستمطرون من العجاج سحائباً ... صوب الحتوف على الزحوف مطيرها
وحَنادس الفتن التي إن أظلمت ... فشموسها آراؤهم وبُدورها
ملكوا الجنان بفضلهم فرياضها ... طرّاً لهم وخيامها وقُصورها
وإذا الذُّنوب تضاعفت فبحبِّهم ... يُعطي الأمان أخا الذنوب غفورها
تلك النجوم الزُّهر في أبراجها ... ومن السنين بهم تتمُّ شهورها

أخذنا ترجمة (الزاهي) من تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٥٠. يتيمة الدهر ج ١ ص١٩٨. أنساب السمعاني. مناقب ابن شهرآشوب ومعالمه. تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٩٠. مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٤٩. مجالس المؤمنين ٤٥٩. بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٥٥ الكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٥٧. دائرة المعارف للبستاني ج ٩ ص ١٦١. الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٦٥٩.



الحقُّ مُهتضمٌ والـدين مُخترمُ ... وفيء آل رســول الله مُقتسـمُ
والناس عندك لا ناسٌ فيحفظهم ... سوم الرُّعـاة ولا شاءٌ ولا نعمُ
إنّي أبيت قليــل النَّوم أرَّقني ... قلبٌ تَصارع فيه الهمُّ والهممُ
وعزمةٌ لا ينـام الليل صـاحبها ... إلّا على ظفـر في طيِّـه كـرمُ
يُصـان مُهـري لأمـرٍ لا أبـوح بـه ... والدرع والرمح والصمصامة الخذمُ(١)
وكـلّ مـائـرة الضبعـين مسرحهـا ... رمث الجزيرة والخذراف والعنمُ(٢)
وفتيــةٌ قلبهم قلبٌ إذا ركبــوا ... وليس رأيهمُ رأيـاً إذا عـزمـوا
يـا للرِّجـال أمـا لِله منتصـرٌ ... من الـطغـاة؟ أمـا لِله مُنتقمُ؟
بنـو عليٍّ رعايـا في ديـارهمُ ... والأمر تملكه النسوان والخدمُ
محلّئون فأصفى شربهم وشَلٌ ... عند الورود وأوفى وِدِّهم لممُ(٣)
فالأرض إلّا على ملّاكها سعةٌ ... والمـال إلّا على أربـابـهِ ديمُ
فما السعيد بها إلّا الذي ظُلموا ... وما الشقيُّ بها إلّا الذي ظلموا
لِلمتَّقين من الـدنيـا عـواقبهـا ... وإن تعجَّل منها الـظالم الأثمُ

(١) الخذم من السيوف بالخاء المهملة: القاطع.
(٢) مار: تحرك. الضبع: العضد. كناية عن السمن. الرمث بكسر المهملة: خشب يضم بعضه إلى بعض ويسمى: الطوف. الخذراف بكسر الخاء ثم الدال المعجمتين: نبات إذا أحس بـالصيف يبس. العنم بفتح المهملة. نبات له ثمرة حمراء يشبه بهالبنان المخضوب.
(٣) حلاه عن الماء: طرده. الوشل الماء القليل. لمم: أي غب.

أَتفخـرون عليهم لا أبـاً لكمُ حتّى كأنَّ رسول الله جدُّكمُ؟!
ولا تـوازن فيما بينكم شـرفٌ ولا تساوت لكم في موطن قدمُ
ولا لكم مثلهـم في المجـد متصـلٌ ولا لجـدِّكُـم معـشار جـدِّهـمُ
ولا لعـرقكمُ من عرقهم شبـهٌ ولا نثيلتكم من أُمِّهم أمـمُ(١)
قامٍ النبيُّ بها «يوم الغدير» لهم والله يشهـد والأملاك والأُممُ
حتى إذا أصبحت في غـير صاحبها بـاتت تُنازعهـا الـذُّؤبـان والـرخمُ
وصيَّروا أمرهم شـورى كأنَّهمُ لا يعـرفـون وُلاة الحقِّ أيّهمُ
تالله ما جهل الأقوام مـوضعها لكنَّهم ستروا وجه الّذي علموا
ثمّ ادَّعاها بنو العبّاس ملكهم ولا لهم قَـدَمٌ فيهـا ولا قِـدمُ
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا ولا يُحَكَّم في أمر لهم حِكَـمُ
ولا رآهم أبـو بكـر وصـاحبـه أهلاً لما طلبوا منها وما زعموا
فهل هُم مدَّعوها غيـر واجبةٍ؟ أم هل أئمَّتهم في أخذها ظلموا؟
أمّـا عليٌّ فـأدنى من قـرابتكم عند الولاية إن لم تُكفر النعمُ
أينكـر الحبر عبـد الله نعمته؟ أبوكمُ أم عُبيد الله أم قثمُ؟!؟!
بئس الجـزاءُ جـزيتم في بني حسـن أبـاهـم الـعَـلَم الهـادي وأُمَّـهـمُ
لا بيعـة ردَّعتكم عن دمـائهمُ ولا يمين ولا قُـربى ولا ذِممُ
هـلّا صفحتم عن الأسرى بلا سبب لِلصّـافحين ببـدر عن أسيركمُ؟!
هلّا كففتم عن الديبـاج سوطكمُ(٢) وعن بنـات رسول اللّه شتمكمُ؟(٣)
ما نزِّهت لـرسول الله مهجتـه عن السياط فهلّا نـزّه الحرمُ؟
مـا نال منهم بنـو حرب وإن عـظمت تـلك الجـرائـر إلّا دون نيـلكـمُ
كم غـدرةٍ لكم في الـدين واضحـةٍ وكـم دمٍ لـرسـول اللّه عـنـدكمُ
أنتم له شيعةٌ فيمـا ترون وفي أظفاركم من بنيه الطاهرين دمُ

(١) نثيلة هي ام العباس بن عبد المطلب. الأمم: القرب.

(٢) الديباج هو محمد بن عبدالله العثماني أخو بني حسن لامّهم فاطمة بنت الحسين السبط ضربه المنصور مأتين وخمسين سوطاً.

(٣) لعله أشار إلى قول منصور لمحمد الديباج: يا بن اللخناء. فقال محمد: بأبي أُمهاتي تعيِّرني؟ أبفاطمة بنت الحسين؟ أم بفاطمة الزهراء؟ أم برقية؟.

هيهات لا قرَّبت قربى ولا رحمُ يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
كانت مودة سلمانٍ له رحِماً ولم يكن بين نوح وابنه رحِمُ
يـا جاهـداً في مساويهم يُكتّمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتمُ؟(١)
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا لو أنصف الحكمُ
ذاق الزبيري غبَّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتّهمُ(٢)
باؤا بقتل الرِّضا مِن بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رُشدهم وعَموا
يا عصبة شقيت مِن بعدما سعدتْ ومعشراً هلكوا من بعدِ ما سلموا
لبئسما لقيت منهم وإن بليت بجانب الطفِّ تلك الأعظم الرِّممُ(٣)
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا ولا الهبيريّ نجّا الحلف والقسمُ(٤)
ولا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا فيه الوفاء ولا عن غيِّهم حلموا(٥)
أبلغ لديك بني العبّاس مالكةً لا يدَّعوا ملكها ملاّكها العجمُ
أيّ المفاخر أمست في منازلكم وغيركم آمرٌ فيها ومحتكمُ؟
أنّى يـزيـدكـمُ في مفخر عَـلمٌ؟ وفي الخـلاف عليكـم يخفـق العَـلمُ
يَـا باعـة الخمر كفّـوا عن مفاخـركم لـمعشر بيعهم يوم الهياج دمُ
خلّوا الفخار لعلاّمين إن سُئلوا يوم السؤال وعمّالين إن عملوا
لا يغضبـون لغيـر الله إن غضبـوا ولا يضيعـون حكم الله إن حكمـوا
تُنشي التلاوة في أبياتهم سحراً وفي بيوتكمُ الأوتار والنغمُ

---

(١) أشار إلى غدر الرشيد بيحيى بن عبدالله بن الحسن الخارج ببلاد الديلم سنة ١٧٦ فإنه أمنه ثم غدره وحبسه ومات في حبسه.

(٢) الزبيري هو عبدالله بن مصعب بن الزبير باهله يحيى بن عبدالله بن حسن فتفرقا فما وصل الزبيري إلى داره حتى جعل يصيح: بطني بطني. ومات.

(٣) أشار إلى ما فعله المتوكل بقبر الإمام الشهيد.

(٤) أبو مسلم هو الخراساني مؤسس دولة بني العباس قتله المنصور والهبيري: هو يزيد بن عمر بن هبيرة أحد ولاة بني امية حاربه بنو العباس أيام السفاح ثم أمنوه فخرج إلى المنصور بعد المواثيق والأيمان فغدروا به وقتلوه سنة ١٣٢ .

(٥) استعمل السفاح أخاه يحيى بن محمد على الموصل فأمنهم ونادى: من دخل الجامع فهو آمن. وأقام الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلاً ذريعاً قيل: إنه قتل فيه أحد عشر ألفاً ممن له خاتم، وخلقاً كثيراً ممن ليس له خاتم، وأمر بقتل النساء والصبيان ثلاثة أيام وذلك في سنة ١٣٢.

منكم عُلّية أمّ منهم؟ وكان لكم شيخ المغنِّين إبراهيم أم لهمُ؟[1]
إذا تلوا سورةً غنّى إمامكمُ قف بالطلول التي لم يعفها القِدمُ
مافي بيوتهمُ للخمر مُعتصرٌ ولا بيوتكمُ لِلسّوء مُعتصمُ
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم ولا يُرى لهمُ قردٌ ولا حشمُ[2]
الركن والبيت والأستار منزلهم وزمزم والصّفا والحجر والحرمُ
وليس مِن قَسَمٍ في الذِّكر نعرفه إلاّ وهم غير شكٍّ ذلك القسمُ

(ما يتبع الشعر)

توجد هذه القصيدة كما رسمناها ٥٨ بيتاً في ديوانه المخطوط المشفوع بشرحه لابن خالويه النحوي المعاصر له المتوفّى بحلب في خدمة بني حمدان سنة ٣٧٠، وخمَّس منها العلاّمة الشيخ إبراهيم يحيى العاملي ٥٤ بيتاً، وذكر تخميسه في [منن الرَّحمان] ج ١ ص ١٤٣ مستهلّه :

يا للرِّجال لجرحٍ يلتئمُ عمر الزمان وداءٌ ليس ينحسمُ
حتّى متى أيّها الأقوام والأُممُ الحقُّ مهتضمٌ والدين مخترم
أودى هدى الناس حتّى إنَّ أحفظهم للخير صار بقول السّوء ألفظهم
فكيف توقظهم إن كنت موقظهم والناس عندك لاناسٌ فيحفظهم

وهي التي شرحها أبو المكارم محمَّد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي المتوفّى ٥٦٥، وشرحها إبن أمير الحاجّ بشرحه المعروف المطبوع وتوجد بتمامها في «الحدائق الورديَّة» المخطوط، وذكرها القاضي في «مجالس المؤمنين» ص ٤١١ ، والسيِّد ميرزا حسن الزنوزي في «رياض الجنَّة» في الرَّوضة الخامسة ستِّين بيتاً ، وهي التي شطَّرها العلاّمة السيّد محسن الأمين العاملي . وإليك نصُّ البيتين الزائدين :

أمِّن تُشاد له الألحان سائرةً عليّهم ذو المعالي أم عليّكم؟[3]

---

(١) علية : بنت المهدي بن المنصور كانت عوادة . وإبراهيم أخوها كان مغنياً وعواداً.
(٢) الخنثى : هو عبادة نديم المتوكل . والقرد كان لزبيدة .
(٣) بعد البيت الـ ٥٣ .

صلّى الإلَـه عليهم كلَّما سجعت ورقٌ فهم لِلورى كهفٌ ومعتصم(١)

وأسقط ناشر الديوان منها أبياتاً وذكرها ٥٣ بيتاً وأحسب أنَّه التقط أبياتاً ما كان يروقه مفادها ودونك الإشارة إليها :

١ - وكلِّ مائرة الضبعين مسرحها
٢ - وفتيةٌ قلبهم قلبٌ إذا ركبوا
٣ - فما السعيد بها إلاّ الذي ظلموا
٤ - لِلمتَّقين من الدنيا عواقبها
٥ - ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
٦ - يا باعة الخمر كفُّوا عن مفاخركم
٧ - صلّى الإلَه عليهم كلّما سجعت

هذه القصيدة تعرف بـ «الشافية» وهي من القصائد الخالدة التي تصافقت المصادر على ذكرها أو ذكر بعضها(٢) أو الإيعاز إليها، مطَّردةٌ متداولةٌ بين الادباء، محفوظةٌ عند الشيعة وقسمائهم منذ عهد نظمها ناظمها أمير السيف والقلم وإلى الآن، وستبقى خالدةً مع الدهر، وذلك لِما عليها من مسحة البلاغة، ورونق الجزالة، وجودة السرد، وقوَّة الحجَّة، وفخامة المعنى، وسلاسة اللفظ، وَلمّا أنشد ناظمها (الأمير) أمر خمسمائة سيف وقيل أكثر يُشهر في المعسكر(٣) نظمها لَمّا وقف على قصيدة ابن سكرة العبّاسي التي أوّلها :

بني عليٍّ دعوا مقالتكم لا ينقص الدرّ وضع من وضعه

وللأمير أبي فراس هائيَّةٌ يمدح بها أهل البيت وفيها ذكر «الغدير» وهي :

يومٌ بسفح الدار لا أنساهُ أرعى له دهري الذي أولاهُ
يومٌ عمرت العمر فيه بفتيةٍ من نورهم أخذ الزمان بهاهُ

(١) مختتم القصيدة.
(٢) ذكر سراج الدين السيد محمد الرفاعي المتوفّى سنة ٨٨٥ في «صحاح الأخبار» ص ٢٦ من القصيدة ثمانية أبيات وقال : القصيدة طويلة ليس هذا محل ذكرها.
(٣) كما ذكره الفتوني في كشكوله، وأبو علي في رجاله ص ٣٤٩.

فكأنّ أوجههم ضياء نهاره ... وكأنّ أوجههم نجوم دجاهُ
ومهفهف كالغصن حسن قوامه ... والظبي منه إذا رنا عيناهُ
نازعته كأساً كأنّ ضياءها ... لَمّا تبدَّت في الظلام ضياهُ
في ليلةٍ حسنت لنا بوصاله ... فكأنّما من حسنها إيّاهُ
وكأنّما فيها الثريّا إذ بدت ... كفٌّ يُشير إلى الذي يهواهُ
والبدر منتصف الضياء كأنّه ... مُتبسّمٌ بالكفّ يسترقاهُ
ظبيٌ لو أنَّ الدرَّ مرَّ بخدِّه ... من دون لحظة ناظر أدماهُ
إن لم أكن أهواه أو أهوى الرَّدى ... في العالمين لكلِّ ما يهواهُ
فحرمت قرب الوصل منه مثل ما ... حُرم الحسين الماء وهو يراهُ
إذ قال: اسقوني. فعوِّض بالقنا ... من شرب عذب الماء ما أرواهُ
فاجتزَّ رأساً طالما من حجره ... أدنته كفّا جدِّه ويداهُ
يومٌ بعين الله كان وإنّما ... يُملي لظلم الظالمين اللهُ
وكذاك لو أردى عُداة نبيِّه ... ذو العرش ما عرف النبيَّ عَداهُ
يومٌ عليه تغيّرت شمس الضحى ... وبكت دماً ممّا رأته سماهُ
لا عذر فيه لمهجةٍ لم تنفطر ... أو ذي بُكاء لم تفض عيناهُ
تبّاً لقوم تابعوا أهواءَهم ... فيما يسوؤُهم غداً عقباهُ
أتراهمُ لم يسمعوا ما خصّه ... منه النبيُّ مِن المقال أباهُ ؟!
إذ قال يوم «غدير خمّ» معلناً ... : من كنت مولاه فذا مولاهُ
هذا وصيّته إليه فافهموا ... يا مَن يقول بأنَّ ما أوصاهُ
أقروا من القرآن ما في فضله ... وتأمّلوه وافهموا فحواهُ
لو لم تُنزَّل فيه إلاّ هل أتى ... من دون كلِّ مُنزَّل لكفاهُ
مَن كان أوَّل مَن حوى القرآن من ... لفظ النبيِّ ونطقه وتلاهُ؟!
مَن كان صاحب فتح خيبر؟ من رمى ... بالكفّ منه بابه ودحاهُ؟!
مَن عاضد المختار من دون الورى؟ ... مَن آزر المختار مَن آخاهُ؟!
مَن بات فوق فراشه متنكّراً ... لَمّا أطلَّ فراشه أعداهُ؟
مَن ذا أراد إلهنا بمقاله ... : الصّادقون القانتون سواهُ ؟!

مَن خصَّه جبريل من ربِّ العُلى   بتحيَّـةٍ من ربِّـه وحبـاهُ ؟!
أظـنـنـتـمُ أن تـقـتـلوا أولاده   ويـظلّكم يوم المعـاد لواهُ ؟!
أو تشربـوا من حوضـه بيمينـه   كأساً وقد شرب الحسين دماهُ؟!
طـوبى لمن ألقـاه يـوم أُوامـه   فـاستـلَّ يـوم حيـاتـه وسقـاهُ
قد قال قبلي في قريض قائلٌ   : ويـلٌ لمن شفعاؤه خصماهُ
أنسيتمُ يـوم الـكسـاء وإنَّـه   ممَّن حواه مع النبيِّ كساهُ ؟!
يـا ربِّ إنّي مُهتـدٍ بهـداهمُ   لا أهتـدي يوم الهـدى بسواهُ
أهوى الذي يهـوى النبيَّ وآله   أبـداً وأشنـأ كـلَّ من يشنـاهُ
وأقـول قـولاً يُستـدلُّ بـأنَّـه   مُستبصـرٌ مـن قـالـه ورواهُ
شعـراً يودّ السـامعون لـو أنَّـه   لا ينقضي طول الزَّمـان هداه
يُغري الرُّواة إذا روتـه بحفظه   ويـروق حسن رويِّـه معنـاهُ

الشاعر

أبـو فراس الحـارث بن أبي العلاء سعيـد بن حمـدان بن حمـدون بن الحـارث بن لقمـان بن راشـد بن المثّنى بن رافـع بن الحـارث بن عـطيف بن محربة بن حارثة بن مـالك بن عُبيـد بن عدي بن اسـامة بن مـالك بن بكـر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب الحمداني التغلبي.

ربما يرتج القول في المترجَم وأمثاله، فلا يـدري القائـل ماذا يصف، أيُطريه عـنـد صياغة القول؟ أو يصفه عند قيادة العسكر؟ وهل هو عند ذلك أبـرع؟ أم عنـد هذا أشجـع؟ وهل هـو لجمل القـوافي أسبك؟ أم لازمَّـة الجيـوش أملك؟

والـخـلاصة أنَّ الرَّجل بارعٌ في الصفتين، ومتقدِّمٌ في المقامين، جمع بين هيبة الملوك، وظروف الادباء، وضمَّ إلى جلالة الامراء لطف مفاكهة الشعراء، وجمع له بين السيف والقلم، فهو حين ما ينطق بفم كما هو عند ثباته على قَدم، فلا الحرب تروعه، ولا القافية تعصيه، ولا الرَّوع يهزمه، ولا روعة البيان تعدوه، فلقد كان المقدَّم بين شعراء عصره، كما أنَّه كان المتقدِّم على امرائه، وقد تُرجم بعض أشعاره إلى اللغة الألمانيَّة كما في دائرة المعارف الإسلاميَّة.

قال الثعالبي في يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٧ : كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ونبلاً، ومجداً وبلاغة وبراعةً، وفروسيَّة وشجاعةً، وشعره مشهورٌ سائرٌ بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظرف، وعزّة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلّا في شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يُعدُّ أشعر منه عند أهل الصنعة، ونقدة الكلام، وكان الصاحب يقول: (بُدىء الشعر بملك وختم بملك) يعني امرأ القيس وأبا فراس، وكان المتنبي يشهد له بالتقدُّم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح مَن دونه من آل حمدان تهيّباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً ، وكان سيف الدَّولة يعجب جِدّاً بمحاسن أبي فراس ، ويميِّزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدرَّ الثمين في مكاتباته إيّاه ، ويوافيه حقَّ سؤدده ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته . اهـ .

وتبعه في إطرائه والثناء عليه إبن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٤٤٠ . وإبن شهر اشوب في معالم العلماء . إبن الأثير في الكامل ج ٨ ص ١٩٤ . إبن خلكان في تاريخه ج ١ ص ١٣٨ . أبو الفدا في تاريخه ج٢ ص ١١٤ . اليافعي في مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٦٩. ومؤلِّفي شدرات الذهب ج ٣ ص ٢٤. مجالس المؤمنين ص ٤١١ . رياض العلماء. أمل الآمل ص ٢٦٦. منتهى المقال ص ٣٤٩. رياض الجنَّة في الروضة الخامسة. دائرة المعارف للبستاني ج ٢ ص ٣٠٠. دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٧ ص ١٥٠. روضات الجنات ص ٢٠٦ . قاموس الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٠٢. كشف الظنون ج ١ ص ٥٠٢. تاريخ آداب اللغة ج ٢ ص ٢٤١. الشيعة وفنون الإسلام ١٠٧. معجم المطبوعات. دائرة المعارف الإسلاميَّة ج ١ ص ٣٨٧. وجمع شتات ترجمته وأوعى سيّدنا المحسن الأمين في ٢٦٠ صحيفة في أعيان الشيعة في الجزء الثامن عشر ص ٢٩ - ٢٩٨ .

كان المترجَم يسكن منبج، وينتقل في بلاد الشام في دولة ابن عمِّه أبي

الحسن سيف الدولة، واشتهر في عدَّة معارك معه، حارب بها الروم، أُسر مرَّتين فالمرَّة الأولى بـ (مغارة الكحل) سنة ٣٤٨ وما تعدّوا به «خرشنة» وهي قلعةٌ ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها، وفيها يقال: إنَّه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات والله أعلم.

والمرَّة الثانية: أسرته الروم على منبج، وكان متقلِّداً بها في شوّال سنة ٣٥١، أُسر وهو جريحٌ وقد أصابه سهمٌ بقي نصله في فخذه وحصل مثخناً بخرشنة ثمَّ بقسطنطينة وأقام في الأسر أربع سنين، لتعذُّر المفاداة واستفكَّه من الأسر سيف الدولة سنة ٣٥٥، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض، واستزادة سيف الدولة وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبّائه والتبرّم بحاله ومكانه، عن صدر حرجٍ؛ وقلبٍ شجٍ، تزداد رقَّةً ولطافةً، تُبكي سامعها، وتعلق بالحفظ لسلاستها، تُسمّى بالرُّوميات.

قال ابن خالويه: قال أبو فراس: لمّا حَلَلْتُ بالقسطنطينة أكرمني ملك الروم إكراماً لم يكرمه أسيراً قبلي، وذلك أنَّ من رسومهم أن لا يركب أسيرٌ في مدينة ملكهم دابةً قبل لقاء الملك، وأن يمشي في ملعب لهم يعرف بالبطوم مكشوف الرأس ويسجد فيه ثلاث سجدات أو نحوها، ويدوس الملك رقبته في مجمع لهم يعرف بالتوري، فأعفاني من جميع ذلك ونقلني لوقتي إلى دار وجعل لي [برطسان] يخدمني، وأمر بإكرامي ونقل مَن أردته من أسارى المسلمين إليَّ، وبذل لي المفاداة مفرداً، وأبيت بعدما وهب الله لي من الكرامة ورُزقته من العافية والجاه أن أختار نفسي على المسلمين، وشرعت مع ملك الروم بالفداء ولم يكن الأمير سيف الدولة يستبقي أسارى الروم، فكان في أيديهم فضل ثلاثة آلاف أسير ممَّن أُخذ من الأعمال والعساكر فابتعتهم بمئتي ألف دينار روميَّة على أن يوقع الفداء وأشتري هذه الفضيلة وضمنت المال والمسلمين وخرجتُ بهم من القسطنطينة وتقدَّمتُ بوجوههم إلى «خرشنة» ولم يعقد قطُّ فداء مع أسير ولا هدنة فقلت في ذلك شعراً:

ولِله عندي في الأسار وغيره ... مواهب لم يخصص بها أحدٌ قبلي

حللت عقوداً أعجز الناس حلّها | وما زال عقدي لا يذمُّ ولا حلّي
إذا عاينتني الرّوم كبَّر صيدها | كأنَّهمُ أسرى لديَّ وفي كبلي
وأوسع أيّاماً حللت كرامةً | كأنيَ من أهلي نقلت إلى أهلي
فقل لبني عمّي وأبلغ بني أبي : | بأنّيَ في نعماء يشكرها مثلي
وما شاء ربّي غير نشر محاسني | وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

وقال يفتخر وقد بلغه أنَّ الروم قالت: ما أسرنا أحداً لم نسلب ثيابه غير أبي فراس.

أراك عصيَّ الدَّمع شيمتك الصبرُ | أما للهوى نهيٌ لديك ولا أمرُ ؟
بلى أنا مشتاق وعنديَ لوعةٌ | ولكنَّ مثلي لا يُذاع له سرُّ
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى | وأذللت دمعاً من خلائقه الكبرُ
تكاد تُضيء النار بين جوانحي | إذا هي أذكتها الصبابة والفكرُ

ويقول فيها :

أُسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى | ولا فرسي مهرٌ ولا ربّه غمرُ
ولكن إذا حمَّ القضاء على امرىءٍ | فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أُصيحابي : الفرار أو الردى | فقلت : هما أمران أحلاهما المرُّ
ولكنّني أمضي لما لا يعيبني | وحسبك من أمرين خيرهما الأسرُ
يقولون لي : بعت السّلامة بالرَّدى | فقلتُ لهم : واللّه ما نالني خسرُ
هو الموت فاختر ما علا لك ذكره | ولم يمت الإنسان ما حيّه الذِّكرُ
ولا خير في ردِّ الرَّدى بمذلَّة | كما ردَّه يوماً بسوءته عمرو
يمنّون أن خلّوا ثيابي وإنَّما | عليّ ثيابٌ من دمائهمُ حمرُ
وقائم سيفي فيهمُ دقَّ نصله | وأعقاب رمحي منهمُ حُطّم الصَّدرُ
سيذكرني قومي إذا جدَّ جدّهم | وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ
فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه | وتلك القنا والبيض والضمر الشقرُ
وإن متُّ فالإنسان لا بدَّ ميِّتٌ | وإن طالت الأيّام وانفسح العمرُ
ولو سدَّ غيري ما سددت اكتفوا به | وما كان يغلو التِّبر لو نفق الصفرُ

ونحن أُناس لا توسّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهرُ
أعزّ بني الدنيا وأعلا ذوي العلا وأكرم من فوق التراب ولا فخرُ

وقال لمّا أُسر:

ما للعبيد مِن الّذي يقضي به الله امتناعُ
ذدتُ الأُسود عن الفرا ئس ثمَّ تفرسني الضباعُ

وقال:

قد عذب الموت بأفواهنا والموت خيرٌ من مقام الذليلْ
إنّا إلى الله لما نابنا وفي سبيل الله خير السبيلْ

وقال لما ورد أسيراً بخرشنة:

إن زرت خرشنة أسيراً فلكم حللت بها مغيرا
ولقد رأيت السبي يجل ب نحونا حوّاً وحورا
ولقد رأيت النّار تنـ ـتهب المنازل والقصورا
من كان مثلي لم يبت إلّا أميراً أو أسيرا
ليست تحلُّ سراتنا إلّا الصدور أو القبورا

ولَمّا ثقل الجراح وآيس من نفسه وهو أسير كتب إلى والدته يُعزِّيها بنفسه:

مصابي جليلٌ والعزاء جميلُ وعلمي بأنّ الله سوف يُديلُ
وإنّي لفي هذا الصباح لصالحٌ ولي كلّما جنَّ الظلام غليلُ
ومانال منّي الأسر ما ترينانه ولكنّني دامي الجراح عليلُ
جراحٌ تتحاماه الأُساة مخافة وسقمان بادٍ منهما ودخيلُ
وأسرٌ أُقاسيه وليل نجومه أرى كلَّ شيءٍ غيرهنَّ يزولُ
تطول بي الساعات وهي قصيرةٌ وفي كلِّ دهر لا يسرّك طولُ
تناساني الأصحاب إلّا عصابةٌ ستلحق بالأُخرى غداً وتحولُ
وإنَّ الذي يبقى على العهد منهمُ وإن كثرت دعواهمُ لقليلُ

أُقلّب طـرفي لا أرى غـير صـاحب يميـل مـع النعـماء كيف تميـلُ
وصرنا نرى أنَّ المُتارِك محسنٌ وإنّ خليـلاً لا يضـرُّ وَصـولُ
وليس زمـاني وحده بيَ غـادرٌ ولا صاحبي دون الرِّجال ملولُ
ومـا أثري يـوم اللقـاء مـذمّمٌ ولا مـوقفي عند الأسـار ذليلُ
تصفّحت أقـوال الـرجـال فلم يكن إلى غـير شـاك لـلزمـان وصـولُ
أكلُّ خليلٍ هكذا غير مُنصفٍ وكـلُّ زمـان بـالكـرام بخيـلُ
نعم دعت الـدنيـا إلى الغـدر دعـوةً أجـاب إليـهـا عـالمٌ وجـهـولُ
وقبـلي كـان الغـدر في النـاس شيمـةً وذُمّ زمـانٌ واسـتـلام خـليـلُ
وفارق عمرو بن الزبير شقيقـه وخلّى أميـر المؤمنين عقيـلُ
فيا حسرتي من لي بخلٍّ موافقٍ يقـول بشجـوي مـرَّة وأقـولُ
وإنَّ وراء الستـر أمّـاً بكـاؤهـا عليَّ وإن طال الزمـان طويـلُ
فيـا أمَّنـا لا تعـدمي الصـبر إنَّـه إلى الخير والنجح القريب رسولُ
ويا أُمّنا لا تحبطي الأجر إنّـه على قدر الصبر الجميل جزيلُ
ويـا أمَّنـا صبـراً فكـلُّ ملمَّـة تجلّي على عـلاّتها وتـزولُ
أمـالك في ذات النـطاقين أسوةٌ[1] بمكّـة والحـرب العَـوان تجـولُ
أراد ابنها أخذ الأمان فلم يُجب وتـعلم عـلمـاً إنّـه لقـتيـلُ
تأسّي كفاك الله ما تحذرينـه فقد غال هذا الناس قبلكِ غولُ
وكوني كما كانت بأُحدٍ صفيَّةٌ ولم يشف منها بالبكـاء غليلُ
فما ردَّ يوماً حمزة الخير حزنها إذا مـا علتهـا زفـرةٌ وعـويـلُ
لقيتُ نجوم الافق وهي صوارمُ وخضت ظلام الليل وهو خيولُ
ولم أرع للنفس الكريمة خلّة عشيَّـة لم يعطف عليَّ خليـلُ
ولكن لقيت الموت حتّى تركته وفيـه وفي حدِّ الحسـام فلولُ
ومن لم يق الرَّحمن فهو ممزَّق ومن لم يُعـز الله فهـو ذلـيـلُ
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه فليس لمخلوق إليـه سبيـلُ
وإن هـو لم يـدللك في كـلِّ مسلك ضـللت ولـو أنَّ السـماك دليـلُ

(١) ذات النطاقين هي أسماء بنت أبي بكر.

إذا ما وقاك الله أمراً تخافه ... فما لك ممّا تتّقيه مُقيلُ
وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصراً ... وإن جلَّ أنصارٌ وعزَّ قبيلُ
وما دام سيف الدولة الملك باقياً ... فظلّك فيّاحُ الجناب ظليلُ

قال إبن خالويه: وقال يصف أيّامه ومنازله بمنبج وكان ولايته وأقطاعه وداره بها، ويعرِّض بقوم بلغه شماتتهم فيه وهو في أسر الرّوم:

قف في رسوم المستجاب ... ونادِ أكناف المصَلّا
فالجوسق الميمون فا ... لسقياء فالنَّهر المُعلّا
أوطنتها زمن الصّبا ... وجعلت منبج لي مَحلّا
حرم الوقوف بها عليَّ ... وكان قبل اليوم حِلّا
حيث التفتُّ وجدت ماءً ... سائحاً وسكنت ظلّا
تزداد وادٍ غير قا ... صٍ منزلاً رحباً مُطلّا
وتحل بالجسر الجنا ... ن وتسكن الحصن المعلّى
تجلو عرائسه لنا ... بالبشر جنب العيش سهلا
والماء يفصل بين زهـ ... ـر الروض في الشطّين فصلا
كبساط وشيٍ جرَّدت ... أيدي القيون عليه نصلا
من كان سُرّ بما عرا ... ني فليمت ضرّاً وهزلا
لم أخلُ فيما نابني ... من أن أُعزّ وأن أُحلّا
مثلي إذا لقي الأسا ... ر فلن يُضام ولن يذّلا
رعت القلوب مهابةً ... وملأتها نُبلاً وفضلا
ما غضَّ منّي حادثٌ ... والقرم قرمٌ حيث حلّا
أنّى حللت فإنَّما ... يدعوني السيف المحَلّا
فلئن خلصتُ فإنّني ... غيظ العدى طفلاً وكهلا
ما كنت إلّا السيف زا ... د على صروف الدَّهر صقلا
ولئن قُتلتُ فإنَّما ... موت الكرام الصيد قتلا
لا يشمتنَّ بموتنا ... إلّا فتىً يفنى ويبلى

يـغتـرُّ بـالـدنـيـا الجـهـو ... ل وليس في الـدنيـا ممـلّا

قال إبن خالويه: تأخرت كتب سيف الدولة عن أبي فراس في أيّام أسره، فذلك أنَّه بلغه أنَّ بعض الأُسراء قال: إن ثقل هذا المال على الأمير كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره من الملوك وخففت علينا الأسر، وذكر أنّهم قرَّروا مع الروم إطلاق أُسراء المسلمين بما يحملونه، فاتَّهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول، لضمانه المال للروم وقال: من أين تعرفه أهل خراسان؟ فقال أبو فراس هذه القصيدة وأنفذها إلى سيف الدولة.

قال الثعالبي: كتب أبو فراس إلى سيف الدولة: مفاداتي إن تعذَّرتْ عليك فأْذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري. فأجابه سيف الدولة: من يعرفك بخراسان؟ فكتب إليه أبو فراس:

أسيف الهدى وقريع العرب ... إلام الجفـاءُ وفيم الغضبْ؟
ومـا بال كُتبك قد أصبحت ... تُنكبني مـع هـذي النكبْ؟
وأنت الكـريم وأنت الحليم ... وأنت العطوف وأنت الحدب[1]
ومـا زلتَ تسبقني بـالـجميـ ... ـل وتنزلني بالمكان الخصبْ
وانّـكَ للجبـل المشـمخـرُّ ... إليَّ بـل لِقومك بـل لِلعـربْ
وتـدفع عن حـوزتي الخطوب ... وتكشف عن نـاظريَّ الكـربْ
عُـلاً يستفـاد وعـافٍ يُعـاد ... وعـزٌّ يشـاد ونعـمى تـربْ
ومـا غضَّ منّي هـذا الأسـار ... ولكن خلصت خلوص الذهبْ
ففيم يُعـرِّضني بـالخمـولِ ... مـولى بـه نلت أعلى الـرتبْ
وكـان عتيداً لـديَّ الجواب ... ولـكن لـهيـبتـه لـم أُجبْ
أتنكـرانّي شكـوت الـزَّمان ... وأنّي عتبتـك فيمن عتبْ؟!
وإلّا رجعـت فـاعـتبتـنـي ... وصَيَّـرت لي ولقـومي الغلبْ
فـلا تنسبنَّ إليَّ الخمـول ... أقمت عليـك فلم أغـتـربْ
وأصبحت منك فإن كان فضل ... وإن كـان نقصٌ فأنت السببْ

---

(١) الحدب من حدب وتحدب عليه: تعطف..

وإنّ خــراســان إن أنكــرت ... عُــلاي فقــد عــرفتها حلبْ
ومــن أيــن يــنكــرني الأبــعــدون ... أمِن نقص جـدٍّ أمِن نقص أبْ؟!؟!
ألــسـت وإيّــاك مــن أســرةٍ ... وبيني وبينك عرق النسبْ ؟!
ودارٌ تنــاسب فيهــا الكــرام ... وتــربــيــةٌ ومــحــلٌ أشــبْ
ونــفسٌ تــكــبَّــر إلاّ عــليــك ... وتــرغــب إلاّك عمَّــن رغِــبْ
فــلا تعدلنَّ فــداك ابن عمِّــك ... لا بــل غــلامــك عمّــا يجبْ
وأنصف فــتــاك فــإنصــافــه ... من الفضل والشرف المكتسبْ
أكنت الحبيب وكنت القــريب ... ليالي أدعوك من عن كثبْ ؟!
فلمّــا بعــدت بــدت جفــوةٌ ... ولاح مــن الأمــر مــالا أُحبْ
فــلو لم أكــن بــكَ ذا خبــرةٍ ... لقلت صديقك مَن لم يغبْ

وكتب إليه أيضاً:

زمــانــي كلّه غــضبٌ وعــتــبٌ ... وأنــت عــليَّ والأيّــام إلــبُ
وعيش العــالمين لديــك سهلٌ ... وعيشي وحــده بفنــاك صعبُ

[القصيدة ١٨ بيتاً].

وبلغ إليه نعي أُمّه وهو في الحبس فقال يرثيها:

أيــا أُمَّ الأسيــر بمن أُنــادي؟ ... وقدَّمت الأيــادي والــشعــورُ
إذا ابنــكِ ســار في بــرٍّ وبحــر ... فمن يدعو له أو يستجير؟!؟!
حــرامٌ أن يبيت قــريــر عين ... ولــومٌ أن يــلمَّ بــه الســرورُ
وقــد ذقتِ المنايا والــرَّزايــا ... ولا ولــدٌ لــديــكِ ولا عشيرُ
وغاب حبيب قلبكِ عن مكانٍ ... مــلائكــة السَّمــاء بــه حضــورُ
ليبكــكِ كــلُّ يــوم صمتِ فيــه ... مصــابــرةً وقــد حمي الهجيــرُ
ليبكــكِ كــلُّ ليــل قمتِ فيــه ... إلى أن يبتــدي الفجــر المنيــرُ
ليبكِكِ كلُّ مُضــطهدٍ مخــوفٍ ... أجــرتيــه وقــد قــلَّ المجيــرُ
ليبكــكِ كــلُّ مسكينٍ فقيــرٍ ... أعنتيه ومــافي العــظم ريــرُ[1]

---

(١) مخ رار ورير. ذائب فاسد من الهزال.

أيـا أُمّـاه كم هـول طـويـل   مضى بكِ لم يكن منه نصيـرُ
أيـا أُمّـاه كم سـرّ مصـون   بقلبـك مـات ليس لـه ظهـورُ
إلى مَن أشتكي وبمن أُنـاجي   إذا ضاقت بما فيها الصدورُ؟!
بـأيِّ دعـاء داعيـةٍ أُوقّـي   بأيِّ ضياء وجه أستنيرُ ؟! ؟!
بمن يُستدفع القـدر المرجّى   بمن يُستفتح الأمر العسيرُ ؟! ؟!
تسلّي عنـكِ إنّـا عن قليـل   إلى ما صرت في الاخرى نصيرُ

ميلاده، ومقتله:

ولد المترجم سنة ٣٢٠ وقيل ٣٢١ ويعيّن الأوّل ما حكاه ابن خالويه عن أبي فراس أنه قال له: إنَّ في سنة ٣٣٩ كان سنّي ١٩ سنة، وقتل يوم الأربعاء لثمان من ربيع الآخر(١) وعن الصّابي في تاريخه(٢) يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٥٧(٣) وذلك أنّه لمّا مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلُب على حمص وتطلّع إليها وكان مقيماً بها فاتّصل خبره إلى ابن أُخته أبي المعالي إبن سيف الدّولة وغلام أبيه قرعويه(٤)وجرت بذلك بين أبي فراس وبين أبي المعالي وحشة، فطلبه أبو المعالي فانحاز أبو فراس إلى [صدد] وهي قريةٌ في طريق البريَّة عندحمص، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيَّرهم في طلبه مع قرعويه، فأدركه بـ[صدد] فكبسوه فاستأمن أصحـابه واختلط هو بمن استأمن معهم، فقال قرعويه لغلام له: اقتله. فقتله وأخذ رأسه وتركت جثته في البريَّة حتّى دفنها بعض الأعراب.

قال الثعالبي :دلَّت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصّابي في مرثية أبي فراس على أنَّه قُتل في وقعةٍ كانت بينه وبين موالي أُسرته.

وقال إبن خالويه: بلغني أنَّ أبا فراس أصبح يوم مقتله حزيناً كئيباً وكان قد

(١) كامل ابن الأثير. تاريخ أبي الفدا .
(٢) حكاه عنه ابن خلكان في تاريخه، وصاحب شذرات الذهب.
(٣) أرّخه ابن عساكر في تاريخه بسنة خمسين وثلاثمائة وهو ليس في محله .
(٤) في كامل ابن الأثير: قرغويه. وفي الشذرات: فرغويه: وفي تاريخ ابن عساكر: أبو قرعونه.

قلق في تلك الليلة قلقاً عظيماً فرأته ابنته امرأة أبي العشائر كذلك فأحزنها حزناً شديداً ثم بكت وهو على تلك فأنشأ يقول كالذي ينعي نفسه وإن لم يقصد، وهذا آخر ما قاله من الشعر:

أبُنيَّتي لا تحزني ... كلُّ الأنام إلى ذهابِ
أبُنيَّتي صبراً جميلاً ... للجليل من المصابِ
نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترِكِ والحجابِ
قولي إذا ناديتني ... فعييت عن ردِّ الجوابِ
: زين الشاب أبو فرا ... س ما تمتَّع بالشباب

وفي غير واحد من المعاجم: أنَّه لَمّا بلغ أُخته أُمّ أبي المعالي وفاته قلعت عينها، وقيل: بل لطمت وجهها فقلعت عينها، وقيل: قتله غلام سيف الدولة ولم يعلم أبو المعالي فلّمّا بلغه الخبر شقَّ عليه. ومن شعره في المذهب:

لست أرجو النجاة من كلِّ ما ... أخشاه إلّا بأحمد وعليٍّ
وببنت الرَّسول فاطمة الطّهر ... وسبطيه والإمام عليٍّ
والتقيِّ النقيِّ باقر علم الله ... فينا محمَّد بن عليٍّ
وأبي جعفر وموسى ومولاي ... عليّ أكرم به من عليٍّ
وابنه العسكريّ والقائم ... المظهر حقّي محمَّد وعليٍّ
بهمُ أرتجي بلوغ الأماني ... يوم عرضي على الإِله العليِّ

وله في المعنى:

شافعي أحمد النبيُّ ومولاي ... عليٌّ والبنت والسبطانِ
وعليٌّ وباقر العلم والصّا ... دق ثمَّ الأمين بالتبيانِ
وعليٌّ ومحمَّد بن عليٍّ ... وعليٌّ والعسكريُّ الداني
والإمام المهديُّ في يوم لا ... ينفع إلّا غفران ذي الغفرانِ

ومن شعره في الحكمة والموعظة:

غنى النفس لمن يعقـ ... ـل خيرٌ من غنى المالِ

وفـضـل النـاس فـي الأنـفـ ـس ليس الفضـل في الحـال

وقال:

المرء نصب مصائب لا تنقضي حتّى يُوارى جسمه في رمسهِ
فمؤجَّـل يلفي الرَّدى في أهله ومعجَّل يلقى الرَّدى في نفسهِ

وله:

أنفق من الصبر الجميل فـإنَّه لم يخش فقراً منفقٌ من صبرهِ
والمرء ليس ببالـغٍ في أرضه كالصقر ليس بصائدٍ في وكرهِ

﴿لَقَدْ كان في قَصَصِهِمْ عِبرةٌ لأولي الألبابْ﴾.

سورة يوسف: الآية ١١١.

انتهى الجزء الثالث من كتاب الغدير

ويتلوه الرابع ولله الحمد أولاً وآخراً.



الفهرس

الفصل لابن حزم

الملل والنحل

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

تأليف

الحبر العلامة آية الله المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الرابع

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٤

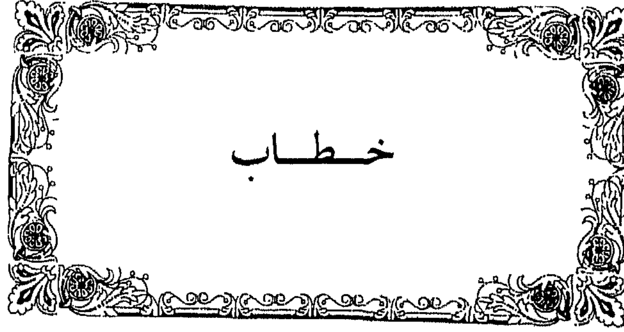
الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم



خطاب

تفضّل به الفيلسوف الشهير الدكتور محمّد غلاّب مدرّس الفلسفة في شعبة أُصول الدين من الجامع الأزهر المصري بالقاهرة ، وقد نشرته مجلّة «البيان» العصماء النجفيَّة في عددها العاشر من سنتها الأُولى ص ٢٥٨ بعد كلمتها القيّمة حول ذلك الخطاب ، نتقدّم بنشرهما مع تقدير للناشر وإكبارٍ لمقام الكاتب وثناءٍ على ما يعطيه من النصفة من نفسه في كلِّ موضوعٍ .

بريد البيان

ننشر نصَّ الرِّسالة التي بعث بها الدكتور محمَّد غلاّب من مصر إلى سماحة العلاّمة الجليل الشيخ عبد الحسين الأميني حول كتابه ـ الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب ـ وفيها أعرب عن حقائق ناصعة تبشِّر بفجر صادق يكفل لنا تقدير الآراء المذهبيَّة الحقَّة، والإعتراف بالحقائق التاريخيَّة التي قاومتها العاطفة ردحاً من الزَّمن، وإليك نصُّ الرِّسالة :

تحيّتي يقتادها تقديري، وسلامي يدفعه إجلالي لعلماء العراق عامَّة ولأهل النجف الأشرف خاصَّة، وفي طليعتهم المؤلِّفون الأماجد أمثالكم. وبعد: فقد تسلّمت الجزئين: الأوَّل والثاني من كتابكم النفيس [الغدير] الذي شابه الغدير حقّاً في صفائه ونفعه، والذي يلفي الباحث فيه أُمنيَّته على نحو ما يجد المسافر الظامىء في الغدير ما ينقع غلّته، والذي عنيتم فيه بجانب هامّ من جوانب

التراث الإسلامي، متوخّين الحقائق، متتبّعين الآثار الصادقة، متعقّبين مواطن الشبه بالتصحيح والنقد.

ونحن على يقين من أنّ الشاب العصريّ الإسلاميّ سيستفيد من هذه الثمار الشهيّة، لاسيّما أنّ أكثر ما يكتب اليوم غثٌّ خفيف الوزن، تافه القيمة، وأنّ الحركتين العلميّة والأدبيّة قد تحوّلتا إلى حركةٍ تجاريّةٍ بحتة.

ولقد جاءني كتاب حضرتكم في الوقت الملائم لأنّي عاكفٌ على دراسة كثير من الجوانب الإسلاميّة وعلى التأليف فيها، ولذا يعنيني كثيراً أن تنكشف أمامي المبادىء الحقيقيّة، والآراء الصحيحة للشيعة الإماميّة حتّى لانكبو - بإزاء هذه الفرقة الجليلة - في مثل ما كبا فيه . . . . . و . . . . . [1] وأمثالهما من المحدثين المتسرعين، ولقد تسلّمت أيضاً قبل الآن بضعة كتب من علماء العراق في مبادىء الشيعة الإماميّة وآرائهم، ونسأل الله أن يوفّقنا إلى ما فيه الرّشاد؛ وأن يهدينا إلى سبل السّداد، وأن ينفع بما ننتجه الناطقين بالضّاد، وتفضّلوا بقبول إحترامي.

الدكتور محمد غلاب
استاذ الفلسفة بكليّة اصول الدين
بالجامعة الأزهريّة بالقاهرة

---

(١) سمى رجلين من المحدثين المتسرعين لم نذكرهما لعدم علمنا برضاه.



أتانا من الشخصية البارزة ، بطل الجهاد السياسي ، صاحب المعالي الدكتور عبد الرّحمٰن الكيالي الحلبي ، أحد رجالات الأُسرة الكريمة «الرفاعية» بحلب الشهباء ، العريقة بالمجد المؤثل ، المطنبة في أرجاء العالم الإسلامي بشرف النسب والحسب والعلم والكرامة ، والمقال يعرب عن تقدّمه في حبك الكلام ، وترصيف القول ، وسبك الغرر والدرر في بوتقة البيان ، كما يعرّفه بدقة النظر ، ورصانة الفكر ، والشعور الحيّ ، والروح الشاعرة ، حيّاه الله وبيّاه ، وإليك المقال :

صاحب الفضل والفضيلة العلّامة الجليل الاستاذ
الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني المحترم

الحمد لله موحِّد القلوب، وباعث الهمم على جمع شمل المسلمين، والصَّلاة والسَّلام على رسوله هادي الأُمم إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه ومن والاهم من المؤمنين.

وبعد: فإنّ تاريخ الإسلام هو تاريخ العرب، والعرب قصَّروا في دراسة تاريخهم دراسة علميَّة مجرَّدة عن الغرض والهوى.

والذين كتبوا التاريخ الإسلاميَّ في عهود الأمويِّين والعباسيِّين لم يخل أكثرهم من شبهات الميل إلى العاطفة، والإنحياز عن الحقِّ، فلم يستطع

المتأخّرون النقّادون استخراج الوقائع، والحقائق، والأحداث، وربطها ببعضها البعض بسياق العبر، واستجلاء الأسباب، وإظهار النتائج، وهي من أهمّ مقاصد التاريخ.

إنَّ العالم الإسلاميّ الذي لا يزال في حاجة ماسَّة إلى مثل هذه الدراسات يهمّه ولا شكَّ أن يعلم تطوّر الحكم قبل الإسلام وبعده، وأسباب الأحداث التي رافقت قضيَّة الخلافة والخلفاء وما جرى في أيّامهم، ويهمّه أن يعلم لماذا تعدَّدت دول الإسلام وتفرّقت؟ وماذا حدث في عصورها من حروب وأعمال؟ وكيف زالت تلك الدول وحلّ محلّها غيرها؟ وماذا أدّى كلّ منها من الخدمات إلى الحضارة الإسلاميَّة وإلى الذين شادوا بنيانها ورفعوا منارها؟ ويهمّه أن يعلم ما هي عوامل السّرعة في الفتوحات واتّساعها وانتشار الإسلام بيد الأُمم والشعوب على اختلاف مللهم ونحلهم؟ ولماذا بدأ الإختلاف بعد وفاة الرَّسول الأعظم وابعد بنو هاشم عن حقهم؟ ويهمّه أن يعلم ما هي بواعث الإنحطاط والإنحلال في المسلمين حتّى أصبحوا على ما هم عليه؟ وما هي الطرق المؤدِّية إلى وحدة كلمتهم ونهضتهم دينيّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً، وأدبيّاً وعلميّاً؟ وهل يمكن تدارك ما فات بالرجوع إلى ما كتبته التواريخ القديمة والإعتماد عليها؟ أم يجب البحث والعمل والإنصراف إلى التحرّي والإستقراء بتجرّد ونزاهة؟ حتى يمكن الإستنباط والتحقّق من العلل، واستخراج الأسباب، وبيان ما يجب أن يتهيّأ له الجيل الجديد للأخذ بمقومات العلم والنهضة والتمسّك بالمثل العليا التي تمثّل لنا مبادىء الرّسول، وسيرته وتعاليمه، وتعاليم من ساروا سيرته. وعملوا بهديه، واستناروا بنوره، وكانوا مصابيح الشريعة، وسند الحق، وكعبة الحياة السعيدة، ومثالاً للزهد والتقوى.

إنَّني لأرى - وأنا الواثق بأنَّ مثل هذه الدراسة وهذا النهج القويم هو خير ما يجب على رجال العلم والدين والإصلاح السعي لتحقيقه وإبرازه إلى حيِّز الوجود - انَّ في كتابكم « الغدير » الذي أخرجتموه إلى العالم الإسلامي ما يثبت لنا فائدة هذه الدّراسة على هذا الطراز العلميِّ، وفيه ما يحقّق لنا حقيقة تاريخيَّة

لم ينصف المؤرِّخون في روايتها بإجماع كما حدثت، بل تناولها بعضهم بالإثبات وبعضهم بالنَّفي، وهنالك مَن رواها بالزيادة أو النقصان، ومنهم مَن نقَلها محرَّفة، ومنهم من ذَكَرها دون اهتمام، كأنَّها قضيَّةٌ لا يتوقَّف على صحَّتها والعمل بها سلامة البداية وخلود النهاية، فمرَّ بها مرور الغافل، أو الجاهل، أو المغرض.

وفي كلِّ ما حدث بقي العالم الإسلامي بعيداً عن فهم الحقيقة حقيقة الحدث التاريخيِّ الذي لو عمل به صحابة العهد النبوي، ونفذ ما جاء في الوصيَّة حسبما أراده الرَّسول الأمين، والمؤسِّس الأعظم ما وقع ما وقع، وأصاب المسلمين ما أصاب من بلاء الشقاق، وشقاء الإختلاف، ولبقيت وحدة المسلمين متماسكة الحلقات، سليمة من النوازع والرَّغبات، وسارت الخلافة تحفّها مواكب النصر، وتظلّها أعلام الهدى والرَّشاد في طريق القوَّة والإجماع، كما رسم خططها الرَّسول، فلا يتولاها إلّا ذو استعدادٍ، وكفايةٍ، وعلمٍ، وإرادةٍ، وشجاعةٍ، وقوَّةٍ، وحزمٍ، وثبات، إدراكه إدراكٌ صحيحٌ لسياسة الشريعة، وحكمته حِكمةٌ عادلة تجمع بين الدين والدّنيا، وخلقه خلق النبوَّة، وسيرته سيرة المصلح، وهديه هدي القرآن، وحياته حياة الزاهد في حطام الدنيا وزينتها ولذّاتها، وعمله عمل الحقِّ والرَّحمة والمحبَّة، وسيفه سيف الحكيم الخبير بمواطن الداء، وحُكمه حُكم القاضي الذي لا تأخذه في الحقِّ لومة لائم، ويده يد الجبَّار على الظالم، ويد الرحيم مع الضّعيف، وعلمه الذي يقيس القضايا بمقاييس العقل والحقِّ والصّالح العام، والتجرُّد عن كلِّ ما يخالف أمر الله، يريد رجهه في كلِّ عمل وقول.

أما والواقع كان خلاف ما يجب أن يكون، وحدث ما ليس في الحسبان، وأضاع العرب الفرصة والزمان، وخسر المسلمون رجالاتهم وقوَّتهم وهم في أوّل نشأتهم في منابذات ومنازعات، ما أغناهم عنها! ولولاها لدوّخوا العالم، ودكّوا العروش، ونشروا ألوية السَّلام في أقلِّ من نصف قرن، ولبسطوا سلطانهم على العالم، وأسَّسوا هُدى شريعتهم دون عناء.

أما وقد انطوت أحداث التاريخ على ما لا يُحمد وما يُحمد خلال تلك القرون فليكن لنا منها عبرة وبعث ينشّطنا إلى بسط الحقائق، وربط الوقائع، وبيان العلل والأسباب، وكشف النتائج معتمدين على منطق العلم والعقل والتجارب، ومنهج جمع الشمل، ولثم الجروح حتّى لا تشوب مباحثنا شائبة الزيغ أو التقصير أو الإهمال، فنطهّر سيرة ذلك الوصيّ الذي عاش لله ودينه، واستشهد في سبيل إعلاء كلمته والدفاع عن حقّه، وناصر ابن عمّه بروحه وجسمه وطاعته وولائه، وبذل جهده وإخلاصه ونفسه لِلّذين تولّوا امور المسلمين على أن يكونوا لدين الله ناصرين، وبكتابه عاملين، ولرعيّته راعين، ولتعاليمه حافظين، ولرسالته مؤيّدين، ولهديه تابعين.

كان في أدبه وأخلاقه وأعماله مثلاً أعلى لما رسمه الإسلام لتابعيه، وكان سيِّد الفصاحة والبلاغة، وباب العلم والإجتهاد، وسيف النبيّ على الأعداء، وصاحب الإرادة التي لا تلين لمطمع أو غاية، والإمام الورع كرَّم الله وجهه وطهَّره وآله وعترته من الرِّجس وعصمهم عن الزيغ، وأوجب عباده محبَّتهم، ووهبهم جمال الخلق، وصفاء السريرة، وحسن الطويّة، وعفَّة اليد واللسان، وحباهم بالصبر والثبات.

أماوالعالم الإسلاميُّ اليوم لفي حاجة إلى إبراز ما منح الله تلك الشخصيَّة الفذَّة من الصِّفات، والمزايا، والفضائل، والسياسة، والتدبير، لتكون رائد المؤمنين في حياتهم أينما كانوا وحيثما تولّوا، يتبعونهما بروحهم وأفكارهم، فينالهم الشفاء، وتنفحهم الهداية بنعمائها ونفحاتها العلويَّة، فتنقى أرواحهم وقلوبهم من أدران المدنيّة الكاذبة، وتصفى عقولهم من هواجس الشكّ ونزوات الإلحاد، فإنّ كتاب « الغدير » وما فيه من سنّة، وأدب، وعلم، وفنّ، وتاريخ، وأخلاق، وحقائق، وتتبّعات، وأقوال، لجديرٌ بالإطّلاع عليه والإحاطة به، وخليقٌ بكلِّ مسلم إقتناؤه، فيعلم كيف قصَّر المؤرِّخون، وأين هي الحقيقة، وبذلك نتفادى نتائج التقصير والإهمال، وننال الأجر والثواب في إقرار الحقائق واتِّباع الأوامر، وجمع الكلمة، وتوحيد العقائد والمذاهب، وإجماع الرأي،

لعلّنا ننهض وينهض من آلمهم ما وصل إليه المسلمون، ويستيقظ الجميع وقد عاد إليهم رشدهم وعزّهم وقوّتهم وما ذلك على الله بعزيز.

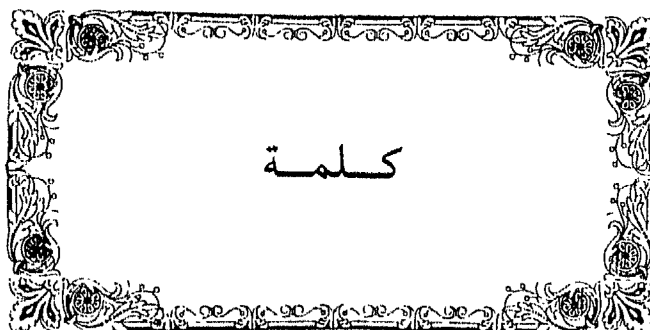
ابارك عملكم، وأشكر هديَّتكم، وأرجو دوام سعيكم، ولسيِّدي الاستاذ الجليل أن يتقبَّل إحترام أخيه وتمنياته بدوام صحّته، وأن يتفضّل بإعلامه عن وصول هذا المقال، وله من الله الجزاء الأوفر انّه على كلّ شيء قدير، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته بدءاً وختاماً.

المخلص

الدكتور عبد الرَّحمن الكيالي

حلب في ١٨ محرم الحرام عام ١٣٧٣

المصادف ٢٦ أيلول عام ١٩٥٣



للبحّاثة الكبير والكاتب القدير الأستاذ المحامي توفيق الفكيكي البغدادي حول كتاب [الغدير] نشرتها مجلّة الغريّ الغرّاء النجفيّة في عددها ١٧ من سنتها الثامنة ص ٤١٥ ونحن نذكرها مشفوعة بالشكر والتقدير للكاتب والناشر .

في أواخر الصيف المنصرم وردتني هديَّةٌ ثمينةٌ غاليةٌ من فضيلة العلاّمة الجليل والمحقِّق الفاضل الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي وهي الجزء الأوَّل والثاني من كتابه النفيس القيِّم [الغدير] وكانت علّة التأخير والتقصير عن إبداء رأيي في هذا الكتاب الفريد والإشادة بذكره في حينه هي استبداد المجلد في مطالعتهما واحتكاره والإستفادة من ثمراتهما الشهيَّة ، وبعد أن ارتوى المجلّد عفى الله عنه من منهل الغدير العذب قدَّمه لي ، ولكن شواغل الحياة ومتاعب المحاماة كلّ ذلك من الدواعي والأسباب أرغمتني ارغاماً على أن اسرف في التقصير عن انصاف كتاب [الغدير] النادر الطريف ، إلاّ أنَّ طمعي الكثير بحلم فضيلة المؤلِّف حفظه الله خير ضمان لعفوه الكريم وقد قيل : ـ والعذر عند كرام الناس مقبول ـ

وقبل أن اسجّل كلمتي في تقدير قيمة الكتاب العلميَّة ، أتقدَّم بجزيل الشكر لفضيلة البحّاثة النحرير مؤلِّف الكتاب على هديَّته وتحفته العجيبة ، وعندي أنَّ إهداء تحف العقول النيّرة ، وغرر القرائح المشرقة ، وعرائس الأفكار

الزاهرة، هي أثمن وأغلى من زفّ العرائس الأبكار، بل وأفضل من تقديم الجواهر والأعلاق من كرائم الأحجار.

وبعد: فقد تصفّحت الجزئين من كتاب « الغدير » ووقفت على ما دوّنه المؤلّف المحترم فيهما من الموضوعات والمضامين، ثمّ فحصت ما جاء فيهما من البحوث الجليلة والتحقيقات العلميّة العميقة، والتدقيقات التاريخيّة المضنية، ومناقشة الأحاديث النبويّة المرفوعة والموضوعة منها، ما قام به فضيلته من بحث وتحليل للمسائل اللغويّة الغامضة، والرّوايات الكثيرة المتضاربة المختلفة، والمساجلات الأدبيّة والشعريّة، وأثرها في خدمة المبادىء العلوية الشريفة، وكذلك أمعنت النظر في ما نقله صاحب [الغدير] وأحاط به من الآراء العلميّة السديدة في التفسير والتأويل لنصوص الذّكر الحكيم؛ والحكمة المحمديّة العالية، تلك الآراء والنظرات الصائبة التي كشفت الغطاء وزاحت الستار عن كثير من الحقائق المطموسة، والأسرار المحجوبة في شأن يوم الغدير، وقد كان فضيلته في كلّ ذلك موفّقاً أعظم التوفيق في تنبيه الأفكار، وتنوير الأذهان، وإرشاد الحائرين إلى معرفة تلك الحقائق التاريخيّة، وإدراك كنه الحكمة التشريعيّة في قصّة الغدير، وما يتّصل بها من مقدّمات خطيرة محزنة، ونتائج كبيرة مؤلمة، لا تزال مدعاة للتأمّل العميق، والعبرة البالغة في التأريخ الإسلامي وسجّل القوميّة العربيّة.

لم يكن العلاّمة مؤلّف كتاب (الغدير) أوّل من كتب وألّف في « الغدير » فقد سبقه إلى ذلك كثيرٌ من العلماء الأعلام، وجملةٌ كبيرةٌ من كبار الأدباء وحملة الأقلام إلا انّهم مع الإعتراف بغزارة فضلهم، وعلوّ كعبهم في الأدب والعلم، فلم يتمكنوا من إزاحة العلّة، وشفاء الغلّة، ولم يتوصّلوا إلى ما وصل إليه العلاّمة الأميني من تحقيقٍ وتدقيق وتمحيص، بنتيجة جلده الجبّار في البحث والإستقصاء وصبره العتيد على التعمّق في الاستقراء والإستنتاج؛ ومن ثمّ بلوغه إلى إصابة الهدف وتقرير الحقيقة، وإبرازها سافرة ناصعةً، مما دلّ على شدّة مراسيه، وعنته في جميع الأدلّة التاريخيّة القويّة، وإقامة البراهين العلميّة الساطعة؛ وسوق الحجج العقليّة والنقليّة والأدبيّة لإثبات دعم موضوعه الخطير

في الغدير، وهو في ذلك قد أبطل المثل السائر - ما ترك الأوائل للأواخر من شيء وأراد أن يثبت للقراء بأنَّ الأواخر قد أتوا بما لا تسطعه الأوائل من ابتكار ومعجزات في العلوم والفنون.

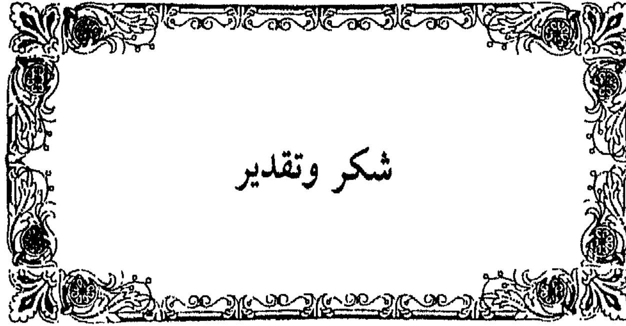
لا اغالي في القول إذا قلت: إنَّ كتاب [الغدير] ما هو إلّا موسوعةٌ نادرةٌ في العلم والفنِّ والتاريخ والتراجم، وروضةٌ بهيجةٌ أنيقةٌ ساحرةٌ بالطرف الأدبيَّة الزاهرة، وهو فوق ذلك فإنَّه دائرة معارف جليلة مهمَّة؛ حافلةٌ بكثير من الآراء الدينيَّة السديدة، التي تطمئنُّ إليها النفوس الزائغة الحائرة الغارقة في حنادس الجهالة، وغياهب الشكِّ، ودياجير الضلالة، والحقّ فإنَّ هذا الأثر النفيس الخالد مما يعجز عن تحقيقه وتخليده أكبر الجمعيّات العلميَّة في عصرنا الحاضر، وعليه فإنَّ هذا المجهود الجبّار أعظم مفخرةٍ خالدةٍ للعلّامة البحّاثة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي في ميدان العلم والفنِّ، وهو أكبر خدمة أسداها فضيلته للمكتبة العربيَّة وهي تستحقُّ الإعجاب والتقدير.

والذي نؤاخذ به حضرة المؤلِّف هو عدم قيامه بإكمال هذه المنَّة من وضع الفهارس بأسماء الرِّجال والشعراء والأماكن ولكن هذا لا ينقص من قيمة الكتاب التاريخيَّة والعلميَّة والأدبيَّة، وأعتقد أنَّ أزمة الورق هي السبب الأوَّل لهذا النقص في الكتاب.

أمّا فضيلة المؤلِّف فقد أهدى هذه الخدمة المشكورة إلى صاحب الولاية الكبرى، وسيِّد الأُمّة، وأبي الأئمَّة، مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إذ لم يجد أحداً أولى بإهداء كتابه إليه من صاحب الولاية الكبرى. أيّها الشيخ الفاضل إنّ بضاعتك المزجاة وهي صحائف ولائك الخالص لأمير المؤمنين عليه السلام لأعظم صفقة رابحة في تجارتك التي لن تبور، وإنّي ابشّرك بصكّ الفوز الأكبر من الفزع الأكبر فلا يمسّك وأهلك الضرّ إن شاء الله تعالى.

بغداد

توفيق الفكيكي المحامي

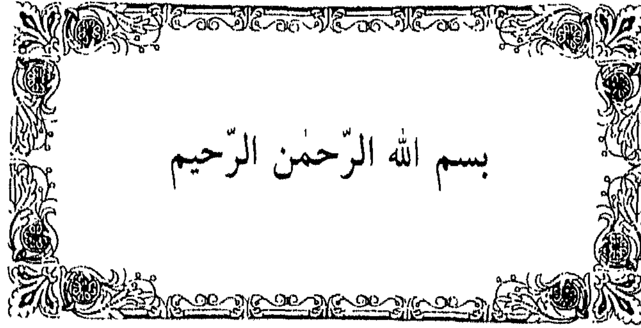


شكر وتقدير

أُقدم شكري إلى الأعلام الأفذاذ والأساتذة الأماجد من الذين كتبوا كلمة حول كتابنا [الغدير] إشادة بذكر الحقّ ، وإعلاءاً لكلمة الولاء وتوحيد الكلمة ، وسعياً وراء صالح الأُمّة .

وأردفه بالتقدير لرجالات الصّحف والمجلّات ناشري تلكم الكلم القيّمة في الأقطار الإسلاميَّة من مصر وسوريا والهند والعراق .

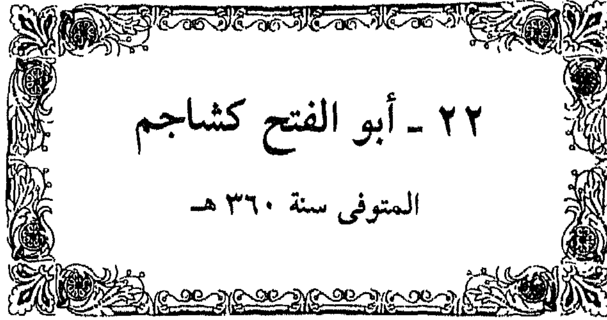
الأميني



الْحَمْدُ لِلَّهِ علىٰ ما عرَّفَنا من نفسِهِ ، وألهَمنَا من شكرِهِ ، وفتحَ لنا مِنْ أبوابِ العلمِ بِربوبيَّتِهِ ، ودلَّنا عليه من الإخلاصِ في توحيدِهِ ، وجنَّبَنَا مِنَ الإلحادِ والنِّفاقِ والشِّقاقِ والشكِّ في أمرِهِ ، ومَنَّ علينا بسيِّدِ رُسُلِهِ صلّىٰ اللَّهُ عليهِ وآلِهِ ، وأكرمَنَا بالثَّقلَيْنِ خليفَتَيْ نبيِّهِ : كتابِ اللَّهِ العزيزِ . والعترةِ الطاهرةِ سلامُ اللَّهِ عليهِمْ ، وأسعَدَ حَظَّنا بتواصُلِ أشواطِنَا في السَّعْيِ وراءَ صالِحِ المجتمعِ ، ووفَّقَنا لِلسَّيْرِ في سبيلِ الخدمةِ للملأِ وفي مُقَدَّمِهِمْ رُوّادُ العِلْمِ والفضيلةِ ، وأثبَتَ أقدامَنا في جَدَدِ الحقِّ والحقيقةِ ، وتعالىٰ في تلكَ الجِدَةِ جَدُّنا ، وتوالَتْ بِسَعْدِ الجَدِّ صحائفُ أعمالنا وآثارُ يَرَاعِنَا ، ونحنُ نستثبتُ في الأمرِ ولا نتفوَّهُ إلَّا بثبت ، واللَّهُ وليُّ التوفيق ، وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النَّصيرُ .

عبد الحسين أحمد الأميني

بقية شعراء الغدير
في القرن الرابع، وشعراءه
في القرن الخامس
وشطر من السادس
وهم واحد وثلاثون شاعراً
والله المستعـــان



٢٢ ـ أبو الفتح كشاجم

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

لـه شغـلٌ عن سؤال الـطللْ ... أقـام الـخليط بـه؟ أم رحـلْ؟
فمـا ضمنتـه لـحـاظ الـظبـا ... تـطالعـه من سجـوف الكـللْ
ولا تـستفـزُّ حجـاه الـخـدود ... بمصفـرَّة واحمـرار الـخجـلْ
كـفـاه كـفـاه فـلا تـعـذلاه ... كـرّ الجـديـدين كـرّ العـذلْ
طـوى الغيّ مـشتعـلاً في ذراه ... فتطفى الصبابـةُ لمّـا اشتعـلْ
لـه في البكـاء على الـطاهرين ... مـنـدوحـةٌ عن بُـكـاء الغـزلْ
فـكم فـيهـمُ من هِـلالٍ هـوى ... قُـبيـل الـتمـام وبـدرٍ أفـلْ
هـمُ حـجـج الله فـي خـلقـه ... ويـوم المعـاد على من خـذلْ
ومَـن أنـزل الله تـفـضيـلهـم ... فـردٌ عـلى الله مـا قـد نـزل
فـجـدّهـمُ خـاتـم الأنـبـيـاء ... ويـعـرف ذاك جمـيـع الـمللْ
ووالـدهــم سيِّـد الأوصـيـاء ... ومُعـطي الفقير ومُـردي البطلْ
ومن علّم السّمـر طعن الـحلي ... لدى الروع والبيض ضرب القللْ
ولـو زالت الأرض يـوم الهيـاج ... من تحت أخمصـه[1] لم يـزلْ
ومـن صـدَّ عن وجـه دنيـاهمُ ... وقـد لبست حليهـا والحـللْ
وكـان إذا مـا اضيفـوا إلـيـه ... فـأرفعهـم رتبـة فـي الـمَثَـلْ
سمـاءٌ اضيف إليهـا الحضيض ... وبحـرٌ قـرنت إليـه الـوَشَـلْ[2]

(١) أخمص القدم: ما لا يصيب الأرض من باطنها، ويراد به القدم كلها.
(٢) الوشل كما مر: الماء القليل يتحلب من صخر أو جبل.

بجودٍ تعلّم منه السحاب   وحلم تولّد منه الجبَلْ
وكم شبهة بهُداه جلا   وكم خُطّة بحجاه فصلْ
وكم أطفأ الله نار الضّلال   به وهي ترمي الهدى بالشعلْ
ومَن ردَّ خالقنا شمسه   عليه وقد جنحت للطفلْ[1]
ولو لم تعد كان في رأيه   وفي وجهه من سناها بدلْ
ومن ضَرب الناس بالمرهفات   على الدين ضرب عراب الإبلْ
وقد علموا أنّ يوم الغدير   بغدرهمُ جرَّ يوم الجملْ
فيا معشر الظالمين الذين   أذاقوا النبيَّ مضيض الثكلْ

إلى أن قال:

يُخالفكم فيه نصُّ الكتاب   وما نصَّ في ذاك خير الرُّسلْ
نبذتم وصيَّته بالعراء   وقلتم عليه الذي لم يقلْ

إلى آخر قصيدته الموجودة في نسخ ديوانه المخطوط ٤٧ بيتاً وقد أسقط ناشر ديوانه من القصيدة ما يخالف مذهبه وليست هذه بأوّل يد حرَّفت الكلم عن مواضعها.

(الشاعر)

أبو الفتح محمود بن محمَّد بن الحسين بن سندي بن شاهك الرملي[2] المعروف بكشاجم. هو نابغةٌ من رجالات الأُمَة، وفذٌّ من أفذاذها، وأوحديٌّ من نياقدها، كان لا يُجارى ولا يُبارى، ولا يُساجل ولا يُناضل، فكان شاعراً كاتباً متكلّماً منجِّماً منطقيّاً محدِّثا، ومن نُطس الأواسيِّ محقِّقا مدقِّقاً مجادلاً جواداً.

فهو جُماع الفضائل وإنَّما لقّب نفسه بكشاجم إشارة بكلِّ حرف منها إلى علم فبالكاف إلى أنَّه كاتب، وبالشين إلى أنَّه شاعر، وبالألف إلى أدبه أو إنشاده، وبالجيم إلى نبوغه في الجدل أو جوده، وبالميم إلى أنَّه متكلّم أو

(١) طفلت الشمس: دنت للغروب. مر حديث رد الشمس في الجزء الثالث ص ١٦٥ - ١٨٠.
(٢) نسبة إلى الرملة من أرباض فلسطين.

منطقيٌّ أو منجِّمٌ، ولمّا ولع في الطبِّ وبرع فيه زاد على ذلك حرف الطاء فقيل: طكشاجم. إلاّ أنَّه لم يشتهر به، هذا ما طفحت به المعاجم[1] في تحليل هذا اللقب على الخلاف الذي أوعزنا إليه في الإشارة، لكن الرجل بارع في جميع ما ذكر من العلوم ولعلّه هو المنشأ للإختلاف في التحليل.

أدبه وشعره:

إنَّ المترجَم قدوةٌ في الأدب وأُسوةٌ في الشعر، حتّى انَّ الرفاء السري الشاعر المفلق على تقدُّمه في فنون الشعر والأدب كان مغرى بنسخ ديوانه، وكان في طريقه يذهب، وعلى قالبه يضرب[2] ولشهرته بهذا الجانب قال بعضهم:

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمى على حجب الفؤاد الواجمِ[3]
لولا تعلّله[4] بكأس مُدامة ... ورسائل الصّابي وشعر كشاجمِ[5]

دوَّن شعره أبو بكر محمَّد بن عبد الله الحمدوني، ثمَّ ألحق به زيادات أخذها من أبي الفرج إبن كشاجم.

وشعره كما تطفح عنه شواهد تضلّعه في اللغة والحديث، وبراعته في فنون الأدب والكتاب والقريض، كذلك يقيم له وزناً في الغرائز الكريمة النفسيَّة، ويمثّله بملكاته الفاضلة كقوله:

شهرت نداي مناصبٌ لي ... وفي ذرى كسرى صريحهْ
وسجيَّةٌ لي في المكا ... رم إنَّني فيها شحيحهْ
متحيِّزا فيها معلّى المجسد مجتنباً منيحهْ
ولقد سننت من الكتا ... بة للورى طرقاً فسيحهْ
وفضضت من عذر المعا ... ني الغرِّ في اللغة الفصيحهْ

(١) راجع شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧، والشيعة وفنون الاسلام ص ١٠٨.
(٢) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢١٨.
(٣) يمنى: يبتلى ويصاب. يهمى: يسيل. الواجم: العبوس من شدة الحزن.
(٤) علل فلاناً بكذا: شغله. أو: لهاه به.
(٥) معجم الأدباء ج ١ ص ٣٢٦.

وشفعت مأثور الروا ... ية بالبديع من القريحهْ
ووصلت ذاك بهمَّةٍ ... في المجد سائبةٍ طموحهْ
عزيمةٍ لا بالكليلـ ... ـة في الخطوب ولا الطليحهْ
كلتاهما لي صاحبٌ ... في كلّ داميةٍ جموحهْ

ويحكي القارىء عن نبوغه وسرده المعاني الفخمة في أسلاك نظمه، ورقّة لطائفه، وقوّة أنظاره، ودقّة فكرته، ومتانة رويّته قوله:

لو بحقٍّ تناول النجم خلقٌ ... نلت أعلى النجوم باستحقاقِ
أوَ ليس اللسان منّي أمضى ... من ظبات المهنّدات الرقاقِ؟
ويدي تحمل الأنامل منها ... قلماً ليس دمعه بالراقي
أفعواناً تهاب منه الأعادي ... حيَّة يستعيذ منها الرّاقي
وتراهُ يجود من حيث تجري ... منه تلك السموم بالدِّرياق
مطرقاً يهلك العدوّ عقاباً ... ويريش الوليّ ذا الأخفاق
وسطورٌ خططتها في كتاب ... مثل غيم السحابة الرَّقراقِ
صغت فيه من البيان حليّاً ... باختراع البعيد لا الاشفاقِ
وقوافٍ كأنّهن عقود الد ... رّ منظومة على الأعناقِ
غررٌ تظهر المسامع تيهاً ... حين يسمعنها على الأحداقِ
ويحار الفهم الرَّقيق إذا ما ... جال منهنَّ في المعاني الرِّقاق
ثاويات معي وفكري قد سـ ... ـيَّرها في نوازح الأفاقِ
وإذا ما ألمَّ خطبٌ فرأسي ... فيه مثل الشهاب في الأعناق
وإذا شئت كان شعري أحلى ... من حديث الفتيان والعشّاقِ
حلف مشمولة وزير عوان ... أسدٌ في الحروب غير مطاق
إصطباحي تنفيذ أمرٍ ونهي ... ومن الراح بالعشيِّ اغتباقي
ووقور الندى ولا اخجل الشا ... رب منه ولا أذمُّ الساقي
أنزع الكأس إذا شربت وأ ... سقيه دهاقاً صحبي وغير دهاق
ومعدٌّ للصيد منتخبات ... من اصول كريمة الأعراق

مضمرات كأنَّها الخيل تطوى كلّ يوم بطونها للسِّباق
رائقات الشباب مكتسبات حللاً من صنيعة الخلاق
تصف البيض والجفون إذا ما أخرجت ألسناً من الأشداقِ
وكأنَّ المها إذا ما رأتها حذرت واستطامنت في وثاقِ
مع ندامى كأنَّهم والتَّصافي خُلقوا من تألّفٍ واتِّفاقِ

والباحث يجد شاعرنا عند شعره معلِّماً أخلاقياً فذّاً بعدما يرى أمثلة خلائقه الكريمة، ونفائس سجاياه، وصدقه في ولاءه، وقيامه بشؤون الإنسانيَّة نصب عينيه مهما وقف على مثل قوله:

ولدينا لذي المودَّة حفظٌ ووفاءٌ بالعهد والميثاقِ
أتواخى رضاه جهدي فلما مسَّه الضرُّ مسَّه إرفاقي
تلك أخلاقنا ونحن اناسٌ همنا في مكارم الأخلاقِ

وقوله:

اناسٌ أعرضوا عنّا بلا جُرم ولا معنى
أساؤا ظنّهم فينا فهلّا أحسنوا الظنّا
وخلّونا ولو شاؤا لعادوا كالّذي كنّا
فإن عادوا لنا عُدنا وإن خانوا لَما خُنّا
وإن كانوا قد اشتغلوا فإنّا عنهمُ أغنى

وقوله من قصيدة يمدح بها إبن مقلة:

كم فيَّ من خلّة لو انَّهاامتحنت أدَّت إلى غبطةٍ أو سدَّت الخلّه
وهمَّةٍ في محلِّ النجم موقعها وعزمةٍ لم تكن في الخطب منجلّه
وذلَّةٍ أكسبتني عزّ مكرمةٍ وربَّما يُستفاد العزُّ بالذلّه
صاحبت سادات أقوام فما عثروا يوماً على هفوة منّي ولا زلّه
واستمتعوا بكفاياتي وكنت لهم أوفى من الدرع أو أمضى من الالّه
خطٌّ يروق وألفاظٌ مهذَّبة لا وعرة النظم بل مختارةٌ سهله
لو أنَّني منهلٌ منها أخا ظمأ روت صداه فلم يحتج إلى غلّه

وكم سننتُ رسوماً غير مشكلةٍ كانت لمن أمَّها مُسترشداً قبله
عمت فلا منشيء الديوان مكتفياً منها ولم يغن عنها كاتب السلّه
وصاحبتني رجالاتٌ بذلت لها مالي فكان سماحي يقتضي بذله
فأعمل الدهر في ختلي مكائده والدهر يعمل في أهل الهوى ختله
لكن قنعت فلم أرغب إلى أحد والحرُّ يحمل عن اخوانه كلّه

وتراه متى ما أبعده الزّمان عن أخلّائه وحجبهم عنه، عزّ عليه البين، وعظمت عليه شُقّته؛ وثقل عليه عبءه، فجاء في شكواه يفزع ويجزع، ويأنُّ ويحنُّ، فيصوِّر على قاريء شعره حنانه وحنينه، ويمثِّل سجاح عينه لوعة وجده، ولهب هواه بمثل قوله:

يا مَن لعين ذرفتْ ومَن لروحٍ تلفتْ
مُنهلّة عبرتها كأنّها قد طرفتْ[1]
إن أمنت فاضت وإن خافت رقيباً وقفتْ
وإنّما بكاؤها على ليالٍ سلفتْ

وقوله:

يا مُعرضاً لا يلتفتْ بمثل ليلي لا تبتْ
برَّح هجرانك بي حتّى رثى لي من شمتْ
علقت قلبي بالمنى فأحيه أو فأمت

وبما كان [كشاجم] مجلوباً بالحنان ولين الجانب، وسجاحة الخلائق، وحسن الأدب، مطبوعاً بالعطف والرأفة، مفطوراً على عوامل الإنسانيَّة، والغرائز الكريمة، ولم يكن شريراً، ولا رديء النفس، ولا بذيّ اللسان، ولا مسارعاً في الوقيعة في أحد، كان يرى الشعر إحدى مآثره الجمّة، ويعدُّه من فضائله، وما كان يتّخذه عدّةً للمدح، ولا جنّةً في الهجاء، وما يُهمّه التوجّه إلى الجانبين، لم ير لأيٍّ منهما وزناً، لعدم تحرّيه التحامل على أحد، وعدم اتّخاذه مكسباً ليدرّ له أخلاف الرِّزق، ولا آلةً لدنياه وجمع حطامها، وكان يقول:

(١) طرفت عينه: أصابها شيء فدمعت.

ولئـن شعـرتُ لـمـا قـصـد ت هجـاء شخصٍ أو مـديحـهْ
لـكـن وجـدت الـشـعـر لـل آداب تـرجـمـةً فـصـيـحـهْ

هجاؤه:

أخرج القرن الرابع شعراء هجّائين قد إتّخذ كلٌّ واحدٍ منهم طريقة خاصّةً من فنون الهجاء، وكلٌّ فنّ مع هذه نوعٌ فذٌّ في الهجاء، يظهر ميزه متى قرن بالآخر ومنهم مُكثرٌ ومنهم من استقلَّ، وشاعرنا من الفرقة الثانية، وله فنٌّ خاصٌّ من الهجاء كان يختاره ويلتزم به في شعره.

ولعلّك تجده في فنِّه المختار مجلوب خلائقه الحسنة، ونفسيّاته الكريمة، وملكاته الفاضلة، فكأنّه قد خمرت بها فطرته، ومزجت بها طينته، أو جرت منه الدم، واستولت على روحه، وحكمت في كلّ جارحةٍ منه، حتى ظهرت آياتها في هجائه النادر الشاذّ، فيخيَّل إليك مهما يهجو أنَّه واعظٌ بارٌّ يخطب، أو نصوحٌ يُودِّد ويعاتب، أو مجادلٌ دون حقِّه يجامل، لا أنَّـه يغمز ويعيب، ويغيظ في الوقيعة ويُناضل، ويثور ويثأر لنفسه، وتجده قد اتَّخذ الهجاء شكَّة دفاع له لا شكَّة هجوم، وترى كلَّ هجائه خليّاً عن لهجةٍ حادَّة، وسُبابٍ مُقذع، عارياً عن قبيح المقال وخبث الكلام، بعيداً عن هتك مهجوِّه، ونسبته إلى كلِّ فاحشة، وقذفه بكلِّ سيِّئة؛ غير مُستبيح إيذاء مهجوِّه، ولا مُستحلّ حرمته؛ ولا مجوِّز عليه الكذب والتهمة، خلاف ما جرت العادة بين كثير من أدباء العصور المتقادمة، فعليك النظر إلى قوله في بعض أبناء رؤساء عصره وقد أنفذ إليه كتاباً فلم يجبه عنه:

هـا قد كتبتُ فمـا رددت جوابي ورجَّعتَ مختـومـاً عليَّ كتـابي
وأتى رسـولاً مستكينـاً يشتكي ذلَّ الحجـاب ونخـوة البـوّابِ
وكـأنّني بـك قـد كتبت معـذِّراً وظـلمتـني بـمـلامـةٍ وعـتـابِ
فـارجع إلى الإنصـاف واعلم أنَّه أولى بـذي الآداب والأحسـابِ
يـا رحمـة الله التي قـد أصبحت دون الأنام عليَّ سـوط عـذابِ
بـأبي وامّي أنت من مستجمـع تـيـه القيـان ورقّـة الكـتّـابِ

وقوله الآخر في هجاء جماعة من الرؤساء:

عدمت رئاسة قوم شقوا ... شباباً ونالوا الغنى حين شابوا
حديثٌ بنعمتهم عهدهم ... فليس لهم في المعالي نصابُ
يرون التكبّر مُستصوباً ... من الرأي والكبر لا يُستصابُ
وإن كاتبوا صارفوا في الدعاء ... كأنَّ دعاؤهمُ مُستجابُ

ومن لطيف شعره في الهجاء قوله:

إنَّ مظلومة التي ... زوّجت من أبي عمرْ
ولدت ليلة الزفا ... ف إلى بعلها ذَكَرْ
قلت: من أين ذا الغلا ... م وما مسَّها بشرْ؟
قال لي بعلها: ألم ... يأت في مسند الخبرْ؟
ولد المرأ للفرا ... ش وللعاهر الحجَرْ
قلت: هنّيته على ... رغم مَن أنكر الخبرْ

كشاجم والرئاسة:

وبما كان المترجَم كما سمعت مطبوعاً بسلامة النَّفس، وقداسة النَفَس، وطيب السريرة، متحلّياً بمكارم الأخلاق، خالياً من المكيدة والمراوغة والدسيسة، مزاولاً عن البذاء والإيذاء والإعتساف، كان مترفِّعاً نفسه عن الرتبة وإشغال المنصَّة في أبواب الملوك والولاة، وما كان له مطمعٌ في شأن من الوزراء والولاية والكتابة والعمالة عند الأُمراء والخلفاء، وما اتَّخذ فضائله الجمَّة لها شرَكاً، ولنيل الآمال وسيلةً، وكان يرى التقمّص بالرّئاسة من مرديات النَّفس ويقول:

رأيت الرّئاسة مقرونةً ... بلبس التكبّر والنخوهْ
إذا ما تقمَّصها لابسٌ ... ترفَّع في الجهر والخلوهْ
ويقعد عن حقّ إخوانه ... ويطمع أن يهرعوا نحوهْ
وينقصهم من جميل الدعاء ... ويأمل عندهم الحظوهْ
فذلك إن أنا كاتبته ... فلا يسمع الله لي دعوهْ
ولستُ بآتٍ له منزلاً ... ولو أنَّه يسكن المروهْ

وكان بالطبع والحال هذه ينهى أوليائه عن قبول الوظائف السلطانيّة، والتولّي بشيءٍ من المناصب عند الحُكّام، ويحذِّرهم عن التصدّي بوظيفةٍ من شؤون الملك والمملكة، ويمثِّل بين يديهم شنعة الإئتمار، وينبِّههم بما يقتضيه الترأس من الظلم والوقيعة في النفوس، ونصب العداء لمخالفيه، وما يوجب من دحض الحقِّ، وإضاعة الحقوق؛ ورفض مكارم الأخلاق. وحسبك ما كتبه إلى صديق له وكان قد تقلَّد البريد من قوله:

صرت لي عامل البريد مقينا[1] ... وقديماً إليَّ كنت حبيبا
كنت تستثقل الرقيب فقد صر ... ت علينا بما وليت رقيبا
كرهتك النفوس وانحرفت عنـ ... ـك قلوبٌ وكنت تسبي القلوبا
أفلا يعجب الأنام بشخصٍ ... صار ذئباً وكان ظبياً ربيبا؟!

حكمه ودرر كلمه:

فيا له في شعره من شواهد صادقة تمثِّله بهذا الجانب العظيم؛ وتُعرب عن قدم صدقه في حثِّ امَّته إلى المولى سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وبثّ الدَّعوة إليه بدُرر الكلم وغُرر الحِكَم، وإصلاح امَّته ببيان الحقيقة، وتشريح دعوة النَّفس الأمّارة بالسّوء، ومن حكميّاته قوله:

ليس خلقٌ إلّا وفيه إذا ما ... وقع الفحص عنه خيرٌ وشرُّ
لازمٌ ذاك في الجبلَّة لا يد ... فعه مَن له بذلك خبرُ
حكمة الصانع المدبِّر أن لا ... شيء إلّا وفيه نفعٌ وضرُّ
فاجتهد أن يكون أكبر قسمـ ... ـيك من النفع والأقل الأضرُّ
وتحمَّل مرارة الرأي واعلم ... أنّ عقبى هواك منه أمرُّ
رُض بفعل التدبير نفسك واقصر ... ها عليه ففيه فضلٌ وفخرُ
لا تُطعها على الذي تبتغيه ... وليرعها منك اعتسافٌ وقهرُ
إنَّ مِن شأنها مجانبة الخـ ... ـير وإتيان كل ما قد يَغرُّ

وقوله:

---

(١) مذكر المقينة: الماشطة.

عجبي ممَّن تعالت حاله وكفاه الله زلات الطلبْ
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين: نعيم وأدبْ؟!
فإذا ما نال دهراً حظّه فحديثٌ ونشيدٌ وكتبْ
مرَّة جِدّاً وأخرى راحةً فإذا ما غسق الليل انتصبْ
يقتضي الدنيا نهاراً حقّها وقضى لله ليلاً ما يجبْ
تلك أقسامٌ متى يعمل بها عاملٌ يسعد ويرشد ويصبْ

ومن كلمه الذهبيَّة في تحليل معنى الرضا عن النَّفس وما يوجب ذلك من سخطها وجموحها ورفض الآداب قوله:

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها ورضى الفتى عن نفسه إغضابها
لو أنَّني عنها رضيت لقصَّرت عمّا تُريد بمثلها آدابها
وبينا آثارُ ذاك وأكثرت عذلي عليه وطال فيه عتابها

ومن حكمه قوله:

بالحرص في الرِّزق يذلُّ الفتى والصبر فيه الشَّرفُ الشامخُ
ومُستزيدٌ في طلاب الغنى يجمع لحماً ما له طابخ
يضيع ما نال بما يرتجي والنّار قد يطفئها النافخ

وقوله:

حُلل الشبيبة مستعارهْ فدع الصّبا واهجر ديارهْ
لا يشغلنك عن العلا خودٌ تمنِّيك الزيارهْ
خودٌ تطيَّب طيبها ويزين ساعدها سوارهْ
يحلو أوائل حبِّها ويشوب آخره مرارهْ
ما عذر مثلك خالعاً في سكر لذَّته عذارهْ
من بعد ما شدَّ الأشـ ـدّ على تلابيه إزارهْ
من ساد في عصر الشبا ب غدت لسودده غفارهْ
ما الفخر أن يغدو الفتى متشبِّعاً ضخم الحرارهْ
كلفاً بشرب الراح مشـ ـغوفاً بغزلان الستارهْ

مـهـجـورةً عـرصـاتـه لا تـقـرب الأضـيـاف دارهْ
الـفـخـر أن يُشجي الـفـتـى أعـداؤه ويُـعـزُّ جـارهْ
وَيـذبَّ عـن أعـراضـه ويَـشـبُّ لِـلطرّاق نـارهْ
ويـروح إمّـا لـلإمـا رة سـعـيـه أو لِـلوزارهْ
فـرد الـكـتـابـة والـخـطا بـة والـبـلاغـة والـعـبـارهْ
مـتـيـقّظ الـعـزمـات يجـ ـتنب الـكـرى إلاّ غـرارهْ
فـكـأنّـه مِـن حـدَّةٍ ونـفـاذ تـدبـيـرٍ شـرارهْ
حـتّـى يُـخـاف ويُـرتـجـى ويُـرى لـه نـشـبٌ وشـارهْ
فـي مـوكـب لـجـب كـأنَّ الـلـيـل ألـبـسـه خـمـارهْ
تـزهـي بـه عـصـبٌ تـنـفَّض عـن مـنـاكـبـه غـبـارهْ
ويُـطـيـل أبـنـاء الـرغـا ئـب فـي مـشـاكـله انـتـظارهْ
فـادأب لـمـجـدٍ حـادثٍ أو سـالـف يـعـلي مـنـارهْ
واعـمـر لِـنفـسـك فـي الـعـلا حـالاً وكـن حـسـن الـعـمـارهْ
واقـمـر لـهـا سـوقـاً يُـن فِّـقـهـا وتـاجـرهـا تـجـارهْ
لا تَـغـدُ كـلًّا واجتنب أمـراً يـخـاف الـحـرُّ عـارهْ
وإذا عـدمـت عـن الـمـآ كـل خيرهـا فكـل الحجـارهْ

رحلة كشاجم:

غادر المترجم بيئة نشأته [الرملة] إلى الأقطار الشرقيَّة، وساح في البلاد، ورحل رحلة بعد اخرى إلى مصر وحلب والشام والعراق، وكان كما كان في قصيدته التي يمدح بها إبن مقلة بالعراق:

هـذا على أنّني لا أستـفيق ولا أفيق من رحلة في إثـرهـا رحله
وما على البدر نقصٌ في إضاءته . أن ليس ينفكُّ من سير ومن نقله

وقال وهو في مصر:

قد كان شـوقي إلى مصر يُؤرِّقني فاليوم عدتُ وعادت مصر لي دارا

أغدو إلى الجيزة الفيحاء مُصطحباً(١) طوراً وطوراً ارجّي السير أطوارا
بينا اسامي رئيساً في رئاسته إذ رحتُ أحسب في الحانات خمّارا
فللدواوين إصباحي ومُنصرفي إلى بيوت دُمى يعلمن أوتارا
أمّا الشباب فقد صاحبت شرّته وقد قضيت لبانات وأوطارا
من شادنٍ من بني الأقباط يعقد ما بين الكثيب وبين الخصر زنّارا

وكأنّه في بعض آناته يرى نفسه بين مصر والعراق، ويتذكّر أدواره فيهما، وما ناله في سفره إليهما من سرّاء أو ضرّاء، أو شدّة أو رخاء، وما حظي من الأهلين من النِّعمة والنقمة، والإكبار والإستحقار، فيمدح هذا ويذمُّ ذلك فيقول:

يا هذه قلت فاسمعي لفتى في حاله عبرةٌ لمعتبره
أمرت بالصبر والسلوّ ولو عشقت ألفيت غير مصطبره
من مبلغٍ إخوتي؟ وإن بعدوا: إنَّ حياتي لبعدهم كدِره
قد همتُ شوقاً إلى وجوههم تلك الوجوه البهيَّة النضره
أبناء ملك علاهُمُ بهمُ على العلا والفخار مفتخره
ترمي بهم نعمة تُزيِّنها مروءةٌ لم تكن ترى نزره
ما أنفك ذا الخلق بين منتصر على الأعادي بهم ومنتصره
جبال حلمٍ بدور أنديةٍ اسد وغى في الهياج مُبتدره
بيض كرام الفعال لا بخل الأ يدي وليست من الندى صفره
للناس منهم منافعٌ ولهم منافعٌ في الأنام مُشتهره
متى أراني بمصر جارهم نسبي بها كلَّ غادةٍ خضره
والنيل مستكملٌ زيادته مثل دروع الكماة منتشره
تغدو الزواريق فيه مُصعدةً بنا وطوراً تروح منحدره
والراح تسعى بها مذكّرة أردانها بالعبير مُختمره
بكران لكن لهذه مائة وتلك ثنتان وثنتا عشره
يا ليتني لم أرَ العراق ولم أسمع بذكر الأهواز والبصره

---

(١) الجيزة: بليدة في غربي فسطاط مصر.

تـرفـعنـي تـارةً وتُـخـفـضـنـي اخـرى فمن سهلة ومـن وعـره
فـوق ظـهـر سـلـهـبـة[١] قـطـانـهـا والـبـدار مُـغـتـفـره
وتـارةً فـي الـفـرات طـامـيـة أمـواجـه كـالخيـال معتكـره
حـتّى كـأنَّ الـعـراق تعشقـني أو طـالبتني يـد الـنـوى بتـره

وكـان يجتمـع في رحـلاتـه مـعٍ الملوك والأمـراء والـوزراء ويحـظى بجوائزهم، ويستفيد من صِلاتهم، ويتّصل بمشيخة العلم والحديث والأدب، ويقرأ عليهم، ويسمع عنهم، ويـأخذ منهم، وجـرت بينه وبينهم محـاضرات ومناظرات ومكاتبات، إلى أن تضلّع في العلوم، وحاز قصب السبق في فنون متنوِّعة، وتقدَّم في الكتابة والخطابـة، وحصل لـه من كلِّ فنّ حـظّه الأوفى، ونصيبه الأعلى حتّى عرَّفه المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ص ٥٢٣ بأنَّه كان من أهل العلم والرواية والأدب.

عقيدته:

إنَّ عصر المترجَم من العصور التي ذاعت فيه النحل والمذاهب، وشاعت فيه الأهواء والآراء، وقلَّ فيه من لا يرى في العقائد رأياً يفسِّر به إسلامه وهو ينصُّ به على خبيئة قلبه تارةً ويضمرها اخرى، وأمّا شاعرنا فكان في جانبٍ من ذلك، إمامياً صادق التشيّع، موالياً لأهل بيت الوحي، متفانياً في ولائهمٍ، ويجد الباحث في خلال شعره بيِّنات تظاهره بالتهالك في ولاء آل الله، وبثّه الدعوة إليهم بحججه القويَّة، والتفجّع في مصابهم والذبِّ عنهم، والنيل من مناوئيهم، واعتقـاده فيهم أنَّهم وسائله إلى المـولى في الحاضـرة، وواسطة نجـاحه في الآخرة.

وكان من مصاديق الآية الكريمة: يُخرج الحيّ من الميت. فـإنَّ نُصب جدِّه السندي إبن شاهك وعدائه لأهل البيت الطاهر وضغطه وإضطهاده الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه في سجن هارون مما سار به الرُّكبان، وسوّدت

---

(١) السلهبة: الجسيمة.

به صحيفة تاريخه؛ إلّا أنَّ حفيده هذا باينه في جميع نزعاته الشيطانيّة، فهو من شعراء أهل البيت المجاهرين بولائهم، المتعصِّبين لهم، الذابِّين عنهم ولا بدع فإنَّ الله هو الذي يخرج الدُّر من بين الحصى، ويُنبت الورد محتفّاً بالأشواك، فمن نماذج شعره في المذهب قوله:

بكاءٌ وقلَّ غناء البكاءِ ... على رزء ذريَّة الأنبياءِ
لئن ذلَّ فيه عزيز الدُّموع ... لقد عزَّ فيه ذليل العزاءِ
أعاذلتي إنَّ برد التّقى ... كسانيه حبّي لأهل الكساءِ
سفينة نوح فمن يعتلق ... بحبِّهمُ يعتلق بالنجاءِ
لعمري لقد ضلَّ رأي الهوى ... بأفئدة من هواها هوائي
وأوصى النبيُّ ولكن غدت ... وصاياه مُنبذةً بالعراءِ
ومن قبلها أمر الميِّتون ... بردِّ الأُمور إلى الأوصياءِ
ولم ينشر القوم غلّ الصدو ... ر حتّى طواه الرَّدى في رداءِ
ولو سلّموا لإمام الهدى ... لقوبل معوجّهم باستواءِ
هلالٌ إلى الرشد عالي الضيا ... وسيفٌ على الكفر ماضي المضاءِ
وبحرٌ تدفَّق بالمعجزات ... كما يتدفّق ينبوع ماءِ
علومٌ سماويَّةٌ لا تُنال ... ومن ذا ينال نجوم السماءِ؟
لعمري الأولى جحدوا حقّه ... وما كان أولاهمُ بالولاءِ
وكم موقف كان شخص الحمام ... من الخوف فيه قليل الخفاءِ
جلاه فإن أنكروا فضله ... فقد عرفت ذاك شمس الضحاءِ
أراها العجاج قُبيل الصَّباح ... وردَّت عليه بُعيد المساءِ
وإن وتر القوم في بدرهم ... لقد نقض القوم في كربلاءِ
مطايا الخطايا خذي في الظلام ... فما همَّ إبليس غير الحداءِ
لقد هتكت حرم المصطفى ... وحلَّ بهنَّ عظيم البلاءِ
وساقوا رجالهمُ كالعبيد ... وحادوا نساءهمُ كالإماءِ
فلو كان جدُّهمُ شاهداً ... ليتبع أظعانهم بالبكاءِ

حقودٌ تضرَّم بدريَّةٌ ... وداءُ الحقود عزيزُ الدواءِ
تراه مع الموت تحت اللوا ... ء والله والنصر فوق اللواءِ
غداة خميس إمام الهدى ... وقد غاث فيهم هزبر اللقاءِ
وكم أنفس في سعيرٍ هوت ... وهام مطيَّرة في الهواءِ
بضربٍ كما انقدَّ جيب القميص ... وطعن كما انحلَّ عقد السقاءِ
وخيرة ربّي من الخيرتين ... وصفوة ربّي من الأصفياءِ
طهرتم فكنتم مديح المديح ... وكان سواكم هجاء الهجاءِ
قضيت بحبِّكمُ ما عليَّ ... إذا ما دُعيت لفصل القضاءِ
وأيقنت أنَّ ذنوبي به ... تساقط عنّي سقوط الهباءِ
فصلّى عليكم آله الورى ... صلاةً توازي نجوم السماءِ

وقوله في مدحهم صلوات الله عليهم:

آل النبيِّ فضلتمُ ... فضل النجوم الزاهره
وبهرتمُ أعدائكم ... بالمأثرات السائره
ولكم مع الشّرف البلا ... غة والحلوم الوافره
وإذا تفوخر بالعلا ... منكم علاكم فاخره
هذا وكم أطفأتمُ ... عن أحمد من نائره
بالسّمر تخضب بالنجيع (١) ... وبالسيوف البائره
تشفى بها أكبادكم ... من كلِّ نفسٍ كافره
ورفضتمُ الدنيا لذا ... فزتم بحظٍّ الآخره

وقوله في ولاء أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً إلى ما رويناه ص ٤٦ في الجزء الثالث مما ورد في حبِّ أمير المؤمنين عليه السلام:

حبُّ الوصيِّ مبرَّةٌ وصله ... وطهارةٌ بالأصل مكتفله
والنّاس عالمهم يدين به ... حبّاً ويجهل حقَّه الجهله
ويرى التشيّع في سراتهمُ ... والنّصب في الأرذال والسفله

---

(١) النجيع: من الدم ما كان مائلاً إلى السواد.

وقوله في المعنى:

حبُّ عليٍّ علوّ همّه ... لأنّه سيِّد الأئمّه
ميِّز محبِّيه هل تراهم ... إلّا ذوي ثروة ونعمه؟!
بين رئيس إلى أديب ... قد أكمل الظرف واستتمّه
وطيّب الأصل ليس فيه ... عند امتحان الأصول تُهمه
فهم إذا خلصوا ضياء ... والنصب الظالمون ظلمه

هذه الأبيات ذكرها له الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ١٣٦ في وجه إضافة السواد إلى وجه الناصبي، ويأتي مثله في ترجمة الناشي الصغير.

ولكشاجم يرثي آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

أجل هو الرزء فادحهُ ... باكره فاجعٌ ورائحهُ
لا ربع دارٍ عفا ولا طلل ... أوحش لمّا نأت ملاقحهُ
فجائعٌ لو درى الجنين بها ... لعاد مبيضّةً مسالحهُ
يا بُؤس دهرٍ على آل رسو ... ل الله تجتاحهم جوائحهُ[١]
إذا تفكّرت في مصابهمُ ... أثقب زند الهموم قادحه
بعضهمُ قربت مصارعه ... وبعضهم بوعدت مطارحهُ
أظلم في كربلاء يومهمُ ... ثمّ تجلّى وهم ذبائحهُ
لا يبرح الغيث كلّ شارقة ... تهمى غواديه أو روائحهُ
على ثرى حلّة غريب رسو ... ل الله مجروحةٌ جوارحه
ذلَّ حماه وقلَّ ناصره ... ونال أقصى مناه كاشحهُ
وسيق نسوانه طِلاح[٢] ... أحسن أن تهادى بهم طلائحهُ
وهنَّ يمنعن بالوعيد من النـ ... ـوح والملأ الأعلى نوائحه
عادى الأسى جدّه ووالده ... حين استغاثتهما صوائحهُ
لو لم يُرد ذو الجلال حربهم ... به لضاقت بهم فسائحهُ

---

(١) جاحه واجاحه واجتاحه: استأصله وأهلكه. جوائح جمع جائحة: البلية والداهية العظيمة.

(٢) طلاح: معيية من السفر.

وهو الذي اجتاح حين ما عقر ... ت ناقته إذ دعاه صالحهُ
يا شيع الغيِّ والضَّلال ومن ... كلّهمُ جمَّة فضائحهُ
غششتم الله في أذيَّة مَن ... إليكمُ اديت نصائحهُ
عفرتمُ بالثرى جبين فتىً ... جبريل قبل النبيِّ ماسحهُ
سيّان عند الإله كلُّكمُ ... خاذله منكمُ وذابحهُ
على الذي فاتهم بحقِّهم ... لعنٌ يغاديه أو يُراوحهُ
جهلتمُ فيهم الذي عرفه البيـ ... ـت وما قابلت أباطحهُ
إن تصمتوا عن دعائهم فلكم ... يوم وغى لا يُجاب صائحهُ
في حيث كبش الرَّدى يُناطح من ... أبصر كبش الورى يُناطحهُ
وفي غدٍ يعرف المخالف من ... خاسر دينٍ منكم ورابحهُ
وبين أيديكمُ حريق لظى ... يلفح تلك الوجوه لافحهُ
إن عبتموهم بجهلكم سفهاً ... ما ضرَّ بدر السَّماء نائحهُ
أو تكتموا الحق فالقرآن مشكله ... بفضلهم ناطقٌ وواضحهُ
ما أشرق المجد من قبورهم ... إلّا وسكّانها مصابحهُ
قومٌ أبى حدُّ سيف والدهم ... للدين أو يستقيم جامحهُ
وهو الذي استأنس الزَّمان به ... والدين مذعورةٌ مسارحهُ
حاربه القوم وهو ناصره ... قِدماً وغشّوه وهو ناصحهُ
وكم كسى منهم السيوف دماً ... يوم جلاد يطيح طائحهُ
ماصفح القوم عندما قدروا ... لمّا جنت فيهمُ صفائحهُ
بل منحوه العناد واجتهدوا ... أن يمنعوه والله مانحهُ
كانوا خفافاً إلى أذيَّته ... وهو ثقيل الوقار راجحهُ

وله قوله:

زعموا أنَّ من أحبَّ عليّاً ... ظلَّ لِلفقر لابساً جلبابا
كذبوا من أحبَّه من فقيرٍ ... يتحلّى من الغنى أثوابا
حرّفوا منطق الوصيِّ بمعنى ... خالفوا إذ تأوَّلوه الصَّوابا
إنَّما قال: ارفضوا عنكم الد ... نيا إذا كنتمُ لنا أحبابا

مشايخه وتآليفه:

لم نقف في المصادر التي بين أيدينا على ما يفيدنا في التنقيب عن أيّام صباه، وكيفيَّة تعلّمه، وأساتذته في فنونه، ومشايخه في علومه، والمصادر برمَّتها خاليةٌ من البحث عن هذا الجانب إلاّ أنَّ شعره يُفيدنا تتلمذه على الأخفش الأصغر عليِّ بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ فهو إمّا قرأ عليه في مصر أيَّام الأخفش بها وقد ورد الأخفش مصر سنة ٢٨٧ وخرج منها إلى حلب سنة ٣٠٦، وإمّا في بغداد قبل أن غادرها الأخفش إلى مصر، إذ يذكر قرائته عليه في قصيدة يمدحه بها في الشام حينما نزل بها الأخفش إمّا في رواحه إلى مصر، وإمّا في أوبته عنها فقال:

فلمّا خُيِّل الصبح ولـمّـا يبدُ تبليجه
واتبعت العرا وجهاً كسى البشر تباهيجه
إلى كعبة آداب بأرض الشام محجوجه
إلى معدن بالحكمة والآداب ممزوجه
سماعيٌّ قرائيٌّ له في العلم مرجوجه
ومَن يعدل بالعلم من المنآد تعويجه
إذ الأخبار حاجته ثناها وهي محجوجه
به تغدو من الشكِّ قلوب القوم مثلوجه
ويلقى طرق الحكمة للأفهام مهوجه
لكي يفرج عنّي الخطـ ـب لا أسطيع تفريجه
وكي يمنحني تأديبـ ـه المحض وتخريجه
ومَن أولى بتقريب خلا من كنت ضرِّيجه
ومن توَّجني من علـ ـمه أحسن تتويجه

له أدب النديم كما في فهرست النديم.

٢ - كتاب الرسائل.

٣ - ديوان شعره.

٤ ـ كتاب المصائد والمطارد[١]
٥ ـ خصائص الطرف.
٦ ـ الصبيح.
٧ ـ البيزرة في علم الصيد.

ولادته ووفاته:

ما عثرنا في الكتب والمعاجم على ما يفيدنا تاريخ ولادته لكن يلوح من شعره الذي يذكر فيه شيبه وهرمه في أوائل القرن الرابع أنّه ولد في أواسط القرن الثالث قال من قصيدة:

وإنَّ شيبي قد لاحت كواكبه   في ظلمة من سواد اللمّة الجثله
فهذه جملةٌ في العذر كافيةٌ   تغنيك فاغن عن التفصيل بالجمله
وبان منّي شبابٌ كان يشفع لي   سقياً له من شباب بان سقياً له
قد كان بابي للعافين منتجعاً   ينتابه ثُلّة من بعدها ثُلّه
وكنت طود المنى يُؤوى إلى كنفي   كحائط مُشرف من فوقه ظلّه
أفنى الكثير فما إن زال ينقصني   متى دفعت إلى الأفنان والقلّه
وقد غنيت وأشغالي تبيِّن من   فضلي فقد سترته هذه العطله
والسيف في الغمد مجهول جواهره   وإنّما يجتنيه عين من سلّه

وهذه القصيدة يمدح بها أبا علي ابن مقلة الوزير ببغداد في أيّام وزارته قبل حبسه وقد قبض عليه وحبس سنة ٣٢٤ وتوفي سنة ٣٢٨.

وأمّا وفاته ففي « شذرات الذهب » أنّه توفّي سنة ٣٦٠ وتبعه ـ تاريخ آداب اللغة العربيّة ـ وفي كشف الظنون، وكتاب الشيعة وفنون الاسلام، والأعلام للزركلي انّها في سنة ٣٥٠ وردّدها غير واحد من المعاجم بين التاريخين، وكلٌّ منهما يمكن أن يكون صحيحاً، كما يقرب إليهما ما في مقدّمة ديوانه من أنّه توفّي سنة ٣٣٠ وهو كما سمعت في مدحه إبن مقلة كان يشكو هرمه قبل سنة ٣٢٤.

---

(١) ينقل عنه ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ٣٧٩.

لفت نظر: ذكر المسعودي في «مروج الذهب» ج ١ ص ٥٢٣ لكشاجم أبياتاً كتبها إلى صديق له ويذمّ النرد وذكر اسمه أبو الفتح محمّد بن الحسن، وأحسبه منشأ ترديد سيِّدنا صدر الدين الكاظمي في تأسيس الشيعة في إسمه وإسم أبيه بين محمود ومحمّد. والحسين والحسن، وذكر المسعودي صوابه في مروجه ج ٢ ص ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٥٠.

ولده:

أعقب المترجم ولديه أبا الفرج وأبا نصر أحمد ويُكنّي كشاجم نفسه بالثاني في قوله:

قالوا: أبو أحمد يبني. فقلت لهم: كما بنت دودة بنيان السرق
بنته حتى إذا تمَّ البناء لها كان التمام ووشك الخير في نَسق

ويثني عليه ويصفه بقوله:

نفسي الفداء لمن إذا جرح الأسى قلبي أسوت به جروح أسائي
كبدي وتاموري وحبّة ناظري ومؤملي في شدَّتي ورخائي
ربَّيته متوسِّماً في وجهه ما قبل فيَّ توسّمت آبائي
ورزقته حسن القبول مبيِّناً فيه عطاء الله ذي الآلاء
وغدوت مقتنياً له عن امِّه وهي النجيبة وابنة النجباء
وعمرت منه مجالسي ومسالكي وجمعت منه مآربي وهوائي
فأظلّ أبهج في النهار بقربه وأُريه كيف تناول العلياء
وأُزيره العلماء يأخذ عنهمُ ولشذَّ من يغدو إلي العلماء
وإذا يجنُّ الليل بات مسامري ومجاوري وممثّلا بإزائي
فأبيت أُذني مهجتي من مهجتي وأضمُّ أحشائي إلى أحشائي

وكان أبو نصر أحمد بن كشاجم شاعراً أديباً ومن شعره يذمُّ به بخيلاً قوله[1]:

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٨، ونهاية الارب ج ٣ ص ٣١٨.

صديق لنا من أبرع الناس في البخل — وأفضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه — فجئت كما ياتي إلى مثله مثلي
فلمّا جلسنا للطعام رأيته — يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبدهُ — وأعلم أنَّ الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافةً — وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدُّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً — فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفّي لحتفي جنايةً — وذلك أنَّ الجوع أعدمني عقلي
فجرّت يدي للحين رجل دجاجةٍ — فجرت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدَّم من بعد الطعام حلاوَة — فلم أستطع فيها أمرّ ولا أحلي
وقمت لو أنّي كنت بيّتُ نيّة — ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

وذكر الثعالبي في «يتيمة الدهر» ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٦١ من شعره ما يُناهز ستّين بيتاً . وقال صاحب تعاليق اليتيمة ج ١ ص ٢٤٠ : [لم نعثر في ديوان كشاجم على شيء من هذه المختارات] ذاهلاً عن أنَّ الديوان المعروف هو لكشاجم لا لإبنه أبي نصر أحمد الذي انتخب الثعالبي من شعره ، ويستشهد بشعره الوطواط في «غرر الخصائص» .

خرج أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير المتوفّى سنة ٣٩١ إلى بستانه بالمقس فكتب إليه أبو نصر بن كشاجم على تفّاحة بماء الذهب وأنفذها إليه[١] .

إذ الوزير تخلّى للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سميّا ه جعفر بن الفراتِ

ويوجد في « بدائع البداية » شيءٌ من شعره راجع ج ١ ص ١٥٧ ، وذكر من شعره إبن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٤٩ ما نظمه سنة ٣٥٦ بالرملة لمّا ورد إليها أبو علي القرمطي القصير.

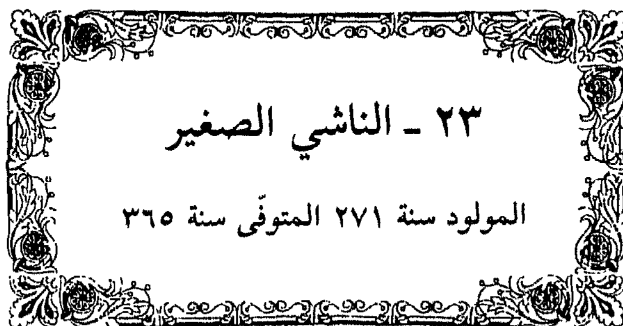
---

(١) في معجم الادباء ج ٢ ص ٤١١ .

ويذكر محمّد بن هارون بن الأكتمي إبني كشاجم ويهجوهما بقوله[١] :

يا بني كشاجم أنتما　　مستعملان مجرّبان
مات المشوم أبوكما　　فخلفتماه على المكانِ
وقرنتما في عصرنا　　ففعلتما فعل القرانِ
لغلاء أسعار الطعا　　م وميتة الملك الهجانِ

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٢.



٢٣ ـ الناشي الصغير

المولود سنة ٢٧١ المتوفّى سنة ٣٦٥

يـا آل يـاسين مَن يحبّكمُ ... بغيرِ شكٍّ لنفسه نصحا
أنتم رشادٌ من الضّلال كما ... كلُّ فسادٍ بحبّكم صلحا
وكلُّ مستحسنٍ لغيركمُ ... إن قيس يوماً بفضلكم قبحا
ما مُحيت آية النهار لنا ... وآية الليل ذو الجلال محا
وكيف تُمحى أنوار رشدكمُ ... وأنتمُ في دُجى الظلام ضُحى
أبوكمُ أحمد وصاحبه ... الممنوح من علم ربّه منحا
ذاك عليٌّ الذي تفرُّده ... في يوم «خُمّ» بفضله اتَّضحا
إذ قال بين الورى وقام به ... مُعتضداً في القيام مكتشحا
: من كنت مولاه فالوصيُّ له ... مولى بوحي من الإله وحا
فبخبخوا ثمَّ بايعوه ومَن ... يُبايع الله مخلصاً ربحا
ذالك عليٌّ الذي يقول له ... جبريل يوم النزال مُمتدحا
: لا سيف إلّا سيف الوصيِّ ولا ... فتى سواه إن حادثٌ فدحا
لو وزنوا ضربه لعمرو وأعما ... ل البرايا لَضربُهُ رجحا
ذال عليٌّ الذي تراجع عن ... فتح سواه وسار فافتتحا
في يوم حضّ اليهود حين أ ... قلّ الباب من حصنهم وحين دحا
لم يشهد المسلمون قطُّ رحى ... حرب وألفوا سواه قطب رحى
صلّى عليه الإله تزكيةً ... ووفّق العبد يُنشئ المدحا

وقال في قصيدة يوجد منها ٣٦ بيتاً:

ألا يا خليفة خير الورى ... لقد كفر القوم إذ خالفوكا
أدلُّ دليلٍ على أنَّهم ... أبوْك وقد سمعوا النصَّ فيكا
خلافهمُ بعد دعواهمُ ... ونكثهمُ بعدما بايعوكا

إلى أن قال:

فيا ناصر المصطفى أحمد ... تعلّمت نصرته من أبيكا
وناصبت نصّابه عنوةً ... فلعنة ربّي على ناصبيكا
فأنت الخليفة دون الأنام ... فما بالهم في الورى خلّفوكا؟
ولا سيَّما حين وافيته ... وقد سار بالجيش يبغي تبوكا
فقال أُناس: قلاه النبيّ ... فصرتَ إلى الطّهر إذ خفّضوكا
فقال النبيُّ جواباً لما ... يؤدّي إلى مسمع الطّهر فوكا
: ألم ترض إنّا على رغمهم ... كموسى وهارون إذ وافقوكا؟
ولو كان بعدي نبيٌّ كما ... جعلت الخليفة كنت الشريكا
ولكنّني خاتم المرسلين ... وأنت الخليفة إن طاوعوكا
وأنت الخليفة يوم انتجاك ... على الكور حيناً وقد عاينوكا
يراك نجيّاً له المسلمون ... وكان الآله الذي ينتجيكا
على فم أحمد يوحي إليك ... وأهل الضغائن مُستشرفوكا
وأنت الخليفة في دعوة ... العشيرة إذ كان فيهم أبوكا
ويوم «الغدير» وما يومه ... ليترك عذراً إلى غادريكا
لهم خلفٌ نصروا قولهم ... ليبغوا عليك ولم ينصروكا
إذا شاهدوا النصَّ قالوا لنا: ... توانى عن الحقِّ واستضعفوكا
فقلنا لهم: نصُّ خير الورى ... يُزيل الظنون وينفي الشّكوكا

وله يمدح آل الله قوله:

بآل محمَّد عُرف الصوابُ ... وفي أبياتهم نزل الكتابُ
همُ الكلمات والأسماء لاحت ... لآدم حين عزَّ له المتابُ
وهم حُجج الآله على البرايا ... بهم وبحكمهم لا يُستْرابُ

بقيَّة ذي العُلى وفروعِ أصلٍ   بحسن بيانهم وضح الخطابُ
وأنوارٌ ترى في كلِّ عصرٍ   لإرشاد الورى فهمُ شهابُ
ذراري أحمد وبنو عليٍّ   خليفته فهم لبٌّ لبابُ
تناهوا في نهاية كلِّ مجد   فطهِّر خلقهم وزكوا وطابوا
إذا ما أعوز الطلّاب علمٌ   ولم يوجد فعندهمُ يُصابُ
محبَّتهم صراطٌ مستقيمٌ   ولكن في مسالكه عقابُ
ولا سيما أبو حسن عليّ   له في الحرب مرتبةٌ تُهابُ
كأنَّ سنان ذابله ضميرٌ   فليس عن القلوب له ذهابُ
وصارمه كبيعته بخمٍّ   معاقدها من القوم الرِّقابُ
عليٌّ الدرّ والذهب المصفّى   وباقي الناس كلّهم تُرابُ
إذا لم تَبر من أعدا عليٍ(١)   فما لك في محبَّته ثوابُ
إذا نادت صوارمه نفوساً   فليس لهم سوا نَعَم جوابُ
فبين سنانه والدِّرع سلمٌ   وبين البيض والبيض اصطحابُ
هو البكّاء في المحراب ليلاً   هو الضحّاك إن جدَّ الضرابُ
ومَن في خفِّه طرح الأعادي   حباباً كي يلسبه(٢) الحبابُ
فحين أراد لبس الخفِّ   وافى يُمانعه عن الخفِّ الغرابُ
وطار به فأكفأه وفيه   حبابٌ في الصعيد له انسيابُ(٣)
ومَن ناجاه ثعبانٌ عظيمٌ   بباب الطّهر ألقته السَّحابُ
رآه الناس فانجفلوا(٤) برعب   وأغلقت المسالك والرحابُ
فلمّا أن دنا منه عليٌّ   تدانى الناس واستولى العجابُ
فكلّمه عليٌّ مستطيلاً   وأقبل لا يخاف ولا يهابُ

---

(١) كذا في تخميس العلامة الشيخ محمد علي الأعسم. وفي كتاب الانائل والتحفة:
ومن لم يبر من أعدا علي   فليس له النجاة ولا ثواب

(٢) لسبته الحية: لدغته.

(٣) انسابت الحية: اجرت وتدافعت.

(٤) انجفل وتجفل القوم: هربوا مسرعين.

ودنَّ لحاجر[١] وانساب فيه ... وقال وقد تغيَّبه الترابُ
: أنا ملك مُسخت وأنت مولى ... دُعاؤك إن مَننت به يُجابُ
أتيتك تائباً فاشفع إلى مَن ... إليه في مهاجرتي الإيابُ
فأقبل داعياً وأتى أخوه ... يُؤمِّن والعيون لها انسكابُ
فلمّا أن أجيبا ظلَّ يعلو ... كما يعلو لدى الجدّ العقابُ
وأنبتَ ريش طاووسٍ عليه ... جواهر زانها التِّبر المُذابُ
يقول: لقد نجوت بأهل بيتٍ ... بهم يُصلى لظىً وبهم يُثابُ
همُ النبأ العظيم وفُلك نوحٍ ... وباب الله وانقطع الخطابُ

(ما يتبع الشعر)

الأصحّ أنَّ هذه القصيدة للناشي كما صرَّح به إبن شهراشوب في « المناقب »، وروى إبن خلكان عن أبي بكر الخوارزمي: انَّ الناشي مضى إلى الكوفة سنة ٣٢٥ وأملى شعره بجامعها، وكان المتنبّي وهو صبيٌّ يحضر مجلسه بها وكتبٍ من إملائه لنفسه من قصيدة:

كأنَّ سنان ذابله ضميرٌ ... فليس من القلوب له ذهاب
وصارمه كبيعته بخمٍّ ... مقاصدها من الخلق الرِّقاب

وذكرها له الحموي في « معجم الأدباء » ج ٥ ص ٢٣٥، واليافعي في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ٣٣٥؛ وجزم بذلك في « نسمة السحر » وعزى مَن نسبها إلى عمرو بن العاص إلى أفحش الغلط، وهؤلاء مهرة الفنّ وإليهم المرجع في أمثال المقام.

فما تجده في غير واحد من المعاجم وكتب الأدب ككتاب الإكليل[٢] وتحفة الأحبّاء من مناقب آل العباء[٣] من نسبتها إلى عمرو بن العاص على وجوه متضاربة مما لا مُعوَّل عليه، قال صاحبا الإكليل والتحفة: إنَّ معاوية بن أبي

(١) الحاجر: الارض المرتفعة ووسطها منخفض.
(٢) تأليف أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني اليمني .
(٣) تأليف جمال الدين الشيرازي.

سفيان قال يوماً لجلسائه: مَن قال في عليٍّ فله هذه البَدرة. فقال عمرو بن العاص هذه الأبيات طمعاً بالبَدرة.

وكذلك لا يصحُّ عزوها إلى ابن الفارض كما في بعض المعاجم، وكان إبن خلكان والحموي معاصرين لإبن الفارض، فما كان يخفى عليهما لو كان الشعر له، على أنّه كانت تتناقله الرواة قبل وجود إبن الفارض.

والذي أحسبه انَّ لجملة من الشعراء قصائد علويَّة على هذا البحر والقافية مبثوثة بين الناس، وربما حُرِّفت أبيات منها عن مواضعها فأدرجت في قصيدة الآخر، كما أنَّك تجد أبياتاً من شعر الناشي في خلال أبيات السوسي المذكورة في مناقب إبن شهراشوب، وكذلك أبياتاً من شعر إبن حمّاد في خلال أبيات العوني، وأبياتاً من شعر الزاهي في خلال شعر الناشي، وأبياتاً من شعر العبدي في خلال شعر إبن حمّاد، وبذلك اشتبه الحال على الرُّواة فعزي الشعر إلى هذا تارةً وإلى ذلك اخرى.

خمّس جملةً من هذه القصيدة العلاّمة الحجَّة الشيخ محمَّد علي الأعسم النجفي أوّله:

بنو المختار هم للعلم بابُ ... لهم في كلِّ مُعضلة جوابُ
إذا وقع اختلافٌ واضطرابُ ... بآل محمَّد عُرف الصَّوابُ

(الشاعر)

أبو الحسن[1] عليُّ بن عبد الله بن الوصيف الناشي (الصغير) الأصغر البغدادي من باب الطاق، نزيل مصر، المعروف بالحلاّء، كان أبوه يعمل حلية السيوف فسمّي حلاّءً ويقال له: الناشي لأنّ الناشي يقال لمن نشأ في فنّ من فنون الشعر كما قال السمعاني في الأنساب.

كان أحد من تضلّع في النظر في علم الكلام، وبرع في الفقه، ونبغ في

(١) في فهرست الشيخ، ورجال أبي داود: أبو الحسين.

الحديث، وتقدَّم في الأدب، وظهر أمره في نظم القريض، فهو جماع الفضائل، وسمط جمار العلوم، وفي الطليعة من علماء الشيعة ومتكلّميها، ومحدِّثيها، وفقهائها، وشعرائها.

روى عنه الشيخ الإمام محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد، وبواسطته يروي عنه شيخ الطائفة أو جعفر الطوسي كما في فهرسته ص ٨٩، واحتمل في « رياض العلماء » رواية الشيخ الصدوق عنه ايضاً، وقال: لعلّه الذي كان من مشايخ الصَّدوق، وفي « الوافي بالوفيات » و« لسان الميزان » ج ٤ ص ٢٣٨: أنَّ أبا عبد الله الخالع. وأبا بكر بن زرعة الهمداني. وعبد الواحد العكبري. وعبد السَّلام بن الحسن البصري اللغوي. وإبن فارس اللغوي. وعبد الله بن أحمد بن محمَّد بن روزبة الهمداني وغيرهم يروون عنه، وأنَّه يروي عن المبرّد وابن المعتزّ وغيرهما.

وذكر إبن خلكان: أنَّه أخذ العلم عن أبي سهل إسماعيل بن عليّ بن نوبخت، وهو من أعاظم متكلّمي الشيعة.

وقال شيخ الطائفة في فهرسته ص ٨٩: وكان يتكلّم على مذهب أهل الظاهر في الفقه. وأهل الظاهر هم أصحاب أبي سليمان داود بن علي بن خلف الإصبهاني المعروف بالظاهري المتوفّى سنة ٢٧٠، قال إبن نديم في « الفهرست » ص ٣٠٣: هو أوَّل من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنّة وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس. وقال إبن خلكان في تاريخه ج ١ ص ١٩٣: كان أبو سليمان صاحب مذهب مستقلّ، وتبعه جمع كثير يُعرفون بالظاهريَّة.

وفي رجال النجاشي: انَّ للمترجم كتاباً في الإمامة، لكن الشيخ الطوسي يذكر له كتباً في « الفهرست »، وفي تارخ إبن خلكان: انَّ له تصانيف كثيرة، وفي الوافي بالوفيات: انَّ شعره مدوَّنٌ، وانَّ مدائحه في أهل البيت عليهم السَّلام لا تُحصى كثرةً، ولذلك عدَّه إبن شهراشوب في « معالم العلماء » من مجاهري شعراء أهل البيت عليهم السَّلام.

وفي « معجم الأدباء » قال الخالع: كان الناشي يعتقد الإمامة، ويناظر عليها بأجود عبارة، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتّى عُرف بهم، وأشعاره فيهم لا تُحصى كثرةً، ومدح مع ذلك الراضي بالله وله معه أخبارٌ، وقصد كافوراً الأخشيدي بمصر وامتدحه، وامتدح إبن خنزابة وكان يُنادمه، وطرى إلى البريديِّ بالبصرة؛ وإلى أبي الفضل بن العميد بـارّجان. وقـال: قال إبن عبـد الرحيم حدَّثني الخالع قال: حدَّثني الناشي، قال: أدخلني إبن رائق على الراضي بالله وكنتُ مدّاحاً لابن رائق ونافقاً عليـه فلمّا وصلتُ إلى الـراضي قال لي: أنت الناشي الرافضيّ؟ فقلت: خادم أمير المؤمنين الشيعيّ، فقال: من أيِّ الشيعة؟ فقلت: شيعة بني هاشم. فقال: هذا خبث حيلة. فقلت: مع طهارة مـولد، فقال: هات ما معك. فأنشدته فأمر أن يخلع عليَّ عشر قطع ثياباً، وأُعطى أربعة آلاف درهم، فأُخرج إليَّ ذلـك وتسلّمته وعُـدت إلى حضرتـه فقبلت الأرض وشكرته وقلت: أنا ممَّن يلبس الطيلسان فقال: ها هنا طيالس عدنيَّة أعطوه منها طيلساناً وأضيفوا إليها عمامة خزٍّ. ففعلوا، فقال: أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بـني الـعبّـاس إنَّ لـكـم دمـاءً　　　أراقتهـا اميَّـة بـالـذّحـولِ[1]
فـليس بهـاشـميٍّ مـن يـوالي　　　اميَّـة والـلعيـن أبـا زبـيـلِ

فقال: ما بينـك وبين أبي زبيل: فقلت: أميـر المؤمنين أعلم. فابتسم وقال: انصرف.

ويستفاد من غير واحد من الأخبار أنَّ الناشي على كثرة شعـره في أهل البيت عليهم السَّلام حظي منهم بالقبول والتقدير وحَسبه ذلك مأثرةً لا يقابلها أيُّ فضيلة، ومكرمةً خالدةً تكسبه فوز النشأتين.

روى الحموي في « معجم الأدباء » قال: حدَّثني الخالع قال: كنتُ مع والـدي في سنة ستّ وأربعين وثـلاثمائـة وأنا صبيٌّ في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الورّاقين والصاغة وهو غاصٌّ بالنّاس وإذا رجلٌ قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة ومعه عكاز، وهو شعث، فسلّم على الجماعـة

(١) الذحل: الثأر. العداوة ، الحقد ج ذحول.

بصوت يرفعه، ثمَّ قال: أن رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها فقالوا: مرحباً بك وأهلاً ورفعوه فقال: أتعرِّفون لي أحمد المزوِّق النائح؟ فقالوا: ها هو جالسٌ، فقال: رأيت مولاتنا عليها السَّلام في النوم فقالت لي: إمض إلى بغداد واطلبه وقل له: نُح على ابني بشعر الناشي الذي يقول فيه:

بني أحمــد قلبي بكــم يتقــطَّعُ ... بمثـل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ

وكان الناشي حاضراً فلطم لطماً عظيماً على وجهه وتبعه المزوِّق والناس كلّهم وكان أشدَّ الناس في ذلك الناشي ثمَّ المزوِّق ثمَّ ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلّى الناس الظهر، وتقوَّض المجلس، وجهدوا بالرَّجل أن يقبل شيئاً منهم، فقال: والله لو اعطيت الدنيا ما أخذتها فإنَّني لا أرى أن أكون رسول مولاتي عليها السَّلام ثمَّ آخذ عن ذلك عوضاً. وانصرف ولم يقبل شيئاً، قال: ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً:

عجبٌ لكم تُفنون قتلاً بسيفكم ... ويسطو عليكم مَن لكم كان يخضعُ
كـأنَّ رسـول الله أوصى بقتلكم ... وأجسـامكم في كلِّ أرض تُـوزَّع

قال الأميني: أوَّل هذه القصيدة:

بني أحمــد قلبي لكــم يتقــطَّعُ ... بمثـل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ
فما بقعةٌ في الأرض شرقاً ومغرباً ... وليس لكم فيهـا قتيـلٌ ومصـرعُ
ظُـلمتـم وقُتـلتم وقُسِّم فـيئكـم ... وضاقت بكم أرضٌ فلم يحم موضعُ
جسومٌ على البوغاء تُرمى وأرؤسٌ ... على أرؤس اللدن الذوابل تُرفعُ
تـوارون لم تأو فـراشـاً جنوبكم ... ويسلمني طيب الهجوع فأهجعُ

وقال الحموي: حدَّثني الخالع قال: إجتزت بالناشي يوماً وهو جالسٌ في السرّاجين فقال لي: وقد عملت قصيدةً قد طُلبت وأُريد أن تكتبها بخطِّك حتّى أُخرجها. فقلت: أمضي في حاجة وأعود، وقصدت المكان الذي أردته وجلست فيه فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح فقال لي: أحبُّ أن تقوم فتكتب قصيدة الناشي البائيَّة فإنّا قد نحنا بها البارحة بالمشهد، وكان هذا الرَّجل قد توفّي وهو عائدٌ من الزِّيارة، فقمت ورجعت إليه

وقلت: هات البائيَّة حتّى أكتبها، فقال: من أين علمت أنَّها بائيَّة؟ وما ذكرت بها أحداً، فحدَّثته بالمنام فبكى، وقال: لا شكَّ أنَّ الوقت قد دنا فكتبتها فكان أوَّلها:

رجائي بعيدٌ والممات قريبُ ... ويخطىء ظنّي والمنون تُصيبُ

قال الأميني: ومن البائيَّة في المديح قوله:

اناسٌ علوا أعلا المعالي من العلا ... فليس لهم في الفاضلين ضريبُ
إذا انتسبوا جازوا التناهي لمجدهم ... فما لهمُ في العالمين نسيبُ
هم البحر أضحى درّه وعبابه ... فليس له من منتفيه رسوبُ
تسير به فُلكُ النجاة وماؤها ... لشرّابه عذب المذاق شروبُ
هو البحر يُغني مَن غدا في جواره ... وساحله سهل المجال رحيبُ
همُ سببٌ بين العباد وربِّهم ... محبُّهمُ في الحشر ليس يخيبُ
حووا علم ما قد كان أو هو كائنٌ ... وكلّ رشادٍ يحتويه طلوبُ
وقد حفظوا كلَّ العلوم بأسرها ... وكلّ بديعٍ يحتويه غيوبُ
همُ حسنات العالمين بفضلهم ... وهم للأعادي في المعاد ذنوبُ

وجمع العلاّمة السماوي شعر الناشي في أهل البيت عليهم السّلام يربو على ثلاثمائة بيت.

(**ولادته ووفاته**) حكى الحموي في « معجم الأدباء » نقلاً عن خالع أنَّه قال: مولده على ما أخبرني به سنة ٢٧١، ومات يوم الإثنين لخمس خلون من صفر سنة ٣٦٥ وكنت حينئذ بالري فورد كتاب إبن بقيَّة[١] إلى إبن العميد يخبره. وقيل: إنَّه تبع جنازته ماشياً وأهل الدولة كلّهم، ودُفن في مقابر قريش وقبره هناك معروفٌ.

---

(١) أبو طاهر محمد بن بقية كان وزير عز الدولة، ولما ملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بقية وألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة بيمارستان العضدي ببغداد سنة ٣٦٧، (ابن خلكان ج ٢ ص ١٧٥).

وهو ممن نُبش قبره في واقعة سنة ٤٤٣ وأُحرقت تربتُه[1] وقال إبن شهرآشوب في « المعالم » ص ١٣٦ : حرّقوه بالنار. وظاهره أنَّه استشهد حرقاً والله أعلم.

وهناك أقوال اخر لا تقارف الصحَّة فقد أرّخ وفاته اليافعي في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ٢٣٥ : بسنة ٣٤٢، وإبن خلكان بسنة ٣٦٠، وابن الأثير في « الكامل » بسنة ٣٦٦، وهو محكيٌّ إبن حجر في « لسان الميزان » عن إبن النجار، وبها أرّخ علاء الدين البهائي في « مطالع البدور » ج ١ ص ٢٥ وذكر له:

ليس الحجاب بآلة الأشرافِ إنَّ الحجاب مجانبُ الإنصافِ
ولقلَّ ما يأتي فيحجب مرَّةً فيعود ثانيةً بقلبٍ صافِ

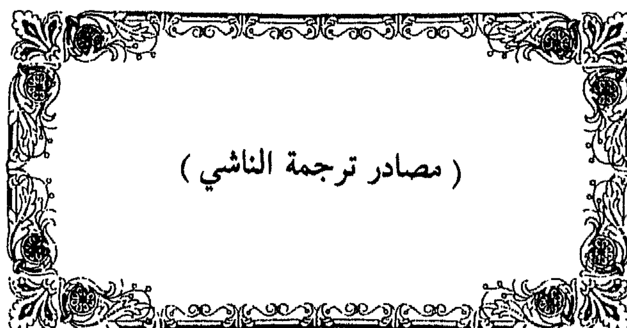
وذكر له الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ١٣٦ في نسبة السواد إلى وجه الناصبي قوله:

ياخليلي وصاحبي من لُويٍّ بن غالبِ
حاكم الحبّ جائرٌ موجبٌ غير واجبِ
لك صدغٌ كأنَّما لونه وجه ناصبي
يلدغ الناس إذ تعقـ ـرب لدغ العقاربِ

لفت نظر: توجد في « تنقيح المقال » ج ٢ ص ٣١٣ ترجمة الناشي وفيها: والظهر أنَّه هو عليٌّ بن عبد الله بن وصيف بن عبد الله الهاشمي الذي رُوي في « العيون » عنه عن الكاظم عليه السّلام النصّ على الرِّضا. اه. وهذا أعجب ما رأيت في طيِّ هذا الكتاب القيِّم من العثرات.

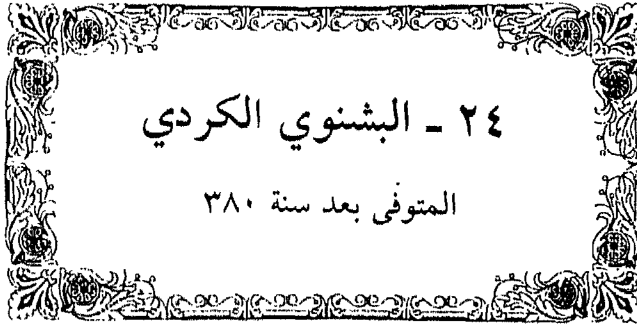
---

(١) سيوافيك في هذا الجزء في ترجمة المؤيد ما وقع في تلك الواقعة الهائلة من الطامات والفظائع.



(مصادر ترجمة الناشي)

فهرست الشيخ	معالم العلماء	رجال إبن داود
رجال النجاشي	يتيمة الدهر	أنساب السمعاني
وفيات الأعيان	معجم الأدباء	ميزان الإعتدال
الوافي بالوفيات	خلاصة الرِّجال	نقد الرِّجال
كامل إبن الأثير	مجالس المؤمنين	لسان الميزان
شذرات الذهب	مطالع البدور	جامع الرُّواة
تلخيص الأقوال	مُنتهى المقال	نسمة السحر
أمل الآمل	خاتمة الوسائل	رياض العلماء
ملخّص المقال	الحصون المنيعة	الشيعة وفنون الإسلام
تلخيص المقال	تأسيس الشيعة	روضات الجنّات
تنقيح المقال	هديَّة الأحباب	وفيات الأعلام
الطليعة	بغية الطالب	شهداء الفضيلة



٢٤ - البشنوي الكردي

المتوفى بعد سنة ٣٨٠

وقد شهدوا عيد « الغدير » واسمعوا مقال رسول الله من غير كتمانِ
:ألست بكم أولى من الناس كلّهم؟ فقالوا : بلى يا أفضل الإنس والجانِ
فقام خطيباً بين أعواد منبرٍ ونادى بأعلا الصوت جهراً بإعلانِ
بحيدرةٍ والقوم خرس أذلّة قلوبهمُ ما بين خلف وعينانِ
فلبَّ مُجيباً ثمَّ أسرع مقبلاً بوجه كمثل البدر في غصن البانِ
فلاقاه بالترحيب ثمَّ ارتقى به إليه وصار الطّهر للمصطفى ثانِ
وشال بعضديه وقال وقد صغى إلى القول أقصى القوم تالله والدانِ
: عليٌّ أخي لا فرق بيني وبينه كهارون من موسى الكليم ابن عمرانِ
ووارث علمي والخليفة في غدٍ على امّتي بعدي إذا زُرت جثماني
فيا ربِّ مَن والى عليّاً فواله وعاد الذي عاداه واغضب على الشاني

وله قوله من قصيدة :

أأترك مشهور الحديث وصدقه غداة بخمٍّ قام أحمد خاطبا؟
: ألست لكم مولى ومثلي وليّكم عليٌّ فوالوه وقد قلت واجبا

وله قوله :

يوم « الغدير » لذي الولاية عيدُ ولذي النواصب فضله مجحودُ
يومٌ يوسَّم في السماء بأنّهُ العهد فيه وذلك المعهودُ
والأرض بالميراث أضحت وسمه لو طاع موطودٌ وكفَّ حسودُ

(الشاعر)

أبو عبد الله الحسين بن داود الكُردي البشنوي. من الشعراء المجاهرين في مدائح العترة الطاهرة عليهم السّلام كما عدَّه إبن شهراشوب منهم في [معالم العلماء] ويشهد لذلك شعره الكثير فيهم المبثوث في كتاب « المناقب » للسروي، فهو في الرَّعيل الأوَّل من حاملي ألوية البلاغة، وأحد شعراء الإماميَّة الناهضين بنشر الأدب، وينمُّ عن مذهبه قوله:

أليَّــة ربّي بــالهُــدى متمسّكــاً　　بـإثني عشـر بعـد النبيِّ مـراقبـا
ابقي على البيت المـطهَّـر أهله　　بيـوت قـريش للديـانـة طـالبـا

وقوله:

يا مُصرف النصِّ جهلاً عن أبي حسن　　باب المدينة عن ذي الجهل مقفولُ
مدينة العلم مـا عن بابهـا عوضٌ　　لـطالب العلم إذ ذو العلم مسؤولَ
مـولى الأنـام عليٌّ والـوليُّ معـاً　　كما تفوَّه عن ذي العرش جبريلُ

وقوله:

قد خان من قدَّم المفضول خالقه　　ولـلإلـه فبـالمفضـول لم أخن

وسيوافيك من شعره ما يظهر منه تضلّعه في التشيّع، وتمحّضه في الولاء، وانقطاعه إلى سادات الأئمَّة صلوات الله عليهم، فهو من شعراءهم، وما كان يقال: من أنَّه شاعر بني مروان كما في كامل إبن الأثير ص ٢٤ من ج ٩ فالمراد به ملوك ديار بكر من أولاد اخت باذ الكردي أوَّلهم أبو علي بن مروان استولى على ما كان يحكم عليه خاله من ديار بكر، وبعد قتله ملك أخوه ممهِّد الدولة، وبعد قتله قام أخوه أبو نصر وبقي ملكه من سنة ٤٢٠ إلى سنة ٤٥٣، وخلفه ولدان: نصر وسعيد، أمّا نصر فملك ميافارقين وتوفّي سنة ٤٥٣ ،وملك بعده ابنه منصور، وأمّا سعيد فاستولى على آمد[١].

وكان البشنوي المترجَم له يستحثُّ الأكراد البشنويَّة[٢] أصحاب قلعة فتك

---

(١) راجع تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٣٣ و١٨٩ و٢٠٤.
(٢) كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٢٤.

لموازرة باذ الكردي خال بني مروان المذكورين في وقعة سنة ٣٨٠ التي وقعت بينه وبين أبي طاهر والحسين إبني حمدان لمّا ملكا بلاد الموصل سنة ٣٧٩ وله في ذلك قوله من قصيدة:

ألبشنــويّــة أنصــارٌ لــدولـتكـم وليس في ذا خفاً في العجم والعربِ

فإنتماء المترجَم إلى بني مروان هؤلاء بعلاقة خالهم باذ المتّحد معه في العنصر الكردي؛ فعلى ما ذكرنا لا يكون لقول من قال[1]: إنّ البشنوي توفّي سنة ٣٧٠ مقيلٌ من الحقيقة فإنّ التاريخ يشهد بحياته بعدها بعشر سنين.

ذكر صاحب [معالم العلماء] للمترجَم كتاب الدلائل، والرسائل البشنويّة، وقال إبن الأثير في « اللباب » ج ١ ص ١٢٧: وله ديوانٌ مشهور.

(البشنويّة)

كانت في العراق في شرقي دجلة طوائف كثيرة من الأكراد ينتمون إلى حصون وقلاع وبلاد كانت لهم في نواحي الموصل والأربل، ومنهم: البشنويّة ومنها شاعرنا المترجَم، كانت تسكن هذه الطائفة فوق الموصل قرب جزيرة إبن عمر[2] بينهما نحو من فرسخين، وما كان يقدر صاحب الجزيرة ولا غيره مع مخالطتهم للبلاد عليها، قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان »: وهي بيد هؤلاء الأكراد منذ سنين كثيرة نحوالثلاثمائة سنة وفيهم مروّةٌ وعصبيّةٌ ويحمون مَن يلتجيء إليهم ويحسنون إليه. اه. ولهذه الطائفة هناك قلاعٌ منها قلعة برقة، وقلعة بشير، وقلعة فنك، ومن امرائها صاحب قلعة فنك الأمير أبو طاهر؛ والأمير إبراهيم، والأمير حسام الدين من امراء القرن السّادس.

---

(١) ذكره صاحب اعيان الشيعة ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) حزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات، واحسب ان أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء فاحاط بها الماء من جميع جوانبها، ويقال في النسبة إليها: جزري (معجم البلدان).

(ومنهم الزوزانيَّة) تُنسب هذه الطائفة إلى الزوزان بفتح أوَّله وثانيه، ناحية واسعة في شرقي دجلة من جزيرة إبن عمر، وأوَّل حدودها من نحو يومين من الموصل إلى أوَّل حدود خلاط، وينتهي حدُّها إلى آذربايجان إلى عمل سلماس؛ وفيها قلاعٌ كثيرةٌ حصينةٌ للأكراد البشنويَّة والزوزانيَّة والبختيَّة.

(ومنهم البختيَّة) لهم عدَّة قلاع في الزوزان منها قلعة [جُرذقيل] وهي أجلُّ قلعةٍ لهم وكرسيُّ ملكهم، وقلعة آتيل. وعلّوس. والقي. وأروخ وباخوخة. وبرخو، وكنكور، ونيروه. وخوشب. ومن زعمائهم الأمير موسك بن المجلي.

(الهكّاريَّة) بالفتح وتشديد الكاف ينتمون إلى [الهَكّاريَّة] قرى فوق الموصل من جزيرة إبن عمر، ومن أمرائهم بحلب عزّ الدين عمر بن علي، وعماد الدين أحمد بن علي المعروف بإبن المشطوب، وكان أكبر أمير في مصر، ومن علمائهم شيخ الاسلام أبو الحسن عليّ بن أحمد الهَكّاري المتوفّى سنة ٤٨٦، والمترجَم في تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ٣٧٧.

(الجلّانيَّة) بالفتح وتشديد اللّام وكسر النون والياء المشدَّدة، تنسب هذه الطائفة إلى الجلّانيَّة وهي قلعةٌ من قلاع الهَكّارية المذكورة.

(الزَواديَّة)[1]، وهم أشرف الأكراد،ومنهم اسد الدين شيركوه المتوفّى سنة ٥٦٤ وأخوه نجم الدين أيّوب.

(الشوانكاريَّة) وهم الذين التجأ إليهم في سنة ٥٦٤ شملة ملك فارس صاحب خوزستان المتوفّى سنة ٥٧٠.

(الحميديّة)، كانت لهم قلاعٌ حصينةٌ تجاوز الموصل.

(الهذبانيَّة)، لهم قلعة إربل وأعمالها.

(الحكميَّة)، ومن امرائهم الأمير أبو الهيجاء الأربلي.

ومنهم الأكراد المارانيَّة. واليعقوبيَّة. والجوزقانيَّة. والسورانيَّة. والكورانيَّة، والعماديَّة، والمحموديَّة، والجوبيَّة، والمهرانيَّة، والجاوانيَّة،

---

(١) كذا في الكامل وفي غيره: الردادية.

والرضائيَّة، والسروجيَّة، والهارونيَّة، واللريَّة، إلى غير ذلك من القبائل التي لا تُحصى كثرةً.

نبذة من شعره:

ومن شعر شاعرنا [البشنوي] في المذهب قوله:

خير الوصيِّين مِن خير البيوت ومِن　　خيـر القبائـل معصومٌ مِن الـزَّللِ
إذا نظرتَ إلى وجه الـوصيِّ فقد　　عبدتَ ربّك في قولٍ وفي عملِ

أشار بالبيت الأخير إلى ما رواه محبّ الدين الطبـري في رياضـه ج ٢ ص ٢١٩ عن أبي بكر. وعبد الله بن مسعود. وعمرو بن العاص. وعمران بن الحصين. وعن غيرهم عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: النظر إلى وجه عليٍّ عبادة.

ورواه الكنجي في « كفاية الطالب » ص ٦٤ و ٦٥ عن إبن مسعود بطريقين وقال: الحديث الأوَّل أحسن إسناداً من الثاني، والحديث الثاني روته الحفّاظ كأبي نعيم في حليته، والطبراني في معجمه، وهو حسنٌ عال جليلٌ غريبٌ من هذا الوجه، والحديث الأوَّل عال حسن السياق.

ورواه بـطريق آخر عن معـاذ بن جبل ص ٦٦ فقـال: وأخرجـه الحافظ الدمشقي في تاريخه عن غير واحد من الصحابة منهم أبو بكر. وعمر، وعثمان. وجابر. وثوبان. وعائشة. وعمران بن الحصين. وأبو ذر. وفي حديث أبي ذر قال رسول الله ﷺ: مثل عليٍّ فيكم أو قال في هذه الأُمَّة كمثل الكعبة المستورة، النظر إليها عبادةٌ. والحجُّ إليها فريضةٌ. ورواه في ص ١٢٤ بطريق آخر عن عليٍّ عليه السّلام وله قوله:

ولسـتُ ابـالـي بـأيِّ الـبـلاد　　قضى الله نحبي إذا مـا قضـاه
ولا أيـن حـطتُ إذا مضـجـعي　　ولا مَـن جـفـاه ولا مَـن قـلاه
إذا كـنـتُ أشـهـد أن لا آلـه　　هـو الله والـحقُّ فيمـا قـضـاه
وأنَّ مـحمَّـداً الـمـصـطفى　　نـبـيٌّ وأنَّ عـليّـاً أخـاه
وفـاطمـة الـطّهر بنت الرَّسـول　　رسـولاً هـدانـا إلى مـا هـداه
وابـنـاهـمـا فـهـمـا سـادتي　　فـطوبى لعبـدهـمـا سيِّـداه

وله قوله:

يا ناصبيَّ بكلِّ جهدك فاجهدِ ... إنّي علقتُ بحبِّ آلِ محمَّدِ
الطيِّبين الطاهرين ذوي الهدى ... طابوا وطاب وليّهم في المولدِ
واليتهم وبرئتُ من أعدائهم ... فاقلل ملامك لا أباً لك أوزدِ
فهمُ أمانٌ كالنّجوم وإنّهم ... سُفن النجاة من الحديث المسندِ

وله قوله:

فقال كبيرهم: ما الرأي فيما ... ترون يردّ ذا الأمر الجليّ
سمعتم قوله قولاً بليغاً ... وأوصى بالخلافة في عليٍّ؟
فقالوا: حيلة نصبت علينا ... ورأيٌ ليس بالعقد الوفيِّ
تدبّر غير هذا في امور ... تنال بها من العيش السنيِّ
سنجعلها إذا ما مات شورى ... لتيميٍّ هنالك أو عديٍّ

وله قوله:

يا قارىء القرآن مع تأويله ... مع كلِّ محكمة أتت في حالِ
أعمارة البيت المحرَّم مثله ... وسقاية الحجّاج في الأمثالِ؟!
أم مثلي التيميُّ أو عدوِّيهم ... هل كان في حالٍ من الأحوالِ؟!
لا والذي فرضٌ عليَّ وداده ... ما عندي العلماء كالجهّالِ

وله قوله:

فمدينة العلم التي هو بابها ... أضحى قسيم النّار يوم مآبهِ
فعدوُّه أشقى البريَّة في لظى ... ووليّه المحبوب يوم حسابهِ

وله قوله:

خير البريَّة خاصف النعل الذي ... شهد النبيُّ بحقّه في المشهدِ
وبعلمه وقضائه وبسيفه ... شهد الرَّسول مع الملائك فاشهدِ

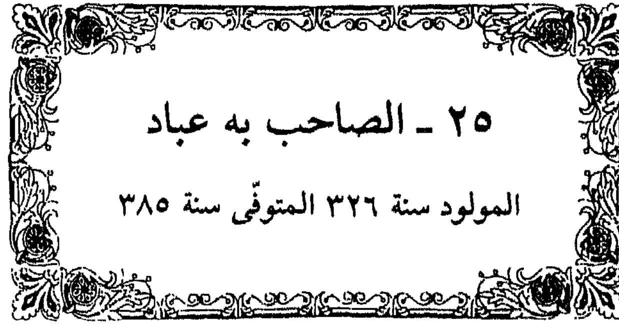
وله في الصديقة الزَّهراء سلام الله عليها قوله:

وقف الندا في موضع عبرت ... فيه البتول: عيونكم غضّوا
فتغضُّ والأبصار خاشعةً ... على بنان الظالم العضُّ

تـســودُّ حـيـنـئـذ وجـوهـهـمُ   ووجـوه أهـل الـحـقِّ تـبـيض

وله يمدح الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام قوله:

سليـل أئمَّـة سلكـوا كـرامـا   على منهـاج جـدِّهم الـرَّسـولِ
إذا مـا مـشكـلٌ أعـيى عـلينـا   أتـونـا بـالبيـان وبـالـدليـلِ



٢٥ ـ الصاحب بن عباد

المولود سنة ٣٢٦ المتوفّى سنة ٣٨٥

قالت: فَمن صاحب الدين الحنيف أجب؟ ... فقلت: أحمد خير السّادة الرُّسل
قالت: فَمن بعده تُصفى الولاء له؟ ... فقلت: الوصيّ الذي أربى على زُحل
قالت: فَمن بات مِن فوق الفراش فدى؟ ... فقلت: أثبت خلق اللّه في الوهل
قالت: فَمن ذا الذي آخاه عن مقةٍ ... فقلت: من حاز ردَّ الشمس في الطفل
قالت: فَمن زوّج الزَّهراء فاطمة؟ ... فقلت: أفضل من حافٍ ومُنتعل
قالت: فَمن والد السبطين إذ فرعا؟ ... فقلت: سابق أهل السبق في مهل
قالت: فَمن فاز في بَدرٍ بمعجزها؟ ... فقلت: أضرب خلق اللّه في القلل
قالت: فَمن أسد الأحزاب يفرسها؟ ... فقلت: قاتل عمرو الضيغم البطل
قالت: فيوم حُنين مَن فرا وبَرا؟ ... فقلت: حاصدُ أهل الشِّرك في عجل
قالت: فَمن ذا دُعي للطيّر يأكله؟ ... فقلت: أقرب مَرضيٍّ ومُنتحل
قالت: فَمن تلوه يوم الكساء أجب؟ ... فقلت: أفضل مِكسوٍّ ومُشتمل
قالت: فَمن ساد في يوم «الغدير» ابن؟ ... فقلت: مَن كان للإسلام خير ولي
قالت: ففي مَن أتى في هل أتى شرفٌ؟ ... فقلت: أبذل أهل الأرض للنفل
قالت: فَمن راكعٌ زكّى بخاتمه؟ ... فقلت: أطعنهم مذ كان بالأسل
قالت: فَمن ذا قسيم النار يسهمها؟ ... فقلت: مَن رأيه أذكى من الشّعل
قالت: فَمن بأهل الطّهر النبيُّ به؟ ... فقلت: تاليه في حلٍّ ومُرتحل
قالت: فَمن شبه هارون لنعرفه؟ ... فقلت: مَن لم يحل يوماً ولم يزل

قالت: فَمن ذا غدا باب المدينة قل؟ فقلت: مَن سألوهُ وهو لم يَسلِ
قالت: فَمن قاتل الأقوام إذ نكثوا؟ فقلت: تفسيره في وقعة الجملِ
قالت: فَمن حاربَ الأرجاس إذ قسطوا؟ فقلت: صفِّين تُبدي صفحة العملِ
قالت: فَمن قارعَ الأنجاس إذ مرَقوا؟ فقلت: معناه يوم النَّهروان جَلي
قالت: فَمن صاحب الحوض الشريف غداً؟ فقلت: مَن بيته في أشرف الحللِ
قالت: فَمن ذا لواء الحمد يحمله؟ فقلت: مِن لم يكن في الرَّوع بالوجلِ
قالت: أكلُّ الذي قد قلتَ في رجلٍ؟ فقلت: كلُّ الذي قد قلتُ في رجلِ
قالت: فَمن هو هذا الفرد سمه لنا؟ فقلت: ذاك أمير المؤمنين علي

وله من قصيدة:

يا كفو بنت محمَّد لولاك ما زُفَّت إلى بشر مدى الأحقابِ
يا أصل عترة أحمد لولاك لم يك أحمد المبعوث ذا أعقابِ
كان النبيُّ مدينة العلم التي حوت الكمال وكنتَ أفضل بابِ
رُدَّت عليك الشمس وهي فضيلةٌ بهرت فلم تُستر بلفِّ نقابِ
لم أحك إلاّ ما روته نواصبٌ عادتك فهي مباحة الأسلابِ
عوملت يا تلو النبيِّ وصنوه بأوابد جاءت بكلِّ عجابِ
قد لقَّبوك أبا تراب بعدما باعوا شريعتهم بكفِّ ترابِ
لم تعلموا أنَّ الوصيَّ هو الذي آتى الزكاة وكان في المحرابِ
لم تعلموا أنَّ الوصيَّ هو الذي حَكَم الغدير له على الأصحابِ

وله قوله:

وقالوا: عليٌّ علا. قلت: لا فإنَّ العُلا بعليٍّ علا
ولكن أقول كقول النبيِّ وقد جمع الخلق كلَّ الملا
: ألا إنَّ مَن كنت مولى له يُوالي علياً وإلاّ فلا

وله من قصيدة قوله:

وكم دعوةٍ للمصطفى فيه حُقِّقت وآمال من عادى الوصيَّ خوائبُ

فـمن رَمَـدٍ آذاه جَـلّاه داعيـاً ... لساعته والريح في الحرب عاصبُ
من سـطوةٍ للحـرِّ والبـرد رفِّعت ... بـدعـوتـه عنه وفيهـا عجـائبُ
وفي أيِّ يوم لم يكن شمس يومه ... إذا قيل هذا يوم تُقضى المآربُ؟
أفي خطبة الزَّهراء لمّا استخصَّه ... كفاءاً لها والكلُّ من قبل طالبُ؟
أفي الـطير لمّا قد دعـا فأجـابـه ... وقـد ردَّه عنـه غبيٌّ مـواربُ؟
أفي رفعـه يـوم التبـاهـل قـدره؟ ... وذلـك مجدٌ مـا علمت مواظبُ؟
أفي يـوم خمٍّ إذ أشـاد بـذكـره؟ ... وقـد سمع الايصـاء جاءٍ وذاهبُ
أيعسـوب دين الله صنـو نـبيِّـه ... ومن حبّه فـرضٌ من الله واجبُ
مكـانك من فـوق الفراقـد لائـحٌ ... ومجدك من أعلى السّماك مراقبُ
وسيفك في جيد الأعادي قلائـدٌ ... قـلائـد لم يعكف عليهنَّ ثـاقبُ

(الشاعر)

الصـاحب كافي الكفـاة أبو القـاسم إسماعيـل بن أبي الحسن عبّـاد بن العباس بن عبّاد بن أحمد بن إدريس الطالقاني .

قد يرتج القول على صاحبه بالرغم من بلوغه الغاية القصوى من القدرة في تحليل شخصيّات كبيرة أتتهم الفضائل من شتّى النواحي ، واكتنفتهم المزايا الفاضلة من جهات متفرِّقة ، ومن هاتيك النفسيّـات الكبيرة التي أعيت البليـغ حدودها نفسيَّة ـ الصاحب ـ فهي تستدعي الإفاضة في تحليلها من ناحية العلم طوراً ، ومن ناحية الأدب تارةً ، كما تسترسل القول من وجهة السياسة مرَّة ، ومن وجهة العظمة اخرى ، إلى جـودٍ هامـرٍ ، وفضلٍ وافـرٍ ، وشرفٍ صميم ، ومـذهبٍ قويم وفضـائـل لا تُحصى ومهـما هتف المعـاجم بشي من ذلـك فـإنّـه بعض الحقيقـة ، ولعـلّ في شهـرته بهـاتيك المـآثر جمعـاء غنىً عن الإطنـاب في وصفـه ، وإنّـك لا تجـد شيئـاً من كتب التراجم إلّا وفيه لمعٌ من محامده ، ومن أشهرها « يتيمة الدهر » للثعالبي وهو أبسط مَن كتب فيه من القدماء وقد استوعب فيه ٩١ صحيفة ، وإنَّما ألفها له ولشعرائه ، وأفرد غير واحد من رجال التأليف كتاباً في ترجمته منهم :

١ - مهذّب الدين محمَّد بن علي الحلّي المزبدي المعروف بأبي طالب الخيمي له كتاب [الديوان المعمور في مدح الصاحب المذكور].

٢ - الشيخ محمَّد علي ابن الشيخ أبي طالب الزاهدي الجيلاني المولود سنة ١١٠٣ والمتوفّى سنة ١١٨١.

٣ - السيِّد أبو القاسم أحمد بن محمَّد الحسني الحسيني الإصبهاني، له كتاب [رسالة الارشاد في أحوال الصاحب بن عباد] ألفها سنة ١٢٥٩.

٤ - الاستاذ خليل مردم بك له كتاب في المترجَم طبع في مطبعة الترقّي ٢٥٢ صحيفة بدمشق وهو الجزء الرابع من أئمة الأدب الأربعة في أربعة أجزاء.

وبعد هذه الشهرة الطائلة فليس علينا إلاّ سرد ترجمة بسيطة هي جُماع ما في هذه الكتب.

وُلد الصاحب في إحدى كور فارس باصطخر أو بطالقان في ١٦ ذي القعدة سنة ٣٢٦، وأخذ العلم والأدب عن والده وأبي الفضل إبن العميد. وأبي الحسن أحمد بن فارس اللغوي، وأبي الفضل العبّاس بن محمّد النحوي الملقَّب بعرام. وأبي سعيد السيرافي، وأبي بكر بن مقسم، والقاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن شجرة، وعبد الله بن جعفر بن فارس، ويروي عن الأخيرين.

قال السمعاني: إنَّه سمع الأحاديث من الإصبهانيِّين والبغداديِّين والرازيِّين وحدَّث، وكان يحثّ على طلب الحديث وكتابته؛ وروى عن إبن مردويه أنَّه سمع الصاحب يقول: من لم يكتب الحديث لم يجد حلاوة الإسلام.

وكان يُملي الحديث على خلقٍ كثير فكان المستملي الواحد ينضاف إليه الستَّة كلٌّ يبلّغ صاحبه، فكتب عنه الناس الكثير الطيِّب منهم: القاضي عبد الجبّار. والشيخ عبد القاهر الجرجاني. وأبو بكر بن المقري. والقاضي أبو الطيِّب الطبري. وأبو بكر بن عليٍّ الذكواني. وأبو الفضل محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم النسوي الشافعي.

ثمَّ شاع نبوغه في العلوم وتضلّعه في فنون الأدب، واعترف به الشاهد والغائب حتّى عدَّه شيخنا بهاء الملّة والدين في رسالة غسل الرجلين ومسحهما من علماء الشيعة في عداد ثقة الإسلام الكليني. والصَّدوق. والشيخ المفيد. والشيخ الطوسي والشيخ الشهيد ونظرائهم. ووصفه العلاّمة المجلسي الأوَّل في حواشي نقد الرجال بكونه من أفقه فقهاء أصحابنا المتقدِّمين والمتأخِّرين، وعدَّه في مقام آخر: من رؤساء المحدِّثين والمتكلّمين. وأطراه شيخنا الحرُّ العاملي في « أمل الآمل » بأنَّـه محقِّقٌ عظيم الشأن جليل القدر في العلم.

كما أنَّ الثعالبي في « فقه اللغة » جعله أحد أئمَّتها الذين اعتمد عليهم في كتابه أمثال الليث. والخليل. وسيبويه. وخلف الأحمر. وثعلب الأحمثي. وابن الكلبي. وإبن دريد. وعدَّه الأنباري ايضاً من علماء اللغة فأفرد له ترجمته في كتابه: طبقات الادباء النّحاة، وكذلك السيوطي في « بغية الوعاة » في طبقات اللغويِّين والنّحاة، ورآه العلاّمة المجلسي في مقدِّمة البحار علَماً في اللغة والعروض والعربيَّة من الإماميّة.

وقال إبن الجوزي في « المنتظم » ج ٧ ص ١٨٠: كان يخالط العلماء والادباء ويقول لهم: نحن بالنهار سلطان وبالليل إخوان، وسمع الحديث وأملى، وروى أبو الحسن عليّ بن محمَّد الطبري المعروف بكيا قال: سمعت أبا الفضل زيد بن صالح الحنفي يقول: لَمّا عزم الصاحب إسماعيل بن عبّاد على الإملاء وكان حينئذ في الوزارة خرج يوماً متطلساً متحنّكاً بزيِّ أهل العلم فقال: قد علمتم قِدمي في العلم فأقروا له بذلك. فقال: وأنا متلبِّسٌ بهذا الأمر وجميع ما انفقته من صغري إلى وقتي هذا من مال أبي وجدّي، ومع هذا فلا أخلو من تبعات، اشهد الله واشهدكم أنِّي تائبٌ إلى الله من كلِّ ذنب أذنبته. واتَّخذ لنفسه بيتاً وسمّاه بيت التوبة، ولبث اسبوعاً على ذلك، ثمَّ أخذ خطوط الفقهاء بصحَّة توبته، ثمَّ خرج فقعد للإملاء وحضر الخلق الكثير وكان المستملي الواحد ينضاف إليه ستَّة كلٌّ يبلِّغ صاحبه، فكتب الناس حتّى القاضي عبد الجبّار، وكان الصاحب ينفذ كلَّ سنة إلى بغداد خمسة آلاف دينار تفرَّق في

الفقهاء وأهل الأدب وكان لا تأخذه في الله لومة لائم .

وإخباتاً إلى علمه وأدبه ألّف له غير واحد من الأعلام الأفذاذ تآليف قيِّمة منهم :

١ ـ شيخنا الصّدوق أبو جعفر القمي ألَّف له كتابه [عيون أخبار الرِّضا]

٢ ـ الحسين بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي كتابه [نفي التشبيه] كذا في لسان الميزان ج ٢ ص ٣٠٦ نقلاً عن فهرست النجاشي، ويظهر من النجاشي ص . ٥ انّه غيره ولم يسمّه .

٣ ـ الشيخ الحسن بن محمَّد القمي ألّف له كتابه [تاريخ قم]

٤ ـ أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي اللغوي كتابه [الصاحبيّ].

٥ ـ القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني كتابه [التهذيب].

٦ ـ أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الصّواف المالكي، ألَّف للصاحب كتابه [الحجر] ووجّهه إليه فقال الصاحب: رُدّوا الحجر من حيث جاء. ثمَّ قبله ووصله عليه، ذكره إبن فرحون في « الديباج المذهَّب » ص ٣٦

وللصاحب آثارٌ خالدةٌ في العلم والأدب منها:

١ ـ كتاب أسماء الله وصفاته.

٢ ـ » نهج السبيل في الاصول.

٣ ـ » الإمامة في تفضيل أمير المؤمنين.

٤ ـ » الوقف والإبتداء.

٥ ـ » المحيط في اللغة في عشر مجلّدات [١].

٦ ـ » الزيديَّة.

---

(١) كذا في معجم الادباء، وفي كشف الظنون: في سبع مجلدات.

٧ ـ كتاب المعارف في التاريخ.

٨ ـ « الوزراء.

٩ ـ « القضاء والقدر.

١٠ ـ « الروزنامجه. ينقل عنه الثعالبي في « يتيمة الدهر ».

١١ ـ « أخبار أبي العيناء.

١٢ ـ « تاريخ الملك واختلاف الدُّول.

١٣ ـ « الزيديِّين.

١٤ ـ « جوهرة الجمهرة لإبن دُريد.

١٥ ـ « الإقناع في العروض.

١٦ ـ « نقض العروض.

١٧ ـ « ديوان رسائله في عشر مجلّدات.

١٨ ـ « الكافي في الرَّسائل وفنون الكتابة.

١٩ ـ « الأعياد وفضائل النيروز.

٢٠ ـ « ديوان شعره.

٢١ ـ « الشواهد.

٢٢ ـ « التذكرة.

٢٣ ـ « التعليل.

٢٤ ـ « الأنوار.

٢٥ ـ « الفصول المهذَّبة للعقول.

٢٦ ـ « رسالة الإبانة عن مذهب أهل العدل.

٢٧ - كتاب في الطبّ.

٢٨ - « في الطبِّ أيضاً.

٢٩ - « الكشف عن مساوىء شعر المتنبّي طبعت بمصر في ٢٦ صحيفة قال الثعالبي في « اليتيمة »: ولَمّا عمل الصاحب هذه الرِّسالة عمل القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني كتابه« الوساطة.» بين المتنبّي وخصومه في شعره، وقال فيه بعض ادباء نيسابور:

أيـا قـاضياً قـد دنت كـتـبـه وإن أصبحت داره شـاحـطه
كتـاب « الـوسـاطـة » في حسنـه لعقـد معـاليـك كـالـواسـطه

٣٠ - رسالةٌ في فضل سيِّدنا عبد العظيم الحسني المدفون بالري.

٣٢ - كتاب السفينة نسبها إليه الثعالبي في تتمَّة اليتيمة.

٣٣ - كتابٌ مفرد في ترجمة الشافعي محمَّد بن ادريس إمام الشافعيَّة كما في « الكواكب الدريَّة » ص ٢٦٣ .

وشافهني الاستاذ حسين محفوظ الكاظمي بأنَّه رأى من تآليف الصاحب ما يلي:

١ - الفصول الأدبيَّة والمراسلات العباديَّة، مرتَّبة على خمسة عشر باباً في كلِّ باب خمسة عشر فصلاً، والنسخة مؤرَّخةٌ بسنة ٦٢٨.

٢ - رسالة في الهداية والضَّلالة، مخطوطةٌ بالخطّ الكوفي، نسخت من نسخة المؤلف وعليها خطه.

٣ - الأمثـال السائـرة من شعـر أبي الـطيِّب المتنبي. وهي ٣٧٢ بيتـاً، والنسخة بخط الباخرزي مؤرّخة بسنة ٤٣٤ .

والقارىء جِدُّ عليم بأنَّ مؤلِّف هذه الكتب المتنوِّعة أحد أفذاذ العلم الذين لم يعدهم أيُّ مقام منيع من الفنون، فهو فيلسوفٌ متكلّمٌ فقيهٌ محدِّثٌ مؤرِّخٌ لغويٌ نحويٌ أديبٌ كاتبٌ شاعرٌ، فما ظنّك بمثله من نابغة جمع الشوارد؛ وألَّف

بين متفرِّقات العلوم، وهل تجده إلاّ في الذروة والسنام من الفضل الظاهر، فحقَّ له هذا الصيت الطائر. والذكر السائر مع الفلك الدائر.

وكانت للصاحب مكتبةٌ عامرةٌ وقد نوَّه بها لمَّا أرسل إليه صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني في السير يستدعيه إلى حضرته، ويرغِّبه في خدمته وبذل البذول السنيَّة، فكان من جملة أعذاره قوله: ثمَّ كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي؟ وعندي من كتب العلم خاصَّة ما يُحمل على أربعمائة حمل أو أكثر.

في «معجم الادباء» قال أبو الحسن البيهقي: وأنا أقول: بيت الكتب الذي بالري دليلٌ على ذلك بعدما أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين فإنِّي طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلّدات، فإنَّ السلطان محمود لَمّا ورد إلى الري قيل له: إنَّ هذه الكتب كتب الروافض وأهل البدع فاستخرج منها كلَّ ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه.

يظهر من كلام البيهقي هذا أنَّ عمدة الكتب التي احرقت هي خزانة كتب الصاحب، وهكذا كانت تعبث يد الجور بآثار الشيعة وكتبهم ومآثرهم.

وكان خازن تلك المكتبة ومتوليها أبو بكر محمَّد بن إبراهيم بن عليّ المقري المتوفّى سنة ٣٨١[١] وأبو محمّد عبد الله الخازن بن الحسن الأصبهاني.

وزارته، صلاته، مادحوه

قال أبو بكر الخوارزمي: الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها؛ ودبَّ ودرج من وكرها؛ ورضع أفاويق درِّها، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقِّه:

ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الأسناد بالأسنادِ
يروي عن العبّاس عبّاد وزا ... رته وإسماعيل عن عبّاد

(١) توجد ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج ١ ص ٣٤١.

وهو أوَّل من لُقِّب بالصاحب من الوزراء لأنَّه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له: صاحب إبن العميد، ثمَّ اطلق عليه هذا اللقب لمّا تولّى الوزارة وبقي عَلَماً عليه، وذكر الصّابي في كتاب التّاجي: انَّه إنَّما قيل له الصاحب لأنَّه صحب مؤيّد الدولة ابن بُويه منذ الصبى وسمّاه الصاحب فاستمرَّ عليه هذا اللقب واشتهر به ثمَّ سُمّي به كلُّ من ولي الوزارة بعده.

إستكتبه مؤيِّد الدولة من سنة ٣٤٧ تقريباً إلى سنة ٣٦٦ وسافر معه إلى بغداد سنة ٣٤٧ حتّى استوزره من سنة ٣٦٦؛ إلى وفاة مؤيّد الدولة سنة ٣٧٣ ثمَّ استوزره أخوه فخر الدولة، وسافر معه إلى الري عاصمة مملكته، ولم يؤل الصاحب جُهداً في خدمة أميره وتوسيع مملكته قال الحموي: فتح الصاحب خمسين قلعة سلّمها إلى فخر الدولة لم يجتمع عشرٌ منها لأبيه ولا لأخيه[1] .

وله أيّام وزارته عطائه الجزل، وسيب يده المتدفّق، وبرُّه المتواصل إلى العلماء والشعراء، قال الثعالبي: حدَّثني عون بن الحسين قال: كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب فرأيت في ثبت حسابات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخزّ التي صارت تلك الشتوة للعلويِّين والفقهاء والشعراء خاصَّة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين، وكان ينفذ إلى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار تفرَّق على الفقهاء والادباء؛ وكانت صِلاته وصدقاته وقرباته في شهر رمضان تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة، فكان لا يدخل عليه في شهر رمضان أحدٌ كائناً من كان فيخرج من داره إلّا بعد الإفطار عنده، وكانت داره لا تخلو في كلِّ ليلة من لياليه من ألف نفس مفطرة فيها [يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٧٤].

وكان عهده أخصب عهد للعلم والأدب بتقريبه رجالات الفضيلة وتشويقه إيّاهم وتنشيطهم لنشر بضائعهم الثمينة حتّى نفق سوقها، وراج أمرها، وكثرت طلّابها، ونبغت روّادها، فكانت قلائد الدرر منها تُقابل بالبدر والصرر فمدحه

---

(١) توجد ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج ١ ص ٣٤٢.

على فضله المتوفر وجوده المديد الوافر خمسمائة شاعر، تجد مدائحهم مبثوثةً في الدواوين والمعاجم، قال الحموي، حدَّث إبن بابك قال: سمعت الصاحب يقول: مُدحت والعلم عند الله بمائة ألف قصيدة شعراً عربيَّة وفارسيَّة. وقد خلّدت تلك القصائد له على صفحة الدهر ذكراً لا يبلى، وعظمةً لا يخلقها مرُّ الجديدين ومن أولئك الشعراء:

١ ـ أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم العراقي له قصائد في الصاحب منها نونيَّة مطلعها:

سواك يعدُّ الغنى واقتنى ... ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبّادٍ المرتجى ... تعدُّ نوالك نيل المنى

٢ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن بابك يمدح الصاحب بقصيدة أوَّلها:

خلعت قلائدها عن الجوزاءِ ... عذراء رقَّصها لعاب الماءِ

٣ ـ أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الوزير من آل بويه له قصيدة منها:

أقول وقلبي في ذراك مخيَّمٌ ... وجسمي جنيبٌ للصبا والجنائب
يُجاذب نحو الصاحب الشوق مقودي ... وقد جاذبتني عنه أيدي الشواذبِ

٤ ـ الوزير أبو العبّاس الضبّي المتوفّى سنة ٣٩٨ [أحد شعراء الغديرالآتي شعره وترجمته] له قصائد في مدح المترجَم.

٥ ـ الكاتب أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني كتب إلى الصاحب بقصيدةٍ أوّلها:

إذا الغيوم أرجفنَّ باسقها ... وحفَّ أرجاءها بوارقها

٦ ـ أبو الحسن محمَّد بن عبد الله السلامي العراقي المتوفّى سنة ٣٩٤ له في الصاحب قصيدة أوّلها:

رقى العذَّال أم خدع الرقيبِ ... سقت ورْد الخدود من القلوبِ

وله فيه ارجوزةٌ منها:

فما تحلُّ الوزراء ما عقدْ ... بجهدهم ما قاله وما اجتهدْ

شتّـان مـا بين الاســود والنقــدْ   هل يستوي البحر الخضم والثمدْ
امنيَّتي من كــلِّ خيــرٍ مُستعدْ   أن يسلم الصاحب لي طول الأبدْ

٧ ـ القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني المتوفّى سنة ٣٩٢ له من قصيدة في الصاحب قوله:

أوَ مـا انثنيت عن الـوداع بلوعـة   مـلأت حشاك صبـابةً وغليـلا؟!
ومـدامع تجـري فيحسب انَّ في   آمـاقهنَّ بنــان إسمــاعيــلا؟!
يــا أيّـهــا القــرم الــذي بـعلوِّه   نـال العـلاء من الـزَّمـان السـولا
قسمت يداك على الورى أرزاقها   فكنــوك قــاسم رزقهــا المسؤولا

وله فيه قصائد كثيرة اخرى.

٨ ـ أبو الحسن عليّ بن أحمد الجوهري الجرجاني [أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته] له قصائد كثيرة في الصاحب همزيَّة. رائيَّة. فائية. بائيَّة وغيرها.

٩ ـ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري، له في الصاحب قصـائد منهـا ميميَّة أوَّلها:

الدمع يُعـرب مالا يُعـرب الكلمُ   والدمع عدلٌ وبعض القول متَّهمُ

١٠ ـ أبو هاشم محمَّد بن داود بن أحمد بن داود بن أبي تراب علي بن عيسى بن محمَّد البطحائي بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طـالب عليه السّلام . المعروف بـالعلوي الطبـري له شعـرٌ كثيـر في الصـاحب وللصاحب فيه كذلك.

١١ ـ أبو بكر محمَّد بن العبّاس الخوارزمي له قصائد في الصاحب ومن قصيدة يمدحه:

ومَن نصـر التوحيـد والعدل فعله   وأيقظ نــوّام المعــالي شمــائله
ومَن تـرك الأخيـار ينشــد أهله   أحل أيّها الربع الذي خفَّ آهله

١٢ ـ أبو سعد نصر بن يعقوب له قصيدة في الصاحب مطلعها:

أبى لي أن ابـالي بـالليـالي ... وأخشى صـرفهـا فيمن يُبـالي

١٣ ـ السيِّـد أبـو الحسين عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن القاسم بن محمَّد بن القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام صهر الصاحب له قصيدة تربو على السِّتين بيتاً يمدح بها الصاحب خالية من حرف الواو، ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر منها ٢٠ بيتاً، ومؤلِّف (الدرجات الرفيعة) ١٤ بيتاً أوّلها.

بـرقٌ ذكـرت بـه الحـبـائـبْ ... لَمّـا بـدى فـالـدمـع سـاكبْ

١٤ ـ أبـو عبد الله الحسين بن أحمـد الشهير بـابن الحجّـاج البغـدادي المتوفّى سنة ٣٩١ [أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته] له فائيَّة يمدح بها الصاحب أوَّلها:

أيّـهـا الـسـائـل عـنّـي ... أنـا فـي حـالٍ طـريـفـه

واخرى مطلعها:

سـاق على حسن وجههـا تَلفي ... وسرّها ما رأتـه العين من دَنفي

وله نونيَّةٌ في مدحه أوَّلها:

يـا عـذولـي أمـا أنـا ... فـسـبـيـلي إلـى الـعـنـا
وحـديـثـي مـن حـقِّـه ... فـي الـزمـان أن يُـدوَّنـا

١٥ ـ أبـو الحسن عليّ بن هارون بن المنجِّم لـه قصيدةٌ في الصاحب يصف بها داره بقوله:

وأبـوابهـا أثـوابهـا من نقـوشهـا ... فلا ظلم إلا حين تُرخى ستورها

١٦ ـ الشيخ أبو الحسن بن أبي الحسن صاحب البريد ابن عمة الصاحب له قصيدةٌ يصف بها داراً بناها المترجم بإصبهان وانتقل إليها:

دارٌ على العزِّ والتـأييـد مبنـاهـا ... وللمكـارم والعليـاء مـغـنـاهـا

١٧ـ أبو الطيِّب الكاتب له في وصف دار الصاحب بإصبهان قصيدة مطلعها:

ودار تـرى الدنيـا عليها مـدارهـا ... تحـوز السماء أرضهـا وديـارهـا

١٨ ـ أبو محمَّد إبن المنجِّم له رائيَّةٌ يصف بها دار الصاحب مستهلّها:

هجرت ولم أنو الصدود ولا الهجرا ولاأضمرت نفسي الصروف ولاالغدرا

١٩ ـ أبو عيسى إبن المنجِّم يمدح الصاحب بقصيدة يصف داره ويقول:

هي الدار قد عمَّ الأقاليم نورها ولو قدرت بغداد كانت تزورها

٢٠ ـ أبو القاسم عبيد الله بن محمَّد بن المحلّى يصف دار الصاحب بقصيدة أوَّلها:

بي من هواهاوإن أظهرت لي جلدا وجدٌ يُذيب وشوقٌ يصدع الكبدا

٢١ ـ أبو العلاء الأسدي يمدحه بقصيدة ويصف داره مطلعها:

وأسعد بدارك انَّها الخلدُ والعيش فيها ناعمٌ رغدُ

٢٢ ـ أبو الحسين الغويري له قصائد في الصاحب منها قصيدةٌ يصف بها داره بإصبهان أوَّلها:

دارٌ غدت للفضل داره أفلاك أسعده مداره

٢٣ ـ أبو سعيد الرستمي محمَّد بن محمَّد بن الحسن الأصبهاني مدح الصاحب بقصائد منها بائيَّة مستهلّها:

عقّني بالعقيق ذاك الحبيب فالحشى حشوه الجوى والنحيب

وله من قصيدة لاميَّة يمدح بها الصاحب قوله:

أفي الحقِّ أن يُعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضى شاعرٌ مثلي؟!
كما ألحقت واو بعمرو زيادةً وضويق باسم الله في ألف الوصلِ

٢٤ ـ أبو محمَّد عبد الله بن أحمد الخازن الإصبهاني له قصائد يمدح بها الصاحب أجودها قصيدةٌ مطلعها:

هذا فؤادك نهبى بين أهواءِ وذاك رأيك شورى بين آراءِ

٢٥ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد البديهي وهو الذي قال فيه صاحبنا المترجَم:

تقول البيت في خمسين عاماً　　فلِمْ لقَّبت نفسك بالبديهي

له قصائد يمدح بها الصاحب منها لاميَّة أوَّلها:

قد أطعت الغرام فاعص العذولا　　ما عسى عائب الهوى أن يقولا

٢٦ ـ أبو إبراهيم إسمعيل بن أحمد الشاشي العامريُّ، له قصائد صاحبيَّة منها بائيَّةٌ أوَّلها:

سرينا إلى العليا فقيل كواكبُ　　وثرنا إلى الجلّى فقيل قواضبُ

٢٧ ـ أبو طاهر بن أبي الربيع عمرو بن ثابت له صاحبيّات منها جيميَّة أوَّلها:

أما لصحابي بالعذيب معرَّجُ　　على دمنٍ أكنافها تتأرَّجُ

٢٨ ـ أبو الفرج الحسين بن محمَّد بن هند وله صاحبيّات منها قصيدةٌ أوَّلها:

لها من ضلوعي أن يشتّ وقودها　　ومن عبراتي أن تفضَّ عقودها

٢٩ ـ العميري قاضي قزوين، أهدى إلى الصاحب كتباً وكتب معها:

العميريُّ عبد كافي الكفاة　　وإن اعتدَّ في وجوه القضاةِ

خدم المجلس الرفيع بكتبٍ　　مفعماتٍ من حسنها مترعاتِ

فوقَّع الصاحب بقوله:

قد قبلنا من الجميع كتاباً　　ورددنا لوقتها الباقياتِ

لست أستغنم الكثير فطبعي　　قول خذ ليس مذهبي قول هاتِ

٣٠ ـ أبو الرَّجاء الأهوازي مدح الصاحب لَمّا ورد الصاحب الأهواز ومن قصيدته:

إلى ابن عبّاد أبي القاسم　　الصاحب إسماعيل كافي الكفاةْ

وتشرب الجند هنيئاً بها　　من بعد ماء الريّ ماء الفراتْ[1]

(١) أعجب ما رأيت من تعاليق معجم الادباء الطبعة الثانية تعليق هذا البيت في ج ٦ ص ٢٥٤ جعل الاستاذ الرفاعي الشطر الثاني في المتن (من بعد ماء الري ماء الصراة) وقال في التعليق: الصراة: نهر بالعراق.

٣١ - أبو منصور أحمد بن محمّد اللجيمي الدينوري له شعر يمدح به الصاحب.

٣٢ - أبو النجم أحمد الدامغاني المعروف ب (شصت كلّه) المتوفّى سنة ٤٣٢ له قصيدةٌ بالفارسيَّة مدح بها الصاحب.

٣٣ - الشريف الرضي [أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته] مدح الصاحب بداليَّة سنة ٣٧٥ ولم ينفذها إليه، واخرى سنة ٣٨٥ قبل وفاة الصاحب بشهر وأنفذها إليه.

٣٤ - القاضي أبو بكر عبد الله بن محمّد بن جعفر الأسكي، له شعرٌ في الصاحب ومنه قوله:

كلُّ برٍّ ونوالٍ وصِله واصل منك إلى معتزله
يا بن عبّاد ستلقى ندماً لفراق الجيرة المرتحله

٣٥ - أبو القاسم غانم بن محمّد بن أبي العلا الأصبهاني، له صاحبيّات مدحاً ورثاءً قال الثعالبي في تتميم يتيمته: كان يُساير الصاحب يوماً فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلاً:

طرفٌ تحاول شأوه ريح الصَّبا سفهاً فتعجز أن تشقَّ غباره
باري بشمس قميصه شمس الضحى صبغاً ورضَّ حجاره بحجاره

٣٦ - أبو بكر محمّد بن أحمد اليوسفي الزوزني له صاحبيّة أوَّلها:

أطلع الله للمعاني سعودا وأعاد الزمان غضّاً جديدا

ومنها:

بعث الدهر جنده وبعثنا نحوه دعوة الإله جنودا
يا عميد الزَّمان إنَّ الليالي كدن يتركن كلَّ قلب عميدا
حادثات أردن إحداث هدم لعلاه فأحدثت تشييدا

وله من اخرى قوله:

سلامٌ عليها إنَّ عيني عندما أشارت بلحظ الطرف تخضب عندما

٣٧ ـ أبو بكر يوسف بن محمّد بن أحمد الجلودي الرازي له قصيدةٌ صاحبيّةٌ منها قوله:

رياضٌ كأنَّ الصاحب القرم جادها ... بأنوائه أو صاغها من طباعه
يجلّي غيابات الخطوب برأيه ... كما صدع الصبح الدُّجى بشعاعه

ومنها:

سحابٌ كيمناهُ وليلٌ كبأسه ... وبرقٌ كماضيه وخرقٌ كباعه

٣٨ ـ أبو طالب عبد السَّلام بن الحسين المأموني، قال فريد وجدي في «دائرة المعارف» ج ٦ ص ٢٠: مدح الصاحب بقصائد فأعجبه نظمه توفّي سنة ٣٨٣.

٣٩ ـ أبو منصور الجرجاني، كتب إلى الصاحب قوله:

قل للوزير المرتجى ... كافي الكفاة الملتجى
إنّي رُزقت ولداً ... كالصبح إذ تبلّجا
لا زال في ظلّك ظـ ... ـلّ المكرمات والحجى
فسمِّه وكنِّه ... مشرَّفاً ... متوَّجا

فوقّع الصاحب تحتها بقوله:

هنّئته ... شمس الضحى بدر الدجا
فسمِّه محسّناً ... وكنِّه أبا الرجا

٤٠ ـ الأوسي مدح الصاحب ببائيَّة أنشدها بين يديه فلمّا بلغ إلى قوله:

لمّا ركبت إليك مُهري أنعلت ... بدر السماء وسمّرت بكواكب

قال له الصاحب لِمَ أنّثت المُهر؟ ولِم شبَّهت النعل بالبدر ولا يشبهه؟ ولو شبَّهته بالهلال لكان أحسن فإنّه على هيئته فقال الأوسي: أمّا تأنيث المهر فلأنّي عنيت المهرة! وأمّا تشبيهي النعل ببدر السماء فلأنّي أردت النعل المطبقة.

٤١ ـ إبراهيم بن عبد الرَّحمن المعرّي مدح الصاحب بقصيدة منها:

قـد ظهـر الحقُّ وبـان الهُـدى لـمـن لـه عـيـنـان أو قـلـبُ
مثل ظهـور الشمس في حجبها إذ رفعت عن نـورهـا الحـجبُ
بـالـمَلك الأعـظم مـستبشـرٌ شـرق بـلاد الله والـغـربُ

٤٢ ـ محمَّد بن يعقوب أحد أئمَّة النحو كتب إلى الصاحب كما في « دمية القصر » ج ١ ص ٣٠١:

قـل لـلوزيـر أدام الله نعـمتـه مُستخدماً لمجاري الدَّهر والقدرِ
أردت عبـداً وقـد أعـطيته ولـداً فسمِّه باسم مَن بـالعرب مفتخـرِ
وإن وصلت لـه تشـريف كنيتـه جمعت بالطَّول بين الروض والمطرِ
لا زال ظلّك ممـدوداً ومنتشـراً فـإنَّـه خيـر ممـدودٍ ومنتشـرِ
هنِّيته ابناً يشيـع الأُنس في البشر هنِّيت مَقـدم هذا الصـارم الذكـرِ

٤٣ ـ محمَّد بن علي بن عمر أحد أعيان الري قرأ على الصاحب ومدحه برائيَّة . والادباء يعبرون عن المترجَم وأبي إسحاق الصّابي بالصادين كما وقع في قـول الشيخ أحمـد البربيـر المتوفّى سنـة ١٢٢٦ في كتابـه « الشرح الجلي » ص ٢٨٣ يمدح كاتباً مليحاً.

لله كـاتـبـاً الـذي أنـا رقّـه وهـو الـذي لازال قـرَّة عيني
فـي ميـم مبـسـمـه ولام عـذاره مـا بات ينسـخ بهجـة الصّـادين

شعره في المذهب:

وللصاحب مراجعات ومراسلات مع مادحيه تجدها في الكتب والمعاجم، وشعره كما سمعت كثيرٌ مدوَّنٌ ونحن نقتصر من نظمه الذهبيِّ بما عقد سمط جمانه في المذهب ذكر له الثعالبي في [يتيمة الدهر] ج ٣ ص ٢٤٧ :

حـبُّ عـليّ بـن أبـي طـالـب هـو الـذي يهـدي إلى الجنَّـة
إن كـان تفضـيلي لـه بـدعـةً فـلعنـة الله عـلى الـسـنَّـة

وذكر له في الكتاب:

ناصبٌ قال لي: معاوية خا ـــ لك خير الأعمام والأخوالِ
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً ـــ قلت: خالٌ لكن من الخير خالي

وذكر له فقيه الحرمين الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ في «كفاية الطالب» ص ٨١، والخوارزمي في «المناقب» ص ٦٩ :

يا أمير المؤمنين المرتضى ـــ إنَّ قلبي عندكم قد وقفا
كلّما جدَّدت مدحي فيكمُ ـــ قال ذو النصب: نسيت السلفا[١]
مَن كمولاي عليّ زاهد ـــ طلّق الدنيا ثلاثاً ووفى؟!
مَن دُعي للطير أن يأكله؟ ـــ ولنا في بعض هذا مكتفى
مَن وصيُّ المصطفى عندكمُ؟ ـــ ووصيّ المصطفى من يُصطفى

وذكر الفقيه الكنجي في الكتاب ص ١٩٢، وسبط إبن الجوزي في «تذكرة خواصّ الامَّة» ص ٨٨، والخوارزمي في «المناقب» ص ٦١:

حبُّ النبيِّ وأهل البيت معتمدي[٢] ـــ إنَّ الخطوب أساءت رأيها فينا
أيا ابن عمّ رسول الله أفضل مَن ـــ ساس الأنام وساد الهاشميِّينا
يا نُدرة الدين يا فرد الزمان أصخ ـــ لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سيفك في الإسلام لو عرفوا؟ ـــ وهذه الخصلة الغرّاء تكفينا
هل مثل علمك إذ زالوا وإذ وهنوا ـــ وقد هديت كما أصبحت تهدينا؟
هل مثل جمعك للقرآن نعرفه ـــ لفظاً ومعنىً وتأويلاً وتبيينا؟
هل مثل حالك عند الطير تحضره ـــ بدعوةٍ نلتَها دون المصلّينا؟
هل مثل بذلك للعاني الأسير وللـ ـــ ـطفل الصغير وقد أعطيت مسكينا؟
هل مثل صبرك إذ خانوا وإذ ختروا ـــ حتّى جرى ما جرى في يوم صفِّينا؟
هل مثل فتواك إذ قالوا مجاهرةً ـــ : لولا عليٌّ هلكنا في فتاوينا؟
يا ربّ سهِّل زياراتي مشاهدهم ـــ فإنّ روحي تهوى ذلك الطينا
يا ربّ صيِّر حياتي في محبّتهم ـــ ومحشري معهم آمين آمينا

---

(١) تسب السلفا. الخوارزمي.
(٢) هذه الأبيات المحكية عن الكتب الثلاث لم توجد في (أعيان الشيعة) سوى ثلاثة منها.

وذكر إبن شهراشوب من هذه القصيدة بعد البيت الثاني من أوَّلها:

أنت الإمام ومنظور الأنام فمن   يردّ ما قلته يقمع براهينا
هل مثل فعلك في ليل الفراش وقد   فديت بالروح ختّام النبيِّينا؟
هل مثل فاطمة الزَّهراء سيِّدةٌ   زوَّجتها يا جمال الفاطميِّينا؟
هل مثل برِّك في حال الركوع وما   برٌّ كبرِّك برّاً للمزكينا؟
هل مثل فعلك عند النعل تخصفها   لو لم يكن جاحدو التفضيل لاهينا
هل مثل نجليك في مجدٍ وفي كرم   إذ كوّنا من سلال المجد تكوينا؟

وله في مناقب الخطيب الخوارزمي ص ١٠٥، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٤٣، وتذكرة خواصِّ الامَّة ص ٣١، ومناقب إبن شهراشوب، وغيرها قصيدةٌ ولوقوع الإختلاف فيها نجمع بين رواياتها ونشير إلى ما روته رجال العامَّة بـ(ع):

بلغت نفسي مناها   بالموالي آل طه
برسول الله مَن   حاز المعالي وحواها
وببنت المصطفى مَن   أشبهت فضلاً أباها
ع مَن كمولاي عليٍّ   والوغى تحمي لظاها؟
ع من يصيد الصَّيد فيها   بالظبى حتّى انتظاها؟
يوم أمضاها عليهم   ثمَّ أمضاها عليهم فارتضاها
ع مَن له في كل يومٍ   وقعاتٌ لا تضاهى؟
ع كم وكم حرب ضروس   سدَّ بالمرهف فاها؟
ع أذكروا أفعال بدرٍ   لستُ أبغي ما سواها
ع أذكروا غزوة أحدٍ   إنَّه شمس ضحاها
ع اذكروا حرب حنين   إنَّه بدر دُجاها
ع أذكروا الأحزاب قدماً   إنَّه ليث شرها
ع أذكروا مهجة عمرو   كيف أفناها شجاها؟
ع أذكروا أمر براءة   واخبروني مَن تلاها؟

ع اذكروا مَن زوّج الـ ـزهراء قد طاب ثراها(١)
ع اذكروا بكرة طيرٍ فلقد طارٍ ثناها؟
ع اذكروا لي قلل العلم ومن حلّ ذراها
ع حاله حالة ها رون لموسى فافهماها
ع أعلى حبِّ عليٍّ لامني القوم سفاها؟!
ع أهملوا قرباه جهلاً وتخطّوا مُقتضاها
ع أوَّل النّاس صلاةً جعل التقوى حُلاها
ع رُدَّت الشّمس عليه بعد ما غاب سناها
ع حجّة الله على الخلق شقي مَن قد قلاها
وبحبّي الحسن الـ ـبالغ في العليا مداها
والحسين المرتضى يوم المساعي إذ حواها
ليس فيهم غير نجم قد تعالى وتناهى
عترةٌ أصبحت الدّ نيا جميعاً في حماها
ما تحدَّت عصب الـ ـبغي بأنواع عماها
أردت الأكبر بالسمّ وما كان كفاها
وانبرت تبغي حسيناً وعرته وعراها
منعته شربةً والطّـ ـير قد أروت صداها
فأفاتت نفسه ياليت روحي قد فداها
بنته تدعو أباها أخته تبكي أخاها
لو رأى أحمدُ ما كان دهاه ودهاها
لشكا الحال إلى الله وقد كان شكاها(٢)

---

(١) في لفظ أهل السنة:

اذكروا من زوّج الزهراء كيما تتباهى

(٢) غير واحد من الأبيات لا يوجد في (أعيان الشيعة)

وله في مناقب إبن شهراشوب والخطيب الخوارزمي ص٢٣٣ قصيدةٌ نجمع بينهما لاختلافهما في عدد الأبيات ألا وهي:

ما لعليٍّ العُلى أشباهُ ... لا والذي لا آله إلّا هو
مبناه مبنى النبيِّ تعرفه ... وابناه عند التفاخر إبناهُ
إنَّ عليّاً علا إلى شرفٍ ... لو رامه الوهم ذلَّ مرقاهُ
أيا غداة الكساء لا تهني ... عن شرح علياه إذ تكسّاهُ[1]
يا ضحوة الطير تنبئي شرفاً ... فاز به لا يُنال أقصاهُ
براءة استعملي بلاغك مَن ... أقعد عنه ومَن تولاهُ؟!
يا مرحب الكفر قد أذاقك مَن ... مِن حدِّ ما قد كرهت ملقاهُ؟!
يا عمرو مَن ذا الذي أنالك من ... حارة الحتف حين تلقاهُ؟!
لو طلب النجم ذات أخمصه ... علاه والفرقدان نعلاهُ
أما عرفتم سموَّ منزله؟! ... أما عرفتم علوَّ مثواهُ؟!
أما رأيتم محمَّداً حدباً ... عليه قد حاطه ورباهُ؟!
واختصَّه يافعاً وآثره ... واعتامه مخلصاً وآخاهُ
زوَّجه بضعة النبوَّة إذ ... رآه خير امرىءٍ وأتقاهُ
يا بأبي السيِّد الحسين وقد ... جاهد في الدين يوم بلواهُ
يا بأبي أهله وقد قُتلوا ... من حوله والعيون ترعاهُ
يا قبَّح الله امَّةً خذلت ... سَيدها لا تريد مرضاهُ
يا لعن الله جيفةً نجساً ... يقرع مِن بغضه ثناياه

وله داليَّة ذكرها الخوارزمي في « المناقب » ص٢٢٣، وإبن شهراشوب في مناقبه ونجمع بين الرِّوايتين وهي:

هو البدر في هيجاء بدر وغيرُه ... فرائصه من ذكره السيف ترعدُ
عليٌّ له في الطير ما طار ذكره ... وقامت به أعداؤه وهي تشهدُ
عليٌّ له في هل أتى ما تلوتمُ ... على الرَّغم من آنافكم فتفرّدوا

(١) هذا البيت وما بعده إلى أربعة أبيات لا توجد في مناقب ابن شهراشوب بل رواها الخوارزمي.

وكم خبر في خيبر قد رويتمُ ... ولكنّكم مثل النعام تشرَّدوا
وفي احدٍ ولّى رجالٌ وسيفه ... يسوِّد وجه الكفر وهو مسوَّدُ
ويوم حنينٍ حنَّ للغلّ بعضكم ... وصارمه عضب الغرار مهنَّدُ
تولّى امور النّاس لم يستغلّهم ... ألا ربما يرتاب مَن يتقلَّدُ
ولم يك محتاجاً إلى علم غيره ... إذا احتاج قومٌ في قضايا تبلّدوا
ولا سدَّ عن خير المساجد بابه ... وأبوابهم إذ ذاك عنه تُسدَّدُ
وزوجته الزَّهراء خير كريمةٍ ... لخير كريم فضلها ليس يُجحدُ(١)
وبالحسنين المجد مدّ رواقه ... ولولاهما لم يبقِ للمجد مشهدُ
تفرّعت الأنوار للأرض منهما ... فلِلّه أنوارٌ بدت تتجدّدُ
هم الحجج الغرُّ التي قد توضَّحت ... وهم سرج الله التي إليس تخمدُ
اواليكمُ يا آل بيت محمدٍ ... فكلّكمُ للعلم والدين فرقدُ
وأترك من ناواكمُ وهو هتكه ... يُنادى عليه مولدٌ ليس يُحمدُ

وذكر له الحموي صاحب « فرائد السمطين » في السمط الثاني في الباب الأوّل:

منائح الله جاوزت أملي ... فليس يدركها شكري ولا عملي
لكنَّ أفضلها عندي وأكملها ... محبَّتي لأمير المؤمنين علي

وذكر العلاّمة المجلسي في « البحار » ج ١٠ ص ٢٦٤ نقلاً عن بعض الكتب القديمة من قصيدةٍ طويلة له:

أجروا دماء أخي النبيِّ محمَّد ... فلتجر غزر دموعنا ولتهملِ
ولتصدر اللَّعنات غير مزالة ... لعداه من ماضٍ ومن مُستقبلِ
وتجرَّدوا لبنيه ثمَّ بناته ... بعظائم فاسمع حديث المقتلِ
منعوا الحسين الماء وهو مجاهدٌ ... في كربلاء فَنُح كنوح المعولِ
منعوه أعذب منهلٍ وكذا غداً ... يردون في النيران أوخم منهلِ
أيجزُّ رأس إبن النبيِّ وفي الورى ... حيٌّ أمام ركابه لم يُقتلِ

---

(١) هذا البيت رواه الخوارزمي ولا يوجد فيا جمع له السيد في (أعيان الشيعة)

وبنو السفاح تحكّموا في أهل حيّ　　على الفلاح بفرصةٍ وتعجّلِ
نكت الدعي بن الدعيّ ضواحكاً　　هي للنبيِّ الخير خير مُقبَّلِ(١)
تمضي بنو هند سيوف الهند　　في أوداج أولاد النبيِّ وتعتلي
ناحت ملائكة السّماء لقتلهم　　وبكوا فقد أُسقوا كؤوس الذبَّلِ
فأرى البكاء على الزمان محلّلا　　والضحك بعد الطفِّ غير محلّلِ
كم قلت للأحزان: دومي هكذا　　وتنزّلي في القلب لا تترحّلي

هذه نبذةٌ من شعره في الأئمَّة عليهم السَّلام، وفي مناقب إبن شهراشوب منه نبذٌ منثورة على أبواب الكتاب جمعها السيّد في [أعيان الشيعة] ولمثول الكتابين للطبع وانتشارهما ضربنا عن ذكر جميعها صفحاً، ولم نذكر هٰهنا إلاّ الخارج عن الكتابين ولو في الجملة.

قال السيِّد في « الدرجات الرفيعة »: إنَّ الصاحب رحمه الله قال قصيدةً معرّاة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنثور والمنظوم وأوَّلها:

قد ظلَّ يجري صدري　　مَن ليس يعدوه فكري

وهي في مدح أهل البيت عليهم السَّلام في سبعين بيتاً فتعجَّب الناس، وتداولتها الرُّواة فسارت مسير الشمس في كلِّ بلدة، وهبت هبوب الريح في البرِّ والبحر، فاستمرَّ الصاحب على تلك الطريقة، وعمل قصائد كلٍّ واحدة منها خاليةً من حرف واحدٍ من حروف الهجاء وبقيت عليه واحدة تكون خالية من الواو فانبرى صهره أبو الحسين عليّ لعملها وقال قصيدةً ليست فيها واوٌ ومدح الصاحب بها وأوَّلها:

برقٌ ذكرت به الحبائب　　لمّا بدى فالدَّمع ساكب

كان للصاحب خاتمان نقش أحدهما هذه الكلمات:

على　　الله　　توكلت　　وبالخمس　　توسّلت

ونقش الآخر:

---

(١) لم يذكر سيدنا الأمين في أعيان الشيعة من القصيدة إلا هذا البيت.

شفيـع إسمـاعيـل في الآخـره ... محـمَّـدٌ والـعـتـرةُ الـطاهـره

ذكره الشيخ في المجالس وأشار إليه شيخنا الصَّدوق في أوَّل « عيون الأخبار »

الصاحـب ومذهبـه :

إنَّ كون الصاحب من عُليَّة الشيعة الإماميّة مما لا يمتري فيه أيُّ أحد من علماء مذهبه الحقّ، كما يشهد بذلك شعره الكثير الوافر في أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام ونثره المتدفِّق منه لوائح الولاية والتفضيل وهو يهتف بقوله:

فكم قـد دعوني رافضيـاً لحبّكم ... فلم ينثني عنكم طـويل عـوائهم

وقد نصَّ على مذهبه هذا السيِّد رضيُّ الدين إبن طـاووس في كتاب « اليقين » ومرَّ عن المجلسي الأوَّل انَّه من أفقه فقهاء أصحابنا، واقتفى أثره ولده في مقدِّمات البحار فصرح بانَّه كان من الإماميَّة، وعدّه القـاضي الشهيد في مجالسه من وزراء الشيعة، ويقول شيخنا الحرّ في أمل الآمل، إنّه كان شيعيّاً اماميّاً، وعدَّه إبن شهراشوب في المعالم من شعراء أهل البيت المجـاهرين، وشيخنا الشهيد الثاني من أصحابنا، وفي « معاهد التنصيص »: انَّه كان شيعيّاً جلداً كآل بُويه معتزليّاً، وقبل هذه الشهادات كلّها شهادة الشيخين العَلمين رئيس المحدِّثين الصدوق في « عيون أخبار الرِّضا »، وشيخنا المفيد فيما حكاه عنه إبن حجر في « لسان الميزان » ج ١ ص ٤١٣، ورسالته في أحوال عبد العظيم الحسني المندرجة في خاتمة « المستدرك » ج ٣ ص ٦١٤[١] من جملة الشواهد أيضاً، وفي « لسان الميزان » ج ١ ص ٤١٣: كان الصاحب إماميَّ المـذهب وأخطأ من زعم انَّه كان معتزليّاً، وقد قال عبد الجبّار القاضي لَمّا تقدَّم للصلاة عليه: ما أدري كيف اصلّي على هذا الرافضيّ. وعن إبن أبي طيّ: انَّ الشيخ المفيد شهد بأنَّ الكتاب الذي نُسب إلى الصاحب في الإعتزال وُضع على لسانه ونُسب إليه وليس هو له.

---

(١) نقلاً عن نسخة بخط بعض بني بابويه مؤرخة بسنة ٥١٦.

وهناك نُقولٌ متهافتةٌ يبطل بعضها بعضاً تفيد اعتناق الصاحب مذهب الإعتزال تارةً وتمذهبه بالشافعيَّة اخرى، وبالحنفيَّة طوراً، وبالزيديَّة مرَّةً، وفي القاذفين مَن يحمل عليه حقداً يُريد تشويه سمعته بكلٍّ ما توحي إليه ضغائنه كأبي حيّان التوحيدي ومن حكي عنه طرفي نقيض كشيخنا المفيد الذي ذكرنا حكاية إبن حجر عنه بوضع ما نُسب إلى الصاحب من الكتاب الذي يدلُّ على الإعتزال، ونقل عنه أيضاً نسبته إلى جانب الإعتزال.

وهذا التهافت في النقل يُسقط الثقة بأيِّ النقلين وإن كان النصُّ على تشيعه معتضداً بكلمات العلماء قبله وبعده، والسيِّد رضيُّ الدين الذي عرفت النصَّ عنه بتشيعه في كتاب « اليقين » فقد نُقل عنه حكايته عن الشيخ المفيد وعلم الهدى نسبته إلى الإعتزال، وأنت تعلم أنَّ نصَّه الأوَّل هو معتقده وهذه حكايةٌ محضةٌ، وقد عرفت حال المحكيِّ عن الشيخ المفيد، وأمّا السيِّد المرتضى فالظاهر أنَّ مُنتزع هذه النسبة إليه هو ردُّه على الصاحب في تعصّبه للجاحظ الذي هو من أركان المعتزلة، غير أنّا نحتمل انَّ هذا التعصّب كان لأدبه لا لمذهبه كتعصّب الشريف الرضيّ للصابي.

وما وقع إلينا في المحكيِّ عن رسالة « الإبانة » للصاحب من إنكار النصّ على أمير المؤمنين عليه السّلام فهو حكايةٌ محضةٌ عمَّن يقول بذلك بل ما في « الإبانة » يكفي بمفرده في إثبات كونه إماميّاً وإليك نصُّ كلامه مشفوعاً بمقاله في « التذكرة » حول الإمامة.

قال في « الإبانة »: زعمت العثمانيَّة وطوائف الناصبيَّة انَّ أمير المؤمنين عليه السلام مفضولٌ في أصحاب رسول الله ﷺ غير فاضل واستدلّت بأنّ أبا بكر وعمر وليا عليه وقالت الشيعة العدليَّة: فقد ولى النبيّ عليه السّلام عليهما عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل فليقولوا: إنّه خيرٌ منهما، فقالت الشيعة: عليٌّ عليه السّلام أفضل الناس بعد النبيِّ فلذلك آخى بينه وبينه حين اخى بين أبي بكر وعمر فلم يكن ليختار لنفسه إلاّ الأفضل، وقد ذكر ذلك بقوله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. ثمَّ إنَّه لم يستثن إلاّ النبوَّة وفيه قال: اللهمَّ آتني بأحب

خلقك إليك يأكل معي هذا الطير. وقد قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه. إلى آخر الدُّعاء.

وبعدُ: فالفضيلةُ تستحقُّ بالمسابقة وهو أسبقهم إسلاماً، وقد قال الله تعالى: السّابقون السّابقون أولئك المقرَّبون. وبالجهاد وهو لم يغمد حساماً، ولم يقصر إقداماً، كشّاف الكروب، وفرّاج الخطوب، ومسعر الحروب، قاتل مرحب، وقالع باب خيبر، وصارع عمرو بن عبدودّ؛ ومَن قال فيه النبيُّ ﷺ لُأعطينَّ الراية غداً رجلاً يُحبّ الله ورسوله ويحبّه اللهُ ورسوله. كرّاراً غير فرّار، وقد قال الله تعالى: فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. وبالعلم والنبيُّ ﷺ قال: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. وأثر ذلك بيِّنٌ لأنَّه عليه السّلام لم يسئل من الصحابة أحداً وقد سألوه، ولم يستفتهم وقد استفتوه، حتّى انَّ عمر يقول: لولا عليٌّ لهلك عمر، ويقول: لا أعاشني الله لمشكلة ليس لها أبو الحسن، وقد قال الله تعالى: قُلْ هَلْ يَستَوي الذينَ يعلمون والذين لا يَعلمون. وبالزُّهد والتقوى والبر والحسنى فإذا كان أعلمهم فهو أتقاهم وقال الله تعالى: إنَّما يخشى الله من عباده العلماء. وبعدُ: فهو الذي آثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه مخرجاً قوته كلَّ ليلة إليهم عند فطره حتى أنزل الله تعالى: وَيُطعمونَ الطَّعامَ عَلى حبِّهِ مِسكيناً وَيَتيماً وأسيرا. فأخبر نبيَّه وعده عليه الجنَّة. والحديث طويلٌ وفضله كثيرٌ، وهو الذي تصدَّق بخاتمه في ركوعه حتّى أنزل الله فيه: إنَّما وليّكم الله ورسوله.

وزعمت طائفةٌ من الشيعة ذاهلةً عن تحقيق الإستدلال انَّ عليّاً عليه السلام كان في تقيّة فلذلك ترك الدعوة إلى نفسه. وزعمت أنَّ عليه نصّاً جليّاً لا يحتمل التأويل، وقالت العدليَّة: هذا فاسدٌ، كيف تكون عليه التقيَّة في إقامة الحقِّ وهو سيّد بني هاشم؟ وهذا سعد بن عبادة نابذ المهاجرين وفارق الأنصار لم يخش مانعاً ودافعاً وخرج إلى حوران ولم يبايع، ولو جاز خفاء النصّ الجليِّ عن الامَّة في مثل الإمامة لجاز أن يتكتّم صلاةٌ سادسةٌ وشهرٌ يُصام فيه غير شهر رمضان فرضاً. وكلّما أجمع عليه الامَّة من أمر الأئمَّة الذين قاموا بالحقِّ وحكموا بالعدل

صوابٌ، وأمّا من نابذ عليّاً عليه السّلام وحاربه وشهر سيفه في وجهه فخارجٌ عن ولاية الله إلّا من تاب بعد ذلك وأصلح إنَّ الله يحبُّ التّوّابين ويحبُّ المتطهِّرين. اه.

المراد على مايفهم من جواب العدليَّة انَّ دعوى تقيّة عليّ عليه السّلام وتركه الدعوة إلى نفسه مع ادِّعاء النصِّ الجليِّ عليه زعمٌ فاسدٌ، وانَّ الإعتقاد بترك الدَّعوة لا يوافق مع القول بالنصِّ الجليِّ إذ لو كان لأبان وماترك الدَّعوة، والمدَّعي ذاهلٌ عن تحقيق الإستدلال بما ذكر من الكتاب والسنَّة فإنَّه عليه السلام دعا إلى نفسه واحتج بأدلّة اوعزت إليها، فنسبة إنكار النصِّ الجليِّ إلى المترجَم بهذه العبارة كما فعله غير واحد في غير محلّه جدّاً.

وقال في ذيل كتابه [التذكرة] ذكر الصاحب رحمه الله في آخر كتاب: « نهج السبيل »: انَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أفضل الصّحابة بعد النبيِّ ﷺ واستدلَّ عليه بأنّ الأفضليَّة تُستحقُّ بالسابقة والعلم والجهاد والزهد فوق جميعهم، فلا شكَّ انَّه متقدِّمهم وغير متأخّر عنهم؛ وقد سبقهم بمنازلة الأقران، وقتل صناديد الكفّار وأعلام الضّلالة، وهو الذي آخى النبيُّ ﷺ بينه وبينه حين آخى بين أبي بكر وعمر، ورضيه كفواً لسيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها؟ ودعا الله أن يوالي مَن والاه ويعادي مَن عاداه، وأخبرنا انَّه منه بمنزلة هارون من موسى لفضل فيه، وقال عليه السّلام: اللهّم ائتني بأحبِّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر، ولا يكون أحبّهم إلى الله إلّا أفضلهم، وقال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وقال: أنا ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لعليٍّ مثله حتّى سألت له النبوَّة فقيل: لا ينبغي لأحدٍ من بعدك، ولم يكن يسألها إلّا لفضله. ولهذا استثنى النبوَّة في حديث: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. فصبر على المحن؛ وثبت على الشدائد، ولم تزده؟ أيام توليته إلّا خشونةً في الدين، وأكله للجشب(١) ولبساً للخشن، يستقون من علمه؛ وما يستقي إلّا ممن هو أعلم، خير الأوّلين وخير الآخرين، عهد إليه في الناكثين والقاسطين والمارقين، وقُتل بين

---

(١) جشب الطعام: غلظ.

يديه عمّار بن ياسر المشهود له بالجنّة لبصيرته في أمره، وشبّهه رسول الله ﷺ بعيسى بن مريم عليه السّلام كما شبّهه بهارون، لا تضرب الأمثال إلّا بالأنبياء، وتصدّق بخاتمه في ركوعه حتّى انزل فيه: إنّما وَليّكُمُ الله وَرَسوله. الآية، وآثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه حتّى انزل فيه: ويُطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وقال تعالى: إنّما أنت منذرٌ ولكلِّ قوم هاد. فقال ﷺ: أنا المنذر وأنت يا عليّ الهادي، وقال تعالى: وتعيها اذنٌ واعيةٌ وقال ﷺ: هي اذن عليّ عليه السّلام وجعله الله في الدنيا فصلاً بين الايمان والنِّفاق حتّى قيل: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم علياً عليه السّلام، وأخبر انّه في الآخرة قسيم الجنّة والنار، وقال ابن عبّاس: ما أنزل الله في القرآن يا أيّها الذّين آمنوا إلّا وعليٌّ سيِّدها وأبوها وشريفها، وأعلى من ذلك قوله ﷺ: عليٌّ يعسوب المؤمنين، وله ليلة الفراش حين نام عليه في مكان رسول الله ﷺ صابراً على ما كان يتوقّع من الذبح صحبة إسحاق ذبيح الله حين صبر على ما ظنّ انّه نازلٌ به من الذبح، وقال فيه مثل عمر بن الخطاب: لولا عليٌّ لهلك عمر، ولا أعاشني الله لمشكلةٍ ليس لها أبو الحسن. ودهره كلّه إسلامٌ وزمانه أجمع ايمانٌ، لم يكفر بالله طرفة عين، عاش في نصرة الإسلام حميداً، ومضى لسبيله شهيداً، جعلنا الله ممن آثر المحبّة في القربى، وهدانا للّتي هي أحسن وأولى، وحسبنا الله منزل الغيث وفاطر النسم(١).

وقد أبان عن مذهبه الحقّ [الإماميّة] في شعره بقوله:

بالنصِّ فاعقد إن عقدت يمينا ... كلّ اعتقاد الإختيار رضينا
مكّن لقول آلهنا تمكينا ... : واختار موسى قومه سبعينا

وقال في قصيدته البائيّة التّي مرّت:

لم تعلموا أنّ الوصيَّ هو الذي ... آتى الزّكاة وكان في المحراب
لم تعلموا أنّ الوصيَّ هو الذي ... حكم « الغدير » له على الأصحاب

---

(١) كل ما ذكره الصاحب من الأحاديث في فضل مولانا أمير المؤمنين ثابت وصحيح عند القوم مبثوث في أجزاء كتابنا بأسانيده، أخرجه بها الحفاظ في الصحاح والمسانيد.

وله قوله:

إنَّ المحبَّـة للوصيِّ فـريضـةٌ أعـني أميـر المـؤمنيـن عـليًّـا
قـد كـلّف الله البـريَّـة كـلّهـا واختـاره لـلمـؤمـنيـن ولـيّـا

وما في « لسان الميزان » من اشتهاره بذلك المذهب « الاعتزال » وانّه كان داعية إليه فيدفعه تخطأته أوّلاً من زعم أنّه من معتنقيه، وما نقله عن القاضي عبد الجبّار من انّه لمّا تقدّم للصّلاة عليه قال: ما أدري كيف اصلّي على هذا الرافضيِّ، وما تكرّر في شعره من قذف أعدائه له بالرَّفض، إلّا أن يُريد إبن حجر الإشتهار المحض دون الحقيقة فليلتئم مع قوله الآخر.

والذي أرتأيه ويُساعدني فيه الدليل انَّ الصاحب كغيره من أعلام الإماميَّة كان يوافق المعتزلة في بعض المسائل كمسألة العدل التي تطابقت آراء الشيعة والمعتزلة فيها على مجابهة الأشاعرة في الجبر واستلزامه تجوير الحقِّ تعالى، وإن افترقا من ناحيةٍ اخرى في باب التفويض وأمثال هذه، فقد كان يصعب على الباحث التمييز بين الفريقين فيرمى كلٌّ فريق باسم قسيمه، ومن هنا اتي الصاحب بهذه القذيفة كغيره من أعلام الطائفة مثل علم الهدى السيِّد المرتضى وأخيه الشريف الرَّضي.

وأمّا نسبته إلى الشافعيَّة فيدفعها عزوه إلى الحنفيَّة، ومن أبدع التناقض قول أبي حيّان في كتاب [الإمتاع ج ١ ص ٥٥] انَّه كان يتشيَّع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيديَّة، وأمّا انتسابه إلى الزيديَّة فيدفعه تعداده الأئمة عليهم السَّلام في شعره كقوله:

بمحمَّـدٍ ووصيِّـه وابنيهمـا الطاهرين وسيِّـد العبّاد
ومحمَّـدٍ وبجعفـر بن محمَّـد وسميِّ مبعوث بشاطىء الوادي
وعليِّ الطوسيِّ ثمَّ محمَّـد وعليٍّ المسموم ثمَّ الهادي
حسنٍ وأتبـع بعـده بـإمامـةٍ لِلقائم المبعوث بالمرصادِ

وقوله:

بمحمَّد ووصيِّه وابنيهما وبعابدٍ وبباقرين وكاظمِ
ثمَّ الرِّضا ومحمَّدٍ ثمَّ ابنه والعسكريِّ المتّقي والقائمِ
أرجو النجاة من المواقف كلها حتّى أصير إلى نعيمٍ دائمِ

وقوله:

نبيٌّ والوصيُّ وسيِّدانِ وزينُ العابدين وباقرانِ
وموسى والرِّضا والفاضلان بهم أرجو خلودي في الجنانِ

وقوله ارجوزةً:

يا زائراً قد قصد المشاهدا وقطع الجبال والفدافدا
فأبلغ النبيَّ من سلامي مالا يَبيد مدَّة الأيّامِ
حتى إذا عدت لأرض الكوفه البلدة الطاهرة المعروفه
وصرت في الغريِّ في خير وطن سلّم على خير الورى أبي الحسن
ثَمَّة سر نحو بقيع الغرقدِ مسلّماً على أبي محمَّدِ
وعُد إلى الطفِّ بكربلاءِ أهد سلامي أحسن الإهداءِ
لخير مَن قد ضمَّه الصعيدُ ذاك الحسين السيِّد الشهيدُ
واجنب إلى الصحراء بالبقيعِ فثَمَّ أرض الشرف الرّفيعِ
هناك زين العابدين الأزهرُ وباقر العلم وثمَّ جعفرُ
أبلغهمُ عنّي السَّلام راهنا قد ملأ البلاد والمواطنا
وأجنب إلى بغداد بعد العيسا مسلّماً على الزكيِّ موسى
واعجل إلى طوس على أهدى سكنْ مبلّغاً تحيَّتي أبا الحسنْ
وعُد لبغداد بطير أسعدِ سلّم على كنز التّقى محمَّدِ
وأرض سامراء أرض العسكرِ سلّم على عليٍّ المطهَّرِ
والحسن الرضيِّ في أحواله من منبع العلوم في أقواله
فإنَّهم دون الأنام مفزعي ومَن إليهم كلّ يوم مرجعي

وله ارجوزةٌ اخرى يعدُّ فيها الأئمَّة الهداة ويُسميهم. وقصيدةٌ في الإمام أبي الحسن الرِّضا ثامن الحجج صلوات الله عليهم، تُذكر في مقدِّمة « عيون

الأخبار ». لشيخنا الصَّدوق، وقصيدةٌ اخرى فيه عليه السلام ايضاً ألا وهي ،

يا زائراً قد نهضا مُبتدراً قد ركضا
وقد مضى كأنّه البرق إذا ما أومضا
أبلغ سلامي زاكياً بطوس مولاي الرِّضا
سبط النبيِّ المصطفى وابن الوصيِّ المرتضى
من حاز عزّاً أقعساً وشاد مجداً أبيضا
وقل له عن مخلصٍ يرى الولا مفترضا
: في الصَّدر نفح حرقةٍ تترك قلبي حَرَضا
من ناصبين غادروا قلب الموالي مُمرضا
صرَّحت عنهم مُعرضاً ولم أكن معرِّضا
نابذتهم ولم أبل إن قيل: قد ترفَّضا
يا حبَّذارفضي لمن نابَذكم وأبغضا
ولو قدرتُ زرته ولو على جمر الغضا
لكنّني مُعتقلٌ بقيد خطب عَرَضا
جعلتُ مدحي بدلاً من قصده وعوضا
أمانةً مورده على الرِّضا ليرتضى
رام بن عبّادٍ بها شفاعةً لن تُدحضا

نوادر فيها المكارم:

١ - يُحكى أنَّ الصاحب إستدعى في بعض الأيّام شراباً فأحضروا قدحاً فلمّاأراد أن يشربه قال له بعض خواصّه: لا تشربه فإنّه مسمومٌ - وكان الغلام الذي ناوله واقفاً - فقال للمحذِّر: ما الشاهد على صحَّة قولك؟ فقال: تجرِّبه في الذي ناولك إيّاه. قال: لا أستجيز ذلك ولا أستحلّه. قال: فجرِّبه في دُجاجة قال: التمثيل بالحيوان لا يجوز. وردَّ القدح وأمر بقلبه، وقال للغلام: انصرف عنّي ولا تدخل داري، وأمر بإقرار جاريةٍ وجرايته عليه، وقال لا يُدفع اليقين بالشكّ، والعقوبة بقطع الرِّزق نذالة.

٢ ـ كتب إليه بعض العلويِّين يُخبره بأنَّه قد رُزق مولوداً ويسأله أن يسميه ويكنِّيه فوقَّع في رقعته:

أسعدك الله بالفارس الجديد، والطالع السعيد، فقد والله ملأ العين قرَّة، والنفس مسرة مستقرَّة، والإسم عليٌّ ليعلي الله ذكره، والكنية أبو الحسن ليحسن الله أمره، فإنّي أرجو له فضل جِدِّه، وسعادة جَدِّه، وقد بعثتُ لتعويذه ديناراً من مائة مثقال، قصدتُ به مقصد الفال، رجاء أن يعيش مائة عام، ويخلص خلاص الذهب الأبرز من نُوَب الأيّام، والسَّلام.

٣ ـ كتب بعض أصحاب الصاحب إليه رقعةً في حاجة فوقَّع فيها، ولمّا رُدَّت إليه لم يَر فيها توقيعاً، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها، فعرضها على أبي العبّاس الضبّي فما زال يتفحصها حتّى عثر بالتوقيع وهو ألِفٌ واحدة، وكان في الرقعة: فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا؟ فَعَلَ. فأثبت الصاحب أمام «فَعَلَ» ألفاً يعني: أفعلُ.

٤ ـ كتب الصاحب إلى أبي هاشم العلويِّ وقد أهدى إليه في طبق فضَّة عطراً:

العبـد زارك نـازلاً بـرواقـكـا ... يستنبط الإشـراق من إشـراقكـا
فـاقبل من الـطيب الذي أهـديته ... مـا يسرق العـطّار من أخـلاقكـا
والظرف يوجب أخـذه مع ظـرفه ... فـأضف به طبقـاً إلى أطبـاقكـا

٥ ـ نظر أبو القاسم الزَّعفراني يوماً إلى جميع مَن فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوَّنة فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً فسأل الصاحب عنه، فقيل: إنَّه في مجلس كذا يكتب. فقال: عليَّ به. فاستمهل الزعفرانيُّ ريثما يكمل مكتوبه فأعجله الصاحب، وأمر بأن يُؤخذ ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه وقال: أيَّد الله الصاحب.

اسمعـه ممن قـالـه تـزدد بـه ... عجبـاً فحسن الورد في أغصـانه

قال: هات يا أبا القاسم. فأنشده أبياتاً منها:

سـواك يعـدُّ الغنى مـا اقتنى ... ويـأمره الحـرص أن يخـزنـا
وأنت ابن عـبّـادٍ المـرتجى ... تـعـدُّ نـوالـك نيـل المـنى
وخـيـرك مـن بـاسط كـفّـه ... وممن ثـنـاهـا قـريب الجنى
غمرت الـورى بصنوف الندى ... فـأصـغـر مـا ملكـوه الغنى
وغـادرت أشـعـرهم مفحـمـاً ... وأشـكـرهـم عـاجـزاً ألـكنـا
أيـا مَن عـطايـاه تُهـدي الغنى ... إلـى راحتـي مـن نـأى أو دنـا
كسـوتَ المقيميـن والـزائـرين ... كسى لم يخـل مثلهـا ممكـنـا
وحـاشيـة الـدار يمشـون في ... ضـروب مـن الـخـزِّ إلاّ أنـا
ولـسـت اذكّـر لـي جـاريـاً ... على العهـد يحسن أن يحسنـا

فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة: أنَّ رجلاً قال له: أحملني أيّها الأمير؛ فأمر له بناقةٍ وفرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ وجاريةٍ، ثمَّ قال له: لو علمت أنَّ الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخزِّ بجبّةٍ. وقميصٍ. ودُرّاعةٍ. وسراويل. وعمامةٍ. ومنديل. ومطرفٍ. ورداءٍ. وجوربٍ. ولو علمنا لباساً آخر يُتخذ من الخزِّ لأعطيناكه، ثمَّ أمر بإدخاله الخزانة، وصبِّ تلك الخلع عليه، وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه.

٦ - كتب أبو حفص الورّاق الإصبهاني إلى الصاحب: لولا أنَّ الذكرى أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل - تنفع المؤمنين؛ وهزَّة الصمصام تعين المصلتين لما ذكرت ذاكراً، ولا هززت ماضياً، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح، ويكدّ الجواد السمح، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده في الحنطة مختلفةٌ، وجرذان داره عنها منصرفةٌ، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، ولم يشدّ رحله؟ فَعَل إن شاء الله تعالى، فوقّع الصاحب فيه:

أحسنت أبا حفص قولاً، وسنحسن فعلاً، فبشّر جرذان دارك بالخصب؛ وأمنها من الجدب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع إن شاء الله تعالى.

٧ ـ عن أبي الحسن العلويِّ الهمداني الشهير بالوصيِّ انَّه قال: لَمّا توجَّهتُ تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان فكّرتُ في كلامٍ ألقى به الصاحب، فلم يحضرني ما أرضاه، وحين استقبلني في العسكر، وأفضى عناني إلى عنانه جرى على لساني: « ما هذا بشرٌ إن هذا إلّا ملكٌ كريم ». فقال: «إنّي لأجد ريح يوسف لولا أنْ تُفنِّدوني»، ثمَّ قال: مرحباً بالرَّسول ابن الرَّسول، الوصيِّ ابن الوصيِّ.

٨ ـ مرض الصاحب في الأهواز فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير، حتّى لا يتبرَّم به الخدم، فكانوا يودّون دوام علّته، ولَمّا عوفي تصدَّق بنحو من خمسين ألف دينار.

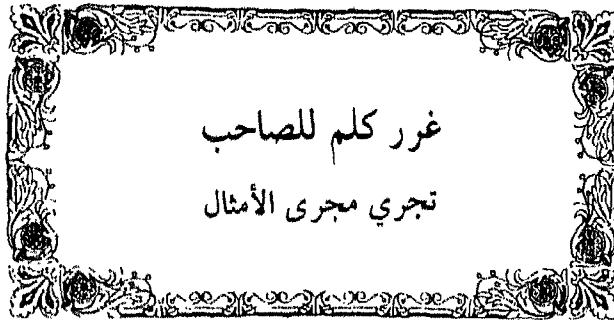
٩ ـ في « اليتيمة » عن أبي نصر ابن المرزبان انّه قال: كان الصاحب إذا شرب ماءً بثلج أنشد على أثره:

قعقعة الثلج بماءٍ عذبِ تستخرج الحمد من أقصى القلب

ثمَّ يقول: اللهمَّ جدِّد اللعن على يزيد.

١٠ ـ في « معجم الادباء » كان إبن الحضيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عينه ليلة فنام وخرجت منه ريحٌ لها صوتٌ، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب: أبلغوه عنّي:

يا بن الحضيريّ لا تذهب على خجل لحادث كان مثل الناي والعودِ
فإنّها الريح لا تسطيع تحبسها إذ لست أنت سليمان بن داود



غرر كلم للصاحب
تجري مجرى الأمثال

مَن استماح البحر العذب، إستخرج اللؤلو الرطب.

مَن طالت يده بالمواهب، امتدَّت إليه ألسنة المطالب.

مَن كفر النعمة، إستوجب النقمة.

مَن نبت لحمه على الحرام، لم يحصده غير الحسام.

مَن غرَّته أيّام السلامة، حدَّثته ألسن الندامة.

مَن لم يهزّه يسير الإشارة، لم ينفعه كثير العبارة.

رُبَّ لطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال.

الصدر يطفح بما جمعه، وكلُّ إناء مؤدٍّ ما أودعه.

اللبيب تكفيه اللمحة، وتُغنيه اللحظة عن اللفظة.

الشمس قد تغيب ثمَّ تشرق، والرَّوض قد يذبل ثمَّ يورق.

البدر يأفل ثمَّ يطلع، والسيف ينبو ثمَّ يقطع.

العلم بالتذاكر، والجهل بالتناكر.

إذا تكرَّر الكلام على السمع، تقرَّر في القلب.

الضمائر الصحاح أبلغ من الألسنة الفصاح.

الشيء يحسن في إبّانه، كما أنّ الثمر يُستطاب في أوانه.

الآمال ممدودةٌ، والعواري مردودةٌ.

الذكرى ناجعةٌ، وكما قال الله تعالى نافعةٌ.

متن السيف ليّنٌ، ولكن حدّه خشنٌ، ومتن الحيَّة ألين، ونابها أخشن.

عقد المنن في الرِّقاب لا يُبلغ إلاّ بركوب الصعاب.

بعض الحلم مذلَّة، وبعض الإستقامة مزلّة.

كتاب المرء عنوان عقله، بل عيار قدره، ولسان فضله، بل ميزان علمه.

إنجاز الوعد من دلائل المجد، وإعتراض المطلّ من إمارات البخل، وتأخير الإسعاف من قرائن الاخلاف.

خير البرِّ ما صفا وضفا، وشرُّه ما تأخَّر وتكدَّر.

فراسة الكريم لا تبطىء؛ وقيافة الشرِّ لا تخطىء.

قد ينبح الكلب القمر ،فليلقم النابح الحجر.

كم متورّط في عثار رجاء أن يُدرك بثار.

بعض الوعد كنقع الشراب، وبعضه كلمع السراب.

قد يبلغ الكلام حيث تقصر السّهام.

ربما كان الإقرار بالقصور أنطق من لسان الشكور.

ربما كان الإمساك عن الإطالة أوضح في الإبانة والدلالة.

لكلِّ امرىءٍ أمل، ولكلٍّ وقت عمل.

إن نفع القول الجميل، وإلاّ نفع السيف الصقيل.

شجاع ولا كعمرو، مندوبٌ ولا كصخر.

لا يذهبنَّ عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث، والنسور والبغاث.

كفران النعم عنوان النقم.

جحد الصنائع داعية القوارع.

تلقّي الإحسان بالجحود تعريض النعم للشرود.

قد يقوى الضعيف، ويصحو النزيف، ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد.

للصدر نفثةٌ إذا أحرج، وللمرء بثّةٌ إذا أحوج.

ما كلّ امرء يستجيب للمراد، ويُطيع يد الإرتياد.

قد يُصلّي البريء بالقسيم، ويُؤخذ البّر بالأثيم.

ما كلُّ طالب حقٍّ يُعطاه، ولا كلُّ شائم مزن يسقاه.

وقد أكثر الثعالبي في ذكر أمثال هذه الكلم الحكميَّة في « يتيمة الدَّهر » وذكرها برمَّتها سيِّدنا الأمين في « أعيان الشيعة ».

هذا مثال الشيعة وهذه أمثلته، هذا وزير الشيعة وهذه حِكَمه، هذا فقيه الشيعة وهذا أدبه، هذا علم الشيعة وهذه كلمه، هذا متكلّم الشيعة وهذا مقاله، هؤلاء رجال الشيعة وهذه مآثرهم وآثارهم، هكذا فليكن شيعة آل الله وإلاّ فلا.

وفـــاتـــه :

توفّي الصاحب ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ٣٨٥ بالري ولمّا توفّي عُطلت المدينة وأسواقها، واجتمع الناس على باب قصره، ينتظرون خروج جنازته، وحضر فخر الدولة وسائر القوّاد، وقد غيّروا بزّاتهم، فلما خرج نعشه من الباب على أكتاف حامليه للصَّلاة عليه قام الناس بأجمعهم إعظاماً، وصاحوا صيحةً واحدةً، وقبّلوا الأرض، وخرقوا ثيابهم، ولطموا وجوههم، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم، وصلّى عليه أبو العبّاس الضبّي، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة وقعد في بيته للعزاء أيّاماً، وبعد الصَّلاة عليه عُلق نعشه بالسلاسل في بيت إلى أن نُقل إلى إصفهان فدفن في قبّة هناك تُعرف بباب

درية[١] قال إبن خلكان: وهي عامرةٌ إلى الآن واولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض. وقال السيِّد في « روضات الجنات » قلت: بل وهي عامرةٌ إلى الآن، وكان أصابها تشعّثٌ وانهدام فأمر الإمام العلاّمة محمَّد إبراهيم الكرباسي في هذه الأيّام بتجديد عمارتها، ولا يدع زيارتها مع ما به من العجز في الأسبوع والشهر والشهرين، وتُدعى في زماننا بباب الطوقچي والميدان العتيق، والناس يتبرَّكون بزيارته، ويطلبون عند قبره الحوائج من الله تعالى.

قال الثعالبي في « اليتيمة »: لما كنّى المنجِّمون عما يعرض عليه له في سنة موته قال الصاحب:

يا مالك الأرواح والأجسامِ وخالق النّجوم والأحكامِ
مدبر الضياء والظلامِ لا المشتري أرجوه للانعامِ
ولا أخاف الضرَّ من بهرامِ وإنَّما النجوم كالأعلامِ
والعلم عند الملِك العلاّمِ يا ربُّ فاحفظني من الأسقامِ
ووقِّني حوادث الأيّامِ وهجنة الأوزار والآثامِ
هبني لحبِّ المصطفى المِعتامِ وصنوه وآله الكرامِ

ورُثي الصاحب بقصائد كثيرة منها نونيَّة أبي منصور أحمد بن محمَّد اللجيمي منها[٢]:

أكافينا العظيم إذا وردنا ومولانا الجسيم إذا فقدنا
أردنا منك ما أبت الليالي فأبطل ما أرادت ما أردنا
شققتُ عليك جيبي غير راضٍ به لك فاتَّخذتُ الوجد خدنا
ولو أنّي قتلتُ عليك نفسي لكان إلى قضاء الحقِّ أدنى
أفِدنا شرح أمرٍ فيه لبسٌ فإنّا طالما كنّا استفدنا
ألم تك منصفاً عدلاً؟ فأنّى عمرت حفيرةً وقلبت مدنا

(١) بفتح الدال المهملة وكسر الراء كذا ضبطها السيد في أعيان الشيعة، وتجدها في « اليتيمة » وغيرها بالذال المعجمة كما يأتي بعيد هذا في شعر أبي منصور اللجيمي.
(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٧٥.

وكيف تركت هذا الخلق حالت خلائقهم فليس كما عهدنا؟!
تملَّكنا اللئام وصيَّرونا عبيداً بعدما كنّا عُبدنا
لئن بلغت رزيَّته قلوباً فذبن أو أعيناً منّا فجدنا
لمَا بلغت حقائقها ولكن على الأيّام نعرف مَن فقدنا

وله في رثائه من قصيدة(١):

مضى مَن إذا ما أعوز العلم والندى أُصيبا جميعاً من يديه وفيهِ
مضى من إذا أُفكرتُ في الخلق كلّهم رجعتُ ولم أظفر له بشبيهِ
ثوى الجود والكافي معاً في حفيرةٍ ليأنس كلٌّ منهما بأخيهِ
هما اصطحبا حيّين ثمَّ تعانقا ضجيعين في قبرٍ بباب ذريهِ

قد يُعزى بعض هذه الأبيات إلى أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني مع حكاية طيفٍ عنه.

ومنها نونيَّة أبي القاسم بي أبي العلاء الإصفهاني ذكر منها الثعالبي في « يتيمة الدهر » ج ٣ ص ٢٦٣ قوله:

يا كافيَ الملك ما وفيتُ حظّك من وصف وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فقت الصفات فما يرثيك من أحد إلّا وتزيينه إيّاك تهجينُ
ما متَّ وحدك لكن مات من ولدت حوّاء طرّاً بل الدنيا بل الدينُ
هذي نواعي العلا مذمتَّ نادبةً من بعد ما ندبتك الخرَّدُ العينُ
تبكي عليك العطايا والصِّلات كما تبكي عليك الرَّعايا والسلاطينُ
قام السّعاة وكان الخوف أقعدهم فاستيقظوا بعد ما متَّ الملاعينُ
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان وانحلَّ الشياطينُ

ومنها داليَّة أبي الفرج بن ميسرة ذكر منها الثعالبي في [اليتيمة] ج ٣ ص ٢٥٤ قوله:

ولو قَبِل الفداء لكان يُفدى وإن جلَّ المصابُ على التفادي

---

(١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٧٥.

ولكنَّ المنون لها عيونٌ تكدّ لحاظها في الإنتقادِ
فقال للدَّهر: أنت أُصبت فالبس برغمك دوننا ثوبي حدادِ
إذا قدَّمت خاتمة الرَّزايا فقد عرَّضت سوقك للكسادِ

ومنها داليَّةٌ لأبي سعيد الرستمي ذكر الثعالبي منها قوله:

أبعد ابن عبّاس يهشُّ إلى السّرى أخو أمل أو يُستماح جوادُ؟!
أبى الله إلّا أن يموتا بموته فما لهما حتَّى المعاد معادُ

ومنها لاميَّة أبي الفيّاض سعيد بن أحمد الطبري ذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ج ٣ ص ٢٥٤:

خليلي كيف يقيلك المقيل؟ ودهرك لا يقيل ولا يقيلُ
يُنادي كلّ يوم في بنيه : ألا هبّوا فقد جدَّ الرَّحيلُ
وهم رجلان منتظرٌ غفولٌ ومبتدرٌ إذا يُدعى عجولُ
كأنَّ مثال مَن يفنى ويبقى رعيلٌ سوف يتلوه رعيلُ
فهم ركبٌ وليس لهم ركابٌ وهم سفرٌ وليس لهم قفولُ
تدور عليهمُ كأس المنايا كما دارت على الشرب الشمولُ
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يقدمهم دليلُ
ألم تر مَن مضى مِن أوّلينا وغالتهم من الأيّام غولُ
قد احتالوا فما دفع الحويلُ وأعولنا فما نفع العويلُ؟!؟!
كذاك الدّهر أعمارٌ تزول وأحوالٌ تحول ولا تؤولُ
لنا منه وإن عفنا وخفنا رسولٌ لا يُصاب لديه سولُ
وقد وضح السبيل فما لخلق إلى تبديله أبداً سبيلُ
لعمرك إنَّه أمدٌ قصيرٌ ولكن دونه أمدٌ طويلُ
أرى الإسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى وَلهٍ يهولُ
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأنَّ شعاعها طرفٌ كليلُ
أرى القمر المنير بدا ضئيلاً بلا نور فأضناه النُحولُ
أرى زهر النجوم محدّقات كأنَّ سراتها عورٌ وحولُ

أرى وجه الزّمان وكلّ وجهٍ به مما يكابده فلولُ
أرى شُمّ الجبال لها وجيبٌ تكاد تذوب منه أو تزولُ
وهذا الجوُّ أكلفُ مقشعرٌّ كأنَّ الجوّ من كمد عليلُ
وهذي الرّيح أطيبها سمومٌ إذا هبَّت وأعذبها بليلُ
وللسحب الغزار بكلِّ فجٍّ دموع لا يُزار بها المحولُ
نعى الناعي إلى الدنيا فتاها أمين الله فالدنيا ثكولُ
نعى كافي الكفاة فكلُّ حرٍّ عزيزٍ بعد مصرعه ذليلُ
نعى كهف العفاة فكلُّ عين بما تقذي العيون به كحيلُ
كأنَّ نسيم تربته سحيراً نسيم الروض تقبله القبولُ
إذا وافى انوف الرَّكب قالوا : سحيق المسك أم تربٌ مهيلُ؟!
أيا قمر المكارم والمعالي أبن لي كيف عاجلك الاُفولُ؟!
أبن لي كيف هالك ما يهول وغالك بعد عزِّك ما يغولُ؟!؟!
ويا مَن ساس أشتات البرايا وألجم من يقول ومَن يصولُ
أدلت على الليالي من شكاها وقد جارت عليك فمن يُديلُ
بكاك الدين والدنيا جميعاً وأهلهما كما يبكي الحمولُ
بكتك البيض والسّمر المواضي وكنت تعولها فيمن تعولُ
بكتك الخيل معولةً ولكن بُكاها حين تندبك الصهيلُ
قلوب العالمين عليك قلبٌ وحظّك من بكائهمُ قليلُ
ولي قلبٌ لصاحبه وفيٌّ يسيل وتحته روحٌ تسيلُ
إذا نظمت يدي في الطرس بيتاً محاهُ منه منتظمٌ هطولُ
فإن يك ركّ شعري من ذهولي فذلك بعض ما يجني الذهولُ
كتبت بما بكيت لأنَّ دمعي عليك الدَّهر فيّاض همولُ
وكنت أعدّ من روحي فداءً لروحك إن أُريد لها بديلُ
أأحيا بعده وأقرّ عيناً حياتي بعده هدرٌ غلولُ
حياتي بعده موتٌ وَحِيٌّ وعيشي بعده سمٌّ قتولُ
عليك صلاة ربِّك كلّ حين تهبُّ بها من الخلد القبولُ

ومنها ميميَّة أبي القاسم غانم بن محمَّد بن أبي العلا الإصبهاني يقول فيها: (١)

مضى نجل عبّاد المرتجى   فمات جميعُ بني آدمِ
أُواري بقبرك أهل الزمان   فيرجح قبرك بالعالمِ

وله من قصيدة اخرى في رثاء الصاحب يقول فيها:

هي نفسٌ فرَّقتها زفراتي   ودماءٌ أرقتها عبراتي
لشباب عذب المشارع ماضٍ   ومشيب جذب المراتع آتِ
زمنٌ أذرت الجفون عليه   من شؤوني ما كان ذوب حياتي
تتلاقى من ذكره في ضلوعي   ودموعي مصائفٌ ومشاتي
جاد تلك العهود كلّ أجش الـ   ـودق ثرّ الاخلاف جون السراتِ
بل ندى الصاحب الجليل أبي القا   سم نجل الأمير كافي الكفاةِ
تتبارى كلتا يديه عطايا   ومنايا حتماً لعافٍ وعاتِ
ضامناً سيبه لغنم مفادٍ   مؤذناً سيفه بروح مفاتِ
وارتياحٌ يريك في كلِّ عطفٍ   ألف ألف كطلحة الطلحاتِ
ويدٌ لا تزال تحت شكور   لاثم ظهرها وفوق دواةِ

ومنها تائيَّةٌ رثاه بها صهره السيِّد أبو الحسن عليُّ بن الحسين الحسني أوّلها(٢).

ألا إنَّها أيدي المكارم شلّتِ   ونفس المعالي إثر فقدك سلّتِ
حرامٌ على الظلماء إن هي قوّضت   وحجرٌ(٣) على شمس الضحى أن تجلّتِ
لتبك على كافي الكفاة مآثرٌ   تباهي النجوم الزهر في حيث حلّتِ
لقد فدحت فيه الرزايا وأوجعت   كما عظمت منه العطايا وجلّتِ
ألا هل أتى الآفاق آية غمَّة   أطلّت؟! ونعمى أيِّ دهرٍ تولَّتِ؟!
وهل تعلم الغبراء ماذا تضمَّنت   وأعواد ذاك النعش ماذا أقلّتِ؟!؟!

(١) تتميم يتيمة الدهر ج ١ ص ١٢٠.
(٢) ذكرها له الحموي في معجم الادباء والسيد في (الدرجات الرفيعة)
(٣) الحجر: المنع.

فلا أبصرت عيني تهلل بارقٍ يُحاكي ندى كفَّيك إلّا استهلّتِ
ولو قبلت أرواحنا عنك فديةً لجدنا بها عند الفداء وقلّتِ

وقال السيِّد أبو الحسن محمَّد بن الحسين الحسني المعروف بالوصيِّ الهمداني المترجَم في يتيمة الدهر في رثائه:

مات الموالي والمحبّ لأهل بيت أبي تراب
قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع التّراب[1]

وله في رثائه:

نوم العيون على الجفون حرامُ ودموعهنَّ مع الدماء سجامُ
تبكي الوزير سليل عبّاد العلا والدين والقرآن والإسلامُ
تبكيه مكّة والمشاعر كلّها وحجيجها والنسك والإحرامُ
تبكيه طيبة والرَّسول ومن بها وعقيقها والسهل والأعلامُ
كافي الكفاة قضى حميداً نحبه ذاك الإمام السيِّد الضرغامُ
مات المعالي والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلامُ

ورثاه سيِّدنا الشريف الرضي [الآتي ذكره في شعراء القرن الخامس] بقصيدة شرحها أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢ في مجلّد واحد كما ذكره الحموي في « معجم الادباء » ج ٥ ص ٣١؛ ولنشر القصيدة في ديوان ناظمه الشريف وفي غير واحد من المعاجم نضرب عنها صفحاً أوَّلها:

أكذا المنون يُقطِّر الأبطالا؟! أكذا الزّمان يُضعضع الأجيالا؟!
أكذا تُصاب الاسد وهي مُدِلَّةٌ تحمي الشبول وتمنع الأغيالا؟!
أكذا تُقام على الفرائس بعدما ملأت هماهمها الورى أوجالا؟!
أكذا تحطّ الزاهرات عن العلى مِن بعد ما شأت العيون منالا؟!

[القصيدة ١١٢ بيتاً]

ومرَّ أبو العبّاس الضبّي بباب الصاحب بعد وفاته فقال:

---

(١) ذكرهما له في ترجمته الثعالبي في « اليتيمة » ج ٣ ص ٢٦٠.

أيّها الباب لم علاك اكتئابُ؟!   أين ذاك الحجابُ والحُجّابُ؟!
أين مَن كان يفزع الدهر منه؟!   فهو اليوم في التراب تراب

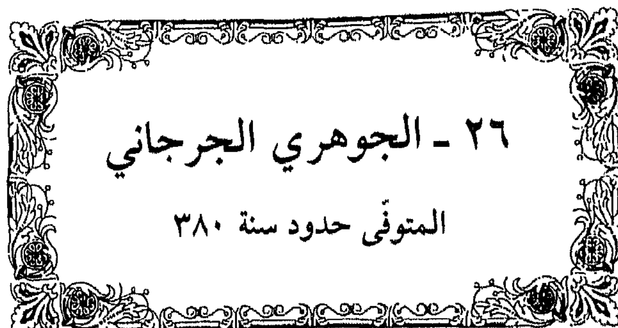
لا يذهب على القارىء أنَّ استدلال مثل الصاحب أحد عمد مراجع اللغة والأدب على أفضليَّة امير المؤمنين نظماً ونثراً بحديث الغدير » حجَّةٌ قويَّةٌ على صحَّة إرادة معنى للمولى لا يُبارح الإمامة والخلافة كما أراد هو.

مصادر ترجمة الصاحب:

يتيمة الدهر ج٣ ص ١٦٩ ـ ٢٦٧	فهرست ابن النديم ص ١٩٤
أنساب السمعاني. معالم العلماء	محاسن إصبهان للمافرّ وخي الأصبهاني
نزهة الألبّاء في طبقات الادباء	كامل إبن الأثير ج ٩ ص ٣٧
معجم الادباء ج ٦ ص ١٦٨ ـ ٣١٧	المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ١٧٩
تجارب السلف لابن سنجر ص ٢٤٣	تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ٧٨
مرآة الجنان لليافعي ج ٢ ص ٤٤١	تاريخ إبن كثير ج ١١ ص ٣١٤
شرح دراية الحديث للشهيد	نهاية الأرب ج ٣ ص ١٠٨
شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٣	معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٦٢
بغية الوعاة للسيوطي ص ١٩٦	مجالس المؤمنين للقاضي ص ٣٢٤
بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٦٤ ـ ٧	الدرجات الرفيعة للسيِّد علي خان
أمل الآمل لشيخنا الحرّ العاملي	لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ٤١٣
تكملة الأمل للشيخ عبد النبي الكاظمي	منتهى المقال لأبي علي ص ٥٦
روضات الجنّات	تنقيح المقال لشيخنا المامقاني ج ١ ص ١٣٥
أعيان الشيعة ج ١٢ في ٢٤٠ صحيفة	سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ١٣
الكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٦٥ ـ ٧١	الطليعة في شعراء الشيعة ج ١

قال الحموي في « معجم البلدان » ج ٦ ص ٨: ذكرتُ أخباره مستقصاةً في أخبار مردويه.

ولأبي حيّان التوحيدي المتوفّى سنة ٣٨٠ رسالةٌ [مثالب الوزيرين] ألّفها في تعيير المترجَم الصاحب وأبي الفضل إبن العميد نُشرت في [الإمتاع والمؤانسة] ج ١ ص ٥٣ ـ ٦٧ وقد سلب عنهما ما لهما من المآثر والفضائل، وبالغ في التعصّب عليهما، وجاء بأمر خداج، وأتى بمنكر من قول وزور، وفاحشة مبيّنة، وما أنصف وما أبرّ بإجماع المؤرِّخين، ولهتيكته هذه أسبابٌ تجد ذكرها في أعيان الشيعة وغيره.



٢٦ - الجوهري الجرجاني

المتوفّى حدود سنة ٣٨٠

أما أخذتُ عليكم إذ نـزلت بكم ... « غدير خمّ » عقوداً بعد أيمانِ؟!

وقد جذبتُ بضبعي خير من وطىء ... البطحاء من مضر العليا وعـدنانِ

وقلتُ والله يـأبى أن أُقـصِّـر أو ... أعف المسـالة عن شـرحٍ وتبيانِ

: هـذا عليّ مولى من بُعثت لـه ... مـولى وطابق سـرّي فيه اعـلاني

هذا ابن عمي ووالي منبري وأخي ... ووارثي دون أصحـابي وإخـواني

محلُّ هذا إذا قـايست من بدني ... محلّ هارون من موسى بن عمرانِ(١)

وله في « المناقب » لابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٠٣ قوله:

و« غـدير خمّ » ليس ينكـر فضله ... إلاّ زنـيـمٌ فـاجـرٌ كـفّـارُ

مَن ذا عليـه الشمس بعد مغيبهـا ... ردّت ببـابـل؟ فـاستبن يـا حـارُ

وعليـه قد رُدَّت ليـوم المصطفى ... يـومـاً وفي هــذا جـرت أخبـارُ

حـاز الفضـائـل والمنـاقب كلّهـا ... أنّى تُحيط بمـدحـه الأشعـارُ؟!

(الشاعر)

أبو الحسن عليُّ بن أحمد الجرجاني ويُعرف بالجوهري كما ذكر ذلك في غير مورد من شعره، مقياسٌ من مقاييس الأدب، وأحد أعضاد العربيّة، ومن المفلقين في صياغة القريض، كان من صنائع الوزير الصاحب ابن عبّاد وندمائه

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٣٢ طبع ايران، والصراط المستقيم للبياضي العاملي.

وشعرائه، تعاطى صناعة الشعر في ريعان من عمره واوليات أمره، وكان يرمي إلى المغازي البعيدة بلفظ قريب، وترتيب سهل، وكان في إعطاء المحاسن إيّاه زمامها كما قيل:

جَذَعٌ يبنُّ على المذاكي القُرَّح(١).

وكان الصاحب يعجب به أشدَّ الاعجاب، ويروقه مستحسن شعره المجانس لحسن روائه، ومناسبة روحه وشمائله خفَّةً وظرفاً؛ وقد اصطنعه لنفسه واختاره للسفارة بينه وبين العمّال والامراء، فكان يُمثّله في رسالاته أحسن تمثيل، فيملأ العيون جمالاً، والقلوب كمالاً، وقد أطراه أبلغ إطراء فيما كتبه إلى أبي العبّاس الضبّي [أحد شعراء الغدير] بإصبهان واستحثّه على إكرامه وجلب مراضيه والكتاب مذكور في « اليتيمة » ج ٤ ص ٢٦ وها نحن نأخذ منه لبابه قال: فإن يقل مولاي: مَن ذا الذي هذا خَطبه وهذه خُطّته؟! أقُل: مَن فضله برهان حقٍّ، وشعره لسان صدقٍ، ومن أطبق أهل جلدته على أنَّه معجزة بلدته فلا يُعدُّ لجرجان بعيداً ولا قريباً، أو لأُختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله، ومن أخذ برقاب النظم أخذه، وملك رقَّ القوافي ملكه، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره، وقبل أن تحدثه الآداب، وقبل جري المذكيات غلاب ـ أبو الحسن الجوهري ـ أيّده الله، وبناؤه منذ حين وخصوصه بي كالصبح المبين، إلّا أنَّ لمشاهدة الحاضر ومعاينة الناظر، مزيَّةٌ لا يستقصيها الخبر، وإن امتدَّ نفسه وطال عنانه ومرسه، وقد ألف إلى هذه الفضيلة التي فرع بينها، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها نفاذاً في أدب الخدمة، ومعرفةً بحقِّ الندام والعشرة، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة، إنصاتاً للمتبوع إلّا إذا وجب القول، وإعظاماً للمخدوم إلّا إذا خرج الأمر، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة، وحديثاً يسكت به العناد، ويطاول البلابل، فإن اتّفق أن يفسح له الفارسيَّة نظماً ونثراً طفح آذيّه، وسال آتيّه، فألسنة أهل مصره إلّا الأفراد بروقٌ إذا وطئوا أعقاب العجم

---

(١) الجذع بالحركتين: صغير البهائم والشاب الحديث: بين من أبن بالمكان: أقام به وثبت ولزم. المذاكي ج المذكي: من الخيل ما تم صنة وكملت قوته. القرح ج القارح هو من ذي الحافر الذي شق نابه وطلع.

وقيودٌ إذا تعاطوا لغات العرب، حتّى أنَّ الأديب منهم المقدّم والعليم المسوّم يتلعثم إذا حاضر بمنطقه كأنّه لم يدر من عدنان، ولم يسمع من قحطان، ومن فضول أخينا أو فضله انَّه يدَّعي الكتابة، ويُدارس البلاغة، ويُمارس الإنشاء، ويهذي فيه ماشاء، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمَّد بن إبراهيم فوفّق التوفيق كلّه صيانةً لنفسه، وأمانةً في ودائع لسانه ويده، واظهاراً لنسك لم أعهده في مسكه، حتّى خرج وسلم على نقده، وانَّ نقده لشديدٌ لمثله، ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي، فطعامه ومنامه وقعوده وقيامه إمّا بين يديَّ، أو بأقرب المجالس لديَّ، ولا يقولنَّ: هذا أديب وشاعرٌ، أو وافدٌ وزائرٌ، بل يحسبه قد تخفّف بين يديه أعواماً واحقاباً، وقضى في التصرُّف لديه صباً وشباباً، وهذا إنَّما يحتاج إلى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزّه، ولم يظهر طرزه، وإلاّ فسيكون بعدُ شفيع من سواه، ووسيط من عداه؛ فهناك يحمد الله درقه وحدقه، وجنة مطرفة، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها ورفارفها وحواشيها فليملأ مولاي عينه من منتزهات إصبهان، فعسى طماحه أن يخفَّ وجماحه أن يقلَّ.

والثعالبي لم يئل جهداً في الثناء عليه وقال: عهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وذكر نبذاً راقية من شعره في مجلّدات « اليتيمة »، وترجمه صاحب « رياض العلماء » ووصف فضله وشعره، ومن قوله في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

وجدي بكوفان ما وجدي بكوفانِ ... تهمي عليه ضلوعي قبل أجفاني
أرضٌ إذا نفخت ريح العراق بها ... أتت بشاشتها أقصى خراسانِ
ومن قتيلٍ بأعلى كربلاء على جهـ ... ـد الصّدى فتراه غير صديانِ
وذي صفائح يستسقى البقيع به ... ريّ الجوانح من رَوْحٍ ورضوانِ
هـذا قسيم رسـول الله من ادم ... قدّا معاً مثل ما قدَّ الشراكانِ
وذاك سبطا رسول الله جدّهما ... وجه الهدى وهما في الوجه عينانِ
واخجلتا من أبيهم يوم يشهدهم ... مضرَّجين نشاوى من دمٍ قانِ
يقول: يا امّةً حفَّ الضلال بها ... واستبدلت للعمى كفراً بايمانِ

مـاذا جنيتُ عليـكم إذ أتيتـكمُ ... بخير ما جـاء من آيٍ وفرقـانِ؟!
ألم أجـركم وأنتم في ضـلالتكمُ ... على شفا حفرةٍ من حـرِّ نيرانِ؟!
ألم اؤلِّف قلوبـاً منـكمُ فِـرقـاً ... مشـارةً بين أحقـادٍ وأضغـانِ؟!
أمـا تـركت كتـاب الله بينـكمُ ... وآيـة العـزِّ في جمـعٍ وقـرآنِ؟!
ألم أكن فيكمُ غوثاً لمضـطهد؟! ... ألم أكن فيكمُ مـاءً لـظمآنِ؟!
قتلتمـوا ولدي صبـراً على ظمـأٍ ... هذا وترجون عند الحوض إحساني
سبيتمُ ثـكـلتـكـم امَّـهـاتـكـمُ ... بني البتول وهم لحمي وجثماني
مـزَّقتمُ ونكثتم عـهـد والـدهم ... وقـد قطعتم بـذاك النكث أقراني
يا رب خُذلي منهم إذ همُ ظلموا ... كرام رهطي وراموا هدمَ بنيـاني
مـاذا تجيبون والـزَّهراء خصمكمُ ... والحاكم الله للمظلوم والجاني؟!
أهل الكساء صـلاة الله ما نـزلت ... عليكم الدهر مِن مثنى ووُحـدانِ
أنتم نجـوم بني حوّاء مـا طلعت ... شمس النهار وما لاح السّمـاكانِ
ما زلتُ منكم على شوقٍ يُهيِّجني ... والـدَّهـر يـأمـرني فيـه وينهـاني
حتّى أتيتـك والتـوحيـد راحلتي ... والعدل زادي وتقوى الله امكاني
هـذي حقـائق لفظٍ كلّما بـرقت ... ردَّت بـلألئها أبصـار عميان
هي الحلى لبني طـه وعتـرتهم ... هي الرَّدى لبني حـربٍ ومـروانِ
هي الجواهر جاء [الجوهريُّ] بها ... محبَّـةً لكمُ من أرض جُـرجـانِ

وله قصيدة يرثي بها الإمام الشهيد قتيل الطفّ عليه السّلام في يوم عاشوراء ذكرها له الخوارزمي في مقتله، وإبن شهراشوب في مناقبه، والعلاّمة المجلسي في المجلّد العاشر من البحار:

يا أهل عاشور يا لهفي على الدينِ ... خـذوا حـدادكمُ يـا آل يـاسين
اليـوم شقّق جيب الدين وانتهبت ... بنات أحمد نهب الرّوم والصين
اليـوم قام بـأعلى الطفّ نـادبهم ... يقـول: مَن ليتيمٍ أو لمسكينٍ؟!
اليوم خضب جيب المصطفى بدمٍ ... أمسى عبير نحـور الحورو العين
اليوم خرَّ نجـوم الفخر من مضـر ... على منـاخـر تـذليـلٍ وتـوهين

اليوم اطفىء نور الله متقداً ... وجرّت لهم التقوى على الطينِ
اليوم هُتّك أسباب الهدى مزقاً ... وبرقعت غرَّة الإسلام بالهونِ
اليوم زعزع قدسٌ من جوانبه ... وطاح بالخيل ساحات الميادينِ
اليوم نال بنو حربٍ طوائلها ... مما صلوه ببدرٍ ثمَّ صفّين
اليوم جُدّل سبط المصطفى شرقاً ... من نفسه بنجيعٍ غير مسنونِ
زادوا عليه بحبس الماء غلته ... تبّاً لرأي فريقٍ منه مغبونِ
نالوا أزمَّة دنياهم ببغيهمُ ... فليتهم سمحوا منها بماعونِ
حتّى يصيحَ بقنّسرين[1] راهبها ... : يا فرقة الغيِّ يا حزب الشياطينِ
أتهزؤن برأس بات منتصباً ... على القناة بدين الله يوصيني؟!
آمنتُ ويحكمُ بالله مهتدياً ... وبالنبيِّ وحبُّ المرتضى ديني
فجدَّلوه صريعاً فوق جبهته ... وقسَّموه بأطراف السكاكينِ
وأوقروا صهوات الخيل من إحنٍ ... على اساراهمُ فعل الفراعينِ
مصعَّدين على أقتاب أرحلهم ... محمولةً بين مضروب ومطعونِ
أطفال فاطمة الزهراء قد فُطموا ... من الثديِّ بأنياب الثعابينِ
يا امَّةً ولي الشيطان رايتها ... ومكّن الغيُّ منها كلَّ تمكينِ
ما المرتضى وبنوه مِن معاوية ... ولا الفواطم من هند وميسونِ
آل الرسول عباديد السيوف فمـ ... ـن هامٍ على وجهه خوفاً ومسجونِ
يا عين لا تدَّعي شيئاً لغاديةٍ ... تهمي ولا تدَّعي دمعاً لمحزونِ
قومي على جدث بالطفِّ فانتقضي ... بكلِّ لؤلؤ دمع فيكِ مكنونِ
يا آل أحمد إنَّ « الجوهريَّ » لكم ... سيف يقطِّع عنكم كلَّ موصونِ

وذكر له الثعالبي كثيراً من شعره في « اليتيمة » ج ٤ ص ٢٩ ـ ٤١ ومما ذكر له من قصيدة في شريف حسنيٍّ قوله :

لا عتب إن بذلت عيني بما أجدُ ... فقد بكى ليَ عوّادي لما عهدوا
لو أنَّ لي جسداً يقوى لطفت به ... على العزاء ولكن ليس لي جسدُ

---

(١) قنسرين بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده : مدينة بينها وبين حلب مرحلة.

تبعتهم بـذمـاء كـان يمسكـه ... تـعلّلٌ بـخيـالٍ كـلّمـا بعـدوا
يـا ليلة غمضت عنّي كـواكبهـا ... تـرفّقي بجفـونٍ غمضهـا رمـدُ
أهوى الصّباح ومالي فيه منتصفٌ ... من الـظلام ولكن طـالمـا أجـدُ
لو أنَّ لي أمداً في الشـوق أبلغه ... صبرت عنك ولكن ليس لي أمدُ
بكيت بعد دموعي في الهوى جلدي ... وهل سمعت ببالٍ دمعه جلدُ؟
تذوب نار فؤادي في الهوى برداً ... وهـل سمعت بنارٍ ذوبهـا بـردُ؟!
قالوا: ألفت رُباجيّ[1] فقلت لهم: ... الحبُّ أهـلٌ وإدراك المنى ولـدُ
أنـدى محـاسن جَيٍّ انّـه بلدٌ ... طلق النـهـار ولكـن ليله نكـدُ
إذا استحبّ بـلادٌ للمعـاش بهـا ... فحيثمـا نعمت حـالي بـه بلدُ
وللمكـارم قـومٌ لا خفـاء بهم ... هم يُعرفون بسيمـاهم إذا شهدوا
لله معشـر صـدقٍ كلّمـا تُليت ... على الورى سورةٌ من مجدهم سجدوا
ذرّيّـةٌ أبـهـرت طـه بجـدّهـمُ ... وهـل أتى بـأبيهم حين ننتقدُ؟!
وإن تُصنّـع شعـرٌ في ذوي كـرم ... يا بن النبيِّ فشعري فيك مقتصدُ
أصبت فيك رشادي غيـر مجتهدٍ ... وليس كـلّ مصيب فيـك مجتهـدُ
بسطت عرض فناء الدهر مكرمـةً ... طـرائق الحمد في حـافاتهـا قِدَدُ

توفّي المترجَم بجرجان بعـد سنـة ٣٧٧ وقبـل سنـة ٣٨٥ فقـد بعثـه الصاحب بن عبّاد رسولاً إلى الأمير أبي الحسن ناصر الدولة سنة ٣٧٧ ووجهه بعـدها إلى أبي العبّـاس الضبي إلى إصفهان، ولمّـا انقلب من إصبهـان إلى جرجان لم تطل به الأيّام حتى أصبح مقبوراً كما ذكره الثعالبي، فوفاة المترجم في حياة الصاحب المتوفّى سنة ٣٨٥ تستدعي وقوعها بين التاريخين حدود سنة ٣٨٠.

---

(١) جى بالفتح ثم التشديد: مدينة بينها وبين اصبهان نحو ميلين، قال ياقوت في المعجم وتسمى الآن عند العجم: شهرستان وعند المحدثين: المدينة.



٢٧ - ابن الحجاج البغدادي

المتوفى سنة ٣٩١

يا صاحب القبة البيضاء في النجفِ   مَن زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلّكمُ   تحظون بالأجر والإقبال والزُّلفِ
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن   يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلتَ فأحرم قبل تدخله   ملبياً واسعُ سعياً حوله وطفِ
حتّى إذا طفتَ سبعاً حول قبّته   تأمّل الباب تلقا وجهه فقفِ
وقل: سلامٌ من الله السّلام على   أهل السّلام وأهل العلم والشرفِ
إنّي أتيتك يا مولاي من بلدي   مُستمسكاً مِن حبال الحقّ بالطرفِ
راجٍ بأنّك يا مولاي تشفع لي   وتسقني من رحيقٍ شافيَ اللّهفِ
لأنّك العروة الوثقى فمن علقت   بها يداه فلن يشقى ولم يخفِ
وإنّ أسماءك الحسنى إذا تُليت   على مريض شُفي من سقمه الدَّنفِ
لأنَّ شأنك شأنٌ غير مُنتقصٍ   وانَّ نورك نورٌ غير مُنكسفِ
وإنّك الآية الكبرى التي ظهرتْ   للعارفين بأنواع من الطرفِ
هذي ملائكة الرَّحمن دائمة   يهبطن نحوك بالألطاف والتّحفِ
كالسطل والجام والمنديل جاء به   جبريل لا أحدٌ فيه بمختلفِ
كان النبيُّ إذا استكفاك معضلة   من الامور وقد أعيت لديه كفي
وقصّة الطائر المشويّ عن أنس   تخبر بما نصّه المختار من شرفِ
والحب والقضب والزيتون حين أتوا   تكرُّماً من آله العرش ذي اللطف

والخيل راكعة في النقع ساجدة — والمشرفيّات قد ضجّت على الحجفِ[1]
بعثت أغصان بانٍ في جموعهمُ — فأصبحوا كرمادٍ غير منتسفِ
لو شئتَ مسخهم في دورهم مُسخوا — أو شئت قلت لهم: يا أرض انخسفي
والموت طوعك والأرواح تملكها — وقد حكمتَ فلم تظلم ولم تجفِ
لا قدَّس الله قوماً قال قائلهم: — بخٍ بخٍ لك من فضلٍ ومن شرفِ
وبايعوك « بخمٍّ » ثمَّ أكّدها — « محمَّدٌ » بمقالٍ منه غير خفي
عاقوك واطرحوا قول النبيِّ ولم — يمنعهمُ قوله: هذا أخي خلفي
هذا وليّكمُ بعدي فمن علقت — به يداه فلن يخشى ولم يخفِ

القصيدة تناهز ٦٤ بيتاً ولها قصَّةٌ تأتي في الترجمة إن شاء الله. وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة إبن سكرة[2] المتحامل بها على آل الله وشاعرهم إبن الحجّاج المترجَم، أخذناها من ديوانه المخطوط سنة ٦٢٠ بقلم عمر بن إسماعيل بن أحمد الموصلي أوَّلها:

لا أكذب الله إنَّ الصِّدق يُنجيني — يد الأمير بحمد الله تُحييني

إلى أن قال:

فما وجدتَ شفاء تستفيد به — إلّا ابتغاءك تهجو آل ياسينِ
كافاك ربّك إذ أجرتك قدرته — بسبِّ أهل العلا الغرِّ الميامين
فقرٌ وكفرٌ هميعٌ[3] أنت بينهما — حتّى الممات بلا دنيا ولا دين
فكان قولك في الزَّهراء فاطمة — قول امرىءٍ لهج بالنصب مفتونِ
عيَّرتها بالرّحا والزاد تطحنه — لا زال زادك حبّاً غير مطحونِ
وقلت: إنَّ رسول الله زوَّجها — مسكينة بنت مسكين لمسكينِ

---

(١) الحجف محركة: التروس من جلود بلا خشب ولا عقب. والصدور. واحدتها: الحجفة.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي من ولد علي بن المهدي العباسي له ديوان شعر يربو على خمسين ألف بيت توفي سنة ٣٨٥.

(٣) أي لا تزال باكياً.

كذبتَ يا بن التي باب إستها سلس الأ غلاق بالليل مفكوك الزرافينِ[١]
ستُّ النساء غداً في الحشر يخدمها أهل الجنان بحور الخرَّد العينِ
فقلتَ : إنَّ أمير المؤمنين بغى على معاويةٍ في يوم صفّينِ
وإنَّ قتل الحسين السبط قام به في الله عزم إمام غير موهونِ
فلا ابنُ مرجانةٍ فيه بمحتقب[٢] إثم المسيء ولا شمرٌ بملعونِ
وإنَّ أجر ابن سعدٍ في استباحة آل النبوَّة أجرٌ غير ممنونِ
هذا وعُدت إلى عثمان تندبه بكلِّ شعر ضعيف اللفظ ملحونِ
فصرتَ بالطعن من هذا الطريق إلى ما ليس يخفى على البله المجانينِ
وقلتَ : أفضل من يوم «الغدير» إذا صحَّت روايته يوم الشعانينِ
ويوم عيدك عاشوراء تعدّ له ما يستعدّ النصارى للقرابينِ
تأتي بيوتكمُ فيه العجوز وهل ذاك العجوز سوى وحي الشياطينِ؟!
عاندتَ ربَّك مغترّاً بنقمته وبأس ربِّك بأسٌ غير مأمونِ
فقال : كن أنت قرداً في استه ذَنَبٌ وأمر ربِّك بين الكاف والنونِ
وقال : كن لي فتىً تعلو مراتبه عند الملوك وفي دور السلاطينِ
والله قد مسخ الأدوار قبلك في زمان موسى وفي أيّام هارونِ
بدون ذنبك فالحق عندهم بهمُ ودع لحاقك بي إن كنت تنويني

[القصيدة ٥٨ بيتاً]

وله من قصيدة قوله :

بالمصطفى وبصهره ووصيِّه يوم «الغدير»

(الشاعر)

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن الحجاج

---

(١) سلست الخشبة : نخرت وبليت. والسلس : اللين السهل. الغلق ما يغلق به الباب ج إغلاق. الزرفين واحدة الزرافين : الحلق الصغيرة للباب.

(٢) احتقب الإثم : جمعه .

النيلي البغدادي ، أحد العمد والأعيان من علماء الطائفة ، وعبقريٌّ من عباقرة حملة العلم والأدب ، وقد عدَّه صاحب [رياض العلماء] من كبراء العلماء كما عدَّه إبن خلكان وأبو الفدا من كبار الشيعة ، والحموي في [معجم أُدبائه] من كبار شعراء الشيعة ، وآخر من فحول الكتّاب ، فالشعر كان أحد فنونه ، كما أنَّ الكتابة إحدى محسانه الجمَّة ، وله في العلم قننٌ راسية ؛ وقدمٌ راسخة ، غير أنَّ انتشار أدبه الفائق ، ومقاماته البديعة فيه ، وتعريف الأُدباء إيّاه بأدبه الباهر ، وقريضه الخسروانيِّ ، والثناء عليه بأنَّه ثاني معلّميه كما في «نسمة السحر» أخفى صيت علمه الغزير ، وغطّى ذكره العلميّ ، ونحن نقوم بواجب الحقَّين جميعاً .

ينمُّ عن مقامه الرفيع في العلوم الدينيَّة وتضلّعه فيها وشهرته في عصره بها توليه الحسبة[١] مرَّةً بعد أُخرى في عاصمة العالم في ذلك اليوم [بغداد] وهي من المناصب الرفيعة العلميَّة التي كانت تخصُّ توليها في العصور المتقادمة بأئمَّة الدين ، وزعماء الإسلام ، وكبراء الأُمَّة ، وهي كما قال الماوردي في «الأحكام السلطانيَّة» ص ٢٢٤ : من قواعد الأُمور الدينيَّة ، وقد كان أئمَّة الصدر الأوّل يباشرونها اهـ .

(الحسبة) هي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر بين الناس كافَّة وممَّن وليها ببغداد قبل المترجَم الفيلسوف الكبير أحمد بن الطيب السرخسي ، صاحب التآليف القيِّمة في فنون متنوِّعة المقتول سنة ٢٨٣ ، وتولاها بعد عزل المترجَم عنها فقيه الشافعيَّة وإمامها أبو سعيد الحسن بن أحمد الإصطخري المتوفّى سنة ٣٢٨ ، على ما يُقال كما في تارخ إبن خلكان ، ومراة الجنا لليافعي وغيرهما ، قال الماوردي في [الأحكام السلطانيَّة] ص ٢٠٩ فمن شروط والي الحسبة ، أن يكون حُرّاً ، عدلاً ، ذا رأي وصرامةٍ ، وخشونةٍ في الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة ؛ واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي هل يجوز له أن يحمل الناس فيما يكره من الأُمور التي اختلف الفقهاء فيها على

---

(١) كما في تاريخ ابن خلكان. تاريخ ابن كثير، مرآة الجنان، رياض العلماء. دائرة المعارف الإسلامية، دائرة المعارف لفريد وجدي، الأعلام للزركلي.

رأيه واجتهاده أم لا ؟ على وجهين : أحدهما وهو قول أبي سعيد الإصطخري أنَّ له أن يحمل ذلك على رأيه واجتهاده ، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالماً من أهل الإجتهاد في أحكام الدين ليجتهد رأيه فيما اختلس فيه . اهـ .

وقال رشيد الدين الوطواط المتوفّى سنة ٥٧٣ : إنَّ أولى الأُمور بأن تصرف أعنَّة العناية إلى ترتيب نظامه ؛ وتقصر الهمم إتمامه ، أمرٌ يتعلّق به ثبات الدين ، ويتوقّف عليه صلاح المسلمين ، وهو أمر الإحتساب ، فإن فيه تثبيت الزائغين عن الحق ، وتأديب المنهمكين في الفسق ، وتقوية أعضاد أرباب الشرع وسواعدها ، وإجراء معاملات الدين على قوانينها وقواعدها ، وينبغي أن يكون متقلّد هذا الأمر موصوفاً بالديانة ، معروفاً بالصيانة ، معرضاً عن مراصد الريب ، بعيداً عن مواقف التّهم والعيب ، لابساً مدارع السداد ، سالكاً مناهج الرَّشاد [معجم الادباء ج ٩ ص ٣١] .

ففي تولية شاعرنا المترجَم الحسبة مرَّةً بعد أُخرى غنىً وكفاية عن سرد جمل الثناء على علمه وفقهه وإطراء عدله ورأيه ، واجتهاده في جنب الله وصرامته ؛ وخشونته في الدين ، ورشاده وسداده ، وقد تولاها مرَّتين في بغداد مرَّة على عهد الخليفة العبّاسي المقتدر بالله كما سمعته من إبن خلكان واليافعي ، وأُخرى أقامه عليها عزُّ الدَّولة في وزارة ابن بقيَّة الذي استوزره عزُّ الدولة سنة ٣٦٢ وتوفّي سنة ٣٦٧ وقد كتب المترجَم إليه في وزارته قصيدة أوَّلها :

أيّهاذا الوزير إن أنت أنصفت ... وإلاَّ فقم مع الجيران

ويقول فيها :

ليت شعري ألستُ محتسب ... الناس ؟! فلِم ليس تعرفون مكاني ؟!

(أمّا أدبه) وهو كما أوعزنا إليه أحد نوابغ شعراء الشيعة ؛ والمقدَّم بين كتّابها ، حتّى قيل : إنّه كامرىء القيس في الشعر[1] لم يكن بينهما من

---

(١) كما في تاريخ ابن خلكان، ومعجم الادباء، وشذرات الذهب.

يضاهيهما ، ويقع ديوانه في عشر مجلّدات ، والغالب عليه العذوبة والإنسجام ، وتأتي المعاني البديعة في طريقته إلى ألفاظ سهلة ، وأسلوبٍ حسن ، وسبكٍ مرغوب فيه ، وفي «نسمة السحر» ، إنَّه يُعدّ المعلم الثاني ، والمعلّم الأوّل إمّا مهلهل بن وائل ، أو إمرؤ القيس ، اخترع منهجاً لم يسبق إليه ، وتبعه فيه الناس ، ومن أتباعه أبو الرقعمق وصريع الدلاء .

قال الثعلبي : سمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنَّه فرد زمانه في فنضه الذي شهر به وأنَّه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شئوه في نمطه ، ولم يُر كاقتداره على ما يُريده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في الملاحة والبلاغة اهـ .

رتَّب ديوانه البديع الأسطر لأبي هبة الله بن حسن المتوفّى سنة ٥٣٤ على واحد وأربعين ومائة باب ، وجعل كلَّ باب في فنٍّ من فنون الشعر وسمّاه : درَّة التاج في شعر ابن الحجّاج(١) وهي محفوظةٌ في باريس رقم ٥٩١٣ وبها مقدِّمةٌ لابن الخشّاب النحوي .

وللشريف الرضي إنتخابُ ما استجوده من شعره سمّاه [الحسن من شعر الحسين](٢) ورتَّبه على الحروف ، وكان ذلك في حياة المترجم ، وله في ذلك شعرٌ يوجد في المجلّد الأخير من ديوانه وهو قوله :

أتعرف شعري إلى من ضوى ... فأضحى على ملكه يحتوي؟!
إلى البدر حُسناً إلى سيِّدي ... الشريف أبي الحسن الموسوي
إلى مَن أعوِّذه كلّما ... تلقيته بالعزيز القوي
فتىً كنتُ مسخاً بشعري السخيف ... وقد ردّني فيه خَلقاً سوي
تأمّلته وهو طوراً يصحّ ... وطوراً بصحّته يلتوي
فميّز معوجّه والرديّ ... فيه من الجيِّد المُستوي

---

(١) راجع معجم الادباء، تاريخ ابن خلكان، مرآة الجنان، كشف الظنون.
(٢) في دائرة المعارف الاسلامية: انه أسماه « التنظيف من السخيف ».

وصحّح أوزانه بالعروض وقرّر فيه حروف الروي
وأرشده لطريق السَّداد فأصلح شيطان شعري الغوي
وبيَّن موقع كفّ الصناع في نسج ديباجه الخسروي
فاقسم باللّه والشيخ في اليمين على الحنث لا ينطوي
لو أنّ زرادشت أصغى له لأزرى على المنطق الفهلوي
وصادف زرع كلامي البليغ فيه شديد الظما قد ذوي
فما زال يسقيه ماء الطرا وماء البشاشة حتّى روي
فلا زال يحيى وقلب الحسود بالغيظ من سيِّدي مكتوي
له كبدٌ فوق جمر الغضا على النار مطروحة تشتوي

قال الثعالبي : إنَّ ديوان شعره لا تنحطُّ قيمته عن ستِّين ديناراً لتنافسهم في ملحه ووفور رغبتهم فيه وقال : وديوان شعره أسيَر في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيل . وذكر في اليتيمة شطراً مهمّاً من فنون شعره من ٦٢ صحيفة في الجزء الثالث .

والغالب على شعره الهزل والمجون ، كأنَّهما لازما غريزته ، ومطبوعا قريحته ، وخمرتا طينته ، وكان إذا استرسل فيهما فلا يجعجع به حضور ملك أو هيبة أمير ؛ ويأتي بما عنده غير مكترث للسامعين ، فلا يستقبل منهم إلاَّ عطفاً وقبولاً ، كما أنص شعره يُعرب عن ولاءه الخالص لأهل البيت والوقيعة في مناوئيهم .

خلفاء عصره وملوكه :

أدرك ابن الحجّاج جمعاً من خلفاء بني العبّاس وهم :

١ ـ المعتمد على الله ابن المتوكّل المتوفّى سنة ٢٧٩ .

٢ ـ المعتضد بالله أبو العبّاس المتوفّى سنة ٢٨٩ .

٣ ـ المتكفي بالله المتوفّى سنة ٢٩٥ .

٤ ـ المقتدر بالله المتوفّى سنة ٣٢٠ .

٥ ـ الراضي الله المتوفّى سنة ٣٢٩ .

٦ ـ المستكفي بالله المتوفّى سنة ٣٣٨ .

٧ ـ القاهر بالله المتوفّى سنة ٣٣٩ .

٨ ـ المتّقي لله المتوفّى سنة ٣٥٨ .

٩ ـ المطيع لله المتوفّى سنة ٣٦٤ .

١٠ ـ الطائع لله المتوفّى سنة ٣٩٣ .

وعاصر من ملوك آل بويه من الذين ملكوا العراق :

١ ـ معزّ الدَّولة فاتح العاق المتوفّى سنة ٣٥٦ .

٢ ـ عزّ الدَّولة أبا منصور بختيار بن معزّ الدَّولة المقتول سنة ٣٦٧ .

٣ ـ عضد الدَّولة فناخسرو بن ركن الدَّولة المتوفّى سنة ٣٧٢ .

٤ ـ شرف الدَّولة ابن عضد الدَّولة المتوفّى سنة ٣٧٩ .

٥ ـ صمصام الدَّولة ابن عضد الدَّولة المقتول سنة ٣٨٨ .

٦ ـ بهاء الدَّولة أبا نصر ابن عضد الدَّولة المتوفّى سنة ٤٠٣ .

وكان كما قال الثعالبي : على طول عمره يتحكَّم على وزارء الوقت ، ورؤساء العصر ، تحكّم الصبيّ على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشةً راضية ، ويستثمر نعمة صافيةً ضافية . ويوجد في ديوانه شعرٌ كثيرٌ مدحاً ورثاءً وهجاءً في رجالات عصره من الخلفاء والوزراء والأمراء والكتّاب والمثقّفين تربو عدَّتهم فيما قرأناه من مجلّدات ديوانه على ستّين منهم :

أبو عبد الله هارون بن المنجّم المتوفّى ٢٨٨ .	أبو الطيب المتنبي الشاعر المتوفى ٣٥٤.
أبو الفضل عباس بن الحسن المتوفى ٢٩٦ .	الوزير أبو محمّد المهلبي المتوفّى ٣٥٢.

الوزير أبو الفضل بن العميد المتوفى ٣٦٠ .
المطيع لله الخليفة العبّاسي المتوفّى ٣٦٤ .
الوزير أبو ريّان خليفة عضد الدَّولة ببغداد
عزُّ الدَّولة بختيار ابن بويه المتوفّى ٣٦٧ .
الأمير أبو تغلب غضنفر المتوفى ٣٦٩ .
أبو الفتح ابن شاهين المتوفى ٣٧٢ .
أبو المعالي ابن محمَّد بن عمران المتوفى ٣٧٣ .
أبو إسحاق إبراهيم الصّابي المتوفى ٣٨٤ .
الوزير الصاحب بن عبّاد المتوفى ٣٨٥ .
أبو علي محمَّد بن الحسن الحالتي المتوفى ٣٨٨ .
الوزير أبو نصر سابور بن أردشير المتوفى ٤١٦ .
الوزير أبو الفرج محمَّد بن العبّاس بن فسابخس .
أبو الفتح ابن العميد المتوفى ٣٦٦ .
الوزير أبو طاهر ابن بقيَّة المتوفى ٣٦٧ .
عمران بن شاهين المتوفى ٣٦٩ .
عضد الدَّولة فناخسرو المتوفى ٣٧٢ .
أبو الفرج بن عمران بن شاهين المتوفى ٣٧٣ .
شرف الدَّولة إبن بويه المتوفى ٣٧٩ .
القاضي أبو علي التنوخي المتوفى ٣٨٤ .
ابن سكرة العبّاسي الشاعر المتوفى ٣٨٥ .
أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف المتوفى ٣٨٨ .
الوزير أبو منصور محمَّد المرزبان المتوفى ٤١٦ .
أبو أحمد بن عارض المترجم في أُمور الحسبة .

قال الثعالبي في «اليتيمة» ج ٣ ص ٧٠ : كان الوزير أبو الفرج والوزير أبو الفضل [ابن العميد] قد خلوا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي [الوزير أبي محمَّد الحسن] عقب موته ، وأمرا أن تُلوَّث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب وقد كان المهلبي فعل مثل هذا فحضر ابن الحجّاج فعجب وخاف النفط فانصرف فقال :

الصَّفح بالنفط في الثياب ... ما لم يكن قطُّ في حسابي
ليس يقوم الوصول عندي ... مقا خيطين من ثيابي
يا ربُّ من كان سنَّ هذا ... فزده ضعفاً من العذابِ
في قعر حمراء ليس فيها ... غير بني البظر والقحابِ
تفعل في لحمه المهري[1] ... ما يفعل الجمر بالكبابِ
فالقرد عندي يجلُّ عمَّن ... يسنُّ هذا على الكلابِ

(١) هرى الثوب : صفره أي جعله أصفر.

أكثر «المترجم» من مدائح أهل البيت عليهم السلام والنيل من مناوئيهم نُظراء مروان بن أبي حفصة حتّى أنّه ربما كان ينتقد على تشديده الوطىء والنكير المحتدم على فظائع القوم [أعداء آل الله] بلهجةٍ حادَّةٍ ، وسبابٍ مُقذعٍ ، غير أنَّ ذلك كله كان نفثة مصدور ، وأنَّه متوجع من الظلم الواقع على ساداته أئمَّة أهل البيت عليهم السلام ، لا ولعاً منه في البذاء أو وقيعةً في الأعراض لمحض الشهوة ومتابعة الهوى ، ولذلك وقع شعره مقبولاً عند مواليه صلوات الله عليهم ، وكانوا إذا مرّوا باللغو منه مرّوا كراماً .

حدَّث(١) سيِّدنا الأجلّ زين الدين عليّ بن عبد الحميد النيلي النجفي(٢) في كتابه [الدرّ النضيد في تغازي الإمام الشهيد] أنَّه كان في زمان ابن الحجّاج رجلان صالحان يزدريان بشعره كثيراً وهما : محمَّد بن قارون السيبي ، وعليّ بن زرزور السورائي ، فرأى الأوَّل منهما ليلة في الواقعة كأنَّه أتى إلى روضة الحسين عليه السلام وكانت فاطمة الزهراء سلام الله عليها حاضرة هناك مستندة ظهرها إلى ركن الباب الذي هو على يسار الداخل وسائر الأئمَّة إلى مولانا الصَّادق عليه السلام أيضاً جلوسٌ في مقابلها في الزاوية بين ضريحي الحسين عليه السلام وولده عليّ الأكبر الشهيد متحدِّثين بما لا يُفهم ومحمَّد بن قارون المقدّم قائمٌ بين أيديهم قال السورائي : وكنت أنا أيضاً غير بعيد عنهم فرأيت ابن الحجّاج مارّاً في الحضرة المقدَّسة فقلت لمحمَّد بن قارون : ألا تنظر إلى الرَّجل كيف يمرّ في الحضرة ؟ فقال : أنا لا احبّه حتّى أنظر إليه . قال : فسمعت الزَّهراء بذلك ، فقالت ل ثل المغضبة : أما تحبُّ «أبا عبد الله» ؟ احبّوه فإنَّه من لا يحبّه ليس من شيعتنا . ثمّ خرج الكلام من بين الأئمَّة عليهم السلام ، فإنَّ من لا يُحبُّ أبا عبد الله فليس بمؤمن . قال الشيخ

---

(١) نقله عنه بحاثة الطائفة ميرزا عبد الله الأصبهاني في «رياض العلماء» وسيدنا الخونساري في «روضات الجنات» ص ٢٣٩ ، وشيخنا العلامة الحجّة النوري في «دار السّلام» ج ١ ص ١٤٨ ، ونحن نلخص ما في «رياض العلماء» .

(٢) هو الفقيه الأوحد صاحب المقامات والكرامات أحد مشايخ العلم الحجة ابن فهد الحلي المتوفى سنة ٨٤١ .

محمَّد بنم قارون : ولم أدر مَن قال منهم ، ثمَّ انتبهت فزعاً مرعوباً مما فرطت في حقِّ عبد الله من قبل ذلك قال : ثمص نسيت المنام ولم أذكره إلى أن اتيح لي بزيارة السبط الشهيد سلام الله عليه فإذا بجماعة في الطريق من أصحابنا يروون شعر ابن الحجّاج فلحقتهم فإذا فيهم عليُّ بن الزرزور وسلّمت عليه ، وقلت : كنتَ تُنكر رواية شعر ابن الحجّاج وتكرهها ، فما بالك الآن تسمعه وتصغي إلى انشاده ؟ فقال : أُحدِّثك بما رأيت فيما يراه النائم فقصَّ عليٌّ ما رأيته في الطيف حرفيّاً وحكيته بما رأيت ، ثمَّ اتَّفقنا على مدح الرَّجل وإيراد أشعاره وبثِّ مآثره ونشر ناقبه .

وأيضاً : إنَّ السلطان مسعود بن بابوية[1] لمّا بنى سور المشهد الشريف ودخل الحضرة الشريفة وقبَّل أعتابها وأحسن الأدب فوقف أبو عبد الله المترجَم بين يديه وأنشد قصيدته الفائيصة التي ذكرناها فلمّا وصل منها إلى الهجاء أغلظ له الشريف سيِّدنا المرتضى ونهاه أن ينشد ذلك في باب حضرة الإمام عليه السلام فقطع عليه فانقطع ، فلمّا جنَّ عليه الليل رأى ابن الحجّاج الإمام عليّاً عليه السلام في المنام وهو يقول : لا ينكسر خاطرك فقد بعثنا المرتضى علم الهدى يعتذر إليك فلا تخرج إليه حتّى يأتيك ، ثمَّ رأس الشريف المرتضى في تلك الليلة النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمَّة صلوات الله عليهم حوله جلوسٌ فوقف بين أيديهم وسلَّ عليهم فحسّ منهم عدم إقباله عليه فعظم ذلك عنده وكبر لديه فقال : يا مواليَّ أنا عبدكم وولدكم ومواليكم فبِمَ استحققت هذا منكم ؟ فقالوا : بما كسرتَ خاطر شاعرنا أبي عبد الله ابن الحجّاج فعليك أن تمضي إليه وتدخل عليه وتعتذر إليه وتأخذه وتمضي به إلى سعود بن بابوية وتعرِّفه عنايتنا فيه وشفقتنا عليه ، فقام السيِّد من ساعته ومضى إلى أبي عبد الله فقرع عليه الباب فقال ابن الحجّاج : سيِّدي الذي بعثك إليَّ أمرني أن لا أخرج إليك ؛ وقال : إنَّه سيأتيك ، فقال : نعم سمعاً وطاعةً لهم . ودخل عليه واعتذر إليه ومضى به إلى السلطان وقصّا القصَّة عليه كما رأياه فأكرمه وأنعم عليه وخصَّه بالرتب الجليلة وأمر بإنشاد قصيدته .

---

(١) كذا في النسخة واحسبه. عضد الدولة بن بويه.

ولادته ووفاته:

لم يختلف اثنان في تاريخ وفاة المترجَم له وانَّه توفِّي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ بالنيل وهو بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، وحُمل إلى مشهد الإمام الطّاهر [الكاظميَّة] ودُفن فيه وكان أوصى أن يُدفن هناك بحذاء رجلي الإمام عليه السلام ويُكتب على قبره: وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد. ورثاه الشريف الرضي بقصيدة توجد في ديوانه ج ٢ ص ٥٦٢، وذكر إبن الجوزي منها أبياتاً في « المنتظم » ج ٧ ص ٢١٧.

ولم نقف في طيّات الكتب والمعاجم على تاريخ ولادته لكنّ الباحث عنها يقطع بأنَّ الرجل وُلد في المائة الثالثة وعاش عمراً طويلاً حدود المائة والثلاثين، وهناك شواهد قويَّة على هذا منها:

١ ـ ما ذكر إبن شهراشوب في المعالم من قرائته على إبن الروميِّ المتوفّى سنة ٢٨٢.

٢ـ تولِّيه الحسبة قبل الإمام الإصطخري المتوفّى سنة ٣٢٨ كما في تاريخ إبن خلكان ومرآة الجنان لليافعي وغيرهما قالوا: إنَّه تولّى حسبة بغداد وأقام مدَّة، ويُقال: إنَّه عزل بأبي سعيد الإصطخري وله في عزله أبياتٌ مشهورةٌ اهـ. والإصطخري قد تولّى الحسبة بأمر المقتدر بالله سنة ٣٢٠ كما في « شذرات الذهب » ج ٢ ص ٣١٢ وغيره.

٣ ـ شعره الموجود في ديوانه في هجاء أبي عبد الله هارون بن علي بن أبي منصور المنجِّم المتوفّى سنة ٢٨٨ وقال في ديوانه: قاله وهو حدَث السنِّ.

٤ ـ قصيدته الموجودة في ديوانه في أبي الفضل عبّاس بن الحسين وزير المكتفي بالله المقتول سنة ٢٩٦.

وقد ذكر كثيراً في شعره المنظوم في أواسط القرن الرابع شيخوخته منه أبياتٌ يمدح بها أبا منصور بختيار بن معزِّ الدولة المقتول سنة ٣٦٧ منها:

قلتُ اقبلي رأيي ورأي الشيخ محمودٌ موافق

وله في الوزير أبي طاهر إبن بقيَّة المتوفّى سنة ٣٦٦ يطلب منه تنجّز جرايته ورزقاً لابنه في ديوان « بادويا » أبياتٌ منها قوله:

طلبت ما يطلبه مثلي   الشيوخ الفسقه

وأنت لا تجد قطُّ شاعراً يذكر شيخوخته وهرمه في شعره كإبن الحجّاج كقوله في أبي محمّد يحيى بن فهد:

أيّها الشاعر الجديد الذي   يعبث بالشاعر النفيس الخليعِ
أنت مثل الثوب الجديد   وشعري مثل قبّ الغلالة المرقوعِ [1]
أنا شيخٌ طبيعتي تنشر البعر   على كلِّ شاعر مطبوعِ

وقوله فيما كتبه إلى أبي محمَّد إبن فهد المذكور وقد ولد للمترجَم مولود:

قولوا ليحيى بن فهد: يا من   جعلتُ مما يخشى فداهُ
أليس قد جاءني غلامٌ؟   يجلب بالحسن من رآهُ
كالشمس والشمس في ضحاها   والبدر والبدر في دجاهُ
يفتنني ريّه ويحنو في   المهد قلبي على خصاهُ
كأنَّني مع وفور نسلي   لم أر من قبله سواهُ

ومن قصيدة ذات ١٢٩ بيتاً في الوزير أبي نصر التي أوَّلها:

يا عاذلي كيف أصنعْ   وليس في الصبر مطمعْ

قوله:

خذها إليك عروساً   لها من الحسن برقعْ
الأُذن لا العين منها   بحسنها تتمتَّعْ
خطيبها فيك شيخٌ   مهملج الفكر مصقعْ

ويمدح عضد الدولة فناخسرو المتوفّى سنة ٣٧٢ بقصيدة ذات ٤١ بيتاً ويذكر فيها شيبه وهرمه. والباحث جِدُّ عليم بأنَّه من المعمّرين وليد القرن الثالث مهما وقف على قوله في إحدى مقطوعاته.

---

(١) القب: ما يدخل في جيب القميص من الرقاع. الغلالة شعار يلبس تحت الثوب.

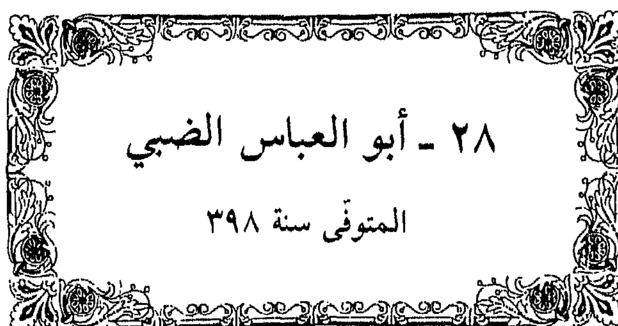
وقـائـلة: تـعـيش مـظلومـاً بـسـيـفٍ (١)
فقلتُ لهـا: أبـاكي ذاك حـزني على مـائـة فجعت بهـا ونيفِ

فبعد ذلك كلّه لا يبقى وزنٌ في تضعيف إبن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٣٢٩ قول إبن خلكان بأنّه عُزل عن حسبة بغداد بأبي سعيد الإصطخري المتوفّى سنة ٣٢٨. كما لا يبعد عندئذ ما في « المعالم » من تلمّذه على إبن الرومي المتوفّى سنة ٢٨٣ إذ تلمّذه عليه إنّما كان في الأدب في الآليات، ومن الممكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغ الحلم ايضاً كتلمّذ الشريف الرضيّ على استاذه السيرافي وله دون العشر من عمره كما يأتي في ترجمته.

مصادر ترجمة ابن الحجاج:

يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢٥
معجم الادباء ج ٤ ص ٦
معالم العلماء ص ١٣٦
المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢١٦
تاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٢٤٢
معاهد التنصيص ج ٢ ص ٦٢
شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٦
كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٨
أمل الآمل للشيخ الحرّ
روضات الجنّات ص ٢٣٩
سفينة البحار ج ١ ص ٢٢٥
الشيعة وفنون الإسلام ص ١٠٦
دائرة المعارف الإسلاميَّة ج ١ص ١٣٠
دائرة المعارف للبستاني ج ١ ص ٤٣٩
دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٦ص ١٢
تاريخ الخطيب ج ٨ ص ١٤
تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ١٧٠
الكامل لإبن الأثير ج ٩ ص ٦٣
ناريخ إبن كثير ج ١١ ص ٣٢٩
مراة الجنان ج ٢ ص ٤٤٤
مجالس المؤمنين ص ٤٥٩
ايضاح المقاصد للبهائي مخطوط
رياض العلماء للميرزا عبد الله. مخطوط
رياض الجنَّة للسيِّد الزنوزي. مخطوط
نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر. مخطوط
تتميم الأمل لإبن أبي شبانة. مخطوط
تنقيح المقال ج ١ ص ٣١٨
أعلام الزركلي ج ١ ص ٢٤٥

(١) كذا وجدناه في ديوانه وفيه سقط.



٢٨ ـ أبو العباس الضبي

المتوفى سنة ٣٩٨

لعليٍّ الطهر الشهير مجدٌ أناف على ثَبيرِ
صنو النبيِّ محمَّد ووصيّه يوم الغديرِ
وحليل فاطمة ووا لد شبَّر وأبو شبيرِ(١)

(ما يتبع الشعر)

(ثَبير) بفتح المثلّثة ثمَّ الموحّدة المكسورة من أعظم جبال مكّة بينها وبين عرفة ؛ سُمِّيباسم رجل من هُذيل مات في ذلك الجبل. أخرج أبو نعيم في [ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين] والنطنزي في [الخصائص العلويَّة] عن شعبة بن الحكم عن إبن عبّاس قال: أخذالنبيُّ ﷺ ونحن بمكّة بيدي وبيد عليٍ فصعد بنا إلى « ثبير » ثمَّ صلّى بناأربع ركعات ثمَّ رفع رأسه إلى السَّماء فقال: اللهمّ إنَّ موسى بن عمران سألك وأنا محمَّد نبيّك فأسئلك أن تشرح لي صدري وتيسِّر لي أمري وتحلّل عقدة من لساني ليفقه قولي واجعل لي وزيراً من أهلي عليّ بن أبي طالب أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري. قال إبن عبّاس: فسمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد اوتيتَ ما سألت.

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٥٠ ط ايران.

(الشاعر)

الكافي الأوحد أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الضبّي ـ نسبة إلى ضبّة ـ الوزير الملقّب بالرئيس، أحد من ملك أزمّة السياسة والأدب بعد الصاحب إبن عباد؛ وكان من ندمانه واختصّ بالزلفة منه والتأدّب بآدابه، والحظوة بقرباه حتّى عاد منار الفضل والأدب ومفزع رُوّادهما، وممن يُشار إليه ويُنصّ عليه، لم يفتء كذلك حتّى قضى الصاحب نحبه سنة ٣٨٥ فخلفه على الوزارة لمااستوزره فخر الدولة البويهي وضمّ إليه أبا علي الملقّب بالجليل وفي ذلك قال بعض ولد المنجّم:

والله والله لا أفلحتمُ أبداً بعد الوزير ابن عبّاد بن عبّاسِ
إن جاء منكم جليلٌ فاقطعوا أجلي أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسي

فالمترجَم كانت تحطُّ بفنائه الرِّحال، وتنال منه الآمال، ونفد إليه القوافي من كلِّ حَدَب، ويسير شعره مع الركبان، وكان نعم الخليفة لسلفه الصاحب، والموئل الفذُّ لما كانت له من مراتب، وله في جامع إصبهان خانكات مرتفعة، وخانات عامرةٌ متّسعةٌ، قد وقفت لأبناء السبيل، وبحذائه دار الكتب وحجرها وخزانتها وقد بناهنَّ ونضّد فيها من الكتب عيوناً، وخلّدها من العلوم فنوناً، يشتمل فهرستها على ثلاث مجلّدات كبيرة كما في محاسن إصبهان ص ٨٥، وكتب التراجم[١] تطفح بالثناء عليه، ولشعراء عصره قصائد رنّانة في مدحه ومنهم:

١ ـ أبو عبد الله محمّد بن حامد الخوارزمي له قصيدة في إطراءه منها:

زمانٌ جديدٌ وعيدٌ سعيدُ ووقتٌ حميدٌ فماذا تريدُ؟!
وأحسن من ذاك وجه الرئيـ ـس وقد طلعت من سناه السعودُ
وكم حلّة خطّها قد غدت على برد آل يزيد تزيدُ

---

(١) راجع يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢٦٠، معجم الادباء ج ١ ص ٦٥، كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٧٣، معالم العلماء لابن شهراشوب، ديوان مهيار ج ٤ ص ٢٩، أعيان الشيعة ج ٨ ص ٧٧، دائرة المعارف للبستاني ج ١١ ص ١٢٠.

٢ ـ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الجوهريّ الجرجاني [السابق ذكره] له قصائد في المترجَم له منها: قصيدةٌ في ميلاده وتحويل سنه ذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ج ٤ ص ٣٨ منها:

يومٌ تبرَّجت العلا فيه ومزَّقت الحجبْ
يومٌ أتاه المشتري بشهاب سعد ملتهبْ
بسلالة المجد الفصيح وصفوة المجد الزربْ
ملكٌ إذا ادَّرع العلا فالدهر مسلوب السلبْ
وإذا تنمَّر في الخطو ب فيا لنارٍ في حطبْ
وإذا تبسَّم لِلندى مطرت سحائبه الذهبْ
يا غرَّة الحسب الكريـ ـم وأين مثلك في الحسبْ؟!
هذا صباحٌ حُلّيت بسعوده عطل الحقبْ
ميلادك الميمون في ه وهو ميلاد الأدبْ
عرِّج عليه بمجلس ريّان من ماء العنبْ
واضرب عليه سرادقاً للأنس ممتدَّ الطنبْ

٣ ـ مهيار الديلمي [أحد شعراء الغدير الآتي ذكره] مدح المترجَم بقصائد منها ميميَّة ٦٥ بيتاً توجد في ديوانه ج ٣ ص ٣٤٤ أوَّلها:

أجيراننا بالغور والرَّكب متهمٌ أيعلم خال كيف بات المتيَّمُ؟!
رحلتم وعمر الليل فينا وفيكمُ سواءٌ ولكن ساهرون ونوَّمُ

ومنها بائيَّةٌ ٤٥ بيتاً في ديوانه ج ١ ص ١٥ مطلعها:

شفى الله نفساً لا تذلُّ لمطلب وصبراً متى يسمع به الدهر يعجب

ودالَيَّةٌ ٦١ بيتاً في ديوانه ج ١ ص ٢٣٠ أوّلها:

إذا صاح وفد السحب بالريح أوحدا وراح بها ملأى ثقالاً أو اغتدى

وبائيَّةٌ ٣٧ بيتاً في ديوانه ج ١ ص ١٢ مستهلّها:

دواعي الهوى لك أن لا تجيبا هجرنا تقىً ما وصلنا ذنوبا

وعينيَّةٌ ٤٠ في ديوانه ج ٢ ص ١٧٩ مطلعها:

علـى أيِّ لائـمـةٍ أربـعُ؟! وفـي أيِّـمـا سـلوة أطـمـعُ؟!
وقـد أخـذ العهـد يـوم الـرحيـل أمـامـي والـعـهـد مـسـتـودعُ

ولاميَّةٌ ٥٢ بيتاً في ديوانه ج ٣ ص ١٨ مستهلّها:

اليـوم أنجـز مـاطـل الآمـالِ فـأتـتـك طـائعـة من الإقبـالِ

وقصيدة ٦٩ بيتاً توجد في ديوانه ج ٤ ص ٣٠ نظمها سنة ٣٩٢، أوَّلها:

قـالـوا: عسـاك مـرجِّمٌ فتبيَّنِ هيهـات ليس بناظـري إن غـرَّني
هي تلك دارهمُ وذلـك مـاؤهم فاحبس ورد وشرقت إن لم تسقني
ولقـد أكـاد أضـلُّ لـو لا عنبـرٌ في الترب من أرج الحبائب دلّني
فتقـوا بـه أنفـاسَهنَّ لـطـائمـاً(١) وظعنَّ وهي مع الثرى لم تـظعنِ
يـا منزلاً لعبت بـه أيـدي الصَّبـا لعب الشكـوك وقد بـدت بتيقّني
إمَّـا تنـاشـدني العهـود فـإنَّهـا حفظت فكانت بئس ذخر المقتني
سكنتك بعدهم الـوحوش تشبّهاً بهمُ ولـيتـك آنـفـاً لم تُـسكـنِ
لعيـونهنَّ عـلامـةٌ سـحـريَّـةٌ عندي فما بـال الظبـاء تغشّني؟!

ويقول فيها:

حـاشـا طـلابي أن أعمَّ بـه وقـد خُصَّ السماح بموضـعٍ مُتعيَّنِ؟!
يـا حظُّ فـاهتف بنـاحيـة الغنى في الريِّ وارحم كدَّ من لم يفـطُنِ
وأعن على إدراكـهـا فـبمثلهـا فـرّقتُ بين مـوفّق ومـحيَّـن
لمن الخليط مشرِّقٌ وضمـانـه رزقٌ لـنـا غـيـره لـم يُـؤذَنِ
إشتقتُ يـا سُفنَ الفـلاةِ فـأبلغي وطربت يا حـادي الركـاب فغنّني
وأنهض فرحِّل يـا غلامُ مـذلَّلاً(٢) تتـوعَّـر البيـداء منـه بمـدمنِ
يـرضى بشمّ العُشب إمّـا فـاتـه والسير يأكـل منه أكـل الممعنِ
مـرح الزمـام يكاد يصعب ظهـره فتصيح فاغـرة الرِّحـال بـه: لِنِ
الـرزق والإنصاف قـد فُقـدا فلُذْ بـالريّ واستخـرجهما من معـدنِ

---

(١) لطائم جمع لطيمة: وهي نافجة المسك.
(٢) المذلل: الجمل يذلل الطريق ويعبدها.

وإلى أبي العبّاس حافظ ملكها ... سهل الأشد ولان خبثُ الأخشنِ

٤ ـ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري له قصيدة في مدح أبي العبّاس منها:

وإنّي وأقواف القريض أحوكها ... لأشعر من حاك القريض وأقدرا
كما تضرب الأمثال وهي كثيرٌ ... بمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا
ولكنّني أمّلت عندك مطلباً ... انكّبه عمّن ورائي من الورى
ألم تر أنَّ إبن الأمير أجارني ... ولم يرضَ من إدرائه لي سوى الذرى؟!

٥ ـ صاعد بن محمَّد الجرجاني كتب إلى المترجَم له بقوله:

ولو أنّني حسب إشتياقي ومنيتي ... منحتك شيئاً لم يكن غير مقلتي
ولكنّني اهدي على قدر طاقتي ... وأحمل ديواناً بخطِّ إبن مقلةِ

٦ ـ أبو القاسم عبد الواحد بن محمَّد بن علي بن الحريش الإصبهاني قال في المترجَم من قصيدةٍ كبيرةٍ:

بنفسي وأهلي شعب واد تحلّه ... ودهر مضى لم يُجد إلّا أقلّهُ
وعطفة صدغ يهتدي فوق خدِّه ... ويضربه روح الصبا فيضلّهُ
وطيب عناقي منه بدراً أضمّه ... إليَّ وأهوى لثمه فأُجلّهُ
وقفنا معاً واللوم يصفق رعده ... ومنّا سحاب الدمع يسجم وبلهُ
ترقّ على ديباجتيه دموعه ... كما غازل الورد المضرّج طلّهُ
وينأى رقيبٌ عن مقام وداعنا ... وتبلغه أنفاسنا فتذلّهُ
يُقلقلني عتب الحبيب وعذره ... ويقلقني جدُّ الرقيب وهزلهُ
وكيف أقي قلبي مواقع رميه؟! ... ولست أرى من أين ينثال نبلهُ
يُولّي وبالأحداق تفرش أرضه ... ويفدى وبالأفواه ترشف رجلهُ

وبعد ردح من تقلّده الوزارة كما وصفناه إتَّهمته امُّ مجد الدَّولة بأنّه سمَّ أخاه فطلبت منه مائتي ألف دينار لينفقها في مأتم أخيه فأبى عليها ذلك فهرب عنها سنة

٣٩٢ إلى « بُروجرد » وهي من أعمال بدر بن حسنويه[١] فبذل بعد ذلك مأتي ألف دينار ليعود إلى عمله فلم يقبل منه، ولم يبرح بها حتّى مات سنة ٣٩٨ وقيل: إنّ أبا بكر إبن رافع أحد قُوّاد فخر الدَّولة واطأ أحد غلمانه فسقاه سمّاً، وأرسل إبنه تابوته إلى بغداد مع أحد حجّابه وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي يعرِّفه أنّه وصّى بدفنه في مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء المشرَّفة ويسأله القيام بأمره وابتياع تربة بخمس مائة دينار، فقيل للشريف أبي أحمد [والد السيّدين علم الهدى والشريف الرَّضي]: أن يبيعه موضع قبره بخمسمائة دينار. فقال: هذا رجلٌ إلتجأ إلى جوار جدّي فلا آخذ لتربته ثمناً. وكتب نفسه الموضع الذي طلب منه وأخرج التابوت إلى « براثا » وخرج الطاهر أبو أحمد ومعه الأشراف والفقهاء وصلّى عليه وأصحبه خمسين رجلاً من رجاله حتّى أوصلوه ودفنوه هناك[٢] ورثاه مهيار الديلمي [الآتي ذكره] بقصيدة ٥٩ بيتاً ويعزّي إبنه سعداً وأنفذها إلى « الدينور » توجد في ديوانه ج ٣ ص ٢٧ أوّلها:

ما للدسوت وللسروج تسائل: مَن قائمٌ عنهنَّ أو مَن نازلُ؟!
لِمَ سدّ باب الملك وهو مواكب؟! وخلت مجالسه وهنَّ محافلُ؟!
ما للجياد صوافناً[٣] وصوامتا نكساً؟! وهنّ سوابقٌ وصواهلُ
من قطر[٤] الشجعان عن صهواتها؟! وهمُ بها تحت الرِّماح أجادلُ[٥]
ما لِلسَّماء عليلةٌ أنوارها؟! لِمَن السماء من الكواكب ثاكلُ؟!

---

(١) من امراء الجبل لقبه القادر بناصر الدولة وعقد له لواءاً وكان يبر العلماء والزهاد والأيتام، وكان يتصدق كل جمعة بعشرة الأف درهم، ويصرف إلى الاساكفة والحذائين بين همدان وبغداد ليقيموا للمنقطعين من الحاج الأحذية ثلاثة الاف دينار، ويصرف إلى أكفان الموتى كل شهر عشرين ألف درهم، واستحدث في أعماله ثلاثة الاف مسجد وخان للغرباء، وكان ينفل للحرمين كل سنة مصالح الطريق مائة ألف دينار، ثم يرتفع إلى خزائنه بعد المؤن والصدقات عشرون ألف الف درهم (شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٣).

(٢) معجم الادباء ج ١ ص ٦٥.

(٣) الصوافن من الخيل: الواقفة على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.

(٤) قطر: ألقى.

(٥) أجادل جمع أجدل وهو الصقر.

مَن لجلج الناعي يحدِّث أنَّه   أودي فقيل: أقائلٌ؟! أم قاتلُ؟!
المجدفي جدث ثوى؟أم كوكب الـ   ـدنياهوى؟!أم ركن ضبَّة مائلُ؟!
ما كنتُ فيه خائفاً إنَّ الرَّدى   من عزِّ جانبه إليه واصلُ
أدرى الحمام بمَن ـ وأُقسم ما درى   - تلتفُّ كُفاتٌ له وحبائلُ[١]
خطبٌ أخلَّ الدَّهر فيه بعقله   والدَّهر في بعض المواطن جاهلُ
يا غيثُ ارضي الأرض سقياً واحتبي   بالرَّوض يشكره المحلّ الماحلُ
ينهلُّ منهلّ المزادة[٢] موثقاً   إنَّ الثرى الظمآن منه ناهلُ
يسم الصخور كأنَّ كلَّ مجودة[٣]   لحظ العليقَ بها حصانٌ ناعلُ
تمريه غبراء الإهاب كأنَّما[٤]   قادت خزائمها النعامُ الجافلُ
حلفت لأفواه الرّبى أخلافها   أيمان صدق انَّهنَّ حَوافلُ[٥]
وليت سيوف البرق قطعَ عروقها   فبكلِّ فجٍّ شاريان سائلُ
أبلغ أبا العبّاس انّك فاحصٌ   حتّى تبلّ جوى ثراه فواغلُ[٦]
منّي وأطباق الصعيد حجابه   عنّي فكيف تخاطب وتراسلُ؟!
سعدت جنادل ألحفتك على البلى   لا مثل ما شقيت عليك جنادلُ
أبكيك لي ولمرملين بنوهمُ الـ   ـأيتام بعدك والنساء أراملُ
ولمستجيرٍ والخطوب تنوشه   مُستطعمٌ والدَّهر فيه آكلُ
مُتلوِّم[٧] العزمات لا هو قاطنٌ   في داره قفراً ولا هو راحلُ
أودى به التطواف يُنشد ناصراً   فيضلُّ أن يلقاه إلّا خاذلُ
حتّى إذا الإقبال منك دنا به   أنساه عندك عام بُؤسٍ قابلُ

---

(١) الكفات جمع كفة بضم الكاف وهي الحبالة .
(٢) المزادة: الراوية. يريد بها السحاب الممطر على التشبيه.
(٣) المجودة: الأرض جادها المطر.
(٤) تمريه: تدر عليه. غبراء الاهاب: السحابة السوداء.
(٥) أخلاف جمع خلف وهو حلمة الضرع. حوافل: ممتلئة.
(٦) الواغل: الداخل المتغلغل في الشيء.
(٧) المتلوم: المنتظر.

ولمعشــر طـرق العلوم ذنــوبهم ... في النّاس وهي لهم إليك وسائلُ
كانوا عن الـطلب الذَّليـل بمعزل ... ثقـةً وأنت بمـا كفـاهم كـافـلُ
قطع الحدا بهمُ وقد قطع الـرَّدى ... بـك أن يُظنَّ تـزاورٌ وتـواصـلُ
وعصـائب هي إن ركبتَ مواكب ... تسع العيون وإن غضبتَ جحافلُ
تفـري بأذرعها الكعـوب كـأنَّمـا ... تحت الرِّماح على الرِّماح عواملُ (١)
لو كان في « ثعلٍ » بموتك ثأرها ... ما عاش من ثعلٍ (٢) عليك مُناضلُ
نكـروا حلومك والمنـون تسوقهـا ... حقّـاً وأنت مـدافـعٌ متثـاقـلُ
قعـد البعيد وقـام عنـك متـاركـاً ... ما جاء يقنصك القريب الـواصلُ
ولج الحمام إليـك بابـاً ما شكـا ... غيـر الزُّحـام عليـك فيـه داخـلُ
مستبشـراً بـالـوفـد لم يجبـه بـه ... ردٌّ ولـم يُنـهـر عـليـه سـائـلُ
لم يغنك الكرم العتيد ولا حمىً ... عنـك السّماح ولا كفـاك النائـلُ
كنتَ الـذي مـرُّ الـزمـان وحلوه ... فيمن يُصـابـر عيشـه ويُعـاسـلُ
فغـدوتَ مالـك في عـدوِّك حيلةٌ ... تُغني ولا لك من صديقك طائلُ
والمـوت أجـور حـاكمٍ وكـأنَّـه ... في الناس قسمـاً بـالسويَّـة عادلُ
لا اغتـرَّ بعدك بـالحيـاة مجرِّبٌ ... عرف الحقوق فلم يـرقه البـاطلُ
يـا ثـاويـاً لمّ تقض حقَّ مصـابـه ... كبـدٌ محـرِّقـةٌ وجفنٌ هـامـلُ
أفـديك لـو أنَّ الرَّدى بـك قابـلٌ ... من مهجتي وذويَّ هـا أنـا بـاذلُ
ما بال أوقاتي بفقدك هجَّـرت؟! ... ولقـد تكون لـديك وهي أصـائلُ
قـد كنتُ ملتحفاً بمـدحـك حلّةً ... فخـراً تجـرُّ لهـا عليَّ ذلاذلُ (٣)

ويقول فيها :

لا تحسبنَّ وسعـد إبنـك طـالـعٌ ... يحتـلُّ بـرجـك إنَّ سعـدك آفـلُ

(١) تفرى من الفرى: الشق. كعوب جمع كعب: العقدة. عوامل جمع عامل وهو صدر الرمح الذي يلي السنان.

(٢) ثعل: قبيلة مشهورة بالرمي

(٣) الذلاذل: أسافل القميص الطويل.

مـا أنكـر الـزوّار بعـدك وجهـه   في البدر من شمس النهار مخايلُ
أجمل له يا سعدُ واحمل وزره(١)   مـا طال بـاعُ أو أطاعـك كـاهـلُ
وأنـا الذي يُـرضيـك فيه بـاكيـاً   ويسـرُّه بك في الـذي هو قـائـلُ

ولشاعرنا أبي العبّاس الضبّي شعرٌ رقيقٌ ونظمٌ جيِّدٌ ومنه قوله:

تـرفَّـق أيّهـا الـمـولى بـعـبـدٍ   فقـد فتنت لـواحـظك النفـوسـا
وأسكـرت العقـول فليس نـدري   أسحـراً مـا تسقّى أم كؤوسـا؟!

وله قوله وهو مما يُتغنّى به:

ألا ياليت شعـري مـا مـرادك؟!   فـقلبي قـد أضـرَّ بـه بُعـادك
وأيّ محـاسنٍ لك قـد سبـاني؟!   جمالك؟! أم كمالك؟! أم ودادك؟
وأيّ ثـلاثـةٍ أوفـى سـواداً؟!   أخالك؟! أم عذارك؟! أم فؤادك؟!

وله قوله:

قـلتُ لـمـن أحـضـرني زهـرةً   ومـجـلسـي بالأنس بـسّـام
وقـرَّة الـعـينـين نـيـل الـمُنى   عـنـدي ولا سـامٌ ولا حـام
: تـجنّـب الـنّـمـام لا تـجـنـه   فـإنّـمـا الـنّـمـام نـمّـام
أخشى علينـا الـعيـن من أعـين   يـبـعـثـهـا بـالـسـوء أقـوام

وله قوله:

لا تـركـنـنَّ إلـى الـفـراقِ   فـإنّـه مُـرُّ الـمـذاقِ
الـشَّـمس عـنـد غـروبـهـا   تـصـفـرُّ مـن فَـرق الـفِـراقِ

ومما كتب إلى الوزير الصاحب إبن عبّاد قوله:

أكافي كفاة الأرض ملكك خالدٌ   وعزُّك موصولٌ فأعظم بها نعمى
نثـرت على القرطـاس درّاً مبدّداً   وآخر نظماً قد فرعت به النجمـا
جواهر لـو كانت جـواهر نُـظّمت   ولكنّها الأعراض لا تقبل النَّظمـا

---

(١) الوزر: الحمل الثقيل.

وله في الثريّا:

خلت الثريّا إذ بدت طالعةً في الحندسِ[١]
سنبلةً من لؤلؤٍ أو باقةً من نرجسِ

وقوله فيها:

إذ الثريّا اعترضت عند طلوع الفجرِ
حسبتها لامعةً سنبلةً من درٍّ

وقوله في قصر الليل:

وليلة أقصر من فكريَ في مقدارها
بدت لعيني وانجلت عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل:

ربَّ ليلٍ سهرته مُفكّراً في امتدادِهِ
كلّما زدتُ رعيه زادني من سوادِهِ
فتبيَّنت انَّه تائهٌ في رُقادِهِ
أو تفانت نجومه فبدا في حِدادِهِ

وخلف المترجَم له على مجده وفضله ولده أبو القاسم سعد بن أحمد الضبّي، تبع والده لَمّا هرب إلى « بروجرد » وتوفّي بها بعد والده بشهور؛ ولمهيار الديلمي في مدحه عدَّة قصائد منها قصيدةٌ ٤٥ بيتاً أنشدها إيّاه وهو مقيمٌ ببروجرد أوّلها:

ذكرتُ وما وفاي بحيث أنسى بدجلةَ كم صباحٍ لي وممسى

واخرى ٤٥ بيتاً مُستهلّها:

أشاقك من حسناء وهنا طُروقها؟ نعم كلُّ حاجات النّفوس يشوقُها

ونونيَّةٌ ٤٤ بيتاً في ديوانه ج ٤ ص ٥١ مطلعها:

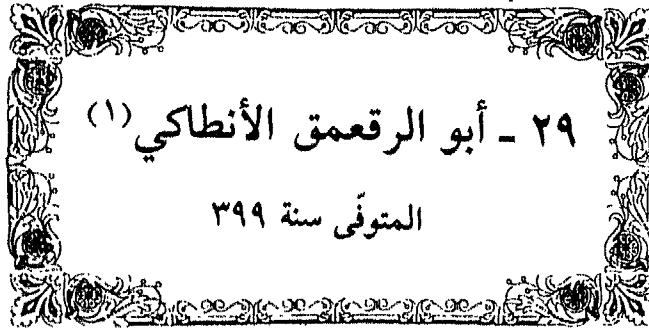
ما أنت بعد البين من أوطاني دارَ الهوى والدارُ بالجيرانِ

---

(١) الحندس: الظلام.

ويقول فيها:

كثر الحديث عن الكرام وكلُّ مَن جـرَّبتُ ألفـاظٌ بغيـر معـاني
إلّا بسعـدٍ مَن تنبَّـه للعـلا هيهـات نُـوَّمهم مِن اليقـظانِ
مهلاً بني الحسد الدخيل فإنَّها لا تُـدرك العليـاءُ بـالأضغـانِ
سعد بن أحمد أبيضٌ مَن أبيض في المجـد فانتسبـوا بني الألوانِ
بين الجبـال الصُّمِّ بحرٌ ثـامنٌ يحـوي جلامـدهـا وبـدرٌ ثـاني
من معشـر سبقوا إلى حـاجـاتهم شوط الرِّيـاح وقد جـرتْ لرهـانِ
قـومٌ إذا وزَروا الملوك بـرأيهم أمـرتْ عمـائمهم على التيجـانِ
ضـربوا بمـدرجة السبيـل قِبابَهم يتقـارعـون بهـا على الضيفـانِ
ويكـاد مـوقـدهم يجـود بنفسـه ـ حبَّ القِرى ـ حطباً على النيرانِ
أبنـاء ضبَّة واسعـون وفي الـوغى يتضـايقـون تضـايق الأسنـانِ
يـا راكبـاً زُهـرُ الكـواكب قصدُه : قـرِّب لعلّك عنـدهـا تلقـاني
قف نادِ: يا سعد الملوك رسالـةً من عبـدك القـاصي بحبٍّ داني
غالطتُ شـوقي فيك قبـلَ لقائنـا والـقـربُ ظـنٌّ والمزارُ أمـانـي
حتّى إذا مـا الوصـل أطفـأ غُلَّتي بك كان أعطشَ لي من الهجرانِ
ولـربَّ وجـدٍ تـواصفٍ نـاهضتـه وضعفتُ لَمّـا صـارَ وجدَ عيـانِ
ولقـد عكستَ علـيَّ ذاك لأنَّني كنتُ الحبيب إليـك قبـلَ نـراني
ومن العجـائب والـزَّمـان ملوَّنٌ أنَّ الـدنـوَّ هـو الـذي أقصـاني



٢٩ - أبو الرقعمق الأنطاكي(١)

المتوفّى سنة ٣٩٩

كتب الحصيرُ إلى السرير : انَّ الفَصيل إبن البعير
فلمثلها طرب الأمـ ـير إلى طباهجة بقير(٢)
فلأمنعنَّ حمارتي سنتين من علف الشعير
لا هُمَّ إلّا أن تطـ ـير من الهزال مع الطيور
فلأُخبرنّك قِصَّتي فلقد وقعتَ على الخبير
انَّ الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
أسفوا عليَّ لأنَّهمْ حضروا ولم أك في الحضور
لو كنتُ ثَمَّ لقيل: هل من آخذٍ بيد الضرير؟!
ولقد دخلتُ على الصديـ ـق البيت في اليوم المطير
متشمِّراً متبختراً للصَّفع بالدَّلو الكبير
فأدرتُ حين تبادروا دلوي فكان على المدير
يا للرِّجال تصافعوا فالصفعُ مفتاح السرور
لا تغفلوهُ فإنَّه يستلُّ أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبخو ر فلا تملّوا من بخور
ولأذكرنَّ إذا ذكرت أحبَّتي وقت السحور
ولأحزننَّ لأنَّهم لمّا دنا نضج القدور

---

(١) نسبة إلى انطاكية مدينة شهيرة بينها وبين حلب يوم وليلة.

(٢) الطباهجة: اللحم المشرح.

رحلوا وقد خبزوا الفطيـ ـر ففاتهم أكل الفطيرِ
لا والذي نطق النبيّ بفضله يوم الغديرِ
ما للإمام أبي عليٍّ في البريَّة مِن نظيرِ[١]

(الشاعر)

أبو حامد أحمد بن محمَّد الأنطاكي نزيل مصر المعروف بأبي الرقعمق، أحد الشعراء المشاهير المتصرِّفين في فنون الشعر، وله شوطه البعيد في أساليب البيان غير أنَّه ربما خلط الجدَّ بالهزل، نشأ بالشام ثمَّ رحل إلى مصر وأخذ فيها شهرةً طائلةً ومكانةً من الأدب عظيمةً، ومدح ملوكها وزعمائها ورؤسائها وممن مدح المعزّ أبو تميم معدّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، وإبنه زفر عزيز مصر، والحاكم إبن العزيز، وجوهر القائد، والوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس ونظرائهم، وصادف فيها جماعة من أهل الهزل والمجون فأوغل فيهما كلّ الايغال حتّى نبز بأبي الرقعمق، وقد يقال: إنَّه هو الذي سمّى نفسه بذلك، وقد أعلن في شعره انَّه حليف الرقاعة بقوله:

أستغفر الله من عقلٍ نطقتُ به ما لي وللعقل ليس العقل من شاني
لا والذي دون هذا الخلق صيّرني احدوثة وبحبِّ الحمق أغراني

والبيتان من قصيدة له سجَّل بها ليل [تِنِّيس[٢]] وهي مدينةٌ مصريَّة كان بها في بعض العهود خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث ومطلع القصيدة:

ليلي بتنيس ليل الخائف العاني تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني

وينمُّ عن توغله في المجون قوله من قصيدة:

كفي ملامك يا ذات الملاماتِ فما اريد بديلاً بالرُّقاعاتِ
كأنّني وجنود الصَّقع تتبعني وقد تلوت مزامير الرطاناتِ
قِسّيس دير تلا مزماره سحراً على القسوس بترجيعٍ ورنّاتِ

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٤.
(٢) تنيس بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة وسين مهملة

وقد مجنتُ وعلّمت المجون فما ... أُدعى بشيء سوى ربِّ المجاناتِ
وذاك انّي رأيت العقل مطَّرحاً ... فجئت أهل زماني بالحماقاتِ

وقوله من قصيدة:

ففيَّ ماشئت من حمق ومن هوس ... قليله لكثير الحمق إكسيرُ
كم رامَ إدراكه قومٌ فأعجزهم ... وكيف يدرك ما فيه قناطيرُ؟!
لأشكرنَّ حماقاتي لأنَّ بها ... لواء حمقي في الآفاق منشورُ
ولستُ أبغي بها خلاًّ ولا بدلاً ... هيهات غيري بترك الحمق معذورُ
لا عيب فيَّ سوى أنِّي إذا طربوا ... وقد حضرت يُرى في الرأس تفجيرُ

وقوله من قصيدة:

فاسمعن منّي ودعني ... من كثيرٍ وقليلِ
وصغيرٍ وكبيرٍ ... ودقيقٍ وجليلِ
قد ربحنا بالحما ... قات على أهل العقولِ
فرعى الله ويُبقي ... كلَّ ذي عقل قليلِ
ما له في الحمق والخفَّـ ... ـة مثلي من عديلِ
فمتى أُذكر قالوا: ... شيخنا طبل الطبولِ
شيخنا شيخٌ ولكن ... ليس بالشيخ النبيلِ

وأكثر شعره جيِّد على اسلوب صريع الدلاء والقصار البصري كما قاله إبن خلكان، ويُستشهد بشعره في الأدب كما في باب المشاكلة[1] من التلخيص وسائر كتب البيان وقد استشهد عليها بقوله:

قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لي جبَّة وقميصا

قال السيِّد العبّاسي في « معاهد التنصيص » ج ١ ص ٢٢٥ : هو قول أبي الرقعمق يروى انَّه قال: كان لي إخوان أربعة وكنت انادمهم أيّام الأستاذ كافور الأخشيدي فجاءني رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصنني من البرد

(١) هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقول أبي الرقعمق: اطبخوا. وارادة خيطوا.

فقال: إخوانك يقرأون عليك السَّلام ويقولون لك: قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاةً سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها. قال: فكتبت إليهم:

إخواننا قصدوا الصّبوح بسحرة ... فأتى رسولهمُ إليَّ خصوصا
قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لي جبَّةً وقميصا

قال: فذهب الرَّسول بالرقعة فما شعرت حتّى عاد ومعه أربع خلع وأربع صُرَر في كلِّ صُرَّة عشرة دنانير فلبست إحدى الخلع وسرت إليهم.

ترجمه الثعالبي في « يتيمة الدهر » ج ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٩٦ وذكر من شعره أربعمائة وأربعة وتسعين بيتاً وقال: نادرة الزمان، وجملة الإحسان، وممن تصرَّف بالشعر الجزل في أنواع الجدّ والهزل، وأحرز قصب الفضل، وهو أحد المُدَّاح المجيدين والفضلاء المحسنين وهو بالشم كابن الحجّاج بالعراق. ولعلّ كونه كابن الحجّاج [السابق ذكره] ينمُّ عن تشيّعه فإنَّ ذلك أظهر أوصاف إبن الحجّاج وأجلّ ما يُؤثر عنه، فقد عرفه من عرفه بولائه الصلب لأهل بيت الوحي عليهم السَّلام والتجهّم أمام أضدادهم والوقيعة فيهم، فقاعدة التشبيه تستدعي أن يكون شاعرنا المترجَم مثله أو قريباً منه، على أنَّ صاحب « نسمة السحر » عدَّه ممَّن تشيَّع وشعر وعقد له ترجمةً ضافية الذيول.

نعم: ويشبه إبن الحجّاج في تغلّب المجون على شعره؛ ولا يبعد جدّاً أن يكون هذا مرمى كلام الثعالبي، ومن شعره قصيدةٌ في ممدوح[1] له علويٍّ منها قوله:

وعجيبٌ والحسين له ... راحةٌ بالجود تنسكبُ
إنَّ شربي عنده رنقٌ ... ولديه مربعي جدبُ
وله الورد المعاذ به ... والجناب الممرع الخصبُ
وهو الغيث الملثُّ إذا ... أعوزتنا درّها السّحبُ

(١) هو نقيب الأشراف بمصر أبو اسماعيل ابراهيم بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ترجمان الدين أبي محمد القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى الرسي المتوفى سنة ٣٦٥، راجع تاج العروس ج ٤ ص ١٦١.

وإلى الرّسيّ ملجأنا … من صروف الدّهر والهربُ
سيِّدٌ شادت علاه له … في العلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ تمدُّ له … فوق مجرى الأنجم الطنبُ
حسبه بالمصطفى شرفاً … وعليٍّ حين ينتسبُ
رتبةٌ في العزِّ شامخةٌ … قصرت عن نيلها الرُّتبُ
ذاك فخرٌ ليس تنكره … لكمُ عجمٌ ولا عربُ
ولأنتم مَن بفضلهمُ … جاءت الأخبار والكتبُ
وإليكم كلُّ منقبة … في الورى تُعزى وتُنتسبُ
وبكم في كلِّ معركة … تفخر الهنديَّة القضبُ
وبكم في كلِّ عارفةٍ … تُرفع الأستار والحجبُ
وإذا سمر القنا اشتجرت … فبكم تستكشف الكربُ

وله من قصيدة أوّلها:

باح وجداً بهواهُ … حين لم يُعط مناهُ
مغرمٌ أغرى به السقـ … ـم فما يُرجى شفاهُ
كاد يُخفيه نحول الـ … ـجسم حتّى لا تراهُ
لو ضناً يُخفي عن الـ … ـعين لأخفاه ضناهُ

ومنها قوله:

حبَّذا الرَّسيّ مولى … رضي النّاس ولاهُ
جعل الله أعاديـ … ـه من السّوء فداهُ
فلقد أيقن بالثر … وة مَن حلَّ ذراهُ
مَن رقى حتّى تناهى … في المعالي مرتقاهُ
فاق أن يبلغ في الـ … ـسؤدد والمجد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالـ … ـسطوة ممنوعٌ حماهُ
بحر جود ليس يُدرى … أين منه منتهاهُ
لم يُضع مَن كان إبـ … ـراهيم في النّاس رجاهُ

لا ولا يفرق مِن صرف زمان إن عراهُ
مَن به استكفى أذى الـ أيّام والدَّهر كفاهُ
كيف لا أمدح مَن لم يخلُ خلقٌ من نداهُ

ومن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أوَّلها:

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعاني لمن عنيت ولكن بك عرَّضت فاسمعي يا جاره
من مرادٌ به أنه أبد الدهـ ـر تراه محلّلا إزاره
عالمٌ أنَّه عذابٌ من اللَّـ ـه مباحٌ لأعين النظّاره
هتك الله ستره فلكم هتـ ـك من ذي تستّرٍ أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كـ ـلُّ مليحٍ لحاظه سحّاره
ما على مؤثر التباعد والإ عراض لو آثر الرِّضى والزياره
وعلى أنَّني وإن كان قد عذَّ ب بالهجر مؤثراً ايثاره
لم أزل لاعدمته من حبيبٍ أشتهي قربه وآبى نفاره

يقول في مدحها:

لم يدع للعزيز في سائر الأر ض عدوّآ إلاّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سوا هُ واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيِّد له الوزارةُ مجداً لا ولا قيل رفَّعت مقداره
بل كساها وقد تخرَّمها الدهـ ـر جلالاً وبهجةً ونضاره
كلّ يوم له على نوب الدَّهـ ـر وكرّ الخطوب بالبذل غاره
ذو يد شأنها الفرار من البخـ ـل وفي حومة الوغى كرّاره
هي فلّت عن العزيز عداه بالعطايا وكثّرت أنصاره
هكذا كلُّ فاضلٍ يده تمـ ـسي وتُضحي نفّاعة ضرّاره
فاستجره فليس يأمن إلاّ من تفيّا بظلّه واستجاره
فإذا ما رأيته مطرقاً يعـ ـمل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذّكاء والذهن شيئاً في ضمير الغيوب إلاّ أناره

لا ولا موضعاً من الأرض إلّا كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطةً وكفاه خوفه من زمانه وحذاره

وذكر النويري من شعره في « نهاية الأرب » في الجزء الثالث ص ١٩٠ قوله :

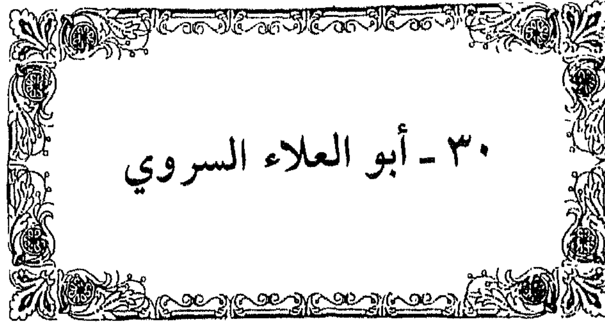
لو نيل بالمجدِ في العلياء منزلة لنال بالمجد أعناق السّماواتِ
يرمي الخطوب برأي يُستضاء به إذا دجا الرأي من أهل البصيراتِ
فليس تلقاه إلاّ عند عارفه أو واقفاً في صدور السمهريّاتِ(١)

ترجمه إبن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٤٢ وقال بعد الثناء عليه ونقل كلام الثعالبي المذكور وذكر أبيات من شعره : وذكره الأمير المختار المسيحي في تاريخ مصر وقال : توفّي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وزاد غيره في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان، وقيل : في شهر ربيع الآخر، وأظنّه توفي بمصر .

وترجمه اليافعي وأرّخ وفاته كما ذُكر في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ٤٥٢ ، وابن العماد الحنبلي في « الشذرات » ج ٣ ص ١٥٥ ، والسيِّد العبّاسي في « معاهد التنصيص » ج ١ ص ٢٢٦ ، والزركلي في « الأعلام » ج ١ ص ٧٤، وصاحب « تاريخ آداب اللغة » ج ٢ ص ٢٦٤ .

---

(١) هذه ابيات من قصيدة ذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ج ١ ص ٢٨٤ .



٣٠ - أبو العلاء السروي

علِيٌّ إمامِيَ بعد الرَّسولِ　　سيشفع في عرصة الحقَ لي
ولا أدَّعي لعليٍّ سوى　　فضائل في العقل لم يشكل
ولا أدَّعي انَّه مرسلٌ　　ولكن إمامٌ بنصٍّ جلي
وقول الرَّسول له إذ أتى　　له شبه الفاضل المفضلِ
: ألا انَّ مَن كنت مولى له　　فمولاه من غير شكٍّ علي(١)

(الشاعر)

أبو العلاء محمَّد بن إبراهيم السَّروي ، هو شاعر طبرستان الأوحد، وعلَم الفضيلة المفرد، وله مساجلات ومكاتبات مع أبي الفضل إبن العميد المتوفّى سنة ٣٦٠ ، وله كتبٌ وشعرٌ ذائعٌ وملحٌ كثيرةٌ ذكرت في « اليتيمة » منها جملةٌ صالحةٌ ج ٤ ص ٤٨ ، وفي [محاسن اصبهان] ص ٥٢ و ٥٦ ، وفي [نهاية الإرب في فنون الأدب]، ومن شعره في وصف طبرستان ما ذكره الحموي في « معجم البلدان » ج ٦ ص ١٨ وهو:

إذا الريح فيها جرّت الريح أعجلت　　فواختها في الغصن أن تترنَّما
فكم طيَّرت في الجوِّ ورداً مُدثَّراً　　يقلِّبه فيه ووردأ مُدرهما
وأشجار تفّاح كأنَّ ثمارها　　عوارض أبكار يُضاحكن مُغرما
فإن عقدتها الشمس فيها حسبتها　　خدوداً على القضبان فذّاً وتوأما

(١) ذكرها ابن شهراشوب في « المناقب » ج ١ ص ٥٣١ طبع إيران، ويعبر عن المترجم في « المناقب » بأبي العلا بلا قيد زائد كما يظهر عنه عند نقله : بعض أبيات قصيدته الفائية في ج ٢ ص ١٣٩ .

ترى خطباء الطير فوق غصونها تبثُّ على العشّاق وجداً مُعتّما

وله في مدح أهل البيت عليهم السَّلام قوله ذكره إبن شهراشوب في « المناقب » ج ٢ ص ٧٣ ط ايران:

ضدّان جالا على خدّيك فاتّفقا من بعدما افترقا في الدَّهر واختلفا
هذا بأعلام بيض إغتدا فبَدا وذا بأعلام سودٍ إنطوى فعفا
أعجب بما حكيا في كتب أمرهما عن الشعارين في الدنيا وما وصفا
هذا ملوك بني العبّاس قد شرعوا لبس السواد وأبقوه لهم شرفا
وذي كهول بني السبطين رايتهم بيضاء تخفق امّا حادثٌ أزفا
كم ظلَّ بين شبابٍ لا بقاء له وبين شيب عليه بالنهى عطفا
هل المشيب إلى جنب الشباب سوى صبحٍ هنالك وجه الدُّجى كشفا؟!
وهل يُؤدّي شبابٌ قد تعقّبه شيبٌ سوى كدر أعقبت منه صفا؟!
لو لم يكن لبني الزَّهراء فاطمة من شاهدٍ غير هذا في الورى لكفى
فرايةٌ لبني العبّاس عابسةٌ سوداء تشهد فيه التيه والشرفا
ورايةٌ لبني الزَّهراء زاهرةٌ بيضاء يعرف فيها الحقَّ من عرفا
شهادةٌ كشفت عن وجه أمرهما فَبُح بها وانتصف إن كنتَ مُنتصفا
حاز النبيُّ وسبطاه وزوجته مكان ما أفنت الأقلام والصحفا
والفخر لو كان فيهم صورة جسد عادت فضائلهم في اذنه شنفا
وقد تناكرت الأحلام وانقلبت فيهم فأصبح نور الله مُنكسفا
ألا أضاء لهم عنها أبو حسن بعلمه؟ وكفاهم حرّها وشفا؟!
وهل نظيرٌ له في الزُّهد بينهمُ ولو أصاح لدنيا أو بها كلفا؟!
وهل أطاع النبيَّ المصطفى بشرٌ من قبله؟ وحذا اثاره وقفا؟!
وهل عرفنا وهل قالوا سواه فتىً بذي الفقار إلى أقرانه زلفا؟!
يدعو النِّزال وعجل القوم محتبسٌ والسامريُّ بكفّ الرعب قد نزفا
مفرِّجٌ عن رسول الله كربته يوم الطِّعان إذا قلب الجبان هفا
تخاله أسداً يحمي العرين إذا يوم الهياج بأبطال الوغى رجفا

يظلّه النصر والرُّعب اللذان هما　　كانا له عادةً إذ سار أو وقفا
شواهدُ فرضت في الخلق طاعته　　برغم كلِّ حسودٍ مالَ وانحرفا
ثمَّ الأئمة من أولاده زُهرٌ　　مُتوَّجون بتيجان الهدى حنفا
من جالسٍ بكمال العلم مُشتهر　　وقائمٍ بغرار السيف قد زحفا
مطهَّرون كرامٌ كلّهم عَلَمٌ　　كمثل ما قيل كَشّافون لا كُشفا

وله في « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٤٨ :

مررنا على الروض الذي قد تبسَّمت　　ذراه وأوداج الأبارق تسفكُ
فلم نر شيئاً كان أحسن منظراً　　من الرَّوض يجري دمعه وهو يضحكُ

وله في النرجس:

حيِّ الرَّبيع فقد حيّا بباكورِ　　من نرجس ببهاء الحسن مذكورِ
كأنَّما جفنه بالغنج منفتحاً　　كأسٌ من التِّبر في منديل كافورِ

وله في النرجس ما ذكر صاحبا« الظرائف واللطائف »ص ١٥٩ ، و« حلية الكميت » ص ٢٠٣ .

انظر إلى نرجس تبدَّت　　صبحاً لعينيك منه طاقه
واكتب أسامي مُشبِّهيه　　بالعين في دفتر الحماقه
وأيّ حُسنٍ يرى لطرفٍ　　مع برقان يحلُّ ماقه
كرّاثةٌ ركّبت عليها　　صفرة بيض على رقاقه

وكتب إليه شاعرٌ غريبٌ يشكو إليه حجابه أبياتاً منها:

جئتُ إلى الباب مراراً فما　　إن زرت إلّا قيل لي: قد ركبْ
وكان في الواجب يا سيِّدي　　أن لا تُرى عن مثلنا تحتجبْ

فأجابه على ظهر رقعته:

ليس احتجابي عنك من جفوةٍ　　وغفلةٍ عن حرمة المغتربْ
لكن لدهر نكدٍ خائنٍ　　مقصِّر بالحرِّ عمّا يجبْ
وكنت لا أحجب عن زائر　　فالآن من ظلِّي قد أحتجب

وذكر الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ٣٥٤ له قوله:

أما ترى قضب الأشجار قد لبست　　أنـوارها تنثني مـا بين جـلاّس
منظومة كسموط الدرِّ لابسة　　حسناً يُبيح دم العنقود للحاسي
وغـرَّدت خطباء الطير ساجعةً　　على منابر من وَرد ومن آس

(خطباء الطير) في الشعر هي الفواخت والقماري والرواشن والعنادب وما أشبهها قال الثعالبي : أظنُّ أوّل من اخترع هذه الإستعارة المليحة أبو العلاء السروي في قوله المذكور، وذكر له صاحب « محاسن إصبهان » ص ٥٢ في الوصف قوله :

أوَ ما ترى البستان كيف تجاوبت　　أطياره وزهـا لنا ريحانـهُ
وتضاحكت أنـواره وتسلسلت　　أنهاره وتعارضت أغصانـهُ
وكـأنّما يفترُّ غبّ القطر عن　　حلل نشرن رياضه وجنانـهُ

وذكر له ص ٥٦ قوله :

كأنَّ حمام الرَّوض نشوان كلّما　　ترنَّم في أغصانه وترجَّحا
فلاذ نسيم الجوِّ من طول سيره　　حسيراً بأطراف الغصون مطلّحا

ولصاحب بن عبّاد، أبيات كتبها إلى المترجَم له ذكرها المافرّوخي في « محاسن إصبهان » ص ١٤ وهي :

أبا العلاء ألا أبشر بمقدمنا　　فقد وردنا على المهريَّة القودِ
هذا وكان بعيداً أن اراجعكم　　على التعاقب بين البيض والسودِ
من بعدما قربت بغداد تطلبني　　واستنجزتني بالأهواز موعودي
وراسلتني بأن بادِر لتملكني　　ويجريَ الماء ماء الجود في العودِ
فقلتُ: لا بدَّ من جَيٍّ وساكنها　　ولو رددت شبابي خير مردودِ
فـإنَّ فيها أودّائي ومُعتمدي　　وقربها خير مطلوب ومنشودِ
ألستُ أشهد إخواني ورؤيتهم　　تفي بملك سليمان بن داودِ؟!

كان المترجَم يتعصَّب للعجم على العرب فكتب إليه إبن العميد رسالةً ينكر فيها تعصّبه بقوله: اقبل وصيَّة خليلك، وامتثل شورة نصيحك، ولا تتماد

في ميدان الجهل ينضّك، ولا تتهافت في إلحاحٍ يغرّك، واخش يا سيِّدي أن يُقال: التحمت حرب البسوس من دم ضرع، واشتبكت حرب غطفان من أجل بعير قرع، قُتل ألف فارسٍ برغيف الحولاء، وصبَّ الله على العجم سوط عذاب بمزاح أبي العلاء[1]

« **البيان** »:

(حرب البسوس) البسوس بنت منقذ التميميَّة، زارت اختها امّ جسّاس إبن مرَّة، ومع البسوس جار لها من جرم يقال له: سعد بن شمس ومعه ناقه له؛ فرماها كليب وائل لَمّا رآها في مرعىً قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلمّا رأى ما بها انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: واذلاه واغربتاه، وأنشأت تقول أبياتاً تسمِّيها العرب أبيات الفناء وهي:

لعمري لو أصبحت في دار مُنقذٍ ... لماضيم سعدٌ وهو جار لأبياتي
ولكنّني أصبحت في دار غربةٍ ... متى يعدُ فيها الذئب يعدُ على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل ... فإنّك في قومٍ عن الجار أمواتي
ودونك أذوادي فخذها وآتني ... بها حلّة لا يغدرون ببنياتي[2]

فسمعهاإبن اختها جسّاس فقال لها: أيَّتها الحرَّة اهدئي فوالله لأقتلنَّ بلقحة[3] جارك كليباً، ثمَّ ركب فخرج إلى كليب فطعنه طعنة أثقلته فمات منها ووقعت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة وجرت خطوبٌ وصار [شؤم البسوس] مثلاً ونُسبت الحرب إليها وهي من أشهر حُروب العرب.

(رغيف الحولاء) من أمثال العرب المشهورة: أشأم من رغيف الحولاء، كانت [الحولاء] خبّازة في بني سعد بن زيد مُناة، فمرَّت وعلى رأسها كارة خبز

---

(١) ذكرها الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ٢٤٨.

(٢) البنيات: الطرق الصغار. تريد عجل السفر قبل أن يقطعون الطريق على.

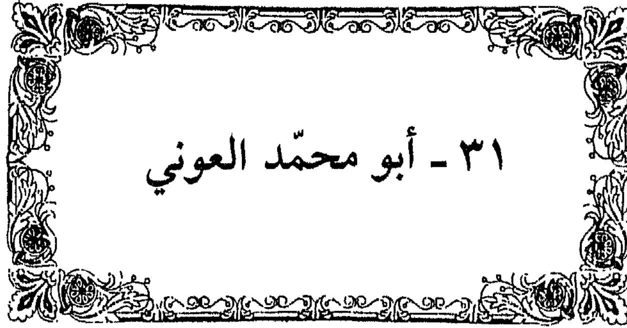
(٣) اللقحة: الناقة الحاملة.

فتناول رجلٌ من رأسها رغيفاً فقالت: والله مالك عليَّ حقّ ولا استطعمتني فلمَ أخذت رغيفي؟ أما انَّك ما أردت بهذا إلّا فلاناً - تعني رجلاً كانت في جواره - فمرَّت إليه شاكيةً فثار وثار معه قومه إلى الرَّجل الذي أخذ الرغيف وقومه فقُتل بينهم ألف نفس؛ وصار رغيف الحولاء مثلاً في الشيء اليسير يجلب الخطب الكبير.

(سوط عذاب) من إستعارات الكتاب الكريم قال الله تعالى: فصبَّ عليهم ربّك سوط عذاب.

وذكر له النويري في نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٣:

حيّ شيباً أتى لغير رحيلِ وشباباً مضى لغير إيابِ
أيّ شيءٍ يكون أحسن من عا ج مشيب في آبنوس شباب



٣١ ـ أبو محمّد العوني

إمـامي له يـوم « الغديـر » أقامـه نبيُّ الهدى ما بين من أنكر الأمرا
وقـام خـطيبـاً فيهمُ إذ أقـامـه ومن بعد حمد الله قال لهم جهرا
: ألا إنَّ هذا المرتضى بعلُ فاطمٍ عليٌّ الرضى صهري فأكرم به صهرا
ووارث علمي والخليفـة فيـكمُ إلى الله من أعـدائـه كلّهم أبـرا
سمعتم؟ أطعتم؟ هل وعيتم مقالتي؟ فقالوا جميعاً : ليس نعدو له أمرا
سمعنا أطعنا أيّها المرتضى فكن على ثقةٍ منّا وقد حاولوا غدرا(١)

ومنها قوله مشيراً إلى حديث مرَّ في الجزء الثاني ص ٣٣٤ :

وفي خبـر صحَّت روايتـه لهـم عن المصطفى لا شكَّ فيه فيستبرا
بأن قال : لمّا أن عرجت إلى السّما رأيت بهـا الأملاك نـاظـرة شـزرا
إلى نحو شخصٍ حيل بيني وبينه لعظم الذي عـاينته منـه لي خيرا
فقلت : حبيبي جبرئيل مَن الذي تُلاحظه الأملاك؟ قال : لك البُشرا
فقلت : وما من ذاك؟ قال : عليّ الر ضا وما خصَّه الرّحمن من نِعَم فخرا
تشوَّقت الأملاك إذ ذاك شخصـه فصوَّره الباري على صـورةٍ اخرا
فمـال إلى نحـو ابن عمّ ووارث على جـذل منـه بتحقيقـه خبـرا

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص٥٣٢ ط ايران.

ومن شعره في « الغدير » كما في « المناقب » لابن شهراشوب ج ١ ص ٥٣٧ ط ايران قوله:

أليس قام رسول الله يخطبهم   يوم « الغدير » وجمع الناس محتفلُ؟!
وقال: مَن كنت مولاه فذاك له   من بعدُ مولى فواخاهُ وما فعلوا
لوسلّموها إلى الهادي أبي حسن   كفى البرايا ولم تستوحش السبلُ
هذا يُطالبه بالضعف محتقباً   وتلك يحدو بها في سعيها جملُ

وله من قصيدة في « المناقب » ج ١ ص ٥٣٨ ط ايران قوله:

فقال رسول الله: هذا لامّتي   هو اليوم مولى ربّ ما قلت فاسمعِ
فقام جحودٌ ذو شقاق منافقٌ   يُنادي رسول الله من قلب موجعِ
: أعن ربِّنا هذا؟ أم أنت اخترعته؟   فقال: معاذ الله لست بمُبدعِ
فقال عدوُّ الله: لا همَّ إن يكن   كما قال حقّاً بي عذاباً فأوقعِ
فعوجل من افق السّماء بكفره   بجندلةٍ فانكبَّ ثاوٍ بمصرعِ

وله من قصيدة كبيرة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام ويسمّي الأئمّة المعصومين:

إنّ رسول الله مصباح الهدى   وحجّة الله على كلِّ البشرْ
جاء بفرقان مبينٍ ناطقٍ   بالحقّ مِن عند مليك مقتدرْ
فكان من أوَّل من صدَّقه   وصيّه وهو بسنّ ما ثغرْ[1]
ولم يكن أشرك بالله ولا   دنّس يوماً بسجود لحجرْ
فذاكمُ أوَّل مَن آمن بالله   ومَن جاهد فيه ونصرْ
أوَّل مَن صلّى مِن القوم ومَن   طاف ومن حجّ بنسك واعتمرْ
مَن شارك الطاهر في يوم العبا   في نفسه؟ من شكّ في ذاك كفرْ
مَن جاد بالنّفس ومَن ضنّ بها   في ليلةٍ عند الفراش المشتهرْ؟!؟!
مَن صاحب الدار الذي انقضّ بها   نجمٌ من الجوّ نهاراً فانكدرْ؟!

(١) ثغر الصبي: نبت ثغره، والثغر: مقدم الأسنان.

مَن صاحب الراية لَما ردَّها بالأمس بالذلِّ قبيع وزفرْ؟!
مَن خُصّ بالتبليغ في براءة؟ فتلك للعاقل من إحدى العِبَرْ
مَن كان في المسجد طلقاً بابه حلًّا وأبواب اناس لم تُذرْ؟!
مَن حاز في « خمٍّ » بأمر الله ذاك الفضل واستولى عليهم واقتدرْ؟!
مَن فاز بالدَّعوة يوم الطائر المشويِّ من خصّ بذاك المفتخرْ؟!
مَن ذا الذي اسرى به حتّى رأى القدرة في حندس ليل معتكرْ؟!
مَن خاصف النَّعل؟ ومن خبّركم عنه رسول الله أنواع الخبرْ؟!
سائل به يوم حُنين عارفاً مَن صدق الحرب ومن ولى الدبرْ؟!
كليم شمس الله والرّاجعها من بعدماانجاب ضياها واستترْ
كليم أهل الكهف إذ كلّمهم في ليلة المسح فسل عنها الخبرْ
وقصَّة الثعبان إذ كلّمه وهو على المنبر والقوم زُمرْ
والأسد العابس إذ كلّمه معرّفاً بالفضل منه وأقرْ
بأنَّه مستخلف الله على الأُمّة والرَّحمن ما شاء قَدَرْ
عيبة علم الله والباب الذي يُؤتى رسول الله منه المشتهرْ

وله من قصيدة:

يا امَّة السوء التي ما تيقَّظت لما قد خلت فيها من المثلاتِ
وقد وترت آل النبيِّ ورهطه على قَدَر الأيَّام أيَّ تراتِ
وقد غدرت بالمرتضى علم الهدى إمام البرايا كاشف الكرباتِ
ببدرٍ وأحدٍ والنضير وخيبرٍ ويوم حُنين ساعة الهبواتِ
وصاحب « خُمّ » والفراش وفضله ومن خُصَّ بالتبليغ عند براةِ

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام :

والله ألبسه المهابة والحجى وربا به أن نعبد الأصناما
ما زال يغذوه بدين محمَّد كهلاً وطفلاً ناشئاً وغلاما
أمَّن سواه إذا أتى بقضيَّةٍ طرد الشكوك وأخرس الحكّاما؟!
فإذا رأى رأياً يُخالف رأيه قومٌ وإن كدّوا له الأفهاما

نــزل الكتـاب بــرأيه فكــأنّما عقــد الآلـه بــرأيه الأحكــامـا
مَن ذا سـواه إذا تشاجـرت القنـا وأبى الكمـاة الكرّ والإقـدامـا؟!
وتصلصلت حلق الحديد وأظهرت فرسانهـا التصجاج والإحجاما(١)
ورأيت من تحت العجـاج لنقعها فـوق المغـافـر والـوجـوه قتـامــا
كشف الآلــه بسيفــه وبــرأيــه يظمي الجواد ويرتوي الصمصاما
ووزيـره جبـريـل يقحمـه الـوغى طـوعـاً وميكـال الـوغى إقحـامـا
أم من سـواه يقـول فيــه أحمـد يـوم « الغـديــر » وغيـره أيّــامـا
: هذا أخي مولاكمُ وإمامكم وهو الخليفة إن لقيت حماما؟!

منّي كما هارون من موسى فلا تـألـوا(٢) لحقِّ إمـامكم إعـظامـا
إن كــان هـارون النبيّ لقـومــه مـا غـاب مـوسى سيّـداً وإمـامـا
فهـو الخليفـة والإمـام وخيـر مَن أمضى القضـاء وخفّف الأقـلامـا
حتّى لقـد قـال ابن خـطّاب لـه لَمّــا تقـوّض مَن هنـاك وقـامــا
: أصبحت مولائي ومولى كلّ مَـ ـن صلّى لـربِّ العالمين وصـامـا
غصنٌ رسـول الله أثبت غـرســه فعـلا الغصـون نضارةً ونـظامــا
حتّى استوى علماً كما قد شـاءه ربُّ السَّمــاء وسيِّــداً قمقــامــا
مـا سـامـه في أن يكـون مؤمَّـراً لـفتـىً ولا ولّى عـليــه اسـامــا
فهــو الأمير حيــاتــه ومـمــاتــه أمــراً مـن الله الـعـليِّ لـزامــا
صلّى عليـه ذو الجـلال كـرامـةً ومـلائـكٌ كـانـوا لـديـه كـرامـا

وله من قصيدة:

يـا آل أحمد لـولاكم لمـا طلعت شمس ولا ضحكت أرضٌ من العشبِ
يــا آل أحمــد لازال الفؤاد بكم صبـا بـوادره تبكي من النـدبِ

---

(١) صلصل اللجام: صوت. التصجاج من الصج: صوت وقع الحديـد على الحديد. أحجم عن الحرب: نكص هيبة.

(٢) الا ألوآ وألى تألية وائتلاء في الأمر: قصر وأبطأ.

يا آل أحمد أنتم خير مَنْ وخَدتْ به المطايا فأنتم منتهى الإربِ
أبوكمُ خير من يُدع لحادثة فيستجيب بكشف الخطب والكربِ
عدل القران وصيُّ المصطفى وأبو السبطين أكرم به من والدٍ وأبِ
بعلُ المطهَّرة الزَّهراء ذو الحسب الـ ـطّهر الذي ضمّه شفعاً إلى النسبِ
مَن قال أحمد في يوم « الغدير » له مَن كنت مولى له في العجم والعربِ
فإنَّ هذا له مولى ومنذره يا حبّذا هو من مولى ويا بأبي
مَن مثله؟ وهو مولى الخلق أجمعها بأمر ربِّ الورى في نصِّ خير نبي
يأتي غداً ولواء الحمد في يده والناس قد صفروا من أوجهٍ قطبِ
حتّى إذا اصطكّت الأقدام زائلةً عن الصِّراط فُويق النار مضطربِ

(الشاعر)

أبو محمَّد طلحة بن عُبيد الله بن أبي عون الغسّاني[1] العوني. لعلَّ في شهرة العوني وشعره السائر وطرفه المدوَّنة في الكتب، غنىً عن تعريفه وذكر عبقريَّته، وتفوّقه في سرد القريض، ونبوغه في نضد جواهر الكلام، كما أنَّ فيما دُوِّن من تاريخ حياته وما يُؤثر عنه من جُمل الشعر ومفصَّلاته كفايةٌ للباحث عن إدلاء الحجَّة على تشيّعه وتفانيه في ولاء سادته وأئمَّة دينه صلوات الله عليهم.

لقد سرى الركبان بشعر العوني فطارت نبذةٌ إلى مختلف الديار، ولهج بها الناس في أماكن قصيَّة، وكان ينشدها المنشدون في الأندية والمجتمعات التي يُتحرّى فيها تشنيف الأسماع بذكر أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، ومنهم الشاعر [مُنير] والد الشاعر أحمد بن منير المترجم في شعراء القرن السّادس؛ كان يُنشد شعر العوني في أسواق طرابلس فيقرِّط آذان الناس بتلكم الفضائل، لكن إبن عساكر [أساء سمعاً وأساء جوابه] غاظه ذلك الهتاف بذكر أهل البيت عليهم السَّلام، فأراد أن يسم الرجل بما يشوِّه سمعته فقال: إنَّه كان يُغنّي في أسواق طرابلس بشعر العوني. وجاء إبن خلكان بعد لأيٍ من عمر الدَّهر حتّى

(١) غسان: ماء باليمن تنسب إليه قبائل. وماء بالمشلل قريب من الجحفة.

وقف على تلك الانشودة فسائته أكثر مما سائت إبن عساكر [فزاد ضغثا على ابّاله] فطرح لفظة « شعر العوني » واكتفى بأنَّ مُنيراً كان يُغنّي في الأسواق، وللمحاسبة مع الرَّجلين موقفٌ نؤجِّله إلى يوم الحساب فهنالك يستوفي مُنير حقَّه؛ وإنَّ ربَّك لبالمرصاد.

وهذه كلّها والنبذ المدوَّنة من شعره في هذا الكتاب وفيها عدُّ الأئمّة الاثني عشر آياتٌ باهرةٌ لبلوغ « العوني » الغاية القصوى من الموالاة والتشيّع، حتّى انّ القاصرين أو الحانقين عليه رموه بالغلوِّ لما ذكره إبن شهراشوب في « المعالم » من أنَّه نظم أكثر المناقب؛ والواقف على شعره جِدُّ عليم بأنَّه كان يمشي على الوسط بين الإفراط والتفريط، فلا يثبت لأهل البيت عليهم السّلام إلّا ما حقَّ لهم من المراتب والمناقب أو ما هو دون مقامهم، ولا ينظم إلّا ما ورد في أحاديث أئمَّة الدين من مناقبهم، وأمّا التّهمة بالغلو فكلمة جاهل أو معاند، وعلى أيّ فتشيّع العوني كان مشهوراً في العصور المتقدِّمة على عهده وبعد وفاته، حتّى انَّه لمّا وقعت الفتنة بين الشيعة والسنَّة في بغداد سنة ٤٤٣ واحتدم بينهما القتال فكانت مّما جاءت به يد الجور من الفظائع انَّهم نبشوا قبور جماعة من الشيعة وطرحوا النيران في ترابهم ومنهم العوني « المترجَم » والناشي عليٌّ بن وصيف الأنف ذكره، والشاعر المعروف الجذوعي[١]

كان العوني يتفنَّن في الشعر، ويأتي بأساليبه وفنونه وبحوره، مقدرة منه على تحوير القول وصياغة الجمل كيف ما شاء وأحبَّ. قال إبن رشيق في العمدة ج ١ ص ١٥٤ : ومن الشعر نوعٌ غريبٌ يُسمّونه « القواديسي » تشبيهاً بالقواديس السانية؛ لارتفاع بعض قوافيه في جهةٍ وانخفاضها في الجهة الاخرى، فأوَّل من رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العوني في قوله وهي من قصيدة له مشهورة طويلة:

كم للدمى الأبكار بالـ ـجنتين من منازل
بمهجتي للوجد من تذكارها منازلُ

---

(١) ذكرها ابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ١٩٩، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٠.

مـعـاهـدُ رعـيـلهـا مـشـعـنـجـر الـهـواطـلِ
لَـمّـا نـأى سـاكـنـهـا فـأدمـعـي هـواطـلُ

وللعوني معاني فخمة في شعره إستحسنها معاصروه ومن بعده فحذوا حذوه في صياغة تلك المعاني لكن الحقيقة تشهد بأنَّ الفضل لمن سبق، قال أبو سعيد محمَّد بن أحمد العبيدي في [الإبانة عن سرقات المتنبّي] ص ٢٢ قال العوني :

مضى الرَّبيع وجاء الصيف يقدمه جيشٌ من الحرِّ يرمي الأرض بالشررِ
كأنَّ بالجوِّ مابي من جوى وهوى ومن شحوب فلا يخلو من الكدرِ

قال المتنبِّي [المقتول سنة ٣٥٤]:

كـأنَّ الجـوَّ قـاسى مـا اقـاسي فصـار سـواده فيـه شحـوبـا(١)

وقال في ص ٦٤ قال العوني :

يـا صـاحبي بعـدتمـا فتـركتمـا قلبي رهين صـبـابـة ونصـابِ
أبكي وفاءكما وعهـدكما كمـا يبكي المحبّ معاهد الأحبابِ

قال المتنبِّي :

وفاءكما كالربـع أشجاه طـاسمه بأن تسعدا والدَّمع أشجاه ساجمه(٢)

وقال في ص ٦٦ للعوني في قصيدة له في أهل البيت عليهم السَّلام:

ألا سيـدٌ يبكي بشجـوي فـإنَّني لمستعذب ماء البكـاء ومُستجلي
احب ابن بنت المصطفى وأزوره زيـارة مهجور يحنُّ إلى الـوصلِ
ومـا قدمي في سعيـه نحـو قبـره بـأفضل منـه رتبة مـركب العقلِ

قال المتنبِّي :

---

(١) من قصيدة ٤٢ بيتاً توجد في ديوانه ج ١ ص ٩٨ يمدح بها علي بن محمد التميمي .
(٢) توجد القصيدة ٤٢ بيتاً في ديوانه ج ٢ ص ٢٣٢ وهي أول ما انشدت سنة ٣٣٧ يمدح بها سيف الدولة.

خيـر أعضـائنـا الـرؤوس ولكن فضلتـهـا بقـصـدهـا الأقـدام

قال الأميني: وحذا حذو العوني في المعنى سيِّدنا الشهيد السيِّد نصر الله الحائري في كافيَّةٍ له في تربة كربلاء المشرفة وقال:

أقدام مَن زار مغناكِ الشريف غدت تفاخر الرأس منه طـاب مثواكِ[1]

وشعره في أهل البيت عليهم السّلام مدحاً ورثاءاً مبثوثٌ في « المناقب » لابن شهراشوب و « روضة الواعظين » لشيخنا الفتّال، و « الصراط المستقيم » لشيخنا البياضي، وقد جمعنا من شعره ما يربو على ثلاثمائة وخمسين بيتاً، وجمعه ورتّبه العلاّمة السماوي في ديوان ومما رتبه قصيدته المعروفة بالمذهَّبة توجد في « مناقب » ابن شهراشوب ناقصة الأطراف.

وسـائـلٌ عـن العـليِّ الـشـانِ هـل نصَّ فيـه الله بـالقـرآنِ
بـأنَّـه الـوصـيُّ دون ثـانِ لأحمـد المـطهَّر العـدنـاني؟!
فاذكر لنا نصّاً به جليّا

أجبت يكفي « خم » في النصوص من آية التبليغ بـالمخصـوصِ
وجـملة الأخـبـار والنـصـوصِ غيرِ الذي انتاشت يد اللصـوص
وكتّمته ترتضي أُميّا

أمـا سمعت يـا بعيـد الـذهنِ مـا قـالـه أحمـد كـالمهنّي
: أنت كهـارون لمـوسى منّي إذ قـال موسى لأخيـه اخلفني؟!
فاسألهمُ لِم خالفوا الوصيّا؟!

أمـا سمعت خبـر المبـاهله؟! أمـا علمت أنّهـا مفـاضـله؟!
بين الـورى فهل رأى مَن عـادله في الفضـل عنـد ربّـه وقـابله؟!
ولم يكن قرّبه نجيّا

أمـا سـمـعـت انّـه أوصـاهُ؟! وكـان ذا فـقـر كـمـا تـراهُ
فخصَّ بـالـدين الـذي يـرعـاهُ فـإن عـداهُ وهـو مـا عـداهُ
غادر ديناً لم يكن مرعيّا

فـقـال: هـل مـن آيـةٍ تـدلُّ على عليِّ الـطّهـر لا تعـلُّ؟!

(١) ولهذا البيت قصة أدبية لطيفة تأتي في ترجمة سيدنا بحر العلوم في شعراء القرن الثاني عشر.

بحيث فيها الطّهر يستقلُ تدنيه للفضل فيقصي كلُّ
ويغتدي من دونه مقصيّا؟!
فقلتُ: إنَّ الله جلَّ قالا إذ شرَّف الآباء والأنسالا
وآل إبراهيم فازوا آلا إنّا وهبنا لهمُ إفضالا
لسان صدق منهمُ عليّا
فكان إبراهيم ربّانيّا ثمَّ رسولاً مُنذراً رضيّا
ثمَّ خليلاً صفوةً صفيّا ثمَّ إماماً هادياً مهديّا
وكان عند ربِّه مرضيّا
فعندها قال: ومِن ذريَّتي قال له: لا، لن ينال رحمتي
وعهدي الظالم من بريَّتي أبت لملكي ذاك وحدانيَّتي
سجانهُ لا زال وحدانيّا
فالمصطفى الآمر فينا الناهي وعادم الأمثال والأشباهِ
فالفعل منه والمقال الزاهي لم يصدرا إلّا بأمر اللهِ
لم يتقوَّل أبداً فريّا
إن كان غير ناطق عن الهوى إلّا بأمر مبرمٍ من ذي القوى؟
فكيف أقصاهم وأدنى المجتوى؟ إذن لقد ضلّ ضلالاً وغوى
ولم يكن حاشا له غَويّا
لكنَّما الأقوام في السقيفه قد نصبوا برأيهم خليفه
وكان في شغلٍ وفي وظيفه ءن غسل تلك الدرَّة النظيفه
وحزنه الذي له تهيّا
حتّى إذا قضى الخليفة إنتخبْ مَن عقد الأمر له بين العربْ
ثمَّ قضى واختار منهم مَن أحبْ وإن تكن شورى فللشورى سببْ
إن كان ذا ترتيبه مقضيّا
ثمَّ قضى ثالثهم فانثالوا له الرِّجال تتبع الرِّجالُ
فلم تسع غير القبول الحالُ فقام والرِّضا به محالُ
إذ كان كلٌّ يتمنّى شيّا
فغاضبت أوَّلهم ذات الجمَلْ وقام معها الرجلان في العملْ
فردَّهم سيف القضاءِ وفصلْ ولم يكن قد سبق السيف العذلْ
فقد تأتّى حربهم مليّا

وغاضب الشاني لأمرٍ سالفِ   فاجتاحه بذي الفقار القاصفِ
وأصبح الناصر كالمخالفِ   إذ شكت الرِّماح بالمصاحفِ
وأخذ الإنحدار والرقيّا

وكان أن يردَّ للتسليمِ   إذ ردَّ للأحبش في الهزيمِ
فأعمل الحيلة في التحكيمِ   بأمر شيطانهم الرجيمِ
ففي الرُّعاة حكم الرعيّا

فلم يجد للكفِّ من مناصِ   وأخذ التحكيم بالنَّواصي
فجاء أهل الشام بابن العاصي   فاحتال فيها حيلة القناصِ
غرَّ أبا موسى الأشعريّا

قام أبو موسى فُويق المنبرِ   وقال: إنِّي خالعٌ بحيدرِ
كما خلعتُ خاتمي من خنصرِ   ثمَّ جعلتها لنجل عمرِ
يا عمرو قم أنت اخلع الشاميا

فقال عمرو: أيّها الناس اشهدوا   أن خلع الذي له يعتمدُ
ثمَّ اسمعوا قولي ولا تردّدوا   به فإنّي لأبن هندٍ أعقدُ
فاتّخذوه مذهباً عمريّا

فما ترى أنت بهذي الحالِ   من المقال ومن الأفعالِ؟!
لا تدخل المفتاح في الأقفالِ   تفتح عن الأضغان والأذحالِ
وما يكون في الحشا مطويّا

إنَّ عليّاً عند أهل العلمِ   أوّل من سُمّي بهذا الأسمِ
قد ناله من ربِّه في الحكمِ   على يدي أخيه وابن العم
وحياً قديم الفضل عُد مليّا

وهو الذي سُمِّي في التوراةِ   عند الأولى هادٍ من الهداةِ
بالنصِّ والتصريح في البراةِ   برغم مَن سيء من العداةِ
من كل عيبٍ في الورى بريّا

وهو الذي يُعرف عند الكهنه   إذ جمعوا التوراة في الممتحنه
فأخذوا من كلِّ شيء حسنه   وهم لتوراة الكليم الخزنه
ليوردوا الحقَّ لهم بوريّا

وهو الذي يُعرف في الإنجيلِ   برتبة الإعظام والتَّبجيلِ

وميـزة الغـرَّة والتحجيـل وفـوزة الرَّقيب للمجيـل
وكان يُدعى عندهم أليّا
وهو الذي يُعرف بالزّبورِ زبور داود حليف النورِ
وذي العلا والعلَم المنشورِ في اسم الهزبر الأسد الهصورِ
ليث الوغا أعني به آريّا
وهو الذي تدعوه ما بين الورى أكابر الهند وأشياخ القرى
ذووء العلوم منهم بكنكرا لأنّه كان عظيماً خطرا
وكنكر كان له سميّا
وهو الذي يُعرف عند الرّومِ ببطرس القوّة والعلومِ
وصاحب الستر لها المكتومِ ومالك المنطوق والمفهومِ
ومن يكن ذا يُدع بطرسيّا
وهو الذي يُعرف عند الفرسِ لدى التعاليم وعند الدَّرسِ
بغرسنا وذاك اسمُ قُدسي معناه قابضٌ بكلِّ نفسِ
كما دعوه عندهم باريّا
وهو الذي يُعرف عند التركِ تيراً وذاك مشبهُ المَحَكِّ
وانّه يرفع كلَّ شكِّ عن كلِّ حاكٍ قوله ومحكي
إذا عرفت المنطق التركيّا
وهو الذي يدعونه في الجيشِ بتريك أي مدبِّرٌ لا يختشي
لقدرة به وبطشٍ مدهشٍ وينعتونه بأقوى قرشي
فاسئل به مَن يعرف الحبشيّا
وهو الذي يُعرف عند الزّنجِ بحنبني أي مُهلكٌ ومُنج
وقاطع الطريق في المحجِ إلاّ بإذنٍ في سلوك النهجِ
فإن أردت فاسأل الزَّنجيّا
وهو فريقٌ بلسان الأرمنِ فاروقه الحقّ لكلِّ مؤمن
تعرفه أعلامهم في الزّمنِ فاسأل به إن كنتَ ممَّن يعتني
تحقيقه من كان أرمنيّا
وهو الّذي سمَّته تلك الجوهره إذ ولدت في الكعبة المطهَّره
وخرَّجت به فقال الجمهره: من ذا؟ فقالت: هو شبلي حيدره
ولدته مُطهَّراً قدسيّا

هـذا وقـد لـقَّبـه ظـهيـرا أبـوه إذ شـاهـده صـغـيـرا
يصـرع مِن إخـوانـه الكبيـرا مُشمِّـراً عن سـاعـدٍ تشميـرا
وكان عَبلاً فَتِلاً(١) قويّا
ولـقَّبتـه ظئـره(٢) ميـمـونـا إذ رأت السعـد بـه مقـرونـا
فكـان درّاً عنـدهـا مكنـونـا يحمي أخـا رضاعـه المنـونـا
ثمَّ يدرُّ ثديها الأبيّا
واسـم أخيـه فـي بنـي هـلالِ معلّق الـميـمـون بـالحبـالِ
يـذكـره فـي سمـرِ الـليـالـي رجـالهم فـاسمـع من الـرِّجـالِ
موهبة خصَّ بها صبيّا
والإسم عند الله في العُلى علي وهو الصحيح والصَّريح والجلي
إشتقّـه مـن اسمـه فـي الأزلِ كمثـل مـا اشتقَّ لخيـرِ الـرُّسـلِ
وَمَنَحَ النبيَّ والوصيّا
واتّـفـقـت آراء أهـل الـعـلـمِ على اسمهٍ من دون معنى الإسمِ
فـاختلفت في قصـده والفـهـمِ لـه وكـلٌّ لـم يـطش بسـهـمِ
إذ قد أصاب الغرض المرقيّا
فقـال قـومٌ: قـد عَـلا بـرازا أقـرانـه وابـتـزَّهـا ابـتـزازا
فـمـا رآه الـقـرن إلّا انـحـازا وكـان دونـاً سـافـلاً فـامتـازا
فهو عليٌّ إذ علا العديّا
وقـال قـومٌ: قـد غـلا مكـانـا متـن الـنـبـيِّ ورمـى الأوثـانـا
إذ لم يـطق حمـل نبيٍّ كـانـا من ثقـل الـوحي حكى ثهـلانـا
فنال منه المنزل العليّا
وقـال فـرقـةٌ: عـليُّ الـدارِ في جنَّـة الخلد مـع المختـارِ
عَـلّاه ذو العـرش على الأبـرار في روضـةٍ تـزهـو وفي أنهـارِ
فنال منه المرتضى العلويّا
وقـال فـرقـة: عَـلاهم علمـا فكـان أقضـاهم لـذاك حكمـا
ومَن إلى القضـاء قـد تـسمّى يـكـون أعلى رفعـةً وأسـمى
فوال ذاك العالم السميّا

---

(١) عبل: الضخم الغليظ. فتل من فتله وهي شدة عصب الذراع.
(٢) الظئر: المرضعة.

وذَع تـأويـل الكتـاب والخبـرْ وخُـذ بمـا بـان لـديـك وظهـرْ
قـد خـاطب الله بـه خيـر البشرْ ليفهموا الأحكام في بـادي النظرْ
ويعرفوا النبيَّ والوصيّا
فاستمسكنْ بالعـروة الوثقى التي لـم تنفصـم عنـه ولـم تنفلتِ
تمش على الصِّـراط لم تلتفـتِ فـي قـدمٍ راسٍّ وقـلـبٍ مـثبـتِ
حتّى تجوز سالماً سويّا
إلى جنان الخلد في أعلى الرُّتبْ إذ ينثني كلُّ امرءٍ مـع من أحبْ
مـوهبـةً ممّن لـه الشكـر وجبْ فـهـو أبـرُّ خـالق وخيـر ربْ
عزَّ وجلَّ مَلِكاً قويّا
يـا ربّ عبـدك الـذي غمـرتـهُ بـالفضـل والأنعـام مـذ صيَّرتـهُ
وقـد عصى جهـلاً وقـد أمـرتـهُ إن تـاب فـالـذنب لـه غفـرتـهُ
قد تبتُ فاغفر ذنبي العديّا
يـا ربّ مالي عمـلٌ سوى الـولا لأحـمـد وآلـه أهـل الـعُـلا
صنـو الرَّسـول والوصيِّ المبتلى وفـاطمٍ والحسنينِ فـي المَـلا
غرّاً تزين العرش والكرسيّا
ثــمَّ عـليٍّ وابـنـه مـحـمّـدِ وجعفر الصِّدق وموسى المهتدي
ثــمَّ عـليٍّ والـجـواد الأجـود مـحـمَّـدٍ ثمَّ عـليٍّ الأمـجـدِ
والحسن الذي جلا المهديّا
فـأعـطني بهم جمـال الـدُّنيـا وراحـة القبـر زمـان البقيـا
والأمن والستـر بحشر المحيـا والـريّ من كـوثر أهـل السقيـا
والحشر معهم في العلى سويّا
يا طلح إن تختم بهذا في العمل لم يـدن منـك فـزعٌ ولا وجـلْ
وأنت طلحُ الخير إنْ جاء الأجل بالأجر من رب الورى عزَّ وجـلْ
كفى بربّي راحماً كفيّا

وله يمدح أمير المؤمنين ﷺ :

أنـا مولىً لمن يقـول رسـول الله فيـه مـا بيـن جمٍّ غـفـيـرِ
: سوف تأتي يـوم القيامـة ركبٌ خمسـةٌ مـا لغيـرنـا من ظهـورِ
أنـا منهم على البـراق وبعـدي بضعتي فـاطمٌ تسيـر مسيـري

تحتها يوم ذاك ناقتي العضباء ... تطوي الفجاج طيَّ المغير
وأبي إبراهيم فوق ذلولٍ ... عزَّ قدراً بنا على الجمهورِ
وأخي صالحٌ على ناقة الله ... أمامي في العالم المحشورِ
وعليٌّ على أغرّ من الجنَّة ... ما خطبُ نعتهِ باليسيرِ
في يديه من فوق رأسي لواءُ ... الحمد للواحد الحميد الشَّكورِ
وعليه تاجٌ بديعٌ من النّورِ ... يُزاهي بإكليله المستديرِ
قد أضاءت من نوره عرصة ... الحشر فيا حسن ذاك من منظورِ
ولتاج الوصيِّ سبعون ركناً ... كلُّ ركنٍ كالكوكب المستنيرِ
فلربّي الحمد الكثير على ما ... قد حباني من حبِّه بالكثيرِ

وله يرثي الإمام السبط المفدّى صلوات الله عليه:

يا قمراً غاب حين لاحا ... أورثني فقدك المناحا
يا نُوَب الدَّهر لم يدع لي ... صرفك من حادث صلاحا
أبَعد يوم الحسين ويحي ... أستعذب اللّهو والمزاحا؟!
كربت كي تهتدي البرايا ... به وتلقى به النجاحا
فالدين قد لفَّ بردتيه ... والشِّرك ألقى لها جناحا
فصار ذاك الصَّباح ليلاً ... وصار ذاك الدّجى صباحا
فجاء إذ كاتبوه يسعى ... لكي يُريها الهدى الصراحا
حتّى إذا جاءهم تنحّوا ... لا بل نحوا قتله اجتياحا
وأنبتوا البيد بالعوالي ... والقضب واستعجلوا الكفاحا
فدافعتْ عنه أولياؤهُ ... وعانقوا البيض والرِّماحا
سبعون في مثلهم أُلوفاً ... فأثخنوا بينهم جراحا
ثمَّ قضوا جملةً فلاقوا ... هناك سهم القضا المتّاحا
فشدَّ فيهم أبو عليٍّ ... وصافحت نفسه الصفاحا
يا غيرة الله لا تغيثي ... منهم صياحاً ولا ضباحا
ثمَّ انثنى ظامئاً وحيداً ... كما غدا فيهمُ وراحا

ولم يزل يرتقي إلى أن دعاه داعي اللقا فصاحا
دونكمُ مهجتي فإنّي دُعيت أن أرتقي الضراحا
فكلكلوا فوقه فهذا يقطع رأساً وذا جناحا
يا بأبي أنفساً ظماءً ماتت ولم تشرب المُباحا
يا بأبي أوجهاً صِباحاً باكرها حتفها صباحا
يا بأبي أجسماً تعرَّتْ ثمَّ اكتست بالدماء وُشاحا[1]
يا سادتي يا بني عليٍّ بكى الهدى فقدكم وناحا
أوحشتم الحِجر والمساعي آنستم القفر والبِطاحا
أوحشتم الذِّكر والمثاني والسّور الطوال الفصاحا
لا سامح الله مَن قَلاكم وزاد أشياعكم سماحا

وله في الإمام الصّادق صلوات الله عليه:

عُج بالمطيِّ على بقيع الغرقدِ واقرا التحيَّة جعفر بن محمَّدِ
وقل: ابن بنت محمَّد ووصيّه يا نور كلِّ هداية لم تجحدِ
يا صادقاً شهد الإله بصدقه فكفى شهادة ذي الجلال الأمجدِ
يابن الهُدى وأبا الهدى أنت الهدى يا نور حاضر سرِّ كل موحِّدِ
يا بن النبيِّ محمَّد أنت الذي أوضحت قصد ولاء آل محمَّدِ
يا سادس الأنوار يا علم الهدى ضلَّ امرؤٌ بولائكم لم يهتدي

وله من قصيدة يمدح بها الرسول صلوات الله عليه:

تخيَّره الله من خلقه فحمَّله الذِّكر وهو الخبيرُ
وأنزل بالسّور المحكمات عليه كتابٌ مبينٌ منيرُ
وأغشاه نوراً وناداه: قم وأنذر فأنت البشير النَّذيرُ
فلاح الهدى واضمحلَّ العمى وولّى الضَّلال وعيف الغرورُ
فوصّى عليّاً فنعم الوصيّ ونعم الوليُّ ونعم النَّصيرُ[1]

---

(١) الوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر.

(١) أشار بهذه الأبيات إلى حديث العشيرة المذكور في الجزء الثاني ص ٣٢٣- ٣٣٣.

وله من قصيدةٍ في الأئمَّة الطاهرين عليهم السَّلام قوله:

نصَّ على ستٍّ وستٍّ بعده　　كلٌّ إمامٌ راشدٌ برهانُهُ
صلّى عليه ذو العُلى ولم يزل　　يغشاه منه أبداً رضوانُهُ

وله من قصيدةٍ اخرى:

وقلت: « براثا » كان بيتاً لمريمٍ　　وذاك ضعيف في الأسانيد أعوجُ
ولكنّه بيت لعيسى بن مريمٍ　　وللأنبياء الزُّهر مثوى ومدرجُ
وللأوصياء الطاهرين مقامهم　　على غابر الأيّام والحقُّ أبلجُ
بسبعين مرضى بعد سبعين مرسلٍ　　جباههمُ فيها سجودٌ تُشجّجُ
وآخرهم فيها صلاةً إمامنا　　عليٌّ بذا جاء الحديث المنهّجُ

وله من قصيدةٍ كبيرةٍ يمدح بها أهل البيت عليهم السَّلام:

ألستَ ترى جبريل وهو مقرَّبٌ　　له في العُلى من راحة القصد موقفُ؟!
يقول لهم أهل العبا: أنا منكمُ؟!　　فمن مثل اهل البيت إن كنت تنصفُ؟!
نعم آل طاها خير من وطيء الحصى　　وأكرم أبصار على الأرض تطرفُ
هم الكلمات الطيِّبات التي بها　　يُتاب على الخاطي فيُحبا ويُزلفُ
هم البركات النازلات على الورى　　تعمُّ جميع المؤمنين وتكنفُ
هم الباقيات الصالحات بذكرها　　لذاكرها خير الثواب المضعّفُ
هم الصَّلوات الزاكيات عليهمُ　　يدلّ المنادي بالصَّلاة ويعكفُ
هم الحرم المأمون آمن أهله　　وأعداؤه من حوله تتخطّفُ
هم الوجه وجه الله والجنب جنبه　　وهم فُلك نوحٍ خاب عنه المخلّفُ
هم الباب باب الله والحبل حبله　　وعروته الوثقى تواري وتكنفُ
وأسمائه الحسنى التي مَن دعا بها　　اجيب فما للناس عنها تحرُّفُ

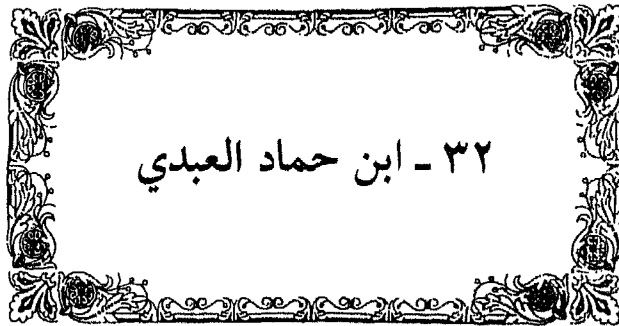
ذكر السمعاني في « الأنساب »: أنَّ العوني كان شاعر الشيعة وذكر الصحابة وثلبهم في قصيدة أوّلها:

ليس الوقوف على الأطلال من شاني

سمعت أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا بلغه عنه سبُّ الصحابة أمر به فضرب بالعمود بالمدينة فمات فيه.

قال الأميني: خفي على « السمعاني » اسم العوني وعصره ومدفنه، وانَّ القصيدة النونيَّة المذكورة إنَّما هي لأبي محمَّد عبد الله بن عمّار البرقي أحد شعراء أهل البيت وشي به إلى المتوكِّل وقرئت له نونيَّته فأمر بقطع لسانه وإحراق ديوانه ففُعل به ذلك ومات بعد أيام وذلك سنة ٢٤٥ ومن النونيَّة قوله:

فهو الذي امتحن الله القلوب ... عمّا يجمجمن من كفرٍ وايمانِ
وهو الذي قد قضى الله العليُّ له ... أن لا يكون له في فضله ثانِ
وإنَّ قوماً رجوا إبطال حقِّكمُ ... أمسوا من الله في سخط وعصيانِ
لن يدفعوا حقَّكم إلاّ بدفعهمُ ... ما أنزل الله من آيٍ وقرآنِ
فقلّدوها لأهل البيت انَّهمُ ... صنو النبيِّ وأنتم غير صنوانِ



٣٢ ـ ابن حماد العبدي

١

ألا قل لسلطان الهوى: كيف أعملُ — لقد جار من أهوى وأنت المؤمَّلُ
أُبدي إليك اليوم ما أنا مضمرٌ — من الوجد في الأحشاء أم أتحمَّلُ؟!
وما أنا إلاّ هالكٌ إن كتمته — ولا شكَّ كتمان الهوى سوف يقتلُ
فخذ بعض ما عندي وبعض أصونه — فإن رمتُ صون الكلِّ فالحال مشكلُ
لقد كنتُ خلواً من غرام وصبوة — أبيت ومالي في الهوى قطُّ مدخلُ
إلى أن دعاني للصبابة شادنٌ — تحيّر فيه الواصفون وتذهلُ
بديع جمال لو يَرى الحسنُ حسنَه — فلا تعجبوا فالله ما شاء يفعلُ
دعاني فلم ألبث ولبَّيتُ عاجلاً — وما كنت لولا ذلك الحسن أعجلُ
بذلتُ له روحي وما أنا مالكٌ — وفي مثله الأرواح والمال تُبذلُ
وصرتُ له خِدناً ثلاثون حجَّة — اعانق منه الشمس والليل أليلُ
بسمعيَ وقْرٌ إن لحا فيه كاشحٌ — كذاك به عن عذل من راح يعذلُ
إلى أن بدا شيبي ولاح بياضه — كمالاح قرنٌ من سناالشمس مسدلُ
وبدَّل وصلي بالجفا متعمِّداً — وما خلته للهجر والصدِّ يفعلُ
فحاولته وصلاً فقال لي ابتدأ — وإلاّ يميناً إنَّه ليس يقبلُ
وفرَّ كما من « حيدرٍ » فرَّ قرنه — وقد ثار من نقع السنابك قسطلُ
غداة رأته المشركون وسيفه — بكفيه منه الموت يجري ويهطلُ
حسامٌ كصل الرّيم في جنباته — دبيبٌ كما دبَّت على الصخر أنملُ

إذا ما انتضاه واعتزى وسط مازقٍ تزلزل خوفاً منه رضوى ويذبلُ
بـه مرحبٌ عضَّ التراب معفَّراً وعمرو بن ودّ راحَ وهـو مجـدَّلُ
وقام به الإسـلام بعد اعـوجاجـه وجـاء به الـدين الحنيف يُكمَّـلُ

إلى أن يقول فيها:

هو الضارب الهامات والبطل الذي بضربته قد مات في الحال نوفلُ
وعـرَّج جبـريـل الأمين مصـرِّحـاً يُكبِّـرُ فـي افق الـسمـا ويُـهلّلُ
أخو المصطفى يوم « الغدير » وصنوه ومضجعـه في لحـده والمغسِّـلُ
له الشمس رُدَّت حين فاتت صلاته وقد فاته الوقت الذي هو أفضـلُ
فصلّى فعادت وهي تهوي كـأنَّها إلى الغرب نجمٌ للشياطين مُرسلُ
أمـا قـال فيـه أحمـد وهـو قـائمٌ على منبر الأكوار والناس نُزَّلُ؟(١)
: عليٌّ أخي دون الصحابة كلّهم به جاءني جبريل إن كنت تسألُ
عليٌّ بـأمر الله بعـدي خليفـةٌ وصيّي عليكم كيف ما شاء يفعلُ
ألا إنّ عـاصيه كعـاصي محمَّـد وعاصيه عاصي الله والحقُّ أجملُ
ألا إنَّـه نفسي ونفسيَ نـفسـه بـه النصُّ أنبـا وهـو وحيٌ منـزَّلُ
ألا إنّني لـلعلم فيكـم مـدينـةٌ عليٌّ لهـا بـابٌ لمن رام يـدخـلُ
ألا إنَّـه مـولاكـمُ ووليّـكـم وأقضـاكمُ بالحقّ يقضي ويعـدلُ
فقالوا جميعاً: قد رضيناه حاكماً ويقـطع فينـا مـا يشـاء ويـوصـلُ
ويكفيكمُ فضـلاً غـداة مسيـره إلى « يثرب » والقوم تعلوا وتسفلوا
وقد عطشوا إذ لاح في الدير قائمٌ لهم راهبٌ جمُّ الـعلوم مـكمَّـلُ
فنـاداه من بُعـدٍ وأعـلا بصـوتـه فكـاد على خوف من الرُّعب ينـزلُ
فاشرف مذعوراً فقال: فهل ترى بقـربـك مـاءاً أيّهـا المتبتِّـلُ؟!
فقـال: وأنّى بـالميـاه وأرضنـا جبـالٌ وصخرٌ لا تـرام وجندلُ؟!
ولكن في الإنجيـل إنّ بقـربنـا على فـرسخين لا محـالـة منهـلُ
ولـم يـره إلاّ نـبـيٌّ مـطهَّـرٌ وإلاّ وصيٌّ لـلنبـيّ مُـفـضَّـلُ

(١) في بعض المصادر: والجمع حفل.

فسار على اسم الله للماء طالباً ... وراهب ذاك الدير بالعين يأملُ
فأوقف والفرسان حول ركابه ... ونار الظما في أنفس القوم تشعلُ
فقال لهم: يا قوم هذا مكانكم ... فمن رام شرب الماء للحفر ينزلُ
فما كان إلّا ساعةً ثمَّ أشرفوا ... على صخرة صمّاء لا تتقلقلُ
لُجينيَّةً ملساً كأنَّ أديمها ... اذيب عليها التِّبر أو ريف منخلُ
فقال: اقلبوها فاعتزوا عند أمره ... على ذاك كُلاًّ وهي لا تتجلجلُ
فقالوا جمعياً: يا عليُّ فهذه ... صفاتٌ بها تعي الرِّجال وتذهلُ
فمد إليها ما انحنى فوق سرجه ... يميناً لهاإلّا غدت وهي أسفلُ
وزجَّ بها كالعود في كفِّ لاهبٍ ... فبان لهم عذبٌ من الماء سَلسلُ
فأوردهم حتّى اكتفوا ثمَّ عادها ... على الجبِّ لا يعي ولا يتململُ
فلما رآها الراهب انحطَّ مُسرعاً ... لكفيه ما بين الأنام يُقبِّلُ
وأسلم لما أن رأوا هو قائلٌ ... : أظنّك آليّاً وما كنت أجهلُ

[القصيدة ١٠٤ أبيات]

٢

من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

لعمرك يا فتى يوم « الغدير » ... لأنت المرء أولى بالامورِ
وأنت أخٌ لخير الخلق طرّاً ... ونفسٌ في مباهلة البشيرِ
وأنت الصنووالصهر المزكّى ... ووالد شبَّر وأبو شبيرِ
وأنت المرء لم تحفل بدنياً ... وليس له بذلك من نظيرِ
لقد نبعت له عينٌ فظلّت ... تفور كأنَّها عنق البعيرِ
فوافاه البشير بها مغذّاً ... فقال عليٌّ: أبشر يا بشيري
لقد صيَّرتُها وقفاً مُباحاً ... لوجه الله ذي العزِّ القديرِ
وكان يقول: يا دُنياي غرّي ... سواي فلست من أهل الغرورِ
وصابر مع حليلته الأذايا ... فنالا خير عاقبة الصَّبورِ
وقال امّ أيمن: جئت يوماً ... إلى الزهراء في وقت الهجيرِ

فلّما أن دنوت سمعت صوتاً ... وطحناً في الرّحاء بلا مُديرِ
فجئت الباب أقرعه نغوراً ... فما من سامعٍ لي في نغوري
فجئت المصطفى وقصصت شأني ... وما أبصرتُ من أمرٍ زعورِ
فقال المصطفى: شكراً لربٍّ ... بإتمام الحباء لها جديرِ
رآها الله مُتعبةً فألقى ... عليها النوم ذو المنِّ الكثيرِ
ووكلّ بالرّحا ملكاً مُديراً ... فعدت وقد ملئت من السرورِ
تزوَّج في السماء بأمر ربّي ... بفاطمة المهذَّبة الطَّهورِ
وصيرّ مهرها خمس الأراضي ... بما تحويه من كرمٍ وخيرِ
فذا خير الرِّجال وتلك خير ... النساء ومهرها خير المهورِ
وابناها الأولى فضلوا البرايا ... بتنصيص اللطيف بهاالخبيرِ
وصيَّر ودّهم أجراً لطاها ... بتبليغ الرِّسالة في الأجورِ

(بيان) في هذه القصيدة ايعاز إلى جملة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام منها حديث المؤاخاة الذي أسلفناه في ج ٣ ص ١٤٨ - ١٦١. وقصَّة المباهلة وانَّه فيها نفس النبيّ الأقدس بنصٍّ من الكتاب(١).

ومنها حديث نبعة العين، أخرجه الحافظ ابن السمان في الموافقة وعنه محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٢٨: انَّ عمر أقطع عليّاً ينبع ثمَّ اشترى أرضاً إلى جنب قطعته فحفر فيها عيناً فبينما هم يعملون فيها إذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فأتي عليٌّ فبشّر بذلك فقال: بشِّروا الوارث. ثمَّ تصدَّق بها. الحديث(٢).

وقال إبن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٦٠: جاء في الأثر: انَّ أمير المؤمنين عليه السلام جاءه مخبرٌ فأخبره: انَّ مالاً له قد انفجرت فيه عينٌ خرَّارةٌ يبشّره بذلك. فقال: بشِّر الوارث. بشر الوارث يكرِّرها ثمَّ وقف ذلك المال على

---

(١) في قوله تعالى: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (آل عمران ٦١)

(٢) وبهذا اللفظ يوجد في (الإمام علي) تأليف الشيخ محمد رضا المصري ص١٧.

الفقراء وكتب به كتاباً في تلك الساعة.

وإلى صدقات أمير المؤمنين في ينبع أشار الحموي في « معجم البلدان » ج ٨ ص ٢٥٦، والسمهودي في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٣ وغيرهما.

ومنها قوله عليه السلام: يا دنيا غرّي غيري. أخرجه جمعٌ من الحفّاظ كما مرَّ في ج ٢ ص ٣٣٣.

ومنها حديث طحن الرّحا بلا مدير. أخرجه الحفّاظ بلفظ أبي ذرٍّ الغفاري قال أرسله رسول الله ﷺ ينادي عليّاً فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبيَّ ﷺ بذلك فقال: يا أباذر! أما علمت انّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض قد وُكّلوا بمعاونة آل محمَّد ﷺ[1].

ومنها حديث زواج الزَّهراء الصّديقة ذكرناه في الجزء الثاني ص ٣٦٥ - ٣٧٠ وج ٣ ص ٣٩ - ومنها: انَّ ودَّ آل محمَّد أجر رسالته ﷺ وقد مرَّ تفصيله في الجزء الثاني ص ٣٥٥ - ٣٦١.

٣

من قصيدة في مدح أمير المؤمنين

أرضِ الآله وأسخطِ الشيطانا ... تعط الرِّضا في الحشر والرِّضوانا
وامحض ولاءك لِلّذين ولاؤهم ... فرضٌ على مَن يقرأ القرآنا
آل النبيِّ محمَّد خير الورى ... وأجلّهم عند الإله مكانا
قومٌ قوام الدين والدنيا بهم ... إذ أصبحوا لهما معاً أركانا
قومٌ إذا أصفى هواهم مؤمنٌ ... يُعطى غداً ممّا يخاف أمانا
قومٌ يطيع الله طائع أمرهم ... وإذا عصاه فقد عصى الرَّحمانا
وهم الصِّراط المستقيم وحبّهم ... يوم المعاد يثقِّل الميزانا
والله صيَّرهم لمحنة خلقه ... بين الضَّلالة والهُدى فُرقانا

(١) سيرة الملا، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٣، الاصابة ص١٠٥، اسعاف الراغبين ص ١٥٨، اعجب ما رأيت ج ١ ص٨، الإمام علي للشيخ محمد رضا ص ١٨.

حفظوا الشريعة قائمين بحفظها ينفون عنها الزّور والبهتانا
وأتى القرآن بفرض طاعتهم على كلِّ البريَّة فاسمع القرآنا
وتوالت الأخبار أنَّ محمَّداً بولائهم وبحفظهم أوصانا
مَن سبَّحت في كفِّه بيض الحصا ليكون ذاك لصدقه تبيانا
مَن أنزل الله الكتاب عليه في كلِّ العلوم ليغتدي برهانا
مَن بلّغ الدنيا بنصب وصيه يوم « الغدير » ليكمل الايمانا
مَن ذا له يوم « الغدير » فضيلةٌ إذ لا تطيق لفضله جحدانا
مَن آكل الطير الذى لم يستطع خلقٌ له جحداً ولا كتمانا
من آكل القطف الجنيِّ على حرى وإليه أهدى ربّه رمّانا
مَن فيه أنزل هل أتى ربُّ العُلى وجزاه حور العين والولدانا
مَن نصَّ أحمد في مزاياه التي لم يُعطها ربُّ العلى إنسانا
مَن لا يُواليه سوى ابن نجيبةٍ حفظت أباه وراعت الرَّحمانا

[القصيدة ٢٧ بيتاً]

٤

يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الغدير:

يا عيد يوم الغدير عُد بالهنا والسرور
فـفيك أضحى عليٌّ أمير كلِّ أمير
غداة جبريل وافى من السَّميع البصير
وقال: يا أحمد انزل بجنب هذا الغدير
بلِّغ وإلّا فما كنت قائماً بالامور
فأنزل الجمع كُلّاً ثمّ اعتلى فوق كور
وقال: قد جاء أمرٌ من اللطيف الخبير
بأن اقيم عليّاً خليفةً في مسيري
فبايعوه فما في الورى له من نظير
إمامُ كلِّ إمامٍ مولى لكلِّ كبير

بابٌ إلى كلّ رُشدٍ   نورٌ علا كلَّ نورِ
وحجَّة الله بعدي   على الجحود الكفورِ
وبعده الغرّ منه   فَهُمْ كعدِّ الشهورِ
أسماؤهم في المثاني   كثيرةٌ للذّكورِ
في صُحف موسى وعيسى   مكتوبةٌ والزَّبورِ
ما زال في اللوح سطراً   يلوح بين السُطورِ
تزور أملاك ربّي   منه لخير مزورِ
وأشهد الله فيما   أبدى وكلَّ الحضورِ
فقام مَن حلَّ خُمّاً   مِن بين جمٍّ غفيرِ
وبايعوه بأيدٍ   مخالفات الضميرِ
والله يعلم ماذا   أخفوا بذات الصُدورِ

٥

وله يمدحه صلوات الله عليه:

ما لعليٍّ سوى أخيه   محمَّد في الورى نظيرُ(١)
فداهُ إذ أقبلت قريشٌ   إليه في الفرش تستطيرُ
وكان في الطائف انتجاه   فقال أصحابه الحضورُ
: أطلت نجواك من عليٍّ   فقال ما ليس فيه زورُ
: ما أنا ناجيته ولكن   ناجاه ذو العزَّة الخبيرُ
وقال في خمٍّ: إنَّ عليّاً   خليفةٌ بعده أميرُ
وكان قد سدَّ باب كلٍّ   سواه فاستغرت الصدورُ
وأكثروا القول في عليٍّ   بذا ودبَّت له الشرورُ
فقال: ما تبتغون منه؟!   وهو سميعٌ لهم بصيرُ

---

(١) أشار به إلى ما أخرجه الحافظ محب الدين الطبري في رياضه ج٢ ص ١٦٤ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من نبي إلا وله نظير من أمته وعلي نظيري. ورواه غيره من الحفاظ.

ما أنا أوصدتها ولكن　　أوصدها الأمر القديرُ
يا قوم إني امتثلت أمراً　　أوحاه لي الراحم الغفورُ
فكان هذا له دليلاً　　بأنّه وحده الظهيرُ

٦

وله من قصيدةٍ كبيرةٍ في مدحه صلوات الله عليه:

وقال لأحمد بلّغ قريشاً　　أكن لك عاصماً إن تستكينا
فإن لم تُبلغ الأنباء عنّي　　فما أنت المبلّغ والأمينا
فأنزل بالحجيج «غدير خمّ»　　وجاء به ونادى المسلمينا
فأبرز كفّه لِلنّاس حتّى　　تبيَّنها جميع الحاضرينا
فأكرم بالذي رفعت يداه　　وأكرم بالذي رفع اليمينا
فقال لهم وكلُّ القوم مُصغٍ　　لمنطقه وكلٌّ يسمعونا
: ألا هذا أخي ووصيٌّ حقٍّ　　وموفي العهد والقاضي الديونا
ألا مَن كنت مولاه فهذا　　له مولى فكونوا شاهدينا
تولّى الله مَن والى عليّاً　　وعادى مبغضيه الشانئينا

وجاء عن إبن عبد الله: انّا(١)　　به كنّا نمين المؤمنينا
فنعرفهم بحبِّهمُ عليّاً　　وإنّ ذوي النفاق ليعرفونا
ببغضهم الوصيَّ ألا فبعداً　　لهم ماذا عليهم ينقمونا
وممّا قالت الأنصار كانت　　مقالة عارفين مجرّبينا
ببغضهمُ علي الهادي عرفنا　　وحقّقنا نفاق منافقينا

٧

من قصيدة له يمدحه سلام الله عليه:

يوم «الغدير» لأشرف الأيّام　　وأجلّها قدراً على الإسلامِ
يوم أقام الله فيه إمامنا　　أعني الوصيَّ إمام كلِّ إمامِ

---

(١) ابن عبد الله هو جابر الأنصاري، أخرج الحفاظ حديثه هذا كما مر في الجزء الثالث ص٢٣٠

قال النبيُّ بدوح «خمّ» رافعاً كفَّ الوصيِّ يقول للأقوامِ
: مَن كنت مولاه فذا مولى له بالوحي من ذي العزَّة العلّامِ
هذا وزيري في الحياة عليكمُ فإذا قضيت فذا يقوم مقامي
يا ربّ والي مَن أقرَّ له الولا وانزل بمن عاداه سوء حمام
فتهافتت أيدي الرِّجال لبيعةٍ فيها كمال الدين والإنعامِ

٨

من قصيدة له يمدحه عليه السلام

تروم فساد دليل النّصوص ونصراً لإجماع ما قد جمعْ
ألم تستمع قوله صادقاً غداة «الغدير» بماذا صدعْ؟!
ألا إنَّ هذا وليٌّ لكم أطيعوا فويلٌ لمن لم يُطعْ
وقال له: أنت منّي أخي كهارون من صنوه فاقتنعْ
وقال له: أنت بابٌ إلى مدينة علمي لمن ينتجعْ
وقال لكم: هو أقضاكمُ وكلٌّ لمن قد مضى متّبعْ
ويوم براءة نصَّ الإِلٰه جلَّ عليه فلا تختدعْ
وسماه في الذكر نفس الرسول يوم التباهل لما خشعْ
ويوم المواخاة نادى به : أخوك أنا اليوم بي فارتفعْ
ويوم أتى الطير لَمّا دعا النبيُّ الإِلٰه وأبدى الضرعْ
أياربِّ ابعث أحبَّ الأنامِ إليك لنأكل كل في مجتمعْ
فلم يستتمَّ النبيُّ الدعاء إلّا وقد جاء ثمَّ ارتجعْ
ثلاث مرارٍ فلمّا انتهى إلى الباب دافعه واقتلعْ
فقال النبيُّ له: ادخل فقد أطلت احتباسك يا ذا الصلعْ
فخبّره: انّه قد أتى ثلاثاًودافعه مَن دفعْ
فقطّب في وجه من ردَّه وأنكر ما بأخيه صنعْ
وورّثه بَرَصاً فاحشاً فظلَّ وفي الوجه منه بقعْ
ففيمَ تخيَّرتُم غير مَن تخيَّره ربّكم واصطنعْ؟!
وكيف تعارض هذي النصوص بإجماع ذي الحقد أو ذي الطمعْ؟!

٩

وله من قصيدة في المديح

يـا سائلي عن « حيدر » أعييتني — أنا لست في هذا الجواب خليقا
الله سـمّـاه عـليّـاً بـاسـمـه — فسما علوّاً في العـلا وسمـوقـا
واختـاره دون الـورى وأقـامـه — عَلماً إلى سُبل الهـدى وطريقـا
أخـذ الإِلـه على البـريَّة كلّهـا — عهـداً له يوم « الغـديـر » وثيقـا
وغداة واخى المصطفى أصحـابه — جعـل الـوصيَّ لـه أخـاً وشقيقـا
فرق الضلال عن الهدى فرقى إلى — أن جـاوز الجـوزاء والعيّـوقـا
ودعـاه أمـلاك السَّمـاء بـأمـر من — أوحى إليهم حـيـدر الفـاروقـا
وأجـاب أحمد سـابقـاً ومصـدِّقـاً — مـا جاء فيـه فسمِّي الصـدّيقـا
فـإذا ادَّعى هـذه الأسـامي غيـره — فليـأتنـا في شـاهـدٍ تـوثيقـا

أشار إلى ما مرَّ في الجزء الثاني ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ والجزء الثالث ص ٢٣٦ من انَّ عليّاً هو صدِّيق هذه الامَّة وفاروقها بنصٍّ صحيحٍ ثابتٍ من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

١٠

من قصيدة له يمدحه صلوات الله عليه .

يـا راكباً أُجـداً(١) تخبُّ وتوضـعُ — في سـرعةٍ والشـوق منهـا أسـرعُ
لله مـا أخـطأك من رجـلٍ لـه — عنـد الغـريِّ لبـانـةٌ لا تمنـعُ
يجلي عليـك من الهداية مشرقٌ — ومن الإمـامـة والـولاية مـطلعُ
جـدثٌ به نـور الهـدى مُستودعٌ — في ضمنـه العلَم البطين الأنـزعُ
جـدثٌ يـدلُّ عليـه طيب نسيمـه — قبـل الـورود وضـوء نـور يلمـعُ
جـدثٌ ربيـع المؤمنين بـربعـه — فـقـلوبـهـم أبـداً لـه تـتـطلّعُ
جدثٌ به الرِّضوان والغفران والا — يمـان والفضـل الـذي تتـوقّـعُ
جـدثٌ تحجُّ إليـه أمـلاك السمـا — إذ في جـوانبه المنـاسك أجمـعُ

(١) ناقة أُجد : قوية .

بعضٌ قيامٌ خاضعون لفضله ... أبداً وبعضٌ ساجدون وركَّعُ
فإذا وصلت إليه فالثم تربه ... في مدمعٍ يجري وقلب يخشعُ
وقل: السَّلام عليك يا مولىً يرى ... عملي ويشهد ما أقول ويسمعُ
إنّي قصدتك زائراً ومسلّماً ... ومواليّاً يا من يضرُّ وينفعُ
لتكون لي يوم القيامة شافعاً ... وهواك يقدمني إليك ويشفعُ
عجباً لعمي عن ولاك ونوره ... كالشمس طالعة تضيء وتسطعُ
فكأنَّهم لم يسمعوا ما قاله ... فيك المهيمن في الكتاب ولم يَعوا
أوليس مَن يهدي إلى الحقِّ الذي ... يُنجي أحقُّ بالاتّباع فيتبعُ؟!
أولم يك السور الذي أضحى له ... بابٌ وفيه للمحاول مقمعُ؟!
والباب باطنه المغيّب رحمة ... لكنَّ ظاهره العذاب الأفظعُ
تركوا سبيل الرُّشد بعد نبيِّهم ... سفهاً وتاهوا في العمى وتسكّعوا
أنّى ينال مُفاخرٌ فخر امرءٍ ... ساد البريَّة وهو طفلٌ يرضعُ
والله ما قعد الوصيُّ لذلَّةٍ ... عنهم فإنَّهمُ أذل وأوضعُ
لكن أراد بأن يُقيم عليهمُ ... الحجج التي أسبابها لا تُدفعُ
غدروا به يوم « الغدير » ولم يفوا ... ولعهده المسؤول منهم ضيَّعوا
يا قاسم النيران أُقسم صادقاً ... بهواك حلفة مؤمن يتشيَّعُ
أنت الصِّراط المستقيم على لظى ... وإليك منها يا عليُّ المفزعُ
والحوض حوضك فيه ماءٌ باردٌ ... في البعث تسقي مَن تشاء وتمنعُ
ولك المفاتح أنت تُسكن ذا لظى ... يصلى وهذا في الجنان يُمتَّعُ
إنّي زرعت هواك في أرض الحشا ... والمرء يحصد في غدٍ ما يزرعُ

١١

من قصيدة له يمدح أمير المؤمنين عليه السلام

عليٌّ عليُّ القدر عند مليكه ... وإن أكثرت فيه الغُواة ملامها
وعروته الوثقى التي مَن تمسَّكت ... يداه بها لم يخش قطُّ انفصامها
فكم ليلة ليلاء لله قامها ... وكم ضحوةٍ مسجورة الحرِّ صامها

وكم غمرة للموت في الله خاضها ... وأركـان ديـن للنبـيِّ أقـامهـا
فـواخـاه من دون الأنـام فيـالهـا ... غنيمـة فـوز مـا أجلّ اغتنـامهـا
وولاه في يوم « الغدير » على الورى ... فـأصبح مـولاهـا وكـان إمـامهـا
هو المختلي في بدر أرؤس صيدها ... كما تختلي شهب البزاة حمـامها
وصاحب يوم الفتح والرايـة التي ... بـرجعتهـا أخـزى الإلـه دلامهـا
فقال: سأعـطيها غـداً رجلاً بهـا ... مُلبّـاً يُـوَفّي حقّهـا وذمـامهـا
وقال له: خُذ رايتي وامض راشداً ... فما أنا أخشى من يديك انهزامها
فمـرَّ أميـر المؤمنيـن مشـمِّـراً ... بـرايتـه والنصـر يسـري أمـامهـا
وزجّ بباب الحصن عن أهل خيبرٍ ... وسقّى الأعـادي حتفها وحمـامها
وجـدَّل فيها مـرحباً وهـو كبشهـا ... وأوسـع آنـاف اليهـود ارتغـامهـا
وسل عنه في سلع وعن عظم فعله ... بعمرو ونار الحرب تذكي اضطرامها
وأفئـدة الأبـطال تـرجف هيبـةً ... وقد أخفت الرُّعب الشديد كلامها
فقـام إليـه مـن أقـام بسيفـه ... حـلائله ثكلى تـطيـل التـدامهـا
وقال: على تأويـل ما الله منـزلٌ ... تُقـاتـل بعـدي يـا عليُّ طغـامهـا
فقـاتـل جيش النـاكثين لعهـدهم ... وأثكـل يوم القـاسـطين شئـامهـا
وأجـرى بيـوم المـارقين دمـاءهم ... وأخلى من الأجسام بالسيف هامها

١٢

من قصيدة له يمدحه صلوات الله عليه:

ولاء الـمـرتـضـى عُـدديِ ... لـيـومـي فـي الـورى وغَـدي
أمـيـر نـحـل مـولـى الـخـلق ... فـي « خُـمّ » عـلى الأبـد
غـداة يـبـايـعـون الـمـرتضـى ... أمـراً بـمـدِّ يـدِ
شـبـيـه الـمـصـطفى بـالـفـ ... ـضـل لـم يـنـقـص ولـم يـزد
وجـنـب الله فـي كـتـب ... وعـيـن الـواحـد الـصَّـمـد
فـلـن تـلـد الـنـسـا شـبـهـاً ... لـه كَـلّا ولـم تـلـدِ
مجلّي الـكـرب يـوم الحـرب ... فـي بـدرٍ وفـي أُحدِ

وخيبر والنُضير كذا وسلع خندق البلدِ
إذ الهيجاء هاج لها بقلب غير مُرتعدِ
ترى الأبطال باطلةً لخوف الفارس الأسدِ
فأنفسهم مودعةٌ لهمُ بتنفّس الصعدِ
وقد خفتوا لهيبته فلست تحسُّ من أحدِ
فلم تسمع لغير البيض فوق البيض والزّردِ[١]

ولشاعرنا العبدي غديريّات اخرى يأتي بعضها ونصفح عن بعضها.

(الشاعر)

أبو الحسن عليّ بن حمّاد بن عُبيد الله بن حمّاد العدويُّ العبدي[٢] البصري.

كان حمّاد والد المترجم أحد شعراء أهل البيت عليهم السَّلام كما ذكره ولده شاعرنا في شعره بقوله من قصيدة:

وإنَّ العبد عبدكُم عليّاً كذا حمّاد عبدكمُ الأديبُ
رثاكم والدي بالشعر قبلي وأوصاني به أن لا أغيبُ

والمترجَم له عَلَمٌ من أعلام الشيعة، وفذٌّ من علمائها، ومن صدور شعرائها، ومن حفظة الحديث المعاصرين للشيخ الصَّدوق ونظرائه، وقد أدركه النجاشي وقال في رجاله: قد رأيته. غير أنَّه يروي عنه كتب أبي أحمد الجلودي البصري المتوفّى سنة ٣٣٢ بواسطة الشيخ أبي عبد الله بن الحسين بن عبيد الله الغضائري المتوفّى سنة ٤١١، فهو من مشايخ هذا الشيخ المعظَّم الواقعين في سلسلة الإجازات، والمعدودين من مشايخ الرُّواة، وأساتذة حملة الحديث، وحسبه ذلك دلالةً على ثقته وجلالته وتضلّعه في العلم والحديث.

---

(١) الزرْد والزرَد: حلق المغفر والدرع.
(٢) نسبة إلى عبد القيس كما يأتي في شعر المترجم.

وأمّا الشعر فلا يشكّ أحدٌ أنّه من ناشري ألويته، وعاقدي بنوده، ومنظّمي صفوفه، وقائدي كتائبه، وسائقي مقانبه، وجامعي شوارده، وقد اطّرد ذكره في المعاجم[١] كما تداول شعره في الكتب والمجاميع وهو من المكثرين في أهل البيت عليهم السَّلام مدحاً ورثاءاً ولقد أكثر وأطاب، وجاهر بمديحهم وأذاع حتّى عدَّه إبن شهراشوب في المجاهرين من شعرائهم، وجمع شعره فيهم صلوات الله عليهم مدحاً ورثاءاً العلاّمة السماوي في ديوان يربو على ٢٢٠٠ بيتاً، وجُلّ شعره يشفُّ عن تقدُّمه الظاهر في الأدب، وأشواطه البعيدة في فنون الشعر، وخطواته الواسعة في صياغة القريض، كما أنَّه ينمُّ عن علمه المتدفّق، وتضلّعه في الحديث، وبذل كلِّهِ في بثِّ فضائل آل الله، وجمع شوارد الحقائق الراهنة في المذهب الحقِّ، ونشر ما ورد منها في الكتاب والسنّة، وإقامة الدعوة إلى سنن الهدى، فشعره بعيدٌ عن الصّور الخياليّة بل هو لسان حِجاج وبرهنة، ونظم بيِّنات ودلائل، وبيانٌ قيِّم لمذهبه العلوي.

قال نجم الدين العمري في [المجدي] في ذكر ولد زيد بن عليّ: أنشدني أبو علي بن دانيال وكان من ذي رحمي رحمة الله من قصيدة أنشدها إيّاه الشيخ أبو الحسن عليُّ بن حمّاد بن عُبيد العبدي الشاعر البصري رحمه الله لنفسه:

قال إبن حمّاد وقال له فتى ... قد جاء يسأله: جهلتك فاعذرِ
قد كنت أصبو أن أراك فأقتدي ... بصحيح رأيك في الطريق الأنورِ
وأُريد أسأل مُستفيداً قلت: سلْ ... واسمع جواباً قاهراً لم يقهرِ
قال: الإمامة كيف صحّت عندكم ... من دون زيدٍ والأنام لجعفرِ؟!
قلت: النصوص على الأئمَّة جاءنا ... حتماً من الله العليِّ الأكبرِ
إنَّ الأئمَّة تسعةٌ وثلاثةٌ ... نقلاً عن الهادي البشير المنذرِ

---

(١) كرجال النجاشي ص ١٧١، الأنساب للمجدي، معالم العلماء، ايضاح الاشتباه للعلامة الحلي، مجالس المؤمنين ص ٤٦٤، رياض العلماء، رياض الجنة في الروضة الخامسة. تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٦

لا زائـدٌ فيهـم وليس بـنـاقصٍ   منهم كما قد قيل عدّ الأشهرِ
مثل النبـوّة صُيّـرت في معشرٍ   فكذا الإمامة صُيّرت في معشرِ

(قال نجم الدين) : هذا كلامٌ حسنٌ، وحجّةٌ قويّةٌ، لأنَّ حاجة الناس إلى الإمام أعني الخليفة كحاجتهم إلى النبيّ ﷺ لأنّه القائم بإعلاء سنّته السنيَّة في كلِّ زمان. رجع إلى كلام أبي الحسن إبن حمّاد رحمه الله :

قـال: الإمـامـة لا تتمُّ لقـائمٍ   مـا لم يجـرّ بسيفـه ويشهَّـرِ
فلذاك زيـدٌ حـازهـا بقيـامـه   من دون جعفـر فادَّكر وتـدبَّـرِ

(قال نجم الدين): هكذا أنشدني بفتح الراء من « جعفـرَ » وهو رأي الكوفيين أعني منعه من الصرف.

قلت: الوصيّ على قياسك لم ينل   حظَّ الخلافة بل غدت في حبترِ
إذ كـان لم يـدع الأنـام بسيفـه   قـطعاً فيـا لك فـرية من مفتري
وكـذلك الحسن الشهيـد بتـركـه   بـطلت إمامته بقولِـك فـانـظري
والعـابـد السجّـاد لم يُـر داعيـاً   ومشهّـراً للسيـف إذ لم يُـنصـرِ
أفكـان جعفـر يستثير عـداتـه؟!   ويُـذيـع دعـوتـه ولمّـا يُؤمرِ؟!

(قال نجم الدين): يريد أنّ المأمور كان زيداً لا جعفراً

ودليـل ذلك قـول جعفر عنـدما   عُـزّي بـزيـد قـال كـالمستعبـرِ
: لو كان عمّي ظافراً لـوفى بما   قد كان عـاهد غيـر أن لم يظفـرِ

أشار إبن حمّاد بهذين البيتين إلى ما مرَّ عن الحافظ المرزباني والكشّي في الجزء الثاني ص ٢٥٩ وفي الثالث ص ٩٨.

ولادته ووفاته:

لم نقف على تاريخ ولادة إبن حمّاد ووفاته غير أنَّ النجاشي الذي أدركه وراه ولم يرو عنه وُلد في صفر سنة ٣٧٢، وشيخه الذي يروي عنه وهو الجلودي البصري توفّي ١٧ ذي الحجّة سنة ٣٣٢ فيستدعي التاريخان انَّ المترجم وُلد في أوائل القرن الرابع وتوفّي في أواخره.

وقفنا لابن حمّاد على قصيدةٍ في مجموعةٍ عتيقة مخطوطةٍ في العصور المتقادمة، وقد ذكر إبن شهراشوب بعض أبياتها ونسبه إلى العبدي [سفيان بن مصعب] المترجَم له في الجزء الثاني ص٣٤١ ، وتبعه البياضي في « الصِّراط المستقيم » وغيره والقصيدة للمترجَم له وهي :

أسائلتي عمّا الاقي من الأسا ... سلي الليل عنّي هل اجنُّ إذا جنا؟!
ليخبركِ انّي في فنونٍ من الجوى ... إذا ما انقضا فنٌّ يوكّل بي فنّا
وإن قلت: إنَّ الليل ليس بناطقٍ ... قفي وانظري واستخبري الجسد المضنى
وإن كنت في شكٍّ فديتك فاسئلي ... دموعي التي سالت وأقرحت الجفنا
أحبَّتنا لو تعلمون بحالنا ... لَمَا كانت اللّذات تُشغلكم عنّا
تشاغلتموا عنّا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران ما هكذا كنّا
وآليتموا أن لا تخونوا عهودنا ... فقد وحياة الحبِّ خُنتم وما خُنّا
غدرتم ولم نغدر وخُنتم ولم نخن ... وحُلتم عن العهد القديم وما حُلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم ... ونحن على صدق الحديث الذي قلنا
أيهنا لكم طيب الكرى وجفوننا ... على الجمر؟! لا تهنا ولا بعدكم نمنا
أنخنا بمغناكم لتحيى نفوسنا ... فما زادنا إلّا جوىً ذلك المغنا
سنرحل عنكم إن كرهتم مقامنا ... ونصبر عنكم مثل ما صبركم عنّا
ونأخذ مَن نهوى بديلاً سواكمُ ... ونجعل قطع الوصل منكم ولا منّا
تعالوا إلى الإنصاف فيما ادَّعيتموا ... ولا تفرطوا بل صحِّحوا اللفظ والمعنى
أليتكمُ ناصفتمونا فريضة ... بانَّ لكم نصفاً وأنَّ لنا ثُمنا
إذا طلعت شمس النهار ذكرتكم ... وإن غربت جدَّدت ذكركمُ حُزنا
وإنّي لأرثي للغريب وإنّني ... غريب الهوى والقلب والدار والمغنى
لقد كان عيشي بالأحبَّة صافياً ... وما كنت أدري أنَّ صحبتنا تفنى
زمانٌ نعمنا فيه حتّى إذا مضى ... بكينا على أيّامه بدم أقنا
فوالله ما زال اشتياقي إليكمُ ... ولا برح التسهيد لي بعدكم جفنا
ولا ذقت طعم الماء عذباً ولا صفت ... موارده حتّى نعود كما كنّا
ولا بارحتني لوعة الفكر والجوى ... ولا زلت طول الدَّهر مقترعاً سنّا

وما رحلوا حتّى استحلّوا نفوسنا ... كـأنّهمُ كـانـوا أحقّ بهـا منّـا
ترى منجدي في أرض بغداد واهناً ... لـزهـدكمُ فينـا وبُعـدكمُ عنّـا
أيزعم أن أسلو!؟ ويشغل خاطري ... بغيـركمُ مُستبدلاً؟! بئس ماظنّنا
أيـا ساكني نجـدٍ سـلامي عليكمُ ... ظنّنا بكم ظنّاً فأخلفتموا الظنّا
امثّـل مـولاي الحسين وصحبـه ... كـأنجم ليل بينهـا البدر أو أسنـا
فـلمـا رأتـه اختـه وبنـاتـه ... وشمـرٌ عليه بـالمهنّد قـد أحنى
تعلّقنَ بـالشمر اللعين وقلنَ: دَعْ ... حسيناً فلا تقتله يا شمرُ واذبحنا
فـحـزَّ وريـديـه وركّب رأسـه ... على الرُّمح مثل الشمس فارقت الدجنا
فنادت بطول الـويل زينب اختـه ... وقد صبغت من نحره الجيب والرّدنا
: ألا يا رسول الله يا جدّنا اقتضت ... أُميَّة منّـا بعـدك الحقـد والضغنـا
سُبينـا كمـا تُسبى الإمـاء بـذلّـةٍ ... وطيف بنـا عـرض البـرد وشُتّنا
ستفنى حيـاتي بـالبكـاء عليهمُ ... وحزني لهم باقٍ مدى الدّهر لا يفنى
ألا لعن الله الّـذي سنَّ ظلمـهم ... وأخزى الّذي أمـلا له وبـه استنّا
سـأمدحكم يـا آل أحمد جـاهداً ... وأمنح مَن عاداكم السبَّ واللعنـا
ومَن منكمُ بـالمـدح أولى لأنّكمُ ... لأكـرم من لبّى ومن نحر البُـدنـا
بجـدّكمُ أسرى البـراق فكان مِن ... إلـه البرايـا قابَ قـوسين أو أدنا
وشخص أبيكم في السّماء تزوره ... ملائك لا تنفكُّ صبحاً ولا وهنـا
أبـوكم هـو الصـدّيق آمَن واتّقى ... وأعطى وما أكدى وصدّق بالحُسنى
وسمّاه في القرآن ذو العرش جنبه ... وعـروته والعين والـوجـه والاذنـا
وشـدَّ بـه أزر الـنبيِّ محـمّـدٍ ... وكـان له في كـلّ نائبـةٍ رُكنـا[١]
وأفـرده بـالعلم والبـأس والنّـدى ... فمن قدره يسمو ومن فعله يُكنى
هو البحر يعلو العنبر المحض فوقه ... كما الدّر والمرجان من قعره يُجنى
إذا عُـدّ أقران الكـريهة لم نجـد ... لحيدرة في القوم كفـواً ولا قرنـا
يخوض المنايا في الحروب شجاعة ... وقد ملأت منه ليوث الشّرى جبنا
يرى الموت من يلقاه في حومة الوغا ... يُنـاديه من هنّـا ويدعـوه من هنّـا

---

(١) في بعض النسخ: حصنا.

إذا استعرت نار الوغى وتغشمرت فوارسها واستخلفوا الضرب والطعنا
وأهدت إلى الأحداق كحلاً معصفراً وألقت على الأشداق أردية دكنا
وخلت بها زرق الأسنّة أنجماً ومن فوقها ليلاً من النقع قد جنّا
فحين رأت وجه الوصيِّ تمزقت كثلّة ظأنٍ أبصرت أسداً شنّا
فتىً كفّه اليسرى حمامٌ بحربه كذاك حياة السِّلم في كفّه اليُمنى
فكم بطلٍ أردى وكم مرهبٍ أودى وكم مُعدمٍ أغنى وكم سائلٍ أقنى
يجود على العافين عفواً بما له ولا يتبع المعروف من مَنّه مَنّا
ولو فضَ بين الناس معشار جوده لما عرفوا في النّاس بخلاً ولا ضَنّا
وكلُّ جوادٍ جاد بالمال إنّما قصاراه أن يستنّ في الجود ما سنّا
وكلُّ مديح قلتُ أو قال قائلٌ فإنَّ أمير المؤمنين به يُعنى
سيخسر مَن لم يعتصم بولائه ويَقرع يوم البعث من ندم سنّا
لذلك قد واليته مخلص الولا وكنت على الأحوال عبداً له قِنّا
عليكم سلام الله يا آل أحمد متى سجعت قمريّةٌ وعلت غصنا
مودَّتكم أجر النبيِّ محمّدٍ علينا فآمنّا بذاك وصدَّقنا
وعهدكم المأخوذ في الذرِّ لم نقل : لأخذه كلاّ ولا كيف أو أنّا
قبلنا وأوفينا به ثمّ خانكم اناسٌ وما خُنّا وحالوا وما حُلنا
طهرتم فطُهِّرنا بفاضل طهركم وطبتم فمن آثار طيبكمُ طبنا
فما شئتمُ شئنا ومهما كرهتموا كرهنا وما قلتم رضينا وصدّقنا
فنحن مواليكم تحنُّ قلوبنا إليكم إذا إلفٌ إلى إلفه حنّا
نزوركمُ سعياً وقلَّ لحقِّكم لو أنا على أحداقنا لكمُ زُرنا
ولو بضِعت أجسادنا في هواكمُ إذن لم نحل عنه بحالٍ ولا زلنا
وآبائنا منهم ورثنا ولاءكم ونحن إذا متنا نورِّثه الإبنا
وأنتم لنا نعم التجارة لم نكن لنحذر خسراناً عليها ولا غبنا
ومالي لا اثني عليكم وربُّكم عليكم بحسن الذكر في كتبه أثنى
وإنَّ أباكم يقسم الخلق في غدٍ فيُسكن ذا ناراً ويُسكن ذا عدنا

وأنتم لنـا غـوثٌ وأمنٌ ورحمـةٌ فمـا منكمُ بُـدٌّ ولا عنكمُ مغنى
ونعلم أن لـو لم نـدن بـولائكم لمـا قُبلت أعمالنـا أبـداً منّـا
وأنَّ إليكم في المعـاد إيـابنـا إذا نحن من أجداثنا سُرَّعـاً قمنـا
وأنَّ عليكم بعـد ذاك حسابنـا إذا مـا وفدنـا يوم ذاك وحـوسبنـا
وأنَّ مـوازين الخـلائق حبّكم(١) فـأسعدهم مَن كـان أثقلهم وزنـا
ومـوردنا يـوم القيـامـة حـوضكم فيظما الذي يقصى ويروى الذي يدنى
أمـر صـراط الله ثـمَّ إلـيـكـم فطوبا لنا إذ نحن عن أمركم جزنا
ومـا ذنبنا عنـد النّـواصب ويلهم سـوى أنّنـا قـومٌ بمـا دِنتمُ دِنّـا
فـإن كـان هـذا ذنبنـا فتيقّنـوا بـأنّـا عليـه لا انثنينـا ولا نثنى
ولمّـا رفضنا رافضيكم ورهـطكم رفضنـا وعودينـا وبالـرَّفض نُبِّزنـا
وإنّا اعتقدنا العدل في الله مذهباً ولله نـزَّهـنـا وإيّـاه وحّـدنـا
وهم شبَّهـوا الله العليَّ بخـلقـه فقالوا: خُلقنا للمعاصي وأُجبرنا
فلو شاء لم نكفر ولو شاء أكفـرنا ولـو شاء لـو نُؤمن ولو شـاء آمنّا
وقالوا: رسول الله ما اختار بعده إمـاماً لنـا لكن لأنفسنـا اخترنـا
فقلنـا: إذن أنتم إمـام إمامكم بفضل من الرَّحمن تهتم وما تِهنا
ولكنّنـا اخترنا الذي اختـار ربّنا لنا يوم « خُمّ » لا ابتدعنا ولا جرنا
سيجمعنـا يـوم القيـامـة ربّنـا فتجزون ما قلتم ونجزى ما قلنـا
هـدمتم بأيـديكم قـواعـد دينكم ودينٌ على غيـر القواعـد لا يُبنى
ونحن على نـور من الله واضـحٍ فيـا ربّ زدنـا منـك نـوراً وثبّتنـا
وظنُّ ابن حمّـاد جميـلٌ بـربـه وأحرى به أن لا يخيب لـه ظنّا
بنى المجد لي شنَّ بن أقصى فحزته تُراثاً جزى الرَّحمن خيراً أبي شنّا
وحسبي بعد القيس في المجد والدي ولي حسب عبد القيس مرتبةٌ تبنى
وخـالي تميمٌ ثمَّ مجـدي بفخـره فنلت بـذا مجداً ونلت بـذا أمنـا
ودونـك لا مـا للقـلائـد هـذّبت مديحاً فلم تترك لذي مطعن طعنا
ولا ظلَّ أو أضحى ولا راحَ واغتدى تـأمّـل لا عينٌ تـراه ولا لحنـا

(١) وان موازين القصاص ولاؤكم. كذا في بعض النسخ.

فصاحة شعري مذ بدت لذوي الحجى تمثّلت الأشعار عندهمُ لكنا
وخير فنون الشعر ما رقّ لفظه وجلّت معانيه فزادت بها حسنا
وللشعر علمٌ إن خلا منه حرفه فذاك هذاءٌ في الرؤس بلا معنى
إذا ما أديبٌ أنشد الغثَّ خلته من الكرب والتنغيص قد ادخل السجنا
إذا ما رأوها أحسن الناس منطقاً وأثبتهم حدثاً وأطيبهم لحنا
تلذّ بها الأسماع حتّى كأنّها ألذُّ من أيّام الشبيبة أو أهنى
وفي كلِّ بيت لذّةٌ مستجدّةٌ إذا ما انتشاه قيل: يا ليته ثنّى
تقبّلها ربّي ووفّى ثوابها وثقّل ميزاني بخيراتها وزنا
وصلّى على الأطهار من آل أحمد إله السما ما عسعس الليل أو جنّا

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السلام:

حدّثنا الشيخ الثقه محمَّدٌ عن صدقه
روايةً متّسقه عن أنس عن النبي
رأيته على جرى مع عليٍّ ذي النُهى
يقطف قطفاً في الهوى شيئاً كمثل العنَب
فأكلا منه معا حتّى إذا ما شبعا
رأيته مرتفعا فطال منه عجبي
كان طعام الجنَّة أنزله ذو العزَّةِ
هديَّةً للصفوة من الهدايا النّخب

أشار بهذه الأبيات إلى ما أخرجه محمَّد بن جرير الطبري باسناده عن أنس قال: إنَّ رسول الله ﷺ ركب يوماً إلى جبل كداء فقال: يا أنس خذ البغلة وانطلق إلى موضع كذا تجد عليّاً جالساً يسبّح بالحصى فاقرأه منّي السّلام واحمله على البغلة وائت به إليَّ فقال: فلمّا ذهبت وجدت عليّاً كذلك فقلت: إنّ رسول الله يدعوك فلمَّا أتى رسول الله قال له: اجلس فإنَّ هذا موضعٌ جلس فيه سبعون نبيّاً مرسلاً ما جلس فيه من الأنبياء أحدٌ إلاّ وأنا خيرٌ منه وقد جلس مع كلِّ نبيٍّ أخٌ له ما جلس من الاخوة أحدٌ إلاّ وأنت خيرٌ منه. قال: فرأيت غمامة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيضاء وقد أظلّتهما فجعلا يأكلان منه عنقود عنب وقال: كل يا أخي فهذه هديَّةٌ من الله إليَّ ثمَّ إليك. ثمَّ شربا ثمَّ ارتفعت الغمامة ثمَّ قال: يا أنس والذي خلق ما يشاء لقد أكل من الغمامة ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيّاً وثلاثمائة وثلاثة عشر وصيّاً ما فيهم نبيٌّ أكرم على الله منّي ولا وصيٌّ أكرم على الله من عليٍّ.

ولابن حمّاد العبدي يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله على رويَّة نونيَّة العوني المذكور:

ما لابن حمادٍ سوى من حمدت ... آثاره وأبهجت غرّانه[1]
ذاك عليٌّ المرتضى الطّهر الذي ... بفخره قد فخرت عدنانه
صنو النبيِّ هديه كهديه ... إذ كلُّ شيءٍ شكله عنوانه
وصيّه حقّاً وقاضي دينه ... إذ اقتضى ديونه ديّانه
ناصحه الناصر حقّاً إذ غدا ... سواه ضدٌّ سرّه اعلانه
وارثه علم الهدى أمينه ... في أهله وزيره خلصانه
ذاك الفتى النجد الذي إذا ابدا ... بمعرك ألقت له فتيانه
ليثٌ لو الليث الجريء خاله ... لطار من هيبته جنانه
صقرٌ ولكن صيده صيد الوغا ... ليثٌ ولكن فرسه فرسانه
ذاك الشجاع إن بدا بمعرك ... تفرَّقت من خوفه شجعانه
تبكي الطلى إن ضحكت أسيافه ... وترتوي إن عطشت سنانه
ترى سباع البيد تقفو إثره ... لأنَّها يوم الوغا ضيفانه
يقرن أرواح الكماة بالرَّدى ... لذاك حاصت دونه أقرانه
وكم كميٍّ قد قراه في الوغا ... فليس تخبو أبداً نيرانه
يشهد في ذا بدره وأُحده ... وطيبة ومكّة أوطانه
وخيبر والبصرة التي بها ... النكث وصفين ونهروانه
كذا الذي قد ضمن المدح له ... من ربّه ربُّ العلى قرآنه
فقوله: وليّكم فإنَّما ... يخصُّ فيها هو لا فلانه

---

(١) غران جمع الغرير: الخلق الحسن ومنه المثل. أدبر غريره وأقبل هريره. أي أدبر حسنه وجاء سيئه.

ثـلاثـةٌ: الله والـرسـول والـذ ي تـزكّـى راكـعـاً بـرهـانـه
وقـولـه: الاذن فـذاك «حيـدر» واعـيـةٌ لقوله آذانـه
وقـد دعـا لـه الـنـبـيُّ انَّـه يحفظ مـا يُملي لـه لسـانـه
وقـولـه: الميـزان بـالقسط ومـا غـيـر عليّ في غـدٍ ميـزانـه
فـويـل من خفَّ لـديـه وزنـه وفـوز من أسعـده رجحـانـه
ذاك أميـر الـمـؤمـنـيـن رتـبـة من الآلـه الفرد جـلَّ شـانـه
ذادوه عـن سـلطانـه وحـقّـه من بعـد مـا بـان لهم سلطانـه
فـكـفَّ مـولاي الإمـام كـفّـه إذ قـلَّ في حقـوقـه أعـوانـه
ولـم يقـم معـه سـوى أربـعـة وهـم لـعـمـر ربِّـهـم أركـانـه
يتبـعـه المـقـداد وإبن يـاسـر عـمّـاره وسِلمـه سـلمـانـه
والصـادق اللهجـة أعني جندبـاً فـلم يُخـالـف أمـره ايـمـانـه
ولـو يـشـأ أهـلكـهـم لـكـنَّـه أبقى ليبقى نـاسـلاً إنـسـانـه

وله يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه:

لله مـا صنعت فينـا يدُ البينِ كم من حشا أقرحت منّا ومن عينِ؟!
مـالي وللبين؟! لا أهلاً بـطلعته كم فرَّق البين قِدماً بين إلفين؟!
كانا كغصنين في أصل غذاؤهمـا مـاء النعيم وفي التشبيـه شكلين
كـأنَّ روحيهما من حسن إلفهما روحٌ وقد قُسّمت ما بين جسمين
لا عذل بينهما في حفظ عهدهما ولا يُـزيلهمـا لـوم العـذولين
لا يطمع الدهر في تغيير ودِّهما ولا يميـلان من عهـدٍ إلى مين
حتّى إذا أبصرت عين النوى بهما خِلّين في العيش من همّ خليَّين
رمـاهمـا حسـدا منه بـداهيةٍ فأصبحا بعد جمع الشمل ضدَّين
في الشَّرق هذا وذا في الغرب منتئياً مشـرَّدين عـلى بُعـد شـجيَّين
والـدهـر أحسـد شيءٍ للقـريبين يـرمي وصـالهمـا بـالبعد والبين
لا تأمن الدَّهر إنَّ الدهـر ذو غيرٍ وذو لسـانين في الـدُّنيـا ووجهين
أخنى على عترة الهادي فشتّتهم فما ترى جـامعاً منهم بشخصين

كـأنّمـا الـدَّهـر آلا أن يُبـدِّدهـم ... كعـاتب ذي عنـاد أو كذي دينِ
بعضٌ بـطيبـة مـدفـونٌ وبعضهمُ ... بكـربـلاء وبعضٌ بـالغـريَّيـنِ
وأرض طوسٍ وسامرّا وقد ضمنت ... بغـداد بدرين حـلّا وسط قبـرينِ
يا سادتي ألمنْ أبكي أسى؟! ولمن ... أبكي بجفنين من عيني قريحين؟!
أبكي على الحسن المسموم مضطلماً ... أم الحسين لقىً بين الخميسين؟!
أبكي عليه خضيب الشيب من دمه ... معفّـر الخـدِّ محزوز الـوريـدينِ
وزينب في بنـات الطّهـر لاطمـةٌ ... والدمع في خدِّها قد خدَّ خـدَّينِ
تدعوه: يـا واحداً قـد كنتُ آمله ... حتّى استبدَّت به دوني يـد البينِ
لا عشت بعدك ما إن عشت لا نعمت ... روحي ولا طعمت طعم الكراعيني
أُنـظر إليَّ أخي قبل الفـراق لقد ... أذكـا فـراقـك في قلبي حـريقينِ
أُنظر إلى فاطم الصغرا أخي ترها ... لِليُتم والسبي قـد خصّت بـذلّينِ
إذا دنت منك ظلَّ الرِّجس يضربها ... فتلتقي الضـرب منها بـالـذِّراعينِ
وتستغيث وتـدعـو: عمَّتـا تلفت ... روحي لـرزئين في قلبي عظيمينِ
ضربٌ على الجسد البالي وفي كبدي ... لِلثكل ضربٌ فما أقوى لضـربينِ
أُنظر عليّـاً أسيـراً لا نصيـر لـه ... قـد قيَّـدوه على رغم بقيـدينِ
وارحمتا يا أخي من بعد فقدك بل ... وارحمتـا لـلأسيـرين اليتيمـينِ
والسبط في غمرات الموت مُشتغلٌ ... ببسط كـفَّيـن أو تقـبيض رجـلينِ
لا يستـطيع جـوابـاً لِلنِّـداء سـوى ... يومي بلحظين من تكسيـر جفنينِ
لا زلت أبكي دماً ينهلُّ منسجماً ... للسيِّـدين القتيلين الـشهيـدينِ
السيِّـدين الشـريفين اللذان همـا ... خير الورى من أب مجدٍ وجدَّينِ
الضـارعيـن إلى الله الـمنيبيـن ... المسـرعين إلى الحقِّ الشفيعينِ
العالمين بذي العرش الحكيمين ... العـادلين الحليمين الـرَّشيـدينِ
الصابرين على البلوى الشكورين ... المعـرضين عن الـدنيـا المنيبينِ
الشـاهـدين على الخلق الإمـامين ... الـصـادقيـن عن الله الـوفـيَّيـنِ
العـابـدين الـتقـيَّيـن الـزكيَّين ... المؤمنين الشجـاعين الجـريَّيـنِ

الحجّتين على الخلق الأميرين　　الطيّبين الطهورين الزكيّينِ
نورين كانا قديماً في الظّلال كما　　قال النبيُّ لعرش الله قرطينِ
تفّاحتي أحمد الهادي وقد جعلا　　لفاطم وعليٍّ الطّهر نسلينِ
صلّى الإله على روحيهما وسقا　　قبريهما أبداً نوء السماكينِ

إلى أن يقول فيها:

ما لابن حمّادٍ العبدي من عملٍ　　إلّا تمسّكه بالميم والعينِ
فالميم غاية آمالي محمّدها　　والعين أعني عليّاً قرّة العينِ
صلّى الإله عليهم كلما طلعت　　شمس وما غربت عند العشائينِ

[القصيدة وهي ٥٧ بيتاً]

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله يذكر فيها حديث الغدير:

حيِّ قبراً بكربلا مُستنيرا　　ضمَّ كنز التّقى وعلماً خطيرا
وأقم مأتم الشهيد وأذرف　　منك دمعاً في الوجنتين غزيرا
والتثم تربة الحسين بشجوٍ　　وأطل بعد لثمك التعفيرا
ثمَّ قل: يا ضريح مولاي سُقّيـ　　ـت من الغيث هامياً حمهريرا
تـهْ على سائر القبور فقد أصـ　　ـبحت بالتّيه والفخار جديرا
فيك ريحانة النبيِّ ومن حلَّ　　من المصطفى محلاً أثيرا
فيك يا قبرُ كلّ حلمٍ وعلمٍ　　وحقيقٌ بأن تكون فخورا
فيك من هدَّ قتله عمد الدين　　وقد كان بالهدى معمورا
فيك من كان جبرئيل يُناغيه　　وميكال بالحباء صغيرا
فيك من لاذ فطرسٌ فترقّى　　بجناحي رضى وكان حسيرا
يوم سارت إليه جيش ابن هند　　لذحولٍ أمست تحلّ الصدورا
آه واحسرتي له وهو بالسيف　　نحيرٌ أفديت ذاك النَّحيرا
آه إذ ظلَّ طرفه يرمق الفسطاط　　خوفاً على النساء غيورا
آه إذ أقبل الجواد على النسوان　　ينعاه بالصهيل عفيرا

فتبادرن بالعويل وهتكن الأقراط بارزات الشعورا
وتبادرن مسرعات من الخدر ومن قبلُ مُسبلات الستورا
ولطمن الخدود من ألم الثكل وغادرن بالنِّياح الخدورا
وبدا صوتهنَّ بين عداهنَّ وعفن الحجاب والتخفيرا
بارزات الوجوه من بعد ما غودرن صون الوجوه والتخفيرا
ثمَّ لمّا رأين رأس حسين فوق رمح حكى الهلال المنيرا
صحن بالذل أيّها الناس لِم نُسبى ولم نأت في الأنام نكيرا؟!
ما لنا لا نرى لآل رسولِ الله فيكم يا هؤلاء نصيرا؟!
فعلى ظالميهمُ سخط الله ولعن يبقى ويفنى الدهورا
قل لمن لام في ودادي بني أحمد: لا زلت في لظى مدحورا
أعلى حبِّ معشر أنت قد كنت عذولاً ولا تكون عذيرا
وأبوهم أقامه الله في «خُمّ» إماماً وهادياً وأميرا
حين قد بايعوه أمراً عن الله فسائل دوحاته والغديرا
وأبوهم أفضى النبيُّ إليه علم ما كان أوَّلاً وأخيرا
وأبوهم علا على العرش لمّا قد رقى كاهل النبيِّ ظهيرا
وأماط الأصنام كلًّا عن الكعبة لمّا هوى بها تكسيرا
قال: لو شئت ألمس النجم بالكف إذن كنت عند ذاك قديرا
وأبوهم قد ردّ للشمس بيضاً وهي كادت لوقتها أن تغورا
وقضى فرضه أداءً وعادت لغروب وكوّرت تكويرا
وأبوهم يروي على الحوض من وا لاهم ويردُّ عنه الكفورا
وأبوهم يقاسم النار والجنّة في الحشر عادلاً لن يجورا
وأبوهم برا الإله له شبهاً لأملاكه سميعاً بصيرا
فإذا اشتاقت الملائك زارته فناهيك زائراً ومزورا
وأبوهم أحيا لميت بصرصر بعدما كان في الثرى مقبورا
وأبوهم قال النبيُّ له قولاً بليغاً مكرَّراً تكريرا

: أنت خدني وصاحبي ووزيري بعد موتي أكرم بذاك وزيرا
أنت مني كمثل هرون من موسى ولم أبتغي سواه ظهيرا
وأبوهم أودى بعمرو بن ودّ حين لاقاه في العجاج أسيرا
وأبوهم لباب خيبر أضحى قالعاً ليس عاجزاً بل جسورا
حامل الراية التي ردَّها بالأمس من لم يزل جباناً فرورا
خصَّه ذو العلا بفاطمة عرساً ثمَّ أعطاه شبّراً وشبيرا
وهمُ باب ذي الجلال على آدم فارتدَّ ذنبه مغفورا
وبهم قامت السَّماء ولولاهمُ لكادت بأهلها أن تمورا
وبهم باهَلَ النبيُّ فقل لي ألهم في الورى عرفت نظيرا؟!
فيهمُ أنزل المهيمن قرآناً عظيماً وذاك جمّاً خطيرا
في الطواسين والحواميم والرَّحمن آياً ما كان في الذِّكر زورا
وخلقناه نطفةً نبتليه فجعلناه سامعاً وبصيرا
لبيان إذا تأمّله العارف يُبدي له المقام الكبيرا
ثمَّ تفسير هل أتى فيه يا صاح قل له إن كنت تفهم التفسيرا
إنَّ الأبرار يشربون بكأس كان عندي مزاجها كافورا
فلهم أنشأ المهيمن عيناً فجّروها لديهمُ تفجيرا
وهداهم وقال: يوفون بالنَّذرِ فمن مثلهم يوفي النذورا؟!
ويخافون بعد ذلك يوماً شرُّه كان في الورى مُستطيرا
فوقاهم إلههم ذلك اليوم ويلقون نضرةً وسرورا
وجزاهم بأنَّهم صبروا في السرِّ والجهر جنَّةً وحريرا
فاتّكوا من على الأرائك لا يلقون فيها شمساً ولا زمهريرا
وأوان وقد أُطيفَت عليهم سلسبيل مقدَّرٌ تقديرا
وبأكواب فضَّة وقوارير . قدَّروها عليهمُ تقديرا
وبكأسٍ قد مُلزجت زنجبيلاً لذَّة الشاربين تشفي الصدورا
وإذا ما رأيت ثمَّ نعيماً دائماً عندهم وملكاً كبيرا

وعليهم فيها ثيابٌ من السندس ... خضرٌ في الحشر تلمع نورا
ويُحلّون بالأساور فيها ... وسقاهم ربّي شراباً طهورا
وروى لي عبد العزيز الجلودي[١] ... وقد كان صادقاً مبرورا
عن ثقاة الحديث أعني العلائي ... هو أكرم بذا وذا مذكورا
يسندوه عن ابن عبّاس يوماً ... قال: كنّا عند النبيِّ حضورا
إذ أتته البتول فاطم تبكي[٢] ... وتوالي شهيقها والزَّفيرا
قال: مالي أراكِ تبكين يا فاطم؟! ... قالت وأخفت التعبيرا
: إجتمعن النساء نحوي وأقبلنَ ... يطلن التقريع والتعييرا
قلن: إنَّ النبيَّ زوَّجك اليوم ... عليّاً بعلاً عديماً فقيرا
قال: يا فاطم اسمعي واشكري الله ... فقد نلتِ منه فضلاً كبيرا
لم ازوِّجك دون إذن من الله ... وما زال يحسن التَّدبيرا
أمر الله جبرئيل فنادى ... رافعاً في السَّماء صوتاً جهيرا
وأتاه الأملاك حتّى إذا ما ... وردوا بيت ربِّنا المعمورا
قام جبريل قائماً يكثرالتحميد ... لله جلَّ والتكبيرا
ثمَّ نادى: زوّجت فاطم يا ربّ ... عليَّ الطّهر الفتى المذكورا
قال ربُّ العلا: جعلت لها المهر ... لها خالصاً يفوق المهورا
خُمس أرضي لها ونهري وأو ... جبت على الخلق ودّها المحصورا
فأنثرت عند ذلك طوبا ... على الحور عنبراً وعبيرا[٣]
ورُوينا عن النبيِّ حديثاً ... في البرايا مُصحّحاً مأثورا
انَّه قال: بينماالناس في الجنَّة ... إذ عاينوا ضياءً ونورا
كاد أن يخطف العيون فنادوا: ... أيّ شيءٍ هذا؟ وأبدوا نكورا

---

(١) أبو أحمد ابن يحيى البصري أحد مؤلفي الإمامية الثقات الأثبات له في الفقه والحديث والتأريخ تآليف قيمة توفى ١٧ ذي الحجة سنة ٣٣٢.

(٢) هذه الأبيات ذكرها ابن شهراشوب في « المناقب » للعبدي فحسبناه سفيان بن مصعب العبدي فذكرناها في ترجمته ج ٢ ص٣٦٨ ثم وقفنا على تمام القصيدة فعرفنا أنها للمترجم.

(٣) راجع في الأحاديث المذكورة في هذه الأبيات الجزء الثاني في كتابنا ص٣٦٨.

أوَ ليس الآله قال لنا: لا — شمس فيها ترى ولا زمهريرا؟!
وإذا بالنداء: يا ساكن الجنَّة — مهلاً أمنتم التغييرا
ذا عليُّ الوليُّ قد داعب الزَّ — هراء مولاتكم فأبدت سرورا
فبذا إذ تبسَّمت ذلك النور — فزيدوا إكرامه وحبورا
يا بني أحمد عليكم عمادي — واتِّكالي إذا أردت النشورا
وبكم يسعد الموالي ويشقى — من يُعاديكمُ ويصلى سعيرا
أنتمُ لي غداً وللشيعة الأبرار — ذخرٌ أكرم به مذخورا
فاستمعها كالدرِّ ليس ترى فيها — ملاهي كَلّاً ولا تعييرا
صاغ أبياتها عليُّ بن حمّاد — فزانت وحُبّرت تحبيرا

وقفنا للمترجم في طيّات المجاميع العتيقة في النجف الأشرف والكاظميَّة على قصائد جمَّة وإليك فهرستها:

عدد القصائد	مطلع القصيدة		عدد الأبيات
١	يا يوم عاشورا أطلت بكائي	وتركتني وقفاً على البرحاء	٤٦
٢	هَنِّ بالعيد إن أردت سوائي	أيّ عيدٍ لمستباح العزاء؟	٣٧
	إنَّ في مأتمي عن العيد شغلا	فاله عنيّ وخلِّني بشجائي	
	فإذا عيَّد الورى بسرور	كان عيدي بزفرة وبكاءِ	
	وإذا جدَّدوا ثيابهم جدَّدت	ثوبي من لوعتي وضنائي	
	وإذا أدمنوا الشراب فشربي	من دموع ممزوجةٍ بدماءِ	
	وإذا استشعروا الفناء فنوحي	وعويلي على الحسين غنائي	
	وقليلٌ لو متُّ همّاً ووجداً	لمصاب الغريب في كربلاءِ	
	أيهمني بعيده من مواليه	أبادتهمُ يد الأعداءِ؟!	
	آه يا كربلاء كم فيك من	كرب لنفس شجيَّةٍ وبلاءِ؟!	
	أألذّ الحياة بعد قتيل الطفّ	ظلماً؟! إذن لقلّ حيائي	
	كيف ألتذُّ شرب ماء وقد جرّ	ع كاس الرَّدى بكرب الظماءِ؟!	
	كيف لا أسلب العزاء إذا	مثِّلته عارياً سليب الرِّداءِ؟	

كيف لا تسكب الدموع عيوني بعد تضريج شيبه بالدِّماءِ؟!
تطأ الخيل جسمه في ثرى الطف وجسمي يلتذُّ لين الوطاءِ؟!
بأبي زينب وقد سُبيت بالذ لِّ من خدرها كسبي الإماءِ
فإذا عاينته مُلقى على التر ب مُعرّى مجدَّلاً بالعراءِ
أقبلت نحوه فيسمعها الشِّمر فتدعو في خيفةٍ وخفاءِ
: أيّها الشِّمر خلّني أتزوّد نظرةً منه فهي أقصى منائي
أفما لِلرَّسول حقٌّ فلِم تنظر ني جاهراً بسوء المراءِ؟!
ثم تدعو الحسين: لِم يا شقيقي وابن امّي خلّفتني بشقائي؟
يا أخي يومك العظيم برى عظمي وأضنى جسمي وأوهى قوائي
يا أخي كنتُ أرتجيك لموتي وحياتي فخاب منّي رجائي
يا أخي لو فدى من الموت شخص كنت أفديك بي وقلَّ فدائي
يا أخي لا حبيب بعدك بل لا عشت إلّا بمقلةٍ عمياءِ
آه واحسرتي لفاطمة الصغرى وقد أبرزت بذلّ السباءِ
كفها فوق رأسها من جوى الثكل وكفٌّ اخرى على الأحشاءِ
فإذا أبصرت أباها صريعاً فاحصاً باليدين في الرَّمضاءِ
لم تطق نهضةً إليه من الضعف فنادته في خفيٍّ النداءِ
: يا أبي من ترى ليتمي وضعفي أو تراه لمحنتي وابتلائي؟!؟!
فإذا لم تجد جواباً لها إلّا بكسر الجفون والإيماءِ
أقبلت نحو عمّتيها وقالت : ما أرى والدي من الأحياءِ
فإذا كان لِمْ جفاني وما كان له قطُّ عادة بالجفاءِ
يا بني أحمد السّلام عليكم ما أنارت كواكب الجوزاءِ
أنتمُ صفوة الآله من الخلق ومن بعد خاتم الأنبياءِ
ونجوم الهدى بنوركم تهدي البرايا في حندس الظلماءِ
أنا مولاكم ابن حمّاد أعدد تكم في غدٍ ليوم جزائي
ورجائي أن لا أخيب لديكم واعتقادي بكم بلوغ الرجاءِ

٣ شجاك نوى الأحبة كيف ساءا بداءٍ لا تصيب له دواءا ٧٥
٤ أيفرح من له كبدٌ يذوب وقلبٌ من صبابته كئيبٌ؟! ٢٨
٥ ويك يا عين سحي دمعاً سكوبا ويك يا قلبُ كن حزيناً كئيبا ٦٨
٦ أتلعاباً وقد لاح المشيبُ؟ وشيب الرأس منقصة وعيبُ ٧٤
٧ دعوت الدمع فانسكب انسكابا وناديت السلوَّ فما أجابا ٦٧

ويقول فيها:

وإن يك حبُّ أهل البيت ذنبي فلستُ بمبتغٍ عنه منابا
أُحبُّهمُ وأمنحهم مديحاً وأمنحُ مَن يسبُّهمُ سبابا
ولم أمدحهمُ قطُّ اكتساباً ولكنّي مدحتهمُ ارتغابا
ولن يرجو ابن حمّاد عليٌّ بحسن مديحهم إلّا الثوابا

٨ هل لجسمي من السقام طبيب؟ أم لعيني من الرُّقاد نصيب؟ ٢٦
٩ يا أهل بيت رسول الله إنَّكمُ لأشرف الخلق جدّاً غاب أو أبا ٣٠
١٠ الدهر فيه طرائقٌ وعجائبُ تترى وفيه فوائدٌ ومصائبُ ٦٠
١١ أيا مَن لقلب دائم الحسراتِ؟ ومن لجفون تسكب العبرات؟ ٣٤

هي على رويِّ تائيَّة دعبل يقول في آخرها:

إليك أمين الله نظم قصيدةٍ إماميَّةٍ تزهو بحسن صفاتِ
عليّ بن حمّاد دعاها فأقبلت وهمَّته من أعظم الهمّاتِ
شبيهٌ لما قال الخزاعيُّ دعبل [تضمَّنه الرَّحمن بالغرفات]
[مدارس آيات خلت من تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات]

١٢ بقاعٌ في البقيع مقدّساتٌ وأكنافٌ بطيبة طيِّباتٌ ٩٥
١٣ دعني أنوح وأسعد النّواحا مثلي بكى يوم الحسين وناحا ٢٨
١٤ أرى الصبر يفنى والهموم تزيد وجسمي يبلى والسقام جديدُ ٤٣
١٥ ما ضرَّ عهد الصبى لو أنَّه عادا يوماً يزوِّدني من طيبةٍ زادا ٨٦

جارى بها السيّد إسماعيل الحميري في قصيدة له أوَّلها:

طاف الخيال علينا منك عبّادا

فقال العبديُّ في آخر قصيدته:

وازنت ما قال إسماعيل مبتدءاً: [طاف الخيال علينا منك عبّادا]

١٦ أبك ما عشت بالدموع الغزارِ ... لذراري محمّد المختارِ ٣٧

١٧ أآمرتي بالصبر أسرفت في أمري ... أيُؤمر مثلي لا أباً لك بالصبر؟ ٢٩

١٨ سلامي على قبرٍ تضمّن حيدرا ... سلام مشوقٍ ما يطيق التصبّرا ٦٠

ويقول في آخرها:

ولا أغل في ديني كمن كان قد غلا ... وما كنت في حبِّ الوصيِّ مُقصِّرا

بذلك يلقى الله في يوم بعثه ... عليُّ بن حمّاد إذا هو أُنشرا

١٩ يا لائمي دع ملامي في الهوى وذرِ ... فإنَّ حبَّ عليٍّ قام في عذري ٢٨

٢٠ دعى قلبه داعي الوعيد فاسمعا ... وداع لبادي شيبه فتورَّعا ٦٢

٢١ فرَّقت يا بين شملاً كان مجتمعا ... أبعدتعنّي حبيبي والسرور معا ٧٧

٢٢ خليلي عُج بنا نطل الوقوفا ... على مَن نوره شمل الطفوفا ٢٥

٢٣ خواطر فكري في الحشاء تجولُ ... وحزني على آل النبيِّ يطولُ ٥٢

٢٤ أهجرتِ يا ذات الجمال دلالا؟ ... وجعلتِ جسمي للصدود خيالا؟ ٥٨

٢٥ ألا إنَّ زين المرء في عمره العقلُ ... ونهج هدى ما فيه زُحلوقة زلُّ ٢٧

٢٦ يا عليَّ بن أبي طالب يا بن المفضلِ ... يا حجاب الله والباب القديم الأزلي ٢١

٢٧ ناجتك أعلام الهداية فاعلمِ ... وأقمت فيها بالطريق الأقومِ ٥١

فانظر بعين العقل في عقبى الهوى ... واسأل عن الدارين إن لم تعلمِ

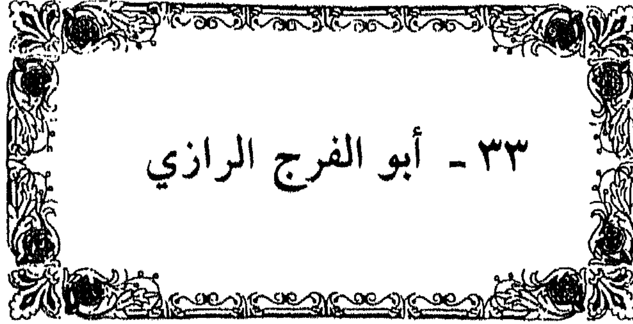
٣٨ النَّوم بعدكمُ عليَّ حرامُ ... مَن فارق الأحباب كيف ينامُ؟ ٥٥

وهناك قصائد تُعزى إلي شاعرنا ابن حمّاد العبدي في بعض المجاميع وهي لابن حمّاد محمّد المتأخر عن المترجَم له بقرون منها قصيدةٌ مطلعها:

لغير مصاب السبط دمعك ضائعُ ... ولا أنت ذا سلوٍ عن الحزن جازعُ

وقفنا على تمام هذه القصيدة وفي آخرها:

لعلّ ابن حمّاد محمّد عبدكم ... له في غدٍ خير البريّة شافعُ



٣٣ - أبو الفرج الرازي

تجلّى الهدى يوم « الغدير » على الشّبه ... وبرّز إبريز البيان عن الشّبه
وأكمل ربُّ العرشِ للناس دينهم ... كما نزل القرآن فيه فأعربه
وقام رسول الله في الجمع رافعاً ... بضبع عليٍّ ذي التعالي من الشّبه
وقال: ألا مَن كنت مولى لنفسه ... فهذا له مولى فيا لكِ منقبه[1]

(الشاعر)

أبو الفرج محمَّد بن هندو الرازي .

(آل هندو) من اسر الإماميَّة الناهضين بنشر العلم والأدب، وفيهم جمعٌ ممن تحلّوا بفنون الفضائل، ولهم في الكتابة والقريضِ قِدم وقَدم، طفحت بذكرهم المعاجم منهم: أبو الفرج محمَّد بن هندو مؤسِّس شرف بيتهم، عدَّه إبن شهراشوب في « معالم العلماء » من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام المتّقين .

ومنهم: أبو الفرج الحسين بن محمَّد بن هندو، ترجمه الثعالبي في « اليتيمة » ج ٣ ص ٣٦٢ وعدّه من أصحاب الوزير الصاحب بن عبّاد وذكر شطراً من شعره وقال: ملحه كثيرةٌ ولا يسع هذا الباب إلاّ هذا الانموذج منها . ومما ذكر له قوله:

لا يوحشنّك من مجدٍ تُباعده ... فإنَّ لِلمجد تدريجاً وتدريبا

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٣١، ط ايران، والصراط المستقيم للبياضي .

إنَّ القنـاة التي شاهـدت رفعتهـا تنمي فتصعـد أُنبـوبـاً فـأُنبـوبـا

وقوله:

يقولون لي ما بال عينك مذ رأت محاسن هذا الظبي أدمعها هطلُ؟!
فقلت: زنت عيني بطلعة وجهـه فكان لها من صوب أدمعها غسلُ

ومنهم: أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمَّد بن هندو، توجد ترجمته في جملة من كتب التراجم[1] و في كلِّها ثناءٌ عليه بتضلّعه في الحكمة والفلسفة والطبِّ والكتابة والشعر والأدب وتبرُّزه في ذلك كلِّه. له كتاب مفتاح الطبِّ. المقالة المشوِّقة في المدخل إلى علم الفلك. الكلم الروحانيَّة من الحكم اليونانيَّة. الوساطة بين الزُّناة واللاطة. هزليَّة. ديوان شعره. توفّي بجرجان سنة ٤٢٠.

ومن شعر أبي الفرج عليّ في معاني بديعة قوله:

حـللت وقـاري فـي شـادنٍ عـيـون الأنـام بـه تـعـقـدُ
غـدا وجهـه كعبـةً لِلجـمـال وفـي قـلبـه الـحَـجَـر الأسـودُ

وله قوله:

قـولـوا لهـذا القمـر البـادي : مـا لـك إصـلاحي وإفسـادي
زوِّد فـؤاداً راحـلاً قـبـله لا بـدَّ لِـلرّاحـلِ مـن زادِ

وله قوله:

قالوا: اشتغل عنهمُ يوماً بغيرهمُ وخـادع النفس إنَّ النفس تنخدعُ
قد صيغ قلبي على مقدار حبّهمُ فمـا لحبِّ سـواه فيـه مُتَّسـعُ

وله قوله:

وحقِّك مـا أخَّـرتُ كُتبي عنكمُ لقالـة واشٍ أو كـلام محـرِّشِ
ولكنَّ دمعي إن كتبـت مشـوِّشٌ كتابي وما نفع الكتابِ المشوَّشِ؟!

---

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٢٣، دمية القصر ص ١١٣، فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥، معجم الادباء ج ١٣ ص ١٣٦، محبوب القلوب للأشكوري، نسمة السحر.

وله قوله:

مـا للمعيـل وللمعـالي؟! إنَّمـا يسمـو إليهنَّ الـوحيـدُ الفـاردُ
فـالشمس تجتاب السمـاء فريـدةً وأبـو بنـات النقش فيهـا راكـدُ

وله قوله:

قوِّض خيامك من أرض تضام بها وجـانبِ الـذلَّ إنَّ الـذل يُجتنبُ
وارحل إذا كانت الأوطان منقصة فصندل الهند في أوطـانه حـطبُ

لا يذهب على القارىء أنَّ ترجمة أبي الفرج عليِّ بن هندو تُعزى في عيون الأنباء، وفوات الوفيات، ومحبوب القلوب إلى « يتيمة الدَّهر » وكتاب اليتيمة خلوٌ منها؛ والمترجم فيه هو والده المذكور الحسين.

نعم: ترجمه الثعالبي في « تتمَّة اليتيمة » ص ١٣٤ ـ ١٤٣ وأثنى عليه بقوله: هو من ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة، وملكه رقّ البراعة في البلاغة، فرد الدهر في الشعر، وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد، ونظم القلائد والفرائد، مع تهذيب الألفاظ البليغة، وتقريب الأغراض البعيدة، وتذكير الذين يسمعون ويروون، أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون، وكنت ضمنت كتاب « اليتيمة » نبذاً من شعره[١] لم أظفر بغيره وهذا مكان ما وقع إليَّ بعد ذلك من وسائط عقوده، وفوارد أبياته بل معجزاته.

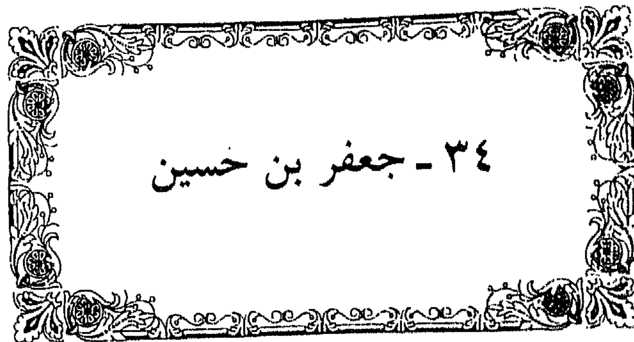
ثم ذكر صحائف من شعره وفصلاً من رسالته الهزليَّة « الوساطة »

ومنهم: أبـو الشرف بن أبي الفـرج عليّ بن حسين بن محمَّد بن هنـدو ذكره صاحب « دمية القصر » ص ١١٣ في ذيل ترجمة أبيه.

قد تُعزى الأبيات الغديريَّة المـذكورة إلى أبي الفـرج سلامـة بن يحيى الموصلي[٢] وهو لا يتمُّ لأنَّ الواقف « على مناقب » إبن شهراشوب ومعالمه جِدُّ عليم بانه يذكر أبا الفرج الموصلي في كتابيه باسمه والمترجم بكنيته والله أعلم.

---

(١) ج ٣ ص ٢١٢.
(٢) راجع يتيمة الدهر ج ١ ص ٨٢.



٣٤ - جعفر بن حسين

قــل لِـلّذي بـفـجـوره في شعـره ظـهـرت عـلامـه
ويـبـيـع جـهـلاً ديـنـه لـمضـلّل يـرجـو حـطامـه
: من أيـن أنـت لـعـنـت؟ أو مـن أيـن أسـرار الإمـامـه؟!
أظـنـنـتـهـا إرث الـنّـ ـبيِّ؟ فمـا أصبت ولا كـرامـه
إنّ الإمـامـة بـالـنّـصـو ص لمن يقـوم بهـا مقـامـه
كـمقـالـه في يـوم « خـمّ » لـحـيـدر لـمّـا أقـامـه
: مـن كـنـت مـولاه فـذا مـولاه يـسـمـعـهـم كـلامـه
سـل عـنـه ذا خـبـرٍ بـه فـلـتـذهـبـنَّ إذا نـدامـه
فـهـو الـذي بـحـسـامـه لـلنقـع قـد جـلّى قـتـامـه
فـي يـوم بـدرٍ إذ شـكـا سـادات مـالككـم صـدامـه
وأنـيـن والـدهـم وقـد منـع الـنـبيّ بـه مـنـامـه
إنَّ الإمـام لـديـنـنـا مَـن شـاده وبـنـى دعـامـه
فـي كـلِّ مـعـتـرك إذا شـبَّ الـوغى أطفـى ضـرامـه
فـتّـاح خـيـبـر بـعـدمـا فـرَّ الـذي طـلـب الـسَّـلامـه
تـالله لـو وُزن الـجـمـيـ ـع لـمـا وفـوا مـنـه الـقـلامـه

حكى القاضي أبو المكارم محمَّد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أبي جـرادة الحلبي المتوفّى سنـة ٥٦٥ في شرح قصيـدة أبي فراس الميميَّـة المعروفة بالشافية عن مروان بن أبي حفصة انَّه قال: أنشدت المتـوكّل شعـراً

ذكرتُ فيه الرافضة فعقد لي على البحرين واليمامة وخلع عليَّ أربع خلع في دار العامَّة والشعر هو هذا:

لكُمُ تراث محمَّدٍ وبعدلكم تنفى الظلامة
يرجو التراث بنو البنا ت وما لهم فيه قلامه
والصهر ليس بوارثٍ والبنت لا ترث الإمامه
ما للَّذين تنحَّلوا ميراثكم إلّا الندامه
أخذ الوراثة أهلها فعلام لومكُم علامه؟!
لو كان حقّكُمُ لها قامت على الناس القيامه
ليس التراث لغيركم لا والإله ولا كرامه
أصبحت بين محبِّكم والمبغضين لكم علامه

فردَّ عليه رجلٌ يقال له جعفر بن حسين بقوله: قل للَّذي بفجوره. إلخ[1]

قال الأميني: زعماً بأنَّ الشاعر من أولاد أبي عبد الله حسين بن الحجّاج البغدادي أو ممن عاصروه ذكرناه في هذا القرن ولم نقف على شيءٍ من ترجمته.

وقد وقفنا على عدَّة قصائد غديريَّة لغير واحد من شعراء القرن الرابع غير أنّا لم نعرف شيئاً من أحوالهم وتاريخ حياتهم فضربنا عنها صفحاً.

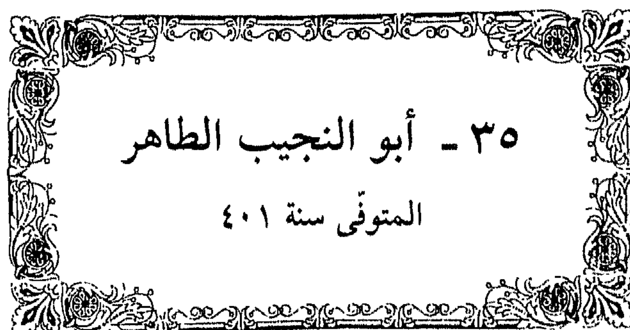
---

(١) رجع أعيان الشيعة ج ١٨ ص ٤٤٦.



شعــراء الغدير

في القرن الخامس الهجري



٣٥ ـ أبو النجيب الطاهر

المتوفّى سنة ٤٠١

عيَّد في يوم « الغدير » المسلمُ   وأنكر العيد عليه المجرمُ
يا جاحدي الموضع واليوم وما   فاهَ به المختار تبّاً لكُمُ
فأنزل الله تعالى جَدُّه   : اليوم أكملت لكم دينكُمُ
واليوم أتممت عليكم نعمتي   وإنّ من نصب الإمام النعمُ[1]

(الشاعر)

أبو النجيب شدّاد بن إبراهيم بن حسن الملقَّب بالطاهر الجزري، من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام نظم في فنون الشعر، وغرَّد على أفانينه، بنظم رقيق الحاشية، متَّسق الألفاظ، جزل المعاني له ديوان شعر عدَّه ابن شهراشوب في «معالم العلماء» عداد المجاهرين من شعراء أهل عليهم السلام، وفي «معجم الأدباء» ج ٤ ص ٢٦١ : شاعرٌ من شعراء عضد الدولة ابن بُويه ومدح المهلبي، كان دقيق الشعر. لطيف الأسلوب مات سنة ٤٠١ ومن شهره :

إذا المرء لم يرض ما أمكنه   ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره   سيضحك يوماً ويبكي سنه

ومنه :

أيا جيل التصوُّف شرَّ جيلِ   لقد جئتم بأمر مستحيلِ

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٢٨.

أفـي القــرآن قــال لـكم إلـهي : كلوا مثل البهائم وارقصوا لي؟!

وقال:

قلت للقلب: ما دهاك؟ أبن لي قـال لي: بايـع الفـراني فـراني
نــاظـراه فيمــا جنت نــاظــراه أو دعــاني أمت بمــا أودعــاني

وقال:

بــلاد الله واســعــةٌ فـضــاهــا ورزق الله في الــدنيــا فـسيــحُ
فقــل للقــاعــدين على هــوان: إذا ضـاقت بكم أرض فسيحـوا

وقال:

أفسـدتُم نـظري عليَّ فمــا أرى مـذ غبتُم حَسناً إلى أن تقـدمـوا
فدعوا غرامي ليس يمكن أن ترى عين الرضى والسخط أحسن منكُم

وقال في ج ٣ ص ١٩٤: حدّث أبـو النجيب قال: كنت كثيـر الملازمـة للوزير: أبي محمَّد المهلبي [المتوفّى سنة ٣٥٢] فاتّفق أن غسلت ثيابي وأنفـذ إليَّ من يدعوني فاعتذرت بعذر فلم يقبله وألحّ في استدعائه فكتبت إليه:

عبــدك تحت الحبـل عــريــانْ كــأنَّــه لا كــان شــيــطانْ
يـغســل أثــوابــاً كــأنَّ البــلا فــيـهــا خــليطٌ وهــي أوطــانْ
أرقّ مـن ديـنـي إن كــان لـي ديــنٌ كـمــا لِـلنــاس أديــانْ
كــأنّـهــا حــالي مـن قبـل أن يصبــح عنـدي لــك إحســانْ
يقــول من يبصــرني معــرضــاً فــيــهــا ولــلأقــوال بــرهــانْ
: هـذا الذي قـد نسجت فوقـه عـنــاكـب الـحيــطان إنـســانْ

فأنفذ لي جبَّة وعمامـة وسراويـل وكيساً فيـه خمسمائـة درهم. وترجمـة الكتبي في [فـوات الوفيـات] ص ١٦٧ وقال: شـاعرٌ مـدح المهلبي وزير معـزّ الدولة ومدح عضد الدولة وكانت وفاتـه في حدود الأربعمـائة. وذكـر أبياتـاً من

شعره . ونقل في ص ١٣٢ في ترجمة الوزير المهلبي ما حكيناه عن «معجم الأدباء» من حديث غسل الثياب . وتوجد ترجمته في «دائرة المعارف» للبستاني ج ٢ ص ٣٦٠ .

وقد أصفقت المصادر الثلاثة الأخيرة على أنَّ أبا النجيب كنية شدّاد بن إبراهيم المترجَم الملقَّب بالطاهر فهو رجلٌ واحدٌ لا كما حسبه سيِّدنا الأمين في [أعيان الشيعة] من التعدّد فذكر في ج ١ ص ٣٨٩ ـ المترجَم باسمه شّداد وقال : إنَّه توفّى في حدود ٤٠٠ . وذكر في ج ١ ص ٤١١ أبا النَّجيب الطاهر الجزري وعدَّه ممَّن لم يحدِّد عصره من الشعراء .

وذكر صاحب [دمية القصر] للمترجَم في ص ٥٠ قوله :

أنظر إلى حظّ ابن شبل في الهوى   إذ لا يـزال لكـلِّ قلب شـائقـا
شغل النساء عن الرِّجال وطالما   شغل الرِّجال عن النساء مراهقا
عشقـوه أمرد والتحى فعشقتـه   الله أكبـر ليس يعدم عـاشقـا

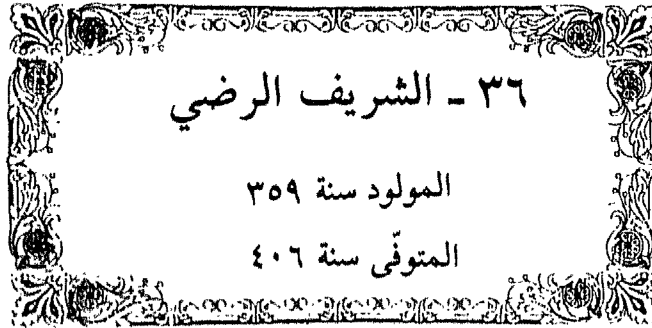
وذكره الثعالبي في تتميم يتيمته ج ١ ص ٤٦ وذكر لـه من قصيدة في سيف الدولة علي بن عبد الله المتوفى سنة ٣٥٦ :

وحاجةٌ قيل لي : نبِّه لها عمرا   ونُم . فقلت: عليٌّ قد تنبَّه لي
حسبي عليّان إن ناب الزمان وإن   جاء المعاد بما في القول والعمل ِ
فلي عليٌّ بن عبـد الله منتجـعٌ   ولي عليٌّ أميـر المؤمنين ولـي

وله :

ألـيس تـرى الجـوَّ مستعبـراً   يُضـاحكـه بـرقـه الخلّبُ؟!
وقـد لاح مـن قـزح قـوسـه   بـعـيـداً وتحسبـه يقـربُ
كـطاقي عـقـيق وفـيـروزج   وبـيـنـهـمـا آخـر مـذهـبُ

وذكر ابن خلكان شطراً من شعره في تاريخه ج ٢ ص ٢٣٦ نقلاً عن «دمية القصر» وأثنى عليه .



٣٦ - الشريف الرضي

المولود سنة ٣٥٩

المتوفّى سنة ٤٠٦

نطق اللسان عن الضمير والبشر عنوان البشير
الآن أُعفيت القلوب من التقلقل والنفور
وانجابت الظلماء عن وضح الصَّباح المستنير

إلى أن قال

غدر السرور بنا وكان وفاؤه يوم الغدير
يومٌ أطاف به الوصيُّ وقد تلقّب بالأمير
فتسلّ فيه وردّ عار ية الغرام إلى المعير
وابتزّ أعمار الهموم بطول أعمار السرورِ
فلغير قلبك من يعلّل همَّه نطف الخمورِ
لا تقنعن عند المطالب بالقليل من الكثير
فتبرَّض الأطماع مثل تبرّض[١] الثمد الجرورِ
هذا أوان تطاول الحا جات والأمل القصير
فانفح لنا من راحتيك بلا القليل ولا النزورِ
لا تحوجنَّ إلى العصاب وأنت في الضرع الدرور
آثار شكرك في فمي وسمات ودّك في ضميري
وقصيدةٌ عذراء مثل تألّق الرّوض النضير

(١) التبرض من تبرض: إذا تبلغ بالقليل من العيش.

فـرحـت بـمـالـك رقّـهـا فـرح الخَمـيلة[١] بـالـغـديـرِ

القصيـدة (٢)

(الشاعر)

الشريف الرَّضي ذو الحسبين أبـو الحسن محمَّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمَّد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام .

امّـه السيِّدة فـاطمة بنت الحسين بن أبي محمَّـد الحسن الأطروش بن عليِّ بن الحسن بن عليٍّ بن عمر بن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام

والده أبو أحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العبّاسيَّة والبويهيَّة لقَّبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الأوحد، وولي نقابة الطالبيِّين خمس مرّات، ومات وهو النقيب وذهب بصره، ولولا استعظام عضد الدولة أمره ما حمله على القبض عليه وحمله إلى قلعة بفارس، فلم يزل بها حتّى مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة ابن العضد واستصحبه حين قدم بغداد، وله في خدمة الملّة والمذهب خطواتٌ بعيدةٌ، ومساعي مشكورةٌ، وقَدمٌ وقِدمٌ، ولـد سنة ٣٠٤ وتوفّي ليلة السبت ٢٥ جمادى الاولى سنة ٤٠٠[٣] ورثته الشعراء بمراث كثيرة، وممن رثاه ولداه المرتضى والرَّضي ومهيار الدَّيلمي ورثاه أبو العلاء المعرّي بقصيدة توجد في كتابه سقط الزند.

وسيِّدنا الشريف الرَّضي هو مفخرةٌ من مفاخر العترة الطاهرة، وإمامٌ من أئمَّة العلم والحديث والأدب، وبطلٌ من أبطال الدين والعلم والمذهب؛ هو أوَّلٌ في كلٍّ ما ورثه سلفه الطاهر من علمٍ متـدفّق، ونفسيَّات زاكية، وأنظار ثاقبه. وإباءٍ وشممٍ ؛ وأدبٍ بارعٍ ، وحسبٍ نقيٍّ ، ونسبٍ نبويٍّ ، وشرفٍ علويٍّ ، ومجدٍ فاطميٍّ ، وسؤددٍ كاظميٍّ ، إلى فضائل قد تدفَّق سيلها الأتّي ، ومئاثر قد التطمت أواذيّها الجارفة، ومهما تشدَّق الكاتب فإنَّ في البيان قصوراً عن بلوغ مداه،

(١) الخميلة: الشجر الكثير الملتف الموضع الكثير الشجر المنهبط من الأرض.

(٢) توجد في ديوانه ج ١ ص ٣٢٧ يمدح بها أباه في « يوم الغدير » ويذكر رد أملاكه عليه في سنة ٣٩٦ .

(٣) صحاح الأخبار ص ٦٠ ، والدرجات الرفيعة، وعدة اخرى من الكتب والمعاجم.

وللتنقيب تقاعساً عن تحديد غايته، وللوصف انحساراً عن استكناه حقيقته، وإنّ دون ما تحلّى به من مناقبه الجمَّة، وضرائبه الكريمة، كلّ ما سردوه في المعاجم من ثناءٍ وإطراء مثل فهرست النجاشي ص ٢٨٣، يتيمة الدهر ج ٣ ص ١١٦، الأنساب للمجدي، تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٤٦، كامل إبن الأثير ج ٩ ص ٨٩، معالم العلماء ص ١٣٨، دمية القصر ص ٧٣، تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ١٠٦، المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٧٩، خلاصة العلاّمة ص ٨١، صحاح الأخبار ص ٦١، الأنساب لأبي نصر البخاري؛ عمدة الطالب ص ١٨٣، تحفة الأزهار لابن شدقم، تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٣، مرآه الجنان ج ٣ ص ١٨، الشذرات ج ٣ ص ١٨٢، شرح إبن أبي الحديد ج ١ ص ١٠، غاية الإختصار، الدرجات الرفيعة للسيِّد، مجالس المؤمنين ص ٢١٠، جامع الأقوال نسمة السحر لليمني، لسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٣، رياض الجنّة للزنوزي الروضة البهيَّة للسيِّد، ملخّص المقال، رجال إبن أبي جامع، الإجازة للسّماهيجي، الإتقان ص ١٢١، منهج المقال ٢٩٣ تأسيس الشيعة ١٠٧ سمير الحاضر للشيخ علي، تنقيح المقال ص ١٠٧ اليتيمة للعاملي ص ١٨، تاريخ آداب اللغة ج ٢ ص ٢٥٧[(١)] أعلام الزركلي ج ٣ص ٨٨٩ دائرة المعارف للبستاني ج ١٠ ص ٤٥٨، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٤ ص ٢٥١، مجلّة الهدى العراقيَّة في الجزء الثالث من السنة الاولى ص ١٠٦. معجم المطبوعات.

وتجد تحليل نفسيَّة « الشريف الرَّضي » الكريمة في ما ألّفه العلاّمة الشيخ عبد الحسين الحلّي النجفي كمقدّمة للجزء الخامس المطبوع من تفسيره فطبع معه في ١١٢ صحيفة [١].

وما نضد عقد جمانه الكاتب الشهير زكي مبارك في مجلّدين ضخمين مطبوعين أسماه [عبقريَّة الرَّضي ٢]

---

(١) اشتبه في تاليف المترجم وبيئة نشأته وتاريخ وفاته.

وقبلهما ما كتبه العلاّمة الشيخ محمَّد رضا ابن شيخنا الحجَّة الشيخ هادي كاشف الغطاء [٣] .

وأفرد زميلنا السيِّد علي أكبر البرقعي القمي كتاباً في ترجمته أسماه [كاخ دلاويز ٢]

قال الأميني: كان البرقعي محمود السيرة، ميمون النقيبة، من روّاد الفضيلة والأدب، غير أنَّه تحزّب في الآونة الأخيرة بفئة ضالَّة ساقطة، وأُصيب، ـ العياذ بالله ـ بمتعسة أزالته عن مكانته، وأسفّته إلى هوَّة البوار، عصمنا الله من الزَّلل، وآمننا من الخطل، وحفظنا من خاتمة سوء .

وكتب الدكتور محفوظ ترجمته في ٢٥٠ صحيفة سمّاها ب[الشريف الرضي] طبعت في بيروت بمطبعة الريحاني [٥] ولولدنا محمَّد هادي الأميني كتابٌ في ترجمته [٦] .

وهناك مَن كتب(١) في عبقريَّته من المتطفِّلين على موائد الكتابة من الشباب الزائف في مصر، غير أنَّه كشف عن سوئة نفسه وخلّد لها شية العار على مرِّ الدهور، فطفق ينحو فيما حسبه خدمةً للرِّضي ونشراً لعبقريَّته النيل من سلفه الطاهر، وأخذ ينشر ما في علبة عداوه على أهل البيت النبويِّ المقدَّس بالوقيعة في سيِّدهم سيِّد الوصيِّين وأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وهنالك أبدى ضؤلة رأيه، وسخف أنظاره، وخبث عنصره، فجاء كالباحث عن حتفه بظلفه، وهب أنَّه من قوم حناق على آل الرسول صلوات الله عليهم لكنَّه لم يسلم من نعراته حتّى أئمَّة مذهبه، فقد جاثاهم وسلقهم بلسانٍ حديد، أنا لا احاول نقد كلماته حرفيّاً فإنّها أسقط من ذلك، وإنَّ صاحبها أقلّ من أن ينوَّه به في الكتب، ولكن أسفي على مصر أن يشوِّه سمعتها الذّنابي؛ أسفي على

(١) هو محمد سيد الكيلاني افرد في المترجم كتاباً في ١٥٩ صفحة وسماه ب(الشريف الرضي)

جامعتها أن لا تنفي عنها ما يُدنِّس مطارف فضلها القشيبة، أسفي على مطابعها أن تنشر السفاسف المخزية، أسفي أسفي أسفي..

أساتذته ومشايخه:

١ ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوي المعروف بالسيرافي المتوفّى سنة ٣٦٨ تلمّذ عليه في النحو وهو طفلٌ لم يبلغ عمره عشر سنين، ذكره إبن خلكان، واليافعي، وصاحب « الدَّرجات الرفيعة » نقلاً عن أبي الفتح إبن جنّي شيخ المترجَم.

٢ ـ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي المتوفّى سنة ٣٧٧ وله منه إجازة، يروي عنه في كتابه « المجازات النبويَّة ».

٣ ـ أبو عبد الله محمَّد بن عمران المرزباني المتوفّى ٣٨٤ وقيل ٧٨.

٤ ـ أبو محمَّد الشيخ الأقدم هارون بن موسى التلعكبري المتوفّى ٣٨٥.

٥ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي المتوفّى ٣٩٢ وقد أكثر النقل عنه في « المجازات النبويَّة ».

٦ ـ أبو يحيى عبد الرحيم بن محمَّد المعروف بابن نباته صاحب الخطب المتوفّى ٣٩٤.

٧ ـ الشيخ الأكبر شيخنا المفيد أبو عبد الله إبن المعلّم محمَّد بن نعمان المتوفّى ٤١٣، قرأ عليه هو وأخوه علم الهدى المرتضى قال صاحب « الدَّرجات الرفيعة »: كان المفيد رأى في منامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها: الحسن والحسين عليهما السّلام صغيرين فسلّمتهما إليه وقالت له: علّمهما الفقه. فانتبه متعجّباً من ذلك فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها إبناها: عليّ المرتضى ومحمَّد الرّضي. صغيرين فقام إليها وسلّم عليها فقالت له: أيُّها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلّمهما الفقه. فبكى الشيخ وقصَّ عليها المنام وتولّى

تعليمهما وأنعم الله تعالى عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باقٍ ما بقي الدَّهر. وذكرها إبن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٣.

٨ ـ أبو الحسن عليُّ بن عيسى الربعي النحوي البغدادي المتوفّى ٤٢٠ كما في « المجازات النبويَّة » ص ٢٥٠، وقال المترجَم في تفسيره قوله تعالى: ربِّ إني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت: قال لي شيخنا أبو الحسن عليُّ بن عيسى النحوي صاحب أبي علي الفارسي، وهذا الشيخ كنتُ بدأتُ بقراءة النحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمـان بن جنّي؛ فقرأتُ عليه مختصر الجـرمي، وقطعة من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ومقدّمة أملاها عليَّ كالمدخل إلى النحو، وقرأت عليه العروض لأبي إسحاق الزجّاج والقوافي لأبي الحسن الأخفش.

٩ ـ القاضي عبد الجبّار أبو الحسن بن أحمد الشافعيّ المعتزلي، قرأ عليه كما في « المجازات النبويَّة ».

١٠ ـ أبو بكر محمَّد بن موسى الخوارزمي، قرأ عليه في الفقه كما في « المجازات » ص ٩٢.

١١ ـ أبو حفص عمر بن ابراهيم بن أحمد الكناني، يروي عنه الحديث كما في « المجازات » ص ١٥٥.

١٢ ـ أبو القاسم عيسى بن عليِّ بن عيسى بن داود بن الجراح، شيخه في الحديث كما في « المجازات » ص ١٥٣.

١٣ ـ أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد الأسدي الأكفاني.

١٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمَّد الطبري الفقيه المـالكي، تلمّذ عليه في عنفوان شبابه كما في « المنتظم » لابن الجوزي وغيره.

تلامذته والرواة عنه

ويروي عنه جمعٌ من أعيان الطائفة وأعلام العامَّة منهم:

١ - شيخ الطائفة أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠.

٢ - الشيخ جعفر بن محمَّد الدوريستي.

٣ - الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن علي الحلواني كما في الإجازات.

٤ - القاضي أبو المعالي أحمد بن عليِّ بن قدامة المتوفّى ٤٨٦، كما في كثير من إجازات أعلام الدين.

٥ - أبو زيد السيِّد عبد الله بن علي كيابكي ابن عبد الله الحسيني الجرجاني، كما في إجازة الشهيد الثاني لوالد شيخنا البهائي العاملي، وإجازة مولانا المجلسي الأوَّل لولده العلاّمة المجلسي.

٦ - أبو بكر احمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، وهو من أجلاّء تلمذة المترجَم وأخيه الشريف المرتضى كما في «المقاييس» للعلاّمة الحجَّة التستري.

٧ - أبو منصور محمَّد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبري المعدّل كما في «قصص الأنبياء» للراوندي.

٨ - القاضي السيِّد أبو الحسن عليّ بن بندار بن محمَّد الهاشمي يروي عن المترجَم وأخيه علم الهدى المرتضى كما في إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة للشيخ ياسين وإجازته للشيخ ناصر الجارودي سنة ١١٢٨.

٩ - الشيخ المفيد عبد الرَّحمن بن أحمد بن يحيى النيسابوري يروي عن المترجَم وأخيه علم الهدى جميع مصنَّفاتهما بلا واسطة كما في إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة المذكورة.

تآليفه وكتبه :

(نهج البلاغـة) كان يهتمّ بحفـظه حملة العلم والحديث في العصـور المتقادمة حتّى اليوم ويتبرّكون بذلك كحفظ القرآن الشريف، وعُدَّ من حَفظته في قرب عهد المؤلّف القاضي جمال الدين محمَّد بن الحسين بن محمَّد القاساني، فإنّه كان يكتب « نهج البلاغة » من حفظه كما ذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته. ومن حفّاظه في القرون المتقادمة الخطيب أبو عبد الله محمَّد الفارقي المتوفّى ٥٦٤ كما ذكره إبن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٦٠ ، وابن الجوزي في « المنتظم » ج ١٠ ص ٢٢٩ .

ومن حفظة المتأخِّرين له العـلاّمة الـورع السيِّد محمَّـد اليماني المكّي الحائري المتوفّى في الحائر المقدَّس سنة ١٢٨٠ في ٢٨ ربيع الأوَّل.

ومنهم العالم المؤرِّخ الشاعر الشيخ محمَّد حسين مروَّة الحافظ العاملي، حكى سيدنا صدر الدين الكاظمي عن العلاّمة الشيخ موسى شرارة: انَّه كان يحفظ تمام قاموس اللغة، وشرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد، وأربعين ألف قصيدة انتهى . ونقل بعض الأعلام : أنّه كان حافظاً لكامـل ابن الأثير من أوّلـه إلى آخره . ذلك فضل الله يُؤتيه مَن يشاء .

وقد توالت عليه الشروح منذ عهد قريب من عصر المترجَم له بما يربو على السبعين شرحاً وممن شرحه :

١ ـ السيد عليّ بن الناصر المعاصر لسيِّدنا الشريف الرَّضي شرحه وأسما شرحه ب « أعلام نهج البلاغة » وهو أوَّل الشروح وأقدمها.

٢ ـ أحمد بن محمَّد الوبري من أعلام القرن الخامس.

٣ ـ ضياء الدين أبو الرضا فضل الله الراوندي علّق عليه سنة ٥١١ .

٤ ـ أبو الحسن عليُّ بن أبي القاسم زيد بن أميرك محمَّـد بن أبي علي الحسين بن أبي سـليمـان فنـدق بن أيّـوب بـن الحسن بـن أحمـد بـن

عبد الرَّحمن بن عُبيد الله بن عمر بن الحسن بن عثمان بن أيّوب بن خُزيمة بن عمر بن خُزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ البيهقي النيسابوري من مشايخ ابن شهراشوب قرأ نهج البلاغة على الشيخ الحسن بن يعقوب القارىء سنة ٥١٦ وشرحه وأسماه ب« معارج نهج البلاغة » ولد يوم السبت سابع وعشرين شعبان في سبزوار ومات سنة ٥٦٥[١].

٥ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي المتوفّى ٥٧٣ أسما شرحه ب« منهاج البلاغة ».

٦ - الشيخ أبو الحسين محمَّد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري الشهير بقطب الدين الكيدري، له شرحه الموسوم ب« حدائق الحقائق » فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦.

٧ - أفضل الدين الحسن بن عليّ بن أحمد الماهابادي، أحد مشايخ صاحب الفهرست الشيخ منتجب الدين المتوفّى بعد سنة ٥٨٥[٢].

٨ - القاضي عبد الجبّار المردَّد بين جمعٍ[٣] مقارنين بعصر شيخ الطائفة ذكره العلاّمة النوري في « المستدرك ».

٩ - الفخر الرازي محمَّد بن عمر الطبري الشافعيّ المتوفّى ٦٠٦ كما صرَّح به القفطي في « تاريخ الحكماء ».

١٠ - أبو حامد عزُّ الدين عبد الحميد الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي المدائني المتوفّى سنة ٦٥٥، له شرحه الدائر الذي إختصره المولى سلطان محمود الطبسي الآتي ذكره.

---

(١) ترجمة الحموي في « معجم الادباء » ج ٥ ص ٢٠٨ نقلاً عن كتابه « مشارب التجارب » وعد شرح النهج من تأليفه، فما في « كاخ دلاويز » ص ١١٦ من نفي صحة نسبة الشرح إليه رداً على ابن يوسف الشيرازي في غير محله، كما إشتبه عليه في قوله: ان البيهقي أول شارح للكتاب.

(٢) اسم الشارح أفضل الدين الحسن لا أبو الحسن كما في بعض المعاجم.

(٣) ألا وهم الفقهاء الأفذاذ: القاضي ركن الدين عبد الجبار بن علي الطوسي، والقاضي عبد الجبار بن فضل الله، وعبد الجبار بن منصور، والشيخ عبد الجبار بن أحمد، والشيخ عبد الجبار بن عبد الله المقري الرازي، وعبد الجبار بن محمد الطوسي، وأبو علي عبد الجبار بن الحسين.

١١ ـ السيِّد رضي الدين أبو القاسم عليٌّ بن موسى بن طاوس الحسيني المتوفّى سنة ٦٦٤.

١٢ ـ أبو طالب تاج الدين المعروف بابن الساعي عليّ بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي المتوفّى ٦٧٤ صاحب التآليف الكثيرة منها شرح نهج البلاغة كما في « منتخب المختار » ص ١٣٨.

١٣ ـ كمال الدين الشيخ ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني المتوفّى سنة ٦٧٩، له شرحه الكبير والمتوسط والصغير.

١٤ ـ الشيخ أحمد بن الحسن الناوندي، من أعلام القرن السابع تلميذ الشيخ جمال الدين الورامينى، له حواش كثيرة على « نهج البلاغة » من تقريرات استاذه المذكور.

١٥ ـ العلاّمة الحلّي جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر المتوفّى ٧٢٦.

١٦ ـ الشيخ كمال الدين إبن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إبراهيم العتائقي الحلّي أحد أعلام القرن الثامن له شرحه الكبير في أربع مجلّدات.

١٧ ـ يحيى بن حمزة العلوي اليمني من أئمَّة الزيديَّة المتوفّى ٧٤٩، إقتصر في شرحه على حلِّ عويصاته اللغويَّة.

١٨ ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعيّ المتوفّى ٧٩١/٢/٣.

١٩ ـ السيِّد أفصح الدين محمّد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني، فرغ من شرحه شهر صفر سنة ٨٨١[1].

---

(١) ذكر البحاثة ابن يوسف الشيرازي في ترجمته (ما هو نهج البلاغة) شرحين أحدهما ص١٧ للسيد أفصح الدين المذكور والآخر في ص ٢٦ للسيد أفصح الدين الآخر ولم يعرف مؤلفه، وهو اشتباه واضح وليس هناك إلا شرح واحد لرجل واحد.

٢٠ ـ المولى قوام الدين يوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد المتوفّى حدود سنة ٩٢٧.

٢١ ـ أبو الحسن عليٌّ بن الحسن الزواري، من تلمذة المحقِّق الكركي شرحه بالفارسيَّة وأسماه ب « روضة الأبرار » فرغ منه سنة ٩٤٧.

٢٢ ـ المولى جلال الدين الحسين بن خواجة شرف الدين عبد الحقّ الأردبيلي المعروف بالإلٓهي المتوفّى ٩٥٠، شرحه بالفارسيّة ويسمّى ب (منهج الفصاحة).

٢٣ ـ المولى فتح الله ابن المولى شكر الله القاشاني المتوفّى ٩٨٨، له شرحه الفارسي المطبوع المرسوم بـ [تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين]

٢٤ ـ عزُّ الدين عليٌّ بن جعفر شمس الدين الأملي من تلمذة الشيخ عليّ بن هلال الجزائري له شرحه بالفارسيَّة.

٢٥ ـ المولى عماد الدين علي القاري الاسترابادي أحد أعلام القرن العاشر له تعليق على الكتاب.

٢٦ ـ المولى شمس بن محمَّد بن مراد ترجم شرح إبن أبي الحديد المعتزلي سنة ١٠١٣.

٢٧ ـ شيخنا البهائي العاملي المتوفّى ١٠٣١، له شرح نهج البلاغة ولم يتم، ذكره البرقعي فيما كتبه إلينا.

٢٨ ـ الشيخ الرئيس أبو الحسن ميرزا القاجاري، له شرحه لم يتمّ، كتبه إلينا السيِّد البرقعي.

٢٩ ـ الشيخ نور محمَّد ابن القاضي عبد العزيز ابن القاضي طاهر محمَّد المحلّي شرحه فارسيّاً سنة ١٠٢٨.

٣٠ ـ المولى عبد الباقي الخطّاط الصوفي التبريزي المتوفّى ١٠٣٩ شرحه بالفارسيَّة وسمّاه ب [منهاج الولاية][1]

(١) ذكر البحاثة ابن يوسف الشيرازي في ترجمة « ما هو نهج البلاغة » ص ١٩ شرحاً للمولى عبد الباقي ولم يسمه. وذكر في ص ٢٥ الشرح « منهاج الولاية » ولم يعرف مؤلفه.

٣١ ـ المولى نظام الدين عليّ بن الحسن الجيلاني يسمّى شرحه ب [أنوار الفصاحة] فرغ من أوَّل مجلّداته الثلاث ٤ ربيع الأوَّل سنة ١٠٥٣ .

٣٢ ـ الشيخ حسين بن شهاب الدين بن الحسين العاملي الكركي المتوفّى ١٠٧٦ عن ٦٨ سنة .

٣٣ ـ فخر الدين عبد الله بن المؤيّد بالله لخّص شرح إبن أبي الحديد وأسماه [العقد النضيد المستخرج من شرح إبن أبي الحديد] توجد منه نسخةٌ مورَّخةٌ بسنة ١٠٨٠ .

٣٤ ـ السيِّد ماجد بن محمَّد البحراني المتوفّى ١٠٩٧ لم يتمّ شرحه .

٣٥ ـ الشيخ محمّد مهدي بن أبي تراب السهندي شرحه باللغة الفارسيَّة وفرغ منه شهر رمضان سنة ١٠٩٧ .

٣٦ ـ ميرزا علاء الدين محمَّد گلستانه المتوفّى ١١٠٠ يُسمّى شرحه بـ [حدائق الحقائق] وشرحه الآخر الصغير بـ (بهجة الحدائق) .

٣٧ ـ السيِّد حسن بن مطهر بن محمَّد اليمني الجرموزي الحسني المولود ١٠٤٤ والمتوفّى ١١١٠، له شرحه ذكره له الشوكاني في « البدر الطالع » ج ١ ص ٣١١ .

٣٨ ـ المولى تاج الدين حسن المعروف بملاّتاجا والد شيخنا الفاضل الهندي المتوفّى ١١٣٧ له شرحٌ فارسيٌّ يوجد في إصبهان .

٣٩ ـ المولى محمَّد صالح بن محمَّد باقر الروغني القزويني من أعلام القرن الحادي عشر شرحه فارسيّاً طبع بايران[1] .

٤٠ ـ السيِّد نعمة الله بن عبد الله الجزائري التستري المتوفّى ١١١٢ له شرحه في ثلاث مجلّدات .

---

(١) خفي مؤلف هذا الشرح على صاحب « وقائع الأيام » وذكره للحاج المولى صالح البرغاني القزويني ، وتبعه البرقعي في « كاخ دلاويز » والبحاثة ابن يوسف الشيرازي في ترجمة « ما هو نهج البلاغة » .

٤١ - المولى سلطان محمود بن غلامعلي الطبسي القاضي من تلمذة العلّامة المجلسي .

٤٢ - المولى محمَّد رفيع بن فرج الجيلاني المتوفَّى بالمشهد الرضوي حدود ١١٦٠ .

٤٣ - الشيخ محمَّد علي ابن الشيخ أبي طالب الزاهدي الجيلاني الإصبهاني المتوفّى في الهند ١١٨١ له شرح بعض خطبه .

٤٤ - السيِّد عبد الله بن محمَّد رضا الشبَّر الحسيني الكاظمي المتوفّى ١٢٤٢ ، له شرحان .

٤٥ - الأمير محمَّد مهدي الخاتون آبادي الإصبهاني المتوفَّى ١٢٦٣ ، له شرحه بالفارسيَّة ،

٤٦ - الحاج السيِّد محمَّد تقي ابن الأمير محمّد مؤمن الحسيني القزويني المتوفّى ١٢٧٠ ، له شرحه بالفارسيَّة .

٤٧ - ميرزا باقر النوّاب بن محمَّد بن محمَّد اللاهجي الإصبهاني ، كتب له شرحاً بالفارسيَّة بأمر السلطان فتحعلي شاه القاجار وطبع بايران .

٤٨ - الحاج نصر الله بن فتح الله الدزفولي ، ترجم شرح ابن أبي الحديد بالفارسيَّة وزاد عليه تحقيقاته بأمر السلطان ناصر الدين شاه القاجار وفرغ منه سنة ١٢٩٢ .

٤٩ - السيِّد صدر الدين بن محمَّد باقر الموسوي الدزفولي ، من تلمذة اقا محمّد البيد آبادي .

٥٠ - السيِّد مفتي عبّاس المتوفّى ١٣٠٦ (أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر) عده البرقعي فيما كتبه إلينا من شرّاحه .

٥١ - المولى أحمد بن علي أكبر المراغي نزيل تبريز والمتوفّى ٥ محرَّم سنة ١٣١٠ علّق على مشكلاته .

٥٢ ـ الشيخ بهاء الدين محمّد (أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر) له شرحه ذكره البرقعي فيما كتبه إلينا.

٥٣ ـ الاستاذ محمّد حسن نائل المرصفي، شرح مشكلات لغاته طبع بمصر تعليقاً عليه سنة ١٣٢٨.

٥٤ ـ الشيخ محمّد عبده المتوفّى سنة ١٣٢٣.

٥٥ ـ الحاج ميرزا حبيب الله الموسوي الخوئي المتوفّى حدود ١٣٢٦، له شرحه الكبير الموسوم ب (منهاج البراعة).

٥٦ ـ الشيخ جواد الطارمي بن الحاج المولى محرَّم علي الزنجاني المتوفّى سنة ١٣٢٥، له شرحه الموسوم ب (شرح الإحتشام على نهج بلاغة الإمام).

٥٧ ـ الحاج ميرزا إبراهيم الخوئي الشهيد سنة ١٣٢٥، له شرحه المسمّى ب (الدرَّة النجفيَّة) طبع في تبريز سنة ١٢٩٣.

٥٨ ـ جهانگير خان القشقائي المتوفّى بإصبهان سنة ١٣٢٨.

٥٩ ـ السيِّد أولاد حسن بن محمّد حسن الهندي المتوفّى سنة ١٣٣٨، يُسمّى شرحه ب [الإشاعة].

٦٠ ـ الشيخ محمّد حسين بن محمّد خليل الشيرازي المتوفّى ١٣٤٠.

٦١ ـ السيِّد علي أطهر الكهجوي الهندي المتوفّى في شعبان سنة ١٣٥٢.

٦٢ ـ الاستاذ محيي الدين الخيّاط نزيل بيروت طبع شرحه في ثلاث مجلّدات.

٦٣ ـ السيِّد ذاكر حسين أختر الدهلوي المعاصر شرحه بلغة اردو.

٦٤ ـ الاستاذ محمّد بن عبد الحميد المصري زاد على شرح الشيخ محمّد عبده بعض إفاداته وطبع.

٦٥ - السيِّد ظفر مهدي اللكهنوي له شرحه بلغة اردو.

٦٦ - السيِّد هبة الدين محمّد علي الشهرستاني، له شرحه الموسوم ب [بلاغ المنهج]

٦٧ - الشيخ محمّد علي بن بشارة الخيقاني، له شرحه ذكره لـه الشيخ أحمد النحوي في قصيدة يمدحه بها فقال:

ولقـد كسى نهج البـلاغـة فكـره شرحاً فـأظهر كـلّ خافٍ مضمـرِ

وكتب إلينا البرقعي من شُرّاحه.

٦٨ - ميـرزا محمّد تقي الألمـاسي حفيد العـلاّمة المجلسي قـال: لـه شرحه بالفارسيَّة لم يتمّ.

٦٩ - الشيخ عبد الله البحراني صاحب العوالم.

٧٠ - الشيخ عبد الله بن سليمان البحراني السماهيجي.

٧١ - الحاج المولى علي العلياري التبريزي.

٧٢ - الشيخ ملاّ حبيب الله الكاشاني صاحب التآليف القيِّمة.

٧٣ - السيِّد عبد الحسين الحسيني آل كمّونة البروجردي.

٧٤ - ميرزا محمّد علي بن محمّد نصير چهاردهي الگيلاني، له شرحه في ثلاث مجلّدات.

٧٥ - ميرزا محمّد علي قراجه داغي التبريزي.

٧٦ - الاستاذ محمّد محيي الدين عبد الحميـد المدرِّس في كليّـة اللغة العربيَّة بالأزهر، زاد على شرح الشيخ محمّد عبده زيـادات هامّـة طبعت مع الأصل والشرح بمصر في مطبعة الإستقامة.

ووقفنا على آثار قيِّمة أو مآثر خالدة حول « نهج البلاغـة » لجمع ممن عاصرناهم ألا وهم:

٧٧ ـ الحاج ميرزا خليل الصيمري الكموئي الطهراني، شرح النهج وأطنب في أربع وعشرين مجلّداً، طبع بعض تلكم الأجزاء الضخمة الفخمة القيّمة بطهران.

٧٨ ـ السيِّد محمود الطالقاني، شرحه في عدَّة مجلّدات طبع غير واحد منها.

٧٩ ـ الحاج السيِّد علي النقيّ فيض الإسلام الإصبهاني، ترجمه في ست مجلّدات، طبعت في طهران بأجود خطّ وأحسن ورق.

٨٠ ـ الحاج ميرزا محمّد علي الأنصاري القميّ ترجمه نظماً ونثراً بالفارسيّة في عدَّة مجلّدات وقفت على ثلاث منها مطبوعة بأجمل هيئة وأبهى صورة.

٨١ ـ جواد فاضل ترجم جملة من خطبه بالفارسية باسلوب بديع وبيان مليح .

مؤلف نهج البلاغة:

كلّ هؤلاء الأعلام لا يشكّون في أنَّ الكتاب من تآليف الشريف الرَّضي، وتصافقهم على ذلك معاجم الشيعة جمعاء، فلن تجد من ترجمة من أربابها إلاّ ناصّا على صحَّة النسبة وجازماً باستقامة النسب منذ عصر المؤلِّف وإلى اليوم الحاضر، أُنظر فهرست أبي العبّاس النجاشي المتوفّى ٤٥٠، وفهرست الشيخ منتجب الدين المتوفّى ٥٨٥ ووو.

وتُنبىء القارىء عن صحَّة النسبة إجازات حملة العلم والحديث لأصحابهم منها:

١ ـ إجازة الشيخ محمّد بن علي بن أحمد بن بندار للشيخ الفقيه أبي عبد الله الحسين برواية الكتاب [نهج البلاغة] في جمادى الاخرى سنة ٤٩٩.

٢ ـ إجازة الشيخ عليّ بن فضل الله الحسيني لعليٍّ بن محمّد بن الحسين المتطبِّب برواية الكتاب في رجب سنة ٥٨٩.

٣ - إجازة الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى الحلّي للسيِّد عزّ الدين الحسن بن عليّ المعروف بابن الأبرز برواية الكتاب في شعبان سنة ٦٥٥.

٤ - إجازة العلاّمة الحلّي لبني زهرة في سنة ٧٢٣.

٥ - إجازة السيِّد محمّد بن الحسن بن أبي الرِّضا العلوي لجمال الدين إبن أبي المعالي سنة ٧٣٠.

٦ - إجازة فخر الدين محمّد ابن العلاّمة الحلّي لابن مظاهر في سنة ٧٤١.

٧ - إجازة شيخنا الشهيد الأوَّل للشيخ إبن نجدة سنة ٧٧٠.

٨ - إجازة الشيخ عليّ بن محمّد بن يونس البياضي صاحب [الصِّراط المستقيم] للشيخ ناصر بن إبراهيم البُويهي الحساوي سنة ٨٥٢.

٩ - إجازة الشيخ عليِّ المحقِّق الكركي للمولى حسين الأسترابادي في سنة ٩٠٧.

١٠ - إجازة الشيخ المحقِّق الكركي للشيخ إبراهيم سنة ٩٣٤.

١١ - إجازة المحقِّق الكركي للقاضي صفيِّ الدين عيسى سنة ٩٣٧.

١٢ - إجازة الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي في سنة ٩٤١.

١٣ - إجازة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني الكبيرة.

١٤ - إجازة الشيخ أحمد بن نعمة الله بن خاتون للمولى عبد الله التستري في سنة ٩٨٨.

١٥ - إجازة الشيخ محمَّد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون للسيِّد ظهير الدين الهمداني في سنة ١٠٠٨.

١٦ - إجازة العلاّمة المجلسي الأوّل لتلميذه آقا حسين الخونساري سنة ١٠٦٢.

١٧ - إجازة العلاّمة المجلسي الأوّل الكبيرة لولده العلاّمة المجلسي المؤرّخة بسنة ١٠٦٨.

١٨ - إجازة الشيخ صالح بن عبد الكريم للمولى محمّد هادي بن محمّد تقي الشولستاني سنة ١٠٨٠.

١٩ - إجازة المجلسي الثاني للسيِّد ميرزا إبراهيم النيسابوري سنة ١٠٨٨.

٢٠ - إجازة العلاّمة المجلسي للسيِّد نعمة الله الجزائري سنة ١٠٩٦.

وغيرها من الإجازات.

وقبل هذه كلّها نصوص الشريف الرَّضي نفسه في كتبه بذلك فقال في الجزء الخامس من تفسيره ص ١٦٧: ومن أراد أن يعلم زمان ما أشرنا إليه من ذلك فليمعن النظر في كتابنا الذي ألّفناه ووسمناه [بنهج البلاغة] وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم وبوّبناه أبواباً ثلاثة. إلخ.

وقال في كتابه [المجازات النبويّة][1] ص ٢٢٣: وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم ب[نهج البلاغة] الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه.

وقال في ص ٤١ من المجازات: وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم ب[نهج البلاغة]

وقال في ص ١٦١: قد ذكرنا الكلام في كتابنا الموسوم ب[نهج البلاغة]

وقال في ص ٢٥٢: قد ذكرناه في جملة كلامه عليه السّلام لكميل بن زياد النخعي في كتاب « نهج البلاغة ».

---

(١) كون المجازات النبوية للشريف الرضي من المتسالم عليه لم يختلف فيه اثنان.

وقال في أواخر « نهج البلاغة » في شرح قوله عليه السّلام العين وكاء السنة : قال الرَّضي وقد تكلّمنا في هذه الإستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبويَّة .

وقال في ديباجة « نهج البلاغة » : فإنِّي كنت في عنفوان السنّ، وغضاضة الغصن إبتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمَّة عليهم السَّلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم . إلخ . وكتاب الخصائص المذكور موجودٌ بين أيدينا ولم يختلف فيه إثنان انَّه للشريف الرَّضي .

فما تورَّط به بعض الكتبة من نسبة الكتاب إلى أخيه علم الهدى وإتِّهامه بوضعه[١] أو وضع بعض ما فيه على لسان أمير المؤمنين عليه السلام والدَّعوى المجرَّدة ببطلان أكثر ما فيه وعزو ذلك إلى سيدنا الشريف الرَّضي[٢] الذي عرفت موقفه العظيم من الثقة والعلم والجلالة، أو الترديد فيمن وضعه وجمعه بينهما[٣] مما لا يُقام له في سوق الحقائق وزن، وليس له مناخٌ إلاّ حيث تربض فيه العصبيَّة العمياء، ويكشف عن جهل اولئك المؤلِّفين برجال الشيعة وتآليفهم، وأعجب ما رأيت كلمة الذهبي في طبقاته ج ٣ ص ٢٨٩ : وفيها [يعني سنة ٤٣٦] تُوفِّي شيخ الحنفيَّة العلاّمة المحدِّث أبو عبد الله الحسين بن موسى الحسيني الشريف الرَّضي واضع كتاب [نهج البلاغة].

قال إبن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٤٦ بعد ذكر خطبة إبن أبي الشحماء العسقلاني الكاتب: هذه أحسن خطبة خطبها هذا الكاتب وهي كما تراها ظاهرة التكلّف بيِّنة التوليد، تخطب على نفسها، وإنّما ذكرت هذا لأنَّ كثيراً من ارباب الهوى يقولون: إنَّ كثيراً من « نهج البلاغة » كلامٌ محدثٌ صنعه قومٌ من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرَّضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قومٌ

(١) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٢٣ ، ودائرة المعارف للبستاني ج ١٠ ص ٤٥٩ ، وتاريخ اداب اللغة ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) كما في ميزان الاعتدال، ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٣ .

(٣) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٦٥ ، مراة الجنان لليافعي ج ٣ ص ٥٥ .

أعمت العصبيَّة أعينهم فضلّوا عن النهج الواضح؛ وركبوا بيِّنات الطريق ضلالاً، وقلّة معرفة بأساليب الكلام، وأنا اوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول: لا يخلو إمّا أن يكون كلّ «نهج البلاغة» مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأوَّل باطلٌ بالضَّرورة لأنّا نعلم بالتواتر صحَّة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وقد نقل المحدِّثون كلّهم أو جلّهم والمؤرِّخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرضٍ في ذلك، والثاني يدل على ما قلناه لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوقٌ في هذا الباب لا بدَّ أن يفرِّق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الأصيل والمولّد، وإذا وقف على كرّاسٍ واحدٍ يتضمَّن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لإثنين منهم فقط فلا بدَّ أن يفرِّق بين الكلامين، ويميِّز بين الطريقين، ألا ترى؟ إنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفَّحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونَفَسه وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى؟ أنَّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم انّه ليس من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلاّ على الذوق خاصَّة، وأنت إذا تأمّلت «نهج البلاغة» وجدته كلّه ماءً واحداً ونفساً واحداً واسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعضٌ من أُبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهيَّة، وكالقرآن العزيز أوّله كأوسطه وأوسطه كآخره وكلّ سورة منه وكلّ آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسّور، ولو كان بعض «نهج البلاغة» منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن الكتاب أو بعضه منحولٌ إلى أمير المؤمنين عليه السّلام.

واعلم أنَّ قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قِبَل له به لأنّا متى فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحَّة كلام منقول عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبداً وساغ لطاعنٍ أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحولٌ، وهذا

الكلام مصنوعٌ، وكذلك ما نُقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكلّ أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمَّة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسِّلين والخطباء، فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستعدَّ إلى مثله فيما يروونه عنه من « نهج البلاغة » وغيره وهذا واضحٌ اهـ.

وقال في ج ١ ص ٦٩ في آخر الخطبة الشقشقيَّة: حدَّثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة قال: قرأت على الشيخ أبي محمَّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب (المتوفّى ٥٦٨) هذه الخطبة (يعني الشقشقية) فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع « يعني قول إبن عبّاس: فوالله ما أسفت. إلخ » قال لي: لو سمعت إبن عبّاس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس إبن عمِّك أمرٌ لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسّف أن لا يكون بلّغ من كلامه ما أراد؟! والله ما رجع عن الأوّلين ولا عن آخرين ولا بقي في نفسه أحدٌ لم يذكره إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مصدق: وكان إبن الخشّاب صاحب دعابة وهزل قال: فقلت له: أتقول إنّها منحولةٌ؟! فقال: لا والله وانّي لأعلم أنَّها كلامه كما أعلم انّك مصدق: قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرَّضي رحمه الله تعالى. فقال: أنّى للرّضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الاسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرّضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور وما يقع من هذا الكلام في خلّ ولا خمر. قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنّفت قبل أن يُخلق الرّضي بمائتي سنة ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرَّضي. قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديِّين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرّضي بمدّة طويلة، ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلّمي الإماميَّة وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب « الإنصاف » وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم

البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرِّضي رحمه الله تعالى موجوداً اهـ.

وقد أفرد العلّامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء كتاباً في ٦٦ صحيفة حول الكتاب ودفع الشبهات عنه بعد نقلها، وقد جمع فأوعى وتبسَّط فأجاد[1] وألقى الشيخ محمّد عبده حول الكتاب كلمات ضافية في شرحه، وأطال البحث عنه وعن إعتباره الاستاذ حسين بستانه استاذ الأدب العربي في الثانويَّة المركزيَّة [سابقاً] تحت عنوان « أدب الإمام عليّ ونهج البلاغة » وتعرّض الأوهام الحائمة حول النهج، نشر في العدد الرابع من أعداد السنة الخامسة من مجلّة « الاعتدال » النجفيَّة الغرّاء، وللعلّامة السيِّد هبة الدين الشهر ستاني تأليفٌ حول إعتبار ما في النهج ومحلّه من الرفعة والبذخ عند العالمين تحت عنوان (ما هو نهج البلاغة) طبع في صيدا، وترجمه إلى الفارسيَّة أحد فضلاء ايران في عاصمتها (طهران) وزاد عليه بعض الفوائد.

ومن تآليف سيّدنا الرضي

٢ ـ خصائص الأئمَّة ذكره مؤلِّفه في صدر « نهج البلاغة » وأطراه، وعندنا منه نسخة وقدشرح فيه بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وذكر اسمه في غير موضع واحد والعجب عن العلّامة الحلّي وكلامه حوله قال: توجد في العراق نسخٌ باسمه تشبهه في المنهج لكن لم تصحّ نسبتها.

٣ ـ مجازات الآثار النبويَّة طبع ببغداد سنة ١٣٢٨.

٤ ـ تلخيص البيان عن مجاز القرآن. ذكره في مواضع من كتابه المجازات النبويَّة ص ٢، ٣، ٩، ١٤٥.

٥ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل، وهو تفسيره ذكره في كتابه « المجازات النبويَّة » يعبِّر عنه تارةً بحقايق التأويل. وأخرى بالكتاب الكبير في متشابه القرآن، وعبَّر عنه النجاشي بحقائق التنزيل، وصاحب عمدة الطالب بكتاب المتشابه في القرآن.

٦ ـ معاني القرآن، وهو كتابه الثالث في القرآن ذكره له إبن شهراشوب في

(١) طبع مع كتابه « مستدرك نهج البلاغة » في النجف الأشرف.

« المعالم » ص ٤٤ وقال يتعذّر وجود مثله، وقال النسّابة العمري في « المجدي »: شاهدت له جزؤا مجلّداً من تفسير منسوب إليه في القرآن مليح حسن، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر، وقال إبن خلكان: يتعذّر وجود مثله دلّ على توسّعه في علم النحو واللغة . ولعلّ الممدوح هو تفسيره السابق.

٧ ـ تعليق خلاف الفقهاء.

٨ تعليقه على ايضاح أبي علي الفارسي.

٩ ـ الحسن من شعر الحسين إنتخب فيه شعر إبن الحجّاج المترجَم له في شعراء القرن الرابع.

١٠ ـ الزيادات في شعر إبن الحجّاج المذكور

١١ الزيادات في شعر أبي تمام المترجَم له في شعراء القرن الثالث.

١٢ ـ مختار شعر أبي إسحاق الصّابي.

١٣ ـ ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرَّسائل شعراً[1].

(وذكر له في عمدة الطالب)

١٤ ـ كتاب رسائله في ثلاث مجلّدات، ولأبي اسحاق الصّابي المتوفّى قبل سنة ٣٨٠ كتاب مراسلات الشريف الرّضي كما ذكره إبن النديم في الفهرست ص ١٩٤.

١٥ ـ أخبار قُضاة بغداد.

١٦ ـ سيرة والده الطاهر ألّفه سنة ٣٧٩ وذلك قبل وفاة والده بإحدى وعشرين سنة.

(وذكر له في تاريخ آداب اللغة)

---

(١) ذكرت هذه الكتب له في فهرست النجاشي.

١٧ ـ كتاب إنشراح الصدر في مختارات من الشعر. أقول: هو لبعض الادباء إختاره من ديوان المترجَم له كما في « كشف الظنون » ج ١ ص ٥١٣.

١٨ ـ طيف الخيال: مجموعةٌ تنسب إليه. أقول: هو من تآليف أخيه الشَّريف المرتضى لا له.

١٩ ـ وله ديوان شعره السائر المطبوع، قال إبن خلكان: وقد عني بجمع ديوان الرَّضي جماعةٌ وآخر ما جُمع الذي جمعه أبو حكيم الخَبري(1). وأنفذ الصاحب إبن عباد (المترجَم له في شعراء القرن الرابع من كتابنا) إلى بغداد من ينسخ له ديوانه وكتب إليه بذلك سنة ٣٨٥ (وهي سنة وفاته) وعندما سمع المترجَم له به وأنفذه مدحه بقصيدة منها قوله:

بيني وبينك حرمتان تلاقتا ... نثري الذي بك يقتدي وقصيدي
ووصائل الأدب التي تصل الفتى ... لا باتِّصال قبائل وجدودِ
إن أهدِ أشعاري إليك فإنَّها ... كالسَّرد أعرضه على داوُدِ

وأنفذَت (تقيَّة) بنت سيف الدولة التي توفيت سنة ٣٩٩ من مصر مَن ينسخ ديوان الشريف الرَّضي لها وهي لا ترى هديَّةً أنفس منه يوم حُمل إليها، ويُعرب ذلك عن عناية الشريف بشعره وجمعه في حياته ولعلَّ جمعه كجمع أخيه

---

(١) قال الأميني: قال العلامة الشيخ عبد الحسين الحلي في ترجمة الشريف الرضي في مقدمة الجزء الخامس من (حقائق التأويل) المطبوع: لا نعرف من هو أبو الحكيم ومتى كان وما اسمه. اه وهذا مما يقضى منه العجب، فإن أبا حكيم أعرف من أن يخفى على أي مترجم، فهو أبو الحكيم المعلم عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن حكيم الخبري (بفتح الخاء وسكون الموحدة) أحد أساتذة العلوم العربية كان معلماً ببغداد حسن الخط تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وبرع في الفرائض والحساب، وصنف فيهما، وشرح الحماسة وديوان البحتري وعدة دواوين، وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وجماعة، توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين ذي الحجة سنة ٤٧٦. وكانت له بنتان محدثتان: الكبرى (رابعة) سمعت أبا محمد الجوهري شيخ والدها، والصغرى (أم الخير فاطمة) سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد المعدل وجمع آخر وقرأ عليها السمعاني صاحب « الأنساب » ببغداد أكثر كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ماتت في رجب سنة ٥٣٤، وسبط أبي الحكيم من كريمته الكبرى أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي السلامي الحافظ يروي عن أبي محمد الجوهري. راجع انساب السمعاني، ومعجم الأدباء، وبغية الوعاة.

الشريف المرتضى لديوانه كان على ترتيب سني نظمه المتمادية.

شعره وشاعريته:

من الواضح انَّ الواقف على نفسيَّات سيِّدنا الشريف (المترجم) ومواقفه العظيمة من العلم والسؤدد والمكانة الرفيعة يرى الشعر دون قدر الشريف، ويجد نفسه أعلا من أنفس الشعراء وأرفع، ويرى الشعر لا يمهِّد للشريف كياناً على كيانه، ولا يأثِّر في ترفّعه وشممه، ولا يولِّد له العظمة، ولا يأخذ بضبعه إلى التطوُّل، وقد نظم وشعر في صباه وهو لم يبلغ عمره عشر سنين، ومن شعره في صباه وله عشر سنين قوله من قصيدة:

المجد يعلم أنّ المجد من أربي ... ولو تماديت في غيٍّ وفي لعبِ
إنّي لمن معشر إن جمَّعوا لعُلى ... تفرَّقوا عن نبيٍّ أو وصيٍّ نبي
إذا هممتِ ففتِّش عن شبا هممي ... تجده في مهجات الأنجم الشهبِ
وإن عزمتُ فعزمي يستحيل قذى ... تدمي مسالكه في أعين النُّوبِ
ومعركٍ صافحت أيدي الحمام به ... طلى الرِّجال على الخرصان من كثبِ
حلَّت حباها المنايا في كتائبه ... بالضرب فاجتثَّت الأجساد بالقضبِ
تلاقت البيض في الأحشاء فاعتنقت ... والسمهريّ في الماذيِّ واليلبِ[١]
بكت على الأرض دمعاً من دمائهمُ ... فاستعربت من ثغور النور والعشبِ

ويحدّثنا شعره أنَّه ما كان يَعدُّ الشعر لنفسه فضيلة ومأثرة بل كان يتَّخذه وسيلة إلى غرضه فيقول:

وما الشعر فخري ولكنَّما ... أطول به همّة الفاخرِ
انزِّهه عن لقاء الرِّجال ... وأجعله تحفة الزائرِ
فما يتهدّى إليه الملو ... ك إلّا من المثل السائرِ
وإنّي وإن كنت من اهله ... لتنكر في حرفة الشاعرِ

(١) الماذي: الدرع اللينة السهلة والسلاح كله. واليلب: الدروع من الجلود.

ويقول:

وما قوليَ الأشعار إلاّ ذريعة إلى أمل قد آن قود جنيبهِ
وإنّي إذا ما بلّغ الله غاية ضمنت له هجر القريض وحوبهِ

ويقول:

ما لك ترضى أن يقال: شاعرٌ؟ بُعداً لها من عدد الفضائلِ
كفاك ما أورق من أغصانه وطال من أعلامه الأطاولِ
فكم تكون ناظماً وقائلاً وأنت غبّ القول غير فاعلِ؟!

وهو في شعره يرى نفسه أشعر الأمم تارة؛ ويرى شعره فوق شعر البحتري ومسلم بن الوليد اخرى، ويتواضع طوراً ويجعل نفسه زميل الفرزدق أو جرير، ويرى نفسه ضريباً لزهير، ومرّة يتفوّه بالحقّ وينظر إلى شعره بعين الرِّضا ويرى كلامه فوق كلام الرِّجال، وقد أجمع الأكثرون انّه أشعر قريش قال الخطيب البغدادي في تاريخه ج٢ ص٢٤٦: سمعت أبا عبد الله محمّد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعةً من أهل العلم بالأدب يقولون: الرَّضي أشعر قريش. فقال إبن محفوظ: هذا صحيحٌ وقد كان في قريش من يجيد القول إلاّ أنَّ شعره قليل، فأمّا مجيدٌ مكثرٌ فليس إلاّ الرَّضي.

وجمل الثناء على أدبه وشعره كبقيَّة مآثره وفضائله وملكاته الفاضلة متواترة في المعاجم يضيق عن جمعها المجال، فنضرب عنها صفحاً روماً للإختصار، ونقتصر بذكر نبذةٍ يسيرةٍ، منها:

١ ـ قال النسّابة العمري في «المجدي»: إنَّه نقيب نقباء الطالبيين ببغداد وكانت له هيبةٌ وجلالةٌ وفيه ورعٌ وعفّةٌ وتقشّفٌ ومراعاةٌ للأهل وغيرةٌ عليهم وعسفٌ بالجاني منهم، وكان أحد علماء الزَّمان قد قرأ على أجلّاء الرِّجال وشاهدت له جزءاً مجلّداً من تفسيره منسوب إليه في القرآن مليح حسن يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر، وشعره أشهر من أن يُدلَّ عليه، وهو أشعر

قريش إلى وقتنا، وحسبك أن يكون قريش في أوَّلها الحرث بن هشام والعبلي وعمر بن أبي ربيعة، وفي آخرها بالنسبة إلى زمانه محمّد بن صالح الموسوي الحسني، وعليّ بن محمّد الحمّاني[١] وإبن طباطبا الإصبهاني[٢]

٢ ـ قال الثعالبي في « اليتيمة »: هو اليوم أبدع أبناء الزَّمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر، وفضل باهرٍ وحظٍّ من جميع المحاسن وافر، ثمَّ هو أشعر الطالبيِّين مَن مضى منهم ومن غَبَر على كثرة شعرائهم المفلقين كالحِمّاني وإبن طباطبا وإبن الناصر وغيرهم، ولو قلت: إنَّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أُجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدحِ، الممنَّع عن القَدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معان يقرب جناها، ويبعد مداها، وكان أبوه يتولّى نقابة نقباء الطالبيّين ويحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحجِّ بالناس ثمَّ ردّت هذه الأعمال كلّها إلى ولده الرَّضي سنة ٣٨٨ وأبوه حيٌّ.

٣ ـ قال إبن الجوزي في « المنتظم » ج ٧ ص ٢٧٩ كان الرَّضي نقيب الطالبيِّين ببغداد حفظ القرآن في مدَّة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة وعرف من الفقه والفرائض طرفا قويّاً وكان عالماً فاضلا وشاعراً مترسِّلاً، عفيفاً عالي الهمَّة متديِّناً، اشترى في بعض الأيّام جزازا من إمرأة بخمسة دراهم فوجد جزءاً بخط أبي علي بن مقلة فقال للدّلال: احضر المرأة فأحضرها فقال: قد وجدت في الجزاز جزءاً بخطِّ ابن مقلة فإن أردتِ الجزء فخذيه وإن اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم. فأخذتها ودعت له وانصرفت، وكان سخيّاً جواداً.

٤ ـ قال إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: حفظ الرَّضي القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدَّة يسيرة وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قويّاً، وكان

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الثالث مرت ترجمته ج ٣ ص٨٣ ـ ٩٨.

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع مرت ترجمته ج ٣ ص ٤٠٩ ـ ٤١٦

عالماً أديباً، وشاعراً مفلقاً، فصيح النظم ضخم الألفاظ قادراً على القريض، متصرِّفاً في فنونه إن قصد الرِّقَّة في النسيب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشقّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطع أنفاسها على اثره، وكان مع هذا مترسِّلاً ذا كتابةٍ، وكان عفيفاً شريف النفس عالي الهمَّة مستلزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلةً ولا جائزةً حتّى انَّه ردَّ صِلات أبيه.

٥ ـ قال الباخرزي في «دمية القصر» ص ٦٩: له صدر الوسادة بين الأئمّة والسادة وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذكاءٍ: ما أنورك، ولحضارةٍ ما أغررك، وله شعرٌ إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسب رقَّة الهواء إلى نسيبه، وفاز بالقِدح المعلّى في نصيبه، حتّى إذا انشد الراوي غزليّاته بين يدي الفرهاة، لقال له من العزّ: هات، وإذا وصف فكأنَّه في الأوصاف أحسن من الوصائف والوصاف، وإن مدح تحيَّرت فيه الأوهام بين مادحٍ وممدوحٍ، له بين المتراهنين في الحلبتين سبق سابق مروح، وإن نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خرزات من العقد تنفضّ، وقطرات من المزن ترفضّ، ولعمري انَّ بغداد قد أنجبت به فبوّأته ظلالها، وأرضعته زلالها، وأنشقته شمالها، وورد شعره دجلتها فشرب منها حتّى شرق، وانغمس فيها حتّى كاد يقال: غرق، فكلّما انشدت محاسنه تنزّهت بغداد في نضرة نعيمها، واستنشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها.

٦ ـ قال الرفاعي في «صحاح الأخبار» ص ٦١: كان أشعر قريش وذلك لأنَّ الشاعر المجيد من قريش ليس بمكثر والمكثر ليس بمجيد والرَّضي جمع بين فضلي الإكثار والإجادة، وكان صاحب ورع وعفّة وعدل في الأقضية وهيبة في النفوس.

ألقابه ومناصبه:

لقبه بهاء الدولة سنة ٣٨٨ بالشريف الأجلّ، وفي سنة ٣٩٢ بذي

المنقبتين، وفي سنة ٣٩٨(١) بالرَّضي ذي الحسبين، وفي سنة ٤٠١ أمر أن تكون مخاطباته ومكاتباته بعنوان « الشريف الأجلّ » وهو أوّل من خوطب بذلك من الحضرة الملوكية.

إنَّ المناصب والولايات كانت متكثِّرة على عهد سيِّدنا الشريف من الوزارة التنفيذيَّة والتفويضيَّة، والإمارة على البلاد بقسميها العامّة والخاصّة، والعامَّة بضربيها: استكفاءً بعقد عن إختيار، واستيلاء بعقد عن إضطرار، والإمارة على جهاد المشركين بقسميها: المقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب، والمفوَّض معها إلى الأمير جميع أحكامها من قسم الغنائم وعقد الصلح، والإمارة على قتال أهل الردّة، وقتال أهل البغي، وقتال المحاربين، وولاية القضاء، وولاية المظالم، وولاية النقابة بقسميها: العامَّة والخاصَّة وولاية إمامة الصَّلوات، وإمارة الحجِّ، وولاية الدواوين باقسامها، وولاية الحسبة، وغيرها من الولايات.

فمنها ما كان يخصُّ بالكتّاب والادباء، وآخر بالثقات ورجال العدل والنصفة، وثالث بالأماجد والأشراف والمترفين، ورابع بسأباة الضيم وأصحاب البسالة والفروسيَّة،وخامس بذوي الأراء والفكرة القويَّة والدُّهاة، وسادس بأعاظم العلويِّين وأعيان العترة النبويَّة، وسابع بالفقهاء وأئمّة العلم والدين.

وهناك ما يخصُّ بجامع تلكم الفضائل، ومجتمع هاتيك المآثر كسيِّدنا الشريف ذلك المثل الأعلى في الفضائل كلّها فعلى الباحث عن مواقفه ومقاماته ونفسيّاته الكريمة أن يقرأ ولو بصورة مصغَّرة دروس المناصب التي كان يتولّاها الشريف فعندئذ يجد صورة مكبَّرة تجاه عينيه ممثّلة من العلم والفقه والحكمة والثقة والسداد والأنفة والفتوَّة والهيبة والعظمة والجلال والروعة والوفاء، وعزّة النفس ،والرأي والحزم والعزم والبسالة والعفّة والسؤدد والكرم والإباء والغنى عن أيِّ أحد قد حليت بالأدب والشعر ولا يراها إلّا مثال الشريف الرّضي .

---

(١) في البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٣٥ سنة ٣٩٦

تولّى الشريف بنقابة الطالبيِّين، وإمارة الحاجّ والنظر في المظالم سنة ٣٨٠ وهو ابن ٢١ عاماً على عهد الطائع؛ وصدرت الأوامر بذلك من بهاء الدولة وهو بالبصرة سنة ٣٩٧، ثمَّ عهد إليه في ١٦ محرَّم سنة ٤٠٣ بولاية امور الطالبيِّين في جميع البلاد فدُعي «نقيب النقباء» ويقال: إنَّ تلك المرتبة لم يبلغها أحدٌ من أهل البيت إلاّ الإمام عليّ بن موسى الرِّضا سلام الله عليه الذي كانت له ولاية عهد المأمون، وأُتيحت للشريف الخلافة على الحرمين على عهد القادر كما في المجلّد الأوّل من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وكان هو والولايات كما قيل:

لم تُشيِّد له الولايات مجداً   لا ولا قيل: رفَّعت مقداره
بل كساها وقد تحزَّمها الدهـ   ـرجلالاً وبهجةً ونضاره

وذكر تحليل المناصب التي تولاها سيِّدنا الشريف وشروطها في تآليف علماء السلف وأفردوا فيها كتباً ونحن نأخذ مختصر ما في [الأحكام السلطانيّة] للماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠.

النقابة:

النقابة موضوعةٌ على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى، وهي على ضربين: خاصَّة وعامَّة،وأمّا الخاصَّة فهو أن يقتصر بنظره على مجرَّد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حدّ فلا يكون العلم معتبراً في شروطها ويلزمه في النّقابة على أهله من حقوق النظر إثنا عشر حقّاً:

١ ـ حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس هو منها، أو خارج عنها وهو منها، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الداخل فيها ليكون النسب محفوظاً على صحَّته معزوّاً إلى جهته.

٢ ـ تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم حتّى لا يخفى عليه منهم بنوأب، ولا يتداخل نسب في نسب، ويثبتهم في ديوانه على تمييز أنسابهم.

٣ ـ معرفة من وُلد منهم من ذكر أو انثى فيثبته، ومعرفة من مات منهم فيذكره، حتّى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبته، ولا يدَّعي نسب الميت غيره إن لم يذكره.

٤ ـ أن يأخذهم من الآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم لتكون حشمتهم في النفس موقورة وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم محفوظة.

٥ ـ أن ينزّههم عن المكاسب الدنيئة. ويمنعهم من المطالب الخبيثة؛ حتّى لا يستقل منهم مُبتذل، ولا يستضام منهم مُتذلِّل.

٦ ـ أن يكفَّهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصره أغير، وللمنكر الذي أزالوه أنكر؛ حتّى لا ينطق بذمّهم لسان؛ ولا يشنأهم إنسان.

٧ ـ أن يمنعهم من التسلّط على العامّة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض، ويبعثهم على المناكرة والبعد، ويندبهم إلى استعطاف القلوب وتألّف النفوس، ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب لهم أصفى.

٨ ـ أن يكون عوناً لهم في استيفاء الحقوق حتّى لا يضعفوا عنها، وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتّى لا يمنعوا منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين.

٩ ـ أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامّة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الذي يخصّ به أحدهم حتّى يقسّم بينهم بحسب ما أوجبه الله لهم.

١٠ ـ أن يمنع أياماهم أن يتزوّجن إلاّ من الأكفاء لشرفهنّ على سائر النساء صيانةً لأنسابهنّ، وتعظيماً لحرمتهنّ، أن يزوّجهنّ غير الولاة، أو ينكحهنّ غير الكفاة.

١١ ـ أن يقوم ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حدّاً، ولا ينهر به دماً، ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته، ويغفر بعد الوعظ زلَّته.

١٢ ـ مراعاة وقوفهم بحفظ اصولها وتنمية فروعها، وإذا لم يرد إليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه وراعى قسمتها إذا قسَّموه وميَّز المستحقّين لها إذا خصّت، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت؛ حتّى لا يخرج منهم مستحق، ولا يدخل فيها غير محقّ.

النقابة العامة

فعمومها أن يردَّ إلى النقيب في النقابة عليهم مع ما قدّمناه من حقوق النظر خمسة أشياء :

١ ـ الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

٢ ـ الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

٣ ـ إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

٤ ـ تزويج الأيامى اللاّتي لا يتعيَّن أوليائهنَّ أو قد تعيَّنوا فعضلوهنَّ.

٥ ـ ايقاع الحجر على من عته منهم أو سفه، وفكّه إذا أفاق ورشد.

فيصير بهذه الخمسة عامَّ النقابة فيعتبر حينئذ في صحّة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالماً من أهل الإجتهاد ليصحَّ حكمه، وينفذ قضاؤه. إلى آخر ما في « الأحكام السلطانيَّة » ص ٨٢ ـ ٨٦. وهذه النقابة هي التي كانت ولايتها لسيِّدنا المترجَم.

ولاية المظالم

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاهر بالهيبة، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفَّة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنَّه يحتاج في

نـظره إلى سطوة الحمـاة، وثبت القضاة، فيحتـاج إلى الجمع بين صفـات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين، فإن كان ممن يملك الامور العامَّة كالوزراء والامراء لم يحتج النظر فيها إلى تقليد وكان له بعمـوم ولايته النظر فيها، وإن كان ممن لم يفوّض إليه عموم النظر إحتاج إلى تقليد وتولية إذا اجتمعت فيه الشروط المتقدِّمة، وهذا إنَّما يصحّ فيمن يجوز أن يُختار لولاية العهد، أو لوزارة التفويض، او لإمارة الأقاليم، إذا كان نظره في المظالم عامّاً فإن اقتصر به على تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه ، وإمضاء ما قصرت يدهم عن امضائه جاز أن يكون دون هذه الرُّتبة في القدر والخطر بعـد أن لا تأخذه في الحقِّ لومة لائم، ولا يستشفّه الطمـع إلى رشوة، إلى آخـر ما في « الأحكام السلطانيَّة » ص ٦٤ ـ ٨٢.

الولاية على الحج

الولاية على الحجِّ ضربـان: أحدهمـا أن تكون على تسييـر الحجيج، والثاني على إقامة الحجّ؛ فأمّا تسيير الحجيج فهو ولاية سياسة وزعامة وتدبير. والشروط المعتبرة في المولى أن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعةٍ وهيبةٍ وهدايةٍ، والذي عليه في حقوق هذه الولاية عشرة أشياء:

١ ـ جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرّقوا فيخاف عليهم التّوى والتغرير.

٢ ـ ترتيبهم في المسير والنزول بإعطاء كلّ طائفة منهم مقاداً حتّى يعرف كلُّ فريق منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانـه إذا نزل، فـلا يتنازعـون فيه ولا يضلّون عنه.

٣ ـ يـرفق بهم في السير حتّى لا يعجـز عنه ضعيفهم، ولا يضـلُّ عنه منقطعهم، وروي عن النبي ﷺ انَّه قال: الضعيف أمير الرفقة. يُـريد أنَّ من ضعف دوابّه كان على القوم أن يسيروا بسيره.

٤ ـ أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ويتجنّب أجدبها وأوعرها.

٥ ـ أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعي إذا قلّت.

٦ ـ أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتّى لا يتخطّفهم داعرٌ ولا يطمع فيهم متلصّص.

٧ ـ أن يمنع عنهم من يصدّهم عن المسير، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحجّ بقتال إن قدر عليه، أو ببذل مال إن أجاب الحجيج اليه، ولا يسعه أن يجبر أحداً على بذل الخفارة إن امتنع منها، حتّى يكون باذلاً لها عفواً ومجيباً إليها طوعاً، فإنّ بذل المال على التمكين من الحجّ لا يجب.

٨ ـ ان يُصلح بين المتشاجرين ويتوسّط بين المتنازعين، ولا يتعرّض للحكم بينهم إجباراً إلّا أن يفوّض الحكم إليه، فيُعتبر فيه أن يكون من أهله فيجوز له حينئذ الحكم بينهم، فإن دخلوا بلداً فيه حاكمٌ جازله ولحاكم البلد أن يحكم بينهم فأيّهما حكم نفذ حكمه.

٩ ـ أن يقوّم زائغهم ويؤدّب خائنهم ولا يتجاوز التعزير إلى الحدّ إلّا أن يُؤذن له فيستوفيه إن كان من أهل الإجتهاد فيه.

١٠ ـ أن يراعي اتّساع الوقت حتّى يؤمن الفوات ولا يلجئهم ضيقه إلى الحثّ في السير، فإذا وصل إلى الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه.

وأمّا الولاية على إقامة الحجّ فالوالي فيه بمنزلة الإمام في إقامة الصّلوات، فمن شروط الولاية عليه مع الشروط المعتبرة في أئمّة الصّلوات أن يكون عالماً بمناسك الحجّ وأحكامه، عارفاً بمواقيته وأيّامه، وتكون مدّة ولايته مقدّرة بسبعة أيّام أوّلها من صلاة الظهر في اليوم السابع من ذي الحجّة وآخرها يوم الثالث عشر من ذي الحجّة، وعلى الذي يختصّ بولايته خمسة أحكام متّفقٌ عليها وسادس مختلفٌ فيه ألا وهي:

١ ـ إشعار الناس بوقت إحرامهم والخروج إلى مشاعرهم ليكونوا له متّبعين وبأفعاله مقتدين.

٢ - ترتيبهم للمناسك على ما استقرَّ الشرع عليه لأنَّه متبوعٌ فيها فلا يقدّم مؤخَّراً ولا يؤخر مقدَّماً سواء كان الترتيب مستحقّاً أو مستحبّاً.

٣ - تقدير المواقف بمقامه فيها ومسيره عنها كما تقدَّر صلاة المأمومين بصلاة الإمام.

٤ - إتِّباعه في الأركان المشروعة فيها، والتأمين على أدعيته بها ليتّبعوه في القول كما اتَّبعوه في العمل.

٥ - إمامتهم في الصَّلوات. وأمَّا السادس المختلف فيه: حكمه بين الحجيج فيما لا يتعلّق بالحجِّ، وإقامة التعزير والحدّ في مثله اهـ.

تولّى الشريف الرَّضي هذه الإمارة منذ صباه في أكثر أيّام حياته ووزيراً لأبيه ونائباً عنه، ومستقلاً بها من سنة ٣٨٠، وله فيها مواقف عظيمة سجّلها التاريخ وأبقى له ذكرى خالدة، قال أبو القاسم بن فهد الهاشمي في «إتحاف الورى بأخبار القرى» في حوادث سنة ٣٨٩: حجَّ فيها الشريفان المرتضى والرَّضي فاعتقلهما في الطريق إبن الجراح الطائي فأعطياه تسعة الاف دينار من أموالهما.

ولادته ووفاته:

وُلد الشريف الرَّضي ببغداد سنة ٣٥٩ بإطباق من المؤرّخين ونشأ بها[١] وتوفي بها يوم الأحد ٦ محرّم[٢] سنة ٤٠٦ كما في معجم النجاشي. وتاريخ بغداد للخطيب. وعمدة الطالب. والخلاصة. وغيرها.

فما في شذرات الذهب: انَّه توفّي بكرة الخميس. فهو من خطأ النسّاخ فإنَّه نقله عن تاريخ ابن خلكان وفي التاريخ: بكرة يوم الأحد. لا الخميس. وأمّا ما في «دائرة المعارف» لفريد وجدي ج ٤ ص ٢٥٣ من انَّه توفّي سنة ٤٠٤

(١) قال جرجي زيدان في تاريخ اداب اللغة ج ٢ ص ٢٥٧: وكان يقيم في سر من رأى (سامراء) وتم له لدة هذا في تاريخه مما يميط الستر عن جهله بتاريخ الشيعة ورجالهم.

(٢) في تاريخ ابن خلكان: وقيل: في صفر. وفي تاريخ ابن كثير: خامس المحرم.

فأحسبه مأخوذاً من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، أو انَّه خطأ من الناسخ، وقد أرَّخه فريد وجدي صحيحاً في دائرة المعارف ج ٩ ص ٤٨٧ ب ٦ محرم سنة ٤٠٦، وقد رثى الشريف الرَّضي معاصره أبا الحسن أحمد بن علي البتي المتوفّى سنة ٤٠٥ في شعبان بقصيدة توجد في ديوانه ج ١ ص ١٣٨، وقال جامع الديوان: وبعده بشهور توفّي الرَّضي (رض).

وعند وفاته حضر إلى داره الوزير أبو غالب فخر الملك وسائر الوزراء والأعيان والأشراف والقضاة حفاةً ومشاةً وصلّى عليه فخر الملك ودُفن في داره الكائنة في محلّة الكرخ بخطّ مسجد الأنباريِّين[1] ولم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ولم يصلّ عليه ومضى من جزعه إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السَّلام لأنَّه لم يستطع ان ينظر إلى تابوته؛ ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره.

ذكر كثيرٌ من المؤلِّفين نقل جثمانه إلى كربلاء المشرَّفة بعد دفنه في داره بالكرخ فدُفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى، ويظهر من التاريخ انَّ قبره كان في القرون الوسطى مشهوراً معروفاً في الحائر المقدَّس قال صاحب «عمدة الطالب»: وقبره في كربلاء ظاهرٌ معروفٌ. وقال في ترجمة أخيه المرتضى: دُفن عند أبيه وأخيه وقبورهم ظاهرةٌ مشهورةٌ. وقال الرفاعي المتوفّى ٨٨٥ في «صحاح الأخبار» ص ٦٢: نُقل المرتضى إلى مشهد الحسين بكربلا كأبيه وأخيه ودُفن هناك وقبره ظاهرٌ ومعروفٌ.

وهذا قريبٌ إلى الإعتبار لأنَّ بني إبراهيم المجاب قطنوا الحائر المقدَّس وجاوروا الإمام السبط سلام الله عليه فدفن فيه إبراهيم المذكور بمقربة مما يلي رأس قبر الإمام عليه السلام فاتَّخذ بنوه تربته مدفناً لهم، وكان من قطن منهم ببغداد أو البصرة كبني موسى الأبرش ينقل بعد موته إلى تربة جدِّه، وقد ثبت انَّ والد الشريف المترجَم نُقل إلى الحائر المقدَّس قبل دفنه ودُفن بها، أو دُفن في داره

---

(١) ينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم.

أوّلاً ثمَّ نُقل إلى مشهد الحسين كما في « المنتظم » لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٤٧] وصحّ ايضاً نقل جثمان الشريف علم الهدى المرتضى إلى الحائر بعد دفنه في داره، وكانت تولية تلك التربة المقدَّسة بيدهم، وما كان يُدفن هناك أيّ أحد إلّا بإجازةٍ منهم كما مرَّ في ترجمة الوزير أبي العبّاس الضبيّ في هذا الجزء ص ١٣٠ .

وقد رثى الشريف الرضي غير واحد ممن عاصروه وفي مقدّمهم أخوه علم الهدى بقوله:

يا للرجال لفجعةٍ جذمتْ يدي ... ووددتُ لو ذهبتْ عليَّ براسي
ما زلت أحذر وقعها حتّى أتت ... فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً فلمّا صمّمت ... لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرةً ... فالدمع غير مساعد ومُواسي
لله عمرك من قصير طاهر ... ولربّ عمر طال بالأدناس

وممن رثاه تلميذه في الأدب مهيار الديلمي المترجم في شعراء القرن الخامس، رثاه بقصيدتين إحديهما ذات ٧٠ بيتاً توجد في ديوانه ج ٣ ص ٣٦٦ مستهلّها:

من جبَّ غارب هاشمٍ وسنامها؟! ... ولوى لويّاً فاستزلَّ مقامها؟!
وغزا قريشاً بالبطاح فلفَّها ... بيد؟! وقوَّض عزَّها وخيامها؟!
وأناخ في مضر بكلكل خسفه ... يستام واحتملت له ما سامها؟!
من حلَّ مكّة فاستباح حريمها ... والبيت يشهد واستحلَّ حرامها؟!
ومضى بيثرب مُذعجاً ما شاء من ... تلك القبور الطاهرات عظامها؟!
يبكي النبيّ ويستنيح لفاطم ... بالطفّ في أبنائها أيّامها
الدين ممنوع الحمى، من راعه؟! ... والدار عالية البنا، من رامها؟!
أتناكرت أيدي الرجال سيوفها ... فاستسلمت أم أنكرت اسلامها؟!؟
أم غال ذا الحسبين حامي ذودها ... قدرٌ أراح على الغدوّ سوامها؟!

وقصيدته الاخرى ٤٠ بيتاً توجد في ديوانه ج ١ ص ٢٤٩ مطلعها:

أقـريش لا الفمٍ أراك ولا يـدٍ   فتواكلي غاض الندى وخلي الندى[1]

ولشهرة القصيدتين ووجودهما في غير واحد من الكتب والمعاجم فضلاً عن ديوان مهيار ضربنا عنهما صفحاً.

ومن نماذج شعر الشريف الرَّضي في المذهب قوله يفتخر بـأهل البيت ويذكر قبورهم ويتشوّق إليها:

ألا لله بـادرة الـطلابِ   وعـزم لا يـروّع بـالـعتـابِ
وكـلّ مشمّـر البـردين يهـوي   هـويّ المصلتات إلى الـرقـاب
أعـاتبـه على بُعـد التنـائي   ويعـذلني على قـرب الأيـابِ
رأيت العجـز يخضـع لليـالـي   ويـرضي عن نـوائبهـا الغضـابِ
ولـولا صـولـة الأيّـام دونـي   هجمت على العلى من كلِّ بابِ
ومن شيم الفتى العـربيّ فينـا   وصـال البيض والخيـل العرابِ
لـه كـذب الـوعيـد من الأعـادي   ومن عـاداتـه صـدق الضرابِ
سـأدّرع الـصـوارم والعـوالـي   ومـا عرّيت من خلع الشبـابِ
وأشتمل الدجى والـركب يمضي   مضـاء السيف شذَّ عن القـرابِ
وكم ليـلٍ عبـأت لـه المطايـا   ونـار الحيّ جـائـرة الشهـابِ
لفيت الأرض شـاحبـة المحيّـا   تـلاعب بـالضـراغم والـذئـابِ
فزعت إلى الشحوبِ وكنت طلقاً   كما فزع المشيب إلى الخضـابِ
ولم نـر مثـل مُبيضّ النـواحي   تـعـذّبـه بمُـسـودِّ الإهـابِ
أبـيت مـضـاجعـاً أملي وإنّـي   أرى الآمـال أشـقى لـلركـابِ
إذا مـا اليأس خيّبنـا رجـونـا   فشجّعنـا الـرجـاء على الطلابِ
أقـول إذا استـطار من السـواري   زفـون القطر رقّاص الحبابِ[2]
كـأنّ الجـوّ غصّ بـه فـأومى   ليقـذفـه على قمـم الشعـابِ

(١) يُقال: تواكل القوم: اتكل بعضهم على بعض.

(٢) زفون القطر: دفاع المطر. الحباب: فقاقيع الماء.

جـديرٌ أن تصـافحه الفيـافي ... ويسحب فوقها عذب الربـابِ[١]
إذا هـمَّ الـتـلاع رأيـت مـنـه ... رضابـاً في ثنيّات الهضـابِ[٢]
سقى الله المـدينـة من محـلّ ... لبـاب المـاء والنـطف العـذابِ
وجـاد على البقيـع وسـاكنيـه ... رخيّ الـذيـل مـلآن الـوطـابِ
وأعـلام الغـريّ ومـا استبـاحتْ ... معـالمهـا من الحسب اللبـابِ
وقبـر بـالـطفـوف يضمُّ شلواً ... قضى ظمـأ إلى بَـرد الشـرابِ
وبـغـدادٍ وسـامـرّا وطـوسٍ ... هـطول الـودق منخـرق العبـابِ
قبـورٌ تنـطف العبـرات فيهـا ... كما نطف الصبير[٣] على الروابي
فلو بخـل السّحـاب على ثـراهـا ... لـذابت فـوقهـا قـطع السَّـرابِ
سقـاك فكم ظمئت إليك شـوقـاً ... عـلى عُـدواء داري واقـتـرابـي
تجـافي يـا جنـوب الـريـح عنّي ... وصـوني فضل بـردك عن جنابي
ولا تسـري إليّ مـع الـليـالي ... ومـا استحقبت[٤] من ذاك التـراب
قليـلٌ أن تُقـاد لـه الغـوادي[٥] ... وتنحـر فيـه أعنـاق السّحـابِ
أمـا شـرق التـراب بسـاكنيـه ... فيلفـظهم إلى النّعم الـرغـابِ
فكم غدت الضغائن وهيٍ سكرى ... تـديـر عليهمُ كـأس المصـابِ
صـلاة الله تـخـفـق كـلّ يـوم ... على تلك الـمعـالـم والقبـابِ
وانّـي لا أزال أكـرّ عـزمـي ... وإن قلّت مسـاعـدة الصحـابِ
وأختـرق الـرِّيـاح إلى نسيـم ... تـطلّع من تـراب أبي تـرابِ
بـودّي أن تـطاوعـني الـليـالي ... وينشب في المنى ظفري ونـابي
فـأرمي العيس نحـوكم سهـامـاً ... تغلغـل بين أحـشـاء الـروابي

---

(١) الرباب: السحاب الأبيض.
(٢) التلاع ج التلعة: ما علا الأرض. ما سفل منها. الهضاب: أعالي الجبال.
(٣) نطف: سال. الصبير: السحاب الذي يصير بعضه فوق بعض.
(٤) استحقبت: أدخرت.
(٥) الغوادي جمع الغادية وهي: السحابة.

تـرامى بـاللغـام على طـلاهـا ... كما انحدر الغثاء عن العقابِ[١]
وأجنب بينهـا خـرق الـمـذاكي ... فأُملي بـاللغـام على اللغـابِ[٢]
لـعـلّي أن ابـلّ بـكـم غـليـلاً ... تغلغـل بين قلبي والحجـابِ
فـمـا لـقـيـاكـمُ إلاّ دليـلٌ ... على كنـز الغنيمـة والثـوابِ
ولـي قبـران بـالـزوراء أشفي ... بقـربهـمـا نـزاعي واكتئـابي
أقـود إليهـمـا نفسي وأهدي ... سـلامـاً لا يحيـد عن الجوابِ
لقـائهمـا يـطهّـر من جنـاني ... ويـدرأ عـن ردائي كـلّ عـابِ
قسيم النـار جـدّي يوم يلقى[٣] ... بـه بـاب النجـاة من العـذابِ
وساقي الخلق والمهجات حـرّى ... وفـاتحـة الصِّـراط إلى الحسـابِ
ومن سمحت بخـاتمـه يمين[٤] ... تضنّ بكـلّ عـاليـة الـكعـابِ
أمـا في بـاب خيبـر معجـزات ... تُصـدَّق؟! أو مناجـاة الحبـابِ؟!
أرادت كـيـده والله يـأبـى ... فجـاء النصر من قبـل الغرابِ[٥]
أهـذا البدر يكسف بـالدَّيـاجي؟ ... وهذي الشمس تُطمس بالضبابِ؟
وكـان إذا استطال عليـه جـانٌ ... يـرى تـرك العقـاب من العقـاب
أرى شعبـان يـذكـرني اشتيـاقي ... فمَن لي أن يـذكّـركم ثـوابـي
بكم في الشعـر فخرٌ لا بشعـري ... وعنكم طـال بـاعي في الخـطـابِ
أجـلّ عن القبـائـح غيـر أنّي ... لـكم أرمـي وارمى بـالـسـبـابِ
فـأجـهـر بـالـولاء ولا أُورّي ... وانـطق بـالـبـراء ولا حـابـي
ومـن أولـى بـكـم منّي ولـيّـاً ... وفي أيـديكمُ طـرف انتسـابي؟!
مـحبّـكمُ ولو بـغضت حيـاتـي ... وزائـركم ولـو عقـرت ركـابي
تبـاعـد بيننـا غيـر الليـالـي ... ومـرجعنـا إلى النسب القـرابِ

---

(١) اللغام: لعاب الإبل. والطلى: العنق. الغثاء: البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل العقاب جمع عقبة: مرقى صعب من الجبال.

(٢) اجنب: اقود. اللغاب: السهم لم يحسن بريه.

(٣) اشار إلى حديث مربيانه في ج ٣ ص٣٦٢.

(٤) اشار إلى تصدقه بخاتمه وقد مر حديثه ج ٢ ص٦٥ وج ٣ ص١٩٨ - ٢٠٥.

(٥) اشار إلى حديث الحباب الذي اسلفناه ج ٢ ص٢٨٢، ٢٨٣.

وقال يرثي الإمام السبط المفدّى الحسين بن عليّ عليهما السَّلام في يوم عاشوراء سنة ٣٩١.

هـذي المنـازل بـالغميم فنـادهـا . واسكب سخيَّ العين بعد جمادها
إن كـان دينٌ للمعـالم فـاقضه أو مهجـةٌ عنـد الـطلول ففـادهـا
يـا هـل تبـلّ من الغليـل إليهمُ اشـرافة للركب فـوق نجادهـا؟!
نـوىء كمنعـطف الحنيـة دونـه سحم الخـدود لهنَّ إرث رمادهـا
ومنـاط أطنـابٍ ومقعـد فـتيـةٍ تخبـو زنـاد الحيِّ غيـر زنـادهـا
ومجـرّ ارسـان الجيـاد لغلمـة سجفوا البيوت بشقـرها وورادهـا
ولقد حبست على الديار عصابة مضمـومـة الأيـدي إلى أكبـادهـا
حسـرى تجاوب بـالبكاء عيـونها وتعطّ بـالـزفـرات في ابـرادهـا
وقفـوا بهـا حتّى كـأنّ مـطيّهم كـانت قـوائمهنَّ من أوتـادهـا
ثمَّ انثنت والـدمـع مـاء مـزادهـا ولـواعـج الأشجـان من أزوادهـا
من كـلِّ مُشتمـلٍ حمـائـل رنَّـة قـطر المدامع من حليّ نجـادهـا
حيَّيتـك بل حيَّيتٍ طلوعـك ديمـة يشفي سقيم الربع نفث عهـادها
وغدت عليك من الخمائل يمنة تستام نافقة على روّادها[1]
هل تطلبـون من النواظـر بعدكم شيئـاً سوى عبـراتها وسهـادها؟!
لم يبق ذخـرٌ للمـدامـع عنكمُ كـلّا ولا عينٌ جـرى لـرقـادهـا
شغل الدموع عن الديـار بكاؤنـا لبكـاء فـاطمـة على أولادهـا
لم يخلفوها في الشهيـد وقد رأى دفـع الفـرات يـذاد؟ عن أورادهـا
أتـرى درت انَّ الحسين طـريـدةٌ لقنـا بني الطرداء عنـد ولادها؟!
كـانت مـآتم بـالعـراق تعـدّهـا أمـويـةٌ بـالشام من أعيـادهـا
ما راقبت غضب النبيّ وقد غـدا زرع النبيّ مـظنَّـةً لحصـادهـا
بـاعت بصـائـر دينهـا بضـلالهـا وشـرت معاطب غيِّهـا برشـادهـا
جعلت رسول الله من خصمائهـا فلبئس مـا ذخرت ليـوم معـادهـا

(١) الخمائل ج خميلة: القطيفة. اليمنة: برد يمني. تستام: تسأل السوم.

نسل النبيِّ على صعاب مطيِّها ... ودم النبيِّ على رؤوس صعادها
وا لهفتاه لعصبةٍ علويَّةٍ ... تبعت اميَّة بعد عزٍّ قيادها
جعلت عران الذلِّ في آنافها ... وعلاط وسم الضيم في أجيادها(١)
زعمت بأنَّ الدين سوَّغ قتلها ... أوليس هذا الدين عن أجدادها؟!
طلبت تراث الجاهليَّة عندها ... وشفت قديم الغلِّ من أحقادها
واستأثرت بالأمر عن غيّابها ... وقضت بما شاءت على شُهّادها
الله سابقكم إلى أرواحها ... وكسبتم الآثام في أجسادها
إن قوَّضت تلك القباب فإنَّما ... خرَّت عماد الدين قبل عمادها
إنَّ الخلافة أصبحت مزويَّة ... عن شعبها ببياضها وسوادها
طمست منابرها علوج اميَّة ... تنزو ذئابهمُ على أعوادها
هي صفوة الله التي أوحى لها ... وقضى أوامره إلى أمجادها
أخذت بأطراف الفخار فعاذرٌ ... أن يصبح الثقلان من حُسّادها
الزهد والأحلام في فتّاكها ... والفتك لولا الله في زُهّادها
عصبٌ يقمّط بالنجاد وليدها ... ومهود صبيتها ظهور جيادها
تروي مناقب فضلها أعداؤها ... أبداً وتسنده إلى أضدادها
يا غيرة الله اغضبي لنبيِّه ... وتزحزحي بالبيض عن أغمادها
من عصبة ضاعت دماء محمّد ... وبنيه بين يزيدها وزيادها
صفدات مال الله ملء أكفِّها ... وأكفُّ آل الله في أصفادها(٢)
ضربوا بسيف محمّد أبناءه ... ضرب الغرائب عدن بعد ذيادها
قد قلت للركب الطلاح كأنَّهم ... ربد النسور على ذرى أطوادها(٣)
يحدوبعوج كالحني أطاعه ... مُعتاصها فطغى على مُنقادها
حتّى تخيّل من هباب رقابها ... أعناقها في السير من أعدادها

---

(١) العران: عود يجعل في انف البعير. العلاط: حبل يجعل في عنق البعير.
(٢) الصفدات من الصفد: العطاء. والأصفاد: الأغلال.
(٣) الطلح: المهزول والمعي ج أطلاح. الربدة: الغبرة. يقال: اربد لونه: تغير. وتربد الرجل: تعبس.

قف بي ولو لوث الأزار فإنّما هي مهجة علق الجوى بفؤادها
بالطفّ حيث غدا مراق دمائها ومناخ اينقها ليوم جلادها
القفر من أرواقها والطير من طرّا قها والوحش من عوّادها
تجري لها حبب الدموع وإنّما حبّ القلوب يكنّ من أمدادها
يا يوم عاشوراء كم لك لوعة تترقّص الأحشاء من ايقادها
ما عدتَ إلّا عاد قلبي غلّة حرّى ولو بالغت في إبرادها
مثل السليم مضيضة آناؤه خزر العيون تعوده بعدادها
يا جدّ لا زالت كتائب حسرة تغشى الضمير بكرّها وطرادها
أبدا عليك وأدمعٌ مسفوحةٌ إن لم يراوحها البكاء يغادها
هذا الثناء وما بلغت وإنّما هي حلبة خلعوا عذار جوادها
أأقول: جادكم الربيع؟ وأنتمُ في كلّ منزلة ربيع بلادها
أم أستزيد لكم علاً بمدائحي؟! أين الجبال من الربى ووهادها؟!
كيف الثناء على النجوم إذا سمت فوق العيون إلى مدى أبعادها؟!
أغنى طلوع الشمس عن أوصافها بجلالها وضيائها وبعادها

وقال يرثي جدّه الإمام السبط الشهيد في عاشوراء سنة ٣٧٧:

صاحت بذودي بغداد فآنسني تقلّبي في ظهور الخيل والعير
وكلّما هجهجت بي عن منازلها عارضتها بجنانٍ غير مذعور
أطغى على قاطنيها غير مكترثٍ وأفعل الفعل فيها غير مأمور
خطبٌ يهدّدني بالبعد عن وطني وما خُلقت لغير السرج والكور
إنّي وإن سامني مالا اقاومه فقد نجوت وقدحي غير مقمور
عجلان ألبس وجهي كلّ داجية والبرّ عريان من ظبي ويعفور
وربّ قائلة والهمّ يتحفني بناظر من نطاف الدمع ممطور
: خفّض عليك فللأحزان آونة وما المقيم على حُزن بمعذور
فقلت: هيهات فات السمع لائمه لا يفهم الحزن إلّا يوم عاشور
يومٌ حدى الظعن فيه بابن فاطمة سنان مطّرد الكعبين مطرور

وخـــرَّ لـلمـوت لا كفٌّ تـقلّبـه إلّا بوطىء من الجُرد المحاضيرِ
ظمـأن سلّى نجيع الطعن غلّته عن باردٍ من عباب الماء مقرورِ[١]
كـأنَّ بيض المواضي وهي تنهبـه نـارٌ تحكّم في جسمٍ من النورِ
لله مُلقى على الرَّمضاء عضَّ بـه فم الــرَّدى بين إقـدام وتشميـرِ
تحنـو عليـه الـرُّبى ظـلّاً وتستـره عن النـواظر أذيـال الأعاصيرِ[٢]
تهابه الوحش أن تدنو لمصرعـه وقـد أقـام ثـلاثـاً غيـر مقبـورِ
ومـوردٌ غمـرات الضـرب غُـرَّتـه جـرَّت إليه المنـايا بـالمصـاديـرِ
ومُستـطيلٌ على الأزمـان يقدرهـا جنى الـزمـان عليهـا بـالمقـاديـرِ
أغـرى بـه ابن زيـادٍ لؤم عنصـره وسعيــه ليـزيــد غيــر مشكــورِ
وودّ أن يتـــلافى مـــا جنت يـــده وكــان ذلــك كســراً غيـر مجبـورِ
تُسبى بنــات رســول الله بينهمُ والدين غضُّ المبادي غير مستورِ
إن يظفر المـوت منّا بـابن منجبة فــطالمـا عــاد ريّان الأظــافيـرِ
يلقى القنـا بجبين شانَ صفحتـه وقـع القنـابين تضميـخٍ وتعفيـرِ
من بعد ما ردَّ أطراف الرِّمـاح به قلبٌ فسيح وراءٍ غير محصـورِ
والنقـع يسحب من أذيـالــه ولـه على الغـزالـة جيبٌ غيـر مـزرورِ
في فيلقٍ شـرقٍ بـالبيض تحسبـه برقاً تدلّى على الآكام والقـورِ[٣]
بني اميَّـة مـا الأسيــاف نـائمـةٌ عن شاهر في أقاصي الأرض موتورِ
والبـارقـات تلوّى في مغـامـدهـا والسابقات تمـطّى في المضاميـرِ
إنّي لأرقب يــومـاً لا خفــاء لـه عـريـان يقلق مــه كـلّ مغــرورِ
وللصَّــوارم ما شـاءت مضـاربهـا من الـرِّقاب شـرابٌ غيـر منـزورِ
أكـلَّ يـوم لآل المصــطفى قمـرٌ يهوى بوقـع العوالي والمبـاتيرِ؟!
وكــل يـوم لهم بيضـاء صـافيــة يشـوبها الـدهر من رنق وتكـدير
مغوار قوم يروع الموت من يـده أمسى وأصبــح نهبـاً للمغــاويـرِ

---

(١) مقرور من القر. البرد
(٢) الأعاصير ج الإعصار . ريح ترتفع بالتراب .
(٣) القور جمع القارة: الجبل الصغير المنقطع عن الجبال.

وأبيض الوجه مشهور تغطرفه مضى بيوم من الأيّام مشهورِ
مالي تعجّبت من همّي ونفرته والحزن جرحٌ بقلبي غير مسبورِ
بأيِّ طرف أرى العلياء إنْ نضبت عيني؟ ولجلجت عنها بالمعاذيرِ
ألقى الزمان بكلم غير مندمل عمر الزمان وقلب غير مسرورِ
يا جدّ لا زال لي همٌّ يحرِّضني على الدموع ووجدٌ غير مقهورِ
والدمع يخفره عينٌ مؤرّقة خفر الحنيّة عن نزع وتوتيرِ
إنَّ السلوّ لمحظورٌ على كبدي وما السلوُّ على قلب بمحظورِ

وقال يرثي سيِّدنا الإمام الشهيد في يوم عاشوراء سنة ٣٨٧:

راحلٌ أنت والليالي تزول ومضرٌّ بك البقاء الطويلُ
لا شجاعٌ يبقى فيعتنق البـ ـيض ولا آملٌ ولا مأمولُ
غاية الناس في الزَّمان فناءٌ وكذا غاية الغصون الذبولُ
إنَّما المرء للمنيَّة مخبوءٌ وللـ ـطعن تستجمُّ الخيولُ
من مقيل بين الضلوع إلى طـ ـول عناءٍ وفي التراب مقيلُ(١)
فهو كالغيم ألَّفته جنوبٌ يوم دجن ومزَّقته قبولُ
عادةٌ للزَّمان في كلِّ يوم يتنائى خلٌّ وتبكي طلولُ
فاللّيالي عونٌ عليك مع البـ ـين كما ساعد الذوابل طولُ
ربما وافق الفتى من زمان فرح غيره به متبولُ(٢)
هي دنيا إن واصلت ذا جفت هذا ملالاً كأنّها عطبولُ(٣)
كلّ باكٍ يُبكى عليه وإن طال بقاءُ والثاكل المثكولُ
والأمانيّ حسرةٌ وعناء للذي ظنَّ انّها تعليلُ
ما يُبالي الحمام أين ترقّى بعدما غالت ابن فاطم غولُ
أيّ يوم أدمى المدامع فيه حادثٌ رائعٌ وخطبٌ جليلُ
يوم عاشور الذي لا أعـ ـان الصحبُ فيه ولا أجار القبيلُ

---

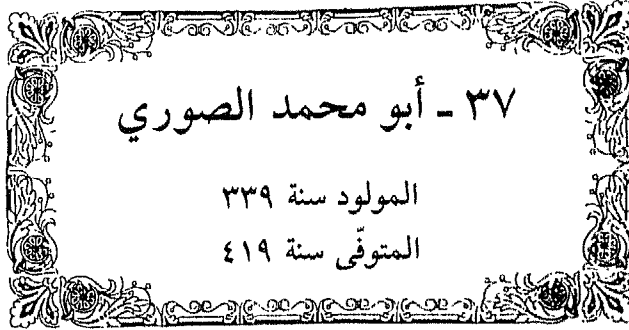
(١) من قال قيلا وقيلولة ومقيلا . نام نصف النهار.
(٢) يقال: تبلهم الدهر أي أفناهم.
(٣) العطبول: المرأة الفتية الجميلة.

يا ابن بنت الرَّسول ضيَّعت العهـ ـد رجالٌ والحافظون قليلُ
ما أطاعوا النبيَّ فيك وقد ما لت أرواحهم إليك الذحولُ
وأحالوا على المقادير في حربـ ـك لو أنَّ عذرهم مقبولُ
واستقالوا من بعد ما أجلبوا فيها أألآن أيّها المُستقيلُ؟!
إنَّ امرأً قنّعت من دونه السّيـ ـف لمن حازه لمرعى وبيلُ
يا حساماً فلّت مضاربه الهـ ـام وقد فلّه الحسام الصقيلُ
يا جواداً أدمى الجواد من الطـ ـعن وولّى ونحره مبلولُ
حجل الخيل من دماء الأعادي يوم يبدو طعن وتخفى حجولُ
يوم طاحت أيدي السوابق في النقع وفاض الونى وغاض الصهيلُ
أتراني أعير وجهيَ صوناً وعلى وجهه تجول الخيولُ؟!
أتراني ألذّ ماءً ولمّا يرو من مهجة الإمام الغليلُ؟!
قبّلته الرّماح وانتضلت فيه المنا يا وعانقته النّصولُ
والسّبايا على النجائب تُستاق وقد نالت الجيوب الذيولُ
من قلوب يدمي بها ناظر الوجد ومن أدمع مراها الهمولُ
قد سلبن القناع عن كلّ وجهٍ فيه للصون من قناع بديلُ
وتنقّبن بالأنامل والدّمـ ـع على كلّ ذي نقابٍ دليلُ
وتشاكين والشكاة بكاءٌ وتنادين والنداء عويلُ
لا يغبّ الحدي العنيف ولا يفتر عن رنّة العديل العديلُ
يا غريب الديار صبري غريبٌ وقتيل الأعداء نومي قتيلُ
بي نزاعٌ يطغى إليك وشوقٌ وغرامٌ وزفرةٌ وعويلُ
ليت انّي ضجيع قبرك أو أن ثراه بمدمعي مطلولُ
لا أغبّ الطفوف في كلّ يومٍ من طراق الأنواء غيثٌ هطولُ
مطرٌ ناعمٌ وريحٌ شمالٌ ونسيمٌ غضٌّ وظلٌّ ظليلُ
يا بني أحمد إلى كم سناني غائبٌ عن طعانه ممطولُ
وجيادي مربوطةٌ والمطايا؟! ومقامي يروع عنه الدخيلُ؟!

كم إلى كم تعلو الطغاة؟! وكم يحكم في كلّ فاضل مفضولُ؟
قد أذاع الغليل قلبي ولكن غير بدع إن استطبَّ العليلُ
ليت إنّي أبقى فأمترق النّاس وفي الكفّ صارمٌ مسلولُ
وأجرُّ القنا لثارات يوم الطفّ يستلحق الرَّعيل الرَّعيلُ
صبغ القلب حبّكم صبغة الشيب وشيبي لولا الرَّدى لا يحولُ
أنا مولاكمُ وإن كنت منكم والدي « حيدر »وامي « البتولُ »
وإذا الناس أدركوا غاية الفخر شآهم مَن قال جدّي الرَّسولُ
يفرح الناس بي لأنّي فضل والأنام الذي أراه فضولُ
فهمُ بين مُنشدٍ ما أُقفّيه سروراً وسامع ما أقولُ
ليت شعري مَن لائمي في مقالٍ ترتضيه خواطرٌ وعقولُ؟!
أترك الشيء عاذري فيه كل الناس من أجل أن لحاني عذولُ
هو سؤلي إن أسعد الله جَدّى ومعالي الامور للذمر سولُ[1]

---

(١) الذمر: الشجاع ج أذمار، والذمارة الشجاعة



٣٧ ـ أبو محمد الصوري

المولود سنة ٣٣٩
المتوفّى سنة ٤١٩

ولائك خير ما تحت الضميرِ ... وأنفس ما تمكّن في الصدورِ
وها أنا بتُّ أحسس منه ناراً ... أمتُّ بحرِّها نار السعيرِ
أبا حسن تبيَّن غدر قوم ... لعهد الله من عهد « الغديرِ »
وقد قام النبيُّ بهم خطيباً ... فدلَّ المؤمنين على الأميرِ
أشار إليه فيه بكلِّ معنى ... بنوه على مخالفة المشيرِ
فكم من حاضر فيهم بقلبٍ ... يخالفه على ذاك الحضورِ
طوى يوم « الغدير » لهم حقوداً ... أنال بنشرها يوم « الغدير »
فيا لك منه يوما جرَّ قوماً ... إلى يوم عبوسٍ قمطريرِ
لأمرٍ سوَّلته لهم نفوس ... وغرَّتهم به دار الغرورِ
ولست من الكثير فيطمئنّوا ... بأنَّ الله يعفو عن كثيرِ

وله في أهل البيت عليهم السَّلام:

عيونٌ منعن الرقاد العيونا ... جعلن لكلِّ فُؤاد فُنونا
فكُنَّ المنى لجميع الورى ... وكُنَّ لمن رامهنَّ المنونا
وقلبٌ تُقلِّبه الحادثات ... على ما تشاء شمالاً يمينا
يصون هواه عن العالمين ... ومدمعه يستذلُّ المصونا
فمالي وكتمان داء الهوى؟! ... وقد كان ما خفته أن يكونا
وكان ابتداء الهوى بي مجو ... ناً فلمّا تمكّن أمسى جُنونا

وكنت أظنُّ الهوى هيِّناً فلاقيت منه عذاباً مهينا
فلو كنت شاهد يوم الوداع رأيت جفوناً تناجي جفونا
فهل ترك البين مَن أرتجيه من الأوَّلين والآخرينا؟!
سوى حبّ آل نبيٍّ الهدى فحبّهمُ أمل الآملينا
همُ عُدَّتي لوفاتي همُ نجاتي هم الفوز للفائزينا
همُ مورد الحوض للواردين وهم عروة الله للواثقينا
همُ عون من طلب الصالحات فكن بمحبَّتهم مُستعينا
همُ حجَّة الله في أرضه وإن جحد الحجَّة الجاحدونا
هم الناطقون هم الصّادقون وأنتم بتكذيبهم كاذبونا
هم الوارثون علوم النبيِّ فما بالكم لهمُ وارثونا؟!
حقدتم عليهم حقوداً مضت وأنتم بأسيافهم مسلمونا
جحدتم موالاة مولاكمُ ويوم « الغدير » لها مؤمنونا
وأنتم بما قاله المصطفى وما نصَّ من فضله عارفونا
وقلتم: رضينا بما قلته وقالت نفوسكمُ: ما رضينا
فأيّكمُ كان أولى بها؟! وأثبت أمراً من الطيِّبينا؟!
وأيّكمُ كان بعد النبيِّ وصيّاً؟! ومَن كان فيكم أمينا؟!
وأيّكمُ نام في فرشه وأنتم لمهجته طالبونا؟!
ومَن شارك الطهر في طائر وأنتم بذاك له شاهدونا؟!
لحا الله قوماً رأوا رشدكم مبيناً فضلّوا ضلالاً مبينا

وله في أهل البيت عليهم السلام:

ما طوّل الليل القصيرا ونهى الكواكب أن تغورا
إلّا وفي يده عزيمـا ت يحلّ بها الامورا
ذو مقلة لا تستقلّ ضنى وإن أضنت كثيرا
ليست تفتّر عن دمي وترى بها أبداً فتورا
وترى بها ضعفاً يُـ ـريك المستجار المستجيرا

فيما يُنازعني عذولاً أو يُسامحني عذيرا
أترى بوادر فتنتي فيما ترى إلّا بدورا؟!
لو شاء لاختصر الغرام بها من اختصر الحصورا
ولقد لبست ثياب انفسـ ـك مالكاً أو مُستعيرا
وتمثَّل الشيطان لي ليغرِّني رشؤاً غريرا
فخلعتها ولبست ثوب الفتك سحّاباً جرورا
ما شئت فاقلع عنه واستغفر تجد ربّاً غفورا
مالم يكن من معشر غدروا وقد شهدوا الغديرا
وتوامروا ما بينهم أن ينصبوا فيها أميرا
من كلِّ صدرٍ موغرٍ ملأت ضغائنه الصدورا
مترشّح للملك قد نصبت سريرته السريرا
وتوارثوها ليس تخر ج عنهمُ شبراً قصيرا
هذا إلى أن قام قائم آ ل أحمد مُستشيرا
وتسلّم الإسلام أقتم مظلماً فكساه نورا

[القصيدة]

وله في أهل البيت عليهم السَّلام:

نكرت معرفتي لَمّا حكمْ حاكم الحبِّ عليها لي بدمْ
فبدت من ناظريها نظرةٌ أدخلتها في دمي تحت التّهمْ
وتمكّنت فأضنيت ضنىً كان بي منها واسقمت سقمْ
وصبت بعد اجتناب صفوةٍ بذّلت من قولها: لا. بنعمْ
وفقدت الوجد فيها والأسى فتألّمت لفقدان الألمْ
ما لعيني وفؤادي كلّما كتمت باحَ؟! وإن باحت كتمْ؟!
طال بي خُلفهما فاتّفقت لي همومٌ في الرزايا وهممْ
ورزايا المصطفى في أهله فاتحاتٌ للرّزايا وختمْ
يا بني الزّهراء ماذا إكتست فيكم الأيّام من عتب وذمْ؟!

يا طوافاً طاف طوفان به ... وحطيماً بقنا الخطّ حطمْ
أيّ عهدٍ يُرتجى الحفظ له ... بعد عهد الله فيكم والذممْ؟!
لا تسلّيت وأنوارٌ لكم ... غشيتها من بني حرب ظُلمْ
ركبوا بحر ضلال سلموا ... فيه والإسلام فيهم ما سلمْ
ثمَّ صارت سنَّةً جاريةً ... كلُّ من أمكنه الظلم ظلمْ
وعجيبٌ انَّ حقّاً بكمُ ... قام في الناس وفيكم لم يقمْ
والولا فهو لمن كان على ... قول عبد المحسن الصوري قسمْ
وأبيكم والذي وصّى به ... لأبيكم جدُّكم في يوم خُمْ
لقد احتجَّ على أُمّتّه ... بالذي ينالكمُ باقي الأُممْ

(الشاعر)

أبو محمّد عبد المحسن بن محمّد بن أحمد بن غالب[1] بن غلبون الصوري من حسنات القرن الرّابع ونوابغ رجالاته، وقد مدَّ له البقاء إلى اوليات القرن الخامس، جمع شعره بين جزالة اللفظ وفخامة المعنى، كما انّه لا تعدوه رقّة الغزل وشدَّة الجَدل، فهو عند الحجاج يُدلي بحجَّته القويمة، وعند الوصف لا يأتي إلّا بصورةٍ كريمة، وديوان شعره المحتوي على خمسة آلاف بيت تقريباً الحافل بالرَّقائق والحقائق يتكفّل البرهنة على هذه الدّعاوي، وهو نصٌّ في تشيّعه كما عدَّه إبن شهراشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين، وما ذكرناه من شعره يُمثِّل روحه المذهبيَّة، ونزعته الطائفيَّة الحميدة، وتعصّبه لآل البيت النبويّ، واعترافه بحقهم الثابت، ونبذه ما وراء ذلك نبذا لا مرتجع إليه، وفي ديوانه غير ما ذكرناه شواهد وتلويحات لطيفة نحو قوله في صبيٍّ اسمه عمر:

نادمني من وجهه روضة ... مشرقة يمرح فيه النظرْ
فانظر معي تنظر إلى معجز ... سيف عليٍّ بين جفني عمرْ

وقد ترجمه إبن أبي شبانة في تكملة أمل الأمل وهو لا يترجم إلّا المتمسِّك بحجزة أهل البيت الطاهر، وترجمه الثعالبي في « يتيمة الدهر » ج ١

(١) في تتميم يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥: طالب. وهو تصحيف.

ص ٢٥٧ وذكر من شعره ٢٢٥ بيتاً، وأثنى عليه وانتخب من ديوانه أبياتاً في « تتميم يتيمته » ج ١ ص ٣٥ وعقد إبن خلكان له ترجمةً ضافيةً أطراه ووصف شعره في ج ١ ص ٣٣٤، وقال: توفّي يوم الأحد تاسع شوال سنة تسع عشرة وأربعمائة وعمره ثمانون أو أكثر، وذكره إبن كثير في تاريخه ج١٢ص ٢٥ ، ومن شعره في أهل البيت صلوات الله عليهم:

تـوقَّ إذا ما حـرمة العـدل جلَّتِ ... ملامي لتقضي صبوتي مـا تمنَّتِ
أغــرّك إن لم تستفــزّك لــوعــة ... بقلبي ولا استبكــاك بينٌ بمقلتي
لك الخير هذا حين شئت تلومني ... لجاجـاً فـإلّا لمت أيّـام شـرَّتي
غداة أُجيب العيس إذ هي حنَّت ... وأحـدو إذا ورق الحمـايم غنَّتِ
وأنـتهـب الأيّـام حتّـى كـأنَّني ... ادافـع من بعــد الحلول منيَّـتي
واستصغر البلوى لمن عرف الهوى ... واستكثـر الشكوى وإن هي قلَّتِ
اطيـل وقوفي في الـطلول كأنَّني ... احـاول منهـا أن تَـردَّ تـحيَّتي
ليالي ألقى كلّ مهضـومة الحشى ... إذا عــدلت فيمـا جنـاه تجنَّتِ
أصدُّ فيدعوني إلى الوصل طرفها ... وإن أنا سارعت الإجـابة صـدَّتِ
وإن قلت سقمي وكلت سقم طرفها ... بإبطال قولي أو بإدحاض حجَّتي
وإن سمعتْ وانـار قلبي شنـاعـة ... عليهـا أجـابتني بـوانـار وجنتي
وأصرف همّي عن هواهـا بهمَّتي ... عــزوفـاً فتثنيني إذا مـا تـثنَّـتِ
وأنشد بين البين والهجر مهجتي ... ولم أدر في أيّ السبيليـن ضلّتِ
ومـا أحسب الأيّـام أيّام هجـرهـا ... تـطاولـني إلّا لـتقـصـر مـدَّتي
دعوا الأُمَّة اللّاتي استحلّت تكن ... مع الأُمَّة الـلّاتي بغت فاستحلّتِ
فما يقتدى إلّا بها في اغتصابهـا ... ولا أقتــدي إلّا بصبـر أئمَّـتي
أليس بنـو الـزَّهــراء أدهى رزيَّـةً ... عليكـم إذا فكّــرتـمُ في رزيَّتي
حمـاني إذا لانت قناتي وعـدَّتي ... إذا لمن تكن لي عدَّة عند شدَّتي
أقـامت لحـرب الله حـزب أئمَّـة ... إذا هي ضلّت عن سبيـل أضلّتِ
قلوبٌ على الـدين العتيق تألّفت ... لهم ومن الحقِّ القـديم استملّتِ
بمـاذا تـرى تحتـجُّ يـا آل أحمـد ... على أحمد فيكم إذا ما استعدَّتِ؟!

وأشهر ما يروونه عنه قوله: تركت كتاب الله فيكم وعترتي
ولكنَّ دنياهم سعت فسعوا لها فتلك التي فلّت ضميراً عن التي

وله في أهل البيت سلام الله عليهم:

أصبحوا يفرقون من افراقي فاستغاثوا في نكستي بالفراق
ما صبرتم لقد بخلتم على المدنف حقّاً حتّى بطول السياق
راحة ما اعتمدتموها بقتلي ربَّ خير أتى بغير اتفاق
سوف أمضي وتلحقون ولا علم لكم ما يكون بعد اللّحاق
حيث لا يجمع القضيَّة من يجمع بين الخصمين ماضٍ وباق
ما لهم لا خلقت فيهم فما أغفل قومي عن الدم المهراق؟!
ربَّ ظهر قلّبته مثل ما يُقلب ظهر المجنّ للإرشاق
بعدما قادني فلم أدر حتّى صرت ما بين ملتقى الأحداق
وأراني أسير عينيك منهنَّ فماذا تراه في إطلاقي؟!
مسَّةٌ من هواك بي لا من الجنِّ فهل من مُغرمٍ أو راق؟!
غير أن يبرد احتراقي بوصلٍ أو بوعدٍ أو أن يبلَّ اشتياقي
أو يعيد الكرى عليَّ كما كان لا موحشي من خيالك الطرّاق
ما لنومي كأنّه كان في أوّل دمعي جرى من الاماق؟!
غير مسترجع فيرجى وهل يرجع للعين أدمع في سباق؟!
بأبي شادن توثّقت بالإيمان منه من قبل شدّ وثاقي
فهو إلّا يكن لحرب فحربٌ علّمته خيانة الميثاق
نفرٌ من اميّة نفر الإسلام من بينهم نفور إباق
أنفقوا في النّفاق ما غصبوه فاستقام النّفاق بالإنفاق
وهي دار الغرور قصّر باللوم فيها تطاول العشّاق
وأراها لا تستقيم لذي الزهد إذ المال مال بالأعناق
فلهذا أبناء أحمد أبناء عليٍّ طرائد الافاق
فقراء الحجاز بعد الغنى الأكبر أسرى الشام قتلى العراق
جانبتهم جوانب الأرض حتّى خلت أنَّ السماء ذات انطباق

إن أُقصّر يا آل أحمد أو أغر ... ق كان التقصير كالإغراقِ
لستُ في وصفكم بهذا وهذا ... لاحقاً غير أن تروا إلحاقي
إنَّ أهل السماء فيكم وأهل الأ ... رض ما دامتا لأهل افتراقِ
عرفت فضلكم ملائكة الله ... فدانت وقومكم في شقاقِ
يستحقّون حقّكم زعموا ذلك ... ـ سحقاً ـ لهم من استحقاقِ
وأرى بعضهم يبايع بعضاً ... بانتظام من ظلمكم واتّساقِ
واستشاروا السيوف فيكم فقمنا ... نستثير الأقلام في الأوراقِ
أيّ عين؟ لولا القيامة والمر ... جوّ فيها من قدرة الخلّاقِ
فكأنّي بهم يودّون لو أنَّ الخـ ... ـوالي من الليالي البواقي
ليتوبوا إذا يُذادون عن أكر ... م حوض عليه أكرم ساقِ
وإذا ما التقوا تقاسمت النار ... عليّاً بالعدل يوم التّلاقِ
قيل: هذا بما كفرتم فذوقوا ... ما كسبتم يا بؤس ذاك المذاقِ

وقال في يوم عاشورا يمدح الإمام الحاكم بأمر الله:

خلا طرفه بالسقم دوني يلازمه ... إلى أن رمى سهماً فصرت أُساهمه
فأصبح بي ما لست أدري أمثله ... بجفنيه؟! أم لا يعدل السقم قاسمه
لئن كان أخفى الصدر صدا من الجوى ... ففي العين عنواناته وتراجمه
ولم تخفه انَّ الهوى خفَّ حمله ... ولكن لأنَّ النوم ليس يلائمه
ويا رُبَّ ليل قصّر الذكر طوله ... فما طلعت حتّى تجلّت غمائمه
وما نمت فيه غير أن لو سألتني ... عن الشغل عنه قلت ما قال نائمه
ولكنّه ألقى على الصبح لونه ... فوالاه يوم شاحب الوجه ساهمه
كما جاء يوم في المحرَّم واحدٌ ... خبا نوره لَمّا استحلّت محارمه
طغت عبد شمس فاستقلّ محلّقاً ... إلى الشمس من طغيانها مُتراكمه
فمن مبلغٌ عنّي اميّة انّني ... هتفت بما قد كنت عنها أُكاتمه؟!
مضت أعصرٌ معوجّةٌ باعوجاجكم ... فلا تنكروا إن قوّم الدّهر قائمه
وجدّد عهد المصطفى بعض أهله ... وحكّم في الدين الحنيفيِّ حاكمه
فيا أيّها الباكون مصرع جدّه ... دعوا جدَّه تبكي عليه صوارمه

ألا أيّها الثكلى التي من دموعهـا إذا هي حيَّت من قتيل جماجمـه
لقد خسر الدارين من صدَّ وجهه فـلا أنت مُبقيـه ولا الله راحمـه
حـريصاً على نـار الجحيم كأنَّـه يخاف على أبوابهـا من يُزاحمـه
إلى من تراه فوَّض الأمـر غيركم إذا أنـتـمُ أركـانـه ودعـائـمـه
فيـا لـك منهـا دولـة علويَّـة تبدَّت بسعد حاكم الدَّهر خاتمه

وله قوله:

بالذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا والذي ألبس خدَّيك من الورد نقابا
والدي أودع فيك من الشهد شرابا والذي صيَّر حظّي منك هجراً واجتنابا
ما الذي قالته عيناك لقلبي فأ- فأصابا والذي قالته للدمع فواراها انصبابا؟
يا غزالاً صاد باللحظ لقلبي فأصبابا عمرك الله بصبٍّ لا يُرى إلّا مصابا

هذه الأبيات توجد في ديوان المترجَم فنسبتها إلى « الصنوبري » كما في كشكول البهائي ج ١ ص ٢٣ في غير محلّه، وأخذ البهائي منها قوله:

يـا بدر دجـاً فـراقـه القلب أذابْ مذ ودَّعني فغاب صبري إذ غابْ
بـالله عليـك أيّ شيء قـالـت عينـاك لقلبي المعنّـا فـأجـابْ؟!

وللمترجم الصوري:

سـفـرنَ بـدوراً وانـتـقـبنَ أهـلّة ومسن غصـونـاً والتفتن جـوادرا
وأبـدين أطـراف الشعـور تستّراً فـأغدرت الـدنيـا علينـا غـدائـرا
وربّمـا أطلعن والليـل مقبـلٌ شموس وجوهٍ توقف الليل حـائرا
فهنَّ إذا مـا شئن أمسين أو إذا تعـرَّضن أن يسبحن كنَّ قـوادرا

وقال يرثي شيخ الأُمة إبن المعلّم أبا عبد الله محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد المتوفّى ٤١٣:

تـبـارك مَن عـمَّ الأنـام بفـضله وبالموت بين الخلق ساوى بعدله
مضى مستقـلاً بـالعلوم محمـد وهيهـات يـأتينـا الـزَّمـان بمثله

جاء في « بدائع البداية »[١] باسناده عن بكّار بن علي الرياحي انه قال:

(١) وذكره ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٢٨١.

لَمّا وصل عبد المحسن الصوري إلى دمشق جاءني المجدي الشاعر فعرَّفني به وقال: هل لك أن نمضي إليه ونسلّم عليه؟ فأجبت وقمت معه حتّى أتينا إلى منزله وكان ينزل دائماً إذا قدم في سوق القمح وكان بين يديه دكّان قطّان وفيها رجلٌ أعمى فوقفت به عجوزٌ كبيرةٌ فكلّمها بشيءٍ وهي منصتة له فقال المجدي في الحال: مُنصتةٌ تسمع ما يقولُ.

فقال عبد المحسن في الحال: كالخلد[1] لمّا قابلته الغولُ.

فقال له المجدي: أحسنت والله يا أبا محمَّد أتيت بتشبيهين في نصف بيت أُعيذك بالله اهـ.

ومن لطيف قول الصّوري ما قاله وقد استعير منه كتابٌ وحبس عليه كما يوجد في ديوانه:

ماذا جناه كتابي فاستحقَّ به ... سجناً طويلاً وتغييباً عن الناسِ
فاطلقه نسأله عمّا كان حلَّ به ... في طول سجنك من ضرٍّ ومن باسِ

كتب الشاعر المفلق أحمد بي سلمان الفجري إلى عبد المحسن الصّوري:

أعبد المحسن الصوريَّ لِم قد ... جثمت جثوم منهاضٍ كسيرِ؟!
فإن قلتَ: العبالة[2] أقعدتني ... على مضض وعافت عن مسيري
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركن من ثبيرِ
وإن حاولت سير البرّ يوماً ... فلست بمثقل ظهر البعيرِ
إذا استحلى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجود النظيرِ
تحرَّك علَّ أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدورِ
فما كلُّ البريَّة مَن تراهُ ... ولا كلُّ البلادِ بلاد صور

فأجابه عبد المحسن:

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكن جاء في الزَّمن الأخيرِ

(١) في تاريخ ابن عساكر: كالخلد. وهو كما ترى.

(٢) العبالة: الضخامة.

وقد حدَّتْ لي السبعون حدّاً | نهى عمّا أمرتَ من المسيرِ
ومذ صارت نفوس الناس حولي | قصاراً عذتُ بالأمل القصيرِ(١)

وقال في صبيٍّ اسمه مقاتل وله فيه شعرٌ كثيرٌ:

تعلّمت وجنته رقيةً | لعقرب الصّدع فما تلسعُ
صمَّتْ عن العاذل في حبِّه | اذني فمالي مسمعٌ يسمعُ
ودَّعته والدَّمع في مقلتي | في عبرتي مستعجلٌ مسرعُ
فظنَّ إذ أبصرتها أنَّها | سائر أعضائي بها تدمعُ
وقال: هذا قبل يوم النَّوى | فما ترى بعد النَّوى تصنعُ؟!
في غير وقت الدمع ضيَّعته | قلت: فقلبي عندكم أضيعُ

وقال في مقاتل ايضاً:

احفظ فؤادي فأنت تملكهُ | واستر ضميري فأنت تهتكهُ
هجرك سهلٌ عليك أصعبه | وهو شديدٌ عليَّ مسلكهُ
بسيف عينيك يا مقاتل كم | قتلت قبليَ ممن كنت تملكهُ؟!
أمّا عزائي فلست أمله | فيك وصبري ما لستُ أدركهُ

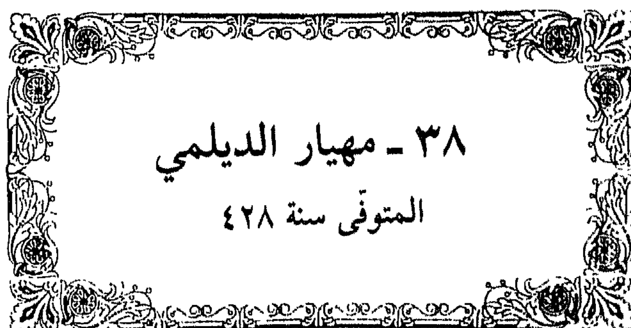
وقال فيه وهو معذر:

وقف الليل والنهار وقد كا | ن إذا ما أتى النهار يقرُّ
لا يرى رجعه فيكسب عاراً | لا ولا ثمَّ قوّة فيفرُّ
أين سلطان مقلتيك علينا؟! | قل له ما يجوز في الحبّ سمرُ
أنت فرَّقت نار خدَّيك حتّى | كلّ قلب صبٍّ لها فيه جمرُ
فبماذا يلقى عذاريك؟ قل لي | سيما أن تدارك الشعر شعرُ
وعزيزٌ عليَّ انَّك بالحرب وَ | بالسِّلم طول عمرك غرُّ

وخلف المترجم على أدبه الجمّ وقريضه البديع ولده عبد المنعم ذكره الثعالبي.

---

(١) راجع ديوانه، وذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦٩.



هل بعد مفترق الأظعان مجتمعُ؟! ... أم هل زمانٌ بهم قد فات يُرتجعُ؟!
تحمّلوا تسع البيداء ركبهمُ ... ويحمل القلب فيهم فوق ما يسعُ
مغرِّبين همُ والشمس قد ألفوا ... ألا تغيب مغيباً حيثما طلعوا؟!
شاكين لِلبين أجفاناً وأفئدةً ... مفجَّعين به أمثال ما فجعوا
تخطو بهم فاتراتٌ في أزمَّتها ... أعناقها تحت إكراه النَّوى خُضعُ
تشتاق نعمان لا ترضى بروضته ... داراً ولو طاب مصطافٌ ومرتبعُ
فداء وافين تمشي الوافياتُ بهم ... دمعٌ دمٌ وَحَشاً في إثرهم قِطعُ
الليل بعدهمُ كالفجر متَّصلٌ ... ما شاء والنوم مثل الوصل منقطعُ
ليت الذين أصاخوا يوم صاح بهم ... داعي النوى ثوِّروا صمّوا كما سمعوا
أوليت ما أخذ التوديع من جسدي ... قضى عليَّ فللتعذيب ما يدعُ
وعاذل لجَّ أعصيه ويأمرني ... فيهم وأهرب منه وهو يتَّبعُ
يقول: نفسَك فاحفظها فإنَّ لها ... حقّاً وإنَّ علاقات الهوى خدعُ
روِّح حشاك ببرد اليأس تسلُ به ... ما قيل في الحبِّ إلّا أنَّه طمعُ
والدهر لونان والدنيا مقلّبة ... الآن يعلم قلبٌ كيف يرتدعُ
هذي قضايا رسول الله مهملةٌ ... غدراً وشمل رسول الله مُنصدعُ
والناس للعهد ما لاقوا وما قربوا ... وللخيانة ما غابوا وما شَسَعوا

وآلــه وهــمُ آل الإلــه وهــم رُعاة ذا الدين ضيموا بعده ورُعوا
مـيثـاقــه فـيهـمُ ملقـىً وامَّـتــه مع مَن بغاهم وعـاداهم له شِيَع
تضاع بيعته يـوم « الغديـر » لهم بعد الرِّضـا وتُحاط الـروم والبيَع
مقسَّمين بـأيمـان همُ جـذبـوا بيـوعهـا وبـأسيـاف همُ طبعـوا
مـا بين ناشـر حبلٍ أمس أبـرمـه تُعـدُّ مسنونـةً من بعـده البـدَعُ
وبين مُقتنص بـالمكـر يخـدعـه عن آجـل عـاجـلٌ حلوٌ فينخـدعُ
وقـائـل لي: عليٌّ كـان وارثـه بالنصِّ منه فهل أعطوه؟! أم منعوا؟!
فقلت: كانت هناتٌ لستُ أذكرها بجزي بها الله أقواماً بمـا صنعوا
أبلغ رجـالاً إذا سميتهم عُـرفـوا لهم وجـوهٌ من الشحنـاء تُمتقـعُ
تـوافقـوا وقنـاةُ الـدين مـائلةٌ فحين قامت تلاحوا فيه واقتـرعوا
أطـاع أوَّلهم في الغـدر ثـانيهم وجـاء ثـالثهم يقـفـو ويتَّبـعُ
قفوا على نظر في الحقِّ نُـرضه والعقلُ يفصلُ والمحجوجُ ينقطعُ
بـأيِّ حكمٍ بنـوه يتبعـونكمُ وفخركم أنكم صحبٌ له تَبَـعُ؟!
وكيف ضاقت على الأهلين تربته وللأجانب من جنبيه مضطجعُ؟!
وفيم صيَّـرتم الإجمـاع حجَّتكم والناس ما اتَّفقو طوعاً ولا اجتمعوا
أمرُ « عليٍّ » بعيـدٌ من مشـورتـه مستكـرَهٌ فيه و« العبّـاس » يَمتنـعُ
وتـدَّعيـه قـريشٌ بـالقـرابـة والأ نصـار لا رُفـعٌ فيـه ولا وُضـعُ
فـأيَّ خُلف كخلف كـان بينكمُ لـولا تُلفَّق أخبـارٌ وتصـطنـعُ؟!
واسألهمُ يوم « خُمّ » بعدما عقدوا له الولاية لِمْ خانوا ولمْ خلعوا؟!
قـولٌ صحيـحٌ ونيّـاتٌ بهـا نَغَـلٌ لا ينفع السيف صَقلٌ تحته طبعُ[1]
إنكـارهم يـا أميـر المؤمنين لهـا بعـد اعتـرافهمُ عـارٌ بـه ادَّرعـوا
ونكثهم بـك ميلاً عن وصيَّتهم شـرعٌ لعمرك ثـان بعده شـرعـوا
تـركتَ أمراً ولـو طـالبتـه لـدرت معـاطسٌ راغمتـه كيف تُجتـدعُ
صبرت تحفظ أمر الله ما اطَّرحوا ذبّاً عن الدين فاستيقظت إذ هجعوا

---

(١) النغل: الضغن وسوء النية. الطبع: الصدأ.

ليشــرقنَّ بحلو اليــوم مُــرّ غــدٍ إذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا
جاهدت فيك بقولي يوم تختصم الأ بطال إذ فات سيفي يوم تمتصع[1]
إنَّ اللسـان لـوصّـالٌ إلى طُـرقٍ في القلب لا تهتديها الذُبَّل الشرعُ
آبـاي في فـارسَ والـدين دينكمُ حقّـاً لقد طـاب لي اسٌّ ومرتبـعُ
مازلت مذ يفعتْ سنّي ألـوذ بكم ـ حتّى محا حقّكم شكّي ـ وأنتجعُ
وقد مضتْ فُرُطات إن كفلتُ بكم فرَّقت عن صُحفي البأس الذي جمعوا
« سلمان » فيها شفيعي وهو منك إذا الآ باء عِنـدك في أبنـائهم شفعـوا
فكن بها منقذاً من هـول مُطَّلعي غـداً وأنت من الأعـراف مـطَّلعُ
سوَّلتُ نفسي غروراً إن ضمنتُ لها أنّى بـذخرٍ سـوى حبِّيـك أنتفـعُ

(ما يتبع الشعر)

قال الاستاذ أحمد نسيم المصري في التعليق على قول مهيار:

تضاع بيعته يـوم « الغديـر » لهم بعد الرِّضـا وتحاط الـروم والبيع

: الغدير: هو غدير خمّ بين مكّة والمدينة، قيل: إنَّ النبيَّ ﷺ خطب الناس عنده فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.[2]

قال الأميني: ليت شعري هل خفي على الاستاذ تـواتر ذلـك الحديث المرويّ عن مائة صحابيّ أو أكثر؟! ام حبذته نزعاته الطائفيَّة أن يسـدل عليه أغشية الزور والدجل؟! ويموِّهه على القارىء، ويستر الحقيقـة الراهنـة بذيـل أمانته؟! ويوعز إلى ضعفه بكلمة: قيل؟! قل هو نبأٌ عظيمٌ أنتم عنه مُعرضون، والَّذين اَتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

وله في ديوانه في ج ٣ ص ١٥ يرثي بها أهل البيت عليهم السَّلام، ويذكر البركة بولائهم فيما صار إليه:

في الـظباء الغـادين أمسِ غـزالُ قـال عنـه مـا لايقـول الخيـالُ

---

(١) تمتصع: تقاتل بالسيف.
(٢) ديوان مهيار ج ٢ ص ١٨٢.

طـارقٌ يـزعم الفـراقَ عتـابـا ويـريـنـا أنّ الـمـلال دلالُ
لم يـزل يخدع البصيـرة حتّى سـرّنـا مـا يقـول وهـو محـالُ
لا عـدمتُ الأعـلام كم نـوّلتني من منيـع صعب عليـه النّـوالُ
لم تنغّص وعدا بمطلٍ ، ولم يو جب لـه منّـةً عليّ الـوصـالُ
فلليلي الطويل شكري ، ودين ال عشق أن تُكره الليالي الـطوالُ
لمن الظعن غـاصبتنا جَمـالا؟! حبّـذا مـا مشت بـه الأجمـالُ!
كـاتفـات بيضـاءَ دلَّ عليهـا أنّـهـا الشمس أنّهـا لا تُـنـالُ
جمحَ الشوق بـالخليع فـأهلاً بـحليـم لـه السـلوُّ عِقـالُ
كنتُ منـه أيّـام مـرتـعُ لـذّا تي خصيبٌ ومـاءُ عيشي زلالُ
حيث ضِلعي مع الشباب وسمعي غـرضٌ لا تـصيبـه العُـذّالُ
يـا نـديميّ كنتمـا فـافترقنـا فـاسلواني؛ لـكـلّ شيءٍ زوالُ
لي في الشيب صارفٌ ومن الحز ن عـلى آل أحـمـدٍ إشـغـالُ
معشر الرُّشد والهدى حَكم البغـ ـيُ عليهم سفـاهـة والضّـلالُ
ودعـاة الله استجـابـت رجـالٌ لهمُ ثمّ بُـدّلـوا فـاستحـالـوا
حملوهـا يـوم « السّقيفـة » أوزا راً تخفُّ الـجبـال وهـي ثقـالُ
ثمّ جـاءوا من بعـدهـا يستقيلو نَ وهـيـهـات عـثـرةٌ لا تُـقـالُ
يـا لهـا سـوءة إذا أحمـد قـا م غـدا بينهم فقـال وقـالـوا!
ربـعُ همّي عـليـهمُ طللٌ بـا قٍ وتـبلى الـهـمـومُ والأطـلالُ
يـا لـقـوم إذ يـقـتلون عـليّـاً وهـو للمحـل(١) فـيهـمُ قتّـالُ
ويُسـرّون بغـضـه وهـو لا تُقـ ـبلُ إلّا بـحـبّـه الأعـمـالُ
وتـحـال الأخـبـار والله يـدري كيف كانت يوم « الغدير » الحالُ(٢)
ولسبـطيـن تـابعيـه فمسمـو مٌ عليـه ثـرى البقيـع يُـهـالُ
درسـوا قبـره ليخفى عن الـزوّ ار هيهات! كيف يخفى الهلالُ؟!

---

(١) المحل: الخادع.

(٢) كذا في ديوانه المخطوط وفي المطبوع: تحال.

وشهيدٍ بالطفِّ أبكى السّماوا ... تِ وكادت له تزول الجبالُ
يا غليلي له وقد حُرِّم الما ... ء عليه وهو الشَّراب الحلالُ
قُطعت وصلةُ النبيِّ بأن تقـ ... ـطع من آل بيته الأوصالُ
لم تنجِّ الكهول سنٌّ ولا الشّبـ ... ـان زهدٌ ولا نجا الأطفالُ
لهفَ نفسي يا آل طه عليكم ... لهفةً كسبها جوىً وخبالُ
وقليلٌ لكم ضلوعِيَ تهتـ ... ـزُّ مع الوجد أو دموعي تُذالُ
كان هذا كذا وودّي لكم حسـ ... ـب ومالي في الدين بعدُ اتِّصالُ
وطروسي سودٌ فكيف بيَ الآ ... نَ ومنكم بياضها والصِّقالُ
حبّكم كان فكّ أسري من الشِّر ... ك وفي منكبي له أغلالُ
كم تزمَّلتُ بالمذلَّة حتى ... قمتُ في ثوب عزِّكم أختالُ
بركاتٌ لكم محت من فؤادي ... ما أملَّ الضَّلال عَمٌّ وخالُ
ولقد كنتُ عالماً أنَّ إقبا ... لي بمدحي عليكُمُ إقبالُ

وله من قصيدة يرثي بها أهل البيت عليهم السَّلام وهي ٦٣ بيتاً توجد في ديوانه ج ٤ ص ١٩٨ مطلعها:

لو كنتُ دانيتُ المودَّة قاصياً ... ردَّ الحبائبُ يوم بِنّ فؤاديا

إلى أن قال:

وبحيِّ آل محمَّد إطراؤه ... مدحاً وميِّتهم رضاه مراثيا
هذا لهم والقوم لا قومي هُمُ ... جنساً وعقر ديارهم لا داريا
إلّا المحبّة فالكريم بطبعه ... يجد الكرامَ الأبعدين أدانيا
يا طالبيِّين اشتفى من دائه الـ ... ـمجد الذي عدم الدواء الشافيا
بالضاربين قبابَهم عَرض الفلا ... عقل الركائب ذاهباً أو جائيا
شرعوا المحجَّة للرشاد وأرخصوا ... ما كان من ثمن البصائر غاليا
وأما وسيِّدهم عليٍّ قولةً ... تشجي العدوَّ وتُبهج المتواليا
لقد ابتنى شرفاً لهم لورامه ... زُحلٌ بباعٍ كان عنه عاليا
وأفادهم رقّ الأنام بوقفةٍ ... في الرَّوع بات بها عليهم واليا

ما استدرك الانكـار منهم ساخطٌ　　　إلاّ وكـان بهـا هنـالك راضيـا
أضحـوا أصـادقه. فلمّـا سـادهم　　　حسدوا فأمسـوا نادمين أعـاديـا
فـارحم عدوَّك مـا أفادك ظـاهـراً　　　نصحـاً وعالـجَ فيك خـلاًّ خافيـاً
وهبِ « الغـدير » أبـوا عليه قـوله　　　بغياًفقل:عـدّوا سواه مساعيـا [١]
بـدراً وأحـداً اختهـا من بعـدهـا　　　وحنين وقّـاراً بهنَّ فصـاليـا[٢]
والصخـرة الصمّـاء أخفى تحتهـا　　　مـاءاً وغير يـديه لم يـك سـاقيـا
وتـدبّـروا خبـرَ اليهـود بخيبـرٍ　　　وارضوا بمرحب وهو خصم قاضيا
هل كان ذاك الحصن يرهب هادماً؟!　　　أو كان ذاك الباب يفرق داحيا؟!
وتفكّـروا في أمـر عمـرٍو[٣] أوَّلاً　　　وتفكّـروا في أمر عمـرٍو[٤] ثـانيـا
أسـدان كانـا من فـرائس سيفـه　　　ولقلّمـا هـابـا سـواه مـدانيـا
ورجـال ضبَّة عـاقدي حُجُـزاتهم　　　يـوم البُصيرة من مَعين[٥] تفـانيـا
ضغموا[٦]بناب واحدٍ ولطالمـا از　　　دردوا أراقـم قبـلهـا وأفـاعـيـا
ولخطبُ صفّين أجلّ وعنـدك الـ　　　ـخبر اليقين إذا سـألتَ مُعـاويـا

(ما يتبع الشعر)

قال الاستاذ أحمد نسيم المصري في شرح قوله:

وهب الغـديـر أبـوا عليـه قبـولـه　　　نهيـاً فقل: عُـدّوا سواه مسـاعيـا

: النهي: الغدير أو شبهه. وللامام عليٍّ وقعةٌ تُسمّى بوقعة « غدير خمّ » والشاعر يُشير إليها. قال الأميني: ليت الاستاذ بعد شرحه [النهي] وجعله بدلاً

---

(١) كذا في ديوانه المخطوط وفي المطبوع منه: نهيا.

(٢) وقاراً: شادا بلجام الدابة لتسكن. يشير إلى أن أمير المؤمنين كان اخذاً بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه واله خوفا من اجفالها.

(٣) يعنى عمرو بن ود الذي قتله أمير المؤمنين يوم الخندق.

(٤) يعني عمرو بن العاص المترجم في كتابنا ج ٢ ص ١٤٢ - ٢٠٧.

(٥) معين اسم مدينة باليمن أو هو حصن بها.

(٦) ضغم الشيء: عضه بملأ فمه. يقال: ضغمه ضغمة الأسد.

عن [البغي] الموجود في مخطوط ديوانه يُعرب عن معناه الحالي أو المفعولي، ويَعرف أنَّ مثله لا يصلح من مثل مهيار المتضلّع الفحل، وكأنَّه يرى رأي شاكلته إبراهيم ملحم أسود في قوله: يوم الغدير واقعة حرب معروفة[١] فليته دلَّنا على تلك الوقعة المسمّاة بوقعة « الغدير » وذكر شطراً من تاريخها، يُريدون أن يبدِّلوا كلام الله، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردَّدون.

(الشاعر)

أبو الحسن[٢] مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادي نزيل درب رياح بالكرخ هو أرفع راية للأدب العربيِّ منشورة بين المشرق والمغرب، وأنفس كنز من كنوز الفضيلة، وفي الرَّعيل الأوَّل من ناشري لغة الضّاد، وموطِّدي اسسها، ورافعي علاليها، ويده الواجبة على اللغة الكريمة ومن يمتّ بها وينتمي إليها لا تزال مذكورةً مشكورةً يشكرها الشعر والأدب، تشكرها الفضيلة والحسب، تشكرها العروبة والعرب، وأكبر برهنةٍ على هذه كلّها ديوانه الضخم الفخم في أجزائه الأربعة الطافح بأفانين الشعر وفنونه وضروب التصوير وأنواعه، فهو يكاد في قريضه يلمسك حقيقة راهنة مما يُنضِّده، ويذر المعنى المنظوم كأنَّه تجاه حاسَّتك الباصرة، ولا يأتي إلاّ بكلِّ اسلوب رصينٍ، أو رأيٍ صحيفٍ، أو وصفٍ بديعٍ، أو قصدٍ مبتكرٍ فكان مقدَّماً على أهل عصره مع كثرة فحولة الأدب فيه، وكان يحضر جامع المنصور في أيّام الجمعات ويقرأ على الناس ديوان شعره[٣] ولم أرَ الباخرزي قد بالغ في الثناء عليه بقوله في « دمية القصر » ص ٧٦: هو شاعرٌ له في مناسك الفضل مشاعر، وكاتبٌ تحت كلِّ كلمة من كلماته كاعب، وما في قصائده بيت يتحكّم عليه بلوّ وليت، وهي مصبوبةٌ في قوالب، وبمثلها يعتذر الدهر المذنب عن الذنوب.

---

(١) قد أسلفنا الكلام فيه في الجزء الثاني ص ٣٨٧.

(٢) وفي بعض المصادر القديمة: أبو الحسين.

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٧٦.

أمّا شعره في المذهب فبرهنةٌ وحِجاجٌ فلا تجد فيه إلاّ حجّةً دامغةً، أو ثناءً صادقاً، أو تظلّماً مفجعاً، ولعلَّ هذه هي التي حدت أصحاب الإحن إلى إخفاء فضله الظاهر والتنويه بحياته الثمينة كما يحقّ له، فبخست حقَّه المعاجم، فلم تأت عند ذكره إلاّ بطفائف هي دون بعض ما يجب له، غير أنَّ حقيقة فضله أبرزت نفسها، ونشرت ذكره مع مهبِّ الصَّبا، فأين ما حللت لا تجد للمهيار إلاّ ذكراً وشكراً وتعظيماً وتبجيلاً، وعلى ضوء أدبه وكماله يسير السائرون.

ولعمر الحقِّ انّ من المعاجز أنّ فارسياً في العنصر يحاول قرض الشعر العربيِّ فيفوق أقرانه ولا يتأتّى لهم قرانه، ويقتدى به عند الورد والصّدر ولا بدع أن يكون من تخرَّج على أئمَّة العربيَّة من بيت النبوَّة وعاصرهم واثر ولائهم واقتصَّ أثرهم كالعَلَمين الشريفين: المرتضى والرضي وشيخهما شيخ الامّة جمعاء [المفيد] ونظرائهم أن يكون هكذا، ألا تاهت الظنون، وأكدت المخائل في الحطِّ من كرامة الرَّجل بتقصير ترجمته، أو التقصير في الابانة عنه، أو التحامل عليه بمخرقة، والوقيعة فيه برميه بما يدنِّس ذيل أمانته كما فعل إبن الجوزي في « المنتظم » فجدع أرنبته باختلاق قضيّة مكذوبة عليه، ورماه بالغلوّ، وحاشاه عن كلِّ ذلك، إن يقولون إلاّ كذبا.

فهذا مهيار بأدبه الباذخ، وفضله الشامخ، وعرفه الفائح، ونوره الواضح، ومذهبه العلويِّ، وقريضه الخسروانيِّ، قد طبق العالم ثناء وإطراء ومكرمة وجلالةً، وما يضرُّه أمسه إن كان مجوسيّاً فارسيّاً فيه، وها هو في يومه مسلمٌ في دينه، علويٌّ في مذهبه، عربيٌّ في أدبه، وها هو يحدِّث شعره عن ملكاته الفاضلة، ويتضمَّن ديوانه اثار نفسيّاته الكريمة، وخلّد له ذكرى مع الأبد، فهل أبقى [أبو الحسن مهيار] ذروة من الشرف لم يتسنَّمها؟! أو صهوة من النبوغ لم يمتطها؟! ولو كان يؤاخذ بشيء من ماضيه لكان من الواجب مؤاخذة الصحابة الأوَّلين كلّهم على ماضيهم التعيس غير أنّ الإسلام يجبُّ ما قبله، فتراه يتبهّج بسؤدد عائلته المالكة التي هي أشرف عائلات فارس، ويفتخر بشرف إسلامه

وحسن أدبه بقوله:

أعجبتْ بي بين نادي قومها ... امُّ سعدٍ فمضت تسأل بي
سرّها ما علمت من خلقي ... فأرادت علمها ما حسبي
لا تخالي نسباً يخفضني ... أنا من يُرضيك عند النسبِ
قومي استولوا على الدَّهر فتى ... ومشوا فوق الرؤوس الحقبِ
عمَّموا بالشمس هاماتهمُ ... وبنوا أبياتهم بالشهبِ
وأبي كسرى[1] على ايوانه ... أين في الناس أبٌ مثل أبي؟!
سورة الملك القدامى وعلى ... شرف الإسلام لي والأدبِ
قد قبستُ المجد من خير أبٍ ... وقبستُ الدين من خير نبي
وضممت الفخر من أطرافه ... سؤدد الفرس ودين العربِ

أسلم المترجم على يد سيِّدنا الشريف الرَّضي سنة ٣٩٤[2] وتخرّج عليه في الأدب والشعر وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الثانية سنة ٤٢٨، ولم أقف على خلاف في تاريخ وفاته في الكتب والمعاجم التي توجد فيها ترجمته منها: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧٦، المنتظم ج٨ ص ٩٤، تاريخ إبن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧، مرآة اليافعي ج ٣ ص ٤٧، دمية القصر ص ٧٦، تاريخ إبن كثير ج ١٢ ص ٤١، كامل إبن الأثير ج ٩ ص ١٥٩، تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٦٨، أمل الأملْ لشيخنا الحرّ، روض المناظر لابن شحنة، أعلام الزركلي ج ٣ ص ١٠٧٩، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٧، تاريخ آداب اللغة ج ٢ ص ٢٥٩، نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعَر، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٩ ص ٤٨٤، سفينة البحار ج ٢ ص ٥٦٣، مجلّة المرشد ج ٢ ص ٨٥.

ومن نماذج شعر مهيار في المذهب قوله يمدح أهل البيت عليهم السَّلام:

بكى النار ستراً على الموقد ... وغار يغالط في المنجدِ

---

(١) ولد في أيام ملكه نبي العظمة صلى الله عليه واله ويعزى إليه (ع): ولدت في زمن الملك العادل.
(٢) كامل ابن الأثير ج ٩ ص ١٧٠، المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٩٤.

أحـــبَّ وصـــان فـوَرّى هوىً أضــلَّ وخــاف فـلم ينشــد؟!
بعيــد الإصــاخــة عـن عــاذلٍ غنـيٌّ الـتفـرّد عـن مُـســعـدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيف صبورٌ على الماء وهـو الصَّدي
وقــورٌ ومـا الخُـرق من حـازمٍ متى مــا يَـرُح شبيـه يغتـدي
ويــا قلبُ إن قـادك الغـانيـات فـكم رسَنٍ فيـك لـم ينـقـد
أفـقْ فـكـأنّي بـهـا قــد أُمـرّ بـأفـواههـا العـذْب من مـوردي
وســوَّدَ مــا ابـيـضَّ مـن ودِّهــا بمــا بيَّض الـدهــر من أسودي
ومــا الشيب أوَّل غـدر الـزَّمـان بــلى مــن عــوائــده الـعـوّدِ
لحَــا الله حـظّي كمــا لا يجود بــمــا أستحقُّ وكـم أجـتـدي
وكـم أتـعـلّل عـيش السـقـيـم اذمّـمُ يـومـي وأرجــو غــدي
لئـن نــام دهــريَ دون المُـنى وأصبــح عن نيلهــا مُقعـدي
ولــم أك أحــمــدُ أفـعــالـه فـلي اسـوةٌ ببـنـي أحــمــد
بخيــر الــورى وبني خيــرهم إذا وَلــدُ الـخيـر لــم يـولـد
وأكــرم حـيٍّ على الأرض قــام ومــيـتِ تـوسَّـد فــي مـلحـد
وبيت تقــاصــر عنــه البيــوت وطــال عليّــاً عـلى الـفـرقـد
تحــوم المـلائــكُ من حــولــه ويُـصبــح لـلوحـي دار الـنـدي
ألا سَــلْ قــريشــاً ولُـمْ منـهـمُ مـن استـوجـب الـلوم أو فـنّـد
وقل: ما لكم بعـد طول الضَّـلا ل لم تشكـروا نعمة المرشـد؟!
أتــاكم على فـتـرةٍ فـاستـقـام بكم جـائـرين عن المقـصـد
وولَّــى حــمــيــداً إلــى ربِّـه ومـن سنَّ مـا سنَّـه يُـحـمـد
وقــد جعــل الأمـر من بعـده لـحيـدر بـالـخبـر المسـنـد
وسـمّــاه مــولىً بـإقــرار مَـن لــو اتَّبــع الحقّ لم يجحـد
فملتم بهـا - حسدَ الفضـل - عنه ومن يــك خيـر الــورى يُحسـد
وقلتم: بــذاك قضى الإجتمــاع ألا إنَّــمــا الـحــقُّ لـلمـفـرد
يـعــزُّ عـلى هــاشـمٍ والـنـبي تـلاعـب تَـيمٍ بـهـا أوعــدي
وإرث عــليٍّ لأولاده إذا آيــة الإرث لــم تُـفـسـد

فمن قاعد منهمُ خائف ... ومِن ثائر قام لم يُسعدِ
تسلّط بغياً أكفَّ النِّفا ... ق منهم على سيِّدٍ سيِّدِ
وما صُرفوا عن مقام الصَّلاة ... ولا عُنِّفوا في بُنى[1] المسجدِ
أبوهم وامّهمُ مَن علمـ ... ـت فأنقص مفاخرهم أو زدِ
أرى الدينَ من بعد يوم الحسين ... عليلاً له الموت بالمرصدِ
وما الشرك لله من قبله ... إذا أنت قستَ بمستبعدِ
وما آل حرب جنوا إنَّما ... أعادوا الضَّلال على من بُدي
سيعلم مَن فاطمٌ خصمه ... بأيِّ نكالٍ غداً يرتدي
ومَن ساء أحمدَ أو سِبطه ... فباءَ بقتلك ماذا يدي؟!
فداؤك نفسي ومَن لي بذا ... ك لو انّ مولىً بعبدٍ فُدي
وليت دمي ما سقى الأرض منك ... يقوت الرَّدى وأكون الرَّدي
وليت سبقتُ فكنتُ الشهيد ... أمامك يا صاحب المشهدِ
عسى الدهرُ يشفي غداً من عدا ... ك قلبَ مُغيظٍ بهم مُكمدِ
عسى سطوةُ الحق تعلو المُحال ... عسى يُغلب النقص بالسؤدد
وقد فعل الله لكنَّني ... أرى كبدي بعدُ لم تبردِ
بسمعي لقائمكم دعوةٌ ... يُلبّي لها كلُّ مستنجدِ
أنا العبد والاكمُ عقدُه ... إذا القولُ بالقلب لم يُعقدِ
وفيكم ودادي وديني معاً ... وإن كان في فارسٍ مولدي
خصمتُ ضلالي بكم فاهتديتُ ... ولولاكمُ لم أكن أهتدي
وجرَّدتموني وقد كنتُ في ... يد الشرك كالصّارم المغمدِ
ولا زال شعريَ من نائح ... ينقِّل فيكم إلى مُنشدِ
وما فاتني نصركم باللسان ... إذا فاتني نصركم باليدِ

وقال يرثي أمير المؤمنين عليّاً وولده الحسين ويذكر مناقبهما وكان ذلك من نذائر ما منّ الله تعالى به من نعمة الإسلام في المحرَّم سنة ٣٩٢[2] .

---

(١) بنى جمع بنيه.
(٢) كذا في ديوانه وقد مر عن معاجم أنه أسلم سنة ٣٩٤.

يزوِّر عن حسناء زورة خـائفِ ... تعـرُّض طيفٍ آخر الليـل طائفِ
فـأشبهها لم تغـدُ مسكـاً لناشقٍ ... كمـا عـوِّدت ولا رحيقـاً لراشفِ
قصيَّـة دارٍ قرَّب النومُ شخصهـا ... ومـانعـة أهـدى سـلام مسـاعفِ
ألين وتغـري بـالإبـاء كـأنَّمـا ... تبـرّ بهـجـراني ألـيَّـة حـالفِ
وبـالغور للنـاسين عهـديَ منـزلٌ ... حنانيك من شـاتٍ لديه وصائفِ
اغـالط فيـه سـائـلاً لا جهـالـةً ... فأسأل عنـه وهو بـادي المعارفِ
ويعذلني في الدار صحبي كأنَّني ... على عـرصات الحبّ أوّل واقفِ
خليليَّ إن حالت ـ ولم أرض ـ بيننا ... طِوالُ الفيافي أو عـراض التنائفِ
فلا زُرَّ ذاك السجفُ إلاّ لكاشفٍ ... ولا تمَّ ذاك البـدر إلاّ لكـاسفِ
فـإن خفتما شـوقي فقد تـأمنـانـه ... بخـاتلةٍ بين القنـا والمخـاوفِ
بصفراء لو حلَّت قـديماً لشـاربٍ ... لضنّت فمـا حلّتْ فتـاة لقـاطفِ
يطوف بها من آل كسرى مقرطقٌ[1] ... يحدِّث عنها من ملوك الطوائفِ
سقى الحسن حمراء السلافة خدَّه ... فانبع نبتاً أخضراً في السوائفِ[2]
وأحلف أنّي شعشعت لي بكفِّـه ... سلوت سـوى همٍّ لقلبي مُحالفِ
عصيت على الأيّام أن ينتزعنـه ... بنهي عـذول أو خـداع مـلاطفِ
جوىً كلَّما استخفي ليخمد هاجه ... سنابارقٍ من أرض كوفان خاطفِ
يـذكِّـرني مثـوى عليٍّ كـأنَّني ... سمعت بذاك الرزء صيحة هاتفِ
ركبت القوافي ردف شوقي مطيةً ... تخبُّ بجـاري دمعي المتـرادفِ
إلى غـايةٍ من مـدحـه إن بلغتهـا ... هـزأتُ بأذيـال الرِّيـاح العواصفِ
ومـا أنا من تلك المفـازة مـدركٌ ... بنفسي ولـو عـرَّضتهـا للمتـالفِ
ولكن تؤدّي الشهـد إصبـع ذائقٍ ... وتعلق ريح المسك راحةُ دائفِ[3]
بنفسيَ من كـانت مـع الله نفسـه ... إذا قلّ يوم الحقِّ من لم يجازفِ

---

(١) مقرطق: لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد.

(٢) يريد بالنبت، العذار. السوائف جمع سائفة: هي القطعة من اللحم.

(٣) الدائف: الخالط الذي يخلط المسك بغيره من الطيب.

إذا ما عزوا ديناً فآخر عابدٍ   وإن قسموا دنياً فأوّل عائفِ
كفى يوم بدر شاهداً وهوازن   لمستأخرين عنهما ومزاحفِ
وخيبر ذات الباب وهي ثقيلة الـ   ـمرام على أيدي الخطوب الخفائفِ
أبا حسن إن أنكروا الحق [واضحاً]   على أنّه والله إنكارُ عارفِ
فإلّا سعى للبين أخمص بازلٍ   وإلّا سمت للنعل إصبع خاصفِ
وإلّا كما كنت ابن عمٍّ ووالياً   وصهراً وصنواً كان من لا يقارفِ
أخصّك بالتفضيل إلّا لعلمه   بعجزهمُ عن بعض تلك المواقفِ
نوى الغدرَ أقوامٌ فخانوك بعده   وماآنفٌ في الغدر إلّا كسالفِ
وهبهم سفاهاً صحّحوا فيك قوله   فهل دفعوا ما عنده في المصاحفِ
سلامٌ على الإسلام بعدك إنّهم   يسومونه بالجور خطّة خاسفِ
وجدّدها بالطفّ بابنك عصبةٌ   أباحوا لذاك القرف[1] حكة قارفِ
يعزُّ على محمّد بابن بنته   صبيبُ دم من بين جنبيك واكفِ
أجازوك حقّاً في الخلافة غادروا   جوامع[2] منه في رقاب الخلائفِ
أيا عاطشاً في مصرع لو شهدتُه   سقيتك فيه من دموعي الذوارفِ
سقى غُلّتي بحرٌ بقبرك إنّني   على غير إلمام به غير آسفِ
وأهدى إليه الزائرون تحيّتي   لأشرف إن عيني له لم تشارفِ
وعادوا فذرّوا بين جنبيّ تربة   شفائي ممّا استحقبوا في المخاوفِ[3]
اسرُّ لمن والاك حبَّ مواقفٍ   وابدي لمن عاداك سبَّ مخالفِ
دعيٌّ سعى سعي الأسود وقد مشى   سواه إليها أمش مشي الخوالفِ[4]
وأغرى بك الحسّاد أنّك لم تكن   على صنم فيما رووه بعاكفِ
وكنت حصانَ الجيب من يد غامرٍ   كذاك حصانَ العرض من فم قاذفِ

---

(١) القرف: البغي.
(٢) الجوامع: الأغلال.
(٣) استحقبوا: ادخروا.
(٤) الخوالف: النساء.

ومـا نسبٌ مـا بين جنبيَّ تـالـدٌ بغـالب ودٌّ بين جنبيَّ طـارف
وكم حاسدٍ لي ودَّلو لم يعش ولم أنابله في تـأبينكم واسـايف[١]
تصـرَّفتُ في مـدحيكمُ فتـركته يعضُّ عليَّ الكدَّ عضَّ الصوارف[٢]
هـواكم هـو الـدنيا وأعلم أنَّـه يُبيِّضُ يوم الحشر سود الصحائف

وانشِد قصيدة في مراثي أهل البيت عليهم السَّلام من مرذول الشعر على هذا الرويِّ الذي يجيء ، وسُئل أن يعمل أبياتاً في وزنها على قافيتها فقال هذه في الوقت :

مـشيـن لنـا بـين ميـل وهيـفِ فقـل في قناة وقـل في نزيف[٣]
على كـلِّ غصن ثمـارُ الـشبـا ب من مُجتني دواني الـقـطوف
ومن عجب الحسن أنَّ الثقيـ ـل منـه يُـدلُّ بحمـل الخفيـف
خليليَّ مـا خُبـرُ مـا تُبـصـرا ن بين خـلاخيلهـا والشّنـوف[٤]
سلاني بـه فـالجمـال اسمـه ومعنـاه مفسـدةٌ لـلعفيـف
أمن عـربيَّـة تحـت الـظلام تـولّجُ ذاك الخيـال المطيف؟!
سـرى عينهـا أو شبيهـاً فكـا د يفضـح نـومي بين الضيـوف
نعم ودعـا ذكـرَ عهـد الصِّبـا سيلقـاه قلبي بـعهـدٍ ضعيـف
بـآل عـليِّ صـروف الـزمـان بسـطن لسـاني لـذمِّ الصـروف
مصـابي على بُعـد داري بـهم مصـابُ الأليف بفقـد الأليـف
وليس صـديقيَ غيـر الحـزين ليوم « الحسين » وغير الأسوف[٥]
هـو الغصن[٦] كـان كميناً فهبَّ لدى « كربـلاء » بريـح عصوف
قتيـلٌ بـه ثـار غِـلّ النفـوس كما نغر الجرح حكُّ القُروف[٧]

(١) انابله: أرميه بالنبل. اسايف: اجالده بالسيف.
(٢) الصوارف جمع صارف وهو: الناب.
(٣) النزيف: السكران.
(٤) الشنوف جمع شنف وهو: القرط يعلق بأعلى الاذن.
(٥) الأسوف: السريع الحزن الرقيق القلب.
(٦) كذا في مطبوع ديوانه والصحيح: هو الضغن.
(٧) نغر: أسال. القروف جمع قرف وهي القشرة تعلو الجرح.

بكـلِّ يـد أمسِ قـد بـايعتـه وساقت له اليوم أيدي الحتوفِ
نسـوا جدَّه عنـد عهدٍ قـريب وتـالـده مـع حـقٍّ طـريـفِ
فـطاروا لـه حـاملين النِّفـاق بـأجنحة غِشّهـا في الحفيفِ[١]
يـعـزُّ علـيَّ ارتـقـاء الـمنـون إلى جبـلٍ منـك عـالٍ منيفِ
ووجهـك ذاك الأغـرُّ التـريـب يشهَّـر وهـو على الشمس مـوفي
عـلى ألـعـن أمـره قـد سعـى بـذاك الـذميـلِ وذاك الـوجيفِ
وويـلُ امّ مـأمـورهم لـو أطـاع لقـد بـاع جنَّتـه بـالـطفيفِ
وأنـت ـ وإن دافعـوك ـ الإمـام وكـان أبـوك بـرغـم الانـوفِ
لِمَن آيـة البـاب يـوم اليهـود؟! ومَن صاحبُ الجنِّ يوم الخسيف؟
ومن جمعَ الدين في يـوم بـدرٍ وأُحـدٍ بتفـريق تلك الصفـوفِ؟!
وهـدَّم فـي الله أصنـامـهـم بمرأى عيـون عليها عكـوفِ؟!
أغيـر أبيـك إمـام الـهـدى؟! ضيـاء النديِّ هـزبـر العزيفِ[٢]
تـفـلَّل سـيـفٌ بـه ضـرَّجـوك لسـوَّد خِـزيـاً وجـوهَ السيـوفِ
أمـرَّ بـفـيَّ عـليـك الـزّلال وآلم جِلدي وقـعُ الشّفـوفِ[٣]
أتـحـمـل ـ فقـدَك ذاك الـعـظيمَ جـوارحُ جسميَ هذا الضعيفِ؟!
ولـهفـي عليـك مـقـالُ الخبيـ ـر إنَّـك تُـبـرد حـرَّ اللهيـفِ
أنـشـرُك مـا حمـلَ الـزائـرو ن أم المسك خالط ترب الطفوفِ؟
كـأنَّ ضـريحـك زهـر الـربيـ ـع هبَت عليـه نسيم الـخـريفِ
احـبّـكـمُ مـا سعـى طـائـفٌ وحنَّت مـطـوَّقـةٌ فـي الهُـتـوفِ
وإن كنتُ من فـارس فـالشـريـ ـفـمعـتـلِقٌ ودُّه بـالـشـريـفِ
ركـبتُ ـ عـلى مَـن يـعـاديـكـم ويفسـد تفضيلكم بـالـوقـوفِ ـ

---

(١) الحفيف: أجنحة الطائر.

(٢) العزيف: صوت الرمال إذا هبت عليها الرياح، ولعل الصحيح: الغريف. معجمة العين مهملة الراء: وهو الأجمة.

(٣) الشفوف جمع شِف وهو: الثوب الرقيق.

سوابقَ من مدحكم لم أهبْ صعوبةَ ريِّضها والقطوفِ(١)
تُقطِّرُ غيريَ أصلابها وتزلقُ أكفالها بالرَّديفِ(٢)

وقال يمدح أهل البيت عليهم السَّلام وهي من أوّل قوله:

سلا من سلا: مَن بنا استبدلا؟! وكيف محا الآخرالأوَّلا؟!
وأيّ هوىً حادث العهد أمـ ـس أنساه ذاك الهوى المُحولا(٣)
وأين المواثيق، والعاذلات يضيق عليهنَّ أن تعذلا؟!
أكانت أضاليلَ وعدِ الزما ن أم حُلم الليل ثمَّ انجلى؟!؟!
ومما جرى الدَّمع فيه سؤا ل مَن تاه بالحسن أن يُسألا
أقول برامةَ: يا صاحبيَّ مَعاجاً ـ وإن فعلا ـ: أجملا
قفا لعليل فإنَّ الوقوف وإن هو لم يشفه عَلّلا
بغربيٍّ وجرةَ ينشدنه ـ وإن زادنا صلة ـ منزلا(٤)
وحسناء لو أنصفتْ حسنها لكان من القبح أن تبخلا
رأت هجرها مرخِصاً من دمي على النأي عِلقاً قديماً غلا(٥)
ورُبَّتَ واشٍ بها منبض(٦) اسابقه الردَّ أن يُنبلا
رأى ودَّها طللاً ممحِلاً فلفَّق ما شاء أن يمحلا
وألسنة كأعالي الرِّماح رددتُ وقد شرعتْ ذُبّلا(٧)
ويأبى لحسناء إن أقبلتْ تعرُّضها قمراً مُقبلا
سقى الله ليلاتنا بالغويـ ـر فيما أعلَّ وما أنهلا(٨)

---

(١) الريض: الدابة أول ما تراض وهي صعبة. القطوف: الدابة التي تسيء المسير وتبطيء.
(٢) تقطر: تلقي الإنسان على قطره أي على أعلى ظهره الرديف: الراكب خلف الراكب.
(٣) المحول: الذي أتت عليه حول بعد حول أي سنون.
(٤) كذا في ديوانه والصحيح كما ينشده أدباء النجف الأشرف:

بغربي وجرة ينشد بهـ ـوان زادنا ضلة منزلا

(٥) العلق: الشيء النفيس.
(٦) النبض: الذي يشدّ وتر القوس لتصوت .
(٧) الذبل جمع ذابل وهو الدقيق من الرماح
(٨) العل: الشرب الثاني. النهل: أول الشرب.

حيـاً كلّمـا أسـبلت مـقـلةٌ ـ حنينـاً لـه ـ عبـرةً أسبـلا
وخصَّ وإن لـم تـعـد لـيـلةً خلت فـالكرى بعدهـا مـا حَـلا
وفى الـطيفُ فيهـا بـميعـاده وكـان تـعـوَّد أن يـمـطلا
فمـا كـان أقصـر ليلي بـه ومـا كـان لـو لم يُـزر أطـولا
مسـاحبُ قـصَّـر عنّي المشيـ ـبُ مـا كـان منهـا الصِّبـا ذيَّـلا
ستصـرفني نـزوات الـهمـو م بـالإرَب الـجِـدِّ أن أهـزلا
وتـنـحـتُ مـن طـرفـي زفـرةٌ مبـاردهـا تـأكـل المنصـلا(١)
وأغرى بتـأمـيـن آل الـنـبـيِّ إن نـسَّـب الـشـعـر أو غـزَّلا
بنفسي نجـومهـم المخمَـدات ويـأبى الهـدى غيـر أن تُشعَـلا
وأجـسـام نـورٍ لـهـم في الـصـعـيـد تـمـلؤه فـيُـضـيء الـمـلا
ببـطن الثرى حمـلُ مـا لم تُـطق على ظهـرهـا الأرض أن تحمـلا
تفيض فـكـانت نـدىً أبـحـرا وتهـوي فكـانت عُـلاً أجبُـلا
سـل المتحـدّي بهم في الفخـا ر أين سمت شـرفـات العـلا؟!
بـمَـن بـاهـل الله أعـداءه فكـان الرَّسـول بهم أبهـلا؟!
وهـذا الـكـتـاب وإعـجـازه على مَن؟ وفي بيت مَن نُـزِّلا؟!
وبـدرٌ، وبـدرٌ بـه الـديـن تـ ـمَّ من كـان فيـه جميلَ البـلا؟!
ومـن نـام قـومٌ سـواه وقـام؟ ومَـن كـان أفـقـ.ـه أو أعـدلا؟!
بمن فُصـل الحكم يوم الجنين فـطبَّق في ذلـك المَفصـلا؟!(٢)
مـسـاع اطيـل بـتـفـصـيـلهـا كفى معجـزاً ذكـرُهـا مجمـلا
يمينـاً لَقـد سُلّط الملحـدون عـلى الحـقِّ أو كـاد أن يبـطلا
فلولا ضمـانٌ لنـا في الـطهـور قضى جدَلُ القـول أن نخجـلا
أ لله يـا قـومُ يـقـضي الـنبيُّ مـطاعـاً فيُعصى ومـا غُسِّـلا؟!
ويـوصي فنخـرص دعـوى عليـ ـه في تـركـه دينـه مـهمـلا؟!

---

(١) المنصل: السيف.
(٢) يقال للرجل إذا أصاب مهجة الصواب: طبق المفصل. وقصة الجنين إحدى قضايا الإمام عليه السلام.

ويجتمعون على زعمهم ... ويُنبيك سعد[1] بما أشكلا
فيُعقب إجماعُهم أن يبيـ ... ـت مفضولهم يقدمُ الأفضلا
وأن يُنزع الأمر من أهله ... لأنَّ « عليّاً » له اهِّلا
وساروا يحطّون في آله ... بظلمهمُ كلكلاً كلكلا[2]
تدبّ عقارب من كيدهم ... فتفنيهمُ أوّلاً أوّلا
أضاليل ساقت مصابَ الحسين ... وما قبلَ ذاك وما قد تلا
اميَّةُ لابسةٌ عارها ... وإن خفي الثار أو حُصِّلا
فيوم « السقيفة » يا بن النبيِّ ... طرَّق يومك في « كربلا »
وغصبُ أبيك على حقِّه ... وامِّك حسَّن أن تُقتلا
أيا راكباً ظهرَ مجدولةٍ ... تخال إذا انبسطت أجدلا[3]
شأت أربَعَ الريح في أربعٍ ... إذا ما انتشرن طوين الفلا
إذا وكّلت طرفها بالسما ... ء خيل بإدراكها وُكِّلا
فعزَّت غزالتها غُرَّةً ... وطالت غزال الفلا أيطلا[4]
كطيِّك في منتهىً واحد[5] ... ـ لنُدرك يشربَ ـ أو مرقلا[6]
فصل ناجياً وعليَّ الأمان ... لمن كان في حاجةٍ موصلا
تحمَّلْ رسالة صبٍّ حملت ... فناد بها أحمد المرسلا
وحيِّ وقل: يا نبيَّ الهدى ... تأشّب[7] نهجُك واستوغلا
قضيت فأرمضنا ما قضيت ... وشرعك قد تمّ واستكملا

---

(١) يشير إلى سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد أبى بيعة أبي بكر وبقي على ذلك حتى مات وقصته مودعة في التاريخ.

(٢) الكلكل: الصدر أو ما بين الترقوتين.

(٣) المجدولة: من جدل الولد إذا قوي وصلب عظمه. الأجدل. الصقر.

(٤) عزت: غلبت. الغزاله: الشمس عند ارتفاعها. الأيطل: الخاصرة.

(٥) كذا في مطبوع ديوانه والمحفوظ عند ادباء النجف الأشرف: أطناك في منتها واحداً والوحد ضرب من سير الإبل سريع.

(٦) المرقل: المسرع في سيره.

(٧) تأشب: اختلط.

فــرامَ ابنُ عمِّــك فيمــا سنـنـ ـتَ أن يـتـقـبَّـل أو يَـمـثُـلا
فـخـانـك فيـه مـن الغـادريـ ـن من غيَّـر الـحـقَّ أو بـدَّلا
إلـى أن تحلّت بـهـا تـيـمـهـا وأضـحـت بـنـو هـاشـم عُـطَّلا
ولـمّـا سـرى أمـرُ تيمٍ أطـا ل بيتَ عـدىً لهـا الأحبـلا[1]
ومـدَّت امـيَّـة أعـنـاقـهـا وقـد هـوّن الخـطـب واستسهـلا
فنـال ابن عُفّـان مـا لم يكن يُـظنُّ ومـا نـال بـل نُـوِّلا
فـقـرَّ وأنـعـم عـيش يـكـو ن مـن قبله خشنـاً قُـلقـلا[2]
وقـلَّبـهـا أردشـيـريَّـةً فـحـرَّق فيهـا بـمـا أشعـلا
وسـاروا فـسـاقـوه أو أوردوه حيـاضَ الـرَّدى منهـلاً منهـلا
ولمّـا امتطاهـا «عليٌّ» اخـو ك ردَّ إلـى الحـقِّ فـاستثـقـلا
وجـاؤا يسـومـونـه القـاتلين وهم قـد ولـوا ذلـك المقتَـلا
وكـانـت هنـاةٌ وأنـت الخصيم غـداً والمعـاجَـل مـن أُمهـلا
لكم آل يـاسين مـدحي صفـا وودِّي خَـلا وفـؤادي خـلا
وعـنـدي لأعـدائكـم نـافـذا ت قولي [ما] صاحب المقولا[3]
إذا ضـاق بـالسيـر ذرعُ الـرفيق مـلأتُ بـهـنَّ فـروجَ الـمـلا
فـواقـرُ من كـلِّ سهمٍ تكـون لـه كـلُّ جـارحـةٍ مـقـتَـلا
وهـلاّ ونهـج طـريق النجـاة بكم لاحَ لي بعـدمـا أشكـلا؟!
ركبتُ لكم لَقْمي فـاستننت[4] وكـنـتُ اخـابـطه مـجـهـلا
وفُـكَّ من الشِّـرك أسـري وكـا ن غُـلاّ عـلى منكبي مُقفـلا
أُوالـيـكـمُ مـا جـرت مـزنـةٌ وما اصطخب الـرعد أو جلجلا

---

(١) كذا في ديوانه المطبوع والمحفوظ عند خطبائنا:
ولَمّـا سرى أمـرُ تـيـمٍ وطـا لَ مـدَّت عـديٌّ لهـا الأرجـلا
(٢) القلقل : غير القار .
(٣) المقول: اللسان.
(٤) اللقم : معظم الطريق وواضحه . استننت: ذهبت في واضح الطريق.

وأبـرأ مـمـن يُـعـاديـكـمُ ... فـإنَّ الـبـرائـة أصـلُ الـولا
ومـولاكمُ لا يخـاف العقـاب ... فكـونـوا لـه في غـدٍ مـوئـلا

وقال يذكر مناقب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وما مُني به من أعدائه:

إن كنت ممن يلج الـوادي فسلْ ... بين البيوت عن فؤادي: ما فعلْ
وهل رأيتَ - والغريب مـا ترى - ... واجـدَ جسمٍ قبله منـه يضِـلّ؟!
وقل لغزلان النقـا: مات الهـوى ... وطُلّقتْ بـعـدكمُ بنت الـغـزلْ
وعـادَ عـنكـنَّ يخيبُ قـانصٌ ... مدَّ الحبالات لكنَّ فـاحتبـلْ(١)
يـامن يرىقتلى السيوف حُظرتْ ... دمـائهم، الله في قتلى المقَـلْ
مـا عنـد سكّان مِنىً في رجلٍ ... سباه ظبيٌ وهـو في ألف رَجُـلْ
دافـع عن صفحته شـوكُ القنـا ... وجـرحتـه أعين السِّـرب النجـلْ
دمٌ حـرامٌ لـلأخ الـمسـلم فـي ... أرضٍ حرامٍ يا لَنُعم كيف حلّ؟!
قـلتِ: شكـا، فـأذلَّ جَـلَدي ... والحبُّ مـا رقَّ له الجَلد وذلْ(٢)
من دلَّ مسراك عليَّ في الدُّجى؟ ... هيهـات في وجهك بـدرٌ لا يَدلْ
رمتِ الجمـال فملكتِ عـنـوةً ... أعنـاقَ ما دقَّ من الحسن وجلْ
لـواحـظاً علّمت الضّـرب الظبـا ... على قوامٍ علّم الطعن الأسلْ(٣)
يـا من رأى بحـاجـر مجـاليـا ... من حيث مـا استقبلها فهي قِبلْ
إذا مـررتَ بـالقبـاب من قُبـا ... مرفوعة وقد هوت شمس الاصُلْ(٤)
فقـل لأقمـار السمـاء: اختمـري ... فحليـةُ الحسـن لأقمـار الكللْ
أين ليـالينا على الخيف؟! وهـلْ ... يردُّ عيشاً بالحمى قولك: هلْ؟!
مـا كنَّ إلّا حُلماً روَّعـه الصُّـ ... ـبحُ وظـلاًّ كـالشباب فـانتقلْ
مـا جمعتْ قطُّ الشبـابَ والغنى ... يـد امرئٍ ولا المشيب والجـذلْ

---

(١) فاحتبل: فصد بالحبالة.

(٢) الجلد: الصبر. الجلد: القوي الشديد.

(٣) الظبا جمع الظبة: حد السيف. الأسل: الرمح.

(٤) قبا اسم موضع بالمدينة فيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الاصل ج أصل وهو: وقت ما بعد العصر إلى المغرب.

يــا ليت مـا ســوَّد أيّام الصِّبـا   أعدى بياضـاً في العذارين نـزلْ
مـا خلتُ سـوداء بيـاضي نصَلت   حتّى ذوى أسود رأسي فنصَلْ(١)
طـارقـةٌ من الـزَّمـان أخـذتْ   أواخــرَ العيش بفـرطـات الأُوَلْ
قـد أنـذرتْ مبيضَّـة أن حـذَّرتْ   ونـطق الشيبُ بنصـحٍ لـو قُبـلْ
ودلَّ مــا حطَّ عليـك من سـني   عمـرك أنَّ الحظَّ فيما قـد رحـلْ
كم عِبــرةٍ وأنت من عــظاتـهـا   ملتفـتٌ تتبــع شيــطانَ الأمــلْ
مــا بين يُـمنـاك وبـين اختـهـا   إلاّ كـمــا بيـن منـاك والأجــلْ
فاعمل من اليـوم لما تلقى غـداً   أو لا فقـل خيـراً تُـوفَّق للعمـلْ
ورد خفيف الـظهر حـوض اسرةٍ   إن ثقَّلوا الميـزانَ في الخير ثقـلْ
اشــددْ يــداً بـحبِّ آل أحـمــد   فــإنَّــه عـقــدةُ فــوزٍ لا تُحَــلْ
وابعث لهم مــراثيـاً ومِـدَحـاً   صفـوةَ ما راض الضميـرُ ونخـلْ
عقـائـلاً تصـان بـابتـذالهـا   وشـارداتٍ وهي للسـاري عُقُـلْ
تحمــلُ من فضلهم مـا نهضت   بحمله أقوى المصاعيب الذُّللْ(٢)
مـوسومـةً في جبهـات الخيـل أو   معلّقـاتٍ فـوق أعجـاز الابــلْ
تنشــو(٣) العـلاء سيِّــداً فسيــداً   عنهم وتنعى بــطلاً بعــدَ بــطلْ
الـطيِّبـون ازُراً تحـت الـدُّجى   الكـائنـون وَزَراً يـوم الـوجـلْ(٤)
والمنـعمــون والـشـرى مُقـطّبٌ   من جدبه والعـام غضبان أزلْ(٥)
خيـر مُصــلٍّ مَـلكـاً وبـشــراً   وحــافيـاً داس الثـرى ومنتعِــلْ
هـمْ وأبــوهــم شــرفـاً وامّـهـم   أكـرم من تحوي السمـاءُ وتـظلّْ
لا طُــلقــاء منــعـمٌ عــليـهــمُ   ولا يحـارون إذا النـاصـر قَـلْ
يستشعرون: الله أعلى في الورى   وغيـرهم شعـاره: اعـلُ هبـلْ(٦)

(١) نصل، خرج من خضابه.
(٢) المصاعيب الذلل: الفحول المذللة.
(٣) تنشو من نث نثا الخبر: أفشاه.
(٤) ازر جمع ازار. الوزر: الملجأ والكنف.
(٥) الأزل: الشديد الضيق. يقال: ازْل، ازل. للمبالغة.
(٦) اشار إلى قول ابي سفيان يوم أحد. أعل هبل: هبل بالضم اسم صنم لهم معروف

لـم يتـزخـرف وثَـنٌ لـعـابـدٍ ... منهم يُـزيـغ قلبَـه ولا يُـضِـلْ
ولا سـرى عـرقُ الإمـاء فـهمُ ... خبـائث ليست مَـريئـات الاكُـلْ
يـا راكبـاً تحـمله عـيـديَّـةٌ [١] ... مهـويَّةُ الـظهر بعضَّات الـرحَـلْ
ليس لهـا من الـوَجـا منتصـرٌ ... إذا شكا غاربهـا حيفَ الإطلْ [٢]
تشـرب خمسـاً وتجـرُّ رعيهـا [٣] ... والمـاءُ عِـدٌّ والنبـات مكتهـلْ [٤]
إذا اقتضتْ راكبـهـا تعـريسـةً ... سوَّفها الفجـر ومنّاهـا الطَّفـلْ [٥]
عـرِّج بروضـات الغـريِّ سـائفاً ... أزكى ثـرىً وواطئـاً أعلى محـلْ
وأدِّ عـنّي مـبلغـاً تـحيَّـتي ... خيـر الوصيِّين أخـا خيرِ الرُّسـلْ
سمعـاً أميـر المـؤمنين إنَّـهـا ... كنـايـةٌ لم تـك فيهـا منتحِـلْ
مـا لقـريشٍ مـاذقتـك عهـدهـا ... ودامجتـك ودَّهـا على دَخَـلْ [٦]
وطـالبتـكَ عـن قـديم غـلِّهـا ... بعـد أخيك بـالتـراث والـذَّحَـلْ
وكيف ضمّـوا أمرهم واجتمعـوا ... فاستوزروا الرأي وأنت منعزلْ؟!
ولـيس فـيـهـم قـادحٌ بـريـبـةٍ ... فيك ولا قاضٍ عليـك بوهَـلْ [٧]
ولا تُـعـدُّ بـيـنـهـم مـنـقـبـةٌ ... إلّا لـك التفصيل منهـا والجُمـلْ
ومـا لقـوم نـافقـوا محمَّـداً ... عمـر الحياة وبغـوا فيه الغيـلْ؟!
وتـابـعـوه بـقـلـوبٍ نـزل الـ ... ـفرقان فيهـا نـاطقـاً بمـا نـزلْ
مـات فلم تنعَقْ على صـاحبـه ... نـاعقـةٌ منهم ولم يُـرغِ جَمـلْ
ولا شكـا القـائم في مكـانـه ... مـنهـم ولا عـنّفـهـم ولا عـذَلْ

---

(١) عيدية: نسبة إلى فحل تنسب إليه كرام النجائب، أو نسبة إلى حي يقال له: بنو العيد تنسب إليه النوق العيدية.

(٢) الوجا: الحفا. الغارب: الكاهل. الاطل: الخاصرة.

(٣) الخمس: ورد الإبل على الماء في اليوم الخامس. تجر: تعيد ما في جوفها لتأكله ثانية. الرعي: الكلا.

(٤) العد: الغزير الذي لا ينقطع. المكتهل من النبات: ما تم طوله ونوره.

(٥) التعريسة: نزول المسافر آخر الليل للإستراحة. الطفل: قبيل غروب الشمس.

(٦) ما ذقتك: شابت ودها ولم تخلص. دامجتك: جمعت لك ودها. الدخل: الخداع.

(٧) الوهل: الخوف والضعف.

فهل تُرى مات النفاق معهُ؟! أم خلصت أديانهم لَمّا نُقلْ؟!
لا والذي أيّده بوحيه وشدَّه منك بركنٍ لم يَزُلْ
ما ذاك إلّا أنَّ نيّاتهمُ في الكفر كانت تلتوي وتعتدلْ
وإنَّ وُدّاً بينهم دلَّ على صفائه رضاهمُ بما فعلْ
وهبهمُ تخرُّصاً قد ادَّعوا انَّ النِّفاق كان فيهم وبطلْ
فما لهم عادوا وقد وليتهم فذكروا تلك الحزازات الاوَلْ
وبايعوك عن خداعٍ كلّهم باسطُ كفٍّ تحتها قلبٌ نغِلْ
ضرورة ذاك كما عاهد مَن عاهد منهم أحمداً ثمَّ نكلْ
وصاحب الشورى لما ذاك ترى عنك وقد ضايقه الموت عدلْ
والأمويُّ ما له أخَّركم وخصَّ قوماً بالعطاء والنفَلْ؟!
وردَّها عجماءَ كسرويَّةً يضاع فيها الدين حفظاً للدولْ
كذاك حتّى أنكروا مكانه وهم عليك قدَّموه فقبِلْ
ثمَّ قسمت بالسَّواء بينهم فعظم الخطب عليهم وثقُلْ
فشُحذتْ تلك الظّبا وحُفرتْ تلك الزُّبى وأُضرمت تلك الشّعلْ
مواقفٌ في الغدر يكفي سُبَّةً منها وعاراً لهمُ يوم الجملْ
يا ليت شعري عن أكفٍّ أرهفتْ لك المواضي وانتحتك بالذُّبُلْ[1]
واحتطبت تبغيك بالشرِّ على أيِّ اعتذارٍ في المعاد تتَّكلْ؟!
أنسيتْ صفقتها أمس على يديك ألّا غِيَرٌ ولا بدلْ؟!
وعن حصانٍ أبرزت يُكشف باسـ ـتخراجها سترُ النبيِّ المنسدلْ؟!
تطلب أمراً لم يكن ينصره بمثلها في الحرب إلّا مَن خذَلْ؟!
يا للرِّجال ولتيمٍ تدَّعي ثأرَ بني اميّة وتنتحلْ
وللقتيل يُلزمون دمَه - وفيهمُ القاتل - غير من قتلْ
حتّى إذا دارت رحى بغيهمُ عليهمُ وسبق السيف العذَلْ
وأنجز النَّكثُ العذاب فيهمُ بعد اعتزالٍ منهمُ بما مُطلْ

---

(١) المواضي: السيوف الماضية. الذبل: الرماح الدقيقة الطويلة.

عـاذوا بعفـو مـاجـدٍ معـوّدٍ   للصبـر حمّـالٍ لهم على العللْ
أطت بهم أرحـامهم فلم تـطع   ثـائـرة الغيظ ولم تشف الغـللْ
فنجّت البقـا عليهم مَـن نـجـا   وأكـلَ الحـديـدُ منهم من أكـلْ
واحـتـجَّ قـومٌ بعـد ذاك لـهـمُ   بفـاضحـات ربّها يـوم الجـدلْ
فقـلَّ منهم مـن لـوى نـدامـةً   عنـانَـه عن المصـاع[1] فـاعتـزلْ
وانتـزع العـامـل[2] من قنـاتـه   فـردّ بـالكـره فشـدَّ فحمـلْ
والحـال تُنبي أنَّ ذاك لـم يكـن   عن تـوبـةٍ وأنَّمـا كـان فشـلْ
ومنهمُ من تـاب بعـد مـوتـه   وليس بعـد الموت للمـرء عمـلْ
وإن تـكن ذات الـغـبـيط أقلعت   بـرغـم مَن أسـنـد ذاك ونقـلْ
فمـا لهـا تمنـع من دفن ابنـه   لولا هناتٌ جـرحها لم ينـدملْ؟!
ومـا الخبيثـان ابن هنـد وابنـه   وإن طغى خـطبهما بعـدُ وجـلْ
بمبـدعَين في الـذي جـاءا بـه   وإنَّـمـا تقـفّيـا تـلك الـسـبـلْ
إن يحسـدوك فلفرط عجـزهم   في المشكـلات ولما فيـك كملْ
الصنـو أنـت والـوصيُّ دينـهم   ووارثُ العلم وصـاحب الـرسُـلْ
وآكـلُ الـطائـر والـطاردُ لـلصّـل ومـن كلّمـه قبلك صـلْ؟!(٣)
وخاصفُ النعل وذو الخـاتم والـ   ـمُنهل في يـوم القليب والمعـلْ
وفـاصـل القضيَّـة العسـراء في   يـوم الجنين وهو حُكمٌ مـا فصـلْ
ورجعـةُ الشَّـمس عليـك نبـأً   تشعَّـب الألبـاب فيـه وتضـلّ
فمـا ألوم حـاسداً عنـك انـزوى   غيـظاً ولا ذاقـدم فيـك تـزلّ
يا صاحب الحوض غداً لا حُلّئت[4]   نفسٌ تـواليك عن العـذب النهلْ
ولا تـسلّط قبضـة الـنـار على   عُنق إليـك بـالـوداد ينفتـلْ

---

(١) المصاع. التجمح.
(٢) العامل: صدر الرمح وهو ما يلي السنان.
(٣) الصل: الثعبان.
(٤) حلئت: منعت من الورد.

عاديتُ فيك النّاس لم أحفل بهم حتّى رموني عن يدٍ إلاّ الأقلْ
تفرَّغوا يعترقون غيبةً لحمي وفي مدحك عنهم لي شُغلْ
عدلتُ أن ترضى بأن يسخط مَن تُقلّه الأرض عليَّ فاعتدلْ
ولو يُشقُّ البحر ثمَّ يلتقي فلقاه[1] فوقي في هواك لم أُبَلْ
علاقةٌ بي بكمُ سابقةٌ لمَجد سلمان إليكم تتّصلْ
ضاربةٌ في حبِّكم عروقها ضرب فحول الشَّوْل[2] في النوق البزلْ
تضمّني من طرفي في حبلكم مودَّةٌ شاخت ودينٌ مقتبلْ
فضّلتُ آبائي الملوكَ بكمُ فضيلة الإسلام أسلاف المللْ
لذاكمُ ارسلها نوافذاً لامّ مَن لا يتّقيهنَّ الهَبَلْ[3]
يمرقن زُرقاً من يدي حدائداً تُنحى أعاديكم بها وتنتبلْ[4]
صوائباً إمّا رميتُ عنكمُ وربما أخطأ رامٍ من ثُعلْ[5]

وله يرثي شيخ الأمَّة ابن المعلّم محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد المتوفّى سنة ٤١٣ :

ما بعد يومك سلوةٌ لمعلّلٍ منّي ولا ظفرتْ بسمعٍ معذِّلِ
سوَّى المصاب بك القلوب على الجوى فيدُ الجليدعلى حشا المتململِ[6]
وتشابه الباكون فيك فلم يبن دمع المحقّ لنا من المتعمِّلِ
كنّا نُعيِّر بالحلوم إذا هفتْ جزعاً وتهزأ بالعيونِ الهمَّلِ
فاليوم صار العذر للفاني أسىً واللوم للمتماسك المتجمِّلِ
رحل الحِمام بها غنيمة فائزٍ ما ثار قطُّ بمثلها عن منزلِ

---

(١) الفلق: نصف الشيء إذا شق.
(٢) الشول ج شائلة وهي الناقة ترفع ذنبها. البزل ج بازل: المسن من الابل.
(٣) الهبل: الثكل.
(٤) تنتبل: ترمى بالنبل.
(٥) ثعل: اسم قبيلة مشهورة بالرمي. في هذه القصيدة أبيات حرفها يد الطبع المصرية عن ديوانه رمزناها ب خ
(٦) الجليد: القوي الشديد. المتململ: المتقلب على فراشه مرضاً أو جزعاً.

كانت يد الدين الحنيف وسيفه فلأبكينّ على الأشلّ الأعزل [١]
مالي رقدتُ وطالبي مستيقظٌ؟! وغفلت والأقدار لمّا تغفل؟!
ولويت وجهي عن مصارع اسرتي حذر المنيّة والشفار تُحذّلي
قد نمّت الدنيا إليّ بسرّها ودُللتُ بالماضي على المستقبل
ورأيتُ كيف يطير في لهواتها [٢] لحمي وإن أنا بعدُ لمّا اؤكل
وعلمتُ مع طيب المحلّ وخصبه بتحوّل الجيران كيف تحوّلي
لم أركب الأمل الغَرور مطيّةً بلهاء لم تبلغ مدى بمؤمّل
ألوى ليمهلني إليّ زمامها ووراءها الهوب [٣] سوق مُعجل
حُلمٌ تزخرفه الحنادس في الكرى ويقينه عند الصّباح المنجلي
أحصي السنين يسرُّ نفسي طولها وقصيرُ ما يُغنيك مثل الأطول
وإذا مضى يومٌ طربتُ إلى غد وببضعةٍ منّي مضى أو مفصل
أخشن إذا لاقيتَ يومك أو فلِنْ واشدد فإنّك ميّتٌ أو فاحلل
سيّان عند يد لقبض نفوسنا ممدودة فمٌ ناهش ومقبّل
سوّى الرّدى بين الخصاصة والغنى فإذا الحريص هو الذي لم يعقل
والثائر العادي على أعدائه ينقاد قود العاجز المتزمّل
لو فُلّ غربُ الموت عن متدرّع بعفافه أو ناسك مُتعزّل
أو واحد الحسنات غير مشبّه بأخ وفرد الفضل غير ممثّل
أو قائل في الدين فعّال إذا قال السفقّه فيه ما لم يفعل
وَقت ابن نعمان النزاهةُ أو نجا سلما فكان من الخطوب بمعزل
ولجاءه حبُّ السّلامة مؤذنا بسلامه من كلّ داء معضل
أو دافعت صدر الرّدى عُصب الهدى عن نحرها او نذرها المنهلّل

---

(١) الأشل: الذي شلت يده. الأعزل: من لم يكن معه سلاح.
(٢) لهوات ج لهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٣) الالهوب: السوط. الأصل فيه: الجري الشديد الذي يثير اللهب والنهب: الغبار الساطع.

لحمتــهُ أيــدٍ لا تني في نصــره ... صدقَ الجهاد وأنفسٌ لا تأتلي[١]
وغـدت تـطارد عن قناة لسـانـه ... أبنــاءُ فهـرٍ بــالقُنيِّ[٢] الـذبَّـلِ
وتبــادرتْ سبقــاً إلى عليــائهــا ... في نصر مولاها الكرام بنـو علي
من كـلِّ مفتـول القنـاة بسـاعــدٍ ... شـطب كصدر السمهـريَّة أفتـلِ
غيــر انّ يسبق عــزمــه أخبــاره ... حتّى يغـامـر في الـرَّعيـل الأوَّل
وافي الحجـا ويُخـال أنَّ بـرأسـه ... في الحرب عارض جنَّةٍ أو أخبلِ
مـا قنَّعتْ افقـاً عجــاجـةُ غــارةٍ ... إلاَّ تخـرَّق عنـه ثـوب القسـطلِ
تعـدو بـه خيفـانـةٌ لــو أشعـرتْ ... أنَّ الصهيل يُجمّها لم تصهلِ[٣]
صبّـارةٌ إن مسَّهـا جَهـد الـطوى ... قنعتْ مكان عقيلها بالمسحلِ[٤]
فسَـروا فنـاداهم سـراةُ رجـالهم ... لمجسَّـد من هامهم ومُـرجَّـلِ[٥]
بعداءُ عن وهن التواكـل في فتىً ... لهمُ على أعــدائهـم مُتـوكّـلِ
سمـح ببـذل النفس فيهم قـائمٍ ... لله في نصــر الـهــدى مُتبتّـلِ
نــزّاع أرشيــة التنــازع فيـهـمُ ... حتّى يسوق إليهم الـنصَّ الجـلي
ويبين عنـدهم الإمـامـة نـازعـاً ... فيها الحجاج من الكتاب المنزلِ
بـطريقة وضحتْ كـأنْ لم تشتبـه ... وأمـانـةٍ عُـرفتْ كـأنْ لم تُجهـلِ
يصبـو لهـا قلبُ العــدوّ وسمعـه ... حتّى يُنيب فكيف حالك بالولي؟!
يــا مـرســلاً إن كنت مبلغ ميِّت ... تحت الصفائح[٦] قول حيّ مرسلِ
فلج الثرى الراوي فقل «لمحمَّدٍ» ... عن ذي فؤاد بـالفجيعـة مشعـلِ
مَن للخصـوم اللدِّ بعـدك غصَّـةٌ ... في الصدر لا تهوي ولا هي تعتلي؟
مَن للجـدال إذا الشفـاهُ تقلّصتْ ... وإذا اللسـان برقيـه لم يبللِ؟!
مَن بعـد فقدك ربُّ كـلِّ غـريبـةٍ ... بكربك افترعت وقولـةِ فيصلِ؟!

---

(١) لا تني من ونى يني: لا تكل ولا تضعف.
(٢) القنيّ: جمع قناة وهو الرمح.
(٣) الخيفانة: الفرس الخفيفة. يجمها: يريحها.
(٤) المسحل: اللجام.
(٥) المسجد: المدهون بالجساد وهو الزعفران. المرجل: الشعر المسرح.
(٦) الصفائح جمع الصفيحة: الحجر العريض.

ولغـامضٍ خـافٍ رفعتَ قِـوامـه ... وفتحتَ منهُ في الجواب المقفل ؟!
مَن للطروس يصوغ في صفحاتها ... حلياً يقعقع كلّما خرس الحلي؟!
يبقين لِـلذّكـر المـخلّد رحـمـةً ... لك من فم الراوي وعين المجتلي
أين الفؤاد النّدب غير مُضعَّف؟! ... أين اللسان الصعب غير مفلّل؟![1]
تفـري بـه وتحـزُّ كـلَّ ضـريبـةٍ ... ما كلُّ حزَّةِ مفصل للمنصـل [2]
كم قد ضممت لدين آل « محمَّد » ... مِن شـاردٍ وهـديت قلب مضلّل
وعـقلتَ مـن ودٍّ عليـهم نـاشطٍ ... لـو لم ترُضِـه ملاطفـاً لم يُعقل
لا تـطَّبيـك[3] مـلالـةٌ عن قـولـةٍ ... تروي عن المفضول حقّ الأفضل
فليجـزينَّـك عنهمُ مـا لم يـزل ... يبلو الـقلوب لـيجـتبـي وليبـتلي
ولتنـظرنَّ إلـى « عليٍّ » رافـعـاً ... ضبعيك يوم البعث ينظر من عل [4]
يـا ثاويـاً ـ وسُدتُ منه في الثرى ... عَلماً يطول بـه البقاءُ وإن بلي ـ
جَـدثاً لـدى الزوراء بين قصـورها ... أجللتـه عن بطن قـاع مُمحل [5]
ما كنتُ ـ قبل أراك تُقبـر ـ خائفـاً ... من أن تُوارى هضبةٌ بالجندل [6]
من ثلَّ عرشك واستقادك خاطماً[7] ... فانقدتَ يا قطّاع تلك الأحبـل؟!
من فـلَّ غرب حسـام فيك فـردَّه ... زُبرا تساقط من يمين الصيقـل ؟![8]
قد كنتَ من قمص الدجى في جنّةٍ ... لا تُنتحى ومن الحجا في معقل
متمنِّعـاً بـالفضـل لا تـرنـو إلى ... مغنـاك مقلةُ راصـد مُتـأمِّـل

(١) الندب: الخفيف في الحاجة اذا ندب اليها خف لقضائها. المفلل: المثلم.
(٢) المنصل: السيف والسنان.
(٣) لا تطبيك: لا تزدهيك.
(٤) من عل: من فوق.
(٥) الممحل: المقفر.
(٦) الهضبة: الجبل المنبسط أو الطويل الممتنع المنفرد. الجندل: الصخرة.
(٧) الخاطم: واضع الخطام بالانف.
(٨) زبر جمع زبرة: القطعة من الحديد.

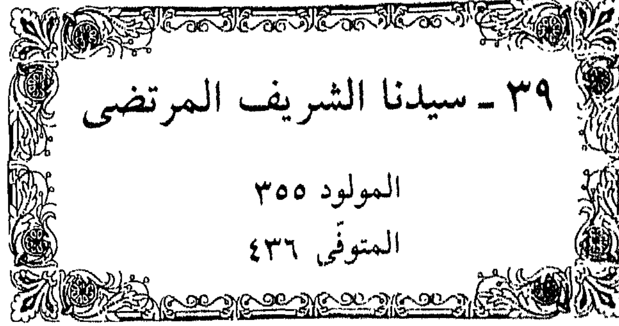
فـمن أيّ خـرم أو ثـنيَّـة غِـرَّةٍ طلعت عليك يد الرَّدى المتوغلِ
ما خلتُ قبلك انّ خدعـة قانص تلجُ العـرين وراءَ ليث مُشبـلِ
أو أنَّ كفَّ الـدَّهر يقـوى بطشهـا حتّى تـظفَّر في ذؤابـة يـذبُـلِ (١)
كـانـوا يـرون الفضـل للمتقـدِّم السبّـاق والنقصـان في المتقبِّـلِ
قـول الهوى وشـريعـةٌ منسـوخـةٌ وقضيَّــةٌ مـن عــادة لم تـعــدلِ
حتّى نجمت فـأجمعـوا وتبيَّنـوا أنَّ الأخـيـر مـقـصِّـرٌ بـالأوَّلِ
بكـر النعيُّ فسكَّ فيـك مسامعي وأعـاد صبحي جنح ليـلٍ أليـلِ
ونـزت بنيّـاتُ الفؤاد لصـوتـه نزو الفصائل في زفير المرجلِ (٢)
ما كنت أحسب ـ والزمان مقاتلي يرمي ويخطىء ـ أن يومك مقتلي
يــومٌ أطــلَّ بـغُـلّةٍ لا يـشـتـفـي منهـا الهـدى وبغمَّـةٍ لا تنجلي
فكـأنّه يـوم «الـوصيِّ» مـدافعـاً عن حتفـه بعـد النبيِّ المرسَـلِ
مـا إن رأت عينـاي أكثـر بـاكيـاً منـه وأوجـع رنَّـة من مُعـولِ
حُشدوا على جنبات نعشك وُقَّعاً حشدَ العطاش على شفيرِ المنهلِ
وتنازفوا الدمع الغريب كأنَّمـا الإ سـلام قبلك امّـه لم تثـكـلِ
يمشـون خلفك والثرى بك روضةٌ كحل العيونَ بها تراب الأرجـلِ
إن كان حظّي من وصالك قبلهـا حظَّ الـمغـبِّ ونهـزةَ الـمتـقلّلِ
فلأعـطينَّـك من ودادي ميِّتـاً جهـدَ المنيب ورجعـةَ المتنصّـلِ
لـو أنفدت عيني عليـك دموعهـا فليبكينَّـك بـالقـوافي مِقـولي
ومتى تلفَّت للنصيحـة مـوجـعٌ يبغي السلوَّ ومـالَ ميـلَ العُـذَّلِ
فسلوّك المـاءُ الـذي لا أستقي عـطشانَ والنـارُ التي لا أصـطلي
رقّاصة القطرات تختم في الحصا وسماً وتفحص في الثرى المتهيِّلِ
نسجت لهـا كفُّ الجنوب مُـلاءةً رتقـاء لا تُفصى بكفِّ الشمـألِ

---

(١) الذؤابة: الناصية. يذبل بالفتح ثم السكون. جبل بنجد في طريقها.
(٢) الفصائل ج فصيلة: القطعة من لحم الافخاذ. المرجل: القدر.

صبّابة الجنبات تسمع حولها للرعد شقشقة القُروم البزّل [١]
تُرضي ثراك بواكفٍ متدفّقٍ يُروي صداك وقاطر مُتسلسل
حتّى يرى زوّار قبرك أنّهم حطّوا رحالهمُ بوادٍ مبقل
ومتى ونتْ أو قصّرت أهدابها أمددتها منّي بدمع مسبل

(١) القروم جمع قرم: الفحل من الابل. البزل جمع بازل: الفحل المسن.



٣٩ ـ سيدنا الشريف المرتضى

المولود ٣٥٥
المتوفى ٤٣٦

لـو لم يُعاجله النَّوى لتحيَّرا ... وقصاره وقد انتأاوا أن يقصرا
أفكلّما راع الخليط تصوّبت ... عبرات عين لم تقلّ فتكثرا
قد أوقدتْ حرّى الفراق صبابةً ... لم تستعر ومرين دمعاً ما جرى
شغفٌ يكتِّمه الحياء ولوعةٌ ... خفيت وحقَّ لمثلها أن تظهرا
أين الركائب؟! لم يكن ما عُلنه ... صبراً ولكن كان ذاك تصبّرا
لبَّين داعية النَّوى فأريننا ... بين القباب البيض موتاً أحمرا
وبعدن بالبين المشتَّت ساعة ... فكأنَّهنَّ بعدنَ عنّا أشهرا
عاجوا على ثمد البطاح وحبّهم ... أجرى العيون غداة بانوا أبحرا
وتنكّبوا وعر الطريق وخلّفوا ... ما في الجوانح من هواهم أوعرا
أمّا السلوُّ فإنَّه لا يهتدي ... قصد القلوب وقد حشين تذكّرا
قد رمتُ ذاك فلم أجده وحقٌّ مَن ... فقد السبيل إلى الهدى أن يُعذرا
أهلاً بطيف خيال مانعةٍ لنا ... يقظى ومفضلة علينا في الكرى
ما كان أنعمنا بها من زورةٍ ... لو باعدتْ وقت الورود المصدرا
جزعت لو خطات المشيب وإنَّما ... بلغ الشباب مدى الكمال فنوَّرا
والشيب إن أنكرتَ فيه مورداً ... لا بدَّ يورده الفتى إن عمَّرا
يبيضُّ بعد سواده الشَّعر الذي ... إن لم يزره الشيب واراه الثرى
زمن الشبيبة لا عدتك تحيَّة ... وسقاك منهمر الحياء استغزرا

فلطالما أضحى ردائي ساحباً في ظلّك الوافي وعودي أخضرا
أيّام يرمقني الغزال إذا رنا شغفاً ويطرقني الخيال إذا سرى
ومرنّحٌ في الكور تحسب أنّه اصطبح العقار وانما اغتبق السرى
بطلٌ صفاه للخداع مزلّة فاذا مشى فيه الزماع تغشمرا
أمّا سألت به فلا تسأل به نأياً يناغي في البطالة مزمرا
واسأل به الجرد العتاق مغيرة يخبطن هاماً أو يطأن سنوّرا
يحملن كلَّ مدجّج يقري الظبا علقاً وأنفاس السوافي عثيرا
قومي الذين وقد دجت سبل الهدى تركوا طريق الدين فينا مُقمرا
غلبوا على الشرف التليد وجاوزوا ذاك التليد تطرّفاً وتخيّرا
كم فيهمُ من قسورٍ متخمّطٍ يُردي إذا شاء الهزبر القسورا
متنمّرٍ والحرب إن هتفتْ به أدّته بسّام المحيّا مُسفرا
وملوّمٍ في بذله ولطالما أضحى جديراً في العلا أن يشكرا
ومرفّع فوق الرّجال تخاله يوم الخطابة قد تسنّم منبرا
جمعوا الجميل إلى الجمال وإنّما ضمّوا إلى المرأى الممدّح مخبرا
سائلْ بهم بدراً وأُحداً والتي ردّت جبين بني الضّلال مُعفّرا
لله درُّ فوارس في خيبر حملوا عن الإسلام يوماً منكرا
عصفوا السلطان اليهود وأولجوا تبك الجوانح لوعة وتحسّرا
واستلحموا أبطالهم واستخرجوا الأزلام من أيديهمُ والميسرا
وبمرحب ألوى فتىً ذو جمرةٍ لا تُصطلى وبسالة لا تُفترى(١)
إن حزَّ حزَّ مطبّقاً أو قال قا ل مصدّقاً أو رام رام مظهّرا
فثناه مصفرَّ البنان كأنّما لطخ الحمام عليه صبغاً أصفرا
شهق العقاب بشلوه ولقد هفتْ زمناً به شمُّ الذوائب والذرى
أمّا الرسول فقد أبان ولاءه لو كان ينفع حائراً أن يُنذرا
أمضى مقالاً لم يقله معرّضاً وأشاد ذكراً لم يشده معذّرا

---

(١) لا تفترى: لا تقدر ولا تحصى.

وثنى إليـه رقـابهم وأقـامـه   عَلماً على بـاب النجـاة مشهّـرا
ولقد شفى يوم « الغدير » معاشراً   ثلجت نفـوسهم وأودى معشـرا
قلعت بـه أحقـادهم فمـرجّـعٌ   نفسـاً ومـانـع أنّـةٍ أن تجهـرا
يـا راكبـاً رقصتْ بـه مهـريّـةٌ   أشبت لسـاحته الهمـوم فأصحـرا
عُـج بـالغـريّ فـإنّ فيـه ثـاويـاً   جبـلاً تطأطـأ فاطمـأنّ به الثرى
وأقـر السّلام عليـه من كلفٍ بـه   كشفت له حجب الصباح فأبصرا
ولو استطعتُ جعلت دار إقـامتي   تلك القبـور الـزُّهـر حتّى أُقبـرا

أخذنا القصيدة من الجزء الأوّل من ديوان ناظمها وفي مفتتح ديوانه والديوان مرتّبٌ على السنين في ستّة أجزاء توجد منه نسخةٌ مقروّةٌ على نفس السيّد الشريف علم الهدى. وذكر إبن شهراشوب لسيّدنا الشريف المرتضى أبياتاً قالها في عيد « الغدير » راجع الجزء الثالث من مناقبه ص ٣٢.

(الشاعر)

السيّد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم عليٌّ بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السّلام.

لا عتب على اليراع إذا وقف عن تحديد عظمة الشريف المبجّل، كما أنّه لا لوم على المدره اللسن إذا تلجلج في الإفاضة عن رفعة مقامه، فإنّ نواحي فضله لا تنحصر بواحدة، ولا أنّ مآثره معدودةٌ يحاولها البليغ المفوّه، ويتحرّى الإبانة عنها الكاتب المتشدّق أو يلقي عنها الخطيب المفصح، فإلى أيّ منصّةٍ من الفضيلة نحوت فله فيها الموقف الأسمى، وإلى أيّ صهوةٍ وقع خيالك فله هنالك مرتبعٌ ممنّعٌ، فهو إمام الفقه، ومؤسّس أُصوله، واستاذ الكلام، ونـابغة الشّعر، وراوية الحديث، وبطل المناظرة، والقدوة في اللغة، وبه الاسوة في العلوم العربيّة كلّها، وهو المرجع في تفسير كتاب الله العزيز، وجماع القول إنّك لا تجد فضيلةً إلّا وهو إبن بجدتها.

أضف إلى ذلك كله نسبه الوضّاح، وحسبه المتألّق؛ وأواصره النبويَّة الشذيَّة، ومآثره العلويَّة الوضيئة إلى أياديه الواجبة في تشييد المذهب، ومساعيه المشكورة عند الإماميَّة جمعاء، وهي التي خلّدت له الذكر الحميد، والعظمة الخالدة، ومن هذه الفضائل ما خطّه مزبره القويم من كتب ورسائل إستفاد بها أعلام الدين في أجيالهم وأدوارهم وإليك أسماؤها:

١ - الشافي في الإمامة ط.
٢ - الملخص في الأصول.
٣ - الذخيرة في الأصول.
٤ - جمل العلم والعمل.
٥ - الغُرر والدُّرر ط.
٦ - تكملة الغُرر.
٧ - المقنع في الغيبة.
٨ - الخلاف في الفقه.
٩ - الناصريَّة في الفقه ط.
١٠ - الحلبيَّة الاولى.
١١ - الحلبيَّة الأخيرة.
١٢ - المسائل الجرجانيَّة.
١٣ - المسائل الطوسيَّة.
١٤ - المسائل الصباويَّة.
١٥ - المسائل التبانيات[1].
١٦ - المسائل السلاّريَّة.
١٧ - مسائل في عدَّة آيات.
١٨ - المسائل الرازيَّة.
١٩ - المسائل الكلاميَّة.
٢٠ - المسائل الصيداويَّة.
٢١ - المسائل الديلميَّة في الفقه.
٢٢ - كتاب البرق.
٢٣ - طيف الخيال.
٢٤ - الشيب والشباب ط.
٢٥ - المقمصة.
٢٦ - المصباح في الفقه.
٢٧ - نصر الرِّواية.
٢٨ - الذريعة في أصول الفقه.
٢٩ - شرح بائية الحميري.
٣٠ - تنزيه الأنبياء ط.
٣١ - إبطال القول بالعدد.
٣٢ - المحكم والمتشابه.
٣٣ - النجوم والمنجّمون.
٣٤ - متولِّي غسل الإمام.
٣٥ - الأصول الإعتقاديَّة.
٣٦ - أحكام أهل الآخرة.

(١) سئلها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التبان المتوفى ٤١٩ وهي ٦٦ مسئلة في عشرة فصول.

٣٧ ـ معنى العصمة .
٣٨ ـ الوجيزة في الغيبة .
٣٩ ـ تقريب الأُصول .
٤٠ ـ طبيعة المسلمين .
٤١ ـ رسالةٌ في علم الله .
٤٢ ـ رسالةٌ في الإرادة .
٤٣ ـ أيضاً رسالةٌ في الإرادة .
٤٤ ـ رسالةٌ في التَّوبة .
٤٥ ـ رسالة في التأكيد .
٤٦ ـ رسالةٌ في المتعة .
٤٧ ـ دليل الخطاب .
٤٨ ـ طرق الإستدلال .
٤٩ ـ كتاب الوعيد .
٥٠ ـ شرح قصيدةٍ له .
٥١ ـ الحدود والحقائق .
٥٢ ـ مفردات في أُصول الفقه .
٥٣ ـ الموصليَّة ثلاث مسائل .
٥٤ ـ الموصليَّة الثانية تسع مسائل .
٥٥ ـ الموصليّة الثالثة ١٠٩ مسألة .
٥٦ ـ المسائل الطرابلسيَّة الأولى .
٥٧ ـ الطرابلسيّة الأخيرة ١٣ مسألة .
٥٨ ـ مسائل ميافارقين ٦٥ مسألة .
٥٩ ـ المسائل الرازيّة ١٤ مسألة .
٦٠ ـ المسائل المحمَّديّات ٥ مسائل .
٦١ ـ المسائل البادرات ٢٤ مسألة .
٦٢ ـ المسائل المصريَّة الأُولى ٥ مسائل .
٦٣ ـ المصريّات الثانية .
٦٤ ـ المسائل الرمليّات ٧ مسائل .
٦٥ ـ مسائل في فنون شتّى نحو مائة مسألة[1]
٦٦ ـ المسائل الرسيّة الاولى[2] .
٦٧ ـ المسائل الرسيّة الثانية .
٦٨ ـ الإنتصار فيما انفردت به الإماميَّة ط .
٦٩ ـ تفضيل الأنبياء على الملائكة .
٧٠ ـ النقض على ابن جنّي في الحكاية والمحكي .
٧١ ـ ديوان شعره يزيد على عشرين ألف بيت
٧٢ ـ الصرفة في بيان إعجاز القران .
٧٣ ـ الرِّسالة الباهرة في العترة الطاهرة .
٧٤ ـ نقض مقالة ابن عدي فيما لا يتناهى .
٧٥ ـ جواب الملاحدة في قدم العالم .
٧٦ ـ تتمَّة الأعراض من جمع أبي رشيد .
٧٧ ـ نكاح أمير المؤمنين إبنته من عمر .
٧٨ ـ إنقاذ البشر من القضاء والقدر ط .

---

(١) سئلها الشيخ أبو الفضل ابراهيم بن الحسن الاباني.
(٢) ٢٨ مسئلة سئلها العلامة ابو الحسين الحسين بن محمد بن الناصر الحسيني الرسي.

٧٩ ـ الـرَّدّ علـى أصحـاب العـدد في شهـر رمضان.

٨٠ ـ تفسـير الحمـد وقـطعـة من سـورة البقرة.

٨١ ـ الردّ على ابن عدي في حدوث الأجسام.

٨٢ ـ تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قـل تعالـوا اتل مـا حرَّم ربّكم عليكم﴾.

٨٣ ـ كتاب الثمانين[١].

٨٤ ـ الكلام على ما تعلّق بقوله: ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر

٨٥ ـ تفسير قوله: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا.

٨٦ ـ تتبّع أبيات للمتنبّي التي تكلّم عليها إبن جنّي.

كلمات الثناء عليه

أبو القاسم المرتضى حاز من العلوم مالم يُدانه فيه احدٌ في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلّماً شاعراً أديباً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا.[٢]

أبو القاسم نقيب النقباء الفقيه النظّار المصنِّف بقيَّة العلماء وأوحد الفضلاء رأيته فصيح اللسان يتوقَّد ذكاءً.[٣]

المرتضى متوحِّدٌ في علومٍ كثيرة، مجمعٌ على فضله، مقدّمٌ في العلوم مثل علم الكلام والفقه واصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر

---

(١) قاله القاضي التنوخي كما في المستدرك ج ٣ ص ٥١٦.
(٢) النجاشي في فهرسته ص ١٩٢.
(٣) الانساب للمجدي العمري.

واللغة وغير ذلك ، له من التصانيف ومسائل البلدان شيءٌ كثيرٌ مشتمل على ذلك فهرسته المعروف[١] .

وقال الشيخ في رجاله: إنَّه أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متكلّمٌ فقيهٌ جامع العلوم كلّها مدَّ الله في عمره.

وقال الثعالبي في تتميم‌يتيمته ج ١ ص ٥٣ : قد انتهت الرِّئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم وله شعرٌ في نهاية الحسن.

وفي تاريخ ابن خلكان: كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومقالةٌ في اصول الدين، وذكره إبن بسّام في الذخيرة وقال: كان هذا الشريف إمام أئمّة العراق بين الإختلاف والإتّفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماءها، صاحب مدارسها، رجماع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، إلى تآليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد انَّه فرع تلك الاصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل، وملح الشريف وفضائله كثيرةٌ.

وحكى الخطيب التبريزي: انَّ أبا الحسن عليَّ بن أحمد بن عليٍّ بن سلك الفالي[٢] الأديب كان له نسخةٌ لكتاب «الجمهرة» لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى بستّين ديناراً فتصفّحها فوجد فيها أبياتاً بخطِّ بائعها أبي الحسن المذكور والأبيات قوله:

انستُ بها عشرين حولاً وبعتها ... فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظنّي أنّني سأبيعها ... ولو خلّدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ عليهم تستهلّ شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي ... مقالة مكويِّ الفؤاد حزينِ
: وقد تخرج الحاجات يا امّ مالك ... كرائم من ربٍّ بهنَّ ضنينِ

---

(١) فهرست الشيخ ص ٩٩، وخلاصة العلامة ص ٤٦ .
(٢) نسبة الى فالة وهي بلدة بخوزستان قريبة من أيذج .

فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير رحمه الله تعالى.

وقال السيِّد إبن زهرة في « غاية الإختصار »: علم الهدى الفقيه النظّار، سيِّد الشيعة وإمامهم، فقيه أهل البيت، العالم المتكلّم البعيد، الشاعر المجيد كان له برٌّ وصدقة وتفقّدٌ في السِّر عرف ذلك بعد موته رحمه الله؛ كان أسنَّ من أخيه ولم يُر اخوان مثلهما شرفاً وفضلاً ونُبلاً وجلالة ورئاسة وتحابياً وتوادداً، لَمّا مات الرَّضي لم يُصلِّ المرتضى عليه عجزاً عن مشاهدة جنازته وتهالكاً في الحزن، ترك المرتضى خمسين ألف دينار ومن الآنية والفرش والضياع ما يزيد على ذلك.

وعن الشيخ عزِّ الدين أحمد بن مقبل أنّه قال: لو حلف إنسان انَّ السيِّد المرتضى كان أعلم بالعربيّة من العرب لم يكن عندي آثماً، وقد بلغني عن شيخٍ من شيوخ الأدب بمصر انّه قال: والله انّي استفدت من كتاب « الغرر والدرر » مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو، وكان نصير الدين الطوسي إذا جرى ذكره في درسه يقول: صلوات الله عليه، ويلتفت إلى القضاة والمدرِّسين الحاضرين ويقول: كيف لا يُصلّى على السيّد المرتضى؟!

في « عمدة الطالب » ص ١٨١: كان مرتبته في العلم عالية فقهاً وكلاماً وحديثاً ولغةً وأدباً وغير ذلك، وكان متقدِّماً في فقه الإماميَّة وكلامهم ناصراً لأقوالهم.

وفي « دمية القصر » ص ٧٥: هو وأخوه من دوح السيادة ثمران، وفي فلك الرّياسة قمران؛ وأدب الرضي إذا قرن بعلم المرتضى كان كالفرند في متن الصّارم المنتضى. وفي « لسان الميزان » ج ٤ ص ٢٢٣ قال ابن طي: هو أوّل من جعل داره دار العلم وقدّرها للمناظرة، ويُقال: إنّه أمر ولم يبلغ العشرين وكان قد حصل على رياسة الدنيا بالعلم مع العمل الكثير والمواظبة على تلاوة القرآن وقيام الليل وإفادة العلم وكان لا يؤثر على العلم شيئاً مع البلاغة وفصاحة اللهجة.

وحكى عن الشيخ أبي اسحاق الشيرازي انَّه قال: كان الشريف المرتضى ثابت الجاش، ينطق بلسان المعرفة، ويردِّد الكلمة المسدَّدة فتمرق مروق السهم من الرمية ما أصاب، وما أخطأ أشوى.

إذا شرع الناس الكلام رأيته ... له جانبٌ منه وللناس جانبُ

وقال السيِّد الشيرازي في «الدرجات الرفيعة»: كان الشريف المرتضى أوحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابةً وجاهاً وكرماً إلى غير ذلك.

وفي شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٦: نقيب الطالبيِّين؛ وشيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق، كان إماماً في التشيّع والكلام والشعر والبلاغة كثير التصانيف، متبحّراً في فنون العلم.

ويجد القارىء لدة هذه الكلمات كثيرة في طيِّ الكتب والمعاجم منها:

تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٢	المنتظم ج ٨ ص ١٢٠	معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧٣
خلاصة العلاّمة ص ٤٦	رجال ابن داود	أنساب أبي نصر البخاري
ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٢٣	غاية الإختصار لابن زهرة	كامل ابن الأثير ج ٩ ص ١٨١
تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٥٣	مراة الجنان ج ٣ ص ٥٥	لسان الميزان ج ٥ ص ١٤١
بغية الوعاة ص ٣٣٥	إتحاف الورى بأخبار أمّ القُرى	صحاح الأخبار ص ٦١
جامع الأقوال في الرِّجال	مجالس المؤمنين ص ٢٠٩	رجال ابن أبي جامع
تحفة الأزهار لابن شدقم	الإجازة الكبيرة للسماهيجي	إتقان المقال ص ٩٣
رياض العلماء للميرزا	كشكول البهائي ج ٢	مجمع البحرين مادة: رضا
ملخّص المقال ص ٨٠	رياض الجنّة للزنوزي	الدرجات الرفيعة للسيِّد
الوسائل ج ٣ ص ٥٥١	أمل الأمل للشيخ العاملي	منهج المقال ص ٢٣١ للميرزا

منتهى المقال ص ٢١٤	عقد اللئالي لأبي علي الرجالي	تتميم الأمل للشيخ الكاظمي
كشكول البحراني ص ٢١٦	المقاييس لشيخنا التستري	مستدرك النوري ج٣ ص ٥١٥
نسمة السحر لليماني	تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٤	الشيعة وفنون الإسلام ص ٥٣
الأعلام ج٢ ص ٦٦٧	تاريخ آداب اللغة ج٢ ص٢٨٨	سفينة البحار ج ١ ص ٥٢٥
الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٣٩	هديّة الأحباب ص ٢٠٣	وفيات الأعلام للرازي خ

دائرة المعارف للبستاني ج ١٠ ص ٤٥٩، دائرة المعارف لمحمّد فريد ج ٤ ص ٢٦٠، معجم المطبوعات ص ١١٢٤، مجلّة العرفان أجزاء المجلد الثاني بقلم العلاّمة سيّدنا المحسن الأمين العاملي.

مشايخه ومن يروي هو عنه:

١ - الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن نعمان المتوفّى ٤١٢.

٢ - أبو محمّد هارون بن موسى التلعكبري المتوفّى ٣٨٥.

٣ - الحسين بن عليّ بن بابويه أخو الصّدوق.

٤ - أبو الحسن أحمد بن عليّ بن سعيد الكوفي يروي عنه السيّد كما في إجازة السيّد ابن أبي الرضا تلميذ الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي.

٥ - أبو عبد الله محمّد بن عمران الكاتب المرزباني الخراساني البغدادي.

٦ - الشيخ الصّدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي المتوفّى ٣٨١ كما في الإجازات.

٧ - أبو يحيى إبن نباتة عبد الرّحيم بن الفارقي المتوفّى ٣٧٤ قرأ عليه كما في الدرجات الرفيعة.

٨ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد الكاتب يروي عنه في أماليه.

٩ ـ أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى يروي عنه في الأمالي.

١٠ ـ أحمد بن سهل الديباجي يروي عنه كما في « الرياض » عن « جامع الاصول » لابن الأثير، وفي تاريخ الخطيب البغدادي، وميزان الاعتدال ولسانه لابن حجر: حدَّث عن سهل الديباجي[1].

تلامذة سيدنا المرتضى:

١ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفّى ٤٦٠.

٢ ـ أبو يعلى سلّار بن عبد العزيز الديلمي.

٣ ـ أبو الصلاح تقيّ بن نجم الحلبي خليفته في بلاد حلب.

٤ ـ القاضي عبد العزيز بن البرّاج الطرابلسي المتوفّى ٤٨١.

٥ ـ الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري المتوفّى ٤٦٣.

٦ ـ أبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسيني المروزي.

٧ ـ السيّد نجيب الدين أبو محمّد الحسن بن محمّد بن الحسن الموسوي.

٨ ـ السيّد التقيّ بن أبي طاهر الهادي النقيب الرازي.

٩ ـ الشيخ أبو الفتح محمّد بن علي الكراجكي المتوفّى ٤٤٩ قرأ عليه كما في فهرست الشيخ منتجب الدين.

---

(١) هو سهل بن عبد الله أبو محمد الديباجي.

١٠ - الشيخ أبو الحسن سليمان الصهرشتي صاحب كتاب « قبس المصباح ».

١١ - الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمّد الدوريستي.

١٢ - أبو الفضل ثابت بن عبد الله البناني.

١٣ - الشيخ أحمد بن الحسن بن أحمد النيسابوري الخزاعي يُعدُّ من أجلة تلامذته.

١٤ - الشيخ المفيد الثاني أبو محمّد عبد الرحمن بن أحمد الرازي.

١٥ - الشيخ أبو المعالي أحمد بن قدامة كما في إجازة الشيخ فخر الدين الحلّي للسيِّد مهنّا، وإفادات الشيخ المذكور إبن علاّمة الحلّي ب[١] ج ٢٥ ص ٥٣.

١٦ - الشيخ أبو عبد الله محمّد بن علي الحلواني كما في إجازة السيِّد إبن أبي الرِّضا العلوي تلميذ الشيخ نجيب الدين الحلّي ب ج ٢٥ ص ٨٨.

١٧ - أبو زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني كما في إجازة السيّد المذكور ب ج ٢٥ ص ١٠٨.

١٨ - الشيخ أبو غانم العصمي الهروي الشيعي ب ج ٢٥ ص ١٠٨.

١٩ - الفقيه الداعي الحسيني كما في إجازة صاحب المعالم الكبيرة ب ج ٢٥.

٢٠ - السيِّد الحسين بن الحسن بن زيد الجرجاني يروي عن السيِّد المترجَم كما في تاريخ إبن عساكر ج ٤ ص ٢٩٠.

٢١ - أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي قرأ على السيّد قطعة كبيرة من ديوان شعره وأجاز له رواية جميعه في ذي القعدة سنة ٤٠٣.

---

(١) الباء اشارة الى بحار الانوار للعلامة المجلسي.

٢٢ ـ أبو الحسن محمّد بن محمّد البصري أجاز له رواية كتبه وتآليفه في شعبان سنة ٤١٧.

علم الهدى والمعري

قال أبو الحسن العمري في « المجدي »: إجتمعت بالشريف المرتضى سنة ٤٢٥ ببغداد فرأيته فصيح اللسان يتوقَّد ذكاءً، وحضر مجلسه أبو العلاء المعري ذات يوم فجرى ذكر أبي الطيِّب المتنبّي فنقَّصه الشريف وعاب بعض أشعاره فقال أبو العلاء: لو لم يكن لأبي الطيِّب إلاّ قوله: لكِ يا منازل في القلوب منازل. لكفاه. فغضب الشريف وأمر بأبي العلاء فسحب واخرجٍ، فتعجَّب الحاضرون من ذلك فقال لهم الشريف: أعلمتم ما أراد الأعمى؟! إنما أراد قوله:

وإذا أتتك مذمَّتي من ناقصٍ   فهي الشهادة لي بأنّي كامل

قال الطبرسي في الإحتجاج: دخل أبو العلاء المعرّي الدهري على السيِّد المرتضى قدس الله سره فقال له: أيّها السيِّد ما قولك في الكلّ؟ فقال السيِّد: ما قولك في الجزء؟ فقال: ما قولك في الشعرى؟ فقال: ما قولك في التدوير؟ قال: ما قولك في عدم الإنتهاء؟ فقال: ما قولك في التحيّز والناعورة؟ فقال: ما قولك في السبع؟ فقال: ما قولك في الزائد البريء من السبع؟ فقال: ما قولك في الأربع؟ فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟ فقال: ما قولك في المؤثِّر؟ فقال: ما قولك في المؤثِّرات؟ فقال: ما قولك في النحسين؟ فقال: ما قولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء. فقال السيِّد المرتضى رضي الله عنه عند ذلك ألا كلّ ملحد ملهد. وقال: أبو العلاء: أخذته من كتاب الله عزَّ وجلَّ يا بُنيَّ لا تشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ. وقام وخرج.

فقال السيِّد رضي الله عنه: قد غاب عنّا الرجل وبعد هذا لا يرانا. فسئل السيِّد عن شرح هذه الرموز والإشارات فقال: سئلني عن الكلِّ وعنده الكلُّ قديم ويُشير بذلك إلى عالم سماء العالم الكبير فقال لي: ما قولك فيه؟ أراد انَّه قديم

فأجبته عن ذلك وقلت له: ما قولك في الجزء؟ لأنَّ عندهم الجزء محدَث وهو المتولَّد عن العالم الكبير وهذا الجزء هو العالم الصغير عندهم، وكان مرادي بذلك انَّه إذا صحَّ انَّ هذا العالم محدَث فذلك الذي أشار إليه إن صحَّ فهو محدَث ايضاً، لأنَّ هذا من جنسه على زعمه والشيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدَثاً فسكت لمّا سمع ما قلته.

وأمَّا الشعرى أراد أنَّها ليست من الكواكب السيّارة لأنَّه قديمٌ، فقلت له: ما قولك في التدوير؟ أردت انَّ الفلك في التدوير والدورات فالشعرى لا يقدح في ذلك.

وأمَّا عدم الإنتهاء أراد بذلك انَّ العالم لا ينتهي لأنَّه قديم، فقلت له: قد صحَّ عندي التحيّز والتدوير وكلاهما يدلان على الإنتهاء.

وأمّا السبع أراد بذلك النجوم السيّارة التي عندهم ذوات الأحكام، فقلت له: هذا باطلٌ بالزائد البريء الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيّارة التي هي الزهرة، والمشتري، والمرّيخ، وعطارد، والشمس، والقمر، والزُّحل.

وأمّا الأربع أراد بها الطبائع فقلت له: ما قولك في الطبيعة الواحدة الناريّة يتولّد منها الدابَّة بجلدها تمسُّ الأيدي ثمّ تطرح ذلك الجلد على النار فيحترق الزهومات ويبقى الجلد صحيحاً لأنَّ الدابّة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحترق بالنار والثلج أيضاً يتولّد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة، والماء في البحر على طبيعتين يتولَّد عنه السموك والضفادع والحيّات والسلاحف وغيرها وعنده لا يحصل الحيوان إلّا بالأربع فهذا مناقضٌ لهذا.

وأمّا المؤثّر أراد به الزحل، فقلت له: ما قولك في المؤثّرات أردت بذلك انَّ المؤثّرات كلهنَّ عنده مؤثّرات فالمؤثّر القديم كيف يكون مؤثّراً.

وأمّا النحسين أراد بهما أنَّهما من النجوم السيّارة إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعدٌ، فقلت له: ما قولك في السعدين إذا اجتمعا خرج من بينهما

نحس؟ هذا حكمٌ أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أنَّ الأحكام لا تتعلّق بالمسخرات لأنَّ الشاهد يشهد على أنَّ العسل والسكر إذا اجتمعا لا يحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لا يحصل منهما الدبس والسكر، هذا دليلٌ على بطلان قولهم.

وأمّا قولي: ألا كلّ الملحد منهد. أردت انَّ كل مشرك ظالمٌ لأنَّ في اللغة ألحد الرجل عن الدين إذا عدل عن الدين، وألهد إذا ظلم. فعلم أبو العلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك فقرء: يا بُنيَّ لا تُشرك بالله . الآية.

وقيل: إنَّ المعرّي لَمّا خرج من العراق سُئل عن السيِّد المرتضى [رض] فقال:

يـا سـائلي عنـه لَمّـا جئت أسئله ... ألا هو الرَّجـل العاري من العـار
لو جئته لـرأيت الناس في رجـل ... والدهر في ساعةٍ والأرض في دارِ[١]

علم الهدى وابن المطرز [٢]

في « الدرجات الرفيعة »: انَّ الشريف المرتضى كان جالساً في علية له تشرف على الطريق فرأى إبن المطرز الشاعر وفي رجليه نعلان مقطّعان وهما يثيران الغبار فقال له: أمِن مثل هذه كانت ركائبك؟ يشير إلى بيت في قصيدته التي أوّلها:

سرى مغرباً بالعيش ينتجع الركبا ... يُسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا
على عذبات الجزع من ماء تغلب ... غزالٌ يرى مـاء القلوب له شـربا
إذا لم تبلّغنـي إليـك ركـائـبي ... فلا وردت ماءً ولا رعت العشبـا

والبيت الأخير هو المشار إليه فقال إبن المطرز: لما عادت هبات سيِّدنا الشريف إلى مثل قوله:

يـا خـليـليَّ مـن ذوابـة قـيس ... في التَّصـابي مكـارم الأخـلاقِ
غنيـاني بـذكـرهم تـطربـاني ... واسقيـاني دمعي بكـأس دهـاقِ
وخـذا النـوم من جفـوني فـإنّي ... قد خلعت الكرى على العشّاقِ

---

(١) بحار الانوار ج ٤ ص ٥٨٧.
(٢) هو ابو القاسم عبد الواحد البغدادي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٤٣٩.

عادت ركائبي إلى ما ترى فإنّه وهب مالا يملك على من لا يقبل، فأمر له الشريف بجائزة.

المرتضى والزعامة:

كان سيّدنا الشريف وقد انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا من شتّى النواحي منها:

١ ـ غزارة علمه التي حدت العلماء إلى البخوع له والرضوخ لتعاليمه، فكان يختلف إلى منتدى تدريسه الجماهير من فطاحل العلم والنظر فيميرهم بسائغ علمه، ويُرويهم بنمير أنظاره العالية، فتخرَّج من تحت منبره نوابغ الوقت من فقيهٍ بارعٍ، ومتكلّمٍ مناظرٍ، واصوليٍّ مدقّقٍ، وأديبٍ شاعرٍ، وخطيب مُبدع؛ وكان يدرُّ من ماله الطائل[1] على تلمذته الجرايات والمسانهات ليتفرّغوا بكلّهم إلى الدراسة من غير تفكير في أزمة المعيشة، فكان شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي يقتضي منه في الشهر إثني عشر ديناراً، والشيخ القاضي إبن البراج الحلبي يستوفي ثمانية دنانير، وكمنلهما بقيَّة تلامذته، وكان قد وقف قرية على كاغذ الفقهاء، ويقال: إنَّ الناس أصابهم في بعض السنين قحطٌ شديدٌ فاحتال رجلٌ يهوديٌ على تحصيل قوته فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى وسأله أن يأذن له في أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم فأذن له وأمر له بجراية تجري عليه كلّ يوم فقرأ عليه برهة ثمَّ أسلم على يديه[2] وكان لم ير لثروته الطائلة قيمةً تجاه مكارمه وكراماته وكان يقول:

وما حزني الإملاق والثروة التي ... يذلّ بها أهل اليسار ضلالُ
أليس يبقّي المال إلّا ضنانة ... وأفقر أقواماً ندى ونوالُ
إذا لم أنل بالمال حاجة مُعسرٍ ... حصورٍ عن الشكوى فمالي مالُ

---

(1) كان يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار كما في «معجم الادباء» ج ١٣ ص ١٥٤.

(2) الدرجات الرفيعة للعلامة السيد علي خان.

٢ ـ وشرفه الوضّاح النبويّ الذي ألزم خلفاء الوقت تفويض نقابة النقباء الطالبيِّين إليه بعد وفاة أخيه الشريف الرَّضي ، وأنت تعلم أهميَّة هـذا المنصب يومئذ حيث أخـذ فيه السلطة العـامَّة على العلويِّين في أقـطار العالم يـرجع إلى نقيبهم حلّها وربطها وتعليمها وتـأديبها والأخـذ بظلامـاتهم وأخذهـا منهم والنظر في أمورهـم في كلِّ وردٍ وصدَر .

٣ ـ ورفعة بيته وجلالة منبته فقد كانت سلسلة آباءه من طرفيه متواصلةً من أمير إلى نقيب إلى زعيم إلى شريف، وهذه مشفوعةً بما كان فيه من لباقةٍ وحنكةٍ وحذقٍ في الامور هي التي أهَّلته لأن تُفوَّض إليه إمارة الحاجّ فكان يسير بهم سيراً سُجحاً ولا يرجع بهم إلاّ من دعةٍ إلى دعةٍ، والحجيج بين شاكرٍ لكلاءته، وذاكرٍ لمقدرته، ومُطرٍ أخلاقه، ومتبرِّكٍ بفضائله، ومثنٍ على أياديه.

٤ ـ ولشموخ محلّه وعظمة قدره بين أظهر الناس ومكـانته العـالية عنـد الأهلين، وجمعه بين سطوة الحماة وثبت القضاة إنقادت إليه ولاية المظالم، فتولّى النقابة شرقاً وغرباً، وإمارة الحاج والحرمين، والنظر في المظالم، وقضاء القضاة ثلاثين سنة وأشهراً[١].

قال إبن الجوزي في « المنتظم » ج ٧ ص ٢٧٦ : في يوم السبت الثالث من صفر ـ سنة ٤٠٦ ـ قلّد الشريف المرتضى ابـو القاسم المـوسوي الحـجّ والمظالم ونقابة النقباء الطالبيِّين وجميع ما كان إلى أخيه الرَّضي، وجمع الناس لقرائة عهده في الدار الملكيَّة وحضر فخر الملك والأشراف والقضاة والفقهاء وكان في العهد: هذا ما عهد عبد الله أبو العبّاس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قرَّبته إليه الأنساب الزكيَّة، وقدَّمتـه لديه الأسباب القويَّة، واستظلَّ معه بأغصان الدوحة الكريمـة، واختصّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلّد الحجَّ والنقابة وأمره بتقوى الله. إلخ

---

(١) صحـاح الاخبار لسراج الـدين الرفـاعي ص ٦١، والمستدرك ج ٣ ص ٥١٦ نقلاً عن القاضي التنوخي.

يُلقَّب بالمرتضى، والأجلّ الطاهر، وذي المجدين، ولقِّب بعلم الهدى سنة ٤٢٠ وذلك أنَّ الوزير أبا سعيد محمّد بن الحسن بن عبد الرحيم مرض في تلك السنةفرأىفي منامهأمير المؤمنين ﷺ يقول له: قل لعلم الهدى يقرء عليك حتّى تبرأ. فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟ فقال: عليُّ بن الحسين الموسوي. فكتب إليه فقال رضي الله عنه: الله الله في أمري فإنّ قبولي لهذا اللقب شناعة عليَّ فقال الوزير: والله ما كتبت إليك إلاّ ما أمرني به أمير المؤمنين عليه السّلام [1].

وكان يُلقَّب بالثمانين لما كان له من الكتب ثمانون ألف مجلّداً ومن القُرى ثمانين قرية تجبى إليه[2] وكذلك من غيرهما حتّى إنَّ مدَّة عمره كانت ثمانين سنة وثمانية أشهر، وصنَّف كتاباً يُقال له الثمانون.

ولادته ووفاته:

وُلد سيِّدنا المرتضى في رجب سنة ٣٥٥ وتوفّي يوم الأحد ٢٥ ربيع الأوّل سنة ٤٣٦ وعلى هذا جلّ المؤرِّخين لولا كلّهم، نعم: هناك خلافٌ يسير[3] لا يُعبأ به، وصلّى عليه إبنه وتولّى غسله أبو الحسين النجاشي ومعه الشريف أبو يعلى محمَّد بن الحسن الجعفري وسلاّر بن عبد العزيز الديلمي كما في رجال النجاشي ص ١٩٣، ودفن في داره عشيَّة ذلك النهار ثمَّ نُقل إلى الحائر المقدّس ودُفن في مقبرتهم وكان قبره هناك كقبر أبيه وأخيه الشريف الرضي ظاهراً معروفاً مشهوراً كما في عمدة الطالب، وصحاح الأخبار، والدَّرجات الرفيعة.

وهناك فتاوى مجرَّدة من قذف سيِّدنا المترجم بالإعتزال تارةً وبالميل إليه اخرى وبنسبة وضع كتاب «نهج البلاغة» اليه طوراً من أبناء حزمٍ وجوزيٍّ

---

(١) ذكره شيخنا الشهيد في أربعينه.

(٢) الرسالة الخراجية للمحقق الثاني.

(٣) في عمدة الطالب،وصحاح الأخبار في ١٥ ربيع الاول. وفي كامل ابن الأثير اخر ربيع الاول. وفي أنساب المجدي اخر سنة ٤٣٦ أو ٤٣٧. وعن خط الشهيد الاول يوم الاحد السادس والعشرين من ربيع الاول. كل هذه مما لا يعبأ به.

وخلكان وكثير والذهبي، ومن لفّ لفّهم من المتأخِّرين[1] وبما أنَّها دعاوى فارغة غير مدعومة بشاهد؛ وكتب سيِّدنا الشريف يهتف بخلافها ومن عرفه من المنقِّبين لا يشكُّ في ذلك، وقد أثبتنا نسبة « نهج البلاغة » إلى الشريف الرضي بترجمته؛ نضرب عن تفنيد تلكم الهلجات صفحاً.

ولابن كثير في « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ٥٣ عند ذكر السيِّد سباب مقذع وتحاملٌ على ابن خلكان في ثنائه عليه جرياً على عادته المطَّردة مع عظماء الشيعة [وكلّ إناء بالذي فيه ينضحُ] ونحن لا نُقابله إلّا بما جاء به الذِّكر الحكيم: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

نبذة من ديوان المرتضى:

ومن شعر سيِّدنا علم الهدى المرتضى نقلاً عن ديوانه قوله يفتخر ويعرِّض ببعض أعدائه يوجد في الجزء الأوّل منه:

أمّا الشباب فقد مضت أيّامه ... واستلَّ من كفّي الغداة زمامه
وتنكّرت آياته وتغيَّرتْ ... جاراته وتقوَّضت آطامه
ولقد درى مَن في الشباب حياته ... أنَّ المشيب إذا علاه حمامه
عوجا نحيِّي الربع يُدللنا الهوى ... فلربَّما نفع المحبَّ سلامه
واستعبرا عنّي به إن خانني ... جفني فلم يمطر عليه غمامه
فمن الجفون جوامدٌ وذوارف ... ومن السّحاب ركامه وجهامه
دمنٌ رضعت بهنَّ أخلاف الصِّبى ... لو لم يكن بعد الرِّضاع فطامه
ولقد مررتُ على العقيق فشفَّني ... أن لم تغنّ على الغصون حمامه
وكأنَّه دنفٌ تجلّد مونساً ... عوّاده حتّى استبان سقامه
من بعد ما فارقته فكأنَّه ... نشوان تمسح تربه آكامه
مرحٌ يهزّ قناته لا يأتلي ... أشر الصِّبا وغرامه وعرامه
تندى على حرِّ الهجير ظلاله ... ويضيء في وقت العشيِّ ظلامه
وكأنّما أطياره ومياهه ... للنازليه قيانه ومُدامه

(١) نظراء حرجي زيدان في اداب اللغة ج ٢ ص ٢٨٨، والزركلي في الاعلام ص ٦٦٧.

وكـنّ آرام النســاء بـأرضــه ... للقــانصي طـرد الهـوى آرامــه
وكــأنّما بـرد الصَّبا خـوذانـه ... وكـأنّمـا ورق الشَّبــاب بشـامــه
وعضيهـةٌ جـائتــك من عبقٍ بهـا ... أزرى عليـك فلم يجـره كـلامـه
ورمـاك مجترئـاً عليك وإنّمـا ... وافـاك من قعـر الـطويّ سـلامـه
وكـأنّمـا تسفى الرِّيـاح بعـالـج ... مـا قـال أو مـا سطّرت أقـلامـه
وكـأنّ زُوراً لـفّـقـت ألـفـاظـه ... سلك وهي فـانحلَّ عنـه نـظامـه
وإذا الفتى قعــدت بـه أخـوالـه ... في المجد لم تنهض به أعمـامـه
وإذا خصال السوء بـاعدن امرءاً ... عن قـومـه لم يُـدنـه أرحـامـه
ولكم رمـاني قبل رميـك حاسدٌ ... طاشت ولم تخدش سواه سهامه
ألقى كـلامـاً لم يضـرني وانثنى ... ونُـدوبـه فـي جلده وكِـلامــه
هيهـات أن ألفى وسيل مسـافـه ... ينجـو بـه يـوم السبـاب لـطـامـه
أو أن أرى في معركٍ وسـلاحـه ... بـدل السيـوف قـذافـه وعـذامـه
ومن البـلاء عـداوةٌ من خـامـلٍ ... لا خـلفـه لـعُـلى ولا قـدّامـه
كثـرت مساويـه فصـار كمـدحـه ... بين الـخـلائق عيبـه أو ذامـه
والخرق كلّ الخـرق من متفاوتٍ ... الأفعـال يتلو نقـضـه إبـرامـه
جـدب الجناب فجـاره في أزمـة ... والضيف مـوكـولٌ إليـه طعـامـه
وإذا علقت بحبـله مستعـصمـاً ... فكفقـع قـرقـرة يكـون زمـامـه
وإذا عهـود القـوم كنّ كنبعـهم ... فـالعهـد منـه يـراعـه وثمـامـه
وأنا الذي أعييت قبلك من رست ... أطـواده واستشـرفت أعـلامـه
وتتبّـع المعـروف حتّى طنّبت ... جـورا على سنن الطريق خيامه
وتـبـاذرت أعـداؤه سـطواتـه ... كـالليث يـرهب نـائيـاً إرزامـه
وتـرى إذا قـابلتـه عن وجهـه ... كـالبـدر أشرق حين تمّ تمامـه
حتّى تـذلّل بعـد لأيٍ صعبـه ... وانقـاد منبـوذاً إليّ خـطامـه
يُهـدى إليّ على المغيب ثنـاؤه ... وإذا حضـرتُ أظلّني إكـرامـه
فمضى سليمـاً من أذاة قوارصي ... واستـام ذمّي بعـده مستـامـه

والآن يــوقـظني لنحت صفـــاتـه ... مَن طال عن أخذ الحقوق نيامـه
ويســومني ولإن خلوت فـــإنّني ... مَقـر وفي حنـك العـدوّ سمـامـه
فلبئســمــا منّتــه منّي خــاليــاً ... خــطراته أو ســوّلت أحــلامــه
أمّـا الطريف من الفخـار فعندنـا ... ولنـا من المجـد التليـد سنـامــه
ولنـــا من البيت المحــرَّم كلّمـــا ... طـافت بـه في مــوسم أقـدامــه
ولنـــا الحـطيم وزمــزم تــراثهــا ... نعم التـراث عن الخليل مُقـامـه
ولنـا المشاعـر والمواقف والـذي ... تُهــدى إليــه من منى انعــامــه
وبجـدّنـا وبصنـوه دُحيت عن الـ ... ـبيت الحـرام وزعـزعت أصنامـه
وهمـا علينا أطلعـا شمس الهدى ... حتّى استنــار حـلالــه وحرامه
وأبي الذي تبدو على رغم العدى ... غــرّاً مــحـجّـلةً لـنــا أيّــامــه
كالبدر يكسو الليل أثواب الضحى ... والفجر شبّ على الظلام ضرامه
وهو الذي لا يقتفي في مـوقف ... أقــدامــه نـكص بــه إقــدامــه
حتّى كــأنّ نجاتــه هي حتفــه ... وورائــه ممــا يخــاف أمــامــه
ووقى الرّسول على الفراش بنفسه ... لـمّــا أراد حــمــامــه أقــوامــه
ثــانيه في كـلّ الامـور وحصنــه ... في النــائبـات وركنــه ودعـامــه
لله درّ بــلائــه ودفــاعــه ... واليـوم يغشى الـدارعين قتـامـه
وكــأنّــمــا اجم الـعــوالي غـيله ... وكـأنّمـا هــو بينهـا ضــرغـامــه
وتـرى الصـريع دمـاؤه أكفــانـه ... وحنــوطــه أحجــاره ورغــامــه
والمـوت من مـاء التــرائب ورده ... ومن النفــوس مـزاده ومســامــه
طلبـوا مـداه ففــاتهم سبقـاً إلى ... أمـد يشقّ على الـرّجـال مـرامـه
فمتى أجـالـوا للفخــار قـداحهم ... فـالفـائـزات قـداحــه وسهـامــه
وإذا الامـور تشـابهت واستبهمت ... فجـلاؤهـا وشفــاؤهـا أحكــامـه
وتـرى النـديّ إذا احتبى لقضيّـة ... عــوجـاً إليهــا مصغيات هــامـه
يفضي إلى لبّ البـليــد بيــانــه ... فيعي وينشيء فهمــه إفهــامــه
بغــريب لفظٍ لم تـدره سقــاتــه ... ولـطيف معنى لم يفضّ ختـامــه

وإذا التفتَّ إلى التقى صادفته من كلِّ برٍّ وافرا إقامه
فالليل فيه قيامه مُتهجِّداً يتلو الكتاب وفي النهار صيامه
يطوي الثلاث تعفّفاً وتكرُّماً حتّى يُصادف زاده معتامه
وتراه عريان اللسان من الخنا لا يهتدي للأمر فيه ملامه
وعلى الذي يرضي الآله هجومه وعن الذي لا يرتضي احجامه
فمضى بريئاً لم تشنه ذنوبه يوما ولا طيفرت به اثامه
ومفاخر ما شئت إن عدَّدتها فالسيل. أطبق لا يعدُّ ركامه
تعلو على مَن رام يوماً نيلها من يذبل هضباته واكامه

وقال في الجزء الرابع من ديوانه يرثي الإمام السبط الشهيد عليه السّلام في يوم عاشوراء سنة ٤٢٧ :

أما ترى الرَّبع الذي أقفرا عراه من ريب البلى ما عرا؟!
لو لم أكن صباً لسكّانه لم يجر من دمعي له ما جرى
رأيته بعد تمامٍ له مقلّباً أبطنه أظهرا
كأنّني شكا وعلماً به أقرأ من أطلاله أسطرا
وقفت فيه اينقاً ضُمَّراً شذَّب من أوصالهنّ السرى
لي بأُناسي شغلٌ عن هوى ومعشري أبكي لهم معشرا
أجل بأرض الطفِّ عينيك ما بين اناس سربلوا العثيرا
حكّم فيهم بغي أعدائهم عليهم الذؤبان والأنسرا
تخال من لئلاء أنوارهم ليل الفيافي بهمُ مُقمرا
صرعى ولكن بعد أن صرَّعوا وقطّروا كلّ فتى قطّرا
لم يرتضوا درعاً ولم يلبسوا بالطعن إلاّ العلق الأحمرا
من كلِّ طيّان الحشى ضامر يركب في يوم الوغا ضمّرا
قل لبني حرب - وكم قولة سطّرها في القوم من سطّرا -
: تهتم عن الحق كأنّ الذي أنذركم في الله ما أنذرا
كأنّه لم يقركم ضلّلاً عن الهدى القصد بامّ القرى

ولا تـدرَّعـتـم بـأثـوابـه من بعـد أن أصـبحتمُ حُسّـرا
ولا فـريـتـم ادمـاً إمـرة ولـم تكـونـوا قطُّ ممن فـرى
وقـلتـمُ عـنـصـرنـا واحـدٌ هيهـات لا قُـربى ولا عنصـرا
ما قدَّم الأصـل امرءا في الـورى أخَّـره فـي الـفـرع مـا أخَّـرا
طـرحتم الأمـر الـذي يُجتنى وبعتمُ الشـيء الـذي يُشتـرى
وغـرَّكم بـالجهـل إمهـالـكم وإنَّـمـا اغـتـرَّ الـذي غـرّرا
حـلَّأتمْ بـالـطفِّ قـومـاً عن الـ مـاء فحلِّـتـم بـه الـكـوثـرا
فـإن لـقـوا ثمَّ بكـم منكـراً فـسـوف تلقـون بـهم منكـرا
في سـاعـة يحكم في أمـرهـا جـدّهـم الـعـدل كـمـا أمَّـرا
وكيف بعتم دينكم بـالـذي ا ستنـزره الحـازم واستحقـرا؟!
لـولا الـذي قُـدِّر من أمـركم وجـدتـمُ شـأنكـمُ أحـقـرا
كـانت من الـدهـر بكم عثـرة لا بـدَّ لـلسـابـق أن يُـعـثـرا
لا تـفـخـروا قطُّ بشيءٍ فـمـا تـركـتمُ فينـا لـكـم مـفـخـرا
ونـلتمسـوهـا بيعـةً فلتـةً(١) حتى تـرى العين الـذي قـدّرا
كـأنَّني بـالخيـل مثل الـدَّبـا هبَّت لـه نكـاؤه صـرصـرا
وفـوقهـا كـلُّ شديـد القـوى تـخـالـه من حنقٍ قـسـورا
لا يمطر السمـر غـداة الـوغـا إلّا بـرشِّ الـدم إن أمـطرا
فيـرجـع الحـقُّ إلى أهـلـه ويـقـبـل الأمـر الـذي دبـرا
يـا حجـج الله عـلى خـلقـه ومَن بهـم أبصـر مَن أبصـرا
أنـتـم عـلى الله نـزولٌ وإن خـال انـاس انَّكم في الثـرى
قـد جعـل الله إليكم ـ كمـا عـلمتمُ ـ المبعث والمحشـرا
فـإن يكن ذنبٌ فقـولـوا لـمن شفَّعكم في العفـو أن يغفـرا
: إذا تـولَّيتكـم صـادقـاً فـليس منّي منكـرٌ منكـرا
نـصـرتكـم قـولاً على أنَّني لآمـلٌ بـالسيف أن أنصـرا

---

(١) اشار إلى ما اخرجه الحفاظ عن عمر أنه قال: بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها.

وبين اضلاعي سرٌّ لكم حوشي أن يبدو او أن يظهرا
أنظرُ وقتاً قيل لي: بُح به وحقَّ للموعود أن ينظرا
وقد تصبَّرتُ ولكنَّني قد ضقت أن اكظم أو أصبرا
وأيّ قلب حملت حزنكم جوانح عنه وما فطَّرا؟!
لا عاش من بعدكم عائشٌ فينا ولا عمَّر من عمَّرا
ولا استقرَّت قدم بعدكم قرارها مبدي ولا محضرا
ولا سقى اللّه لنا ظامئاً من بعد أن جنّبتم الأبحرا
ولا علت رجل - وقد زحزحت أرجلكم عن متنه - منبرا

وقال في الجزء الرابع من ديوانه وهو يفتخر:

مالك فيَّ ربَّة الغلائل والشيب ضيفُ لمّتي من طائل؟!
أما ترين في شواتي(١) نازلاً؟! لا متعة لي بعده بنازل
محا غرامي بالغواني صبغه واجتثَّ من أضالعي بلابلي
ولاح في رأسي منه قبصٌ يدلُّ أيّامي على مقاتلي
كان شبابي في الدمى وسيلة ثمّ انقضت لمّا انقضت وسائلي
يا عائبي بباطلٍ ألفته خذ بيديك من تمنٍّ باطل
لا تعذلني بعدها على الهوى فقد كفاني شيب رأسي عاذلي
وقل لقومٍ فاخرونا ضلّة: أين الحُصيّات من الجراول(٢)؟!
وأين قامات لكم دميمة من الرّجال الشمّخ الأطاول؟!
نحن الأعالي في الورى وأنتمُ ما بينهم أسافل الأسافل
ما تستوي - فلا تروموا معوزاً - فضائل السّادات بالرّذائل
ما فيكمُ إلّا دنيٌّ خاملٌ وليس فينا كلّنا من خامل
دعوا النباهات على أهل لها وعرّسوا في أخفض المنازل
ولا تعوجوا بمهبِّ عاصفٍ ولا تقيموا في مصبِّ الوابل

---

(١) شواة: جلدة الرأس.
(٢) الجراول جمع جرولة وجرول: الحجارة.

أما ترى خير الورى معاشري؟! ثمّ قبيلي أفضل القبائلِ؟!
ما فيهمْ إن وزنوا من ناقصٍ وليس فيهم خبرةٌ من جاهلِ
أقسمت بالبيت تطوف حوله أقدام حافٍ للتّقى وناعلِ
وما أراقوه على وادِ مِنى عند الجمار من نجيعٍ وسائلِ
وأذرع حاسرة ترمي - وقد حان طلوع الشمس - بالجنادلِ
والموقفين حطّ ما بينهما عن ظهره الذنوب كلُّ حاملِ
فإن يخب قومٌ على غيرهما فلم يخب عندهما من آملِ
لقد نمتني من قريش فتيةٌ ليسوا كمن تعهد في الفضائلِ
الواردين من علىً ومن تُقى دون المنايا صفوة المناهلِ
قومٌ إذا ما جهلوا في معركٍ ولّوا على الأعراق بالشمائلِ
كأنّهم اسد الشّرى يوم الوغى لكنّهم أهلّة المحافلِ
إن ناضلوا فليس من مُناضلِ أو ساجلوا فليس من مساجلِ
سلِ عنهمُ إن كنتَ لا تعرفهم سل الظبى وشرّع العواملِ
وكلّ منبوذ على وجه الثرى تسمع فيه رنّة الثواكلِ
كأنّما أيديهمُ مناصلٌ يلعبن يوم الرّوع بالمناصلِ
من كلّ ممتدّ القناة سامقٍ يقصر عنه أطول الحمائلِ
ما ضرّني والعار لا يطور بي إن لم أكن بالملك الحلاحلِ
ولم أكن ذا صامت وناطق ولم أرح بباقرٍ وجاملِ
خير من المال العتيد بذله في طرق الإفضال والفواضلِ
والشكر ممن أنت مُغن فقره خيرٌ إذا أحرزته من نائلِ
فلا تعرّض منك عرضاً أملساً لخدشة اللوّام والقوائلِ
فليس فينا مُقدمٌ كمحجمٍ وليس منّا باذلٌ كباخلِ
وما الغنى إلّا حبالات العنا فانجُ إذا شئت من الحبائلِ
إلى متى أحمل من ثقل الورى ما لم يطقه ظهر عود بازلِ؟!
إن لم يزرني الهمُّ اصباحاً أتى ولم أعره الشوق في الأصائلِ

وكم مقام في عراصٍ ذلَّة ... وعطن عن العلاء سافل
وكم أظلُّ مفهقاً عن الأذى ... معلّلاً دهريّ بالأباطل
كأنَّني وقد كملت دونهم ... رضىً بدون النصف غير كامل
محسودةٌ مغبوطةٌ ظواهري ... لكنَّها مرحومةٌ دواخلي
كأنَّني شعبٌ جفاه قطره ... أو منزلٌ أقفر غير آهل
فقل لحسّادي : أفيقوا فالذي ... أغضبكم منِّيَ غير آفل
أنا الذي فضحت قولاً مُصقعاً ... مقاولي وفي العلى مطاولي
إن تبتنوا من العدى معاقلاً ... فإنَّ في ظنِّ القنا معاقلي
لا تستروا فضلي الذي أُوتيته ... فالشَّمس لا تُحجب بالحوائل
فقد فررتم أبداً من سطوتي ... فرَّ القطا الكدر من الأجادل
ولا تذق أعينكم طعم الكرى ... وعندكم وفيكمُ طوائلي
تقوا الرَّدى وحاذروا الشرَّ الذي ... شبَّ اواري فغلتْ مَراجلي
وجنَّ تيّار عبابي واشتكت ... خروق أسماعكمُ صلاصلي
إن لم أطركم مزقاً تحملكم ... نكب الأعاصير مع القساطل
فلا أجبتُ من صريخ دعوةً ... ولا أطعت يوم جودٍ سائلي
ولا أناخ كلّ قومي كَلّهم ... في مغنمٍ أو مغرمٍ بكاهل (١)
وفي غدٍ تبصرها مغبرةً ... على الموامي كالنعام الجافل
يخرجن من كلِّ عجاج كالدجى ... مثل الضحى بالغرر السوائل
من يرهنَّ قال: مَن هذا الذي ... سدَّ الملا بالنعم المطافل ؟!
وفوقهنَّ كلُّ مرهوب الشذا ... يروي السنان من دم الشواكل (٢)
أبيض كالسَّيف ولكن لم يعج ... صقاله على يمين صاقل
: حيث ترى الموت الزؤام بالقنا ... مستحب الأذيال والذلاذل (٣)

---

(١) الكل : الضعيف. اليتيم. الكاهل من القوم : سندهم ومعتمدهم.

(٢) شواكل ج شاكلة : الخاصرة.

(٣) الزؤام : عاجل. وقيل : سريع مجهز. الذلاذل جمع ذُلذل وذلذل : اسفل الثوب .

والنقع يغشى العين عن لحاظها ... والركض يرمي الأرض بالزلازلِ
وبزّت الأصلاب أو تمخّضت ... بلا تمامٍ بطن كلّ حاملِ
ولم يجز همّ الفتى عن نفسه ... وذهل الحيّ عن العقائلِ
إن لم أنل في بابل مآربي ... فلي إذا ما شئت غير بابلِ
وإن أبت في وطنٍ مقلقلاً ... أبدلته بأظهر الرّواحلِ
وإن تضق بي بلدةٌ واحدةٌ ... فلم تضق في غيرها مجاولي
وإن نبا عنّي خليلٌ وجفا ... نفضتُ من ودّي له أناملي
خيرٌ من الخصب مع الذلّ به ... معرَّسٌ على المكان الماحلِ

وقال في الإفتخار، في الجزء الرابع من ديوانه:

ماذا جنته ليلة التعريفِ ... شغفت فؤاداً ليس بالمشغوفِ؟
ولو أنّني أدري بما حمّلته ... عند الوقوف حذرت يوم وقوفي
ما زال حتّى حنّ حبّ قلوبنا ... بجماله سِرب الظباء الهيفِ
وأرتك مكتتم المحاسن بعدما ... ألقى تقى الإحرامِ كلّ نصيفِ
وقنعت منها بالسّلام لو انّه ... أروى صدى أوبلّ لهف لهيفِ
والحبّ يرضي بالطفيف معاشراً ... لم يرتضوا من قبله بطفيفِ
ويخفّ مَن كان البطيء عن الهوى ... فكأنّه ما كان غير خفيفِ
يا حبّها رفقاً بقلبٍ طالما ... عرّفته ما ليس بالمعروفِ
قد كان يُرضى أن يكون محكّماً ... في لبِّه لو كنت غير عنيفِ
أطرحت يا ظمياء ثقلك كلّه ... يوم الوداع على فقار ضعيفِ
يقتاده للحبِّ كلّ مُحبَّبٍ ... ويروعه بالبين كلّ أليفِ
وكأنني لمّا رجعت عن النوى ... أبكي رجعت بناظرٍ مطروفِ
وبزفرةٍ شهد العذول بأنّها ... من حاملٍ ثقل الهدى ملهوفِ
ومتى جحدتهم الغرام تصنّعاً ... ظهروا عليه بدمعيَ المذروفِ
وعلى منى غررٍ رمين نفوسنا ... قبل الجمار من الهوى بحتوفِ
يسحبن أذيال الشفوف غوانياً ... بالحسن عن حسن بكلّ شفوفِ

وعدلن عن لبس الشفوف وإنّما ... هنَّ الشنوف محاسناً لشنوفِ
وتعجّبت للشيب وهي جناية ... لدلال غانيةٍ وصدّ صدوفِ
وأناطت الحسناء بي تباعته ... فكأنّما تفويفه تفويفي
هو منزلٌ بدَّلته من غيره ... وهو الفتى في المنزل المألوفِ
لا تنكريه فهو أبعد لبسة ... عن قذف قاذفة وقرف قروفِ
وبعيدة الأقطار طامسة الطوى ... من طول تطواف الرِّياح الهوفِ
لا صوت فيها للأنيس وإنَّما ... لعصائب الجنّان جرس عزيفِ
وكأنَّما خرق النعام بدوّها ... ذودٌ شردن لزاجرٍ هنّيفِ
قطعت ركابي وهي غير طلائح ... مع طول إيضاعي وفرط وجيفي
أبغي الذي كلّ الورى عن بغيه ... من بين مصدودٍ ومن مصدوفِ
والعزّ في كلف الرِّجال ولم يُنل ... عزٌّ بلا نصب ولا تكليفِ
والجدب مغنى للأعزَّة داره ... والذلّ بيتٌ في مكان الريفِ
ولقد تعرَّفت النوائب صعدتي ... وأجاد صرف الدّهر من تثقيفي
وحللت من ذلِّ الأنام بنجوةٍ ... لا لومتي فيها ولا تعنيفي
فبدار أندية الفخار إقامتي ... وعلى الفضائل مربعي ومصيفي
وسرى سرى النجم المحلّق في العلى ... نظمي وما ألّفت من تصنيفي
ورأيت من غدر الزَّمان بأهله ... من بعد أن أمنوه كل طريفِ
وعجبت من حيد القويِّ عن الغنى ... طول الزَّمان وحظوة المضعوف
وعمي الرِّجال عن الصواب كأنهم ... يعمون عمّا ليس بالمكشوف
وفديت عرضي من لئام عشيرتي ... بنزاهتي عن شيء وعُزوفي[1]
فبقدر ما أحميهمُ ما ساءهم ... أعطيهمُ من تالدي وطريفي
كم رُوِّع الأعداء قبل لقائهم ... ببروق ايعادي ورعد صريفي
وكأنَّهم شُرُدٌ سوامهمُ وقد ... سمعوا على جوِّ السماء حفيفي
قومي الذين تملّكوا ربق الورى ... بطعان أرماحٍ وضرب سيوف

---

(١) عزوف: ترك الشيء والانصراف عنه.

ومواقفٌ في كلِّ يومٍ عظيمةٍ ما كان فيها غيرهم بوقوفِ
ومشاهدٌ ملأت شعوب عدائهم بقذى لأجفانٍ ورغم انوفِ
هم خوَّلوا النّعم الجسام وأمطروا في المملقين غمائم المعروفِ
وكأنّهم يوم الوغى خلل القنا حيّات رمل أو اسود غريفِ
كم راكبٍ منهم لغارب سدفة طرباً لجود أو مهين سديفِ
ومتيّمٍ بالمكرمات وطالما ألِفَ الندى مَن كان غير ألوفِ
وحللت أندية الملوك مجيبةً صوتي ومصغيةً إلى توقيفي
وحميتهم بالحزم كلَّ عَضيهةٍ وكفيتهم بالعزم كلَّ مخوفِ
وتراهمُ يتدارسون فضائلي ويصنّفون من الفخار صُنوفي
ويردّدون على الرُّواة مآثري ويعدّدون من العلاء أُلوفي
ويسيّرون إلى ديار عدوّهم من جند رأيي العالمين رجوفي
وإذا همُ نكروا غريباً فاجئاً فزعوا بنكرهمُ إلى تعريفي
دفعوا بيَ الخطب العظيم عليهمُ واستعصموا حذر العدى بكنوفي
وصحبت منهم كلَّ ذي جبريّةٍ سامٍ على قلل البريّة موفِ
ترنو إليك وقد وقفت إزاءه بين الوفود بناظري غطريفِ
فالآن قل للحاسدين: تنازحوا عن شمس افق غير ذات كسوفِ
ودعوا لسيل الواديين طريقه فالسيل جرّافٌ لكلِّ جروفِ
وتزوّدوا يأس القلوب عن الندى فمنيفه دار لكلِّ منيفِ
وإرضوا بأن تمشوا ولا كرم لكم في دار مجد الأكرمين ضيوفي

وقال في الجزء الخامس من ديوانه يرثي جدّه الطاهر الإمام السبط الشهيد عليه السّلام، ومَن قُتل معه:

يا دار دار الصوَّم القوَّمِ كيف خلا افقك من أنجمِ؟!
عهدي بها يرتع سكّانها في ظلِّ عيشٍ بينها أنعمِ
لم يصبحوا فيها ولم يغبقوا إلاّ بكاسي خمرة الأنعمِ
بكيتها من أدمع لو أبت بكيتها واقعة من دمِ
وعجت فيها رائياً أهلها سواهم الأوصال والملطمِ

نحلن حتّى خالهنَّ السرى	بعض بقايا شطن مبرم
لم يدع الآساد هاماتها	إلّا سقيطات على المنسم
يا صاحبي يوم أزال الجوى	لحمي بخدّيّ عن الأعظم
واريت ما أنت به عالمٌ	ودائي المعضل لم تعلم
ولستُ فيما أنا صبٌّ به	مَن قرن السالي بالمغرم
وجدي بغير الظعن سيّارةً	من محزم ناء إلى محزم
ولا بلفّاء هضيم الحشا	ولا بذات الجيد والمعصم
فاسمع زفيري عند ذكري الاولى	بالطفّ بين الذئب والقشعم
طرحى فإمّا مقعصٌ بالقنا	أو سائل النفس على مِخذم (١)
نشراً كدرٍّ بددٍ مهمل	أغفله السلك فلم ينظم
كأنّما الغبراء مرميَّةٌ	من قِبَل الخضراء بالأنجمُ
دُعوا فجاؤا كراً منهمُ	كم غرَّ قوماً قسم المقسم
حتّى رأوها اخريات الدُّجى	طوالعاً من رهج أقتم
كأنَّهم بالصمِّ مطرورةٌ	لمنجد الأرض على متهم
وفوقها كلُّ مغيظ الحشا	مكتهل الطرف بلون الدم
كأنَّه من حنق أجدل	أرشده الحرص إلى مطعم
فاستقلبوا الطعن إلى فتيةٍ	خوّاض بحر الحذر المفعم
من كلِّ نهّاض بثقل الأذى	موكّل الكاهل بالمعظم
ماضٍ لما أمَّ فلو جاد في ال	هيجاء بالحوجاء لم يندم
وكالف بالحرب لو أنّه	أطعم يوم السِّلم لم يطعم
مثلّم السيف ومن دونه	عرض صحيح الحدِّ لم يثلم
فلم يزالوا يكرعون الظبا	بين براقي الفارس المعلم
فمشخنٌ يحمل شهّاقة	تحكي لراءٍ فغرة الأعلم
كأنّما الورس بها سائلٌ	أو أنبتت من قضب العندم

---

(١) مقعص من أقعص الرجل: قتله مكانه. أجهز عليه. مخذم: امة الخذم والذم القطع بسرعة.

ومستزلٌّ بالقنا عن قِرى عبل الشوى أو عن مطا أدهمِ
لو لم يكيدوهم بها كيدة لانقلبوا بالخزي والمرغمِ
فاقتضبت بالبيض أرواحهم في ظلِّ ذاك العارض الأسحمِ
مصيبةٌ سيقت إلى أحمد ورهطه في الملأ الأعظمِ
رزءٌ ولا كالرُّزء من قبله ومولمٌ ناهيك من مولمِ
ورميةٌ أصمت ولكنَّها مصمئة من ساعدٍ أجذمِ
قل لبني حرب ومن جمّعوا من حائرٍ عن رشده أو عمي
وكلّ عانٍ في أسار الهوى يُحسب يقظان من النوَّمِ
: لا تحسبوها حلوةً انَّها أمرُّ في الحلق من العلقمِ
صرَّعهم انَّهمُ أقدموا كم فُدي المحجم بالمقدمِ
هل فيكمُ إلاّ أخو سوءةٍ مجرّح الجلد من اللوّمِ؟!
إن خاف فقراً لم يجد بالندى أو هاب وشك الموت لم يقدمِ
يا آل ياسين ومن حبّهم منهج ذاك السنن الأقومِ
مهابط الأملاك أبياتهم ومستقرّ المُنزل المحكمِ
فأنتمُ حجّة ربِّ الورى على فصيح النطق أو أعجمِ
وأين إلاّ فيكمُ قربة إلى الإله الخالق المنعمِ
والله لا أخليت من ذكركم نظمي ونثري ومرامي فمي
كلاّ ولا أغببت أعدائكم من كلمي طوراً ومن أسهمي
ولا رُئي يوم مصاب لكم منكشفاً في مشهدٍ مبسمي
فإن أغب عن نصركم برهةً بمرهفات لم أغب بالفمِ
صلّى عليكم ربّكم وارتوتْ قبوركم من مسبلٍ منجمِ
مقعقع تخجل أصواته أصوات ليث الغابة المرزمِ
وكيف استسقي لكم رحمةً؟ وأنتم الرَّحمة للمجرمِ

وقال يرثي الإمام السبط المفدّى وأصحابه، توجد في الجزء الخامس من ديوانه:

هل أنت راثٍ لصبِّ القلب معمودِ ... دوي الفؤاد بغير الخرَّد الخودِ؟!
ما شفَّه هجر أحباب وإن هجروا ... من غير جرمٍ ولا خُلف المواعيد
وفي الجفون قذاةٌ غير زائلةٍ ... وفي الضلوع غرامٌ غير مفقودِ
يا عاذلي ليس وجد بتُّ أكتمه ... بين الحشى وجد تعنيفٍ وتفنيدِ
شربي دموعي على الخدَّين سائلة ... إن كان شربك من ماء العناقيدِ
ونم فإنَّ جفوناً لي مُسهَّدةٌ ... عمر الليالي ولكن أيّ تسهيدِ
وقد قضيت بذاك العذل مأدبة ... لو كان سمعي عنه غير مسدودِ
تلومني لم تصبك اليوم قاذفتي ... ولم يعدك كما يعتادني عيدي
فالظلم عذل خليِّ القلب ذا شجنٍ ... وهجنة لوم موفور لمجهودِ
كم ليلة بتُّ فيها غير مرتفق ... والهمُّ ما بين محلولٍ ومعقود
ما إن أحِنّ إليها وهي ماضيةٌ ... ولا أقول لها مُستدعياً عودي
جاءت فكانت كعوّار على بصر ... وزايلت كزيال المائد المودي
فإن يودُّ اناسٌ صبح ليلهمُ ... فإنَّ صبحيَ صبحٌ غير مورود
عشيَّةٌ هجمت منها مصائبها ... على قلوب عن البلوى محاييدِ
يا يوم عاشور كم طأطأتَ من بصر ... بعد السموِّ وكم أذللتَ من جيد
يا يوم عاشور كم أطردتَ لي أملاً ... قد كان قبلك عندي غير مطرودِ
أنت المرنِّق عيشي بعد صفوته ... ومولج البيض من شيبي على السود
جُز بالطفوف فكم فيهنَّ من جبل ... خرَّ القضاء به بين الجلاميدِ
وكم جريحٍ بلا آس تمزَّق به ... إمّا النسور وإمّا أضبع البيدِ
وكم سليب رماحٍ غير مستترٍ ... وكم صريعِ حمامٍ غير ملحودِ
كأنَّ أوجههم بيضاً ملألأة ... كواكبٌ في عراص القفرة السودِ
لم يطعموا الموت إلّا بعد أن حطموا ... بالضرب والطعن أعناق الصناديدِ
ولم يدع فيهمُ خوف الجزاء غداً ... دماً لترب ولا لحماً إلى سيد
من كل أبلج كالدينار تشهده ... وسط النديِّ بفضل غير مجحودِ
يغشى الهياج بكفٍّ غير منقبضٍ ... عن الضِّراب وقلب غير مزؤود

لم يعرفوا غيـر بثّ العرف بينهم　عفـواً ولا طبعوا إلّاً على الجـودِ
يـا آل أحمـد كم تُلوى حقـوقكمُ　ليَّ الغـرائب عن نبت القـراديـدِ
وكم أراكم بـأجواز الفـلا جُـزراً　مبـدَّدين ولـكـن أيّ تبـديـدِ
لو كان ينصفكم من ليس ينصفكم　ألقى إليكم مـطيعـاً بـالمقـاليـدِ
حُسدتم الفضل لم يحرزه غيركمُ　والناس ما بين محرومٍ ومحسودِ
جاءوا إليكم وقد أعطوا عهودهمُ　في فيلقٍ كـزهـاء الليـل ممـدودِ
مُستمـرحين بـأيـديهم وأرجلهم　كمـا يشاؤن ركض الضمَّـر القودِ
تهـوي بهم كلّ جـرداء مـطهَّمـةٍ　هـويَّ سجل من الأودام مجـدودِ
مستشعرين لأطراف الـرِّماح ومن　حدِّ الظبـا أدرعاً من نسـج داودِ
كـأنَّ أصوات ضـرب الهام بينهمُ　أصواتُ دوح بأيدي الريح مبدودِ
حمـائم الأيـك تبكيهم على فننٍ　مـرنَّـحٍ بنسيم الـريـح املودِ
نوحي فذاك هديرٌ منـك محتسبٌ　على « حسين » فتعديدٌ، كتغريدِ

احبكم والذي طاف الحجيج به　بمبتنى بـإزاء العـرش مقصـودِ
وزمـزم كلّمـا قسنـا مـواردهـا　أوفى وأربى على كـلّ المواريـدِ
والموقفين وما ضحَّوا على عجل　عند الجمار من الكوم المقاحيـدِ
وكـلّ نسـك تلقّـاه القبـول فمـا　أمسى وأصبـح إلّا غيـر مـردودِ
وأرتضي أنَّـني قـد متُّ قبـلكمُ　في مـوقفٍ بـالـرُّدينيّـات مشهـودِ
جمَّ القتيـل فهامـات الرِّجـال به　في القاع ما بين متروكٍ ومحصودِ

فـقـل لآل زيـاد: أيّ معـضـلة　ركبتمـوهـا بتخبيب وتخـويـدِ؟!
كيف استلبتم من الشجعان أمرهمُ　والحرب تغلي بأوغادٍ عراديـدِ؟!
فـرَّقتم الشمل ممن لفَّ شملكم　وأنتمُ بين تـطريـدٍ وتـشـريـدِ
ومَن أعـزّكمُ بعـد الخمـول ومَن　أدنـاكمُ مِنَ أمـان بعـد تبعيـدِ
لـولاهمُ كنتمُ لحمـاً لـمـزدرد　أو خلسـةً لقصيـر البـاع معضـودِ
أو كـالسقاء يبيسـاً غيـر ذي بللٍ　أو كـالخباء سقيـطاً غيـر معمـودِ
أعـطاكمُ الدهـر ما لا بـدَّ يرفعـه　فسـالب العود فيهـا مورق العـودِ

فلا شربتم بصفوٍ لا ولا علقت　　لكم بنانٌ بأزمانٍ أراغيدِ
ولا ظفرتم وقد جنّت بكم نوبٌ　　مقلقلات بتمهيدٍ وتوطيدِ
وحوّل الدهر ريّاناً إلى ظمأٍ　　منكم وبدّل محدوداً بمجدودِ
قد قلت للقوم: حطّوا من عمائمهم　　تحقّقاً بمصاب السّادة الصيدِ
نوحوا عليه فهذا يوم مصرعه　　وعدّدوا إنّها أيّام تعديدِ
فلي دموعٌ تُباري القطر واكفةٌ　　جادت وإن لم أقل يا أدمعي جودي

وقال يذكر مصرع جدّه الإمام السبط عليه السّلام، يوجد في الجزء الأوّل من ديوانه:

أسقى نمير الماء ثمّ يلذّلي　　ودوركمُ آل الرّسول خلاءُ؟!
وأنتم كما شاء الشتات ولستمُ　　كما شئتمُ في عيشةٍ وأشاءُ
تُذادون عن ماء الفرات وكارع　　به إبل للغادرين وشاءُ
تنشّر منكم في القواء معاشرٌ　　كأنّهمُ للمبصرين ملاءُ
ألا إنّ يوم الطفّ أدمى محاجراً　　وأودى قلوباً ما لهنّ دواءُ
وإنّ مصيبات الزّمان كثيرةٌ　　وربّ مصابٌ ليس منه عزاءُ
أرى طخيةً فينا فأين صباحها؟　　وداءً على داءٍ فأين شفاءُ؟!
وبين تراقينا قلوبٌ صديّةٌ　　يُراد لها - لو أعطيته - جلاءُ
فيا لائماً في دمعتي ومفنّداً　　على لوعتي واللوم منه عناءُ
فما لك منّي اليوم إلّا تلهّفي　　وما لك إلّا زفرةٌ وبكاءُ
وهل لي سلوانٌ وآل محمّد　　شريدهمُ ما حان منه ثواءُ؟!
يصدُّ عن الروحات أيدي مطيّهم　　ويزوى عطاءٌ دونهم وحباءُ
كأنّهمُ نسلٌ لغير محمّد　　ومن شعبه أو حزبه بُعداءُ
فيا أنجماً يهدي إلى الله نورها　　وإن حال عنها للغبيّ غباءُ
فإن يك قومٌ وصلةً لجهنّم　　فأنتم إلى خلد الجنان رشاءُ
دعوا قلبي المحزون فيكم يهيجه　　صباحٌ على اخراكمُ ومساءُ
فليس دموعي من جفوني وإنّما　　تقاطرن من قلبي فهنّ دماءُ

إذا لم تكونوا فالحياة منيَّةٌ ... ولا خير فيها والبقاءُ فناءُ
وأمّا شقيتم بالزّمان فإنّما ... نعيمي إذا لم تلبسوه شقاءُ
لحى الله قوماً لم يجازوا جميلكم ... لأنّكمُ أحسنتمُ وأساؤا
ولا انتاشهم عند المكاره منهضٌ ... ولا مسَّهم يوم البلاء جزاءُ
سقى الله أجداثاً طوين عليكمُ ... ولا زال منهلاً بهنَّ رواءُ
يسير إليهنَّ الغمام وخلفه ... زماجر من قعقاعه وحداءُ
كأنَّ بواديه العشار تروَّحتْ ... لهنَّ حنينٌ دائمٌ ورغاءُ
ومن كان يسقي في الجنان كرامة ... فلا مسَّه ريّاً من السحائب ماءُ

وقال يرثيه صلوات الله عليه يوم عاشوراء، توجد في الجزء السادس من ديوانه:

يا يوم أيّ شجى بمثلك ذاقه ... عصب الرَّسول وصفوة الرحمانِ؟!
جرعتهم غصص الردى حتى ارتووا ... ولذعتهم بلواذع النيرانِ
وطرحتهم بدراً بأجواز الفلا ... للذئب آونةً وللعقبانِ
عافوا القرار وليس غير قرارهم ... أو بردهم موتاً بحدِّ طعانِ
منعوا الفرات وصُرِّعوا من حوله ... من تائقٍ للورد أو ظمآنِ
أوَ ما رأيتَ قراعهم ودفاعهم ... قدماً وقد أعروا من الأعوانِ؟!
متزاحمين على الرَّدى في موقفٍ ... حشى الظبا وأسنّة المرانِ
ما إن به إلّا الشجاع وطائر ... عنه حذار الموت كلّ جبانِ
يوم أذلَّ جماجماً من تهاشمٍ ... وسرى إلى عدنان بل قحطانِ
أرعى جميم الحقِّ في أوطانهم ... رعي الهشيم سوائم العدوانِ
وأنار ناراً لا تبوخ وربَّما ... قد كان للنيران لون دخانِ
وهو الذي لم يبق في دينٍ لنا ... بالغدر قائمة من البنيانِ
يا صاحبيَّ على المصيبة فيهمُ ... ومشاركيَّ اليوم في أحزاني
قوما خذا نار الصِّلا من أضلعي ... إن شئتما والنار من أجفاني
وتعلّما انَّ الذي كتّمته ... حذر العدى يأبى عن الكتمانِ

فلو أنَّني شاهدتهم بين العدى ... والكفر مغلولٌ على الإيمانِ
لخضبت سيفي من نجيع عدوِّهم ... ومحوت من دمهم حجول حصاني
وشفيت بالطعن المبرِّح بالقنا ... داء الحقود ووعكة الأضغانِ
ولبعتهم نفسي على ضننٍ بها ... يوم الطفوف بأرخص الأثمانِ

وقال يرثي جدَّه الإمام السبط المفدّى يوم عاشوراء سنة ٤١٣، توجد في الجزء الثالث من ديوانه:

لك الليل بعد الذاهبين طويلا ... ووفد هموم لم يردن رحيلا
ودمعٌ إذا حبَّسته عن سبيله ... يعود هتوفاً في الجفون هطولا
فيا ليت أسراب الدموع التي جرت ... أسون كليماً أو شفين عليلا
إخال صحيحاً كلّ يوم وليلة ... ويأبى الجوى إلّا أكون عليلا
كأنّي وما أحببت أهوى ممنّعاً ... وأرجو ضنيناً بالوصال بخيلا
فقل للذي يبكي نؤيّاً ودمنة ... ويندب رسماً بالعراء محيلا
عداني دمٌ لي طلَّ بالطفِّ أن أرى ... شجيّاً أُبكّى أربُعاً وطلولا
مصابٌ إذا قابلت بالصبر غربه ... وجدت كثيري في العزاء قليلا
ورزءٌ حملت الثقل منه كأنَّني ... مدى الدهر لم أحمل سواه ثقيلا
وجدتم عداة الدين بعد محمَّد ... إلى كلمه في الأقربين سبيلا
كأنَّكم لم تنزعوا بمكانه ... خشوعاً مبيناً في الورى وخمولا
وأيّكمُ ما عزّ فينا بدينه ... وقد عاش دهراً قبل ذاك ذليلا
فقل لبني حرب وآل اميَّة ... إذا كنت ترضى أن تكون قؤولا
: سللتم على آل النبيِّ سيوفه ... ملئن ثلوماً في الطلى وفلولا
وقدتم إلى من قادكم من ضلالكم ... فأخرجكم من واديه خيولا
ولم تغدروا إلّا بمن كان جدُّه ... إليكم لتحظوا بالنَّجاة رسولا
وترضون ضد الحزم إن كان ملككم ... ضئيلاً وديناً دنتمُ لهزيلا
نساء رسول الله عقر دياركم ... يرجِّعن منكم لوعةً وعويلا
لهنَّ ببوغاء الطفوف أعزَّة ... سقو الموت صرفاً صبيةً وكهولا

كـأنَّهمُ نـوّار روض هــوت بــه   ريــاحُ جنــوبــاً تــارةً وقبــولا
وأنجمُ ليــل مـا علون طــوالعـاً   لأعـينـنــا حتّـى هـبـطن افــولا
فـأيّ بدورٍ مـا مُحين بكاسفٍ؟!   وأيّ غصـونٍ مـا لقين ذبــولا؟!
أمن بعـد أن أعطيتمـوه عهـودكم   خفـافاً إلى تلك العهـود عجـولا
رجعتم عن القصد المبين تناكصاً!   وحُلتم عن الحقِّ المنير حؤولا؟!
وقـعقـعتـمُ أبــوابــه تختـلونــه   ومَن لم يُـرد ختلاً أصـاب ختولا
فمـا زلتمُ حتّى أجـاب نــداءكم   وأيّ كــريم لا يُجيب سؤولا؟!
فلمّـــا دنـا ألفــاكمُ في كتــائب   تـطاولن أقـطار السباسب طـولا
متى تـك منها حجـزة أو كحجزة   سمعت رغـاءً مصعقـاً وصهيلا؟

فلم يَــر إلاّ نــاكثـاً أو منكّبــاً   وإلاّ قــطوعــاً لــلذمــام حـلولا
وإلاّ قعــوداً عن لمــام بنصــره   وإلاّ جبـوهـاً بــالـرَّدى وخــذولا
وضغن شفـاف هبّ بعـد رقــاده   وأفئــدة مــلأى يفضـن ذحــولا
وبيضـاً رقيقـات الشفــار صقيلة   وسمراً طويـلات المتون عسـولا
فــلا أنتمُ أفـرجتمُ عن طــريقـه   إلـيكـم ولا لــمّـــا أراد قـفــولا

عـزيزٌ على الشاوي بطيبـة أعظم   نبذن على أرض الطفوف شكولا
وكــلّ كــريـمٍ لا يلمُّ بــريـبــةٍ   فإن سيم قول الفحش قال جميلا
يذادون عن ماء الفرات وقد سقوا   الشهـادة من ماء الفـرات بـديـلا
رُموا بالرَّدى من حيث لا يحذرونه   وغـرّوا وكم غرَّ الغفـول غفـولا
أيـا يـوم عـاشـوراء كم بفجيعـةٍ   على الغـرِّ آل الله كـنتَ نــزولا
دخلت على أبيــاتهم بمصــابهم   ألا بئسمـا ذاك الـدخـول دخـولا
نــزعت شهيــد الله منّــا وإنّمــا   نــزعت يميناً أو قــطعت تليـلا
قتيـلاً وجـدنـا بعـده دين أحمـد   فقيــداً وعــزَّ المسلمين قتيــلا
فلا تبخسوا بالجور من كـان ربّه   ـ برجع الـذي نازعتمـوه ـ كفيلا
احــبّـكــمُ آل الـنـبـيِّ ولا أرى   وكم عـذلوني عن هـواي عديـلا
وقلتُ لمن يلحا على شغفي بكم   وكم غير ذي نصحٍ يكون عذولا

: رويدكمُ لا تنحلوني ضلالكم فلن تُرحلوا منّي الغداة ذلولا
عليكم سلام الله عيشاً وميتةً وسفراً تطيعون النّوى وحلولا
فما زاغ قلبي عن هواكم وأخمصي فلا زلّ عمّا ترتضون زليلا

وقال في الموعظة والإعتبار، توجد في الجزء السادس من ديوانه:

لا تقربنَّ عضيهةً إنَّ العضاية مخزياتُ
واجعل صلاحك سرمداً فالصّلحات الباقياتُ
في هذه الدنيا ومَن فيها لنا أبداً عظاتُ
إمّا صروفٌ مقبلاتٌ أو صروفٌ مدبراتُ
وحوادث الأيّام فينا آخذاتٌ معطياتُ
والذلُّ موتٌ للفتى والعزُّ في الدنيا الحياةُ
والذخر في الدارين إمّا طاعةٌ أو مأثراتُ
يا ضيعة للمرء تدعوه إلى الهلك الدعاةُ
تغترّه حتّى يزور شعابهنَّ الطيّباتُ
عِبَرٌ تمرُّ وما لها منّا عيونٌ مبصراتُ
أين الأولى كانوا بأ يدينا حصولاً ثمَّ ماتوا؟!
مِن كلِّ مَن كانت له ثمرات دجلة والفراتُ
ما قيل: نالوا فوق ما يهوون حتّى قيل: فاتوا
لم يغن عنهم حين همَّ بهم حِمامهم الحماةُ
كلّا ولا بيضٌ وسمرٌ عاريات مشرعاتُ
نطقوا زماناً ثمَّ ليس لنطقهم إلّا الصّماتُ
وكأنَّهم بقبورهم سبتوا وما بهمُ سباتُ
من بعد أن ركبوا قرى سرر وجردهمُ رفاتُ
سلموا على صلح الأسنَّة والظبى لما استماتوا
ونجوا من الغمّاء لمّا قيل: ليس لهم نجاةُ
في موقف فيه الصوارم والذوابل والكماةُ

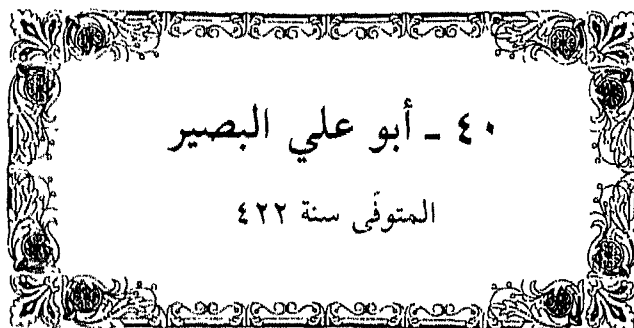
وأتــاهـمُ مـن حـيـث لـم ... يـخشـوا لـحينهـم الـمـمـاتُ
وطـوتـهـمُ طـيَ الـبـرود ... لـهـم قـبـورٌ مـظلماتُ
فـهـمُ بـهـا مـثـل الـهـشـيـم ... تـعـيـث فـيـهـا الـعـاصـفـاتُ
شُـعـثٌ وسـائـدهـم بـهـا ... مـن غـيـر تـكـرمـةٍ عـلاةُ
قـل لـلّذيـن لـهـم إلـى ... الـدنـيـا دواع مـسـمـعـاتُ
وكـأنَّـهـم لـم يـسـمـعـوا ... مـاذا تـقـول الـنـاعـيـاتُ
أو مـا تـقـول لـهـم إذا اجـتـا ... زوا الـديـار الـخـالـيـاتُ؟!
فـالـضّـاحـكـات وقـد نـعـمـن ... بـهـنَّ هـنَّ الـبـاكـيـاتُ
: حـتّـى مـتـى وإلـى مـتـى ... تـأوي عـيـونكـم الـسّـنـاتُ؟!
كـم ذا تـفـرِّج عـنـكـمُ ... أبـد الـزمـان الـموغـطاتُ؟!
كـم ذا وُعـظتـم لـو تـكـون ... لـكـم قـلـوبٌ مـصـغـيـاتُ؟!
لـكـمْ عـقـول مـعـوضـاتٌ ... أو عـيـونٌ عـاشـيـاتُ
عـجُ بـالـديـار فـنـادهـا: ... أيـن الـجـبـال الـراسـيـاتُ؟!
أيـن الـعـصـاة عـلى الـمـكـا ... رم لـلـعـواذل والأُبـاةُ؟!
تـجـري الـمـنـايـا مـن روا ... جـبـهـم جـمـيـعـاً والـصِّـلاتُ
وإذا لـقـوا يـوم الـوغـى ... أقـرانـهـم كـانـت هـنـاةُ
والـدَّهـر طـوع يـمـيـنـهـم ... وهـمُ عـلى الـدنـيـا الـولاةُ
أعـطاهـمُ مـتـبـرِّعـاً ... ثـمَّ اسـتـردَّ فـقـال: هـاتـوا
كـانـت جـمـيـعـاً ثـمَّ مـزَّق ... شـمـل بـيـنـهـم الـشَّـتـاتُ
فـأكـفّـهـم مـن بـعـد أن ... سـلـبـوا الـمـواهـب مـقـفـراتُ
وسـيـوفـهـم ورمـاحـهـم ... مـنـبـوذةٌ والـضـامـراتُ
أمـنـوا الـصـبـاح ومـالـهـم ... عـلـمٌ بـمـا يـجـنـى الـبـيـاتُ
ورمـاهـمُ فـبـأصـابـهـم ... داءٌ تـعـزُّ لـه الـرقـاةُ
وسـهـام أقـواس الـمـنـون ... الـصـائـبـاتُ الـمـصـمـيـاتُ
مـات الـنـدى مـن بـيـنـنـا ... بـمـمـاتـهـم والـمـكـرمـاتُ

وقال يرثي الشيخ الأكبر شيخنا المفيد محمَّد بن محمَّد بن نعمان المتوفّى في رمضان ٤١٣ توجد في الجزء الثالث من ديوانه:

مَن على هذه الديار أقاما؟! أو ضفا ملبسٌ عليه وداما؟!
عُج بنا نندب الذين تولّوا باقتياد المنون عاماً فعاما
فارقونا كهلاً وشيخاً وهمّاً ووليداً وناشئاً وغلاما
وشحيحاً جعد اليدين بخيلاً وجواداً مخولاً مِطعاما
سكنوا كلَّ ذروةٍ من أشمٍّ يحسر الطرف ثمَّ حلّوا الرغاما
يا لحى الله مهملاً حسب الدهر نؤم الجفون عنه فناما
وكأنّي لَمّا رأيت بني الدهر غفولاً رأيت منهم نياما
أيّها الموت كم حططتَ عليّاً ساميَ الطرف؟! أو جببت سناما؟!
وإذا ما حدرتَ خلفاً وظنّوا نجوة من يديك كنت إماما
أنت ألحقت بالذكيّ غبيّاً في اصطلامٍ وبالدنيِّ هماما
أنت أفنيت قبل أن تأخذ الأبناء منّا الآباء والأعماما
ولقد زادني فأرّق عيني حادثٌ أقعد الحجى وأقاما
حدثُ عنه فزادني حيدي عنه لصوقاً بدائه والتزاما
وكأنّي لما حملت به الثقل تحمّلت يذبلاً وشماما
فخذ اليوم من دموعي وقد كنَّ جموداً على المصاب سجاما
إنَّ شيخ الإسلام والدين والعلم تولّى فأزعج الإسلاما
والذي كان عزَّةً في دُجى الأيّام أودى فأوحش الأيّاما
كم جلوتَ الشكوك تعرض في نصٍّ وصيٍّ؟! وكم نصرت إماما؟
وخصوم لدّ ملأتهم بالحقِّ في حومة الخصام خصاما؟!
عاينوا منك مصمياً ثغرة النحر وما أرسلت يداك سهاما
وشجاعاً يفري المراء وما كلُّ شجاعٍ يفري الطلى والهاما
مَن إذا مال جانبٌ من بناء الدين كانت له يداه دعاما؟!
وإذا ازورَّ جائرٌ عن هداه قاده نحوه فكان زماما؟!

مَن لفضلٍ أخرجتَ منه خبيئاً ومعانٍ فضضتَ عنها ختاما؟!
مَن لسوء ميَّزت عنه جميلاً وحلال خلّصت منه حراما؟!
مَن يُنير العقول من بعدما كنَّ هموداً وينتج الأفهاما؟!
مَن يُعير الصَّديق رأياً إذا ما سلّه في الخطوب كان حساما؟!
فامض صفراً من العيوب وكم با ن رجالٌ أثروا عيوباً وذاما
إنَّ خلداً أوضحت عاد بهيماً وصباحاً أطلعت صار ظلاما
وزلالاً أوردت حال اجاجاً وشفاءً أورثت آلَ سقاما
لن تراني وأنت من عدد الأموا ت إلا تجمّلاً بسّاما
وإذا ما اخترمتَ منّي فما أرهب في سائر الأنام اخترامـا
إن تكن مجرماً ولست فقد وا ليت قوماً تجمَّلوا الأجراما
لهمُ في المعاد جاهٌ إذا ما بسطوه كفى وأغنى الأناما
لا تخف ساعة الجزاء وإن خا ف اناسٌ فقد أخذت ذماما
أودع الله ما حللت من البيد اء فيه الإنعام والإكراما
ولوى عنه كلّ ما عاقه التر ب ولا ذاق في الزّمان اواما
وقضى أن يكون قبرك للرَّحمة والأمن منزلاً ومقاما
وإذا ما سقى القبور فروّاها رهاماً سقاك منه سلاما

رَحِمَ الله مَعشَرَ الماضينَ والسَّلامُ
على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى



٤٠ - أبو علي البصير

المتوفى سنة ٤٢٢

سبحان من ليس في السَّماء ولا ... في الأرض نِدٌّ له وأشباهُ
أحاط بالعالمين مقتدراً ... أشهد أن لا إله إلّاهُ
وخاتم المرسلين سيِّدنا ... أحمد ربُّ السَّماء سمّاهُ
أشرقت الأرض يوم بعثته ... وحصحص الحقُّ من محيّاهُ
إختار يوم « الغدير » حيدرةً ... أخاً له في الورى وآخاهُ
وباهل المشركين فيه وفي ... زوجته يقتفيهما ابناهُ
هم خمسةٌ يُرحم الأنام بهم ... ويستجابُ الدُّعا ويرجاهُ(١)

(الشاعر)

أبو علي البصير [الضرير] الحسن بن المظفَّر النيسابوري المحتد، الخوارزمي المولد، ذكره إبن شهراشوب من المتَّقين من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام، وذكره أبو أحمد محمود بن أرسلان في تاريخ خوارزم وبالغ في الثناء عليه وقال: كان مؤدِّب أهل خوارزم في عصره ومخرِّجهم وشاعرهم ومقدِّمهم والمشار إليه منهم، له كتاب تهذيب ديوان الأدب. وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب ذيل تتمَّة اليتيمة. وديوان شعره في مجلّدين. وديوان رسائله.

(١) هذه الابيات ذكرها العلامة السماوي في الجزء الاول من كتابه « الطليعة في شعراء الشيعة » لابي علي الضرير. وذكر الحموي منها أربعة ابيات ونسبها الى ولده عمر أبي حفص، والله العالم.

وكتاب محاسن من اسمه الحسن. وكتاب زيادات أخبار خوارزم. ومن شعره قوله:

أهلاً بعيش كان جِدَّ مواتِ(١) — أحيا من اللّذات كلَّ مَواتِ
أيّام سرب الإنس غير منفَّر — والشَّمل غير مروَّعٍ بشتاتِ
عيشٌ تحسَّر(٢) ظلّه عنّا فما — أبقى لنا شيئاً سوى الحسراتِ
ولقد سقاني الدَّهر ماء حياته — والآن يسقيني دم الحيّاتِ
لهفي لأحرارٍ مُنيت ببعدهم — كانوا على غِيَر الزَّمان ثقاتي
قد زالت البركات عنّي كلها — بزيال سيِّدنا أبي البركاتِ
ركن العلا والمجد والكرم الذي — قد فات في الحلبات أيّ فواتِ
فارقتُ طلعته المنيرة مكرهاً — فبقيت كالمحصور في الظلماتِ
اضحي وامسي صاعداً زفراتي — لفراقه متحدِّراً عبراتي

وله قوله في المديح:

جبينك الشمس في الأضواء والقمر — يمينك البحر في الأرواء والمطرُ
وظلّك الحرم المحفوظ ساكنه — وبابك الركن للقصّاد والحجَرُ
وسيبك الرِّزق مضمونٌ لكلِّ فمٍ — وسيفك الأجل الجاري به القدَرُ
أنت الهمام بل البدر التَّمام بل السّـ — ـيف الحسام بل الصّارم الذَّكرُ
وأنت غيث الأنام المستغاث به — إذا أغارت على أبنائها الغيرُ

وله في الغزل:

أريّا شمال؟! أم نسيم من الصَّبا — أتانا طُروقاً؟! أم خيال لزينبا؟!
أم الطالع المسعود طالع ارضنا — فاطلع فيها للسعادة كوكبا؟!

قال أبو علي [المترجَم]: رأيت إبن هودار في المنام بعد موته فقلت له:

---

(١) اي مطاوع وموافق. من واتى مواتاة ووتاء.
(٢) الحسر: الكشف. تحسر: تكشف.

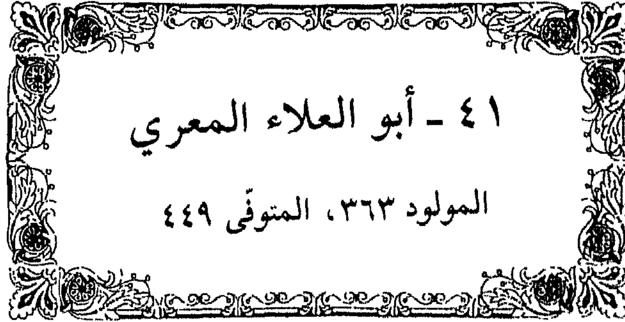
لقـد تحـوَّلتَ من دارٍ إلـى دارِ فهـل رأيت قراراً يـا بن هودارِ؟!

قال: فأجابني:

لا بل وجدت عذاباً لا انقطاع له مـدى الليـالي وربّـاً غيـر غفّـارِ
ومنـزلاً مـظلمـاً في قعـر هـاويـة قــرنتُ فيـهـا بكـفّـار وفُجّـارِ
فقل لأهليَ: موتـوا مسلمين فما للكافرين لدى الباري سوى النارِ

وولده أبو حفص عمر كان فقيهاً فاضلاً أديباً توفّي في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة (١).

(١) معجم الادباء ج ٩ ص ١٩١ - ١٩٨ من الطبعة الاخيرة.



٤١ ـ أبو العلاء المعري

المولود ٣٦٣، المتوفّى ٤٤٩

أدنيـاي اذهبي وسـواي أمّي | فقـد ألممت ليتـكِ لـم تلمّـي
وكـان الـدّهـر ظـرفـاً لا لحمـدٍ | تـؤهِّـله الـعـقـول ولا لـذَمِّ
وأحسب سـانح الأزميم نـادى | ببين الحيِّ في صحـراء ذمِّ(١)
إذا بـكـرٌ جنـى فتـوقّ عـمـراً | فـإنّ كـليـهـمـا لأبٍ وامِّ
وخف حيوان هذي الأرض واحذر | مجيء النـطح من رَوق وجُمِّ(٢)
وفي كـلِّ الـطبـاع طباع نكـز | ولـيس جـمـيعـهـنَّ ذوات سُـمِّ
ومـا ذنب الضراغم حين صيغت | وصيِّـر قـوتهـا مـمـا تـدمّي
فقـد جبلت على فرس وضـرس | كمـا جبل الـوفـود على التنمّي
ضيـاءٌ لم يبن لـعيـون كـمـه | وقـول ضـاع فـي آذان صُـمِّ
لعمـرك مـا أسـرّ بيـوم فـطر | ولا أضحى ولا بـغـديـر خـمِّ
وكـم أبـدى تـشـيّعـه غـويّ | لأجـل تـنـسّـبٍ ببـلاد قـمِّ

ما يتبع الشعر والشاعر

هـذه الأبيات من قصيـدة لأبي العلاء تـوجد في لـزوم ما لا يلزم ج ٢ ص ٣١٨ وقال شارحه المصري: « غدير خم » بين المدينة ومكّة على ثلاثـة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق ويشير أبو العلاء بقوله: ولا أضحى. إلى

---

(١) ازميم: ليلة من ليالي المحاق. والهلال اذا دق في آخر الشهر واستقوس. ذم : الهلاك .
(٢) الروق. القرن من كل ذي قرن. جم جمع الاجم: الكبش لا قرن له .

التشيّع لعليّ ففيه قال النبيّ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه عند منصرفه من حجّة الوداع : مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه ، والشيعة يقصدون هذا المكان ولذلك قال شاعرهم :

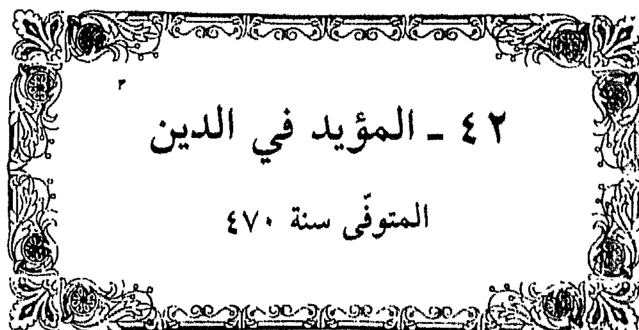
ويوماً بالغدير غدير خمٍّ[1]   أبان له الولاية لو اطيعا

كان حقّاً علينا أن ننوِّه بذكر هذه الأبيات في الجزء الأوَّل عند ذكر عيد الغدير كما كان لنا أن نذكر كلام من علّق عليها في طبقات رواة حديث الغدير فإذ فاتنا العثور عليها هناك إستدركناه هٰهنا.

وقد كثر المترجمون لأبي العلاء المعري حتّى عاد أمره ورفعة مقامه في الأدب من أجلى الواضحات، وإنَّ ديوانه بمفرده أجلّ شاهد على نبوغه، وأوسع تراجمه وأحسنها ما ألّفه الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلّي المتوفّى ٦٦٠ وسمّاه [كتاب الإنصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعرّي] وقد طبع ملخّصه في الجزء الرّابع من تاريخ حلب ج ٤ ص ٧٧ - ١٨٠ . وإليك فهرسته.

---

(١) هذا البيت من هاشميات الكميت وفيه تصحيف والصحيح كما مر في الجزء الثاني ص ٢١٣ :
ويوم الدوح دوح غدير خم   أبان له الولاية لو اطيعا



٤٢ ـ المؤيد في الدين

المتوفّى سنة ٤٧٠

قـال والرَّحـل لِلسّرى محمـولُ: ... حُقَّ منـك النّوى وجـدَّ الـرَّحيـلُ
وعـدا الهزلُ في القـطيعـة جـدّاً ... مـا كذا كـان منك لي المـأمـولُ
قـلتُ والـقـلب حسرةً يـتـقـلّى ... وعلى الخـدِّ دمـع عيني يسيـلُ
: بـأبي أنت ما اقتضى البين إلاّ ... قــدرٌ ثمَّ عهـدُك المستحيـلُ
كم وكم قلت: خلّني يـا خليلي ... من جفـاء منـه الجبـال تـزولُ؟!
إنّـمـا أمـره لـديـك خفيفٌ ... وهــو ثقـلٌ على فؤادي ثقيـلُ
إنّـك السـالم الصحيـح وإنّي ... من غرامٍ بك الـوقيذ(١) العليـلُ
قـال: قد مـرَّ ذا فهـل من مُقـام ... عنـدنـا؟ قلتُ: مـا إليه سبيـلُ
قـال: إنّي لـدى مُـرادك بـاقٍ ... قلت: ها إن تفي بما قد تقولُ
قال: أضرمتَ في الحشى نار شوق ... حـرُّ أنفـاسهـا عليهـا دليـلُ
قلتُ: حسبي الذي لقيت هواها ... فلقـاء الهـوان عـنـدي يهـولُ
فـقيـحٌ بيَّ التَّصـابي وهـذا ... عسكر الشَّيب فوق رأسي نـزولُ

* * *

إنَّ أمـر المعـاد أكبـر همي ... فـاهتمـامي بمـا عـداهُ فضـولُ
كثـر الخـائضـون بحر ظـلامٍ ... فيـه والمؤنسـو الضيـاء قليـلُ
قال قومٌ: قُصرى الجميع التلاشي ... فئـةٌ منتـهـاهـمُ التَّعـطيـلُ

---

(١) الوقيذ: الشديد المرض، المشرف على الموت.

وادّعى الآخرون نسخاً وفسخاً ... ولهم غير ذاك حشوٌ طويلُ
وأبوا بعد هذه الدّار داراً ... نحوها كلُّ مَن يؤولُ يَؤولُ
لم يروا بعدها مَقامَ ثوابٍ ... وعقابٍ لهم إليه وُصولُ
فالمثابون عندهم مُترفوهم ... ولذي الفاقة العذابُ الوبيلُ
قال قومٌ وهم ذوو العدد الجـ ... ـمِّ لنا الزَّنجبيل والسَّلسبيلُ
ولنا بعد هذه الدّار دارٌ ... طاب فيها المشروب والمأكولُ
ولكلٍّ من المقالاتِ سوقٌ ... وإمامٌ ورايةٌ ورَعيلُ
ما لهم في قَبيل عقلٍ كلام ... لا ولا في حِمَى الرَّشاد قَبولُ
امّةٌ ضيَّع الأمانةَ فيها ... شيخها الخامل الظَّلوم الجهولُ
بئس ذاك الإنسان في زُمر الإنس ... وشيطانه الخَدوعُ الخذولُ
فهم التائهون في الأرض هلكا ... عقدُ دين الهُدى بهم محلولُ
نكسوا ويلهم ببابلَ جهراً ... جُملٌ ذا وراءَها تفصيلُ
مُنعوا صفو شربةٍ من زُلالٍ ... ليس إلّا بذاك يشفى الغليلُ
ملَّكوا الدِّين كلَّ انثى وخُنثى ... وضعيفٍ بغير بأسٍ يصولُ

إلى أن قال:

لو أرادوا حقيقة الدِّين كانوا ... تبعاً للذي أقام الرَّسولُ
وأتت فيه آيةُ النصِّ بلِّغ ... يوم « خُمٍّ » لمّا أتى جبريلُ
ذاكُمُ المرتضى عليٌّ بحقٍّ ... فبعلياه ينطق التَّنزيلُ
ذاك برهان ربِّه في البرايا ... ذاك في الأرض سيفه المسلولُ
فأطيعوا جحداً اولي الأمر منهم ... فلهم في الخلائق التَّفضيلُ
أهل بيتٍ عليهمُ نزل الذكـ ... ـرُ وفيه التَّحريمُ والتَّحليلُ
هم أمانٌ من العمى وصراطٌ ... مستقيمٌ لنا وظِلٌّ ظليلُ

القصيدة ٦٧ بيتاً(١)

---

(١) ديوان المؤيد ص ٢١٥ ـ ٢١٨.

وله من قصيدة ذات ٥١ بيتاً توجد في ديوانه ص ٢٤٥، أوّلها:

نسيم الصَّبــا ألمِمْ بفـارسَ غـاديـا   وأبلغ سـلامي أهـل وُدّي الأزاكيـا

يقول فيها:

فلهفي على أهلي الضِّعاف فقد غدوا   لِحـدِّ شفـار النـائبـات أضـاحيـا
فياليت شِعري مَن يُغيث صـريخهم   إذا مـا شكوا للحـادثات العـواديا؟!
ويا ليت شعري كيف قد أدرك العدى   بتفـريق ذات البين فينا المبـاغيـا؟!
أإخـوانـنـا صبـراً جميـلاً فـإنّني   غـدوت بهـذا في رضى الله راضيـا
وفـي آل طـه إن نُفيتُ فـانّـني   لأعـدائهم مـا زلـتُ والله نـافيـا
فما كنتُ بدعاً في الأولى فيهم نُفوا   ألا فخر أن أغدو «لجندب» ثانيا؟!
لئن مسّني بـالنّفـي قُـرحٌ فـإنّنـي   بلغتُ بـه في بعض همّي الأمـانيـا
فقد زُرت في «كوفان» للمجد قبّة   هي الـدين والـدنيـا بحقّ كما هيا
هي القُبّة البيضـاء قُبّـة «حيـدر»   وصيّ الـذي قد أرسـل الله هـاديـا
وصيّ النبيّ المصـطفى وابن عمّـه   ومن قام مولى في «الغدير» وواليا
ومَن قـال قـومٌ فيـه قـولاً مُنـاسبـاً   لقول النصارى في المسيح مُضاهيا
فيـا حبّذا التـطواف حول ضـريحـه   اصلّي عليـه في خشـوع تـواليـا
وواحبّـذا تعـفيـر خـدّيّ فـوقـه   ويـا طيب إكبـابي عليـه منـاجيـا
انـاجي وأشكـو ظـالمي بتحـرُّقٍ   يثيـر دموعـاً فـوق خـدّي جـواريـا
وقد زرت مثوى الطهرفي أرض كربلا   فدَت نفسي المقتول عطشان صـاديا

«القصيدة»

وله من قصيدة ذات ٦٠ بيتاً توجد في ديوانه ص ٢٥٦ مستهلّها:

ألا مـا لهـذي السَّمـا لا تمـورُ   ومـا للجبـال تُـرى لا تسيـرُ؟!؟
ولـلشمس مـا كـوِّرت والـنجـوم   تضيء وتحت الثـرى لا تغـورُ؟!؟
ولـلأرض لـيست بهـا رجفـة   ومـا بـالهـا لا تفور البحـورُ؟!؟
ومـا للدما لا تُحـاكي الـدمـوع   فتجـري لتبتـلّ منهـا النحـورُ؟!؟
أتبـقى الـقـلوب لـنـا لا تُـشـقّ   جـوى ولـو أن القلوب الصخـورُ؟

ليوم ببغداد ما مثله عبوسٌ يراه امرؤٌ قمطريرْ
وقد قام دجّالها أعورٌ يحفُّ به من بني الزّورعورْ
فلا حَدبٌ منه لا ينسلون ولا بقعةٌ ليس فيها نفيرْ
يرومون آل نبيِّ الهدى ليردى الصغير ويفنى الكبيرْ
لتنهب أنفس أحيائهم وتُنبش للميّتين القبورْ
ومن نجل « صادق آل العبا » ينال الذي لم ينله الكفورْ
« فموسى » يُشقّ له قبره ولمّا أتى حشره والنشورْ
ويُسعر بالنار منه حريمٌ حرامٌ على زائريه السّعيرْ
وتقتل شيعة آل الرَّسول عتوّا وتُهتك منهم ستورْ
فواحسرتا لنفوس تسيلِ ويا غمّتا لرؤوس تطيرْ
وما نقموا منهمُ غير أنّ وصيّ النبيّ عليهم أميرْ
كما العذر في غدرهم بغضهم لمن فرض الحب فيه « الغديرْ »
فيا امّةً عاث فيها الشقاء فوجه نهار هُداها قتيرْ
وشافعها خصمها في المعاد لها الويل من ربّها والثبورْ
قتلتم حسينا لملك العراق وقلتم أتاكم له يستثيرْ
فما ذنب موسى الذي قد محت معالمه في ثراء الدهورْ؟!
وما وجه فعلكمُ ذابه؟! لقد غرَّكم بالإله الغرورْ
أيا شيعة الحقّ! طاب الممات فيا قوم! قوموا سراعا نثورْ
فإمّا حياةٌ لنا في القصاص وإمّا إلى حيث صاروا نصيرْ
أآل المسيّب ما زلتمُ عشير الولاء فنعم العشيرْ
ويا آل عوفِ غيوث المُحول ليوثا إذا كاع ليثُ هصورْ
أآل النّهى والندى وانطعان وحزب الطلى حين حرّ الهجيرْ
أصبرا على الخسف؟ لا همكمِ دنيٌ ولا الباع منكم قصيرْ
أتُهتك حرمة آل النبيّ وفي الأرض منكم صبيٌّ صغيرْ؟!
وقبر ابن صادق آل الرَّسول يُمسّ بسوءٍ وأنتم حضورٌ؟!
ولمّا تخوضوا بحار الرَّدى وفي شعبه تنجدوا أو تغوروا
لقد كان يوم الحسين المُنى فتفدى نفوسٌ وتشفى صُدورُ

فهـذا لكـم عـاد يـوم الحسيـن فمـاذا القصـور؟! ومـاذا الفتـورُ؟!
فـمـدوا الـذراع وحـدّوا القـراع فـيـوم النـواصـب منكم عسيـرُ
وولّـوا «ابـن دمنـة» أعمـالـه تبـور كمـا المكـر منـه يبـورُ
فـقتـلاً بـقتـلٍ وثـكـلاً بـثـكـل ذروه تـجـزُّ عـلـيـه الـشـعـورُ

«القصيدة»

(ما يتبع الشعر)

هذه القصيدة نظمها شاعرنا المؤيّد في فتنة بغداد الهائلة الواقعة سنة ٤٤٣ يلفظ نفثات لوعته من تلكم الفظائع التي أحدثتها يد العداء المحتدم على اهل بيت الوحي وشيعتهم يوم شنّت الغارة على مشهد الإمام الطاهر موسى بن جعفر ومشاهد أوليائه المدفونين في جوار أمنه وحرم قدسه.

قال ابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ٢١٥ : وكان سبب هذه الفتنة أنّ أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ففرغ أهلُ الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب: محمّد وعليّ خير البشر، وأنكر السنّة ذلك وادّعوا: انّ المكتوب محمّد وعليّ خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومَن أبى فقد كفر. وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العبّاسيّين، ونقيب العلويّين وهو عدنان[1] ابن الرضي لكشف الحال وإنهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيِّين فأمر حينئذ الخليفة ونوّاب الرحيم بكفّ القتال فلم يقبلوا، وانتدب إبن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصّمد بحمل العامّة على الاغراق في الفتنة، فأمسك نوّابُ

(١) الشريف عدنان هو ابن الشريف الرضي المترجم في هذا الجزء صفحة ٢٠٩ ولي النقابة بعد وفاة عمه الشريف المرتضى المترحم في هذا الجزء ٢٩٧. واستمر الى ان توفّي ببغداد سنة ٤٤٩ .

الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء[١] لميله إلى الحنابلة، ومنع هذه السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه[٢] فعظم الأمر عليهم، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبّوا عليه ماء الورد ونادوا: الماء للسبيل. فأغروا بهم السنّة وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا: خير البشر. وكتبوا: عليهما السّلام. فقالت السنّة: لا نرضى إلاّ أن يقلع الآجر الذي عليه محمّد وعليّ، وأن لا يؤذّن حيّ على خير العمل. وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأوّل وقُتل فيه رجلٌ هاشميٌّ من السنّة فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحربيّة وباب البصرة وسائر محالّ السنّة واستنفروا الناس للأخذ بثاره ثمّ دفنوه عن أحمد بن حنبل، وقد اجتمع معهم خلقٌ كثيرٌ أضعاف ما تقدّم، فلما رجعوا من دفنه قصدوا باب مشهد التبن[٣] فأُغلق بابه فنقبوا في سورها وتهدّدوا البوّاب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في الترب والدور، وأدركهم الليل فعادوا، فلمّا كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والآزاج واحترق ضريح موسى[٤] وضريح إبن إبنه محمّد بن عليّ والجوار والقبّتان السّاج اللتان عليهما، واحترق ما يُقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معزّ الدولة

---

(١) ابو القاسم ابن المسلمة علي بن الحسن بن أحمد وزير القائم بأمر الله مكث في الوزارة ثنتي عشرة سنة وشهراً، قتله البساسيري سنة ٤٥٠. قال ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٦٨: كان كثير الاذية للرافضة، الزم الروافض بترك الاذان بحي على خير العمل، وامروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم. مرتين. وازيل ما كان على ابواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر. وأمر رئيس الرؤساء بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.

(٢) انفتح بثقه: اي كسر سده. بثق السيل: أي خرق وشق

(٣) باب التبن: اسم محلة كبيرة ببغداد على الخندق وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل ويلصق هذا الموضع في مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم، ويعرف قبره بمشهد باب التبن. معجم.

(٤) الامام الطاهر موسى بن جعفر الكاظم، وحفيده الامام الجواد محمد بن علي بن موسى سلام الله عليهم.

وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقبر الأمين محمَّد بن الرَّشيد، وقبر امِّه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله، فلمّا كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمَّد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه، وسمع أبو تمام نقيب العبّاسيّين وغيره من الهاشميّين والسنّة الخبر فجاؤا ومنعوا عن ذلك، وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيّين فنهبوه وقتلوا مدرِّس الحنفيّة أبا سعد السَّرخسي، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء، وتعدّت الفتنة إلى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والأساكفة وغيرهم، ولمّا انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ لأنّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلّهم شيعة فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله فروسل في ذلك وعوتب فاعتذر بأنّ أهل ولايته شيعة واتّفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشقّ عليهم كما أنّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة إلى حالها.

وزاد إبن الجوزي في المنتظم ج ٨ ص ١٥٠: ظهر عيار الطقطقي من أهل درزيجان وحضر الديوان واستتيب وجرى منه في معاملة أهل الكرخ ونتبّعهم في المحال وقتلهم على الإتِّصال ماعظمت فيه البلوى، واجتمع أهل الكرخ وقت الظهيرة فهدمت حائط باب القلائين ورموا العذرة على حائطه وقطع الطقطقي رجلين وصلبهما على هذا الباب بعد أن قتل ثلاثة من قبل، وقطع رؤسهم ورمى بها إلى أهل الكرخ وقال: تغدوا برؤس. ومضى إلى درب الزعفراني فطالب أهله بمائة ألف دينار وتوعّدهم ان لم يفعلوا بالإحراق فلاطفوه فانصرف، ووافاهم من الغد فقاتلوه فقُتل منهم رجلٌ هاشميٌّ فحمل إلى مقابر قريش.

واستنفر البلد ونقب مشهد باب التين ونهب ما فهي واخرج جماعة من

القبور فأُحرقوا مثل العوني[١] والناشي[٢] والجذوعي، ونقل من المكان جماعة موتى فدفنوا في مقابر شتّى وطرح النار في الترب القديمة والحديثة، واحترق الضّريحان والقبّتان السّاج، وحفروا أحد الضريحين ليخرجوا مَن فيه ويدفنوه بقبر أحمد، فبادر النقيب والناس فمنعوهم. إلخ.

وذكر القصّة على الإختصار إبن العماد في شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٠، وإبن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٦٢.

(الشاعر)

هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي المؤيّد في الدين داعي الدُّعاة، أوحديٌّ من حملة العلم، وفذٌّ من أفذاذ الأُمّة، وعبقريٌّ من جِلّة أعلام العلوم العربيّة، ونابغةٌ من نوابغ الأدب العربيّ، وله نصيبه الوافر من القريض بلغة الضّاد وإن وُلد في قاعة الفرس ونشأ في مهدها، كان من الدُّعاة إلى الفاطميّة منذ بلغ أشدّه في كلّ حاضرة حلّ بها، وله في تلك الدّعوة خطوات واسعة، وهو كما وصف نفسه للمستنصر بالله بقوله في سيرته ص ٩٩: وأنا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ومَن لا يُماثلني أحدٌ فيها. وقد كابد دون تلك الدعوة كوارث، وقاسى نوازل ملمّة، وعانى شدائد فادحة، غير أنّه كان يستخفّ ورائها كلّ هامّة ولامّة، ولم يك يكترث لأيّ نازلة.

ولد بشيراز حوالي سنة ٣٩٠ كما يظهر من شعره، وبها شبَّ ونما إلى أن غادرها سنة ٤٢٩ ويمّم الأهواز وفارق مسقط رأسه خائفاً يترقّب فرقاً من السلطان أبي كاليجار بعد ما جرى بينه وبين الملك ما يورث البغضاء، وما تأتّى له إقتناء مرضاته بارجوزته « المسمطة » في ١٥٣ بيتاً ذكرها في سيرته ص ٤٨ ـ ٥٤ فنزل الأهواز غير أنّ هواجسه ما حدَّثته بالطمأنينة إلى الأمن من غيلة الملك فهبط حلّة

---

(١) في المنتظم: العوفي: والصحيح: العوني كما في الشدرات. وقد مرت ترجمة العوني في هذا الجزء ص ١٢٤ ـ ١٤١.

(٢) هو علي بن الوصيف احد شعراء الغدير مر ذكره في هذا الجزء ص ٤٥

منصور بن الحسين الأسدي الذي ملك الجزيرة الدبيسيَّة بجوار خوزستان، ومكث هنالك نحو سبعة أشهر، ثمَّ اتَّجه إلى قرواش أبي المنيع إبن المقلد أمير بني عقيل صاحب الموصل والكوفة والأنبار، فلمّا لم يجده آخذاً بناصره في دعوته سار إلى مصر بعد سنة ٤٣٦ وقبل سنة ٤٣٩ ومكث فيها ردحاً من الزمن إلى أن غدا وله بعض النفوذ في البلاد، فسيِّر إلى الشام باقتراح الوزير عبد الله بن يحيى بن المدبِّر، ثمَّ عاد إلى مصر بعد مدَّة، فقطن فيها بقيّة حياته إلى أن توفّي بها سنة ٤٧٠.

وللمؤيَّد آثار علميّة تنمّ عن طول باعه في الحجاج والمناظرة، وعن سعة اطلاعه على معالم الدين ومباحثه الراقية، وتضلّعه في علمي الكتاب والسنَّة ووقوفه على ما فيهما من دقائق، ورقائق، له رسائل ناظر بها أبا العلاء المعرّي في موضوع أكل اللحم، نشرت في مجلة « الجمعيّة الملكيّة الآسيويّة » سنة ١٩٠٢ م. ومناظرته القيِّمة مع علماء شيراز في حضرة السلطان أبي كاليجار تعرب عن مبلغه من العلم، ذكرها على تفصيلها في سيرته ص ١٦ - ٣٠.

ومناظرته مع الخراساني المذكورة في سيرته ص ٣٠ - ٤٣ شاهد صدق على تضلّعه في العلوم وذُكر للمؤيّد من التأليف:

١ - المجالس المؤيّديَّة.

٢ - المجالس المستنصريّة.

٣ - ديوان المؤيّد.

٤ - سيرة المؤيّد.

٥ - شرح العماد.

٦ - الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير.

٧ - الابتداء والإنتهاء.

٨ - جامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان.

٩ - القصيدة الإسكندريَّة وتسمّى ايضاً بذات الدوحة.

١٠ - تأويل الأرواح.

١١ - نهج العبارة.

١٢ - المسائلة والجواب.

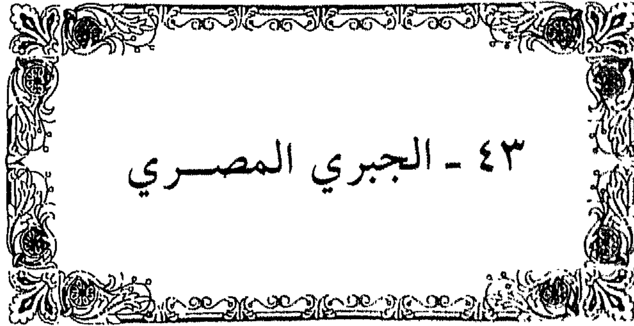
١٣ - اساس التأويل. وفي نسبة غير واحد من هذه الكتب إلى مترجمنا المؤيّد نظر وللبحث فيه مجالٌ واسع.

توجد ترجمة شاعرنا المترجم له بقلمه في كتاب أفرده في سيرته بين سنة ٤٢٩ وسنة ٤٥٠، وهو المصدر الوحيد للباحثين عن ترجمته طبع بمصر في ١٨٤ صحيفة، وللاستاذ محمّد كامل حسين المصري بكليّة الأداب دراسة ضافية حول حياة المترجَم بحث عنها من شتّى النواحي في ١٨٦ صحيفة[١] وجعلها تقدمة لديوانه المطبوع بمصر، ففي الكتابين مقنع وكفاية عن التبسّط في ترجمة المؤيّد[٢].

---

(١) فيها مواقع للنظر عندما نهى سيره إلى الأراء المذهبية.

(٢) المؤيد شعره وترجمته من أولها إلى اخرها من ملحقات الطبعة الثانية.



٤٣ - الجبري المصـــري

يــا دار غــادرني جــديــد بــلاكِ رثّ الجديد فهـل رثيت لذاكِ؟!
أم أنت عمّـا أشتكيه من الهـوى عجماء مذ عجم البلى مغنـاكِ؟!
ضفناك نستقري الرسول فلم نجد إلّا تبــاريــح الـهــمــوم قِـراكِ
ورسيس شـوقٍ تمتـري زفـراتـه عـبــراتنــا حتّـى تبـلّ ثـراكِ
مـا بـال ربعـكِ لا يبـلّ؟ كـأنّمـا يشكو الذي أنا من نحولي شـاكِ
طلّت طلولـك دمـع عيني مثلمـا سفكت دمي يـوم الرَّحيـل دمـاكِ
وأرى قتيلك لا يَـديــهِ قــاتــلٌ وفتــور ألحـاظ الـظباء ظبــاكِ
هيّجت لي إذ عجت ساكن لوعة بــالســاكنيـك تشبّهـا ذكـراكِ
لـمّــا وقـنـت مسلّما وكــأنّـمــا ريّــا الأحبَّــة سقـت من ريّــاكِ
وكفت عليـك سماء عيني صيّبـاً لو كفّ صوب المزن عنك كفاكِ
سقيـا لعهـدي والهـوى مقضيّةٌ أوطـاره قبــل احتكـام نــواكِ
والعيش غضٌّ والشبــاب مطيّـةٌ لــلّهــو غـيــر بــطيئـة الإدراكِ
أيّــام لاواشٍ يُـطاع ولا هــوىً يُعصى فنقصى عنـك إذ زرنـاكِ
وشفيعنــا شـرخ الشبيبــة كلّمــا رمنا القصاص من اقتنـاص مهاكِ
ولئن أصارتك الخطوب إلى بلى ولحـاك ريب صروفهـا فمحـاكِ
فلطالمــا قضّيت فيــك مآربي وأبحت ريعـان الشبـاب حمـاكِ
مـا بين حـور كـالنجـوم تـزيّنت منهـا القـلائـد للبـدور حـواكي

هيف الحصور من القصور بدت لنا … منهـا الأهلّة لا مـن الأفـلاكِ
يجمعن من مرح الشبيبة خفَّة الـ … ـمتغـزّلـين وعفّـة النّسـاكِ
ويصدن صادية القلوب بأعينٍ … نجل كصيد الطير بالأشراكِ
من كلِّ مخطفة الحشا تحكي الرشا … جيداً وغصن البان لين حراكِ
هيفاء ناطقة النطاق تشكّياً … من ظلم صامتة البُرين ضناكِ[1]
وكأنّما من ثغرها من نحرها … درٌّ تباكره بعود أراكِ
عذب الرُّضاب كأنَّ حشو لثاتها … مسكاً يعلُّ به ذرى المسواكِ
تلك التي ملكت عليَّ بدلّها … قلبي فكانت أعنف المـلّاكِ
إنَّ الصّبى يا نفس عزَّ طلابه … ونهتك عنه واعظات نهاكِ
والشيب ضيفٌ لا محالة مؤذنٌ … بـرداك فاتَّبعي سبيل هداكِ
وتـزوَّدي من حبِّ آل محمَّد … زاداً متى أخلصته نجّاكِ
فلنعم زادٌ للمعاد وعدّةٌ … للحشر إن علقت يداك بذاكِ[2]
وإلى الوصيِّ مهمَّ أمرك فوِّضي … تصلي بذاك إلى قصيِّ مناكِ
وبه ادرئي في نحر كلِّ ملمَّة … وإليه فيها فاجعلي شكواكِ
وبحبِّه فتمسَّكي أن تسلكي … بالزيغ عنه مسالك الهلّاكِ
لا تجهلي وهواه دأبك فاجعلي … أبداً وهجر عداه هجر قلاكِ
فسواءٌ انحرف امرؤٌ عن حبِّه … أو بات منطوياً على الإشراكِ
وخذي البرائة من لظى ببراءة … من شانئيه وامحضيه هواكِ
وتجنّبي إن شئت أن لا تعطبي … رأي ابن سلمى فيه وابن صهاكِ
وإذا تشابهت الامور فعوِّلي … في كشف مشكلها على مولاكِ
خير الرجال وخير بعل نساءها … والأصل والفرع التقيّ الزاكي
وتعوّذي بالزَّهر من أولاده … من شرِّ كلِّ مُضلّل أفّاكِ
لا تعدلي عنهم ولا تستبدلي … بهمُ فتحظي بالخسار هناكِ

---

(١) البرين بالضم جمع بره: الخلخال.
(٢) للحشر ان ظفرت بذلك يداك. كذا في نسخة.

فهمُ مصابيح الدُّجى لذوي الحجى　　والعروة الوثقى لذي استمساكِ
وهم الأدلَّةُ كالأهلّة نورها　　يجلو عمى المتحيِّر الشكّاكِ
وهم الصِّراط المستقيم فأرغمي　　بهواهمُ أنف الذي يلحاكِ
وهم الأئمَّة لا إمام سواهمُ　　فدعي لِتيم وغيرها دعواكِ
يا امَّة ضلّت سبيل رشادها　　إنَّ الذي استرشدته أغواكِ
لئن ائتمنت على البريَّة خائناً　　للنفس ضيَّعها غداة رعاكِ
أعطاك إذ وّطاك عشوة رأيه　　خدعاً بحبل غرورها دلّاكِ
فتبعته وسخيف دينك بعته　　مغترَّةً بالنزر من دنياكِ
لقد اشتريت به الضَّلالة بالهدى　　لَمَّا دعاكِ بمكره فدهاكِ
وأطعته وعصيت قول محمَّد　　فيما بأمر وصيِّه وصّاكِ
خلّفت واستخلفت من لم يرضه　　للدين تابعة هوىً هوّاكِ
خلت اجتهادك للصَّواب مؤدِّياً　　هيهات ما أدّاك بل أرداكِ
لقد إجتريت على اجتراحِ عظيمةٍ　　جعلت جهنم في غدٍ مثواكِ
ولقد شققت عصا النبيِّ محمَّد　　وعققت من بعد النبيِّ أباكِ
وغدرت بالعهد المؤكّد عقده　　يوم « الغدير » له فما عذراكِ
فلتعلمنَّ ولقد رجعت به على الأ　　عقاب ناكصةً به على عقباكِ
أعن الوصيِّ عدلت عادلة به　　مَن لا يساوي منه شسع شراكِ؟!
ولتسألنَّ عن الولاء لحيدر　　وهو النعيم شقاكِ عنه ثناكِ[1]
قست المحيط بكلِّ علمٍ مشكلٍ　　وعرٍ مسالكه على السُّلاكِ
بالمعتريه ـ كما حكى ـ شيطانه　　وكفاه عنه بنفسه من حاكي
والضارب الهامات في يوم الوغى　　ضرباً يقدُّ به إلى الأوراكِ
إذ صاح جبريلٌ به متعجِّباً　　من بأسه وحسامه البتّاكِ
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىً　　إلّا عليٌّ فاتك الفتّاكِ
بالهارب الفرّار من أقرانه　　والحرب يذكيها قناً ومذاكي

---

(١) ثناك عنه شقاك. كذا في نسخة.

والقاطع الليل البهيم تهجّداً بفؤاد ذي روع وطرفٍ باكي
بالتارك الصّلوات كفراناً بها لولا الرياء لطال ما راباك
أبعد بهذا من قياسٍ فاسدٍ لم تأت فيه امّةٌ مأتاك
أوَ ما شهدت له مواقف أذهبت عنك اعتراك الشك حين عراك؟!
من معجزات لا يقوم بمثلها إلّا نبيٌّ أو وصيٌّ زاكي
كالشمس إذ رُدَّت عليه ببابل لقضاء فرض فائت الإدراك
والريح إذ مرَّت فقال لها: احملي طوعاً وليّ الله فوق قواك
فجرت رجاء بالبساط مطيعة امر الإله حثيثة الايشاك[1]
حتّى إذا وافى الرقيم بصحبه ليزيل عنه مرية الشكّاك
قال: السّلام عليكمُ فتبادروا بالردّ بعد الصّمت والإمساك
عن غيره فبدت ضغائن صدر ذي حنق لستر نفاقه هتّاك

والميت حين دعا به من صرصر فأجابه وأبيت حين دعاك
لا تدّعي ما ليس فيك فتندمي عند امتحان الصّدق من دعواك
والخفُّ والثعبان فيه ايةٌ فتيقّظي ياويك من عمياك
والسّطل والمنديل حين أتى به جبريل حسبك خدمة الأملاك
ودفاع أعظم ما عراك بسيفه في يوم كلّ كريهة وعراك
ومقامه - ثبت الجنان - بخيبر والخوف إذ ولّيت حشو حشاك
والباب حين دحى به عن حصنهم سبعين باعاً في فضا دكداك
والطائر المشويُّ نصٌّ ظاهرٌ لولا جحودك ما رأت عيناك

والصخرة الصّما وقد شفّ الظما منها النفوس دحى بها فسقاك
والماء حين طغى الفرات فأقبلوا ما بين باكية إليه وباكي
قالوا: أغثنا يا بن عمّ محمّد فالماء يؤذننا بوشك هلاك
فأتى الفرات فقال: يا أرض ابلعي طوعاً بأمر الله طاغي ماك

(١) وفي نسخة:

فغدت رخاء بالبساط مطيعة أمر الإله حثيثة الادراك

فأغاضه حتّى بدت حصباؤه ... من فوق راسخة من الأسماكِ
ثمَّ استعادوه فعاد بأمره ... يجري على قدَر، ففيم مراكِ؟!
مولاكِ راضيةً وغضبى فاعلمي ... سيّان سخطك عنده ورضاكِ
يا تيم تيَّمك الهوى فأطعته ... وعن البصيرة يا عديُّ عداكِ
ومنعتِ إرث المصطفى وتراثه ... ووليته ظلماً، فمن وَلّاكِ؟!
وبسطت أيدي عبد شمس فاغتدتْ ... بالظلم جاريةً على مغناكِ
لا تحسبيكِ بريئةً ممّا جرى ... والله ما قتل الحسين سواكِ
يا آل أحمد كم يكابد فيكمُ ... كبدي خطوباً للقلوب نواكي
كبدي بكم مقروحةٌ ومدامعي ... مسفوحةٌ وجوى فؤادي ذاكي
وإذا ذكرتُ مصابكم قال الأسى ... لجفوني: اجتنبي لذيذ كراكِ
وابكي قتيلاً بالطفوف لأجله ... بكت السَّماء دماً فحقَّ بكاكِ
إن تبكهم في اليوم تلقاهم غداً ... عيني بوجهٍ مسفرٍ ضحّاكِ
يا ربّ فاجعل حبّهم لي جُنَّةً ... من موبقات الظلم والإشراكِ
واجبر بها الجبري ربّ وبرّه ... من ظالمٍ لدمائهم سفّاكِ
وبهم ـ إذا أعداء آل محمّد ... غلقت رهونهمُ ـ فجد بفكاكِ[1]

(الشاعر)

إبن جبر المصري أحد شعراء مصر على عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله المولود سنة ٤٢٠ والمتوفّى ٤٨٧، ذكر المقريزي في الخطط ج ٢ ص ٣٦٥ موسماً من مواسم فتح الخليج في أيّام المستنصر وقال: وتقدّم شاعرٌ يقال له: إبن جبر وأنشأ قصيدةً منها:

فتح الخليج فسال منه ماءُ ... وعلت عليه الراية البيضاءُ
فصفت موارده لنا فكأنّه ... كفّ الإمام فعرفها الإعطاءُ

---

(١) أخذتهامن نسخة عتيقة جداً مكتوبة في القرون الوسطى وتوجد ناقصة منها تسعة أبيات في أعيان الشيعة في الجزء الخامس عشر ص ٢٦٣.

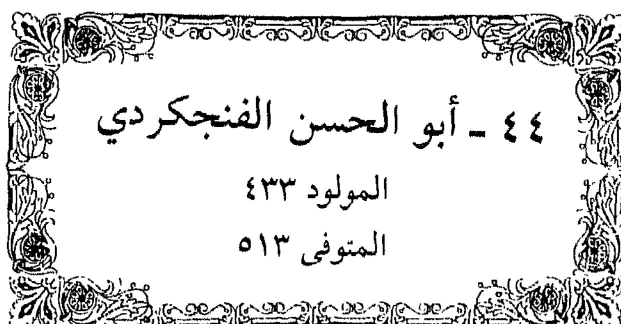
فانتقد الناس عليه في قوله: فسال منه الماء قالوا: أيّ شيء يخرج من البحر غير الماء، فضيع ما قاله بعد هذا المطلع.

وهنالك قصائد غديريّة لإبن طوطي الواسطي، والخطيب المنبجي، وعليّ بن أحمد المغربي، من شعراء القرن الخامس توجد مبثوثةً في مناقب إبن شهراشوب، وتفسير أبي الفتوح الرازي، والصِّراط المستقيم للبياضي، والدر النظيم في الأئمّة اللهاميم لإبن حاتم الدمشقي، وغيرها لم نذكرها لعدم عرفاننا بترجمة أولئك الشعراء وتاريخ حياتهم؛ غير أنّهم من شعراء هذه الأثارة مأثرة الغدير ومنضِّدي عقودها وناظمي حديثها من الذين استفادوا من لفظه معنى الإمامة والمرجعيّة الكبرى في الدين والأولويّة بالناس من أنفسهم.



شعراء الغدير

في القرن السادس



٤٤ ـ أبو الحسن الفنجكردي

المولود ٤٣٣

المتوفى ٥١٣

لا تنكـرنَّ غـديـر خـم ٍ إنّـه ‏ ‏ ‏ ‏ كالشمس في إشراقهـا بل أظهـرُ
مـا كـان معـروفـا بـإسنـاد إلى ‏ ‏ ‏ ‏ خيـر البـرايـا أحمـد لا ينكـرُ
فيـه إمـامـة « حيـدر » وكمـالـه ‏ ‏ ‏ ‏ وجـلالـه حتّى القيـامـة يُـذكـرُ
أولى الأنام بأن يوالي « المرتضى » ‏ ‏ ‏ ‏ من يـأخـذ الأحكـام منـه ويـأثـرُ

(ما يتبع الشعر)

هذه الأبيات نسبها إلى الفنجكردي شيخنا الفتّال في « روضة الواعظين » ص ٩٠ وهو أحد معاصريه، وذكرهـا إبن شهراشـوب في « المناقب » ج ١ ص ٥٤٠ طبع ايران، والقاضي الشهيد في « مجـالس المؤمنين » ص ٢٣٤، وصاحب « رياض العلماء » وقطب الدين الأشكوري في « محبوب القلوب ».

وذكـر له في « منـاقب » إبن شهراشـوب ج ١ ص ٥٤٠، و« مجـالس المؤمنين » ص ٢٣٤، و« رياض العلماء » قوله:

يوم الغدير سوى العيدين لي عيدُ ‏ ‏ ‏ ‏ يـوم يسرُّ بـه السّـادات والصيـدْ
نال الإمامة فيه « المرتضى » وله ‏ ‏ ‏ ‏ فيـه من الله تشريفٌ وتمجيـدْ
يقول« أحمد »خير المرسلين ضحى ‏ ‏ ‏ ‏ في مجمع حضرته البيض والسودُ
والحمد لله حمدا لا انقضـاء له ‏ ‏ ‏ ‏ لـه الصنائـع والألـطاف والجـودْ

إنّ الشاعر كما سيوافيك في الترجمة من أئمّة اللغة الواقفين على حقائق معاني الألفاظ وتصاريفها، ومن المطّلعين على معاريض الكلام ولحن القول

وفحوى التعابير، وقد استفاد من لفظ المولى معنى الإمامة والمرجعيَّة في أحكام الدين، فنظم ذلك في شعره الدرِّي فهو من الحجج لما نتحرّاه في معنى الحديث الشريف.

(الشاعر)

الشيخ أبو الحسن عليّ بن أحمد الفَنجكردي[1] النيسابوري، من أساتذة الأدب المحنّكين المتقدِّمين فيه بالإمامة والتضلّع، وهو مع ذلك معدودٌ من أعاظم حملة العلم، ومشيخة الحديث البارعين، ففي « الأنساب » للسمعاني: أبو الحسن الفنجكردي عليّ بن أحمد الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سلك السلاسة، الباقيين معه على هرمه وطعنه في السنِّ، قرأ اصول اللغة على يعقوب بن أحمد الأديب وغيره وكان عفيفاً خفيفاً ظريف المجاورة قاضياً للحقوق محمود الأحوال، أصابته علّة أزمنته ومنعته من الخروج وطعن في السنّ فتأخَّر عن الزِّيارة بالقدم فاستناب عنها التعهد بالعلم، سمع الحديث من القاضي الناصحي[2] وكتب لي الإجازة لجميع مسموعاته وحدَّثني عنه جماعةٌ من مشايخنا وتوفّي ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٥١٣ وصلّوا عليه في الجامع القديم ودفن بالحيرة[3] في مقبرة نوح.

وفي « معجم الادباء » ج ٥ ص ١٠٣: كان أديباً فاضلاً ذكره الميداني في خطبة كتاب (السامي) وأثنى عليه ومات سنة ٥١٢: عن ثمانين سنة وذكره البيهقي في « الوشاح » فقال: الإمام عليّ بن أحمد الفنجكردي الملقَّب ،شيخ الأفاضل، اعجوبة زمانه، وآية أقرانه، وشيخ الصناعة، والممتطي غوارب البراعة. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: عليٌّ بن أحمد الفنجكردي الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سلك السلاسة، قرأ اللغة على

---

(١) بفتح الفاء وسكون النون وضم الجيم او سكونها وبكسر الكاف وسكون الراء وبعدها الدال المهملة نسبة الى « فنجكرد » قرية من نواحي نيسابور « الانساب ».

(٢) ابو الحسن محمد بن محمد بن جعفر المتوفى ٤٧٩.

(٣) محلة كبيرة بنيسابور فيها كانت جبانة نوح ولعلها سميت بالحيرة لنزول جمع من اهل حيرة الكوفة بها.

يعقوب بن أحمد الأديب وغيره وأحكمها وتخرّج فيها، وأصابته علّة لزمته في آخر عمره ومات بنيسابور في ثالث عشر رمضان سنة ٥١٣ اهـ.

ومدحه معاصره الكاتب أبو ابراهيم إسعد بن مسعود العتبي[١] كما في « معجم الادباء » ج ٢ ص ٢٤٢ بقوله:

يا أوحد البلغاء والادباء يا سيّد الفضلاء والعلماءِ
يا من كأنَّ عطارداً في قلبه يملي عليه حقائق الأشياءِ

وذكره السيوطي في « بغية الوعاة » ص ٣٢٩ بما يقرب من كلام الحموي صاحب المعجم وحكى عن « الوشاح » انه مات سنة ٥١٣ عن ثمانين سنة وروى له قوله:

زماننا ذا زمان سوء لا خير فيه ولا صلاحا
هل يبصر المسلمون فيه لليل أحزانهم صباحا؟!
فكلّهم منه في عناءٍ طوبى لمن مات فاستراحا

وعبّر عنه معاصره شيخنا الفتّال في « روضة الواعظين » بالشيخ الإمام تارة وبالشيخ الأديب اخرى، وترجمه وأطراه القاضي في « المجالس » ص ٢٣٤، وصاحب « رياض العلماء » و« روضات الجنات » ص ٤٨٥، و« الشيعة في فنون الاسلام » ص ١٣٦، وذكر ابن شهراشوب في « معالم العلماء » له كتاب « تاج الأشعار وسلوة الشيعة» قال: وهي أشعار أمير المؤمنين عليه السلام وينقل عنه في كتابه « مناقب آل أبي طالب[٢] » كما أنّ شيخنا قطب الدين الكيدري[٣] جعله من مصادر كتابه « أنوار العقول من أشعار وصيّ الرّسول » ونصّ فيه بأنّ الفنجكردي قد جمع في كتابه « تاج الأشعار » مائتي بيت من شعر أمير المؤمنين عليه السلام وترجمه سيّدنا صاحب « رياض الجنة » في الروضة الرّابعة وذكر له قوله:

(١) ولد سنة ٤٠٤ وتوفّي في جمادى الاولى ٤٩٤.

(٢) راجع ج ٢ ص ١٢٢ و١٦٥ و٢٠٧

(٣) هو الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري شارح نهج البلاغة توفّي حدود سنة ٥٧٤.

إذا ذكـرتَ الـغـرّ من هـاشـم   تنـافرت عنـك الكـلاب الشـارده
فـقـل لمـن لامَـكَ في حبِّـهِ   : خـانتك في مـولودك الـوالـده

قـال الأميني: أشار المتـرجم بهذين البيتين إلى مـا ورد في جملة من الأحاديث من أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يُبغضه إلاّ دعيّ وإليك منها:

١ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا معشر الأنصار نبور[1] أولادنا بحبِّهم عليّاً رضي الله عنه، فاذا وُلد فينا مولودٌ فلم يحبّه عرفنا انّه ليس منّا[2].

٢ ـ عبادة بن الصامت كنّا نبور أولادنا بحبِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاذا رأينا أحدهم لا يحبّ علي بن أبي طالب علمنا انّه ليس منّا وانّه لغير رشدة[3]. قال الحافظ الجزري في « أسنى المـطالب » ص ٨ بعد ذكـر هذا الحديث: وهذا مشهورٌ من قديم وإلى اليوم انّه ما يبغض عليّاً رضي الله عنه إلاّ ولد الزنا.

٣ ـ أخرج الحافظ الحسن بن علي العدوي قال حدّثنا أحمـد بن عبدة الضبّي عن أبي عيينة عن إبن الزبير عن جابر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نعرض أولادنا على حبِّ عليٍّ بن أبي طالب. رجاله رجال الصحيحين كلّهم ثقات.

٤ ـ أخـرج الحافظ إبن مردويه عن أحمـد بن محمّد النيسـابوري عن عبـد الله بن أحمد بن حنبـل عن أحمد قـال سمعت الشافعي يقـول: سمعت مالك بن أنس يقول: قال أنس بن مالك: ما كنّا نعرف الرَّجل لغير أبيه إلاّ ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٥ ـ أخرج إبن مردويه عن أنس في حديث: كان الرَّجل من بعد يوم خيبر

(١) باره يبوره بوراً: جربه واختبره.
(٢) أسنى المطالب للحافظ الجزري ص ٨، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٧٣، وهناك تصحيف.
(٣) مكان نبور، لسان العرب ج ٥ ص ١٥٤، تاج العروس ج ٣ ص ٦١.

يحمل ولده على عاتقه ثمَّ يقف على طريق عليّ رضي الله عنه فاذا نظر إليه أومأ بإصبعه: يا بُنيَّ تحبُّ هذا الرجل؟! فإن قال: نعم. قبّله. وإن قال: لا. خرق به الأرض وقال له: إلحق بامّك.

٦ ـ أخرج الحافظ الطبري في كتاب الولاية باسناده عن عليّ عليه السلام انَّه قال: لا يحبّني ثلاثة: ولد الزنا. ومنافق. ورجل حملت به امّه في بعض حيضها.

٧ ـ أخرج الحافظ الدارقطني وشيخ الاسلام الحمّويي في فرائده باسنادهما عن أنس مرفوعاً قال: إذا كان يوم القيامة نُصب لي منبر ثمَّ ينادي مناد من بطنان العرش: أين محمَّد! فأُجيب. فيقال لي: ارق. فأكون أعلاه ثمَّ ينادي الثانية: أين عليّ! فيكون دوني بمرقاة فيعلمُ جميع الخلائق انَّ محمَّداً سيِّد المرسلين وانَّ عليّاً سيِّد المؤمنين[1]. قال أنس: فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله!من يبغض عليّاً بعدُ؟! فقال: يا أخا الأنصار لا يبغضه من قريش إلّا سفحيّ، ولا من الأنصار إلّا يهوديّ، ولا من العرب إلّا دعيّ، ولا من سائر الناس إلّا شقيّ.

هذا الحديث ضعَّفه السيوطي لمكان إسماعيل بن موسى الفزاري في سنده. وقد ذكره إبن حبّان في الثقات وقال مطين: كان صدوقاً. وقال النسائي: لا بأس به. وعن أبي داود: انّه صدوق في الحديث روى عنه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وأبو داود والترمذي، وابن ماجة، وابن خزيمه، والساجي، وأبو يعلي وغيرهم. ولم يذكر غمزٌ فيه عن أحد من هؤلاء الأعلام، نعم: ذنبه الوحيد انّه شيعيٌّ علويُّ المذهب.

٨ ـ عن أبي بكر الصدّيق قال: رأيت رسول الله ﷺ خيَّم خيمة وهو متّكيءٌ على قوس عربيَّة وفي الخيمة عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين! أنا سلمٌ لمن سالمَ أهل الخيمة، حربٌ لمن حاربهم، وليٌّ

---

(١) في لفظ الحموبي: الوصيين.

لمن والاهم، لا يحبّهم إلّا سعيد الجدِّ طيِّب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيُّ الجدِّ رديء المولد[١]

٩ - عن أبي مريم الأنصاري عن عليٍّ عليه السلام قال: لا يحبّني كافر ولا ولد زنا [٢].

١٠ - أخرج إبن عدي والبيهقي وأبو الشيخ والديلمي عن رسول الله ﷺ انّه قال: مَن لم يعرف عترتي والأنصار والعرب فهوَ لإحدى الثلاث: إمّا منافق. وإمّا ولد زانية. وإمّا امرؤ حملت به امّه في غير طُهر[٣].

١١ - روى المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٥١ عن كتاب الأخبار لأبي الحسن عليّ بن محمَّد بن سليمان النوفلي باسناده عن العبّاس بن عبد المطلب قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذا أقبل عليّ بن أبي طالب فلمّا رآه اسفر في وجهه فقلت: يا رسول الله! إنّك لتسفر في وجه هذا الغلام. فقال: يا عمّ رسول الله والله لله أشدُّ حبّاً له منّي، ولم يكن نبيٌّ إلّا وذريّته الباقية بعده من صلبه وإنَّ ذريّتي بعدي من صلب هذا، إنّه إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم وأسماء امهاتهم إلّا هذا وشيعته فانّهم يُدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحّة ولادتهم.

١٢ - عن إبن عبّاس قال قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيت النبيَّ ﷺ عند الصّفا وهو مقبلٌ على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه فقلت: ومَن هذا الذي يلعنه رسول الله؟! قال: هذا الشيطان الرَّجيم. فقلت: والله يا عدوَّ الله لأقتلنَّك ولأُريحنَّ الأُمَّة منك. قال: والله ما هذا جزائي منك. قلت: وما جزائك منّي يا عدوَّ الله؟! قال: والله ما أبغضك أحدُ قطُّ إلّا شركت أباه في رحم امّه.

---

(١) الرياض النضرة للحافظ محب الدين الطبري ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٧٣.

(٣) الصواعق لابن حجر ص ١٠٣، ١٣٩، الفصول المهمة ١١، الشرف المؤيّد ص ١٠٣ وليس فيه كلمة: والعرب.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٢٩٠، والكنجي في « الكفاية » ص ٢١ عن أربع من مشايخه.

روى شيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الثاني والعشرين من طريق أبي الحسن الواحدي باسناده، والزرندي في « نظم درر السمطين » عن الرّبيع بن سلمان قال: قيل للشافعي: إنَّ قوماً لا يصبرون على سماع فضيلة لأهل البيت فإذا أراد أحدٌ يذكرها يقولون: هذا رافضيٌّ قال: فأنشأ الشافعيُّ يقول:

إذا في مجلس ذكروا عليّاً ... وسبطيه وفاطمة الزكيَّه
فأجرى بعضهم ذكرى سواهم ... فأيقن انَّه لسلقلقيَّه
إذا ذكروا عليّاً أو بنيه ... تشاغل بالرِّوايات الدنيَّه
وقال: تجاوزوا يا قوم! هذا ... فهذا من حديث الرافضيَّه
برئتُ إلى المهيمن من اناس ... يرون الرفض حبَّ الفاطميَّه
على آل الرَّسول صلاة ربّي ... ولعنته لتلك الجاهليَّه

وقد نظم هذه الإثارة كثيرٌ من الشعراء قديماً وحديثاً يضيق المجال بذكر شعرهم ومنه قول الصّاحب ابن عباد:

بحبِّ عليّ تزول الشكوك ... وتصفو النفوس ويزكو النجارُ
فمهما رأيتَ محبّاً له ... فثَمَّ العلاء وثَمّ الفخارُ
ومهما رأيتَ بغيضاً له ... ففي أصله نسبٌ مستعارُ
فمهّد على نُصبه عذره ... فحيطان دار أبيه قصارُ

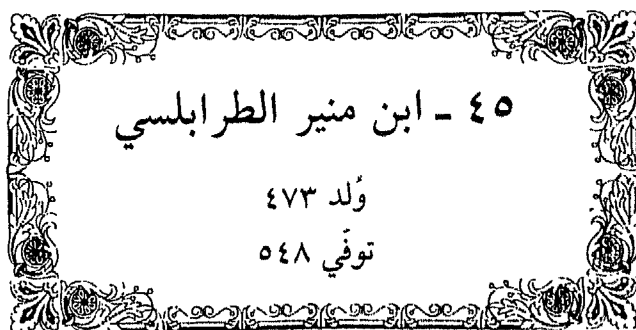
وقال ايضاً:

حبُّ عليّ بن أبي طالب ... فرضٌ على الشاهد والغائبِ
وامُّ من نابذه عاهرٌ ... تبذل للنازل والراكبِ

وقال ابن مدلل:

ولقد روينا في حديث مسند ... عمّا رواه حذيفة بن يمانِ

إنّي سألت المرتضى لِمَ لم يكن عقـد الولاء يصيب كـلَّ جنانٍ؟!
فـأجـابني بـإجـابـة طـابت لهـا نفسي وأطـربني لهـا استحسـاني
: الله فـضّلـني وميّــز شيعـتـي من نسـل أرجـاس البعـول زوانِ
وروايـةٌ اخرى إذا حُشـر الـورى يـوم المعـاد رويت عن سلمـانِ
: للنـاصبين يقال: يـا بن فلانـة ويقـال: للشيعيّ: يـا بن فـلانِ
كتمــوا أبــا هــذا لخبث ولادةٍ ولـطيب ذا يُـدعى بـلا كتمـانِ



٤٥ ـ ابن منير الطرابلسي

وُلد ٤٧٣

توفي ٥٤٨

عـذَّبـتَ طـرفي بـالـسـهـرْ ... وأذبـتَ قـلـبـي بـالـفـكـر

ومـزجـتَ صـفـو مـودَّتـي ... مـن بَعـدِ بُـعـدك بـالـكـدر

ومـنحـتَ جـثـمـانـي الـضـنـى ... وكـحـلتَ جفـنـي بـالـسـهـرْ

وجـفـوتَ صـبّـاً مـا لـه ... عن حسـن وجهـك مصـطبـرْ

يـا قـلـب: ويحـك لـم تـخـاد ... ع بـالـغـرور؟! وكـم تُـغـرْ؟!

وإلـى مَ تـكـلـف بـالأغـنّ ... مـن الـظـبـاء وبـالأغـرْ؟!

لئن الـشّـريـف الـمـوسـوي ... إبـن الـشـريـف أبـي مـضـرْ

أبـدى الـجـحـود ولـم يـردّ ... الـيَّ مـمـلوكـي تَـتَـرْ

والـيـتُ آل اميَّـة الـطـهـر ... الـمـيـامـيـن الـغـررْ

وجـحـدتُ بيعـة «حـيـدر» ... وعـدلـت عـنـه إلـى عـمـرْ

واكـذّب الرّاوي وأطـعـن ... فـي ظـهـور الـمـنـتـظرْ

وإذا رووا خـبـر «الـغـديـر» ... أقـول: مـا صـحَّ الـخـبـرْ

ولـبـسـت فـيـه مـن الـمـلابس ... مـا اضـمـحـلّ ومـا دثـرْ

وإذا جـرى ذكـر الـصـحـابـة ... بـيـن قـومٍ واشـتـهـرْ

قـلت: الـمـقـدَّم شـيـخ تـيـم ... ثـمَّ صـاحـبـه عـمـرْ

مـا سـلَّ قطّ ظـبـا عـلى ... آل الـنـبـيِّ ولا شـهـرْ

كـلّا ولا صـدَّ الـبـتـول ... عـن الـتـراث ولا زجـرْ

وأقول: إنَّ يزيد ما ... شرب الخمور ولا فجرْ
ولجيشه - بالكفِّ عن ... أبناء فاطمة - أمرْ
والشِّمر ما قتل الحسين ... ولا إبن سعد ما غدرْ
وحلقتُ في عشر المحرَّم ... ما استطال من الشعرْ
ونويتُ صوم نهاره ... وصيام أيّام اخرْ
ولبستُ فيه أجلّ ثوب ... للمواسم يُدَّخرْ
وسهرتُ في طبخ الحبوب ... من العشاء إلى السّحرْ
وغدوتُ مكتحلاً اصا ... فح من لقيت من البشرْ
ووقفتُ في وسط الطر ... يق أقصُّ شارب من عبرْ
وأكلت جرجير البقول ... بلحم جري الحفرْ
وجعلتها خير المآكل ... والفواكه والخضرْ
وغسلتُ رجلي حاضراً ... ومسحتُ خفّي في السفرْ
آمين أجهر في الصلاة ... بها كمن قبلي جهرْ
وأسنّ تسنيم القبور ... لكلِّ قبر يُحتفرْ
وأقول في يوم تحار ... له البصيرة والبصرْ
والصحف يُنشر طيّها ... والنار تُرمى بالشَّررْ
: هذا الشريف أضلّني ... بعد الهداية والنظرْ
فيقال: خذ بيد الشريف ... فمستقرّكما سقرْ
لوّاحةٌ تسطو فما ... تبقي عليه وما تذرْ
والله يغفر للمسيء ... إذا تنصَّل واعتذرْ
الاّ لمن جحد الوصيَّ ... ولاءه ولمن كفرْ
فاخش الآله بسوء فعلك ... واحتذر كلَّ الحذرْ

(ما يتبع الشعر)

هذه القصيدة العروفة ب [التَتريَّة] ذكرها بطولها ١٠٦ أبيات ابن حجّة الحموي في « ثمرات الأوراق » ج ٢ ص ٤٤ - ٤٨، وذكر منها في كتابه [خزانة

الأدب] ٦٨ بيتاً، وتوجد برمّتها في تذكرة إبن العراق، ومجالس المؤمنين ص ٤٥٧ ، نقلاً عن التذكرة، و« أنوار الرَّبيع » للسيِّد علي خان ص ٣٥٩، وكشكول شيخنا البحراني صاحب الحدائق ص ٨٠، ونامه دانشوران ج ١ ص ٣٨٥، وتزيين الأسواق للأنطاكي ص ١٧٤ ، ونسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر، وذكر الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل منها تسعة عشر بيتاً.

أرسل إبن منير إلى الشريف المرتضى الموسوي[1] بهديّة مع عبدٍ أسود له فكتب إليه الشريف: أمّا بعد فلو علمت عدداً أقلّ من الواحد أو لوناً شرّاً من السواد بعثت به إلينا والسَّلام. فحلف إبن منير ان لايرسل إلى الشريف هديَّة إلّا مع أعزِّ الناس عليه فجهَّز هدايا نفيسة مع مملوك له يسمّى [تَتَر] وكان يهواه جدّاً ويحبّه كثيراً ولا يرضى بفراقه حتّى انّه متى اشتدَّ غمّه أو عرضت عليه محنةٌ نظر إليه فيزول ما به، فلما وصل المملوك إلى الشريف توهَّم انَّه من جملة هداياه تعويضاً من البعد الأسود فأمسكه وعزَّت الحالة على إبن منير فلم ير حيلةً في خلاص مملوكه من يد الشريف إلّا إظهار النزوع عن التشيّع إن لم يرجِّعه إليه وإنكار ما هو المتسالم عليه من قصَّة الغدير وغيرها، فكتب إليه بهذه القصيدة، فلمّا وصلت إلى الشريف تبسَّم ضاحكاً وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذورٌ، ثمَّ جهَّز المملوك مع هدايا نفيسة، فمدحه إبن منير بقوله:

إلى المرتضى حثَّ المطيَّ فإنَّه ... إمامٌ على كلِّ البريَّة قد سما
ترى الناس أرضاً في الفضائل عنده ... ونجل الزكيِّ الهاشميِّ هو السّما

وقد خمَّس [التتريَّة] العلّامة الشيخ إبراهيم يحيى العاملي[2] وهو بتمامه مع القصيدة مذكورٌ في مجموعة شيخنا العلّامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء، وفي الجزء الأوَّل من « سمير الحاضر ومتاع المسافر » له، وفي « المجموع

---

(١) كان نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك ورئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان بينه وبين مهذب الدين مودة (تزيين الاسواق ص ١٧٤) ومهذب الدين هو أبو الحسن علي بن أبي الوفاء الموصلي الشاعر المقدم توفّي سنة ٥٤٣ .

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأتي هناك ترجمته.

الرائق » ص ٧٢٧ لزميلنا العلاّمة السيِّد محمّد صادق آل بحر العلوم أوّله:

أفدي حبيباً كالقمرْ ناديته لمّا سفرْ
يا صاحب الوجه الأغرْ عذّبت طرفي بالسهرْ
وأذبت قلبي بالفكر
أبلى صدودك جدّتي وتركتني في شدّتي
وأطلت فيها مدّتي ومزجت صفو مودّتي
من بعد بُعدك بالكدرْ

ولهذه القصيدة أشباهٌ ونظائر في معناها سابقة ولاحقة، منها:

١ - مدح الخالديّان أبو عثمان سعيد بن هاشم وأخوه أبو بكر محمَّد [من شعراء اليتيمة] الشريف الزبيدي أبا الحسن محمّد بن عمر الحسيني فابطأ عليهما بالجائزة وأراد السفر فدخلا عليه وأنشداه:

قل للشريف المستجار به إذا عدم المطرْ
وابن الأئمَّة من قريش والميامين الغررْ
: أقسمت بالرَّحمن و النعم المضاعف والوترْ
لإن الشَّريف مضى ولم ينعم لعبديه النظرْ
لنشاركنَّ بني اميَّة في الضَّلال المشتهرْ
ونقول: لم يغصب أبو بكر ولم يظلم عمرْ
ونرى معاوية إماماً مَن يخالفه كفرْ
ونقول: إنَّ يزيد ما قتل الحسين ولا أمرْ
ونعدُّ طلحة والزبير من الميامين الغررْ
ويكون في عنق الشريف دخول عبديه سقرْ

فضحك الشريف لهما وأنجز جائزتهما.

٢ - حبس الشريف الحسن بن زيد الشهيد وزيره لتقصيره فكتب إلى الشَّريف بقوله:

أشكو إلى الله ما لقيتُ أحببت قوماً بهم بليتُ

لأشتم الصّالحين جهراً ولا تشيّعت ما بقيتُ
أمسح خفّي ببطن كفّي ولو على جيفةٍ وطيتُ

٣ ـ كتب أبو الحسن الجزّار المصري [الآتي ترجمته] إلى الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء ليلة عاشوراء عندما أخّر عنه إنجاز موعده بقوله:

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيِّد ابن السيِّد ابن السيِّدِ
: اقسم بالفرد العليِّ الصّمدِ إن لم يبادر لنجاز موعدي
لأحضرنَّ للهناء في غدِ مكحَّل العينين مخضوب اليدِ
والإثم في عنق الشريف الأمجدِ لأنّني جننت في التردّدِ
حتّى نصبت وكسرت عددي في شهر حزني وجزمت لددي

٤ ـ كتب القاضي جمال الدين عليّ بن محمّد العنسي إلى شريف عصره قوله:

بالبيت اقسم أو بأهل البيت سادات البشرْ
وبصولة المولى الذي تاهت به عليا مضرْ
إن طال غصب مطهَّر عمد الدراري واستمر
لأقلّدنّ أبا حنيفة صاحب الرأي الأغرْ
ولأسمعنَّ له وإن حلَّ النبيذ المعتصرْ
حبّاً لقوم أنزلوا بمطهَّر أقوى ضررْ
أعني بهم أبناء خا قان الميامين الغررْ
ولأتركنَّ الترك تر فل من مديحي في حبرْ
ولأنظمنَّ شوارداً فيهم تحار لها الفكرْ
وأسوقها زمراً إلى زمر وتتلوها زمرْ
ولأبكينَّ على الوزير بكلِّ معنى مبتكرْ
أعني به حسناً وإن فعل القبيح فمغتفرْ
وأقول: إنَّ سنانهم سيف نضته يد القدرْ
ما جار قطُّ ولا أرا ق دماً وبالتقوى أمرْ
وإذا جرى ذكر الخمور ومن حساها واعتصرْ

نـزَّهـتـهـم عـنـهـا سـوا | لام الـمـفـنَّـد أو عـذرْ
أسـتـغـفـر الله الـعـظـيـم | سـوى الـنـبـيـذ إذا حـضـرْ
فـالـرأي رأيـهـم الـسـديـد | وقـد رووا فـيـه خـبـرْ
ولأمـقـتـنَّ عـلى بـكـيـر | فـي الـعـشـايـا والـبُـكـرْ
أقـضـي بـتـربـتـه الـفـروض | ومـن زيـارتـه الـوطـرْ
ولأمـلأنَّ عـلى الـعـوام | مـسـائـلاً فـيـهـا غـررْ
نـقـضـي بـتـطـويـل الـشـوا | رب عـنـد تـقـصـيـر الـشـعـرْ
ولأرخـيـنَّ مـن الـعـمـائـم | مـا تـكـوَّر واعـتـصـرْ
ولأرفـعـنَّ إلـى الـصَّـلاة | يـدي وأرويـهـا أثـرْ
[وأقـول فـي يـوم تـحـا | ر لـه الـبـصـائـر والـبـصـرْ]
[والـصـحـف تـنـشـر طـيّـهـا | والـنـار تـرمـي بـالـشـررْ]
[: هـذا الـشـريـف أضـلّـني | بـعـد الـهـدايـة والـنـظـرْ][1]

٥ ـ كتب في هذا المعنى أبو الفتح سبط إبن التعاويذي إلى نقيب الكوفة الشريف محمَّد بن مختار العلوي يعاتبه على عدم الوفاء بما كان وعده به بقصيدة تأتي في ترجمة أبي الفتح أوَّلها:

يـا سـميَّ الـنبيِّ يـا بـن عـليٍّ | قـامـع الشـرك والبتـول الـطهـورِ

(الشاعر)

أبو الحسين مهذَّب الدين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي[٢] الشامي نازل درب الخابوري على باب الجامع الكبير الشمالي عين الزمان الشهير بالرفا، أحد أئمَّة الأدب، وفي الطبقة العليا من صاغة القريض، وقد أكثر وأجاد وله في أئمَّة أهل البيت عليهم السّلام عقودٌ عسجديَّة أبقت له الذكر الخالد والفخر الطريف والتالد، وقد أتقن اللغة والعلوم والأدبيَّة كلّها، أنجبت به الطرابلس فكان زهرة رياضها، ورواء أرباضها، ثمَّ هبط دمشق فكان شاعرها المفلق، وأديبها المدره، فنشر في عاصمة الأمويِّين فضائل العترة الطاهرة بجمان نظمه

---

(١) الابيات الثلاثة الاخيرة من قصيدة ابن منير.

(٢) طرابلس: بلدة على ساحل الشام مما يلي دمشق.

الرائق، وطفق يتذمّر على من ناواهم أو زواهم عن حقوقهم محقّقاً فيه مذهبه الحق، فبهظ ذلك المتحايدين عن أهل البيت عليهم السّلام فوجّهوا إليه الـ ذائف والطامّات، وسلقوه بألسنة حداد فمن قائل: إنّه كان خبيث اللسان، وآخر يعزو إليه التحامل على الصحابة، ومن ناسبٍ إليه الرَّفض، ومن مفتعلٍ عليه رؤيا هائلة، لكن فضله الظاهر لم يدع لهم مُلتحداً عن اطرائه وإكبار موقفه في الأدب بالرَّغم من كلّ تلكم الهلجات، وجمع شعره بين الرِّقّة والقوّة والجزالة، وازدهى بالسلاسة والإنسجام، وقبل أيِّ مأثرة من مآثره انّه كان أحد حفّاظ القرآن الكريم كما ذكره إبن عساكر وإبن خلكان وصاحب [شذرات الذهب].

قال ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٩٧: حفظ القرآن، وتعلّم اللغة والأدب، وقال الشعر، وقدم دمشق فسكنها، كان رافضيّاً خبيثاً يعتقد مذهب الإماميَّة، وكان هجّاءً خبيث اللسان يكثر الفحش في شعره، ويستعمل فيه الألفاظ العاميَّة، فلمّا كثر الهجو منه سجنه بوري بن طغتكين أمير دمشق في السِّجن مدَّة وعزم على قطع لسانه فاستوهبه يوسف بن فيروز الحاجب فوهبه له وأمر بنفيه من دمشق، فلمّا ولي ابنه إسماعيل بن بوري عاد إلى دمشق ثمَّ تغيَّر عليه إسماعيل لشيء بلغه عنه فطلبه وأراد صلبه فهرب واختفى في مسجد الوزير أيّاماً ثمَّ خرج من دمشق ولحق بالبلاد الشماليَّة ينقل من حماة[1] إلى شيزر وإلى حلب ثمَّ قدم دمشق آخر قدمة في صحبة الملك العادل لمّا حاصر دمشق الحصر الثاني، فلما استقرَّ الصلح دخل البلد ورجع مع العسكر إلى حلب فمات بها، لقد رأيته غير مرَّة ولم أسمع منه، فأنشدني والأمير أبو الفضل إسماعيل ابن الأمير أبي العساكر سلطان بن منقذ قال: أنشدني ابن منير لنفسه:

أخلى فصدَّ عن الحميم وما اختلى ... ورأى الحمام يغصّه فتوسّلا
ما كان واديه بأوَّل مرتع ... ودعت طلاوته طلاه فاجفلا

(١) بلدة شهيرة بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين الحلب أربعة أيام.

وإذا الكـريم رأى الخمول نـزيله | في منـزل فالحزم أن يتـرحَّـلا
كـالبـدر لمّـا أن تضـاءل نـوره | طلب الكمـال فحـازه متنـقّـلا
سـاهمت عيسك مـرّ عيشـك قـا | عداً أفلا فليت بهنَّ ناصية الفلا؟!
فارق ترق كالسيّف سُلّ فبان في | متنيـه ما أخفى القـراب وأخمـلا
لا تحسبنَّ ذهـاب نفسـك ميتـة | ما الموت إلّا أن تعيش مذلّلا[1]
للقفـر لا للفقـر هبهـا إنّمـا | مغنـاك مـا أغنـاك أن تتـوسّـلا
لا تـرض من دنياك مـا أدناك من | دنسٍ وكن طيفـاً جلا ثمّ انجلى
وصِـل الهجير بهجـر قومٍ كلّمـا | أمطرتهم عسلاً جنوا لك حنـظلا
من غـادرٍ خبـثت مغـارس ودّه | فـإذا محضـت لـه الـوفـاء تـأوّلا
أو حلف دهـر كيف مال بـوجهه | أمسى كـذلـك مُـدبـراً أو مُقبـلا
لله عـلـمـي بـالـزّمـان وأهـلـه | ذنب الفضيلة عنـدهم أن تكمـلا
طُبعـوا على لؤم الطبـاع فخيرهم | إن قلت قـال وإن سكتَّ تقـوّلا

وفي غير هذه الرِّواية زيادة وهي:

أنـا مَن إذا الـدّهـر همَّ بخفضـه | سـامتـه همَّتـه السَّمـاك الأعـزلا
واعٍ خطاب الخطب وهو مجمجمٌ | راعٍ أكول العيس من عدم الكلا
زعـمٌ كمنبـلج الـصَّبـاح وراءه | عـزمٌ كحدِّ السيف صـادف مقتلا

قال الأميني: والشاعر يصف في نظمه هذا مناوئيه من أهل زمانه الذين نبزوه بالسفاسف ورموه بالقذائف ممن أوعزنا إليهم في الترجمة وكلّ هجوه من هذا القبيل ولذلك كان يثقل على مهملجة الضغائن والإحن.

وقال إبن عساكر: وانشد ايضاً له:

عـدمـتُ دهـراً ولـدتُ فيـه | كـم أشـرب المـرَّ من بنيـه
مـا تـعـتـريـنـي الـهـمـوم إلّا | مـن صـاحـب كـنـتُ أصطفيه
فـهـل صـديقٌ يـبـاع؟! حتّى | بـمـهـجـتـي كـنـت أشـتـريـه

---

(١) هذا البيت وبيت واحد بعده ذكرهما ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٥١.

يـكـون فـي قـلبـه مـثـالٌ　　يـشبـه مـا صـاغ لـيَّ فيـه
وكـم صـديـقٍ رغـبـتُ عـنـه　　قـد عـشتُ حتّى رغبت فيـه

وقال الأمير أبو الفضل: عمل والدي طستاً من فضّة فعمل إبن منير أبياتاً كتبت عليه من جملتها:

يـا صنـو مـائـدة لأكـرم مطعم　　مـأهـولـة الأرجـاء بـالأضيـافِ
جمعت أيـاديـه إليَّ أيـادي ال　　آلاف بـعـد البـذل لـلآلافِ
ومن العجـائب راحتي من راحـة　　معـروفـة المعـروف بـالاتـلافِ

ومن محاسن شعره القصيدة التي أوّلها:

من ركب البدر في صدر الرديني　　وموّه السحر في حـدّ اليمـانيّ
وأنـزل النيِّـر الأعلى إلى فـلك　　مـداره في القبـاء الخسـروانيّ
طرفٌ رنا أم قرابٌ سلّ صارمه؟!　　وأغيدٌ ماس أم أعطاف خطيٍّ؟!
أذلّني بعـد عـزٍّ والهـوى أبـداً　　يستعبـد الليث للظبي الكنـاسيِّ

وذكـر مـنـهـا إبـن خـلكـان ايـضـاً:

أمـا وذائب مسـك من ذوائبـه　　على أعالي القضيب الخيـزرانيّ
وما يجنّ عقيقيّ الشفاه من الريـ　　ـق الـرحيقيِّ والثغـر الجمـانيِّ
لـو قيل للبـدر: من في الأرض تحسده　　إذا تجلّى؟ لقـال: ابن الفـلانيِّ
أربى عليَّ بشتّى من محـاسنـه　　تـألّفت بين مسمـوعٍ ومـرئـيِّ
إباء فارس فـأني لين الشآم مـع الظرف　　العـراقيِّ والنـطق الحجـازيِّ
ومـا المدامـة بالألبـاب أفتك من　　فصـاحة البـدو في ألفـاظ تـركيِّ

ويوجد تمام القصيدة ٢٧ بيتاً في « نهاية الإرب » ج ٢ ص ٢٣، وتاريخ حلب ج ٤ ص ٢٣٤: وذكر إبن خلكان له ايضاً:

أنـكـرت مقلته سـفـك دمـي　　وعـلى وجنـتـه فـاعـتـرفـتْ
لا تـخـالـوا خـالـه في خـدِّه　　قـطرةٌ من دم جفـني نـقـطتْ
ذاك مـن نـار فـؤادي جـذوةٌ　　فيـه سـاخت وانـطفت ثمَّ طفتْ

وكان بين المترجم وابن القيسراني[١] مهاجاة واتّفق أنَّ أتابك عماد الدين زنكي صاحب الشام غنّاه مغنّ على قلعة جعبر وهو يحاصرها قول المترجم :

ويلي من المعرض الغضبان إذ نقل الـواشي إليه حـديثاً كلّه زورُ
سلّمت فازورَّ يزوي قوس حاجبه كـأنّني كأس خمرٍ وهو مخمورُ

فاستحسنها زنكي وقال: لمن هذه؟ فقيل: لابن منير وهو بحلب فكتب إلى والي حلب يسيِّره إليه سريعاً فسيَّره فليلة وصل إبن منير قُتل أتابك زنكي فعاد إبن منير صحبة العسكر إلى حلب فلما دخل قال له إبن القيسراني: هذه بجميع ما كنت تبكتني به.

كان شاعرناالمترجم عند امراءبني منقذ بقلعةشيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعرٌ يقال له: أبو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه وبين أبي الحكم عبيد الله[٢] مُداعبات فسأل منه كتاباً إلى إبن منير بالوصيَّة عليه فكتب أبو الحكم :

أبـا الحسين اسمـع مقـال فتى عـوجـل فيمـا يقـول فـارتجـلا
: هذا أبو الوحش جاء ممتدحاً لـلقـوم فـاهنـأبـه إذا وصـلا
واتـل عليهم بحسن شرحـك مـا أنـقـله مـن حـديثـه جـمـلا
وخـبِّـر الـقـوم انّـه رجـلٌ مـا أبصـر النـاس مثله رجـلا

ومنها :

وهـو عـلى خـفّـةٍ بـه أبـدا معـتـرفٌ انّـه مـن الـثـقـلا
يمتُّ بالثلب والرقـاعـة والسخـ ـف وأمّـا بـغـيـر ذاك فـلا
إن أنت فـاتحـتـه لتخبـر مـا يصـدر عنه فتحت منـه خـلا
فنبِّـه إن حـلَّ خـطَّة الخسف و الـهـون ورحِّب بـه إذا رحـلا
وأسـقـه السـمَّ إن ظفـرتَ بـه وامزج له من لسـانك العسـلا[٣]

---

(١) شرف الدين أبو عبد الله محمد بن نصر الخالدي الحلبي الشاعر الفذ المتوفى بدمشق ٥٤٨ .

(٢) هو أبو الحكم عبيد الله بن المظفر المغربي الشاعر المتضلع في الأدب والطب والهندسة له أشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد ولد باليمن سنة ٤٨٦ وتوفي بدمشق سنة ٥٤٩ . توجد ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٥ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٣٨٥ وغيرهما .

(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٣٥٨.

وذكر النويري له في « نهاية الإرب » ج ٢ :

لاح لنا عاطلاً فصيغ له ... مناطقٌ من مراشق المقلِ
حياة روحي. وفي لواحظه ... حتفي بين النشاط والكسلِ
ما خاله من فتيت عنبر صُد ... غيه ولا قطر صبغة الكحلِ
لكن سويداء قلب عاشقه ... طفت على نار وردة الخجلِ

وله في النهاية ايضاً :

كأنَّ خدَّيه ديناران قد وُزنا ... وحرَّر الصيرفيّ الوزن واحتاطا
فخفّ إحداهما عن وزن صاحبه ... فحطَّ فوق الذي قد خفَّ قيراطا

وله في « بدائع البداية » ج ١ ص ٤٤ في صبيٍّ صبيح سرّاج يُسمّى يوسف قوله :

يا سميَّ المتاح في ظلمة الجـ ... ـبّ لمن ساقه القضاء إليها
والذي قطّع النساء له الأيـ ... ـدي ومكَّنَّ حبله من يديها
لك وجه مياسم الحسن فيه ... صكّة تطبع البدور عليها

كتب إبن منير للقاضي أبي الفضل هبة الله المتوفّى ٥٦٢ يلتمس منه كتاب [الوساطة بين المتنبّي وخصومه] تأليف القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني وكان قد وعده بها :

يا حائزا غايَ كلِّ فضيلة ... تضلُّ في كنهه الإحاطه
ومن ترقّى إلى محلٍّ ... أحكم فوق السّهى مناطه
إلى متى أسعط التمنّي؟ ... ولا ترى المنَّ بالوساطه

وُلد المترجم [إبن منير] سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس، وتوفّي في جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [عند جلِّ المؤرِّخين] بحلب ودفن في جبل جوشن[1] بقرب المشهد الذي هناك، قال إبن خلكان: زرت قبره

---

(١) جوشن جبل في غربي حلب ومنه كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه ويقال: إنه بطل منذ عبر سبي الحسين بن علي رضي الله عنه ونساؤه وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزاً أو ماء فشتموها ومنعوهافدعت عليهمفمن الآن من عمل فيه لا يربح . وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة والسقط يسمى محسن بن الحسين رضي الله عنه (معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٣) .

ورأيت عليه مكتوباً:

من زار قبري فليكن موقناً أنَّ الذي ألقاه يلقاهُ
فيرحم الله امرءاً زارني وقال لي يرحمك الله

ثمَّ وجدت في ديوان أبي الحكم عبيد الله أنَّ إبن منير توفّي بدمشق في سنة سبع وأربعين ورثاه بأبيات على أنَّه مات بدمشق وهي هزليَّة على عادته ومنها:

أتوا به فوق أعواد تسيِّره وغسّلوه بشطّي نهر قلّوطِ
وأثخنوا الماء في قِدرمرضّعةٍ وأشعلوا تحته عيدان بلّوطِ

وعلى هذا التقدير فيحتاج إلى الجمع بين هذين الكلامين فعساه أن يكون قد مات في دمشق ثمّ نقل إلى حلب فدفن بها اهـ.

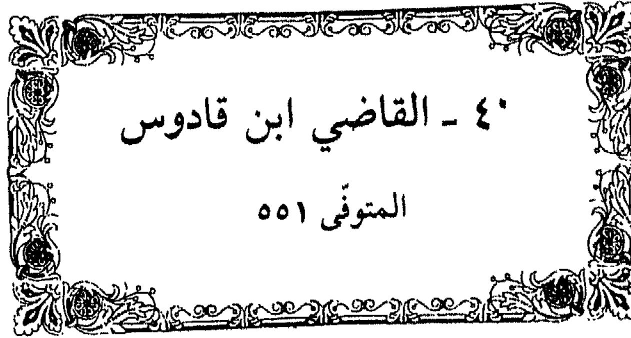
وأما أبو المترجم « المنير » فكان شاعراً كجدِّه « المفلح » كما في « نسمة السحر » وكان منشداً لشعر العوني، ينشد قصائده في أسواق طرابلس كما ذكر إبن عساكر في تاريخ الشام ج ٢ ص ٩٧، وبما أنَّ العوني من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام ولم يؤثر عنه شيءٌ في غيرهم، وكان منشده الشيعي هذا يهتف بها في أسواق طرابلس وفيها أخلاطٌ من الامم والأقوام كانوا يستثقلون نشر تلكم المآثر بملأٍ من الأشهاد، وبالرغم من غيظهم الثائر في صدورهم لذلك ما كان يسعهم مجابهته والمكاشفة معه على منعه لمكان من يجنح إلى العترة الطاهرة هنالك فعملوا بالميسور من الوقيعة فيه من انّه كان يغنّي بها في الأسواق كما وقع في لفظ إبن عساكر وقال: كان منشداً ينشد أشعار العوني في أسواق طرابلس ويغنّي. وأسقط إبن خلكان ذكر العوني وإنشاد المنير لشعره فاكتفى بأنَّه كان يُغنّي في الأسواق - زيادة منه في الوقيعة وعلماً بأنَّه لو جاء بذكر العوني وشعره لعرف المنقبون بعده مغزى كلامه كما عرفناه، وعلم أنّ ذلك الشعر لا يُغنّى به بل تُقرَّط به الأذن لإحياء روح الإيمان وإرحاض معرَّة الباطل.

توجد ترجمة إبن منير في كثير من المعاجم وكتب السير منها:

تـاريخ إبن خلكـان ج ١ ص ٥١ . الخريـدة للعماد الكـاتب. الأنساب للسمعاني[١]. تاريخ إبن عساكر ج ٢ ص ٩٧. مرآة الجنـان ج ٣ ص ٢٨٧ . تـاريخ إبن كثيـر ج ١٢ ص ٢٣١ . مجالس المؤمنين ص ٤٥٦ . أمـل الآمـل لصاحب الوسائل. شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٦. نسمـة السحر في الجـزء الأوَّل. روضات الجنات ص ٧٢. أعلام الزركلي ج ١ ص ٨١. تارخي آداب اللغة ج ٣ ص ٢٠ . دائرة المعارف للبستاني ج ١ ص ٧٠٩. تاريخ حلب ج ٤ ص ٢٣١ .

---

(١) قال: أدركته حياً بالشام وكان قد نزل شيراز في آخر عمره. قال الاميني: شيراز تصحيف « شيزر » وهي تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة. وقال: توفي في حدود سنة ٥٤٠ وهو كما ترى.



٤٠ ـ القاضي ابن قادوس

المتوفّى ٥٥١

يا سيِّد الخلفاء طرّاً بدوهم والحضَّرِ
إنْ عظَّموا ساقي الحجيج فأنتَ ساقي الكوثرِ
أنت الإمام المرتضى وشفيعنا في المحشرِ
ووليُّ خيرة «أحمد» وأبو شبير وشبَّرِ
والحائز القصبات في يوم «الغدير» الأزهرِ
والمطفىء الغوغا ببدرٍ والنَّضير وخيبرِ[1]

(الشاعر)

القاضي جلال الدين أبوالفتح محمود ابن القاضي إسماعيل بن حميد الشهير بابن قادوس الدمياطي المصري. أحد عباقرة الأدب، وفذٌّ من صيارفة البيان، مقدَّم في حلبة القريض، كاتب الإنشاء بالديار المصريَّة للعلويِّين، وتصدَّر بالقضاء، جمع بين فضيلتي العلم والأدب فعدَّ من أئمَّة البيان الرائع الذين جعلوا من رسائلهم الخلافيّة والديوانيّة نماذج من الفصاحة الباهرة، تلمَّذ عليه القاضي الفاضل[2] وكان يسميه ذا البلاغتين : «الشعر والنثر» له ديوان شعر في مجلّدين توفّي بمصر سنة خمسمائة وإحدى وخمسين[3].

(١) مناقب ابن شهراشوب.

(٢) أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساقي ثم المصري أحد أئمّة البلاغة ولد سنة ٥٢٩ وتوفي ٥٩٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٢٣٥، الحاكم بأمر الله ص ٢٣٤، الاعلام ج ٣ ص ١٠١ .

ذكر إبن خلكان في تاريخه ج١ ص٥٤ له في القاضي الرشيد[١]. وكان أسود اللون:

يا شبه لقمان بلا حكمة ... سلخت أشعار الورى كلّها
وخاسراً في العلم لا راسخاً ... فصرت تُدعى الأسود السالخا

حكى الحموي في « معجم الادباء » ج ٤ ص ٦٠ قال: إجتمع ليلة عند الصالح ابن رزيّك جماعةٌ من الفضلاء فألقى عليهم مسألة في اللغة فلم يجب عنها بالصّواب سوى القاضي الرّشيد فقال: ما سُئلت قطّ في مسألة إلاّ وجدتُني أتوقّد فهماً فقال إبن قادوس وكان حاضراً:

إنْ قلتَ منْ نارٍ خُلقـ ... ـتُ وفُقتُ كلَّ الناس فهماً
قلنا: صدقتَ فما الذي ... أطفاك حتى صرت فحماً؟

وذكر له إبن كثير في تاريخه فيمن يكرِّر التكبير ويوسوس في نيّة الصَّلاة:

وفاتر النيَّة عنّينها ... مع كثرة الرعدة والهمزةِ
يكبِّر التسعين في مرَّة ... كأنّه صلّى على حمزةِ[٢]

وذكر له المقريزي في « الخطط » ج ٢ ص ٢٩٨ في ذكر قلعة الروضة المعروفة بالجزيرة:

أرى سرح الجزيرة من بعيد ... كأحداق تغازل في المغازلْ
كأنَّ مجرَّة الجوزا أحاطت ... وأثبتت المنازل في المنازلْ

ومن شعره في المذهب كما في مناقب ابن شهراشوب قوله:

هي بيعة الرضوان أبرمها التّقى ... وأنارها النصُّ الجليُّ وألحما
ما اضطرَّ جدّك في أبيك وصيَّة ... وهو ابن عمّ أن يكون له انتمى
وكذا الحسين وعن أخيه جازها ... وله البنون بغير خلف منهما

---

(١) أبو الحسن أحمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير المصري المقتول سنة ٥٦٣.
(٢) اشارة الى ما ورد في صلاة النبي صلى الله عليه واله على حمزة سيد الشهداء يوم احد من انه عليه السلام كبر فيها سبعين أو اثنين وتسعين تكبيرة.

وله في الإمام زين العابدين عليه السّلام:

أنت الإمـام الآمر العـدل الـذي ... خبب البـراق لجـدِّه جبـريـلُ
الفـاضـل الأطـراف لم يُـرَ فيهمُ ... إلّا إمـامٌ طـاهـرٌ وبـتـولُ
أنتم خـزائن غـامضـات علومـه ... وإليكـم التـحـريم والـتحـليـلُ
فعلى المـلائـك أن تؤدِّي وحيـه ... وعـليكـم التبييـن والـتـأويـلُ

ذكر سيّدنا الأمين في « أعيان الشيعة » في الجزء السابع عشر ص٣٣٢ إبن قادوس المصري وقال: ذكرنا في ج ٦ ص ٩٣: أنّا لم نعرف اسمه، وذكرنا في ج ١٣ ص ٢٠٦: انَّ اسمـه محمود بن إسمـاعيل بن قـادوس الـدميـاطي المصري إعتماداً على ما وجدناه في الطليعة « للعلّامـة السماوي » من نسبـة الشعر الذي في « المناقب » إليه، ثمّ وجدناه في كتاب « شذرات الذهب » في حوادث سنة ٦٣٩ ما صورته: وفيها توفي النفيس إبن قادوس القاضي أبو الكرم أسعـد بن عبد الغني العـدوي. فرجحنـا أن يكون هـو الـذي نسب إليـه إبن شهراشوب الشعـر الصريـح في تشيّعه وتـرجمناه في مستـدركات هـذا الجزء « ص ٤٦٨ » وسبب الترجيح وصفه بالقاضي في « المناقب » والذي كان قاضياً بنصّ المناقب والشذرات هو أسعد لا محمود ومحمود إنّما كان كاتباً للعلويّين بنصّ الطليعة لكن يبعده أنّ صاحب « المناقب » مات سنة ٥٨٨ وأسعد مات سنة ٦٣٩ بعده بإحدى وخمسين سنة، غير أنه يمكن نقله عنه لأنَّ أسعد عاش ٩٦ سنة.

قال الأميني: ما ذكره شيخنا صاحب « الطليعة » هو الصَّواب. وقد خفي على سيّدنا الأمين امورٌ: الأوّل: كون أبي الفتح ابن قادوس المترجم قاضيا وقد ذكره معاصره القاضي الرشيد المقتول سنة ٥٦٣ في كتابه« جنان الجنـان ورياضـة الأذهان » ونقله عنه صاحب تاريخ حلب ج٤ ص١٣٣، ووصفه بذلك المقريزي في الخطط ج ٢ ص ٣٠٦ والدكتور عبد اللطيف حمـزة في كتابـه « الحركـة الفكريّة في مصر » ص٢٧١.

والثاني : أنَّ المعروف بابن قادوس هو محمود شاعرنا لا أسعد فإنَّه يُعرَفُ بالقاضي النفيس لا بابن قادوس.

والثالث: أنَّ القاضي النفيس لم يُذكر قطُّ بالأدب والشعر في أيّ معجم والذي يُذكر شعره في المعاجم ويعرف بديوانه المجلّدين أبو الفتح إبن قادوس مترجمنا. والله من ورائهم محيط.



٤٧ ـ الملك الصالح

ولد ٤٩٥

استشهد ٥٥٦

سقى الحمى ومحلاً كنت أعهدهُ حيا بحور بصوب المزن أجوده
فإن دنى الغيث واستسقت مرابعه ربا فدمعي بالتِّسكاب ينجده

ويقول فيها:

يا راكب الغيِّ دع عنك الضَّلال فهذا الرُّشد بالكوفة الغرّاء مشهدهُ
مَن رُدّت الشمس من بعد المغيب له فأدرك الفضل والأملاك تشهدهُ
ويوم « خمّ » وقد قال النبيُّ له بين الحضور وشالت عضده يدهُ
: مَن كنت مولى هذا يكون له مولى أتاني به أمرٌ يؤكّدهُ
مَن كان يخذله فالله يخذله أو كان يعضده فالله يعضدهُ
والباب لمّا دحاهُ وهو في سغبٍ من الصِّيام وما يخفى تعبّدهُ
وقلقل الحصن فارتاع اليهود له وكان أكثرهم عمداً يفنِّدهُ
نادى بأعلى السَّما جبريل ممتدحاً هذا الوصيُّ وهذا الطّهر أحمدهُ
وفي الفرات حديثٌ إذ طغى فأتى كلٌّ إليه لخوف الهلك يقصدهُ
فقال للماء: غض طوعاً فبان لهم حصباؤه حين وافاهُ يهدِّدهُ(١)

وله من قصيدة توجد منها ٥٧ بيتاً يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام:

وفي مواقف لا يُحصى لها عدداً ما كان فيها برعديد ولا نكلِ

---

(١) القصيدة ٣٩ بيت يوجد شطرٌ منها في مناقب ابن شهراشوب، والصراط المستقيم للبياضي، وذكرها برمتها العلامة السيد احمد العطار في كتابه « الرائق ».

كم كربة لأخيه المصطفى فرجت ... به وكان رهين الحادث الجللِ ؟!
كم بين من كان قد سنّ الهروب ومَن ... في الحرب إن زالت الأجبال لم يزلِ
في هل أتى بيّن الرَّحمن رتبته ... في جوده فتمسَّك يا أخي بهلِ
عليٌّ قال: اسألوني كي أبين لكم علمـ ... ـي وغير عليٍّ ذاك لم يقلِ
بل قال: لستُ بخير إذ وليتكمُ ... فقوِّموني فإنّي غير معتدلِ
إن كان قد أنكر الحسّاد رتبته ... فقد أقرَّ له بالحقِّ كلُّ ولي
وفي « الغدير » له الفضل الشهير بما ... نصَّ النبيُّ له في مجمعٍ حفلِ

قال من قصيدة ذات ٤٤ بيتاً أوّلها:

لا تبك للجيرة السّارين في الظعنِ ... ولا تعرج على الأطلال والدمنِ
فليس بعد مشيب الرأس من غزل ... ولا حنين إلى إلف ولا سكنِ
وتُب إلى اللّه واستشفع بخيرته ... من خلقه ذي الأيادي البيض والمننِ
« محمَّدٌ » خاتم الرُّسل الذي سبقت ... به بشارة قسّ وابن ذي يزنِ

يقول فيها:

فاجعله ذخرك في الدارين معتصماً ... له وبالمرتضى الهادي أبي الحسنِ
وصيِّه ومواسيه وناصره على ... أعاديه من قيسٍ ومن يمنِ
أوصى النبيُّ إليه لا إلى أحدٍ ... سواه في « خمّ » والأصحاب في علنِ
فقال: هذا وصيّي والخليفة من ... بعدي وذو العلم بالمفروض والسننِ
قالوا: سمعنا فلمّا قضى غدروا ... والطهر « أحمد » ماواروه في الجبنِ

وله من قصيدة ذات ٢٧ بيتاً:

أنا من شيعة الإمام عليٍّ ... حرب أعدائه وسلم الوليِّ
أنا من شيعة الإمام الذي ما ... مال في عمره لفعلٍ دنيِّ
أنا عبدٌ لصاحب الحوض ساقي ... من توالى فيه بكأسٍ رويِّ
أنا عبدٌ لمن أبان لنا المشكل ... فارتاض كلّ صعب أبيِّ
والّذي كبّرت ملائكة الله له ... عند صرعة العامريِّ
الإمام الذي تخيَّره الله ... بلا مرية أخاً لِلنبيِّ

قسماً ما وقاه بالنفس لمّا با ت في الفرش عنه غير عليٍّ
ولعمري إذ حلَّ في يوم «خمّ» لم يكن موصياً لغير الوصيٍّ

وله من قصيدة ذات ٤١ بيتاً مطلعها:

ما كان أوّل تائهٍ بجماله بدرٌ منال البدر دون مناله
متباينٌ فالعدل من أقواله ليغرَّنا والجور من أفعاله
صرع الفؤاد بسحر طرفٍ فاترٍ حتّى دنى فأصابه بنبباله
متعوِّدٌ لِلرَّمي حاجبه غدا من قسيه واللحظ بِعَض نصاله
ما بلبل الأصداغ فوق عذاره إلّا انطوى قلبي على بلباله
يبغي مغالطة العيون بها لكي يخفي عقاربه مدبّ صلاله
ويظلّ من ثقل الضّلالة تشتكي ما يشتكيه القلب من أغلاله
جعل السهاد رقيب عيني في الدجا كي لا ترى في النوم طيف خياله
وحفظت في يدي اليمين وداده جهدي وضيَّع مهجتي بشماله
وأباح حسّادي موارد سمعه وحميت ورد السمع عن عذّاله
أغراه تأنيسي له بنفاره عنّي وإذلالي بفرط دلاله
ولربَّما عاتبته فيقول لي: قولي يكذِّبه بفتح فعاله
كمعاشر أخذ النبيّ عهودهم واستحسنوا الغدر الصراح بآله
خانوه في أمواله وزروا على أفعاله وعصوه في أقواله
هذا «أمير المؤمنين» ولم يكن في عصره مَن حاز مثل خصاله
العلم عند مقاله والجود حـ ـين نواله والبأس يوم نزاله
وأخوه من دون الورى وأمينه قِدماً على المخفيٍّ من أحواله
وضّاهمُ بولاية فكأنّما وصّاهمُ بخلافه وقتاله
واستنقصوا الدين الحنيف بكتمهم يوم «الغدير» وكان يوم كماله

أخذنا هذه القصائد من كتاب «الرائق» لسيِّدنا العلّامة السيِّد أحمد العطّار وقد ذكر فيه شطراً مهمّاً من شعر الملك الصالح في العترة الطاهرة ولعلّه جلّ ما فيهم

(الشاعر)

أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين طلائع بن رزّيك بن الصالح الإرمني[١] أصله من الشيعة الإماميّة في العراق كما في [أعلام الزركلي].

هو من أقوام جمع الله سبحانه لهم الدنيا والدين، فحازوا شرف الدارين، وحُبوا بالعلم الناجع والإمرة العادلة، بينا هو فقيهٌ بارعٌ كما في [خواصّ العصر الفاطمي] وأديبٌ شاعرٌ مجيدٌ كما طفحت به المعاجم، فإذا به ذلك الوزير العادل تزدهي القاهرة بحسن سيرته، وتعيش الامَّة المصريَّة بلطف شاكلته، وتزدان الدولة الفاطميَّة بأخذه بالتدابير اللازمة في إقامة الدولة وسياسة الرعيَّة ونشر الأمن وإدامة السلام، وكان كما قال الزركلي في [الأعلام] وزيراً عصاميّاً يعدُّ من الملوك، ولقّب بالملك الصّالح، ولقد طابق هذا اللفظ معناه كما يُنبئك عنه تاريخه المجيد فلقد كان صالحاً بعلمه الغزير وأدبه الرائق، صالحاً بعدله الشامل وورعه الموصوف صالحاً بسياسته المرضيَّة وحسن مداراته مع الرعيَّة، صالحاً بسيبه الهامر ونداه الوافر، صالحاً بكلِّ فضائله وفواضله دينيَّة ودنيويَّة، وقبل هذه كلّها تفانيه في ولاء أئمّة الدين عليهم السَّلام ونشر مآثرهم ودفاعه عنهم بفمه وقلمه ونظمه ونثره، وكان يجمع الفقهاء ويناظرهم في الإمامة والقدَر، وكان في نصر التشيّع كالسكّة المحماة كما في « الخطط والشذرات ».

وله كتاب [الإعتماد[٢] في الردِّ على أهل العناد] يتضمَّن إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام والكلام على الأحاديث الواردة فيها، وديوانه مجلّدان فيه كلّ فنٍّ من الشعر، وقد شرح سعيد بن مبارك النحوي الكبير المتوفّى سنة ٥٦٩ بيتاً من شعر المترجم في عشرين كرّاساً، وكان الادباء يزدلفون إلى دسته كلّ ليلة ويدوِّنون شعره، والعلماء يَفدون إليه من كلِّ فجٍّ فلا يخيب أمل آمل منهم، وكان يحمل إلى العلويِّين في المشاهد المقدَّسة كلَّ سنة أموالاً جزيلةً وللأشراف من

(١) بكسر الهمزة وكسر الميم نسبة الى ارمينية على غير قياس وهي اسم لصقع عظيم واسع.
(٢) الاجتهاد: في شذرات الذهب.

أهل الحرمين ما يحتاجون إليه من كسوة وغيرها حتّى ألواح الصِّبيان التي يكتب فيها والأقلام وأدوات الكتابة ووقف ناحية « المقس »[١] لأن يكون ثلثاها على الأشراف من بني الحسنين السبطين الإمامين عليهما السَّلام، وتسعة قراريط منها على أشراف المدينة النبويَّة المنوَّرة، وجعل قيراطاً على مسجد أمين الدولة، وأوقف بلقس بالقليوبيَّة وبركة الحبش[٢] وجدَّد الجامع بالقرافة الكبرى، وبنى الجامع الذي على باب زُويلة بظاهر القاهرة ويسمّى بجامع الصّالح، ولم يترك غزو الإفرنج مدَّة حياته في البرّ والبحر، فكانت بُعوثه إليهم تترى في كلّ سنة[٣] ولم يزل له صدر الدست وذرى الفخر ونفوذ الأمر وعرش الملك حتّى اختار الله تعالى له على ذلك كلّه الفوز بالشهادة وقُتل غيلةً في دهليز قصره سنة ٥٥٦ يوم الإثنين ١٩ شهر الصيام ودُفن في القاهرة بدار الوزارة ثمَّ نقله ولده العادل إلى القرافة الكبرى.

كلمات حول المترجم:

١ ـ قال إبن الأثير في الجزء الحادي عشر من تاريخه « الكامل » ص ١٠٣: في هذه السنة « يعني سنة ٥٥٦ » في شهر رمضان قُتل الملك الصّالح وزير العاضد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله انّه تحكّم في الدولة التحكّم العظيم واستبدَّ بالأمر والنهي وجباية الأموال إليه لصغر العاضد ولأنّه هو الذي ولّاه ووتر الناس فإنّه أخرج كثيراً من أعيانهم وفرَّقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه، ثمَّ انّه زوَّج ابنته من العاضد فعاداه ايضاً الحرم من القصر فأرسلت عمَّة العاضد الأموال إلى الامراء المصريّين ودعتهم إلى قتله وكان أشدَّهم عليه في ذلك إنسانٌ يُقال له: إبن الدّاعي. فوقفوا له في دهليز القصر فلمّا دخل ضربوه بالسَّكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة إلّا أنَّه حُمل إلى داره وفيه حياةٌ فأرسل إلى العاضد يُعاتبه على الرِّضا بقتله مع أثره في خلافته فأقسم العاضد انّه

---

(١) بفتح الميم ثم السكون كان قبل الاسلام يسمى « ام دنين ».

(٢) قال الحموي: هي أرض في وهدة من الارض واسعة طولها نحو ميل مشرفة على نيل مصر خلف القرافة وقف على الاشراف.

(٣) الخطط ج ٤ ص ٨١ وص ٣٢٤، تحفة الاحباب للسخاوي ص ١٧٦.

لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال: إن كنت بريئاً فسلّم عمّتك إليّ حتى أنتقم منها فأمر بأخذها فأرسل إليها فأخذها قهراً واحضرت عنده فقتلها ووصّى بالوزارة لابنه رزيك ولقّب العادل فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه، وللصّالح أشعارٌ حسنةٌ بليغةٌ تدلُّ على فضل غزير فمنها في الإفتخار:

أبى الله إلّا أن يدوم لنا الدّهرُ ... ويخدمنا في ملكنا العزُّ والنصرُ
علمنا بأنَّ المال تفنى أُلوفه ... ويبقى لنا من بعده الأجر والذكرُ
خلطنا النّدى بالباس حتّى كأنّنا ... سحاب لديه البرق والرعد والقطرُ
قِرانا إذا رحنا إلى الحرب مرَّة ... قِراناً ومن أضيافنا الذئب والنَّسرُ
كما أنّنا في السِّلم نبذل جودنا ... ويرتع في إنعامنا العبد والحرُّ

وكان الصّالح كريماً فيه أدب وله شعرٌ جيِّد وكان لأهل العلم عنده إتّفاقٌ، ويرسل إليهم العطاء الكثير، بلغه أنَّ الشيخ أبا محمَّد بن الدّهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل قد شرح بيتاً من شعره وهو هذا:

تجنَّب سمعي ما يقول العواذلُ ... وأصبح لي شغلٌ من الغزو شاغلُ

فجهَّز إليه هديَّة سنيَّة ليرسلها إليه فقُتل قبل إرسالها، وبلغه ايضاً انَّ إنساناً من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكّة فأرسل إليه كتاباً يشكره ومعه هديَّه، وكان الصالح إمامياً لم يكن على مذهب العلويِّين المصريِّين، ولمّا ولي العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجَّة عظيمة فقال: ما الخبر؟ فقيل: إنَّهم يفرحون. فقال: كأنّي بهؤلاء الجهلة وهم يقولون: ما مات الأوّل حتّى استخلف هذا. وما علموا أنّني كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم قال عمارة(١): دخلت على الصالح قبل قتله بثلاثة أيّام فناولني قرطاساً فيه بيتان من شعر وهما:

نحن في غفلةٍ ونومٍ وللمو ... ت عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحِمام سنيناً ... ليت شعري متى تكون الحِمام؟!

فكان آخر عهدي به. وقال عمارة ايضاً: ومن عجيب الإتّفاق انّني أنشدت

(١) أحد شعراء الغدير في القرن السادس يأتي شعره وترجمته في هذا الجزء.

إبنه قصيدة أقول فيها:

أبوكَ الذي تسطو الليالي بحدِّه وأنت يمينٌ إن سطا وشمالُ
لرتبته العظمى وإن طال عمره إليك مصيرٌ واجبٌ ومنالُ
تخالصك اللحظ المصون ودونها حجابٌ شريفٌ لاانقضى وحجالُ

فانتقل الأمر عليه بعد ثلاثة أيّام.

٢ ـ وقال إبن خلكان في تاريخه ج١ ص٢٥٩: دخل الصّالح إلى القاهرة وتولّى الوزارة في أيّام الفائز، واستقلَّ بالامور وتدبير أحوال الدولة، وكان فاضلاً محبّاً لأهل الفضائل سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء جيِّد الشعر ومن شعره:

كم ذا يُرينا الدَّهر من أحداثه عبراً وفينا الصدُّ والإعراضُ
ننسى الممات وليس يجري ذكره فينا فتذكرنا به الأمراضُ

ومنه ايضاً:

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى أعطافه النشوات من عينيهِ
ماضي اللحاظ كأنَّما سلَّت يدي سيفي غداة الرَّوع من جفنيهِ
قد قلت إذ خطَّ العذار بمسكه في خدِّه ألفيه لا لاميهِ
: ما الشعر دبَّ بعارضيه وإنَّما أصداغه نفضت على خدّيهِ
النّاس طوع يدي وأمري نافذ فيهم وقلبي الآن طوع يديهِ
فاعجب بسلطان يعمُّ بعدله ويجور سلطان الغرام عليهِ
والله لولا اسم الفرار وإنَّه مستقبحٌ لفررت منه إليه

وأنشد لنفسه بمصر:

مشيبك قد نضا صبغ الشَّباب وحلَّ الباز في وكر الغرابِ
تنام ومقلة الحدثان يقظى وما ناب النَّوائب عنك نابِ
وكيف بقاء عمرك وهو كنزٌ وقد أنفقت منه بلا حسابِ؟!

وكان المهذّب عبد الله بن أسعد الموصلي نزيل حمص قد قصده من الموصل ومدحه بقصيدته الكافيَّة التي أوّلها:

أمـا كفـاك تـلاقي في تـلاقيكـا   ولست تـنقـم إلّا فرط حبّيكـا
وفيم تغضب إن قال الوشـاة سلا   وأنت تعلم أني لست أسلوكـا؟!
لا نلت وصلك إن كان الذي زعموا   ولا شفى ظمأي جود ابن رزّيكـا

وهي من نخب القصائد.

٣ - قال المقريزي في « الخطط » ج ٤ ص ٨١ - ٨٣: زار الملك الصالح مشهد الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في جماعة من الفقـراء وإمام مشهد عليٍّ رضي الله عنه يومئذ السيِّد إبن معصوم[١] فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى السيِّد في منامه الإمام صلوات الله عليه يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً من جملتهم رجلٌ يقال له: طلائع بن رزّيك من أكبر محبِّينا فقل له: إذهب فإنّا قد ولّيناك مصر، فلمّا أصبح أمر من يُنادي: مَن فيكم اسمه طلائع بن رزّيك؟ فليقم إلى السيِّد ابن معصوم. فجاء طلائع إلى السيِّد وسلّم عليه فقصَّ عليه رؤياه، فرحل إلى مصر وأخذ أمره في الرُقيّ، فلمّا قتل نصر بن عبّاس الخليفة الظافر إسماعيل إستثارت نساء القصر لأخذ ثاراته بكتاب في طيّه شعورهنَّ، فحشد طلائع الناس يريد النكبة بالوزير القاتل، فلمّا قرب من القاهرة فرَّ الرَّجل ودخل طلائع المدينة بطمأنينة وسلام، فخلعت عليه خلائع الوزارة ولُقِّب بالملك الصالح، فارس المسلمين، نصير الدين، فنشـر الأمن وأحسن السيرة. [ثمَّ ذكر حديث قتله[٢]] وقال: كان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محبّاً لأهل الأدب جيِّد الشعر رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسةً وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، وجمع أموالاً عظيمة، وكان محافظاً على الصّلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيّع صنَّف كتاباً سمّاه [الإعتماد في الردّ على أهل العناد] جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمَّن إمامة عليٍّ بن أبي طالب عليه السّلام وله شعرٌ كثيرٌ يشتمل على مجلّدين في كلِّ فنٍّ فمنهفي إعتقاده:

(١) قال السيد ابن شدقم في « تحفة الازهار »: كان أبو الحسن بن معصوم ابن ابي الطيب احمد سيداً شريفاً جليلاعظيم الشأن رفيع المنزلة كان في المشهد الغروي كبيراً عظيماً ذا جاه وحشمة ورفعة وعز واحترام عليه سكينة ووقار. اه. وهو جد الاسرة الكريمة النجفية المعروفة اليوم ببيت خرسان.

(٢) راجع كتابنا شهداء الفضيلة ص ٥٨.

يـا امَّـةً سلكت ضـلالاً بيِّنـاً   حتى استـوى إقرارهـا وجحودهـا
قلتم: ألا إنَّ المعـاصي لم تكن   إلّا بتقـديـر الآلـه وجـودهـا
لـو صحَّ ذا كـان الآلـه بـزعمكم   منع الشريعـة أن تُقام حـدودهـا
حـاشـا وكـلاّ أن يكـون آلهنـا   ينهى عن الفحشـاء ثمَّ يـريـدهـا

وله قصيدةٌ سمّاها [الجوهريَّة في الردِّ على القدريَّة]. ثمَّ قال: ويُروى: انَّه لمّا كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها قال: هذه الليلة ضرب في مثلها الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام وأمر بقراءة مقتله واغتسل وصلّى مائةوعشرين ركعةً أحيى بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته واضطرب لذلت وجلس في دهليز دار الوزارة فأحضر ابن الصيف وكان يلفُّ عمائم الخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل ليصلح عمامته وعند ذلك قال له رجلٌ: إنَّ هذا الذي جرى يُتطيَّر منه فإن رأى مولانا أن يُؤخِّر الركوب فعل. فقال: الطيرة من الشيطان وليس إلى التأخير سبيلٌ. ثمّ ركب فكان من أمره ما كان.

وقال في ج ٢ ص ٢٨٤: قال إبن عبد الظاهر: مشهد الإمـام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا انَّ طلائع بن رزّيك المنعوت بالصّالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان[1] لما خاف عليها من الفرنـج وبنى جامعـه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلّا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه ونقلوا الرخام إليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وسمعت من يحكي حكاية يستدلُّ بها على بعض شـرف هذا الـرأس الكريم المبارك وهي: أنَّ السلطان الملك الناصر رحمه الله لمّا أخذ هذا القصر وشي إليه بخادم له قدر في الدولة المصريَّة وكان بيده زمام القصر وقيل له: انَّه يعرف الأموال التي بالقصر والدفائن فأُخذ وسُئل فلم يجب بشيء وتجاهل فأمر طلاح الدين نوّابه بتعذيبه فأخذه متولّي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدَّ

(١) مدينة بالشام من اعمال فلسطين على ساحل البحر يقال لها: عروس الشام.

عليها قرمزية، وقيل: إنَّ هذه أشدُّ العقوبات، وانَّ الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلّا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مراراً وهو لا يتأوَّه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له: هذا سرٌّ فيك ولا بدَّ أن تعرِّفني به. فقال: والله ما سبب هذا إلّا أني لمّا وصلت رأس الإمام الحسين حملتها. قال: وأيّ سرٍّ أعظم من هذا. وراجع في شأنه فعفا عنه. إنتهى.

٤ - وقال الشعراني في مختصر تذكرة القرطبي ص ١٢١: قد ثبت انَّ طلائع بن رزّيك الذي بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار، وخرج هو وعسكره فتلقّاها من خارج مصر حافياً مكشوف الرأس هو وعسكره، وهو في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسيٍّ من خشب الآبانوس، ومفروشٌ هناك نحو نصف أردب من الطيب كما أخبرني بذلك خادم المشهد. إلى أن قال في ص ١٢٢: فزر يا أخي هذا المشهد بالنيَّة الصالحة إن لم يكن عندك كشف فقول الإمام القرطبي: إنَّ دفن الرأس في مصر باطلٌ. صحيحٌ في أيّام القرطبي فإنَّ الرأس إنَّما نقلها طلائع إبن رزِّيك بعد موت القرطبي.

قال الأميني: هذا التصحيح لقول القرطبي يكشف عن جهل الشعراني بترجمة القرطبي وطلائع، وقد خفي عليه أنَّ القرطبي توفّي سنة ٦٧١ بعد وفاة طلائع الملك الصالح بمائة وخمس عشرة سنة فإنّه توفّي سنة ٥٥٦ ونطفة القرطبي لم تنعقد بعدُ.

ثمَّ مشهد رأس الحسين الذي بناه طلائع احترق سنة ٧٤٠ فأُعيد بناؤه مراراً وأخيراً اقيم في جواره جامعٌ حتّى إذا كانت أيّام الأمير عبد الرَّحمن كخيا أحد امراء المماليك فأُعيد بناء المشهد الحسيني في أواخر القرن الماضي للميلاد وبعد ذلك اعيد بناؤه برمَّته في أيّام الخديوي السابق، ولم يبق من البناء القديم إلّا القبَّة المغطية لمقام الإمام فأصبح على ما نشاهده الآن وهو الجامع المعروف بجامع سيِّدنا الحسين(١)

(١) تاريخ مصر الحديث ج ١ ص ٢٩٨.

ولادته ووفاته ، مدائحه ومراثيه

ولد الملك الصالح سنة خمس وتسعين وأربعمائة ومدحه الفقيه عمارة اليمني « الآتي ذكره » بقصائد توجد في كتابه « النكت العصريَّة » منها:

دعوا كلَّ برق شمتمُ غير بارق ... يلوح على الفسطاط صادق بشرهِ
وزوروا المقام الصالحيَّ فكلُّ من ... على الأرض ينسى ذكره عند ذكرهِ
ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى ... فتجنوا على مجد المقام وفخرهِ
ولكن سلوا منه العُلى تظفروا بها ... فكلُّ امرئٍ يُرجى على قدر قدرهِ

ومدحه في شعبان سنة ٥٠٥ بقصيدة منها:

قصدتك من أرض الحطيم قصائدي ... حادي سُراها سنَّةٌ وكتابُ
إن تسألا عمّا لقيت فإنَّني ... لا مخفقٌ أملي ولا كذّابُ
لم أنتجع ثمد النطاف ولم أقف ... بمذانب وقفت بها الأذنابُ

وقال يمدحه:

أعندك أنَّ وجدي واكتئابي ... تراجع مذ رجعت إلى اجتنابي؟!
وانَّ الهجر أحدث لي سلواً ... يسكّن برده حرَّ التهابي؟!
وانَّ الأربعين إذا تولَّت ... بريعان الصّبا قبح التصابي؟!
ولو لم ينهني شيبٌ نهاني ... صباح الشيب في ليل الشبابِ
وأيّامٌ لها في كلِّ وقت ... جناياتٌ تجلّ عن العتابِ
أقضّيها وتحسب من حياتي ... وقد أنفقتهنَّ بلا حسابِ
وقد حالت بنو رزّيك بيني ... وبين الدَّهر بالمنن الرغابِ

ومنها:

ولولا الصّالح انتاش القوافي ... لكان الفضل مجتنب الجنابِ
وكنت وقد تخيَّره رجائي ... كمن هجر السَّراب إلى الشرابِ
ولم يخفق بحمد الله سعيي ... إلى مصر ولا خاب انتخابي
ولكن زرت أبلج يقتضيه ... نداه عمارة الأمل الخرابِ

ومنها:

أقمتَ الناصر[١] المحيي فأحيى رسوماً كنَّ كالرَّسم اليبابِ
وبثَّ العدل في الدنيا فأضحى قطيع الشاء يأنس بالذئابِ
وأنت شهاب حقٍّ وهو منه بمنزلة الضِّياء من الشهابِ
سعى مسعاك في كرمٍ وبأس وشبَّ على خلائقك العذابِ
فأصبح معلم الطرفين لمّا حوى شرف انتساب واكتسابِ
وصُنتَ الملك من عزمات بدر بميمون النقيبة والركابِ
بأورع لم يزل في كلِّ ثغرٍ زعيم القبّ مضروب القبابِ
فخوف البأس في حربٍ وسلمٍ وحدُّ السيف يُخشى في القرابِ

وقال يمدحه بقصيدة أوّلها:

إذا قدرت على العلياء بالغلبِ فلا تعرّج على سعي ولا طلبِ
واخطب بألسنة الأغماد ما عجزتْ عن نيله ألسن الأشعار والخطبِ

ويقول فيها:

ألقى الكفيل أبو الغارات كلكله على الزَّمان وضاعت حيلة النّوبِ
وداخلت أنفس الأيّام هيبته حتى استرابت نفوس الشك والريبِ
بثَّ الندى والرَّدى زجراً وتكرمةً فكلّ قلبٍ رهين الرعب في الرعبِ
فما لحامل سيف أو مثقَّفةٍ سوى التحمّل بين النّاس من إربِ
لمّا تمرَّد بهرام واسرته جهلاً وراموا قراع النبع بالغربِ
صدعت بالنّاصر المحيي زجاجتهم وللزجاجة صدعٌ غير منشعبِ
أسرى إليهم ولو أسرى إلى الفلك الأعلى لخافت قلوب الأنجم الشهبِ
في ليلة قدحت زرق النّصال بها ناراً تشبُّ بأطراف القنا الأشبِ
ظنّوا الشجاعة تنجيهم فقارعهم أبو شجاع قريع المجد والحسبِ
سقوا بأسكر سكراً لا انقضاء له من قهوة الموت لا من قهوة العنبِ

ومنها:

---

(١) هو الملك الناصر العادل بن الصالح بن رزيك.

لله عزمة محيي الدين كم تركت بتربة الحيِّ من خدِّ امرئٍ تربِ
سما إليهم سموّ البدر تصحبه كواكبٌ من سحاب النقع في حجبِ
في فتيةٍ من بني رزّيك تحسبهم عن جانبيه رحىً دارت على قطبِ

وقال يمدحه بقصيدة منها:

هل القلب إلاَّ بضعةٌ يتقلّبُ؟ له خاطرٌ يرضى مراراً ويغضبُ
أم النَّفس إلّا وهدةٌ مطمئنَّةٌ تفيض شعاب الهمّ منها وتنضبُ؟!
فلا تلزمنَّ الناس غير طباعهم فتتعب من طول التعاب ويتعبوا
فإنَّك إن كشَّفتهم ربما انجلى رمادهمُ من جمرة تتلهَّبُ
فتاركهمُ ما تاركوك فإنَّهم إلى الشرّ مذ كانوا من الخير أقربُ
ولا تغترر منهم بحسن بشاشةٍ فأكثر ايماض البوارق خُلّبُ
واصغ إلى ما قلته تنتفع به ولا تطّرح نصحي فإنّي مجرِّبُ
فما تنكر الأيّام معرفتي بها ولا أنّني أدرى بهنَّ وأدربُ
وإنّي لأقوام جُذيل محكّكٌ وإنّي لأقوام عُذيقٌ مرجَّبُ
عليمٌ بما ترضى المروءة والتقى خبيرٌ بما آتي وماأتجنَّبُ
حلبت أفاويق الزَّمان براحةٍ تدرُّ بها أخلافه حين تخلبُ
وصاحبت هذا الدهر حتّى لقد غدت عجائبه من خبرتي تتعجَّبُ
ودوَّخت أقطار البلاد كأنَّني إلى الريح اعزى أو إلى الخضر انسبُ
وعاشرت أقواماً يزيدون كثرةً على الألف أو عدّ الحصى حين يحسبُ
فما راقني في روضهم قطُّ مرتعٌ ولا شاقني في وردهم قطُّ مشربُ
تراني وإيّاهم فريقين كلّنا بما عنده من عزَّة النفس معجبُ
فعندهمُ دنيا وعندي فضيلةٌ ولا شكَّ انَّ الفضل أعلى وأغلبُ
على أنَّ ما عندي يدوم بقاؤه عليَّ ويفنى المال عنهم ويذهبُ
اناسٌ مضى صدرٌ من العمر عندهم اصعّد ظنّي فيهمُ واصوِّبُ
رجوت بهم نيل الغنى فوجدته كما قيل في الأمثال: عنقاء مغربُ
وكسَّل عزم المدح بعد نشاطه ندى ذمِّه عندي من المدح أوجبُ

كأنَّ القوافي حين تُدعى لشكرهم على الجمر تمشي أو على الشوك تسحب

أفـوه بـحقٍّ كـلّمـا رمتُ ذمَّـهم ... وما غير قول الحقِّ لي قطُّ مذهبُ

وأصـدق إلّا أن اريـد مـديحهم ... فإنّي على حكم الضرورة أكذبُ

ولو علموا صـدق المدائح فيهمُ ... لكانت مساعيهم تهشُّ وتـطربُ

ولكن دروا انَّ الذي جاء مـادحاً ... بغيـر الـذي فيهم يُسبّ ويُثلبُ

ومـا زال هذا الأمـر دأبي ودأبهم ... اغـالب لـومي فيهمُ وهـو أغلبُ

إلى أن أذلّتني الليـالي وأعتبت ... ومـا خلتها بعـد الإسـاءة تعتبُ

فهاجرت نحو الصالح الملك هجرةً ... غدت سبباً لـلأمن وهو المسبَّبُ

وقال يمدحه من قصيدة:

هي البـدر من سنة البـدر أملحُ ... وغـرَّتها من غـرَّة الصبح أصبـحُ

منعَّمـةٌ تسبي العقـول بصـورةٍ ... إلى مثلهـا لبّ الجـوانح يجنـحُ

كأنَّ الظباء العفر يحكين جيـدها ... ومقلتهـا في حين تـرنـو وتسنـحُ

كأنَّ اهتزاز الغصن من فوق ردفها ... هـضيـمٌ بـأعلى رمـلة يتـرنّـحُ

تعلّمت من حبّي لها عزَّة الهـوى ... وقـد كنتُ فيه قبلهـا أتسمَّـحُ

وهيَّج نار الـوجد والشـوق قولهـا ... أحتّى إلى الجوزاء طرفك يطمحُ؟!

فـلا جفن إلّا مـاؤه ثمَّ يسفـح ... ولا نـار إلّا زنـدهـا ثمَّ يقـدحُ

وما علمت أنّي إذا شفَّني الهوى ... إليهـا بدعـوى الصَّبر لا أتبجَّـحُ

وإنَّ اعتـرافي بـالتـأخّـر حيث لا ... يقـدِّمني فضـلٌ أجـلُّ وأرجـحُ

ألم ترَ فضل الصالح الملك لم يدع ... على الأرض من يثني عليه ويمدحُ؟

كـأنَّ مساعي جملة الخلق جملةً ... غـدت بمساعيـه الحميدة تشـرحُ

تجمَّع فيه مـا تفرَّق في الـورى ... على انّـه أسنى وأسمى وأسمـحُ

يُرجّى الندى منـه فيغني ويسمح ... ويخشى الرَّدى منه فيعفو ويصفحُ

لـه كلّ يـومٍ منَّـةٌ مستجـدَّةٌ ... يضوع جميل الـذِّكر منهـا وينفحُ

وقال يمدحه من قصيدة:

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا ... ثمَّ ادَّعى لـذَّة الدنيـا فما صـدقا

في العشق معنى لطيف ليس يعرفه　　من البريّة إلّا كلُّ من عشقا
لا خفَّف الله عن قلبي صبابته　　للغانيات ولا عن طرفي الأرقا

ويقول فيها:

لو كنت أملك روحي وارتضيت بها　　بذلتها لكِ لا زوراً ولا ملقا
وإنّما الصّالح الهادي تملّكها　　بفيض جودٍ رعى آماله وسقى
واقتادها الحظّ حتّى جاورت ملكاً　　تمسي ملوك. الليالي عنده سُوقا

وقال يمدحه وولده وأخاه فارس المسلمين:

أبيضٌ مجرَّدةٌ؟! أم عيونْ　　تسلّ وأجفانهنَّ الجفونْ؟!
عجبت لها قضباً باتره
تصول بها المقل الفاتره
فتغدو لأرواحنا واتره
ظباءٌ فتكن بأسد العرينْ　　وغائرةٌ خرجت من كمينْ
إذا ما هززن رماح القدود
حمين النفوس لذيذ الورود
حياض اللّمى ورياض الخدود
فلا تطمعنّك تلك الغصونْ　　فإنَّ كثيب نقاها مصونْ
وفيهنَّ فتّانةٌ لم تزلْ
أوامر مقلتها تُمتثلْ
ومن أجل سلطانها في المقلْ
تقول لها أعين الناظرينْ　　إذا مارنت: ما الذي تأمرينْ؟!
منعّمةٌ ردفها مخصبُ
وما اهتزَّ من خصرها مجذبُ
مقسّمة كلّها يعجبُ
فجسمٌ جرى فيه ماءٌ معينْ　　وقلبٌ غدا صخرةً لا تلينْ

أمـا وعـلى الصّـالـح الأوحـدِ
ردى المعتـدي ونـدى المجتـدي
وجعـد العـقـوبـة سمط اليـدِ
ومَن نصـر العترة الـطاهـرينْ ونعم النصير لهم والمعينْ
لقـد شرفت مصـر والقـاهـره
بـأيّـام دولـتـه الـقـاهـره
وأصـبـح لـلدّولـة الـطاهـره
بعـزم ابن رزّيـك فتـحٌ مبينْ وعزم ابنه ناصر الناصرينْ
إذا مـا بـدا الـمَلِك الـنـاصـرُ
بـدت شيمٌ مـا لـهـا حـاصـرُ
يـطول بـهـا الأمـل القـاصـرُ
كـريم السجيَّـة طـلق الجبينْ برى الله كلتا يديه يمينْ
فـتـىً شـأو هـمَّـتـه لا يُـنـالْ
فمـاذا عسى في عـلاه يُقـالْ؟!
وقـد حـاز أنهى صفـات الكمـال
وخـوَّلـه الله دنـيـاً وديـنْ وأضحى له كلُّ خلق يدينْ
فـلا زال ظـلُّ أبـيـه مـديـدْ
مـدى الـدهـر في دولـةٍ لا تميدْ
وبـلغ فـي نـفـسـه مـا يـريـدْ
وإخـوتـه السّـادة الأكـرمينْ وفي عمِّهم فـارس الـمسلمينْ

وقال يمدح الصّالح ويرثي أهل البيت عليهم السّلام:

شـأن الغـرام أجـلُّ أن يلحـاني فيـه وإن كنت الشفيق الحـاني
أنا ذلك الصبُّ الذي قطعت بـه صلة الغـرام مـطامـع السّلوان
ملئت زجـاجـة صـدره بضميره فبـدت خفيَّة شـأنـه للشـاني
غدرت بموثقها الدمـوع فغادرت سـرّي أسيراً في يـد الإعـلان
عنَّفت أجفـاني فقـام بعـذرهـا وجـدٌ يبيـح ودائـع الأجفـان

ومنها:

يا صاحبيَّ وفي مجانبة الهوى رأي الرَّشاد فما الذي ترياني؟!
بي ما يذود عن التسبّب أوله ويزيل أيسره جنون جناني
قبضت على كفّ الصّبابة سلوة تنهى النّهى عن طاعة العصيانِ
أُمسي وقلبي بين صبرٍ خاذلٍ وتجلّدٍ قاصٍ وهمٍّ دانِ
قد سهّلت حزن الكلام لنادب آل الرَّسول نواعب الأحزانِ
فابذل مشايعة اللسان ونصره إن فات نصر مهنَّدٍ وسنانِ
واجعل حديث بني الوصي وظلمهم تشبيب شكوى الدَّهر والخذلانِ
غصبت أميَّة إرث آل محمَّد سفهاً وشنَّت غارة الشنآنِ
وغدت تخالف في الخلافة أهلها وتُقابل البرهان بالبهتانِ
لم تقتنع أحلامها بركوبها ظهر النِّفاق وغارب العدوانِ
وقعودهم في رتبةٍ نبويَّةٍ لم يبنها لهمُ أبو سفيانِ
حتّى أضافوا بعد ذلك أنَّهم أخذوا بثار الكفر في الإيمانِ
فأتى زيادٌ في القبيح زيادة تركت يزيدَ يزيد في النقصانِ
حربٌ بنو حرب أقاموا سوقها وتشبَّهت بهمُ بنو مروانِ
لهفي على النّفر الذين أكفّهم غيث الورى ومعونة اللهفانِ
أشلاؤهم مزقٌ بكلِّ ثنيَّةٍ وجسومهم صرعى بكلِّ مكانِ
مالت عليهم بالتمالىء امَّةٌ باعت جزيل الربح بالخسرانِ
دفعوا عن الحقِّ الذي شهدت لهم بالنصِّ فيه شواهد القرآنِ
ما كان أولاهم به لو أيّدوا بالصّالح المختار من غسّانِ
أنساهم المختارَ صدق ولائه كم أوّلٌ أربى عليه الثاني

وقضى شاعرنا الملك الصالح شهيداً يوم الإثنين تاسع عشر من شهر رمضان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ورثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة أوَّلها:

أفي أهل ذا النادي عليمٌ اسائله؟! فإنّي لما بي ذاهب اللبِّ ذاهله
سمعت حديثاً أحسد الصمّ عنده ويذهل واعيه ويخرس قاتله
فهل من جواب يستغيث به المنى ويعلو على حقِّ المصيبة باطله؟!؟

وقد رابني مَن شاهد الحال إنّني ... أرى الدست منصوباً وما فيه كافله
فهل غاب عنه واستناب سليله؟! ... أم اختار هجراً لا يُرجّى تواصله؟!
فإنّي أرى فوق الوجوه كآبةً ... تدلُّ على أنَّ الوجود ثواكله

ويقول فيها:

دعوني فما هذا أوان بكائه ... سيأتيكمُ طلُّ البكاء ووابله
ولا تنكروا حزني عليه فإنّني ... تقشّع عنّي وابلٌ كنت آمله
ولم لا نبكّيه ونندب فقده ... وأولادنا أيتامه وأرامله؟!
فيا ليت شعري بعد حسن فعاله ... وقد غاب عنّا ما بنا الله فاعله
أيكرم مثوى ضيفكم وغريبكم ... فيمكث أم تطوى ببين مراحله؟!

ومنها:

فيا أيّها الدست الذي غاب صدره ... فماجت بلاياه وهاجت بلابله
عهدت بك الطود الذي كان مفزعاً ... إذا نزلت بالملك يوماً نوازله
فمن زلزل الطود الذي ساخ في الثرى ... وفي كلِّ أرض خوفه وزلازله؟!
ومَن سدَّ باب الملك والأمر خارج ... إلى سائر الأقطار منه وداخله؟!
ومَن عوَّق الغازي المجاهد بعدما ... أعدّت لغزو المشركين جحافله؟!
ومَن أكره الرمح الردينيَّ فالتوى ... وأرهقه حتّى تحطَّم عامله؟!
ومَن كسر العضب المهنّد فاغتدى ... وأجفانه مطروحةٌ وحمائله؟!
ومَن سلب الإسلام حلية جيده ... إلى أن تشكّى وحشة الطرق عاطله
ومَن أسكت الفضل الذي كان فضله ... خطيباً إذا التفَّت عليه محافله؟!
وما هذه الضوضاء من بعد هيبةٍ ... إذا خامرت جسماً تخلّت مفاصله؟
كأنَّ أبا الغارات لم يُشن غارة ... يريك سواد الليل فيها قساطله
ولا لمعت بين العجاج نصوله ... ولا طرَّزت ثوب الفجاج مناصله
ولا صار في عالي ركابيه موكبٌ ... ينافس فيه فارس الخيل راجله
ولا مرحت فوق الدروع يراعه ... كما مرحت تحت السّروج صواهله
ولا قُسمت ألحاظه بين مخلصٍ ... جميل السجايا أو عدوٍّ يُجامله

ولا قابل المحراب والحرب عاملاً   من البأس والاحسان ما الله قابله
تعجَّبت من فعل الزَّمان بنفسه   ولا شكَّ إلاّ أنَّه جنَّ عاقله
بمن تفخر الأيّام بعد طلائع   ولم يك في أبنائها من يُماثله؟!
أتنزل بالهادي الكفيل صروفها   وقد خيّمت فوق السَّماك منازله؟!
وتسعى المنايا منه في مهجة امرىء   سعت همم الأقدار فيما تحاوله

ورثاه بقصيدة اخرى منها:

تنكَّد بعد الصّالح الدَّهر فاغتدت   مجالس أيّامي وهنَّ غيوبُ
أيجدب خدِّي من ربيع مدامعي   وربعي من نعمى يديه خصيبُ؟!
وهل عنده انَّ الدخيل من الجوى   مقيمٌ بقلبي ما أقام عسيبُ؟!
وإنْ برقت سنّي لذكر حكايةٍ   فإنَّ فؤادي ما حييتُ كئيبُ

ورثاه بقصيدة أوَّلها:

طمع المرء في الحياة غرورُ   وطويل الآمال فيها قصيرُ
ولكم قدَّر الفتى فأتته   نُوبٌ لم يحط بها التقديرُ

منها:

فضَّ ختم الحياة عنك حِمامٌ   لا يراعي إذناً ولا يستشيرُ
ما تخطّى إلى جلالك إلاّ   قدرٌ أمره علينا قديرُ
بذرتْ عمرك الليالي سفاهاً   فسيعلمن ما جنى التبذيرُ

وقال:

ليت يوم الإثنين لم يتبسَّم   عن محيَّاه للّيالي ثُغورُ
طلعتْ شمسه بيوم عبوسٍ   حيّر الطير شرُّه المستطيرُ
وتجلّى صباحه عن جبينٍ   إثمد الليل فوقه مذرورُ
صَبَحَ المجد في صبيحة ذاكَ   اليوم غبراءَ صيلمٌ عنقفيرُ(١)

---

(١) صبح القوم صبحاً: أتاهم صباحاً. صيلم: الامر الشديد. يقال: وقعة صيلمة أي مستأصلة عنقفير أحسبه مصحف «خنشفير» أي الداهية.

بلغ الدهر عندها ما تمنّى   وعليها كان الزَّمان يدورُ
حادثٌ ظلّت الحوادث ممّا   شاهدته من جوره تستجيرُ
ترجف الأرض حين يذكر عنه   وتكاد السَّماء منه تمورُ
طبَّق الأرض من مصاب أبي الغا   رات خطبٌ له النجوم تغورُ

ومنها:

لك رضوان زائرٌ ولقومٍ   هلكوا فيه منكرٌ ونكيرُ
حفظتْ عهدك الخلافة حفظاً   أنت منها به خليقٌ جديرُ
أحسنتْ بعدك الصنيعة فينا   فاستوت منك عيبةٌ وحضورُ
وأبى الله أن يتمَّ عليها   ما نوى حاسدٌ لها أو كفورُ
ضيَّقوا حفرة المكيدة لكن   ضاق بالناكثين ذاك الحفيرُ
وتجرَّوا على القصور بغدرٍ   وسراج الوفاء فيها ينيرُ
حَرَمٌ آمنٌ وشهرٌ حرامٌ   هتكتْ منهما عرىً وستورُ
لا صيامٌ نهاهمُ لا إمامٌ   طاهرٌ تربُ أخمصيه طهورُ
أخفروا ذمَّة الهدى بعد علمٍ   ويقينٍ انَّ الإمام خفيرُ
وإذا ما وفت خدور البوادي   بذمامٍ فما تقول القصورُ؟!
غضب العاضد الإمام فكادت   فرقاً منه أن تذوب الصخورُ
أدرك الثأر من عداه بعزمٍ   لم يكن في النشاط منه فتورُ
واستقامتْ بنصره وهداه   حجَّة الله واستمرَّ المريرُ

دُفِنَ الملك الصالح بالقاهرة ثمَّ نقل ولده العادل سنة سبع وخمسين وخمسمائة في تاسع صفر تابوت أبيه من القاهرة إلى مشهد بُني له في القرافة[1] في وزارته وحفر سرداباً يوصل فيه من دار الوزارة إلى دار سعيد السعداء وعمل فيه الفقيه عمارة اليمني قصائد منها:

خرجت ربوع المكرمات لراحلٍ   عمرت به الأجداث وهي قفارُ
نعش الجدود العاثرات مشيَّعٌ   عميتْ برؤية نعشه الأبصارُ

---

(١) جبانة في مصر والكلام فيها طويل بسط القول فيها المقريزي في الخطط ج ٤ ص ٣١٧.

نعشٌ تودُّ بنات نعشٍ لو غدت ... ونظامها أسفاً عليه نثارُ
شخص الأنام إليه تحت جنازة ... خفضتْ برفعة قدرها الأقدارُ

ومنها:

وكأنَّها تابوت موسى أودعت ... في جانبيه سكينةٌ ووقارُ
أوطنته دار الوزارة ريثما ... بُنيت لنقلته الكريمة دارُ
وتغير الهرمان والحرمان في ... تابوته وعلى الكريم يغارُ
آثرت مصراً منه بالشَّرف الذي ... حسدت قرافتها له الأمصارُ
غضب الإله على رجال أقدموا ... جهلاً عليه وآخرين أشاروا
لا تعجبن لقدار ناقة صالح ... فلكلِّ عصر صالحٌ وقدارُ
أحللت دار كرامة لا تنقضي ... أبداً وحلَّ بقاتليك بوارُ
وقع القصاص بهم وليسوا مقنعاً ... يرضى وأين مِن السَّماء غبارُ؟!
ضاقت بهم سعة الفجاج وربَّما ... نام الوليُّ ولا ينام الثارُ
فتهنّ بالأجر الجزيل وميتة ... درجت عليها قبلك الأخيارُ
مات الوصيُّ بها وحمزة عمّه ... وابن البتول وجعفر الطيّارُ

وقال في يوم الخميس وقد نُقل الصالح إلى تربته بالقرافة:

يا مُطلق العبرات وهي غزارُ ... ومقيِّد الزفرات وهي حرارُ
ما بال دمعك وهو ماءٌ سافحٌ ... يُذكى به من حدّ وجدك نارُ؟!
لا تتَّخذني قدوةً لك في الأسى ... فلديَّ منه مشاعرٌ وشعارُ
خفِّض عليك فإنَّ زند بليَّتي ... وارٍ وفي صدري صدىً وأُوارُ
إن كان في يدك الخيار؟ فإنَّني ... وَلهانُ لم أترك وما أختارُ
في كلِّ يوم لي حنينٌ مضلّة ... يؤدى لها بعد الحوار حوارُ
عاهدتُ دمعي أن يقرَّ فخانني ... قلبٌ لسائله الهموم قرارُ
هل عند محتقر يسير بليَّة ... إنَّ الصغار من الهموم كبارُ؟!

ومنها:

حتّى إذا شيَّدتها ونصبتها علماً يُحجّ فناؤه ويُزارُ

ومنها:

أكفيل آل محمَّد ووليّهم في حيث عرف وليّهم إنكارُ

ومنها:

ولقد وفى لك من صنائعك امرؤٌ بثنائه تستسمع السمّارُ
أوفى أبو حسن بعهدك عندما خذلت يمينٌ اختها ويسارُ
غابت حُماتك واثقين ولم تغب فكأنّهم بحضوره حُضّارُ

ومنها:

ملك جناية سيفه وسنانه في كلِّ جبّار عصاه جُبارُ
جمعت له فرق القلوب على الرِّضى والسيف جامعهنَّ والدينارُ
وهما اللذان إذا أقاما دولة دانت وكان لأمرها استمرارُ
وإذا هما افترقا ولم يتناصرا عزَّ العدوّ وذلَّت الأنصارُ
يا خير من نقضت له عقد الحبى وغدا إليه النقض والإمرارُ
ومضت أوامره المطاعة حسب ما يقضي به الإيراد والإصدار
إنَّ الكفالة والوزارة لم يزل يومى إليك بفضلها ويُشارُ
كانت مسافرة إليك وتعبد الأ خطار ما لم تركب الأخطارُ
حتّى إذانزلت عليك وشاهدت ملكاً لزند الملك منه اوارُ
ألقت عصاها في ذراك وعريت عنها السّروج وحطّت الأوكارُ
لله سيرتك التي أطلقتها وقيودها التأريخ والأشعارُ
جلّت فصلّى خاطري في مدحها وكبت ورائي قُرّحٌ ومهارُ
والخيل لا يرضيك منها مخبرٌ إلّا إذا ما لزّها المضمارُ
ومدائحي ما قد علمتَ وطالما سبقت ولم يبلل لهنَّ عذارُ
إن أخّرتني عن جنابك محنةٌ بأقلّ منها تبسط الأعذارُ
فلديَّ من حسن الولاء عقيدةٌ يرضيك منها الجهر والاسرارُ

وقال يرثيه ويمدح ولده الملك الناصر العادل بن الصالح أنشدها في مشهده بالقرافة في شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة:

أرى كلَّ جمع بالرَّدى يتفرَّقُ وكلّ جديد بالبلى يتمزَّقُ
وما هذه الأعمار إلّا صحائفُ تؤرَّخ وقتاً ثمَّ تمحى وتمحقُ

ومنها:

ولمّا تقضّى الحول إلّا لياليا تضاف إلى الماضي قريباً وتلحق
وعجنا بصحراء القرافة والأسى يغرِّب في أكبادنا ويُشرِّقُ
عقدنا على ربِّ القوافي عقائلاً تغرُّ إذا هانت جيادٌ وأينقُ
وقلنا له: خذ بعض ما كنتَ منعماً به وقضاء الحقِّ بالحرِّ أليقُ
عقود قواف من قوافيك تُنتقى ودرُّ معانٍ من معانيك يُسرق
نثرنا على حصباء قبرك درَّها صحيحاً ودرُّ الدمع في الخدِّ يفلقُ

ويقول فيها:

وجدناكمُ يا آل رُزّيك خير من تنصُّ إليه اليعملات وتعنقُ
وفدنا إليكم نطلب الجاه والغنى فأكرم ذو مثوى وأغنى مملّقُ
وعلّمتمونا عزَّة النفس بالنَّدى وملقى وجوه لم يشنها التملّقُ
وصيَّرتم الفسطاط بالجود كعبةً يطوف بركنيها العراق وجلّقُ(١)
فلا ستركم عن مرتجٍ قطُّ مرتجٌ ولا بابكم عن مغلق الحظِّ مغلقُ
وليس لِقلب في سواكم علاقةٌ ولا لِيدٍ إلّا بكم متعلّقُ

نماذج من شعر الملك الصالح:

ذكر إبن شهراشوب كثيراً من شعره في كتابه [مناقب آل أبي طالب] منه قوله:

محمَّد خاتم الرُّسل الذي سبقت به بشارة قُسٍّ وإبن ذي يزنِ
وأنذر النّطقاء الصّادقون بما يكون من أمره والطهر لم يكنِ

---

(١) جلق بكسرتين وتشديد اللام: اسم لكورة الغوطة كلها وقيل. بل هي دمشق نفسها.

الكامل الوصف في حلمٍ وفي كرمٍ والطهر الأصل من ذمٍّ ومن دَرَنِ
ظِلُّ الإله ومفتاح النجاة وينـ ـبوع الحياة وغيث العارض الهتنِ
فاجعله ذخرك في الدارين معتصماً به وبالمرتضى الهادي أبي الحسنِ

وله:

ولايتي لأمير المؤمنين علي بها بلغت الذي أرجوه من أملي
إن كان قد أنكر الحسّاد رتبته في جوده فتمسَّك يا أخي بهلٍ(١)

وله:

كأنِّي اذ جعلت إليك قصدي قصدت الرُّكن بالبيت الحرامِ
وخيِّل لي بأنّي في مقامي لديه بين زمزم والمقامِ
أيا مولاي ذكرك في قعودي ويا مولاي ذكرك في قيامي
وأنت إذا انتبهت سمير فكري كذلك أنت انسي في مقامي
وحبّك إن يكن قد حلَّ قلبي ففي لحمي استكنَّ وفي عظامي
فلولا أنت لم تُقبل صلاتي ولولا أنت لم يُقبل صيامي
عسى اسقى بكأسك يوم حشري ويبرد حين أشربها أُوامي

وله:

يا عروة الدين المتين وبحر علم العارفينا
يا قبلةً للأولياءِ وكعبةً للطائفينا
من أهل بيتٍ لم يزالوا في البريَّة مُحسنينا
التّائبين العابدين الصائمين القائمينا
العالمين الحافظين الرّاكعين الساجدينا
يا من إذا نام الورى باتوا قياماً ساهرينا

وله:

قومٌ علومهم عن جدّهم اخذت عن جبرئيل وجبريلُ عن الله

---

(١) اشار إلى سورة هل اتى ونزولها في العترة الطاهرة عليهم السلام.

هم السفينة ما كنّا لنطمع أن ننجو من الهول يوم الحشر لولا هي
الخاشعون إذا جنّ الظلام فما تغشاهمُ سنةٌ تنفي بأنباهِ
ولا بدت ليلةٌ إلّا وقابلها من التهجّد منهم كل أوّاهِ
وليس يشغلهم عن ذكر ربّهمُ تغريد شاد ولا ساقٍ ولا طاهي
سحائبٌ لم تزل بالعلم هاميةً أجلّ من سحب تهمي بأمواهِ

وله:

إنَّ النبيَّ محمّداً ووصيَّه وابنيه وابنته البتول الطاهره
أهل العباء فإنّني بولائهم أرجو السلامة والنجا في الآخره
وأرى محبَّة مَن يقول بفضلهم سبباً يُجير من السبيل الحائره
أرجو بذاك رضا المهيمن وحده يوم الوقوف على ظهور الساحره

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السّلام

هو النور نور الله والنور مشرقٌ علينا ونور الله ليس يزولُ
سما بين أملاك السَّماوات ذكره نبيهٌ فما أن يعتريه خمولُ

وله:

لا تعذلنّي إنّني لا أقتفي سبل الضَّلال لقول كلِّ عذولِ
عند التباهل ما علمنا سادساً تحت الكسا منهم سوى جبريلِ

وله في أمير المؤمنين واولاده الأئمّة الطاهرين عليهم السَّلام:

بحبّ عليٍّ أرتقي منكب العلى وأسحب ذيلي فوق هام السحائبِ
إمامي الذي لمّا تلفَّظتُ باسمه غلبتُ به من كان بالكثر غالبي
أئمَّة حقٍّ لو يسرّون في الدُّجى بلا قمرٍ لاستصحبوا بالمناسبِ
بهم تبلغ الآمال من كلِّ آملٍ بهم تُقبل التوبات من كلِّ تائبِ

وله في زهد أمير المؤمنين عليه السّلام:

ذاك الذي طلّق الدنيا لعمري عن زهد وقد سفرت عن وجهها الحسنِ
وأوضح المشكلات الخافيات وقد دقت عن الفكر واعتاصت على الفطنِ

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم:

آل رسول الإله قومٌ ... مقدارهم في العُلى خطيرُ
إذ جاءهم سائلٌ يتيمٌ ... وجاء من بعده أسيرُ
أخافهم في المعاد يومٌ ... معظَّم الهول قمطريرُ
فقد وقوا شرَّ ما اتقوه ... وصار عقباهم السرورُ
في جنَّةٍ لا يرون فيها ... شمساً ولا ثَمَّ زمهريرُ
يطوف ولدانهم عليهم ... كأنَّهم لؤلؤٌ نثيرُ
لباسهم في جنان عدن ... سندسها الأخضر الحريرُ
جزاهمُ ربّهم بهذا ... وهو لما قد سعوا شكورُ

وله في المعنى(١):

إنَّ الأبرار يشربون بكأس ... كان حقّاً مزاجها كافورا
ولهم أنشأ المهيمن عيناً ... فجَّروها عباده تفجيرا
وهداهم وقال: يوفون بالنّذ ... ر فمن مثلهم يوفّي النذورا؟!
ويخافون بعد ذلك يوماً ... هائلاً كان شرُّه مُستطيرا
يُطعمون الطَّعام ذا اليُتم ... والمسكين في حب ربِّهم والأسيرا
إنَّما نطعم الطعام لوجه الله ... لا نبتغي لديكم شكورا
غير أنّا نخاف من ربِّنا يوماً ... عبوساً عصبصباً قمطريرا
فوقاهم إلهَهم ذلك اليوم ... يُلقّون نضرةً وسرورا
وجزاهم بأنَّهم صبروا ... في السرِّ والجهر جَنَّةً وحريرا
متكئين لا يرون لدى الجنَّة ... شمساً كلّا ولا زمهريرا
وعليهم ظلالها دانياتٌ ... ذلّلت في قطوفها تيسيرا
وبأكواب فضَّةٍ وقواريرِ ... قوارير قُدِّرت تقديرا
ويطوف الولدان فيها عليهم ... فيخالون لؤلؤاً منثورا
بكؤوسٍ قد مزّجت زنجبيلاً ... لذَّة الشاربين تشفي الصّدورا

---

(١) مرحديث هذا المعنى في الجزء الثالث من كتابنا ص١٤٢ - ١٤٧، ٢١٥، ٣٠١.

ويُحلّون بالأساور فيها — وسقاهم ربّي شراباً طهورا
وعليهم فيها ثيابٌ من السندس — خضرٌ في الخلد تلمع نورا
إنَّ هذا لكم جزاءٌ من الله — وقد كان سعيكم مشكورا

وله في المعنى ايضاً:

والله أثنى عليهم — لمّا وفوا بالنذورِ
وخصَّهم وحباهم — بجنّةٍ وحريرِ
لا يعرفون بشمس — فيها ولا زمهريرِ
يسقون كاساً رحيقاً — مزيجة الكافور

وله في المعنى ايضاً:

في هل أتى إن كنت تقرأ هل أتى — ستصيب سعيهم بها مشكورا
إذ أطعموا المسكين ثمَّة أطعموا — الطفل اليتيم وأطعموا المأسورا
قالوا: لوجه الله نطعمكم فلا — منكم جزاءً نبتغي وشكورا
إنّا نخاف ونتَّقي من ربّنا — يوماً عبوساً لم يزل مجذورا
فوقوا بذلك شرّ يوم باسل — ولقوا بذلك نضرةً وسرورا
وجزاهمُ ربُّ العباد بصبرهم — يوم القيامة جنَّةً وحريرا
وسقاهمُ من سلسبيل كأسها — بمزاجها قد فجِّرت تفجيرا
يُسقون فيها من رحيق تختم — بالمسك كان مزاجها كافورا
فيها قواريرٌ وأكوابٌ لها — من فضَّة قد قدِّرت تقديرا
يسعى بها ولدانها فتخالهم — للحسن منهم لؤلؤاً منثورا

وله في المعنى المذكور:

هل أتى فيهمُ تنزَّل فيها — فضلهم محكماً وفي السّوراتِ
يُطعمون الطَّعام خوفاً فقيراً — ويتيماً وعانياً في العناتِ
إنَّما نُطعم الطعامٍ لوجه — الله لا للجزاء في العاجلاتِ
فجزاهم بصبرهم جنّةَ الخلد — بها من كواعب خيراتِ

ومن شعر الملك الصالح قصيدته التي جارى بها قصيدة دعبل الخزاعي الشهيرة التي أولها:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحي مُقفر العرصاتِ

وأول قصيدة الملك قوله:

ألائمُ دع لومي على صبواتي ... فما فات يمحوه الذي هو آتِ
وما جزعي من سيِّئاتٍ تقدَّمت ... ذهاباً إذا اتبعتها حسناتِ
ألا إنَّني أقلعت عن كلِّ شبهةٍ ... وجانبت غرقى أبحر الشبهاتِ
شغلت عن الدنيا بحبِّيَ معشراً ... بهم يصفح الرَّحمن عن هفواتي

وقال في آخرها:

اعارض من قول الخزاعيِّ دعبلاً ... وإن كنت قد أقللت في مدحاتي
[مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍ مقفر العرصاتِ][1]

وفي « أنوار الربيع » ص ٣١٢: ومن الإستثناء الذي ما خرج حجاب السمع ألطف منه قول الصالح طلائع، وقد أنزم الأمير إبن سنان بمال رفع عليه لكونه كان يتولّى أموالاً له واعتقله فأرسل إليه يمتُّ بقديم الخدمة والتشيّع الموافق لمذهبه فقال الصّالح:

أتى ابن سنان ببهتانه ... يحصِّن بالدِّين ما في يديهِ
برئت من الرَّفض إلّا له ... وتبت من النّصب إلّا عليه

وكان قدر المال ستّين ألف دينار فأخذ منه اثني عشر ألفاً وترك له الباقي.

كتب الملك الصالح إلى صاحب الروم قلج أرسلان بن مسعود في تنافس وقع بينه وبين نور الدين محمود بن زنكي:

نقول ولكن: أين من يتفهَّمُ ... ويعلم وجه الرأي والرأي مبهمُ؟!
وما كلُّ مَن قاس الامور وساسها ... يوفَّق للأمر الذي هو أحزمُ
وما أحدٌ في الملك يبقى مخلّداً ... وما أحدٌ ممّا قضى الله يسلمُ

---

(١) انوار الربيع ص ٣١٢. الرائق ذكر من القصيدة ٤٠ بيتاً.

أمن بعد ما ذاق العدى طعم حربكم — بفيهم وكانت وهي صابٌ وعلقمُ
رجعتم إلى حكم التنافس بينكم — وفيكم من الشحناء نارٌ تضرَّمُ؟!
أما عندكم مَن يتقي الله وحده؟! — أما في رعاياكم من الناس مُسلمُ؟
تعالوا لعل الله ينصر دينكم — إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتمُ
وننهض نحو الكافرين بعزمةٍ — بأمثالها تحوى البلاد وتُقسمُ

ويأتي من شعر المترجم في ترجمة الفقيه عمارة اليمني. ووقفت من شعر الملك الصالح على شطر مهمّ في أهل البيت عليهم السَّلام مدحاً ورثاءً يربو على ألف وأربعمائة بيتاً. وقد جمعها سيِّدنا العلاّمة السيِّد أحمد العطار في كتابه « الرائق » ولعلَّ ما فاته من شعره في أهل البيت عليهم السَّلام نزرٌ يسيرٌ.

توجد ترجمة طلائع الملك الصالح في كثير من الكتب والمعاجم منها:
وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٩. الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣. الخطط للمقريزي ج ٤ ص ٨١ تاريخ إبن كثير ج ١٢ ص ٢٤٣. روض المناظر لابن شحنة. تاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٤٠. مرآة الجنان ج ٣ ص ٣١٠. أنوار الربيع ص ٣١٢. تحفة الأحباب للسحاوي ص ١٧٦ شذرات الذهب ج ٤ ص ١٧٧. نسمة السحر الجزء الثاني. خواصّ العصر الفاطمي ص ٢٣٤ دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٥ ص ٧٧١. الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٤٤٩.
تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج ١ ص ٢٩٨. شهداء الفضيلة ص ٥٧.

الملك العادل:

خلَّف الصالح ولده رُزّيك بن طلائع، الملقَّب بالملك الناصر والعادل، ولي الوزارة بعد والده الصالح ستة عشر شهراً وعدَّة أيّام وكان والده قد أوصاه بأن لا يتعرَّض شاور ولا يغيّر عليه حاله فانّه لا يأمن عصيانه والخروج عليه وكان كما أشار فإنّ العادل حسّن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوّفوه منه إن أقرَّه على عمله فأرسل إليه بالعزل فجمع جموعاً كثيرة وسار بهم إلى القاهرة ودخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم سنة ٥٥٨ وهرب العادل بن الصالح وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرَّم فأُخذ وقُتل وأخذ

موضعه من الوزارة واستولى شاور على ديار مصر، ودُفن العادل في تربة الملك الصالح وبها جماعةٌ اخرى.

ترجمه الفقيه عمارة في كتابه [النكت العصريَّة] ص ٥٣ وقال في ص ٦٦: دخلت قاعة السرِّ من دار الوزارة فيها طيّ بن شاور وضرغام وجماعةٌ من الامراء مثل عزِّ الزَّمان، ومرتفع الظهير، ورأس رُزّيك بن الصالح بين أيديهم في طست فما هو إلّا أن لمحته عيني ورددت كمي على وجهي ورجعت على عقبي، وما ملأت عيني من صورة الرأس وما من هؤلاء الجماعة الذين كان الرأس بين أيديهم إلّا من مات قتيلاً وقطعت رأسه عن جسده فأمر طيّ من ردَّني فقلت: والله ما أدخل حتّى تغيب الرأس عن عيني. فرفع الدست وقال لي ضرغام: لِمَ رجعت؟ قلت: بالأمس وهو سلطان الوقت الذي نتقلّب في نعمته قال: لو ظفر رزّيك بأمير الجيوش أو بنا ما أبقى علينا. قلت: لا خير في شيءٍ يؤول الأمر بصاحبه من الدست إلى الطست ثمَّ خرجت وقلت:

أعزز عليَّ أبا شجاع أن أرى ... ذاك الجبين مضرَّجاً بدمائهِ
ما قلّبته سوى رجال قلَّبوا ... أيديهمُ من قبل في نعمائهِ

وللفقيه عمارة اليمني شعرٌ كثيرٌ يمدح به الملك العادل رُزّيك بن طلائع ذكره في كتابه [النكت العصريَّة] وفي ديوانه، منه قصيدةٌ أوَّلها:

جاور بمجدك أنجم الجوزاءِ ... وازدد علوّاً فوق كلِّ علاءِ

وقصيدةٌ اخرى مُستهلّها:

تبسم في ليل الشباب مشيبُ ... فأصبح برد الهم وهو قشيبُ

وثالثة مطلعها:

دانت لأمرك طاعة الأقدار ... وتواضعت لك عزَّة الأقدارِ

ورابعة أوّلها:

في مثل مدحك شرح القول مختصرُ ... وفي طوال القوافي عنده قِصرُ

وخامسة مبدؤها:

لـمَّا أراد مدامة الأحداقِ ... دبَّت حُميّا نشوة الأخلاق

وسادسة مطلعها:

لكــلِّ مقــام في عُــلاك مقــالُ ... يُصدِّقه بـالجـود منـك فِعـالُ

وسابعة أوَّلها:

فُقتَ الملوك مهـابـةً وجـلالا ... وطـرائقـاً وخـلائقـاً وخـلالا

وثامنة مطلعها:

لـك أن تقـول إذا أردتَ وتفعـلا ... ولمن سعى في ذا المدى أن يخجلا

ولتاسعة أوَّلها:

لله مِـن يـوم أغـرَّ مـحـجَّـلِ ... في ظلِّ محترم الفنـاء مبجَّـلِ

وعاشرة مستهلّها:

لـولا جـفـونٌ ومُـقـلْ ... مـكـحـولـةٌ مـن الـكـحـلْ
ولـحـظاتٌ لـم تـزلْ ... أرمـى نـبـالاً مـن ثـعـلْ
وبـرَدٌ رُضـابـه ... ألـذُّ مـن طـعـم الـعـسلْ
يـظمـا إلـى بـروده ... مَـن عـلَّ مـنـه ونـهـلْ
لـمَّـا وصـلت قـاطـعـاً ... إذا رأى جِـدّي هـزلْ
مـخـالـفٌ لـو أنَّـه ... أضـمـر هـجـري لـوصـلْ
وأغـيَـدٌ مـنـعَّـمٌ ... يـمـيـل كـلّمـا اعـتـدلْ
يـهـتـزُّ غـصـن قـدِّه ... لـيـنـاً إذا ارتـجَّ الـكـفـلْ
غـرٌّ إذا جـمّـشـتـه ... أطـرق مـن فـرط الـخـجـلْ
أُريـعـنٌ مـدلَّـل ... غُـزيِّـل يـأبـى الـغـزلْ
سـألـتـه فـي قُـبـلة ... مـن ثـغـره فـمـا فـعـلْ
راضـتـه لـي مـشـمـولـة ... تـرمـي الـنـشـاط بـالـكـسـلْ
حـتَّـى أتـانـي صـاغـراً ... يـحـدوه سـكـرٌ وثـمـلْ
أمـسـى بـغـيـر شـكـره ... ذاك الـمـصـون يـبـتـذلْ
وبـات بـيـن عـقـده ... وبـيـن قـرطـيـه جـدلْ

وكـدت أمـحـو لـعـسـاً ... فـي شـفـتـيـه بـالـقـبـلْ
فـديـتـه مـن مـبـسـم ... ألـثـمـه فـلا أمـلْ
كـأنّـه أنـامـلٌ ... لـمـجـد الإسـلام الأجـلْ
مـعـروفـهـنَّ أبـداً ... يـضـحـك فـي وجـه الأمـلْ

وقال يمدحه من قصيدةٍ أوّلها:

أيـا اذن الأيّام إن قلت فـاسمعي ... لنفثـة مصـدور وأنّـة مـوجـعِ
وعي كـلَّ صوت تسمعين نـداءه ... فلا خير في اذن ينـادى فلا تعي

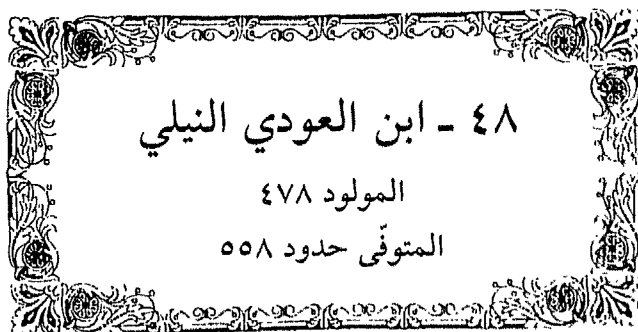
ويقول فيها:

ملوكٌ رعوا لي حرمـةً صار نبتهـا ... هشيمـاً رعته النـائبات ومـا رُعي
ورُدَّت بهم شمس العطايا لوفدهم ... كمـا قال قـومٌ في عليٍّ وتوسّعِ

قال الأميني: كذا يوجد البيت الأخير في مختار ديوانه المطبوع في ألمانيا ص ٢٨٨ وهو تصحيفٌ غريبٌ مع التشكيل لحروفه والصحيح:

كما قال قومٌ في عليٍّ ويوشع

وهذا ينمُّ عن ضئولة أمر المتطفلين على موائد العربيَّة وذهولهم عن معنى البيت الذي لا يستقيم إلّا على ما ذكرناه وقد أوعز الشاعر إلى حديث ردِّ الشمس لمولانـا عليّ أمير المؤمنين ويـوشـع عليهما السَّـلام من قبله، هـذا أحسن الإحتمالين دعانا إليه حسن ظنِّنا بالقوم وإن كان بعيـداً جدّاً، والأقـرب ما لا يفوتك عرفانه، والله أعلم.



٤٨ ـ ابن العودي النيلي

المولود ٤٧٨

المتوفّى حدود ٥٥٨

متى يشتفي من لاعج القلب مغرمُ ... وقد لجَّ في الهجران مَن ليس يرحمُ
إذا همَّ أن يسلو أبى عن سُلوِّه ... فؤادٌ بنيران الأسى يتضرَّمُ
ويثنيه عن سلوانه لفضيلةٍ ... عهود التَّصابي والهوى المتقدِّمُ
رمته بلحظٍ لا يكاد سليمه ... من الخبل والوجد المبرِّح يسلمُ
إذا ما تلظّت في الحشا منه لوعةٌ ... طفتها دموعٌ من أماقيه تسجمُ

مقيمٌ على أسر الهوى وفؤاده ... تغور به أيدي الهموم وتتهمُ
يجنّ الهوى عن عاذليه تجلّداً ... فيبدي جواه ما يجنُّ ويكتمُ
يعلّل نفساً بالأماني سقيمةً ... وحسبك من داءٍ يصحُّ ويسقمُ
وقد غفلت عنّا الليالي وأصبحت ... عيون العدى عن وصلنا وهي نُوَّمُ

فكم من غصون قد ضممت ثديّها ... إليَّ وأفواه بها كنت ألثمُ
اجيل ذراعي لاهياً فوق منكب ... وخصراً غدا من ثقله يتظلّمُ
وأمتاح راحاً من شنيبٍ كأنّه ... من الدرِّ والياقوت في السِّلك يُنظمُ
فلمّا علاني الشيب وابيضّ عارضي ... وبان الصبا واعوجَّ منّي المقوّمُ
وأضحى مشيبي للعذار ملثّماً ... به ولرأسي بالبياض يُعمِّمُ
وأمسيت من وصل الغواني ممنّعاً ... كأنِّيَ من شيبي لديهنَّ مجرمُ
بكيت على ما فات منّي ندامة ... كأنِّيَ خنسٌ في البكا أو متمّمُ
وأصفيت مدحي للنبيِّ وصنوه ... وللنّفر البيض الذين همُ همُ

هم التين والزيتون آل محمَّد همُ شجر الطوبى لمن يتفهَّمُ
همُ جنَّة المأوى هم الحوض في غدٍ هم اللوح والسقف الرَّفيع المعظمُ
همُ آل عمران همُ الحجّ والنسا هم سبأ والذاريات ومريمُ
همُ آل ياسين وطاها وهل أتى هم النحل والأنفال إن كنت تعلمُ
هم الآية الكبرى هم الركن والصَّفا هم الحجُّ والبيت العتيق المكرَّمُ
همُ في غدٍ سُفن النَّجاة لمن وعى هم العروة الوثقى التي ليس تفصمُ
همُ الجنب جنب الله في البيت والورى هم العين عين الله في الناس تعلمُ
همُ الآل فينا والمعالي هم العُلى ينمّم في منهاجهم حيث يمّموا
همُ الغاية القصوى همُ منتهى العُلى سل النصَّ في القرآن يُنبئك عنهمُ
هم في غدٍ للقادمين سقاتهم إذا وردوا والحوض بالماء مفعمُ
فلولا همُ لم يخلق الله خلقه ولا هبطا للنسل حوّا وادمُ
همُ باهلوا نجران من داخل العبا فعاد المناوي فيهمُ وهو مفحمُ
وأقبل جبريلٌ يقول مفاخراً لميكال: مَن مثلي وقد صرت منهمُ
فمن مثلهم في العالمين وقد غدا لهم سيِّد الأملاك جبريل يخدمُ؟!
ومَن ذا يُساويهم بفضلٍ ونعمةٍ من الناس والقرآن يُؤخذ عنهمُ؟!
أبوهم أمير المؤمنين وجدُّهم أبو القاسم الهادي النبيُّ المكرَّمُ
همُ شرعوا الدين الحنيفيّ والتقى وقاموا بحكم الله من حيث يحكمُ
وخالهم إبراهيم والأُمّ فاطم وعمّهم الطيّار في الخُلد يُنعمُ
إلى الله أبرا من رجالٍ تنابعوا على قتلهم يا للورى كيف أقدموا؟
حموهم لذيذ الماء والورد مفعمٌ وأسقوهمُ كأس الرّدى وهو علقمُ
وعاثوا بآل المصطفى بعد موته بما قتل الكرّار بالأمس منهمُ
وثاروا عليه ثورةً جاهليَّةً على أنّه ما كان في القوم مسلمُ
وألقوهمُ في الغاضريّات صُرَّعاً كأنّهمُ قفٌّ على الأرض جُثَّمُ(١)

---

(١) القف: ما يبس من احرار البقول وذكورها. جثم جمع جاثم من جثم جثماً: تلبد بالأرض، ولزم مكانه فلم يبرح.

تحاماهمُ وحش الفلا وتنوشهم ... بأرياشهم طير الفلا وهي حُوَّمُ(١)
بأسيافهم أردوهمُ ولدينهم ... اريق بأطراف القنا منهمُ الدَّمُ
وما قدمت يوم الطفوف اميَّةٌ ... على السبط إلّا بالذين تقدَّموا
وأنّى لهم أن يبرأوا من دمائهم ... وقد أسرجوها للخصام وألجموا
وقد علموا أنَّ الولاء لحيدر ... ولكنَّه ما زال يُؤذى ويُظلمُ
تعدّوا عليه واستبدّوا بظلمه ... واخِّر وهو السيِّد المتقدّمُ
وقد زعموها فلتةً كان بدؤها ... وقال:اقتلوا من كان في ذاك يخصمُ
وأفضوا إلى الشورى بها بين ستَّة ... وكان ابن عوف منهم المتوسِّمُ
وما قصدوا إلّا ليُقتل بينهم ... عليٌّ وكان الله للطّهر يعصمُ
وإلَّا فليثٌ لا يُقاس بأضبعٍ ... وأين من الشمس المنيرة أنجمُ؟!
فوا عجباً من أين كانوا نظائراً؟! ... وهل غيره طبّ من الغيِّ فيهمُ؟!
ولكن امورٌ قدِّرت لضلالهم ... والله صنعٌ في الإرادة محكمُ
عصوا ربَّهم فيه ضلالاً فأهلكوا ... كما هلكت من قبل عاد وجرهمُ
فما عذرهم للمصطفى في معادهم ... إذا قال: لِمْ ختنم عليّاً وجرتمُ؟!
وما عذرهم إن قال: ماذا صنعتمُ ... بصنوي من بعدي؟! وماذا فعلتمُ؟
عهدتُ إليكم بالقبول لأمره ... فلِم حلتمُ عن عهدِهِ وغدرتمُ؟!
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم ... وخالفتموه بئس ما قد صنعتمُ
وخلَّفت فيكم عترتي لهداكمُ ... فكم قمتمُ في ظلّهم وقعدتمُ؟!
قلبتم لهم ظهر المجنّ وجرتمُ ... عليهم وإحساني إليكم كفرتمُ
ومازلتمُ بالقتل تطغون فيهمُ ... إلى أن بلغتم فيهم ما أردتم
كأنَّهمُ كانوا من الرّوم فالتقت ... سرايـاكمُ صلبانهم وظفرتمُ
ولكن أخذتم من بنيَّ بثاركم ... فحسبكمُ خزياً على ما اجترأتمُ
منعتم تراثي ابنتي لا أباً لكم ... فلِم أنتمُ آباءكم قد ورثتمُ؟!
وقلتم: نبيٌّ لا تُراث لولده ... أللأجنبيِّ الإرث فيما زعمتمُ؟!
فهذا سليمانٌ لداود وارثٌ ... ويحيى لزكريّا فلِم ذا منعتمُ؟!

(١) حوم جمع حائم من حام على الشيء وحوله: داربه وحام الرجل: عطش.

فإن كان منه للنبوّة وارثاً؟! كما قد حكمتم في الفتاوى وقلتمُ
فقد ينبغي نسل النبيّين كلّهم ومن جاء منهم بالنبوّة يوسمُ
وقلتم: حرامٌ متعة الحجّ والنسا أعن ربّكم؟! أم عنكمُ ما شرعتمُ؟
زناتكم تعفون عنهم ومن أتى إليكم من المستمتعين قتلتمُ
ألم يأت: ما استمتعتمُ من حليلةٍ فآتوا لها من أجرها ما فرضتمُ؟!
فهل نسخ القرآن ما كان قد أتى بتحليله؟! أم أنتمُ قد نسختمُ؟!
وكلّ نبيٍّ جاء قبل وصيّه مطاعٌ وأنتم للوصيّ عصيتمُ
ففعلكمُ في الدين أضحى منافياً لفعلي وأمري غير ما قد أمرتمُ
وقلتم: مضى عنّا بغير وصيّةٍ ألم يوص لو طاوعتمْ وامتثلتمُ؟!
وقد قال: من لم يوص من قبل موته يمت جاهلاً. بل أنتمُ قد جهلتمُ
نصبتُ لكم بعدي إماماً يدلّكم على الله فاستكبرتمُ وظلمتمْ
وقد قلت في تقديمه وولائه عليكم بما شاهدتمْ وسمعتمْ
: عليٌّ غدا منّي محلاً وقربةً كهارون من موسى فلِمْ عنه حلتمُ؟
شقيتم به شقوى ثمود بصالح وكلّ امرئٍ يبقى له ما يُقدّمُ
وملتم إلى الدنيا فضلّت عقولكم ألا كلّ مغرورٍ بدنياه يندمُ
لحى الله قوماً أجلبوا وتعاونوا على « حيدر » فيما أساؤا وأجرموا
زووا عن أمير النحل بالظلم حقّه عناداً له والطّهر يغضي ويكظمُ
وقد نصّها يوم « الغدير » محمّدٌ وقال: ألا أيّها الناس فاعلموا
لقد جاءني في النصّ: بلّغ رسالتي وها أنا في تبليغها المتكلّمُ
عليٌّ وصيّتي فاتبعوه فإنّه إمامكمُ بعدي إذا غبتُ عنكمُ
فقالوا: رضيناه إماماً وحاكماً علينا ومولى وهو فينا المحكّمُ
رأوا رشدهم في ذلك اليوم وحده ولكنّهم عن رشدهم في غد عموا
فلمّا توفّي المصطفى قال بعضهم: أيحكم فينا ؟ لا ، وباللاّت نقسمْ
ونازعه فيها رجال ولم يكن لهم قدمٌ فيهم ولا متقدّمُ
وظلّوا عليها عاكفين كأنّهم على غرّةٍ كلٌّ لها يتوسّمُ
يقيمُ حدود الله في غير حقّها ويفتي إذا استفتي بما ليس يعلمُ
يُكفّر هذا رأي هذا بقوله وينقض هذا ما له ذاك يبرمُ

وقالوا: اختلاف الناس في الفقه رحمةٌ ... فلم يكُ من هذا يحلُّ ويحرمُ
أربّان للإنسان؟! أم كان دينهم ... على النقص من دون الكمال فتمّموا
أم الله لا يرضى بشرع نبيّه ... فعادوا وهم في ذاك بالشرع أقومُ؟!
أم المصطفى قد كا ن في وحي ربّه ... ينقص في تبليغه ويُجمجمُ؟!
أم القوم كانوا أنبياءاً صوامتاً ... فلمّا مضى المبعوث عنهم تكلّموا؟
أم الشَّرع فيه كان زيغٌ عن الهدى ... فسوَّوه من بعد النبي وقوَّموا؟!
أم الدين لم يكمل على عهد أحمد ... فعادوا عليه بالكمال وأحكموا؟!
أما قال: إنّي اليوم أكملتُ دينكم ... وأتممت بالنعماء منّي عليكمُ؟!
وقال: أطيعوا الله ثمَّ رسوله ... تفوزوا ولا تعصوا أولي الأمر منكمُ
فِلمْ حرَّموا ما كان حلاًّ؟! وحلّلوا ... بفتواهمُ ما جاز وهو محرَّمُ؟!
ترى الله فيما قال قد زلَّ؟! أم هَذا ... نبيُّ الهدى؟! أم كان جبريل يوهمُ؟
لقد أبدعوا مّما نووا من خلافهم ... وقال: اقبلوا مّما يقول وسلّموا
وإلاّ تركتم إنْ أبيتم رماحنا ... وأسيافنا فيكم تسدّى وتلحمُ
وما مات حتّى أكمل الله دينه ... ولم يبق أمرٌ بعد ذلك مبهمُ
ولكنْ حقودٌ أظهرت وضغائنٌ ... وبغيٌ وجورٌ بيِّنُ الظلم منهمُ
يُقرّب مفضولٌ ويُبعَد فاضلٌ ... ويَسكت منطيقٌ وينطق أبكمُ
وما أخّروا فيها عليّاً لموجبٍ ... ولكن تعدّ منهمُ وتظلّمُ
وكم شرعوا في نقضِ ما شاد أحمدُ ... ولكنَّ دين الله لا يتهدَّم
وحاشى لدينٍ شيَّد الحقُّ ركنه ... بسيف عليّ يعتريه التهدُّمُ
فحسبهمُ في ظلم «آل محمّد» ... من الله في العقبى عقابٌ ومأثمُ
فإن غصبوهم أمر دنيا دنيَّة ... فما لهمُ في الحشر أبقى وأدومُ
فهل عظمتْ في الدهر قطُّ مصيبة ... على الناس إلاّ وهي في الدين أعظمُ
تولّى بإجماع على النّاس أوّلٌ ... ونصَّ على الثاني بها وهوُ مغرمُ
وقال: اقيلوني فلستُ بخيركم ... فلِمْ نصّها لو صحَّ ما كان يزعمُ؟!
وأثبتها في جوره بعد موته ... صهاكيَّةً خشناء للخصم تكلمُ
ولو أدرك الثاني لمولى حذيفة ... لولاه دون الغير والأنف يُرغمُ

وقد نالها شورى من القـوم ثالثٌ وجُـرِّد سيفٌ للوصي ولهـذمُ
أشورى؟ وإجماعٌ؟ ونصٌّ؟ خلافةٌ تعالوا على الإسلام نبكي ونلطمُ
وصاحبها المنصوص عنها بمعزلٍ يُـديمُ تـلاوات الكتـاب ويختمُ
ولـو أنَّـه كـان المـولّى عليهمُ إذن لهـداهم فهـو بـالأمـر أعلمُ
هو العالم الحَبر الذي ليس مثله هو البطل القرم الهزبر الغشمشمُ
ومـا زال في بـدرٍ وأُحـدٍ وخيبرٍ يفـلُّ جيوش المشـركين ويحـطمُ
يكـرُّ ويعـلوهم بـقـائم سيفـه إلى أن أطاعوا مكـرهين وأسلموا
ومـا دخلوا الإسـلام دينـاً وإنَّمـا منـافقـة كي يُـرفـع السَّيف عنهمُ
وقالوا: عليٌّ كان في الحكم ظالماً ليكثـر بـالـدَّعـوى عليه التـظلّمُ
وقـالـوا: دمـاء المسلمين أراقهـا وقد كان في القتلى بريءٌ ومجرمُ
فقلتُ لهم: مهلاً عدمتم صوابكم وصيُّ النبيِّ المصطفى كيف يظلمُ
أراق دمـاء المسلمين؟! فوالـذي هدانا به ما كان في القوم مسلمُ
ولـكنّـه لـلنـاكـثيـن بـعـهـدهِ وممن تعـدّى منهم كـان ينقـمُ
أما قال: أقضـاكم عليٌّ. محمّدٌ كـذا قـد رواه النـاقـد المتقـدّمُ
فإن جار ظلماً في القضايا بزعمكم عليٌّ فمن زكّـاه لا شـكَّ أظلمُ
فيا ليتني قد كنت بالأمس حاضراً فـأشـركـه في قتـلهم واصـمّمُ
وألقى إلهي دونـهم بـدمـائـهم فـنـظر عـنـد الله مَن يتـنـدَّمُ
فمن كـعليٍّ عـنـد كـلّ ملمّـةٍ إذا ما التقى الجمعان والنقع مفعمُ؟
ومَن ذا يُسـاميه بعلمٍ ولم يـزلْ يقول: سلوني ما يحلّ وما يحرمُ؟!
سلوني ففي جنبـيَّ علمٌ ورثـتـه عن المصطفى ما فاه مني به الفمُ
سلوني عن طـرق السّموات إنَّني بها من سلوك الأرض والطرق أعلمُ
ولـو كشف الله الغـطا لم أزد بـه يقينـاً على ما كنت أدري وأعلمُ
وكـائـن لـه من آيـةٍ وفـضيـلةٍ ومن مكـرمـات مـا تعمُّ وتكتمُ
فمن ختمت أعمـاله عند مـوتـه بخيـر فـأعمـالي بحبّيـه تختمُ
فيـا ربّ بالأشبـاح « آل محمّـد » نجوم الهدى للناس والأفق مظلمُ
وبالقائم المهدي من « آل أحمد » وآبـائـه الهـادين والحقُّ معصمُ

تفضّل على « العودي » منك برحمة فأنت إذا استرحمت تعفو وترحمُ
تجاوز بحسن العفو عن سيّئاته إذا ما تلظّت في المعاد جهنّمُ
ومنّ عليه من لدنك برأفةٍ فإنّك أنت المنعم المتكرِّمُ
فإن كان لي ذنبٌ عظيمٌ جنيته فعفوك والغفران لي منه أعظمُ
وإن كنت بالتشبيب في الشعر ابتدي فإنّي بمدح الصفوة الزّهر أختمُ

وله قصيدةٌ اخرى يذكر فيها حديث الغدير ويراه نصّاً على الإمامة والخلافة لأمير المؤمنين عليه السّلام بعد النبيِّ الأعظم صلوات الله عليه وآله أوّلها:

بفنا الغريّ وفي عراص العلقم تمحا الذنوب عن المسيء المجرم
قبران قبرٌ للوصيّ وآخرٌ فيه الحسين فعج عليه وسلّمِ
هذا قتيلٌ بالطفوف على ظمأً وأبوه في كوفان ضُرّج بالدمِ
وإذا دعا داعي الحجيج بمكّة فإليهما قصد التقيِّ المسلمِ
فاقصدهما وقل: السّلام عليكما وعلى الأئمّة والنبيِّ الأكرمِ
أنتم بنو طاها وقاف والضّحى وبنو تبارك والكتاب المحكمِ
وبنو الأباطح والمسلخ والصّفا والركن والبيت العتيق وزمزمِ
بكم النجاة من الجحيم وأنتمُ خير البريّة من سلالة آدمِ
أنتم مصابيح الدُّجى لمن اهتدى والعروة الوثقى التي لم تُفصمِ
وإليكمُ قصد الوليِّ وأنتمُ أنصاره في كلِّ خطبٍ مولمِ
وبكم يفوز غداً إذا ما أضرمت في الحشر للعاصين نار جهنمِ
مَن مثلكم في العالمين وعندكمْ علم الكتاب وعلم ما لم يعلمِ ؟!
جبريل خادمكم وخادم جدِّكمْ ولغيركم في ما مضى لم يخدمِ
أبني رسول الله: إنّ أباكمُ من دوحةٍ فيها النبوّةُ ينتمي
آخاه من دون البريّة « أحمد » واختصّه بالأمر لو لم يُظلم
نصَّ الولاية والخلافة بعده يوم « الغدير » له برغم اللوَّمِ
ودعا له الهاديِ وقال ملبياً يا ربِّ قد بلّغت فاشهد واعلمِ
حتّى إذا قبض النّبي وأصبحوا مثل الذباب تلوح حول المطعمِ

نكثتْ ببيعتـه رجـالٌ أسـلمتْ أفـواهـهم وقـلوبهـم لم تـسلم
وتـداولـوهـا بينهم فكـأنّهـا كـأسٌ تدور على عـطاشٍ حُوَّم

[القصيدة ٥٧ بيتاً]

(الشاعر)

الرَّبيب أبو المعـالي سالم بن عليّ بن سلمـان بن عليّ المعروف بـابن العـودي [العودي[1]] التغلبي النيلي نسبـة إلى بلدة النيـل على نهـر النيـل المستمد من الفرات الممتدّ نحو الشرق الجنوبي وكانت ولادته بها سنة ٤٧٨ .

لم أقف على تـرجمة [أبي المعـالي] أبسط مما نشـرته مجلّة الغـري [النجفيّة] الغرّاء في العدد ال ٢٢ و٢٣ من السنة السابعة بقلم الدكتور مصطفى جواد البغدادي ذلك البحّاثة المنقِّب وإليك نصّه قال :

كان أبو المعالي من الشعراء الذين اشتهر شعرهم وقلّت أخبار سيرهم، فهو كوكبٌ من كواكب الأدب، ومشاهد نوره مجهولةٌ حقيقته أو حقائق أوصافه، وكان في الأيام التي جمع فيها عماد الدين الإصفهاني أخبار الشعراء ولذلك قال في نعته : شابٌّ شبت له نار الذكاء وشاب لنظمه صرف الصهباء بصافي الماء، ودرّ من فيه شؤبوب الفصاحة يسقي من ينشده شعره راح الراحة، وردت واسطا سنة خمسين [يعني خمسين وخمسمائة] فذكر لي انّه كان بها للاسترفاد وقام في بعض الأيّام ينشد خادم الخليفة « فاتنا »[2] فسبقه غيره إلى الانشاد، فقعد ولم يعد إليه وسلّم على رفده وعليه وصمّم عزم الرحيل إلى وطنه بالنيل، ولقيته بعد ذلك في سنة أربع وخمسين بالهماميّة اهـ . وإشارة العماد إلى أنّه كان شابّا من فلتات الشباب .

ويلوح لنا من أثناء هذا الخبر أنّ إبن العـودي كان مـع تحريـره انشاده

---

(١) كما في شعره.

(٢) هو شمس الدين أبو الفضائل من أكابر مماليك بني العباس كان ناظر واسط يومئذ.

لاسترفاده أبيّ النفس معتدّا؟ بشعره والشاعر الأبيُّ المسترفد لا يورثه إبائه إلّا الحرمان وإساءة الزَّمان. ومن شعره الذي نقله قطب الدين أبو يعلى محمَّد بن عليّ بن حمزة العلوي الأقساسي تغزّله بامرأة نصف « أي متوسطة العمر »:

أبى القلب إلّا امّ فضل وإن غدت ... تُعدّ من النصف الأخير لداتها
لقد زادها عندي المشيب ملاحةً ... وإن زعم الواشي وساء عداتها
فإن غيَّرت منها الليالي ففي الحشا ... لها حرق ما تنطفي زفراتها
فما نال منها الدَّهر حتّى تكاملت ... كمالاً وأعيى الواصفين صفاتها
سبتني بفرع فاحمٍ وبمقلةٍ ... لها لحظاتٌ تفكُّ عناتها
وثغرٌ زهتْ فيه ثنايا كأنَّها ... حصى بَرَد تشفي الصدار[1] شفاتها
ولمّا التقينا بعد بُعدٍ من النَّوى ... وقد حان نحوي بالسّلام التفاتها
رأيتُ عليها للجمال بقيَّةٌ ... فعاد لنفسي في الهوى نشواتها

وأنشد القاضي عبد المنعم بن مقبل الواسطي له:

هم أقعدوني في الهوى وأقاموا ... وأبلوا جفوني بالسهادِ وناموا
وهمْ تركوني للعتاب دريئة ... اؤنِّب في حبّيهم وأُلام
ولو انصفوا في الحبّ قسمة بيننا[2] ... لهاموا كما بي صبوةٌ وهيامُ
ولكنَّهم لمّا استدرّ لنا الهوى ... كرمت بحفظي للوداد ولاموا
ولمّا تنادوا للرَّحيل وقوَّضت ... لبينهمُ بالأبرقين خيامُ
رميت بطرفي نحوهم متأمِّلاً ... وفي القلب منّي لوعةٌ وضرامُ
وعدتُ وبي مما أجنّ صبابةٌ ... لها بين أثناه الضلوع كلامُ
إذا هاج بي وجدٌ وشوقٌ كأنّما ... تضمَّر أعشار الفؤاد سهامُ
ولائمة في الحبّ قلت لها: اقصري ... فمثلي لا يُسلي هواه ملامُ
أأسلو الهوى بعد المشيب ولم يزل ... يصاحبني مذ كنت وهو غلامُ؟!

---

(١) وفي نسخة قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية عبد العزيز بن جماعة « تسقي الصدار سفاتها » قال الاميني: ما في المتن والهامش فيه تصحيف والصحيح: تشفي الصدى رشفاتها.

(٢) وفي نسخة صلاح الدين الصفدي: ولو أنصفوني قسمة الحب بيننا.

ولمّـا جزعنـا الرَّمـل رمـل عنيـزة ... ونـاحت بأعلى الـدوحتين حَمـامُ
صبوت اشتياقاً ثمَّ قلت لصاحبي ... : ألا إنّمـا نـوح الحَمـام حمـامُ
تجهَّـز لبين أو تسـلَّ عن الهـوى ... فمـا لـك من ليلي الغـداة لمـامُ
وكيف يُـرجّى النـول عنـد بخيلةٍ ... تـروم الثـريّـا وهي ليس تُـرامُ؟!
مهفهفــة الأعـطاف أمــا جبينهـا ... فصبــحٌ وأمّـا فــرعهــا فــظلامُ
فيا ليت لي منها بلوغاً إلى المنى ... حـلالاً فإن لم يُقض لي فحـرامُ

وهذه المعاني التي أودعها إبن العودي قصيدة مألوفة متعالمة بين الشعراء إلّا أن نسج شعره عربيٌّ بحتٌ يضفي على تلك المعاني مالا يستطيعه النسج السابري؛ وقد نقل الصفدي أبياتاً من هذه القصيدة ومن غيرها من شعر إبن العودي وذكر: أن شعره متوسّطٌ. ولا نرى في هذا الحكم حنقاً فإنَّه متوسط حقّاً من حيث المعاني، ولكنَّه في حبكه وتأليفه من الطبقة الاولى فإنَّ العرب تنظر إلى المباني قبل المعاني، بحكم ما في لغتها من موسيقى وجرس ورنين، وهذا لا يعني انَّها تقر من النظم ما لا معنى له لأنَّ شرط صحة المباني احتوائها على صحَّة المعاني كائنةً ما كانت.

وقد نظم إبن العودي في الشعر المذهبيِّ الذي أكثر منه السيِّد الحميري وإبن حمّاد والعوني والناشي الأصغر وإبن علويَّة الأصفهاني[١] والورّاق القمي، ولما دخل إبن شهـراشوب العـراق في أواسط القرن السـادس ألفى شعر إبن العودي في المذهب تستهديه الآذان أفواه الشداة المنشدين فضمن كتابه مناقب آل أبي طالب شيئاً منه وكثيراً من شعر الناظمين في المذهب، وبعد ترك ابن شهراشوب العراق إلى الشام حدثت ببغداد فتنٌ مذهبيَّة ووثب الحنابلة كعادتهم بأعدائهم في المـذهب فأحـرقوا كتبهم وفيهـا دواوين شعرائهم واضـطهـدوهم اضطهاداً فظيعاً فضاع كلُّ ذلك الأدب غثّه وسمينه وصار طعمة للنار، والظاهر انَّ ذلك الضرب من النظم في شعر إبن العودي هو الذي حمل محبّ الدين

(١) مرت تراجم هؤلاء الشعراء الخمسة في الجزء الثاني، والثالث، والرابع، من كتابنا هذا وكلهم من شعراء الغدير.

محمَّداً المعروف بابنّ النجّار البغدادي على أن يقول في ترجمة ابن العودي : [كان رافضيّاً خبيثا يهجو الصَّحابة] . ومن شعر ابن العوْدي في إقامته مدّة بواسط :

يؤرّقني في واسط كلّ ليلة وساوس همٍّ من نوى وفراقِ
فيا للهوى هل راحمٌ لمتيَّم يعلُّ بكأس للفراق دهاقِ؟!
خليليَّ هل ما فات يُرجى؟ وهل لنا على النأي من بعد الفراق تلاقي؟
فإن كنت ابدي سلوةً عن هواكمُ فإنَّ صباباتي بكم لبواقي
ألا يا حمامات على نهر سالمٍ سلمت ووقّاكِ التفرُّق واقي
تعالي نُبد النّوح كلٌّ بشجوه فإنَّ اكتتام الوجد غير مطاقِ
على أنّ وجدي غير وجدك في الهوى فدمعيَ مهراقٌ ودمعك راقي
وما كنت أدري بعدما كان بيننا من الوصل انّي للفراق مُلاقي
فها أنتِ قد هيجتِ لي حرق الجوى وأبديت مكنون الهوى لوفاقي
وأسهرتني بالنّوح حتّى كأنّما سقاك بكاسات التفرُّق ساقي
فلا تحسبي انّي نزعت عن الهوى وكيف نزوعي عنه بعد وفاقي؟!
ولكنّني أخفيت ما بي من الجوى لكي لا يرى الواشون ما أنا لاقِ

قال الشريف قطب الدين أبو يعلى محمَّد بن علي بن حمزة: أنشدني الربيب أبو المعالي سالم إبن العودي في منزلي مستهلّ صفر سنة خمسين وخمسمائة :

ما حسبت الكتاب عنك لهجر لا ولا كان ذاكمُ عن تجافي
غير أنَّ الزَّمان يحدث للمر ء اموراً تنسيه كلّ مصافي
شيمٌ مرَّت الليالي عليها والليالي قليلة الإنصافِ

وهذه أبياتٌ حكميَّةٌ كريمةٌ منتزعةٌ معانيها من صميم الحقيقة الحيويَّة ، وقال الحسن بن هبة الله التغلبي المعروف بابن مصري الدمشقي : أنشدني أبو المعالي سالم بن علي العودي لنفسه :

دع الدنيا لمن أمسى بخيلا وقاطع من تراه لها وصولا
ولا تركن إلى الأيّام واعلم بأنَّ الدهر لا يُبقي جليلا
فكم قد غرَّت الدنيا اناساً وكم قد أفنت الدنيا قبيلا

وما هذي الحياة وإن تراخت ... بممتعة بها إلّا قليلا
فويلٌ لابن آدم من مقام ... يكون به العزيز غداً ذليلا

قال: وأنشدني أبو المعالي لنفسه:

أُخيَّ إنَّك ميِّتٌ ... فدع التعلّل بالتّمادي
لا تركنَنْ إلى الحيا ... ة فإنَّ عزّك في نفاد
أزف الرَّحيل فلا تكن ... ممن يسير بغير زاد
يا غافلاً والموت يقـ ... ـدح في سنيه بلا زناد
لا بدَّ يوماً للنبا ... ت إذا تكامل من حصاد

وأنشدني لنفسه:

لا أقتضيك على السِّماح فإنَّه ... لك عادةٌ لكنّني أنا مذكرُ
إنَّ السحاب إذا تمسَّك بالندى ... رغبوا إليه بالدعاء فيمطرُ

وأنشدني نفسه:

سيِّدي عُدْ إلى الوصا ... ل فقد شفَّني الضنا
وترفَّق بعاشق ... ما له عنك من غنى
إن تكن تطلب الصَّوا ... ب بوصل فها أنا
أو ترد بالنَّوى دنوَّ ... حمامي فقد دنا

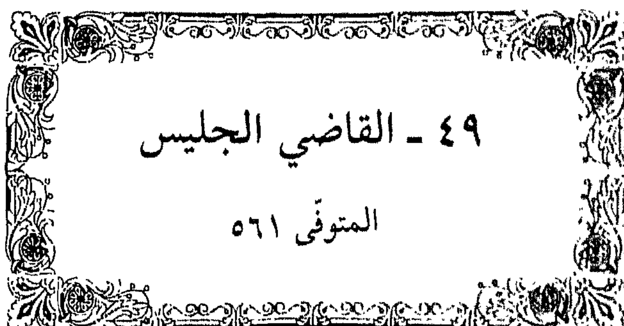
وأنشد:

يا عاتبين على عانٍ يحبّكمُ ... لاتجمعوابين عتب في الهوى وعنا
إن كان صدُّكمُ عني حدوث غنى ... فما لنا عنكمُ حتّى الممات غنى

ومن شعره قوله:

يقولون: لو داويت قلبك لارعوى ... بسلوانه عن حبّ ليلى وعن جملْ
وهيهات يبرأ بالنمائم والرُّقى ... سليم الثنايا الغرّ والحدق النجلْ

ولم أقف على سنة وفاة إبن العودي، إلّا أنّ سنة ولادته [أعني سنة ٤٧٨] ورواية عماد الدين الإصفهاني له سنة ٥٥٤ بالهماميّة قرب واسط لا تتركان للظنِّ أن يغالي في بقائه طويلاً بعد سنة ٤٥٤ المذكورة بل لا أراه قد جاوز سنة ٥٥٨ فإنّها تجعل عمره ثمانين سنة وذلك من نوادر الأعمار في هذه الدِّيار.



٤٩ ـ القاضي الجليس

المتوفّى ٥٦١

دعاه لوشك البين داعٍ فأسمعا ... وأودع جسمي سقمه حين ودَّعا
ولم يُبق في قلبي لصبريَ موضعاً ... وقد سار طوع النأي والبعد موضعا
أجنّ إذا ما الليل جنَّ كآبة ... وابدي إذا ما الصبح أزمع أدمعا
وما انقدتُ طوعاً للهوى قبل هذه ... وقد كنت الوى عنه ليناً وأخدعا

إلى أن يقول:

تصاممتُ عن داعي الصبابة والصبى ... ولبَّيتُ داعي آل أحمد إذ دعا
عشوتُ بأفكاري إلى ضوء علمهم ... فصادفتُ منه منهج الحقِّ مهيعا
علقت بهم فليلح في ذاك من لحى ... تولَّيتهم فلينع ذلك من نعا
تسرعت في مدحي لهم متبرِّعاً ... وأقلعت عن تركي لهم متورِّعا
هم الصّائمون القائمون لربِّهم ... هم الخائفوه خشيةً وتخشّعا
هم القاطعو الليل البهيم تهجّداً ... هم العامروه سُجّداً فيه ركّعاً
هم الطيبو الأخيار والخير في الورى ... يروقون مرئى أو يشوقون مسمعا
بهم تُقبل الأعمال من كلّ عاملٍ ... بهم تُرفع الطاعات ممن تطوّعا
بأسمائهم يُسقى الأنام ويهطل الغما ... م وكم كربٍ بهم قد تقشّعا
هم القائلون الفاعلون تبرُّعاً ... هم العالمون العاملون تورُّعا
أبوهم وصيُّ المصطفى حاز علمه ... وأودعه من قبل ما كان أودعا
أقام عمود الشرع بعد اعوجاجه ... وساند ركن الدين أن يتصدّعا
وواساه بالنفس النفيسة دونهم ... ولم يخش أن يلقى عداه فيجزعا

وسمَّاه مولاهم وقد قام معلناً ليتلوّه في كلّ فضلٍ ويشفعا
فمن كشف الغمّاء عن وجه أحمد وقد كربت أقرانه أن يقطّعا؟!
ومَن هزَّ باب الحصن في يوم خيبر فزلزل أرض المشركين وزعزعا؟!
وفي يوم بدرٍ من أحنَّ قليبها جسوماً بها تدمى وهاماً مقطَّعا؟!
وكم حاسدٍ أغراه بالحقد فضله وذلك فضلٌ مثله ليس يُدَّعا
لوى غدره يوم « الغدير » بحقّه وأعقبه يوم « البعير » وأتبعا
وحاربه القرآن عنه فما ارعوى وعاتبه الإسلامُ فيه فما وعى
إذا رام أن يخفى مناقبه جلت وإن رامَ أن يُطفى سناه تشعشعا
متى همّ أن يطوي شذى المسك كاتم أبى عرفه المعروف إلّا تضوّعا

ومنها:

أيا امَّةً لم ترع للدين حرمةً ولم تبق في قوس الضَّلالة منزعا
بأيّ كتاب أم بأيَّة حجَّة نقضتم بها ما سنَّه الله أجمعا؟!
غصبتم وليّ الحق مهجة نفسه وكان لكم غصب الامامة مقنعا
وألجمتمُ آل النبيّ سيوفكم تفرى من السادات سوقاً وأذرعا
وحلّلتمُ في كربلاء دماءَهم فأضحت بها هيم الأسنّة شرّعا
وحرَّمتمُ ماء الفرات عليهمُ فأصبح محظوراً لديهم ممنَّعا

القصيدة ٥٦ بيتاً

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام قوله:

إن خانها الدمع الغزيرُ فمن الدّماء لها نصيرُ
دعها تسحُّ ولا تشحّ فرزءها رزءٌ كبيرُ
ما غصبُ فاطمة تراث « محمّد » خطبٌ يسيرُ
كلّا ولا ظلم الوصيِّ و حقّه الحقّ الشهيرُ
نطق النّبيُّ بفضله وهو المبشّر والنذيرُ

جحدوه عقد ولايةٍ قد غرَّ جاحده الغرورُ
غدروا به حسداً له وبنصّه شهد « الغديرُ »
حظروا عليه ما حباه بفخره وهمُ حضورُ

يا أمّةً رعت السّها | وإمامها القمر المنيرُ
إن ضلَّ بالعجل اليهـ | ـود فقد أضلّكم البعيرُ
لهفي لقتلى الطفِّ إذ | خذل المصاحب والعشيرُ
وافاهمُ في كربلا | يومٌ عبوسٌ قمطريرُ
دلفتْ لهمْ عصب الضـ | ـلال كأنّما دُعي النفيرُ
عجباً لهم لم يلقهم من | دونهم قدرٌ مبيرُ
أيُمار فوق الأرض فيـ | ـض دم الحسين ولا تمورُ؟!
أترى الجبال درت | ولم تقذفهمُ منها صخورُ؟!
أم كيف إذ منعوه وِ | رد الماء لم تَغرِ البحورُ؟!
حرم الزّلال عليه | لمّا حُلّلت لهم الخمورُ

القصيدة ٣٦ بيتاً

وله من قصيدة تناهز ٢٩ بيتاً مطلعها:

كم قد عصيت مقال الناصح الناهي | ولذت منكم بحبلٍ واهنٍ واهِ

ويقول فيها:

حبّي لآل رسول الله يعصمني | من كلِّ إثمٍ وهم ذخري وهم جاهي
يا شيعة الحقّ قولي بالوفاء لهم | وفاخري بهمُ من شئت أو باهي
إذا علقت بحبلٍ من أبي حسنٍ | فقد علقت بحبلٍ في يد الله
حمى الآله به الإسلام فهو به | يرهي على كلّ دين قبله زاهِ
بعل البتول وما كنّا لتهدينا | أئمّةٌ من نبيِّ الله لولا هي
نصَّ النبيّ عليه في « الغدير » فما | زواه إلاّ ظنينٌ دينه واهِ

(الشاعر)

أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب[1] الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس. من مقدّمي شعراء مصر وكتابهم، ومن ندماء الملك الصالح طلائع بن رزّيك [الذي مرّت ترجمته ص ٣٨٨] وأحسب أنَّ تلقيبه بالجليس كان لمجالسته إيّاه متواصلاً، وهو ممن اغرق نزعاً في موالاة

(١) في معجم الادباء ج ٣ ص ١٥٧: الخباب.

العترة الطاهرة كما ينم عنه شعره، ولمعاصره الفقيه عمارة اليمني [الآتي ذكره] شعر يمدحه، منه قصيدة في كتابه « النكت العصرية» ص ١٥٨ قالها سنة أحدى وخمسين وخمسمائة، أوّلها:

هي سلوةٌ حلّت عقــود وفـائهــا　　　مذ شفَّ ثوب الصبر عن برحائها

ومنها:

لم أسـأل الرُّكبـان عن أسمـائهـا　　　كفـلاً بهـا لـولا هـوى أسمـائهـا
وسـألت أيّامي صـديقـاً صـادقـاً　　　فوجدت مـا أرجوه جـلّ رجائهـا

ومنها:

ولقد هجرت إلى الجليس مهاجراً　　　عصبـاً يضيم الدهـر جار فنـائهـا
مستنجـداً لأبي المعـالي همَّـة　　　تغدو المعالي وهي بعض عطائها
لمّـا مدحتَ عـلاه أيقنت العدى　　　أنَّ الـزمـان أجـار من عـدوائهـا
واغــدَّ سعــديّ الأوامــر أبـلج　　　يلقى سقيمـات المنى بشفـائهـا

ومنها:

نـذرت مصافحـة الغمام أنـاملي　　　فــوفت غمـائم كفِّــه بـوفـائهـا

وقال كما في نكته العصريَّة ص ٢٥٢ وقد حدث للقاضي الجليس مرضٌ أخَّره عن حضور مجلس الملك الصّالح طلائع بن رُزّيك:

وحقّ المعـالي يا أبـاها وصنـوها　　　يمين امرىء عاداتـه القسم البـرُّ
لقد قصرت عمّا بلغت من العلى　　　وأحـرزتـه أبنـاء دهـرك والـدهـرُ
متى كنتَ يا صدر الزمان بموضع　　　فرتبتك العليـا وموضعـك الصدرُ
ولمّا حضرنا مجلس الانس لم يكن　　　على وجهه إذ غبت إنسٌ ولا بشرُ
فقـدناك فقـدان النفوس حيـاتهـا　　　ولم يك فقد الارض أعوزها القطرُ
وأظلم جوُّ الفضل إذ غـاب بدره　　　وفي الليلة الـظلماء يفتقـد البدرُ

ترجمه العماد في « الخريدة » وأثنى عليه بالفضل المشهور. وإبن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٥١، وإبن شاكر في « فوات الوفيات » ج ١ ص ٢٧٨ فقال: تولّى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال ومن شعره:

ومن عجبي انَّ الصــوارم والقنـا　　　تحيض بـأيدي القـوم وهي ذكورُ

وأعجب من ذا أنَّهــا في أكفّـهم　　تــأجَّــج نــاراً والأكـفُّ بحــورُ

وله في طبيب:

وأصــل بليَّتي مَن قــد غــزاني　　من السقم الملحِّ بعسكـرينِ
طـبيبٌ طبّــه كغــراب بيـنٍ　　يـفـرِّق بيـن عــافيتي وبيـنـي
أتى الحمّى وقد شاخت وباخت　　فعــاد لهــا الشبــابُ بنسختينِ
ودبَّــرهــا بـتــدبيــرٍ لـطيـفٍ　　حـكــاه عن سنيـن أو حـنـيـنِ
وكــانت نـوبــة في كــلِّ يـوم　　فصيَّـرهــا بـحـذقٍ نـوبتيـنِ

وله في طبيب ايضاً:

يــا وارثــاً عــن أب وجــدٍّ　　فـضــيــلة الـطبِّ والــســدادِ
وحــامــلاً ردَّ كــلِّ نـفس　　همت عن الجسم بــالبعــادِ
اقسم لــو قــد طببتَ دهــراً　　لـعــاد كــونــاً بــلا فســادِ

وله:

حيّــا بتفــاحــةٍ مـخـضَّبـة　　مَن شفَّني حبّه وتيَّمنـي
فقلت: مــا إن رأيت مشبههــا　　فــأحمــرَّ من خجلة فكـذَّبني

وله:

رُبَّ بيض سالـن بـاللحظ بيضـاً　　مــرهفــات جفـونهنّ جفــونُ
وخـدودٍ للدمــع فيـهــا خــدودٌ　　وعيـونٍ قـد فــاض فيها عيــونُ

وقال ايضاً:

ألمَّتْ بنــا والليـل يـزهي بلمَّةٍ　　دجـوجيَّةٍ لم يكتهـل بعد فـوداها
فأشرق ضوء الصبح وهـو جبينها　　وفاحت أزاهير الرّبا وهي ريّـاها
إذا ما اجتنت من وجهها العين روضة　　أسالت خلال الروض بالدَّمع أمواها
وإنّي لأستسقي السحاب لربعهـا　　وإن لم تكن إلاّ ضلوعي مَـأواها
إذا استعرت نار الأسى بين أضلعي　　نضحت على حرِّ الحشا برد ذكراها
ومـا بيَ أن يصلى الفؤاد بحرِّهـا　　ويضرم لولا أنّ في القلب سكناها

كان القاضي الجليس كبير الأنف وكان الخطيب أبو القاسم هبة الله بن

البدر المعروف بابن الصيّاد مولعاً بأنفه وهجائه وذكر أنفه في أكثر من ألف مقطوع انتصر له ابو الفتح ابن قادوس [المترجم في هذا الجزء ص ٣٣٨] فقال:

يا مَن يعيب انوفنا الشمّ التي ليست تُعابُ
الأنف خلقة ربِّنا وقرونك الشمّ اكتسابُ

وله شعرٌ في رثاء واده وقد غرق في البحر بريح عاصفٍ.

والمترجم هو الذي قرظ أبا محمَّد بن الزبير الحسن بن علي المصري المتوفّى سنة ٥٦١ عند الملك الصّالح حتّى قدمه، فلمّا مات شمت به إبن الزبير ولبس في جنازته ثياباً مذهَّبة، فنقص عند الناس بهذا السبب واستقبحوا فعله، ولم يعش بعد الجليس إلاّ شهراً واحداً[١].

كان الملك الصّالح طلائع لا يزال يحضر في ليالي الجمع جلساؤه وبعض امراءه لسماع قرائة صحيح مسلم والبخاري وأمثالهما من كتب الحديث وكان الذي يقرأ رجلاً أبخر فلعهدي وقد حضر المجلس مع الأمير عليّ بن الزبير والقاضي الجليس أبي محمَّد وقد أمال وجهه إلى القاضي إبن الزبير وقال له:

وأبخر قلت: لا تجلس بجنبي
فقال ابن الزبير:
إذا قابلت بالليل البخاري
فقال القاضي الجليس:
فقلت وقد سألت بلا احتشام: لأنّك دائماً من فيك خاري

أنشد بعض جلساء الملك الصالح بمجلسه بيتا من الأوزان التي يسمّيها المصريّون [الزكالش] ويسمّيها العراقيّون [كان وكان].

النّار بين ضلوعي ونا غريقٌ في دموعي
كني فتيلة قنديل أموت غريق وحريق

---

(١) معجم الادباء ج ٣ ص ١٥٧.

وكان عنده القاضي الجليس والقاضي ابن الزبير فنظما معناه بديهاً فقال الجليس:

هل عاذرٌ إن رمت خلع عذاري ... في شمِّ سالفةٍ ولثم عذارٍ؟!
تتألّف الأضداد فيه ولم تزل ... في سالف الأيّام ذات نفارِ
وله من الزَّفرات لفح صواعق ... وله من العبرات لجُّ بحارِ
كذبالة القنديل قدّر هلكها ... ما بين ماءٍ في الزجاج ونارِ

وقال إبن الزبير:

كأنّي وقد سالت سيول مدامعي ... فاذكت حريقاً في الحشا والترائبِ
ذبالة قنديل تقوم بمائها ... وتشعل فيها النار من كلٍّ جانبِ[1]

كتب أبو المعالي إلى القاضي الرشيد المصري[2] قوله:

ثروة المكرمات بعدك فقرُ ... ومحلّ العلى ببعدك قفرُ
بك تجلى إذا حللت الدياجي ... وتمرّ الأيّام حيث تمرُّ
أذنب الدهر في مسيرك ذنباً ... ليس منه سوى إيابك عذرُ[3]

حُكي انَّه استأذن هو والقاضي الرشيد ذات يوم على أحد الوزراء فلم يأذن لهما واعتذر عن المواجهة ووجدا عنده غلظة من الحجّاب، ثمَّ عاوداه مرَّة اخرى واستأذنا عليه فقيل لهما: إنَّه نائمٌ. فخرجا من عنده فقال القاضي الرشيد:

توقَّع لأيّام اللئام زوالها ... فعمّا قليل سوف تنكر حالها
فلو كنت تدعو الله في كلِّ حالةٍ ... لتبقى عليهم ما أمنت انتقالها

وقال القاضي الجليس:

لئن أنكرتمُ منّا ازدحاما ... ليجتنبنَّكم هذا الزحامُ
وإن نمتم عن الحاجات عمداً ... فعين الدهر عنكم لا تنامُ

فلم يكن بعد أيّام حتى نكب الوزير نكبة عظيمة [مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٠٢]

---

(١) بدائع ج ١ ص ١٧٦ و٢٣٧.
(٢) ابو الحسين احمد بن علي الغساني المقتول ٥٦٣.
(٣) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٤.

قال الصفدي في « نكت الهميان »، كان الموفق بن الخلّال خال القاضي الجليس فحصل لابن الخلّال نكبة وحصل للقاضي بسبب خاله إبن الخلّال صداعٌ فكتب القاضي إلى القاضي الرشيد.

تسمّع مقاليَ يابن الزبير   فأنت خليقٌ بأن تسمعه
نكبنا بذي نسبٍ شابكٍ   قليل الجدى في زمان الدعه
إذا ناله الخير لم نُرجه   وإن صفعوه صُفعنا معه

توفي القاضي الجليس سنة ٥٦١ وقد أناف على السبعين كما في « فوات الوفيات ».

ذكر سيّدنا العلّامة السيّد أحمد العطّار البغدادي في الجزء الأوّل من كتابه « الرائق » جملة من شعر شاعرنا الجليس منها قصيدةٌ يرثي بها أهل البيت الطاهرين ويمدح الملك الصالح بن رزّيك، ويذكر مواقفه المشكورة في خدمة آل الله أوّلها: [٥٠ بيتا]

لولا مجانبة الملوك الشاني   ما تمّ شاني في الغرام بشاني

وقصيدة في رثاء العترة الطاهرة تناهز ٦٦ بيتا مطلعها:

أرأيت جرأة طيف هذا الزائر   ما هاب عاديه الغيور الزائر
وافى وشملته الظلام ولم يكن   ليزور إلّا في ظلام ساتر
فكأنّه إنسان عين لم يلحْ   مذ قطّ إلّا في سواد الناظر
ما حكم أجفاني كحكم جفونها   شتّان بين سواهر وسواحر

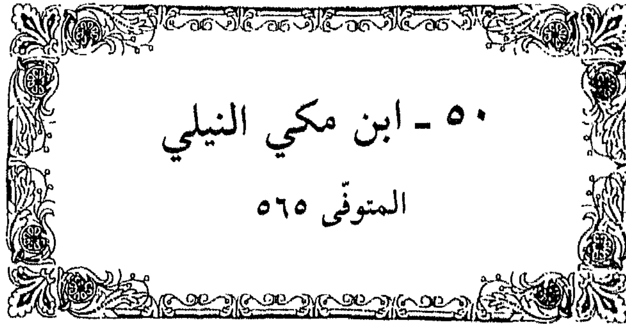
وقصيدة يمدح بها الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويذكر الملك الصالح ويثني عليه تبلغ ٧٢ بيتا مستهلّها:

على كلّ خير من وصالك مانعُ   وفي كلّ لحظ من جمالك شافعُ

وقصيدةٌ ٦٢ بيتا يدعم بها إمرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله ويرثي الإمام السبط عليه السلام، ويذكر الملك الصالح إبن رزّيك ويطريه أوّلها:

ألا هل لدمعي في الغمام رسيلُ؟!   وهل لي إلى برد الغليل سبيل؟!

وذكر له قصيدةً لاميّة تبلغ ٥١ بيتا في المديح والرثاء لأهل البيت الطاهر



٥٠ ـ ابن مكي النيلي

المتوفّى ٥٦٥

ألم تعلموا أنَّ النبيَّ « محمَّداً » ... بحيدرة أوصى ولم يسكن الرمسا؟!
وقال لهم والقوم في « خمِّ » حُضَّر ... ويتلو الذي فيه وقد همسوا همسا
: عليٌّ كزرّي من قميصي وإنَّه ... نصيري ومنّي مثل هارون من موسى
ألم تبصروا الثعبان مستشفعاً به ... إلى الله والمعصوم يلحسه لحسا؟!
فعاد كطاووس يطير كأنَّه ... تغشرم في الاملاك فاستوجب الحبسا
أما ردَّ كفَّ العبد بعد انقطاعها؟! ... أما ردَّ عيناً بعد ما طمست طمسا [1]

(الشاعر)

سعيد[2] بن أحمد بن مكّي النيلي المؤدِّب، من أعلام الشيعة وشعرائها المجيدين المتفانين في حبِّ العترة الطاهرة وولائها، المتصلّبين في اعتناق مذهبهم الحقِّ، ولقد أكثر فيهم وأجاد وجاهر بمديحهم ونشر مئاثرهم حتّى نسبه القاصرون إلى الغلوِّ، ولكن الرجل موالٍ مقتصد قد أغرق نزعاً في اقتفاء أثر القوم والإستضائة بنورهم الأبلج، وقد عدَّه إبن شهراشوب في معالمه من المتّقين من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام.

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٢٤ ط ايران.

(٢) في معجم الادباء وفوات الوفيات « سعد » وهو تصحيف.

قال الحموي في « معجم الادباء » ج ٤ ص ٢٣٠ : المؤدِّب الشيعيّ كان نحويّاً فاضلاً عالماً بالأدب مغالياً في التشيّع له شعرٌ جيّدٌ أكثره في مديح أهل البيت وله غزلٌ رقيقٌ مات سنة ٥٦٥ وقد ناهز المائة ومن شعره:

قمـرٌ أقـام قيـامتي بـقـوامـه ... لمَ لا يجـود لمهجتي بذمـامهِ؟!
ملّكتُـه كبـدي فـأتلفَ مهجتي ... بجمـال بهجته وحسن كـلامهِ
وبمبسمٍ عـذبٍ كـأنَّ رُضـابـه ... شهـدٌ مـذابٌ في عبير مُـدامـهِ
وبنـاظرٍ غنـجٍ وطـرفٍ أحـورٍ ... يصمي القلوب إذا رنـا بسهـامهِ
وكـأنَّ خطّ عـذاره في حسنـه ... شمس تجلّت وهي تحت لثـامهِ
فـالصبح يسفـر من ضيـاء جبينـه ... والليـل يُقبـل من أثيث ظـلامهِ
والـظبي ليس لحـاظـه كلحـاظـه ... والغصن ليس قـوامـه كقـوامهِ
قمـرٌ كـأنَّ الحسن يعشق بعضـه ... بعضـاً فسـاعـده على قسّـامـهِ
فـالحسن من تلقـائـه وورائـه ... ويـمينـه وشـمـالـه وأمـامـهِ
ويكـاد من تَـرَفٍ لـدقـة خَصـره ... ينقـدُّ بـالأرداف عنـد قيـامـهِ

وقال العماد الكاتب: كان غـالياً في التشيّـع، حاليـاً بالتـورُّع، عالمـاً بالأدب، معلّماً في الكتب، ومقـدّماً في التعصّب، ثمَّ أسنَّ حتّى جـاوز حدّ الهرم؛ وذهب بصره وعاد وجوده شبيه العدم، وأناف على التسعين، وآخر عهدي به في درب صالح ببغداد في سنة إثنتين وستّين وخمسمائة.

قال الأميني: الصحيح في تاريخ آخر عهد العماد بالمتـرجم سنة ٥٦٢ وهي سنة خروجه من بغداد ولم يعد إليها بعدها حتى مات سنة ٥٩٧ كما أرّخه إبن خلكان في وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨٩. فما في « فوات الوفيات » ج ١ ص ١٦٩ و« دائرة المعارف » لفريد وجدي ج ١٠ ص٤٤٠ نقلاً عن العماد من سنـة ٥٩٢ تصحيفٌ واضحٌ. والعجب أنَّ هـذا التاريـخ أعني ٥٩٢ جُعل في [شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٠٩] و[أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٩٥] تاريخ وفاة إبن مكّي المترجَم له وأنت ترى انّه تاريخ آخر عهد العماد بالمترجم لا تاريخ وفاته، على أنَّ الصحيح ٥٦٢ لا ٥٩٢ فالصحيح في وفاته كما مرَّ عن الحموي

٥٦٥ . وكون المترجَم مذكوراً في معجم العماد الكاتب يومي إلى عدم وفاته سنة ٥٩٢ ، إذ الكتاب موضوعٌ لترجمة الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٢ كما في تاريخ إبن خلكان ج ٢ ص ١٩٠ .

وقال عماد الدين ايضاً : أنشدني له إبن اخته عمر الواسطي الصفّار ببغداد قال : أنشدني خالي سعيد بن مكّي من كلمة له :

ما بال مغاني اللوى بشخصك إطلالْ ... قد طال وقوفي بها وبثّي قد طالْ
الربع دثور متناه قفار ... والرِّبع محيلٌ بعد الأوانس بطّالْ
عفته دبورٌ وشمالٌ وجنوبه ... مع مرِّ ملث مرخي العزالي محلالْ
يا صاح قف باللوى فسائل رسماً ... قد خال لعلَّ الرسوم تنبي عن حالْ
ما شفّ فؤادي إلّا لغيبِ غراب ... بالبين يُنادي قد طار يضرب بالغالْ
مذ طار شجا بالفراق قلباً حزيناً ... بالبين وأقصى بالبعد صاحبة الخالْ
تمشي تتهادى وقد ثناها دلٌّ ... من فرط حياها تخفي رنين الخلخالْ

وترجمه الصفدي في « نكت الهميان » وابن شاكر في « فوات الوفيات » ج ١ ص ١٦٩ وقالا : له شعرٌ وأكثره مديحٌ في أهل البيت، ثمّ ذكرا عبارة العماد الاولى . وتوجد ترجمته في « لسان الميزان » ج ٣ ص ٢٣ و« مجالس المؤمنين » ص ٤٦٩ ومن شعره المذهبيّ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

فان يكن آدم من قبل الورى ... نُبِّي وفي جنّة عدن دارهُ؟!
فإنَّ مولاي عليّاً ذا العُلى ... من قبله ساطعةٌ أنوارهُ
تاب على آدم من ذنوبه ... بخمسةٍ وهو بهم أجارهُ
وإن يكن نوحٌ بنى سفينةً ... تُنجيه من سيل طمى تيّارهُ؟!
فإنَّ مولاي عليّاً ذا العُلى ... سفينةٌ تنجو بها أنصارهُ
وءن يكن ذو النّون ناجى حوته ... في اليمِّ لمّا كضّه حصارهُ؟!
ففي جلنـدي(١) لِلإمام عبرةٌ ... يعرفها مَن دلّه اختيارهُ
رُدَّت له الشمس بأرض بابلٍ ... والليل قد تجلّلت أستارهُ

---

(١) قصة الجلندي مذكورة في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٤٥٥ ط ايران.

وإن يكن مـوسى دعى مجتهداً عشراً إلى أن شقّه انتظارهُ؟!
وسـار بـعـد ضـرِّه بـأهـله حتّى علت بـالـواديين نـارهُ
فـإنَّ مـولاي عـليّـاً ذا العُلى زوّجـه واختـار مَن يختـارهُ
وإن يكن عيسى لـه فضيلة تـدهش من أدهشه انبهـارهُ؟!
مَن حملته امّـه مـا سجـدت لـلّات بل شغّلها استغفاره؟!

البيت الأخير فيه إشارة إلى ما رواه الحلبي في السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٢٨٥، وزيني دحلان في سيرته، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٠ والشبلنجي في نور الأبصار من أنَّ أمير المؤمنين كان يمنع امّه من السجود للصنم وهو حملٌ(١)

وله:

و« محمَّد » يوم القيامة شافعٌ للمؤمنين وكلِّ عبد مُقنت
وعليّ والحسنان إبنا فاطمٍ للمؤمنين الفائزين الشيعةِ
وعليّ زين العابدين وباقر العـ ـلم التقيُّ وجعفر هو منيتي
والكاظم الميمون موسى والرِّضا علم الهدى عند النوائب عُدّتي
ومحمَّد الهادي إلى سبل الهدى وعليّ المهدي جعلت ذخيرتي
والعسكريَّين اللذين بحبِّهم أرجو إذا أبصرت وجه الحجَّة

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام ودحوه باب خيبر:

فهزَّها فاهتزَّ من حولهم حصنا بنوه حجراً جلمدا
ثمَّ دحا الباب على نبذة تمسح خمسين ذراعاً عددا
وعبَّر الجيش على راحته حيدرة الطاهر لمّا وردا

وله من قصيدة مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

رددت الكفَّ جهرا بعد قطع(٢) كردِّ العين من بعد الذهاب

---

(١) مرت كلمتنا حول هذه الرواية في الجزء الثالث ص ٢٩٦.

(٢) اشارة الى قصة يد هشام بن عدي الهمداني وهي مذكورة في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٤٧٣ ط ايران.

وجمجمة الجلندي وهـو عظمٌ[1]   رميمٌ جـاوبتـك عن الخـطابِ

وله من قصيدة مرَّت عشرة أبيات منها نقلاً عن الحموي:

دع يا سعيد هواك واستمسك بمن   تسعد بهم وتـزاح من آثـامـه
بمحـمَّـدٍ وبحيـدرٍ وبفـاطـمٍ   وبـولـدهم عقـد الـولا بتمـامه
قــومٌ يســرُّ وليّهم فـي بعثـه   ويعضُّ ظـالمهم على إبهـامـه
ونــرى ولـيَّ وليِّهـم وكـتـابـه   بـيمينـه والـنـور من قـدّامـه
يسقيـه من حـوض النبيِّ محمَّـدٍ   كـأسـاً بهـا يشفي غليـل اوامـه
بيـدي أمير المؤمنين وحسب من   يسقى بـه كـأسـاً بكفّ إمـامـه
ذاك الـذي لولاه مـا اتَّضحت لنا   سُبـل الهـدى في غـوره وشـآمـه
عبـد الإلـه وغيـره مـن جهـله   مـا زال معتكفـاً على أصنـامـه
مـا آصف يومـاً وشمعون الصَّفـا   مع يوشـع في العلم مثل غـلامه

وله في ردِّ بيتي يوسف الـواسطي في الغمـز على أمير المؤمنين عليه السلام وتخلّفه عن البيعة قوله:

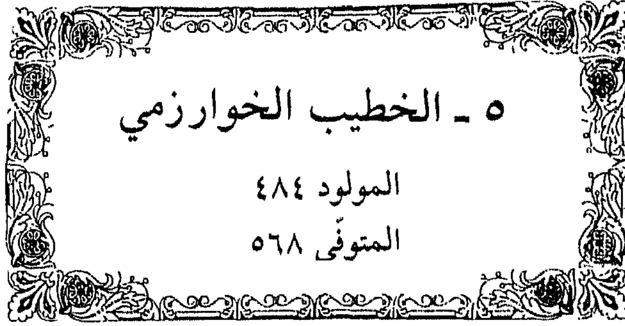
ألا قـل لـمن قـال فـي كفـره   وربِّـي عـلى قـولـه شـاهـدُ
:[اذا اجتمـع الناس في واحـد   وخـالفهم في الـرِّضـا واحـدُ]
[فـقـد دلَّ إجمـاعـهم كـلّهـم   عـلى أنَّـه عـقـلـه فـاسـدُ]
: كـذبت وقولـك غير الصحيـح   وزعـمـك ينـقـده النـاقـدُ
فقـد أجمعت قوم مـوسى جميعاً   على العجـل يـا رجس يـا مـاردُ
ودامـوا عكـوفـا على عجلهـم   وهـارون مـنـفـردٌ فـاردُ
فكـان الكثيـرهـم المخـطئـون   وكـان المصيب هـو الـواحـدُ

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام:

خصّـه الله بـالعلوم فـأضحى   وهـو يُنبىء بسـرِّ كـلِّ ضميـرِ
حـافظ العلم عن أخيـه عن الله   خبيـراً عـن اللطيف الخبيـرِ

(١) شرح في قصة جمجمة جلندي توجد في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٤٧٤.

(لفت نظر) ذكر سيّدنا الأمين في « أعيان الشيعة » ج ٦ ص ٤٠٧ ترجمة تحت عنوان [أبي سعيد النيلي] وأخذ ما في « مجالس المؤمنين » من ترجمة المترجم له وجعله ترجمة لما عنونه، وأردفها بتحقيق في إسمه يقضى منه العجب، إستخرجه من شعر المترجم المذكور « دع يا سعيد هواك واستمسك بمن » فقال: قوله: دع با سعيد (با) بالباء الموحّدة مخفّف أبا وحذف منه حرف النداء أي يا أبا. وقال في ج ١٤ ص ٢٠٧ : إبن مكّي اسمه سعد أو سعيد. وأرّخ وفاته في ج ١ ص ٥٩٥ من الطبعة الاولى بسنة ٥٩٢، وفي الطبعة الثانية في القسم الثاني من الجزء الأول ج ١ ص ١٧٧ بسنة ٥٩٥، ونقل ترجمته عن إبن خلكان وإبن خلكان لم يذكره.



٥ ـ الخطيب الخوارزمي

المولود ٤٨٤

المتوفّى ٥٦٨

ألا هــل من فتًى كـأبي تـرابِ إمـام طـاهـر فـوق التـرابِ؟!
إذا مـا مقلتي رمـدت فكـحلي تـرابٌ مسَّ نـعـل أبـي تـرابِ
مـحمَّـد الـنبـيُّ كمـصـر عـلم أمـيـر المـؤمنيـن لـه كـبـابِ
هـو البكّـاء في المحـراب لكن هـو الضحـاك في يـوم الحـرابِ
وعن حمـراء بيت المـال أمسى وعن صفـرائـه صفـر الـوطـابِ
شيـاطين الوغى دُحـروا دحـوراً بـه إذ سـلَّ سيفـاً كـالشهـابِ
عـليٌّ بـالهـدايـة قـد تـحلّى ولـمّـا يـدَّرع بـرد الـشبـابِ
عـليٌّ كـاسـر الأصـنـام لـمّـا عـلا كتف النبيِّ بـلا احتجـابِ
عليٌّ في النسـاء[1] لـه وصيٌّ أمينٌ لم يمـانـع بـالحجـابِ
عـليٌّ قـاتـلٌ عـمـرو بـن ودٍّ بضـرب عـامـر البلد الخـرابِ
حـديـث بـراءة وغـديـر خـمّ ورايـة خيبـر فصـل الخـطابِ
همـا مثـلاً كهـارون ومـوسى بتمـثيـل الـنبـيِّ بـلا ارتيـابِ
بنى في المسجد المخصوص باباً لـه إذ سـدَّ أبـواب الصّحـابِ
كـأنَّ الـنـاس كـلّهـمُ قـشـورٌ ومـولانـا عـليٌّ كـالـلبـابِ
ولايـتـه بـلا ريـبٍ كـطوقٍ على رغم المعاطس في الرِّقـابِ
إذا عـمـر تـخبَّط في جـواب ونـبَّـهـه عـليٌّ بـالـصَّـوابِ

(١) اقرأ واضحك.

يقـول بعـدلـه: لـولا عليٌّ　　هلكتُ هلكتُ في ذاك الجوابِ
فـفـاطـمـةٌ ومـولانـا عـليٌّ　　ونجـلاه سروري في الكتـابِ
ومن يـك دأبـه تشييـد بيتٍ　　فهـاأنـا مـدح أهـل البيت دابي
وإن يـك حبّهم هيهات عـابـاً　　فهـا أنـا مـذ عقلت قـرين عـابِ
لـقـد قتلوا عليّـاً مـذ تـجلّى　　لأهـل الحقِّ فحلاً في الضـرابِ
وقد قتلوا الرِّضا الحسن المرجّى　　جـواد العـرب بـالسمِّ المذابِ
وقـد منعوا الحسين الماء ظلمـاً　　وجُـدِّل بـالـطعـان وبـالضِّـرابِ
ولـولا زينـب قـتلوا عـليّـاً[١]　　صغيـراً قـتـل بـقٍّ أو ذُبـابِ
وقـد صلبـوا إمـام الحقِّ زيـداً　　فـيـا لله مـن ظـلم عـجـابِ
بنات محمَّد في الشمس عطشى　　وآل يـزيـد في ظـلِّ القبـابِ
لآل يـزيـد مـن ادم خـيـامٌ　　وأصحـاب الكساء بـلا ثيابِ[٢]

(الشاعر)

الحافظ أبو المؤيّد وأبو محمَّد موفّق[٣] بن أحمد بن[٤] أبي سعيد إسحاق إبن المؤيّد المكّي الحنفي المعروف بأخطب خوارزم.

كان فقيهاً غزير العلم، حافظاً طائل الشهرة، محدِّثاً كثير الطرق، خطيباً طائر الصيت، متمكّناً في العربيَّة، خبيراً على السيرة والتاريخ، أديباً شاعراً، له خطبٌ وشعرٌ مدوَّن.

ذكره الحموي في « معجم الادباء » في ترجمة أبي العلاء الهمداني[٥] بالحفظ، وأثنى عليه الصفدي في « الوافي بالوفيات » والتقيّ الفارسي في

---

(١) يعني الامام السجاد علي بن الحسين.

(٢) القصيدة تبلغ ٤٦ بيتاً طبعت في آخر كتابه « المناقب » وتوجد جملة منها في مقتله وأخذ منها ابن شهراشوب في مناقبه.

(٣) في الفوائد البهية: موفق الدين أحمد بن محمد وهو تصحيف. وقد ذكر اسمه في شعره موفقا كما يأتي وهكذا يوجد في المصادر القديمة.

(٤) في العقد الثمين موفق بن أحمد بن محمد.

(٥) الحافظ الحسن العطار المقري المتوفى ٥٦٩.

« العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » والقفطي في « أخبار النحاة » والسيوطي في « بغية الوعاة » ص ٤٠١ ، ومحمّد عبد الحيّ في « الفوائد البهيّة » ص ٣٩ ، والسيّد الخونساري في « روضات الجنات » ص ٢١ ، وجرجي زيدان في [تاريخ آداب اللغة العربيّة] ج ٣ ص ٦٠ ، وصاحب « معجم المطبوعات » ص ١٨١٧ نقلاً عن الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة للشيخ عبد القادر المصري ، وتوجد ترجمته نقلاً عن الجواهر المضيّة في أوّل كتابه مناقب أبي حنيفة ، والمعاجم بأسرها فارغةٌ عن بسط القول في مشايخه وتلامذته والرُّواة عنه وتآليفه القيّمة ، فنحن نأخذ دروس تلكم النواحي من تآليفه وإجازات مشيخة العلم والحديث .

مشايخه في الأخذ والرواية :

١ ـ الحافظ نجم الدين عمر بن محمّد بن أحمد النسفي المتوفّى ٥٣٧ ، أخذ منه العلم ويروي عنه .

٢ ـ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفّى ٥٣٨ ، قرأ عليه في العربيّة والأدب ويروي عنه .

٣ ـ أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي[1] الهروي المتوفّى ٥٤٨ ، أخذ عنه الحديث في منصرفه من الحجّ ببغداد كما في الجزء الأوّل من مقتله .

٤ ـ أبو الحسن عليُّ بن الحسين الغزنوي الملقب بالبرهان المتوفّى ٥٥١ ، أخذ منه الحديث في مدينة السّلام في داره سلخ ربيع الأوّل سنة ٥٤٤ .

٥ ـ شيخ الدين أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمويه الجويني البرذي المتوفّى ٥٥١ .

٦ ـ أبو بكر محمّد بن عبيد الله بن نصر الزاغوني المتوفّى ٥٥٢ ، أخذ منه الحديث في مدينه السّلام .

---

(١) بالفتح نسبة الى كروخ بلدة بنواحي هرات .

٧ ـ مجد الدين أبو الفتوح محمَّد بن أبي جعفر محمَّد الطائي المتوفّى ٥٥٥، يروي عنه مكاتبة.

٨ ـ زين الدين أبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي المتوفّى ٥٥٨، يروي عنه بالإجازة وبينهما مكاتبات.

٩ ـ أبو العلا الحسن بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمَّد العطار الهمداني المتوفّى ٥٦٩ يروي عنه بالإجازة.

١٠ ـ أبو المظفَّر عبد الملك بن عليّ بن محمَّد الهمداني نزيل بغداد، له منه إجازة.

١١ ـ أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المروزي، يروي عنه بالمكاتبة.

١٢ ـ أبو الفرج شمس الأئمَّة محمّد بن أحمد المكي أخوه كما نصَّ به في مقتله ويعبّر عنه هناك بالإمام الأجلّ الكبير أخي سراج الدين ركن الإسلام شمس الأئمّة إمام الحرمين. ثمّ يترحّم عليه، يروي عنه إملاءً.

١٣ ـ أبو طاهر محمّد بن محمّد الشيحي الخطيب بمرو وله منه إجازة.

١٤ ـ أبو بكر محمّد بن الحسن بن أبي جعفر بن أبي سهل الزورقي، يروي عنه بالمكاتبة.

١٥ ـ أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي[١].

١٦ ـ أبو عفان عثمان بن أحمد الصرام الخوارزمي.

١٧ ـ نجم الدين أبو منصور محمّد بن الحسين بن محمّد البغدادي، له منه إجازة كما ذكره الحمويي في «فرائد السمطين».

١٨ ـ أبو داود محمّد بن سليمان بن محمّد الخيام الهمداني، يروي عنه بالمكاتبة.

---

(١) الباقرحي بفتح القاف نسبة الى باقرحا من قرى بغداد.

١٩ ـ الحسن بن النجّار يروي عنه كما في « فرائد السمطين » للحمويي.

٢٠ ـ أبو محمّد عبّاس بن محمّد بن أبي منصور الفضاري الطوسي.

٢١ ـ كمال الدين أبو ذر أحمد بن محمّد بن بندار.

٢٢ ـ أفضل الحفّاظ تاج الدين محمّد بن سمّان بن يوسف الهمداني، يروي عنه بالمكاتبة.

٢٣ ـ فخر الأئمّة أبو الفضل بن عبد الرَّحمن الحفربندي يروي عنه بالإجازة.

٢٤ ـ الشيخ سعيد بن محمّد بن أبي بكر الفقيهي يروي عنه بالإجازة كما في مقتله.

٢٥ ـ أبو علي الحدّاد.

٢٦ ـ سيف الدين أبو جعفر محمّد بن عمران بن أبي علي الجمحي يروي عنه بالمكاتبة.

٢٧ ـ أبو الحسن بن بشران العدل أخذ عنه الحديث ببغداد.

٢٨ ـ المبارك بن محمّد الشعطي.

٢٩ ـ ركن الأئمّة عبد الحميد بن ميكائيل.

٣٠ ـ أبو القاسم منصور بن نوح الشهرستاني أخذ منه الحديث في رجوعه من حجّه سنة ٥٤٤ بشهرستان.

٣١ ـ أبو الفضل عبد الرَّحمن بن محمّد الكرماني.

٣٢ ـ أبو داود محمود بن سليمان بن محمّد الهمداني، يروي عنه وبينهما مكاتبة.

٣٣ ـ سديد الدين محمّد بن منصور بن علي المقري المعروف بالديواني.

٣٤ ـ أبو الحسن عليٌّ بن أحمد الكرباسي يروي عنه إملاء.

٣٥ ـ الإمام مسعود بن أحمد الدهستاني يروي عنه بالمكاتبة.

تلامذته والرواة عنه:

١ ـ برهان الدين أبو المكارم ناصر بن أبي المكارم عبد السيِّد المطرزي الخوارزمي الحنفي المولود ٥٣٨ والمتوفّى ٦١٠، قرأ على المترجم وأخذ منه كما في « بغية الوعاة » ص ٤٠٢ و« مفتاح السعادة » ج ١ ص ١٠٨ ويروي عنه كما في « فرائد السمطين » وفي إجازة العلّامة الحلّي الكبيرة لبني زهرة، والإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

٢ ـ مسلم بن علي بن الاخت يروي عنه كتابه « المناقب » كما في إجازة أحد تلامذة الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي المتوفّى ٦٨٩ للسيِّد شمس الدين محمّد بن جمال الدين أحمد استاذ الشهيد الأوَّل[1].

٣ ـ الشيخ أبو الرِّضا طاهر بن أبي المكارم عبد السيِّد بن علي الخوارزمي يروي عنه كتابه « المناقب » كما في الإجازة المذكورة الأخيرة.

٤ ـ الشيخ أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الحسيني يروي عنه كتابه « المناقب » كما في الإجازة التي أوعزنا إليها.

٥ ـ أبو جعفر محمّد بن علي بن شهراشوب السروي المازندراني المتوفّى ٥٨٨ كما في « المقاييس » وكانت بينه وبين المترجم مكاتبة كما في أوَّل مناقبه.

٦ ـ جمال الدين إبن معين يروي عنه كتاب مقتله كما ذكره الحمويي في « فرائد السمطين ».

---

(١) استظهر العلامة المجلسي في كتاب اجازات البحار ص٣٠: ان الاجازة المذكورة للسيد محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوى.

٧ ـ أبو القاسم ناصر بن أحمد بن بكر النحوي المتوفّى سنة ٦٠٧ قرأ على المترجم كما في « بغية الوعاة » ص ٤٠٢.

تآليفه

إنَّ تضلّع الرجل في الفقه والحديث والتاريخ والأدب إلى علوم متنوِّعة اخرى وكثرة شهرته في عصره ومكاتبته مع أساتذة الفنون تستدعي له تآليف كثيرة، وأحسب أنَّ الأمر كان كذلك لكن ما اشتهر منها إلّا كتبه السبعة التي قضت على أكثرها الأيّام وهي:

١ ـ كتاب مناقب الإمام أبي حنيفة المطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٢١ في مجلّدين.

٢ ـ كتاب ردّ الشمس لأمير المؤمنين علي عليه السلام ذكره له معاصره والرّاوي عنه أبو جعفر ابن شهراشوب في « المناقب » ج ١ ص ٤٨٤.

٣ ـ كتاب الأربعين في مناقب النبيِّ الأمين ووصيِّه أمير المؤمنين [صلوات الله عليهما وآلهما] كما في مقتله يرويه عنه أبو جعفر ابن شهراشوب وقال: كاتبني به مؤلِّفه الخوارزمي، وينقل عنه كثيراً في « المناقب » ونحن راجعنا الأحاديث المنقولة عنه في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كتاب مناقبه الدائر السائر وما وجدناها فيه فاحتمال إتّحاد كتابه هذا مع مناقبه في غير محلّه.

٤ ـ كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام ذكره ا. إبن شهراشوب في مناقبه ج١ ص٤٨٤.

٥ ـ كتاب مقتل الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه يرويه عنه جمال الدين إبن معين كما في الإجازات رتّبه على خمسة عشر فصلاً في مجلّدين وإليك فهرست فصوله:

١ ـ في ذكر شيءٍ من فضائل النبيِّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ في فضائل ام المؤمنين خديجة بنت خويلد.

٣ - في فضائل فاطمة بنت أسد ام أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ - نماذج من فضائل أمير المؤمنين وذريّته الطاهرة صلوات الله عليهم.

٥ - في فضائل الصّديقة فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٦ - في فضائل الحسن والحسين عليهما الصلاة والسّلام.

٧ - في فضائل الحسين خاصّة.

٨ - في اخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسين وأحواله.

٩ - في ما جرى بينه وبين الوليد ومروان حال حياة معاوية وبعد وفاته.

١٠ - في أحواله مدّة مقامه بمكّة وبيان ما ورد عليه من كتب أهل الكوفة وإرساله مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومقتله بها.

١١ - في خروجه من مكّة إلى العراق وما جرى عليه في طريقه ونزوله بالطفّ ومقتله بها.

١٢ - في عقوبة قاتله وخاذله صلى الله عليه ولعن قاتله.

١٣ - في ذكر المصيبة به ومرثيته عليه السلام.

١٤ - في ذكر زيارة تربته.

١٥ - في انتقام مختار بن أبي عبيد الثقفي من قاتليه وخاذليه.

١٦ - ديوان شعره قال الچلبي في كشف الظنون ج ١ ص ٥٢٤: ديوانه جيّدٌ وكان في الشعر في طبقة معاصريه.

١٧ - كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بالمناقب المطبوع سنة ١٢٢٤ وهذا الكتاب يرويه عن المؤلّف غير واحد من أئمّة الحديث كما مرّ الإيعاز إليه، منهم:

١ - الشيخ مسلم بن علي بن الاخت.

٢ - الشيخ أبو الرّضا طاهر بن أبي المكارم عبد السيّد الخوارزمي.

٣ - السيّد أبو محمّد عبد الله بن جعفر الحسيني.

٤ ـ الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي المتوفّى ٦٨٩ قال: قرأت كتاب المناقب للخوارزمي على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الحسيني في سنة ٥٩٣.

٥ ـ برهان الدين أبي المكارم ناصر بن أبي المكارم المطرزي.

٦ ـ قال الأميني: وأنا أروي هذا الكتاب عن فقيه الطائفة في علويّة الشيعة آية الله الحاج آقاحسين القمي[1] المتوفّى ١٤ ربيع الأوّل ١٣٦٦، عن العلاّمة الأكبر السيِّد مرتضى الكشميري المتوفّى ١٣٢٣، عن السيّد مهدي القزويني المتوفّى ١٣٠٠، عن عمّه السيِّد محمَّد باقر بن أحمد القزويني المتوفّى ١٢٤٦، عن خاله السيِّد محمَّد المهدي بحر العلوم المتوفّى ١٢١٢، عن الاستاذ الأكبر البهبهاني المتوفّى ١٢٠٨، عن والده الأكمل البهبهاني، عن جمال الدين الخوانساري المتوفّى ١١٢٥، عن العلاّمة التقيِّ المجلسي المتوفّى ١٠٧٠، عن الشيخ جابر بن عبّاس النجفي عن المحقِّق الكركي الشهيد ٩٤٠، عن الشيخ

---

(١) هو الفقيه من ال محمد، وجماع الفضل الكثار من مآثر أولئك الصفوة، بطل المسلمين والفقيه المقدم الورع الزاهد والمجاهد الناهض الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ومنبثق مكارم الاخلاق الى فضائل جمة يفوتها حد الاحصاء، وقصارى القول: انه لو كانت لهذه المناقب شخصية ماثلة لماعدته، أنالا احاول سرد القول عن فقاهته وتقواه وزهادته وقداسته وكرامته على الدين وعند المؤمنين فانهاحقائق جلية وإنماانوّه بكلمة لا أكثر منها عن بطولته وشجاعتهوشممهوإباءه،وهو ذلك البطل الناهض المدافع عن الدين وعن شرعة جده الامين من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، هذه حقيقة عرفها الملأ الديني السابر صحيفته البيضاء في مناوئته جبابرة الوقت وطواغيت الزمن بجاش طامن، وقلب مطمأن، وجنان ثابت، وروح قوية، ومثابرة جبارة، نعم يقابل هذا اليفن الكبير بعزمه الفتيّ أقوى العوامل الفعالة، يقابل عدتها والعتاد، يقابل غلوائها بشخصية عزلاء الا عن الشجاعة الدينية، وقوة الايمان. وابهة العلم والتقوى، وعز المجد والشرف،ومنعه السؤددوالخطر، فكانت من جراء هاتيك كلها أعمال مبرورة ومساع مشكورة حتى انتهت الى هجرته من خراسان ببثّ المعروف واكتساح المنكر واقامة عمد الدين حتى ألقى عصا السير في كربلاء المشرفة وهو رابض فيها بحمى عمه الامام الشهيد ينتظر آونة الوثبة مرة اخرى الى أن اتيحت له بعد أن كبت بمناوئه بطنته، وأجهز عليه أمله، ولم يبق منه الا البدع والمخازي، فقفل سيدنا المترجم الى ايران ولم يبرح بها حتى اكتسح تلكم المعرات، ولقي من حفاوة المؤمنين به ما لا يوصف، وعرج على العراق تعريجه الفاتح الظافر، ولم يزل بها حتى أهاب به داعي ربه فأجابه.

زين الدين علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أبي العبّاس أحمد بن فهد الحلّي المتوفّى ٨٤١، عن الشيخ شرف الدين أبي عبد الله الحلّي الأسدي المتوفّى ٨٢٦، عن شيخنا الشهيد الأوَّل المستشهد ٧٨٦، عن رضي الدين أبي الحسن علي المزيدي الحلّي المتوفّى ٧٥٧، عن آية الله العلاّمة الحلّي المتوفّى ٧٢٦، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد الحلّي المتوفّى ٦٨٩، عن السيِّد أبي محمَّد عبد الله بن جعفر الحسيني عن المؤلّف الخوارزمي.

وبطريق آخر للعلاّمة الحلّي عن برهان الدين أبي المكارم ناصر بن أبي المكارم عن أبي المؤيَّد المؤلِّف الخوارزمي.

وهذا الكتاب [المناقب] نسبه إليه الذهبي في « ميزان الإعتدال » ج ٣ ص ٢٠ في ترجمة محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان وقال: لقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجّال إبن شاذان أحاديث كثيرة باطلة سمجة ركيكة في مناقب السيِّد عليّ رضي الله عنه[1].

وذكره له الچلبي في « كشف الظنون » ج ٢ ص٥٣٢ وقال: مناقب عليّ بن أبي طالب لأبي المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزمي.

وينقل عنه من عصره حتّى اليوم جمعٌ من حملة الحديث منهم:

١ ـ الحافظ مفتي الحرمين صاحب [كفاية الطالب المطبوع في مصر والعراق وايران] الكنجي الشافعي المتوفّى ٦٥٨، ينقل عنه في الكتاب ص ١٢٠ و١٢٤ و١٤٨ و١٨٢ و١٩١ و١٥٢ ط النجف الأشرف ونصّ بنسبة الكتاب إلى المترجم في غير واحد من تلكم المواضع.

---

(١) لقد اندفع الذهبي في قيله هذا الى ما هو شنشنة كثير من قومه « وهو بمقربة منه » من تحري الوقيعة في الصالحين والسباب من غير سبب والتحكم بالباطل لا عن موجب له، فحسب ابن شاذان دجلا وهو ذلك العبد الصالح، والعالم المتبحر، والراوية النيقد، وحسب احاديثه أباطيل سمجة ركيكة على حين انه لم ينفرد بروايتها وانما خرجها قبله محدثو أهل السنة في مسانيدهم وهي مما أطبق على روايته الفريقان. نعم: التصقت بها الركة والسماجة في مزعمة الذهبي لانها فضائل مولانا امير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ سيِّد الأصحاب رضيُّ الدين إبن طاووس المتوفّى ٦٦٤ ينقل عن الكتاب في تأليفه [اليقين في أنّ عليّاً أمير المؤمنين] في غير واحد من أبوابه، وقال في الباب السادس والعشرين: الخوارزمي صاحب « المناقب » من أعظم علماء الأربعة المذاهب وقد أثنوا عليه وذكروا ما كان عليه من المناقب. وقال في موضع آخر: هو الذي أثنى عليه ومدحه محمَّد بن النجّار شيخ المحدِّثين ببغداد وزكّاه.

٣ ـ العلاّمة يوسف بن أبي حاتم الشامي ينقل عنه كثيراً في [الدرِّ النظيم في الأئمَّة اللهاميم] مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه.

٤ ـ بهاء الدين عليّ بن عيسى الأربلي المتوفّى ٦٩٢ نقل عنه كثيراً في كتابه « كشف الغمَّة » مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه.

٥ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الشيخ إبراهيم الحمويي المتوفّى ٧٢٢؛ يروي عنه في كتابه « فرائد السمطين » مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه.

٦ ـ اية الله العلاّمة الحلّي المتوفّى ٧٢٦ ، ينقل عنه في كتابه «كشف اليقين» .

٧ ـ نور الدين إبن الصبّاغ المكّي المالكي المتوفّى ٨٥٥، قد أكثر النقل عنه قائلا بأنّ الخوارزمي روى في « المناقب ».

٨ ـ الشيخ عليّ بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفّى ٨٧٧؛ ينقل عنه في كتابه [الصراط المستقيم].

٩ ـ إبن حجر العسقلاني المتوفّى ٩٧٣، روى عن الخوارزمي حديث زفاف الزهراء سلام الله عليها والحديث موجودٌ في [المناقب].

١٠ ـ السيّد هاشم بن سليمان التوبلي البحراني المتوفّى ١١٠٧، ينقل عنه في [غاية السرام] وغيره.

١١ ـ شيخنا أبو الحسن الشريف المتوفّى ١١٣٨، ينقل عنه كثيراً في

كتابه [ضياء العالمين] في الإمامة الموجود عندنا قائلاً في بعض مواضعه: رواه الخطيب الخوارزمي المشهور الموثوق به عندهم بنصِّ جماعة منهم في كتاب مناقبه.

١٢ ـ السيِّد الشبلنجي الشافعي نصَّ في كتابه [نور الأبصار] على نسبة الكتاب إلى الخوارزمي وينقل عنه.

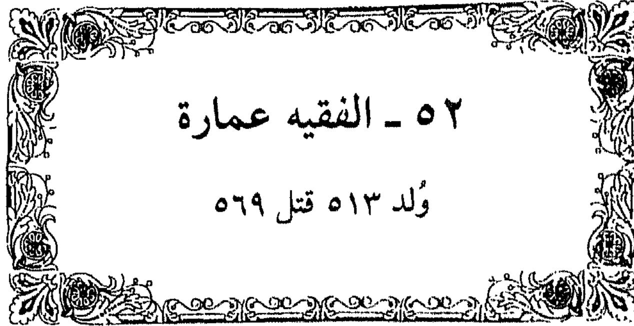
١٣ ـ القاضي القندوزي الشافعي ينقل عنه في كتابه [ينابيع المودَّة] معبِّراً عن الكتاب بفضائل أهل البيت.

١٤ ـ السيِّد أبو بكر بن شهاب الدين الحضرمي الشافعي، ينقل عنه في « رشفة االصادي » معبِّراً عنه بكتاب المناقب.

شعره وخطبه ، ولادته ووفاته

قال الصفدي كما في « بغية الوعاة »: إنَّ للمترجم خطبٌ وشعرٌ. ولم نقف على شيءٍ من خطبه وكلمه وشعره غير ما في كتابيه: « المناقب » و« مقتل الإمام السبط » إلاّ القليل، مع أنَّ له ديوان شعر كما ذكره الچلبي؛ ويوجد شطر من شعره في « المناقب » لابن شهراشوب، و« الصِّراط المستقيم » للبياضي، و« معجم الادباء » للحموي ج٣ ص٤١ في ترجمة أبي العلاء الهمداني المتوفّى سنة ٥٦٧.

وُلد المترجم في حدود سنة ٤٨٤ كما في « بغية الوعاة » و« طبقات الحنفيَّة » لمحيي الدين الحنفي، وديباجة كتابه مناقب أبي حنيفة عن القفطي، و« الوافي بالوفيات » للصفدي، وفي « الفوائد البهيَّة » انّ مولده سنة ٤٨٤.
وتوفي سنة ٥٦٧ كما في «بغية الوعاة» عن القفطي، وفي « الفوائد البهيّة » عن الصفدي، والتقيّ الفارسي مؤلّف « العقد الثمين » في تاريخ البلد الأمين عن الذهبي في « تاريخ الإسلام »، وهكذا أرّخها الچلبي في كشف الظنون، والخوانساري في روضات الجنات، فما في الفوائد البهيَّة عن القفطي: انّه توفي سنة ٥٦٩ تصحيفٌ واضحٌ، وقد نقله عنه صحيحاً السيوطي وغيره، كما انّ ما في الفوائد من ٥٦٩. وما في تاريخ أداب اللغة من انَّه توفي سنة ٥٦٧ بعيدان عن الصَّواب « والله العالم ».



٥٢ ـ الفقيه عمارة

وُلد ٥١٣ قتل ٥٦٩

ولاءك مفروضٌ على كلِّ مسلمٍ وحبّك مفروطٌ وأفضل مغنمِ
إذا المرء لم يُكرم بحبِّك نفسه غدا وهو عند الله غير مُكرَّمِ
ورثت الهدى عن نصّ عيسى بن حيدر وفاطمةٍ لا نصَّ عيسى بن مريمِ
وقال: أطيعوا لإبن عمّي فإنَّه أميني على سرِّ الإلٰه المكتَّمِ
كذلك وصّى المصطفى وابن عمّه إلى منجد يوم « الغدير » ومتهمِ
على مُستوىً فيه قديمٌ وحادثٌ وإن كان فضل السبق للمتقدِّمِ
ملكت قلوب المسلمين ببيعةٍ أمدَّت بعقدٍ من ولائك مبرمِ
واوتيت ميراث البسيطة عن أبٍ وجدٍّ مضى عنها ولم يتقسَّمِ
لك الحقّ فيها دون كلِّ مُنازعٍ ولو أنَّه نال السّماك بُسلّمِ
ولو حفظوا فيك الوصيَّة لم يكن لغيرك في أقطارها دون درهمِ [١]

وله من قصيدة تأتي يرثي بها أهل القصر قوله:

والأرض تهتزُّ في يوم « الغدير » كما يهتزُّ ما بين قصريكم من الأسلِ

(الشاعر)

الفقيه نجم الدين أبو محمَّد عمارة بن أبي الحسن عليّ بن زيدان بن

(١) يمدح بها الخليفة العاضد بن الظافر.

أحمد الحكمي اليمني، من فقهاء الشيعة الإماميَّة ومدرِّسيهم ومؤلِّفيهم ومن شهداء أعلامهم على التشيّع، وقد زان علمه الكامل وفضله الباهر أدبه الناصع المتقارب من شعره المتألق، وإنّك لا تدري إذا نظم شعراً هل هو يُنضّد درّاً؟ أو يفرغ في بوتقة القريض تبراً؟ فقد ضمَّ شعره إلى الجزالة قوّةً، وإلى السَّلاسة رونقاً، وفوق كلِّ ذلك مودّته المتواصلة لعترة الوحي وقوله بإمامتهم عليهم السَّلام حتّى لفظ نفسه الأخير ضحيّة ذلك المذهب الفاضل؛ وقد أبقت تآليفه القيّمة وآثاره العلميّة والأدبيّة له ذكراً خالداً مغ الأبد منها: النكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة. وتاريخ اليمن. وكتاب في الفرائض. وديوان شعره، وقصيدةٌ كتبها إلى صلاح الدين سمّاها: [شكاية المتظلّم ونكاية المتألِّم].

قال في كتابه « النكت العصريَّة »[1] ص٧ عند ذكر نسبه: فأمّا جرثومة النسب فقحطان ثمَّ الحكم بن سعد العشيرة المذحجي، وأمّا الوطن فمن تهامة باليمن مدينة مرطان من وادي وساع وبُعدها من مكّة في مهبِّ الجنوب أحد عشر يوماً، وبها المولد والمربى وأهلها بقيّة العرب في تهامة، وكانت رئاستهم وسياستهم تنتهي إلى المشيب بن سليمان وهو جدّي من جهة الوالدة، وإلى زيدان بن أحمد وهو جدّي لأبي، وهما إبنا عمّ، وكان زيدان يقول: أنا أعدّ أسلافي أحد عشر جدّاً ما منهم إلّا عالمٌ مصنِّف في عدَّة علوم، ولقد أدركت عمِّي عليّ بن زيدان، وخالي محمّد بن المشيب، ورئاسة حكم بن سعد العشيرة تقف عليهما وتنتهي إليهما. إلى أن قال: قلتُ لأخي يحيى يوماً: من القائل في جدّيك: المشيب بن سليمان وزيدان بن أحمد:

إذا طرقتك أحداث الليالي ... ولم يوجد لعلّتها طبيبُ
وأعوز من يجيرك من سطاها ... فزيدان يجيرها والمشيبُ
هما ردّا عليَّ شتيت ملكي ... ووجه الدّهر من رغم قطوبُ
وقاما عنه خذلاني بنصري ... قياماً تستكين به الخطوبُ

---

(١) طبع مع مختار ديوانه في ٣٩٩ صحيفة في (شالون) على نهر (سون) بمطبع مرسو سنة ١٨٩٧ المسيحية.

فقال: هو السلطان عليّ بن حبابة الفرودي كان قومه قد أخرجوه من ملكه وأفقروه من ملكه وولّوا عليهم أخاه سلامة فنزل بهما فسارا معه في جموع من قومهما حتّى عزلا سلامة وولّيا عليّاً وأصلحا له قومه، وكان الذي وصل إليه من برِّهما وأنفقاه على الجيش في نصرته، وحملا إليه من خيل ومن إبل ما ينيف على خمسين ألفاً من الذهب، قال يحيى: وفي أبي وخالي يقول مدبِّر الشاعر الحكمي من قصيدة طويلة:

أبـواكمـا ردّا على ابن حبـابـةٍ ... مـلكـاً تبـدَّد شمله تـبـدـدا
كفل المشيب على الحسام بعوده ... مُـذْ صـال زيـدانٌ بـه فـأعيـدا
وبنيتمـا مـا شـيّـدا من سؤددٍ ... قـدمـاً فـأشبه والـدُ مولـودا

وحدَّثني أبي قال: مرض عمّك عليّ مرضاً أشرف فيه على الموت ثمّ أبلّ منه فأنشدته لرجل من بني الحارث يُدعى سلم بن شافع كان قد وفد عليه يستعينه في دية قتيل لزمته فلمّا شغلنا بمرض صاحبنا إرتحل الحارثي إلى قومه وأرسل إليّ بقصيدة منها: قـرَّبن

إذا أودى ابـن زيـدانٍ عـليٌّ ... فـلا طلعتْ نجـومُـك يـا سمـاءُ
ولا اشتمـل النسـاء على جنين ... ولا روّى الثـرى للسحب مـاءُ
على الـدنيـا وسـاكنهـا جميعـاً ... إذا أودى أبـو الحسـن العـفـاءُ

قال فبكى عمّك وأمرني باحضار الحارثي ودفع له ألف دينار وساق عنه الدية بعد ستة أشهر، وكان إذا رآه أكرمه ورفع مجلسه، وبسط القول في جود عمّه عليّ بن زيدان وسعة ثروته وعظم شجاعته. ثمّ قال ما ملخصه: أدركتُ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وفي سنة إحدى وثلاثين بعثني والدي إلى زبيد مع الوزير مسلم بن سخت فنزلت فيها ولازمت الطلب فأقمت أربع سنين لا أخرج عن المدرسة إلّا لصلاة يوم الجمعة، وفي السنة الخامسة زرت الوالدين وأقمت في زبيد ثلاث سنين وجماعة من الطلبة يقرؤون عندي مذهب الشافعي والفرائض في المواريث، ولي في الفرائض مصنَّف يُقرأ في اليمن، وفي سنة تسع وثلاثين زارني والدي وخمسة من اخوتي إلى زبيد وأنشدت والدي

شيئاً من شعري فاستحسنه ثمَّ قال: تعلم والله إنَّ الأدب نعمةٌ من نعم الله عليك فلا تكفرها بذمِّ الناس واستحلفني أن لا أهجو مسلماً قطُّ ببيت شعر فحلفت له على ذلك، وحججت مع الملكة الحرَّة ام فاتك ملك زبيد، وخرجت مرَّة اخرى إلى مكّة سنة تسع وأربعين وخمس مائة وفي موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة وولّى الحرمين ولده قاسم بن هاشم فألزمني السفارة عنه والرسالة المصريَّة فَقَدمتها في شهر ربيع الأوَّل سنة خمسين وخمسمائة والخليفة بها يومئذ الإمام الفائز بن الظافر، والوزير له الملك الصّالح طلائع بن رُزّيك، فلمّا احضرت للسّلام عليهما في قاعة الذهب في قصر الخليفة أنشدتهما قصيدة أوَّلها:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا أجحد الحقّ عندي للركاب يد ... تمنَّت اللجم فيها رتبة الخطم
قرَّبن بُعد مزار العزِّ من نظري ... حتَّى رأيت إمام العصر من أمم
ورُحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت انّي بعد فرقته ... ما سرتُ من حرم إلّا إلى حرم؟!
حيث الخلافة مضروبٌ سُرادقها ... بين النقيضين من عفو ومن نقم
وللإمامة أنوارٌ مقدّسةٌ ... تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم
وللنبوَّة أبيات ينصُّ لنا ... على الخفيّين من حُكم ومن حكم
وللمكارم أعلامٌ تُعلّمنا ... مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعُلى ألسن تثني محامدها ... على الحميدين من فعل ومن شيم
وراية الشرف البذّاخ ترفعها ... يد الرفيعين من مجد ومن همم
أقسمت بالفائز المعصوم معتقداً ... فوز النجاة وأجر البرِّ في القسم
لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما ... وزيره الصّالح الفرّاج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلائله ... إلّا يدا لصنيع السيف والقلم
وجوده أوجد الأيّام ما اقترحت ... وجوده أعدم الشاكين للعدم
قد ملّكته العوالي رقّ مملكة ... تعير أنف الثريّا عزّة الشمم
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمني ... في يقظتي انّها من جملة الحلم

يومٌ من العمر لم يخطر على أملي ... ولا ترقَّت إليه رغبة الهمم
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها ... عقود مدحٍ فما أرضى لكم كلمي
ترى الوزارة فيه وهي باذلةٌ ... عند الخلافة نصحاً غير متّهم
عواطفٌ علّمتنا أنَّ بينهما ... قرابة من جميل الرأي لاالرّحم
خليفةٌ ووزيرٌ مدَّ عدلهما ... ظلّاً على مفرق الإسلام والامم
زيادة النيل نقصٌ عند فيضهما ... فما عسى يتعاطى مُنّة الديم

وعهدي بالصالح وهو يستعيدها في حال النشيد مراراً والاستاذون وأعيان الامراء والكبراء يذهبون في الإستحسان كلَّ مذهب، ثمَّ افيضت عليَّ خلع من ثياب الخلافة المذهّبة ودفع لي الصالح خمسمائة دينار، وإذا بعض الأستاذين قد أخرج لي من عند السيِّدة الشريفة بنت الإمام الحافظ خمسمائة دينار أخرى، وحمل المال معي إلى منزلي، واطلقت لي من دار الضيافة رسومٌ لم تطلق لأحد من قبلي، وتهادتني امراء الدولة إلى منازلهم للولائم، واستحضرني الصّالح للمجالسة، ونظمني في سلك أهل المؤانسة، وانثالت عليَّ صِلاته وغمرني برّه، ووجدت بحضرته من أعيان أهل الأدب الشيخ الجليس أبا المعالي ابن الحباب[1] والموفّق ابن الخلّال صاحب ديوان الإنشاء، وأبا الفتح محمود بن قادوس[2] والمهذّب أبا محمَّد الحسن بن الزبير، وما من هذه الحلبة أحدٌ إلّا ويضرب في الفضائل النفسانيّة والرئاسة الإنسانيّة بأوفر نصيب ويرمي شاكلة الأشكال فيصيب.

وقال في ص ٦٩: لمّا جلس شاور في دار الذهب قام الشعراء والخطباء ولفيفٌ من الناس إلّا الأقلّ ينالون من بني رُزِّيك وضرغام نائب الباب ويحيى بن الخيّاط اسفهسلّار[3] العساكر وكانت بيني وبين شاور أنسة تامّة مستحكمة فأنشدته في اليوم الثاني من جلوسه والجمع حافلٌ قصيدة أوّلها:

صحّت بدولتك الأيّام من سقم ... وزال ما يشتكيه الدّهر من ألم

---

(١) أحد شعراء العصر قد مرت ترجمته في هذا الجزء ص٤٣١.

(٢) أحد شعراء العصر أسلفنا ترجمته في هذا الجزء ص ٣٨١.

(٣) معرب «سپهسالار» قائد الجيش.

زالت ليالي بني رُزِّيك وانصرمت والحمد والذم فيها غير مُنصرمِ
كأنَّ صالحهم يوماً وعادلهم في صدر ذاك الدست لم يقعد ولم يقمِ
هم حرّكوها عليهم وهي ساكنةٌ والسِّلم قد تنبت الأوراق في السَّلمِ
كنّا نظنُّ وبعضِ الظنِّ مأثمةٌ بأنَّ ذلك جمعٌ غير منهزمِ
فمذ وقعتَ وقوع النسر خانهمُ من كان مجتمعاً من ذلك الرخم

كان ضرغام ينقم عليٍّ هذا البيت ويقول: أنا عندك من الرخم.

ولم يكونوا عدوّاً زلَّ جانبه وإنّما غرقوا في سيلك العرمِ
وما قصدت بتعظيمي سواك سوى تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلم
ولو شكرتُ لياليهم محافظةً لعهدها لم يكن بالعهد من قدم
ولو فتحت فمي يوماً بذمّهمُ لم يرض فضلك إلاّ أن يسدّ فمي
والله يأمر بالإحسان عارفة منه وينهى عن الفحشاء في الكلم

فشكرني شاور وابناه في الوفاء لبني رُزّيك. اهـ.

كان يحمي الذمار بالذمارة، ويوفي بعهد من صاحبه ونادمه ويدافع عنه بصراحة اللهجة، وله مواقف مشكورة تنمُّ عن أنّه ذو حفاظ وذو محافظة، حضر يوماً هو والرضي أبو سالم يحيى الأحدب بن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤ بعد موت الخليفة العاضد عند نجم الدين أيّوب بن شادي فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفا منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجّل الله هذي الدار تسكنها وقد أعدَّ لك الجنّات والغرفا
تشرَّفت بك عمَّن كان يسكنها فالبس بها العزَّ ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفاً والدار لؤلؤة وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يردُّ عليه:

أثِمتَ يا من هجا السادات والخلفا وقلت ما قلته في ثلبهم سخفا
جعلتهم صَدفاً حلوا بلؤلؤة والعرف ما زال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وإنَّما هي دارٌ حلَّ جوهرهم فيها وشفَّ فأسناها الذي وصفا

فقال: لؤلؤة عجباً ببهجتها وكونها حوت الأشراف والشرفا
فهم بسكناهم الآيات إذ سكنوا فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجوهر الفرد نورٌ ليس يعرفه من البريَّة إلّا كلّ من عرفا
لولا تجسّمهم فيه لكان على ضعف البصائر للأبصار مختطفا
فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة[1] لأنَّ فيه حفاظاً دائماً ووفا

قال المقريزي: فللّه درُّ عمارة لقد قام بحقِّ الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته، لا جرم أنَّه قُتل في واجب من يهوى كما هي سنَّة المحبين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه.

لا جرم انَّه قُتل في واجب من يهوى كما هي سنَّة المحبين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه.

وله قصائد يرثي أهل القصر من الملوك الفاطميِّين بعد انقراض دولتهم وفاءً بعهدهم منها قصيدةٌ أوَّلها:

لا تندبنْ ليلى ولا أطلالها يوماً وإن ظعنت بها أجمالها
واندب هديت قصور سادات عفت قد نالهم ريب الزمان ونالها
درست معالمهم لدرس ملوكهم وتغيَّرت من بعدهم أحوالها

ومنها:

رميتَ يا دهر كفَّ المجد بالشلل وجيده بعد حسن الحلي بالعطل
سعيت في منهج الرأي العثور فإن قدرتَ من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الأقنى فأنفك لا ينفكُّ ما بين قرع السنِّ والخجل
هدمتَ قاعدة المعروف عن عجل سعيتَ مهلاً أما تمشي على مهل؟
لهفي ولهف بني الآمال قاطبةً على فجيعتها في أكرم الدُّول
قدمتُ مصر فأولتني خلائفها من المكارم ماأربى على الأمل
قومٌ عرفتُ بهم كسب الالوف ومن كمالها انَّها جاءت ولم أسل
وكنتُ من وزراء الدست حين سما رأس الحصان يُهاديه على الكفل

---

(١) في منتخب ديوانه ص ٢٩٢ : معرفة.

ونلتُ من عظماء الجيش مكـرمة ... وخلّة حرست من عارض الخللِ
يـا عاذلي في هـوى أبناء فـاطمةٍ ... لك الملامة إن قصّرت في عذلي
بالله دُر ساحة القصرين وابك معي ... عليهمـا لا على صفّين والجملِ
وقـال لأهليهما والله مـا التحمتْ ... فيكم جراحي ولا قرحي بمندملِ
ما ذا عسى كانت الإفرنج فـاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين علي؟!
هل كان في الأمر شيءٌ غير قسمة ما ... ملكتمُ بين حكم السبي والنقلِ؟
وقد حصلتم عليها واسم جـدّكمُ ... « محمّـد » وأبـوكم غيـر منتقلِ
مـررت بالقصـر والأركان خـاليةٌ ... من الـوفـود وكـانت قبلة القبـلِ
فملت عنها بوجهي خـوف منتقدٍ ... من الأعادي ووجه الـودّ لم يملِ
أسلت من أسفي دمعي غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجـورة السبلِ
أبكي على ما تراءت من مكارمكم ... حال الزمان عليها وهي لم تحلِ
دار الضيـافة كـانت انس وافدكم ... واليوم أوحش من رسم ومن طللِ
وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفاً غير محتملِ
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ... ورثّ منهـا جديـدٌ عنـدهم وبُلي
وموسمٌ كان في يوم الخليج لكم ... يأتي تجمّلكم فيه على الجمـلِ
وأوّل العــام والعيــدين كم لكمُ ... فيهنّ من وَبل جود ليس بالوشلِ
والأرض تهتزّ في يوم « الغدير » كما ... يهتزّ ما بين قصريكم من الأسلِ
والخيل تعرض في وشي وفي شية ... مثل العرائس في حُليٍ وفي حللِ
ولا حملتم قِرى الأضياف من سعة ... الأطباق إلاّ على الأكتاف والعجلِ
ومـا خصصتم ببـرٍّ أهــل ملّتكم ... حتّى عممتم به الأقصى من المللِ
كــانت رواتبكم لـلذمّتين ولـلـ ... ـضيف المقيم وللطاري من الرُسلِ
ثمّ الـطراز بتنّيس الذي عـظمت ... منها الصِّلات لأهل الأرض والدُّولِ
وللجــوامـع من إحســانكم نعمٌ ... لمن تصـدَّر في علم وفي عملِ
وربّمـا عـادت الـدنيـا فمعقلهـا ... منكم وأضحت بكم محلولة العقلِ
والله لا فاز يوم الحشـر مبغضكم ... ولا نجا من عذاب الله غيـر ولي

ولا سقى الماء من حرٍّ ومن ظمأٍ　　من كفِّ خير البرايا خاتم الرُّسلِ
ولا رأى جنَّة اللّه التي خُلقت　　من خان عهد الإمام العاضد بن علي
أئمَّتي وهُداتي والذخيرة لي　　إذا ارتهنت بما قدَّمت من عملي
تالله لم اوفهم في المدح حقَّهم　　لأنَّ فضلهمُ كالوابل الهطلِ
ولو تضاعفت الأقوال واتَّسعتْ　　ما كنتُ فيهم بحمد الله بالخجلِ
باب النجاة همُ دنيا وآخرة　　وحبّهم فهو أصل الدين والعملِ
نور الهدى ومصابيح الدُّجى ومحل الغيث إن ربت الأنواء في المحلِ
أئمَّةٌ خُلقوا نوراً فنورهمُ　　من محض خالص نور الله لم يفلِ
واللّه ما زلت عن حبّي لهم أبداً　　ما أخَّر الله لي في مدَّة الأجلِ

قُتل المترجم بسبب هذه القصيدة مع جمع نسب إليهم التدبير على صلاح الدين ومكاتبة الفرنج واستدعاؤهم إليه حتى يجلسوا ولداً للعاضد وكانوا أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر فحضر عند صلاح الدين وأخبره بما جرى فأحضرهم فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكراً فأمر بصلبهم وصلبوا يوم السبت في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة، وقد قبض عليهم يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان، وصلت مع الفقيه عمارة قاضي القضاة أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن الكامل، وابن عبد القوي داعي الدعاة، كان يعلم بدفائن القصر فعوقب ليدلَّ عليها فامتنع من ذلك فمات واندرست، والعويرس ناظر الديوان، وشبريا كاتب السرّ، وعبد الصّمد الكاتب أحد امراء مصر، ونجاح الحمامي، ومنجِّمٌ نصرانيٌّ كان قد بشَّرهم بأنَّ هذا الأمر يتمُّ لهم.

قال الصفدي في [الغيث المنسجم]: انَّه لا يبعد أن يكون القاضي الفاضل سعى في هلاكه وحرَّض عليه لأنَّ صلاح الدين لمّا استشاره في أمره قال: يُنفى. قال: يُرجى رجوعه. قال يؤدَّب. قال: الكلب يسكت ثمَّ ينبح. قال: يُقتل. قال: الملوك إذا ارادوا فعلوا. وقام من فوره، فأمر بصلبه مع القاضي العويرس وجماعة معه من شيعتهم، ولَمّا اخذ ليشنق قال: مرّوا بي على

باب القاضي الفاضل، لحسن ظنّه فيه، فلمّا رآه قام وأغلق بابه فقال عمارة:

عبد العزيز قد احتجبْ إنَّ الخلاص من العجبْ

وذكر عماد الدين الكاتب في « الخريدة » لتاج الدين الكندي أبي اليمن بعد صلب المترجم:

عُمارة في الإسلام أبدى خيانةً وبايع فيها بيعة وصليبا
وأمسى شريك الشرك في بغض أحمد وأصبح في حبِّ الصليب صليبا
وكان خبيث الملتقى إن عجمته تجد منه عوداً في النِّفاق صليبا
سيلقى غداً ما كان يسعى لنفسه ويُسقى صديداً في لظىً وصليبا

كان للمترجم مكانةٌ عاليةٌ عند بني رزّيك وله فيهم شعرٌ كثير يوجد في ديوانه وكتابه [النكت العصرية] وفي الثاني : انَّ الملك الصّالح طلائع بعث إليه بثلاثة آلاف دينار في ثلاثة أكياس وكتب فيها بخطّه :

قل للفقيه عمارة: يا خير مَن قد حاز فهماً ثاقباً وخطابا
اقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى قل: حطّة وادخل إلينا البابا
تجد الأئمَّة شافعين ولا تجد إلّا لدينا سنّة وكتابا
وعليَّ أنْ أُعلي محلّك في الورى وإذا شفعت إليَّ كنت مجابا
وتعجَّل الآلاف وهي ثلاثة ذهباً وقلَّ لك النضار مذابا

فراجعه عمارة بقوله:

حاشاك من هذا الخطاب خطابا يا خير أملاك الزّمان نصابا
لكنْ إذا ما أفسدت علماؤكم معمور معتقدي وصار خرابا
ودعوتمُ فكري إلى أقوالكم من بعد ذاك أطاعكم وأجابا
فاشدد يديك على صفاء محبّتي وامنن عليَّ وسدَّ هذا البابا

توفّي للفقيه المترجم في حياته ستّة أولاد ذكور ورثاهم ألا وهم: عبد الله ويحيى ومحمّد وعطيّة وإسماعيل وحسين، وتوفّي أولا ولداه عبد الله ويحيى ثمّ بعدهما محمّد في سنة ٥٦ ليلة الإثنين ٤ جمادى الاولى بمصر ورثاهم بقصيدة أوّلها:

أحببت في خير أعضائي وأعضادي وخيـر أهلي إذا عـدُّوا وأولادي
بأبلج الوجه من سعد العشيرة لم يعرف بغير الندى والبشر في النادي

وله في رثاء محمّد قصيدة مطلعها:

سأبكي على ابني مدَّتي وحياتي ويبكيه عنّي الشعر بعد مماتي

ومنها:

أتبلي المنايا مهجة ابن ذخرته لدهري ويبلوني بخمس بنات

وتوفّي بعدهم عطيَّة ورثاه بقصيدة منها:

عطيَّة إن صادفت روح محمَّد أخيك وصنويك العليَّين من قبلِ
فسلّم عليهم لا شقيت وقل لهم: سقيتُ أباكم بعدكم جرعة الثكلِ

وقال في رثائه:

عطيّة إنْ ذقتَ طعم الحِمام فإنَّ فراقك عندي أمرّ
هوى كوكبٌ منك بعد الطلوع ذوى غصنٌ منك بعد الثمرْ
ولو لم تكن قمراً زاهراً لما متَّ عند خسوف القمرْ

وتوفّي بعدهم ولده إسماعيل سنة ٥٦١ في ربيع الآخر ورثاه بقصيدة أوّلها:

ما كنتُ آلف منزلي إلّا به ولقد كرهتُ الدار بعد مصابه

وقال يرثيه:

أأرجو بقاءً أم صفاء حياة وقد بدّدت شملي النوى بشتاتِ؟!

يقول فيها:

أتُبلي الليالي لي بُنيّاً ذخرته وتُبقي لي الأيّام شرَّ بناتي؟!

ومنها:

وما عشتَ إلّا سبعة من سني الورى سقى عهدهنَّ الله من سنواتِ

وقال في رثائه:

حسبت الدهر في ولدي　　يساعدني ويسعدني

ويقول فيها:

لاسماعيل أشواقي　　تزيد على مدى الزمنِ
وإسماعيل لي شغلٌ　　عن اللذات يشغلني
وإسماعيل لا أسلو　　ه حتّى الموت يصرعني
سأبكيه وأندبه　　بنوحٍ زائد الشجنِ
كما قمريَّة ناحت　　ببغداد على غصنِ
وأبقى بعده أسفاً　　مدى الأيّام والزمنِ

وتوفّي حسين سنة ٥٦٣ ورثاه بقوله:

أترى يكون لي الخلاص قريبُ؟　　فالموت بعدك يا بُنيَّ يطيب
علّلت فيك الحزن كلّ تعلّةٍ　　لم تنفعنّي شربةٌ وطبيبُ

ورثاه بقصيدة أوَّلها:

داويت ما نفع العليل دوائي　　بل زاد سقماً في خلال ضنائي

يقول فيها:

ما عاش إلّا سبعة من عمره　　ونأى إلى دار البلى لبلائي

وله في رثائه من قصيدة مستهلّها:

قل للمنيَّة لا شوى　　لم يخط سهمك إذ رمى

ومنها:

ما كان إلّا سبعة　　وثلاثة ثمَّ انقضى

وقال في رثائه:

خطبتني الخطوب بالهمِّ لمَّا　　حدَّثتني بألسن الحدثانِ

ومنها:

يا لها نكبة على نكبة جا　　ءت وجرحاً يبكي بجرحٍ ثان
ومصابٌ على مصابٍ وثكلٍ　　بعد ثكلٍ اصيب به جناني

ويقول فيها:

كـلّ عامٍ للمـوت عندي نصيبٌ ــ فـي سـراة الـبـنـيـن والإخـوانِ

ونختم الترجمة وهي ختام هذا الجزء من الكتاب بقول المترجم يدعو ربَّه:

يا ربّ هيِّىء لنا من أمـرنا رشَـدا ــ واجعل معونتك الحسنى لنا مَددا
ولا تكلنـا إلى تـدبيـر أنفسنـا ــ فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنت الكريم وقد جهَّزت من أملي ــ إلى أيـاديك وجهـاً سائـلاً ويـدا
ولـلرَّجــاء ثــوابٌ أنت تـعلمـه ــ فاجعل ثوابي دوام الستر لي أبدا(١)

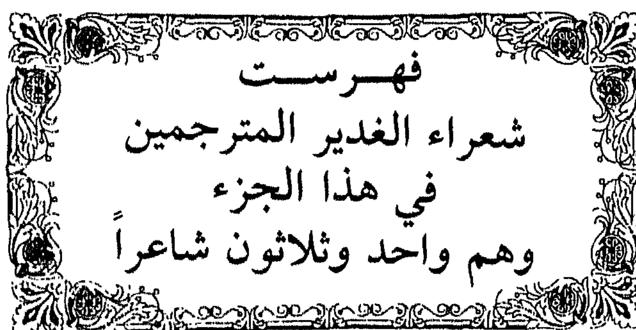
انتهى الجزء الرابع من كتاب الغدير

ويتلوه الجزء الخامس إن شاء الله

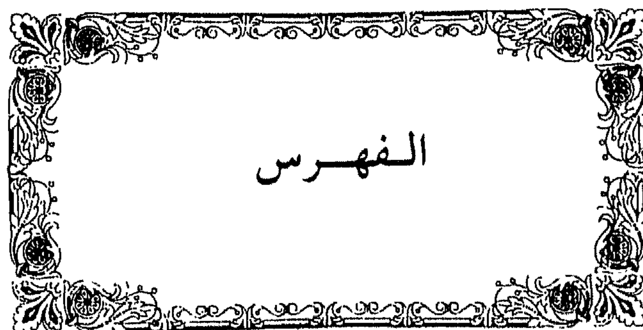
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) أخذنا الترجمة من النكت العصرية، الخريدة لعماد الكاتب، الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٦٣، تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٤٠٩، تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٢٧٥، مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٩٠، وتوجد في غير واحد من كتب المتأخرين ومعاجمهم.



فهـــرســـت
شعراء الغدير المترجمين
في هذا الجزء
وهم واحد وثلاثون شاعراً



الفهرس

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الخامس

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٥

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



عطف ملكي تفضل به صاحب الجلالة الملك فاروق الأول مليك مصر المحمية يعرب عن الرأي السديد في الوحدة الإسلامية ، وتشجيع الدعاة إليها ، وأن الآراء والمعتقدات في المبادىء والمذاهب حرّة لا تفصم عرى الاخوة القويمة التي جاء بها الكتاب الكريم — وإنما المؤمنون اخوة — ولو بلغ الحوار فيها بين أُولئك الاخوان أشدّه ، وقام الحجاج والجدال على ساقيهما ، جرياً على سيرة السلف وفي مقدمهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

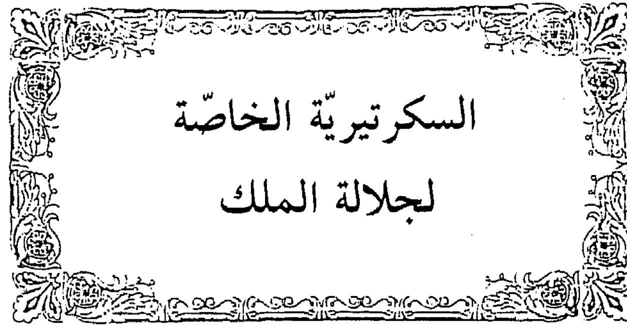
فالمؤلّف الإسلاميُّ الحرُّ مشكورٌ سعيه، مقدَّرٌ بخدمته عند أصحاب الجلالة وحملة الشعور الحيِّ والفكرة الصالحة من رجالات الأمة المقدَّسة من دون أيِّ تفكيك بين الفِرق، من دون أيِّ بخس لحقِّ مؤلّف، من دون أيِّ ميز لخرِّيج مدرسة دون اخرى، من دون أيِّ نظرة فارقة بين بيئة وبيئة، أخذاً بقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا﴾. واذكرو نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.

نحن المؤلّفون في أقطار الدنيا وأرجاء العالم الإسلاميِّ على اختلاف آرائنا في المبادىء، وتشتتنا في الفروع، يجمعنا أصلٌ قوميٌ وإيمانٌ بالله ورسوله، تجمعنا روحٌ واحدةٌ، ونزعةٌ دينيّة منزَّهة عن الأهواء الباطلة، تجمعنا كلمة الإخلاص والتوحيد، كلمة الرُّقيِّ والتقدّم، كلمة الصّدق والعدل، وتمّت كلمة ربِّك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته.

نحن المؤلّفون نعيش تحت راية الحقّ، تحت لواء الإسلام، تحت قيادة الكتاب ورسالة النبيّ العربيّ الأقدس، تحت قانون المجد والسعادة، نداؤنا: إنَّ الدين عند الله الإسلام. وشعارنا: لا إله إلّا الله. محمَّدٌ رسول الله. ألا نحن حزب الله وحماة دينه، ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون.

نحن المؤلّفون دُعاة الإسلام لم نتَّخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بل نحن حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم، ووليٌّ لمن والاهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، وعلى ذلك نحيى ونموت، وعلى ذلك نبعث حيّاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين. ونحن شكراً على هذه العاطفة الملكيَّةنبدأ هذا الجزء بذلك الكتاب الكريم وندعو لتلك الحضرة الجليلة بكلِّ خير وسعادة: ونرى النّاس على دين ملوكهم.

الأميني



حضرة الأستاذ المفضال السيّد عبد الحسين أحمد الأميني :

سلام اللّه عليكم وبركاته وبعد فإني أُبادر بإبـلاغكم أني رفعت إلى حضرة صاحب الجـلالة مـولاي الملك المعظم الجـزءين الثالث والرابع من مؤلفكم ـ الغدير في الكتـاب والسنة والأدب ـ فنـالا حسن القبول وإني لأتشرف بإبلاغ ذلك إلى حضرتكم مع الشكر السامي .

ولمـا كان الجـزءان الأول والثـاني لم يصـلا إلينـا فـإني أرجـو التكرم بتعريفي عن المكتبة التي يمكن الحصول عليهما منها .

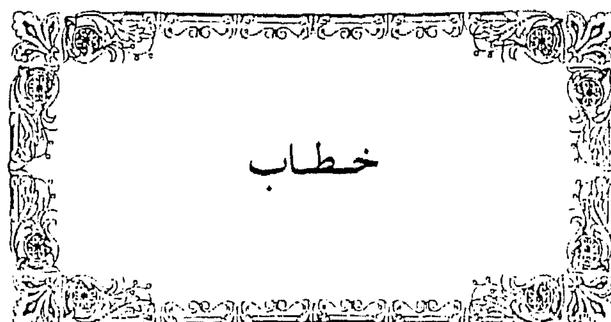
وتفضلوا بقبول خالص التحية .

السكرتير الخاص

حسين حسني

قصر عابدين

في ٢٨ يناير سنة ١٩٤٨



تفضّل به سيِّدنا الشَّريف الأجلّ آية الله السيِّد ميرزا عبد الهادي الشيرازي دام علاه، نشرته يد الدعاية والنشر في عاصمة إيران - طهران - فنحن نذكره تقديراً للناشر وإكباراً لمقام السيِّد الأسمى وشكراً له.

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والصّلاة على نبيِّه وآله

من جليَّة الحقائق الواضحة أنَّ الكتاب القيِّم - الغدير - الذي جاء به القائد الدينيُّ الفذّ، والمصلح الكبير، والمعلّم الأخلاقيُّ الأوحد، حجَّة الإسلام الأميني النجفي من أجلِّ ما تتباهى به مدرسة الإسلام الكبرى - النجف الأشرف - كما أنَّه من مفاخر المسلمين أجمع، فإنَّه أكبر موسوعة يضمّ إلى أجزائه علماً جمّاً، وأدباً كثيراً، وإحاطة واسعة، وجهوداً جبّارة، وحقائق ناصعة، وقد أنهى فيه إلى الملأ من قومه ما في وسع رجالات العلم والدين من الفضل الكثار، والمقدرة التامّة على التنقيب والبحث، والهمّة القعساء لإرشاد الجامعة وهداية الأُمة، وقد يفتقر مثل هذا التأليف الحافل المتنوِّع إلى لجنة تجمع رجالاً من أساتذة العلوم الدينيَّة، ولو لم يكن مؤلّفه العلاّمة الأميني بين ظهرانينا، ولم نرَ أنَّه بمفرده قام بهذا العبء الفادح لكان مجالاً لحسبان أنَّ الكتاب أثر جمعيَّة تصدَّى كلٌّ من رجالها لناحية من نواحيه.

فيحقُّ على الملأ الدينيِّ أن يعرفوا للمؤلِّف فضله الظاهر، ويده الواجبة المسداة إليهم، وجميله الوافر، وإحسانه البليغ، وأن يعدّوا الكاتب والكتاب في الطليعة من مفاخرهم، وأن يقدروا له ما عاناه في سبيل تأليف كتابه الضخم الفخم من متاعب، وما صرفه في ذلك السنن اللاحب من نقود أوقاته الثمينة، فجاء بكتاب مبين لا ريب فيه هدىً للمتَّقين.

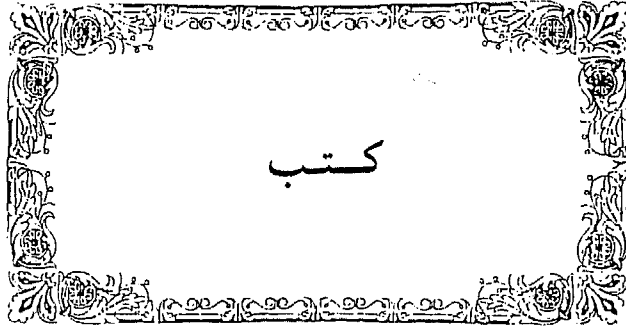
ولا بدع إن جاء الكتاب نسيج وحده فإنَّ مؤلّفه ذلك العلم المفرد الذي تقصر عن مجاراته الأقران، فإليك من الكتاب سلسلة حقائق ودقائق من الدين والمذهب تنضوي إليها طرفُ جمَّة من العلم والأدب.

ولإن وقفت على هذه الموسوعة الكريمة تجد نفسك على ساحل عباب متدفِّق لا ينزف، ولا تنكفىء عنها إلّا وملء ذاكرتك معارف إلٓهيَّة، وحشو فاكرتك تعاليم قدسيّة، وبين عينيك مجالي قوله تعالى: ﴿**الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا**﴾.

ولعمر الحقِّ انَّ في الكتاب دروساً ضافية لكيفيّة البحث والنقد والإتقان فيهما والمحاكمة التاريخيّة بين القضايا، وتمييز الصحيح من السّقيم في الفقه والتفسير والحديث والرجال، فلا أحسب من المغالاة لو قلت: إنَّه الحجر الأساسي لهاتيك المعالم كلّها، أو إنَّه المدخل الواسع إلى مدينة العلم والعمل، ولا غرو فالمؤلّف في كلِّ كتابه مستمدٌّ باب مدينة العلم أمير المؤمنين الذي يقلّه مشهد القداسة في النجف الأشرف صلوات الله وسلامه عليه، والغائص في البحر لا يعدم اللئالي الثمينة، فحيّاه الله وبيّاه، والسّلام عليه وعلى من حذا حذوه، ورحمة الله وبركاته.

الأحقر

عبد الهادي الحسيني الشيرازي



متواصلة إلينا من لندن لخرِّيج جامعتها الأستاذ الشهير صفاء خلوصي نقتطف منها ما يُعرب عن تقدير تلكم الدروس العالية، وبخوعه بالحقائق التاريخيَّة، وله منّا شكرٌ غير مجذوذ.

عزيزي العلاّمة الكبير والبحّاثة الجليل الأستاذ الأميني.

تحيَّة الشوق والمودَّة والإخلاص. وبعد: فمن دواعي الغبطة والسرور أن أكتب إليكم هذه البطاقة وأستفسر عنكم راجياً أن تكونوا في أتمِّ الصحّة والهناء، وتبقوا دائماً ذخراً للبحث العلميِّ والتفكير الغزير.

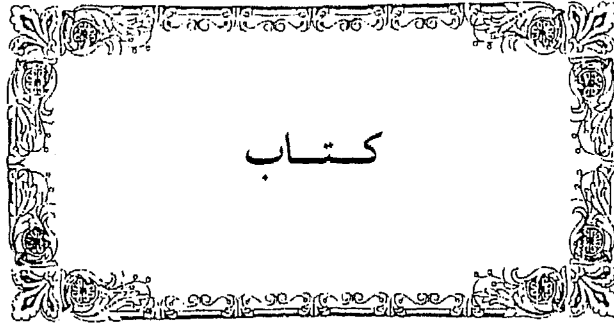
أنا لا أستطيع أن أكتم إعجابي الشّديد بكم، فلطالما ذكرت ذلك أمام الكثيرين من الإخوان في بغداد والمستشرقين في لندن، لأنَّ رجلاً قضى ١٥ عاماً من حياته في تأليف كتاب لجديرٌ بالإكبار، حريٌّ بالإعجاب، لقد أخّرت تقديم أُطروحتي إلى جامعة لندن إلى حين صدور كتابكم وإطّلاعي عليه، لأنَّني أودُّ الإشارة إليه وإلى مجهودكم القيِّم في صلب الأُطروحة، وسألفت نظر المستشرقين إلى هذه الناحية الهامّة في الأدب العربيِّ، وأرجو أن تدوم صداقتنا ورابطتنا الفكريّة أبداً، وفي الختام تفضّلوا بقبول أسنى تحيّات المخلص وإعجابه.

ويقول في كتاب آخر: وقد وصلني كتابكم الجليل المجلّد الأوَّل والثاني وقد سررت بمطالعته كلّ السّرور إذ وجدت فيه أشياء ممتعة هي نتيجة البحث والدراسة المتواصلين، وكان بودِّي أن أكتب تقريظاً عن هذين الجزئين إلاّ أنَّني

فكّرت في الأخير أن أكتب مقالاً مسهباً بعد صدور بقيَّة الأجزاء، فأنا بانتظارها بكلٍّ شوق ولهفة، وستجدوني إن شاء الله عند حسن ظنّكم دائماً. هذا وتقبلوا من أخيكم ومحبِّكم كلَّ شوقٍ وتحيَّة وإعجاب.

ويقـول في كتاب ثـالث: لقد بحثت عن الصفحـات التي أشرت عليَّ بمطالعتها فوجدت في النهاية أنّي أستطيع أن أُكوّن لي رأياً في غدير خمّ: إنَّ قضيّة الغدير لا شكَّ في صحّتها، إذ لا يمكن أن تُبنى هذه الرِّوايات المتواترة، والقصائد الطوال على شيء غير واقع، فالثابت أنَّ موقف الرّسول ﷺ في غدير خمّ ممّا يمكن الإيمان بصحّته وإثباته بنصوص كثيرة تخرج من نطاق الحصر، فها أنا الآن أقوم بكتابة فصل كامل عن «غدير خمّ» باللغة الإنكليزيّة على أنّني لا أزال بانتظار كتابكم القيِّم لاستعماله كمصدر أرجع إليه عند الضرورة. هذا وتفضّلوا بقبول فائق أشواقي.

المخلص: صفاء خلوصي



تلقّيناه من الأستاذ الفذّ السيِّد محمّد نجل العلاّمة الأوحد السيِّد علي نقي الحيدري الكاظمي أحد علماء العاصمة العراقيَّة ـ بغداد ـ وأئمّتها، ننشره مشفوعاً بشكر وتقدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلاّمة الفذّ والحجَّة المصلح الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنّي أُقدّم لكم أطيب التهاني وأسناها على نجاحكم الباهر بإخراج كتاب (الغدير) مثلاً رائعاً للتأليف النزيه والتحليل الدقيق، وصورة ناطقة عن عبقريَّة المؤلِّف، وسعة اطلاعه، وكثرة تحقيقاته ممّا يقف لها المطالع إجلالاً وإكباراً.

ويعلم الله أنَّني كلّما أُكرِّر مطالعتي له أزداد إعجاباً بجهود المؤلِّف الجبّارة في إخراج هذا الأثر النفيس.

وانَّ القارىء ليستغرب أشدّ الإستغراب حينما يقلِّب صحائفه ويتعمَّق في مطالعته فهو ـ في أوَّل نظرة ـ لا يعرف عن الكتاب إلاّ أنَّه مؤلَّفٌ يبحث عن حديث الغدير كتاباً وسنَّةً وأدباً، ولكن سرعان ما تتغيَّر نظرته للكتاب عند ما يجول بين فصوله ومواضيعه فلا يخرج منه إلاّ وهو قد حصَل على قسطٍ وافرٍ من العلم والدين والأدب والأخلاق. وإذا به ليس في الغدير فحسب بل هو موسوعةٌ

علميَّة كبرى، ودائرة معارف واسعة حافلة بالتحليل الدقيق، والإستنتاج الصَّحيح ، والتحقيقات الثمينة حول يوم «الغدير» الخالد وغيره من الحقائق التي شاءت الظروف أن تخفيها عن الملأ والتي كانت ولا تزال خلف الستار لا تدركها الأبصار.

فهو - إذاً - ليس في موضوع خاصّ بل فيه كل ما يهمّ الأُمَّة الإسلاميَّة من إحياء تراثها القديم والإشادة بمجدها الغابر وإعلاء كلمة الحقّ ونشر راية القرآن والتنقيب عمّا سجّل التاريخ لهذه الأمَّة من مفاخر ومآثر كان لها أطيب الأثر في تقدُّم الأُمم وتهذيب العقول.

وحقّاً انَّه كما قلت: كتابٌ علميٌّ، فنيٌّ، تاريخيٌّ، أدبيٌّ، أخلاقيٌّ، مبتكرٌ في موضوعه ، فريدٌ في بابه ، يبحث عن حديث الغدير كتاباً وسنَّةً وأدباً ويتضمن تراجم أُمَّة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الآثار من العلم وغيرهم .

وإنِّي أزيد على ما تقول: بأنَّه خير كتاب أخرجته يد النجف الأشرف منذ حين من الدَّهر مع كثرة ما أخرجته من المؤلّفات الثمينة في مختلف المواضيع.

وإنَّ القارىء ليجد نفسه - عند مطالعته - في حديقةٍ زاهرةٍ فيها من كلِّ الثمرات وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

وإنّي أرى أنَّ من الظلم الفاحش على العلم ومن الجناية على الحقيقة أن يخرج هذا الكتاب القيِّم بهذا الشكل ولا يتبادر رجال المسلمين الأغنياء إلى طبعه بالمطابع الراقية ليكون آية في الطبع والتنسيق كماهو آية في المادَّة والتحقيق.

وكم كنت أودُّ أن أقوم بما يجب عليَّ وعلى كلِّ مسلم من التقريظ والثناء منذ أوَّل صدوره إلّا أنّ ما قام به الملوك والعلماء والأساتذة من الإطراء على الكتاب وعلى جهود المؤلِّف المشكورة ممّا جعلني في غنى عن المبادرة إلى إبداء شعوري نحو هذه الخدمة الجبّارة والجهاد المتواصل في سبيل إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل.

ولكن ما إن أطلَّ علينا الجزء الرّابع وتمكّنت من مطالعته مطالعة وافية حتّى صرت لا أستطيع إخفاء ما يختلج في ضميري من الإعجاب والإكبار للمؤلِّف والمؤلَّف، فعذراً يا سيِّدي! وألف عذر.

ولا يسعني الآن إلاّ أن أُقدِّم تهاني القلبيَّة على هذا التوفيق العظيم سائلاً المولى سبحانه أن يُبقيكم علماً للدين، ورمزاً للحقِّ، ومفخرةً للإسلام، وإنّي أُبشِّرك بأنَّ هذا الكتاب سوف يهدي - إن شاء الله - ثُلّة من النّاس إلى الطريق السوي، ويكشف الغطاء عن الحقائق الغامضة، ويظهر للملأ أنَّ الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه.

وتفضّلوا بقبول فائق الإحترام.

٢٣/ ربيع الثاني/ ١٣٦٧
الكاظمية: محمد علي نقي الحيدري



الجزء الخامس

بقية شعراء الغدير في

القرن السادس ، وشعراؤه في

القرن السابع ، وهم اثنا عشر شاعراً

والله المستعان

وفي هذا الجزء من أهمّ

الابحاث العلميّة الدينيّة

ما لا غنى عنه لكلِّ ديني،

ابتغى الحقّ ، وارتاد الحقيقة

مقدمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهمَّ يا من تجلّيت للقلوب بالعظمة ؛ واحتجبت عن الأبصار بالعزَّة، واقتدرت على الأشياء بالقدرة، فلا الأبصار تثبت لرؤيتك، ولا الأوهام تبلغ كنه عظمتك، ولا العقول تدرك غاية قدرتك.

حمداً لك يا سبحان! على ما مننت به علينا من النعم الجسيمة وأسبغتها، وتفضّلت بالآلاء الجمَّة، وألحمت ما أسديت، وأجبت ما سُئلت، وهي كما تقول: ﴿**وآتاكم من كلِّ ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لا تُحصوها**﴾.

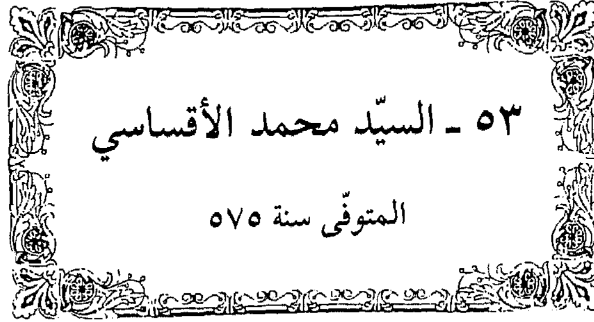
حمداً لك يا متعال! على ما طهَّرتنا به من دنس الكفر ودرن الشِّرك، وأوضحت به لنا سبل الهداية، ومناسك الوصول إليك، من بعث أفضل رسلك وأعظم سفراءك، وخاتم أنبياءك صلّى الله عليه وآله وسلّم بكتابك العزيز، ﴿**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾.

حمداً لك يا ذا الجلال! على ما أتممت به نعمك، وأكملت به دين نبيِّك من ولاية أمير المؤمنين أخي رسولك، وأبي ذريّته، وسيِّد عترته، وخليفته من بعده، وأنزلت فيها القرآن وقلت: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾.

حمداً لك يا عزيز! على ما وفَّقتنا له من إتِّباع نبيِّك المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم وخليفته في أُمَّته: كتابك الكريم وعترته أهل بيته الذين فرضت علينا طاعتهم، وأمرتنا بمودَّتهم وجعلتها أجر الرسالة الخاتمة وسمّيتها بالحسنة وقلت: ﴿**ومَنْ يقترف حسنةً نزد له فيها حُسناً إنَّ الله غفورٌ شكورٌ**﴾.

﴿**ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريَّتي إنّي تبت إليك وإنّي من المسلمين**﴾.

الأميني



٥٣ ـ السيّد محمد الأقساسي

المتوفّى سنة ٥٧٥

وحـقِّ عليٍّ خيـر مـن وطأ الثـرى ... وأفخـر مَن بعد النبيِّ قـد افتخـرْ
خـليفـتــه حقّــاً ووارث عـلمــه ... به شرّفت عدنان وافتخـرت مضرْ
ومن قام في يوم «الغدير» بعضده ... نبيُّ الهدى حقّاً فسـائل بـه عمرْ
ومن كسر الأصنام لم يخش عارها ... وقد طال ما صلّى لها عصبةٌ أُخرْ
وصهـر رسول الله في ابنتـه التي ... على فضلها قد أنزل الآي والسورْ
أليّــة عبـد حقَّ من لا يــرى لـه ... سـوى حبِّه يـوم القيامـة مـدَّخـرْ
لأحـــزنني يــوم الـــوداع وسـرَّني ... قدومك بالجلّى من الأمن والظفرْ

عارض الشاعر بهذه الأبيات بيتين لبعض العامَّة وهما:

وحقِّ أبي بكر الذي هو خير مَن ... على الأرض بعد المصطفى سيِّد البشرْ
لقـد أحدث التَّـوديع عنـد وداعنا ... لـواعجه بين الجـوانح تستعـرْ[1]

الشاعر

محمَّد بن علي بن فخر الدين أبي الحسين حمزة بن كمال الشرف أبي الحسن محمَّد بن أبي القاسم الحسن الأديب ابن أبي جعفر محمَّد بن علي الزاهد ابن محمَّد الأصغر الأقساسي ابن يحيى بن الحسين ذي العبرة ابن زيد

---

(١) الطليعة في شعراء الشيعة ٢ مخطوط.

الشهيد ابن الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السّلام.

(آل الأقساسي) من أرفع البيوت العلوية لها أغصانٌ باسقةٌ موصولةٌ بالدوح النبويِّ اليافع، بزغت بهم العراق عصوراً متطاولة، وإن كـان منبعث غرسهم الزّاكي الكوفة من قرية كبيرة أو كورة يقال لها: أقساسِ مالك[1] وهم بين عالمٍ مُتبحِّر، ومُحدِّث ثقـة، ولغويٍّ متضلّع، وشـاعرٍ مُتـأنِّق، وأميرٍ ظـافرٍ، ونقيب فاضلٍ وأوَّل من عرف بهذه النسبة السيِّد محمَّـد الأصغر ابن يحيى. وأولاده تتشعَّب عدّة شعب منهم:

بنو جوذاب وهم: أولاد عليٍّ بن محمَّد الأصغر.

بنو الموضح أولاد أحمد بن محمّد الأصغر. و

بنو قرَّة العين أولاد أحمد بن عليٍّ الزاهد بن محمَّد الأصغر. و

بنو صعوة أولاد أحمد بن محمَّد بن عليٍّ الزاهد بن محمَّد الأصغر. ومن بني صعـوة طاهـر بن أحمد ذكـره السمعاني في «الأنسـاب» فقال: طـاهر بن أحمد بن محمَّد بن علي الأقساسي كان يُلقَّب بصعوة، وكان ديِّناً ثقةً يروي عن أبي الحسن بن محمَّـد بن سليمان العـربي العدوي عن حـراش عن أنس بن مالك.

والأقسـاسيّون هم سلسلة المتـرجم. جدّه الأعلى أبـو القـاسم الحسن الأقساسي المعروف بالأديب ابن أبي جعفر محمّد ترجمه ابن عساكر في «تاريخ الشام» ج ٤ ص ٢٤٧ فقال: إنَّه قدم دمشق وكان أديباً شاعراً دخل دمشق في المحرَّم سنة ٣٤٧ ونزل في الحرمين وكان شيخاً مهيباً نبيلاً حسن الوجه والشيبة، بصيراً بالشعر واللغة يقول الشعر، من أجـود آل أبي طالب حـظّاً، وأحسنهم خلقاً، وكان يُعرف بالأقساسي نسبة إلى موضع نحو الكوفة.

---

(١) معجم البلدان ١ ص ٣١٢: منسوبة إلى مالك بن عبد هند بن نجم «بضم الأول وفتح الثاني» بن منعة بن برجان «إلى آخر النسب» والقس: تتبع الشيء وطلبه، وجمعه: أقساس فيجوز أن يكون مالك تطلب هذا الموضع وتتبع عمارته فسمي بذلك.

وقال ابن الفوطي كما في المحكي عن مجمع آدابه: سافر الكثير وكان قد تأدَّب وكتب مليحاً وله جماعةٌ من الأصحاب قرأت بخطِّه إلى ابن نباتة السعدي:

إنَّ العراق ولا أغشّك ثُلّةٌ ... قد نام راعيها فأين الذيبُ
بنيانها نهب الخراب وأهلها ... سوط العذاب عليهمُ مصبوبُ
ملكوا وسامهم الدنيَّة معشرٌ ... لا العقل راضهمُ ولا التهذيبُ
كلُّ الفضائل عندهم مهجورةٌ ... والحرُّ فيهم كالسّماح غريبُ

وكمال الدين الشرف أبو الحسن[١] محمَّد بن أبي القاسم الحسن المذكور ولّاه الشريف علم الهدى [المترجم في شعراء القرن الخامس] نقابة الكوفة وإمارة الحاجِّ فحجَّ بالناس مراراً توفّي سنة ٤١٥ كما في كتب التاريخ[٢] ورثاه الشريف المرتضى بقوله[٣]:

عرفتُ ويا ليتني ما عرفت ... فمرُّ الحياة لمن قد عرفْ
فها أنا ذا طول هذا الزَّمان ... بين الجوى تارةً والأسفْ
فمن راحلٍ لا إياب له ... وماضٍ وليس له من خلفْ
فلا الدَّهر يمتعني بالمقيم ... ولا هو يرجع لي من سلفْ
أروني إن كنتمُ تقدرون ... من ليس يكرع كأس التلفْ؟
ومن ليس رهناً لداعي الحمام ... إذا ما دعا باسمه أو هتفْ؟
وما الدَّهر إلّا الغرور الخدوع ... فماذا الغرام به والكلفْ؟
وما هو إلّا كلمح البروق ... وإلّا هبوبُ خريفٌ عصفْ
ولم أر يوماً وإن ساءني ... كيوم حمام «كمال الشرفْ»

---

(١) كناه العلم الحجة السيد ابن طاووس في كتاب «اليقين» بأبي يعلى.
(٢) منتظم ابن الجوزي ٨ ص ١٩، كامل ابن الأثير ٩ ص ١٢٧، تاريخ ابن كثير ١٢ ص ١٨، مجالس المؤمنين ص ٢١١.
(٣) توجد القصيدة في ديوان الشريف المرتضى المخطوط. وذكر منها أبياتاً ابن الجوزي في المنتظم ٨ ص ٢٠.

كأنّي بعد فراق له ... وقطع لأسباب تلك الألفْ
أخو سفرٍ شاسعٍ ما لهُ ... من الزّاد إلاّ بقايا لطف
وعوّضني بالرُّقاد السّهاد ... وأبدلني بالضياء السّرف
فراقٌ وما بعده ملتقى ... وصدٌّ وليس له منعطفْ
وعاتبت فيك صروف الزمان ... ومن عاتب الدهر لم ينتصفْ
وقد خطف الموت كلَّ الرجال ... ومثلك من بيننا ما خطفْ
وما كنت إلاّ أبيّ الجنان ... على الضيم محتمياً بالأنفْ
خليّاً من العار صفر الإزار ... مدى الدّهر من دنس أو نطفْ
وأُذري الدُّموع ويا قلّما ... يردّ الفوائت دمعٌ ذرفْ
ومن أين ترنو إليك العيون ... وأنت ببوغائها في سخفْ؟
فبن ما مللت وكم بائن ... مضى موسعاً من قلى أو شنفْ
وسقّي ضريحك بين القبور ... من البرّ ما شئته واللطفْ
ولا زال من جانبيه النسيم ... يعاوده والرياض الأنفْ
وصيّرك الله من قاطني ... الجنان وسكّان تلك الغرفْ
تجاور آباءك الطاهرين ... ويتّبع السالفين الخلفْ

قال ابن الأثير في «الكامل» ج ٩ ص ١٢١: حجَّ بالناس أبو الحسن الأقساسي سنة ٤١٢ فلمّا بلغوا فيد حصرهم العرب فبذل لهم الناصحي(١) [أبو محمّد قاضي القضاة] خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا، وصمّموا العزم على أخذ الحاجِّ وكان مقدّمهم رجلاً يُقال له حمار بن عُدي [بضمّ العين] من بني نبهان فركب فرسه وعليه درعه وسلاحه وجال جولة يرهب بها، وكان من سمرقند شابٌّ يوصف بجودة الرمي، فرماه بسهم فقتله وتفرّق أصحابه وسلم الحاجّ فحجّوا وعادوا سالمين.

وقال في ص ١٢٧: في هذه السنة «يعني ٤١٥» عاد الحجّاج من مكّة إلى

(١) من بيوتات نيسابور العلمية تنتمي إلى ناصح بن طلحة بن جعفر بن يحيى، ذكر السمعاني جمعاً من رجالها «الأنساب» في حرف النون.

العراق على الشّام لصعوبة الطريق المعتاد، وكانوا لمّا وصلوا إلى مكّة بذل لهم الظاهر العلوي صاحب مصر أموالاً جليلة، وخلعاً نفيسةً، وتكلّف شيئاً كثيراً وأعطى لكلّ رجل في الصحبة جملةً من المال ليظهر لأهل خراسان ذلك، وكان على تسيير الحاجّ الشريف أبو الحسن الأقساسي، وعلى حجّاج خراسان «حسنك» نائب يمين الدولة ابن سبكتكين فعظم ما جرى على الخليفة القادر بالله وعبر [حسنك] دجلة وسار إلى خراسان، وتهدّد القادر بالله ابن الأقساسي فمرض ومات ورثاه المرتضى وغيره.

لكمال الشرف شرح قصيدة السّلامي(١) التي أوّلها:

سـلامٌ عـلى زمـزم والـصـفـا . . . .

ينقل عنه سيّدنا الحجّة السيّد ابن طاوس في كتاب «اليقين» في الباب الخامس والخمسين بعد المائة، والباب الذي بعده.

وقال ابن الجوزي في «المنتظم» ج ٨ ص ١٩: ولأبي الحسن الأقساسي شعرٌ مليحٌ ومنه قوله في غلام اسمه بدر:

يا بدر وجهك بدرُ وغنج عينيك سحرُ
وماء خدّيك وردٌ وماء ثغرك خمرُ
أُمرت عنك بصبرٍ وليس لي عنك صبرُ
تأمرني بالتسلّي ما لي من الشوق أمرُ

وجدُّ المترجم فخر الدّين أبو الحسين حمزة بن كمال الشرف محمّد ذكره النّسابة العمري في «المجدي» وقال: هو نقيب الكوفة كان صديقي ذا فضلٍ وحلم ورياسة ومواساة.

ولفخر الدين هذا أخٌ يُسمّى أبو محمّد يحيى ذكره السمعاني في «الأنساب» وقال: كان ثقةً نبيلاً سمع أبا عبد الله محمّد بن عبد الله القاضي الجعفري روى لنا

(١) محمد بن عبد الله المخزومي من أولاد الوليد بن المغيرة كان من مقدمي شعراء العراق ولد ٣٣٦ وتوفي ٣٩٣، ترجمه الثعالبي، وابن الجوزي في المنتظم، وابن خلكان في تاريخه.

عنه أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي[١] وأبو الفضل محمّد بن عمر الأرموي[٢] ببغداد وأبو البركات عمر بن ابراهيم الحسني[٣] بالكوفة، وكانت ولادته في شوّال سنة خمس وتسعين وثلاثمائة رتوفّي سنة نيف وسبعين وأربعمائة. وذكره الحموي في معجم البلدان ج ١ ص ٣١٢.

وأمّا شاعرنا المعنيُّ بالترجمة فذكره ابن الأثير في كامله ج ١١ ص ١٧٤ وقال: وفيها [يعني سنة ٥٧٥] توفّي محمّد بن علي بن حمزة الأقساسي نقيب العلويّين بالكوفة وكان ينشد كثيرا:

رُبَّ قوم في خلائقهم   غَررٌ قد صيّروا غُررا
سَتَر المال القبيح لهم   ستری إن زال ما سترا

وله أخوه علم الدين أبو محمّد الحسن النقيب الطاهر ابن عليّ بن حمزة وُلِدَ في الكوفة ونشأ بها توفّي سنة ٥٩٣، ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ١٣ ص ١٦ فقال: كان شاعراً مطبقاً، امتدح الخلفاء والوزراء، وهو من بيت مشهور بالأدب والرياسة والمروءة، قدم بغداد فامتدح المقتفي والمستنجد وابنه المستضيء وابنه الناصر فولّاه [الناصر] النقابة، وكان شيخاً مهيباً جاوز الثمانين، وقد أورد له ابن الساعي قصائد كثيرة منها:

إصبر على كيد الزّما   ن فما يدوم على طريقه
سبق القضاء فكن به   راضٍ ولا تطلب حقيقه
كم قد تغلّب مرّة   وأراكً من سعة وضيقه
ما زال في أولاده   يجري على هذه الطريقه

وترجمه سيّدنا القاضي المرعشي في [مجالس المؤمنين] ص ٢١١، وقال

(١) كان مكثراً من الحديث عالي الرواية ولد بدمشق ٤٥٤ وتوفي ٥٣٦.

(٢) الأرموي من أهل «أرمية» إحدى بلاد آذربايجان سكن بغداد وتخـرج عليه كثير من أعلامها، ولد ٤٥٧ وتوفي ٥٤٧.

(٣) مفتي الكوفة كان مشاركاً في العلوم ولد سنة ٤٤٢ وتوفي ٥٣٩ وصلى عليه ثلاثون ألفاً. حسيني النسب من ذرية زيد الشهيد.

الميرزا أفندي، في [رياض العلماء] كان من أجلّة السادات والشرفاء والعلماء والأدباء والشعراء بالكوفة، يروي عنه الشيخ عليّ بن عليّ بن نما وهو من مشايخ أصحابنا.

ولعلم الدين مقرّظاً كتاب «الإفصاح عن شرح معاني الصحاح[1]» كما في «تجارب السلف» لابن سنجر ص ٣١٠ قوله:

ملكٌ ملكه الفصاحة حتّى ... ما له في اقتنائها من ملاحِ
وأبان البيان حتّى لقد ... أخرس بالنطق كلَّ ذي إفصاحِ
وجلا كلَّ غامضٍ من معانٍ ... حملتها لنا متون الصّحاحِ
في كتابٍ وحقّه ما رعاهُ ... قبله ذو هدىً ولا إصلاحِ

وخلف علم الدين ولده قطب الدين أبا عبدالله الحسين نقيب نقباء العلويّين في بغداد، وكان عالماً شاعراً مطّلعاً على السير والتواريخ قلّد النقابة بعد عزل قوام الدين «أبي علي الحسن بن معد المتوفّى سنة ٦٣٦» عن النقابة سنة ٦٢٤.

وفي الحوادث الجامعة ص٢٢٠: توفّي فيها «يعني سنة ٦٤٥» النقيب قطب الدين أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن علي المعروف بابن الأقساسي العلوي ببغداد، وكان أديباً فاضلاً يقول شعراً جيّداً، بدرت منه كلمة في أيّام الخليفة الناصر على وجه التصحيف وهي: أردنا خليفة جديد ـ فبلغت الناصر فقال: لا يكفي حلقة لكن حلقتين، وأمر بتقييده وحمله إلى الكوفة فحُمِلَ وسُجِنَ فيها فلم يزل محبوساً إلى أن استخلف الظاهر «سنة ٦٢٣» فأمر بإطلاقه، فلمّا استخلف المستنصر بالله «سنة ٦٢٤» رفق عليه فقرّبه وأدناه ورتّبه نقيباً وجعله من ندمائه، وكان ظريفاً خليعاً طيّب الفكاهة حاضر الجواب.

وصل الملك الناصر ناصر الدين داود بن عيسى في المحرّم سنة ٦٣٣

---

(١) تأليف عون الدين يحيى بن هبيرة المتوفى ٥٥٥هـ وهو يشتمل على تسعة عشر كتاباً راجع تاريخ ابن خلكان ٢ ص ٣٩٤.

إلى بغداد واجتاز بالحلّة السيفيّة وبها الأمير شرف الدّين علي، ثمَّ توجَّه منها إلى بغداد فخرج إلى لقائه النقيب الطاهر قطب الدين أبو عبدالله الحسين ابن الأقساسي، وفي سلخ ربيع الأوَّل من السنة المذكورة وصل الأمير ركن الدّين إسماعيل صاحب الموصل إلى بغداد وخرج إلى لقائه النقيب الحسين بن الأقساسي وخادمان من خدم الخليفة.

قصد الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٣٤ مشهد الإمام موسى بن جعفر عليهما السَّلام في ثالث رجب فلمّا عاد أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبدالله بن الحسين الأقساسي نقيب الطالبيِّين وأمره أن يفرِّقها على العلويِّين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسين وموسى بن جعفر عليهم السَّلام(١).

حضر في سنة ٦٣٧(٢) الأمير سليمان بن نظام الملك متولّي المدرسة النظاميّة مجلس أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بباب بدر، فتاب وتواجد وخرق ثيابه وكشف رأسه، وقام وأشهد الواعظ والجماعة على أنَّه قد أعتق جميع ما يملكه من رقيق، ووقف أملاكه، وخرج ما يملكه، فكتب إليه النقيب الطاهر أبو عبدالله الحسين ابن الأقساسي أبياتاً طويلة يقول فيها(٣):

يا ابن نظام الملك يا خير مَن ... تاب ومَن لاقى به الزهدُ
يا ابن وزير الدولتين الذي ... يروح للمجد كما يغدو
يا بن الذي أنشأ من ماله ... مدرسة طالعها سعدُ
قد سرَّني زهدك عن كلِّ ما ... يرغب فيه الحرُّ والعبدُ
بان لك الحقُّ وأبصرت ما ... أعيننا عن مثله رُمدُ
وقلت للدنيا: إليك ارجعي ... ما عن نزوعي عنك لي بُدُّ
ما لذَّ لي بعدك حتى استوى ... في فيّ منك الصّاب والشهدُ

(١) الحوادث الجامعة ٧٧ - ٧٩ ملخصاً.
(٢) الحوادث الجامعة ص ٩٥.
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٢٤.

شيمتك الغدر كما شيمتي حسن الوفاء المحض والودُّ

إلى أن قال:

لا يقصد الناس إلى دورهم لكن إلى منزلك القصدُ
وخدمة الناس لها حرمة وكان ما تفعله يبدو
والناس قد كانوا رقوداً وقد أيقظتهم فانتبه الضدُّ
وقسّمت فيك ظنون الورى وكلّهم للقول يعتدُّ
فبعضهم قال: يدوم الفتى وبعضهم قد قال: يرتدُّ
وقد أتى تشرين وهو الذي إليه عين العيش تمتدُّ
ما يسكن البيت وقد جاءه إلّا مريضٌ مسَّه الجهدُ
وكلّ ما يفعله حيلة منه ونصب ما له حدُّ
فقلت: لا والله ما رأيه هذا ولا فيكم له ندُّ
وإنَّما هذا سليمان قد صفا له في زهده الوردُ
مثل سليمان الذي أعرضت يوماً عليه الضمّر الجردُ
فعاف أن يدخلها قلبه والهزل لا يشبهه الجدُّ

ويقول فيها:

ليهنك الرشد إلى كلِّ ما يضلُّ عنه الجاهل الوغدُ
أسقطت من جيش أبي مرَّة[1] وأكثر الناس له جندُ
وقمت لله بما يرتجى بمثله الجنَّة والخلدُ
فاصبر فما يدرك غايات ما يطلب إلّا الحازم الجلدُ

وفي سنة ٦٤٣[2] تقدَّم الخليفة [المستعصم أبو أحمد عبدالله] بإرسال طيور من الحمام إلى أربع جهات لتصنيف أربعة أصناف منها مشهد حذيفة بن اليمان بالمدائن، ومشهد العسكري بسرَّ من رأى، ومشهد غني بالكوفة؛

---

(١) أبو مرة كنية لابليس.
(٢) الحوادث الجامعة ٢٠٣.

والقادسيَّة، ونفذ مع كلٍّ عدَّة من الطيور عدلان ووكيلاً، وكُتب بذلك سجلٌّ شهد فيه العدول على القاضي بثبوته عنده، وسمِّيت هذه الأصناف باليمانيّات. والعسكريّات. والغنويّات. والقادسيّات. ونظم النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن الأقساسي في ذلك أبياتاً وعرضها على الخليفة أوَّلها:

خليفة الله يا من سيف عزمته ... موكّلٌ بصروف الدَّهر يصرفها

ويقول فيها:

إنَّ الحمام التي صنَّفتها شرفت ... على الحمام التي من قبل نعرفها
والقادسيّات أطيارٌ مقدَّسةٌ ... إذ أنت يا مالك الدنيا مصنِّفها
وبعدها غنويّاتٌ تنال بها ... غنى الحياة وما يهوى مؤلِّفها
والعسكريّات أطيارٌ مشرَّفةٌ ... وليس غيرك في الدنيا يشرِّفها
ثمَّ الحمام اليمانيّات ما جعلت ... إلّا سيوفاً على الأعداء ترهفها
لا زلت مستعصماً بالله في نعمٍ ... يهدي لمجدك أسناها وألطفها

ثمَّ سأل أن يقبض منها من يد الخليفة فأجاب سؤاله وأحضره بين يديه وقبضه فلمّا عاد إلى داره نظم أبياتاً أوَّلها:

إمام الهدى أوليتني منك أنعماً ... رددن عليَّ العيش فينان أخضرا
وأحضرتني في حضرة القدس ناظراً ... إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا
وعلّيت قدري بالحمام وقبضها ... مناولة من كفّ أبلج أزهرا
رفعت بها ذكري وأعليت منصبي ... فحزت بها عزّاً ومجداً على الورى
حمامٌ إذا خفت الحمام ذكرتها ... فصرت بذاك الذكر منها معمّرا

ويقول في آخرها:

قضى الله أن يبقى إماماً معظَّماً ... مدى الدهر ما لاح الصبَاح وأسفرا
فدم يا أمير المؤمنين مخلّداً ... على الملك منصور الجيوش مظفّرا

في المحرَّم من سنة ٦٣٠[١] قلّد العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الدين

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٨.

ابن المنصوري الخطيب نقابة نقباء العبّاسيّين والصّلاة والخطابة، وخلع عليه قميص أطلس بطراز مذهّباً ودرّاعة خاراً أسود، وعمامة ثوب خاراً أسود مذهّباً بغير ذؤابة، وطيلسان قصب كحلي، وسيف محلّى بالذهب، وامتطى فرساً بمركب ذهباً وقرىء بعض عهده في دار الوزارة وسلّم إليه، وركب في جماعة إلى دار أنعم عليه بسكناها في المطبق من دار الخلافة وأنعم عليه بخمسمائة دينار، وهو من أعيان عدول مدينة السّلام وأفاضل أرباب الطريقة المتكلّمين بلسان أهل الحقيقة، كان يصحب الفقراء دائماً ويأخذ نفسه بالرّياضة والسياحة والصوم الدّائم والتخشّن والتباعد من العالم، وكان الموفّق عبد الغافر ابن الفوطي من جملة تلامذته فعمل فيه أبياتاً طويلة، ولمّا انتهى حالها إلى الديوان أنكر ذلك عليه ووكّل به أيّاماً ولم يخرج إلّا بشفاعته وأوّل الأبيات:

ناديتُ شيخي من شدَّة الحربِ ... وشيخنا في الحرير والذهبِ
في دسته جالساً ببسملةٍ ... بين يديه مَن قام في أدبِ
وركبة منه كنت أعهده ... يذمُّ أربابها على الرُّتبِ
وكان أبناؤها لديه على ... سخطٍ من الله شامل الغضبِ
أصاب في الرأي من دعاك لها ... وأنت لمّا أجبت لم تُصبِ
أوّل صوت دعاك عن عرض ... لبَّيته مقبلاً على السببِ

ويقول فيها:

قد كنتَ ذاك الّذي تظنُّ به ... لو لم تكن مسرعاً إلى الرُّتبِ
شيخي أين الّذي يُعلّمنا الز ... هد ويعتدُّه من القربِ؟
أين الّذي لم يزلْ يُسلّكنا ... إلى خروج عن كلِّ مكتسبِ
أين الّذي لم يزلْ يعرّفنا ... فضل التمري بالجوع والتّعب؟
أين الّذي لم يزلْ يُرغّبنا ... في الصّوف لبساً له وفي الجشبِ؟
وأين من غرّنا بزخرفةٍ ... متى اعتقدناه زاهد العربِ؟
وأين ذاك التجريد يشعرنا ... أنَّ سواه في السعي لم يخبِ؟
وأين من لم يزلْ يذمُّ لنا ... الدنيا وقول المحال والكذبِ؟

وأين من لم يزلْ بأدمعه يخدعنا باكياً على الخشبِ؟
وأين من كان في مواعظه يصول زجراً عن كلِّ مجتنبِ؟
ويقطع القول لا يتمّمه منغلباً بالسّماع والطربِ؟
ويقسم الغمر أنّه رجلٌ ليس له في الوجود من أربِ
لو كانت الأرض كلّها ذهباً أعرض عنها إعراض مكتئبِ
أسفر ذاك الناموس مختيلاً عن راغبٍ في التراث مُستلبِ
وكان ذاك الصراخ يزعجنا شكو فقير على الدنا وصبِ
شيخي بعد الذمّ الصريح لما أبيته جئته على طلبِ
نسيتَ ما قلته على ورع عنّي لما اكتسبت بالدأبِ
ويلٌ له إن يمت بخدمته يمت كفوراً وليس بالعجبِ
ما كان مال السلطان مكتسباً لمسلم سالمٍ من العطبِ[1]

فكتب النقيب قطب الدين الحسين بن الأقساسي إلى النقيب مجد الدين المذكور أبياتاًكالمعتذرعنه والمسلّي له يقول في أوّلها:

إنَّ صحاب النبيّ كلّهمُ غير عليّ وآله النّجبِ
مالوا إلى الملك بعد زهدهمُ واضطربوا بعده على الرتبِ
وكلّهم كان زاهداً ورعاً مشجّعاً في الكلام والخطبِ

فأخذ عليه مآخذ فيما يرجع إلى ذكر الصحابة والتابعين وتصدّى له جماعة وعملوا قصائد في الردّ عليه، وبالغوا في التشنيع عليه، حتّى إنَّ قوماً استفتوا عليه الفقهاء ونسبوه إلى أنّه طعن في الصحابة والتابعين ونسبهم إلى قلّة الدين فأفتاهم الفقهاء بموجب ما صدرت به الفتيا.

وقال ابن أبي الحديد في شرح «نهج البلاغة» ج٢ص٤٥:سألتبعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عمّا ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه [ج ١ ص ١٣٨] إنَّ قوماً يقولون: إنَّ هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغريِّ

---

(١) بعد هذا البيت أربعة عشر بيتاً ضربنا عنها صفحاً.

هو قبر المغيرة بن شعبة؟! فقال: غلطوا في ذلك قبر المغيرة وقبر زياد بالثويَّة من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا وأنشدني قول الشاعر يرثي زياداً وقد ذكره أبو تمام في الحماسة.

صلّى الآلـه على قبـر وطهّـره   عند الثويَّة يسفي فوقه المورُ[1]
زفت اليـه قريش نعش سيِّدهـا   فالحلم والجود فيـه اليوم مقبـورُ
أبـا المغيـرة والـدنيـا مفجِّعـة   وانَّ من غرَّه الدنيا لمغرورُ إلخ

وسألت قطب الدين نقيب الطالبيّين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: صدق من أخبرك، نحن وأهلها كافَّة نعرف مقابر ثقيف إلى الثويَّة وهي إلى اليوم معروفةٌ وقبر المغيـرة فـيهـا إلاّ أنَّها لا تُعرف قد ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانهافطمست واختلط بعضها ببعض، ثمَّ قال: إن شئت أن تتحقَّق أنَّ قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب «الأغاني» لأبي الفرج علي بن الحسين، والمح ما قاله في ترجمة المغيرة وأنَّه مدفونٌ في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبي الفرج فإنَّهالناقد البصير والطبيبالخبير فتصفَّحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكـور فوجدت الأمر كما قاله النقيب.

توجد ترجمة قطب الدين الأقساسي في تاريخ ابن كثيرج ١٣ ص ١٧٣، قد أثنى عليه وقال: أورد له ابن السّاعي أشعاراً كثيرة رحمه الله.

أفرد العلاّمة سيّدنا المرعشي في [مجالس المؤمنين] ص ٢١٢ ترجمـة باسم عزِّ الدين بن الأقساسي، وقال: إنّه من أشراف الكوفة ونقبائها، كان فاضلاً أديباً، له في قرض الشعر يدٌ غير قصيرة، روى أنَّ الخليفة المستنصر العباسي خرج يوماً إلى زيارة قبر سلمان الفارسي سلام الله عليه ومعه السيّد المذكور ابن الأقساسي فقال له الخليفة في الطريق: إنَّ من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من مجيء علي بن أبي طالب عليه السَّلام من المدينة إلى المدائن لمّا توفي سلمان وتغسيله إيّاه ومراجعته في ليلته إلى المدينة فأجابه ابن الأقساسي بالبديهة

---

(١) المور: التراب تثيره الريح.

بقوله:

أنكرتَ ليلة إذ صار الوصيُّ إلى أرض المدائن لمّا أن لها طلبا
وغسّل الطّهر سلماناً وعاد إلى عراص يثرب والإصباح ما وجبا
وقلتَ: ذلك من قول الغلاة وما ذنب الغلاة إذا لم يوردوا كذبا؟
فآصف قبل ردّ الطرف من سبأ بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا
فأنت في آصف لم تغل فيه بلى في (حيدر) أنا غال إنّ ذا عجبا
إن كان أحمد خير المرسلين؟ فذا خير الوصيّين أو كلّ الحديث هبا

هذه الأبيات ذكرها العلّامة السماوي في [الطليعة] ونسبها إلى شاعرنا في الغدير السيِّد محمّد الأقساسي، وحسب أنّه هو صاحب المستنصر، ذاهلاً عن تاريخي ولادة المستنصر ووفاة السيّد صاحب الغديريّة فإنّ السيِّد توفّي كما مرَّ سنة ٥٧٥، والخليفة المستنصر ولد سنة ٥٨٩ بعد وفاة السيّد بأربعة عشر سنة واستخلف في سنة ٦٢٤.

وجعل العلّامة السيّد الأمين في «أعيان الشيعة» في الجزء الحادي والعشرين ص ٢٣٣ ترجمة تحت عنوان أبي محمّد عزّ الدين الحسن بن حمزة الأقساسي وذكر القصّة والأبيات له ولم يعلم هو من أين نقله، والحسن بن حمزة يكون عمّ شاعرنا فيتقدّم على المستنصر بأكثر من صاحب الغديريّة.

وذكر ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ص ٤٤٩ هذه الأبيات بتغيير يسير وزيادة ونسبها إلى أبي الفضل التميمي[1] وإليك لفظها.

سمعت منّي يسيراً من عجائبه وكلُّ أمر (عليٍّ) لم يزل عجبا
أدريت في ليلة سار الوصيُّ إلى أرض المدائن لمّا أن لها طلبا
فألحد الطّهر (سلماناً) وعاد إلى عراص يثرب والإصباح ما قربا
كآصف قبل ردّ الطرف من سبأ بعرش بلقيس وافى تخرق الحجبا
فكيف في آصف لم تغل أنت؟ بلى بحيدر أنا غالٍ أورد الكذبا
إن كان أحمد خير المرسلين؟ فذا خير الوصيّين أو كلُّ الحديث هبا

(١) أحد شعراء أهل البيت.

وقلت ما قلت من قول الغلاة فما ذنب الغلاة إذا قالوا الذي وجبا؟

فرواية ابن شهر آشوب هذه الأبيات تثبت عدم كونها من نظم السيِّد قطب الدين الأقساسي أيضاً إذ إنّ ابن شهر آشوب توفي سنة ٥٨٨ قبل ولادة المستنصر بسنة، وقبل وفاة السيِّد القطب بسبع وخمسين سنة، ولعلّها لأبي الفضل التميمي أو لغيره من أسلاف آل الأقساسي الأوّلين، وأنشدها قطب الدين للمستنصر.

لفت نظر:

يبلغني من وراء حجب البغضاء والإحن تكذيب هذه المكرمة الباهرة لمولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام وعزوها إلى الغلوّ، مستنداً إلى إحالة طيّ هذه المسافة البعيدة في هذا الوقت اليسير، ولو عقل المسكين أنَّ هاتيك الإحالة على فرضها عاديَّة لا عقليَّة، وإلاّ لما صحَّ حديث المعراج [ولم يكن إلاّ جسمانيّاً] المتواتر المعدود من ضروريّات الدين. ولا صحَّت قصَّة آصف بن برخيا المحكيَّة في القرآن الكريم، ولما تمكّن عفريتٌ من الجنّ من أن يأتي بعرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان من مقامه، ولم يردَّه سليمان ولا الذكر الحكيم، غير أنَّ سليمان أراد ذلك بأسرع منه، وشمول القدرة الإلّهيَّة على التسيير الحثيث والبطيء شرع سواء، كما أنَّها بالنسبة إلى كليَّة الأمور الصعبة والسهلة كذلك، فقد يكرِّم الله الوليّ المقرَّب بإقداره على أشياء لم يقدر عليه من هو دونه، وقد خلق الله النّاس أطواراً، فتراهم متفاوتين في القُدَر، فيقوى هذا على ما لا يقوى عليه ذاك، وليس لقدرة الله سبحانه حدٌّ محدود، ومن هنا وهناك اختلفت عاديّات الموجودات في شؤونها وأطوارها، فالمسافة التي يطويها الفارس في أمد محدود، غير ما يطويه الراجل، وللسيّارات البخاريّة عدوٌ مُربٍ على الجميع؛ وإنَّك تستصغر ذلك العدو إذا قسته بالطائرات الجويَّة لأنَّك تجدها تطوي في خمس ساعات مثلاً ما تطويه الناس في خمسة أشهر.

وهذه طيَّارة مستكشفة بريحيَّة ١٩ تحرّكت من باريك في صباح ٢٤ إبريل سنة ١٩٢٤ فوصل في المساء إلى بخارست بعد أن قطع ١٢٥٠ ميلاً في ١١ ساعة، وفي اليوم التالي أضاف إليها ٧٧٠ ميلاً اخرى، ولم تمض عليه خمسة

أيّام حتّى كان قد وصل إلى الهند، وقطع مسافة قدرها ٧٣٠ ميلاً؛ وقد وصلت سرعة الطيّارات إلى ما فوق ١٥٠ ميلاً في الساعة الواحدة؛ وتحارب البعض منها في ارتفاع بلغ ٢٢٠٠٠ قدماً[١].

ومن الممكن أن يكشف لنا العلم في مستقبله ما هو أسرع سيراً من هاتيك كلّها.

إذن فأيّ وازع من أن يكون من عاديّات الوليّ مهما أراد التمكّن من أمثال هذا السير؟! وما ذلك على الله بعزيز. على أنّا لا نساوي مولانا أمير المؤمنين ومَن جرى مجراه من أئمّة الهدى عليهم السّلام بغيرهم من أفراد الرعيّة، ولا بأحدٍ من أولياء الله المقرّبين ولا بأحد من حملة العلم والمكتشفين، فنجوّز فيهم صدور المعجز متى اقتضته المصلحة، بل: هو من واجب مقامهم.

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ فئةً ممَّن ران على قلوبهم ما كانوا يعملون تحاول دحض هذه المكرمة في مولانا أمير المؤمنين وهو يخضعون لمثلها في غيره ممَّن هو دونه من دون أيّ غمز ونكير.

١ - روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣٣ عن السري بن يحيى قال: كان حبيب بن محمَّد العجمي البصري يُرى يوم التروية بالبصرة ويوم عرفة بعرفات.

٢ - قال الحافظ ابن كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٩٤: ذكروا أنَّ الشيخ عبدالله اليونيني المتوفّى سنة ٦١٧ كان يحجُّ في بعض السنين في الهواء، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهّاد وصالحي العباد ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء وأوّل من يذكر عنه هذا: حبيب العجمي، وكان من أصحاب الحسن البصري ثمَّ من بعده من الصّالحين.

٣ - كان أحمد بن محمَّد أبو بكر الغسّاني الصيداوي المتوفّى سنة ٣٧١ ينام بعدما صلّى العصر إلى ما قبل صلاة المغرب، فجاءه رجلٌ ذات يوم يزوره

---

(١) بسائط الطيران ص ٨٢، ١١٨.

بعد العصر فغفل فتحدّث معه وترك عادة النوم فلمّا انصرف سأله الخادم عنه فقال: هذا عريف الأبدال يزورني في السنة مرّة. قال: فلم أزل أرصده إلى مثل ذلك الوقت حتّى جاء الرَّجل فوقفت حتّى فرغ من حديثه ثمّ سأله الشيخ أين تريد؟ فقال: أزور أبا محمّد الضرير في مغار، قال الخادم: فسألته أن يأخذني معه فقال: بسم الله، فمضيت معه فخرجنا حتّى صرنا عند قناطر الماء فأذّن المؤذّن المغرب قال: ثمَّ أخذ بيدي وقال: قل: بسم الله، قال فمشينا دون العشر خطا فإذا نحن عند المغارة وهي مسير إلى ما بعد الظهر قال: فسلّمنا على الشيخ وصلّينا عنده وتحدَّثنا عنده فلمّا ذهب ثلث الليل قال لي: تحبُّ أن تجلس ههنا أو ترجع إلى بيتك؟ فقلتُ: أرجع فأخذ بيدي وسمّى ببسم الله ومشينا نحو العشر خطا فإذا نحن على باب صيدا فتكلّم بشيء فانفتح الباب ودخلت ثمَّ عاد الباب.

[تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٤٤٣]

٤ ـ كان ببغداد رجل من التجّار قال: إنّي صلّيت يوماً الجمعة وخرجت فرأيت بشر الحافي يخرج من المسجد يوماً فقلت في نفسي: انظر إلى هذا الرَّجل الموصوف بالزهد لا يستقرُّ في المسجد ثمَّ انّني اتبعته فرأيته تقدَّم إلى الخبّاز واشترى بدرهم خبزاً فقلت: انظر إلى الرَّجل يشتري خبزاً، ثم اشترى شواء بدرهم فازددت عليه غيظاً، ثمَّ تقدَّم إلى الحلواني فاشترى فالوذجاً فقلت: والله لا أتركه حتى يجلس ويأكل ثمّ إنه خرج إلى الصحّراء فقلت: إنّه يريد الخضرة، فما زال يمشي إلى العصر وأنا أمشي خلفه، فدخل قرية وفي القرية مسجدٌ وفيه رجلٌ مريض فجلس عند رأسه وجعل يلقمه فقمت لأنظر في القرية وبقيت ساعة ثمَّ رجعت فقلت للعليل: اين بشر؟ فقال: ذهب إلى بغداد، فقلت: كما بيني وبين بغداد؟ قال: أربعون فرسخاً، فقلت. إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أيش عملت في نفسي؟ وليس معي ما اكتري ولا أقدر على المشي، فقال لي: اجلس حتى يرجع فجلست إلى الجمعة القابلة فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيءٌ فأعطاه إلى

المريض فأكله فقال له العليل: يا أبا نصر هذا الرَّجل صحبك من بغداد وبقي عندي منذ الجمعة فردّه إلى موضعه، فنظر إليَّ كالمغضب وقال: لِمَ صحبتني؟ فقلت: أخطأت، فقال: قم فامش فمشيت معه إلى قرب المغرب فلمّا قربنا قال: أين محلّتك من بغداد؟ فقلت: في موضع كذا قال: اذهب ولا تعد.

[تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٢٣٦]

٥ - قال الشيخ الجليل أبو الحسن علي: كنت يوماً جالساً عند باب خلوة خالي الشيخ أحمد [الرفاعي المتوفّى سنة ٥٨٧] رضي الله عنه وليس فيها غيره وسمعت عنده حسّاً فنظرت فإذا عنده رجل ما رأيته قبل فتحدَّثا طويلاً ثمّ خرج الرجل من كوَّة في حائط الخلوة ومرَّ في الهوى، كالبرق الخاطف فدخلت على خالي وقلت له: من الرَّجل؟ فقال: أوَ رأيته؟ قلت: نعم، قال: هو الرَّجل الذي يحفظ الله به قطر البحر المحيط، وهو أحد الأربعة الخواصّ، إلاّ أنّه هجر منذ ثلاث وهو لا يعلم، فقلت له: يا سيِّدي ما سبب هجره؟ قال: إنّه مقيمٌ بجزيرة في البحر المحيط، ومنذ ثلاث ليالٍ أمطرت جزيرته حتّى سالت أوديتها؛ فخطر في نفسه: لو كان هذا المطر في العمران. ثمّ استغفر الله تعالى، فهجر بسبب اعتراضه، فقلت له: أعلمته؟ قال: لا إنِّي استحييت منه، فقلت له لو أذنتَ لي لأعلمته، فقال: أوَ تفعل ذلك؟ قلت: نعم، فقال: رنق فرنقت ثمّ سمعت صوتاً: يا عليُّ ارفع رأسك. فرفعت رأسي من رنقي فإذا أنا بجزيرة في البحر المحيط فتحيَّرت في أمري وقمت أمشي فيها فإذا ذلك الرَّجل فسلّمت عليه وأخبرته، فقال: ناشدتك الله إلاّ فعلت ما أقول لك، قلت: نعم. قال. ضع خرقتي في عنقي واسحبني على وجهي وناد عليّ: هذا جزاء من تعرَّض على الله سبحانه. قال فوضعت الخرقة في عنقه وهممت بسحبه وإذا هاتف يقول: يا علي دعه فقد ضجَّت عليه ملائكة السَّماء باكية عليه وسائلةً فيه وقد رضي الله عنه. قال: فأغمي عليَّ ساعة ثمّ سرّي عنّي وإذا أنا بين يدي خالي في خلوته والله ما أدري كيف ذهبت ولا كيف جئت.

[مرآة الجنان ج ٣ ص ٤١١]

٦ ـ حكى الشيخ الصالح غانم بن يعلى التكريتي قال: سافرت مرّة من اليمن في البحر المالح فلمّا توسّطنا بحر الهند وغلب علينا الريح أخذتنا الأمواج من كلّ جانب وانكسرت بنا السفينة فنجوت على لوح منها فألقاني إلى جزيرة فطفت فيها فلم أر فيها أحداً وإذا هي كثيرة الخيرات رأيت فيها مسجداً فدخلته، فإذا فيه أربعة نفر فسلّمت عليهم، فردّوا عليَّ السّلام، وسألوني عن قصّتي فأخبرتهم، وجلست عندهم بقيّة يومي ذلك، فرأيت من توجّههم وحسن إقبالهم على الله تعالى أمراً عظيماً فلمّا كان وقت العشاء دخل الشيخ حياة الحراني، فقاموا يبادرون إلى السّلام عليه، فتقدّم وصلّى بهم العشاء، ثمّ استرسلوا في الصّلاة إلى طلوع الفجر، فسمعت الشيخ حياة يناجي ويقول: إلٰهي لا أجد لي في سواك مطمعاً [إلى آخر الدعاء] ثمّ قال: بكى بكاءً شديداً، ورأيت الأنوار قد حفّت بهم، وأضاء ذلك المكان كإضاءة القمر ليلة البدر ثمّ خرج الشيخ حياة من المسجد وهو يقول:

سير المحب إلى المحبوب إعجالُ　　والقلب فيه من الأحوال بلبالُ
أطوي المحانة من قفر على قدم　　إليك يدفعني سهلٌ وأجبالُ

فقال لي أولئك النفر: اتبع الشيخ فتبعته وكانت الأرض برّها وبحرها وسهلها وجبلها يطوى تحت أقدامنا طيّاً كنت أسمعه كلّما خطا خطوة يقول: يا رب حياة كن لحياة وإذا نحن بحرّان في أسرع وقت، فوافينا الناس يصلّون بها صلاة الصبح. [مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٢١]

٧ ـ ذكر محمّد بن علي الحبّاك خادم الشيخ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١: إنَّ الشيخ قال له يوماً وقت القيلولة وهو عند زاوية الشيخ عبدالله الجيوشي بمصر بالقرافة: أتريد أن تصلّي العصر بمكّة بشرط أن تكتم ذلك عليَّ حتى أموت؟ قال: فقلت نعم. قال: فأخذ بيدي وقال: غمّض عينيك فغمضتها فرحل بي نحو سبع وعشرين خطوة ثمَّ قال لي: افتح عينيك فإذا نحن بباب المعلّاة فزرنا امّنا خديجة، والفضل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وغيرهم ودخلت الحرم فطفنا وشربنا من ماء زمزم، وجلسنا خلف المقام حتّى صلّينا

العصر، وطفنا وشربنا من ماء زمزم ثمَ قال لي: يا فلان ليس العجب من طيّ الأرض لنا وإنّما العجب من كون أحد من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا. ثمّ قال لي: إن شئت تمضي معي وإن شئت تقيم حتى يأتي الحاجّ؟! قال: فقلت أذهب مع سيِّدي. فمشينا إلى باب المعلاّة وقال لي: غمِّض عينيك فغمضتها فهرول بي سبع خطوات ثمّ قال لي: افتح عينيك فإذا نحن بالقرب من الجيوشي فنزلنا إلى سيِّدي عمر بن الفارض.

[شذرات الذهب ج ٨ ص ٥٠]

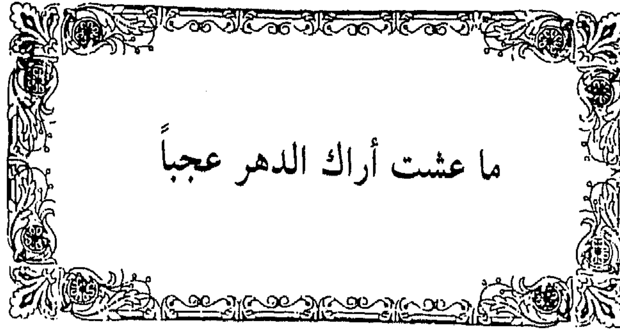
٨ ـ ذكر السخاوي في طبقاته: أنَّ الشيخ معالي سأل الشيخ سلطان بن محمود البعلبكي المتوفّى سنة ٦٤١ فقال: يا سيّدي كم مرَّة رحت إلى مكّة في ليلة؟ قال: ثلاث عشرة مرَّة، قلت: قال الشيخ عبدالله اليونيني: لو أراد أن لا يصلّي فريضة إلاّ في مكّة لفعل.

[شذرات الذهب ج ٥ ص ٢١١]

٩ ـ ذكر الحافظ ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج ٤ ص ٢٢٨ عن سهل بن عبدالله قال: لقد رأيت رجلاً يقال له: مالك بن القاسم جبليّ وقد جاء ويده غمرة فقلت له: إنّك قريب عهد بالأكل؟ فقال لي أستغفر الله فإنّني منذ أسبوع لم آكل، ولكن: أطعمت والدتي وأسرعت لألحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضع الذي جاء منه سبعمائة فرسخ. فهل أنت مؤمن بذلك؟ فقلت: نعم. فقال: الحمد لله الذي أراني مؤمناً موقناً.

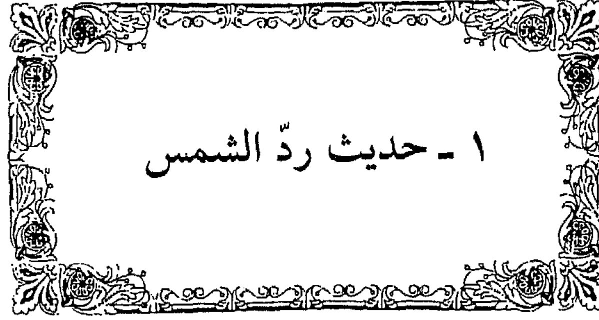
١٠ ـ روى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج ٤ ص ٢٩٣ عن موسى بن هارون قال: رأيت الحسن بن الخليل مرَّةً بعرفات وكلّمته، ثمَّ رأيته يطوف بالبيت فقلت: ادع الله لي أن يقبل حجّي. فبكا ودعا لي ثمَّ أتيت مصر فقلت: إنَّ الحسن كان معنا بمكّة فقالوا: ما حجَّ العام وقد كان يبلغني أنَّه يمرّ إلى مكّة في كلّ ليلة فما كنت أُصدِّق حتّى رأيته فعاتبني وقال: شهرتني ما كنت أُحبّ أن تحدِّث بها عنّي، فلا تعد بحقّي عليك.

قال الأميني: في وسع الباحث أن يؤلِّف من أمثال هذه القصص المبثوثة في طيِّ الكتب والمعاجم تأليفاً حافلاً ونحن اقتصرنا بالمذكور روماً للإختصار، ويستفاد منها أنَّ الوليَّ الذي مُنَّ عليه بطيِّ الأرض له أن يأخذ معه من شاء وأراد من أخلاّئه وخدمه، فتطوى لصاحبه الأرض أيضاً كرامةً لذلك الوليِّ الصالح فضلاً عن نفسه، وهذه كلّها لا يُناقش فيها مهما لم يكن الوليُّ الموصوف من العترة الطاهرة وإلاّ فهناك كلُّ الجدال والمناقشة، وكلُّ الهوس والهياج.



ما عشت أراك الدهر عجباً

لم يكن هذا النَّكير بِدعاً ممّا جاء به القوم ، في كثير من فضائل مولانا أمير المؤمنين وآله العترة الطاهرة عليهم السلام ، فإنّ هناك شنشنة مطَّردةً في واحدٍ واحدٍ منها بالتهكّم تارةً ، وبالتَّفنيد أُخرىٰ ، وبالوقيعة في السند طوراً ، وبالإستبعاد المجّرد آونة ، وبالمناقشة في الدَّلالة مرَّة ، ففي كلِّ يوم يطرق سمعك هتاف معتوه ، أو عقيرة متعصِّب ، أو ضوضاء من حانق ، أو لغطٌ مِن مُعربد ، وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صُنعاً . مع أنَّ القوم يُثبتون أمثال هاتيك الفضائل لغير رجالات أهل البيت عليهم السلام ، من غير أن يضطرب لهم بال ، أو تغلي عليها مراجل الأحقاد ، أو تمدَّ إليها يد الجرح والتعديل ، أو تتبعها كلمة الغمز بالرَّمي بالغلوِّ أو الإفتعال ، وإليك نبذاً منها .



١ ـ حديث ردّ الشمس

مرَّت في الجزء الثالث ص ١٦٦ ـ ١٨١ طرفٌ من أسانيد حديث ردِّ الشمس، لمولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام بدعاء النبيّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم وشواهد صحته وكلمات العلماء في ذلك وهي أربعون كلمة، فإنّك تجد هناك طنيناً وهمهمة في صحّة الحديث، وعدم وقوع الواقعة، وعدم إمكانها، ولكن السبكي، واليافعي، وابن حجر، وصاحب شذرات الذهب وغيرهم ذكروا مثل هذه المأثرة لإسماعيل بن محمّد الحضرمي المتوفّى سنة ٦٧٦ من دون أيِّ غمز ونكير.

قال السبكي في «طبقات الشافعيين» ج ٥ ص ٥١: ممّا حكي من كرامات الحضرمي واستفاض: أنّه قال يوماً لخادمه وهو في سفر: قل للشمس تقف حتّى نصل إلى المنزل. وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها فقال لها الخادم: قال لكِ الفقيه إسماعيل قفي. فوقفت حتّى بلغ مكانه ثمّ قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب فغربت، وأظلم الليل في الحال.

وقال اليافعي في «مرآة الجنان» ج ٤ ص ١٧٨: من كرامات إسماعيل الحضرمي وقوف الشمس له حتّى بلغ مقصده لمّا أشار إليها بالوقوف في آخر النهار، وهذه الكرامة ممّا شاع في بلاد اليمن وكثر فيها الإنتشار، ومنها: أنّه نادته سدرةٌ والتمست منه أن يأكل هو وأصحابه من ثمرها، وإليه أشرت بقولي:

هو الحضرمي نجل الوليِّ محمّد   إمام الهدى نجل الإمام الممجَّدِ

ومِن جاهه أومى إلى الشمس أن قفي فلم تمش حتّى أنزلوه بمقصدِ

ومن بعض قصائد اليافعي أيضاً قوله في الحضرمي :

هو الحضرمي المشهور من وقفت له بقول قفي شمس لأبلغ منزلي

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» ج ٥ ص ٣٦٢: له [للشيخ إسماعيل الحضرمي] كرامات قال المطري: كادت تبلغ التواتر «إلى أن قال»: ومنها: أنَّه قصد بلدة زبيد فكادت الشمس تغرب وهو بعيدٌ عنها فخاف أن تغلق أبوابها فأشار إلى الشمس فوقفت حتّى دخل المدينة وإليه أشار الإمام اليافعي بقوله:

هو الحضرمي نجل النبيِّ محمّد إلى آخر البيتين المذكورين

وقال ابن حجر في «الفتاوى الحديثيَّة» ص ٢٣٢ : ومن كراماته «يعني الحضرمي»: أنّه كان داخلاً لزبيد وقد دنت الشمس للغروب فقال لها: لا تغربي حتّى ندخلها فوقفت ساعةً طويلةً فلمّا دخلها أشار إليها فإذا الدنيا مظلمةٌ والنجوم ظاهرةٌ ظهوراً تامّاً.

قال العلّامة السّماوي في «العجب اللزومي»:

واعجباً من فرقةٍ قد غلت من دغلٍ في جوفها مضرمِ

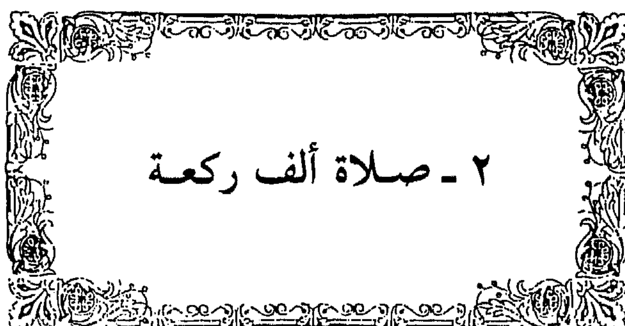
تنكر ردَّ الشمس للمرتضى بأمر طاها العيلم الخضرمِ

وتدَّعي أن ردَّها خادمٌ لأمر إسماعيل الحضرمي

وللباحث أن يستنتج من هذه القضيَّة إن أخبت بها أنّ إسماعيل الحضرمي أعظم عند الله تعالى من النبيِّ الأعظم ووصيِّه أمير المؤمنين، لأنَّ ردّ الشمس لعليٍّ كان بدعائه تارةً وبدعاء النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم طوراً وأمّا إسماعيل فقد أمر خادمه أن يأمرها بالوقوف ثمَّ أمره بأن يفكَّ قيد أسارها بأمرها بالإنصراف، أو: أشار هو إليها بالوقوف فوقفت، هذه هي العظمة والزلفة إن صحَّت الأحلام لكن العقلاء يدرون ورواة القصَّة أيضاً يعلمون بأنّها متى صيغت، ومهما لُفِّقت؛ ولماذا نُسجت.

﴿يُريدونَ أنْ يُطفئوا نورَ الله بأفواهِهِمْ ويأبى الله إلاّ أنْ يُتمَّ نورَهُ﴾

سورة التوبة، الآية ٣٢



٢ ـ صلاة ألف ركعة

لقد تضافر النقل بأنَّ كُلًّا من مولانا أمير المؤمنين، والإمام السبط الشهيد الحسين، وولده الطاهر عليٍّ زين العابدين كان يُصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة(١) ولم تزل العقائد متطامنةً على ذلك، والعلماء متسالمين عليه، حتّى جاء ابن تيميَّة بهوسه وهياجه، فحسب تارةً كراهة هذا العمل البارّ، وأنَّه ليس بفضيلة، وأنَّ القول بأنّها فضيلةٌ يدلّ على جهل قائله، لأنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان لا يزيد في الليل على ثلاث عشرة ركعة، وفي النهار على عدَّة ركعات معيَّنة، وأنَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان لا يقوم تمام الليل كما كان لا يصوم كلَّ يوم فقال: فالمداومة على قيام جميع الليل ليس بمستحبّ بل مكروهٌ، وليس من سنَّة النبيِّ الثابتة عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهكذا مداومة صيام النهار.

وزعم تارةً أنَّه خارجٌ عن نطاق الإمكان فقال: وعليٌّ رضي الله عنه أعلم بسنَّته ﷺ وأتبع لهديه، وأبعد من أن يخالف هذه المخالفة، لو كان ذلك ممكناً فكيف وصلاة ألف ركعة في اليوم والليلة مع القيام بسائر الواجبات غير ممكن، فإنّه لا بدَّ من أكل ونوم. إلخ.

(١) العقد الفريد ٢ ص ٣٠٩ وج ٣ ص ٣٩، تاريخ ابن خلكان ١ ص ٣٥٠، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ ص ٥٦، طبقات الذهبي ١ ص ٧١ نقلاً عن الإمام مالك، تهذيب التهذيب لابن حجر ٧ ص ٣٠٦ نقلاً عن مالك، طبقات الشعراني ١ ص ٣٧، روض الرياحين لليافعي ص ٥٥، مشارق الأنوار للحمزاوي ص ٩٤، إسعاف الراغبين لابن الصبان في هامش المشارق ص ١٩٦، وغيرها.

ويرى آونة أنَّ طبع عمل مثله مبنيٌّ على المسارعة والإستعجال، يستدعي أن يكون عريّاً عن الخضوع، نقراً كنقر الغراب، فلا يكون فيه كثير جدوى ثمَّ ختم كلامه بقوله، ثمَّ إحياء الليل بالتهجد وقراءة القرآن في ركعةٍ هو ثابت عن عثمان رضي الله عنه، فتهجّده وتلاوة القرآن أظهر من غيره[١].

أمّا حسبان كراهة ذلك العمل ومخالفته السنَّة النبويَّة وخروجه بذلك عن الفضيلة فيعرب عن جهله المطبق بشئون العبادات وفقه السنَّة، وتمويهه على الحقائق الراهنة جهلاً أو عناداً، فإنَّ صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثلاث عشرة ركعة، وكذلك صلاة نهاره وإنَّما هي صلاة الليل والشفع والوتر ونافلة الصبح ونافلة الصَّلوات اليوميَّة كما فُصِّل في غير واحد من الأخبار، وهي النوافل المرتَّبة المعينة في الليل والنهار لا ترتبط بإستحباب مطلق الصَّلاة ومطلوبيّة نفسها، ولا تنافي ما صحَّ عنه صلىّ الله عليه وآله وسلّم من قوله: الصَّلاة خير موضوع، إستكثر أو إستقل[٢].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الصَّلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر[٣].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الصَّلاة خير موضوع، مَن شاء أقلّ، ومَن شاء أكثر[٤].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أنس أكثر الصَّلاة بالليل والنهار تحفظك حفظتك[٥].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنس في حديث طويل: إن استطعتَ

---

(١) راجع منهاج السنة: ٢: ١١٩.

(٢) أخرجه الحافظ أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١٦٦ بستة طرق.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في «الترغيب والترهيب» ١ ص ١٠٩ و«كشف الخفاء» ٢ ص ٣٠.

(٤) مستدرك الحاكم ٢ ص ٥٩٧، مجمع الزوائد ١ ص ١٦٠، كشف الخفاء للعجلوني ٢ ص ٣٠ وقال: رواه الطبراني وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي ذر.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٣ ص ١٤٢.

أن لا تزال تصلّي فإنَّ الملائكة تصلّي عليك ما دمت مصلّياً[١].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أكثر صلاته [أو من كثرت صلاته] بالليل حسن وجهه بالنهار[٢].

وما روي عن نصر بن علي الجهضمي قال: رأيت الحافظ يزيد بن زريع في النوم فقلت: ما فعل الله لك؟ قال: دخلت الجنَّة. قلت، بماذا؟ قال: بكثرة الصَّلاة[٣].

وصحَّ عن البخاري ومسلم: أنَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يقوم من الليل حتّى تنفطر قدماه. وفي رواية لهما والترمذي: إن كان النبيّ ليقوم أو ليصلّي حتّى ترم قدماه أو ساقاه، وفي رواية عن عائشة: حتّى تفطّرت قدماه. وفي رواية عن أبي هريرة: حتّى تزلع قدماه. وفي «المواهب اللدنيَّة»: كان يصلّي «بعد كبره» بعض ورده جالساً بعد أن كان يقوم حتّى تفطّرت قدماه.

وقد جرت السنَّة المطَّردة بين العاملين في النسك والعبادات من الصَّلاة والصوم والحجِّ وقراءة القرآن وغيرها ممّا يقرِّب إلى الله زلفى أن يأتي كلٌّ منهم بما تيسَّر له منها غير مقتصر بما أتى به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والناس متفاوتون في القدر والله تعالى يقول: فاتّقوا الله ما استطعتم. ولا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها. فترى هذا يصلّي كلّ يوم مائة ركعة[٤] والآخر يصلّي مائتي ركعة مثل القاضي الفقيه أبي يوسف الكوفي المتوفّى سنة ١٨٢[٥]

والقاضي أبي عبدالله محمّد بن سماعة البغدادي المتوفّى سنة ٢٣٣[٦].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٣ ص ١٤٢.
(٢) سنن ابن ماجة ١ ص ٤٠٠، تاريخ الخطيب ١ ص ٣٤١ وج ٧ ص ٣٩٠.
(٣) شذرات الذهب ١ ص ٢٩٨.
(٤) راجع مناقب أبي حنيفة للقاري في هامش «الجواهر المضية» ٢ص٥٢٣،ل ١ ص ٩٤ طب ١٤ ص ٦ يه ١٠ ص ٢١٤ وج ١٤ ص ٧٧.
(٥) بق ١ ص ٢٧٠، هب ١ ص ٢٩٨.
(٦) طب ٥ ص ٣٤٣، جم ٢ ص ٥٨، هب ٢ ص ٧٨.

وبشر بن الوليد الكندي المتوفّى سنة ٢٣٨[١].

ومنهم مَن كان يصلّي ثلاثمائة ركعة نظير:

إمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفّى سنة ٢٤١[٢].

وأبي القاسم الجنيد القواريري المتوفّى سنة ٢٩٨[٣]

والحافظ عبد الغني المقدسي المتوفّى سنة ٦٠٠[٤].

ومنهم مَن كان يصلّي أربعمائة ركعة نظراء:

بشر بن المفضّل الرقاشي المتوفّى سنة ١٨٧[٥].

وإمام الحنفيَّة أبو حنيفة نعمان المتوفّى سنة ١٥٠[٦].

وأبي قلابة عبد الملك بن محمَّد المتوفّى سنة ٢٧٦[٧].

وضيغم بن مالك أبو مالك [صفـ ج ٣ ص ٢٧٠].

وأُمّ طلق كانت تصلّي أربعمائة ركعة وتقرأ من القرآن ما شاء الله [صفـ ج ٤ ص ٢٤].

وأحمد بن مهلهل الحنبلي المتوفّى سنة ٥٥٤[٨].

ومنهم مَن كان يصلّي خمسمائة ركعة، أشباه:

بشر بن منصور البصري المتوفّى سنة ١٨٠[٩].

---

(١) طب ٧ ص ٨٢، م ١ص ١٥٢.

(٢) يه ١٣ ص ٣٩، كر ٢ ص ٣٦، طش ١ ص ٤٧.

(٣) ظم ٦ ص ١٠٦، يه ١١ ص ١١٤، وفي صف ٢ ص ٢٣٦: أربعمائة ركعة.

(٤) يه ١٣ ص ٣٩.

(٥) بق ١ ص ٢٨٥، هب ١ ص ٣١٠، يب ١ ص ٤٥٩.

(٦) مناقب أحمد للخوارزمي ١ ص ٢٤٧، مناقب الكردري ١ ص ٢٤٦.

(٧)) ظم ٥ ص ١٠٣، يه ١١ ص ٥٧، يب ٦ ص ٤٢٠.

(٨) هب ٤ ص ١٧٠.

(٩) يب ١ ص ٤٦٠، هب ١ ص ٢٩٣.

وسمنون بن حمزة المتوفّى سنة ٢٩٨ [طب ج ٩ ص ٢٣٦، ظم ج ٦ ص ١٠٨].

ومنهم مَن كان يصلّي ستمائة ركعة، أمثال:

الحارث بن يزيد الحضرمي المتوفّى سنة ١٣٠ [صه ٥٩. يب ج ٢ ص ١٦٣] والحسين بن الفضل الكوفي المتوفّى سنة ٢٨٢[1].

وعليٍّ بن عليٍّ بن النجاد أبي إسماعيل البصري [صه ٢٣٤].

وأُمّ الصهباء معاذة العدويَّة [صف ج ٤ ص ١٤].

ومنهم مَن كان يصلّي سبعمائة ركعة مثل:

الأسود بن يزيد «زيد» النخعي المتوفّى سنة ٧٥[2].

وعبد الرَّحمن بن الأسود المتوفّى سنة ٩٨ [بق ج ١ ص ٤٨].

وقد ذكروا في ترجمة غير واحد من رجال أهل السنَّة وعدّوا من فضائلهم أنّهم كانوا يصلّون في اليوم والليلة أو في اليوم فقط ألف ركعة منهم:

١ - مرَّة بن شراحيل الهمداني المتوفّى سنة ٧٦ على ما قيل، كان يصلّي كلَّ يوم وليلة ألف ركعة [حل ج ٤ ص ١٦٢، يه ج ٨ ص ٧٠، صف ج ٣ ص١٧].

٢ - عبد الرَّحمن بن أبان بن عثمان بن عفان. كان يصلّي في كلّ يوم ألف ركعة. [أنساب البلاذري ج ٥ ص ١٢٠. رسائل الجاحظ ص ٩٨].

٣ - عمير بن هانىء أبو الوليد الدمشقي التابعي. قال الترمذي: كان يصلّي كلّ يوم ألف ركعة، ويسبِّح مائة ألف تسبيحة. كذا حكاه الشيخ محمَّد عبد الحيِّ الأنصاري الحنفي في «إقامة الحجَّة» ص ٧ وفي «تهذيب التهذيب» ٨ ص ١٥٠: كان يصلّي كلّ يوم ألف سجدة، ويسبِّح مائة ألف تسبيحة.

---

(١) مرآة الجنان ٢ ص ١٩٥، هب ٢ ص ١٧٨، لم ٢ ص ٣٠٨.

(٢) طرح التثريب ١ ص ٣٤، هب ١ ص ٨٢، وفي ل ١ ص ٣٩ ستمائة ركعة.

٤ ـ عليّ بن عبد الله العباس المتوفّى سنة ١١٧، كان يصلّي كلّ يوم ألف ركعة، وقيل: في الليل والنهار [كامل المبرد ج ٢ ص ١٥٧، يه ج ٨ ص ٣٠٦، يب ج ٧ ص ٣٥٨، هب ج١ ص ١٤٨].

٥ ـ ميمون بن مهران الرقي المتوفّى سنة ١١٧ عالم أهل الجزيرة صلّى سبعة عشر يوماً سبعة عشر ألف ركعة [بق ٩٣١].

٦ ـ بلال بن سعد الأشعري المتوفّى ح ١٢٠ كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة [صه ص ٤٥، كر ج٣ ص ٣١٥، يه ج ٩ ص ٣٤٨، يب ج ١ ص ٥٠٣].

٧ ـ عامر بن عبد الله الأسدي المدني، كان قد فرض على نفسه كلّ يوم ألف ركعة «حل ج ٢ في ٨٩، صف ج ٣ ص ١٢٨، كر ج ٧ ص ١٦٩ طش ج ١ ص ٢٤».

٨ ـ مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير المتوفّى سنة ١٥٧، كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة «الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٢٧، صف ج ٢ ص ٩٩، ١١١، م ج ٣ ج ١ ص ١٧٢، يب ج ١٠ ص ١٥٩».

٩ ـ أبو السائب المخزومي: كان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة. الأغاني ج ١ ص ١٠٩].

١٠ ـ سليمانان قال القيسي: كان يصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة حتّى أقعد من رجليه فكان يصلّي جالساً ألف ركعة «حل ج ٦ ص ١٩٥»».

١١ ـ كهمس بن الحسن أبو عبدالله الدعّاء، كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة «حل ج ٦ ص ٢١١. صف ج ٣ ص ٢٣٤».

١٢ ـ محمّد بن حفيف الشيرازي أبو عبدالله المتوفّى سنة ٣٧١. ربما كان يصلّي من الغداة إلى العصر ألف ركعة «مفتاح السّعادة ج ٢ ص ١٧٧].

١٣ ـ أبو حنيفة إمام الحنفيّة كان يصلّي في كلّ ليلة ثلاثمائة ركعة ومرّ يوماً في بعض الطرق فقالت امرأة لإمرأة: هذا الرَّجل يصلّي في كلّ ليلة خمسمائة

ركعة. فسمع الإمام ذلك فجعل يصلّي بعد ذلك في كلّ ليلة خمسمائة ركعة، ومرّ يوماً على جمعٍ من الصبيان قال بعضهم لبعض: هذا يصلّي في كلّ ليلة ألف ركعة ولا ينام بالليل. فقال أبو حنيفة: نويت أن أُصلّي في كلّ ليلة ألف ركعة وأن لا أنام بالليل. «إقامة الحجّة» للشيخ محمّد عبد الحيّ الحنفي ص ٩.

١٤ ـ رابعة كانت تصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة. «روض الأخبار» المنتخب من ربيع الأبرار ج ١ ص ٥.

ونحن نعرف من أصحابنا اليوم من يأتي بها في اللّيل تارة، وفي اللّيل والنهار اخرى، في أقلّ من سبع ساعات يصلّيها صلاةً تامّة مع سورة التوحيد بالرغم من حسبان ابن تيميّة استحالتها في اليوم والليلة، فإتيان ألف ركعة في الليل والنهار لا يستوعب كلّ الليل ولا يحتاج إلى قيام تمامه ولا إلى قيام نصفه، ولا تخالف السنّة، بل هي السنّة النبويّة المعتضدة بعمل العلماء والأولياء، فمَن شاء استكثر، ومَن شاء إستقلّ.

والمداومة على قيام جميع الليل إن لم تكن مستحبّة وكانت من المكروه المخالف للسنة الثابة عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم كما زعمه ابن تيميّة فكيف تعدّ في طيّات الكتب فضيلةً لأعلام قومه، منهم:

١ ـ سعيد بن المسيّب التابعي المتوفّى سنة ٩٣، صلّى الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة «صف ٢ ص ٤٤».

٢ ـ الحسن البصري التابعي المتوفّى سنة ١١٠، صلّى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة «روضة الناظرين ص ٤».

٣ ـ إمام الحنفيّة نعمان، صلّى أربعين سنة صلاة الغداة على طهارة العشاء؛ وقال ابن المبارك: خمساً وأربعين سنة« مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ج ١ ص ٢٣٦، ٢٤٠؛ مناقب الكردي ج ١ ص ٢٤٢».

٤ ـ أبو جعفر عبد الرّحمن بن الأسود النخعي المتوفّى سنة ٩٨؛ صلّى الفجر بوضوء العشاء «صف ج ٣ ص ٥٣».

٥ ـ أبو بكر النيسابوري الرّحال الفقيه، صلّى أربعين سنة صلاة الصبح على طهارة العشاء قال: إنّه قام أربعين سنة لم ينم الليل، ويتقوّت كلّ يوم بخمس حبّات، يصلّي صلاة الغداة على طهارة العشاء الآخرة «طب ١٠ ص ١٢٢، بق ج ٣ ص ٣٨، هب ج ٢ ص ٣٠٢».

٦ ـ محمّد بن عبد الرّحمن أبو الحارث المتوفّى سنة ١٥٩، كان يصلّي اللّيل أجمع «صف ج ٢ ص ٩٨».

٧ ـ هاشم «صف: هشيم» بن بشير أبو معاوية المتوفّى سنة ١٨٣، صلّى عشرين سنة الصبح بوضوء العشاء «ل ج ١ ص ٩١، صف ج ٣ ص ٦، يه ج ١٠ ص ١٨٤».

٨ ـ أبو غياث منصور بن المعتمر السلمي المتوفّى سنة ١٣٢، كان يحيي الليل كلّه في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع «صف ٣ ص ٦٣.

٩ ـ أبو الحسن الأشعري مكثَ عشرين سنة يصلّي الصّبح بوضوء العشاء «طش ج ٢ ص ١٧٢».

١٠ ـ أبو الحسين بن بكار البصري المتوفّى سنة ١٩٩ كان يصلّي الغداة بوضوء العتمة «صف ج ٤ ص ٢٤٠».

١١ ـ الحافظ سليمان بن طرخان التيمي، صلّى أربعين سنة صلاة الصبح والعشاء بوضوء واحد «حل ج ٣ ص ٢٩، صف ج ٣ ص ٢١٨، بق ج ١ ص ١٤٢».

١٢ ـ أبو خالد يزيد بن هارون الحافظ، صلّى نيفاً وأربعين سنة صلاة الصّبح بوضوء العشاء «بق ج ١ ص ٢٩٢، صف ج ٣ ص ٨».

١٣ ـ عبد الواحد بن زيد، صلّى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة «صف ج ٣ ص ٤٣، طش ج ١ ص ٤٠».

على أنّ ثبوت السنّة عند القوم لا يستلزم فعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فحسب، بل: هي تثبت بفعل أيّ أحد سنَّ سنّة من أفراد الامّة، فليكن

أمير المؤمنين عليه السَّلام أوَّل مَن سنَّ صلاة ألف ركعة في اليوم والليلة، كما نصَّ الباجي والسيوطي والسكتواري وغيرهم على أنَّ أوَّل مَن سنَّ التراويح عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سنة أربع عشرة[1] وعلى أنَّ أوَّل مَن جمع النَّاس على التراويح عمر[2] وعلى أنَّ إقامة النوافل بالجماعات في شهر رمضان من محدثات عمر رضي الله عنه وأنَّها بدعة حسنة[3] وعلى أنَّ أوَّل من جلد في الخمر ثمانين عمر رضي الله عنه [4] وأمثال ذلك بكثير ممّا سنّه عمر بن الخطاب وصيِّر بدعة حسنة، وسنَّة متّبعة.

وكما قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني والخازن وغيرهما من: أنَّ أوَّل من سنَّ لكلّ مسلم قُتل صبراً الصَّلاة حبيب بن عديّ الأنصاري [حل ج١ ص١١٣، تفسير الخازن ج ١ ص ١٤١].

وكما قال المؤرِّخون فيما سنَّ معاوية بن أبي سفيان في الإرث والديـة خلاف سنَّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والخلفاء الأربعة من بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنَّه يُسمّى بسنَّة الخلفاء لإتِّباعهم أثره بعده، واتِّخاذهم ذلك سنَّةً [يه ج ٩ ص ٢٣٢ وج ٨ ص ١٣٩].

وكما أُخذت سنَّة التبريك في الأعياد من عمر بن عبد العزيز كما قالـه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٣٦٥.

وهلاّ صحّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قولـه: عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديّين[5] أو صحَّ ذلك غير أنَّ بينه وبين عليّ أمير المؤمنين حجزٌ وَحدٌ يخصّانه بغيره؟.

ولدفع مزعمة ابن تيميّة هذه ومَن لفَّ لفَّه ألّف الشيخ محمّد عبد الحيّ

---

(١) محاضرة الأوائل ص ١٤٩ طبع سنة ١٣١١، وص ٩٨ ط ١٣٠٠.

(٢) محاضرة الأوائل ط سنة ١٣٠٠ ص ٩٨، شرح المواهب للزرقاني ٧ ص ١٤٩.

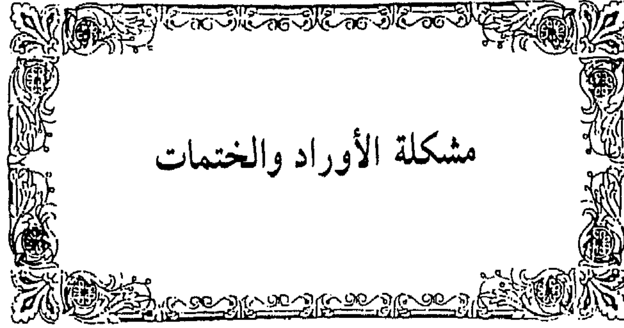
(٣) راجع طرح التثريب ج ٣ ص ٩٢.

(٤) محاضرة الأوائل ١١١ ط سنة ١٣٠٠.

(٥) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٩٦.

الحنفي رسالةً أسماها بـ [إقامة الحجَّة على أنّ الإكثار في التعبّد ليس ببدعة] وذكر جماعة من الصحابة والتابعين الذين اجتهدوا في العبادة وصرفوا فيها أعمارهم، والرِّسالة فيها فوائد جمَّة لا يُستهان بها طبعت بالهند سنة ١٣١١. قال في ص ١٨: خلاصة المرام في هذا المقام وهو الذي أختاره تبعاً للعلماء الكرام: أنّ قيام الليل كلّه، وقراءة القرآن في يوم وليلة مرَّة أو مرّات، وأداء ألف ركعة أو أزيد من ذلك، ونحو ذلك من المجاهدات والرياضات ليس ببدعة، وليس بمنهيٍّ عنه في الشرع بل هو أمر حسن مرغوب إليه. إلخ.

وأما دعوى عدم الإمكان منشؤها تثاقل الطبع والكسل عن الإكثار من العبادة فإنّ مَن لم يتنشَّط في كلِّ عمره لأمثال ذلك، البعيد عن عمل العاملين وعادات العباد يحسب خروج ذلك عن حيِّز الإمكان، لكن مَن تذوَّق حلاوة الطاعة ولذَّة العبادة يرى أمثال هذه من العاديّات المطَّردة.



مشكلة الأوراد والختمات

يجد الباحث في طيّات الكتب والمعاجم أعمالاً كبيرةً باهظةً تستوعب من الوقت أكثر من ألف ركعة صلاة معزوَّة إلى أُناس عاديِّين لم ينكرها عليهم ولا على رواتها أحدٌ لا ابن تيميَّة ولا غيره، لأنَّ بواعث الإنكار على أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام لا توجد هنالك، وإليك نبذاً من تلك الأعمال:

١ ـ كان عُويمر بن زيد أبو الدرداء الصحابيُّ المتوفّى سنة ٣٢ يسبِّح كلَّ يوم مائة ألف تسبيحة «هب ج ١ ص ١٧٣».

٢ ـ كان أبو هريرة الدوسي الصحابي المتوفّى سنة ٥٧/ ٨/ ٩ يسبِّح كلَّ ليلة اثنتي عشر ألف تسبيحة قبل أن ينام ويستغفر الله ويتوب إليه كلّ يوم اثنتي عشرة ألف مرّة «يه ج ٨ ص ١١٠، ١١٢، هب ج ١ ص ١٧٣».

٣ ـ كان خالد بن معدان المتوفّى ١٠٣/ ٤/ ٨، يسبِّح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن «حل ٥ ص ٢١٠، صه ص ٨٨، ل ج ١ ص ٥٤».

٤ ـ كان عُمير بن هاني المتوفّى ١٢٧، يسبِّح كلّ يوم مائة ألف تسبيحة «صف ج ٤ ص ١٦٣، ج ٢ ص ٣٠٥، يب ج ٨ ص ١٥٠، هب ج ١ ص ١٧٣».

٥ ـ كان أبو حنيفة إمام الحنفيّة المتوفَّى سنة ١٥٠، يأتي إلى الجمعة ويصلّي قبل صلاتها عشرين ركعة يختم فيهنَّ القرآن «مناقب أبي حنيفة

للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٠، مناقب الكردري ج ١ ص ٢٤٤».

٦ ـ كان يعقوب بن يوسف أبو بكر المطوعي المتوفّى سنة ٢٨٧، يقرأ كلَّ يوم «وفي نسخة: وليلة» سورة التوحيد إحدى وثلاثين ألف مرَّة، أو: إحدى وأربعين ألف شكَّ جعفر الراوي عنه «طب ج ١٤ ص ٢٨٩، يه ج ١١ص ٨٤، ظم ج ٦ ص ٢٦».

٧ ـ كان الجنيد القواريري المتوفّى سنة ٢٩٨ ورده كلّ يوم ثلاثمائة ركعة «قال ابن الجوزي: أربعمائة» وثلاثين ألف تسبيحة «ظم ج ٦ ص ١٠٦، صفـ ج ٢ ص ٢٣٥، يه ج ١١ ص ١١٤، طب ج ٧ ص ٢٤٢».

٨ ـ كان فقيه الحرم الإمام محمّد يقرأ كلّ يوم ستَّة آلاف قل هو الله أحد، وهي من جملة أوراده «طش ج ٢ ص ١٧٠».

٩ ـ كان الشيخ أحمد الزواوي المتوفّى سنة ٩٢٢ يقرأ كلَّ يوم وليلة عشرين ألف تسبيحة، وأربعين ألف صلاة على النبيِّ ﷺ «هب ج ٨ ص ١٠٧».

١٠ ـ كان محمّد بن سليمان الجزولي يقرأ نهاراً أربعة عشر ألف بسملة وسلكتين من تأليفه «دلائل الخيرات» في الصَّلاة على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «نيل الابتهاج ص ٣١٧».

١١ ـ كان عبد العزيز المقدسي يقول: حاسبت نفسي من يوم بلوغي إلى يومي هذا فإذا زلّاتي لا تجاوز ستة وثلاثين زلّة، ولقد استغفرت الله لكلّ زلّة مائة ألف مرَّة، وصلّيت لكلِّ زلَّة ألف ركعة، ختمت في كلِّ ركعة منها ختمة «صفـ ج ٤ ص ٢١٩».

وأنت تعلم أنَّ ألف ركعة صلاة تكون ثلاث وثمانين ألف كلمة، إذ الركعة الاولى من تكبيرة الإحرام إلى السجدة الأخيرة تعدّ كلماتها «٦٩» كلمة وتكون إذا صلّيتها ألفاً تسعاً وستّين ألفاً، ويخرج من الركعة الثانية ألف كلمة عن تكبيرة الإحرام غير الموجودة فيها فتبقى ثمان وستين ألفاً، وإذا أضفت إليها كلمات

التشهد على طريقة الشيعة والسَّلام بصيغة «السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وهي خمسة عشر ألف كلمة، يكون المجموع ثلاثاً وثمانين ألف كلمة تربو على كلمات القرآن الشريف بخمسة آلاف كلمة، وسبع وخمسين كلمة، فقس الأعمال المذكورة إلى هذه تجدها تزيد عليها بكثير، لكن الولاء لصاحب الأوراد المذكورة يمكّنه منها، والبغضاء لصاحب الصَّلاة من العترة الطاهرة تُقعد به عن العمل.

وأمّا ما ختم به ابن تيمية كلامه من قراءة عثمان القرآن في ركعة واحدة فهو خارجٌ عن موضوع البحث، غير أنَّه راقه أن يقابل تلك المأثرة بفضيلة لعثمان ذاهلاً عن أنَّ ما أورده على صلاة الأئمَّة من الإشكال واردٌ فيها، فهي تخالف السنَّة على زعمه أوّلاً إذ لم يثبت عن رسول الله قراءة القرآن في ركعة واحدة، وإنّها خارجةٌ عن نطاق الإمكان ثانياً إذ كلمات القرآن سبعة وسبعون ألفاً وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة وفي قول عطاء بن يسار سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة[١] وتلك الركعة الواحدة لا بدَّ إمّا أن تقع بين المغرب والعشاء، وإمّا بعد العشاء الآخرة إلى صلاة الصّبح، فإتيانها على كلِّ حال في ركعة غير ممكن الوقوع. على أنَّ الشيخين «البخاري ومسلم» قد أخرجا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال لعبدالله بن عمر: واقرأ في سبع ولا تزد على ذلك. وصحَّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث لم يفقه. ثمَّ إنَّ عثمان عُدَّ ممّن كان يختم في كلّ أسبوع من الصّحابة[٢].

ومشكلة الختمة في كتب القوم جاءت بـأُذني عناق، أثقل من شمام، تنتهي إلى شجنةٍ من العَته، فذكروا أنَّ منهم من كان يختم القرآن في ركعة ما بين الظهر والعصر، أو بين المغرب والعشاء، أو في غيرهما، وُعدَّ من أولئك:

---

(١) تفسير القرطبي ١ ص ٥٧، الإتقان للسيوطي ١ ص ١٢٠ .

(٢) التذكار للقرطبي ص ٧٦، إحياء العلوم ١ ص ٢٦١، خزينة الأسرار ص ٧٧.

١ ـ عثمان بن عفّان الأموي. كان يختم في ركعة ليلاً «حلية الأولياء ج ١ ص ٥٧».

٢ ـ تميم بن أوس الداري الصّحابي. كان يختم في ركعة «صف ج ١ ص ٣١٠».

٣ ـ سعيد بن جبير التابعي المتوفّى سنة ٩٥ «حل ج ٤ ص ٧٣».

٤ ـ منصور بن زاذان المتوفّى سنة ١٣١ كان يختمه مرّة فيما بين الظهر والعصر، واخرى فيما بين المغرب والعشاء، قال هشام: صلّيت إلى جنب منصور فقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمتين، ثمّ قرأ إلى الطواسين قبل أن تقام الصّلاة، وكانوا إذ ذاك يؤخّرون العشاء في شهر رمضان إلى أن يذهب ربع الليل، وكان يختم فيما بين الظهر والعصر، وفي خلاصة التهذيب: وكان يختم في الضّحى. «حل ج ٣ ص ٥٧، صف ج ٣ ص ٤، بق ج ١ ص ١٣٤، ل ج ١ ص ٩٧، هب ج ١ ص ٣٥٥».

٥ ـ أبو الحجّاج مجاهد المتوفّى سنة ١٣٢، ذكره ابن أبي داود كما في «الفتاوى الحديثيّة» ص ٤٤.

٦ ـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب، كان يحيي الليل بقراءة القرآن ثلاثين سنة في ركعة «مناقب أبي حنيفة للقاري ص ٤٩٤».

٧ ـ يحيى بن سعيد القطّان المتوفّى سنة ١٩٨ «طب ج ١٤ ص ١٤١».

٨ ـ الحافظ أبو أحمد محمّد بن أحمد العسّال المتوفّى سنة ٣٤٩ «بق ج ٣ ص ٩٧».

٩ ـ أبو عبدالله محمّد بن حفيف الشيرازي المتوفّى سنة ٣٧١، كان ربما يقرأ القرآن كلّه في ركعة واحدة «مفتاح السّعادة» ج ٢ ص ١٧٧.

١٠ ـ جعفر بن الحسن الدرزيجاني المتوفّى سنة ٥٠٦، له ختمات كثيرة جداً كلّ ختمة منها في ركعة واحدة. هب ج ٤ ص ١٦.

ومنهم مَن كان يختم في كلِّ يوم ختمة، وعُدّ من أُولئك:

١ ـ سعد بن إبراهيم الزهري المتوفّى سنة ١٢٧ «ل ج ١ ص ٦٦» وفي صه ص ١١٣: في كلِّ يوم وليلة.

٢ ـ أبو بكر ابن عيّاش الأسدي الكوفي المتوفّى سنة ١٩٣ «يه ج ١٠ ص ٢٢٤. يب ج ١٢ ص ٣٦».

٣ ـ أبو العبّاس محمّد بن شاذل النيسابوري المتوفّى سنة ٣١١ «هب ج ٢ ص ٢٦٣».

٤ ـ أبو جعفر الكتاني كان يختمها مع الزَّوال «حل ج ١٠ ص ٣٤٣».

٥ ـ أبو العبّاس الآدمي المتوفّى سنة ٣٩٠، كان يختم في غير شهر رمضان كلّ يوم ختمة «ظم ج ٦ ص ١٦٠، صف ح ٢ ص ٢٥١، هب ج ٢ ص ٢٥٧».

٦ ـ أحمد بن حنبل إمام مذهبه المتوفّى سنة ٢٤١ «مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٢٨٧».

٧ ـ البخاري صاحب الصحيح المتوفّى سنة ٢٥٦، طب ج ٢ ص ١٢.

٨ ـ الشافعي إمام الشافعيّة المتوفّى سنة ٢٠٤، في غير شهر رمضان «صف ج ٢ ص ١٤٥، طش ج ١ ص ٣٣».

٩ ـ محمّد بن يوسف أبو عبدالله البناء المتوفّى سنة ٢٨٦ «ظم ج ٦ ص ٢٤».

١٠ ـ محمّد بن علي الكرخي المتوفّى سنة ٣٤٣ «يه ج ١١ ص ٢٢٨، ظم ج ٦ ص ٣٧٦».

١١ ـ أبو بكر بن الحدّاد المصري الشافعي المتوفّى سنة ٣٤٥/ ٤ «ل ج ١ ص ١٦٧، بق ج ٣ ص ١٠٨» وفي بعض المصادر: في اليوم والليلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢ ـ الحافظ ابن عساكر المتوفّى سنة ٣٧١، كان له ذلك في شهر رمضان، هب ج ٤ ص ٢٣٩ .

١٣ ـ الخطيب البغدادي صاحب التاريخ المتوفّى سنة ٤٦٣ «كر ج ١ ص ٤١٠».

١٤ ـ أحمد بن أحمد ابن السيبي أبو عبدالله القصري المتوفّى سنة ٤٣٩ . «طب ج ٤ ص ٤».

١٥ ـ الشيخ أحمد البخاري له كلّ يوم ختمة وثلث «طش ج ٤ ص ١٧٠[1]».

ومنهم مَن كان يختمه في الليلة مرَّة ومن أولئك :

١ ـ عليّ بن عبدالله الأزدي التابعي، كان له ذلك في شهر رمضان «يب ج ٧ ص ٣٥٨».

٢ ـ قتادة أبو الخطّاب البصري المتوفّى سنة ١١٧، كان له ذلك في عشرة شهر رمضان «صف ج ٣ ص ١٨٢».

٣ ـ وكيع بن الجراح المتوفّى سنة ١٩٧ «ل ج ١ ص ٩٦، طب ج ١٣ ص ٤٧٠، يب ١١ ص ١٢٩».

٤ ـ البخاري صاحب الصحيح المتوفّى سنة ٢٥٦، كان له ذلك في شهر رمضان «يه ج ١١ ص ٢٦».

٥ ـ عطاء بن السائب الثقفي المتوفّى سنة ١٣٦ «صه ص ٢٢٥».

٦ ـ عليّ بن عيسى الحميري كان له ذلك في كلِّ ليلة «طبقات القرّاء ج ١ ص ٥٦٠».

٧ ـ أبو نصر عبد الملك بن أحمد المتوفّى سنة ٤٧٢ «ظم ج ٨ ص ٣٢٤» .

---

(١) وقفنا على جمع كثير ممن له كل يوم ختمة واقتصرنا بذلك روماً للإختصار.

٨ ـ الحافظ أبو عبد الرَّحمن القرطبي المتوفّى سنة ٢٠٦، كان يختم كلّ ليلة في ثلاث عشرة ركعة «بق ج ٢ ص ١٨٥».

٩ ـ الشافعي إمام الشافعيّة كان له ذلك في غير شهر رمضان «طب ج٢ ص ٦٣».

١٠ ـ حسين بن صالح بن حيّ المتوفّى سنة ١٦٧ «طش ج ١ ص ٥٠».

١١ ـ زبيد بن الحارث «حل ج ٥ ص ١٨».

١٢ ـ أبو بكر بن عيّاش، كان يختم القرآن كلّ ليلة أربعين مرّة. طب ج ١ ص ٤٠٧».

ومنهم من كان يختمه في كلّ يوم وليلة مرّة وُعدّ من أولئك:

١ ـ سعد بن إبراهيم أبو إسحاق المدني المتوفّى سنة ١٢٧ «صف ج ٣ ص ٨٢».

٢ ـ ثابت بن أسلم البنائي المتوفّى سنة ١٢٧ «حل ج ٢ ص ٣٢١، بق ج ١ ص ١١٨».

٣ ـ جعفر بن المغيرة التابعي «كر ج ٤ ص ٧٩».

٤ ـ عمر بن الحسين الجمحي «يب ج ٧ ص ٤٣٤».

٥ ـ أبو محمّد عبد الرَّحمن اللخمي الشافعي المتوفّى سنة ٥٨٧ «هب ج ٤ ص ٢٨٩».

٦ ـ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٠ «يه ج ١٣ ص ٩».

٧ ـ أبو علي عبد الرَّحيم المصري القاضي الفاضل المتوفّى سنة ٥٩٦ «يه ج ١٣ ص ٢٤».

٨ ـ أبو الحسن المرتضى المتوفّى سنة ٦٣٤ «هب ج ٥ ص ١٦٨».

٩ ـ محمود بن عثمان الحنبلي المتوفّى سنة ٦٠٩ «هب ج ٥ ص ٢٩».

١٠ ـ ام حبّان السلميَّة «صف ج ٤ ص ٢٥».

ومنهم من كان يختم في الليل و النهار ختمتين مثل:

١ ـ سعيد بن جبير التابعي، ختم ختمتين ونصفاً في الصَّلاة في الكعبة «يه ج ٩ ص ٩٨، صف ج ٣ ص ٤٣».

٢ ـ منصور بن زاذان المتوفّى سنة ١٣١، كان يختم في الليل والنهار مرّتين كما مرَّ «صف ج ٣ ص ٤» وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٣ ص ٣٦٥: كان يختم بين المغرب والعشاء ختمتين ويبلغ في الختمة الثالثة إلى الطواسين.

٣ ـ أبي حنيفة إمام الحنفيَّة، كان له ذلك في شهر رمضان «التذكار ص ٧٤، مناقب أبي حنيفة للقاري ص ٤٩٣، ٤٩٤».

٤ ـ الشافعي إمام الشافعيَّة كان له ذلك في شهر رمضان ما منها إلاّ في الصَّلاة «المواهب اللدنيَّة» وفي صف ج ٢ ص ١٤٥: كان يختم في رمضان ستّين ختمة سوى ما يقرأه في الصَّلاة.

٥ ـ الحافظ العراقي كان يختم في الجماعة في شهر رمضان ختمتين «شرح المواهب للزرقاني ج ٧ ص ٤٢١».

٦ ـ أبي عبدالله محمّد بن عمر القرطبي «الديباج المذهب ص ٢٤٥».

٧ ـ السيد محمَّد المنير المتوفّى سنة نيف و٩٣٠ «طش ج ٢ ص ١١٨».

٨ ـ الشيخ عبد الحليم المنزلاوي المتوفّى سنة نيف و٩٣٠ «طش ج ٢ ص ١٢١».

ومنهم مَن كان يختم في الليلة ختمتين مثل:

١ ـ تقيُّ الدين أبو بكر بن محمّد البلاطنسي الشافعي الحافظ المتوفّى سنة ٩٣٦ كان يختم في شهر رمضان في كلّ ليلة ختمتين «هب ج ٨ ص ٢١٣».

٢ ـ أحمد بن رضوان بن جالينوس المتوفّى سنة ٤٢٣ ختم في الليلة ختمتين قبل أن يطلع الفجر طب ج ٤ ص ٢٦١.

ومنهم من يختم في اليوم والليلة ثلاث ختمات وعُدّ من أُولئك:

١ ـ كرز بن وبرة الكوفي، كان يختم في كلّ يوم وليلة ثلاث ختمات «صف ج ٢ ص ١٢٣ وج ٣ ص ٦٧، الاصابة ج ٣ ص ٣٢١».

٢ ـ زُهير بن محمّد بن قُمير الحافظ البغدادي المتوفّى سنة ٢٦٨، كان له ذلك في شهر رمضان «طب ج ٨ ص ٤٨٥، ظم ج ٥ ص ٤».

٣ ـ أبو العبّاس بن عطاء الآدمي المتوفّى سنة ٣٠٩، كان له ذلك في شهر رمضان «طب ج ٥ ص ٢٧، ظم ج ٦ ص ١٦٠، يه ج ١١ ص ١٤٤».

٤ ـ سليم بن عنز التجيبي القاضي المصري. قال العيني في «عمدة القاري» ج ٩ ص ٣٤٩: كان يختم القرآن في ليلة ثلاث مرّات، وذكر ذلك أبو عبيد. وقال ابن كثير في تاريخه ج ٩ ص ١١٨: كان يختم القرآن في كلّ ليلة ثلاث ختمات في الصّلاة وغيرها.

٥ ـ عبد الرّحمن بن هبة الله اليماني المتوفّى سنة ٨٢١، قرأ في الشتاء في يوم ثلاث ختمات وثلث ختمة هب ج ٧ ص ١٥١.

ومنهم مَن كان يختم في اليوم أربع ختمات ومن أُولئك:

١ ـ أبو قبيصة محمّد بن عبد الرّحمن الضبي المتوفّى سنة ٢٨٢، قال: قرأت في اليوم أربع ختمات وبلغت في الخامسة إلى سورة البراءة وأذّن المؤذّن العصر «طب ج ٢ ص ٣١٥، ظم ج ٥ ص ١٥٦».

٢ ـ عليّ بن الأزهر أبو الحسن اللاحمي البغدادي المقرىء المتوفّى سنة ٧٠٧، قرأ في يوم واحد بمحضر جماعة من القرّاء أخذت خطوطهم بتلاوته أربع ختمات إلّا سبع «طبقات القرّاء ج ١ ص ٥٢٦».

ومنهم من ختم بين المغرب والعشاء خمس ختمات قال الشعراوي:[1] دخل سيّدي أبو العبّاس المصري الحريثي المتوفّى سنة ٩٤٥ يوماً فجلس عندي

---

(١) الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراوي الشافعي الإمام الفقيه المحدث الاصولي المتوفى ٩٧٣.

بعد المغرب إلى أن دخل وقت العشاء فقرأ خمس ختمات وأنا أسمع فذكرت ذلك لسيِّدي عليّ المرصفي المتوفّى سنة ٩٣٠ فقال: يا ولدي! أنا قرأت مرَّة حال سلوكي ثلاثمائة ركعة وستِّين ختمة في اليوم والليلة كلّ درجة ختمة «هب ج ٨ ص ٧٥» .

ومنهم من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات أو أكثر. منهم:

١ ـ السيِّد ابن الكاتب، قال النووي: إنَّ بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً في النَّهار، ومنهم السيِّد ابن الكاتب الصوفي رضي الله عنه[1] وعدَّه من أُولئك صاحب «خزينة الأسرار» ص ٧٨ وقال: كان يختم بالنهار أربعاً وبالليل أربعاً، ويمكن حمله على مبادىء طيِّ اللّسان وبسط الزمان.

وقال صاحب «التوضيح»: أكثر ما بلغنا قراءةً ثماني ختمات في اليوم واللّيلة، وقال السَّلمي: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: إنَّ ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وباللّيل أربع ختمات. قاله العيني في «عمدة القاري» ج ٩ ص ٣٤٩.

٢ ـ قال الشيخ عبد الحيِّ الحنفي في «إقامة الحجَّة» ص ٧: ومنهم: عليّ بن أبي طالب فإنّه كان يختم في اليوم ثماني ختمات كما ذكره بعض شرَّاح البخاري.

٣ ـ بكر بن سهيل الدمياطي المتوفّى سنة ٢٨٩ قال: هجرت أي بكرت يوم الجمعة فقرأت إلى العصر ثماني ختمات. حكاه عنه الذهبي في «ميزان الإعتدال» ج ١ في ترجمته.

وقال القسطلاني[2]: رأيت أبا الطاهر (المقدسي) بالقدس سنة ٨٦٧ وسمعت عنه إذ ذاك أنّه كان يقرأ فيهما «في اليوم واللّيلة» أكثر من عشر ختمات. بل قال لي شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أدام الله النفع بعلومه عنه: إنَّه

(١) إرشاد الساري ج ٧ ص ١٩٩، وج ٨ ص ٣٦٩، الفتاوى الحديثية ص ٤٣.
(٢) إرشاد الساري ٧ ص ١٩٩، وج ٨ ص ٣٩٦.

كان يقرأ خمس عشرة في اليوم واللّيلة، وهذا بابٌ لا سبيل إلى إدراكه إلّا بالفيض الربّاني.

وقال: وقرأت في «الإرشاد»: إنَّ الشيخ نجم الدين الاصبهاني رأى رجلاً من اليمن بالطواف ختم في شوط أو في أسبوع شكّ. وهذا لا سبيل إلى إدراكه إلّا بالفيض الربّاني والمدد الرّحماني. «إرشاد الساري ج ٧ ص ١٩٩».

وقال الغزالي في «إحياء العلوم» ج ١ ص ٣١٩: كان كرز بن وبرة مقيماً بمكّة فكان يطوف في كلِّ يوم سبعين أسبوعاً، وفي كلِّ ليلةٍ سبعين أسبوعاً، وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرَّتين[1]، فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ، ويكون مع كلّ أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ.

وقال النازلي في «خزينة الأسرار» ص ٧٨: وقد رُوي عن الشيخ موسى السدراني من أصحاب الشيخ أبي مدين المغربي: إنَّه كان يختم في الليل والنهار سبعين ألف ختمة، ونقل عنه: إنَّه ابتدأ بعد تقبيل الحجر، وختم في محاذاة الباب، بحيث انَّه سمعه بعض الأصحاب حرفاً حرفاً كذا ذكره في «الإحياء» وعليّ القاري في «شرح المشكاة».

وفي ص ١٨٠ من «خزينة الأسرار»: إنَّ الشيخ أبو مدين المغربي أحد الثلاثة ورئيس الأوتاد الذي كان يختم القرآن كلّ يوم سبعين ألف ختمة.

وأخرج البخاري في صحيحه[2] عن أبي هريرة يرفعه قال: قال ﷺ: خفّف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج. وقال القسطلاني في شرح هذا الحديث[3]: وفيه أنَّ البركة قد تقع في الزمن اليسير حتّى يقع فيه العمل الكثير. وقال: قد دلَّ هذا الحديث على أنَّ الله تعالى يطوي الزمان[4] لمن شاء من عباده كما يطوي المكان لهم.

---

(١) مر في صحيفة ٦١: أنه كان يختم في اليوم والليلة ثلاث ختمات.

(٢) ج ١ ص ١٠١ في كتاب التفسير في باب قوله تعالى: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ الإسراء: ٥٥. وج ٢ ص ١٦٤ في أحاديث الأنبياء.

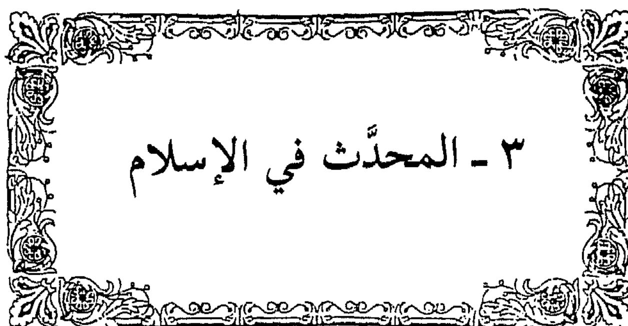
(٣) إرشاد الساري ٨ ص ٣٩٦.

(٤) كان حق المقام أن يقول: يطوي اللسان أو يقول: يبسط الزمان.

قال الأميني: إن هي إلّا أساطير الأوّلين وخزعبلات السّلف كتبتها يد الأوهام الباطلة، وكلّها نصب عيني ابن تيميّة وقومه لم تسمع من أحدهم فيها ركزاً ولم تر منهم غميزة، وكان حقّاً على هذه السفاسف أن تُكتب في طامور القصّاصين، أو تُوارى في مطامير البراري، أو تُقذف في طمطام البحار، أسفي على تلكم التآليف الفخمة الضخمة تحتوي مثل هذه الخرافات، أسفي على أولئك الأعلام يخضعون لهاويرونها جديرةً بالذّكر، ولو كان يعلم ابن تيميَّة أنّ نظّارة التنقيب تُعرب عن هذه الخزايات بعد لأي من عمر الدهر لكان يختار لنفسه السكوت، وكفّ مدّته عن صلاة أمير المؤمنين وولده الإمام السبط والسيّد السجّاد عليهما السّلام، وما كان يحوم حومة العار إن عقل صالحه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالوا سَمِعنا وَأطعنا واْسمَعْ وانظُرنا لَكانَ خَيراً لَهُمْ وَأَقوَمْ﴾

سورة النساء: آية ٤٦



أصفقت الامَّة الإسلاميَّة على أنَّ في هذه الأُمَّة لدة الأُمم السابقة أُناسٌ محدَّثون «على صيغة المفعول» وقد أخبر بذلك النبيُّ الأعظم كما ورد في الصِّحاح والمسانيد من طرق الفريقين: «العامَّة والخاصَّة» والمحدَّث مَن تُكلّمه الملائكة بلا نبوَّةٍ ولا رؤية صورة، أو يُلهم له ويُلقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو يُنكت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره، أو غير ذلك من المعاني التي يمكن أن يراد منه، فوجود مَن هذا شأنه من رجالات هذه الأُمَّة مُطبقٌ عليه بين فرق الإسلام، بيد أنَّ الخلاف في تشخيصه، فالشيعة ترى عليّاً أمير المؤمنين وأولاده الأئمَّة صلوات الله عليهم من المحدَّثين، وأهل السنَّة يرون منهم عمر بن الخطاب، وإليك نماذج من نصوص الفريقين:

نصوص أهل السنّة:

أخرج البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطاب ج ٢ ص ١٩٤ عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمّتي منهم أحدٌ فعمر. قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: من نبيٍّ ولا محدَّث.

قال القسطلاني[1]: ليس قوله «فإن يكن» للترديد بل للتأكيد كقولك: إن

---

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ٦ ص ٩٩.

يكن لي صديقٌ ففلان. إذ المراد اختصاصه بكمال الصَّداقة لا نفي الأصدقاء، وإذا ثبت أنّ هذا وجد في غير هذه الأُمّة المفضولة فوجوده في هذه الأُمّة الفاضلة أحرى. وقال في شرح قول ابن عبّاس «من نبيٍّ ولا محدَّث»: قد ثبت قول ابن عبّاس هذا لأبي ذر وسقط لغيره ووصله سفيان بن عيينة في أواخر جامعه وعبد بن حميد بلفظ: كان ابن عبّاس يقرأ: وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ولا محدَّث.

وأخرج البخاري في صحيحه بعد حديث الغار ج ٢ ص ١٧١ عن أبي هريرة مرفوعاً: إنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون إن كان في أُمّتي هذه منهم فإنَّه عمر بن الخطاب.

قال القسطلاني في شرحه ج ٥ ص ٤٣١: قال المؤلِّف: يجري على ألسنتهم الصَّواب من غير نبوَّة. وقال الخطابي: يُلقى الشيء في روعه، فكأنَّه قد حُدِّث به يظنُّ فيصيب ويخطر الشيء بباله فيكون، وهي منزلةٌ رفيعةٌ من منازل الأولياء.

وقال في قوله «إن كان في أُمَّتي»: قاله ﷺ على سبيل التوقّع وكأنَّه لم يكن اطّلع [1] على أنَّ ذلك كائنٌ وقد وقع، وقصَّة: يا سارية الجبل [2] مشهورةٌ مع غيرها.

وأخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عمر عن عائشة عن النبيِّ ﷺ قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي منهم أحدٌ فإنَّ عمر بن الخطاب منهم. قال ابن وهب: تفسير محدَّثون: ملهمون

ورواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج ١ ص ١٠٤ وقال: حديثٌ متَّفقٌ عليه وأخرجه أبو جعفر الطحاوي في «مشكل الآثار» ج ٢ ص ٢٥٧ بطرق شتى عن عائشة وأبي هريرة، وأخرج قراءة ابن عبّاس: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ ولا محدَّث قال: معنى قوله محدَّثون أي ملهمون، فكان عمر

(١) انظر إلى التناقض بين قوله هذا وبين ما مرّ من أنّ إنّ للتأكيد لا للترديد.

(٢) سيوافيك في مناقب عمر: إن قصة: يا سارية الجبل موضوعة مكذوبة.

رضي الله عنه ينطق بما كان ينطق ملهماً، ثمَّ عـدَّ من ذلك مـا قد رُوي عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب: وافقني ربّي أو وافقتُ ربِّي في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتَّخذنا من مقام ابراهيم مصلّى. فنزلت: واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى. وقلت: يا رسول الله إنَّ نساءك يدخل عليهنَّ البرُّ والفاجر فلو أمرتهنَّ أن يحتجبن، فنزلت آيـة الحجاب. واجتمـع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت: عسى ربّي إن طلّقكنّ أن يُبـدِّ له أزواجاً خيراً منكنَّ، فنزلت كذلك.

قال الأميني: إن كان هذا من القول بإلهام فعلى الإسلام السَّلام، ومـا أجهل القوم بالمناقب حتّى أتوا بالطامّات الكبرى كهذه وعدّوها فضيلة، وعليهم إن عقلوا صالحهم إنكار مثل هذا القول على عمر، وفيه حطٌّ لمقام النبوَّة، ومسَّةٌ على كرامة صاحب الرِّسالة صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قـال النووي في شـرح صحيح مسلم: اختلف تفسيـر العلمـاء للمـراد بمحدَّثون فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: مصيبون إذا ظنّوا فكأنَّهم حـدِّثوا بشيء فظنّوه. وقيـل: تُكلّمهم الملائكـة، وجاء في روايـة: مكلّمون. وقـال البخاري: يجري الصَّواب على ألسنتهم وفيه إثبات كرامات الأولياء.

وقال الحافظ محب الدين الطبري في «الرِّياض» ج ١ ص ١٩٩: ومعنى محـدَّثون والله أعلم أي يُلهمـون الصّواب، ويجـوز أن يحمـل على ظـاهـره وتحدِّثهم الملائكة لا بوحي وإنّما بما يُطلق عليه اسم حـديث، وتلك فضيلةٌ عظيمةٌ.

وقال القرطبي في تفسيره ج ١٢ ص ٧٩: قال ابن عطيّة: وجاء عن ابن عبّاس أنَّه كان يقرأ: وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ولا محدَّث. ذكره مسلمة بن القاسم بن عبدالله ورواه سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عبّاس. قال مسلمة: فوجدنا المحدَّثين معتصمين بالنبوَّة ـ على قراءة ابن عبّاس ـ لأنَّهم تكلّموا بأمور عالية من أنباء الغيب خطرات، ونطقوا بالحكمة الباطنة، فأصابوا

فيما تكلّموا، وعصموا فيما نطقوا كعمر بن الخطاب في قصّة سارية[١] وما تكلّم به من البراهين العالية.

وأخرج الحافظ أبو زرعة حديث أبي هريرة في طرح التثريب في شرح التقريب ج ١ ص ٨٨ بلفظ: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال مكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أُمّتي أحدٌ فعمر. وأخرجه البغوي في «المصابيح» ج ٢ ص ٢٧٠، والسيوطي في «الجامع الصغير»، وقال المناوي في شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٥٠٧: قال القرطبي: «محدَّثون بفتح الدال اسم مفعول جمعُ محدَّث بالفتح أي مُلهم أو صادق الظنّ، وهو من أُلقي في نفسه شيءٌ على وجه الإلهام والمكاشفة من الملأ الأعلى، أو مَن يجري الصَّواب على لسانه بلا قصد، أو تكلّمه الملائكة بلا نبوَّة أومن إذا رأى رأياً أو ظنَّ ظنّاً أصاب كأنَّه حُدِّث به، أُلقي في روعه من عالم الملكوت فيظهر على نحو ما وقع له، وهذه كرامةٌ يكرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلةٌ جليلةٌ من منازل الأولياء.

فإن يكن من امَّتي منهم أحدٌ فإنّه عمر، كأنَّه جعله في انقطاع قرينة في ذلك كأنَّه نبيّ؛ فلذلك أتى بلفظ إن بصورة الترديد. قال القاضي: ونظير هذا التعليق في الدلالة على التأكيد والاختصاص قولك: إن كان لي صديقٌ فهو زيد؛ فإنّ قائله لا يريد به الشكّ في صداقته بل المبالغة في أنَّ الصداقة مختصَّة به لا تتخطاه إلى غيره.

وقال القرطبي: قوله «فإن يكن» دليلٌ على قلّة وقوعه وندرته، وعلى أنَّه ليس المراد بالمحدَّثين المصيبون فيما يظنّون لأنَّه كثيرٌ في العلماء بل وفي العوام

(١) هو سارية بن زنيم بن عبد الله وكان من قصته أن عمر رضي الله عنه أمره على جيش وسيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين، فوقع في خاطر سيدنا عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل فقال في أثناء خطبته: يا سارية: الجبل الجبل. ورفع صوته فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم. كذا في هامش تفسير القرطبي.

مَن يقوى حدسه فتصحُّ إصابته فترتفع خصوصيَّة الخبر وخصوصيَّة عمر، ومعنى الخبر قد تحقّق ووجد في عمر قطعاً وإن كان النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يجزم بالوقوع، وقد دلَّ على وقوعه لعمر أشياء كثيرة كقصَّة: الجبل يا سارية! الجبل. وغيره، وأصحّ ما يدلّ على ذلك شهادة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم له بذلك حيث قال: إنّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه(١).

قال ابن حجر: وقد كثر هؤلاء المحدَّثون بعد العصر الأوَّل وحكمته زيادة شرف هذه الأُمَّة بوجود أمثالهم فيها ومضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء، فلمّا فات هذه الأُمَّة المحمَّديَّة كثرة الأنبياء لكون نبيّهم خاتم الأنبياء عُوِّضوا تكثير الملهمين.

(تنبيه) قال الغزالي: قال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهد النفس فالتفت إلى شماله وقال: ما تقول رحمك الله؟ ثمَّ إلى يمينه كذلك، ثمّ أطرق إلى صدره فقال: ما تقول؟ ثمَّ أجاب فسألته عن التفاته؟ فقال: لم يكن عندي علمٌ فسألت الملكين فكلٌّ قال: لا أدري فسألت قلبي فحدَّثني بما أجبت فإذا هو أعلم منهما. قال الغزالي: وكأنَّ هذا معنى هذا الحديث. اهـ.

ويجد الباحث في طيِّ كُتب التراجم جمعاً ممَّن كلّمتهم الملائكة منهم: عمران بن الحصين الخزاعي المتوفّى سنة ٥٢، أخرج أبو عمر في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٤٥٥: إنَّه كان يرى الحفظة وكانت تكلّمه حتّى اكتوى. وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٢٦.

وقال ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٦٠: قد كانت الملائكة تسلّم عليه فلمّا اكتوى انقطع عنه سلامهم، ثمّ عادوا قبل موته بقليل، فكانوا يسلّمون عليه رضي الله عنه. وفي شذرات الذهب ج ١ ص ٥٨: إنَّه كان يسمع تسليم الملائكة عليه، ثمّ اكتوى بالنار فلم يسمعهم عاماً، ثمَّ أكرمه الله بردِّ ذلك.

---

(١) لم يصدّق الخُبر الخَبر، بل: يكذبه التاريخ الصحيح وسيرة عمر المحفوظة في صفحات الكتب والمعاجم.

وذكَر تسليم الملائكة عليه الحافظ العراقي في «طرح التثريب» ج ١ ص ٩٠، وأبو الحجّاج المزّي في «تهذيب الكمال» كما في تلخيصه ص ٢٥٠، وقال ابن سعد وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج ١ ص ٢٨٣: كانت الملائكة تصافحه. وذكره ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ج ٨ ص ١٢٦.

ومنهم: أبو المعالي الصّالح المتوفّى سنة ٤٢٧، أخرج الحافظان ابنا الجوزي وكثير أنَّ أبا المعالي أصابته فاقةٌ شديدةٌ في شهر رمضان فعزم على الذهاب إلى رجل من ذوي قرابته ليستقرض منه شيئاً قال: فبينما أنا أُريده فنزل طائرٌ فجلس على منكبي وقال: يا أبا المعالي أنا الملك الفلاني، لا تمضي إليه نحن نأتيك به. قال: فبكر إليّ الرَّجل «صف ج ٢ ص ٢٨٠، ظم ج ٩ ص ١٣٦، يه ج ١٢ ص ١٦٣».

وقال أبو سليمان الخطّابي: قال النبيّ ﷺ: «قد كان في الأُمم ناسٌ محدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي فعمر» وأنا أقول: فإن كان في هذا العصر أحدٌ كان أبو عثمان المغربي «طب ج ٩ ص ١١٣».

ومن هذا القبيل تكلّم الحوراء مع أبي يحيى الناقد، أخرج الخطيب البغدادي وابن الجوزي عن أبي يحيى زكريّا بن يحيى الناقد المتوفّى سنة ٢٨٥ «أحد أثبات المحدِّثين» قال اشتريت من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلمّا كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء وهي تقول: وفيتَ بعهدك فها أنا التي قد اشتريتني[(١)].

(هذا ما عند القوم وأمّا نصوص الشيعة)

فأخرج ثقة الإسلام الكليني في كتابه «أُصول الكافي» ص ٨٤ تحت عنوان «باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدَّث» أربعة أحاديث منها بإسناده عن بُريد عن الإمامين الباقر والصّادق صلوات الله عليهما في قوله عزَّ وجلَّ [في سورة الحجِّ]: ﴿وما أرْسَلنا مِنْ قَبلكَ مِنْ رسولٍ وَلا نبيٍّ وَلا مُحَدَّث﴾. [قال

(١) طب ٨ ص ٣٦٢، ظم ٦ ص ٨، صف ٢ ص ٢٣٤، مناقب أحمد لابن الجزي ص ٥١٠.

بُـريد]: قلت: جُعِلتُ فـداك ليست هـذه قـراءتنـا(١) فمـا الـرَّسـول والنبي والمُحَدَّث؟ قال: الرَّسول الَّذي يظهر له الملك فيكلّمه، والنبيّ هو الذي يرى في منامه، وربَّما اجتمعت النبوَّة والـرِّسالـة لواحـدٍ، والمحدَّث الـذي يسمع الصوت ولا يرى الصّورة. قال: قلت أصلحك الله كيف يعلم أنَّ الذي رأى في النّوم حقٌّ وأنَّه من الملك؟ قال: يوفَّق لذلك حتَّى يعرفه، ولقد ختم الله عزّ وجلّ بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء.

وحديث آخر أيضاً فصّل بهـذا البيان بين النبيِّ والـرَّسول والمحـدَّث، وحديثان بـالتفصيل المـذكور غيـر أنَّ فيهما مكـان لفظة المحـدَّث، الإمام. أحدهما عن زرارة قال: سألتُ أبا جعفر عليه السَّلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وكان رسولاً نبياً**﴾: ما الرَّسول؟ وما النبيّ؟ قال: النبيّ الذي يرى في منامه ويسمع الصّوت ولا يعاين المَلك، والرَّسول الذي يسمـع الصّوت ويـرى في المنام ويعاين الملك. قلتُ: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصّوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثمَّ تلا هذه الآية: وما أرسلنا مِن قبلك من رسول ولا نبيّ ولا محدَّث.

والثاني: عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العبّاس المعروف إلى الرضا عليه السَّلام: جُعِلتُ فـداك أخبرني مـا الفرق بين الـرَّسول والنبيّ والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرَّسول والنبيِّ والإمام: إنَّ الرَّسول الذي ينزل عليه جبرئيل عليه السَّلام فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السَّلام والنبيّ ربمـا سمع الكـلام وربمـا رأى الشخص ولم يسمع، والإمـام هو الـذي يسمع الكـلام ولا يـرى الشخص.

هذا تمام ما في هذا الباب من الكافي وأخرج في ص ١٣٥ تحت عنوان «باب أنَّ الأئمَّة عليهم السَّـلام مُحدَّثـون مُفهمون» خمسـة أحاديث منهـا عن

---

(١) هي قراءة ابن عباس كما مر.

حمران بن أعين، قال: قال أبو جعفر عليه السَّلام: انَّ عليّاً كان مُحدَّثاً فخرجتُ إلى أصحابي فقلتُ: جئتكم بعجيبة. فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السَّلام يقول: كان عليٌّ مُحدَّثاً فقالوا: ما صنعت شيئاً إلاّ سألته: مَن كان يحدّثه؟ فرجعت إليه فقلت: إنِّي حدَّثت أصحابي بما حدَّثتني فقالوا: ما صنعت شيئاً إلاّ سألته: مَن كان يحدّثه؟ فقال لي: يحدِّثه ملَك. قلت: تقول إنّه نبيٌّ؟ قال: فحرَّك يده هكذا، أو كصاحب سليمان، أو كصاحب موسى، أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنّه قال: وفيكم مثله؟

وحديث آخر ما ملخَّصه: إنَّ عليّاً [أمير المؤمنين] كان يعرف قاتله ويعرف الأُمور العظام التي كان يحدِّث بها النَّاس بقول الله عزَّ ذكره. وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ولا محدَّث.

وحديثان آخران أحدهما: أنّ أوصياء محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلّم محدَّثون. والثاني: الأئمَّة علماء صادقونَ مُفهَمونَ مُحدَّثون. والحديث الخامس في معنى المحدَّث وأنّه يسمع الصّوت ولا يرى الشخص. وليس في هذا الباب من كتاب الكافي غير ما ذكرناه.

وروى شيخ الطائفة في أماليه ص ٢٦٠ بإسناده عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: كان عليّ عليه السَّلام محدَّثاً، وكان سلمان محدّثاً قال: قلت: فما آية المحدَّث؟ قال: يأتيه ملكٌ فينكت في قلبه كيت كيت.

وبالإسناد عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: منّا مَن يُنكت في قلبه، ومنّا مَن يُقذف في قلبه، ومنّا مَن يُخاطب.

وبإسناده عن الحرث النصري قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: الذي يُسأل عنه الإمام وليس عنده فيه شيءٌ من أين يعلمه؟ قال: يُنكت في القلب نكتاً، أو يُنقر في الأذن نقراً، وقيل لأبي عبدالله عليه السَّلام: إذا سُئلَ كيف يُجيب؟ قال: إلهامٌ وسماعٌ وربَّما كانا جمعاً.

وروى الصفّار بإسناده في «بصائر الدرجات» عن حمران بن أعين قال:

قلتُ لأبي جعفر عليه السَّلام: ألستَ حدثتني انَّ عليّاً كان مُحدَّثاً؟ قال: بلى. قلتُ: مَنْ يحدّثه؟ قال: ملَكٌ. قلتُ: فأقول: إنّه نبيٌّ أو رسولٌ؟ قال: لا. بل مَثَله مَثل صاحب سليمان، ومَثَل صاحب موسى، ومَثَل ذي القرنين، أما بلغك أنَّ عليّاً سُئل عن ذي القرنين؟ فقالوا: كان نبيّاً؟ قال: لا. بل كان عبداً أحبَّ الله فأحبَّه، وناصح الله فناصحه.

وبإسناده عن حمران قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السَّلام ما موضع العلماء؟ قال: مثل ذي القرنين، وصاحب سليمان، وصاحب داود.

وبالإسناد عن بُريد قال: قلتُ لأبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام: ما منزلكم؟ بمن تشبهون ممّن مضى؟ فقال: كصاحب موسى، وذي القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيِّين.

وبالإسناد عن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: ما منزلتهم؟ أنبياءٌ هم؟ قال: لا. ولكن هم علماء كمنزلة ذي القرنين في علمه، وكمنزلة صاحب موسى، وكمنزلة صاحب سليمان.

هذه جملةٌ من أخبار الشيعة في الباب وهي كثيرةٌ مشوثة في كتبهم[١] وهذه رؤوسها، ومؤدَّى هذه الأحاديث هو الرأي العام عند الشيعة سلفاً وخلفاً، وفذلكته أنَّ في هذه الأُمَّة اناس محدَّثون كما كان في الأُمم الماضية، وأمير المؤمنين وأولاده الأئمَّة الطاهرون علماءٌ محدَّثون وليسوا بأنبياء. وهذا الوصف ليس من خاصّة منصبهم ولا ينحصر بهم، بل: كانت الصدِّيقة كريمة النبيّ الأعظم محدَّثة، وسلمان الفارسي محدَّثاً. نعم: كلّ الأئمَّة من العترة الطاهرة محدَّثون، وليس كلُّ محدَّث بإمام، ومعنى المحدَّث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث المفصَّلة في الأحاديث المتلوَّة، هذا ما عند الشيعة ليس إلاّ.

هذا منتهى القول عند الفريقين ونصوصهما في المحدَّث وأنت كما ترى لا يوجد أيّ خلاف بينهما، ولم تشذّ الشيعة عن بقيّة المذاهب الإسلاميّة في هذا

---

(١) جمعها العلامة المجلسي في بحار الأنوار.

الموضوع بشيء من الشذوذ إلّا في عدم عدّهم عمر بن الخطّاب من المحدَّثين، وذلك أخذاً بسيرته الثابتة في صفحات التاريخ من ناحية علمه ولسنا في مقام البحث عنه[1]. فهل من المعقول أن يُعدّ هذا القول المتسالم عليه في المحدَّث لأُمَّةٍ من قائليه فضيلةً رابيةً، وعلى الأُخرىٰ منهم ضلالاً ومنقصة؟ لا ها الله.

هلمَّ معي نسائل كيذبان الحجاز [عبدالله القصيمي] جرثومة النِّفاق، وبذرة الفساد في المجتمع كيف يرى في كتابه [الصّراع بين الإسلام والوثنيّة] أنّ الأئمّة من آل البيت عند الشيعة أنبياء وأنّهم يوحى إليهم، وانَّ الملائكة تأتي إليهم بالوحي، وأنّهم يزعمون لفاطمة وللأئمّة من وُلدِها ما يزعمون للأنبياء؟ ويستند في ذلك كلّه على مكاتبة الحسن بن العبّاس المذكور ص ٧١ نقلاً عن الكافي، هلاّ يعلم هذا المغفّل أنَّ هذه المفتريات والقذائف على أُمَّة كبيرة [أطلّت آرائها الصالحة على أرجاء الدنيا] إنْ هي إلّا مآل القول بالمحدَّث الوارد في الكتاب العزيز وتكلّم الملائكة مع الأئمّة من آل البيت وأُمّهم فاطمة البتول كما هو مقتضى استدلاله، وأهل الإسلام كلّهم شرعٌ سواء في ذلك. أوَ للشيعيّ عندئذ أن يقول: إنّ عمر بن الخطّاب وغيره من المحدَّثين على زعم العامّة عندهم أنبياء يوحى إليهم، وانَّ الملائكة تأتي إليهم بالوحي؟ لكنَّ الشيعة علماء حكماء لا يخدشون العواطف بالدجل والتمويه وقول الزور، ولا يُسمع لأحد من حملة روح التشيّع، والنزعة العلويّة الصحيحة، ومقتفي الآداب الجعفريّة أن يتَّهم أُمَّة كبيرة بالطامات، وحاشاها أن تُشوِّه سمعتها بالأكاذيب والأفائك، وتقذف الأُمم بما هي بريئة منه، أما كانت بين يدي الرَّجل تلكم النصوص الصريحة للشيعة على أنّ الأئمّة علماء وليسوا بأنبياء؟ أما كان صريح تلك الأحاديث بأنّ الأئمّة مَثَلهم كمثل صاحب موسى، وصاحب سليمان، وذي القرنين؟ أما كان في «الكافي» في الباب الذي قلّبه الرجل على الشيعة قول الإمامين الباقر والصّادق: لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء؟ نعم: هذه كلّها كانت بمرأى من الرَّجل غير أنّ الإناء ينضح بما فيه، ووليد

(١) سنوقفك على البحث عنه في الجزء السادس إن شاء الله تعالى.

الروح الأموية الخبيثة وحامل نزعاتها الباطلة سدكٌ بالقحّة والسفالة، ولا ينفكّ عن الخنى والقذيعة، ومن شأن الأمويِّ أن يتفعّى ويمين ويأفك، ويهتك ناموس المسلمين، ويسلقهم بألسنة حداد، ويفتري على آل البيت وشيعتهم إقتداءً بسلفه، وجرياً على شنشنته الموروثة، ونحن نورد نصَّ كلام الرَّجل ليكون الباحث على بصيرةٍ من أمره، ويرى جهده البالغ في تشتيت صفوف الأُمَّة، وشقِّ عصا المسلمين بالبهت وقول الزّور. قال في «الصِّراع» ج ١ ص ١:

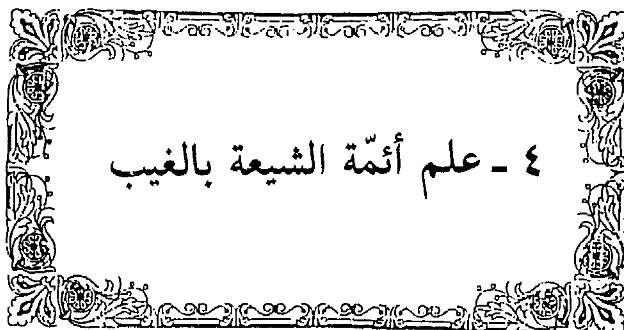
الأئمّة يوحى إليهم عند الشيعة، قال في «الكافي»: كتب الحسن بن العبّاس إلى الرِّضا يقول: ما الفرق بين الرَّسول والنبيِّ والإمام؟ فقال: الرَّسول هو الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه، ويسمع كلامه، وينزل عليه الوحي، والنبيّ ربما يسمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص. وقال: والأئمَّة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلونه إلّا بعهد من الله وأمر منه لا يتجاوزونه. وفي الكتاب نصوصٌ اخرى متعدِّدةٌ في هذا المعنى، فالأئمَّة لدى هؤلاء أنبياء يوحى إليهم، ورُسُلٌ أيضاً لأنَّهم مأمورون بتبليغ ما يوحى إليهم.

وقال في ج ٢ ص ٣٥: قد قدَّمنا في الجزء الأوَّل: أنَّ القوم يزعمون أنَّ أئمَّة أهل البيت يوحى إليهم، وأنَّ الملائكة تأتيهم بالوحي من الله ومن السَّماء، وتقدَّم قولهم: انَّ الأئمة لا يفعلون شيئاً ولا يقولونه إلّا بوحي من الله، وتقدّم: أنّ الفرق عندهم بين محمَّد رسول الله وبين الأئمَّة من ذرِّيته: أنَّ محمَّداً كان يرى الملك النازل عليه بالوحي، وأمَّا الأئمَّة فيسمعون الوحي وصوت الملك وكلامه ولا يرون شخصه، وهذا هو الفرق لديهم بين النبيِّ والإمام، وبين الرُسل والأئمَّة؛ وهو فرقٌ لا حقيقة له، فالأئمَّة من آل البيت عندهم أنبياء ورُسُل بكلِّ ما في كلمة النبيِّ والرَّسول من معنى، لأنَّ النبيَّ الرَّسول هو إنسانٌ أوحى الله إليه رسالة، وكلّف تبليغها ونشرها، سواءٌ أكان وحي الله إليه بواسطة الملك أم بلا واسطة، وسواءٌ رأى شخص تلك الواسطة أم لم يره، بل سمع منه وعقل عنه، هذا هو النبيُّ الرَّسول. ورؤية الملك لا دخل لها في حقيقة معنى النبيِّ والرَّسول

بالإجماع، ولهذا يقولون: الرَّسول هو إنسانٌ أُوحي إليه وأُمر بالبلاغ، والنبيُّ هو إنسانٌ أُوحي إليه ولم يُؤمر بالبلاغ ولم يجعلوا لرؤية الملك دخلاً في حقيقة النبيِّ وحقيقة الرسول، وهذا لا يُنازع فيه أحدٌ من الناس، فالشيعة يزعمون لفاطمة وللأئمَّة من وُلدها ما يزعمون للأنبياء والرُسُل من المعاني والحقائق، فهم يزعمون أنَّهم معصومون، وأنّهم يوحى إليهم، وأنَّ الملائكة تنزل عليهم بالرِّسالات، وأنَّ لهم معجزات أقلّها إحياؤهم الأموات؛ كما يقولون في أفضل كتبهم. إنتهى.

﴿إنّما يَفتري الكذبَ الَّذين لا يُؤمِنونَ بآياتِ الله
وَأُولئك هم الكاذبون﴾

سورة النحل الآية ١٠٥



٤ ـ علم أئمّة الشيعة بالغيب

شاعت القالة حول علم الأئمَّة من آل محمَّد صلوات الله عليه وعليهم ممّن أضمر الحنق على الشيعة وأئمتهم، فعند كل منهم حوشيٌّ من الكلام، يزخرف الزّلح من القول، ويخبط خبط عشواء، ويثبت البرهنة على جهله، كأنَّ الشيعة تفرَّدت بهذا الرأي عن المذاهب الإسلاميّة، وليس في غيرهم مَن يقول بذلك في إمام من أئمَّة المذاهب، فاستحقّوا بذلك كلَّ سببٍ وتحاملٍ ووقيعةٍ، فحسبك ما لفّقه القصيمي في «الصِّراع» من قوله في صحيفة ب تحت عنوان: الأئمة عند الشيعة يعلمون كلَّ شيء، والأئمَّة إذا شاءوا ان يعلموا شيئاً أعلمهم الله إيّاه، وهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلّا باختيارهم، وهم يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون ولا يخفى عليهم شيءٌ ص ١٢٥ وص ١٢٦ [من الكافي للكليني] ثمَّ قال:

وفي الكتاب نصوصٌ أُخرى أيضاً في المعنى، فالأئمَّة يُشاركون الله في هذه الصفة صفة علم الغيب، وعلم ما كان وما سيكون، وأنَّه لا يخفى عليهم شيءٌ، والمسلمون كلّهم يعلمون أنّ الأنبياء والمرسلين لم يكونوا يشاركون الله في هذه الصفة، والنصوص في الكتاب والسنّة وعن الأئمَّة في أنّه لا يعلم الغيب إلّا الله متواترةٌ لا يستطاع حصرها في كتاب. الخ.

ج ـ العلم بالغيب أعني الوقوف على ماوراء الشود والعيان من حديث ما غبر أو ما هو آت إنّما هو أمرٌ سائغٌ ممكنٌ لعامَّة البشر كالعلم بالشهادة يُتصوَّر في كلِّ

ما يُنبَّأ الإنسان من عالم غابر، أو عهدٍ قادم لم يَرَه ولم يشهده، مهما أخبره بذلك عالمٌ خبيرٌ، أخذاً من مبدأ الغيب والشهادة، أو علماً بطرق اخرى معقولة، وليس هناك أيُّ وازع من ذلك، وأمّا المؤمنون خاصّة فأغلب معلوماتهم إنّما هو الغيب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنّته وناره ولقاءه والحياة بعد الموت والبعث والنشور ونفخ الصور والحساب والحور والقصور والولدان وما يقع في العرض الأكبر، إلى آخر ما آمنَ به المؤمن وصدَّقه؛ فهذا غيبٌ كلّه، وأُطلق عليه الغيب في الكتاب العزيز، وبذلك عرَّف الله المؤمنين في قوله تعالى: ﴿الَّذينَ يُؤمنون بالغيبِ﴾ «البقرة آية ٣» وقوله تعالى: ﴿الَّذين يَخشون ربَّهم بالغيب﴾ «الأنبياء آية ٤٩» وقوله: ﴿إنَّما تُنذر الَّذين يخشونَ ربّهم بالغيب﴾ «فاطر آية ١٨» وقوله: ﴿إنَّما تُنذر مَن اتَّبع الذكر وخشيَ الرّحمن بالغيب﴾ «يس آية ١١» وقوله: ﴿مَنْ خشي الرَّحمٰن بالغيب﴾ «ق آية ٣٣» وقوله: ﴿إنّ الذين يخشون ربَّهم بالغيب لهم مغفرة﴾ «الملك آية ١٢» وقوله: ﴿جنّات عدنٍ وعد الله عباده بالغيب﴾ «مريم آية ٦١».

ومنصب النبوَّة والرِّسالة يستدعي لمتولّيه العلم بالغيب من شتّى النواحي مضافاً إلى ما يعلم منه المؤمنون، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿كلّاً نقصُّ عليك م أنباء الرُّسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ «هود» ومن هنا قصَّ على نبيّه القصص، وقال بعد النبأ عن قصّة مريم: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ «آل عمران آية ٤٤» وقالبعد سرد قصّة نوح: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾. «هود آية ٤٩» وقال بعد قصّة إخوان يوسف: ﴿ذَلِكَ مِن أنباءِ الغيب نوحيه إليك﴾ «يوسف آية ١٠٢».

وهذا العلم بالغيب الخاصّ بالرُّسل دون غيرهم ينصُّ عليه قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول﴾. نعم: ﴿ولا يُحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء﴾، ﴿وما أُوتيتم من العلم إلَّا قليلاً﴾.

فالأنبياء والأولياء والمؤمنون كلّهم يعلمون الغيب بنصٍّ من الكتاب العزيز، ولكلٍّ منهم جزءٌ مقسوم؛ غير أنَّ علم هؤلاء كلّهم بلغ ما بلغ محدودٌ لا

محالة كمّاً وكيفاً، وعارضٌ ليس بذاتيٍّ، ومسبوقٌ بعدمه ليس بأزليٍّ، وله بدءٌ ونهايةٌ ليس بسرمديٍّ، ومأخوذٌ من الله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو.

والنبيّ ووارث علمه في امّته[1] يحتاجون في العمل والسير على طبق علمهم بالغيب من البلايا، والمنايا، والقضايا، وإعلامهم الناس بشيءٍ من ذلك، إلى أمر المولى سبحانه ورخصته، وإنّما العلم، والعمل به، وإعلام الناس بذلك، مراحل ثلاث لا دخل لكلٍّ مرحلة بالأخرى، ولا يستلزم العلم بالشيء وجوب العمل على طبقه، ولا ضرورة الإعلام به، ولكلٍّ منها جهاتٌ مقتضيةٌ ووجوهٌ مانعةٌ لا بدَّ من رعايتها ،وليس كلّما يُعلم يُعمل به، ولا كلّما يُعلم يُقال.

قال الحافظ الأُصولي الكبير الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي المتوفّى سنة ٧٩٠ في كتابه القيِّم [الموافقات في اصول الأحكام] ج ٢ ص ١٨٤ : لو حصلت له مكاشفة بأنَّ هذا المعيَّن مغصوبٌ أو نجسٌ، أو أنَّ هذا الشاهد كاذبٌ، أو أنَّ المال لزيد، وقد تحصَّل [للحاكم] بالحجّة لعمرو، أو ما أشبه ذلك، فلا يصحُّ له العمل على وفق ذلك ما لم يتعيّن سببٌ ظاهرٌ، فلا يجوز له الإنتقال إلى التيمّم، ولا ترك قبول الشاهد ولا الشهادة بالمال لذي يدٍ على حال، فإنّ الظواهر قد تعيَّن فيها بحكم الشريعة أمرٌ آخر، فلا يتركها إعتماداً على مجرَّد المكاشفة أو الفراسة، كما لا يعتمد فيها على الرؤيا النوميّة، ولو جاز ذلك لجاز نقض الأحكام بها وإن ترتبت في الظاهر موجباتها، وهذا غير صحيح بحال فكذا ما نحن فيه، وقد جاء في الصحيح: إنّكم تختصمون إليّ ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع منه. الحديث. فقيَّد الحكم بمقتضى ما يسمع وترك ما وراء ذلك، وقد كان كثيرٌ من الأحكام التي تجري على يديه يطّلع على أصلها وما فيها

---

(١) أجمعت الامة الإسلامية على أن وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علمه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام راجع الجزء الثالث من كتابنا ص ١٢٨ ـ ١٣٤ .

من حقٍّ وباطلٍ، ولكنّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يحكم إلاّ على وفق ما سمع، لا على وفق ما علم[1] وهو أصلٌ في منع الحاكم أن يحكم بعلمه، وقد ذهب مالك في القول المشهور عنه: انّ الحاكم إذا شهدت عنده العدول بأمر يعلم خلافه، وجب عليه الحكم بشهادتهم إذا لم يعلم تعمّد الكذب، لأنّه إذا لم يحكم بشهادتهم كان حاكماً بعلمه، هذا مع كون علم الحاكم مستفاداً من العادات التي لا ريبة فيها لا مِن الخوارق التي تداخلها امور، والقائل بصحّة حكم الحاكم بعلمه فذلك بالنسبة إلى العلم المستفاد من العادات لا من الخوارق، ولذلك لم يعتبره رسول الله ﷺ وهو الحجّة العظمى. إلى أن قال في ص ١٨٧:

إن فتح هذا الباب يؤدِّي إلى أن لا يُحفظ ترتيب الظواهر، فإنَّ من وجب عليه القتل بسببٍ ظاهرٍ فالعذر فيه ظاهرٌ واضحٌ، ومن طلب قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرَّد أمرٍ غيبيٍّ ربَّما شوَّش الخواطر وران على الظواهر، وقد فُهِمَ من الشرع سَدّ هذا الباب جملة؛ ألا ترى إلى باب الدعاوي المستند إلى أنَّ البيِّنة على المدَّعي واليمين على من أنكر، ولم يُستثن من ذلك أحدٌ حتّى انَّ رسول الله ﷺ احتاج إلى البيِّنة في بعض ما أُنكر فيه ممّا كان اشتراه فقال: مَن يشهد لي؟ حتّى شهد له خزيمة بن ثابت فجعلها الله شهادتين. فما ظنّك بآحاد الأُمَّة، فلو ادَّعى أكبر الناس على أصلح الناس لكانت البيِّنة على المدَّعي واليمين على من أنكر؛ وهذا من ذلك والنمط واحدٌ، فالإعتبارات الغيبيَّة مهملةٌ بحسب الأوامر والنواهي الشرعيَّة..

وقال في ص ١٨٩: فصل: إذا تقرّر إعتبار ذلك الشرط فأين يسوغ العمل على وفقها؟ فالقول في ذلك انّ الأُمور الجائزات أو المطلوبات التي فيها سعة يجوز العمل فيها بمقتضى ما تقدَّم وذلك على أوجه: أحدها أن يكون في أمرٍ مباحٍ كأن يرى المكاشف أنَّ فلاناً يقصده في الوقت الفلاني أو يعرف ما قصد

(١) قال السيد محمد الخضر الحسين التونسي في تعليق الموافقات: لا يقضي عليه الصلاة والسلام بمقتضى ما عرفه من طريق الباطن كما حكى القرآن عن الخضر (عليه السلام) حتى يكون للامة في أخذه بالظاهر اسوة حسنة. إلى أن قال: والحكم بالظاهر وإن لم يكن مطابقاً للواقع ليس بخطإ لأنّه بما أمر الله.

إليه في إتيانه من موافقةٍ أو مخالفةٍ، أو يطّلع على ما في قلبه من حديث أو اعتقادٍ حقٍّ أو باطلٍ وما أشبه ذلك، فيعمل على التهيئة له حسبما قصد إليه أو يتحفّظ من مجيئه إن كان قصده بشرٍّ، فهذا من الجائز له كما لو رأى رؤيا تقتضي ذلك، لكن لا يُعامله إلاّ بما هو مشروعٌ كما تقدَّم.

الثاني: أن يكون العمل عليها لفائدةٍ يرجو نجاحها، فإنَّ العاقل لا يدخل على نفسه ما لعلّه يخاف عاقبته فقد يلحقه بسبب الإلتفات إليها أو غيره، والكرامة كما أنَّها خصوصيّةٌ كذلك هي فتنةٌ واختبارٌ لينظر كيف تعملون، فإن عرضت حاجةٌ أو كان لذلك سببٌ يقتضيه فلا بأس. وقد كان رسول الله ﷺ يخبر بالمغيَّبات للحاجة إلى ذلك، ومعلومٌ أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يخبر بكلِّ مغيَّب إطَّلع عليه، بل كان ذلك في بعض الأوقات وعلى مقتضى الحاجات، وقد أخبر عليه الصَّلاة والسَّلام المصلّين خلفه: أنَّه يراهم من وراء ظهره. لما لهم في ذلك من الفائدة المذكورة في الحديث؛ وكان يمكن أن يأمرهم وينهاهم من غير إخبار بذلك، وهكذا سائر كراماته ومعجزاته، فعمل أُمَّته بمثل ذلك في هذا المكان أولى منه في الوجه الأوَّل، ولكنَّه مع ذلك في حكم الجواز لما تقدَّم من خوف العوارض كالعجب ونحوه.

الثالث: أن يكون فيه تحذيرٌ أو تبشيرٌ ليستعدَّ لكلٍّ عدَّته فهذا أيضاً جائزٌ كالإخبار عن أمر ينزل إن لم يكن كذا، أو لا يكون إن فعل كذا فيعمل على وفق ذلك. إلخ.

فهلّا كان من الغيب نبأ ابني نوح، وأنباء قوم هود وعاد وثمود، وقوم إبراهيم ولوط، وذكرى ذي القرنين، ونبأ من سلف من الأنبياء والمرسلين؟!

وهلّا كان منه ما أسرَّ به النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى بعض أزواجه **فأفشته** إلى أبيها فلمّا نبّأها به وقالت: **من أنبأك هذا؟ قال: نبَّأني العليم الخبير**؟ «التحريم آية ٣».

وهلّا كان منه ما أنبأ موسى صاحبه من **تأويل ما لم يستطع عليه صبراً**؟ «الكهف».

وهلاّ كان منه ما كان يقول عيسى لأُمَّته : **وأُنبِّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم؟** «آل عمران آية ٤٩» .

وهلاّ كان منه قول عيسى لبني إسرائيل: **يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدِّقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشِّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد؟** «الصف آية ٦».

وهلاّ كان منه ما أوحى الله تعالى إلى يوسف: **لتنبئنّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون؟** «يوسف آية ١٥».

وهلاّ كان منه ما أنبأ آدم الملائكة من أسمائهم أمراً من الله **يا آدم أنبئهم بأسمائهم؟** «البقرة آية ٣٣».

وهلاّ كانت منه تلكم البشارات الجمّة المحكيّة عن التوراة والانجيل والزَّبور وصحف الماضين وزبر الأوَّلين بنبوَّة نبيِّ الإسلام وشمائله وتاريخ حياته وذكر امّته؟.

وهلاّ كانت منه تلك الأنباء الصحيحة المرويَّة عن الكهنة والرهابين والأقسَّة حول النبيِّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل ولادته؟.

ليس هناك أيّ منع وخطر إن علّم الله أحداً ممّن خلق بما شاء وأراد من الغيب المكتوم من علم ما كان أو سيكون، من علم السّماوات والأرضين، من علم الأوَّلين والآخرين، من علم الملائكة والمرسلين. كما لم يُر أيّ وازع إذا حَبا أحداً بعلم ما شاء من الشهادة وأراه ما خلق كما أرى إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض. ولا يُتصوَّر عندئذ قطُّ اشتراك مع المولى سبحانه في صفته العلم بالغيب، ولا العلم بالشهادة ولو بلغ علم العالم أيَّ مرتبة رابية، وشتّان بينهما، إذ القيود الإمكانيّة البشريّة مأخوذةٌ في العلم البشريِّ دائماً لا محالة، سواءٌ تعلّق بالغيب أو تعلّق بالشهادة، وهي تلازمه ولا تفارقه، كما أنَّ العلم الإلهي بالغيب أو الشهادة تؤخذ فيه قيود الأحديّة الخاصّة بذات الواجب الأحد الأقدس سبحانه وتعالى.

وكذلك الحال في علم الملائكة، لو أذن الله تعالى إسرافيل مثلا وقد نصب بين عينيه اللوح المحفوظ الذي فيه تبيان كلّ شيء أن يقرأ ما فيه ويطّلع عليه لم يُشارك الله قطّ في صفته العلم بالغيب، ولا يلزم منه الشرك. فلا مقايسة بين العلم الذاتيِّ المطلق وبين العرضيِّ المحدود، ولا بين ما لا يكيَّف بكيف، ولا يؤيَّن بأين وبين المحدود المقيَّد. ولا بين الأزليِّ الأبديِّ وبين الحادث الموقَّت. ولا بين التأصليِّ وبين المكتسب من الغير؛ كما لا يُقاس العلم النبويُّ بعلم غيره من البشر، لإختلاف طرق علمهما، وتباين الخصوصيّات والقيود المتّخذة في علم كلٍّ منهما، مع الإشتراك في إمكان الوجود. بل لا مقايسة بين علم المجتهد وبين علم المقلّد فيما علما من الأحكام الشرعيَّة ولو أحاط المقلّد بجميعها، لتباين المبادىء العلميَّة فيهما.

فالعلم بالغيب على وجه التأصّل والإطلاق من دون قيد بكمٍّ وكيفٍ كالعلم بالشهادة على هذا الوجه إنما هما من صفات الباري سبحانه، ويخصّان بذاته لا مطلق العلم بالغيب والشهادة، وهذا هو المعنيُّ نفياً وإثباتاً في مثل قوله تعالى: ﴿**قل لا يعلم مَن في السَّموات والأرض الغيب إلّا الله**﴾ «النمل آية ٦٥» وقوله تعالى: ﴿**إنّ الله عالم غيب السَّموات والأرض إنَّه عليمٌ بذات الصدور**﴾ «فاطر آية ٣٨» وقوله تعالى: ﴿**إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون**﴾ «الحجرات آية ١٨» وقوله تعالى: ﴿**ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ «الجمعة آية ٨» وقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب والشهادة هو الرَّحمن الرَّحيم**﴾ «الحشر آية ٢٢» وقوله تعالى: ﴿**ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم**﴾ «السجدة آية ٦» وقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم**﴾ «التغابن آية ١٨» وقوله تعالى: حكايةً عن نوح، ﴿**لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنّي ملك**﴾ «الإنعام آية ٥٠، هود آية ٣١» وقوله تعالىٰ حكايةً: ﴿**لو كنت أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير**﴾ «الأعراف آية ١٨٨».

وبهذا التفصيل في وجوه العلم يُعلم عدم التعارض نفياً وإثباتاً بين أدلَّة المسئلة كتاباً وسُنّة، فكلٌّ من الأدلَّة النافية والمثبتة ناظرٌ إلى ناحية منها،

والموضوع المنفيُّ من علم الغيب في لسان الأدلّة غير المثبت منه وكذلك بالعكس. وقد يوعز إلى الجهتين في بعض النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السّلام مثل قول الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السّلام مجيباً يحيى بن عبدالله بن الحسن لمّا قاله: جعلت فداك انّهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال عليه السّلام: سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت شعرةٌ فيه ولا في جسدي إلا قامت، ثمّ قال: لا والله ما هي إلاّ وراثة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم(١).

وكذلك الحال في بقيّة الصفات الخاصّة بالمولى العزيز سبحانه وتعالى فإنّها تمتاز عن مضاهاة ما عند غيره تعالى من تلكم الصفات بقيودها المخصّصة، فلو كان عيسى على نبيّنا وآله وعليه السّلام يُحيي كلَّ الموتى بإذن الله، أو كان خَلق عالماً بشراً من الطين بإذن ربه بدل ذلك الطير الذي أخبر عنه بقوله: ﴿**إنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله**﴾ «آل عمران آية ٤٩» لم يكن يُشارك المولى سبحانه في صفته الإحياء والخلق، والله هو الوليّ، وهو محيي الموتى، وهو الخلاّق العليم.

وإنّ الملك المصوِّر في الأرحام مع تصويره ما شاء الله من الصور وخلقه سمعها وبصرها وجلدها ولحمهاوعظامها(٢) لم يكن يشارك ربَّه في صفته، والله هو الخالق البارىء المصوِّر، وهو الذي يصوِّر في الأرحام كيف يشاء.

---

(١) أخرجه شيخنا المفيد في المجلس الثالث من أماليه.

(٢) عن حذيفة مرفوعاً: إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم انثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملَك، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملَك. ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملَك ثم يخرج الملَك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ذلك شيئاً ولا ينقص. أخرجه أبو الحسين مسلم في صحيحه، وذكره ابن الأثير في جامع الاصول، وابن الدبيع في التيسير ٤ ص ٤٠.

وفي حديث آخر ذكره ابن الدبيع في تيسير الوصول ٤ ص ٤٠: إذا بلغت «يعني المضغة» أن تخلق نفساً بعث الله ملَكاً يصوِّرها، فيأتي الملَك بتراب بين إصبعيه فيخلط في المضغة ثم يعجنه ثم يصوّرها كما يؤمر فيقول: أذكر أم انثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ وما عمره؟ وما رزقه؟ وما أثره؟ وما مصائبه؟ فيقول الله فيكتب الملَك.

والملك المبعوث إلى الجنين الذي يكتب رزقه وأجله وعمله ومصائبه وما قدّر له من خير وشرٍّ وشقاوته وسعادته ثمّ ينفخ فيه الروح[1] لا يشارك ربّه، والله هو الذي لم يكن له شريكٌ في الملك وخلق كلَّ شيء فقدَّره تقديراً.

وملك الموت مع أنّه يتوفّى الأنفس، وأنزل الله فيه القرآن وقال: **﴿قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم﴾** «السجدة آية ١١» صحَّ مع ذلك الحصر في قوله تعالى: **﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها**، والله هو المميت ولا يشاركه ملك الموت في شيء من ذلك، كما صحّت النسبة في قوله **﴿الّذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** «النحل آية ٢٨» وفي قوله تعالى: **﴿الّذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين﴾** «النحل آية ٣٢» ولا تعارض في كلٍّ ذلك ولا إثم ولا فسوق في إسناد الإماتة إلى غيره تعالىٰ.

والمَلك لا يغشاه نوم العيون[2] ولا تأخذه سِنة الراقد بتقدير من العزيز العليم وجعله، ومع ذلك لا يشارك الله فيما مدح نفسه بقوله: **﴿لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ﴾**.

ولو أنَّ أحداً مكّنه المولى سبحانه من إحياء موتان الأرض برمّتها لم يشاركه تعالى والله هو الذي يحيي الأرض بعد موتها.

فهلمَّ معي نسائل القصيمي عن أنَّ قول الشيعة بأنَّ الأئمّة إذا شاءوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم الله إيَّاه كيف يتفرَّع عليه القول بأنَّ الأئمّة يشاركون الله في هذه الصفة صفة علم الغيب؟ وما وجه الإشتراك بعد فرض كون علمهم بإخبار من الله تعالى وإعلامه؟

---

(١) عن ابن مسعود مرفوعاً: إنّ خلق أحدكم يجمع في بطن امه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملَكاً بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح.
أخرجه البخاري في باب ذكر الملائكة في صحيحه ومسلم وغيرهما من أئمة الصحاح إلا النسائي، وأحمد في مسنده ١ ص ٣٧٤، ٤١٤، ٤٣٠، وأبو داود في مسنده ٥ ص ٣٨، وذكره ابن الأثير في جامعه، وابن الدبيع في التيسير ٤ ص ٣٩.

(٢) راجع الخطبة الاولى من نهج البلاغة وشروحها.

وقد ذهب على الجاهل أنّ الحكم بأنّ القول بعلم الأئمّة بما كان وما يكون - وليس هو كلّ الغيب ولا جلّه - وعدم خفاء شيء من ذلك عليهم يستلزم الشرك بالله في صفة علمه بالغيب، تحديدٌ لعلم الله، وقولٌ بالحدّ في صفاته سبحانه، ومَن حدَّه فقد عدَّه؛ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. والنصوص الموجودة في الكتاب والسنّة على أن لا يعلم الغيب إلّا الله قد خفيت مغزاها على المغفَّل ولم يفهم منها شيئاً، ومِن النّاس مَن يجادل في الله بغير علم ويتّبع كلَّ شيطانٍ مريد.

ونسائل الرَّجل: كيف خفي هذا الشرك المزعوم على أئمّة قومه؟ فيما أخرجوه عن حذيفة قال: أعلمه رسول الله ﷺ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة[1] وما أخرجه أحمد إمام مذهب الرجل في مسنده ج ٥ ص ٣٨٨ عن أبي ادريس قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: والله إنّي لأعلم الناس بكلِّ فتنة هي كائنةٌ فيما بيني وبين السّاعة.

وقد جهل بأنّ علم المؤمن بموته وإختياره الموت واللقاء مهما خيّر بينه وبين الحياة ليس من المستحيل، ولا بأمرٍ خطير بعيدٍ عن خطر المؤمن فضلاً عن أئمّة المؤمنين من العترة الطاهرة، هلاّ يعلم الرجل ما أخرجه قومه في أئمّتهم من ذلك وعدّوه فضائل لهم؟ ذكروا عن ابن شهاب[2] قال: كان أبو بكر - ابن أبي قحافة - والحارث بن كلدة يأكلان حريرة أُهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: إرفع يدك يا خليفة رسول الله إنَّ فيها لسمّ سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتّى ماتا في يوم واحد عند إنقضاء السنة.

وذكر أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٨ و٥١، والطبري في رياضه ج ٢ ص ٧٤ إخبار عمر عن موته بسبب رؤيا رآها، وما كان بين رؤياه وبين يوم طعن فيه إلّا جمعة، وفي الرياض ج ٢ ص ٧٥ عن كعب الأحبار انّه قال لعمر: يا أمير

(١) صحيح مسلم في كتاب الفتن، مسند أحمد ٥ ص ٣٨٦، البيهقي، تاريخ ابن عساكر ٤ ص ٩٤، تيسير الوصول ٤ ص ٢٤١، خلاصة التهذيب ٦٣، الإصابة ١ ص ٢١٨، التقريب ٨٢.
(٢) ك ٣ ص ٦٤، صف ١ ص ١٠، يا ١ ص ١٨٠.

المؤمنين أعهد بأنَّك ميِّت إلى ثلاثة أيّام طعنه أبو لؤلؤة فدخل عليه الناس ودخل كعب في جملتهم فقال: القول ما قال كعب.

ورُوِيَ أنَّ عيينة بن حصن الفزاري قال لعمر: احترسِ أو أخرج العجم من المدينة فإنّي لا آمن أن يطعنك رجلٌ منهم في هذا الموضع. ووضع يده في الموضع الذي طعنه فيه أبو لؤلؤة.

وعن جبير بن مطعم قال: إنّا لواقفون مع عمر على الجبل بعرفة إذ سمعت رجلاً يقول: يا خليفة! فقال أعرابيٌّ من لهب من خلفي: ما هذا الصوت؟ قطع الله لهجتك والله لا يقف أمير المؤمنين بعد هذا العام أبداً. فسببته وأدَّبته فلمّا رمينا الجمرة مع عمر جاءت حصاة فأصابت رأسه ففتحت عرقاً من رأسه فسال الدم، فقال رجلٌ: أشعر أمير المؤمنين أما والله لا يقف بعد هذا العام ههنا أبداً. فالتفت فإذا هو ذلك اللهبي فوالله ما حجّ عمر بعدها. خرَّجه ابن الضحّاك.

وإن تعجب فعجبٌ إخبار الميِّت وهو يُدفن عن شهادة عمر في أيّام خلافة أبي بكر، أخرج البيهقي عن عبدالله بن عبيدالله الأنصاري قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس وكان قتل باليمامة(١) فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمّد رسول الله، أبو بكر الصدّيق، عمر الشهيد، عثمان البرّ الرَّحيم. فنظرنا إليه فإذا هو ميِّت. وذكره القاضي في «الشفاء» في فصل إحياء الموتى وكلامهم.

وعن عبدالله بن سلام قال: أتيتُ عثمان وهو محصورٌ أُسلِّم عليه فقال: مرحباً بأخي مرحباً بأخي، أفلا أُحدِّثُكَ ما رأيت الليلة في المنام؟ فقلت: بلى. قال: رأيت رسول الله ﷺ وقد مثّل لي في هذه الخوخة ـ وأشار عثمان إلى خوخة في أعلى داره ـ فقال: حصروك؟ فقلت. نعم. فقال: عطشوك؟ فقلت: نعم. فأدلى دلواً من ماء فشربت حتّى رُويت، فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديي وبين كتفي. فقال: إن شئت أفطرت عندنا وإن شئت نصرت عليهم؟ فاخترت الفطر(٢).

(١) بلدة باليمن على ست عشرة مرحلة من المدينة، وكانت وقعة اليمامة في ربيع الأول سنة اثنتي عشر هجرية في خلافة أبي بكر.

(٢) الرياض النضرة ٢ ص ١٢٧، الإتحاف للشبراوي ٩٢.

وعنه قال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ البارحة وأبا بكر وعمر فقالوا لي: صبراً فإنَّك تفطر عندنا القابلة.

وعن كثير بن الصلت عن عثمان قال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا فقال: إنَّك شاهدٌ معنا الجمعة «ك ج ٣ ص ٩٩».

وعن ابن عمر: أنّ عثمان أصبح يحدِّث النَّاس قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام قال: يا عثمان افطر عندنا غداً. فأصبح صائماً وقتل من يومه.

قال محبّ الدين الطبري في «الرِّياض» ج ٢ ص ١٢٧ بعد رواية ما ذكر: واختلاف الروايات محمولٌ على تكرار الرؤيا فكانت مرَّة نهاراً ومرَّة ليلاً.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ٢٠٣ بسند صحَّحه إخبار عبدالله بن عمرو الأنصاري الصحابي ابنه جابر بشهادته يوم أُحد، وأنَّه أوَّل قتيل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان كما أخبر به.

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٤٩ عن أبي الحسن المالكي أنَّه قال: كنت أصحب خير النساج - محمّد بن إسماعيل - سنين كثيرة ورأيت له من كرامات الله تعالى ما يكثر ذكره غير أنَّه قال لي قبل وفاته بثمانية أيّام، إنّي أموت يوم الخميس المغرب فأُدفن يوم الجمعة قبل الصَّلاة وستنسى فلا تنساه. قال أبو الحسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من خبَّرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين فسألتهم لِمَ رجعوا فذكروا أنَّه يدفن بعد الصَّلاة، فبادرت ولم ألتفت إلى قولهم فوجدت الجنازة قد أُخرجت قبل الصَّلاة أو كما قال. وهذه القصَّة ذكرها ابن الجوزي أيضاً في المنتظم ج ٦ ص ٢٧٤.

غيض من فيض:

توجد في طيِّ كتب الحفّاظ ومعاجم أعلام القوم قضايا جمَّة في اناس كثيرين عدّوها لهم فضلاً وكرامةً تُنْبِىء عن علمهم بالغيب وبما تخفي الصّدور، ولا يراها أحدٌ منهم شركاً، ولا يسمع من القصيمي ومن لفَّ لفَّه فيها ركزاً، وأمثالها

في أئمّة الشيعة هي التي جسّها القوم، وألقت عليهم جشمها، وكثر فيها منهم الرطيط، وإليك جملةٌ من تلكم القضايا.

١ ـ قال أبو عمرو بن علوان خرجت يوماً إلى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازةً فتبعتها لأُصلّي عليها ووقفت حتّى يدفن الميِّت في جملة الناس فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمّد فلححت بالنظر واسترجعت واستغفرت الله «إلى أن قال»: فخطر في قلبي: أن زرشيخك الجنيد، فانحدرت إلى بغداد فلمّا جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لي: ادخل أبا عمرو تذنب بالرّحبة ونستغفر لك ببغداد. تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤٧، صف ج ٢ ص ٢٣٦

٢ ـ قال ابن النّجار كان الشيخ «أبو محمَّد عبدالله الجبائي المتوفّى سنة ٦٠٥» يتكلّم يوماً في الإخلاص والرِّياء والعجب وأنا حاضرٌ في المجلس فخطر في نفسي: كيف الخلاص من العجب؟ فالتفت إليَّ الشيخ وقال: إذا رأيت الأشياء من الله وأنّه وفّقك لعمل الخير وأخرجك من البين سلمت من العجب. هب ج ٥ ص ١٦

٣ ـ عن الشيخ علي الشبلي، قال: احتاجت زوجتي إلى مقنعة فقلت: عليَّ دين خمسة دراهم فمن أين أشتري لك مقنعة؟ فنمت فرأيت من يقول لي: إذا أردت أن تنظر إلى إبراهيم الخليل فانظر إلى الشيخ عبدالله بن عبد العزيز. فلمّا أصبحت أتيته بقاسيون فقال لي: ما لك يا علي؟ اجلس وقام إلى منزله وعاد ومعه مقنعة في طرفها خمسة دراهم فأخذتها ورجعت. هب ج ٥ص ٧٤

٤ ـ قال أبو محمَّد الجوهري، سمعت أخي أبا عبدالله يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أيّ المذاهب خير؟ وقال قلت: على أيِّ المذاهب أكون؟ فقال: ابن بطة[1] فخرجت من بغداد إلى عكبرا فصادف دخولي يوم الجمعة فقصدت الشيخ أبا عبدالله ابن بطة إلى الجامع فلمّا رآني قال لي ابتداء صدق رسول الله، صدق رسول الله. هب ج ٢ ص ١٢٣ .

(١) هو الحافظ أبو عبدالله عبيدالله بن محمد الفقيه الحنبلي العكبري توفي سنة ٣٨٧.

٥ ـ قال أبو الفتح القوّاس، لحقتني إضاقة وقتاً من الزّمان فنظرت فلم أجد في البيت غير قوس لي وخفّين كنت ألبسهما، فأصبحت وقد عزمت على بيعهما وكان يوم مجلس أبي الحسين بن سمعون فقلت في نفسي: احضر المجلس ثمَّ أنصرف فأبيع الخفّين والقوس. قال: وكان القوّاس قلَّ ما يتخلّف عن حضور مجلس ابن سمعون قال أبو الفتح: فحضرت المجلس فلمّا أردت الإنصراف ناداني أبو الحسين: يا أبا الفتح لا تبع الخفين ولا تبع القوس فإنَّ الله سيأتيك برزق من عنده. تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٧٦.

٦ ـ قال الحافظ ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ١٤٤: قدم الخطيب أردشير بن منصور أبوالحسين العبادي وكان يحضر في مجلسه في بعض الأحيان أكثر من ثلاثين ألفاً من الرِّجال والنساء، قال بعضهم: دخلت عليه وهو يشرب مرقاً فقلت في نفسي: ليته أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن فناولني فضله فقال: اشربها على تلك النيّة. قال: فرزقني الله حفظ القرآن.

٧ ـ قال أبو الحارث الأولاسي خرجت من حصن أولاس أُريد البحر فقال بعض إخواني: لا تخرج فإنّي قد هيَّأت لك «عُجَّة» حتّى تأكل قال: فجلست فأكلت معه ونزلت إلى الساحل وإذا أنا بإبراهيم بن سعد [أبو إسحاق الحسني] العلوي قائماً يصلّي فقلت في نفسي: ما أشكّ إلاّ أنّه يريد أن يقول: امش معي على الماء، ولئن قال لي لأمشينَّ معه، فما استحكم الخاطر حتّى قال: هيه يا أبا الحارث امش على الخاطر. فقلت: بسم الله فمشى هو على الماء فذهبت أمشي فغاصت رجلي فالتفت إليَّ وقال لي يا أبا الحارث: العجَّة أخذت برجلك. فذهب وتركني. طب ج ٦ ص ٨٦، كر ج ٢ ص ٢٠٨، صف ج ٢ص ٢٤٢

٨ ـ كان ابن سمعون محمَّد بن أحمد الواعظ المتوفّى سنة ٣٨٧ يعظ يوماً على المنبر وتحته أبو الفتح بن القوّاس فنعس ابن القوّاس فأمسك ابن سمعون عن الوعظ حتّى استيقظ فحين استيقظ قال ابن سمعون: رأيتَ رسول الله في منامك هذا؟ قال: نعم. قال: فلهذا أمسكت عن الوعظ حتّى لا أُزعجك عمّا

كنت فيه. تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٧٦، المنتظم ج ٧ ص ١٩٩، تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٢٣.

٩ ـ روي عن ابن الجنيدانّه قال: رأيت ابليس في المنام وكأنّه عريان فقلت: ألا تستحي من الناس؟ فقال ـ وهو لا يظنّهم ناساً ـ: لو كانوا ناساً ما كنت ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة إنّما الناس جماعة غير هؤلاء فقلت: أين هم؟ فقال: في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأتعبوا جسدي، كلّما هممت بهم أشاروا إلى الله عزَّ وجلَّ فأكاد أحترق قال: فلمّا انتبهت لبست ثيابي ورحت إلى المسجد الذي ذكر فإذا ثلاثة جلوس ورؤوسهم في مرقعاتهم فرفع أحدهم رأسه إليَّ وقال: يا أبا القاسم لا تغترّ بحديث الخبيث وأنت كلّما قيل لك شيءٌ تقبل. فإذا هم: أبو بكر الدقّاق. وأبو الحسين النوري[1]. وأبو حمزة محمَّد بن علي الجرجاني الفقيه الشافعي. ذكره ابن الأثير كما في تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٩٧، وابن الجوزي في صفة الصفوة ج ٢ ص ٢٣٤.

١٠ ـ جاء يوماً شابٌ نصرانيٌ في صورة مسلم إلى أبي القاسم الجنيد الخزّاز فقال له: يا أبا القاسم ما معنى قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله؟ فأطرق الجنيد ثمَّ رفع رأسه إليه وقال: أسلم فقدآن لك أن تسلم قال: فأسلم الغلام. تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ١١٤.

وحُكي عن أبي الحسن الشاذلي المتوفّى سنة ٦٥٦ قوله: لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يحدث في غدٍ وما بعده إلى يوم القيامة. هب ج ٥ ص ٢٧٩.

العجب العجاب:

وأعجب من هذه كلّها دعوى الرَّجل من القوم انَّه يرى اللوح المحفوظ ويقرأه فتؤخذ منه تلكم الدعاوي الضخمة، وتذكر في سلسلة الفضائل، وتأتي

---

(١) توفي في سنة ٢٩٥، ومن جملة العجائب المذكورة في ترجمته في تاريخ ابن كثير ١١ ص ١٠٦: أنّه صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا من غيره.

في كتبهم حقائق راهنة من دون أيّ مناقشة في الحساب.

قال ابن العماد في شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٨٦ في ترجمة المولى محيي الدين محمَّد بن مصطفى القوجوي الحنفي المتوفّى سنة ٩٥٠ صاحب الحواشي على البيضاوي ومؤلَّفات اخرى: كان يقول إذا شككت في آية من القرآن أتوجَّه إلى الله تعالى فيتَّسع صدري حتّى يصير قدر الدنيا ويطلع فيه قمران لا أدري هما أيّ شيء ثمَّ يظهر نورٌ فيكون دليلاً إلى اللوح المحفوظ فأستخرج منه معنى الآية.

وقال في ج ٨ ص ١٧٨ في ترجمة المولى بخشي الرومي الحنفي المتوفّى سنة ٩٣١: رحل إلى ديار العرب فأخذ عن علمائهم وصارت له يدٌ طولى في الفقه والتفسير (إلى أن قال): كان ربّما يقول: رأيت في اللوح المحفوظ مسطوراً كذا وكذا فلا يخطىء أصلاً.

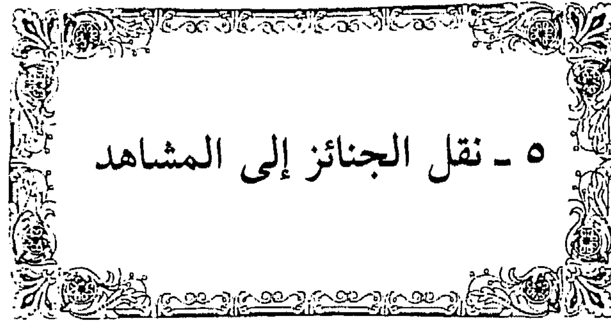
وقال اليافعي في مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٧١: إنَّ الشيخ جاكير المتوفّى سنة ٥٩٠ كان يقول: ما أخذت العهد على أحد حتّى رأيت اسمه مرفوعاً في اللوح المحفوظ من جملة مريدي.

وقال في المرآة ج ٤ ص ٢٥: كان الشيخ ابن الصبّاغ أبو الحسن عليّ بن حميد المتوفّى سنة ٦١٢ لا يصحب إلّا من يراه مكتوباً في اللوح المحفوظ من أصحابه. وذكره ابن العماد في شذراته ج ٥ ص ٥٢.

توجد جملة كثيرة من هذه الأوهام الخرافيَّة في طبقات الشعراني، والكواكب الدريَّة للنووي، وروض الرَّياحين لليافعي، وروضة الناظرين للشيخ أحمد الوتري وأمثالها:

﴿الَّذينَ كَذَّبوا بآياتِنا سَنَستدرِجُهم مِنْ حيثُ لا يشعرونَ﴾

سورة الأعراف، الآية: ١٨٢



٥ ـ نقل الجنائز إلى المشاهد

لقد كثرت الجلبة واللغط حول هذه المسألة من اناس جاهلين بمواقع الأحكام، ذاهلين عن مصادر الفتيا حسبوا أنّها من مختصّات الشيعة فحسب، ففوّقوا إليهم نبال الطعن وشنّوا عليهم الغارات،وهناك أغرارٌ تصدّوا للدفاع ـ وهم مشاركون لأولئك في الجهل أو الذهول ـ بأنّها من عمل الدهماء فلا يحتجُّ بها على المذهب أو العلماء، وآخر حرّف الكلم عن مواضعه ابتغاء اثبات أُمنيّته، ولكن وراء الكلّ حذّاق البحث كشفوا عن تلكم السوءات.

عزب على المساكين انَّ للشيعة موافقون من أهل المذاهب الأربعة في جواز نقل الموتى لأغراض صحيحة إلى غير محالّ موتهم قبل الدّفن وبعده مهما أوصى به الميِّت أو لم يوص به.

قالت المالكيّة: يجوز نقل الميّت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشروط ثلاثة: أوَّلها أن لا ينفجر حال نقله. ثانيها أن لا تنتهك حرمته بأن يُنقل على وجه يكون فيه تحقيرٌ له. ثالثها أن يكون نقله لمصلحةٍ كأن يُخشى من طغيان البحر على قبره، أو يراد نقله إلى مكان تُرجى بركته، أو إلى مكان قريب من أهله، أو لأجل زيارة أهله إيّاه، فإن فُقِدَ شرط من هذه الشروط الثلاثة حرم النقل(١).

وقالت الحنابلة: لا بأس بنقل الميت من الجهة التي مات فيها إلى جهة

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ١ ص ٤٢١.

بعيدة عنها بشرط أن يكون النقل لغرض صحيح كأن يُنقل إلى بقعة شريفة ليدفن فيها، أو ليدفن بجوار رجل صالح، وبشرط أن يُؤمن تغيّر رائحته، ولا فرق في ذلك بين أن يكون قبل الدفن أو بعده(١).

وقالت الشافعية: يحرم نقل الميِّت إلى بلد آخر ليدفن فيه. وقيل: يكره إلّا أن يكون بقرب مكّة أو المدينة أو بيت المقدس أو بقرب قبر صالح، ولو أوصى بنقله إلى أحد الأماكن المذكورة لزم تنفيذ وصيّته عند الأمن من التغيير، والمراد بمكّة جميع الحرم لا نفس البلد(٢).

وقالت الحنفيَّة: يستحبُّ أن يُدفنَ الميِّت في الجهة التي مات فيها، ولا بأس بنقله من بلدة إلى اخرى قبل الدّفن عند أمن تغيّر رائحته، أمّا بعد الدفن فيحرم إخراجه إلّا إذا كانت الأرض التي دفن فيها مغصوبة أو أُخذت بعد دفنه بشفعة(٣).

ومن سبر التاريخ وجد الإطباق من علماء المذاهب على جواز النقل في الصّورتين عملاً، وكان من المرتكز في الأذهان نقل الجثث إلى البقاع الشريفة من أرض بيت الله الحرام، أو جوار النبيِّ الأعظم، أو قرب إمام مذهب، أو مرقد وليٍّ صالح، أو بقعة اختصّها الله بالكرامة، أو إلى حيث مجتمع أهل الميِّت، أو قبور ذويه.

وكان يوم نقل رفات أُولئك الرِّجال من المذاهب الأربعة يوماً مشهوداً تُقام فيه حفلات مكتظّة يحضر فيها حَشدٌ من العلماء والخطباء والقرّاء وأُناس آخرون، كلّ ذلك يُنبىء عن جوازه، وإصفاق الامّة الإسلاميَّة عليه. بل كان ذلك مطّرداً منذ عهد(٤) الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان بوصية من الميِّت أو

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ١ ص ٤٢٢.

(٢) المنهاج المطبوع بهامش شرحه المغني ١ ص ٣٥٧ تأليف محيي الدِّين النووي الشافعي، شرح الشربيني الشافعي ١ ص ٣٥٨، حاشية شرح ابن قاسم العزي تأليف الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي ١ ص ٢٨٠ وغيرها.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ١ ص ٤٢٢.

(٤) بل منذ عهد النبي الأعظم كما يظهر مما يأتي من حديث نقل جابر أباه بعد دفنه.

بترجيح من أوليائه، وكاد أن يكون من المجمع عليه عملاً عند فِرَقِ المسلمين في القرون الإسلاميَّة. ولو لم يكن كذلك لما اختلفت الصحابة في دفن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، بالمدينة أو بمكّة أو عند جدّه إبراهيم الخليل[(١)].

وتراه كان مشروعاً في الشرائع السّالفة فقد مات آدم عليه السَّلام بمكّة ودفن في غار أبي قبيس، ثمَّ حمل نوح تابوته في السفينة، ولمّا خرج منها دفنه في بيت المقدس[(٢)] وفي أحاديث الشيعة أنّه دفنه في النّجف الأشرف. ومات يعقوب عليه السَّلام بمصر ونُقل إلى الشام[(٣)] ونقل النبيُّ موسى عليه السَّلام جثّة يوسف عليه السَّلام من مصر بعد دفنه بها إلى فلسطين مدفن آبائه[(٤)].

ونقل يوسف عليه السَّلام جثمان أبيه يعقوب عليه السَّلام من مصر ودفنه عند أهله في حبرون في المغارة المعدّة لدفن تلك الأسرة الشريفة كما في تاريخ الطبري ج ١ ص ١٦١ ، ١٦٩ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٨ ، وتاريخ ابن كثير ج ١ ص ١٧٤ ، ١٩٧ .

وقد نقل الإمامان السبطان صلوات الله عليهما جثمان أبيهما الطاهر أمير المؤمنين سلام الله عليه من الكوفة إلى حيث بقعته الآن من النجف الأشرف وكان ذلك قبل دفنه عليه السَّلام غير أنَّ في دلائل النبوّة[(٥)] أنَّ أوّل من نقل من قبر إلى قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما استشهد يوم الجمعة سابع عشر رمضان ومات بعد يومين وصلّى عليه ابنه الحسن رضي الله عنه ودفن بدار الإمارة بالكوفة وغيب قبره ونُقل إلى محلّ يُقال له «نجف». فأظهره هارون الرشيد وبنى عليه عمائر حين وجد وحوشاً تستأنس بذلك المحلّ وتقرُّ إليه إلتجاءً

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ ص ٢١ هامش الفصل. شرح الشمائل للقاري ٢ ص ٢٠٨، شرح الشمائل للمناوي ٢ ص ٢٠٨، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩٣، الصواعق المحرقة ص ١٩.

(٢) تاريخ الطبري ١ ص ٨٠، العرائس للثعلبي ٢٩.

(٣) حاشية أبي الإخلاص الحنفي ج ١ ص ١٦٨ طبعت بهامش درر الحكام.

(٤) شرح الشمائل للقاري ٢٠٨ وشرح المناوي في هامشه.

(٥) محاضرة الأوائل للسكتواري ص ١٠٢ ط ١٣٠٠، وتمام المتون للصفدي ص ١٥١.

من أهل الصيد، فسأل عن سبب ذلك من أهل قرية قريبة هناك فأخبره شيخٌ من القرية بأنَّ فيه قبر أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه مع قبر نوح عليه السَّلام[١] ونحن نذكر جملةً من الجثث المنقولة تحت عنوانين.

من نقلت جنازته قبل الدفن

١ ـ المقداد بن عمرو بن ثعلبة الصحابي المتوفّى سنة ٣٣، توفّي بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرِّجال حتى دُفن بالبقيع «الاستيعاب ج ١ ص ٢٨٠، سد ج ٤ ص ٤١١، مز ج ٩ ص ٣٠٧».

٢ ـ سعيد بن زيد القرشي العدوي «أحد العشرة المبشرة» توفّي سنة ٥١/ ٢ بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وحمل إليها ودفن بها «صف ج ١ ص ١٤٠، كر ج ٦ ص ١٢٧».

٣ ـ عبد الرَّحمن بن أبي بكر الصدّيق، توفّي بالحبشي سنة ٥٢ «بينها وبين مكّة ستَّة أميال» فحمل إلى مكّة ودُفن بها، فقدمت عائشة من المدينة وأتت قبره وصلّت عليه وتمثلت:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتّى قيل: لن يتصدّعا
فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

معجم البلدان ج ٣ ص ٢١١، وأخرجه الترمذي مع زيادة.

٤ ـ سعد بن أبي وقّاص الصحابي، توفّي سنة ٥٤/ ٥/ ٦ في حمراء الأسد[٢] وحُمل إلى المدينة ودُفن بها «طب ج ١ ص ١٤٦، صف ج ١ ص ١٤٠، كر ج ٦ ص ١٠٨ يه ج ٨ ص ٧٨».

٥ ـ اسامة بن زيد الصحابي، توفّي سنة ٥٤ بالجرف وحُمل إلى المدينة

(١) للقوم حول مدفن الإمام أمير المؤمنين خلاف عظيم أحدثته يد السياسة لتخذيل الامة عنه وبعدها عن زيارة ذلك المشهد المقدس.

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة المشرفة، إليه انتهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم أُحد في طلب المشركين.

«صف ج ١ ص ٢١٠، سد ج ١ ص ٦٦».

٦ ـ أبو هريرة الصحابي الشهير المتوفّى سنة ٥٧/ ٨/ ٩، توفّي بالعقيق فحمل إلى المدينة المشرَّفة. الإصابة ج ٤ ص ٢١٠.

٧ ـ يزيدبنمعاويةبن أبي سفيان المتوفّى سنة ٦٤، توفّي بحوارين من قرى دمشق وحُمل إلى دمشق ودفن بها. يه ج ٨ ص ٢٣٦.

٨ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، توفّي سنة ١٦٢ بالجزيرة فحمل إلى صور فدفن هنالك «صف ج ٢ ص ١٣٢».

٩ ـ جعفر بن يحيى قُتل بالغمر سنة ١٨٩، وبُعث بجثَّته إلى بغداد «هب ج ١ ص ٣٣٧.

١٠ ـ أبو الفيض ذو النون المصري، توفّي سنة٢٤٦ بالحيرة وحُمل في مركب إلى الفسطاط ودُفن في مقابر أهل المعافر «صف ج ٤ ص ٢٩٣».

١١ ـ هارون بن العبّاس الهاشمي، توفّي سنة ٢٦٧ بالرويثة «وقيل بالعرج» ثمَّ حُمل إلى المدينة فدفن بها «طب ج ١٤ ص ٢٧».

١٢ ـ أحمد بن محمَّد بن غالب الباهلي، توفّي ببغداد سنة ٢٧٥ وحُمل في تابوت إلى البصرة وبُنيت عليه قبَّة «طب ج ٥ ص٨٠ ،م ج ١ ص ٦٧» .

١٣ ـ محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم أبو العنبس الصيمري المتوفّى سنة ٢٧٥، توفّي ببغداد وحُمل إلى الكوفة فدفن بها. ظم ج ٥ ص ٩٩.

١٤ ـ المعتمد على الله الخليفة العبّاسي، توفّي سنة ٢٧٩ ببغداد فجأةً وحُمل إلى سرَّ من رأى ودُفن بها «طب ج ٤ ص ٦١».

١٥ ـ جعفر بن المعتضد المتوفّى سنة ٢٨٠، توفّي بمدينة الدينور وحُمل إلى بغداد يه ج ١١ ص ٦٩.

١٦ ـ عليُّ بن محمَّد بن أبي الشوارب أبو الحسن الأموي البصري، توفّي سنة ٢٨٢/ ٣ ببغداد فصلّي عليه ثمَّ حُمل إلى سرَّ من رأى وهناك تربته «طب

ج ١٢ ص ٦١ ، ظم ج ٥ ص ١٦٤».

١٧ ـ جعفر بن محمَّد بن عرفة، توفّي في ذي الحجَّة سنة ٢٨٧ بالعمق أحد منازل طريق الحجّ من بغداد وحُمل إلى بغداد ودُفن بها في المحرَّم سنة ٢٨٨ «ظم ج ٦ ص ٢٥وغيره».

١٨ ـ حسين بن عمر بن أبي الأحوص أبو عبدالله الكوفي المتوفّى سنة ٣٠٠، توفّي في بغداد وحُمل إلى الكوفة فدفن بها. ظم ج ٦ ص ١١٧، طب ج ٨ ص ٨١.

١٩ ـ محمَّد بن جعفر أبو عمر القتّات الكوفي المتوفّى سنة ٣٠٠، توفّي ببغداد وحُمل إلى الكوفة ظم ج ٦ ص ١٢٠.

٢٠ ـ أبو القاسم عبدالله بن إبراهيم المعروف بابن الأكفاني، توفّي سنة ٣٠٧ بالقصر وحُمل تابوته إلى مكّة ودُفن بها «طب ج ٩ ص ٤٠٥».

٢١ ـ إبراهيم بن نجيح أبو القاسم الكوفي المتوفّى سنة ٣١٣، توفّي ببغداد وجيء به إلى الكوفة فدفن بها. ظم ج ٦ ص ١٩٧.

٢٢ ـ بدر بن الهيثم الكوفي القاضي، توفّي سنة ٣١٨ ببغداد وحُمل إلى الكوفة فدفن بها «طب ج ٧ ص ١٠٨».

٢٣ ـ محمَّد بن الحسين أبو الطيب اللخمي، توفّي سنة ٣١٨ ببغداد وحُمل إلى الكوفة ودُفن بها وكان فيها أهله «طب ج ٢ ص ٢٣٨، ظم ج ٦ ص ٢٢٦».

٢٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد الخطابي العمري الكوفي من أحفاد عمر بن الخطاب توفّي سنة ٣٢٠ ببغداد وحُمل إلى الكوفة ودفن بها «طب ج ٦ ص ١٥٨».

٢٥ ـ إسماعيل بن العبّاس أبو علي الورّاق، توفّي سنة ٣٢٣ في طريق الحجّ في رجوعه منه وحُمل إلى بغداد فدفن بها «طب ج ٦ ص ٣٠١، ظم ج ٦ ص ٢٧٨».

٢٦ ـ عليّ بن عبد الرَّحمن الكوفي، توفّي سنة ٣٤٧ ببغداد وحُمل إلى الكوفة «طب ج ١٢ ص ٣٢، ظم ج ٦ ص ٣٨٩».

٢٧ ـ أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن الزبير الكوفي، توفّي سنة ٣٤٨ ببغداد وحُمل إلى الكوفة «طب ج ١٢ ص ٨١».

٢٨ ـ مطرف بن عيسى أبو القاسم الغساني الألبيري المتوفّى سنة ٣٥٦/٧، مات بقرطبة فحمل إلى بلده فدفن به. بغية ص ٣٩٢.

٢٩ ـ إبراهيم بن محمَّد أبو الطيب العطَّار، توفّي سنة ٣٦٢ بسوسنقين(١) أو ساوة وحُمل إلى نيسابور ودُفن بها «طب ج ٦ ص ١٦٩».

٣٠ ـ المطيع لله الخليفة العبّاسي، توفّي سنة ٣٦٤ في المعسكر بدير العاقول لمَّا خرج إلى واسط مع ابنه الطائعِ لله وحُمل إلى بغداد ودفن بها في الرّصافة «طب ج ١٢ ص ٣٧٩».

٣١ ـ أحمد بن عطاء أبو عبدالله الزاهد المتوفّى سنة ٣٦٩، توفّي في منوات من عكا وحُمل إلى صفد ـ صور ـ فدفن بها. طب ج ٤ ص ٢٣٧، هب ج ٣ ص ٦٨.

٣٢ ـ محمَّد بن العبّاس بن أحمد أبو عبدالله الضبي الهراتي، توفّي سنة ٢٧٨ برستاق خواف من نيسابور وأوصى أن يحمل تابوته إلى هرات فنقل إليها ودُفن بها «طب ج ٣ ص ١٢١ ظم ج ٧ ص ١٤٦.

٣٣ ـ عليّ بن عبد العزيز الجرجاني، توفّي سنة ٣٩٢(٢) بنيسابور وحُمل تابوته إلى جرجان ودُفن بها «ظم ج ٧ ص ٢٢٢، يه ج ١١ ص ٣٣٢، هب ج ٣ ص ٥٧».

٣٤ ـ أبو عبدالله القمي المصري المتوفّى سنة ٤٠، توفّي عند توجّهه من مصر إلى مكّة وحُمل إلى المدينة ودفن بها. ظم ج ٧ ص ٢٤٨.

(١) سوسنقين: منزل بين همدان وساوة.

(٢) وقد يقال في تاريخ وفاته غير هذا.

٣٥ ـ إسماعيل بن الحسن أبو القاسم الصرصري المتوفّى سنة ٤٠٣، توفّي ببغداد وحُمل إلى صرصر بعد أن صلّى عليه أبو الحامد الاسفرائيني. طب ج ٦ ص ٣١٢.

٣٦ ـ أبو نصر فيروز بهاء الدين المتوفّى سنة ٤٠٣، توفّي بأرجان وحُمل إلى الكوفة ودفن بالمشهد. ظم ج ٧ ص ٢٦٤.

٣٧ ـ أبو إسحاق الأسفرائيني الشافعي[١] توفّي سنة ٤١٨ بنيسابور ثمَّ نقل إلى بلده ودفن بمشهده «يه ج ١٢ ص ٢٤، هب ج ٣ ص ٢١٠».

٣٨ ـ أبو القاسم الحسين بن علي المغربي المتوفّى سنة ٤١٨، توفّي بميافارقين وحُمل إلى مشهد أمير المؤمنين ودفن بها. ظم ج ٨ ص ٣٣.

٣٩ ـ أبو بكر البيهقي الحافظ الكبير، توفّي سنة ٤٥٨ بنيسابور ونُقل تابوته» إلى بيهق «ظم ج ٨ ص ٢٤، يه ج ١٢ ص ٩٤.

٤٠ ـ محمَّد بن أحمد بن مشارة أبو عبدالله الأصبهاني الشافعي، توفّي سنة ٤٦٤ ببغداد وحُمل إلى دُجيل «ظم ج ٨ ص ٢٧٥، يه ج ١٢ ص ١٠٥».

٤١ ـ عليّ بن أبي نصر الموصلي المتوفّى سنة ٤٧٩، توفّي ببغداد وحُملت جنازته إلى الموصل فكان يوماً مشهوداً. ظم ج ٩ ص ٣٢.

٤٢ ـ أبو بكر محمَّد بن عبدالله الناصحي النيسابوري إمام الحنفيَّة في وقته، توفّي سنة ٤٨٤ بطريق الري وحُمل تابوته إلى نيسابور، وقيل: حُمل إلى إصبهان ودفن بها «جم ج ٢ ص ٦٤».

٤٣ ـ القاضي أبو أحمد القسم بن مظفر الشهر زوري المتوفّى سنة ٤٨٩، توفّي بمدائن كسرى وحُمل إلى الاسكندرية فدفن عند امِّه. هب ج ٣ ص ٣٩٣.

٤٤ ـ أبو بكر أحمد بن علي العلبي الحنبلي توفّي سنة ٥٠٣ في عرفات

---

(١) أحد اركان الشافعية وفقيهها الكبير.

فحمل إلى مكّة وطيف به حول البيت ودُفن بها إلى جانب الفضيل بن عياض، ولمّا بلغ خبره إلى بغداد صلّى الناس عليه صلاة الغائب فامتلأ الجامع من الناس «ظم ج ٩ ص ١٦٤، صف ج ٢ ص ٢٧٩ هب ج ٤ ص ٦».

٤٥ ـ الحافظ أبو الغنائم محمَّد بن علي النرسي الكوفي المقري، توفّي سنة ٥١٠ بالحلّة وحُمل إلى الكوفة فدفن بها «ظم ج ٩ ص ١٨٩».

٤٦ ـ أبو بكر محمود بن مسعود قاضي القضاة الشعيبي الحنفي المفتي، توفّي سنة ٥١٤ بسمرقند وحُمل تابوته إلى بخارى «جم ج ٢ ص ١٦٢».

٤٧ ـ أبو إسحاق الغزّي إبراهيم بن عثمان، توفّي سنة ٥٢٤ فيما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان وحُمل إلى بلخ ودُفن بها «هب ج ٤ ص ٦٨».

٤٨ ـ القاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري، توفّي سنة ٥٣٢ بحلب وحُمل إلى صفّين ودُفن بها «حل ج ١ ص ٢١٢».

٤٩ ـ أبو سعد أحمد بن محمَّد الحافظ الأصبهاني، توفّي سنة ٥٤٠ بنهاوند ونُقل إلى أصبهان «ظم ج ١٠ ص ١١٧، هب ج ٤ ص ١٢٥».

٥٠ ـ أحمد بن محمَّد أبو المعالي ابن البسر البخاري المتوفّى سنة ٥٤٢، توفّي بسرخس وحُمل إلى مرو ثمَّ حُمل إلى بخارا فدفن بها ظم ج ١٠ ص ١٢٧.

٥١ ـ المظفر بن أردشير أبو منصور العبادي، توفّي سنة ٥٤٧ بعسكر مكرم ثمَّ حُمل إلى بغداد فدفن في دكّة الجنيد ظم ج ١٠ ص ١٥١.

٥٢ ـ أبو الحسن محمَّد بن المبارك البغدادي الفقيه الشافعي، توفّي سنة ٥٥٢ ببغداد ونُقل إلى الكوفة ودُفن بها «هب ج ٤ ص ١٦٤».

٥٣ ـ صدر الدين أبو بكر الخجندي الاصبهاني الشافعي، توفّي سنة ٥٥٢ بقرية بين همدان والكرخ وحُمل إلى اصبهان ودُفن بسيلان «ظم ج ١٠ ص ١٧٩، هب ج ٤ ص ١٦٣».

٥٤ ـ محمَّد بن عبد الرَّحيم الأنصاري أبو عبدالله المالكي الغرناطي، توفّي سنة ٥٦٩ باشبيليَّة وحُمل إلى غرناطة فدفن بها «الديباج المذهَّب ص ٢٨٧».

٥٥ ـ عبد اللطيف الفقيه الشافعي الإصبهاني، توفّي سنة ٥٨٠ بهمدان وحُمل إلى إصبهان ودُفن بها «هب ج ٤ ص ١٦٣».

٥٦ ـ ضياء الدين عيسى الهكاري الفقيه، توفّي سنة ٥٨٥ في الخروبة قريباً من عكا فنُقل إلى القدس فدفن بها «يه ج ١٢ ص ٣٣٤».

٥٧ ـ أبو الفضل حسين بن أحمد الهمداني اليزدي من أئمَّة الحنفيَّة، توفّي سنة ٥٩١ بمدينة قوص من صعيد مصر وحُمل إلى مصر ودفن بتربة الحنفيَّة «جم ج ١ ص ٢٠٧».

٥٨ ـ أبو الفضائل القسم بن يحيى بن الشهر زوري المتوفّى سنة ٥٩٩، توفّي بحماة وحُمل إلى دمشق فدفن بها. هب ج ٤ ص ٣٤٢.

٥٩ ـ مسعود بن صلاح الدين المتوفّى سنة٦٠٦، توفّي بمدرسة رأس العين فحمل إلى حلب فدفن بها. يه ج ١٣ ص ٥٥.

٦٠ ـ ابن حمدون تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمَّد المتوفّى سنة ٦٠٨، توفّي بالمدائن وحُمل إلى مقابر قريش فدفن بها. يه ج ١٣ ص ٦٢.

٦١ ـ قطب الدين العادل المتوفّى سنة ٦١٩، توفّي بالفيّوم ونُقل إلى القاهرة. يه ج ١٣ ص ٩٩.

٦٢ ـ أبو الفضائل الحسن بن محمَّد العدوي العمري، توفّي سنة ٦٥٠ ببغداد وحُمل إلى مكّة فدفن بها «هب ج ٥ ص ٢٥٠».

٦٣ ـ سيف الدين أبو الحسن القيمري، توفّي سنة ٦٥٣ بنابلس ونُقِلَ فدفن بقبَّته التي بقرب مارستانة بالصالحيّة «هب ج ٥ ص ١٦١».

٦٤ ـ الملك الناصر داود بن المعظم، توفّي سنة ٦٥٥ بقرية البويضا من

دمشق وحُمل منها إلى الشام ودفن بسفح قاسيون «يه ج ١٣ ص ١٩٨».

٦٥ ـ جمال الدين صرصري الفقيه الحنبلي، توفّي ببغداد سنة ٦٥٦ وحُمل إلى صرصر ودُفن بها «مختصر طبقات الحنابلة ص ٥١».

٦٦ ـ الشيخ محمَّد القونوي المصري، توفّي سنة ٦٧٢ بمصر وأوصى أن يُنقل تابوته إلى دمش يُدفن عند الشيخ محيي الدين العربي شيخه «طش ج ١ ص ١٧٧».

٦٧ ـ أبو الخير رمضان بن الحسين السرماري المدرِّس الحنفي، توفّي في البحر سنة ٦٧٥ ونُقل إلى مدينة أنبار ودُفن بها بعد موته بتسعة أيّام «جم ج ١ ص ٢٤٣».

٦٨ ـ الملك السعيد بركة المتوفّى سنة ٦٧٨، توفّي في كرك ونقل إلى دمشق ودفن بها. «روضة المناظر» لابن الشحنة.

٦٩ ـ نجم الدين عبد الرّحيم القاضي ابن البارزي الشافعي الفقيه البصير، توفّي سنة ٦٨٣ في تبوك فحمل إلى المدينة فدفن بها «هب ج ٥ ص ٣٨٢».

٧٠ ـ يوسف بن أبي نصر الدمشقي ابن السفاري المحدِّث تُوفّي سنة ٦٩٩ بدمشق في زمن التتار ووضع في تابوت فلمّا أمن الناس نُقل إلى يثرب ودفن بها «هب ج ٥ ص ٤٥٤».

٧١ ـ شرف الدين أبو عبدالله محمَّد بن محمَّد الحرّاني المعروف بابن النجيح الفقيه الناسك المتوفّى سنة ٧٢٣، توفّي في وادي بني سالم فحمل إلى المدينة فغسل وصلّي عليه في الرّوضة ودفن بالبقيع «يه ج ١٤ ص ١١٠».

٧٢ ـ أبو الحسن عليّ بن يعقوب المصري نور الدّين الشافعي إمام الشافعيّة المتوفّى سنة ٢٧٤ توفّي في ديروط ـ إحدى حواضر مصر ـ وحُمل إلى القرافة ودُفن بها «يه ج ١٤ ص ١١٥».

٧٣ ـ كمال الدين ابن الزملكاني شيخ الشافعيَّة، توفّي سنة ٧٢٧ بمدينة

بلبيس وحُمل إلى القاهرة ودُفن بالقرافة «يه ج ١٤ ص ١٣٢».

٧٤ ـ عبد القادر بن عبد العزيز الحنفي أحد أعلام المذهب، توفّي سنة ٧٣٧ بالرميلة وحُمل إلى بيت المقدس «جم ج ١ ص ٣٢٤».

٧٥ ـ محمّد بن محمّد التلمساني المقري [أحد مجتهدي المالكيَّة في القرن الثامن] توفِّي بفاس ونُقل إلى بلده تلمسان [نيل الإبتهاج المطبوع في هامش الديباج ص ٢٥٠].

٧٦ ـ محمَّد بن يوسف الكرماني ثمَّ البغدادي شمس الدين شارح صحيح البخاري المتوفّى سنة ٧٨٦، توفّي بطريق الحجّ فنقل إلى بغداد ودفن بقبر أعدّه لنفسه. «بغية ص ١١٠، مفتاح السَّعادة ج ١ ص ١٧١».

٧٧ ـ عزّ الدّين أبو جعفر أحمد بن أحمد الاسحاقي الحلبي الشافعي الرئيس الجليل المتوفّى سنة ٨٠٣، توفِّي في مرحلتين من حلب في إحدى أعمالها ونُقل إلى حلب فدفن عند أهله «هب ج ٧ ص ٢٤».

٧٨ ـ الأمير عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل العنابي الدمشقي المتوفّى سنة ٩٣٠ توفِّي في قرية دمر وحُمل إلى دمشق ودفن بالعنابة.«هب ج ٨ ص ١٧٢».

٧٩ ـ شهاب الدين أحمد البخاري المكّي إمام الحنفيّة المتوفّى سنة ٩٣٨/ ٤٨، توفِّي ببندر جدّة وهو قاض بها فحمل إلى مكّة ودُفن بالمعلّى «هب ج ٨ ص ٢٢٨».

٨٠ ـ أبو الحسن عليّ بن أحمد الكيزواني المتوفّى سنة ٩٥٥، توفِّي بين مكّة والطائف وحُمل إلى مكّة فدفن بها. «هب ج ٨ ص ٣٠٧[١]».

من نقل من مدفن إلى مدفن

١ ـ عبدالله بن عمرو بن حزام ـ حرام ـ الأنصاري والد الصحابيِّ العظيم جابر بن عبدالله استشهد هو وصديقه عمرو بن الجموح الأنصاري بأُحد،

(١) أحسب أن غير واحد من هؤلاء حمل بعد الدفن ونقل من مدفن إلى مدفن.

ودُفنا في قبر واحد فلم تطب نفس جابر فأخرج أباه بعد ستّة أشهر.

قال جابر رضي الله عنه: دُفن مع أبي رجلٌ فلم تطب نفسي حتّى أخرجته فجعلته في قبر على حدَة. وزاد أبو داود والبيهقي: فأخرجته بعد ستّة أشهر، فما أنكرت منه شيئاً إلاّ شعيرات كنَّ في لحيته ممّا يلي الأرض[١].

وأخرج الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ٢٠٣ بإسناد صحّحه عن جابر قال: أصبحنا «يوم أُحد» فكان «أبي» أوّل قتيل فدفنته مع آخر في قبر، ثمّ لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر في قبر، فاستخرجته بعد ستّة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه.

قال ناصف في «التاج» ج ١ ص ٤٠٩ بعد ذكر حديث جابر ونقل جنازة سعد وسعيد المذكورين: ففيها جواز نقل الميِّت قبل الدفن وبعده إلى محلٍّ آخر، ويجب نقله إذا طلبه مالك القبر، أو خاف الغرق أو التغيير، ويجوز نقله من وسط قوم أشرار، فأصل النقل جائز للحاجة.

٢ ـ عبدالله بن سلمة بن مالك بن الحارث البلدي الأنصاري، استشهد بأُحد فجاءت امّه أنيسة بنت عدي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت: يا رسول الله إنّ ابني عبدالله بن سلمة وكان بدريّاً قُتل يوم أُحد، أحببت أن أنقله فآنس بقربه. فأذن لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في نقله فعدَّلته بالمجذر بن ديار[٢] على ناضح له في عباءة فمرَّت بهما، فعجب لهما الناس وكان عبدالله ثقيلاً جسيماً، وكان المجذر قليل اللحم، فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: سوّى ـ ساوى ـ ما بينهما عملهما «اسد الغابة ج ٣ ص ١٧٧، الإصابة ج ٢ ص ٣٢١، وج ٤ ص ٢٤٥».

٣ ـ المجذر بن زياد بن عمرو بن أحزم البلوي، استشهد بأُحد. وحملته

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٤٧، سنن أبي داود ٢ ص ٧٢، سنن النسائي ٤ ص ٨٤، سنن البيهقي ٤ ص ٥٨، الاستيعاب ١ ص ٣٦٨، اسد الغابة ٣ ص ٢٣٢، الإصابة ٢ ص ٣٥٠. التاج في الجمع بين الصحاح ١ ص ٤١٠.

(٢) كذا. ولعله: زياد. كما يأتي.

أنيسة ام عبدالله بن سلمة معه بإجازة صريحة من المشرِّع الأعظم كما مرّ.

٤ ـ طلحة بن عبيدالله التميمي «أحد العشرة المبشَّرة» المقتول في حرب الجمل سنة ٣٦، دفن بالبصرة في ناحية ثقيف. روى الحافظ ابن عساكر أنَّ عائشة بنت طلحة رأت أباها في المنام فقال لها: يا بنيّة حوِّليني من هذا المكان فقد أضرَّ بي الندى، فأخرجته بعد ثلاثين سنة أو نحوها وهو طريٌّ لم يتغيّر منه شيءٌ فدفن في الهجرتين في البصرة. وفي رواية: أنَّهم اشتروا داراً من دور آل أبي بكر فدفنوه فيها «كر ج ٧ ص ٨٧، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٤٧، عمدة القاري ج ٤ ص ٦٣».

٥ ـ المدفونون في جوار مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال العيني في عمدة القاري ج ٤ ص ٦٣: أمر عثمان رضي الله عنه بقبور كانت عند المسجد أن تحوَّل إلى البقيع وقال: توسّعوا في مسجدكم.

٦ ـ شهداء احد. روى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج ١ ص ١٤٧ عن جابر قال: لمّا أراد معاوية أن يجري عينه التي بأُحد كتبوا إليه: إنّا لا نستطيع أن نجريها إلاّ على قبور الشهداء. فكتب: انبشوهم. وفي نوادر الحكيم الترمذي ص ٢٢٧: أمر منادياً فنادى فيهم: مَن كان له قتيلٌ فليخرج إليه. قال جابر: فرأيتهم يحملون على أعناق الرّجال كأنَّهم قومٌ نيامٌ، وأصاب المسحاة طرف رجل حمزة فانبعثت دماً.

وقال ابن الجوزي في ص ١٩٤: عن جابر قال: صرخ بنا إلى قتلانا يوم احد حين أجرى معاوية العين، فأخرجناهم بعد أربعين سنة ليِّنة أجسادهم، تتثنّى أطرافهم.

٧ ـ جعفر بن المنصور المتوفّى سنة ١٥٠، دفن أوّلاً بمقابر بني هاشم من بغداد ثمَّ نُقل منها إلى موضع آخر «تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ١٠٧».

٨ ـ نقلت «سنة ٦٤٧» توابيت جماعة من الخلفاء إلى الترب من الرّصافة خوفاً عليهم من أن تغرق محالّهم. منهم: المقتصد ابن الأمير أبي أحمد

المتوكّل، وذلك بعد دفنه بنيف وخمسين وثلاثمائة سنة، ونُقل ولده المكتفي، وكذا المقتفي ابن المقتدر بالله «يه ج ١٣ ص ١٧٧».

٩ ـ أبو النجم بدر الكبير المتوفّى سنة ٣١١، توفّي بشيراز ثمّ نبش وحُمل إلى بغداد «ظم ج ٦ ص ١٨٠».

١٠ ـ محمّد بن علي أبو علي ابن مقلة البغدادي المتوفّى سنة ٣٢٨، دفن في دار السلطان ثمّ سأل أهله تسليمه إليهم فنبش وسلّم إليهم فدفنه ابنه أبو الحسين في داره ثمّ نبشته زوجته المعروفة بالدينارية ودفنته في دارها. ظم ج ٦ ص ٣١١.

١١ ـ جعفر بن الفضل أبو الفضل المعروف بابن حنزابة[1] الوزير المحدِّث المتوفّى سنة ٣٧١/ ٣٩١ دُفن بالقرافة، وقيل: بداره. وقيل: إنّه كان قد اشترى بالمدينة النبويّة داراً فجعل له فيها تربة، فلمّا نُقل إليها تلقّته الأشراف لإحسانه إليهم فحملوه وحجّوا به ووقفوا به بعرفات ثمّ أعادوه إلى المدينة فدفنوه بتربته يه ج ١١ ص ٣٢٩، خل ج ١ ص ١٢١.

١٢ ـ ابن سمعون محمّد بن أحمد الإمام الواعظ الشهير، توفّي يوم الخميس ١٤ ذي القعدة سنة ٣٨٧ ودفن في داره في شارع العتابيين فلم يزل هناك حتّى نُقل يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ٤٢٦ فدفن في مقبرة أحمد بن حنبل «إمام الحنابلة» وأكفانه لم تبل «طب ج ١ ص ٢٧٧، يه ج ١١ ص ٢٢٣، خل ج ٢ ص ٢٨».

١٣ ـ أبو الحسن محمّد بن عمر الكوفي، توفّي سنة ٣٩٠ ببغداد ثمّ حُمل بعد ذلك لسنة أو أقلّ إلى الكوفة «بيئة أهله» فدفن بها «طب ج ٣ ص ٣٤».

١٤ ـ أبو بكر محمّد بن الطيب الباقلاني المتكلّم الأشعري الشافعي، توفّي سنة ٤٠٣ ودفن في داره بدرب المجوس من نهر طابق ثمّ نُقل بعد ذلك

---

(١) بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاء المعجمة وبعد الألف باء موحدة ثم هاء ساكنة وهي ام أبيه. وفي تاريخ ابن خلكان: خنزانة.

فدفن في مقبرة باب حرب «ظم ج ٧ ص ٢٦٥، يه ج ١١ ص ٣٥١، خل ج ٢ ص ٥٦».

١٥ ـ أبو بكر محمَّد بن موسى الخوارزمي الفقيه الحنفي انتهت إليه الرِّياسة في المذهب، توفّي سنة ٤٠٣ ودفن في منزله بدرب عيده ونُقل سنة ٤٠٨ إلى تربته بسويقة غالب ودفن بها «طب ج ٣ ص ٢٤٧».

١٦ ـ أبو حامد أحمد بن محمَّد الأسفرائيني إمام الشافعيَّة في عصره(١) توفّي سنة ٤٠٦ ودفن بداره ثمَّ نُقل إلى مقبرة باب حرب سنة ٤١٠/ ١٦ «طب ج ٤ ص ٣٧٠، ظم ج ٧ ص ٢٧٨، يه ج ١٢ ص ٣».

١٧ ـ أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان المتوفّى سنة ٤٢١، دفن في داره ببركة زلزل ثمّ نقل تابوته إلى مقابر قريش فدفن بها ليلة الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ٤٢٥ [طب ج ١٢ ص ٣٢، ظم ج ٨ ص ٥٢].

١٨ ـ الخليفة القادر بالله، توفّي في ذي الحجَّة سنة ٤٢٢ ودُفن في داره ثمَّ نُقل تابوته بعد سنة إلى الرّصافة فدفن بها لخمس خلون من ذي القعدة سنة ٤٢٣ «طب ج ٤ ص ٣٨، ظم ج ٨ ص ٦١، ٦٨».

١٩ ـ أحمد بن محمَّد أبو الحسين القدوري البغدادي الحنفي «شيخ الحنفيَّة بالعراق انتهت إليه رياسة المذهب» توفّي ببغداد سنة ٤٢٨ ودفن بداره في درب أبي خلف ثمَّ نُقل إلى تربة في شارع المنصور فدفن بجانب أبي بكر الخوارزمي الفقيه الحنفي «هب ج ٣ ص ٢٣٣».

٢٠ ـ أبو طاهر جلال الدين المتوفّى سنة ٤٣٥، توفّي ببغداد ودفن في بيته ثمَّ نُقل تابوته في سادس شهر رمضان سنة ٤٣٦ إلى تربة لهم في مقابر قريش.

٢١ ـ عبد السيِّد بن محمَّد الشهير بابن الصبَّاغ «إمام الشافعيَّة في عصره» توفّي سنة ٤٤٧، في المنتظم: ٤٧٧، ودُفن بداره في الكرخ ثمَّ نُقل إلى باب حرب «ظم ج ٩ ص ١٣، ص ١٢٦»

(١) ذكر ابن خلكان عن القدوري أنّه أفقه وأنظر من الشافعي.

٢٢ ـ أبو نصر أحمد بن مروان الكردي، توفّي سنة ٤٥٣، ودُفن في جامع المحدثة وقيل: في القصر السدلي، ثمَّ نُقل إلى القبّة المعروفة بهم الملاصقة بجامع المحدثة «خل ج ١ ص ٥٩».

٢٣ ـ أحمد بن محمّد أبو الحسن السمناني القاضي الحنفي المتوفّى سنة ٤٦٦، توفّي ببغداد ودُفن بداره نهر القلائين شهراً ثمَّ نُقل إلى تربة بشارع المنصور ثمَّ نقل منها إلى الخيزرانيَّة. ظم ج ٨ ص ٢٨٧، جم ج ١ ص ٩٦.

٢٤ ـ القائم بأمر الله الخليفة توفّي سنة ٤٦٧، ودُفن عند أجداده ثمَّ نُقل إلى الرّصافة وقبره يزار إلى الآن «يه ج ١٢ ص ١١٠ و١١٥».

٢٥ ـ الحسن بن عبد الودود أبو علي الشامي المتوفّى سنة ٤٦٧، دُفن في داره بسكّة الخرقي ثمَّ أُخرج بعد ذلك فدفن في مقبرة جامع المدينة. ظم ج ٨ ص ٢٩٥.

٢٦ ـ أحمد بن عليّ بن محمَّد قاضي دمشق توفّي سنة ٤٦٨ ودُفن في داره ثمَّ نُقل إلى مقبرة الباب الصغير «كر ج ١ ص ٤١٠».

٢٧ ـ أبو عبدالله الدامغاني الحنفي قاضي القضاة الفقيه الكبير، توفّي سنة ٤٧٨ ودُفن بداره بدرب العلّابين ثمَّ نُقل إلى مشهد أبي حنيفة «ظم ج ٩ ص ٢٤، يه ج ١٢ ص ١٢٩».

٢٨ ـ أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني إمام الحرمين الفقيه الشافعي، توفّي سنة ٤٧٨ بنيسابور ودفن في داره ثمَّ نُقل بعدسنين إلى مقبرة الحسين فدفن إلى جانب والده وكان أصحابه المقتبسون من علمه نحو أربعمائة يطوفون في البلد وينوحون عليه «خل ج ١ ص ٣١٣، ظم ج ٩ ص ٢٠، يه ج ١٢ ص ١٢٨، هب ج ٣ ص ٣٦٠».

٢٩ ـ محمَّد بن هلال أبو الحسن الصّابي الملقَّب بغرس النعمة المتوفّى سنة ٤٨٠، توفّي ببغداد ودفن في داره بشارع ابن عوف ثمَّ نقل إلى مشهد علي عليه السَّلام ظم ج ٩ ص ٤٢.

٣٠ ـ أبو محمَّد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، توفّي سنة ٥٨٨، ودفن في داره بباب المراتب ثمَّ نقل بعد ذلك إلى مقبرة أحمد لمّا توفّي ابنه أبو الفضل سنة ٤٩١ «مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٥٢٥، المنتظم له ج ٩ ص ٨٩».

٣١ ـ محمَّد بن أبي نصر أبو عبدالله الأندلسي الحافظ المشهور، توفّي سنة ٤٨٨ ودفن في مقبرة باب أبرز من قبَّة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ثمَّ نُقل بعد ذلك في صفر سنة ٤٩١ إلى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي «خل ج ٢ ص ٦٠، ظم ج ٩ ص ٩٦».

٣٢ ـ طراد بن محمَّد العبّاسي البغدادي المتوفّى سنة ٤٩١، دفن بداره في باب البصرة، ثمَّ نُقل في ذي الحجّة سنة ٤٢٢ إلى مقابر الشهداء[1] فدفن بها. ظم ج ٩ ص ١٠٦.

٣٣ ـ أبو الحسن عقيل بن أبي الوفاء عليّ شيخ الحنابلة، توفّي سنة ٥١٠ وقيل ١٣ قبل والده، ودفن في داره فلمّا مات والده نُقل معه إلى دكّة الإمام أحمد «ظم ج ٩ ص ١٨٦، هب ج ٤ ص ٣٩».

٣٤ ـ محمَّد بن محمَّد أبو حازم الفقيه الحنبلي، توفّي سنة ٥٢٧ ودُفن بداره بباب الأزج ونُقل سنة ٥٣٤ إلى مقبرة أحمد فدفن عند أبيه «ظم ج ١٠ ص ٣٤، هب ج ٤ ص ٨٢، مختصر طبقات الحنابلة ص ٣٣».

٣٥ ـ الحسين بن حميد التميمي «أحد رجالات الحديث» توفّي سنة ٥٣١ ودُفن في داره بباب البريد ثمَّ نُقل إلى جبل قاسيون «كر ج ٤ ص ٢٨٤»

٣٦ ـ أحمد بن جعفر أبو العبّاس الحربي المتوفّى سنة ٥٣٤، دُفن بالحربيَّة ثمَّ نُقل بعد ذلك إلى مقبرة باب الحرب. «ظم ج ١٠ ص ٨٦»

---

(١) يقال: فيها قوم من أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان وارتثوا في الوقعة ثم لما رجعوا أدركهم الموت في ذلك الموضع فدفنهم عليّ (عليه السلام) هناك. (طب ١ ص ١٢٦، ظم ١٠ ص ٩٨).

٣٧ ـ الشيخ أبو يعقوب يوسف الهمداني، توفّي سنة ٥٣٥ ودُفن بيامن على طريق مرو مدَّة ثمَّ حملت جثّته إلى مرو ودُفن بها «خل ج ٢ ص ٥٢٤؛ طش ج ١ ص ١١٧»

٣٨ ـ أحمد بن محمَّد بن علي أبو جعفر العدل البغدادي المتوفّى سنة ٥٣٦، كان يسرد الصوم إلّا الأيّام المحرَّم صومها، فدُفن في داره بخرابة الهراس ثمَّ نُقل بعد مدَّة إلى مقبرة باب الحرب، ظم ج ١٠ ص ٩٧.

٣٩ ـ عليّ بن طراد أبو القاسم الزينبي البغدادي المتوفّى سنة ٥٣٨ دُفن بداره الشاطئيَّة بباب الراتب ثمَّ نُقل إلى تربته بالحربيَّة ليلة الثلاثاء سادس عشر رجب سنة أربع وأربعين[1] وجمع على نقله الوعّاظ فوعظوا في داره إلى وقت السحر، ثمَّ أُخرج والقرّاء معه والعلماء والشموع الزائدة في الحدِّ. ظم ج ١٠ ص ١٠٩، ١٦٦.

٤٠ ـ شيخ الإسلام محمَّد بن محمَّد الخلمي المفتي الحنفي، إنتهت إليه الرِّياسة في المذهب توفّي سنة ٥٤٤، ودفن ببلخ ثمَّ نُقل إلى ناحية خلم فقبر بها «جم ج ٢ ص ١٣٠».

٤١ ـ عليّ بن محمَّد أبو الحسن الدريني توفّي سنة ٥٤٩ ودُفن في داره برحبة الجامع ثمَّ نُقل إلى باب أبرد قريباً من المدرسة الناجية سنة ٥٧٤ «خل ج ١ ص ٢٤٥».

٤٢ ـ جمال الدين محمَّد بن عليِّ بن أبي منصور، توفّي سنة ٥٥٩ ودُفن بالموصل ثمَّ حمل إلى مكّة وطيف به حول الكعبة وكان بعد أن صعدوا به ليلة الوقفة إلى جبل عرفات وكانوا يطوفون به كلّ يوم مراراً مدَّة مقامهم بمكّة ثمَّ حُمل إلى المدينة المنوَّرة ودُفن بها في رباط بناه في شرقي مسجد النبيِّ ﷺ[2] بعد أن طيف به حول حجرة الرَّسول ﷺ مراراً «مل ج ١١ ص ١٢٤، خل ج

(١) كذا في المنتظم ١٠ ص ١٠٩. وقال في صحيفة ١٦٦: إنّ حمله كان في رجب سنة ٥٥١.
(٢) في تاريخ ابن خلكان: دفن بالبقيع.

٢ ص ١٨٨، يه ج ١٢ ص ٢٤٩»

٤٣ - عمر بن بهليقا الطحّان المتوفّى سنة ٥٦٠، دُفن على باب جامع عمَّره بعيداً من حائطه ثمَّ نبش بعد أيّام وأُخرج فدفن ملاصقاً لحائط الجامع ليشتهر ذكره بأنَّه بنى الجامع «ظم ج ١٠ ص ٢١٢».

٤٤ - محمَّد بن إبراهيم أبو عبدالله الكناني الشافعي المصري «الورع الزاهد» توفّي بمصر سنة ٥٦٢، ودُفن بالقرب من قبَّة الإمام الشافعي بالقرافة الصغرى، ثمَّ نُقل إلى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بأُمِّ مودود وقبره مشهورٌ هناك يزار وزرته مراراً «خل ج ٢ ص ١٢١».

٤٥ - جعفر بن عبد الواحد أبو البركات الثقفي المتوفّى سنة ٥٦٣، كان أبوه قد أقام في القضاء أشهراً ثمَّ مات فدفن بدار بدرب بهروز فلمّا مات الولد أُخرجا فدفنا عند رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور. ظم ج ١٠ ص ٢٢٤.

٤٦ - مهذَّب الدين سعد الله بن نصر بن الدجاجي الفقيه الحنبلي توفّي سنة ٥٦٤ ودُفن بمقبرة الرباط ثمَّ نُقل بعد خمسة أيّام فدفن عند والديه بمقبرة الإمام أحمد «يه ج١٢ ص ٢٥٩، هب ج٤ ص ٢١٣» قال ابن الجوزي في المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٨: دُفن إلى جانب رباط الزوزني في إرضاء الصوفيَّة لأنَّه أقام عندهم مدَّة حياته فبقي على هذا خمسة أيّام، وما زال الحنابلة يلومون ولده على هذا ويقولون: مثل هذا الرَّجل الحنبلي أيّ شيء يصنع عند الصوفيَّة؟ فنبشه بعد خمسة أيّام بالليل وقال: كان قد أوصى أن يدفن عند والديه ودفنه عندهما. قال الأميني: انظر لأيِّ غايات تنبش القبور عند القوم وتنقل الجنائز من مدفن إلى مدفن.

٤٧ - الخليفة المستنجد بالله، توفّي سنة ٥٦٦ في ثامن ربيع الآخر ودُفن بدار الخلافة ثمَّ نُقل إلى الترب من الرّصافة في عشيَّة الإثنين ثامن وعشرين من شعبان سنة وفاته «ظم ج١٠ ص ٢٣٥، ٢٣٦، يه ج١٢ ص ٢٦١».

٤٨ - الأمير نجم الدي أيّوب الدويني، توفّي سنة ٥٦٨ ودُفن عند أخيه

بالقاهرة ثمَّ نقلا سنة ٥٧٩/ ٥٨٠ إلى المدينة المنوَّرة «يه ج١٢ ص ٢٧٢؛ هب ج٤ ص ٢١١، ٢٢٧».

٤٩ ـ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، توفّي سنة ٥٦٩ ودُفن في بيته بقلعة دمشق ثمَّ نُقل إلى مدرسته «خل ج٢ ص ٢٠٦، جم ج٢ ص ١٥٨، هب ج٤ ص ٢٣١».

٥٠ ـ أحمد بن عليّ بن المعمّر أبو عبدالله الطاهر الحسيني المتوفّى سنة ٥٦٩ دفن بداره من الحريم الطاهري مدَّة ثمَّ نُقل إلى مشهد الصبيان بالمدائن. ظم ج١٠ ص ٢٤٧.

٥١ ـ جلال الدين بن جمال الدين الأصبهاني، توفّي سنة ٥٧٤ بمدينة دنيسر[1] وحُمل إلى الموصل ودفن بها ثمَّ نُقل إلى المدينة ودُفن في تربة والده «خل ج٢ ص ١٨٨».

٥٢ ـ الخليفة الناصر لدين الله أبو العبّاس أحمد بن المستضيء بأمر الله المتوفّى يوم الأحد آخر يوم من شهر رمضان سنة ٦٢٢، ودُفِن في دار الخلافة ثمّ نُقِلَ إلى التراب من الرصّافة في ثاني ذي الحجة سنة ٦٢٢ وكان يوماً مشهوداً. يه ج١٣ ص ١٠٦.

٥٣ ـ الخليفة الظاهر بأمر الله العبّاسي المتوفّى سنة ٦٢٣، دُفن في دار الخلافة ثمَّ نُقل إلى الترب من الرّصافة وكان يوماً مشهوداً. يه ج١٣ ص ١١٣، ١١٤.

٥٤ ـ شرف الدين عيسى الحنفي «المتصلّب في مذهبه» مؤلِّف «السهم المصيب» في الردِّ على الخطيب البغدادي، توفّي سنة ٦٢٤ بدمشق ودُفن بقلعتها ثمَّ نُقل إلى جبل الصالحيَّة ودُفن في مدرسته وكان نقله سنة ٦٢٧ «جم ج١ ص ٤٠٢، مج ج٤ ص ٥٨».

٥٥ ـ أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن مظفَّر الدين صاحب إربل، توفّي سنة ٦٣٠ ونُقل إلى قلعة إربل ودُفن بها ثمَّ حُمل بوصيَّة منه إلى مكّة شرَّفها الله

(١) مدينة بالجزيرة الفراتية.

تعالى وكان قد أعدَّ له بها قبَّة تحت الجبل يُدفن فيها، فلمّا توجَّه الرَّكب إلى الحجاز سنة ٦٣١ سيَّروه في الصحبة فاتَّفق أن رجع الحاجّ تلك السنة من لينة ولم يصلوا إلى مكّة فردّوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد«خل ج٢ ص ٩».

٥٦ ـ أبو العبّاس أحمد بن عبد السيِّد الأربلي، توفّي سنة ٦٣١ ودُفن بظاهر الرها بمقبرة باب حرّان ثمَّ نقله ولده إلى الديار المصريَّة فدفنه في تربته بالقرافة الصغرى سنة ٦٣٧ «خل ج١ ص ٦٣».

٥٧ ـ الأشرف موسى بن العادل المتوفّى سنة ٦٤٥، توفّي يوم الخميس رابع محرَّم بالقلعة المنصورة ودفن بها حتّى نجزت تربته التي بُنيت له شمالي الكلاسة، ثمَّ حوّل إليها في جمادى الاولى يه ج١٣ ص ١٤٦.

٥٨ ـ الكامل محمَّد بن العادل المتوفّى سنة ٦٣٥، توفّي في ٢٢ من رجب، ودفن بالقلعة حتّى كملت تربته التي بالحائط الشمالي من الجامع ذات الشبّاك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان ونُقل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان من سنة وفاته. يه ج١٣ ص ١٤٩.

٥٩ ـ الخليفة المستنصر بالله العبّاسي المتوفّى سنة ٦٤٠، دُفن بدار الخلافة ثمَّ نُقل إلى الترب من الرَّصافة. يه ج١٣ ص ١٥٩.

٦٠ ـ الأمير عزّ الدين، توفّي سنة ٦٤٥ في مصر ودفن بباب النصر ثمَّ نُقل إلى تربته التي فوق الورّاقة «يه ج١٣ ص ١٧٤».

٦١ ـ الملك الصالح نجم الدين أيوب المتوفّى سنة ٦٤٧ توفّي ليلة النصف من شعبان ودُفن بالمنصورة ونقل إلى تربته بمدرسته سنة ٦٤٩ «يه ج ١٣ ص ١٨١».

٦٢ ـ الشيخ الحسن بن محمَّد بن الحسن العدوي العمري الإمام الحنفي من ولد عمر بن الخطاب، توفّي سنة ٦٥٠ ببغداد ودُفن بداره في الحريم الطاهري ثمَّ نُقل إلى مكّة ودُفن بها وكان أوصى بذلك وجعل لمن يحمله ويدفنه بمكة خمسين ديناراً «جم ج١ ص ٢٠٢».

٦٣ ـ الشيخ أبو بكر بن قوام البالسي، توفّي سنة ٦٥٨ ببلاد حلب ودُفن بها ثمَّ نُقل تابوته ودُفن بجبل قاسيون في أوَّل سنة ٦٧٠ «هب ج٥ ص ٦٩٥».

٦٤ ـ الملك السعيد ابن الملك الطاهر أبو المعالي المتوفّى سنة ٦٧٨ دُفن أوَّلاً عند قبر جعفر ثمّ نقل إلى دمشق فدفن في تربة أبيه سنة ٦٨٠ «يه ج١٣ ص ٢٩٠».

٦٥ ـ سعد الدين التفتازاني المتوفّى سنة ٧٩١/ ٢ توفّي يوم الإثنين الثاني والعشرين من المحرّم بسمرقند، ثمَّ نُقل إلى سرخس ودفن بها يوم الأربعاء التاسع من جمادى الاولى سنة ٧٩٢، «مفتاح السَّعادة ج ١ ص ١٧٧».

٦٦ ـ الشيخ زين الدين الخافي المتوفّى سنة ٧٣٨، دُفن بقرية مالين من أعمال خراسان ثمَّ نُقل بأمر منه إلى درويش آباد ودفن هناك ومقامه معمورٌ. روضة الناظرين ص ١٣٥».

٦٧ ـ الشيخ محمّد بن سليمان الجزولي المالكي توفّي سنة ٨٧٠ ونقل تابوته بعد سبع وسبعين سنة ولم يتغيّر منه شيءُ «نيل الإبتهاج ص ٣١٧».

٦٨ ـ عبد الرَّحمن بن أحمد الجامي المتوفّى سنة ٨٩٨، توفّي بهراة ودُفن بها ولمّا توجّهت الطائفة الأردبيليّة إلى خراسان، أخذه ابنه من قبره ودفنه في ولاية اخرى، فأتت الطائفة إلى قبره وفتّشوه فلم يجدوا جسده فأحرقوا ما فيه من الأخشاب «هب ج٢ ص ٣٦١».

٦٩ ـ الشيخ حسن بن أحمد الخوارزمي العابد المتوفّى سنة ٩٥٨، توفّي بحلب في عشر شعبان ودُفن بها في تابوت ثمَّ نُقل بعد أربعة أشهر إلى دمشق ولم يتغيّر أصلاً ودفن بها «هب ج٨ ص ٣٢١».

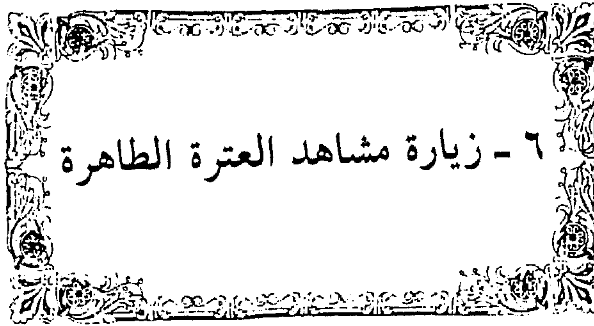
٧٠ ـ يأتي في بيان البناء على قبر أبي حنيفة إمام الحنفيَّة عن ابن الجوزي: أنَّهم كانوا يطلبون الأرض الصلبة لأساس القبّة فلم يبلغوا إليها إلّا بعد حفر سبعة عشر ذراعاً في ستّة عشر ذراعاً فخرج من هذا الحفر عظام الأموات الذين كانوا يطلبون جوار النعمان أربعمائة صَنّ[1] ونُقلت جميعها إلى بقعة كانت

(١) الصَنّ: شبه السلّة ج صِنان.

ملكاً لقوم: فحُفر لها ودُفنت.

﴿مِنهُمْ مَنْ قَصَصنا عَليكَ. وَمِنهمْ مَنْ لَمْ نَقصصْ عَليكَ﴾

سورة غافر: آية ٧٨



٦ - زيارة مشاهد العترة الطاهرة

الدُّعاء عندها. الصّلاة فيها. التوسّل والتبرُّك بها

قد جرت السيرة المطَّردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان على زيارة قبور ضمنت في كنفها نبيّاً مرسلاً، أو إماماً طاهراً، أو وليّاً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين، وفي مقدَّمها قبر النبيِّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وكانت الصّلاة لديها، والدُّعاء عندها، والتبرّك والتوسّل بها، والتقرُّب إلى الله، وابتغاء الزلفة لديه بإتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين فرق المسلمين، من دون أيِّ نكير من آحادهم، وأيِّ غميزةٍ من أحد منهم على اختلاف مذاهبهم، حتّى ولد الدهر ابن تيميَّة الحرّاني فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي ولا يبالي؛ فتره وأنكر تلكم السنّة الجارية سنّة الله التي لا تبديل لها، ولن تجد لسنّة الله تحويلاً، وخالف هاتيك السيرة المتَّبعة وشذَّ عن تلكم الآداب الإسلاميَّة الحميدة، وشدّد النكير عليها بلسانٍ بذيّ، وبيانٍ تافه، ووجوهٍ خارجة عن نطاق العقل السليم، بعيداً عن أدب العلم، أدب الكتابة، أدب العفَّة، وأفتى بحرمة شدِّ الرِّحال لزيارة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعدَّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصّلاة، فخالفه أعلام عصره ورجالات قومه فقابلوه بالطعن والردّ الشديد، فأفرد هذا بالوقيعة عليه تأليفاً حافلاً (١) وجاء

(١) كشفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدِّين السبكي، والدرة المضية في الرد على ابن تيمية للسبكي أيضاً، والمقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدِّين أبي عبدالله الأخنائي، ونجم المهتدي ورجم المقتدي للفخر ابن المعلم القرشي، ودفع الشبه لتقي الدِّين الحصني، والتحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة لتاج الدِّين الفاكهاني المتوفّى سنة ٨٣٤، وتأليف أبي عبدالله محمد بن عبد المجيد الفاسي المتوفّى سنة ١٢٢٩.

ذلك يزيِّف آراءه ومعتقداته في طيِّ تآليفه القيِّمة [١]. وهناك ثالثٌ يترجمه بعُجره وبُجره، ويعرِّفه للملأ ببدعه وضلالاته.

وقد أصدر الشاميّون فتيا وكتب عليها البرهان ابن الفركاخ الفزاري نحو أربعين سطراً بأشياء إلى أن قال بتكفيره، ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، وكتب تحت خطّه كذلك المالكي ثمَّ عرضت الفتيا لقاضي القضاة الشافعيّة بمصر البدر بن جماعة فكتب على ظاهره الفتوى: الحمد لله هذا المنقول باطنها جوابٌ عن السؤال عن قوله: إنَّ زيارة الأنبياء والصّالحين بدعةٌ. وما ذكره من نحو ذلك ومن أنّه لا يرخّص بالسفر لزيارة الأنبياء باطلٌ مردودٌ عليه، وقد نقل جماعةٌ من العلماء أنَّ زيارة النبيِّ ﷺ فضيلةٌ وسنّةٌ مجمعٌ عليها، وهذا المفتي المذكور - يعني ابن تيميَّة - ينبغي أن يُزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمّة والعلماء، ويُمنع من الفتاوى الغريبة، ويُحبس إذا لم يمتنع من ذلك، ويُشهر أمره ليحتفظ الناس من الإقتداء به.

وكتبه محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمَّد ابن الجريري الأنصاري الحنفي، لكنْ يُحبس الآن جزماً مطلقاً.

وكذلك يقول محمَّد بن أبي بكر المالكي ويبالغ في زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد.

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي.

راجع دفع الشبه ص ٦٩ - ٧١ وهؤلاء الأربعة هم قضاة قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيّام تلك الفتنة في سنة ٧٢٦. [٢]

وكـان مـن معاصريه من ينهاه عن غيِّه كالذهبي فإنَّه كتب إليه ينصحه،

---

(١) كالصواعق الإلٰهيّة في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد بن عبدالوهاب النجدي، والفتاوى الحديثية لابن حجر، والمواهب اللدنية للقسطلاني وشرح المواهب للزرقاني، وكتب اخرى كثيرة.

(٢) راجع تكملة السيف الصقيل للشيخ محمد زاهد الكوثري ص ١٥٥.

وإليك نصّ خطابه إيّاه:

الحمـد لله على ذلّتي، يـا ربّ ارحمني وأقلني عثـرتي، واحفظ عليَّ إيماني، واحُزناه على قلّة حزني، ووا أسفاه على السنّة وأهلها، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء، واحزناه على فقد أُناس كـانوا مصـابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات، آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبّاً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينيك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمّ العلماء وتتّبع عورات الناس؟ مع علمك بنهي الرّسول ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلاّ بخير فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدمـوا» بل أعرف أنّك تقول لي لتنصر نفسك: إنّما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمّوا رائحة الإسلام، ولا عرفوا ما جاء به محمّد ﷺ وهو جهاد، بل والله عرفوا خيراً كثيراً ممّا إذا عُمل به فقد فاز، وجهلوا شيئاً كثيراً ممّا لا يعنيهم ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، يا رجل! بالله عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقرُّ ولا تنام، إيّاكم والغلوطات في الدين، كره نبيّك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: «إنَّ أخوف ما أخاف على أُمّتي كلّ منافق عليم اللسان» وكثرة الكلام بغير زلل تقسّي القلب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيّة والفلاسفة وتلك الكفريّات التي تعمي القلوب، والله قد صرنا ضحكةً في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفريّات الفلسفيّة؟ لنردَّ عليها بعقـولنا، يـا رجل! قـد بلعت «سموم» الفـلاسفة وتصنيفـاتهم مرّات، وكثـرة إستعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن، واشوقاه إلى مجلس يُذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصّالحين تنزل الـرَّحمة، بـل عند ذكـر الصّالحين يـذكرون بـالإزدراء واللعنـة، كـان سيف الحجّـاج ولسـان ابن حـزم شقيقين فواخيتهما، بالله خلّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب، وجدّوا في ذكر بدعٍ كنّا نعدّها من أساس الضّلال، قد صارت هي محض السنّة وأساس التوحيد، ومن لم يعرفها فهو كافرٌ أو حمارٌ، ومن لم يكفـر فهو أكفـر من فرعـون وتعدّ

النّصارى مثلنا، والله في القلوب شكوكٌ، إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيدٌ، يا خيبة من اتّبعك فإنَّه معرَّض للزندقة والإنحلال، لا سيّما إذا كان قليل العلم والدين باطوليّاً شهوانيّاً، لكنّه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفي الباطن عدوٌّ لك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلّا قعيدٌ مربوطٌ خفيف العقل؟ أو عاميٌّ كذّابٌ بليد الذّهن؟ أو غريبٌ واجم قويُّ المكر؟ أو ناشفٌ صالحٌ عديم الفهم، فإن لم تصدِّقني ففتّشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار؟! إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار؟! إلى كم تعظِّمها وتصغِّر العباد؟! إلى متى تخاللها وتمقت الزهّاد؟! إلى متى تمدح كلامك بكيفيَّة لا تمدح ـ والله ـ بها أحاديث الصحيحين يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك. بل في كلِّ وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوي؟! أما حان لك أن تتوب وتنيب؟! أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟! بلى ـ والله ـ ما أذَّكر أنَّك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنّك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همَّةٌ كبيرةٌ في نقض هذه الورقة بمجلّدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتّى أقول: البتّة سكتُّ. فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبّ الوادّ فكيف حالك عند أعدائك؟ !وأعداؤك ـ والله ـ فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أنَّ أولياءك فيهم فجرةٌ وكذبةٌ وجهلةٌ وبطلةٌ وعورٌ وبقر، قد رضيت منك بأن تسبَّني علانية وتنتفع بمقالتي سرّاً [فرحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبي] فإنّي كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتي من علاّم الغيوب؛ ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد خاتم النبيِّين وعلى آله وصحبه أجمعين.(١)

فمن هنا وهناك بادوا عليه ما أبدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة

(١) تكملة السيف الصقيل للكوثري ص ١٩٠ كتبه من خط قاضي القضاة برهان الدّين ابن جماعة، وكتبه هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلائي، وقد كتبه من خط الذهبي. وذكر شطراً منه العزامي في الفرقان ص ١٢٩.

والآراء المحدثة الشاذَّة عن الكتاب والسنَّة والإجماع والقياس ونودي عليه بدمشق: من اعتقد عقيدة ابن تيميَّة حلَّ دمه وماله [١] فذهبت تلكم البدع السخيفة ادراج الرِّياح، كذلك يضرب الله الحقّ والباطل، فأمّا الزَّبد فيذهب جفاء، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ثمَّ قيَّض المولى سبحانه في كلِّ قرن وفي كلِّ قطر رجالاً نصروا الحقيقة، وأحيوا كلمة الحقِّ، وأماتوا بذرة الضَّلال، وقابلوا تلكم الأضاليل المحدثة بحجج قويَّة، وبراهين ساطعة، فجاءت الأُمَّة الإسلاميَّة تتبع الطريق المهيع، وتسلك جَدد السبيل، تباعاً وراء الكتاب والسنَّة، تعظِّم شعائر الله ومن يعظِّم شعائر الله فإنَّها من تقوى القلوب، إلى أن ألقى الشرّجرانه ،وجاد الدهر بولائد الجهل، وربَّتهم أيدي الهوى، وأرضعتهم امَّهات الضَّلال، وشاخلتهم رجالات الفساد، وتمثَّلوا في الملأ بشراً سويّاً، وسجيَّتهم الضَّلال، فجاسوا خلال الديار وضلّوا وأضلّوا واتَّبعوا سبيل الغيِّ وصدّوا عن سبيل الله ومن أولئك الجماهير «القصيمي» صاحب [الصِّراع] حذا حذو ابن تيميَّة واتَّخذ وتيرته واتّبع هواه فجاء في القرن العشرين كشيخه يموِّه، ويدجِّل، ويتسدَّج، ويتحرَّش بالسباب المقذع، ويقذف مخالفيه بالكفر والردَّة، ويرميهم بكلِّ معرَّة ومسبَّة، ويُري المجتمع أنَّ هاتيك الأعمال من الزِّيارة والدعاء عند القبور المشرَّفة والصَّلاة لديها والتبرُّك والتوسّل والإستشفاع بها كلّها من آفات الشيعة، وهم بذلك ملعونون خارجون عن ربقة الإسلام، وبسط القول في هذه كلّها بألسنة حداد مقذعاً مستهتراً خارجاً عن أدب المناظرة والجدال، قال في «الصِّراع» ج ١ ص ٥٤:

وبهذا الغلوّ الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمَّتهم، وبهذا التأليه الذي سمعت منهم لعليّ وولده، عبدوا القبور وأصحاب القبور، وأشادوا المشاهد، وأتوها من كلِّ مكانٍ سحيق وفجٍّ عميق، وقدّموا لها النذور والهدايا والقرابين، وأراقوا فوقها الدماء والدموع، ورفعوا لها خالص الخضوع والخشوع، وأخلصوا لها ذلك وخصّوها به دون الله ربِّ الموحِّدين.

(١) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ١٤٧.

وقال في ج ١ ص ١٧٨ : الأشياء المشروعة كالصَّلاة والسَّلام على الرَّسول الكريم لا فرق فيها بين القرب والنأي، فإنَّها حاصلةٌ في الحالتين، وأمّا مشاهدة القبر الشريف نفسه، ومشاهدة الأحجار نفسها، فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الإسلام، بل إنَّ مشاهدته عليه الصَّلاة والسَّلام حينما كان حيّاً لا فضل لها بذاتها، وإنّما الفضل في الإيمان به والتعلّم منه والإقتداء به والنهج منهجه ومناصرته، وبالإجمال إنّ أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلاً ما، وهذا واضحٌ من سيرة المسلمين الأوَّلين، إلى آخر خرافاته ومخاريقه. اهـ.

لعلَّ القارىء يزعم من شدَّة الرَّجل هذه وحدَّته في النكير، والجلبة واللغط في القول ـ التي هي شنشنةٌ يُعرف بها ابن تيميَّة شيخ البدع والضلال والمرجع الوحيد في هذه الخزايات والخزعبلات ـ أنَّ لكلامه مقيلاً من الحقيقة ورمزاً من الصِّدق، ذاهلاً عن أنَّ أعلام المذاهب الإسلاميَّة في القرون الخالية، منذ القرن الثامن من يوم ابن تيميَّة، وبعده يوم محمَّد بن عبد الوهاب الذي أعاد لتلكم الدوارس جدَّتها وحتّى العصر الحاضر، أنكروا على هذه السفسطات والسفاسف وحكموا بكفر من ذهب إلى هذه الآراء المضلّة والمعتقدات الشاذَّة عن سيرة المسلمين، وشنّوا عليه الغارة وبالغوا في الردِّ عليه.

والقارىء جِدُّ عليم بأنَّ هذه اللهجة القارصة ليست من شأن من أسلم وجهه لله وهو محسن، وآمن بالنبيِّ الطاهر، واعتنق بما جاء به من كتاب وسنَّة، ولا تُسوِّغها مكارم الأخلاق ومبادىء الإنسانيَّة، ولا يُحبِّذها أدب الإسلام المقدَّس: أيجوز لمسلم أن يُسوّي بين مشاهدة الأحجار وبين رؤية النبيِّ ﷺ في حال حياته؟ أيسوغ له أن لا يرى لزيارته حيّاً وميّتاً قيمةً ولا كرامةً؟ ولا يعتبر لها فضلاً ما، وينعق بذلك في الملأ الديني؟ أليست من السيرة المطَّردة بين البشر أنَّ كلَّ ملّة من الملل تستعظم زيارة كبرائها وزعمائها، وتراها فضلاً وشرفاً وتعدُّها للزائر مفخرةً ومحمدةً، وتكثر إليها رغبات أفرادها لما يرون فيها من الكرامة؟ وقد جرت على هذه سيرة العقلاء من الملل والنحل، وعليه تصافقت

الأجيال في أدوار الدنيا، وكان يقدِّر الناس سلفاً وخلفاً أعلام الدين بالزِّيارة والتبرُّك بهم، قال أبو حاتم: كان أبو مسهر عبد الأعلى الدمشقي الغسّاني المتوفّى سنة ٢١٨، إذا خرج إلى المسجد اصطفّ الناس يُسلّمون عليه ويُقبِّلون يده(١).

وقال أبو سعد: كان أبو القاسم سعد بن علي شيخ الحرم الزنجاني المتوفّى سنة ٤٧١، إذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف ويقبِّلون يده أكثر ممّا يقبِّلون الحجر الأسود(٢)وقال ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ١٢٠: كان النّاس يتبرَّكون به ويُقبِّلون يده أكثر مما يقبِّلون الحجر الأسود.

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الشيرازي المتوفّى سنة ٤٧٦ كلّما مرَّ على بلدة خرج أهلها يتلقّونه بأولادهم ونسائهم يتبرَّكون به، ويتمسَّحون بركابه، وربما أخَذوا من تراب حافر بغلته، ولمّا وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها وما مرَّ بسوق منها إلاّ نثروا عليه من لطيف ماعندهم(٣).

وكان الشريف أبو جعفر الحنبلي المتوفّى سنة ٤٧٠ يدخل عليه فقهاء وغيرهم ويقبِّلون يده ورأسه(٤).

وكان الحافظ أبو محمَّد عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفّى سنة ٦٠٠ إذا خرج في مصر يوم الجمعة إلى الجامع لا يقدر يمشي من كثرة الخلق يتبرَّكون به ويجتمعون حوله. هب ج ٤ ص ٣٤٦.

وكان أبو بكر عبد الكريم بن عبدالله الحنبلي المتوفّى سنة ٦٣٥ منقطعاً عن النّاس في قريته يقصده الناس لزيارته والتبرُّك به. هب ج ٥ ص ١٧١.

وكان للحافظ أبو عبد الله محمّد بن أبي الحسين اليونيني الحنبلي المتوفّى سنة ٦٥٨ من الحرمة والتقدُّم ما لم ينله أحدٌ، وكانت الملوك تقبِّل يده وتقدِّم

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ١١ ص ٧٣.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ ص ٣٤٦، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ ص ١٥١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ ص ١٢٣، شذرات الذهب ٣ ص ٣٥٠.

(٤) البداية والنهاية ١٢ ص ١١٩.

مداسه. هب ج ٥ ص ٢٩٤ .

وكان الجزري محمَّد بن محمَّد المتوفّى سنة ٨٣٢، توفّي بشيراز وكانت جنازته مشهودة تبادر الأشراف والخواصّ والعوام إلى حملها وتقبيلها ومسّها تبرُّكاً بها ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرَّك بمن تبرَّك بها. مفتاح السَّعادة ج ١ ص ٣٩٤؛ وكان لأهل دمشق في الشيخ مسعود بن عبدالله المغربي المتوفّى سنة ٩٨٥ كبير اعتقاد يتبرَّكون به ويقبِّلون يديه، قال النجم الغزّي: ولقد دعا لي ومسح على رأسي، وأنا أجد بركة دعائه إلى الآن. هب ج ٨ ص ٤٠٩ .

فما ظنّك بزيارة سيِّد ولد آدم ومن نيطت به سعادة البشر ورقيّه وتقدُّمه؟ وهذه ملائكة السَّماوات تزور ذلك القبر الشريف كلَّ يوم، فما من يوم يطلع إلاّ نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتّى يحفوا بقبره ﷺ ويصلّون عليه حتّى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتّى إذا انشقّت عنه الأرض(١).

وشتّان بين هذا الرأي [القصيمي] الفاسد وبين قول الشيخ تقيّ الدين السبكي في «الشفاء» ص ٩٦: إنَّ من المعلوم من الدين وسير السَّلف الصالحين التبرّك ببعض الموتى من الصّالحين فيكف بالأنبياء والمرسلين، ومن ادَّعى أنَّ قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطائه فيه، وفيه حطٌّ لدرجة النبيِّ ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفرٌ متيقّنٌ، فإنَّ من حطَّ رتبة النبيِّ ﷺ عمّا يجب له فقد كفر ! .

والخطب الفظيع وقل الفاحشة المبيَّنة أنَّ الرجل يحذو حذو ابن تيميَّة، ويرى مايهذو به من البدع والضَّلالات من سيرة المسلمين الأوَّلين، كأنَّ القرون الإسلاميَّة تدهورت وتقلّبت على سيرتها الاولى، وشذَّت الامّة عنها، فلم يبق عاملاً بتلك السيرة إلاّ الرَّجل [القصيمي] وشيخه في ضلاله [ابن تيميَّة].

وانظر إلى الرَّجل كيف يرى زيارة القبور وإتيانها والدعاء عندها من الرِّدَّة؛

(١) أخرجه الدارمي في سننه ١ ص ٤٤، وذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية»، وابن حجر في «الجوهر المنظّم» عن الدارمي. وابن المبارك. وإسماعيل القاضي. والبيهقي، وذكر الزرقاني في «شرح المواهب» ٥ ص ٣٤٠ ما أسقط منه القسطلاني، وذكره الحمزاوي في «كنز المطالب» ٢٢٣.

والكفر عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ناشئةً عن الغلوّ في التشيّع والتأليه لعليٍّ وولده؟! وقد مرَّ عنه في صفحة ٦٩: أنَّ الشيعة يرون عليّاً وولده أنبياء يوحى إليهم. إنْ كلّها إلاّ شنشنة الرعونة وصبغة الإحن والشحناء في كلِّ أمويٍّ لفّ عجاجته على الشيعة وعلى أئمتها، فها نحن نقدِّم بين يدي القارىء سيرة المسلمين في زيارة النبيِّ الأقدس وغيره منذ عصر الصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان حتّى اليوم، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيى من حيَّ عن بيِّنة.

الحث على زيارة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

أخرج أئمَّة المذاهب الأربعة وحفّاظها في الصِّحاح والمسانيد أحاديث جمَّة في زيارة قبر النبيِّ الأعظم صلوات الله عليه وآله ونحن نذكر شطراً منها:

(١)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من زار قبري وجبت له شفاعتي.

أخرجته امَّةٌ من الحفّاظ وأئمَّة الحديث منهم:

١ ـ عُبيد بن محمّد أبو محمَّد الورّاق النيسابوري المتوفّى سنة ٢٥٥.

٢ ـ ابن أبي الدنيا أبو بكر عبدالله بن محمَّد القرشي المتوفّى سنة ٢٨١.

٣ ـ الدولابي أبو بشر محمَّد الرازي المتوفّى سنة ٣١٠ في «الكنى والأسماء» ج ٢ ص ٦٤.

٤ ـ محمَّد بن إسحاق أبو بكر النيسابوري المتوفّى سنة ٣١١ الشهير بابن خزيمة، أخرجه في صحيحه.

٥ ـ الحافظ محمَّد بن عمرو أبو جعفر العقيلي المتوفّى سنة ٣٢٢ في كتابه.

٦ ـ القاضي المحاملي أبو عبدالله الحسين البغدادي المتوفّى سنة ٣٣٠.

٧ ـ الحافظ أبو أحمد بن عدي المتوفّى سنة ٣٦٥ في «الكامل».

٨ ـ الحافظ أبو الشيخ أبو محمَّد عبدالله بن محمَّد الأنصاري المتوفّى سنة ٣٦٩.

٩ ـ الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥ في سننه.

١٠ ـ أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠ في «الأحكام السلطانيَّة» ص ١٠٥.

١١ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ في «السنن» وغيره.

١٢ ـ القاضي أبو الحسن عليّ بن الحسن الخلعي الشافعي المتوفّى سنة ٤٩٢ في فوائده.

١٣ ـ الحافظ إسماعيل بن محمَّد بن الفضل القرشي الأصبهاني المتوفّى سنة ٥٣٥.

١٤ ـ القاضي عياض المالكي المتوفّى سنة ٥٤٤ في «الشفاء».

١٥ ـ الحافظ أبو القاسم عليّ بن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١، في تاريخه في [باب من زار قبره ﷺ] وهذا الباب أسقطه المهذِّب من الكتاب في طبعه، والله يعلم سرّ تحريفه هذا وما أضمرته سريرته.

١٦ ـ الحافظ أبو طاهر أحمد بن السلفي المتوفّى سنة ٥٧٦.

١٧ ـ أبو محمَّد عبد الحقّ بن عبد الرَّحمن الأندلسي المتوفّى سنة ٥٨١ في الأحكام الوسطى والصغرى(١).

١٨ ـ الحافظ ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في [مثير الغرام الساكن].

---

(١) قال في خطبة الأحكام الصغرى: إنّه تخيرها صحيح الاسناد معروفة عند النقاد، قد نقلها الأثبات وتداولها الثقات. وقال في خطبة الأحكام الوسطى: إنّ سكوته عن الحديث دليل على صحته. إلخ. راجع «شفاء السقام» ص ٩.

١٩ ـ الحافظ عليّ بن المفضَّل المقدسي الإسكندراني المالكي المتوفّى سنة ٦١١.

٢٠ ـ الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقي المتوفّى سنة ٦٤٨.

٢١ ـ الحافظ أبو محمَّد عبد العظيم المنذري المتوفّى سنة ٦٥٦.

٢٢ ـ الحافظ أبو الحسين يحيى بن علي القرشي الأموي المالكي المتوفّى سنة ٦٦٢ في كتابه «الدلائل المبينة في فضائل المدينة».

٢٣ ـ الحافظ أبو محمَّد عبد المؤمنين الدمياطي المتوفّى سنة ٧٠٥.

٢٤ ـ الحافظ أبو الحسين هبة الله بن الحسن.

٢٥ ـ أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب «أخبار المدينة».

٢٦ ـ أبو عبدالله محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاجّ المتوفّى سنة ٧٣٧، في «المدخل» ج ١ ص ٢٦١.

٢٧ ـ تقيُّ الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفّى سنة ٧٥٦، بسط القول في ذكر طرقه في «شفاء السقام» ص ٣ـ ١١ وقال في ص ٨: والرُّواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقاتٌ لا ريبة فيهم، وموسى بن هلال قال ابن عدي: أرجو أنَّه لا بأس به، وهو من مشايخ أحمد وأحمد لم يكن يروي إلاّ عن ثقة، وقد صرَّح الخصم بذلك في الردِّ على البكري. ثمَّ ذكر شواهد لقوَّة سنده فقال: وبذلك تبيَّن أنَّ أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحَّته. إلى أن قال: وبهذا بل بأقلَّ منه يتبيَّن افتراء من ادَّعى: أن جميع الأحاديث الواردة في الزِّيارة موضوعةٌ. فسبحان الله أما استحى من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالمٌ ولا جاهلٌ لا من أهل الحديث ولا من غيرهم؟! ولا ذكر أحدٌ موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتَّهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلمٌ أن يطلق على كلِّ الأحاديث التي هو واحدٌ منها أنَّها موضوعةٌ؟! ولم ينقل إليه ذلك عن عالم نقله، ولا ظهر على هذا الحديث شيءٌ من الأسباب المقتضية للمحدِّثين للحكم بالوضع،

ولا حكم متنه ممّا يخالف الشريعة، فمن أيِّ وجهٍ يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسنٌ وصحيحٌ.

٢٨ ـ الشيخ شعيب عبدالله بن سعد المصري ثمَّ المكي الشهير بالحريفيش المتوفّى سنة ٨٠١ في «الروض الفائق» ج ٢ ص ١٣٧.

٢٩ ـ السيِّد نور الدين عليٌّ بن عبدالله الشافعي القاهري السمهودي[1] المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٤.

٣٠ ـ الحافظ جلال الدين عبد الرَّحمن السيوطي المتوفّى سنة ٩١١، في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٨ ص ٩٩.

٣١ ـ الحافظ أبو العبّاس شهاب الدين القسطلاني[2] المتوفّى سنة ٩٢٣، في «المواهب اللدنيّة» من طريق الدارقطني، وقال: رواه عبد الحقّ في أحكامه الوسطى والصغرى وسكت عنه، وسكوته عن الحديث فيها دليلٌ على صحَّته.

٣٢ ـ الحافظ ابن الدبيع أبو محمَّد الشيباني المتوفّى سنة ٩٤٤، في «تمييز الطيب من الخبيث» ص ١٦٢.

٣٣ ـ الشيخ شمس الدّين محمَّد الخطيب الشربيني المتوفّى سنة ٩٧٧، في «المغني» ج ١ ص ٤٩٤ عن صحيح ابن خزيمة.

٣٤ ـ زين الدين عبد الرؤوف المناوي المتوفّى سنة ١٠٣١، في «كنوز الحقائق» ص ١٤١، وشرح الجامع الصغير للسيوطي ج ٦ ص ١٤٠.

٣٥ ـ الشيخ عبد الرَّحمن شيخ زاده المتوفّى سنة ١٠٧٨، في «مجمع الأنهر» ج ١ ص ١٥٧.

٣٦ ـ أبو عبدالله محمَّد بن عبد الباقي الزرقاني المصري المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢، في «شرح المواهب» ج ٨ ص ٢٩٨ نقلاً عن أبي الشيخ وابن أبي الدنيا.

---

(١) السمهود قرية كبيرة غربي نيل مصر.
(٢) نسبة إلى قسطلة بلدة بأندلس.

٣٧ ـ الشيخ إسماعيل بن محمّد الجراحي العجلوني المتوفّى سنة ١١٦٢، في «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٢٥٠ نقلاً عن أبي الشيخ، وابن أبي الدنيا، وابن خزيمة.

٣٨ ـ الشيخ محمَّد بن علي الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٥ نقلاً عن غير واحد من أئمَّة الحديث.

٣٩ ـ الشيخ محمّد بن السيِّد درويش الحوت البيروتي المتوفّى سنة ١٢٧٦، في «حسن الأثر» ص ٢٤٦.

٤٠ ـ السيّد محمّد بن عبدالله الدمياطي الشافعي المتوفّى سنة ١٣٠٧، في «مصباح الظلام» ج ٢ ص ١٤٤.

٤١ ـ عدَّةٌ من فقهاء المذاهب الأربعة في مصر اليوم في الفقه على المذاهب الأربعة.

(٢)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من جاءني زائراً لا تعمله إلّا زيارتي كان حقّاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة. وفي لفظ: لا تحمله إلّا زيارتي. وفي آخر: لم تنزعه حاجةٌ إلّا زيارتي. وفي رابع: لا ينزعه إلّا زيارتي كان حقّاً على الله عزَّ وجلَّ. وفي خامس للغزالي: لا يهمّه إلّا زيارتي. أخرجه جمعٌ من الحفّاظ لا يُستهان بهم وبعدَّتهم منهم:

١ ـ الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي المتوفّى بمصر سنة ٣٥٣، في كتابه «السنن الصِّحاح» جعل في آخر كتاب الحجّ «باب ثواب من زار قبر النبيّ» ولم يذكر في الباب غير هذا الحديث. قال السبكي في «شفاء السقام» ص ١٦: وذلك منه حكمٌ بأنَّه مجمعٌ على صحته بمقتضى الشّرط الذي شرطه في الخطبة، وابن السكن هذا إمامٌ حافظٌ ثقةٌ كثير الحديث واسع الرِّحلة. الخ.

قال في خطبة كتابه: أمّا بعد: فإنَّك سألتني أن أجمع لك ما صحَّ عندي

من السنن المأثورة التي نقلها الأئمَّة من أهل البلدان الذين لا يطعن عليهم طاعن فيما نقلوه فتدبَّرت ما سألتني عنه فوجدت جماعة من الأئمَّة قد تكلّفوا ما سألتني من ذلك وقد وعيت جميع ما ذكروه، وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديت بهم أجبتك إلى ما سألتني من ذلك، وجعلته أبواباً في جميع ما يحتاج إليه من أحكام المسلمين، فأوَّل من نصب نفسه لطلب صحيح الآثار: البخاري وتابعه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وقد تصفَّحت ما ذكروه وتدبَّرت ما نقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه، فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو ممّا أجمعوا على صحته، وما ذكرته بعد ذلك ممّا يختاره أحدٌ من الأئمَّة الذين سمّيتهم، فقد بيَّنت حجَّته في قبول ما ذكره، ونسبته إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته مما يتفرَّد به أحدٌ من أهل النقل للحديث فقد بيَّنت علّته ودللت على انفراده دون غيره وبالله التوفيق.

٢ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠، أخرجه في معجمه الكبير.

٣ ـ الحافظ أبو بكر محمّد بن إبراهيم المقري الاصبهاني المتوفّى سنة ٣٨١، في معجمه.

٤ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥، أخرجه في أماليه.

٥ ـ الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٠٢.

٦ ـ القاضي أبو الحسن عليّ بن الحسن الخلعي الشافعي المتوفّى سنة ٤٩٢ صاحب «الفوائد».

٧ ـ حجَّة الإسلام أبو حامد الغزالي الشافعي المتوفّى سنة ٥٠٥، في «إحياء العلوم» ج ١ ص ٢٤٦.

٨ ـ الحافظ ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١، صاحب «تاريخ الشام».

٩ ـ الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقي المتوفّى سنة ٦٤٨.

١٠ ـ الحافظ يحيى بن علي القرشي الأموي المالكي المتوفّى سنة ٦٦٢.

١١ ـ الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد في كتابه.

١٢ ـ تقيُّ الدين السبكي الشافعي المتوفّى سنة ٧٥٦، فصَّل القول في طرق هذا الحديث وأخرجه من طرق شتّى وصحَّحه في «شفاء السِّقام» ص ١٣ ـ ١٦.

١٣ ـ السيِّد نور الدين علي بن عبدالله الشافعي القاهري السمهودي المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٦، ذكره من طرق شتّى منها طريق الحافظ ابن السكن فقال: ومقتضى ما شرطه في خطبته أن يكون هذا الحديث ممّا أجمع على صحته. ثمَّ قال: قلتُ: ولهذا نقل عنه جماعة منهم الحافظ زين الدّين العراقي: إنّه صحّحه. الخ.

١٤ ـ أبو العبّاس شهاب الدين القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣، في «المواهب اللدنيّة» وقال: صحّحه ابن السكن.

١٥ ـ الشيخ محمّد الخطيب الشربيني المتوفّى سنة ٩٧٧، في «مغني المحتاج» شرح المنهاج ج ١ ص ٤٩٤ وقال: رواه ابن السكن في سننه الصّحاح المأثورة.

١٦ ـ الشيخ عبد الرَّحمن شيخ زاده المتوفّى سنة ١٠٧٨، في «مجمع الأنهر» ج ١ ص ١٥٧.

(٣)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي. وفي غير واحد من طرقه زيادة: وصحبني. أخرجه جمعٌ من الحفّاظ منهم:

١ ـ الحافظ عبد الرزّاق أبو بكر الصنعاني المتوفّى سنة ٢١١.

٢ ـ الحافظ أبو العبّاس الحسن بن سفيان الشيباني المتوفّى سنة ٣٠٣.

٣ ـ الحافظ أبو يعلى أحمد بن عليّ الموصلي المتوفّى سنة ٣٠٧ في مسنده.

٤ ـ الحافظ أبو القاسم عبدالله بن محمّد البغوي المتوفّى سنة ٣١٧.

٥ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠.

٦ ـ الحافظ أبو أحمد ابن عدي المتوفّى سنة ٣٦٥ في «الكامل».

٧ ـ الحافظ أبو بكر محمّد بن إبراهيم المقري المتوفّى سنة ٣٨١.

٨ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥، في سننه وغيرها.

٩ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨، في سننه ج ٥ ص ٢٤٦.

١٠ ـ الحافظ ابن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١ في تاريخه.

١١ ـ الحافظ ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن».

١٢ ـ الحافظ أبو عبدالله ابن النجّار المتوفّى سنة ٦٤٣، في كتابه «الدرّة الثمينة في أخبار المدينة».

١٣ ـ الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقي المتوفّى سنة ٦٤٨.

١٤ ـ الحافظ أبو محمّد عبد المؤمن الدمياطي المتوفّى سنة ٧٠٥.

١٥ ـ أبو الفتح أحمد بن محمّد بن أحمد الحدّاد في كتابه.

١٦ ـ الحافظ أبو الحسين المصري.

١٧ ـ وليُّ الدين الخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح» المؤلَّف سنة ٧٣٧، في باب حرم المدينة في الفصل الثالث.

١٨ ـ تقيّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦، بسط القول في طرقه في «شفاء السّقام» ص ١٦ ـ ٢١ ورواه عن كثير من هؤلاء الحفّاظ المذكورين وغيرهم.

١٩ ـ الشيخ شعيب عبدالله المصري الحريفيش المتوفّى سنة ٨٠١، في «الرّوض الفائق» ج ٢ ص ١٣٧.

٢٠ ـ السيِّد نور الدّين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١، فصَّل القول في طرقه في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٧.

٢١ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١، في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٨ ص ٩٩.

٢٢ ـ قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المتوفّى سنة ١٠٦٩، في «شرح الشفاء» للقاضي عياض ج ٣ ص ٥٦٧.

٢٣ ـ الشيخ عبد الرَّحمن شيخ زاده المتوفّى سنة ١٠٧٨، في «مجمع الأنهر» ج ١ ص ١٥٧.

٢٤ ـ الشيخ محمّد الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٥.

٢٥ ـ السيّد محمّد بن عبدالله الدمياطي الشافعي المتوفّى سنة ١٣٠٧، في «مصباح الظلام» ج ٢ ص ١٤٤.

(٤)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من حجَّ البيت ولم يزرني فقد جفاني. أخرجه جمعٌ منهم:

١ ـ الحافظ أبو حاتم محمّد بن حبّان التميمي البستي المتوفّى سنة ٣٥٤، في «الضعفاء».

٢ ـ الحافظ ابن عدي المتوفّى سنة ٣٦٥، في «الكامل».

٣ ـ الحافظ الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥، في كتابه أحاديث مالك التي ليست في الموطّأ.

٤ ـ تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٦٥، من غير طريق في «شفاء

السقام» ص ٢٢، وردّ حكم ابن الجوزي على الحديث بالوضع.

٥ ـ السيِّد نور الدين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٨.

٦ ـ أبو العبّاس شهاب الدين القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣، في «المواهب اللدنيَّة» نقلاً عن ابن عدي، وابن حبّان، والدارقطني.

٧ ـ الشيخ إسماعيل الجراحي العجلوني المتوفّى سنة ١١٦٢، في «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٢٧٨ نقلاً عن ابن عدي، وابن حبّان، والدارقطني.

٨ ـ السيِّد المرتضى الزبيدي الحنفي المتوفّى سنة ١٢٠٥، في «تاج العروس» ج ١٠ ص ٧٤.

٩ ـ الشيخ محمَّد الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٥.

(٥)

عن عمر مرفوعاً: من زار قبري «أو من زارني» كنت له شفيعاً «أو شهيداً» و من مات في أحد الحرمين بعثه الله عزَّ وجلَّ في الآمنين يوم القيامة. أخرجه:

١ ـ الحافظ أبو داود الطيالسي المتوفّى سنة ٢٠٤، في مسنده ج ١ ص ١٢.

٢ ـ الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠.

٣ ـ الحافظ البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ في «السنن الكبرى» ج ٥ ص ٢٤٥.

٤ ـ الحافظ ابن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١، في «تاريخ الشام».

٥ ـ الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقي المتوفّى سنة ٦٤٨.

٦ ـ تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦، في «شفاء السقام» ص ٢٢.

٧ ـ نور الدين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٩

٨ ـ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣، في «المواهب اللدنيَّة».

٩ ـ الحافظ ابن الدبيع المتوفّى سنة ٩٤٤، في «تمييز الطيب» ص ١٦٢.

١٠ ـ زين الدين عبد الرؤوف المناوي المتوفّى سنة ١٠٣١، في «كنوز الحقائق» ص ١٤١ .

١١ ـ الشيخ إسماعيل العجلوني المتوفّى سنة ١١٦٢، في «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٢٧٨.

(٦)

عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنَّما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين. أخرجه:

١ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥، في «السنن»

٢ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨.

٣ ـ الحافظ ابن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١.

٤ ـ الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقي المتوفّى سنة ٦٤٨.

٥ ـ الحافظ أبو محمَّد عبد المؤمن الدمياطي المتوفّى سنة ٧٠٥.

٦ ـ أبو عبدالله العبدري المالكي ابن الحاجّ المتوفّى سنة ٧٣٧، في «المدخل».

٧ ـ تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦، في «شفاء السقام» ص ٢٥

٨ ـ الشيخ شعيب الحريفيش المتوفّى سنة ٨٠١، في «الروض الفائق» ج ٢ ص ١٣٧.

٩ ـ نور الدين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٩.

١٠ ـ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣، في «المواهب اللدنية» عن البيهقي.

١١ ـ الجراحي العجلوني المتوفّى سنة ١١٦٢، في «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٥٥١ عن ابن عساكر والذهبي، وحكى عن الأخير انّه قال: إنَّ هذا الحديث من أجود أحاديث الباب إسناداً.

١٢ ـ الشيخ محمَّد الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٥.

١٣ ـ الشيخ محمَّد بن درويش الحوت البيروتي المتوفّى سنة ١٢٧٦، في «حسن الأثر» ص ٢٤٦

(٧)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من حجَّ حجَّة الإسلام وزار قبري، وغزا غزوةً وصلّى عليَّ في بيت المقدس، لم يسأله الله عزَّ وجلَّ فيما افترض عليه.

أخرجه الحافظ محمَّد بن الحسين بن أحمد أبو الفتح الأزدي المتوفّى سنة ٣٧٤، في فوائده، ورواه عنه الحافظ السلفي أبو طاهر الإصبهاني المتوفّى سنة ٥٧٦ بإسناده، أخرجه بالطريق المذكور تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦ في «شفاء السقام» ص ٢٥، وذكره السيِّد السمهودي المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠٠، والشيخ محمَّد بن علي الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٦.

(٨)

عن أبي هريرة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنَّما زارني وأنا حيٌّ، ومن

زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة. أخرجه:

١ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه المتوفّى سنة ٤١٦.

٢ ـ الحافظ أبو سعد أحمد بن محمّد بن أحمد بن الحسن الإصبهاني المتوفّى سنة ٥٤٠.

٣ ـ أبو الفتوح سعيد بن محمّد اليعقوبي في فوائده سنة ٥٥٢.

٤ ـ الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني الشافعي المتوفّى سنة ٥٦٢.

٥ ـ ابن الأنماطي إسماعيل بن عبدالله الأنصاري المالكي المتوفّى سنة ٦١٩.

٦ ـ تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦ في «شفاء السقام» ص ٢٦.

٧ ـ السيِّد نور الدين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١ في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠٠.

(٩)

عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وفي رواية اخرى عنه أيضاً:

من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة.

وفي لفظ ثالث له زيادة: وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة. أخرجته امَّةٌ من الحفّاظ منهم:

١ ـ ابن أبي فُديك محمّد بن إسماعيل المتوفّى سنة ٢٠٠.

٢ ـ ابن أبي الدنيا أبو بكر القرشي المتوفّى سنة ٢٨١.

٣ ـ الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥.

٤ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨. في «شعب الإيمان».

٥ - القاضي عياض المالكي المتوفّى سنة٥٤٤ في «الشفاء».

٦ - الحافظ عليٌّ بن الحسن الشهير بابن عساكر المتوفّى سنة٥٧١.

٧ - الحافظ ابن الجوزي المتوفّى سنة٥٩٧ في [مثير الغرام الساكن].

٨ - الحافظ عبد المؤمن الدمياطي المتوفّى سنة٧٠٥.

٩ - أبو عبد الله العبدري المالكي ابن الحاجّ المتوفّى سنة٧٣٧ في «المدخل» ج ١ ص ٢٦١.

١٠ - شمس الدين أبو عبدالله الدمشقي الحنبلي المعروف بابن القيِّم الجوزيَّة المتوفّى سنة٧٥١، في «زاد المعاد» ج ٢ ص ٤٧.

١١ - تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة٧٥٦، في « شفاء السِّقام» ص ٢٧.

١٢ - السيِّد نور الدين السَّمهودي المتوفّى سنة٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠٠.

١٣ - أبو العبّاس شهاب الدين القسطلاني المتوفّى سنة٩٢٣ في «المواهب اللدنية».

١٤ - جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة٩١١، في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٨ ص ٩٩.

١٥ - الشيخ عبد الرَّحمن شيخ زاده المتوفّى سنة١٠٧٨، في «مجمع الأنهر» ج ١ ص ١٥٧ بلفظ: من زارني إلى المدينة متعمِّداً كان في جواري إلى يوم القيامة.

١٦ - الشيخ محمَّد الشوكاني المتوفّى سنة١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٦.

١٧ - أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة١١٢٢، في «شرح المواهب» ج ٨ ص ٢٩٩.

١٨ ـ الجراحي العجلوني المتوفّى سنة١١٦٢، في كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥١.

١٩ ـ السيِّد أحمد الهاشمي في مختار الأحاديث النبويّة ص ١٦٩ .

٢٠ ـ السيِّد محمَّد بن عبدالله الدمياطي الشافعي المتوفّى سنة١٣٠٧، في «مصباح الظلام» ج ٢ ص ١٤٤ .

٢١ ـ الشيخ منصور علي ناصف في «التاج» ج ٢ ص ٢١٦.

(١٠)

عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني ميِّتاً فكأنَّما زارني حيّاً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من امَّتي له سعة ثمَّ لم يزرني فليس له عذرٌ. أخرجه:

١ ـ الحافظ أبو عبدالله محمَّد بن محمود ابن النجّار المتوفّى سنة٦٤٣، في كتابه «الدرَّة الثمينة في فضائل المدينة».

٢ ـ تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة٧٥٦، في «شفاء السِّقام» ص ٢٨ .

٣ ـ الحافظ زين الدين العراقي المتوفّى سنة ٨٠٦، أشار إليه كما في «المواهب».

٤ ـ السيِّد نور الدين السمهودي المتوفّى سنة٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠٠.

٥ ـ أبو العبّاس شهاب الدين القسطلاني المتوفّى سنة٩٢٣ في «المواهب اللدنيَّة».

٦ ـ العجلوني المتوفّى سنة١١٦٢، في «كشف الخفاء» ج ٣ ص ٢٧٨ .

(١١)

عن ابن عبّاس مرفوعاً: من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي،

ومن زارني حتّى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً. أو قال: شفيعاً.

أخرجه الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفّى سنة ٣٢٢، في كتاب «الضعفاء» في ترجمة فضالة بن سعيد المازني، والحافظ ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١ كما في «شفاء السّقام» ص ٢١، و«وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠١، و«نيل الأوطار» للشوكاني ج ٤ ص ٣٢٥، ٣٢٦.

(١٢)

عن عليّ أمير المؤمنين مرفوعاً وغير مرفوع: من زار قبري بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن لم يزر قبري فقد جفاني، أخرجه:

١ ـ أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسني في كتابه «أخبار المدينة».

٢ ـ أبو سعيد عبد الملك بن محمّد النيسابوري الخركوشي المتوفّى سنة ٤٠٦، في «شرف المصطفى».

٣ ـ الحافظ ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١.

٤ ـ الحافظ أبو عبدالله ابن النجّار المتوفّى سنة ٦٤٣ في كتاب «الدرّة الثمينة».

٥ ـ الحافظ عبد المؤمن الدمياطي المتوفّى سنة ٧٠٥.

٦ ـ تقيّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦، في «شفاء السّقام» ص ٢٩.

٧ ـ الشيخ شعيب الحريفيش المتوفّى سنة ٨٠١، في «الروض الفائق» ج ٢ ص ١٣٧.

٨ ـ السيّد نور الدين السمهودي المتوفّى سنة ١١٩ في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠١.

٩ ـ زين الدين عبد الرؤوف المناوي المتوفّى سنة ١٣٠١ في «كنوز الحقائق» ص ١٤١ .

(١٣)

عن بكر بن عبدالله مرفوعاً: من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً.

أخرجه أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسني في كتابه «أخبار المدينة» كما في «شفاء السِّقام» للسبكي ص ٣٠، و«وفاء الوفاء» للسمهودي ج ٢ ص ٤٠٢.

(١٤)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي. أخرجه:

١ ـ الحافظ سعيد بن منصور النسائي أبو عثمان الخراساني المتوفّى سنة ٢٢٧.

٢ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٢٦٠ .

٣ ـ الحافظ أبو أحمد بن عدي المتوفّى سنة ٣٦٥ .

٤ ـ الحافظ أبو الشيخ الأنصاري المتوفّى سنة ٣٦٩.

٥ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥.

٦ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨.

٧ ـ القاضي عياض المالكي المتوفّى سنة ٥٤٤.

٨ ـ قاضي القضاة الخفاجي الحنفي المتوفّى سنة ١٠٦٩، في «شرح الشفاء» ج ٣ ص ٥٦٥ نقله عن البيهقي والدار قطني والطبراني وابن منصور.

٩ ـ زين الدين عبدالرؤوف المناوي المتوفّى سنة ١٠٣١، في «كنوز الحقائق» ص ١٤١ بلفظ: من زار قبري بعد موتي.

١٠ ـ العجلوني المتوفّى سنة ١١٦٢ في «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٢٥١ نقلاً عن أبي الشيخ والطبراني وابن عدي والبيهقي.

(١٥)

عن ابن عبّاس مرفوعاً: من حجَّ إلى مكّة ثمَّ قصدني في مسجدي كتبت له حجّتان مبرورتان.

أخرجه الفردوس في مسنده كما في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠١. و«نيل الأوطار» ج ٤ ص٣١٦.

(١٦)

عن رجل من آل الخطّاب مرفوعاً: مَن زارني متعمِّداً كان في جواري يوم القيامة، ومَن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين [من الآمنين] وزاد الشحامي عقب قوله [يوم القيامة]: ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة. روي بإسنادٍ فيه من الحفّاظ:

١ ـ الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفّى سنة ٣٢٢.

٢ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥.

٣ ـ الحافظ أبو عبدالله الحاكم المتوفّى سنة ٤٠٥.

٤ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨، في «شعب الإيمان».

٥ ـ الحافظ ابن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١.

٦ ـ الحافظ أبو محمّد عبد المؤمن الدمياطي المتوفّى سنة ٧٠٥، وأخرجه من طريق هؤلاء الحفّاظ.

٧ ـ وليُّ الدين الخطيب العمري التبريزي في «مشكاة المصابيح» المؤلَّف سنة ٧٣٧. في باب حرم المدينة في الفصل الثالث.

٨ ـ تقيُّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦، في «شفاء السِّقام» ص ٢٤. وقال: مرسلٌ جيِّدٌ ورواه عنه.

السيِّد نور الدين السمهودي في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٩.

(١٧)

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من زارني إلى المدينة كنت له شهيداً وشفيعاً، أخرجه الحافظ الدارقطني بإسناده في «السنن» كما في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٩٨.

(١٨)

رُوي عن رسول الله ﷺ قال: مَن وجد سعةً ولم يفد [يغد] إليَّ فقد جفاني.

ذكره ابن فرحون في مناسكه، والغزالي في «الإحياء» ج ١ ص ٢٤٦، والقسطلاني في «المواهب اللدنيَّة» والعجلوني في «كشف الخفاء» ج ٢ ص. ٢٧٨.

(١٩)

قال رسول الله ﷺ: مَن زارني بعد وفاتي وسلّم عليَّ رددتُ عليه السَّلام عشراً، وزاره عشرة من الملائكة، كلّهم يسلّمون عليه، ومن سلّم عليَّ في بيته ردَّ الله تعالى عليَّ روحي حتّى أُسلّم عليه.

ذكره الشيخ شعيب الحريفيش المتوفّى سنة ٨٠١ في «الروض الفائق» ج ٢ ص ١٣٧.

(٢٠)

عن أبي عبدالله محمَّد بن العلاء رحمه الله قال: دخلت المدينة وقد غلب عليَّ الجوع فزرت قبر النبيِّ ﷺ وسلّمت عليه وعلى الشيخين رضي الله عنهما وقلت: يا رسول الله جئت وبي من الفاقة والجوع ما لا يعلمه إلاّ الله عزَّ وجلَّ وأنا ضيفك في هذه الليلة ثمَّ غلبني النوم فرأيت النبيّ ﷺ في المنام

فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه، ثمَّ انتبهت من المنام وفي يدي نصفه الآخر، فتحقَّق عندي قول النبيِّ ﷺ من رآني في المنام فقد رآني حقّاً فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل بي ثمَّ نوديت: يا أبا عبدالله! لا يزور قبري أحدٌ إلاّ غُفر له ونال شفاعتي غداً.

ذكره الشيخ شعيب الحريفيش في «الروض الفائق» ج ٢ ص ١٣٨ فقال في المعنى:

من زار قبر محمَّدٍ ... نال الشفاعة في غد
بالله كرِّر ذكره ... وحديثه يا منشدي
واجعل صلاتك دائماً ... جهراً عليه تهتدي
فهو الرَّسول المصطفى ... ذو الجود والكفِّ الندي
وهو المشفَّع في الورى ... من هول يوم الموعدِ
والحوض مخصوصٌ به ... في الحشر عذب الموردِ
صلّى عليه ربّنا ... ما لاح نجم الفرقدِ

(٢١)

مرفوعاً عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا عذر لمن كان له سعة من امَّتي ولم يزرني.

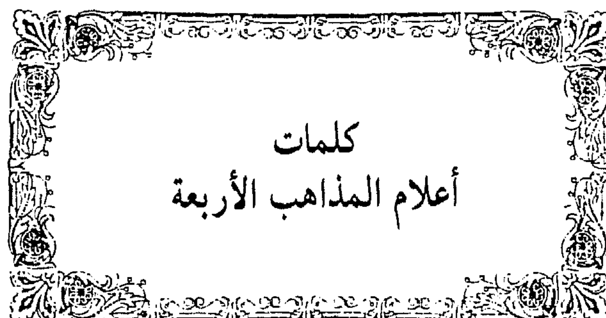
رواه الشيخ عبد الرَّحمن شيخ زاده في «مجمع الأنهر» في شرح ملتقى الأبحر ج ١ ص ١٥٧، وعدَّه من أدلّة الباب من دون غمز فيه.

(٢٢)

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلام: من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جواره أخرجه ابن عساكر كما في «نيل الأوطار» للشوكاني ج ٤ ص ٣٢٦.

﴿فلعلّك باخع نفسك على آثارهم إنْ لَمْ يُؤمِنوا بهذا الحديثِ أسفاً فبأيِّ حديثٍ بعد يُؤمِنون﴾

الكهف آية ٦ . المرسلات آية ١٥٠



كلمات
أعلام المذاهب الأربعة

حول زيارة النبيِّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي أربعون كلمة

١ ـ قال أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي المتوفّى سنة ٤٠٣، في كتابه [المنهاج في شعب الإيمان] بعد ذكر جملة من تعظيم النبيِّ: فأمّا اليوم فمن تعظيمه زيارته.

٢ ـ قال أبو الحسن أحمد بن محمَّد المحاملي الشافعي المتوفّى سنة ٤٢٥، في «التجريد»: ويستحبُّ للحاجِّ إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبيِّ ﷺ.

٣ ـ قال القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله الطبري المتوفّى سنة ٤٥٠: ويستحبّ أن يزور النبيَّ ﷺ بعد أن يحجَّ ويعتمر.

٤ ـ قال أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠، في «الأحكام السلطانيّة» ص ١٠٥: فإذا عاد [وليُّ الحاجِّ] سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ليجمع لهم بين حج بيت الله عزَّ وجلَّ وزيارة قبر رسول الله رعايةً لحرمته، وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحجِّ فهو من مندوبات الشرع المستحبَّة، وعبادات الحجيج المستحسنة.

وقال في الحاوي: أمّا زيارة قبر النبيِّ ﷺ فمأمورٌ بها ومندوبٌ إليها.

٥ ـ حكى عبد الحقِّ بن محمَّد الصقيلي المتوفّى سنة ٤٦٦، في كتابه [تهذيب الطالب] عن الشيخ أبي عمران المالكي أنَّه قال: إنّما كره مالك أن يُقال: زرنا قبر النبيِّ ﷺ لأنّ الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها، وزيارة قبر

النبيِّ ﷺ واجبةٌ. قال عبد الحقِّ: يعني من السنن الواجبة [في «المدخل» ج ١ ص ٢٥٦] يريد وجوب السنن المؤكّدة.

٦ ـ قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفّى سنة ٤٧٦، في «المهذَّب»: ويستحبُّ زيارة قبر رسول الله ﷺ.

٧ ـ قال أبو الخطّاب محفوظ بن أحمد الكلوداني الفقيه البغدادي الحنبلي المتوفّى سنة ٥١٠ في كتاب «الهداية»: وإذا فرغ من الحجِّ استحبَّ له زيارة قبر النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقبر صاحبيه.

٨ ـ قال القاضي عياض المالكي المتوفّى سنة ٥٤٤، في «الشفاء»: وزيارة قبره ﷺ سنَّةٌ مجمعٌ عليها، وفضيلةٌ مرغَّبٌ فيها، ثمَّ ذكر عدّة من أحاديث الباب فقال: قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: وممّا لم يزل من شأن من حجَّ المِزور[1] بالمدينة والقصد إلى الصَّلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرّك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطن قدميه والعمود الذي استند إليه ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه، ومَن عمره وقصده من الصحابة وأئمّة المسلمين؛ والإعتبار بذلك كلّه.

٩ ـ قال ابن هبيرة المتوفّى سنة ٥٦٠، في كتاب «إتِّفاق الأئمَّة»: إتَّفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على أنَّ زيارة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مستحبَّة «المدخل» لابن الحاجّ ج ١ ص ٢٥٦.

١٠ ـ عقد الحافظ ابن الجوزي الحنبلي المتوفّى سنة ٥٩٧ في كتابه «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» باباً في زيارة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر حديثي ابن عمر وأنس المذكورين في أحاديث الباب.

١١ ـ قال أبو محمَّد عبد الكريم بن عطاء الله المالكي المتوفّى سنة ٦١٢ في مناسكه: فصلٌ: إذا كمل لك حجّك وعمرتك على الوجه المشروع لم يبق بعد ذلك إلاّ إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسَّلام على النبيِّ ﷺ، والدعاء عنده

(١) قيل بكسر الميم وسكون الزاء وفتح الواو مصدر ميمي بمعنى الزيارة (شرح الشفا للخفاجي).

والسّلام على صاحبيه والوصول إلى البقيع وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين والصّلاة في مسجد الرّسول فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه.

١٢ ـ قال أبو عبدالله محمَّد بن عبدالله بن الحسين السامري الحنبلي المعروف بابن أبي سنينة المتوفّى سنة ٦١٦ في كتاب «المستوعب»: باب زيارة قبر الرّسول ﷺ. وإذا قدم مدينة الرّسول عليه السّلام استحبّ له أن يغتسل لدخولها. ثمَّ ذكر أدب الزيارة وكيفيَّة السّلام والدُّعاء والوداع.

١٣ ـ قال الشيخ موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفَّى سنة ٦٢٠ في كتابه المغني[1]: فصلٌ: يستحبّ زيارة قبر النبيِّ ﷺ ثمَّ ذكر حديثَي ابن عمر وأبي هريرة من طريق الدارقطني وأحمد.

١٤ ـ قال محيي الدين النووي الشافعي المتوفّى حدود سنة ٦٧٧ في «المنهاج» المطبوع بهامش شرحه المغني ج ١ ص ٤٩٤: ويسنُّ شرب ماء زمزم وزيارة قبر رسول الله ﷺ بعد فراغ الحجّ.

١٥ ـ قال نجم الدين ابن حمدان الحنبلي المتوفّى سنة ٦٩٥ في «الرّعاية الكبرى» في الفروع الحنبليَّة: ويسنّ لمن فرغ عن نسكه زيارة قبر النبيِّ ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما، وله ذلك بعد فراغ حجِّه وإن شاء قبل فراغه.

١٦ ـ قال القاضي الحسين: إذا فرغ من الحجِّ فالسنَّة أن يقف بالملتزم ويدعو، ثمَّ يشرب من ماء زمزم، ثمَّ يأتي المدينة ويزور قبر النبيِّ ﷺ. (الشفاء).

١٧ ـ قال القاضي أبو العبّاس أحمد السروجي الحنفي المتوفّى سنة ٧١٠، في «الغاية» إذا انصرف الحاجّ والمعتمرون من مكّة فليتوجّهوا إلى طيبة مدينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وزيارة قبره فإنّها من أنجح المساعي.

١٨ ـ قال الإمام القدوة ابن الحاجّ محمَّد بن محمَّد العبدري القيرواني

---

(١) شرح مختصر الخرقي في فروع الحنابلة تأليف الشيخ أبي القاسم عمر الحنبلي المتوفّى سنة ٣٣٤، والشرح المذكور من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها.

المالكي المتوفّى سنة٧٣٧ في [المدخل] في فصل زيارة القبور ج ١ ص ٢٥٧ : وأمّا عظيم جناب الأنبياء والرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر، ويتعيَّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتَّصف بالذلّ والإنكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والإضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنّهم لا يبلون ولا يتغيّرون، ثمَّ يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثمَّ يُصلّي عليهم ويترضّى على أصحابهم، ثمَّ يترحّم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثمَّ يتوسَّل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوّي حسن ظنّه في ذلك، فإنَّهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومَن عجز عن الوصول فليرسل بالسَّلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنَّهم السّادة الكرام، والكرام لا يردّون من سألهم ولا من توسّل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم. هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصَّلاة والسَّلام عموماً. ثمَّ قال :

فصلٌ : وأمّا في زيارة سيد الأوَّلين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكلُّ ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الإنكسار والذلِّ والمسكنة، لأنَّه الشافع المشفَّع الذي لا تردُّ شفاعته، ولا يخيب مَن قصده، ولا مَن نزل بساحته، ولا مَن استعان أو استغاث به، إذ انَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة إلى أن قال:

فمن توسَّل به أو إستغاث به أو طلب حوائجه منه، فلا يردُّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار. ويحتاج إلى الأدب الكلّي في زيارته عليه الصَّلاة والسَّلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم : إنَّ الزائر يشعر نفسه بأنَّه واقفٌ بين يديه عليه الصَّلاة والسَّلام كما هو في حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته ـ أعني في مشاهدته لامّته ومعرفته بأحوالهم ونيّاتهم وعزائمهم وخواطرهم، ذلك عنده جليّ لا خفاء فيه ـ إلى أن قال:

فالتوسّل به عليه الصَّلاة والسَّلام هو محلّ حطّ أحمال الأوزار، وأثقال الذنوب والخطايا، لأنَّ بركة شفاعته عليه الصَّلاة والسَّلام وعظمها عند ربّه لا يتعاظمها ذنبٌ إذا انَّها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره، وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام من لم يزره، اللهمّ لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين ربِّ العالمين، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ولو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسول، الآية؟ فمن جاءه ووقف ببابه وتوسّل به وجد الله توّاباً رحيماً، لأنَّ الله منزَّهٌ عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربّه، فهذا لا يشكُّ فيه ولا يرتاب إلاّ جاحدٌ للدين معاندٌ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم نعوذ بالله من الحرمان.

١٩ ـ الّف الشيخ تقيّ الدين السبكي الشافعي المتوفّى سنة ٧٥٦ كتاباً حافلاً في زيارة النبيِّ الأعظم في ١٨٧ صحيفة وأسماه [شفاء السِّقام في زيارة خير الأنام] ردّاً على ابن تيميّة. وذكر كثيراً من أحاديث الباب، ثمَّ جعل باباً في نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على استحبابها وأنَّ ذلك مجمعٌ عليه بين المسلمين، وقال في ص ٤٨: لا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه والحنفيّة قالوا: إنَّ زيارة قبر النبيِّ ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبّات، بل يقرب من درجة الواجبات، وممَّن صرَّح بذلك أبو منصور محمَّد بن مكرم الكرماني في مناسكه؛ وعبدالله بن محمود بن بلدحي في شرح المختار، وفي فتاوى أبي الليث السمرقندي في باب أداء الحجّ.

وقال في ص ٥٩: كيف يتخيَّل في أحد من السَّلف منعهم من زيارة المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى وسنذكر ذلك وما ورد من الأحاديث والآثار في زيارتهم، وحكى في ص ٦١ عن القاضي عياض وأبي زكريّا النووي إجماع العلماء والمسلمين على استحباب الزيارة. وقال ص ٦٣: وإذا استحبَّ زيارة قبر غيره ﷺ فقبره أولى لما له من الحقِّ ووجوب التعظيم فإن قلت: الفرق [يعني بين زيارة قبر النبيِّ وغيره] أنَّ

غيره يُزار للإستغفار له لاحتياجه إلى ذلك كما فعل النبيُّ ﷺ في زيارته أهل البقيع، والنبيُّ ﷺ مستغنٍ عن ذلك. قلتُ: زيارته ﷺ إنّما هي لتعظيمه والتبرُّك به، ولتنالنا الرَّحمة بصلاتنا وسلامنا عليه، كما أنّا مأمورون بالصّلاة عليه والتسليم وسؤال الوسيلة وغير ذلك ممّا يعلم أنَّه حاصلٌ له ﷺ بغير سؤالنا؛ ولكنَّ النبيَّ ﷺ أرشدنا إلى ذلك لنكون بدعائنا له متعرِّضين للرَّحمة التي رتَّبها الله على ذلك.

فإن قلت: الفرق أيضاً أنَّ غيره لا يُخشى فيه محذورٌ وقبره ﷺ يُخشى الإفراط في تعظيمه أن يُعبد. قلت: هذا كلامٌ تقشعرُّ منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهّال به لما ذكرته، فإنّ فيه تركاً لما دلّت عليه الأدلّة الشرعيّة بالآراء الفاسدة الخياليَّة، وكيف تقدّم على تخصيص قوله ﷺ: زوروا القبور؟ وعلى ترك قوله: من زار قبري وجبت له شفاعتي؟ وعلى مخالفة إجماع السّلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنَّة؟ بخلاف النهي عن اتِّخاذه مسجداً، وكون الصحابة احترزوا عن ذلك المعنى المذكور لأنَّ ذلك قد ورد النهي فيه وليس لنا أن نشرِّع أحكاماً من قبلنا، أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدِّين ما لم يأذن به الله؟ فمن منع زيارة قبر النبيِّ ﷺ فقد شرع من الدين والتعظيم والوقوف عند الحدّ الذي لا يجوز مجاوزته بالأدلَّة الشرعيَّة، وبذلك يحصل الأمر من عبادة غير الله تعالى، ومن أراد الله ضلاله من أفراد من الجهّال فلن يستطيع أحدٌ هدايته، فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوَّة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبيَّة فقد كذب على الله تعالى وضيَّع ما أمر به في حقّ رسله، كما أنَّ مَن أفرط وجاوز الحدَّ إلى جانب الربوبيّة فقد كذب على رسل الله وضيَّع ما أُمروا به في حقِّ ربِّهم سبحانه وتعالى، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين، وليس في الزِّيارة المشروعة من التعظيم ما يُفضي إلى محذور.

وعقد في ص٧٥ ـ ٨٧ باباً في كون السفر إلى الزِّيارة قربةً، وبسط القول فيه وأثبته بالكتاب والسنَّة والإجماع والقياس، واستدلَّ عليه من الكتاب بقوله تعالى: ولو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً. بتقريب صدق المجيء وعدم فرق بين حياته صلّى الله

عليه وآله وسلّم ومماته. ومن السنّة بعموم قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من زار قبري. وصريح صحيحة ابن السكن: من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي. وبما دلّ من السنّة على خروج النبيّ من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد، فقد ثبت في الصحيح خروجه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى البقيع[1] بأمر من الله تعالى وتعليم عائشة كيفيّة السّلام على أهل البقيع. وخروجه إلى قبور الشهداء[2] ثمّ قال: الرابع الإجماع لإطباق السّلف والخلف فإنّ الناس لم يزالوا في كلّ عام إذا قضوا الحجّ يتوجّهون إلى زيارته ﷺ ومنهم من يفعل ذلك قبل الحجّ هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا، وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث. وذلك أمرٌ لا يُرتاب فيه وكلّهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه، وإن لم يكن طريقهم ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبذلون فيه المهج، معتقدين أنّ ذلك قربة وطاعة، وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على ممرّ السنين وفيهم العلماء والصّلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ، وكلّهم يفعلون ذلك على وجه التقرُّب به إلى الله عزّ وجلّ، ومن تأخر عنه من المسلمين فإنّما يتأخّر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسّفه عليه وودّه لو تيسّر له، ومن ادّعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطىء.

٢٠ ـ قال زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر القريشي العثماني المصري المراغي المتوفّى سنة ٨١٦ في [تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة]: وينبغي لكلّ مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربةً عظيمةً للأحاديث الواردة في ذلك، ولقول تعالىٰ: ﴿**ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرّسول**﴾. الآية. لأنّ تعظيمه لا ينقطع بموته. ولا يقال: إنّ استغفار الرّسول لهم إنّما هو في حياته وليست الزيارة كذلك. لِما أجاب به بعض الأئمّة المحقّقين أنّ الآية دلّت على تعليق وجدان الله تعالى توّاباً رحيماً بثلاثة أمور:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ١ ص ٣١٩.

المجيء. واستغفارهم. واستغفار الرَّسول لهم. وقد حصل استغفار الرَّسول لجميع المؤمنين لأنَّه قد استغفر للجميع قال الله تعالى: ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾. فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم كملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته. [المواهب اللدنيَّة للقسطلاني].

٢١ ـ قال السيِّد نور الدين السَّمهودي المتوفّى سنة ٩١١، في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤١٢ بعد ذكر أحاديث الباب: وأمّا الإجماع: فأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرِّجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهريَّة بوجوبها، وقد اختلفوا في النساء، وقد امتاز القبر الشريف بالأدلّة الخاصَّة به كما سبق، قال السبكي: ولهذا أقول إنَّه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرِّجال والنساء. وقال الجمال الريمي في «التقفية»: يُستثنى أي من محلِّ الخلاف قبر النبيِّ ﷺ وصاحبيه، فإنَّ زيارتهم مستحبَّةٌ للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحجِّ: يُستحبّ لمن حجَّ أن يزور قبر النبيِّ ﷺ، وحينئذ فيقال معاياة قبور يستحبُّ زيارتها للنساء بالإتِّفاق، وقد ذكر ذلك بعض المتأخِّرين وهو الدمنهوري الكبير، وأضاف إليه قبول الأولياء والصَّالحين والشهداء. ثمَّ بسط القول في أنَّ السفر للزيارة قربةٌ كالزيارة نفسها.

٢٢ ـ قال الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المصري المتوفّى سنة ٩٢٣ في «المواهب اللدنيَّة»: الفصل الثاني في زيارة قبره الشَّريف ومسجده المنيف: إعلم أنَّ زيارة قبره الشَّريف من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام، وقد أطلق بعض المالكيَّة وهو أبو عمران الفاسي كما ذكره في «المدخل» عن «تهذيب الطالب» لعبد الحق أنَّها واجبةٌ. قال: ولعلّه أراد وجوب السنن المؤكّدة، وقال القاضي عياض: إنَّها من سنن المسلمين مجمعٌ عليها وفضيلةٌ مرغَّبٌ فيها. ثمَّ ذكر جملةً من الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ فقال: وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي وأوجبها الظاهريَّة، فزيارته ﷺ مطلوبةٌ بالعموم والخصوص كما سبق، ولأنَّ زيارة القبور تعظيمٌ وتعظيمه ﷺ واجبٌ، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرِّجال والنساء، وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة

القبور الرِّجال، وفي النساء خلافٌ، الأشهر في مذهب الشافعي الكراهة. قال ابن حبيب من المالكيَّة: ولا تدع في زيارة قبره ﷺ والصَّلاة في مسجده فإنَّ فيه من الرغبة ما لا غنى بك وبأحد عنه، وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصَّلاة فيه، لأنَّه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشدّ الرحال إلاَّ إليها وهو أفضلها عند مالك، وليس لشدِّ الرِّحال إلى غير المساجد الثلاثة فضلٌ لأنَّ الشَّرع لم يجيء به، وهذا الأمر لا يدخله قياسٌ لأنّ شرف البقعة إنَّما يُعرف بالنصِّ الصريح عليه وقد ورد النصُّ في هذه دون غيرها. وقد صحّ عن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسّلام على النبيّ ﷺ فالسفر إليه قربةٌ لعموم الأدلَّة، ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا، وعبارته: إذا نذر زيارة قبر النبيِّ ﷺ لزمه الوفاء وجهاً واحداً، انتهى. [إلى أن قال]: وللشيخ تقيِّ الدِّين ابن تيميَّة هنا كلامٌ شنيعٌ عجيبٌ يتضمَّن منع شدّ الرِّحال للزيارة النبويَّة وأنَّه ليس من القرب بل يضدُّ ذلك، وردَّ عليه الشيخ تقيّ الدّين السبكي في «شفاء السِّقام» فشفى صدور المؤمنين.

٢٣ ـ ذكر شيخ الإسلام أبو يحيى زكريَّا الأنصاري الشافعي المتوفّى سنة ٩٢٥ في «أسنى المطالب» شرح «روض الطالب» ـ لشرف الدّين إسماعيل بن المقري اليمني ـ ج ١ ص ٥٠١ ما يستحبّ لمن حجَّ وقال: ثمَّ يزور قبر النبيِّ ﷺ ويسلّم عليه وعلى صاحبيه بالمدينة المشرَّفة. ثمَّ ذكر شطراً من أدلّتها وجملة من آداب الزيارة.

٢٤ ـ قال ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفّى سنة ٩٧٣، في كتابه [الجوهر المنظَّم في زيارة القبر المكرَّم] ص ١٢ ط سنة ١٢٧٩ بمصر بعد ما استدلَّ على مشروعيَّة زيارة قبر النبيِّ بعدَّة أدلّة منها: الإجماع. فإن قلت: كيف تحكي الإجماع على مشروعيَّة الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيميَّة من متأخِّري الحنابلة منكرٌ لمشروعيَّة ذلك كلّه كما رآه السبكي في خطِّه؟! وقد أطال ابن تيميَّة الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السَّفر لها إجماعاً وأنَّه لا تقصر فيه الصَّلاة، وأنّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعةٌ، وتبعه بعض من تأخَّر عنه من أهل مذهبه. قلت: مَن هو ابن تيميَّة؟

حتّى يُنظر إليه أو يُعوَّل في شيء من أمور الدِّين عليه، وهل هو إلّا كما قال جماعة من الأئمَّة الذين تعقَّبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتّى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعزّ بن جماعة: عبدٌ أضلّه الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوَّأه من قوَّة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان ولقد تصدّى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقيُّ السبكيُّ قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه للردِّ عليه في تصنيف مستقلّ أفاد فيه وأجاد، وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصَّواب. ثمَّ قال:

هذا وما وقع من ابن تيميَّة ممّا ذكر وإن كان عثرةً لا تُقال أبداً، ومصيبةً يستمرُّ شؤمها سرمداً، وليس بعجيب فإنّه سوَّلت له نفسه وهواه وشيطانه أنَّه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنّه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمّتهم سيَّما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفةٍ شهيرة حتّى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزَّه سبحانه عن كلِّ نقص والمستحقِّ لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامَّة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدِّمين والمتأخِّرين، حتّى قام عليه علماء عصره وألزموا السّلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضَّلالات، ثمَّ انتصر له اتباعٌ لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً، بل ضُربت عليهم الذلَّة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

٢٥ - قال الشيخ محمَّد الخطيب الشربيني المتوفّى سنة ٩٧٧ في «مغني المحتاج» ج ١ ص ٣٥٧: ومحلّ هذه الأقوال[١] في غير زيارة قبر سيِّد المرسلين، أمّا زيارته فمن أعظم القرباب للرِّجال والنساء، وألحق الدمنهوري به قبور بقيّة الأنبياء والصّالحين والشهداء، وهو ظاهرٌ وإن قال الأذرعي: لم أره

(١) يعني الأقوال في زيارة القبور للنساء من الندب والكراهة والحرمة والإباحة.

للمتقدِّمين، قال ابن شهبة: فإن صحَّ ذلك فينبغي أن يكون زيارة قبر أبويها وإخوتها وسائر أقاربها كذلك فإنَّهم أولى بالصِّلة من الصالحين. اهـ. والأولى عدم إلحاقهم بهم لما تقدَّم من تعليل الكراهة[1].

وقال في ص ٤٩٤ بعد بيان مندوبيَّة زيارة قبره الشريف صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر جملةً من أدلّتها: ليس المراد اختصاص طلب الزيارة بالحجِّ فإنَّها مندوبةٌ مطلقاً كما مرَّ بعد حجّ أو عمرة أو قبلهما أو لا مع نسك، بل المراد [يعني من قول المصنِّف بعد فراغ الحجِّ] تأكّد الزيارة فيها لأمرين أحدهما: أنَّ الغالب على الحجيج الورود من آفاق بعيدة فإذا قربوا من المدينة يقبح تركهم الزيارة. والثاني لحديث من حجَّ ولم يزرني فقد جفاني. رواه ابن عدي في الكامل وغيره. وهذا يدلُّ على أنَّه يتأكّد للحاجِّ أكثر من غيره، وحكم المعتمر حكم الحاجّ في تأكّد ذلك.

٢٦ ـ قال الشيخ زين الدِّين عبدالرؤوف المناوي المتوفّى سنة ١٠٣١ في شرح الجامع الصغير ج٦ ص١٤٠: وزيارة قبره ﷺ الشريف من كمالات الحجِّ، بل زيارته عند الصوفيَّة فرضٌ وعندهم الهجرة إلى قبره كهي إليه حيّاً، قال الحكيم: زيارة قبر المصطفى ﷺ هجرة المضطرِّين هاجروا إليه فوجدوه مقبوضاً فانصرفوا، فحقيقٌ أن لا يخيبهم بل يوجب لهم شفاعة تقيم حرمة زيارتهم.

وقال في شرح الحديث الأوَّل المذكور ص ٩٣: إنَّ أثر الزيارة إمّا الموت على الإسلام مطلقاً لكلِّ زائر، وإمّا شفاعةٌ تخصُّ الزائر أخصَّ من العامّة، وقوله: شفاعتي في الإضافة إليه تشريفٌ لها، إذ الملائكة وخواصُّ البشر يشفعون، فللزائر نسبةٌ خاصّةٌ فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الزائر.

٢٧ ـ جعل الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي في «مراقي الفلاح بإمداد الفتاح» فصلاً في زيارة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: زيارة النبيِّ ﷺ من أفضل القربات وأحسن المستحبّات تقرب من درجة ما لزم من الواجبات،

---

(١) من أنها مظنة لطلب بكائهن، ورفع أصواتهنّ لما فيهنّ من رقة القلب وكثرة الجزع **قال الأميني:** هذا التعليل عليل جدّاً كما يأتي بيانه في كلمة ابن حجر في زيارة القبور.

فإنّه ﷺ حرّض عليها وبالغ في الندب إليها فقال: مَن وجد سعةً فلم يزرني فقد جفاني وقال ﷺ: مَن زار قبري وجبت له شفاعتي. وقال ﷺ: مَن زارني بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي. إلى غير ذلك من الأحاديث، وممّا هو مقرّرٌ عند المحقّقين أنّه ﷺ حيٌّ يُرزق ممتّعٌ بجميع الملاذّ والعبادات، غير أنّه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات، ورأينا أكثر الناس غافلين عن أداء حقّ زيارته وما يسنّ للزائر من الجزئيّات والكليّات أحببنا أن نذكر بعد المناسك وآدابها ما فيه نبذة من الآداب تتميماً لفائدة الكتاب. ثمّ ذكر شيئاً كثيراً من آداب الزائر والزيارة كما يأتي.

٢٨ ـ وقال قاضي القضاة شهاب الدّين الخفاجي الحنفي المصري المتوفّى سنة ١٠٦٩ في شرح الشفاج ٣ ص ٥٦٦: واعلم أنّ هذا الحديث[١] هو الذي دعا ابن تيميّة ومن معه كابن القيّم إلى مقالته الشنيعة التي كفّروه بها وصنّف فيها السبكي مصنّفاً مستقلاً وهي منعه من زيارة قبر النبيّ ﷺ وشدّ الرحال إليه وهو كما قيل:

لمهبط الوحي حقّاً ترحل النجبُ   وعند ذاك المرجّى ينتهي الطلبُ

فتوهّم أنّه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فإنّها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل سامحه الله تعالى.

وأمّا قوله ﷺ: لا تتّخذوا قبري عيداً. فقيل: كره الاجتماع عنده في يوم معيّن على هيئة مخصوصة. وقيل: المراد لا تزوره في العام مرّة فقط بل أكثروا الزيارة له[٢]، وأمّا احتماله للنهي عنها فهو بفرض أنّه المراد محمولٌ على حالة مخصوصة أي لا تتّخذوه كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة عنده وغيره ممّا يجتمع له في الأعياد، بل لا يُؤتى إلّا للزيارة والسّلام والدعاء ثمّ ينصرف.

وقال في صحيفة ٥٧٧ في شرح حديث: لا تجعلوا قبري عيداً: أي كالعيد باجتماع الناس وقد تقدّم تأويل الحديث وأنّه لا حجّة فيه لما قاله

---

(١) حديث شدّ الرحال إلى المساجد.

(٢) هذا المعنى ذكره غير واحد من أعلام القوم.

ابن تيميَّة وغيره فإنَّ إجماع الامَّة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فإنّه نـزعةٌ شيطانيّة.

٢٩ ـ قال الشيخ عبد الرَّحمن زاده المتوفّى سنة ١٠٨٧ في [مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر] ج ١ ص ١٥٧: من أحسن المندوبات، بل يقرب من درجة الواجبات زيارة قبر نبيِّنا وسيِّدنا محمّد ﷺ وقد حرَّض عليه السّلام على زيارته وبالغ في الندب إليها بمثل قوله عليه السّلام: مَن زار قبري. فذكر ستّة من أحاديث الباب ثمَّ قال: فإن كان الحجُّ فرضاً فالأحسن أن يبدأ به إذا لم يقع في طريق الحاجّ المدينة المنوَّرة ثمَّ يثني بالزيارة، فإذا نواها فلينو معها زيارة مسجد الرسول عليه السّلام. ثمَّ ذكر جملةً كثيرةً من آداب الزائر.

٣٠ ـ قال الشيخ محمّد بن علي بن محمّد الحصني المعروف بعلاء الدّين الحصكفي الحنفي المفتي بدمشق المتوفّى سنة ١٠٨٨ في [الدُّرِّ المختار في شرح تنوير الأبصار] في آخر كتاب الحجّ: وزيارة قبره ﷺ مندوبةٌ بل قيل واجبةٌ لمن له سعةٌ، ويبدأ بالحجِّ لو فرضاً ويخيّر لو نفلاً ما لم يمرَّ به، فيبدأ بزيارته لا محالة، ولينو معه زيارة مسجده ﷺ.

٣١ ـ قال أبو عبدالله محمَّد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي المصري المتوفّى سنة ١١٢٢ في «شرح المواهب» ج ٨ ص ٢٩٩: قد كانت زيارته مشهورةً في زمن كبار الصحابة معروفةً بينهم، لمّا صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس جاءه كعب الأحبار فأسلم ففرح به وقال: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبره ﷺ وتتمتَّع بزيارته؟ قال: نعم.

٣٢ ـ قال أبو الحسن السندي محمّد بن عبد الهادي الحنفي المتوفّى سنة ١١٣٨ في شرح سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٦٨: قال الدميري: فائدةٌ: زيارة النبيِّ ﷺ من أفضل الطاعات وأعظم القربات وقوله ﷺ: من زار قبري وجبت له شفاعتي. رواه الدارقطني وغيره وصحّحه عبد الحقِّ، ولقوله ﷺ من جائني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي كان حقّاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة. رواه الجماعة منهم الحافظ أبو علي ابن السكن في كتابه المسمّى بالسنن الصِّحاح،

فهذان إمامان صحّحا هذين الحديثين وقولهما أولى من قول من طعن في ذلك.

٣٣ ـ قال الشيخ محمّد بن علي الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠، في «نيل الأوطار» ج ٤ ص ٣٢٤: قد اختلفت فيها [في زيارة النبيِّ] أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنّها مندوبةٌ ، وذهب بعض المالكيَّة وبعض الظاهريَّة إلى أنّها واجبةٌ، وقالت الحنفيَّة إنّها قريبةٌ من الواجبات، وذهب ابن تيميَّة الحنبلي حفيد المصنِّف المعروف بشيخ الإسلام إلى أنّها غير مشروعة. ثمَّ فصَّل الكلام في الأقوال [إلى أن قال في آخر كلامه]: واحتجَّ أيضاً من قال بالمشروعيَّة بأنّه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحجِّ في جميع الأزمان على تباين الدِّيار واختلاف المذاهب الوصول إلى المدينة المشرَّفة لقصد زيارته ويعدّون ذلك من أفضل الأعمال، ولم ينقل أنَّ أحداً أنكر ذلك عليهم فكان إجماعاً.

٣٤ ـ قال الشيخ محمّد أمين ابن عابدين المتوفّى سنة ١٢٥٣، في [ردِّ المحتار على الدرِّ المختار] عند العبارة المذكورة ج ٢ ص ٢٦٣: مندوبةٌ بإجماع المسلمين كما في «اللباب» [إلى أن قال]: وهل تستحبّ زيارة قبره ﷺ للنِّساء؟ الصحيح: نعم، بلا كراهة بشروطها على ما صرَّح به بعض العلماء، أمّا على الأصحِّ من مذهبنا وهو قول الكرخي وغيره من أنَّ الرخصة في زيارة القبور ثابتةٌ للرِّجال والنساء جميعاً فلا إشكال، وأمّا على غيره فذلك نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب. [بل قيل: واجبةٌ] ذكره في شرح اللباب، وقال: كما بيَّنته في «الدرَّة المضيَّة في الزِّيارة المصطفويَّة» وذكره أيضاً الخير الرملي في حاشية «المنح» عن ابن حجر وقال: وانتصر له. نعم، عبارة اللباب والفتح وشرح المختار أنّها قريبةٌ من الوجوب لمن له سعةٌ. [إلى أن قال]: قال ابن الهمام: والأولى فيما تقع عند العبد الضعيف: تجريد النيّة لزيارة قبره عليه الصّلاة والسّلام، ثمَّ يحصل له إذا قدم زيارة المسجد، أو يستمنح فضل الله تعالى في مرَّة أخرى ينويها لأنَّ في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله ويوافقه ظاهر ما ذكرناه من قوله ﷺ : من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلَّا زيارتي كان حقّاً عليَّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة . اهـ . ونقل الرَّحمتي عن العارف الملّا جامي : أنّه أفرز الزِّيارة عن الحجِّ حتّى لا يكون له مقصدٌ غيرها في

سفره ثمَّ ذكر حديث : لا تشدّ الرِّحال إلاَّ لثلاثة مساجد . فقال : والمعنى كما أفاده في «الإحياء» أنّه لا تشدّ الرِّحال لمسجد من المساجد إلاَّ لهـذه الثلاثة لما فيها من المضاعفة بخلاف بقيَّة المساجد فإنّها متساويةٌ في ذلك ، فلا يردّ أنَّه قد تشدّ الرِّحال لغير ذلك كصلة رحم وتعلّم علم ، وزيارة المشاهد كقبر النبيِّ ﷺ وقبر الخليل ﵇ وسائر الأئمّة .

٣٥ ـ قال الشيخ محمّد ابن السيِّد درويش الحوت البيروتي المتوفّى سنة ١٢٧٦ ، في تعليق «حسن الأثر» ص ٢٤٦ : زيارة النبيِّ ﷺ مطلوبةٌ لأنّه واسطة الخلق، وزيارته بعد وفاته كالهجرة إليه في حياته، ومَن أنكرها فإن كان ذلك إنكاراً لها من أصلها فخطاؤه عظيم، وإن كان لما يعرض من الجهلة ممّا لا ينبغي فليبيّن ذلك.

٣٦ ـ قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي المتوفّى سنة ١٢٧٧ في حاشيته على شرح ابن الغزي على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي ج ١ ص ٣٤٧: ويسنُّ زيارة قبره ﷺ ولو لغير حاجّ ومعتمر كالذي قبله، ويسنّ لمن قصد المدينة الشريفة لزيارته ﷺ أن يكثر من الصَّلاة والسَّلام عليه في طريقه، ويزيد في ذلك إذا رأى حرم المدينة وأشجارها، ويسأل الله أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبَّلها منه. ثمَّ ذكر جملةً كثيرةً من آداب الزِّيارة وألفاظها.

٣٧ ـ جعل الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المتوفّى سنة ١٣٠٣ خاتمة في كتابه [كنز المطالب] ص ١٧٩ ـ ٢٣٩ لزيارة النبيِّ ﷺ وفصّل فيها القول وذكر مطلوبيّتها كتاباً وسنّة وإجماعاً وقياساً، وبسط الكلام في شدِّ الرِّحال إلى ذلك القبر الشريف، وذكر جملةً من آداب الزائر|ووظائف الزِّيارة وقال في ص ١٩٥ بعد نقل جملة من الأحاديث الواردة في أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يسمع سلام زائريه ويردّ عليهم: إذا علمت ذلك علمت أنّ ردَّه ﷺ سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة ﷺ أمرٌ واقعٌ لا شكَّ فيه، وإنّما الخلاف في ردِّه على المسلّم عليه من غير الزائرين، فهـذه فضيلةٌ اخرى عظيمةٌ ينالها الزائرون لقبره ﷺ، فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة وبين ردِّه عليهم سلامهم بنفسه، فأنّى لمن سمع بهذين بل بأحدهما أن يتأخّر عن زيارته ﷺ؟! أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول في حضرته ﷺ؟! تالله ما

يتأخَّر عن ذلك مع القدرة عليه إلّا من حقَّ عليه البعد من الخيرات، والطرد عن مواسم أعظم القربات، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنّه وكرمه آمين. وعُلم من تلك الأحاديث أيضاً أنّه ﷺ حيٌّ على الدّوام، إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كلّه من واحد يسلّم عليه في ليل أو نهار، فنحن نؤمن ونصدِّق بأنّه ﷺ حيٌّ يرزق، وأنَّ جسده الشريف لا تأكله الأرض، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصَّلاة والسّلام والإجماع على هذا.

٣٨ ـ قال السيِّد محمّد بن عبدالله الجرداني الدّمياطيّ الشافعيّ المتوفّى سنة ١٣٠٧ في «مصباح الظلام» ج ٢ ص ١٤٥: قال بعضهم: ولزائر قبر النبيِّ ﷺ عشر كرامات: إحداهنَّ يُعطى أرفع المراتب. الثانية: يبلغ أسنى المطالب. الثالثة: قضاء المآرب. الرابعة: بذل المواهب. الخامسة: الأمن من المعاطب. السادسة: التطهير من المعايب. السابعة: تسهيل المصائب. الثامنة: كفاية النوائب. التاسعة: حسن العواقب. العاشرة: رحمة ربِّ المشارق والمغارب. وما أحسن ما قيل:

هنيئاً لمن زار خير الورى ... وحطّ عن النفس أوزارها
فإنَّ السَّعادة مضمونةٌ ... لمن حلَّ طيبة أو زارها

وبالجملة فزيارة قبره ﷺ من أعظم الطاعات وأفضل القربات، حتّى انَّ بعضهم جرى على أنّها واجبة، فينبغي أن يحرص عليها وليحذر كلَّ الحذر من التخلّف عنها مع القدرة وخصوصاً بعد حجّة الإسلام لأنَّ حقّه ﷺ على امّته عظيمٌ، ولو أنَّ أحدهم يجيء على رأسه أو على بصره من أبعد موضع من الأرض لزيارته ﷺ لم يقم بالحقِّ الذي عليه لنبيِّه جزاه الله عن المسلمين أتمّ الجزاء.

زر من تحبُّ وإن شطّت بك الدارُ ... وحال من دونه تربٌ وأحجارُ
لا يمنعنّك بُعدٌ عن زيارته ... إنَّ المحبَّ لمن يهواه زوّارُ

ويسنُّ لمن قصد المدينة الشريفة (إلخ)، ثمَّ فصّل القول في آداب الزيارة، وذكر التسليم على الشيخين وزيارة السيِّدة فاطمة وأهل البقيع والمزارات المشهورة وهي نحو ثلاثين موضعاً كما قال.

٣٩ ـ قال الشيخ عبد الباسط ابن الشيخ علي الفاخوري مفتي بيروت في [الكفاية لذوي العناية] ص ١٢٥: الفصل الثاني عشر في زيارة النبيّ ﷺ وهي متأكّدةٌ مطلوبةٌ ومستحبّة محبوبةٌ، وتسنُّ زيارته في المدينة كزيارته حيّاً وهو في حجرته حيٌّ يردُّ على من سلّم عليه السّلام، وهي من أنجح المساعي وأهمّ القربات وأفضل الأعمال وأزكى العبادات، وقد قال ﷺ: مَن زار قبري وجبت له شفاعتي، ومعنى «وجبت» ثبتت بالوعد الصّادق الذي لا بدَّ من وقوعه وحصوله، وتحصل الزيارة في أيّ وقت وكونها بعد تمام الحجّ أحبُّ، ويجب على من أراد الزيارة التوبة من كلّ شيءٍ يخالف طريقته وسننه ﷺ ثمَّ ذكر شطراً وافراً من آداب الزّيارة والزّيارة الأولى الآتية في الآداب، فقال: ومن عجز عن حفظ هذا فليقتصر على بعضه وأقلّه، السّلام عليك يا رسول الله. ثمَّ ذكر زيارة الشيخين إلى أن قال: ويستحبُّ التبرُّك بالأسطوانات التي لها فضلٌ وشرفٌ وهي ثمانية: أسطوانة محلّ صلاته ﷺ، وأسطوانة عائشة رضي الله عنهاوتسمّى اسطوانة القرعة، وأسطوانة التّوبة محلّ اعتكافه ﷺ، وأسطوانة السرير، وأسطوانة عليٍّ رضي الله عنه، وأسطوانة الوفود، وأسطوانة جبريل عليه السّلام، وأسطوانة التهجّد.

٤٠ ـ قال الشيخ عبد المعطي السّقا في «الإرشادات السنيّة» ص ٢٦٠: زيارة النبيّ ﷺ، إذا أراد الحاجُّ أو المعتمر الانصراف من مكّة أدام الله تشريفها وتعظيمها طلب منه أن يتوجّه إلى المدينة المنوّرة للفوز بزيارته عليه الصّلاة والسّلام فإنّها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعي المشكورة، ولا يختصُّ طلب الزيارة بالحاجّ غير أنّها في حقّه آكد، والأولى تقديم الزّيارة على الحجّ إذا اتّسع الوقت فإنّه ربّما يعوقه عنها عائقٌ، وقد ورد في فضل زيارته ﷺ أحاديث منها قوله ﷺ: من زار قبري وجبت له شفاعتي. وينبغي الحرص عليها وعدم التخلّف عنها عند القدرة على أدائها خصوصاً بعد حجّة الإسلام لأنَّ حقّه ﷺ على امّته عظيمٌ. وينبغي لمريد الزيارة أن يُكثر من الصّلاة والسّلام عليه ﷺ في طريق ذهابه إليها، وإذا وصلها استحبَّ له أن يغتسل ثمَّ يتوضّأ أو يتيمّم عند فقد الماء، ثمَّ ذكر جملةً من آداب الزيارة ولفظاً مختصراً من زيارة النبيّ ﷺ والشيخين.

٤١ ـ قال الشيخ محمّد زاهد الكوثري في [تكملة السيف الصقيل] ص ١٥٦: والأحاديث في زيارته ﷺ في الغاية من الكثرة، وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدِّين العلائي في جزء كما سبق، وعلى العمل بموجبها استمرَّت الامّة إلى أن شذَّ ابن تيميَّة عن جماعة المسلمين في ذلك، قال عليّ القاري في شرح الشفاء: وقد فرط ابن تيميّة من الحنابلة حيث حرَّم السفر لزيارة النبيِّ ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربةً معلومٌ من الدِّين بالضرورة، وجاحده محكومٌ عليه بالكفر، ولعلّ الثاني أقرب إلى الصَّواب لأنَّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنّه فوق تحريم المباح المتّفق عليه.

فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ، يدلُّ على ضغينةٍ كامنةٍ فيه نحو الرَّسول ﷺ، وكيف يتصوّر الإشراك بسبب الزيارة والتوسّل في المسلمين الذين يعتقدون في حقِّه عليه السّلام أنَّه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرَّة في كلِّ يومٍ على أقلِّ تقدير إدامة لذكرى ذلك؟ ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كلِّ شؤونهم، ويرشدونهم إلى السنّة في الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعةٌ في شيء، ولم يعدّهم في يوم من الأيّام مشركين بسبب الزِّيارة أو التوسّل، كيف؟ وقد أنقذهم الله من الشِّرك وأدخل في قلوبهم الإيمان، وأوَّل من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيميّة وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة في النفس، ولم يخف ابن تيميّة من الله في رواية عدِّ السفر لزيارة النبيِّ ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصّلاة عن الإمام ابن الوفاء ابن عقيل الحنبلي ـ وحاشاه عن ذلك ـ راجع كتاب «التذكرة» له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسّل به كما هو مذهب الحنابلة. ثمَّ ذكر كلامه وفيه القول باستحباب قدوم المدينة وزيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكيفيّة زيارته وزيارة الشيخين وكيفيّة زيارتهما وإتيان مسجد قبا والصَّلاة فيه وإتيان قبور الشهداء وزيارتهم وإكثار الدعاء في تلك المشاهد. ثمَّ قال: وأنت رأيت نصّ عبارته في المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيميّة.

٤٢ ـ قال فقهاء المذاهب الأربعة المصريّين في [الفقه على المذاهب الأربعة] ج ١ ص ٥٩٠: زيارة قبر النبيّ ﷺ أفضل المندوبات، وقد ورد فيها

أحاديث. ثمَّ ذكروا ستَّة من الأحاديث وجملةً من أدب الزائر وزيارة للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم واخرى للشيخين.

﴿هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾
سورة الحجّ آية ٢٤

فروع ثلاثة

هذه الفروع تُعطينا درس التسالم من أئمَّة المذاهب على رجحان زيارة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم واستحبابها ومحبوبيَّة شدّ الرحال إليها من أرجاء الدنيا ألا وهي:

١ ـ اختلفت الآراء من فقهاء المذاهب الأربعة في تقديم أيٍّ من الحجّ والزيارة على الآخر. فقال تقيُّ الدِّين السبكي في «شفاء السقام» ص ٤٢: اختلف السَّلف رحمهم الله في أنَّ الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكّة، أو بمكّة قبل المدينة، وممَّن نصَّ على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها الإمام أحمد رحمه الله في كتاب المناسك الكبير من تأليفه. وهذه المناسك رواها الحافظ أبو الفضل [بإسناده[1]] عن عبدالله بن أحمد عن أبيه وفي هذه المناسك سُئل عمَّن يبدأ بالمدينة قبل مكّة؟ فذكر بإسناده عن عبد الرَّحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد أنَّهم قالوا: إذا أردت مكّة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكّة، وإذا قضيت حجَّك فامرر بالمدينة إن شئت. وذكر بإسناده عن الأسود قال: أُحبّ أن يكون نفقتي وجهازي وسفري أن أبدأ بمكّة، وعن إبراهيم النخعي: إذا أردت مكّة فاجعل كلَّ شيءٍ لها تبعاً. وعن مجاهد: إذا أردت الحجَّ أو العمرة فابدأ بمكّة واجعل كلَّ شيءٍ لها تبعاً. وعن إبراهيم قال: إذا حججت فابدأ بمكّة ثمَّ مرَّ بالمدينة بعدُ.

---

(١) ذكره كملاً ونحن حذفناه روماً للاختصار.

وذكر الإمام أحمد أيضاً بإسناده عن عديّ بن ثابت أنَّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدأون بالمدينة إذا حجّوا يقولون: فهل من حيث أحرم رسول الله ﷺ؟ وذكر ابن أبي شيبة في فضيلة هذا الأمر أيضاً وذكر بإسناده عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون: أنَّهم بدأوا بالمدينة قبل مكّة. إلى أن قال:

وممَّن نصَّ على هذه المسألة من الأئمَّة أبو حنيفة رحمه الله وقال: والأحسن أن يُبدأ بمكّة.

وقال الشيخ علي القاري في شرح «المشكاة» ج ص ٢٨٤: الأنسب أن تكون الزيارة بعد الحجّ كما هو مقتضى القواعد الشرعيَّة من تقديم الفرض على السنّة[1] وقد روى الحسن عن أبي حنيفة تفصيلاً حسناً وهو: أنّه إن كان الحجُّ فرضاً فالأحسن للحاجّ أن يبدأ بالحجِّ ثمَّ يثني بالزيارة، وإن بدأ بالزِّيارة جاز. وإن كان الحجُّ نفلاً فهو بالخيار فيبدأ بأيِّهما شاء. اهـ. ثمَّ قال: والأظهر أنَّ الابتداء بالحجِّ أولى لإطلاق الحديث[2] ولتقديم حقِّ الله على حقِّه ﷺ ولذا تُقدَّم تحيَّة المسجد النبويِّ على زيارة المشهد المصطفوي.

٢ ـ من المتسالم عليه بين فرق المسلمين سلفاً وخلفاً جواز استنابة النائب واستئجار الأجير لزيارة النبيِّ ﷺ لمن عاقه عنها عذرٌ، وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز: أنّه كان يبرد إليه ﷺ البريد من الشام ليقرأ السّلام على النبيِّ ﷺ ثمَّ يرجع. وفي لفظ: كان يبعث بالرَّسول قاصداً من الشام إلى المدينة.

ذكره البيهقي في شعب الإيمان. وأبو بكر أحمد بن عمرو النيلي المتوفى سنة ٢٨٧ في مناسكه. والقاضي عياض في «الشفاء». والحافظ ابن الجوزي في [مثير الغرام الساكن] وتقيّ الدِّين السبكي في «شفاء السِّقام» ص ٤١. وغيرهم.

وقال يزيد بن أبي سعيد مولى المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز

(١) هذه القاعدة إنما تؤخذ في موارد تزاحم الأمرين لا مطلقاً والمقام ليس منها كما لا يخفى فإنّ الحج فريضة موقوتة فلا بأس بتقديم المندوب عليها قبل ظرفها.

(٢) يعني الحديث الثالث من أحاديث الزيارة وقد مرّ في صفحة ١٣١

فلمّا ودّعته قال: لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبيِّ ﷺ فاقرأه منّي السّلام [الشفاء للقاضي. والشفاء للسبكي ص ٤١].

وقال أبو الليث السمرقندي الحنفي في الفتاوى في باب الحجِّ: قال أبو القاسم: لمّا أردت الخروج إلى مكّة قال القاسم بن غسّان: إنَّ لي إليك حاجة إذا أتيت قبر النبيِّ ﷺ فاقرأه منّي السّلام: فلمّا وضعت رجلي في مسجد المدينة ذكرت. [شفاء السقام ص ٤١].

قال عبد الحقّ بن محمّد الصقلي المالكي المتوفّى سنة ٤٦٦ في «تهذيب الطالب»: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها الشيخ أبو محمّد بن أبي زيد قيل له في رجل أستؤجر بمال ليحجَّ به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك؟ قال: يردُّ من الأجرة بقدر مسافة الزِّيارة. قال عبد الحقّ: وقال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع نائبه حتّى يزور. ثمَّ قال: إن استؤجر للحجِّ لسنة بعينها فها هنا يسقط من الأجرة ما يخصّ بالزِّيارة، وإن استؤجر على حجَّة مضمونة في ذمته فها هنا يرجع ويزور، وقد اتَّفق النقلان.

وقالت الشافعيَّة: إنَّ الاستئجار والجعالة إن وقعا على الدعاء عند قبر النبيِّ ﷺ أو على إبلاغ السَّلام فلا شكَّ في جواز الإجارة والجعالة كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل. وإن كانا على الزِّيارة لا يصحّ لأنّها عملٌ غير مضبوط. [شفاء السقام ص ٥٠].

وقال أبو عبد الله عبيد الله بن محمّد العكبري الحنبلي الشهير بابن بطَّة المتوفّى سنة ٣٨٧ في كتاب «الإبانة»: بحسبك دلالة على اجماع المسلمين واتّفاقهم على دفن أبي بكر وعمر مع النبيِّ ﷺ أنَّ كل عالم من علماء المسلمين وفقيه من فقهائهم ألَّف كتاباً في المناسك ففصَّله فصولاً وجعله أبواباً يذكر في كلِّ باب فقهه ولكلِّ فصل علمه وما يحتاج الحاجُّ إلى علمه «إلى أن قال»: حتّى يذكر زيارة قبر النبيِّ ﷺ فيصف ذلك فيقول: ثمَّ تأتي القبر فتستقبله وتجعل القبلة وراء ظهرك. إلى أن قال: وبعدُ أدركنا الناس ورأيناهم وبلغنا عمّن لم نره أنَّ الرجل إذا أراد الحجَّ فسلّم عليه أهله وصحابته قالوا له: وتقرأ على النبيِّ ﷺ

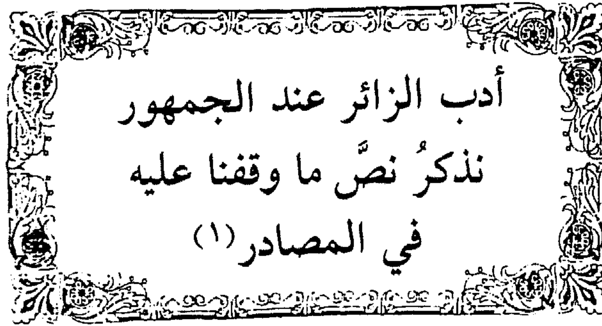
وأبي بكر وعمر منّا السّلام. فلا ينكر ذلك أحدٌ ولا يخالفه [شفاء السقام ٤٥].

قال الأميني: وذكر أبو منصور الكرماني الحنفي. والغزالي في «الإحياء». والفاخوري في «الكفاية». وشرنبلالي في مراقي الفلاح. والسبكي. والسمهودي. والقسطلاني. والحمزاوي العدوي وغيرهم: أنَّ النائب يقول: السَّلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان يستشفع بك إلى ربِّك بالرَّحمة والمغفرة فاشفع له.

٣ ـ قال العبدري المالكي في شرح رسالة ابن أبي زيد: وأمّا النذر للمشي إلى المسجد الحرام أو المشي إلى مكّة فله أصلٌ في الشَّرع وهو الحجُّ والعمرة، وإلى المدينة لزيارة قبر النبيِّ ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وليس عندهم حجّ ولا عمرة، فإذا نذر المشي إلى هذه الثلاثة لزمه، فالكعبة متّفقٌ عليها، واختلف أصحابنا وغيرهم في المسجدين الآخرين. قال ابن الحاجِّ في «المدخل» ج ١ ص ٢٥٦ بعد نقل هذه العبارة: وهذا الذي قاله مسلّمٌ صحيحٌ لا يرتاب فيه إلّا مشركٌ أو معاندٌ لله ولرسوله ﷺ.

وقال تقيُّ الدِّين السبكي في «شفاء السقام» ص ٥٣ بعد ذكر كلام العبدري المذكور قلت: الخلاف الذي أشار إليه في نذر إتيان المسجدين لا في الزِّيارة. وقال ص ٧١ بعد كلام طويل حول نذر العبادات وجعلها أقساماً: إذا عرفت هذا فزيارة قبر النبيِّ ﷺ قربةٌ لحثِّ الشرع عليها وترغيبه فيها، وقد قدَّمنا أن فيها جهتين: جهة عموم وجهة خصوص. فأمّا من جهة الخصوص، وكون الأدلة الخاصَّةوردتفيها بعينها، فيظهر القطع بلزومها بالنذر إلحاقاً لها بالعبادات المقصودة التي لا يؤتى بها إلّا على وجه العبادة كالصّلاة والصَّدقة والصَّوم والاعتكاف، ولهذا المعنى والله أعلم قال القاضي ابن كج رحمه الله: إذا نذر أن يزور قبر النبيِّ ﷺ فعندي أنَّه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً. إلى أن قال: وإذا نظرنا إلى زيارة النبيِّ ﷺ من جهة العموم خاصَّة واجتماع المعاني الَّتي يقصد بالزِّيارة فيه فيظهر أن يقال: إنَّه يلزم بالنذر قولاً واحداً. ويحتمل على بعد أن يقال: إنَّه كما لو نذر زيارة القادمين وإنشاء السَّلام فيجري في لزومها بالنذر ذلك الخلاف، مع كونها قربة في نفسها قبل النذر وبعده، وقد بان لك بهذا أنَّها يلزم بالنذر.

وقبل هذه كلّها تنبئك عمّا نرتأيه الآداب المسنونة الآتية للزائر فإنّها تتفرَّع على استحباب الزِّيارة ومندوبيَّة شدِّ الرِّحال إلى روضة النبيِّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم .



أدب الزائر عند الجمهور نذكرُ نصَّ ما وقفنا عليه في المصادر(١)

١ ـ إخلاص النيّة وخلوص الطويّة فإنّما الأعمال بالنيّات، فينوي التقرُّب إلى الله تعالى بزيارة رسول الله ﷺ، ويستحبُّ أن ينوي مع ذلك التقرُّب بالمسافرة إلى مسجده ﷺ وشدِّ الرحال إليه والصّلاة فيه. قاله ابن الصّلاح والنووي من الشافعيّة، ونقله شيخ الحنفيّة الكمال بن الهمام عن مشايخهم.

٢ ـ أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيع.

٣ ـ أن يقول إذا خرج من بيته: بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله اللَّهُمَّ إليك خرجتُ وأنت أخرجتني، اللَّهُمَّ سلّمني وسلّم منّي وردّني سالماً في ديني كما أخرجتني، اللَّهُمَّ إنّي أعوذ بك أن أضلّ أو أُضلّ، أو أذلّ أو أُذلّ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليّ، عزّ جارك وجلّ ثناؤك وتبارك اسمك ولا إله غيرك.

٤ ـ الإكثار في المسير من الصّلاة والتسليم على النبيّ ﷺ، بل يستغرق أوقات فراغه في ذلك من القربات.

٥ ـ يتتبّع ما في طريقه من المساجد والآثار المنسوبة إلى النبيّ ﷺ فيحييها بالزّيارة ويتبرّك بالصّلاة فيها.

(١) أفرد جمال الدّين عبدالله الفاكهي المكي الشافعي المتوفّى سنة ٩٧٢، آداب زيارة النبي (صلّى الله عليه وآله) بالتأليف وسماه (حسن التوسّل في آداب زيارة أفضل الرسل) جمع فيه أربعاً وتسعين أدباً من آداب الزائر، وقد صفحنا عن كثير منها لكونه أدب المسافر لا يخص بالزيارة، طبع في هامش الإتحاف للشبراوي بمصر سنة ١٣١٨.

٦ ـ إذا دنا من حرم المدينة وشاهد أعلامها ورباها وآكامها فليستحضر وظائف الخضوع والخشوع مستبشراً بالهنا وبلوغ المنى، وإن كان على دابّة حرَّكها تباشراً بالمدينة، ولا بأس بالترجّل والمشي عند رؤية ذلك المحلّ الشريف كما يفعله بعضهم، لأنَّ وفد عبد القيس لمّا رأوا النبيّ ﷺ نزلوا عن الرّواحل ولم ينكر عليهم، وتعظيمه بعد الوفاة كتعظيمه في الحياة. وقال أبو سليمان داود المالكي في الانتصار: إنَّ ذلك يتأكّد فعله لمن أمكنه من الرِّجال، وأنّه يستحبُّ تواضعاً لله تعالى وإجلالاً لنبيِّه (صلّى الله تعالى عليه وسلّم). وحكى القاضي عياض في «الشفاء»: إنَّ أبا الفضل الجوهري[1] لمّا ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجَّل باكياً منشداً:

ولمّا رأينا رسم مَن لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبّا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نلمَّ به ركبا

وقد ضمنها القاضي عياض في قصيدة نبويَّة له يقول بعدهما:

وتهنا بأكناف الخيام تواجداً نُقبِّلها طوراً ونرشفها حُبّا
ونُبدي سروراً والفؤاد بحبِّها تقطّع والأكباد أورى بها لهبا
أُقدِّم رِجلاً بعد رِجلٍ مهابةً وأسحب خدِّي في مواطنها سحبا
وأسكب دمعي في مناهل حبِّها وأُرسل حبّاً في أماكنها النجبا
وأدعو دعاء البائس الواله الذي براه الهوى حتّى بدا شخصه شجبا

٧ ـ إذا بلغ حرم المدينة الشريفة فليقل بعد الصّلاة والتسليم: اللَّهُمَّ هذا حرم رسول الله ﷺ الذي حرَّمته على لسانه، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثل ما في حرم البيت الحرام، فحرِّمني على النار، وآمنِّي من عَذابك يوم تبعث عبادك، وارزقني من بركاته ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك، ووفّقني لحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات. ثمَّ تشتغل بالصّلاة والتسليم.

وقال الغزالي في الإحياء ج ١ ص ٢٤٦: إذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: اللهمَّ هذا حرم رسولك فاجعله لي وقايةً من النّار، وأماناً

(١) عبدالله بن الحكيم الرندي الأندلسي من علماء الحديث والقراءات والعربية وله شعر رائق.

من العذاب وسوء الحساب.

وفي «مراقي الفلاح» للفقيه شرنبلالي: فإذا عاين حيطان المدينة المنوّرة يصلّي على النبيِّ ﷺ ثمَّ يقول: اللهمَّ هذا حرم نبيِّك ومهبط وحيك، فامنن عليَّ بالدخول فيه، واجعله وقايةً لي من النّار وأماناً من العذاب، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب.

٨ ـ إن كانت طريقه على ذي الحليفة فلا يجاوز المعرَّس حتّى ينيخ به وهو مستحبّ كما قاله أبو بكر الخفّاف في كتاب [الأقسام والخصال] والنووي وغيرهما.

٩ ـ الغسلُ لدخول المدينة المنوَّرة من بئر الحرَّة أو غيرها، والتطيّب ولبسُ الزائر أحسن ثيابه. وقال الكرماني من الحنفيّة، فإن لم يغتسل خارج المدينة فليغتسل بعد دخولها.

قال ابن حجر: ويسنُّ له كمالاً في الأدب أن يلبس أنظف ثيابه، والأكمل الأبيض إذ هو أليق بالتواضع المطلوب متطيِّباً، وقد يقع لبعض الجهلة عند الرؤية للمدينة نزولهم عن رواحلهم مع ثياب المهنة والتجرُّد عن الملبوس فينبغي زجره، نعم: النزول عن الرَّواحل عند رؤية المدينة من كمال الأدب لكن بعد التطيّب ولبس النظيف.

وقال الفقيه شرنبلالي في «مراقي الفلاح»: ويغتسل قبل الدخول أو بعده قبل التوجّه للزِّيارة إن أمكنه، ويتطيَّب ويلبس أحسن ثيابه تعظيماً للقدوم على النبيِّ ﷺ، ثمَّ يدخل المدينة ماشياً إن أمكنه بلا ضرورة.

١٠ ـ أن يقول عند دخوله من باب البلد: بسم الله ما شاء الله لا قوَّة إلّا بالله، ربِّ أدخلني مُدخل صِدْق، وأخرجني مُخرج صِدْقٍ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً، حسبي الله آمنت بالله توكلّت على الله لا حول ولا قوّة إلّا بالله، اللهمَّ إنِّي أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحقِّ ممشاي هذا إليك فإنِّي لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياءً ولا سمعةً خرجت اتِّقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تُنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت.

وقال شيخ زاده في «مجمع الأنهر» ج ١ ص ١٥٧ : إذا دخل المدينة قال: ربِّ أدخلني مُدخل صدْق. الآية. اللهمَّ افتح لي أبواب فضلك ورحمتك فارزقني زيارة قبر رسولك المجتبى عليه السّلام ما رزقت أولياءك وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مسؤول.

١١ ـ لزوم الخشوع والخضوع لَمّا شاهد القبَّة مستحضراً عظمتها يمثّل في نفسه مواقع أقدام رسول الله، فلا يضع قدمه عليه إلاّ مع الهيبة والسكينة والوقار.

١٢ ـ عدم الإخلال بشيءٍ ممّا أمكنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب عند انتهاك حرمةٍ من حرمه أو تضييع شيءٍ من حقوقه ﷺ.

١٣ ـ إذا شاهد المسجد والحرم الشريف فليزدد خضوعاً وخشوعاً يليق بهذا المقام ويقتضيه هذا المحلّ الذي ترتعد دونه الأقدام ويجتهد في أن يوفي للمقام حقَّه من التعظيم والقيام.

١٤ ـ الأفضل أن يدخل الزائر إلى الحضرة الشريفة من باب جبرئيل، وجرت عادة القادمين من ناحية باب السَّلام بالدخول.

١٥ ـ يقف بالباب لحظةً لطيفةً كما يقف المستأذن في الدُّخول على العظماء. قاله الفاكهي في «حسن الأدب» ص ٥٦، والشيخ عبد المعطي السقا في«الإرشادات السنيَّة» ص ٢٦١.

١٦ ـ إذا أراد الدخول فليفرغ قلبه وليصف ضميره، ويقدِّم رِجله اليمنى ويقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبنوره القديم من الشيطان الرَّجيم، بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوَّة إلاّ بالله ما شاء الله لا قوَّة إلاّ بالله، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمّد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً؛ اللهمّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، ربِّ وفِّقني وسدِّدني وأصلحني وأعنِّي على ما يُرضيك عنِّي، ومُنَّ عليَّ بحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة، السَّلام عليك أيّها النبيُّ ورحمة الله تعالى وبركاته؛ السَّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين.

ولا يترك ذلك كلّما دخل المسجد أو خرج منه إلاّ أنّه يقول عند خروجه: وافتح لي أبواب فضلك. بدل قوله: أبواب رحمتك.

وقال القاضي عياض: قال ابن حبيب: يقول إذا دخل مسجد الرّسول: بسم الله وسلامٌ على رسول الله، السّلام علينا من ربّنا، وصلّى الله وملائكته على محمّد، اللهمّ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وجنّتك؛ واحفظني من الشّيطان الرّجيم.

١٧ ـ قال القاضي في «الشفاء»: ثمّ اقصد إلى الرّوضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيهما ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله تعالى فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه، وإن كانت ركعتاك في غير الرّوضة أجزأتاك وفي الرّوضة أفضل.

وقال القسطلاني في «المواهب»: يستحبّ أن يصلّي ركعتين قبل الزّيارة، قيل: وهذا ما لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف وإلاّ استحبّ الزّيارة أوّلاً، في «تحقيق النصرة»: وهو استدراكٌ حسنٌ، ورخّص بعضهم تقديم الزيارة مطلقاً، وقال ابن الحاجّ: كلٌّ ذلك واسعٌ.

وقال شرنبلالي في «مراقي الفلاح»: فتسجد شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحيّة المسجد شكراً لما وفّقك الله تعالى ومَنَّ عليك بالوصول إليه.

وقال الحمزاوي في «كنز المطالب» ص ٢١١: يبدأ بتحيّة المسجد ركعتين خفيفتين بقل يا أيّها الكافرون وقل هو الله أحد، وأن يكون بمصلاّه ﷺ فإن لم يتيسّر له فما قرب منه ممّا يلي المنبر من جهة الرّوضة.

١٨ ـ ينبغي لِلزائر أن يكون واقفاً وقت الزيارة كما هو الأليق بالأدب، فإذا طال فلا بأس متأدّباً جاثياً على ركبتيه غاضّاً لطرفه في مقام الهيبة والإجلال، فارغ القلب مستحضراً بقلبه جلالة موقفه، وأنّه ﷺ حيٌّ ناظرٌ إليه ومطّلعٌ عليه. وقال الخفاجي في شرح «الشفاء» ج ٣ ص ٥٧١: ويستحبُّ القيام في حال الزّيارة كما نبّه عليه المصنّف [يعني القاضي عياض] بقوله: يقف. وهو أفضل من الجلوس عند الجمهور، ومن خيّر بينهما أراد الجواز دون المساواة، فإن جلس

فالأفضل أن يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربّع لأنّه أليق بالأدب.

١٩ - يقف كما يقف في الصّلاة واضعاً يمينه على شماله. قاله الكرماني الحنفي وشيخ زاده في «مجمع الأنهر» وغيرهما ورآه ابن حجر أليق.

٢٠ - يتوجّه إلى القبر الكريم مستعيناً بالله تعالى في رعاية الأدب في هذا الموقف العظيم، فيقف ممثّلاً صورته الكريمة في خياله بخشوع وخضوع تامّين بين يديه ﷺ محاذاة الوجه الشريف مستدبر القبلة، ناظراً في حال وقوفه إلى أسفل ما يستقبل من جدار الحجرة الشريفة، ملتزماً للحياء والأدب التامّ في ظاهره وباطنه، عالماً بأنّه ﷺ عالمٌ بحضوره وقيامه وزيارته وأنّه يبلغه سلامه وصلاته، وقال ابن حجر: استدبار القبلة واستقبال الوجه الشريف هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء.

وقال الخفاجي في شرح «الشفا» ج ٣ ص ١٧١: استقبال وجهه ﷺ واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور، ونُقل عن أبي حنيفة، وقال ابن الهمام: ما نُقل عن أبي حنيفة أنّه يستقبل القبلة مردودٌ بما روي عن ابن عمران من السنّة أن يستقبل القبر المكرّم ويجعل ظهره للقبلة، وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة، وقول الكرماني: إنّ مذهبه بخلافه ليس بشيءٍ لأنّه ﷺ حيٌّ في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته إنّما يتوجّه إليه.

وقال في شرح قول ابن أبي مليكة[1] من أحبّ أن يكون وِجاه النبيِّ ﷺ فيجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه: هو إرشادٌ لكيفيَّة الزيارة، وأن يكون بينه وبين القبر فاصلٌ. فقيل: إنَّه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل: ثلاثة وهذا على أنّ البعد أولى وأليق بالأدب كما كان في حياته ﷺ وعليه الأكثر، وذهب بعض المالكيَّة إلى أنّ القرب أولى، وقيل: يعامل معاملته في حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس، وهذا باعتبار ما كان في العصر الأوّل وأمّا اليوم فعليه مقصورةٌ تمنع من دنوِّ الزائر فيقف عند الشبّاك.

---

(١) عبدالله بن عبيدالله المتوفى سنة ١١٧، أخرج له أصحاب الصحاح الست.

٢١ ـ لا يرفع في الزِّيارة صوته ولا يخفيه بل يقتصد، وخفض الصَّوت عنده صلّى الله عليه أدبٌ للجميع، أخرج القاضي عياض بإسناده عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإنَّ الله تعالى أدَّب قوماً فقال: ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيِّ**﴾. الآية. ومدح قوماً فقال: ﴿**إنَّ الّذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله**﴾. الآية. وذمَّ قوماً فقال: ﴿**إنَّ الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾. الآية. وإنَّ حرمته ميِّتاً كحرمته حيّاً، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى: ﴿**ولو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله**﴾. الآية.

٢٢ ـ زيارة النبي الأقدس

يقول: السَّلام عليكَ يا رسول الله، السَّلام عليكَ يا نبيَّ الله، السَّلام عليك يا خيرةَ الله، السَّلام عليكَ يا حبيب الله، السَّلام عليكَ يا سيِّد المرسلين وخاتم النبيِّين السَّلام عليكَ يا خيرة الخلائق أجمعين، السَّلام عليكَ يا قائد الغر المحجَّلين، السَّلام عليكَ وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين، السَّلام عليكَ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين، جزاك الله عنّا يا رسول الله أفضل ما جزى به نبيّاً ورسولاً عن أُمَّته، وصلّى عليك كلّما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، أفضل وأكمل ما صلّى على أحدٍ من الخلق أجمعين، أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّك عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأشهد أنّك بلّغت الرِّسالة، وأدّيت الأمانة ونصحت الأُمَّة، وكشفت الغمَّة، وجاهدت في الله حقَّ جهاده، اللهمَّ آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، وآته نهاية ما ينبغي أن

يسأله السّائلون، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد نبيِّك ورسولك النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل سيِّدنا محمّد وأزواجه وذرّيته كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على سيِّدنا محمّد النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل محمَّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميدٌ مجيد.

زيارة أُخرى
حكاها ابن فرحون عن ابن حبيب(١)

السّلام عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، صلّى الله عليكَ وسلّم يا رسول الله أفضل وأزكى وأعلى وأنمى صلاةٍ صلّاها على أحدٍ من أنبيائه وأصفيائه، أشهدُ يا رسول أنّك قد بلّغت ما أُرسلتَ به، ونصحتَ الأُمّة، وعبدتَ ربّك حتّى أتاك اليقين، وكنتَ كما نعتك الله في كتابه حيث قال: لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ، فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه في سماواته وأرضه عليك يا رسول الله.

زيارة ثالثة
اتّفق عليها أعلام المذاهب الأربعة(٢)

السّلام عليكَ يا نبيَّ الله ورحمة الله وبركاته، أشهدُ أنّك رسول الله فقد بلّغت الرّسالة، وأدّيتَ الأمانة، ونصحت الأُمَّة، وجاهدت في أمر الله حتّى قبض الله روحك حميداً محموداً، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلّى عليك أفضل الصّلاة وأزكاها، وأتمَّ التحيّة وأنماها، اللهمَّ اجعل نبيّنا يوم القيامة أقرب النبيِّين إليك، واسقنا من كأسه، وارزقنا من شفاعته، واجعلنا من رفقائه يوم القيامة، اللهمَّ لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبيِّنا عليه السَّلام وارزقنا العود إليه يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) عبدالملك بن حبيب القرطبي الإمام الجليل الثقة مصنف كتاب «الواضحة».

(٢) في الفقه على المذاهب الأربعة ١ ص ٥٩١.

زيارة رابعة
روايـة الغزالي

السّلام عليكَ يا رسول الله، السّلام عليكَ يا نبيَّ الله، السّلام عليكَ يا أمين الله، السّلام عليكَ يا حبيب الله، السّلام عليكَ يا صفوة الله، السّلام عليكَ يا خيرة الله، السّلام عليكَ يا أحمد، السّلام عليكَ يا محمّد، السّلام عليكَ يا أبا القاسم، السّلام عليكَ يا ماحي، السّلام عليكَ يا عاقب، السّلام عليكَ يا حاشر، السّلام عليكَ يا بشير، السّلام عليكَ يا نذير، السّلام عليكَ يا طهر، السّلام عليكَ يا طاهر، السّلام عليكَ يا أكرم ولد آدم، السّلام عليكَ يا سيِّد المرسلين، السّلام عليكَ يا خاتم النبيِّين، السّلام عليكَ يا رسول ربِّ العالمين، السّلام عليكَ يا قائد الخير، السّلام عليكَ يا فاتح البرّ، السّلام عليكَ يا نبيّ الله، السّلام عليكَ يا هادي الأُمّة، السّلام عليكَ يا قائد الغرّ المحجّلين، السّلام عليكَ وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً، السّلام عليكَ وعلى أصحابك الطيِّبين وعلى أزواجك الطّاهرات أُمّهات المؤمنين، جزاكَ الله عنّا أفضل ما جزى نبيّاً عن قومه ورسولاً عن أُمّته وصلّى عليك كلّما ذكرك الذاكرون، وكلّما غفل عنك الغافلون، وصلّى عليك في الأوّلين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأطيب وأطهر ما صلّى على أحدٍ من خلقه كما استنقذنا بك من الضّلالة، وبصّرنا بك من العماية، وهدانا بك من الجهالة، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّك عبدالله ورسوله وأمينه وصفيّه وخيرته من خلقه، وأشهد أنّك قد بلّغت الرِّسالة، وأدّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأُمّة، وجاهدتَ عدوَّك، وهديتَ أُمّتك، وعبدتَ ربّك حتّى أتاك اليقين، فصلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيِّبين وسلّم وشرّف وكرّم وعظّم.

زيارة خامسة
رواية القسطلاني

السّلام عليكَ يا رسول الله، السّلام عليكَ يا نبيَّ الله، السّلام عليكَ يا حبيب الله، السّلام عليكَ يا خيرة الله، السّلام عليكَ يا صفوة الله، السّلام عليكَ

يا سيِّد المرسلين وخاتم النبيِّين، السّلام عليكَ يا قائد الغرّ المحجّلين، السّلام عليكَ وعلى أهل بيتك الطيِّبين الطاهرين، السّلام عليكَ وعلى أزواجك الطاهرات أُمَّهات المؤمنين، السّلام عليكَ وعلى أصحابكَ أجمعين، السّلام عليكَ وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصّالحين، جزاكَ الله أفضلَ ما جزى نبيّاً ورسولاً عن أُمّته، وصلّى الله عليكَ كلّما ذَكركَ الذاكِرونَ، وغفل عن ذكرك الغافلون، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأشهد أنَّك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه، وأشهد أنَّك قد بلّغت الرِّسالة، وأدّيت الأمانة، ونصحتَ الأُمّة، وجاهدتَ في الله حق جهاده.

قال: ومن ضاق وقته عن ذلك فليقل ما تيسَّر منه.

زيارة سادسة

رواية الباجوري

قال: يسلّم عليه ﷺ بلا رفع صوت قائلاً:

السّلام عليكَ يا رسول الله، السّلام عليكَ يا نبيَّ الله، السّلام عليكَ يا حبيب الله، أشهد أنّك رسول الله حقّاً بلّغتَ الرِّسالة، وأدّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأُمّة، وكشفتَ الغمّة، وجلوت الظّلمة، ونطقت بالحكمة، وجاهدتَ في سبيل الله حقَّ جهاده، جزاك الله عنّا أفضل الجزاء.

زيارة أُخرى سابعة

ذكرها شرنبلالي الحنفي في «المراقي»

السّلام عليكَ يا سيِّدي يا رسول الله، السّلام عليكَ يا نبيَّ الله، السّلام عليكَ يا حبيب الله، السّلام عليكَ يا نبيَّ الرَّحمة، السّلام عليكَ يا شفيع الأُمّة، السّلام عليكَ يا سيِّد المرسلين، السّلام عليكَ يا خاتم النبيِّين، السّلام عليكَ يا مزمِّل، السّلام عليكَ يا مدَّثِّر، السّلام عليكَ وعلى أُصولك الطيِّبين وأهل بيتك الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً، جزاك الله عنّا أفضل ما جزى نبيّاً عن قوله ورسولاً عن أُمَّته، أشهد أنّك رسول الله بلّغتَ الرِّسالة، وأدَّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأُمّة، وأوضحت الحجّة، وجاهدتَ في سبيل الله حقَّ جهاده، وأقمتَ الدِّين حتّى أتاك اليقين، صلّى الله عليك وسلّم وعلى أشرف

مكان شرِّف بحلول جسمك الكريم فيه صلاةً وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين، عدد ما كان وعدد ما يكون بعلم الله، صلاة لا انقضاء لأمرها، يا رسول الله! نحن وفدك وزوّار حرمك تشرّفنا بالحلول بين يديك، وجئنا من بلادٍ شاسعةٍ وأمكنةٍ بعيدةٍ نقطع السهل والوعر بقصد زيارتك لنفوز بشفاعتك، والنظر إلى مآثرك ومعاهدك، والقيام بقضاء بعض حقِّك والاستشفاع بك إلى ربِّنا، فإنّ الخطايا قد قصمت ظهورنا، والأوزار قد أثقلت كواهلنا وأنت الشافع المشفَّع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود والوسيلة، وقد قال الله تعالى: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسول لوجدوا الله توّاباً رحيما. وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا إلى ربِّك، واسأله أن يحشرنا على سنّتك، وأن يحشرنا في زمرتك، وأن يوردنا حوضك، وأن يسقينا بكأسك غير خزايا ولا نادمين، الشَّفاعة الشَّفاعة يا رسول الله [تقولها ثلاثاً] ﴿**ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للّذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوف رحيم**﴾.

زيارة ثامنة

رواية شيخ زاده في «مجمع الأنهر»

السّلام عليكَ ورحمة الله وبركاته، السّلام عليكَ يا رسول الله، السّلام عليكَ يا خير خلق الله، السّلام عليكَ يا سيِّد ولد آدم، إنِّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّك عبده ورسوله وأمينه، أشهد أنّك قد بلّغت الرِّسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمّة، وكشفت الغمَّة، فجزاك الله عنّا خيراً، جزاك الله عنّا أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته، اللهمَّ اعط سيِّدنا ورسولك محمّداً الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وأنزله المنزل المبارك عندك، سبحانك أنت ذو الفضل العظيم.

ثمَّ يسأل الله تعالى حاجته وأعظم الحاجات حسن الخاتمة وطلب المغفرة ويقول:

السّلام عليكَ يا رسول الله، أسألك الشفاعة الكبرى، وأتوسّل بك إلى الله

تعالى في أن أموت مسلماً على ملّتك وسنّتك، وأن أُحشر في زمرة عباد الله الصّالحين. ثمَّ ذكر السّلام على الشيخين.

زيارة تاسعة رواية الفاكهي

السّلام عليكَ أيّها النبيُّ الكريم ـ ثلاثاً ـ السّلام عليكَ يا رسول الله، السّلام عليكَ يا نبيَّ الله، السّلام عليكَ يا خيرة الله، السّلام عليكَ يا حبيب الله، السّلام عليكَ يا سيِّد المرسلين، السّلام عليكَ يا خاتم النبيِّين، السّلام عليكَ يا خير الخلائق أجمعين، السّلام عليكَ يا إمام المتّقين، السّلام عليكَ يا قائد الغرّ المحجّلين، السّلام عليكَ يا رحمةً للعالمين، السّلام عليكَ يا منّة الله على المؤمنين، السّلام عليكَ يا شفيع المذنبين، السّلام عليكَ يا هادياً إلى صراطٍ مستقيم، السّلام عليكَ يا من وصفه الله بقوله: وإنّك لعلى خلق عظيم، وبالمؤمنين رؤوفٌ رحيم. السّلام عليكَ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين وعباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته، جزى الله محمَّداً كما هو أهله، جزاك الله عنّا يا رسول الله أفضل ما جزى نبيّاً عن قومه ورسولاً عن أُمَّته، وصلّى الله عليك كلّما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون أفضل وأكمل ما صلّى على أحد من خلقه أجمعين وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّك عبده ورسوله وخيرته من خلقه، فإنّك قد بلّغت الرِّسالة، وأدّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأُمَّة، وجاهدت في الله حقَّ جهاده، وكما نصَّ الله في كتابه؛ اللهمَّ آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، اللهمّ صلِّ على محمَّد عبدك ونبيِّك ورسولك النبيِّ الأُمِّيّ وعلى آل محمَّد وأزواجه وذريَّته كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّدٍ وأزواجه وذريَّته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميدٌ مجيدٌ، ربّنا آمنّا بما أنزلتَ واتّبعنا الرَّسول فاكتبنا مع الشاهدين، الحمد لله الذي أقرَّ عيني برؤيتك يا رسول الله، وأدخلني بروضتك وحضرتك يا حبيب الله.

فإن عجز عن ذلك كلّه أتى بما أمكنه.

الدعاء عند رأس النبي
صلّى الله عليه وآله وسلّم

٢٣ ـ يقف عند رأسه الشريف ويقول: اللهمَّ إنّك قلت وقولك الحقُّ: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً. وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، مستشفعين بنبيِّك: ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ لِلّذين آمنوا، ربّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم، ربّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار؛ سبحان ربِّنا ربِّ العزَّة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين. ويدعو بما يحضره من الدعاء ذكره شرنبلالي الحنفي في «مراقي الفلاح» وغيره في غيرها.

دعاء آخر عند رأسه
صلّى الله عليه وآله وسلّم رواية «الغزالي»

يقف عند الرأس مستقبل القبلة بين القبر والأُسطوانة وليحمد الله عزَّ وجلَّ وليمجِّده وليكثر من الصّلاة على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمَّ يقول:

اللهمَّ إنَّك قلت وقولك الحقّ: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً، اللهمَّ إنّا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، وقصدنا نبيَّك، مستشفعين به إليك في ذنوبنا، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللهمَّ علينا وشفِّع نبيَّك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقِّه عليك، اللهمَّ اغفر للمهاجرين والأنصار، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللهمَّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبيِّك ومن حرمك يا أرحم الراحمين.

ثمَّ يأتي الرَّوضة فيصلّي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّة ومنبري على حوضي.

وقال العدوي الحمزاوي في «كنز المطالب» ص ٢١٦ : ومن أحسن ما يقول بعد تجديد التوبة في ذلك الموقف الشريف، وتلاوة ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرّسولي، الآية: نحن وفدك يا رسول الله وزوّارك جئناك لقضاء حقّك وللتبرّك بزيارتك والاستشفاع بك ممّا أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا. [وزاد الشيخ علي القاري الحنفي في شرح الشمائل: فليس لنا شفيعٌ غيرك نؤمّله، ولا رجاء غير بابك نصله، فاستغفر لنا واشفع لنا إلى ربّك يا شفيع المذنبين، واسأله أن يجعلنا من عباده الصّالحين].

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهنّ القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

قال الأميني: هذه مأخوذةٌ عن حكاية حكاها محمّد بن حرب الهلالي عن أعرابيّ أتى قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وزاره ثمّ قال ما يقرب ممّا ذكر، رواها ابن النجّار وابن عساكر وابن الجوزي. والقسطلاني في «المواهب». والسبكي في «شفاء السّقام» والخالدي في «صلح الاخوان» ص ٥٤ وقال تلقّى هذه الحكاية العلماء بالقبول وذكرها أئمّة المذاهب الأربعة في المناسك مستحسنين لها، وذكر جمعٌ تضمين أبي الطيّب أحمد بن عبدالعزيز المقدسي البيتين المذكورين بقوله:

أقول والدمع من عينيّ منسجمُ ... لما رأيتُ جدار القبر يُستلم
والناس يغشونه باكٍ ومنقطع ... من المهابة أو داعٍ فملتزمُ
فما تمالكت أن ناديت من حرق ... في الصدر كادت لها الأحشاء تضطرمُ
[: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... إلى آخر البيتين
وفيه شمس التّقى والدّين قد غربت ... من بعد ما أشرقت من نيرها الظلمُ
حاشا لوجهك أن يبلى وقدهديت ... في الشرق والغرب من أنواره الأُممُ
فإن تمسّك أيدي الترب لامسةً ... فأنت بين السّماوات العلى علمُ
لقيت ربّك والإسلام صارمه ... ماضٍ وقد كان بحر الكفر يلتطمُ
فقمت فيه مقام المرسلين إلى ... أن عزَّ فهو على الأديان محتكمُ

لئـن رأينـاه قـبـراً إنَّ بـاطنـه ... لروضةٌ من ريـاض الخلد تبتسمُ
طـافت بـه من نـواحيـه مـلائكـةٌ ... تغشـاه في كلٍّ مـا يـوم وتـزدحمُ
لـو كنت أبصرتـه حيّـاً لقلت لـه ... لا تمش إلّا على خدِّي لك القدمُ

الصلاة على النبي الطاهر
صلّى اللّه عليه وآله وسلّم

٢٤ ـ أخرجَ البخاري بـإسناده مـرفوعـاً : من صلّى عليَّ عند قبـري وكّـل الله به ملكـاً يبلّغني ، وكفي أمر دنيـاه وآخرتـه ، وكنت له شفيعـاً أو شهيداً يوم القيامة(١) .

قـال المجد: ويـأتي «الزائـر» بـأتمِّ أنـواع الصَّـلاة وأكمـل كيفيّـاتهـا، والاختلاف في ذلك مشهورٌ. قال: والَّذي أختاره لنفسي:

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمّد وآله وصحبه وأزواجه عدد ما خلقت وعدد ما أنت خالقٌ؛ وزنة ما خلقتَ، وزنة ما أنت خالق، وملء ما خلقت، وملء ما أنت خالق، وملء سماواتك، وملء أرضك، ومثل ذلك، وأضعاف ذلك، وعدد خلقك، وزنة عرشك، ومنتهى رحمتك، ومداد كلماتك، ومبلغ رضاك، وحتّى ترضى، وعدد ما ذكرك به خلقك في جميع ما مضى، وعدد ما هم ذاكروك فيما بقي في كلِّ سنة وشهروجمعةويوموليلةوساعات من السّاعة ونسيم ونفَس ولمحة وطرفة من الأبد إلى الأبد، أبد الدنيا والآخرة، وأكثر من ذلك لا ينقطع أوَّله ولا ينفد آخره. يقوله مرَّةً أو ثلاث ثمَّ يقول: اللهمّ صلِّ على سيِّدنا محمّد وعلى آل سيِّدنا محمّد.

روي(٢) عن ابن أبي فديك(٣) قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنَّـه من وقف عند قبـر النبيِّ ﷺ . فقـال : إنَّ الله ومـلائكتـه يصلّون على

(١) ذكره الخطيب الشربيني في المغني ١ ص ٤٩٤ .
(٢) أخرجه البيهقي، والقاضي عياض في الشفاء، والسبكي في الشفاء، والعبدري في المدخل، وجمع آخرون.
(٣) محمد بن إسماعيل بن مسلم بن فديك المتوفّى سنة ٢٠٠ إمام ثقة يروي عنه الأئمة الستة أصحاب الصحاح.

النبيِّ يا أيّها الَّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ، صلّىٰ الله تعالىٰ على محمّد وسلّم . وفي رواية : صلّىٰ الله عليك يا محمّد . يقوله سبعين مرَّة ناداه ملك : صلّى الله عليك يا فلان لم تسقط لك اليوم حاجة .

قال السَّمهودي: قال بعضهم: الأولى أن يقول: صلّى الله وسلّم عليكَ يا رسول الله. وإن كانت الرواية «يا محمّد» تأدُّباً لأنَّ من خصائصه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن لا يُنادى باسمه بل يُقال: يا رسول الله، يا نبيَّ الله. ونحوه. والذي يظهر أنَّ هذا في نداء لا يقترن به الصَّلاة والسَّلام.

التوسل والاستشفاع بقبره الشريف صلّى الله عليه وآله وسلّم

٢٥ ـ ثمَّ يرجع الزائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسَّل به في حقِّ نفسه ، ويستشفع إلى ربِّه سبحانه وتعالىٰ ، ويكثر الاستغفار والتضرُّع بعد قوله : يا خير الرُّسل إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : ولو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً ، وإنِّي جئتك مستغفراً من ذنوبي متشفِّعاً بك إلى ربِّي . ويقول :

نحن وَفدك يا رسول الله وزوّارك جئناك لِقضاء حقِّك والتبرُّك بزيارتك والاستشفاع بك إلى ربِّك تعالى، فإنَّ الخطايا قد أثقلت ظهورنا، وأنت الشافع المشفَّع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربِّك، فأنت نبيّنا وشفيعنا، فاشفع لنا إلى ربِّك، واسأله أن يميتنا على سنَّتك ومحبَّتك، ويحشرنا في زمرتك، وأن يوردنا حوضك غير خزايا ولا نادمين.

قال القسطلاني في «المواهب اللدنيّة»: وينبغي للزائر له ﷺ أن يكثر من الدُّعاء والتضرُّع والاستغاثة والتشفّع والتوسّل به ﷺ فجديرٌ بمن استشفع به أن يشفِّعه الله فيه. قال: وإنَّ الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به إغاثته أن يحصل له الغوث، فلا فرق بين أن يعبِّر بلفظ الاستغاثة. أو التوسّل. أو التشفّع. أو التوجّه. أو التجوُّه. لأنَّهما من الجاه والوجاهة

ومعناهما علوّ القدر والمنزلة، وقد يتوسّل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه. قال: ثمّ إنّ كلاًّ من الاستغاثة. والتوسّل والتشفّع. والتوجه بالنبي ﷺ كما ذكره في [تحقيق النصرة ومصباح الظلام] واقعٌ في كلّ حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدّة حياته في الدّنيا وبعد موته في البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة. ثمّ فصّل ما وقع من التوسّل والاستشفاع به ﷺ في الحالات المذكورة.

وقال الزرقاني في شرح «المواهب» ج ٨ ص ٣١٧: ونحو هذا في منسك العلاّمة خليل وزاد: وليتوسّل به ﷺ ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسّل به إذ هو محطُّ جبال الأوزار وأثقال الذنوب، لأنَّ بركة شفاعته وعظمها عند ربّه لا يتعاظمها ذنبٌ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته، وأضلَّ سريرته، ألم يسمع قوله تعالى: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله. الآية؟. قال: ولعلَّ مراده التعريض بابن تيميّة.

قال الأميني: هناك جماعةٌ من الحفّاظ وأعلام أهل السنّة بسطوا القول في التوسّل وقالوا: إنَّ التوسّل بالنبيِّ جائزٌ في كلِّ حال قبل خلقه وبعده في مدَّة حياته في الدّنيا وبعد موته في مدّة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنّة وجعلوه على ثلاثة أنواع:

١ ـ طلب الحاجة من الله تعالى به أو بجاهه أو لبركته. فقالوا: إنَّ التوسّل بهذا المعنى جائز في جميع الأحوال المذكورة.

٢ ـ التوسّلُ به بمعنى طلب الدّعاء منه، وحَكموا بأنَّ ذلك جائز في الأحوال كلِّها.

٣ ـ الطلب من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك الأمر المقصود، بمعنى أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قادرٌ على التسبّب فيه بسؤاله ربّه وشفاعته إليه، فيعود إلى النوع الثاني في المعنى غير أنّ العبارة مختلفةٌ وعدّوا منه قول القائل للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أسألك مرافقتك في الجنّة. وقول عثمان ابن أبي العاص: شكوت إلى النبيِّ ﷺ سوء حفظي للقرآن. فقال: أُدن منّي يا عثمان ثمَّ وضع يده على صدري وقال: أُخرج يا شيطان من صدر عثمان. فما

سمعت بعد ذلك شيئاً إلاّ حفظت. وقال السبكي في «شفاء السقام»: والآثار في ذلك كثيرةٌ أيضاً [إلى أن قال]: فلا عليك في تسميته توسّلاً. أو تشفّعاً. أو استغاثة. أو تجوّهاً. أو توجهاً. لأنَّ المعنى في جميع ذلك سواءٌ.

قال الأميني: لا يسعنا إيقاف الباحث على جلّ ماوقفنا عليه من كلمات ضافية لأعلام المذاهب الأربعة في المناسك وغيرها حول التوسّل بالنبيِّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم ولو ذكرناها برمّتها لتأتي كتاباً حافلاً، وقد بسط القول فيه جمعٌ لا يُستهان بعدَّتهم منهم:

١ ـ الحافظ ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في كتاب [الوفاء في فضائل المصطفى] جعل فيه بابين في المقام: باب التوسّل بالنبيِّ. وباب الاستشفاء بقبره.

٢ ـ شمس الدِّين أبو عبدالله محمَّد بن النعمان المالكي المتوفّى سنة ٦٧٣ في كتابه [مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام] قال الخالدي في صلح الإخوان: هو كتاب نفيسٌ نحو عشرين كرَّاساً. وينقل عنه كثيراً السيِّد نور الدِّين السمهودي في «وفاء الوفاء» في الجزء الثاني في باب التوسّل بالنبيِّ الطاهر.

٣ ـ ابن داود المالكي الشاذلي. ذكر في كتابه [البيان والاختصار] شيئاً كثيراً ممّا وقع للعلماء والصّلحاء من الشدائد فالتجؤا إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فحصل لهم الفرج.

٤ ـ تقيُّ الدِّين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦ في «شفاء السقام» ص ١٢٠ ـ ١٣٣.

٥ ـ السيِّد نور الدِّين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١ في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤١٩ ـ ٤٣١.

٦ ـ الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ في «المواهب اللدنيّة».

٧ ـ أبو عبدالله الزرقاني المصري المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢، في شرح المواهب ج ٨ ص ٣١٧.

٨ ـ الخالدي البغدادي المتوفّى سنة ١٢٩٩ في [صلح الإخوان] وهو أحسن ما أُلِّف في الموضوع فقد جمع شوارده في سبعين صحيفة، وأفرد فيه رسالة ردّاً على كلمة السيِّد محمود الآلوسي في التوسّل بالنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم طبعت في عشرين صحيفة بمطبعة «نخبة الأخبار» سنة ١٣٠٦.

٩ ـ العدوي الحمزاوي المتوفّى سنة ١٣٠٣ في «كنز المطالب» ص ١٩٨.

١٠ ـ العزّامي الشافعي القضاعي في [فرقان القرآن] المطبوع مع [الأسماء والصِّفات] للبيهقي في ١٤٠ صحيفة وهو كتابٌ قيِّمٌ أدّى للكلام حقّه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.

«سورة الإسراء آية ٥٧»

التبرك بالقبر الشريف
بالتزامٍ وتمريغٍ وتقبيل

٢٦ ـ لم نجد في المقام قولاً بالحرمة لأحد من أعلام المذاهب الأربعة ممَّن لهم ولآرائهم قيمة في المجتمع، وإنّما القائل بالنَّهي عنه من أُولئك يراه تنزيهاً لا تحريماً ويقول بالكراهة مستنداً إلى زعم أنَّ الدنوَّ من القبر الشريف يخالف حسن الأدب، ويحسب أنّ البعد منه أليق به، وليس من شأن الفقيه النابه أن يُفتي في دين الله بمثل هذه الاعتبارات التي لا تُبنى على أساس وتختلف باختلاف الأنظار والآراء.

نعم: هناك أُناس[1] شذَّت عن شرعة الحقِّ وحكموا بالحرمة، قولاً بلا دليل، وتحكّماً بلا برهان، ورأياً بلا بيِّنة، وهم معروفون في الملإ بالشذوذ، لا يُعبأ بهم وبآرائهم.

---

(١) هم ابن تيمية ومن لف لفه.

فها نحن نقدِّم بين يدي القارىء ما يوقفه على الحقيقة، ويُريه صواب الرأي، وجَدد الطريق، وعند جُهينة الخبر اليقين.

١ ـ أخرج الحافظ ابن عساكر في «التحفة» من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدَّثني أبي عن جدِّي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: لمّا رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضةً من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على مَن شمَّ تربة أحمد   أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا
صُبَّتْ عليَّ مصائب لو أنّها   صُبّت على الأيّام عُدن لياليا

ورواه ابن الجوزي في «الوفاء» وابن سيِّد الناس في السيرة النبويّة ج ٢ ص ٣٤٠. والقسطلاني في «المواهب» مختصراً. والقاري في شرح «الشمائل» ج ٢ ص ٢١٠. والشبراوي في «الإتحاف» ص ٩. والسَّمهودي في «وفاءالوفاء» ج ٢ ص ٤٤٤. والخالدي في «صلح الإخوان» ص ٥٧. والحمزاوي في «مشارق الأنوار» ص ٦٣. والسيِّد أحمد زيني دحلان في «السيرةالنبويَّة» ج ٣ ص ٣٩١. وعمر رضا كحالة في «أعلام النساء» ج ٣ ص ١٢٠٥. وذكر البيتين لها سلام الله عليها ابن حجر في الفتاوى الفقهيّة ج ٢ ص ١٨. والخطيب الشربيني في تفسيره ج ٦ ص ٣٤٩. والقسطلاني في «إرشاد السّاري» ج ٢ ص ٣٩٠.

٢ ـ عن أبي الدَّرداء قال: إنَّ بلالاً [مؤذِّن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم] رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما آن لك أن تزورني يا بلال؟! فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبيِّ ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرِّغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمّهما ويقبِّلهما. الحديث.

أخرج الحافظ ابن عساكر في «تاريخ الشام» مسنداً بطريق في موضعين ـ كما في «شفاء السِّقام» ـ ص ٣٩ و٤٠ في ترجمة إبراهيم بن محمّد الأنصاري ج ٢ ص ٢٥٦ وفي ترجمة بلال. غير أنَّ مهذِّب الكتاب حذف الإسناد في

الموضع الأوّل وأبقى المتن، وأسقطه رأساً سنداً ومتناً في الثاني، وقد أخطأ وأساء إلى الحديث وإلى الكتاب.

ورواه الحافظ أبو محمّد عبد الغني المقدسي في «الكمال» في ترجمة بلال. وأبو الحجّاج المزّي في «التهذيب». والسبكي في «شفاء السّقام» ص ٣٩ وقال: روينا ذلك بإسناد جيّد ولا حاجة إلى النظر في الإسنادين اللذين رواه ابن عساكر بهما، وإن كان رجالهمامعروفينمشهورين.وذكره ابن الأثير في «أُسد الغابة» ج ١ ص ٢٠٨. والسمهودي في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤٠٨ وقال: سندٌ جيّدٌ. وص ٤٤٣ وقال: إسناده جيّد. والقسطلاني في «المواهب اللدنيّة». والخالدي في «صلح الإخوان» ص ٥٧. والحمزاوي في «مشارق الأنوار» ص ٥٧.

٣ ـ عن عليٍّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال. قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنّا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بثلاثة أيّام فرمى بنفسه على قبر النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿**ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤا**﴾. الآية. وقد ظلمتُ وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر: قد غفر لك. أخرجه:

١ً ـ الحافظ أبو سعيد عبد الكريم السمعاني المتوفّى سنة ٥٧٣.

٢ً ـ الحافظ أبو عبدالله ابن نعمان المالكي المتوفّى سنة ٦٨٣ في «مصباح الظلام».

٣ً ـ أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن عبدالله الكرخي.

٤ً ـ الشيخ شعيب الحريفيش المتوفّى سنة ٨٠١ في «الروض الفائق» ج ٢ ص ١٣٧.

٥ً ـ السيّد نور الدّين السمهودي المتوفّى سنة ٩١١ في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤١٢.

٦ً ـ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٢ في «المواهب اللدنيّة».

٧ً ـ الشيخ داود الخالدي المتوفّى سنة ١٢٩٩ في «صلح الإخوان» ص ٥٤٠.

٨ً ـ الشيخ حسن الحمزاوي المالكي المتوفّى سنة ١٣٠٣ في «مشارق الأنوار» ص ٥٧.

٤ ـ عن داود بن أبي صالح: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه [جبهته] على القبر فأخذ مروان برقبته ثمّ قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيّوب الأنصاري، فقال: نعم انّي لم آت الحجر إنّما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدّين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدّين إذا وليه غير أهله.

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ٤ ص٥١٥، وصحّحه هو والذهبي في تلخيصه، ورواه أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في [أخبار المدينة] بإسناد آخر عن المطلب بن عبدالله بن حنطب كما في «شفاء السّقام» للسبكي ص ١١٣ قال السبكي بعد حكايته: فإن صحّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر، وإنّما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك.

وذكره السيّد نور الدّين السمهودي في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٤١٠، ٤٤٣، نقلاً عن إمام الحنابلة أحمد قال: رأيته بخطّ الحافظ أبي الفتح المراغي المدني. وأخرجه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٤ ص ٢ نقلاً عن أحمد.

قال الأميني: إنّ هذا الحديث يُعطينا خبراً بأنّ المنع عن التوسّل بالقبور الطاهرة إنّما هو من بدع الأمويّين وضلالاتهم منذ عهد الصّحابة، ولم تسمع أُذن الدنيا قطّ صحابيّاً ينكر ذلك غير وليد بيت اميّة مروان الغاشم، نعم: الثور يحمي أنفه بروقه. نعم: بعلة الورشان يأكل رطب الوشان. نعم: لبني أُميّة عامّة ولمروان خاصّة ضغينةٌ على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منذ يوم لم يبق صلّى الله عليه وآله وسلّم في الأُسرة الأمويّة حرمةً إلّا هتكها، ولا ناموساً إلّا

مزّقه، ولا ركناً إلّا أباده، وذلك بوقيعته صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى علّمه شديد القوى. فقد صحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: إذا بلغت بنو أُميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً.

وصحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً.

وصحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: إنّي أُريت في منامي كأنَّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة. قال: فما رُؤي النبيٌّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مستجمعاً ضاحكاً حتّى توفّي.

وصحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله، لَمّا استأذن الحكم بن أبي العاص عليه: عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمن منهم وقليلٌ ما هم، يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يُعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

وصحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله لمّا أُدخل عليه مروان بن الحكم: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون.

وصحّ عن عائشة قولها: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لعن الله أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضضٌ من لعنة الله عزَّ وجلَّ.

وصحّ عن عبدالله بن الزبير: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعن الحكم وولده[1]. فحقيقٌ على مروان أن يُري الأُمّة الإسلاميّة أنّه يُحامي عن التوحيد وقد رام أن يخذّلها عن نبيّها ويصغّره عندها، وكيف يروقه نبيٌّ كان هذا هتافه فيه وفي أبيه وجدّه وأصله وشجرته؟ تلك الشجرة الملعونة التي اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

---

(١) هذه الأحاديث أخرجها جمع من الحفاظ بطرقهم، وقد جمعها الحاكم وصححها في «المستدرك» ج ٤ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٢.

فلا يحقُّ لمسلم أن يحذو حذو تلك الأمّة الملعونة ويقول بقولهم ويتّخذ برأيهم ويتّبع أثر أولئك الرِّجال الذين اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله حولاً.

٥ ـ عن أبي خيثمة [زهير بن حرب الثقة المأمون المتوفّى سنة ٢٣٤] قال: حدّثنا مصعب بن عبدالله، حدّثنا إسماعيل بن يعقوب التيمي قال: كان ابن المنكدر (١) يجلس مع أصحابه قال: وكان يصيبه الصّمات فكان يقوم كما هو يضع خدَّه على قبر النبيِّ ﷺ ثمَّ يرجع فعوتب في ذلك فقال: إنَّه ليصيبني خطرة فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبيِّ ﷺ، وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرَّغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك فقال: إنِّي رأيت النبيَّ ﷺ في هذا الموضع [يعني في النوم] (٢).

٦ ـ قال العزّ بن جماعة الحموي الشافعي المتوفّى سنة ٨١٩ في كتاب «العلل والسؤالات» لعبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبي عليّ بن الصّوف عنه، قال عبدالله: سألت أبي عن الرَّجل يمسُّ منبر رسول الله ﷺ ويتبرَّك بمسِّه ويقبِّله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى؟ قال: لا بأس به [وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٣].

٧ ـ قال العلاّمة أحمد بن محمَّد المقري المالكي المتوفّى سنة ١٠٤١ في [فتح المتعال بصفة النعال] نقلاً عن وليِّ الدِّين العراقي: قال: أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزءٍ قديم عليه خطُّ ابن ناصر (٣) وغيره من الحفّاظ أنَّ الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبيِّ ﷺ وتقبيل منبره؟ فقال: لا بأس بذلك. قال: فأريناه التقيّ ابن تيميَّة فصار يتعجَّب من ذلك ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل هذا كلامه أو معنى كلامه. وقال

---

(١) محمد بن المنكدر القرشي التيمي أبو عبدالله المدني أحد الأئمة الأعلام من التابعين توفّي سنة ١٣٠.

(٢) وفاء الوفاء ٢ ص ٤٤٤.

(٣) هو الحافظ محمد بن ناصر ابو الفضل البغدادي توفي سنة ٥٥٠، قال ابن الجوزي في المنتظم ١٠ ص ١٦٣: كان حافظاً متقناً ثقة لا مغمز فيه.

وأيّ عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنَّه غسل قميصاً للشافعيِّ وشرب الماء الذي غسله به؟[١] وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير الصحابة؟ وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؟ وما أحسن ما قاله مجنون ليلى:

أمــرُّ على الــدِّيــار ديــار ليلى أُقبِّــل ذا الجــدار وذا الجــدارا
ومــا حبُّ الــدِّيــار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سـكن الــدِّيــارا

٨ ـ ذكر الخطيب ابن حملة أنَّ عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشَّريف[٢] وأنَّ بلالاً رضي الله تعالى عنه وضع خدَّيه عليه أيضاً. ورأيت في كتاب «السؤالات» لعبدالله بن الإمام أحمد [وذكر ما تقدَّم عن ابن جماعة ثمَّ قال]: ولا شكَّ أنَّ الاستغراق في المحبَّة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من ذلـك كلّه الاحترام والتعـظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته، فأُناسٌ حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، وأُناسٌ فيهم أناةٌ يتأخَّرون والكلُّ محلُّ خير[٣].

٩ ـ قال شيخ مشايخ الشافعية الشافعيُّ الصغير محمّد بن الرَّملي المتوفّى سنة ١٠٠٤ في شرح «المنهاج»: ويكره أن يجعل على القبر مظلّة، وأن يُقبِّل التابوت الذي يُجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيـارة الأولياء. نعم: إن قصد التبرّك لا يكره كما أفتى به الوالد رحمه الله تعالى فقد صرَّحوا[٤] بأنَّه إذا عجز عن استلام الحجر سنَّ له أن يُشير بعصا وأن يُقبِّلها[٥].

(١) ذكره ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٤٥٥، وابن كثير في تاريخه ١٠ ص ٣٣١.
(٢) وفي «الشفاء» للقاضي: رُؤي ابن عمر واضعاً يده على مقعد رسول الله من المنبر ثم وضعها على وجهه.
(٣) وفاء الوفاء للسمهودي ٢ ص ٤٤٤.
(٤) أخرج الحميدي في الجمع بين الصحيحين وأبو داود في مسنده أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يشير إلى الحجر الأسود بمحجنته ويقبل المحجن.
(٥) حكاه الشبر أملسي الشيخ أبي الضياء المتوفّى سنة ١٠٨٧ في حاشية «المواهب اللدنية» والحمزاوي في «كنز المطالب» ص ١٩.

١٠ ـ قال أبو العبّاس أحمد الرَّملي الكبير الأنصاري شيخ الشيوخ في حاشية «روض الطالب» المطبوعة في هامش «أسنى المطالب» ج ١ ص ٣٣١ عند قول المصنِّف في أدب مطلب زيارة القبور [أن يدنو منه دنوّه منه حيّاً]: قال في المجموع: ولا يستلم القبر ولا يقبِّله، ويستقبل وجهه للسَّلام، والقبلة للدُّعاء، وذكره أبو موسى الأصبهاني قال شيخنا: نعم: إن كان قبر نبيٍّ أو وليٍّ أو عالمٍ واستلمه أو قبَّله بقصد التبرُّك فلا بأس به.

١١ ـ نقل الطيِّب الناشري عن محبِّ الدين الطبري الشافعي: أنَّه يجوِّز تقبيل القبر ومسَّه، قال: وعليه عمل العلماء الصّالحين وأنشد:

لو رأينا لسليمى أثراً ... لسجدنا ألف ألف للأثر(١)

١٢ ـ قال القاضي عياض المالكي في «الشفاء» بعد كلام طويل في تعظيم قبر النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: وجديرٌ لمواطن عُمرت بالوحي والتنزيل، وتردَّد بها جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والرُّوح، وضجَّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على سيِّد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنَّة نبيِّه ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدِّين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيِّد المرسلين، ومتبوَّء خاتم النبيِّين حيث انفجرت النبوَّة، وأين فاض عبابها، ومواطن مهبط الرِّسالة، وأوَّل أرض مسَّ جلد المصطفى ترابها، أن تعظَّم(٢) عرصاتها، وتنسَّم نفحاتها، وتقبَّل ربوعها وجدرانها.

يا دار خير المرسلين ومَن به ... هُدي الأنام وخُصَّ بالآياتِ
عندي لأجلك لوعةٌ وصبابةٌ ... وتشوّقٌ متوقّد الجمراتِ
وعليَّ عهدٌ إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدران والعرصاتِ
لأُعفِّرنَّ مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرَّشفاتِ
لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبداً ولو سحباً على الوجناتِ

(١) وفاء الوفاء للسمهودي ٢ ص ٤٤٤.
(٢) أن وما بعدها في تأويل مصدر على أنّه خبر قوله: (جدير). في أول الكلام.

لكن سأهدي من حفيل تحيَّتي　　لقطين تلك الدّار والحجرات.

١٣ ـ قال قاضي القضاة شهاب الدِّين الخفاجي الحنفي المتوفّى سنة ١٠٦٩ في شرح «الشفاء»ج٣ ص ٥٧٧ عند قول القاضي: ـ ونقل من كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر أن لا يلصق به ولا يمسَّه ـ: بشيءٍ من جسده هنا ـ فلا يقبّله فيكره مسّه وتقبيله وإلصاق صدره لأنَّه ترك أدب، وكذا كلّ ضريح يكره فيه، وهذا أمرٌ غير مجمع عليه، ولذا قال أحمد والطبري: لا بأس بتقبيله والتزامه. وروي أنَّ أبا أيّوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف، قيل: وهذا لغير مَن لم يغلبه الشوق والمحبَّة. وهو كلامٌ حسن.

وقال في ج ٣ ص ٥٧١ عند قول ابن أبي مليكة ـ من أحبَّ أن يكون وِجاه النبيِّ فيجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ـ: هو إرشادٌ لكيفيَّة الزِّيارة وأن يكون بينه وبين القبر فاصلٌ، فقيل: إنَّه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع. وقيل: ثلاثة، وهذا مبنيٌّ على أنَّ البعد أولى وأليق بالأدب كما كان في حياته ﷺ وعليه الأكثر، وذهب بعض المالكيَّة إلى أنَّ القرب أولى، وقيل: يعامله معاملته في حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس، وهذا باعتبار ما كان في العصر الأوَّل، وأمّا اليوم فعليه مقصورةٌ تمنع من دنوِّ الزائر فيقف عند الشبّاك.

١٤ ـ نقل عن ابن أبي الصَّيف اليماني أحد علماء مكّة من الشافعيَّة: جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصّالحين.

١٥ ـ قال الحافظ بن حجر: استنبط بعضهم من مشروعيَّة تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كلِّ من يستحقُّ التعظيم من آدميٍّ وغيره، فأمّا تقبيل يد الآدميِّ فسبقٌ في الأدب، وأما غيره فنقل عن أحمد أنَّه سُئل عن تقبيل منبر النبيِّ ﷺ وقبره فلم ير به بأساً واستبعد[1] بعض أتباعه صحَّته عنه[2].

---

(١) المستبعد هو ابن تيمية أو من يشاكله من أهل الأهواء المضلة الذين لا يُعتنى بهم وبآرائهم في دين الله.

(٢) وفاء الوفاء للسمهودي ٢ ص ٤٤٤.

١٦ ـ قال الزرقاني المصري المالكي في شرح «المواهب» ج٨ ص٣١٥: تقبيل القبر الشريف مكروهٌ إلّا لقصد التبرّك فلا كراهة كما اعتقده الرَّملي.

١٧ ـ قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي في حاشيته على شرح ابن قاسم، الغزّي على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي ج ١ ص ٢٧٦:

يكره تقبيل القبر واستلامه ومثله التابوت الذي يجعل فوقه وكذلك تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء إلّا إن قصد به التبرُّك بهم فلا يكره، وإذا عجز عن ذلك لازدحام ونحوه كاختلاط الرِّجال بالنساء كما يقع في زيارة سيِّدي أحمد البدوي وقف في مكان يتمكّن فيه من الوقوف بلا مشقَّة وقرأ ما تيسَّر وأشار بيده أو نحوها ثمَّ قبَّل ذلك فقد صرّحوا بأنَّه إذا عجز عن استلام الحجر الأسود يسنُّ له أن يشير بيده أو عصا ثمَّ يُقبِّلها.

١٨ ـ قال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي في «كنز المطالب» ص ٢٠ و«مشارق الأنوار» ص ٦٦ بعد نقل عبارة الرَّملي المذكور: ولا مرية حينئذٍ أنَّ تقبيل القبر الشَّريف لم يكن إلّا للتبرُّك، فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرُّك، فيحمل ما قاله العارف على هذا المقصد، لا سيّما وأنَّ قبره الشريف روضةٌ من رياض الجنَّة.

١٩ ـ قال الشيخ سلامة العزّامي الشافعي في «فرقان القرآن» ص ١٣٣: وقال [يعني ابن تيميَّة]: من طاف بقبور الصّالحين أو تمسَّح بها كان مرتكباً أعظم العظائم. وأتى بكلام ملتبس فمرَّة يجعله من الكبائر، وأخرى من الشِّرك إلى مسائل من أشباه ذلك، قد فرغ العلماء المحقِّقون والفقهاء المدقِّقون من بحثها وتدوينها قبل أن يولد هو بقرون، فيأبى إلّا أن يخالفهم، وربما ادَّعى الإجماع على ما يقول، وكثيراً ما يكون الإجماع قد انعقد قبله على خلاف قوله كما يعلم ذلك من أمعن في كلامه وكلام مَن قبله وكلام مَن بعده ممَّن تعقَّبه من أهل الفهم المستقيم والنقد السَّليم، وإليك مثالاً: التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين فأهل العلم فيه على ثلاثة أقوال: الجواز مطلقاً والمنع مطلقاً على

وجه كراهة التنزيه الشديدة، ولكنّها لا تبلغ حدَّ التحريم. والتفصيل بين من غلبه شدَّة شوقٍ إلى المزور فتنتفي عنه هذه الكراهة ومن لا، فالأدب تركه. وأنت إذا تأمّلت في الأمور التي كفَّر بها المسلمين وجعلها عبادةً لغير الله وجدت حجَّته ترجع إلى مقدِّمتين صدقت كبراهما وهي: كلُّ عبادة لغير الله شركٌ. وهي معلومةٌ من الدِّين بالضَّرورة، ثمَّ يسوق عليه الأدلَّة بالآيات الواردة في المشركين وكذبت صغراهما وهي قوله: كلّ نداءٍ لميِّت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسّح به أو ذبح أو نذر لصاحبه ـ إلخ ـ فهو عبادةٌ لغير الله. ثمَّ يسوق الآيات والأحاديث الصِّحاح التي لم يفهمها أو تعمَّد في تأويلها على غير وجهها، ثمَّ يخرج من هذا القياس الذي فسدت إحدى مقدِّمتيه بنتيجة لا محالة كاذبة وهي: أنَّ جمهور المسلمين إلّا إيّاه ومَن شايعه مشركون كافرون، وقد أجاد تلخيص هذا المذهب وأدلّته وتزييفها منطقيّاً وأُصوليّاً كلَّ الإجادة سيِّد أهل التحقيق وتاج أهل التدقيق الإمام أبوعبدالله محمَّد بن عبد المجيد الفاسي المتوفّى سنة تسع وعشرين ومائتين وألف في مؤلَّف ردَّ به على ذلك المذهب، ينطق بعلوِّ كعب هذا الإمام. [إلى أن قال]:

ولقد تعدّى هذا الرَّجل حتّى على الجناب المحمَّدي فقال: إنَّ شدَّ الرِّحال إلى زيارته معصيةٌ، وإنَّ من ناداه مستغيثاً به عليه الصَّلاة والسَّلام بعد وفاته فقد أشرك فتارةً يجعله شركاً أصغر. واخرى يجعله شركاً أكبر، وإن كان المستغيث ممتلىء القلب بأنَّه لا خالق ولا مؤثِّر إلَّا الله، وأنَّ النبيَّ صلّى الله عليه إنَّما تُرفع إليه الحوائج ويُستغاث به، على أنَّ الله جعله منبع كلِّ خير، مقبول الشفاعة، مستجاب الدعاء، ﷺ كما هي عقيدة جميع المسلمة مهما كانوا من العامَّة. اهـ.

وأخبر جمال الدِّين عبدالله بن محمَّد الأنصاري المحدِّث قال: رحلنا مع شيخنا تاج الدِّين الفاكهاني[1] إلى دمشق فقصد زيارة نعل سيِّدنا رسول الله ﷺ التي بدار الحديث الأشرفيَّة بدمشق وكنت معه فلمّا رأى النعل المكرَّمة حسر عن

---

(١) الفقيه المالكي المتضلع من الفقه وأصوله والأدب له تآليف قيمة توفّي سنة ٧٣٤.

رأسه وجعل يقبِّله ويمرِّغ وجهه عليه ودموعه تسيل وأنشد:

فلو قيل للمجنون: ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في طواياها؟
لقال: غبارٌ من تراب نعالها أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها[1]

٢٠ ـ أخرج محبّ الدِّين الطبري في «الرِّياض النضرة» ج٢ ص ٥٤ حديثاً طويلاً فيما اتَّفق بالأبواء بين عمر بن الخطاب لَمّا خرج حاجّاً في نفر من أصحابه وبين شيخ استغاث به وفيه: لَمّا انصرف عمر ونزل ذلك المنزل واستخبر عن الشيخ وعرف موته فكأنِّي أنظر إلى عمر وقد وثب مباعداً ما بين خطاه حتّى وقف على القبر ـ قبر الشيخ ـ فصلّى عليه ثمَّ اعتنقه وبكى.

فلو جاز لمثل عمر الوقوف على قبر رجل عاديّ واعتناقه والبكاء عليه فما وازع الأُمَّة عن الوقوف على قبر رسولها الكريم واعتناقه والبكاء عليه أو قبور عترته الطاهرة؟!.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

[الأنعام ٩٠]

زيارة أبي بكر بن أبي قحافة

لفظ الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٥٥١

٢٧ ـ ثمَّ يقف حيث يحاذي رأس الصدِّيق رضي الله عنه ويقول:

السَّلام عليكَ يا خليفة رسول الله، السَّلام عليكَ يا صاحب رسول الله في الغار، السَّلام عليكَ يا رفيقه في الأسفار، السَّلام عليكَ يا أمينه في الأسرار، جزاك الله عنّا أفضل ما جزى إماماً عن أُمَّة نبيِّه، ولقد خلفته بأحسن خلف، وسلكتَ طريقه ومنهاجه خير سلك، وقاتلت أهل الردَّة والبدع، ومهَّدت الإسلام، ووصلت الأرحام، ولم تزل قائماً للحقِّ ناصراً لأهله حتّى أتاك اليقين، والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته، اللهمَّ أمتنا على حبِّه ولا تخيِّب سعينا في زيارته برحمتك يا كريم.

(١) الديباج المذهب ص ١٨٧.

زيارة عمر بن الخطاب

السَّلام عليكَ يا أمير المؤمنين، السَّلام عليكَ يا مظهر الإسلام، السَّلام عليكَ يا مكسِّر الأصنام، جزاك الله عنّا أفضل الجزاء، ورضي الله عمَّن استخلفك، فقد نصرت الإسلام والمسلمين حيّاً وميّتاً، فكفلت الأيتام، ووصلت الأرحام، وقوي بك الإسلام وكنت للمسلمين إماماً مرضيّاً وهادياً مهديّاً، جمعت شملهم، وأغنيت فقيرهم، وجبرت كسرهم، السَّلام عليكَ ورحمة الله وبركاته.

قال الأميني: هذه الزيارة هي التي ذكرها شرنبلالي الفقيه الحنفي في «مراقي الفلاح» وغير واحد من السَّلف غير أنَّ أعلام اليوم زادوا فيها ما راقهم من فضائل الشيخين، وليس هناك أيّ وازع من ذلك إذ في وسع الزائر سرد جمل الثناء على المزور بكلِّ ما يعلم من مناقبه، وقد أطبقت الأُمّة الإسلاميَّة على هذا في قرونها الخالية حتّى اليوم.

زيـــارة أُخرى
رواية القسطلاني

ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلّم على أبي بكر رضي الله عنه لأنَّ رأسه بحذاء منكب النبيِّ ﷺ فيقول:

السَّلام عليكَ يا خليفة سيِّد المرسلين، السَّلام عليكَ يا من أيَّد الله به يوم الردَّة الدِّين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، اللهمَّ ارض عنه وارض عنّا به.

ثمَّ ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلّم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول:

السَّلام عليكَ يا أمير المؤمنين، السَّلام عليكَ يا من أيَّد الله به الدِّين،

جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، اللهمّ ارض عنه وارض عنّـا به.

زيـارة أُخرى
لفظ الباجوري

يتأخَّر صوب يمينه قدر ذراع فيسلّم على أبي بكر رضي الله عنه فيقول:

السَّلام عليكَ يـا أبا بكـر يا خليفـة رسول الله ﷺ، جـزاك الله عن أُمَّة محمَّد ﷺ خيرا.

ثمَّ يتأخَّر أيضاً قدر ذراع فيسلّم على عمر رضي الله عنه فيقول مثل ما تقدَّم، ثمَّ يرجع إلى موقفه الأوَّل قبالة وجهه ﷺ ويتوسّل به إلى ربِّه.

زيارة الشيخين
بلفظ واحد

٢٨٠ـ ثمَّ يرجع قدر نصف ذراع فيقول:

السَّلام عليكما يا ضجيعي رسول اللهورفيقيه ووزيريه ومشيريه والمعاونين له على القيام في الدِّين، القائمين بعده بمصالح المسلمين، وجزاكما الله أحسن الجزاء.

وزاد شرنبلالي الحنفي في «مراقي الفلاح»: جئناكما نتوسّل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع لنا ونسأل ربَّنا أن يتقبّل سعينا ويُحيِيَنا على ملّته ويُميتنا عليها ويحشرنا في زمرته.

زيارة الشيخين بلفظ آخر
ذكرها ابن حبيب في ذيل زيارة النبيّ ﷺ

السّلام عليكما يا صاحبي رسـول الله صلّى الله تعالى عليـه وسلّم، يا أبا بكر ويا عمر جزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جزى وزيري نبيٍّ على

وزارته في حياتـه، وعلى حسن خلافتـه إيّاه في أُمّتـه بعد وفـاته، فقـد كنتما لرسول الله ﷺ وزيري صدق في حياته، وخلفتماه بالعدل والإحسان في أُمّـته بعد وفاته، فجزاكما الله على ذلك مرافقته في جنّته وإيّانا معكم برحمته.

زيارة الشيخين بلفظ ثالث
رواية الغزالي

السّلام عليكما يا وزيري رسول الله صلّى الله عليه، والمعاونين له على القيام بالدّين مادام حيّاً، والقائمين في أُمّته بعده بأمور الدّين، تتبعان في ذلك آثاره، وتعملان بسنّته، فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبيٍّ عن دينه.

وهناك ألفاظٌ اخرى في «مجمع الأنهر» وغيره وفي المذكور غنىً وكفاية، قال ابن الحاجّ في «المدخل» ج١ ص ٢٦٥ يثني عليهما بما حضره، ويتوسّل بهما إلى النبيِّ ﷺ ويقدِّمهما بين يديه شفيعين في حوائجه.

٢٩ ـ ولا يقف في الحرم الأقدس طويلاً بل بمقدار الصّلاة والدُّعاء تأدُّباً منه فهذا مستحبٌّ عنده.

وداع الحرم الأقدس

٣٠ ـ ثمَّ إذا فـرغ الزائـر من أشغالـه وعزم على الخـروج من المدينـة فـالمستحبُّ أن يأتي القبـر الشريف ويعيـد دعـاء الـزيـارة كمـا سبق ويـودِّع رسول الله ﷺ ويسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه العودة إليه ويسأل السّلامة في سفره ثمَّ يصلّي ركعتين في الرَّوضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله ﷺ قبل أن زيدت المقصورة في المسجد، فإذا خرج فليخرج رِجله اليسرى أوّلاً ثمَّ اليمنى وليقل:

اللهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد، ولا تجعله آخر العهد بنبيِّك، وحطَّ أوزاري بزيارته، وأصحبني في سفري السّلامة، ويسِّر رجوعي إلى أهلي ووطني سالماً يا أرحم الرّاحمين. ويقول: اللهمّ إنّـا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى ومن العمل ما تحبُّ وترضى، اللهمّ كن لنا صاحباً في سفرنا وخليفةً

على أهلنا، اللهمّ ذلّل لنا صعوبة سفرنا وأطوعنا بعده، اللهمّ إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال، اللهمّ أصحبنا بنصح واقلبنا بذمّة، اكفنا ما همّنا وما لا نهتمّ له، ورجّعنا سالمينَ مع القبولِ والمغفرةِ والرضوانِ، ولا تجعله آخر العهد بهذا المحلّ الشريف.

ويعيد السّلام والدُّعاء المتقدّم في الزِّيارة ويقول بعده:

اللهمّ لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلّى الله عليه وسلّم وحضرته الشّريفة. ويسِّر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة، وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة. وزاد الشربيني في «المغني»: وردّنا إلى أهلنا سالمين غانمين.

وقال الكرماني من الحنفيَّة إذا اختار الرُّجوع يستحبُّ له أن يأتي القبر الشريف ويقول بعد السّلام والدعاء:

ودّعناك يا رسول الله غير مودِّع ولا سامحين بفرقتك، نسألك أن تسأل الله تعالى أن لا يقطع آثارنا من زيارة حرمك، وأن يعيدنا سالمين غانمين إلى أوطاننا، وأن يُبارك لنا فيما وهب لنا، وأن يرزقنا الشّكر على ذلك، اللهمّ لا تجعل هذا آخر العهد من زيارة قبر نبيِّك صلّى الله عليه وسلّم.

ثمَّ يتوجّه إلى الرَّوضة ويصلّي ركعتين عند الخروج ويسأل الله العود.

زيارة أئمّة البقيع
وبقيَّة المزارات فيها

٣١ ـ ويستحبُّ بعد زيارته عليه السّلام أن يخرج [الزائر] إلى البقيع كلَّ يوم ويوم الجمعة آكد كما قال الفاكهي. وفي إحياء العلوم: يستحبّ أن يخرج كلَّ يوم إلى البقيع. وكذا قال النووي والفاخوري وزاد الأخير: ويخصُّ يوم الجمعة. يأتي المشاهد والمزارات فيزور العبّاس ومعه الحسن بن عليّ، وزين العابدين. وابنه محمّد الباقر، وابنه جعفر الصّادق، ويزور أمير المؤمنين سيِّدنا عثمان، وقبر إبراهيم ابن النبيِّ ﷺ وجماعة من أزواج النبيِّ ﷺ وعمّته صفيَّة

وكثيراً من الصحابة والتابعين خصوصاً سيِّدنا مالكاً وسيِّدنا نافعاً ويقول:

سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار، سلامٌ عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. ويقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص. وقال النووي يقول:

السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السَّابقون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهمّ اغفر لأهل البقيع الغرقد، اللهمّ لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم، واغفر لنا ولهم. وزاد القاضي حسين:

اللهمَّ ربَّ هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدُّنيا وهي بك مؤمنةٌ أدخل عليها روحاً منك وسلاماً منّي، اللهمّ بـرِّد مضاجعهم عليهم واغفر لهم[1].

وقال ابن الحاجِّ في «المدخل» ج١ ص ٢٦٥: هـو بالخيـار إن شاء أن يخرج إلى البقيع ليزور مَن فيه اقتداءً بالنبيِّ ﷺ فإذا أتى إلى البقيع بدأ بثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثمَّ يأتي قبر العبّاس عمِّ النبيِّ ﷺ، ثمَّ يأتي من بعده من الأكابر، وينوي امتثال السنّة في كونه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يزور أهل البقيع الغرقد، وهذا نصٌّ في الزِّيارة، فدلّ على أنَّها قـربةٌ بنفسهـا مستحبَّةٌ، معمولٌ بها في الدِّين، ظاهرةٌ بركتها عند السَّلف والخلف.

قال الأميني: إنَّ المشاهد المقصودة بالبقيع الغرقد كـانت مشهودةً قبـل استيلاء يد العيث والفساد الأثيمة عليها، وهي كثيرة جمعها وبسط القول فيها السمهودي في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ١٠١ ـ ١٠٥ وهناك فوائد هامّـة.

زيارة شهداء أُحد

٣٢ ـ يستحبّ للحـاجّ أن يزور شهـداء أُحد، قـال النووي وشـرنبلالي وغيرهما: أفضلهـا وأحسنها يـوم الخميس خصوصـاً قبر سيِّـدنا حمـزة. وقال

---

(١) وفاء الوفاء للسمهودي ٢ ص ٤٤٨.

الفاخوري في «الكفاية»: ويخصُّ بها يوم الإثنين. وقال ابن حجر: ويسنُّ له أن يأتي متطهِّراً قبور الشهداء بأحد ويبدأ بسيِّد الشهداء حمزة رضي الله عنه. وقال الفاكهي في «حسن الأدب» ٨٣: وقد ورد: زوروهم وسلّموا عليهم، والَّذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحدٌ إلاّ ردّوا عليه إلى يوم القيامة. ولا يخفى أنَّ ردَّهم السَّلام دعاءٌ بالسَّلامة ودعاؤهم مستجابٌ.

زيارة حمزة
عمِّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

فيقول وهو في غاية الأدب والإجلال:

السَّلام عليكَ يا عمَّ المصطفى، السَّلام عليكَ يا سيِّد الشهداء، السَّلام عليكَ يا أسد الله، السَّلام عليكَ يا أسد رسول الله، رضي الله عنك وأرضاك وجعل الجنَّة منقلبك ومثواك، السَّلام عليكم أيّها الشهداء ورحمة الله وبركاته.

قال ابن جبير في رحلته ص ١٥٣: وحول الشهداء [بجبل أُحد] تربةٌ حمراء هي التربة التي تنسب إلى حمزة ويتبرَّك الناس بها.

زيارة بقية الشهداء

ثمَّ يتوجَّه إلى قبور الشهداء الباقين - والمشهور من الشّهداء المكرَّمين الذين استشهدوا يوم أُحد وهم سبعون رجلاً - فيقول:

السَّلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدّار، السَّلام عليكم يا شُهداء، السَّلام عليكم يا سعداء، رضي الله عنكم وأرضاكم.

قال الحمزاوي في «كنز المطالب» ص ٢٣٠: ويتوسّل بهم إلى الله في بلوغ آماله لأنّ هذا المكان محلّ مهبط الرَّحمات الربانيّة، وقد قال خير البريَّة عليه الصَّلاة وأزكى التحيّة: إنَّ لربِّكم في دهركم نفحات ألا فتعرَّضوا لنفحات ربِّكم. ولا شكَّ ولا ريب أنَّ هذا المكان محلُّ هبوط الرَّحمات الإلٰهيَّة فينبغي للزائر أن يتعرَّض لهاتيك النفحات الإحسانيَّة، كيف لا؟ وهم الأحبَّة والوسيلة

العظمى إلى الله ورسوله، فجديرٌ لمن توسّل بهم أن يبلغ المنى وينال بهم الدَّرجات العلى، فإنّهم الكرام لا يخيب قاصدهم وهم الأحياء، ولا يُـرَدّ من غير إكرام زائرهم.

وقال السَّمهودي في «وفاء الوفاء» ج٢ ص ١١٣: وقد سـرد ابن النجّار أسماءهم فتبعته ليسلّم عليهم من شاء بأسمائهم:

حمزة بن عبدالمطلب .	عبدالله بن جحش .	مصعب بن عمير .	عمارة بن زياد
شماس بن عثمان .	عمرو بن معاذ .	الحارث بن أنس .	سلمة بن ثابت
عمر بن ثابت .	ثابت بن وقش .	رفاعة بن وقش .	حسيل بن جابر
صيفي بن قبطي .	الحباب بن قبطي .	عُباد بن سهل .	الحارث بن أوس
أياس بن أوس .	عُبيد بن التيهان .	حبيب بن زيد .	يزيد بن حاطب
أبو سفيان بن الحارث .	أنيس بن قتادة .	حنظلة بن أبي عامر .	أبو حيَّة بن مسلمة
عُبيدالله بن جبير .	أبو سعد بن خيثمة .	عبدالله بن مسلمة .	سُبيع بن حاطب
عمرو بن قيس .	قيس بن عمرو .	ثابت بن عمرو .	عامر بن مخلد
أبو هبيرة بن الحارث .	عمرو بن مطرف .	أوس بن ثبت .	أنس بن النضر
قيس بن مخلد .	عمرو بن أياس .	سليم بن الحارث .	نعمان بن عبد
خارجة بن زيد .	سعد بن ربيع .	أوس بن الأرقم .	مالك بن سنان
سعد بن سويد .	علبة بن ربيع .	ثعلبة بن سعد .	نقيب بن فروة
عبدالله بن عمرو .	ضمرة الجهني .	نوفل بن عبدالله .	عبّاس بن عبادة
نعمان بن مالك .	المحذر بن زياد .	عبادة بن الحسحاس .	رفاعة بن عمرو
عبدالله بن عمرو .	عمرو بن الجموح .	خلّاد بن عمرو .	أبو أيمن مولى عمرو
عبيدة بن عمرو .	عنترة مولى عبيدة .	سهل بن قيس .	ذكوان بن عبد قيس
عُبيد بن المعلّى .	مالك بن نميلة .	الحارث بن عدي .	مالك بن أياس
أياس بن عدي	كيسان مولى بني النجار		

ومن أراد الوقوف على تفصيل أسماء هؤلاء الشّهـداء السّعداء وعـرفان أُسرهم فعليه بسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٥ ـ ٨١، وللسمهودي في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ١١٤ ـ ١١٩ حول قبور شهداء أُحد كلمةٌ ضافيةٌ فيها فوائد جمّة.

٣٣ ـ قال الكمال بن الهمام محقّق الحنفيّة: ويزور جبل أُحد نفسه ففي

الصحيح: أُحد جبلٌ يحبّنا ونحبّه. **قال الأميني**: جعل البخاري في صحيحه في آخر غزوة أُحد باباً في حديث: أُحد يحبّنا ونحبّه.

٣٤ ـ ويستحبُّ استحباباً مؤكّداً كما قال النووي أن يأتي مسجد قباء وفي يوم السبت أولى، وقال الفاكهي: في السبت فالإثنين فالخميس أولى سيّما صبيحة سابع عشر رمضان لحديث في ذلك. فيصلّي فيه ويقول بعد دعائه بما أحبّ: يا صريخ المستصرخين، يا غياث المستغيثين، يا مفرِّج كرب المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرّين، صلِّ على سيِّدنا محمّد وآله واكشف كربي وحزني كما كشفت عن رسولك حزنه وكربه في هذا المقام، يا حنّان يا منّان يا كثير المعروف والإحسان يا دائم النّعم يا أرحم الرّاحمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليِّ العظيم.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ: مَن خرج حتّى يأتي هذا المسجد يعني مسجد قباء ـ فيصلّي فيه كان كعدل عمرة [ك ج ٣ ص ١٢] صحّحه الحاكم والذهبي. وأخرج الطبراني مرفوعاً: مَن توضّأ فأسبغ الوضوء ثمَّ عمد إلى مسجد قباء لا يريد غيره ولا يحمله على الغدوّ إلّا الصّلاة في مسجد قباء فصلّى فيه أربع ركعات يقرأ في كلِّ ركعة بأُمِّ القرآن كان له كأجر المعتمر إلى بيت الله. «مجمع الزوائد» ج ٤ ص ١١.

٣٥ ـ التبرُّك بما بقي من الآثار النبويَّة والأماكن الشريفة كما في «مراقي الفلاح» وغيرها قال الخطيب الشربيني في «المغني» ج ١ ص ٤٩٥: يسنُّ أن يأتي سائر المشاهد بالمدينة وهي نحو ثلاثين موضعاً يعرفها أهل المدينة ويسنُّ زيارة البقيع وقباء وأن يأتي بئر أريس فيشرب منها ويتوضّأ وكذلك بقيَّة الآبار السبعة وقد نظمها بعضهم في بيت فقال:

أريس وغرس رومة وبضاعة كذا بُصَّة قل بيرحاء مع العهنِ

قال الأميني: هذا البيت لأبي الفرج ناصر الدِّين المراغي وقبله قوله:

إذا رمت آبار النبيِّ بطيبة فعدَّتها سبعٌ مقالاً بلا وهنِ[1]

---

(١) يوجد تفصيل الكلام حول هذه الآبار في «وفاء الوفاء» ٢ ص ١١٩ ـ ١٤٩.

٣٦ ـ قال الفاخوري في الكفاية لذوي العناية ص ١٣٠: ويستحبُّ أن يستصحب معه هديّة من تمر المدينة وماء آبارها من غير تكلّف ولا مفاخرة، وإذا قفل منصرفاً قاصداً وطنه كبّر في طريقه على كلٍّ مرتفع ثلاثاً ثمَّ يقول:

لا إله إلاّ الله وحدَهُ لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو عَلى كلّ شيءٍ قدير، آئبونَ تائبونَ عابدونَ ساجدونَ لربّنا حامدونَ صدق الله وَعدَهُ ونَصَرَ عبده وأعزَّ جنده وهَزَمَ الأحزاب وحده.

وقال الشيخ زاده في «مجمع الأنهر» ج ١ ص ١٥٨: ثمَّ ينصرف باكياً حزيناً على فراق الحضرة النبويَّة، ومن السنن أن يُكبِّر على كلِّ شرف من الأرض ويقول: آئبون تائبون عابدون. إلخ.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ سنَّةَ الأَوَّلِينَ. فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً﴾.

[سورة فاطر آية ٤٣]

المصادر

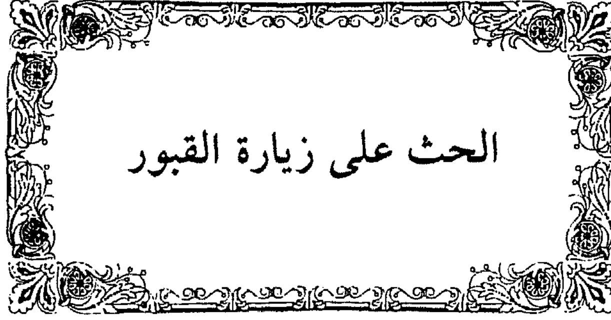
أخذنا ما مرَّ من الآداب والزيارات من مناسك أعلام المذاهب الأربعة وكتبهم الفقهيَّة فمن ابتغى الوقوف على تفصيل ما لم نذكر مصدره ممّا ذُكر، فعليه بما يلي من الكتب.

التأليف	المؤلِّف
إحياء العلوم ج ١ ص ٢٤٦	حجَّة الإسلام أبو حامد الغزالي
التذكرة	أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي
المستوعب	ابن أبي سنينة السامري الحنبلي
المدخل ج ١	أبو عبدالله العبدري المالكي
شفاء السقام ٥٢ ـ ١١٩	تقيُّ الدِّين السبكي الشافعي
وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٣١ ـ ٤٥٥	نور الدِّين السمهودي الشافعي
المواهب اللدنيَّة	أبو العبّاس القسطلاني الشافعي

أسنى المطالب ج ١ ص ٥٠١	أبو يحيى الأنصاري الشافعي
الجوهر المنظَّم	ابن حجر الهيثمي الشافعي
مغني المحتاج ج ١ ص ٤٩٤	الخطيب الشربيني الشافعي
حسن التوسّل مؤلّفٌ في الآداب	جمال الدين الفاكهي الشافعي
الشفاء	القاضي عياض المالكي
مراقي الفلاح في خاتمته، مخطوطٌ	أبو البركات الشرنبلالي الحنفي
شرح الشفاء	القاضي الخفاجي الحنفي
مجمع الأنهر(١) ج ١ ص ١٥٦	عبد الرّحمن شيخ زاده
مفتاح السّعادة ج ٣ ص ٧٣	المولى أحمد طاش كبرى زاده
شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٧ ـ ٣٣٥	أبو عبدالله الزرقاني المالكي
الحاشية(٢) ج ١ ص ٣٤٨	الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي
كنز المطالب ١٨٣ ـ ٢٢٤	الشيخ حسن العدوي الشافعي
الكفاية ص ١٢٥ ـ ١٣١	عبد الباسط الفاخوري المفتي
الإرشادات السنيَّة ص ٢٦٠	عبد المعطي السقّا الشافعي
الفقه على المذاهب الأربعة ج ١	عدَّةٌ من فقهاء المذاهب

---

(١) في شرح ملتقى الأبحر للشيخ إبراهيم الحلبي المتوفّى سنة ٩٥٦.
(٢) على شرح ابن الغزي في الفقه الشافعي.



الحث على زيارة القبور

ورد في السنَّة الصحيحة المتَّفق عليها الأمر بزيارة القبور والحثّ عليها، وأصفقت آراء أعلام المذاهب الإسلاميَّة على الفتيا بمفاده وأنَّها تستحبّ، بل قال بعض الظاهريَّة بوجوبها كما نصَّ عليه غير واحد أخذاً بظاهر الأمر، وإليك جملة من تلك النصوص:

١ ـ عن بريدة مرفوعاً: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها. وزاد الترمذي فقد أذن الله لنبيِّه صلّى الله عليه وآله وسلّم في زيارة قبر امِّـه.

أخرجه مسلم في صحيحـه، والترمـذي في سننه وقـال: حديثٌ حسنٌ صحيـحٌ. والنِّسـائي في السنن ج ٤ ص ٨٩. والحـاكم في المستـدرك ج ١ ص ٣٧٤ عن الصحيحين للبخاري ومسلم. والبغوي في مصابيح السنَّة ج ١ ص ١١٦ وعدَّه من الصِّحاح. والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨. وابن الـدبيع في تيسيـر الوصـول ج ٤ ص ٢١٠ وقال: أخـرجه الخمسـة إلاّ البخاري.

٢ ـ عن عبيدالله بن مسعود مرفوعاً في حديث: ألا فزوروا القبور فإنَّها تزهِّد في الدّنيا وتـذكّر الآخـرة. أخرجـه ابن ماجـة في سننه ج ١ ص ٤٧٦. وأبو الوليد محمَّد بن عبدالله الأزرقي في أخبار مكّة ج ٢ ص ١٧٠. والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٥ وصحَّحه. والمنـذري في الترغيب والتـرهيب ج ٤ ص١١٨ وقال: إسنادٌ صحيحٌ. والبيهقي في السنن الكبرى ج ٤ ص ٧٧.

٣ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّها تذكّركم الموت، أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ١ ص ٣٧٥ وصحّحه.

٤ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد للهيثمي ج ٣ ص ٥٨.

٥ ـ عن زيد بن الخطاب في حديث مرفوعاً: إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء منكم أن يزور فليزر. رواه الطبراني في الكبير، ونقله عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨.

٦ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: فزوروا القبور فإنَّها تذكّر [تذكّركم] الموت.

أخرجه مسلم في صحيحه. وأحمد في مسنده ج١ ص ٤٤١. وإبن ماجة في السنن ج١ ص ٤٧٦. وأبو داود في سننه ج٢ ص ٧٢. والنسائي في السنن ج ٤ ص ٩٠. والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٦. والبيهقي في سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٦. والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨.

٧ ـ عن بريدة مرفوعاً: إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وليزدكم زيارتها خيراً.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٦ وصحَّحه هو والذهبي. والبيهقي في سننه ج ٤ ص ٧٦.

٨ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: إنِّي نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء أن يزور قبراً فليزره فإنّه يرقُّ القلب، ويدمع العين، ويذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً.

أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٢٣٧، ٢٥٠، والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٦ وصحَّحه هو وأقرَّه الذّهبي. والبيهقي في سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧.

٩ ـ عن زيد بن ثابت مرفوعاً: زوروا القبور ولا تقولوا هجراً.

أخرجه الطبراني في الصغير كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨.

١٠ ـ عن أبي ذر مرفوعاً: زر القبور تذكر بها الآخرة.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٧ وقال: حديثٌ رواته عن آخرهم ثقاتٌ. والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨.

١١ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في حديث: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا ما يسخط الربَّ.

أخرجه البزّار والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨ وقال: رجاله رجال الصحيح.

١٢ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً. أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧.

١٣ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: إنِّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّ فيها عبرة.

أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٨. والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٥ وصحّحه هو والذّهبي. والبيهقي في سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧. والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨. وقال: رواته محتجٌّ بهم في الصَّحيح. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨ وقال: رجاله رجال الصَّحيح.

١٤ ـ عن طلحة بن عبدالله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء [إلى أن قال]: فلمّا جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا.

أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٣١٩. والبيهقي في السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٤٩.

١٥ ـ عن عليٍّ أمير المؤمنين - مرفوعاً في حديث: إنِّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكّركم الآخرة.

أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ١٤٥ . والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨ . وأخرجه أحمد بلفظ أخصر في المسند ج ١ ص ٤٥٢ من طريق عبدالله بن مسعود.

١٦ ـ أخرج أبو الوليد محمّد بن عبدالله الأزرقي في [أخبار مكّة] ج ٢ ص ١٧٠ قال: أخبرني ابن أبي مليكة في حديث رفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: إيتوا موتاكم فسلّموا عليهم. أو: صلوا [شكَّ الخزاعي] فإنَّ لكم عبرة.

١٧ ـ عن بريدة مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّ في زيارتها تذكرة. أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٧٢.

١٨ ـ عن ثوبان مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها واجعلوا زيارتكم لها صلاةً عليهم واستغفاراً لهم. رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨.

١٩ ـ عنه ﷺ: من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا يقول إلّا خيراً فإنَّ الميِّت يتأذّى ممّا يتأذّى منه الحيُّ.

ذكره الشيخ شعيب الحريفيش في الروض الفائق في المواعظ والرقائق ج ١ ص ١٩.

٢٠ ـ عن جابر مرفوعاً: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٣ ص ٢٦٤ .

٢١ ـ عن امّ سلمة مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّ لكم فيها عبرة. أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٣ ص ٥٨.

٢٢ ـ عن عائشة: كان ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون، وإنّا بكم إن شاء الله لاحقون، اللهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد.

أخرجه مسلم في صحيحه. والبيهقي في السنن ج ٤ ص ٧٩ وج ٥ ص ٢٤٩. والشربيني في المغني ج ١ ص ٣٥٧ وغيرهم.

٢٣ ـ عن عائشة: إنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن زيارة القبور ثمَّ رخَّص فيها، أحسبه قال: فإنَّها تذكِّر الآخرة. أخرجه البزّار والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨ وقال: رجاله ثقاتٌ.

٢٤ ـ عن عائشة قالت: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثمَّ قال: زوروها فإنَّ فيها موعظةً [أخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٢٢٨].

٢٥ ـ عن عائشة في حديث مرفوعاً: ألا فزوروا إخوانكم وسلّموا عليهم فإنَّ فيهم عبرة. رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الهيثمي ج ٣ ص ٥٨.

٢٦ ـ كانت فاطمة رضي الله عنها تزور قبر عمِّها حمزة كلَّ جمعة فتصلّي وتبكي عنده.

أخرجه البيهقي في سننه ج ٤ ص ٧٨. والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٧٧، وقال: هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقاتٌ. ثمَّ قال: وقد استقصيت في البحث عن زيارة القبور تحرِّياً للمشاركة في الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه أنَّها سنَّةٌ مسنونةٌ وصلّى الله على محمَّد وآله أجمعين.

قال الأميني: وهناك أحاديث اخرى لم نطل بذكرها المقام توجد في الأضاحي والأشربة من كتب الفقه والحديث.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

[سورة الطور آية ٣٤]

أدب زوّار القبور

١ - أن يكون الزائر على طهارة.

٢ - أن يأتي من قِبَل رِجلي الميِّت لا من قِبَل رأسه.

٣ - أن يستقبل الميت بوجهه عند الزِّيارة.

٤ - أن يزور قائماً ويدعو له كذلك.

٥ - قراءة ما تيسَّر من القرآن ويستحبُّ قراءة يّس والتوحيد.

٦ - دعاء الميِّت مستقبلاً القبلة.

٧ - الجلوس لدى القراءة مستقبل القبلة.

٨ - رشُّ القبر بالماء الطّاهر.

٩ - التصدُّق عن الأموات.

١٠ - أن يكون الزائر حافياً ولا يطأ القبور.

القول في الزيارة

١ - عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: قال ﷺ: أتاني جبريل فقال: إنَّ ربَّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السَّلام على أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون.

أخرجه مسلم في صحيحه وجمعٌ آخر من الفقهاء والحفّاظ وفي رواية: السّلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية. أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٩.

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه إنَّ النبيَّ أتى المقبرة فقال: السَّلام

عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي.

٣ ـ عن ابن عبّاس قال: مرَّ رسول الله بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: السّلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر. رواه الترمذي. والبغوي في المصابيح ج ١ ص ١١٦.

٤ ـ عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر:

السَّلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وأنتم لنا فرطٌ ونحن لكم تبعٌ نسأل الله العافية. سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٩.

٥ ـ عن مجمع بن حارثة قال: خرج النبيُّ ﷺ في جنازة حتّى انتهى إلى المقبرة فقال: السّلام على أهل القبور [ثلاث مرّات] من كان منكم من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا فرطٌ ونحن لكم تبعٌ، عافانا الله وإيّاكم. مجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٠.

٦ ـ قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب في زيارة قبور بالكوفة: السّلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا سلفٌ فارطٌ، ونحن لكم تبعٌ عمّا قليل لاحقٌ، اللهمّ اغفر لنا ولهم وتجاوز عنّا وعنهم، طوبى لمن أراد المعاد وعمل الحسنات وقنع بالكفاف ورضي عن الله عزَّ وجلّ. أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٩. وذكره الجاحظ في البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٩ بلفظ يقرب من هذا.

٧ ـ كان عليٌّ بن أبي طالب «أمير المؤمنين» كرَّم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال: السَّلام عليكم يا أهل الدِّيار الموحشة والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، اللهمّ اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنّا وعنهم، ثمَّ يقول: الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً، والحمدُ لله الذي منها خلقنا، وإليها معادنا، وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل الحسنات، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله عزَّ وجلّ.

العقد الفريد ج ٢ ص ٦.

٨ ـ قال الفيروز آبادي صاحب القاموس في «سفر السّعادة» ص ٥٧ : ومن العادات النبويَّة زيارة القبور والدعاء والاستغفار ومثل هذه الزيارة مستحبٌّ وقال: إذا رأيتم المقابر فقولوا: السّلام عليكم أهل الدِّيار «إلى آخر ما ذكر» ثمَّ قال: وكان يقرأ وقت الزِّيارة من نوع الدعاء الذي كان يقرؤه في صلاة الميِّت.

٩ ـ وقف محمّد بن الحنفيَّة على قبر الحسن بن عليٍّ «الإمام» رضي الله عنهما فخنقته العبرة ثمَّ نطق فقال: رحمك الله أبا محمّد فلئن عزَّتْ حياتك فلقد هدَّتْ وفاتك، ولنعم الرُّوح روحٌ ضمَّه بدنك، ولنعم البدن بدنٌ ضمَّه كفنك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيَّة ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكفُّ الحقِّ، ورُبِّيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيّبة بفراقك ولا شاكّة في الخيار لك. العقد الفريد ج ٢ ص ٨.

١٠ ـ وقف عليٌّ بن أبي طالب «أمير المؤمنين» على قبر خباب فقال: رحم الله خباباً لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً. العقد الفريد ج ٢ ص ٧.

١١ ـ قامت عائشة على قبر أبيها أبي بكر الصّديق فقالت: نضر الله وجهك، وشكر صالح سعيك، فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزّاً بإقبالك عليها، ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ وأكبر الأحداث بعده فإنَّ كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة، وأنا تابعة له في الصبر فأقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك، فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك، ولا رازئة على القضاء فيك. المستطرف ج ٢ ص ٣٣٨ .

١٢ ـ كان الحسن البصري إذا دخل المقبرة قال: اللهمّ ربَّ هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليها روحاً منك وسلاماً منّا. العقد الفريد ج ٢ ص ٦ .

١٣ ـ قام ابن السمّاك على قبر أبي سليمان داود بن نصير الطائي المتوفّى

سنة ١٦٥ فقال: يا داود كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون، وكنت تسلم إذ الناس يخوضون وكنت تربح إذ الناس يخسرون، حتّى عدَّ فضائله كلّها. صف ج ٣ ص ٨٢.

هناك ألفاظٌ كثيرةٌ في زيارة القبور لدة ما ذكر نقلت عن الأئمّة وأعلام المذاهب الأربعة تنبئنا عن أنَّ الزائر في وسعه أن يزور الميِّت ويدعو له بأيِّ لفظٍ شاء وأراد، وله سرد ما يروقه من مناقبه وفضائله، وذكر ما يوجِّه إليه عطف المولى سبحانه ويستوجب له رحمته، والألفاظ المذكورة في زيارة النبيِّ الأقدس (صلّى الله عليه وسلّم) وزيارة الشيخين تثبت ما نرتئيه.

كلمات حول زيارة القبور
لأعلام العامَّة فيها فوائد جمَّة

١ ـ قال ابن الحاجّ أبو عبدالله العبدري المالكي المتوفّى سنة ٧٣٧ في «المدخل» ج ١ ص ٢٥٤: وصفة السَّلام على الأموات أن يقول: السَّلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات رحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية. ثمَّ يقول: اللهمّ اغفر لنا ولهم.

وما زدت أو نقصت فواسعٌ والمقصود الاجتهاد لهم في الدعاء فإنّهم أحوج الناس لذلك لانقطاع أعمالهم، ثمَّ يجلس في قبلة الميّت ويستقبله بوجهه، وهو مخيّر في أن يجلس في ناحية رجليه إلى رأسه أو قبال وجهه ثمَّ يثني على الله تعالى بما حضره من الثناء ثم يُصلّي على النبيِّ ﷺ الصَّلاة المشروعة، ثمَّ يدعو للميِّت بما أمكنه، وكذلك يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين، ويتضرَّع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم.

وهذه صفة زيارة القبور عموماً، فإنْ كان الميّت المزار ممَّن تُرجى بركته فيتوسَّل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسَّل الزائر بمن يراه الميِّت ممَّن تُرجى بركته إلى النبيِّ ﷺ، بل يبدأ بالتوسّل إلى الله تعالى بالنبيِّ ﷺ إذ هو العمدة في التوسّل والأصل في هذا كلّه والمشرِّع له فيتوسَّل به ﷺ وبمن تبعه بإحسان إلى

يوم الدّين، وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس فقال: اللهمّ كنّا نتوسَّل إليك بنبيِّك ﷺ فتسقينا، وإنّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّك فاسقنا. فيسقون».

ثمَّ يتوسَّل بأهل تلك المقابر أعني بالصّالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ثمَّ يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذرِّيَّتهم إلى يوم الدِّين، ولمن غاب عنه من إخوانه، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم، ويكثر التوسّل بهم إلى الله تعالى لأنّه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرَّفهم وكرَّمهم فكما نفع في الدنيا ففي الآخرة أكثر.

فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسّل بهم فإنَّهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه وقد تقرّر في الشَّرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثيرٌ مشهورٌ، وما زال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً يتبرَّكون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسّاً ومعنىً، وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبدالله بن نعمان رحمه الله في كتابه المسمّى بسفينة النجاء لأهل الالتجاء في كرامات الشيخ أبي النجاء في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه:

تحقّق لذوي البصائر والاعتبار أنَّ زيارة قبور الصّالحين محبوبةٌ لأجل التبرُّك مع الاعتبار، فإنَّ بركة الصّالحين جاريةٌ بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصّالحين والتشفّع بهم معمولٌ به عند علمائنا المحقِّقين من أئمَّة الدِّين.

ولا يعترض على ما ذكر من أنَّ مَن كانت له حاجةٌ فليذهب إليهم وليتوسّل بهم بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «لا تشدُّ الرِّحال إلّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى» وقد قال الإمام الجليل أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب آداب السفر من كتاب الإحياء له ما هذا نصّه: القسم الثاني وهو أن يسافر لأجل العبادة إمّا لجهاد أو لحجّ. إلى أن قال: ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء

والأولياء، وكلّ من يتبرّك بمشاهدته في حياته يتبرّك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدُّ الرِّحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله ﷺ: «لا تُشدُّ الرِّحال إلّا لثلاث مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى» لأنَّ ذلك في المساجد لأنّها متماثلةٌ بعد هذه المساجد، وإلّا فلا فرق بين زيارة الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدَّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عزَّ وجلَّ والله تعالى أعلم.

٢ ـ قال عزُّ الدِّين الشيخ يوسف الأردبيلي الشافعي المتوفّى سنة ٧٧٦ في «الأنوار لأعمال الأبرار» في الفقه الشافعي ج ١ ص ١٢٤: ويستحبّ للرِّجال زيارة القبور وتكره للنِّساء والسنَّة أن يقول: سلامٌ عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون، اللهمّ لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم واغفر لنا ولهم، وأن يدنو من القبر كما كان يدنو من صاحبه حيّاً، وأن يقف متوجِّهاً إلى القبر، وأن يقرأ ويدعو فإنَّ الميِّت كالحاضر يُرجى له الرَّحمة والبركة، والدُّعاء عقيب القراءة أقرب إلى الإجابة.

٣ ـ قال الشيخ زين الدِّين الشهير بابن نجيم المصري الحنفي المتوفّى سنة ٩٦٩ / ٧٠ في البحر الرائق شرح كنز الدقائق ـ للإمام النسفي ـ ج ٢ ص ١٩٥: قال في البدايع: ولا بأس بزيارة القبور والدُّعاء للأموات إن كانوا مؤمنين، من غير وطء القبور، لقوله ﷺ: انّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ولعمل الأُمَّة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

وصرَّح في «المجتني» بأنّها مندوبة، وقيل: تحرم على النِّساء، والأصحُّ: أنَّ الرخصة ثابتةٌ لهما، وكان رسول الله ﷺ يعلّم السَّلام على الموتى: السَّلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين. ذكره إلى آخره ثمَّ ذكر قراءة القرآن عند القبور وشيئاً من أدب الزيارة.

٤ ـ أجاب ابن حجر المكّي الهيثمي المتوفّى سنة ٩٧٣ في الفتاوى الكبرى الفقهيّة ج ٢ ص ٢٤ لَمّا سُئل رضي الله عنه عن زيارة قبور الأولياء في زمن معيّن مع الرِّحلة إليها هل يجوز مع أنَّه يجتمع عند تلك القبور مفاسدُ كثيرة

كاختلاط النساء بالرِّجال وإسراج السّرج الكثيرة وغير ذلك؟ بقوله: زيارة قبور الأولياء قربةٌ مستحبَّة وكذا الرِّحلة إليها، وقول الشيخ أبي محمّد: لا تستحبُّ الرِّحلة إلّا لزيارته ﷺ ردّه الغزالي بأنّه قاس ذلك على منع الرِّحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق، فإنَّ ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستويةٌ في الفضل فلا فائدة في الرِّحلة إليها. وأما الأولياء فإنّهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم، فكان للرِّحلة إليهم فائدةٌ أيّ فائدة، فمن ثمَّ سنّت الرِّحلة إليهم للرِّجال فقط بقصد ذلك وانعقد نذرها كما بسطت الكلام على ذلك في «شرح العباب» بما لا مزيد على حسنه وتحريره، وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرّمات، فالقربات لا تُترك لمثل ذلك بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل وإزالتها إن أمكنه، وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب أنّه يُفعل ولو مع وجود النساء وكذا الرَّمي، لكن أمروه بالبعد عنهنَّ وكذا الزيارة يفعلها لكن يبعد عنهنَّ وينهى عمّا يراه محرَّماً بل ويُزيله إن قدر كما مرَّ، هذا إن لم تتيسَّر له الزيارة إلّا مع وجود تلك المفاسد، فإن تيسَّرت مع عدم المفاسد، فتارةً يقدر على إزالة كلّها أو بعضها فيتأكّد له الزِّيارة مع وجود تلك المفاسد ليزيل منها ما قدر عليه، وتارةً لا يقدر على إزالة شيءٍ منها فالأولى له الزيارة في غير زمن تلك المفاسد، بل لو قيل: يمنع منها حينئذٍ لم يبعد. ومن أطلق المنع من الزِّيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع نحو الطواف والرَّمي، بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والرَّمي إذا خشي الاختلاط أو نحوه، فلمّا لم يمنع الأئمّة شيئاً من ذلك مع أنَّ فيه اختلاطاً أيّ اختلاط، وإنّما منعوا نفس الاختلاط لا غير فكذلك هنا. ولا تغترَّ بخلاف من أنكر الزِّيارة خشية الاختلاط فإنّه يتعين حمل كلامه على ما فصّلناه وقرَّرناه وإلّا لم يكن له وجهٌ، وزعم أنَّ زيارة الأولياء بدعةٌ لم تكن في زمن السلف، ممنوعٌ، وبتقدير تسليمه فليس كلُّ بدعةٍ يُنهى عنها، بل قد تكون البدعة واجبةً فضلاً عن كونها مندوبة كما صرَّحوا به.

٥ ـ قال الشيخ محمّد الخطيب الشربيني المتوفّى ٩٧٧ في «المغني» ج ١ ٣٥٧: يسنُّ الوضوء لزيارة القبور كما قاله القاضي حسين

في شـرح الفروع . ويسلّم الـزائر للقبـور من المسلمين مستقبلاً وجهـه ، ويقرأ عنده من القرآن ما تيسَّر ، ويدعو له عقب القـراءة رجاء الإجـابة لأنَّ الدعاء ينفع الميِّت وهو عقب القـراءة أقرب إلى الإجـابة ، وعنـد الدعـاء يستقبل القبلة ، وإن قال الخراسانيّـون باستحبـاب استقبال وجـه الميِّت ، قـال المصنِّف: ويستحبُّ الإكثار من الـزِّيارة وأن يكثـر الوقـوف عند قبـول أهل الخير والفضل . إنتهى ملخَّصاً .

٦ ـ قـال المـلاّ علي الهـروي القـاري الحنفي المتـوفّى ١٠١٤ في «المـرقـاة شـرح المشكـاة» ج ٢ ص ٤٠٤ في زيـارة القبـور: الأمـر فيهـا للرُّخصة أو الإستحباب وعليه الجمهور : بل ادَّعى بعضهم الإجماع ، بل حكى ابن عبد البرّ عن بعضهم وجوبها .

٧ ـ قـال الشيخ أبـو البركـات حسن بن عمّـار بن علي المكنّى بـابن الإخلاص الوفائي الشرنبلالي الحنفي المتوفّى سنة ١٠٦٩ في حاشية[1] غرر الأحكام المطبوعة بهامش درر الأحكام ج ١ ص ١٦٨ : زيـارة القبور منـدوبةٌ للرِّجال، وقيل: تحرم على النساء والأصحّ : أنَّ الرُّخصة ثابتةٌ لهما، ويستحبّ قراءة يّس لما ورد: من دخل المقابر فقرأ سورة يّس خفَّف الله عنهم يومئذٍ وكان له بعدد ما فيها حسنات.

وقال في «مراقي الفلاح» : فصلٌ في زيارة القبور. ندب زيارتها من غير أن يطأ القبور للرِّجال والنساء. وقيل: تحرم على النساء. والأصحّ أنَّ الرُّخصة ثابتةٌ للرِّجال والنّساء، فتندب لهنَّ أيضاً على الأصحّ، والسنّة زيارتها قائماً والدُّعاء عندها قائماً، كما كان يفعل رسول الله ﷺ في الخـروج إلى البقيع ويقـول: السّلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لي ولكم العافية.

ويستحبّ للزائر قراءة سورة يّس لما ورد عن أنس رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله : من دخل المقابر فقرأ سورة يّس [يعني وأهدى ثوابها للأموات] خفَّف الله عنهم يومئذٍ العذاب، ورفعه. وكذا يوم الجمعة يرفع فيه العذاب عن

(١) تسمّى غنية ذوي الإحكام في بغية الأحكام.

أهل البرزخ، ثمَّ لا يعود على المسلمين وكان له [أي للقارىء] بعدد ما فيها [رواية الزيلعي: مَن فيها من الأموات] حسنات. وعن أنس: أنَّه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنّا نتصدَّق عن موتانا ونحجُّ عنهم وندعوا لهم، فهل يصل ذلك إليهم. فقال: نعم لَيصل ذلك إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أُهدي إليه. رواه أبو حفص السكيري إلى أن قال: وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: من مرَّ على المقابر فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرَّة ثمَّ وهب أجرها للأموات أُعطي من الأجر بعدد الأموات. رواه الدّارقطني. وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن أنه قال: من دخل المقابر فقال: اللهمَّ ربَّ هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنةٌ أدخل بها روحاً من عندك وسلاماً منّي. استغفر له كلُّ مؤمن مات منذ خلق الله آدم. وأخرج ابن أبي الدنيا بلفظ: كتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى أن تقوم السّاعة حسنات.

٨ ـ قال الشّيخ محمَّد أمين الشهير بابن عابدين المتوفّى سنة ١٢٥٣ في «ردّ المحتار على الدُّر المختار» في الفقه الحنفي ج ١ ص ٦٣٠ بعد بيان استحباب زيارة القبور: وتُزار في كلِّ أسبوع كما في «مختارات النوازل» قال في شرح «لباب المناسك»: إلاّ أنَّ الأفضل يوم الجمعة والسبت والإثنين والخميس. فقد قال محمَّد بن واسع: الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده، فتحصّل أنَّ يوم الجمعة أفضل. اهـ. وفيه: يستحبّ أن يزور شهداء جبل أُحد، لما روى ابن أبي شيبة: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يأتي قبور الشهداء بأُحد على رأس كلِّ حول، فيقول: السَّلام عليكم بما صَبَرتم فنعمَ عُقبى الدّار. والأفضل أن يكون ذلك يوم الخميس متطهّراً مبكراً لئلاّ تفوته الظهر بالمسجد النبويِّ. اهـ. قلت: استفيد منه ندب الزيارة وإن بعد محلّها، وهل تندب الرِّحلة لها كما اعتيد من الرِّحلة إلى زيارة خليل الرَّحمن وأهله وأولاده وزيارة السيِّد البدوي وغيره من الأكابر الكرام؟! لم أرَ من صرَّح به من أئمَّتنا، ومنع منه بعض الشافعيَّة إلاّ لزيارته ﷺ قياساً على منع الرِّحلة لغير المساجد الثلاث، وردَّه الغزالي بوضوح الفرق. ثمَّ ذكر محصَّل قول الغزالي فقال: قال ابن حجر في فتاواه ولا تُترك لما يحصل عندها من منكرات ومفاسد كاختلاط

الرِّجال بالنساء وغير ذلك، لأنَّ القربات لا تُترك لمثل ذلك بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل وإزالتها إن أمكن. اهـ. قلت ويؤيّده ما مرَّ من عدم ترك اتّباع الجنازة وإن كان معها نساء ونائحات. إلى أن قال:

قال في الفتح: والسنَّة زيارتها قائماً والدعاء عندها قائماً كما كان يفعله ﷺ في الخروج إلى البقيع، ويقول: السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. وفي شرح «اللباب» للملاّ علي القاري: ثمَّ من آداب الزيارة ما قالوا من أنه يأتي الزائر من قِبَل رجلي المتوفّى لا من قبَل رأسه لأنّه أتعب لبصر الميّت بخلاف الأوَّل لأنّه يكون مقابل بصره، لكن هذا إذا أمكنه، وإلاّ فقد ثبت أنّه عليه الصَّلاة والسَّلام قرأ أوَّل سورة البقرة عند رأس ميّت وآخرها عند رجليه.

٩ ـ قال الشيخ إبراهيم الباجوري المتوفّى سنة ١٢٧٧ في حاشيته على شراح ابن الغزِّي ج١ ص٢٧٧: تندب زيارة القبور للرِّجال لتذكر الآخرة، وتكره من النساء لجزعهنَّ وقلّة صبرهنَّ، ومحلّ الكراهة فقط إن لم يشتمل اجتماعهنَّ على محرَّم وإلاّ حرم، ويُستثنى من ذلك قبر نبيِّنا ﷺ فتندب لهنَّ زيارته، وينبغي كما قال ابن الرفعة: إنَّ قبور الأنبياء والأولياء كذلك، ويندب أن يقول الزائر: السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهمّ لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم واغفر لنا ولهم. وأن يقرأ ما تيسَّر من القرآن كسورة يّس ويدعو لهم ويهدي ثواب ذلك لهم، وأن يتصدَّق عليهم وينفعهم ذلك فيصل ثوابه لهم، ويسنُّ أن يقرب من المزور كقربه منه حيّاً. وأن يسلّم عليه من قِبَل رأسه ويكره تقبيل القبر. إلى آخر ما مرّ ص١٩٦.

١٠ ـ قال الشيخ عبد الباسط ابن الشيخ علي الفاخوري المفتي ببيروت في كتابه [الكفاية لذوي العناية] ص ٨٠: يسنّ زيارة القبور للرِّجال وتركه للنساء إلاّ القبر الشريف وكذا قبور بقيّة الأنبياء والصّالحين. ويسنُّ أن يقول الزائر: السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السّابقون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. وأن يقرأ ما تيسَّر من القرآن كسورة يّس. وأن يدعو للميِّت بعد القراءة. وأن يقول: اللهمَّ أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان. وأن يقرب من القبر كقربه منه لو كان حيّاً.

١١ - قال الشيخ عبد المعطي السّقا في «الإرشادات السنيّة» ص ١١١ : زيارة قبور المسلمين مندوبةٌ للرِّجال لخبر مسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكّركم الآخرة: أمّا زيارة النساء فمكروهةٌ إن كانت لقبر غير نبيٍّ وعالمٍ وصالحٍ وقريبٍ، أمّا زيارة قبر النبيِّ ومَن ذُكر معه فمندوبةٌ لهنَّ بدون محرم إن كانت القبور داخل البلد، ومع محرم إن كانت خارجه، ومحلّ ندب زيارتهنَّ أو كراهتها إذا أذن لهنَّ الحليل أو الوليّ وأمنت الفتنة ولم يترتَّب على اجتماعهنَّ مفسدةٌ كما هو الغالب، بل المحقَّق في هذا الزمان، وإلاّ فلا ريبة في تحريمها. ويستحبّ الإكثار من الزِّيارة لتحصيل الاعتبار والعظة وتذكّر الآخرة، وتتأكّد الزِّيارة عشيَّة يوم الخميس ويوم الجمعة بتمامه وبكرة يوم السبت.

وينبغي للزائر أن يقصد بزيارته وجه الله وإصلاح فساد قلبه، وأن يكون على طهارةٍ رجاء قبول دعائه لنفسه وللميِّت، وأن يسلّم على مَن بالمقبرة بقوله: السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين «وذكر الى آخره» ثمَّ إذا وصل إلى قبر ميِّته قرب منه ووقف مستقبلاً وجهه خاشعاً قائلاً: السَّلام عليك. ثمَّ يقرأ عنده ما تيسَّر من القرآن كسورة الفاتحة، وسورة يٓس، وسورة تبارك، وسورة الإخلاص، والمعوّذتين. والأفضل أن يكون وقت القراءة جالسا مستقبل القبلة قاصدا نفع الميِّت بما يتلوه، وأن يُكثر من التصدُّق، وأن يرشَّ القبر بالماء الطاهر، وأن يضع عليه جريداً أخضر ونحوه كالريحان والبرسيم وتتأكّد زيارة الأقارب والدعاء لهم سيّما الوالدين، وقد ورد في الحثِّ على زيارتهما والدعاء لهما أخبارٌ كثيرةٌ صحيحةٌ.

١٢ - قال منصور علي ناصف في «التاج الجامع للاصول في أحاديث الرَّسول» ج ١ ص ٤١٨ : الأمر «في زيارة القبور» للندب عند الجمهور وللوجوب عند ابن حزم ولو مرَّة واحدة في العمر. وقال في ص ٤١٩ : زيارة النساء للقبور جائزةٌ بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرُّج، وأن يكون معها زوجٌ أو محرمٌ منعاً للفتنة لعموم الحديث [الأوّل] ولقول عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ إلخ. ولزيارة عائشة لقبر أخيها عبد الرَّحمن فلمّا اعترضها عبدالله قالت: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثمَّ أمر بزيارتها. رواه أحمد وابن ماجة.

١٣ - قال فقهاء المذاهب الأربعة مؤلِّفو كتاب الفقه على المذاهب

الأربعة ج ١ ص ٤٢٤ : زيارة القبور مندوبةٌ للاتِّعاظ وتذكّر الآخرة، وتتأكّد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها[١] وينبغي للزائر الاشتغال بـالدعـاء والتضرّع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميِّت فإنّ ذلك ينفع الميِّت على الأصحّ، وممّا ورد أن يقول الزائر عند رؤية القبور:

اللهمَّ ربَّ الأرواح الباقية، والأجسام البالية، والشعور المتمزّقة، والجلود المنقطعة، والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أنزل عليها روْحاً منك وسلاماً منّي.

وممّا ورد أيضاً أن يقول: السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. ولا فرق في الزِّيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة، بل يندب السفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصّالحين. أمّـا زيارة قبر النبيِّ ﷺ فهي من أعظم القرب. وكما تندب زيارة القبور للرِّجال تندب أيضاً للنساء العجائز اللاّتي لا يخشى منهن الفتنـة إن لم تؤدِّ زيارتهنَّ إلى النـدب أو النياحـة وإلاّ كانت محرَّمة.

النذور لأهل القبور

إنّ لابن تيميَّة ومن لفَّ لفَّه في المسألة هثهثةٌ، أتوا فيها بالمهاجر، ورموا مخالفيهم من فرق المسلمين بمهجرات، وقد مرَّ عن القصيمي ص١٢١ أنَّها من شعائر الشيعة الناشئة عن غلوِّهم في أئمتهم وتأليههم لعليٍّ وولده. إن هذا إلاّ اختلاق وليس إلاّ الهتّ والهتر، وما شـذَّت الشيعة في المسـألة عمّـا أصفقت عليه الامَّـة الإسلاميَّة سلفاً وخلفاً، فقد بسط الخالدي فيها القول في كتابه «صلح الإخوان» ص ١٠٢ ـ ١٠٩ ومجمل ذلك التفصيل: أنَّ المسألة تدور مدار نيّات الناذرين وإنّـما الأعمال بالنيّات فإن كان قصد النـاذر الميِّت نفسه والتقرُّب إليه بذلك لم يجز قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع

---

(١) الحنابلة قالوا: لا تتأكد الزيارة في يوم دون يوم، والشافعية قالوا: تتأكد من عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت، وهذا قول راجح عند المالكية. كذا في هـامش الفقه على المـذاهب الأربعة.

الأحياء بوجهٍ من الوجوه وثوابه لذلك المنذور له الميت سواءٌ عيَّن وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه، ويكون هناك ما يطّرد الصرف فيه في عرف الناس من مصالح القبر أو أهل بلده أو مجاوريه أو الفقراء عامّة أو أقرباء الميِّت أو نحو ذلك، ففي هذه الصور يجب الوفاء بالنذور، وحكى القول بذلك عن الأذرعي، والزركشي، وابن حجر الهيثمي المكي، والرَّملي الشافعي، والقباني البصري، والرافعي، والنووي، وعلاء الدِّين الحنفي، وخير الدِّين الرَّملي الحنفي، والشيخ محمَّد الغزّي، والشيخ قاسم الحنفي.

وذكر الرّافعي نقلاً عن صاحب «التهذيب» وغيره: أنَّه لو نذر أن يتصدَّق بكذا على أهل بلد عيَّنه يجب أن يتصدَّق به عليهم، قال: ومن هذا القبيل ما ينذر بعثه إلى القبر المعروف بجرجان، فإنّ ما يجتمع منه على ما يحكى يقسَّم على جماعة معلومين، وهذا محمولٌ على أنَّ العرف اقتضى ذلك فنزل النذر عليه. ولا شكَّ أنَّه إذا كان عرفٌ حمل عليه، وإن لم يكن عرفٌ فيظهر أن يجري فيه خلاف وجهين: أحدهما لا يصحُّ النّذر لأنَّه لم يشهد له الشَّرع بخلاف الكعبة والحجرة الشريفة. والثاني يصحُّ إذا كان مشهوراً بالخير، وعلى هذا ينبغي أن يصرف في مصالحه الخاصَّة به ولا يتعدّاها. واستقرب السبكي بطلان النذر في صورة عدم العرف هناك للصَّرف. راجع فتاوى السبكي ج ١ ص ٢٩٤.

وقال العزّامي في «فرقان القرآن» ص ١٣٣: وقال [يعني ابن تيميَّة]: من نذر شيئاً للنبيِّ ﷺ أو غيره من النبيِّين والأولياء من أهل القبور أو ذبح له ذبيحة كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها فهو عابدٌ لغير الله فيكون بذلك كافراً. ويطيل في ذلك الكلام، واغترَّ بكلامه بعض من تأخَّر عنه من العلماء ممَّن ابتلي بصحبته أو صحبة تلاميذه، وهو منه تلبيسٌ في الدِّين وصرفٌ إلى معنى لا يريده مسلمٌ من المسلمين، ومن خبر حال من فعل ذلك من المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للميِّتين من الأنبياء والأولياء إلّا الصَّدقة عنهم، وجعل ثوابها إليهم، وقد علموا أنَّ إجماع أهل السنَّة منعقدٌ على أنَّ صدقة الأحياء نافعةٌ للأموات واصلةٌ إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحةٌ مشهورةٌ فمنها ما صحَّ عن سعد: أنَّه سأل النبيَّ ﷺ قال: يا نبيَّ الله إنَّ

امِّي قد افتلتت وأعلم أنّها لو عاشت لتصدَّقت أفإن تصدَّقت عنها أينفعها ذلك؟ قال: نعم. فسأل النبيَّ ﷺ أيّ الصدقة أنفع يا رسول الله؟ قال: الماء. فحفر بئراً وقال: هذه لأمّ سعد. فهذه اللاّم هي الداخلة على الجهة التي وجِّهت إليها الصّدقة لا على المعبود المتقرَّب إليه، وهي كذلك في كلام المسلمين، فهم سعديّون لا وثنيّون. وهي كاللاّم في قوله: إنّما الصّدقات للفقراء. لا كاللاّم التي في قول القائل: صليت لله ونذرت لله، فإذا ذبح للنبي أو نذر الشيء له فهو لا يقصد إلاّ أن يتصدَّق بذلك عنه، ويجعل ثوابه إليه فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثاب على إهدائها والمسألة مبسوطةٌ في كتب الفقه وفي كتب الردِّ على هذا الرَّجل ومَن شايعه. اهـ.

فالنذر بالذبح وغيره للأنبياء والأولياء أمرٌ مشروعٌ سائغٌ من سيرة المسلمين عامَّة من دون أيِّ اختصاص بفرقةٍ دون اخرى، وإنّما يُثاب به الناذر إن كان لله وذبح المنذور بالذبح باسم الله. قال الخالدي: بمعنى أنَّ الثواب لهم والمذبوح منـذورٌ لوجـه الله كقول النـاس: ذبحت لميِّتي بمعنى تصدَّقت عنـه، وكقول القائل: ذبحت للضيف بمعنى أنَّه كان السبب في حصول الذبح. اهـ. وليس هناك أيّ وازع من جواز نذر الذبح ولزوم الوفاء به إن كان على الوجه المذكور ولا يتصوّر من مسلم غيره.

وربما يُستدلّ في المقام بما أخـرجه أبـو داود السجستاني في سننه ج٢ ص ٨٠ بإسناده عن ثابت بن الضحّاك قال: نذر رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببُوانة[١] فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ: هل كان فيها وثنٌ يُعبد من أوثان الجاهليَّة؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك فإنّه لا وفاء لنذر في معصية الله تعالى ولا فيما لا يملك ابن آدم.

وبما أخرجه أبو داود في السنن ج٢ ص ٨١ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه أنَّ امرأة قالت: يا رسول الله إنّي نذرت أن أضرب على رأسك الدّف. قال: أوفي بنذرك. قالت: إنِّي نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا مكان كان يذبح

(١) بضم الموحدة وتخفيف الواو. هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.

فيه أهل الجاهليَّة قال: لصنم؟ قالت لا. قال: لوثن؟ قالت: لا. قال: أوفي بنذرك[١].

وفي «معجم البلدان» ج٢ ص ٣٠٠: وفي حديث ميمونة بنت كردم أنَّ أباها قال للنبيِّ ﷺ: إنِّي نذرت أن أذبح خمسين شاة على بُوانة. فقال ﷺ: هناك شيءٌ من هذه النصب؟ فقال: لا. قال: فاوف بنذرك فذبح تسعاً وأربعين وبقيت واحدة فجعل يعدو خلفها ويقول: اللهمَّ أوف بنذري حتّى أمسكها فذبحها «وهذا معنى الحديث لا لفظه».

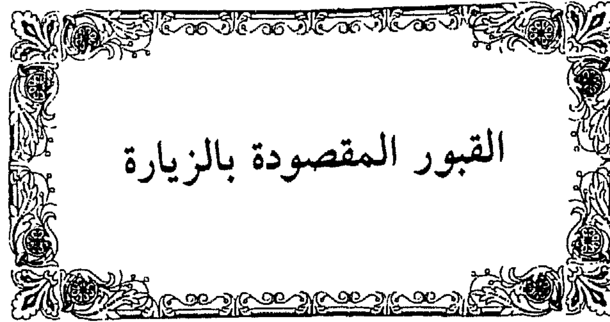
قال الخالدي في «صلح الإخوان» ص ١٠٩ بعد ذكر حديثي أبي داود: وأمّا استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر في أماكن الأنبياء والصّالحين زاعمين أنّ الأنبياء والصّالحين أوثانٌ والعياذ بالله وأعيادٌ من أعياد الجاهليَّة فهو من ضلالهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه حتّى سمّوهم أوثاناً، وهذا غاية التحقير لهم خصوصاً الأنبياء فإنَّ مَن انتقصهم ولو بالكناية يكفر ولا تُقبل توبته في بعض الأقوال، وهؤلاء المخذولون بجهلهم يُسمّون التوسّل بهم عبادة، ويسمّونهم أوثاناً، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم، والله أعلم. اهـ. كما لا عبرة بجهالة ابن تيميَّة ومن لفَّ لفّه وضلالاتهم.

﴿أولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾

[سورة محمد؛ الآية : ١٦]

---

(١) على القارىء أن يمعن النظر في صدر هذا الحديث ويعرف مكانة النبي الأقدس في السنن حاشا نبي القداسة عن هذه المخازي.



القبور المقصودة بالزيارة

التوسّل والتبرُّك بها. الدُّعاء والصَّلاة لديها. ختم القرآن لمدفونيها.

هناك قبورٌ تُقصد بالزِّيارة وقد قُصدت في القرون الإسلاميَّة منذ يومها الأوَّل ولأعلام المذاهب الأربعة حولها كلمات يأخذ الباحث منها دروساً عالية من شتّى النواحي، ويقف بها على فوائد جمَّة منها: عرفان سيرة المسلمين وشعارهم في القرون الخالية حول زيارة القبور والتوسّل والتبرُّك بها، والدُّعاء والصَّلاة لديها، وختم القرآن لمدفونيها، وإليك نبذةٌ منها:

١ ـ بلال بن حمامة الحبشي مؤذِّن رسول الله ﷺ المتوفّى سنة ٢٠ قبره بدمشق وفي رأس القبر المبارك تاريخٌ باسمه رضي الله عنه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجابٌ، قد جرّب ذلك كثيرٌ من الأولياء وأهل الخير المتبرِّكين بزيارتهم [رحلة ابن جبير ص ٢٢٩] .

٢ ـ سلمان الفارسي الصحابيُّ العظيم المتوفّى سنة ٣٦. قال الخطيب البغدادي في تاريخه ج١ ص ١٦٣: قبره الآن ظاهرٌ معروفٌ بقرب أيوان كسرى عليه بناءٌ وهناك خادمٌ مقيمٌ لحفظ الموضع وعمارته والنظر في أمر مصالحه، وقد رأيت الموضع وزرته غير مرَّة. وقال ابن الجوزي في «المنتظم» ج٥ ص ٧٥: قال القلانسي وسمنون: زرنا قبر سلمان وانصرفنا.

٣ ـ طلحة بن عبيدالله المقتول يوم الجمل سنة ٣٦، قال ابن بطوطة في رحلته ج١ ص ١١٦: مشهد طلحة بن عبيدالله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبَّةٌ ومسجدٌ، وزاويةٌ فيها الطعام للوارد والصادر، وأهل

البصرة يعظّمونه تعظيماً شديداً وحقّ له، ثمّ عدّ مشاهد في البصرة لجملةٍ من الصحابة والتابعين فقال: وعلى كلّ قبر منها قبّةٌ مكتوبٌ فيها اسم صاحب القبر ووفاته.

٤ ـ الزبير بن العوام المتوفّى سنة ٣٦، قال ابن الجوزي في «المنتظم» ج٧ ص ١٨٧: فمن الحوادث في سنة ٣٨٦ أنّ أهل البصرة في شهر المحرّم ادّعوا أنّهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميّتاً طريّاً بثيابه وسيفه وأنّه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفّنوه ودفنوه بالمربد بين الدّربين، وبنى عليه الأثير أبو المسك عنبر بناءً وجعل الموضع مسجداً، ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسّمادات وأُقيم فيه قوّام وحفظةٌ ووقف عليه وقوفاً.

٥ ـ أبو أيّوب الأنصاري الصّحابي المتوفّى سنة ٥٢ بالرّوم، قال الحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ٤٥٨: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا. وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج١ ص ١٨٧.

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه ج١ ص ١٥٤: قال الوليد: حدّثني شيخٌ من أهل فلسطين: أنّه رأى بنيّة بيضاء دون حائط القسطنطنيّة فقالوا: هذا قبر أبي أيّوب الأنصاري صاحب النبيِّ ﷺ فأتيت تلك البنيّة فرأيت قبره في تلك البنيّة وعليه قنديلٌ معلّق بسلسلة.

وفي تاريخ ابن كثير ج٨ ص ٥٩: وعلى قبره مزارٌ ومسجدٌ وهم «أي الروم» يعظّمونه. وقال الذهبي في «الدّول الإسلاميّة» ج١ ص ٢٢: فالرّوم تعظّم قبره ويستشفعون إلى اليوم به.

٦ ـ رأس الحسين «الإمام السبط الشهيد» بمصر، قال ابن جبير المتوفّى سنة ٦١٤ في رحلته ص ١٢: هو في تابوت فضّة مدفونٌ تحت الأرض قد بُني عليه بنيانٌ حفيلٌ يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به، مجلّلٌ بأنواع الدِّيباج، محفوفٌ بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار فضّة خالصة ومنها مذهّبة، وعلّقت عليه قناديل فضّة، وحفّ أعلاه كلّه بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الرّوضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه

من أنـواع الرّخـام المجزّع الغـريب الصنعة البـديـع التـرصيـع مـا لا يتخيّله المتخيِّلون، ولا يحقّ أدنى وصفه الواصفون، والمدخل إلى هذه الرَّوضة على مسجد على مثالها في التأنّق والغرابة، حيطانه كلّها رخامٌ على الصفة المذكورة، وعن يمين الرَّوضة المذكورة وشمالها بنيانٌ من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفـة بعينها، والأستـار البديعـة الصنعة من الـديباج معلّقـة على الجميع، ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجرٌ موضوعٌ في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السَّـواد والبصيص، يصف الأشخاص كلّها كأنّه المرآة الهنديّة الحديثة الصّقل، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحـداقهم به وانكبـابهم عليه وتمسّحهم بـالكسوة التي عليـه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسِّلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركـة التربة المقدَّسة، ومتضرِّعين بما يُـذيب الأكباد، ويصـدع الجماد، والأمـر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركـة ذلك المشهـد الكريم، وإنّمـا وقع الإلماع بنبذة من صفته مستدلاًّ على ما وراء ذلك، إذ لا ينبغي لعاقل أن يتصدّى لوصفه لأنّه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجملة فما أظنُّ في الـوجود كلّه مصنعاً أحفلٍ منه ولا مرأىً من البناء أعجب ولا أبدع، قدَّس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه.

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بالجبّانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً إحدى عجائب الدُّنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والزهّاد والأوليـاء ذوي الكرامات الشهيرة والأنبـاء الغريبة، وإنّـما ذكرنا منها ما أمكنتنا مشاهدته. فمنها: قبر ابن النبيِّ صالح، وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرَّحمن صلوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسية امرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين مشاهـد أربعة عشـر من الرِّجـال وخمس من النساء، وعلى كلِّ واحد منها بناءٌ حفيلٌ، فهي بأسرها روضاتٌ بديعة الإتقان عجيبة البنيان، وقد وكّل بها قومٌ يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها منظرٌ عجيبٌ، والجرايات متّصلةٌ لقوامها في كلِّ شهر. ثمَّ ذكر تفصيل المشاهد.

عقد الشبراوي الشيخ عبدالله الشافعي المتوفّى سنة ١١٧٢ في كتابه ـ الإتحاف بحبِّ الأشراف ـ ص ٢٥ ـ ٤٠ باباً في ذلك المشهد وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته وقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدةٌ مرئيَّةٌ، والنفحات العائدة على زائريه غير خفيَّة، وهي بصحَّة الدعوى مليَّة، والأعمال بالنيَّة، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزءٌ لطيفٌ مؤلَّفٌ، واستفتى القاضي زكيّ الدِّين عبد العظيم في ذلك فقال: هذا مكانٌ شريفٌ وبركته ظاهرةٌ والاعتقاد فيه خيرٌ والسَّلام، وما أجدر هذا المشهد الشّريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسي الفداء لمشهد أسراره — من دونها ستر النبوَّة مسبلُ
ورواق عزٍّ فيه أشرف بقعة — ظلّت تحار لها العقول وتذهلُ
تعضى لبهجته النواظر هيبةً — ويردُّ عنه طرفه المتأمِّلُ
حسدت مكانته النجوم فودَّ لو — أمسى يجاوره السّماك الأعزلُ
وسما علوّاً أن تُقبِّل تربه — شفةٌ فأضحى بالجباه يُقبَّلُ

وقال في ذكر الكرامات: منها أنَّ رجلاً يقال له: شمس الدِّين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلّم الكسوة الشّريفة حصل له ضررٌ في عينيه فكفّ بصره وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيِّدي أنا جارك قد كفَّ بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردَّ عليَّ ولو عيناً واحدةً، فبينما هو نائمٌ ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسأل عنهم فقيل له: هذا النبيُّ ﷺ والصّحابة معه جاؤا لزيارة السيِّد الحسين رضي الله عنه فدخل معهم ثمَّ قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جدِّه ﷺ وذكر له ذلك على سبيل الشّفاعة عنده في الرَّجل فقال النبيُّ ﷺ للإمام عليٍّ رضي الله عنه: يا عليّ كحِّله. فقال: سمعاً وطاعةً وأبرز من يده مكحلةً ومروداً وقال له: تقدَّم حتّى أكحلك فتقدَّم فلوَّث المرود في عينه اليمنى فأحسَّ بحرقانٍ عظيمٍ فصرخ صرخةً عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تُفرش في مشهد

الإمام الحسين رضي الله عنه وكتب عليها وقفاً ولم تزل تُفرش حتّى تولّى مصر الوزير المعظم محمّد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمَّد خان نصره الله فجدَّد بسطاً اخرى وهي التي تُفرش إلى الآن. ثمَّ ذكر كرامة اخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السّادة الخلوتيَّة، وقال بعد بيان اختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ولنذكر في هذا الباب نبذةً من القصائد التي مدحتُ بها آل البيت الشّريف وتوسَّلت فيها بساكن هذا المشهد المنيف، فممّا قلت فيه:

آل طـه! ومـن يـقـل آل طـه ... مستجيراً بجاهكم لا يُـردُّ
حبّكم مـذهبي وعقـد يـقيني ... ليس لي مـذهبٌ سـواه وعقـدُ
منكم أستمدُّ بل كلُّ من في الكـ ... ـون من فيض فضلكم يستمـدُّ
بيتكم مهبط الـرِّسـالـة والـ ... ـوحي ومنكم نـور النبـوَّة يبـدو
ولكم فـي العـلا مقـامٌ رفيـعٌ ... مـا لـكـم فـيـه آل يسّ نـدُّ
يـابن بنـت الرَّسول مَن ذا يضاهيـ ... ـك افتخاراً وأنت للفخر عقدُ؟
يـا حسينـاً هـل مثل امِّـك امٌّ ... لشـريف؟ أو مثل جـدِّك جدُّ؟
رام قـومٌ أن يـلحقـوك ولـكـن ... بينهم في العـلا وبينـك بُعـدُ
خصّـك الله بـالسَّعـادة في دنيـ ... ـاك ثـمَّ بـالشَّـهـادة بَعـدُ
لـك في القبـر يـا حسينـاً مقـامٌ ... ولأعـداك فـيـه خـزيٌ وطـردُ
يا كريم الدّارين يا من له الّدهـ ... ـر على رغم مَن يعـانـد عبـد
أنت سيـفٌ على عـداك ولـكن ... فيـك حلمٌ ومـا لفضـلك حـدُّ
كـلّ من رام حصـر فضلك غـرٌّ ... فـضـل آل النبـيٍّ ليس يُعـدُّ
طيبـةٌ فـاقت البقـاع جميعـاً ... حين أضحى فيهـا لجدِّك لحدُ
ولمصـر فخـرٌ على كـلِّ مصر ... ولـهـا طـالـعٌ بقبـرك سعـدُ
مشهـدٌ أنت فيـه مشهـد مجد ... كم سعى نحـوه جـوادٌ مجـدٌّ؟
وضـريحٌ حـوى عـلاك ضـريحٌ ... كـلّه مـنـدلٌ يـفـوح ونـدٌّ(١)
مـددٌ مـا لـه انـتـهـاءٌ وسـرٌّ ... لا يُـضـاهـى ورونـقٌ لا يُـحـدُّ

(١) المندل: العود الطيب الرائحة ج منادل. الند بالفتح والكسر: عود يتبخرّ به.

رحـمـاتٌ لـلزائـريـن تـوالـت وجـزيـلٌ مـن الـعـطاء ورفـدُ
رضـي الله عـنـكـمُ آل طـه ودعـاء الـمقـلّ مثـلي جـهـدُ
وسـلامٌ عـليكُـمُ كـلّ وقـت مـا تغنّت بكـم تهـامٌ ونـجـدُ
أنـا في عـرض تـربـة أنت فيهـا يـا حسيناً وبعـدُ حـاشـا أُردُّ
أنـا في عرض جـدِّك الطاهـر الـ ـطهر إذا ما الزَّمان بالخطب يعدو
أنـا في عرض مَن يعـول كلّ الـ ـرّسـل عليـه ومـا لهم عنه بـدُّ
أنـا في عـرض مَن أتتـه غـزالٌ فحمـاهـا والخصيم خصمٌ ألـدُّ
أنا في عرض جدِّك المصطفى من كـلّ عـام لـه الـرِّحـال تُشـدُّ

وقلت فيهم أيضاً رضي الله تعالى عنهم:

آل بيت النبيِّ! مـالي سـواكـم ملجـأ أرتجيـه للكـرب في غـدْ
لست أخشى ريب الـزَّمـان وأنتم عمدتي في الخطوب يا آل أحمدْ!
مَن يضـاهي فخـاركم آل طـه؟ وعليكـم سـرادق العـزِّ مُـمتـدْ
كـلُّ فضـل لغيـركم فـإليكـم يـا بني الطهـر بـالأصـالـة يُسنـدْ
لا عـدمنـا لكم مـوائـد جـودٍ كـلَّ يـومٍ لـزائـريكم تُجـدَّدْ
يـا ملوكـاً لهم لـواء المعـالي وعليهم تـاج السّـعـادة يُعـقـدْ
أيّ بـيـت كـبيـتـكـم آل طـه! طـهَّـر الله سـاكـنيـه ومـجَّـدْ
روضـة المجـد والمفـاخـر أنتم وعليكـم طيـر الـمكـارم غـرَّدْ
ولكم في الكتـاب ذكـرٌ جميـلٌ يهتـدي منه كـلّ قـارٍ ويسعـدْ
وعليكم أثنى الكتـاب وهـل بعـ ـد ثناء الكتاب مجدٌ وسوددْ؟!
ولكم في الفخـار يـا آل طـه! منـزلٌ شـامـخٌ رفيـعٌ مشيَّـدْ
قـد قصدنـاك يـا بن بنت رسـو ل الله والخير من جنابك يُقصدْ
يـا حسيناً مـا مثل مجدك مجدٌ لشـريف ولا كجـدِّك من جـدْ
يـا حسينـاً بحقِّ جـدِّك عـطفـاً لمحب بـالخيـر منـك تـعـوَّدْ
كـلَّ وقـت يـودُّ يـلثـم قبـراً أنـت فيـه بـمقـلتيـه ويشهـدْ
سـادتي أنجـدوا محبّـاً أتـاكـم مـطلق الدّمـع في هـواكم مقيّـدْ
وأغـيثـوا مـقصِّـراً مـالـه غيـ ـر حماكم إن أعضل الأمر واشتدْ

فعليكم قصرت حبّي وحاشا بعد حبّي لكم أُقابل بالردّ
يا إلهي ما لي سوى حبّ آل البيـ ـت آل النبيّ طه الممجّدْ
أنا عبدٌ مقصّرٌ لست أرجو عملاً غير حبّ آل محمّد

وقال في المشهد الحسيني أيضاً:

يا نديمي قم بي إلى الصهباءِ واسقنيها في الرَّوضة الغنّاءِ
حيث مجرى الخليج والماء فيه يتثنّى كالحيّة الرقشاءِ
هاتها يا نديم صرفاً ودعني من صريع الهوى قتيل الماءِ
وأدرها ممزوجةً بالتهاني غير ممزوجةٍ بماء السّماءِ
هاتها يا نديم من غير خلطٍ إنَّ خلط الدّواءِ عين الدّاءِ
والقني يا نديم تحت الأثيلا ت سحيراً إذا أردت لقائي
في كثيب من الجزيرة يختا ل دلالاً في حلّة خضراءِ
روضةٌ راضها النسيم سحيراً باعتلالٍ صحّت به واعتلاءِ
ولطيف النسيم يعبث بالغصـ ـن فيهتزُّ هزَّة استهزاءِ
يا خرير الخليج تفديك نفسي فلكم نلت في حماك منائي؟
يا نديمي جدِّد بذكراه وجدي وأحي ذاك الغرام بالإغراءِ
هات حدِّث عن نيل مصر ودعني من فراتٍ ودجلةٍ فيحاءِ
وأعد لي حديث لذّات مصر فحديث اللّذّات عنّي نائي
إنَّ مصراً ، لأحسن الأرض عندي وعلى نيلها قصرت رجائي
وغرامي فيها وغاية قصدي أن أرى سادتي بني الزَّهراءِ
وإلى المشهد الحسينيِّ أسعى داعياً راجياً قبول دعائي
يا بن بنت الرَّسول إني محبٌّ فتعطّف واجعل قبولي جزائي
يا كرام الأنام يا آل طه! حبّكم مذهبي وعقد ولائي
ليس لي ملجأ سواكم وذخرٌ أرتجيه في شدَّتي ورخائى

وقال فيه أيضاً:

يا آل طه! من أتى حبّكم مؤمِّلاً إحسانكم لا يُضامْ

لـذنا بكم يـا آل طه! وهـل ... يُضام من لاذ بقـوم كـرامْ؟
تـزدحـم النّـاس بـأعتـابكـم ... والمنهـل العـذب كثيـر الزّحـامْ
مَن جـاءكم مستمـطراً فضلكم ... فـاز من الجـود بـأقصى مـرامْ
يـا سادتي يـا بضعـة المصطفى ... يا من لهم في الفضل أعلى مقامْ!
أنـتـم مـلاذي وعـيـاذي ولـي ... قلبٌ بكم يـا سـادتي مستهـامْ
وحـقّـكـم إنّـي مـحـبٌ لـكـم ... محبّـة لا يعتـريهـا انصـرامْ
وقفت فـي أعتـابكـم هـائمـاً ... ومـا على مَن هـام فيكم مـلامْ
يـا سبط طـه يـا حسينـاً على ... ضريحك المـأنوس منّي السـلامْ
مشهـدك السّـامي غـدا كعبـةً ... لنـا طـوافٌ حـولـه واستـلامْ
بيتٌ جـديـدٌ حـلّ فيه الهـدى ... فصـار كـالبيت العتيق الحـرامْ
تفـديك نفسي يـا ضريحـاً حوى ... حسينـاً السبط الإمـام الهمـامْ
إنّـي تـوسّلت بـمـا فيـك مـن ... عـزٍّ ومجـدٍ شـامخٍ واحتشـامْ
يـا زائـراً هـذا المقـام اغتنم ... فكم لمن يسعى إليـه اغتنـامْ؟
يـنـشـرح الـصّـدر إذا زرتـه ... وتنجلي عنـه الهمـوم العـظامْ
كـم فيـه مـن نـورٍ ومن رونـقٍ ... كـأنّـه روضـة خيـر الأنـامْ

وقال الحمزاوي العدوي المتوفّى سنة ١٣٠٣ في «مشارق الأنوار» ص ٩٢ بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين الشريف: واعلم أنّـه ينبغي كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسّلاً به إلى الله، ويطلب من هذا الإمام ما كان يُطلب منه في حياته فإنّه باب تفريج الكروب، فبزيارتـه يزول عن الخطب الخطوب، ويصل إلى الله بأنواره والتوسّل به كلّ قلب محجوب، ومن ذلك ما وقع لسيِّدي العارف بالله تعالى سيِّدي محمّد شلبي شارح «العزيّة» الشهير بابن الستّ وهو أنّه قد سرقت كتبه جميعها من بيته قال: فتحير عقله واشتدّ كربه فأتى إلى مقام وليٍّ نعمتنا الحسين منشداً لأبيات استغاث بها فتوجّه إلى بيتـه بعد الزِّيارة ومكثه في المقام مدّة فوجد كتبه في محلّها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها وها هي الأبيات:

أيحوم حول من التجا لكُمُ أذى؟ ... أو يشتكي ضيماً وأنتم سادتـه؟!

حاشا يُردُّ من انتمى لجنابكم ... يا آل أحمد! أو تسرُّ شوامته
لكم السيادة مِن ألست بربِّكم ... ولكم نطاق العزِّ دارت هالته
هل ثَمَّ بابٌ للنبيِّ سواكُمُ ... من غيركم من ذي الورى ريحانته؟!
تبّاً لطرف لا يشاهد مشهداً ... يحوي الحسين وتستلمه سلامته
فالزم رحاباً ضمَّ سبط محمّدٍ ... ما أمَّه راجٍ وعيقت حاجته
ها خادماً للحبِّ يرفع حاجة ... ممّا يلاقي من بلايا هالته

أمدَّنا الله من فيض أمداده، ومتَّعنا من فيض قربه، وتقبيل أعتابه، وذكر لبعضهم في ذلك المشهد قوله:

منزلٌ كمَّل الإله سناهُ ... تتوارى البدور عند لقاهُ
خصَّه ربّنا بما شاء في الأر ... ض تعالى من في السَّماء إلٰهُ
صانه زانه حماه وقاه ... وكساه بمنّه ورضاهُ
إن غدا مسكناً لعزَّة آل الـ ... ـبيت من ثمَّ قدره وعلاهُ
الإمام الحسين أشرف مولى ... أيَّد الدِّين سرَّه ووقاهُ
مدحته آي الكتاب وجاءت ... سنَّة الهاشميِّ طرز حلاهُ

وهناك كلماتٌ ضافيةٌ تضم ما ذُكر حول مشهد الرأس الشريف لو جمعتها يد التأليف لأتت كتاباً حافلاً ، وممَّن أفرده بالتأليف الشيخ عبد الفتّاح بن أبي بكر الشهير بالرسّام الشافعيّ له رسالة: نور العين في مدفن رأس الحسين .

٧ ـ عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المتوفّى سنة ١٠١، قبره بدير سمعان يُزار بق ج ١ ص ١١٤ .

٨ ـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام الحنفيَّة المتوفّى سنة ١٥٠ . قبره في الأعظميَّة ببغداد مزار معروف، روى الخطيب في تاريخه ج ١ ص ١٢٣ عن علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلِّ يوم ـ زائراً ـ فإذا عرضت لي حاجةٌ صلَّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد حتى تُقضى. وذكره الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ج ٢ ص ١٩٩، والكردري في مناقبه ج ٢ ص ١١٢، وطاش

كبرى زادة في مفتاح السّعادة ج ٢ ص ٨٢، والخالدي في صلح الإخوان ص ٨٣ نقلاً عن السفيري وابن جماعة.

وقال ابن الجوزي في «المنتظم» ج١ ص٢٤٥: في هذه الأيّام «يعني سنة ٤٥٩» بني أبو سعد المستوفي الملقب شرف الملك مشهد أبي حنيفة وعمل لقبره ملبناً وعقد القبّة وعمل المدرسة بإزائه وأنزلها الفقهاء ورتّب لهم مدرّساً فدخل أبو جعفر ابن البياضي إلى الزّيارة فقال ارتجالاً.

ألم تـرَ أنَّ العلم كـان مضيَّعـاً فجمَّعه هذا المغيَّب في اللّحدِ؟!
كـذلك كـانت هذه الأرض ميتـةً فأنشرها جود الـعميـدِ أبي سعدِ

ثمَّ قال: قال المصنِّف قرأت بخطِّ أبي الوفاء ابن أبي عقيل قال: وضع أساس مسجد بين يدي ضريح أبي حنيفة بالكلس والنورة وغيره فجمع سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة وأنا ابن خمس سنين أو دونها بأشهر، وكان المنفق عليه تركيٌّ قدم حاجّاً، ثمَّ قدم أبو سعد المستوفي وكان حنفيّاً متعصِّباً وكان قبر أبي حنيفة تحت سقف عمله بعض امراء التركمان، وكان قبل ذلك وأنا صبيٌّ عليه خربشت خاصّاً له وذلك في سني سبع أو ثمان وثلاثين قبل دخول الغزّ بغداد سنة سبع وأربعين، فلمّا جاء شرف الملك سنة ثلاث وخمسين عزم على إحداث القبَّة وهي هذه فهدم جميع أبنية المسجد وما يحيط بالقبر وبنى هذا المشهد فجاء بالقطّاعين والمهندسين وقدَّر لها ما بين الوف آجر وابتاع دوراً من جوار المشهد وحفر أساس القبَّة وكانوا يطلبون الأرض الصّلبة فلم يبلغوا إليها إلّا بعد حفر سبعة عشر ذراعاً في ستّة عشر ذراعاً فخرج من هذا الحفر عظام الأموات الذين كانوا يطلبون جوار النعمان أربعمائة صنّ ونقلت جميعها إلى بقعة كانت ملكاً لقوم فحفر لها ودُفنت. إلى أن قال:

أخبرنا محمَّد بن ناصر الحافظ أنبأنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبّار الصيرفي قال: سمعت أبا الحسين بن المهتدي يقول: لا يصحّ أنَّ قبر أبي حنيفة في هذا الموضع الذي بنوا عليه وكان الحجيج قبل ذلك يردون ويطوفون حول المقبرة فيزورون أبا حنيفة لا يعيِّنون موضعاً.

وقال ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ٢٩٧ ، قبره مشهورٌ يزار بُني عليه المشهد والقبَّة سنة ٤٥٩ وقال ابن جُبير في رحلته ص ١٨٠ : وبالرَّصافة مشهدٌ حفيل البنيان له قبَّةٌ بيضاء ساميةٌ في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

وقال ابن بطوطة في رحلته ج١ ص ١٤٢ : قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه عليه قبَّةٌ عظيمةٌ وزاويةٌ فيها الطعام للوارد والصّادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاويةٌ يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية. ثمَّ عدَّ جملة من قبور المشايخ ببغداد فقال : وأهل بغداد لهم في كلِّ جمعة يوم لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع .

وقال الذهبي في «الدُّول» ج١ ص ٧٩ : وقبره عليه مشهدٌ كبيرٌ وقبَّةٌ عاليةٌ ببغداد وقال ابن حجر في [الخيرات الحسان][1] في مناقب الإمام أبي حنيفة في الفصل الخامس والعشرين: إنَّ الإمام الشافعيّ أيّام كان هو ببغداد كان يتوسَّل بالإمام أبي حنيفة ويجيء إلى ضريحه يزور فيسلّم عليه ثمَّ يتوسَّل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته وقال: قد ثبت أنّ الإمام أحمد توسَّل بالإمام الشافعيِّ حتّى تعجَّب ابنه عبدالله ابن الإمام أحمد فقال له أبوه: إنَّ الشافعيَّ كالشمس للناس وكالعافية للبدن. ولمّا بلغ الإمام الشافعي أنَّ أهل المغرب يتوسَّلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم.

٩ ـ مصعب بن الزبير المتوفّى سنة ١٥٧ . قال ابن الجوزي: زارت العامَّة قبره بمسكن كما يُزار قبر الحسين (عليه السّلام) [ظم ج ٧ ص ٢٠٦] .

١٠ ـ ليث بن سعد الحنفي امام مصر توفّي سنة١٧٥ ، ودفن بالقرافة الصغرى وقبره يُزار رأيته غير مرَّة [جم ١ ص ٤١٧] .

١١ ـ مالك بن أنس إمام المالكيَّة المتوفّى سنة ١٧٩ ، قبره ببقيع الغرقد

---

(١) حكاه عنه السيد أحمد زيني دحلان في خلاصة الكلام ص ٢٥٢ والدرر السنية.

في المدينة المنوَّرة. قال ابن جبير في رحلته ١٥٣ : عليه قبَّةٌ صغيرةٌ مختصرة البناء. وقد مرَّ ص ١٨٠ : أنّ الفقهاء عدّوا زيارته من آداب من زار قبر النبيِّ الأقدس (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

١٢ ـ الإمام الطاهر موسى بن جعفر عليهما السّلام المدفون بالكاظميّة الشهيد سنة ١٨٣، أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج١ ص١٢٠ بإسناده عن أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلّال [شيخ الحنابلة في عصره] يقول: ما همَّني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسَّلت به إلّا سَّهل الله تعالى لي ما أُحبّ .

وفي «شذرات الذهب» ج ٢ ص ٤٨ : توفِّي ببغداد الشريف أبو جعفر محمّد الجواد بن عليّ بن موسى الرِّضا الحسيني أحد الإثني عشر إماماً الذين تدّعي فيهم الرافضة العصمة، ودُفن عند جدِّه موسى ومشهدهما ينتابه العامّة بالزيارة .

١٣ ـ الإمام الطاهر أبو الحسن عليُّ بن موسى الرِّضا (عليه السّلام)، قال أبو بكر محمَّد بن المؤمَّل: خرجنا مع امام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى عليِّ بن موسى الرِّضا بطوس قال: فرأيت من تعظيمه يعني ابن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرُّعه عندها ما تحيَّرنا [يب ج ٧ ص ٣٨٨] .

١٤ ـ عبدالله بن غالب الحداني البصري المقتول سنة ١٨٣، قتل يوم التروية، كان النّاس يأخذون من تراب قبره كأنّه مسك يصيرونه في ثيابهم [حل ج ٢ ص ٢٥٨ ، يب ج ٥ ص ٣٥٤] .

١٥ ـ عبدالله بن عون أبو عون الخزَّار البصري. قال محمَّد بن فضالة: رأيت النبيَّ ﷺ في النوم فقال: زوروا ابن عون فإن الله يحبّه [خل ج٣ ص ٣٩، يب ج ٥ ص ٣٤٨] .

١٦ ـ عليّ بن نصر بن عليّ الأزدي أبو الحسن البصري المتوفّى سنة ١٨٩، مشهده بالبصرة معروفٌ يُزار. هامش الخلاصة ٢٣٥ .

١٧ ـ معروف الكرخي المتوفّى سنة ٢٠٠/ ١/ ٤، قال إبراهيم الحربي: قبر معروف الترياق المجرَّب. وعن الزهري أنّه قال: قبر معروف الكرخي مجرَّب لقضاء الحوائج ويقال: إنّه من قرأ عنده مائة مرّة قل هو الله أحد وسأل الله ما يريد قضى الله حاجته ورُوي عن أبي عبدالله المحاملي أنّه قال: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهمومٌ إلاّ فرَّج الله همَّه [طب ج١ ص ١٢٢].

وقال ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج٢ ص١٨٣: عن أحمد بن الفتح قال: سألت بشراً «التابعيّ الجليل» عن معروف الكرخي فقال: هيهات حالت بيننا وبينه الحجب. إلى أن قال: فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فإنّه يُستجاب له إن شاء الله تعالىٰ. وقال قبره ظاهرٌ يُتبرَّك به في بغداد، وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرَّب.

وقال في «المنتظم» ج٢ ص ٢٤٨: بُنيت تربة قبر معروف في ربيع الأوَّل سنة ٤٦٠ وعقد مشهداً راجاً بالجصِّ والآجر.

وقال ابن خلكان في تاريخه ج٢ ص ٢٢٤: وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياقٌ مجرَّب. وقبره مشهورٌ يُزار. وذكر في ص ٣٩٦ عن مرآة الزمان لأبي المظفر سبط ابن الجوزي: أنّه سمع مشايخه ببغداد يحكون أنَّ عون الدِّين قال: كان سبب ولايتي المخزن أنّني ضاق ما بيدي حتّى فقدت القوت أيّاماً فأشار عليّ بعض أهلي أن أمضي إلى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه فأسأل الله تعالى عنده فإنَّ الدعاء عنده مستجابٌ. قال: فأتيت قبر معروف فصلَّيت عنده ودعوت ثمَّ خرجت لأقصد البلد يعني بغداد. إلى آخر ما ذكر من قصته.

وفي طبقات الشعراني ج١ ص ٦١: يستسقى بقبره، وقبره ظاهرٌ يُزار ليلاً ونهاراً.

١٨ ـ عبيدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. قال الخطيب البغدادي في تاريخه ج١ص ١٢٣: باب البردان فيها أيضاً

جماعة من أهل الفضل وعند المصلّى المرسوم بصلاة العيد قبرٌ كان يُعرف بقبر النذور ويقال: إنَّ المدفون فيه رجلٌ من ولد عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرَّك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته، حدَّثني القاضي أبو القاسم عليُّ بن المحسن التنوخي، قال: حدَّثني أبي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة ونحن مخيِّمون بالقرب من مصلّى الأعياد في الجانب الشرقي في مدينة السَّلام نريد الخروج معه إلى همذان في أوَّل يوم نزل المعسكر فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور، فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل: قبره لعلمي بطيرته من دون هذا واستحسن اللفظة، وقال: قد علمت أنَّه قبر النذور وإنَّما أردت شرح أمره فقلت: هذا يُقال إنّه قبر عبيد الله بن محمّد بن عمر بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب. ويُقال: إنَّه قبر عبيدالله بن محمّد بن عمر بن عليٍّ بن أبي طالب، وإنَّ بعض الخلفاء أراد قتله خفيّاً فجعلت له هناك زُبية وسير عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حيّاً، وإنّما شهر بقبر النذور لأنّه ما يكاد يُنذر له نذرٌ إلّا صحَّ وبلغ الناذر ما يريد، ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحد من نذر له مراراً لا أحصيها كثرةً نذوراً على أمور متعذِّرة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبَّل هذا القول وتكلّم بما دلّ على أنَّ هذا إنّما يقع منه اليسير اتّفاقاً فيتسوّق العوام بأضعافه ويسيِّرون الأحاديث فيه. فأمسكت فلمّا كان بعد أيّام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور. فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع فدخله وزار القبر وصلّى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحدٌ، ثمَّ ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أيّاماً ثمَّ رحل ورحلنا معه يريد همذان فبلغناها وأقمنا فيها معه شهوراً فلمّا كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألست تذكر ما حدَّثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى. فقال: إنّي خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أنَّ جميع ما يُقال فيه كذبٌ، فلمّا كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمرٌ خشيت أن يقع ويتمَّ وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر

عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهباً فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور فقلت: لِمَ لا أجرِّب ذلك؟ فنذرت: إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل لصندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً، فلمّا كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدَّمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف ـ يعني كاتبه ـ أن يكتب إلى أبي الريّان ـ وكان خليفته في بغداد ـ يحملها إلى المشهد. ثمَّ التفت إلى عبد العزيز ـ وكان حاضراً ـ فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب.

١٩ ـ أبو عبدالله محمّد بن إدريس الشافعيّ إمام الشافعيّة المتوفّى سنة ٢٠٤، دُفن بالقرافة الصغرى وقبره يُزار بها بالقرب من المقطم «خل ج٢ ص ٣٠»، وقال الجزري في «طبقات القُراء» ج ٢ ص ٩٧: والدّعاء عند قبره مستجابٌ ولمّا زرته قلت:

زرتُ الإمامَ الشّافعي لأنَّ ذلك نافعي
لأنال منه شفاعةً أكرِمْ به مِن شافعِ

وقال الذهبي في «دول الإسلام» ج٢ ص ١٠٥: إنَّ الملك الكامل عمَّر قبَّة على ضريح الشافعي رحمة الله عليه.

٢٠ ـ أبو سليمان الداراني المتوفّى سنة ٢٠٥ «أحد الأئمّة» دُفن في قرية داريا، في قبلتها وقبره بها مشهورٌ وعليه بناءٌ وقد جدَّد مزاره في زماننا هذا «يه ج ١٠ ص ٢٥٩».

٢١ ـ السيِّدة نفيسة ابنة أبي محمّد الحسن بن زيد بن عليّ بن أبي طالب، توفِّيت سنة ٢٠٨ ودُفنت بدرب السباع وقبرها معروفٌ بإجابة الدّعاء عنده وهو مجرَّب رضي الله عنها «خل ج ٢ ص ٣٠٢».

٢٢ ـ أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المتوفّى سنة ٢٤١، قبره ظاهرٌ مشهورٌ يُزار ويتبرّك به. كذا في مختصر طبقات الحنابلة ص ١١، وقال الذهبي في «ل ج ١ص١١٤»: ضريحه يُزار ببغداد. وحكى ابن الجوزي في «مناقب أحمد» ص ٢٩٧ عن عبدالله ابن موسى قال: خرجتُ أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور

أحمد فاشتدَّت الظلمة فقال أبي: يا بُنيَّ تعال حتّى نتوسّل إلى الله تعالى بهذا العبد الصّالح حتّى يُضيء لنا الطريق فإنّي منذ ثلاثين سنة ما توسّلت به إلاّ قُضيت حاجتي فدعا أبي وأمّنتُ على دعائه فأضاءت السّماء كأنّها ليلةٌ مقمرةٌ حتّى وصلنا إليه.

وقال في ص ٤١٨: عن أبي الحسن التميمي عن أبيه عن جدِّه أنَّه حضر جنازة أحمد بن حنبل قال: فمكثتُ طول أسبوع رجاء أن أصل من ازدحام الناس عليه فلمّا كان بعد أسبوع وصلتُ إلى قبره.

قال في «المنتظم» ج ١٠ ص ٢٨٣: وفي أوائل جمادى الآخرة ـ سنة ٥٧٤ ـ تقدَّم أمير المؤمنين بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد بن حنبل فعمل ونقضت السترة جميعها وبنيتْ بآجر مقطوع جديدة وبني له جانبان ووقع اللوح الجديد وفي رأسه مكتوبٌ: هذا ما أمر بعمله سيِّدنا ومولانا المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين. وفي وسطه: هذا قبر تاج السنّة وحيد الأُمّة العالي الهمّة العالم العابد الفقيه الزاهد الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني رحمه الله. وقد كُتب تاريخ وفاته وآية الكرسي حول ذلك، ووعدت بالجلوس في جامع المنصور فتكلّمتُ يوم الاثنين سادس عشر جمادى الاولى، فبات في الجامع خلقٌ كثير وخُتمت ختمات واجتمع للمجلس بكرة ما حزر بمائة ألف وتاب خلقٌ كثير وقطعت شعور ثمَّ نزلتُ فمضيتُ إلى زيارة قبر أحمد فتبعني من حزر بخمسة آلاف.

وقال ابن بطوطة في الرِّحلة ج١ ص١٤٢: قبره لا قبّة عليه، ويذكر أنّها بنيت على قبره مراراً فتهدَّمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظَّم. وفي مختصر طبقات الحنابلة ص ٣٧: تقدَّم أمير المؤمنين في سنة ٥٢٧[1] بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد وحصل للشيخ أبي الفرج وللحنابلة التعظيم الزائد وجعل الناس يقولون للشيخ: هذا كلّه بسببك.

(١) في هذا التاريخ تصحيف ولم يكن يولد فيه المستضيء بأمر الله القائم بعمل اللوح وكان أوائل بلوغ ابن الجوزي الحلم فالصحيح ما مر في كلمة ابن الجوزي.

الله يزور أحمد بن حنبل كلَّ عام لنصرته كلامه

روى ابن الجوزي في «مناقب أحمد» ص ٤٥٤ قال: حدَّثني أبو بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي ـ وكان شيخاً صالحاً ـ قال: كان قد جاء في بعض السنين مطرٌ كثيرٌ جدّاً قبل دخول رمضان بأيّام فنمتُ ليلة في رمضان فأريتُ في منامي كأنِّي قد جئتُ على عادتي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره فرأيتُ قبره قد التصق بالأرض مقدار ساف(١) أو سافين فقلتُ: إنّما تمّم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث فسمعته من القبر وهو يقول: لا بل هذا من هيبة الحقِّ عزَّ وجلَّ لأنَّه عزَّ وجلَّ قد زارني فسألته عن سرِّ زيارته ايّاي في كلِّ عام فقال عزَّ وجلَّ: يا أحمد لأنَّك نصرت كلامي فهو يُنشر ويُتلى في المحاريب . فأقبلت على لحده أقبِّله ثمّ قلت: يا سيِّدي ما السرّ في أنَّه لا يقبَّل قبرٌ إلّا قبرك؟ فقال لي : يا بُنيَّ ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله ﷺ لأنَّ معي شعراتٌ من شعره ﷺ ، ألا ومَن يحبّني يزورني في شهر رمضان . قال ذلك مرَّتين .

من يزور أحمد غفر الله له

أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٤٦ عن أبي بكر بن أنزويه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ومعه أحمد بن حنبل فقلتُ: يا رسول الله مَن هذا؟ فقال: هذا أحمد وليُّ الله ووليُّ رسول الله على الحقيقة وانفق على الحديث ألف دينار. ثمَّ قال: مَن يزوره غفر الله له، ومَن يبغض أحمد فقد أبغضني، ومَن أبغضني فقد أبغض الله.

وأخرج الخطيب البغدادي عن عبد العزيز قال: سمعتُ أبا الفرج الهندبائي يقول: كنتُ أزور قبر أحمد بن حنبل فتركته مدَّة فرأيتُ في المنام قائلاً يقول لي: تركت زيارة قبر إمام السنَّة؟ «طب ج ٤ ص٤٢٣ ،مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٤٨١».

(١) الساف والسافة: الصف من الطين أو اللبن ج آسف وسافات.

قال ابن الجوزي: وفي صفر سنة ٥٤٢ رأى رجلٌ في المنام قائلاً يقول له: من زار أحمد بن حنبل غُفر له. قال: فلم يبق خاصٌّ ولا عامٌّ إلاّ زاره وعقدت يومئذ ثمَّ مجلساً فاجتمع فيه ألوفٌ من النّاس [يه ج ١٢ ص ٣٢٣].

فضل زوار قبر أحمد

أخرج ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٤٨١ عن أحمد بن الحسين عن أبيه قال قال الشيخ أبو طاهر ميمون: يا بُنيَّ رأيت رجلاً بجامع الرُّصافة في شهر ربيع الأوَّل من سنة ستين وأربعمائة فسألته فقال: قد جئت من ستمائة فرسخ. فقلت: في أيِّ حاجة؟ قال. رأيت وأنا ببلدي في ليلة جمعة كأنّي في صحراء أو في فضاء عظيم والخلق قيامٌ وأبواب السَّماء قد فُتحت وملائكةٌ تنزل من السَّماء تلبس أقواماً ثياباً خضراً ويطير بهم في الهواء فقلت: مَن هؤلاء الذين قد اختصّوا بهذا؟ فقالوا لي: هؤلاء الذين يزورون أحمد بن حنبل فانتبهت ولم ألبث أن أصلحت أمري وجئت إلى هذا البلد وزرته دفعات وأنا عائدٌ إلى بلدي إن شاء الله.

بركة قبر أحمد وجواره

أخرج ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٤٨٢ عن أبي يوسف بن بختان ـ وكان من خيار المسلمين ـ قال: لمّا مات أحمد بن حنبل رأى رجلٌ في منامه كأنَّ على كلِّ قبر قنديلاً فقال: ما هذا؟ فقيل له: أما علمت أنَّه نورٌ لأهل القبور ينوِّرهم بنزول هذا الرَّجل بين أظهرهم وقد كان فيهم من يعذَّب فرحم.

وبإسناده عن عبيد بن شريك قال: مات رجلٌ مخنَّث فرُئي في النوم فقال: قد غُفر لي، دفن عندنا أحمد بن حنبل فغفر لأهل القبور.

وبإسناده في ص ٤٨٣ عن أبي عليّ الحسن بن أحمد الفقيه قال: لمّا ماتت امُّ القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل فرآها بعد ليال فقالت: يا بُنيَّ رضي الله عنك فلقد دفنتني في جوار رجل ينزل على قبره في كلِّ ليلة ـ أو قالت في كلِّ ليلة جمعة ـ رحمة تعمُّ بجميع أهل المقبرة وأنا منهم.

قال: قال أبو علي وحكى أبو ظاهر الجمّال ـ شيخٌ صالحٌ ـ قال قرأت ليلة وأنا في مقبرة أحمد بن حنبل قوله تعالى: فمنهم شقيٌّ وسعيد. ثمَّ حملتني عيني فسمعت قائلاً يقول: ما فينا شقيٌّ والحمد لله ببركة أحمد.

وقال: بلغني عن بعض السَّلف القدماء قال: كانت عندنا عجوزٌ من المتعبِّدات قد خلت بالعبادة خمسين سنة فأصبحت ذات يوم مذعورة فقالت: جاءني بعض الجنّ في منامي فقال: إنِّي قرينك من الجنِّ وإنَّ الجنَّ استرقت السّمع بتعزية الملائكة بعضها بعضاً بموت رجل صالح يقال له: أحمد بن حنبل. وتربته في موضع كذا وإنَّ الله يغفر لمن جاوره فإن استطعت أن تجاوريه في وقت وفاتك فافعلي فإنِّي لك ناصحٌ وإنَّك ميِّتةٌ بعده بليلة. فماتت كذلك فعلمنا أنَّه منامٌ حقّ.

قال الأميني: هذه نماذج من كلمات الحنابلة في زيارة قبر إمامهم أحمد وبركة جواره، وهذه سيرتهم المطّردة فيها وفي زيارة قبور مشايخهم كما يأتي، فشتّان بينها وبين ما تَره ابن تيميَّة ومن لفَّ لفّه، فإنَّهم شذّوا عن تلكم الآراء، وأتوا بأحداث تافهة، وعزوا إلى الإسلام ما لا يُرصف به.

٢٣ ـ ذو النون المصري المتوفّى سنة ٢٤٦، دفن في القرافة الصغرى وعلى قبره مشهدٌ مبنيٌّ وفي المشهد قبور جماعة من الصّالحين وزرته غير مرَّة. قاله ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ١٠٩.

٢٤ ـ بكار بن قتيبة بن أسد الثقفي البكراوي البصري الحنفي الفقيه المتوفّى بمصر سنة ٢٧٠، دُفن بالقرافة وقبره مشهورٌ يزار ويتبرَّك به ويُقال: إنَّ الدُّعاء عند قبره مستجابٌ. جم ج ١ ص ١٧٠.

٢٥ ـ إبراهيم الحربي المتوفّى سنة ٢٨٥، دُفن في بيته وقبره ظاهرٌ يتبرَّك الناس به. قاله ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٥٠٩، وصفة الصفوة ج٢ ص ٢٣٢.

٢٦ ـ إسماعيل بن يوسف أبو علي الدّيلمي، قال المعافي: الناس

يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخي وبينهما قبورٌ يسيرةٌ وقد زرته مراراً. صف ج ٢ ص ٢٣٣ .

٢٧ ـ عليّ بن محمَّد بن بشّار أبو الحسن المتوفّى سنة ٣١٣، قبره ببغداد اليوم ظاهرٌ يُتبرَّك به. ظم ج ٦ ص ١٩٩ .

٢٨ ـ يعقوب بن إسحاق أبو عوانة النيسابوري ثمَّ الاسفرائيني الحافظ الشهير المتوفّى سنة ٣١٦،قال الذهبي في تذكرته ج٣ ص٣: قبر أبي عوانة عليه مشهدٌ مبنيٌّ باسفرائين يُزار وهو بداخل المدينة. وقال الحافظ ابن عساكر: إنَّ قبر أبي عوانة باسفرائين مزار العالم ومتبرّك الخلق، وبجنب قبره قبر الرّاوية عنه أبي نعيم، وقريب من مشهده مشهد الإمام أبي إسحاق الاسفرائيني، والعوام يتقرَّبون إلى مشهد أبي إسحاق أكثر ممّا يتقرَّبون إلى أبي عوانة، وهم لا يعرفون قدر هذا الإمام الكبير المحدِّث أبي عوانة، لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة أبي إسحاق، وكان جدِّي إذا وصل إلى مشهد الاستاذ أبي إسحاق لا يدخله احتراماً بل كان يُقبِّل عتبة المشهد، وهي مرتفعةٌ بدرجات، ويقف ساعةً على هيئة التعظيم والتوقير، ثمَّ يعبر عنه كالمودِّع لعظيم الهيبة والقدر، وإذا وصل إلى مشهد أبي عوانة كان أشدَّ تعظيماً له وإجلالاً وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك رحمهم الله أجمعين. خل ج ٢ ص ٤٦٩ ملخَّصاً .

٢٩ ـ أبو محمّد عبدالله بن أحمد ابن طباطبا المصري المتوفّى سنة ٣٤٨، دُفن بمصر وقبره معروفٌ ومشهورٌ بإجابة الدعاء، رُوي أنَّ رجلاً حجَّ وفاتته زيارة النبيِّ ﷺ فضاق صدره لذلك فرآه ﷺ في نومه فقال له: إذا فاتتك الزِّيارة فزر قبر عبدالله بن أحمد ابن طباطبا وكان صاحب الرؤيا من أهل مصر [خل ج ١ ص ٢٨٢] .

٣٠ ـ الحافظ أبو الفضل صبح بن أحمد التميمي السمسار المتوفّى سنة ٣٨٤، الدعاء عند قبره مستجابٌ [هب ج ٣ ص ١٠٩] .

٣١ ـ الحافظ أبو الحسن عليّ بن محمّد العامري المتوفّى سنة ٤٠٣، عكف الناس على قبره ليالي يقرؤن القرآن ويدعون له، وجاء الشعراء من كلِّ

أوب يرثون ويترحمون. يه ج ١١ ص ٣٥١.

٣٢ ـ أبو سعيد عبد الملك بن محمّد الخركوشي المتوفّى سنة ٤٠٦، قبره بنيسابور مشهورٌ يزار ويتبرَّك به. شفاء السِّقام للسبكي ص ٢٩.

٣٣ ـ محمّد بن الحسن أبو بكر ابن فورك الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٠٦، دفن بالحيرة من نيسابور ومشهده بها ظاهرٌ يزار ويُستسقى به وتجاب الدعوة عنده خل ج ٢ ص ٥٧.

٣٤ ـ أبو عليّ الحسن بن أبي الهيبش المتوفّى سنة ٤٢٠، قال ابن الجوزي في «المنتظم» ج٨ ص٤٦: قبره ظاهرٌ بالكوفة وقد عمل عليه مشهدٌ وقد زرته في طريق الحجِّ.

٣٥ ـ أبو جعفر بن أبي موسى المتوفّى سنة ٤٧٠ «كان إمام الحنابلة في وقته بلا مدافعة» نُبش قبر أحمد بن حنبل ودفن فيه ولزم الناس قبره فكانوا يبيتون عنده كلّ ليلة أربعاء ويختمون الختمات فيقال: إنَّه قرىء على قبره تلك الأيّام عشرة آلاف ختمة ـ هب ج٣ ص ٣٣٧ ـ وقال ابن الجوزي في «المنتظم» ج ٨ ص ٣١٧: كان الناس يبيتون هناك كلَّ ليلة أربعاء ويختمون الختمات وتخرج المتعيِّشون فيبيعون المأكولات وصار ذلك فرجةً للناس، ولم يزالوا كذلك إلى أن جاء الشتاء فامتنعوا فختم على قبره في تلك المدَّة أكثر من عشرة آلاف ختمة. وقال ابن كثير: دُفن إلى جانب الإمام أحمد فاتَّخذت العامَّة قبره سوقاً كلّ ليلة أربعاء يتردَّدون إليه. يه ج ١٢ ص ١١٩.

٣٦ ـ المعتمد على الله أبو القاسم محمّد بن المعتضد اللخمي الأندلسي المتوفّى سنة ٤٨٨، اجتمع عند قبره جماعةٌ من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح ويجزل لهم المنائح فرثوه بقصائد مطوَّلات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر رثاه بقصيدة منها:

قبَّلت في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلت قبرك موضع الإنشاد

ولَمّا فرغ من إنشادها قبَّل الثرى ومرَّغ جسمه وعفَّر خدَّه فأبكى كلَّ من

حضر. هب ج ٣ ص ٣٩٠ .

٣٧ ـ نصر بن إبراهيم المقدسي المتوفّى سنة ٤٩٠، شيخ الشافعيّة توفّي بدمشق ودفن بباب الصغير وقبره ظاهرٌ يزار، قال النووي: سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجابٌ. هب ج ٣ ص ٣٩٦ .

٣٨ ـ أبو الحسن عليّ بن الحسن المصري فقيه الشافعيَّة المتوفّى سنة ٤٩٢ ، قال ابن الأنماطي: قبره بالقرافة يُعرف بإجابة الدُّعاء عنده ، هب ج ٣ ص ٣٩٩ .

٣٩ ـ عليّ بن إسماعيل محمّد المتوفّى سنة ٥٥٩، قبره بفاس من مزاراتها المتبرَّك بها المجاب عنده الدُّعاء قاله السّاحلي. وفي «نيل الابتهاج» ١٩٨. زرت قبره مراراً بفاس.

٤٠ ـ الخضر بن نصر الأربلي الفقيه الشافعي المتوفّى سنة ٥٦٧/ ٩، قال ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٨٧ نقلاً عن تاريخ ابن خلكان: قبره يُزار وقد زرته غير مرَّة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبرَّكون به[1].

٤١ ـ نور الدِّين محمود بن زنكي المتوفّى سنة ٥٦٩، قال ابن كثير: قبره بدمشق يُزار ويحلق بشباكه ويطيب ويتبرَّك به كلُّ مارٍّ فيقول: قبر نور الدِّين الشهيد. [يه ج ١٢ ص ٢٨٤]. وفي [هب ج٤ ص٢٣١] :روي أنَّ الدعاء عند قبره مستجابٌ ويقال: إنَّه دُفن معه ثلاث شعرات من شعر لحيته ﷺ فينبغي لمن زاره أن يقصد زيارة شيءٍ منه ﷺ.

٤٢ ـ القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفّى سنة ٥٩٠، دُفن بالقرافة وقبره مشهورٌ معروفٌ يُقصد للزِّيارة وقد زرته مرّات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشاطبيَّة عند قبره ورأيت بركة الدعاء عند قبره بالإجابة رحمه الله ورضي عنه. طبقات القرّاء ج ٢ ص ٢٣.

٤٣ ـ أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العبّاس السبتي نزيل مراكش والمتوفّى

(١) في هذه العبارة زيادة وتغيير على ما في تاريخ ابن خلكان ١ ص ١٨٩ .

بـهـا سـنـة ٦٠١، قبره معروفٌ مزارٌ مزاحمٌ عليه مجرَّب الإجابة، زرته مراراً لا تُحصى، وجرّبت بركته غير مرَّة، وقال ابن الخطيب السَّلماني في كـلام له: ويبلغ وارد ذلك المزار في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهب عينٍ، وربما وصل بعض الأيّام ألف دينار وتُصرف كلّها في ذوي الحاجات المحتفّين به من أهالي تلك الدِّيار. قال صاحب «نيل الابتهاج» بعد كلام طويل حـول هذا المـزار: قلت: وإلى الآن ما زال الحال على ما كان عليه في روضته من ازدحامٍ الخلق عليها وقضاء حوائجهم، وقد زرته ما يزيد على خمسمائة مرَّة، وبتُّ هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة، وشاهدت بركته في الأمور. ثـمَّ ذكر قصَّة يهوديٍّ توسَّل به وقُضيـت حاجته. راجع «نيل الابتهاج» ص ٦٢.

٤٤ ـ محمّد بن أحمد الحنبلي أبو عمرو المقدسي المتوفّى سنة ٦٠٧، قبره يُزار ولمّا دُفن رأى بعض الصّالحين في منامه تلك الليلة النبيَّ ﷺ وهـو يقول: من زار أبا عمرو ليلة الجمعة فكأنّما زار الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه. هب ج ٥ ص ٣٠.

٤٥ ـ سيف الدِّين أبو الحسن القميري المتوفّى سنة ٦٥٣ بنابلس، الدُّعاء عند قبره مستجابٌ. هب ج ٥ ص ١٦١.

٤٦ ـ إسحاق بن يحيى أبو إبراهيم الأعرج المتوفّى بفـاس سنة ٦٨٣، الدُّعاء عند قبره مستجابٌ. نيل الابتهاج ص ١٠٠.

٤٧ ـ الشيخ أحمد بن علي البـدوي المتوفّى سـنة ٦٧٥، دُفن بطنـدنة وجعلوا على قبره مقاماً واشتهرت كراماته وكثرت النذور إليه. هب ج٥ ص٣٤٦.

٤٨ ـ الشيّخ حسين الجاكي المتوفّى سنة ٧٣٠، قبره ظاهرٌ يُزار كلّ ليلة أربعاء وصبيحتها. طش ج٢ ص ٢.

٤٩ ـ الشيّخ أحمد بن علوان، قال اليافعي في مرآته ج٤ ص ٣٥٧: ومِن كراماته أنَّ ذرّيَّة الفقهاء الذين كانوا ينكرون علي صاروا يلوذون عند النوائب بقبره ويستجيرون من خوف السلطان به، وإلى ذلك وبعض مناقبه الحميدة أشرت في قصيدة. ثمَّ ذكر خمسة أبيات.

٥٠ ـ أبو عليّ بن بنان، يتبرَّك أهل بلد (دير العاقول) بزيارة قبره. طب ج ١٤ ص ٤٢٧.

٥١ ـ أبو عبدالله القرشي الأندلسي توفِّي ببيت المقدس قبره مقصودٌ بالزِّيارة هب ج ٤ ص ٣٤٢.

٥٢ ـ الشيّخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس باعلوي توفِّي سنة ٩١٤ بعدن وقبره بها أشهر من ا لشّمس الضاحية يُقصد للزِّيارة والتبرُّك من الأماكن البعيدة. سبعةٌ في «تريم» يعتقد أهل زبيد أنَّ من زارهم سبعة أيّام متوالية قُضيت حاجته، قال الشيخ عليّ بن أبي بكر في الثناء عليهم:

بباب سهام سبعةٌ من مشايخ	لقاصدهم ذخرٌ وكنزٌ لمقللِ
فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي	وأفلح مياد كذا ابن الرِّضا الولي
زيارتهم نجحٌ لكلِّ حوائج	وفي الخلد سكنى للذي زار مقبلِ
«تريم» بها منهم ألوف عديدة	بساحة بشّار شموس الهدى قلِ
زيارة كلٍّ منهمُ صحّ أنَّها	لما شئت من جلبٍ ودفعٍ محصَّلِ
وإنْ قيل ترياقٌ ببغداد جرِّبا	وفي ربع بشّار شفا كلِّ معضلِ

إلى آخر الأبيات. «النور السافر» ص ٨٠، ٨١. «شذرات الذهب» ج ٨ ص ٦٤.

توجد في المعاجم وكتب التراجم والتاريخ أضعاف ما ذكر من القبور المزورة اقتصرنا بالمذكور روماً للاختصار.

منتهى القول في زيارة القبور

هذا قليلٌ من كثير ممّا تداول بين أجيال المسلمين منذ عهدهم المتقادم من لدن عهد الصّحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان ثمَّ في أدوارهم المتتابعة من زيارة قبر نبيّهم الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومراقد الأئمّة والأولياء والصّالحين والعلماء وشدّ الرِّحال إليها، والتوسّل والاستشفاع بها، وفي الزائرين علماءُ أعلامٌ وأئمّةٌ يقتدى بهم في كلٍّ من المذاهب، على أنّ نقلة هذه الأقاويل

علماءُ وقادةٌ ارتضوا تلكم الأعمال بنقلهم لها في مقام فضيلة المقبورين وأرباب هـاتيك المشـاهد، فعلى ذلـك وقع التسـالم بين فرق المسلمين في قـرونهم المتطاولة، وذلك يُنبىء عن الإجماع المتحقّق بين طبقات الامّة الإسلاميّة على استحسان ذلك كلّه وكونه سنّة متّبعة.

وأنتَ أيّها القارىء الكريم إذا أعرت لما تلوناه عليك أُذناً واعية، فهل تجد لما يصفه ابن تيميَّة ومَن يرقص لما له من مكاءٍ وتصديةٍ [نظراء القصيمي] مقيلاً من الصِّدق؟ فهل كان المسلمون الأوّلون يرون ما يأتـون به من الأعمـال في مشاهد الموتى كفريّة ثمّ يتقرّبون به إلى الله تعالى؟ حاشا لا نتّهم فرق المسلمين عامّة بمثل هذه الفرية الشائنة. وهـل تجد شيئـاً من هاتيـك الأعمال مختصّـاً بالشيعة فحسب؟ لاها الله. وهل الأعمال التي تأتي بها الشيعة عند القبور ـ وقد زعم الرَّجل أنّها كاشفةٌ عن الغلوّ والتأليـه لعليٍّ وولده ـ غير ما يأتي به أهل السنّة وفي مقدّمهم أئمّتهم عند تلكم المزارات من لدن عصر الصَّحابة حتّى اليوم من سرد ألفاظ زيارة جامعة لفضائل المزور، ومن الدعاء عند قبره، والصّلاة لديه، وختم القرآن عنده وإهداءه إليه، والتوسّل والاستشفاع به، وطلب قضاء الحاجة من الله تعالى بوسيلته والتبرّك به بالتزام أو تمريغ أو تقبيل، وتعظيمه بكـلِّ ما اقتضته حرمته واستوجبه خطره فلو صحَّت أحلام ابن تيميَّة وتابعيه وتكون هذه الأعمال بدعةً وضلالاً وغلوّاً وتألّهاً، وفاعلها خارجاً عن ربقة الإسلام لم يبق عندئذ معتنقٌ بالإسلام مند يومه الأوّل إلاّ ابن تيميَّة ومن لفَّ لفّه.

فحقيقٌ على القارىء الآن أن يقف على كلمة «القصيمي» الاخرى ويكون على بصيرةٍ من أنّ الشيعة ليس بينها وبين المذاهب الأربعة قطّ اختلاف في هذه المواضع الهامَّة وإنّما هي ممّا تسالمت عليه الامَّة الإسلاميَّة جمعاء، غيـر أنّ كتّاب الهواهي هاج هائجهم على الشيعة فأججوا عليهم نيران الإحن والشحناء، وجاؤا يقطّعون كلمة التوحيد بأقلام مسمومة، ويشقّون عصا المسلمين، ويلقون الخلاف بينهم. أُولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهوائهم.

ذكر في الصِّراع ج ٢ ص ٦٤٨ قول العلاّمة الأمين من قصيدة له:

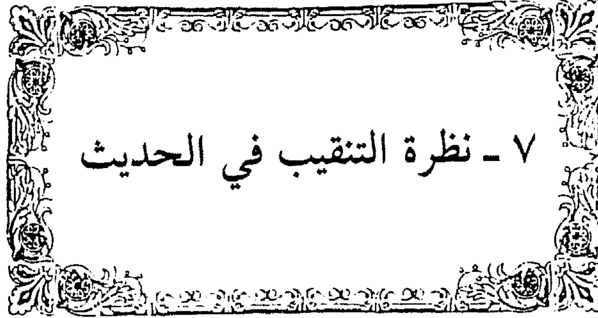
لا بـدع ان كان الـدعاء إليـه فيـ ـهـا صاعـداً وبغيرهـا لم يصعـدِ

ثمَّ قال: هذا القول عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم من أقوال الردَّة والكفر الواضح ونعوذ بالله من الخذلان. وقبل هذا البيت:

وكذا الصَّلاة لـدى القبور تبـرُّكـاً بذوي القبور فليس بالصنع الرَّدي
إنَّ الأئمَّـة من سـلالـة هـاشم ثقـل النبيِّ وقـدوةٌ لـلمقتـدي
قالوا: الصَّلاة لدى محلِّ قبورنـا في الفضل تعدل مثلها في المسجدِ
عنهم روتـه لنا الثقـات فبالهـدى عنهم إذا شئت الهـدايـة فـاقتـدِ
شرف المكان بذي المكان محقَّق وأخـو الحجـا في ذاك لم يتـردَّدِ
خيـر عبـادة ربِّـنـا فـي مثـله من غيـره فإليـه فـاعمـد واقصـدِ
وكـذلكم طلب الحوائج عندهـا من ربِّنـا أرجى لنيـل المقصـدِ
بـركـاتهـا تُـرجى لـداع انَّهـا بركات شخصٍ في الضريح موسَّدِ
لا بـدع إن كـان الـدعـاء إليـه إلخ

فقال: والقصيدة أغلبها من هذا النوع الفاحش المناقض لدين الإسلام ولغيره من أديان الله. اهـ. وعـدّ القول بـالشفاء وإجـابة الـدعاء عنـد قبر الحسين السبط عليه السلام من آفات الشيعة في ج ٢ ص ٢١.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾
[سورة الكهف؛ الآية: ٥]



٧ ـ نظرة التنقيب في الحديث

كثرت القالة حول أحاديث الشيعة من رُماة القول على عواهنه، وكلٌّ منهم اختار معاثاً، ويلوك بين شدقيه مَغمزة، فترى هذا يزعمها رقاعاً مزوَّرة تُعزى إلى الإمام الغائب(١)، وآخر يحسبها أكاذيب موضوعة على الإمامين الباقر والصّادق(٢). لا هذا يبالي بمغبَّة فريته، ولا ذاك يكترث لكشف سوأته، وفي مؤخَّر القوم كيذبانٌ أشوس شدَّد النكير عليها، وبالغ في اللغوب، وتلمَّخ بالعجب العجاب، ألا وهو: عبدالله القصيمي قال في «الصِّراع»(٣) ج ١ ص ٨٥:

الكذّابة حقّاً كثيرةٌ في رجال الشيعة وأصحاب الأهواء طمعاً في الدنيا وتزلّفاً إلى أصحابها أو كيداً للحديث والسنَّة كشفوا ذلك وأبانوه أتمَّ البيان [إلى أن قال]: وليس في رجال الحديث من أهل السنَّة من هو متَّهم بالوضع والكذابة طمعاً في الدنيا، وازدلافاً إلى أهلها، وانتصاراً للأهواء والعقائد المدخولة الباطلة. نعم: قد يوجد بينهم من ساء حفظه أو من كثر نسيانه أو من انخدع بالمدلِّسين الضعفاء، ولكن رجال التراجم والجرح والتعديل قد بيَّنوا هذا النوع كلّه.

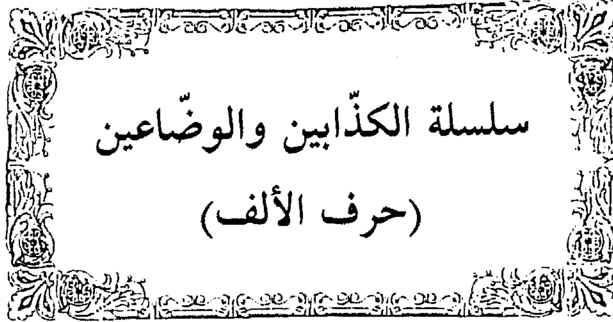
ج ـ لعلَّ الباحث يحسب لهذه الدّعاوى المجرَّدة الفارغة مسَّةً من الصِّدق أو

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا ص ٣٣٧ ـ ٣٤٥.

(٢) يجده الباحث في غير واحد من كتب القوم سلفاً وخلفاً.

(٣) مرّ بحمل القول حول هذا الكتاب في الجزء الثالث ص ٣٤٩ ـ ٣٦١.

لمسةً من الحقِّ، ذاهلاً عن أنّ الغالب على الأقلام المستأجرة اليوم هو الإفك وقول الزور؛ وأنَّ مدار رقيِّ الأُمم في وجه البسيطة وتقدُّمها على الكذب والشطط، ومحور سياسة الدّنيا في جهاتها الستِّ هو الهثُّ والدجل والتمويه، وأنَّ كثيراً من الدِّعايات في المبادىء والآراء والمعتقدات تحكّماتٌ محضة، وتقوُّلات لا طائل تحتها ملفوفة بأفانين الخبِّ والخدع، وهناك فئاتٌ مبثوثةٌ في الملإ كلّها لا تتأتّى مآربهم من زبرج الدُّنيا إلّا بزخرف القول وكذب الحديث، وتعمية الأُميِّين من الناس، وسوقهم إلى معاسيف السبل ومعاميها، ولولا تهديد المولى سبحانه عباده بقوله: ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيدٌ «ق ٥٠». ولولا الإنذار النازل في كتاب الله على كلِّ كذّاب أفّاك أثيم لما كان يسع لأحد من هؤلاء الكذّابين الدَّجّالين أن يكذب أكثر ممّا كذب، أو يأتي بأمر لم يأت به، فكلٌّ منهم أكذب من خُرافة وحُجينة، فيهمنا عندئذٍ إيقاف القارىء على حقيقة الأمر، وإماطة الستر عن سرٍّ ما ادَّعاه الرَّجل في رجال الحديث من قومه من أنّهم لا يوجد فيهم متّهم بالوضع والكذابة. إلخ. فنذكر امّة ممّن عُرفوا بالوضع والكذب فضلاً عمّن اتُّهم بهما منهم، ونقدِّم بين يدي الباحث نبذةً من الموضوعات التي لم توضع إلّا طمعاً في الدنيا، وازدلافاً إلى أهلها، أو انتصاراً للأهواء والعقائد المدخولة الباطلة، ونلمسه باليد حساب ما وضعته تلكم الأيدي الأثيمة الخائنة على قدس صاحب الرِّسالة وسنّته، فتتضح عنده جليّة الحال وله فصل الخطاب إن لم يتّبع الهوى فيضلَّ عن سبيل الله.



سلسلة الكذّابين والوضّاعين (حرف الألف)

أبان [اباء] بن جعفر أبو سعيد البصري، كذّابٌ كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ. وقد وضع على أبي حنيفة أكثر من ثلاثمائة حديث ماحدَّث بها أبو حنيفة قطّ «م ج١ ص ١٠، ت ١٢٠، لي ج٢ ص ١٣».

أبان بن فيروز أبي عيّاش مولى عبد القيس أبو إسماعيل البصري المتوفّى سنة ١٣٨، قال شعبة ردائي وخماري في المساكين صدقة إن لم يكن ابن أبي عيّاش يكذب في الحديث. وقال: لا يحلُّ الكفُّ عنه أنّه يكذب على رسول الله ﷺ. وقال أحمد إمام الحنابلة ليحيى بن معين وهو يكتب عن أبان نسخة: تكتب هذه وأنت تعلم أنّ أبان كذّابٌ؟ وقال شعبة: لأن يزني الرَّجل خيرٌ من أن يروي عن أبان. وقال: لئن أشرب من بول حماري أحبُّ إليَّ من أن أقول حدّثني أبان. لعلّه حدَّث عن أنس بأكثر من ألف وخمسمائة حديث ما لكثير شيءٍ منها أصلٌ. يب ج١ ص ٩٩]:

إبراهيم بن أبي حيّة. كذّابٌ «ت ص ٣٠».

إبراهيم بن أبي الليث المتوفّى سنة ٢٣٤ صاحب الأشجعي، كذّابٌ وضّاعٌ متروك الحديث «طب ج٦ ص ١٩٦، م ج١ ص ٢٧».

إبراهيم بن أبي يحيى أبو إسحاق المدني المتوفّى سنة ١٨٤، كذّابٌ يضع، عدّه النسائي من الكذّابين المعروفين بوضع الحديث على رسول الله «طب ج١٣ ص ١٦٨، صه ١٨».

إبراهيم بن أحمد الحرّاني الضرير، كان يضع الحديث «م ج١ ص ١٠».

إبراهيم بن أحمد العجلي المتوفّى سنة ٣٣١، كان ممّن يضع الحديث، ذكره ابن الجوزي وقال: وضع أحاديث فافتضح «م ج١ ص ١٠، لم ١ ص ٢٨».

إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البغدادي، كذّابٌ «ت ٧٨».

إبراهيم بن البراء الأنصاري المتوفّى سنة ٢٢٤/ ٥ حفيد أنس بن مالك، كذّابٌ يحدِّث عن الثقات بالموضوعات لا يجوز ذكره إلّا على سبيل القدح فيه، قال ابن عديّ، أحاديثه موضوعةٌ «م ج١ ص ١٢، ٢٦، ت ٨٧».

إبراهيم بن بكر الشيباني أبو إسحاق الأعور نزيل بغداد، أحاديثه موضوعةٌ. كان يسرق الحديث طب ج ٦ ص ٤٦، لم ج ١ ص ٤٠.

إبراهيم بن الحرات السمات معاصر الترمذي، كذّابٌ، قال: ربما وضعت أحاديث «م ج١ ص ٣٦».

إبراهيم بن زكريّا أبو إسحاق العجلي البصري، حديثه منكرٌ حدَّث بالبواطيل ويأتي عن مالك بأحاديث موضوعة «م ج١ ص ١٦».

إبراهيم بن صرمة الأنصاري، كذّابٌ خبيثٌ يكذب على الله وعلى رسوله «طب ج٦ ص ١٠٤، م ج١ ص ١٩».

إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي، رجلٌ كذّابٌ يسرق الحديث أحاديثه موضوعةٌ «م ج١ ص ٢٠».

إبراهيم بن عبدالله السفرقع المتوفّى سنة ٣٦١، كذّابٌ يضع الحديث «م ج١ ص ٢١ لم ج١ ص ٧٤».

إبراهيم بن عبد الله المخزومي المتوفّى سنة ٣٠٤. ليس بثقة حدَّث عن الثقات بأحاديث باطلة «م ج ١ ص ٢٠».

إبراهيم بن عبدالله بن همام الصنعائي. كذّابٌ وضّاعٌ «م ج١ ص ٢١، ت ١١٢، لي ج٢ ص ١٩٠».

إبراهيم بن عليّ الآمدي المتوفّى سنة ٥٧٥. كان يكذب في حكاياته ويضع، وكان فقيهاً فاضلاً «م ج١ ص ٢٤، لم ج١ ص ٨٦».

إبراهيم بن الفضل الإصبهاني أبو منصور البآر المتوفّى سنة ٥٣٠. أحد الحفّاظ كذّابٌ. كان يقف في سوق إصفهان ويروي من حفظه بسنده وكان يضع في الحال، قال معمر: رأيته في السّوق وقد روى مناكير بأسانيد الصِّحاح وكنت أتأمّله مفرطاً أظنُّ أنّ الشيطان تبدّى على صورته «م ج١ ص ٢٥، هب ج ٤ ص ٩٥، لم ج١ ص ٨٩».

إبراهيم بن مجشّر أبو إسحاق البغدادي المتوفّى سنة ٢٥٤، كذّبه الفضل بن سهل وقال ابن عديّ: يسرق الحديث. طب ج٦ ص ١٨٥ .

إبراهيم بن محمّد العكاشي. كان كذّاباً «م ج١ ص ٢٩».

إبراهيم بن منقوش الزبيدي. قال الأزدي: كان يضع الحديث «م ج١ ص ٣١، لي ج١ ص ١٦٥».

إبراهيم المهاجر المدني. كذّابٌ [ت ص ١٨] .

إبراهيم بن مهدي الأُبلي (بالضم) أبو إسحاق البصري المتوفّى سنة ٢٠٨. قال الأزدي كان يضع الحديث مشهورٌ بذاك [م ج١ ص ٣٢، صه ص ٢٩ يب ج١ ص ١٧٠].

إبراهيم بن نافع الجلاّب. بصريٌّ كذّابٌ. يب ج ١ ص ١٧٥ ، لم ج ١ ص ١١٧ .

إبراهيم بن هدبة أبو هدبة البصري. كذّابٌ خبيثٌ حدّث بالأباطيل، ووضع على أنس، كان رقّاصاً بالبصرة يُدعى إلى العرائس فيرقص لهم وكان يشرب المسكر، بقي إلى سنة مائتين [طب ج٦ ص ٢٠١، م ج١ ص ٣٣، ت ص ٦٩، ٧٣، لي ج٢ ص ٥٨، ١٠٢، ٢٣٣، ٢٤٥، لم ج١ ص ١٢٠].

إبراهيم بن هراسة الشيباني الكوفي. ليس بثقة ولا يكتب حديثه، متروكٌ كذّابٌ «لم ج١ ص ١٢١».

إبراهيم بن هشام الغسّاني المتوفّى سنة ٢٣٧. كذّابٌ «كر ج٢: ٣٠٧، لم ج١ ص ١٢٢».

إبراهيم بن يحيى بن زهير المصري. كان يكذب ويركّب الأسانيد«لم ج١ ص ١٢٤».

أبرد بن أشرس. كذّابٌ وضّاعٌ «م ج١ ص ٣٦، لي ج١ ص ١٢٩».

أحمد بن إبراهيم المزني. كان يضع الحديث ويدور بالسّاحل، له نسخةٌ موضوعة «م ج١ ص ٣٨، ت ص ٣٦».

أحمد بن إبراهيم بن موسى. كذاب لا تحلّ الرِّواية عنه «ت ٥٥».

أحمد بن أبي عمران الجرجاني المتوفّى بعد سنة ٣٦٠ . كان يضع الحديث «م ج١ ص ٥٨».

أحمد بن أبي يحيى الأنماطي. كذّابٌ له غير حديث منكر عن الثقات «م ج١ ص ٧٦».

أحمد بن أحمد أبو العبّاس البغدادي الحنبلي المتوفّى سنة ٦١٥ حافظٌ مكثرٌ كذّبه ابن الأخضر. هب ج٥ ص ٦٢ .

أحمد بن إسماعيل أبو خذافة السّهمي المتوفّى سنة ٢٥٩ صاحب مالك ابن أنس. كذّابٌ كلُّ شيءٍ تقول له يقول، حدَّث عن مالك وعن غيره بالبواطيل «طب ج٤ ص ٢٣، م ج١ ص ٣٩، يب ج١ ص ١٦».

أحمد بن بكر البالسي أبو سعيد ابن بكرويه. كان يضع الحديث«م ج ١ ص ٤٠».

أحمد بن ثابت الرازي فرخويه. لا يشكّون أنّه كذّابٌ «م ج١ ص١٤٣».

أحمد بن جعفر بن عبدالله السمسار أحد مشايخ الحافظ أبي نعيم مشهورٌ بالوضع «م ج١ ص ٤١، هب ج٢ ص ٣٧٢».

أحمد بن جعفر بن عبدالله بن يونس. مشهورٌ بالوضع ليس بشيءٍ «م ج١ ص ٤١».

أحمد بن حامد السمرقندي. كان يكذب ويحدِّث عمّن لم يلحقه مات

بعد الستين وثلاثمائة «م ج١ ص ٤٢».

أحمد بن الحسن بن أبان المصري من كبار شيوخ الطبراني. كان كذّاباً دجّالاً يضع الحديث على الثقات «م ج١ص ٤٢، ت ٦٥، ١٠٨لي ج١: ٢٩٥».

أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي المتوفّى سنة ٢٦٢. كذّابٌ يضع الحديث على الثقات «م ج١ ص ٤٢، ت ٩، ١١٤، ظم ج٥ ص ٣٤».

أحمد بن الحسين بن إقبال المقدسي أبو بكر الصائد المتوفّى سنة ٥٣٢. كذّابٌ ظهر كذبه فتركه النّاس «م ج١ ص ٤٤، لم ج١ ص ١٥٨».

أحمد بن الحسين أبو الحسين ابن السمّاك الواعظ المتوفّى سنة ٤٢٤. قال أبو الفتح المصري: لم أكتب ببغداد عمّن أُطلق عليه الكذب من المشايخ غير أربعة أحدهم أبو الحسين ابن السمّاك. وكذّبه ابن أبي الفوارس «طب ج٤ ص ١١١، ظم ج٨ ص ٧٦، م ١ ص ٤٣».

أحمد بن خليل النوفلي القومسي المتوفّى سنة ٣١٠. كذّابٌ يروي عمّن لم يُخلق «لم ج١ ص ١٦٧».

أحمد بن داود ابن أخت عبد الرزاق. من أكذب النّاس، عامّة أحاديثه مناكير «م ج١ ص ٤٥».

أحمد بن داود بن عبد الغفّار الحرّاني. كان كذّاباً يضع الحديث«ت ج٢، ٣٠ م ج١ ص ٤٥، لي ج٢ ص ٢٢، ١٧٤».

أحمد بن سليمان القرشي. متروكٌ كذّابٌ «م ج١ ص ٤٨، لي ج٢ ص ٧٤».

أحمد بن سليمان ـ أبي سليمان ـ أبو جعفر القواريري البغدادي. قال أبو الفتح الحافظ: كذّابٌ يكذب على حمّاد بن سلمة. وقال الخطيب: كذب هذا الشيخ ظاهرٌ يغني عن تعديل روايته بجواز دخول السهو عليه وإلحاق الوهم به. ثمّ ذكر شواهد على كذبه فيقول: وفي بعض ما ذكرنا دلالةٌ كافيةٌ على بيان حاله وظهور اختلاطه. [طب ج٤ ص ١٧٤ ـ ١٧٧].

أحمد بن صالح أبو جعفر الشمومي المصري نزيل مكّة. كذّابٌ وضّاعٌ صلف «يب ج١ ص ٤٢، لم ج١ ص ١٨٦».

أحمد بن طاهر بن حرملة المصري المتوفّى سنة ٢٩٢. كذّابٌ حدَّث عن جدِّه عن الشافعي بحكايات بواطيل، كان أكذب البريَّة يكذب في حديث رسول الله ﷺ إذا روى، ويكذب في حديث الناس إذا حدّث عنهم«م ج١ ص ٥٠ لم ج١ ص ١٨٩».

أحمد بن عبد الجبّار الكوفي ٢٧١/ ٢. كذّابٌ«يب ج١ ص ٥١، م ج ١ ص ٥٣».

أحمد بن عبد الرَّحمن ابن الجارود الرقّي. كذّابٌ وضّاعٌ. طب ج٢ ص ٢٤٧، م ج١ ص ٥٥، لي ج٢ ص ١٧٢.

أحمد بن عبدالله الشاشي. كذّابٌ «م ج١ ص ٥٢».

أحمد بن عبدالله الهيثمي المؤدّب أبو جعفر المتوفّى سنة ٢٧١. كان يضع الحديث. «طب ج٤ ص ٢٢٠، م ج ١ ص ٥١».

أحمد بن عبدالله الشيباني أبو علي الجويباري. كذّابٌ يضع الحديث دجّالٌ، قال البيهقي:

فإنِّي أعرفه حقَّ المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث وسمعت الحاكم يقول: هذا كذّابٌ خبيثٌ وضع كثيراً في فضائل الأعمار، لا تحلُّ رواية حديثه بوجه. وقال السيوطي: وضع ألوف أحاديث للكراميّة، وقال ابن حبّان: دجّالٌ من الدّجاجلة، روى عن الأئمّة ألوف أحاديث ما حدَّثوا بشيءٍ منها وعن الحافظ السري: إنَّه ومحمَّد بن تميم ومحمّد بن عكاشة وضعوا عشرة آلاف حديث «طب ج٣ ص ٢٩٥، التذكار ص ١٥٥، م ج١ ص ٥١، ت ص ٣٨، لب ص ٢١٣، لم ج١ ص ١٩٣، ج ٥ ص ١٨٨، لي ج١ ص ٢١».

أحمد بن عبد اللهأبو بكر الضرير. أخرج الخطيب في تاريخ بغداد ج ٤

ص ٢٣٢ بإسناده عن أنس رفعه: أتاني جبرئيل وعليه قباءٌ أسود وخفّ أسود ومنطقة وقال: يا محمّد هذا زيُّ بني عمِّك من بعدك. فقال: هذا حديث باطل إسناده كلّهم ثقات غير الضرير والحمل فيه عليه.

أحمد بن عبدالله بن محمّد أبو الحسن البكري. كذّابٌ دجّالٌ واضع القصص التي لم تكن قطُّ، فما أجهله وأقلَّ حياءه؟!«م ج١ ص ٥٣».

أحمد بن عبد الله أبو عبد الرَّحمن الفارياناتي. كان وضّاعاً مشهوراً بالوضع «لم ج١ ص ١٩٤ لي ج١ ص ٣٥٩، ج ٢ ص ٤٤».

أحمد بن عبيدالله أبو العزّ بن كادش المتوفّى سنة ٥٥٦. مشهورٌ من الشيوخ كان مخلطاً كذّاباً لا يحتجُّ بمثله، وللأئمّة فيه مقالٌ. قال ابن عساكر: قال لي أبو العزّ وسمع رجلاً قد وضع في حقّ عليٍّ حديثاً: ووضعتُ أنا في حقّ أبي بكر حديثاً: أبالله أليس فعلتُ جيِّداً؟ «لم ج١ ص ٢١٨».

أحمد بن عصمة النيسابوري. متّهمٌ هالكٌ روى خبراً موضوعاً هو آفته «م ج١ ص ٥٦».

قال الأميني: يأتي خبره الموضوع في الموضوعات.

أحمد بن عليّ بن أحمد بن صبيح. كان يكذب كثيراً كان في حدود سنة ٥٢٠ «م ج ١ ص ٥٨، لم ج ١ ص ٢٣٤».

أحمد بن علي بن الحسن بن شقيق أبو بكر المروزي. كان يضع الحديث «لي ج١ ص ١٢٩».

أحمد بن علي بن الحسن بن منصور الأسد آبادي المقري. قدم دمشق وحدّث بها، كان شيخاً كذّاباً يدَّعي ما لم يسمع.

أحمد بن علي بن سلمان[1] المروزي. متروكٌ يضع الحديث «طب ج٤ : ٣٠٣».

أحمد بن عيسى العسكري المتوفّى سنة ٢٤٣. كذّابٌ «يب ج١ ص ٦٥».

أحمد بن عيسى اللخمي المتوفّى سنة ٢٧٣. كذّبه ابن طاهر «يب ج١ ص ٦٦».

أحمد بن عيسى الهاشمي. كذّابٌ «م ج١ ص ٦٠» لعلّه العسكري.

أحمد بن عيسى الخشّاب التنيسي المتوفّى سنة ٢٩٣. كذّابٌ يضع الحديث، حدّث بأحاديث موضوعة «م ج١ ص ٥٩، لم ج١ ص ٢٣١، ت ص ٣٩، هب ج٢ ص ٣٦٦».

أحمد بن الفرج أبو عتبة الحجازي المتوفّى سنة ٢٧١. كذّابٌ لم يسمع منه شيء «طب ج٤ ص ٣٤١».

أحمد بن محمّد بن محمّد أبو الفتوح الغزالي الطوسي الواعظ المفوَّه المتوفّى سنة ٥٢٠ أخو أبي حامد. كان يضع، والغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعة، وكان يتعصب لابليس ويعذره «ظم ج٩ ص ٢٦٠، يه ج ١٢ ص ١٩٦، م ج١ ص ٧١».

أحمد بن محمّد بن الحجّاج بن رشدين أبو جعفر المصري المتوفّى سنة ٢٩٢. كان من حفّاظ الحديث، كذّابٌ يُدخل الحديث على شيوخه وهو ممّن يكتب حديثه مع ضعفه[2] وقال ابن عدي: كذّبوه وأنكرت عليه أشياء، وكان آل بيت رشدين خصّوا بالضعف من أحمد إلى رشدين «كر ج١ ص ٤٥٥، م ج ١ ص ٦٣، لم ج١ ص ٢٥٨».

أحمد بن محمّد بن حرب اللخمي الجرجاني. كان يتعمّد الكذب ويضع «م ج١ ص ٦٣، لي ج١ ص ٣».

---

(١) في لسان الميزان: سليمان.

(٢) يعني للاعتبار ولعرفان الضعيف كما نصّ عليه في غير موضع.

أحمد بن محمّد بن الحسن المقري المتوفّى سنة ٣٨٠، كذّابٌ لم يكن في الحديث ثقةً وكـان يظهـر النسك والصَّـلاح «طب ج٤ ص ٤٢٩، م ج١ ص ٦٣».

أحمد بن محمّد بن الصَّلت بن المغلس أبو العبّاس الحِمّاني المتوفّى سنة ٣٠٢ / ٨ ، وضّاع لـم يكن في الكذّابين أقـلّ حيـاءً منـه صنّف في منـاقب أبي حنيفة أحاديث باطلة كلّها موضوعةٌ، وأخرج عن الثقات أخباراً كلّها كذبٌ «طـب ج٤ ص ٢٠٧ وج ٥ ص ٣٤، ظـم ج٦ ص ١٥٧، م ج١ ص ٦٦، يه ج١١ ص ١٣١، كرج٢ ص ٥٦، لم ج١: ٢٦٩، لـي ج٢ ص ٤٢، ١٤٢»

أحمد بن محمّد بن علي أبو عبدالله الصيرفي المعروف بابن الأبنوسي المتوفّى سنة ٣٩٤، كان ممّن يتعمَّد الكذب «طب ج٥ ص ٧٠».

أحمـد بن محمّد بن علي بن حسن بن شقيق المـروزي، كـان يضـع الحديث «م ج١ ص ٦٩، لم ج١ ص ٢٨٧، لي ج١ ص ١٢٩».

أحمد بن محمّد بن عمر أبو سهل الحنفي اليمامي نزيل بغداد، كذّابٌ وضّاع متروك الحديث قال المطرز : كتبت عنه خمسمائة حديث ليس عند النـاس منـه حـرفٌ «طب ج ٥ ص ٦٦ ، كـر ج ٢ ص ٦٩ ، م ج ١ ، لي ج ١ ص ٢٤٧ ، ج ٢ ص ٢٦».

أحمد بن محمّد بن عمرو أبو بشر الكندي المـروزي نزيـل بغداد المتوفّى سنة ٣٢٣، كان فقيهاً مجوداً في السنّة وفي الردِّ على أهل البدع، وكان حافظاً عذب اللسان، ولكنّه كان يضع الأحاديث عن أبيه عن جدِّه وعن غيرهم، يكذب ويضع الحـديث على الثقات، ولـه من النسخ المـوضوعـة شيءٌ كثيرٌ «طب ج٥ ص ٧٤» وقال ابن حبّان: كان ممّن يضع المتـون ويقلّب الأسانيـد فاستحقَّ الترك، لعلّه قد قلّب على الثقات أكثر من عشرة آلاف حديث كتبت أنا منها أكثر من ثلاثة آلاف حديث لم أشكّ أنّه قلّبها. وقال الدارقطني : كان يضع الحـديث وكان عـذب اللسان حـافـظاً «م ج١ ص ٧٠ ، بق ج ٣ ص٢٣» وفي هب ج ٢ ص ٢٩٨ : هو أحد الـوضّاعين الكـذّابين مع كـونه محـدِّثاً إماماً في السنّة والردِّ على المبتدعة .

أحمد بن محمّد بن غالب الباهلي أبو عبدالله المتوفّى سنة ٢٧٥ غلام الخليل، من كبار الزهّاد ببغداد كذّابٌ وضّاع، قال الحافظ ابن عدي: سمعت أبا عبدالله النهاوندي بحرّان في مجلس أبي عروبة يقول: قلتُ لغلام الخليل: ما هذه الأحاديث الرقائق التي تحدِّث بها؟ قال: وضعناها لنرقِّق بها قلوب العامّة.

ما أظهر أبو داود السِّجستاني تكذيب أحد إلّا في رجلين: الكديمي. وغلام خليل. فذكر أحاديث ذكرها في الكديمي أنّها كذبٌ. وذكر غلام خليل فقال: ذاك ـ يعني صاحب الزنج ـ كان دجّال البصرة وأخشى أن يكون هذا ـ يعني غلام خليل ـ دجال بغداد ثمَّ قال: قد عرض عليَّ من حديثه فنظرت في أربعمائة حديث أسانيدها ومتونها كذبٌ كلّها «طب ج٥ ص ٧٩، ظم ج٥ ص ٩٥، لم ج١ ص ٢٧٣، لي ج١ ص ٢٠٠، ج ٢ ص ١٠٩».

قال الأميني:

والعجب العجاب أنَّ رجلاً هذه سيرته وهذه ترجمته غلقت بموته أسواق مدينة السَّلام وحمل نعشه إلى البصرة ودفن هناك وبنيت على قبره قبَّةٌ كما في تاريخ بغداد والمنتظم لابن الجوزي.

أحمد بن محمّد بن الفضل القيسي. كان يضع الحديث، قال ابن حبّان: خرجت إلى قريته فكتبت عنه شبيهاً بخمسمائة حديث كلّها موضوعةٌ «إلى أن قال»: ولعلّ هذا الشيخ قد وضع على الأئمَّة المرضيِّين أكثر من ثلاثة آلاف حديث «م ج١ ص ٧٧ ت ص ٤١، ٤٥، ٦٧، ٧٠».

أحمد بن محمّد بن مالك. كان يضع الحديث «ت ص ٤٧».

أحمد بن محمّد بن مصعب، أحد الوضّاعين. كر ج٥: ١٥٤].

أحمد بن محمّد بن هارون أبو جعفر البرقي، كذّابٌ كان يهم في الحديث «م ج١ ص ٧١».

أحمد بن مروان الدينوري المالكي المتوفّى سنة ٣٣٣ صاحب

المجالسة. قال الدارقطني في غرائب مالك: كان يضع الحديث «لم ج١ ص ٣٠٩».

أحمد بن منصور أبو السّعادات، ملحدٌ كذّابٌ ومن وضعه حديث يقول فيه: وبين يدي الربِّ لوحٌ فيه أسماء مَن يثبت الصورة والرؤية والكيفيَّة فيباهي بهم الملائكة «م ج١ ص ٧٥، لي ج١ ص ١٤».

أحمد بن موسى أبو الحسن ابن أبي عمران الجرجاني الفرضي المتوفّى بعد سنة ٣٦٨، أحد الحفّاظ كذّابٌ كان يضع الحديث ويركّب الأسانيد على المتون، روى مناكير عن شيوخ مجاهيل لم يُتابع عليها فكذّبوه «م ج١ ص ٧٥ هب ج٣ ص ٦٧».

أحمد بن يعقوب بن عبد الجبّار الأموي المرواني الجرجاني المتوفّى سنة ٣٦٧. كان يضع الحديث روى أحاديث موضوعة لا يستحلّ رواية شيءٍ منها «م ج١ ص ٧٧، لب ٨٤».

إسباط أبو اليسع البصري، كذّبه يحيى بن معين يب ج١ ص ٢١٢.

إسحاق بن إبراهيم الطبري، كذّابٌ لا يُكتب عنه، يأتي بالموضوعات عن الثقات «ت ج٩٥، ١٠٣، لي ج٢ ص ٧٦».

إسحاق بن إبراهيم الواسطي المؤدّب. كذّبه ابن عدي والأزدي «م ج ١ ص ٨٥، لم ج ١ ص ٣٤٨».

إسحاق بن إدريس الأسواري البصري أبو يعقوب، كذّابٌ يضع الحديث تركه النّاس «م ج١ ص ٨٦».

إسحاق بن بشر البخاري أبو حذيفة المتوفّى سنة ٢٠٦، قد أجمعوا على أنّه كذّابٌ يضع الحديث لا يحلّ حديثه إلّا على جهة التعجّب «طب ج٦ ص ٣٢٧، م ج١ ص ٨٦».

إسحاق بن بشر بن مقاتل الكاهلي أبو يعقوب المتوفّى سنة ٢٢٨، كان كذّاباً يضع الحديث «طب ج٦ ص ٣٢٩، م ج١ ص ٨٧، ت ٣٣، ٣٩

٧٦ ، ١٢٠ ، لـي ج١ص ٩١، ١٥٣ وقال: كذّابٌ وضّاعٌ بالاتّفاق، وج ٢ ص ٧٢، ٧٣، ٩٠». «كر ج٢ : ٤٤٣ ـ ٤٥ ، يب ج١ ص ٢٤١».

إسحاق بن عبدالله الأموي مولى آل عثمان بن عفّان المتوفّى سنة ١٤٤ ، كذّابٌ ذاهب الحديث يقلّب الأسانيدويرفع المراسيل «كر ج٢ ص٤٤٢ـ٤٥ ، يب ج ١ ص ٢٤١» .

إسحاق بن محمشاذ، كذّابٌ يضع الحديث على مذهب الكراميَّة، وله مصنّف في فضائل محمّد بن كرام كلّه كذبٌ موضوع «لي ج ١ ص ٢٣٨» .

إسحاق بن ناصح، من أكذب النّاس يحدِّث عن النبيِّ، عن ابن سيرين برأي أبي حنيفة «م ج ١ ص ٩٤» .

إسحاق بن نجيح الملطي الأزدي، دجّالٌ أكذب النّاس، عدوّ الله، رجل سوء خبيثٌ كان يضع الحديث «طب ج٦ ص ٣٢٤، م ج١ ص ٩٤، ت ٨٤، يب ج١ ص ٢٥٣، لي ج١ ص ٥٥، ١٠٣، ١٧٥، صه ٢٦».

إسحاق بن وهب الطهرمسي، كذّاب متروكٌ كان يضع صراحاً «م ج١ ص ٩٥، ت ٥٣، ٧١، لي ج١ ص ١٠٦، وج ٢ ص ٩٩ ، ١١٤» .

أسد بن عمرو أبو المنذر الجبلي القاضي صاحب أبي حنيفة المتوفّى سنة ١٩٠ ، كذوبٌ ليس بشيء كان يسوي الحديث على مذهب أبي حنيفة هو والريح عندهم سواء «طب ج٧ ص ١٧ ، م ج١ ص ٩٦، لم ج١ ص ٣٨٤».

إسماعيل بن أبان أبو إسحاق الغنوي الكوفي المتوفّى سنة ٢١٠ ، كذّابٌ كان يضع الحديث «طب ج٦ ص ٢٤١ : م ج١ص ٩٨، ت ١١٦ ، يب ج١ ص ٢٧١ ، لي ج١ ص ١٤٦ . صه ٢٧».

إسماعيل بن أبي اويس عبدالله المدني المتوفّى سنة ٢٢٦ ، كذّابٌ يسرق الحديث «م ج١ ص ١٠٤».

إسماعيل بن أبي زياد الشامي، كذّابٌ متروكٌ يضع الحديث «م ج١ ص ١٠٧، لي ج٢ ٧٧، ١٧٩ ، ٢٣٩».

إسماعيل بن إسحاق الجرجاني، كان يضع الحديث «م ج١، لم ج١ ص ٣٩٣».

إسماعيل بن بلال العثماني الدمياطي المتوفّى سنة ٤٦٦، كان كذّاباً «لم ج١ ص ٣٩٦».

إسماعيل بن زريق البصري، كذّابٌ «م ج١ ص ١٠٦».

إسماعيل بن شروس أبو المقدام الصفائي، كان يضع الحديث«م ج١ ص ١٠٩».

إسماعيل بن علي بن المثنى الواعظ الأسترابادي المتوفّى سنة ٤٤٨، كذّابٌ ابن كذّاب كان يقصُّ ويكذب، يركّب المتون الموضوعة على الأسانيد الصحيحة «لم ج١ ص ٤٢٣».

إسماعيل بن محمّد بن يوسف أبو هارون الفلسطيني من بيت جبريل، كذّابٌ يسرق الحديث لا يجوز الاحتجاج به«م ج١ ص ١١٤، ت ٣٩، ٥٨، ١٠٧، لي ج١ ص ١٥٢».

إسماعيل بن محمّد ابن مسلمة أبو عثمان الإصبهاني الواعظ المحتسب، قال ابن ناصر وضع حديثاً وكان يختلط. هب ج٤ : ٢٣ .

إسماعيل بن مسلم السكوني اليشكري، كان يضع الحديث«م ج١ ص ١١٦، يب ج١ ص ٣٣٣، لي ج٢ ص ١١٤».

إسماعيل بن يحيى الشيباني الشعيري، كذّابٌ «يب ج١ ص ٣٣٦».

إسماعيل بن يحيى التيمي حفيد أبي بكر الصدِّيق، كذّابٌ لا تحلُّ الرِّواية عنه، ركنٌ من أركان الكذب يضع الحديث، عامّة ما يرويه بواطيل، كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما، يحدِّث عن الثقات بما لا يتابع عليه«طب ج٦ ص ٢٤٩، لب ص ٢٠٩، م ج١ ص ١١٧، يب ج١ ص ٤٤٢، مز ج١ ص ١٠١، ١٠٦، ١٣٣، وج ٩ ص ٤٤، لي ج١ ص ٨٩، ١٠٧، ١١١، وج ٢ ص ١٦٣».

اسيد بن زيد بن نُجيح أبو محمّد الجمال المتوفّى قبل سنة ٢٢٠، كذّابٌ متروك الحديث يحدِّث بأحاديث كذب، عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه «طب ج٧ ص ٤٨، نص ج١ ص ٩٢، مز ج٢: ١٧٥، م ج١ ص ١١٩، صه ج٣٢، لي ج١ ص ٤٠٨».

أشعث بن سعيد البصري أبو الرّبيع السمّان، ليس بثقة ضعيفٌ متروك الحديث، قال هشيم: كان يكذب «يب ج١ ص ٣٥١».

أصبغ بن خليل القرطبي المالكي المتوفّى سنة ٢٧٢، إفتعل حديثاً في ترك رفع اليدين ووقف الناس على كذبه. نُقل عن أحمد بن خالد: أنّه لم يقصد أصبغ بن خليل الكذب على رسول الله ﷺ وإنّما أظهر[1] أنّه يريد تأييد مذهبه «لم ج١ ص ٤٥٩».

أصرم بن حوشب أبو هشام كتب عنه الجوزي في سنة ٢٠٢، كذّابٌ خبيثٌ يضع الحديث على الثقات طب ج٧ ص ٣١، م ج١ ص ١٢٦، ت ص ١٠، مز ج١ ص ٣٠٦، لي ج١: ١٩٨، ج٢ ص ٦، ٤٧، ٥٢.

أيّوب بن خوط أبو أميّة البصري الحبطي، متروكٌ كذّابٌ يب ج١ ص ٤٠٢، لم ج١ ص ٤٧٩ .

أيّوب بن سيّار الزهري المدني، قال النسائي: كان من الكذّابين. وقال ابن حبّان: كان يقلّب الأسانيد ويرفع المراسيل لم ج١ ص ٤٨٢ .

أيّوب بن محمّد أبو ميمون الصوري، كذّابٌ. م ج١ ص ١٣٦ .

أيّوب بن مدرك أبو عمرو الحنفي اليمامي، كذّابٌ ليس بشيءٍ روى عن مكحول نسخةً موضوعةً طب ج٧ ص ٦، كر ج٣ ص ١١١، لم ج١ ص ٤٨٨ .

حرف الباء الموحدة

باذام أبو صالح تابعيٌّ، كذّابٌ متروك. عن الكلبي قال: قال أبو صالح: كلّما حدَّثتك كذبٌ م ج١ ص ١٣٨ . يب ج١ ص ٤١٦ .

---

(١) تأمل في هذا التوجيه واضحك أو ابك.

بركة بن محمّد الحلبي، كذّابٌ يسرق الحديث ويضع م ج١ ص ١١١، نص ج١: ٧٨، لي ج٢ ص ٤، ٢٠٩.

بريه بن محمّد بن بريه أبو القاسم البيِّع، كذّابٌ مدبِّرٌ وضّاعٌ لـه كتاب، أحاديثه باطلةٌ مـوضوعـةٌ منكرة المتـون جدّاً، طب ج٧ ص ١٣٥، م ج١ ص ١٤٢.

بشر بن إبراهيم أبو سعيد القرشي الأنصاري الـدمشقي سكن البصرة، ممّن يضع الحديث على الثقات، أتى بأحاديث موضوعة لا يُتابع عليها كر ج٣ ص ٢٢٧، ت ١١٧، نص ج٤ ص: ٢٣٨، لب ج١٥٦.

بشر «بشّار» بن إبراهيم البصري أبو عمرو المفلوج، كذّابٌ يضع الحديث على الثقات م ج١ص ١٤٥ت ص ٦١، ٧٢، ٧٦، لي ج٢ ص ١٦٧، ٢٠٣.

بشر بن الحسين الإصبهاني، كذّابٌ يكذب على الزبير له نسخةٌ موضوعةٌ شبيهاًبمائة وخمسين حديثاً«م ج١ ص ١٤٧، مز ج١ ص ٥٩».

بشر بن رافع الحارثي ابن عمِّ أبي هريرة، كان يضـع الحديث، يـأتي بالطامّات موضوعة يعرفها من لم يكن الحديث صناعته كأنّه المتعمِّد لها، وقال ابن حبّان: كان يضع أشياء عمداً «يب ج١ ص ٤٤٨، لب ج٢٣٦، ت ١١٨».

بشر بن عبيد الدارسي، كذّابٌ. مز ج١ ص ١٣٧.

بشر[1] بن عون الشامي، عنده نسخة نحو مائة حديث كلّها موضوعةٌ «م ج ١ ص ١٤٩، ت ج١١٢، مز ج٢ ص ٢٢٨».

بشر بن نمير البصري المتوفّى سنة ٢٣٨، كان ركناً من أركان الكـذب كذّابٌ يضع الحديث، عامّة ما يـرويه لا يُتـابع عليـه «يب ج١ ص ٤٦١، م ج١ ص ١٥١، لي ج١ ص ١٢٦».

بكـر بن زياد البـاهلي، دجّـالٌ يضـع الحـديث «م ج١ ص ١٦٠، لي ج١ ص ٧».

---

(١) في مجمع الزوائد: بشير.

بكر بن عبدالله بن الشردود الصنعائي، كذّابٌ ليس بشيءٍ يقلّب الأسانيد ويرفع المراسيل «م ج١ ص ١٦١».

بكر بن المختار الصائغ، كذّابٌ لا تحل الرّواية عنه «ت ١٥، م ج١ ص ١٦٢».

بندار بن عمر بن محمّد أبو سعيد التميمي الرّوياني نزيل دمشق، كذّابٌ «كر ج٣ ص ٢٩٦ .

بهلوان بن شهر مزان أبو البشر اليزدي المتوفّى في القرن السّادس. كذّابٌ «لم ج٢ ص ٦٥».

«حرف الجيم»

جابر بن عبدالله اليمامي العقيلي، كان كذّاباً جاهلاً بعيد الفطنة قال ابن شاذويه: رأيتُ ببخارى ثلاثة من الكذابين: محمّد بن تميم. والحسن بن شبل. وجابر اليمامي «لم ج٢ ص ٨٧، الإصابة ج١ ص ١٥٥، لي ج١ ص ٤٥٣» .

الجارود بن يزيد أبو علي العامري المتوفّى سنة ٢٥٣ كذّابٌ متروكٌ يكذب ويضع الحديث «م ج١ ص ١٧٨، لم ج٢ ص ٩٠».

جبارة بن المغلس أبو محمّد الحمّاني المتوفّى سنة ٢٤١، قال يحيى: كذّابٌ «لب ٢٣٢، صه ٥٥».

الجرّاح بن منهال أبو العطوف الجزري المتوفّى سنة ١٦٨، منكر الحديث متروكٌ كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر «م ج١ ص ١٨١، لم ج٢ ص ٩٩».

جرير بن أيّوب البجلي الكوفي، قال أبو نعيم: كان يضع الحديث «م ج١ لم ج٢ ص ١٠١».

جرير بن زياد الطائي، كذّابٌ. نص ج١: ١٨١.

جعفر بن أبان، كان يضع الحديث «ت ١١٣».

جعفر بن الزبير الحنفي الدمشقي ثمّ البصري المتوفّى بعد سنة

١٤٠، كذّبه شعبة قال غندر: رأيتُ شعبة راكباً على حمار فقال: أذهب فأستعدُّ على جعفر بن الزبير وضع على رسول الله ﷺ أربعمائة حديث، وكان مجتهداً في العبادة «م ج١ ص ١٨٨، يب ج٢ ص ٩٠، مز ج١ ص ٢٤٨، لي ج١ ص ٦ وج ٢ ص ١٠٢، ٤٤٢، صه ٥٣».

جعفر بن عبد الواحد الهاشمي العبّاسي المتوفّى سنة ٢٥٨، من حفّاظ الحديث، كذّابٌ كان يضع الحديث ويسرقه روى أحاديث لا أصل لها «طب ج ٧ ص ١٧٥، ظم ج٥ ص ١٢، م ج١ ص ١٩١، لي ج ١ ص ٢٢٣ وج ٢ ص ٢٠، ١٩٠».

جعفر بن علي بن سهل الحافظ أبو محمّد الدوري الدقّاق المتوفّى سنة ٣٣٠، كذّابٌ فاسقٌ «طب ج٧ ص ٢٢٣، م ج١ ص ١٩١».

جعفر بن محمّد بن علي، يروي عنه الحافظ ابن عدي وقال: جعفر يضع «لي ج٢ ص ١١٠».

جعفر بن محمّد بن الفضل أبو القاسم الدقّاق المصري الشهير بابن المارستاني المتوفّى سنة ٢٨٧، كذّبه الدارقطني والصويري طب ج٧ ص ٢٣٤، ظم ج٧ ص ١٩١، لم ج٢ ص ١٢٤.

«حرف الحاء المهملة»

حارث بن عبد الرّحمٰن بن سعدالمثنى الدمشقي مولى مروان بن الحكم أو مولى أبي الجلال، كذّابٌ «كر ج ٣ ص ٤٤٢».

حامد بن آدم المروزي، كذّابٌ ممّن اشتهر بوضع الحديث «م ج ١ ص ٢٠٨، مز ١ ص ٣٧».

حباب بن حبلة الدقّاق، كذّابٌ «م ج١ ص ٢٠٨».

حبيب بن أبي حبيب أبو محمّد المصري المتوفّى سنة ٢١٨ كاتب مالك، كان يضع الحديث كان من أكذب الناس، أحاديثه كلّها موضوعة «يب ج

٢ : ١٨١، م ج١ ص ٢١٠، ت ٩٠، لب ٢١٦، لي ج١ ص ٨: ٢٣٠، صه ٦٠، مز ج٩ ص ٧٤، طب ج١٣ ص ٣٩٦».

حبيب بن أبي حبيب الخرططي المروزي، كذّابٌ كان يضع الحديث على الثقات «م ج١ ص ٢٠٩، يب ج٢ ص ١٨٢، لي ج١ ص ١٤».

حبيب بن جحدر، كذّبه أحمد ويحيى «لم ج٢ ص ١٦٩».

حرب بن ميمون العبدي أبو عبد الرَّحمن البصري، مجتهدٌ عابدٌ هو أكذب الخلق توفِّي سنة بضع وثمانين ومائة «يب ج٢ ص ٢٢٧، صه ٦٣».

حسّان بن غالب المصري، كان يقلّب الأخبار ويروي عن الأثبات الملزقات لا تحلُّ الرِّواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار، له من مالك أحاديث موضوعة «م ج١ ص ٢٢٣».

الحسن بن الحسين بن عاصم الهسنجاني، قال محمَّد بن أيّوب: كنّا لا نشكُّ نحن وعليُّ بن شهاب أنّه كذّابٌ «لم ج٢ ص ٢٠٠».

الحسن بن دينار أبو سعيد التميمي، كذّابٌ ليس بثقة «يب ج٢ص ٢٧٦، لم ج٢ ص ٢٠٥، لي ج٢ ص ١٧٣».

الحسن بن زياد أبو علي اللؤلؤي الكوفي المتوفّى سنة ٢٠٤، أحد الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة كذّابٌ خبيثٌ متروك الحديث غير ثقة ولا مأمون «طب ج ٧ ص ٣١٧، م ج١ ص ٢٢٨» وقال ابن كثير في يه ج٥ ص ٣٥٤ تركه غير واحد من الأئمّة وصرَّح كثيرٌ منهم بكذبه.

الحسن بن شبل الكرميني البخاري، شيخٌ كذّابٌ من جملة من يضع الحديث «م ج١ ص ٢٢٩».

الحسن بن عثمان أبو سعيد التستري، كذّابٌ يضع الحديث ويسرقه «م ج ١ ص ٢٣٣، لم ج٢ ص ٢٢٠، لي ج٢ ص ١٩٣».

الحسن بن الطيِّب البلخي المتوفّى سنة ٣٠٧، حدَّث بما لم يسمع عن مطين كذّابٌ حدّث بأحاديث سرقها«م ج١ ص ٢٣٣».

الحسن بن عليّ الأهوازي أبو عليٍ المتوفّى سنة ٤٤٦، كذّابٌ في الحديث والقراءة كان من أكذب الناس صنّف كتاباً أتى بالموضوعات وفضائح «م ج١ ص ٢٣٧، لي ج١ ص ١٥».

الحسن بن عليّ أبو عليٍ النخعي المعروف بأبي الأشنان، قال ابن عدي: رأيته ببغداد يكذب كذباً فاحشاً ويحدِّث عن قوم لم يرهم، وكان يلزق أحاديث قوم تفرَّدوا به على قوم ليس عندهم «طب ج٧ ص ٣٧٧، م ج١ ص ٢٣٦».

الحسن بن عليّ بن زكريّا أبو سعيد العدوي البصري المتوفّى سنة ٣١٧/ ٨/ ٩، شيخٌ قليل الحياء كذّابٌ أفاكٌ يضع الحديث على رسول الله (ﷺ) ويسرق الحديث ويلزقه على قوم آخرين، ويحدِّث عن قوم لا يُعرفون، وعامَّة ما حدَّث به (إلّا القليل) موضوعات يُتيقّن أنّه هو الذي وضعه، كذّابٌ على رسول الله (ﷺ) يقول عليه ما لم يقل، قال ابن حبّان: لعلّه قد حدَّث من الثقات بالأشياء الموضوعات ما يزيد على ألف حديث «طب ج٧ ص ٣٨٣، م ج ١ ص ٢٣٦، بق ج٣ ص ٣٢، هب ج٢ ص ٢٨١، لي ج١ ص ٥٩، ٢٢٦».

الحسن بن عليّ بن عيسى الأزدي المعاني، وضّاعٌ روى عن مالك أحاديث موضوعة. كر ج٤: ٢٣٠ .

الحسن بن عمارة بن المضرب أبو محمّد الكوفي المتوفّى سنة ١٥٣، فقيهٌ كبيرٌ كذّابٌ ساقطٌ متروكٌ وكان يضع الحديث قال شعبة: من أراد أن ينظر إلى أكذب النّاس فلينظر إلى الحسن بن عمارة «طب ج٧ ص ٣٤٩، م ج ١ ص ٢٣٩، إرشاد السّاري ج٦، ٧٣».

الحسن بن عمرو بن سيف العبدي، كذّابٌ متروكٌ «يب ج٢ ص ٣١١، م ج١ ص ٢٣٩».

الحسن بن غالب أبو علي التميمي المعروف بابن مبارك المقري

المتوفّى سنة ٤٥٨، قال السمرقندي: كان كذّاباً «ظم ج٨ ص ٢٤٣، يه ج ١٢ ص ٩٤».

الحسن بن غفير المصري العطّار، كذّابٌ كان يضع الحديث «م ج ١ ص ٢٤٠».

الحسن بن محمّد أبو علي الكرماني الشرقي المتوفّى سنة ٤٩٥، رحل في طلب الحديث وعني بجمعه وسمع الكثير وكان فيه دينٌ وعبادةٌ وزهدٌ يصلّي الليل لكنّه روى ما لم يسمع فأفسد ما سمع، وكان المؤتمن أبو نصر يقول: هو كذّابٌ. ظم ج٩ ص ١٣٢ .

الحسن بن يزيد المؤذِّن البغدادي، منكر الحديث عن الثقات يقلّب الأسانيد ولا يشبه حديثه حديث أهل الصِّدق. طب ج٧ ص ٤٥٢ .

الحسن بن واصل، كذّابٌ «لي ج٢ ص ٤٥» قدلا يقال: إنّه هو ابن دينار

الحسين بن إبراهيم، كذّابٌ دجّالٌ وضع الحديث، وضع أحاديث صلاة الأيّام والليالي «م ج١ ص ٢٤٨، لب ٢١٧».

الحسين بن أبي السري «المتوكّل» العسقلاني المتوفّى سنة ٢٤٠، كذّابٌ «م ج١ ص ٢٥١، يب ج٢ ص ٣٦٥، صه ص ٧٢».

الحسين بن حميد بن ربيع الكوفي الخزّار المتوفّى سنة ٢٨٢، كذّاب ابن كذّاب ابن كذّاب «طب ج٨ ص ٣٨، م ج٢ ص ٢٨٠».

الحسين بن داود أبو علي البلخي المتوفّى سنة ٢٨٢، وضّاعٌ ليس بثقة حديثه موضوعٌ روى عن يزيد بن هارون عن حميد بن أنس نسخة أكثرها موضوعٌ «طب ج٨ ص ٤٤، م ج١ ص ٢٥٠، لي ج٢ ص ١٨٧».

الحسين بن عبدالله بن ضميرة الحميري، كذّابٌ متروك الحديث لا يساوي شيئاً ليس بثقة ولا مأمون «م ج١ ص ٢٥٢».

الحسين بن عبيدالله(١) العجلي أبو علي، كان يضع الحديث على

(١) في ميزان الاعتدال للذهبي، عبد الله .

الثقات. م ج١ ص ٢٥٣، طب ج٨ ٥٦، نص ج١ ص ١٤٣، مز ج١ ص ٢٠٦، لي ج١ ص ١٦٤.

الحسين بن علوان بن قدامة أبو عليّ حدّث ببغداد سنة ٢٠٠، كذّابٌ خبيثٌ كان يضع الحديث طب ج٨ ص ٦٣، م ج١ ص ٢٥٤، ت ٦٣، ١٠٢، ١١٦، لي ج١ ص ١٠٩ وج٢ ص ٥٠، ٦٥، ١١٩.

الحسين بن الفرج الخيّاط، كذّابٌ كان يسرق الحديث م ج١ ص ٢٥٥.

الحسين بن قيس الملقّب بحنش، كذّابٌ أحاديثه منكرةٌ جدّاً لا يُكتب حديثه ت ٩٠، لي ج٢ ص ١٣، م ج١ ص ٢٥٥.

الحسين بن محمّد أبو عبدالله الخالع البغدادي المتوفّى سنة ٤٢٢، قال أبو الفتح الصوّاف المصري: لم أكتب ببغداد عمّن أُطلق عليه الكذب من المشايخ غير أربعة أحدهم أبو عبدالله الخالع. طب ج٨ ص ١٠٦.

الحسين بن محمّد البزري المتوفّى سنة ٤٢٣، كذّابٌ أحد الأربعة المشايخ الكذّابين ببغداد. طب ج٨ ص ١٠٧، م ج١ ص ٢٥٦.

حصن بن عمر أبو عمر الأحمسي الكوفي، كذّابٌ منكر الحديث ليس بشيءٍ. طب ج٨ ص ٢٦٤.

حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي البزّار المتوفّى سنة ١٨٠ وقيل قريباً من سنة ١٩٠، وهو حفص بن أبي داود القارىء نزيل بغداد. كذّابٌ متروكٌ يضع الحديث يحدِّث عن جمع أحاديث بواطل «طب ج٨ ص ١٨٨» وقال أبو حاتم: متروكٌ لا يصدق. وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة. وقال ابن حبّان: يقلّب الأسانيد ويرفع المراسيل «م ج١ ص ٢٦١. مز ج١ ص٣١٣».

حفص بن عمر الرُّفا، قال أبو حاتم: كذّابٌ ذاهب الحديث، روى عن شعبة حديثاً كذب فيه «لم ج٢ ص ٣٢٧».

حفص بن عمر بن دينار الايلي، قال أبو حاتم: كان شيخاً كذّاباً. وقال العقيلي: يحدِّث عن الأئمّة بالبواطيل. وقال السّاجي. كان يكذب. لم ج

٢ ص ٣٢٥ .

حفص بن عمر الرازي، كان يكذب «لم ج ٢ ص ٣٢٨» .

حفص بن عمر الحبطي الرَّملي نزيل بغداد، لم يكن بثقة ولا مأمون أحاديثه أحاديث كذب «طب ج٨ ص ٢٠١» وقال الأزدي: متروكٌ. وقال ابن عدي: ليس له إلاّ اليسير وأحاديثه غير محفوظة. وقال: حدّث بالبواطيل. لم ج٢ ص ٣٢٦ .

حفص بن عمر قاضي حلب ، كذّابٌ يوصف بوضع الحديث ، قال أبو حبّان : يروي عن الثقات الموضوعات لا يحلُّ الاحتجاج به «م ج ١ ص ٢٦٤ ، ت ١٠٣ ، لي ج ١ ص ١٢٩» .

حفيدة بن كثير بن عبدالله ، كذّابٌ قال الشافعي : ركن من أركان الكذب. حاشية السندي على سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٨ .

الحكم بن عبدالله أبو سلمة، كذّابٌ كان يضع الحديث، روى عن الزهري عن ابن المسيّب نحو خمسين حديثاً لا أصل لها «كر ج٤ ص ٣٩٤ م ج١ ص ٢٦٨ لي ج١ ص ٢٠٩، مز ج١ ص ١٣٦».

الحكم بن عبدالله أبو عبدالله الأيلي مولى الحارث بن الحكم بن أبي العاص، كذّابٌ كان يفتعل الحديث، قال أحمد: أحاديثه كلّها موضوعةٌ «كر ج ٤ ص ٣٩٥، م ج١ ص ٢٦٨».

الحَكم بن عبدالله أبو المطيع البلخي الفقيه صاحب أبي حنيفة، كذّابٌ يضع وقال ابن عدي: هو بيِّن الضعف، عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه، توفّي سنة ١٩٩ «لي ج١ ص ٢٠».

الحَكَم بن مصقلة، قال الأزدي: كذّابٌ «لم ج٢ ص ٣٣٩».

حمّاد بن عمرو النصيبي، كذّابٌ كان يضع الحديث وضعاً على الثقات لا يحلُّ كتب حديثه إلاّ على متعجِّب، قال يحيى بن معين: إنّه من المعروفين بالكذب ووضع الحديث «طب ج٨ ص ١٥٥، م ج١ ص ٢٨٠، مز ج٩ ص

٣١٧، لم ج٢ ص ٣٥١».

حمّاد بن أبي حنيفة إمام الحنفيّة نعمان بن ثابت الكوفي، كذّبه جرير. وقال لقتيبة: قل له: مالك وللحديث؟ إنّما دأبك الخصومات. وقال ابن عدي: لا أعلم له رواية مستوية «لم ج٢: ٣٤٦».

حمّاد بن أبي يعلى الديلمي الكوفي الشهير بحمّاد الراوية المتوفّى سنة ١٥٥، كان مشهوراً بالكذب في الرِّواية وعمل الشعر وإضافته إلى المتقدِّمين حتّى يُقال: إنّه أفسد الشعر «لم ج٢ ص ٣٥٢».

حمّاد المكّي، كان كذّاباً، «تحذير الخواص» ص ٤٥.

حمزة بن أبي حمزة الجزري، كذّابٌ يضع الحديث، منكر الحديث لا يساوي فلساً، عامّة مرويّاته موضوعةٌ «م ج١ ص٢٨٤، يب ج٣ ص٢٩، لي ج١ ص ٢٣٩».

حمزة بن حسين الدلّال المتوفّى سنة ٤٢٨، كذّابٌ «لم ج٢ ص ٣٥٩».

حميد بن الرَّبيع أبو الحسن اللخمي الخزّاز الكوفي المتوفّى سنة ٣٥٨، قال يحيى بن معين: كذّابو زماننا أربعة: الحسين بن عبد الأوّل. وأبو هشام الرفاعي. وحميد بن الرَّبيع. والقاسم بن أبي شيبة. وقال: كذّابٌ خبيثٌ غير ثقة ولا مأمون. وقال ابن عدي: يسرق الحديث ويرفع الموقوف «طب ج٨ ص ١٦٤، م ج١ ص ٢٨٧، لم ج٢ ص ٣٦٤، لي ج٢ ص ١٧١».

حميد بن عليّ بن هارون القيسي. قال الحاكم: كذّابٌ خبيثٌ حدَّث بالبصرة بعد سنة ثلاثمائة عن عبد الواحد بن غياث والشاذكوني بأحاديث موضوعة، وقال النقّاش نحو ذلك «لم ج ٢ ص ٣٦٦».

«حرف الخاء»

خارجة بن مصعب أبو الحجّاج الضبعي الخراساني السرخسي المتوفّى سنة ١٦٨، كذّابٌ ليس بثقة إتّقى الناس حديثه فتركوه، وقال أبو معمر الهذلي: إنّما ترك حديث خارجة لأنَّ أصحاب الرأي عمدوا إلى مسائل من مسائل أبي حنيفة فجعلوا لها أسانيد عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عبّاس

فوضعوها في كتبه فكان يُحدِّث بها. كرج٥: ٢٦ .

خالد بن آدم كذّابٌ. «مزج ٢ ص ١٦٤» .

خالد بن إسماعيل أبو الوليد المخزومي المدني، متروكٌ لا يُحتجُّ به كان يضع الحديث على الثقات «م ج١ ص ٢٩٤، لي ج٢ ص ٣، ٨».

خالد بن عبد الرَّحمن العيد، كذّابٌ يسرق الحديث ويضعه «م ج ١ ص ٢٩٧».

خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحَكم بن أبي العاص، كذّابٌ ولي إمرة المدينة لهشام سنة ١١٣ فبقي والياً سبع سنين، وكان يؤذي عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه على منبر رسول الله ﷺ وهو يقول: والله أعلم لقد استعمل رسول الله عليّاً وهو يعلم أنّه كذا وكذا ولكنَّ فاطمة كلّمته فيه «كرج ٥ ص ٨٢».

خالد بن عمرو أبو سعيد الأموي الكوفي من ولد سعيد بن العاص، كان كذّاباً يكذب ويضع الحديث ويروي أحاديث بواطيل حدَّث عن شعبة أحاديث موضوعة «طب ج٨ ص ٢٩٩، م ج١ ص ٢٩٨، يب ج٣ ص ١٠٩».

خالد بن القاسم المدائني أبو الهيثم المتوفّى سنة ٢١١، مجمعٌ على كذبه قال أبو يحيى ـ محمَّد بن عبد الرَّحيم ـ كان كذَّاباً يدَّعي ما لم يسمع وكتبت عنه ألوفاً وروى أحاديث لم تكن بمصر ولم تحدَّث عن الليث، وكان يضع أحاديث من ذات نفسه «طب ج٨ ص ٣٠٣، م ج١ ص ٢٩٩، لب ٢٣٢، لي ج٢ ص ١٥٠».

خالد بن نُجيح مصريٌّ توفِّي سنة ٢٥٤، قال أبو حاتم: كذّابٌ يفتعل الحديث «م ج ١ ص ٣٠٢» .

خالد بن يزيد المكّي أبو الهيثم العمري المتوفّى سنة ٢٢٩، كذّابٌ يروي الموضوعات عن الأثبات «م ج١ ص ٣٠٣، مزج١ ص ٢٤٩ وج ٩ ص ٥٣، لي ج١ ص ٥٣، ١١٦».

خراش بن عبدالله كذّابٌ ساقطٌ لا يحلُّ كتب حديثه إلاّ للاعتبار «م ج ١ ص ٣٠٥».

الخصيب بن جحدر المتوفّى سنة ١٣٢، كذّابٌ لا يكتب حديثه «م ج١ ص ٣٠٦، لي ج١ : ١٩٧، ك ج٢ ص ١٧٣».

الخليل بن زكريّا الشيباني البصري، كذّابٌ يحدِّث بالبواطيل «يب ج٣ ص ١٦٦، صه ٩١، م ج١ ص ٣١٣، مز ج١ ص ٣٠».

«حرف الدال المهملة»

داود بن إبراهيم قاضي قزوين، متروك الحديث كان يكذب «م ج١ ص ٣١٦، لي ج٢ ص ١٥٩».

داود بن الزبرقان أبو عمرو الرقاشي البصري نزيل بغداد المتوفّى في حدود نيف وثمانين ومائة، كذّابٌ متروك الحديث ليس بشيءٍ عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه «طب ج٨ ص ٣٥٨، كر ج٥ ص ٢٠٠، م ج١ ص ٣١٨».

داود بن سليمان أبو سليمان الجرجاني قطن بغداد، كذّابٌ «طب ج ٨ ص ٣٦٦ لي ج٢ ص ١٣٢».

داود بن عبد الجبّار أبو سليمان المؤذِّن نزيل بغداد، كذّابٌ منكر الحديث لا ينبغي أن يُكتب حديثه «طب ج٨ ص ٣٥٦، م ج١ ص ٣١٩».

داود بن عفان من اصحاب أنس بن مالك، كان يضع الحديث كان يدور بخراسان ويضع على أنس كتب عن أنس بنسخة موضوعة «م ج١ص ٣٢، ت ١٧، لي ج١ ص ١٢ وج ٢ ص ١٠٩».

داود بن عمر النخعي، كذّابٌ «م ج١ ص ٣٢٢».

داود بن المحبَّر أبو سليمان البصري نزيل بغداد والمتوفّى بها سنة ٢٠٦، كذّابٌ وضّاعٌ على الثقات صاحب مناكير متروك الحديث ولو لم يكن له غير وضعه كتاب العقل بأسره لكان دليلاً كافياً على ما ذكر «طب ج٨ ص ٣٦٠، يه

ج٩ ص ٢٢٩ ، يب ج٣ ص ٢٠١ ، لي ج١ ص ١٢٧، ٢٤١ وج ٢ ص ٢٢٢».

دينار بن عبدالله أبو مكيش الحبشي ، كذّابٌ له نسخةٌ طويلة ، حدَّث في حدود الأربعين ومائتين بوقاحة عن أنس بن مالك يروي عن أنس أشياء موضوعة. ذكر الذهبي عن ابن عدي حديثاً من أحاديث دينار بطريق محمَّد بن أحمد القفّاص فقال قال ابن عدي قال القفّاص: أحفظ من دينار مائتين وخمسين حديثاً. قلت: إن كان من هذا الضرب فيقدر أن يروي عنه عشرين ألف كلّها كذبٌ. قال الحاكم: روى عن أنس قريباً من مائة حديث موضوعة«م ج١ ص ٣٢٩، ت ٥٧».

«الراء المهملة واختها المعجمة»

ربيع بن بدر، كذّابٌ، مز ج١ ص ١٢٢.

ربيع بن محمود المارديني المتوفّى سنة ٦٥٢ ، دجّالٌ مفتر ادَّعى الصّحبة والتعمير في سنة ٥٩٩ «م ج١ ص ٣٣٥، لم ج٢ ص ٤٤٧».

رتن الهندي ، شيخٌ دجّالٌ كذَّابٌ ادَّعى الصّحبة وقد قيل : إنَّه توفِّي سنة ٦٣٢ «م ج ١ ص ٣٣٦ ، لم ج ٢ ص ٤٥٠« .

روح بن مسافر أبو بشر البصري ، كان يضع الحديث، يروي عن الأعمش أحاديث موضوعة «لم ج٢ ص ٤٦٨».

زكريّا بن دريد[1] الكندي ، كذّابٌ يضع الحديث على حميد الطويل له نسخةٌ كلّها موضوعةٌ لا يحلّ ذكرها «م ج٣ ص ٥٨ وج ١ ص ٣٤٨،ت ج٥ ص ٨٦، لب ٢١٣ ، لي ج٢ ص ١٩ ، ٣٠٧».

زكريّا بن زياد، دجّالٌ يضع الحديث «ت ص ٦٨».

زكريّا بن يحيى المصري أبو يحيى الوكار المتوفّى سنة ٢٥٤ ، كذّابٌ من الكذابين الكبار يضع الحديث وكان فقيهاً صاحب حلقة وقيل: كان من الصّلحاء العبّاد الفقهاء «م ج١ ص ٣٥١، مز ج١ ص ١٣١ ، لي ج٢ ص ٢١١».

(١) في أسنى المطالب ص ٢١٣ : زويل.

زيد بن الحسن بن زيد الحسيني المتوفّى سنة ٤٩١/ ٢، كان كذّاباً وضّاعاً دجّالاً وضع أربعين حديثاً في أيّام طراد الزبيني «م ج١ ص ٣٦٢، لم ج٢ ص ٥٠٥».

زيد بن رفاعة أبو الخير، كذّابٌ معروف بوضع الحديث على فلسفة فيه له أربعون موضوعة سرقها ابن ودعان قد وضع عامّتها على أسانيد صحاح مشهورة بين أهل الحديث «طب ج٨ ص ٤٥٠ وج ٩ ص ٤٤٤، م ج١ ص ٣٦٣، ٣٦٤، لب ج١ص ٢٧٣، لي ج١ ص ٢٣، لم ج٢ ص ٥٠٦».

زياد بن ميمون الثقفي الفاكهي البصري، كان كذّاباً تركوه واهي الحديث وضع أحاديث «م ج١ ص ٣٥٩، لي ج٢ ص ٥٧، ٩٣».

«السين المهملة»

سالم بن عبد الأعلى، كان يضع الحديث «ت ٦٢، نصب الراية ج ٤ ص ٢٣٨ .

السري بن عاصم أبو عاصم الهمداني، كذّابٌ يسرق الحديث ويرفع الموقوفات لا يحلّ الاحتجاج به «يه ج٥ ص ٣٥٤، م ج١ ص ٣٧٠، لي ج٢ ص ٨٠».

سعيد بن سلام أبو الحسن العطّار البصري، كذّاب يُذكر بوضع الحديث سيّيء الحال جدّاً عند أهل الحديث، كان بمكّة يحدّث بالبواطيل «طب ج٩ ص ٨٠، م ج١ ص ٣٨٢، لب ٣٩، مـز ج١ ص ١٢٦، لي ج٢ ص ٤٣، ٩١، ١٣٩، كخ ج١ ص ١٢٣».

سعيد بن سنان أبو مهدي، كذّابٌ قيل: توفّي سنة ١٦٨ «م ج١ ص ٣٨٤، لي ج٢ ص ٢٠٦».

سعيد بن عنبسة الرازي، كذّابٌ لا يصدق «م ج١ ص ٣٨٩، لي ج٢ ص ٦٠».

سعيد بن موسى الأزدي، كان يضع الحديث. ت ٧٠ .

سكين بن سراح[1] كذّابٌ، ت ٩٦.

سلم بن إبراهيم الوراق البصري، كذّابٌ «طب ج٩ ص ١٤٥، يب ج٤ ص ١٢٧».

سلمة بن حفص السعدي، كان يضع الحديث «م ج١ ص ٤٠٦ لي ج ١ ص ٢٣٠».

سلام بن سلم[2] الطويل أبو عبدالله التميمي، كان يضع الحديث، كذّابٌ متروك الحديث عنده مناكير توفّي حدود سنة ١٧٧ «طب ج ٩ ص ١٩٧، ت ٥٨».

سليم بن مسلم، كان يضع الحديث جهميٌّ خبيثٌ متروك الحديث لا يساوي حديثه شيئاً. م ج١ ص ٤٢٧.

سليمان بن أحمد أبو محمّد الجرشي الشامي، كذّابٌ يسرق الحديث متروكٌ طب ج٩ ص ٥٠، كر ج٦ ص ٢٤٢.

سليمان بن أحمد الواسطي الحافظ، كذّبه يحيى وقال ابن عدي هو عندي ممّن يسرق الحديث وله أفراد «م ج١ ص ٤٠٨».

سليمان بن أحمد الملطي المصري متأخّر، كذّبه الدارقطني «م ١ ص ٤٠٨».

سليمان بن أحمد السرقسطي البغدادي المتوفّى سنة ٤٨٩، كذّابٌ «م ج١ ص ٤٠٩ ظم ج٩ ص ٩٩».

سليمان بن بشّار، ممّن يضع الحديث على الأثبات ما لا يحصى «م ج١ ص ٤١٠، ت ج٦، ٣١».

سليمان بن داود البصري أبو أيّوب المعروف بالشاذكوني المتوفّى سنة ٢٣٤، أحد الحفّاظ كذّابٌ خبيثٌ كان يضع الحديث في الوقت، وقيل: كان

(١) أبي سراج. لعل هذا هو الصحيح.

(٢) في ميزان الاعتدال: مسلم وسليم.

يتعاطى المسكر ويتماجن «طب ج٩ ص ٤٧، بق ج٢ ص ٦٦، م ج١ ص ٤١٤».

سليمان بن زيد المحاربي أبو آدم الكوفي، كذَّبه ابن معين «صه ١٢٨».

سليمان بن سلمة الجبائري[1]. كان يكذب ويضع الحديث «كر ج٦ ص ٢٧٦، م ج١ ص ٤١٦، ت ٧٠، لي ج١ ص ٨٥».

سليمان بن عبد الحميد أبو أيّوب البهراني الحمصي، كذّابٌ ليس بثقة ولا مأمون. «كر ج٦: ٢٨٠».

سليمان بن عمرو أبو داود النخعي، كان أكذب الناس على رسول الله، معروفٌ بوضع الحديث، كان رجلاً صالحاً في الظاهر إلّا أنَّه كان يضع الحديث وضعاً، قال الخطيب: كان ببغداد رجالٌ يكذبون ويضعون منهم أبو داود النخعي. وقال الحاكم: لست أشكّ في وضعه الحديث على تقشّفه وكثرة عبادته. وقال آخر: كان أطول الناس منهم قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار. «طب ج٩ ص ١٥ - ٢١، نص ج١ ص١٩١، م ج١ ص ٤٢٠ لب ٤١، لي ج١ ص ٦٠ وج ٢ ص ٣٩، ١٣٢».

سليمان بن عيسى السجزي، كان كذّاباً يضع الحديث طب ج٤ ص ٦٠، م ج١ ص ٤٢٠، لي ج١ ص ٦٦ و١٠١ وج ٢ ص ٨٠ ووضع بضعاً وعشرين حديثاً كما في «لب ص ٢٧٤».

سهل بن صقين[2] أبو الحسن الخلاطي البصري، كان يضع الحديث «صه ١٣٣، م ج١ ص ٤٣٠، لي ج١ ص ١٦٠».

سهل بن عامر البجلي، روى أحاديث بواطيل وكان يفتعل الحديث «لم ج ٣ ص ١١٩».

سهل بن عمار النيسابوري، كذَّبه الحاكم وقال أبو إسحاق الفقيه: كذب والله سهل على ابن نافع، وقال إبراهيم السعدي: كان يتقرَّب إليَّ بالكذب

(١) في تاريخ ابن عساكر: الخبائري الحمصي.

(٢) في ميزان الاعتدال: صقير. وفي لسان الميزان: صفين. وفي غيرهما: سقين.

«لب ١٠٥، م ج١ ص ٤٣٠».

سهل بن قرين البصري، كذَّبه الأزدي «م ج١ ص ٤٣١، لب ٢٦١، لي ج٢ ص ٨٢».

سيف بن عمر التميمي البرجمي، وضّاعٌ ليس بشيءٍ عامَّة حديثه منكر، اتّهم بالزندقة «يب ج٤ ص ٢٩٦».

سيف بن محمّد الثوري ابن اخت سفيان الثوري، كذّابٌ خبيثٌ يضع الحديث لا يكتب حديثه «طب ج١ ص ٣٥ ج ٩ ص ٢٢٦ وج ١٢ ص ٢٥٣، ت ١٠٢، يب ج٤ ص ٢٩٦، مز ج١ ص ٢١٩، لي ج١ ص ٦٧، ١٠١، ١٢٩ وقال: كذّابٌ بالإجماع وج ٢ ص ٢٠٩، ٢١٧، صه ١٣٦».

«الشين المعجمة»

شاد بن شيريامبان[1] كان يضع الحديث. ت ٣.

شاه بن بشر الخراساني، قال ابن حبّان: يضع الحديث «م ج١ ص ٤٤٠، لي ج ١ ص ٢٢٤».

شاه بن قرح أبو بكر، كان يضع الحديث. لي ج٢ ص ٢٣٩.

شعيب بن عمرو الطحّان، قال الأزدي: كذّابٌ. م ج١ ص ٤٤٨.

شيخ بن أبي خالد البصري، كان يضع الحديث قال: وضعت أربعمائة حديث وأدخلتها في برنامج الناس فلا أدري كيغ أصنع (م ج١ ص ٤٥٢، ت ٦٤، ١١٣ تحذير الخواص ص ٥٦).

«حرف الصاد المهملة واختها المعجمة»

أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي اللغوي صاحب كتاب «الفصوص» نزل الأندلس وصنّف الكتب توفّي سنة ٤١٧، كان يُتّهم بالكذب في نقله فلهذا رفض الناس كتابه، ولمّا ظهر للمنصور بن عامر كذبه في النقل وعدم تثبّته

(١) في المعاجم اختلاف كثير في هذا الاسم وما يليه.

رمى كتاب «الفصوص» في البحر لأنّه قيل له: جميع ما فيه لا صحّة له. خل ج١ ص ٢٨٧، يه ج ١٢ ص ٢١ ، هب ج٣ ص ٢٠٧ ، بغية ٢٦٨ .

صالح بن أحمد بن أبي مقاتل القيراطي الهروي المتوفّى سنة ٣١٦، كذّابٌ دجّالٌ يحدِّث بما لم يسمع وكان يسرق الحديث قال أبو حاتم محمَّد بن حسان البستي: كان يسرق الحديث ويقلّبه ولعلّه قد قلّب أكثر من عشرة آلاف حديث فيما خرج من الشيوخ والأبواب لا يجوز الاحتجاج به بحال «طب ج ٩ ص ٣٢٩، م ج١ ص ٤٥٣».

صالح بن بشير أبو بشر المري البصري المتوفّى سنة ١٧٢/ ٧٦ قاصٌّ كذّابٌ متروك الحديث «طب ج٩ ص ٣٠٨».

صالح بن حسّان البصري، كذّابٌ «ت ٧».

صبيح[1] بن سعيد البغدادي الخلدي، كذّابٌ خبيثٌ ليس بشيءٍ. طب ج ٩ ص ٣٣٨، م ج١ ص ٤٦٣ .

صخر بن محمَّد المنقري المروزي الحاجبي كان في حدود الثلاثين ومائة، كذّابٌ يضع الحديث عامّة ما يرويه من موضوعاته، حدَّث عن الثقات بالبواطيل، روى عن مالك والليث وابن لهيعة أحاديث موضوعة«م ج١ص ٤٦٤ ت ٢٨، ٤٠، لي ج١ ص ٧٨».

الصقر بن عبد الرَّحمن أبو بهز الكوفي، من أكذب الناس كان يضع الحديث «طب ج٩ ص ٣٤٠، م ج١ ص ٤٦٧، لي ج٢ ص ٣٩».

صلة بن سليمان أبو زيد العطار نزيل بغداد، كذّابٌ متروك الحديث ليس بثقة طب ج٩ ص ٣٣٧.

الضحّاك بن حمزة المنبجي،كان يضع الحديث كلُّ رواياته مناكير إمّا متناً وإمّا إسناداً. م ج١ ص ٤٧٠.

---

(١) في تاريخ بغداد: صبيج. بالجيم المعجمة.

«حرف الطاء المهملة واختها المعجمة»

طاهر بن الفضل الحلبي، كان يضع الحديث على الثقات وضعاً لا يحلّ كتب حديثه إلّا على جهة التعجّب. م ج١ ص ٤٧٥.

طلحة بن زيد[١] أبو مسكين الرقي، منكر الحديث جدّاً لا يحلّ الاحتجاج بخبره سيِّىء يضع الحديث كر ج٧ ص ٦٥،لي ج١ ص ٨١. تأتي ألفاظ جرح الحفَّاظ فيه في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى.

ظبيان بن محمَّد الحمصي، كذّابٌ لا يحلُّ الاحتجاج به م ج١ ص ٤٨١.

«حرف العين المهملة»

عاصم بن سليمان أبو شعيب التميمي البصري، كذّابٌ متروكٌ كان يضع الحديث «م ج٢ ص ٢، لم ج٣ ص ٢١٨».

عاصم بن طلحة، قال الأزدي: مجهولٌ كذَّابٌ م ج٢، لم ج٣ ص ٢٢٠.

عامر بن أبي عامر كان كذّاباً يضع الحديث، ت ص ٧٤.

عامر بن صالح حفيد الزبير بن العوام أبو الحارث الأسدي المديني نزيل بغداد المتوفّي في خلافة الرشيد، كذّابٌ خبيثٌ عدوّ الله ليس بثقة (طب ج١٢ ص ٢٣٦) كذبه ابن معين وابن حبّان وابن عدي «صه ص ١٥٦».

عبّاد بن جويرية البصري، كذّابٌ أفَّاكٌ متروكٌ ليس بشيء م ج٢ ص ٩، لي ج٢ ص ١٠.

عبّاد بن صهيب، موصوفٌ بالوضع متروكٌ قال الكديمي: سمعت عليَّ بن المديني يقول: تركت من حديثي مائة ألف حديث النصف منها عن عبّاد بن صهيب. وحكى الخطيب عن المديني أنَّه قال: تركت من حديثي مائة ألف حديث فيها ثلاثون ألفاً لعبّاد بن صهيب.«طب ج١١ ص ٤٦٣، م ج٢ ص ١٠، ت ٤٦، ١١٥».

---

(١) في لآلي السيوطي: يزيد وأحسبه تصحيفاً.

عبّاس بن بكار الضبِّي البصري، كذّابٌ، م ج٢ ص ١٨، لي ج١: ٤٠٢.

عبّاس بن الضحّاك البلخي، دجّالٌ يضع، م ج٢ ص ١٨، ت ٩٥.

عبّاس بن عبدالله بن أحمد أبو الفضل المري الفقيه الشافعي كان حيّاً في سنة ٣٢٥، كذّابٌ أفّاكٌ لم يكن صدوقاً ولا ثقة ولا مأموناً. كر ج٧: ٢٢٥.

عبّاس بن الفضل العبدي الأزرق البصري نزيل بغداد، كذّابٌ خبيثٌ «طب ج١٢ ص ١٣٤، م ج٢ ص ٢٠».

عبّاس بن محمَّد العدوي، كان يضع الحديث ت ٧١.

عبّاس بن محمَّد المرادي، روى أحاديث كذباً عن مالك م ج٢ ص ٢٠.

عبد الأعلى بن أبي المساور أبو مسعود الجزّار، كذّابٌ منكر الحديث ليس بحجَّة «طب ج١١ ص ٩٦، لي ج١ ص ٣٩».

عبد الباقي بن أحمد أبو الحسن المتوفّى سنة ٤٨٥، قال ابن صابر: كان كذّاباً. لم ج٣ ص ٣٨٣».

عبد الرَّحمن بن حمّاد الطلحي، عنده نسخةٌ موضوعةٌ، ت ٥١.

عبد الرَّحمن بن داود أبو البركات الزرزور كان حيّاً في سنة ٦٠٨، كذّابٌ له الأربعين في قضاء الحوائج موضوعة، قد ركب لها أسانيد من طرق البخاري وأبي داود وغيرهما، م ج٢ ص ١٠٢.

عبد الرَّحمن بن عبدالله بن عمر العدوي العمري حفيد عمر بن الخطاب المتوفّى سنة ١٨٦، كان كذّاباً يقلّب الأحاديث، متروك الحديث، حديثه أحاديث مناكير «طب ج١٠ ص ٢٣١، يب ج٦ ص ٢١٤».

عبد الرَّحمن بن عفّان أبو بكر الصّوفي، كذّابٌ يكذب «طب ج١٠ ص ٢٦٤، م ج٢ ص ١١٣، لي ج١ ص ١٦٥».

عبد الرّحمن بن عبدالله بن عمر بن حفص العمري، كان كذّاباً متروكاً لا يحتجُّ به. نص ج١ص٦٠ .

عبد الرّحمن بن عمرو بن جبلة، كذّابٌ يضع الحديث «م ج١ ص ١٤٧ وج ٢ ص ١١٣».

عبد الرّحمن بن القطامي البصري كذّابٌ «م ج٢ ص ١١٤، لي ج١ :١٩٩».

عبد الرَّحمن بن قيس أبو معاوية الضبِّي الزعفراني البصري نزيل بغداد، كذّابٌ كان يضع الحديث «طب ج١٠ ص ٢٥١، صه ١٩٨، م ج٢ ص ١١٤».

عبد الرَّحمن بن مالك بن مغول، كان كذّاباً أفّاكاً لا يشكُّ فيه أحدٌ وكان يضع الحديث «طب ج١٠ ص ٢٣٦ وج ٩ ص ٣٤١، مز ج٩ ص ٥١، م ج٢ ص ١١٥، لي ج١ ص ٣٣٢».

عبد الرَّحمن بن محمّد البلخي، كان يضع الحديث على قتيبة «م ج٢ ص ١١٦، لي ج٢ ص ١٥٦، ت ٣٣».

عبد الرّحمن بن محمّد بن علويّة أبو بكر الأبهري القاضي المتوفّى سنة ٣٤٢، كان كذَّاباً يُركّبُ الأسانيد على المتون له أحاديث كلّها موضوعة والحمل فيها عليه «لم ج٣ ص ٤٣٠».

عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمّد بن هندويه، كذَّبه الحافظ ابن ناصر، توفِّي سنة ٥٣٧ «لم ج٣ ص ٤٣٢».

عبد الرَّحمن بن مرزوق الطرطوسي، كان يضع الحديث لا يحلُّ ذكره إلّا على سبيل القدح «م ج٢ ص ١١٧، ت ٧١، لي ج٢ ص ١٧٧».

عبد الرَّحمن بن يزيد الدمشقي، كذّاب متروك «يب ج٦ ص ٢٩٧».

عبد الرَّحيم[1] بن حبيب الفاريابي، كان يضع الحديث على الثقات ولعلّه قد وضع أكثر من خمسمائة حديث على رسول الله (ﷺ) قاله الحافظ أبو حاتم «كر ج٥ ص ١٦٠، م ج٢ ص ١٢٤، لم ج٤ ص ٤، لي ج١ ص٧٨، ١٠٥ وج ٢ ص ١٢١».

---

(١) في تاريخ ابن عساكر: عبد الرحمن. وهو تصحيف.

عبد الرَّحيم بن زيد البصري، كذَّابٌ خبيثٌ «يب ج٦ ص ٣٠٥، لي ج٢ ص ٧٠»

عبد الرَّحيم بن منيب البغدادي، كان يضع الحديث ت ٧٧.

عبد الرَّحيم بن هارون الواسطي نزيل بغداد، كذَّابٌ متروك الحديث «طب ج١١ ص ٨٥، يب ج٦ ص ٣٠٩، لب ٣٤، صه ٢٠١».

عبد العزيز بن أبان من ولد سعد بن العاص الأموي أبو خالد القرشي المتوفّى سنة ٢٠٧ كذَّابٌ خبيثٌ كان يضع الحديث بأحاديث موضوعة «طب ج١ ص ٤٤٥، ت ٨٧، م ج٢ ص ١٣٣، يب ج٦ ص ٣٣٠، لي ج٢ ص ٥٩».

عبد العزيز بن أبي زواد[1] كذَّابٌ عنده نسخةٌ موضوعةٌ «كر ج٥ ص١٥٣، ت ٧٧، لي ج١ ص ٦٦، ٦٧».

عبد العزيز بن الحارث أبو الحسن التميمي الحنبلي المتوفّى سنة ٣٧١ من رؤساء الحنابلة وضع حديثين في مسند الإمام أحمد قال ابن زرقويه الحارث: أنكر أصحاب الحديث عليه ذلك وكتبوا عليه محضراً بما فعل كتب فيه الدارقطني وابن شاهين وغيرهما «طب ج١٠ ص ٤٦٢، م ج٢ ص ١٣٤، لم ج٤ ص ٢٦».

عبد العزيز بن خالد. كذَّابٌ «لي ج٢ ص ٤٩».

عبد العزيزبن عبد الرَّحمن الباسلي، كذَّابٌ ضرب أحمد بن حنبل على حديثه له نسخةٌ ثبتها بمائة حديث مقلوبة منها ما لا أصل له، ومنها ما هو ملزقٌ بإنسان لا يحلُّ الاحتجاج به بحال «م ج٢ ص ١٣٧؛ لم ج٤ ص ٣٤، ت ٧٦».

عبد العزيز بن يحيى المدني، كذَّابٌ يضع الحديث تركوه «م ج٢ ص ١٤٠، صه ص ٣٠٤».

عبد الغفور بن سعيد أبو الصبّاح الواسطي، كان ممّن يضع الحديث «م ج٢

---

(١) في لآلي السيوطي: أبي الرجاء. وفي تاريخ ابن عساكر: ابن أبي رواد.

ص ١٤٢، لي ج٢ ص ٧٢».

عبد القدُّوس بن حبيب أبو سعيد الشامي، قال عبد الرّزاق: ما رأيتُ ابن المبارك يفصح بقوله كذَّاب إلّا لعبد القدُّوس. وقال إسماعيل بن عيّاش: لا أشهد على أحد بالكذب إلّا على عبد القدُّوس. وقال ابن حبّان: كان يضع على الثقات «طب ج١١ ص ١٢٧، م ج٢ص ١٤٣، لي ج١: ٢٠٧، لم ج٤ ص ٤٦».

عبد القدُّوس بن عبد القاهر أبو شهاب، له أكاذيب وضعها على عليّ بن عاصم تبيَّنت «لم ج٤ ص ٤٨».

عبد الكريم بن عبد الكريم أبو الفضل الخزاعي الجرجاني المتوفّى سنة ٣٨٠، قدم بغداد وحدَّث بها. قال الخطيب: كانت له عناية بالقراءات وصنّف أسانيدها ثمَّ ذكر أنَّه كان يخلط ولم يكن مأموناً على ما يرويه وأنَّه وضع كتاباً في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة فكتب الدارقطني وجماعة: إنَّ هذا الكتاب موضوعٌ لا أصل له. فافتضح وخرج من بغداد إلى جبل فاشتهر أمره هناك وحبطت منزلته «يه ج١١ ص ٣٠٨».

عبدالله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري، مدلّسٌ يضع الحديث عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه الثقات ذكر له ابن عدي حديثين في فضل أبي بكر وعمر وهما باطلان «م ج٢ ص ٢١، صه ١٦١، لي ج٢ ص ٤٢، ١٠٩».

عبدالله بن إبراهيم المدني، شيخٌ منكر الحديث وضّاعٌ يحدِّث عن الثقات بالمقلوبات «يب ج٥ ص ١٣٨».

عبدالله بن أبي جعفر الرازي، قال محمّد بن حميد الرازي: سمعت منه عشرة آلاف حديث فرميتها كان فاسقاً «م ج٢ ص ٢٨».

عبدالله بن أيّوب بن أبي علاج، هو وأبوه كذّابان قال الأزدي: أيّوب كذّابٌ وابنه أكذب منه وأجرأ على الله. وقال الدارقطني: ابن أبي علاج يضع الحديث «ت ص ٥١، ٨٠، م ج٢ ص ٢٣، لم ج٣ ص ٢٦٢، لي ج١ص ١٧».

عبدالله بن الحارث الصنعاني، شيخٌ دجّالٌ يضع الحديث وضعاً، حدّث

عن عبد الرزّاق بنسخة كلّها موضوعةٌ «م ج٢ ص ٢٩، لي ج٢ ص ١٧».

عبدالله بن حفص أبو محمّد الوكيل السّامري، دجّالٌ يسرق الحديث وقد وضع أحاديث قال ابن عدي: كتبت عنه وكان يسرق الحديث وأملى عليَّ أحاديث موضوعة لا أشكُّ أنّه واضعها «طب ج٩ ص ٤٤٩، م ج٢ ص ٣١، لي ج١ ص ٢٢٠».

عبدالله بن حكيم أبو بكر الداهري البصري، كذّابٌ يضع الحديث متروك الحديث «طب ج٩ ص ٤٤٧، م ج٢ ص ٣٢، ت ١٠، نص ج١ ص ٣٩».

عبدالله بن زياد بن سمعان الفقيه أبو عبد الرَّحمن القرشي القاضي، كذّابٌ ذاهب الحديث، وضّاع يضع الحديث «طب ج٩ ص ٤٥٦ كر ج٧: ٤٢٦، م ج٢ ص ٣٨، ت ١٠٣، لي ج١ص ٦٤، ج ٢ ص ٧٨٣ ١٢٦، ٢٠١».

عبدالله بن سعد الأنصاري الرّقي، كذّابٌ كان يضع الحديث م ج ٢ ص ٤١.

عبدالله بن سليمان السجستاني الحافظ ابن الحافظ المتوفّى سنة ٣١٦، كذّبه أبوه في غير حديث، وكان زاهداً ناسكاً. شذرات الذهب ج٢ ص ٢٧٣ .

عبدالله بن صالح المصري المتوفّى سنة ٢٢٣ كاتب الليث، كذّابٌ وضّاعٌ «ت ١٧، ٢٠، ٤٤، ١١٢».

عبدالله بن عبد الرَّحمن الكلبي الأسامي، من أكذب خلق الله رَوى بالأباطيل فكذّبوه، عامّة أحاديثه بواطيل قدم بخارى وحدّث بها سنة ٢٢٥ «طب ج١٠ ص ٢٨، م ج٢ ص ٥٣».

عبدالله بن علان بن رزين الخزاعي أبو الفضل الواسطي المتوفّى سنة ٦٢٣، كان كذّاباً كثير الكذب والتزوير. لم ج٤ ص ١٠٧.

عبدالله بن علي الباهلي الوضاحي، كان يضع الحديث لم ج٢ ص ٣١٨.

عبدالله بن عمرو الواقعي البصري، كان يضع الحديث وكذَّبه الدارقطني «لم ج٣ ص ٣٢٠».

عبدالله بن عُمير قاضي أفريقيَّة، كان يضع الحديث على مالك له نسخةٌ. ت ١١٦.

عبدالله بن عيسى الجزري، كان يضع الحديثلم ج٢ ص ٧٦١ لي ج٢ ص ١٠٢.

عبد الله بن قيس الرّاوي عن حميد الطويل، قال الأزدي: كذّابٌ. م ج٢ ص ٦٢، لي ج٢ ص ٢١٧.

عبدالله بن كرز، كذّابٌ. ت ص ٤٩.

عبدالله بن محمّد بن اسامة، كان يضع الحديث. م ج٢ ص ٧١.

عبدالله بن محمّد بن عبدالله ابن البختري أبو القاسم المعروف بابن الثلاّج المتوفّى سنة ٣٨٧، كذّابٌ يضع الأحاديث والأسانيد ويركّب ويدَّعي ما لم يسمع «طب ج١٠ ص ١٣٦، ظم ج٧ ص ١٩٣، م ج٢ ص ٧٤».

عبدالله بن محمّد بن جعفر أبو القاسم القزويني القاضي الفقيه على مذهب الشافعي المتوفّى سنة ٣١٥، كان له حلقة بمصر للفتوى، كذّابٌ وضع أحاديث على متون معروفة، ألّف كتاب سنن الشافعي وفيها نحو مائتي حديث لم يحدِّث بها الشافعي «م ج٢ ص ٧٧٣ هب ج٢ ص ٢٧٠».

عبدالله بن محمّد بن سنان الروحي[1] البصري الواسطي، متروك

---

(١) لقب بذلك لإكثاره الرواية عن روح بن القاسم.

الحديث كان يضع الحديث ويقلّبه ويسرقه، روى عن روح أكثر من مائة حديث لم يتابع عليها، وكان كثير الوضع أجمعوا على أنّه كذّابٌ ذاهبٌ «طب ج ١٠ ص ٨٨، م ج٢ ص ٧٠، لي ج٢ ص ٢٤٠، لم ج٣ ص ٣٣٦».

عبدالله بن محمّد بن قراد أبو بكر الخزاعي المتوفّى سنة ٣٥٩، متروكٌ يضع الحديث هو وأبوه. م ج٢ ص ٧٤.

عبدالله بن محمّد بن وهب الدينوري الحافظ المتوفّى سنة ٣٠٨، دجّالٌ متروكٌ كان يضع الحديث. م ج٢ ص ٧٣.

عبدالله بن محمّد البلوي صاحب رحلة الشافعي، كذّابٌ. يه ج ١٠ ص ١٨٢ .

عبدالله بن مسلم بن رشيد، كان يضع على ليث ومالك وابن لهيعة لا يحلُّ كتب حديثه. م ج ٢ ص ٧٧ .

عبدالله بن مسور أبو جعفر الهاشمي، كذّابٌ يضع، أحاديثه موضوعةٌ، وضع عن رسول الله كلاماً هو حقٌّ فاختلط بأحاديث رسول الله ﷺ «طب ج١٠ ص ١٧٢، لم ج٤ ص ٣٣٩، لي ج٢ ص ١٦٠، ١٧٣، الإصابة ج٣ ص ١٤١».

عبدالله بن وهب النسوي، دجّالٌ يضع «م ج٢ ص ٨٧، لي ج٢ ص ٩٢، ١٢٣، ١٨١».

عبدالله بن يزيد بن مخمش النيسابوري، قال الدارقطني: كان يضع الحديث «م ج٢ ص ٨٨».

عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي الحنبلي البغدادي المتوفّى سنة ٥٨٣، أحد الحفّاظ صنّف جزءاً في فضائل يزيد أتى فيه بالموضوعات، وألّف ابن الجوزي كتاباً في الردِّ على ذلك الجزء وسمّاه كتاب الردِّ على المتعصِّب العنيد عن لعن يزيد «هب ج٤ ص ٢٧٦».

عبد الملك بن عبد الرَّحمن أبو العبّاس الشّامي نزيل البصرة، قال الفلاّس: كذّابٌ «لم ج ٤ ص ٦٦، لي ج١ ص ١١٦».

عبد الملك بن هارون بن عنترة، دجّالٌ كذّابٌ يضع الحديث «م ج ٢ ص ١٥٤ لم ج٤ ص٧٧١ ت٨٤، لي ج١ ص١٢٨، ٤٦٠ وج٢ ص٣٩، ٦٠».

عبد المنعم بن إدريس أبو عبدالله اليماني المتوفّى سنة ٢٢٨، قصّاصٌ كذّابٌ خبيثٌ يضع الحديث «طب ج١١ ص ١٣٣، مز ج٩ ص ٣١، م ج٢ ص ١٥٥، لي ج١ ص ١١ ص ٣٠».

عبد المنعم بن بشير أبو الخير الأنصاري، أخرج إلى ابن معين أحاديث إلى أبي مودود[1] نحواً من مائتي حديث كذب فقال له: اتّق الله فإنَّ هذه كذبٌ قال الحاكم: يروي الموضوعات، وقال الخليلي: وضّاعٌ على الأئمّة، وقال أحمد: كذّابٌ، وقال أبو نعيم: يروي المناكير «م ج٢ ص ١٥٦، لم ج٤ ص ٧٥».

عبدوس بن خلّاد، كذّبه أبو زرعة الرازي «لم ج٤ ص ٩٥».

عبدالوهّاب الضحّاك العرضي، كذّابٌ كان يضع الحديث وروى أحاديث كثيرة موضوعة، وكان ممّن يسرق الحديث، وكان معروفاً بالكذب في الرِّواية «طب ج٨ ص ٢٦٨، كر ج٥ ص ١٤٨، يب ج٦ ص ٤٤٧، م ج٢ ص ١٦٠ لم ج٦ ص ٤١».

عبدالوهّاب بن عطاء الخفّاف، متروك الحديث كان يكذب «م ج ٢ ص ١٦٢».

عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري، وفي شرح المواهب للزرقاني ج٥ ص٤١: هو ابن أخت الثوري، كذّابٌ خبيثٌ كان يضع الحديث له نسخةٌ موضوعةٌ «طب ج١١ ص ٩٥، م ج٢ ص ١٧٢، يب ج٧ ص ٧٣».

عبيد الله بن تمام أبو عاصم، قال السّاجي: كذّابٌ يحدِّث بمناكير، وقال الدارقطني وابن أبي هند: يروي أحاديث مقلوبة «لم ج٤ ص ٩٨».

عبيد الله بن سفيان الغدّاني أبو سفيان ابن رواحة الأزدي الصّوفي

---

(١) القاص من المعمرين وثقه أحمد ويحيى وابن معين.

البصري، كان كذّاباً «طب ج١ ص ٣٧ وج ١٠ ص ٣١٣، م ج٢ ص ١٦٧ لي ج١ ص ٤٧٣».

عتاب بن إبراهيم، كـذّابٌ وضع على رسـول الله الحديث تقـرُّباً إلى الخليفة المهدي ابن المنصور «يه ج١٠ ص ١٥٤».

• عثمان بن خالد بن عمر حفيد عثمان بن عفان الأموي، حدَّث بأحاديث موضوعة ويروي المقلوبات عن الثقات.«يب ج ٧ ص ١١٤» .

عثمان بن عبد الرَّحمن أبو عمر الزهري حفيد سعد بن أبي وقّاص الأموي المتـوفّى في خلافـة هارون، كـان يكذب، لا يُكتب حـديثه، سـاقطٌ تركـوه «طب ج١١ ص ٢٨٠» وقال الخطيب أيضاً: كذّابٌ متروكٌ يحدِّث بالبواطيـل ويروي عن الثقات الموضوعات «يب ج٧ ص ١٣٣، لي ج١ ص ٥٤».

عثمان بن عبدالله المغربي، كان يضع الحديث كذّابٌ «ت ٥٤، ٥٨».

عثمان بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأموي، كذّابٌ وضّاعٌ يضع الحديث لا يحلُّ كتب حديثه إلّا على سبيل الاعتبار. وقال الدارقطني: يضع الأباطيـل على الشيوخ الثقـات «م ج٢ ص ١٨٣، ت ص ٣٨، لم ج٤ ص ١٤٥، لي ج١ ص ٢٠، ٢٢ وج ٢ ص ٤٧، ١٤٦، ١٧٥».

عثمان بن عفّان السجستـاني، قال ابن خـزيمة: أشهـد أنّه كـان يضع الحـديث على رسول الله، وقـال الجوزقـاني: كان يسـرق الحديث، «م ج٢ ص ١٨٦، لم ٤ ص ٢٤٨».

عثمان بن مطر الشيباني، كذّابٌ يروي الموضوعات عن الثقات «ت ٥٦، ١١٥، يب ج٧ ص ١٥٥».

عثمان بن معاوية، قال ابن حبّان: شيخٌ يروي الأشياء الموضوعة التي لم يحدِّث بها ثابتٌ قطّ، لا تحلُّ روايته إلّا على سبيل القدح فيه.لم ج٤ ص ١٥٣.

عثمان بن مقسم البري أبو سلمة الكندي البصري أحد الأئمّة الأعلام، من المعروفين بالكذب ووضع الحديث، عامَّة حديثه ممّا لا يُتابع عليه إسناداً

ومتناً، كان عند شيبان عن عثمان خمسة وعشرين ألفاً لا تسمع منه، قال الفلّاس: سمعت أبا داود يقول: في صدري عشرة آلاف حديث عن عثمان يعني وما حدَّثت بها. م ج٢ ص ١٩١.

عذافر البصري، ذكره السّليماني فيمن يضع الحديث. م ج٢ ص ٨٩٣.

عصمة بن محمّد بن فضالة الأنصاري الخزرجي، كان كذّاباً يضع الحديث، وكان شيخاً له هيبة ومنظر من أكذب الناس، وكان إمام مسجد الأنصار الكبير ببغداد «طب ج١٢ ص ٢٨٦، م ج٢ ص ١٩٦، لي ج٢ ص ٤١، ١٣١، ١٥٥».

عطاء بن عجلان الحنفي البصري العطار، كذّابٌ يضع الحديث ويوضع له الحديث فيحدِّث به «م ج٢ ص ٢٠٠، مز ج٢: ١٧٢، يب ج٧ ص ٢٠٨».

عطيَّة بن سفيان، كذَّابٌ، م ص ٢٠١.

العلاء بن زيد الثقفي البصري، كذَّابٌ كان يضع الحديث له نسخةٌ موضوعةٌ «م ج٢ ص ٢١١، ت ص ١١٤، يب ج٨ ص ١٨٣».

العلاء بن عمر ـ عمرو ـ الحنفي الكوفي، كذَّابٌ متروكٌ لا يجوز الاحتجاج به بحال «م ج٢ ص ٢١٣، لي ج١ ص ٥٠».

العلاء بن مسلمة الرواس، كان يضع الحديث لا تحلُّ الرِّواية عنه، يروي الموضوعات عن الثقات لا يبالي ما روى «م ج٢ ص ٢١٤، لي ج٢ ص ١٢٠ ١٧٢».

عليُّ بن أحمد بن علي الواعظ الشرواني مؤلِّف «أخبار الحلّاج» كذّابٌ أشر، لم ج٤ ص ٢٠٥.

عليُّ بن أميرك الخرافي المروزي، محدِّثٌ كذّابٌ زوَّر سماعات لزينب الشعريَّة فافتضح وما تمَّ له ذلك. لم ج٤ ص ٢٠٧.

عليُّ بن جميل الرّقي الوضاح، كان يضع الحديث على الثقات، حدَّث بالبواطيل عن ثقات الناس ويسرق الحديث «ت ٧٤، ١٠٩، م ج٢ ص ٢٢٠،

لم ج٤ ص ٢٠٩، لي ج١ ص ١٦٥ وج ٢ ص ٧» وتابع الرقّي في ذلك ويسرقه منه شيخٌ مجهولٌ يقال له: معروف البلخي، وعبد العزيز الخراساني رجلٌ مجهولٌ.

عليُّ بن الجهم بن بدر السّامي الخراساني ثمّ البغدادي المقتول سنة ٢٤٩، كان أكذب خلق الله مشهوراً بالنصب كثير الحطّ على عليٍّ وأهل البيت، وقيل: إنّه كان يلعن أباه لِمَ سمّاه عليّاً وهجاه البحتري وكان ينسب في بني سامة بن لؤيّ وفي نسبهم إلى قريش تردّد بقوله:

إذا ما حصَّلت عليا قريش — فلا في العير أنت ولا النفيرِ
على مَ هجوت مجتهداً عليّاً — بما لفّقت من كذب وزور

لم ج ٤ ص ٢١٠ .

قال الأميني:

هذا ملخّص القول في ترجمة الرَّجل فانظر عندئذٍ إلى قول ابن كثير في تاريخه ج١١ ص٤ عند ذكره، قال: أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين، وكان فيه تحاملٌ على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

فكأنَّ تحامله على عليٍّ (عليه السّلام) جعله من أهل الديانة المعتبرين عند ابن كثير، هكذا فليكن ابن كثير، وإلى الله المنتهى .

عليّ بن الحسن بن جعفر أبو الحسين الشهير بابن كرينب المحزمي المتوفّى سنة ٣٧٦، كان من أحفظ الناس للمتون إلاّ أنّه كان كذّاباً يدَّعي ما لم يسمع ويضع الحديث «طب ج١١ ص ٣٨٦، لم ج٤ ص ٢١٥».

عليُّ بن الحسن بن الصقر الصائغ البغدادي، كذّابٌ يضع الحديث على الشيوخ ويسرق. م ج٢ ص ٢٢٢.

عليُّ بن الحسن بن يعمر الشامي مصريٌّ، يكذب، يروي عن الثقات بواطيل مالك والثوري وابن أبي ذئب وغيرهم. لم ج٤ ص ٢١٣.

عليُّ بن الحسن الرّصافي ، كان يضع الحديث ويفتري على الله. م ج٢ ص ٢٢٣.

عليُّ بن ظبيان العبسي قاضي بغداد المتوفّى سنة ١٩٢، متروك الحديث كذّابٌ خبيثٌ ليس بثقة «طب ج١١ ص ٤٤٤، م ج٢ ص ٢٢٨، يب ج٧ ص ٣٤٢».

عليُّ بن عبدة المكتب المتوفّى سنة ٢٥٧، كذّابٌ يضع الحديث. طب ج١٢ ص ١٩.

عليُّ بن عبدالله البرداني، ليس بشيءٍ اتّهم بالوضع. م ج٢ ص ٢٢١.

عليُّ بن عبدالله بن الحسن بن جهضم أبو الحسن الهمذاني مؤلّف كتاب «بهجة الأسرار» المتوفّى سنة ٤١٤ قال ابن خيرون: قيل: إنَّه يكذب، وقال غيره اتّهموه بوضع الحديث، وقال ابن الجوزي: قد ذكروا أنَّه كان كذّاباً ويقال: إنَّه وضع صلاة الرَّغائب. ظم ج٨ص١٤، يه ج١٢ص١٦، هب ج٣ ص ٢٠١».

عليُّ بن عروة الدمشقي، كذّابٌ يضع الحديث «م ج٢ ص ٢٣٣، يب ج٧ ص ٣٦٥، لب ٤٩، لي ج٢ ص ٤٧، ٩٣».

عليُّ بن فرس، قال ابن حجر: نسبوه لوضع الحديث. الإصابة ج٣ ص ٥٩٨».

عليُّ بن قرين أبو الحسن البصري نزيل بغداد المتوفّى سنة ٢٣٣، كذّابٌ خبيثٌ كان يضع الحديث «طب ج١٢ ص ٥١، لب ١١٠ م ج٢ ص ٢٣٦، لم ج٤ ص ٢٥١».

عليُّ بن مجاهد بن مسلم الكابلي القاضي الرازي كان حيّاً سنة ١٨٢، كذّابٌ يضع الحديث ويضع لكلامه إسناداً«طب ج١٢ ص ١٠٧، صه ص ٢٣٥، يب ج٧ ص ٣٧٨، لي ج١ ص ٣٥٩».

عليُّ بن محمَّد المروزي أبو أحمد الحبِّيني[1] المتوفّى سنة ٣٥١، قال الحاكم: كان يكذب. وكان صاحب حديث. هب ص ٨.

عليُّ بن محمَّد الزهري أبو الحسن الضرير كان حيّاً سنة ٣٨١، كان كذّاباً يضع «طب ج١٢ ص ٩٢، لي ج٢ ص ٣، ٨٠».

---

(١) بالضم وكسر الموحدة المشددة نسبة إلى سكة حُبّين بمرو.

عليٌّ بن محمَّد بن السري أبو الحسن الهمداني المتوفّى سنة ٣٧٩ ، كان كذّاباً يروي عن متقدِّمي الشيوخ الذين لم يدركهم «طب ج١٢ ص ٩١».

عليٌّ بن محمَّد بن سعيد أبو الحسن الموصلي المتوفّى سنة ٣٥٩، سكن بغداد كذّابٌ كان مختلطاً غير محمود «طب ج١٢ ص ٨٣، م ج٢ ص ٢٣٧».

عليٌّ بن معاذ أبو الحسن الرّعيسي المتوفّى سنة ٣٨٠، كذّابٌ «لم ج ٤ ص ٢٦٣».

عليٌّ بن يعقوب بن سويد الورّاق المصري المتوفّى سنة ٣١٨، كان يضع الحديث «م ج٢ ص ٢٤١، لم ج٤ ص ٢٦٧».

عمّار بن زربي أبو المعتمر البصري، قال ابن عدي: يكذب، سمع منه عبدان الأهوازي وتركه ورماه بالكذب وقال النباتي: كذّابٌ متروك الحديث «لم ج٤ ص٢٧١، لي ج١ ص ٢٤٣».

عمّار بن عطيّة الكوفي الورّاق، كان كذّاباً «طب ج١٢ ص ٢٥٤».

عمّار بن مطر أبو عثمان الرّهاوي، قال ابن عدي: أحاديثه بواطيل. وقال أبو حاتم: كان يكذب. وقال العقيلي: يحدِّث عن الثقات بمناكير. وقال البيهقي: كان يقلّب الأسانيد، ويسرق الأحاديث السنن الكبرى ج٨ ص ٣٠، لم ج٤ ص ٢٧٥ .

عمّارة بن زيد، كان يضع الحديث«م ج٢ص ٢٤٨، الاستيعاب ج١ ص ٢٣١ في ترجمة لهيب بن مالك، والإصابة ج٣ ص ٣٣٢».

عمر بن إبراهيم بن خالد الكردي الهاشمي. كذّابٌ غير ثقة يروي المناكير عن الثقات، مذكورٌ بالوضع بقي إلى بعد العشرين ومائتين «طب ج١١ ص ٢٠٢ مز ج٩ ص ٤٨، م ج٢ ص ٢٤٩، لم ج٤ ص ٢٨٠، لب ٢٠٥، لي ج١ ص ١٥٢، وج ٢ ص ١١٨».

عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمداني. كذّابٌ خبيثٌ رجل سوء متروكٌ يسرق الحديث «طب ج١١ ص٢٠٤، م ج٢ ص٢٥٠، يب ج٧ ص ٤٢٨، لي

ج٢ ص ٢٢٨ ، صه ٢٣٨».

عمر بن جعفر أبو حفص الورّاق البصري المتوفّى سنة ٣٥٧ ، أحد الحفّاظ . قال السبيعي : كذّابٌ وكانت كتبه رديئة «طب ج ١١ ص ٢٤٧ ، بق ج ٣ ص ١٣٨» .

عمر بن حبيب العدوي البصري المتوفّى سنة ٢٠٩ ، كذَّبه ابن معين «صه ٢٣٨ ، م ج٢ ص ٢٥١».

عمر بن الحسن الشهير بابن دحية أبو الخطّاب الحافظ شيخ الديار المصريَّة في الحديث المتوفّى سنة ٦٣٣ ، ترك النّاس الرِّواية عنه وكذَّبوه، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب. يه ج ١٣ ص ١٤٤ .

عمر بن حفص الدمشقي الخيّاط، قال الدارقطني : أعتقد أنَّه وضع على معروف الخيّاط أحاديث وحدَّث بعد خمسين ومائتين «م ج٢ ص ٢٥٤ لي ج ١ ص ٣٧» .

عمر بن راشد أبو حفص الجاري، حديثه كذبٌ وزورٌ، كان يضع الحديث، كلُّ أحاديثه ممَّا لا يُتابع عليه الثقات «م ج٢ ص ٢٥٧ ، ت ٤٢ ، لي ج١ ص ١٢١ وج ٢ ص ١٦٨».

عمر بن رباح البصري، دجّالٌ متروك الحديث يروي الموضوعات عن الثقات «يب ج٧ ص ٤٤٨ ، م ج٢ ص ٢٥٧».

عمر بن سعد الخولاني . كان يضع الحديث «م ج٢ ص ٢٥٨ ، ت ٢٩».

عمر بن سعيد الدمشقي أبو حفص المتوفّى سنة ٢٢٥ ، قال السّاجي : كذّابٌ وقال ابن عدي : روى عن سعيد أحاديث غير محفوظة «لم ج٤ ص ٣٠٨».

عمر بن شاكر البصري، له نسخة نحو من عشرين حديثاً غير محفوظة «م ج٢ ص ٢٦٠».

عمر بن صُبيح[1] الخراساني ، كذّابٌ كان يضع الحديث لم يكن له في

(١) في تهذيب التهذيب وبعض آخر من المصادر: الصبح .

الدنيا نظير في البدعة والكذب «م ج٢ ص ٢٦٢، ت ٧٧، يب ج٧ ص ٤٦٣ لي ج١ ص ٢٩، ١٠٨، ٢٤١. وج ٢ ص ١٥٣، ١٨٤، كخ ج١ ص ٢١٥».

عمر بن عمرو العسقلاني أبو حفص الطحّان، قال ابن عدي: حدَّث بالبواطيل عن الثقات، وقال أيضاً: عامَّة ما يرويه موضوعٌ، وهو في عداد من يضع الحديث «لم ج٤ ص ٣٢٠».

عمر بن عيسى الأسلمي، قال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الأثبات «لم ج٤ ص ٣٢١».

عمر بن محمَّد بن السري الورّاق أبو بكر ابن أبي طاهر المتوفّى سنة ٣٧٨، قال الحاكم: أعرف الناس بسرقة الحديث والمقلوبات، كذّابٌ رأيتهم أجمعوا على ترك حديثه وكتبوا على ما كتبوا عنه: كذّابٌ، فلم ألقه ولم أشتغل به. لم ج٤ ص ٣٢٥.

عمر بن محمّد أبو حفص التلعكبري الخطيب البغدادي، غير ثقة مشهورٌ بوضع الحديث «طب ج١١ ص ٢٤٢».

عمر بن مدرك القاضي البلخي المتوفّى سنة ٢٧٠، كذّابٌ طب ج١١ ص ٢١٢، م ج٢ ص ٢٧٠ .

عمر بن موسى الميثمي بن وجيه الوجيهي، كذّابٌ وضّاعٌ كان يضع الحديث متناً وإسناداً «م ج٢ ص ٢٧١، نص ج ١ ص ١٨٧، مستدرك الحاكم ج٣ ١٢٤ في تلخيصه، لب ٤٤، لي ج٢ ص ٨٤، ١٣٨، ٢٢٠».

عمر بن هارون البلخي أبو حفص المتوفّى سنة ١٩٤، كذّابٌ خبيثٌ متروك الحديث قال أبو غسان: قال عمر بن هارون: رميت من حديثي سبعين ألف حديث. وقال أبو زكريا: قد كتبت عنه ثمّ تبيّن لنا أمره بعد ذلك فخرقت حديثه كلّه ما عندي كلمة إلّا أحاديث على ظهر دفتر خرقتها كلّها «طب ج١١ ص ١٨٩، م ج٢ ص ٢٧٣، لب ١٦١، م ج٢ ص ٣٦».

عمر بن يزيد الرفاء أبو حفص البصري، قال أبو حاتم: يكذب. وقال

ابن عدي: أحاديثه تشبه الموضوع «لم ج٤ ص ٣٣٩».

عمرو بن الأزهر العتكي البصري قاضي الجرجان، كذّابٌ يضع الحديث متروكٌ «طب ج١٢ ص ١٩٤، م ج٢ص ٢٨١، لي ج١ص ١٦٥ وج ٢ ص ٦٥».

عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ المتوفّى سنة ٢٥٥/ ٦ صاحب التصانيف الكثيرة، أكذب الامّة وأوضعهم لحديث وأنصرهم للباطل. وقال ثعلب: كان كذّاباً على الله وعلى رسوله وعلى النّاس. لم ج٤ ص ٣٥٦.

عمرو بن بكر السكسكي، قال ابن حبّان: يكذب. لم ج٥ ص ٢٧٠.

عمرو بن جرير أبو سعيد البجلي، كذَّبه أبو حاتم. لم ج٤ ص ٣٥٨.

عمرو بن جميع أبو عثمان قاضي حلوان، كذّابٌ خبيثٌ ليس بثقة ولا مأمون «طب ج ٣ ص ٢٢٤، ج ١٢ ص ١٩١، لي ج٢ ص ٨، ٩٨، ١٠٣».

عمرو بن الحصين، كان كذّاباً «طب ج٥ ص ٣٩٠. لي ج١ ص ١٠٣».

عمرو بن حميد قاضي الدينور، ذكره السليماني في عداد من يضع الحديث «م ج٢ ص ٢٨٦».

عمرو بن خالد القرشي الكوفي أبو خالد، كذّابٌ غير ثقة كان يضع الحديث «م ج٢ ص ٢٨٦، نص ج١ ص ٤١، ١٨٧، مز ج١ ص ٢٤٦، لي ج٢ ص ١٦٠».

عمرو بن خليف أبو صالح الخناوي قال ابن حبان: كان يضع الحديث. ومن خزاياته الموضوعة على ابن عبّاس قال قال النبيُّ ﷺ: أُدخلت الجنَّة فرأيت فيها ذئباً فقلت: أذئبٌ في الجنّة؟ قال: إنّي أكلت ابن شرطيّ. قال ابن عبّاس: وهذا إنّما أكل ابنه فلو أكله رُفع في علّيين

قال الأميني:

ليت ابن عبّاس يُفصح عن أنَّه لو كان أكل مدير الشرطة أين كان يُرفع؟! - «ت ٤٦، م ج٢ ص ٢٨٧، لم ج٤ ص ٣٦٣».

عمرو بن زياد بن تومان الباهلي حدَّث سنة ٢٣٤ ، كان كذّاباً أفّاكاً يضع الحديث قال ابن عدي: يسرق الحديث ويحدِّث بالبواطيل «طب ج١٢ ص ٢٠٥ ، م ج٢ ص ٢٨٨ ، ك ج٣ ص ٦٤، لي ج١ ص ٣٩٢».

عمرو بن عبيد أبو عثمان المعتزلي البصري المتوفّى سنة ١٤٤ ، كان من الكذّابين الآثمين مبتدعاً ولا كرامة له «طب ج ١٢ ص١٨٢ ، نص ج١ ص٤٩» .

عمرو بن مالك الفقيمي ، كذّابٌ ممَّن يسرق الحديث «لم ج٤ ص ٣٧٤».

عمرو بن محمَّد بن الأعشم، كذّابٌ كان يضع الحديث، يروي عن الثقات المناكير ويضع أسماء المحدِّثين روى عنه أحمد بن الحسين بن عبّاد البغدادي أحاديث كلّها موضوعةٌ «م ج٢ ص ٣٠٠، ت ٧٤، ٧٩، ٨١، ١٠٠، لي ج٢ ص ١٠٢».

عمرو بن واقد الدمشقي ، عن دحيم قال: لم يكن شيوخنا يحدِّثون عنه وكان لم يشك أنَّه كان يكذب «م ج ٢ ص ٣٠٢» .

عنبسة بن عبد الرَّحمن الأموي حفيد العاص بن اميَّة، كذّابٌ كان يضع الحديث «م ج ٢ ص ٣٠٧، يب ج٨ ص ١٦١».

عوانة بن الحكم الكوفي المتوفّى سنة ١٥٨ ، كان عثمانيّاً يضع الأخبار لبني اميَّة «لم ج٤ ص ٣٨٦».

عيسى بن زيد الهاشمي العقيلي، كان شافعيَّ المذهب لحقه الحاكم، كذّابٌ «لم ج٤ ص ٣٩٥».

عيسى بن عبد العزيز اللخمي الإسكندراني المقري المتوفّى سنة ٦٢٧ ، سماعاته للحديث من السِّلفي وغيره صحيحةٌ فأمّا في القراءات فليس بثقة ولا مأمون، وضع أسانيد وادّعى أشياء لا وجود لها، وهّاه غير واحد وقد حدَّثونا عنه، له كتاب الجامع الأكبر في اختلاف القرّاء يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق ومن هذا الكتاب وقع الناس فيه «لم ج٤ ص ٤٠٢».

عيسى بن يزيد ابن داب الليثي المديني، كذّابٌ كان يضع الحديث

بالمدينة وفيه قال ابن مناذر:

ومن تبع الوصاة فإنّ عندي ... وصاةٌ للكهول وللشَّبابِ
خذوا عن مالك وعن ابن عوف ... ولا تروُوا أحاديث ابن دابِ
ترى الهلّاك ينتجعون منها ... ملاهي من أحاديث كذابِ
إذا طلبت منافعها اضمحلّت ... كما يرفضّ رقراق السَّرابِ

«طب ج١١ ص ١٥٢، م ج٢ ص ٣١٩».

«حرف الغين المعجمة»

غنيم (غنم) بن سالم، أحد المشهورين بالكذب، غير ثقة ولا مأمون، قال ابن حبّان: روى العجائب والموضوعات لا تعجبني الرِّواية عنه فكيف الاحتجاج به. وقال ابن حجر: له عن أنس نسخةٌ موضوعةٌ «م ج٢ ص ٣٢٣، لم ج٤ ص ٤٢١، ت ٨٨، ٩٤».

غياث بن إبراهيم النخعي الكوفي، كذّابٌ خبيثٌ كان يضع الحديث «طب ج١٢ ص ٣٢٦، نص ج٤ ص ٢٣٩، م ج٢ ص ٣٢٣، لب ٥٠، لي ج٢ ص ١١٦، ١٢٣».

«حرف الفاء»

الفضل بن أحمد اللؤلؤي، قال أبو الشيخ: حدَّث عن إسماعيل بن عمرو بأحاديث كثيرة كان يشتريها ويضعها على إسماعيل فاتّفق أبو إسحاق وأبو أحمد ومشايخنا على ترك حديثه وإنّه كذّابٌ «لم ج ٤ ص ٤٣٧».

الفضل بن الجبّار، كذّابٌ، مز ج٢ ص ١١٢.

الفضل بن السكّين أبو العبّاس القطيعي السندي، قال ابن معين: كذّابٌ لعن الله من يكتب عنه من صغير أو كبير إلّا أن يكون لا يعرفه «طب ج١٢ ص ٣٦٢، لم ج٤ ص ٤٤١».

الفضل بن سهل الأسفرايني ثمَّ الدمشقي الحلبي الأثير المتوفّى سنة ٥٤٨، كانوا يتّهمونه بالكذب، حكى شيخ الشيوخ إسماعيل بن أبي سعد قال:

كان عندي أبو محمَّد المقرىء فدخل الأثير الحلبي فجعل يثني على أبي محمَّد وقال: من فضائله أنَّ رجلاً أعطاني مالاً فجئت به إليه فلم يقبله. فلمّا قام قال أبو محمَّد: والله ما جاءني بشيءٍ ولا أدري ما يقول والحمد لله الذي لم يقل عنده وديعة لأحد. ظم ج١٠ ص ١٥٥، لم ج٤ ص ٤٤١ .

الفضل بن شهاب، قال يحيى، كذّابٌ «لم ج٤ ص ٤٤٢».

الفضل بن عيسى، كذّابٌ «لي ج٢ ص ١٦٧».

الفضل بن محمّد العطّار الباهلي، كذَّابٌ كان يضع الحديث وصل أحاديث وزاد في المتون «م ج٢ ص ٣٣٣، لم ج٤ ص ٤٤٨».

فهد بن عوف أبو ربيعة قيل توفّي سنة ٢١٩، قال ابن المديني: كذَّابٌ «لم ج٤ ص ٤٥٥».

الفيض بن وثيق قدم بغداد سنة ٢٢٤، كذَّابٌ خبيثٌ «طب ج١٢ ص ٣٩٨ م ج٢ ص ٣٣٧، كن ج٦ ص ١٣٤».

«حرف القاف»

القاسم بن إبراهيم الملطي قدم الموصل سنة ٣٢٣، كان كذّاباً أفّاكاً يضع الحديث أتى بطامّة لا تُطاق «طب ج٨ ص ٧٧ وج ١٢ ص٤٤٦، م ج٢ ص ٣٣٧، لي ج١ ص ٨».

القاسم بن أبي سفيان محمّد أبو القاسم المعمري المتوفّى سنة ٢٢٨، خبيثٌ كذَّابٌ «طب ج١٢ ص ٤٢٥».

القاسم بن عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطّاب المدني. كذَّابٌ يضع الحديث «م ج٢ ص ٣٣٩، يب ج٨ ص ٣٢٠، لب ٨٠، ٢٣٣، لي ج٢ ص ٩٢».

القاسم بن محمّد بن عبدالله الفرغاني. كان يضع الحديث وضعاً فاحشاً «م ج٢ ص ٣٤٢، لي ج٢ ص ٨».

قطن بن صالح الدمشقي، كذَّابٌ «م ج٢ ص ٣٤٨».

«حرف الكاف»

كادح بن رحمة، كذَّابٌ «م ج٢ ص ٣٥١، لي ج١ ص ١٠٦ وج ٢ ص ١١٤».

كثير بن زيد الأسلمي، قال الشافعي: ركنٌ في الكذب. وقال ابن حبّان: له عن أبيه عن جدِّه نسخةٌ موضوعةٌ «لب ٢٣٨».

كثير بن سليم بن هاشم الأيلي، كان يضع الحديث«ت ٢٨، لي ج٢ ص ٢٠٢».

كثير بن عبدالله بن عمرو المزني المدني، ركنٌ من أركان الكذب، ضرب أحمد على حديثه، قال ابن عُدي عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه«م ج٢ ص ٣٥٤، لب ١٧، لي ج١ ص ٤٩».

كثير بن مروان أبو محمَّد الشامي، كان كذَّاباً ليس بشيءٍ، يكذب في حديثه لا يحتجُّ به «طب ج١٢ ص ٤٨٢، م ج٢ ص ٣٥٦، لم ج٤ ص ٤٨٤، ج ٦ ص ٤٣٣، لب ص ١٥٦».

كلثوم بن جوشن القشيري، يروي الملزوقات عن الثقات والموضوعات عن الأثبات لا يحلُّ الاحتجاج به «يب ج٨ ص ٤٤٣، م ج٢ ص ٣٥٧».

«حرف اللام»

لاحق بن الحسين أبو عمرو [بن عمر] المقدسي المتوفّى سنة ٣٨٤، قال الإدريسي: كان كذَّاباً أفَّاكاً يضع الحديث عن الثقات ويسند المراسيل ويحدِّث عمّن لم يسمع منهم، ووضع نسخاً لأناس لا تعرف أساميهم في جملة رواة الحديث مثل: طرغال. وطربال وكركدن، وشعبوب. ومثل هذا شيئاً غير قليل ولا نعلم وما رأينا في عصرنا مثله في الكذب والوقاحة مع قلّة الدِّراية وكتب لي بخطِّه زيادة على خمسين جزءاً من حديثه، وكانت كتابتي عنه لأعلم ما وضعه وما يسند من المراسيل والمقطوعات ومع ذلك فقد رأيناه حدّث بعد أن

فارقناه بأحاديث أنشأها بعد أن خرج من سمرقند «طب ج٢ ص ٢٤٤ وج ١٤ ص ١٠٠، كخ ج ١ ص٢٣٥، لي ج١ ص ٥٩، وج ٢ ص ١٦٠».

«حرف الميم»

مأمون بن أحمد السّلمي الهروي، دجّالٌ يضع الحديث أتى بطامّات وفضائح «م ج٣ ص ٤، ت ٨٧، ١١١، لي ج٢ ص ٨٠».

مبارك بن فاخر أبو الكرم الدبّاس من كبار أئمّة اللغة والأدب توفّي سنة ٥٠٠ له مصنّفات رماه ابن ناصر بالكذب والتزوير في الرّواية، وكان يدّعي سماع ما لم يسمعه «ظم ج٩ ص ١٥٤، هب ج٣ ص ٤١٢».

مبشّر بن عبيد الحمصي، كذّابٌ كان يضع الحديث «سنن البيهقي ج٧ ص ٢٤٠، زاد المعاد ج١ ص ١٢٣، م ج٣ ص ٦، لي ج١ ص ٨٣ وج ٢ ص ٧٤، ٩١».

مجاشع بن عمرو، كان يكذب، قال ابن معين: رأيته أحد الكذّابين «طب ج١٢ ص ٥٠، م ج٣ ص ٧، لب ٣٦، ٥٨، لي ج١ ص ١٢٧ وج ٢ ص ٢٢٧».

مجاعة بن ثابت الخراساني نزيل بغداد، كذّابٌ ليس بشيءٍ «طب ج١٣ ص ٢٦٢».

محمّد بن أبان الرّازي، دجّالٌ كذّابٌ كان يفتعل الحديث وكان لا يحسن أن يفتعل «لم ج٥ ص ٣٣».

محمّد بن إبراهيم السّعدي الفرياني، كان يضع الحديث «م ج٣ ص ١٣».

محمّد بن إبراهيم الشّامي أبو عبدالله الزاهد، كذّابٌ وضّاعٌ يعتاد أن يضع الحديث، عامّة أحاديثه غير محفوظة لا تحلّ الرواية عنه إلّا عند الاعتبار وكان من الزُّهاد «م ج٣ ص ١١، ت ٣٦، ٧١، ١٠٤، ١٠٥، يب ج٩ ص ١٤، لي ج٢ ص ٩٢، ١٠٠».

محمّد بن إبراهيم الطيالسي عمر إلى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، بئس الرَّجل، دجّال يضع الحديث، لا يشكّ أنّه يسرق الحديث «لم ج٤ ص ٢٢».

محمّد بن أبي نوح أبو عبدالله مولى خزاعة، كذَّابٌ متروكٌ يروي أحاديث منكرة «طب ج٢ ص ٣١١».

محمّد بن أحمد بن إبراهيم بن المحبّر الكتبي المتوفّى سنة ٧٧٨، كان مزوِّراً كذَّاباً «لم ج٥ ص ٣٩».

محمّد بن أحمد أبو الطيِّب الرَّسعني، كذَّابٌ يضع الحديث، قال أبو عروبة: لم أر في الكذَّابين أصفق وجهاً منه «م ج٣ ص ١٦، لم ج٥ ص ٤٠».

محمّد بن أحمد بن إسماعيل أبو بكر القزويني، قال ابن النّجار: رأيتُ جماعة يرمونه بالكذب ويذمّونه، بلغنا أنّه توفّي سنة ٦١٤ «لم ج٥ ص ٥٩».

محمّد بن أحمد بن حامد قاضي حلب المتوفّى سنة ٤٨٢، كذَّبه عبد الوهّاب الأنماطي «ظم ج٩ ص ٥٢، لم ج٥ ص ٦١».

محمَّد بن أحمد بن حسين الأهوازي، كذَّابٌ «م ج٣ ص ١٥».

محمَّد بن أحمد بن حمدان العنبري أبو حزام، كان يضع الحديث «لم ج ٥ ص ٥٤».

محمَّد بن أحمد بن سهيل «سهل» أبو الحسن الباهلي، كان ممَّن يضع الحديث إسناداً ومتناً ويسرق من حديث الضعاف ويلزقها على قوم ثقات «م ج ٥ ص ١٥، لم ج ٥ ص ٣٤، لي ج ٢ ص ٤٠.

محمَّد بن أحمد بن عبدالله العامري المصري المتوفّى سنة ٣٤٣، كان يكذب له نسخةٌ موضوعةٌ «م ج٣ ص ١٧، ١٩[1]».

محمّد بن أحمد بن محروم أبو الحسين المصري المتوفّى سنة ٣٣٠، كان يكذب «لم ج٥ ص ٥٥».

---

(١) ذكر الذهبي ترجمتين إحداهما باسم العامري محمد بن أحمد بن عبدالله بن هاشم والاخرى مثله غير أنّ فيها عبد الجبار مكان هاشم، أحسب اتحادهما.

محمد بن احمد النخّاس العطّار. شيخ متأخر كذّاب م ج٣ ص١٩.

محمّد بن أحمد بن هارون أبو بكر الزيوندي الشافعي المتوفّى سنة ٣٥٥، شيخٌ لأبي عبدالله الحاكم متهمٌ بالوضع قال الحاكم: عرض عليّ من حديثه المناكير الكثيرة وروايته عن قوم لا يُعرفون مثل: أبي الملوك. والحجازي. وأحمد بن عمر الزنجاني. فدخلت يوماً على أبي محمّد عبدالله بن أحمد الثقفي المزكي فعرض عليَّ حديثاً بإسناد مظلم عن الحجّاج بن يوسف قال: سمعت ابن جندب رفعه: مَن أراد الله به خيراً يفقّهه في الدِّين. فقلتُ: هذا باطلٌ وإنّما تقرَّب به إليك أبو بكر الشافعي لأنّك من ولد الحجّاج، قال: ثمّ اجتمع بي فقال: جئتُ لأعرض عليك حديثي. فقلت: دع أوّلاً أبا الملوك. وأحمد بن عمر. فعندي أنّ الله لم يخلقهما بعدُ. فقال: الله الله فيَّ فإنّهما رأس المال. فقلتُ: أخرج إليَّ أصلك. ففارقني على هذا، فكأنّي قلتُ له: زد فيما ابتدأت به فإنّه زاد عليه، لم ج٥ ص ٤٣.

محمّد بن إسحاق أبو بكر المديني المتوفّى سنة ١٥٠ صاحب السيرة الشهيرة، قال هشام بن عروة: كذب الخبيث، عدوّ الله الكذّاب. وقال مالك ـ إمام المالكيّة ـ: كذّابٌ دجّالٌ من الدجاجلة «طب ج١ ص ٢٢٢، ٢٢٣».

محمّد بن إسحاق البلخي المتوفّى سنة ٢٤٤، كان أحد الحفّاظ، كذّابٌ يروي أحاديث من ذات نفسه مناكير وكان يضع للكلام إسناداً«طب ج١٠ ص ٩٠، ظم ج٥ ص ١٤٨ ، م ج ٣ ص ٢٤» .

محمّد بن إسحاق العكاشي، كذّابٌ يضع الحديث«م ج٣ ص ٢٥، ت ج ١٣ ، ٢٧ ، ٨٠ ، لي ج ١ ص ٩٠» .

محمّد بن إسحاق أبو عبدالله الضبّي «الصيني» المتوفّى سنة ٢٣٦، كذّابٌ متروكٌ «طب ج١ ص ٢٣٩، ظم ج٥ ١٤٨، م ج٣ ص ٢٥».

محمّد بن أسعد الحكيمي أبو المظفر الواعظ فقيه الحنفيّة نزيل دمشق المتوفّى سنة ٥٦٧، كان فشلاً في دينه خليعاً قليل المروّة ساقطاً كذّاباً. جم ج٢ ص ٣٣.

محمـــد بن إسماعيـل أبو الحسين الـرازي المكتب المتـوفّى بعـد سنة ٣٥٠ ، كذَّبه الحافظ أبو القاسم الطبري في روايته عن موسى بن نصر «طب ج ٢ ص ٥٣ ، ظم ج ٧ ص ٢٢» .

محمّـد بن إسماعيـل الوسـاسي البصري ، كـان يضع الحـديث «لم ج٥ ص ٧٧، مز ج٩ ص ٨٢».

محمّد بن إسماعيل العوام ، كان يكذب ويزوِّر السّماع «لم ج٥ ص ٧٩» .

محمَّد بن أيّوب الرقِّي ، كان يضع الحديث على مالك «لم ج٥ ص ٨٨، لي ج١ ص ٤٤٨».

محمّد بن أيّوب بن سويد الرملي ، كان يضع الحديث، قد أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة وقال الحاكم وأبو نعيم : روى عن أبيه أحاديث مـوضوعـة «لم ج٥ ص ٨٧، لي ج١ ص ١٧٠» .

محمَّد بن تميم الفاريابي ، كذَّابٌ خبيثٌ وضَّاعٌ كان يضع الحديث، وعن الحافظ السري : وضع محمَّد بن تميم ، وأحمد الجويباري ، ومحمَّد بن عكاشة أكثر من عشرة آلاف حديث «طـب ج٧ ص ٣٤٣ ، م ج٣ ص ٣٣، لـم ج٥ ص ٩٨، ٢٨٨ ، لـي ج١ ص ٢٠١ ، ج ٢ ص ٤٩ ، ٨٥».

محمّد بن حاتم المروزي أبو عبدالله السمين المتوفّى سنـة ٢٣٦ ، قال يحيى بن معين : كذَّابٌ . وكذَّب حديثه عليٌّ المديني «طب ج٢ ص ٢٦٧ ، وج ٤ ص ١١٣» .

محمَّد بن حاتم الكشِّي ، كذَّابٌ «م ج٣ ص ٣٧، لي ج٢ ص ٧٦» .

محمَّد بن الحجّاج الواسطي اللخمي أبو إبراهيم نزيل بغداد المتوفّى سنة ١٨١ ، كذَّابٌ خبيثٌ وضَّاعٌ ذاهب الحديث «طب ج٢ ص ٢٧٩ ، لم ج٥ ص ١١٦ لي ج١ ص ١٨٤».

محمَّـد بن حسان الكـوفي الخزّاز قـال أبو حـاتم : كـان كـذَّابـاً «لم ج٥ ص ١٢١» .

محمَّد بن حسّان الأموي، قال ابن الجوزي: كذَّابٌ «م ج٣ ص ٤١».

محمَّد بن حسَّان السمتي قال يحيى بن معين: كذَّابٌ رجل سوء رأيته بمكّة في المسجد الحرام كان كذَّاباً «طب ج٢ ص ٢٧٥».

محمَّد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني الكوفي، كذَّابٌ متروكٌ، كان يكذب «جع ج٣ص ٢٢٥، م ج٣ ص ٤٢، لب ٧١، ٢٢٠، مز ج١ ص ١٢٨، لي ج٢ ص ١٥٧، كخ ج١ ص ٢١٥».

محمّد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة المتوفّى سنة ١٨٩، قال يحيى بن معين: كذّابٌ. ونحوه قال فيه أحمد بن حنبل طب ج٢ ص ١٨١)

محمّد بن الحسن بن زبالة المخزومي أبو الحسن المدني توفّي قبل المائتين، كذّابٌ متروكٌ واهي الحديث نسب إلى وضع الحديث «م ج٣ ص ٤٢، مز ج١ ص ٣٠٦، لي ج٢ ص ٧١، شرح المواهب للزرقاني ج٨ ص ٢٩٣».

محمّد بن الحسن الأهوازي جراب الكذب، كان كذّاباً يسرق الأحاديث ويركّبها ويضعها على الشيوخ توفّي سنة ٤١٨ (ظم ج٨ ص ٩٣، م ج٣ ص ٤٣، لم ج٥ ص ١٢٥، يه ج١٢ ص ٤١).

محمّد بن الحسن، قال الذهبي: لعلّه النّقاش صاحب التفسير فإنّه كذّابٌ أو آخر من الدجاجلة (م ج٣ ص ٤٣).

محمَّد بن الحسن أبو بكر الدعّاء الأصمّ القطايعي المتوفّى سنة ٣٢٠، يروي الموضوعات عن الثقات (طب ج٢ ص١٩٤) والغالب على ظنّ الذهبي أنّه واضع كتاب «الحيدة» وقد انفرد بروايته.

محمّد بن الحسن - أبو الحسن - بن كوثر أبو بحر البربهاري المتوفّى سنة ٣٦٢، كان كذّاباً ظم ج٧ ص ٦٤، لم ج٥ ص ١٣١.

محمّد بن الحسن - الحسين - أبو عبد الرَّحمن السّلمي النيسابوري، وضّاعٌ كان يضع الأحاديث للصوفيّة ألّف كتباً تبلغ مائة كتاب (م ج٣ ص ٤٦،

طب ج٢ ص ٢٤٨ ، ظم ج٨ ص ٦ ، هب ج٣ ص ١٩٦) .

محمّد بن الحسين بن إبراهيم أبو بكر الورّاق يُعرف بابن الخفّاف توفّي سنة٤١٨ ، قال الخطيب في تاريخه ج٢ ص ٢٥٠ : لا أشكُّ أنّه كان يركّب الأحاديث ويضعها على من يرويها عنه ، ويختلق أسماء وأنساباً عجيبة لقوم حدَّث عنهم ، عندي عنه من تلك الأباطيل أشياء وكنت عرضت بعضها على هبة الله بن الحسن الطبري فخرق كتابي بها ، وجعل يعجب كيف أسمع منه ، قال لي ابن الخفّاف : احترق مرّة سوق باب الطاق فاحترق من كتبي ألف وثمانون مناً كلّها سماعي . وذكره ابن الجوزي في المنتظم ج٨ ص ٣٤ والذهبي في الميزان ، وابن كثير في تاريخه ج١٢ ص ٢٣ .

محمّد بن الحسين الشاشي ، شُويخٌ كذّابٌ . م ج٣ ص ٤٧ .

محمّد بن الحسين المقدسي ، كان يضع الحديث م ج٣ ص ٤٧ ، سمّى نفسه لاحقاً وقد مرّ .

محمّد بن الحسين أبو بكر القطّان البلخي المتوفّى سنة ٣٠٦ ، كذّبه ابن ناجية . يه ج١١ ص ١٣٠ .

محمّد بن الحسين بن عمران أبو عمر . كان يضع الحديث . طب ج٢ ص ٢٤٥ .

محمّد بن حميد أبو عبدالله الرازي المتوفّى سنة ٢٤٨ ، أحد الحفّاظ من أوعية العلم كذّابٌ يسرق الحديث ويركّب الأسانيد على المتون ، كان يأخذ الأحاديث فيقلّب بعضها بعضاً ، وكانت أحاديثه تزيد كلَّ يوم . قال الأسدي : ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين : سليمان بن الشاذكوني ، ومحمّد بن حميد الرازي . وقال الجزري : ما رأيت أجرأ على الله منه . وقال فضلك الرازي : عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث ولا أحدِّث عنه بحرف [طب ج٢ ص ٢٦٢ ، م ج٣ ص ٤٩ ، هب ج٢ ص ١١٨ ، لي ج١ ص ٣٥٩ ، ج ٢ ص ١٦] .

محمّد بن خالد الواسطي الطحّان، كان رجل سوء، كذَّابٌ (م ج ٣ ص ٥١).

محمَّد بن خليد الحنفي الكرماني، كان يقلّب الأخبار ويسند الموقوف. ت ٨.

محمَّد بن خليل الذهلي، كان يضع الحديث (ت ١٣، م ج٣ ص ٥٤).

محمَّد بن داب المديني، كذَّابٌ [م ج٣ ص ٥٤].

محمَّد بن داود بن دينار الفارسي، كان يكذب ويضع (م ج٣ ص ٥٤، لم ج٤ ص ١٠٦ وج ٥ ص ١٦١، لي ج١ ص ١٠٣ وج ٢ ص ٩٩).

محمَّد بن ززام، كذَّابٌ (بق ج٤ ص ٣٥).

محمَّد بن زكريّا الخصيب، كان يضع الحديث (م ج٣ ص ٥٨، لي ج١ ص ٥١، ١٢١).

محمَّد بن زياد الجزري الحنفي كان يضع الحديث (ت ج٣، ٢٧، ٦٦).

محمَّد بن زياد اليشكري، كذَّابٌ يضع الحديث خبيثٌ أعور (طب ج٥ ص ٢٨٠ وفي ج ٥ ص ٢٧٩: قال يحيى بن معين: كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث كذّابين منهم محمَّد بن زياد كان يضع الحديث. وهو مترجمٌ بالكذب في (لب ج١٧، م ج٣ ص ٦٠).

محمّد بن زيادة الطحّان، كان يضع الحديث حديثه كذبٌ. زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٠١ .

محمّد بن سعيد المعروف بالمصلوب الشّامي، كذّابٌ عمداً كان يضع الحديث عدَّه النسائي من الكذّابين الأربعة المعروفين بوضع الحديث على رسول الله.

قال عبدالله بن أحمد بن سوادة: قلّبوا اسمه على مائة اسم وزيادة قد جمعتها في كتاب (طب ج١٣ ص ١٦٨، م ج٣ ص ٦٤).

محمَّد بن سعيد الأزرق، كذَّابٌ يضع الحديث م ج٣ ص ٦٥، لي ج ١ : ٢٦٣.

محمّد بن سعيد المروزي البورقي المتوفّى سنة ٣١٨، أحد الوضّاعين كذّابٌ حدّث بغير حديث وضعه، قال الخطيب: قد وضع من المناكير على الثقات ما لا يحصى وأفحشها روايته عن بعض مشايخه. إلخ.[1] طب ج٥ ص ٣٠٩، لي ج١ ص ٢٣٨ وج ٢ ص ٨٥.

محمّد بن سليم البغدادي، كان يكذب في الحديث. م ج٣ ص ٦٩.

محمّد بن سليمان بن أبي فاطمة، كذّابٌ يضع الحديث م ج٣ ص ٦٩.

محمّد بن سليمان بن دبير، كان يضع على الثقات، وقال ابن حبّان: كان يسرق الحديث ويضع (م ج٣ ص ٦٩، لم ج٥ ص ١٨٨).

محمّد بن سليمان بن زبان، شيخٌ كان بالبصرة، قيل: كان يضع الحديث. م ج٣ ص ٦٩.

محمّد بن سليمان بن هشام أبو جعفر الخزّاز المعروف بابن بنت مطر الورّاق توفّي سنة ٢٦٥، ضعّفوه بمرّة قال ابن حبّان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، وقال ابن عدي: يوصل الحديث ويسرق، وعدَّ الذهبي له أكاذيب في ميزانه ج٣ ص ٦٨ ورأى الخطيب في تاريخه ج٥ ص ٢٩٧، وابن الجوزي والذهبي الحمل في بعض الموضوعات عليه.

محمّد بن سنان القزّاز البصري نزيل بغداد كذّبه أبو داود وغيرهب ج٢ ص ١٦١، مز ج٢ ص ١٣٩ .

محمّد بن سهل أبو عبدالله العطّار، كان يضع الحديث «طب ج٥ ص ٣١٥، م ج٣ ص ٧١، لي ج٢ ص ٩٩.

محمّد بن شجاع أبو عبدالله ابن الثلجي الحنفي المتوفّى سنة ٢٦٦، فقيه العراق في وقته كان كذّاباً يضع الحديث في التشبيه، احتال في إبطال الحديث عن رسول الله وردّه نصرة لأبي حنيفة ورأيه «طب ج٥ ص ٣٥١، ظم ج٥ ص ٥٨، م ج٣ ص ٧١، هب ج٢ ص ١٥١، لي ج١ ص ٣».

محمّد بن الضو بن الصلصال أبو جعفر الكوفي كذّابٌ شارب الخمر. طب ج٥ ص ٣٧٥.

---

(١) حديث وضعه في مدح أبي حنيفة وذم الشافعي.

محمّد بن عبد بن عامر السمرقندي المتوفّى حدود الثلاثمائة ، كذّابٌ معروفٌ بوضع الحديث، روى أحاديث باطلة، وكان يسرق الأحاديث فيحدّث بها ويتابع الضعفاء والكذّابين في رواياتهم عن الثقات الأباطيل قد اشتهر كذبه «طب ج٢ ص ٣٨٨ م ج٣ ص ٩٦، لم ج٥ ص ٢٧٢، لي ج١ص ٣، ١٢١».

محمّد بن عبدة القاضي البصري المتوفّى سنة ٣١٣، كذّابٌ متروكٌ لا شيء كان آفة «م ج٣ ص ٩٦».

محمّد بن عبدالرَّحمن بن بجير المتوفّى سنة ٢٩٢، كذّابٌ متروك الحديث يروي عن الثقات المناكير وعن مالك البواطيل «م ج٣ ص ٩٠، لم ج٥ ص ٢٤٦».

محمّد بن عبدالرَّحمن البيلماني، حدَّث عن أبيه بنسخة شبيهاً بمائتي حديث كلّها موضوعةٌ «م ج٣ ص ٨٩، لي ج١ ص ٢٣٩، كخ ج٢ ص ٧١».

محمّد بن عبدالرَّحمن أبو جابر البياضي المدني، كذّابٌ متروك الحديث. «جع ج٣ ص ٣٢٥، م ج٣ ص ٨٩».

محمّد بن عبدالرَّحمن القشيري، كذّابٌ متروك الحديث، كان يكذب ويفتعل الحديث «جع ج٦: ٣٢٥، م ج٣ ص ٩٢».

محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن غزوان الشهير بابن قراد، كذّابٌ كان يضع الحديث له عن ثقات الناس بواطيل حدَّث بوقاحة عن مالك وشريك وضمام بن إسماعيل ببلايا «طب ج ٢ ص ٣١١، م ج ٣ ص ٩٣، ت ص ٤٠، لم ج ٥ ص ٢٥٣».

محمّد بن عبدالعزيز الجارودي العباداني، حافظٌ كان يكذب «م ج ٣ ص ٩٤».

محمّد بن عبدالقادر أبو الحسين ابن السمّاك الواعظ المتوفّى سنة ٥٠٢، كذّابٌ لا تحلُّ الرِّواية عنه «ظم ج٩ ص ١٦١م ج٢ ص ٩٤ لم ج٥ ص ٢٦٣».

محمّد بن عبدالله ابن أبي سبرة أبو بكر المدني المتوفّى سنة ١٦٢، كذّابٌ

وضّاعٌ ليس بشيءٍ كان يضع الحديث ويكذب ويفتي في مدينة الرَّسول وكان عنده سبعون ألف حديث في الحلال والحرام «طب ج١٤ ص ٣٧٠؛ يب ج ١٢ ص ٢٧؛ م ج٣ ص ٨٠».

محمَّد بن عبدالله بن إبراهيم بن ثابت أبوبكر الأشناني، كذّابٌ دجّالٌ يضع الحديث، وكان يضع ما لا يحسنه غير أنّه والله أعلم أخذ أسانيد صحيحة من بعض الصحف فركّب عليها هذه البلايا «طب ج٥ ص ٤٤١، ٤٤٣، لي ج١ ص ٢٧٣».

محمَّد بن عبدالله بن زياد أبوسلمة، كذّابٌ. ت ٤٣، ٩٥.

محمَّد بن عبدالله بن علاثة الحرّاني القاضي المتوفّى سنة ١٦٨، كان يضع عن الثقات ويأتي بالمعضلات لا تحلُّ الرِّواية عنه قاله ابن حبّان. ت ٥٤.

محمَّد بن عبدالله بن المطلب أبو الفضل الشيباني الكوفي المتوفّى سنة ٣٨٧، وضّاعٌ دجّالٌ كذّابٌ كان يضع الأحاديث للرّافضة «طب ج٥ ص ٤٦٧ لم ج٥ ص ٢٣١، لي ج٢ ص ٧٥» وفي ص ١٤٧ كذّابٌ وضّاعٌ نقلاً عن أبي الغنائم ثمَّ قال السيوطي: قلت مع أنّه من الموصوفين بالحفظ وهذا من أعجب ما يكون والله أعلم.

محمَّد بن عبدالله بن حبابة البغدادي البزّار المتوفّى سنة ٤٣٥، قال ابن برهان: إنَّ هذا الشيخ كذّابٌ طب ج٢ ص ٣٣٨.

محمَّد بن عبدالملك أبو عبدالله الضرير الأنصاري المدني، كذّابٌ كان يضع الحديث قال أحمد: كذّابٌ حرقنا حديثه «طب ج٢ ص ٣٤٠، م ج ٣ ص ٩٥، مز ج١ ص ١٢٤، لي ج٢ ص ٩٨، ١٣٨ وج ٢ ص ٢٢٣».

محمَّد بن عبدالواحد أبوعمر الزّاهد غلام ثعلب المتوفّى سنة ٣٤٥، قال الخطيب: كان لو طار طائرٌ لقال: حدَّثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً، فأمّا الحديث فرأينا جميع شيوخنا يُوثّقونه فيه ويصدّقونه وقال لي رئيس الرؤساء: قد رأيت أشياء كثيرة ممّا استنكر على أبي عمر، ونُسب إلى

الكذب فيما يرويه في كتب أهل العلم، له كتاب «غرائب الحديث» صنّفه على مسند أحمد وحسّن جدّاً. وكان له جزءٌ قد جمع فيه الأحاديث التي تروى في فضائل معاوية فكان لا يترك أحداً منهم «من الأشراف والكتّاب» يقرأ عليه حتّى يبتدىء بقراءة ذلك الجزء.

قال ابن النجّار: كان أبو عمر الزاهد قد جمع جزءاً في فضل معاوية وأكثره مناكير وموضوعات «طب ج٢ ص ٣٥٧، لم ج٥ ص ٣٦٨، م ج٣: ترجمه محمّد بن يحيى العنزي».

قال الأميني:

ما أنصف ابن النجّار في رأيه المذكور بل الصّواب ما جاء به الفيروز آبادي في سفر السّعادة والعجلوني في كشف الخفاء من أنّ معاوية لم يصحّ في فضله حديثٌ. ومن هذا الجزء يعرف القارىء قيمة قول الخطيب: فأمّا الحديث فرأينا. إلخ. فكيف يُوثّق ويُصدّق الشيوخ رجلاً يؤلّف جزءاً في فضل معاوية.

محمّد بن عثمان بن أبي شيبة المتوفّى سنة ٢٩٧ قال عبدالله بن اسامة الكلبي، وإبراهيم ابن إسحاق الصوّاف، وداود بن يحيى، وعبدالرّحمن بن يوسف بن خراش، ومحمّد بن عبدالله الحضرمي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وجعفر بن محمّد بن أبي عثمان الطيالسي، وعبدالله بن إبراهيم بن قتيبة، ومحمّد بن أحمد العدوي، وجعفر بن هذيل: إنّ محمّد بن عثمان كذّابٌ يضع الحديث بيّن الأمر يخيّل على أقوام بأشياء ليست من حديثهم «طب ج٣ ص ٤٥ - ٤٧».

محمّد بن عثمان بن حسن القاضي النصيبي، نزيل بغداد أبو الحسن المتوفّى سنة ٤٠٦، كذّابٌ روى للشيعة مناكير ووضع لهم أحاديث. قال أبو الفتح المصري: لم أكتب ببغداد عن شيخ أُطلق عليه الكذب غير أربعة أحدهم النصيبي. وقال أبو عبدالله الصيمري: كان ضعيفاً في الرّواية عدلاً في الشّهادة. طب ج٣ ص ٥٢، لم ج ٥ ص ٨١.

محمّد بن عثيم، كذّابٌ متروكٌ لا يكتب حديثه «م ج ٣ ص ١٠٢».

محمّد بن عكاشة الكرماني، كذوبٌ كان يضع الحديث ويحدّث بأحاديث

بواطيل وكان بكّاءً موصوفاً بالبكاء وكان إذا قرأ بكى. ونقل عن الحافظ السري أنّه كان يقول: وضع أحمد الجويباري، ومحمّد بن تميم، ومحمّد بن عكاشة، على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث «م ج٣ ص ١٠٤، لي ج٢ ص ٣٤، ١٣٤، ٢٠٩» وعدّه القرطبي في التذكار ص ١٥٥ من الجماعة الكثيرة الذين وضعوا الحديث حسبةً يدعون الناس إلى فضائل الأعمال.

محمّد بن عليّ بن موسى أبو بكر السّلمي الدمشقي المتوفّى سنة ٤٦٠، كان يكذب ويدّعي شيوخاً «لم ج٥ ص ٣١٦».

محمّد بن عليّ بن ودعان المتوفّى سنة ٤٩٤، صاحب الأربعين الودعانيّة الموضوعة، قال السّلفي: تبيّن لي حين تصفّحتها له تخليطٌ عظيمٌ يدلّ على كذبه وتركيبه الأسانيد سرقها من عمّه، وقيل: من زيد بن رفاعة «لم ج٥ ص ٣٠٥».

محمّد بن عليّ بن يحيى السمرقندي المتوفّى سنة ٣٥٩، كان كذّاباً يضع على الثقات روايات لم يذكروها ويروي عمّن لم يلحقهم «لم ج٥ ص ٢٩٤».

محمّد بن عمر بن الفضل الجعفي المتوفّى سنة ٣٦١، كذّابٌ «طب ج٣ ص ٣٢، م ج٣ ص ١١٤».

محمّد بن عيسى بن رفاعة الأندلسي المتوفّى سنة ٣٣٧، كذّابٌ يضع الحديث. «ت ٤٥، لم ج٥ ص ٣٣٤».

محمّد بن عيسى بن عيسى بن تميم، كذّابٌ منكر الحديث لم يكن بشيءٍ «لم ج٥ ص ٣٣٥».

محمّد بن الفرات الكوفي[1] أبو علي التميمي، شيخٌ ببغداد كوفيٌّ. كذّابٌ روى عن محارب موضوعات طب ج٣ ص ١٦٣، لي ج٢ ص ٢٣٩.

محمّد بن الفرخان[2] بن روزبه مولى المتوكّل أبو الطيب الدوري من دور

(١) في اللئالي المصنوعة بدل الكوفي الكرماني وهو تصحيف.
(٢) في اللئالي المصنوعة: الفرغاني بدل الفرخان وهو تصحيف.

سامراء نزيل بغداد المتوفّى بعد سنة ٣٥٩ بقليل ذكر الخطيب في تاريخه ج ٣ ص١٦٨ حديثاً منكراً فقال: ما أبعد أن يكون «من وضع ابن الفرخان» وله أحاديث كثيرة نكرة بأسانيد واضحة عن شيوخ ثقات. وفي «ميزان الإعتدال» : له خبرٌ كذبٌ في موضوعات ابن الجوزي . وفي «لسان الميزان» ج ٥ ص ٣٤٠ قال ابن النجّار: كان متّهماً بوضع الحديث. وقال السيوطي: كان يضع. لي ج١ ص ١٠٣، ٢٧٤.

محمَّد بن الفضل بن عطيّة المروزي المتوفّى سنة ١٨٠، كذّابٌ يضع الحديث «طب ج٣ ص ١٥١، م ج٣ ص ١٢٠، ت ٧٦، مز ج٢ ص ٦٧، لي ج١ ص ١٠٩ وج ٢ ص ٢٢٠».

محمَّد بن الفضل اليعقوبي الواعظ، ظهر كذبه وتخليطه توفّي سنة ٦١٧. لم ج٥ ص ٣٤٢.

محمَّد بن القاسم أبوبكر البلخي كان يضع الحديث «لي ج٢ ص٢٢٢».

محمَّد بن القاسم أبو جعفر الطالقاني، كذّابٌ خبيثٌ من المرجئة كان، يضع الحديث لمذهبه «لي ج١ ص ٢١ وج ٢ ص ١٠٢، ١٧١، ٢٣٤» وفيهاه أنّه كان من الكذّابين الوضّاعين.

محمَّد بن مجيب الثقفي الصايغ الكوفي سكن بغداد، كذّابٌ عدوّ الله ذاهب الحديث «طب ج٣ ص ٢٩٨، م ج٣ ص ١٢٨، لي ج١ ص ١٦٥».

محمَّد بن مجيب أبو همام القرشي، كذّابٌ ذاهب الحديث مز ج٩ ص ٥١، لي ج١ ص ١١٥»

محمَّد بن المحرم، كذّابٌ «لي ج٢ ص ٦١».

محمَّد بن محصن الأسدي، ليس بثقة متروكٌ كذّابٌ يضع الحديث «م ٣ ص ١٢٩؛ ت ٩٣، يب ج ٩ ص ٤٣٠، لي ج٢ ص ١٠٩».

محمَّد بن محمَّد الجرجاني الوكيل أبو الحسين نضلة المتوفّى سنة ٧٨/٣٦٨، هو الحافظ الإمام روى مناكير عن شيوخ مجاهيل لم يتابعه عليها أحد

فأنكروا عليه وكذّبوه وحلف أبو سعيد النقّاش أنّه كان يضع الحديث «بق ج ٣ ص ١٨١».

محمّد بن محمّد بن عبدالرّحمن أبو الفتح الخشّاب الثعلبي كان يُضرب به المثل في الكذب والتخيّلات ووضعها، وكان منهمكاً على الشّرب قال فيه إبراهيم بن عثمان العربي:

أوصاه أن ينحت الأخشاب والده ... فلم يطقه وأضحى ينحت الكذبا

«لم ج٥ ص ٣٥٩».

محمّد بن محمّد بن معمر المحدِّث أبو البقاء قال ابن المبارك الخفّاف: توفّي سنة ٥٤٢، ولم يكن ثقة بل كان كذّاباً يضع للنّاس أسماءهم في أجزاء ثمَّ يذهب فيقرأ عليهم «لم ج ٥ ص ٣٦٩».

محمّد بن محمّد أبوبكر الواسطي الباغندي الحافظ المعمّر المتوفّى سنة ٣١٢، مخلّطٌ مدلِّسٌ خبيث التدليس، قال إبراهيم الإصبهاني: كذّابٌ« لم ج ٥ ص ٣٦٠».

محمّد بن مروان المعروف بالسدي الصغير صاحب الكلبي، كذّابٌ غير ثقة يضع الحديث لا يكتب حديثه البتّة «طب ج٣ ص ٢٩٢، م ج٣ ص ١٣٢ لب ٢١٦، لي ج٢ ص ١٢، ١٠١، ٢٨٣».

محمّد بن مزيد ـ مرثد ـ أبوبكر الخزاعي المعروف بابن أبي الأزهر النحوي المتوفّى سنة ٣٢٥، كان كذوباً قبيح الكذب، وقال الخطيب في مسنده: كذّابٌ «م ج٣ ص٣٥٠، الإصابة ج٢ ص ٣٨٦، بغية ص ١٠٤، مفتاح السعادة ج١ ص ١٣٧».

محمّد بن المستنير أبو علي النحوي المعروف بقطرب المتوفّى سنة ٢٠٦، قال ابن السكيت: كتبت عنه قمطراً ثمَّ تبيّنت أنّه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً. «بغية ص ١٠٤».

محمّد بن مسلمة الواسطي المتوفّى سنة ٢٨٢، اتّهم بحديث موضوع

باطل، رجاله كلّهم ثقات سواه. «طب ج٣ص٣٠٧، لم ج٥ ص ٣٨٢».

محمَّد بن معاوية أبو علي النيسابوري المتوفّى سنة ٢٢٩، كذّابٌ كان بمكّة يضع الحديث حدَّث بأحاديث كثيرة كذب ليس لها أصل «طب ج ٣ ص ٢٧٢ - ٢٧٤، م ج٣ ص ١٣٨، مز ج١ ص ٤٩٤، لي ج١ ص ١١٤ وج٢ ص ٢٠٦».

محمَّد بن مندة بن أبي الهيثم الإصبهاني نزيل الري، كذّابٌ لم يكن بصدوق. «لم ج ٥ ص ٣٩٣».

محمَّد بن المنذر تابعيٌّ كذّابٌ «لي ج١ ص ١١٠».

محمَّد بن منصور بن جيكان أبو عبدالله القشيري، كذّابٌ «م ج٣ ص ١٤٠».

محمَّد بن المهاجر أبو عبدالله الطالقاني أخو حنيف القاضي المتوفّى سنة ٢٦٤، وضّاعٌ كذّابٌ يضع الحديث على الثقات، قال صالح الأسدي: إنَّه أكذب خلق الله يحدِّث عن قوم ماتوا قبل أن يولد هو بثلاثين سنة وأعرفه بالكذب منذ خمسين سنة «طب ج٣ ص ٣٠٣ نص ج١: ١٧٤. م ج٣ ص ١٤٠، ل ج٥ ص ٣٩٧، ت ٨٤، لي ج١ ص ١٢٧ وج ٢ ص ١، ٣٢؛ ١٢٣».

محمَّد بن المهلب الحرّاني، كان يضع الحديث «م ج٣ ص ١٤٠».

محمَّد بن موسى بن أبي نعيم الواسطي، كذّاب خبيثٌ «م ج٣ ص ١٤١».

محمَّد بن نعيم النصيبي، كذّابٌ «م ج٣ ص ١٤٤، لي ج٢ ص ٤٦».

محمَّد بن نمير الفاريابي، عدَّه البيلماني فيمن يضع الحديث. م ج٣ ص ١٤٤.

محمَّد بن هارون الهاشمي المعروف بابن بريه، ذاهب الحديث يتَّهم بالوضع. «طب ج ٧ ص ٤٠٣».

محمَّد بن الوليد القلانسي البغدادي، كذّابٌ كان يضع الحديث «م ج ٣ ص ١٤٥».

محمَّد بن الوليد القرطبي المتوفّى سنة ٣٠٩، هالكٌ كان يضع الحديث «م ج٣ ص ١٤٦».

محمَّد بن الوليد اليشكري هو محمَّد بن عمر بن الوليد، كذَّبه الأزدي «لم ج٥ ص ٤١٩».

محمَّد بن يحيى بن رزين المصيصي، دجّالٌ يضع الحديث «م ج ٣ ص ١٤٧، لي ج١ ص٣، ٥٢، ٢٦٣»

محمَّد بن يزيد المستملي أبو بكر الطرطوسي يسرق الحديث ويزيد فيه ويضع «م ج٣ ص ١٤٩».

محمَّد بن يزيد المعدني، كذّابٌ خبيثٌ «ج٣ ص ١٤٩».

محمَّد بن يزيد العابد، ذكر حديثاً موضوعاً في فضائل معاوية هو آفته. «لم ج٥ ص ٤٣٢».

محمَّد بن يوسف أبو بكر الرقّي الحافظ المتوفّى بعد سنة ٣٨٢، كذّابٌ قاله الخطيب «لم ج٥ ص ٤٣٦. وفي الميزان: وضع حديثاً على الطبراني، لي ج١: ٢١٦.

محمَّد بن يوسف بن يعقوب الرازي شيخٌ دجّالٌ كذّابٌ كان يضع الأحاديث والقراءات والنسخ، وضع كثيراً في القرآن، قال الدارقطني: وضع نحواً من ستّين نسخة قراءات ليس لشيءٍ منها أصلٌ، ووضع من الأحاديث ما لا يضبط، قدم بغداد قبل الثلاثمائة «م ج٣ ص ١٥١، طب ج٣ ص ٣٩٧».

محمَّد بن يونس الكديمي القرشي أحد الحفّاظ الأعلام بالبصرة المتوفّى سنة ٢٨٦، كذّابٌ يضع الحديث على النبيِّ وعلى الثقات، قال ابن حبّان: قد وضع أكثر من ألف حديث «طب ج٣ ص ٤٤١، ت ١٤، ١٨، هب ج٢ ص ١٩٤، م ج٣ ص ١٥٢لي ج٢ ص ١٤٢، ٢١٥، بق ج٢ ص ١٧٥».

محمش النيسابوري، كان يضع الحديث «لي ج٢ ص ١٥».

محمود بن علي الطواري[1] كذّابٌ في المائة السّادسة «م ج٣ ص ١٥٤ الإصابة ج١ ص ١٢٤».

مروان بن سالم الدمشقي مولى بني أُميَّة، كذّابٌ يضع الحديث، عامَّة أحاديثه لا يتابع الثقات عليها «م ج٣ ص ١٥٩، يب ج١٠ ص ٩٣، لي ج١ ص ٨١».

مروان بن شجاع الحرّاني الأموي، ليس بحجّة يروي المقلوبات عن الثقات «يب ج١٠ ص ٩٤؛ م ج٣ ص ١٦٠».

مروان بن عثمان ابن أبي سعيد الذرقي، كذّابٌ «لي ج١ ص ١٥».

المطهَّر بن سليمان أبو بكر المعدّل الفقيه المتوفّى سنة ٣٦٣، كذّابٌ «طب ج١٣ ص ٢٢٠؛ م ج٣ ص ١٧٧».

معاوية بن الحلبي، كان يضع الحديث «م ج٣ ص ١٨٢».

معلّى بن صُبيح الموصلي، قال ابن عمّار: كان من عبّاد الموصل وكان يضع الحديث ويكذب «لم ج٦ ص ٦٤».

معلّى بن هلال بن سُويد الطحّان الكوفي العابد، كذّابٌ من المعروفين بالكذب يضع الحديث، قال أحمد: كلُّ أحاديثه موضوعةٌ «طب ج٨ ص ٦٣ بق ج٣ ص ١١٢، م ج٣ ص ١٨٧، لي ج٢ ص ٤٧».

مُقاتل بن سليمان البلخي المتوفّى سنة ١٥٠، كذّابٌ دجّالٌ وضّاعٌ، عدَّه النسائي من الكذّابين المعروفين بوضع الحديث على رسول الله ﷺ، كان يقول لأبي جعفر المنصور: أُنظر ما تحبُّ أن أُحدّثه فيك حتّى أُحدِّثه، وقال للمهدي: إن شئتَ وضعتُ لك أحاديث في العبّاس؟ قال: لا حاجة لي فيها «طب ج ١٣ ص ١٦٨، كر ج٥ ص ١٦٠، م ج٣ ص ١٩٦، يب ج١٠ ص ٢٨٤، لي ج١ ص ١٢٨ وج ٢ ص ٦٠، ١٢٢».

---

(١) في الإصابة: الطرازي.

منذر بن زياد ـ يزيد ـ الطائي، كذَّابٌ متروك، «م ج٣ ص ٢٠٠، لي ج١ ص ٤٤».

منصور بن عبدالله الهروي أبو علي الخالدي الذهبي المتوفّى سنة ٤٠١، قال أبو سعيد الإدريسي: كذّابٌ «هب ج٣ ص ١٦٢».

منصور بن مجاهد، كان يضع الحديث «م ج٣ ص ٢٠٣».

منصور بن موفّق، كان يضع الحديث «م ج٣ص٢٠٣، لي ج٢ ص ٩٦».

مهدي بن هلال أبو عبدالله البصري، كذّابٌ صاحب بدعة يضع الحديث عامّة ما يرويه لا يُتابع عليها «م ج٣ ص ٢٠٦».

مهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي المتوفّى سنة ٨٣، يُكنّى أبا سعيد، ولم يكن يُعاب إلاّ بالكذب وفيه قيل: رائحٌ يكذب، وكان ولي خراسان فعمل عليها خمس سنين كذا ترجمه ابن قتيبة في «المعارف» ص ١٧٥ واستدركه أبو عمر صاحب «الاستيعاب» فقال: هو ثقةٌ وأمّا مَن عابه بالكذب فلا وجه لأنّه كان يحتاج لذلك في الحرب يخادع الخوارج فكانوا يصفونه لذلك بالكذب غيظاً منهم عليه «الإصابة ج٣ ص ٥٣٦».

قال الأميني:

كأنَّ أبا عمر يقرِّر كذب المهلب غير أنَّه يجوِّزه له لاحتياجه إليه في الحرب وهذا هو رأي معاوية وهو الذي فتح هذا الباب بمصراعيه.

مهلب بن عثمان، كذَّابٌ «م ج٣ ص ٢٠٧».

موسى الأبتي، ذُكر فيمن يضع الحديث «م ج٣ ص ٢٢١».

موسى بن إبراهيم المروزي كذَّابٌ «لي ج٢ ص ١٩١».

موسى بن عبدالرَّحمن الثقفي الصنعاني، دجّالٌ ووضّاعٌ وضع كتاباً في التفسير «م ج٣ ص ٢١٣، لب ١٢٦، لي ج٢ ص ٧١».

موسى بن محمَّد أبو طاهر الدمياطي البلقاوي المقدسي الواعظ، كذَّابٌ

كان يضع الحديث يحدِّث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات «م ج٣ ص٢١٧ لم ج٦ ص ١٢٨، لي ج١ ص ٤٢٢».

موسى بن مطير، كذَّابٌ متروكٌ «م ج٣ ص ٢١٨».

ميسرة بن عبد ربّه الفارسي البصري[1] كذّابٌ وضّاعٌ كان يضع الحديث، وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً قال أبو زرعة: كان يقول: إنّي أحتسب في ذلك. وقال محمّد بن عيسى ابن الطبّاع: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعته أُرغِّب الناس فيه، وصفه جماعةٌ بالزُّهد «طب ج١٣ ص ٢٢٣ م ج٣ ص ٢٢٢، لم ج٦ ص ١٤٠، لي ج١ ص ٤٢، ج ٢».

ميسرة بن عُبيد، كذّابٌ «لب ٢٦٠».

«حرف النون»

نافع بن هرمز أبو هرمز الحمال، كذّابٌ يضع الحديث«م ج٣ ص ٢٢٧، ت ٥١ لي ج٢ ص ٢٢٠».

نصر بن باب أبو سهل الخراساني نزيل بغداد قيل توفّي سنة ١٩٣، كذّابٌ خبيثٌ عدوّ الله، ضرب أحمد وابن معين وأبو خيثمة على حديثه وأسقطوه، وقد كتب عنه ابن معين عشرين ألف حديث«طب ج١٣ص ٢٨٩، لم ج٦ ص ١٥١».

نصر بن حمّاد بن عجلان أبو الحارث البجلي الورّاق، كذّابٌ ذاهب الحديث ليس بشيءٍ «طب ج١٣ص ٢٨٢، م ج٣ ص ٢٣٠، لي ج١ص ٣٠٠».

نصر بن طريف أبو جزء من المعروفين بوضع الحديث وممّن أُجمع على كذبه «م ج٣ ص ٢٣١».

نضر بن قديد بن يسار، كذّابٌ قاله العقيلي وابن معين«م ج٣ ص٢٣٢، لي ج٢ ص ١٩٠».

---

(١) في تاريخ الخطيب البغدادي: البغدادي.

نصرالله بن أبي العزّ مظفّر أبو الفتح الشيباني ابن الشعيشعة الدمشقي المتوفّى سنة ٦٥٦، روى مسند أحمد، قال أبو شامة(١): مشهورٌ بالكذب ورقّة الدين، وقد أجلسه أحمد بن يحيى بن سنيّ الدولة في حال ولايته القضاء بدمشق فأنشد فيه بعض الشعراء:

جلس الشعيشعة الشقيُّ ليشهدا ... تبّاً لكم ماذا عدا فيما بدا؟!
هل زلزل الزّلزال أم قد خرج الدجّـ ... ـال أم عدم الرِّجال ذوو الهدى؟!
عجباً لمحلول العقيدة جاهلٍ ... بالشّرع قد أذنوا له أن يقعدا

«يه ج١٣ ص ٢١٨، هب ج٥ ص ٥٨٥».

النضر بن سلمة المروزي، كذابٌ كان يفتعل الحديث «لم ج٦ ص ١٦٠، الإصابة ج٢ ص ٣٨٠».

النضر بن شفي، أحد الكذّابين «لم ج٦ ص ١٦١».

النضر بن طاهر يسرق الحديث ويكذب ويبالغ في الكذب «م ج ٣ ص ٢٣٤».

نعيم بن حمّاد أبو عبدالله الأعور «أحد الأئمّة» توفّي سنة ٢٢٨، قال الأزدي: كان يضع الحديث في تقوية السنّة وحكايات مزوّرة في ثلب النعمان كلّها كذبٌ «م ج٣ ص ٢٤١، هب ج ٢ ص ٦٧، يب ج ١٠ ص ٤٦٣، لي ج١ ص ١٥، الجوهر النقيّ لابن التركماني هامش سنن البيهقي ج٣ ص ٣٠٥».

نعيم بن سالم بن قنبر، كذّابٌ يضع، أحد المشهورين بالكذب «لب ١٠٣، لي ج١ ص ٢٢، ج ٢ ص ٤٧».

نهشل بن سعيد البصري، كذّابٌ متروك «م ج٣ ص ٢٤٣، مز ج١ ص ١٢٢، ٢٤٠، لي ج١ ص ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٩، ٢٣٠ وج ٢ ص ١٢٧».

نوح بن أبي مريم يزيد أبو عصمة المتوفّى سنة ١٧٣، شيخٌ كذّابٌ كان

(١) شهاب الدّين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي المؤرخ الكبير المتوفّى سنة ٦٦٥.

يضع الحديث كما يضع معلّى بن هلال وضع حديث فضائل القرآن الطويل. قال الحاكم: هو الذي وضع أحاديث فضائل القرآن. وأحاديث فضل سور القرآن مائة وأربعة عشر كلّها كذبٌ «م ج٣ ص ١٨٧، لب ص ٢٠، ١١٠، لي ج٢ ص ٣».

نوح بن درّاج. قال الذهبي: كذّابٌ «ملخّص مستدرك الحاكم ج٣ص ١٤٤، ١٧١».

نوح بن جعونة قيل: مات سنة ١٨٢، كذّابٌ يضع الحديث «م ج٣ ص ٢٤٤».

نوح بن مسافر، كان يضع الحديث «ت ١١٨».

«حرف الهاء»

هارون بن حبيب البلخي، كذّابٌ «م ج٣ ص ٢٤٧».

هارون بن حيّان الرقّي، كان يضع الحديث «م ج٣ ص ٢٤٧».

هارون بن زياد، كان ممّن يضع الحديث على الثقات «م ج٣ص ٢٤٧».

هارون بن محمّد أبو الطيب، كذّابٌ «لب ٢٠٨، لي ج١ ص ٦٢».

هبة الله بن المبارك البغدادي الحنبلي المتوفّى سنة ٥٠٩، أحد الحفّاظ كذّابٌ آفةٌ في وضع الحديث، ظهر كذبه عند شيوخ الحديث «ظم ج٩ ص ١٨٣ هب ج٤ ص ٢٦».

هشام بن عمّار أبو الوليد السّلمي المتوفّى سنة ٢٤٥ فقيه دمشق وخطيبها ومحدّثها، قال أبو داود: حدّث بأربعمائة حديث لا أصل له. هب ج٢ ص ١١٠.

هنّاد بن إبراهيم النسفي، كذّابٌ وضّاعٌ راويةٌ للموضوعات والبلايا توفّي سنة ٤٦٥ «م ج٣ص ٢٥٩، لي ج ٢ ص ١٤٢؛ ١٤٤».

الهيثم بن عبدالغفّار الطائيُّ البصري، كذّابٌ يضع الحديث «طب ج١٤

ص ٥٥، م ج٣ ص ٢٦٥».

الهيثم بن عدي الطائي المتوفّى سنة ٢٠٧، كذّابٌ ليس بشيءٍ قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامّة الليل يصلّي فإذا أصبح جلس يكذب، قال فيه أبو نواس:

الهيثم بن عديٍّ في تلوّنه ... في كلِّ يوم له رحلٌ على خشبٍ
فما يزال أخا حلٍّ ومرتحل ... إلى الموالي وأحياناً إلى العربِ
له لسانٌ يزجّيه لهجوهمُ ... كأنّه لم يزل يُعدى على قشبِ
لله أنت فما قربى تهمُّ بها ... إلّا اجتلبت لها الأنساب من كثبِ
إذا نسبت عديّاً في بني ثعلٍ (١) ... فقدِّم الدال قبل العين في النسبِ

«حرف الواو»

الوليد بن سلمة الطبراني الأزدي، كذّابٌ يضع الحديث على الثقات «م ج ٣ ص ٢٧١، الإصابة ج٢ ص ١٥٩».

الوليد بن عبدالله بن أبي ثور الهمداني الكوفي المتوفّى سنة ١٧٢ نزيل بغداد، كذّابٌ ليس بشيءٍ «طب ج١٣ ص ٤٤٠».

الوليد بن الفضل العنزي؛ كان يضع الحديث قال ابن حبّان: يروي الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به بحال «م ج٣ ص ٢٧٣، ت ٢٧».

الوليد بن محمّد الموقري مولى بني أُميّة المتوفّى سنة ١٨١، كذّابٌ متروك الحديث لا يكتب حديثه «م ج٣ ص ٢٧٥، لي ج١ ص ٢٢٨».

وهب بن حفص أبو الوليد البجلي الحرّاني عاش إلى سنة ٢٥٠، كذّابٌ كان يضع الحديث «م ج٣ ص ٢٧٧، لي ج١ ص ٤٥، ج ٢ ص ٢١٥».

وهب بن وهب القاضي أبو البختري القرشي المدني المتوفّى سنة ١٩٩/ ٢٠٠، أكذب الناس، كذّابٌ خبيثٌ دجّالٌ عدوُّ الله كان يضع الحديث وضعاً

(١) ثعل بن عمرو بن الغوث أحد أجداد الهيثم.

وكان عامَّة الليل يضع الحديث، قال سويد بن عمرو بن الزبير في أبيات له:

إنّا وجدنـا ابن وهب حين حدَّثنـا ‏ ‏ ‏ عن النبيِّ أضـاعَ الدِّين والـورعا
يروي أحاديث من إفـك مجمّعةٍ ‏ ‏ ‏ أُفّ لـوهب وما روّى ومـا جمعـا

قال ابن عدي: أبو البختري من الكذّابين الوضّاعين وكان يجمع في كلِّ حديث يرويه أسانيد من جسارته على الكذب ووضعه على الثقات «طب ١٣ ص ٤٥٤، م ج٣ ص ٢٧٨، لي ج١ ص ٤٤، ٥٤، لم ج٦ ص ٢٣٢.

«حرف الياء»

يحيى بن أبي أنيسة الجزري الرهاوي المتوفَّى سنة ١٤٦، كذّابٌ متروكٌ «م ج٣ ص ٢٨٣، ت ٩٥».

يحيى بن السكن البصري المتوفّى سنة ٢٠٢، شيخٌ يكـذب ويحدِّث بالموضوعات «طب ج١٤ ص ١٤٦، لي ج١ ص ١٤١».

يحيى بن شبيب اليماني، يروي عن سفيان ما لم يحدِّث به قطُّ، ووضع على حميد الطويل وكذب عليه «م ج٣ ص ٢٩٣، لي ج٢ ص ١٥، ١٤٥».

يحيى بن عبدويه أبو زكريّا، كذّابٌ رجل سوء «طب ج١٤ ص ١٦٦».

يحيى بن عقبة بن أبي العيزار، كـان يفتعل الحـديث، كـذّابٌ خبيثٌ عدوّ الله كان يسخر به، عامّـة ما يرويه لا يتابع عليه «لم ج٦ ص ٢٧٠».

يحيى بن العـلاء يروي عن مـطرف، كذّابٌ يضـع الحديث «نص ج١ ص ١٢٥».

يحيى بن علي بن عبدالرَّحمن البلنسي المالكي المتوفَّى سنة ٥٨٩، إمام مسجد العتمة كان كذّاباً لم ج٤ ص ٤٩ وج ٦ ص ٢٧٠.

يحيى بن عنبسـة القرشي البصـري، كذّابٌ دجّـالٌ وضّاعٌ، كـان يضع الحديث قال ابن عدي: منكر الحديث مكشوف الأمر «طب ج١٤ ص ١٦٢، م ج٣ ص ٢٩٩، ت ٣٧، لب ١٢٣، لي ج٢ ص ٦٨، ٧٥، ١٢٣، ٢١٠».

يحيى بن محمّد أخي حرملة التجيبي، كان يضع الحديث على حرملة «لم ج٦ ص ٢٧٥».

يحيى بن ميمون أبو أيّوب البصري المتوفّى سنة ١٩٠، كذّابٌ دجّال متروك يقلّب الأحاديث «م ج ٣ ص ٣٠٥، يب ج١١ ص٢٩١ لي ج٢ ص١٢٥».

يحيى بن هشام الغسّاني السمسار أبو زكريا، كذّابٌ دجال هذه الأُمّة كان يضع الحديث ويسرقه «طب ج ١٤، ص ١٦٤، ت ٥٧، ١٠١. ١٠٤، ١١٠، م ج٣ ص ٣٠٥ لب ١٦٩، لي ج ١ ص٦٤، ج ٢ ص ٤٤، ١٢٢».

يزيد بن خالد العمي، كذّابٌ. لب ١٤٠.

يزيد بن ربيعة بن يزيد الدمشقي، كذّابٌ معروفٌ بالكذب. كر ج٤: ٣٩٥.

يزيد بن عياض الليثي البصري أبو الحكم. كذّابٌ يضع الحديث ليس بثقة متروك الحديث. طب ج٩ ص ٤٥٦، مز ج١ ص ١٢١ وج ٢ ص ١٧٣.

يزيد بن مروان الخلّال، كذّابٌ. طب ج١٤ ص ٣٤٨.

يعقوب بن إسحاق البيهسي، كان له انبساط في تصريح الكذب فرمى المحدِّثون كلَّ ما كتبوا عنه. طب ج١٤ ص ٢٩٠.

يعقوب بن الوليد أبو يوسف الأزدي المدني، كان من الكذّابين الكبار يضع الحديث «طب ج١٤ ص ٢٦٦، م ج٣ ص ٣٢٥، كر ج٤ ص ٣١١، لب ١٥٩، لي ج١ص ١١٨ وج ٢ ص ١٢، ١٤٦».

يعقوب بن يوسف الأعشى، كذّابٌ رجل سوء توفّي حدود سنة ٢٠٠ «م ج ٣ ص ٣٢٦».

يعلى بن الأشدق أبو الهيثم العقيلي الحرّاني كان حيّاً في دولة الرشيد، كذّابٌ ليس بشيءٍ ولا يُصدَّق ولا يكتب حديثه وضعوا له أحاديث فحدَّث بها ولم يدر قال ابن عدي: بلغني عن أبي سمر قال قلت ليعلى: ما سمع عمّك من النبي ﷺ؟ قال: جامع سفيان وموطأ مالك وشيئاً من الفوائد «م ج ٢ ص ٢٦ وج ٣ ص ٣٢٦».

يمان بن عدي، يضع. لي ج٢٦ ص ٩، ٩٩.

يوسف بن جعفر الخوارزمي شيخٌ متأخِّر، كان يضع الحديث م ج٣ ص ٣٢٩.

يوسف بن خالد السمتي الفقيه، كذّابٌ، كان يضع الحديث، وضع كتاباً في التجهّم ينكر فيه الميزان والقيامة، وهو أوّل من وضع كتاب الشروط، وأوّل من جلب رأي أبي حنيفة إلى البصرة توفّي سنة ١٨٩ «م ج٣ ص٣٢٩ ، يب ج ١١ ص ٤١٣ ، حاشية السنن لابن ماجة تأليف السندي ج ١ ص ٣٩٥» .

يوسف بن السّفر أبو الفيض الدمشقي، كذّابٌ متروك الحديث يكذب روى بواطيل، كان في عداد من يضع الحديث «م ج٣ ص ٣٣١، مز ج١ ص ٨٢، لي ج٢ ص ٤٨، ١٣٩».

(الكنى)

ابن زبالة، قال الحافظ أحمد بن صالح : كتبت عنه مائة ألف حديث ثمّ تبيّن لي أنّه كان يضع الحديث فتركت حديثه «طب ج٤ ص ٢٠٠».

ابن شوكر. كان يضع الحديث بالسند «طب ج٤ ص ١٥٢».

ابن الصقر، كان كذّاباً يسرق الأحاديث ويركّبها ويضعها على الشيوخ. «طب ج ٢ ص ٢١٩» .

أبوبكر بن عثمان، كذّابٌ له أحاديث كذب. «لم ج ٦ ص ٣٤٩» .

أبو جابر البياضي، كذّابٌ.«المحلّى ج٤ ص ٢١٧».

أبو الحسن بن نوفل الراعي، بلاءٌ كذّابٌ . «لم ج ٦ ص ٣٦٤» .

أبو حيّان التوحيدي، صاحب التصانيف، قيل: اسمه علي بن محمّد بن العبّاس نفاه الوزير المهلبي لسوء عقيدته وكان يتفلسف، بقي إلى حدود الأربعمائة ببلاد فارس، قال ابن مالي في كتاب «الفريدة»: كان أبو حيّان كذّاباً قليل الدين والورع مجاهراً بالبهت تعرّض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل. وقال ابن الجوزي: كان زنديقاً. وقال الذهبي: صاحب زندقة وانحلال.

قال جعفر بن يحيى الحكاك: قال لي أبو نصر السجزي: إنَّه سمع أبا سعيد الماليني يقول: قرأت الرِّسالة المنسوبة إلى أبي بكر وعمر مع أبي عبيدة إلى عليٍّ على أبي حيّان فقال: هذه الرِّسالة عملتها ردّاً على الرَّوافض وسببها أنّهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء يعني ابن العميد فكانوا يغلون في حال عليٍّ فعملت هذه الرِّسالة. فقد اعترف بالوضع.

وقال ابن حجر: قرأت بخطّ القاضي عزّالدين بن جماعة أنّه نقل من خطّ ابن العلاج أنَّه وقف لبعض العلماء على كلام يتعلّق بهذه الرِّسالة ملخّصه: لم أزل أرى أبا حيّان عليّ بن محمّد التوحيدي معدوداً في زمرة أهل الفضل موصوفاً بالسَّداد في الجدِّ والهزل حتّى صنع رسالة منسوبة إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما راسلا بها عليّاً رضي الله عنه، وقصد بذلك الطعن على الصدر الأوَّل فنسب فيها أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أمر لو ثبت لاستحقّا فوق ما يعتقده الإماميّة، فأوَّل ما يدلُّ فيها على افتعاله في ذلك نسبته إلى أبي بكر إنشاء خطبة بليغة تملّق فيها لأبي عبيدة ليحمل له رسالته إلى عليٍّ رضي الله عنه، وغفل عن أنَّ القوم كانوا بمعزل عن التملّق. ومنها قوله: ولعمري إنّك أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قرابة ولكنّا أقرب إليه قربة والقرابة لحمٌ ودمٌ والقربة نفسٌ وروحٌ. وهذا يشبه كلام الفلاسفة وسخافة هذه الألفاظ تغني عن تكلّف الردّ، وقال فيها: إنَّ عمر رضي الله عنه قال لعليٍّ في ما خاطبه به: إنَّك اعتزلت تنتظر وحياً من جهة الله وتتواكف مناجاة الملَك. وهذا الكلام لا يجوز نسبته إلى عمر رضي الله عنه، فإنَّه ظاهر الافتعال، إلى غير ذلك ممّا تضمَّنته الرِّسالة من عدم الجزالة التي تعرف من طراز كلام السَّلف «م ج٣، لم ج٦ ص ٣٦٩».

قال الأميني:

ألا تعجب من الأعلام الذين ذكروا في تآليفهم رسالة أبي حيّان التوحيدي المكذوبة التي أوقفناك على بطلانها وعلى مبلغ مفتعلها من الدين والثقة والاعتبار، كالعبيدي المالكي في «عمدة التحقيق» ذكروها برمَّتها محتجِّين بها

في باب فضائل أبي بكر وعمر .

أبو خلف الأعمى البصري، خادم أنس. كذّابٌ «يب ج١٢ ص ٨٧».

أبو الخير شيخٌ بغداديٌّ، كذّابٌ «طب ج١٤ ص ٤١٧، م ج٣ ص ٣٥٧».

أبو سعد المدائني، ذكر فيمن كان يضع الحديث «لم ج٦ ص ٣٨٣».

أبو سعيد القدري، أحد الكذّابين «لم ج٦ ص ٣٨٤» .

أبو سلمة العاملي الشامي الأزدي. كذّابٌ يضع الحديث «يب ج١٢ ص ١١٩».

أبو الطيِّب الحربي، كذّابٌ خبيثٌ لا يجوز الاحتجاج به «طب ج١٤ ص ٤٠٦، م ج٣ ص ٣٦٦».

أبو علي ابن عمر المذكّر النيسابوري، كان كذّاباً معروفاً بسرقة الأحاديث. «طب ج٤ ص ١٣٠».

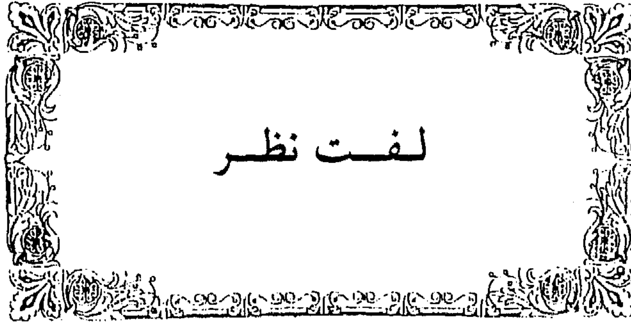
أبو القاسم الجهني القاضي، مذكورٌ بالكذب في حديث النّاس واختراع العجائب الخارقة للعادات. راجع معجم الأُدباء لياقوت الحموي ترجمة أبي الفرج صاحب الأغاني.

أبو المغيرة، شيخٌ من أكذب الناس وأخبثهم «طب ج١٤ ص ٤١٠» .

أبو المهزم ، كذّابٌ، «لي ج ١ ص ١٩٩» .

﴿إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الأعراف آية ١٣٩]



هذا غيضٌ من فيض ولعلَّ القارىء يستكثره أو يستعظمه ذاهلاً عن أنَّ وضع الحديث والكذب على النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الثقات من الصَّحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان لا ينافي عند كثير من القوم الزُّهد والورع واتِّصاف الرَّجل بالتقوى، بل هو شعار الصَّالحين ويتقرَّبون به إلى المولى سبحانه، ومن هنا قال يحيى بن سعيد القطّان: ما رأيت الصَّالحين في شيءٍ أكذب منهم في الحديث[1] وعنه: لم نرَ أهل الخير في شيءٍ أكذب منهم في الحديث[2] وعنه: ما رأيتُ الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزُّهد[3] وقال القرطبي في التذكار ص ١٥٥: لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال، وقد ارتكبها جماعةٌ كثيرةٌ وضعوا الحديث حسبةً كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمَّد بن عكاشة الكرماني. وأحمد بن عبدالله الجويباري، وغيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عبّاس في فضل سور القرآن سورةً سورةً؟ فقال: إنِّي رأيتُ الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمَّد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة.

---

(١) مقدمة صحيح مسلم. تاريخ بغداد ٢ ص ٩٨.
(٢) مقدمة صحيح مسلم.
(٣) اللئالي المصنوعة للسيوطي ج ٢ في خاتمة الكتاب.

وقال في ص ١٥٦ : قد ذكر الحاكم وغيره من شيوخ المحدِّثين: إنَّ رجلاً من الزُّهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن وسوره فقيل له: لِمَ فعلت هذا؟ فقال: رأيتُ النّاس زهدوا في القرآن فأحببت أن أُرغِّبهم فيه فقيل: فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: مَن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوّأ مقعده من النار. فقال: أنا ما كذبتُ عليه إنّما كذبتُ له[1].

وقال في التحذير من الموضوعات: وأعظمهم ضرراً قومٌ منسوبون إلى الزُّهد وضعوا الحديث حسبةً فيما زعموا، فتقبَّل الناس موضوعاتهم ثقةً منهم بهم وركوناً إليهم فضلّوا وأضلّوا.

وسمعت في ص ٣٢٧ قول ميسرة بن عبد ربّه لمّا قيل له: من أين جئتَ بهذه الأحاديث؟ قال: وضعتها أُرغِّب الناس فيها. وقوله: إنِّي أحتسب في ذلك. وقال الحاكم: كان الحسن ـ الراوي عن المسيّب بن واضح ـ ممّن يضع الحديث حسبةً «لم ج٥ص٢٨٨» وكان نعيم بن حمّاد يضع الحديث في تقوية السُّنّة، راجع ص ٣٢٨.

فكأنَّ الكذب والإفك وقول الزّور ليست من الفواحش، ولم تكن فيها أي منقصة ومغمزة، ولا تنافي شيئاً من فضائل النفس، ولا تمسّ كرامة ذويها، فهذا حرب بن ميمون مجتهدٌ عابدٌ وهو أكذب الخلق.

وهذا الهيثم الطائي يقوم عامّة الليل بالصَّلاة وإذا أصبح يجلس ويكذب.

وهذا محمّد بن إبراهيم الشامي كان من الزُّهاد وهو الكذّاب الوضّاع.

وهذا الحافظ عبدالمغيث الحنبلي موصوفٌ بالزُّهد والثقة والدين والصِّدق والأمانة والصّلاح والاجتهاد واتِّباع السنّة والآثار وهو يؤلِّف من الموضوعات كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية.

وهذا معلّى بن صبيح من عبّاد الموصل وكان يضع ويكذب.

وهذا معلّى بن هلال عابدٌ وهو كذّابٌ.

---

(١) انظر إلى فقه الحديث واعجب، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟!.

وهذا محمَّد بن عكاشة بكّاءٌ عند القراءة وهو وضَّاعٌ أيّ وضَّاع.

وهذا أبو عمر الزَّاهد ألَّف من الموضوعات كتاباً في فضائل معاوية بن أبي سفيان.

وهذا أحمد الباهلي من كبار الزهّاد وهو ذلك الكذّاب الوضَّاع. قال ابن الجوزي: كان يتزهَّد ويهجر شهوات الدنيا فحسّن له الشيطان هذا الفعل القبيح.

وهذا البرداني رجلٌ صالحٌ ويضع الحديث في فضل معاوية.

وهذا وهب بن حفص من الصّالحين ومكث عشرين سنة لا يكلّم أحداً.

وهذا رشدين مقلّب متون الحديث وكان صالحا عابدا كما قاله الذهبي.

وهذا أبو داود النخعي أطول الناس قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار وهو وضَّاعٌ.

وهذا أبو يحيى الوكّار من الكذّابين الكبار وكان من الصّلحاء العبّاد الفقهاء.

وهذا إبراهيم بن محمّد الآمدي أحد الزُّهاد وأحاديثه موضوعةٌ «لم ج١ ص ٩٩».

وهذا أبو بشر المروزي الفقيه أصلب أهل زمانه في السّنة، وأذبهم عنها، وأخفهم لمن خالفها، وكان يضع الحديث ويقلّبه.

وهذا إبراهيم أبو إسماعيل الأشهلي كان عابداً صام ستّين سنة، لا يُتابع على شيءٍ من حديثه كان يقلّب الأسانيد ويرفع المراسيل «يب ج١ ص١٠٤».

وهذا جعفر بن الزبير كان مجتهداً في العبادة وهو وضّاع[1].

وهذا أبان بن أبي عيّاش رجلٌ صالحٌ كان من العبّاد[2] وهو كذّابٌ.

فمن هنا ترى كثيراً من الوضّاعين المذكورين بين إمام مقتدى، وحافظ شهير وفقيه حجَّة، وشيخ في الرِّواية، وخطيب بارع. وكان فريقٌ منهم يتعمَّدون

(١) راجع سلسلة الكذابين والوضاعين.

(٢) تهذيب التهذيب ١ ص ٩٩.

الكذب خدمةً لمبدإٍ، أو تعظيماً لإمام، أو تأييداً لمذهب، ولذلك كثر الافتعال ووقع التضارب في المناقب والمثالب بين رجال المذاهب، وكان من تقصر يده عن الفرية على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحديث عنه فإنّه يبهت الناس باختلاق أطياف حول المذاهب ورجالاتها.

ترى أُناساً افتعلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم روايات في مناقب أبي حنيفة مثل رواية: سيأتي من بعدي رجلٌ يقال له: النعمان بن ثابت ويُكنّى أبا حنيفة ليحيينَّ دين الله وسنّتي على يديه(١).

ورواية: في كلِّ قرنٍ من أُمَّتي سابقون وأبو حنيفة سابقٌ في زمانه. أخرجه الخوارزمي في كتابه مناقب أبي حنيفة ج١ ص ١٦ بهذا اللفظ. وفي جامع مسانيد أبي حنيفة ج١ ص ١٨ بلفظ: وأبو حنيفة سابق هذه الأمّة. والسند مرسلٌ عن ابن لهيعة المتوفّى سنة ١٧٤ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من طريق حامد بن آدم الكذّاب كذّبه الجوزجاني وابن عدي، وعدّه أحمد السليماني فيمن اشتهر بوضع الحديث، وقال ابن معين: كذّابٌ لعنه الله. مات سنة ٣٣٩ .

ورواية: إنَّ في أُمَّتي رجلاً اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أُمَّتي هو سراج أُمَّتي هو سراج أُمَّتي. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج١٣ ص ٣٣٥ وقال: حديثٌ موضوعٌ.

ورواية: يكون في آخر الزّمان رجلٌ يكنّى بأبي حنيفة هو خير هذه الأُمَّة(٢).

ورواية: سيكون في أُمَّتي رجلٌ يقال له: أبو حنيفة هو سراج أُمَّتي(٣).

ورواية: يكون في أُمَّتي رجلٌ يقال له: النعمان يُكنّى أبا حنيفة يجدِّد الله

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٢ ص ٢٨٩ من طريق محمد بن يزيد المستملي الكذاب الوضاع وقال: هو موضوع باطل.

(٢) أخرجه الخطيب الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ١ ص ١٤ بإسناد باطل.

(٣) قال الشيخ علي القاري في موضوعاته الكبرى: هو موضوع باتفاق المحدثين. كشف الخفاء ج ١ ص ٣٣.

له سنّتي على يديه. عدّه ابن عدي من موضوعات أحمد الجويباري الكذّاب الوضّاع. «لم ج١ ص١٩٣، لي ج١ ص ٢٣٨».

ورواية: أبو حنيفة سراج أهل الجنّة. في أسنى المطالب ص ١٤: موضوعٌ باطلٌ.

ورواية: سيأتي رجلٌ من بعدي يقال له: النعمان بن ثابت ويُكنّى أبا حنيفة يُحيا دين الله وسنّتي على يديه[1].

ورواية: يجيء رجلٌ فيحيي سنّتي ويميت البدعة اسمه النعمان بن ثابت[2].

ورواية: إنّ سائر الأنبياء تفتخر بي وأنا أفتخر بأبي حنيفة، وهو رجلٌ تقيٌّ عند ربّي، وكأنّه جبلٌ من العلم، وكأنّه نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني. قال ابن الجوزي: موضوعٌ. وقال العجلوني: لا يصلح وإن تعدّدت طرقه. كشف الخفاء ج ١ ص ٣٣.

ورواية: إنّ آدم افتخر بي وأنا أفتخر برجل من أمّتي اسمه نعمان، وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أُمّتي. قال العجلوني: موضوعٌ، كشف الخفاء ج١ص٣٣

ورواية: لو كان في أُمّة موسى وعيسى مثل أبي حنيفة لما تهوّدوا وما تنصّروا[3].

ورواية: يخرج في أُمّتي رجلٌ يقال له أبو حنيفة بين كتفيه خالٌ يُحيي الله تعالى على يديه السنّة. مرسلٌ عن مجاهيل ذكره الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ج١ص١٦.

---

(١) قال الخطيب في تاريخه ٢ ص ٢٨٩: باطل موضوع، ومحمد بن يزيد متروك الحديث، وسليمان بن قيس وأبو المعلى مجهولان، وأبان بن أبي عياش رمي بالكذب وعده ابن حجر في الخيرات الحسان من الموضوعات كما في كشف الخفاء ١ ص ٣٣. **قال الأميني**: محمد بن يزيد راوي الحديث هو أبو بكر الطرسوسي أحد الوضّاعين الكذابين كمامر في سلسلتهم.

(٢) أخرجه الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ١ ص ١٥ من طريق إبراهيم بن أحمد الخزاعي قال ابن حبان: يخطىء ويخالف: وعن أبي هدية: إبراهيم الكذاب الوضاع الخبيث.

(٣) عده العجلوني من الموضوعات. كشف الخفاء ١ ص ٣٣.

ورواية ابن عبّاس: يطلع بعد رسول الله بدرٌ على جميع خراسان يكنّى بأبي حنيفة[(١)]

ورواية أبي البختري الكذّاب قال: دخل أبو حنيفة على جعفر بن محمّد الصّادق فلمّا نظر إليه جعفر قال: كأنّي أنظر إليك تحيي سنّة جدّي ﷺ بعدما اندرست، وتكون مفزعاً لكلّ ملهوف، وغياثاً لكلّ مهموم، بك يسلك المتحيِّرون إذا وقفوا، وتهديهم الواضح من الطريق إذا تحيَّروا، فلك من الله العون والتوفيق حتّى يسلك الربانيّون بك الطريق. أخرجه الخطيب الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ج١ص١٩ عن أبي البختري.

ما عساني أن أقول في رجل[(٢)] يؤلِّف كتاباً ضخماً في مناقب أبي حنيفة من هذه المخازي، ويأتي بهذه الأكاذيب الشائنة ويبثّها في الملإ الدينيّ كحقائق راهنة غير مكترث بمغبَّة دجله، ولا مبالٍ بالكشف عن سوءته.

وقد بلغت مغالاة أُمّة من الحنفيّة إلى حدّ زعمت أنّه أعلم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال عليّ بن جرير: كنت في الكوفة فقدمت البصرة وبها عبدالله بن المبارك فقال لي: كيف تركت الناس؟ قال: قلت تركت بالكوفة قوماً يزعمون أنّ أبا حنيفة أعلم من رسول الله ﷺ. قال قلت: اتّخذوك في الكفر إماماً. قال: فبكى حتى ابتلّت لحيته ـ يعني أنّه حدَّث عنه طب ج١٣ ص ٤١٣.

وعن عليٍّ بن جرير قال: قدمت على ابن المبارك فقال له رجلٌ: إنَّ رجلين تماريا عندنا في مسألة فقال أحدهما: قال أبو حنيفة. وقال الآخر: قال رسول الله ﷺ قال: كان أبو حنيفة أعلم بالقضاء. فقال ابن المبارك: أعد عليَّ. فأعاد عليه، فقال: كفر كفر. قلت: بك كفروا، وبك اتَّخذوا الكافر إماماً ـ قال: ولِمَ؟ قلت: بروايتك عن أبي حنيفة. قال: أستغفر الله من رواياتي عن أبي حنيفة «طب ج ١٣ ص ٤١٤».

---

(١) أخرجه الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ص ١٨، وجامع المسانيد ١ ص ١٧ بإسناد باطل.

(٢) مثل الخوارزمي المترجم في الجزء الرابع ص ٤٤٤ ـ ٤٥٤، وشمس الدّين الشامي المتوفّى سنة ٩٤٢ صاحب عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان.

وعن فضيل بن عياض قال: إنَّ هؤلاء أُشربت قلوبهم حبّ أبي حنيفة وأفرطوا فيه حتّى لا يرون أنَّ أحداً كان أعلم منه «حـل ج٦ص٣٥٨»

وكان محمّد بن شجاع أبو عبدالله فقيه أهل العراق يحتال في إبطال الحديث عن رسول الله ﷺ وردّه نصرة لأبي حنيفة ورأيه. طب ج٥ص٣٥١ .

وهناك قومٌ قابلوا هؤلاء بالطعن على إمامهم وشنّوا عليه الغارات وتحاملوا عليه بالوقيعة فيه، لا يسعنا ذكر جلّ ما وقفنا عليه من ذلك فضلاً عن كلِّه غير أنّا نذكر منه النزر اليسير. قال عبد البرّ[1]: فممّن طعن عليه أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل البخاري ـ صاحب الصحيح ـ فقال في كتابه في الضعفاء والمتروكين: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي قال نعيم بن حمّاد: أخبرنا يحيى بن سعيد ومعاذ بن معاذ سمعا سفيان الثوري يقول: قيل: استتيب أبو حنيفة من الكفر مرَّتين[2] وقال نعيم عن الفزاري: كنت عند سفيان بن عيينة فجاء نعي أبي حنيفة فقال: لعنه الله كان يهدم الإسلام عروةً عروةً، وما ولد في الإسلام مولودٌ أشرُّ منه. هذا ما ذكره البخاري.

وقال في ص ١٥٠ من الإنتقاء: وذكر السّاجي في كتاب العلل له في باب أبي حنيفة: إنّه استتيب في خلق القرآن فتاب. والسّاجي ممّن كان ينافس أصحاب أبي حنيفة.

وقال ابن الجارود في كتابه في الضعفاء والمتروكين: النعمان بن ثابت أبو حنيفة جلُّ حديثه وهمٌ قد اختلف في إسلامه.

وروي عن مالك رحمه الله أنه قال في أبي حنيفة نحو ما ذكر سفيان: إنَّه شرّ مولود وُلد في الإسلام، وانَّه لو خرج على هذه الأُمة بالسّيف كان أهون.

وذكر السَّاجي قال: أخبرنا أبو السائب قال: سمعت وكيع بن الجراح يقول: وجدت أبا حنيفة خالف مائتي حديث عن رسول الله ﷺ. وذكره الخطيب في

(١) في الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة ص ١٤٩.
(٢) ذكر الخطيب البغدادي استتابته من الكفر عن جمع كثير في تاريخه ج ١٣ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٤ وحكى عن شريك أنّه قال: علمت ذاك العواتق في خدورهنّ.

تاريخه ج١٣ص٣٩٠

وذكر السّاجي قال:أخبرني محمّد بن روح المدائني قال: أخبرني معلّى بن أسد قال: قلت لابن المبارك: كان الناس يقولون إنّك تذهب إلى قول أبي حنيفة؟ قال: ليس كلّ ما يقول النّاس يصيبون فيه، كنّا نأتيه زماناً ونحن لا نعرفه فلمّا عرفناه تركناه قال:وأخبرني محمَّد بن أبي عبد الرَّحمن المقري قال: سمعت أبي يقول دعاني أبو حنيفة إلى الإرجاء غير مرَّة فلم أُجبه.

وفي ص ١٥٢. قال أبو عمر: سمع الطحاوي أبو جعفر رجلاً ينشده:

إن كنت كاذبةً بما حدثتني فعليك إثم أبي حنيفة أو زفر[1]
الواثبين على القياس تعدِّياً والناكبين عن الطريقة والأثر

وقال أبو جعفر: وددت أنَّ لي حسناتهما وأُجورهما وعليَّ إثمهما.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: أصحاب أبي حنيفة لا ينبغي أن يُروى عنهم شيءٌ وسُئل عبدالله بن أحمد عن أبي حنيفة يُروى عنه؟ قال: لا[2].

وعن منصور بن أبي مزاحم قال سمعت مالك بن أنس وذكر أبو حنيفة قال: كاد الدين ومن كاد الدين فليس من أهله «حل ج٦ص٣٢٥» وذكره الخطيب في تاريخه ج١٣ص٤٠٠.

وعن الوليد بن مسلم قال قال لي مالك بن أنس: يُذكر أبو حنيفة ببلدكم؟ قلت: نعم. قال: ما ينبغي لبلدكم أن يُسكن. حل ج٦ص٣٢٥.

كان ابن أبي ليلى يتمثَّل بأبيات منها[3]:

إلى شنآن المرجئين ورأيهم عمر بن ذرٍّ وابن قيس الماصرِ
وعتيبة الدبّاب لا يُرضى به وأبي حنيفة شيخ سوء كافرِ

(١) زفر بن الهذيل العنبري ثم التميمي أحد أكابر أصحاب أبي حنيفة وأفقههم وأحسنهم قياساً ولي قضاء البصرة وقد خلف أبا حنيفة في حلقته إذ مات توفي سنة ١٥٨.

(٢) طب ١٤ ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) أخذنا ما يأتي من تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٣٨٠.

وعن يوسف بن أسباط: ردَّ أبو حنيفة على رسول الله ﷺ أربعمائة حديث أو أكثر.

وعن مالك أنَّه قال: ما وُلد في الإسلام مولودٌ أضرّ على أهل الإسلام من أبي حنيفة.

وعنه: كانت فتنة أبي حنيفة أضرُّ على هذه الأُمَّة من فتنة إبليس في الوجهين جميعاً: في الإرجاء. وما وضع من نقض السُنن.

وعن عبد الرَّحمن بن مهدي: ما أعلم في الإسلام فتنةً بعد فتنة الدجّال أعظم من رأي أبي حنيفة.

وعن شريك: لأن يكون في كلِّ حيٍّ من الأحياء خمّارٌ خيرٌ من أن يكون فيه رجلٌ من أصحاب أبي حنيفة.

وعن الأوزاعي: عمد أبو حنيفة إلى عُرى الإسلام فنقضها عروةً عروةً، ما وُلد مولودٌ في الإسلام أضرّ على الإسلام منه.

وعن سفيان الثوري انّه قال: إذ جاءه نعي أبي حنيفة: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه، لقد كان ينقض عُرى الإسلام عروةً عروةً، ما وُلد في الإسلام مولودٌ أشأم على أهل الإسلام منه.

وعنه وذكر عنده أبو حنيفة: يتعسَّف الأمور بغير علم ولا سنَّة.

وعن عبدالله بن إدريس: أبو حنيفة ضالٌّ مضلٌّ.

وعن ابن أبي شيبة ـ وذكر أبا حنيفة ـ: أراه كان يهوديّاً.

وعن أحمد بن حنبل انّه قال: كان أبو حنيفة يكذب. وقال: أصحاب أبي حنيفة ينبغي أن لا يروى عنهم شيءٌ. طب ج٧ص١٧.

وعن أبي حفص عمرو بن علي: أبو حنيفة صاحب الرأي ليس بالحافظ مضطرب الحديث، واهي الحديث، وصاحب هوى.

وترى آخرين افتعلوا على رسول الله ﷺ رواية: عالم قريش يملأ طباق

الأرض علماً[1] وحملوه على محمَّد بن إدريس إمام الشافعيَّة.

وزعم المزني أنَّه رأى رسول الله ﷺ في المنام فسأله عن الشافعي فقال: من أراد محبَّتي وسنَّتي فعليه بمحمَّد بن إدريس الشافعي المطلبي فإنَّه منّي وأنا منه. طب ج٢ص٦٩.

وعن محمَّد بن نصر الترمذي أنَّه قال: كتبت الحديث تسعاً وعشرين سنة وسمعت مسائل مالك وقوله، ولم يكن لي حسن رأي في الشافعيّ، فبينا أنا قاعدُ في مسجد النبيِّ ﷺ بالمدينة إذ غفوت غفوة فرأيت النبيَّ ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال: لا. قلت: أكتب رأي مالك؟ قال: ما وافق حديثي. قلت له: أكتب رأي الشافعي؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان لقولي وقال: ليس هذا بالرأي هذا ردّ على من خالف سنَّتي. فخرجت على أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعي طب ج ١ ص ٣٦٦ .

وقال أحمد بن نصر: رأيت النبيَّ في منامي فقلت: يا رسول الله بمن تأمرنا أن نقتدي به من أُمَّتك في عصرنا، ونركن إلى قوله، ونعتقد مذهبه؟! فقال: عليكم بمحمَّد بن إدريس الشافعيّ فإنَّه منّي، وإنَّ الله قد رضي عنه وعن جميع أصحابه ومن يصحبه ويعتقد مذهبه إلى يوم القيامة. قلت له: وبمن؟! قال: بأحمد بن حنبل فنعم الفقيه الورع الزّاهد. كر ج٢ص٤٨.

وعن أحمد بن الحسن الترمذي قال: كنت في الرَّوضة فاغفيت فإذا النبيُّ ﷺ قد أقبل فقمت إليه فقلت: يا رسول الله! قد كثر الاختلاف في الدين فما تقول في رأي أبي حنيفة؟! فقال: افّ. ونفض يده، قلت: فما تقول في رأي مالك؟ فرفع يده وطأطأ، وقال: أصاب وأخطأ، قلت: فما تقول في رأي الشافعيِّ؟ قال بأبي ابن عمِّي أحيى سنَّتي طب ج٦ص٦٩.

وعنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! أما ترى ما في الناس من اختلاف؟! قال فقال لي: في أيِّ شيءٍ؟! قلت: أبو حنيفة ومالك والشافعي. فقال: أمّا أبو حنيفة فما أدري مَن هو. وأمّا مالك

(١) قال ابن الحوت في أسنى المطالب ص ١٤: خبر لم يصح، فهو ضعيف.

وأمّـا الشافعي فمنّي وإليَّ. طب ج٤ص٢٣١ .

ويأتي حنفيٌّ محاج يتقرَّب إلى إمامه بوضع الحديث على النبيِّ الأعظم من طريق أبي هريرة إنَّه قال: سيكون في امَّتي رجلٌ يقال له: أبو حنيفة هو سراج أُمَّتي. وسيكون في أُمَّـتي رجلٌ يقال له: محمّد بن إدريس فتنته على امّتي أضرّ من فتنة إبليس، وفي لفظ: أضرّ على امَّتي من إبليس[1].

وكان محمّد بن موسى الحنفي القاضي بدمشق المتوفّى سنة ٥٠٦ يقول: لو كان لي أمرٌ لأخذت الجزية من الشافعيَّة يـــه ج١٢ص١٧٥ لـم ج٥ص٤٠٢.

وكان محبّ الدين محمّد بن محمّد الدمراقي الحنفي المتوفّى سنة ٧٨٩ [ذاك العالم الورع الذي كـان يقرأ كل يوم ختمة] شديد العصبيَّة يقع في الشافعي ويرى ذلك عبادة. هب ج٦ص٣١٠ .

وتأتي المالكيَّة بالزعمات فتروي ما وضعه بعضهم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من رواية: يكاد الناس يضربون أكباد الإبل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة[2]. وطبَّقوها على مالك بن أنس فكأنَّ المدينة لم تكن عاصمة الإسلام، ولم يكن هناك عالمٌ يُقصد قبل مالك وبعده، وكأنَّ عائلة النبوَّة التي جعلها النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قرينة القرآن في الاستخلاف وقال: إنّي مخلّفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. لم ترث علم النبيِّ الأعظم، وكأنَّ صادق آل محمّد ـ وكلّهم صادقون ـ لم يكن هو المنتجع الوحيد في العلم لأئمّة الدنيا في ذلك اليوم، وكأنَّ مالك لم يكن من تلامذته.

فيأتي الرَّجل[3] بدعوى الإجماع المجرّدة من المسلمين على أنَّ مالك هو

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ٥ ص ٣٠٩، وعده من أفحش ما وضعه البـورقي محمد بن سعيـد الكذاب المتوفّى سنـة ٣١٨ على الثقات. وعـده العجلوني في كشف الخفاء ١ ص ٣٣: من الموضوعات وكذا السيوطي في لي ١ ص ٢٣٧.

(٢) عده ابن الحوت في أسنى المطالب ص ١٤ من الموضوعات. وقال: سمعته من المـالكية ولم أره.

(٣) صاحب الديباج المذهب.

المراد من ذلك الحديث المزوَّر. ذاهلاً عن قول محمَّد بن عبد الرّحمن: إنّ أحمد كان أفضل من مالك بن أنس. طب ج٢ص٢٩٨.

وعن قول أحمد ـ إمام الحنابلة ـ: كان ابن أبي ذئب أفضل من مالك بن أنس طب ج٢ص٢٩٨.

وعن قول يحيى بن سعيد: إنّ سفيان فوق مالك من كلّ شيءٍ ـ في الحديث والفقه والزهد ـ طب ج٩ ص ١٦٤.

وعن قول عطية بن أسباط: إنّ أبا حنيفة أفقه من ملء الأرض مثل مالك[1].

وعن قول الشافعيّ وابن كثير: إنّ ليث بن سعيد الفهمي شيخ الديار المصريّة أفقه من مالك. صه ص ٢٧٥ بق ج١ص٢٠٨.

وعن قول أبي موسى الأنصاري قال: سألتُ سفيان بن عيينة فحدَّثنا عن ابن جريج مرفوعاً: يوشك أن يضرب الرَّجل أكباد الإبل في طلبالعلم فلا يجد عالماً أعلم من عالم المدينة. قال أبو موسى: فقلت لسفيان: أكان ابن جريج يقول: نرى أنَّه مالك بن أنس: فقال: إنّما العالم من يخشى الله، ولا نعلم أحداً كان أخشى لله من العمري ـ يعني عبدالله ابن عبد العزيز العمري ـ طب ج٦ ص ٣٧٧».

وعن قول يحيى بن صالح: محمّد بن الحسن ـ الشيباني ـ أفقه من مالك «طب ج٢ص١٧٥».

وعن قول أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب: أنَّ مالكاً يأخذ بحديث البيِّعين بالخيار قال: يُستتاب وإلّا ضُربت عنقه، ومالك لم يردّ الحديث ولكن تأوّله على غير ذلك، فقال شاميٌّ: من أعلم مالك أو ابن أبي ذئب؟! فقال: ابن أبي ذئب في هذا أكبر من مالك، وابن أبي ذئب أصلح في دينه وأورع ورعاً وأقوم بالحقِّ من مالك عند السّلاطين «طب ج٢ص٣٠٢».

---

(١) مناقب أبي حنيفة للشيخ علي القاري المطبوع مع الجواهر المضية في طبقات الحنفية ص ٤٦١.

وللمالكيَّة حول إمامهم مناماتٌ زعموا رؤية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وثناؤه على مالك يوجد شطرٌ منها في «حلية الأولياء» ج٦ص٣١٧ وغيرها.

وللحنابلة أشواطٌ وخطواتٌ واسعةٌ في الدعاية إلى المذهب وإلى إمامهم فقد افتعلوا أطيافاً تصمّ منها المسامع، ويقصر عن مغزاها كلّ غلوّ، وقد أسلفنا يسيراً منها في هذا الجزء ص٢٤٣ ـ ٢٤٧، ومنها ما أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٤٥٥ بإسناده عن عليٍّ بن عبدالعزيز الطلحي قال قال لي الرَّبيع بن سليمان: قال لي الشافعي: يا ربيع! خذ كتابي وامض به وسلّمه إلى عبدالله أحمد بن حنبل وآتني بالجواب قال الربيع: فدخلت بغداد ومعي الكتاب ولقيت أحمد بن حنبل صلاة الصبح فصلّيت معه الفجر فلمّا انفتل من المحراب سلّمت الكتاب وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعيِّ من مصر. فقال أحمد: نظرت فيه؟ قلت: لا. وكسر أحمد الخاتم وقرأ الكتاب فتغرغرت عيناه بالدموع فقلت له: أي شيءٍ فيه يا أبا عبدالله؟! فقال: يذكر أنَّه رأى النّبي ﷺ في المنام فقال له: اكتب إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل واقرأ عليه منِّي السّلام وقل: إنَّك ستُمتحن وتُدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم يرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة. قال الرَّبيع فقلت: البشارة. فخلع قميصه الذي يلي جلده فدفعه إليَّ فأخذته وخرجت إلى مصر وأخذت جواب الكتاب وسلّمته إلى الشافعي فقال لي: يا ربيع! أيّ شيءٍ الذي دفع إليك؟! قلت: القميص الذي يلي جلده فقال لي الشافعي: ليس نفجعك به ولكن بلّه وادفع إلينا الماء حتى أشركك فيه[١] ورواه بطريقٍ آخر وفيه: قال الرّبيع فغسلته فحملت ماءه إليه فتركته في قنينة وكنت أراه في كلِّ يوم يأخذ منه ويمسح على وجهه تبرُّكاً بأحمد بن حنبل. وذكره ابن كثير في تاريخه ج١٠ص٣٣١ نقلاً عن البيهقي.

وقال الفقيه أحمد بن محمد أبو بكر اليازودي: دخلت العراق فكتبت كتب أهل العراق وكتبت كتب أهل الحجاز فمن كثرة اختلافهما لم أدر بأيّهما آخذ، إلى أن قال: فمن كثرة اختلافهما تركت الجماعة وخرجت فأصابني غمٌّ وبثٌّ

(١) في لفظ ابن كثير: ولكن بله بالماء وأعطنيه حتى أتبرك به.

مغموماً فلمّا كان في جوف الليل قمت وتوضأت وصلّيت ركعتين وقلت: اللّهم اهدني إلى ما تحبّ وترضى ثمّ آويت إلى فراشي فرأيت النبيّ ﷺ فيما يرى النائم دخل من باب بني شيبة فأسند ظهره إلى الكعبة ورأيت الشافعيّ وأحمد بن حنبل على يمين النبيّ ﷺ يتبسّم إليهما، ورأيت بشر المريسي على يسار النبيّ ﷺ مكلح الوجه فقلت: يا رسول الله! من كثرة اختلاف هذين الرّجلين لم أدر بأيّهما آخذ فأومأ إلى الشافعيّ وأحمد بن حنبل وقال: أُولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة. ثمّ أومأ إلى بشر المريسي وقال: فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. قال أبو بكر: والله لقد رأيت هذه الرؤيا وتصدّقت من الغد بألف دينار وعلمت أنّ الحقّ مع الشيخين إلخ. رواه ابن عساكر في تاريخه ج١ص٤٥٤ نقلاً عن الحافظين البيهقي والجوزقي.

وبلغ غلوّ الحنابلة في إمامهم إلى حدّ قال المديني: إنّ الله أعزّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصدّيق يوم الردّة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة(١)، وقال: ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام به أحمد بن حنبل قال الميموني قلت له: يا أبا الحسن! ولا أبو بكر الصدّيق؟ قال: ولا أبو بكر الصدّيق إنّ أبا بكر الصدّيق كان له أعوانٌ وأصحابٌ وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوانٌ وأصحابٌ طب ج٤ص٤١٨.

وهناك مثل أبي علي الحسين بن علي الكرابيسي الشافعي المتوفّى سنة ٨/٢٤٥ يتحامل على الإمام أحمد ويتكلّم فيه ويقول لمّا سمع قوله في القرآن: إيش نعمل بهذا الصبيّ؟ إن قلنا: مخلوقٌ قال: بدعةٌ، وإن قلنا: غير مخلوق. قال: بدعة(٢).

ومثل مرجان الخادم المتفقّه لمذهب الشافعي المتوفّى سنة ٥٦٠ كان

---

(١) هل خفي على ابن المديني ما أخرجه الحفاظ من الصحيح المكذوب على رسول الله: أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة. والصحيح المختلق عليه صلّى الله عليه وآله: اللهم أيد الدين بعمر. فجعل الله دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله لعمر فبنى عليه ملك الإسلام وهدم به الأوثان «مستدرك الحاكم ٣ ص ٨٣».

(٢) طب ٨ ص ٦٤.

يتعصَّب على الحنابلة ويكرههم حتّى انَّ الحطيم الذي برسم الوزير ابن هبيرة بمكّة يصلّي فيه ابن الطباخ الحنبلي[1] مضى مرجان وأزاله من غير تقدّم بغضاً للقوم، وكان يقول لابن الجوزي الحنبلي: مقصودي قلع مذهبكم وقطع ذكركم. ولمّا توفّي مرجان فرح إبن الجوزي فرحاً شديداً «ظم ج١٠ص٢١٣، يه ج١٢ص٢٥٠».

وقال ابن الجوزي في «المنتظم» ج ١٠ ص ٢٢٤: كان أبو سعد السمعاني المتوفّى سنة ٥٦٣ يتعصَّب على مذهب أحمد ويبالغ فذكر من أصحابنا جماعة وطعن فيهم بما لا يوجب الطعن.

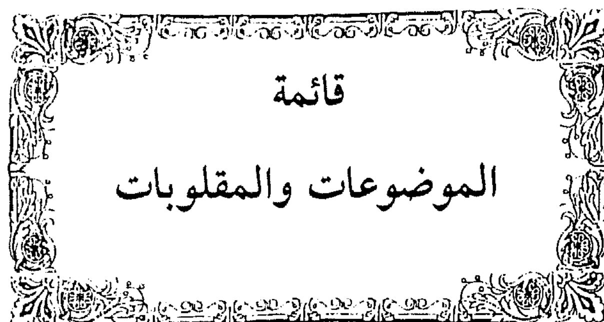
ولابن الجوزي في «المنتظم» ج ٨ ص ٢٦٧ كلمةٌ ضافيةٌ حول تعصّب أبي بكر الخطيب البغدادي صاحب التاريخ على مذهب أحمد وأصحابه إلى أن قذفه بعدم الحياء وقلّة الدين.

وكان محمّد بن محمّد أبو المظفّر الدوي المتوفّى سنة ٥٦٧ يتكلَّم في الحنابلة وتعصّب عليهم وبالغ في ذمِّهم وقال: لو كان لي امرٌ لوضعت عليهم الجزية. فدسّوا الحنابلة عليه سمّاً فمات منه هو وزوجته وولدٌ له صغيرٌ «ظم ج ١٠ص٢٣٩.

نعم: هناك من لم تُزحزحه النزعات والأهواء عن الهتاف بالصّدق نظراء الفيروز آبادي صاحب «القاموس» والعجلوني، فقال الأوَّل في خاتمة كتابه «سفر السّعادة» والثاني في «كشف الخفاء» ج٢ص٤٢٠: باب فضائل أبي حنيفة والشافعيّ وذمِّهم ليس فيه شيءٌ صحيحٌ، وكلُّ ما ذكر من ذلك فهو موضوعٌ ومفترى. وقال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ١٤: لم يرد في أحد من الأئمَّة بعينه نصٌّ لا صحيحٌ ولا ضعيفٌ.

---

(١) أبو محمد المبارك بن على بن الحسين البغدادي نزيل مكة ومجاورها المتوفّى سنة ٥٧٥.



في وسع الباحث أن يتّخذ مما ذُكر في سلسلة الكذّابين من عدِّ ما وضعوه أو قلبوه قائمة تقرّب لـه الوقـوف على حساب المـوضوعـات والمقلوبات من الأحاديث المبثوثة في طيّات كتب القوم ومسانيدهم، وإن لم يمكنه عرفان جلّها فضلاً عن كلّها إذ لم يكن هناك ديوانٌ لتسجيل الوضّاعين، وضبط ما افتعلوه، وحصر ما لفّقوه من موضوع أو مقلوب والذي يوجد في ترجمة شرذمةٍ قليلةٍ من أولئك الجمِّ الغفير إنّـما هو من لقطات التاريخ حفظته يد الصدفة لا عن قصدٍ وإليك جملة من تلك الثّويلة:

الأعلام	عدد الأحاديث
أبو سعيد أبان بن جعفر وضع أكثر من	٣٠٠
أبو علي أحمد الجويباري وضع هو وابنا عكاشة وتميم أكثر من	١٠٠٠٠
أحمد بن محمّد القيسي لعلّه وضع على الأئمّة أكثر من	٣٠٠٠
أحمد بن محمّد الباهلي أحاديثه الموضوعة	٤٠٠
أحمد بن محمّد المروزي قلّب على الثقات أكثر من	١٠٠٠٠
أحمد أبو سهل الحنفي أحاديثه المكذوبة	٥٠٠
بشر بن الحسين الأصبهاني له نسخةٌ موضوعةٌ فيها	١٥٠
بشر بن عون له نسخةٌ موضوعةٌ نحو	١٠٠
جعفر بن الزبير وضع على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم	٤٠٠

الحارث بن اسامة أخرج أحاديث موضوعة تعدُّ	٣٠
الحسن العدوي حدَّث بموضوعات تربو على	١٠٠٠
الحكم بن عبدالله أبو سلمة وضع نحو	٥٠
دينار الحبشي روى عن أنس من الموضوعات قريباً من	١٠٠(١)
زيد بن الحسن وضع	٤٠
زيد بن رفاعة أبو الخير له من الموضوعات	٤٠
سليمان بن عيسى وضع بضعاً و	٢٠
شيخ بن أبي خالد البصري وضع	٤٠٠
صالح بن أحمد القيراطي لعلّه قلّب أكثر من	١٠٠٠٠
عبد الرَّحمن بن داود له من الموضوعات	٤٠
عبد الرَّحيم الفاريابي وضع أكثر من	٥٠٠
عبد العزيز موضوعاته ومقلوباته	١٠٠
عبد الكريم بن أبي العوجاء وضع	٤٠٠٠
عبدالله القزويني وضع على الشافعي نحو	٢٠٠
عبدالله القدامي قلّب على مالك أكثر من	١٥٠(٢)
عبدالله الرّوحي روى من الموضوع أكثر من	١٠٠
عبد المنعم أخرج من الحديث الكذب نحواً من	٢٠٠
عثمان بن مقسم له عند شيبان ممّا لا يسمع	٢٥٠٠٠
عمر بن شاكر له نسخةٌ غير محفوظة نحو	٢٠
محمّد بن عبد الرَّحمن البيلماني حدَّث كذباً	٢٠٠
محمّد بن يونس الكديمي وضع أكثر من	١٠٠٠
محمّد بن عمر الواقدي روى ممّا لا أصل له	٣٠٠٠٠
معلّى(٣) بن عبد الرَّحمن الواسطي وضع	٩٠

(١) مر صفحة ٢٨٢ قول ابن عدي فيه: يقدر أن يروي عنه عشرون ألف كلها كذب.

(٢) لم ج ٣ ص ٣٣٦ .

(٣) في بعض المصادر: يعلى.

ميسرة بن عبد ربّه البصري وضع	٤٠
نوح بن أبي مريم وضع في فضل السّور	١١٤
هشام بن عمّار حدَّث كذباً	٤٠٠
فمجموع موضوعات هؤلاء المذكورين ومقلوباتهم:	(٩٨٦٨٤)
أضف إليها ما تركوا من حديث عبّاد البصري من	٦٠٠٠٠
وما رُمي من حديث عمر بن هارون من	٧٠٠٠٠
وما رُمي من حديث عبدالله الرازي من	١٠٠٠٠
وما تُرك من حديث ابن زبالة من	١٠٠٠٠٠
وما رُمي من أحاديث محمّد بن حميد من	٥٠٠٠٠
وما أسقطوه ممّا كتبوه من حديث نصر من	٢٠٠٠٠[1]
	٤٠٨٦٨٤

فمجموع ما لا يصحُّ من أحاديث هذا الجمع القليل فحسب يقدر بأربعمائة وثمانية آلاف وستمائة وأربعة وثمانين حديثاً.

ولا يعزب عن الباحث أنّ هذا العدد إنّما هو نزرٌ يسيرٌ نظراً إلى ما اختلقته أيدي الافتعال الأثيمة المتكثِّرة، وكان لجلّ الكذّابين الوضّاعين لولا كلّهم تآليف تحوي شتات ما لفّقوه ممّا لا يُحدُّ ولا يُقدَّر، والتاريخ لم يحفظ لنا شيئاً منها غير الإيعاز إليها في تراجم جمع من مؤلِّفيها كما مرَّ من أقوالهم:

أحمد بن ابراهيم المزني، له نسخةٌ موضوعةٌ.

أحمد بن محمّد الحِمَّاني، صنّف في مناقب أبي حنيفة كلّها موضوعةٌ.

إسحاق بن محمشاذ، له مصنَّف في فضائل ابن كرام كلّها موضوعةٌ .

أيّوب بن مدرك الحنفي، له نسخةٌ موضوعةٌ.

---

(١) مر تفصيل ما في هذه القائمة في ترجمة رجالها في سلسلة الكذابين.

بريه بن محمّد البيِّع، له كتابٌ أحاديثه موضوعةٌ.

الحسن بن علي الأهوازي، صنّف كتاباً أتى بالموضوعات.

الحسين بن داود البلخي، له نسخةٌ أكثرها موضوع.

داود بن عفّان، له نسخةٌ موضوعةٌ على أنس.

زكريّا بن دريد، له نسخةٌ كلّها موضوعةٌ.

عبد الرَّحمن بن حمّاد، عنده نسخةٌ موضوعةٌ.

عبد العزيز بن أبي زواد، عنده نسخةٌ موضوعةٌ.

عبد الكريم بن عبد الكريم، له كتابٌ موضوعٌ.

عبدالله بن الحارث،له نسخةٌ كلّها موضوعةٌ.

عبدالله بن عُمير القاضي، له نسخةٌ موضوعةٌ على مالك.

عبد المغيث بن زهير الحنبلي، له جزءٌ موضوعٌ في فضائل يزيد.

عبيد بن القاسم، له نسخةٌ موضوعةٌ.

العلاء بن زيد البصري، له نسخةٌ موضوعةٌ.

لاحق بن الحسين المقدسي، كتب من حديثه الموضوع زيادة على خمسين جزءاً

محمّد بن أحمد المصري، له نسخةٌ موضوعةٌ.

محمّد بن الحسن السّلمي، ألّف كتباً تبلغ مائة كتاب.

محمّد بن عبد الواحد الزّاهد، له جزءٌ في فضائل معاوية.

محمّد بن يوسف الرقّي، وضع نحواً من ستّين نسخة.

موسى بن عبدالرَّحمن الثقفي، وضع كتاباً في التفسير .

وعلى القارىء أن يتّخذ هذا مقياساً ويقدّر به موضوعات جميع من ذكرناه

من الكذّابين والوضّاعين ومقلوباتهم ومن لم نذكرهم، فلا يستكثر عندئذٍ قول يحيى بن معين: كتبنا عن الكذّابين وسجرنا به التّنور وأخرجنا به خبزاً نضيجاً[١].

وقول البخاري صاحب الصحيح: أحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح[٢].

وقول إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: إنّه حفظ أربعة آلاف حديثاً مزوّرة[٣].

وقول يحيى بن معين: أيّ صاحب حديث لا يكتب عن كذّاب ألف حديث؟. طب ج١٢ص٤٣

وقول الخطيب البغدادي: لأهل الكوفة وأهل خراسان من الأحاديث الموضوعة والأسانيد المصنوعة نسخٌ كثيرةٌ، وقلّ ما يوجد بحمد الله في محدِّثي البغداديِّين ما يوجد في غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث والكذب في الرّواية. طب ج١ص٤٤ .

وقول أبي بكر بن أبي سبرة الوضّاع الكذاب: عندي سبعون ألف حديث في الحلال والحرام يب ج١٢ص٢٧ .

وقد عدّ الفيروز آبادي صاحب «القاموس» في خاتمة كتابه «سفر السّعادة» واحداً وتسعين باباً توجد فيها أحاديث كثيرة في كتبهم فقال: ليس منها شيءٌ صحيحٌ ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث.

وذكر العجلوني في خاتمة كتابه «كشف الخفاء» جملة من الموضوعات والوضّاعين والكتب المزوّرة وعدّ في ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ مائة باب ـ أكثرها في الفقه ـ وقال بعد كلِّ باب: لم يصحّ فيه حديثٌ. أو: ليس فيه حديثٌ صحيحٌ. وما يقرب من ذلك.

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ١٤ ص ١٨٤.
(٢) إرشاد الساري للقسطلاني في شرح صحيح البخاري ج ١ ص ٣٣.
(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ٦ ص ٣٥٢.

وعدّ ابن الحوت البيروتي في «أسنى المطالب» ما يربو على ثلاثين مبحثاً ممّا يرى الأحاديث الواردة فيه باطلاً لم يصحّ شيءٌ منها.

ويُعرب عن كثرة الموضوعات اختيار أئمّة الحديث أخبار تآليفهم الصِّحاح والمسانيد من أحاديث كثيرة هائلة والصفح عن ذلك الهوش الهائش. قد أتى أبو داود في سننه بأربعة آلاف وثمانمائة حديث وقال: انتخبته من خمسمائة ألف حديث[1]، ويحتوي صحيح البخاري من الخالص بلا تكرار ألفي حديث وسبعمائة وواحداً وستين حديثاً اختاره من زهاء ستمائة ألف حديث[2]، وفي صحيح مسلم أربعة آلاف حديث أصول دون المكرّرات صنّفه من ثلاثمائة ألف[3] وذكر أحمد بن حنبل في مسنده ثلاثين ألف حديث وقد انتخبه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث وكان يحفظ ألف ألف حديث[4]، وكتب أحمد بن الفرات المتوفّى سنة ٢٥٨: ألف ألف وخمسمائة ألف حديث فأخذ من ذلك ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد وغيرها. صه ص ٩.

هذه ناحيةٌ واحدةٌ من شؤون الحديث وهناك نواحي اخرى ناشئة عن ألفاظ الجرح المتكثِّرة غير الكذب والوضع، توجد تحت كلٍّ واحدة منها أُمّةٌ كبيرةٌ من رجال الحديث جاء كلّ فرد منها بأحاديث جمّة مثل قولهم:

لا تحلُّ الرِّواية عنه أحاديثه كلّها موضوعةٌ. يروي مالا أصل له يروي الموضوعات عن الثقات. أحاديثه مقلوبةٌ منكرةٌ. ليس بشيءٍ في الحديث يأتي عن الثقات بالطامّات. لا يحلُّ الاحتجاج به. يقلِّب الأسانيد ويرفع يرفع الموقوف ويوصل. يسرق الحديث ويقلِّب. ليس بثقة في الحديث

(١) طبقات الحفاظ للذهبي ٢ ص ١٥٤، تاريخ بغداد ٩ ص ٥٧، المنتظم لابن الجوزي ٥ ص ٩٧..

(٢) طب ٢ ص ٨، إرشاد الساري ١ ص ٢٨، صفة الصفوة ٤ ص ١٤٣.

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٥ ص ٣٢، طبقات الحفاظ للذهبي ٢ ص ١٥١، ١٥٧، شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ٣٢.

(٤) ترجمة أحمد المنقولة عن طبقات ابن السبكي المطبوعة في آخر الجزء الأول من مسنده. طبقات الذهبي ٢ ص ١٧.

لا يحلّ كتب حديثه. لا يُتابع في جلّ حديثه. لم يكن ثقةً ولا مأموناً. كلّ الأصحاب مجمعٌ على تركه. عامّة ما يرويه غير محفوظة. لا يُستدلّ به ويُعتبر به. ليس له حديثٌ يعتمد عليه. مضطرب الحديث ليس بشيء. يكثر من المناكير في تآليفه

متّفقٌ على تركه يأتي بالموضوعات. يأتي بالمقلوبات. ذاهب الحديث. . لا يُكتب عنه . مدلّسٌ عن الكذّابين. لا يسوى شيئاً. ينفرد بالمناكير

ليس بحجّة. واهٍ بمرّة. ضعيفٌ جدّاً. هالكٌ. ساقطٌ. مبتدعٌ. يُدلّس. اختلط. يخلط. متّهمٌ بالكذب. يُتّهم بوضع الحديث.

مشكلة الثقة والثقات

هذا شأن من لا يوثق به وبحديثه عند القوم، وأمّا من يوصف بالثقة فهناك مشكلةٌ عويصةٌ لا تنحلّ، وتجعل القارىء في بهيتة، فلا يعرف أيُّ مثقّف قطُّ ما الثقة وما معناها وأيّ ملكة هي، وما يراد منها، وبماذا تتأتّى، وأيّ خلّة تضادُّها وتناقضها. فهلمَّ معي نقرأ تاريخ جمع نُصَّ على ثقتهم نظراء:

١- زياد بن صاحب الطامّات والجرائم الموبقة. قال خليفة بن خيّاط: كان يعدُّ من الزهّاد. وقال أحمد بن صالح: لم يكن يُتّهم بالكذب. تاريخ ابن عساكر ج٥ص٤٠٦، ٤١٤

٢ ـ عمر بن سعد بن أبي وقّاص قاتل الإمام السبط الشهيد. قال العجلي: ثقةٌ صه ص ١٤٠.

٣ ـ عمران بن حطّان رأس الخوارج صاحب الشعر المعروف في ابن ملجم المرادي.

يا ضربةً من تقي ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
انّي لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا(١)

وثّقه العجلي وجعله البخاري من رجال صحيحه وأخرج عنه.

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا ص٣٧٨.

٤ ـ إسماعيل بن أوسط البجلي أمير الكوفة المتوفّى سنة ١١٧، كان من أعوان الحجّاج بن يوسف الثقفي، وقدّم سعيد بن جبير للقتل، وثّقه ابن معين وعدّه ابن حبّان من الثقات [م ج١ص١٠٣، لم ج١ص٣٩٥].

٥ ـ أسد بن وداعة شاميٌّ تابعيٌّ ناصبيٌّ كان يسبُّ عليّاً وكان عابداً وثّقه النسائي [م ج١ص٩٧، لم ج١ص٣٨٥].

٦ ـ أبو بكر محمّد بن هارون، ناصبيّ منحرفٌ وكان يُعرف بالأغراب عن أمير المؤمنين، وثّقه الخطيب البغدادي [لم ج٥ص٤١١.

٧ ـ خالد القسري الأمير الناصبيُّ البغيض الظلوم ـ هكذا وصفه الذهبي ـ وفي تاريخ ابن كثير ج١٠ ص ٢٠، ٢١ :كان رجل سوء يقع في عليٍّ بن أبي طالب وكانت أُمّه نصرانيَّة، وكان متَّهماً في دينه وقد بنى لأُمِّه كنيسة في داره. قال ابن حبّان: ثقةٌ.

٨ ـ إسحاق بن سويد العدوي البصري المتوفّى سنة ١٣١ كان يحمل على عليٍّ تحاملاً شديداً وقال: لا أُحبّ عليّاً. وثّقه أحمد وابن معين والنسائي، وهو من رجال صحاح البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي. يب ج١ص٢٣٦.

٩ ـ نعيم بن أبي هند المتوفّى سنة ٢٢١ الناصبيّ، كان يتناول عليّاً أمير المؤمنين وثّقه النسائي [م ج٣ص٢٤٣].

١٠ ـ حريز بن عثمان الذي كان يصلّي في المسجد ولا يخرج منه حتّى يلعن عليّاً سبعين لعنة كلّ يوم. قال إسماعيل بن عيّاش رافقت حريزمن مصر إلى مكّة فجعل يسبُّ عليّاً ويلعنه وقال لي: هذا الذي يرويه الناس انّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، حقٌّ ولكن أخطأ السّامع. قلت: فما هو؟ قال: إنّما هو: أنت منّي بمكان قارون من موسى. قلت: عمّن ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبدالملك يقوله على المنبر[1] إحتجَّ بحديثه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم، وفي الرِّياض النضرة ج٢ص٢١٦ثقةٌ ولكن

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ ص ١١٥، تاريخ الخطيب ٨ ص ٢٦٨.

يبغض عليّاً أبغضه الله عزّ وجلّ.

١١ ـ أزهر بن عبدالله الحمصي، كان يسبُّ عليّاً، وثّقه العجلي وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي. يب ج١ ص٢٠٤.

١٢ ـ عبدالرَّحمن بن إبراهيم الشهير بدحيم الشاميّ القائل بأنَّ من قال: إنَّ الفئة الباغية هم أهل الشام فهو ابن الفاعلة. يروي عنه البخاري وغيره وعرّف بالثقة وأنّه حجَّةٌ.

١٣ ـ الحافظ عبدالمغيث الحنبلي يؤلّف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية يأتي بالموضوعات ويترجم بالزُّهد والثقة والدين والصِّدق والأمانة والصَّلاح والاجتهاد.

١٤ ـ الحافظ زيد بن حباب، قال ابن معين: ثقةٌ يقلِّب حديث الثوري. صه ١٠٨.

١٥ ـ خلف بن هشام كان يشرب الخمر، وثّقه أحمد إمام الحنابلة فقيل: يا أبا عبدالله إنَّه يشرب؟ فقال: قد انتهى إلينا علم هذا عنه، ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين، شرب أو لم يشرب. طب ج٨ص٣٢٦.

١٦ ـ خالد بن مسلمة بن العاص أبو سلمة القرشي، وثّقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وقال: شيخٌ يكتب حديثه، وقال ابن عدي: هو في عداد من يُجمع حديثه، حديثه قليلٌ ولا أرى برواياته بأساً، وكان رأساً في المرجئة ويبغض عليّاً. كـر ج٥ص٥٣

نعم: ترك أحمد بن حنبل الحديث عن عبيد الله بن موسى العبسي لمّا سمعه يتناول معاوية بن أبي سفيان وبعث رسوله إلى يحيى بن معين فقال له: أخوك أبو عبدالله أحمد بن حنبل يقرأ عليك السَّلام ويقول لك: هوذا تكثر الحديث عن عبيدالله وأنا وأنت سمعناه يتناول معاوية بن أبي سفيان وقد تركت الحديث عنه. فقال يحيى بن معين للرَّسول: إقرأ على أبي عبدالله السّلام وقل له: يحيى بن معين يقرأ عليك السَّلام وقال لك: أنا وأنت سمعنا عبدالرزّاق

يتناول عثمان بن عفان فاترك الحديث عنه فإنَّ عثمان أفضل من معاوية(١).

نعم: ترك شعبة رواية المنهال بن عمرو الأسدي الكوفي لمّا سمع من بيته صوت قراءة بالتطريب كما قاله ابن أبي حاتم [صه ص ٣٣٢].

نعم: قال يزيد بن هارون: لا تحلُّ الرواية عن أبي يوسف لأنَّه كان يعطي أموال اليتامى مضاربةً ويجعل الربح لنفسه. [طبج١٤ص٢٥٨].

نعم نعم: ترك البخاري الرِّواية عن الإمام الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام. وقال يحيى بن سعيد: في نفسي منه شيءٌ وقال: ما كان كذوباً. يب ج٢ص١٠٣. ووثّقه الشافعي وابن معين وابن أبي خيثمة وأبو حاتم وابن عدي وابن حبّان والنسائي وآخرون.

نعم: قال أبو حاتم بن حبّان البستي: يروي عليٌّ بن موسى الرِّضا ـ الإمام الطّاهر عليه السلام ـ عن أبيه العجائب كأنّه يهم ويُخطىء [أنساب السمعاني في باب الرّاء والضّاد، تهذيب التهذيب ٧ ص ٣٨٨].

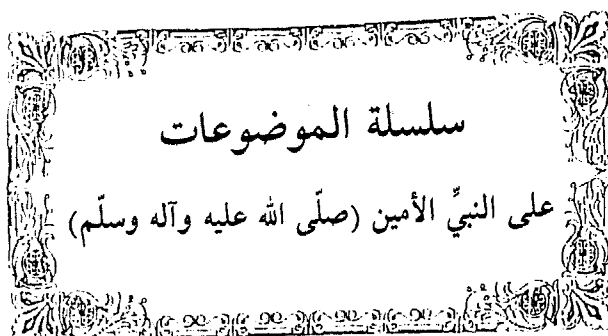
نعم: ضعّف ابن الجوزي الإمام الطاهر الحسن بن عليّ بن محمّد العسكري عليهم السلام في الموضوعات كما في «لسان الميزان» ٢ ص ٢٤٠.

﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة البقرة؛ الآية : ٧٩]

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤ ص ٤٢٧.



يهمّنا ها هنا ذكر نماذج ممّا وضعته يد أُولئك الكذّابين الوضّاعين المذكورين أو من يشاكلهم في الافتعال في باب الفضائل فحسب.

١ ـ عن ابن عبّاس قال قال رسول الله ﷺ: ما في الجنّة شجرةٌ إلّا مكتوبٌ على كلِّ ورقة منها: لا إله إلّا الله . محمّد رسول الله. أبو بكر الصدِّيق ـ عمر الفاروق ـ عثمان ذو النورين.

من موضوعات عليِّ بن جميل الرقّيّ أخرجه الطبراني وقال: موضوعٌ وعليُّ بن جميل وضّاعٌ، وقد تفرَّد به وسرقه منه معروف بن أبي معروف البلخي، وعبدالعزيز بن عمرو الخراساني رجلٌ مجهولٌ.

وأخرجه أبو نعيم من طريق عليِّ بن جميل، ورواه الختلي في الديباج من طريق عبدالعزيز بن عمرو الخراساني كما في «ميزان الاعتدال». قال مؤلفه الذهبي في ج ٢ ص ١٣٨: عبدالعزيز فيه جهالةٌ والخبر باطلٌ فهو الآفة فيه.

وأخرجه ابن عدي من طريق معروف البلخي، قال الذهبي في «الميزان» ج٣ص١٨٤: هذا موضوعٌ لكنّه مشهورٌ بعليِّ بن جميل عن جرير وكان يحلف فيقول: حدَّثنا والله جرير، وقال ابن عدي: معروف هذا غير معروف ولعلّه سرقه من عليِّ بن جميل.

ورواه أبو القاسم بن بشران في أماليه من طريق محمّد بن عبد بن عامر السمرقندي وهو ذلك الكذّاب الوضّاع عن عصام بن يوسف قال ابن عدي:

روى أحاديث لا يُتابع عليها.

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه ج٥ص٤ وج ٧ ص ٣٣٧ من طريق الحسين بن إبراهيم الاحتياطي عن عليٍّ بن جميل. قال الذهبي في ميزانه ج١ ص ٢٥٣ بعد ذكره من هذا الطريق: هذا باطلٌ والمتَّهم به حسين الاحتياطي. وقال في ج ٣ ص ١٨٤: إنَّه موضوعٌ.

وذكره ابن كثير في تاريخه ج٧ص٢٠٥ من طريق الطبراني فقال: إنَّه حديثٌ ضعيفٌ في إسناده من تكلّم فيه ولا يخلو من نكارة.

قال الأميني:

ألا تعجب من إخراج ابن كثير الحديث من الوضع والبطلان إلى الضّعف والنّكارة؟ وهو يعلم أنَّ مثل هذه الرِّواية لا يسمّى ضعيفاً في مصطلح أهل الفنِّ وهو يرى نفسه منهم. نعم: شنشنة أعرفها من أخزم. وأعجب من ذلك أنَّ الخطيب لم يذكر في هذه الرِّواية التي هذه حالها كلمةً تعرب عمّا في سندها من الغمز وهذا شأنه في كثير من أمثال هذه الأحاديث الموضوعة.

٢ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ تحت العرش: هاتوا أصحاب محمّد فيؤتى بأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فيقال لأبي بكر: قف على باب الجنّة فأدخل فيها من شئت، وردّ من شئت. ويقال لعمر: قف عند الميزان فثقِّل مَن شئت برحمة الله، وخفِّف من شئت. ويُعطى عثمان غصن شجرة من الشجرة التي غرسها الله بيده فيقال: ذُد بهذا عن الحوض من شئت. ويُعطى عليٌّ حلّتين فيقال له: خذهما فإنِّي ادَّخرتهما لك يوم أنشأت خلق السّماوات والأرض.

رواه إبراهيم بن عبدالله المصيصي، وأحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي، وكلاهما كذّابان وضّاعان والله أعلم أيّهما وضع هذا الحديث، ذكره الذهبي بهذا اللفظ في ميزانه ج ١ ص ٢٠، ٤٢، وفيه آفة القلب بعد الوضع فإنَّ المحفوظ من لفظه كما في الرِّياض النضرة ج١ص٣٢ بعد: وخفِّف من شئت. ويُكسى عثمان حلّتين ويُقال له: البسهما فإنّي خلقتهما أو ادَّخرتهما من

حين أنشأت خلق السماوات والأرض. ويُعطى عليٌّ بن أبي طالب عصا عوسج من الشجرة التي غرسها الله تعالى بيده في الجنّة فيقال: ذُد الناس عن الحوض. فقلّبوا ما لعليٍّ (عليه السّلام) من ذود المنافقين عن الحوض وجعلوه لعثمان بعد ما زادوا على الحديث صدراً مفتعلاً، وحديث ذود أمير المؤمنين عليّ عن الحوض أخرجه الحفّاظ من عدّة طرق عن جمع من الصّحابة قد أسلفنا طرقه وتصحيح الحاكم له في الجزء الثاني ص٣٧٢.

٣ ـ عن أنس مرفوعاً: لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان لا أراه ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ فإذا كان بعد ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ يقبل إليَّ على ناقة من المسك الأذفر حشوها من رحمة الله قوائمها من الزبرجد فأقول: معاوية؟ فيقول: لبّيك يا محمّد! فأقول: أين كنت من ثمانين عاماً؟ فيقول: كنت في روضة تحت عرش ربّي يُناجيني وأُناجيه ويُحيّيني وأُحيِّيه ويقول: هذا عوضٌ ممّا كنت تُشتم في دار الدنيا.

من موضوعات عبدالله بن حفص الوكيل. قال ابن عدي: موضوعٌ لا أشكُّ أنّه واضعه. وقال الخطيب: باطلٌ إسناداً ومتناً ونراه ممّا وضعه الوكيل وإنَّ إسناده رجاله كلهم ثقات غيره. وقال الذهبي في ميزانه بعد ذكره من طريق ابن عدي: قلت: ما كان ينبغي لابن عدي أن يتشاغل بالأخذ عن هذا الدجّال الأعمى البصر والبصيرة والذي قال الله فيه: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً. وقال في ترجمة عبيدالله بن سليمان: روى عن عبدالرّزاق بخبر باطل فهو الآفة فيه.

وقال ابن حجر في «لسان الميزان» ج٤ص١٠٥: والخبر المذكور رواه ابن عساكر في ترجمته ـ ولفظه ـ: إنّي لأدخل الجنّة فلا أفتقد منها أحداً إلّا معاوية سبعين عاماً ثمّ أراه فأقول: يا معاوية أين كنت؟فيقول: كنت تحت عرش ربّي يتحفني بيده فقال: هذا ما كان يشتمونك في دار الدنيا. قال ابن عساكر: هذا حديثٌ منكرٌ وفيه غير واحد من المجاهيل.

٤ ـ عن أنس مرفوعاً: ليلة أُسري بي دخلت الجنّة فإذا بتفّاحة تعلّقت عن

حوراء قالت: أنا للمقتول ظلماً عثمان.

أخرجه الذهبي في ميزانه ج٢ص٢٠ من طريق عبّاس بن محمّد العدوي الوضّاع وقال: خبرٌ موضوعٌ. وذكره أيضاً في ج ٣ ص ٢٩٣ بتغيير يسير من طريق يحيى بن شبيب الكذّاب الوضّاع وقال: هذا كذبٌ. والله يعلم أيّ الرجلين وضعه.

وقال ابن حجر في «لسان الميزان» ج٣ص٢٤٥: ذكره ابن حبّان في الضعفاء وقال: لا أصل لهذا من كلام النبيِّ ولا أنس ولا ثابت ولا حمّاد «هم رجال سند الحديث» وأوعز الذهبي إليه في «الميزان» في ترجمة عبدالله بن إبراهيم الدمشقي وقال: خبرٌ باطلٌ. وقال ابن حجر في لسانه ج٤ص٢٤٨: الحديث المذكور عن عقبة بن عامر رفعه: لمّا عُرج بي إلى السماء دخلت جنّة عدن فوقعت في كفّي تفّاحةٌ فانفلقت عن حوراء مرضيّه كأنّ أشعار عينيها مكارم أشعار النسور فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا للخليفة من بعدك المقتول ظلماً عثمان بن عفان. وذكره في ص ٢٩٣ وقال: حديثٌ منكرٌ.

وأخرجه الخطيب في تاريخه ج٥ص٢٩٧: من طريق محمّد بن سليمان أبي علي الشطوي عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: لمّا أُسري بي إلى السّماء فصرت إلى السّماء الرّابعة سقطت في حجري تفّاحة فأخذتها بيدي فانفلقت فخرج منها حوراء تقهقه فقلت لها: تكلّمي لمن أنت؟ قالت: للمقتول شهيداً عثمان بن عفّان. وهذا موضوعٌ بهذا الطريق أيضاً. رأى الخطيب في تاريخه وابن الجوزي في الموضوعات والذهبي في ميزانه الحمل فيه على محمّد بن سليمان أبي جعفر الخزّاز

٥ ـ عن جابر مرفوعاً: إنَّ الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيِّين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، فجعلهم خير أصحابي وأصحابي كلّهم خيرٌ.

من موضوعات عبدالله بن صالح كاتب الليث، قال الذهبي في ميزانه ج٢ ص ٤٧: قد قامت القيامة على عبدالله بن صالح بهذا الخبر، وحكى عن

أبي زرعة: أنّه قال: باطلٌ وضعه خالد المصري ودلسه في كتاب عبدالله بن صالح. وقال النسائي: إنّه موضوع.

٦ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: لَمّا وُلد أبو بكر في تلك الليلة اطّلع الله على جنّة عدن فقال: وعزّتي وجلالي لا أُدخلك إلاّ من أحبَّ هذا المولود.

قال الذهبي: موضوعٌ آفته أحمد بن عصمة النيسابوري، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج٣ص٣٠٩ وقال: إنّه باطلٌ وفي إسناده غير واحد من المجهولين.

٧ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: إنَّ في السّماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبَّ أبا بكر وعمر. وفي السّماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر.

من وضع أبي سعيد الحسن بن علي العدوي البصري. أخرجه الخطيب وقال: هذا الحديث وضعه العدوي على كامل بن طلحة، وإنّما يرويه عبدالرّزاق بن منصور البندار عن أبي عبدالله الزّاهد السمرقندي عن ابن لهيعة. وأبو عبدالله الزّاهد مجهولٌ فألزقه العدوي على كامل وكامل ثقةٌ والحديث ليس بمحفوظ عن ابن لهيعة. ثمَّ ذكره بطريق آخر فقال: هذا الإسناد صحيحٌ ورجاله كلّهم ثقاتٌ وقد أتى العدوي أمراً عظيماً وارتكب أمراً قبيحاً في الجرأة بوضعه أعظم من جرأته في حديث ابن لهيعة.

وأخرجه الديلمي وزاد فيه: ومن أحبَّ الصّحابة فقد بريء من النِّفاق. وحكم الذهبي بوضعه أيضاً. وذكره ابن حجر من طريق آخر عن أنس في «لسان الميزان» ج٤ص١٠٧ فقال: هذا بهذا الإسناد باطلٌ.

٨ ـ عن أنس: إنَّ يهوديّاً أتى أبا بكر فقال: والذي بعث موسى وكلّمه تكليماً إنّي لُأحبّك. فلم يرفع أبو بكر رأساً تهاوناً باليهوديِّ فهبط جبرئيل على النبيِّ ﷺ وقال: يا محمّد إنَّ العليَّ الأعلى يقرأ عليك السّلام ويقول لك: قل لليهودي: إنَّ الله قد أحاد عنك النار. فأحضر اليهوديَّ فأسلم. وفي لفظ: قد

أحاد عنه في النّار خلّتين: لا توضع الأنكال في عنقه، ولا الأغلال في عنقه لحبِّه أبا بكر فأخبره.

من آفات الحسن بن علي أبي سعيد العدوي البصري قال السيوطي في «اللئالي» ج١ص ١٥١: موضوعٌ، العدوي وغلام خليل وضّاعان والبصري مجهولٌ.

٩ ـ عن البراء مرفوعاً: إنَّ الله اتَّخذ لأبي بكر في أعلى علّيِّين قبّةً من ياقوتة بيضاء معلّقة بالقدرة تخترقها رياح الرَّحمة، لِلقبّة أربعة آلاف باب كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله انفتح منها بابٌ ينظر إلى الله عزَّ وجلَّ.

من موضوعات محمّد بن عبدالله أبي بكر الأشناني. قال الخطيب في تاريخه ج٥ص٤٤١، من ركّب هذا الحديث على مثل هذا الإسناد فما أبقى من إطراح الحشمة والجرأة على الكذب شيئاً ونعوذ بالله من الخذلان ونسأله العصمة عن تزيين الشيطان إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه. وقال في ص٤٤٢: إنّه ـ الأشناني ـ كان يضع ما لا يحسنه غير أنّه والله أعلم أخذ أسانيد صحيحة من بعض الصحف فركّب عليها هذه البلايا.

وأخرجه أيضاً في ج٩ص٤٤٥ من طريق أحمد بن عبدالله الذرّاع فقال: هذا باطلٌ والحمل فيه عندي على الذرّاع وأنّه ممّا صنعته يده والله أعلم. وعدَّه الذهبي في «ميزان الاعتدال» من طامّات أبي بكر الأشناني.

١٠ ـ عن أنس قال: لمّا خرج رسول الله ﷺ من الغار أخذ أبو بكر بغرزه فنظر النّبيُّ ﷺ إلى وجهه فقال: يا أبا بكر ألا أُبشِّرك؟ قال: بلى فداك أبي وامّي قال: إنَّ الله يتجلّى يوم القيامة للخلائق عامّة ويتجلّى لك خاصّة.

من موضوعات محمّد بن عبد أبي بكر التميمي السمرقندي. قال الخطيب في تاريخه ج٢ص٣٨٨ هذا الحديث لا أصل له عند ذوي المعرفة بالنقل فيما نعلمه، وقد وضعه محمّد بن عبد إسناداً ومتناً، وله أحاديث كثيرة تشابه ما ذكرناه، وكلّها تدلّ على سوء حاله وسقوط رواياته.

وأخرجه في ج١٢ص١٩ من طريق عليٍّ بن عبدة وقال: باطلٌ ثمَّ أخرجه من طريق آخر غير طريق عليٍّ بن عبدة فقال: هذا باطلٌ والحمل فيه على أبي حامد بن حسنويه فإنّه لم يكن ثقة.

وذكره الذهبي في «الميزان ج٢ص٢٢١، ٢٣٢ وقطع بأنّه من الموضوعات وقال: ورواه ابن عدي في كامله وقال: هذا باطل. وقال في ج٢ص٢٦٩: إنّه حديثٌ باطلٌ. واتّهم يوسف بن أحمد بإلصاق هذا الحديث إلى ابن الخليفة كما في «ميزان الاعتدال» ج٣ص٣٣٦

وعدَّه الفيروز آبادي صاحب «القاموس» في خاتمة كتابه «سفر السّعادة» من أشهر الموضوعات في باب فضائل أبي بكر ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل. وعدَّه السيوطي من الموضوعات في «اللئالي ج١ص١٤٨ وزيّف طرقه. وذكره العجلوني في كشف الخفاء ج٢ص٤١٩ وأردفه بمثل كلمة الفيروز آبادي.

وقال ابن حجر في «لسان الميزان» ج٢ص٦٤: له طرقٌ كلّها واهيةٌ. وقال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص٦٣: موضوعٌ ذكره ملّا علي القارىء ـ يعني في كتاب موضوعاته.

وأخرج الحاكم في «المستدرك ج٣ص٧٨ في حديث عن جابر بن عبدالله فقال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر أعطاك الله الرِّضوان الأكبر فقال له بعض القوم: وما الرِّضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: يتجلّى الله لعباده في الآخرة عامّة ويتجلّى لأبي بكر خاصّة فأعقبه الذَّهبي في تلخيص «المستدرك» بقوله: تفرَّد به محمد بن خالد الختلي عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن ابن سوقة وأحسب محمّداً وضعه. وقال في «ميزان الاعتدال» في ترجمة الختلي: قال ابن الجوزي في الموضوعات: كذّبوه روى عن كثير: يتجلّى لأبي بكر خاصّة. وقال ابن مندة: صاحب مناكير.

١١- عن أبي هريرة مرفوعاً: عرج بي إلى السّماء فما مررت بسماء إلّا وجدتُ فيها مكتوباً: محمّد رسول الله، وأبو بكر الصدِّيق من خلفي.

من موضوعات عبدالله بن إبراهيم الغفاري. ذكره الذهبي في ميزانه من طريق الخطيب عن محمّد بن عبدالله الهلالي البصري وقال: خبرٌ باطلٌ. ثمَّ رواه بإسناد آخر فقال: وهو باطلٌ ما أدري من يغمز فيه فإنَّ هؤلاء ثقات. ثمَّ ذكره من طريق الغفاري فقال: متّهمٌ بالكذب فهذا عنه محتملٌ. لم ج٥ص٢٣٥. وذكره السيوطي في الموضوعات وقال: أخرجه ابن عدي بإسناده عن الغفاري عن عبدالرَّحمن بن زيد بن أسلم ثمّ قال: لا يصحّ، الغفاري يضـع، وشيخه ضعيفٌ بالاتّفاق.

وذكره ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ج٥ص١٣٨نقلاً عن ابن حبّان من طريق عبدالله بن عمر بلفظ: ما جئت ليلة أُسري بي من سماء إلى سماء إلّا رأيت اسمي مكتوباً محمّدٌ رسول الله، أبوبكر الصدِّيق. فقال: قال ابن حبّان: هذا خبرٌ باطلٌ وأرى البليّة فيه من عبدالله بن إبراهيم.

١٢ ـ عن أنس مرفوعاً: إنَّ لله تعالى في كلِّ ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار إلّا رجلين يدخلان في أُمّتي وليسا منهم وإنَّ الله لا يعتقهما فيمن عتق منهم مع أهل الكبائر في طبقتهم مصفَّدين مع عبدة الأوثان مبغضي أبي بكـر وعمر وليس هم داخلين في الإسلام وإنّـما هم يهود هذه الأُمّة ثمَّ قال: ألا لعنة الله على مبغضي أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ.

من مـوضوعـات مسرَّة بن عبـدالله أبي شاكـر مولى المتـوكّل. أخـرجه الخطيب في تاريخهج١٣ص٢٧٢ فقال: هذا الحديث كذبٌ موضوعٌ والرِّجال المذكورون في إسناده كلّهم ثقاتٌ أئمَّـةٌ سوى مسرَّةٌ والحمل عليه فيه، على أنَّه ذكرٍ سماعه من أبي زرعة بعد موته بأربع سنين لأنَّ أبا زرعة مات في سنة أربع وستّين ومائتين من غيرٍ خلاف في ذلك ـ وهـو يروي الحـديث عن أبي زرعة بالري سنـة ثمان وستّين ومـائتين ـ وعدّه الـذهبي في ميزانـه ج٣ص١٦٢ من موضوعات مسرَّة.

١٣ ـ عن أنس قال آخى النبيّ ﷺ بين كتفي أبي بكر وعمر فقال لهما: أنتما وزيراي في الدُّنيا والآخرة، ما مثلي ومثلكما في الجنّة إلا كمثل طائر يطير

في الجنّة فأنا جؤجؤ الطائر وأنتما جناحاه، وأنا وأنتما نسرح في الجنّة، وأنا وأنتما نزور ربّ العالمين، وأنا وأنتما نقعد في مجالس الجنّة. فقال: وفي الجنّة مجالسٌ؟ قال: نعم مجالس ولهو فقال: أيّ شيءٍ لهو الجنة؟ قال: آجامٌ من قصب من كبريت أحمر رحلها الدرّ الرَّطب فيخرج ريحٌ من تحت ساق العرش يُقال لها: الطيبة فتثور تلك الآجام فيخرج صوت ينسي أهل الجنّة أيّام الدنيا وما كان فيها.

من موضوعات زكريّا بن دُريد الكندي. أخرجه ابن حبّان وقال: موضوعٌ آفته زكريّا. وحكى الذهبي جملتين من الرِّواية في «الميزان» ج١ص٢٩٩ عن ابن حبّان وأنّه قال: حدَّثنا بهما أحمد بن موسى بن معدان بحرّان حدّثنا زكريّا بن دُريد بنسخة كتبناها كلّها موضوعةٌ لا يحلٍّ ذكرها.

١٤ ـ عن أنس مرفوعاً: إنّ لله تعالى سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفان حيّاً فإذا قُتل جُرِّد ذلك السَّيف فلم يُغمد إلى يوم القيامة.

أخرجه ابن عدي وقال: موضوعٌ آفته عمرو بن قائد وشيخه موسى بن سيّار[1] كذّابٌ أيضاً لي ج ١ ص ١٦٤. وقال الذهبي في ميزانه ج ٢ ص ٢٩٩ : ذا ظاهر النكارة.

١٥ ـ عن أنس مرفوعاً: هبط عليَّ جبريل ومعه قلمٌ من ذهب إبريز فقال إنَّ العليَّ الأعلى يقرئك السَّلام ويقول لك: حبيبي قد أهديت هذا القلم من فوق عرشي إلى معاوية بن أبي سفيان فأوصله إليه ومره أن يكتب آية الكرسي بخطِّه بهذا القلم ويشكّله ويعجمه ويعرضه عليك فإنّي قد كتبت له من الثواب بعدد كلِّ من قرأ آية الكرسي من ساعة يكتبها إلى يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: من يأتيني بأبي عبدالرَّحمن؟ فقام أبو بكر الصدّيق ومضى حتى أخذ بيده وجاءا جميعاً إلى النبيِّ ﷺ فسلّموا عليه فردّ عليهم السَّلام ثمّ قال لمعاوية: أُدن منّي يا أبا عبدالرَّحمن! أُدن منّي يا أبا عبدالرَّحمن !فدنا من رسول الله ﷺ فدفع إليه القلم ثمَّ قال له: يا معاوية !هذا قلمٌ أهداه إليك ربّك من فوق العرش لتكتب به

(١) في لئالي السيوطي عند نقل هذه العبارة غلط فاحش هذا صحيحها. راجع.

آية الكرسي بخطِّك وتشكّله وتعجمه وتعرضه عليَّ، فاحمد الله واشكره على ما أعطاك، فإنّ الله قد كتب لك من الثواب من قرأ آية الكرسي من ساعة تكتبها إلى يوم القيامة. فأخذ القلم من يد النبيِّ ﷺ فوضعه فوق أذنه. فقال رسول الله ﷺ: اللهمَّ إنَّك تعلم أنّي قد أوصلته إليه. ثلاثاً. فجثا معاوية بين يدي النبيِّ ﷺ ولم يزل يحمدالله على ما أعطاه من الكرامة ويشكره حتّى أتى بطرس ومحبرة فأخذ القلم ولم يزل يخطُّ به آية الكرسي أحسن ما يكون من الخطِّ حتى كتبها وشكّلها وعرضها على النبيِّ ﷺ قال رسول الله ﷺ: يا معاوية! إنّ الله قد كتب لك من الثّواب بعدد كلِّ من يقرأ آية الكرسي من ساعة كتبتها إلى يوم القيامة.

قالوا: موضوعٌ وأكثر رجاله مجاهيل، ويراه ابن الجوزي من وضع الحسين بن يحيى الختاني كما في «ميزان الاعتدال» ج١ص٢٥٧. وعند الذهبي باطلٌ كأنَّه عمله أحمد بن عبدالله الأيلي كما في «الميزان» ج١ص٥٢. ويرى ابن حجر في «لسان الميزان»: أنّ الأمر ينحصر بأحمد الأيلي وهو الذي وضعه، وأخرجه النقّاش في الموضوعات بلفظ أخصر وقال: حديثٌ موضوعٌ بلا شكّ وضعه أحمد أو حسين [لي ج١ص٢١٦، لم ج١ص٢٨٥].

١٦ - عن جابر إنَّ رسول الله ﷺ استشار جبريل في: استكتاب معاوية فقال: استكتبه فإنّه أمينٌ.

أخرجه ابن عساكر في تاريخه بإسناده من طريق السري بن عاصم أبي عاصم الهمداني أحد الكذّابين الوضّاعين، والحسن بن زياد وهو اللؤلؤي الوضّاع الكذّاب، والقاسم بن بهرام المشترك بين ثقة وكذّاب، وقد زيّفه ابن كثير في «البداية والنهاية» ج٥ص٣٥٤ فقال: والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره واطلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره - بل ومن تقدَّمه بدهر - كيف يورد في تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط ثمَّ لا يبيِّن حالها ولا يشير إلى شيءٍ من ذلك إشارةً لا ظاهرةً ولا خفيّة؟! ومثل هذا الصنيع في نظرٌ والله أعلم. وأخرجه الذهبي في ميزانه ج ٣ ص ٩٥ عن أمير المؤمنين مرفوعاً من طريق أصرم بن حوشب الكذّاب

الوضّاع الخبيث، وعدّه من مناكير محمّد بن عبد المجيد .

١٧ ـ عن عبادة بن الصّامت قال: أوحى الله إلى النبيّ ﷺ استكتب معاوية فإنّه أمينٌ مأمونٌ.

أخرجه الطبراني في الأوسط عن محمّد بن معاوية الزيادي عن أحمد بن عبدالرَّحمن الحرّاني عن محمّد بن زهير السّلمي عن أبي محمّد ساكن بيت المقدس فقال: محمّد بن معاوية كذّابٌ وشيخه ليس بمؤمن، والسّلمي وشيخه لا يُعرف. وللحديث طرق اخرى كلّها باطلةٌ، راجع «اللئالي» ج ١ ص ٢١٨ .

وذكره الذهبي في «الميزان» ج٣ص٥٩ فقال: خبرٌ باطلٌ لعلّه [يعني محمّد بن زهير السّلمي] هو افتراه متنه. وقال في أحمد الحرّاني: قال أبو عروة: ليس بمؤتمن على دينه.

قال الأميني:

كيف تصح هذه الرِّواية عن عبادة بن الصامت؟! وهو الذي أنغل الشّام على معاوية فكتب معاوية إلى عثمان بالمدينة: إنَّ عبادة قد أفسد عليّ الشام وأهله، فإمّا أن تكفه إليك، وإمّا أن أُخلي بينه وبين الشام، فكتب إليه عثمان: أن أرحل عبادة حتّى ترجعه إلى داره في المدينة، فبعث بعبادة حتّى قدم المدينة، فدخل على عثمان في الدار وليس فيها إلاّ رجلٌ من السّابقين أو من التابعين الذين قد أدركوا القوم متوافرين فلم يفج عثمان به إلاّ وهو قاعدٌ في جانب الدار فالتفت إليه وقال: ما لنا ولك يا عبادة؟! فقام عبادة بين ظهرانيّ الناس فقال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ أبا القاسم يقول: إنّه سيلي أموركم بعدي رجالٌ يعرِّفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى، فلا تضلّوا بربِّكم. فوالذي نفس عبادة بيده إنّ فلاناً ـ يعني معاوية ـ لمن أُولئك. فما راجعه عثمان بحرف. تاريخ ابن عساكر ج٧ص٣١١،٣١٢

١٨ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: الأُمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية. قال الخطيب والنسائي وابن حبّان: هذا الحديث باطلٌ موضوعٌ. رأى الخطيب

في تاريخه ج١١ص٨ الحمل فيه على عليٍّ البرداني. وقال ابن عدي: باطلٌ من كلّ وجه. وزيّف الحاكم طرقه وفيها جمعٌ من الكذابين والوضاعين. راجع لي ج١ص٢١٧ وقال الذهبي في ميزانه ج١ص٢٣٣، هذا كذبٌ. وذكره في ترجمة الحسن بن عثمان فقال: هذا كذبٌ.

وذكره ابن كثير في تاريخه ج٢ص٢٢٠ من طريق أبي هريرة وأنس وواثلة بن الأسقع فقال: لا يصحّ من جميع وجوهه. وفي لسان الميزان ج٢ ص ٢٢٠: أورد ابن الجوزي الأوّل في الموضوعات وجزم بأنّ هذا وضعه، (يعني وضع الحسن بن عثمان) وقال ابن عدي: الحسن كان عندي يضع الحديث ويسرق حديث النّاس وسألت عنه عبدان الأهوازي فقال: كذّابٌ. وقال أبو علي النيسابوري: هذا كذّابٌ يسرق الحديث وفي «شذرات الذهب»ج٢ص ٣٦٦: عدّه ابن الجوزي من موضوعات أبي عيسى أحمد الخشّاب.

قال الأميني:

بهذه المخازي هتكوا ناموس الإسلام، ودنّسوا ساحة قدس صاحب الرِّسالة، فما قيمة أمينين يكون معاوية ثالثهما في الأمانة؟!.

١٩ ـ عن زياد بن معاوية بن يزيد بن عمر حفيد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عن عبدالرَّحمن بن الحسام قال: أخبرنا رجلٌ من أهل الحوران أخبر عن رجل آخر قال: اجتمع عشرة من بني هاشم فغدوا على النبيِّ ﷺ فلمّا قضى الصّلاة قالوا: يا رسول الله! غدونا إليك لنذكر لك بعض أمورنا، إنّ الله قد تفضّل بهذه الرِّسالة فشرّفك بها وشرّفنا لشرفك وهذا معاوية بن أبي سفيان يكتب الوحي فقد رأينا أنَّ غيره من أهل بيتك أولى به لك منه قال: نعم، انظروا في رجل غيره قال: وكان الوحي ينزل في كلّ أربعة أيّام من عند الله إلى محمّد فأقام جبريل أربعين يوماً لا ينزل فلمّا كان يوم أربعين هبط جبريل بصحيفة فيها مكتوبٌ: يا محمّد ! ليس لك أن تغيِّر مَن اختاره الله لكتاب وحيه فأقِرَّه فإنَّه أمينٌ. فأقرّه.

أخرجه ابن عساكر في تاريخه وقال: هذا خبرٌ منكرٌ وفيه غير واحد من المجهولين وقال ابن حجر في «لسان الميزان» ج٣ص٤١١: قلت: بل هو ممّا يُقطع ببطلانه فوالله إنّي لأخشى أن يكون الذي افتراه مدخول الإيمان.

قال الأميني:

هذه هتيكةٌ لا يتفوّه بها إلّا المستهزىء بالله ورسوله من الذين اتّخذوا آيات الله هزواً، ودين الله سخريّاً، والنبوّة مجهلة، وأجهل من أُولئك المهاجمين على قدس صاحب الرّسالة بوضع هذه السفاسف المخزية عليه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو الحافظ الّذي يتكلّم في سندها ويرى مثل هذا الحديث منكراً لمكان المجهولين في رجاله، ذاهلاً عن أنّ واجب المحدِّث النظرة في متن الحديث قبل البحث عن سنده، فالقول ما قاله ابن حجر.

٢٠ ـ عن يزيد بن محمّد المروزي عن أبيه عن جدّه قال سمعت أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه يقول فذكر خبراً فيه: بينا أنا جالسٌ بين يدي رسول الله ﷺ إذ جاء معاوية فأخذ رسول الله ﷺ القلم من يدي فدفعه إلى معاوية فما وجدت في نفسي إذ علمت أنّ الله أمره بذلك.

عدَّه ابن حجر في «لسان الميزان» ج٦ص٢٠ من موضوعات مسرَّة بن عبدالله الخادم فقال: هذا متنٌ باطلٌ وإسنادٌ مختلقٌ.

وأخرج الخطيب في تاريخهج١٣ص٢٧٣حديثاً في المناقب فقال: هذا الحديث كذبٌ موضوع، والرِّجال المذكورون في إسناده كلّهم ثقاتٌ أئمَّة سوى مسرّة «الخادم» والحمل عليه فيه .

٢١ ـ عن أنس مرفوعاً: الأُمناء سبعةٌ: اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمّد ومعاوية.

ذكر الذهبي في «الميزان» ج١ص٣٢١ لداود بن عفّان عن أنس وهو الوضّاع أُخرج عن أنس بنسخة موضوعة راجع سلسلة الكذّابين، وذكره ابن كثير في تاريخه ج٨ص١٢٠من روايةابن عبّاس فقال:هذا أنكر من الأحاديث التي قبله وأضعف إسناداً .

قال الأميني:

تعساً لأُمَّة تروي مثل هذه المخازي ولم تند منها جبهتها حياءاً أليس عاراً

على الإسلام وأهله أن يُجعل معاوية الخؤون لدة نبيِّه وأمناء الله المعصومين في الأمانة؟!.

٢٢ ـ عن واثلة مرفوعاً: إنّ الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية، وكاد أن يبعث معاوية نبيّاً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي، يغفر الله لمعاوية ذنوبه، ووقاه حسابه، وعلّمه كتابه، وجعله هادياً مهديّاً وهدى به.

أخرجه ابن عساكر عن رجل قال الحاكم: سُئل أحمد بن عمر الدمشقي وكان عالماً بحديث الشام عن هذا الحديث فأنكره جدّاً. وحدَّث بهذا الحديث عبدالله بن جابر أبو محمّد الطرسوسي البزّار وهو ذاهب الحديث وقال مرَّة: هو منكر الحديث[١].

قال الأميني:

أحسب أنَّ رواة السّوء أرادوا حطّاًمن مقام النبوَّة لا ترفيعاً لمقام معاوية لما نعلمه من البون الشاسع بين مرتبة النبوَّة التي يعتقد بها المسلمون وبين متبوَّأ هذا المقعي على أنقاض مستوى الخلافة، فنسائل القوم عن الذي أوجب له هذا المقام الشامخ، أهو أصله الزاكي تلك الشجرة الملعونة في القرآن ولسان نبيِّه؟! أم فرعه الغاشم الظلوم؟! أم دؤوبه على الكفر إلى ما قبل وفاة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأشهر قلائل؟! أم محاربته خليفة وقته المفترضة طاعته عليه؟! وقد بايعه أهل الحلِّ والعقد ورضي به المسلمون، فشهر السَّيف أمامه، وأراق الدِّماء المحرَّمة. أم بوائقه أيّام استحواذه على الملك؟! من قتل الأبرياء الأخيار كحجر بن عدي وأصحابه؟! وقتل عمرو بن حمق الخزاعي إلى كثيرين من أمثالهم، ومن قنوته بلعن أمّير المؤمنين والحسن والحسين ولمَّة من صفوة المؤمنين؟! وحمله سماسرة الأهواء على الوقيعة في أهل بيت النبوَّة، وافتعال رواة الجرح فيهم، وخلق أحاديث الثناء في الأمويِّين؟ واستلحاقه زياداً مراغماً للحديث الثابت عند الأُمَّة جمعاء؟! ـ الولد للفراش وللعاهر الحجَر ـ، وأخذ البيعة ليزيد ذلك الماجن الخائن السكّير وتسليطه على الأعراض والدِّماء؟

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ ص ٣٢٢.

وإدمانه على هذه المخاريق وأمثالها؟ التي سوَّدت صحيفة التاريخ حتّى أُفعمت كأس بغيه واخترمته منيَّته.

ومتى كان معاوية للعلم والقرآن وهو لا يحسن آية واحدةً كقوله سبحانه: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول وأولي الأمر منكم﴾؟ أولم يكن أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) من أولى الأمر على أيٍّ من التفسيرين؟ وكقوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنَّم خالدين فيها﴾. وكقوله تعالىٰ: ﴿الَّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ إلى آيات كثيرة تشنِّع على ما كان عليه من الطامّات، وهل يؤتمن على القرآن وهو لا يعمل بآية منه ولا يقيم حدوده؟! ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه، ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين.

وهل علمه المتكثِّر الذي كاد به أن يبعث نبيّاً كان يدعوه إلى عداء العترة الطاهرة؟ وإلى تلكم البوائق المخزية؟ والفواحش المبيَّنة التي حفظها التاريخ عنه وعن ربّات تلك الجباه السود؟ وقد حفظ لنا التاريخ قتله الذريع لشيعة أمير المؤمنين بالكوفة خاصّة وفي أرجاء المملكة عامَّة، وأمّا أذاه المعكِّر لصفو حياة شيعة آل الله فحدِّث عنه ولا حرج، وسنعرِّفك معاوية بعُجره وبُجره على ما يستحقّ.

ثمَّ نُسائل الرُّواة عن الأمانة التي استحقَّ بها معاوية أن يكون ثالثاً للنبيِّ وجبرئيل أو سابعاً له صلّى الله عليه وآله وسلّم وأُمناء الله الخمسة المذكورة في الرِّواية الـ ٢١: أهي أمانته على الكتاب؟ وقد خالفه. أم على السنَّة؟ ولم يعمل بها. أم على الدِّماء؟ وقد أراقها. أم على العترة الطاهرة؟ وقد اضطهدها. أم على أمن الأُمَّة؟ وقد أقلقه. أم على الصِّدق وقد باينه. أم على المين؟ وقد حثَّ عليه. أم على المؤمنين؟ وقد قطع أوصالهم. أم على الإسلام؟ وقد ضيَّعه. أم على الأحكام؟ وقد بدَّلها. أم على الأعواد؟ وقد شوَّهها بلعن أولياء الله المقرَّبين عليها. أم؟ أم؟ أم؟.

أبهذه المخازي مع لداتها كاد أن يبعث معاوية نبيّاً كما اختلقته رواة

السّوء؟ زه بهذه النبوَّة التي يكاد أن يكون مثل هذا الرَّجل حاملاً لأعبائها .

قد خم ريش سفيد أشك دما دم يحيى تو باين‌حالت أگر عشق نبازي چه شود

وشتّان بين هذه‌الرِّواية وإنكارهم‌على ابن حبّان قوله: النبـوَّة العلم والعمل. فحكموا عليه بالزندقة وهُجر وكُتب فيه إلى الخليفـة فكتب بقتله(١) وذلك أنّ النبوَّة موهبةٌ من الله تعالى لمن اصطفاه من عباده والله يعلم حيث يجعل رسالته، ولا حيلة للبشر في اكتسابها أبداً وإن بلغ من العلم والعمل أيّ مرتبة رابية.

وليت رواة السّوء كانوا قد أجمعوا آرائهم على حديث الأرز ولم يعدوه ولم يهبوا النبوَّة لمثل معاوية وكان فيه غنىً وكفاية في عرفان النبوَّة وفضلها وهو:

لو كان الأرز حيواناً لكان آدميّاً، ولو كان آدميّاً لكان رجلاً صالحاً، ولو كان صالحاً لكان نبيّاً، ولو كان نبيّاً لكان مرسلاً، ولو كان مرسلاً لكان أنا(٢).

ومن العجب أنَّ تفنيد الحفـاظ لهذه الرِّوايات لم يعد ناحية السند مع أنَّ متونها أدلُّ على وضعها، لكنَّهم لا يُهمّهم أن يكون مثل معاويـة معرَّفـاً بتلك الحدود مع ما يُصادمها من نواميس مطّردة أوعزنا إلى يسير منها. نعم: هي شنشنةٌ أعرفها من أخزم.

٢٣ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: هبط عليَّ جبريل وعليه طنفسةٌ وهو متخلّلٌ بها فقلت: يا جبريل! ما نزلت إليَّ في مثل هذا الزيِّ . قال: إنَّ الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلّل في السَّماء لتخلّل أبي بكر في الأرض.

أخرجه الخطيب في تاريخـه ج٥ص٤٤٢ من طريق محمّـد بن عبدالله الأشناني الكذّاب الوضّاع عن حنبل بن إسحاق عن وكيع فقال: ما أبعد الأشناني من التوفيق تراه ما علم أنَّ حنبلاً لم يرو عن وكيع ولا أدركه أيضاً، ولست أشكّ أنَّ هذا الرَّجل ما كان يعرف من الصنعة شيئاً وقد سمعت بعض شيوخنا ذكره فقال: كان يضع الحديث [إلى أن قال]: أخـذ أسانيـد صحيحة من بعض الصّحف

(١) تذكرة الحفاظ ٣ ص ١٣٧.

(٢) قال الصغاني: موضوع. كشف الخفاء ج ٢ ص ١٦٠.

فركّب عليها هذه البلايا ونسأل الله السّلامة في الدنيا والآخرة.

٢٤ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة: أبي بكر، وعمر وعثمان، وعليّ. عدّه الذهبي من بلايا سليمان بن عيسى السجزي الكذّاب الوضّاع راجع لسان الميزان ج٢ص٩٩

٢٥ ـ عن أبي هريرة: لكلِّ نبيٍّ خليلاً من أُمَّته وإنَّ خليلي عثمان.

من موضوعات إسحاق بن نجيح الملطي. قال الذهبي في ميزان الاعتدال: هذا باطلٌ. ويدلُّ على ذلك قوله عليه الصّلاة والسّلام: لو كنت متّخذاً خليلاً من هذه الأُمَّة لاتّخذت أبا بكر خليلاً.

قال الأميني:

هذا الذي استدلَّ به الذهبي على بطلان الرِّواية موضوعٌ أيضاً وضعوه في مقابل حديث الإخاء كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ص١٧.

٢٦ ـ أخرج الخطيب في تاريخه ج١٣ص٤٥٢ قال: لمّا قدم الرَّشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبيِّ ﷺ في قباء أسود ومنطقة فقال أبو البختري حدّثني جعفر بن محمَّد الصّادق عن أبيه قال: نزل جبريل على النبيّ ﷺ وعليه قباءٌ ومنطقةٌ مخنجراً فيها بخنجر. من موضوعات وهب بن وهب أبي البختري القرشي قال المعافى التيمي:

ويلٌ وعولٌ لأبي البختري ... إذا ثوى للنّاس في المحشرِ
من قوله الزّور وإعلانه ... بالكذب في النّاس على جعفرِ
والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدوٍ ولا محضرِ
ولا رآه النّاس في دهره ... يمرُّ بين القبر والمنبرِ
يا قاتلَ اللهُ ابن وهب لقد ... أعلن بالزّور وبالمنكرِ
يزعم أنَّ المصطفى أحمداً ... أتاه جبريل التقيُّ السري
عليه خفٌّ وقبا أسودٌ ... مخنجراً في الحقو بالخنجرِ

قال الأميني:

هذا هزءٌ بالله وبرسوله لا يصدر مثله عمّن يؤمن بالله ويرى للنبيّ حرمةً ولأمين الوحي جبريل كرامةً. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً.

٢٧ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: ما في الأرض شيطانٌ إلّا وهو يفرق من عمر وما في السّماء ملَكٌ إلّا وهو يوقّر عمر.

من موضوعات موسى بن عبدالرّحمن الصنعاني الدجّال الوضّاع، رواه عنه عبد الغني بن سعيد الثقفي، ضعّفه ابن يونس كما في «الميزان»، وعنه بكر بن سهل ضعّفه النسائي. وعدَّ ابن عدي هذه الرّواية من البواطيل كما في ميزان الذهبي، وكذلك رآها السيوطي موضوعة

٢٨ ـ عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: أوّل من يُعطى كتابه بيمينه من هذه الأُمّة عمر بن الخطاب، وله شعاعٌ كشعاع الشّمس قيل: فأين أبو بكر؟ قال تزفه الملائكة إلى الجنان.

أخرجه الخطيب من طريق عمر بن إبراهيم الكردي الكذّاب فقال: المتّهم به عمر. وعدّه السيوطي في «اللئالي» ج١ص١٥٦ من الموضوعات.

٢٩ ـ عن معاذ بن جبل مرفوعاً: إنّ الله عزَّ وجلَّ يكره في السّماء أن يُخطأ أبو بكر الصدّيق في الأرض.

أخرجه الحارث في مسنده من طريق محمّد بن سعيد الكذّاب الوضّاع فقال: موضوعٌ تفرَّد به أبو الحارث نصر بن حمّاد كذّبه يحيى، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال مسلم: ذاهب الحديث. وبكر بن خنيس قال الدارقطني: متروكٌ ومحمّد بن سعيد هو المصلوب كذّابٌ يضع. لي ج١ص١٥٥.

٣٠ ـ عن بلال بن رباح مرفوعاً: لو لم أُبعث فيكم لبُعث عمر.

أخرجه ابن عدي بطريقين وقال: لا يصحّ زكريّا [الوكار] كذّابٌ يضع[1]

---

(١) بذكر الوكار زيف سند طريقه الأول. وبما يأتي طريقه الثاني.

وابن واقد «عبدالله» متروكٌ. ومشرح «بن عاهان» لا يُحتجُّ به.

وأورده بالطريقين ابن الجوزي في الموضوعات فقال: هذان حديثان لا يصحّان عن رسول الله ﷺ أمّا الأوّل فإنّ زكريّا بن يحيى كان من الكذّابين الكبار قال ابن عدي: كان يضع الحديث. وأمّا الثاني فقال أحمد ويحيى: عبدالله بن واقد ليس بشيءٍ. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبّان: انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الإحتجاج به.

وأخرجه ابن‌عساكر في تاريخه ج٣ص٢٨٧ من طريق مشرح بن عاهان بلفظ: لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب.

٣١ - عن أبي هريرة مرفوعاً: تفاخرت الجنّة والنّار، فقالت النّار للجنّة: أنا أعظم منك قدراً. قالت: ولم؟ قالت: لأنَّ فيَّ الفراعنة والجبابرة والملوك وأبناؤها. فأوحى الله تعالىٰ للجنّة: أن قولي: بل لي الفضل إذ زيّنني الله لأبي بكر وعمر.

من موضوعات مهدي بن هلال، أخرجه الخطيب قال: موضوعٌ، «أبان [ابن أبي عيّاش] متروكٌ، ومهدي كذّاب وضّاعٌ. لي ج ١ ص ١٥٨.

٣٢ - عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ متّكئاً على عليِّ بن أبي طالب فاستقبله أبو بكر وعمر فقال له: يا عليّ أتحبُّ هذين الشيخين؟ قال: نعم يا رسول الله قال: أحبّهما تدخل الجنّة. وعن عبدالله بن أبي أوفى بلفظ: يا أبا الحسن! أحبّهما فبحبّهما تدخل الجنّة.

من موضوعات محمّد بن عبدالله الأشناني. ذكره السيوطي في «اللئالي» نقلاً عن الخطيب وأنّه أردفه بقوله: موضوعٌ عمله الأشناني ثمَّ ركّب له إسناداً آخر[1] ذكره الخطيب بطريق آخر حكم بغرابته وأنّه طريقٌ مجهولٌ. راجع تاريخ الخطيب ج١ص٢٤٦ وج ٥ ص ٤٤٠، وذكره الذهبي في ميزانه ج١ص٢٤٣ فقال: حديثٌ باطلٌ بسند صحيح. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

---

(١) حرفته يد الطبع الأمينة وجعلته: رواه الأشناني مرة اخرى فركب له إسناداً غير هذا راجع تاريخ الخطيب ج ٥ ص ٤٤٠ حيا الله الأمانة.

٣٣ ـ عن سهل بن سعد قال: وصف لنا رسول الله ﷺ ذات يوم الجنّة فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله أفي الجنّة برقٌ؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إنّ عثمان ليحوّل من منزل إلى منزل فتبرق له الجنّة.

من موضوعات الحسين بن عبيدالله العجلي. أخرجه ابن عدي وحكم بوضعه وقال: آفته الحسين. وقال الذهبي في ميزانه ج١ص٢٥٣: فهذا كذبٌ. ورواه الحاكم في «المستدرك» ج٣ص٩٨ وصحّحه وتعقّبه الذهبي في تلخيصه فقال: ذا موضوعٌ والحسين يروي عن مالك وغيره من الموضوعات. ثمّ قال: أفيحتجُّ عاقلٌ بمثله فضلاً عن أن يورد له في الصّحاح.

٣٤ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: اللهمّ اعطف عليّ ابن عمي عليّ. فأتاه جبريلِ فقال: أوَليس فعل بكَ ربّك؟ قد عضدك بابن عمّك عليّ وهو سيف الله على أعدائه، وبأبي بكر الصدِّيق وهو رحمة الله، وعمر الفاروق فأعدّهم وزراء، وشاورهم في أمرك، وقاتل بهم عدوَّك، ولا يزال دينك قائماً حتّى يثلبه رجلٌ من بني أُميّة.

من موضوعات عمرو بن الأزهر العتكي البصري. أخرجه الحاكم في «المستدرك» من طريقه وقال. عمرو يضع، وزكريّا [بن يحيى بن حويثرة] قال ابن معين: رجل سوء يستأهِل أن يُحفَر له بئرٌ فيلقى فيها والأليق نسبة هذا الحديث إليه(١).

٣٥ ـ عن أنس مرفوعاً: قال ﷺ لأبي بكر: ما أطيب مالك؟ منه بلال مؤذّني وناقتي، كأنّي أنظر إليك على باب الجنّة تشفع لأُمّتي.

من أباطيل الفضل بن المختار قالوا: أحاديثه منكرة عامّتها لا يتابَع عليها. أخرجه الذهبي مع أحاديث في ميزانه ج٢ص٣٣٣ فقال: فهذه أباطيل وعجائب.

٣٦ ـ عن أُبيٍّ بن كعب مرفوعاً: قال جبريل: لو جلست معك مثل ما جلس نوح في قومه ما بلغت فضائل عمر. الحديث.

---

(١) راجع اللئالي المصنوعة للسيوطي ١ ص ٣١٨.

ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، والذهبي في «الميزان» في ترجمة حبيب بن ثابت وقال: خبرٌ باطلٌ لا ندري من ذا .وقال ابن حجر في لسانه ج٢ ص ١٦٨: لم يعلّه ابن الجوزي إلّا بعبد الله بن عامر الأسلمي، وليست الآفة منه وفي السند ابن بطّة والنقّاش المفسّر وفيهما مقالٌ صعبٌ. وذكره في ج ٢ ص ١٨٩ وقال: قال الدارقطني في «غرائب مالك» بعد أن أورده من طريق الفتح بن نصير عن حسّان بن غالب: هذا لا يصحُّ عن مالك وفتح وحسّان ضعيفان، وهذا الحديث وحديث المشط موضوعان. انتهى ملخّصاً.

٣٧ ـ عن عبدالله رضي الله عنه مرفوعاً: أبو بكر تاج الإسلام، وعمر حلّة الإسلام، وعثمان إكليل الإسلام، وعليٌّ طبيب الإسلام.

أخرجه الذهبي في «الميزان» ج١ص٣١٠ فقال: هو كذبٌ.

٣٨ ـ عن عبدالله مرفوعاً: لكلِّ نبيّ خاصّةٌ من امّته وخاصّتي من امّتي أبو بكر وعمر. قال الذهبي: خبرٌ باطلٌ. لم ج٣ص٣٦٥ .

٣٩ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: الآن يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنّة فطلع معاوية. فقال: أنت يا معاوية منّي وأنا منك لتزاحمني على باب الجنّة كهاتين وأشار بإصبعيه.

وذكره الذهبي في ترجمة الحسن بن شبيب عنه من طريق عبدالله بن يحيى المؤدّب فقال: الحسن حدَّث بالبواطيل عن الثقات. وقال في ترجمة عبدالله بن يحيى: خبرٌ باطلٌ لا يدرى من ذا. م ج٢ص١٣٣، لم ج٣ص٣٧٦

٤٠ ـ عن أُبيّ بن كعب مرفوعاً: أوّل من يعانقه الحقُّ يوم القيامة عمر. وأوّل من يُصافحه الحقُّ يوم القيامة عمر. وأوّل من يُؤخذ بيده فينطلق به إلى الجنّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣ص٨٤ وقال الذهبي في تلخيصه: موضوعٌ وفي إسناده كذّابٌ. أقول، لعلّه يعني فضل بن جبير الورّاق قال العقيلي. لا يُتابع على حديثه.

٤١ ـ عن إبراهيم بن الحجّاج بن منبه السهمي عن أبيه عن جدِّه رفعه: من رأيتموه يذكر أبا بكر وعمر بسوء فإنّـما يريد الإسلام.

قال الذهبي في «الميزان» في ترجمة إبراهيم: حديثٌ منكرٌ جدّاً وإبراهيم مجهولٌ لا أعلم له راوياً غير أحمد بن إبراهيم الكريزي، ولم يذكر ابن عبد البرّ ولا غيره الحجّاج بن منبه في الصّحابة.

قال الأميني:

إنّ الرَّجل ووالده وجدَّه من رجـال الغيب مخلوقون في عـالم الوضـع والإفتعال من أُسرة لا تدري نفسٌ بأيِّ أرض تعيش، فجهل الذهبي بـأولئك الرِّجال ليس بمستنكر عليه.

٤٢ ـ عن أنس مرفوعاً: ما قدَّمت أبا بكر وعمر ولكنّ الله قدَّمهما ومنَّ بهما فأطيعوهما واقتدوا بهما، ومن أرادهما بسوء فإنّما يريدني والإسلام.

أخرجه الذهبي في ترجمة الحسن بن إبراهيم الفقيمي الواسطي فقال: هذا حديثٌ باطلٌ ورجاله مذكورون بالثقة ما خلا الحسن فإنِّي لا أعرفه.

٤٣ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: خلقني الله من نوره، وخلق أبـا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق عثمان من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنّة.

قال الذهبي في ميزانه في ترجمة أحمد بن يوسف المنبجي: خبرٌ كذبٌ قال أبو نعيم: هذا باطلٌ يخالف كتاب الله. إلى أن قال: ما حدّث به واحدٌ من الثلاثة [يعني رجال سنده] وإنّما الآفة عندي فيه المنبجي. لم ج١ص ٣٢٨.

٤٤ ـ عن عليّ رضي الله عنه قال: أوَّل من يدخل من الأُمَّة الجنَّة أبو بكر وعمر وإنِّي لموقوفٌ مع معاوية للحساب.

قال الذهبي في ترجمة أصبغ الشيباني: خبرٌ منكرٌ أخرجه ابن الجوزي في الـواهيات. وقـال ابن حجـر في «لسـان الميـزان»: وهـذا أولى بكتـاب الموضوعات وقد ذكره العقيلي فقال: مجهولٌ وحديثه غير محفـوظ ثمَّ ساقـه

لم ج١ص ٤٦٠.

٤٥ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: هبط جبريل فقال: إنَّ ربَّ العرش يقول لك: لمَّـا أخذت ميثاق النبيّين أخذت ميثاقك وجعلتك سيِّدهم وجعلت وزيرك أبا بكر وعمر، وعزَّتي لو سألتني أن أُزيل السّماوات والأرض لأزلتهما. الحديث.

قال الذهبي في ميزانه في ترجمة موسى بن عيسى: رواه ابن السَّمعاني في خطبة كتاب البلدان وهو باطلٌ.

٤٦ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: يكون في آخر أُمَّتي الرافضة ينتحلون حبّ أهل بيتي وهم كاذبون، علامة كذبهم شتمهم أبا بكر وعمر، من أدركهم منكم فليقتلهم فإنّهم مشركون.

عدَّه ابن عدي من البواطيل. لم ج٤ص٣٧٦.

٤٧ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: إن الله أوحى إليَّ أن أُزوِّج كريمتي عثمان.

عدّه ابن عدي من بواطيل عمير بن عمران الحنفي لم ج٤ص٣٨٠.

٤٨ ـ عن معاذ مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة نُصب لإبراهيم ولي منبران أمام العرش ويُنصب لأبي بكر كرسيٌّ فيجلس عليه فينادي منـاد: يا لـك من صدِّيق بين خليلٍ وحبيب.

عـدَّه الذهبي من الأحـاديث المنكرة البـاطلة وحكى عن أبي نصـر بن ماكولا: أنَّ الحمل فيه على محمَّد بن أحمد الحليمي من ولد حليمة السعديَّة [م ج٣لم ج٥ص ٥٩].

٤٩ ـ مرفوعاً: لو لم أُبعث لبعثتَ يا عمر.

قال الصغّاني: موضوعٌ. كخ ج٣ص١٦٣.

٥٠ ـ مرفوعاً: ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر أبي بكر. ذكره غير واحد من المؤلّفين في عدِّ فضائل أبي بكر مرسلين إيّاه إرسال

المسلَّم، وإنَّما عدَّه الفيروز آبادي في خاتمة «سفر السَّعادة» من أشهر المشهورات من الموضوعات والمفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل. وكذلك العجلوني في «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٤١٩، وفي أسنى المطالب ص ١٩٤: موضوعٌ كما ذكره ملّا علي ـ القاري في الموضوعات ـ.

٥١ ـ كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنَّة قبّل شيبة أبي بكر.

عدَّه الفيروز آبادي في خاتمة «سفر السَّعادة» والعجلوني في «كشف الخفاء» ج٢ص ٤١٩، من أشهر المشهورات من الموضوعات ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل.

٥٢ ـ مرفوعاً: أنا وأبو بكر كفرسي رهان.

نصَّ الفيروز آبادي في «سفر السَّعادة» والعجلوني في «كشف الخفاء» ج٢ ص ٤١٩ على بطلانه بما مرَّ في سابقيه. وقال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٧٣: موضوعٌ كما ذكره ملّا علي [القاري] نقلاً عن ابن القيِّم.

٥٣ ـ مرفوعاً: إنَّ الله لمّا اختار الأرواح اختار روح أبي بكر.

من الموضوعات المشهورة والمفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل كما صرّح به الفيروز آبادي في «سفر السّعادة» والعجلوني في «كشف الخفاء» وقال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٦٠: موضوعٌ كما ذكره ملّا علي نقلاً عن ابن القيّم.

٥٤ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: ينزل عيسى بن مريم (عليه السّلام) فيتزوَّج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ثمَّ يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وهو من قبر واحد بين أبي بكر وعمر.

أخرجه الذهبي في «الميزان» ج٢ص١٠٥ فقال: فهذه مناكير محتملة.

٥٥ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: أنا مع عمر وعمر معي حيث حللت: مَن أحبَّه فقد أحبَّني ومن أبغضه فقد أبغضني.

رواه الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج٢ص١٥٨ وقال: هذا كذبٌ. وذكره في ترجمة قاسم بن يزيد بلفظ: عمر معي وأنا مع عمر والحقُّ بعدي مع عمر حيث كان. وقال: أخاف أن يكون كذباً مختلقاً. وذكره ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ١٤٤ بلفظ: عمر معي وأنا مع عمر والحقُّ بعدي مع عمر حيث كان. فقال: لم يصحّ.

٥٦ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: أبو بكر منّي بمنزلة هارون من موسى.

من موضوعات عليّ بن الحسن الكلبي، أخرجه محمَّد بن جرير الطبري، قال الذهبي في ميزانه ج٢ص ٢٢٢: خبرٌ كذبٌ هو ـ الكلبي ـ المتّهم به.

٥٧ ـ عن أنس مرفوعاً: مَن افترى على الله كذباً قُتل ولا يُستتاب. ومَن سبَّني قُتل ولا يُستتاب. ومَن سبَّ أبا بكر قُتل ولا يُستتاب. ومَن سبَّ عمر قُتل ولا يُستتاب. ومَن سبَّ عثمان أو عليّاً جلد الحدّ. قيل: يا رسول الله ولِمَ ذاك؟ قال: لأنَّ الله خلقني وخلق أبا بكر وعمر من تربةٍ واحدةٍ وفيها نُدفن.

قال الذهبي: هذا الحديث موضوعٌ فقال ابن عدي: البلاء فيه من يعقوب بن الجهم الحمصي [م ج٣ص ٣٢٣، لم ج٦ص ٣٠٦].

٥٨ ـ عن أنس قال: لمّا حضرت وفاة أبي بكر الصدِّيق سمعت عليَّ بن أبي طالب يقول: المتفرِّسون في النّاس أربعة إمرأتان ورجلان. وعدَّ صفرا بنت شعيب. وخديجة بنت خويلد. وعزيز مصر على عهد يوسف. فقال: وأمّا الرجل الآخر: فأبو بكر الصدِّيق لمّا حضرته الوفاة قال لي: إنّي تفرَّست في أن أجعل الأمر من بعدي في عمر بن الخطاب. فقلت له: إن تجعلها في غيره لن نرضى به فقال: سررتني والله لأسرَّنَّك في نفسك بما سمعته من رسول الله ﷺ. فقلت: وما هو؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ على الصراط لعقبة لا يجوزها أحدٌ إلّا بجواز من عليِّ بن أبي طالب. فقال عليٌّ له: أفلا أسرُّك في نفسك وفي عمر بما سمعته من رسول الله؟ فقال: ما هو؟ فقلت: قال لي: يا عليُّ لا تكتب جوازاً لمن سبَّ أبا بكر وعمر فإنَّهما سيِّدا كهول أهل الجنّة بعد

النبيّين. فلمّا أفضت الخلافة إلى عمر قال لي عليٌّ: يا أنس إنّي طالعت مجاري القلم من الله تعالى في الكون فلم يكن لي أن أرضى بغير ما جرى في سابق علم الله وإرادته خوفاً من أن يكون منّي اعتراضٌ على الله وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا خاتم الأنبياء وأنت يا عليُّ خاتم الأولياء.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج١٠ص٣٥٧، فقال في ص ٣٥٨: هذا الحديث موضوعٌ من عمل القصّاص وضعه عمر بن واصل ـ أو وُضع عليه ـ والله أعلم.

٥٩ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: إنّ الله أيّدني بأربعة وزراء. قلنا: مَن هؤلاء الأربعة الوزراء يا رسول الله؟ قال: اثنين من أهل السّماء واثنين من أهل الأرض. قلنا: مَن هؤلاء الإثنين من أهل السماء؟ قال: جبريل وميكائيل. قلنا: مَن هؤلاء الإثنين من أهل الأرض أو من أهل الدنيا؟ قال: أبو بكر وعمر.

من موضوعات محمَّد بن مجيب الصائغ، أخرجه الخطيب في تاريخه ج٣ص ٢٩٨ من طريقه وقال: كان كذّاباً عدوّاً لله ذاهب الحديث. وأخرجه الذهبي في «الميزان» من طريق معلّى بن هلال الكذّاب الوضّاع، ومرَّ عن أحمد: أنّ كلَّ أحاديثه موضوعةٌ.

٦٠ ـ عن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبيِّ ﷺ فقال: يطلع عليكم رجلٌ لم يخلق الله بعدي أحداً هو خيرٌ منه ولا أفضل وله شفاعة مثل شفاعة النبيّين. فما برحنا حتّى طلع أبو بكر الصدّيق فقام النبيُّ ﷺ فقبّله والتزمه.

سمعه الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي سنة ٤٠٩ عن محمّد بن العبّاس بن الحسين أبي بكر القاصّ وقال: كان شيخاً فقيراً يقصُّ في جامع المنصور وفي الطرقات والأسواق. راجع تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٢٣. سبحانك اللّهمّ ما خطر حافظ يأخذ من قاصٍّ مجهولٍ يقصُّ في درر الطريق، ويكدُّ في الأسواق، وما قيمة حديث هذا مأخذه ولا يوجد له أصلٌ محفوظٌ، فإن كانت أحاديث نبيِّ الإسلام هذا شأنها فعلى الإسلام السّلام، وعلى حفّاظها العفا.

٦١ ـ عن ابن مسعود مرفوعاً: ما من مولود إلاّ وفي سرّته من تربته التي تولد منها فإذا رُدَّ إلى أرذل عمره رُدَّ إلى تربته التي خُلق منها حتّى يُدفن فيها وإنّي وأبا بكر وعمر خُلقنا من تربة واحدة وفيها نُدفن.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج٢ص٣١٣ من طريق موسى بن سهل عن إسحاق بن الأزرق. وذكره الذهبي في ميزانه ج٣ص٢١١ في ترجمة موسى فقال: خبرٌ باطلٌ رواه عنه نكرةٌ مثله. أقول: لا يخفى ما في السند على مثل الخطيب غير أنَّ من شأنه السكوت عن غمز ما يروقه متنه من الموضوعات.

٦٢ ـ عن أنس مرفوعاً: لَمّا عرج بي جبريل رأيت في السّماء خيلاً موقفةً مسرجةً ملجمةً لا تروث ولا تبول ولا تعرق، رؤسُها من الياقوت الأحمر، وحوافرها من الزمرّد الأخضر، وأبدانها من العقيان الأصفر، ذوات أجنحة. فقلت: لمن هذه؟ فقال جبريل: هي لمحبِّي أبي بكر وعمر، يزورون الله عليها يوم القيامة.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج٢ص٣٣٠ وقال: حديثٌ منكر. ورواه في ج ١١ ص ٢٤٢ ساكتاً عن تزييفه، وذكره الذهبي في ميزانه ج٣ص٩٩وقال: حديثُ كذبٌ يُقال أُدخل على محمّد بن عبدالله بن مرزوق وقرّر كذبه ابن حجر في لسان الميزان ج ٥ ص ٢٧٤.

٦٣ ـ عن عطيّة العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: إنَّ أهل علّيين ليراهم مَن هو أسفل منهم كما ترون النجم أو الكواكب في السَّماء وإنَّ منهم لأبا بكر وعمر وأنعما. قال قلت لأبي سعيد: ما أنعما؟ قال أهل ذلك هما.

نصَّ المقدسي في تذكرة الموضوعات ص ٢٧ على أنَّه موضوعٌ لمكان مجاهد بن سعيد.أخرجه الخطيب في تاريخه ج٢ص٣٩٤،وج ٣ ص ١٩٥، وج ٤ ص ٦٤، وج ١٢ ص ١٢٤ من عدَّة طرق وفيها غير واحد من الكذّابين لا يتكلّم فيها بغمز جرياً على عادته.

٦٤ ـ عن أنس قال: لَمّا نزلت سورة التين على رسول الله ﷺ فرح لنا فرحاً شديداً حتّى بان لنا شدَّة فرحه فسألنا ابن عبّاس بعد ذلك عن تفسيرها

فقال: أمّا قول الله والتين. فبلاد الشام. والزيتون: فبلاد فلسطين. وطور سينين: فطور سينا الذي كلّم الله عليه موسى. وهذا البلد الأمين: فبلد مكّة. ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم محمّد ﷺ. ثمّ رددناه أسفل سافلين: عُبّاد اللاّت والعزّى. إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: أبو بكر وعمر. فلهم أجرٌ غير ممنون: عثمان بن عفان. فما يكذّبك بعدُ بالدين: عليّ بن أبي طالب. أليس الله بأحكم الحاكمين: بعثك فيهم وجمعكم على التقوى يا محمّد

أخرجه الخطيب في تاريخه ج٢ ص٩٧ فقال: هذا الحديث بهذا الإسناد باطلٌ لا أصل له يصحّ فيما نعلم، والرِّجال المذكورون في إسناده كلّهم أئمّة مشهورون غير محمّد بن بيان ونرى العلّة من جهته، وتوثيق ابن الشخير له ليس بشيءٍ، لأنّ مَن أورد مثل هذا الحديث بهذا الإسناد قد أغنى أهل العلم عن أن ينظروا في حاله ويبحثوا عن أمره، ولعلّه كان يتظاهر بالصّلاح فأحسن ابن الشخير به الظنّ وأثنى عليه لذلك، وقد قال يحيى بن سعيد القطّان: ما رأيت الصّالحين في شيءٍ أكذب منهم في الحديث.

وذكره الذهبي في ميزانه ج٣ ص٣١ من طريق محمّد بن بيان وقال: روى بقلّة حياء من الله فقال: حدَّثنا الحسن بن عرفة ـ فذكر الحديث ـ ثمّ قال: قال ابن الجوزي: هذا وضعه محمّد بن بيان على ابن عرفة، وذكر كلمة الخطيب المذكورة.

هكذا يحرّفون الكلم عن مواضعه: ونسوا حظّاً ممّا ذُكّروا به. وهكذا لعبت أيدي الهوى بالكتاب والسنّة، وهذا مبلغ استفادة القوم منهما، وإنَّ ربَّك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

٦٥ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبوبكر الصدِّيق عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبابكر عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال؟ قال: أنفق ماله عليَّ قبل الفتح. قال: فاقرأه عن الله السّلام وقل له يقول لك ربُّك: يا أبابكر أراض أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر فقال: يا أبابكر هذا جبريل

يقرأك عن الله السّلام ويقول لك: أراض أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربّي أسخط؟ أنا عن ربّي راض. أنا عن ربّي راضٍ. أنا عن ربّي راض.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج٢ص١٠٦ من طريق محمّد بن بابشاذ صاحب الطامّات ساكتاً عن بطلانه جرياً على عادته، وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج٢ص٢١٣ فقال: كذبٌ.

٦٦ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: لَمّا أن دخل النبيُّ ﷺ المدينة واستوطنها طلب التزويج فقال لهم: أنكحوني فأتاه جبريل بخرقة من الجنّة طولها ذراعان في عرض شبر فيها صورة لم ير الرّائون أحسن منها فنشرها جبريل وقال له: يا محمّد إنَّ الله يقول لك: أن تزوّج على هذه الصورة. فقال له النبيُّ ﷺ: أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبريل؟ فقال له جبريل: إنَّ الله يقول لك: تزوَّج بنت أبي بكر الصدِّيق. فمضى رسول الله ﷺ إلى منزل أبي بكر فقرع الباب ثمَّ قال: يا أبا بكر إنّ الله أمرني أن أُصاهرك. وكان له ثلاث بنات فعرضهنَّ على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله أمرني أن أتزوَّج هذه الجارية وهي عائشة فتزوَّجها رسول الله ﷺ.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج٢ص١٩٤ ورئاه ممّا صنعته يدا محمّد بن الحسن الدعّاء الأصمّ الوضّاع بإسنادٍ رجاله كلّهم ثقات. وقال الذهبي في ميزانه ج٣ص٤٤: رأيت له (يعني لمحمّد بن الحسن) حديثاً إسناده ثقاتٌ سواه وهو كذبٌ في فضل عائشة.

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج١١ص ٢٢٢ عن عائشة قالت: أتى جبريل النبيَّ ﷺ بسرقة[1] من حرير فيها صورة عائشة فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. رواه من طريق أبي خيثمة مصعب بن سعيد المصيصي يحدِّث عن الثقات بالمناكير ويصحِّف كما في «ميزان الاعتدال» للذهبي وقال بعد ذكر أحاديث له: ما هذه إلّا مناكير وبلايا.

---

(١) السرقة: الشقة من الحرير ج سرق.

٦٧ ـ إنَّ عثمان رضي الله عنه جاءته دراهم من السَّماء مكتوبٌ عليها: ضرب الرَّحمن إلى عثمان بن عفَّان.

ذكره ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٢٨٧ وقال: كذبٌ شنيعٌ.

٦٨ ـ مرفوعاً: اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر.

قال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٤٨: أعلّه أبو حاتم. وقال البزّار كابن حزم: لا يصحّ وفي رواية للترمذي وحسّنها: واقتدوا بهدي عمّار وتمسّكوا بعهد ابن مسعود وقال الهيثمي: سندها واهٍ.

٦٩ ـ مرفوعاً: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. وأبوبكر أساسها. وعمر حيطانها.

قال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٧٣: لا ينبغي ذكره في كتب العلم لاسيَّما مثل ابن حجر الهيثمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيِّد من مثله. **أقول**: لا يخفى على المتتبِّع النابه سرُّ افتعال هذه الأفائك، وابن حجر وإن ذكره في الكتابين وقد زيَّفه في «الفتاوى الحديثيَّة» ص ١٩٧.

٧٠ ـ مرفوعاً: مُثّل أبوبكر له ﷺ حين فارقه جبريل ليستأنس به.

قال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٨٨، ٢٨٧: خبرٌ باطلٌ وكذبٌ مفترى.

٧١ ـ عن أنس مرفوعاً: سيِّدا كهول أهل الجنَّة أبوبكر وعمر، وإن أبابكر في الجنَّة مثل الثريّا في السَّماءِ.

من موضوعات يحيى بن عنبسة وهو ذلك الدجّال الوضّاع ـ راجع سلسلة الكذّابين ـ وذكر شطره الأوَّل الذهبي في «الميزان» ج ٣ ص ١٢٦ وقال: قال يونس بن حبيب ذكرت لعليٍّ بن المديني محمّد بن كثير المصيصي وحديثه هذا فقال عليٌّ: كنت أشتهي أن أرى هذا الشيخ فالآن لا أُحبّ أن أراه. وروى شطره الأوَّل من طريق عبدالرَّحمن بن مالك بن مغول الكذّاب الأفّاك الوضّاع.

وأخرج ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» في الصحيفة الاولى في أوَّل حديثه عن ابن أبي مريم عن أسد بن موسى عن وكيع عن يونس بن إسحاق عن الشعبي عن عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فأقبل أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه السّلام: هذان سيِّدا كهول أهل الجنَّة من الأوَّلين والآخرين إلاّ النبيِّين والمرسلين عليهم السَّلام، ولا تخبرهما يا عليّ.

ابن أبي مريم هو ذلك الكذّاب الوضّاع، وأسد بن موسى قال سعيد بن يونس: حدَّث بأحاديث منكرة وهو ثقةٌ. فهو من موضوعات نوح ابن أبي مريم افتتح به الرَّجل كتابه.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج٧ص١١٨ من طريق بشّار بن موسى الشيباني الخفّاف بلفظ: هذان سيِّدا كهول أهل الجنَّة من الأوَّلين والآخرين ممَّن خلا في الأُمم الغابرين ومَن يأتي إلاّ النبيِّين والمرسلين، لا تخبرهما يا عليّ.

وحسبنا في عرفان شأن سنده بشّار بن موسى البصري، قال ابن معين: ليس بثقة إنَّه من الدجّالين. وقال عمرو بن علي: ضعيف الحديث. وقال البخاري منكر الحديث قد رأيته وكتبت عنه وتركت حديثه. وقال الآجري: ضعيفٌ. وقال النسائي: ليس بثقة وقال أبوزرعة: ضعيفٌ. وضعَّفه المديني. وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقويِّ عندهم وأساء القول فيه الفضل بن سهل. تاريخ الخطيب ج٧ص١١٩، تهذيب التهذيب ج١ص٤٤١

وأخرجه الخطيب أيضاً في ج ١٠ ص ١٩٢ من طريق غير واحد من الشيعة ممَّن زيَّف القوم حديثهم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه وقد ضعَّف أحمد حديث يونس عن أبيه وقال: حديثه مضطربٌ. وقال أبوحاتم: لا يحتجُّ بحديثه. وقال الحاكم أبوأحمد ربما وهم في روايته. وفي السند طلحة بن عمرو قال أحمد: لا شيء متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيءٍ ضعيفٌ. وقال الجوزجاني: غير مرضيٍّ في حديثه وقال أبوحاتم: ليس بقويٍّ.

وقال البخاري: ليس بشيءٍ. وقال أبو داود: ضعيفٌ. وقال النسائي: متروك الحديث ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامَّة أحاديثه لا يُتابع عليه. وقال ابن حبّان: لا يحلّ كتب حديثه ولا الرِّواية عنه إلاّ على جهة التعجّب «راجع تهذيب التهذيب ج٥ص٨ .

٧٢ ـ عن جابر مرفوعاً: لا يبغض أبابكر وعمر مؤمنٌ ولا يحبّهما منافقٌ.

من موضوعات معلّى بن هلال الطحّان. قال أحمد: كلُّ أحاديثه موضوعةٌ. أخرجه الذهبي وقال في «تذكرة الحفّاظ» ج٣ص١١٢: هذا حديثٌ غير صحيح، ومعلّى متّهمٌ بالكذب. وباغض الشيخين معتر لا خير فيه. ورآه باطلاً في «الميزان» واستدرك بقوله: لكن هو كلامٌ صحيحٌ. وروي من طريق عبدالرَّحمن بن مالك بن مغول الكذّاب الأفّاك الوضّاع.

٧٣ ـ عن سعد: إنَّ النبي ﷺ قال لمعاوية: إنَّه يُحشر وعليه حلّةٌ من نور ظاهرها من الرَّحمة وباطنها من الرِّضا، يفتخر بها في الجمع لكتابة الوحي.

ذكره الذهبي من أباطيل محمّد بن الحسن الكذّاب الدجّال.

٧٤ ـ عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله ﷺ فلمّا ضمَّني وإيَّاه الفراش نظرت إلى السَّماء فرأيت النجوم مشتبكة فقلت: يا رسول الله في هذه الدنيا رجلٌ له حسنات بعدد نجوم السَّماء؟ قال: نعم. قلت: مَن؟ قال: عمر وإنَّه لحسنةٌ من حسنات أبيكِ.

عدّه الخطيب البغدادي: من موضوعات بُريه بن محمَّد البيِّع الكذّاب، راجع سلسلة الكذّابين ثمَّ قال: وفي كتابه بهذا الإسناد عدَّة أحاديث منكرة المتون جدّاً. وذكره الذهبي في «الميزان» ورآه قد وضعه بُريه بأسناد الصحيحين. وقال ابن درويش الحوت في «أسنى المطالب» ص ٢٧٨: قال ابن الجوزي: كلُّ حديث فيه أنَّ عمر حسنةٌ من حسنات أبي بكر فهو موضوع.

٧٥ ـ عن جابر بن عبدالله: إنَّ النبيَّ ﷺ أُتي بجنازة فلم يصلِّ عليها فقال: إنَّه كان يبغض عثمان فأبغضه الله.

عدَّه المقدسي في «تذكرة الموضوعات» ص ٢٧ من موضوعات محمَّد بن زياد الجزري الحنفي، راجع سلسلة الكذّابين، وذكره الذهبي في ميزانه من طريق عمر بن موسى الميثمي الوجيهي الكذّاب الوضّاع، وللحفّاظ فى تكذيب الرَّجل وتضعيفه مقال ضاف راجع لسان الميزان ج٤ص٣٣٢ ـ ٣٣٥

٧٦ ـ قال رسول الله ﷺ رأيت حول العرش وردةً فيها مكتوبٌ: محمَّدٌ رسول الله. أبوبكر الصدِّيق.

عدَّه الذهبي في ميزانه ج١ص٣٧٠ من مصائب السري بن عاصم أبي عـاصم الهمداني الكذاب وأنّـه أتى به.

٧٧ ـ عن أبي الدَّرداء مرفـوعاً رأيت ليلة أُسري بي في العرش فـريدةً خضراء مكتوبٌ فيها بنور أبيض. لا إله إلاّ الله. محمَّدٌ رسـول الله. أبو بكـر الصدِّيق. زاد الطبري: عمر الفاروق.

من موضوعات عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمـداني الكذّاب الخبيث المتروك ـ راجع سلسلة الكذّابين ـ.

أخرجه الدارقطني بطريقين أحدهما لعمر بن إسماعيل المذكور. والثاني للسـري بن عـاصم الكـذّاب. وينتهي كـلا الـطريقين إلى محمَّـد بن فضيـل الشيعي. فقال الدارقطني تفرَّد به ابن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدَّث به غير هذين [يعني الكذّابين ابني إسماعيل وعاصم] وأورده في الواهيات من طـريق السـري وقـال: لا يصحّ. لي ج ١ ص ١٥٤. وأخـرجـه الخـطيب في تاريخه ج١١ص٢٠٤ وحكى عنه السيوطي في «اللئالي» ج١ص١٦٠ أنَّه قال: لا يصحّ عمر كذّابٌ[1].

٧٨ ـ عن عائشة قالت: لَمّا زوَّج نبيُّ الله أُمَّ كلثـوم قال لأُمِّ أيمن: هيِّئي بنتي وزفّيها إلى عثمان واخفقي بـالدفِّ. ففعلت فجـاءها النبيّ ﷺ بعد ثلاثة فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير رجل. قال: أما إنَّـه أشبه الناس بجدِّك إبراهيم وأبيك محمّد.

(١) المحكي عن الخطيب لا يوجد في تاريخه لعل السيوطي رآه في تآليفه الاخرى.

من موضوعات عمرو بن الأزهر العتكي الكذّاب الوضّاع رواه المسيِّب بن واضح عن خالد بن عمرو وعن عمرو العتكي أمّا المسيِّب: فقد ضعَّفه الدارقطني في مواضع من سننه. وأمّا خالد الأموي: فقد مرّ في سلسلة الكذّابين: أنّه الكذّاب الوضّاع، وأخرجه الذهبي في «الميزان» ج ٢ ص ٢٨٠ وقال: موضوعٌ.

٧٩ ـ مرفوعاً: رأيت أنّي وُضعت في كفَّة وأُمّتي في كفَّة فعدلتها، ثمَّ وُضع أبو بكر فعدل بأُمَّتي، ثمَّ عمر فعدلها، ثمَّ عثمان فعدلها، ثمَّ رُفع الميزان.

أخرجه الذهبي في «الميزان» من طريق عمرو بن واقد الدمشقي وقال: لم يُشكّ أنَّـه كان يكذب. وقال بعد ذكره مع عدَّة أحاديث: هذه الأحاديث لا تعرف إلا من رواية عمرو وهو هالكٌ.

٨٠ ـ مرفوعاً: إنَّ أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السَّمع والبصر.

عدَّه المقدسي في تذكرته من موضوعات الوليد بن الفضل الوضّاع.

٨١ ـ أخذ رسول الله بكتفي أبي بكر وعمر فقال: أنتما وزيراي.

من موضوعات زكريّا بن دريد الكندي، نصَّ على ذلك المقدسي في «التذكرة» والذهبي في «الميزان».

٨٢ ـ مرفوعاً: أنا وأنتما [يعني أبا بكر وعمر] نسرح في الجنَّة.

صرَّح الذهبي في «الميزان» أنَّ زكريَّا بن دريد الكندي وضعه.

٨٣ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: هذا جبريل يخبرني عن الله: ما أحبَّ أبا بكر وعمر إلّا مؤمنٌ تقيٌّ، ولا أبغضهما إلّا منافقٌ شقيٌّ.

عُدَّ من موضوعات إبراهيم بن البراء الأنصاري الكذّاب.

٨٤ ـ عن أُم عياش أمة رقيَّة بنت رسول الله ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زوَّجت عثمان أُمَّ كلثوم إلّا بوحي من السَّماء.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج١٢ص ٣٦٤ من طريق أحمد بن

محمَّـدبن المفلّس الكذّاب الـوضّاع الشهيـر. عن عبدالكـريم بن روح البزار الأموي البصري قال أبو حاتم: مجهولٌ، ويقال: إنَّه متروكٌ، وقال ابن حبّان: يخطىء ويخالف. عن والـده روح بن عنبسة، مجهـولٌ [صه ١٠١] عن أبيـه عنبسة بن سعيد، قال الذهبي: لا يعرف تفرَّد عنه ولده روح.

فإنْ تعجب فعجبٌ سكوت مثل الخطيب عَن سندٍ هذا شأنه صَوناً لِكرامة الأمويِّين.

٨٥ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: أتيتُ في المنام بعسٍّ مملوء لبناً فشربت منه حتى امتلأت فرأيته يجري في عروقي فضلت فضلة فأخذها عمر بن الخطاب فشربها، أوّلوا. قالوا: هذا علم آتاكه الله حتّى إذا امتلأت فضلت منه فضلة فأخذها عمر بن الخطاب. قال: أصبتم.

من موضوعات عبدالرَّحمن العدوي الكـذّاب حفيد عمـر بن الخطاب، أخرجه الخطيب في تاريخه من طريقه.

٨٦ ـ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدِّه مرفوعاً: ليلة أُسري بي رأيت على العرش مكتوباً: لا إلّـه إلّا الله. محمّدٌ رسول الله. أبوبكر الصدِّيق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين يُقتل مظلوماً.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج١٠ص٢٦٤ ن طريق عبدالرَّحمن بن عفَّان عن محمّد بن مجيب الصائغ وكلاهما كذّابان. راجع سلسلة الكذّابين.

٨٧ ـ عن حذيفة بن اليمان قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صـلاة الفجر فلمّـا انفتل من صلاته قال: أين أبوبكر الصـدِّيق؟ فأجـابه أبـو بكر من آخـر الصفوف: لبَّيك لبَّيك يا رسول الله. قال: أفرجوا لأبي بكر الصدِّيق ادن منّي يا أبا بكر! لحقت معي التَّكبيرة الاولى؟ قال: يا رسول الله! كنت معك في الصفِّ الأوَّل فكبَّرت وكبَّرتُ فاستفتحت بالحمد فقرأتها فوسوس لي شيءٌ من الطهور فخرجت إلى باب المسجد فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: وراءَك. فالتفت فإذا أنا بقدح من ذهب مملوء ماءً أبيض من الثلج، وأعذب من الشهد، وألين من

الزبد، عليه منديل أخضر مكتوبٌ عليه: لا إلٰه إلّا الله، محمّد رسول الله، الصدِّيق أبو بكر، فأخذت المنديل فوضعته على منكبي وتوضّأت للصّلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدح ولحقتك، وأنت راكعٌ الركعة الأولى فتمّمت صلاتي معك يا رسول الله! قال النبيُّ ﷺ. أبشر يا أبا بكر! الذي وضّأك للصّلاة جبريل، والذي مندلك ميكائيل، والذي مسك ركبتي حتّى لحقت الصّلاة إسرافيل.

روي من طريق محمَّد بن زياد وهو ذلك الكذّاب الوضّاع وأراه من موضوعاته غير أنَّ السّيوطي قال في «اللئالي» ج١ ص١٥٠: قلت: الظاهر أنَّ الآفة من غيره.

٨٨ ـ عن ابن عبّاس قال: ذُكر أبو بكر عند رسول الله ﷺ فقال: ومن مثل أبي بكر؟ كذَّبني النّاس وصدَّقني، وآمن بي وزوَّجني ابنته، وأنفق ماله وجاهد معي في جيش العسرة، ألا انّه يأتي يوم القيامة على ناقة من نوق الجنَّة، قوائمها من المسك والعنبر؛ ورجلها من الزمرّد الأخضر، وزمامها من اللؤلؤ الرَّطب، عليه حلّتان خضراوان من سندس واستبرق يحاكيني يوم القيامة وأُحاكيه فيقال: هذا محمَّد رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر الصدِّيق.

أخرجه ابن حبّان من طريق إسحاق بن بشر بن مقاتل فقال: إسحاق كذّابٌ يضع. راجع سلسلة الكذّابين.

٨٩ ـ عن البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم: تدرون ما على العرش؟ مكتوبٌ لا إلٰه إلّا الله. محمَّدٌ رسول الله. أبو بكر الصدِّيق. عمر الفاروق. عثمان الشهيد، عليّ الرضيّ.

أخرجه ابن عساكر من طريق محمَّد بن عبد بن عامر السمرقندي وهو ذلك الكذّاب الوضّاع، وفي سنده ضعفاء آخرون والآفة من السمرقندي.

٩٠ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة يكون أبو بكر على أحد أركان الحوض، وعمر على الركن الثاني، وعثمان على الثالث، وعليٌّ على الرّابع، فمن أبغض واحداً منهم لم يسقه الآخرون.

هذا ملخّص رواية لخّصها الذهبي في ميزانه، ذكره مع حديثين من طريق إبراهيم بن عبدالله المصيصي فقال: هذا رجلٌ كذّابٌ، قال الحاكم: أحاديثه موضوعةٌ.

٩١ ـ عن عقبة بن عامر مرفوعاً: أتاني جبرائيل فقال: يا محمّد إنّ الله أمرك أن تستشير أبا بكر.

عُدَّ من موضوعات محمّد بن عبدالرّحمن بن غزوان الكذّاب الوضّاع المذكور في سلسلة الكذّابين.

٩٢ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: أُحشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر حتّى أقف بين الحرمين فيأتيني أهل مكّة والمدينة.

عدّوه من أباطيل عبدالله بن إبراهيم الغفاري الكذّاب الوضّاع، وهو أحد الحديثين في فضل أبي بكر وعمر اللّذين قال ابن عدي: هما باطلان. وقال الذهبي في ميزانه ج٢ص٢١ غير صحيح.

٩٣ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: إنَّ لِله تعالى في السَّماء سبعين ألف مَلك يلعنون من شتم أبا بكر وعمر.

أخرجه الخطيب في رواة مالك من طريق سهل بن صقين فقال: سهل يضع. لي ج١ص١٦٠. وفي «لسان الميزان» ج٤ص ٤١: أخرجه الدارقطني في غرائب مالك عن محمّد بن الحسين الحرّاني عن عبدالغفّار وقال: هذا منكرٌ وسهل ضعيفٌ ومن دونه مجهولٌ.

٩٤ ـ عن ابن عبّاس قال: رأيت رسول الله ﷺ في منامي على برذون أبلق فدنوت منه وعليه عمامة من نور معتجراً بها وفي رجليه نعلان خضراوان شراكهما من لؤلؤ رطب، بكفّه قضيبٌ من قضبان الجنّة أخضر، فسلّم عليَّ فرددت عليه وقلت: يا رسول الله! قد اشتدّ شوقي إليك فأين أنت فقال: إنَّ عثمان أصبح عروساً في الجنّة وقد دُعيت إلى عرسه. أخرجه الأزدي عن إبراهيم بن منقوش وقال: كان يضع الحديث. وعدّه السيوطي من الموضوعات في لئاليه.

٩٥ ـ عن عبدالله بن عمر: كنّا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: أفضل أُمَّة النبيِّ ﷺ بعده أبو بكر، ثمّ عمر، ثمَّ عثمان، فيسمع رسول الله ﷺ فلا ينكره.

أخرجه جمع من أئمة الحديث بعدّة طرق نوقفك على القول الفصل فيه في الجزء العاشر إن شاء الله تعالى.

٩٦ ـ عن عمر مرفوعاً: يموت عثمان يصلّي عليه ملائكة السّماء. قلت لعثمان خاصّة أو للناس عامّة؟! قال لعثمان خاصَّة.

حديثٌ طويلٌ فيه لكلِّ واحد من أصحاب الشّورى الستَّة منقبةٌ. قال الذهبي في ميزانه في ترجمة محمَّد بن عبدالله الخراساني: حديثٌ موضوعٌ. وقال ابن حجر في لسانه ج٥ص٢٢٧: الوضع عليه ظاهر.

٩٧ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: إنَّ لله علَماً من نور مكتوبٌ عليه. لا إله إلاَّ الله. محمَّدٌ رسول الله. أبو بكر الصدِّيق.

أخرجه الذهبي في ميزانه وقال: خبرٌ موضوعٌ اتّهم به محمَّد بن يحيى بن عيسى السَّلمي. لم ج٥ص٤٢٤.

٩٨ ـ عن عبدالله بن عمر: إنَّ جعفر بن أبي طالب أهدى إلى النبيِّ ﷺ سفرجلاً فأعطى معاوية ثلاث سفرجلات وقال: تلقّاني بهنَّ في الجنّة.

قال ابن حبّان: موضوعٌ آفته إبراهيم بن زكريّا الواسطي، وقال بعضهم: ممّا يبين وضعه أنَّ معاوية أسلم في الفتح وجعفر قُتل قبل الفتح بموتة. وورد بطرق أُخرى كلّها باطلةٌ فاسدةٌ موضوعةٌ راجع لي ج١ص١١٩. وقال الذهبي في «الميزان» ج١ص١٦ في ترجمة إبراهيم الواسطي: يروي عن مالك أحاديث موضوعة ثمَّ ذكر الحديث عنه عن مالك.

٩٩ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: من أبغض عمر فقد أبغضني، إنَّ الله باهى بالناس عشيَّة عرفة عامَّة وباهى بعمر خاصَّة.

رواه الطبراني في الأوسط، وقال الذهبي: خبرٌ باطلٌ رواه أبو سعد خادم الحسن البصري لا يُدرى من هذا. م ج٣ص٣٦٠.

١٠٠ ـ عن أنس مرفوعاً: قلت لجبريل حين أُسري بي إلى السّماء: يا جبريل! أعلى أُمَّتي حسابٌ؟ قال: كـلُّ امَّتك عليهـا حسابٌ مـا خلا أبـا بكر الصدِّيق، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا أبا بكر ادخل الجنَّة. قال: ما أدخل حتّى أُدخل معي من كان يُحبّني في الدُّنيا.

أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج٢ص١١٨، وج ٨ ص ٣٦٧ وقال: هذا الحديث كذبٌ. وكذّبه الذهبي في ميزانه ج٣ص٣٦

هذه نماذج ممّا وقفنا عليه من الموضوعات في المناقب وهي كثيرةٌ جدّاً تُعدّ بالآلاف توجد في الجزء الثاني من كتابنا ـ رياض الانس ـ أضعاف ما ذكر ممّا لا يوجد شيءٌ منه في الصِّحاح والمسانيد، نعم: ذكر شطرٌ منها في تآليف اخرى لحفّاظ السَّلف وإنّـما حوتها كتب المتأخِّرين بين دفوفها ،وينتهي الإسناد في كثير من ذلك البهرج المزخرف إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام يُعرب ذلك كلّه عن صدق ما جاء به عامر بن شراحيل من قوله: أكثر مَن كذب عليه من الأُمَّة الإسلاميّة هو أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب. ذكره الذهبي في «طبقات الحفّاظ» ج ١ ص ٧٧.

ويعرف القارىء شأن هذه الأحـاديث من كلام الفيـروز آبادي صـاحب القاموس قال في خاتمة كتابه «سفر السَّعادة»: باب فضائل أبي بكـر الصدِّيق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات. وقال بعد ذكر أحاديث مفتعلة من فضائل أبي بكر: وأمثال هذا من المفتريات المعلومة بطلانها ببديهة العقل. وقال: وباب فضل معاوية ليس فيه حديثٌ صحيحٌ. وذكر العجلوني مثل كلام الفيروز آبادي حرفيّاً في «كشف الخفاء» ج٢ص٤١٩.

وقال الحاكم: سمعت أبا العبّاس محمّد بن يعقوب بن يـوسف يقول: سمعت أبي يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقـول: لا يصحّ في فضل معاوية حديثٌ. لي ج١ ص ٢٢٠. وقال ابن تيميّة في «منهـاج السنّة» ج ٢ ص٢٠٧: طائفةٌ وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبيِّ في ذلك كلّها كذبٌ.

وقس على هذا ما اختلقوا على رسول الله ﷺ في غير واحد من رجال الصَّحابة بأسمائهم وأشخاصهم. وما وضعوا من الأحاديث الكثيرة من المناقب والمثالب في العبّاس عمّ النبيّ وبنيه عامّـة والخلفاء منهم خاصّة. وشفّعها بما افتعلوه في آحاد غوغاء الناس مثل حديثهم في وهب وغيلان: يكون في أُمّتي رجلٌ يقال له: وهب. يهب الله له الحكمة ورجلٌ يقال له: غيلان هو أشرُّ على أُمّتي من إبليس [م ج٣ص١٦٠]. ومثل حديثهم: يجيء في آخر الزّمان رجل يقال له: محمد بن كرام تَحيى السنّة به [لم ج١ص٣٧٥].

وجلُّ هذه الرِّوايات تُعارض متونها أحاديث صحيحة لو بسطنا القول فيها لتأتي أجزاء حافلة غير أنّا نذكر ما يعارض الحديث الأخير خاتم المائة المكذوب على جبريل ليكون الباحث على بصيرة فممّا يعارضه:

١ ـ يدخل الجنَّة من أُمّتي سبعون ألفاً بغير حساب. أخرجـه البخاري ومسلم وأحمد والدارمي وأبو داود.

٢ ـ يبعث من هذه المقبرة ـ البقيع الغرقد ـ سبعون ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب. أخرجه الطبراني في الكبير مز ج ٤ ص ١٣ .

٣ ـ ليدخلنَّ الجنّة من أُمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كلِّ ألف سبعون ألفاً. أخرجه أحمد والطبراني والبزّار.

٤ ـ لقد وعدني ربّي أن يُدخل من أُمّتي الجنَّة سبعين ألفاً لا حساب عليهم. أخرجه الطبراني والبزّار.

٥ ـ ليبعثنَّ الله من مدينة بالشّام يُقال لها «حمص» تسعين ألفاً لا حساب عليهم. أخرجه البزّار.

٦ ـ إنَّ في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساءاً يدخلون الجنَّة بغير حساب . أخرجه الطبراني بإسناد جيِّد .

٧ ـ رأيت منكم خمسين ألفاً أو سبعين ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب. أخرجه الطبراني بإسناد رجاله ثقات.

٨ ـ إنّي وجدت ربِّي ماجداً كريماً أعطاني مع كلِّ واحد من السَّبعين الألف الذين يدخلون الجنّة بغير حساب سبعين ألفاً. أخرجه الطبراني بسند رجاله رجال الصَّحيح غير شيخه.

٩ ـ أُعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب. إلى أن قال: فزادني مع كلِّ واحد سبعين ألفاً. أخرجه أحمد وأبو يعلى. راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٠٥ ـ ٤١٢.

١٠ ـ في حديث ليلة الإسراء: يا محمَّد! حملة القرآن لا يعذَّبون ولا يحاسبون يوم القيامة. خزينة الأسرار ص ٨٨.

١١ ـ أوّل زمرة من أُمَّتي يدخلون الجنَّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم. طب ج ٢ ص ١٦٠ .

١٢ ـ ليبعثنَّ من بين حائط «حمص» و«الزيتون» في الترب الأحمر سبعون ألفاً ليس عليهم حساب. ك ج٣ص ٨٩.

١٣ ـ من مات في هذا الوجه من حاجٍّ أو معتمر لم يُعرض ولم يُحاسب وقيل له: ادخل الجنَّة . طب ج٢ص ١٧٠.

١٤ ـ يُحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً يدخلون الجنَّة بلا حساب. طب ج١٢ ص ١٩٠.

١٥ ـ في حديث عرض الأُمم عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا محمَّد إنَّ مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب. مسند أحمد ج١ ص ٤١٨، ٤٥٤.

١٦ ـ بشَّرني [ربِّي] أنَّ أوَّل من يدخل الجنَّة من أُمَّتي سبعون ألفاً مع كلِّ ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب مسند أحمد ج٥ص ٣٩٣.

١٧ ـ وفي حديث عمير موفوعاً: إنَّ الله عزَّ وجلَّ وعدني أن يدخل من أُمَّتي ثلاثمائة ألف الجنَّة بغير حساب.

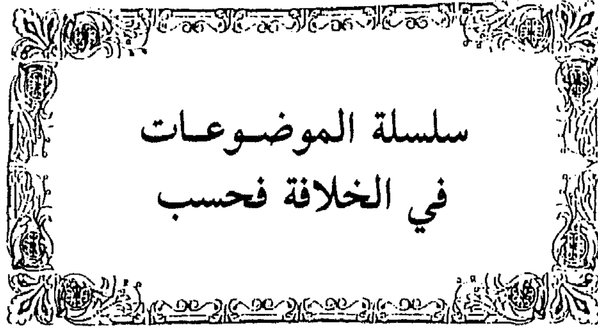
أخرجه البغوي وابن أبي خيثمة وابن المسكن والطبراني وغيرهم كما في

الإصابة ج٣ص ٣٧ .

وقبل هذه كلّها ما أخرجه الخجندي عن أبي امامة قال: سمعت أبا بكر الصدِّيق يقول للنبيِّ ﷺ: مَن أوَّل مَن يُحاسب؟ قال: أنت يا أبا بكر. قال: ثمَّ من؟ قال: عمر. قال: ثمَّ مَن؟ قال: عليّ. قال فعثمان؟ قال: سألت ربِّي أن يهب لي حسابه فلا يحاسبه فوهب لي. الرياض النضرة ج١ص٣١[1] .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيضلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
[سورة الأنعام آية ١٤٤]

(١) هذه الرواية أيضاً من تلكم الموضوعات التي يعارض بعضها بعضاً.



سلسلة الموضوعات في الخلافة فحسب

أهمُّ موضوع لعبت به أيدي الهوى، وعبثت به العواطف المضلّة، هو موضوع الخلافة في السنّة والحديث، وضع القوم فيها أحاديث مكذوبة على الله وعلى أمين وحيه ونبيّه الطاهر (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وبثّها في الملإ أرباب التآليف المزوّرة روماً لطمس الحقّ، وتمويهاً على الحقيقة، وتعميةً على الجاهل المسكين، عالمين بأنّها آثارٌ مفتعلةٌ تُضادُّ مبادىء الإسلام عند جميع فرقه، ولا توافق أيّاً من المذاهب الإسلاميّة، بل لازمها اجتماع الأُمّة على الخطإ ـ وهي لا تجتمع على الخطإ ـ إذ لا تخلو ممّن يرى النصّ في عليٍّ أمير المؤمنين، ومَن يقول بالانتخاب وعدم النصّ على أيِّ أحد، فالأُمّة مجتمعةٌ على الخطإ في رفض تلكم النصوص والصّفح عنها، وإليك نماذج ممّا وقفنا عليه من تلكم المخازي:

١ ـ عن أنس بن مالك قال: جاء النبيُّ ﷺ فدخل إلى بستان فأتى آتٍ فدقّ الباب فقال: يا أنس! قم فافتح له وبشّره بالجنّة وبشّره بالخلافة من بعدي. قال: قلت يا رسول الله اعلمه؟ قال: أعلمه. فإذا أبو بكر. قلت له: أبشر بالجنّة وأبشر بالخلافة من بعد رسول الله ﷺ. ثمّ جاء آت فدقّ الباب فقال. يا أنس ! قم فافتح له وبشّره بالجنّة وبشّره بالخلافة من بعد أبي بكر. قلت : يا رسول الله أعلمه ! قال : أعلمه . فخرجت فإذا عمر قال قلت له أبشر بالجنّة وأبشر بالخلافة من بعد أبي بكر . ثمّ جاء آتٍ فدقّ الباب فقال : قم يا أنس ! وافتح له وبشّره بالجنّة وبالخلافة من بعد عمر وأنّ

مقتولٌ . قال : فخرجت فإذا عثمان قتل : أبشر بالجنَّة وبالخلافة من بعد عمر وإنَّك مقتولٌ . قال : فدخل إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله لِمَه ؟ والله ما تغنَّيت ولا تمنَّيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك قال : هو ذاك يا عثمان ! .

من موضوعات الصقر بن عبدالرَّحمن أبي بهز الكذّاب. حكى الخطيب البغدادي في تاريخه ج٩ص ٣٣٩ عن عليٍّ بن المديني أنّهُ سُئل عن هذا الحديث، فقال: كذبٌ هذا موضوعٌ وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج١ص ٤٦٧ فقال حديثٌ كذبٌ. وحكى ابن حجر في «لسان الميزان» ج٣ص ١٩٢ عن عليٍّ المديني أنَّه قال: كذبٌ موضوعٌ. وقال في ص ١٩٣ : لو صحَّ هذا لما جعل عمر الخلافة في أهل الشورى وكان يعهد إلى عثمان بلا نزاع.

وذكره الذهبي في ميزانه ج٢ص ٩١ بلفظ: دخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجل فقرع الباب فقال: يا أنس افتح وبشِّره بالجنّة وأنّه سيلي الأمر من بعدي ففتحت فإذا أبو بكر. ثمّ قال: وفي سنده عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروكٌ ضعيفٌ ليس بشيءٍ. وذكر صدره في ج ١ ص ١٦٢ عن بكر بن المختار بن فلفل وقال: قال ابن حبّان: لا تحلّ الرِّواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار. وقال المقدسي في «تذكرة الموضوعات» ص ١٥ : افتح له وبشّره بالجنّة. وفيه ذكر الخلافة وترتيبها رواه بكر بن المختار الصائغ وهو كذّابٌ.

قال الأميني:

وفي ترك هؤلاء الثلاثة الاحتجاج بهذه الرِّواية يوم فاقتهم إليها عند طلب الخلافة وقد بلغ الجدال أشدَّه حتّى كاد أن يكون جلاداً دليلٌ واضحٌ على أنّهم لم يدخلوا ذلك البستان الخياليَّ، ولا سمعوا تلك البشارة الموهومة، وإنّ الله سبحانه لم يبرأ ذلك البستان ليوطد فيه أساس الفتن المدلهمّة، ثمَّ لماذا لم يروها لهم أنس يوم تزلّفه إليهم وتركاضه معهم وتركها لأحد الرجلين بعده: الصَّقر وعبدالأعلى؟.

ألا تعجب من حافظين كبيرين كأبي نعيم في متقدّمي القوم، والسيوطي

في متأخِّريهم؟! يروي الأوَّل هذه الرِّواية بإسناده الوعر في دلائل النبوَّة ج٢ص ٢٠١ من طريق أبي بهز الكذّاب ويركن إليها، ويرويها الثاني في الخصائص الكبرى ج٢: ١٢٢ ويتبهَّج بها ولم ينبس أحدٌ منهما ممّا في إسنادها من الغمز ببنت شفة.

٢ ـ عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله ﷺ فلمّا ضمني وإيّاه الفراش قلت: يا رسول الله ألست أكرم أزواجك عليك؟ قال: بلى يا عائشة. قلت: فحدِّثني عن أبي بفضيلة قال: حدَّثني جبريل إنّ الله تعالى لَمّا خلق الأرواح اختار روح أبي بكر الصدِّيق من بين الأرواح وجعل ترابها من الجنّة وماءها من الحيوان، وجعل له قصراً في الجنّة من درَّة بيضاء مقاصيرها فيها من الذهب والفضة البيضاء، وإنّ الله تعالى آلى على نفسه أن لا يسلبه حسنة ولا يسأله عن سيِّئة، وإنِّي ضمنت على الله كما ضمن الله على نفسه أن لا يكون لي ضجيعاً في حفرتي ولا أنيساً في وحدتي ولا خليفةً على أُمَّتي من بعدي، إلّا أبوك. يا عائشة! بايع على ذلك جبريل وميكائيل، وعقدت خلافته براية بيضاء وعقد لواؤه تحت العرش قال الله للملائكة: رضيتم ما رضيت لعبدي؟ فكفى بأبيك فخراً أن بايع له جبريل وميكائيل وملائكة السّماء وطائفة من الشيطان يسكنون البحر فمن لم يقبل هذا فليس منِّي ولست منه. قالت عائشة: فقبَّلت أنفه وما بين عينيه فقال: حسبك يا عائشة فمن لستِ بأُمِّه فوالله ما أنا بنبيِّه، فمن أراد أن يتبرَّأ من الله ومنّي فليتبرَّأ منك يا عائشة.

قال الخطيب البغدادي في تاريخه ج١٤ص ٣٦: لا يثبت هذا الحديث ورجال إسناده كلّهم ثقات ولعلّه شبِّه لهذا الشيخ القطّان ـ أو أُدخل عليه ـ مع إنّي قد رأيته من حديث محمّد بن بابشاذ البصري عن سلمة بن شبيب عن عبدالرزّاق، وابن بابشاذ راوي مناكير عن الثقات.

وذكر الذهبي منه جملاً في «ميزان الاعتدال» ج٣ص ٣١ وحكم بأنّه موضوعٌ. وذكر جملاً في ص ٢٤٦ وقال: حديثٌ باطلٌ كأنّه المسكين ـ يعني هارون القطّان ـ أُدخل عليه ولا يشعر، وله إسنادٌ آخر باطلٌ. وقال: هذا لا يحتمله سلمة والظاهر أنّه دُسَّ على ابن بابشاذ هذه فروى حديثاً موضوعاً راج

عليه ولم يهتد.

وذكر الفيروز آبادي شطراً من صدره في خاتمة «سفر السّعادة»، والعجلوني في «كشف الخفاء»، وعدّاه من أشهر المشهورات من الموضوعات، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل، وأبطله السيوطي في لي ج١ص ١٥٠.

٣ ـ عن عائشة قالت: أوّل حجر حمله النبيُّ ﷺ لبناء المسجد، ثمَّ حمل أبوبكر حجراً آخر، ثمَّ حمل عمر، ثمَّ حمل عثمان حجراً آخر. فقلت: يا رسول الله! ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك؟ فقال: يا عائشة هؤلاء الخلفاء من بعدي.

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ٩٧ وقال: صحيحٌ وإنَّما اشتهر بإسنادٍ واهٍ من رواية محمّد بن الفضل بن عطيَّة فلذلك هجر. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: قلت: أحمد منكر الحديث وممَّن نقم على مسلم إخراجه في الصَّحيح. ويحيى وإن كان ثقة فقد ضعف. ثمَّ لو صحَّ هذا لكان نصّاً في خلافة الثلاثة ولا يصح بوجه، فإنَّ عائشة لم تكن يومئذٍ دخل بها النبيُّ ﷺ وهي محجوبةٌ صغيرةٌ فقولها هذا يدلّ على بطلان الحديث. إلخ.

أسفي على الحاكم فإنَّه يخرج عن عائشة هذه الرِّواية ويصحّحها وقد أخرج عنها قبلها في «المستدرك» ج ٣ ص ٧٨ أنَّها قالت: لو كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لاستخلف أبا بكر وعمر. وصحّحه هو وأقرَّه الذهبي.

٤ ـ عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يا بلال أذِّن في النّاس إنَّ الخليفة بعدي أبوبكر. يا بلال ناد في النّاس: إنَّ الخليفة بعد أبي بكر عمر. يا بلال ناد في النّاس: إنَّ الخليفة من بعد عمر عثمان. يا بلال امض أبى الله إلاّ ذلك ـ ثلاث مرّات.

أخرجه أبو نعيم في فضائل الصَّحابة. والخطيب في تاريخه ج٧ص ٤٢٩ من دون أيّ غمز فيه. وابن عساكر في تاريخ الشّام، ورواه الذهبي بإسناد الدارقطني وعمرو بن شاهين في ميزانه ج١ص ٣٨٧ فقال: هذا موضوعٌ. وقال

في سعيد بن عبدالملك أحد رجال الإسناد: قال أبوحاتم يتكلّمون فيه يروي أحاديث كذب.

لِمَ لم تسمع أُذن الدنيا قطُّ نداء بلال حينما أذَّن في الناس بالخلافة؟ هل خالف بلال أمر النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يناد؟ حاشاه. أو ضرب الله في آذان أُمَّة محمّد وقراً فلم يسمع أحدٌ ذلك النداء؟ لاها الله. بل أمر صلّى الله عليه وآله وسلّم بشيء من هذا، ولا أذَّن بلال ولا أسمع، لكن الهوى خلق بعد لأي من عمر الدَّهر أذاناً سمعه من لا يُؤمن به.

٥ ـ مرفوعاً: أبو بكر يلي أُمَّتي من بعدي.

ذكره الذهبي في ميزانه ج٣ص ٩٣ وقال: خبرٌ كذبٌ جاء به محمّد بن عبدالرَّحمن وهو لا يُعرف أو هو ابن قراد ـ الكذّاب الوضّاع المذكور ص ٣١٧.

٦ ـ عن الزبير بن العوام قال: سمع النبيّ ﷺ يقول: الخليفة بعدي أبو بكر وعمر ثمَّ يقع الإختلاف. فقمنا إلى عليٍّ فأخبرناه فقال: صدق الزبير سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

من موضوعات عبدالرَّحمن بن عمرو بن جبلة. ذكره الذهبي في ميزانه ج١ ص ١٤٧ فقال: هذا باطلٌ والآفة من عبدالرَّحمن.

إن كان أمير المؤمنين عليه السّلام سمع ما سمعه زبير من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فما باله يدَّعيها لنفسه عند طلب البيعة ويخالف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما نصَّ عليه؟ وكيف يكون ما شجر بينه وبين القوم من الخلاف الذي ملأ الخافقين حديثه؟ وما بال الزّبير الرّاوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تخلّف عن بيعة أبي بكر يوم ذاك واخترط سيفه وهو يقول: لا أغمده حتّى يُبايع عليٌّ؟.

٧ ـ مرفوعاً: إنَّ جبرائيل قال: أبو بكر وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك.

من موضوعات أبي هارون إسماعيل بن محمّد الفلسطيني. قال الذهبي

في «ميزان الاعتدال» ج١ص ١١٤: ذكره ابن الجوزي بإسناد مظلم وقال: أبو هارون كذّابٌ.

سبحانك اللّهم ما أجرأهم على المهيمن الجبّار وعلى أمين وحيه وعلى قدس صاحب الرِّسالة فعزوا إليه حكماً به نزل الرّوح الأمين لأن يصدع به في الملإ من أُمَّته ليسلكوا طريقه المهيع باتِّباع الخليفة من بعده لكنَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم جعجع بتبليغه إلى أن يأتي الرَّجل من فلسطين فأنهاه إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم ليبلّغ من حوله من المهاجرين والأنصار. نعم: هكذا يكون الأكل من القفا. لا. هكذا يكون أمرٌ دُبّر بليل، أو يتزلّف الفلسطيني إلى صاحب السّلطة الوقتيَّة بالإفتعال له.

٨ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: قال لَمّا عُرج بي قلت: اللّهمَّ اجعل الخليفة من بعدي عليّاً قال: فارتجَّت السَّماوات وهتف بي الملائكة يا محمّد إقرأ: وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله، وقد شاء الله أبا بكر.

من موضوعات يوسف بن حجر الخوارزمي. ذكره الذهبي في ميزانه ج٣ص ٣٢٩ وقال: ذكره ابن الجوزي، أنَّ هذا من وضع يوسف. وأخرجه الجوزقاني وفي آخره: قد شاء الله أن يكون الخليفة من بعدك أبو بكر الصدِّيق. ثمَّ قال: موضوعٌ وضعه يوسف بن جعفر ـ لي ج١ص ١٥٦ ـ وفي لفظ: إنَّ الله يفعل ما يشاء والخليفة بعدك أبو بكر.

٩ ـ عن عليٍّ [أمير المؤمنين] مرفوعاً: يا عليُّ سألت الله ثلاثاً أن يقدِّمك فأبى عليَّ إلاّ أن يُقدِّم أبا بكر.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج١١ص ٢١٣ بسند تافه ساكتاً عن الغمز فيه جرياً على عادته. وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج٢ص ٢٢٢ من طريق الخطيب عن أبي جحيفة وقال: خبرٌ باطلٌ لعلَّ آفته عليُّ بن الحسين الكلبي. وزيّفه ابن حجر في «الفتاوى الحديثيَّة» ص ١٢٦. وعدَّه السيوطي في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج٦ص ١٣٩ من فضائل أبي بكر نقلاً عن الديلمي، وذكره محبّ الدين الطبري في الرِّياض ج١ص١٥٠ باللفظ المذكور ولفظ:

نازلت الله فيك ثلاثاً فأبى أن يقدّم إلّا أبا بكر ثمّ قال: غريبٌ.

قال الأميني: إنّي مُسائل مفتعل هذه الرِّواية وأعضاده من حفّاظ الحديث ـ الأُمناء على ودائع العلم والدين ـ بعد الفراغ عن أنَّ أمر الخلافة لا يستقرُّ في أحد إلّا بتعيين المولى سبحانه ومشيئته. والله يفعل ما يشاء. وما تشاؤن إلّا أن يشاء الله. وقد شاء أبا بكر، أين يكون محلُّ دعاء النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في أن يجعلها في عليٍّ عليه السّلام من قبل أن يعلم مستقرَّه عند الله تعالى؟ فكان من واجبه أن يسأله عن محلّه عنده لا أن يطلب منه طلبة ترتجُّ لها السّماوات والملائكة وما ذلك إلّا لكونه منكراً من الطلب. نجلُّ نبيّنا عن الإسفاف إلى هذه الضعة .

وكيف خفي عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم من يستأهل الخلافة من أُمّته ويختار لها من يأبى الله والسّماوات ومن فيها والمؤمنون[1] له ذلك؟ نعوذ بالله من السّفاسف.

ثمَّ ما بال النبيِّ الأعظم يتأخّر علمه بذلك عن علم الملائكة والسّماوات والحاجة له ولأُمّته، وخطاب التبليغ متوجِّهٌ إليه، والتكليف بالخضوع متوجِّهٌ إلى أُمّته؟ ولم يكن جميع الملائكة والسّماوات حملة الوحي إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى يتقدّم علمهم على علمه[2].

وما الذي دعاه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى ذلك التأكيد وتكرار المسألة مرَّةً بعد اخرى وقد أبى الله أن يجيبها وشاء خلاف تلك الدَّعوة؟.

إلى أسئلة هامّة تأتي وهي مشكلات لا أحسب أن يجد كلُّ من يعتمد علي هذه الرِّواية إلى حلّها سبيلاً. افّ تُفّ لمؤلِّف يذكر مثل هذه الأفيكة ويراها لطيفة[3] ولآخر يراها غريباً ويقول: يُعتضد بالأحاديث الصحيحة[4] اللّهمّ إليك

---

(١) كما يأتي في حديث آخر.

(٢) هذا على سبيل المماشاة والجدل وإنّ لنا في علمه (صلّى الله عليه وآله) بالوحي خطة اخرى مع الاعتراف بنزول جبريل في كل واقعة للإذن في التبليغ ولتثبيت قلوب الامة.

(٣) راجع نزهة المجالس ٢ ص ١٨٦.

(٤) راجع الرياض النضرة ١ ص ١٥٠.

المشتكى.

١٠ ـ أخرج الخطيب في تاريخه ج١٤ص ٢٤ بإسناده عن إبراهيم بن هاني عن هارون المستملي المتوفّى سنة ٢٤٧ عن يعلى[١] بن الأشدق عن عبدالله بن جراد قال: أُتي رسول الله ﷺ بفرس فركبه وقال: يركب هذا الفرس من يكون الخليفة من بعدي. فركبه أبو بكر الصدِّيق.

قال الأميني:

كأنَّ الخطيب أدهشه فرس الخلافة ـ ذاهلاً عن أنّه لم يُخلق بعدُ ـ فسكت عمّا في سند الرّواية من الغمز الفاحش الذي لا يخفى على مثل الخطيب فارس الجرح والتعديل، وإليك مجمل القول في رجاله:

١ ـ إبراهيم بن هاني، قال ابن عدي: مجهولٌ يأتي بالبواطيل.

٢ ـ هارون المستملي، قال له أبو نعيم: يا هارون اطلب لنفسك صناعةً غير الحديث فكأنّك بالحديث قد صار على مزبلة.

٣ ـ يعلى بن الأشدق: أحد الكذّابين كما مرَّ في سلسلتهم.

٤ ـ عبدالله بن جراد عمّ يعلى، قال الذهبي في ميزانه: مجهولٌ لا يصحّ خبره لأنّه من رواية يعلى بن أشدق الكذّاب عنه، وقال أبو حاتم: لا يُعرف ولا يصحُّ خبره. وقال ابن حجر في «الإصابة» ج٢ص ٢٨٨: يعلى بن أشدق أحد الضعفاء، وعبدالله بن جراد واهٍ ذاهب الحديث ولم يثبت حديثه.

وذكر السيوطي الرِّواية في الموضوعات ـ لي ج١ص ١٥٦ ـ وأردفه بقوله: موضوعٌ، ابن جراد ليس بشيء. ثمَّ نقل كلمات الحفّاظ في تضعيف ابن جراد وتزييفه.

١١ ـ عن جابر مرفوعاً: أبو بكر وزيري والقائم في أُمَّتي من بعدي. وعمر حبيبي ينطق على لساني. وعثمان منّي. وعليٌّ أخي وصاحب لوائي. وفي كنز العمال ج٦ ص ١٦٠ عن أنس: أبو بكر وزيري يقوم مقامي. وعمر ينطق بلساني. وأنا من عثمان وعثمان منّي.

---

(١) في تاريخ الخطيب: علي. والصحيح ما ذكرناه.

من موضوعات كادح بن رحمة الكذّاب، أخرجه ابن السمّان في «الموافقة» كما في «الرّياض النضرة» ج ١ص ٢٨ . وذكره الذهبي في ميزانه من طريق كادح وقال: قال ابن عدي عامّة أحاديثه غير محفوظةٍ ولا يُتابع في أسانيده ولا في متونه. وقال الحاكم وأبونعيم روى عن مسعر والثوري أحاديث موضوعة. [لسان الميزان ج٤ص٤٨١].

١٢ ـ أخرج ابن عساكر عن عبدالرَّحمن بن أبي بكر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ائتني بدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. ثم قال: يأبى الله والمؤمنون إلّا أبا بكر. كنزج٦ص ١٣٩ .

١٣ ـ عن عائشة قالت: قال لي رسول الله، ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ادعي لي أباكِ وأخاكِ حتّى أكتب كتاباً فإنّي أخاف أن يتمنّى متمنٍّ ويقول قائلٌ: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلّا أبا بكر.

أخرجه مسلم وأحمد وغيره من طرق عنها وفي بعضها: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ادعي لي عبدالرَّحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد. ثمَّ قال: دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر.

وفي لفظ عن عبدالله بن أحمد: أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر «الصواعق» لابن حجر ص ١٣. شرح «مشارق الأنوار» ج٢ص ٢٥٨ .

١٤ ـ عن عائشة مرفوعاً: لقد، هممت أن أُرسل إلى أبي بكر وابنه [أراد به عبدالرَّحمن] وأعهد [أي أُوصي أبا بكر بالخلافة بعدي] أن يقول القائلون [أي كراهة أن يقول قائلٌ: أنا أحقُّ منه بالخلافة] أو يتمنّى المتمنّون [أي أو يتمنّى أحدٌ أن يكون الخليفة غيره] ثمَّ قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون [يعني تركت الإيصاء اعتماداً على أنّ الله تعالى يأبى عن كون غيره وأن يدفع المؤمنون غيره] أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون.

أخرجه الصغّاني في «مشارق الأنوار» عن البخاري. وفي هامشه: لم نجده في صحيح البخاري فليراجع. وشرحه ابن الملك بما جعلناه بين

القرسين في شرحه ج٢ص ٩٠. وذكره ابن حزم في الفصل ج٤ص ١٠٨ فقال: فهذا نصٌّ جليٌّ على استخلافه عليه الصَّلاة والسّلام أبا بكر على ولاية الأُمّة بعده.

هذه صورةٌ ممسوخةٌ من حديث الكتف والدواة المرويِّ بأسانيد جمَّة في الصِّحاح والمسانيد وفي مقدَّمها الصَّحيحان حوَّلوه إلى هذه الصّورة لما رأوا الصّورة الصَّحيحة من الحديث لا تتمُّ بصالحهم، لكنَّها الرزيَّة كلّ الرزيَّة كما قاله ابن عبّاس في الصّحيح، فإنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منع في وقته عن كتابة ما رامه من الإيصاء بما لا تضلّ الأُمَّة بعده وكثر هناك اللغط، ورُمي صلّى الله عليه وآله وسلّم بما لا يُرصف به، أو قال قائلهم: إنَّ الرَّجل ليهجر. أو: أنَّ الرَّجل غلبه الوجع. وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم قلّبوا ذلك التاريخ الصَّحيح إلى هذا المفتعل وراء أمر دبّر بليل.

قال ابن أبي الحديد في شرح «نهج البلاغة» ج٣ص ١٧: وضعوه في مقابلة الحديث المرويِّ عنه في مرضه: ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبداً فاختلفوا عنده وقال قوم منهم: لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله.

قال الأميني:

لا تخلو هذه الاستعاذة(١) إمّا أن تكون في حيِّز الإخبار عن عدم الاختلاف أو في مقام النهي عنه. وعلى الأوّل يلزم منه الكذب لوقوع الاختلاف ـ وأيّ اختلاف ـ بالضرورة من أمير المؤمنين وبني هاشم ومن التفَّ بهم من صدور الصَّحابة ومن سيِّد الخزرج سعد بن عبادة وبقيَّة الأنصار، وأن أخضعت الظروف والأحوال أُولئك المتخلّفين عن البيعة للخلافة المنتخبة بعد بُرهة، فقد كان في القلوب ما فيها إلى آخر أعمارهم، وفي قلوب شيعتهم وأتباعهم إلى يوم لقاء الله، وكان لأمير المؤمنين عليه السّلام وآله وشيعته في كلّ فجوة من الوقت وفرصة من الزَّمن نبرات وتنهدات يُنبىء فيها عن الحقِّ

(١) في قوله (صلّى الله عليه وآله): معاذ الله أن يختلف المؤمنون.

المغتصب والخليفة المهتضم.

وعلى الثاني يلزم تفسيق أُمّة كبيرة من أعيان الصّحابة لمخالفتهم نهي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بما شجر بينهم وبين القوم من الخلاف المستعاذ منه بالله في أمر الخلافة، وهذا يلتئم مع حكمهم بعدالة الصّحابة أجمعين إلّا أن يخصّوها بغير أمير المؤمنين ومن انضوى إليه، وكلّ هذا يؤدي إلى بطلان الرواية.

وهلمّ معي إلى امّ المؤمنين الراوية لها نسائلها عن أنّها لِمَ لم تنبس يوم التنازع عمّا روته ببنت شفة، فتجابه من يُنازع أباها بنصّ الرّسول الأمين وأخرت البيان عن وقت الحاجة؟ ولعلّها تجيب بأنّها لم تسمع قطّ من بعلها الكريم شيئاً ممّا أُلصق بها، لكن رواة السوء بعد وفاتها لم ترع لها كرامة فصعّدت وصوّبت، وشاهد هذا الجواب ما سيوافيك عنها بطريق صحيح ما ينافي الاستخلاف.

١٥ ـ عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: أئمّة الخلافة من بعدي أبو بكر وعمر. الحديث.

ذكره الذهبي في ميزانه ج٢ص ٢٢٧ وقال: خبرٌ باطلٌ، المتّهم بوضعه عليّ ـ بن صلح الأنماطي ـ فإنّ الرُّواة ثقات سواه.

قال الأميني:

من المأسوف عليه أنّ الدهشة بالقلاقل بعد وفاة النبيّ ﷺ أنست عائشة هذه الرِّواية يوم كان يستفيد بها أبوها ويسلم من مغبّة الاختيار في أمر الخلافة بالإسناد إلى النصّ الصّريح. أو خشيت حين ذلك إن فاهت أن يقال: حلبت حلباً لها شطرها، فأرجئتها إلى أن سبق السيف العذل، والصّحيح: أنّها أرجئت روايتها إلى أن لفظت نَفَسها الأخير، وسيوافيك عنها خلاف هذه الرِّواية من طريق صحيح.

١٦ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصدِّيق لا يلبث بعدي إلّا قليلاً. وصاحب رحا دارة العرب يعيش حميداً ويقتل شهيداً عمر. وأنت يا عثمان سيسألك الناس أن تخلع قميصاً كساك الله عزّ وجل

إيّاه، والذي نفسي بيده لئن خلعته لا تدخل الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط.

أخرجه البيهقي كما في تاريخ ابن كثير ج٦ص ٢٠٦ بإسناده وفيه عبدالله بن صالح الكذّاب، وربيعة بن سيف قال البخاري: عنده مناكير. وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج٢ص ٤٨ من طريق يحيى بن معين وقال: أنا أتعجّب من يحيى مع جلالته ونقده كيف يروي مثل هذا الباطل ويسكت عنه؟ وربيعة صاحب مناكير وعجائب.

١٧ ـ عن ابن عبّاس في قوله تعالى: وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً. قال: أسرَّ إلى حفصة: أنّ أبا بكر وليُّ الأمر من بعده، وأنّ عمر واليه من بعد أبي بكر، فأخبرت بذلك عائشة. رواه البلاذري في تاريخه.

وفي «نزهة المجالس» ج٢ص ١٩٢: قال ابن عبّاس رضي الله عنهما، والله إنَّ إمارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً قال لحفصة: أبوك وأبو عائشة أولياء الناس بعدي فإيّاك أن تخبري به أحداً.

وأخرج الذهبي عن عائشة: وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً. قالت: أسرَّ إليها: أنّ أبا بكر خليفتي من بعدي. عدّه الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج١ص ٢٩٤ من أباطيل خالد بن إسماعيل المخزومي الكذّاب.

١٨ ـ عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت إذا جاء نصر الله والفتح جاء العبّاس إلى عليٍّ فقال: قم بنا إلى رسول الله ﷺ فصارا إلى رسول الله فسألاه عن ذلك فقال: يا عبّاس! يا عمّ رسول الله! إنّ الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له تفلحوا وأطيعوا ترشدوا، قال العبّاس: فأطاعوه والله فرشدوا.

وفي لفظ آخر: يا عمّ! إنّ الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فأطيعوه بعدي تهتدوا واقتدوا به ترشدوا. قال ابن عبّاس: ففعلوا فرشدوا.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج١١ص ٢٩٤ ـ من دون أيِّ غمز في سنده ومتنه ـ من طريق عمر بن إبراهيم بن خالد الكذّاب، غير أنّ السيوطي حكى عنه «في اللئالي» ج١ ص٢ ١٥٢ إردافه بقوله: عمر كذّابٌ. وهذا لا يوجد

في المطبوع من تاريخ بغداد فكأنَّ يد الطبع الأمينة حرَّفته خدمةً للبدء، وعمر هو ابن إبراهيم القرشي الكردي الكذّاب الوضّاع. وقال الذهبي في ميزانه ج٢ص ٢٤٩ : هذا الحديث ليس بصحيح.

قال الأميني:

أسفي إن كان العبّاس قد سمع من رسول الله ﷺ هذا النصَّ الصريح، وكان ابنه يجد خلافة الشيخين في الكتاب العزيز، ويخبر به النّاس مشفعاً بالحلف بالله، وأُمر بالطاعة والاقتداء بهما فلماذا خالف ذلك كلّه؟ ولماذا تخلّف عن بيعة أبي بكر؟[1] وما الذي حداه إلى أن يأتي أمير المؤمنين عليه السّلام يوم توفي النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في ضحاه فيقول له: إذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أُمر به فأوصى بنا. ويقول عليٌّ عليه السّلام: والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً، والله لا أسألها رسول الله أبداً، فتوفّي رسول الله حين اشتدَّ الضّحى من ذلك اليوم[2].

وفي لفظ آخر: فانطلق بنا إليه فنسأله مَن يستخلف؟ فإن استخلف مِنّا فذاك وإلاّ فأوصى بنا فحفظنا من بعده. الحديث.

وما دعاه إلى أن يقول لعليٍّ لمّا قُبِضَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أبسط يدك أُبايعك فيُقال عمُّ رسول الله بايع ابن عمِّ رسول الله ويبايعك أهل بيتك، فإنَّ هذا الأمر إذا كان لم يُقل[3] فيقول عليٌّ كرَّم الله وجهه: ومَن يطلب هذا الأمر غيرنا[4]؟.

وفي لفظ ابن سعد في طبقاته: قال عليٌّ: يا عمّ! وهل هذا الأمر إلاّ إليك؟ وهل مِن أحد ينازعكم في هذا الأمر؟.

---

(١) العقد الفريد ٢ ص ٢٥٠. الرياض النضرة ١ ص ١٦٧، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ص ٧٦٦، تاريخ الطبري ٣ ص ١٩٤، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٣، الإمامة والسياسة ١ ص ٥، سنن البيهقي ٨ ص ١٤٩ نقلاً عن صحيح البخاري، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٥١.

(٣) من الإقالة لا من القول.

(٤) الإمامة والسياسة ١ ص ٥.

وما باله يُلاقي أبا بكر فيسأله هل أوصاك رسول الله بشيءٍ؟ فيقول: لا. أو يُلاقي عمر ويسأله مثل ذلك فيسمع: لا. ثمَّ بعد أخذ الاعتراف مِن الرّجلين على عدم الاستخلاف يقول لعليٍّ: أبسط يدك أُبايعك ويبايعك أهل بيتك(١).

أو يقول: يا عليٌّ! قُمْ حتّى أُبايعك ومَن حضر فإنَّ هذا الأمر إذا كان لم يُردّ مثله والأمر في أيدينا، فقال علي: وأحدٌ يطمع فيه غيرنا؟ قال العبّاس: أظنُّ والله سيكون(٢).

وما حداه إلى كلامه لعليٍّ يوم استخلف عثمان؟: إنّي ما قدَّمتك قطّ إلّا تأخّرت، قلتُ لك: هذا الموت بيِّنٌ في وجه رسول الله فتعال نسأله عن هذا الأمر فقلتَ: أتخوُّفُ أن لا يكون فينا فلا نُستخلف أبداً. ثمَّ مات وأنت المنظور إليه فقلتُ: تعال أُبايعك فلا يختلف عليك فأبيتَ. ثمَّ مات عمر فقلتُ لك: قد أطلق الله يديك فليس لأحد عليك تبعةٌ فلا تدخل في الشورى عسى ذلك أن يكون خيراً(٣).

صورة اخرى

قال العبّاس: لم أدفعك في شيءٍ إلّا رجعت إليّ متأخِّراً بما أكره، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ﷺ في هذا الأمر فأبيت، وأشرتُ عليك بعد وفاة رسول الله ﷺ أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرتُ عليك حين سمّاك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت، فاحفظ عنّي واحدة كلّما عرض عليك القوم فأمسك إلى أن يُولّوك واحذر هذا الرّهط فإنَّهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتّى يقوم لنا فيه غيرنا. العقد الفريد ج٢ص ٢٥٧.

١٩ - عن أبي هريرة قال: بينما جبريل مع النبيِّ ﷺ إذ مرَّ أبو بكر فقال: هذا أبو بكر. قال: أتعرفه يا جبريل؟ قال: نعم إنّه لفي السَّماء أشهر منه في

(١) الإمامة والسياسة ١ ص ٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٦٧.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٢٣.

الأرض، فإنَّ الملائكة لتسمِّيه حليم قريش، وإنّه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك.

أخرجه ابن حبّان من طريق إسماعيل بن محمّد بن يوسف وقال: إسماعيل يسرق الحديث لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن طاهر: كذّابٌ. ورواه أبو العبّاس اليشكري في فوائده اليشكريّات كما في «اللئالي» ج١ص ١٥٢ من طريق أحمد بن الحسن بن أبان المصري وهو ذلك الكذّاب الدجّال الوضّاع.

٢٠ ـ أخرج ابن عساكر عن أبي بكرة قال: أتيت عمر رضي الله عنه وبين يديه قومٌ يأكلون فرمى ببصره في مؤخر القوم إلى رجلٍ فقال: ما تجد فيما تقرأ قبلك من الكتب قال: خليفة النبيِّ ﷺ صدِّيقه. ذكره السيوطي في «الخصائص الكبرى» ج١ص ٣٠ عند إثبات ذكر أبي بكر في كتب الأُمم السّالفة.

هذه الرِّواية لم نقف لها على إسناد وحسبها من الوهن إرسالها فيما نجد، ولم نعرف الكتابيَّ الذي كان في مؤخرِ القوم حتّى ننظر في مبلغه من الدين والثقة، وبعد فرض ثبوتها فهي إنّما تدلّ على ما يحاوله عمر بعد أن يخصم المجادل في ثبوت هذا الاستخلاف وهذا اللقب من النبيِّ ﷺ لأبي بكر، وعدم مشاركة غيره له فيهما، والأوَّل محلّ نظر عند من لا يرى أبا بكر أوّل الخلفاء، وتلقيب النّاس له بهما لا ينهض لإثبات تطبيق ما في الكتب السّالفة عليه فإنّه يدور مدار الواقع لا تلقيب النّاس. وأمّا الثاني: فقد ثبت في الصحيح المتواتر قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّي مخلّفٌ فيكم خليفتين. وليس أبو بكر أحدهما، وصحّ قوله لعليٍّ عليه السّلام: أنت أخي ووصيِّي وخليفتي من بعدي[1] فعليّ عليه السّلام خليفة أخيه النبيِّ الأقدس من يومه الأوّل وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى.

كما مرَّ أنَّ مولانا أمير المؤمنين لقَّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصدِّيق. وهو صدِّيق هذه الأُمّة. وهو أحد الصدِّيقين الثلاثة. وهو الصدِّيق

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا ٢٧٨ ـ ٢٨٦.

الأكبر. راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب ٣١٢ ـ ٣١٤ وتجد هناك بسند صحيح رجاله ثقاتٌ عند الحفّاظ تكذيب أمير المؤمنين كلّ من يدّعي هذا اللقب غيره، إذن فلا شاهد في الرِّواية على أنَّ المراد بالصدِّيق والخليفة مَن حاولوه.

٢١ ـ قال محمَّد بن الزبير أرسلني عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء فجئته فقلت له: اشفني فيما اختلف فيه النّاس هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فاستوى الحسن قاعداً فقال: أوَ في شكّ هو؟ لا أباً لك، إي والله الّذي لا إله إلاّ هو لقد استخلفه، ولهو كان أعلم بالله وأتقى له وأشدّ له مخافةً من أن يموت عليها لو لم يؤمِّره.

أخرجه ابن قتيبة في «الإمامة والسّياسة» ص ٤ وفي آخره: وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثّب عليهم لو لم يأمره. وذكره ابن حجر في الصّواعق ص ١٥.

أُنظر إلى هذا المتقشِّف المتزهِّد الجامد كيف يحلف كذباً بالله تعالى على ما لا تعترف به الأُمّة جمعاء حتّى نفس أبي بكر وعمر وسيوافيك الصِّحاح الناصّة من طريق القوم على عدم الاستخلاف من النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أمير المؤمنين عليّ وأبي بكر وعمر وعائشة، وسيوافيك في هذا الجزء والجزء السابع ما جاء في الصَّحيح الثابت من قول أبي بكر في مرضه الذي توفِّي فيه: وددت أنّي كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحدٌ، ووددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيبٌ؟ فقول الرَّجل داءٌ فيما اختلف فيه النّاس لا شفاء كما حسبه السائل.

٢٢ ـ أخرج ابن حبّان عن سفينة لَمّا بنى رسول الله ﷺ المسجد[١] وضع في البناء حجراً وقال لأبي بكر: ضع حجرك إلى جنب حجري. ثمَّ قال لعمر: ضع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر. ثمَّ قال لعثمان: ضع حجرك إلى جنب حجر عمر. ثمَّ قال: هؤلاء الخلفاء بعدي.

ذكره ابن حجر في «الصَّواعق» ص ١٤ وقال: قال أبو زرعة: إسناده لابأس به، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك»[٢] وصحّحه البيهقي في

(١) في تاريخ ابن كثير ٦ ص ٢٠٤: مسجد المدينة.

(٢) أخرجه في الجزء الثالث ص ١٣ ولفظ ذيله: هؤلاء ولاة الأمر بعدي.

الدلائل، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ج٦ص٢٠٤ .

ليت ابن حجر ذكر سند الرِّواية ولم يرسله حتّى تأتّى للقارىء وقوفه على بطلانه وبطلان الحكم بصحّته، وقد أخرجوه من طريق نعيم بن حمّاد المذكور في سلسلة الكذّابين وحسبه منقصة ومغمزة. ثمَّ ليت مصحّح هذه الرِّواية كان يعرف أنَّ صحّة هذا النصِّ على الخلافة تُضعضع حجر مبدئه الأساسيِّ، وتبطل ما ذهب إليه هو وقومه من الخلافة الانتخابيّة، وتضادُّ ما صحّحوه عن أبي بكر وعمر وعليّ وعائشة ووو ـ كما يأتي ـ من أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مات ولم يستخلف. وقد أبطله الذهبي بما ذكر عند ما أخرجه الحاكم من طريق عائشة كما مرَّ في ص ٤٠٦ .

٢٣ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: اقتدوا باللذين من بعدي: أبـو بكر وعمر.

أخرجه العقيلي من طريق مالك وقال: هذا حديثٌ منكرٌ لا أصل لـه. وأخرجه الدارقطني من رواية أحمد الخليلي الضميري بسنده ثمَّ قال: لا يثبت والعمري ـ يعني محمّد بن عبدالله حفيد عمر بن الخطاب راوي الحديث ـ ضعيفٌ. وقال ابن حبّان: لا يجوز الاحتجاج به، وقال الدارقطني: العمري يحدِّث عن مالك بأباطيل. لم ج٥ص ٢٣٧ .

٢٤ ـ روى الحسن بن صالح القيسراني عن إسحاق بن محمّد الأنصاري أنّه قال: سألت يموت بن المزرع بن يموت فقلت: يا أستاذ! كيف لم يستخلف رسول الله ﷺ عليّاً واستخلف أبا بكر؟ فقال: سألت الجاحظ عن هذا فقال: سألت إبراهيم النظام عن هذا فقال: قال الله عزَّ وجلَّ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**﴾. الآية. وكان جبريل ينزل على النبيِّ ﷺ يحدِّثه بعد الوحي كما يحدِّث الرَّجل الرَّجل فقال: يا جبريل من هؤلاء الذين يستخلفهم الله في الأرض؟ فقال جبريل: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، ولم يكن بقي من عمر أبي بكر إلّا سنتين فلو استخلف عليّاً لم يلحق أبو بكر وعمر وعثمان من الخلافة شيئاً ولكنَّ الله رتّبهم لعلمه بما بقي من أعمارهم حتى تمّ ما وعدهم الله تبارك وتعالى به.

أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج٤ص ١٨٦ . وليت شعر شاعر أنّـه إن كان جبرئيل فسّر الآية الكريمة بما فسّر، ووعاه النبيُّ الأعظم، وبلّغ الأمّـة به لتوفّر الدّواعي للبيان ليعـرف كلّ أحـد رشده وهـداه، وكانت الحـاجة مـاسّة بالمبادرة إلى ذلك، فكيف خفي ذلك على الأُمّـة جمعاء؟ لا سيّما على أمير المؤمنين وأبي بكر وعمر وابن عبّاس حبر الأُمّـة وعائشة، فلا احتجَّ به أحدٌ ولا أسند إليه عند الحوار في أمر الخلافة، وما مقيل هذه الجلبة والضوضـاء في تعيين الخليفـة؟ هل المعيَّن لـه النصُّ أو إجماع الامّـة؟ ولم يقـل بالأوَّل إلّا الشيعة، وأمّـا الذين خُلقت هذه الرِّواية لهم فلا يقيمون للنصِّ وزناً ولا يدَّعون وجوده في كتاب أو سنّة ويقول عمر: إن لم أُستخلف فلم يستخلف من هو خيرٌ مني.

وإن كان الأمر كما يرتئيه ـ النظام ـ فما حال المتخلّفين عن البيعة عندئذٍ؟ هل هم محكومون بالعدالة كما يعتقدها أهل السنّة في الصَّحابة أجمع؟ أو أنّـه يُستثنى منهم قتلة عثمان كما عند ابن حزم؟ فهل يستصحب فيهم هذا الحكم؟ أو...... وفيهم من نزل بعصمتهم الكتاب الكريم؟ وفيهم وجوه الصَّحابة وأعيانها. أو أنّـهم متأوِّلون مجتهدون قبال هذا النصِّ الصّريح؟ وكم له من نظير في الصَّحابة.

هذا مع غضِّ الطرف عمّا جاء في بعض رجال هذا السند من القذائف والطامّات وفي مقدَّمهم النظام قال ابن قتيبة: كان شاطراً من الشطّار مشهوراً بالفسق. وقال الذهبي: متّهمٌ بالزندقة ـ لم ج١ص ٦٧ ـ وبعده تلميذه الجاحظ مرّ في سلسلة الكذّابين ص ٣٠٤ ، وبعده هلمّ جرّاً.

٢٥ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه ـ حفيد عمرو بن العاص ـ قال: لمّا اشتبكت الحرب يوم خيبر قيل للنبيِّ ﷺ: هذه الحرب قد اشتبكت فأخبرنا بأكرم أصحابك عليك؟ فإن يكن أمرٌ عـرفناه وإن تكن الأُخـرى أتيناه فقال: أبو بكر وزيري يقوم في النّاس مُقامي من بعدي. وعمر ينطق بالحقِّ على لساني، وأنا من عثمان وعثمان منّي وعليٌّ أخي وصاحبي يوم القيامة.

ذكـره الذهبي من طـريق العقيلي وقال: المُتَّهم بـوضـع هـذا الشيـخ

الجاهل - يعني سليمان بن شعيب بن الليث المصري.

وأخرجه الخطيب في تاريخه ج١٣ص ١٦١ بلفظ: لمّا اشتبكت الحرب يوم حنين دخل جندب بن عبدالله على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ هذه الحرب قد اشتبكت ولسنا ندري ما يكون، أفلا تخبرنا بأخير أصحابك وأحبّهم إليك؟ فقال رسول الله ﷺ: هي ياهيه لله أبوك أنت القائد لها بأزمّتها، هذا أبو بكر الصدّيق يقوم في الناس من بعدي. وهذا عمر بن الخطاب حبيبي ينطق بالحقّ على لساني. وهذا عثمان بن عفّان هو منّي وأنا منه. وهذا عليٌّ بن أبي طالب أخي وصاحبي حتّى تقوم القيامة. رجال سنده:

١ - عليٌّ بن حمّاد بن السكن. قال الدارقطني: متروك الحديث.

٢ - مجاعة بن ثابت. كذّابٌ. راجع سلسلة الكذّابين.

٣ - ابن لهيعة. قال يحيى: ليس بالقويِّ. وقال مسلم: تركه وكيع ويحيى القطّان وابن مهدي.

٤ - عمرو بن شعيب. قال أبو داود: عمرو عن أبيه عن جدّه ليس بحجّة.

ولعلَّ الخطيب سكت عن إبطال مثل هذه الرِّواية ثقةً بأنَّ بطلانها سنداً ومتناً لا يخفى على أيِّ أحد.

٢٦ - عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: يا عثمان إنَّك ستلي الخلافة من بعدي، وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها، وصُمْ ذلك اليوم تفطر عندي.

ذكره الذهبي في ميزانه ج١ص ٣٠٠ من طريق خالد بن محمّد أبي الرحّال البصري الأنصاري وقال: عنده عجائب، وقال ابن حبّان: لا يجوز الاحتجاج به. وفي لم ج٦ص٧٩٤ قال أبو حاتم: ليس بالقويِّ.

٢٧ - عن أبي هريرة في حديث: قال رسول الله ﷺ: يا حفصة ألا أُبشِّرك؟ قالت: بلى. قال: يلي الأمر من بعدي أبو بكر ثمَّ أبوك اكتمي عليَّ. فخرجت حتّى دخلت على عائشة فقالت لها: ألا أبشرك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: بماذا؟ فذكرت لها وقالت: قد استكتمني فاكتميه فأنزل الله تعالى: يا أيّها النبيُّ

لِمَ تُحرِّم ما أحلَّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك. الآيات. أخرجه الماوردي في «أعلام النبوَّة» ص ٨١ مرسلاً.

وأخرجه العقيلي من طريق موسى بن جعفر الأنصاري فقال: مجهول بالنقل لا يُتابع على حديثه ولا يصحّ. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة موسى وقال: لا يُعرف وخبره ساقطٌ. ثمَّ قال بعد ذكر الحديث: قلت هذا باطلٌ. «لم ج٦ص ١١٣».

ومتن الحديث أفسد من سنده لأنَّ الولاية المذكورة ان كانت شرعيَّة فإنَّ من واجبه صلّى الله عليه وآله وسلّم إفشاءها ليُعرِّف الناس طريق الحقّ وصاحب الولاية المفترض طاعته فيسعدوا بذلك لاكتمانها فيبقوا حيارى لا يدرون عمَّن يأخذون معالم دينهم فيتشبّثون في تشخيصه بالطحلب من خيرة مبتورة، وإجماع مخدج.

وإن كانت غير مشروعة فكان من واجبه صلّى الله عليه وآله وسلّم نهيهما عن ارتكابها، أو أمر حفصة بأن تنهي إليهما أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم إيّاهما بالتجنّب عن ورطة الهلكة ـ لا الستر والأمر بالكتمان ـ حتّى لا يقعا فيها من حيث لا يشعران، بل كان من حقِّ المقام أن يُعرِّف الملأ الدينيَّ بذلك ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حيَّ عن بيِّنة.

وعليه فإن صحَّ الحديث فليس هو إلّا إخباراً منه صلّى الله عليه وآله وسلّم بقضيَّة خارجيَّة، وإن كان وقوعها قهراً، ولا ينافيه لفظ البشرى لكونه إخباراً بما تهشّ إليه نفس حفصة من تقلّد أبيها زعامة الأُمَّة، فجرى الكلام مجرى رغباتها ولذلك لم تُبد به حفصة عند مسيس حاجة الامّة إلى نصٍّ مثله ـ إن كان الحديث نصّاً ـ عند محتدم الحوار بينها، وإنّما أمرها بالكتمان كان لمصالح لا تخفى على الباحث.

٢٨ ـ عن جعفر بن محمّد [الإمام الصّادق] عن أبيه عن جدِّه قال: توفّيت فاطمة ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة فقال أبو بكر لعليٍّ. تقدَّم فصلِّ. قال: لا والله لا تقدَّمت وأنت خليفة رسول الله ﷺ فتقدَّم أبو بكر فصلّى أربعاً.

عدَّه الذهبي من مصائب أتى بها عبدالله بن محمّد القدامي المصيصي

عن مالك. وقال ابن عدي: عامّة حديثه غير محفوظة. وقال ابن حبّان: يُقلّب الأخبار لعلّه قلّب على مالك أكثر من مائة وخمسين حديثاً. وقال الحاكم والنقّاش: روى عن مالك أحاديث موضوعة. وقال السمعاني في «الأنساب»: كان يقلّب الأخبار لا يُحتجُّ به «م ج٢ص ٧٠، لم ج٣ص ٣٣٤».

هذه الأكذوبة على الإمام الطاهر الصّادق عليه السّلام تُخالف ما في التاريخ الصَّحيح عن عائشة قالت: دُفنت فاطمة بنت رسول الله ليلاً دفنها عليٌّ ولم يشعر بها أبو بكر رضي الله عنه حتّى دُفنت وصلّى عليها عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ك ج٣ص ١٦٣، صحّحه الحاكم وأقرَّه الذهبي. وقال الحلبي في السيرة النبويَّة ج٣ص ٣٦٠: قال الواقدي: ثبت عندنا أنَّ عليّاً كرَّم الله وجهه دفنها ليلاً وصلّى عليها ومعه العبّاس والفضل ولم يُعلموا بها أحداً.

٢٩ - عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: ما قدَّمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدَّمهما ومنَّ بهما عليَّ فأطيعوهما واقتدوا بذكرهما، ومن أرادهما بسوءٍ فإنّما يريدني والإسلام. أخرجه ابن النجّار كما في «كنز العمّال» ج٦ص ١٤٤.

كيف خفي على معظم الأصحاب ورجالات بيت الوحي وفي مقدَّمهم سيِّدهم أمير المؤمنين أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قدَّم الشيخين على عليّ عليه السّلام وغيره في الخلافة مهما قدَّمهما الله تعالى؟ فتخلّفوا عن بيعة من قدَّمه الله ورسوله وما أطاعوه وما قدَّموه.

ولِماذا حيل بينه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبين ما رام أن يكتبه يوم الخميس قبل وفاته بخمسة أيّام في متولّي الخلافة بعد ما كان نصَّ عليه قبل ذلك اليوم؟ وما كان يكتب إلّا من قدَّمه الله تعالى ونصَّ عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم قبلُ.

ولِماذا لم يكن يوم السقيفة ذكرٌ عند أيِّ أحد من ذلك التقديم المفتعل على الله وعلى رسوله؟ وما بال أبي بكر كان يقدِّم أبا عبيدة الجرّاح يوم ذلك وكان يحثُّ الناس على بيعته وبيعة عمر كما ورد في الصَّحيح؟! فكأنَّ في أُذن

الأُمَّة وقراً من سماع ذلك التقديم حتى انَّ أُذن أنس لم تسمع به قطُّ.

٣٠ - عن ابن عمر وأبي هريرة قالا: ابتاع رسول الله ﷺ من أعرابيّ قلائص إلى أجل فقال: أرأيت إن أتى عليك أمر الله؟ قال: أبو بكر يقضي ديني وينجز موعدي. قال: فإن قُبض؟ قال عمر يحذوه ويقوم مقامه لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: فإن أتى على عمر أجله؟ قال: فإن استطعت أن تموت فمت.

من موضوعات خالد بن عمرو القرشي على الليث ذكره الذهبي في ميزانه ج١ ص ٢٩٨ وحكى عن ابن عدي أنّه قال بعد ذكر هذا الحديث وأحاديث اخرى: عندي أنّه - خالد بن عمرو - وضع هذه الأحاديث، فإنَّ نسخة الليث عن يزيد بن أبي حبيب عندي ما فيها من هذا شيءٌ.

وذكره ابن درويش الحوت البيروتي في «أسنى المطالب» ص ٢٤٩ بلفظ: قدم رجلٌ من أهل البادية بإبل فاشتراها ﷺ ثمَّ لقي الرَّجل عليّاً فقال: ما أقدمك؟ فأخبره أنَّه قدم بإبل وباعها من رسول الله ﷺ فقال عليٌّ: هل نقدك؟ فقال: لا، لكن بعتها بتأخير. قال: ارجع إليه فقل له: إن حدث بك حادثٌ فمن يقضي عنك؟[1] فقال: أبو بكر. قال: فإن حدث بأبي بكر؟ فقال: عمر. فقال: فإن مات عمر فمن يقضي؟ فقال: ويحك إن مات عمر فإن استطعت أن تموت فمت.

قال ابن درويش: فيه الفضل بن المختار ضعيفٌ جدّاً وأنَّه واهٍ لا يعوَّل عليه، وفي م ج ٤ ص ٤٤٩ قال أبو حاتم: أحاديثه منكرةٌ يحدِّث بالأباطيل. وقال الأزدي: منكر الحديث جدّاً. وقال ابن عدي: عامَّة أحاديثه منكرةٌ، عامَّتها لا يُتابع عليها.

٣١ - عن أنس مرفوعاً: أبو بكر وزيري وخليفتي.

أخرجه الذهبي في «الميزان» ج١ ص ٤١ من طريق أحمد بن جعفر بن الفضل وقال: مشهورٌ بالوضع ليس بشيء.

---

(١) هنا سقط معلوم لا يخفى.

٣٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: قال لرجل: إنطلق فقل لأبي بكر: أنت خليفتي فصلّ بالنّاس. أخرجه العقيلي من طريق الفضل بن جبير عن خلف عن علقمة بن مرثد عن أبيه فقال: الفضل لا يُتابع على حديثه. ولا يُعرف لمرثد ـ والد علقمة ـ رواية. لم ج٤ ص ٤٣٨.

٣٣ ـ عن ابن عبّاس: قال جاءت امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ تسأله شيئاً فقال لها: تعودين فقالت: يا رسول الله! إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت؟ فقال: إن جئت فلم تجديني فائتي أبا بكر فإنّه الخليفة من بعدي.

أخرجه ابن عساكر وعدّه ابن حجر في «الصّواعق» ص ١١ من النصوص الدالّة على خلافة أبي بكر. ما عساني أن أقول في مؤلّف يحذف إسناد مثل هذه الأفيكة ويذكرها إرسال المسلّم ويسند إليها وبين يديه أحاديث ابن عبّاس الجمّة الهاتفة بالخلافة المنصوصة عليها لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام؟ أليس من حديثه ما صحّحه الحفّاظ وأخرجوه بأسانيد رجالها ثقات وقد أسلفناه في الجزء الأوّل ص ٥١ وفيه قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي؟.

أليس من حديثه حديث العشيرة المنصوص على صحّته وقد مرّ في الجزء الثاني. ص ٣٢٣ ـ ٣٣٣ وفيه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنَّ هذا ـ يعني عليّاً ـ أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا؟ وقوله لعليٍّ عليه السّلام: فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي؟

ألم يكن ابن عبّاس في مقدَّم المتخلّفين عن بيعة أبي بكر؟ ألم يكن هو مناظر عمر الوحيد حول الخلافة؟ كما مرَّ حديثه في ج ١ ص ٤٤٧ ألم؟ ألم؟ ألم؟

٣٤ ـ عن عبدالله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: تكون على هذه الأُمَّة اثنا عشر خليفة: أبو بكر الصدِّيق أصبتم اسمه. عمر الفاروق قرنٌ من حديد أصبتم اسمه. عثمان بن عفّان ذو النورين قُتل مظلوماً أوتي كفلين من الرَّحمة ملك

الأرض المقدَّسة[١]. معاوية. وابنه. ثمَّ يكون السفّاح. ومنصور. وجابر. والأمين. وسلام. وأمير العصب، لا يُرى مثله، ولا يُدرى مثله. الحديث.

أخرجه نعيم بن حمّاد في «الفتن» كما في «كنز العمّال» ج٦ ص ٦٧، أرسلوا الحديث ورفعوه خوفاً من أن يقف الباحث على ما في إسناده غير أنَّ نعيم بن حمّاد بمفرده يكفي في المصيبة ويستغنى به عن عرفان بقيَّة رجاله، وقد مرَّ في سلسلة الكذّابين أنّه كان يضع الحديث في تقوية السنّة.

على أنَّ متن الحديث غير قاصر بالشهادة على وضعه، فإنَّ خليفةً يأتي التبشير به كابني آكلة الأكباد حقيقٌ أن يكون الإنباء به مختلقاً مكذوباً لم تسرّ به الأُمَّة قطُّ إلّا أن يكون المبشّر بهما وبمن بعدهما من أمثالهما غير عالم بمعنى الخليفة ولا عارف بالمغزى من تقييضه.

ثمّ أيّ خلافة هذه ينقطع أمدها منذ عهد يزيد بن معاوية إلى السفّاح من سنة ٦٤ إلى ١٣٢ فتترك الأُمّة طيلة تلك المدَّة سُدى؟!.

وأيّ خطر للمنصور الظالم الغاشم حتّى ينصَّ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على خلافته على المسلمين؟ ومن هم: جابر وسالم وأمير العصب؟ وما محلّهم من الخلافة الدينيَّة؟

ثمّ ما بال عمر بن عبدالعزيز ألين بني أميَّة أريكة، وأطيبهم عنصراً، وأصلحهم عملاً، لم يُعوَّض به عن يزيد الخنا؟ وما الذي كسى صاحب القرود والفهود والعود والخمور ثوب الخلافة الإسلاميَّة ولم يكسه عمر بن عبدالعزيز؟ ولا معاوية بن يزيد الذي تقمّصها أربعين يوماً ثمّ انسلَّ عنه انسلالاً؟ وقد نصَّ على خلافة الأوّل منهما وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين غير واحد من الأئمّة كما في تاريخ ابن كثير ج٦ ص ١٩٨، هذه كلّها شواهد على أنَّ واضع الحديث مفترٍ مائنٌ جاهلٌ بشؤون الخلافة، غير عارف بالخلفاء، وأجهل منه مؤلّف يذكره ويجعله بين يدي القارىء ويعدُّه منقبةً للخلفاء.

---

(١) في المقام سقط كما لا يخفى.

٣٥ ـ قال أبو بكر في الغار: يا رسول الله! قد عرفت منزلتك من الله تعالى بالنبوَّة والرِّسالة فأنا بأيّ شيء؟ فقال: أنا رسول الله، وأنت صدِّيقي وجناحي ومؤنسي وأنيسي، وأنت خليفتي من بعدي، تقوم في الناس مقامي، وأنت ضجيعي، وإنَّ الله قد غفر لك ولمحبِّيك إلى يوم القيامة.

ذكره الصفوري في «نزهة المجالس» ج٢ ص ١٨٤ نقلاً عن «عيون المجالس» بهذه الصّورة المرسلة، وصحّة إنكار أبي بكر وعمر استخلاف النبيِّ ﷺ كما يأتي بُعيد هذا تُكذِّب هذه الأفيكة.

٣٦ ـ عن أنس قال: دخلت على النبيِّ ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فوضع يمينه على كتفي أبي بكر ويساره على كتفي عمر وقال: أنتما وزيراي في الدنيا وأنتما وزيراي في الآخرة، وهكذا تنشقُّ الأرض عنّي وعنكما، وهكذا أزور أنا وأنتما ربَّ العالمين. نزهة المجالس ج٢ ص ١٩١.

أسفي على نسيان أبي بكر وعمر ذلك النصّ ـ المفتعل ـ وإنكارهما الوزارة المنصوصة يوم التحاور دونها.

٣٧ ـ مرفوعاً قال ﷺ لأبي بكر وعمر: لا يتأمرنَّ عليكما بعدي أحدٌ.

ذكره الصفوري في «نزهة المجالس» ج٢ ص ١٩٢ مرسلاً فقال: فهذا صريحٌ في الخلافة لهما بعده ﷺ وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٥٥ عن بسطام بن مسلم عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولم يكن عند أبي بكر وعمر علمٌ من هذه الأفيكة ولو كان لبان، أو: لَما بان منهما إنكار استخلافه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٣٨ ـ عن أنس عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: إنّ الله أمرني أن أتَّخذ أبا بكر والداً. وعمر مشيراً. وعثمان سيّداً. وأنت يا عليّ صهراً. أنتم أربعة قد أخذ الله لكم الميثاق في أُمّ الكتاب لا يحبّكم إلاّ مؤمنٌ تقيٌّ، ولا يبغضكم إلاّ منافقٌ شقيٌّ، أنتم خلفاء نبوّتي، وعقد ذمّتي، وحجّتي على أُمّتي.

أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج٤ ص ٢٨٦، وج ٢ ص ٢٨٦ والخطيب

البغدادي في تاريخه ج٩ ص ٣٤٥ وقال: هذا الحديث منكرٌ جدّاً لا أعلم مَن رواه بهذا الإسناد إلّا ضرار بن سهل وعنه الغباغبي وهما جميعاً مجهولان. وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج١ ص ٤٧٢ فقال: خبرٌ باطلٌ ولا يُدرى مَن ذا الحيوان ـ ضرار بن سهل ـ وقال ابن بدران في تاريخ ابن عساكر ج٧ ص ٢٨٦ : لفظه يدلُّ على عدم تمكّنه.

٣٩ ـ عن زيد بن الجلاس الكندي أنّـه سأل رسول الله ﷺ عن الخليفة بعده؟ فقال: أبو بكر.

أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب» في ترجمة زيد فقال: إسناده ليس بالقويِّ.

٤٠ ـ عن عليّ ـ أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه قال: لم يمتْ رسول الله ﷺ حتّى أسرَّ إليَّ أنّ أبا بكر سيتولّى بعده ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ أنا.

٤١ ـ عن عليٍّ ـ أمير المؤمنين ـ قال: إنَّ الله فتح هذه الخلافة على يدي أبي بكر وثنّاه عمر وثلّثه عثمان وختمها بي بخاتمة نبوَّة محمّد ﷺ.

٤٢ ـ عن عليٍّ ـ أمير المؤمنين ـ قال: ما خرج رسول الله ﷺ من الدُّنيا حتّى عهد إليَّ أنَّ أبا بكر يلي الأمر بعده ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ إليَّ فلا يجتمع عليَّ.

هذه الرِّوايات الثلاث أخرجها محبُّ الدين الطبري في «الرِّياض النضرة» ج١ ص ٣٣ مرسلة غير مسندة فقال: قلت: وهذا الحديث تبعد صحّته لتخلّف عليٍّ عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر، ونسبته إلى نسيان الحديث في مثل هذه المدَّة بعيدٌ، ثمَّ توقّفه في أمر عثمان على التحكيم ممّا يؤيِّد ذلك، ولو كان عهد إليه رسول الله بذلك لبادر ولم يتوقَّف.

٤٣ ـ أخرج الديلمي عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ قال: أتاني جبرئيل فقلت: مَن يهاجر معي؟ قال: أبو بكر وهو يلي أمر أُمّتك مِن بعدك، وهو أفضل أُمَّتك من بعدك، كنز العمّال ج٦ ص ١٣٩ .

٤٤ ـ قال عليٌّ رضي الله عنه: قال النبيُّ ﷺ: أعزُّ النَّاس عليَّ، وأكرمهم عندي، وأحبّهم إليَّ، وآكدهم عندي حالاً: أصحابي الذين آمنوا بي وصدَّقوني، وأعزُّ أصحابي إليَّ وخيرهم عندي، وأكرمهم على الله، وأفضلهم في الدُّنيا والآخرة: أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فإنَّ الناس كذّبوني وصدَّقني، وكفروا بي وآمَنَ بي، وأوحشوني وآنسني، وتركوني وصحبني، وأنفوا منّي وزوَّجني، وزهدوا فيَّ ورغب فيَّ، وآثرني على نفسه وأهله وماله، فالله تعالى يجازيه عنّي يوم القيامة، فمن أحبّني فليحبّه، ومن أراد كرامتي فليكرمه، ومَن أراد القرب إلى الله تعالى فليسمع وليطع فهو الخليفة بعدي على أُمَّتي. ذكره الصفوري في «نزهة المجالس» ج٢ ص ١٧٣ نقلاً عن «روض الأفكار» وحكاه الجرداني في «مصباح الظلام» ج٢ ص ٢٤.

من موضوعات المتأخّرين مرسلاً لم يوجد في أصل ولم يُر في مسندٍ، وكلُّ شطر من جمله تُكذِّبه صحاحٌ مسندةٌ في الكتب والمسانيد.

٤٥ ـ عن إبراهيم بن عبدالرَّحمن بن عوف قال: إنَّ عبدالرَّحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطّاب، وإنَّ محمَّد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثمَّ قام أبو بكر فخطب النّاس. إلى أن قال: قال عليٌّ رضي الله عنه والزُّبير: ما غضبنا إلّا لأنّا قد أُخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقَّ النَّاس بها بعد رسول الله ﷺ إنَّه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنّا لنعلم بشرفه وكبره ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصَّلاة بالنّاس وهو حيٌّ أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ٦٦.

هذه الرِّوايات كلّها باطلةٌ لِما ستقف عليه من صحاح وحسان ـ عند القوم ـ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام من النصِّ على عدم استخلاف رسول الله ﷺ وعدم وجود عهد منه عنده، وفي تضاعيف الحديث والسيرة شواهد على بطلانها لا تُحصى، وما شجر بينه عليه السّلام وبين القوم في بدء أمر الخلافة وتأخّره المجمع عليه من البيعة برهةً طويلة يُبطل كلَّ هذه الهلجات، وقد سمع العالَم هتافَ خطبته الشقشقيَّة وسارت بها الرُّكبان، وتداولتها الكتب وكم لها من نظير، وما أكثر الوضّاعون من الكذب على سيِّدنا

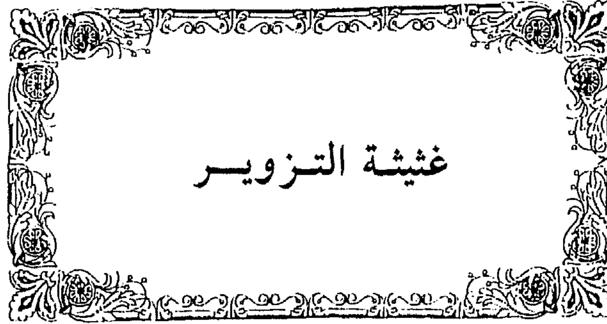
أمير المؤمنين عليه السّلام وحقّاً كان يرى ابن سيرين: إنّ عامّـة ما يُروى عن عليٍّ الكذب(١).

﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مٰا جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مٰالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاٰ وٰاقٍ﴾.

[سورة الرَّعد آية ٣٧]

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٢٧٢.



غثيثة التزوير

هذه مأثورات القوم في حجرهم الأساسيّ الذي عليه ابتنوا ما علّوه من هيكل الإفك وما شادوه وأشادوا بذكره من بنيّة الزور، وقد عرفت شهادة الأعلام، بأنّها أساطير موضوعة لا مقيل لها من الصحّة، ويساعد ذلك الاعتبار لأنّ البرهنة الوحيدة عند القوم في باب الخلافة هو الإجماع والانتخاب فحسب، ولم تجد منهم أيَّ شاذٍّ يعتمد على النصِّ فيها، وتراهم بسطوا القول حول إبطال النصِّ وتصحيح الاختيار وأحكامه، وقد يُعزى لديهم إنكار النصّ إلى أُمّة من الشيعة فضلاً عن جمهورهم، قال الباقلاني في «التمهيد» ص ١٦٥: وعلمنا بأنَّ جمهور الأُمَّة والسواد الأعظم منها ينكر ذلك ـ النصّ ـ ويجحده ويبرأ من الدائن به، ورأينا أكثر القائلين بفضل عليٍّ عليه السّلام من الزيديّة ومعتزلة البغداديّين وغيرهم ينكر النصَّ عليه ويجحده مع تفضيله عليّاً على غيره.

وقال الخضري في «المحاضرات» ص ٤٦: الأصل في انتخاب الخليفة رضا الأُمَّة فمن ذلك يستمد قوّته، هكذا رأى المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ فقد انتخبوا أبا بكر الصدّيق اختياراً منهم لا استناداً إلى نصّ أو أمر من صاحب الشريعة ﷺ، وبعد أن انتخبوه بايعوه ومعنى ذلك عاهدوه على السّمع والطاعة فيما فيه رضا الله سبحانه، كما أنّه عاهدهم على العمل فيهم بأحكام الدِّين من كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ، وهذا التعاهد المتبادل بين الخليفة والأُمَّة هو معنى البيعة تشبيهاً له بفعل البائع والمشتري فإنّهما كانا يتصافحان بالأيدي عند

إجراء عقد البيع.

فمن هذه البيعة تكون قوَّة الخليفة الحقيقيَّة وكانوا يرون الوفاء بها من ألزم ما يوجبه الدين وتحتِّمه الشّريعة.

وقد سنَّ أبو بكر رضي الله عنه طريقةً أُخرى في انتخاب الخليفة وهي أن يختار هو من يخلفه ويعاهده الجمهور على السَّمع والطاعة، وقد وافق الجمهور الإسلاميُّ على هذه الطريقة، ورأى أنَّ هذا ممّا تجب الطاعة فيه وذلك العمل هو ولاية العهد. اهـ.

فمن هنا يتجلّى أنَّ تاريخ ولادة هذه المرويّات بعد انعقاد البيعة واستقرار الخلافة لمن تقمَّصها، ولذلك لم ينبس أحدٌ منهم يوم السقيفة ولا بعده بشيءٍ من ذلك على ما احتدم هنالك من الحوار والتنازع والحجاج، وليس ببدع أن لا يعرفها أحدٌ قبل ولادتها، وإنّما العجب من أنَّ البحّاثة وعلماء الكلام من بعد ذلك التاريخ ـ إلاّ الشذّاذ منهم ـ لم يأبهوا بها في إثبات أصل الخلافة وإن لم يألوا جهداً في التصعيد والتصويب جهد مقدرتهم، وما ذلك إلاّ لأنّهم لم يعرفوا تلكم المواليد المزوَّرة، نعم يوجد من المؤلّفين من يذكرها في مقام سرد الفضائل تمويهاً على الحقِّ.

١ ـ وهناك أحاديث جمَّة صحيحة ـ عند القوم ـ تضادّها وتكذِّبها مثل ما صحَّ عن أبي بكر أنّه قال في مرضه الذي توفِّي فيه: وددت أنّي سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحدٌ، ووددت أنّي كنت سألت هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟[1]:

فلو كان أبو بكر سمع النصَّ على خلافته من رسول الله كما هو صريح بعض تلكم المنقولات لما كان مجال لتمنّيه هذا إلاّ أن يكون قد غلبه الوجع أو أنّه كان هجراً من القول كما احتملوه في حديث الكتف والدواة.

٢ ـ وما أخرجه مالك عن عائشة قالت: لمّا احتضر أبو بكر رضي الله عنه

(١) تاريخ الطبري ٤ ص ٥٣. العقد الفريد ٢ ص ٢٥٤. يأتي الكلام حول هذا الحديث وصحته في الجزء السابع.

دعا عمر فقال: إنّي مستخلفك على أصحاب رسول الله يا عمر! وكتب إلى أمراء الأجناد: ولّيت عليكم عمر ولم آل نفسي ولا المسلمين إلّا خيراً[١].

فإن كان هناك نصٌّ على خلافة عمر فما معنى نسبة أبي بكر الاستخلاف والتولية إلى نفسه؟

٣ ـ وما رواه عبدالرَّحمن بن عوف قال: دخلتُ يوماً على أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه في علّته التي مات فيها، فقلت له: أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ﷺ فقال: أما إنّي على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين، أشدّ عليّ من وجعي! إنّي ولّيتُ أموركم خيركم في نفسي، فكلّكم وَرِمَ أنفه أن يكون له الأمر من دونه. إلى أن قال: فقلتُ خفّض عليك يا خليفة رسول الله! ﷺ فإنّ هذا يهيضك[٢] إلى ما بك فوالله مازلتَ صالحاً مصلحاً، لا تأسى على شيءٍ فاتك مِن أمر الدنيا، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيتَ إلّا خيراً[٣].

تورّم أنف الصّحابة إمّا لاعترافهم بعدم النصّ وأنَّ الخيرة قد عدتهم من غير ما أولويّة في المختار ـ بالفتح ـ: أو: لاعتقادهم وجود النصّ لكنّه لم يُعمل به بل أُعملت الأثرة والمحاباة فنقموا بأنّها قد عدتهم. وإمّا لاعتقادهم أنّ الأمر لا يكون إلّا باختيار الامّة فغاضهم التخلّف عنه. وإمّا لاعتقادهم وجود النصِّ على عليٍّ أمير المؤمنين عليه السّلام خاصّة فغضبوا له وأسخطهم أن يتقدَّم عليه غيره. وإمّا لأنّهم رأوا أنَّ الناس لا يعتمدون على النصّ، ولا يجري الانتخاب على أُصوله، وأنّ الانتخاب الأوَّل كان فلتةً بنصّ من عمر، والاختيار الشخصيّ ما كان معهوداً، فإذا كان السائد وقتئذٍ الفوضويّة فلكلٍّ أحد يرى لنفسه حنكة التقدُّم أن يطمع في الأمر كما قال عبدالرَّحمن بن عوف في حديث أخرجه

---

(١) تيسير الوصول للحافظ ابن الديبع ٢ ص ٤٨.

(٢) هاض العظم: كسره بعد الجبور.

(٣) تاريخ الطبري ٤ ص ٥٢، العقد الفريد ٢ ص ٢٥٤، تهذيب الكامل ١ ص ٦، إعجاز القرآن ص ١١٦.

البلاذري في «الأنساب» ج٥ ص ٢٠: يا قوم! أراكم تتشاحّون عليها وتؤخّرون إبرام هذا الأمر، أفكلّكم رحمكم الله يرجو أن يكون خليفة؟.

٤ ـ وما أخرجه ابن قتيبة في حديث يأتي كملاً من قول أبي بكر: إنَّ الله بعث محمَّداً ﷺ نبيّاً وللمؤمنين وليّاً فمنَّ الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتّى اختار له الله ما عنده فخلّى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متّفقين لا مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً. الإمامة والسياسة ج١ ص ١٥.

٥ ـ وما صحَّ عن عمر أنَّه قال: ثلاثٌ لئن يكون رسول الله بيّنهنّ أحبُّ إليّ من حمر النعم: الخلافة. الكلالة. الرِّبا. وفي لفظ: أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها.

٦ ـ وما جاء عن عمر صحيحاً من قوله: لئن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحبّ إليَّ من حمر النعم: ومن الخليفة بعده. الحديث[١].

٧ ـ وما صحَّ عن عمر أنَّه قال: إنَّ الله تعالى يحفظ دينه وإنّي إن لا أستخلف، فإنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف، فإنَّ أبا بكر رضي الله عنه قد استخلف. قال ـ عبدالله بن عمر ـ: فوالله ما هو إلاّ أن ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمت أنَّه لا يعدل برسول الله ﷺ أحداً وأنَّه غير مستخلف[٢].

٨ ـ وما صحَّ من أنَّ عمر لمّا طُعن قيل له: لو استخلفت؟ فقال: أتحمَّل أمركم حيّاً وميتاً؟ إن أستخلف، فقد استخلف من هو خيرٌ منّي أبو بكر. وإن أترك، فقد ترك من هو خيرٌ منّي رسول الله ﷺ. قال عبدالله فعلمت أنَّه غير مستخلف[٣].

---

(١) تأتي مصادر هذا الحديث وما قبله في الجزء السادس في نوادر الأثر.

(٢) أخرجه الخمسة من مؤلفي الصحاح الست غير النسائي، تيسير الوصول ٢ ص ٥٠، وأخرجه أحمد في مسنده ١ ص ٤٧، والخطيب في تاريخه ١ ص ٢٥٨، ورواه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث.

(٣) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وهذا لفظهما، وأبو داود والترمذي مختصراً، وأحمد في مسنده ج ١ ص ٤٣، ٤٦، والبيهقي في سننه ٨ ص ١٤٨، وتجده في تيسير الوصول ٢ ص ٤٩، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٥٠.

٩ ـ وما أخرجه مالك من خطبة عمر: أيّها النّاس! إنّي لا أعلمكم من نفسي شيئاً تجهلونه أنا عمر ولم أحرص على أمركم ولكن المتوفّى أوحى إليَّ بذلك والله ألهمه ذلك، وليس أجعل أمانتي إلى أحد ليس لها بأهل ولكن أجعلها إلى من تكون رغبته في التوقير للمسلمين، أُولئك هم أحقُّ بهم ممَّن سواهم، تيسير الوصول ج٢ ص ٤٨.

فشتّان بين هذه الخطبة وبين تلك المفتعلات فإنَّ عمر يرى خلافته وحياً من أبي بكر لا وحياً من الله جاء به جبريل إلى النبيِّ الأعظم، وصدع به (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الملإ الدينيِّ، وأذَّن به بلال كما كان نصُّ بعضها.

١٠ ـ وما أخرجه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٣: إنَّ عمر بن الخطاب لمّا طعن قيل له: يا أمير المؤمنين! لو استخلفت؟ قال من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة ابن الجرّاح حيّاً استخلفته. فإن سألني ربِّي قلت: سمعت نبيَّك يقول: إنَّه أمين هذه الأمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته فإن سألني ربِّي قلت: سمعت نبيَّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبِّ لله. فقال له رجلٌ: أدلّك عليه عبدالله بن عمر فقال: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا ويحك كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا إرب لنا في أُموركم ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شرّاً فشرٌّ عنا إلى عمر، بحسب آل عمر أن يُحاسب منهم رجلٌ واحدٌ ويُسئل عن أمر أُمَّة محمَّد، لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إنِّي لسعيدٌ، وأنظر فإن استخلفت، فقد استخلف من هو خيرٌ منِّي، وإن أترك، فقد ترك من هو خيرٌ منِّي، ولن يضيِّع الله دينه. فخرجوا ثمَّ راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين! لو عهدت عهداً؟ فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأُولِّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقِّ ـ وأشار إلى علي ـ ورهقتني غشيةٌ فرأيت رجلاً دخل جنَّة قد غرسها فجعل يقطف كل غضَّة ويانعة فيضمّه إليه ويصيِّره تحته، فعلمت أنَّ الله غالبُ أمره ومُتوفّ عمر، فما أُريد أن أتحمَّلها حيّاً وميِّتاً، عليكم هؤلاء الرَّهط. الحديث.

وذكره ابن عبدربِّه في العقد الفريد ج٢ ص ٢٥٦ .

ليتني أدري وقومي كيف تطلب الصّحابة من عمر الاستخلاف وتصفح عن تلكم النّصوص الجمّـة؟ وكيف يخالفها عمر ويرى أبا عبيدة وسالماً أهلاً للخلافة ويتمنّى حياتهما؟ ثمَّ يجعلها شورى؟ ثم كيف يرى الحديثين في فضل الرَّجلين حجَّةً لاستخلافهما ولم يرَ ما ورد في الكتاب والسّـنَّة من أُلوف المناقب في عليٍّ عليه السّلام عذراً عند ربِّه إنْ سُئِلَ عن استخلافه؟ وكيف لم يجد من نطق القرآن بعصمته، ونزلت فيه آية التطهير، وعدّه الكتاب نفس النبيّ الأقدس أهلاً للاستخلاف؟ وما باله لم يستخلف عبدالله بن عمر لجهله بمسألة واحدة؟ وكان أكثر علماً من أبيه، ولم يكن عمر يرى الخليفة إلاّ خازناً وقاسماً غير مفتقر إلى أيِّ علم كما صحّ عنه في خطبة له من قوله:

أيّها النّاس! مَن أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيَّ بن كعب. ومَن أراد أن يسأل عن الفرائض، فليأت زيد بن ثابت. ومن أراد أن يسأل عن الفقه، فليأت معاذ بن جبل. ومَن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإنَّ الله جعلني خازناً وقاسماً(١).

١١ ـ وما عن ابن عمر أنّه قال لعمر: إنّ النّاس يتحدَّثون أنّك غير مستخلف ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرّط، ورعية الناس أشدُّ من رعية الإبل والغنم، ماذا تقول لله عزّ وجلّ إذا لقيته ولم تستخلف على عباده؟ قال: فأصابه كآبة ثمَّ نكس رأسه طويلاً ثمّ رفع رأسه وقال: إنّ الله تعالى حافظ الدين وأيّ ذلك أفعل فقد سُنَّ لي. إن لم أستخلف، فإنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف، فقد استخلف أبو بكر. قال عبدالله: فعرفت أنّه غير مستخلف.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ج١ ص ٤٤، وابن السمّان في «الموافقة» كما في «الرِّياض النضرة» ج٢ ص ٧٤، وأخرجه مسلم في الصَّحيح عن إسحاق بن إبراهيم وغيره عن عبدالرزّاق، والبخاري من وجه آخر عن معمر كما

(١) يأتي الكلام حول هذه الخطبة وصحتها في الجزء السادس.

في «سنن البيهقي» ج٨ ص ١٤٩، وفي لفظة: قلتُ له: إنّي سمعتُ النّاس يقولون مقالةً فآليت أن أقولها لك: زعموا أنّك غير مستخلف وقد علمت أنّه لو كان لك راعي غنم فجاءك وقد ترك رعايته رأيت أن قد ضيّع فرعاية النّاس أشدّ. قال: فوافقه قولي فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال: إنّ الله يحفظ دينه وإن لا أستخلف، فإنّ رسول الله لم يستخلف وإن أستخلف، فإنّ أبا بكر قد استخلف. الحديث. وبهذا اللفظ ذكره ابن الجوزي في سيرة عمر ص ١٩٠.

١٢ ـ وما أخرجه أبو زرعة في كتاب «العلل» عن ابن عمر قال: لَمّا طُعن عمر قلت: يا أمير المؤمنين لو اجتهدت بنفسك وأمّرت عليهم رجلاً؟ قال: أقعدوني. قال عبدالله فتمنّيت لو أنَّ بيني وبينه عرض المدينة فرقاً منه حين قال: أقعدوني. ثمَّ قال: والذي نفسي بيده لأردنّها إلى الذي دفعها إليَّ أوّل مرّة. الرِّياض النضرة ج٢ ص ٧٤.

١٣ ـ وما روى ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ص ٢٢ من أن عمر لَمّا أحسَّ بالموت قال لابنه عبدالله: اذهب إلى عائشة واقرئها منّي السّلام واستأذنها أن أُقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر فأتاها عبدالله فأعلمها فقالت: نعم وكرامة، ثمّ قالت: يا بُنيَّ أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمّد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة. فأتى عبدالله فأعلمه فقال: ومن تأمرني أن أستخلف لو أدركت أبا عبيدة بن الجرّاح باقياً، استخلفته وولّيته فإذا قدمت على ربّي فسألني وقال لي: مَن ولّيت على أُمّة محمّد؟ قلت: أي ربّ! سمعت عبدك ونبيّك يقول: لكلِّ أُمّة أمين وأمين هذه الأُمّة أبو عبيدة ابن الجرّاح. ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته، فإذا قدمت على ربّي فسألني: مَن ولّيت على أُمّة محمّد؟ قلت: أي ربّ! سمعت عبدك ونبيّك يقول: إنّ معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة، ولو أدركت خالد بن وليد، لولّيته فإذا قدمت على ربّي فسألني: مَن ولّيت على أُمّة محمّد؟ قلت: أي ربّ! سمعت عبدك ونبيّك يقول: خالد بن وليد سيفٌ من سيوف الله سلّه على المشركين. ولكنّي سأستخلف النفر الذي توفّي رسول الله وهو عنهم راض. الحديث. وذكر في أعلام النساء ج٢ ص ٧٨٦.

قال الأميني:

ليت عمر بن الخطاب كان على ذُكر ممّا سمعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عليٍّ أمير المؤمنين ولو حديثاً واحداً ممّا أخرجه عنه الحفّاظ فكان يستخلفه ويراه عذراً عند ربّه حينما سأله عمّن ولّاه على أُمّة محمّد، ولعلّه كان يكفيه ذكر ما أجمعت الأُمّة الإسلاميّة عليه من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّي مخلِّفٌ فيكم الثقلين - أو تاركٌ فيكم خليفتين - إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. وعليٌّ سيِّد العترة.

أليس عمر هو راوي ما جاء في الصِّحاح والمسانيد من طريقه في عليٍّ عليه السّلام من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم خيبر: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما اكتسب مكتسبٌ مثل فضل عليٍّ، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويردُّ عن الرَّدى؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو أنَّ السّماوات السّبع والأرضين السّبع وُضعت في كفّة ووضع إيمان عليٍّ في كفّة لرجح إيمان عليٍّ(١)؟.

ألم تكن آي المباهلة والتطهير والولاية إلى أمثالها من الكثير الطيّب النازل في الثناء على سيِّد العترة تساوي عند عمر تلكم الموضوعات المختلقة في أُولئك الذين تمنّى حياتهم ؟! .

والخطب الفظيع أنَّ عمر كان يرى مثل سالم بن معقل. أحد الموالي

---

(١) هذه الأحاديث جاءت كلها من طريق عمر بن الخطاب كما يأتي تفصيله.

مولى بني حذيفة وكان من عجم الفرس ـ أهلاً للخلافة وصاحبها الوحيد، ويتمنّى حياته لمّا طُعن بقوله: لو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى[١].

هلاّ عزيزٌ على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن لا يُعادل صنوه أمير المؤمنين حتّى الموالي والعبيد من أُمّته بعد تلكم النّصوص الواردة فيه كتاباً وسنّة؟ ألم يكن عمر نفسه محتجّاً يوم السقيفة على الأنصار بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: الأئمّة من قريش؟ فلماذا نسيه؟ وكيف يرى لمولى بني حذيفة قسطاً من الخلافة؟.

ألم يكن عمر هو الذي ألحّ على أبي بكر في خالد بن الوليد أن يعزله ويرجمه ويقتله؟ لَمّا قتل مالك بن نويرة، ونزا على حليلته، وقتل أصحابه المسلمين، وفرّق شمله، وأباد قومه، ونهب أمواله، أنسي قوله لأبي بكر: إنّ في سيف خالد رهقاً؟ أم قوله فيه: عدوُّ الله عدا على امرىءٍ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته؟ أم قوله لخالد: قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك؟.

نعم: السّياسة الشاذّة عن مناهج الصّلاح تتحف صاحبها كلَّ حين لساناً ومنطقاً يختصّان به، وهذه الخواطر والآراء والأمانيُّ واللهجة المُلهوجة هي نتاج السّياسة المحضة تضادّ نداء كتاب الله ونداء الصّادع الكريم، وهي التي جرّت الشقاء والشقاق على أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى اليوم.

١٤ ـ وما أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» ج٥ ص ١٦ عن ابن عبّاس قال. قال عمر: لا أدري ما أصنع بأُمّة محمّد ـ وذلك قبل أن يُطعن ـ فقلت: ولِمَ تهتمُّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبكم يعني عليّاً؟ قلت: نعم هو أهلٌ لها في قرابته برسول الله وصهره وسابقته وبلائه. فقال عمر: إنَّ فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة؟ قلت: عبدالرّحمن بن عوف؟ قال: هو رجلٌ صالحٌ على ضعف. قلت: فسعد؟

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ ص ٢٤٨، التمهيد للباقلاني ٢٠٤، الاستيعاب ٢ ص ٥٦١، طرح التثريب ١ ص ٤٩.

قال: ذاك صاحب مقنت وقتال لا يقوم بقرية لو حُمل أمرها. قلت: فالزبير؟ قال: لقيس مؤمن الرضي كافر الغضب شحيحٌ، إنَّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويٍّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جوادٍ في غير سرف، قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه.

١٥ ـ وما صحَّ عن عليٍّ أمير المؤمنين من أنّه خطب يوم الجمل فقال: أمّا بعد: فإنَّ هذه الإمارة لم يعهد إلينا رسول الله ﷺ فيها عهداً يُتبع أثره، ولكن رأيناها تلقاء أنفسنا، استخلف أبو بكر فأقام واستقام، ثمَّ استخلف عمر فأقام واستقام، ثمَّ ضرب الدهر بجرانه. أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ١٠٤، وابن كثير في تاريخه ج٥ ص ٢٥٠، وابن حجر في «الصَّواعق» نقلاً عن أحمد.

١٦ ـ وما صحَّ عن أبي وائل قال: قيل لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيِّهم على خيرهم.

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ٧٩ وصحّحه هو والذهبي، وأخرجه البيهقي في سننه ج٨ ص ١٤٩، وابن كثير في تاريخه ٥ : ٢٥١ وقال: إسنادٌ جيِّدٌ، وذكره ابن حجر في «الصَّواعق» ص ٢٧ عن البزّار وقال: رجاله رجال الصَّحيح.

١٧ ـ وما أخرجه أحمد عن عبدالله بن سبعٍ في حديث قالوا لعليٍّ: إن كنت علمت ذلك ـ يعني القتل ـ؟ فاستخلف إذاً. قال: لا، أكلكم إلى ما وكلكم رسول الله ﷺ[1] وأخرجه البيهقي بلفظ: أتركَكم كما ترككم رسول الله. يه ج٦ ص ٢١٩. وبهذا اللفظ ذكره ابن حجر في «الصواعق» ص ٢٧ وقال: أخرجه جمعٌ كالبزار بسند حسن، والإمام أحمد وغيرهما بسند قويّ كما قاله الذهبي.

(١) الرياض النضرة ١ ص ١٥٩، وج ٢ ص ٢٤٥.

١٨ ـ وما صحّ عن عائشة قالت: لو كان رسول الله مستخلفاً لاستخلف أبا بكر وعمر. أخرجه مسلم في صحيحه كما في «الرياض» ج١ ص ٢٦، والحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ٧٨.

١٩ ـ وما ورد في احتجاج أُمّ سلمة على عائشة من قولها: كنت أنا وأنتِ مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليٌّ يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفهما ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد في ظلّ شجرة وجاء أبوكِ ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أراد ثمَّ قالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا مَن يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما: أما إنّي قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا ثمَّ خرجا فلمّا خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلت له وكنتِ أجرأ عليه منّا: مَن كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل. فنزلنا فلم نر أحداً إلّا عليّاً فقلت: يا رسول الله! ما أرى إلّا عليّاً. فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك أعلام النساء ج٢ ص ٧٨٩.

٢٠ ـ وما روي من خطبة لعائشة خطبتها بالبصرة: أيّها الناس! والله ما بلغ ذنب عثمان أن يُستحلّ دمه، ولقد قُتل مظلوماً، غضبنا لكم من السَّوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل؟ وإنّ من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به، ثمَّ يردّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب. فمن قائلٍ يقول: صدقتِ. وآخر يقول: كذبتِ. فلم يبرح النّاس يقولون ذلك حتّى ضرب بعضهم وجوه بعض ـ **قال الأميني**: كضرب هذه الأحاديث بعضها وجوه بعض ـ أعلام النساء ج٢ ص ٧٩٦.

٢١ ـ وما عن حذيفة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! لو استخلفت علينا؟ قال: إن أستخلف عليكم خليفة فتعصوه ينزل بكم العذاب. قالوا: لو استخلفت علينا أبا بكر؟ قال إن أستخلفه عليكم تجدوه قويّاً في أمر الله ضعيفاً في جسده. قالوا: لو استخلفت علينا عمر؟ قال: إن أستخلفه عليكم

تجدوه قوياً أميناً لا تأخذه في الله لومة لائم. قالوا: لو استخلفت علينا عليّاً؟ قال: إنَّكم لا تفعلوا وإن تفعلوا تجدوه هادياً مهديّاً يسلك بكم الطريق المستقيم. أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٣ ص ٧٠، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ج١ ص ٦٤ وليس فيه استخلاف أبي بكر وعمر ومنه يظهر تحريف يد الأمانة الحديث.

٢٢ ـ وما روي عن ابن عبّاس قال: قالوا للنبيّ ﷺ: يا رسول الله! استخلف علينا بعدك رجلاً نعرفه وننهي إليه أمرنا، فإنّا لا ندري ما يكون بعدك. فقال: إن استعملت عليكم رجلاً فأمركم بطاعة الله فعصيتموه كان معصيته معصيتي ومعصيتي معصية الله عزَّ وجلَّ، وإن أمركم بمعصية الله فأطعتموه كانت لكم الحجَّة عليَّ يوم القيامة، ولكن أكلكم إلى الله عزَّ وجلَّ. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج١٣ ص ١٦٠.

٢٣ ـ ثمَّ إن صحّت تلكم النّصوص وكانت الخلافة عهداً من الله سبحانه وجاء به جبريل وارتجّت دونه السّماوات، وهتفت به الملائكة، وصدع به النبيُّ الكريم، وأبى الله ورسوله والمؤمنون إلّا أبا بكر فما المبرِّر له ممّا صحَّ عنه في صحيح البخاري في باب فضل أبي بكر من قوله يوم السقيفة مخاطباً الحضور: فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة ابن الجرَّاح؟.

وفي تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٠٩: قال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيّهما شئتم فبايعوا.

وفي ص ٢٠١، ومسند أحمد ج١ ص ٥٦: إنّي قد رضيت لكم أحد هذين الرَّجلين فأيّهما شئتم: عمر أو أبا عبيدة.

وفي الإمامة والسياسة ج١ ص ٧: إنَّما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهلٌ. وفي ص ١٠ قال: إنِّي ناصحٌ لكم في أحد الرَّجلين: أبي عبيدة ابن الجراح أو عمر، فبايعوا من شئتم

منهما.

قال الأميني:

بخٍ بخٍ. حسب النبيِّ الأعظم مجداً وشرفاً، والإسلام عزّاً ومنعةً، والمسلمين فخراً وكرامة استخلاف مثل أبي عبيدة الجرّاح ولم يكن إلّا حفّاراً مكّياً يحفر القبور بالمدينة، وكان فيها حفّاران[1] ليس إلّا وهما: أبو عبيدة وأبو طلحة. فما أسعد حظَّ هذه الأُمّة أن يكون في حفاري قبورها من يُشغل منصّة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعده، ويسدُّ ذلك الفراغ، ويكون هو مرجع العالم في أمر الدِّين والدنيا، وأيّ وازعٍ يمنع أبا عبيدة من أن يكون خليفةً لائتمانه؟ بعدما كاد معاوية بن أبي سفيانٌ أن يكون نبيّاً ويُبعث لائتمانه وعلمه كما مرّ في ص ٣٧٤.

غير أنّي لست أدري ما كانت الحالة يوم ذاك في السّماوات عند إيهاب أبي بكر الخلافة الإسلاميّة لأبي عبيدة؟! وهي كانت ترتجُّ والملائكة تهتف والله يأبى إلّا أبا بكر مهما سألها النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليٍّ عليه السّلام وقد أنزله منزلة نفسه نصّاً من الله العزيز. نعم: كان حقّاً على السّماوات أن يتفطّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هدّاً.

٢٤ ـ وما الذي جوّز لأبي بكر قوله لعمر بعد قوله له: ـ أبسط يدك يا أبا بكر فلأُبايعك ـ: بل أنت يا عمر فأنت أقوى لها منّي؟ وكان كلّ واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها، ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إنَّ لك قوّتي مع قوّتك[2].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ص ٨١٥ ـ ٨١٩، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٣، تاريخ الطبري ٣ ص ٢٠٤. الامتاع للمقريزي ص ٥٤٨، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٦٦، ٢٦٨، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٩٩، السيرة الحلبية ٣: ٣٨٦، الصواعق ص ٧.

٢٥ ـ وكيف كان يرى أبو بكر الأمر للمهاجرين ويجعل للأنصار الوزارة ويقول: منّا الأمراء ومنكم الوزراء؟ تاريخ الطبري ج٣ ص ١٩٩، ٢٠٨، الرِّياض ج٢ ص ١٦٢، ١٦٣.

٢٦ ـ وما الذي سوَّغ لأبي بكر قوله: إنّي وليتُ هذا الأمر وأنا له كارهٌ، والله لوددت أنَّ بعضكم كفانيه؟ صفة الصفوة ج١ ص ٩٩.

كيف كان يكره أمراً جعله الله له، وجاء به جبريل، وأخبر به النبيُّ الطاهر؟ ثمَّ كيف كان يودُّ أن يكفيه غيره؟ وقد حيل بين النبيِّ وبين أمله مهما سأله الله لعليٍّ، ولم يجعل الله لمشيئة نبيِّه في الأمر قيمة، وأبى إلّا أبا بكر.

٢٧ ـ وما المسوِّغ لأبي بكر في استقالته الخلافة من النّاس وقوله مرَّة بعد أخرى: أقيلوني أقيلوني لست بخيركم[١]؟ وقوله: لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي[٢] فكيف كان يرى للنّاس في إقالته اختياراً، ولردِّه ما شاء الله وعهده لنبيِّه مساغاً؟.

٢٨ ـ وما كان وجه احتجاجه عن الناس ثلاثاً يُشرف عليهم كلّ يوم يقول: أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم[٣]؟ أو يُخيِّر الناس سبعة أيام؟. كيف كان يرى لنفسه خياراً في حلِّ عقد بيعته عن رقاب الناس وإقالتهم وقد أبى الله والمؤمنون إلّا إيّاه؟ ثمَّ كيف يكل أمر الأُمَّة إلى مشيئتها وقد رُدَّت مشيئة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذلك؟ ووقع في السّماوات ما وقع يوم أعرب صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أمنيّته.

٢٩ ـ وما كان عذره في قوله من خطبة له: أيّها النّاس! هذا عليٌّ بن أبي طالب لا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار من أمره، ألا وأنتم بالخيار جميعاً في بيعتكم، فإن رأيتم لها غيري فأنا أوّل من يبايعكم؟ السيرة الحلبية ج٣ ص ٣٨٩.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٣٠.

(٢)) الإمامة والسياسة ١ ص ١٤.

(٣) الإمامة والسياسة ١ ص ١٦، الرياض النضرة ١ ص ١٧٥.

لعلّ الحريّة في الرّأي حول البيعة حدثت بعدما وقع دونها ما وقع في السّماوات والأرض. بعدما هرول عمر بين يدي أبي بكر ونبر حتّى أزبد شدقاه. بعدما قيل لحباب بن المنذر البدوي مخالف تلك البيعة: إذن يقتلك الله. بعدما حُطّم أنف الحباب وضُرب يده. بعدما نودي على سعد أمير الخزرج: اقتلوه قتله الله إنّه منافق. بعدما أخذ قيس بن سعد لحية عمر قائلاً: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة بعدما قال الزُّبير وقد سلَّ سيفه: لا أغمده حتّى يُبايع عليٌّ. بعدما قال عمر: عليكم الكلب ـ يعني الزُّبير ـ فأخذ السيف من يده وضرب به على الحجر. بعدما دافعوا مقداداً في صدره. بعد التهاجم على دار النبوّة، وكشف بيت فاطمة، وإخراج من كان فيه للبيعة عنوةً. بعدما أقبل عمر بقبس من نار إلى دار فاطمة. بعدما قال عمر: لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّها على مَن فيها. بعدما خرجت بضعة المصطفى عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة. بعدما قادوا عليّاً عليه السّلام إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش بعدما قيل له: بايع وإلّا تُقتل. بعدما لاذ بقبر أخيه المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم باكياً قائلاً: يا ابن أُمّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. بعد، بعد، إلى مائة بعد[1].

ولعلَّ تلك الشدَّة في إباءة الله وملائكته والمؤمنين خلافة أيّ أحد إلّا أبا بكر كانت مكذوبة على الله وعلى رسوله والمؤمنين، أو كانت صحيحة غير أنّها مقيّدة بإرادة أبي بكر نفسه ومشيئته. لاها الله كانت مكذوبةً ليس إلّا.

٣٠ ـ وما المجوِّز لعمر قوله لأبي عبيدة الجرّاح لَمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ابسط يدك فلأُبايعك فأنت أمين هذه الأُمّة على لسان رسول الله ﷺ؟ فقال أبو عبيدة لعمر: ما رأيت لك فَهَّة[2] مثلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصدّيق وثاني اثنين؟.

---

(١) تأتي مصادر هذه الجمل كلها في الجزء السابع.

(٢) الفهة: العي، الغفلة، والسقطة.

مسند أحمد ج١ص٣٥، طبقات ابن سعد ج٣ص١٢٨، نهاية ابن الأثير ج٣ ص٢٤٧، صفة الصفوة ج١ص٩٧ السيرة الحلبيَّة ج٣ص٣٨٦ الصَّواعق ٧.

فما الذي دعاه إلى ذلك الخلاف الفاحش على تلكم النّصوص؟ وما كان ذلك الاستبداد بالرأي تجاه النصِّ المؤكّد من الله العزيز؟ نعم: وكم له من نظير.

٣١ ـ وكيف كان عمر يرى الأمر شورى بين المسلمين ويقول: من بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرَّة أن يقتلا؟

مسند أحمد ج١ص٥٦ تاريخ ابن كثير ج٥ص٢٤٦

٣٢ ـ وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الفرائض ج٢ ص٣، وأحمد في مسنده ج ١ ص ٤٨ عن عمر أنّه قام خطيباً فقال: إنّي رأيت رؤيا كأنّ ديكاً نقرني نقرتين، ولا أرى ذلك إلّا لحضور أجلي وإنّ ناساً يأمرونني أن أستخلف وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكن ليضيِّع خلافته ودينه ولا الذي بعث به نبيّه ﷺ فإن عجل بي أمرٌ فالخلافة شورى في هؤلاء الرَّهط السِّتَّة. الحديث.

وأخرجه البيهقي في سننه ج ٨ ص ١٥٠ فقال: أخرجه مسلم في الصحيح من حديث ابن أبي عروبة وغيره. وحكاه عن مسلم الحافظ ابن الديبع في تيسير الوصول ج٢ص٤٩

٣٣ ـ وما الذي أباح لعمر أو لغيره من الصّحابة قولهم في خلافة أبي بكر: انّها كانت فلتة وقى الله شرها[1]. أو: فلتة كفلتات الجاهليَّة[2] فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه؟[3]. كيف تُسمّى تلك الخلافة فلتةً بعد تلكم البشارات والإنباءات

(١) صحيح البخاري في باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت في الجزء الأخير، ج ١٠ ص ٤٤، مسند أحمد ١ ص ٥٥، تاريخ الطبري ٣: ٢٠٠، أنساب البلاذري ٥ ص ١٥، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٨، تيسير الوصول ٢ ص ٤٢، ٤٤، كامل ابن الأثير ٢: ١٣٥، نهاية ابن الأثير ٣: ٢٣٨ الرياض النضرة ١: ١٦١، تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٦، السيرة الحلبية ٣: ٣٨٨، ٣٩٢، الصواعق المحرقة ٥ و٨ وقال: سند صحيح، تمام المتون للصفدي ص ١٣٧، تاج العروس ١ ص ٥٦٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢١٠.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢١.

المتواصلة طيلة حياة النبيِّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبعد إعلامه أصحابه بها مرّة بعد اخرى إلى أن لفظ نفسه الأخير؟ وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بنصٍّ من تلكم الرِّوايات ـ لم يرَ فيها حاجة إلى وصيّة بكتاب، ولم يترقّب فيها خلاف أيّ أحد على أبي بكر، وكيف يُرى فيهاالشرُّ والحالة هذه؟ والصَّحابة كلّهم عدولٌ، وأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، وأبى الله أن يختلف عليه كما مرَّ حديثه.

٣٤ ـ وما الذي سوَّغ لعمر عرضه على عبدالرَّحمن بن عوف أن يستخلفه ويجعله وليّ عهده، فقال عبدالرَّحمن: أتُشير عليَّ بذلك إذا استشرتك؟ فقال: لا والله. فقال عبدالرَّحمن: إذاً لا أرضى أن أكون خليفة بعدك. الفتوحات الإسلاميَّة ج٢ص٤٢٧ .

٣٥ ـ وما بال الأنصار بأسرها قد تخلّفت عن البيعة[١] واجتمعت على خلاف ما في تلكم النصوص، وأبت بيعة أبي بكر وقالت: لا نبايع إلاّ عليّاً؟ أو قالت: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ[٢] وكيف تقاعس عنها طلحة والزبير والمقداد وسلمان وعمّار وأبو ذر وخالد بن سعيد ورجال من المهاجرين[٣]؟ وأبواإلاّ عليّاً واجتمعوا في داره عليه السّلام وأخرجتهم يد السياسة الوقتيّة إلى البيعة عنوةً ونودي عليهم: والله لأحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة؟ وما شأن الصَّحابي العظيم سعد بن عبادة يأنف من بيعة أبي بكر ويقول: أيم الله لو أنَّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتّى أُعرض على ربّي وأعلم ما حسابي؟ وكان لا يصلّي بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحجّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم. تاريخ الطبري ج٣ ص١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٠. وما عذر العبّاس عمّ النبيِّ الطاهر وبني هاشم في تخلّفهم عن تلك البيعة والصَّفح عن تلكم العهود المؤكّدة؟.

٣٦ ـ وقبل هذه كلّها إباية عليٍّ أمير المؤمنين تلك البيعة الانتخابيّة

---

(١) مسند أحمد ص ٥٥.

(٢) مسند أحمد ١ ص ٤٠٥، طبقات ابن سعد ٢ ص ١٢٨.

(٣) الرياض النضرة ١ ص ١٦٧.

وحجاجه المفحم على أهلها، قال ابن قتيبة: ثمَّ إنَّ عليّاً كرَّم الله وجهه أُتي إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبدالله، أخو رسول الله. فقيل له: بايع أبا بكر. فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيِّ ﷺ وتأخذوه منّا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمَّد منكم! فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الأمارة، فإذاً أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيّاً وميّتاً فانصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلاَّ فبوِّئوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال له عمر: إنَّك لستَ متروكاً حتّى تُبايع، فقال له عليٌّ: إحلب حلباً لك شطره، وشدَّ له اليوم يمدِّده عليك غداً. ثمَّ قال: والله يا عمر! لا أقبل قولك ولا أُبايعه. فقال أبو بكر: فان لم تبايع فلا اكرهك. فقال أبو عبيدة بن الجراح لعليٍّ كرم الله وجهه: يا ابن عم! إنّك حديث السنِّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً واستطلالاً، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنَّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليقٌ وحقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك.

فقال عليٌّ كرم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين! ألاّ تخرجوا سلطان محمَّد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقِّه، فوالله يا معشر المهاجرين! لنحن أحقُّ الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم، ما كان فيكم القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المتطلّع لأمر الرعيَّة، الدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويَّة، والله إنَّه لفينا، فلا تتَّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقِّ بعداً.

قال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك.

قال: وخرج عليٌّ كرَّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابَّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله

قد مضت بيعتنا لهذا الرَّجل، ولو أنَّ زوجكِ وابن عمكِ سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليٌّ كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.

وقال: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليٍّ كرم الله وجهه فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليٍّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقنّها على مَن فيها. فقيل له: يا أبا حفص! إنَّ فيها فاطمة قال: وإن فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً فإنّه زعم أنَّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا ثوبي أضع على عاتقي حتّى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوء محضراً منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً. فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: إذهب فادع لي عليّاً. فذهب إلى عليٍّ فقال: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليٌّ: لسريعٌ ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرِّسالة قال: فبكى أبو بكر طويلاً فقال عمر الثانية: أن لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ: عد إليه فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاءه فنفذ فأدّى ما أُمر به، فرفع عليٌّ صوته فقال: سبحان الله! لقد ادَّعى ما ليس له. فرجع قنفذ فأبلغ الرِّسالة فبكى أبو بكر طويلاً ثمَّ قام عمر فمشى معه جماعةٌ حتّى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة. فلّما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدَّع وأكبادهم تتفطّر، وبقي عمر ومعه قومٌ فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك. قال: إذاً تقتلون عبدالله

وأخا رسوله. قال عمر: أمّا عبدالله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا[١] وأبو بكر ساكتٌ لا يتكلم فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيءٍ ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليٌّ بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: يا بن أم ! إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. الإمامة والسياسة ج١ ص١٢ ـ ١٤.

٣٧ ـ وما الذي سوَّغ لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة أن يجعلوا للعبَّاس عمِّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإيعاز من مغيرة بن شعبة نصيباً في الأمر يكون له ولعقبه من بعده؟ قال ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ج ١ ص١٥ : فأتى المغيرة بن شعبة فقال: أترى يا أبا بكر أن تلقوا العبّاس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجّة على عليٍّ وبني هاشم إذا كان العبّاس معكم؟ قال: فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتّى دخلوا على العبّاس رضي الله عنه،فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثمَّ قال: إنَّ الله بعث محمّداً ﷺ نبيّاً وللمؤمنين وليّاً فمنَّ الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتّى اختار له الله ما عنده فخلّى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متَّفقين لا مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً، وما أخاف بحمد الله وهناً ولا حيرةً ولا جبناً، وما توفيقي إلّا بالله العليّ العظيم، عليه توكّلت وإليه أُنيب، وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامّة المسلمين ويتَّخذونكم لجافاً، فاحذروا أن تكونوا جهداً لمنيع فإمّا دخلتم فيما دخل فيه العامَّة، أو دفعتموهم عمّا مالوا إليه، وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عمّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم، على رسلكم بني عبدالمطلب! فإنَّ رسول الله منّا ومنكم.

ثمَّ قال عمر: إي والله واخرى: إنّا لم نأتكم حاجةً منّا إليكم، ولكنّا

---

(١) أسلفنا في الجزء الثالث ص ١٤٩ ـ ١٦٤ خمسين حديثاً في المؤاخاة بين رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما ومنها ما هو المتواتر الصحيح الثابت، أخرجه الحفاظ عن جمع من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب، وحديث المؤاخاة من المتسالم عليه عند الامة الإسلامية، وعمر أحد رواته كما جاء بطريق صحيح، غير أنّ السياسة الوقتية سوّغت لعمر إنكارها يوم ذاك.

كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامّة، فتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا.

فتكلّم العبّاس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنَّ الله بعث محمّداً كما زعمت نبيّاً وللمؤمنين وليّاً فمنَّ الله بمقامه بين أظهرنا حتّى اختار له ما عنده فخلّى على النّاس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحقِّ لا مائلين عنه بزيغ فإن كنت برسول الله طلبت، فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدِّمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين، فأمّا ما بذلت لنا فإن يكن حقّاً لك، فلا حاجة لنا فيه، وإن يكن حقّاً للمؤمنين، فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقّنا، لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض.

وأما قولك: إنَّ رسول الله منّا ومنكم فإنّه قد كان من شجرةٍ نحن أغصانها وأنتم جيرانها.

٣٨ ـ وما عذر مَن استشكل على أبي بكر في استخلافه عمر على الصَّحابة؟ قالت عائشة رضي الله عنها لمّا ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله! ماذا تقول لربّك غداً إذا قدمت عليه وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ قالت: فأجلسناه فقال: أبِالله ترهبوني؟ أقول: استخلفت عليهم خيرهم. سنن البيهقي ج٨ص١٤٩.

٣٩ ـ وما الَّذي أقعد عليّاً أمير المؤمنين عن بيعة عثمان يوم الشورى بعدما بايعه عبدالرَّحمن بن عوف وزملائه وكان عليٌّ قائماً فقعد، فقال له عبدالرَّحمن: بايع وإلّا ضربت عنقك، ولم يكن مع أحد يومئذٍ سيفٌ غيره، فيقال: إنَّ عليّاً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى وقالوا: بايع وإلّا جاهدناك. فأقبل معهم حتّى بايع عثمان. الأنساب للبلاذري ج٥ص٢٢

قال الطبري في تاريخه ج٥ص٤١ جعل الناس يبايعونه وتلكّأ عليٌّ فقال عبدالرَّحمن: ومَن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومَن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً. فرجع عليّ يشقُّ النّاس حتّى بايع وهو يقول: خدعةٌ وأيّما

خدعة.

وفي الإمامة والسياسة ج١ص٢٥ قال عبدالرَّحمٰن: لا تجعل يا عليّ سبيلاً إلى نفسك فإنّه السَّيف لا غيره. وفي صحيح البخاري ج١ص٢٠٨ لا يجعلنَّ على نفسك سبيلاً.

قال الأميني:

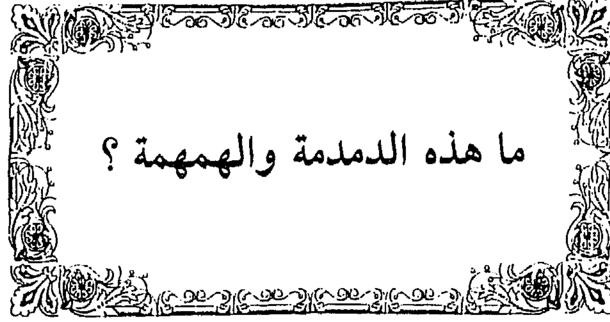
كان قتل المتخلِّف عن البيعة في ذلك الموقف وصيَّة من عمر بن الخطاب كما أخرجه الطبري في تاريخه ج٥ص٣٥ قال وقال ـ عمر ـ لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثة أيّام وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبدالرَّحمن بن عوف وطلحة ـ إن قدم[1] وأحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الأمر وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسةٌ ورضوا رجلاً وأبى واحدٌ فاشدخ رأسه. أو: اضرب رأسه بالسيف. وإن اتّفق أربعةٌ فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثةٌ رجلاً منهم وثلاثةٌ رجلاً منهم فحكِّموا عبدالله بن عمر فأيّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرَّحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عمَّا اجتمع عليه الناس. وذكره البلاذري في «الأنساب» ج٥ص١٦، ١٨، وابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ج ١ص ٢٣. وابن عبد ربِّه في «العقد الفريد» ج٢ص ٢٥٧ .

﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾.

[سورة النجم آية ٥٩]

---

(١) كان غائباً في ماله بالسراة.



ما هذه الدمدمة والهمهمة ؟

ليست هذه الرِّوايات إلّا جلبةً وصخباً تجاه الحقيقة الراهنة، ووجاه الخلافة الحقَّة الثابتة بالنصوص الصَّريحة الصحيحة لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السّلام قد صدع بها النبيُّ الأمين وحياً من الله العزيز من يوم بدء الدعوة إلى آخر نَفَس لفظه.

إن هي إلّا اللغط والشغب دون أمر ليس لخلق الله فيه أيّ خيرة، وقد نصَّ النبيُّ الأعظم في بدء دعوته على أنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء وذلك يوم عرض نفسه صلّى الله عليه وآله وسلّم على بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمَّ أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[1].

إن هي إلّا سلسلة بلاء وحلقة شقاء تجرُّ الأُمَّة إلى الضَّلال، وتسفُّ بها إلى حضيض التعاسة، وتديمها في الجهل المبير، ومهاوي الدّمار.

إن هي إلّا ولائد النزعات الباطلة، والأهواء المضلّة، لا مقيل لها في مستوى الحقِّ والصِّدق، ولا قيمة لها في سوق الاعتبار.

إن هي إلّا نسيجة يد الإفك والزّور، حبكها التزحزح عن قانون العدل، والتنحّي عن شرعة الحقِّ، والبُعد عن حكم الأمانة.

(١) سيرة ابن هشام ٢ ص ٣٣، الروض الأنف ١ ص ٢٦٤، السيرة الحلبية ٢ ص ٣، السيرة النبوية لزيني دحلان ١ ص ٣٠٢.

إن هي إلّا صبغة الهتّ والدجل شُوّهت بها صفحات التاريخ، لا يرتضيها أيُّ دينيّ من رجالات المذاهب، ولا يُعوِّل عليها المثقَّف النابه، ولا يتَّخذها السالك إلى الله سبيلاً، ولا يجد الباحث عن الحقِّ فيها أمنيّته.

إن هي إلّا نبرات فيها نترات لفّقتها المطامع في لماظة العيش، ونُجفة الحياة، وزخارف الدنيا القاضية على سعادة البشر.

إن هي إلّا قبسات الفتن المضلّة، وجذوات مقابس العاطفة والهوى، تفتن الجاهل المسكين، وتحيده عن رشده، وتجعله في بهيتة من أمر دينه، فتحترق بها اصول سعادته في الحياة الدُّنيا.

إن هي إلّا مدرِّسات الأُمَّة فاحش التقوُّل. وسيِّىء الإفك والافتعال، تعلّمها الحياد عن مناهج الصِّدق والأمانة، وتحثها على الكذب على الله وعلى قدس صاحب الرِّسالة وعلى أمنائه وثقات أُمَّته.

هل يجد الباحث سبيلاً لنجاته عن هذه الورطات المدلهمَّة؟ وهل يُرجى له الفوز من تلكم السَّلاسل وقد صفَّدته من حيث لا يشعر؟ أيُّ مصدر وثيق يحقُّ أن يثق به الرَّجل؟ وعلى أيِّ كتاب أو على أيِّ سنَّة حريٌّ بأن يحيل أمره؟ أليست الكتب مشحونةً بتلكم الأكاذيب المفتعلة المنصوصة على وضعها؟ أليست تلكم المئات من ألوف الأحاديث المكذوبة مبثوثة في طيّات التآليف والصّحف؟ ما حيلة الرَّجل وهو يرى المؤلِّفين بين من يذكرها مرسلاً إيّاها إرسال المسلّم، وبين مَن يُخرجها بالإسناد ويردفها بما يموّه على الحقّ ممّا يُعرب عن قوَّتها؟ أو يرويها غير مشفَّع بما فيها من الغميزة متناً أو إسناداً؟ كلُّ ذلك في مقام سرد الفضائل، أو إثبات الدعاوي الفارغة في المذاهب. ثمَّ ما حيلته؟ وهو يشاهد وراء أُولئك الأوضاح من المؤلِّفين أفّاك القرن الرّابع عشر ـ القصيمي ـ رافعاً عقيرته بقوله: ليس في رجال الحديث من أهل السنّة من هو متّهم بالوضع والكذابة. راجع ص ٢٥٥.

فما ذنب الجاهل المسكين والحالة هذه في عدم عرفان الحقِّ؟ وما الذي يعرِّفه صحيح السنَّة من سقيمها؟ وأيّ يد تنجيه من عادية التقوُّل والتزوير؟ وهل

من مصلح يحمل بين جنبيه عاطفةً دينيَّةً صادقةً ينقذه عن ورطات القالة وغمرات الدَّجل؟.

نعم: كتبنا له في الألواح من كلِّ شيءٍ موعظة، وفصَّلنا لكلِّ شيءٍ، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حيٍّ عن بيِّنة، ولقد جئناهم بكتاب فصَّلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون، وآتيناهم بيِّنات من الأمر فما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم، بغياً بينهم، إنَّ ربَّك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثمَّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبعها ولا تتَّبع أهواء الَّذين لا يعلمون، فلا يصدَّنَّك عنها مَن لا يؤمن بها واتَّبع هواه فتردى، والسَّلام على من اتَّبع الهدى.

حكم الوضّاعين

قال الحافظ جلال الدِّين السيوطي في «تحذير الخواصّ» ص ٢١ :فائدةٌ: لا أعلم شيئاً من الكبائر. قال أحدٌ من أهل السنَّة بتكفير مرتكبه إلاّ الكذب على رسول الله ﷺ فإنَّ الشيخ أبا محمّد الجويني[١] من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين[٢] قال: إنَّ من تعمَّد الكذب عليه ﷺ يكفر كفراً يخرجه عن الملّة. وتبعه على ذلك طائفةٌ منهم: الإمام ناصر الدين ابن المنير من أئمَّة المالكيَّة، وهذا يدلُّ على أنَّه أكبر الكبائر لأنَّه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنَّة. انتهى.

حكم الحفّاظ
لتلكم الموضوعات المبهرجة

يتبيَّن حكم مخرِّجي تلكم الرِّوايات المكذوبة على نبيِّ العظمة في الكتب والمعاجم من أئمَّة الحديث وحفّاظه، ومن رجال السير والتاريخ خلفاً وسلفاً ممّا أخرجه الخطيب وصحَّحه ابن الجوزي من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله

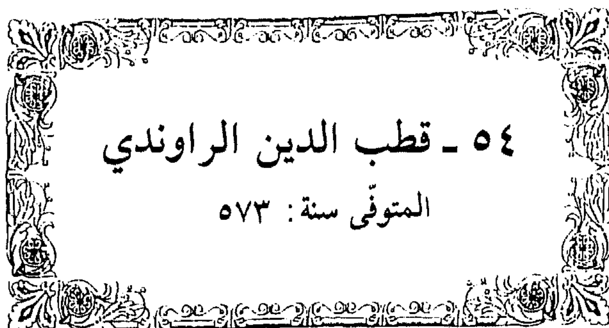
(١) إمام الشافعية عبدالله بن يوسف المتوفى سنة ٤٣٨ كان إماماً في الفقة والاصول والأدب والعربية. وجوين قرية من نواحي نيسابور.

(٢) أبو المعالي عبدالملك ابن الشيخ أبي محمد المتوفى سنة ٤٧٨.

وسلّم: من روى منّي حديثاً وهو يرى أنّه كذبٌ فهو أحد الكذّابين[١]. والله يقول: ﴿**ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثمَّ لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين، وإنّه لتذكرةٌ للمتَّقين، وإنّا لنعلم أنَّ منكم مكذِّبين**﴾[٢].

أفترى أُولئك الحفـاظ والمؤرِّخين عـالمين بحقيقة تلكم الأكـاذيب المفتعلة؟ قد ضلّوا من قبل وأضلّوا عن سواء السَّبيل،﴿**ومن أظلم ممَّن افترى على الله كذباً، أُولئك يُعرضون على ربّهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم، ألا لعنة الله على الظالمين**[٣]﴾ أم تراهم جاهلين بها؟ وما لهم بذلك من علم فكذبوا صمّاً وعمياناً، ويحسبون أنّهم على شيءٍ﴿**ومنهم أُمِّيون لا يعلمون الكتاب إلّا أمانيَّ وإنْ هم إلّا يظنّون**﴾[٤]، فمن أظلم ممّن افترى على الله كذبا ليضلَّ النّاس بغير علم، إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين[٥]، ﴿**فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون**[٦]﴾

(١) تاريخ بغداد: ٤ ص ١٦١، المنتظم ٨ ص ٢٦٨.
(٢) سورة الحاقة: آية ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩.
(٣) سورة هود: آية ١٨.
(٤) سورة البقرة: ٧٨.
(٥) سورة الأنعام: ١٤٤.
(٦) سورة البقرة: ٧٩.



٥٤ ـ قطب الدين الراوندي

المتوفّى سنة: ٥٧٣

بنو الزَّهــــراء آبــــاء الـــيتامى إذا مـا خوطبـوا قـالـوا: سـلامـا
همُ حجــج الإلّه على البــرايا فـمـن نـاواهُـم يـلق الأثـامـا
فكــان نهـارهم أبـداً صيـامـاً ولـيلهـمُ كمـا تـدري قيـامـا
ألم يجعــل رسـول الله يـوم الـ ـغـديـر عليّـاً الأعلى إمـامـا؟
ألم يـك حيـدرٌ قـرمـاً همـامـاً؟ ألم يـك حيـدرٌ خيـراً مقـامـا؟

وله قوله:

لآل المصـــطفى شـرفٌ محيطُ تضـــايق عن مـراميـه البسـيطُ
إذا كثـر البـلايـا في البـرايـا فـكـــلٌّ منـهـمُ جـاشٌ ربـيطُ
إذا مـــا قـام قـائـمهـم بـوعظ فـإنَّ كـلامـه درٌّ لـقـيطُ
أوامتــلأت بـعـدلـهـمُ ديـارٌ تقـاعس دونـه الـدَّهـر القسـوطُ
هم العلمـاء إن جهـل البـرايـا هم المـوفـون إن خـان الخليطُ
بنــو أعمـامهم جـاروا عـليهـم ومـال الـدّهـر إذ مـال الغبيطُ
لـهم فـي كـلّ يـوم مستجـدٍّ لـدى أعـدائـهـم دمٌّ عـبـيطُ
تنـاسـوا مـا مضى بغـدير خمّ فـأدركـهم لشقـوتـهم هـبـوطُ
ألا لعنت أُميّـة قـد أضـاعـوا (الحسين) كـأنّـه فـرخ سميطُ(١)
على آل الـرَّسـول صـلاة ربِّي طـوال الدَّهـر ما طلع الشميطُ(٢)

---

(١) السميط: الخفيف الحال.

(٢) الشميط: الخليط. ويقال للصبح: الشميط. لاختلاطه باقي ظلمة الليل. توجد الأبيات المذكورة في (مستدرك الوسائل) ٣ ص ٤٨٩، وفي بعض المجاميع الأدبية.

الشاعر

قطب الدِّين أبو الحسين سعد[1] بن هبة الله بن الحسن بن عيسى الراوندي، إمامٌ من أئمَّة المذهب، وعينٌ من عيون الطائفة، وأوحديٌّ من أساتذة الفقه والحديث، وعبقريٌّ من رجالات العلم والأدب، لا يُلحق شأوه في مآثره الجمّة، ولا يُشقُّ له غبارٌ في فضائله ومساعيه المشكورة، وخدماته الدينيَّة، وأعماله البارَّة، وكتبه القيِّمة.

يوجد ذكره الجميل بالإطراء والثناء عليه في الفهرست للشيخ منتجب الدين. معالم العلماء. أمل الآمل. لسان الميزان ج٤ص٤٨ رياض العلماء. الإجازة الكبيرة للسّماهيجي. رياض الجنّة في الرَّوضة الرابعة. لؤلؤة البحرين. منتهى المقال ص ١٤٨، مستدرك الوسائل ج٣ص٤٨٩ روضات الجنّات ص ٣٠١. تنقيح المقال ج٢ص٢٢. الكُنى والألقاب ج٣ص٥٨

مشايخه والرواة عنه

يروي قدِّس سرُّه عن زرافات من حملة العلم وأساتذة المذهب منهم:

١ ـ الشيخ أبو السّعادات هبة الله بن علي البغدادي المتوفّى سنة ٥٢٢.

٢ ـ السيّد عماد الدِّين أبو الصَّمصام ذو الفقار بن محمّد الحسيني المروزي أدركه الشيخ منتجب الدِّين حدود سنة ٥٢٠ وله يومئذٍ من العمر ١١٥ عاماً.

٣ ـ الشيخ أبو المحاسن مسعود بن محمّد الصواني المتوفّى سنة ٥٤٤ كما أُرِّخ في تاريخ بيهق.

٤ ـ الشيخ عماد الدِّين محمّد بن أبي القاسم الطبري مؤلِّف «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى».

٥ ـ الشيخ أبو عليّ الطبرسي صاحب «مجمع البيان» المتوفّى سنة ٥٤٨

(١) في غير واحد من المصادر الوثيقة: سعيد.

كما أُرِّخ في نقد الرِّجال .

٦ ـ الشيخ ركن الدين أبو الحسن عليّ بن عليّ بن عبدالصمد النيسابوري التميمي .

٧- الشيخ محمّد بن عليّ بن عبد الصمد أخو الشيخ ركن الدين المذكور.

٨ ـ السيّد أبو تراب المرتضى بن الداعي الرازي الحسني صاحب (تبصرة العوام).

٩ ـ السيِّد أبو الحرب المجتبى بن الداعي الرازي أخو السيّد أبي تراب المذكور.

١٠ ـ السيِّد أبو البركات محمّد بن اسماعيل الحسيني المشهدي .

١١ ـ الشَّيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسن الحلبي .

١٢ ـ أبو نصر الغاري. قال صاحب «الرِّياض»: لعلّه نسبة إلى الغار من قرى الأحساء وهي معمورةٌ إلى الآن.

١٣ ـ الشيخ أبو القاسم بن كميح .

١٤ ـ الشيخ أبو جعفر محمّد بن المرزبان .

١٥ ـ الشيخ أبو عبدالله الحسين المؤدِّب القمّي .

١٦ ـ الشيخ أبو سعد الحسن بن عليّ الأرابادي .

١٧ ـ الشيخ أبو القاسم الحسن بن محمّد الحديقي .

١٨ ـ الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمّد بن عليّ بن محمّد المرشكي .

١٩ ـ الشيخ هبة الله بن دعويدار .

٢٠ ـ السيّد عليّ بن أبي طالب السليقي .

٢١ ـ الشيخ أبو جعفر بن كميح أخو الشيخ أبي القاسم المذكور.

٢٢ ـ الشيخ عبدالرَّحيم البغدادي المعروف بابن الاخوَّة.

٢٣ ـ الشيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسن النيسابوري المقري.

٢٤ ـ الشيخ محمّد بن الحسن والد شيخنا الخواجة نصير الدين الطوسي.

ذكره صاحب «الرَّوضات» ويستبعده الاعتبار إذ الشيخ والد الخواجة في طبقة تلامذة المترجم، ويحتمل قويّاً أن يكون هو الشيخ محمّد بن الحسن بن محمّد الطوسي المكنّى، بأبي نصر المتوفّى ـ كما في شذرات الذهب سنة ٥٤٠ والله العالم

ويروي عن شيخنا القطب جمعٌ من أعلام الطائفة منهم:

١ ـ الشيخ أحمد بن عليّ بن عبدالجبّار الطبرسي القاضي.

٢ ـ الشيخ نصير الدين راشد بن إبراهيم البحراني.

٣ ـ الشيخ بابويه سعد بن محمّد بن الحسن بن الحسين بن بابويه.

٤ ـ ولد المترجم أبو الفرج عماد الدين عليٌّ بن قطب الدين الراوندي.

٥ ـ القاضي جمال الدين علي.

٦ ـ الشريف عزُّ الدين أبو الحرث محمّد بن الحسن العلوي البغدادي.

٧ ـ الشيخ ابن شهر آشوب محمّد بن علي السَّروي المازندراني

تآليفه القيمة

سلوة الحزين[١]. المغني في شرح النهاية عشر مجلّدات. تفسير القرآن. نهية النهاية. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة[٢]. غريب النهاية. قصص الأنبياء. المعارج في شرح خطبة من نهج البلاغة. إحكام الأحكام.

---

(١) للعلامة النوري حول الكتاب كلمة ضافية مفيدة في مستدرك الوسائل ٣ ص ٣٢٦.

(٢) عده صاحب الرياض أول شروح نهج البلاغة وقد عرفت خلافه في الجزء الرابع ص ١٨٦. من كتابنا هذا.

آيات الأحكام . شرح الكلمات المائة لأمير المؤمنين . الاغراب في الإعراب
زهرة المباحثة . ضياء الشهاب في شرح الشهاب[1] . تهافت الفلاسفة
كتاب البحر . شجار العصابة في غسل الجنابة . جواهر الكلام
النيات في العبادات. فرض من حضره الأداء وعليه القضاء . الخرائج والجرائح
رسالة الفقهاء . رسالة في الناسخ والمنسوخ من القرآن . شرح العوامل
رسالةٌ في الخمس. لباب الأخبار في فضل آية الكرسي . مسألةٌ في الخمس
كتاب المزار . جنا الجنّتين في ذكر العسكريّين . تحفة العليل
أسباب النزول . أحوال أحاديثنا وإثبات صحّتها . امّ القرآن
صلاة الآيات . حلُّ المعقود من الجمل والعقود . فقه القرآن[2]
ألقاب المعصومين. التلخيص من فصول الشعراني . الآيات المشكلة
رسالةٌ في العقيقة. شرح الذريعة للشريف المرتضى مجلد . نفثة المصدور[3]

خلاصة التفاسير عشر مجلّدات. الرائع في الشّرائع مجلّدان. الإنجاز في شرح الإيجاز ، شرح ما يجوز وما لا يجوز من النهاية .

الاختلاف الواقع بين شيخنا المفيد وسيِّدنا المرتضى في مسائل كلاميّة تُعدّ ٩٥ مسألة.

هذا ما وقفنا عليه من تآليف المترجم وأحسب اتّحاد بعض منها مع بعض آخر كالتلخيص من لباب الأخبار، وأُمّ القرآن مع بعض تفاسيره.

خلفه الصالح

وخلفه أولادٌ فقهاء أعلام المذهب وهم: الشيخ أبو الفرج عماد الدِّين عليُّ بن قطب الدين. فقيهٌ ثقةٌ كما في فهرست الشيخ منتجب الدين، يروي عن والده القطب السّعيد وعن جماعة من أعاظم الطائفة منهم:

---

(١) كتاب الشهاب للقاضي القضاعي شرحه المترجم سنة ٥٥٣.
(٢) ألّفه سنة ٥٦٢.
(٣) هي منظوماته.

السيِّد ضياء الدِّين فضل الله بن عليّ الراوندي الكاشاني.
جمال الدين حسين بن عليّ أبو الفتوح الرازي المفسِّر الكبير.
سديد الدين محمود بن عليّ بن الحسن الحمصي الرازي.
أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب «مجمع البيان».
الشيخ عبدالرَّحيم بن أحمد البغدادي الشهير بابن الأخوَّة.

نصَّ على ذلك كلّه صاحب المعالم في إجازته الكبيرة، ويروي عنه الفقيه الكبير الشيخ أبو طالب نصير الدين عبدالله بن حمزة بن الحسن بن عليّ بن نصير الطوسي. والشيخ محمّد بن جعفر بن أبي البقاء الحليّ المعروف بابن نما ـ المطلق ـ.

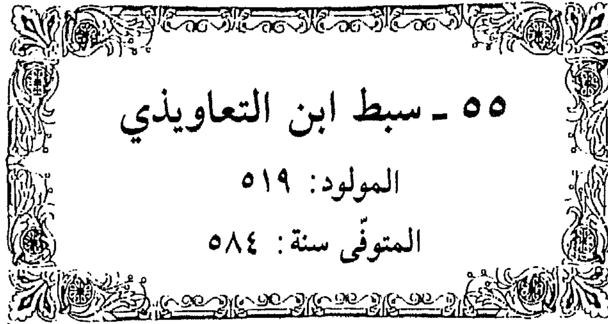
ترجمه شيخنا الحرّ العاملي في أمل الآمل مرّة تحت عنوان: عليّ بن قطب الدين أبي الحسين الراوندي. واخرى بعنوان: عليٍّ بن الإمام قطب الدين سعيد الراوندي وقال في الموضع الأوَّل: يروي عنه الشهيد. اهـ. وهذا اشتباهٌ بيِّن إذ الشيخ عليّ هذا من أعلام القرن السّادس وشيخنا الشهيد وُلد سنة ٧٣٤.

وللشيخ علي هذا ولدٌ عالمٌ ذكره الشيخ منتجب الدين في الفهرست وأطراه بالفضل والعلم ألا وهو: الشيخ أبو الفضائل برهان الدين محمّد بن علي بن قطب الدين.

وولد المترجم الثاني: الشيخ نصير الدين أبو عبدالله الحسين بن قطب الدين. أحد شهداء أعلام الدين وحملة العلم والفضيلة ترجمناه في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ٤٠.

وولده الثالث: الفقيه ظهير الدين أبو الفضل محمّد بن قطب الدين، أصفقت المعاجم على الثناء عليه بالإمامة والثقة والعدل.

توفِّي المترجَم القطب السَّعيد ضحوة يوم الأربعاء الرابع عشر من شوّال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة كما في إجازات البحار ص ١٥ نقلاً عن خطِّ شيخنا الشهيد الأوّل قدّس سرّه. وفي لسان الميزان نقلاً عن تاريخ الريّ لابن بابويه: أنّه توفِّي في ثالث عشر شوّال. وقبره في الصحن الجديد من الحضرة الفاطميَّة بقم المشرَّفة.



٥٥ ـ سبط ابن التعاويذي

المولود: ٥١٩

المتوفّى سنة: ٥٨٤

يا سميَّ النبيّ يابن عليّ! ... قامع الشّرك والبتول الطّهورِ
أنت تسمو على البريَّة طرّاً ... بمحلٍّ عالٍ وبيتٍ كبيرِ
عنكمُ يُؤخذ الوفاء ومنكم ... يحتذي[1] الناس كلَّ خير وخيرِ
كيف أخلفتني؟ وما الخلف لِلْـ ... ـميعاد من عادة الموالي الصّدورِ
أنت يا بن المختار! أكرم من أن ... تنظر في أمر مستفاد حقيرِ
أنت أوليتنيه منك ابتداءً ... غير ما مُكره ولا مجبورِ
وأخو الفضل من يُساعد في الـ ... ـشدَّة لا في الرَّخاء والميسورِ
أيّ عذرٍ ينوب عنك؟ وما نا ... بك وجه الصَّواب بالمعذورِ[2]
ومتى ما استمرَّ خلفك للوعد ... ولم تعتذر عن التأخيرِ
صرت من جملة النَّواصب لا ... آكل غير الجرّي والجرجيرِ
وتغسَّلت واكتحلت ثلاثاً ... وطبخت الحبوب في عاشورِ
وطويت الأحزان فيه ولم ... أُبدِ سروراً في يوم عيد الغديرِ
وتبدَّلت من مبيتي في مشهـ ... ـد موسى[3] بجامع المنصورِ
وتطهَّرت من اناء يهو ... ديٍّ وفضَّلته على الخنزيرِ
ورآني أهل التشيُّع في الـ ... ـكرخ بتاموسة وذيلٍ قصيرِ

(١) في مطبوع ديوانه: يجتدى.
(٢) في ديوانه المطبوع: وما تارك وجه الصواب بالمعذور.
(٣) يعني مشهد الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليهما بالكاظمية.

زائـراً قبـر مصعب بعـد مـا كنـ ـت أُوالي دفين قبـر النـذورِ[١]
وتخيَّـرت أن يكون الـزبيـدي[٢] رفيقي في العـرض يـوم النشـورِ
وتراني في الحشر فـاطمة الـطّهر وكـفّـي فـي كـفّـه الـمـبـتـورِ
وتكون المسؤول أنت عن مؤمن ألـ ـقيتـه غـداً في سـواء السّعيـرِ

هذه الأبيات أخذناها من ديوان المترجم المخطوط[٣] كتبها إلى نقيب الكوفة وشريفها المعظم السيِّد محمَّد بن مختار العلوي يعاتبه على عدم الوفاء بوعد كان وعده به، وهي على وتيرة تتريَّة ابن منير ولهما أشباه ونظائر مرَّ الإيعاز إليها في ج ٤ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢.

الشاعر

أبو الفتح محمَّد بن عبيدالله[٤] البغدادي يُعرف بابن التعاويذي وبسبط ابن التعاويذي وكلاهما نسبة إلى جدِّه لأُمِّه أبي محمَّد المبارك بن المبارك الجوهري. المعروف بابن التعاويذي المولود بالكرخ سنة ٤٩٦، والمتوفّى في جمادى الاولى سنة ٥٥٣ ودفن بمقبرة الشونيزيَّة.

كان المترجم في الصَّدر من شعراء الشيعة، وفي الطليعة من كتّابها الأفذاذ، يزدهي العراق بشعره المبهج وأدبه المبتلج، كما أنَّ الكتب ضاعت بألقٍ من كلمه، وضاعت بعبقٍ من نشر فمه، وقد أصفقت المعاجم على الثناء عليه وذكر فضله الظاهر ومآثره الجمَّة، ففي معجم الأدباء ج ٧ ص ٣١: كان شاعر العراق في وقته وكان كاتباً بديـوان الأقطاع ببغـداد، واجتمع بـه العماد الكاتب الإصبهاني لمّا كان بالعراق وصحبه مدَّة، فلمّا انتقل العماد إلى الشام

(١) كان قبر مصعب يزار في القرون الاولى كما مر ص ٢٣٩ من هذا الجزء. وقبر النذور مر تفصيله في ص ٢٤٢.
(٢) هو لعين الامة عبدالرحمن بن ملجم المرادي قاتل أمير المؤمنين عليه السلام.
(٣) توجد في مطبوع ديوانه صفحة ٢١٤.
(٤) في غير واحد من المصادر: عبدالله.

واتّصل بالسّلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب كان ابن التعاويذي يراسله، فكان بينهما مراسلات ذكر بعضها العماد في الخريدة، وعمي أبو الفتح في آخر عمره سنة ٥٧٩ وله في ذلك أشعارٌ كثيرةٌ يندب بها بصره وزمان شبابه، ومدح السلطان صلاح الدين بثلاث[١] قصائد أنفذها إليه من بغداد إحداها عارض بها قصيدة أبي منصور عليٍّ بن الحسن المعروف بصرّدر[٢] التي أوّلها:

أكذا يُجازى ودُّ كلِّ قرين؟....

فقال ابن التعاويذي وأحسن ما شاء:

إن كان دينك في الصبابة ديني ... فقف المطيّ برملتي يَبرينِ[٣]
والثم ثرىً لو شارفت بي هضبه ... أيدي المطيِّ لثمتها بجفوني
وانشد فؤادي في الظباء معرِّضاً ... فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وإنّما ... غالطتُ عنها بالظُّباء العينِ
لولا العِدى لم أكنِ عن ألحاظها ... وقدودها بجآذر وغصونِ
لله ما اشتملت عليه قبابهم ... يوم النّوى من لؤلؤٍ مكنونِ
من كلِّ تائهةٍ على أترابها ... في الحسن غانيةٍ عن التحسينِ
خود تُري قمر السّماء إذا بدت ... ما بين سالفةٍ لها وجبينِ
غادين ما لمعت بروق ثغورهم ... إلا استهلت بالدموع شؤوني[٤]
إن تُنكروا نفس الصَّبا فلأنّها ... مرّت بزفرة قلبي المحزونِ
وإذا الرّكائب في المسير تلفّتت ... فحنينها لتلفّتي وحنيني
يا سلم إن ضاعت عهودي عندكم؟ ... فأنا الذي استودعتُ غير أمينِ
أو عدتُ مغبوناً فما أنا في الهوى ... لكُمُ بأوّل عاشقٍ مغبونِ

---

(١) توجد في ديوان المترجم في مدح صلاح الدِّين يوسف ستّ قصائد لا ثلاث ولعلّه أنفذ منها إليه ثلاثاً.

(٢) أبو منصور علي بن الحسن الكاتب الشاعر المتوفى سنة ٤٦٥ مترجم في غير واحد من المعاجم.

(٣) يبرين بالفتح ثم السكون: رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة. وقيل: إنّه من أصقاع البحرين به منبران وهناك الرمل الموصوف بالكثرة.

(٤) في مطبوع ديوانه: جفوني.

رفقاً فقد عسف الفراق بمطلق الـ ـعبرات في أسر الغـرام رهينِ

وذكر من القصيدة ٣٢ بيتاً[١] ونقتطف ممّا ذكره من قصيدته الثانية أبياتاً من أوّلها[٢]:

حتّام أرضي في هـواك وتغضبُ وإلى متى تجني علـيَّ وتعتبُ
ما كـان لي لـولا مـلالـك زلّة لمّـا مللت زعمت أنّي مـذنبُ
خذ في أفانين الصّدود فإنّ لي قلبـاً على العـلّات لا يتقلّبُ
أتظنّني أضمرت يـومـاً سلوةً؟ هيهات عطفك من سلوّي أقربُ
لي فيك نار جوانح ما تنطفي شـوقاً ومـاءُ مـدامـع لا ينضبُ

ثمّ ذكر أبياتاً من قصيدته الثالثة اللاّميّة، وذكر من شعره قوله من قصيدة يندب بصره:

حـالان مـسّتـنـي الـحـوا دث منهـمـا بفـجيـعـتيـنِ
إظـلام عـيـن فـي ضـيـا ءٍ من مشيب سـرمـديـنِ[٣]
صـبـحٌ وإمـسـاءٌ مـعـاً لا خـلفـةً فـاعـجـب لـذيـنِ
قـد رحتُ في الـدنـيـا من الـ ـسـراء صـفـر الـرّاحـتيـنِ
أسـوان لا حـيّ ولا مـيـت كـهـمـزة بـيـن بـيـنِ

قال الأميني:

هذه القصيدة تحتوي ٥٩ بيتاً مطلعها الموجود:

أتـرى تـعـود لـنـا كـمـا سلفت ليـالي الأبـرقـينِ؟

ويقول فيها:

فـأنـاخ فـي آل الـرّسـول مـجـاهـراً بـرزيئـتـيـنِ

---

(١) القصيدة ٧١ بيتاً نظمها سنة ٥٧٥ ببغداد وأرسلها إلى دمشق. توجد في ديوانه المطبوع ص ٤٢٠.
(٢) القصيدة ٨١ بيتاً نظمها سنة ٥٨٠ وأنفذها على يد رسوله إلى دمشق. توجد في ديوانه المطبوع ص ٢٢.
(٣) في مطبوع ديوانه:

إظلام عين في ضيا ء مشيب رأس سرمدين

بـدءاً بـرزءٍ فـي أبـي حسـن وعـوداً فـي الـحسـيـنِ
الـطّيـبـيـن الـطاهـريـن الـخـيِّـريـن الـفـاضـلـيـن
الـمـدلـيـن إلـى الـنـبـيِّ مـحـمّـدٍ بـقـرابـتـيـنِ(١)

وذكر الحموي من شعره قوله:

سقـاكِ سـار من الـوسميِّ هتّـانُ ولا رقت للغـوادي فيكِ أجفانُ
يا دار لهوي وإطـرابي ومعهد أتـ ـرابي وللّهـو أوطارٌ وأوطـانٌ(٢)
أعائدٌ لي ماضٍ من جديد هوىً أبليتـه وشبـابٌ فيـكِ فينـانُ(٣)
إذ الـرَّقيب لنـاً عينٌ مسـاعـدةٌ والكاشحون لنا في الحبِّ أعوانُ
وإذ جُميلة توليني الجميل وعنـد الغـانيـات وراء الحسن إحسـانُ
ولي إلى البانِ من رمل الحمى طرفٌ فاليوم لا الرَّمل يصيبني ولا البانُ
وما عسى يُدرك المشتاق من وطر إذا بكى الرَّبع والأحباب قد بانوا
إنَّ المغـاني معـانٍ والمنـازل أمـ ـوات إذا لم يكن فيهنَّ سكّـانُ
لله كم قمـرت لُبِّي بـجـوِّك أقـ ـمارٌ! وكم غازلتني فيك غزلان!
وليلة بـات يجلو الـرّاح من يـده فيهـا أغنُّ خفيف الرّوح جَـذلان
خال من الهمِّ في خلخالـه حَرجٌ فـقلبـه فـارغٌ والـقـلب مـلآن
يذكي الجوى بارد من ريقه شبمٌ ويوقد الظرف طرفٌ منه وسنانُ(٤)
إن يُمس ريَّان من ماء الشباب فلي قلبٌ إلى ريقـه المعسـول ظمآنُ
بين السّيـوف وعينيـه مشـاركـةٌ من أجلهـا قيل لـلأغماد أجفـانُ
فكيف أصحو غراماً أو أفيق جوىً وقـدُّه ثمـلٌ بـالتّيـه نشـوانُ؟
أفـديه من غـادر بالعهـد غادرني سُـدوده ودمـوعي فيـه غُـدرانُ
فـي خـدِّه وثـنـايـاه ومـقـلتـه وفي عِـذاريـه للعشّـاق بُستـانُ

---

(١) ذكرت في ديوانه المطبوع ص ٤٣٥.
(٢) في ديوانه: وللهو والإطراب أوطان.
(٣) أي غض ناعم.
(٤) في ديوانه: ويوقظ الوجد طرف منه وسنان. شبم: شديد البرودة.

شقـائقٌ وأقـاحٍ نبتـه خضـلٌ(١)　　ونرجسٌ أنا منه الدَّهر سكرانُ(٢)

وكان له راتبٌ في الديوان فلمّا عمي طلب أن يجعل باسم أولاده ثمَّ كتب هذه القصيدة ورفعها إلى الخليفة الناصر التمس بها تجديد راتب مدَّة حياته:

خليفـة الله أنت بالـدين والـدنيـا　　وأمـــر الإســـلام مـــطَّلعُ

ثمَّ قال: وكلُّ شعر أبي الفتح غررٌ وديوانه كبيرٌ يدخل في مجلّدين جمعه بنفسه قبل أن يضرّ، وافتتحه بخطبة لطيفة ورتّبه على أربعة أبواب، وما حدث من شعره بعد العمى سمّاه الزّيادات، وهي ملحقةٌ ببعض نسخ ديوانه المتداولة وبعض النسخ خلوٌ منها، وله كتابٌ سمّاه «الحجبة والحجّاب» في مجلّد كبير ونسخه قليلة. ولد أبو الفتح ابن التعاويذي في اليوم العاشر من رجب سنة ٥١٩ وتـوفّي في ثاني شـوّال سنة ٥٨٣ ببغـداد ودفن في مقبرة بـاب أبـرز. انتهى ملخصاً.

وفي تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٣: أبو الفتح ابن التعاويذي نسب إلى جدِّه لأُمِّـه أبي محمَّد المبارك لأنّـه كفله صغيراً في حجره، وكان أبو الفتح هذا شاعر وقته لم يكن مثله، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها، ورقّة المعاني ودقّتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة، وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يُضاهيه ولا يُؤاخذني مَن يقف على هذا الفصـل فإنَّ ذلـك يختلف بميل الطباع ولله درّ القائل:

وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

وكان كاتباً بديوان المقاطعات، وعمي في آخر عمره سنة ٥٩٧ ثمَّ ذكر ما يقرب من كلام نقلناه عن معجم الأدباء، وروى من شعره ما يربو على سبعين بيتاً

(١) شقائق ويقال له: شقائق النعمان: نبت بستانيّ أحمر. والأقاحي جمع الأقحوان: هو زهر البابونج.

(٢) فيه تصحيف وصحيحه: ونرجس عبق غض وريحان. وبعده قوله:

مـازال يـمـزج كـأسي مـن مـراشفـه　　بـقـهـوة أنـا مـنـهـا الـدهـر سـكـران

والقصيدة تناهز ٧٧ بيتاً نظمها سنة ٥٨١ يمدح بها الناصر لدين الله في عيد الفطر توجد في ديوانه ص ٤١٢.

وقال: أوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستجملة، وأمّا قصائده المشتملة على النسيب والمدح فإنّها في غاية الحسن وصنّف كتاباً سمّاه ـ الحجبة والحجّاب ـ وترجمه العماد الإصبهاني في كتاب [الخريدة] وأثنى عليه بقوله: هو شابٌ فيه فضلٌ وآدابٌ وریاسةٌ وكیاسةٌ ومروّةٌ وابوّةٌ وفتوّةٌ، وجمعني وإيّاه صدق العقيدة في عقد الصّداقة، وقد كملت به أسباب الظرف واللطف واللباقة، وكانت ولادته في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة٥١٩ وتوفّي في ثاني شوّال سنة أربع وقيل: ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد، ودُفن في باب أبرز. وقال ابن النجّار: مولده يوم الجمعة ومات يوم السبت ١٨ شوّال. انتهى تلخيص ما في تاريخ ابن خلكان.

وذكره أبو الفداء في تاريخه ج٣ص٨٠ وابن شحنة في «روض المناظر»، وابن كثير في تاريخه ج١٢ص٣٢٩ وصاحب «شذرات الذهب» ج٤ص٢٨١، ومؤلّف «نسمة السحر» ج ٢. ولم أجد خلافاً في تاريخ ولادته غير أنّ عبد الحيّ أرّخه في شذراته بسنة ٥١٠ ولم نقف على مصدره.

وترجمه اليافعي في موضعين من «مرآة الجنان»: ج ٢ ص ٣٠٤ و٤٢٩، وقال في الموضع الأول: ذكر بعض المؤرّخين موته في سنة ٥٥٣، وذكر بعضهم في سنة أربع وثمانين. اهـ. قد عرفت أنّ سنة ٥٥٣ هي تاريخ وفاة جدّ المترجم له المعروف بابن التعاويذي ورثاه سبطه في وقته واشتبه الأمر على بعض المؤرخين بموت المترجم له ولعلّه لشهرتهما بابن التعاويذي.

وتوجد ترجمته في تاريخ آداب اللغة العربيّة وفيه: إنّه توفّي سنة ٥٣٨. وأحسبه تصحيف ٥٨٣. وقال فريد وجدي في «دائرة المعارف» ج٦ص٧٧٧: إنّه ولد سنة ٥١٦ وتوفّي سنة ٥٨٣ أو ٥٨٦. ـ وفي كلا التاريخين تصحيفٌ ـ.

والواقف على ديوان المترجم جدُّ عليم بتاريخ وفاته إذ قصائده مؤرّخة بسنيّ نظمها وأكثرها من سنة سبعين إلى أربع وثمانين، وفيه قصيدته في رثاء جدِّه [المبارك] المتوفّى سنة ٥٥٣ وهي مؤرَّخةٌ بها. وله قصيدتان مؤرّختان بسنة ٥٨٣ إحداهما في مدح الناصر لدين الله أبي العبّاس أحمد. والاخرى في مدح

الوزير جلال الدين أبي المظفّر عبيدالله بن يونس وتهنئته بالوزارة، نظمها في عيد الأضحى من سنة ٥٨٣، فبعد كون وفاته في شوّال من المتسالم عليه لم يبق إشكالٌ في أنّـه توفّي سنة ٥٨٤، والله العالم.

ومن شعره قوله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه:

أرقتُ للمع برقٍ حاجريٍّ(١) ... تألّق كاليماني المشرفيِّ
أضاء لنا الأجارع مستطيراً ... سناه وعاد كالنبض الخفيِّ(٢)
كأنَّ وميضه لمع الثّنايا ... إذا ابتسمت وإشراق الحليِّ
فأذكرني وجوه الغيد بيضاً ... سوالفها ولم أكُ بالنسيِّ
وعصر خلاعة أحمدت فيه الـ ... شبَاب وصحبة العيش الرخي
وليلي بعدما مطلت ديوني ... ولا حالت عن العهد الوفيِّ
منعَّمةٌ شقيت بها ولولا الهـ ... ـوى ما كنت ذا بالٍ شقيِّ
تزيد القلب بلبالاً ووجداً ... إذا نظرت بطرفٍ بابليِّ
أتيهُ صبابةً وتتيهُ حسناً ... فويلٌ للشجيِّ من الخليِّ
إذا استشفيتها وجدي رمتني ... بداءٍ من لواحظها دويِّ
ولولا حبّها لم يُصب قلبي ... سنا برقٍ تألّق في دجيٍّ(٣)
أجاب وقد دعاني الشوق دمعي ... وقِدماً كنت ذا دمعٍ عصيِّ
وقفت على الدِّيار فما أصاخت ... معالمها لمحتزنٍ بكيِّ
أُروّي تُربها الصّادي كأنّي ... نزحت الدمع فيها من ركيِّ
ولو أكرمت دمعك يا شؤوني ... بكيتِ على الإمام الفاطميِّ

---

(١) حاجري: نسبة إلى حاجر كانت بليدة بالحجاز فاندرست، وقد استعملها الشعراء كثيراً في شعرهم، وقد أكثر أبو يحيى عيسى بن سنجر الإربلي المتوفى سنة ٦٣٢ استعمالها في شعره، فلقب بالحاجري وعرف به ولم يكن منها.

(٢) وفي المطبوع من ديوانه:

أضاء لنا الأجارع مسبطرّاً ... وعاد سناه كالبيض الخفيِّ

(٣) كذا في ديوانه المخطوط وفي المطبوع: في حبيّ. الحبيّ: السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض.

على المقتول ظمآنا فجودي — على الظمآن بالجفن الرّويِّ
على نجم الهدى السّاري وبحر الـ — ـعلوم وذروة الشَّرف العليِّ
على الحامي بأطراف العوالي — حمى الإسلام والبطل الكمي
على الباع الرَّحيب إذا ألمّت — به الأزمات والكف السَّخيِّ
على أندى الأنام يداً ووجهاً — وأرجحهم وقاراً في النديِّ
وخير العالمين أباً وأُمّاً — وأطهرهم ثرى عِرق زكيِّ
لئن دفعوه ظلماً عن حقوق الـ — ـخلافة بالوشيج السَّمهريِّ
فما دفعوه عن حسب كريمٍ — ولا ذادوه عن خُلقٍ رضيِّ
لقد فصموا عرى الإسلام عَوداً — وبدءاً في الحسين وفي عليِّ
ويومُ الطفِّ قام ليوم بدرٍ — بأخذ الثار في آل النبيِّ
فثنّوا بالإمام أما كفاهم — ضلالاً ما جنوه على الوصيِّ؟
رموهُ عن قلوبٍ قاسياتٍ — بأطراف الأسنَّة والقسيِّ
وأسرى مُقدماً عمر بن سعد — إليه بكلِّ شيطانٍ غويِّ
سفوكٍ للدِّماء على انتهاك المـ — ـحارم جدّ مِقدام جريِّ
أتاه بمحنقين تجيش غيظاً — صدورهمُ وجيشٍ كالأتيِّ
أطافوا محدقين به وعاجوا — عليه بكلِّ طرفٍ أعوجيِّ
وكلّ مثقفٍ لَدن وعضبٍ — سريجيٍّ ودرع سابُريٍّ(١)
فأنحوا بالصَّوارم مسرعاتٍ — على البرِّ النقيِّ ابن النقيِّ
وجوه النار مظلمةٌ أكبَّت — على الوجه الهلاليِّ الوضيِّ
فيا لك من إمام ضرَّجوه الـ — ـدم القاني بخرصان القنيِّ(٢)
بكته الأرض إجلالاً وحزناً — لمصرعه وأملاك السّميِّ
وغودرت الخيامُ بغير حام — يُناضل دونهنَّ ولا وليِّ

---

(١) المثقف: الرمح. ويقال: ثقف الرمح أي قومه وسواه. اللدن: اللين: العضب: السيف القاطع. السريجي: نسبة إلى رجل اسمه سريج كان ماهراً بصنعة السيوف. السابري: درع دقيقة النسج محكمة.

(٢) الخرصان ج الخرص: الرمح القصير. السنان. القنى جمع القناة: الرمح أو عوده.

فما عطف البغاة على الفتاة الـ ـحصان ولا على الطفل الصبيِّ
ولا بذلوا لخائفة أماناً ولا سمحوا لظمآن بريِّ
ولا سفروا لِثاماً عن حياءٍ ولا كرمٍ ولا أنف حميِّ
وساقوا ذود أهل الحقِّ ظلماً وعدواناً إلى الورد الوبيِّ
تذودهمُ الرِّماح كما يُذاد الـ ـرِّكاب عن الموارد بالعصيِّ
وساروا بالكرائم من قريش سبايا فوق أكوار المطيِّ
فيا لله يوم نعوه ماذا و عى سمعُ الرَّسول من النعيِّ
ولو رام الحياة نجا إليها بعزمته نجاءَ المضرحيِّ[١]
ولكنَّ المنيَّة تحت ظلِّ الـ ـرِّقاق البيض أجدر بالأبيِّ
فيا عصب الضّلالة كيف جزتم عناداً عن صراطكم السّويِّ؟
وكيف عدلتمُ مولود حجر الـ ـنبوّة بالغويِّ ابن الغويِّ؟[٢]
فألقيتم وعهدكُم قريبُ وراء ظهوركم عهد النبيِّ
وأخفيتم نفاقكمُ إلى أن وثبتم وثبة الذئب الضريِّ
وأبديتم حقودكُمُ وعُدتم إلى الدين القديم الجاهليِّ
ولولا الضغن ما ملتم على ذي الـ ـقرابة لِلبعيد الأجنبيِّ
كفى خزياً ضمانكُمُ لقتل الـ ـحسين جوايز الرِّفد السنيِّ
وبيعكمُ لاخراكم سفاهاً بمبرود من الدنيا البريِّ[٣]
وحسبكمُ غداً بأبيه خصماً إذا عرف السَّقيم من البريِّ
صليتم حزبه بغياً فأنتم لنار الله أولى بالصليِّ
وحرَّمتم عليه الماء لُؤماً وأسقينا إلى الخلق الدنيِّ[٤]
وأوردتم جيادكُمُ وأظميـ ـتموهُ شربتُمُ غير الهنيِّ

(١) نجا ينجو نجاء: أسرع وسبق. المضرح والمضرحي: الصقر. النسر الطويل الجناح.
(٢) هذا البيت حرفته يد الطبع عن ديوانه.
(٣) في نسخة اخرى صحيحة:

وبيعتكم لأخزاكم سفاهاً بمنزور من الدنيا بكيٍّ

المنزور من النزر: أي القليل. بكيٌّ: القليل. يقال: أيد بكاء: أي قليلة العطاء.
(٤) في نسخة: «إسفافاً إلى الخلق الدنيِّ. وفي ديوانه المطبوع: واشفاقاً.

وفـي صـفّـيـن عـانـدتـم أبـاهُ | وأعـرضـتم عـن الحـقّ الجـليّ
وخـادعـتم إمـامـكُم خـداعـاً | أتـيـتـم فـيـه بـالأمـر الـفـريّ
إمـامـاً كـان يُنصف بـالقضـايـا | ويـأخـذ للضّعيف من القـويّ
وأنكـرتم حـديث الشمس رُدّت | لـهُ وطـويتُمُ خبـر الـطويّ[1]
فـجـوزيتـم لبـغـضـكُـمُ عـليّـاً | عـذاب الخلد في الدرك القصيّ
سـأهـدي لـلأئمّـة من سـلامي | وغُـرٍّ مـدائـحي أزكـى هَـديّ
سـلامـاً أُتبـع الـوسميَّ منـه | على تلك المشاهـد بـالوليّ[2]
وأكسـو عـاتق الأيّـام منهـا | حـبـايـر كـالـرِّداء العبقـريّ
حـسـانـاً لا أُريـد بـهـنّ إلّا | مَـسـاءة كـلّ بـاغٍ خـارجـيّ
يضـوع لهـا إذا نُشـرت أريـجُ | كنشـر لطائم المِسـك الزكيّ[3]
كـأنفـاس النّسيم سـرى بليـل | يـهـزُّ ذوائـب الـوَرد الجـنـيّ
لِـطيـبـة والبـقيـع وكـربـلاءٍ | وسـامـراء تـغـدو والـغـريّ
وزوراء العـراق وأرض طـوسٍ | سقـاهـا الغيث مـن بلدٍ قـصيّ
فـحـيَّ الله مَـن وارتـه تـلك الـ | ـقبـاب البيض من حبـرٍ تقيّ
وأسـبـل ثـوب رحمـه دراكـاً | عـليهـا بـالـغـدوّ وبـالعـشيّ
فـذخـري للمعـاد ولاءُ قـومٍ | بهم عـرف السّعيـد من الشقيّ
كـفـاني عـلمـهـم أنّـي مُـعـادٍ | عـدوّهُـمُ مـوالٍ لـلـوليّ[4]

---

(١) الطوي والطوية: البئر المطوية. أشار بهذا البيت إلى حديث رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام وقد أسلفناه وكلمات الأعلام حوله في الجزء الثالث ص ١٢٦ ـ ١٤١. وإلى حديث انحداره عليه السلام بئراً بعيدة القعر ليلة البدر وقد مر في الجزء الثالث ص ٣٩٥ وقد ذكره الإمام أحمد في المناقب.

(٢) الوسمي: أول مطر الربيع. والولي: المطر بعد المطر.

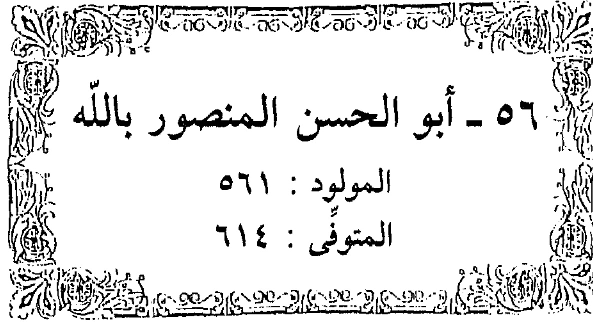
(٣) لطائم جمع اللطيمة: نافجة المسك.

(٤) هذه القصيدة ذكر منها صاحب نسمة السحر ٤٥ بيتاً، ونحن أخذناها من ديوانه المخطوط.



شعراء الغدير

في القرن السابع



٥٦ ـ أبو الحسن المنصور باللّه

المولود : ٥٦١

المتوفّى : ٦١٤

بني عمنا! إنّ يوم «الغدير» ... يشهدُ للفارس المعلم
أبونا عليٌّ وصيُّ الرَّسول ... ومن خصَّه باللوا الأعظمِ
لكم حرمةٌ بانتساب إليه ... وها نحن من لحمه والدَّمِ
لئن كان يجمعنا هاشمٌ ... فأين السَّنام من المنسمِ؟
وإن كنتُمُ كنجوم السّماء ... فنحن الأهلّة للأنجمِ
ونحن بنو بنته دونكم ... ونحن بنو عمِّه المسلمِ
حماه أبونا أبو طالب ... وأسلم والنَّاس لم تسلمِ
وقد كان يكتم إيمانه ... فأمّا الولاء فلا يكتمِ
وأيّ الفضائل لم نحوها ... ببذل النّوال وضرب الكمي؟
قفونا محمَّد في فعله ... وأنتم قفوتم أبا مجرمِ (١)
هدى لكم الملك هدي العروس ... فكافيتموهُ بسفك الدَّمِ
ورثنا الكتاب وأحكامه ... على مفصح النّاس والأعجمِ
فإن تفزعوا نحو أوتاركم ... فزعنا إلى آية المحكمِ
أشرب الخمور وفعل الفجور ... من شيم النفر الأكرمِ؟
قتلتم هداة الورى الطاهرين ... كفعل يزيد الشقيِّ العمي
فخرتم بملك لكم زائلٍ ... يقصِّر عن ملكنا الأدومِ

---

(١) يعني أبا مسلم الخراساني عبدالرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة ١٢٩ .

ولا بـدَّ لـلملك مـن رجعـةٍ إلـى مسـلك المـنهـج الأقـومِ
إلى النفـر الشـمّ أهـل الكمـا ومـن طـلب الـحـقَّ لـم يـظلمِ

هذه الأبيات نظمها المترجم له في جمادى الاولى سنة ٦٠٢ يعارض بها قصيدة ابن المعتزّ الميميَّة التى أوَّلها:

بـنـي عـمّـنـا! أرجـعـوا ودَّنـا وسـيروا على السـنن الأقـومِ
لـنـا مـفـخـرٌ ولـكـم مـفـخـرٌ ومـن يُؤثـر الـحـقّ لـم يـنـدمِ
فـأنـتـم بـنـو بـنـتـه دونـنـا ونـحن بـنـو عـمّـه الـمـسـلمِ

وله من قصيدة تشتمل على ٥٥ بيتاً:

عجبت فهل عجبت لفيض دمـع لمـوحشـة على طلل ورسـمِ؟
ومـا يغنيـك من طلل محيـلٍ لـهنـدٍ أو لـجمـل أو لـنعـمِ
فعـدن عن المنازل والتَّصـابي وهـات لنا حـديث غـديـر خمّ
فيـا لـك مـوقفـاً مـا كـان أسنى ولـكـن مـرَّ فـي آذان صـمّ
لقـد مـال الأنـام معـاً علينـا كـأنَّ خـروجنـا من خلف ردمِ
هـدينـا النّـاس كلّهمُ جميعـاً وكـم بيـن المبيِّـن والمعمَّي؟
فكـان جـزاؤنـا منهم قـراعـاً ببيض الهنـد في الـرهـج الأجمِّ
هُـمُ قـتلوا أبـا حـسـن عـليّـاً وغـالـوا سبـطه حسـنـاً بسـمِّ
وهم خضروا الفرات على حسين وما صـابوه من نصـل وسهمِ [1]

الشاعر

الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن عليّ بن حمزة بن هاشم بن الحسن بن عبدالرَّحمن بن يحيى بن أبي محمَّد عبدالله بن الحسين بن ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن ابن الإمام عليّ بن أبي طالب.

(١) توجد القصيدتان في الحدائق الوردية. وجملة من الاولى مذكورة في نسمة السحر.

أحد أئمَّة الزيديَّة في ديار اليمن، قرن بين شرف النسب والمجد المكتسب، وضمّ إلى شرفه الوضّاح علماً جمّاً، وإلى نسبه العلويّ الشّريف فضائل كثيرة، جمع بين السيف والقلم.فرفّ عليه العِلم والعَلم، وشفّع علمه الرائق بأدبه الفائق، فأصبح إمام اليمن في المذهب، وفي الجبهة والسنام من فقهائها، كما أنّه عُدَّ من أفذاذ مؤلِّفيها وأشعر الدعاة من أئمتها، بل أشعر أئمَّة الزيديَّة على الإطلاق كما قاله صاحبا الحدائق والنسمة.

كان آية في الحفظ، حكى جمال الدين عمران بن الحسن عن بعض المعروفين بقوّة الحافظة: إنّي أحفظ مائة ألف بيت شعر وفلان ـ ذكر رجلاً من أهل الأدب ـ يحفظ أيضاً مثلي ونحن لا نعدُّ حفظنا إلى جنب حفظ الإمام المنصور بالله شيئاً.

وقال عماد الدين ذو الشّرفين، رأيت مع الإمام مجلّداً في الشّعر فقال: قرأته وحفظته فخذه وسلني عن أيِّ قصيدة منه شئت فجعلت أسأله من أوّله ووسطه وآخره وأنا أذكر له بيتاً من القصيدة فيأتي بتمامها.

قرأ في الأُصولين على حسام الدين أبي محمّد الحسن بن محمد الرصاص، وألف كتباً ممتعة في شتّى المواضيع من الفقه واصوله والكلام والحديث والمذهب والأدب منها:

صفوة الإختيار في أُصول الفقه	حديقة الحكم النبويَّة شرح الأربعين السلفيَّة
الشافي في أصول الدين أربعة أجزاء	الرِّسالة الهادية بالأدّلة البادية في السبي
الأجوبة الكافية بالأدّلة الوافية	الدرَّة اليمنيَّة في أحكام السبي والغنيمة
الاختيار المنصوريَّة في المسائل الفقهيَّة	الإيضاح لعجمة الإفصاح أكثره يتعلّق بالسير
كتاب الفتاوى مرتَّبٌ على كتب الفقه	الرِّسالة القاهرة بالأدّلة الباهرة في الفقه
الرِّسالة الحاكمة بالأدلّة العالمة	الناصحة المشيرة بترك الإعتراض على السيرة
العقيدة النبويَّة في الأصول الدينيَّة	الرِّسالة الفارقة بين الزيديّة والمارقة
الرِّسالة النافعة بالأدلّة القاطعة	الرِّسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية

الرِّسالة الناصحة بالأدّلة الواضحة(١) الجوهرة الشفَّافة في جواب الرِّسالة الطوّافة(٢) الأجوبة الرافعة للإشكال. الزبدة في أُصول الدين. العقد الثمين في الإمامة القاطعة للأوراد في الجهاد. كتاب تحفة الإخوان . الرِّسالة التهاميَّة. ديوانه

كان المترجم يجاهد ويجادل دون دعايته في الإمامة، وله في ذلك مواقف ومجاهدات، وكانت بدء دعوته سنة ٥٩٣ في شهر ذي قعدة وبايعه الناس في ربيع الأوَّل سنة ٥٩٤، وأرسل دعاته إلى خوارزم شاه المتوفّى سنة ٦٢٢ وتلقّاهم السّلطان بالقبول والإكرام، وأشغل ردحاً من الزَّمن منصَّة الزَّعامة في الدِّيار اليمنيَّة إلى أن توفِّي سنة ٦١٤ وكانت ولادته سنة ٥٦١، ومن مختار ما رُثي به قصيدة ولده الناصر لدين الله أبي القاسم محمّد بن عبدالله وهي واحد وأربعون بيتاً مطلعها:

بفي الشامتين الترب إن يك نالني ... مصاب أبي أو هدَّ من عظمه أزري
على حين أعيى المقربات فراقه ... وشنَّت له أنياب ذي لبد حسرِ
فإن يك نسوانٌ بكين؟ فقد بكت ... عليه الثريّا في كوكبها الزّهرِ
وإن تشمت الأعداء يوماً؟ فإنَّني ... على حدثان الدّهر كالكوكب الدري

توجد في ـ الحدائق الورديَّة ـ للمترجم ترجمة ضافية في ستِّين صحيفة تحتوي جملة من كتاباته وخطاباته في دعاياته وجهاداته، وشيئاً كثيراً من مناقبه وكراماته ومقاماته، وشطراً وافراً من شعره في مواضيع متنوِّعة، ومنه قوله كتبه إلى زوجته المسمّاة ـ متعة ـ يُعزِّيها عن أخيها:

الحمد لله الذي لم يزل ... أحكامه في خلقه ماضيه
وكلُّ مَن كان بها راضياً ... فإنّه في عيشةٍ راضيه
وكلُّ مَن كان لها ساخطاً ... فأُمّه في سقرٍ هاويه
كم قائل قد قال: يا ليتها ... عند الرزايا كانت القاضيه
يا بنت فضل أين فضل وهل ... باقٍ على الأيّام أو باقيه؟

(١) في جزئين الأول في أُصول الدين. والثاني في فضائل العترة الطاهرة.
(٢) رسالة أنشأها رجل متفلسف أشعري مصري تحتوي نيفاً وأربعين مسألة في أصول الدين.

كم من ملوك طال ما عمَّروا   فهل لهم في الأرض من باقيه؟
أين النبيّ المصطفى أحمد   وصنوه حيدر والزاكيه؟
فسلّمي الأمر لمن أمره   ينطح غلب العصب العاليه
ومَن إذا عاصاه ذو نخوة   صبَّ عليه الأخذة الرابيه
لا يغلب الله على أمره النّا   فذ من راقٍ ولا راقيه

إلخ

ومن قصيدة كبيرة له في الحماسة يذكر أجداده بأسمائهم ويفتخر بهم:

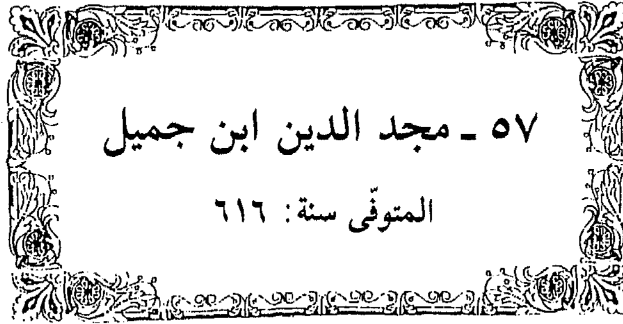
كم بين قولي عن أبي عن جدِّه   وأبو أبي فهو النبيُّ الهادي
وفتى يقول: أحكى لنا أشياخنا   ما ذلك الإسناد من إسنادي
ما أحسن النظر البليغ لمنصف   في مقتضي الإصدار والإيرادِ
خذ ما دنى ودع البعيد لشأنه   يغنيك دانيه عن الأبعادِ

ذكر صاحب الحدائق له من الأولاد الذكور:

محمّد الناصر لدين الله. أحمد المتوكّل على الله. عليّ. حمزة درج صغيراً. إبراهيم. سليمان. الحسن. موسى. يحيى. إدريس درج صغيراً. القاسم. فضل درج. جعفر لا عقب له. عيسى لا عقب له. داود. حسين درج. ومن البنات:

زينب. سيِّدة. فاطمة. حمانة. رملة. نفيسة. مريم. مهديَّة. آمنة. عاتكة.

وللمترجم ترجمة في [نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر] ج ٢.



٥٧ ـ مجد الدين ابن جميل

المتوفّى سنة: ٦١٦

ألمّت وهي حاسـرةٌ لثـامـا ... وقـد مـلأت ذوائبهـا الظلامـا
وأجـرت أدمعـا كـالـطلّ هبَّت ... لـه ريـح الصَّبا فجـرى تـواما
وقـالـت: أقصـدتـك يـد الليـالي ... وكنت لخـائف منهـا عصـامـا
وأعـوزك اليسيـر وكنـت فينـا ... ثمـالاً لـلأرامـل واليتـامـا
فقلت لهـا: كذاك الـدَّهـر يجني ... فقـرِّي وارقبي الشَّهـر الحـراما
فـإنِّـي سـوف أدعـو الله فيـه ... وأجعـل مـدح (حيـدرة) أمـامـا
وأبـعـثـهـا إلـيـه منـقـحـات ... يفـوح المسك منهـا والخزامى
تـزور فتـىً كـأنَّ أبـا قبيس ... تسنّم منكـبيـه أو شمـامـا
أغـرّ لـه إذا ذكـرت أيـاد ... عـطاءٌ وابـلٌ يشفـي الأوامـا
وأبـلج لـو ألمَّ بـه ابـن هـنـد ... لأوسعـه حبـاءاً وابتسـامـا
ولـو رمق السَّمـاء وليس فيهـا ... حيـاً لاستمطرت غيثـاً ركـامـا
وتلثم مـن تـراب أبـي تـراب ... تـرابـاً يُبـرىء الدّاء العقـامـا
فتحـظى عنـده وتؤوب عنـه ... وقـد فـازت وأدركت المـرامـا
بقصـد أخي النبيِّ ومـن حبـاه ... بـأوصـاف يفـوق بهـا الأنـامـا
ومَن أعـطاه يـوم (غـديـر خمٍّ) ... صريح المجد والشرف القدامى
ومـن رُدَّت ذكـاءُ لـه فصـلّى ... أداءاً بعـد مـا ثنت اللثـامـا(١)

---

(١) أداء بعدما كست الظلاما. كذا في بعض النسخ.

وآثـر بـالـطّعـام وقد تـوالـت ... ثـلاثٌ لم يـذق فيهـا طعـامـا
بقـرص من شعيـر ليس يـرضى ... سـوى الملح الجـريش لـه إدامـا
فـردَّ عليـه ذاك القـرص قـرصـاً ... وزاد عليـه ذاك القـرص جـامـا
أبـا حـسن وأنـت فتـىً إذا مـا ... دعـاه المستجيـر حمى وحـامـا
أزرتــك يقــظةً غــرر القــوافي ... فـزرني يـا بن فـاطمـة منـامـا
وبشّـرني بـأنّـك لـي مجيـرٌ ... وأنّـك مـانعي من أن أُضـامـا
فكيف يخـاف حـادثـة الليـالي ... فتىً يعـطيـه (حيـدرةٌ) ذمـامـا؟
سقتـك سحائب الـرضوان سحّـا ... كفيض يـديك ينسجم انسجـامـا
وزار ضـريحـك الأمـلاك صفّـا ... على مغنـاك تـزدحم ازدحـامـا
ولا زالت روايـا المزن تهـدي ... إلى النجف التحيّـة والسّلامـا

(ما يتبع الشعر)

وقفت في غير واحد من المجاميع العتيقة المخطوطة على أنَّ مجد الدين ابن جميل كان صاحب المخزن في زمن الناصر فنقم عليه وأودعه السِّجن فسأله رجال الدَّولة من الأكابر فلم يقبل فيه شفاعة أحد وتركه في الحجرة مدَّة عشرين سنة فخطر على قلبه أن يمدح الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فمـدحه بهذه الأبيات ونام فرآه في ما يراه النائم وهو يقول: السّاعة تخرج. فانتبه فرحاً وجعل يجمع رحله فقال له الحاضرون: ما الخبر؟ فقال لهم: السّاعة أخرج. فجعل أهل السّجن يتغامزون ويقولون: تغير عقله، وأمّـا الناصر فإنّـه أيضاً رأى أميـر المؤمنين في الطيف فقـال له عليـه السّلام: أخـرج ابن جميل في هـذه الساعة. فانتبه مذعوراً وتعوَّذ من الشيطان ونام فأتاه عليه السّلام ثانياً وقال له مثل الأوَّل فقال: ما هذا الوسـواس؟ فأتاه ثالثة وأمره بإخراجه، فانتبه وأنفذ في الحال مَن يطلقه فلمّا طرق الباب قال: والله وذا أنا متهيِّىء فلمّا مثل بين يدي الناصر عرَّفوه أنّهم وجدوه متهيِّئاً للخروج فقال له: بلغني أنّك كنت متهيِّئاً للخروج، فممّاذا قال: إنّـه جاء إليَّ مَن جاءك قبل أن يجيء إليك. قال: فبماذا؟ قال: عملت فيه قصيدة، فقال الناصر: أنشدنيها فأنشد القصيدة.

الشاعر

مجد الدين أبو عبدالله محمّد بن منصور بن جميل الجبائي ويقال: الجبي. المعروف بابن جميل الفزاري، كاتبٌ شاعرٌ، وأديبٌ متضلّع، له في النحو واللغة والأدب وقرض الشعر خطوات واسعة، وفي «معجم الأدباء» صحيفة بيضاء، وفي «طبقات النحاة» ذكرى خالدة، وقد جمع شوارد تاريخ ذلك الشاعر الفحل المنسيِّ الدكتور مصطفى جواد البغدادي في ترجمة نشرتها [مجلّة الغري] النجفيّة الغرّاء في عددها الـ ١٦ من السنة السّابعة ص ٢ ونحن نذكرها برمّتها متناً وتعليقاً قال:

وُلد بقرية من نواحي هيت تُعرف بجبا، وقدم بغداد في أوّل عمره وقرأ بها الأدب ولازم مصدّق بن شبيب الواسطي النحوي حتّى برع في النحو واللغة والفقه والفرائض والحساب بعد قراءة القرآن الكريم، وسمع الحديث من جماعة من الشيوخ منهم: أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب بن كليب، والقاضي أبو الفتح محمّد بن أحمد المندائي الواسطي سمعه حين قدومه بغداد، وعالج النثر والنظم فبلغ منهما مرتبة عاليةً، قال القفطي: «وقد كان أنشأ مقامات ظهر منها قطعة رأيتها في جملة أجزاء احضرت من بغداد إلى حلب للبيع بخطّه وكان خطّاً متوسّطاً صحيح الوضع فيه تلتبس نقط ثابتة لا تكاد تتغيّر (كذا) وشعره جيِّدٌ مشهورٌ مصنوعٌ لا مطبوع [١]، ووصفه ياقوت الحموي بأنّه نحويٌ لغويٌ أديبٌ من أفاضل العصر، قال: وكان بليغاً مليح الخطّ غزير الفضل متواضعاً مليح الصّورة طيِّب الأخلاق[٢]. وكان من شعراء الديوان العبّاسي، ومدح الخليفة الناصر لدين الله بقصائد كثيرة كان يوردها في المواسم والهناءات[٣] فعرف واشتهر ورتّب كاتباً في ديوان التّركات الحشريَّة وناظراً فيه، وهي تركات

(١) أصول التاريخ والأدب ١٩ ص ١٦٦، ج ٩ ص ٦٧ ـ ٨، من مجموعاتنا الخطية وعدتها ثلاثة وثلاثون مجلداً وهي في ازدياد.

(٢) معجم الادباء ٧ ص ١١٠.

(٣) أصول التاريخ والأدب ج ١٩ ص ١٦٦.

مَن يتوفّى وتحشر إلى بيت المال لعدم الوارث المستحقّ بحسب مذهب الشافعي، وكان ببغداد رجلٌ تاجرٌ يُعرف بابن العنيبري، وكان صديقاً له فلمّا حضرته الوفاة سأله الحضور إليه فلمّا حضر قال له: أنا طيّب النفس بموتي في زمان ولايتك ليكون جاهك «على» أطفالي وعيالي. فوعده بهم جميلاً، فلمّا مات حضر إلى تركته وباشرها فرأى فيها ألف دينار عيناً فأخذها وحملها إلى الإمام الناصر وأصحبها مطالعة منه يقول فيها: مات ابن العنيبري ـ ورث الله الشّريعة أعمار الخلائق ـ وقد حمل المملوك من المال الحلال الصّالح للمخزن ألف دينار وهو في عهدة تبقيها دنياً وآخرةً. قال القفطي: كان ظالم النفس عسوفاً فيما يتولاّه قال لبعض العاقلين: خف عذابي فإنّه أليمٌ شديدٌ. فقال له الرّجل: فإذاً أنت الله لا إلّه إلاّ هو. فخجل ولم يمنعه ذلك ولم يردعه عمّا أراده من ظلمه. قال: وكان يظنُّ بنفسه الكثير حتّى لا يرى أحداً مثله(١).

ثمَّ توصّل مجد الدِّين إلى أن يكون كاتباً في المخزن، وهو كوزارة الماليَّة في عصرنا، وكانت توقيعات التعيينات مسندةً كتابتها إليه، ثمَّ ترقَّى حتَّى صار صدراً في المخزن، أي صاحب المخزن كوزير الماليَّة في عصرنا، وكان ذلك في ليلة عاشر ذي القعدة سنة ٦٠٥ مضافاً إلى ولاية دُجيل وطريق خراسان أي لواء ديالي والخالص والخزانة والعقار وغير ذلك من أعمال الحضرة ببغداد(٢).

ولمّا كان كاتباً عدلاً في المخزن كان له من الجراية أي الجامكيَّة خمسة دنانير في الشهر، فلمّا ولي الصدريَّة قرّر له عشرة دنانير، وقد ذكر القفطي حكاية وقعت للمترجم أيّام تولِّيه صدريَّة المخزن إلاّ أنَّ سقم الخطّ الذي كتبت به أحالها، قال: سأله بعض التجار والغرباء العناية بشخصٍ في إيصال حقِّه إليه من المخزن فوعده ومطّله، فقال التاجر الشافع ـ وكان يدلُّ عليه ـ: فدفعت إليه في كلِّ يوم بدانق. قال له: وكيف؟ قال: لأنّك كنت عدلاً أقرب منه حالاً اليوم. وأشار إلى أنّه لمّا زيد رزقه ورفعت مرتبته تجبر دصركذا ـ زيادة وهي سدس

---

(١) أصول التاريخ والأدب ٩ ص ٦٧، ٦٨.

(٢) أصول التاريخ والأدب ١٩ ص ١٦٦، والجامع المختصر ٩ ص ٢٦٥ ـ ٦.

درهم في كلّ يوم وهو الدانق حتّى أخجله الله وصرف عن ذلك وسجن مدَّة [١]، وكان عزله عن تلك الولايات كلّها يوم السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ٦١١ هجـ، ثمَّ أُطلق من السِّجن وجُعل وكيلاً كاتباً بباب دار الأمير عدَّة الدين أبي نصر محمّد بن الناصر لدين الله ومات وهو على ذلك في منتصف شعبان من سنة ٦١٦ هجـ، وكان كهلاً ودُفن في مقابر قريش أي أرض المشهد الكاظمي [٢].

وكان له من الأولاد ابنٌ اسمه صفيُّ الدين عبدالله كان مقدَّم شعراء الديوان في أيّام المستعصم بالله وتوفّي سنة ٦٦٩ هجـ[٣].

وكان له أخٌ يلقَّب بقطب الدّين فقد ذكر ابن واصل الحموي المؤرِّخ المشهور: أنَّ جدَّه تاج الدين نصر الله بن سالم بن واصل صاحل القاضي ضياء الدين القاسم بن الشهر زوري انحدر من الموصل إلى بغداد مع القاضي المذكور في ثامن عشر شعبان سنة ٥٩٥ هـ ولمّا وصلا إلى بغداد أمر الخليفة الناصر لدين الله بإنزالهم في درب الخبّازين[٤] من سوق الثلاثاء ثمّ أنزل تاج الدين في دار صاحب المخزن، قال والد المؤرِّخ المذكور: وكان بين والدي ـ يعني تاج الدين ـ والصّاحب شمس الدولة محمّد بن جميل الفزاري مودّة نسجتها الصَّداقة بين والدي وأخيه قطب الدين في سفرات عديدة إلى دمشق المحروسة فلمّا طال المزار وأقمنا بدار الخلافة، على وجه الإيثار، صار الخبر عياناً وأصبح المعارف خلاناً فبقي شمس الدَّولة ووالدي ـ رح ـ يتزاوران ليلاً طرحاً للكلفة [٥].

---

(١) أصول التاريخ والأدب ٩ ص ٦٨.

(٢) الأُصول المذكورة ١٩ص ١٦٦، ومعجم الأدباء ٧ ص ١١٠، ومن معجم الأدباء نقل السيوطي كما في البغية ص ١٠٧، وترجمه الذهبي نقلاً عن مجد الدين ابن النجار، أصول التاريخ ٢٤ ص ٢٤٧.

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٨٤، ٣٦٨.

(٤) هو محلة العاقولية الحالية وفيها مدرسة التفيض الأهلية.

(٥) أصول التاريخ والأدب ٢٣ ص ٥٧.

أدب مجد الدين ابن جميل

لا ريب في أنَّ ضياع أدب الأديب من إمارات ضياع ترجمته أو استبهامها، وقد غبرنا دهراً نبحث عن ترجمة هذا الأديب الكبير فلم نعثر إلّا على ما ذكرنا من الأخبار والسيرة المختصرة، فأين مجموع نثره وديوان شعره والمقامات التي أنشأها؟ إنّـها في ضمير الغيب، ولم يصل إليَّ منها إلّا ما أنا ناشره بعد هذا، كتب مجد الدين محمّد بن جميل إلى جدِّه ابن واصل المذكور:

إن أخذ الخادم في شكر الإنعام الزيني[1] قصر عن غـايته وقصـر دون نهايته، وإن تعرَّض لوصف تلك الخلال الشريفة، والأخلاق اللطيفة، والألفاظ المستعذبة المألوفة مكنوناً من عيِّه، ولكنَّه نشر ما كان مطويّاً من حصره وفيها هنة لكنَّه يقول على ثقة من مسامحته:

قـصـدت ربعـي فتـعـالـى بـه قـدري فدتـك النفس من قاصـدِ
فـمـا رأى العـالـم من قبلهـا بـحـراً مـشـى قطُّ إلـى واردِ

فللّه هو من بحر خضم عذب ماؤه وسرى نسيماً هواؤه فأمن سالكوه من خطره ورأوا عجائبه وفازوا بدرره، وإن كنت في هذا المقام كالمنافس على قول ابن قلاقس[2]:

قـبِّـل بـنـانَ يـمـيـنـه وقـل: السَّـلام عليـك بحـرا
وغـلطتُ فـي تـشـبـيـهـه بـالـبـحـر الـلهـمَّ غـفـرا

والله تعالى يسبغ الظلّ الظليل، ويبقي ذلك المجد الأثيل، ويستخـدم الدَّهر لخدمه ومحبِّيه، ويمتِّعهم ببلوغ الآمال منه وفيه بمنّه وكرمه[3].

هـذه هي الرِّسـالة الأخـوانيَّة الـوحيدة التي عثـرت عليها لمجـد الدين

---

(١) كذا ورد وقد قدمنا أنّ لقبه تاج الدين فلعله بدل لقبه بعد ذلك كما كان جارياً في الدولة العباسية.

(٢) هو أبو الفتح نصرالله بن عبدالله بن مخلوف بن عليّ بن عبد القـويّ بن قلاقس الأديب الشـاعر المجيد، ولد سنة ٥٣٢، وتوفي بعيذاب سنة ٥٦٣. وقصر عمره يدل على نبوغـه، وله الـديوان المطبوع.

(٣) أصول التاريخ والأدب ٢٣ ص ٥٧.

ابن جميل، وله توقيعٌ كتبه في سنة ٦٠٤ أيّام كان كاتباً في المخزن في تولية ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي التدريس بمدرسة الإمام أبي حنيفة المجاورة لقبره يومذاك قال فيه:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، الحمد لله المعروف بفنون المعروف والكرم، الموصوف بصنوف الإحسان والنعم، المتفرِّد بالعظمة والكبرياء والبقاء والقدم، الذي اختصَّ الدار العزيزة ـ شيّد الله بناها، وأشاد مجدها وعلاها ـ بالمحلِّ الأعظم والشّرف الأقدم، وجمع لها شرف البيت العتيق ذي الحرم، إلى شرف بيتهاشم الذي هشم، جاعل هذه الأيّام الزاهرة الناظرة، والدولة القاهرة الناصرة، عقداً في جيد مناقبها وحليّاً يجول على ترائبها ـ أدامها الله تعالى ما انحدر لثام الصبَاح، وبرح خفاء براح ـ أحمده حمد معترفٍ بتقصيره عن واجب حمده، مغترفٍ من بحر عجزه مع بذل وسعه وجهده، وأشهد أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له، وهو الغنيُّ عن شهادة عبده، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله الذي صدع بأمره،وجاء بالحقّ من عنده،صلّى الله عليهصلاةً تتعدّى إلىأدنىولده وأبعد جدِّه، حتّى يصل عقبها إلى أقصى قصيّه ونزاره ومعده. وبعد: فلمّا كان الأجلُّ السيّد الأوحد العالم ضياء الدين شمس الإسلام رضيّ الدولة عزّ الشريعة عَلَم الهدى رئيس الفريقين تاج الملك فخر العلماء أحمد بن مسعود التركستاني ـ أدام الله علوّه ـ ممّن أعرق في الدّين منسبه، وتحلّى بعلوم الشريعة أدبه، واستوى في الصحّة مغيبه ومشهده وشهد له بالأمانة لسانه ويده، وكشف الاختبار منه عفّةً وسداداً، وأبت مقاصده إلّا أناة واقتصاداً، رأى الإحسان إليه والتعويل عليه في التدريس بـ[مشهد أبي حنيفة] ـ رحمة الله عليه ـ ومدرسته وأسند إليه النظر في وقف ذلك أجمع لاستقبال حادي عشري ديالقعدة سنة أربع وستمائة الهلاليّة وما بعدها وبعدها.وأمر بتقوى الله ـ جلّت آلاؤه وتقدّست أسماؤه ـ الّتي هي أزكى قربات الأولياء، وأنمى خدمات النّصحاء، وأبهى ما استشعره أرباب الولايات، وأدّل الأدلّة على سُبُل الصّالحات، وفاعلها بثبوت القدم خليقٌ، وبالتقديم جديرٌ قال الله تعالى **﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليمٌ خبير﴾**

وأن يذكر الدرس على أكمل شرائط وأجمل ضوابط، مواظباً على ذلك سالكاً فيه أوضح المسالك مقدِّماً عليه تلاوة القرآن المجيد على عادة الختمات في البكر والغدوات، متبعاً ذلك بتمجيد آلاء الله وتعظيمها والصّلاة على نبيِّه - صلّى الله عليه صلاة يضوع أرج نسيمها - شافعاً ذلك بالثناء على الخلفاء الراشدين والأئمَّة المهديِّين - صلوات الله عليهم أجمعين - والإعلان بالدعاء للمواقف الشريفة المقدَّسة النبويّة الإماميّة الطاهرة الزكيّة المعظّمة المكرّمة الممجّدة الناصرة لدين الله تعالى - لا زالت منصورة الكتب والكتائب، منشورة المناقب، مسعودة الكواكب والمواكب، مسودَّة الأهب، مبيضَّة المواهب، ما خطب إلى جموع الأكابر وعلى فروع المنابر خطيب وخاطب - وأن يذكر من الأُصول فصلاً يكون من سهام الشبه جُنَّة. ولنصر اليقين مظنَّة، متبعاً من المذهب ومفرداته ونكته ومشكلاته ما ينتفع به المتوسِّط والمبتدي، ويتبينه ويستضيء به المنتهي، ليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعياً إلى وفاق المعاني والعبارات، هادياً لشوارد الأفكار إلى موارد المنافسات ناظماً عقود التحقيق في سلوك المحاققات[1] مصوباً أسنَّة البديهة إلى ثغر الأناة، معتصماً في جميع أمره بخشية الله وطاعته، مستشعراً ذلك في علنه وسريرته.

والمفروض له عن هذه الخدمة في كلِّ شهر للاستقبال المقدَّم ذكره من حاصل الوقف المذكور لسنة تسع وتسعين الخراجيّة وما يجري مجراها من هلاليّة وما بعدها أُسوةً بما كان لعبد اللطيف ابن الكيال من الحنطة كيل البيع - ثلاثون قفيزاً - ومن العين الإماميّة - عشرة دنانير - يتناول ذلك شهراً فشهراً مع الوجوب والاستحقاق للاستقبال المقدَّم ذكره من حاصل الوقف المعيَّن للسنة المبيَّنة الخراجيَّة وما بعدها بموجب ما استؤمر فيه من المخزن المعمور - أجلّه الله تعالى - وإذن: فليجر على عادته المذكورة وقاعدته، ولتكن صلاته وجماعته في جامع القصر الشريف[2] في الضفَّة التي لأصحاب أبي حنيفة - رحمة الله

---

(١) كذا ورد بفك الإدغام والصواب الإدغام وشذ قولهم «تجانن فلان» أي أظهر الجنون وليس به.

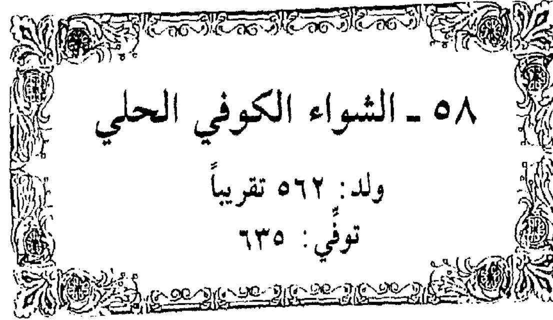
(٢) هو جامع سوق الغزل الحالي ولكنه كان أوسع أقطاراً وأوعب للناس.

عليه ـ وليصرف حاصل الوقوف المذكورة في سبلها بمقتضى شرط الواقف المذكور في كتاب الوقفيّة من غير زيادة فيها ولا عدول عنها ولا حذف شيءٍ منها، عالماً أنّه مسؤول في غده عن يومه وأمسه، وإنَّ أفعال المرء صحيفةٌ له في رمسه.

وليبذل جهده في عمارة الوقوف المذكورة واستنمائها واستثمار حاصلها وارتفاعها مستخيراً من يستخدمه فيها من الأجلاد الأُمناء ذوي العفّة والغناء متطلّعاً إلى حركاتهم وسكناتهم، مؤاخذاً لهم على ما لعلّه يتّصل به من فرطاتهم، لتكون الأحوال متّسقة النظام، والمال محروساً من الانثلام، وليبتدىء بعمارة المشهد والمدرسة المذكورين وإصلاح فرشها ومصابيحها، وأخذ القوام على الخدمة بها، وإلزام المتفقّهة بملازمة الدروس وتكرارها، وإتقان المحفوظات وإحكامها، وليثبت بخزانة الكتب من المجلّدات وغيرها معارضاً ذلك بفرسته متطلّباً ما عساه قد شذَّ منها، وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كلِّ وقت ومرمّة شعثها، وأن لا يخرج منها إلّا إلى ذي أمانة مستظهر بالرّهن عن ذلك، وليتلقَّ هذه الموهبة بشكر يرتبطها ويدبِّر أخلافها واجتهاد يضبطها ويؤمن إخلافها وليعمل بالمحدود له في هذا المثال من غير توقّف فيه بحال ـ إن شاء الله تعالى ـ وكتب لسبع بقين من ذي القعدة من سنة أربع وستمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلّى الله على نبيِّنا محمّد وآله الطاهرين الأكرمين وسلّم[1].

---

(١) الجامع المختصر ٩ ص ٢٣٣ ـ ٦.



٥٨ ـ الشواء الكوفي الحلي

ولد: ٥٦٢ تقريباً
توفي: ٦٣٥

ضمنت لمن يخاف من العقابِ ... إذا والى الوصيَّ أبا ترابِ
يرى في حشره ربّاً غفوراً ... ومولىً شافعاً يوم الحسابِ
فتىً فاق الورى كرماً وبأساً ... عزيز الجار مخضرَّ الجنابِ
يُرى في السّلم منه غيث جود ... وفي يوم الكريهة ليث غابِ
إذا ما سلَّ صارمه لحربٍ ... أراك البرق في متن السحابِ
وصيُّ المصطفى وأبو بنيه ... وزوج الطّهر من بين الصّحابِ
أخو النصِّ الجليِّ بيوم خمّ ... وذو الفضل المرتّل في الكتابِ(١)

الشاعر

أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن عليّ بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالشواء الملقّب بشهاب الدين الكوفي الحلبي مولداً ومنشئاً ووفاة.

هو من بواقع الشعر والأدب، ولقد أتته الفضيلة من هنا وهناك، فرأيٌ مسدَّد، وهوىً محبوب، ونزعةٌ شريفة، وقريضٌ رائق، وأدبٌ فائق، وقوافٍ ذهبيّة، وعروضٌ متقن، فأيُّ أخي فضل يتسنّم ذروة مجده؟ وتلك نزعته وهذه

(١) الطليعة في شعراء الشيعة ج ٢ مخطوط للعلامة السماوي. وتوجد منها ثلاثة أبيات في تاريخ ابن خلكان.

صنعته، ترجمه زميله ابن خلكان في تاريخه ج٢ص٥٩٧، وله ذكره الجميل في شذرات الذهب ج٥ص١٧٨، وتاريخ حلب ج٤ص٣٩٧ وتتميم أمل الآمل للسيِّد ابن شبانة، ونسمة السحر فيمن تشيّع وشعر، والكنى والألقاب ج١ص١٤٦ والطليعة في شعراء الشيعة، ونحن نذكر ما في تاريخ ابن خلكان ملخّصاً قال:

كان أديباً فاضلاً متقناً لعلم العروض والقوافي، شاعراً يقع له في النظم معان بديعة في البيتين والثلاثة، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلّدات، وكان زيّه زيّ الحلبيِّين الأوائل في اللباس والعمامة المشقوقة، وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد بن سعيد بن المقلّد المعروف بابن الجبراني النحوي اللغوي، وأكثر ما أخذ الأدب منه وبصحبته انتفع. كان بيني وبين الشهاب الشواء مودَّة أكيدة ومؤانسة كثيرة ولنا اجتماعات في مجالس نتذاكر فيها الأدب، وأنشدني كثيراً من شعره، وما زال صاحبي منذ أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة إلى حين وفاته، وقبل ذلك كنت أراه قاعداً عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصدّره في جامع حلب، وكان يكثر التمشِّي في الجامع أيضاً على جري عادتهم في ذلك كما يعملون في جامع دمشق، وكان حسن المحاورة مليح الإيراد مع السكون والتأنّي، وأوَّل شيء أنشدني من شعره قوله:

هاتيك يا صاح ربا لعلع ... ناشدتك الله فعرِّج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا ... فقد غدت آهلة المربعِ
حتّى نطيل اليوم وقفاً على الـ ... ـساكن أو عطفاً على الموضعِ

وكان كثيراً ما يستعمل العربيّة في شعره فمن ذلك قوله:

وكنّا خمس عشرة في التئام ... على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنويناً وأضحى ... حبيبي لا تفارقه الإضافه

وله في غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر:

أرسل صدغاً ولوى قاتلي ... صدغاً فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا في خدِّه حيّةً ... تسعى وهذا عقرباً واقفه

ذا ألفٌ ليست لوصل وذا ... واوٌ ولكن ليست العاطفه

وله في شخص لا يكتم السرَّ:

لي صديقٌ غدا وإن كان لا ... ينطق إلّا بغيبةٍ أو محالِ
أشبه الناس بالصّدى إن تحدّ ... ثه حديثاً أعاده في الحالِ[1]

وله قوله:

قالوا حبيبك قد تضوع نشره ... حتّى غدا منه الفضاء معطّرا
فأجبتهم والخال يعلو خدّه ... أو مَا ترون النار تحرق عنبرا؟

وله قوله:

هواك يا من له اختيالُ ... ما لي على مثله احتيالُ
قسمة أفعاله لحيني ... ثلاثةٌ ما لها انتقالُ
وعدك مستقبلٌ وصبري ... ماضٍ وشوقي إليك حالُ

وله أيضاً:

إن كان قد حجبوه عنّي غيرة ... منهم فقد قنعت بذكرهِ
كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه ... عنّا فأغنى نشره عن نشرهِ

وله أيضاً في غلام قد ختن:

هنّأت مَن أهواه عند ختانه ... فرحاً وقلبي قد عراه وجومُ
يفديك من ألم ألمّ بك أمرؤ ... يخشى عليك إذا ثناك نسيمُ
أمعذبي كيف استطعت على الأذى جلداً وأجزع ما يكون الريمُ؟
لو لم تكن هذي الطّهارة سنّة ... قد سنّها من قبلُ إبراهيمُ
لفتكت جهدي بالمزيّن إذ غدا ... في كفّه موسى وأنت كليمُ

---

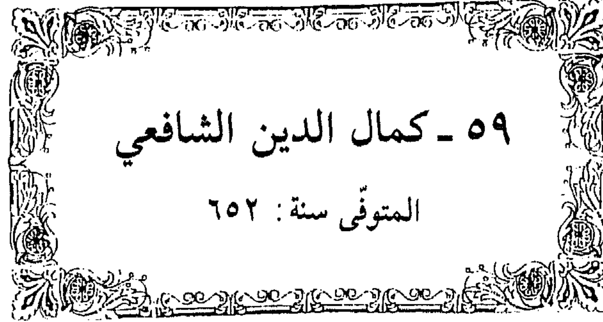
(١) الصدى: طير معروف. ما يرده الجبل أو غيره إلى المصوت مثل صوته.

ومعظم شعره على هذا الأسلوب. وكان من المغالين في التشيّع وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه إلّا بمحاسن الشواء والصّواب فيه هو الذي ذكرته ها هنا وأنَّ اسمه يوسف وكنيته أبو المحاسن. ورأيت ترجمته في كتاب (عقود الجمان) الذي وضعه صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي، وكان صاحبه وأخذ عنه كثيراً من شعره وهو من أخبر الناس بحاله، كان مولده تقريباً في سنة اثنين وستّين وخمسمائة فإنّه كان لا يتحقّق مولده، وتوفّي يوم الجمعة تاسع عشر المحرَّم سنة خمس وثلاثين وستمائة بحلب، ودفن ظاهرها بمقبرة باب أنطاكيّة غربي البلد، ولم أحضر الصّلاة عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت ـ رحمه الله تعالى ـ فلقد كان نعم الصاحب.

وأمّا شيخه ابن الجبراني المذكور فهو طائيٌّ بحتريٌّ من قرية جبرين من أعمال عزاز، وكان متضلّعاً من علم الأدب خصوصاً اللغة فإنّها كانت غالبة عليه وكان متبحِّراً فيها، وكان له تصدّر في جامع حلب في المقصورة الشرقيّة المشرفة على صحن الجامع، وكان مولده يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شوّال سنة إحدى وستّين وخمسمائة، وتوفّي يوم الاثنين سابع رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب، ودفن في سفح جبل جوشن رحمه الله تعالى. هـ.

قال الأميني:

في معجم البلدان ج٣ص١٧٢ نقلاً عن عبدالله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي في ديوانه عند أبيات في جوشن قال: جوشن جبل في غربي حلب ومنه كان يُحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال: إنّه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضي الله عنه، ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك فطلبت من الصنّاع في ذلك الجبل خبزاً أو ماءً فشتموها ومنعوها، فدعت عليهم فمن الآن من عمل فيه لا يربح، وفي قبلي الجبل مشهدٌ يُعرف بمشهد السِّقط، ويسمّى مشهد الدكّة، والسِّقط يسمّى محسن بن الحسين رضي الله عنه. هـ.



٥٩ ـ كمال الدين الشافعي

المتوفّى سنة: ٦٥٢

أصخ واستمع آيات وحي تنزّلت ... بمدح إمام بالهدى خصّه الله
ففي آل عمران المباهلة التي ... بإنزالها أولاه بعض مزاياهُ
وأحزاب حاميم وتحريم هل أتى ... شهودٌ بها أثنى عليه فزكّاهُ
وإحسانه لما تصدّق راكعاً ... بخاتمه يكفيه في نيل حسناهُ
وفي آية النجوى التي لم يفز بها ... سواه سنا رشد به ثمَّ معناهُ
وأزلفه حتى تبوَّأ منزلاً ... من الشّرف الأعلى وآتاه تقواهُ
وأكنفه لطفاً به من رسوله ... بوارق إشفاق عليه فربّاهُ
وأرضعه أخلاف أخلاقه التي ... هداه بها نهج الهدى فتوخّاهُ
وأنكحه الطّهر البتول وزاده ... بأنّك منّي يا عليٌّ وآخاهُ
وشرَّفه يوم «الغدير» فخصّه ... بأنّك مولى كلِّ من كنت مولاهُ
ولو لم يكن إلاّ قضيّة خيبر ... كفت شرفاً في مأثرات سجاياهُ[1]

الشاعر

أبو سالم كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن القرشي العدوي النصيبيني الشافعي المفتي الرحّال، أحد الصّدور والرؤساء المعظّمين، كان إماماً في الفقه الشافعي، بارعاً في الحديث والأصول والخلاف، مقدّماً في

(١) مطالب السؤول لناظمها. الصراط المستقيم للبياضي. التهاب مثير الأحزان.

القضاء والخطابة، متضلّعاً في الأدب والكتابة، موصوفاً بالزهد.

سمع الحديث بنيسابور عن أبي الحسن المؤيّد بن عليّ الطوسي، وزينب الشعريّة[١] ,حدّث بحلب ودمشق وبلاد كثيرة. وروى عنه الحافظ الدمياطي[٢] ومجد الدين بن العديم[٣] وفقيه الحرمين الكنجي[٤] في «كفاية الطالب» قال في الكتاب ص ١٠٨: فمن ذلك ما أخبرنا شيخنا حجّة الإسلام شافعيُّ الزمان أبو سالم محمّد بن طلحة القاضي بمدينة حلب.

أقام بدمشق في المدرسة الأمينيّة وترسّل عن الملوك وساد وتقدَّم، وفي سنة ٦٤٨ كتب الملك الناصر ـ المتوفّى سنة ٦٥٥ ـ صاحب دمشق تقليده بالوزارة فاعتذر وتنصّل فلم يقبل منه، فتولاها بدمشق يومين كما في طبقات السبكي ج ٥ ص ٢٦، وتركها وانسلَّ خفية وترك الأموال والموجود وخرج عمّا يملك من ملبوس ومملوك وغيره، ولبس ثوباً قطنيّاً وذهب فلم يُعرف موضعه، وقد نسب إلى الاشتغال بعلم الحروف والأوفاق وأنّه يستخرج أشياء من المغيّبات. وقيل: إنّه رجع ويؤيّد ذلك قوله في المنجِّم:

إذا حكم المنجِّم في القضايا ... بحكم حازمٍ فاردد عليهِ
فليس بعالم ما الله قاض ... فقلِّدني ولا تركن إليهِ

وقال فيه:

ولا تركننَّ إلى مقال منجِّم ... وكل الأمور إلى الإلٓهِ وسلِّمِ
واعلم بأنّك إن جعلت لكوكب ... تدبير حادثة، فلست بمسلمِ

---

(١) بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني ام المؤيد توفيت سنة ٦١٥ فقيهة اشتغلت بالحديث وأخذت عن جماعة من كبار العلماء رواية وإجازة، مولدها ووفاتها بنيسابور.

(٢) أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي شيخ المحدثين المولود في آخر سنة ٦١٣ والمتوفّى سنة ٧٠٥ كان كثير المشايخ يزيدون على ألف وثلاثمائة شيخ، ألف كتاباً في تراجمهم في مجلدين.

(٣) قاضي القضاة عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن العديم الحلي ثم الدمشقي الحنفي توفي سنة ٦٧٧.

(٤) أبو عبدالله محمد بن يوسف القرشي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨.

وتولّى في ابتداء أمره القضاء بنصيبين، ثمَّ قضاء مدينة حلب، ثمَّ ولي خطابة دمشق، ثمَّ لَمّا زهد حجَّ فلمّا رجع أقام بدمشق قليلاً، ثمَّ سار إلى حلب فتوفّي بها.

تآليفه:

١ ـ العقد الفريد للملك السعيد. ألّفه لنجم الدين غازي بن أرتق من ملوك ماردين طبع بمصر.

٢ ـ الدرّ المنظّم في اسم الله الأعظم. توجد منه نسخةٌ في مكتبة حسين باشا بآستانة رقمها: ٣٤٦. وذكر شطراً منه الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ص ٤٩٣، ٤٧١.

٣ ـ مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصّلاح.

٤ ـ كتاب دائرة الحروف.

٥ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرّسول. طبع غير مرّة قال معاصره الأربلي في «كشف الغمّة» ص ١٧: مطالب السؤول في مناقب آل الرّسول تصنيف الشيخ العالم كمال الدين محمّد بن طلحة، وكان شيخاً مشهوراً وفاضلاً مذكوراً أظنّه مات سنة أربع وخمسين وستمائة، وحاله في ترفّعه وزهده وتركه وزارة الشام وانقطاعه ورفضه الدنيا حالٌ معلومةٌ قرب العهد بها، وفي انقطاعه عمل هذا الكتاب وكتاب الدائرة، وكان شافعيَّ المذهب من أعيانهم ورؤسائهم. اهـ.

وينقل عنه السيِّد هبة الدين أبي محمَّد الحسن الموسوي مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه في كتابه [المجموع الرائق] الذي ألّفه سنة ٧٠٣.

ونسبه إليه ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥ وينقل عنه كثيراً في «الفصول المهمّة» وتوجد منه نسخةٌ مخطوطةٌ مؤرَّخة بسنة ٨٩٦ منقولة عن نسخة بخطِّ المؤلِّف سنة ٦٥٠ في نحو ٢٥ كرّاسة في مكتبة المدرسة الأحمديَّة بحلب.

وينقل عنه السيِّد الشبلنجي في «نورالأبصار في مناقب آل النبيِّ المختار.

وُلدَ المترجم سنة ٥٨٢ كما في طبقات السبكي، وشذرات الذهب، وتوفِّي بحلب في ١٧ رجب سنة ٦٥٢ كما في الكتابين: الطبقات والشذرات، وفي الوافي بالوفيات للصفدي والتاريخ له، والبداية والنهاية لابن كثير، ومرآة الجنان لليافعي، والأعلام للزركلي، وغيرها وقد سمعت ظنَّ الإربلي بأنَّه توفِّي سنة ٦٥٤.

توجد جملةٌ من شعره في أهل البيت عليهم السّلام في كتابه «مطالب السؤول» منها قوله ختم به الكتاب:

رويدك إن أحببت نيل المطالب؟ ... فلا تعدُ عن ترتيل آي المناقبِ
مناقب آل المصطفى المهتدى بهم ... إلى نعم التقوى ورغبى الرَّغائبِ
مناقب آل المصطفى قدوة الورى ... بهم يبتغي مطلوبه كلّ طالبِ
مناقب تجلى سافرات وجوهها ... ويجلو سناها مدلهمّ الغياهبِ
عليك بها سرّاً وجهراً فإنّها ... تحلّك عند الله أعلى المراتبِ
وخذ عندما يتلو لسانك آيها ... بدعوة قلبٍ حاضرٍ غير غائبِ
لمن قام في تأليفها واعتنى به ... ليقضي من مفروضها كلَّ واجبِ
عسى دعوة يزكو بها حسناته ... فيحظى من الحسنى بأسنى المواهبِ
فمن سأل الله الكريم أجابه ... وجاوره الإقبال من كلِّ جانبِ

ومنها قوله في ص ٨:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وإنزالِ
مناقب في الشورى وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم ... على النّاس مفروضٌ بحكم وإسجالِ
فضائلهم تعلو طريقة متنها ... رواة علوا فيها بشدٍّ وترحالِ

أشار بهذه الأبيات إلى عدَّة من فضائل العترة الطاهرة ممّا نزل به القرآن الكريم في سورة الشورى وهل أتى والأحزاب. أمّا الشورى ففيها قوله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القربى .ومَن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا﴾** ـ٢٣ـ وقد أسلفنا في الجزء الثاني ص ٢٥٥ ـ ٣٥٩، والجزء الثالث ص

٢١٨ ما ورد في الآية الكريمة من أنّها نزلت في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم.

وأمّا هل أتى ففيها قول النازل فيهم: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً﴾ - ٧ - ﴿ويُطعمون الطعام على حبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ - ٨ -، وقد بسطنا القول في أنّها نزلت فيهم صلوات الله عليهم في الجزء الثالث ص ١٤٢ - ١٤٦.

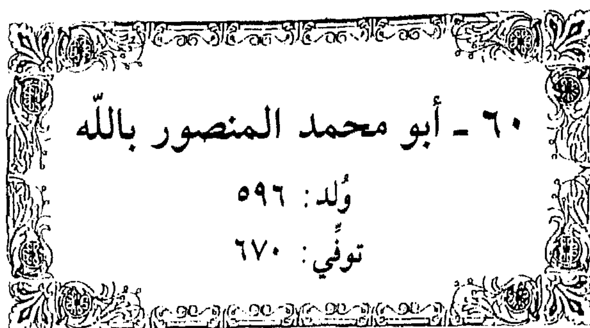
وأمّا الأحزاب ففيها قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مِن قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً﴾ -٢٣-، وقوله تعالىٰ: ﴿إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ -٣٣- وقد مرَّ في الجزء الثاني ص ٧٠ نزول الآية الأُولى في عليٍّ أمير المؤمنين وعمِّه حمزة وابن عمِّه عُبيدة. وقد تسالمت الأُمّة الإسلاميّة على نزول آية التطهير في صاحب الرِّسالة الخاتمة ووصيّه الطاهر وابنيهما الإمامين وأُمِّهما الصدِّيقة الكبرى، وأخرج الحفّاظ وأئمّة الحديث فيها أحاديث صحيحة متواترة في الصِّحاح والمسانيد لعلّنا نوقف القارىء عليها في بقيَّة اجزاء كتابنا. وما توفيقي إلّا بالله.

ومن شعره في العترة الطاهرة قوله:

يا ربّ بالخمسة أهل العبا ... ذوي الهدى والعمل الصّالحِ
ومَن هُمُ سفن نجاةٍ ومَن ... والاهُمُ ذو متجرٍ رابحِ
ومَن لهم مقعد صدقٍ إذا ... قام الورى في الموقف الفاضحِ
لا تُخزني واغفر ذنوبي عسى ... أسلم من حرِّ لظى اللّافحِ
فإنَّني أرجو بحبِّي لهم ... تجاوزاً عن ذنبي الفادحِ
فهم لمن والاهمُ جُنّةٌ ... تنجيه من طائرة البارحِ
وقد توسّلت بهم راجياً ... نجح سؤال المذنب الطالحِ
لعلّه يحظى بهم بتوفيقه ... فيهتدي بالمنهج الواضحِ

ومن شعره في قتلة الإمام السبط عليه السّلام قوله:

ألا أيّها العادون إنَّ أمامكم ... مقام سؤال والرَّسول سؤولُ
وموقف حكم والخصوم محمّد ... وفاطمة الزَّهراء وهي ثكولُ
وإنَّ عليّاً في الخصام مؤيَّدٌ ... له الحقُّ فيما يدَّعي ويقولُ
فماذا تردّون الجواب عليهمُ؟ ... وليس إلى ترك الجواب سبيلُ
وقد سُؤتموهم في بنيهم بقتلهم ... ووزر الذي أحدثتموه ثقيلُ
ولا يرتجى في ذلك اليوم شافعٌ ... سوى خصمكم والشرح فيه يطولُ
ومن كان في الحشر الرسول خصيمه ... فإنَّ له نار الجحيم مقيلَ
وكان عليكم واجباً في اعتمادكم ... رعايتهم أن تحسنوا وتنيلوا
فإنَّهم آل النبيّ وأهله ... ونهج هداهم بالنجاة كفيلُ
مناقبهم بين الورى مستنيرةٌ ... لها غررٌ مجلوّةٌ وحُجولُ
مناقب جلّت أن تحاط بحصرها ... فمنها فروعٌ قد زكت وأُصولُ
مناقب من خلق النبيّ وخُلقه ... ظهرن فما يغتالهنَّ أُفولُ



٦٠ ـ أبو محمد المنصور بالله

وُلد: ٥٩٦

توفّي: ٦٧٠

الحمدُ للمهيمن الجبّار ... مكوِّر الليل على النّهار
ومنشيء الغمام والأمطارِ ... على جميع النِّعم الغزارِ
ثمَّ صلاة الله خصّت أحمدا ... أبا البتول وأخاه السيِّدا
وفاطماً وابنيهما سمَّ العدى ... وآلهم سفن النجاة والهدى
يا سائلي عمَّن له الإمامه ... بعد رسول الله والزَّعامه
ومَن أقام بعده مقامه ... ومَن له الأمر إلى القيامه
خذ نفثاتي عن فؤاد منصدعْ ... يكاد من بثّ وحزنٍ ينقطعْ
لحادثٍ بعد النبيِّ متَّسعْ ... شتَّت شمل المسلمين المجتمعْ
الأمر من بعد النبيِّ المرسلِ ... من غير فصلٍ لابن عمِّه علي
كان بنصِّ الواحد الفرد العلي ... وحكمه على العدوّ والولي
والأمر فيه ظاهرٌ مشهورُ ... في النَّاس لا مُلغى ولا مستورُ
وكيف يخفى من صباح نورُ؟ ... لكن يزلّ الخطل المحسورُ

ويقول فيها:

وكان في البيت العتيق مولدهْ ... وأُمّه إذ دخلت لا تقصدهْ
وإنَّما إلهه مؤيّدهْ ... فمن قلاه فالجحيم موعدهْ
ثمَّ أبوه كافل الرَّسولِ ... ومؤمنٌ بالله والتنزيلِ
في قول أهل العلم والتحصيلِ ... فهات في آبائهم كفيلي

وأُمّه ربّت أخاه أحمدا واتّبعته إذ دعا إلى الهدى
فكم دعاها أُمّه عند الندا وقام في جهازها ممجّدا
ألبسها قميصه إكراماً ونام في حفيرها إعظاما
ومدّ للملائك القياما حتّى قضوا صلاتها تماما
وهو الذي كان أخاً للمصطفى بحكم ربِّ العالمين وكفى
واقتسما نورهما المشرّفا فاعدد لهم كمثل هذا شرفا
وزوجه سيِّدة النساء خامسة الخمسة في الكساءِ
أنكحها الصدِّيق في السَّماء فهل لهم كهذه العلياءِ؟
الله في إنكاحها هو الولي وجبرئيل مستنابٌ عن علي
والشهداء حاملو العرش العلي فهل لهم كمثل ذا فاقصصه لي؟
حوريَّةٌ إنسيَّةٌ سيَّاحه خلقها الله من التفّاحه
وأكرم الأصل بها لقاحه فهل ترى إنكاحهم إنكاحه؟
وابناه منها سيِّدا الشَّبابِ وابنا رسول الله عن صوابِ
مرتضعا السنَّة والكتاب فهل لهم كهذه الأسباب؟
هما إمامان بنصِّ أحمدا إذ قال: قاما هكذا أو قعدا
وخصّ في نسلهما أهل الهدى أئمَّة الحقِّ إلى يوم الندا
ثمَّ أخوه جعفر الطيّارُ إخوانه الملائك الأبرارُ
وعمّه المرابط الصّبارُ حمزة سيف الملّة البتّارُ
وربّنا شقَّ اسمه من اسمهِ فمن له سهمٌ كمثل سهمهِ؟
وهو اختيار الله دون خصمهِ وهو أذانُ ربِّنا في حكمهِ
بلّغ عن ربِّ السَّما براءه واختير للتبليغ والقراءه
وكان للإسلام كالمراءه فاجعل هديت خصمه وراءه
اختار ذو العرش عليّاً نفسه جهراً وخلّى جنّه وإنسه
فرفضوا اختياره لا لبسه وبدّلوه باختيار خمسه
وهو الوليُّ أيّهذا السّامعُ مؤتي الزّكاة المرء وهو راكعُ

والشّاهد التالي فأين الجامعُ — للقوم؟ هل ثمّ دليلٌ قاطعُ؟
وهو وليُّ الحلِّ والإبرامِ — والأمر والنهي على الأنامِ
بحكم ذي الجلال والإكرامِ — وما قضاه في أُولي الأرحامِ
وآيةٌ قاضيةٌ بالطّاعه — لله والرّسول ذي الشّفاعه
ثمَّ أُولي الأمر من الجماعه — فهي له قد فاز من أطاعه
والمصطفى المنذر وهو الهادي — وهو له الفادي ونعم الفادي
في ليلة الغار من الأعادي — تحت ظلال القضب الحدادِ
يرمونه في الليل بالحجاره — لعلّها تبدو لهم إماره
فاتّخذ الصّبر لها دثاره — والموت إذ ذاك يشبُّ ناره
حتّى بدا وجه الصّباح طالعا — وقام فيهم ضيغماً مسارعا
فانهزموا يمعر[1] كلٌّ راجعا — فاستقبل الأزواج والودائعا
فأنزل الرّحمن يشري نفسه — لمّا ابتغى رضاءه وقدسه
أما يزيل مثل هذا لبسه؟ — وقد أراه جنَّه وإنسه

ويقول فيها:

ألم يقل فيه النبيُّ المنتجبْ — قولاً صريحاً: أنت فارس العربْ
وكم وكم جلا به الله الكربْ؟ — فاعجب ومهما عشت عاينت العجبْ
واسمع أحاديث بلفظ البابِ — في العلم والحكمة والصّوابِ
ولا تلمني بعدُ في الإطنابِ — في حبِّ مولاي أبي ترابِ
وقال أيضاً فيه: أقضاكم علي — ومثله: أعلمكم عن النبي
ومثله: عيبة علمي والملي — أنّى يكون هكذا غير الوصي؟
ألم يكن فوق الرِّجال حجَّه — نيِّرةً واضحة المحجَّه؟
وعلمهم في علمه كالمجَّه — فما تكون مجّة في لجَّه؟
أحاط بالتوراة والإنجيلِ — وبالزّبور يا ذوي التفضيلِ
علماً وبالقرآن ذي التنزيلِ — في قوله المصدّق المقبولِ

(١) تمعر الوجه: تغير وعلته صفرة. الممعور: المقطب غضباً.

بـل أيّهم قـال لـه: الحقّ معـه ... وهـو مع الحقِّ الـذي قد شـرعـه؟
هل جمع القـوم الذي قـد جمعـه ... من علمـه؟ بـخٍ لـه مـا أوسعـه؟
وهـل علمت مثله خـطيبـا؟ ... أو نـاثـراً أو نـاظـمـاً غـريبـا؟
أو بـاديـاً في العلم أو مجيبـا؟ ... أو واعـظاً عـن خشيـةٍ منيبـا؟
وهـو يقـول: علّم التنـزيـلا ... مـنّي وفـيـمـا نـزلـت نـزولا
آيـاتـه إذ فـصّلت تـفـصيـلا ... يـا حـبَّـذا سـبـيله سـبـيـلا!
وعلّم المجمـل والمفصّـلا ... ومحكـم الآيـات حيـث نـزلا
ومـا تـشـابـه وكـيـف أُوِّلا ... ونـاسخـاً منهـا ومنسـوخـاً خلى
وهـو الـذي نـأمن منه البـاطنـا ... فـمـا يُعـدُّ في الأُمـور خـائنـا
وغـيـره لا نـأمـن الـبـواطـنـا ... منـه بحـال فـانـظر التبـاينـا

ويقول فيها:

وفيـه أوحى ذو الجلال هـل أتى ... وزوجـه إذ نـذرا فـأخـبـتـا
فـأطعـمـا وأوفـيـا مـا أثبـتـا ... يـا حبّـذا همـا وعـوداً أثبتـا!
وفـيـه جـاءت آيـة الإنـفـاقِ ... في الليـل والنهـار عـن إطـلاقِ
سـرّاً وإعـلانـاً مـن الـخـلّاقِ ... حيث ابتغى تجـارةً فـي البـاقـي
وآيـة الـقـنـوت فـي السّـجـودِ ... فـي الليلِ والـقـيـام لـلمـعـبـودِ
فـي حـذر الـعـقـاب والـوقـودِ ... وفـي رجـاء ربّـه الـحـمـيـدِ
وهـو المناجي بعـد دفع الصّـدقـه ... ثـمَّ غـدت أبـوابـهـا مـغـلّقـه
فكـانت التّـوبـة عنهم ملحقـه ... فـأيّـهم كـان عـلى الحقِّ ثقـه؟
وحـسـبـنـا الله فـتـلـك فـيـهِ ... وآيـة الإيـمـان والـتّـنـزيـهِ
والـفسق للولـيـد ذي التّـمـويـهِ ... فـأيّ ذمٍّ بـعـد ذا يـأتـيـهِ
وآيـة الـوقـوف لـلسـؤال ... في المـرتضى حقّـاً أبي الأشبـالِ
وهـو لسان الصّـدق شيخ الآلِ ... كم فيـه من آيـات ذي الجـلالِ؟
وقـيـل: جـاءت آيـة الإيذاءِ ... فـيـه بـلا شـكٍّ ولا امـتـراءِ
ولـم يُعـاتـب أبـداً فـي الآي ... لا بـل لـه التشـريف في البداءِ

وقيل: جاءت آية السِّقايه ... وآية الإيمان والهدايه
فيه فأكرم ببداه آيه ... ليس له في الفضل من نهايه
وآيةٌ واردةٌ في الأذنِ ... فإنّها في السيّد المؤتمنِ
قولاً أتى من صادقٍ لم يمنِ ... حكماً من الله الحميد المحسنِ
وكم وكم من آية منزَّله ... فيه من الله أتت مفصّله!
شاهدة على الورى بالفضل له ... فليعل مَن قدّمه وفضّله
كآية الودِّ من الرّحمنِ ... وهكذا كرائم القرآنِ
فيه كما قد جاء في البيانِ ... عن أحمد عن ربِّه المنّانِ
وآية التّطهير في الجماعه ... أهل الكساء المرتدين الطاعه
الآمنين من خطوب السّاعه ... يا حبّذا حبّهم بضاعه!
والأمر بالصّلاة فيهم نزلا ... خير البريّات الأولى حازوا العلا
سفن النجاة الشّهداء في الملا ... بورك علماً علمهم مفصّلا
وقيل: هم في الذكر أهل الذكرِ ... نزّل فيهم: فاسألوا. هل تدري؟
نعم أُناساً أهل بيت الطّهرِ ... أهل المقامات وأهل الفخرِ
وفيهم الدُّعاء للمباهله ... حيث أتى الكفّار للمجادله
أكرم بهم من دعوةٍ مقابله ... بالنّصر لكن هربوا معاجله
هذا عليٌّ ها هنا نفس النبيِّ ... وولداه ابنا الرَّسول اليثربي
يا حبّذا من شرفٍ مستعجب ... يضيء في المجد ضياء الكوكبِ!

ويقول فيها:

وقال فيه المصطفى: أنت الولي ... ومثله: أنت الوزير والوصي
وكم وكم قال له: أنت أخي! ... فأيّهم قال له مثل علي؟
وهل سمعت بحديث مولى ... يوم «الغدير» والصّحيح أولى؟
ألم يقل فيه الرَّسول قولا ... لم يبق للمخالفين حولا؟
وهل سمعت بحديث المنزله ... يجعل هارون النبيِّ مثله؟
وثبّت الطّهر له ما كان له ... من صنوه موسى فصار مدخله؟

من حيث لـو لم يـذكـر النبـوَّه كـانـت لـه من بـعـده مـرجـوَّه
فـاستثـنيـت ونـال ذو الفـتـوّه عمـوم مـا للمصـطفى مـن قـوّه

إلى أن قال:

إنّ الكتـاب لـلوصيِّ قـد حكـم بـأنّـه الإمـام فـي خيـر الامـم
فمن يكن مخـالفـاً فقـد ظلم وقـد أساء الفعـل حقّاً واجتـرم
قـال: فـلي دلائـل فـي الآثـارْ تـواتـرت وانتشـرت في الأقـطارْ
على إمـامـة الـرِّجـال الأخيارْ فـأيّ قـول بعـد تلك الأخبـارْ؟
فقلت: إن كـان حديث المنـزله فيهـا وأخبـار «الغـديـر» مـدخله؟
فـإنَّهـا مـعـلومـةٌ مـفـصّـله أو لا فـدعـهـا لعليّ فـهـي لـه
لا تـجـعـلنّ خبـراً عـن واحـدِ أو قـول كـلِّ كـاذبٍ مـعـانـدِ
مثـل أحـاديث الإمـام المـاجـدِ يـوم «الغديـر» في ذوي المشاهـدِ
تـلك التي تـواتـرت في الـخلقِ وانتشـرت أخبـارهـا عن صـدقِ
ونـطقـت فـي الـنّـاس أيّ نـطقِ إنّ عـليّـاً لإمـام الـحـقِّ

أخذناها من أرجوزة لشاعرنا المنصور في الإمامة وهي قيِّمة جدّاً تشتمل على ٧٠٨ أبيات.

الشاعر

أبو محمّد المنصور بالله الإمـام الحسن بن محمّد بن أحمـد بن يحيى بن يحيى بن يحيى الهادي إلى الحقِّ اليمني. أحد أئمَّة الزيـديَّة في الـديار اليمنيَّـة، وأوحديٌّ من أعلامها الفطاحل، له في علم الحديث وفنونه أشواطٌ بعيدةٌ، وفي الأدب وقرض الشعر خطواتٌ واسعة، وفي قوّة العارضة جانبٌ هام، وفي الحجاج والمناظرة يدٌ غير قصيرة، يُعرب عن هذه كلّها كتابه الضخم الفخم ـ أنوار اليقين ـ في شرح أرجوزته الغرّاء المذكورة في الإمامة، وهي آيةٌ محكمةٌ تدلُّ على فضله الكثار وعلمه المتدفّق، كما أنّـها برهنةٌ واضحةٌ عن تضلّعه في الأدب وتقدُّمه في صناعة القريض.

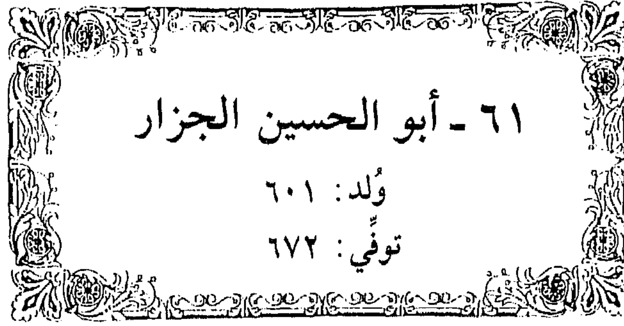
كان في أيام الإمام المهدي أحمد بن الحسين يُعدُّ من جلّة العلماء وله فيه مدائح ومن شعره فيه مهنئاً له السّلامة ـ حينما دسَّ عليه الملك يوسف بن عمر ملك اليمن على ما يُقال أو المستعصم العبّاسي أبو أحمد عبدالله المتوفّى سنة ٦٥٦ رجلين ووثبا عليه فطعنه أحدهما فجرحه فأُخذ الرّجلان وقتلا ـ قوله:

راموكَ والله رامٍ دون ما طلبوا ... وكيف يفرق شملٌ أنت جامعهُ؟
كم قبل ذلك من فتق منيت به! ... والله من حيث يخفى عنك دافعهُ
عوايدٌ لك تجري في كفالته ... لا يجبر الله عظماً أنت صارعهُ
ضاقت جوانبه وانسدَّ مخرجه ... وأنت فيه رحيب الصّدر واسعهُ
ردّاً إليه وتسليماً لقدرته ... فيما تحاوله أو ما تدافعهُ

ومن شعره قوله:

لم ينج بالكهف سوى عصبة ... فرَّت عن الدار وأربابها
ولا نجا في يوم نوح سوى ... سفينة الله وأصحابها
ألم يكن في المغرقين ابنه؟ ... فغاب عن زمرة ركّابها
وهل نجا بالسِّلم إلاّ الأولى ... رقوا إلى السِّلم بأسبابها؟
أو أدرك الغفران من لم يلج ... لداخل الحطّة من بابها؟
أُعيذكم بالله أن تجمحوا ... عن عترة الحقِّ وأحزابها

ولد الإمام المترجم سنة ٥٩٦ وبويع له بالإمامة بعد قتل الإمام أحمد بن الحسين وكانت دعوته سنة ٦٥٧، وتوفّي في مدينة ـ رغافة ـ من مدن صعده في شهر محرّم سنة ٦٧٠، توجد ترجمته في نسمة السحر فيمن تشيّع وشعر.



٦١ ـ أبو الحسين الجزار

وُلد: ٦٠١

توفّي: ٦٧٢

حُكم العيـون على القلوب يجوزُ ... ودواؤها مـن دائـهـنَّ عـزيـزُ
كم نـظرة نـالت بـطرفٍ فـاتـر ... مـا لم ينله الـذّابـل المحـزوزُ!
فـحـذار من تـلك اللواحظ غـرّة ... فـالسّحـر بين جفـونها مـركـوزُ
يـا ليت شعـري والأمـاني ضلّة ... والـدَّهـر يُـدرك طرفـه ويحـوزُ
هـل لي إلى روض تصـرَّم عمـره ... سببٌ فيـرجع مـا مضى فأفـوزُ
وأزور مَـن ألـف الـبعـاد وحبّـه ... بين الجـوانح والحشـا مـرزوزُ؟
ظبيٌ تناسب في الملاحة شخصه ... فـالوصف حين يـطول فيه وجيـزُ
والبـدر والشّمس المنيـرة دونـه ... في الـوصف حين يحـرر التمييـزُ
لـولا تـثنّي خصـره في ردفـه ... مـا خـلت إلاّ أنَّـه مـغـروزُ
تجفـو غـلالتـه عليـه لـطافـةً ... فبحسنهـا من جسمه تـطريـزُ(١)
مَن لي بـدهـرٍ كـان لي بـوصـالـه ... سمحـاً ووعدي عنـده منجـوزُ؟
والعيش مخضـرٌّ الجنـاب أنيقـه ... ولأوجـه الـلّذات فـيـه بـروزُ
والـرَّوض في حلل النبات كـأنّه ... فُـرشت عليـه دبـابـجُ وخـزوزُ
والمـاء يبدو في الخليـج كـأنَّـه ... ظِـلٌّ لسـرعـة سيـره محفـوزُ
والـزّهـر يـوهم نـاظـريه إنَّـمـا ... ظهـرت بـه فـوق الـرِّيـاض كنوزُ
فـأقـاحـه ورقٌ ومنشـور النَّـدى ... درٌّ ونـور بـهـاره ابـريـزُ

---

(١) فبجسمه من جفوها تطريز. كذا في بعض النسخ.

والغصن فيه تغازلٌ وتمايلٌ ... وتَشاغلٌ وتراسلٌ ورموزُ
وكأنَّما القمريُّ ينشد مصرعاً ... من كلِّ بيت والحمام يجيزُ
وكأنَّما الدولاب زمرٌ كلّما ... غنَّت وأصوات الدوالب شيزُ
وكأنَّما الماء المصفّق ضاحكٌ ... مستبشرٌ ممّا أتى فيروزُ
يهنيك يا صهر النبيِّ محمّد ... يومٌ به لِلطيِّبين هزيزُ
أنت المقدَّم في الخلافة ما لها ... عن نحو ما بك في الورى تبريزُ
صبَّ الغدير على الأُولى جحدوا لظىً ... يوعى لها قبل القيام أزيزُ
إن يهمزوا في قول أحمد أنت مو ... لى لِلورى؟ فالهامز المهموزُ
لم يخش مولاك الجحيم فإنَّها ... عنه إلى غير الوليِّ تجوزُ
أترى تمرُّ به وحبّك دونه ... عوذٌ ممانعةٌ له وحروزٌ؟
أنت القسيم غداً فهذا يلتظي ... فيها وهذا في الجنان يفوزُ

توجد هذه القصيدة في غير واحد من المجاميع الشعريَّة المخطوطة العتيقة وهي طويلة، وترى أبياتها مبثوثةً منثورة في كتب الأدب.

الشاعر

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمّد بن علي جمال الدين أبو الحسين الجزّار المصري. أحد شعراء الشيعة المنسيِّين، ولقد شذّت عن ذكره معاجم السَّلف بالرغم من اطّراد شعره في كتب الأدب وفي المعاجم أيضاً استطراداً متحلياً بالجزالة والبراعة، فإن غفل عن تاريخه المترجمون فقد عقد هو لنفسه ترجمة ضافية الذيول خالدة مع الدهر فلم يترك لمن يقف على شعره ملتحداً عن الاعتراف له بالعبقريَّة والنبوغ، والإخبات إليه بالتقدُّم في التورية والاستخدام، قال ابن حجَّة في الخزانة: تعاهد هو والسَّراج الورَّاق والحمّامي وتطارحوا كثيراً وساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية، حتّى انه قيل للسرَّاج الورّاق: لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك. ودون مقامه ما يوجد من جميل ذكره في الخزانة لابن حجّة، وفوات الوفيات

للكتبي ج٢ ص٣١٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص٢٩٣ وشذرات الذهب ج٥ ص٣٦٤ ونسمة السحر لليمني، والطليعة في شعراء الشيعة للعلاّمة السّماوي، وقد جمع له شيخنا السَّماوي من شعره ديواناً يربو على ألف ومائتين وخمسين بيتاً. وكان له ديوان وصف بالشهرة في معاجم السَّلف، وله أرجوزةٌ في ذكر من تولّى مصر من الملوك والخلفاء وعمّالها ذكرها له صاحب نسمة السحر فقال: مفيدةٌ. فكأنَّها توجد في مكتبات اليمن، وقد وقف عليها صاحب النسمة، ومن شعره قوله في رثاء الإمام السبط عليه السّلام في تمام المتون للصفدي ص ١٥٦ وغيره:

ويعود عاشورا يُذكّرني ... رزء الحسين فليت لم يَعدِ
يومٌ سيبلى حين أذكره ... أن لا يدور الصَّبر في خلدي
يا ليت عيناً فيه قد كحلت ... في مرود لم تنج من رمدِ
ويداً به لشماتة خضبت ... مقطوعة من زندها بيدي
أما وقد قُتل الحسين به ... فأبو الحسين أحقّ بالكمدِ

وله في حريق الحرم النبويِّ قوله:

لا تعبأوا أن يحترق في طيبة ... حرم النبيِّ بقول كلِّ سفيهِ
لله في النّار التي وقعت به ... سرٌّ عن العقلاء لا يخفيهِ
إذ ليس تبقى في فناه بقيّة ... ممّا بنته بنو أُميَّة فيهِ

احترق المسجد الشّريف النبويّ ليلة الجمعة أوّل ليلة من شهر رمضان سنة ٦٥٤ بعد صلاة التراويح على يد الفرّاش أبي بكر المراغي بسقوط ذبالة من بده فأتت النّار على جميع سقوفه ووقعت بعض السَّواري وذاب الرّصاص وذلك قبل أن ينام النّاس واحترق سقف الحجرة الشريفة ووقع بعضه فيها، وقال فيه الشعراء شعراً، ولعلّ ابن تولو المغربي أجاب عن أبيات المترجم المذكورة بقوله:

قل للروافض بالمدينة: ما لكم ... يقتادكم للذمِّ كلُّ سفيه
ما أصبح الحرم الشريف محرَّقاً ... إلاّ لذمِّكم الصَّحابة فيهِ

كانت بين شاعرنا - الجزّار - وبين السرَّاج الورَّاق مداعبة فحصل للسرّاج رمدٌ

فأهدى الجزّار تفّاحاً وكمثرى وكتب مع ذلك:

أُكافيك عن بعض الذي قد فعلته ... لأنَّ لمولانا عليَّ حقوقا
بعثت خدوداً مع نهود وأعيناً ... ولا غرو أن يجزي الصَّديق صديقا
وإن حال منك البعض عمّا عهدته ... فما حال يوماً عن ولاك وثوقا
بنفسج تلك العين صار شقائقاً ... ولؤلؤ ذاك الدّمع عاد عقيقا
وكم عاشق يشكو انقطاعك عندما ... قطعت على اللّذات منه طريقا
فلا عدمتك العاشقون فطالما ... أقمت لأوقات المسرَّة سوقا

وذكر له ابن حجّة قوله موريًا في صناعته:

ألا قل للذي يسأ ... ل عن قومي وعن أهلي
لقد تسأل عن قومٍ ... كرام الفرع والأصلِ
تُرجِّيهم بنو كلب ... وتخشاهم بنو عجلِ

ومثله قوله:

إنّي لمن معشر سفك الدماء لهم ... دأبٌ وسل عنهم إن رُمتَ تصديقي
تضيءُ بالدمِّ إشراقاً عراصهمُ ... فكلُّ أيّامهم أيّام تشريقِ

ومثله قوله:

أصبحت لحّاماً وفي البيت لا ... أعرف ما رائحة اللّحم
واعتضت من فقري ومن فاقتي ... عن التذاذ الطعم بالشمِّ
جهلته فقراً فكنت الذي ... أضلّه الله على علم

وظريف قوله:

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ... ـت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجِّيـ ... ـني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

ومثله قوله:

معشرٌ ما جاءهم مسترفدٌ ... راح إلّا وهو منهم معسرُ

أنا جزّار وهم من بقرٍ ما رأوني قطُّ إلّا نفروا

كتب إليه الشيخ نصير الدين الحمّامي مورياً عن صنعته:

ومذ لزمت الحمام صرت بها خلّاً يُداري من لا يُداريه
أعرف حرَّ الأشياء وباردها وآخذ الماء من مجاريه

فأجابه أبو الحسين الجزّار بقوله:

حسن التأنّي ممّا يعين على رزق الفتى والحظوظ تختلفُ
والعبد مذ صار في جزارته يعرف من أين تُؤكل الكتفُ

وله في التورية قوله:

أنت طوّقتني صنيعاً وأسمعـ ـتك شكراً كلاهما ما يضيعُ
فإذا ما شجاك سجعي فإنّي أنا ذاك المطوّق المسموعُ

ومن لطائفه ما كتب به إلى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول إلى بيته:

أمولاي ما من طباعي الخروجُ ولكن تعلّمته من خمولِ
أتيت لبابك أرجو الغنى فأخرجني الضّرب عند الدخولِ

ومن مجونه في التورية قوله في زواج والده:

تزوّج الشيخ أبي شيخةً ليس لها عقلٌ ولا ذهنُ
لو برزت صورتها في الدجا ما جسرت تبصرها الجنُّ
كأنّها في فرشها رمّة[1] وشَعرها من حولها قطنُ
وقائلٌ لي قال: ما سنّها؟ فقلت: ما في فمها سنُّ

وله قوله في داره:

ودار خراب بها قد نزلـ ـت ولكن نزلت إلى السّابعه
طريقٌ من الطرق مسلوكة محجّتها لِلورى شاسعه

(١) الرمة بالكسر والفتح: ما بلي من العظام.

فـلا فـرق مـا بين أنّي أكـون ... بـهـا أو أكـون عـلى الـقـارعـه
تـسـاورُهـا هـفـوات الـنـسـيـم ... فـتـصـغي بـلا أُذن سـامـعـه
وأخـشى بـهـا أن أُقيم الـصَّـلاة ... فـتسجـد حيـطانـهـا الـراكعـه
إذا مـا قـرأت إذا زلـزلـت ... خـشـيـت بـأن تـقـرأ الـواقـعـه

وله في بعض ادباء مصر وكان شيخاً كبيراً ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت قوله ذكره له ابن خلكان في تاريخهج١ص٦٧ :

أيّـهـا الـسـيِّـد الأديـب دعـاءاً ... مـن محـبٍّ خـال من الـتنـكـيـتِ
أنت شيـخٌ وقـد قـربت من النـار ... فـكـيـف أدهـنـت بـالـكـبـريـتِ

وله قوله :

مَـن مـنـصـفـي مـن مـعـشـر ... كـثـروا عـلـيَّ وأكـثـروا
صـادقـتـهـم وأرى الـخـرو ... ج مـن الـصَّـداقـة يـعـسـرُ
كـالـخطِّ يـسـهـل فـي الـطرو ... س ومـحـوه يـتـعـذَّرُ
وإذا أردت كـشـطـتـه ... لـكـنّ ذاك يـؤثِّـرُ

ومن قوله في الغزل:

بـذاك الـفـتـور وهـذا الـهـيـفْ ... يـهـون على عـاشـقيـك الـتلفْ
أطـرت القلوب بـهـذا الجـمـال ... وأوقـعـتـهـا فـي الأسـى والأسـفْ
تـكلّف بـدر الـدُّجى إذ حـكى ... مـحيّـاك لـو لـم يشـنـه الـكـلفْ
وقـام بـعـذري فـيـك الـعـذار ... وأجـرى دمـوعـيَ لَـمّـا وقـفْ
وكم عـاذل أنكـر الـوجـد فيـك ... عـلـيَّ فـلـمّـا رآك - اعـتـرفْ
وقـالـوا: بـه صـلفٌ زائـدٌ ... فـقلت: رضـيـت بـذاك الـصَّـلفْ
لئن ضـاع عمـريَ في من سـواك ... غـرامـاً؟ فـإنّ عـلـيـك الخـلفْ
فـهـاك يـدي إنـنـي تـائـب ... فقـل لي: عـفى الله عـمـا سلف
بـجـوهـر ثغـرك مـاء الـحـيـاة ... فـمـاذا يـضـرّك لـو يـرتـشـفْ
ولـم أر من قـبـله جـوهـر ... من البهـرمـان[1] عليـه صـدفْ

(١) البهرمان: الياقوت الأحمر.

أُكــاتــم وجــدي حــتــى أراك فيعــرف بــالــحــال لا من عــرفْ
وهيهــات يخفى غــرامي عــليــك بــطرف هــمــى وبــقــلب رجــفْ

ومنه قوله:

حمت خدَّها والثغر عن حائم شج لــه أمــلٌ فــي مــورد ومــورّدِ
وكم هــام قلبي لارتشــاف رضــابهــا فــأعــرف عن تفصيــل نحــو المبــرَّدِ

ومن بديع غزله قوله:

ومــا بي سوى عين نـظرت لحسنها وذاك لجهــلي بــالعــيــون وغــرَّتي
وقــالوا: بــه في الحبِّ عينٌ ونـظرةٌ لقــد صدقــوا عين الحبيب ونـظرتي

وله قوله يرثي حماره:

مــا كــلّ حين تـنجــح الأسـفــارُ نفق(١) الحمــار وبــادت الأشعــارُ
خــرجي على كتفي وهــا أنــا دائــرٌ بــيــن الــبــيــوت كــأنَّــني عــطّارُ
مــاذا عليَّ جــرى لأجــل فــراقــه وجــرت دمــوع العين وهي غــزارُ؟
لــم أنس حــدَّةَ نـفــســه وكــأنَّــه من أن تســابقــه الــرِّيــاح يغــارُ
وتخــالــه في القفــزِ جنّاً طــائــراً مــا كــلُّ جــنٍّ مــثــله طــيّــارُ
وإذا أتى للحــوض لم يخــلع لــه في المــاء من قبــل الــورود عــذارُ
وتــراه يــحــرس رجله مــن زلَّــة بــرشــاشــهــا يتــنجَّس الــحضّــارُ
ويلين في وقت المضيق فــيلتــوي فكــأنَّــمــا بيــديــك منــه ســوارُ
ويشيــر في وقت الــزّحــام بــرأســه حــتــى يــحــيــد أمــامــه الــنــظَّارُ
لــم أدر عــيــبــاً فــيــه إلاّ أنَّــه مــع ذا الــذكــاء يُقــال عنــه حمــار
ولقــد تحــامتــه الكــلاب وأحجمت عــنــه وفيــه كــلُّ مــا تــخــتــارُ
راعت لصــاحبــه عهــوداً قــد مضت لــمّــا عــلمــن بــأنّــه جــزّارُ

وقال في موت حمار صديق له:

---

(١) نفقت الدابة: خرجت روحها.

مات حمار الأديب قلت لهم : مضى وقد فات منه ما فاتا
من مات في عزّه استراح ومَن خلّف مثل الأديب ما ماتا

وله قوله:

لا تعبني بصنعة القصّابِ فهي أذكى من عنبر الآدابِ
كان فضلي على الكلاب فمذ صر ت أديباً رجوت فضل الكلابِ

كان كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم[1] إذا قدم مصر يلازمه أبو الحسين الجزّار فقال بعض أهل عصره حسداً عليه:

يا بن العديم عدمت كلَّ فضيلة وغدوت تحمل راية الإدبارِ
ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها نفسٌ تلذُّ بصحبة الجزّارِ

قال الصَّفدي في تمام المتون ص ١٨١ بعد ذكره قول هارون الرَّشيد [إنَّ الكريم إذا خادعته انخدعا]: ذكرت هنا قضيَّة جرت لأبي الحسين الجزّار وهي: أنّه توجّه الجزّار إلى ابن يعمور بالمحلّة وأقام عنده مدّة ثمَّ إنَّه أعطاه وردَّه وجاء ليودِّعه فاتّفق أن حضر في ذلك الوقت وكيل ابن يعمور على أقطاعه فقال له: ما أحضرت؟ قال كذا وكذا دراهم. فقال: أعطه الخزندار. فقال: كذا وكذا غلّة. فقال: احملها إلى الشونة. قال: كذا وكذا خروف. فقال: أعطها الجزّار. فقام الجزّار وقبَّل الأرض وقال: يا مولانا: كم وكم تتفضَّل. فتبسَّم ابن يعمور وانخدع وقال: خذها.

وذكر له الصفدي في تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون ص ٣٥ من أبيات له:

وحقّك ما لي من قدرةٍ على كشف ضرّي إذ مسَّني
فكم أخذتني عيون الظبا ءِ بعد الإبانة من مأمني

وفي ص ٤٦ من تمام المتون قوله:

أُطيل شكاياتي إلى غير راحم وأهل الغنى لا يرحمون فقيرا
وأشكر عيشي للورى خوف شامت كذا كلّ نحس لا يزال شكورا

---

(١) أبو القاسم الوزير الرئيس الكبير الحلبي الحنفي سمع الحديث وحدث وتفقه وأفتى ودرس وصنف، ولد سنة ٥٨٦ وتوفي سنة ٦٦٠.

وله في تمام المتون ص ٢١٢ قوله:

لست أنسى وقد وقفت فأنشدت　　قصيداً تفوق نظم الجمانِ
كلُّ بيت يُزري على خلف الأحمر　　بالحسن وهو شيخ بن هاني
ببديع يحار في نظمه الطائي　　بل مسلمٌ صريع الغواني
ومديح ما نال جودته قدماً　　زياد في خدمة النعمانِ
قمت وسط الايوان بين يدي　　ملك تسامى على أنوشروانِ

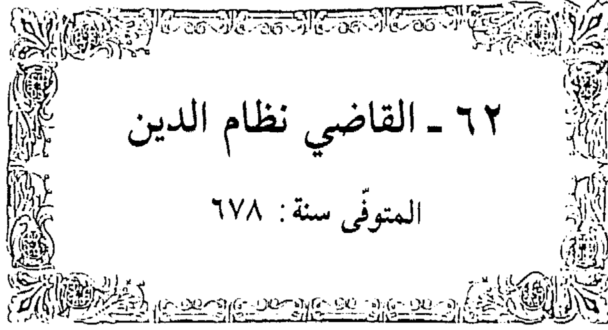
وله في تمام المتون ص ٢٢٠ قوله:

ولقد كسوتك من قريضي حلّة　　جلّت عن التلفيق والترقيعِ
حسنت برقم من جلالك فاغتدت　　كالرَّوض في التسهيم والترصيعِ

وذكر في تمام المتون ص ٢٢٦ قوله:

أُحمِّل قلبي كلَّ يوم وليلة　　هموماً على من لا أفوز بخيره
كما سوَّد القصّار في الشمس وجهه　　حريصاً على تبييض ثوب لغيرهِ

قال ابن حجّة في «الخزانة» ص ٣٣٨: ولد سنة ٦٠١ وتوفّي سنة ٦٧٢ بمصر. وزاد فيه ابن كثير في «البداية والنهاية» يوم وفاته وشهره: ثاني عشر شوّال، وهكذا أرَّخ ولادته ووفاته من أرَّخهما من المؤلِّفين غير أنَّ صاحب «شذرات الذهب» شذَّ عنهم وعدَّه ممّن توفّي سنة ٦٧٩ وقال: توفّي في شوّال وله ستٌّ وسبعون سنة أو نحوها ودفن بالقرافة. والله العالم.



٦٢ ـ القاضي نظام الدين

المتوفّى سنة: ٦٧٨

لله درُّكـم يـا آل يـاسـينـا ... يـا أنجم الحقِّ أعـلام الهـدى فينـا
لا يـقبـل الله إلّا فـي محبّتـكـم ... أعمـال عبدٍ ولا يـرضى لـه دينـا
أرجـو النجاة بكم يـوم المعـاد وإن ... جنت يـداي من الـذنب الأفـانينـا
بلى أُخفِّف أعبـاء الـذُّنـوب بكم ... بلى أُثقِّـل في الحشـر المـوازينـا
من لا يـواليكُمُ في الله لم يـر من ... قيـح اللظى وعـذاب القبـر تسكينـا
لأجـل جـدِّكم الأفـلاك قـد خلقت ... لـولاه مـا اقتضت الأقـدار تكـوينـا
مَن ذا كمـثـل عليٍّ فـي ولايتـه؟ ... مـا المبغضين لـه إلّا مجـانينـا
اسم على العرش مكتوب كما نقلوا ... من يستـطيـع لـه محواً وتـرقينـا؟
مَن حجَّـة الله والحبـل المتين ومن ... خيـر الـورى وولاه الحشـر يغنينـا؟
من المبارز في وصف الجلال ومن ... أقـام حقّـاً على القـطعُ البـراهينـا؟
مَن مثله كـان ذا جفـر وجـامعـة ... لـه يُـدوّن سـرّ الغيب تـدوينـا؟
ومن كهـارون من مـوسى أُخـوّتـه ... للخلق بيِّن خيـر الـرُّسـل تبيينا
مهمـا تمسّـك بـالأخبـار طـائفـةٌ ... فـقـولـه: وال من والاه يـكفـينـا
يوم الغدير جرى الـوادي فطمّ على ... قـويّ قـوم هُمُ كـانـوا المعـادينـا
شبلاه ريحانتا روض الجنان فقـل: ... في طيب أرض نمت تلك الرياحينا

ما يتبع الشعر

تنـاهز القصيـدة ٤٢ بيتـاً ذكـره القـاضي المـرعشي في «مجـالس المؤمنين»

ص ٢٢٦ وبقوله:

لأجل جدّكم الأفلاك قد خلقت   لولاه ما اقتضت الأقدار تكوينا

أشار إلى ما أخرجه الحاكم وصحَّحه في «المستدرك» ج٢ص٦١٥ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السّلام: يا عيسى! آمِن بمحمَّد وأمر مَن أدركه من أُمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمَّد ما خلقت آدم، ولولا محمَّد ما خلقت الجنَّة والنّار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلّا الله، محمَّد رسول الله، فسكن.

وذكره السبكي في «شفاء السقام» ص ١٢١ وأقرّ صحته. وكذلك الزرقاني في شرح المواهب ١ص٤٤ قال: أخرجه أبو الشيخ في طبقات الإصفهانيِّين وصحَّحه الحاكم وأقرَّه السبكي والبلقيني في فتاواه.

وأخرج الحاكم بعده حديثاً وصحَّحه وفيه نحو دلالة على ما نرتئيه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب! أسألك بحقِّ محمَّد لمّا غفرت لي. فقال الله: يا آدم! وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب! لأنّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله. فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنّه لأحبُّ الخلق إليّ أُدعني بحقّه فقد غفرت لك ولولا محمّد ما خلقتك.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوَّة» وهو الكتاب الذي قال فيه الذهبي: عليك به فكلّه هدى ونور، والطبراني في المعجم الصغير. وأقرَّ صحّته السبكي في شفاء السقام ص ١٢٠، والسّمهودي في وفاء الوفاء ص ٤١٩، والقسطلاني في المواهب اللدنيَّة، والزرقاني في شرحه ج١ص٤٤، والعزّامي في فرقان القرآن ص ١١٧.

كتبنا هذا المختصر لإيقاف القارىء على بطلان ما لابن تيميّة ومَن غزل غزله أمثال «القصيمي» من جلبةٍ ولغطٍ حتّى يكون على بصيرة من فضل النبيِّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الشاعر

نظام الدين محمّد ابن قاضي القضاة إسحاق بن المظهر الإصبهاني، أحد أعيان أدباء الطائفة، وأوحديّها في الفنون والفضائل، قاضي القضاة في الأقطار العراقيّة مخالطاً مع خواجه شمس الدين محمّد الجويني الملقّب بصاحب الديوان المتوفّى سنة ٦٨٣، وله فيه مدائح منها قوله:

ما النّاس إلّا كالقريض وإنّما بيت القصيدة صاحب الديوانِ
شمس الممالك تزدهي بعلاءها وبهاء دست الملك والأيوانِ

وله في رثاء ولده خواجة بها الدين محمّد قصيدة تناهز ٥٨ بيتاً ذكرها القاضي في مجالسه ص ٤٣٨ مطلعها:

ما للظّلام يغطّي وجهة الأُفقِ؟ ما للرّواسي اضطربن اليوم من قلقِ؟
ما للحظوظ تولّى القوم أظهرها؟ ما للنوائب تُبدي صفحة العنقِ؟
بكى السماء وضجّ الأرض وانكدرت زهر النجوم وطاشت أنفس الفرقِ
اليوم يومٌ لعمري كاسمه فقدت به العلى والنهى إنسانة الحدقِ
مولى الأنام بهاء الدين صاحبنا مضى فبدّل صفو العيش بالرنقِ

وتخلّص في غديريّته المذكورة إلى مدح خواجة بهاء الدين، وكتب باسم أخي صاحب الديوان: علاء الدين خواجه عطاء الملك الجويني المتوفّى سنة ٦٨١ ديوان رباعيّاته وله شعرٌ يمدح به سلطان المحقّقين خواجه نصير الدين الطوسي المتوفّى سنة ٦٧٢.

توجد ترجمته في مجالس المؤمنين ص ٢٢٦، وتاريخ آداب اللغة ج٣ ص١٣ وقال: توفّي سنة ٦٧٨ له ديوان اسمه ديوان المنشئات. في المتحف البريطاني، وذكره صاحب ـ رياض الجنّة ـ في الرّوضة الرابعة في عدّ العلماء وقال: له رسالته ـ القوسيّة ـ كتب بعض أعلام نيسابور شرحاً عليها وأثنى عليه في شرحه بقوله: أقضى قضاة العالم، مفتي طوائف الامم، منشيء البدائع والعجائب. إلخ.

ومن دو بيتاته في كشكول شيخنا البهائي ج١ص١٠٩ :

أنـتـم لـظلام قـلبـي الأضـواءُ   فـيكـم لـفـؤادي جـمـعـت أهـواءُ
يُـروي الـظمـأ ادِّكـاركم لا المـاءُ   داويـت بـغـيـركـم فـزاد الـداءُ

* *

أوصيتـك بالجـدِّ فـدع مَن سـاخـر   فاخـر بفضيلة الـتّقـى مَن فـاخـر
لا ترج سوى الـربّ لكشف البلوى   لا تـدعُ مـع الله ألـهـاً آخـر

* *

مـا لي وحـديث وصل مَن أهـواهُ؟   حـسـبـي بـشـفـاءِ عـلـتي ذكـراهُ
هـذا وإذا قـضيت نحبي أسـفـاً   يـكـفـيـني أن أُعَـدَّ مـن قـتـلاهُ

* *

وافى فجـذبت عـطفـه الميّـادا   شـوقـاً فـطلبـت قُبـلةً فـانقـادا
حـاولـت وراء ذاك مـنـه نـادى   لا تـطلب بعـدُ بـدعـةً إلحـادا

* *

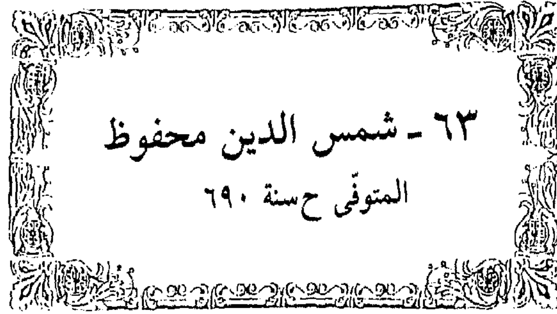
قـالـوا: انتـه عنـه إنّـه مـا صـدقـا   مـا أجهـل مَن بـوعـده قـد وثقـا
لا لا فنتـيجـة الـهـوى صـادقـةٌ   مع كـذب مقـدّمـات وعـدٍ سبقـا

وذكر له القاضي في المجالس قوله:

لم أرض سـوى هـدي نبيّ وولي   لا أتّبـع البـاطـل والـحقُّ جـلي
في الشـرّ تـراني ابن حـرب بـطلاً   لكن أنـا من شيعة مـولاي علي

وذكر له العلامة النراقي في «الخزائن» ص ١١٥ :

مـذ غـبت ألـمّ في سـقـام وألـمْ   كم أصبر في هواك؟ كم أصبر؟ كمْ؟
يـا بدرا إلى وصـالي ارجع وارحمْ   يـا بدرا! ألم يـأن؟ ألم يأن؟ ألمْ؟



٦٣ ـ شمس الدين محفوظ

المتوفّى ح سنة ٦٩٠

راق الصَّبوح ورقَّت الصَّهباءُ — وسرى النَّسيم وغنَّت الورقاءُ
وكسا الرَّبيع الأرض كلَّ مدبّجٍ — ليست تجيد مثاله صنعاءُ
فالأرض بعد العري إمّا روضةٌ — غنّاء أو ديباجةٌ خضراءُ
والطير مختلف اللحان فنائحٌ — ومطرِّبٌ مالت به الأهواءُ
والماء بين مدرَّج ومجدولٍ — ومسلسلٍ جادت به الأنواءُ
وسرى النسيم على الرِّياض فضمَّخت — أثوابه عطريّة نكباءُ
كمديح آل محمّد سفن النجا — فبنظمه تتعطَّر الشّعراء
الطيّبون الطاهرون الراكعون — السّاجدون السّادة النجباءُ
منهم عليٌّ الأبطحيُّ الهاشميّ — اللّوذعيُّ إذا بدت ضوضاءُ
ذاك الأمير لدى «الغدير» أخو — البشير المستنير ومن له الأنباءُ
طهرت له الأصلاب من آبائه — وكذاك قد طهرت له الأبناءُ
أفهل يحيط الواصفون بمدحه — والذِّكر فيه مدائحٌ وثناءُ؟
ذو زوجة قد أزهرت أنوارها — فلأجل ذلكم اسمها الزَّهراء
وأئمَّة من ولدها سادت بها — المتأخِّرون وشرّف القدماءُ
مبداهمُ الحسن الزكيُّ ومَن إلى — أنسابه تتفاخر الكرماءُ
والطاهر المولى الحسين ومن له — رفعت إلى درجاتها الشّهداء
والنّدب زين العابدين الماجد — الندب الأمين الساجد البكّاءُ
والباقر العلم الشريف محمّد — مولًى جميع فعاله آلاءُ

والصّادق المولى المعظّم جعفرٌ حبرٌ مواليه هم السّعداءُ
وإمامنا موسى بن جعفر سيّدٌ بضريحه تتشرَّف الزَّوراءُ
ثمَّ الرِّضا علم الهدى كنز التّقى باب الرَّجا محيي الدُّجى الجلاّءُ
ثمَّ الجواد مع ابنه الهادي الذي تهدي الورى آياته الغرّاءُ
والعسكريُّ إمامنا الحسن الذي يغشاه من نور الجلال ضياءُ
والطاهر ابن الطاهرين ومَن له في الخافقين من البهاء لواءُ
من يُصلح الأرضين بعد فسادها حتّى يُصاحب ذئبهنَّ الشاءُ
أنا يا بن عمِّ محمّد أهواكُمُ وتطيب منّي فيكم الأهواءُ
وأُكفّر الغالين فيك وألعن القالين إنّهمُ لديَّ سواءُ(١)

الشاعر

الشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمّد أبو محمّد الحلّي الأسدي. قطبٌ من أقطاب الفقاهة، وطودٌ راسٍ للعلم والأدب، كان متكئاً على أريكة الزّعامة الدينيّة، ومرجعاً في الفتوى، ومنتجعاً لحلِّ المشكلات، وكهفاً تأوي إليه العفاة، والحكم الفاصل للدّعاوى، ومن مشايخ الإجازة الرّاوين عن الشيخ نجم الدِّين المحقّق الحلّي المتوفّى سنة ٦٦٧، ويروي عنه الحافظ المحقّق كمال الدين علي ابن الشيخ شرف الدين الحسين بن حمّاد الليثي الواسطي. ويروي عنه شارح القصائد السّبع العلويّات لابن أبي الحديد بشرحه الموسوم بغرر الدلائل قال في أوّل الشرح: كنت قرأت هذه القصائد على شيخي الإمام العالم الفقيه المحقّق شمس الدين أبي محمّد محفوظ بن وشاح قدس الله روحه وذلك بداره بالحلّة في صفر من سنة ثمانين وستمائة، ورواها لي عن ناظمها وراقم علمها.

قال الأميني:

أحسب أنَّ شارح القصائد هو صفيُّ الدين محمَّد بن الحسن بن

(١) ذكرها العلامة السماوي في الطليعة ج ٢.

أبي الرضا العلوي البغدادي صاحب البائيّة في رثاء المترجم. والله العالم.

جرت بين شيخنا المترجم وبين شيخه المحقّق الحلّي مكاتبات منها ما ذكره شيخنا صاحب المعالم في إجازة الكبيرة[1] قال نقلاً عن الشهيد الأوّل[2] إنّه كتب إلى الشيخ المحقّق نجم الدين السَّعيد أبياتاً من جملتها:

أغيب عنك وأشواقي تجاذبني ... إلى لقائك جذب المغرم العاني
إلى لقاء حبيب شبه بدر دجى ... وقد رماه بإعراضٍ وهجرانِ

ومنها:

قلبي وشخصك مقرونان في قَرَن ... عند انتباهي وعند النوم يغشاني
حللت عنّي محلَّ الروح في جسدي ... فأنت ذكريَ في سرِّي وإعلاني
لولا المخافة من كره ومن ملل ... لطال نحوك تردادي وإتياني
يا جعفر بن سعيد يا إمام هدى ... يا أوحد الدَّهر يا مَن ما له ثاني
إنِّي محبّك مغرىً غير مكترثٍ ... لم يختلف أبداً في فضلك اثنانِ

ومنها:

في قلبك العلم مخزونٌ بأجمعه ... تهدي به من ضلال كلّ حيرانِ
وفوك فيه لسانٌ حشوه حكمٌ ... تروي به بزلال كلَّ ظمآنِ
وفخرك الرَّاسخ الرّاسي وزنت به ... رضوى فزاد على رضوان وثهلانِ
وحسن اخلاقك اللاتي فضلت بها ... كلّ البريّة من قاصٍ ومن دان
تغني عن المأثرات الباقيات ومن ... يحصي جواهر أجبال وكثبانِ
يا من علا درج العلياء مرتقياً ... أنت الكبير العظيم القدر والشانِ

فأجابه المحقّق بقوله:

لقد وافت قصائدك الغوالي ... تهزُّ معاطف اللفظ الرَّشيقِ

---

(١) توجد في إجازات البحار للعلامة المجلسي ص ١٠٠.

(٢) شمس الدين محمد بن جمال مكي بن محمد العاملي النبطي الجزيني المستشهد سنة ٧٨٦ توجد ترجمته وترجمة أولاده وأحفاده في كتابنا شهداء الفضيلة ص ٨٠ - ٩٨.

فضضتُ ختـامهنَّ فخلت أنّي　　فضضت بهنَّ عن مسـك فتيقِ
وجال الطرف منها في رياضٍ　　كُسين بناظر الزَّهر الأنيقِ
فكم أبصرت من لفظٍ بديعٍ　　يدلُّ به على المعنى الدَّقيقِ!
وكم شاهدت من علم خفيٍّ　　يقرِّب مطلب الفضل السحيقِ!
شربت بها كؤوساً من معاني　　غنيت بشربهنَّ عن الرَّحيقِ
ولكني حُملت بها حقوقاً　　أخاف لنقلهنّ من العقوقِ
فسيِّر يا أبا الفضائل بي رويداً　　فلست أطيق كفران الحقوقِ
وحمِّل ما أُطيق به نهوضاً　　فإنّ الرّفق أنسب بالصَّديقِ
فقد صيّرتني لعلاك رقّاً　　ببرِّك بل أرقَّ من الرقيقِ

وكتب بعدها نثراً توجد جملةٌ منه في الإجازات.

لم نقف على تاريخي ولادة شيخنا شمس الدين ووفاته غير أنَّ انقطع بحياته إلى سنة ٦٨٠، وقد قرَّب العلاّمة السَّماوي وفاته بسنة تسعين بعد الستمائة، وللباحث أن يقف على مواقفه العظيمة في الفضائل بالقصائد التي رثاه بها أعلام عصره منها رثاء العلاّمة الحجَّة الفقيه الصالح صفيِّ الدين محمّد بن الحسن أبي الرِّضا العلوي البغدادي يقول في قصيدته:

مصابٌ أصاب القلب منه وجيبُ　　وصابت لجفن العين فيه غروبُ
يعـزُّ علينا فقد مولى لفقده　　غدت زهرة الأيّام وهي شحوبُ
وطاب له في النّاس ذكرٌ ومحتدٌ　　كما طاب منه مشهدٌ ومغيبُ
ألا ليت شمس الدين بالشمس يقتدي　　فيصبح فينا طالعاً ويغيبُ
فمن ذا يحلُّ المشكلات ومن إذا　　رمى غرض المعنى الدقيق يصيب؟
ومَن يكشف الغمّاء عنّا ومَن له　　نوال إذا ضنَّ الغمام يصوبُ؟
فلا قام جنح الليل بعدك خاشعٌ　　ولا صام في حر الهجير منيب
ولو سال فوق الطرس من كفِّ كاتب　　يراع عن السمر الطوال ينوبُ
وبعدك لا سحَّ الغمام ولا شدا　　الحمام ولا هبَّت صباً وجنوبُ

ومنها قصيدة الفقيه الحجَّة الشيخ مهذَّب الدين محمود بن يحيى بن

محمّد الشيباني الحلّي:

عـزَّ العـزاء ولات حين عـزاءِ ... من بعد فرقـة سيِّد الشعـراءِ
العـالم الحبـر الإمـام المرتضى ... علم الشَّـريعة قـدوة العلمـاءِ
أكـذا المنون تهدّ أطواد الحجا ... ويفيض منها بحر كـلّ عـطاءِ؟
مـا للفتـاوى لا يـرد جـوابهـا؟ ... مـا للدّعـاوى غـطيت بغطاءِ؟
مـا ذاك إلّا حين مـات فقيهنـا ... شمس المعالي أوحد الفضلاءِ
ذهب الـذي كنّا نصـول بعزِّه ... ولسانه الماضي على الأعداءِ
مَن للفتـاوى المشكلات يحلّها ... ويُبينها بـالكشف والإمضـاءِ؟
مَن للكـلام يبين من أسـراره ... معنى جـلالة خـالق الأشياءِ؟
مَن ذا لعلم النحو واللغة التي ... جاءت غرائبها عن الفصحاءِ؟
مـا خلت يحطُّ قبل في قلب الثرى ... انَّ البـدور تغيب في الغبـراءِ
أيمـوت محفـوظٌ وأبقى بعـده؟ ... غـدرٌ لعمرك مـوتـه وبقـائي
مولاي شمس الدين يا فخر العلا! ... ما لي أُنادي لا تجيب نـدائي؟

ومنها: قصيدة العلّامة المحقّق الشيخ تقي الدين ابن داود الحلّي أحد شعراء الغدير الآتي ذكره في القرن الثامن:

لـك الله أيَّ بـنـاء تـداعـى ... وقـد كان فـوق النجوم ارتفاعا؟
وأيَّ عـلاءٍ دعـاه الـخـطوب ... فلبّى ولـولا الـرّدى مـا أطاعـا؟
وأيَّ ضـيـاءٍ ثـوى في الـثـرى ... وقد كان يخفي النّجوم التماعا؟
لقـد كان شمس الهـدى كاسمه ... فـأرخى الكسـوف عليه قناعـا؟
فـوا أسـفـا أين ذاك اللسـان ... إذا رام معنىً أجـاب اتِّبـاعـا؟
وتلك البحـوث التي مـا تمـل ... إذا ملّ صاحب بحثٍ سماعا؟
فمن ذا يُـجيب سؤال الـوفـود ... إذا عـرضوا أو تعـاطوا نـزاعـا؟
ومَن لليتـامى ولابـن السبيـل ... إذا قـصـدوه عـراةً جيـاعـا؟
ومَـن لـلوفـاء وحـفظ الإخـاء ... وراعي العهـود إذا الغدر شـاعا؟

سقى الله مضجعه رحمةً تروّي ثراه وتأبى انقطاعا[١]؟

وولد المترجم أبو علي محمّد الشهير بتاج الدين بن وشاح كان قاضي الحلّة، ولصفيّ الدين الحلّي الآتي ذكره في الجزء السّادس قصيدة يرثيه بها توجد في ديوانه ص٢٥٦ مطلعها:

لو أفادتنا العزائم حالا لم نجد حسن العزاء محالا

ويقول فيها:

أسدٌ خلّف شبلي عرين شيدا مجداً له لن ينالا
ظلّ زين الدين للدهر زيناً وجمال الدين فيها جمالا
فأرانا الله أقصى الأماني فيهما إن جار دهرٌ ومالا

٤٩ بيتاً

ولصفيّ الدين قصيدة اخرى ذات ٥٣ بيتاً توجد في ديوانه ص ٤١٠ يعتذر بها إلى القاضي تاج الدِّين بن وشاح عن قيلٍ فيه وعزوه إليه أوّلها:

حذراً عليك من الفعال الجافي أُدنيك مجتهداً إلى الإنصافِ

ويقول في آخرها:

شكراً لواشٍ أوجبت أقواله حجّي لكعبة ربعكم وطوافي
بعدٌ جنيت القرب من أغصانه وسكينةٌ حصلت من الإرجافِ
ولربَّما عوت الكلاب فأرشدت نحو الكرام شوارد الأضيافِ
دع عنك ما اختلف الورى في نقله عنّي وخذ مدحاً بغير خلافِ
مدحاً أتاك ولا يروم اجازةً إلّا المودَّة والضمير الصّافي

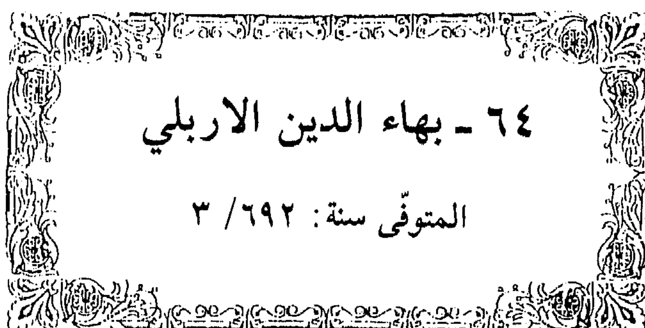
ولآل محفوظ بقيَّةٌ صالحةٌ في سوريا والعراق، وللأستاذ الحسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد الجواد ابن الشيخ موسى آل محفوظ الكاظمي رسالةٌ في تراجم أعلام أسرته الكريمة، وتوجد ذكرى عُمد هذا البيت الرَّفيع في

(١) راجع أمل الآمل، بحار الأنوار ج ٢٥، مستدرك الوسائل، تتميم الأمل لابن أبي شبانة، روضات الجنات.

تكملة أمل الآمل لسيِّدنا الصَّدر الكاظمي، وفي وفيات الأعلام لشيخنا الرازي صاحب «الذريعة».

توجد في أمل الآمل وغيره ترجمة باسم سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشاح السوراني، قرأ عليه المحقّق الحلّي المتوفّى سنة ٦٦٧، ويروي عنه السيِّد ابن طاوس المتوفّى سنة ٦٦٤، ووالد العلاّمة الحلّي وقد وُلد العلاّمة سنة ٦٤٨، واستظهر صاحب «روضات الجنات» في ص ٣٠١ أنّه ولد شاعرنا شمس الدين محفوظ وهذا الاستظهار ليس في محلّه لأنَّ المترجم نفسه أحد الرُّواة عن المحقِّق الحلّيّ فكيف يكون سالم الذي قرأ عليه المحقّق الحلّي ابنه؟ ثمَّ طبقة الرُّواة عن سالم هي طبقة مشايخ شمس الدين المترجم فيستدعي ذلك أن يكون متقدِّماً على والده بطبقة غير طبقة والده.

ويؤيِّد ما ذكرناه أنّ ولد المترجم أبا علي محمَّداً تاج الدين بن محفوظ المترجم في أمل الآمل يروي عنه السيِّد تاج الدين ابن معيَّة المتوفّى سنة ٧٧٦، ورثاه صفيُّ الدين المتوفّى سنة ٧٥٢، فلو كان سالم أخاه لوجب أن يكون الرُّواة عنه من أهل هذه الطبقة لا قبلها بقرن.



٦٤ ـ بهاء الدين الاربلي

المتوفّى سنة: ٦٩٢/ ٣

وإلــى أميـر المؤمـنين بعثــتها　　مثـل السفـائن غُمن في تيَّــارِ(١)
تحكي السّهـام إذا قـطعن مفـازةً　　وكــأنّـهــا فــي دقّــة الأوتــار
حمّــال أثقــال ومُسعف طــالب　　ومــلاذ ملهـوف ومــوئــل جــارِ
شـرفٌ أقـرَّ بــه الحسـود وسؤددٌ　　شــاد العــلاء ليَعـربٍ ونــزارِ
وسمـاحـةٌ كـالمـاء طـاب لـواردٍ　　ظــام إليــه وسـطوةٌ كــالنّــارِ
ومــآثـرٌ شهــد العـدوُّ بفضلهــا　　والحقُّ أبلج والسيــوف عــواري
ســل عنه بـدراً إذ جلا هبـواتهـا　　بشبــاة خــطيٍّ وحــدِّ غــرارِ(٢)
حيث الأسنّــة كـالنجــوم منيــرة　　تخفى وتبــدو في سمــاء غبــارِ
واسـأل بخيبر إن عـرتك جهـالـةٌ　　بـصحــائـح الأخبــار والآثــارِ
واسـأل جموع هـوازنٍ عن حيدر　　وحـذار من أسـد العرين حَـذارِ
واســأل بخمّ عن عــلاه فــإنّـهــا　　تقضي بمجـد واعتــلاء منــارِ
بــولائـه يــرجـو النّجــاة مقصِّـرٌ　　وتـحطّ عـنــه عـظائــم الأوزارِ

ويقول فيها:

عرِّج على أرض الغريِّ وقف به　　والثم ثــراه وزره خيــر مــزارِ

---

(١) غم الشيء: غطاه. التيار: موج البحر الهائج.

(٢) الهبوة: الغبرة ج: الهبوات. الشبات: من السيف قدر ما يقطع به، وحدّ كل شيء. الغرار: حدّ السيف.

واخلع بمشهده الشريف معظّماً تعظيم بيت الله ذي الأستارِ
وقل: السّلام عليك يا خير الورى وأبا الهداة السّادة الأبرارِ
يا آل طاها الأكرمين أليّةً بكُمُ وما دهري يمين فجارِ
إنّي منحتكم المودّة راجياً نيل المنى في الخمسة الأشبارِ
فعليكمُ منّي السّلام فأنتمُ أقصى رجاي ومنتهى إيثاري(١)

وله من قصيدة في كتابه «كشف الغمّة» ص ١٩٧ قوله:

وتعرّض إلى ولاءِ أُناس حبل معروفهم قويٌّ مريرُ(٢)
خيرة الله في الأنام ومَن وجه مُواليهمُ بهيٌّ منيرُ
أُمناء الله الكرام وأرباب المعالي فضلهم مشهورُ
المفيدون حين يخفق سعيٌ والمجيرون حين عزَّ المجيرُ
كرموا مولداً وطابوا أُصولاً فبطونٌ زكيّةٌ وظهورُ
عترة المصطفى وحسبك فخراً أيّها السائلي البشير النذيرُ
بعليٍّ شيدت معالم دين الله والأرض بالعناد تمورُ
وبه أيّد الإله رسول الله إذ ليس في الأنام نصيرُ
وبأولاده الهداة إلى الحقّ أضاء المستبهم الديجورُ
سل حُنيناً عنه وبدراً فما يخبر عمّا سألت إلّا الخبيرُ
إذ جلا هبوة الخطوب وللحرب زنادٌ يشبُّ منها سعيرُ
حسدوه على مآثر شتّى وكفاهم حقداً عليه الغديرُ
أسدٌ ما له إذا استفحل اليأس سوى رنّة السّلاح زئيرُ
ثابت الجأش لا يروّعه الخطب ولا يعتريه فيه فتورُ
أعرب السّيف منه إذا أعجم الرُّمح لأنَّ العدى لديه سطورُ
عزمات أمضى من القدر المحتوم يجري بحكمه المقدورُ
ومزايا مفاخرٍ عطَّر الأفق شذاها يُخال فيها عبيرُ

(١) كشف الغمة ص ٧٨ وقال: قصيدة طويلة أنشدتها بحضرته في مشهده المقدس صلوات الله عليه.
(٢) المرير من الحبال: ما اشتد فتله. ويقال، أمر مرير: أي محكم. ورجل مرير: قوي ذو عزم.

الشاعر

بهاء الدين أبو الحسن عليُّ بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الأربلي نزيل بغداد ودفينها. فذٌّ من أفذاذ الأُمَّة، وأوحديٌّ من نياقد علمائها، بعلمه الناجع وأدبه الناصع يتبلّج القرن السّابع، وهو في أعاظم العلماء قبله في أئمَّة الأدب، وإن كان به ينضّد جمان الكتابة، وتنظَّم عقود القريض، وبعد ذلك كلّه هو أحد ساسة عصرة الزّاهي، ترنَّحت به أعطاف الوزارة وأضاء دستها، كما ابتسم به ثغر الفقه والحديث، وحميت به ثغور المذهب، وسفره القيِّم ـ كشف الغمَّة ـ خير كتاب أُخرج للناس في تاريخ أئمَّة الدين، وسرد فضائلهم، والدِّفاع عنهم، والدَّعوة إليهم. وهو حجَّةٌ قاطعةٌ على علمه الغزير، وتضلّعه في الحديث، وثباته في المذهب، ونبوغه في الأدب وتبريزه في الشعر، حشره الله مع العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، قال الشيخ جمال الدين أحمد بن منبع الحلّي مقرّظاً الكتاب:

ألا قل لجامع هذا الكتاب يميناً لقد نلت أقصى المرادِ
وأظهرت من فضل آل الرَّسول بتأليفه ما يسوء الأعادي

مشايخ روايته والرواة عنه:

يروي بهاء الدين المترجم عن جمع من أعلام الفريقين منهم:

١ ـ سيِّدنا رضيُّ الدين جمال الملّة السيِّد عليّ بن طاوس المتوفّى سنة ٦٦٤.

٢ ـ سيِّدنا جلال الدين عليّ بن عبد الحميد بن فخار الموسوي أجاز له سنة ٦٧٦.

٣ ـ الشيخ تاج الدين أبو طالب عليّ بن أنجب بن عثمان الشهير بابن السّاعي البغدادي السّلامي المتوفّى سنة ٦٧٤. يروي عنه كتاب ـ معالم العترة النبويَّة العليَّة ـ تأليف الحافظ أبي محمّد عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي

المتوفّى سنة ٦١١ كما في كشف الغمّة ص ١٣٥.

٤ ــ الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨، قرأ عليه كتابيه: كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب. والبيان في أخبار صاحب الزّمان. وذلك باربل سنة ٦٤٨، وله منه إجازة بخطّه[1] وينقل عن كتابه «الكفاية» كثيراً في كشف الغمّة.

٥ ــ كمال الدين أبو الحسن عليُّ بن محمّد بن محمّد بن وضاح نزيل بغداد الفقيه الحنبلي المتوفّى سنة ٦٧٢، يروي عنه بالإجازة وممّا يروي عنه كتاب ـ الذريَّة الطاهرة ـ تأليف أبي بشر محمّد بن أحمد الأنصاري الدولابي المتوفّى سنة ٣٢٠، وكان مخطوطاً بخطّ شيخه ابن وضاح المذكور، كشف الغمّة ص ١٠٩.

٦ ــ الشيخ رشيد الدين أبو عبدالله محمّد بن أبي القاسم بن عمر بن أبي القاسم قرأ كتاب ـ المستغيثين ـ[2] «في كشف الظنون المستعين بالله» تأليف أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري القرطبي المتوفّى سنة ٥٧٨، والشيخ رشيد الدين قرأ ـ المستغيثين ـ على محيي الدين أبي محمّد يوسف ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وهو يرويه عن مؤلّفه إجازةً. قال المترجَم في «كشف الغمّة» ص ٢٢٤: كانت قراءتي عليه في شعبان من سنة ستّ وثمانين وستمائة بداري المطلّة على دجلة ببغداد.

وينقل كثيراً عن عدّة من تآليف معاصريه منها: تفسير الحافظ أبي محمّد عبد الرزّاق عزّ الدين الرسعني الحنبلي المتوفّى سنة ٦٦١، كانت بينه وبين المترجم صداقة وصلة، راجع الجزء الأوّل من كتابنا هذا ص ٢٦٤.

ومنها: مطالب السؤول تأليف أبي سالم كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي كما أسلفناه في ترجمته ص ٤٩٦ من هذا الجزء.

ومنها: تآليف شيخنا الأوحد قطب الدين الراوندي المترجَم فيما مرَّ

---

(١) كشف الغمة ص ٣١، ٣٢٤.

(٢) قال ابن خلكان في تاريخه ١ ص ١٩٠: كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات مجلد لطيف. فما ذكرناه في المتن عن كشف الظنون تصحيف.

ص ٤٥٨، ويروي عنه جمعٌ من أعلام الفريقين منهم:

١ ــ جمال الدين العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهَّر كما في إجازة شيخنا الحرِّ العاملي صاحب «الوسائل».

٢ ــ الشيخ رضيُّ الدين عليّ بن المطهَّر كما في إجازة السيِّد محمّد بن القاسم بن معيَّة الحسيني للسيّد شمس الدين.

٣ ــ السيِّد شمس الدين محمَّد بن فضل العلوي الحسني.

٤ ــ ولده الشيخ تاج الدين محمّد بن علي.

٥ ــ الشيخ تقيّ الدين بن إبراهيم بن محمّد بن سالم.

٦ ــ الشيخ محمود بن علي بن أبي القاسم.

٧ ــ حفيده الشيخ شرف الدين أحمد بن الصَّدر تاج الدين محمّد بن علي.

٨ ــ حفيده الآخر الشيخ عيسى بن محمّد بن عليّ أخو الشَّرف المذكور.

٩ ــ الشيخ شرف الدين أحمد بن عثمان النصيبي الفقيه المدرِّس المالكي.

١٠ ــ مجد الدين أبو الفضل يحيى بن عليٍّ بن المظفَّر الطيبي الكاتب بواسط العراق قرأ على المترجم شطراً من كتابه «كشف الغمَّة» وأجاز له ولجمع من الأعلام المذكورين سنة ٦٩١

وممّن قرأ عليه:

١١ ــ عماد الدين عبدالله بن محمّد بن مكّي.

١٢ ــ الصَّدر الكبير عزُّ الدِّين أبو علي الحسن بن أبي الهيجا الإربلي.

١٣ ــ تاج الدين أبو الفتح بن الحسين بن أبي بكر الإربلي.

١٤ ـ المولى أمين الدين عبد الرّحمن بن عليّ بن أبي الحسن الجزري الموصلي.

١٥ ـ الشيخ حسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبّاس الموصلي.

له ذكره الجميل في أمل الآمل. ورياض العلماء. ورياض الجنّة في الرّوضة الرابعة. وروضات الجنّات. والأعلام للزركلي. وتتميم الأمل لابن أبي شبانة. والكنى والألقاب. والطليعة في شعراء الشيعة.

قال ابن الفوطي في «الحوادث الجامعة» ص ٣٤١: وفي سنة ٦٥٧ وصل بهاء الدين عليّ بن الفخر عيسى الإربلي إلى بغداد، ورتّب كاتب الإنشاء بالديوان وأقام بها إلى أن مات وقال في ص٤٨٠: إنّه توفّي ببغداد سنة ٦٩٣. وقال في ص ٢٧٨: إنّه تولّى تعمير مسجد معروف سنة ٦٧٨. وذكر له ص ٣٨ من قصيدته التي يرثي بها معلّم الأُمّة شيخنا خواجه نصير الدين الطوسي والملك عزّ الدين عبد العزيز:

ولمّا قضى عبد العزيز بن جعفر ... وأردفه رزء النَّصير محمَّدِ
جزعت لفقدان الأخلاّء وانبرت ... شؤوني كمرفضّ الجمان المبدَّدِ
وجاشت إليَّ النفس حزناً ولوعةً ... فقلت: تعزّي واصبري فكأن قدِ

وقال في صحيفة ٣٦٦: وفي خامس عشرين جمادى الآخرة ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجمعة فلمّا وصل المسجد الذي عند عقد مشرعة الأبريّين، نهض عليه رجلٌ وضربه بسكّين عدَّة ضربات، فانهزم كلُّ من كان بين يديه من السَّرهنكيَّة وهرب الرَّجل أيضاً فعرض له رجلٌ حمّالٌ كان قاعداً بباب غلّة ابن تومه وألقى عليه كساءَه ولحقه السَّرهنكيَّة فضربوه بالدبابيس وقبضوه، وأمّا الصاحب فإنّه أُدخل دار بهاء الدين ـ المترجم ـ ابن الفخر عيسى وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشرابي لمّا عرف بذلك خرج حافياً وتلقّاه ودخل بين يديه وأحضر الطبيب فسبر الجرح ومصَّه فوجده سليماً من السمِّ.

وذكر في ص ٣٦٩ من إنشائه كتاب صداق كتبه في تزويج الخواجة شرف

الدين هارون بن شمس الدين الجويني بـابنة أبي العبّـاس أحمد ابن الخليفـة المستعصم في جمادى الآخرة سنة ٦٧٠.

وترجمه الكتبي في ـ فوات الوفيات ـ ج ٢ ص ٨٣ وقال: له شعرٌ وترسّلٌ وكان رئيساً كتب لمتولّي أربل من صلايا، ثمَّ خدم ببغداد في ديوان الإنشاء أيّام علاء الدين صاحب الديوان، ثمَّ إنّه فتر سوقه في دولة اليهود، ثمَّ تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب إلى أن مات سنة ٦٩٢، وكان صاحب تجمّل وحشمة ومكارم أخلاق وفيه تشيّع، وكان أبوه والياً باربل، ولبهاء الدين مصنَّفات أدبيَّة مثـل: المقالات الأربع. ورسالة الطيف المشهورة وغير ذلك، وخلّف لمّا مات تركةً عظيمةً ألفي ألف درهم تسلّمها ابنه أبو الفتح ومحقها ومات صعلوكاً ومن شعر بهاء الدين رحمه الله:

أيا حاجري من غير جـرمٍ جنيته ... ومن دأبـه ظلمي وهجري فـديتهُ
أجـرني رعاك الله من نـار جفـوةٍ ... وحـرّ غرام في العبـاد اصـطليتـهُ
وكن مُسعفي فيما أُلاقي من الأسى ... فهجـرك يـا كـلّ المنـايـا نـويتـهُ
أأظمـأ غرامـاً في هـواك ولـوعـةً ... ولي دمع عين كالسّحـاب بكيتهُ؟
وحقِّك لا أنسى العهود التي مضت ... قـديمـاً ولا أسلو زمـانـاً قضيتـهُ

ومن شعره أيضاً:

كيف خـلاصي من هـوى شـادنٍ ... حكّمــه الحسن على مـهجـتي؟
بـعــاده نــاري الـتــي تُـتَّـقـى ... وقــربــه لــو زارني جــنَّــتــي
مـا اتّسعت طرف الهـوى فيه لي ... إلّا وضــاقت في الجفــا حيلتي
لـيت لـيــالي وصـله عــدنَ لي ... يــا حسـرتــا أين الليـالي التي؟

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

وجهه والقوام والشّعر الأسـ ... ـود في بهجة الجبين النّضيرِ
بدر تمٍّ على قضيبٍ عليه ... ليل دُجن من فوق صبحٍ منيرِ

وقال أيضاً:

جنّـه سـابق الـغـرام فـجـنّـا ... وجفـا منـزلاً وخـلّف مـغـنـى
ودعـاه الهـوى فلبّى سـريعـاً ... وكـذا شيمـة المحبِّ المـعنّى
رام صبـراً فلم يُـطعـه غـرامٌ ... غـادر القلب بالصّبـابـة رهنـا

أمالك رقّي! كيف حلّلت جفوتي وعدت لقتلي بالبعاد متمّما؟
وحرّمت من حلو الوصال محلّلا وحلّلت من مرّ الجفاء محرّما
بحسن التثني رقّ لي من صبابةٍ أسلت بها دمعي على وجنتي دما
ورفقاً بمن غادرته غرض الرّدى إذا زار عن سخط بلادك مسلما
كأنت بساجي الطرف أحوى مهفهف يميس فينسيك القضيب المنعّما
يفوق الظبا والغصن حسناً وقامةً وبدر الدُّجى والبرق وجهاً ومبسما
فناظره في قصّتي ليس ناظراً وحاجبه في قتلتي قد تحكّما
ومشرف صدغ ظلّ في الحكم جائراً وعامل قدّ بان أعدى وأظلما
وعارضه لم يرث لي من شكاية فنمّت دموعي حين لاح منمنما

وترجمه صاحب «شذرات الذهب» ج ٥: ٣٨٣ بعنوان بهاء الدين ابن الفخر عيسى الإربلي وعدّه من المتوفّين في سنة ٦٨٣ وأحسبه تصحيف ٦٩٣. وجعلوه في فهرست الكتاب: عيسى بن الفخر الإربلي. زعماً منهم بأنّ عيسى في كلام المصنّف بدل من قوله بهاء الدين. وذكر له في الشذرات قوله:

أيّ عذر وقد تبدّى العذارُ إن ثناني تجلّدٌ واصطبارُ؟
فأقلّا إن شئتما أو فزيدا ليس لي عن هوى الملاح قرارُ
هل مجيرٌ من الغرام؟ وهيها ت أسير الغرام ليس يُجار
يا بديع الجمال قد كثرت فيـ ـك اللواحي وقلّت الأنصارُ

وذكره سيّدنا صاحب «رياض الجنّة» وقال: إنّه كان وزيراً لبعض الملوك وكان ذا ثروة وشوكة عظيمة فترك الوزارة واشتغل بالتأليف والتصنيف والعبادة والرّياضة في آخر أمره، وقد نظم بسبب تركه المولى عبد الرّحمن الجامعي في بعض قصائده بقوله ثمّ ذكر خمسة عشر بيتاً باللغة الفارسيّة ضربنا عنها صفحاً. والقصيدة على أنّها خاليةٌ من اسم المترجم ومن الإيعاز إليه بشيءٍ يعرّفه، تُعرب عن أنّ الممدوح بها غادر بيئة وزارته إلى الحرم الأقدس وأقام هناك إلى أن مات. ومرّ عن ابن الفوطي: أنّ المترجم كان كاتباً إلى أن مات، وكون وفاته في بغداد ودفنه بداره المطلّة على دجلة في قرب الجسر الحديث من المتسالم عليه ولم يختلف فيه اثنان، وكان قبره معروفاً يزار إلى أن ملك تلك الدار في هذه

الآونة الأخيرة مَن قطع سبيل الوصول إليه وإلى زيارته، والناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ.

توجد جملةٌ كبيرةٌ من شعره في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم في كتابه «كشف الغمَّة» منها في ص ٧٩ من قصيدة مدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام وأنشدها في حضرته قوله:

سـلْ عن عليٍّ مقامات عُرفن بـه ... شـدت على الـدين في حلٍّ ومرتحلِ
بـدراً وأحـداً وسـل عنـه هوازن ... في أوطاس واسئل بـه في وقعة الجملِ
واسئـل بـه إذ أتى الأحزاب يقدمهم ... عمرو وصفّين سـل إن كنت لم تسلِ
مآثرٌ صافحت شهب النّجوم عُلاً ... مشيدة قد سمت قدراً على زحلِ
وسنّة شرعت سبل الهدى وندىً ... أقام للطالب الجدوى على السبلِ
كم من يد لك فينا يا أبا حسن! ... يفوق نائلها صوب الحيا الهطلِ!
وكم كشفت عن الإسلام فادحة ... أبدت لتفرس عن أنيابها العصلِ!
وكم نصرت رسول الله منصلتاً ... كالسّيف عُرّي متناه من الخللِ!
ورُبَّ يوم كظلِّ الرّمح ما سكنت ... نفس الشجاع به من شدَّة الوهلِ (١)
ومأزق الحرب ضنكٌ لا مجال به ... ومنهل الموت لا يُغني على النهلِ
والنّقع قد ملأ الأرجاء عثيره (٢) ... فصار كالجبل الموفي على الجبلِ
جلوته بشبا البيض القواضب ... والجرد السّلاهب والعسّالة الذبلِ (٣)
بذلت نفسك في نصر النبيِّ ولم ... تبخل وما كنت في حال أخا بخلِ
وقمت منفرداً كالرّمح منتصباً ... لنصره غير هيّاب ولا وكلِ (٤)
تردي الجيوش بعزم لو صدمت به ... صمّ الصّفا لهوى من شامخ القللِ

---

(١) الوهل والوهلة: الفزع والفزعة.
(٢) النقع: الغبار. عثير: التراب والعجاج.
(٣) البيض: السيف. القواضب جمع قاضب يقال: سيف قاضب وقضاب وقضابة ومقضب شديد القطع. رجل قضابة: قطاع للأمور مقتدر عليها. الجرد: الترس: السلاهب جمع السلهب: الطويل العسالة من الرمح: ما يهتز ليناً. الذبل جمع الذابل: الدقيق المهزول. توصف بها الرماح.
(٤) الوكل: الجبان. العاجز.

يا أشرف الناس من عُرب ومن عجم! وأفضل الناس في قول وفي عمل!
يا مَن! به عرف الناس الهدى وبه تُرجى السّلامة عند الحادث الجلل
يا مَن! أعاد رسوم العدل جالية وطال ما سترتها وحشة العطل
يا فارس الخيل! والأبطال خاضعة يا مَن! به كلُّ خلق الله كالخول[1]
يا سيِّد الناس! يا من لا مثيل له! يا من! مناقبه تسري سُرى المثل
خذ من مديحي ما أستطيعه كرماً فإن عجزت فإنَّ العجز من قبلي
وسوف أُهدي لكم مدحاً أُحبِّره إن كنت ذا قدرةٍ أو مُدّ في أجلي

وله يمدح الإمام الصّادق عليه السّلام قوله:

مناقب صادقٍ مشهورةٌ ينقلها عن الصّادق صادقُ
سما إلى نيل العلى وادعاً وكلَّ عن إدراكه اللّاحقُ
جرى إلى المجد كآبائه كما جرى في الحلبة السّابقُ
وفاق أهل الأرض في عصره وهو على حالاته فائقُ
سماؤه بالجود هطّالةٌ وسيبه هامي الحيا دافقُ
وكلّ ذي فضل بأفضاله وفضله معترفٌ ناطقُ
له مكانٌ في العلى شامخٌ وطود مجد صاعدٌ شاهقُ
من دوحة العزِّ التي فرعها سامٍ على أوج السّها سامقُ[2]
نائله صوبُ حياً مُسبلٌ وبشره في صوبه بارقُ
صواب رأي إن عدا جاهلٌ وصوب غيث إن عرا طارقُ
كأنّما طلعته ما بدا لناظريه القمر الشّارق
له من الأفضال حادٍ على البذل ومن أخلاقه سائقُ
يروقه بذل النّدى واللها وهو لهم أجمعهم رائقُ
خلائقٌ طابت وطالت عُلاً أبدع في إيجادها الخالقُ
شاد المعالي وسعى للعلى فهي له وهو لها عاشقُ

---

(١) الخول: العبيد والإماء.
(٢) فاعل من سمق سمقاً وسموقاً: علا وطال فهو سامق وسمق.

إن أعضـل الأمر فـلا يهتـدى　　إلـيـه فهـو الـفـاتـق الـراتـقُ
يشـوقـه المجـد ولا غـرو أن　　يـشـوقـهُ وهـو له شـائـقُ
مـولاي إنّي فيـكُـمُ مخلصٌ　　إن شـاب بـالحبِّ لكم مـاذقُ[1]
لـكـم مـوال وإلـى بـابكـم　　أُنضي[2] المـطايـا وبكـم واثقُ
أرجـو بكم نيـل الأمـاني إذا　　نـجـا مـطيـعٌ وهـوى مـارقُ

وله يمدح الإمام الكاظم موسى بن جعفر صلوات الله عليهما قوله:

مـدائحي وقـفٌ على الـكـاظم　　فمـا على الـعـاذل والـلائمِ؟
وكيف لا أمـدح مـولىً غـدا　　فـي عصـره خيـر بـني آدمِ؟
ومـن كـمـوسـى أو كـآبـائـه　　أو كـعـليٍّ وإلـى الـقـائـمِ؟
إمـام حـقٍّ يـقـتـضي عـدلـه　　لـو سُلّم الحكم إلى الحـاكـمِ
إفـاضـة العـدل وبـذل النَّـدى　　والـكفّ عـن عـاديـة الـظالمِ
يبسـم للسـائـل مـسـتبـشـراً　　أفـديـه من مستبـشـرٍ بـاسمِ
ليث وغى في الحرب دامي الشبا　　وغيث جـودٍ كـالحيا الـسـاجمِ
مـآثـرٌ تـعجـز عـن وصفهـا　　بـلاغـةُ الـنـاثـر والـنـاظمِ
فـي العـلم بحـرٌ ذاخـرٌ مـدُّه　　وفي الـوغى أمضى من الصّارمِ
يعفـو عن الجاني ويـولي الندى　　ويحمـل الغـرم عن الـغـارمِ
الـقـائم الـصّـائم أكـرم بـه　　مـن قـائم مـجتـهـد صـائمِ
من معشـر سنّوا الـندى والقـرى　　وشُـرِّفـوا في الـزَّمن القـادمِ
وأحـرزوا خصل العلى فـاغتـدوا　　أشـرف خلق الله في الـعـالمِ
يـروي المعـالي عـالمٌ منهـمُ　　مُصـدَّق في النقـل عن عـالمِ
قـد إسـتـووا فـي شـرف　　المرتقى كما تساوت حلقة الخاتمِ
مَن ذا يجـاريهم إذا مـا اعتـزوا　　إلـى عـليٍّ وإلـى فـاطـمِ؟
ومَـن يـنـاويـهـم إذا عُـدّدوا　　خيـر بني الطهر أبي القـاسمِ؟

---

(١) ماذق فلاناً في الود: لم يخلص له الود.
(٢) أنضى إنضاء البعير: هزله.

صلّى عليـه الله من مـرسَـلٍ ... لـمـا أتـى مـن قـبـله خـاتـمِ
يـا آل طـه! أنـا عـبـدٌ لكم ... بـاقٍ عـلى حـبّـكـم الـلازمِ
أرجـو بكم نيـل الأمـاني غـداً ... إذا استبـانـت حسـرة الـنـادمِ
مـعـتـصـمٌ مـنـكـم بـودٍ إذا ... مـا ظـلّ شـانيكم بلا عاصمِ

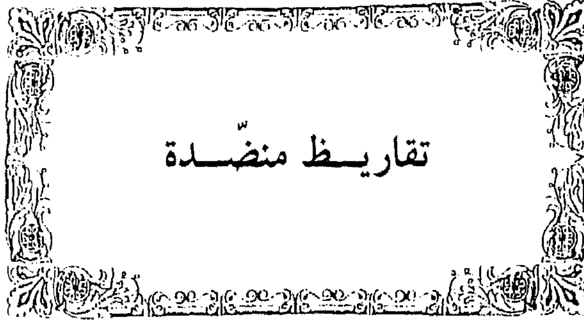
وله قوله وهو خاتمة كتابه «كشف الغمّة» ص ٣٥٠:

أيّـهـا الـسّـادة الأئمّـة أنـتـم ... خـيـرة الله أوّلاً وأخـيـرا
قـد سموتم إلى العلى فـافترعتم ... بمـزايـاكُمُ المحـلَّ الخـطـيـرا
أنـزل الله فيكمُ هـل أتى نصّـاً ... جـلـيّـاً في فـضلكـم مسـطورا
من يجـاريكُمُ؟ وقـد طهّـر الله ... تـعـالى أخـلاقـكم تـطهـيـرا
لـكـمُ سؤددٌ يـقـرره الـقـرآن ... لـمـن أسـمـع الـتـقـريـرا
إن جرى البرق في مداكم كبا من ... دون غـايـاتكم كليـلاً حسيـرا
وإذا أزمـة عـرت واستـمـرّت ... فتـرى للعصـاة فيهـا صـريـرا
بسـطوا للنّدى أكفّـاً سبـاطـاً ... ووجـوهاً تحكي الصباح المنيرا
وأفـاضـوا على البـرايا عـطايا ... خلّفت فيهم السحـاب المـطيـرا
فتـراهم عنـد الأعـادي ليـوثـاً ... وتـراهم عنـد العفـاة بـحـورا
يمنحـون الـوليّ جنّـة عـدن ... والعـدوّ الشّقيّ يـصلى سعيـرا
يطعمون الطعام في العسر واليسر ... يـتـيـمـاً وبـائسـاً وأسـيـرا
لا يـريـدون بـالعـطاء جـزاءً ... محبـطاً أجـر بـرّهم أو شكـورا
فكفـاهم يـومـاً عبـوسـاً وأعـطا ... هم الله على البرّ نضرة وسـرورا
وجـزاهم بصبـرهم وهـو أولى ... من جـزى الخيـر جنّـة وحـريـرا
وإذا مـا ابتـدوا لفصـل خـطاب ... شـرّفـوا منبـراً وزانـوا سـريـرا
بـخلوا الـغيـث نـائـلاً وعـطاءً ... واستـخـفّـوا يلمـلمـاً وثـبـيـرا
يخلفون الشموس نـوراً وإشراقـاً ... وفي اللّيـل يخـجلون البـدورا
أنـا عـبـدٌ لكـم أدين بـحـبّي ... لـكم الله ذا الـجـلال الكـبيـرا
عـالـمٌ أنّـني أصبـت وانّ الله ... يؤلي لـطفـاً وطـرفـاً قـريـرا

مـال قلبي إليكم في الصبى الغـ ـضّ وأحببتكـم وكنـت صغيـرا
وتـولّيتكم ومـا كـان في أهلي ولـيّ مثـلي فـجئـت شهـيـرا
أظهـر الله نـوركم فـأضـاء الـ أفق لمّـا بـدا وكنت بـصيـرا
فهـداني إليكـم الله لـطفـاً بي ومـا زال لـي وليّـاً نـصيـرا
كم أياد أولى! وكم نعمة أسدى! فلي أن أكـون عبـداً شكـورا
أمـطرتني منـه سحـائب جـود عـاد حـالي بهنَّ غضـاً نضيـرا
وحمـاني من حـادثـاتٍ عـظامٍ عُـدت فيهـا مؤيّـداً منصـورا
لو قطعت الزمان في شكـر أدنى مـا حباني بـه لكنت جـديـرا
فله الحـمـد دائمـاً مستـمـرّاً ولـه الـشـكـر أوّلاً وأخـيـرا

وقفنا على قصائد غديريَّة في المجاميع المخطوطة ومعاجم الأدب تعزى إلى أُناس نحسبهم من رجال القرن السّادس والسّابع، غير أنّا لم نعثر على تراجمٍ ناظمي عقودها ولم نجد لهم ذكراً في التآليف والكتب فضربنا عنها صفحاً.

انتهى الجزء الخامس من كتاب الغدير
ويليه السادس إن شاء الله
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب



لجمع من شعراء الغدير في القرن الحاضر تأتي تراجمهم

١

للعلّامة الجليل الشيخ محمّد السّماوي صاحب التآليف الممتعة:

إنَّ الأمينيَّ وافى بروضةٍ وغديرِ
أدار كأس ولاءٍ فديته من مُديرِ
في مُرتقى خمٍّ لا في خورنقٍ وسديرِ
وراح يصدح فيها بنغمةٍ وهديرِ
بالنصِّ من روح وحيٍ من القديم القديرِ
وقول خير نبيٍّ أو نظم حبر جديرِ
حتّى تولّى فأرِّخ : إبهاج حقِّ الغديرِ
١٣٦٥

ولشيخنا السّماوي مقالٌ حول الكتاب ننشره في مستقبل الأجزاء مشفوعاً بالشكر.

٢

للخطيب المفوَّه الشيخ محمّد علي اليعقوبي النجفي صاحب «البابليات»:

لأحمــد يــوم خمّ فــي عـليّ نصــوصٌ جئن بـالــذكـر المبينِ
أتى الــروح الأمين بهـا متــونــاً فــأوضـح شــرحهـا قلم الأميني

٣

للخطيب الشاعر الشيخ حسن السبتي النجفي صاحب «الكلم الطيِّب»:

أبــدى الأمـينـيُّ لـنــا كـتــابــاً سفـراً فمـا الإنجيلُ والـزبــورُ؟
آيــات فضــل فيــه محكمــات في حيــدر عنــوانهــا الغــديــرُ
أتــى بــهــنَّ لـلنـبـيِّ نصٌّ جبــريــل في تـبليغـه بشيــرُ
فـضـيــلةٌ مــن فـضــله بــراه وفــضــله كــعــلـمــه غــزيــرُ
لـنــا أفــاض منـهــلاً نـميــراً عــذبــاً رويّــاً مــا لــه نظيــرُ
أودع فــي أوراقــه عــلومــاً بــاهــرةً مــنـهــا يـشــعُّ نــورُ

٤

للشاعر المفلق الحاج محمَّد الشيخ بندر - عفك - .

أعبد الحسـيـن بـلغـت المـنـى بتــأليف هـذا الغــديــر الأغــرْ
جمعـت فــأوعيت مستقصيــاً فـضمَّـنتــه غــالـيــات الــدُّررْ
وأثبت بيعــة يــوم الـغـديــر لــزوج البتــول أبي المنـتـظرْ
بـنصِّ الـنبـيِّ بـآي الـكتــاب بــأجــلى بيــانٍ وأهــدى أثــرْ
فجــاء كشمس الضحى مشـرقــاً وهـل تنكـر الشمس بين البشـر؟
فمـا عـذر جـاحـد نصِّ الغـديـر وقــد أيَّـد النصَّ أهــل السيـر؟
لئن خــالفـونــا وهم يعلمــون؟ فقــد خــالفــوا الله فيمــا أمــر

٥

لشاعر أهل البيت المكثر الشيخ محمَّد رضا الخالصي الكاظمي(١):

(١) توفي ،طاب ثراه يوم الجمعة ٢٩ شوال سنة ١٣٧٠ وحملت جنازته إلى النجف الأشرف بوصية منه ودفن في وادي السلام جزاه الله عن أهل البيت خيراً.

أيّها المرتقي سنام الفخار! أنت مولاي آية الجبّارِ
أغديراً أريتنا؟ أم محيطاً ليس فيه لسائرٍ من قرار؟
أم رياضاً تزهو بزهر نضير؟ أم سماء تشعّ فيها الدراري؟
أم جناناً أشجارها مثقلات بثمار من أطيب الأثمارِ؟
أنت في الكون قد نشرت علوماً كنَّ قبل (الغدير) تحت ستارِ
أنت مهَّدت للأنام سبيلاً مهيعاً يستنير بالأنوارِ
أنت ألبستنا ملابس عزٍّ ووقارٍ وسؤددٍ وافتخارِ
أنت أودعت في غديرك دُرّاً حسنه يزدري لئالي البحارِ
أنت أحرى بأن تنادي بصوت تُسمع العالمين في الأمصارِ
[تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار]
دُم لك الخير بالغدير مهنّاً وسيجزيك حيدر الكرّارِ

وله من كتاب تفضّل به علينا:

يوم الغدير لم يزل إلى المعادِ عيدهُ
في كلِّ عام واجبٌ على الورى تجديدهُ
قل للّذي يجحده : قد ظهرت شهودهُ
أظهرها مَن قد غدا يهدي الورى وجودهُ
ذاك «الامينيّ» الذي ليس يُرى نديدهُ
عبد الحسين ذو التّقى من أشرقت سعوده
من منهل أرّخته : [ساغ لنا ورودهُ]

وله من كتاب آخر كتبه إلينا:

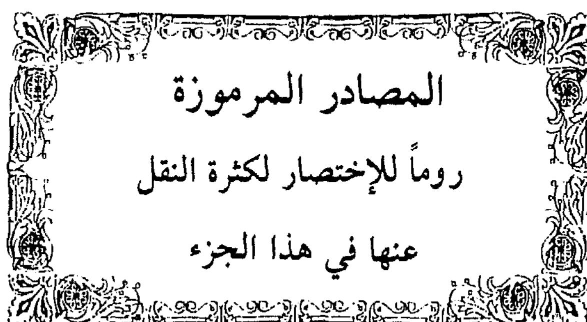
قل للأميني حليف التقى : بلّغك الله أمانيكا
غديرك الطافح سلساله بردَّ أكباد محبِّيكا
ما نظرت عيني إلى ما حوى إلّا وأكبرت أياديكا
لو أنصف السابر أغواره لحار في وصف معاليكا
أوضحت للناس طريق الهدى إذ فاضت الحكمة من فيكا

دمت مـدى الأيّـام في غبـطة وأرغـم الله أعـاديـكـا

ويقول فيها بعد عشرة أبيات:

ويـا غـديـراً سـاغ سلسـالـه أخجلت البحـر لئـاليـكـا
دمت مـدى الـدّهـر لنـا مـورداً حيَّـا إلـه الخلق منشيـكـا

تلقَّينا منه رحمه الله تعالى عدّة قصائد حول كتابنا تُعرب عن ولائه الخالص للعترة الطاهرة صلوات الله عليهم جزاه الله عن ولائه وعنّا خيراً.

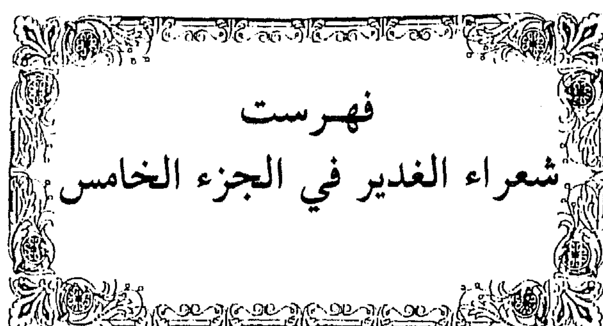


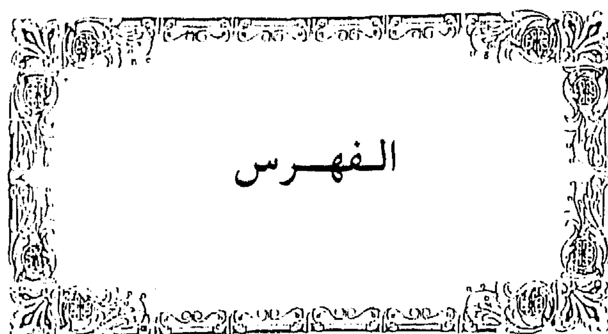
المصادر المرموزة

روماً للإختصار لكثرة النقل عنها في هذا الجزء

الرمز		الكتاب	المؤلِّف
ك	:	مستدرك الصحيحين	الحافظ أبو عبد الله الحاكم
جع	:	الجرح والتعديل	الحافظ ابن أبي حاتم الرازي
حل	:	حلية الأولياء	الحافظ أبو نعيم الأصبهاني
طب	:	تاريخ بغداد	الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي
ت	:	تذكرة الموضوعات	الحافظ أبو الفضل المقدسي
كر	:	تاريخ الشام	الحافظ أبو القاسم ابن عساكر
مل	:	تاريخ الكامل	الحافظ أبو الحسن ابن الأثير
صف	:	صفة الصفوة	الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي
ظم	:	المنتظم	الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي
نص	:	نصب الراية	الحافظ أبو محمّد الزيلعي الحنفي
م	:	ميزان الإعتدال	الحافظ شمس الدِّين الذهبي
ل	:	دول الإسلام	الحافظ شمس الدِّين الذهبي
بق	:	طبقات الحفّاظ	الحافظ شمس الدِّين الذهبي
يه	:	البداية والنهاية	الحافظ عماد الدِّين ابن كثير
جم	:	الجواهر المضيّة	الحافظ محيي الدين ابن أبي الوفاء القرشي
مج	:	مرآة الجنان	الحافظ أبو السَّعادات اليافعي اليمني
خل	:	وفيات الأعيان	الحافظ ابن خلكان أبو العبّاس الأربلي

المؤلّف	الكتاب	الرمز
الحافظ الحافظ ابن حجر العسقلاني	: تهذب التهذب	يب
الحافظ الحافظ ابن حجر العسقلاني	: لسان الميزان	لم
الحافظ أبو الحسن الهيثمي	: مجمع الزوائد	مز
الحافظ جلال الدين السيوطي	: اللئالي المصنوعة	لي
الحافظ جلال الدين السيوطي	: بغية الوعاة	بغية
الحافظ صفيُّ الدين الخزرجي	: خلاصة التهذيب	صه
الحافظ ابن العماد عبد الحيِّ الملكي	: شذرات الذهب	هب
الحافظ أبو المواهب الشّعراني المصري	: طبقات الأخيار	طش
الحافظ الشيخ إسماعيل العجلوني	: كشف الخفاء	كخ
الحافظ علاء الدِّين المتّقي الهندي	: كنز العمّال	كن
الحافظ ابن درويش الحوت البيروتي	: أسنى المطالب	لب


فهرست
شعراء الغدير في الجزء الخامس



الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء السادس

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

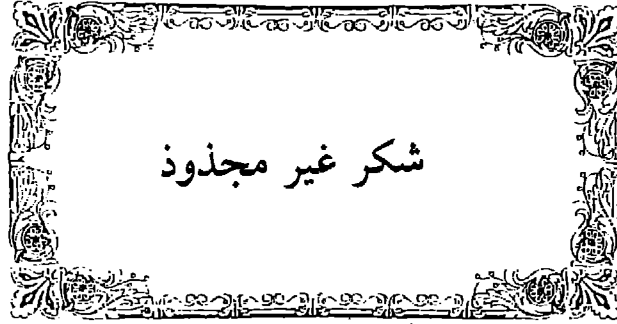
٦

الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كليّة الهندسة .
ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

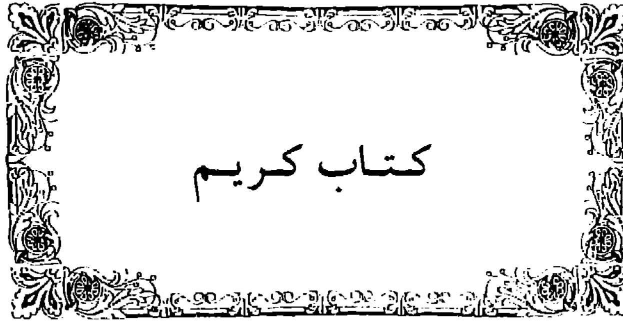
PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



شكر غير مجذوذ

على عطف ملكي ثانٍ لصاحب الجلالة الملك فاروق الأوَّل ، مليك مصر المحميَّة «نصره الله لإعلاء كلمة التوحيد» بتوقيع صدر عن السكرتيريَّة الخاصَّة لجلالته ، يُعرب عن وصول الجزء الخامس إلى المقام السَّامي ، مشفوعاً بتقدير وإعجاب بالكتاب لفخامة السيّد الحسين الحسني السكرتير الخاصّ لصاحب الجلالة ، فشكراً ثم شكراً لصاحب الجلالة ، وللسيّد الفخم غير مجذوذ .

الأميني



كتاب كريم

أتانا من البحاثة المفضال ، المفتي المصلح الشيخ محمد سعيد العرفي وهو كما ترجمه الأستاذ الشيخ محمد سعيد دحدوح الحلبي : من خيار علماء سورية ، وممن أبلى بلاء حسناً في الجهاد السياسي وعذّب ونفي مراراً ، وله مؤلّفات كثيرة منها : سر انحلال الأمّة العربية ووهن المسلمين ، وبماذا يتقدم المسلمون ، وموجز الأخلاق المحمدية ، ومبادىء الفقه الإسلامي ، وتفسير القرآن .

فنحن تقديراً لمقامه العلمي والأدبي الشامخ ، وإعجاباً بخلائقه الكريمة ، ننشر الكتاب بلفظه مشفوعاً بشكر غير مجذوذ .

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيِّد المرسلين محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين .

سماحة الحجّة العلاّمة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي المكرّم .

أمّا بعد السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته : فإنِّي إثر عودتي من دمشق من المجلس الإسلاميِّ الأعلى مريضاً فقد أسعدني الحظُّ بمطالعة أجزائكم الثلاثة : الأوَّل والثاني والرابع من كتاب «الغدير في الكتاب والسنّة والأدب» ولم يصل الجزء الثالث أصلاً ، فلم أستطع أن أكتم ما يختلج به ضميري من سرور متواصل ،

وسعادة غير منقطعة ، لأنّي لا أنكر أنَّ هذا الباب قد طرقه كثيرٌ من فطاحل الرجال إلّا أنّهم لم يوفوه حقّه كما فعل الحجّة الأميني ، فلقد دوَّن آراءً لم يستطع الأوَّلون على أن يأتوا بمثلها فكان كما قال أبو تمام حبيب الطائي :

لازلت من شكري في حلّة　　　لابسها ذو سلب فاخرِ
يقول من تقرع أسماعه　　　كم ترك الأوّل للآخرِ

أو كما قال أبو العلاء المعري أحمد بن سليمان :

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه　　　لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

إذن لا لوم عليَّ إذا قلت : إنَّ المؤلِّف قد جمع في هذه الأجزاء الثلاثة من العلوم والآداب ما صيَّر «الغدير» عيداً شاملاً لكلِّ مؤمن ، لأنّه يجد أُمنيَّته فيه من علم غزير ، وفقه واسع ، وأدب جمّ ، فكان المجمع الأقوى لكلِّ طالب علم مهما اختلفت آراؤهم، وتباينت عقائدهم ، وتغيَّرت أفكارهم ، فإنَّ كلَّ واحد منهم يجد فيه ضالَّته المنشودة بحيث يعجز اللسان عن تبيان ما يدور في خلد كلِّ واحد من أهل العلم ، حتّى يصلح هذا الكتاب الجسيم أن يكون مقصداً لأرباب الأفكار السّامية والغايات المختلفة بحيث يستطيع كلُّ واحد أن يجد ضالَّته المنشودة حتّى يكون رمزاً حقيقيّاً للمؤمن الصّادق لما يجده فيه من سرور متواصل ، ونعيم لا تمكن الإحاطة به إحاطة تامَّة بوجود فرح تامّ عند قراءة تلك المواضيع السامية ، بحيث يمكن أن يكون مرجعاً تامّاً لكلِّ طالب علم أو عالم متضلّعٍ مهما تكن آراؤه مختلفة ، وعقائده متباينة ، لأنَّ ما يحصل من السرور بتلاوة ما كتبه الأفاضل في هذا الموضوع النبيل يصلح أن يكون دستوراً خالداً لدى جميع الموحِّدين .

لا ريب بأنَّ كثيراً من فطاحل العلماء لم يدوّنوا أفكارهم ، ولم ينشروا بين النّاس ما تشتمل عليه آراؤهم ، وما هي عليه من نظام وعمل ينبغي أن يتأسّى به كلّ واحد ، ولكنَّ الأستاذ الأميني الحجَّة قد منحه الله فضلاً واسعاً حتّى استطاع أن يبين ما يجيش به صدره ، من حقائق ناصعة وأفكار جميلة وجليلة .

ولست في مقام حمده والثناء عليه ، ولكن تلك الآثار النبيلة تشهد بفضله

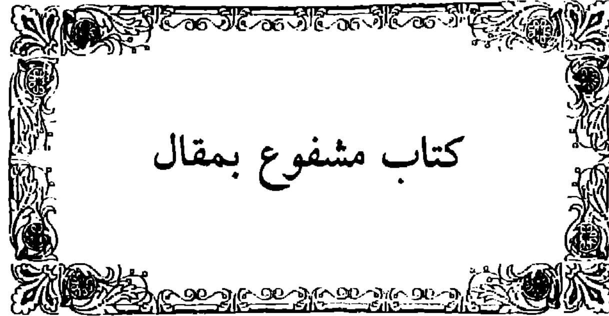
الرائع وآثاره القيّمة ممّا يجعل أهل العلم لا يستطيعون إنكار فضله مهما يكن أحدهم من أهل الفضل والنبل .

إنّي أودّ أن أتكلّم عن كلٍّ ما يحصل في صدري أو يختلج به فؤادي ، ولكنّ المقام مقام إيجاز لا إطناب ، فلا تلمني إذا دوَّنت شيئاً قليلاً ممّا حصل لي من سرور بهذا الكتاب النبيل الذي جمع علم المتقدِّمين وأفكار المتأخِّرين ، فإذن لا عتب عليَّ إذا اختزلت الكتابة وكتبت شيئاً يسيراً ، جزاه الله عنّا أفضل الجزاء ، وبلّغه الحسنى وزيادة وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الأطهار وسلّم تسليماً ، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٥ ربيع الأوّل ١٣٧٣ من الداعي

محمد سعيد العرفي

مُفتي محافظة دير الزور ، وعضو المجمع العلمي العربي



كتاب مشفوع بمقال

تفضَّل به البحَّاثة الأستاذ الفذّ عبد الفتَّاح عبد المقصود المصري مؤلّف الكتاب القيِّم ـ الإمام عليّ ـ في أربعة مجلّدات يُعرب مقاله عن ثقافة راقيةٍ ، ودراية عاليةٍ ، وروح شاعرة ، وشعورٍ حيّ ، وعدلٍ في القضاء ، ورجاحةٍ في الرأي ، ونباهةٍ في توحيد الكلمة ، وبخوع بالحقائق التاريخيَّة ، فنحن نذكر المقال ونردفه بالكتاب شكراً للأستاذ ، وتقديراً ليراعه الثبت ، وضميره الحرّ ، وبصيرته النزهة عن رمص التقليد .

الغـديـر

أوشك وعيي أن يضلَّ في عالم من المعرفة فسيح وأنا أقلّب ناظري بين سطور هذا السِّفر وكلماته . . أهو حقاً كتاب ؟ . . . أهو «غدير» ؟ . . . بل هو «عيلم» زخر بدرره، صنوفاً شتّى ذات ألوان ، تحار في حصرها النهى والخواطر ، وتنبهر لها عيون البصائر ، كلّما وقعت منها على صدفة رأيتها انطوت على كنز تفرَّد في الكنوز وعزَّ في الذخائر ، يكاد يحسبه الرائي نسج وحده ، ثمَّ لا يلبث أن يقع على سواه أبهى وأثمن في صدفةٍ أُخرى مكنونة ، ثمَّ بعدها في صدفات ، مختلفةً ، ومؤتلفةً جمّة العديد موفورةً بقدر ما ضمَّ غور البحر من قطرات مائه ، وما غشّى الشاطىء من حبّات حصبائه . . .

وكان «الأمينيُّ» هو الغوّاص الذي وُكّل بالكشف عن الفرائد الغوالي حتّى لهمَّ أن يجرِّد منها الأغوار ! . . ثمّ كان الجوهريّ ذا اليد الصنّاع ، يؤلِّف ويصنِّف من القلائد الخوالد ما لم يدع بعدها فتنة للأنظار ! . .

هذا جهد يجلّ عن الطاقة ، لم تنؤ به همّة المؤلّف الجليل ولم يقعد دون شأوه اصطباره ، ولقد ظلت أعجب ـ وحقّ لي ـ كيف وسعه أن يخضع وقته لبحث طوف به نيفاً وألفاً ونصفاً من الأعوام ، غير آيس ولا ملول ، منقّباً فيها عن كلٍّ هذه التحف الذهنيَّة التي همّ غبار الزَّمن أن يغيبها عن أعين هذا الجيل ! .. ولكنّه صبرٌ ليس ينجبه سوى إيمانٌ للرجل وثيق بقدر عمله وجدواه ، وإيمان أيضاً بشخصيّة الإمام العظيم بلغ أعلى ذراه ...

ومن العسير على أيِّ امرىء يقرأ «الغدير» أن يفيه في عجالة كهذه قصيرة ، وأنا كذلك معلنٌ قصوري بين يدي تقديري ! .. فليس بنصوص من روائع الأدب ، ولا نظيماً من عيون القصيد ، ولا صحائف مجتباة من بطون التاريخ .. لا ولا قصصاً حيّاً يرد الأجيال ويرسم الرِّجال والأبطال ، ولكنّه هذه كلّها وبعض سواها ، عصي على من لم يتوفَّر عمره المديد على دراسة نواحيها أن يأتي فيه بالرأي الراشد الذي يقارب الصَّواب .

ومن هنا بدا لنا علم «الأمينيّ» عالماً فسيحاً يضلُّ فيه وعي القرَّاء كما يضلُّ وعي النقّاد ، فلقد جاء كتابه «موسوعة» زاخرة تفيض بالممتع والمحكم ، وتلمُّ من كلِّ فنّ من فنون المعارف بأطراف ، حتّى ليعسر على النخبة المختارة من ذوي الأقلام أن يأتوا بنظيرها إلّا على حذر وبعد بحث مغرق طويل .

وأدع جانباً هذا العرض الدقيق الذي أودعه الكاتب لبّ كتابه ، وهذا السَّرد الرشيق للنظيم والنثير ، ثمّ انطلق وإيّاه في آفاقه التي أضاءها قلبه المشرق المستنير .. إنّه ليستهدي التنزيل ، ثمَّ الحديث ، ثمَّ يقفي بعد هذا وذاك بنفحات الهداية التي حرَّكت يراعات تلك الأجيال المتلاحقة من الرُّواة والشعراء والكتّاب حتّى يصل بنا إلى هذا الجيل ... فإلى أيّ مدى استطاع أن يتّخذهم جميعاً جنداً يدفعون جحافل الجحود والإنكار والإفتراء عن «حديث الغدير» ؟ ...

لقد وفّق الرَّجل في كلا العرض والدفاع حتّى فرَّت أمام حججه ذرائع المبطلين ، ولم يَكن في دفاعه مسوقاً فحسب بفرط شغفه بالإمام ، ولكنّه كان أيضاً كالحَكم العدل ، يزن في كفّتين ثمَّ يسجّل لأيّتهما كان الرجحان . ولعلَّ نظرة عابرة

يلقيها غير ذي الهوى على صفحات سفره ـ وخاصّة تلك التي أفردها لسلاسل «الوضّاعين والموضوعات» ـ كفيلة بأن تريه «الأمينيَّ» بحّاثة أميناً ، يتّبع في استخلاص آرائه أدقَّ أساليب البحث المنزَّه الصحيح .

إنَّ حديث الغدير لا ريب حقيقة لا يعتورها باطلٌ ، بلجاء بيضاء كوضح النهار ، وإنَّه لنفثةٌ من نفثات الإلهام جاشت بها نفس الرَّسول الكريم ﷺ لتقرِّر بها قدر ربيبه وصفيّه وأخيه بين أُمّته وأصفيائه المجتبين . هو حجّة لقدر الإمام «نقليّة» ، ولحقّه الهضيم ، لم يعوز «الأمينيّ» إبرازها في سطور سفره ، وإحاطتها بسياجٍ ثابتٍ متينٍ من الأسناد التاريخيَّة المنيعة على أراجيف الأهواء . . ولمن شاء أن يخدشها ـ ظالماً أو جاهلاً ـ بفرية ، أن يدلّنا أين بين أولئكم الصّحابة الأبرار مَن يسبق إبن أبي طالب حين تذكر المزايا والأقدار ؟ !

لقد كنت ، وما أزال ، أجعل الخلق والمواهب ومقوِّمات الشخصيّة أقيستي للعظمة الإنسانيّة ، فما رأيت امرأً ـ بعد محمَّد ﷺ ـ جديراً أن يلحق بذيله أو يكون رديفه قبل أبي سلالته الخيرة المطهّرة ، ولست بهذا مدفوعاً بحماس لمذهبٍ أو تشيّع ، ولكنّه الرأي الذي تنطق به حقائق التاريخ . . .

إنَّما الإمام هو الرَّجل «الأمثل» . . . عقمت عن مثيله الحقب والعصور حتّى آخر الزمان . وعندما تستروح النفوس المستهدية أنباءه يشرق لها من كلِّ نبأ شعاعٌ ، فإن هو إلّا بشرٌ صيغ ـ أو كاد أن يكون ـ من كمال ، ظاهر الحقَّ لذات الحقِّ دون مظاهرته للنتائج المترتّبة عليه ، ولا من أجل الجزاء عنه ، وغالب الباطل إنكاراً للباطل وحبّاً في تبرئة الإنسانيَّة المتعالية التي يؤمن بها من أن تتّهم بالصبر على ما يجافي الحقّ دون أن تنهض له ، كان دوماً يكره الشرَّ منذ انتبهت عينه للحياة . . كرهه في الإنتقاص من تفرّد الله بالقدرة فأبى أن يعنو وجهه لأيّ من الأصنام التي عنت لها جباه قومه ـ وهو بعدُ طفل ـ لأنّه رآها شرّاً ينال من قداسة الله في نفوس بني الإنسان . . . وكرهه في عدوان القويِّ الظالم على حرّيّة الضعيف المظلوم ، فناضل نضاله المشهود إبّان البعثة عن رسول الله لتحقَّ كلمة الله وتذيع شرعة الهداية الكفيلة باستنقاذ البشريّة الضالّة من حمأة الآثام . . . كره الشرَّ في الحسيَّات وفي

المعنويّات . وغالبه في العقائد الفـاسدة والنفـوس المفسودة . . . حـاربه في الفقـر الذي يسترخص الأبـدان والأرواح فأمن نفسـه من غوائله بـأن حصّنها ضـدّ الحاجـة بالنسك والزهادة . . وفي الجبن الـذي يذلّ القلوب فـارتمى على الموت أينمـا ثقفه في كلّ موطن وحين حتّى أدال دولته وهزم هيبته وغدا أُسطورة الأساطير في شجاعـة الشجعـان . وفي الجهل الـذي يميت المشاعـر فعبَّ من نبع حكمـة النبوَّة ، وتـدبَّر القدرة الإلهيَّة في آياتها القرآنيّة وآياتها الكـونيَّة ، حتّى صـار لبني زمنه ومـا تلاه من أزمـان ـ نبراسـاً للمعرفـة ونوراً للنهى والعقـول ليس كمثله نور . . . كـان الخير في نظره مطلوباً لذاته لا صفقةً تجاريَّة يقدَّر قبل عقـدها الـربح والخسـارة ! . . كان لـه وسيلة وغاية في آن ـ وسيلة تجبّ مـا عداهـا من الوسـائل ، وغـاية ليس بعـدها من غاية لضمير الإنسان الكـامل ، إنَّـه مطلب البشـر الذي يجـدر بهم نشدانـه ، العالم بغيره سوق ضلالة ، والإنسانيَّة مباءة جهالة ! . . .

ثمَّ ما لي أُطنب ؟ وما هـذه سوى عجـالة أمـلاها التقـدير لم تملهـا رغبـة في الترجيح أو في التقرير ؟ . . إنَّ فضل الإمام معلومٌ مشهـورٌ وسبقه على الأقـران غير منكور . ولكنّها جمحـةٌ لقلمي ، عسى أن يتقبَّلها استـاذنا «الأمينيُّ» الجليـل فيتقبّل خطاباً هتّاً من «الصورة العقليَّة» التي استطاع جهـدي المحدود أن يستخلصهـا لأمير المؤمنين من ثنايا التاريخ . ولنا عوض عن قصورنا : هذه «الصورة النقليّة» المكتملة التي بدت لنا زاهية نضرةً من خلال أسطر «الغدير» . . .

المخلص

عبد الفتاح عبد المقصود

نصّ كتابه

الإسكندرية ـ ذو الحجّة سنة ١٣٦٧ .

حضـرة المحترم العـلاّمة الجليـل الأستاذ عبـد الحسين أحمد الأميني حفـظه الله .

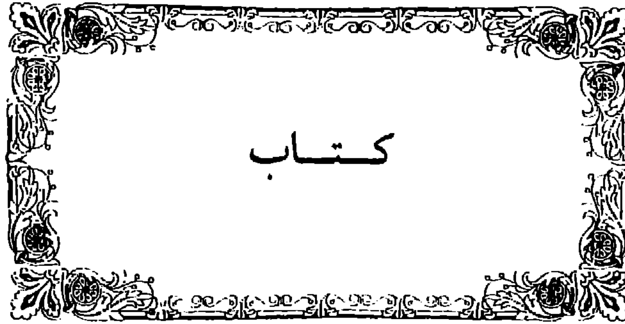
السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :

كـاد خجلي منـك أن يحبس خـطابي عنـك ، فقـد قصّـرت في حقّـك أيّمـا تقصيـر ، و ما زلت أستلهم الـذرائع والأسبـاب التي تبرر عنـدك جمـودي فيعـوزني منها ما يقرّبني إلى مغفرتك، ولكنّني الآن أستعين بكرمك ، وأتقدّم إليـك دون عذر أقدّمه ، وكفاني بهذا الكرم شفيعاً لديك .

تلقّيت الجـزء الخامس من كتـابك «الغـديـر» وانّـه في الحقّ لسفـرٌ خـالـدٌ ، ومجهودٌ فذٌّ جديرٌ بأن يحسدك عليـه النافس ، ويغبـطك الوليُّ الحميم ، وقـد جرى قلمي بكليمات قليلة عنه لا تبلغ بعض حقّه عليَّ من التقدير ، غير أنَّ عذيري أنّـك ممّن يزهدون في الإطراء . . . فهلاّ تقبّلت ما كتبته عنه ؟ ـ وأرسله الآن ـ فإنّه خطرةٌ سجّلتها للذكرى . ولك منّي تحيّةٌ عبقةٌ ، وتمنّياتٌ خالصة .

المخلص

عبد الفتاح عبد المقصود



تلقّيناه من بحّاثة المسيحيِّين شاعر القضاة ، وقاضي الشعراء ، الأستاذ بولس سلامة البيروتي ، يشهد له بالعدل في القضاء ، والنضج في الرأي ، والنصفة في الحكم ، والثقافة في الترجيح ، والتقدير للحقائق الإسلاميَّة ، والإخبات إلى التاريخ الصَّحيح ، فمرحباً به ، وزهٍ بشعوره وشكراً له على نفثات قلمه الفيّاض بالغرر والدرر والسبائك المنضّدة .

ولنا أن نعدَّه ممّن استقى من نمير غديرنا العذب فبرز في ولاء العترة الطاهرة ونظم ملحمته العربيَّة الغرّاء وزهت صحيفة تاريخه بما فيها من حقائق ورقائق ودقائق .

[١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٧]

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ العليم البحّاثة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي حفظه الله .

تلقَّيت الجزء الخامس من ـ الغدير ـ بعد أنْ حظيت بالأجزاء الأربعة التي تقدَّمته ، وكان عليَّ أن أسرع في الشكر وفاءً لبعض حقِّك عليَّ بل على أدباء العرب بل على التاريخ ، فإنَّ المداد الذي يجري من شقٍّ يراعك الثبت يستحيل ـ حين تشرِّفه بذكر الفاطميِّين ـ ألسنةً من نور ناطقة بحقِّ آل محمَّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم منذ اليوم حتّى تدول دولة القلم في آخر الدهر ويرث الله الأرض وما عليها .

وإنَّما أعتذر إليك عن تأخيري الجواب إعتذاراً يسرّك حتَّى لتؤثره على أداء

الـواجب ، ذلـك أنّي كنت في الآونـة الأخيـرة أختلس الفتـرات التي يهـادنني فيهـا المرض لأنظم «يوم الغدير» في ملحمة تنـاولت فيها أهـل البيت منذ الجـاهليّة حتّى ختام مأساة كربلاء ، وقد أربى عدد أبياتهـا على ثلاثـة آلاف وخمسمائـة ، وجعلت عنوانها «عيد الغديـر» وعمّا قـريب سأدفعهـا للمطبعـة[1] وممّا قلتـه في شرح مقـطع «حديث الغدير» : وعندي أنّ أفضل المؤمنين في الغدير وأقدرهم على جمع الوثائق الصحيحة ، وأوسعهم نظراً هو العالم الفاضل الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي ، وهو آية في التنقيب ، وعمق الإطّلاع وطول الأناة .

وهذا يا سيّدي الشيخ أقلّ من القليل بجـانب فضلك ، ومقابـل ما أفـدت من مؤلّفاتك ولقد أشرت في الهامش إلى ما أخذته عنك عند الكلام على ابن العاص ، ولو استنسبت أن آخذ عن المصـادر الشيعيَّة لجعلتـك المرجـع الأوحد لأنَّ أسفـارك النفيسـة ليست فقط مجمع أحـاديث بل دائـرة معارف يقـرُّ فيهـا البـيـان ، ويطمئـنّ التاريخ ، وتنفتح آفاق المعرفة ويخضوضر الشعـر ، حتّى لتغمر القـارىء موجـة من الغبـطة ، فلا يشعـر إلاّ وشفتاه تهتفـان بلفظتين خفيفتين على اللسـان ، ثقيلتين في الميزان : الله أكبر .

وقـد أخذت ـ أكثـر مـا أَخَـذت ـ عن الثقـات من مؤرِّخي السنَّـة لئـلاّ يكـون للمعترضين حجَّة ، ويعلم الله أنّي لم أقـل إلاّ حقّاً فـإنَّ من يشرِّف قلمـه بذكـر أبي الحسن لأغنى الناس عن ابتداع الأساطير، وإنَّما يبحث عن قطرة المـاء ، أو يعتصر الشوك ، ظامىءٌ يهيم في البيداء ، ولكن جار الفراتين والنيل لا يعطش أبداً .

والأدلّة على عظمة أمير المؤمنين بل أمير العرب لأجلّ من أن تُحصى ، وشأن مَن يحاول حصرها شأن من يبغي التقاط أشعَّة الشمس ، وإنّني لأكتفي بـواحد منهـا في هذه الرِّسـالة وهـو : أن يتلاقى على حبِّ أهـل البيت رجلان : أحـدهما شيعيٌّ جليـلٌ وقف قلمه منـذ خمس عشرة سنـة على خدمـة الحقِّ ولمّـا يـزل وهـو أنت ،

---

(١) طبعت في ٣١٧ صحيفة في بيروت في مطبعة النسر ١٤ كانون الثاني ١٩٤٧ م .

وثانيهما هو هذا المسيحيُّ العاجز الذي جاء في الزَّمن الأخير ، وعلّة ذلك أنَّ صعيد الحقيقة هو على شاطىء دجلة ، وعلى ضفاف الأزرق المتـوسِّط ، وإنَّ الحقَّ شعلةٌ من الضياء السماويِّ ، وإنَّها لشعلةٌ متّصلةٌ بالخلود بلا نهاية ، بالله .

المخلص

بولس سلامة

بيروت ٢٢ أيلول سنة ١٩٤٨

الجزء السادس

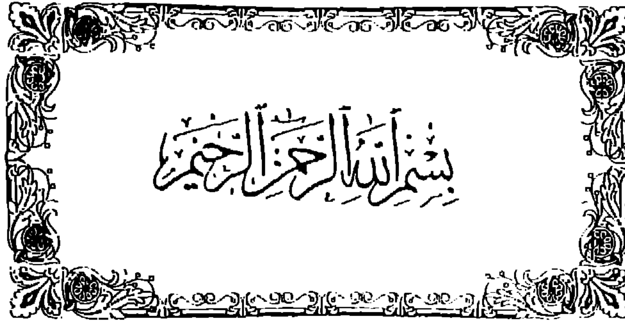
شعراء الغدير في القرن الثامن

وهم سبعة شعراء

والله المستعان

وفي هذا الجزء

أبحاثٌ دينيّةٌ قيّمةٌ ، لا منتدح لروّاد العلم والفضيلة ، عن الخوض فيها ، والبحث عنها

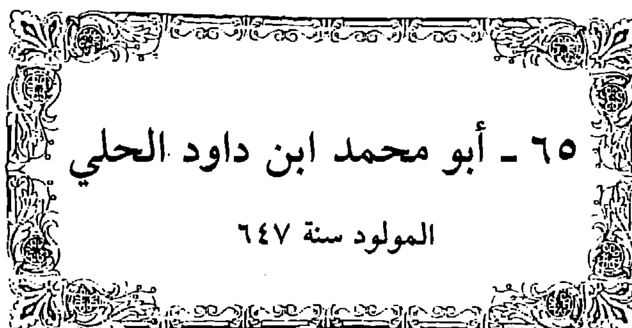


سُبحانَك لا عِلمَ لَنا إلاّ ما عَلّمتَنا إنَّك أنتَ العَليمُ الحَكِيمُ ، وَلَقَدْ جِئناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلناهُ عَلى عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً ، وَالّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعلَمُونَ أنَّهُ مُنزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بالحَقِّ ، وَلا يَرتابُ الّذينَ أوتُوا الكِتابَ وَالمؤمنونَ ، وما اختَلَفَ الّذينَ أوتُوا الكِتابَ إلاّمِنْ بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ بَغياً بَينَهُم ، وَلَئِنْ اتَّبَعتَ أهواءَهُم مِنْ بَعدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلمِ إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظّالِمِينْ ، وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلمٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلاّ الظَنَّ وَإنَّ الظَنَّ لا يُغني مِنَ الحَقِّ شَيئاً ، ذَلِكَ مَبلَغُهُمْ مِنَ العِلمِ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَنِ اهتَدَى ، فَالحَمدُ لله الّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أنْ هَدانا اللّهُ ، وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الّذينَ اصطَفى ، أولئِكَ عَلَيهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهتَدُون .

الاميني



شعراء الغدير
في القرن الثامن



٦٥ - أبو محمد ابن داود الحلي

المولود سنة ٦٤٧

وإذا نظرتَ إلى خطاب «محمّد» ... يوم «الغدير» إذ استقرَّ المنزلُ
من كنت مولاه فهذا «حيدر» ... مولاه لا يرتاب فيه محصِّلُ
لعرفت نصَّ المصطفى بخلافة ... من بعده غرّاء لا يتأوَّلُ

وله من أرجوزة في الإمامة طويلة :

وقد جرت لي قصَّةٌ غريبة ... قد نتجت قضيَّةً عجيبة
فاعتبروا فيها ففيها معتبرْ ... يغني عن الإغراق في قوس النظرْ
حضرت في بغداد دار علمِ ... فيها رجال نظر وفهمِ
في كلِّ يوم لهمُ مجالُ ... تدنو به الأوجال والآجالُ
لا بدَّ أن يسفر عن جريح ... بصارم الحجَّة أو طريح
لمّا اطمأنَّت بهم المجالسُ ... ووضعت لامَاتها الفوارسُ
واجتمع المدرِّسون الأربعة ... في خلوة آراؤهم مجتمعة
حضرت في مجلسهم فقالوا : ... أنت فقيهٌ وهنا سؤالُ
من ذا ترى أحقّ بالتقدُّمِ ... بعد رسول الله هادي الأُممِ ؟
فقلت : فيه نظرٌ يحتاجُ ... أن يُترك العناد واللجاجُ
وكلّنا ذوو عقول ونظرْ ... وفكرٌ صالحةٌ ومعتبرْ

فلنفرض من الآن قضى النبيُّ واجتمع الدنيُّ والقصيُّ
وأنتمُ مكان أهل العقدِ والحلِّ بل فوقهمُ في النَّقدِ
فالتزموا قواعد الإنصافِ فإنَّها من شيم الأشرافِ
لمّا قضى النبيُّ قال الأكثرُ : إنَّ أبا بكر هو المؤمَّرُ
وقال قومٌ : ذاك للعبّاسِ وانقرضوا وقال باقي النّاسِ
: ذاك عليٌّ . والجميع مدَّعي : أنَّ سواه للمحال يدَّعي
فهل ترون أنَّه لمّا قضى نصَّ على خليفةٍ ؟ أم فوَّضا
ترتيبه بعدُ إلى الرعايا ليجمعوا على الإمام رايا ؟
فقال منهم واحدٌ : بل نصَّا على أبي بكر بها وخصّا
قال له الباقون : هذا يشكلُ بما عن الفاروق نحن ننقلُ
من أنَّهُ قال : إن استخلفتُ[1] فلأبي بكر قد اتَّبعتُ
وإن تركت فالنبيُّ قد ترك والحقُّ بين الرَّجلين مشترك
وقال : كانت فلتةً بيعتهُ[2] فمن يعد حلّت لكم قتلتهُ
وقول سلمان لهم : فعلتم وما فعلتم إذ له عزلتم
وقالت الأنصار : نستخيرُ منّا أميراً ولكم أميرُ
فلو يكون نصّ في عتيقِ للزم الطعن على الفاروقِ
ثمَّ على سلمان والأنصارِ وليس ذا بالمذهب المختارِ
مع أنَّه استقال واستقالته[3] دلّت على أن باختيار بيعته
لو أنَّها نصٌّ من الرَّسولِ لم يك في العالم من مقيلِ
فاجتمع القوم على الإنكارِ للنصِّ والقول بالإختيارِ
فقلت : لمّا فوِّضت إلينا أيلزم الأُمَّة أن يكونا
أفضلهم ؟ أم ناقصاً مفضولاً لا يستحقُّ الحكم والتأهيلا ؟
فاجتمعوا : أن ليس للرعيَّة إلّا اختيار أفضل البقيَّة

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٤٣٤ .
(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الخامس ص ٤٤٦ .
(٣) مرّ حديث الإستقالة في الجزء الخامس ص ٤٤٤ .

قلت لهم : يا قوم خبّروني أعلى صفات الفضل بالتعيينِ
فقدّموا السبق إلى الإيمانِ وهجرة القوم على الأوطانِ

إلى أن يقول فيها :

قلت : دعوني من صفات الفضلِ فأنتمُ من كلّها في حلِّ
نفرضها كأمّة بين نفرْ قد أحدقوا من حولها وهم زمرْ
وافترق النّاس فقال الأكثرُ لواحد : خذها فأنت أجدرُ
وقال باقيهم لشخص ثاني : ليس لها مولى سواك قاني
ثمَّ رأينا الأوّل المولّى ينكر فيها الملك مستقلاّ
يقول : ليس لي بها من حقِّ وذا يقول : أمتي ورقّي
ويستغيث وله تألّمُ على الذي يغصبه ويظلمُ
وكلّ شخص منهما صدّيقُ ليس إلى تكذيبه طريقُ
فما يقول الفقهاء فيها شرعاً أنعطيها المدّعيها
أم من يقول ليس لي بحقّ ؟ بالله أفتونا بمحض الحقِّ
بُعيد هذا قالت الجماعة : سمعاً لما ذكرتمُ وطاعة
ما عندنا في فضله تردّدُ وأنّه المكمّل المؤيّد
لكنّنا لا نترك الإجماعا ولا نرى الشّقاق والنزاعا
والمسلمون قطُّ لم يجتمعوا على ضلالٍ فلهم نتّبعُ
ثمَّ الأحاديث عن النبيِّ ناطقة بنصّه الجليِّ
قلت لهم : دعواكم الإجماعا ممنوعةٌ إذ ضدّها قد شاعا
وأيّ إجماع هنالك انعقدْ والصفوة الأبرار ما منهم أحدْ
مثل عليٍّ الصنو والعبّاسِ ثمَّ الزبير هم سُراة النّاس
ولم يكن سعد فتى عباده ولا لقيس ابنه إراده
ولا أبو ذرٍّ ولا سلمانُ ولا أبو سفيان والنعمانُ
أعني ابن زيد لا ولا المقدادُ بل نقضوا عليهمُ ما شادوا
وغيرهم ممّن له اعتبارُ لم يقنعوا بها ولم يختاروا
فلا يقال : إنّه إجماعُ بل أكثر الناس له أطاعوا

لكنّما الكثرة ليست حجّه ... بل ربما في العكس كان أوجه
فالله قد أثنى على القليلِ ... في غير موضع من التنزيلِ
فسقط الإجماع باليقينِ ... إلاّ إذا كابرتموا في الدِّينِ
ونصّكم كيف ادَّعيتموهُ ؟ ... وعن قليل قد منعتموه
أليس قد قرَّرتمُ أنَّ النبيّ ... مات بلا نصٍّ ؟ وليس مذهبي
لكنّني وافقتكم إلزاما ... ولم أقل بذلك التزاما
لأنَّني أعلم مثل الشمسِ ... نصّ الغدير واضحاً عن لبسِ
وأنتمُ أيضاً نقلتموهُ ... كنقلنا لكن رفضتموهُ

إلى آخر الأرجوزة ذُكر شطرٌ مهمٌّ منها في «أعيان الشيعة» ج ٢٢ ص ٣٤٣

الشاعر

تقيُّ الدين أبو محمّد الحسن بن عليّ بن داود الحلّي ، هو نابغةٌ في الفقه والحديث والرِّجال والعربيّة وفي علوم شتّى ، ولم يختلف اثنان في أنَّه من أوحديّي هذه الفرقة الناجية ، ومن علمائها الأعلام ، وأطراه العلماء في المعاجم والإجازات بكلِّ جميل ، وإن تكلّم بعضهم في مقدار اعتبار كتابه المعروف السائر في الرِّجال ، فمن معوِّل عليه[1] حاصر لتعويله به ، ومن معرض عنه[2] نهائيّاً ، لكن خير الأمور أوسطها ، وهو نظريَّة أكثر علمائنا من أنَّه كغيره من أُصول علم الرِّجال يُعتمد عليه وربما يُنتقد ، وأمّا الشعر فقد كانت تحدوه إلى نظمه غايات كريمة حيناً بعد حين :

ولد المترجم ٥ جمادى الثانية سنة ٦٤٧ ، وأخذ العلم من السيِّد الحجَّة السيِّد أبي الفضائل أحمد بن طاوس الحلّي المتوفّى سنة ٦٧٣ ، ويروي عنه وعن جمع آخر من أعلام الطائفة منهم :

١ ـ المحقِّق نجم الدين جعفر بن الحسن الحلّي المتوفّى سنة ٦٧٦ وهو أحد مشايخ قراءته .

---

(١) كالشيخ حسين بن عبد الصمد والد شيخنا البهائي في درايته .

(٢) كالشيخ عبدالله التستري في شرح التهذيب في شرح الحديث الأول .

٢ ـ الشيخ نجيب الدين أبو زكريّا يحيى بن سعيد الحلّي ابن عمّ المحقّق المذكور المتوفّى سنة ٦٨٩ .

٣ ـ الفيلسوف الأكبر خواجة نصير الدين الطوسي المتوفّى سنة ٦٧٢ .

٤ ـ السيِّد غياث الدين عبد الكريم بن السيِّد أبي الفضائل أحمد بن طاوس الحلّي المذكور المتوفّى سنة ٦٩٣ .

٥ ـ الشيخ سديد الدين يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي والد العلاّمة الحلّي .

٦ ـ الشيخ مفيد الدين محمّد بن جهيم «جهم» الأسدي عدّه المترجم في رجاله من مشايخه . ويروي عنه من مشايخ الطائفة :

١ ـ الشيخ رضيُّ الدين أبو الحسن عليُّ بن أحمد المزيدي الحلّي المتوفّى سنة ٧٥٧ .

٢ ـ السيِّد أبو عبد الله محمّد بن القاسم الديباجي الحلّي الشهير بابن معيَّة المتوفّى سنة ٧٧٦ .

٣ ـ الشيخ زين الدين عليُّ بن طراد المطار آبادي المتوفّى بالحلّة سنة ٧٥٤ .

تآليفه القيمة :

ذكر المترجم في كتابه في الرِّجال لنفسه تآليف قيِّمة وهي :

التحفة السعديَّة .	عدَّة الناسك في قضاة المناسك نظماً .	تكملة المعتبر .
المقتصر من المختصر .	اللؤلؤة في خلاف أصحابنا نظماً .	كتاب الدرج .
كتاب الرائع .	الخريدة العذراء في العقيدة الغرّاء نظماً .	كتاب الكافي .
كتاب في الفقه .	الدرّ الثمين في أُصول الدين نظماً .	البغية في القضايا .
كتاب الرِّجال .	عقد الجواهر في الأشباه والنظائر نظماً .	كتاب النكت .
مختصر الإيضاح .	مختصر الأسرار الغريبة في النحو .	حروف المعجم .

اللمعة في الصَّلاة .	حلُّ الإشكال في عقد الأشكالْ .	تحصيل المنافع .
الإكليل في العروض .	إحكام القضيَّة في أحكام القضيّة .	خلاف المذاهب .
الرائض في الفرائض .	شرح قصيدة السَّاوي في العروض .	أُصول الدين .

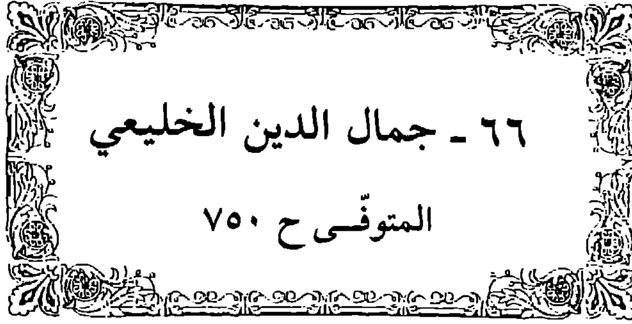
قرَّة عين الخليل في شرح النظم الجليل لابن حاجب في العروض . الجوهرة في نظم التبصرة .

لم نقف على تاريخ وفاة المترجم وإنّما فرغ من كتاب رجاله سنة ٧٠٧ وله من العمر ستّين سنة ، ورأى صاحب «رياض العلماء» في مشهد الرضا عليه السلام نسخة من «الفصيح» بخطّ شاعرنا المترجم له في آخرها : كتبه مملوكه حقّاً حسن بن عليّ بن داود غفر له في ثالث عشر شهر رمضان المبارك سنة إحدى وأربعين وسبعمائة حامداً مصلّياً مستغفراً[1] فكان في ٧٤١ حيّاً وله من العمر ٩٤ عاماً .

ومرَّت من شعر المترجم أبياتٌ في رثاء الشيخ شمس الدين محفوظ ابن وشاح الحلّي في ج ٥ ص ٥٢٦ .

---

(١) روضات الجنات ص ٣٥٧ ، وفي ط ٣٦١ .



٦٦ - جمال الدين الخليعي

المتوفّى ح ٧٥٠

فاح أريج الرِّياض والشجرِ ... ونبَّه الورق راقد السَّحرِ
واقتدح الصّبح زند بهجته ... فأشعلت في محاجر الزُّهرِ
وافترَّ ثغر النوّار مبتسماً ... لَمّا بكته مدامع المطرِ
واختالت الأرض في غلائلها ... فعطّرتنا بنشرها العطرِ
وقامت الورق في الغصون فلم ... يبق لنا حاجةٌ إلى الوترِ
ونبَّهتنا إلى مساحب أذ ... يال الصّبا بالأصيل والبكرِ
يا طيب أوقاتنا ونحن على ... مستشرفٍ شاهقٍ نَدٍ نضرِ
تطلُّ منه على بقاع أنيقا ... ت كساها الرَّبيع بالحبرِ
في فتيةٍ ينشر البليغ لهم ... وتراً فيهدي تمراً إلى هجرِ
من كلٍّ من يشرف الجليس له ... معطّر الذّكر طيِّب الخبرِ
فمن جليل صدرٍ ومن شادنٍ ... شادٍ فصيح كطلعة القمرِ
يورد ما جاء في «الغدير» وما ... حدَّث فيه عن خاتم النذرِ
ممّا روته الثقات في صحّة النْـ ... ـنَقل وما أسندوا إلى عمرِ
قد رقى المصطفى بخمّ على الْـ ... أقتاب لا بالونى ولا الحصرِ
إذ عاد من حجّة الوداع إلى ... منزله وهي آخر السفرِ
وقال : يا قوم إنَّ ربِّيَ قد ... عاودني وحيه على خطرِ

إن لم أبلّغ ما قد أُمرت به … وكنت من خلقكم على حذرِ
وقال : إن لم تفعل محوتك من … حكم النبيّين فاخش واعتبرِ
إن خفت من كيدهم عصمتك فاسْـ … ـتبشر فإنّي لخَير منتصرِ
أقم عليّاً عليهمُ علماً … فقد تخيّرته من البشرِ
ثمّ تلا آية البلاغ لهم … والسّمع يعنولها مع البصرِ
وقال : قد آن أن أجيب إلى … داعي المنايا وقد مضى عمري
ألست أولى منكم بأنفسكم ؟ … قلنا : بلى فاقض حاكماً ومرِ
فقال والناس محدقون به … ما بين مصغٍ وبين منتظر
مَن كنت مولىً له فحيدرةٌ … مولاه يقفوبه على أثري
يا ربّ فانصر من كان ناصره … واخذل عداه كخذل مقتدرِ
فقمت لمّا عرفت موضعه … من ربّه وهو خيرة الخيرِ
فقلت : يا خيرة الأنام بخٍ … جاءتك منقادة على قدرِ
أصبحت مولىً لنا وكنت أخاً … فافخر فقد حزت خير مفتخرِ

ويقول فيها :

تالله ما ذنبُ من يقيس إلى … نعلك من قدّموا بمغتفر
أنكر قومٌ عيد «الغدير» وما … فيه على المؤمنين من نكرِ
حكّمك الله في العباد به … وسرت فيهم بأحسن السِّيرِ
وأكمل الله فيه دينهمُ … كما أتانا في محكم السّور
نعتك في محكم الكتاب وفي التْـ … ـتوراة بادٍ والسّفر والزُّبرِ
عليك عرض العباد تقضي على … من شئت منهم بالنفع والضّررِ
تظمئ قوماً عند الورود كما … تروي أُناساً بالورد والصَّدَرِ
يا ملجأ الخائف اللهيف ويا … كنز الموالي وخير مدّخرِ
لقّبت بالرفض وهو أشرف لي … من ناصبيّ بالكفر مشتهرِ
نعم رفضت الطاغوت والجبت واسـ … ـتخلصت ودّي للأنجم الزُّهرِ

وله قوله :

حبّذا يوم الغديرِ … يوم عيدٍ وسرورِ

إذ أقام المصطفى من بعده خير أميرِ
قائلاً : هذا وصيّي في مغيبي وحضوري
وظهيري ، ونصيري ووزيري ، ونظيري
وهو الحاكم بعدي بالكتاب المستنيرِ
والذي أظهره اللّـ ـهُ على أهل العصور
والذي طاعتهُ فرْ ضٌ على أهل العصور
فأطيعوه تنالوا القصد من خير ذخيرِ
فأجابوه وقد أخْـ فوا له غل الصدور
بقبول القول منه والتّهاني والحبورِ
يا أمير النَّحل يا من حبّه عقد ضميري
والَّذي ينقذني من حرٍّ نيران السَّعيرِ
والذي مدحته ما عشت أنسي وسميري
والذي يجعل في الحشـ ـرِ إلى الخلد مصيري
لك أخلصت الولا يا صاحب العلم الغزير
ولمن عاداك مني كل لعن ودحور
نال مولاك « الخليعيْـ ـيُّ » الهنا يوم النشورِ
بتبرّيه إلى الرحـ ـمٰن من كل كفور

وله من قصيدة تناهز واحداً وستّين بيتاً توجد منها في مجالس المؤمنين ص ٤٦٤ ستَّةٌ وثلاثون بيتاً ، وذكرت برمَّتها في رياض الجنَّة لسيِّدنا الزنوزي في الرَّوضة الخامسة ، وفي غير واحد من المجاميع المخطوطة .

سارت بأنوار علمك السِّيرُ وحدَّثت عن جلالك السّورُ
والمادحون المخبِّرون غلوا وبالغوا في ثناك واعتذروا
وعظمتك التوراة والصحف الْـ أُولى وأثنى الإنجيل والزُّبر

وأحكم اللّه في إمامتك الـ آيات واستبشرت بك العصر
والأنبياء المكرمون وفوا فيك بما عاهدوا وما غدروا

وذكّـر المصـطفى فـأسمـع من　　ألقى لـه السَّمـع وهـو مـدَّكـرُ
وجـدَّ في نصحهـم فمـا قبـلوا　　ولا استقـامـوا لـه كـمـا أُمـروا

يقول فيها :

أسمـاؤك المشـرقـات في أوجـه　　الـقـرآن في كـلّ سـورة غُـررُ
سـمّـاك ربُّ الـعـبـاد قسـورةً　　مـن حيث فـرّوا كـأنَّهـم حـمـرُ
والعيـن والجنب والـوجـه أنـت　　والهـادي ولـيـل الضّـلال معتكـر
يـا صاحب الأمـر في يـوم الغديـرو　　قـد بـخبـخ لـمّـا ولّيتـه عمـرُ
لـو شئـت مـا مـدَّ حبـتـرٌ يـده　　لـهـا ولا نـال حكـمـهـا زفـرُ
لـكـن تـأنَّيـت في الأمـور ولـم　　تـعجـل عليهـم وأنت مـقـتـدرُ

الشاعر :

أبـو الحسن جمـال الـدين عليُّ بن عبـد العـزيـز بن أبي محمَّـد الخلعي (الخليعي) الموصلي الحلّي ، شاعر أهل البيت عليهم السلام المفلق ، نظم فيهم فأكثـر ، ومدحهم فأبلغ ، ومجموع شعره الموجود ليس فيه إلاّ مدحهم ورثاؤهم، كان فاضلاً مشـاركاً في الفنـون قويَّ العـارضة ، رقيق الشعـر سهله ، وقـد سكن الحلّة إلى أن مات في حدود سنة ٧٥٠ ودفن بها وله هناك قبرٌ معروفٌ .

وُلـد من أبوين نـاصبيَّين ذكر القـاضي التستـري في «المجـالس» ص ٤٦٣ ، وسيِّـدنا الـزنوزي في «ريـاض الجنَّة» في الـروضة الأولى : أنَّ أُمّـه نـذرت أنَّهـا إن رُزقت ولـداً تبعثه لقـطع طريق السـابلة من زوّار الإمام السبط الحسين عليه السلام وقتلهم فلمّـا ولـدت المتـرجم وبلغ أشـدَّه إبتعثتـه إلى جهـة نـذرهـا فلمَّـا بلغ إلى نـواحي [المسيِّب] بمقربة من كربلاء المشرَّفة طفق ينتظر قدوم الزائرين فاستولى عليـه النوم واجتازت عليه القوافل فأصابه القتام الثائر فرأى فيما يراه النائم أنَّ القيـامة قـد قامت وقد أُمر به إلى النار ولكنَّها لم تمسّه لما عليه من ذلك العثير الطاهر فـانتبه مـرتدعـاً عن نيّته السيِّئة ، واعتنق ولاء العترة ، وهبط الحائر الشَّريف ردحاً . ا هـ . ويقال :

إنّه نظم عندئذٍ بيتين خمّسهما الشاعر المبدع الحاج مهدي الفلّوجي الحلّي المتوفّى سنة ١٣٥٧ وهما مع التخميس :

أراك بحيرة ملأتك رينا ... وشتّتك الهوى بينا فبينا
فطب نفساً وقر بالله عينا ... إذا شئت النّجاة فزر حسينا
لكي تلقى الإله قرير عينِ
إذا علم الملائك منك عزما ... تروم مزاره كتبوك رسما
وحُرِّمت الجحيم عليك حتما ... فإنَّ النار ليس تمسُّ جسما
عليه غبار زوّار الحسينِ

ولقد أخلص في الولاء حتّى تحظّى بعنايات خاصّة من ناحية أهل البيت عليهم السلام ففي «دار السّلام» للعلاّمة النوري ص ١٨٧ نقلاً عن كتاب «حبل المتين في معجزات أمير المؤمنين» للسيّد شمس الدين محمّد الرضوي : أنَّ المترجم لمّا دخل الحرم الحسينيَّ أنشأ قصيدة في الحسن عليه السلام وتلاها عليه وفي أثنائها وقع عليه ستارٌ من الباب الشريف فسمِّي بالخليعي أو الخلعي ، وهو يتخلّص بهما في شعره .

وفي «دار السّلام» ص ١٨٣ عن «حبل المتين» المذكور عن المولى محمّد الجيلاني أنّه جرت مفاخرةٌ بين المترجم وبين إبن حمّاد[1] الشاعر وحسب كلٌّ أنَّ مديحه لأمير المؤمنين عليه السلام أحسن من مديح الآخر فنظم كلٌّ قصيدةً وألقياها في الضّريح العلويِّ المقدَّس محكّمين الإمام عليه السلام فخرجت قصيدة الخليعي مكتوباً عليها بماء الذهب : أحسنت . وعلى قصيدة إبن حمّاد مثله بماء الفضّة . فتأثّر إبن حمّاد وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : أنا محبّك القديم ، وهذا حديث العهد بولائك ، ثمَّ رأى أمير المؤمنين عليه السلام في المنام وهو يقول له : إنّك منّا وإنّه حديث عهد بأمرنا فمن اللاّزم رعايته . ا هـ . ملخّصاً .

ومن شعر المترجم قوله في رثاء الحسين السِّبط سلام الله عليه :

---

(١) علي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطي أحد شعراء أهل البيت وقفنا على شعر غير يسير له فيهم عليهم السلام مدحاً ورثاءً .

أيّ عـذر لمهجـة لا تـذوبُ ... وحشىً لا يشبُّ فيها لهيبُ ؟
ولقلبٍ يضيقِ من ألم الحزن ... وعينٍ دموعها لا تصوبُ ؟
وابن بنت النبيّ بالطفّ مطرو ... حٌ لقىً والجبين منه تريبُ
حوله من بني أبيه شبابٌ ... صرعتهم أيدي المنايا وشيبُ
وحريم النبيّ عبرى من الثكـ ... ـل ، وحسرى خمارها منهوب
تلك تدعو أخي وتلك تنادي ... يا أبي وهو شاخصٌ لا يجيبُ
لهف قلبي وطفله في يديه ... يتلظّى والنحر منه خضيبُ
لهف قلبي لأخته زينب تأْ ... وي اليتامى ودمعها مسكوب
لهف قلبي لفاطم خيفة السَّبـ ... ـي تخفت وقلبها مرعوب
لهف قلبي لأم كلثوم والخدْ ... دانِ منها ، قد خدَّدتها الندوبُ
وهي تدعو يا واحدي يا شقيقي ... يا مغيثي قد برَّحتني الخطوبُ
ثم تشكو إلى النبي ودمع الْـ ... ـعين في خدها الأسيل صبيبُ
جدُّ يا جدُّ لو ترانا سبايا ... قد عرتنا بكربلاء الكروبُ
جدُّ ، يا جدُّ ! لم يفد ذلك النصْـ ... ـحُ ، وذاك الترهيب ، والترغيبُ
جدُّ لم تقبل الوصية في الأَهْـ ... ـل ، ولم يُرحم الوحيد الغريب
أين عيناك والحسين قتيلٌ ... وعليٌّ مغلّلٌ مضروبُ ؟
لا ترى سبطك المفدّى طريحاً ... عارياً والرِّداء منه سليبُ
لو ترانا نساق بالذل ما بَيْـ ... ـنَ العدى ، قد قست علينا القلوب
لو ترانا حسرى وقد أبرزت منا ... وجوه صينت وشقَّت جيوبُ
بأبي الطاهرات تُحدى بهنَّ الْـ ... ـعيس بين الملا ، وتطوى السحوب
بأبي رأس نجل فاطمة يشا ... هره للعيون رمحٌ كعوبُ
يا بن أزكى الورى نجاراً على ... مثلك يستحسن البكا والنحيبُ
ها جفوني لما أصبت به قرحى ... وقلبي لما رزيت كئيبُ
أين قلب الشجيِّ والفارغ البا ... ل ؟ وأين المحقُّ والمستريبُ ؟
لا هنا لي عيشٌ ومبسمك الدُّرْ ... ريُّ بادٍ ، وقد علاه قضيب
ليت إني فداك لو كان بالعبـ ... ـدِ يُفَدَّى المولى الحسيب النسيب

سهم بغى الأُولىٰ أصابك من قبْـ ـلُ ولـلّه عنـك سـهـمٌ مـصـيـب
أظهــروا فيـك حقــد بــدر ومن قبـ ـل دُعــوا للهــدى فلم يستجيبــوا
يـا بني أحمدٍ ! إلى مــدحكم قلـ ـبُ (الخليعيِّ) مستهــام طـروب
كيف صبـر امرئٍ يرى الود في القـر بى وجــوبــاً وإرثكـم مغـصــوبُ
أنـتمُ حـجــة الإلــه على الـخلْـ ـقِ ، وأنتمُ لـلطالب الـمـطلوب
بــولاكم ، وبغضِ أعـدائكم تقـ ـبل أعمالنـا ، وتُمحى الـذنـوب
لثنـاكم شـاهت وجـوه ذوي النصـ ـب ، وشُقت من النفــور القلوب

وله رحمه الله تعالى قوله :

سـجـعـت فــوق الـغـصــون فــاقــداتٌ لــلقــريــنِ
فــاسـتـهـلّت سـحـب أجـفــا نــي وهــزّتــنــي شـجــونــي
غــردت ، لا شجـوهــا شجْـ ـوي ، ولا حـنّـت حـنـيــنـي
لا ولا قــلـت لــهــا يــا ورق بــالنّــوح اسعــديني
مــاشـجـى الـبــاكي طـروبــاً كـشجـى الـبــاكي الـحــزيـنِ
حـقٌّ لــي أبــكــي دمــاءً عــوض الــدمــع الــهـتــونِ
لــغــريــبٍ نــازح الــدا ر خــلـيٍّ مــن مــعــيــنِ
لــتــريــب الـــخدّ دامـي الـ ـوجــه مـرضـــوض الـجبـيـنِ

ومنها :

يــا بــنـي طــه ، ويــا ســيـ ـن ، وحــم ، ونــون
بــكــم اســتـعــصـمــت مـن شــرِّ خــطـوبٍ تـعـتــريــنــي
فــإذا خــفــت فــأنــتـم لــنـجــاتــي كــالـسُّـفـيــنِ
وعــلــيـكــم ثــقــل مــيــزا نــي وأنــتــم تــنــقــذونــي
فــاحشــروا العبــد «الخليعيْـ ـيِّ» إلــى ذات الــيــمــيــن
وإلــيـكــم مــدحــاً وأسْـ ـنــى مــن الــدر الــثـمــيـن
يــا حـجــاب اللّه ، والـمحْـ ـمـيَّ عـن رجـم الـظنــون
فــيــك داريــت أُنــاســاً عــزمــوا أن يــقــتــلــونــي

وتحصنتُ بقول الصْـ ـصَادق الحبر الأمين
إتقوا إنَّ التّقى من دين آبائي وديني
ولأوصافك وَرَّيْـ ـتُ كلامي ، وحنيني
وإلى مدحك أظهر ت ظهوري وبطوني
وكفاني علمك الشا هد للسرِّ المصونِ
ومعاذ الله أن أَلْـ ـوي عن الحبل المتين
وأُساوي بين مفضا لٍ ومفضولٍ ضنينِ
بين مَن قال : أقيلو ني ومَن قال : سلوني

وله يرثي البطل الهاشميَّ الشهيد مسلم بن عقيل سلام الله عليه قوله :

ألِمسلم بن عقيل قام الناعي ؟ لمَّا استهلَّت أدمع الأشياعِ
مولى دعاه وليّه وإمامه فأجاب دعوته بسمعٍ واعِ
حفظ الوداد لذي القرابة فاقتنى شرفاً على الأهلين والأتباعِ
أفديه من حرٍّ نقيٍّ طاهر ماض العزيمة ساجدٍ ركّاعِ
أفديه من بطل كميٍّ ماجد جمِّ الوفا ندبٍ طويل الباعِ
لهفي لمسلم والرِّماح تنوشه لا بالجزوع لها ولا المرتاعِ
حتّى إذا ظفرت به عصب الخنا من بعد معتركٍ وطول نزاعِ
جاؤوا به نحو اللّعين فغاظه بالقول من ثبت الجنان شجاعِ
وإلى ابن سعدٍ بالوصيّة مبطناً أفضى فأظهرها بلؤم طباعِ
وهوى من القصر المشوم مهلّلاً ومكبِّراً يجلو صدى الأسماعِ
لهفي لسيفٍ من سيوف «محمَّد» عبث الفلول بحدِّه القطّاعِ
لهفي لمزج شرابه بنجيعه لهفي لمسقط ثغره اللمّاعِ
لهفي له فوق التّراب مجدَّلاً دامي الجبين مهشَّم الأضلاعِ
مولاي يا بن عقيل يومك جاعلٌ حبّ القلوب دريئة الأوجاعِ
جادت معالمك الدُّموع بريِّها وسقى الحميم بواطن الأبداعِ
وسقى بن عروة هانياً غدق الحيا فلقد أصاخ إلى نداء الداعي
يا سادةً ما زلت مذ علقت يدي بهمُ أُحافظ ودَّهم وأُراعي

مـولاكم «الخلعيّ» رافـع قـصَّـة   يشكـو سموم عقـارب وأفـاعي

وقفت للمترجم على قصائد كثيرة كلّها في العترة الطاهرة مدحاً ورثاءً لو تجمع لجاءت ديواناً فخماً وإليك فهرستها ، توجد في مجاميع مخطوطة بالنجف الأشرف وأُخرىٰ بالكاظميَّة المشرَّفة :

لـم أبـك عـافي دمـنـة وطـلول   وشمـوس ركب آذنـت بـرحيـل
أضـرمت نـار قلبي المـحـزون   صـادحات الحمـام فـوق الغصـون
طـلاب العلى بالسمهـريّ المقوّم   وضرب الطلى مـرمى إلى كلّ مغنم
جعلت النّـوح في عـاشـور دابي   فـزاد ألـيـم وجـدي واكـتئـابـي
يـا عـينُ بـالـدَّمـع الـغـزيـرِ   جـودي عـلى الـطّهـر الـمـزورِ
أرقـي لابـن الـنـبـيّ   لا لـبـرق حـاجـريّ
عـرِّج عـلى أرض كـربـلاءِ   وامـزج الـدَّمـع بـالـدمـاءِ
ذكـرت المصـارع في كـربـلا   فـزاد بـقـلـبـي عـظـيـم الـبـلا
ألـحـاظ سـاكـنـة الـخـبـا   فـتـكـتـك أم مـقـل الـظبـا ؟
فـرط وجـدي قـد حـلا لي   مـا لـعـذّالـي ومـا لـي ؟
لـيـتـه زار لـمـامـا   فـاهـتـدى جفـني الـمـنـامـا
زاد هـمّـي وشـجـونـي   وجـفـا نـومـي جـفـونـي
طـال حـزنـي واكـتـئـابـي   فـجـعـلـت الـنّـوح دابـي
هـاج لـي نـوح الـحـمـام   فـرط وجـدي وغـرامـي
ماذا يريد النوى من قلبي العاني ؟   أمـا تناهت صبابـاتي وأشجـاني ؟
أُكفكف دمعي وهو لا يسأم الـوكفا   وأُخفي غـرامي والصّبابـة لا تخفـا
سـلام الله ذي الـحـجـبِ   عـلى الـزوّار فـي رجـبِ
قـل ولا تخش في المعـاد أثـامـا   لا سُقي شـانئي عليٍّ غـمـامـا

ويقول فيها :

وتنـاسى العهـد المؤكّـد في خمّ   ولـم تـرع لـلوصـيِّ ذمـامـا
لـم أُطـل في عـرصـة الـدّمن   وقـفـة الـبـاكي عـلى الـسـكـنِ

يــا زائــراً حــرم الــوصــيِّ   الــطاهــر الــعــلم الإمــامِ
يــبــغــي بــزورتــه الــرِّضــا   والأمــن فــي يــوم الــزّحــامِ
لم أبــك ربعــاً لــلأحبَّة قــد خــلا   وعفى وغيَّــره الجــديــد وأمحــلا

توجد هـذه القصيدة في (بحـار الأنوار) للعـلّامة المجلسي ج ١٠ ص ٢٥٨ ، ووقفنـا للمترجم على قصـائد في رثـاء الإمـام السبط الشهيـد صلوات الله عليـه في مجموعة كبيرة بالكاظميَّة المشرَّفة غير ما سبق فهرستها :

يــا عـيـن لا لـمــرابـع وخـيــامِ   أودت بـســاكـنـهــا يــد الأيّــامِ
يـا عـين لا لخلوِّ الــرَّبـع والــدّمنِ   باكي الرَّزايا سوى الباكي على السَّكنِ
ســل جيـرة القــاطنين مـا فعلوا[١]   وهــل أقـامــوا بـالحيِّ أم رحلوا ؟
ألعين عبــرى ودمـعهــا مـسفــوحُ   والـقلب مـن ألم الأسـى مـقــروحُ
أعــاذلي ! ذكـر كــربــلا حــزني   فســحّ دمعي كــالعــارض الهتـنِ
ألا مــا الجفني بـالسّهــاد مــوكــل   وقلبي لأعبــاء الهــوى يتحمــل ؟
لـم أبــك ربعــاً دارس العــرصـاتِ   أضحت معــارفــه من الـنّكــراتِ
لـم أبــك من وقـفــة على الــدّمـنِ   ولا لــخــلٍّ نــأى ولا ســكــنِ
هــاج حــزنـي وزاد حــرُّ لهـيـبـي   وشجــاني ذكـر القتيــل الغــريبِ
جـفــونٌ لا تمــلّ مـن الـهـمــولِ   وجـسمٌ لا يـفـكُّ مـن الـنّحــولِ
مــا هــاجني ذكــر مــربــع خصبِ   ولا شجــاني وجــدي ولا طــربـي
مــا الـدمعي لم يـطف حــرَّ غليلي   للقتيــل الــظامي ؟ وأيّ قـتيــلِ
هــاج حــزنــي وغــليــلي   ذكــر عــطشــان قــتــيــلِ
هجــرت مقلتي لــذيــذ كــراهــا   لمصــاب الشَّهيـد من آل طــاهــا

ووجـدت عند الشيـخ العلّامـة السَّمـاوي قصـائـد للمتـرجم في رثـاء الإمـام السبط عليه‌السلام مستهلّها :

عــذرتـك لـو تجـدي مـلامـة لـوَّمِ   على اللّوم للمضني الكئيب المتيَّمِ

---

(١) توجد هـذه القصيدة والقصيـدة الثامنـة والعشرون في الجزء الثالث من تحفـة الأزهار للسيّـد ضامن بن شدقم .

لست ممّن يبكي رسوماً محولا وديـاراً أعـفى الـبلا وطـلولا
جـعلت الـنوح ادمـانـا لـمـا نـال ابـن مـولانـا
هـو الـحمى وبـانُـهُ لا نـفـرت غـزلانـه

فجموع أبيات ما وقفنا عليه من شعر المترجم : «١٦٥٦» بيتاً .

لفت نظر :

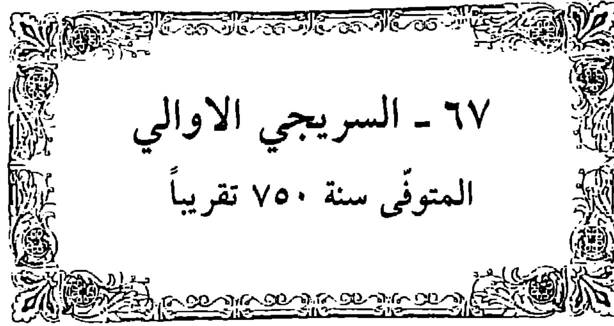
توجد في «أعيان الشيعة» ج ٢١ ص ٢٤٩ ترجمةٌ تحت عنوان : الشيخ حسن الخليعي ، ذُكرت له خمسة أبيات من بائيَّة شاعرنا الخليعي التي أسلفناها برمَّتها مطلعها :

أيّ عـذر لـمهـجـة لا تـذوبُ وحشى لا يشبُّ فيها لهيبُ ؟

وستّة وعشرون بيتاً من قصيدته الرّائيَّة في مدح أمير المؤمنين أوّلها :

سـارت بـأنـوار علمـك السِّيـرُ وحـدَّثت من جـلالـك السّـورُ

وقد مرَّ أنَّ القاضي ذكر منها في مجالسه للمترجم ستَّة وثلاثين بيتاً، واحتمل سيِّد (الأعيان) كون الشيخ حسن هذا ولد مترجمنا أو أنَّ النسخة محرَّفة . والصَّواب أنَّ الشعر المنقول هناك المنتزع منه العنوان المذكور كلّه للمترجم له ، والحسن محرَّف كنيته أبي الحسن .



٦٧ ـ السريجي الاوالي

المتوفّى سنة ٧٥٠ تقريباً

إن لم أفض في المغـاني مـاء أجفـاني ؟ فـمـا أفظّ إذن قـلبـي وأجـفـانـي ؟
وكيف لا يهمـل الـدَّمـع الهتـون فتى أمسـى أسيـر صبـابـات وأحـزان ؟
يـا ربَّـة السجف هـلاّ كنت قـاضيـة دينـاً وأقـلعـت عـن مـطلٍ ولـيّـان ؟
لـو كنت في عصـر بلقيس لَمـا خلبت بـلقـيس قـلب ابـن داودٍ سـليـمـان
يـا قلب كم بـالحسـان البيض تجعلني مستـهتـراً ؟ والنّـهى عن ذاك ينهـانـي
ولـي بـودِّ أميـر الـنَّحـل «حـيـدرة» شغـلٌ عن اللّهـو والإطـراب الهـانـي
هـات الحـديث سميـري عن منـاقبـه ودع حـديـث رُبـى نـجـدٍ ونعـمـانِ
مـردي الكمـاة ، وفتـاك العتـاة ، وهـطـ ـطال الهبـات ، وأمن الخـائف الجـاني
بـنى بـصـارمـة الإسـلام إذ هـدم الْـ أصـنـام أكـرم بـه مـن هـادمٍ بـان
سـائـل بـه يـوم أحـد والقليب وفي بـدرٍ وخيبـر يـا مَـن فيـه يلحـانـي
ويـوم صـفّيـن والألبـاب طـائـشـة وفـي حُـنـيـن إذا الـتفَّ الـفـريـقـان
ويـوم عـمـرو بـن ودّ حـيـن جـلّله عـضـبـاً بـه قـربـت آجـال أقـران
وفي «الغـديـر» وقـد أبـدى النبيُّ لـه منـاقبـاً أرغمت ذا البـغـضـة الشـانـي
إذ قـال : مَـن كـنـت مـولاه فـأنـت لـه مـولـى بـه الله يـهـدي كـلَّ حـيـران
انـزلـت منّـي كـمـا هـارون أنـزل من مـوسى ولم يـك بعـدي مـرسـلٌ ثـاني
وآيـة الـشَّـمس إذ رُدَّت مـبـادرة غـرّاء أقـصـر عـنـهـا كـلُّ إنـسـان

وإنَّ في قصَّة الأفعى ومكمنه ... في الخفِّ هدياً لذي بغض وارعان
وقصَّة الطائر المشويِّ بيِّنةٌ ... لكلِّ من حاد عن عمدٍ وشنآن
واسأل به يوم وافى ظهر منبره ... والناس قد فزعوا من شخص ثعبان
فقال : خلّوا له نهجاً ولا تجدوا ... بأساً بتمكينه قصدي وإتياني
فجاء حتّى رقى أعواد منبره ... مهمهماً بلسان الخاضع الجاني
مَن غيره بطن العلم الخفيّ ؟ ومَن ... سواه قال : اسألوني قبل فقداني ؟
ومَن وقت نفسه نفس الرَّسول وقد ... وافى الفراش ذوو كفر وطغيان ؟
ومَن تصدَّق في حال الرّكوع ولم ... يسجد كما سجدت قومٌ لأوثان ؟
مَن كان في حرم الرَّحمن مولده ... وحاطه الله من بأسٍ وعدوان ؟
مَن غيره خاطب الرَّحمن واعتضدت ... به النبوَّة في سرٍّ وإعلان ؟
مَن أُعطي الراية الغرّاء إذ ربدت ... نار الوغى فتحاماها الخميسان ؟
مَن ردّت الكفُّ إذ بانت بدعوته ... والعين بعد ذهاب المنظر الفاني ؟
مَن أنزل الوحي في أن لا يُسدّ له ... بابٌ وقد سُدَّ أبوابٌ لإخوان ؟
ومَن به بُلغت من بعد أوبتها ... براءةٌ لأولي شرك وكفران ؟
ومَن تظلّم طفلاً وارتقى كتف الْ ... مختار خير ذوي شيب وشبّان ؟
ومَن يقول : خذي يا نار ذا وذري ... هذا وبالكأس يسقي كلَّ ظمآن ؟
مَن غسَّل المصطفى ؟ من سال في يده ... أجلُّ نفس نأت عن خير جثمان ؟
ومَن تورَّك متن الرِّيح طائعة ... تجري بأمر مليك الخلق رحمان ؟
حتّى أتى فتية الكهف الذين جرت ... على مراقدهم أعصار أزمان
فاستيقظوا ثمَّ قالوا بعد يقظتهم ... أنت الوصيُّ على علم وإيقان

مايتبع الشعر :

في هذه القصيدة إشارةٌ إلى لمَّة من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقد بسطنا القول في جملة مهمَّة منها في الأجزاء السابقة ونذكر هنا ما أشار إليه شاعرنا بقوله :

من كان في حرم الرَّحمٰن مولده ... وحاطه الله من بأسٍ وعدوان ؟

يريد به قصّة ولادته صلوات الله عليه في الكعبة المعظّمة ، وقد انشقّ جدار البيت لأمِّه فاطمة بنت أسد فدخلته ثمَّ التأمت الفتحة ، فلم تزل في البيت العتيق حتّى ولدت مشرِّف البيت بذلك الهبوط الميمون ، وأكلت من ثمار الجنّة ، ولم ينفلق صدف الكعبة عن درِّه الدريِّ إلاّ وأضاء الكون بنور محيّاه الأبلج ، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس ، وهذه حقيقةٌ ناصعةٌ أصفق على إثباتها الفريقان ، وتضافرت بها الأحاديث ، وطفحت بها الكتب ، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نصِّ جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الإثارة .

قال الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ٤٨٣ : وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في جوف الكعبة .

وحكى الحافظ الكنجي الشافعي في (الكفاية) من طريق إبن النجّار عن الحاكم النيسابوري أنّه قال : وُلد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمكّة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ولم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك ، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم .

وتبعه أحمد بن عبد الرَّحيم الدهلوي الشهير بشاه وليّ الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنِّف (التحفة الإثني عشريَّة في الردِّ على الشيعة) فقال في كتابه [إزالة الخفاء] : تواترت الأخبار أنَّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّاً في جوف الكعبة فإنَّه وُلد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحدٌ سواه قبله ولا بعده .

قال شهاب الدين السيِّد محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في [سرح الخريدة الغيبيَّة في شرح القصيدة العينيَّة] لعبد الباقي أفندي العمري ص ١٥ عند قول الناظم :

أنت العليُّ الذي فوق العلى رفعا ... ببطن مكّة عند البيت إذ وضعا

وكون الأمير كرَّم الله وجهه وُلد في البيت أمرٌ مشهورٌ في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنَّة والشيعة ـ إلى أن قال ـ : ولم يشتهر وضع غيره كرَّم الله وجهه كما

اشتهر وضعه بل لم تتَّفق الكلمة عليه ، وما أحرى بإمام الأئمَّة أن يكون وضعه فيما هو قبلةٌ للمؤمنين ؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين .

وقال في ص ٧٥ عند قول العمري :

وأنت أنت الذي حطّت له قدم في موضع يده الرَّحمن قد وضعا

وقيل : أحبّ عليه الصَّلاة والسَّلام (يعني عليّاً) أن يكافىء الكعبة حيثُ ولد في بطنها بوضع الصنم عن ظهرها فإنَّها كما ورد في بعض الآثار كانت تشتكي إلى الله تعالىٰ عبادة الأصنام حولها وتقول : أي ربِّ حتّى متى تُعبد هذه الأصنام حولي ؟ والله تعالىٰ يعدها بتطهيرها من ذلك . ا هـ .

وإلى هذا المعنى أشار العلاّمة السيِّد رضا الهندي بقوله :

لمّا دعاك الله قِدماً لأن تولد في البيت فلبَّيته
شكرته بين قريش بأن طهَّرتَ من أصنامهم بيته

ويجدها القارىء من المتسالم عليه من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في غير واحد من مصادر القوم منها :

١ ـ مروج الذهب ج ٢ ص ٢ تأليف أبي الحسن المسعودي الهذلي .

٢ ـ تذكرة خواصّ الأُمة ص ٧ تأليف سبط إبن الجوزي الحنفي .

٣ ـ الفصول المهمَّة ص ١٤ تأليف إبن الصّباغ المالكي .

٤ ـ السيرة النبويَّة ج ١ ص ١٥٠ تأليف نور الدين علي الحلبي الشافعي .

٥ ـ شرح الشفا ج ١ ص ١٥١ تأليف الشيخ علي القاري الحنفي .

٦ ـ مطالب السؤول ص ١١ تأليف أبي سالم محمّد بن طلحة الشافعي .

٧ ـ محاضرة الأوائل ص ١٢٠ تأليف الشيخ علاء الدين السكتواري .

٨ ـ مفتاح النجا في مناقب آل العبا تأليف ميرزا محمّد البدخشي .

٩ ـ المناقب تأليف الأمير محمّد صالح الترمذي .

١٠ ـ مدارج النبوّة تأليف الشيخ عبد الحقّ الدهلوي .

١١ ـ نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٤ تأليف عبد الرَّحمن الصفوري الشافعي .

١٢ ـ آيينه تصوّف ط ص ١٣١١ تأليف شاه محمّد حسن الجشتي .

١٣ ـ روائح المصطفى ص ١٠ تأليف صدر الدين أحمد البردواني .

١٤ ـ كتاب الحسين ج ١ ص ١٦ تأليف السيِّد علي جلال الدين .

١٥ ـ نور الأبصار ص ٧٦ تأليف السيِّد محمّد مؤمن الشبلنجي .

١٦ ـ كفاية الطالب ص ٣٧ تأليف الشيخ حبيب الله الشنقيطي .

وأما أعلام الشيعة فقد ذكرت منهم هذه الأثارة أُمَّةٌ كبيرةٌ منها :

١ ـ الحسن بن محمّد بن الحسن القمي في تاريخ قم الذي ألَّفه وقدَّمه إلى الصّاحب بن عباد سنة ٣٧٨ ، وترجمه إلى الفارسيَّة الشيخ الحسن بن عليّ بن الحسن القمي سنة ٨٦٥ ، راجع ص ١٩١ من الترجمة .

٢ ـ الشريف الرَّضي المتوفّى سنة ٤٠٦ [المترجم في ج ٤ ص ١٨١ ـ ٢٢١] ذكرها في خصائص الأئمَّة وقال : لم نعلم مولوداً في الكعبة غيره .

٣ ـ شيخ الأُمة معلّم البشر أبو عبدالله المفيد المتوفّى سنة ٤١٣ في المقنع ، ومسار الشيعة ص ٥١ ط مصر ، والإرشاد ص ٣ وقال : لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله سواه ، إكراماً من الله جلَّ إسمه بذلك ، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم .

٤ ـ الشَّريف المرتضى المتوفّى ٤٣٦ [مرّت ترجمته في ج ٤ ص ٢٦٤ ـ ٢٩٩] ذكرها في شرح القصيدة البائيّة للحميري ص ٥١ ط مصر وقال : لا نظير له في هذه الفضيلة .

٥ ـ نجم الدِّين الشريف أبو الحسن عليُّ بن أبي الغنائم محمّد المعروف بابن الصّوفي ذكرها في كتابه (المجدي) المخطوط .

٦ ـ الشيخ أبو الفتح الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ في «كنز الفوائد» ص ١١٥ .

٧ ـ الشيخ حسين بن عبد الوهّاب معاصر الشَّريف المرتضى في (عيون المعجزات) .

٨ ـ شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ في التهذيب ج ٢ ، ومصباح المتهجِّد ص ٥٦٠ ، والأمالي ص ٨٠ ـ ٨٢ .

٩ ـ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفّى سنة ٥٤٨ صاحب «مجمع البيان» في (إعلام الورى) ص ٩٣ وقال : لم يولد قطُّ في بيت الله تعالىٰ مولودٌ سواه لا قبله ولا بعده .

١٠ ـ إبن شهراشوب السَّروي المتوفّى سنة ٥٨٨ في (المناقب) ج ١ ص ٣٥٩ ، وج ٢ ص ٥ .

١١ ـ إبن البطريق شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن الحلّي المتوفّى سنة ٦٠٠ في كتابه (العمدة) وقال : لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله سواه .

١٢ ـ رضيُّ الدِّين عليُّ بن طاوس المتوفّى سنة ٦٦٤ في كتابه «الإقبال» ص ١٤١ .

١٣ ـ عماد الدين الحسن الطبري الآملي صاحب «الكامل» المؤلَّف سنة ٦٧٥ في كتابه (تحفة الأبرار) في الفصل الثامن من الباب الرابع .

١٤ ـ بهاء الدين الأربلي المتوفّى سنة ٦٩٢ [مرّت ترجمته في ج ٥ ص ٤٤٥] في كتابه [كشف الغمَّة] ص ١٩ وقال : لم يولد في البيت أحدٌ سواه قبله ولا بعده ، وهي فضيلةٌ خصّه الله بها إجلالاً له ، وإعلاءً لرتبته ، وإظهاراً لتكرمته .

١٥ ـ أبو عليّ ابن الفتّال النيسابوري المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ٣٧ ذكرها في [روضة الواعظين] ص ٦٧ .

١٦ ـ هندوشاه بن عبدالله الصّاحبي النخجواني في [تجارب السّلف] ص ٣٧ .

١٧ ـ العلاّمة الحسن بن يوسف الحلّي المتوفّى سنة ٧٢٦ في كتابيه : كشف

الحقّ ، وكشف اليقين ص ٥ ونصّ على أنّه لم يولد أحدٌ سواه فيها لا قبله ولا بعده .

١٨ ـ جمال الدِّين ابن عنبة المتوفّى سنة ٨٢٨ في «عمدة الطالب» ص ٤١ .

١٩ ـ الشيخ عليُّ بن يونس العاملي البياضي المتوفّى سنة ٨٧٧ في «الصِّراط المستقيم» .

٢٠ ـ السيِّد محمّد بن أحمد بن عميد الدِّين عليّ الحسيني ، في «المشجَّر الكشّاف للسّادة الأشراف» ص ٢٣٠ ط مصر .

٢١ ـ الشيخ تقيُّ الدين الكفعمي الآتي ترجمته في هذا الجزء إن شاء الله ، في المصباح ص ٥١٢ .

٢٢ ـ أحمد بن محمّد بن عبد الغفّار الغفاري القزويني في «تاريخ نكارستان» المؤلَّف سنة ٩٤٩ ص ١٠ ط سنة ١٢٤٥ .

٢٣ ـ القاضي نور الله المرعشي المستشهد ١٠١٩ ، المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ١٧١ في كتابه : إحقاق الحقِّ .

٢٤ ـ الشيخ عبد النبيِّ الجزائري المتوفّى سنة ١٠٢١ في «حاوي الأقوال» .

٢٥ ـ الشيخ محمّد بن الشيخ علي اللاهيجي في «محبوب القلوب» .

٢٦ ـ المولى المحسن الكاشاني المتوفّى سنة ١٠٩١ في كتابه «تقويم المحسنين» .

٢٧ ـ الشيخ نظام الدين محمّد بن الحسين التفرشي السّاوجي تلميذ شيخنا البهائي في تأليفه «تكملة الجامع العبّاسي» لشيخه المذكور .

٢٨ ـ الشيخ أبو الحسن الشّريف المتوفّى سنة ١١٠٠ في كتابه الضخم الفخم القيِّم «ضياء العالمين» وقال : كانت مشهورةً في الصّدر الأوّل .

٢٩ ـ السيد هاشم التوبلي البحراني صاحب التآليف القيِّمة المتوفّى سنة ١١٠٧ في «غاية المرام» وقال : بلغت حدَّ التواتر معلومة في كتب العامّة

والخاصّة .

٣٠ ـ العلاّمة المجلسي المتوفّى سنة ١١١٠/١١ في جلاء العيون ص ٨٠ فقال ما معناه : مشهورٌ بين المحدِّثين والمؤرِّخين من الخاصّة والعامّة .

٣١ ـ السيّد نعمة الله الجزائري المتوفّى سنة ١١١٢ في «الأنوار النعمانيّة» .

٣٢ ـ السيّد علي خان الشيرازي ١١١٨/٢٠ في «الحدائق النديّة في شرح الفوائد الصمديّة» .

٣٣ ـ السيِّد محمّد الطباطبائي جدّ آية الله بحر العلوم الفارغ عن بعض تآليفه سنة ١١٢٦ في رسالته الموضوعة لتواريخ مواليد الأئمّة ووفياتهم .

٣٤ ـ السيّد عبّاس بن عليّ بن نور الدين الموسوي الحسيني المكّي المتوفّى ١١٧٩ في كتابه «نزهة الجليس» ج ١ ص ٦٨ .

٣٥ ـ أبو علي الحائري المتوفّى سنة ١٢١٥ في رجاله الدائر «منتهى المقال» ص ٤٦ .

٣٦ ـ السيّد محسن الأعرجي المتوفّى سنة ١٢٢٧ في «عمدة الرِّجال» .

٣٧ ـ الشيخ خضر بن شلاّل العفكاوي النجفي المتوفّى سنة ١٢٥٥ في مزاره المسمّى بأبواب الجنان وبشائر الرِّضوان .

٣٨ ـ السيّد حيدر الحسني الحسيني الكاظمي المتوفّى سنة ١٢٦٥ في «عمدة الزائر» ص ٥٤ .

٣٩ ـ السيّد مهدي القزويني المتوفّى سنة ١٣٠٠ في «فلك النجاة» ص ٣٢٦ .

٤٠ ـ المولى السيّد محمود بن محمّد علي بن محمّد باقر في «تحفة السّلاطين» ج ٢ فقال ما معناه : مشهورٌ كالشمس في رائعة النهار .

٤١ ـ المولى السلطان محمّد بن تاج الدين حسن في «تحفة المجالس» ص ٨٨ ط سنة ١٢٧٤ .

٤٢ ـ السيِّد ميرزا حسن الزنوزي نزيل خوي في كتابه الضخم «بحر العلوم» .

٤٣ ـ الحاج المولى شريف الشرواني من تلامذة السيِّد العظيم صاحب الرِّياض في كتابه : الشهاب الثاقب في مناقب عليّ بن أبي طالب .

٤٤ ـ المولى عليّ أصغر البروجردي في عقائد الشيعة ص ٣١ ط سنة ١٢٦٣ .

٤٥ ـ الحاج ميرزا حبيب الخوئي في كتابه الكبير : شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٧١ .

٤٦ ـ أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن جعفر الحسيني الأعرجي في «مناهل الضرب في أنساب العرب» .

٤٧ ـ الحاج الشيخ عبّاس القميّ المتوفّى سنة ١٣٥٩ في [سفينة البحار] ج ٢ ص ٢٢٩ .

٤٨ ـ السيِّد محسن الأمين الحسيني العاملي في [أعيان الشيعة] ج ٣ ص ٣ .

٤٩ ـ الشيخ جعفر نقدي في كتابه [نزهة المحبّين في فضائل أمير المؤمنين عليه‌السلام] ص ٢ ـ ٨ .

٥٠ ـ شيخنا الأوردبادي ألَّف في الموضوع كتاباً فخماً ، وقد أغرق نزعاً في التحقيق ولم يبق في القوس منزعاً ، وإليك فهرست عناوينه .

١ ـ حديث المولد الشريف وتواتره .

٢ ـ حديث الولادة الشريفة مشهورٌ بين الأُمَّة .

٣ ـ نبأ الولادة والمحدِّثون .

٤ ـ حديث الولادة والنسّابون .

٥ ـ حديث الولادة والمؤرِّخون .

٦ - حديث الولادة والشّعراء .

٧ - حديث الولادة والإجماع عليه .

ألّف القاضي أبو البحتري كتاباً في مولد أمير المؤمنين عليه‌السلام كما ذكره النجاشي وشيخ الطائفة ، ورواه أبو محمَّد العلوي الحسن بن محمَّد عن حجر بن محمَّد السّامي عن رجاء بن سهل الصنعاني عن أبي البحتري كما في تاريخ الخطيب البغدادي ج ٧ ص ٤١٩ .

وذكر النجاشي في فهرسته ص ٢٧٩ كتاب [مولد أمير المؤمنين لشيخنا إبن بابويه الصَّدوق] .

وقد نظم هذه الأثارة كثيرون من أعلام الشيعة الفطاحل وشعرائها الأفذاذ نظراء :

١ - السيّد الحميري المتوفّى سنة ١٧٣ ، وقد مرَّت ترجمته في ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٧٨ قال :

ولدته في حرم الإله وأمنه	والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها	وبدت مع القمر المنير الأسعد
ما لُفَّ في خرق القوابل مثله	إلاّ ابن آمنة النبيُّ «محمّد»

٢ - محمَّد بن منصور السَّرخسي ، ذكرها في أبيات توجد في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٣٦٠ .

٣ - خواجه معين الدين الجشتي الأجميري المتوفّى ٦٣٢ .

٤ - المولى الرومي العارف الشهير المتوفّى سنة ٦٧٢ .

٥ - المولى محمَّد بن عبدالله الكاتبي النيسابوري المتوفّى سنة ٨٨٩ ، المترجم في مجالس المؤمنين .

٦ - المولى أهلي الشيرازي المتوفّى سنة ٩٤٢ .

٧ ـ ميرزا محمَّد عليّ التبريزي المتخلّص في شعره بـ «صائب» من شعراء عهد السّلطان سليمان المتوفّى سنة ٩٧٤ له قصيدةٌ يمدح بها الكعبة المشرَّفة ويذكر مزاياها وعدَّ منها ولادة أمير المؤمنين بها توجد في كتاب [الخزانة العامرة] صحيفة ٢٩١ .

٨ ـ السيّد محمَّد باقر بن محمَّد الحسيني الأسترابادي الشهير بداماد المتوفّى سنة ١٠٤١ .

٩ ـ المولى محمَّد مسيح المعروف بمسيحا الفسوي الشيرازي المتوفّى سنة ١١٢٧ الآتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثاني عشر .

١٠ ـ السيّد نصرالله المدرِّس الحائري الشهيد سنة ١١٦٠ ، أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الثاني عشر .

١١ ـ المولى رضا الرَّشتي المتخلّص في شعره بـ «المحزون» في مثنويٍّ له .

١٢ ـ ميرزا نصرالله المتخلّص بـ «الشهاب» .

١٣ ـ الشَّريف محمَّد بن فلاح الكاظمي أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في محلّهما ، ذكرها في قصيدته الكرّاريَّة .

١٤ ـ الشيخ محمَّد رضا النحوي المتوفَّى سنة ١٢٢٦ ، أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في محلّها .

١٥ ـ الشيخ حسين نجف المتوفّى سنة ١٢٥٢ ، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثالث عشر قال في قصيدته الكبيرة .

جعل الله بيته لعليّ ... مولداً يا له عُلى لا يُضاهى
لم يشاركه في الولادة فيه ... سيّد الرُّسل لا ولا أنبياها
علم الله شوقها لعليّ ... علمه بالذي به من هواها
إذ تمنّت لقاءه وتمنّى ... فأراها حبيبه ورآها
ما ادَّعى مدَّع لذلك كلاّ ... من ترى في الورى يروم ادِّعاها ؟
فاكتست مكّة بذاك افتخاراً ... وكذا المشعران بعد مناها

بل به الأرض قد علت إذ حوته   فغدت أرضها مَطاف سماها ؟
أوَما تنظر الكواكب ليلاً   ونهاراً تطوف حول حماها ؟
وإلى الحشر في الطّواف عليه   وبذاك الطّواف دام بقاها

١٦ - ميرزا عبّاس الدامغاني المتخلص بـ «نشاط» الهزارجريبي المتوفّى سنة ١٢٦٢ .

١٧ - السيِّد محمّد تقي القزويني المتوفّى سنة ١٢٧٠ ، أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في شعراء القرن الثالث عشر .

١٨ - الشيخ حسين بن علي الفتوني الهمداني العاملي الحائري ، من شعراء الغدير يأتي ذكره في القرن الثالث عشر .

١٩ - الحاج محمّد خان المولود سنة ١٢٤٦ المتخلّص بـ «دشتي» في ديوانه المطبوع .

٢٠ - الحاج ميرزا اسماعيل الشيرازي المتوفّى سنة ١٣٠٥ ، أحد شعراء الغدير من حجج الطائفة يأتي ذكره في شعراء القرن الرّابع عشر له قصيدةٌ موشّحةٌ في المولود المقدَّس ألا وهي :

رغد العيش فزده رغدا   بسلافٍ منه تشفي سقمي
طرب الصبُّ على وصل الحبيبْ   وهنى العيش على بُعد الرقيبْ
وفّني من أكؤس الراح النصيب   وائتني توماً بها لا مفردا
فالهنا كلّ الهنا في التّوأم
آتني الصهباء ناراً ذائبة   كلّلتها قبساتٌ لاهبة
واسقنيها والنّدامى قاطبة   فلعمري إنّها ريُّ الصَّدى
لفؤادٍ بالتصابي مضرمِ
ما أحيلي الراح من كفِّ الملاح   هي روح هي رَوح هي راحْ
فأدرها في غدوٍّ ورواحْ   كذكاءٍ تتجلّى صرخدا
رصّعتها حبَبٌ كالأنجمِ
حبّذا آناء أنس أقبلتْ   أدركت نفسي بها ما أمّلتْ

وضعت أُمُّ العُلى ما حُملتْ طاب أصلاً وتعالى محتدا
مالكاً ثقل ولاء الأُممِ
آنست نفسي من الكعبة نور مثل ما آنس موسى نار طور
يوم غشّى الملأ الأعلى سرور قرع السّمع نداءٌ كندا
شاطىء الوادي طوى من حرم
ولدت شمس الضحى بدر التمام فانجلت عنّا دياجير الظّلام
ناد : يا بشراكمُ هذا غلام وجهه فلقة بدرٍ يهتدى
بسنا أنواره في الظّلم
هذه فاطمةُ بنت أسدْ أقبلت تحملُ لاهوت الأبدْ
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجدْ فله الأملاك خرّت سُجدا
إذ تجلّى نوره في آدم
كُشف الستر عن الحقّ المبين وتجلّى وجه ربِّ العالمينْ
وبدا مصباح مشكاة اليقينْ وبدت مشرقةً شمس الهدى
فانجلى ليل الضّلال المظلم
نُسخ التأبيد من نفي ترى فأرانا وجهه ربُّ الورى
ليت موسى كان فينا فيرى ما تمنّاه بطورٍ مُجهدا
فانثنى عنه بكفّي مُعدمِ
هل درت أُمّ العلى ما وضعت أم درت ثدي الهدى ما أرضعت ؟
أم درت كفُّ النّهى ما رفعت ؟ أم درى ربُّ الحجى ما ولدا ؟
جلَّ معناه فلمّا يُعلمِ
سيِّدٌ فاق عُلى كلّ الأنام كان إذ لا كائنٌ وهو إمام
شرَّف الله به البيت الحرام حين أضحى لعُلاه مولدا
فوطا تربته بالقدم
إن يكن يُجعل لله البنون وتعالىٰ عمّا يصفون
فوليد البيت أحرى أن يكون لوليِّ البيت حقّاً ولدا
لا عزيرٌ لا ولا ابن مريم

هو بعد المصطفى خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
قد كست علياؤه أمّ القرى غرّةً تحمي حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يحرم
سبق الكون جميعاً في الوجود وطوى عالم غيبٍ وشهود
كلّما في الكون من يمناه جود إذ هو الكائن لله يدا
ويد الله مدرٌّ الأنعم
سيّدٌ حازت به الفضل مضر بفخارٍ فسما كلّ البشر
وجهه في فلك العليا قمر فبه لا بالنجوم يُهتدى
نحو مغناه لنيل المغنم
هو بدرٌ وذراريه بدور عقمت عن مثلهم أمُّ الدّهور
كعبة الوفّاد في كلِّ الشّهور فاز من نحو فناها وفدا
بمطافٍ منه أو مُستلم
ورثوا العلياء قدماً من قُصي ونزار ثمَّ فهرٍ ولوي
لا يباري حيّهم قطُّ بحيٍ وهمُ أزكى البرايا محتدا
وإليهم كلُّ فخرٍ ينتمي
أيّها المرجي لقاهُ في الممات كلُّ موت فيه لقياك حياة
ليتما عجّل بي ما هو آت علّني ألقى حياتي في الرّدى
فايزاً منه بأوفى النِّعم

٢١ ـ ميرزا أبو القاسم الحسيني الشيرازي .

٢٢ ـ سراج الدِّين محمّد بن الحسن القرشي التميمي العدويّ الأمويّ المعروف بفدا حسين الهندي ، نظم مكرمة الولادة الشريفة في قصيدته العلويَّة الكبيرة المطبوعة البالغة ١٤١١ بيتاً المسمّاة بالنفحة القدسيَّة ص ٦٨ ، ١٧٨ .

٢٣ ـ ميرزا محمّد تقي الشهير بحجّة الإسلام المتوفّى ١٣١٢ ، في ديوانه المطبوع ص ١٩٦ ، ٢٠٠ .

٢٤ ـ الشاعر المفلق محمّد اليزدي المتخلّص في شعره بـ (جيحون) المتوفّى حدود ١٣١٨ . في ديوانه المطبوع .

٢٥ ـ السيِّد مصطفى بن الحسين الكاشاني النجفي دفين الكاظميَّة المتوفّى ١٣٣٦ أحد شعراء الغدير ، يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الرّابع عشر .

٢٦ ـ الحاج ميرزا حبيب الخراساني المترجم في كتابنا (شهداء الفضيلة) ص ٢٨٢ .

٢٧ ـ الشيخ علي الملقَّب بالشيخ الرئيس الخراساني المتوفّى حدود ١٣٢٠ في منظومته المسمَّاة بـ[تنبيه الخاطر في أحوال المسافر] ص ٤ .

٢٨ ـ الشيخ محمود عبّاس العاملي المتوفّى سنة ١٣٥٣ ، أحد شعراء الغدير يأتي .

٢٩ ـ السيِّد حسن آل بحر العلوم المتوفّى سنة ١٣٥٥ ، من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرّابع عشر .

٣٠ ـ الحاج الشيخ محمّد الحسين الأصبهاني المتوفّى سنة ١٣٦١ ، أحد شعراء الغدير الآتي ذكره في شعراء القرن الرّابع عشر .

٣١ ـ السيّد مير علي أبو طبيخ النجفي المتوفّى سنة ١٣٦١ ، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته .

٣٢ ـ السيِّد رضا الهندي النجفي المتوفّى سنة ١٣٦٢ ، من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرّابع عشر .

٣٣ ـ السيِّد محسن الأمين العاملي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره .

٣٤ ـ الشيخ محمّد صالح المازندراني ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره .

٣٥ ـ الشيخ ميرزا محمّد علي الأوردبادي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره ، نظمها في غير واحدة من قصائده ، وممّا قال فيها قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه‌السلام .

سبق الكرام فهاهمُ لم يلحقوا ... في حلبة العلياء شأو كميته
إذ خصَّه المولى بفضل باهرٍ ... فيه يميِّز حيَّه من ميته

لم يتَّخذ ولداً وما إن يتَّخذ إلاّ وكان ولاده في بيته
في البيت مولده يحقّق أنّه دون الأنام ذبالة في زيته

خمَّسها النطاسيُّ المحنَّك ميرزا محمّد الخليلي صاحب [معجم أُدباء الأطبّاء] .

٣٦ - الشيخ محمّد السَّماوي النجفي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره .

٣٧ - الشيخ محمّد علي يعقوب النجفي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره .

٣٨ - الشيخ جعفر نقدي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره .

٣٩ - ميرزا محمّد الخليلي النجفي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره .

٤٠ - السيِّد علي النقي اللكهنوي الهندي ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره ، له موشّحةٌ في الميلاد الشريف يهنِّىء بها سيِّدنا الحجّة السيِّد ميرزا علي آغا الشيرازي وهي :

من بدا فازدهر البيت الحرام وزهت منه ليالي رجب ؟
طرب الكون لبشر وهنا إذ بدا الفخر بنور وسنا
وأتى الوحي ينادي معلنا قد أتاكم حجَّة الله الإمام
وأبو الغرِّ الهُداة النّجب
خصَّه الرَّحمٰن بالفضل الصّراح ومزايا أشرقت غرّاً وضاح
وسما منزله هام الضّراح فغدا مولده خير مقام
طأطأت فيه رؤوس الشّهب
إنَّه أوَّل بيت وُضعا للورى طرّاً فأضحوا خضَّعا
وعلى الحاضر والبادي معا حجَّة أصبح فرضاً ولزام
طاعةٌ تتبع أقصى القرب
وهو القبلة في كلِّ صلاة وملاذٌ يُرتجى فيه النَّجاه
وقد استخلصه الله حماه فلئن يأت إليه مستهام
في ملمّ داعياً يُستجب

تلكمُ فاطمة بنت أسد أمَّت البيت بكرب وكمدْ
ودعت خالقها الباري الصّمد بحشاً فيه من الوجد الضّرام
قد علته قبسات اللّهب
نادت : اللهمّ ربَّ العالمين قاضيَ الحاجات للمستصرخين
كاشف الكرب مجيب السائلين إنّني جئتك من دون الأنام
أبتغي عندك كشف الكرب
بينما كانت تناجي ربَّها وإلى الرَّحمٰن تشكو كربها
وإذا بالبشر غشّى قلبها من جدار البيت إذلاح ابتسام
عن سنا ثغرٍ له ذي شنب
فتق الزّهر ؟ أم انشقَّ القمر ؟ أم عمود الصّبح بالليل انفجر ؟
أم أضاء البرق فالكون ازدهر ؟ أم بدا في الأُفق خرقٌ والتئام ؟
فغدا برهان معراج النبي
أم أشار البيت بالكفّ ادخلي ؟ واطمئنّي بالإله المفضلِ
فهنا يولد ذو العليا «علي» من به يحظى حطيمي والمقام
وينال الرُّكن أعلى الرُّتب
دخلت فاطم فارتدّ الجدار مثلما كان ولم يكشف ستار
إذ تجلّى النور وانجاب السرار عن سنا بدرٍ به يجلو الظلام
والورى ينجو به من عطب
وُلد الطاهر ذاك ابن جَلا من سما العرش جلالاً وعُلا
فله الأملاك تعنو ذلّلا وبه قد بشَّر الرُّسل العظام
قومهم فيما خلا من حُقب
عرف الله ولا أرضٌ ولا رفعت سبع طباق ظللا
فلذا خرَّ سجوداً وتلا كلّما جاء إلى الرُّسل الكرام
قبله من صحفٍ أو كتبِ
إن يك البيت مطافاً للأنام فعليٌّ قد رقى أعلى سنام
إذ به يطوَّف البيت الحرام وسعى الرُّكن إليه لاستلام
فغدا يزهو به من طرب

لم يكن في البيت مولودٌ سواه إذ تعالى عن مثيل في علاه
أوتي العلم بتعليم الإله فغذاه درّه قبلَ الفطام
يرتوي منه بأهنى مشرب
صغر الكون على سودده وانتمى الوحي إلى محتده
بشِّر الشيعة في مولده واقصدوا العلاّمة الحَبر الإمام
منبع العلم مناط الأدب

وله قصيدة أُخرى ميلاديّة بارى بها قصيدة [ايليا أبي ماضي] الإلحاديّة المقفّاة بـ «لست أدري» وهي :

طرب الكون من البشر وقد عمَّ السّرورْ
وغدا القمريُّ يشدو في ابتسام للزُّهور
وتهانت ساجعات في ذرى الأيك الطيورْ
لِمَ ذا البشر ؟ وما هذا التهاني ؟ لستُ أدري
تلعب الرِّيح وفيها الدُّوح قامت راقصاتْ
وبها الأوراق تزهو بالأكفِّ الصّافقاتْ
ضارباً سجع هزار الغصن أوتار الحياةْ
مِمَّ هذي الدوح أضحت راقصات ؟ لستُ أدري
قد كسى وجه الثرى من سندس وشي الرَّبيعْ
فتهادى مائساً في حُلل الخصب المريعْ
وغدا يختال بالأرياش والشأن البَديعْ
قائلاً : هل أحد يوجد مثلي ؟ لستُ أدري
والنّسيم الغضّ قد تهمس في سمع الأقاحْ
فترى باسمة الثّغر نشاطاً وارتياحْ
وهزيز الغصن يُبدي شان زهوٍ ومراحْ
ما الذي قالت فردّت بابتسام ؟ لستُ أدري
طبّق الأرض لهيباً نار محمرِّ الشقيقْ
فغدا البلبل مرتاع الحشا خوف الحريقْ

صارخاً : هل لنجاتي عن لظاها من طريقْ ؟
هذه النّار أتتني كيف أُطفى ؟ لستُ أدري

أشرقت طلعة نور عمّت الكون ضياءا
لا أرى بدراً على الأفق ولم أبصر ذكاءا
وتفحّصت فلم أدرك هناك الكهرباءا
فبماذا ضاء هذا الكون نوراً ؟ لستُ أدري

كان هذا الرَّوض قبل اليوم رهناً للذّبولْ
ساحبات فوقها الأرواح قدماً للذّيولْ
تعصف النكباء فيها دون أنفاس البليلْ
كيف عاد اليوم يزهو في شذاه ؟ لستُ أدري

قمت أستكشف عنه سائلاً هذا وذاكْ
فرأيت الكلَّ مثلي في اضطرابٍ وارتباكْ
وإذا الآراء طرّاً في اصطدامٍ واصطكاكْ
وأخيراً عمّها العجز فقالت : لستُ أدري

وإذا نبّهني عاطفة الحبِّ الدفينْ
وتظنّنت وظنُّ الألمعي عين اليقينْ
إنّه ميلاد مولانا أمير المؤمنينْ
فدع الجاهل والقول : بأنّي لستُ أدري

لم يكن في كعبة الرَّحمن مولودٌ سواهْ
إذ تعالى في البرايا عن مثيل في عُلاه
وتولّى ذكره في محكم الذكر الإله
أيقول الغرُّ فيه بعد هذا : لستُ أدري

أقبلتْ فاطمة حاملة خير جنينْ
جاء مخلوقاً بنور القدس لا الماء المهينْ
وتردّى منظر اللاّهوت بين العالمينْ
كيف قد أودع في جنبٍ وصدرٍ ؟ لستُ أدري

أقبلت تدعو وقد جاء بها داءُ المخاضْ
نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللطف المفاضْ
فدعت خالقها الباري بأحشاءٍ مراضْ
كيف ضجّت ؟ كيف عجّت ؟ كيف ناحت ؟ لستُ أدري
لستُ أدري غير أنَّ البيت قد ردَّ الجواب
بابتسامٍ في جدار البيت أضحى منه بابْ
دخلت فانجاب فيه البشر عن محض اللبابْ
إنّما أدري بهذا غير هذا لستُ أدري
كيف أدري وهو سرٌّ فيه قد حار العقولْ
حادثٌ في اليوم لكن لم يزل أصل الأُصول
مظهرٌ لله لكن لا اتّحاد لا حلول
غاية الإدراك أن أدري بأنّي لستُ أدري
وُلد الطّهر «عليٌّ» من تسامى في عُلاه ؟
فاهتدى فيه فريقٌ وفريقٌ فيه تاهْ
ضلَّ أقوامٌ فظنّوا : أنّه حقّاً إله
أم جنون العشق هذا لا يجازى ؟ لستُ أدري

ونظمها الشاعر المفلق الأستاذ المسيحي «بولس سلامة» في أوّل ملحمته العربيَّة «عيد الغدير» فقال في ص ٥٦ :

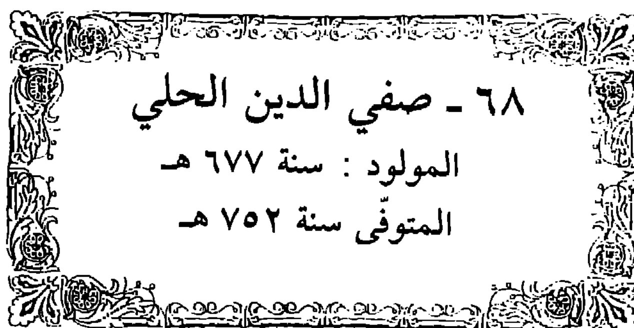
سمع الليل في الظلام المديد ... همسة مثل أنّه المفقود
من خفيٍّ الآلام والكبت فيها ... ومن البشر والرَّجاء السعيد
حرَّة لزّها المخاض فلاذت ... بستار البيت العتيق الوطيد
كعبة الله في الشدائد تُرجى ... فهي جسر العبيد للمعبود
لا نساءٌ ولا قوابل حفَّت ... بابنة المجد والعُلى والجود
يذر الفقر أشرف الناس فرداً ... والغنيُّ الخليع غير فريد
أينما سار واكبته جباه ... وظهورٌ مخلوقةٌ للسّجود

* * *

صبرت فاطم على الضيم حتّى ... لهث الليل لهثة المكدود
وإذا نجمةٌ من الأفق خفّت ... تطعن الليل بالشعاع الجديد
وتدانت من الحطيم وقرّت ... وتدلّت تدلّيَ العنقود
تسكب الضوء في الأثير دفيقاً ... فعلى الأرض وابلٌ من سعود
واستفاق الحمام يسجع سجعاً ... فتهشّ الأركان للتغريد
بسم المسجد الحرام حبوراً ... وتنادت حجاره للنّشيد
كان فجران ذلك اليوم فجر ... لنهارٍ وآخرٌ للوليد
هالت الأمّ صرخةٌ جال فيها ... بعض شيء من همهمات الأسود
دعت الشبل حيدراً وتمنّت ... وأكبّت على الرّجاء المديد
ـ أسداً ـ سمّت إبنها كأبيها ... لبدة الجدّ أهديت للحفيد
بل ـ عليّاً ـ ندعوه قال أبوه ... فاستفزّ السّماء للتأكيد
ذلك إسمٌ تناقلته الفيافي ... ورواه الجلمود للجلمود
يهرم الدّهر وهو كالصّبح باق ... كلُّ يومٍ يأتي بفجرٍ جديد

الشاعر :

السيّد عبد العزيز بن محمّد بن الحسن بن أبي نصر الحسيني السّريجي الأوالي . ترجمه العلاّمة السّماوي في [الطليعة من شعراء الشيعة] فقال : كان فاضلاً أديباً جامعاً ، وشاعراً ظريفاً بارعاً ، توفّي في البصرة سنة ٧٥٠ تقريباً .



٦٨ - صفي الدين الحلي

المولود : سنة ٦٧٧ هـ

المتوفّى سنة ٧٥٢ هـ

خمدت لفضل ولادك النيرانُ ... وانشقّ من فرحٍ بك الإيوان

وتزلزل النادي وأوجس خيفةً ... من هول رؤياه أنوشروان

فتأوّل الرؤيا سطيح (١) وبشّرت ... بظهورك الرّهبان والكهّان

وعليك ارميّا وشعيا أثنيا ... وهما وحزقيلُ لفضلك دانوا(٢)

بفضائل شهدت بهنّ الصحف والـ ... ـتوراة والإنجيل والفرقان

فوضعت لله المهيمن ساجداً ... واستبشرت بظهورك الأكوان

متكمّلاً لم تنقطع لك سرّة ... شرفاً ولم يطلق عليك ختان(٣)

فرأت قصور الشام آمنةٌ وقد ... وضعتك لا تخفى لها أركان(٤)

---

(١) توجد قصة الرؤيا وتأويل سطيح إياها في كتب السير النبوية ودلائلها ومعاجم التاريخ ، وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان .

(٢) أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب من أنبياء بني إسرائيل ، شعيا بن أمصيا ممن بشر بالنبي الأعظم من أنبياء بني إسرائيل ، حزقيل بن بوذي ابن العجوز ، الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله : موتوا .

(٣) أشار إلى ما أخرجه الحفاظ البيهقي والحاكم وابن عساكر وغيرهم من أنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد مختوناً مسروراً .

(٤) يوجد حديث رؤية آمنة أم النبي الأعظم قصور الشام حين وضعته صلى الله عليه وآله وسلم في تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٦٤ .

وأتت حليمة وهي تنظر في ابنها(١) ... سراً تحار لوصفه الأذهان
وغدا ابن ذي يزن ببعثك مؤمناً(٢) ... سرّاً ليشهد جدّك الديّان
شرح الإله الصَّدر منك لأربع(٣) ... فرأى الملائك حولك الأخوان
وحييت في خمس بظل غمامة ... لك في الهواجر جرمها صيوان
ومررت في سبع بدير فانحنى ... منه الجدار وأسلم المطران
وكذاك في خمس وعشرين انثنى ... نسطور منك وقلبه ملآن
حتّى كملت الأربعين وأشرقت ... شمس النبوَّة وانجلى التبيان
فرمت رجوم النيّرات رجيمها ... وتساقطت من خوفك الأوثان
والأرض فاحت بالسَّلام عليك والأشجارُ والأحجارُ والكثبان
وأتت مفاتيح الكنوز بأسرها ... فنهاك عنها الزهد والعرفان
ونظرت خلفك كالأمام بخاتمٍ ... أضحى لديه الشكّ وهو عيان
وغدت لك الأرض البسيطة مسجداً ... فالكلُّ منها للصَّلاة مكان
ونصرت بالرّعب الشّديد على العدى ... ولك الملائك في الوغى أعوان
وسعى إليك فتى(٤) سلامٍ مسلماً ... طوعاً وجاء مسلِّماً سلمان
وغدت تكلّمك الأباعر والظبى ... والضبُّ والثعبانُ والسرحان
والجزع حنَّ إلى علاك مسلِّماً ... وببطن كفّك سبَّح الصوَّان(٥)
وهوى إليك العذق ثمَّ رددته ... في نخلة تزهى به وتزان
والدوحتان وقد دعوت فأقبلا ... حتّى تلاقت منهما الأغصان
وشكا إليك الجيش من ظمأ به ... فتفجّرت بالماء منك بنان

---

(١) حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة رسول الله أقام صلى الله عليه وآله وسلم عندها نحواً من أربع سنين «امتاع الأسماع ص ٢٧» .

(٢) سيف بن ذي يزن الحميري له بشارة بالنبي الأعظم أخرج حديثها الحافظ أبو بكر الخرائطي في كتابه «هواتف الجان» وحكى عنه جمع من الحفاظ والمؤرخين في تآليفهم .

(٣) في هذا البيت وما يليه من الأبيات إشارة إلى قضايا من دلائل النبوة توجد جمعاء في كتب الدلائل والسيرة النبوية ومعاجم التاريخ .

(٤) هو عبدالله بن سلام يوجد حديث إسلامه في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٨ .

(٥) الصوّان جمع الصوانة : حجر شديد يقدح به .

وردَّت عين قتادة من بعدما ذهبت فلم ينظر بها إنسان
وحكى ذراع الشاة مودع سمّه حتّى كأنَّ العضو منه لسان
وعرجت في ظهر البراق مجاوز الـ سبع الطباق كما يشا الرَّحمٰن
والبدر شقّ وأشرقت شمس الضحى بعد الغروب وما بها نقصان
وفضيلةٌ شهد الأنام بحقِّها لا يستطيع جحودها الإنسان
في الأرض ظلّ الله كنت ولم يلح في الشمس ظلّك إن حواك مكان
نُسخت بمظهرك المظاهر بعدما نُسخت بملّة دينك الأديان
وعلى نبوَّتك المعظَّم قدرها قام الدليل وأوضح البرهان
وبك استغاث الأنبياء جميعهم عند الشَّدائد ربّهم ليعانوا
أخذ الإلٰه لك العهود عليهم من قبل ما سمحت بك الأزمان
وبك استغاث الله آدم عندما نُسب الخلاف إليه والعصيان
وبك التجا نوحٌ وقد ماجت به دسر السفينة إذ طغى الطوفان
وبك اغتدى أيّوب يسأل ربَّه كشف البلاء فزالت الأحزان
وبك الخليل دعا الإلٰه فلم يخف نمرود إذ شبّت له النيران
وبك اغتدى في السجن يوسف سائلاً ربَّ العباد وقلبه حيران
وبك الكليم غداة خاطب ربّه سأل القبول فعمّه الإحسان
وبك المسيح دعا فأحيا ربّه ميتاً وقد بُليت به الأكفان
وبك استبان الحقُّ بعد خفائه حتّى أطاعك إنسها والجان
ولو انَّني وفَّيت وصفك حقَّه فُني الكلام وضاقت الأوزان
فعليك من ربِّ السَّلام سلامه والفضل والبركات والرِّضوان
وعلى صراط الحقِّ آلك كلّما هبَّ النسيم ومالت الأغصان
وعلى ابن عمِّك وارث العلم الذي ذلّت لسطوة بأسه الشّجعان
وأخيك في يوم [الغدير] وقد بدى نور الهدى وتآخت الأقران
وعلى صحابتك الذين تتبّعوا طرق الهدى فهداهم الرَّحمان
وشروا بسعيهم الجنان وقد دروا أنَّ النفوس لبيعها أثمان
يا خاتم الرُّسل الكرام وفاتح الـ ـنعم الجسام ومن له الإحسان

أشكو إليك ذنوب نفس هفوها ... طبعٌ عليهِ رُكّب الإنسان
فاشفع لعبدٍ شانه عصيانه ... إنَّ العبيد يشينها العصيان
فلك الشفاعة في محبِّكُم إذا ... نُصب الصِّراط وعُلّق الميزان
فلقد تعرَّض للإجازة طامعاً ... في أن يكون جزاؤه الغفران(١)

وله قوله(٢) :

توال «عليّاً» وأبناؤه ... تفز في المعاد وأهواله
إمامٌ له عقد يوم الغدير ... بنصٍّ «النبيِّ» وأقواله
له في التشهد بعد الصَّلاة ... مقامٌ يخبِّر عن حاله
فهل بعد ذكر إله السّما ... وذكر النبيِّ سوى آله ؟

الشاعر :

صفيُّ الدِّين عبد العزيز بن سرايا بن عليٍّ بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن عبد العزيز بن سرايا بن باقي بن عبدالله بن العريض الحلّي الطائي السنبسي [من بني سنبس بطن من طيّ] .

كان في الطراز الأوَّل من شعراء لغة الضّاد ، فاق شعره بجزالة اللفظ ، ورقّة المعنى ، وأشفَّ بحسن الأسلوب والإنسجام ، وقد تفنّن بمحاولة المحسّنات اللفظيّة مع المحافظة على المزايا المعنويّة ، فجاء مقدَّماً في فنون الشعر ، إماماً من أئمّة الأدب كما أنّه كان معدوداً من علماء الشيعة المشاركين في الفنون .

في «مجالس المؤمنين» ص ٤٧١ عن بعض تآليف صاحب «القاموس» مجد الدين الفيروز آبادي الشافعي أنه قال : اجتمعت سنة ٧٤٧ بالأديب الشاعر صفيِّ الدين بمدينة بغداد فرأيته شيخاً كبيراً وله قدرةٌ تامّةٌ على النظم والنثر ، وخبرةٌ بعلوم العربيَّة والشعر ، فقرضه أرقُّ من سحر النسيم ، وأورق من المحيّا الوسيم ، وكان شيعيّاً قحّاً ، ومن رأى صورته لا يظنُّ أنّه ينظم ذلك الشعر الذي هو كالدرِّ في الأصداف .

---

(١) توجد في ديوانه ص ٤٧ وفي طبعة ٢ ص٥٢ يمدح بها النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .
(٢) توجد في ديوانه ص ٥٢ وفي طبعة أخرى ٥٨ .

وقال إبن حجر في «الدرر الكامنة» ج ٢ ص ٣٦٩ : تعانى الأدب فمهر في فنون الشعر كلّها ، وتعلّم المعاني والبيان وصنّف فيهما ، وتعانى التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في التجارة ثمّ يرجع إلى بلاده وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان وانقطع مدّة إلى ملوك ماردين وله في مدائحهم الغرر ، وامتدح الناصر محمّد بن قلاون ، والمؤيّد إسماعيل بحماه . وكان يُتّهم بالرفض وفي شعره ما يشعر به ، وكان مع ذلك يتنصّل بلسان قاله وهو في أشعاره موجودٌ وإن كان فيها ما يناقض ذلك ، وأوّل ما دخل القاهرة سنة بضع وعشرين ، فمدح علاء الدين إبن الأثير فأقبل عليه وأوصله إلى السّلطان واجتمع بابن سيّد الناس وأبي حيّان وفضلاء ذلك العصر ، فاعترفوا بفضائله ، وكان الصّدر شمس الدين عبداللطيف . . . يعتقد أنّه ما نظم الشعر أحدٌ مثله مطلقاً ، وديوان شعره مشهورٌ يشتمل على فنونٍ كثيرةٍ ، وبديعيّته مشهورةٌ وكذا شرحها وذكر فيه أنّه استمدَّ من مائة وأربعين كتاباً .

قال الأميني : وممّن اجتمع المترجم به الصّفدي سنة ٧٣١ يروي عن المترجم في الوافي بالوفيات ، وأخذ العلم عن شيخنا المحقّق نجم الدين الحلّي ، وأخذ عنه الشريف النسّابة تاج الدين إبن معيّة .

قولنا : وأخذ العلم عن شيخنا المحقّق . إلخ . أخذناه من «أمل الآمل» وتبعه في ذلك جلّ من ترجم شاعرنا صفيَّ الدين نظراء صاحب الروضات ، وأعيان الشيعة وشيخنا القمي ؛ وهذا لا يصحّ جدّاً لأنّ شيخنا المحقّق نجم الدين توفّي سنة ٦٧٦ ، وصفيُّ الدين الحلّي ولد ٦٧٧ بعد وفاة الشيخ بسنة ، وصفيُّ الدين الذي تلمذ لشيخنا المحقّق هو صفيُّ الدين محمّد بن الشيخ نجيب الدين يحيى وهو الذي كان من مشايخ السيّد تاج الدين إبن معيّة كما في [معاجم التراجم] .

بالغ في الثناء عليه الكتبي في فوات الوفيات ج ١ ص ٢٧٩ وذكر كثيراً من شعره ، وترجمه القاضي التستري في مجالس المؤمنين ص ٤٧٠ ، وشيخنا الحرّ العاملي في أمل الآمل ، وابن أبي شبانة في تتميم الأمل ، والسيِّد اليماني في نسمة السحر ، والشوكاني في البدر الطالع ج ١ ص ٣٥٨ ،وفريد وجدي في دائرة المعارف ج ٥ ص ٥٢٥ ،وصاحب رياض العلماء ، والسيّد الزنوزي في رياض

الجنّة . والسيّد صاحب الرّوضات ص ٤٢٢ ، والزركلي في الأعلام ج ٢ ص ٥٢٥، ومؤلّف تاريخ آداب اللغة العربيّة ج ٣ ص ١٢٨ .

وكلٌّ من هؤلاء وصفه بما هو أهله من جمل المدح وعقود الإطراء ونسائج الحمد وأفرد العلاّمة الشيخ محمّد علي الشهير بالشيخ علي الحزين المتوفّى ببنارس الهند سنة ١١٨١ تأليفاً في أخباره ونوادر شعره .

آثاره ومآثره :

١ ـ منظومة في علم العروض . ذكرها له صاحب رياض العلماء .

٢ ـ العاطل الحالي ، رسالةٌ في الزجل والموالي .

٣ ـ الخدمة الجليلة ، رسالةٌ في وصف الصَّيد بالبندق .

٤ ـ درر النحور في مدائح الملك المنصور ، وهي القصائد «الأُرتقيّات» تحوي ٢٩ قصيدة مرتّبة على حروف المعجم ، وأوّل أبياتها كآخرها من الحروف ، وكلُّ قصيدة منها ٢٩ بيتاً .

٥ ـ ديوان شعره . قال الكتبي في الفوات : إنّه دوَّن شعره في ثلاث مجلّدات وكلّه جيّدٌ . والمطبوع مجلّد واحد ولعلّه بعض شعره أو ديوانه الصغير الذي ذكره له بعض المتأخّرين من المؤلّفين بعد ذكر ديوان كبير له .

٦ ـ رسالة الدار عن محاورات الفار .

٧ ـ الرِّسالة المهملة كتبها إلى الملك الناصر محمَّد بن قلاون سنة ٧٢٣ .

٨ ـ الرِّسالة الثوميَّة أنشأها بماردين سنة ٧٠٠ .

٩ ـ الكافية ، هي بديعيّته الشهيرة الحاوية لمائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع في ١٤٥ بيتاً من بحر (البسيط) يمدح بها النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم طبعت في ديوانه مستهلّها .

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم   واقر السَّلام على عرب بذي سلم

شرحها ابن زاكور أبو عبدالله محمَّد بن قاسم بن زاكور الفاسي المالكي [المتوفّى سنة ١١٢٠] .

١٠ ـ شرح الكافية المذكورة طبع في مصر سنة ١٣١٦ وفي غير واحد من المعاجم : إنَّ له فضل السبق في نظم البديعيَّة على من نظمها ، غير أنّا نقول : إنَّ المترجم وإن أبدع في نظم بديعيّته إلّا أنَّ السابق إليها هو أمين الدين عليُّ بن عثمان بن عليّ بن سليمان الأربلي الشاعر الصّوفي المتوفى سنة ٦٧٠ ، المترجم في الوافي بالوفيات ، وله فضل السبق كما ذكره السَّيد علي خان في [أنوار البديع] وذكر قصيدته ، والبقيَّة ممَّن نظم محاسن البديع ببديعيَّة تبع في ذلك لهذين الشاعرين منهم :

١ ـ شمس الدين أبو عبدالله محمَّد بن علي الهواري المالكي المتوفّى ٧٨٠ ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره في هذا الجزء . له البديعيَّة الشهيرة بـ «بديعيَّة العميان» يمدح بها النبيَّ الأعظم أوَّلها :

بطيبة انزل ويمِّم سيِّد الأُممِ .

عاصر المترجم وشرح بديعيَّته زميله الشاعر أبو جعفر أحمد بن يوسف البصير الألبيري المعروف بالأعمى الطليطلي المتوفى سنة ٧٧٩ .

٢ ـ الشيخ عزّ الدين علي بن الحسين بن أبي بكر محمَّد بن أبي الخير الموصلي المتوفى سنة ٧٨٩ له بديعيّةٌ مطلعها .

براعةٌ تستهلُّ الدَّمع في العلم عبارةٌ عن نداء المفرد العلم

وله شرحها الموسوم (التوصّل بالبديع إلى التوسّل بالشفيع) .

٣ ـ الشيخ وجيه الدين اليمني المتوفّى سنة ٨٠٠ له بديعيَّة كما في علم الأدب ج ١ ص ٢٤٤ .

٤ ـ شرف الدين عيسى بن حجّاج السعدي المصري الحنبلي المعروف بعويس العالية[١] المتوفّى سنة ٨٠٧ له بديعيَّةٌ في مدح النبيِّ الأعظم كما في شذرات

---

(١) سُمّي به لأنه كان عالية في لعب الشطرنج .

الذهب ج ٧ ص ٧١ ، مطلعها :

سل ما حوى القلب في سلمى من العبر فكلّما خطرت أمسى على خطر

٥ ـ السيّد جمال الدين عبد الهادي بن إبراهيم الحسيني الصنعانيّ اليمانيّ الزيديّ المتوفّى سنة ٨٢٢ كما في إيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون ج ١ ص ١٧٣ مطلعها :

سرى طيف ليلى فابتهجت به وجدا

٦ ـ الأديب شعبان بن محمّد القرشي المصري المتوفّى سنة ٨٢٨ ، له بديعيّةٌ ذكرها له صاحب «كشف الظنون» ج ١ ص ١٩١ .

٧ ـ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقري اليمني المتوفّى سنة ٨٣٧ ، له بديعيّةٌ وشرحها كما في «كشف الظنون» ج ١ ص ١٩١ ، وبغية الوعاة ص ١٩٣ ، وشذرات الذهب ج ٧ ص ٢٢١ .

٨ ـ تقيُّ الدين أبو بكر عليّ بن عبدالله الحموي المعروف بابن حجّة المتوفّى سنة ٨٣٧ ، له بديعيّةٌ يمدح بها النبيَّ الأعظم سمّاها بـ «التقديم» تشتمل على ١٣٦ نوعاً في ١٤١ بيتاً وشرحها شرحاً يُسمى بـ «خزانة الأدب» طبع في ٥٧١ صفحة . مطلعها .

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم براعةٌ تستهلُّ الدَّمع في العلَم

٩ ـ إبن الخراط زين الدين أبو الفضل عبد الرَّحمٰن بن محمَّد بن سليمان الحموي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٠ ، له بديعيَّةٌ وشرحها «إيضاح المكنون ج ١ ص ١٧٣» .

١٠ ـ الشيخ محمّد المقري ابن الشيخ خليل الحلبي المتوفّى سنة ٨٤٩ ، له بديعيّةٌ أوّلها :

عجبي عراقي فعج بي نحو ذي سلم واجنح لسكّانها بالسِّلم والسّلَم

١١ ـ الشيخ بدر الدين الحسن بن مخزون الطحان ، له بديعيَّة ذكرها له شيخنا الكفعمي في كتابه «فرج الكرب» وقال : إنَّها مخمّسةٌ لبديعيَّة الشيخ صفيِّ الدين «المترجم» .

١٢ ـ الشيخ إبراهيم الكفعمي الحارثي ، أحد شعراء الغدير الآتي ذكره في هذا الجزء ، له بديعيَّة وشرحها المعرب عن تضلّعه في فنون الأدب ، مستهلّها :

إن جئت سلمى فسل من في خيامهم .

١٣ ـ جلال الدين أبو بكر السّيوطي المولود سنة ٨٤٩ والمتوفّى سنة ٩١١ ، له بديعيّةٌ موسومةٌ بـ [نظم البديع في مدح خير الشفيع] وله شرحها أوَّلها :

من العقيق ومن تذكار ذي سلَم   براعة العين في استهلالها بدم

١٤ ـ الباعونيَّة عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الدمشقيَّة الشافعيَّة المتوفَّاة سنة ٩٢٢[1] لها بديعيَّة أوّلها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم   أصبحت في زمرة العشّاق كالعلَم

وشرحتها وأسمتها بـ [الفتح المبين في مدح الأمين] طبعت بهامش [خزانة الأدب لابن حجّة] .

١٥ ـ الشيخ عبد الرّحمٰن بن أحمد الحميدي المتوفّى سنة ١٠٠٥ ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الحادي عشر ، له بديعيّةٌ تسمّى بـ «تمليح البديع بمديح الشفيع» أوَّلها :

رد ربع أسما وأسمى ما يُرام رم   وحيِّ حيّاً حواها معدن الكرم

عدد أنواعها ١٦٨ ، وعدد أبياتها ١٤٠ ، وتاريخ نظمها ٩٩٢ ، أشار إلى كلّ ذلك بقوله :

جا نوعه [مصلحٌ] أبياته [منٌ]   أرَّخته [ناظماً] للحاسب الفهم

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٢٩٣ .

توجد في ديوانه «الدرّ المنظّم في مدح النبيِّ الأعظم» المطبوع في مصر سنة ١٣٢٢ في ١٤٩ صفحة .

١٦ ـ شمس الدين محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن محمّد بن الحموي المكي الحنفي نزيل مصر المتوفّى سنة ١٠١٧ ، له بديعيَّة كما في الإيضاح [ج ١ ص ١٧٣] .

١٧ ـ السيِّد علي خان صاحب «سلافة العصر» المتوفّى سنة ١٠١٨/٢٠ ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره ، له بديعيّةٌ في ١٤٨ بيتاً وله شرحها الدائر السائر الموسوم بـ «أنوار الرَّبيع» مطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة الحرم ... له براعة شوق يستهلُّ دمي

١٨ ـ الشيخ عبد القادر بن محمّد الطبري المكي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٣٢ ، له بديعيّةٌ ذكرها له الشوكاني في «البدر الطالع» ج ١ ص ٣٧١ مستهلها :

حسن ابتداء مديحي حيّ ذي سلم ... أبدى براعة الاستهلال في العلَم

أسماها [عليَّ الحجّة بتأخير أبي بكر ابن حجّة] وله شرحها .

١٩ ـ الشيخ أحمد بن محمّد المقري التلمساني المتوفّى سنة ١٠٤١ ، له بديعيَّةٌ مطلعها :

شارفت ذرعاً فذر عن مائها الشبم ... وجزت نملي فنم لا خوف في الحرم

٢٠ ـ الشيخ محمّد بن عبد الحميد بن عبد القادر المعروف بـ [حكيم زاده] له بديعيَّةٌ نظمها سنة ١٠٥٩ مستهلّها :

حسن ابتدائي بذكر البان والعلم ... حلا لمطلع أقمار بذي سلَم

وله بديعيّةٌ أُخرى موسومة بـ «اللمعة المحمَّديَّة في مدح خير البريَّة» أوّلها :

إن رمت صنعاً فصن عن مدح غيرهم ... يا قلب سرّاً وجهراً جوهر الكلم

وله شرحها الكبير المخطوط في ٣٣٨ صحيفة يوجد عند العلاّمة السيِّد جعفر بحر العلوم في النجف الأشرف .

٢١ ـ الشيخ أبو الوفاء العرضي الحلبي ، له بديعيَّةٌ يمدح بها النبيَّ الأعظم ذكرها له الشيخ قاسم إبن البكره چي في شرح بديعيَّته أوَّلها :

براعتي في ابتدا مدحي بذي سلَم ... قد استهلّت لدمعٍ فاض كالعلَم

٢٢ ـ الشيخ عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني الحنفي النابلسي الدمشقي المولود سنة ١٠٥٠ والمتوفّى سنة ١١٤٣ ، له بديعيَّةٌ يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوَّلها :

يا منزل الرَّكب بين البان والعلَم ... من سفح كاظمة حييت بالدِّيَم

وأرَّخها بقوله وهو آخر القصيدة :

وقلت للرّبع لَمّا الفكر أرَّخها ... يا ربع قد تمَّ مدحي سيِّد الأُمم

وله شرحها الموسوم بـ «نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبيِّ المختار» طبع في ٣٤٨ صحيفة ، وله بديعيَّةٌ أُخرى طبعت بهامش الشرح المذكور أوَّلها :

يا حسن مطلع من أهوى بذي سلَم ... براعة الشَّوق في استهلالها ألمي

٢٣ ـ الشيخ قاسم بن محمّد البكره چي الحلبي الحنفي المتوفّى سنة ١١٦٩ ، له بديعيَّةٌ في مدح النبيِّ الأمين صلى الله عليه وآله وسلم أوَّلها .

من حسن مطلع أهل البان والعلَم ... براعتي مستهلٌّ دمعها بدم

وله شرحها المطبوع الموسوم بـ «حلية البديع في مدح النبيِّ الشفيع» فرغ منه سنة ١١٤٨ .

٢٤ ـ السيِّد حسين بن مير رشيد الرَّضوي الهندي المتوفّى سنة ١١٥٦ له بديعيَّةٌ يمدح بها النبيَّ وآله عليه وعليهم السَّلام توجد في ديوانه المخطوط في ١٤٣ بيتاً مطلعها :

حَيِّ الحيا عهد أحباب بذي سلَم ... وملعب الحيِّ بين البان والعلَم

٢٥ ـ الشيخ عبدالله بن يوسف بن عبدالله الحلبي المتوفّى سنة ١١٩٤ ، له

بديعيَّةٌ وشرحها كما في «الإيضاح» ج ١ ص ١٧٤ .

٢٦ ـ الخوري يوسف بن أرسانيوس بن إبراهيم المسيحي الفاخوري المولود سنة ١٢١٨ والمتوفى سنة ١٣٠١ ، له بديعيَّةٌ يمدح بها النبيَّ المسيح ﷺ تشتمل على مائة وثمانين نوعاً مع التزام تسمية النوع أوَّلها :

براعة المدح في نجمٍ ضياه سمي　　تهدي بمطلعها مَن عن سناه عمي

وآخرها :

واختم ختامي بأن أحظى بمطلعك الـ　　ـباهي بخدر السنى يا مرشد الأُمم

طبعت بتمامها في «علم الأدب» ج ١ ص ٢٤٥ .

٢٧ ـ الشيخ عبد القادر الحسيني الأزهري الطرابلسي ، له بديعيَّةٌ تُسمّى بـ[ترجمان الضّمير في مدح الهادي البشير] نظمها سنة ١٣٠٨ طبعت في جريدة بيروت .

٢٨ ـ الشيخ محمّد بن عبدالله الضرير الأزهري المتوفّى سنة ١٣١٣ ، له بديعيَّةٌ مسمّاةٌ بـ[الغرر في أسانيد الأئمّة الأربعة عشر] مطبوعة ذكرها له صاحب معجم المطبوعات .

٢٩ ـ الشيخ أحمد بن صالح بن ناصر البحراني المولود سنة ١٢٥٤ والمتوفّى سنة ١٣١٥ ، له بديعيَّةٌ يمدح بها مولانا أمير المؤمنين ؑ توجد في ديوانه المطبوع الموسوم بـ[المراثي الأحمديَّة] وله شرحها ، مطلعها :

بديع مدح عليّ مذ علا قلمي　　براعة تستهلُّ الفيض من كلمي

٣٠ ـ الشيخ محمّد بن حمزة التستري الحلّي الشهير بابن الملاّ المتوفّى سنة ١٣٢٢ من شعراء الغدير يأتي ذكره ، له بديعيَّةٌ يمدح بها النبيَّ الأعظم صلوات الله عليه وآله تمتاز عن البديعيّات بأنواع من البديع .

٣١ ـ المولى داود بن الحاج قاضي الخراساني المعروف بملاّباشي المتوفّى حدود ١٣٢٥ المترجم في «مطلع الشمس» ، له بديعيَّةٌ شرحها ولده ميرزا فضل الله

المتوفّى أواخر سنة ١٣٤٣ ، أسماه بأزهار الرَّبيع .

٣٢ ـ الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي المولود سنة ١٢٦٨ والمتوفّى سنة ١٣٣٨ ، وله شرحها المطبوع بسورية أوَّلها :

بـديـع حسن بـدور نـحـو ذي سلم ... قـد راقـني ذكـره في مـطلع الكـلم

٣٣ ـ الشيخ محمّد صالح بن ميـرزا فضل الله المـازندراني الحـائري المـولود سنة ١٢٩٧ ، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرّابع عشر ، له بديعيّةٌ وله شرحها مطلعها :

من حسن مـطلع سلمى مستهـلُّ دمي ... لله مـن دم ذي سـلْم بـذي سـلَم

٣٤ ـ الشيخ عبدالله محمّد بن أبي بكر أحد شعراء العامّة ، لـه بديعيَّةٌ يمدح بها النبيَّ الأعظم ﷺ عدد أبياتها مائة وتسعة وثلاثون بيتاً أوَّلها :

يـا عـامـل اليعمـلات الكـوم في الأكم ... بـالعيس بـالعيس عـرِّج نحـو ذي سلم

وآخر أبياتها :

صلّى عليـه إلٰـه العـرش مـا لمـعت ... بيض الكـواعب في سـودٍ من الـظلم

ذكرها برمَّتها سيِّدنا العلاّمة السيِّد أحمد العطّار في كتابه «الرائق» في [الجـزء الثاني] .

٣٥ ـ الـواردي المقري ، لـه بديعيّـة في مدح سيِّـد البشـر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها السيِّد أحمد العطّار طاب ثراه في الجزء الثاني من كتابه «الرائق» عدد أبياتهـا ١٤٥ أوَّلها :

إن زرت سلمى فسـل مـا حـلّ بـالعلَم ... وحـيِّ سـلعـاً وسـل عـن حـيِّ ذي سـلَم

ويقول في آخرها :

وآلـه وهـم الآل الـهـداة ومَـن ... بهـل أتى قـد أتى تنكيت مـدحهـم

آل الـرَّسـول وأعـلام الأصـول وآمـال الـوصـول وأهـل الـحـلم والـكـرم

مُـطهَّـرون زكـوا فـرعـاً وأصـلهم ... السـامي «عليٌّ» سمـا من نـور جـدِّهم

جادوا وجالوا وطالوا في الفخار فهم   سحبٌ وقضبٌ وشهبٌ في علائهم
همُ صدور مقامات العلى فلذا   تطأطأت وغدت مأوى نعالهم
همُ الرِّجال رجال الله فضلهم   لم يُحصَ إن يُحصِ يوماً فضل غيرهم
خيرُ الورى سادة الدُّنيا وخيرهم   طه النبيُّ وكلٌّ في ذرى النعم
باعوا بنصرهم الدِّين النفيس نفوسهم وكم بذلوها بذل زادهم
خضرٌ مرابعهم حمرٌ صوارمهم   بيضٌ وجوههمُ غرٌّ ذوو شمم
كفّوا العتاة كما كفّوا العناة عطا   بالنبل والنيل في كرٍّ وفي كرم
صالوا وكم وخزوا بالسّمر يوم وغى   صدراً ونهداً وكم أكبوه في الصّدم
منزّهون عن الأرجاس أنفسهم   من مثلها نقلت في أنفس الرَّحم
والصّحب صحب رسول الله ما القمر   السّامي بأحسن مرأى من وقارهم
لا عيب فيهم بوصف غير أنَّهم   قد أرخصوا بالتقى غالي نفوسهم
يا أبهج الخلق في خلق وفي خُلق   وفي فخار وفي حُكم وفي حِكَم
ومَن إذا طال ذنبي فامتدحت له   نجوت فالمدح ذخري والولا عصمي
كن شافعي مالكي يا أحمد ! بغدٍ   وانقذ حنيف هوى من زلّة القدم
هذا مديحي بالتقصير معترفاً   فاقبله منّي ودع مَن لام بالنّدم
ففي الحديث اندماجٌ من يقل بكم   بيتاً فبيت علاهُ جنّة النّعم
فامنن عليَّ بفضل في قبولكم   من غير طردٍ وأنتم معدن الكرم
وأنت تعلم ما يبغي محبّك في   غدٍ ومثلك لم يحتج إلى كلمي
فلا تردّ يدي حاشاك خائبةً   وارحم فديتك عبداً في حماك حمي
بيان مدحك في فنِّ البديع له   دقيق معنى به نطقي زكى وفمي
وقد جعلت بحمد الله ساعة دنيا العمر طاعة مدحٍ فيك منتظم
فاصفح وإن تصفح الصّفح الجميل فلن   يضيق جاهك عند الله في جُرمي
وفيك إن فاز كعبٌ يوم بردته   ففي غدٍ منك ألقى خير مغتنمي
ومطلب «الواردي المقريِّ» ريُّ ظما   وهل سواك مغيثٌ في غدٍ لظمي ؟
فخذ بديع مديح في عُلاك حلا   [عن حُسن مبتدىء في حُسن مختتم]

ولادته ووفاته :

أطبقت المعاجم على أنَّ المترجم «الصفيّ» ولد في ٥ ربيع الآخر سنة ٦٧٧[١] وعلى أنَّه توفي ببغداد غير أنَّ الخلاف في تاريخ وفاته بين سنة ٧٥٠ و٧٥٢ فأرَّخها كل فريق وتردَّد جمعٌ بينهما ، والمصدر الوحيد (على ما أحسب) على القول الأوَّل هو زين الدين طاهر بن حبيب ، وعلى الثاني هو الصّفدي والله العالم .

كتب إلينا الدكتور مصطفى جواد البغدادي : إنّ الذي أرَّخ صفيّ الدين الحلّي من بني حبيب الحلبيِّين هو «بدر الدين حسن بن زين الدين عمر بن حبيب المتوفّى سنة ٧٧٩» ذكره في «درَّة الأسلاك في دولة الأتراك» في وفيات سنة ٧٥٠ ، ولعلّه ذكره أيضاً في تاريخه الثاني «تاريخ الملوك» ، الذي أنهاه بسنة وفاته ٦٧٩ ، وقد ذيَّل عليه ابنه زين الدين طاهر المتوفّى سنة ٨٠٨ ، ومن المعلوم أنَّ وفاة صفيّ الدين الحلّي داخلة في تاريخ بدر الدين إبن حبيب لا في ذيل إبنه ، ثمَّ إنَّ الوارد في «الدّرر الكامنة» على وجهين هما : زين الدين إبن حبيب في المتن . وإبن رجب في إحدى النسخ ، والثاني ممكنٌ أن يكون صحيحاً ، لأنّ زين الدين إبن رجب ترجم لعشرات أمثال صفيِّ الدين الحلّي في مشيخته إن كانوا شيوخاً له ، وفي طبقات الحنابلة إن كانوا حنابلة .

وقد ترجم إبن قاضي شهبة صفيَّ الدين الحلّي في «ذيل تاريخ الذهبي» ولم يقتصر الصفدي على ترجمته في الوافي بالوفيات بل ترجمه أيضاً في «أعيان العصر وأعوان النصر» ومن كلتا الترجمتين نقل إبن شاكر الكتبي في فوات الوفيات . وكتب نجم الدين سعيد بن عبدالله الدِّهلي الحافظ المؤرّخ جزءاً لطيفاً في ترجمة صفيِّ الدين الحلّي ، ونقل منه إبن قاضي شهبة في ذيل تاريخ الذهبي المذكور ، وتوفّي

---

(١) كتب إلينا الدكتور مصطفى جواد البغدادي ، ان إبن تغري بردي ذكر في كتابه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» نقلاً عن تاريخ العلامة البرزالي أنه سأل المترجم له عن مولده فقال : في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين وستمائة .

في سنة وفاته ٧٤٩ وهي سنة الطاعون العامَّة التي مات فيها كثيرٌ من الأعيان وغيرهم .

ومن شعر المترجم قوله وقد أجاب به قصيدة إبن المعتز العبّاسي التي مستهلّها :

ألا مَن لعين وتسكابها   تشكّى القذا وبكاها بها
ترامت بنا حادثات الزَّمان   ترامي القسيِّ بنشّابها
ويا رُبَّ ألسنة كالسّيوف   تقطِّع أرقاب أصحابها

ويقول فيها :

ونحن ورثنا ثياب النبيِّ   فكم تجذبون بأهدابها ؟
لكم رحمٌ يا بني بنته   ولكن بنو العمّ أولى بها

ومنها :

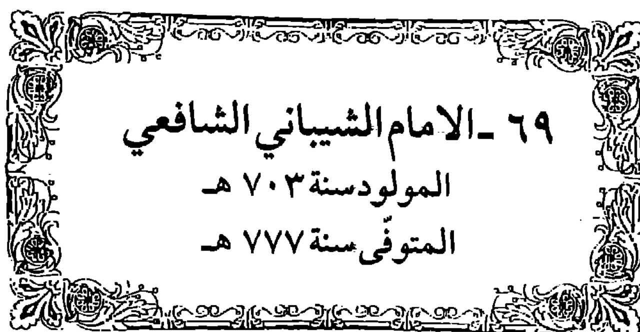
قتلنا أُميَّة في دارها   ونحن أحقُّ بأسلابها
إذا ما دنوتم تلقّيتمُ   زبوناً أقرَّت بجلاّبها

فأجابه الصفيُّ المترجم بقوله :

ألا قل لشرِّ عبيد الإله   وطاغي قريش وكذّابها
وباغي العباد وباغي العناد   وهاجي الكرام ومغتابها
أأنت تُفاخر آل النبيِّ   وتجحدها فضل أحسابها ؟
بكم باهل المصطفى أم بهم   فردّ العداة بأوصابها ؟
أعنكم نفى الرِّجس أم عنهمُ   لطهر النفوس وألبابها ؟
أما الرجس والخمر من دابكم   وفرط العبادة من دابها ؟
وقلت : ورثنا ثياب «النبيِّ»   فكم تجذبون بأهدابها ؟
وعندك لا يورث الأنبيا   فكيف حظيتم بأثوابها ؟
فكذَّبت نفسك في الحالتين   ولم تعلم الشَّهد من صابها

أجـدك يـرضـى بـمـا قـلتـه ؟ ومـا كـان يـومـاً بـمـرتـابهـا
وكـان بـصفّـين مـن حـزبـهـم لـحـرب الـطغـاة وأحـزابـهـا
وقـد شمّـر المـوت عن سـاقـه وكـشّـرت الحـرب عـن نـابهـا
فـأقبـل يـدعـو إلى «حـيـدر» بـإرغـابـهـا وبـإرهـابـهـا
وآثـر أن تـرتـضـيـه الأنـام مـن الـحـكـمـين لأسـبـابـهـا
لـيعـطي الـخـلافـة أهـلاً لهـا فـلـم يـرتـضـوه لإيـجـابـهـا
وصلّى مـع الـنـاس طـول الحيـاة و«حيـدر» في صـدر محـرابهـا
فـهـلاّ تـقـمّـصـهـا جـدُّكـم إذا كـان إذ ذاك أحـرى بـهـا ؟
إذا جـعـل الأمـر شـورى لـهـم فهـل كـان من بعض أربـابهـا ؟
أخـامسهـم كـان أم سـادسـاً ؟ وقـد جـليت بـيـن خـطّابـهـا
وقـولـك : أنـتـم بـنـو بـنـتـه ولـكـن بـنـو الـعـمِّ أولـى بـهـا
بـنـو البـنت أيـضـاً بـنـو عـمِّـه وذلـك أدنـى لأنـسـابـهـا
فـدع في الخلافـة فصـل الخـلاف فـليسـت ذلـولاً لـركّـابـهـا
ومـا أنت والفحص عن شأنهـا ؟ ومـا قـمّـصـوك بـأثـوابـهـا
ومـا سـاورتـك سـوى سـاعـة فـمـا كنـت أهـلاً لأسـبـابـهـا
وكيف يـخصّـوك يـومـاً بـهـا ؟ ولـم تـتـأدَّب بـآدابـهـا
وقـلت : بـأنَّـكـم الـقـاتـلون أُسـود أُمـيَّـة فـي غـابـهـا
كـذبت وأسـرفت فيـمـا ادَّعيت ولـم تنـهَ نـفسـك عـن عـابـهـا
فكـم حـاولـتـهـا سُـراةُ لـكـم فـردّت عـلى نـكص أعـقـابـهـا
ولـولا سـيـوف أبـي مـسـلم لـعـزَّت عـلى جـهـد طـلاّبـهـا
وذلـك عـبـدٌ لـهـم لا لـكـم رعـى فـيـكـمُ قـرب أنـسـابـهـا
وكنتم أسـارى ببـطن الـحبـوس وقـد شـفَّـكـم لـثـم أعـتـابـهـا
فـأخـرجـكـم وحـبـاكـم بـهـا وقـمّصـكـم فـضـل جلـبـابـهـا
فـجـازيـتـمـوهُ بـشـرِّ الـجـزاء لـطغـوى النّفـوس وإعجـابهـا
فـدع ذكـر قـوم رضـوا بـالكفـاف وجـاؤوا الـخـلافـة مـن بـابـهـا
هـم الـزّاهـدون هم العـابـدون هـم السّـاجـدونَ بـمحـرابـهـا

هم الصَّـائمـونَ هم القـائمـون هـم الـعـالـمـون بـآدابـهـا
هـمُ قـطب مـلّة ديـن الإلٰـه ودور الـرّحى حـول أقـطابـها
عـليـك بلهـوك بـالـغـانيـات وخـلِّ الـمعـالي لأصحـابـهـا
ووصف العـذارى وذات الخمـار ونـعـت الـعـقـار بـألـقـابـهـا
وشعـرك في مـدح تـرك الصّـلاة وسـعـي الـسّـقـاة بـأكـوابـهـا
فـذلـك شـأنـك لا شـأنـهـم وجـري الـجيـاد بـأحـسـابهـا



٦٩ - الامام الشيباني الشافعي
المولود سنة ٧٠٣ هـ
المتوفّى سنة ٧٧٧ هـ

سـأحمد ربّي طاعـةً وتعبّـدا ... وأنظم عقداً في العقيدة أوحدا
أفادتكم النعماء منّي ثلاثةً ... يدي ولساني والضمير محبّبا
وأشهد أنّ الله لا ربّ غيره ... تعزّز قِدماً بالبقا وتفرّدا
هو الأوّل المبدي بغير بداية ... وآخر من يبقى مقيماً مؤبّدا
سميعٌ بصيرٌ عالمٌ متكلّمٌ ... قديرٌ يعيد العالمين كما بدا
مريدٌ أراد الكائنات لوقتها ... قديمٌ فأنشا ما أراد وأوجدا
حياةٌ وعلمٌ قدرةٌ وإرادةٌ ... كلامٌ وأبصارٌ وسمعٌ مع البدا
إلٰهٌ على عرش السّماء قد استوى ... وباين مخلوقاته وتوحّدا
فلا جهةٌ تحوي الإلٰه ولا له ... مكانٌ تعالى عنهما وتمجّدا
إذ الكون مخلوقٌ وربّي خالقٌ ... لقد كان قبل العرش مولى وسيّدا

إلى أن قال بعد ذكر أصول العقائد ومدح الخلفاء الثلاثة :

ولا تنس صهر المصطفى وابن عمّه ... فقد كان بحراً للعلوم مسدّدا
وأفدى رسول الله حقّاً بنفسه ... عشيّة لمّا بالفراش توسّدا
ومن كان مولاه (النبيُّ) فقد غدا ... (عليٌّ) له بالحق مولى ومنجدا
ولا تنس باقي صحبه وأهل بيته ... وأنصاره والتابعين على الهدى
فكلّهمُ أثنى الإلٰه عليهمُ ... وأثنى رسول الله أيضاً وأكّدا

فـلا تكُ عبـداً رافضيّـاً فتعتـدي ... فويـلٌ وويـلٌ في الـورى لمن اعتـدا
فحبُّ جميـع الآل والصّحب مـذهبي ... غـداً بـهمُ أرجـو الـنعيم الـمؤبّـدا
وتسكت عن حـرب الصّحابـة فـالـذي ... جـرى بينهم كـان اجتهـاداً مجـرَّدا
وقـد صـحَّ في الأخبـار : أنَّ قتيـلهم ... وقـاتـلهـم فـي جنَّـة الـخـلد خُـلّدا
فهـذا اعتقـاد الشـافعيّ إمـامنـا ... ومـالـك والنعمـان أيضـاً وأحمـدا

مايتبع الشعر :

هذه الأبيات أخـذناهـا من القصيدة الكبيـرة ـ الألفيَّة ـ المطبوعـة للإمـام أبي عبدالله محمَّد الشيباني الشافعي ذكرها له صاحب «كشف الظنون» ، وشرحها جمعٌ من أعلام الشافعيَّة ، منهم :

١ ـ نجم الـدين محمَّد بن عبدالله الأذرعي العجلوني الشافعي المتـوفّى سنة ٨٧٦ ، فرغ من رشحه في ١١ رجب سنة ٨٥٩ وسمّاه ببديع المعاني في شـرح عقيدة الشيباني . وهو أوَّل شرح أُلِّف عليها كما ذكره في أوَّل الشـرح . قال في ص ٧٥ : أشار الناظم بقوله :

ومن كـان مـولاه «النبيُّ» فقـد غـدا ... «عليٌّ» لـه بـالحـقِّ مولـى ومنـجـدا

إلى ما ورد في الحديث الصَّحيـح : أنَّ رسول الله ﷺ قـال : من كنت مولاه فعليٌّ مـولاه . قال الشيـخ محيي الدين النـووي : معناه[1] عنـد علماء هـذا الشـأن وعليهم الإعتماد في تحقيق هذا ونظائره : من كنت نـاصره ومـولاه ومحبّه ومصـافيه فعليٌّ كذلك . إنتهى ، ولعلَّ الناظم أشار إلى هذا المعنى بعطف قولـه منجداً على مـولاه فيكون عـطفاً تفسيـراً . وقد ورد : أنَّ عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه حين سمع قول النبيِّ ﷺ : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، قال لعليّ رضي الله عنه : هنيئـاً لك أصبحت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة . ا هـ .

٢ ـ الشيخ علوان عليّ بن عطيَّة الحموي الشافعي المتوفّى سنة ٩٣٦ ، سمّاه

---

(١) قد عرفت معنى الحديث في المجلد الأول فلا يغرنك بعدئذٍ أمثال هذه اللهجات .

ببديع المعاني في شرح قصيدة الشيباني ، كذا ذكره صاحب كشف الظنون ، وفي شذرات الذهب ج ٨ ص ٢١٨ ،وقاموس الأعلام ج ٢ ص ٦٨٢ أسماه ببيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني .

٣ ـ أبو البقاء الأحمدي الشافعي سمّاه المعتقد الإيماني على عقيدة الشيباني .

٤ ـ الشيخ محمَّد بن علي بن محمَّد علاّن المتوفّى سنة ١٠٥٧ سمّاه : بديع المعاني أيضاً

الشاعر :

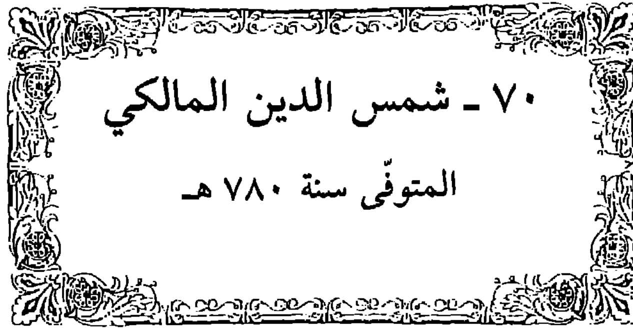
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عرام بن إبراهيم بن ياسين بن أبي القاسم بن محمّد الرّبعي الشيباني الأسواني الإسكندراني الشافعي تقيّ الدين أبو عبدالله الإمام المحدِّث الفقيه المفتي ولد في ثامن عشر شوّال سنة ٧٠٣ وسمع كما في [الدرر الكامنة] ج ٣ ص ٣٧٣ من العلاّمة رشيد الدين إسماعيل بن عثمان المعروف بابن المعلّم الحنفي المتوفّى سنة ٧٢٤ ، والحسن بن عمر الكردي أبي علي نزيل الجيزة بمصر والمتوفّى بها سنة ٧٢٠ ، والحجَّار شهاب الدين أبي العبّاس أحمد بن أبي طالب المتوفّى سنة ٧٣٠ ، والشريف موسى بن أبي طالب عزّ الدين أبي القاسم الموسوي المتوفّى بمصر سنة ٧١٥ ، والعلم بن درادة ، وتاج الدين ابن دقيق العيد أحمد بن علي المتوفّى بالقاهرة وقيل بقوص سنة ٧٢٣ ، وأحمد بن محمَّد بن كمال الدين المتوفّى سنة ٧١٨ ، والشريف علي الزينبي ، وعمر العتبي ركن الدين ابن محمّد القرشي المتوفّى سنة ٧٢٤ ، وزينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر ابن شكر المقدسي المتوفّاة سنة ٧٢٢ ، وغيرهم .

وأجاز له المطعم ، وابن عبد الدائم ، وابن النحّاس ، ويحيى بن سعد ، ومن مكّة رضي الدين أبو إسحاق إبراهيم الطبري المكّي الشافعي المتوفّى سنة ٧٢٢ وغيرهم .

قال ابن حجر في الدرر : وحدَّث وأفتى ودرس وصنَّف وخرَّج وتفرَّد بأشياء من مسموعاته وكانت وفاته في سنة ٧٧٧ .

وتوجد ترجمته في [شذرات الذهب] ج ٦ ص ٢٥٢ وعـدَّ ممَّن سمع منـه ابن مخلوف عليّ بن ناهض النويري المالكي القاضي المتوفَّى سنة ٧١٨ .

والمترجم له وإن لم يوصف بالشعر فيما وقفنا عليه من ترجمته غير أنَّ [الإمام أبا عبدالله محمّد الشيباني الشـافعي] الذي نسبت إليـه القصيدة بهـذه الأوصاف في المعاجم لم ينطبق إلاّ عليه ، والله العالم .



٧٠ ـ شمس الدين المالكي

المتوفّى سنة ٧٨٠ هـ

وإنّ «عليّاً» كان سيف رسوله ... وصاحبه السامي لمجدٍ مشيّد

وصهر النبيّ المجتبى وابن عمّه ... أبو الحسنين المحتوي كلّ سودد

وزوّجه ربُّ السّما من سمائه ... وناهيك تزويجاً من العرش قد بُدي

بخير نساء الجنّة الغرّ سوددا ... وحسبك هذا سودداً لمسوّد

فباتا وجلُّ الزهد خير حلاهما ... وقد آثرا بالزّاد من كان يجتدي

فآثرت الجنّات من حللٍ ومن ... حليٍّ لها رعياً لذاك التزهّد

وما ضرّ من قد بات والصّوف لبسه ... وفي السندس الغالي غداً سوف يغتدي

وقال رسول الله : إنّي مدينةٌ ... من العلم وهو الباب والباب فاقصد

ومَن كنت مولاه عليٌّ وليّه ... ومولاك فاقصد حبّ مولاك ترشد

وإنّك منّي خالياً من نبوّة ... كهارون من موسى وحسبك فاحمد

وكان من الصّبيان أوّل سابق[1] ... إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد

وجاء رسول الله مرتضياً له ... وكان عن الزّهراء بالمتشرّد

فمسّح عنه الترب إذ مسّ جلده ... وقد قام منها آلفاً للتفرّد

وقال له قول التلطّف : قم أبا ... تراب كلام المخلص المتودّد

---

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢١٩ ـ ٢٤١ تعرف قيمة هذه الكلمة التي تصبّى بها صاحبها .

وفي ابنيه قال المصطفى : ذان سيِّدا ... شبابكمُ في دار عزٍّ وسودد
وأرسله عنه الرَّسول مبلِّغاً ... وخصَّ بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال : هل التبليغ عنّيَ ينبغي ... لمن ليس من بيتي من القوم فاقتدي
وقد قال عبدالله للسائل الذي ... أتى سائلاً عنهم سؤال مشدّد
وأمّا عليٌّ فالتفت اين بيته ... وبيت رسول اللّه ؟ فاعرفه تشهد
ومازال صوّاماً منيباً لربِّه ... على الحقِّ قوّاماً كثير التعبّد
قنوعاً من الدنيا بما نال معرضاً ... عن المال مهما جاءه المال يزهد
لقد طلَّق الدنيا ثلاثاً وكلّما ... رآها وقد جاءت يقول لها : ابعدي
وأقربهم للحقِّ فيها وكلّهم ... أولو الحقِّ لكن كان أقرب مهتدي

ومدح بها العشرة المبشَّرة فذكر ما يختصُّ بأبي بكر بن أبي قحافة من المناقب في ١٤ بيتاً أوَّلها :

فمنهم أبو بكر خليفته الذي ... له الفضل والتقديم في كلِّ مشهدِ
وصدِّيق هادي الخلق المؤثر الذي ... لإنفاقه للمال في اللّه قد هُدي

ثمَّ ذكر ما يختصُّ بعمر بن الخطاب في ٢٢ بيتاً أوَّلها :

ويتبعه في فضله عمر الذي ... رمى عن قسيِّ الصِّدق سهم مسدِّد
وما كلُّ من رام السَّعادة نالها ... ولكنَّه من يسعد اللّه يسعد

ثمَّ نظم مناقب عثمان في ١٥ بيتاً أوَّلها :

وحبِّي عثمان بن عفّان أنَّه ... عليه اعتمادي وهو سؤلي ومقصدي
إمامٌ صبورٌ للأذى وهو قادرٌ ... حليمٌ عن الجاني جميل التعوّد

وبعد ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ذكر السبطين الإمامين صلوات الله عليهما بقوله :

وبالحسنين السيِّدين توسّلي ... بجدِّهما في الحشر عند تفرُّدي
هما قرَّتا عين الرّسول وسيِّدا ... شباب الورى في جنَّةٍ وتخلّد
وقال : هما ريحانتاي أُحبُّ مَن ... أحبّهما فاصدقهما الحبَّ تسعدِ

همـا اقتسما شبـه الـرَّسـول تعـادلا ومـاذا عسى يحصيـه منهم تعـدُّدي
فمن صــدره شبه الحسين أُجلّه(١) وللحسن الأعلى وحسبـك فـاعـدد
وللحسن السّـامي مـزايـا كقـولـه هــو : ابني هـذا سيِّــدٌ وابن سيِّــد
سيصلح ربُّ العـالمين بـه الــورى على فـرقــة منهم وعــظم تبــدّد

إلى أن قال :

وكـان الحسين الصّـارم الحـازم الـذي متى يقصـر الأبطال في الحـرب يشـدد
شبيــه رسـول اللّه في البـأس والنَّـدى وخيــر شهيــدٍ ذاق طعـم المـهـنَّــد
لمصــرعــه تبكي العيــون وحقّـهــا فــللّه مــن جــرم وعــظم تــودّد
فبعــداً وسـحقــاً لـلـيـزيـد وشمــره ومن سـار مسرى ذلـك المقصد الـرَّدي

وذكر فيها سيِّد الشهداء حمزة سلام الله عليه وقال :

ومن مثــل لـيث الله حـمـزة ذي النـدى مبيـد العدى مأوى الغـريب المــطرّد ؟
فكم حــزّ أعـنــاق العــداة بسيـفــه ؟ وذبَّ عـن (الـمـخـتــار) كــلّ مـشــدَّد
فـقــال رسـول الـلّه : هــذا أمـرتــه ولـي أسـدُ ضــار لــدى كــلٍّ مشـهــد
وقــال أبــو جهــل : أجبت «محمّــداً» لــمــا شــاءه فــاهــتــزّ هــزَّة سـيِّــد
وأهــوى لـه بــالقـوس مــا بين قــومــه ونــال وأُخــرى بــالحســام الـمهـنّــد
وقــال لـه : إنِّــي عــلى ديــنــه فــإن أطـقت فـعــرِّج عـن طــريـقـي فــاردد
فــذلَّ أبــو جــهــل وأبــدى تــلطّفــا مقــرّاً بقبــح السبِّ في حـقٍّ «أحمـدٍ»
فـعــاد وقــد نــال السّـعــادة واهتــدى وأضـحـى لــديـن الـلّه أكــرمَ مُسعـــدِ
وفـي يــوم بــدر حــثَّ عـنــد سؤالهــم لمــا شهــدوا مــن بــأســه المتــوقّــد
لـمـن كــان أعــلامُ بــريش نــعــامــة يـشــرِّدنــا مـثــل الـنـعــام الـمـشــرَّد
فــذاك الــذي والـلّه قــد فـعـلت بـنــا أفــاعيله فـي الحــرب مــا لــم تـعــوّد
وفـي أُحــد نــال الـشّـهــادة بـعــدمــا أذاق ســبــاعــاً لــلرَّدى شــرَّ مــورد
فـفــاز وأضحـى سيِّــد الـشهــداء فـي مــلائكــة الــرَّحمن يسـعى ويـغتــدي

---

(١) أخرج حديث الشبه هذا ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٣ .

وصلّى رسول اللّه سبعين مرَّة عليه إلى ثنتين عند التعدّد
وقال : مصابٌ لن نُصاب بمثله وإن كان لي يومٌ سأجزي بأزيد
وزاد إلى فضل العمومة أنَّه أخوه رضاعاً هكذا المجد فاشهد
وما زال ذا عرض مصونٍ عن الأذى ومالٍ مهان في العطايا مبدَّد
كريمٌ متى ما أوقد النّار للقِرى تجد خير نار عندها خير موقدِ

وذكر فيها سيّدنا العبّاس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال من أبيات أوّلها :

وقد بلغ العبّاس في المجد رتبةً تقول لبدر التمِّ قصّرت فابعد

حسبنا هذه القصيدة في ايقاف القارىء على مذهب الرَّجل ومقداره من الشعر ، أخذناها من نفح الطيب ج ٤ ص ٦٠٣ ـ ٦٠٧ .

ما يتبع الشعر :

أشار شاعرنا شمس الدين المالكي في شعره هذا إلى عدَّةٍ من مناقب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ممّا أخرجته أئمّة القوم وحفّاظ حديثهم في الصِّحاح والمسانيد بطرقهم عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وهي :

١ ـ حديث تزويج المولى سبحانه فاطمة من عليّ عليه السلام ونثر الجنَّة الحليّ والحلل في ذلك الزواج الميمون ، مرَّ تفصيل ذلك في ج ٢ ص ٣٦٥ .

٢ ـ حديث أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها قال :

وقال رسول اللّه : إنّي مدينةٌ من العلم وهو الباب والباب فاقصد

قد أسلفنا الكلام حول علم أمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الثالث ص ١٢٨ - ١٣٤ وأوعزنا هناك إلى أنَّ حديث هذه الأثارة صحَّحه الطبري وابن معين والحاكم والخطيب والسيوطي ، وهنا نفصِّل القول فيه وأنَّه أخرجه جمعٌ كثيرٌ من الحفّاظ وأئمّة الحديث ، فإليك جمٌّ غفيرٌ ممّن ذكره في تلكم القرون الخالية محتجِّين به ، مرسلين إيّاه إرسال المسلّم ، مدافعين عنه قالة المزيِّفين ، وجلبة المبطلين .

١ ـ الحافظ أبو بكر عبد الرزّاق بن همام الصنعاني المتوفّى سنة ٢١١ ، حكاه عنه بإسناده الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٧ .

٢ ـ الحافظ يحيى بن معين أبو زكريّا البغدادي المتوفّى سنة ٢٣٣ ، كما في «مستدرك» الحاكم وتاريخ الخطيب البغدادي .

٣ ـ أبو عبدالله [أبو جعفر] محمّد بن جعفر الفيدي المتوفّى سنة ٢٣٦ ، رواه عنه ابن معين .

٤ ـ أبو محمّد سُويد بن سعيد الهروي المتوفّى سنة ٢٤٠ ، أحد مشايخ مسلم وإبن ماجة ، نقله عنه إبن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٨ .

٥ ـ إمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفّى سنة ٢٤١ ، أخرجه في «المناقب» .

٦ ـ عباد بن يعقوب الرواجني الأسدي ، أحد مشايخ البخاري والترمذي وابن ماجة ، يروي عنه الحافظ الكنجي في «الكفاية» من طريق الخطيب .

٧ ـ الحافظ أبو عيسى محمّد الترمذي المتوفّى سنة ٢٧٩ ، في جامعه الصَّحيح .

٨ ـ الحافظ أبو علي الحسين بن محمّد بن فهم البغدادي المتوفّى سنة ٢٨٩ ، روى عنه الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٧ .

٩ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر البصري البزّار المتوفّى سنة ٢٩٢ ، صاحب المسند الكبير .

١٠ ـ الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ ، في «تهذيب الآثار» وصحّحه حكاه عنه غير واحد من أعلام القوم .

١١ ـ أبو بكر محمد بن محمَّد بن الباغندي الواسطي البغدادي المتوفّى سنة ٣١٢ ، رواه عنه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب» .

١٢ ـ أبو الطيب محمَّد بن عبد الصَّمد الدقّاق البغوي المتوفّى سنة ٣١٩ ، أخرجه عنه بإسناده الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٣٧٧ .

١٣ ـ أبو العبّاس محمَّد بن يعقوب الأموي النيسابوري الأصمّ المتوفّى سنة

٣٤٦ ، رواه عنه الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٦ .

١٤ ـ أبو بكر محمَّد بن عمر بن محمَّد التميمي البغدادي ابن الجعابي المتوفّى سنة ٣٥٥ ، أخرجه بخمسة طرق كما في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٢٦١ .

١٥ ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ ، أخرجه في معجميه الكبير والأوسط .

١٦ ـ أبو بكر محمَّد بن علي بن إسماعيل الشاشي المعروف بالقفّال المتوفّى سنة ٣٦٦ حكاه عنه الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٧ .

١٧ ـ الحافظ أبو محمّد عبدالله بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ المتوفّى سنة ٣٦٩ ، أخرجه في كتابه [السنَّة] حكاه عنه السخاوي في المقاصد الحسنة .

١٨ ـ الحافظ أبو محمَّد عبدالله بن محمّد بن عثمان المعروف بابن السقَّا الواسطي المتوفّى سنة ١٧٣ رواه عنه إبن المغازلي في «المناقب» .

١٩ ـ الحافظ أبو الليث نصر بن محمَّد السمرقندي الحنفي المتوفّى سنة ٣٧٩ ، كما في كتابه [المجالس] .

٢٠ ـ الحافظ أبو الحسين محمَّد بن المظفَّر البّزاز البغدادي المتوفّى سنة ٣٧٩ ، كما في مناقب ابن المغازلي .

٢١ ـ الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي ابن شاهين المتوفّى سنة ٢٨٥ أخرجه بأربعة طرق .

٢٢ ـ الحافظ أبو عبدالله عبيدالله بن محمَّد الشهير بـ «بطَّة العكبري» المتوفّى سنة ٣٨٧ أخرجه من ستّة طرق .

٢٣ ـ الحافظ أبو عبدالله محمَّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ ، أخرجه في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .

٢٤ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦ ، حكاه عنه جمعٌ كثيرٌ .

٢٥ ـ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ ، في كتابه [معرفة الصّحابة] .

٢٦ ـ الفقيه الشافعي أبو الحسن أحمد بن المظفر العطار المتوفّى سنة ٤٤١ ، رواه للفقيه ابن المغازلي سنة ٤٣٤ كما في مناقبه .

٢٧ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب البصري الشافعي الشهير بالماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠ ، حكاه عنه إبن شهراشوب في «المناقب» ج ١ ص ٢٦١ .

٢٨ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ ، كما في مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٤٣ .

٢٩ ـ أبو غالب محمَّد بن أحمد الشهير بابن بشران المتوفّى سنة ٤٦٢ ، رواه عنه إبن المغازلي في «المناقب» .

٣٠ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ ، أخرجه في [المتّفق والمفترق] وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٤٨ ، ج ٢ ص ٣٧٧ ، ج ٧ ص ١٧٣ ، ج ١١ ص ٢٠٤ .

٣١ ـ الحافظ أبو عمرو يوسف بن عبدالله ابن عبد البرّ القرطبي المتوفّى سنة ٤٦٣ ، في [الإستيعاب] ج ٢ ص ٤٦١ .

٣٢ ـ أبو محمَّد حسن بن أحمد بن موسى الغندجاني المتوفّى سنة ٤٦٧ ، نقله عنه إبن المغازلي في «المناقب» .

٣٣ ـ الفقيه أبو الحسن عليُّ بن محمَّد بن الطيب الجلّابي إبن المغازلي المتوفّى سنة ٤٨٣ ، أخرجه في مناقبه بسبعة طرق .

٣٤ ـ أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبد الجبّار السمعاني الشافعي المتوفّى سنة ٤٨٩ ، كما في مناقب ابن شهراشوب .

٣٥ ـ الحافظ أبو محمّد الحسن بن أحمد السمرقندي المتوفّى سنة ٤٩١ ، أخرجه في بحر الأسانيد في صحيح الأسانيد ، فالحديث صحيحٌ عنده كما في تذكرة الذهبي ج ٤ ص ٢٨ .

٣٦ ـ أبو علي اسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي المتوفّى سنة ٥٠٧ ، رواه عنه الخوارزمي في «المناقب» ص ٤٩ .

٣٧ ـ أبو شجاع شيرويه بن شهردار الهمداني الديلمي المتوفّى سنة ٥٠٩ ، في فردوس الأخبار .

٣٨ ـ أبو محمّد أحمد بن علي العاصمي ، أخرجه في [زين الفتى في شرح سورة هل أتى] الموجود عندنا .

٣٩ ـ أبو القاسم الزمخشري المتوفّى سنة ٥٣٨ سمّى في «الفائق» ج ١ ص ٢٨ باب مدينة العلم .

٤٠ ـ الحافظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الهمداني الديلمي المتوفّى سنة ٥٥٨ ، أخرجه مسنداً في كتابه [مسند الفردوس] .

٤١ ـ الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني المتوفّى سنة ٥٦٢ ، قال في [الأنساب] في [الشهيد] : اشتهر بهذا الإسم جماعةٌ من العلماء المعروفين قتلوا فعرفوا بالشهيد أوّلهم : إبن باب مدينة العلم . إلخ ينمّ كلامه هذا عن كون الحديث من المتسالم عليه عند حفّاظ الحديث .

٤٢ ـ الحافظ أخطب خوارزم أبو المؤيَّد موفّق بن أحمد المكّي الحنفي المتوفّى سنة ٥٦٨ ، أخرجه في «المناقب» ص ٤٩ ،وفي مقتل الإمام السبط ج ١ ص ٤٣ .

٤٣ ـ الحافظ أبو القاسم عليُّ بن حسن الشهير بابن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١ ، أخرجه بعدَّة طرق .

٤٤ ـ أبو الحجّاج يوسف بن محمّد البلوي الأندلسي الشهير بابن الشيخ المتوفّى حدود ٦٠٥ ، أرسله إرسال المسلّم في كتابه «ألف باء» ج ١ ص ٢٢٢ .

٤٥ ـ أبو السَّعادات مبارك بن محمَّد إبن الأثير الجزري الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ ، ذكره في «جامع الأُصول» نقلاً عن الترمذي .

٤٦ ـ الحافظ أبو الحسن عليُّ بن محمَّد إبن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠ ، أخرجه في «أُسد الغابة» ج ٤ ص ٢٢ .

٤٧ ـ محيي الدين محمَّد بن علي ابن العربي الطائي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٣٨ في «الدرِّ المكنون والجوهر المصون» كما في ينابيع المودَّة ص ٤١٩ .

٤٨ ـ الحافظ محبُّ الدين محمَّد بن محمود ابن النجّار البغدادي المتوفّى سنة ٦٤٣ ، يخرجه في ذيل تاريخ بغداد مسنداً .

٤٩ ـ أبو سالم محمَّد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ ، في مطالب السؤول ص ٢٢ والدرّ المنظّم كما في ينابيع المودَّة ص ٦٥ .

٥٠ ـ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ ، ذكره في تذكرته ص ٢٩ .

٥١ ـ الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ ، أخرجه في «الكفاية» ص ٩٨ ـ ١٠٢ ، وقال بعد إخراجه بعدَّة طرق : قلت : هذا حديثٌ حسنٌ عال ـ إلى أن قال ـ :

ومع هذا فقد قال العلماء من الصّحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل عليّ عليه السلام وزيادةعلمه وغزارته ، وحدَّة فهمه ، ووفور حكمته ، وحسن قضاياه ، وصحَّة فتواه ، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصَّحابة يشاورونه في الأحكام ويأخذون بقوله في النقض والإبرام ، اعترافاً منهم بعلمه ، ووفور فضله ، ورجاحة عقله ، وصحَّة حكمه ، وليس هذا الحديث في حقِّه بكثير لأنَّ رتبته عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من عباده أجلّ وأعلى من ذلك .

٥٢ ـ أبو محمَّد الشيخ عزُّ الدين عبد العزيز بن عبد السَّلام السّلمي الشافعي المتوفّى سنة ٦٦٠ ، ذكره في مقال حكاه عنه شهاب الدين أحمد في توضيح الدَّلائل على ترجيح الفضائل .

٥٣ ـ الحافظ محبُّ الدين أحمد بن عبدالله الطبري الشافعي المكّي المتوفّى سنة ٦٩٤ ، رواه في «الرِّياض النضرة» ج ١ ص ١٩٢ و«ذخائر العقبى» ص ٧٧ .

٥٤ ـ سعيد الدين محمَّد بن أحمد الفرغاني المتوفّى سنة ٦٩٩ ، ذكره في شرح تائيَّة ابن فارض العربي في شرح قوله :

كـراماتهم من بعض مـا خصّهم بـه ... بمـا خصّهم من إرث كـلّ فضيـلة

وذكره في شرحه الفارسي عند قوله :

وأوضح بالتأويل مـا كـان مشكـلاً ... «علـيٌّ» بعلم نـالـه بالـوصيَّـة

٥٥ ـ الحافظ أبو محمَّد إبن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٩٩ في «بهجة النفوس» ج ٢ ص ١٧٥ ، وج ٤ ص ٧٨ .

٥٦ ـ صدر الدين السيِّد حسين بن محمّد الهروي الفوزي المتوفّى سنة ٧١٨ ، ذكره في «نزهة الأرواح» .

٥٧ ـ شيخ الإسلام إبراهيم بن محمَّد الحمويي الجويني المتوفّى سنة ٧٢٢ ، ذكره في «فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين» .

٥٨ ـ نظام الدين محمَّد بن أحمد بن عليّ البخاري المتوفّى سنة ٧٢٥ ، حكاه عنه الشيخ عبد الرَّحمٰن الجشتي في «مرآة الأسرار عن سير الأولياء» .

٥٩ ـ الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن عبدالرَّحمٰن المزّي المتوفّى سنة ٧٤٢ ، ذكره في «تهذيب الكمال» في ترجمة أمير المؤمنين .

٦٠ ـ الحافظ شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي الشافعي المتوفّى سنة ٧٤٨ ، ذكره في تذكرة الحفّاظ ج ٤ ص ٢٨ عن صحيح الحافظ السمرقندي ثمَّ قال : هذا الحديث صحيحٌ .

٦١ ـ الحافظ جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي الأنصاري المتوفّى سنة بضع و٧٥٠ ، ذكره في [نظم درر السّمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين] وقفت عليه في قرميسين [كرمانشاه] عند العلاّمة الحجّة سردار الكابلي .

٦٢ - الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل العلائي الدمشقي الشافعي المتوفّى سنة ٧٦١ ، حكاه عنه غير واحد من أعلام القوم ، وصحّحه من طريق إبن معين ثمّ قال : وأيّ استحالة في أن يقول النبيُّ ﷺ مثل هذا في حقِّ عليّ رضي الله عنه ؟ ولم يأت كلُّ من تكلّم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن هذه الرِّوايات الصَّحيحة عن إبن معين ، ومع ذلك فله شاهدٌ رواه الترمذي في جامعه إلخ .[1]

٦٣ - السيِّد علي بن شهاب الدين الهمداني ، ذكره في مودّة القربى من طريق جابر بن عبدالله ثمّ قال : وعن إبن مسعود وأنس مثل ذلك .

٦٤ - بدر الدين محمّد أبو عبدالله الزركشي المصري الشافعي المتوفّى سنة ٧٩٤ ، وقال : الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتجِّ به ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن كونه موضوعاً «فيض القدير» ج ٣ ص ٤٧ .

٦٥ - الحافظ أبو الحسن عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفّى سنة ٨٠٧ في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١١٤ .

٦٦ - كمال الدين محمّد بن موسى الدميري المتوفّى سنة ٨٠٨ ، في «حياة الحيوان» ج ١ ص ٥٥ .

٦٧ - مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفّى سنة ٧/٨١٦ ، في كتابه «النقد الصَّحيح» وقال في كلام له طويل حول الحديث بعد روايته بطريق عن إبن معين : ولم يأت من تكلّم على حديث أنا مدينة العلم بجواب عن هذه الروايات الثابتة عن يحيى بن معين ، والحكم بالوضع عليه باطلٌ قطعاً . إلى أن قال : والحاصل أنَّ الحديث ينتهي بمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتجِّ به ، ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن أن يكون موضوعاً .

٦٨ - إمام الدين محمّد الهجروي اللّايجي ، يُحكى عن كتابه «أسماء النبيِّ وخلفائه الأربعة» .

---

(١) راجع اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٣٣ تجد هناك تمام كلامه .

٦٩ ـ الشيخ يوسف الواسطي الأعور ، ذكره في رسالة ردَّ بها الشيعة ، عدَّة من حجج الرّافضة وأجاب عنه متسالماً عليه من حيث السند بوجوه في مفاده وستأتي كلمته .

٧٠ ـ شمس الدين محمّد بن محمّد الجزري المتوفّى سنة ٨٣٣ ، أخرجه في «أسنى المطالب في مناقب عليٍّ بن أبي طالب» ص ١٤ من طريق الحاكم وذكر تصحيحه ، وقد اشترط في أوّل كتابه أن يذكر فيه ما تواتر وصحَّ وحسن من مناقب أمير المؤمنين .

٧١ ـ الشيخ زين الدين أبو بكر محمَّد بن محمّد بن عليّ الخوافي المتوفّى سنة ٨٣٨ ، ذكره مرسلاً محتجّاً به لاختصاص عليّ عليه السلام بمزيد العلم والحكمة ، حكاه عنه الشيخ شهاب الدين أحمد في توضيح الدلائل .

٧٢ ـ شهاب الدين بن شمس الدين الزاولي الدولت آبادي المتوفّى سنة ٨٤٩ ، إحتج به لفضل أمير المؤمنين في كتابه «هداية السعداء» .

٧٣ ـ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ ، ذكره في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧ ، وقال في لسان الميزان : هذا الحديث له طرقٌ كثيرةٌ في مستدرك الحاكم أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصلٌ فلا ينبغي أن يطلق القول عليه بالوضع .

٧٤ ـ شهاب الدين أحمد ، ذكره في «توضيح الدلائل» وقال : هذه فضيلةٌ اعترف بها الأصحاب وابتهجوا ، وسلكوا طريق الوفاق وانتهجوا .

٧٥ ـ نور الدين عليٌّ إبن الصبّاغ المالكي المكّي المتوفّى سنة ٨٥٥ ، ذكره في «الفصول المهمّة» ص ١٨ .

٧٦ ـ بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي العيني المتوفّى بالقاهرة سنة ٨٥٥ ، ذكره في «عمدة القاري» ج ٧ ص ٦٣١ .

٧٧ ـ الشيخ عبدالرَّحمٰن بن محمّد بن عليّ البسطامي الحنفي المتوفّى سنة ٨٥٨ ، ذكره في كتابه «درَّة المعارف الإلٰهيَّة» واحتجَّ به لوراثة عليٍّ علم الرَّسول

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم راجع ينابيع المودَّة ص ٤٠٠ .

٧٨ ـ شمس الدين محمّد بن يحيى الجيلاني اللاهجي النوربخش ، ذكره في «مفاتيح الإعجاز شرح كلشن راز» المؤلَّف سنة ٨٧٧ .

٧٩ ـ شمس الدين أبو الخير محمّد بن عبد الرَّحمٰن السخاوي المصري المتوفّى سنة ٩٠٢ ، ذكره في «المقاصد الحسنة» وحسَّنَهُ .

٨٠ ـ الحافظ جلال الدين عبد الرَّحمٰن بن كمال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ ، ذكره في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٣٧٤ وفي غير واحد من تآليفه وحسَّنه في كثير منها ثمَّ حكم بصحَّته في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠١ فقال : كنت أُجيب بهذا الجواب «يعني بحسن الحديث» دهراً إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث عليّ في «تهذيب الآثار» مع تصحيح الحاكم لحديث إبن عبّاس ، فاستخرت الله وجزمت بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحَّة والله أعلم .

وقد أفرد في طرقه جزءاً وعدَّه من تآليفه ، وذكر الحديث في «الدرر المنتثرة» وعدَّه من الأحاديث المشهورة ص ٤٣ هامش الفتاوي الحديثيَّة لابن حجر .

٨١ ـ السيِّد نور الدين عليّ بن عبدالله السمهودي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ ، ذكره في «جواهر العقدين» وأردفه بشواهد من الأحاديث الواردة في علم عليّ عليه السلام .

٨٢ ـ فضل بن روزبهان ، ذكره في الردِّ على نهج الحقِّ للعلّامة الحلّي متسالماً عليه بلا أيِّ غمز في سنده وقال في ردِّ حجاج العلّامة بأعلميَّة أمير المؤمنين بحديثي : أقضاكم عليٌّ . وأنا مدينة العلم ، من طريق الترمذي : وأمّا ما ذكره المصنِّف من علم أمير المؤمنين فلا شكَّ في أنّه من علماء الأُمَّة والنّاس محتاجون إليه فيه ، وكيف لا ؟ وهو وصيُّ النبيِّ ﷺ في إبلاغ العلم وودائع حقائق المعارف ، فلا نزاع لأحد فيه ، وأمّا ما ذكره من صحيح الترمذي فصحيحٌ .

٨٣ ـ الحافظ عزّ الدين عبد العزيز المعروف بابن فهد الهاشمي المكّي

الشافعي المتوفّى سنة ٩٢٢ ، أشار إليه في أبيات لـه يمدح بهـا أمير المؤمنين عليه السلام وهي :

ليث الحـروب المـدره الضـرغـام مَن ... بحسـامـه جـاب الدَّيـاجي والـظلم
صهـر الـرَّسـول أخـوه بـاب علومـه ... أقضى الصَّحابـة ذو الشمـائـل والشيمْ
الـزّهـد والـورع الـشـديـد شعـاره ... ودثـاره الـعـدل العـميم مـع الكـرم
في جـوده مـا البحـر ؟ مـا التيّـار ؟ مـا ... كـلُّ السّيـول ؟ ومـا الغـوادي والـديم ؟
ولـه الشجـاعـة والشهـامـة والحيـا ... وكـذا الفصـاحـة والبـلاغـة والحِكم
مـا عنتـرٌ مـا غيـره في البـأس ؟ مـا ... أُسـد الشرى معـه إذا الحرب اصطلم ؟
مـا نجـل سـاعـدة البليـغ لـديـه ؟ مـا ... سَحبـان إن نـثـر الكـلام وإن نـظم ؟
حـاز الفضـائـل كلّهـا سُبحـان مَن ... مِـن فـضـلـه أعـطاه ذاك مـن الـقِـدم
نصـر الـرَّسـول وكم فـداه ؟ فيـا لـه ... مـن نـجـل عـمّ فـضـلـه لـلخـلق عـمّ
كـلٌّ أقـرَّ بـفـضـلـه حـقّـاً وذا ... أمـرٌ جـلـيٌّ فـي «عـليّ» مـا انبـهـم
فـعـليـه مـنّـي ألـف ألـف تـحيَّـة ... وعلى الصَّحـابـة كلّهم أهـل الـذمم

٨٤ ـ الحـافظ شهاب الـدين أحمد بن محمّـد القسطلاني المصـري الشافعي المتـوفّى سنة ٩٢٣ ، عـدَّ في «المـواهب اللدنيَّـة» في أسمـاء النبيِّ الأعـظم صلى الله عليه وآله وسلم [مدينة العلم] أخذاً بالحديث كما قاله الزرقاني في شرحه ج ٣ ص ١٤٣ .

٨٥ ـ المولى جلال الدين محمّد بن أسعد الدواني المتوفّى سنة ٩٢٨ ، أوعـز إليه في شرح رسالة الزّوراء .

٨٦ ـ القاضي كمال الدين حسين بن معين الميبدي المتوفّى في أوائل القـرن العاشر ، ذكره في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام محتجّاً به .

٨٧ ـ الحاج عبد الوهّاب بن محمّد البخاري المتوفّى سنة ٩٣٢ ، في تفسيره «الأنوري» عند قوله تعالى: ﴿قل لا أسـألكم عليه أجـراً إلّا المودَّة في القـربى﴾ . ذكره من طريق جابر نقلاً عن ابن المغـازلي وأردفه بعـدَّة من الفضائـل ثمَّ قال : إعلم يـا هذا أنَّ هذه الأحاديث وردت عن رسول الله ﷺ في عليّ رضي الله عنه .

٨٨ - الحافظ الشيخ محمّد بن يوسف الشامي المتوفّى سنة ٩٤٢ ، ذكره في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» وقال : الصّواب أنّه حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظان العلائي وابن حجر . إلخ .

٨٩ - الشيخ أبو الحسن عليُّ بن محمَّد بن عراق الكناني المتوفّى سنة ٨٦٣ ، ذكره في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة» وأردفه بتصحيح الحاكم وتضعيف إبن الجوزي وتحسين ابن حجر والعلائي إيّاه ، ويظهر منه إختيار الأخير .

٩٠ - شهاب الدِّين أحمد بن محمّد ابن حجر الهيثمي المكّي المتوفّى سنة ٩٧٤ ، ذكره في «الصواعق» ص ٧٣ ، وفي شرح الهمزيّة للبوصيري[1] عند شرح قوله :

كم أبانت آياته من علوم ... عن حروف أبان عنها الهجاء ؟

وفي شرح قوله :

ووزير ابن عمّه في المعالي ... ومن الأهل تسعد الوزراء

وفي شرح قوله :

لم يزده كشف الغطاء يقيناً ... بل هو الشّمس ما عليه غطاء

وذكره وحسّنه وقال في «تطهير الجنان» هامش «الصّواعق» ص ٧٤ ، ورواه في «الفتاوي الحديثية» ص ١٢٦ وحسّنه وقال في ص ١٩٧ : هو حديثٌ حسنٌ ، بل قال الحاكم : صحيحٌ .

٩١ - عليُّ بن حسام الدِّين الشهير بالمتّقي الهندي المتوفّى سنة ٩٧٥ ، ذكره في إكمال جمع الجوامع للسيوطي في قسم الأقوال من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كما في ترتيبه «الكنز» ج ٦ ص ١٥٦ .

٩٢ - الشيخ إبراهيم بن عبدالله الوصّابي اليمني الشافعي ، ذكره في كتاب «الإكتفاء» نقلاً عن أبي نعيم في المعرفة والحاكم والخطيب محتجّاً به لفضل علم عليّ عليه السلام من دون أيّ غمز في سنده ودلالته .

(١) شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد الدلاصي المتوفى سنة ٦٩٤ .

٩٣ ـ الشيخ جمال الدِّين محمَّد طاهر الهندي المتوفّى سنة ٩٨٦ ، ذكره في «تذكرة الموضوعات» وحسّنه وقال : فمن حكم بكذبه فقد أخطأ .

٩٤ ـ ميرزا مخدوم عبّاس بن معين الدِّين الجرجاني ثمَّ الشيرازي المتوفّى سنة ٩٨٨ ، ذكره في الفصل الثاني من «نواقض الرَّوافض» وعدَّه من فضائل أمير المؤمنين نقلاً عن الترمذي من دون أيِّ غمز فيه .

٩٥ ـ شيخ بن عبدالله العيدروس المتوفّى سنة ٩٩٠ ، ذكره في «العقد النبويِّ والسرِّ المصطفويِّ» نقلاً عن البزّار ، والطبراني ، والحاكم ، والعقيلي ، وابن عدي ، والترمذي من دون إيعاز إلى ضعف سنده .

٩٦ ـ جمال الدِّين المحدِّث عطاء الله بن فضل الله الشيرازي المتوفّى سنة ١٠٠٠ ذكره في كتابه «الأربعين» وهو الحديث السّادس عشر منه ، وذكره في المطلب الأوَّل من كتابه «تحفة الأحبّا من مناقب آل العبا» .

٩٧ ـ أبو العصمة محمّد معصوم بابا السَّمرقندي ، ذكره في الفصل الثاني من رسالة «الفصول الأربعة» واحتجَّ به على من طعن أبا بكر بغصب فدك ، وأنكر بذلك شهادة أمير المؤمنين لفاطمة سلام الله عليهما بمكانته العلميَّة الثابتة بالحديث .

٩٨ ـ الشيخ علي القاري الهروي الحنفي المتوفّى سنة ١٠١٤ ، في ذكره «المرقاة» شرح المشكاة .

٩٩ ـ الحافظ الشيخ عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٣١ ، ذكره في «فيض القدير» شرح الجامع الصغير ج ٣ ص ٤٦ وفي «التيسير» شرح الجامع الصغير وقال في الأوَّل :

فإنَّ المصطفى ﷺ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها ، ولا بدَّ للمدينة من باب ، فأخبر أنَّ بابها عليٌّ كرَّم الله وجهه ، فمَن أخذ طريقه دخل المدينة ، ومَن أخطأه أخطأ طريق الهدى ؛ وقد شهد بالأعلميَّة الموافق والمخالف والمعادي والمحالف ، خرَّج الكلاباذي أنَّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال : سل عليّاً هو

أعلم منّي ، فقال : أُريد جوابك . قال : ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يعزّه بالعلم عزّاً . وقد كان أكابر الصّحب يعترفون له بذلك ، وكان عمر يسأله عمّا أشكل عليه ، جاءه رجلٌ فسأله فقال : ههنا عليٌّ فاسأله ، فقال : أُريد أن أسمع منك يا أمير المؤمنين ! قال : قم لا أقام الله رجليك . ومحى إسمه من الديوان .

وصحّ عنه من طرق : أنّه كان يتعوَّذ من قوم ليس هو فيهم حتّى أمسكه عنده ولم ير له شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل . وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال ذكر لعطاء : أكان أحدٌ من الصّحب أفقه من عليّ ؟ قال : لا والله . قال الحرالي : قد علم الأوّلون والآخرون أنَّ فهم كتاب الله منحصرٌ إلى علم عليٍّ ومَن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب حتّى يتحقّق اليقين الذي لا يتغيَّر بكشف الغطاء . ا هـ .

١٠٠ ـ المولى يعقوب اللاهوري ، ذكره في «رسالة العقائد» وتكلّم في دلالته على أعلميَّة الإمام وأفضليّته .

١٠١ ـ الشيخ أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكّي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٧ ذكره في كتابه «وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل» نقلاً عن أبي عمر صاحب الإستيعاب من دون أيِّ غمز في السند والمتن والدَّلالة .

١٠٢ ـ الشيخ محمود بن محمّد بن علي الشيخاني القادري ، ذكره في تأليفه [الصِّراط السويِّ في مناقب آل النبيِّ] نقلاً عن أحمد والترمذي بصورة إرسال المسلّم ثمَّ قال : ولهذا كان إبن عبّاس يقول : من أتى العلم فليأت الباب وهو عليٌّ رضي الله عنه .

١٠٣ ـ عبد الحقّ الدهلوي المتوفّى سنة ١٠٥٢ ، ذكره في اللمعات في شرح المشكاة وحكى كلمات غير واحد من الحفّاظ حول الحديث نفياً وإثباتاً واختار ما ذهب إليه جمعٌ من متأخِّري الحفَّاظ من القول بثبوته وحسنه ، وعدَّ أيضاً في «مدارج النبوَّة» من أسماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مدينة العلم . أخذاً بالحديث .

١٠٤ ـ السيِّد محمّد بن السيِّد جلال بن حسن البخاري ، ذكره في كتابه «تذكرة الأبرار» عند ذكر أمير المؤمنين ونصَّ على صحّته .

١٠٥ ـ الله ديا بن عبد الرَّحيم بن بينا حكيم الچشتي العثماني ، ذكره في «سرِّ الأقطاب» محتجّاً به مرسلاً إيّاه إرسال المسلّم .

١٠٦ ـ عبد الرَّحمٰن بن عبد الرَّسول بن القاسم الچشتي ، ذكره في «مرآة الأسرار» عند ذكر مولانا أمير المؤمنين .

١٠٧ ـ شيخ بن عليّ بن محمّد الخفري المتوفّى سنة ١٠٦٣ ، في كتابه «كنز البراهين الكسبيَّة» .

١٠٨ ـ الحافظ عليُّ بن أحمد العزيزي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٧٠ ، ذكره في السِّراج المنير في شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٣ ، وحكى حسنه عن شيخه ولم يوعز إلى شيء ممّا يزيِّفه فقال : يؤخذ منه أنّه ينبغي للعالم أن يخبر الناس بفضل من عرف فضله ليأخذوا عنه العلم .

١٠٩ ـ أبو الضياء نورالدين عليّ بن علي الشبراملسي القاهري الشافعي المتوفّى سنة ١٠٨٢ ، ذكره في حاشيته على المواهب اللدنية المسمّاة بـ «تيسير المطالب السنيَّة بكشف أسرار المواهب اللدنيَّة» في شرح أسماء النبيِّ ﷺ في إسمه : مدينة العلم ، فقال : والصَّواب أنّه حديثٌ حسنٌ كما قاله العلائي وابن حجر .

١١٠ ـ الشيخ تاج الدين السنبهلي ، ذكره في «رسالة أشغال النقشبنديَّة» .

١١١ ـ الشيخ إبراهيم بن الحسن الكردي الكوراني الشافعي المتوفّى سنة ١١٠١ ، ذكره في «النبراس لكشف الإلتباس الواقع في الأساس» نقلاً عن البزّار والطبراني عن جابر ، ومن طريق الترمذي والحاكم عن عليّ عليه السلام من دون غمز في السند .

١١٢ ـ الشيخ اسماعيل بن سليمان الكردي البصري ، ذكره في كتابه «جلاء النظر في دفع شبهات إبن حجر» احتجَّ به على من نسب الخطاء في الفتيا إلى أمير المؤمنين عليه السلام حكاه إبن حجر في الفتاوي الحديثيَّة عن بعض معاصريه .

١١٣ ـ الشيخ محمّد بن عبد الرَّسول البرزنجي المدني المتوفّى سنة

١١٠٣ ، في رسالته «الإشاعة في أشراط السّاعة» .

١١٤ ـ الشيخ محمّد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ ، ذكره في شرح «المواهب اللدنيَّة» ج ٣ ص ١٤٣ وحسَّنه .

١١٥ ـ الشيخ سالم بن عبدالله بن سالم البصري الشافعي ، ذكره في رسالته «الإمداد بمعرفة الإسناد» المؤلَّف سنة ١١٢١ .

١١٦ ـ ميرزا محمّد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي ، أخرجه في «نزل الأبرار بما صحَّ من مناقب أهل البيت الأطهار» ص ٢٧ نقلاً عن البزّار والعقيلي وإبن عدي والطبراني والحاكم وأبي نعيم ، والحديث عنده صحيحٌ على شرط كتابه .

١١٧ ـ الشيخ محمّد صدر العالم ، في «المعارج العلى في مناقب المرتضى» ذكر ما أفاده السيوطي في جمع الجوامع من صحَّة الحديث حرفيّاً فيظهر منه اختياره صحَّته كالسيوطي .

١١٨ ـ شاه وليُّ الله أحمد بن عبد الرَّحيم الدهلوي المتوفّى سنة ١١٧٦ ، ذكره في «قرَّة العينين» في عدَّة مواضع مرسلاً إيّاه إرسال المسلّم ، وعدَّه من فضائل أمير المؤمنين في كتابه «إزالة الخفاء» .

١١٩ ـ الشيخ محمّد بن سالم المصري الحفني المتوفّى سنة ١١٨١ ، في حاشيته على شرح الجامع الصغير للعزيزي ج ٢ ص ٦٣ .

١٢٠ ـ الشيخ محمَّد بن محمّد أمين السندي ، عدَّ في كتابه «دراسات اللبيب» المطبوع سنة ١٢٨٤ في لاهور باب مدينة العلم من أسماء أمير المؤمنين أخذاً بالحديث .

١٢١ ـ الأمير محمّد بن إسماعيل بن صلاح اليمني الصنعاني المتوفّى سنة ١١٨٢ ذكره في [الرّوضة النديَّة في شرح التحفة العلويَّة] وحكم بصحَّة الحديث تبعاً على الحاكم وابن جرير والسيوطي ، وقال بعد نقل تصحيح المصحِّحين وتحسين من حسَّنه : فظهر لك بطلان دعوى الوضع وصحّة القول بالصحَّة كما

اختاره السيوطي وهو قول الحاكم وابن جرير .

١٢٢ ـ الشيخ سليمان جمل ، في «الفتوحات الأحمديَّة بالمنح المحمَّديَّة» ذكره مرسلاً إيّاه إرسال المسلّم .

١٢٣ ـ المولى السيِّد قمر الدين الحسيني الأورنك آبادي المتوفّى سنة ١١٩٣ ذكره في «نور الكريمتين» محتجّاً به متسالماً عليه .

١٢٤ ـ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر العجيلي الشافعي ـ أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الثاني عشر ـ ذكره في كتابه «ذخيرة المآل في شرح عقد اللآل» في عدَّة مواضع كذكر الحديث الثابت الصَّحيح المتسالم عليه .

١٢٥ ـ الشيخ محمَّد بن علي الصبّان المتوفّى سنة ١٢٠٥ ، ذكره في «إسعاف الرّاغبين ص ١٥٦ ـ هامش نور الأبصار ـ نقلاً عن البزار والطبراني والحاكم والعقيلي وابن عدي والترمذي ، وصوَّب قول من حسَّنه خلافاً لمن صحّحه أو زيَّفه .

١٢٦ ـ الشيخ محمّد مبين بن محبّ الله السهالوي المتوفّى سنة ١٢٢٥ ، احتجّ به لعلم الإمام عليه السلام في كتابه «وسيلة النجاة» ثمَّ قال . هذا الحديث صحيحٌ على رأي الحاكم وقال ابن حجر : حسنٌ . ولم يذكر شيئاً من كلم الغمز فيه مومئاً إلى فسادها .

١٢٧ ـ القاضي ثناء الله پاني پتي المتوفّى سنة ١٢٢٥ ، ذكره في غير موضع من كتابه «السَّيف المسلول» وذكر تصحيح الحاكم إيّاه وتضعيف من ضعَّفه واختيار إبن حجر حسنه ثمَّ قال ما معناه : الصّواب ما اختاره إبن حجر نظراً إلى السند ، وأمّا نظراً إلى كثرة الشواهد فيمكننا الحكم بالصحَّة .

١٢٨ ـ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ، ذكره في جواب سؤال سئل عنه[١] وفي رسالة كتبها في عقائد والده الشاه وليِّ الله .

---

(١) راجع الجزء الخامس من عبقات الأنوار ص ٤٧٩ .

١٢٩ ـ الشيخ جواد ساباط بن إبراهيم ساباط الساباطي الحنفي ، ذكره في «البراهين الساباطيَّة» .

١٣٠ ـ عمر بن أحمد الخربوتي الحنفي ، في كتاب «عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة» قال في شرح قوله :

فاق النبيّين في خَلق وفي خُلق ... ولم يدانوه في علمٍ ولا كرم

اعلم أنَّ بيان علمه ثابتٌ بقوله تعالى : ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم﴾ ، وبقوله ﷺ : أنا مدينة العلم . الحديث وغير ذلك .

١٣١ ـ القاضي محمّد بن علي الشوكاني الصنعاني المتوفّى سنة ١٢٥٠ ، ذكره في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» وحسّنه .

١٣٢ ـ محمّد رشيد الدين خان الدهلوي ، في «إيضاح لطافة المقال» .

١٣٣ ـ جمال الدين أبو عبدالله محمّد بن عبد العلي القرشي المعروف بميرزا حسن علي اللكهنوي ، عدَّه من مناقب أمير المؤمنين في «تفريح الأحباب بمناقب الآل والأصحاب» واختار حسنه .

١٣٤ ـ نور الدين إسماعيل بن السليماني ، ذكره في «الدرِّ اليتيم» نقلاً عن أبي نعيم والحاكم والخطيب من دون غمز فيه .

١٣٥ ـ وليّ الله بن حبيب الله بن محبّ الله بن ملاّ أحمد عبد الحقِّ السهاوي اللكهنوي المتوفّى سنة ١٢٧٠ ؛ عدَّه من مناقب أمير المؤمنين في كتابه «مرآة المؤمنين» ثمَّ قال ما معناه : والذي زادوا عليه في بعض الرِّوايات من مناقب الصَّحابة موضوعٌ مفترى على ما في الصَّواعق .

١٣٦ ـ شهاب الدين السيِّد محمود بن عبدالله الآلوسي البغدادي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في تفسيره «روح المعاني» يسمِّي عليّاً ﷺ بباب مدينة العلم عند البحث عن رؤية اللوح في ج ٢٧ ص ٣ من الطبعة المنيريّة .

١٣٧ ـ الشيخ سليمان بن إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ ذكره بطرق كثيرة في «ينابيع المودَّة» ص ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٩

نقـلاً عن جمـع من الحفّـاظ والأعـلام تنتهي اسنـادهم إلى أميـر المؤمنين ، وابن عبّاس ، وجابر بن عبدالله ، وحذيفة بن اليمان ، والحسن بن عليّ ، وابن مسعود . وأنس بن مالك ، وعبدالله بن عمر .

١٣٨ ـ الشيـخ سلامـة الله البدايـوني ، أسمى أمير المؤمنين عليه السلام في كتـابـه [معركة الآراء] بباب مدينة العلم أخذاً بالحديث .

١٣٩ ـ السيّد أحمد زيني دحـلان المكّي الشافعي المتـوفّى سنة ١٣٠٤ ، في [الفتوحات الإسلاميّة] ج ٢ ص ٥١٠ .

١٤٠ ـ المـولـوي حسن الزّمـان ، ذكـره في «القـول المستحسن في فخـر الحسن» وعدّه من المشهور الصّحيح وقال : صحّحه جماعات من الأئمّة وعـدَّ منها ابن معين ، والخـطيب ، وابن جـريـر ، والحـاكم ، والفيـروز آبـادي في النقـد الصّحيح . ثمَّ قال : واقتصر على تحسينه العـلائي والزركشي وابن حجـر في أقوام أُخر ردّاً على ابن الجوزي .

١٤١ ـ الشيخ عليّ بن سليمان المغـربي المالكي الشـاذلي ، ذكره في كتـابه «نفع قوت المغتذي على صحيح الترمذي» .

١٤٢ ـ الشيخ عبد الغني أفندي الغنيمي ، حكاه عنه سليم محمد أفنـدي في «قرّة الأعيان» المطبوع في القسطنطنيّة سنة ١٢٩٧ .

١٤٣ ـ الشيـخ محمّـد حبيب الله بن عبـدالله اليـوسفي المـدني الشنقيـطي المصري في «كفاية الطالب لمناقب عليٍّ بن أبي طالب» ص ٤٨ .

توجد كلمـاتٌ كثير من هؤلاء الأعـلام حول الحـديث في الجزء الخـامس من «عبقـات الأنوار» لسيِّـدنا العلَم الحجَّـة المجاهـد الأكبـر السيِّـد ميـر حـامـد حسين الموسوي اللكهنوي المتوفّى سنة ١٣٠٦ .



صحة الحديث

نصَّ غير واحد من هؤلاء الأعلام بصحَّة الحديث من حيث السند ، وهناك جمعٌ يظهر منهم إختيارها ، وكثيرون من أولئك يرون حسنه مصرِّحين بفساد الغمز فيه ، وبطلان القول بضعفه ، وممَّن صحَّحه :

١ - الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفّى سنة ٢٣٣ ، نصَّ على صحَّته كما ذكره الخطيب وأبو الحجّاج المزِّي وابن حجر وغيرهم .

٢ - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ ، صحَّحه في تهذيب الآثار .

٣ - أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ ، صحَّحه في المستدرك .

٤ - الحافظ الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ ، عدَّه ممَّن صحَّحه المولوي حسن زمان في القول المستحسن .

٥ - الحافظ أبو محمّد الحسن السمرقندي المتوفّى سنة ٤٩١ ، في بحر الأسانيد .

٦ - مجد الدين الفيروز آبادي المتوفّى سنة ٨١٦ ، صحَّحه في النقد الصَّحيح .

٧ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ ، صحّحه في جمع الجوامع كما مرّ .

٨ ـ السيِّد محمّد البخاري ، نصّ على صحّته في «تذكرة الأبرار» .

٩ ـ الأمير محمَّد اليماني الصنعاني المتوفّى سنة ١١٨٢ ، صرّح بصحّته في «الرّوضة النديّة» .

١٠ ـ المولوي حسن الزمان ، عدّه من المشهور الصّحيح في القول المستحسن . وممّن يظهر منه إختيار صحّته :

١١ ـ أبو سالم محمّد بن طلحة القرشي المتوفّى سنة ٦٥٢ .

١٢ ـ أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي المتوفّى سنة ٦٥٤ .

١٣ ـ الحافظ صلاح الدين العلائي المتوفّى سنة ٧٦١ .

١٤ ـ شمس الدين محمّد الجزري المتوفّى سنة ٨٣٣ .

١٥ ـ شمس الدين محمّد السخاوي المتوفّى سنة ٩٠٢ .

١٦ ـ فضل الله بن روزبهان الشيرازي .

١٧ ـ المتّقي الهندي عليّ بن حسام الدين المتوفّى سنة ٩٧٥ .

١٨ ـ ميرزا محمَّد البدخشاني .

١٩ ـ ميرزا محمّد صدر العالم .

٢٠ ـ ثناء الله پاني پتي الهندي .

لفظ الحديث

١ ـ عن الحرث وعاصم عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : إنَّ الله خلقني وعليّاً من شجرة أنا أصلها ، وعليٌّ فرعها ، والحسن والحسين ثمرتها ، والشيعة ورقها ، فهل يخرج من الطيِّب إلاّ الطيِّبُ ؟ وأنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها .

وفي لفظ حـذيفة عن عليّ ﵇ : أنـا مدينـة العلم وعليٌّ بـابهـا ، ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها .

وفي لفظ آخـر له ﵇ : أنـا مدينـة العلم وأنت بابهـا ، كذب من زعم أنّـه يصل إلى المدينة إلاّ من قِبَل الباب .

وفي لفظ له ﵇ : أنا مدينة العلم وأنت بـابها ، كـذب من زعم أنه يـدخل المدينة بغير الباب قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ .

٢ ـ عن إبن عبّاس : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت بابـه «الباب» .

وفي لفظ عن سعيد بن جبير عن ابن عبّـاس : يا عليٌّ أنـا مدينـة العلم وأنت بابها ، ولن تؤتى المدينة إلاّ من قِبَل الباب .

٣ ـ عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يوم الحـديبيّة وهـو آخذ بيد عليّ يقول : هذا أمير البررة ، وقاتل الفجرة ، منصـورٌ من نصره . مخـذولٌ من خذله ، ثمَّ مدَّ بها صوته فقال : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد البيت فليأت الباب .

وفي لفظ له : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب .

وهناك أحاديث أُخرى أخرجها الأعلام في تـآليفهم القيّمة تعـاضد صحَّـة هذا الحديث منها :

١ ـ أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها[1] .

٢ ـ أنا دار العـلـم وعلـيٌّ بابها[2] .

---

(١) أخـرجه التـرمـذي في جـامعـه الصحيـح ج ٢ ص ٢١٤ ، وأبـو نعيم في حليـة الأوليـاء ج ١ ص ٦٤ ، والبغوي في مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧٥ ، وجمع آخر تربو عدتهم على ستين من الحفاظ وأئمة الحديث .

(٢) أخرجه البغوي في مصابيح السنة كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى ص ٧٧ وآخرون .

٣ ـ أنا ميزان العلم وعليٌّ كفّتاه[١] .

٤ ـ أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه[٢] .

٥ ـ أنا المدينة وأنت الباب ، ولا يؤتى المدينة إلاّ من بابها[٣] .

٦ ـ في حديث : فهو باب «مدينة» علمي[٤] .

٧ ـ عليٌّ أخي ومنّي وأنا من عليّ فهو باب علمي ووصيّي .

٨ ـ عليٌّ باب علمي ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي[٥] .

٩ ـ أنت باب علمي . قاله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام في حديث أخرجه : الخركوشي ، وأبو نعيم ، والديلمي ، والخوارزمي ، وأبو العلاء الهمداني ، وأبو حامد الصّالحات ، وأبو عبدالله الكنجي ، والسيّد شهاب الدين صاحب توضيح الدلائل ، والقندوزي .

١٠ ـ يا أمّ سلمة اشهدي واسمعي هذا عليٌّ أمير المؤمنين ، وسيِّد المسلمين ، وعيبة علمي «وعاء علمي» وبابي الذي أوتى منه .

أخرجه أبو نعيم ، والخوارزمي في المناقب ، والرافعي في التدوين ، والكنجي في المناقب ، والحمويي في فرائد السمطين ، وحسام الدين المحلّي ، وشهاب الدين في توضيح الدلائل ، والشيخ محمّد الحفني في شرح الجامع الصغير وقال في حاشية شرح العزيزي ج ٢ ص ٤١٧ : حديث العيبة أي : وعاء

---

(١) أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار مسنداً عن ابن عباس مرفوعاً وتبعه جمع ونقلوه عنه كالعجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٠٤ وغيره .

(٢) ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عنه الميبدي في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين .

(٣) أخرجه العاصمي أبو محمد في كتابه «زين الفتى في شرح سورة هل أتى» .

(٤) أخرجه الفقيه ابن المغازلي ، وأبو المؤيد الخوارزمي ، وذكره القندوزي في الينابيع ص ٧١ .

(٥) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦ ، والقول الجلي في فضائل عليّ للسيوطي جعله الحديث الثامن والثلاثين من الكتاب .

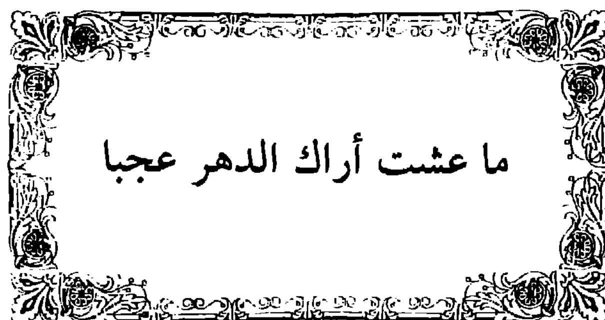
علمي الحافظ له ، فإنّه مدينة العلم ولذا كانت الصَّحابة تحتاج إليه في تلك المشكلات ولذا كان يسأله سيِّدنا معاوية في زمن الواقعة عن المشكلات فيجيبه فتقول له جماعته : ما لك تجيب عدوَّنا ؟ فيقول : أما يكفيكم أنّه يحتاج إلينا ؟ ووقع له فكُّ مشكلات مع سيِّدنا عمر ، فقال : ما أبقاني الله إلى أن أُدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن ، أو كما قال ، فقد طلب أن لا يعيش بعده ، ثمَّ ذكر قضايا منها حديث اللّطم[1] وحديث قد أمر سيِّدنا عمر برجم زانية «يأتي بتمامه» فقال سيِّدنا عمر : لولا عليٌّ لهلك عمر .

وقال المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٦ : عليٌّ عيبة علمي . أي : مظنّة استفصاحي وخاصّتي ، وموضع سرّي ، ومعدن نفائسي ، والعيبة ما يحرز الرَّجل فيه نفائسه قال ابن دريد : وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في إرادة اختصاصه بأموره الباطنة التي لا يطّلع عليها أحدٌ غيره ، وذلك غايةٌ في مدح عليّ ، وقد كانت ضمائر أعدائه منطوية على اعتقاد تعظيمه ، وفي شرح الهمزية : إنَّ معاوية كان يُرسل يسأل عليّاً عن المشكلات فيجيبه فقال أحد بنيه : تجيب عدوَّك ؟ قال : أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا ؟ .

١١ ـ أنا مدينة الفقه وعليٌّ بابها ، ذكره أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٢٩ ، وأخرجه ابن بطّة العكبري بإسناده عن سلمة بن كهيل عن عبد الرَّحمٰن عن عليّ ، وأبو الحسن علي بن محمّد الشهير بابن عراق في تنزيه الشريعة .

---

(١) أخرجه محب الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .



ما عشت أراك الدهر عجبا

ما عساني أن أقول في مثقّف يحسب نفسه فقيهاً من فقهاء الإسلام وبين يديه هذه الأحاديث وأمثالها الجمّة من الصّحاح والحسان المذكورة في الجزء الثالث صحيفة ٩٥ ـ ١٠٠ وما أسلفناه هنا وهناك من كلمات الصّحابة ومن إجماع الأُمّة الإسلاميّة جمعاء على وراثة أمير المؤمنين عليه السلام علم النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيصفح عن تلكم النصوص كلّها ، ويرى في الأُمّة من الصّحابة وحتّى اليوم مَن هو أعلم من أمير المؤمنين .

ما عساني أن أقول في رجل يؤلّف كتاباً من المخاريق والمخازي ويسمّيه [الوشيعة] غير مكترث لمغبّة مساءته ، ولا متحاش عن كشف سوءته ؟ بل يتبهّج ويتبجّح عند قومه بالردّ على الشيعة ، ولم يدر المغفّل أنّه شوّه سمعتهم ، وسوّد صحيفة تاريخهم بتلك الوقيعة بالوشيعة ، غير شاعر بأنّ بحّاثة التنقيب سيميط الستر عن أكاذيبه وتقوّلاته ، ويسمه بسمة العار ، ووسمة الشنار .

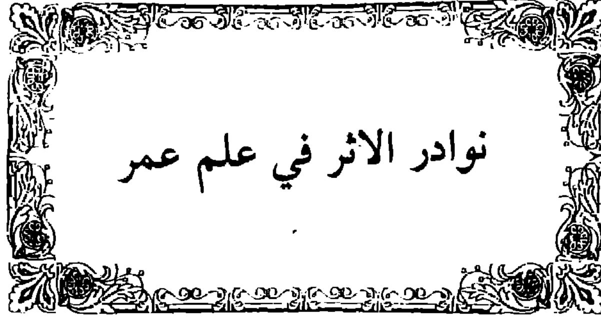
قال : كان عمر أفقه الصّحابة وأعلم الصّحابة في زمنه على الإطلاق ، وإنما كان أعرف الفقهاء بمواقع السنن والقرآن الكريم ، وكان مدّة عمره في جميع أُموره يعمل بالكتاب والسنّة ، وكان يعرف مواقع السّنن ويفهم معاني الكتاب . «ن ط» .

هذه الجمل الأربع التقطناها من سفاسفه المعنونة بـ «الخلافة الراشدة» من

صحيفة «ون - هـ س» ونحن لا ننكر لعمر بن الخطاب فقهاً ولا علماً شأن كلٍّ مسلم عاصر النبيَّ الأعظم وعاشره إن لم يُلهه عنه الصّفق بالأسواق ، وإنّا نـودّ أن نعرِّفـه - إن وسعنا - بما وصفه الرَّجل بعد ما عُرف في الملأ بالخـلافة الـراشدة ، ومن حملة ذلك العبء الثقيل ، غيـر أنَّ ما حفـظته غضـون الكتب والمعاجم لا يتّفق مـع هذه المزعمة ،والتاريخ الصّحيح يوجِّهنا إلى غير شطر ولّى الرَّجل إليه وجهـه ، ويبعدنـا عن محسبته بُعد المشرقين ، ويُسمعنا قـول الخليفة نفسـه من وراء ستر رقيق : كـلُّ الناس أفقه من عمر حتّى ربّات الحجال[١] فنحن نقدِّم إلى رُوّاد الحقيقة آثاراً تُعرِّف مهيع الطريق ، وتُعرب عن جليّة الحال .

---

(١) سيوافيك حديثه .



١ ـ رأي الخليفة في فاقد الماء

أخرج الإمام مسلم في صحيحه ، في باب التيمّم بأربعة طرق عن عبد الرَّحمٰن بن أبزي : إنَّ رجلاً أتى عمر فقال : إنّي أجنبت فلم أجد ماءً ؟ فقال عمر : لا تصلِّ . فقال عمّار : أما تذكر يا أمير المؤمنين ! إذ أنا وأنت في سريَّة فأجنبنا فلم نجد ماءً فأمّا أنت فلم تصلِّ ، وأمَّا أنا فتمعّكت في التراب وصلّيت ، فقال النبيُّ ﷺ : إنَّما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثمَّ تنفخ ثمَّ تمسح بهما وجهك وكفَّيك ؟ فقال عمر : إتّق الله يا عمّار ! قال : إن شئت لم أحدِّث به ؟ .

وفي لفظ : قال عمَّار : يا أمير المؤمنين ! إن شئت لِما جعل الله عليَّ من حقّك أن لا أُحدِّث به أحداً ؟ ولم يذكر .

سنن أبي داود ج ١ ص ٥٣ . سنن إبن ماجة ج ١ ص ٢٠٠ . مسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٥ . سنن النسائي ج ١ ص ٥٩ ، ٦١ . سنن البيهقي ج ١ ص ٢٠٩ .

صورة اخرى :

كنّا عند عمر فأتاه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّما نمكث الشهر والشهرين ولا نجد الماء ؟ فقال عمر : أمّا أنا فلم أكن لأُصلّي حتّى أجد الماء . فقال عمّار :

يـا أمير المؤمنين تـذكر حيث كنّا بمكـان كذا ونحن نـرعى الإبل فتعلم أنّـا أجنبنا ؟ قـال : نعم ، قال : فـإنّي تمرَّغت في التـراب فـأتيت النبيَّ ﷺ فحـدَّثتـه فضحـك وقال : كان الطيّب كافيك وضرب بكفّيه الأرض ثمَّ نفخ فيهمـا ثمَّ مسح بهمـا وجهه وبعض ذراعه ؟ قال : اتّق الله يا عمّار ، قال يا أمير المؤمنين ! إن شئت لم أذكره ما عشت أو ما حييت ؟ قال : كلاّ والله ولكن نولّيك من ذلك ما تولّيت .

مسنـد أحمـد ج ٤ ص ٣١٩ . سنن أبي داود ج ١ ص ٥٣ . سنن النســائي ج ١ ص ٦٠ .

تحريف وتدجيل :

هذا الحديث أخرجه البخـاري في صحيحه ج ١ ص ٤٥ في بـاب : المتيمّم هـل ينفخ فيهمـا ، وفي أبواب بعـده غير أنّـه راقه أن يحـرِّفه صـوناً لمقـام الخليفـة فحذف منه جواب عمر ـ لا تصلِّ ـ أو : أمّا أنا فلم أكن لأصلّي ذاهلاً عن أنَّ كـلام عمّـار عندئـذٍ لا يرتبط بشيء ، ولعـلَّ هـذا عنـد البخـاري أخفُّ وطأة مـن إخـراج الحديث على ما هو عليه .

وذكره البيهقي محرَّفاً في سننه الكبـرى ج ١ ص ٢٠٩ نقلاً عن الصحيحين ، وأخرجه النسائي في سننه ج ١ ص ٦٠ وفيه مكان جواب عمر : فلم يدر ما يقـول . وأخرجه البغوي في المصابيح ج ١ ص ٣٦ وعدَّه من الصِّحـاح غيـر أنّه حذف صدر الحديث وذكر مجيء عمّار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحسب .

وذكره الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ١٥٢ محرَّفاً وأردفه بقوله : قـال بعضهـم : كيف ساغ لعمّار أن يقول مثل هذا فيحلّ له كتمان العلم ؟ والجواب : إنَّ هذا ليس من كتمـان العلم فإنّـه حدَّث بـه واتّصل ولله الحمـد بنا ، وحـدَّث في مجلس أميـر المؤمنين ، وإنّمـا لاطف عمر بهـذا لعلمه بـأنّه كـان ينهى عن الإكثار من الحـديث خوف الخطأ ، ولئلاّ يتشاغل الناس به عن القرآن .

قال الأميني : هناك شيءٌ هام أمثال هذه الكلمات المزخرفة والأبحاث الفارغة المعدَّة لتعمية البسطاء من القرّاء عمّا في التاريخ الصَّحيح ، ليت شعـري ما أغفلهم عن قول عمر : لا تصلِّ ـ أو : ـ أمّا أنا فلم أكن لأصلّي ؟ ! يقوله وهو أميـر المؤمنين

والمسألة سهلةٌ جدّاً عامّة البلوى شائعةٌ . وما أغفلهم عن قوله لعمّار : اتّق الله يا عمّار ؟ وعن تركه الصّلاة يوم أجنب في السريّة بعدما جاء الإسلام بالطّهورين ؟ وعن جهله بآية التيمّم وحكم القرآن الكريم ؟ وعن غضّه البصر عن تعليم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّاراً بكيفيّة التيمّم ؟ ما أذهلهم عن هذه الطامّات الكبرى وأشغلهم بعمّار وكلمته ؟ نعم الحبُّ يُعمي ويُصمّ ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً .

ويظهر من العيني في عمدة القاري ج ٢ ص ١٧٢ ، وإبن حجر في فتح الباري ج ١ ص ٣٥٢ ثبوت تينك الفقرتين[1] من لفظ عمر في الحديث ولذلك جعلاه مذهباً له ، قال العيني :

فيه [يعني في الحديث] أنَّ عمر رضي الله عنه لم يكن يرى للجنب التيمّم لقول عمّار له : فأمّا أنت فلم تصلِّ ، وقال : إنّه جعل آية التيمّم مختصّة بالحدث الأصغر وأدّى اجتهاده إلى أنّ الجنب لا يتيمّم .

وقال إبن حجر : هذا مذهبٌ مشهورٌ عن عمر .

يُعرب الحديث عن أنَّ هذا الإجتهاد من الخليفة كان في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو أعجب شيء طرق أُذن الدهر ، كيف أكمل الله دينه ومثل مسألة التيمّم العامّة البلوى كانت غير معلومة في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وبقي فيها مجالاً لمثل الخليفة أن يجهل بها أو يجتهد فيها ؟ وكيف فتح باب الإجتهاد بمصراعيه على الأُمّة مع وجوده صلّى الله عليه وآله وسلّم بين ظهرانيها ؟ .

فهلاّ سأل الرَّجل رسول الله بعدما خالفه عمّار ، ورآه يتمعّك بالتراب فيصلّي ؟ .

وهلاّ أخبره عمّار يوم أجنبا بما علّمه رسول الله من هديه وسنّته في التيمّم ؟

وهلاّ علم رسول الله ترك عمر الصّلاة ـ وهي أهم الفرائض وأكملها ـ مهما

---

(١) أعني قول عمر : لا تصل . أما أنا فلم أكن لأُصلّي حتى أجد الماء .

أجنب ولم يجد الماء وأخبره بما جاء به الإسلام وقرّر في شرعه المقدّس ؟

وهلاّ سأل عمر بعده صلى الله عليه وآله وسلم رجالاً خالفوه في رأيه هذا مثل عليّ أمير المؤمنين وابن عبّاس وأبي موسى الأشعري والصَّحابة كلّهم غير عبدالله بن مسعود ؟

وهل كان عمل أُولئك القائلين بالتيمّم على الجنب الفاقد للماء اتّباعاً للسنَّة الثابتة المسموعة من رسول الله ؟ أو كان مجرَّد رأي واجتهاد أيضاً لدى إجتهاد الخليفة ؟

وهلاّ كان الخليفة يثق بعمّار يوم أخبره عن سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعدل عن رأيه ؟ ولم ير إبن مسعود أنّ عمر قنع بقول عمّار[١] .

وهل خفي على الخليفة ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمران بن الحصين ؟ قال : إنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً معتزلاً لم يصلِّ في القوم فقال : يا فلان ما منعك أن تصلّي في القوم ؟ فقال : يا رسول الله أصابتني جنابةٌ ولا ماء ، فقال : عليك بالصعيد فإنّه يكفيك[٢] .

وهل عزب عنه ما رواه سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة ؟ قال : جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إنّا نكون في الرّمل وفينا الحائض والجنب والنفساء فيأتي علينا أربعة أشهر لا نجد الماء ؟ قال : عليك بالتراب يعني التيمّم .

وفي لفظ آخر : إنَّ أعراباً أتوا النبيَّ ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنّا نكون في هذه الرّمال لا نقدر على الماء ولا نرى الماء ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر وفينا النفساء والحائض والجنب ؟ قال : عليكم بالأرض .

وفي لفظ الأعمش : جاء الأعراب إلى النبيِّ ﷺ فقالوا : إنّا نكون بالرَّمل ونعزب عن الماء الشهرين والثلاثة وفينا الجنب والحائض ؟ فقال : عليكم

---

(١) صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن البيهقي ج ١ ص ٢٢٦ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٩٧ .

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٩ ، صحيح مسلم ، مسند أحمد ج ٤ ص ٤٣٤ ، سنن النسائي ج ١ ص ١٧١ ، سنن البيهقي ج ١ ص ٢١٩ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٩٨ .

بالتراب[١] .

وهل ذهب عليه ما أخبر به أبو ذر من السنّة ؟ قال : كنت أعزب عن الماء ومعي أهلي فتصيبني الجنابة فأصلّي بغير طهور فأتيت النبيَّ ﷺ بنصف النهار وهو في رهط من أصحابه وهو في ظلّ المسجد فقال : أبو ذر ؟ فقلت : نعم هلكت يا رسول الله ! فقال : وما أهلكك ؟ قال : إنّي كنت أعزب عن الماء ومعي أهلي فتصيبني الجنابة فأصلّي بغير طهور فأمر لي رسول الله ﷺ بماء فجاءت به جاريةٌ سوداء بعسّ يتخضخض ما هو بملآن فتستّرتُ إلى بعيري فاغتسلت ثمَّ جئت فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر إنَّ الصعيد الطيِّب طهورٌ وإن لم تجد الماء إلى عشر سنين فإذا وجدت الماء فأمسسه جلدك[٢] .

وهلاّ قرع سمعه حديث الأسقع ؟ قال : كنت ارحِّل للنبيِّ ﷺ فأصابتني جنابةٌ فقال النبيُّ ﷺ : رحِّل لنا يا أسقع . فقلت : بأبي أنت وأمي أصابتني جنابة وليس في المنزل ماءٌ . فقال : تعال يا أسقع ! أعلّمك التيمّم مثل ما علّمني جبرائيل ، فأتيته فنحاني عن الطريق قليلاً فعلّمني التيمّم[٣] .

وقبل كلِّ شيء آيتا التيمّم إحداهما في سورة النساء آية ٤٣ وهي قوله : **﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصَّلاة وأنتم سُكارى حتّى تعلموا ما تقولونَ ولا جُنباً إلاّ عابري سبيل حتّى تغتسلوا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيِّباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إنَّ الله كان عفوّاً غفوراً﴾** .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أُنزلت هذه الآية إذا أجنب فلم يجد الماء تيمّم وصلّى حتّى يدرك الماء فإذا أدرك الماء اغتسل[٤] .

والآية الثانية في سورة المائدة آية ٦ وهي قوله :

---

(١) سنن البيهقي ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٢) سنن البيهقي ج ١ ص ٢١٧ ، ٢٢٠ .
(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٨ ص ٣٧٧ .
(٤) سنن البيهقي ج ١ ص ٢١٦ .

﴿**يا أيّها الّذين آمنوا إذا قُمتم إلى الصّلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطّهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النّساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه**﴾ .

فإنّ المراد من الملامسة في آية النساء هو الجماع لا محالة كما عن أمير المؤمنين وابن عبّاس وأبي موسى الأشعري وتبعهم في ذلك الحسن وعبيدة والشعبي وآخرون وهذا مذهب كلٍّ من نفى الوضوء بمسِّ المرأة كأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمَّد وزفر والثوري والأوزاعي وغيرهم . وذلك أنَّ المولى سبحانه أسلف بيان حكم الجنب عند وجدان الماء بقوله : حتى تغتسلوا . وقوله : فاطَّهروا . ثمّ شرع في صور حكم عدم التمكّن من استعمال الماء لمرض أو سفر أو فقدانه واستطرد هنا ذكر الحدث الأصغر بقوله : أو جاء أحدٌ منكم من الغائط . فنوَّه بذكر الجنابة بقوله : أو لامستم النِّساء . ولو أُريد به غير الجماع لكان مختزلاً عمّا قبله . وعبّر عن الجماع باللمس المرادف للمسِّ(١) الذي أُريد به الجماع فحسب في قوله تعالى : ﴿**لا جناح عليكم إنْ طلّقتم النساء ما لم تمسّوهنَّ**﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿**وإن طلّقتموهنَّ من قبلِ أن تمسّوهنَّ**﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿**ثمَّ طلّقتموهنَّ من قبل أن تمسّوهن**﴾ .

ولغير واحد من فقهاء القوم وأئمّتهم كلماتٌ ضافيةٌ في المقام تكشف عن جليّة الحال نقتصر منها بكلمة الإمام أبي بكر الجصّاص الحنفي المتوفّى سنة ٣٧٠ قال في أحكام القرآن ج ٢ ص ٤٥٠ ـ ٤٥٦ :

أمّا قوله تعالى ﴿**أو لامستم النِّساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً**﴾ فإنَّ السّلف قد تنازعوا في معنى الملامسة المذكورة في هذه الآية فقال عليٌّ وابن عبّاس وأبو موسى والحسن وعبيدة والشعبي : هي كنايةٌ عن الجماع وكانوا لا يوجبون الوضوء لمن مسَّ امرأته . وقال عمر وعبدالله بن مسعود : المراد اللمس باليد وكانا يوجبان الوضوء بمسِّ المرأة ولا يريان للجنب أن يتيمّم ، فمن تأوّله من الصَّحابة

---

(١) راجع معاجم اللغة .

على الجماع لم يوجب الوضوء من مسّ المرأة ، ومن حمله على اللمس باليد أوجب الوضوء من مس المرأة ولم يُجز التيمّم للجنب .

ثمَّ أثبت عدم نقض الوضوء بمسِّ المرأة على كلِّ حال لشهوة أو لغير شهوة بالسنَّة النبويَّة فقال : اللّمس يحتمل الجماع على ما تأوَّله عليٌّ وابن عبّاس وأبو موسى . ويحتمل اللّمس باليد على ما روي عن عمر وعبدالله بن مسعود ، فلمّا روي عن النبيِّ ﷺ أنّه قبَّل بعض نسائه ثمَّ صلّى ولم يتوضّأ . أبان ذلك عن مراد الله تعالىٰ .

ووجه آخر يدلّ على أن المراد منه الجماع وهو أنَّ اللّمس وإن كان حقيقة للمسِّ باليد فإنّه لمّا كان مضافاً إلى النّساء وجب أن يكون المراد منه الوطء كما أنَّ الوطء حقيقته المشي بالأقدام فإذا أُضيف إلى النّساء لم يعقل منه غير الجماع ، كذلك هذا ونظيره قوله تعالىٰ ﴿**وإن طلّقتموهنَّ من قبل أن تمسّوهنَّ**﴾ يعني من قبل أن تجامعوهنَّ .

وأيضاً فإنَّ النبيَّ ﷺ أمر الجنب بالتيمم في أخبار مستفيضة ومتى ورد عن النبيِّ ﷺ حكم ينتظمه لفظ الآية وجب أن يكون فعله إنمّا صدر عن الكتاب كما أنّه قطع السارق وكان في الكتاب لفظ يقتضيه كان قطعه معقولاً بالآية وكسائر الشرائع التي فعلها النبيُّ ﷺ ممّا ينطوي عليه ظاهر الكتاب .

ويدلُّ على أنَّ المراد الجماع دون لمس اليد أنَّ الله تعالىٰ قال : ﴿**إذا قمتم إلى الصّلاة فاغسلوا وجوهكم**﴾ إلى قوله : ﴿**وإن كنتم جنباً فاطّهروا**﴾ . أبان به عن حكم الحدث في حال وجود الماء ثمَّ عطف عليه قوله : ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر**﴾ . إلى قوله : ﴿**فتيمّموا صعيداً طيّباً**﴾ . فأعاد ذكر حكم الحدث في حال عدم الماء فوجب أن يكون قوله : ﴿**أو لامستم النساء**﴾ على الجنابة لتكون الآية منتظمة لهما مبيِّنة لحكمهما في حال وجود الماء وعدمه ، ولو كان المراد اللَّمس باليد لكان ذكر التيمّم مقصوراً على حال الحدث دون الجنابة غير مفيد لحكم الجنابة في حال عدم الماء ، وحمل الآية على فائدتين أولى من الإقتصار بها على فائدة واحدة ، وإذا ثبت أنَّ المراد الجماع إنتفى اللّمس باليد لما بيَّنا من

امتناع إرادتهما بلفظ واحد .

فإن قيل : إذا حمل على اللّمس باليد كان مفيداً لكون اللّمس حدثاً وإذا جعل مقصوراً على الجماع لم يُفد ذلك ، فالواجب على قضيّتك في اعتبار الفائدتين حمله عليهما جميعاً فيفيد كون اللّمس حدثاً ، ويفيد أيضاً جواز التيمّم للجنب ، فإن لم يجز حمله على الأمرين لما ذكرت من اتّفاق السّلف على أنّهما لم يرادا ولامتناع كون اللفظ مجازاً وحقيقةً أو كنايةً وصريحاً ، فقد ساويناك في إثبات فائدة مجدَّدة بحمله على اللّمس باليد مع استعمالنا حقيقة اللفظ فيه ، فما جعلك إثبات فائدة من جهة إباحة التيمّم للجنب أولى ممّن أثبت فائدته من جهة كون اللّمس باليد حدثاً ؟

قيل له : لأنَّ قوله تعالىٰ : ﴿إذا قمتم إلى الصَّلاة﴾ مفيدٌ لحكم الاحداث في حال وجود الماء ونصٌّ مع ذلك على حكم الجنابة ، فالأولى أن يكون ما في نسق الآية من قوله : ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط ـ إلى قوله ـ أو لامستم النساء﴾ . بياناً لحكم الحدث والجنابة في حال عدم الماء ، كما كان في أوّل الآية بياناً لحكمهما في حال وجوده ، وليس موضع الآية في بيان تفصيل الاحداث ، وإنما هي في بيان حكمها وأنت متى حملت اللّمس على بيان الحدث فقد أزلتها عن مقتضاها وظاهرها فلذلك كان ما ذكرناه أولى ! .

ودليلٌ آخر على ما ذكرناه من معنى الآية وهو أنَّها قد قرئت على وجهين : ﴿أو لامستم النّساء﴾ . ﴿ولمستم﴾ فمن قرأ : ﴿أو لامستم﴾ فظاهره الجماع لا غير ، لأنَّ المفاعلة لا تكون إلّا من اثنين إلّا في أشياء نادرة كقولهم : قاتله الله وجازاه وعافاه الله ونحو ذلك ، وهي أحرف معدودةٌ لا يُقاس عليها أغيارها ، والأصل في المفاعلة أنَّها بين اثنين كقولهم : قاتله ، وضاربه ، وسالمه ، وصالحه ، ونحو ذلك ، وإذا كان ذلك حقيقة اللفظ فالواجب حمله على الجماع الذي يكون منهما جميعاً ، ويدلّ على ذلك أنّك لا تقول لامست الرَّجل ولامست الثَّوب إذا مسسته بيدك لانفرادك بالفعل ، فدلَّ على أنَّ قوله : ﴿أو لامستم﴾ . بمعنى أو جامعتم النِّساء فيكون حقيقته الجماع ؛ وإذا صحَّ ذلك وكانت قراءة من قرأ : ﴿أو

لمستم﴾ . يحتمل اللّمس باليد ويحتمل الجماع وجب أن يكون ذلك محمولاً على ما لا يحتمل إلاّ معنى واحداً لأنَّ ما لا يحتمل إلاّ معنى واحداً فهو المحكم ، وما يحتمل معنيين فهو المتشابه ، وقد أمرنا الله تعالىٰ بحمل المتشابه على المحكم وردِّه إليه بقوله : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أُمُّ الكتاب﴾ الآية . فلمّا جعل المحكم أُمّاً للمتشابه فقد أمرنا بحمله عليه ، وذمَّ متّبع المتشابه باقتصاره على حكمه بنفسه دون ردِّه إلى غيره بقوله : ﴿فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتّبعون ما تشابه منه﴾ . فثبت بذلك أنَّ قوله ﴿أو لمستم﴾ لمّا كان محتملاً للمعنيين كان متشابهاً وقوله ﴿أو لامستم﴾ لمّا كان مقصوراً في مفهوم اللسان على معنى واحد كان محكماً ، فوجب أن يكون معنى المتشابه مبيناً عليه .

ويدلّ على أن اللّمس ليس بحدث : أنَّ ما كان حدثاً لا يختلف فيه الرِّجال والنِّساء ولو مسّت امرأة امرأة لم يكن حدثاً ، كذلك مسُّ الرَّجل إيّاها[1] وكذلك مسُّ الرَّجل الرَّجل ليس بحدث . فكذلك مسُّ المرأة . ودلالة ذلك على ما وصفنا من وجهين : أحدهما إنّا وجدنا الأحداث لا تختلف فيها الرِّجال والنِّساء فكلّ ما كان حدثاً من الرَّجل فهو من المرأة حدثٌ ، وكذلك ما كان حدثاً من المرأة فهو حدثٌ من الرَّجل ، فمن فرَّق بين الرَّجل والمرأة فقوله خارجٌ عن الأُصول ، ومن جهة أُخرى : أنَّ العلّة في مسِّ المرأة المرأة والرَّجل الرَّجل أنّه مباشرةٌ من غير جماع فلم يكن حدثاً كذلك الرَّجل والمرأة . ا هـ .

فترى بعد هذه كلّها أنَّ رأي الخليفة شاذٌّ عن الكتاب والسنّة الثابتة وإجماع الأُمّة ، واجتهادٌ محضٌ تجاه النصوص المسلّمة ، ولذلك خالفته الأُمّة الإسلاميّة جمعاء من يومها الأوَّل حتّى اليوم ، وأصفقت على وجوب التيمّم على الجنب الفاقد للماء ولم يتّبعه فيما رآه أحدٌ إلاّ عبدالله بن مسعود ـ إن صحَّت النسبة إليه .

ويظهر من صحيحة الشيخين ـ البخاري ومسلم ـ عن شقيق أنَّ الإجتهاد المذكور في آيتي التيمّم والتأويل في قوله ﴿أو لامستم﴾ كما ذكر من مختلقات التابعين ومن بعدهم ، وكان مفاد الآيتين متّفقاً عليه عند الصّحابة ولم يكن قطُّ

---

(١) يعني ليس بحدث بالنسبة إلى المرأة .

اختلاف بينهم فيه وإنّما كره عمر وتابعه الوحيد التيمّم للجنب الفاقد للماء لغاية أُخرى .

قال شقيق : كنت بين عبدالله بن مسعود وأبي موسىٰ رضي الله عنهما فقال أبو موسىٰ : أرأيت يا أبا عبدالرَّحمٰن ؟ لو أنَّ رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً كيف يصنع بالصّلاة ؟ فقال لا يتيمّم وإن لم يجد الماء شهراً . فقال أبو موسىٰ : كيف بهذه الآية في سورة المائدة ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمَّموا صعيداً طيِّباً﴾ ؟ قال عبدالله : لو رُخّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمَّموا بالصّعيد . فقال له أبو موسىٰ : وإنّما كرهتم هذا لذا ؟ قال : نعم . فقال أبو موسىٰ لعبدالله : ألم تسمع قول عمّار لعمر رضي الله عنهما : بعثني رسول الله ﷺ فأجنبت فلم أجد الماء فتمرَّغت في الصَّعيد كما تتمرَّغ الدابّة ثمَّ أتيت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك ، فقال : إنّما كان يكفيك أن تصنع هكذا ، وضرب بكفّيه ضربةً على الأرض ثمَّ نفضها ثمَّ مسح بها ظهر كفّه بشماله ، وظهر شماله بكفّه ثمّ مسح بهما وجهه ، فقال عبدالله : أفلم ترَ عمر لم يقنع بقول عمّار ؟

صورة أُخرى للبخاري :

قال شقيق : كنت عند عبدالله وأبي موسىٰ فقال له أبو موسىٰ : أرأيت يا أبا عبدالله إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع ؟ فقال عبدالله : لا يصلّي حتّىٰ يجد الماء . قال أبو موسىٰ : فكيف تصنع بقول عمّار ؟ حين قال له النبيُّ ﷺ : كان يكفيك . قال : أوَ لم ترَ أنَّ عمر لم يقنع منه بذلك . فقال له أبو موسىٰ : فدعنا من قول عمّار ، كيف تصنع بهذه الآية ؟ فما درى عبدالله ما يقول فقال : إنّا لو رخّصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمَّم ، فقلت لشقيق : فإنّما كره عبدالله لهذا ؟ قال : نعم(١) .

ما أرأف هذا القائل بالجنب الفاقد للماء وأشفقه عليه إذا رأى له ترك الصّلاة

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، صحيح مسلم ج ١ ص ١١٠ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٥٣ ، وفي تيسير الوصول ج ٣ ص ٩٧ : أخرجه الخمسة إلا الترمذي . سنن البيهقي ج ١ ص ٢٢٦ .

ولو لم يجد الماء شهراً ؟ وما أقساه على من برد عليه الماء وأوشك أن يتيمّم ؟ فنهى عن التيمُم شدَّةً على هذا ورأفةً بذاك ، فكأنَّ ترك الجنب الفاقد للماء الصّلاة وإعراضه عمّا في الكتاب والسنَّة أخفُّ وطأة عنده مِن تيمّم مَن اتَّخذ البرد عذراً وترك الغسل ، وكأنّه أعرف بصالح المجتمع الدينيِّ من مشرِّع الدِّين لهم ، وكأنَّه يرى أنَّ الشارع الأقدس فاتته رعاية ما تنبّه له من المفسدة من التيمّم عند برد الماء فتداركه هذا الفقيه الضليع في الفقاهة برأيه الخطير وحجَّته الداحضة ، وكأنَّه وكأنَّه .

٢ ـ الخليفة لا يعرف حكم الشكوك

أخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده ج ١ ص ١٩٢ بإسناده عن مكحول أنَّ رسول الله ﷺ قال : إذا صلّى أحدكم فشكَّ في صلاته فإن شكَّ في الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة ، وإن شكَّ في الثنتين والثلاث فليجعلها ثنتين ، وإن شكَّ في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثاً ، حتّى يكون الوهم في الزِّيادة ثمَّ يسجد سجدتين قبل أن يسلّم ثمَّ يسلّم . قال محمّد بن إسحاق : وقال لي حسين بن عبدالله : هل أسنده لك ؟ فقلت : لا فقال : لكنّه حدَّثني أنَّ كريباً مولى ابن عبّاس حدَّثه عن ابن عبّاس قال : جلست إلى عمر بن الخطاب فقال : يابن عبّاس ! إذا اشتبه على الرّجل في صلاته فلم يدر أزاد أم نقص ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! ما أدري ما سمعت في ذلك شيئاً ، فقال عمر : والله ما أدري ـ وفي لفظ البيهقي ـ : لا والله ما سمعت منه ﷺ فيه شيئاً ولا سألت عنه . فبينا نحن على ذلك إذ جاء عبد الرَّحمٰن بن عوف فقال : ما هذا الذي تذكران ؟ فقال له عمر : ذكرنا الرَّجل يشكُّ في صلاته كيف يصنع ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا . الحديث .

وفي لفظ آخر في مسند أحمد :

عن كريب عن ابن عبّاس أنّه قال له عمر : يا غلام ! هل سمعت من رسول الله ﷺ أو من أحد من أصحابه إذا شكَّ الرَّجل في صلاته ماذا يصنع ؟ قال : فبينا هو كذلك إذ أقبل عبد الرَّحمن بن عوف فقال : فيم أنتما ؟ فقال عمر : سألت هذا الغلام هل سمعت من رسول الله ﷺ أو أحدٍ من أصحابه إذا شكَّ الرَّجل في صلاته

ماذا يصنع ؟ فقال عبد الرَّحمٰن : سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا شكَّ أحدكم . الحديث[1] .

ألا تعجب من خليفة لا يعرف حكم شكوك الصَّلاة ، وهو مُبتلىً بها في اليوم والليلة خمساً ؟ ولم يهتم بأمرها حتّى يسأل رسول الله ﷺ عنهاإلى أن يؤول أمره إلى السؤال عنها غلاماً لا يعرفها أيضاً فينبئه بها عبد الرَّحمٰن بن عوف ، أنا لا أدري كيف كان يفعل وهو بتلك الحال لو شكَّ في صلاة يؤمّ فيها المؤمنين ؟ وطبع الحال يقضي بوقوع ذلك لكلّ أحد في عمره ولو دفعات يسيرة ، وأنا في بهيتة من الحكم البات بأعلميَّة رجل هذا مبلغ علمه ، وهذه سعة اطّلاعه على الأحكام ، زهٍ بأُمَّة هذا شأن أعلمها . ﴿**كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً**﴾ .

٣ ـ جهل الخليفة بكتاب اللّه :

أخرج الحافظان إبن أبي حاتم والبيهقي عن الدئلي : أنَّ عمر بن الخطاب رُفعت إليه امرأة ولدت لستَّة فهمَّ برجمها ، فبلغ ذلك عليّاً فقال : ليس عليها رجمٌ . فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه فسأله فقال : قال الله تعالىٰ : ﴿**والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حولين كاملين**﴾ . وقال : ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾ فستَّة أشهر حمله وحولين فذلك ثلاثون شهراً . فخلّى عنها .

وفي لفظ النيسابوري والحافظ الكنجي : فصدَّقه عمر وقال : لولا عليٌّ لهلك عمر . وفي لفظ سبط إبن الجوزي : فخلّى وقال : اللّهُمَّ لا تبقني لمعضلة ليس لها إبن أبي طالب .

صورة اخرى :

أخرج الحافظ عبد الرزّاق وعبد بن حميد وابن المنذر بإسنادهم عن الدئلي قال : رفع إلى عمر امرأة ولدت لستَّة أشهر فأراد عمر أن يرجمها فجاءت اختها إلى عليٍّ بن أبي طالب فقالت : إنَّ عمر يرجم أُختي فانشدك الله إنْ كنت تعلم أنَّ لها عذراً لما أخبرتني به فقال عليٌّ : إنَّ لها عذراً فكبّرت تكبيرةً سمعها عمر ومَن عنده

---

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٩٠ ، ١٩٥ ، سنن البيهقي ج ٢ ص ٣٣٢ بعدة طرق .

فانطلقت إلى عمر فقالت : إنَّ عليّاً زعم أنَّ لأختي عذراً فأرسل عمر إلى عليّ ما عذرها ؟ قال : إنَّ الله يقول : ﴿والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حولين كاملين﴾ . فقال :﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ . وقال :﴿وفصاله في عامين﴾ . وكان الحمل هنا ستَّة أشهر . فتركها عمر ، قال : ثمَّ بلغنا أنَّها ولدت آخر لستَّة أشهر .

صورة ثالثة :

أخرج الحافظان العقيلي وابن السّمان عن أبي حزم بن الأسود : أنَّ عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستَّة أشهر فقال له عليٌّ : إنَّ الله تعالىٰ يقول : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾. وقال تعالىٰ : ﴿وفصاله في عامين﴾ . فالحمل ستَّة أشهر والفصال في عامين . فترك عمر رجمها وقال : لولا عليٌّ لهلك عمر .

السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤٢ ، مختصر جامع العلم ص ١٥٠ ، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤ ، ذخائر العقبى ص ٨٢ ، تفسير الرازي ج ٧ ص ٤٨٤ ، أربعين الرازي ٤٦٦ ، تفسير النيسابوري ج ٣ في سورة الأحقاف ، كفاية الكنجي ص ١٠٥ ، مناقب الخوارزمي ص ٥٧ ، تذكرة السِّبط ص ٨٧ ، الدرّ المنثور ج ١ ص ٢٨٨ وج ٦ ص ٤٠ نقلاً عن جمع من الحفّاظ ، كنز العمّال ج ٣ ص ٩٦ نقلاً عن خمس من الحفّاظ ؛ وج ٣ ص ٢٢٨ نقلاً عن غير واحد من أئمَّة الحديث .

العجب العجاب :

أخرج الحفّاظ عن بعجة بن عبدالله الجهني قال : تزوَّج رجلٌ منّا امرأة من جهينة فولدت له تماماً لستَّة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان فأمر بها أن تُرجم فبلغ ذلك عليّاً رضي الله عنه فأتاه فقال : ما تصنع ؟ ليس ذلك عليها قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ وقال : ﴿والوالدات يرضعن أولادهنَّ حولين كاملين﴾ . فالرِّضاعة أربعة وعشرون شهراً والحمل ستَّة أشهر . فقال عثمان : والله ما فطنت لهذا ، فأمر بها عثمان أن تردَّ فوجدت قد رُجمت ، وكان من قولها لأختها : يا أُخيَّة لا تحزني فوالله ما كشف فرجي أحدٌ قطّ غيره ، قال : فشبَّ الغلام بعدُ فاعترف الرَّجل به وكان أشبه الناس به قال : فرأيت الرَّجل بعدُ

ويتساقط عضواً عضواً على فراشه[١] .

أليس عاراً أن يُشغل فراغ النبيِّ الأعظم أُناسٌ هذا شأنهم في القضاء ؟ أمِنَ العدل أن يُسَلَّط على الأنفس والأعراض والدِّماء رجالٌ هذا مبلغهم من العلم ؟ أمن الإنصاف أن تفوَّض النواميس الإسلاميَّة وطقوس الأُمة وربقة المسلمين إلى يد خلائف هذه سيرتهم ؟ لاها الله . ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالىٰ عمّا يشركون﴾ ، ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ ، ﴿ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ .

٤ ـ امرأة أُخرى وضعت لستّة أشهر :

أخرج عبد الرزّاق وابن المنذر عن نافع بن جبير : أنّ ابن عباس أخبره قال : لصاحب امرأة التي أُتي بها عمر وضعت لستَّة أشهر فأنكر النّاس ذلك فقلت لعمر : لا تظلم ، قال : كيف ؟ قلت . إقرأ ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ . ﴿والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حولين كاملين﴾، كم الحول ؟ قال : سنة ، قلت . كم السنة ؟ قال . إثنا عشر شهراً ، قلت . فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان ، ويؤخِّر الله من الحمل ما شاء ويقدِّم ، قال . فاستراح عمر إلى قولي .

الدرّ المنثور سورة الأحقاف ج ٦ ص ٤٠ ، وأوعز إليه ابن عبد البرّ في كتاب «العلم» ص ١٥٠ .

٥ ـ كلّ الناس أفقه من عمر :

عن مسروق بن الأجدع قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثمّ قال : أيّها الناس ما إكثاركم في صداق النِّساء ؟ وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصّدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ج ٢ ص ١٧٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤٢ ، وأبو عمر في العلم ص ١٥٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٥٧ ، وابن الديبع في تيسير الوصول ج ٢ ص ٩ ، والعيني في عمدة القاري ج ٩ ص ٦٤٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠ نقلاً عن ابن المنذر وابن أبي حاتم .

عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها ، فلأعرفنَّ ما زاد رجلٌ في صداق امرأة على أربعمائة درهم . قال : ثمَّ نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت النّاس أن يزيدوا في مهر النِّساء على أربعمائة درهم؟ قال: نعم. قالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأيّ ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول : ﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً﴾ ؟ قال: فقال: أللَّهُمَّ غفراً ، كلُّ الناس أفقه من عمر ، ثمَّ رجع فركب المنبر فقال : أيّها النّاس إنّي كنت نهيتكم أن تزيدوا النِّساء في صدقاتهنَّ على أربعمائة درهم فمن شاء أن يُعطي من ماله ـ أو ـ فمن طابت نفسه فليفعل .

أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير ، وسعيد بن منصور في سننه ، والمحاملي في أماليه ، وإبن الجوزي في سيرة عمر ص ١٢٩ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٤٦٧ عن أبي يعلي وقال : إسناده جيِّدٌ قويٌّ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٨٤ ، والسيوطي في الدرِّ المنثور ج ٢ ص ١٣٣ ، وفي جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٨ ص ٢٩٨ ، وفي الدُّرر المنتثرة ص ٢٤٣ نقلاً عن سبعة من الحفّاظ ومنهم أحمد وابن حبّان والطبراني ، وذكره الشوكاني في فتح القدير ج ١ ص ٤٠٧ ، والعجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩ نقلاً عن أبي يعلى وقال : سنده جيّدٌ ، وابن درويش الحوت في أسنى المطالب ص ١٦٦ وقال : حديث كلُّ أحد أعلم أو أفقه من عمر . قاله عمر لمّا نهى عن المغالاة في الصّداق وقالت امرأة : قال الله﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطارا﴾رواه أبو يعلى وسنده جيدٌ ، وعند البيهقي منقطعٌ .

صورة أُخرى :

عن عبدالله بن مصعب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تزيدوا في مهور النِّساء على أربعين أوقية وإن كانت بنت ذي الفضة [يعني يزيد بن الحصين الحارثي] فمن زاد ألقيت الزِّيادة في بيت المال ، فقامت امرأةٌ من صفِّ النساء طويلةٌ في أنفها فطس فقالت : ما ذاك لك . قال : ولِم ؟ قالت : إنَّ الله تعالىٰ يقول :﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً﴾ .الآية . فقال عمر : امرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ .

أخرجه الزبير بن بكار في الموفقيات ، وابن عبد البرّ في جامع العلم كما في مختصره ص ٦٦ ، وابن الجوزي في سيرة عمر ص ١٢٩ ، وفي كتابه : الأذكياء ص ١٦٢ ، والقرطبي في تفسيره ج ٥ ص ٩٩ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٤٦٧ ، والسيوطي في الدرّ المنثور ج ٢ ص ١٣٣ ، وفي جمع الجوامع كما في ترتيبه الكنز ج ٨ ص ٢٩٨ عن ابن بكار وابن عبد البرّ، والسندي في حاشية سنن إبن ماجة ج ١ ص ٥٨٤ ، والعجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٧٠ ، وج ٢ ص ١١٨ .

صورة ثالثة :

أخرج البيهقي في سننه الكبرى ج ٧ ص ٢٣٣ عن الشعبي قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : ألا لا تغالوا في صداق النّساء فإنّه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سبق إليه إلاّ جعلت فضل ذلك في بيت المال ثمّ نزل، ثمّ عرضت له امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين أكتاب الله تعالى أحقُّ أن يتّبع أو قولك ؟ قال : بل كتاب الله تعالىٰ ، فما ذاك ؟ قالت : نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النِّساء والله تعالىٰ يقول في كتابه :﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾.فقال عمر رضي الله عنه : كلُّ أحد أفقه من عمر . مرّتين أو ثلاثاً. الحديث .

وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٨ ص ٢٩٨ نقلاً عن سنن سعيد بن منصور والبيهقي ، ورواه السندي في حاشية السنن لابن ماجة ج ١ ص ٥٨٣ ، والعجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩ وج ٢ ص ١١٨ .

صورة رابعة :

قام عمر خطيباً فقال : أيّها النّاس لا تغالوا بصداق النِّساء فلو كانت مكرمة في الدُّنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ، ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثني عشر أوقية ، فقامت إليه امرأة فقالت له : يا أمير المؤمنين ! لم تمنعنا حقّاً جعله الله لنا ؟ والله يقول :﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً﴾ .فقال عمر كلُّ أحد

أعلم من عمر ، ثمَّ قال لأصحابه : تسمعونني أقول مثل القول فلا تنكرونه عليَّ حتّى ترد عليَّ امرأةٌ ليست من أعلم النّساء .

تفسير الكشّاف ج ١ ص ٣٥٧ ، شرح صحيح البخاري للقسطلاني ج ٨ ص ٥٧ .

صورة خامسة :

أخرج الحافظان عبد الرزّاق وابن المنذر بالإسناد عن عبد الرّحمٰن السلمي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تغالوا في مهور النّساء ، فقالت امرأةٌ : ليس ذلك لك يا عمر ! إنَّ الله يقول ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً من ذهب﴾ ـ قال : وكذلك هي في قراءة عبدالله بن مسعود ـ فلا يحلُّ لكم أن تأخذوا منه شيئاً ، فقال عمر : إنَّ امرأة خاصمت عمر فخصمته .

تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٧ ، إرشاد السّاري للقسطلاني ج ٨ ص ٥٧ ، حاشية السندي على سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٨٣ ، كنز العمال ج ٨ ص ٢٩٨ ، كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩ وج ٢ ص ١١٨ .

صورة سادسة :

قال عمر رضي الله عنه على المنبر : لا تغالوا بصدقات النِّساء ، فقالت امرأة : أنتّبع قولك أم قول الله : ﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً﴾؟ فقال عمر : كلُّ أحد أعلم من عمر ، تزوَّجوا على ما شئتم .

تفسير النسفي هامش تفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٣ ، كشف الخفاء ج ١ ص ٣٨٨ .

صورة سابعة :

إنَّ عمر قال على المنبر : ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت : يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا ؟ وتلت الآية فقال : كلُّ الناس أفقه منك يا عمر .

تفسير القرطبي ج ٥ ص ٩٩ ، تفسير النيسابوري ج ١ سورة النّساء ، تفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٣ ، الفتوحات الإسلاميّة ج ٢ ص ٤٧٧ وزاد فيه : حتّى النّساء .

صورة ثامنة :

قال عمر مرَّة : لا يبلغني أنَّ امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبيِّ إلاّ ارتجعتُ ذلك منها ، فقالت له امرأة : ما جعل الله لك ذلك إنّه تعالىٰ قال :﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً﴾.الآية . فقال : كلُّ الناس أفقه من عمر حتّى ربّات الحجال ، ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت ؟ فاضلت إمامكم ففضلته[١] [فنضلته] .

وفي لفظ الخازن : امرأةٌ أصابت وأميرٌ أخطأ[٢] وفي لفظ القرطبي : أصابت امرأةٌ وأخطأ عمر . وفي لفظ الرازي في أربعينه ص ٤٦٧ : كلُّ الناس أفقه من عمر حتّى المخدَّرات في البيوت .

وفي لفظ الباقلاني في التمهيد ص ١٩٩ : إمرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ ، وأميرٌ ناضل فنُضِل ، كلُّ الناس أفقه منك يا عمر !

صورة تاسعة :

صعد عمر رضي الله عنه المنبر فقال : أيّها النّاس لا تزيدوا في مهور النّساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلّموه فقامت امرأة في يدها طول فقالت له : كيف يحلُّ لك هذا ؟ والله يقول : ﴿وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ . فقال عمر رضي الله عنه : إمرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ .

المستطرف ج ١ ص ٧٠ نقلاً عن المنتظم لابن الجوزي .

جمع الحاكم النيسابوري طرق هذه الخطبة لعمر بن الخطاب في جزء كبير كما قاله في المستدرك ج ٢ ص ١٧٧ وقال : تواترت الأسانيد الصّحيحة بصحّة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٦١ وج ٣ ص ٩٦ .
(٢) تفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٣ .

خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك . وأقرّه الذّهبي في تلخيص المستدرك ، وأخرجها الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٣ ص ٢٥٧ بعدّة طرق وصحّحها غير أنّه لم يذكر تمام الحديث بل يذكر الخطبة فحسب ثمّ يقول . الحديث بطوله .

ولعلّ الخليفة أخذ برأي امرأة أصابت وتزوّج بأمّ كلثوم وجعل مهرها أربعين ألفاً كما في تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ٨١ ، ١٣٩ ، الإصابة ج ٤ ص ٤٩٢ ، الفتوحات الإسلاميّة ج ٢ ص ٤٧٢ .

٦ ـ جهل الخليفة بمعنى الأبّ :

عن أنس بن مالك قال : إنَّ عمر قرأ على المنبر : ﴿فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غُلباً وفاكهةً وأبّا﴾«سورة عبس» قال : كلّ هذا عرفناه فما الأبّ ؟ ثمَّ رفض عصاً كانت في يده فقال : هذا لعمر الله هو التكلّف ، فما عليك أن لا تدري ما الأبّ ؟إتّبعوا ما بُيِّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه .

وفي لفظ :

قال أنس : بينا عمر جالسٌ في أصحابه إذ تلا هذه الآية : ﴿فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غُلباً وفاكهة وأبّا﴾ ثمَّ قال : هذا كلّه عرفناه فما الأبّ ؟ قال : وفي يده عصيَّةٌ يضرب بها الأرض فقال : هذا لعمر الله التكلّف ، فخذوا أيّها الناس بما بُيِّن لكم فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه .

وفي لفظ :

قرأ عمر وفاكهة وأبّاً فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ ؟ ثمَّ قال : مه نُهينا عن التكلّف ، وفي النهاية : ما كلّفنا وما أُمرنا بهذا .

وفي لفظ :

إنَّ عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية فقال : كلّ هذا قد عرفناه فما الأبّ ؟ ثمّ رفض عصاً كانت بيده وقال : هذا لعمر الله التكلّف ، وما عليك يا ابن أُمّ عمر أن لا

تدري ما الأبّ ؟ ثمّ قال : إتّبعوا ما تبيَّن لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه .

وفي لفظ المحبّ الطبري : ثمّ قال : مه قد نُهينا عن التكلّف ، يا عمر إنَّ هذا من التكلّف ، وما عليك ألّا تدري ما الأبّ ؟

وعن ثابت : أنَّ رجلاً سأل عمر بن الخطّاب عن قوله وفاكهة وأبّا : ما الأبّ ؟ فقال عمر : نُهينا عن التعمّق والتكلّف .

هذه الأحاديث أخرجها سعيد بن منصور في سننه ، وأبو نعيم في المستخرج ، وابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن الأنباري ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وابن جرير في تفسيره ج ٣٠ ص ٣٨ ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥١٤ وصحّحه هو وأقرّه الذهبي في تلخيصه ، والخطيب في تاريخه ج ١١ ص ٤٦٨ ، والزمخشري في الكشّاف ج ٣ ص ٢٥٣ ، ومحبّ الدين الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٤٩ نقلاً عن البخاري والبغوي والمخلص الذهبي ، والشاطبي في الموافقات ج ١ ص ٢١ ، ٢٥ ، وابن الجوزي في سيرة عمر ص ١٢٠ ، وابن الأثير في النهاية ج ١ ص ١٠ ، وابن تيميّة في مقدّمة أصول التفسير ص ٣٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٤٧٣ وصحّحه ، والخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٧٤ ، والسيوطي في الدرِّ المنثور ج ٦ ص ٣١٧ عن جمع من الحفّاظ المذكورين ، وفي كنز العمّال ج ١ ص ٢٢٧ نقلاً عن سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وأبي عبيد في فضائله ، وابن سعد في طبقاته ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والأنباري في المصاحف ، والحاكم ، والبيهقي في شُعب الإيمان ، وابن مردويه ، وأبو السعود في تفسيره ـ هامش تفسير الرّازي ـ ج ٨ ص ٣٨٩ وقال : ورُوي مثل هذا لأبي بكر بن أبي قحافة أيضاً ، والقسطلاني في إرشاد الساري ج ١٠ ص ٢٩٨ نقلاً عن أبي نعيم ، وعبد بن حميد ، والعيني في «عمدة القاري» ج ١١ ص ٤٦٨ ، وابن حجر في «فتح الباري» ج ١٣ ص ٢٣٠ وقال : قيل : إنَّ الأبّ ليس بعربيّ ويؤيّده خفاؤه على مثل أبي بكر وعمر .

قال الأميني : كيف خفي هذا القيل الذي جاء به إبن حجر على أئمّة اللغة العربيّة جمعاء فأدخلت الأبّ في معاجمها من دون أيِّ إيعاز إلى كونه دخيلاً ، هب

أنَّ الأبَّ غير عربيّ فهل قوله تعالىٰ في تفسيره وما قبله ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ ليس بعربيّ أيضاً ؟ فما عذر الشيخين عندئذٍ في خفائه عليهما ؟ وكيف يؤيَّد به قول القائل ؟ نعم : يروق إبن حجر أن يدافع عنهما ولو بالتهكّم على لغة العرب ونفي كلمتها عنها .

لفت نظر :

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه[1] غير أنّه ستراً على جهل الخليفة بالأبِّ حذف صدر الحديث وأخرج ذيله ، وتكلّف بعد النهي عن التكلّف ، ولا يهمّه جهل الأُمّة عندئذٍ بمغزى قول عمر ، قال : عن أنس قال : كُنّا عند عمر فقال : نُهينا عن التكلّف .

وكم وكم في صحيح البخاري من أحاديث لعبت بها يدُ تحريفه ؟ وسيوافيك غير واحد منها .

٧ ـ قضاء الخليفة على مجنونة قد زنت :

عن إبن عبّاس قال : أُتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أُناساً فأمر بها أن تُرجم فمرَّ بها عليٌّ رضي الله عنه فقال : ما شأن هذه ؟ فقالوا : مجنونة بني فلان زنت فأمر بها عمر أن تُرجم . فقال : ارجعوا بها ، ثمَّ أتاه فقال : يا أمير المؤمنين أما علمت ؟ «أما تذكر» أنَّ رسول الله ﷺ قال : رفع القلم عن ثلاث : عن الصبيِّ حتّى يبلغ . وعن النائم حتّى يستيقظ . وعن المعتوه حتّى يبرأ . وإنَّ هذه معتوهة بني فلان لعلَّ الذي أتاها أتاها وهي في بلائها فخلّى سبيلها ، وجعل عمر يكبِّر .

صورة أُخرى :

عن أبي ظبيان قال : شهدت عمر بن الخطاب أُتي بامرأة قد زنت فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها فلقيهم عليٌّ فقال لهم : ما بال هذه ؟ قالوا : زنت

---

(١) في كتاب الإعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه .

فأمر برجمها . فانتزعها عليٌّ من أيديهم فردَّهم إلى عمر فقالوا : ردّنا عليٌّ ، قال : ما فعل هذا إلّا لشيء فأرسل إليه فجاءه فقال : ما لك رددت هذه ؟ قال : أما سمعت النبيّ ﷺ يقول : رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتّى يستيقظ ، وعن الصغير حتّى يكبر ، وعن المبتلى حتّى يعقل ؟ قال : بلى فهذه مبتلاة بني فلان فلعلّه أتاها وهو بها ، قال له عمر : لا أدري ، قال : وأنا لا أدري فترك رجمها .

أبو ظبيان هو الحصين بن جندب الجَنبي بفتح الجيم الكوفي المتوفّى سنة ٩٠ يروي القصَّة عن إبن عبّاس .

صورة ثالثة :

أمر سيِّدنا عمر رضي الله عنه برَجم زانية فمرّ عليها سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه في أثناء الرّجم فخلّصها فلمّا أُخبر سيِّدنا عمر بذلك قال : إنَّه لا يفعل ذلك إلّا عن شيء فلمّا سأله قال : إنَّها مبتلاة بني فلان فلعلّه أتاها وهو بها . فقال عمر : لولا عليٌّ لهلك عمر .

صورة رابعة :

بلفظ الحاكم والبيهقي :

أُتي عمر رضي الله عنه بمبتلاة قد فجرت فأمر برجمها فمرّ بها عليٌّ بن أبي طالب ومعها الصبيان يتبعونها فقال : ما هذه ؟ قالوا : أمر بها عمر أن تُرجم ، قال : فردَّها وذهب معها إلى عمر رضي الله عنه وقال : ألم تعلم أنَّ القلم رفع عن المجنون حتَّى يعقل ، وعن المبتلى حتَّى يفيق ، وعن النائم حتَّى يستيقظ ، وعن الصبيِّ حتَّى يحتلم ؟

قال الحاكم حديثٌ صحيحٌ ، ورواه شعبة عن الأعمش بزيادة ألفاظ .

صورة خامسة :

بلفظ البيهقي :

مرَّ عليٌّ بمجنونة بني فلان قد زنت وهي تُرجم فقال عليٌّ لعمر رضي الله

عنه : يا أمير المؤمنين ! أمرت برجم فلانة ؟ قال : نعم ، قال : أما تذكر قول رسول الله ﷺ : رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتّى يستيقظ ، وعن الصبيّ حتّى يحتلم ، وعن المجنون حتّى يفيق ؟ قال : نعم ، فأمر بها فخلّى عنها .

أخرجه أبو داود في سننه بعدّة طرق ج ٢ ص ٢٢٧ ، وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٢٢٧ ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥٩ وج ٤ ص ٣٨٩ وصحّحه ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٦٤ بعدّة طرق ، وابن الأثير في جامع الأصول كما في تيسير الوصول ج ٢ ص ٥ ، ومحبّ الدين الطبري في الرّياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦ باللفظ الثاني نقلاً عن أحمد ، وفي ذخائر العقبى ص ٨١ ، وذكره القسطلاني في إرشاد السّاري ج ١٠ ص ٩ نقلاً عن البغوي وأبي داود والنسائي وابن حبّان ، والمناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧ بالصّورة الثانية فقال : واتّفق له ـ لعليّ عليه السلام ـ مع أبي بكر نحوه ، والحفني في حاشية شرح العزيزي على الجامع الصغير ج ٢ ص ٤١٧ باللفظ الثالث ، والدمياطي في مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦ باللفظ الثالث ، وسبط إبن الجوزي في تذكرته ص ٥٧ بلفظ فيه قول عمر : لولا عليٌّ لهلك عمر ، وابن حجر في فتح الباري ج ١٢ ص ١٠١ ، والعيني في عمدة القارىء ج ١١ ص ١٥١ .

لفت نظر :

أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه[١] غير أنّه لمّا وجد فيه مسّةً بكرامة الخليفة حذف صدره تحفّظاً عليها ، ولم يرقه إيقاف الأُمّة على قضية تُعرب عن جهله بالسنّة الشائعة أو ذهوله عنها عند القضاء فقال : قال عليٌّ لعمر : أما علمت أنّ القلم رفع عن المجنون حتّى يفيق ، وعن الصبيّ حتّى يدرك ، وعن النائم حتّى يستيقظ ؟

٨ ـ جهل الخليفة بتأويل كتاب اللّه :

عن أبي سعيد الخدري قال : حججنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) في كتاب المحاربين باب لا يرجم المجنون والمجنونة .

فلمّا دخل الطواف إستقبل الحجر فقال : إنّي أعلم أنّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك فقبّله ، فقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه : بل يا أمير المؤمنين ! يضرُّ وينفع ولو علمت ذلك من تأويل كتاب الله لعلمت أنّه كما أقول قال الله تعالى : ﴿وإذا أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ . الآية[1] فلمّا أقرّوا أنّه الربُّ عزَّ وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقّ وألقمه في هذا الحجر وأنّه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة فهو أمين الله في هذا الكتاب ، فقال له عمر : لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن !

وفي لفظ : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن ! .

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤٥٧ ، وابن الجوزي في سيرة عمر ص ١٠٦ ، والأزرقي في تاريخ مكّة كما في العمدة ، والقسطلاني في إرشاد السّاري ج ٣ ص ١٩٥ ، والعيني في عمدة القاري ج ٤ ص ٦٠٦ بلفظيه . والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٣ ص ٣٥ نقلاً عن الجندي في فضائل مكّة ، وأبي الحسن القطّان في الطوالات ، والحاكم ، وابن حبّان ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١٢٢ ، وأحمد زيني دحلان في الفتوحات الإسلاميَّة ج ٢ ص ٤٨٦ .

٩ - جهل الخليفة بكفّارة بيض نعام :

عن محمّد بن الزبير قال : دخلت مسجد دمشق فإذا أنا بشيخ قد التوت ترقوتاه من الكبر فقلت : يا شيخ من أدركت ؟ قال : عمر ، قلت : فما غزوت ؟ قال : اليرموك ، قلت ، فحدثني بشيء سمعته ، قال : خرجنا مع قتيبة حجّاجاً فأصبنا بيض نعام وقد أحرمنا ، فلمّا قضينا نسكنا ذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر فأدبر وقال : اتّبعوني حتّى انتهى إلى حُجَر رسول الله ﷺ فضرب حجرة منها فأجابته امرأةٌ فقال : أثَمَّ أبو الحسن ؟ قالت : لا ، فمرَّ في المقتاة . فأدبر وقال : اتّبعوني حتّى انتهى إليه وهو يسوّي التراب بيده فقال : مرحباً يا أمير المؤمنين ! فقال : إنَّ

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٢ .

هؤلاء أصابوا بيض نعام وهم محرمون قال : ألا أرسلت إليَّ ؟ قال : أنا أحقُّ بإتيانك ، قال : يضربون الفحل قلائص أبكاراً بعدد البيض فما نتج منها أهدوه ، قال عمر : فإنَّ الإبل تخدج ، قال عليٌّ : والبيض يمرض ، فلمّا أدبر قال عمر : أللّهم لا تنزل بي شديدة إلاّ وأبو حسن إلى جنبي[١] .

١٠ ـ كلّ الناس أفقه من عمر :

مرّ عمر يوماً بشابّ من فتيان الأنصار وهو ظمآن فاستقاه فجدح[٢] له ماء بعسل فلم يشربه وقال : إنَّ الله تعالىٰ يقول : ﴿أذهبتم طيِّباتكم في حياتكم الدنيا﴾ . فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين ! إنّها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة إقرأ ما قبلها : ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النّار أذهبتم طيِّباتكم في حياتكم الدُّنيا واستمتعتم بها[٣]﴾ فقال عمر : كلُّ الناس أفقه من عمر[٤] .

١١ ـ أمر الخليفة بضرب غلام خاصم أُمّه :

عن محمّد بن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه قال : خاصم غلامٌ من الأنصار أُمّه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجحدته فسأله البيِّنة فلم تكن عنده وجاءت المرأة بنفر فشهدوا أنّها لم تزوّج وأنَّ الغلام كاذبٌ عليها وقد قذفها فأمر عمر بضربه ، فلقيه عليٌّ رضي الله عنه فسأل عن أمرهم فدعاهم ثمَّ قعد في مسجد النبيِّ ﷺ وسأل المرأة فجحدت فقال للغلام : إجحدها كما جحدتك فقال : يابن عمِّ رسول الله إنّها أُمّي ، قال : إجحدها وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك . قال : قد جحدتها وأنكرتها ، فقال عليٌّ لأولياء المرأة : أمري في هذه المرأة جائز؟ قالوا : نعم وفينا أيضاً ، فقال عليٌّ : أُشهد من حضر أنّي قد زوَّجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه ، يا قنبر ائتني بطينة فيها دراهم فأتاه بها فعدّ أربعمائة وثمانين درهماً فقذفها مهراً لها وقال للغلام : خذ بيد امرأتك ولا تأتينا إلاّ

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٠ ، ١٩٤ ، ذخائر العقبى ص ٧٢ ، كفاية الشنقيطي ص ٥٧ .
(٢) جدح وأجدح واجتدح : خلط .
(٣) سورة الأحقاف ؛ الآية : ٢٠ .
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٦١ .

وعليك أثر العرس . فلمّا ولّى قالت المرأة : يا أبا الحسن الله الله هو النّار ، هو والله إبني . قال : كيف ذلك ؟ قالت : إنّ أباه كان زنجيّاً وإنّ أخواتي زوّجوني منه فحملت بهذا الغلام وخرج الرّجل غازياً فقتل وبعثت بهذا إلى حيٍّ بني فلان فنشأ فيهم وأنفت أن يكون ابني ، فقال عليٌّ أنا أبو الحسن ، وألحقه وثبت نسبه .

ذكره إبن القيِّم الجوزيَّة في [الطرق الحكميَّة] ص ٤٥ .

١٢ ـ جهل الخليفة بمعاريض الكلم :

١ ـ إنَّ عمر بن الخطاب سأل رجلاً كيف أنت ؟ فقال : ممّن يحبُّ الفتنة ، ويكره الحقّ ، ويشهد على ما لم يره . فأمر به إلى السِّجن ، فأمر عليٌّ بردِّه فقال : صدق ، فقال : كيف صدَّقته ؟ قال : يحبُّ المال والولد وقد قال الله تعالىٰ : ﴿إنَّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ . ويكره الموت وهو الحقّ . ويشهد أنَّ محمّداً رسول الله ولم يره . فأمر عمر رضي الله عنه بإطلاقه وقال : الله يعلم حيث يجعل رسالته .

[الطرق الحكميَّة] لابن القيِّم الجوزيَّة ص ٤٦ .

٢ ـ عن حذيفة بن اليمان أنّه لقي عمر بن الخطاب فقال له عمر : كيف أصبحت يابن اليمان ؟ فقال : كيف تريدني أصبح ؟ أصبحت والله أكره الحقَّ وأُحبُّ الفتنة ، وأشهد بما لم أره ، وأحفظ غير المخلوق ، وأُصلّي على غير وضوء ، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء . فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمرٌ ، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك ، فبينما هو في الطريق إذ مرَّ بعليٍّ بن أبي طالب فرأى الغضب في وجهه ، فقال : ما أغضبك يا عمر ؟ فقال : لقيت حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت أكره الحقَّ ، فقال : صدق يكره الموت وهو حقٌّ . فقال : يقول : وأُحبُّ الفتنة ، قال : صدق يحبُّ المال والولد وقد قال الله تعالىٰ :﴿إنَّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾ ، يا عليٌّ يقول : وأشهد بما لم أره فقال : صدق يشهد لله بالوحدانيَّة والموت والبعث والقيامة والجنّة والنار والصِّراط ولم يرَ ذلك كلّه ، فقال : يا عليّ وقد قال إنَّني أُحفظ غير المخلوق قال : صدق يحفظ كتاب الله تعالىٰ القرآن وهو غير

مخلوق[١] ، قال : ويقول : أُصلّي على غير وضوء فقال : صدق يصلّي على ابن عمّي رسول الله على غير وضوء والصَّلاة عليه جائزة ، فقال : يا أبا الحسن ! قد قال أكبر من ذلك ، فقال : وما هو؟ قال : قال : إنَّ لي في الأرض ما ليس لله في السَّماء . قال : صدق له زوجةٌ وولدٌ وتعالىٰ الله عن الزَّوجة والولد . فقال عمر : كاد يهلك ابن الخطاب لولا عليٌّ بن أبي طالب .

أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٩٦ فقال : قلت هذا ثابتٌ عند أهل النقل ذكره غير واحد من أهل السير ، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمَّة ص ١٨ .

٣ ـ رُوي أنّ رجلاً أُتي به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان صدر منه أنه قال لجماعة من النّاس وقد سألوه كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أُحبُّ الفتنة ، وأكره الحقَّ . وأُصدِّق اليهود والنصارى ، وأومن بما لم أره ، وأُقرُّ بما لم يخلق . فأرسل عمر إلى عليّ رضي الله عنهما فلمّا جاءه أخبره بمقالة الرَّجل قال : صدق يحبُّ الفتنة قال الله تعالىٰ ﴿إنَّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾،ويكره الحقّ يعني الموت وقال الله تعالىٰ : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحقِّ﴾ . ويصدِّق اليهود والنصارى ، قال الله تعالى : ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ . ويؤمن بما لم يره ، يؤمن بالله عزَّ وجلَّ ، ويقرُّه بما لم يُخلق يعني السَّاعة . فقال عمر رضي الله عنه : أعوذ بالله من معضلة لا عليّ بها[٢] .

٤ ـ أخرج الحفّاظ إبن أبي شيبة . وعبد بن حميد . وابن المنذر عن إبراهيم التميمي قال : قال رجلٌ عند عمر : أللهمّ اجعلني من القليل ، فقال عمر : ما هذا الدُّعاء ؟ فقال الرَّجل إنِّي سمعت الله يقول : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[٣] فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل ، فقال عمر : كلُّ النّاس أفقه من عمر .

وفى لفظ القرطبي : كلُّ النّاس أعلم منك يا عمر ، وفي لفظ الزمخشري :

---

(١) هذه الفقرة خرافة دست في الحديث اختلقها أنصار المذهب الباطل في خلق القرآن .

(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٩ .

(٣) سورة سبأ ؛ الآية : ١٣ .

كلّ النّاس أعلم من عمر .

تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٧٧ ، تفسير الكشّاف ج ٢ ص ٤٤٥ ، تفسير السيوطي ج ٥ ص ٢٢٩ .

٥ ـ جاءت امرأةٌ إلى عمر رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين! إنَّ زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها : نعم الرَّجل زوجك ، وكان في مجلسه رجلٌ يسمّى كعباً فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته إيّاها عن فراشه فقال له : كما فهمت كلامها أُحكم بينهما . فقال كعب : عليَّ بزوجها فأُحضر فقال له : إنَّ هذه المرأة تشكوك . قال : أفي أمر طعام أم شراب ؟ قال بل في أمر مباعدتك إيّاها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول :

يا أيّها القاضي الحكيم انشده ... ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده ... فلست في أمر النساء أحمده

فأنشأ الزَّوج يقول :

زهّدني في فرشها وفي الحلل ... أنّي امرؤٌ أذهلني ما قد نزل
في سورة النّمل وفي سبع الطول ... وفي كتاب الله تخويفٌ يجل

فقال له القاضي :

إنَّ لها عليك حقّاً لم يزل ... في أربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثمّ قال : إنّ الله تعالىٰ أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيّام بلياليهنَّ ولها يوم وليلة . فقال عمر رضي الله عنه : لا أدري من أيّكم أعجب ؟ أمِن كلامها أم من حكمك بينهما ؟ إذهب فقد ولّيتك البصرة .

صورة أُخرى :

عن قتادة والشعبي قالا : جاءت عمر امرأةٌ فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك . فقال كعب بن سوار : لقد

شكت . فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم أنّه ليس لها من زوجها نصيبٌ قال : فإذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أحلَّ الله له من النساء أربعاً فلها من كلِّ أربعة أيّام يومٌ ومن كلِّ أربع ليال ليلة .

وفي لفظ أبي عمر في الإستيعاب : إنَّ امرأة شكت زوجها إلى عمر فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، وأنا أكره أن أشكوه إليك فهو يعمل بطاعة الله ، فكان عمر لم يفهم عنها . الحديث .

وفي لفظ آخر له : قال عمر لكعب بن سوار : عزمت عليك لتقضينَّ بينهما فإنَّك فهمت من أمرها ما لم أفهم . إلخ ، قال أبو عمر : [هو مشهورٌ] .

وعن الشعبي : إنَّ امرأة جاءت إلى عمر فقالت : يا أمير المؤمنين ! أعدني على زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، قال : فما تأمريني أتأمريني أن أمنع رجلاً من عبادة ربِّه(١) .

١٣ ـ اجتهاد الخليفة في قراءة الصّلاة :

١ ـ عن عبد الرَّحمٰن بن حنظلة بن الراهب : إنَّ عمر بن الخطاب صلّى المغرب فلم يقرأ في الركعة الأولى فلمّا كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرَّتين فلمّا فرغ وسلّم سجد سجدتي السهو .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٣ ص ٦٩ وقال : رجاله ثقاتٌ وكأنّه مذهبٌ لعمر وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٨٢ ولفظه :

صلّى بنا عمر بن الخطاب فلم يقرأ في الركعة الأُولى شيئاً فلمّا قام في الرَّكعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وسورة ، ثمَّ عاد فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ، ثمَّ مضى فلمّا فرغ من صلاته سجد سجدتين بعد ما سلّم . وفي لفظ : سجد سجدتين ثمَّ سلّم .

---

(١) الكنى والالقاب للدولابي ج ١ ص ١٩٢ ، الإستيعاب في ترجمة كعب بن سوار وجمع ألفاظه ، الأذكياء لابن الجوزي ص ٤٩ ، ١٤٢ ، المستطرف لشهاب الدين الإبشيهي ج ١ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٩٦ ، الإصابة ج ٣ ص ٣١٥ .

وذكره السّيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمال ج ٤ ص ٢١٣ نقلاً عن جمع من الحفّاظ باللفظ الثاني .

٢ ـ عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن : إنَّ عمر بن الخطاب كان يصلّي بالنّاس المغرب فلم يقرأ فيها فلمّا انصرف قيل له : ما قرأت . قال : فكيف كان الركوع والسّجود ؟ قالوا : حسناً . قال : فلا بأس إذن .

أخرجه البيهقي في السنن ج ٢ ص ٣٤٧ ، ٣٨١ ، وحكاه السّيوطي عن مالك وعبد الرزّاق والنّسائي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٤ ص ٢١٣ ، وقال البيهقي : قال الشافعي : وكان أبو سلمة يحدِّثه بالمدينة وعند آل عمر لا ينكره أحدٌ .

والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ .

٣ ـ عن إبراهيم النخعي : إنَّ عمر بن الخطاب صلّى بالناس صلاة المغرب فلم يقرأ شيئاً حتّى سلّم فلمّا فرغ قيل له : إنَّك لم تقرأ شيئاً . فقال : إنّي جهّزت عيراً إلى الشّام فجعلت أُنزلها منقلةً منقلةً حتّى قدمت الشام فبعتها وأقتابها وإحلاسها وأحمالها فأعاد عمر وأعادوا .

وعن الشعبي : أنَّ أبا موسى الأشعري قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ! أقرأت في نفسك ؟ قال : لا ، فأمر المؤذِّنين فأذَّنوا وأقاموا وأعاد الصَّلاة بهم . السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٣٨٢ ، كنز العمّال ج ٤ ص ٢١٣ .

يظهر من هذه الموارد وتكرّر القصّة فيها أنَّ الخليفة لم يستند في صلواته هاتيك إلى أصل مسلّم فمرّة لم يقرأ في الرَّكعة الأولى فيقضيها في الثانية ويسجد سجدتي السَّهو قبل السَّلام أو بعده ، وأُخرى اكتفى بحسن الرُّكوع والسّجود عن الإعادة وسجدتي السَّهو ، وطوراً نراه يحتاط بالإعادة أو أنّه يرى ما أتى به باطلاً فيعيد ويعيدون فهل هذه اجتهاداتٌ وقتيّة ؟ أو أنّه لم يعرف للمسألة ملاكاً يرجع إليه ؟ والعجب من ابن حجر أنّه يعدُّ الشذوذ عن الطريقة المثلى مذهباً ، ويسع كلَّ شاذٍّ أن يتترّس بمثل هذا المذهب فيستر عواره ، وفي هذه الأحاديث إعرابٌ عن مبلغ خضوع الخليفة وخشوعه في صلواته .

١٤ ـ رأي الخليفة في الميراث :

عن مسعود الثقفي قال : شهدت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرك الأُخوة من الأب والأُمّ ومع الأُخوة من الأُمّ في الثلث ، فقال له رجلٌ : قضيت في هذا عام أوَّل بغير هذا . قال : كيف قضيت ؟ قال : جعلته للأُخوة من الأُمّ ولم تجعل للأُخوة من الأب والأُمّ شيئاً ، قال : تلك على ما قضينا وهذا على ما قضينا . وفي لفظ : تلك على ما قضينا يومئذٍ ، وهذه على ما قضينا اليوم .

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٥٥ ، بعدَّة طرق ، والدارمي في سننه ج ١ ص ١٥٤ مختصراً ، وأبو عمر في «العلم» ص ١٣٩ .

قال الأميني : كأنَّ أحكام القضايا تدور مدار ما صدر عن رأي الخليفة سواءٌ أصاب الشريعة أم أخطأ ، وكأنَّ الخليفة له أن يحكم بما شاء وأراد ، وليس هناك حكمٌ يتّبع وقانونٌ مطَّردٌ في الإسلام ، ولعلَّ هذا أفظع من التصويب المدحوض بالبرهنة القاطعة .

١٥ ـ جهل الخليفة بطلاق الأَمة :

أخرج الحافظان الدارقطني وابن عساكر : إنَّ رجلين أتيا عمر بن الخطاب وسألاه عن طلاق الأمة فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجلٌ أصلع فقال : أيّها الأصلع ! ما ترى في طلاق الأمة ؟ فرفع رأسه إليه ثمَّ أومى إليه بالسبّابة والوسطى فقال لهما عمر : تطليقتان ، فقال أحدهما : سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرَّجل فسألته فرضيت منه أن أومى إليك . الحديث .

راجع الجزء الثاني ص ٢٩٩ من كتابنا هذا .

١٦ ـ لولا عليّ لهلك عمر :

أُتي عمر بن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها فتلقّاها عليٌّ فقال : ما بال هذه ؟ فقالوا : أمر عمر برجمها فردَّها عليٌّ وقال : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها ؟ ولعلّك إنتهرتها أو أخفتها ؟ قال : قد كان

ذلك . قال أوَ ما سمعت رسول الله ﷺ قال : لا حدَّ على معترف بعد بلاء ، انَّه من قيد أو حبس أو تهدّد فلا إقرار لـه ، فخلّى سبيلها ثمَّ قال : عجـزت النِّساء أن تلدن مثل عليٍّ بن أبي طالب ، لولا عليٌّ لهلك عمر .

الـرِّياض النضـرة ج ٢ ص ١٩٦ ، ذخـائـر العقبى ص ٨٠ ، مـطالب السؤول ص ١٣ ، مناقب الخوارزمي ص ٤٨ ، الأربعين للفخر الرازي ص ٤٦٦ .

١٧ ـ كلّ أحد أفقه من عمر :

دخـل عليٌّ على عمر وإذا امـرأةٌ حُبلى تُقـاد تُـرجم فقـال : مـا شـأن هـذه ؟ قالت : يذهبـون بي ليرجمـوني . فقال : يـا أمير المؤمنين ! لأيِّ شيء تُـرجم ؟ إن كان لك سلطان عليها فما لك سلطانٌ على ما في بطنها ، فقال عمر : كلُّ أحد أفقه منّي ـ ثلاث مرّات ـ فضمنها عليٌّ حتّى وضعت غلاماً ثمَّ ذهب بها إليه فرجمها .

أخرجه الحـافظ محبُّ الدين الـطبري في الـرِّياض النضـرة ج ٢ ص ١٩٦ ، وذخائر العقبى ص ٨١ فقـال : هذه غيـر تلك ـ القضيّة السـابقة ـ لأنَّ اعتـراف تلك كـان بعد تخـويف فلم يصحّ فلم تُـرجم وهذه رُجمت . وذكـره الحافظ الكنجي في الكفاية ص ١٠٥ .

١٨ ـ رأي الخليفة في الحائض بعد الإفاضة :

قال إبن المنذر : قال عامّـة الفقهاء بـالأمصار : ليس على الحـائض التي قد أفاضت طواف وداع ورُوينـا عن عمر بن الخـطاب وابن عمر وزيـد بن ثابت : أنّهم أمروها بالمقام إذا كـانت حائضـاً لطواف الـوداع ، وكأنّهم أوجبـوه عليها كمـا يجب عليها طواف الإفاضة إذ لو حاضت قبله لم يسقط عنهـا ، ثمَّ أسند عن عمـر بإسنـاد صحيح إلى نافع عن ابن عمر قال : طافت امرأةٌ بالبيت يوم النحر ثمَّ حـاضت فأمـر عمر بحبسها بمكّة بعد أن ينفر الناس حتّى تـطهر وتـطوف البيت . قال : وقـد ثبت رجـوع ابن عمر[١] وزيـد بن ثابت عن ذلـك ، وبقي عمر فخـالفناه لثبـوت حـديث

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب إذا حاضت المرأة عن ابن عباس أنه رخص=

عائشة ، يشير بذلك إلى ما تضمّنته أحاديث[1] هذا الباب ، وقد روى إبن أبي شيبة من طريق القاسم بن محمّد : أنَّ الصّحابة كانوا يقولون : إذا أفاضت المرأة قبل أن تحيض فقد فرغت إلاّ عمر فإنّه كان يقول : يكون آخر عهدها بالبيت[2] .

وعن الحارث بن عبدالله بن أوس قال : أتيت عمر بن الخطاب فسألته عن المرأة تطوف بالبيت ثمّ تحيض ؟ فقال : ليكن آخر عهدها الطواف بالبيت قال الحارث : فقلت كذلك أفتاني رسول الله ﷺ[3] فقال عمر : تبّت يداك أو ثكلتك أُمّك سألتني عمّا سألت عنه رسول الله ﷺ كيما أُخالفه[4] .

وأخرج أبو النضر هاشم بن القاسم الليثي المتوفّى سنة ٢٠٧ المتسالم على ثقته بإسناد رجاله كلّهم ثقات عن هاشم بن يحيى المخزومي : أنَّ رجلاً من ثقيف أتى عمر بن الخطاب فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر ألها أن تنفر قبل أن تطهر ؟ قال عمر : لا . فقال له الثقفي : فإنَّ رسول الله ﷺ أفتاني في هذه المرأة بغيرما أفتيت به . فقام إليه عمر يضربه بالدرّة ويقول : لِمَ تستفتني في شيء قد أفتى فيه رسول الله ﷺ «إيقاظ الهمم للعمري الفلاني ص ٩» .

قال الأميني : أنا لا أدري كيف ذهب على عمر ما عرفته الصّحابة أجمع - ويزعم موسىٰ جار الله أنّه أعلمهم - فخالفوه في الفتيا وتبعتهم علماء الأمصار ، وأمّا زيد وابن عمر فوافقوه ردحاً من الزّمن ولا أدري أكان فَرقاً من درّته ؟ أو موافقة له في

= للحائض أن تنفر إذا أفاضت قال : وسمعت ابن عمر يقول : إنها لا تنفر ، ثم سمعته يقول بعد : إنّ النبي رخص لهن . وأخرج البيهقي عن زيد بن ثابت ما ظاهره رجوعه عن رأيه .

(١) أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب الحيض في باب المرأة تحيض بعد الإفاضة وفي كتاب الحج باب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت ، ومسلم في صحيحه ، والدارمي في سننه ج ٢ ص ٦٨ ، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٣١٣ ، والترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٧٧ ، وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٢٥١ ، والبيهقي في سننه ج ٥ ص ١٦٢ ، والبغوي في مصابيح السنة ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) فتح الباري ج ٣ ص ٤٦٢ .

(٣) يعني على خلاف ما أفتى به عمر .

(٤) سنن أبي داود ج ١ ص ٣١٣ ، مختصر جامع العلم لأبي عمر ص ٢٢٧ .

رأيه ؟ ولا أدري متى عدلا عن ذلك أبَعد موته ؟ أم إبّان حياته ؟

وإن تعجب فعجبٌ أنّه لم يعدل عن رأيه بعدما وقف على السنّة لكنّه خاشن الحارث بن عبدالله وضرب الثقفي بدرّته لمّا أخبراه بها ، واستمرّ على مذهبه الخاصّ به خلاف السنّة المتّبعة ، لماذا ؟ أنا لا أدري .

ورأى ابن عبّاس أنّ لهذه السنّة أصلاً في الكتاب الكريم قد عزب عن الخليفة أيضاً ، أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج ٥ ص ١٦٣ عن عكرمة أنّ زيد بن ثابت قال : تقيم حتّى تطهر ، ويكون آخر عهدها بالبيت . فقال إبن عبّاس : إذا كانت قد طافت يوم النحر فلتنفر . فأرسل زيد بن ثابت إلى ابن عبّاس إنّي وجدت الذي قلت كما قلت قال : فقال ابن عبّاس : إنّي لأعلم قول رسول الله ﷺ للنّساء ولكنّي أحببت أن أقول بما في كتاب الله ثمَّ تلا هذه الآية ﴿ثمَّ ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾ فقد قضت التفث ووفت النذر وطافت بالبيت ، فما بقي ؟

١٩ - جهل الخليفة بالسنّة :

أخرج ابن المبارك قال : حدَّثنا أشعث عن الشعبي عن مسروق قال : بلغ عمر : أنَّ امرأة من قريش تزوّجها رجلٌ من ثقيف في عدَّتها فأرسل إليهما ففرّق بينهما وعاقبهما وقال : لا ينكحها أبداً وجعل الصَّداق في بيت المال وفشى ذلك بين النّاس فبلغ عليّاً كرَّم الله وجهه فقال : رحم الله أمير المؤمنين ! ما بال الصّداق وبيت المال ؟ إنّهما جهلا فينبغي للإمام أن يردّهما إلى السنّة قيل : فما تقول أنت فيها ؟ قال : لها الصداق بما استحلّ من فرجها ، ويفرّق بينهما ، ولا جلد عليهما ، وتكمل عدّتها من الأوَّل ثمَّ تكمل العدَّة من الآخر ، ثمَّ يكون خاطباً . فبلغ ذلك عمر فقال : يا أيّها النّاس ردّوا الجهالات إلى السنّة . وروى ابن أبي زائدة عن أشعث مثله وقال فيه : فرجع عمر إلى قول عليّ

[أحكام القرآن للجصّاص ج ١ ص ٥٠٤]

وفي لفظ عن مسروق : أُتي عمر بامرأة قد نكحت في عدَّتها ففرَّق بينهما وجعل مهرها في بيت المال وقال : لا يجتمعان أبداً ، فبلغ عليّاً فقال : إن كان

جهلا فلها المهر بما استحلّ من فرجها ، ويفرّق بينهما ، فإذا انقضت عدَّتها فهو خاطب من الخطّاب . فخطب عمر وقال : رُدّوا الجهالات إلى السنَّة . فرجع إلى قول عليّ .

وفي لفظ الخوارزمي : ردّوا قول عمر إلى عليّ . وفي التذكرة : فقال عمر : لولا عليٌّ لهلك عمر .

وأخرج البيهقي في سننه عن مسروق قال : قال عمر رضي الله عنه في امرأة تزوَّجت في عدَّتها : النِّكاح حرامٌ ، والصّداق حرامٌ ، وجعل الصَّداق في بيت المال وقال : لا يجتمعان ما عاشا .

وأخرج عن عبيد بن نضلة[نضيلة] قال : رُفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تزوّجت في عدَّتها فقال لها : هل علمت أنَّك تزوّجت في العدَّة ؟ قالت : لا . فقال لزوجها : هل علمت ؟ قال : لا . قال : لو علمتما لرجمتكما فجلدهما أسياطاً وأخذ المهر فجعله صدقة في سبيل الله قال : لا أُجيز مهراً ، لا أُجيز نكاحه . وقال : لا تحلُّ لك أبداً

صورة اخرى للبيهقي .

أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة تزوّجت في عدَّتها فأخذ مهرها فجعله في بيت المال وفرَّق بينهما وقال : لا يجتمعان . وعاقبهما ، فقال عليٌّ رضي الله عنه : ليس هكذا ولكن هذه الجهالة من الناس ، ولكن يفرَّق بينهما ، ثمّ تستكمل بقيَّة العدَّة من الأوَّل ، ثمَّ تستقبل عدَّة أُخرى ، وجعل لها عليٌّ رضي الله عنه المهر بما استحلَّ من فرجها ، قال : فحمدالله عمر رضي الله عنه وأثنى عليه ثمّ قال : يا أيّها النّاس رُدّوا الجهالات إلى السنَّة[١] .

قال الأميني : لِماذا جلدهما الخليفة ؟ ولِماذا أخذ المهر ؟ وبأيِّ كتاب أم

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، الموافقات لابن السمان ، كتاب العلم لأبي عمر ج ٢ ص ١٨٧ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦ ، ذخائر العقبى ص ٨١ ، مناقب الخوارزمي ص ٥٧ ، تذكرة السبط ص ٨٧ .

بأيَّة سنَّة جعل الصَّداق في بيت المال وصيّره صدقة في سبيل الله ؟ ولِمَ وبِمَ حرّم المرأة على الرّجل ؟ أنا لا أدري فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون .

وليت الخليفة لا ينسى نفسه ويأخذ بقوله : ردّوا الجهالات إلى السنَّة . قبل قضائه بالأقضية الشاذّة عن الكتاب والسنَّة .

وإن تعجب فعجبٌ قول الجصّاص في أحكام القرآن ج ١ : ص ٥٠٥ : وأمّا ما رُوي عن عمر أنَّه جعل المهر في بيت المال فإنّه ذهب إلى أنَّه مهرٌ حصل لها من وجه محظور فسبيله أن يتصدّق به فلذلك جعله في بيت المال ثمّ رجع فيه إلى قول عليّ رضي الله عنه ، ومذهب عمر في جعل مهرها لبيت المال إذ قد حصل لها ذلك من وجه محظور يشبه ما روي عن النبيِّ ﷺ في الشاة المأخوذة بغير إذن مالكها قدمت إليه مشويَّة فلم يكد يسيغها حين أراد الأكل منها فقال : إنَّ هذه الشاة تخبرني أنَّها أُخذت بغير حقّ فأخبروه بذلك فقال : أطعموها الأسارى . ووجه ذلك عندنا إنَّما صارت لهم بضمان القيمة فأمرهم بالصَّدقة بها لأنَّها حصلت لهم من وجه محظور ولم يكونوا قد أدّوا القيمة إلى أصحابها . اهـ .

أعمى الجصّاص حبُّ الخليفة فرام أن يُدافع عنه ولو بما يسمه بسمة الجهل ، ألا مسائلٌ هذا المدافع الوحيد عن المال المحصّل من وجوه الحظر متى كان سبيله أن يُتصدَّق به حتى يتّخذه الخليفة مذهباً وإن لم يكن الموضوع من مصاديقه ؟ ولماذا لا يُردّ إلى صاحبه ولا يحلُّ مال امرىء إلاّ بطيب نفسه؟ ثمّ ما وجه الشبه بين مال استحقَّت به المرأة بما استحلّ من فرجها ، وبين شاة حلّلته اليد لرسول الله ، وسوّغت له التصرف فيها ؟ غير أنّ حسن الوقوف عند الشبهات وإن علمت من غير طريق عاديّ دعاه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكفّ عنها ، من دون ترتّب أحكام الغصب عليها من ردّها إلى صاحبها عُرف أو لم يُعرف ، فلا صلة بين الموضوعين ، على أنَّ جهل الخليفة في المسألة ليس من ناحية جعل الصَّداق في بيت المال فحسب حتّى يُرقّع ، وإنَّما خالف السنّة من شتّى النواحي كما عرفت .

٢٠ - اجتهاد الخليفة في الجدّ :

أخرج الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٥٤ عن الشعبي أنّه قال : أوّل جدّ ورث

في الإسلام عمر فأخذ ماله ، فأتاه عليٌّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنّما كنت كأحد الأخوين .

وفي لفظ البيهقي :

إنَّ أوَّل جدٍّ ورث في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مات إبن فلان ابن عمر فأراد عمر أن يأخذ المال دون إخوته ، فقال له عليٌّ وزيد رضي الله عنهما : ليس لك ذلك . فقال عمر : لولا أنَّ رأيكما اجتمع لم أر أن يكون إبني ولا أكون أباه .

السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٤٧ .

وأخرج الدارمي أيضاً عن مروان بن الحكم : أنَّ عمر بن الخطاب لَمّا طعن استشارهم في الجدِّ فقال : إنِّي كنت رأيت في الجدِّ رأياً فإن رأيتم أن تتَّبعوه فاتَّبعوه . فقال له عثمان : إن نتَّبع رأيك فإنَّه رشدٌ وإن نتَّبع رأي الشيخ فلنعم ذو الرأي كان . [مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٤٠] .

قال الشعبي : كان من رأي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن يجعلا الجدَّ أولى من الأخ ، وكان عمر يكره الكلام فيه ، فلمّا صار عمر جدّاً قال : هذا أمرٌ قد وقع لا بدَّ للنّاس من معرفته فأرسل إلى زيد بن ثابت فسأله فقال : كان من رأي أبي بكر رضي الله عنه أن نجعل الجدَّ أولى من الأخ . فقال : يا أمير المؤمنين ! لا تجعل شجرة نبتت فانشعب منها غصنٌ فانشعب في الغصن غصنٌ فما يجعل الغصن الأوّل أولى من الغصن الثاني وقد خرج الغصن من الغصن ؟ قال : فأرسل إلى عليّ رضي الله عنه فسأله فقال له كما قال زيد إلاّ أنَّه جعل سيلاً سال فانشعب منه شعبة ثمَّ انشعبت منه شعبتان فقال : أرأيت لو أنَّ هذه الشعبة الوسطى رجع أليس إلى الشعبتين جميعاً ؟ . الحديث .

[السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٤٧]

وعن سعيد بن المسيّب عن عمر قال : سألت النبيَّ ﷺ كيف قسم الجدِّ ؟ قال : ما سؤالك عن ذلك يا عمر ؟ إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلم ذلك . قال سعيد بن المسيّب فمات عمر قبل أن يعلم ذلك .

أخـرجه الـطبراني في الأوسط ، والهيثمي في مجمـع الزوائـد ج ٤ ص ٢٢٧ وقال : رجاله رجال الصحيح . وذكره السيـوطي في جمع الجـوامع كمـا في ترتيبـه ج ٦ ص ١٥ نقلاً عن عبد الرزّاق والبيهقي وأبي الشيخ في الفرائض .

وأخـرج البيهقي في سننـه ج ٦ ص ٢٤٧ عن زيـد بن ثـابت : إنَّ عمـر بن الخـطاب رضي الله عنه استـأذن عليه يـوماً فـأذن له فقـال : يـا أميـر المؤمنين ! لو أرسلت إليَّ جئتك . فقال عمر رضي الله عنه : إنَّمـا الحاجـة لي إنّي جئتك لتنـظر في أمر الجدِّ فقال زيد : لا والله ما نقول فيه . فقال عمر رضي الله عنه : ليس هـو بوحي حتَّى نزيد فيه وننقص منه إنَّما هو شيءٌ نراه ، فإن رأيته ووافقني تبعته وإلاّ لم يكن عليك فيه شيءٌ . فأبى زيدٌ فخرج مغضباً قـال : قد جئتـك وأنا أظنّـك ستفرغ من حاجتي ، ثمّ أتاه مرَّة أُخرى في السّاعة التي أتـاه المرَّة الأولى فلم يـزل به حتّى قال : فسأكتب لك فيه فكتبـه في قطعـة قتب وضرب لـه مثلاً إنَّمـا مثله مثل شجـرة نبتت على ساقٍ واحدٍ فخـرج فيها غصنٌ ثمَّ خـرج في الغصن غصنٌ آخر ، فـالسّاق يسقي الغصن فـإن قـطع الغصن الأوَّل رجـع المـاء إلى الغصن يعني الثـاني وإن قـطعت الثاني رجـع الماء إلى الأوَّل فأُتـي به . فخـطب النَّاس عمـر ثمَّ قرأ قـطعـة القتب عليهم ثمَّ قـال : إنَّ زيد بن ثـابت قد قـال في الجدِّ قـولاً وقد أمضيتـه قال : وكان أوَّل جدّ كان فأراد أن يأخذ المال كلّه مال إبن إبنه دون إخوته فقسَّمه بعد ذلك عمر بن الخطاب .

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٤٥ عن عبيدة قال : إنِّي لأحفظ عن عمر في الجدِّ مائة قضيَّة كلّها ينقض بعضها بعضاً .

وعن عبيدة قال : حفظت عن عمر مـائة قضيَّـة في الجدِّ قـال وقال : إنِّي قـد قضيت في الجدِّ قضايا مختلفة كلّهـا لا آلو فيـه عن الحقِّ ، ولئن عشت إن شاء الله إلى الصّيف لأقضينَّ فيها بقضيَّة تقضي به المرأة وهي على ذيلها .

وأخرج البيهقي في السنن عن طارق بن شهاب قال : أخـذ عمر بن الخـطاب رضي الله عنه كتفاً وجمع أصحاب محمَّد ﷺ ليكتب في الجدِّ وهم يرون أنّه يجعله أباً فخرجت عليه حيَّةٌ فتفرَّقوا ، لو أنَّ الله أراد أن يمضيه لأمضاه .

وقال إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦١ كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثمَّ ينقضه ويفتي بضدِّه وخلافه ، قضى في الجدِّ مع الأُخوة قضايا كثيرة مختلفة ، ثمَّ خاف من الحكم في هذه المسألة فقال : مَن أراد أن يقتحم جراثيم جهنَّم فليقل في الجدِّ برأيه .

قال الأميني : أنا لا أدري أنَّ هذه القضايا المتناقضة البالغ عددها إلى المائة في موضوع واحد هل كلّها موافقة للواقع ؟ وليس من المعقول ذلك . أو أنَّ بعضها موافق ؟ فلِمَ لم يرجع إليه في جميع الموارد . وهل هي كلّها عن إجتهاد الخليفة ؟ أو أنَّها متَّخذة من الصَّحابة ؟ وهل الصَّحابة كانوا يفتون بذلك عن آرائهم ؟ أو اتَّخذوها عن النبيِّ الأمين ؟ فإن كان سماعاً ؟ فلا تختلف الفتيا فيه ولا سيّما مع قرب العهد به ﷺ . وإن كان اجتهاداً منهم ؟ فمن ذا الذي يعترف لهم ويعترف لجميعهم بالتأهل للإجتهاد ؟ على أنَّ لنا بعد التنازل لهم بالأهليَّة حقَّ النظر فيما اجتهدوا وفيما استندوا إليه ، ومثل هذا الإجتهاد الفارغ لا حجَّة فيه حتى من نفس الخليفة .

ثمَّ إنَّ خليفة المسلمين كيف يسوغ له الجهل بما شرَّعه نبيُّ الإسلام حتّى يربكه ذلك في التناقض ؟ فيأخذ الحقَّ في بعض الموارد من أفواه الرِّجال ، ويمضي على ضلّته حيث لم يُصادف أحداً منهم .

وما أعضلت هذه المسألة على الخليفة ؟ ولم يمكن من تعلّمها طيلة حياته ، وما شأنه وقد ظنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يموت قبل أن يعلمها ومات ولم يعلم ؟ وما سوَّغ له القضاء في تلكم القضايا الجمَّة وهو لا يعلم حكمها وقد أخبره النبيُّ الأعظم بذلك ؟

ولست أدري كيف حفظتها الأُمّة وتلقّتها في قرونها الخالية من دون أن تصعب على أيّ فقيهٍ أو متفقّهٍ وقد أشكلت على الخليفة وهو مع ذلك أعلم الصحابة في زمانه على الإطلاق عند صاحب الوشيعة ؟ .

٢١ ـ رأي الخليفة في امرأة تسرّرت غلامها :

عن قتادة : إنَّ امرأة اتّخذت مملوكها وقالت : تأوّلت آيةً من كتاب الله ﴿أو

ما ملكت ايمانهم(١)﴾ فأُتي بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناسٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ : تأوَّلت آيةً من كتاب الله عزَّ وجلّ على غير وجهها ، قال : فضرب العبد وجزّ رأسه ، وقال : أنت بعده حرامٌ على كلّ مسلم .

صورة أُخرى للقرطبي :

تسرّرت امرأةٌ غلامها فذكر ذلك لعمر فسألها : ما حملكِ على ذلك ؟ قالت : كنت أراه يحلُّ لي بملك يميني كما يحلُّ للرَّجل المرأة بملك اليمين . فاستشار عمر في رجمها أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : تأوَّلت كتاب الله عزَّ وجلَّ على غير تأويله لا رجم عليها . فقال عمر : لا جرم ! والله لا أُحلّك لحرّ بعده أبداً . عاقبها بذلك ودرأ الحدَّ عنها ، وأمر العبد ألا يقربها(٢) .

قال الأميني : ليتني أدري وقومي ما هذه العقوبات الفادحة بعد سقوط الحدِّ عن المرأة ومملوكها بالجهل والتأويل ؟ وما معنى عذابهما بعد عفو المولى سبحانه عنهما ؟ وبأيِّ كتاب أم بأيَّة سنَّة ضرب العبد ، وجزَّ رأسه ، وحرَّم المرأة على كلِّ مسلم ، ونهى العبد عن قربها ؟ فهل دين الله مفوَّضٌ إلى الخليفة ؟ أم أنَّ الإسلام ليس إلّا الرأي المجرَّد ؟ فإن كان هذا أو ذاك ؟ فعلى الإسلام السَّلام ، وإن لم يكن لا هذا ولا ذاك ؟ فمرحباً بالخلافة الراشدة ، وزهٍ بتلك الآراء الحرَّة .

ثمَّ أنّى هذه العقوبات من صحيحة عمر نفسه وعائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال : ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم لمسلم مخرجاً فخلّوا سبيله فإنَّ الإمام إن يخطىء في العفو خيرٌ من أن يخطىء بالعقوبة(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون ؛ الآية : ٨ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ج ٦ ص ٦٨ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ١٢٧ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٩ ، تفسير القرطبي ج ١٢ ص ١٠٧ ، الدر المنثور .

(٣) كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ٢١٤ ، مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٨٤ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٢٦٧ ، تاريخ الخطيب البغدادي ج ٥ ص ٣٣١ ، سنن البيهقي ج ٢ ص ٢٣٨ ، مشكاة المصابيح ص ٣٠٣ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٢٠ . جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ٢١٤ .

٢٢ ـ الخليفة وامرأة مغنّية :

عن الحسن قال : أرسل عمر بن الخطاب إلى امرأة مغنّية كان يدخل عليها فأنكر ذلك فأرسل إليها فقيل لها : أجيبي عمر . فقالت : يا ويلها ما لها ولعمر ؟ ! فبينما هي في الطريق فزعت فضربها الطلق فدخلت داراً فألقت ولدها فصاح الصبيُّ صيحتين ثمَّ مات فاستشار عمر أصحاب النبيِّ ﷺ فأشار عليه بعضهم : أن ليس عليك شيءٌ إنّما أنت والٍ ومؤدِّبٌ . وصمت عليٌّ فأقبل على عليٍّ فقال : ما تقول ؟ قال : إن كانوا قالوا برأيهم ؟ فقد أخطأ رأيهم ، وإن كانوا قالوا في هواك ؟ فلم ينصحوا لك ، أرى أنَّ ديته عليك فإنَّك أنت أفزعتها وألقت ولدها في سبيلك ، فأمر عليّاً أن يقسِّم عقله على قريش يعني يأخذ عقله من قريش لأنَّه أخطأ .

صورة أُخرى :

استدعى عمر امرأة ليسألها عن أمر وكانت حاملاً فلشدَّة هيبته ألقت ما في بطنها فأجهضت به جنيناً ميتاً فاستفتى عمر أكابر الصَّحابة في ذلك فقالوا : لا شيء عليك إنَّما أنت مؤدِّبٌ . فقال له عليٌّ عليه السلام : إن كانوا راقبوك ؟ فقد غشّوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم ؟ فقد أخطأوا ، عليك غرَّة يعني عتق رقبة فرجع عمر والصَّحابة إلى قوله .

أخرجه ابن الجوزي في سيرة عمر ص ١١٧ ، وأبو عمر في العلم ص ١٤٦ ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٣٠٠ نقلاً عن عبد الرزّاق ، والبيهقي ، وذكره إبن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٥٨ .

قال الأميني : ما شأن هذا الخليفة لا يحمل في دين الله علماً ناجعاً يقيه عن هوايا الهلكة ، ويحميه عن سقطات القضاء ؟ وما باله يعوِّل في كلِّ سهل ومشكل في طقوس الإسلام حتّى في مهامّ الفروج والدِّماء على آراء أُناس غشّوه إن راقبوه ، وغاية جهد رأيهم الخطأ ؟ وما يسعنا أن نقول وبين يدي الباحث هذه الأقضية ؟

٢٣ ـ حكم الخليفة برجم مضطرّة :

عن عبد الرَّحمن السُّلمي قال : أُتي عمر بامرأة أجهدها العطش فمرَّت على

راع فـاستسقته فـأبى أن يسقيها إلاّ أن تُمكّنـه من نفسها ففعلت ، فشـاور النّاس في رجمها فقال عليٌّ : هذه مضطرَّةٌ أرى أن يُخلّى سبيلها . ففعل .

سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٣٦ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦ ، ذخائر العقبى ص ٨١ ، الطرق الحكميَّة ص ٥٣ .

صورة مفصلة :

إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنـه أُتي بامـرأة زنت فأقـرَّت فأمـر برجمهـا ، فقـال عليٌّ رضي الله عنه : لعـلّ بها عـذراً ثمَّ قـال لهـا : مـا حملكِ على الـزِّنـا ؟ قـالت : كـان لي خليطٌ وفي إبله مـاء ولبن ولم يكن في إبلي مـاءٌ ولا لبن فـظمئت فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتّى أعطيه نفسي فأبيت عليه ثلاثـاً فلمّا ظمئت وظننت أنَّ نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني . فقال عليٌّ : الله أكبر ، **﴿فمن اضطرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾** .

الطرق الحكميَّة لابن القيّم الجوزيَّة ص ٥٣ ، كنز العمّال ج ٣ ص ٩٦ نقـلاً عن البغوي .

قـال الأميني : ليت الخليفة كـان يحمل شيئـاً من علم الكتـاب والسنّـة حتّى يحكم بما أنزل الله على نبيِّـه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وليتني أدري ما كان مصيره وأيّ مبلغ كـانت تبلغ بـوائق أقضيته إن لم يكن في الأُمـة عليّ أميـر المؤمنين ؟ أو لم يكن يُقيم أوده ويُزيل أمته ؟ نعم : حقّاً قال الرَّجل : لولا عليٌّ لهلك عمر .

٢٤ - الخليفة لا يدري ما يقول :

أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل أسود ومعه امرأةٌ سـوداء فقال : يـا أميـر المؤمنين ! إنّي أغرس غـرساً أسـود وهذه سـوداء على ما تـرى فقد أتتني بـولد أحمر . فقالت المرأة : والله يا أميـر المؤمنين ! ما خنتـه وإنَّه لـولده . فبقي عمـر لا يدري ما يقول ، فسُئل عن ذلك عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال للأسود : إن سألتك عن شيء أتصدقني ؟ قال : أجل والله . قال : هل واقعت امرأتـك وهي حـائض ؟ قال : قـد كان ذلـك ، قال عليٌّ : الله أكبـر إنَّ النطفـة إذا خلطت بالـدَّم

فخلق الله عزَّ وجلَّ منها خلقاً كان أحمر فلا تنكر ولدك فأنت جنيت على نفسك .

[الطرق الحكميَّة ص ٤٧]

٢٥ ـ قضاياه في عسّه وتجسّسه :

١ ـ عن عمر بن الخطاب أنّه كان يعسُّ ليلة فمرَّ بدار سمع فيها صوتاً فارتاب وتسوَّر فرأى رجلاً عند امرأة وزقّ خمر فقال : يا عدوَّ الله أظننت أنَّ الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : لا تعجل يا أمير المؤمنين ! إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث : قال الله تعالىٰ : ﴿ولا تجسَّسوا[1]﴾ وقد تجسَّست ، وقال : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها[2]﴾ وقد تسوَّرت ، وقال : ﴿إذا دخلتم بيوتاً فسلّموا[3]﴾ وما سلّمت . فقال : هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال : نعم ، والله لا أعود . فقال : إذهب فقد عفوت عنك .

الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٤٦ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٦١ ، ج ٣ ص ٩٦ ، الدرّ المنثور ج ٦ ص ٩٣ ، الفتوحات الإسلاميَّة ج ٢ ص ٤٧٧ .

٢ ـ خرج عمر بن الخطاب في ليلة مظلمة فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثاً ، فوقف على الباب يتجسَّس فرأى عبداً أسود قدّامه إناءٌ فيه مزرٌ وهو يشرب ، ومعه جماعةٌ فهمَّ بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسوَّر على السَّطح ونزل إليهم من الدَّرجة ومعه الدرَّة ، فلمّا رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الأسود فقال له : يا أمير المؤمنين ! قد أخطأت وإنّي تائبٌ فاقبل توبتي فقال : أُريد أن أضربك على خطيئتك فقال : يا أمير المؤمنين ! إن كنت قد أخطأت في واحدة فأنت قد أخطأت في ثلاث : فإنَّ الله تعالىٰ قال : ﴿ولا تجسَّسوا﴾، وأنت تجسَّست وقال تعالىٰ : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ . وأنت أتيت من السَّطح . وقال تعالىٰ : ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تستأنسوا وتسلّموا

---

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٤٩ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٩ .

(٣) سورة النور ؛ الآية : ٦١ .

على أهلها﴾ ، وأنت دخلت وما سلّمت . إلخ .

المستطرف لشهاب الدين الأبشيهي ج ٢ ص ١١٥ في الباب الحادي والستّين . يظهر من القرائن أنّ هذه القضيّة غير سابقتها والله أعلم .

وقد عدّ إبن الجوزي هذه الفضيحة المخزية من مناقب عمر وتبعه شاعر النيل حافظ إبراهيم ونظمها في قصيدته العمريّة فقال تحت عنوان : مثال رجوعه إلى الحقّ :

وفتيةٌ ولعوا بالرّاح فانتبذوا ... لهم مكاناً وجدّوا في تعاطيها
ظهرت حائطهم لمّا علمت بهم ... والليل معتكر الأرجاء ساجيها
حتّى تبيّنتهم والخمر قد أخذت ... تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها
سفّهت آرائهم فيها فما لبثوا ... أن أوسعوك على ما جئت تسفيها
ورمت تفقيههم في دينهم فإذا ... بالشّرب قد برعوا الفاروق تفقيها
قالوا : مكانك قد جئنا بواحدة ... وجئتنا بثلاث لا تباليها
فائت البيوت من الأبواب يا عمر ... فقد يُزن(١) من الحيطان آتيها
واستأذن الناس لا تغشى بيوتهم ... ولا تلمّ بدار أو تحيّيها
ولا تجسّس فهذي الآي قد نزلت ... بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجّتهم ... لمّا رأيت كتاب الله يمليها
وما أنفت وإن كانوا على حرج ... من أن يحجّك بالآيات عاصيها

قال الأميني : هكذا يعمي الحبّ ويصمّ ، ويجعل الموبقات مكرمات ، ويُبدّل السيّئات حسنات .

٣ - عن عبد الرّحمٰن بن عوف : أنّه حرس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ليلةً بالمدينة فبينما هم يمشون شبَّ لهم سراجٌ في بيت فانطلقوا يؤمّونه حتّى إذا دنوا منه إذ باب مجاف على قوم لهم فيه أصواتٌ مرتفعةٌ ولغط فقال عمر رضي الله عنه وأخذ بيد عبد الرّحمٰن فقال : أتدري بيت من هذا ؟ قلت : لا ، قال :

---

(١) بالبناء للمجهول من ازنه بكذا يعني أتّهمه به .

هـذا بيت ربيعة بن أميَّـة بن خلف وهم الآن شرب فمـا ترى ؟ قـال عبد الـرَّحمٰن : أرى قـد أتينا مـا نهى الله عنه ـ ولا تجسَّسـوا ـ فقد تجسَّسنـا . فانصـرف عنهم عمر رضي الله عنه وتركهم .

سنن البيهقي الكبرى ج ٨ ص ٣٣٤ ، الإصابة ج ١ ص ٥٣١ ، الدرّ المنثـور ج ٦ ص ٩٣ ، السيـرة الحلبيَّـة ج ٣ ص ٢٩٣ ، الفتـوحـات الإسـلاميَّـة ج ٢ ص ٤٧٦ .

٤ ـ دخـل عمر بن الخـطاب رضي الله عنه على قـوم يشربـون ويـوقـدون في الأخصـاص فقـال : نهيتكم عن معـاقـرة الشَّـراب فعـاقـرتم ، وعن الإيقـاد في الأخصـاص فـأوقـدتم ، وهمَّ بتـأديبهم فقـالـوا : يـا أميـر المؤمنين ! نهـاك الله عن التجسّس فتجسّست ، ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت ، فقال : هـاتان بهـاتين وانصرف وهو يقول : كلّ الناس أفقه منك يا عمر .

العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٦

٥ ـ كان عمر يعسّ ذات ليلة بـالمدينـة فرأى رجـلاً وامرأةً على فـاحشة فلمّـا أصبح قال للنّاس : أرأيتم لو أنَّ إماماً رأى رجـلاً وامرأةً على فـاحشة فـأقام عليهمـا الحدّ ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنَّما أنت إمـام . فقال عليٌّ بن أبي طـالب ليس ذلك لـك إذن يقام عليـك الحدُّ ، إنَّ الله لم يـأمن هذا الأمـر أقلّ من أربعـة شهود . ثمَّ تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثمَّ سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى وقال عليّ مثل مقالته الأولى فأخذ عمر بقوله[١] .

٦ ـ أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الشعبي قال : جاءت امرأةٌ إلى عمر فقالت : يا أميـر المؤمنين ! إنِّي وجدت صبيّـاً ووجدت معـه قبطيَّـة فيها مـائة دينـار فأخذته واستأجرت له ظئراً ، وإنَّ أربع نسـوة يأتينـه فيقبِّلنه لا أدري أيَّتهنَّ أمّـه فقال لهـا : إذا هنَّ أتينـك فـاعلميني . ففعلت ، فقـال لامـرأة منهنَّ : أيَّتكنَّ أمّ هـذا الصبيّ ؟ فقلن : والله مـا أحسنت ولا أجملت يا عمـر ! تعمـد على امـرأة ستـر الله

(١) الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٨٢ .

عليها فتريد أن تهتك سترها . قال : صدقت ، ثمَّ قال للمرأة : إذا أتينك فلا تسأليهنَّ عن شيء واحسني إلى صبيِّهنَّ ثمَّ انصرف .

[منتخب كنز العمّال هامش مسند أحمد ج ١ ص ١٩٩]

قال الأميني : في كلٍّ من هذه الآثار أبحاثٌ هامَّة لا تعزب عن القارىء النابه فلا نطيل بذكرها المقام .

٢٦ - رأي الخليفة في حدّ الخمر :

عن أنس بن مالك قال : إنَّ النبيَّ ﷺ أُتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين ، قال : وفعله أبو بكر فلمّا كان عمر استشار الناس فقال عبد الرَّحمٰن بن عوف : أخفُّ الحدود ثمانون فأمر به عمر .

صورة أُخرى :

جلد رسول الله ﷺ في الخمر بالجريد والنعال ، وجلد أبو بكر أربعين ، فلمّا كان عمر وورد النّاس من المدن والقرى قال : ما ترون في حدِّ الخمر ؟ فقال عبد الرَّحمن بن عوف : أرى أن تجعله كأخفّ الحدود فجلد عمر ثمانين(١) .

وأخرج أبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٤٢ في حديث : جلد أبو بكر في الخمر أربعين ، ثمَّ جلد عمر رضي الله عنه صدراً من إمارته أربعين ، ثمَّ جلد ثمانين في آخر خلافته ، وجلد عثمان الحدّين كليهما : ثمانين وأربعين ، ثمَّ أثبت معاوية الحدَّ على الثمانين .

وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج ٨ ص ٣٢٠ ، وابن الديبع في تيسير الوصول ج ٢ ص ١٧ .

وعن حضين أبي ساسان الرقاشي قال : حضرت عثمان بن عفّان رضي الله عنه وأُتي الوليد بن عقبة قد شرب الخمر وشهد عليه حمران بن أبان ورجلٌ آخر فقال عثمان لعليّ رضي الله عنهما : أقم عليه الحدَّ فأمر عليٌّ رضي الله عنه

---

(١) صحيح مسلم باب حد الخمر ج ٢ ص ٣٨ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ١٧٥ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٤٠ ، مسند أبي داود الطيالسي ص ٢٦٥ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٣١٩ .

عبدالله بن جعفر ذي الجناحين رضي الله عنهما أن يجلده فأخذ في جلده وعليٌّ رضي الله عنه يعدُّ حتّى جلد أربعين ، ثمَّ قال له : أمسك جلد رسول الله ﷺ أربعين وأبو بكر رضي الله عنه ، وجلد عمر رضي الله عنه ثمانين ، وكلٌّ سنَّة وهذا أحبُّ إليَّ (١) .

وفي لفظٍ آخر :

إنَّ الوليد بن عقبة صلّى بالناس الصبح أربعاً ثمَّ التفت إليهم فقال : أزيدكم فرفع ذلك إلى عثمان رضي الله عنه ـ إلى آخره ـ وفيه : ضرب رسول الله ﷺ أربعين وأبو بكر وعمر صدراً من خلافته أربعين ثمَّ أتمَّها عمر ثمانين وكلٌّ سنة (٢) .

قال الأميني : ما قيمة عبد الرَّحمٰن وقيمة رأيه تجاه ما قام به المشرِّع الأعظم ؟ وما بال عمر جرى على ذلك المنهج ردحاً من أيّامه ثمَّ نقضه وضرب عنه صفحاً ؟ وما باله وهو خليفة المسلمين يستشير ويستفتي في حكم من أحكام الدين ثبت بسنة ثابتة عن صاحب الشَّريعة ؟ قال إبن رشد في بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٣٥ : إنَّ أبا بكر رضي الله عنه شاور أصحاب رسول الله ﷺ كم بلغ ضرب رسول الله ﷺ لشرّاب الخمر ؟ فقدَّروه بأربعين . ورُوي عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ ضرب في الخمر بنعلين أربعين ، فجعل عمر مكان كل نعل سوطاً ، ورُوي من طريق آخر عن أبي سعيد الخدري ما هو أثبت من هذا وهو : أنَّ رسول الله ﷺ ضرب في الخمر أربعين ، ورُوي هذا عن عليّ عن النبيِّ ﷺ من طريق أثبت ، وبه قال الشافعيّ . ا هـ .

وإنَّ من الدخيل في الحديث ما عزي إلى أمير المؤمنين ﵇ من قوله : وكلٌّ سنَّة وهذا أحبُّ إليَّ . فلو كانت الثمانون سنَّةً مشروعةً لعمل بها رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم في الحد ج ٢ ص ٥٢ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٤١ ، السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٣١٨ ، وفي كنز العمال ج ٣ ص ١٠٢ نقلاً عن الطبراني ، وعبد الرزاق ، وأحمد ، ومسلم ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وأبي عوانة ، والطحاوي ، والدارقطني ، والدارمي .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٣١٩ نقلاً عن صحيح مسلم .

على الأقلِّ مرَّة واحدة ، أو قالها لأحد ولو كان قالها لما خفي على كلِّ المسلمين ولاحتجَّ به عبد الرَّحمٰن دون قوله : أخفّ الحدود ثمانون ، ولما عُدّ عمر أوَّل من أقام الحدَّ في الخمر ثمانين كما فعله غير واحد[1] نعم : قال الحلبي في السيرة الحلبيَّة ج ٢ ص ٣١٤ : قول [وكلٌّ سنَّة] أي طريقة فأربعون طريقته ﷺ وطريقة الصدِّيق رضي الله عنه ، والثمانون طريقة عمر رضي الله عنه رآها اجتهاداً مع استشارته لبعض الصَّحابة في ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر . وقال إبن القيِّم في زاد المعاد ج ٢ ص ١٩٥ : من تأمَّل الأحاديث رآها تدلّ على أنَّ الأربعين حدٌّ والأربعين الزائدة عليها تعزيزٌ اتَّفق عليه الصَّحابة رضي الله عنهم .

ما عساني أن أقول في أُناس اتَّخذوا تجاه سنَّة رسول الله طريقة باجتهاد واستشارة ؟ وهل تعزيزٌ بعد الحدِّ حتّى يتأتّى باتِّفاق الصَّحابة عليه ؟ وهل لهذه المزعمة معنى معقول حتّى يُتَّخذ مذهباً ؟ أنا لست أدري أيَّ قيمة لتلك الطريقة في سوق الإعتبار تجاه الطريقة المثلى ولن تجد لسنَّة الله تحويلاً ، ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً ، وما أتى به النبيُّ الأعظم أحقُّ أن يتَّبع ، فمن بدَّله بعدما سمعه فإنَّما إثمه على الذين يُبدِّلونه .

وهناك كلماتٌ تافهةٌ حول هذا الإجتهاد مثل قول القسطلاني[2] : من أنَّ الكلَّ حدٌّ وعليه فحدُّ الشارب مخصوصٌ من بين سائر الحدود بأن يتحتّم بعضه ويتعلّق بعضه باجتهاد الإمام . ا هـ . كلّها خارجةٌ عن نطاق الفهم ، تبعد عن ساحة المتعلّم فضلاً عن العالم ، ولا يخفى على القارىء فسادها[3] .

٢٧ ـ الخليفة وامرأة احتالت على شابّ :

أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلّقت بشابّ من الأنصار

---

(١) منهم العسكري في أولياته ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١١٣ ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٣٢ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٩٣ ، وعلاء الدين السكتواري في محاضرة الأوائل ص ١٦٩ ، والقرماني في تاريخه هامش الكامل ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) في إرشاد الساري ج ٦ ص ١٠٤ وج ٩ ص ٤٣٩ .

(٣) «لفت نظر» نحن نناقش في المسألة وغيرها من الأبحاث الدينية على مباني أهل السنة من دون أيّ نظر إلى آراء الشيعة فيها .

وكانت تهواه فلمّا لم يساعدها احتالت عليه فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبّت البياض على ثوبها وبين فخذيها ثمَّ جاءت إلى عمر رضي الله عنه صارخة فقالت : هذا الرَّجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي وهذا أثر فعاله . فسأل عمر النِّساء فقلن له : إنَّ ببدنها وثوبها أثر المني فهمَّ بعقوبة الشابّ فجعل يستغيث ويقول : يا أمير المؤمنين ! تثبَّت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت . فقال عمر : يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما ؟ فنظر عليٌّ إلى ما على الثوب ثمَّ دعا بماء حارّ شديد الغليان فصبَّ على الثوب فجمد ذلك البياض ثمَّ أخذه واشتمَّه وذاقه فعرف طعم البيض وزجر المرأة فاعترفت .

[الطرق الحكميَّة لابن القيِّم ص ٤٧ .]

٢٨ ـ لا أبقاني اللّه بعد ابن أبي طالب :

عن حنش بن المعتمر قال : إنَّ رجلين أتيا امرأةً من قريش فاستودعاها مائة دينار وقالا : لا تدفعيها إلى أحد منّا دون صاحبه حتّى نجتمع ، فلبثا حولاً ثمَّ جاء أحدهما إليها وقال : إنَّ صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانير فأبت فثقل عليها بأهلها فلم يزالا بها حتّى دفعتها إليه ثمَّ لبثت حولاً آخر فجاء الآخر فقال : ادفعي إليّ الدنانير . فقالت : انَّ صاحبك جاءني وزعم أنّك قد متَّ فدفعتها إليه فاختصما إلى عمر فأراد أن يقضي عليها وقال لها : ما أراكِ إلّا ضامنة . فقالت : أنشدك الله أن تقضي بيننا وارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب . فرفعها إلى عليّ وعرف أنّهما قد مكرا بها ، فقال : أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه ؟ قال : بلى . قال : فإنَّ مالك عندنا إذهب فجيء بصاحبك حتّى ندفعها إليكما ، فبلغ ذلك عمر فقال : لا أبقاني الله بعد إبن أبي طالب . كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ١٨ ، أخبار الظرّاف لابن الجوزي ص ١٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٧ ، ذخائر العقبى ص ٨٠ ، تذكرة سبط ابن الجوزي ص ٨٧ ، مناقب الخوارزمي ص ٦٠ .

٢٩ ـ الخليفة والكلالة :

١ ـ عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال : إنَّ عمر بن الخطاب خطب يوم

الجمعة فذكر نبيَّ الله ﷺ وذكر أبا بكر فقال : ثمَّ إنِّي لا أدع بعدي شيئاً أهمّ عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتّى طعن بإصبعه في صدري وقال : يا عمر ألا يكفيك آية الصَّيف التي في آخر سورة النساء ؟[١] وإنّي[٢] إن أعش أقض فيها ـ بقضاء ـ بقضيَّة يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لم يقرأ القرآن[٣] .

وفي لفظ الجصّاص : ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر ممّا سألته عن الكلالة .

٢ ـ عن مسروق قال : سألت عمر بن الخطاب عن ذي قرابة لي ورث كلالة فقال : الكلالة ، الكلالة . وأخذ بلحيته ثمَّ قال : والله لأن أعلمها أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما على الأرض من شيء سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : ألم تسمع الآية التي أُنزلت في الصّيف . فأعادها ثلاث مرّات[٤] .

٣ ـ أخرج أحمد في المسند ج ١ ص ٣٨ عن عمر قال : سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال : تكفيك آية الصّيف فقال : لأن أكون سألت رسول الله عنها أحبّ إليَّ من أن يكون لي حمر النعم .

٤ ـ أخرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٥ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال : ثلاث لأن يكون رسول الله ﷺ بيَّنهنَّ أحبّ إليَّ من حمر

---

(١) آية الكلالة تسمى بآية الصيف لنزولها في الصيف في حجة الوداع ، وهي قوله تعالى : ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة أن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ .

(٢) قال النووي في شرح هذا الحديث : قوله وإني إن أعش إلى آخره من كلام عمر لا من كلام النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفرائض ج ٢ ص ٣ ، مسند أحمد ج ١ ص ٤٨ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٦٣ ، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠٦ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٢٤ ، وج ٨ ص ١٥٠ ، تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٩ .

(٤) تفسير الطبري ج ٦ ص ٣٠ ، تفسير الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥١ .

النعم : الخلافة والكلالة والرِّبا . وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ج ١ ص ١٢ .

٥ ـ أخرج الطبري في تفسيره ج ٦ عن عمر أنَّه قال: لأن أكون أعلم الكلالة أحبّ إليَّ من أن يكون لي مثل قصور الشام .

[كنز العمّال ج ٦ ص ٢٠]

٦ ـ أخرج ابن راهويه وابن مردويه عن عمر : أنَّه سأل رسول الله ﷺ كيف تورث الكلالة ؟ فأنزل الله : ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ . الآية . فكان عمر لم يفهم فقال لحفصة : إذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس فسليه عنها ، فلمّا رأت منه طيب نفس فسألته فقال : أبوكِ ذكر لك هذا ، ما أرى أباكِ يعلمها . فكان عمر يقول : ما أراني أعلمها وقد قال رسول الله ما قال[1] قال السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه الكنز : هو صحيحٌ .

٧ ـ أخرج ابن مردويه عن طاوس: إنَّ عمر أمر حفصة أن تسأل النبيَّ ﷺ عن الكلالة فأملاها عليها في كتف فقال : من أمركِ بهذا ؟ أعمر ؟ ما أراه يقيمها وما تكفيه آية الصَّيف .

[تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٤]

٨ ـ عن طارق بن شهاب قال : أخذ عمر كتفاً وجمع أصحاب رسول الله ﷺ ثمّ قال : لأقضينَّ في الكلالة قضاء تحدَّث به النساء في خدورهنَّ فخرجت حينئذٍ حيَّة من البيت فتفرَّقوا فقال : لو أراد الله عزَّ وجلَّ أن يتمَّ هذا الأمر لأتمّه[2] قال ابن كثير : إسنادٌ صحيحٌ .

٩ ـ عن مرَّة بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطاب : ثلاثٌ لأن يكون رسول

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠٥ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٤ ، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٩ ، كنز العمّال ج ٦ ص ٢ .

(٢) تفسير الطبري ج ٦ ص ٦٠ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٤ . مرّ نظير هذه القضية من طريق طارق في صفحة ١١٧ راجع .

الله ﷺ بيّنهنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها : الكلالة ، والرِّبا، والخلافة(١) .

١٠ - أخرج الحاكم وصحّحه عن محمّد بن طلحة عن عمر بن الخطاب أنّه قال : لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحبّ إليّ من حمر النعم : من الخليفة بعده ؟ وعن قوم قالوا : نقرّ بالزّكاة في أموالنا ولا نؤدّيها إليك أيحل قتالهم ؟ وعن الكلالة ؟(٢) .

١١ - عن حذيفة في حديث قال : نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ فلقّاها رسول الله ﷺ حذيفة ، فلقّاها حذيفة عمر ، فلمّا كان بعد ذلك سأل عمر عنها حذيفة فقال : والله انّك لأحمق إن كنت ظننت أنّه لقّانيها رسول الله ﷺ فلقّيتكها كما لقّانيها رسول الله والله لا أزيدك عليها شيئاً أبداً(٣) .

١٢ - أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره في رواية : لَمّا كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة : لقد لقّانيها رسول الله ﷺ فلقّيتكها كما لقّاني رسول الله ﷺ والله إنّي لصادق ، ووالله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً ، وكان عمر يقول : أللهمّ إن كنت بيّنتها له فإنّها لم تبيّن لي [تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٤] .

١٣ - عن الشعبي : سُئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة فقال : إنّي سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمنّي ومن الشيطان ، أراه ما خلا الولد والوالد فلمّا استخلف عمر رضي الله عنه قال : إنّي لأستحيي الله أن أردَّ شيئاً قاله أبو بكر(٤) .

---

(١) سنن إبن ماجة ج ٢ ص ١٦٤ ، تفسير ابن جرير ج ٦ ص ٣٠ ، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠٥ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٠٤ وصححه ، تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٩ ، تفسير ابن كثير ص ٥٩٥ نقلاً عن الحاكم وصححه ، تفسير السيوطي ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) المستدرك ج ٢ ص ٣٠٣ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ ، تفسير السيوطي ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٩ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٤ .

(٤) سنن الدارمي ج ٣ ص ٣٦٥ ، السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٣ .

١٤ ـ أخرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٤ عن الشعبي قال : قال عمر رضي الله عنه : الكلالة ما عدا الولد ، قال أبو بكر : الكلالة ما عدا الولد والوالد ، فلمّا طعن عمر قال : إنّي لأستحيي أن أُخالف أبا بكر ، الكلالة ما عدا الولد والوالد .

١٥ ـ في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٤ : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أتى عليَّ زمانٌ ما أدري ما الكلالة ، وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد .

١٦ ـ عن إبن عبّاس قال : كنت آخر الناس عهداً بعمر رضي الله عنه فسمعته يقول : ألقول ما قلت . قلت : وما قلت ؟ قال : الكلالة من لا ولد له .

[السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٥ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٠٤]

قال الأميني : ما أعضلت الكلالة على الخليفة ؟ وما أبهمها وأبهم حكمها عنده ؟ وهي شريعةٌ مطّردةٌ سمحةٌ سهلةٌ ، وهل هو حين أكثر السؤال عنها أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يجب؟ فإن كان الأوَّل فلِمَ لم يحفظه أو قصر فهمه عن عرفانه وهو أحبّ إليه من حمر النعم ، أو من الدنيا وما فيها ، أو من أن يكون له مثل قصور الشام ؟ وإن كان الثاني ؟ فحاشا رسول الله أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة وهو يعلم أنه سوف يتربَّع على منصَّة الخلافة فترفع إليه المسائل والخصومات وإنّ من أكثرها اطّراداً مسألة الكلالة ، لكن الحقيقة هي ما نوَّه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لحفصة : ما أرى أباكِ يعلمها . أو بقوله : ما أراه يقيمها ، وهو يُعرب عن جليَّة الحال ، ويوقف القارىء على الواقع إن لم يضلّه الهوى .

والخطب الفظيع أنَّه بعد هذه كلّها ومع قوله : إنَّها لم تبيَّن لي لم يتزحزح عن الحكم فيها ، وكان يقضي فيها برأيه ما شاء ذاهلاً عن قوله تعالى : **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا[1]﴾** وعن قوله تعالى : **﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثمّ لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين[2]﴾** وتراه يتّبع أبا بكر وهو يعلم أنَّه شاكلته

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٣٦ .
(٢) سورة الحاقة ؛ الآية : ٤٤ ـ ٤٧ .

وقد سمع منه قوله : إنّي سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمنّي ومن الشيطان . إن يتّبعون إلّا الظنّ وإنّ الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً .

وقد رأى ابن حجر كثرة الخلاف في الكلالة بأنّها : من ليس له الوالد والولد . إنّها مَن سوى الوالد . مَن سوى الوالد وولد الولد مَن سوى الولد . الكلالة الأُخوة . الكلالة هي المال . وقيل : الفريضة . وقيل : بنو العمّ ونحوهم . وقيل : العصبات وإن بعدوا .

ثمَّ قال : ولكثرة الإختلاف فيها صحّ عن عمر أنّه قال : لم أقل في الكلالة شيئاً[1] فكأنّه يراها عذراً للخليفة في ربيكته بالكلالة ، وأين هو من آية الكلالة ؟ وكيف تخفى على أحد وهي بين يديه وفيها قوله تعالى ﴿يبيِّن الله لكم أن تضلّوا﴾ فكيف بيّنها الله ومثل الخليفة يقول : لم تبيَّن لي ؟ ومن أين أتى الخلاف وكثر وهي مبينة ؟ وكيف يرى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم آية الصَّيف كافيةً في البيان لمن جهل الكلالة ؟ .

على أنَّ الخليفة هو إمام الأُمّة ومرجعها الوحيد في خلافها ، وبه القدوة والأُسوة في التخاصم والتنازع في الآراء والمعتقدات ، فلا عذر له في جهله بشيء منها على كلّ حال خالفت الأُمّة أم لم تخالف .

٣٠ ـ رأي الخليفة في الأرنب :

عن موسى بن طلحة : إنَّ رجلاً سأل عمر عن الأرنب فقال عمر : لولا أنّي أزيد في الحديث أو أنقص منه ، وسأرسل لك إلى رجل . فأرسل إلى عمّار فجاء فقال : كنّا مع النبيِّ ﷺ فنزلنا في موضع كذا وكذا فأهدى إليه رجلٌ من الأعراب إرنباً فأكلناها فقال الأعرابي : يا رسول الله إنّي رأيتها تدمي أي تحيض فقال النبيُّ ﷺ : لا بأس بها .

أخرجه إبن أبي شيبة ، وابن جرير الطبري كما في كنز العمّال ج ٨ ص ٥٠ ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير من رواية ابن الحوتكيَّة كما في عمدة القاري ج ٦ ص ٢٥٩ ، ورواه الهيثمي في مجمع الزَّوائد

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢١٥ .

ج ٣ ص ١٩٥ نقلاً عن أحمد من طريق إبن الحوتكيّة .

أنا لا أقول : إنَّ الذي أخاف الخليفة من الزِّيادة أو النقيصة في الحديث هو عدم معرفته بالحكم ، ولا أقول : إن عمّاراً كان أبصر منه في القضيَّة وأوثق منه في الرِّواية والنقل . ولا أقول : أين كانت تلك الحيطة منه في غير الأرنب ممّا استبدّ بحكمه من دون أيِّ اكتراث من مئات المسائل في الأموال والأنفس والعقود والإيقاعات وهو يعلم أنّه لم يحط بها علماً . لكنِّي أكل ذلك إلى وجدانك الحرِّ .

وفي النفس ما فيها في نفي البأس عن لحم الأرنب ، وهو قول الأئمَّة الأربعة وكافَّة العلماء إلاّ ما حكي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى ، وعكرمة مولى ابن عبّاس أنَّهم كرهوا أكلها [عمدة القاري ج ٦ ص ٢٥٩] .

٣١ ـ رأي الخليفة في القود :

عن إبن أبي حسين : إنَّ رجلاً شجَّ رجلاً من أهل الذمَّة فهمَّ عمر بن الخطاب أن يقيده منه فقال معاذ بن جبل : قد علمت أن ليس ذلك لك . وأثر ذلك عن النبيِّ ﷺ فأعطاه عمر بن الخطّاب في شجَّته ديناراً فرضي به .

أخرجه الحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٣٠٤ .

٣٢ ـ لولا معاذ لهلك عمر :

عن أبي سفيان عن أشياخ لهم : إنَّ امرأة غاب عنها زوجها سنتين ثمَّ جاء وهي حامل فرفعها إلى عمر فأمر برجمها ، فقال له معاذ : إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها ، فقال عمر : احبسوها حتّى تضع فوضعت غلاماً له ثنيتان فلمّا رآه أبوه عرف الشبَه فقال : ابني ابني وربِّ الكعبة ، فبلغ ذلك عمر فقال : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر .

لفظ البيهقي :

جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين إنّي غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى فشاور عمر رضي الله عنه ناساً في رجمها فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين إن كان لك عليها سبيل فليس

على ما في بطنها سبيلٌ فاتركها حتّى تضع . فتركها فولدت غلاماً قـد خرجت ثنـاياه فعرف الرَّجل الشبَه فيه فقال : إبني وربِّ الكعبة فقال عمر رضي الله عنه : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر .

أخرجـه البيهقي في السنن الكبـرى ج ٧ ص ٤٤٣ ، وأبـو عمـر في العلم ص ١٥٠ ، والباقلاني ايعازاً إليه في التمهيد ص ١٩٩ ، وابن أبي شيبة كما في كنز العمّال ج ٧ ص ٨٢ ، وفتح الباري لابن حجر ج ١٢ ص ١٢٠ وقال : أخرجـه ابن أبي شيبة ورجاله ثقات ، والإصـابة ج ٣ ص ٤٢٧ نقـلاً عن فوائـد محمَّد بن مخلد العطار ، وذكره إبن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١٥٠ متسالماً عليه .

٣٣ - رأي الخليفة في القود :

عن مكحول إنَّ عبادة بن الصامت دعا نبطيّاً يمسك له دابَّته عند بيت المقدس فـأبى فضربـه فشجَّه فـاستدعى عليـه عمر بن الخـطاب فقال لـه : ما دعـاك إلى ما صنعت بهذا ؟ فقال : يـا أمير المؤمنين أمـرته أن يمسـك دابَّتي فأبى وأنـا رجلٌ فيَّ حـدَّة فضربتـه ، فقال : إجلس للقصـاص . فقال زيـد بن ثابت : أتقيـد عبدكَ من أخيك ؟ فترك عمر عنه القود وقضى عليه بالدية .

أخرجه البيهقي في السنن الكبـرى ج ٨ ص ٣٢ ، وذكره السيـوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٧ ص ٣٠٣ .

٣٤ - رأي الخليفة في ذميّ مقتول :

عن مجاهد قال : قدم عمر بن الخطاب الشام فوجد رجلاً من المسلمين قتـل رجلاً من أهل الذمَّة فهمَّ أن يقيده فقال له زيد بن ثـابت : أتقيد عبـدك من أخيك ؟ فجعله عمر دية .

أخرجه عبد الرزّاق ، وابن جرير الطبري كما في كنز العمّال ج ٧ ص ٣٠٤ .

٣٥ - قصّة أُخرى في ذميّ مقتول :

عن عمر بن عبد العزيز أنَّ رجـلاً من أهل الـذمَّة قُتـل بالشّـام عمداً وعمـر بن الخطاب إذ ذاك بالشام فلمّا بلغه ذلك قال عمر : قد ولعتم بأهل الذمَّة لأقتلنَّه بـه .

قال أبو عبيدة بن الجراح : ليس ذلك لك فصلّى ثمَّ دعا أبا عبيدة فقال : لِمَ زعمت لا أقتله به ؟ فقال أبو عبيدة : أرأيت لو قتل عبداً له أكنت قاتله به ؟ فصمت عمر ثمَّ قضى عليه بالدية بألف دينار تغليظاً عليه .

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ٣٢ ، وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٧ ص ٣٠٣ .

٣٦ ـ رأي الخليفة في قاتل معفو عنه :

عن إبراهيم النخعي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتي برجل قد قتل عمداً فأمر بقتله فعفا بعض الأولياء فأمر بقتله فقال إبن مسعود : كانت النفس لهم جميعاً فلمّا عفا هذا أحيا النفس فلا يستطيع أن يأخذ حقّه حتّى يأخذ غيره قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن تجعل الدية عليه في ماله وترفع حصَّة الذي عفا فقال عمر رضي الله عنه : وأنا أرى ذلك(١) .

إن كان الحكم في هذه القضايا هو ما ارتآه الخليفة أوّلاً فلماذا عدل عنه ؟ وإن كان ما لفتوا نظره إليه أخيراً فلماذا همَّ أن ينوء بالأوّل ؟ وهل من المستطاع أن نقول : إنَّ الحكم كان عازباً عن فكرة خليفة المسلمين في كلٍّ هذه الموارد ؟ أو أنَّ تلكم الأقضية كانت مجرَّد رأي وتحكّم ؟ أو هذه هي سيرة أعلم الأُمَّة ؟

٣٧ ـ رأي الخليفة في الاصابع :

عن سعيد بن المسيِّب : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الأصابع في الإبهام بثلاثة عشر ، وفي التي تليها بإثني عشر ، وفي الوسطى بعشرة ، وفي التي تليها بتسع ، وفي الخنصر بستّ .

وفي لفظ آخر :

إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الإبهام بخمس عشرة ، وفي التي تليها بعشر ، وفي الوسطى بعشرة ، وفي التي تلي الخنصر بتسع ، وفي الخنصر بستّ .

---

(١) كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ٢٩٥ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٦٠ .

وعن أبي غطفان : إنَّ ابن عبّاس كان يقول في الأصابع عشر عشر فأرسل مروان إليه فقال : أتفتي في الأصابع عشر عشر وقد بلغك عن عمر رضي الله عنه في الأصابع ؟ فقال ابن عبّاس : رحم الله عمر : قول رسول الله ﷺ أحقُّ أن يتَّبع من قول عمر رضي الله عنه[١] .

قال الأميني : ثبت في الصِّحاح والمسانيد أنَّ رسول الله ﷺ قال في الأصابع عشر عشر على ما أفتى به ابن عبّاس ، وهذه سنّته ﷺ المسلّمة وهديه الثابت فيها ، وما قضى به عمر فمن آرائه الخاصَّة به ، والأمر كما قال ابن عبّاس : قول رسول الله ﷺ أحقُّ أن يُتَّبع من قول عمر . وأنا لا أدري أنَّ الخليفة كان يعلم ذلك ويُخالف ، أم لم يكن يعلم ؟ .

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم

٣٨ - رأي الخليفة في دية الجنين :

عن المسور بن مخرمة قال : استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه النّاس في إملاص المرأة فقال المغيرة بن شعبة : سمعت رسول الله ﷺ قضى فيه بغرَّة عبد أو أمة . فقال : ائتني بمن يشهد معك فشهد محمّد بن مسلمة[٢] .

وعن عروة : أنَّ عمر رضي الله عنه سأل - نشد النّاس مَن سمع رسول الله ﷺ قضى في السِّقط ؟ فقال المغيرة بن شعبة : أنا سمعت رسول الله ﷺ قضى فيه بغرَّة عبد أو أمة فقال : ائت بمن يشهد معك على هذا . فقال محمّد بن مسلمة : أنا أشهد على النبيِّ ﷺ بمثل هذا[٣] .

---

(١) كتاب الأم للشافعي ج ١ ص ٥٨ ، ١٣٤ ، واختلاف الحديث للشافعي أيضاً هامش كتاب الأم ج ٧ ص ١٤٠ ، وكتاب الرسالة له ص ١١٣ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٩٣ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الديات باب جنين المرأة ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٤١ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٥ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١١٤ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الديات باب جنين المرأة ، السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١١٤ ، ١١٥ .

وفي لفظ أبي داود : فقال عمر : الله أكبر لو لم أسمع بهذا لقضينا بغير هذا[١] .

وفي حديث : نشد عمر النّاس في دية الجنين فقال حمل بن النابغة : إنَّ رسول الله ﷺ قضى فيه بغرَّة عبد أو وليدة فقضى به عمر[٢] وزاد الشافعي : فقال عمر رضي الله عنه لو لم نسمع هذا لقضينا فيه بغير هذا . وفي لفظ : إن كدنا أن نقضي في مثل هذا برأينا .

قال إبن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٢٥٩ : أخرجه أحمد وأصحاب السنن بإسناد صحيح من طريق طاوس عن ابن عبّاس .

قال الأميني : ما أحوج الخليفة إلى العقل المنفصل في كلِّ قضيَّة حتّى أنَّه يركن إلى مثل المغيرة أزنى ثقيف وأكذبها في شريعة إلهيَّة ؟ وهو لم يجز شهادة المغيرة للعبّاس عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في دعواه أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم أقطع له البحرين[٣] أو يستند إلى مثل محمّد بن مسلمة الذي ما جاء عنه غير ستّة أحاديث[٤] أو إلى مثل حمل بن النابغة الذي ليس له عندهم غير هذا الحديث[٥] .

قال إبن دقيق العيد : إستشارة عمر في ذلك أصلٌ في سؤال الإمام عن الحكم إذا كان لا يعلمه ، أو كان عنده شكّ ، أو أراد الإستثبات[٦] لكنّا لا نرى في مستوى الإمامة مقيلاً لمن يجهل حكماً من الأحكام ، أو يشكُّ فيما علمه ، أو يحتاج إلى التثبّت فيما اتّصل به يقينه بقول هذا وذاك ، فإنّه المقتدى في الأحكام كلّها ، فلو جاز له الجهل في شيء منها أو الشكُّ أو الحاجة إلى التثبّت ؟ لجاز أن

---

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٦ .
(٢) كتاب الرسالة للشافعي ص ١١٣ ، اختلاف الحديث له في هامش كتاب الأم ج ٧ ص ٢٠ ، عمدة القاري ج ٥ ص ٤١٠ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٦ .
(٣) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٤٥٦ في ترجمة يزيد بن ربيعة .
(٤) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٥٥ .
(٥) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٦ .
(٦) إرشاد الساري للقسطلاني ج ١٠ ص ٦٧ .

يقع ذلك حيث لا يجد من يسأله فيرتبك في الجواب ، أو يربك صاحبه في الضّلال ، أو يتعطّل الحكم الإلهيّ من جرّاء ذلك ، ألا تسمع قول عمر : الله أكبر لو لم أسمع بهذا لقضينا بغير هذا . أو : إن كدنا أن نقضي في مثل هذا برأينا .

٣٩ ـ رأي الخليفة في سارق :

عن عبد الرَّحمٰن بن عائذ قال : أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل أقطع اليد والرجل قد سرق فأمر به عمر رضي الله عنه أن يقطع رجله فقال عليٌّ رضي الله عنه : إنَّما قال الله عزّ وجلّ : **﴿إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾** ، الآية[1] فقد قطعت يد هذا ورجله فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها ، إمّا أن تعزِّره وإمّا أن تستودعه السجن . قال : فاستودعه السِّجن .

السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٧٤ ، كنز العمّال ج ٣ ص ١١٨ .

٤٠ ـ اجتهاد الخليفة في هديّة ملكة الرّوم :

عن قتادة قال : بعث عمر رسولاً إلى ملك الرّوم فاستقرضت أُمّ كلثوم بنت عليّ ـ وكانت امرأة عمر ـ ديناراً فاشترت به عطراً وجعلته في قارورة وبعثت به مع الرّسول إلى امرأة ملك الروم فلمّا أتاها بعثت لها شيئاً من الجواهر وقالت للرّسول : إذهب به إلى امرأة عمر فلمّا أتاها أفرغته على البساط فدخل عمر فقال : ما هذا ؟ فأخبرته فأخذ الجواهر وخرج بها إلى المسجد ونادى الصّلاة جامعة فلمّا اجتمع النّاس أخبرهم الخبر وأراهم الجواهر وقال : ما ترون في ذلك ؟ فقالوا : إنّا نراها تستحقُّ ذلك لأنّه هديَّةٌ جاءتها من امرأة لا جزية ولا خراج عليها ولا يتعلّق بها حكمٌ من أحكام الرِّجال . فقال : لكن الزّوجة زوجة أمير المؤمنين ، والرَّسول رسول أمير المؤمنين ، والراحلة التي ركبها للمؤمنين ، وما جاء ذلك كلّه لولا المؤمنون ، فأرى أنَّ ذلك لبيت مال المسلمين ، ونعطيها رأس مالها . فباع الجواهر ودفع لزوجته

---

(١) سورة المائدة : الآية : ٣٣ .

ديناراً وجعل ما بقي في بيت مال المسلمين[١] .

٢ ـ يُروى أنَّ امرأة أبي عبيدة أرسلت إلى امرأة ملك الروم هديَّة فكافأتها بجوهر فبلغ ذلك عمر فأخذه فباعه وأعطاها ثمن هديّتها وردَّ باقيه إلى بيت مال المسلمين[٢]

قال الأميني : كلُّ ما ذكره الخليفة ليس من المملّك ولا من المخرجات من الملك أمّا كونها زوجة الخليفة فمن الدواعي لإهداء زوجة ملك الرّوم ، وأمّا وجود المؤمنين فهو من بواعث شوكة الخليفة التي من جهتها تكون زوجته معتنىً بها عند أزواج الملوكِ وكون الرَّسول رسول الخليفة لا يبيح ما أُوتمن عليه الرَّسول في إيصاله إلى صاحبه . ودابّة المؤمنين لا تستبيح ما حمله الراكب عليها. نعم من الممكن إن كان له ثقلٌ يُعتَدُّ به أن يأخذ المؤمنون الأُجرة على حمله .

ولا أدري كيف فعل الخليفة ما فعل ؟ وكيف استساغ المسلمون ذلك المال أخيراً بعد أن رأوا أنَّها تستحقّه أوّلاً ؟ ثمّ ما وجه إعطاء ثمن الهديّة في القضيّتين ؟ فإن كان لحقّ لصاحبتيهما في الجوهر ؟ فهو لها في كلّه ، وإلاّ فقد أقدمتاهما إلى إتلاف مالهما فلا وجه لإعطاء بدله من مال المسلمين .

٤١ ـ رأيُ الخليفة في جلد المغيرة :

عن عبد الرَّحمٰن بن أبي بكرة : إنَّ أبا بكرة وزياداً ونافعاً وشبل بن معبد كانوا في غرفة والمغيرة في أسفل الدار فهبّت ريحٌ ففتحت الباب ورفعت الستر فإذا المغيرة بين رجليها فقال بعضهم لبعض : قد ابتلينا . قال : فشهد أبو بكرة ونافع وشبل وقال زياد : لا أدري نكحها أم لا فجلدهم عمر رضي الله عنه إلاّ زياداً فقال أبو بكرة رضي الله عنه : أليس قد جلدتموني ؟ قال : بلى . قال : فأنا أشهد بالله لقد فعل . فأراد عمر أن يجلده أيضاً فقال عليٌّ : إن كانت شهادة رجلين فارجم صاحبك وإلاّ فقد جلدتموه ، يعني لا يجلد ثانياً بإعادة القذف .

---

(١) الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤١٣ .

(٢) الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤١٣ .

وفي لفظ آخر : فهمَّ عمر أن يُعيد عليه الحدّ فنهاه عليٌّ رضي الله عنه وقال : إن جلدته فارجم صاحبك ، فتركه ولم يجلده .

وفي لفظ ثالث : فهمَّ عمر بضربه فقال عليٌّ : لئن ضربت هذا فارجم ذاك[١] .

صورة مفصلة :

عن أنس بن مالك : إنَّ المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار ، وكان أبو بكرة ـ نفيع الثقفي ـ يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : إلى حاجة ، فيقول له : حاجة ما ؟ إنَّ الأمير يُزار ولا يزور ، قال : وكانت المرأة ـ أمّ جميل بنت الأفقم ـ التي يأتيها جارة لأبي بكرة ، قال : فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ورجلٌ آخر يقال له : شبل بن معبد ، وكانت غرفة تلك المرأة بحذاء غرفة أبي بكرة فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها فقال أبو بكرة : هذه بليّةٌ ابتليتم بها فانظروا . فنظروا حتّى أثبتوا فنزل أبو بكرة حتّى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له : إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا ، قال : وذهب ليصلّي بالناس الظهر فمنعه أبو بكرة وقال له : والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال النّاس : دعوه فليصلِّ فإنَّه الأمير واكتبوا بذلك إلى عمر . فكتبوا إليه فورد كتابه أن يقدموا عليه جميعاً المغيرة والشهود .

قال مصعب بن سعد : إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس ودعا بالمغيرة والشهود فتقدَّم أبو بكرة فقال له : أرأيته بين فخذيها ؟ قال : نعم والله لكأنّي أنظر تشريم جدري بفخذيها ، فقال له المغيرة : لقد ألطفت النظر ، فقال له : ألم أك قد أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتّى تشهد لقد رأيته يلج المرود في المكحلة . فقال : نعم أشهد على ذلك ، فقال له : إذهب مغيرة ذهب ربعك ، ثمَّ دعا نافعاً فقال له : علامَ تشهد ؟ قال : على مثل شهادة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٣٥ .

أبي بكـرة . قال : لا حتّى تشهـد أنه يلج فيـه ولوج المـرود في المكحلة ، فقال : نعم حتّى بلغ قـذذه . فقال : إذهب مغيـرة ذهب نصفك ، ثمَّ دعـا الثـالث فقـال : علامَ تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبيَّ . فقال له : إذهب مغيرة ذهب ثلاثـة أرباعك ثمَّ كتب ـ عمـر ـ إلى زياد فقـدم على عمر فلمّـا رآه جلس له في المسجـد واجتمع له رؤوس المهاجرين والأنصار فقال المغيرة : ومعي كلمة قـد رفعتها لأحلم القـوم قال : فلمّـا رآه عمر مقبـلاً قال : إنّي لأرى رجـلاً لن يُخزي الله على لسـانه رجلاً من المهاجرين . فقال : يا أمير المؤمنين أما إنّ الحق ما حقّ القوم فليس ذلك عندي ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً ، وسمعت أمراً حثيثـاً وانبهاراً ، ورأيتـه متبطّنهـا ، فقال له : أرأيته يدخله كالميل في المكحلة؟ فقال : لا .

وفي لفظ قال : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خصيتيه تتـردَّدان بين فخذيهـا ، ورأيت خفزاً شديداً ، وسمعت نفساً عالياً .

وفي لفظ الـطبـري قـال : رأيتـه جـالسـاً بين رجلي امـرأة ، فـرأيت قـدمين مخضوبتين تخفقان ، وإستين مكشوفتين ، وسمعت خفزاناً شديداً .

فقـال له : أرأيتـه يدخله ويخـرجه كـالميل في المكحلة ؟ فقـال : لا ، فقال عمـر : الله أكبر قم إليهم فـاضربهم ، فقـام إلى أبي بكرة فضـربه ثمـانين وضـرب الباقين وأعجبه قول زياد ودرأ عن المغيرة الرَّجم فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب : فإنّي أشهد أنَّ المغيرة فعل كذا وكذا . فهمَّ عمر بضربه فقال له عليٌّ عليه السلام : إن ضـربته رجمت صاحبك ونهاه عن ذلك[١] .

قال الأميني : لو كان للخليفة قسطٌ من حكم هـذه القضيَّة لمـا همَّ بجلد أبي بكرة ثانياً ، ولا عزب عنه حكم رجم المغيرة إن جُلد .

وإن تعجب فعجبٌ ايعـاز الخليفة إلى زيـاد لمّا جـاء يشهد بكتمـان الشهـادة

---

(١) الأغـاني لأبي الفرج الأصبهـاني ج ١٤ ص ١٤٦ ، تـاريخ الـطبـري ج ٤ ص ٢٠٧ ، فتـوح البلدان للبلاذري ص ٣٥٢ ، تاريخ الكامـل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٨ ، تـاريخ ابن خلكـان ج ٢ ص ٤٥٥ ، تـاريخ ابن كثيـر ج ٧ ص ٨١ ، شرح نهـج البلاغـة لابن أبي الحديـد ج ٣ ص ١٦١ ، عمدة القاري ج ٦ ص ٣٤٠ .

بقوله : إنّي لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين(١) أو بقوله : أما إنّي أرى وجه رجل أرجو أن لا يُرجم رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يده ولا يخزى بشهادته(٢) أو بقوله : إنّي أرى غلاماً كيِّساً لا يقول إلّا حقاً ولم يكن ليكتمني شيئاً(٣) أو بقوله : إنّي أرى غلاماً كيِّساً لن يشهد إن شاء الله إلّا بحق(٤) وهو يوعز إلى أنَّ الذين تقدَّموه أغرارٌ شهدوا بالباطل ، وعلى أيّ فقد استشعر زياد ميل الخليفة إلى درء الحدِّ عن المغيرة فأتى بجمل لا تقصر عن الشّهادة ، لكنّه تلجلج عن صراح الحقيقة لَمّا انتهى إليه ، وكيف يصدِّق في ذلك ؟ وقد رأى إستاً مكشوفة وخصيتين متردِّدتين بين فخذي أُمّ جميل ، وقدمين مخضوبتين مرفوعتين ، وسمع خفزاناً شديداً ونفساً عالياً ، ورآه متبطّناً لها ، وهل تجد في هذا الحدِّ مساغاً لأن يكون الميل في خارج المكحلة ؟ أو أن يكون قضيب المغيرة جامحاً عن فرج أُمّ جميل ؟ .

نعم : كان في القضيَّة تأوّلٌ واجتهادٌ أدّى إلى أهميَّة درء الحدِّ في المورد خاصَّة ، وإن كان الخليفة نفسه جازماً بصدق الخزاية كما يُعرب عنه قوله للمغيرة : والله ما أظنُّ أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلّا خفت أن أُرمى بالحجارة من السَّماء . قاله لمّا وافقت أُمّ جميل عمر بالموسم والمغيرة هناك فسأله عنها فقال : هذه أُمّ كلثوم بنت عليّ فقال عمر : أتتجاهل عليَّ ؟ والله ما أظنّ . إلخ(٥) .

وليت شعري لماذا كان عمر يخاف أن يُرمى بالحجارة من السَّماء ؟ ألردِّه الحدَّ حقّاً ؟ وحاشا الله أن يرمي مقيم الحقِّ ، أو لتعطيله الحكم ؟ أو لجلده مثل أبي بكرة الذي عدّوه من خيار الصَّحابة وكان من العبادة كالنّصل ؟ أنا لا أدري .

وكان عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام يصافق عمر على ما ظنَّ أو جزم به فخاف أن

---

(١) الأغاني كما مرّ .
(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٥٣ .
(٣) سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٣٥ .
(٤) كنز العمال .
(٥) الأغاني ج ١٤ ص ١٤٧ . شرح النهج ج ٣ ص ١٦٢ .

يُرمى بالحجارة ، وينمُّ عن ذلك قوله ﷺ : لئن لم ينته المغيرة لأُتبعنَّه أحجاره . أو قوله : لئن أخذت المغيرة لأُتبعنَّه أحجاره(١) .

وقد هجاه حسّان بن ثابت في هذه القصّة بقوله :

لو أنَّ اللّوم يُنسب كان عبداً ... قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركتَ الدِّين والإسلامَ لمّا ... بدت لك غدوة ذات النصيف
وراجعت الصِّبا وذكرت لهواً ... من القينات في العمر اللطيف(٢)

ولا يشكُّ إبن أبي الحديد المعتزلي في أنَّ المغيرة زنى بأُمّ جميل وقال : إنَّ الخبر بزناه كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين النّاس(٣) غير أنّه لم يُخطىء عمر بن الخطاب في درء الحدِّ عنه ويدافع عنه بقوله : لأنَّ الإمام يستحبُّ له درء الحدِّ وإن غلب على ظنّه أنَّه قد وجب الحدُّ عليه .

عزب على ابن أبي الحديد أنَّ درء الحدِّ بالشّبهات لا يخصُّ بالمغيرة فحسب بل للإمام رعاية حال الشهود أيضاً ودرء الحدِّ عنهم ، فأنّى للإمام درء الحدِّ عمَّن يُقال : إنَّه كان أزنى الناس في الجاهليَّة فلمّا دخل في الإسلام قيَّده الإسلام وبقيت عنده منه بقيَّة ظهرت في أيّام ولايته بالبصرة(٤) ؟ أنّى له رفع اليد عن مثل الرَّجل وقد غلب على ظنِّه وجوب الحدِّ عليه ، وحكمه بالحدِّ على أبرياء ثلاثة يشكُّ في الحدّ عليهم وفيهم من يُعدُّ من عبّاد الصّحابة ؟ وأنّى يتأتّى الإحتياط في درء الحدِّ عن واحد مثل المغيرة برمي ثلاثة بالكذب والقذف وتشويه سمعتهم في المجتمع الدينيِّ وتخذيلهم بإجراء الحدِّ عليهم ؟ .

ثمَّ هلّا اجتمعت كلمة الشهود الأربعة على ما شهد به زياد من معاصي المغيرة دون ايلاج المِرود في المكحلة ؟ فلماذا لم يعزّره على ما اقترفه من الفاحشة ؟ أوَ لم تكن المعاصي تستوجب تعزيراً ؟ أوَ لم يكن من رأي الخليفة جلد

---

(١) الأغاني ج ١٤ ص ١٤٧ .
(٢) الأغاني ج ١٤ ص ١٤٧ . شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٦٣ .
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٦٣ .
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٦٣ نقلاً عن المدائني .

صائم اخذ على شراب كما يأتي في نادرة ٧٢ .

أو لم يكن من رأيه ضرب خمسين على من وجد مع امرأة في لحافها على فراشها ؟[١] .

أو لم يكن مقرِّراً حكم عبدالله بن مسعود في رجل وجد مع امرأة في لحاف فضرب عبدالله كلَّ واحد منهما أربعين سوطاً وأقامهما للنّاس فذهب أهل المرأة وأهل الرَّجل فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب فقال عمر لابن مسعود : ما يقول هؤلاء ؟ قال : قد فعلت ذلك . قال : أورأيت ذلك ؟ قال : نعم . فقال : نِعمَ ما رأيت . فقالوا : أتيناه نستأذنه فإذا هو يسأله[٢] .

نعم : للقارىء أن يفرِّق بين ما نحن فيه وبين تلكم المواقف التي حكم فيها بالتعزير أنَّ الحكم هناك قد دار مدار اللحاف ولم يكن لحافٌ على المغيرة وأُمّ جميل في فحشائهما : والقول بمثل هذه الخزاية أهون من تلكم الكلم التي توجد في الدِّفاع عن الخليفة حول هذه القضيَّة ولدتها .

هذا مغيرة وهذا إلى أمثالها بوائقه ، وكان يُعرف بها في إسلامه وقبله ، وقد أتى أمير المؤمنين عليه السلام عندما تولّى الخلافة يُظهر بزعمه النّصح له بإقرار معاوية في ولايته على الشام ردحاً ثمَّ يفعل به ما أراد ، وبما أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ممَّن يداهن ويجامل أعداء الله في أمر الدِّين ولا يؤثر الدَّهاء على حكم الشريعة ، وكان يرى أنَّ مفاسد إبقاء معاوية على الأمر لا تكافىء مصلحة إغفاله عن المقاومة ، فإنَّه غير صالح لتولّي أمر المسلمين فيومه لدة سنته ، وساعته كمثل عمره في الفساد ، رفض ذلك الرأي المغيريَّ ، ولم يكن بالذي يتّخذ المضلّين عضداً فبهض ذلك المغيرة فولّى عنه منشداً :

نصحت عليّاً في ابن هند نصيحة ... فردَّت فلم أُسمع لها الدَّهر ثانيه
وقلت له : أوجز عليه بعهده ... وبالأمر حتّى يستقرَّ معاويه

---

(١) أخرجه إمام الشافعية في كتاب الام ج ٧ ص ١٧٠ .

(٢) أخرجه الطبراني والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٧٠ وقال : رجاله رجال الصحيح .

وتعلم أهل الشّام أن قد ملكته ... وأن اذنه صارت لأمرك واعيه
فتحكم فيه ما تريد فإنّه ... لداهيةٌ فارفق به أيّ داهيه
فلم يقبل النّصح الذي قد نصحته ... وكانت له تلك النصيحة كافيه[1]

وأجاب عنها العلاّمة الأوردبادي بقوله :

أتيتَ إمام المسلمين بغدرة ... فلم تلف نفساً منه للغدر صاغيه
وأسمعته إدّاً من القول لم يُصخ ... له إذ رأى منه الخيانة باديه
رغبت إليه في ابن هند ولاية ... أبى الدِّين إلاّ أن تُرى عنه نائيه
أيؤتمن الغاوي على إمرة الهدى ؟ ... تعاد على الدِّين المعرَّة ثانيه
ويرعى القطيع الذئب والذئب كاسر ... ويأمن منه في الأويقة عاديه ؟
وهل سمعت أذناك قل لي هنيهة ... بزوبعة هبّت فلم تعدُ سافيه ؟
وهل يأمن الأفعى السَّليم سويعة ... ومن شدقها قتّالة السمِّ جاريه ؟
فيوم ابن هند ليس إلا كدهره ... فصفقته كانت من الخير خاليه
وللشرِّ منه والمزنّم جروه ... ووالده شيخ الفجور زبانيه
متى كان للتقوى علوج أميّة ؟ ... وللغيِّ منهم كلّ باغٍ وباغيه
وللزّور والفحشاء منهم زبائنٌ ... وللجور منهم كلّ دهياء داهيه
همُ أرهجوها فتنةً جاهليّةً ... إذ انتهزوا للشرِّ أجواء صافيه
فماذا على حِلف التقى وهو لا يرى ... يُراوغ في أمر الخلافة طاغيه ؟
وشتّان في الإسلام هذا وهذه ... فدين (عليّ) غير دنيا معاويه
أتنقم منه إنَّ شرعة (أحمد) ... تجذّ يميناً لابن سفيان عاديه ؟
وتحسب أن قد فاته الرأي عنده ... كأنّك قد أبصرت ما عنه خافيه
ولولا التّقى ألفيت صنو (محمّد) ... لتدبير أمر الملك أكبر داهيه
عرفناك يا أزنى ثقيف ووغدها ... عليك بيوميك الشنار سواسيه
وإنّك في الإسلام مثلك قبله ... وأمُّ جميل للخزاية راويه

وكان المغيرة في مقدّم أُناس كانوا ينالون من أمير المؤمنين عليه السلام قال إبن

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ١٦ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٢٨ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٥١ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٧٢ .

الجوزي قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان فتكلّم ، فقال المغيرة : أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن عليّاً . فقال : لعن الله من لعن الله ولعن عليَّ بن أبي طالب ، فأخبره بذلك فقال : أُقسم بالله لتقيّدنه فخرج فقال : إنَّ هذا يأبى إلاّ عليَّ بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله . فقال المغيرة : أخرجوه أخرج الله نفسه . رسائل الجاحظ ص ٩٢ ، الأذكياء ص ٩٨ .

وأخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٦٩ عن قطبة بن مالك قال : نال المغيرة بن شعبة من عليّ فقال زيد بن أرقم : قد علمت أنَّ رسول الله ﷺ كان ينهى عن سبِّ الموتى فلِمَ تسبُّ عليّاً وقد مات .

وأخرج في المسند أيضاً ج ١ ص ١٨٨ أحاديث نيله من أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته واعتراض سعيد بن زيد عليه .

٤٢ ـ كلٌّ أفقه من عمر حتّى العجائز :

لمّا رجع عمر بن الخطّاب من الشّام إلى المدينة إنفرد عن النّاس ليعرف أخبارهم فمرَّ بعجوز في خبائها فقصدها فقالت : يا هذا ما فعل عمر ؟ قال : هوذا قد أقبل من الشّام قالت : لا جزاه الله عنّي خيراً ، قال : ويحك ولِمَ ؟ قالت : لأنّه والله ما نالني من عطائه منذ ولي إلى يومنا هذا دينار ولا درهم ، فقال : ويحك وما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع ؟ فقالت : سبحان الله ما ظننت أنَّ أحداً يلي على النّاس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها ، قال : فأقبل عمر وهو يبكي ويقول : واعمراه واخصوماه كلّ واحد أفقه منك يا عمر . الحديث . وفي لفظ : كلٌّ واحد أفقه منك حتّى العجائز يا عمر ! .

الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٥٧ ، الفتوحات الإسلاميّة ج ٢ ص ٤٠٨ ، نور الأبصار ص ٦٥ .

قال الأميني : نحن ندرس من هذه القصّة أنَّ فكرة إحاطة علم الإمام بالأشياء كلها أو جلّها فضلاً عن الشرائع والأحكام فكرة بسيطة عامّة يشترك في لزومها الرِّجال والنساء ، فهي غريزةٌ لا تعزب عن أيِّ ابن أُنثى وقد فقدها الخليفة واعترف بأنَّ كلَّ واحد أفقه منه .

٤٣ ـ استشارة الخليفة في متسابّين :

أخرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٥٢ : أنَّ رجلين استبّا في زمن عمر بن الخطّاب فقال أحدهما على الآخر : والله ما أرى أبي بزان ولا أُمّي بزانية . فاستشار عمر النّاس في ذلك فقال قائلٌ : مدح أباه وأُمّه . وقال آخرون . قد كان لأبيه وأُمّه مدحٌ غير هذا نرى أن تجلده الحدّ . فجلده عمر الحدّ ثمانين .

وذكره النيسابوري في تفسيره في سورة النور عند قوله تعالىٰ : **﴿الَّذين يرمون المحصنات ثمَّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾** .

قال الأميني : أنا لا أدري لأيِّ المصيبتين أنحب ؟ أبقصور الخليفة عن حكم المسألة ؟ أم بقصر المعلّمين له عن حقيقته ؟ وكلٌّ يفوه برأي ضئيل ، والأفظع جري العمل على ما قالوه .

أمّا الحدّ فليس إلّا بالقذف البيِّن والنفي البيّن وهو المستفاد من قوله تعالىٰ : **﴿والّذين يرمون المحصنات﴾**[١] وعلى هذا كان عمل الصَّحابة والتابعين لهم بإحسان كما قال القاسم بن محمّد : ما كنّا نرى الجلد إلّا في القذف البيِّن والنفي البيِّن[٢] وأمّا قول ـ ليس أبي بزان ـ فنناقش أوّلاً في كونه تعريضاً إذ لعلّه يريد طهارة منبته التي تزعه عن النزول إلى الدنايا من بذاءة في القول ، أو خسَّةٍ في الطبع ، أو حزازةٍ في العمل ، فمن الممكن أنه لا يريد إلّا هذا فحسب ، وهو الذي فهمه فريقٌ من الصَّحابة فقالوا : إنَّه مدح أباه . وإن لم يجدوا لما أبدوه أُذناً واعية ، وعلى فرض كونه تعريضاً فإنّما يوجب الحدَّ إذا كانت دلالته مقطوعاً بها ، أو أن يعترف المعرِّض بأنَّه لم يقصد إلّا القذف ، وإلا فالحدود تُدرأ بالشبهات . ألا ترى سقوط الحكم عمَّن عرَّض بسبِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصرّح كما في الصِّحاح .

وإلى نفي الحدِّ بالتعريض ذهب أبو حنيفة والشافعي وأبو يوسف وزفر

---

(١) سورة النور ؛ الآية : ٤ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٥٢ .

ومحمّد بن شبرمة والثوري والحسن بن صالح وبين يديهم الحديث المذكور وما رواه الأوزاعي عن الزهري عن اسلم عن ابن عمر قال : كان عمر يضرب الحدَّ في التعريض[1] .

قال أبو بكر الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٣ ص ٣٣٠ : ثمَّ لما ثبت أنَّ المراد بقوله : ﴿**والّذين يرمون المحصنات**﴾ ، هو الرمي بالزنا لم يجز له ايجاب الحدّ على غيره ، إذ لا سبيل إلى إثبات الحدود من طريق المقاييس ، وإنّما طريقها الإتّفاق أو التوقيف وذلك معدومٌ في التعريض ، ومشاورة عمر الصَّحابة في حكم التَّعريض دلالةٌ على أنّه لم يكن عندهم فيه توقيف وأنّه قال اجتهاداً ورأياً ، وأيضاً فإنَّ التعريض بمنزلة الكناية المحتملة للمعاني وغير جائز ايجاب الحدِّ بالإحتمال لوجهين : أحدهما أنَّ القائل بريءُ الظهر من الجلد فلا نجلده بالشكّ والمحتمل مشكوكٌ فيه ، ألا ترى أنَّ يزيد بن ركانة لَمّا طلّق امرأته البتَّة استحلفه النبيُّ ﷺ (فقال) : ما أردت إلّا واحدة فلم يلزمه الثلاث بالإحتمال ، ولذلك قال الفقهاء في كنايات الطلاق : انّها لا تجعل طلاقاً إلّا بدلالة .

والوجه الآخر ما رُوي عن النبيِّ ﷺ انَّه قال : إدرؤا الحدود بالشبهات . وأقلُّ أحوال التعريض حين كان محتملاً للقذف وغيره أن يكون شبهةً في سقوطه .

وأيضاً قد فرَّق الله تعالى بين التعريض بالنكاح في العدَّة وبين التصريح فقال :﴿**ولاجناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنّكم ستذكرونهنَّ ولكن لا تواعدوهنَّ سرّاً**﴾.يعني نكاحاً فجعل التعريض بمنزلة الإضمار في النفس فوجب أن يكون كذلك حكم التعريض بالقذف ، والمعنى الجامع بينهما أنَّ التعريض لمّا كان فيه احتمالٌ كان في حكم الضمير لوجود الإحتمال فيه . اهـ .

هذه كلّها كانت بمنتأى عن مبلغ الخليفة من العلم ، غير أنّه كان يستشير الناس كائناً من كان في كلّ مشكلة ثمّ يرى فيه رأيه وافق دين الله أم خالفه .

---

(١) السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٥٢ .

٤٤ ـ رأي الخليفة في شجرة الرّضوان :

عن نافع قال : كان النّاس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان فيصلّون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت .

الطبقات الكبرى لابن سعد ص ٦٠٧ ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٧، شرح إبن أبي الحديد ج ٣ ص ١٢٢ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٢٩ ، فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٣٦١ وقد صحَّحه ، إرشاد السّاري ج ٦ ص ٣٣٧ وحكى تصحيح ابن حجر ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٠٧ ، الدّر المنثور ج ٦ ص ٧٣ ، عمدة القاري ج ٨ ص ٢٨٤ وقال : إسنادٌ صحيحٌ . وذكره إبن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٦٠ ولفظه :

كان النّاس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها فيصلّون عندها فقال عمر : أراكم أيّها الناس رجعتم إلى العزّى ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلّا قتلته بالسّيف كما يُقتل المرتدّ ثمَّ أمر بها فقطعت .

٤٥ ـ رأي الخليفة في آثار الأنبياء :

عن معرور قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه في حجَّة حجَّها قال : فقرأ بنا في الفجر : **﴿ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل﴾ ﴿ولإيلاف قريش﴾** فلمّا انصرف فرأى النّاس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجدٌ صلّى فيه النبي ﷺ فقال : هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم ، اتَّخذوا آثار أنبيائهم بيعاً ، من عرضت له صلاة فليصلِّ ومَن لم تعرض له صلاة فليمض[1] .

قال الأميني : ليت شعري ما المانع من تعظيم آثار الأنبياء وفي مقدّمهم سيِّد ولد آدم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إذا لم يكن خارجاً عن حدود التوحيد كالسجود إلى تماثيلهم واتِّخاذها قبلة ؟ ومن يعظّم شعائر الله فإنَّها من تقوى القلوب ، ومتى هلكت الأُمم باتِّخاذهم آثار أنبيائهم بيعاً ؟ وأيّ مسجد تكون الصَّلاة فيه أزلف إلى

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٢٢ وفيه بدل معرور المغيرة بن سويد ، فتح الباري ج ١ ص ٤٥٠ .

الله سبحانه من مسجد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وأيّ مكان أشرف من مكان حلّ به النبيُّ الأعظم وبويع فيه بيعة الرضوان وحظي المؤمنون فيه برضى الله عنهم ؟ أوَ لا يكسب ذلك كلّه المحلّ فضلاً يزيد في زلفة المتعبِّدين بفنائه ؟ وما ذنب الشجرة المسكينة حتّى اجتثّت أُصولها ؟ ولا من ثائرٍ لها أو مدافع عنها . أوَ ليس ذلك توهيناً للمحلّ ولمشرِّفه ؟ أيُسوِّغ أدب الدِّين للخليفة قوله : أراكم أيّها النّاس رجعتم إلى العزّى ؟ والّذين كانوا يرون حرمة تلكم الآثار ويعظِّمونها ويصلّون عندها إنّما هم حملة علم الدين من الصَّحابة العدول ، مراجع الخليفة في الأحكام والشرائع ، كان يعوِّل عليهم حيثما أعيته المسائل قائلاً : كلّ النّاس أفقه منك يا عمر .

هذه أسئلة جمَّة عزب عن الخليفة العلم بالجواب عنها ، أو أنّها لم تدر في خلده ، أو أنّه متأوِّل فيها جمعاء وأنت ترى . . .

ومن الصَّحابة التي كانت تتبرَّك بتلك الأماكن وتصلّي فيها عبدالله بن عمر ، قال موسى بن عقبة[1] : رأيت سالم بن عبدالله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّي فيها ويحدِّث أنَّ أباه كان يصلّي فيها ، وأنّه رأى النبيَّ ﷺ يصلّي في تلك الأمكنة . وعن نافع عن إبن عمر أنّه كان يصلّي في تلك الأمكنة .

فالراجع إلى الصِّحاح والسنن يجد كثيراً من لِدة هذه يعلم بها أنَّ رأي الخليفة إنّما يخصُّ به ولا يُتّبع ولم يُتّبع ولن يُتّبع .

٤٦ - الخليفة وقوم من أحبار اليهود :

لمّا ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أتاه قومٌ من أحبار اليهود فقالوا : يا عمر أنت وليُّ الأمر بعد محمّد ﷺ وصاحبه وإنّا نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أنَّ الإسلام حقٌّ وأنَّ محمَّداً كان نبيّاً ، وإن لم تُخبرنا بها علمنا أنَّ الإسلام باطلٌ وأنَّ محمَّداً لم يكن نبيّاً ، فقال : سلوا عمّا بدا لكم ، قالوا : أخبرنا عن أقفال السّماوات ما هي؟ وأخبرنا عن مفاتيح السّماوات ما هي ؟ وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو؟ وأخبرنا عمّن أنذر قومه لا هو من

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب : المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلّى فيها النبيّ ﷺ .

الجنِّ ولا هـو من الإنس ؟ وأخبرنـا عن خمسة أشيـاء مشـوا على وجـه الأرض ولـم يُخلقوا في الأرحام ؟ وأخبـرنا مـا يقول الـدرّاج في صياحـه ؟ وما يقـول الديـك في صراخه ؟ ومـا يقول الفـرس في صهيله ؟ وما يقـول الضفدع في نقيقـه ؟ وما يقـول الحمار في نهيقه ؟ وما يقول القنبر في صفيره ؟

قال : فنكس عمر رأسـه في الأرض ثمَّ قال : لا عيب بعمـر إذا سُئل عمّـا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، وأن يُسْأل عمّا لا يعلم . فوثبت اليهود وقالوا : نشهد أنَّ محمَّداً لم يكن نبيّاً وأنَّ الإسلام باطلٌ ، فوثب سلمان الفارسي وقـال لليهود : قفـوا قليلًا ثمَّ توجّه نحو عليٍّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه حتّى دخل عليـه فقال : يـا أبا الحسن ! أغث الإسلام . فقال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر فأقبل يرفل في بردة رسول الله ﷺ فلمّـا نظر إليـه عمر وثـب قـائمـاًفـاعتنقه وقـال : يا أبـا الحسن ! أنت لكـلِّ معضلة وشدَّة تُدعى فدعا عليٌّ كرم الله وجهه اليهود فقال : سلوا عمّـا بدا لكم فـإنَّ النبيَّ ﷺ علّمني ألف بـاب من العلم فتشعَّب لي من كلِّ بـاب ألف باب ، فسـألـوه عنها فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : إنَّ لي عليكم شريطة إذا أخبرتكم كما في تـوراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم . فقالوا : نعم . فقال : سلوا عن خصلة خصلة . قالوا : أخبرنا عن أقفال السَّماوات ما هي؟ قال . أقفـال السَّماوات الشـرك بالله لأنَّ العبد والأمة إذا كـانا مشـركين لم يرتفـع لهما عمـل .

قالوا : فأخبرنـا عن مفاتيـح السّماوات مـا هي ؟ قال شهـادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ مـحـمّــداً عـبــده ورســولــه . فـجـعــل بـعــضـهــم يـنــظر إلــى بـعض ويقولون : صدق الفتى ، قالوا : فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ فقـال ذلك الحـوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السّبع . فقالوا : أخبرنا عمّن أنذر قومه لا هو من الجنِّ ولا هو من الإنس ؟ قال : هي نملة سليمان بن داود قالت : **﴿يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون﴾** . قـالـوا : فـأخبرنـا عن خمسة مشـوا على الأرض ولم يُخلقـوا في الأرحـام ؟ قـال : ذلكم : آدم ، وحواء . وناقة صالح . وكبش إبراهيم . وعصا مـوسى . قالوا : فأخبـرنا مـا يقول الدّراج في صيـاحه ؟ قـال : يقول : الـرَّحمٰن على العرش استـوى . قالـوا :

فأخبرنا ما يقول الديك في صراخه ؟ قال : يقول : اذكروا الله يا غافلين. قالوا : أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله ؟ قال : يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين إلى الجهاد : اللهمَّ انصر عبادك المؤمنين على الكافرين . قالوا : فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه ؟ قال : يقول لعن الله العشّار وينهق في أعين الشياطين . قالوا : فأخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه ؟ قال : يقول سبحان ربّي المعبود المسبَّح في لجج البحار . قالوا : فأخبرنا ما يقول القنبر في صفيره ؟ قال : يقول : أللهمَّ العن مبغضي محمّد وآل محمّد .

وكان اليهود ثلاثة نفر فقال اثنان منهم : نشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله . ووثب الحبر الثالث فقال : يا عليّ لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والتصديق وقد بقي خصلةٌ واحدةٌ أسألك عنها فقال : سل عمّا بدا لك ، فقال : أخبرني عن قوم في أوّل الزّمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثمَّ أحياهم الله فما كان من قصَّتهم ؟ قال عليٌّ رضي الله عنه : يا يهوديُّ هؤلاء أصحابٌ وقد أنزل الله على نبيِّنا قرآناً فيه قصَّتهم وإن شئت قرأت عليك قصَّتهم ؟ فقال اليهوديُّ : ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وأسماء مدينتهم ، وإسم ملكهم ، وإسم كلبهم ، وإسم جبلهم ، وإسم كهفهم ، وقصَّتهم من أوَّلها إلى آخرها ، فاحتبى عليٌّ ببردة رسول الله ﷺ ثمَّ قال :

يا أخا العرب حدَّثني حبيبي محمّد ﷺ أنّه كان بأرض روميّة مدينةٌ يقال لها «أفسوس» ويقال هي «طرطوس» وكان اسمها في الجاهليَّة «أفسوس» فلمّا جاء الإسلام سمّوها «طرطوس» قال : وكان لهم ملكٌ صالحٌ فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع به ملكٌ من ملوك فارس يقال له : دقيانوس . وكان جبّاراً كافراً فأقبل في عساكر حتّى دخل أفسوس فاتَّخذها دار ملكه وبنى فيها قصراً .

فوثب اليهوديُّ وقال : إن كنتَ عالماً فصف لي ذلك القصر ومجالسه . فقال : يا أخا اليهوديّ ابتنى فيها قصراً من الرّخام طوله فرسخ وعرضه فرسخ واتَّخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كلِّ ليلة بالأدهان الطيِّبة واتَّخذ لشرقي المجلس مائة وثمانين كوَّة ،

ولغربيِّه كذلك ، وكـانت الشَّمس من حين تطلع إلى حين تغيب تـدور في المجلس كيفما دارت ، واتَّخذ فيه سريـراً من الذَّهب طـوله ثمـانون ذراعـاً في عرض أربعين ذراعـاً مرصّعـاً بالجـواهـر ، ونصب على يمين السرير ثمـانين كرسيّاً من الـذَّهب فأجلس عليها بطارقته ، واتّخـذ أيضاً ثمـانين كرسيّاً من الذَّهب عن يسـاره فأجلس عليها هراقلته ، ثمَّ جلس هو على السّرير ووضـع التاج على رأسـه . فوثب اليهـوديُّ وقال : يا عليُّ إن كنتَ عالماً فأخبرني ممَّ كان تاجه ؟ قال : يا أخا اليهود كان تاجه من الذَّهب السبيك له تسعة أركـان على كلِّ ركن لؤلؤة تضيء كمـا يضيء المصباح في الليلة الظلماء ، واتّخذ خمسين غلاماً من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق الديباج الأحمر ، وسرولهم بسراويل القزّ الأخضر ، وتـوّجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه ، واصـطنع ستَّـة غلمان من أولاد العلمـاء وجعلهم وزراءَه ، فما يقطع أمراً دونهم وأقام منهم ثلاثةً عن يمينه ، وثلاثةً عن شماله .

فـوثب اليهوديُّ وقـال : يا عليُّ إن كنتَ صـادقاً فـأخبـرني مـا كـانت أسمـاء الستَّة ؟ فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : حدَّثني حبيبي محمّد ﷺ إنَّ الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم : (تمليخـا ، ومكسلمينا ، ومحسلمينـا) وأمّا الـذين كانـوا عن يساره (فمرطليوس ، وكشطوس ، وسادنيوس) ، وكان يستشيرهم في جميع أمـوره ، وكان إذا جلس كـلّ يوم في صحن داره واجتمـع النّاس عنـده دخل من بـاب الدار ثـلاثة غلمة في يد أحـدهـم جامٌ من الـذَّهب مملوءٌ من المسك ، وفي يـد الثاني جـامٌ من فضّة مملوءٌ من ماء الورد ، وعلى يد الثالث طائرٌ فيصيح بـه فيطيـر الطائـر حتّى يقع في جام ماء الورد فيتمرَّغ فيه فينشف ما فيـه بريشـه وجناحيـه ، ثمَّ يصيح بـه الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرَّغ فيه فينشف ما فيه بريشـه وجناحيـه ، فيصيح بـه الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بمـا فيه من المسـك وماء الـورد ، فمكث الملك في ملكـه ثـلاثين سنـة من غيـر أن يصيبـه صداعٌ ولا وجعٌ ولا حمى ولا لعاب ولا بصاقٌ ولا مخاطٌ ، فلمّا رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبَّر واستعصى وادَّعى الرُّبوبيَّة من دون الله تعالىٰ ودعا إليه وجـوه قومـه فكلٌّ من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ، ومن لم يجبه ويتابعه قتله ، فأجابـوه بأجمعهم فأقاموا في ملكـه زمانـاً يعبدونـه من دون الله تعالىٰ ، فبينمـا هو ذات يـوم

جالسٌ في عيد له على سريره والتاج على رأسه إذ أتى بعض بطارقته فأخبره أنّ عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتله فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً حتّى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره ، فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه إلى ذلك وكان عاقلاً يُقال له : تمليخا . فتفكّر وتذكّر في نفسه وقال : لو كان دقيانوس هذا إلهاً كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوَّط ، وليست هذه الأفعال من صفات الإله ، وكانت الفتية الستّة يكونون كلّ يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة «تمليخا» فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا : يا تمليخا ! ما لك لا تأكل ولا تشرب ؟ فقال : يا إخواني قد وقع في قلبي شيءٌ منعني عن الطعام والشّراب والمنام . فقالوا : وما هو يا تمليخا ؟ فقال : أطلت فكري في هذه السّماء فقلت : مَن رفعها سقفاً محفوظاً بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ؟ وما أجرى فيها شمسها وقمرها ؟ ومن زيَّنها بالنجوم ؟ ثمّ أطلت فكري في هذه الأرض من سطحها على ظهر اليمِّ الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرَّواسي لئلاّ تميد ، ثمَّ أطلت فكري في نفسي فقلت : مَن أخرجني جنيناً من بطن أُمّي ؟ ومن غذّاني وربّاني ؟ إنَّ لهذا صانعاً ومدبِّراً سوى دقيانوس الملك ، فانكبَّت الفتية على رجليه يقبِّلونهما وقالوا : يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك ، فأشر علينا . فقال : يا إخواني ما أجد لي ولكم حيلة إلاّ الهرب من هذا الجبّار إلى ملك السّماوات والأرض . فقال : الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمراً بثلاثة دراهم وسرّها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلمّا ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا : يا إخوتاه قد ذهب عنّا ملك الدنيا وزال عنّا أمره ، فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعلَّ الله يجعل من أمركم فرجاً ومخرجاً . فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتّى صارت أرجلهم تقطر دماً لأنهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم رجلٌ راعٍ فقالوا : أيّها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن ؟ فقال : عندي ما تحبّون ولكنّي أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنّكم إلاّ هِراباً فأخبروني بقصّتكم . فقالوا : يا هذا إنّا دخلنا في دين لا يحلُّ لنا الكذب أفينجينا الصِّدق ؟ قال : نعم . فأخبروه بقصّتهم فانكبَّ الراعي على أرجلهم يقبِّلها ويقول : قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم

فقفوا إليَّ ههنا حتّى أردَّ الأغنام إلى أربابها وأعود إليكم . فوقفوا له حتّى ردَّها وأقبل يسعى فتبعه كلبٌ له .

فوثب اليهوديُّ قائماً وقال : يا عليُّ إن كنتَ عالماً فأخبرني ما كان لون الكلب واسمه ؟ فقال : يا أخا اليهود حدَّثني حبيبي محمّد ﷺ أنَّ الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه «قطمير» قال : فلمّا نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم لبعض : إنّا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحّوا عليه طرداً بالحجارة فلمّا نظر إليهم الكلب وقد ألحّوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطّى وقال بلسان طلق ذلق : يا قوم لِمَ تطردونني وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، دعوني أحرسكم من عدوِّكم وأتقرَّب بذلك إلى الله سبحانه وتعالىٰ . فتركوه ومضوا فصعد بهم الرّاعي جبلاً وانحطّ بهم أعلى كهف .

فوثب اليهوديُّ وقال : يا عليُّ ما اسم ذلك الجبل ؟ وما إسم الكهف ؟ قال أمير المؤمنين : يا أخا اليهود إسم الجبل «ناجلوس» وإسم الكهف «الوصيد» وقيل : خيرم قال : وإذا بفناء الكهف أشجارٌ مثمرةٌ وعينٌ غزيرةٌ ، فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنّهم الليل فآووا إلى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومدَّ يديه عليه ، وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ، ووكّل الله تعالىٰ بكلِّ رجل منهم ملكين يقلّبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال ، ومن ذات الشمال إلى ذات اليمين ، قال : وأوحى الله تعالىٰ إلى الشمس ﴿**فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين إذا طلعت ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال**﴾ ، فلمّا رجع الملك «دقيانوس» من عيده سأل عن الفتية فقيل له : إنّهم اتّخذوا إلهاً غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعلوا يقفون آثارهم حتّى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر إليهم مضطجعين فظنَّ أنّهم نيام ، فقال لأصحابه : لو أردت أن أُعاقبهم بشيء ما عاقبتهم بأكثر ممّا عاقبوا به أنفسهم فآتوني بالبنّائين فأتى بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثمَّ قال لأصحابه : قولوا لهم يقولوا لإلٰهِهم الذي في السّماء إن كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع . فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين ، فنفخ الله فيهم الرّوح وهمّوا من رقدتهم لمّا بزغت الشمس ، فقال بعضهم لبعض : لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالىٰ قوموا بنا إلى العين ، فإذا

بالعين قد غارت والأشجار قد جفّت فقال بعضهم لبعض : إنّا من أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ، ومثل هذه الأشجار قد جفّت في ليلة واحدة ، فألقى الله عليهم الجوع فقالوا : أيّكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالىٰ : ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعاماً﴾ أي أحلّ وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا : يا إخوتي لا يأتيكم أحدٌ بالطعام غيري ولكن أيّها الرّاعي إدفع لي ثيابك وخذ ثيابي . فلبس ثياب الرّاعي ومرَّ وكان يمرُّ بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتّى أتى باب المدينة ، فإذا عليه علمٌ أخضر مكتوبٌ عليه : لا إله إلاّ الله عيسى روح الله صلّى الله على نبينا وعليه وسلّم فطفق الفتى ينظر إليه ويمسح عينيه ويقول : أراني نائماً فلمّا طال عليه ذلك دخل المدينة فمرَّ بأقوام يقرؤن الإنجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتّى انتهى إلى السّوق فإذا هو بخبّاز فقال له : يا خبّاز ما اسم مدينتكم هذه ؟ قال : أفسوس . قال وما اسم ملككم ؟ قال : عبد الرَّحمٰن . قال تمليخا : إن كنت صادقاً فإنَّ أمري عجيبٌ إدفع إليَّ بهذه الدراهم طعاماً وكانت دراهم ذلك الزّمان الأوّل ثقالاً كباراً فعجب الخبّاز من تلك الدّراهم .

فوثب اليهوديُّ وقال : يا عليُّ إن كنتَ عالماً فأخبرني كم كان وزن الدّرهم منها ؟ فقال : يا أخا اليهود : أخبرني حبيبي محمّد ﷺ وزن كلِّ درهم عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخبّاز : يا هذا إنّك قد أصبت كنزاً فأعطني بعضه وإلاّ ذهبت بك إلى الملك . فقال تمليخا ما أصبت كنزاً وإنّما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيّام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك . فغضب الخبّاز وقال : ألا ترضى أن أصبت كنزاً أن تعطيني بعضه ؟ حتّى تذكر رجلاً جبّاراً كان يدّعي الربوبية قد مات منذ ثلاثمائة سنة وتسخر بي ثمَّ أمسكه واجتمع النّاس ثمَّ إنّهم أتوا به إلى الملك وكان عاقلاً عادلاً فقال لهم : ما قصّة هذا الفتى ؟ قالوا : أصاب كنزاً . فقال له الملك : لا تخف فإنَّ نبيّنا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز إلا خمسها فادفع إليَّ خمس هذا الكنز وامضِ سالماً . فقال : أيّها الملك تثبَّت في أمري ما أصبت كنزاً وإنّما أنا من أهل هذه المدينة فقال له : أنت

من أهلها ؟ قال : نعم . قال أفتعرف فيها أحداً ؟ قال : نعم . قال : فسمِّ لنا فسمّى له نحواً من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلاً واحداً قالوا : يا هذا ما نعرف هذه الأسماء ، وليست هي من أهل زماننا ، ولكن هل لك في هذه المدينة داراً ؟ فقال : نعم أيّها الملك ، فابعث معي أحداً ، فبعث معه الملك جماعة حتّى أتى بهم داراً أرفع دار في المدينة وقال : هذه داري ثمَّ قرع الباب فخرج لهم شيخٌ كبيرٌ قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزعٌ مرعوبٌ مذعور فقال : أيّها النّاس ما بالكم ؟ فقال له رسول الملك : إنَّ هذا الغلام يزعم أنَّ هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت إلى تمليخا وتبيّنه وقال له : ما اسمك ؟ قال : تمليخا بن فلسين . فقال له الشيخ : أعد عليَّ . فأعاد عليه فانكبَّ الشيخ على يديه ورجليه يقبِّلهما وقال : هذا جدّي وربِّ الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من «دقيانوس» الملك الجبّار إلى جبّار السَّماوات والأرض ولقد كان عيسى ﷺ أخبرنا بقصَّتهم وأنَّهم سيحيون . فأنهى ذلك إلى الملك وأتى إليهم وحضرهم فلمّا رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل النّاس يقبّلون يديه ورجليه ويقولون له : يا تمليخا ما فعل بأصحابك؟ فأخبرهم أنَّهم في الكهف . وكانت المدينة قد وليها رجلان ملكٌ مسلمٌ وملكٌ نصرانيٌّ فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلمَّا صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا : يا قوم إنّي أخاف أنَّ إخوتي يحسّون بوقع حوافر الخيل والدوابّ وصلصلة اللجم والسّلاح فيظنّون أنَّ «دقيانوس» قد غشاهم فيموتون جميعاً فقفوا قليلاً حتّى أدخل إليهم فأخبرهم . فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب إليه الفتية واعتنقوه وقالوا : الحمد لله الذي نجّاك من «دقيانوس» . فقال : دعوني منكم ومن «دقيانوس» كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً ، أو بعض يوم . قال : بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين . وقد مات «دقيانوس» وانقرض قرنٌ بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءكم . فقالوا له : يا تمليخا ! تريد أن تصيِّرنا فتنةً للعالمين ؟ قال : فماذا تريدون ؟ قالوا : إرفع يدك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا : أللهمَّ بحقِّ ما أريتنا من العجائب في أنفسنا إلاّ قبضت أرواحنا ولم يطَّلع علينا أحدٌ . فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له باباً ولا منفذاً ولا ملكاً فأيقنا

حينئذٍ بلطيف صنع الله الكريم وأنَّ أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إيّاها . فقال المسلم : على ديني ماتوا وأنا أبني على باب الكهف مسجداً . وقال النصراني : بل ماتوا على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديراً . فاقتتل الملكان فغلب المسلم النَّصرانيَّ فبنى على باب الكهف مسجداً ، فذلك قوله تعالى : ﴿**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتّخذنّ عليهم مسجداً**﴾ وذلك يا يهوديّ ! ما كان من قصّتهم ، ثمَّ قال عليٌّ كرَّم الله وجهه لليهوديِّ : سألتك بالله يا يهوديُّ أوافق هذا ما في توراتكم ؟ فقال اليهوديُّ ما زدتَ حرفاً ولا نقصتَ حرفاً يا أبا الحسن ! لا تسمِّني يهوديّاً أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله ، وإنَّك أعلم هذه الأُمَّة .

قال الأميني : هذه هي سيرة أعلم الأُمّة ، وعند الإمتحان يُكرم المرء أو يُهان والقصّة ذكرها أبو إسحاق الثعالبي المتوفّى سنة ٤٢٧/٣٧ في كتابه «العرائس» ص ٢٣٢ - ٢٣٩ .

٤٧ - رأي الخليفة في الزّكاة :

عن حارثة قال : جاء ناسٌ من أهل الشام إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : إنّا قد أصبنا أموالاً وخيلاً ورقيقاً نحبُّ أن يكون لنا فيها زكاة وطهور . قال : ما فعله صاحباي قبلي فأفعله . واستشار أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم عليٌّ رضي الله عنه فقال عليٌّ : هو حسنٌ إن لم يكن جزية راتبة دائبة يؤخذون بها من بعدك .

وعن سليمان بن يسار : إنَّ أهل الشام قالوا لأبي عبيدة الجرّاح رضي الله عنه : خذ من خيلنا ورقيقنا صدقة . فأبى ، ثمَّ كتب إلى عمر بن الخطاب : فأبى ، فكلّموه أيضاً فكتب إليه عمر بن الخطّاب إن أحبّوا فخذها منهم وارددها عليهم وارزق رقيقهم . قال مالك : أي ارددها على فقرائهم[1] .

وقال العسكري في أولياته ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٩٣ : إنَّ عمر

(١) موطأ مالك ج ١ ص ٢٠٦ ، مسند أحمد ج ١ ص ١٤ . سنن البيهقي ج ٤ ص ١١٨ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ٤٠١ ذكر الحديث الأول وصححه هو والذهبي ، مجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٩ ، ذكر الحديث الأول فقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

أوّل مَن أخذ زكاة الخيل .

قال الأميني : ظاهر الرِّواية الأولى أنَّ الخليفة لم يكن يعلم بعدم تعلّق الزَّكاة بالخيل والرَّقيق ولذا أناط الحكم بما فعله صاحباه من قبله ، ولم يكن يعلم أيضاً ما فعلاه إلى أن استشار الصّحابة فأشار مولانا أمير المؤمنين ﷺ إلى عدم الزَّكاة ، واستحسن أن يُؤخذ منهم برّاً مطلقاً لولا أنّه يكون بدعةً متّبعة من بعده يُؤخذ كجزية ، لكن الخليفة لم يصغ إلى تلك الحكمة البالغة ، ولا اتّبع من سبقه ، فأمر بأخذها وردِّها عليهم أو على فقرائهم .

وما علم في الرِّواية الثانية أن حبَّ صاحب المال لا يثبت حكماً شرعيّاً ، وقد نبّهه الإمام ﷺ بأنّها تكون جزية ، هكذا سبق الخليفة في عمله حتّى جاء قومٌ من بعده وجعلوه أوّل من أخذ الزكاة على الخيل ، واعتمدوا على عمله فوقع الشجار بينهم وبين من اتّبع السنّة النبويّة في عدم تعلّق الزكاة بالخيل .

٤٨ ـ رأي الخليفة في ليلة القدر :

عن عكرمة قال : قال إبن عبّاس : دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب النبيّ ﷺ فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنّها في العشر الأواخر فقلت لعمر : إنّي لأعلم وإنّي لأظنّ أيّ ليلة هي ، قال : وأيّ ليلة هي ؟ قلت : سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر قال : ومن أين تعلم ؟ قال : قلت : خلق الله سبع سماوات، وسبع أرضين ، وسبعة أيّام ، وإنَّ الدهر يدور في سبع ، وخلق الإنسان فيأكل ويسجد على سبعة أعضاء ، والطواف سبع ، والجبال سبع ، فقال عمر رضي الله عنه لقد فطنت لأمر ما فطنّا له .

عن إبن عبّاس قال : كنت عند عمر وعنده أصحابه فسألهم فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ في ليلة القدر : التمسوها في العشر الأواخر وتراً ، أيّ ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم ليلة إحدى . وقال بعضهم : ليلة ثلاث . وقال بعضهم : ليلة خمس . وقال بعضهم : ليلة سبع ، فقالوا وأنا ساكتٌ فقال : ما لك لا تتكلّم ؟ فقلت : إنّك أمرتني أن لا أتكلّم حتّى يتكلّموا فقال : ما أرسلت إليك إلاّ لتتكلّم فقلت : إنّي سمعت الله يذكر السبع فذكر سبع سماوات ومن الأرض مثلهنَّ ، وخلق

الإنسان من سبع ، ونبت الأرض سبع ، فقال عمر رضي الله عنه؛ يا هذا أخبرتني ما أعلم أرأيت ما لم أعلم قولك [نبت الأرض سبع] قال : قال الله عزّ وجلّ :﴿إنّا شققنا الأرض شقّاً فأنبتنا فيها حبّاً ، وعنباً ، وقضباً ، وزيتوناً ، ونخلاً ، وحدائق غلباً﴾ قال : فالحدائق الغلب الحيطان من النخل والشجر ، وفاكهة ، وأبّا ، قال : فالأبّ ما أنبت الأرض ممّا تأكله الدوابّ والأنعام(١) ولا يأكله النّاس قال : فقال عمر رضي الله عنه لأصحابه : أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه ؟ والله إنّي لأرى القول كما قلت(٢) .

نعم : لقد عجز الخليفة أيضاً عن عرفان ما قاله الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه ،والأبّ ذلك الذي أعيى الخليفة ورأى علمه تكلّفاً كما مرَّ في الحديث السّادس ص١٢٧، وأنا لا أدري ماذا قال الغلام ؟ ولماذا راق الخليفة قوله ؟

٤٩ - ضرب الخليفة بالدرّة لغير موجب :

أخرج إبن عساكر عن عكرمة بن خالد قال : دخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجّل ولبس ثياباً حساناً فضربه عمر بالدرَّة حتّى أبكاه ، فقالت له حفصة : لم ضربته قال رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أُصغِّرها إليه(٣) .

قال الأميني : أنا لا أُناقش في عرفان الخليفة إعجاب نفس إبنه إيّاه وهو خلّة قائمة بالنفس ، ولا أُباحث في اجتهاده في تعزير الولد ، ولا أبحث عن إمكان ردع الولد عن عجبه - مهما سُلّم - بطرق معقولة غير التعزير والضرب بالدرَّة ، بل أُسائل الحافظين كيف وسعهما عدُّ مثل هذه القصّة من مناقب الخليفة ومن شواهد سيرته الحسنة ؟ .

وألطف من هذه قصّة الجارود سيِّد ربيعة وقد أخرجه ابن الجوزي قال : إنَّ

---

(١) بيَّنه المولى سبحانه في الكتاب العزيز بقوله في ذيل الآية : ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ .

(٢) مسند عمر ص ٨٧ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ٤٣٨ وصححه ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٣١٣ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٣ ، الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٤ ، فتح الباري ج ٤ ص ٢١١ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ص ٩٦ .

عمر كان قاعداً والدرَّة معه والناس حوله إذ أقبل الجارود العامري فقال رجلٌ : هذا سيِّد ربيعة . فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلمّا دنا منه خفقه بالدرَّة فقال : ما لي ولك يا أمير المؤمنين ؟! قال : ما لي ولك لقد سمعتها . قال : وسمعتها ، فمه ؟ قال : خشيت أن تخالط القوم ويقال ، هذا أمير ـ وفي لفظ : خشيت أن يخالط قلبك منها شيءٌ ـ فأحببت أن أُطأطىء منك[1] .

وأخرج إبن سعد عن سعيد قال : دخل معاوية على عمر بن الخطاب وعليه حلّة خضراء فنظر إليه الصَّحابة فلمّا رأى ذلك عمر قام ومعه الدرَّة فجعل ضرباً بمعاوية ومعاوية يقول : ألله الله يا أمير المؤمنين ، فيمَ فيمَ ؟ فلم يكلّمه حتّى رجع فجلس في مجلسه فقالوا له : لِمَ ضربت الفتى وما في قومك مثله ؟ فقال : ما رأيت إلاّ خيراً وما بلغني إلاّ خيرٌ ولكنّي رأيته وأشار بيده يعني إلى فوق فأردت أن أضع منه ما شمخ[2] .

ما عساني أن أقول ؟ ما عساني ما عساني ؟ . . . .

٥٠ ـ جهل الخليفة بالسنّة المشهورة :

أخرج مسلم في صحيحه عن عبيد بن عمير : أنَّ أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً فكأنَّه وجده مشغولاً فرجع فقال عمر : ألم تسمع صوت عبدالله بن قيس ؟ ائذنوا له . فدُعي به فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : إنّا كنّا نُؤمر بهذا . قال : لتقيمنَّ على هذا بيِّنة أو لأفعلنَّ[3] فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار فقالوا : لا يشهد لك على هذا إلاّ أصغرنا . فقام أبو سعيد فقال : كنّا نُؤمر بهذا . فقال عمر : خفي عليَّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق بالأسواق[4] .

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١٢ ، كنز العمال ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٢٥ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٣٤ .

(٣) وفي لفظ : فوالله لأوجعنّ ظهرك وبطنك . وفي لفظ الطحاوي : والله لأضربنّ بطنك وظهرك أو ليأتيني بمن يشهد لك .

(٤) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٣٤ في كتاب الآداب ، صحيح البخاري ج ٣ ص ٨٣٧ ط الهند ، =

وأخـرج في صحيح آخـر : قال أُبي بن كعب : يـا ابن الخطاب فـلا تكـونـنَّ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ . قال : سبحان الله إنَّما سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبَّت .

وفي لفظ : قال أبو سعيد قلت : أنا أصغر القوم . قـال النووي في شـرحه : فمعنـاه أنَّ هذا حـديثٌ مشهورٌ بيننـا ، معروفٌ لكبـارنا وصغـارنـا حتّى أنَّ أصغـرنـا يحفظه وسمعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

قـال الأميني : مَن لي بمخبر عن أنَّ الـذي ألهاه الصَّفق بـالأسـواق حتّى عن ناموس مشتهر هتف به صـاحب الرِّسـالة العـظمى ، وعرفتـه الصَّحابـة أجمع كبـاراً وصغاراً ، وعضده الذِّكر الحكيم كيف يكون أعلم الصَّحابة في زمانـه على الإطلاق كما زعمه صاحب الوشيعة ؟ .

ثمَّ ما الموجب إلى ذلك الإرهاب لمحض أنَّ الرَّجل روى فيما ارتكبه سنَّـة ؟ وهل التثبّت يستدعي ذلك الوعيد بالأيمان المغلّظة ؟ أو يستحقُّ به الـرّاوي أن يُزرى به في الملأ العام ؟ أو في مجرَّد التحرّي والطلب مقنعٌ وكفايةٌ ؟ وليس على الخليفة أن يكون عذاباً على الأمّة كما رآه أُبيّ .

٥١ ـ اجتهاد الخليفة في البكاء على الميت :

عن إبن عبّـاس قـال : لمّـا مـاتت زينب[١] بنت رسـول الله ﷺ قـال رســول الله ﷺ : ألحقوها بسلفنا الخيِّر عثمان بن مظعون فبكت النِّساء فجعل عمر يضربهنَّ بسوطه فأخذ رسـول الله ﷺ يده وقـال : مهلاً يـا عمر دعهنَّ يبكين ، وإيّـاكنّ ونعيق الشيطان . إلى أن قال : وقعد رسول الله ﷺ على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي فجعل النبيُّ ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمةً لها .

مسند أحمد ج ١ ص ٣٣٧ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٩١ وصحّحـه وقال

= مسنـد أحمـد ج ٣ ص ١٩ ، سنن الـدارمي ج ٢ ص ٢٧٤ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٤٠ ، مشكل الآثار ج ١ ص ٤٩٩ .

(١) توفيت زينب سنة ثمان من الهجرة فحزن عليها رسول الله حزناً عظيماً .

الـذهبي في تلخيص المستدرك : سنـده صـالـحٌ ، مسنـد أبي داود الـطيـالسي ص ٣٥١ ، الإستيعاب في ترجمة عثمان بن مظعون ج ٢ ص ٤٨٢ ، مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٧ .

وأخـرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٤ ص ٧٠ عن إبن عبّـاس قـال : بكت النِّساء على رقيّة [بنت رسول الله] رضي الله عنها فجعل عمر رضي الله عنـه ينهاهنَّ فقال رسول الله ﷺ : مه يا عمر . قال : ثمَّ قال : إيّاكنَّ ونعيق الشيـطان فإنّـه مهما يكن من العين والقلب فمن الرَّحمة ، وما يكون من اللسـان واليد فمن الشيطـان ، قال : وجعلت فاطمة رضي الله عنها تبكي على شفير قبر رقيَّة فجعل رسـول الله ﷺ يمسح الدموع على وجهها باليد . أو : قال : بالثوب .

وأخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة أنّـه قال : مـات ميِّتٌ في آل رسول الله ﷺ فاجتمع النِّساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهنَّ ويطردهنَّ فقال رسول الله ﷺ : دعهنَّ يا عمر فإنَّ العين دامعة ، والقلب مصاب ، والعهد قريب[١] .

قال الأميني : لا أدري ما الذي حدا عمر إلى التسرُّع إلى ضرب تلكم النسوة الباكيات وصاحب الشريعة ينظر إليهنَّ من كثب ، ولو كان بكاؤهـنَّ محظوراً كـان هو الأولى بالمنع والردِّ ، ومن أين علم الحظر في بكـائهنَّ ورسول الله ﷺ يخـالفه ؟ وهـلاّ راجعه في امرهـنَّ لَمّا همَّ بهنَّ تـأدُّباً ؟ ومـا هذه الفـظاظة الـدافعة لـه إلى ما فعـل ؟ وكيف مدَّ يـده إلى تلكم النسوة حتّى أخـذ بها النبيُّ الأعـظم ودافع عنهنَّ ؟ والمجتمعات هناك بطبع الحال حامة رسول الله وذوات رحمـه ونسوتـه ، غير أنّي لا أعلم أنَّ الصدِّيقة الفـاطمة التي كـانت من الباكيـات في ذلك اليـوم هل كـانت بين تلكم النِّسوة المضروبات أو لا؟ وعلى أيّ فقد جلست إلى أبيها وهي باكية .

وكانت للخليفة في حياة رسول الله ﷺ بمرأى منه ومشهد مواقف لِدة هذه لم يصب فيها قطّ ، ومنها ما حدَّث به سلمة بن الأزرق أنّه كان جالساً عند ابن عمر بـالسّوق فمـرَّ بجنازة يُبكى عليهـا قال : فعـاب ذلك إبن عمـر وانتهرهنَّ قـال فقـال

---

(١) عمدة القاري ج ٤ ص ٨٧ .

سلمة : لا تقل ذلك يا أبا عبد الرَّحمٰن فأشهد على أبي هريرة لسمعته يقول : مرَّ على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بجنازة وأنا معه ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونساء يبكين عليها فزبرهنَّ عمر وانتهرهنَّ فقال له النبيُّ ﷺ : دعهنَّ يا عمر فإنَّ العين دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد حديث . قالوا : أنت سمعته يقول هذا ؟ قال : نعم ، قال ابن عمر : فالله ورسوله أعلم مرَّتين[1] .

وأخرج الحاكم[2] بإسناد صحَّحه وأقرَّه الذهبي عن أبي هريرة قال : خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة ومعه عمر بن الخطاب فسمع نساء يبكين فزبرهنَّ عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عمر دعهنَّ فإنَّ العين دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد قريب .

وعن أبي هريرة : إنَّ النبيَّ ﷺ كان في جنازة فرأى عمر امرأةً فصاح بها فقال النبيُّ ﷺ : دعها يا عمر ، فإنَّ العين دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد قريب[3] .

وعن عمرو بن الأزرق قال : توفِّي بعض كنائن مروان فشهدها الناس وشهده أبو هريرة ومعها نساءٌ يبكين فأمرهنَّ مروان بالسكوت ، فقال أبو هريرة دعهنَّ فإنَّه مرَّ على رسول الله ﷺ :جنازة معها بواك فنهرهنَّ عمر رحمه الله فقال له رسول الله ﷺ : دعهنَّ يابن الخطاب فإنَّ النفس مصابة ، والعين دامعة ، والعهد حديث . مسند أحمد ج ٣ ص ٣٣٣ .

وقال أبو هريرة : أبصر عمر امرأةً تبكي على قبر فزبرها فقال رسول الله ﷺ : دعها يا أبا حفص فإنَّ العين باكية ، والنفس مصابة ، والعهد قريب[4] .

وينبئنا التاريخ عن أنَّ الخليفة لم تُجده تلكم النصوص وبقي على اجتهاده والسَّوط بيده يردع به ويزجر مستنداً إلى ما اختلقته يد الإفك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممَّا يخالف العقل والعدل والطبيعة من أنَّه قال : إنَّ الميِّت يعذَّب ببكاء الحيِّ .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٧٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٤٠٨ .
(٢) المستدرك ج ١ ص ٣٨١ .
(٣) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٨١ .
(٤) أخرجه الطبري في تهذيبه كما في كنز العمال ج ٨ ص ١١٧ .

قال سعيد بن المسيّب : لمّا مات أبو بكر بُكي عليه فقال عمر : إنَّ رسول الله ﷺ قال : إنَّ المَيت يُعذَّب ببكاء الحيِّ . فأبوا إلاّ أن يبكون ، فقال عمر لهشام بن الوليد : قم فأخرج النساء . فقالت عائشة : أخرجك . فقال عمر : أدخل ، فقد أذنت لك . فدخل فقالت عائشة : أمخرجي أنت يا بنيَّ ؟ فقال : أمّا لك فقد أذنت لك . فجعل يضربهنَّ إمرأة . إمرأة ، وهو يضربهنَّ بالدِّرة حتّى خرجت أُمّ فروة وفرّق بينهنَّ[١] .

وقال إبن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٦٠ : إنَّ أوَّل من ضرب عمر بالدِّرة[٢] أمّ فروة بنت أبي قحافة ـ حين مات أبو بكر .

كيف صفحت عائشة عن قول النبيِّ ـ إن صحَّ به النبأ ـ ولم تقبله من الخليفة ؟ ولماذا سمح الخليفة لعائشة بإذن البكاء على أبيها دون غيرها ورفع اليد عن تعميم ذلك الحكم الباتّ ؟ ولماذا أبت الصَّحابة إلاّ أن يبكوا على أبي بكر بعد نهي الخليفة ؟ ولماذا رضوا بأن يعذَّب فقيدهم ببكائهم ؟ ولماذا حكمت الدرَّة في النساء إمرأةً إمرأة بالضرب وعفت عن الرِّجال ؟ إن هي إلاّ مشكلات غير أنَّها لا تخفى على الباحث النابه .

ومن مواقف تلك الدرَّة القاضية على الباكيات ما يخرجه الحافظ عبد الرزّاق عن عمرو بن دينار قال : لمّا مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين فجاء عمر . . . فكان يضربهنَّ بالدرَّة فسقط خمار امرأة منهنَّ فقالوا : يا أمير المؤمنين خمارها . فقال : دعوها فلا حرمة لها . وكان يعجب من قوله : لا حرمة لها[٣] .

ونحن أيضاً نتعجَّب من قوله : لا حرمة لها . وسيرة الخليفة حقّاً جلّها معجبات قولاً وفعلاً لو لم يكن كلّها .

---

(١) أخرجه ابن راهويه وصححه السيوطي راجع كنز العمال ج ٨ ص ١١٩ . وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٦٠٦ .

(٢) يعني أيام خلافته وكم ضرب قبلها بالدرّة من أناس . وأما بعدها فحدّث عنه ولا حرج .

(٣) كنز العمال ج ٨ ص ١١٨ .

وأما حديث عمر : إنَّ الميِّت يُعذَّب ببكاء الحيِّ . فقد كذّبته عائشة فيما أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٨١ وقال : إتّفق الشيخان على إخراج حديث أيّوب السختياني عن عبدالله بن أبي مليكة مناظرة عبدالله بن عمر وعبدالله بن العبّاس في البكاء على الميّت ورجوعهما فيه إلى أُمّ المؤمنين عائشة وقولها : والله ما قال رسول الله ﷺ : إنَّ الميِّت يعذَّب ببكاء أحد . ولكنَّ رسول الله ﷺ قال : إنَّ الكافر يزيده عند الله بكاء أهله عذاباً شديداً ، وإنَّ الله هو أضحك وأبكى ، ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى .

صورة مفصلة :

قال عبدالله بن أبي مليكة : توفّيت إبنة - هي أُمّ أبان - لعثمان رضي الله عنه بمكّة وجئنا لنشهدها قال وحضرها إبن عمر وابن عبّاس وإنّي لجالسٌ بينهما فقال عبدالله بن عمر لعمرو بن عثمان : ألا تنهى النساء عن البكاء[1] فإنَّ رسول الله ﷺ قال : إنَّ الميِّت ليعذّب ببكاء أهله عليه . فقال ابن عبّاس : قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك ثمَّ حدّث قال : صدرت مع عمر من مكّة حتّى كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظلِّ سمرة فقال : إذهب وانظر إلى هؤلاء الرَّكب ، قال : فنظرت فإذا هو صهيب فأخبرته قال : ادعه لي . فرجعت إلى صهيب فقلت : ارتحل فالحق أمير المؤمنين فلمّا أُصيب عمر دخل صهيب رضي الله عنهما يبكي يقول : واأخاه واصاحباه فقال عمر رضي الله عنه : يا صهيب ! تَبكي عليَّ وقد قال رسول الله ﷺ : إنَّ الميِّت ليعذَّب ببعض بكاء أهله عليه . قال ابن عبّاس : فلمّا مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت : رحم الله عمر والله ما حدَّث رسول الله ﷺ أنَّ الله يعذِّب المؤمن ببكاء أهله عليه . ولكن قال رسول الله ﷺ إنَّ الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه . قال : وقالت عائشة : حسبكم القرآن ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى﴾ قال : وقال ابن عبّاس عند ذلك : والله أضحك

(١) كان عبدالله على سيرة أبيه في المسألة . وقد كان نهى رسول الله ﷺ أباه عن رأيه بمرأى منه ومشهد . فضرب عن تلكم النصوص النبوية صفحاً وسلك مسلك أبيه ، ومن يشابه أبه فما ظلم .

وأبكى . قال إبن أبي مليكة : فوالله ما قال ابن عمر شيئاً[١] .

وعن عمرة : إنّها سمعت عائشة رضي الله عنها وذكر لهـا أنَّ عبدالله بن عمـر يقول : إنَّ الميِّت ليعذَّب ببكاء الحيِّ . فقالت عـائشة رضي الله عنهـا : أما انّـه لم يكذب ولكنه أخطأ أو نسي ، إنّما مـرّ رسول الله ﷺ على يهـوديّة وهي يبكي عليهـا أهلها فقال : إنّهم ليبكون عليها وإنّها لتعذّب في قبرها[٢] .

وفي لفظ مسلم : رحم الله أبا عبد الرّحمٰن سمع شيئاً فلم يحفظ .

وفي لفظ أبي عمر : وهم أبو عبد الرّحمن أو أخطأ أو نسي .

وعن عروة عن عبدالله بن عمر قال : قـال رسول الله ﷺ : إنَّ الميِّت ليعـذّب ببكاء أهله عليه فذكر ذلـك لعائشـة فقالت وهي تعني إبن عمـر : إنّما مـرَّ النبيُّ ﷺ على قبر يهوديّ فقال : إنّ صاحب هـذا ليعذّب وأهله يبكـون عليه ثمَّ قرأت : **﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى﴾**[٣] .

وعن القاسم بن محمّد قـال : لمّا بلغ عـائشة رضي الله عنهـا قول عمـر وابن عمر قالت : إنّكم لتحدِّثون عن غير كاذبين ولا مكذوبين ولكنَّ السّمع يخطي[٤] .

وقال الشافعي في اختلاف الحديث[٥] : ومـا روت عائشـة عن رسول الله ﷺ أشبه أن يكون محفـوظاً عنـه ﷺ بدلالـة الكتاب ثمَّ السنّـة . فإن قيـل : فأين دلالـة الكتاب قيل : في قوله عزَّ وجلّ : **﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى﴾**. **﴿وأن ليس للإنسان إلاّ**

---

(١) اختلاف الحديث للشافعي في هامش كتابه الام ج ٧ ص ٢٦٦ ، صحيح البخاري في أبـواب الجنـائز ، صحيـح مسلم ج ١ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، مـسند أحمـد ج ١ ص ٤١ ، سنن النسائي ج ٤ ص ١٨ ؛ سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٣ ، مختصـر الـمـزني هـامش كـتـاب الام ج ١ ص ١٨٧ .

(٢) صحيح البخاري آداب الجنائـز ، اختلاف الحديث للشافعي ج ٧ ص ٢٦٦ ، الموطأ لمالك ج ١ ص ٩٦ ، صحيـح مسلم ج ١ ص ٣٤٤ ، سنن النســائي ج ٤ ص ١٧ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٢ .

(٣) سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٩ ، سنن النسائي ج ٤ ص ١٧ .

(٤) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٤٣ ، مسند أحمد ج ١ ص ٤٢ ، السنن الكبرى ج ٤ ص ٧٣ .

(٥) طبع في هامش كتابه الام ج ٧ ص ٢٦٧ .

ماسعى﴾ . وقوله :**﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾**. وقوله : **﴿لتجزى كلُّ نفس بما تسعى﴾** .

وعمرة أحفظ عن عائشة من إبن أبي مليكة ، وحديثها أشبه الحديثين أن يكون محفوظاً ، فإن كان الحديث على غير ما روى إبن أبي مليكة من قول النبيِّ : إنّهم ليبكون عليها وإنّها لتعذَّب في قبرها . فهو واضحٌ لا يحتاج إلى تفسير لأنّها تعذَّب بالكفر وهؤلاء يبكون ولا يدرون ما هي فيه ، وإن كان الحديث كما رواه إبن أبي مليكة فهو صحيحٌ لأنَّ على الكافر عذاباً أعلى فإن عذّب بدونه فزيد في عذابه فيما استوجب ، وما ينل من كافر من عذابٍ أدنى من أعلى منه وما زيد عليه من العذاب فباستيجابه لا بِذنب غيره في بكائه عليه .

فإن قيل : يزيده عذاباً ببكاء أهله عليه ؟ قيل : يزيده بما استوجب بعمله ويكون بكاؤهم سبباً لا أنّه يعذَّب ببكائهم .

فإن قيل : أين دلالة السنّة ؟ قيل : قال رسول الله لرجل : إبنك هذا ؟ قال : نعم قال : أما انّه لا يجني عليك ولا تجني عليه . فأعلم رسول الله مثل ما أعلم الله من أنَّ جناية كلِّ امرىء عليه كما عمله له لا لغيره ولا عليه .

ويكذِّب الخليفة بكاؤه على النعمان بن مقرن لمّا جاءه نعيه فخرج ونعاه إلى النّاس على المنبر ووضع يده على رأسه يبكي[1] ويكذِّبه وقوفه على قبر شيخ واعتناقه إيّاه وبكائه عليه[2] وكم وكم له من مواقف لِدة ما ذُكر .

وقبل هذه كلّها بكاء النبيِّ الأقدس والصّحابة والتابعين لهم بإحسان على موتاهم فهذا رسول الله ﷺ يبكي على ولده العزيز ـ إبراهيم ـ ويقول : العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربّنا ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون[3] .

---

(١) الإستيعاب في ترجمة النعمان ج ١ ص ٢٩٧ .

(٢) راجع ما مر في الجزء الخامس ص ١٩٨ .

(٣) سنن أبي داود ج ٣ ص ٥٨ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٨٢ .

وهـذا هـو ﷺ يبكي على إبنه طاهر ويقول : إنّ العين تذرف ، وإنّ الدّمع يغلب ، وإنّ القلب يحزن ، ولا نعصي الله عزَّ وجلّ[١] .

وهـذا هو ﷺ لمّـا أُصيب حمـزة رضي الله عنـه وجـاءت صفيّـة بنت عبـد المـطّلب رضي الله عنها تـطلبه فحـالت بينها وبينـه الأنصار فقـال ﷺ : دعـوهـا فجلست عنـده فجعلت إذا بكت بكى رسـول الله ﷺ ، وإذا نَشَجتْ نـشَـجَ ، وكانت فاطمـة عليها السلام تبكي ورسول الله ﷺ كلّمـا بكت يبكي وقال : لن أُصـاب بمثلك أبداً[٢] .

ولمّا رجع رسول الله ﷺ من أُحد بكت نسـاء الأنصار على شهـدائهم فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : لكن حمزة لا بواكي لـه فرجعت الأنصـار فقلن لنسائهم : لا تبكين أحداً حتّى تبدأن بحمزة قال : فذاك فيهم إلى اليوم لا يبكين ميتـاً إلاّ بدأن بحمزة[٣] .

وهـذا هـو ﷺ ينعي جعفـراً وزيـد بن حـارثـة وعبـدالله بن رواحـة وعينـاه تذرفان[٤] .

وهذا هو ﷺ زار قبر أُمّه وبكا عليها وأبكى من حوله[٥] .

وهـذا هو ﷺ يقبّـل عثمـان بن مـظعـون وهـو ميّت ودمـوعـه تسيـل على خدّه[٦] .

وهذا هو ﷺ يبكي على ابن لبعض بناته فقال له عبـادة بن الصّامت : مـا هذا

---

(١) مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٨ .
(٢) إمتاع المقريزي ص ١٥٤ .
(٣) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٢٠ .
(٤) صحيح البخـاري كتـاب المنـاقب في عـلامـات النبـوة في الإسـلام ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٠ .
(٥) سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٠ ، تاريخ الخطيب البغدادي ج ٧ ص ٢٨٩ .
(٦) سنن أبي داود ج ٢ ص ٦٣ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤٥ .

يا رسول الله ؟ قال : الرّحمة التي جعلها الله في بني آدم وإنّما يرحم الله من عباده الرُّحماء[١] .

وهذه الصدِّيقة الطاهرة تبكي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقول : يا أبتاه من ربِّه ما أدناه ، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه إلى جبريل فنعاه ، يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه[٢]

وهذه هي سلام الله عليها وقفت على قبر أبيها الطاهر وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على مَن شمَّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّت عليَّ مصائبٌ لو أنّها ... صُبّت على الأيّام صرن لياليا[٣]

وهذا أبو بكر بن أبي قحافة يبكي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرثيه بقوله :

يا عين فابكي ولا تسأمي ... وحقَّ البكاء على السيِّد

وهذا حسّان بن ثابت يبكيه صلى الله عليه وآله وسلم ويقول :

ظللت بها أبكي الرَّسول فأسعدت ... عيونٌ ومثلاها من الجفن أسعد

ويقول :

يُبكّون من تبكي السّماوات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

ويقول :

يا عين جودي بدمع منكِ إسبالِ ... ولا تملنَّ من سحٍّ وإعوالِ

وهذه أروى بنت عبد المطّلب تبكي عليه صلى الله عليه وآله وسلم وترثيه بقولها :

ألا يا عين ! ويحكِ أسعديني ... بدمعكِ ما بقيت وطاوعيني

---

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٨ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٨١ .

(٢) صحيح البخاري باب : مرض النبي ووفاته ، مسند أبي داود ج ٢ ص ١٩٧ ، سنن النسائي ج ٤ ص ١٣ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٦٣ ، تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٢٦٢ .

(٣) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ١٨٨ .

ألا يا عين ! ويحكِ واستهلّي على نور البلاد وأسعديني

وهذه عاتكة بنت عبد المطّلب ترثيه وتقول :

عينيَّ جودا طوال الدّهر وانهمرا سكباً وسحّاً بدمع غير تعذيرِ
يا عين فاسحنفري بالدّمع واحتفلي حتّى الممات بسجل غير منذور
يا عين فانهملي بالدّمع واجتهدي للمصطفى دون خلق الله بالنور

وهذه صفيّة بنت عبد المطّلب تبكي عليه وترثيه ﷺ وتقول :

أفاطمُ بكّي ولا تسأمي بصحبك ما طلع الكوكب
هو المرء يُبكى وحقّ البكاء هو الماجد السيّد الطيّب

وتقول :

أعينيّ ! جودا بدمع سجم يبادر غرباً بماءٍ مُنهدم
أعينيّ ! فاسحنفرا واسكبا بوجد وحزن شديد الألم

وهذه هند بنت الحارث بن عبد المطلب تبكي عليه وترثيه وتقول :

يا عين جودي بدمع منك وابتدري كما تنزّل ماء الغيث فانثعبا

وهذه هند بنت أثاثة ترثيه وتقول :

ألا يا عين ! بكّي لا تملّي فقد بكر النعيُّ بمن هويتُ

وهذه عاتكة بنت زيد ترثيه وتقول :

وأمست مراكبه أوحشت وقد كان يركبها زينها
وأمست تُبكّي على سيّد تردّد عبرتها عينها

وهذه أُمّ أيمن ترثيه ﷺ وتقول :

عين جودي فإنّ بذلك للدمـ ـع شفاءٌ فاكثري من بكاء
بدموع غزيرة منك حتّى يقضي الله فيكِ خير القضاء[1]

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ص ٨٣٩ ـ ٨٥٥ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٦ .

وهذه عمّة جابر بن عبدالله جاءت يوم أُحد تبكي على أخيها عبدالله بن عمرو وقال جابر : فجعلت أبكي وجعل القوم ينهوني ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينهاني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتّى دفنتموه . الإستيعاب في ترجمة عبدالله ج ١ ص ٣٦٨ .

هذه سنّة النبيِّ الأعظم المتّبعة بين الصّحابة يعارضها حديث الخليفة : إنَّ الميِّت يعذّب ببكاء الحيِّ . فالقول به يخصُّ به وبابنه عبدالله . فالحقُّ أحقُّ أن يتّبع .

٥٢ ـ اجتهاد الخليفة في الاضحية :

عن حذيفة بن أُسيد قال : رأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وما يضحِّيان عن أهلهما خشية ـ مخافة ـ أن يستنّ بهما فحملني أهلي على الجفاء بعد أن علمت السنّة حتّى إنِّي لأُضحِّي عن كلّ .

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٦٥ ، والطبراني في الكبير ، والهيثمي في المجمع ج ٤ ص ١٨ من طريق الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح ، وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٣ ص ٤٥ نقلاً عن ابن أبي الدنيا في الأضاحي ، والحاكم في الكنى ، وأبي بكر عبدالله بن محمّد النيسابوري في الزِّيادات ثمَّ قال : قال ابن كثير : إسناده صحيحٌ .

وقال الشافعي في كتاب «الأمّ» ج ٢ ص ١٨٩ : قد بلغنا أنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحِّيان كراهية أن يُقتدى بهما فيظنُّ من رآهما أنّها واجبةٌ .

وفي مختصر المزني هامش كتاب «الأمّ» ج ٥ ص ٢١٠ : قال الشافعي : بلغنا أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحِّيان كراهية أن يُرى أنّها واجبة .

وعن الشعبي : أنَّ أبا بكر وعمر شهدا الموسم فلم يضحّيا . كنز العمّال ج ٣ ص ٤٥ .

قال الأميني : هل وقف الرِّجلان على شيء من الحكمة لم يقف عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحّى وأمر بها وحضّ عليها وأكّد وتركها سنّة متّبعة ؟ وخفي عليه ما

عرفاه من اتّخاذ الأمّة ذلك من الطقوس الواجبة ؟ أو أنّ الرّجلين كانا أشفق على الأمّة منه صلى الله عليه وآله وسلم فأحبّا أن لا يبهضاها بنفقة الأضاحي ؟ أو أنّهما خشيا أن يكون ذلك بدعة في الدين بظنّ الوجوب ؟ لكنّه حجّةٌ داحضةٌ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين فعل وأمر كان ذلك مشفوعاً ببيان عدم وجوبه ، وعرفت ذلك منه الصّحابة ، وعلى هذا كان عملهم وتلقّاه منهم التابعون وهلمّ جرّاً إلى يومنا الحاضر ، ولو كان ما حسباه مطّرداً لزم ترك المستحبّات كلّها ، ثمّ انّ احتمال مزعمة الوجوب كان أولى أن ينشأ من فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقوله ، فإنّ السنّة سنّته ، والدِّين ما صدع به ، لكنّه لم ينشأ لما شفعه من البيان ، فهلاّ فعلا كما فعل وهما خليفتاه ؟

والعجب العجاب أنّ الخليفة الثاني ها هنا ينقض السنّة الثابتة للصّادع الكريم خشية ظنّ الأمّة الوجوب ، ويسنّ لها ما لا أصل له في الدِّين كزكاة الخيل وصلاة التراويح ، إلى أحداث أُخرى كثيرة ، وهو في ذلك كله لا يخشى ولا يكترث ولا يبالي .

٥٣ ـ الخليفة في إرث الزّوجة من الدية :

عن سعيد بن المسيِّب أنّ عمر الخطاب رضي الله عنه كان يقول : الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً حتّى أخبره الضحّاك بن سفيان أنّ النبيّ ﷺ كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته فرجع إليه عمر رضي الله عنه .

وفي لفظ آخر :

إنّ عمر بن الخطاب قال : ما أرى الديّة إلّا للعصبة لأنّهم يعقلون عنه فهل سمع أحدٌ منكم من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً ؟ فقال الضحّاك الكلابي وكان استعمله رسول الله ﷺ على الأعراب : كتب إليَّ رسول الله ﷺ أن أُورّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها . فأخذ بذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه[1] .

---

(١) كتاب الام للشافعي ج ٦ ص ٧٧ ، كتاب الرسالة له ص ١١٣ ، اختلاف الحديث له هامش =

قال الأميني : كأنَّ الخليفة كان غافلاً عن إحدى ثلاث أو عنها جمعاء :

١ - الآية الكريمة من القرآن وهي قوله تعالى : ﴿فدية مسلّمة إلى أهله[1]﴾ والزَّوجة من الأهل بنصِّ قوله تعالى : ﴿لننجينّه وأهله إلاّ امرأته﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿إنّا منجّوك وأهلك إلاّ امرأتك﴾[3] .

وقوله تعالىٰ : ﴿فأنجيناه وأهله إلاّ امرأته﴾[4] والإستثناء في المقامات يدلُّ على دخولها فيما خرجت منه به ، وعرف الجميع أنَّ الإستثناء متَّصلٌ لا محالة كما نصَّ عليه إبن حجر في فتح الباري .

وقوله تعالىٰ : عن زليخا زوجة عزيز مصر : ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا﴾[5] .

وقوله تعالىٰ : ﴿إذ قال موسى لأهله إنّي آنست ناراً﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿فلمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً﴾[7] .

وقوله تعالىٰ عن النبيِّ موسى عليه السلام : ﴿فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً﴾[8] . وما كانت معه عليه السلام إلاّ زوجته وهي حامل أو أنها ولدت قبيل ذلك .

٢ - السنّة النبويّة وهي ما كتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عامله على الأعراب الضحّاك بن سفيان[9] .

٣ - لغة العرب وأعظم ما يُستفاد منه استقراؤها على إطلاق الأهل على

= كتاب الام ج ٧ ص ٢٠ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٢ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٢ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٢٦٥ وصححه ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٢ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٣٤ ، تيسير الوصول ج ٤ ص ٨ ، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٤٣ .

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٩٠ .
(٢) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٣٢ .
(٣) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٣٣ .
(٤) سورة النمل ؛ الآية : ٥٧ .
(٥) سورة يوسف ؛ الآية : ٢٥ .
(٦) سورة النمل ؛ الآية : ٧ .
(٧) سورة القصص ؛ الآية : ٢٩ .
(٨) سورة طه ؛ الآية : ١١ .
(٩) توجد مُضافاً على ما ذكر من المصادر في كثير من جوامع الحديث وكتب الفقه .

الزَّوجة الآيات الكريمة المذكورة ثمَّ ما مرّ من مكاتبة رسول الله ﷺ ، وما جاء عنه ﷺ من أنَّه أعطى الآهل حظَّين والأعزب حظّاً ، وقال صفوان بن عمرو : أعطاني - رسول الله - حظّين وكان لي أهلٌ ثمَّ دعى عمّار فأعطى له حظّاً واحداً[1] .

ويرى محمّد بن الحسن فيمن أوصى لأهل فلان : انّ القياس يستدعي حصر الوصيَّة إلى زوجاته لكنّه ترك القياس وعمَّمها إلى كلٍّ من كان في عياله[2] .

وقال أبو بكر : الأهل إسمٌ يقع على الزّوجة وعلى جميع من يشتمل عليه منزله قال الله تعالىٰ : **﴿إنّا منجّوك وأهلك إلاّ امرأتك﴾**[3] .

وفي معاجم اللغة : الآهل الذي له زوجةٌ وعيال ، وسار بأهله أي بزوجته وأولاده ، وأهَّل الرَّجل وتأهَّل : تزوَّج ، والتأهّل : التزوُّج ، وفي الدعاء : آهلك الله في الجنَّة ايهالا . أي زوَّجك فيها[4] ولئن راجعت معاجم اللغة تزدد وثوقاً بذلك .

إذا عرفت هذا فلا يذهب عليك أنَّ إطلاق الأهل على الزَّوجة بقرينة إضافته إلى الرَّجل لا ينافي وجود معانٍ أُخرى له يستعمل فيها بقرائن معيَّنة أو صارفة ، فأهل الرَّجل عشيرته وذوو قرباه ومنه قوله تعالىٰ : **﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾**،وأهل الأمر ولاته ، وأهل البيت سكّانه ، وأهل المذهب من يدين به ومنه قوله تعالىٰ في قصَّة نوح : **﴿إذ نادى من قبلُ فاستجبنا له فنجَّيناه وأهله من الكرب العظيم﴾**[5] .

زبدة المخض : انَّ موضوع الأهل كلّما له صلةٌ من إحدى النواحي بالمضاف

---

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٦ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٥٣ النهاية ج ٤ ص ٦٤ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٤) نهاية ابن الأثير ج ١ ص ٦٤ ، قاموس اللغة ج ٣ ص ٣٣١ ، لسان العرب ج ١٣ ص ٣١ ، تاج العروس ج ٧ ص ٢١٧ .

(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٧٦ .

إليه ، فتعيّن المراد القرائن المحتفّة به كما في آية التطهير ، فالمراد بها محمّدٌ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ، وقد اجتمعوا تحت الكساء فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربّه بمنحة القداسة لهم وسمّاهم أهل بيته فنزل قوله تعالى : ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيرا﴾ . حتّى إنّ أُمّ سلمة استأذنته في أن تدخل معهم فأذن لها بعد نزول الآية ، واستحفته صلى الله عليه وآله وسلم عن دخولها في مفاد الآية الكريمة فقال : إنّك على خير . ايعازاً إلى قصر هذه المنحة عليهم ، وتفصيل هذه الجملة مذكورٌ في الصّحاح والمسانيد .

٥٤ ـ رأي الخليفة في تحقّق البلوغ :

عن إبن أبي مليكة : أنّ عمر كتب في غلام من أهل العراق سرق فكتب : أن أشبروه فإن وجدتموه ستّة أشبار فاقطعوه . فشبر فوجد ستّة أشبار تنقص أنملة فترك .

وعن سليمان بن يسار : إنّ عمر أُتي بغلام سرق فأمر به فشبر فوجد ستّة أشبار إلّا أنملة فتركه .

أخرجه إبن أبي شيبة ، وعبد الرّزاق ، ومسدّد ، وابن المنذر في الأوسط كما في كنز العمال ج ٣ ص ١١٦ .

قال الأميني : الذي ثبت من الشّريعة في تحقّق البلوغ هو الإحتلام الثابت بصحيح قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن رُفع عنه القلم : والغلام حتّى يحتلم . أو نبات الشعر في العانة الثابت بالصّحاح ، أو السنّ المحدود كما في صحيحة عبدالله بن عمر[١] ولا رابع لها يُعدّ حدّاً مطّرداً ، وأمّا المساحة بالأشبار فهو من فقه الخليفة ومحدثاته فحسب ، ولعلّه أبصر بمواقع فقاهته .

٥٥ ـ تنقيص الخليفة من الحدّ :

عن أبي رافع : أنّ عمر بن الخطاب أُتي بشارب فقال : لأبعثنّك إلى رجل لا

(١) راجع في أحاديث الباب السنن الكبرى ج ٥ ص ٥٤ ـ ٥٩ .

تأخذه فيك هوادةٌ ، فبعث به إلى مطيع بن الأسود العدوي فقال : إذا أصبحت غداً فاضربه الحدَّ فجاء عمر وهو يضربه ضرباً شديداً فقال : قتلت الرَّجل كم ضربته ؟ قال : ستِّين ، قال : أقصّ عنه بعشرين . قال أبو عبيدة في معناه : يقول اجعل شدّة هذا الضرب قصاصاً بالعشرين التي بقيت من الحدِّ فلا تضربه إيّاها .

[السنن الكبرى ج ٨ ص ٣١٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٣٣] .

قال الأميني : أُنظر إلى الرَّجل كيف يتلوَّن في الحكم فيضعِّف يوماً حدَّ الشّارب وهو الأربعون ـ عند القوم ـ فيجلد ثمانين[1] ثمَّ يرقُّ للمحدود في يوم آخر فينقِّص منه عشرين ، ويتلافى شدَّة الكيف بنقيصة الكم بعد تسليم الشارب إلى رجل يعرفه بالشدَّة ، والكلُّ زائدٌ على الناموس الإلهيِّ الذي جاء به النبيُّ الأقدس ، وفي الحديث يُؤتى بالرَّجل الذي ضرب فوق الحدّ فيقول الله : لِمَ ضربت فوق ما أمرتك ؟ فيقول : يا ربِّ غضبت لك ، فيقول : أكان لغضبك أن يكون أشدّ من غضبي ؟ ويؤتى بالذي قصَّر فيقول : عبدي لِمَ قصَّرت ؟ فيقول : رحمته . فيقول : أكان لرحمتك أن تكون أشدّ من رحمتي[2] ؟ .

وكم لهذا الحديث من نظائر أخرجه الحفّاظ راجع كنز العمال ج ٣ ص ١٩٦ .

٥٦ ـ أبا حسنٍ لا أبقاني الله لشدّة لست لها :

عن ابن عبّاس قال : وردت على عمر بن الخطاب واردة قام منها وقعد وتغيَّر وتربّد وجمع لها أصحاب النبيِّ ﷺ فعرضها عليهم وقال : أشيروا عليَّ ، فقالوا : جميعاً : يا أمير المؤمنين أنت المفزع وأنت المنزع . فغضب عمر وقال : اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم . فقالوا : يا أمير المؤمنين ما عندنا ممّا تسأل عنه شيء . فقال : أما والله إنّي لأعرف أبا بجدتها وابن بجدتها وأين مفزعها وأين منزعها ، فقالوا : كأنّك تعني إبن أبي طالب ؟ فقال عمر : لله هو ، وهل

(١) راجع الحديث السادس والعشرين ص ١٥٤ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠ .

طفحت حرَّة بمثله وأبرعته ؟ انهضوا بنا إليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أتصير إليه ؟ يأتيك . فقال : هيهات هناك شجنةٌ من بني هاشم ، وشجنةٌ من الرَّسول ، وأثرةٌ من علم يُؤتى لها ولا يأتي ، في بيته يُؤتى الحكم . فاعطفوا نحوه . فألفوه في حائط وهو يقرأ :﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى﴾.ويردِّدها ويبكي فقال عمر لشريح : حدِّث أبا حسن بالذي حدّثتنا به . فقال شريح : كنت في مجلس الحكم فأتى هذا الرَّجل فذكر أنَّ رجلاً أودعه امرأتين حرَّة مهيرة[1] وأُم ولد فقال له : أنفق عليهما حتّى أقدم . فلمّا كان في هذه الليلة وضعتا جميعاً إحداهما إبناً والأُخرى بنتاً وكلتاهما تدَّعي الإبن وتنتفي من البنت من أجل الميراث فقال له : بمَ قضيت بينهما ؟ فقال شريح : لو كان عندي ما أقضي به بينهما لم آتكم بهما ، فأخذ عليٌّ تبنةً من الأرض فرفعها فقال : إنَّ القضاء في هذا أيسر من هذه . ثمَّ دعا بقدح فقال لإحدى المرأتين : احلبي ، فحلبت فوزنه ثمَّ قال للأُخرى : احلبي . فحلبت فوزنه فوجده على النصف من لبن الأولى فقال لها : خذي أنتِ ابنتك ، وقال للأُخرى : خذي أنتِ إبنكِ ، ثمَّ قال لشريح : أما علمت أنَّ لبن الجارية على النصف من لبن الغلام ؟ وأنَّ ميراثها نصف ميراثه ؟ وأنَّ عقلها نصف عقله ؟ وأنَّ شهادتها نصف شهادته ؟ وأنَّ ديتها نصف ديته ؟ وهي على النصف في كلِّ شيء . فأُعجب به عمر إعجاباً شديداً ثمَّ قال : أبا حسن لا أبقاني الله لشدَّة لست لها ولا في بلد لست فيه ؟

كنز العمال ج ٣ ص ١٧٩ ، مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٥٦ .

٥٧ - الخليفة ومولود وعجيب :

عن سعيد بن جبير قال : أُتي عمر بن الخطاب بامرأة قد ولدت ولداً له خلقتان بدنان وبطنان وأربعة أيد ورأسان وفرجان هذا في النصف الأعلى ، وأمّا في الأسفل فله فخذان وساقان ورجلان مثل سائر الناس فطلبت المرأة ميراثها من زوجها وهو أبو ذلك الخلق العجيب فدعا عمر بأصحاب رسول الله ﷺ فشاورهم فلم يجيبوا فيه بشيء فدعا عليَّ بن أبي طالب فقال عليٌّ : إنَّ هذا أمرٌ يكون له نبأ

(١) المهيرة من النساء : الحرّة الغالية المهر ج مهائر .

فاحبسها واحبس ولدها واقبض ما لهم وأقم لهم من يخدمهم وأنفق عليهم بالمعروف . ففعل عمر ذلك ثمَّ ماتت المرأة وشبَّ الخلق وطلب الميراث فحكم له عليٌّ بأن يُقام له خادمٌ خصيّ يخدم فرجيه ويتولى منه ما يتولّى الأُمّهات ما لا يحلّ لأحد سوى الخادم ، ثمَّ إنَّ أحد البدنين طلب النِّكاح فبعث عمر إلى عليّ فقال له : يا أبا الحسن ما تجد في أمر هذين إن اشتهى أحدهما شهوة خالفه الآخر ، وإن طلب الآخر حالة طلب الذي يليه ضدّها حتّى إنّه في ساعتنا هذه طلب أحدهما الجماع ؟ فقال عليٌّ :الله أكبر إنّ الله أحلم وأكرم من أن يُري عبداً أخاه وهو يجامع أهله ولكن علّلوه ثلاثاً فإنّ الله سيقضي قضاءً فيه ما طلب هذا عند الموت فعاش بعدها ثلاثة أيّام ومات ، فجمع عمر أصحاب رسول الله ﷺ فشاورهم فيه قال بعضهم : اقطعه حتّى يبين الحيُّ من الميت وتكفنه وتدفنه ، فقال عمر : إنَّ هذا الذي أشرتم لعجبٌ أن نقتل حيّاً لحال ميّت ، وضجَّ الجسد الحيُّ فقال : الله حسبكم تقتلوني وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله ﷺ وأقرأ القرآن فبعث إلى عليّ فقال : يا أبا الحسن أُحكم فيما بين هذين الخلقين فقال عليٌّ : الأمر فيه أوضح من ذلك وأسهل وأيسر ، الحكم : أن تغسلوه وتكفّنوه وتدعوه مع إبن أمّه يحمله الخادم إذا مشى فيعاون عليه أخاه فإذا كان بعد ثلاث جفَّ فاقطعوه جافّاً ويكون موضعه حيّاً لا يألم ، فإنّي أعلم انَّ الله لا يبقي الحيّ بعده أكثر من ثلاث يتأذّى برائحة نتنه وجيفه ، ففعلوا ذلك فعاش الآخر ثلاثة أيّام ومات فقال عمر رضي الله عنه : يا ابن أبي طالب فما زلت كاشف كلِّ شبهة وموضح كلِّ حكم .

[كنز العمّال ج ٣ ص ١٧٩]

٥٨ ـ اجتهاد الخليفة في حدّ أمة :

عن يحيى بن حاطب قال : توفي حاطب فأعتق من صلى من رقيقه وصام وكانت له أمة نوبيّة قد صلّت وصامت وهي أعجميّة لم تفقه فلم ترعه إلاّ بحبلها وكانت ثيّباً فذهب إلى عمر رضي الله عنه فحدّثه فقال : لأنت الرَّجل لا تأتي بخير . فأفزَعَهُ ذلك فأرسل إليها عمر رضي الله عنه فقال : أحبلت ؟ فقالت : نعم من مرغوش بدرهمين . فإذا هي تستهلّ بذلك لا تكتمه قال : وصادف عليّاً وعثمان وعبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنهم فقال : أشيروا عليَّ وكان عثمان رضي الله

عنه جالساً فاضطجع فقال عليٌّ وعبد الرَّحمٰن : قد وقع عليها الحدُّ ، فقال : أشر عليَّ يا عثمان ؟ فقال : قد أشار عليك أخواك . قال : أشر عليَّ أنت . قال أراها تستهلُّ به كأنَّها لا تعلمه وليس الحدُّ إلاّ على من علمه . فقال : صدقت صدقت والذي نفسي بيده ما الحدُّ إلاّ على من علمه . فجلدها عمر مائة وغرَّبها عاماً(١) .

وقال الشافعي في الأُم ج ١ ص ١٣٥ : فخالف عليّاً وعبد الرَّحمٰن فلم يحدّها حدّها عندهما وهو الرَّجم ، وخالف عثمان أن لا يحدّها بحال ، وجلدها مائة وغرَّبها عاماً .

وقال البيهقي في السنن : قال الشيخ رحمه الله : كان حدُّها الرَّجم فكأنّه رضي الله عنه درأ عنها حدّها للشبهة بالجهالة وجلدها وغرَّبها تعزيراً .

قال الأميني : أنا لا أقول : إنَّ الأمر في المسألة دائرٌ بين أمرين إمّا ثبوت الحدّ وهو الرَّجم ، وإمّا درؤه بالشبهة وتخلية الحامل سبيلها ، والقول بالفصل رأيٌ خارجٌ عن نطاق الشّرع وإنّما أقول : إنَّ ما رآه البيهقي من كون الجلدة والتغريب تعزيراً لا يصحّح الرأي بل يوجب مزيد الإشكال إذ ثبت في الصّحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يجلد أحدٌ فوق عشرة أسواط إلاّ في حدّ من حدود الله(٢) .

وفي صحيح آخر قوله : لا يجلد فوق عشرة أسواط فيما دون حدّ من حدود الله(٣) .

وقوله : لا يحلُّ لأحد أن يضرب أحداً فوق عشرة أسواط إلاّ في حدّ من حدود الله(٤) .

---

(١) كتاب الام للشافعي ج ١ ص ١٣٥ ، اختلاف الحديث للشافعي هامش الام ج ٧ ص ١٤٤ سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٣٨ . وذكر أبو عمر شطراً منه في العلم ص ١٤٨ .
(٢) صحيح البخاري في الجزء الأخير باب كم التعزير والأدب ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٤٢ ، صحيح مسلم في الحدود ج ٢ ص ٥٢ .
(٣) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٨٢ .
(٤) سنن الدارمي ج ٢ ص ١٧٦ .

وقوله : لا تعزّروا فوق عشرة أسواط[١] .

وقوله : من بلغ حدّاً في غير حدّ فهو من المعتدين[٢] .

وقوله : لا يضرب فوق عشرة أسواط إلّا في حدٍّ من حدود الله[٣] .

وقوله : لا عقوبة فوق عشر ضربات إلّا في حدٍّ من حدود الله[٤] .

فهل الخليفة قد خفيت عليه هذه كلّها ؟ أو تعمّد في الصفح عنها ، وجعلها دَبر أُذنيه ؟

٥٩ ـ نهي الخليفة عمّا أمر به رسول اللّه (ص) :

عن أبي هريرة قال : كنّا قعوداً حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر في نفر فقام من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقطع دوننا فقمنا وكنت أوّل من فزع فخرجت أبتغيه حتّى أتيت حائطاً للأنصار لقوم من بني النجّار فلم أجد له باباً إلّا ربيعاً فدخلت في جوف الحائط ـ والرّبيع : الجدول ـ فدخلت منه بعد أن احتفزته فإذا رسول الله ﷺ فقال : أبو هريرة ؟ قلت : نعم . قال : ما شأنك ؟ قلت : كنت بين أظهرنا فقمت وأبطأت فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا وكنت أوّل من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزته كما يحتفز الثعلب والنّاس من ورائي فقال : يا أبا هريرة إذهب بنعلي هاتين فمن لقيته وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه فبشّره بالجنّة . فخرجت فكان أوّل من لقيت عمر فقال : ما هذان النعلان ؟ قلت : نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما وقال : مَن لقيته يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه بشّره بالجنّة فضرب عمر في صدري فخررت لإستي وقال : إرجع إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بالبكاء راجعاً فقال رسول الله : ما بالك ؟ قلت : لقيت عمر

---

(١) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٣٢٧ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٣٢٨ ، وأخرجه ابن مندة وأبو نعيم كما في الإصابة ج ٢ ص ٤٢٣ .

(٤) صحيح البخاري في باب كم التعزير والأدب في الجزء الأخير .

فأخبرته بما بعثتني به فضرب صدري ضربة خررت لإستي وقال : إرجع إلى رسول الله ، فخرج رسول الله فإذا عمر فقال : ما حملك يا عمر على ما فعلت ؟ فقال عمر : أنت بعثت أبا هريرة بكذا ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعل فإنّي أخشى أن يتّكل النّاس عليها فيتركوا العمل خلّهم يعملون ، فقال رسول الله : فخلّهم(١) .

قال الأميني : إنَّ التبشير والإنذار من وظائف النبوَّة كتاباً وسنّة واعتباراً وأرسل الله النبيين مبشّرين ومنذرين ، وإن كان في التبشير تثبيط عن العمل لكان من واجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يبشّر بشيء قطّ وقد بُشّر في الكتاب الكريم بمثل قوله تعالى : ﴿وبشّر المؤمنين بأنَّ لهم من الله فضلاً كبيراً(٢)﴾ وقوله : ﴿وبشّر الذين آمنوا أنَّ لهم قدم صدق عند ربّهم(٣)﴾ ووردت بشارات جمّة في السنّة النبويّة في الترغيب في الشهادة بالله وذكر لا إله إلاّ الله(٤) وأمر ﷺ عبدالله بن عمر أن ينادي في النّاس : أنَّ من شهد أن لا إله إلاّ الله دخل الجنّة(٥). وأيّ تثبيط هناك ولازم التوحيد الصّحيح العمل بكلّ ما شرّعه الإله الواحد ؟ ولا سيّما هتاف الرّسالة في كلّ حين يُسمع المستخفّين بالوعيد المزعج والعذاب الشديد مشفوعاً بعداته الكريمة لمن يعمل الصّالحات ، والجنّة يشتاق إليها الموحّدون ، أخرج أحمد عن إبن مطرف قال : حدَّثني الثقة أنَّ رجلاً أسود كان يسأل النبيَّ ﷺ عن التسبيح والتهليل فقال عمر بن الخطاب : مَه أكثرت على رسول الله ﷺ . فقال : مَه يا عمر . وأُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهر﴾ . حتّى إذا أتى على ذكر الجنّة زفر الأسود زفرةً خرجت نفسه فقال ﴿حينٌ من الدَّهر﴾ . حتّى إذا أتى على ذكر الجنّة زفر الأسود زفرةً خرجت نفسه فقال النبيُّ ﷺ : مات شوقاً إلى الجنّة(٦) .

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٨ ، ١١٦ ، فتح الباري ج ١ ص ١٨٤ .
(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤٧ .
(٣) سورة يونس ؛ الآية : ٢ .
(٤) راجع الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ج ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦٥ .
(٥) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٢٤ .
(٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٧ .

وهكذا يجب أن تسير الأُمّة إلى الله بين خُطّتي الخوف والرَّجاء ، فلا التهديد يدعها تتوانى عن العمل ، ولا الوعد يأمنها من العقوبة إن تركته ، وهذه هي الطريقة المثلى في إصلاح المجتمع ، والسير بهم في السنن اللاّحب ، سنّة الله في الّذين خلوا ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ، غير أنّ الخليفة قد يحسب أنّ خطّته أمثل من هذه ، فانتهر أبا هريرة حتّى خرّ لإسته ، ونهى رسول الله ﷺ عن الدأب على ما قال وأمر به وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى .

وليس من المستطاع أن يُخبت إلى اعتناء النبيِّ بهاتيك الهلجة بعد أن صدع بما صدع عن الوحي الإلهي ، لكن الدوسي يقول : قال : فخلّهم . وأنا لا أدري هل كذب الدوسيّ ، أو أنّ هذا مبلغ علم الخليفة وانموذج عمله ؟ .

٦٠ ـ اجتهاد الخليفة في حُليّ الكعبة(١) :

١ ـ ذُكر عند عمر بن الخطاب في أيّامه حُليُّ الكعبة وكثرته فقال قوم : لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر ، وما تصنع الكعبة بالحليِّ ؟ فهمَّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال ؟ إنَّ هذا القرآن أُنزل على محمَّد ﷺ والأموال أربعةٌ : أموال المسلمين فقسَّمها بين الورثة في الفرائض . والفيء فقسَّمه على مستحقيه . والخمس فوضعه الله حيث وضعه . والصّدقات فجعلها الله حيث جعلها . وكان حُليُّ الكعبة فيها يومئذٍ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخف عنه مكاناً فأقرَّه حيث أقرَّه الله ورسوله . فقال له عمر : لولاك لافتضحنا . وترك الحليَّ بحاله .

٢ ـ عن شقيق عن شيبة بن عثمان قال : قعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقعدك الذي أنت فيه فقال : لا أخرج حتّى أُقسِّم مال الكعبة ـ بين فقراء

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٨١ ، في كتاب الحج باب كسوة الكعبة ، وفي الإعتصام أيضاً ، أخبار مكة للأزرقي ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣١٧ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٦٩ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١٥٩ ، فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠١ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠ ، ربيع الأبرار للزمخشري في الباب الخامس والسبعين ، تيسير الوصول ، فتح الباري ج ٣ ص ٣٥٨ ، كنز العمال ج ٧ ص ١٤٥ .

المسلمين ـ قال قلت ما أنت بفاعل . قال : بلى لأفعلنّ. قال قلت : ما أنت بفاعل . قال : لِمَ ؟ قلت : لأنّ رسول الله ﷺ قد رأى مكانه وأبو بكر رضي الله عنه وهما أحوج منك إلى المال فلم يخرجاه فقام فخرج . لفظ آخر :

قال شقيق : جلست إلى شيبة بن عثمان في المسجد الحرام فقال لي : جلس إليَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجلسك هذا فقال : لقد هممت أن لا أترك فيها ـ أي في الكعبة ـ صفراء ولا بيضاء إلاّ قسَّمتها . قال شيبة فقلت : إنَّه كان لك صاحبان فلم يفعلاه : رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه . فقال عمر : هما المرءان أقتدي بهما .

٣ ـ وعن الحسن : إنَّ عمر بن الخطاب قال : لقد هممت أن لا أدع في الكعبة صفراء ولا بيضاء إلاّ قسَّمتها فقال له أُبيّ بن كعب : والله ما ذاك لك . فقال عمر : لِمَ؟ قال: إنَّ الله قد بيَّن موضع كلِّ مال وأقرَّه رسول الله ﷺ فقال عمر : صدقت .

نحن لا نناقش الحساب في تعيين الملقِّن لحكم القضيَّة ، غير أنَّ هذه الرِّوايات تُعطينا خُبراً بأنَّ كلَّ أُولئك الرِّجال كانوا أفقه من الخليفة في هذه المسألة ، فأين قول صاحب الوشيعة : إنَّ عمر أفقه الصَّحابة وأعلمهم في زمنه على الإطلاق ؟ .

٦١ ـ اجتهاد الخليفة في الطلاق الثّلاث :

١ ـ عن إبن عبّاس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين ـ وسنين ـ من خلافة عمر رضي الله عنه طلاق الثّلاث واحدة فقال عمر رضي الله عنه : إنَّ النّاس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم .

مسند أحمد ج ١ ص ٣١٤ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٥٧٤ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٣٣٦ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٩٦ ، تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٣٠ وصحّحه ، إرشاد السّاري ج ٨ ص ١٢٧ ، الدرّ المنثور ج ١ ص ٢٧٩ .

٢ ـ عن طاوس قال : إنَّ أبا الصهباء قال لابن عبّاس : أتعلم إنَّما كانت الثّلاث تُجعل واحدةً على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وثلاث في إمارة عمر رضي الله عنه ؟ قال ابن عبّاس : نعم .

صحيح مسلم ج ١ ص ٥٧٤ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٤٤ ، أحكام القرآن للجصّاص ج ١ ص ٤٥٩ ، سنن النسائي ج ٦ ص ١٤٥ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٣٣٦ ، الدرّ المنثور ج ١ ص ٢٧٩ .

إنَّ أبا الصهباء قال لابن عبّاس : هات من هناتك ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه واحدةً ؟ قال : قد كان ذلك فلمّا كان في عهد عمر رضي الله عنه تتابع النّاس في الطّلاق فأمضاه عليهم ـ فأجازه عليهم .

صحيح مسلم ج ١ ص ٥٧٤ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٣٣٦ .

صورة اخرى :

كان أبو الصهباء كثير السؤال لابن عبّاس قال : أما علمت أنَّ الرَّجل كان إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدةً على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر ؟ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : بلى كان الرَّجل إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدةً على عهد النبيِّ ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وصدراً من إمارة عمر رضي الله عنه ، فلمّا رأى النّاس قد تتابعوا فيها قال . أجيزوهنَّ عليهم .

سنن أبي داود ج ١ ص ٣٤٤ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٣٣٩ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ١٦٢ ، الدرّ المنثور ج ١ ص ٢٧٩ .

٣ ـ أخرج الطحاوي من طريق ابن عبّاس أنّه قال : لمّا كان زمن عمر رضي الله عنه قال : يا أيّها النّاس قد كان لكم في الطلاق أناةٌ ، وإنّه من تعجّل أناة الله في الطلاق ألزمناه إيّاه . وذكره العيني في عمدة القاري ج ٩ ص ٥٣٧ وقال : إسنادٌ صحيحٌ .

٤ ـ عن طاوس قال : قال عمر بن الخطاب : قد كان لكم في الطّلاق أناةٌ

فاستعجلتم أناتكم ، وقد أجزنا عليهم ما استعجلتم من ذلك .

[كنز العمّال ج ٥ ص ١٦٢ نقلاً عن أبي نعيم]

٥ ـ عن الحسن إنَّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري : لقد هممت أن أجعل إذا طلّق الرَّجل امرأته ثلاثاً في مجلس أن أجعلها واحدةً ، ولكن أقواماً جعلوا على أنفسهم فالزم كل نفس ما لزم نفسه ، من قال لامرأته : أنت عليَّ حرامٌ . فهي حرامٌ ، ومن قال لامرأته : أنت بائنة . فهي بائنة ، ومن طلّق ثلاثاً فهي ثلاث .

[كنز العمّال ج ٥ ص ١٦٣ نقلاً عن أبي نعيم]

قال الأميني : إنَّ من العجب أن يكون استعجال الناس مُسوغاً لأن يتَّخذ الإنسان كتاب الله وراءه ظهريّاً ويلزمهم بما رأوا ، هذا الذِّكر الحكيم يقول بكلِّ صراحة :﴿الطلاق مرَّتان فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان﴾ . إلى قوله تعالىٰ :﴿فإن طلّقها فلا تحلُّ له من بعدُ حتّى تنكح زوجاً غيره﴾ . فقد أوجب سبحانه تحقيق المرَّتين والتحريم بعد الثالث ، وذلك لا يجامع جمع التطليقات بكلمة ـ ثلاثاً ـ ولا بتكرار صيغة الطّلاق ثلاثاً متعاقبةً بلا تخلّل مدة النِّكاح بينهما .

أمّا الأول فلأنه طلاق واحدٌ وقول ـ ثلاثاً ـ لا يكرِّره ألا ترى أنّ الوحدة المأخوذة في الفاتحة في ركعات الصَّلاة لا تُكرَّر لو شفعها المصلّي بقوله : خمساً أو عشراً ، ولا يُقال : إنّه كرَّر السورة وقرأها غير مرَّة .

وكذلك كلّ حكم اعتبر فيه العدد كرمي الجمرات السَّبع فلا يُجزي عنه رمي الحصيات مرَّة واحدةً ، وكالشّهادات الأربع في اللعان لا تُجزي عنها شهادة واحدة مشفوعة بقوله ـ أربعاً .

وكفصول الأذان المأخوذة فيها التثنية لا يتأتّى التكرار فيها بقراءة واحدة وإردافها بقول ـ مرَّتين .

وكتكبيرات صلاة العيدين الخمس أو السَّبع المتوالية ـ عند القوم ـ قبل

القراءة[١] لا تتأتّى بتكبيرة واحدة بعدها قول المصلّي خمساً أو سبعاً .

وكصلاة التسبيح[٢] وقد أخذ في تسبيحاتها العدد عشراً وخمسة عشر فلا تُجزي عنها تسبيحةٌ واحدةٌ مردوفةٌ بقوله عشراً أو خمسة عشر . وهذه كلّها ممّا لا خلاف فيه .

وأمّا الثاني فإنَّ الطلاق يحصل باللفظ الأوَّل ، وتقع به البينونة ، وتسرح به المعقودة بالنكاح ، ولا يبقى ما بعده إلاّ لغواً ، فإنَّ المطلّقة لا تُطلّق ، والمسرَّحة لا تُسرَّح ، فلا يحصل به العدد المأخوذ في موضوع الحكم ، بل تعدّد الطلاق يستلزم تخلّل عقدة الزَّواج بين الطلاقين ولو بالرجوع ، ومهما لم تتخلّل يقع الطلاق الثاني لغواً ويبطله قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لاطلاق إلاّ بعد نكاح . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا طلاق قبل نكاح . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا طلاق لِمن لا يملك[٣] .

قال سماك بن الفضل : إنّما النكاح عقدة تعقد والطلاق يحلّها ، وكيف تُحلّ عقدةٌ قبل أن تُعقد . ا هـ[٤] .

وروى أبو يوسف القاضي عن أبي حنيفة عن حمّاد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه انّه قال : طلاق السنّة أن يطلّق الرجل امرأته واحدة حين تطهر من حيضتها من غير أن يجامعها ، وهو يملك الرَّجعة حتّى تنقضي العدّة ، فإذا انقضت فهو خاطبٌ من الخطّاب ، فإن أراد أن يطلّقها ثلاثاً طلقها حين تطهر من حيضتها الثانية ، ثمَّ يطلّقها حين تطهر من حيضتها الثالثة . كتاب الآثار ص ١٢٩ ومراده كما يأتي تخلّل الرجوع بعد كلّ طلقة .

---

(١) السنن الكبرى ج ٣ ص ٢٨٥ ـ ٢٩١ .

(٢) صلاة التسبيح هي المسماة بصلاة جعفر عند أصحابنا ، ولا خلاف بين الفريقين في فضلها وكمها وكيفها ، غير أن أئمة القوم أخرجوها في الصحاح والمسانيد عن ابن عباس .

(٣) سنن الدارمي ج ٢ ص ١٦١ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٤٢ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٣١ ، السنن الكبرى ج ٧ ص ٣١٨ ـ ٣٢١ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٢٤ ، مشكل الآثار للطحاوي ج ١ ص ٢٨٠ .

(٤) سنن البيهقي ج ٧ ص ٣٢١ .

وقال الجصّاص في أحكام القرآن ج ١ ص ٤٤٧ : والدليل على أنَّ المقصد في قوله : الطلاق مرَّتان ـ الأمر بتفريق الطلاق وبيان حكم ما يتعلّق بإيقاع ما دون الثلاث من الرَّجعة أنّه قال : الطلاق مرَّتان . وذلك يقتضي التفريق لا محالة ، لأنَّه لو طلّق اثنتين معاً لما جاز أن يُقال طلّقها مرَّتين ، وكذلك لو دفع رجل إلى آخر درهمين لم يجز أن يقال : أعطاه مرَّتين حتّى يفرِّق الدفع فحينئذٍ يطلق عليه ، وإذا كان هذا هكذا فلو كان الحكم المقصود باللفظ هو ما تعلّق بالتطليقتين من بقاء الرجعة لأدَّى ذلك إلى إسقاط فائدةِ ذكر المرَّتين إذا كان هذا الحكم ثابتاً في المرَّة الواحدة إذا طلّق اثنتين ، فثبت بذلك أنَّ ذكر المرَّتين إنّما هو أمرٌ بإيقاعه مرَّتين ، ونهيٌ عن الجمع بينهما في مرّة واحدة ، ومن جهة أُخرى أنّه لو كان اللفظ محتملاً للأمرين لكان الواجب حمله على إثبات الحكم في إيجاب الفائدتين وهو الأمر بتفريق الطلاق متى أراد أن يطلّق اثنتين ، وبيان حكم الرَّجعة إذا طلّق كذلك ، فيكون اللفظ مستوعباً للمعنيين . ا هـ .

هذا ما نطق به القرآن الكريم وليس الرأي تجاه كتاب الله إلّا تلاعباً به كما نصَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صحيحة أخرجها النسائي في السنن[1] عن محمود بن لبيد قال : أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضباناً ثمَّ قال : أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ حتّى قام رجلٌ وقال : يا رسول الله ألا أقتله ؟

وروى ابن إسحاق في لفظ عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : طلّق ركانة زوجه ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله رسول الله ﷺ كيف طلّقتها ؟ قال : طلّقتها ثلاثاً في مجلس واحد . قال : إنّما تلك طلقةٌ واحدةٌ فارتجعها «بداية المجتهد ج ٢ ص ٦١» .

ولبعض أعلام القوم في المسألة كلمات تشدَّق بها ، وأعجب ما رأيت فيها كلمة العيني قال في عمدة القاري ج ٩ ص ٥٣٧ :

---

(١) ج ٦ ص ١٤٢ ، وذكر في تيسير الوصول ج ٣ ص ١٦٠ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٧ ، إرشاد الساري ج ٨ ص ١٢٨ ، الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٣ .

إنَّ الطلاق الوارد في الكتاب منسوخٌ ، فإن قلت : ما وجه هذا النسخ وعمر رضي الله عنه لا ينسخ ؟ وكيف يكون النّسخ بعد النبيِّ ﷺ ؟ قلت : لمّا خاطب عمر الصَّحابة بذلك فلم يقع إنكارٌ صار إجماعاً والنسخ بالإجماع جوَّزه بعض مشايخنا بطريق أنَّ الإجماع موجبٌ علم اليقين كالنصِّ فيجوز أن يثبت النَّسخ به ، والإجماع في كونه حجَّة أقوى من الخبر المشهور ، فإن قلت : هذا إجماعٌ على النسخ من تلقاء أنفسهم فلا يجوز ذلك في حقّهم . قلت : يحتمل أن يكون ظهر لهم نصٌّ أوجب النسخ ولم يُنقل إلينا ذلك . ا هـ .

لم تسمع الآذان نبأ هذا النسخ في القرون السّالفة إلى أن جاد الدَّهر بالعينيِّ فجاء يدَّعي ما لم يقل به أحدٌ ، ويخبط خبط عشواء ، ويلعب بكتاب الله ، ولا يرى له ولا لسنة الله قيمة ولا كرامة .

أنّى للرَّجل إثبات حكمه البات بإجماع الصَّحابة على ما أحدثه الخليفة لمّا خاطبهم بذلك ؟ وكيف يسوغ عزو رفض محكم الكتاب والسُّنة إليهم برأي رآه النبيُّ الأقدس لعباً بالكتاب العزيز كما مرَّ عن صحيح النسائي قُبيل هذا ، وقد كانوا على حكمهما غير أنّه لا رأي لمن لا يُطاع . هذا ودِرَّة الخليفة تهتزُّ على رؤوسهم .

ثمَّ إن كان نسخٌ بالإجماع فكيف ذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعي والليث إلى أنَّ الجمع بين الثلاث طلاق بدعة . وقال الشافعي وأحمد وأبو ثور ليس بحرام لكن الأولى التفريق . وقال السندي : ظاهر الحديث التحريم(١) ؟ .

وكيف أجمعت الأُمّة على النقيضين في يوميها وهي لن تجتمع على الخطاء ؟ هذا إجماع العيني المزعوم يوم بدوّ رأي الخليفة في الطلاق ، وهذا إجماع صاحب عون المعبود قبله قال : وقد أجمع الصّحابة إلى السنة الثانية من خلافة عمر على أنَّ الثلاث بلفظ واحد واحدةٌ ، ولم ينقض هذا الإجماع بخلافه ، بل لا يزال في الأُمَّة من يفتي به قرناً بعد قرن إلى يومنا هذا . هـ . تيسير الوصول ج ٣ ص ١٦٢ .

---

(١) راجع حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ج ٦ ص ١٤٣ .

هب أن الأُمّة جمعاء قديماً وحديثاً أجمعت على خلاف ما نطق به محكم القرآن ونقضت ما هتف به المشرِّع الأقدس ، فهل لنا مسوِّغٌ لرفعِ اليد عنهما والأخذ بقول أُمّة غير معصومة ، والنسخ بالخبر المشهور بعد الغضّ عمّا فيه من الخلاف الثائر إنّما هو لعصمة قائله فلا يُقاس به قول من لا عصمة له .

واحتمال استناد إجماع الصّحابة إلى نصّ لم يُنقل إلينا خرافةٌ تكذِّبه نصوص الخليفة وغيره من الصّحابة على أنَّ ما ذهب إليه الخليفة لم يكن إلّا مجرَّد رأي ، وسياسة محضة .

وما أحسن كلمة الشيخ صالح بن محمّد العمري الفلاني المتوفّى سنة ١٢٩٨ في كتابه «ايقاظ همم أولي الأبصار» في صفحة ٩ حيث قال : إنَّ المعروف عند الصَّحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعند سائر العلماء المسلمين أنَّ حكم الحاكم المجتهد إذا خالف نصَّ كتاب الله تعالى أو سنّة رسول الله ﷺ وجب نقضه ومنع نفوذه ، ولا يعارض نصَّ الكتاب والسنّة بالإحتمالات العقليّة والخيالات النفسانيّة والعصبيّة الشيطانيّة بأن يقال : لعلَّ هذا المجتهد قد اطّلع على هذا النصِّ وتركه لعلّة ظهرت له ، أو أنّه اطّلع على دليل آخر ، ونحو هذا ممّا لهج به فرق الفقهاء المتعصِّبين وأطبق عليه جهلة المقلّدين .

٦٢ - اجتهاد الخليفة في الصلاة بعد العصر :

١ - عن تميم الداري قال : إنّه ركع ركعتين بعد نهي عمر بن الخطاب عن الصّلاة بعد العصر فأتاه عمر فضربه بالدرَّة ، فأشار إليه تميم أن اجلس وهو في صلاته فجلس عمر ثمَّ فرغ تميم من صلاته فقال تميم لعمر : لِمَ ضربتني ؟ قال : لأنّك ركعت هاتين الرَّكعتين وقد نهيت عنهما ، قال : إنّي صلّيتهما مع من هو خيرٌ منك رسول الله ﷺ فقال عمر : إنّه ليس بي أنتم أيّها الرَّهط ولكنّي أخاف أن يأتي بعدكم قومٌ يصلّون ما بين العصر إلى المغرب حتّى يمرّوا بالسّاعة التي نهى رسول الله ﷺ أن يصلّوا فيها كما وصلوا ما بين الظهر والعصر .

وعن وبرة قال : رأى عمر تميماً الداري يصلّي بعد العصر فضربه بالدرَّة فقال

تميم : لِمَ يا عمر ! تضربني على صلاة صلّيتها مع رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : يا تميم ليس كلُّ الناس يعلم ما تعلم .

٢ ـ وعن عروة بن الزبير قال: قال عمر على الناس فضربهم على السَّجدتين بعد العصر حتّى مرَّ بتميم الداري فقال : لا أدعهما صلّيتهما مع من هو خيرٌ منك رسول الله ﷺ فقال عمر : إنّ النّاس لو كانوا كهيئتك لم أُبال . صحّحه الهيثمي في المجمع وقال : رجال الطبراني رجال الصّحيح .

٣ ـ عن السائب بن يزيد : إنّه رأى عمر بن الخطاب يضرب المنكدر في الصّلاة بعد العصر .

وعن الأسود : إنّ عمر كان يضرب على الرَّكعتين بعد العصر .

٤ ـ عن زيد بن خالد الجهني قال : إنّه رآه عمر بن الخطاب وهو خليفة يركع بعد العصر ركعتين فمشى إليه فضربه بالدرَّة وهو يصلّي كما هو فلمّا انصرف قال زيد : إضرب يا أمير المؤمنين ! فوالله لا أدعهما أبداً بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يصلّيهما فجلس إليه عمر وقال : يا زيد بن خالد لولا انّي أخشى أن يتّخذها الناس سلّماً إلى الصّلاة حتّى الليل لم أضرب فيهما . قال الهيثمي في المجمع إسناده حسنٌ .

٥ ـ عن طاوس إنَّ أبا أيّوب الأنصاري كان يصلّي قبل خلافة عمر ركعتين بعد العصر فلمّا استخلف عمر تركها فلمّا توفّي ركعهما فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنّ عمر كان يضرب عليهما .

٦ ـ أخرج مسلم عن المختار بن فلفل قال : سألت أنس بن مالك عن التطوّع بعد العصر ؟ فقال : كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر ، وكنّا نصلّي على عهد النبيِّ ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب فقلت له : أكان ﷺ صلاّهما ؟ قال : كان يرانا نصلّيهما فلم يأمرنا ولم ينهنا .

٧ ـ أخرج أبو العبّاس السرّاج في مسنده عن المقدام بن شريح عن أبيه قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ كيف كان يصلّي الظهر ؟ قالت : كان يصلّي

بـالهجير ثمَّ يصلّي بعـدهـا ركعتين ، ثمَّ يصلّي العصـر ثمَّ يصلّي بعـدهـا ركعتين . قلت : قد كان عمر يضرب عليهمـا وينهى عنهما . فقـالت . قد كـان يصليهما وقد أعلم أنَّ رسول الله ﷺ كان يصليهما ولكنَّ قومك أهل اليمن قومٌ طغامٌ يصلّون الظهر ثمَّ يصلّون مـا بين الـظهـر والعصـر ، ويصلّون العصـر ثمَّ يصلّون مـا بين العصـر والمغرب ، وقد أحسن[1] .

قـال الأميني : عجباً من فقـه الخليفة حيث يـردع بالـدرّة عن صـلاة ثبت من السنّة أنّ رسول الله ﷺ صلاّها ومـا تركهـا بعد العصـر قطُّ كما ورد في الصّحـاح وأخبرت به عائشة[2] وقالت : والذي ذهب بـه ما تـركهما حتّى لقي الله ، ومـا لقي الله تعالىٰ حتّى ثقل عن الصَّلاة ، وكان يصلّي كثيراً من صلاتـه قاعـداً تعني ركعتين بعد العصر . وقالت : ما ترك النبيُّ السَّجدتين بعد العصر عنـدي قطُّ . وقالت : لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سرّاً ولا عـلانية ، وقـالت : ما كـان النبيُّ ﷺ يأتيني في يوم بعد العصر إلاّ صلّى ركعتين .

وفي لفظ البيهقي : قال أيمن : إنَّ عمر كـان ينهى عنهما ويضـرب عليهما . فقالت : صدقت ولكن كان النبيُّ ﷺ يصلّيهما .

وفي تعليق «الإجـابة» للزركشي ص ٩١ نقـلاً عن أبي منصـور البغـدادي في استدراكه من طريق أبي سعيد الخدري قال : كان عمر يضرب عليها رؤوس الرّجال «يعني الصَّـلاة بعد الفجـر حتّى مطلع الشمس وبعـد العصـر حتّى مغـرب الشمس» فرأى أبو سعيد إبن الزبير يصلّيها . قال : فنهيته فأخذ بيدي فذهبنا إلى عائشة رضي

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٠ ، مسنـد أحمـد ج ٤ ص ١٠٢ ، ١١٥ ، مـوطـأ مـالـك ج ١ ص ٩٠ ، الإجابة للزركشي ص ٩١ ، ٩٢ ؛ مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٢٢ ، تيسيـر الوصـول ج ٢ ص ٢٩٥ ، فتـح البـاري ج ٢ ص ٥١ وج ٣ ص ٨٢ ، كنـز العمال ج ٤ ص ١٢٥ ، ٢٢٦ ؛ شرح المواهب ج ٨ ص ٢٣ ، شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٩٨ .

(٢) صحيح البخاري ؛ صحيـح مسلم ج ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ؛ سنن أبي داود ج ١ ص ٢٠١ ، سنن الدارمي ج ١ ص ٣٣٤ ، سنن البيهقي ج ٢ ص ٤٥٨ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٢٩٥ ، فتح الباري ج ٢ ص ٥١ .

الله عنها فقال لها : يا أمّ المؤمنين إنّ هذا ينهاني . . . فقالت : رأيت رسول الله ﷺ يصلّيها .

واقتفت أثره ﷺ فيها الصّحابة والتابعون طيلة حياته وبعدها ، وممّن رُوي عنه الرّخصة في التطوّع بعد العصر الإمام أمير المؤمنين عليّ ؑ . الزّبير . إبن الزبير . تميم الداري . النعمان بن بشير . أبو أيّوب الأنصاري . عائشة أمّ المؤمنين . الأسود بن يزيد . عمرو بن ميمون . عبدالله بن مسعود وأصحابه . بلال . أبو الدرداء . إبن عباس . مسروق . شريح . عبدالله بن الهذيل . أبو بردة . عبد الرّحمٰن بن الأسود . عبد الرّحمٰن بن البيلماني . الأحنف بن قيس[1] وكانوا على هذا حتّى تقيّض صاحب الدرّة وليس عنده ما يتعلّل به على النهي عنها والزجر عليها سوى خيفة أن يأتي قومٌ فيواصلوا بين العصر والمغرب بالصّلاة .

ألا من مسائل إيّاه عن علّة كراهته ذلك الوصال وليس له من الشّريعة أيّ وازع عنه ؟ وهب أنّه ارتأى كراهة ذلك الوصال فما باله ينهى عن الرّكعتين وليستا مالئتين للفراغ بين الوقتين ـ العصر والمغرب ـ ؟ وعلى فرضه كان الواجب أن ينهى عن الصّلاة في أوّل وقت المغرب غير الفريضة التي رأى كراهتها هو ، ولكن أيّ قيمة لرأيه وقد صلّوها على العهد النبويّ بمرأى من صاحب الرِّسالة ومشهد فلم ينههم عنها[2] .

ثمّ الذي خافه عمر من أن يأتي قومٌ يصلّون بين الوقتين بالصّلاة هل عزب علمه عن رسول الله ﷺ فشرّع لهم تينك الرّكعتين بعد العصر ؟ أو أنّه علم ذلك ولم يكترث له ؟ أم كانت بصيرة الخليفة في الأمور أقوى من بصيرة النبيِّ الأعظم ؟ لاها الله لا ذلك ولا هذا ، لكن رسول الله ﷺ علم ذلك كلّه ولم ير بأساً بما خافه عمر .

وبماذا استحقّ أولئك الأخيار من الصّحابة الضرب بالدرّة والفضيحة بملأ من الأشهاد نصب عيني النبيِّ الأقدس قُرب مشهده الطاهر ؟ والذين يأتون بما كرهه

(١) طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢) كما في صحيح مسلم ج ١ ص ٣١ ، ومسند أبي داود ص ٢٧٠ وغيرهما .

أقوامٌ من رجال المستقبل لم يرتكبوه بعدُ ، أو أنّه لم تنعقد نطفهم حتّى تلك الساعة وهو يعترف بـأنّهم ليسوا من أولئـك ، ولعلَّ الخليفـة كان يـرى جواز القصـاص قبل جناية غير المقتصّ منه . هلمّ واعجب .

وكأنَّ الخليفة في آرائه هذه الخاصَّة به كان ذاهلاً عن قوله هو : احـذروا هذا الرأي على الدِّين فإنّما كان الرأي من رسول الله مصيباً لأنَّ الله كان يُريه ، وإنّما هو ههنا تكلّفٌ وظنٌّ ، وإنَّ الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئاً[1] .

٦٣ ـ رأي الخليفة في العجم :

روى مـالك ـ إمـام المالكيّـة ـ عن الثقـة عنـده أنّـه سمـع سعيـد بن المسيّب يقول : أبى عمر بن الخطاب أن يورِّث أحداً من الأعاجم إلاّ أحداً وُلد في العرب .

قال مالك : وإن جاءت امرأةٌ حامل من أرض العدوِّ فوضعته في أرض العرب فهو ولدها يرثها إن ماتت ، وترثه إن مات ، ميراثها في كتاب الله .

[الموطأ ج ٢ ص ١٢]

قـال الأميني . هذا حكم حـدت إليه العصبيّـة المحضـة ، وإنّ التـوارث بين المسلمين عامَّة عرباً كانوا أو أعـاجم أينما وُلـدوا وحيثما قـطنوا من ضـروريّات دين الإسلام ، وعليه نصوص الكتاب والسنَّـة ، فعمومـات الكتاب لم تُخصَّص ، وليس من شروط التوارث الولادة في أرض العرب ولا العروبة من شروط الإسلام ، وهـذه العصبيَّة إلى أمثالها في موارد لا تُحصى هي التي تفكّـك عُرى الإجتمـاع ، وتشتّت شمل المسلمين ، وإنّما المسلمون كأسنـان المشط لا تفاضـل بينهم إلاّ بالتقـوى ، والله سبحانه يقول :﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾ . ويقـول :﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ . ويقول : ﴿ولو جعلناه قرآنـاً أعجميّاً لقالوا لولا فصّلت آياته أعجميٌّ وعربيٌّ﴾ . وهذا هتاف النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من خطبة له يوم الحجِّ الأكبر في ذلك المحتشد الرَّحيب بقوله :

---

(١) أخـرجـه أبـو عمـر في العلم ج ٢ ص ١٣٤ ، وابن أبي حـاتم كمـا في الـدر المنثـور ج ٦ ص ١٢٧ .

أيّها الناس ! إنّما المؤمنون إخوة ، ولا يحلُّ لامرىء مال أخيه إلاّ عن طيب نفس منه ، ألا هل بلّغت ؟ اللّهُمَّ اشهد ! فلا ترجعنَّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعده : كتاب الله ، ألا هل بلّغت ؟ اللّهُمَّ اشهد .

أيّها الناس ! إنَّ ربّكم واحد ، وإنَّ أباكم واحد ، كلّكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربيّ على عجميّ فضلٌ إلاّ بالتقوى ألا هل بلّغت ؟ اللّهُمَّ اشهد ! قالوا : نعم . قال : فليبلّغ الشاهد الغائب[1] .

وفي لفظ أحمد : ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ، ولا لعجميّ على عربيّ ، ولا أسود على أحمر ، ولا أحمر على أسود إلاّ بالتقوى[2] قال الهيثمي : رجاله رجال الصّحيح .

وفي لفظ الطبراني في الكبير :

يا أيّها الناس ؟ إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم . فليس لعربيّ على عجميّ فضلٌ ، ولا لعجميّ على عربيّ فضلٌ ، ولا لأسود على أحمر فضلٌ ، ولا لأحمر على أسود فضلٌ إلا بالتقوى . الحديث

[مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٧٢]

وفي لفظ ابن القيّم : لا فضل لعربيّ على عجميّ ، ولا لعجمي على عربيّ ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلاّ بالتقوى ، الناس من آدم وآدم من تراب . زاد المعاد ج ٢ ص ٢٢٦ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في صحيحة أخرجها البيهقي : ليس لأحد على أحد فضلٌ إلاّ بالدين أو عملٍ صالح .

[الجامع الصغير : السيوطي ، وصحّحه]

---

(١) البيان والتبيين ج٢ ص ٢٥ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٨٥ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩١ .
(٢) مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٦٦ .

ولو فرضنا مفاضلة بالعنصريّات فتلك في غير الأحكام والنواميس المطّردة وما أحوج المسلمين من أوّل يومهم إلى التآخي والتساند تجاه سيل الإلحاد الأتيّ ، لكن كثيراً منهم يتأثّرون بتسويلات أجنبيّة من حيث لا يشعرون ، فأهواءٌ مرديةٌ ، تحدوهم إلى التشعّب ، وآراء فاسدةٌ تفتُّ في عضد الجامعة ، ونزعاتٌ طائفيَّةٌ ، ونعراتٌ قوميَّةٌ ، وعوامل داخليَّةٌ ، وعواطف حزبيَّة تُلهينا عن سدِّ الثغور .

أضف إلى ذلك كلّه نزعات شعوبيّة ، وتبجّحات بالعروبة فحسب ، فهذه كلّها تفضي إلى شقِّ العصا ، وتفريق الكلمة ، ونصب عين الكلِّ تعليمات النبيِّ الأقدس ، وتقديره الشخصيّات المحلاّة بالفضائل من مختلف العناصر بمثل قوله : سلمان منّا أهل البيت[١] . وقوله : لو كان العلم بالثريّا لتناوله ناسٌ من أبناء فارس[٢] إلى الكثير الطيِّب من أمثاله .

فعلى المسلم أن لا يتّخذ تلكم الآراء الشاذة خطَّةً لنفسه ، ولا يصفح عن قول النبيِّ الأمين : ليس منّا من دعا إلى عصبيَّة ، وليس منّا من قاتل على عصبيَّة ، وليس منّا من مات على عصبيَّة[٣] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من قاتل تحت راية عميَّة يغضب للعصبيَّة أو يدعو إلى عصبيَّة أو ينصر عصبيَّة فقتل فقتلةٌ جاهليَّةٌ . سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٦ .

٦٤ ـ تجسّس الخليفة بالسّعاية :

أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه قال : أتى عمر بن الخطاب رجلٌ فقال : انَّ فلاناً لا يصحو . فدخل عليه عمر رضي الله عنه فقال : إني لأجد ريح شراب يا فلان ! أنت بهذا ؟ فقال الرجل : يابن الخطاب ! وأنت بهذا ؟ ألم ينهك الله أن تجسّس ؟ فعرفها عمر فانطلق وتركه .

[الدرّ المنثور ج ٦ ص ٩٣]

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ ، شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد الأزدي ج ٢ ص ٤٦ .

(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، وأخرجه ابن قانع بإسناده بلفظ : لو كان الدين متعلقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس . الإصابة ج ٣ ص ٤٥٩ .

(٣) سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٣٢ .

قال الأميني : أترى الخليفة كيف رتّب الأثر على التّهمة من غير بيّنة ؟ من دون أن ينهى المخبر المتّهم عمّا ارتكبه من الوقيعة في أخيه المسلم بالبهت وإشاعة الفاحشة في الّذين آمنوا أو اغتياب الرَّجل ، فوقع من جرّاء ذلك كلّه في محظور آخر من التجسّس المنهيّ عنه بنصّ الذكر الحكيم ، لكنّه سرعان ما ارتدع بلفت الرَّجل نظره إلى الحكم الشرعيّ .

٦٥ ـ عمرو بن ميمون :

عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر بن الخطاب لابنه عبدالله : انطلق إلى عائشة أُمّ المؤمنين فقل : يقرأ عليك عمر السّلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه . فمضى فسلّم واستأذن ثمّ دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال : يقرأ عليكِ عمر السّلام ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه . قالت : كنت اُريده لنفسي ولأوثرنّ به اليوم على نفسي فلمّا أقبل قيل : هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال : ارفعوني . فأسنده رجلٌ إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذي يحبّ أمير المؤمنين أذنت . قال : الحمد لله ما كان شيءٌ أهمُّ إليَّ من ذلك المضجع ، فإذا أنا قضيت فاحملوني وان ردّتني فردّوني إلى مقابر المسلمين[1] .

قال الأميني : ليت الخليفة عرّفنا ما وجه الإستيذان من عائشة ؟ فهل ملكت هي حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإرث ؟ فأين قوله صلى الله عليه وآله وسلم المزعوم : نحن معاشر الأنبياء لا نرث ما تركناه صدقة ؟ وبذلك زحزحوا عن الصدّيقة الطاهرة فدكاً ، وبذلك منع أبو بكر عائشة وبقيّة أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا جئن إليه يطلبن ثمنهنّ[2] وإنْ كان الخليفة عدل عن ذلك الرأي لما انكشف له من عدم صحّة الرّواية ؟ فإنّ ابنة رسول الله كانت أولى بالإذن فإنّها هي المالكة إذن ، وأمّا عائشة فلها التّسع من الثمن فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي عن تسع ، فكان الذي يلحق عائشة من الحجرة

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٦٦ وج ٢ ص ٢٦٣ وأخرجه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث لا نطيل بذكرهم المقام .

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩٠ .

الشَّريفة التّسع من الثمن ، وما عسى أن يكون من ذلك لها إلا شبراً أو دون شبرين وذلك لا يسع دفن جثمان الخليفة وهب أنّه كان يضمُّ إلى ذلك نصيب ابنته حفصة فإنَّ الجميع يقصر عن ذلك المضطجع ، فالتصرُّف في تلك الحجرة الشريفة من دون رخصة مَن يملكها من العترة النبويّة الطاهرة وأُمّهات المؤمنين لا يُلائم ميزان الشَّرع المقدَّس .

ربما يقرأ القارىء في المقام ما جاء به إبن بطّال من قوله : إنّما استأذنها عمر لأنَّ الموضع كان بيتها وكان لها فيه حقٌّ( ) . فيحسب هناك حقّاً لأُمٍّ المؤمنين يستدعي ذلك الإستئذان ويصحّحه ، وإن هو إلاّ حقُّ السكنى ومجرَّد إضافة البيت إلى عائشة وهما لا يوجبان الملك ، قال ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ٥٣ : استدلَّ به وباستئذان عمر لها على ذلك على أنّها كانت تملك البيت ، وفيه نظرٌ بل الواقع أنّها كانت تملك منفعته بالسكنى فيه والإسكان ولا يورث عنها ، وحكم أزواج النبيِّ كالمعتدّات لأنّهنَّ لا يتزوَّجن بعده صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم . ا هـ .

وقال في ج ٦ ص ١٦٠ : ويؤيِّده - يعني عدم الملك - ان ورثتهنّ لم يرثن عنهنَّ منازلهنَّ ، ولو كانت البيوت ملكاً لهنّ لانتقلت إلى ورثتهنَّ وفي ترك ورثتهنَّ حقوقهم دلالة على ذلك ، ولهذا زيدت بيوتهنَّ في المسجد النبويِّ بعد موتهنَّ لعموم نفعه للمسلمين كما فعل فيما كان يصرف لهنَّ من النفقات . والله أعلم . ا هـ .

وقال العيني في عمدة القاري ج ٧ ص ١٣٢ في حديث عائشة [لمّا ثقل رسول الله استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي] : أسندت البيت إلى نفسها ، ووجه ذلك أنّ سكنى أزواج النبيِّ ﷺ في بيوت النبيِّ من الخصائص ، فلمّا استحققن النفقة لحبسهنّ استحققن السكنى ما بقين ، فنبّه البخاري بسوق أحاديث هذا الباب وهي سبعة على أنّ بهذه النسبة تتحقّق دوام استحقاق سكناهنَّ للبيوت ما بقين . ا هـ .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٥ ص ١٩٠ : أسندت [عائشة] البيت إلى نفسها ووجه ذلك أنَّ سكن أزواجه عليه الصّلاة والسّلام في بيوته من

الخصائص ، فكما استحققن النفقة لحبسهنَّ إستحققن السكنى ما بقين ، فنبّه على أنَّ بهذه النسبة تحقّق دوام استحقاقهنَّ لسكنى البيوت ما بقين . ا هـ .

فالقارىء جِدُّ عليم عندئذٍ بأنَّ أُمَّ المؤمنين لم يكن لها من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ السكنى فيها كالمعتدَّة، وليس لها قطُّ أن تتصرَّف فيها بما يترتّب على الملك .

والخطب الفظيع عدُّ الحفّاظ هذا الإستئذان وهذا الدفن من مناقب الخليفة ذاهلين عن قانون الإسلام العامّ في التصرُّف في أموال النّاس .

ولست أدري بأيِّ حقّ أوصى الإمام الحسن السبط الزّكي صلوات الله عليه أن يُدفن في تلك الحجرة الشريفة ؟ وهل منعته عائشة عن أن يُدفن بها ؟ أو أذنت له وما أُطيعت ؟ ـ ولا رأي لمن لا يُطاع ـ فتسلّح بنو أُميّة وقالوا : لا ندعه أن يُدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكاد أن تقع الفتنة[1] لِمَ هذه كلّها ؟ أنا لا أدري .

٦٦ ـ خطبة الخليفة في الجابية :

عن عليّ بن رباح اللخمي قال : إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب النّاس فقال : مَن أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيَّ بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإنّي له خازنٌ . وفي لفظ : فإنَّ الله تعالىٰ جعلني خازناً[2] وقاسماً .

أخرجه أبو عبيد المتوفّى سنة ٢٢٤ في كتابه «الأموال» ص ٢٢٣ بإسناد رجاله كلّهم ثقات ، والبيهقي في «السنن الكبرى» ج ٦ ص ٢١٠ ،والحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ويُذكر في العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٢ ، وسيرة عمر لابن الجوزي ص ٨٧ ، وأشير إليه في «معجم البلدان» ج ٣ ص ٣٣

---

(١) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٤٤ وجملة أُخرى من معاجم السير .

(٢) مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣٥ .

فقال : في الجابية خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبته المشهورة . وجاء في ترجمة كثيرين : أنّهم سمعوا خطبة عمر في الجابية .

إسناده من طريق أبي عبيد :

١ - الحافظ عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي أبو صالح الكوفي المتوفّى سنة ٢٢١ وثّقه ابن معين ، وابن خراش ، وابن بكر الأندلسي ، وابن حبّان ، وهو من مشايخ البخاري في صحيحه[١] .

٢ - موسى بن عليّ بن رباح اللخمي أبو عبد الرَّحمٰن المصري المتوفّى سنة ١٦٣ ، وثّقه أحمد ، وابن سعد ، وابن معين ، والعجلي ، والنسائي ، وأبو حاتم ، وابن شاهين ، واحتجّ به أربعةٌ من أئمّة الصّحاح الستّ[٢] .

٣ - عليُّ بن رباح اللخمي التابعي أبو عبدالله - أبو موسى - المولود سنة ١٠ والمتوفّى سنة ٧/١١٤ ، وثّقه ابن سعد ، والعجلي ، ويعقوب بن سفيان ، والنسائي ، وابن حبّان ، واحتجّ به أربعةٌ من أئمّة الصّحاح[٣] .

في هذه الخطبة الثابتة المرويّة عن الخليفة بطرق صحيحة كلّ رجالها ثقات ، وصحّحها الحاكم والذهبي ، اعترافٌ بأنّ المنتهى إليه في العلوم الثلاثة أولئك النفر المذكورين فحسب ، وليس للخليفة إلّا أنّه خازن مال الله ، وهل ترى من المعقول أن يكون خليفة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على أُمّته في شرعه ودينه وكتابه وسنّته وفرائضه فاقداً لهاتيك العلوم ؟ ويكون مرجعه فيها لفيفاً من النّاس كما تُنبىء عنه سيرته ، فعلامَ هذه الخلافة ؟ وهل تستقرُّ بمجرَّد الأمانة ، وليست بعزيزة في أُمّة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ؟ وما وجه الإختصاص به ؟ نعم : وقع النصُّ عليه ممَّن سبقه في الخلافة على غير طريقة القوم في الخليفة الأوّل .

وشتّان بين هذا القائل وبين مَن لم يزل يعرض نفسه لعويصات المسائل

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٦١ ، خلاصة الكمال ص ١٧٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦٣ ، خلاصة الكمال ص ٣٣٦ .
(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣١٨ ، خلاصة الكمال ص ٢٣١ .

ومشكلات العلوم فيحلّلها عند السؤال عنها من فوره ، ويرفع عقيرته على صهوات المنابر بقوله سلام الله عليه : سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي .
أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤٦٦ وصحّحه هو والذهبي في تلخيصه .

وقوله عليه السلام : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا سنّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنبأتكم بذلك . أخرجه إبن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٢٣١ من طريقين وقال : ثبت أيضاً من غير وجه .

وقوله عليه السلام : سلوني والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل .

أخرجه أبو عمر في جامع بيان العلم ج ١ ص ١١٤ ، والمحبّ الطبري في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٨ ، ويوجد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢٤ ، والإتقان ج ٢ ص ٣١٩ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٨ ، فتح الباري ج ٨ ص ٤٨٥ ، عمدة القاري ج ٩ ص ١٦٧ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠ .

وقوله عليه السلام : ألا رجلٌ يسأل فينتفع وينفع جلساءه .

أخرجه أبو عمر في جامع بيان العلم ج ١ ص ١١٤ ، وفي مختصره ص ٥٧ .

وقوله عليه السلام : والله ما نزلت آيةٌ إلاّ وقد علمت فيمَ أُنزلت ، وأين أنزلت ، إنَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً .

أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٨ ، وذكره صاحب مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠ .

وقوله عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله ، وما من آية إلاّ وأنا أعلم حيث أُنزلت بحضيض جبل أو سهل أرض ، وسلوني عن الفتن فما من فتنة إلاّ وقد علمت من كسبها ومن يُقتل فيها .

أخرجه إمام الحنابلة أحمد وقال : روي عنه نحو هذا كثيراً .

[ينابيع المودّة ص ٢٧٤] .

وقوله عليه السلام وهو على منبر الكوفة وعليه مدرعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متقلّدٌ بسيفه ، ومتعمّمٌ بعمامته صلى الله عليه وآله وسلم ، فجلس على المنبر وكشف عن بطنه فقال : سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ ما بين الجوانح مني علمٌ جمٌّ ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا ما زقّني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زقّاً زقّاً ، فوالله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، حتّى ينطق الله التوراة والإنجيل فيقولان : صدق عليٌّ قد أفتاكم بما أُنزل فيَّ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون .

أخرجه شيخ الإسلام الحمّوي في «فرائد السمطين» عن أبي سعيد .

وقال سعيد بن المسيِّب : لم يكن أحدٌ من الصّحابة يقول : سلوني . إلاّ عليُّ بن أبي طالب[1] وكان إذا سُئل عن مسألة يكون فيها كالسكّة المحماة ويقول :

إذا المشكلات تصدّين لي ... كشفت حقائقها بالنظر
فإن برقت في مخيل الصوا ... ب عمياء لا يجتليها البصر
مقنّعة بغيوب الأُمور ... وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشقشقة الأرحبي ... أو كالحسام اليماني الذّكر
وقلباً إذا استنطقته الفنو ... ن أبرّ عليها بواه درر
ولست بإمّعة في الرّجا ... ل يُسائل هذا وذا ما الخبر ؟
ولكنّني مِذربُ الأصغرين[2] ... أبين مع ما مضى ما غبر

أخرجها أبو عمر في العلم ج ٢ ص ١١٣ ، وفي مختصره ص ١٧٠ ، والحافظ العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى ، والقالي في أماليه ،

(١) أخرجه أحمد في المناقب ، والبغوي في المعجم ، وأبو عمر في العلم ج ١ ص ١١٤ وفي مختصره ص ٥٨ ، والمحب الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٩٨ ، وابن حجر في الصواعق ص ٧٦ .

(٢) قال أبو عمر : المذرب ، الحادّ . وأصغراه : قلبه ولسانه .

والحصري القيرواني في زهر الآداب ج ١ ص ٣٨ ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٥ ص ٢٤٢ ، والزبيدي الحنفي في تاج العروس ج ٥ ص ٢٦٨ نقلاً عن الأمالي . وذكر منها البيتين الأخيرين الميداني في مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٥٨ .

لفت نظر :

لم أرَ في التاريخ قبل مولانا أمير المؤمنين مَن عرض نفسه لمعضلات المسائل وكراديس الأسئلة ، ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملأ العلمي بقوله : سلوني . إلاّ صنوه النبيُّ الأعظم فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر من قوله : سلوني عمّا شئتم . وقوله : سلوني . سلوني . وقوله : سلوني ولا تسألوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به[1] . فكما ورث أمير المؤمنين علمه صلى الله عليه وآله وسلم ورث مكرمته هذه وغيرها ، وهما صنوان في المكارم كلّها .

وما تفوَّه بهذا المقال أحدٌ بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ وقد فضح ووقع في ربيكة ، وأماط بيده الستر عن جهله المطبق نظراء .

١ ـ إبراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي والي مكّة والمدينة والموسم لهشام بن عبد الملك ، حجَّ بالناس سنة ١٠٧ وخطب بمنى ثمَّ قال : سلوني فأنا ابن الوحيد ، لا تسألوا أحداً أعلم منّي . فقام إليه رجلٌ من أهل العراق فسأله عن الأضحية أواجبة هي ؟ فما درى أيَّ شيء يقول له فنزل عن المنبر .

[تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٠٥] .

٢ ـ مقاتل بن سليمان : قال إبراهيم الحربي : قعد مقاتل بن سليمان فقال : سلوني عمّا دون العرش إلى لويانا ، فقال له رجلٌ : آدم حين حجَّ مَن حلق رأسه ؟

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٤٦ ، ج ١٠ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، مسند أحمد ج ١ ص ٢٧٨ ، مسند أبي داود ص ٣٥٦ .

قال فقال له : ليس هذا من عملكم ، ولكن الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي .

[تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٦٣] .

٣ ـ قال سفيان بن عيينة : قال مقاتل بن سليمان يوماً : سلوني عمّا دون العرش . . فقال له إنسانٌ : يا أبا الحسن ! أرأيت الذرَّة أو النملة أمعاؤها في مقدَّمها أو مؤخَّرها ؟ قال : فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له . قال سفيان : فظننت أنّها عقوبة عوقب بها .

[تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٦٦] .

٤ ـ قال موسى بن هارون الحمّال : بلغني أنَّ قتادة قدم الكوفة فجلس في مجلس له وقال : سلوني عن سنن رسول الله ﷺ حتّى أُجيبكم . فقال جماعةٌ لأبي حنيفة : قم إليه فسله . فقام إليه فقال : ما تقول يا أبا الخطاب في رجل غاب عن أهله فتزوّجت امرأته ثمّ قدم زوجها الأوّل فدخل عليها وقال : يا زانية تزوَّجتِ وأنا حيٌّ ؟ ثمّ دخل زوجها الثاني فقال لها : تزوَّجتِ يا زانية ولك زوجٌ . كيف اللعان ؟ فقال قتادة : قد وقع هذا ؟ فقال له أبو حنيفة : وإن لم يقع نستعدُّ له . فقال له قتادة : لا أُجيبكم في شيء من هذا سلوني عن القرآن . فقال له أبو حنيفة : ما تقول في قوله عزَّ وجلَّ : قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به . مَن هو ؟ قال قتادة : هذا رجلٌ من ولد عمِّ سليمان بن داود كان يعرف إسم الله الأعظم . فقال أبو حنيفة : أكان سليمان يعلم ذلك الإسم ؟ قال : لا . قال : سبحان الله ويكون بحضرة نبيّ من الأنبياء مَن هو أعلم منه ؟ قال قتادة : لا أُجيبكم في شيء من التفسير سلوني عمّا اختلف الناس فيه . فقال له أبو حنيفة : أمؤمن أنت ؟ قال أرجو . قال له أبو حنيفة : فهلّا قلت كما قال إبراهيم فيما حكى الله عنه حين قال له : أو لم تؤمن قال : بلى . قال قتادة : خذوا بيدي والله لا دخلت هذا البلد أبداً .

[الإنتقاء لأبي عمر صاحب الإستيعاب ص ١٥٦]

٥ ـ حكي عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال : سلوا عمّا

شئتم وكان أبو حنيفة حاضراً وهو يومئذٍ غلام حدث فقال : سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة : كانت أنثى . فقيل له كيف عرفت ذلك ؟ فقال : من قوله تعالىٰ : قالت . ولو كانت ذكراً لقال : قال نملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى .

[حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٦٨] .

٦ ـ قال عبيد الله بن محمّد بن هارون سمعت الشافعي بمكّة يقول : سلوني عمّا شئتم أُحدّثكم من كتاب الله وسنة نبيّه فقيل : يا أبا عبدالله ما تقول في محرم قتل زنبوراً ؟ قال : وما آتاكم الرّسول فخذوه .

[طبقات الحفّاظ للذهبي ج ٢ ص ٢٨٨] .

٦٧ ـ تعلّم عمر سورة البقرة :

أخرج الخطيب في رواة مالك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والقرطبي في تفسيره بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر قال : تعلَّم عمر سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلمّا ختمها نحر جزوراً(١) .

وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ١٣٢ : تعلّمها عمر رضي الله عنه بفقهها وما تحتوي عليه في اثنتي عشرة سنة .

قال الأميني : هذا ينمُّ إمّا عن عدم انعطاف الخليفة على القرآن واهتمامه به مع أنّه أهمُّ أُصول الإسلام ، وقد انطوى فيه مهمّات علومه حتّى إنّه تبطّأ في تعلّم سورة منه إلى غاية ذلك الأمد المتطاول ، ولعلّه كان قد ألهاه عن ذلك الصفق بالأسواق كما ورد في غير واحد من هذه الآثار ، واعتذر به هو وغيره من الصّحابة ، وإمّا عن قصور في فطنته وذكائه وجمودٍ في القريحة يأبى عن انعكاس ما يُلقى إليه فيها فيحتاج إلى تكرارٍ ومثابرة كثيرةٍ وترديدٍ حتّى ينتقش ما همَّ بتعلّمه في الذاكرة .

وقد يؤكّد الثاني ما مرَّ في صحيفة ١٤٥ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له : إنّي

---

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٤ ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٦٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١١ ، الدر المنثور ج ١ ص ٢١ .

أظنّك تموت قبل أن تعلم ذلك ، وما ذكر في ص ١٥٩ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم له لحفصة : ما أرى أباك يعلمها . وقوله : ما أراه يقيمها .

ويُساعد هذا ما في الكتب من أنَّ عمر كان أعلم وأفقه من عثمان ولكن كان يعسر عليه حفظ القرآن[1] .

وأيّاً ما كان فإنَّ مدَّة التعلّم هذه لا يمكن أن تكون على العهد النبويِّ ، فإنَّ سورة البقرة نزلت بالمدينة عند جميع المفسِّرين غير آيات نزلت في حجّة الوداع ، وقالت عائشة : ما نزلت سورة البقرة والنساء إلاّ وأنا عنده ﷺ[2] وتوفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ربيع الأوّل - على ما ذهب إليه القوم - من السنة الحادية عشر من مهاجرته ، ومع ذلك لم يؤثر تعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا بدَّ أن يكون تعلّمه عند أحد الصّحابة أو عند لفيفٍ منهم وهم الذين يقول القائل : فإنَّ الخليفة كان أعلمهم على الإطلاق .

ويشهد هذا أيضاً على خلوّ الرَّجل من أكثر علوم القرآن الموجودة في بقيّة السّور فإنَّ تعلّمها على هذا القياس يستدعي أكثر من مائة وثلاثين عاماً حسب أجزاء القرآن الكريم ، فيفتقر الخليفة على هذا الحساب في تعلّم جميع القرآن إلى ما يقرب من مائة وخمسين عاماً ، ولا يفي بذلك عمر الخليفة ، على أنَّ الأحكام في غير البقرة من السّور أكثر ممّا فيها ، فكان خليفةً ومتعلّماً - والخليفة ، هو معلّم النّاس لا المتعلّم منهم - ولهذا كان لا يهتدي إلى جملة من الأحكام الموجودة في القرآن ، وكان يحسب أبسط شيء من معانيه تعمّقاً وتكلّفاً ويدَّعي أنّه نُهي عنه[3] وكان يقول : من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبي بن كعب . إلى آخر ما مرّ عنه ص ١٩٥ .

هذا شأن الخليفة قبل طروِّ النسيان عليه وأمّا بعده فروى محمّد بن سيرين أنَّ عمر في آخر أيّامه اعتراه نسيانٌ حتّى كان ينسى عدد ركعات الصّلاة فجعل أمامه

---

(١) عمدة القاري ج ٢ ص ٧٣٣ نقلاً عن النهاية .

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ١٣٠ .

(٣) راجع صحيفة ١٢٧ من هذا الجزء .

رجلاً يلقّنه فإذا أومأ إليه أن يقوم أو يركع فعل[1] .

وإنْ تعجب فعجبٌ أنّه مع ذلك كلّه ما كـان يتنصّل عن الحكم ، ولا يـرعوي عن الإفتاء ، وإن كان يظهر خطأه في كثير منها .

وبأبه اقتدى عديٌّ في الكرم .

أخرج مالـك في الموطـأ ج ١ ص ١٦٢ أنَّ عبدالله بن عمـر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلّمها ، وذكره القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٣٤ ، وقـال العيني في عمدة القاري ج ٢ ص ٧٣٢ : حفظ عبدالله بن عمر سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة ، وفي طبقات إبن سعد كما في تنـوير الحـالك في شـرح الموطـأ لمالـك ج ١ ص ١٦٢ : إنَّ عـمـر تعلّـم سورة البقـرة في أربع سنين . قـال البـاجي لأنّـه كـان يتعلّم فرائضها وأحكامها وما يتعلّق بها .

٦٨ - رأي الخليفة في المتعتين :
متعة الحج

١ - عن أبي رجاء قال : قال عمـران بن حصين : نزلت آية المتعـة في كتاب الله وأمرنا بهـا رسول الله ﷺ ثمَّ لم تنـزل آيةٌ تنسـخ آية متعـة الحجِّ ، ولم ينـه عنها رسول الله ﷺ حتّى مات ، قال رجلٌ برأيه بعدُ ما شاء[2] .

صورة اخرى لمسلم :

تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينزل فيه القرآن قـال رجلٌ بـرأيه مـا شاء . وفي لفظ آخر له : تمتّـع نبيُّ الله ﷺ وتمتّعنا معـه . وفي لفظ رابع لـه : أعلم أنَّ رسول الله ﷺ جَمع بين حجّ وعمرةٍ ثمَّ لم ينزل فيها كتابٌ ولم ينهنا عنها قال رجلٌ برأيه ما شاء .

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٣٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١٠ .
(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٤ ، وأخرجه القرطبي بهذا اللفظ في تفسيره ج ٢ ص ٣٦٥ .

لفظ البخاري :

تمتَّعنا على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن قال رجلٌ برأيه ما شاء(١) .

وفي لفظ آخر له :

أُنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرِّمه ، ولم ينه عنها حتّى مات ، قال رجلٌ برأيه ما شاء(٢) .

وفي بعض نسخ صحيح البخاري قال محمَّد - أي البخاري - يقال : إنّه عمر . قال القسطلاني في الإرشاد : لأنَّه كان ينهى عنها . وذكره إبن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٣٣ نقلاً عن البخاري فقال : هذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرَّحاً به : أنّ عمر كان ينهى الناس عن التمتّع .

وقال ابن حجر في فتح الباري ج ٤ ص ٣٣٩ : ونقله الإسماعيلي عن البخاري كذلك فهو عمدة الحميدي في ذلك ولهذا جزم القرطبي والنووي وغيرهما وكان البخاري أشار بذلك إلى رواية الحريري عن مطرف فقال في آخره : ارتأى رجلٌ برأيه ما شاء يعني عمر . كذا في الأصل أخرجه مسلم وقال ابن التين : يحتمل أن يريد عمر أو عثمان ، وأغرب الكرماني فقال : إنّ المراد به عثمان ، والأولى أن يفسر بعمر فإنّه أوَّل من نهى عنها وكان مَن بعده تابعاً له في ذلك ففي مسلم : أنّ ابن الزبير كان ينهى عنها وابن عبّاس يأمر بها فسألوا جابراً فأشار إلى أنّ أوَّل من نهى عنها عمر .

وقال القسطلاني في الإرشاد ج ٤ ص ١٦٩ : قال رجل برأيه ما شاء ، هو عمر بن الخطاب لا عثمان بن عفّان لأنَّ عمر أوَّل من نهى عنها فكان مَن بعده تابعاً له في ذلك ففي مسلم - إلى آخر كلمة ابن حجر المذكورة .

وقال النووي في شرح مسلم : هو عمر بن الخطّاب لأنّه أوَّل من نهى عن المتعة فكانَ من بعده من عثمان وغيره تابعاً له في ذلك .

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٥١ ط سنة ١٢٧٢ .

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة البقرة ج ٧ ص ٢٤ ط سنة ١٢٧٧ .

لفظ الشيخين :

تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ونزل فيه القرآن ، فليقل رجلٌ برأيه ما شاء .

[السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٠] .

لفظ النسائي :

إنَّ رسول الله ﷺ قد تمتّع وتمتّعنا معه قال فيها قائلٌ برأيه .

أخرجه في سننه ج ٥ ص ١٥٥ ، وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٤٣٦ قريباً من لفظ مسلم مبتوراً .

وفي لفظ الإسماعيلي : تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ونـزل فيه القرآن ولم ينهنا رسول الله ﷺ[1] .

٢ ـ عن أبي موسى : إنَّه كان يفتي بالمتعة فقال له رجلٌ : رويدك ببعض فتياك فإنّك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعدك حتّى لقيته فسألته فقال عمر : قد علمت أنَّ النبيَّ قد فعله وأصحابه ولكنّي كرهت أن يظلّوا معرِّسين بهنَّ في الاراك ثمَّ يروحون في الحجِّ تقطر رؤوسهم .

أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٤٧٢ ، وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٢٢٩ ، وأحمد في مسنده ج ١ ص ٥٠ ، والبيهقي في سننه ج ٥ ص ٢٠ ، والنسائي في سننه ج ٥ ص ١٥٣ ، ويوجد في تيسير الوصول ج ١ ص ٢٨٨ ، وشرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ١٧٩ .

٣ ـ عن مطرف عن عمران بن حصين : إنّي لأُحدِّثك بالحديث اليوم ينفعك الله به بعد اليوم واعلم أنَّ رسول الله ﷺ قد أعمر طائفة من أهله في العشر فلم تنزل آيةٌ تنسخ ذلك ولم ينه عنه حتّى مضى لوجهه ، ارتأى كلُّ امرىء بعدُ ما شاء أن يرتئي . وفي لفظ مسلم الآخر : ارتأى رجلٌ برأيه ما شاء يعني عمر . وفي لفظ

---

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٣٣٨ .

ابن ماجة : ولم ينه عنه رسول الله ﷺ ولم ينزل نسخه قال في ذلك بعدُ رجلٌ برأيه ما شاء أن يقول .

صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٤ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٢٩ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٤٣٤ ، السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٤٤ ، فتح الباري ج ٣ ص ٣٣٨ .

صورة اخرى :

عن مطرف قال قال لي عمران بن حصين : أُحدِّثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به : إنَّ رسول الله ﷺ جمع بين حجَّة وعمرة ثمَّ لم ينه عنه حتّى مات ولم ينزل فيه قرآنٌ يحرِّمه وقد كان يسلّم عليَّ حتّى اكتويت فتركت ثمَّ تركت الكيَّ فعاد . وفي لفظ الدارمي : إنَّ المتعة حلال في كتاب الله لم ينه عنها نبيٌّ ولم ينزل فيها كتابٌ قال رجلٌ برأيه ما بدا له . صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٤ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥ .

صورة ثالثة :

عن مطرف قال : بعث إليّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفّي فيه فقال : إنّي كنت محدِّثك بأحاديث لعلَّ الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتم عليَّ وإن متُّ فحدِّث بها إن شئت إنّه قد سلّم عليَّ ، واعلم أنَّ نبيَّ الله ﷺ قد جمع بين حجّ وعمرة ثمَّ لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبيُّ الله ﷺ قال رجلٌ فيها برأيه ما شاء .

صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٤ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٤٢٨ ، سنن النسائي ج ٥ ص ١٤٩ .

٤ ـ عن محمّد بن عبدالله بن نوفل قال : سمعت عام حجّ معاوية يسأل سعد بن مالك كيف تقول بالتمتّع بالعمرة إلى الحجّ ؟ قال : حسنةٌ جميلةٌ ، فقال : قد كان عمر ينهى عنها ، فأنت خيرٌ من عمر ؟ قال : عمر خيرٌ منّي وقد فعل ذلك النبيُّ ﷺ وهو خيرٌ من عمر . سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥ .

٥ ـ عن محمّد بن عبدالله : إنّه سمع سعد بن أبي وقاص والضحّاك بن قيس

عـام حجَّ معـاوية بن أبي سفيـان وهمـا يـذكـران التمتـع بـالعمـرة إلى الحـج فقـال الضحّاك : لا يصنع ذلك إلّا من جهل أمر الله تعالىٰ . فقـال سعد : بئسمـا قلت يا ابن أخي . قال الضحّاك : فإنَّ عمر بن الخـطاب نهى عن ذلك . قـال سعد : قـد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه .

الموطأ لمـالك ج ١ ص ١٤٨ ، كتـاب الأُم للشـافعي ج ٧ ص ١٩٩ ، سنن النسـائي ج ٥ ص ٥٢ ، صحيـح التـرمـذي ج ١ ص ١٥٧ ، فقـال : هـذا حـديثٌ صحيـح . أحكام القـرآن للجصاص ج ١ ص ٣٣٥ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١٧ ، تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٦٥ وقـال : هذا حـديثٌ صحيحٌ . زاد المعـاد لابن القيِّم ج ١ ص ٨٤ وذكـر تصحيح التـرمذي لـه ، المواهب اللدنيَّـة للقسـطلاني ، شـرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ١٥٣ .

٦ ـ عن سالم قال : إنِّي لجالس مع ابن عمـر في المسجد إذ جـاءه رجلٌ من أهل الشام فسأله عن التمتّع بالعمـرة إلى الحجِّ : فقـال ابن عمر : حسنٌ جميـلٌ ، قال : فإنَّ أباك كان ينهى عنهـا . فقال : ويلك ! فـإن كان أبي نهى عنهـا وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به أفبقول أبي آخذ أم بأمر رسول الله ﷺ ؟ قم عنّي[١] .

صورة اخرى :

سُئل عبدالله بن عمر عن متعة الحجّ قال : هي حلالٌ . فقال له السائـل : إنَّ أباك قد نهى عنها . فقال : أرأيت إن كـان أبي نهى عنها وصنعهـا رسول الله ﷺ أأمر أبي تتَّبع أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقـال الرَّجـل : بل أمـر رسول الله ﷺ . فقال : لقد صنعها رسول الله ﷺ[٢] .

صورة ثالثة :

قال سالم : سُئل ابن عمر عن متعة الحجِّ فـأمر بهـا فقيل لـه : إنّك تخـالف

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٦٥ نقلاً عن الدارقطني .

(٢) صحيـح الترمـذي ج ١ ص ١٥٧ ، زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ١٦٤ ، وفي هـامش شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٢ .

أباك ؟ قال : إنَّ أبي لم يقل الذي تقولون إنَّما قال : أفردوا العمرة من الحجِّ أي انَّ العمرة لا تتمُّ في شهور الحجِّ إلّا بهدي وأراد أن يزار البيت في غير شهور الحجِّ فجعلتموها أنتم حراماً وعاقبتم الناس عليها وقد أحلّها الله عزّ وجلَّ وعمل بها رسول الله ﷺ قال : فإذا أكثروا عليه قال : أفكتاب الله عزَّ وجلَّ أحقُّ أن يُتَّبع أم عمر ؟

[السنن الكبرى ج ٥ ص ٢١] .

صورة رابعة :

قال سالم : كان عبدالله بن عمر يفتي بالذي أنزل الله عزَّ وجلَّ من الرخصة في التمتّع وسنَّ فيه رسول الله ﷺ فيقول ناس لعبدالله بن عمر : كيف تخالف أباك وقد نهى عن ذلك ؟ فيقول لهم عبدالله : ويلكم ! ألا تتّقون الله ؟ أرأيتم إن كان عمر رضي الله عنه نهى عن ذلك يبتغي فيه الخير ويلتمس فيه تمام العمرة فلِمَ تحرِّمون وقد أحلّه الله وعمل به رسول الله ﷺ أفرسول الله ﷺ أحقُّ أن تتَّبعوا سنَّته أو عمر رضي الله عنه ؟ إنَّ عمر لم يقل لك : إنَّ العمرة في أشهر الحجّ حرامٌ ولكنَّه قال : إنَّ أتمَّ العمرة أن تفردوها من أشهر الحجِّ(١) .

٧ - عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : تمتّع رسول الله ﷺ فقال عروة : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة . فقال ابن عبّاس : ما يقول عريَّة ؟ قال : يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة . فقال ابن عبّاس : أراهم سيهلكون أقول : قال رسول الله ﷺ ويقولون : قال أبو بكر وعمر .

مسند أحمد ج ١ ص ٣٣٧ ، كتاب مختصر العلم لأبي عمر ص ٢٢٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٥٣ ، زاد المعاد لابن القيِّم ج ١ ص ٢١٩ .

٨ - أخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٩ عن أبي موسى : أنَّ عمر رضي الله عنه قال : حي سنَّة رسول الله ﷺ يعني المتعة ولكنّي أخشى أن يعرِّسوا بهنَّ تحت الأراك ثمَّ يروحوا بهنَّ حجّاجاً .

٩ - عن ابن عبّاس أنّه قال لمن كان يعارضه في متعة الحجِّ بأبي بكر وعمر :

---

(١) سنن البيهقي ج ٥ ص ٢١ ، مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٥ .

يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السّماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر . زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢١٥ وهامش شرح المواهب ج ٢ ص ٣٢٨ .

١٠ ـ عن الحسن أنَّ عمر أراد أن ينهى عن متعة الحجِّ فقال له أُبيّ : ليس ذلك لك فقد تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينهنا عن ذلك فأضرب عن ذلك عمر ، وأراد أن ينهى عن حلل الحبرة لأنها تصبغ بالبول فقال له أُبيّ : ليس لك ذلك قد لبسهنَّ الرسول ﷺ ولبسناهنَّ في عهده .

أخرجه إمام الحنابلة أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٣ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤٦ نقلاً عن أحمد وقال : رجاله رجال الصّحيح ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٣ ص ٣٣ نقلاً عن أحمد ، وفي الدرّ المنثور ج ١ ص ٢١٦ نقلاً عن مسند إبن راهويه وأحمد ولفظه :

إنَّ عمر بن الخطاب همَّ أن ينهى عن متعة الحجِّ فقام إليه أُبيُّ بن كعب فقال : ليس ذلك لك قد نزل بها كتاب الله واعتمرناها مع رسول الله ﷺ فنزل عمر .

وذكره إبن القيِّم الجوزيَّة في زاد المعاد ج ١ ص ٢٢٠ من طريق عليِّ بن عبد العزيز البغوي ولفظه :

إنَّ عمر أراد أن يأخذ مال الكعبة وقال : الكعبة غنيَّةٌ عن ذلك المال ، وأراد أن ينهى أهل اليمن أن يصبغوا بالبول ، وأراد أن ينهى عن متعة الحجِّ فقال أُبيُّ بن كعب : قد رأى رسول الله ﷺ وأصحابه هذا المال وبه وبأصحابه الحاجة إليه فلم يأخذه وأنت فلا تأخذه ، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه يلبسون الثياب اليمانيّة فلم ينه عنها وقد علم أنّها تُصبغ بالبول ، وقد تمتّعنا مع رسول الله ﷺ فلم ينه عنها ولم ينزّل الله تعالىٰ فيها نهياً .

١١ ـ أخرج البخاري في صحيحه عن أبي جمرة نصر بن عمران قال : سألت ابن عبّاس رضي الله عنه عن المتعة فأمرني بها ، وسألته عن الهدي فقال : فيها ـ

في المتعة - جزورٌ أو بقرةٌ أو شاةٌ أو شركٌ في دم . قال : وكأنَّ ناساً كرهوها فنمت فرأيت في المنام كأنَّ إنساناً ينادي حجٌّ مبرورٌ ومتعةٌ متقبّلةٌ فأتيت ابن عبّاس رضي الله عنهما فحدَّثته فقال : الله أكبر سنّة أبي القاسم ﷺ[1] .

قال القسطلاني في إرشاد السّاري ج ٣ ص ٢٠٤ [وكأنَّ ناساً كرهوها] يعني كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وغيرهما ممَّن نقل الخلاف في ذلك .

١٢ - عن ابن سيرين : إنّهُ سئل عن المتعة بالعمرة إلى الحجِّ قال : كرهها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فإن يكن علماً فهما أعلم منّي ؟ وإن يكن رأياً فرأيهما أفضل «أخرجه أبو عمر في جامع بيان العلم ج ٢ ص ٣١ ، وفي مختصره ص ١١١» .

١٣ - عن الأسود بن يزيد قال : بينما أنا واقفٌ مع عمر بن الخطاب بعرفة عشيَّة عرفة فإذا هو برجل مرجَّل شعره يفوح منه ريح الطيب فقال له عمر : أمحرمٌ أنت ؟ قال : نعم . فقال عمر : ما هيأتك بهيأة محرم إنما المحرم الأشعث الأغبر الأذفر . قال : إنّي قدمت متمتّعاً وكان معي أهلي ، وإنّما أحرمت اليوم . فقال عمر عند ذلك : لا تتمتّعوا في هذه الأيّام فإنّي لو رخّصت في المتعة لهم لعرَّسوا بهنَّ في الأراك ثمَّ راحوا بهنَّ حجّاجاً .

أخرجه أبو حنيفة كما في زاد المعاد لابن القيّم ج ١ ص ٢٢٠ فقال : قال ابن حزم : وكان ماذا ؟ وحبَّذا ذلك وقد طاف النبيُّ ﷺ على نسائه ثمَّ أصبح محرماً ولا خلاف أنَّ الوطء مباحٌ قبل الإحرام بطرفة عين والله أعلم .

أخرجه أبو يوسف القاضي في كتاب الآثار ص ٩٧ رواية عن أبي حنيفة عن حمّاد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب أنّه بينا هو واقفٌ بعرفات إذ أبصر رجلاً يقطر رأسه طيباً فقال له عمر : ألست محرماً ؟ ويحك ! فقال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : ما لي أراك يقطر رأسك طيباً ؟ والمحرم أشعث أغبر . قال أهللت بالعمرة

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ كتاب الحج باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج . وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ١ ص ٢١٧ نقلاً عن البخاري ومسلم .

مفردة وقدمت مكّة ومعي أهلي ففرغت من عمرتي ، حتّى إذا كان عشيّة التروية أهللت بالحجّ قال : فرأى عمر أنّ الرّجل قد صدقه إنّما عهده بالنساء والطيب بالأمس ، فنهى عمر عند ذلك عن المتعة وقال : إذاً والله لأوشكتم لو خلّيت بينكم وبين المتعة أن تضاجعوهنّ تحت اراك عرفة ثمّ تروحون حجّاجاً .

١٤ ـ عن ابن عبّاس قال : سمعت عمر يقول : والله إنّي لأنهاكم عن المتعة وإنّها لفي كتاب الله ولقد فعلها رسول الله ﷺ يعني العمرة في الحجّ . أخرجه النسائي في سننه ج ٥ ص ١٥٣ .

١٥ ـ عن عبدالله بن عمر : إنَّ عمر بن الخطاب قال : أفصلوا بين حجّكم وعمرتكم ، فإنَّ ذلك أتمّ لحجِّ أحدكم ، وأتمّ لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحجّ .

موطأ مالك ج ١ ص ٢٥٢ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٥ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٧٩ ، وأخرجه ابن أبي شيبة كما في الدرّ المنثور ج ١ ص ٢١٨ ولفظه :

قال عمر : أفصلوا بين حجّكم وعمرتكم ، إجعلوا الحجّ في أشهر الحجّ ، واجعلوا العمرة في غير أشهر الحجّ ، أتمّ لحجّكم ولعمرتكم .

١٦ ـ عن سعيد بن المسيّب : إنَّ عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في أشهر الحجّ وقال : فعلتها مع رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنها وذلك أنّ أحدكم يأتي من أُفق من الآفاق شعثاً نصباً معتمراً في أشهر الحجّ وإنّما شعثه ونصبه وتلبيته في عمرته ثمّ يقدم فيطوف بالبيت ويحلّ ويلبس ويتطيّب ويقع على أهله إن كانوا معه حتّى إذا كان يوم التروية أهلّ بالحجّ وخرج إلى منى يلبّي بحجّة لا شعث فيها ولا نصب ولا تلبية إلّا يوماً والحجُّ أفضل من العمرة ، لو خلّينا بينهم وبين هذا لعانقوهنّ تحت الأراك ، مع أنّ أهل البيت ليس لهم ضرعٌ ولا زرعٌ وإنّما ربيعهم فيمن يطرأ عليهم .

ذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه الكنز ج ٣ ص ٣٢ نقلاً عن حل حم خ م ن ق .

١٧ ـ أخرج القاضي أبو يوسف في كتاب الآثار ص ٩٩ عن أبي حنيفة عن حمّاد عن إبراهيم قال : إنّما نهى عمر عن الإفراد يعني إفراد المتعة فأمّا القرآن فلا .

٦٩ ـ متعة النساء :

١ ـ عن جابر بن عبدالله قال : كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيّام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتّى ـ ثمّ ـ نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث .

صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩٥ ، جامع الأُصول لابن الأثير ، تيسير الوصول لابن الديبع ج ٤ ص ٢٦٢ ، زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٤٤٤ ، فتح الباري لابن حجر ج ٩ ص ١٤١ ، كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٤ .

٢ ـ عن عروة بن الزبير : إنّ خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : إنّ ربيعة بن أُميّة استمتع بامرأة مولدة فحملت منه فخرج عمر رضي الله عنه يجرّ رداءه فزعاً فقال : هذه المتعة ولو كنت تقدّمت فيه لرجمته .

إسنادٌ صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ أخرجه مالك في الموطأ ج ٢ ص ٣٠ ، والشافعي في كتاب الأُم ج ٧ ص ٢١٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧ ص ٢٠٦ .

٣ ـ عن الحكم قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : لولا إنّ عمر رضي الله عنه نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيّ .

صورة اخرى :

عن الحكم انّه سُئل عن هذه الآية ـ آية متعة النساء ـ أمنسوخةٌ ؟ قال : لا .
وقال عليٌّ : لولا انّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيٌّ .
تفسير الطبري ج ٥ ص ٩ بإسناد صحيح ، تفسير الثعلبي ، تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠ ، تفسير أبي حيان ج ٣ ص ٢١٨ ، تفسير النيسابوري ، الدرّ المنثور ج ٢ ص ١٤٠ بعدّة طرق .

٤ ـ عن ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عبّاس يقول : رحم الله عمر ما كانت المتعة إلاّ رحمة من الله رحم بها أُمَّة محمّد ولولا نهيه لما احتاج إلى الزنا إلاّ شفا[1] .

أحكام القرآن للجصّاص ج ٢ ص ١٧٩ ، بداية المجتهد لابن رشد ج ٢ ص ٥٨ ، النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٩ ، الغريبين للهروي ، الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣٣١ ، تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠ وفيه بدل إلاّ شفا : إلاّ شقيٌّ . وكذلك في تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠ من طريق الحافظين عبد الرزّاق وابن المنذر عن عطاء ، لسان العرب لابن منظور ج ١٩ ص ١٦٦ ، تاج العروس ج ١٠ ص ٢٠٠ وحذف من صدر الحديث «رحم الله عمر» وزاد هو وابن منظور قال عطاء : والله لكأنّي أسمع قوله إلاّ شقيّ .

٥ ـ أخرج الحافظ عبد الرزّاق في مصنّفه عن ابن جريج قال : أخبرني أبو الزُّبير عن جابر قال : قدم عمرو بن حريث الكوفة فاستمتع بمولاة فأتى بها عمر وهي حبلى فسأله فاعترف قال : فذلك حين نهى عنها عمر .

[فتح الباري ج ٩ ص ١٤١] .

٦ ـ أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن نافع : إنَّ ابن عمر سُئل عن المتعة ؟ فقال : حرامٌ . فقيل له : إبن عبّاس يُفتي بها ، قال فهلّا ترمرم بها ـ تزمزم ـ في زمان عمر .

الدرُّ المنثور ج ٢ ص ١٤٠ ، جمع الجوامع نقلاً عن ابن جرير .

٧ ـ أخرج الطبري عن جابر قال : كانوا يتمتعون من النِّساء حتّى نهاهم عمر بن الخطاب .

[كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٣] .

٨ ـ عن سليمان بن يسار عن أُمّ عبدالله إبنة أبي خيثمة أنَّ رجلاً قدم من الشام فنزل عليها فقال : إنَّ العزبة قد اشتدَّت عليَّ فابغيني امرأةً أتمتّع معها .

(١) أي إلا قليلاً من الناس . قاله ابن الأثير في النهاية .

قـالت : فدللتـه على امـرأة فشـارطهـا وأشهـد ذلـك عـدولاً فمكث معهـا مـا شـاء الله أن يمكث ثمَّ إنَّه خرج فأخبر عن ذلك عمر بن الخطاب فارسل إليَّ فسألني أحقّ ما حدّثت ؟ قلت : نعم . قال : فإذا قدم فأذنيني ، فلمّـا قدم أخبـرته فـأرسل إليـه فقال : ما حملك على الذي فعلته ؟ قال : فعلته مع رسول الله ﷺ ثمَّ لم ينهنـا عنه حتّى قبضـه الله ، ثمَّ مـع أبي بكـر فلم ينهنـا عنـه حتّى قبضـه الله ، ثمَّ معـك فلم تحدِّث لنا فيـه نهياً . فقـال عمر : أمـا والذي نفسي بيـده لو كنت تقـدّمت في نهي لرجمتك ، بينوا حتّى يعرف النكاح من السّفاح .

[كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٤ من طريق الطبري] .

٩ ـ أخرج الحفّاظ عبد الرزّاق ، وأبو داود في ناسخـه ، وابن جريـر الطبـري عن عليّ [أميـر المؤمنين] قـال : لـولا مـا سبق من رأي عمـر بن الخـطاب لأمـرت بالمتعة ثمَّ ما زنى إلاّ شقيٌّ .

[كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٤] .

١٠ ـ قال عطاء : قدم جابر بن عبدالله معتمـراً فجئناه في منـزله فسـأله القـوم عن أشيـاء ثمَّ ذكروا المتعـة فقـال : استمتعنـا على عهـد رسـول الله ﷺ وأبي بكـر وعمر . وفي لفظ أحمد : حتّى إذا كان في آخر خلافة عمر رضي الله عنه .

صحيـح مسلم ج ١ ص ٣٩٥ في بـاب نكـاح المتعـة ، مسنـد أحمـد ج ٣ ص ٣٨٠ ، وذكره فخرالدين أبو محمَّد الزيلعي في تبيان الحقائق شرح كنز الـدقائق ولفظه : تمتّعنا على عهد رسول الله وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمـر ثمَّ نهى النّاس عنه .

١١ ـ عن عمران بن حصين قال : نـزلـت آية المتعة في كتاب الله تعـالىٰ لم تنزل آيةٌ بعدها تنسخها فأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتّعنا مع رسول الله ﷺ ومات ولم ينهنا عنها قال رجلٌ بعدُ برأيه ما شاء(١) .

ذكره المفسِّرون عند قوله تعالىٰ : ﴿فما استمتعتم به منهنَّ فـآتوهنَّ أُجـورهنَّ

(١) مرت مصادر هذا الحديث في صحيفة ٢٤٦ .

فريضة[١]﴾ في باب حجّة من جوَّز متعة النكاح ، وبعضهم في مقام إثبات نسبة الجواز إلى عمران بن حصين . راجع تفسير الثعلبي ، تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠ و٢٠٢ ، تفسير أبي حيّان ج ٣ ص ٢١٨ ، تفسير النيسابوري .

١٢ ـ عن نافع عن عبدالله بن عمر : إنَّه سُئل عن متعة النساء ؟ فقال : حرامٌ أما إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أخذ فيها أحداً لرجمه بالحجارة .

[السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٠٦] .

١٣ ـ كان عمر رضوان الله عليه يقول : والله لا أُوتى برجل أباح المتعة إلاّ رجمته .

[ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان] .

١٤ ـ عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله قالا : تمتَّعنا إلى نصف من خلافة عمر رضي الله عنه حتّى نهى عمر النّاس عنها في شأن عمرو بن حريث . عمدة القاري للعيني ج ٨ ص ٣١٠ ، وأخرجه ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢ ص ٥٨ عن جابر بلفظ : تمتّعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر ثمَّ نهى عنها عمر النَّاس .

١٥ ـ عن أيّوب قال عروة لابن عبّاس : ألا تتقي الله ترخِّص في المتعة ؟ فقال إبن عبّاس : سل أُمَّك يا عريَّة ؟ فقال عروة : أمّا أبو بكر وعمر فلم يفعلا . فقال ابن عبّاس : والله ما أراكم منتهين حتّى يعذِّبكم الله ، نحدِّثكم عن النبيِّ ﷺ وتحدِّثونا عن أبي بكر وعمر[٢] .

إحالة ابن عبّاس فصل القضاء على أُمِّ عروة أسماء بنت أبي بكر إنَّما هي لتمتّع الزُّبير بها ، وأنّها ولدت له عبدالله ، قال الراغب في المحاضرات ج ٢ ص ٩٤ : عير عبدالله بن الزبير عبدالله بن عبّاس بتحليله المتعة فقال له : سل أُمّك

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) أخرجه أبو عمر في العلم ج ٢ ص ١٩٦ ، وفي مختصره ص ٢٢٦ ، وذكره ابن القيم في زاد المعاد ج ١ ص ٢١٩ .

كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك ، فسألها فقالت : ما ولدتك إلاّ في المتعة .

وقال ابن عبّاس : أوّل مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزُّبير[1] .

وأخرج مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٥٤ عن مسلم القري قال : سألت ابن عبّاس عن متعة الحجّ فرخّص فيها وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فقال : هذه أم ابن الزبير تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رخص فيها فادخلوا عليها فاسألوها . قال : فدخلنا عليها فإذا امرأة ضخمةٌ عمياء فقالت : قد رخّص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها .

أخرجه بهذا اللفظ من طريقين ثمّ قال : فأمّا عبد الرَّحمٰن ففي حديثه (المتعة) ولم يقل (متعة الحجّ) وأمّا ابن جعفر فقال : قال شعبة : قال مسلم (يعني القري) : لا أدري متعة الحجّ أو متعة النساء .

والمتعة وإن أُطلقت في لفظ عبد الرَّحمٰن ولا يدري مسلم أيّ المتعتين هي غير أنّ أبا داود الطيالسي أخرج في مسنده ص ٢٢٧ عن مسلم القري قال : دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء ، فقالت فعلناها على عهد النبيّ ﷺ .

نعم فيما أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٤٨ [متعة الحجّ] رواه من طريق شعبة وقد سمعت حكايته عن مسلم ترديده فلعلّها قيّدت بعدُ بذلك تحفظاً على كرامة إبن الزبير ، وتخفّياً على القارىء كونه وليد المتعة .

١٦ ـ أخرج ابن الكلبي : أنّ سلمة بن أُميّة بن خلف الجمحي استمتع من سلمى مولاة حكيم بن أُميّة بن الأوقص الأسلمي فولدت له فجحد ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى المتعة . وروى أيضاً أنّ سلمة استمتع بامرأة فبلغ عمر فتوعّده

[الإصابة ج ٢ ص ٦٣]

المتعتان
متعة الحجّ ومتعة النّساء

١ ـ عن أبي نضرة قال : كنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آتٍ فقال : إبن

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩ .

عبّاس وابن الزُّبير اختلفا في المتعتين ، فقال جابر : فعلناهما مع رسـول الله ﷺ ثمَّ نهانا عنهما عمر فلم نعـد لهما . صحيـح مسلم ج ١ ص ٣٩٥ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٦ .

صورة اخرى :

عن أبي نضرة عن جابر رضي الله عنه قـال . قلت : إنّ ابن الزُّبيـر ينهى عن المتعـة وإنّ ابن عبّاس يـأمر بها قال : على يـدي جرى الحـديث تمتّعنا مـع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر رضي الله عنه فلمّا ولي عمـر خطب النّـاس فقال : إنّ رسـول الله ﷺ هـذا الرَّسـول ، وإنّ القرآن هـذا القرآن ، وإنّهمـا كانتـا متعتـان على عهـد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهمـا وأُعاقب عليهمـا : إحداهمـا متعة النسـاء ، ولا أقدر على رجل تزوَّج امرأة إلى أجل إلاّ غيّبته بالحجارة ، والأُخرى : متعة الحجّ .

سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٦ فقال : أخرجه مسـلم في الصّحيح من وجـه آخر عن همام .

صورة ثالثة :

عن جابر بن عبدالله قال : تمتَّعنا متعتين على عهد النبيِّ ﷺ : الحـجَّ والنساء فنهانا عمر عنهما فانتهينا .

أخـرجـه إمـام الحنـابلة أحمـد في مسنـده ج ٣ ص ٣٥٦ ، ٣٦٣ بـطريقين أحدهما طريق عاصم صحيحُ رجاله كلّهم ثقاتٌ بالإِتّفاق . وذكره السيوطي كمـا في كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٣ عن الطبري .

صورة رابعة :

عن أبي نضرة قال : كان إبن عبّاس يأمـر بالمتعـة وكان إبن الزُّبير ينهى عنهـا قال : فذكرت ذلك لجـابر بن عبـدالله فقال : عليَّ يـدي دار الحديث . تمتّعنـا مع رسول الله ﷺ فلمّا قام عمر قال : إنَّ الله كان يحلّ لرسوله مـا شاء بمـا شاء فـأتمّوا الحجّ والعمرة كما أمر الله ، وانتهوا ـ وأبتوا ـ عن نكـاح هذه النسـاء لا أُوتى برجـل نكح ـ تزوّج ـ امرأة إلى أجل إلاّ رجمته .

صحيح مسلم ج ١ ص ٤٦٧ ، أحكام القرآن للجصّاص ج ٢ ص ١٧٨ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢١ ، تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٦ ، كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٣ ، الدرُّ المنثور ج ١ ص ٢١٦ .

صورة خامسة :

قال قتادة : سمعت أبا نضرة يقول : قلت لجابر بن عبدالله : إنَّ ابن الزُّبير ينهى عن المتعة وإنَّ ابن عبّاس يأمر بها قال جابر : على يدي دار الحديث تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فلمّا كان عمر بن الخطاب قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ كان يحلُّ لنبيِّه ما شاء وإنَّ القرآن قد نزل منازله ، فافصلوا حجّكم من عمرتكم ، واتّبعوا نكاح هذه النساء ، فلا أُوتى برجل تزوّج امرأة إلى أجل إلاّ رجمته .

[مسند أبي داود الطيالسي ص ٢٤٧] .

قال الأميني : لَمّا لم يكن رجم المتمتّع بالنساء مشروعاً ولم يحكم به فقهاء القوم لشبهة العقد هناك قال الجصّاص بعد ذكر الحديث : فذكر عمر الرَّجم في المتعة جائز أن يكون على جهة الوعيد والتهديد لينزجر النّاس عنها .

٢ - عن عمر أنّه قال في خطبته : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأُعاقب[1] عليهما : متعة الحج . ومتعة النساء ، وفي لفظ الجصّاص : لو تقدَّمت فيها لرجمت .

البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٢٢٣ ، أحكام القرآن للجصّاص ج ١ ص ٣٤٢ و٣٤٥ ، وج ٢ ص ١٨٤ ، تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٧٠ ، المبسوط للسرخسي الحنفي في باب القرآن من كتاب الحجّ وصحّحه ، زاد المعاد لابن القيّم ج ١ ص ٤٤٤ فقال : ثبت عن عمر ، تفسير الفخر الرّازي ج ٢ ص ١٦٧ وج ٣ ص ٢٠١ و٢٠٢ ، كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٣ نقله عن كتاب أبي صالح والطحاوي ، وص ٢٩٤ عن إبن جرير الطبري وابن عساكر ، ضوء الشمس ج ٢ ص ٩٤ .

---

(١) أضرب فيهما ، كذا في لفظ غير واحد ، وفي لفظ الجاحظ : أضرب عليهما .

استدلَّ المأمون على جواز المتعة بهذا الحديث وهمَّ بأن يحكم بها كما في تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٥٩ ط ايران واللفظ هناك : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما .

خطبة عمر هذه في المتعتين من المتسالم عليه بالألفاظ المذكورة غير أن أحمد إمام الحنابلة أخرج الحديث باللفظ الثاني لجابر وحذف منه ما حسبه خدمة للمبدأ ولفظه : فلمّا ولي عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال : إنَّ القرآن هو القرآن وإنَّ رسول الله هو الرَّسول وإنَّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله ﷺ إحداهما متعة الحجِّ والأُخرى متعة النساء .

٣ ـ أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيّب قال : نهى عمر عن متعتين : متعة النساء ومتعة الحجِّ . الدرّ المنثور ج ٢ ص ١٤٠ ، كنز العمال ج ٨ ص ٢٩٣ نقلاً عن مسدَّد .

٤ ـ أخرج الطبري عن عروة بن الزبير أنَّه قال لابن عبّاس : أهلكت النّاس قال : وما ذاك ؟ قال : تفتيهم في المتعتين وقد علمت أنَّ أبا بكر وعمر نهيا عنهما ؟ فقال : ألا للعجب إنِّي أُحدِّثه عن رسول الله ﷺ ويحدِّثني عن أبي بكر وعمر . فقال : هما كانا أعلم بسنَّة رسول الله ﷺ وأتبع لها منك . كنز العمال ج ٨ ص ٢٩٣ ، مرآة الزمان للسبط الحنفي ص ٩٩ .

٥ ـ قال الرّاغب في المحاضرات ج ٢ ص ٩٤ : قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة : بمن اقتديت في جواز المتعة ؟ قال : بعمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال : كيف وعمر كان أشدَّ الناس فيها ؟ قال : لأنَّ الخبر الصّحيح أنَّه صعد المنبر فقال : إنَّ الله ورسوله قد أحلاّ لكم متعتين وإنِّي محرِّمهما عليكم وأُعاقب عليهما . فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه .

٦ ـ أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٢ عن عمران بن سوادة قال : صلّيت الصّبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثمَّ انصرف وقمت معه فقال : أحاجة ؟ قلت : حاجة . قال : فالحق . قال : فلحقت فلمّا دخل أذن لي فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء فقلت : نصيحة . فقال : مرحباً بالنّاصح غدوّاً وعشيّاً

قلت : عابت أُمّتك أربعاً قال فوضع رأس درّته في ذقنه ووضع أسفلها على فخذه ثمَّ قال : هات . قلت : ذكروا أنّك حرّمت العمرة في أشهر الحجِّ ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه وهي حلال . قال : هي حلال لو أنّهم اعتمروا في أشهر الحجِّ رأوها مجزية من حجِّهم فكانت قائبة قوب عامها فقرع حجّهم وهو بهاء من بهاء الله وقد أصبت . قلت : وذكروا أنّك حرّمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث . قال : إنَّ رسول الله ﷺ أحلّها في زمان ضرورة ثمَّ رجع الناس إلى السّعة ثمَّ لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبت . قال قلت : وأعتقت الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيِّدها . قال : ألحقت حرمة بحرمة وما أردت إلاّ الخير وأستغفر الله . قلت : وتشكوا منك نهر الرعيّة وعنف السياق . قال : فشرع الدّرة ثمَّ مسحها حتّى أتى على آخرها ، ثمّ قال : أنا زميل محمّد ـ وكان زامله في غزوة قرقرة الكدر ـ فوالله إني لأرتع فأشبع ، وأسقي فأروي . وأنهز اللفوت[١] وأزجر العروض[٢] وأذب قدري ، وأسوق خطوي ، وأضمّ العنود[٣] وألحق القطوف[٤] وأكثر الزجر ، وأقل الضّرب ، وأشهر العصا ، وأدفع باليد ، لولا ذلك لأعذرت . قال : فبلغ ذلك معاوية فقال : كان والله عالماً برعيتهم .

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٢٨ نقلاً عن ابن قتيبة والطبري .

٧ ـ أخرج الطبري في [المستبين] عن عمر أنه قال : ثلاث كنَّ على عهد رسول الله ﷺ أنا محرّمهنَّ ومعاقبٌ عليهنَّ : متعة الحجِّ . ومتعة النساء . وحيَّ على خير العمل في الأذان .

وذكره القوشجي في شرح التجريد وسيوافيك قوله فيه . وحكاه عن الطبري الشيخ علي البياضي في كتابه «الصراط المستقيم» .

(١) النهز : الضرب والدفع . واللفوت : الناقة الضجور عند الحلب .
(٢) العروض : الناقة تأخذ يميناً وشمالاً ولا تلزم المحجة .
(٣) العنود : المائل عن القصد .
(٤) القطوف : من الدواب التي تسيء السير .

هـذا شطرٌ من أحاديث المتعتين وهي تربـو على أربعين حـديثاً بين صحـاح وحسان تُعرب عن أنَّ المتعتين كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونـزل فيهما القـرآن وثبتت إبـاحتهما بـالسنَّة وأوّل من نهى عنهمـا عمر . وعـدَّه العسكري في أوليـاته ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٩٣ ، والقرماني في تاريخه ـ هامش الكامل ـ ج ١ ص ٢٠٣ ، أوّل من حرَّم المتعة .

نظرة في المتعتين :

هذه جملة ممّا ورد فيهما من الأحاديث ، وهي كما ترى بنفسهـا وافيةٌ بـإثبات تشريعهما على العهد النبويّ كتاباً وسنَّة من دون نسخ يعقب حكمهما ، أضف إليها من الأحاديث الكثيرة الدّالة على إباحتهما ولم نذكرهـا لخلوِّها عن نهي عمـر ، ولـم يكن النهي منه في المتعتين إلاّ رأياً محضاً أو اجتهاداً مجرَّداً تجاه النصِّ ، أمّـا متعة الحجِّ فقد نهى عنها لما استهجنـه من توجّـه النّاس إلى الحـجِّ ورؤوسهم تقطر مـاءً بعد مجامعـة النساء بعـد تمام العمـرة ، لكن الله سبحانـه كان أبصـر منه بـالحال ، ونبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ذلك حين شرَّع إبـاحة متعـة الحجِّ حكمـاً باتّـاً أبديّـاً إلى يوم القيـامة كمـا هو نصُّ الأحـاديث الآنفة والآتيـة ، ولم يكن ما جـاء به إلاّ استحسـاناً يخصُّ به لا يعوَّل عليهِ تجاه الكتاب والسنّة .

هذا ما رآه الخليفة هو بنفسه في مستند حكمه ، وهناك أقاويل منحـوتة جـاؤوا بها شوهاء ليعضدوا تلك الفتوى المجرَّدة ، ويبرِّروا بها مـا قدم عليـه الخليفة وتفـرَّد به ، وكلّها يخـالف ما نصَّ عليـه هو بنفسـه ، وهي أعذارٌ مفتعلةٌ لا تـدعم قولاً ولا تغني من الحقِّ شيئاً . فمنها :

١ ـ إنّ المتعـة التي نهى عنها عمـر هي فسـخ الحجِّ إلى العمـرة التي يحـجّ بعدها . وتدفعه نصوص الصِّحاح المـذكورة عن ابن عبّـاس ، وعمران بن الحصين وسعـد بن أبي وقاص ، ومحمّـد بن عبـدالله بن نـوفـل ، وأبي مـوسى الأشعـري ، والحسن ، وبعـدها نصـوص العلماء على أنّ المنهيَّ عنـه للخليفة هـو متعـة الحـجِّ والجمع بين الحجِّ والعمرة .

وقبل هذه كلها تنصيص عمر نفسه على ذلك وتعليله للنهي عنها بقولـه : إني

أخشى أن يعرِّسوا بهنّ تحت الأراك ثمّ يروحوا به حجّاجاً . وقوله : إنّي لو رخّصت في المتعة لهم لعرّسوا بهنَّ في الأراك ثمّ راحوا بهنّ حجّاجاً . وقوله : كرهت أن يظلّوا معرِّسين بهنّ في الأراك ثمّ يروحون في الحجِّ تقطر رؤوسهم .

وقال الشيخ بدر الدين العيني الحنفي في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٤ ص ٥٦٨ : قال عياض وغيره جازمين : بأنَّ المتعة التي نهى عنها عمر وعثمان رضي الله عنهما هي فسخ الحجِّ إلى العمرة لا العمرة التي يحجّ بعدها . قلت : يرد عليهم ما جاء في رواية مسلم في بعض طرقه التصريح بكونه متعة الحجِّ ، وفي رواية له : إنّ رسول الله ﷺ أعمر بعض أهله في العشر . وفي رواية له جمع بين حجّ وعمرة . ومراده التمتُّع المذكور وهو الجمع بينهما في عام واحد . ا هـ .

٢ ـ اختصاص إباحة المتعة بالصَّحابة في عمرتهم مع رسول الله ﷺ فحسب . عزوا ذلك إلى عثمان وإلى الصَّحابيِّ العظيم أبي ذرٍّ الغفاري ، ويرد عليه كما في زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢١٣ : إنّ تلكم الآثار الدالّة على الإختصاص بالصحابة بين باطل لا يصحّ عمن نُسب إليه البتّة ، وبين صحيح عن قائل غيره معصوم لا يعارض به نصوص المشرِّع المعصوم ففي صحيحة الشيخين وغيرهما عن سراقة بن مالك قال : مُتعتنا هذه يا رسول الله لعامنا هذا أَمْ للأبد ؟ قال : لا بل للأبد ـ لأبد الأبد[1] .

وفي صحيحة أُخرى عن سراقة قال : قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : ألا إنّ العمرة قد دخلت في الحجِّ إلى يوم القيامة[2] .

وفي صحيحة عن ابن عبّاس قال : دخلت العمرة في الحجِّ إلى يوم

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٨ كتاب الحج باب عمرة التنعيم ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٤٦ ، كتاب الآثار للقاضي أبي يوسف ص ١٢٦ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٣٠ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٣٨٨ وج ٤ ص ١٧٥ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٢ ، صحيح النسائي ج ٥ ص ١٧٨ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١٩ .

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ١٧٥ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٢٩ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٥٢ ،

القيامة[1] قال الترمذي بعده في صحيحه ج ١ ص ١٧٥ : وفي الباب عن سراقة بن مالك وجابر بن عبدالله ومعنى هذا الحديث : أن لا بأس بالعمرة في أشهر الحجّ ، وهكذا فسّره الشافعي وأحمد وإسحق ، ومعنى هذا الحديث : انَّ أهل الجاهليّة كانوا لا يعتمرون في أشهر الحجّ فلمّا جاء الإسلام رخّص النبيُّ ﷺ في ذلك فقال : دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة يعني لا بأس بالعمرة في أشهر الحجّ . ا هـ .

وفي صحيحة عن عمر نفسه قال : قال رسول الله ﷺ أتاني جبرائيل ﷺ وأنا بالعقيق فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك ركعتين وقل : عمرةٌ في حجّة فقد دخلت العمرة في الحجِّ إلى يوم القيامة[2] فما أجرأ الخليفة على سنّة أخبره بها رسول الله وأتى بها جبرائيل .

وقال السندي في حاشية سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٣١ : ظاهر حديث بلال موافقة نهي عمر عن المتعة والجمهور على خلافه وإنَّ المتعة غير مخصوصة بهم فلذلك حملوا المتعة بالفسخ والله يعلم . ا هـ .

وحديث بلال هذا من الأحاديث الدالّة على اختصاص المتعة بالصّحابة وفيه قال أحمد : لا يعرف هذا الرَّجل ، هذا حديثٌ ليس إسناده بالمعروف ، ليس حديث بلال عندي بثبت وقال ابن القيِّم في زاد المعاد بعد نقله قول أحمد : قلت : وممّا يدلُّ على صحّة قول الإمام أحمد وأنَّ هذا الحديث لا يصح أنَّ النبيَّ ﷺ أخبر عن المتعة أنّها للأبد ، فنحن نشهد بالله أنّ حديث بلال هذا لا يصحُّ عن رسول الله ، وهو غلطٌ عليه وكيف تُقدَّم رواية بلال على روايات الثقات الأثبات إلى أن قال :

قال المجوِّزون للفسخ : هذا قولٌ فاسدٌ لا شكَّ فيه بل هذا رأيٌ لا شكَّ

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٥ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٥١ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٧٥ ، سنن أبي داود ص ٢٨٣ ، سنن النسائي ج ٥ ص ١٨١ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٤٤ . تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٣٠ وصححه .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ج ٥ ص ١٣ وقال : رواه البخاري في الصحيح .

فيه ، وقد صرّح بأنه رأي من هو أعظم من عثمان وأبي ذر وعمران بن حصين ففي الصَّحيحين واللفظ للبخاري تمتّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل القرآن فقال رجلٌ برأيه ما شاء ، ولفظ مسلم : نزلت آية المتعة في كتاب الله عزَّ وجلَّ يعني متعة الحجِّ وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ لم تنزل آيةٌ تنسخ متعة الحجِّ ولم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى مات قال رجلٌ برأيه ما شاء . وفي لفظ : يريد عمر . وقال عبدالله بن عمر لمن سأله عنها وقال إنَّ أباك نهى عنها : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحقُّ أن يتّبع أو أبي ؟ وقال ابن عبّاس لمن كان يعارضه فيها بأبي بكر وعمر : يوشك أن ينزل عليكم حجارةٌ من السَّماء أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

فهذا جواب العلماء لا جواب من يقول : عثمان وأبو ذر أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم ، وهلّا قال ابن عبّاس وعبدالله بن عمر : أبو بكر وعمر أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منّا ؟ ولم يكن أحدٌ من الصّحابة ولا أحدٌ من التابعين يرضى بهذا الجواب في دفع نصّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم كانوا أعلم بالله ورسوله وأتقى له من أن يقدّموا على قول المعصوم رأي غير المعصوم .

ثمَّ ثبت النصّ عن المعصوم بأنّها باقيةٌ إلى يوم القيامة ، وقد قال ببقائها عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وابن عبّاس وأبو موسى وسعيد بن المسيِّب وجمهور التابعين .

ويدلُّ على أنَّ ذلك رأيٌ محض لا يُنسب إلى أنَّه مرفوعٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا نهى عنها قال له أبو موسى الأشعري : يا أمير المؤمنين ما أحدثت في شأن النسك ؟ فقال : إن نأخذ بكتاب ربّنا فإنَّ الله يقول : ﴿وأتمّوا الحجّ والعمرة لله﴾ . وإن نأخذ بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحلّ حتّى نحر . فهذا إتفاقٌ من أبي موسى وعمر على أنّ منع الفسخ إلى المتعة والإحرام بها ابتداء إنّما هو رأيٌ منه أحدثه في النسك ليس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن استدلّ له بما استدلّ ، وأبو موسى كان يُفتي النّاس بالفسخ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه كلّها وصدراً من خلافة عمر حتّى فاوض عمر رضي الله عنه في نهيه

عن ذلك واتّفقا على أنّه رأيٌ أحدثه عمر رضي الله عنه في النسك ثمّ صحّ عنه الرجوع عنه . ا هـ[١] .

وقال العيني في عمدة القاري ج ٤ ص ٥٦٢ : فإن قلت : روي عن أبي ذر أنّه قال : كانت متعة الحجّ لأصحاب محمّد ﷺ خاصّة ، في صحيح مسلم . قلت : قالوا : هذا قول صحابيّ يخالف الكتاب والسنّة والإجماع وقول من هو خيرٌ منه . أمّا الكتاب فقوله تعالىٰ :﴿فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ﴾ . وهذا عامٌ ، وأجمع المسلمون على إباحة التمتّع في جميع الأعصار وإنّما اختلفوا في فضله ، وأمّا السنّة فحديث سراقة : المتعة لنا خاصّة أو هي للأبد ؟ قال : بل هي للأبد ، وحديث جابر المذكور في صحيح مسلم في صفة الحجّ نحو هذا ، ومعناه أنّ أهل الجاهليّة كانوا لا يجيزون التمتّع ولا يرون العمرة في أشهر الحجّ إلاّ فجوراً فبيّن النبيُّ ﷺ أنّ الله قد شرّع العمرة في أشهر الحجّ وجوّز المتعة إلى يوم القيامة رواه سعيد بن منصور من قول طاوس وزاد فيه فلمّا كان الإسلام أمر النّاس أن يعتمروا في أشهر الحجّ فدخلت العمرة في أشهر الحجّ إلى يوم القيامة . وقد خالف أبا ذر عليٌّ وسعد وابن عبّاس وابن عمر وعمران بن حصين وسائر الصّحابة وسائر المسلمين قال عمران : تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ونزل فيه القرآن فلم ينهنا عنه رسول الله ﷺ ولم ينسخها شيءٌ فقال فيها رجلٌ برأيه ما شاء . متّفقٌ عليه وقال سعد بن أبي وقاص : فعلناها مع رسول الله ﷺ يعني المتعة وهذا يعني الذي نهى عنها يومئذٍ كافرٌ بالعرش يعني بيوت مكّة . رواه مسلم . ا هـ . يعني به معاوية بن أبي سفيان كما في صحيح مسلم .

فرأي الخليفة وأمره بالعمرة في غير أشهر الحجّ عودٌ إلى الرأي الجاهليّ قصده أو لم يقصد ، فإنّ أهل الجاهليّة كما سمعت كانوا لا يرون العمرة في أشهر الحجّ ، قال إبن عبّاس : والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجّة إلاّ ليقطع بذلك أمر أهل الشّرك . وقال : كانوا يرون أنّ العمرة في أشهر الحجّ من

---

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٢١٥ .

أفجر الفجور في الأرض[1] .

٣ - ما أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٢٨٣ عن سعيد بن المسيّب أنَّ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشهد عنده أنّه سمع رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحجِّ .

وأجاب عنه بدر الدِّين العيني في عمدة القاري ج ٤ ص ٥٦٢ بقوله : أُجيب عن هذا بأنّه حالةٌ مخالفةٌ للكتاب والسنَّة والإجماع كحديث أبي ذر ، بل هو أدنى حالاً منه فإنَّ في إسناده مقالاً . ا هـ .

وأجاب عنه الزرقاني في شرح الموطأ ج ٢ ص ١٨٠ بأنَّ إسناده ضعيفٌ ومنقطعٌ كما بيَّنه الحفّاظ .

أعطف إلى حديث ذلك الرَّجل الذي لم يُعرف ولعلّه لم يولد بعدُ ما أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٢٨٣ عن معاوية بن أبي سفيان إنّه قال لأصحاب النبيِّ ﷺ : هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن كذا وكذا وركوب جلود النمور ؟ قالوا : نعم . قال : فتعلمون أنّه نهى أن يقرن بين الحجِّ والعمرة ؟ فقالوا : أمّا هذا فلا . فقال : أما انّه معهنَّ ولكنّكم نسيتم .

سبحانك اللهمَّ ما أجرأهم على نواميس الدين فلو كان مثل متعة الحج الذي يشمل حكمها في كلِّ سنة مآت من أُلوف النّاس نزل فيها القرآن فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ ينهى عنها صلى الله عليه وآله وسلم وينساه كلّ الصّحابة وفيهم كثيرون طالت أيّام صحبتهم ، ولم يتفوَّه به أيُّ أحد ، ولم يذكره إلّا معاوية بن أبي سفيان المتأخِّر إسلامه عن أكثرهم ، المستتبع لقصر صحبته وقلّة سماعه ولا يفوه به إلّا بعد لأي من عمر الدَّهر يوم تولّى الأمر وراقه أن يحذو حذو من تقدَّمه ؟ فأيّ ثقة تبقى بالأحكام عندئذٍ ؟ وأيّ اعتماد يحصل للمسلم عليها ؟ ولعمر الحقِّ ليست هذه كلّها إلّا لعباً بالشريعة المطهَّرة وتسريباً للأهواء فيها ، وما كانت هي عن أُولئك الرِّجال إلّا قوانين سياسيّة وقتيَّة تدور بنظر من ساسها ورأي من تولّى أزمّتها وشفّع الحديثين

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٦٩ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٥ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٤٥ ، سنن النسائي ج ٥ ص ١٨٠ .

بما رواه أحمد[١] في رواية من أنّ أوّل من نهى عنها معاوية وتمتّع أبو بكر وعمر وعثمان . وفي أخرى[٢] أنّ أب بكر نهى عنها. فهو مضادٌّ في معاوية لجميع ما تقدّم من الصِّحاح ، وفي أبي بكر لأكثرها ، وأحسب أنّ من لفّق الرِّواية الأولى أراد تخفيفاً عن عمر بإلقاء النهي على عاتق معاوية ، ومن اختلق الثانية جعل ذلك الرأي من سنّة الشيخين ليقوى جانبه ذاهلاً عن أنّ الكتاب والسنّة يأتيان على كلّ قول وفتوى يتحيّزان عنهما لأيّ قائل كان القول ، ومن أيّ مُفت صدرت الفتوى .

قال العيني في عمدة القاري ج ٤ ص ٥٦٢ : فإن قلت : قد نهى عنها عمر وعثمان ومعاوية ؟ قلت : قد أنكر عليهم علماء الصّحابة وخالفوهم في فعلها والحقّ مع المنكرين عليم دونهم . ا هـ .

ولم يكن عزو التمتّع إلى عثمان في حديث أحمد والترمذي إلاّ من ذاهل مُغفّل عن أحاديث كثيرة دالّة على نهيه عنها أخرجها أئمّة الحديث وحفّاظه في الصِّحاح والمسانيد[٣] وفيها اعتراضه على مثل عليّ أمير المؤمنين وتمتّعه بقوله : تراني أنهى النّاس عن شيء وأنت تفعله ؟ فقال « عليه السلام » : ما كنت لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من النّاس[٤] وفي حديث آخر عند البخاري : فقال عليٌّ : ما تريد إلاّ أن تنهى عن أمر فعله رسول الله ﷺ[٥] .

وقد بلغت شدّة نكير عثمان على من تمتّع إلى حدّ كاد أن يُقتل من جرّائه مولانا أمير المؤمنين أخرج أبو عمر في كتاب جامع العلم ج ٢ ص ٣٠ وفي مختصره صحيفة ١١١ عن عبدالله بن الزبير أنّه قال : أنا والله لمع عثمان بالجحفة

---

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٢ ، ٣١٣ ؛ وأخرجه الترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٣٣٧ ، ٣٥٣ .

(٣) صحيح البخاري ج ٣ ص ٦٩ ؛ ٧١ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٤٩ ، صحيح النسائي ج ٥ ص ١٥٢ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ٤٧٢ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٢ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤) صحيح البخاري ج ٣ ص ٦٩ ط سنة ١٢٧٩ في عشرة مجلدات ، سنن النسائي ج ٥ ص ١٤٨ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٥٢ وج ٥ ص ٢٢ .

(٥) وأخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٤٩ .

ومعه رهطٌ من أهل الشام وفيهم حبيب بن مسلمة الفهري إذ قال عثمان وذكر له التمتّع بالعمرة إلى الحجّ : أن آتموا الحجّ وخلّصوه في أشهر الحجّ فلو أخّرتم هذه العمرة حتّى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل فإنّ الله قد وسّع في الخير . فقال له عليٌّ : عمدت إلى سنّة رسول الله ﷺ ، ورخصة رخّص للعباد بها في كتابه ، تضيق عليهم فيها وتنهى عنها ، وكانت لذي الحاجة ولنائي الدار ، ثمَّ أهلّ بعمرة وحجّة معاً ، فأقبل عثمان على الناس فقال : وهل نهيت عنها ؟ إنّي لم أنه عنها إنّما كان رأياً أشرت به ، فمن شاء أخذ به ، ومن شاء تركه . قال : فما أنسى قول رجل من أهل الشام مع حبيب بن مسلمة : أُنظر إلى هذا كيف يُخالف أمير المؤمنين ! والله لو أمرني لضربت عنقه . قال : فرفع حبيب يده فضرب بها في صدره وقال : أُسكت فضّ الله فاك فإنّ أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بما يختلفون فيه .

وبما ذكر يظهر فساد بقيّة ما قيل من الوجوه المبرّرة لرأي الخليفة ، ومن ابتغى وراءَ ذلك تفصيلاً في الموضوع فعليه بزاد المعاد لابن القيّم الجوزيّة ج ١ ص ١٧٧ - ٢٢٥ .

أمّا متعة النساء :

فالذي يظهر من كلمات عمر أنّه كان يعدُّها من السِّفاح ولذلك قال في حديث مرَّ في صحيفة ٢٤٨ ، بينوا حتّى يُعرف النكاح من السِّفاح . ولم يكن عند ذلك وفي عهد الصَّحابة كلّهم من حديث النسخ عينٌ ولا أثر ، وكان إذا شجر بينهم خلافٌ في ذلك استند المجوِّزون إلى الكتاب والسنّة ، والمانعون إلى قول عمر ونهيه عنها ، كما ينفي النسخ بكلِّ صراحة قول الخليفة أنا أنهى عنهما ، وهو صريح ما مرّ عن أمير المؤمنين عليه السلام وعبدالله بن العبّاس من إسناد النهي إلى عمر فحسب ، وسيأتي عن إبن عبّاس قوله : إنَّ آية المتعة محكمةٌ . يعني لم تنسخ ، ومرّ في ص ٢٤٧ عن الحَكم : إنّها غير منسوخة وإلى هذا استند كلُّ من أباحها من الصَّحابة والتابعين ومنهم :

١ - عمران بن الحصين ، مرَّ حديثه ص ٢٤٨ .

٢ ـ جابر بن عبدالله ، مرَّ حديثه ص ٢٠٨ و٢٠٩ ـ ١١ .

٣ ـ عبدالله بن مسعود ، يأتي حديث قراءته فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل . وعدَّه إبن حزم في المحلّى والزرقاني في شرح الموطأ ممّن ثبت على إباحتها .

وأخرج الحفاظ عنه أنّه قال : كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا نساءٌ فقلنا : يا رسول الله ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ورخّص لنا أن ننكح بالثوب إلى أجل ثمَّ قال : ﴿لا تحرِّموا طيِّبات ما أحلَّ الله لكم﴾[1] .

قال الجصّاص بعد ذكر الحديث : إنَّ الآية من تلاوة النبيِّ ﷺ عند إباحة المتعة وهو قوله تعالىٰ : ﴿لا تحرِّموا طيِّبات ما أحلَّ الله لكم﴾ . وذكره إبن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٨٧ نقلاً عن الشيخين وأدخل فيه من عند نفسه «ثمَّ قرأ عبدالله» .

٤ ـ عبدالله بن عمر ، أخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده ج ٢ ص ٩٥ بإسناده عن عبد الرَّحمٰن بن نعم ـ نعيم ـ الأعرجي قال : سأل رجلٌ إبن عمر عن المتعة وأنا عنده متعة النساء فقال : والله ما كنا على عهد رسول الله ﷺ زانين ولا مسافحين .

٥ ـ معاوية بن أبي سفيان ، عدَّه ابن حزم في المحلّى ، والزرقاني في شرح الموطأ ممّن ثبت على إباحتها . ومرَّ خلافه ويوافيك قولنا الفصل فيه .

٦ ـ أبو سعيد الخدري ، المحلّى لابن حزم . وشرح الموطأ للزرقاني .

٧ ـ سلمة بن أُميّة بن خلف المحلّى لابن حزم وشرح الموطأ للزرقاني .

٨ ـ معبد بن أُميّة بن خلف المحلّى لابن حزم . وشرح الموطأ للزرقاني .

٩ ـ الزبير بن العوام ، راجع صحيفة ٢٥٠ ، ٢٥١ .

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٧ كتاب النكاح . صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٤ ، صحيح أبي حاتم البستي ، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٨٤ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٠ ، تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠ نقلاً عن صحيح البستي ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٧ ، الدر المنثور ج ٢ ص ٣٠٧ نقلاً عن تسعة من الأئمة والحفاظ .

١٠ - خالد بن مهاجر بن خالد المخزومي قال : بينا هو جالسٌ عند رجل جاءه رجلٌ فاستفتاه في المتعة فأمره بها . فقال له إبن أبي عمرة الأنصاري : مهلاً . فقال : ما هي والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين[١] .

١١ - عمرو بن حريث ، مرَّ حديثه ص ٢٤٧ وفيما يخرجه الطبري عن سعيد بن المسيَّب قال - قال : استمتع إبن حريث وابن فلان كلاهما وولد له من المتعة زمان أبي بكر وعمر[٢] .

١٢ - أُبيّ بن كعب تأتي قراءته : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل .

١٣ - ربيعة بن أُميّة ، مرَّ حديثه ص ٢٤٧ .

١٤ - سمير - في الإصابة : لعلّه سمرة بن جندب - قال : كنّا نتمتَّع على عهد رسول الله ﷺ الإصابة ج ٢ ص ٨١ .

١٥ - سعيد بن جبير ، عدَّه إبن حزم ممَّن ثبت على إباحتها وتأتي قراءته .

١٦ - طاوس اليماني ، عدَّه إبن حزم ممَّن ثبت على إباحتها .

١٧ - عطاء أبو محمَّد المدني عدَّه إبن حزم ممَّن ثبت على إباحتها .

١٨ - السدي ، كما في تفسيره ، وتأتي قراءته .

١٩ - مجاهد ، سيأتي قوله في آية المتعة ولم يعز إليه القول بالنسخ .

٢٠ - زفر بن أوس المدني ، كما في البحر الرَّائق لابن نجيم ج ٣ ص ١١٥ .

قال ابن حزم في (المحلى) بعد عدِّ جملة ممّن ثبت على إباحة المتعة من الصّحابة : ورواه جابر عن جميع الصّحابة مدَّة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر . ثمَّ قال : ومن التابعين طاوس وسعيد بن جبير وعطاء وسائر فقهاء مكّة .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩٦ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٥ .

(٢) كنز العمال ج ٨ ص ٢٩٣ .

وقـال أبو عمـر صاحب «الإستيعـاب» : أصحـاب ابن عبّـاس من أهـل مكّـة واليمن كلّهم يرون المتعة حلالاً على مذهب ابن عبّاس وحرّمها سائر النّاس(١) .

وقال القرطبي في تفسيره ج ٥ ص ١٣٢ : أهل مكّة كانوا يستعملونها كثيراً .

وقال الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٢٠٠ في آية المتعة : اختلفوا في أنّهـا هل نُسخت أم لا ؟ فـذهب السّواد الأعـظم من الأُمّة إلى أنّهـا صارت منسـوخة . وقـال السّواد منهم إنّها بقيت مباحة كما كانت .

وقال أبو حيّان في تفسيره بعـد نقل حـديث إباحتهـا : وعلى هذا جمـاعةٌ من أهل البيت والتابعين .

وقد ذهب إلى إباحة المتعة مثل إبن جريج عبد الملك بن عبد العزيـز المكّي المتـوفّى سنة ١٥٠ ، قـال الشـافعي : استمتـع ابن جـريـج بسبعين امـرأة . وقـال الذهبي تزوّج نحواً من تسعين امرأة نكاح المتعة(٢) .

وقال السّرخي في المبسوط : تفسير المتعة أن يقول لامـرأة : أتمتّع بـك كذا من المدّة بكذا من المال . وهذا باطلٌ عندنا جائزٌ عنـد مالـك بن أنس وهو الـظاهر من قول ابن عبّاس .

وقال فخر الدين أبو محمّـد عثمان بن علي الـزيلعي في تبيان الحقـائق شرح كنز الدقائق : قال مالك : هو ـ نكاح المتعة ـ جائزٌ لأنّه كـان مشروعـاً فيبقى إلى أن يظهر ناسخه ، واشتهر عن ابن عبّاس تحليلها وتبعه على ذلك أكثر أصحابه من أهل اليمن ومكّة ، وكان يستدلّ على ذلك بقوله تعالىٰ :﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أُجورهنّ﴾، وعن عطاء أنّه قال: سمعت جـابراً يقـول . تمتّعنا على عهـد رسول الله وأبي بكـر ونصفاً من خـلافة عمـر ثمّ نهى النّاس عنها. وهو يحكي عن أبي سعيـد الخدري وإليه ذهب الشيعة .

---

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٣ ، فتح الباري ج ٩ ص ١٤٢ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٠٦ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٥١ .

ويُنسب جواز المتعة إلى مالك في فتاوى الفرغاني تأليف القاضي فخر الدين حسن بن منصور الفرغاني ، وفي خزانة الرِّوايات في الفروع الحنفيَّة تأليف القاضي جكن الحنفي ، وفي كتاب الكافي في الفروع الحنفيّة ، وفي العناية شرح الهداية تأليف أكمل الدين محمَّد بن محمود الحنفي ، ويظهر من شرح الموطّأ للزرقاني أنّه أحد قولي مالك .

نعم جاء قومٌ راقهم أن ينحتوا لنهي عمر حجّة قويّة فادَّعوا نسخ الآية بالكتاب تارة وبالسنَّة أُخرى ، وتضاربت هناك آراؤهم وكلٌّ منها يكذِّب الآخر ، كما أنَّ كلاًّ من قائليها يزيِّف قول الآخر ، فمن قائل : نسخت بقوله تعالىٰ : ﴿يا أيُّها النبيُّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنَّ لعدَّتهنَّ﴾ .

ومن قائل بنسخها بقوله سبحانه : ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين﴾ . نظراً إلى أنَّ المنكوحة متعةً ليست بزوجة ولا ملك يمين .

وثالثٌ يقول إنَّها نُسخت بآية الميراث إذ كانت المتعة لا ميراث فيها .

هذه كلّها دعاوٍ فارغة ، أيحسب امرؤ أن تخفى هذه الآيات وكونها ناسخةً لآية المتعة على أُولئك الصَّحابة وفيهم من المجوِّزين لها مَن عرفت ، وفيهم مَن فيهم ، وفي مقدَّمهم سيِّدنا أمير المؤمنين العارف بالكتاب فذاذاته وجذاذاته ، وقد مرَّ في صحيفة ٩٥ عن الحرالي قوله : قد علم الأوَّلون والآخرون أنَّ فهم كتاب الله منحصرٌ إلى علم عليّ . فكيف ذهب عليه وعلى مثل ابن عبّاس ترجمان القرآن نسخ هذه الآيات آية المتعة وذهبوا إلى إباحتها وما أصاخوا إلى قول أيِّ ناهٍ عنها ؟ فالمتمسّكون بهذه الآيات في النسخ ممّن أخذوا ؟ ومن أين أتاهم هذا العلم ، المساوق بالجهل ؟

وإن صدقت الأحلام وكان ابن عبّاس روى النسخ ببعضها كما عزوا إليه[1] ورأى مع ذلك إباحتها وقال بها إلى آخر نفس لفظه ، وتبعته فيها أُمَّةٌ كبيرةٌ فالمصيبة

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٧٨ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٣٠٦ .

أعظم وأعظم ، وحاشاه أن تكون هذه سيرته وهذا مبلغ ثقته وأمانته بودائع العلم والدين .

على أنَّ الآية الأولى إنَّما أراد سبحانه بها من تبين بالطلاق لا مطلق البينونة وإلاّ لشملت ملك اليمين أيضاً فنسخته ولم يقل به أحدٌ ولا عدَّه أحدٌ من السِّفاح .

وأمّا الآية الثانية فالقول فيها بنفي الزَّوجيَّة في المتعة مصادرةٌ محضةٌ فإنَّ القائل بإباحتها يقول بالزَّوجيَّة فيها وإنَّها نكاحٌ وعلى ذلك قال القرطبي كما يأتي : لم يختلف العلماء من السّلف والخلف أنَّ المتعة نكاحٌ إلى أجل لا ميراث فيه . وعن القاضي كما سيوافيك : أنَّه قال : اتّفق العلماء على أنَّ هذه المتعة كانت نكاحاً إلى أجل لا ميراث فيها .

فالإستدلال بإطلاق هذه الآية على إباحة نكاح المتعة أولى من التمسّك بها في نسخ آية المتعة .

ثمَّ القول بالنسخ بهذه الآية يُعزى إلى ابن عبّاس وهو كعزو الرُّجوع عن القول بإباحة المتعة إليه ساقطٌ عن الإعتبار قال ابن بطّال : روى أهل مكّة واليمن عن ابن عبّاس إباحة المتعة ، وروي عنه الرُّجوع بأسانيد ضعيفة وإجازة المتعة عنه أصحّ (١) .

وأمّا آية الميراث فهي أجنبيَّةٌ عن المقام فإنَّ نفي الوراثة جاءت بها السنَّة في خصوص النّكاح المؤجل فهي بمعزل عن نفي عقدة النكاح وعنوان الزَّوجيَّة كما جاء مثله في الولد القاتل أو الكافر من غير نفي لأصل البنوَّة .

وأمّا النسخ بالسنّة :

فقد كثر القول فيه واختلفت الآراء اختلافاً هائلاً ، وكلٌّ منها لا يلائم الآخر ، والقارىء لا مناص له من هذا الخلاف والتضارب في القول لاختلاف ما اختلقته يد الوضع فيه من الرِّوايات الجمَّة تجاه ما حفظته السنّة الثابتة والتاريخ الصَّحيح ،

---

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٢٤٢ .

فوضع كلٌّ من رجال النسخ المفتعل بحسب رأيه وسليقته ذاهلاً عن نسيجة أخيه وفعيلته ، وإليك جملةً من تلكم الأقوال :

١ - كانت رخصة في أوّل الإسلام نهى عنها رسول الله يوم خيبر .

٢ - لم تكن مباحةً إلاّ للضّرورة في أوقات ثمَّ حرّمت آخر سنة حجّة الوداع . قاله الحازمي .

٣ - لا تحتاج إلى الناسخ إنّما أُبيحت ثلاثة أيّام فبانقضائها تنتهي الإباحة .

٤ - كانت مباحةً ونُهي عنها في غزوة تبوك .

٥ - أُبيحت عام أوطاس ثمَّ نهي عنها .

٦ - أُبيحت في حجّة الوداع ثمّ نهي عنها .

٧ - أُبيحت ثمّ نهي عنها عام الفتح .

٨ - أُبيحت يوم الفتح ونهي عنها يوم ذاك .

٩ - ما حلّت قطُّ إلاّ في عمرة القضاء .

١٠ - هي الزنا لم تبح قطّ في الإسلام قال النحاس .

١١ - أُبيحت ثمّ نهي عنها عام خيبر ، ثمّ أُذن فيها عام الفتح ، ثمّ حرّمت بعد ثلاث .

١٢ - أُبيحت في صدر الإسلام ثمّ حرّمت يوم خيبر ، ثمّ أُبيحت في غزوة أوطاس ثمَّ حرّمت .

١٣ - أُبيحت في صدر الإسلام وعام أوطاس ويوم الفتح وعمرة القضاء وحرّمت يوم خيبر وغزوة تبوك وحجّة الإسلام .

١٤ - أُبيحت ثمّ نسخت . ثمّ أُبيحت ثمّ نُسخت . ثمّ أُبيحت ثمَّ نُسخت .

١٥ - أُبيحت سبعاً ونُسخت سبعاً نُسخت بخيبر . وحنين . وعمرة القضاء .

وعام الفتح . وعام الأوطاس . وغزوة تبوك . وحجّة الوداع[١] .

وإن رمت الوقوف على الآراء المتضاربة حول أحاديث هذه الأقوال والكلمات الطويلة والعريضة فيها فخذ القول الأوّل مقياساً وقد أخرج حديثه خمسة من أئمّة الصِّحاح الستّ في صحاحهم وغيرهم من أئمّة الحديث في مسانيدهم[٢] وأنهوا إسناده إلى عليّ أمير المؤمنين فتكلّم القوم فيه فمن قائل[٣] بأن تحريم المتعة يوم خيبر صحيحٌ لا شكّ فيه . وآخر يقول[٤] هذا شيءٌ لا يعرفه أحدٌ من أهل السير ورواة الأثر أنّ المتعة حرّمت يوم خيبر . وثالث[٥] يقول : إنّه غلطٌ ولم يقع في غزوة خيبر تمتّعٌ بالنساء . ورابع[٦] يقول : إنّ التاريخ في الحديث إنّما هو في النهي عن لحوم الحمر الأهليّة لا في النهي عن نكاح المتعة ، فتوهّم بعض الرّواة فجعله ظرفاً لتحريمها . ا هـ .

كيف خفي هذا الوهم على طائفة كبيرة من العلماء ومنهم الشافعي وذهبوا إلى تحريمها يوم خيبر ؟ كما في زاد المعاد ج ١ ص ٤٤٢ ، وكيف عزب عن مثل مسلم وأخرجه في صحيحه بلفظ : نُهي عن متعة النساء يوم خيبر[٧] ، وفي لفظه الآخر : نُهي عن نكاح المتعة يوم خيبر . وفي ثالث الألفاظ له : نُهي عنها يوم خيبر . وفي لفظ رابع له : نَهى رسول الله عن متعة النساء يوم خيبر ؟

---

(١) راجع أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٨٢ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩٤ ، زاد المعاد ج ١ ص ٤٤٣ ، فتح الباري ج ٩ ص ١٣٨ ، إرشاد الساري ج ٨ ص ٤١ ، شرح صحيح مسلم للنووي هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٢٤ ـ ١٣٠ ، شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٤ .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٣ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٠٤ سنن الدارمي ج ٢ ص ١٤٠ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٢٠٩ ، سنن النسائي ج ٦ ص ١٢٦ .

(٣) قاله القاضي عياض وحكاه عنه الزرقاني في شرح الموطأ ج ٣ ص ٢٤ .

(٤) قاله السهيلي في الروض الأنف ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٥) قاله أبو عمر صاحب الإستيعاب وحكاه عنه الزرقاني في شرح المواهب ج ٢ ص ٢٣٩ ، وفي شرح الموطأ ج ٢ ص ٢٤ .

(٦) قاله ابن عيينة كما في سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠١ ، وزاد المعاد ج ١ ص ٤٤٣ .

(٧) وبهذا اللفظ أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٠٢ وج ٨ ص ٤٦١ .

وجاء خامس(١) يزيّف ويضعّف أحاديث بقيَّة الأقوال فيقول : فلم يبق صحيحٌ صريح سوى خيبر والفتح مع ما وقع في خيبر من الكلام .

هذا شأن أصح رواية أخرجته أئمَّة الحديث في النهي عن المتعة ، والخطب في بقيَّة مستند تلكم الأقوال أعظم وأعظم ، وأفظع من هذه كلّها نعرات القرن العشرين لصاحبها موسى الوشيعة فإنَّه جاء بطامّات قصرت عنها يد اللاعبين بالكتاب والسنَّة في القرون المتقادمة ، وأتى برأي خداج ومذهب مخترع يُخالف رأي سلف الأمّة جمعاء ، ولا يساعده في تقوّلاته أيّ مبدأ من المبادىء الإسلاميَّة ولا شيء من الكتاب والسنَّة .

قال : وللأمّة في المتعة كلامٌ طويلٌ عريضٌ : وأرى أنّ المتعة من بقايا الأنكحة الجاهليَّة ، ويمكن أنَّها قد وقعت من بعض النّاس في صدر الإسلام ، ويمكن أنَّ الشارع الكريم قد أقرّها لبعض النَّاس في الأحوال من باب ما نزل فيها إلّا ما قد سلف . . . وقد نزل في أشدِّ المحرّمات ، كانت المتعة أمراً تاريخيّاً ولم تكن حكماً شرعيّاً بإذن من الشّارع ، وإن ادّعى مدَّعٍ أنّ المتعة كانت حلالاً طلقاً بإذنٍ من الشارع وإقرار منه فلتكن ولنقل أن لا بأس بها ولا كلام لنا في هذه على ردّها .

وإنَّما كلامي الآن في أنّ المتعة هل ثبتت في القرآن أو لا ؟ .

كتب الشيعة تدّعي أنّ المتعة نزل فيها قول الله جلّ جلاله : ﴿فما استمتعتم به منهنَّ فآتوهنّ أجورهنَّ﴾ .

وأرى أنَّ أدب البيان يأبى وعربيَّة هذه الجملة الكريمة تأبى أن تكون هذه الجملة الجليلة الكريمة قد نزلت في المتعة لأنَّ تركيب هذه الجملة يفسد ونظم هذه الآية الكريمة يختلّ لو قلنا إنّها نزلت فيها . ص ٣٢ .

أمّا متعة النكاح ونكاح المتعة فلم ينزل قرآنٌ فيها وفيه . ولبيان هذا المعنى الجليل عقدت هذا الباب دفعاً لما شاع في كتب الشيعة أنّ قوله : ﴿فما استمتعتم به

---

(١) قاله الزرقاني في شرح الموطأ ج ٢ ص ٢٤ .

منهنَّ فآتوهنَّ أجورهن﴾ .نزل في نكاح المتعة ص ١٢١ .

المتعة لم تكن مباحةً في شرع الإسلام أصلاً ، ونسخها لم يكن نسخ حكم شرعيّ ، إنّما كان نسخ أمر جاهليّ تحريم أبد . ص ١٣٢ .

حديث المتعة من غرائب الأحاديث كان يقول بها جماعةٌ من الصّحابة حتّى قال بها جماعةٌ من التابعين منهم طاوس وعطاء وسعيد بن جبير وجماعةٌ من فقهاء مكّة ، روى الحاكم في علوم الحديث عن الإمام الأوزاعي أنّه كان يقول : يُترك من قول أهل الحجاز خمس منها المتعة ص ١٣٢ .

وقد أسرف القول بإباحة المتعة فقيه مكة إبن جُريج كما كان يسرف في العمل بها حتّى أوصى بسبعين امرأة وقال : لا تتزوّجوا بهنَّ فإنّهنَّ أُمّهاتكم . وقد روى أبو عوانة في صحيحه عن ابن جريج عن هذا المسرف المتمتّع أنه قال لهم بالبصرة : اشهدوا أنّي قد رجعت عن المتعة ، أشهدهم بعد أن حدَّثهم فيها ثمانية عشر حديثاً أنّه لا بأس بها وبعد أن شبع منها وعجز .

أستبعد غاية الإستبعاد أن يكون مؤمنٌ يعلم لغة القرآن الكريم ويؤمن بإعجازه ويفهم حقَّ الفهم إفادة النظم يقول : إنّ قول الله جلَّ جلاله : ﴿فما استمتعتم به منهنَّ فآتوهنَّ أجورهنَّ فريضة﴾ .نزل في متعة النساء . قولٌ لا يكون إلّا من جاهل يدّعي ولا يعي . ص ١٤٩ .

كتب الشيعة ترفع إلى الباقر والصّادق أنَّ ﴿فمااستمتعتم به منهنَّ﴾ منزل في المتعة وأحسن الإحتمالين أنَّ السند موضوعٌ وإلاّ فالباقر والصّادق جاهل . ص ١٦٥ .

لا يوجد في غير كتب الشيعة قول لأحد أنَّ ﴿فما استمتعتم به منهنَّ فآتوهنَّ أجورهنَّ﴾ نزل في متعة النساء وقد أجمعت الأُمّة على تحريم المتعة ولم يقل أحدٌ أنَّ قول الله :﴿ فما استمتعتم به منهنَّ﴾ قد نسخ .ص ١٦٦ .

حكومات الأُمم الإسلاميّة اليوم أرشد في شرف دينها وصلاح دنياها من فقهاء الأُمّة . فحكومة الدولة الإيرانيّة التي كانت قد أخذت مرّات عديدة من قبلُ في إبطال

متعة الفقهاء ، نراها اليوم بفضل ملكها الأعظم قد نسخت المتعة نسخاً قطعيّاً بتاتاً .

إنَّ حكومة الدَّولة الإيرانيَّة التي تسعى في إصلاح حياة الأُمّة ودنياها وفي تعمير الوطن وإحيائه أخذت في إصلاح دين الأمّة فمنعت منعاً باتّاً متعة فقهاء الشيعة . ص ١٨٥ .

هذه جملٌ التقطناها من صحائف ـ الوشيعة ـ سوَّدها الرَّجل في مسألة المتعة ، وتلك الصّحائف السَّوداء تبعد عن أدب الدين ، أدب العلم ، أدب العفّة ، أدب الكتاب ، أدب الإجتماع ، وبينها وبين ما جاء به الإسلام بونٌ شاسعٌ ، فلا تقابله فيها إلاّ بالسّلام .

أمّا بسط القول في المتعة فلا حاجة لنا تمسُّ بها بعدما أغرق نزعاً فيها محقّقو أصحابنا ولاسيّما الأواخر منهم(١) فجاء الرَّجل بعده يتهجّم عليهم بفاحش القول ولا يُبالي ، ويقذفهم بلسان بذيء ولا يكترث له ، وإنّما يهمّنا إيقاظ شعور الباحث إلى أكاذيب الرَّجل وجناياته الكبيرة على العلم والقرآن وأهله بكتمان رأي السّلف فيه ، وتدجيله الحقائق الراهنة على الأُمّة بالسّفاسف والمخاريق ، وإشاعة ما يضادُّ الكتاب والسنّة في الملأ العلمي ، وهو مع جهله بها يرى نفسه فقيهاً من فقهاء الإسلام ، فعلى الإسلام السّلام .

المتعة في الكتاب :

﴿فما استمتعتم به منهنَّ فآتوهنَّ أُجورهنَّ فريضةً ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إنَّ الله كان عليماً حكيماً﴾ .

يرى موسى الوشيعة أنَّ القول بنزول الآية من دعاوي الشيعة فحسب ، ولا يوجد في غير كتبهم قولٌ به لأحد ، والقول به لا يكون إلاّ من جاهل يدَّعي ولا يعي فنحن نذكر شطراً ممّا في كتب قومه حتّى يعلم القارىء إلى من توجّه قوارص هذا الرَّجل الجاهل الفاحش المتفحّش .

---

(١) نظراء الاعلام الحجج سيدنا السيد عبد الحسين شرف الدين ، سيدنا السيد محسن الأمين ، شيخنا الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وأفرد فيها الأستاذ توفيق الفكيكي كتاباً وقد أدى فيه حق المقال .

١ ـ أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده ج ٤ ص ٤٣٦ بإسناد رجاله كلّهم ثقات عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالىٰ وعملنا بها مع رسول الله ﷺ فلم تنزل آيةٌ تنسخها ولم ينه عنها النبيُّ ﷺ حتّى مات .

وقد مرَّ في صحيفة ٢٤٨ أنَّ غير واحد من المفسّرين ذكره في سورة النساء في آية المتعة وبهذا الحديث عدَّ مَن عدَّ عمران بن حصين ممّن ثبت على إباحتها .

٢ ـ أخرج أبو جعفر الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ في تفسيره ج ٥ ص ٩ بإسناده عن أبي نضرة قال : سألت ابن عبّاس عن متعة النساء قال : أما تقرأ سورة النساء ؟ قال : قلت : بلى قال : فما تقرأ فيها فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى ؟ قلت له : لو قرأتها هكذا ما سألتك . قال : فإنّها كذا . وفي حديث : قال ابن عبّاس : والله لأنزلها الله كذلك ثلاث مرّات .

وأخرج عن قتادة في قراءة أُبيٍّ بن كعب : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى .

وأخرج بإسناد صحيح عن شعبة عن الحَكم قال : سألته عن هذه الآية أمنسوخة هي ؟ قال : لا .

وروى عن عمرو بن مرّة : أنه سمع سعيد بن جبير يقرأ : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى .

وعن مجاهد : إنّ في الآية يعني نكاح المتعة .

وعن أبي ثابت : أنّ ابن عبّاس أعطاني مصحفاً فيه : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجلٍ مسمّى .

٣ ـ أخرج أبو بكر الجصّاص الحنفي المتوفّى سنة ٣٧٠ في «أحكام القرآن» ج ٢ ص ١٧٨ ما مرَّ من حديثي ابن عبّاس وأُبيٍّ بن كعب في قراءة الآية ، وذكر من طريق ابن جريج وعطاء الخراساني عن ابن عبّاس أنّها نُسخت بقوله تعالىٰ :﴿يا أيُّها

النبيُّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعدَّتهنَّ﴾ . فلو لم تكن نزلت في المتعة كيف نُسخت ؟ وقد عرفت بطلان نسخها بها وبغيرها .

٤ ـ أخرج الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ بإسناده في السنن الكبرى ج ٧ ص ٢٠٥ عن محمَّد بن كعب عن إبن عبّاس رضي الله عنه قال : كانت المتعة في أوَّل الإسلام وكانوا يقرأون هذه الآية : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى . الحديث .

٥ ـ قال الحافظ أبو محمَّد البغوي الشافعي المتوفّى سنة ٥١٠/١٦ في تفسيره هامش تفسير الخازن ج ١ ص ٤٢٣ : قال الحسن ومجاهد : إنّ الآية في النكاح الصَّحيح . وقال آخرون هو نكاح المتعة ـ إلى أن قال : ذهب عامَّة[1] أهل العلم أنّ نكاح المتعة حرامٌ والآية منسوخة وكان ابن عبّاس رضي الله عنهما يذهب إلى أنّ الآية محكمةٌ ، وترخّص في نكاح المتعة ، ثمَّ روى حديث أبي نضرة المذكور بلفظ الطبري .

٦ ـ قال أبو القاسم جار الله الزمخشري المعتزلي المتوفّى سنة ٥٣٨ في [الكشّاف] ج ١ ص ٣٦٠ : قيل نزلت ـ الآية ـ في المتعة ، وعن ابن عبّاس هي محكمة يعني لم تنسخ ، وكان يقرأ : فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى .

٧ ـ قال القاضي أبو بكر الأندلسي المتوفّى سنة ٥٤٢ في [أحكام القرآن ج ١ ص ١٦٢]: في الآية قولان : أحدهما أنّه أراد استمتاع النّكاح المطلق قاله جماعةٌ منهم الحسن ومجاهد وإحدى روايتي ابن عبّاس . الثاني : أنّه متعة النساء بنكاحهنَّ إلى أجل . ثمّ رواه عن إبن عبّاس . وحبيب بن أبي ثابت . وأُبيٍّ بن كعب .

٨ ـ قال أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المتوفّى سنة ٥٦٧ في تفسيره ج ٥ ص ١٣٠ عند بيان الإختلاف في معنى الآية : قال الجمهور إنَّ المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام ، وقرأ ابن عبّاس وأُبيّ وسعيد بن جبير : فما استمتعتم

(١) تعرف مقيل صحة هذه النسبة المكذوبة على عامة أهل العلم مما أسلفناه .

به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ أُجورهنّ .

وقال في بيان الخلاف في من تمتّع بها : وفي رواية أُخرى عن مالك : لا يرجم لأنّ نكاح المتعة ليس بحرام ولكن لأصل آخر لعلمائنا غريب انفردوا به دون سائر العلماء ، وهو أنّ ما حرم بالسنّة هل هو مثل ما حرم بالقرآن أم لا ؟ فمن رواية بعض المدنيِّين عن مالك أنّهما ليسا بسواء وهذا ضعيفٌ . وقال أبو بكر الطرسوسي : ولم يرخّص في نكاح المتعة إلّا عمران بن حصين وابن عبّاس وبعض الصّحابة وطائفةٌ من أهل البيت ، وفي قول ابن عبّاس يقول الشاعر :

أقول للرّكب إذ طال الثّواء بنا ... يا صاح هل لك من فتيا ابن عبّاس
في بضّة رخصة الأطراف ناعمة ... تكون مثواك حتّى مرجع النّاس ؟

وسائر العلماء والفقهاء من الصّحابة والتابعين والسّلف الصالحين على أنّ هذه الآية منسوخةٌ . ص ١٣٣ .

قال الأميني : فترى أنّ القول بنزول الآية في المتعة رأي العلماء والفقهاء من الصّحابة والتابعين والسّلف الصالحين غير أنّهم يعزى إليهم عند القرطبي القول بالنسخ وقد عرفت حقّ القول فيه .

وقال القرطبي أيضاً في تفسيره ج ٥ ص ٣٥ في قوله تعالىٰ : **﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾** . قال القائلون بأنّ الآية في المتعة هذه إشارةٌ إلى ما تراضيا عليه من زيادة في مدّة المتعة في أوّل الإسلام فإنّه كان يتزوّج المرأة شهراً على دينار مثلاً فإذا انقضى الشهر فربما كان يقول : زيديني في الأجل أزدك في المهر ، بيّن أن ذلك كان جائزاً عند التراضي .

قال أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي الشهير بابن رشد المتوفّى سنة ٥٩٥ في بداية المجتهد ج ٢ ص ٥٨ : اشتهر عن ابن عبّاس تحليلها [المتعة] وتبع ابن عبّاس على القول بها أصحابه من أهل مكّة وأهل اليمن ورووا : أنّ ابن عبّاس كان يحتجّ لذلك بقوله تعالىٰ : **﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أُجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم﴾** . وفي حرف عنه : إلى أجل مسمّى .

٩ - ذكر أبو عبدالله فخر الدين الرازي الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ في تفسيره الكبير ج ٣ ص ٢٠٠ قولين في الآية وقال أحدهما قول أكثر العلماء .

والقول الثاني : انَّ المراد بهذه الآية حكم المتعة وهي عبارةٌ أن يستأجر الرَّجل المرأة بمال معلوم إلى أجل معيَّن فيجامعها واتّفقوا على أنَّها كانت مباحةً في ابتداء الإسلام واختلفوا في أنَّها هل نُسخت أم لا ؟ فذهب السّواد الأعظم من الأُمّة إلى أنَّها صارت منسوخة . وقال السَّواد منهم : إنّها بقيت مباحةً كما كانت ، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عبّاس وعمران بن الحصين ، أمّا ابن عبّاس فعنه ثلاث روايات «ثمّ ذكر الرِّوايات» فقال : وأمّا عمران بن الحصين فإنّه قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم ينزل بعدها آيةٌ تنسخها وأمرنا رسول الله ﷺ وتمتَّعنا بها ومات ولم ينهنا عنه ثمَّ قال رجلٌ برأيه ما شاء .

وذكر في صحيفة ٢٠١ قراءة أُبيّ وابن عبّاس كما مرّ عن الطبري . وقال في ص ٢٠٣ : إن قراءة أُبيّ وابن عبّاس بتقدير ثبوتها لا تدلُّ إلاّ على أنّ المتعة كانت مشروعة ونحن لا ننازع فيه إنَّما الذي نقوله إنّ النسخ طرأ عليه .

١٠ - ذكر الحافظ أبو زكريا النووي الشافعي المتوفّى سنة ٦٧٦ في شرح صحيح مسلم ج ٩ ص ١٨١ ، إنَّ عبدالله بن مسعود قرأ : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل .

١١ - قال القاضي أبو الخير البيضاوي الشافعي المتوفّى سنة ٦٨٥ في تفسيره ج ١ ص ٢٥٩ : قيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيّام حين فُتحت مكّة ثمَّ نُسخت كما روي أنّه عليه الصَّلاة والسَّلام أباحها ثمَّ أصبح يقول : أيُّها الناس إنِّي كنت أمرتكم بالإستمتاع من هذه النساء ألا إنَّ الله حرَّم ذلك إلى يوم القيامة[١] وهي النكاح الموقَّت بوقت معلوم سمّي بها .

١٢ - قال علاء الدين البغدادي المتوفّى سنة ٨٤١ : في تفسيره المعروف بتفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٧ : قال قومٌ : المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة

---

(١) هذا يبطل غير واحد من الأقوال المذكورة في صحيفة ٢٦٨ .

وهو أن ينكح امرأة إلى مدَّة معلومة بشيء معلوم فإذا انقضت تلك المدَّة بانت منه بغير طلاق ويستبرىء رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الإسلام ثمَّ نهى رسول الله ﷺ عن المتعة ثمَّ ذكر حديث سبرة المذكور في لفظ البيضاوي فقال : وإلى هذا ذهب جمهور العلماء من الصّحابة فمن بعدهم ، أي أنَّ نكاح المتعة حرامٌ والآية منسوخةٌ واختلفوا في ناسخها فقيل نُسخت بالسنَّة وهو ما تقدّم من حديث سبرة . . . . . وهذا على مذهب من يقول : إنّ السنَّة تنسخ القرآن ، ومذهب الشافعي أنَّ السنَّة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول : إنّ ناسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون : **﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾** .الآية . ثمّ ذكر روايات ابن عبّاس ومنها : أنّ الآيةَ محكمةٌ لم تنسخ .

١٣ ـ قال ابن جزي محمّد بن أحمد الغرناطي المتوفّى سنة ٧٤١ ، في تفسيره التسهيل ج ١ ص ١٣٧ : قال ابن عبّاس(١) وغيره : معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصّداق كاملاً ، وقيل : إنّها في نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث ، وكان جائزاً في أوّل الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصّداق فيه ثمّ حرّم عند جمهور العلماء ، فالآية على هذا منسوخةٌ بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة ، وقيل : نسختها آية الفرائض لأنَّ نكاح المتعة لا ميراث فيه ، وقيل : نسختها **﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾** ، وروي عن ابن عبّاس : جواز نكاح المتعة . وروي : أنّه رجع عنه(٢) .

١٤ ـ ذكر أبو حيّان بن يوسف الأندلسي المتوفّى سنة ٧٤٥ في تفسيره ج ٣ ص ٢١٨ قراءة ابن عبّاس وأُبيٍّ بن كعب وسعيد بن جبير : فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى . وقال : قال ابن عبّاس ومجاهد والسدي وغيرهم : إنَّ الآية في نكاح المتعة . وقال ابن عبّاس لأبي نضرة : هكذا أنزلها الله .

---

(١) تكذب هذه النسبة إلى ابن عباس قراءته الآية فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى وهي ثابتة عنه كما مرّ ويأتي .

(٢) كيف يرجع عنه وهو يرى الآية محكمة لم تنسخ ؟ وقد مرّ ويأتي ما يكذب هذا العزو إليه ، وقد قال به إلى آخر نفس لفظه .

١٥ - قال الحافظ عماد الدِّين بن كثير الدمشقي الشافعي المتوفّى سنة ٧٧٤ في تفسيره ج ١ ص ٤٧٤ . وقد استدلَّ بعموم هذه الآية على نكاح المتعة ولا شكَّ أنَّه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ثمَّ نسخ بعد ذلك . ثمَّ قال بعد ذكر بعض أقوال النسخ : وكان ابن عبّاس وأُبيٌّ بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى . وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة . ولكن الجمهور على خلاف ذلك والعمدة ما ثبت في الصَّحيحين عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب[1] .

١٦ - قال الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ في «الدر المنثور» ج ٢ ص ١٤٠ : أخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عبّاس : كانت المتعة في أوّل الإسلام وكانوا يقرؤون هذه الآية : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصحَّحه من طرق عن أبي نضرة قال : قرأت على ابن عبّاس . وقد مرَّ ص ٢٧٢ .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة وأخرج ابن الأنباري في المصاحف عن سعيد بن جبير قراءة أُبيٍّ بن كعب : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل ، وأخرج عبد الرزّاق عن عطاء قراءة ابن عبّاس .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد : ﴿فما استمتعتم به منهنَّ﴾ : قال : يعني نكاح المتعة .

وأخرج إبن جرير عن السدي في الآية قال : هذه المتعة .

وأخرج عبد الرزّاق وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن الحَكم أنّه سئل عن هذه الآية أمنسوخةٌ ؟ قال : لا .

١٧ - قال أبو السعود العمادي الحنفي المتوفّى سنة ٩٨٢ في تفسيره (هامش تفسير الرازي) ج ٣ ص ٢٥١ قيل : نزلت في المتعة التي هي النكاح إلى وقت

---

(١) عرفت بعض القول حول هذه الصحيحة في صحيفة ٢٦٩ .

معلوم من يوم أو أكثر سمّيت بذلك لأنَّ الغرض منها مجرَّد الإستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يُعطى ، وقد أُبيحت ثلاثة أيّام حين فُتحت مكّة شرَّفها الله تعالىٰ ثمَّ نُسخت لما روي أنَّه ﷺ أباحها ثمّ أصبح يقول : يا أيّها النّاس إنّي أمرتكم بالإستمتاع من هذه النساء ألا إنّ الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة[١] وقيل : أُبيح مرَّتين وحُرّم مرَّتين .

١٨ ـ قال القاضي الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠ في تفسيره ج ١ ص ٤١٤ : قد اختلف أهل العلم في معنى الآية فقال الحسن ومجاهد[٢] وغيرهما : المعنى فما انتفعتم وتلذَّذتم بالجماع من النساء بالنكاح الشرعيِّ فآتوهنَّ أُجورهنَّ أي مهورهنَّ ، وقال الجمهور : إنَّ المراد بهذه الآية : نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام ، ويؤيِّد ذلك قراءة أُبيّ بن كعب وابن عبّاس ، وسعيد بن جبير : ﴿**فما استمتعتم به منهنَّ**﴾ إلى أجل مسمّى﴿فآتوهنَّ أُجورهنَّ﴾ثمَّ نهى عنها النبيُّ ﷺ كما صحَّ ذلك من حديث عليّ قال : نهى النبيُّ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهليَّة يوم خيبر[٣] ثمّ ذكر حديث النهي عنها يوم فتح مكّة ويوم حجّة الوداع فقال : فهذا هو الناسخ ، حكى عن سعيد بن جبير نسخها بآية الميراث إذ المتعة لا ميراث فيها[٤] وعن عائشة والقاسم بن محمَّد : نسخها بآية﴿**والَّذين هم لفروجهم حافظون**﴾ .

ثمّ قال في قوله تعالىٰ ﴿**ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة**﴾ : أي من زيادة أو نقصان في المهر فإنَّ ذلك سائغٌ عند التراضي ، هذا عند من قال بأنَّ الآية في النكاح الشرعيِّ ، وأمّا عند الجمهور القائلين بأنَّها في

---

(١) عرفت أن هذا القول يبطل الأقوال الأُخر في النسخ وهي تناقض هذا فراجع .

(٢) سمعت عن الطبري وعبد بن حميد رأبي حيان وابن كثير والسيوطي أن مجاهداً من رواة القول بنزولها في المتعة ومن هنا عد ممن ثبت على إباحتها ، فعزو خلاف ما جاء عن السلف إليه من صنائع الأهواء .

(٣) عرفت الحال في هذا الحديث الصحيح الذي هو عمدة مستند القوم في النهي عن المتعة راجع ص ٢٥٢ .

(٤) عزو القول بالنسخ إلى سعيد يكذبه عد السلف إياه فيمن ثبت على القول بإباحتها .

المتعة فالمعنى التراضي في زيادة مدّة المتعة أو نقصانها أو في زيادة ما دفعه إليها إلى مقابل الإستمتاع بها أو نقصانه .

١٩ - ذكر شهاب الدِّين أبو الثناء السيّد محمود الآلوسي البغدادي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في تفسيره ج ٥ ص ٥ قراءة ابن عبّاس وعبدالله بن مسعود آية : فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمّى ، ثمّ قال ، ولا نزاع عندنا في أنّها أُحلّت ثمّ حرّمت ، والصَّواب المختار أنّ التحريم والإباحة كانا مرّتين ، وكانت حلالاً قبل يوم خيبر ثمَّ حرّمت يوم خيبر[1] ، ثمّ أُبيحت يوم فتح مكّة وهو يوم أوطاس لإتّصالهما ثمّ حُرّمت يومئذٍ بعد ثلاث[2] تحريماً مؤبّداً إلى يوم القيامة .

هلم معي :

هلمَّ معي أيّها القارىء نسائل الرّجل - موسى جار الله - عن هذه الكتب أليست هي مراجع أهل السنَّة في علم القرآن ؟ أليس هؤلاء أعلامهم وأئمّتهم في التفسير ؟ أليس من واجب الباحث أن يُراجع تلكم الكتب ثمّ ينقض ويبرم ، ويزن ويرجح ؟أيوجِّه قوارصه إلى مثل ابن عبّاس ترجمان القرآن ، وأُبيّ بن كعب أقرأ الصَّحابة عندهم . وعبدالله بن مسعود [عالم الكتاب والسنّة] وعمران بن حصين ، والحَكم ، وحبيب بن أبي ثابت ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومجاهد ؟ أيرى كلّاً منهم جاهلاً يدَّعي ولا يعي ؟ أليس هذا سبُّ الصّحابة والسّلف الصالح الذي تُتهم به الشيعة عند قومه ؟

أم يرى رجالات قومه من الشيعة ويسلقهم بألسنة حداد ؟ فإن لم تكن عنده قيمة لمثل البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والطبري ، ومحمّد بن كعب ، وعبد بن حميد ، وأبي داود ، وابن جريج ، والجصّاص ، وابن الأنباري ، والبيهقي ، والحاكم ، والبغوي ، والزمخشري ، والأندلسي ، والقرطبي ، والفخر الرازي ،

---

(١) عرفت في ص ٢٧٠ عن السهيلي أن هذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الأثر .

(٢) هذا يبطل القول بالتحريم في حجة الوداع بعد إباحتها وحكى النووي في شرح مسلم عن أبي داود أنه يراه أصح ما روي في ذلك . وهكذا كل قول من تلكم الأقوال يكذّب الآخر ويبطله ، والحق يبطل الجميع ، والحق أحق أن يتبع .

والنـووي ، والبيضاوي ، والخـازن ، وابن جزي ، وأبي حيّـان ، وابن كثير ، وأبي السعـود ، والسيوطي ، والشـوكاني ، والآلـوسي . فمن قـدوتـه وأسـوتـه في العلم والدِّين ؟

نعم : لا يفوتنا أنَّ أكاذيب الرَّجل وأساطيره المسطَّرة وعزو القول بنـزول الآية إلى الشيعة فحسب كلّها تقدمة لسبِّ الإمامين الطاهرين الباقر والصّادق ، وهـو يعلم وكلُّ ذي نصفة يدري أنّ أئمّة قومه الأربعة عائلة الإمامين في علمهما ، فـإن يوجـد عندهم شيءٌ من العلم فمن ذلك النمير العذب ، والباقران همـا الباقـران ، وموسى الوشيعة هو موسى الوشيعة ، والله هو الحَكم العدل ، وإلى الله المشتكى .

وهلمَّ نُسـائل الـرَّجل عن أدب البيـان الـذي شعـر بـه هـو وخفي على هؤلاء الأعلام في القرون الخالية ، وعن الإختلال الذي عرفه هـو وجهله أئمَّة القـوم على تقدير القول بنزول الآية في المتعة ما هو ؟ وأين كان ؟ وعمّن يُؤثر ؟ ومَن الـذي قال به ؟ وما الحجّة عليه ؟ وممّن أخذه ؟ ولِمَ كتمه الأوَّلون والآخرون حتّى انتهت النوبة إليه ؟ لا أحسب أنّه يحير جواباً يشفي الغليل ، ولعلّه يعيد سبابه المقذع إلى أنـاس آخرين .

حدود المتعة في الاسلام :

١ ـ الأُجرة .

٢ ـ الأجل .

٣ ـ العقد المشتمل للإيجاب والقبول .

٤ ـ الإفتراق بانقضاء المدّة أو البذل .

٥ ـ العدَّة أمةً وحرَّةً حائلاً وحاملاً .

٦ ـ عدم الميراث .

إنَّ هـذه الحدود ذكـرهـا الفقهـاء في مـدوَّنـاتهم الفقهيّـة ، والمحـدِّثـون في الصِّحاح والمسانيد ، والمفسرون في ذيل الآية الكريمة الآنفة، فوقع إصفاقهم على

أنّها حدودٌ شرعيّةٌ إسلاميّةٌ لا محيص عنها ، سواءٌ فيها من يقول بالإباحة الدائمة أو بالإباحة الموقّتة المنسوخة ، فأين يكون مقيل كلمة الرّجل : إنّها من الأنكحة الجاهليّة التاريخيّة ولم تكن بإذن من الشارع ؟ ومتى كان في الجاهليّة نكاحٌ بهذه الحدود ، وقد ضبطوا أنكحتها وعاداتها وتقاليدها وليس فيها ما يشابه نكاح المتعة . نعم : الرّجل يتقوّل ولا يكترث لما يقول ، وقد أسلفنا جمعاً ممّن ذكر حدود نكاح المتعة في الجزء الثالث ص ٣٩٧ .

ولماذا يكون ابن جريج مسرفاً في إتيان الفاحشة التي نزلت في أشدّ المحرّمات في مزعمة [موسى] ، ولو كان ابن جريج متهاوناً بالدّين ، فلماذا أخرج عنه أئمّة الحديث أرباب الصّحاح الستّ كلّهم ، وحشو المسانيد مرويّاته وأسانيده ؟ وقد سمعوا منه اثني عشر ألف حديث يحتاج إليها الفقهاء[١] ولو فسد مثله أو فسدت روايته لوجب أن تُمحى صحائف جمّة من جوامع الحديث ، ولا تبقى قيمةٌ لتلكم الصِّحاح عندئذٍ ، ولو كان كما يزعمه فلماذا أطرته أئمّة الرجال بكلّ ثناء جميل ؟ وكيف رآه أحمد إمام الحنابلة أثبت الناس ، وكيف كانوا يُسمّون كتبه كتب الأمانة[٢] ؟ .

ثمّ ماذا على الرّجل إن عمل بما أدّى إليه اجتهاده وهو يروي في ذلك ثمانية عشر حديثاً ؟ وأمّا حديث عدوله عن رأيه فإن صدق نقل الرّجل عن أبي عوانة وصدق إسناد أبي عوانة ، ولو كان لبان وظهر وتناقلته الفقهاء ، ولم ينحصر نقله بواحد عن واحد ، ولاسيّما وابن جريج هو ذلك المصرّ على رأيه عمليّاً وعلميّاً ، وإنّي أحسب أنّ عزو العدول إلى هذا الرّجل لدة عزوه إلى حبر الأُمّة عبدالله بن العبّاس الذي كذّبه مَن كذّبه كما عرفت .

وأمّا ما عزاه [موسى] إلى الحكومة الإيرانيّة في إدخال المنع عن المتعة في جملة إصلاحاتها ونسخها نسخاً قطعيّاً بتاتاً ، ومنعها منعاً باتاً فكبقيّة مفتعلاته ، فما أعوزته الحجّة ، وضاقت عليه المحجّة ، وغدا محجوجاً أعيت عليه البراهين ، إلى

---

(١) مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) راجع تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٠٤ .

أن محج وأفك ، واحتجَّ بما لم تسمعه أُذن الدُّنيا ، وقابل الكتاب والسنَّة بتاريخ مفتعل على حكومة إسلامية لم تأت بشيء جديد قطُّ في المتعة ، وعلى تقدير تحقّق فريته فأيُّ قيمة لذلك تجاه ما هتف به النبيُّ الأعظم وكتابه المقدَّس .

إقرأ واضحك أو إبك :

ذكر القوشجي المتوفّى سنة ٨٧٩ في شرح التَّجريد في مبحث الإمامة أنَّ عمر قال وهو على المنبر : أيّها الناس ثلاثٌ كنَّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنَّ وأُحرِّمهنَّ وأُعاقب عليهنَّ : متعة النساء ، ومتعة الحجِّ ، وحيَّ على خير العمل . ثمَّ اعتذر عنه بقوله : إنَّ ذلك ليس ممّا يوجب قدحاً فيه فإنَّ مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الإجتهاديّة ليس ببدع . ا هـ .

ما كنّا نقدِّر أنَّ ضليعاً في العلم يُقابل النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بواحد من أُمَّته ويجعل كلاًّ منهما مجتهداً ، وما ينطقه الرَّسول الأمين هو عين ما ثبت في اللوح المحفوظ وإن هو إلاّ وحيٌ يوحى علّمه شديد القوى ، فأين هو عن الإجتهاد بردِّ الفرع إلى الأصل ، واستعمال الظنون في طريق الإستنباط ؟ وإنَّ السائغ من المخالفة الإجتهادية هو ما إذا قابل المجتهد مجتهداً مثله لا مَن اجتهد تجاه النصِّ المبين ، وارتأى أمام تصريحات الشَّريعة من قول الشّارع وعمله .

ثمَّ أيّ مستوى يقلّ سيِّد أولي الألباب وهذا الرجل في عرض واحد فهماً وإدراكاً حتى يُقابل بين رأييهما ؟ وأيّ قيمة لآراء العالمين جميعاً إذا خالفت ما جاء به المشرّع الأقدس ؟ لكنّي أعذر القوشجي لالتزامه بدحض كلِّ ما جاء به نصير الدين الطوسي لئلاّ يُعزى إليه العجز والتواني في الحجاج ، فلا بدَّ أن يأتي بكلِّ ما دبَّ ودرج سواءٌ كان حجَّة له أو وبالاً عليه .

وقال إبن القيِّم في زاد المعاد ج ١ ص ٤٤٤ : فإن قيل : فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال : كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيّام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتّى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث وفيما ثبت عن عمر أنّه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما : متعة النساء ومتعة الحجّ ؟ قيل : الناس في هذا طائفتان : طائفةٌ

تقول : إنّ عمر هو الذي حرّمها ونهى عنها وقد أمر رسول الله ﷺ باتّباع ما سنّه الخلفاء الراشدون[١] ولم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح[٢] فإنّه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جدّه وقد تكلّم فيه ابن معين ولم ير البخاري إخراج حديثه في صحيحه مع شدّة الحاجة إليه ، وكونه أصلاً من أصول الإسلام ، ولو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجه والإحتجاج به ، قالوا : ولو صحّ حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود حتّى يروي أنّهم فعلوها ويحتجُّ بالآية . وأيضاً ولو صحّ لم يقل عمر إنّها كانت على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنها وأُعاقب عليها ، بل كان يقول : إنّه ﷺ حرّمها ونهى عنها . قالوا : ولو صحّ لم تفعل على عهد الصدِّيق وهو عهد خلافة النبوّة حقّاً . والطائفة الثانية رأت صحّة حديث سبرة ولو لم يصحّ فقد صحّ حديث عليّ رضي الله عنه : إنّ رسول الله ﷺ حرّم متعة النساء فوجب حمل حديث جابر على أنّ الذي أخبر عنها بفعلها لم يبلغه التحريم ، ولم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر رضي الله عنه فلمّا وقع فيها النزاع ظهر تحريمها واشتهر وبهذا تأتلف الأحاديث الواردة فيها وبالله التوفيق .

قال الأميني : أنّى يتأتّى الجمع بين أحاديث الباب المتضاربة من شتى النواحي بصحيحة مزعومة ؟ ومتى تصحّ ؟ وكيف يتمّ عزوها المختلق إلى أمير المؤمنين عليه السلام وبين يدي الأُمّة قوله الصحيح الثابت : لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلّا شقيّ[٣] وقد صحّ عنه عليه السلام مذهبه إلى تحليل المتعة ، كما أنّ أبناء بيته الرفيع ذهبوا إلى إباحتها سلفاً وخلفاً ، ومن المتسالم عليه قول ابن عبّاس : لولا نهي عمر لما احتاج إلى الزنا إلّا شفا[٤] .

ومن الذي أخبر الأُمّة عن نهي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عن المتعة غير عليّ عليه السلام حتّى ظهر في زمن عمر واشتهر ؟ ومهما كان الحظر عنه صلى الله عليه وآله وسلم مشهوراً ، وأوّل من جاء

---

(١) يأتي الكلام حول هذا الحديث وهذه السنة في هذا الجزء .

(٢) تحريم المتعة عام الفتح قول ابن عيينة وطائفة كما في زاد المعاد ج ١ ص ٤٤٢ .

(٣) راجع ما مرّ صفحة ٢٤٦ ، ٢٤٧ من هذا الجزء .

(٤) مرّ حديثه في صفحة ٢٤٦ .

به ويباح بالنهي عنها يقول : متعتان كـانتا على عهـد رسول الله ﷺ وأنـا أنهى عنهما وأعاقب .

وقال : متعتان كانتا على عهـد رسول الله ﷺ وعلى عهـد أبي بكر وأنـا أنهى عنهما .

وقال : إنّ الله ورسوله قد أحلّا لكم متعتين وإنّي محرِّمهما عليكم .

وقال : ثلاثٌ كنّ على عهد رسول الله ﷺ أنـا محرّمهنّ : متعـة الحجِّ ومتعـة النساء .

فهل جابهه صحابيٌّ بـالردِّ عليـه في دعواه حلّيـة المتعة في العهـدين ؟ أو في نسبة تحريمها إلى نفسه ؟ وهل كان إجماع الصّحابة على حلّية المتعة عهد أبي بكر خلاف دين الله وسنّة نبيِّه ؟ نعم الغريق يتشبَّث بكلِّ حشيش .

﴿لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرامٌ ، لتفتـروا على الله الكذب إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون[1]﴾ .

٧٠ ـ رأي الخليفة فيمن قال : إنّي مؤمن :

عن مسند عمر رضي الله عنه عن سعيد بن يسـار قال : بلغ عمـر بن الخطاب أنَّ رجلاً بالشام يزعم أنَّـه مؤمنٌ فكتب إلى أميره : أن ابعثـه إليَّ . فلمّا قـدم قال : أنت الذي تزعم أنَّك مؤمنٌ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ويحك وممَّ ذاك ؟ قـال : أو لم تكونـوا مع رسـول الله ﷺ أصنافـاً : مشركٌ ، ومنـافقٌ ، ومؤمنٌ ؟ فمن أيّهم كنت ؟ فمدَّ عمر يده إليه معرفة لما قال حتّى أخذ بيده[2] .

وعن قتـادة قال عمـر بن الخطاب : من قـال إنّي عالمٌ . فهـو جـاهـلٌ ، ومن قال : إنّي مؤمنٌ . فهو كافرٌ .

[كنز العمال ج ١ ص ١٠٣]

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٦ .
(٢) أخـرجه البيهقي في شعب الإيمـان ، وابن أبي شيبـة في الإيمـان كمـا في كنـز العمـال ج ١ ص ١٠٣ .

قال الأميني : أنا لا أدري ما هذه المشكلة التي من جرّائها جلب الرَّجل من الشّام وحوله آلاف من المؤمنين يقولون بمقالته ، وهو يحسب أنّه أميرهم ولم يسألهم عمّا سأل الشاميّ عنه ؟ ثمَّ كيف انحلّت تلك المشكلة بأبسط جواب ؟ أوَ لم يكن الخليفة يعلم ذلك من أنَّ الإنسان إذا لم يكن مشركاً أو منافقاً فهو مؤمنٌ لا محالة ؟ أم أنّه حسب أنَّ المؤمن الواثق بإيمانه لا يجوز له أن يقول : أنا مؤمنٌ . لأنّ ذلك القول كفرٌ كما في حديث قتادة ؟ وذلك تعبّداً بقول عمر . لكن الله سبحانه مدح أقواماً في الذكر بأن قالوا آمنّا مثل قوله تعالىٰ : ﴿**قال الحواريّون نحن أنصار الله آمنّا بالله**[١]﴾ وقوله : ﴿**ربَّنا آمنا بما أنزلت واتَّبعنا الرَّسول**[٢]﴾ وقوله : ﴿**ربَّنا إنّنا سمعنا منادياً يُنادي للإيمان أن آمنوا بربِّكم فآمنّا**[٣]﴾ وقوله : ﴿**يقولون آمنّا واشهد بأنَّنا مسلمون**﴾[٤] وقوله : ﴿**يقولون ربَّنا آمنَّا**﴾[٥] وقوله : ﴿**قالوا آمنَّا بربِّ العالمين**﴾[٦] ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا**﴾ . ومنهم من قال : بلى . إذا خوطب بقول العليِّ العظيم : ﴿**أو لم تؤمن**﴾[٧] ومنهم من قال : ﴿**سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين**﴾[٨] .

ومن جليّة الواضحات عدم الفرق بين قول القائل : آمنّا بكذا أو نحن مؤمنون أو أنا مؤمنٌ بكذا إذا وثق من نفسه بإيمان ، ومن فرّق بينها فهو مجازفٌ لا محالة .

ولعلَّ الخليفة كان ناظراً إلى حراجة الموقف في الإيمان ، وعزَّة خلوصه من خفيّات صفات الشِّرك والنفاق حتّى كان يسأل حذيفة عن نفسه ، قال الغزالي في إحياء العلوم ج ١ ص ١٢٩ : الأخبار والآثار تعرِّفك خطر الأمر بسبب دقائق النِّفاق

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٥٢ .
(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٥٣ .
(٣) سورة آل عمران ؛ الآية ١٩٣ .
(٤) سورة المائدة : الآية : ١١١ .
(٥) سورة المائدة : الآية : ٨٣ .
(٦) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٢١ .
(٧) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٠ .
(٨) راجع الأعراف ؛ الآية : ١٤٣ .

والشِّرك الخفيّ وأنّه لا يؤمن منه ، حتّى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنّه هل ذكر في المنافقين ؟ وهل هو منهم ؟ وهل عدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم[1] .

وكان حذيفة صاحب السرِّ المكنون في تمييز المنافقين ، ولذلك كان عمر لا يصلّي على ميِّت حتى يصلّي عليه حذيفة يخشى أن يكون من المنافقين . كذا قاله إبن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ج ١ ص ٤٤ .

٧١ - قدوم أُسقف نجران على الخليفة :

قدم أُسقف نجران على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في صدر خلافته فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ أرضنا باردة شديدة المؤنة لا يحتمل الجيش وأنا ضامنٌ لخراج أرضي أحمله إليك في كلِّ عام كملاً . قال : فضمنه إيّاه فكان يحمل المال ويقدّم به في كلّ سنة ويكتب له عمر البراءة بذلك فقدم الأسقف ذات مرّة ومعه جماعةٌ وكان شيخاً جميلاً مهيباً فدعاه عمر إلى الله وإلى رسوله وكتابه وذكر له أشياء من فضل الإسلام وما يصير إليه المسلمون من النعيم والكرامة فقال له الأسقف : يا عمر ! أتقرأ في كتابكم وجنَّة عرضها كعرض السَّماء والأرض فأين يكون النار ؟ فسكت عمر وقال لعليٍّ : أجبه أنت : فقال له عليٌّ : أنا أُجيبك يا أسقف أرأيت إذا جاء الليل أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار أين يكون الليل ؟ فقال الأسقف : ما كنت أرى أن أحداً ليجيبني عن هذه المسألة . مَن هذا الفتى يا عمر ؟ فقال : عليُّ بن أبي طالب ختن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمّه وهو أبو الحسن والحسين . فقال الأسقف : فأخبرني يا عمر ! عن بقعة من الأرض طلع فيها الشمس مرةً واحدة ثمَّ لم تطلع قبلها ولا بعدها ؟ قال عمر : سل الفتى ، فسأله فقال : أنا أُجيبك هو البحر حيث انفلق لبني إسرائيل ووقعت فيه الشمس مرّة واحدة لم تقع قبلها ولا بعدها . فقال الأسقف : أخبرني عن شيء في أيدي الناس شبيه بثمار الجنَّة . قال عمر : سل الفتى . فسأله فقال عليٌّ أنا أُجيبك هو القرآن يجتمع عليه أهل الدنيا فيأخذون منه حاجتهم فلا ينقص منه شيءٌ فكذلك ثمار الجنة . فقال الأسقف :

---

(١) وذكره الباقلاني في التمهيد ص ١٩٦ ، وابن أبي جمرة في بهجة النفوس ج ٤ ص ٤٨ .

صدقت قال : أخبرني هل للسّماوات من قفل ؟ فقال عليٌّ : قفل السّماوات الشّرك بالله فقال الأسقف : وما مفتاح ذلك القفل ؟ قال : شهادة أن لاإله إلاّ الله لا يحجبها شيءٌ دون العرش . فقال : صدقت . فقال : أخبرني عن أوّل دم وقع على وجه الأرض ؟ فقال عليٌّ : أمّا نحن فلا نقول كما يقولون دم الخفاش ولكن أوّل دم وقع على وجه الأرض مشيمة حوّاء حيث ولدت هابيل بن آدم . قال : صدقت وبقيت مسألة واحدة أخبرني أين الله ؟ فغضب عمر فقال عليٌّ : أنا أُجيبك وسل عمّا شئت كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه ملكٌ فسلّم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أين أُرسلت ؟ فقال : من السّماء السابعة من عند ربّي ، ثمّ أتاه آخر فسأله فقال : أُرسلت من الأرض السابعة من عند ربّي ، فجاء ثالثٌ من الشّرق ، ورابعٌ من المغرب فسألهما فأجابا كذلك فالله عزَّ وجلَّ هيهنا وهيهنا في السّماء إلهٌ وفي الأرض إله .

أخرجه الحافظ العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى .

٧٢ - جلد صائم قعد على شراب :

أخرج أحمد - إمام الحنابلة - في الأشربة عن عمرو بن عبدالله بن طلحة الخزاعي أنَّ عمر بن الخطاب أُتي بقوم أخذوا على شراب فيهم رجلٌ صائم فجلدهم وجلده معهم قالوا : إنّه صائم ، قال : لِمَ جلس معهم[1] ؟ .

هل علم الخليفة الوجه في جلوس الرَّجل معهم في منتدى الشّرب وهو صائمٌ لا يشاركهم في العمل ؟ فلعلَّ الضرورة الجأته إلى ذلك فما كان يسعه مفارقتهم خشية بوادرهم ، أو ضررٌ آخر يستقبله إن فارقهم ، أو أنَّ قصد ردعهم عن المنكر حدا الصائم المسكين إلى مصاحبتهم ، والملاينة معهم في بدء الأمر ، وإذا احتمل شيءٌ من هذه فإنَّ الحدود تُدرأ بالشّبهات .

وهب أنّه لم يحتمل شيئاً منها فإنَّ غاية ما هنالك أن يُعزَّر الرَّجل تأديباً وقد عرفت في ص ٢١١ حدَّ التعزير ، وأنّه لا يتجاوز العشرة أسواط ، فكيف ساوى بينه وبينهم في الجلد ؟ .

---

(١) كنز العمال ج ٣ ص ١٠١ ، منتخب الكنز هامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٢٧ .

٧٣ ـ رأي الخليفة في مسك بيت المال :

أُتي عمر مرَّة بمسك فأمر أن يقسَّم بين المسلمين ثمَّ سدَّ أنفه فقيل له في ذلك ، فقال : وهل ينتفع منه إلَّا بريحه ؟ ودخل يوماً على زوجته فوجد معها ريح مسك فقال : ما هذا ؟ قالت : إنِّي بعت من مسك في بيت مال المسلمين ووزنت بيدي فلمّا وزنت مسحت إصبعي في متاعي هذا فقال : ناوليني متاعك فأخذه فصبَّ عليه الماء فلم يذهب فجعل يدلكه في التراب ويصبُّ عليه الماء حتّى ذهب ريحه[1] .

هكذا فليكن الفقيه البارع ، وهل كان الخليفة يضرب ستاراً أمام مصابيح المسلمين حتّى لا يستضيء بضوءها ؟ أو يضرب سدّاً على مهبّ الصَّبا متى حملت شذاً من حقول المسلمين ؟ إلى أمثال هذه من الانتفاعات القهريَّة التي لا دخل لرضاء المالك فيها ؟ أنا لا أدري .

٧٤ ـ اجتهاد الخليفة في صلاة الميّت :

عن أبي وائل قال : كانوا يكبِّرون على عهد رسول الله ﷺ سبعاً وخمساً وستّاً أو قال أربعاً فجمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ فأخبر كلُّ رجل بما رأى فجمعهم عمر رضي الله عنه على أربع تكبيرات كأطول الصَّلاة .

وعن سعيد بن المسيّب يحدِّث عن عمر رضي الله عنه قال : كان التكبير أربعاً وخمساً فجمع عمر النّاس على أربع التكبير على الجنازة[2] .

وقال ابن حزم في «المحلّى» : احتجَّ من منع أكثر من أربع بخبر رويناه من طريق وكيع عن سفيان الثوري عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال جمع عمر بن الخطاب الناس فاستشارهم بالتكبير على الجنازة فقالوا : كبّر النبيُّ ﷺ سبعاً وخمساً وأربعاً فجمعهم عمر على أربع تكبيرات . اهـ .

---

(١) الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤١٤ .

(٢) سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٧ ، فتح الباري ج ٣ ص ١٥٧ وقال في الحديث الثاني : إسناد صحيح وفي الحديث الأول : إسناد حسن ، إرشاد الساري ج ٢ ص ٤١٧ .

وأخرج الطحاوي عن إبراهيم قال قُبض رسول الله ﷺ والنّاس مختلفون في التكبير على الجنازة لا تشاء أن تسمع رجلاً يقول سمعت رسول الله ﷺ يكبّر سبعاً ، وآخر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يكبّر خمساً ، وآخر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يكبّر أربعاً ، إلاّ سمعته فاختلفوا في ذلك فكانوا على ذلك حتى قُبض أبو بكر رضي الله عنه فلمّا ولي عمر رضي الله عنه ورأى اختلاف الناس في ذلك شقّ عليه جدّاً فأرسل إلى رجال من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : إنّكم معاشر أصحاب رسول الله ﷺ متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم ، ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه ، فانظروا أمراً تجتمعون عليه فكأنّما أيقظهم فقالوا : نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين ! فأشر علينا . فقال عمر رضي الله عنه : بل أشيروا عليّ فإنّما أنا بشرٌ مثلكم ، فتراجعوا الأمر بينهم فأجمعوا أمرهم على أن يجعلوا التكبير على الجنائز مثل التكبير في الأضحى والفطر أربع تكبيرات فأجمع أمرهم على ذلك .

[عمدة القاري ج ٤ ص ١٢٩]

وقال العسكري في أوليائه ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٩٣ ، والقرماني في تاريخه ـ هامش الكامل ـ ج ١ ص ٢٠٣ : إنّ عمر أوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات .

قال الأميني : الذي ثبت من السنّة وعمل الصحابة اختلاف العدد في التكبير على الجنازة المحمول على مراتب الفضل في الميت أو الصّلاة نفسها ، وذلك يكشف عن أجزاء كلٍّ من تلك الأعداد ، فاختيار الواحد منها والجمع عليه والمنع عن البقيّة كما يمنع عن البدع رأيٌ غير مدعوم بشاهد ، واجتهادٌ تجاه السنّة والعمل .

ومن الواضح الجليّ بعد تلاوة ما وقع من المفاوضة بين الخليفة والصّحابة أنّه لم يكن هناك نسخٌ وإنّما ذكر كلٌّ منهم ما شاهده على العهد النبويّ ، فدعوى النسخ وتأخّر التكبير بالأربع عن هاتيك الأعداد زورٌ من القول ، ولذلك لم يحتجّ به أحدٌ ممّن يُعبأ بحجاجه ، وإنّما حصروا الدليل على تعيين عمر ومنعه بعد تزييف ما

قيل من دليل المنع كما سمعت من ابن حزم ، وهو كما ترى رأيٌ يخصُّ قائله ولا تقاوم السنّة الثابتة وهي لا تترك بقول الرِّجال .

ويوهن ذلك الجمع والمنع صفح الصَّحابة عنهما ، أخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٧٠ عن عبد الأعلى قال : صلّيت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبَّر خمساً فقام إليه أبو عيسى عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى فأخذ بيده فقال : نسيت ؟ قال : لا ولكن صلّيت خلف أبي القاسم خليلي ﷺ فكبَّر خمساً فلا أتركها أبداً .

وروى البغوي من طريق أيوب بن النعمان أنّه قال : شهدت جنازة سعد بن حبتة فكبَّر عليه زيد بن أرقم خمساً

[الإصابة ج ٢ ص ٢٢]

وأخرج الطحاوي عن يحيى بن عبدالله التيمي قال : صلّيت مع عيسى مولى حذيفة بن اليمان على جنازة فكبَّر عليها خمساً ثمَّ التفت إلينا فقال : ما وهمت ولا نسيت ولكني كبَّرت كما كبَّر مولاي ووليُّ نعمتي - يعني حذيفة بن اليمان - صلّى على جنازة فكبَّر عليها خمساً ثمَّ التفت إلينا فقال : ما وهمت ولا نسيت ولكنّي كبَّرت كما كبَّر رسول الله ﷺ كبَّر خمساً .

[عمدة القاري ج ٤ ص ١٢٩] .

قال ابن القيِّم الجوزيَّة في زاد المعاد(١) : كان ﷺ يأمر بإخلاص الدعاء للميِّت وكان يكبِّر أربع تكبيرات وصحَّ عنه أنّه كبَّر خمساً(٢) وكان الصَّحابة بعده يكبّرون أربعاً وخمساً وستّاً فكبَّر زيد بن أرقم خمساً ، وذكر أنَّ النبيَّ ﷺ كبّرها ذكره مسلم(٣) وكبَّر الإمام عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه على سهل بن حنيف ستّاً(٤)

---

(١) ج ١ ص ١٤٥ ، وفي ط هامش شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٥٨ .

(٣) وأخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦٧ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٥٨ ، وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٦٨ ، ٣٧١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٦ ، فتح الباري ج ٣ ص ١٥٧ .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٦ .

وكان يكبّر على أهل بدر ستّاً وعلى غيرهم من الصّحابة خمساً وعلى سائر النّاس أربعاً ، ذكره الدارقطني[١] وذكر سعيد بن منصور عن الحكم عن ابن عيينة أنّه قال : كانوا يكبّرون على أهل بدر خمساً وستّاً وسبعاً ، وهذه آثارٌ صحيحةٌ فلا موجب للمنع منها والنبيُّ ﷺ لم يمنع ممّا زاد على الأربع بل فعله هو وأصحابه من بعده ، والذين منعوا من الزّيادة على الأربع منهم من احتجّ بحديث ابن عباس : إنّ آخر جنازة صلى عليها النبيُّ ﷺ كبّر أربعاً قالوا : وهذا آخر الأمرين وإنّما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعله ﷺ هذا ، وهذا الحديث قد قال الخلّال في العلل : أخبرني حارث قال سأل الإمام أحمد عن حديث أبي المليح عن ميمون عن ابن عبّاس فذكر الحديث فقال أحمد : هذا كذبٌ ليس له أصلٌ إنّما رواه محمّد بن زيادة الطحّان وكان يضع الحديث ، واحتجّوا بأنّ ميمون بن مهران روى عن ابن عبّاس : إنّ الملائكة لمّا صلّت على آدم عليه الصّلاة والسّلام كبّرت عليه أربعاً وقالوا : تلك سنّتكم يا بني آدم . وهذا الحديث قد قال فيه الأثر : جرى ذكر محمّد بن معاوية النيسابوري الذي كان بمكّة فسمعت أبا عبدالله قال : رأيت أحاديثه موضوعة ، فذكر منها عن أبي المليح عن ميمون بن مهران عن ابن عبّاس : إنَّ الملائكة لمّا صلّت على آدم فكبّرت عليه أربعاً . واستعظمه أبو عبدالله وقال : أبو المليح كان أصحُّ حديثاً وأتقى لله من أن يروي مثل هذا . واحتجّوا بما رواه البيهقي من حديث يحيى عن أُبيّ عن النبيِّ ﷺ : إنَّ الملائكة لمّا صلّت على آدم فكبّرت عليه أربعاً وقالت هذه سنّتكم يا بني آدم . وهذا لا يصحُّ . وقد روي مرفوعاً وموقوفاً . وكان أصحاب معاذ يكبّرون خمساً قال علقمة : قلت لعبدالله : إنَّ ناساً من أصحاب معاذ قدموا من الشام فكبّروا على ميّت لهم خمساً . فقال عبدالله : ليس على الميّت في التكبير وقتٌ ، كبِّر ما كبَّر الإمام فإذا انصرف الإمام فانصرف .

هذا نصُّ كلام ابن القيِّم وفيه فوائد .

---

(١) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٧ ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٣ ص ١٥٧ نقلاً عن ابن المنذر .

٧٥ ـ الخليفة ومسائل ملك الرّوم :

أخرج أحمد ـ إمام الحنابلة ـ في الفضائل قال : حدَّثنا عبدالله القواريري ثنا مؤمل عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيّب قال : كان عمر بن الخطاب يقول : أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن ، قال ابن المسيّب : ولهذا القول سببٌ وهو : أنَّ ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على الصّحابة فلم يجد عندهم جواباً فعرضها على أمير المؤمنين فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن جواب .

[ذكر المسائل] قال ابن المسيِّب : كتب ملك الرّوم إلى عمر رضي الله عنه : من قيصر ملك بني الأصفر إلى عمر خليفة المؤمنين ـ المسلمين ـ أمّا بعدُ : فإنّي مسائلك عن مسائل فأخبرني عنها : ما شيء لم يخلقه الله ؟ وما شيء لم يعلمه الله ؟ وما شيء ليس عند الله ؟ وما شيء كلّه فمٌ ؟ وما شيء كلّه رجل ؟ وما شيء كلّه عينٌ ؟ وما شيء كلّه جناحٌ ؟ وعن رجل لا عشيرة له ؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحمٌ ؟ وعن شيء يتنفّس وليس فيه روحٌ ؟ وعن صوت الناقوس ماذا يقول ؟ وعن ظاعن ظعن مرَّة واحدة ؟ وعن شجرة يسير الرّاكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها ما مثلها في الدنيا ؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشّمس إلاّ مرَّة واحدة ؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء ؟ وعن أهل الجنَّة فإنّهم يأكلون ويشربون ولا يتغوّطون ولا يبولون ما مثلهم في الدنيا ؟ وعن موائد الجنَّة فإنَّ عليها القصاع في كلِّ قصعة ألوانٌ لا يخلط بعضها ببعض ما مثلها في الدنيا ؟ وعن جارية تخرج من تفّاحة في الجنَّة ولا ينقص منها شيء ؟ وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد ؟ وعن مفاتيح الجنَّة ما هي ؟ فقرأ عليٌّ عليه السلام الكتاب وكتب في الحال خلفه .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد : فقد وقفت على كتابك أيّها الملك وأنا أُجيبك بعون الله وقوته وبركته وبركة نبيّنا محمَّد ﷺ . أمّا الشيء الذي لم يخلقه الله تعالىٰ : فالقرآن لأنَّه كلامه وصفته ، وكذا كتب الله المنزلة والحقُّ سبحانه قديمٌ كذا صفاته . وأمّا الذي لا يعلمه الله فقولكم : له ولدٌ وصاحبةٌ وشريكٌ ، ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه

من إلـه لم يلد ولم يولـد . وأمّا الـذي ليس عنـد الله : فـالـظلم ومـا ربّـك بـظلاّم للعبيـد . وأمّا الـذي كلّه فمٌ : فالنـار تأكـل ما يُلقى فيهـا . وأمّا الـذي كلّه رجل : فالماء . وأمّـا الذي كلّه عين . فـالشّمس . وأمّا الـذي كلّه جناح : فـالريـح . وأمّا الذي لا عشيرة له : فآدم ﷺ . وأمّا الذين لم يحمل بهم رحمٌ : فعصا مـوسى ، وكبش إبـراهيم ، وآدم ، وحواء . وأمّـا الذي يتنفّس من غيـر روح فالصّبـح لقـولـه تعالىٰ : والصّبح إذا تنفّس . وأمّا الناقوس : فإنّه يقول طقّاً طقّاً ، حقّـاً حقّاً ، مهـلاً مهلاً . عدلاً عدلاً ، صدقاً صدقاً ، إنَّ الدنيا قد غرَّتنا واستهوتنا ، تمضي الدنيا قرناً قرناً ، مـا من يوم يمضي عنّـا إلاّ أوهى منّا ركنـا ، إنَّ الموت قـد أخبرنـا أنّا نـرحل فاستوطنّا . وأمّا الظاعن : فطور سيناء لمّا عصت بنو إسرائيل وكان بينه وبين الأرض المقـدَّسة أيّـام فقلع الله منه قـطعةً وجعـل لها جنـاحين من نور فنتقـه عليهم فذلـك قوله :﴿وإذنتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة وظنّوا أنّه واقعٌ بهم﴾. وقـال لبني إسرائيـل إن لم تؤمنـوا وإلاّ أوقعته عليكم . فلمّـا تابـوا ردَّه إلى مكانـه . وأمّا المكـان الـذي لم تطلع عليه الشّمس إلاّ مرَّة واحدة فأرض البحر لَمّا فلقه الله لموسى ﷺ وقام الماء أمثال الجبال ويبست الأرض بـطلوع الشمس عليها ثمَّ عـاد ماء البحـر إلى مكانـه . وأمّـا الشجرة التي يسيـر الراكب في ظلّهـا مائـة عـام : فشجـرة طـوبى وهي سـدرة المنتهى في السَّماء السابعة إليها ينتهي أعمـال بني آدم وهي من أشجار الجنّـة ليس في الجنَّـة قصرٌ ولا بيت إلاّ وفيـه غصنٌ من أغصانهـا ، ومثلهـا في الـدُّنيـا الشمس أصلها واحدٌ وضوئها في كلِّ مكان . وأمّا الشجرة التي نبتت من غيـر ماء : فشجـرة يونس وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى :﴿وأنبتنا عليه شجرةً من يقطين﴾. وأمّـا غذاء أهل الجنّة فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أُمّه فإنّه يغتذي من سرَّتهـا ولا يبول ولا يتغوَّط . وأمّا الألوان في القصعة الواحدة : فمثله في الدنيا البيضة فيها لـونان أبيض وأصفـر ولا يختلطان . وأمّا الجـارية التي تخـرج من التفّاحـة : فمثلهـا في الـدنيـا الدودة تخرج من التفّـاحة ولا تتغيَّـر . وأمّا الجـارية التي تكـون بين اثنين : فالنخلة التي تكـون في الدنيـا لمؤمن مثلي ولكافـر مثلك وهي لي في الآخرة دونـك ، لأنّها في الجنَّة وأنت لا تدخلهـا ، وأمّا مفـاتيح الجنّـة : فلا إلـه إلاّ الله ، محمّد رسـول الله .

قال ابن المسيّب . فلمّا قرأ قيصر الكتاب قال : ما خرج هذا الكلام إلاّ من بيت النبوّة ثمّ سأل عن المجيب فقيل له : هذا جواب ابن عمّ محمّد ﷺ فكتب إليه : سلامٌ عليك . أمّا بعد : فقد وقفت على جوابك ، وعلمت أنك من أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرّسالة ، وأنت موصوفٌ بالشجاعة والعلم ، وأُوثر أن تكشف لي عن مذهبكم والرّوح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله : ﴿**ويسألونك عن الرُّوح قل الرّوح من أمر ربّي**﴾ فكتب إليه أمير المؤمنين : أمّا بعد : فالرّوح نكتةٌ لطيفةٌ ، ولمعةٌ شريفةٌ ، من صنعة باريها وقدرة منشئها ، أخرجها من خزائن ملكه وأسكنها في ملكه فهي عنده لك سببٌ ، وله عندك وديعةٌ ، فإذا أخذت مالك عنده أخذ ماله عندك ، والسّلام .

زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي ، وتذكرة خواصّ الأُمّة لسبط ابن الجوزي الحنفي ص ٨٧ .

٧٦ ـ موقف الخليفة في الأحكام :

عن ابن أُذينة العبدي قال : أتيت عمر فسألته من أين أعتمر ؟ قال : ائت عليّاً فسله . فأتيته فسألته فقال لي عليٌّ : من حيث أبدأت ـ يعني ميقات أرضه[1] قال : فأتيت عمر فذكرت له ذلك فقال : ما يجد لك إلاّ ما قال إبن أبي طالب . أخرجه ابن حزم في «المحلّى» ج ٧ ص ٧٦ مسنداً معنعناً . وذكره .

أبو عمرو بن السّمان في الموافقة كما في الرّياض النضرة ج ٢ ص ١٩٥ ، وذخائر العقبى ص ٧٩ ، ذكره محبّ الدين الطبري في [اختصاص أمير المؤمنين بإحالة جمع من الصّحابة عند سؤلهم عليه] وعدَّ منهم معاوية وعائشة وعمر فأخرج من طريق أحمد في حديث : كان عمر إذا أشكل عليه شيءٌ أخذه منه ، ثمَّ ذكر جملة من مراجعات عمر إليه سلام الله عليه ، فأين أعلميَّة عمر المزعومة لموسى الوشيعة أو لغيره من أعلام القوم ؟

---

(١) قال ابن حزم في المحلى : هكذا في الحديث نفسه .

٧٧ - رأي الخليفة في المناسك :

أخرج مالك - إمام المالكية - عن عبدالله بن عمر : إنَّ عمر بن الخطاب خطب النّاس بعرفة وعلّمهم أمر الحجِّ وقال لهم فيما قال : إذا جئتم منى فمن رمى الجمرة فقد حلَّ له ما حرم على الحاجِّ إلاّ النساء والطيب لا يمسّ أحدٌ نساءً ولا طيباً حتّى يطوف في البيت .

وفي حديثه الآخر : إنَّ عمر بن الخطاب قال : من رمى الجمرة ثمّ حلق أو قصَّر ونحر هدياً إن كان معه فقد حلّ له ما حرم إلاّ النساء والطيب حتّى يطوف بالبيت .

وفي لفظ أبي عمر :

عن سالم بن عمر عن أبيه قال عمر : إذا رميتم الجمرة سبع حصيات وذبحتم وحلقتم فقد حلَّ لكم كلُّ شيء إلاّ الطيب والنساء . قال سالم : وقالت عائشة : أنا طيّبت رسول الله ﷺ لحلّه قبل أن يطوف بالبيت . قال سالم : فسنَّة رسول الله ﷺ أحقُّ أن تتّبع(١) .

قال صاحب [إزالة الخفاء] بعد ذكر الحديثين الأوَّلين : قلت ترك الفقهاء قوله [والطيب] لما صحَّ عندهم من حديث عائشة وغيرها : أنَّ النبيَّ ﷺ تطيَّب قبل طواف الإفاضة .

قال الأميني : واهاًالأُمّة يعلّمهم المناسك من لا يعلم ما به يحلُّ للمحرم ما حرم عليه ، ومرحباً بخليفة ترك الفقهاء قوله مهما وجدوه خلاف السنّة النبويّة ، وقد ثبتت بحديث عائشة وغيرها أخرجه أئمّة الصِّحاح والمسانيد كالبخاري في صحيحه ج ٤ ص ٥٨ ، ومسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٣٠ ، والترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٧٣ ، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٢٧٥ ، والدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٢ ، وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٢١٧ ، والنسائي في سننه ج ٥ ص ١٣٧ ، والبيهقي

---

(١) موطأ مالك ج ١ ص ٢٨٥ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٧٣ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٠٤ ، جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٩٧ ، وفي مختصره ص ٢٢٦ ، الإجابة للزركشي ص ٨٨ .

في سننه ج ٥ ص ٢٠٥ أضف إليها جلّ جوامع الحديث والكتب الفقهيّة لولا كلّها .

وأخرج البيهقي مثل حديث عائشة عن ابن عبّاس وذكره الزركشي في «الإجابة» ص ٨٩ .

٧٨ ـ اجتهاد الخليفة في الخمر وآياتها :

١ ـ قال الزمخشري في ربيع الأبرار في باب اللهو واللّذات والقصف واللعب[١] وشهاب الدين الأبشيهي في «المستطرف» ج ٢ ص ٢٩١ : قد أنزل الله تعالىٰ في الخمر ثلاث آيات : الأولى قوله تعالىٰ : **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للنّاس﴾** . الآية[٢] فكان من المسلمين مِن شارب ومن تارك إلى أن شرب رجلٌ فدخل في الصَّلاة فهجر فنزل قوله تعالىٰ : **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تقربوا الصَّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون[٣]﴾** فشربها مَن شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحى بعير وشجَّ به رأس عبد الرَّحمٰن بن عوف ثمَّ قعد ينوح على قتلى بدر بشعر اسود بن يعفر يقول :

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
وكائن بالقليب قليب بدر ... من الشيزى المكلّل بالسنام[٤]
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيى ... وكيف حياة أصداء وهام ؟
أيعجز أن يردّ الموت عنّي ... وينشرني إذا بُليتْ عظامي ؟
ألا من مبلغ الرَّحمن عنّي ... بأنّي تاركٌ شهر الصِّيام ؟
فقل لله : يمنعني شرابي ... وقل لله : يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً يجرُّ رداءه فرفع شيئاً كان في يده فضربه به فقال : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فأنزل الله تعالىٰ : **﴿إنّما**

---

(١) وقفنا من الكتاب على عدة نسخ في مكتبات العراق وإيران .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٩ .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٤٣ .

(٤) هذا البيت لا يوجد في المستطرف .

يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلاة فهل أنتم منتهون[1]﴾ فقال عمر رضي الله عنه : إنتهينا انتهينا .

ورواه الطبري في تفسيره ج ٢ ص ٢٠٣ بتغيير في أبياته غير أنَّ فيه مكان عمر في الموضع الأوَّل [رجلٌ] .

٢ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لمّا نزل تحريم الخمر قال عمر : أللّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في البقرة :﴿يسألونكعن الخمروالميسر﴾ .قال فدُعي عمر فقرئت عليه فقال : أللّهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في النساء : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصَّلاة وأنتم سكارى﴾ . فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أُقيمت الصَّلاة ينادي : ألا لا يقربنَّ الصَّلاة سكرانٌ . فدُعي عمر فقرئت عليه فقال : اللَّهُمَّ بيِّن لنا بياناً شافياً . فنزلت : ﴿إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة فهل أنتم منتهون﴾ . قال عمر : إنتهينا ، إنتهينا .

أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ١٢٨ ، وأحمد في المسند ج ١ ص ٥٣ ، والنسائي في السنن ج ٨ ص ٢٨٧ ، والطبري في تاريخه ج ٧ ص ٢٢ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ٢٨٩ ، والجصّاص في أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٥ ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٢٧٨ ، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي في تلخيصه ، والقرطبي في تفسيره ج ٥ ص ٢٠٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٥٥ ، ٥٠٠ ، وج ٢ ص ٩٢ نقلاً عن أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه وعليّ بن المديني وقال : قال عليّ بن المديني : إسنادٌ صالحٌ صحيحٌ وذكر تصحيح الترمذي وقرَّره . ويوجد في تيسير الوصول ج ١ ص ١٢٤ ، وتفسير الخازن ج ١ ص ٥١٣ ، وتفسير الرازي ج ٣ ص ٤٥٨ ، وفتح الباري ج ٨ ص ٢٢٥ ، والدرّ المنثور ج ١ ص ٢٥٢ نقلاً عن ابن أبي شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي . وأبي يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٩١ .

حاتم ، والنحّاس في ناسخه ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، والبيهقي ، والضياء المقدسي في المختارة .

٣ ـ عن سعيد بن جبير : كان الناس على أمر جاهليّتهم حتّى يُؤمروا أو يُنهوا فكانوا يشربونها أوَّل الإسلام حتّى نزلت : **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للنّاس﴾** . قالوا : نشربها للمنفعة لا للإثم فشربها رجلٌ[1] فتقدَّم يصلّي بهم فقرأ : قل يا أيّها الكافرون أعبد ما تعبدون . فنزلت : **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصَّلاة وأنتم سكارى﴾** . فقالوا : نشربها في غير حين الصَّلاة . فقال عمر : أللهمَّ أنزل علينا في الخمر بياناً شافياً فنزلت : **﴿إنّما يريد الشيطان﴾** . الآية . فقال عمر ، انتهينا ، انتهينا . تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٠٠ .

٤ ـ عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي الله عنه : أللهمَّ بيِّن لنا في الخمر . فنزلت : **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون﴾** . الآية . فدعا النبيُّ ﷺ عمر فتلاها عليه فكأنَّها لم توافق من عمر الذي أراد فقال : أللهمَّ بيِّن لنا في الخمر فنزلت : **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافع للناس﴾** . الآية . فدعا النبيُّ ﷺ عمر فتلاها عليه فكأنّها لم توافق من عمر الذي أراد فقال : أللهمَّ بيِّن لنا في الخمر فنزلت : **﴿يا أيّها الذين آمنوا إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشَّيطان فاجتنبوه﴾** . حتّى انتهى إلى قوله : فهل أنتم منتهون . فدعا النبيُّ ﷺ عمر فتلاها عليه فقال عمر : إنتهينا يا ربّ .

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ٤ ص ١٤٣ وصحّحه هو والذهبي في تلخيصه ، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ١٧٦ من طريق عمرو بن شرحبيل ، وذكره الآلوسي في «روح المعاني» ج ٧ ص ١٥ طبع المنيريَّة .

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن عوف في صلاة المغرب . أخرج حديثه الجصاص في أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٥ ، والحاكم في المستدرك ج ٤ ص ١٤٢ وقال في ج ٢ ص ٣٠٧ : إن الخوارج تنسب هذا السكر وهذه القراءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب دون غيره وقد برأه الله منها فإنه راوي هذا الحديث .

٥ - وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : لَمّا نزلت﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس﴾ . شربها قومٌ لقوله : منافع للناس . وتركها قومٌ لقوله : إثمٌ كبير . منهم عثمان بن مظعون[1] حتّى نزلت الآية التي في النساء ﴿لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى﴾ فتركها قومٌ وشربها قومٌ يتركونها بالنهار حين الصّلاة ويشربونها بالليل حتّى نزلت الآية التي في المائدة : ﴿إنّما الخمر والميسر﴾ . الآية ، قال عمر : أقرنت بالميسر والأنصاب والأزلام ؟ بُعداً لك وسحقاً فتركها الناس .

وأخرج الطبري عن سعيد بن جبير ما يقرب منه وفي آخره : حتّى نزلت : ﴿إنّما الخمر والميسر﴾ . الآية، فقال عمر : ضيعة لك اليوم قرنت بالميسر .

وأخرج ابن المنذر عن محمّد بن كعب القرظي حديثاً فيه : ثمَّ نزلت الرابعة التي في المائدة فقال عمر بن الخطاب : إنتهينا يا ربّنا[2] .

قال الأميني : لم نرم بسرد هذه الأحاديث إثبات شرب الخمر على الخليفة أيّام الجاهليّة إذ الإسلام يجبُّ ما قبله ، ﴿وليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتّقوا وآمنوا ، ثمَّ اتّقوا وأحسنوا ، والله يحبُّ المحسنين﴾ بل الغاية المتوخّاة إيقاف القارىء على مبلغ علم الخليفة بالكتاب ، وحدِّ عرفانه مغازي آيات الله وأنّه لم يكن يعرف الحظر من قوله تعالىٰ : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير﴾ . وقد نزل بياناً للنهي عنها ، وعرفته الصّحابة منه وقالت عائشة : لمّا نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك[3] ولا يكون بيان

---

(١) هذا افتراء على ذلك الصحابي العظيم وقد نص أئمة التاريخ والحديث على أنه ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وقال : لا أشرب شراباً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي . راجع الإستيعاب ج ٢ ص ٤٨٢ ، والدر المنثور ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٣) أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ ص ٣٥٨ ، وحكاه عنه السيوطي في الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ .

شاف في مقام الإعراب عن الخطر والحظر أولى منها ولاسيّما بملاحظة أمثال قوله تعالىٰ : ﴿إنّما حرَّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي﴾ . من الآيات الواردة في الإثم فقد حرَّمت بكلٍّ صراحة الإثم الذي هتفت الآية الأولى بوجوده في الخمر ، والإثم : الذنب ، والآثم والأثيم الفاجر . وقد يطلق على نفس الخمرة كقول الشاعر :

نشرب الإثم بالصواع جهاراً ... وترى المسك بيننا مستعارا

وقول الآخر :

شربت الإثم حتّى ضلَّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول[1]

وليست منافع الخمر إلّا أثمانها قبيل تحريمها وما يصلون إليه بشربها من اللذّة وقد نصَّ على هذا كما في تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٠٢ .

وقال الجصّاص في أحكام القرآن ج ١ ص ٣٨٠ : هذه الآية قد اقتضت تحريم الخمر ، لو لم يرد غيرها في تحريمها لكانت كافيةً مغنيةً ، وذلك لقوله : ﴿قل فيهما إثمٌ كبير﴾ والإثم كلّه محرَّم بقوله تعالىٰ : ﴿قل إنّما حرَّم ربِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾ فأخبر أنَّ الإثم محرَّمٌ ولم يقتصر على إخباره بأنَّ فيها إثماً حتّى وصفه بأنَّه كبيرٌ تأكيداً لحظرها . وقوله : منافع للناس . لا دلالة فيه على إباحتها لأنَّ المراد منافع الدنيا وإنَّ في سائر المحرَّمات منافع لمرتكبيها في دنياهم إلّا أنَّ تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب المستحق بارتكابها ، فذكره لمنافعها غير دالّ على إباحتها لاسيّما وقد أكّد حظرها مع ذكر منافعها بقوله في سياق الآية ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ يعني أنَّ ما يستحقُّ بهما من العقاب أعظم من النفع العاجل الذي ينبغي منهما .

فإن قيل : ليس في قوله تعالىٰ ﴿فيهما إثمٌ كبير﴾ دلالة على تحريم القليل منها و مراد الآية ما يلحق من المآثم بالسكر وترك الصّلاة والمواثبة والقتال فإذا

---

(١) لسان العرب ج ١٤ ص ٢٧٢ ، تاج العروس ج ٨ ص ١٧٩ .

حصل المأثم بهذه الأمور فقد وفينا ظاهر الآية مقتضاها من التحريم ولا دلالة فيه على تحريم القليل منها .

قيل له : معلومٌ أنَّ في مضمون قوله : فيهما إثمٌ كبيرٌ . ضمير شربها لأنَّ جسم الخمر هو فعل الله تعالىٰ ولا مأثم فيها وإنَّما المأثم مستحقّ بأفعالنا فيها ، فإذا كان الشرب مضمراً كان تقديره في شربها وفعل الميسر إثمٌ كبيرٌ فيتناول ذلك شرب القليل منها والكثير كما لو حرمت الخمر لكان معقولاً أنَّ المراد به شربها والإنتفاع بها فيقتضي ذلك تحريم قليلها وكثيرها . ا هـ .

فهذه كلّها عزبت عن الخليفة وكان يتطلّب البيان الشافي بعد هذه الآية وآية النساء بقوله : أللهمَّ بيِّن لنا بياناً شافياً . وما انتهى عنها إلّا بعد لأي من عمر الدهر بعد نزول قوله تعالىٰ : ﴿فهل أنتم منتهون﴾ . قال القرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٢٩٢ : لمّا علم عمر رضي الله عنه أنَّ هذا وعيدٌ شديدٌ زائدٌ ، على معنى انتهوا قال : انتهينا .

وقال ابن جزي الكلبي في تفسيره ج ١ ص ١٨٧ : فيه توقيفٌ يتضمَّن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لمّا نزلت : انتهينا انتهينا .

وقال الزمخشري في الكشّاف ج ١ ص ٤٣٣ : من أبلغ ما يُنهى به كأنَّه قيل : قد تلي عليكم ما فيها من أنواع الصَّوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصَّوارف منتهون ؟ أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا ؟

وقال البيضاوي في تفسيره ج ١ ص ٣٥٧ : في قوله [فهل أنتم منتهون] إيذاناً بأنَّ الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأنَّ الأعذار قد انقطعت .

وما كان ذلك التأويل من الخليفة وطلبُ البيان بعد البيان ، وعدم الإنتهاء قبل الزجر والوعيد إلّا لحبِّه لها وكونه أشرب الناس في الجاهليَّة كما ينمُّ عنه قوله فيما أخرجه ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٣٦٨ : كنت للإسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهليَّة أُحبها وأشربها وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحزورة[1] عند دور عمر بن عبد بن عمران المخزومي فخرجت ليلة أُريد جلسائي

(١) الحزورة : كانت سوقاً من أسواق مكة وهي الآن جزء من المسجد .

أولئك في مجلسهم ذلك فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أنّي جئت فلاناً الخمار وكان بمكّة يبيع الخمر لعلّي أجد عنده خمراً فأشرب منها . الحديث .

فيما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ١٠ ص ٢١٤ عن عبدالله بن عمر من قول والده في أيّام خلافته : إنّي كنت لأشرب الناس لها في الجاهليّة وإنّها ليست كالزنا[١] .

ومن هنا خُصّ الخليفة بالدعوة وقراءة النبيِّ الأعظم عليه الآيات النازلة في الخمر وكان ممّن يؤولها ولم ينته عنها إلى أن نزل الزجر والوعيد بآية المائدة وهي آخر سورة نزلت من القرآن[٢] ومنها ما نزل في حجّة الوداع[٣] وفي الدرّ المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن محمّد بن كعب القرظي أنّه قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله في حجّة الوداع فيما بين مكّة والمدينة وهو على ناقته . ويروى : أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة المائدة في حجّة الوداع وقال : يا أيُّها الناس إنَّ سورة المائدة آخر ما نزل فأحلّوا حلالها وحرِّموا حرامها

[تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣١] .

وبعد هذه كلّها لم يكن الخليفة يعلم أن شرب الخمر من أعظم الكبائر كما تُعرب عنه صحيحة الحاكم عن سالم بن عبدالله قال : إنّ أبا بكر وعمر وناساً جلسوا بعد وفاة النبيِّ ﷺ فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علمٌ فأرسلوني إلى عبدالله بن عمرو أسأله فأخبرني أنَّ أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك ووثبوا جميعاً حتّى أتوه في داره فأخبرهم أنَّ رسول الله ﷺ قال : إنَّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيَّره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو

---

(١) وراجع سيرة عمر لابن الجوزي ص ٩٢ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٠٧ ، منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٢٨ ، الخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار ص ٢٣٨ .

(٢) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣١١ ، جامع الترمذي ج ٢ ص ١٧٨ ، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ ، نقلاً عن أحمد ، والترمذي ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذري .

(٣) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٠ ، وإرشاد الساري ج ٧ ص ٩٥ .

يزني أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وإنّه لمّا شربه لم يمتنع من شيء أراده منه .

مستدرك الحاكم ج ٤ ص ١٤٧ ، الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠٥ ، الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢٣ .

ولإعتياده بها منذ مدّة غير قصيرة إلى نزول آية المائدة في حجّة الوداع طفق يشرب النبيذ الشديد بعد نزول ذلك الوعيد ، وبعد قوله : انتهينا انتهينا . وكان يقول : إنّا نشرب هذا الشراب الشديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن تؤذينا فمن رابه من شرابه شيءٌ فليمزجه بالماء(١) .

وقال : إنّي رجلٌ معجار البطن أو مسعار البطن وأشرب هذا النبيذ الشديد فيسهل بطني . أخرجه إبن أبي شيبة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٠٩ .

وقال : لا يقطع لحوم هذه الإبل في بطوننا إلاّ النبيذ الشديد .

[جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ١٩٠ ، ٢١٥]

وكان يشرب النبيذ الشديد إلى آخر نفس لفظه قال عمرو بن ميمون : شهدت عمر حين طُعن أُتي بنبيذ شديد فشربه .

[طب ج ٦ ص ١٥٦] .

وكان حدّة شرابه وشدّته بحيث لو شرب غيره منه لسكر وكان يقيم عليه الحدّ غير أنّ الخليفة كان لم يتأثّر منه لاعتياده أو كان يكسره ويشربه قال الشعبي : شرب أعرابيٌّ من أداوة عمر فأغشي فحدّه عمر . ثم قال : وإنّما حدّه للسكر لا للشّرب .

[العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٦] .

وفي لفظ الجصّاص في أحكام القرآن ج ٢ ص ٥٦٥ : إنّ أعرابيّاً شرب

---

(١) السنن الكبرى ج٨ ص ٢٩٩ ، محاضرات الراغب ج ١ ص ٣١٩ ، كنز العمال ج ٢ ص ١٠٩ نقلاً عن ابن أبي شيبة .

من شراب عمر فجلده عمر الحدَّ فقال الأعرابيُّ : إنّما شربت من شرابك . فدعا عمر شرابه فكسره بالماء ثمَّ شرب منه،وقال:من رابه شرابه في شيء فليكسره بالماء ثم قال الجصّاص : ورواه إبراهيم النخعي عن عمر نحوه وقال فيه : إنَّه شرب منه بعدما ضرب الأعرابي .

وفي جامع مسانيد أبي حنيفةج ٢ ص ١٩٢ قال : هكذا فاكسروه بالماء إذا غلبكم شيطانه وكان يحبُّ الشراب الشديد .

وعن ابن جريج : إنَّ رجلاً عبَّ في شراب نبيذ لعمر بن الخطاب بطريق المدينة فسكر فتركه عمر حتّى أفاق فحدَّه ثمَّ أوجعه عمر بالماء فشرب منه(١) .

وعن أبي رافع : إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا خشيتم من نبيذ شدَّته فاكسروه بالماء . أخرجه النسائي في سننه ج ٨ ص ٣٢٦ وعدَّه ممّا احتجَّ به من أباح شرب المسكر .

وأخرج القاضي أبو يوسف في كتاب الآثار ص ٢٢٦ من طريق أبي حنيفة عن إبراهيم أبي عمران الكوفي التابعي قال : إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ رجلاً سكراناً فأراد أن يجعل له مخرجاً فأبى إلاّ ذهاب عقل ، فقال : احبسوه فإذا صحا(٢) فاضربوه ثمَّ أخذ فضل إداوته فذاقه فقال : أوه هذا عمل بالرجال العمل ثمّ صبَّ فيه ماءً فكسره فشرب وسقى أصحابه وقال : هكذا اصنعوا بشرابكم إذا غلبكم شيطانه .

ومن العجيب حدُّ من شرب من اداوة عمر فسكر لأنّه إن كان لا يعلم أنّ ما في الاداوة مسكر وشرب فلا حدّ عليه كما أخرجه أبو عمر في «العلم» ج ٢ ص ٨٦ ومرّ ص ٢١٠ عن الخليفة نفسه من قوله : ما الحدّ إلاّ مَن علمه . وإن كان يعلم ذلك فإنّ له في شرابه أُسوة بالخليفة ، والفرق بينهما بأنّه أسكره ولم يكن يسكر الخليفة لاعتياده به تافهٌ ، فكأنّ المدار عند الخليفة في حليَّة الأشربة والحدّ عليها

---

(١) حاشية سنن البيهقي لابن التركماني ج ٨ ص ٣٠٦ ، كنز العمال ج ٣ ص ١١٠ .
(٢) صحا السكران صحواً: زال سكره .

على الإسكار وعدمه بالإضافة إلى شخص كلّ شارب وينبىء عنه قوله : الخمر ما خامر العقل(١) والحدّ والحرمة مطلقان لكلّ مسكر وإن قورنت صفة الإسكار بمانع من خصوصيّات الأمزجة أو لقلّة في الشرب فالصفة صلتها بالمشروب فحسب لا الشارب ويدلّ على ذلك أحاديث جمّة صحيحة تدلّ على أنّ القليل الذي لا يسكر ممّا يسكر كثيره حرامٌ مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره .

أخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ١١٣ ، والنسائي في سننه ج ٨ ص ٣٠١ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ٢٩٦ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من طريق جابر ، وابن عمر : ما أسكر كثيره فقليله حرام .

أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ١٢٩ ، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ١٦٧ ، ج ٣ ص ٣٤٣ والترمذي في صحيحه ج ١ ص ٣٤٢ ، وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٣٣٢ ، والنسائي في سننه ج ٨ ص ٣٠٠ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ٢٩٦ ، والبغوي في مصابيح السنّة ج ٢ ص ٦٧ ، والخطيب في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٢٧ .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : كلّ مسكر حرامٌ أسكر منه الفرق(٢) فملء الكفّ منه حرامٌ وفي لفظ آخر : ما أسكر منه الفرق فالحسوة منه حرام .

أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ١٣٠ ، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٣٤٢ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ٢٩٦ ، والبغوي في مصابيح السنّة ج ٢ ص ٦٧ ، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٦ ص ٢٢٩ ، وابن الأثير في جامع الأصول كما في التيسير ج ٢ ص ١٧٣ .

عن سعد : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره .

أخرجه النسائي في سننه ج ٨ ص ٣٠١ .

(١) أخرجه الخمسة من أئمة الصحّاح الست كما في تيسير الوصول ج ٢ ص ١٧٤ .
(٢) الفرق بفتح الراء وسكونها : إناء يسع ستة عشر رطلاً . والحسوة : الجرعة من الماء .

وقال السندي في شرح سنن النسائي : أي ما يحصل السكر بشرب كثيره فهو حرام قليله وكثيره وإن كان قليله غير مسكر وبه أخذ الجمهور وعليه الإعتماد عند علمائنا الحنفيَّة والإعتماد على القول بأنّ المحرَّم هو الشربة المسكرة وما كان قبلها فحلالٌ قد ردّه المحققون كما ردّه المصنّف رحمه الله تعالى .

وفي تفسير الطبري ج ٢ ص ١٠٤ عن قتادة : جاء تحريم الخمر في آية سورة المائدة ، قليلها وكثيرها ما أسكر منها وما لم يسكر . وأخرجه عبد بن حميد كما في الدرِّ المنثور ج ٢ ص ٣١٦ .

أخرج أبو حنيفة[١] بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله : حرمت الخمر لعينها القليل منها والكثير ، والمسكر من كلِّ شراب .

ورواه الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ١٩٠ عن ابن عبّاس ولفظه : حرمت الخمرة بعينها ، قليلها وكثيرها والمسكر من كلِّ شراب .

وإنّما أحلَّ عمر الطلاء حين طبخ وذهب ثلثاه ولَمّا قدم الشام شكوا له وباء الأرض إلى أن قالوا : هل لك أن نجعل لك من هذا الشراب شيئاً لا يسكر ؟ قال : نعم فطبخوه حتّى ذهب منه الثلثان وبقي الثلث فأمرهم عمر أن يشربوه وكتب إلى عمّاله أن يرزقوا الناس الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه[٢] .

وقال محمود بن لبيد الأنصاري : إنَّ عمر بن الخطاب حين قدم الشام شكا إليه أهل الشام وباء الأرض وثقلها وقالوا : لا يصلحنا إلاّ هذا الشراب فقال عمر : إشربوا هذا العسل . قالوا : لا يصلحنا العسل . فقال رجلٌ من أهل الأرض : هل لك أن نجعل لك من هذا الشَّراب شيئاً لا يسكر ؟ قال : نعم . فطبخوه حتّى ذهب منه الثلثان وبقي الثلث فأتوا به عمر فأدخل فيه عمر إصبعه ثمَّ رفع يده فتبعها يتمطَّط ، فقال : هذا الطلاء هذا مثل طلاء الإبل فأمرهم عمر أن يشربوه ، فقال له عبادة بن

---

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ١٨٣ .

(٢) سنن البيهقي ج ٨ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، سنن النسائي ج ٨ ص ٣٢٩ ، سنن سعيد بن منصور كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ١٧٨ ، جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ١٩١ .

الصّامت : أحللتها والله ، فقال عمر : كلّا والله ، أللهمّ ! إنّي لا أُحلّ لهم شيئاً حرّمته عليهم ، ولا أُحرّم عليهم شيئاً أحللته لهم . أخرجه إمام المالكيّة مالك في الموطأ ج ٢ ص ١٨٠ في جامع تحريم الخمر .

فحجّ أبو مسلم الخولاني فدخل على عائشة زوج النبيِّ ﷺ فجعلت تسأله عن الشام وعن بردها فجعل يخبرها فقالت : كيف تصبرون على بردها ؟ فقال : يا أُمّ المؤمنين إنّهم يشربون شراباً لهم يُقال له : الطلاء . فقالت : صدق الله وبلّغ حبّي سمعت حبّي رسول الله ﷺ يقول : إنّ أُناساً من أُمّتي يشربون الخمر يسمّونها بغير اسمها[1] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ القوم سيفتنون بعدي بأموالهم ، ويمنّون بدينهم على ربّهم ويتمنّون رحمته ، ويأمنون سطوته ، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة ، والأهواء الساهية ، فيستحلّون الخمر بالنبيذ ، والسحت بالهديّة ، والربا بالبيع . نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٥ .

وسُئل ابن عبّاس عن الطلاء فقال : وما طلاؤكم هذا إذ سألتموني ؟ فبيِّنوا لي الذي تسألوني عنه . قالوا : هو العنب يعصر ثمّ يطبخ ثمّ يجعل في الدنان . قال : وما الدنان ؟ قالوا : ادنان مقيّرة . قال : مزفّته؟ قالوا : نعم . قال : أيسكر ؟ قالوا : إذا أكثر منه أسكر قال : فكلّ مسكر حرامٌ .

وقبل هذه كلّها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اجتنب كلّ مسكر ينش[2] قليله وكثيره . أخرجه النسائي في سننه ج ٨ ص ٣٢٤ ، وحكاه عنه ابن الديبع في تيسير الوصول ج ٢ ص ١٧٢ .

هذه آراءٌ من شتّى النواحي في باب الأشربة تخصّ بالخليفة لا تساعده فيها البرهنة الشرعيّة من الكتاب والسنّة بل هي فتنةٌ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون .

---

(١) وفي لفظ أبي نعيم : ستشرب أُمتي من بعدي الخمر يسمونها بغير إسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم . الإصابة ج ٣ ص ٥٤٦ .

(٢) ينش : أي يغلي .

٧٩ ـ جهل الخليفة بالغسل من الجنابة :

عن رفاعة بن رافع قال : بينا أنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ دخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا زيد بن ثابت يفتي الناس في المسجد برأيه في الغسل من الجنابة ـ في الذي يجامع ولا ينزل ـ فقال عمر : عليَّ به . فجاء زيد فلمّا رآه عمر قال : أي عدوَّ نفسه قد بلغت أنّك تفتي الناس برأيك فقال : يا أمير المؤمنين ! بالله ما فعلت لكنّي سمعت من أعمامي حديثاً فحدَّثت به من أبي أيّوب ومن أُبيٍّ بن كعب ومن رفاعة بن رافع فأقبل عمر على رفاعة بن رافع فقال : وقد كنتم تفعلون ذلك إذا أصاب أحدكم من المرأة فأكل لم يغتسل ؟ فقال : قد كنّا نفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ فلم يأتنا فيه تحريمٌ ولم يكن من رسول الله ﷺ فيه نهيٌ . قال : الرسول ﷺ يعلم ذلك ؟ قال : لا أدري . فأمر عمر بجمع المهاجرين والأنصار فجمعوا له فشاورهم فأشار الناس أن لا غسل في ذلك إلاّ ما كان من معاذ وعليّ رضي الله عنهما فإنّهما قالا : إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل . فقال عمر رضي الله عنه : هذا وأنتم أصحاب بدر وقد اختلفتم فمن بعدكم أشدّ اختلافاً . قال فقال عليٌّ رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ! إنّه ليس أحدٌ أعلم بهذا ممّن سأل رسول الله ﷺ من أزواجه فأرسل إلى حفصة فقالت : لا علم لي بهذا فأرسل إلى عائشة فقالت : إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل ، فقال عمر رضي الله عنه : لا أسمع برجل فعل ذلك إلاّ أوجعته ضرباً .
وفي لفظ : لا يبلغني أنَّ أحداً فعله ولا يغتسل إلاّ أنهكته عقوبةً .

أخرجه أحمد إمام الحنابلة في مسنده ج ٥ ص ١٥ ، وابن أبي شيبة في مصنّفه وأبو جعفر الطحاوي في معاني الآثار ، وحكاه عن الأخيرين العيني في عمدة القاري ج ٢ ص ٧٢ ، وذكره القاضي أبو المجالس في ـ المعتصر من المختصر من مشكل الآثار ـ ج ١ ص ٥١ ، وأخرجه الهيثمي من طريق أحمد والطبراني في الكبير وقال : رجال أحمد كلّهم ثقات . راجع مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٦٦ ، والإجابة للزركشي ص ٨٤ .

هذه الرِّواية تنمُّ عن عدم معرفة أولئك الصّحابة الذين شاورهم الخليفة

بالحكم ـ وفي مقدّمهم هو نفسه ـ ما خلا أمير المؤمنين ومعاذ وعائشة ، وشتّان بين عدم معرفة الخليفة بمثل هذا الحكم الذي يلزم المكلّف عرفانه قبل كثير من الواجبات ، وبين عدم معرفة غيره لأنَّ به القدوة والأسوة في الأحكام دون غيره .

٨٠ ـ الخليفة وتوسيعه المسجدين :

أخرج عبد الرزّاق عن زيد بن أسلم قال . كان للعبّاس بن عبد المطلب دارٌ إلى جنب مسجد المدينة فقال عمر : بعنيها وأراد أن يدخلها في المسجد فأبى العبّاس أن يبيعها إيّاه فقال عمر : فهبها لي فأبى فقال عمر : فوسّعها أنت في المسجد . فقال عمر . لا بدَّ لك من إحداهنَّ فأبى قال : فخذ بيني وبينك رجلاً فأخذ أُبيَّ بن كعب فاختصما إليه فقال أُبيٌّ لعمر : ما أرى أن تخرجه من داره حتّى ترضيه فقال له : أرأيت قضاءَك هذا في كتاب الله وحديثه ، أم سنّة من رسول الله ﷺ ؟ قال أُبيّ : بل سنّة من رسول الله ﷺ . قال عمر : وما ذاك ! قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ سليمان بن داود لمّا بنى بيت المقدس جعل كلما بنى حائطاً أصبح منهدماً فأوصى ابنه إليه أن لا تبني في حقِّ رجل حتّى ترضيه . فتركه عمر رضي الله عنه فوسّعها العبّاس بعد ذلك في المسجد .

صورة اخرى :

أخرج ابن سعد عن سالم أبي النضر رضي الله عنه قال : لَمّا كثر المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه ضاق بهم المسجد فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلّا دور العبّاس بن عبد المطلب وحجر أُمّهات المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه للعبّاس : يا أبا الفضل . إنَّ مسجد المسلمين قد ضاق بهم وقد ابتعت ما حوله من المنازل فوسّع به على المسلمين في مسجدهم إلّا دارك وحجر أُمّهات المؤمنين ، فأمّا حجرات أُمّهات المؤمنين فلا سبيل إليها . وأمّا دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوسع بها في مسجدهم . فقال العبّاس رضي الله عنه : ما كنت لأفعل . فقال عمر رضي الله عنه : إختر منّي إحدى ثلاث : إمّا أن تبيعنيها بما شئت من مال المسلمين . وإمّا أن أعطيك حيث شئت من المدينة وابينها لك من بيت مال المسلمين . وإمّا أنّ تصدّق بها على المسلمين فيوسع بها في

مسجدهم فقال : لا ، ولا واحدة منها . فقال عمر رضي الله عنه : إجعل بيني وبينك من شئت فقال أُبيّ بن كعب رضي الله عنه فانطلقا إلى أُبيّ فقصّا عليه القصّة فقال أُبيّ رضي الله عنه : إن شئتما حدَّثتكما بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقالا : حدِّثنا فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الله أوحى إلى داود : ابن لي بيتاً أُذكر فيه فخطَّ له هذه الخطَّة خطَّة بيت المقدس فإذا بربعها زاوية بيت رجل من بني إسرائيل فسأل داود أن يبيعه إيّاه فأبى فحدّث داود نفسه أن يأخذه منه فأوحى الله إليه : أن يا داود أمرتك أن تبني لي بيتاً أُذكر فيه فأردت أن تدخل في بيتي الغصب وليس من شأني الغصب وإنَّ عقوبتك أن لا تبنيه . قال : يا ربّ فمن ولدي؟ قال: من ولدك . قال : فأخذ عمر رضي الله عنه بمجامع ثياب أُبيّ بن كعب وقال : جئتك بشيء فجئت بما هو أشدُّ منه لتخرجنّ ممّا قلت فجاء يقوده حتّى أدخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله فيهم أبو ذر رضي الله عنه فقال أُبيّ رضي الله عنه : إنّي نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يذكر حديث بيت المقدس حيث أمر الله تعالى داود أن يبنيه إلاّ ذكره فقال أبو ذر : أنا سمعت من رسول الله ﷺ وقال آخر : أنا سمعته من رسول الله ﷺ فأرسل أُبيّاً فأقبل أُبيّ على عمر رضي الله عنه فقال : يا عمر ! أتتّهمني على حديث رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : يا أبا المنذر ! لا والله ما اتّهمتك عليه ولكنّي كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهراً . الحديث .

صورة ثالثة :

أخرج الحاكم بإسناده عن عمر بن الخطاب إنّه قال للعبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنهما : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزد في المسجد ، ودارك قريبة من المسجد فأعطناها نزدها في المسجد وأقطع لك أوسع منها . قال : لا أفعل . قال : إذاً أغلبك عليها قال : ليس ذاك لك فاجعل بيني وبينك من يقضي بالحقّ . قال : ومن هو؟ قال : حذيفة بن اليمان . قال : فجاؤوا إلى حذيفة فقصّوا عليه فقال حذيفة : عندي في هذا خبر . قال : وما ذاك ؟ قال : إنّ داود النبيَّ صلوات الله عليه أراد أن يزيد في بيت المقدس وقد كان بيت قريب من المسجد ليتيم فطلب إليه فأبى فأراد داود أن يأخذها منه فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن

نـزّه البيوت عن الـظلم لبيتي . قال : فتـركه فقـال له العبّـاس : فبقي شيءٌ قـال : فدخل المسجد فإذا ميـزاب للعبّاس شـارعٌ في مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسيل مـاء المطر منه في مسجـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقـام عمر فقلع الميزاب بيـده فقــال : هذا الميـزاب لا يسيل في مسجـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقـال له العبّـاس : والذي بعث محمّداً بالحقّ إنّه هو الـذي وضع الميـزاب في هذا المكـان ونزعتـه أنت يا عمـر ! فقال عمر : ضع رجليك على عنقي لتردّه إلى ما كان هذا . ففعـل ذلك العبّـاس . ثمّ قال العبّاس : قد أعطيتك الدار . تـزيدهـا في مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزادهـا عمر في المسجد ثمّ قطع للعبّاس داراً أوسع منها بالزوراء .

فقـال الحاكم : وقـد وجدت لـه شاهـداً من حـديث أهـل الشـام . . . . عن سعيـد بن المسيِّب أنّ عمر بن الخـطاب رضي الله عنه لمّـا أراد أن يزيـد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقعت منازعة على دار العبّاس بن عبد المطلّب . الحديث .

صورة رابعة :

عن عبدالله بن أبي بكر قال : كان للعبّاس بيتٌ في قبلة المسجد وكثـر النّاس وضاق المسجد ، فقال عمر للعبّاس : إنّك في سعة فأعطني بيتك هذا أوسع به في المسجد فأبى العبّاس ذلك عليه فقال عمر : إنّي أُثمنك وأُرضيك . قال : لا أفعـل لـقـد ركب رسول الله ﷺ على عـاتقي وأصلح ميزابـه بيده فـلا أفعـل قـال عمـر : لآخذنّه منك . فقال أحـدهما لصـاحبه : فـاجعل بيني وبينـك حكماً فجعـلا بينهما أُبيّ بن كعب فأتياه فـاستأذنـا على الباب فحبسهمـا ساعـة ثمّ أذن لهما وقـال : إنّما حبستكما إنّي كنت كما كانت الجارية تغسل رأسي فقصّ عليـه عمر قصّتـه ثمّ قصّ العبّاس قصته فقال : إنّ عندي علمـاً ممّا اختلفتمـا فيه ولأقضينّ بينكمـا بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول : إنّ داود لمّا أراد أن يبني بيت المقـدس وكان بيت ليتيمين من بني إسرائيل في قبلة المسجد فأراد منهما البيع فأبيا عليه فقال : لآخذنّه فأوحى الله عزّ جلّ إلى داود : انّ أغنى البيوت عن المظلمة بيتي وقد حرّمت عليك بنيان بيت المقدس . قال : فسليمان ؟ فـأعطاه سليمـان فقال عمـر لأُبيّ : ومَن لي بأنّ رسول الله ﷺ قال هذا ؟ فقال أُبيّ لعمر : أتظنّ أنّي أكذب على رسـول الله ﷺ

لتخرجنَّ من بيتي . فخرج إلى الأنصار فقال : أيّكم سمع رسول الله ﷺ يقول : كذا وكذا فقال هذا : أنا . وقال هذا : أنا . حتّى قال ذلك رجالٌ فلمّا علم ذلك عمر قال : أما والله لو لم يكن غيرك لأجزت قولك ولكنّي أردت أن أستثبت .

صورة خامسة :

أخرج البيهقي بإسناده عن أبي هريرة قال : لمّا أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزيد في مسجد رسول الله ﷺ وقعت زيادته على دار العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه فأراد عمر رضي الله عنه أن يدخلها في مسجد رسول الله ﷺ ويعوِّضه منها فأبى وقال : قطيعة رسول الله ﷺ واختلفا فجعلا بينهما أُبيّ بن كعب رضي الله عنهم فأتياه في منزله وكان يسمّى سيِّد المسلمين فأمر لهما بوسادة فأُلقيت لهما فجلسا عليها بين يديه فذكر عمر ما أراد وذكر العبّاس قطيعة رسول الله ﷺ فقال أُبيّ : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر عبده ونبيّه داود ﷺ أن يبني له بيتاً قال : أي ربّ وأين هذا البيت ؟ قال : حيث ترى الملك شاهراً سيفه فرآه على صخرة وإذا ما هناك يومئذٍ إلّا داراً لغلام من بني إسرائيل فأتاه داود فقال : إنّي قد أُمرت أن أبني هذا المكان بيتاً لله عزَّ وجلَّ فقال له الفتى : الله أمرك أن تأخذها منّي بغير رضاي ؟ قال : لا . فأوحى الله إلى داود ﷺ إنّي قد جعلت في يدك خزائن الأرض فأرضه فأتاه داود فقال : إنّي قد أُمرت برضاك فلك بها قنطار من ذهب . قال : قد قبلت يا داود وهي خيرٌ أم القنطار ؟ قال : بل هي خيرٌ قال : فأرضني ، قال : فلك بها ثلاث قناطير . قال : فلم يزل يشدِّد على داود حتّى رضي منه بتسع قناطير . قال العبّاس : اللّهُمَّ لا آخذ لها ثواباً وقد تصدَّقت بها على جماعة المسلمين . فقبلها عمر رضي الله عنه منه فأدخلها في مسجد رسول الله ﷺ .

صورة سادسة :

عن إبن عبّاس قال : كانت للعبّاس دار إلى جنب المسجد في المدينة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بعنيها أو هبها لي حتّى أُدخلها في المسجد فأبى فقال : إجعل بيني وبينك رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ فجعلا بينهما أُبيّ بن كعب فقضى للعبّاس على عمر فقال عمر : ما أحد من أصحاب النبيِّ ﷺ أجرأ عليّ

منك . فقال أُبيّ بن كعب : أو أنصح لك منّي ثمَّ قال : يا أمير المؤمنين أما بلغك حديث داود أنَّ الله عزَّ وجل أمره ببناء بيت المقدس فأدخل فيه بيت امرأة بغير إذنها فلمّا بلغ حجز الرِّجال منعه الله بناءه قال داود : أي ربِّ إن منعتني بناءه فاجعله في خلفي ؟ فقال العبّاس : أليس قد قضيت لي بها وصارت لي ؟ قال : فإنّي أُشهدك أنّي قد جعلتها لله .

وقال البلاذري : لمّا استخلف عثمان بن عفّان ابتاع منازل وسَّع المسجد بها ، وأخذ منازل أقوام ووضع لهم الأثمان فضجّوا به عند البيت فقال : إنَّما جرأكم عليَّ حلمي عنكم وليني لكم لقد فعل بكم عمر مثل هذا فأقررتم ورضيتم ثمَّ أمر بهم إلى الحبس حتّى كلّمه فيهم عبدالله بن خالد بن أُسيد فخلّى سبيلهم .

وقال الطبري وغيره : في سنة ١٧ من الهجرة اعتمر عمر بن الخطاب وبنى المسجد الحرام ووسّع فيه وأقام بمكّة عشرين ليلة وهدم على أقوام من جيران المسجد أبوا أن يبيعوا ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتّى أخذوها بعدُ .

تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٠٦ ، فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٣ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ١٦٨ ، مستدرك الحاكم ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٧ ، تذكرة الحفّاظ للذهبي ج ١ ص ٧ ، تاريخ ابن شحنة الحنفي هامش الكامل ج ٧ ص ١٧٦ ، الدر المنثور ج ٤ ص ١٥٩ ، وفاء الوفاء للسمهودي ج ١ ص ٣٤١ - ٣٤٩ .

قال الأميني : الأخذ بمجاميع هذه الرِّوايات يُعطينا درساً بأنَّ الخليفة لم يكن عالماً بالحكم عند توسيعه المسجدين حتّى أنبأه به أُبيّ بن كعب ووافق أُبيّاً في روايته أبو ذر والرَّجل الآخر ، لكنّه عمل عند توسيعه المسجد الحرام بخلاف المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث لا يعلم ، وأعجب من هذا صنيعة عثمان وهي بعد ظهور تلك السنّة النبويَّة والعلم بها .

٨١ - سكوت الخليفة عن حكم الطلاق :

عن قتادة قال : سُئل عمر بن الخطاب عن رجل طلّق امرأته في الجاهليّة

تطليقتين وفي الإسلام تطليقة ؟ فقال : لا آمرك ولا أنهاك . فقال عبد الرَّحمٰن : لكنِّي آمرك ليس طلاقك في الشِّرك بشيء(١) .

لم يكن تحاشي الخليفة عن الأمر والنهي عند حاجة السَّائل إلى عرفان الحكم إلاّ لعدم معرفته به ، وليس جهله به بأقلَّ من جهل إبنه عبدالله بحكم الطّلاق في حال الحيض ، وقد نقم منه ذلك أبوه ونفى عنه صلاحيَّته للخلافة بذلك في محاورة جرت بينه وبين ابن عبّاس وقد أسلفناها في الجزء الخامس ص ٤٣٥ .

٨٢ ـ رأي الخليفة في أكل اللحم :

١ ـ عن عبدالله بن عمر قال : كان عمر يأتي مجزرة الزبير بن العوام رحمه الله بالبقيع ولم يكن بالمدينة مجزرةٌ غيرها فيأتي معه بالدرَّة فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرَّة وقال : الا طويت بطنك يومين ؟

٢ ـ عن ميمون بن مهران : إنَّ رجلاً من الأنصار مرّ بعمر بن الخطاب وقد تعلّق لحماً فقال له عمر : ما هذا ؟ قال : لحمة أهلي يا أمير المؤمنين ! قال حسنٌ . ثمَّ مرَّ به من الغد ومعه لحم فقال : ما هذا ؟ قال : لحمة أهلي . قال : حسنٌ . ثمَّ مرَّ به اليوم الثالث ومعه لحمٌ فقال : ما هذا ؟ قال : لحمة أهلي يا أمير المؤمنين ! فعلا رأسه بالدرَّة ثمَّ صعد المنبر فقال : إيّاكم والأحمرين : اللحم والنبيذ فإنّهما مفسدةٌ للدين متلفةٌ للمال(٢) .

قال الأميني : هذا فقهٌ عجيبٌ لا نعرف مغزاه ، قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيِّبات من الرِّزق ، ولا يجتمع مع ما جاء عن النبيِّ الأعظم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم سيِّد الادام في الدنيا والآخرة اللحم ، وسيّد الشراب في الدنيا والآخرة الماء(٣) .

---

(١) كنز العمال ج ٥ ص ١٦١ ، منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج ٣ ص ٤٨٢ .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي ص ٦٨ ، كنز العمال ج ٣ ص ١١١ نقلاً عن أبي نعيم ، الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٣) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٥ ص ٣٥ .

وما جاء في صحيحة عن ابن عبّاس من أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنِّي إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرّمت عليَّ اللحم فأنزل الله ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلَّ الله لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين﴾ . ﴿وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيِّباً﴾(١) .

وعلى تقدير الكراهة في إدمان أكل اللحم فهل أكله يومين متواليين أو ثلاثة متوالية من الإدمان ؟ وهل يستتبع ذلك التعزير بالدرَّة ؟ وهل يبلغ مفسدته مفسدة النبيذ المحرَّم فكان لدته مفسدة للدين ومتلفة للمال ؟ ولو أخذ بهذا الرأي في أجيال المسلمين لوجب أن لا تهدأ الدرَّة في حال من الأحوال .

٨٣ ـ الخليفة ويهوديّ مدني :

عن أبي الطفيل قال شهدت الصَّلاة على أبي بكر الصدِّيق ثمَّ اجتمعنا إلى عمر بن الخطاب فبايعناه وأقمنا أيّاماً نختلف إلى المسجد إليه حتّى أسموه أمير المؤمنين فبينما نحن عنده جلوسٌ إذا أتاه يهوديٌّ من يهود المدينة وهم يزعمون أنّه من ولد هارون أخي موسى بن عمران عليهما السَّلام حتّى وقف على عمر فقال له : يا أمير المؤمنين ! أيّكم أعلم بنبيِّكم وبكتاب نبيّكم حتّى أسأله عمّا أُريد فأشار له عمر إلى عليِّ بن أبي طالب فقال : هذا أعلم بنبيِّنا وبكتاب نبيِّنا قال اليهوديُّ : أكذاك أنت يا علي ؟ قال : سل عمّا تريد . قال : إنِّي سائلك عن ثلاث وثلاث وواحدة . قال له عليٌّ : ولِمَ لا تقول إنِّي سائلك عن سبع ؟ قال له اليهودي : أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهنَّ أسألك عن الواحدة ، وإن أخطأت في الثلث الأول لم أسألك عن شيء . وقال له عليٌّ : وما يدريك إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت ؟ قال : فضرب بيده على كمّه فاستخرج كتاباً عتيقاً فقال : هذا كتابٌ ورثته عن آبائي وأجدادي بإملاء موسى وخطِّ هارون وفيه هذه الخصال الذي أُريد أن أسألك عنها فقال عليٌّ : والله عليك إن أجبتك فيهنَّ بالصَّواب أن تسلم . قال له : والله لئن أجبتني فيهنَّ بالصّواب لأُسلمنَّ السّاعة على يديك . قال له عليٌّ :

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٧٦ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٧ ، الدر المنثور ج ٢ ص ٣٠٧ .

سل . قال : أخبرني عن أوَّل حجر وُضع على وجه الأرض ، وأخبرني عن أوَّل شجرة نبتت على وجه الأرض ، وأخبرني عن أوَّل عين نبعت على وجه الأرض ، قال له عليٌّ : يا يهوديُّ إنَّ أوَّل حجر وُضع على وجه الأرض فإنَّ اليهود يزعمون أنَّه صخرة بيت المقدس وكذبوا لكنّه الحجر الأسود نزل به آدم معه من الجنَّة فوضعه في ركن البيت فالناس يمسحون به ويقبِّلونه ويجدِّدون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله قال اليهوديّ : أشهد بالله لقد صدقت .

قال له عليٌّ : وأمّا أوَّل شجرة نبتت على وجه الأرض فإنَّ اليهود يزعمون إنّها الزيتونة وكذبوا ولكنها نخلة العجوة نزل بها معه آدم من الجنّة فأصل التمر كلّه من العجوة . قال له اليهوديُّ : أشهد بالله لقد صدقت .

قال : وأمّا أوَّل عين نبعت على وجه الأرض فإنَّ اليهود يزعمون أنّها العين التي تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكنها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المالحة فلمّا أصابها ماء العين عاشت وسمرت فاتبعها موسى وصاحبه فأتيا الخضر . فقال اليهوديّ : أشهد بالله لقد صدقت .

قال له عليٌّ : سل . قال : أخبرني عن منزل محمّد أين هو في الجنّة ؟ قال عليٌّ : ومنزل محمّد من الجنّة جنّة عدن في وسط الجنّة أقربه من عرش الرحمن عزَّ وجلَّ . قال له اليهوديُّ : أشهد بالله لقد صدقت .

قال له عليٌّ : سل . قال : أخبرني عن وصيِّ محمّد في أهله كم يعيش بعده وهل يموت أو يقتل ؟ قال عليٌّ : يا يهوديُّ يعيش بعده ثلاثين سنة ويخضب هذه من هذه وأشار إلى رأسه . قال . فوثب اليهوديُّ وقال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمّداً رسول الله .

أخرجه الحافظ العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى ، وفي الحديث سقط كما ترى ، وفيه نصُّ عمر على أنّ عليّاً أعلم الأُمَّة بنبيِّها وبكتابه ، وموسى الوشيعة يقول : عمر أعلم الأُمّة على الإطلاق بعد أبي بكر ، والإنسان على نفسه بصير .

٨٤ - الخليفة أوّل من أعال الفرائض :

عن ابن عبّاس قال . أوّل من أعال الفرائض عمر بن الخطاب لَمّا التوت عليه الفرائض ودافع بعضها بعضاً قال : والله ما أدري أيّكم قدّم الله ولا أيّكم أخّر وكان امرأً ورعاً فقال : ما أجد شيئاً هو أوسع لي من أن أُقسّم المال عليكم بالحصص وادخل على كلٍّ ذي حقّ ما أدخل عليه من عول الفريضة .

وعن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال : دخلت أنا وزفر بن أوس بن الحدثان على ابن عبّاس بعدما ذهب بصره فتذاكرنا فرائض الميراث فقال : ترون الذي أحصى رمل عالج عدداً لم يحص في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً إذا ذهب نصفٌ ونصفٌ فأين موضع الثلث ؟ فقال له زفر : يا ابن عبّاس ! مَن أوّل مَن أعالَ الفرائض ؟ قال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لمّا تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً قال : والله ما أدري كيف أصنع بكم ؟ والله ما أدري أيّكم قدّم الله ولا أيّكم أخّر . قال : وما أجد في هذا المال شيئاً أحسن من أن أُقسّمه عليكم بالحصص . ثمّ قال إبن عبّاس : وأيم الله لو قدّم مَن قدّم الله ، وأخّر مَن أخّر الله ما عالت فريضة . فقال له زفر : وأيّهم قدّم وأيّهم أخّر ؟ فقال : كلُّ فريضة لا تزول إلّا إلى فريضة فتلك التي قدّم الله وتلك فريضة الزوج له النصف فإن زال فإلى الرُّبع لا ينقص منه ، والمرأة لها الرُّبع فإن زالت عنه صارت إلى الثُمن لا تنقص منه ، والأخوات لهنّ الثلثان والواحدة لها النصف ، فإن دخل عليهنّ البنات كان لهنّ ما بقي فهؤلاء الذين أخّر الله ، فلو أعطى مَن قدّم الله فريضته كاملة ثمّ قسّم ما يبقى بين مَن أخّر الله بالحصص ما عالت فريضة . فقال له زفر : فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر ؟ فقال هبته والله[1] .

وفي أوائل السيوطي وتاريخه ص ٩٣ ، ومحاضرة السكتواري ص ١٥٢ : إنَّ عمر أوّل من قال بالعول في الفرائض .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠٩ ، مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٤٠ وصححه ، السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٥٣ ، كنز العمال ج ٦ ص ٧ .

قـال الأميني : ما عسـاني أن أقول بعـد قـول الخليفـة : والله مـا أدري كيف أصنع بكم ، والله ما أدري أيّكم قدّم الله ولا أيّكم أخّر ؟ أو بعـد قول إبن عبّـاس : وأيم الله لو قدَّم مَن قدّم الله وأخّر من أخّر الله ما عالت فريضة ؟

كيف لم يتـزحـزح الـرَّجـل عن القضـاء في الفـرائض والحـال هـذه ويحكم بـالرأي ؟ وهـو القائـل في خطبـة له : ألا إنَّ أصحـاب الـرأي أعـداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوهـا فأفتـوا برأيهم فضلّوا وأضلّوا ، ألا وإنّـا نقتدي ولا نبتـدي ، ونتّبع ولا نبتدع ، ما نضلّ ما تمسّكنا بـالأثر[1] . أهكـذا الإقتـداء والإتّبـاع ، أم هذه هي الإبتداء والإبتداع ؟

وكيف يسوغ لمثل الخليفة أن يجهل الفرائض وهو القائل : ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرّاً من جهل إمام وخرقه[2] ؟

وكيف يُشغل منصّة القضاء قبل أن يتفقّه في دين الله وهو القائل : تفقّهـوا قبل أن تسودوا[3] ؟

٨٥ ـ إجتهـاد عمر في تشـطير أمـوال عمّـالـه وهـو أوّل مَن قـاسم العمّال وشاطرهم أموالهم[4] :

١ ـ عن أبي هـريرة قـال : استعملني عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه على البحرين فاجتمعت لي إثنا عشر ألفاً فلمّا عزلني وقدمت على عمر قال لي : يـا عدوّ الله وعدوّ المسلمين ـ أو قال وعدوّ كتابه ـ سرقت مال الله؟ قال: قلت : لست بعـدوّ الله ولا للمسلمين ـ أو قـال لكتابـه ـ ولكنّي عدوُّ مَن عـاداهمـا ولكن خيـلاً تنـاتجت وسهاماً اجتمعت . قال : فأخذ منّي إثنا عشـر ألفاً فلمّـا صلّيت الغداة قلت : أللهمَّ اغفر لعمر . حتّى إذا كان بعد ذلك . قال : ألا تعمـل يا أبـا هريـرة ؟ قلت : لا . قـال : ولِمَ ؟ قـد عمـل من هـو خيـرٌ منـك يـوسف ، قـال : إجعلني على خـزائن

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٧ .
(٢) سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٦١ .
(٣) صحيح البخاري باب الإغتباط في العلم ج ١ ص ٣٨ .
(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١٣ .

الأرض ؟ فقلت : يوسف نبيٌّ ابن نبيّ وأنا أبو هريرة ابن أُميمة وأخاف منكم ثلاثاً وإثنتين قال : فهلّا قلت خمساً ؟ قلت : أخشى أن تضربوا ظهري ، وتشتموا عرضي ، وتأخذوا مالي ، وأكره أن أقول بغير حلم ، وأحكم بغير علم .

دعا عمر أبا هريرة فقال له : علمت أنّي استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ثمَّ بلغني أنّك ابتعت أفراساً . بألف دينار وستمائة دينار ؟ قال : كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت . قال : قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضلٌ فأدِّه . قال : ليس لك . قال : بلى والله أُوجع ظهرك . ثمَّ قام إليه بالدرَّة فضربه حتى أدماه ثمَّ قال : إئت بها . قال : إحتسبتها عند الله . قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأدَّيتها طائعاً ، أجئت من أقصى حجر البحرين يجبي النّاس لك لا لِلّه ولا للمسلمين ؟ ما رجعت بك أُميمة إلّا لرعية الحمر . ـ وأُميمة أُمّ أبي هريرة ـ .

٢ ـ كان سعد بن أبي وقّاص يقال له : المستجاب . لقول النبيِّ ﷺ : إتّقوا دعوة سعد فلمّا شاطره عمر قال له سعد : لقد هممتُ . قال له عمر : بأن تدعو عليَّ ؟ قال : نعم . قال : إذاً لا تجدني بدعاء ربِّي شقيّاً .

وأخرج البلاذري في فتوح البلدان ص ٢٨٦ عن إبن إسحاق قال : إتَّخذ سعد بن أبي وقّاص باباً مبوَّباً من خشب وخصَّ على قصره خصّاً من قصب فبعث عمر بن الخطاب محمّد بن مسلمة الأنصاري حتّى أحرق الباب والخصّ وأقام سعداً في مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلّا خيراً .

وقال السيوطي : أمر عمر عمّاله له فكتبوا أموالهم منهم سعد بن أبي وقّاص فأخذ نصف مالهم .

٣ ـ لمّا عزل عمر أبا موسى الأشعري عن البصرة شاطره عمّاله .

٤ ـ كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصي وكان عامله على مصر : من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصي : سلامٌ عليك فإنّه بلغني أنّه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد ، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك فاكتب إليَّ من أين أصل هذا المال ؟ ولا تكتمه .

فكتب إليه عمرو بن العـاصي : إلى عبدالله أميـر المؤمنين سلامٌ عليـك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد : فإنّه أتاني كتـاب أمير المؤمنين يـذكر فيه ما فشـا لي وأنّه يعـرفني قبل ذلـك لا مال لي وإنّي أُعلم أميـر المؤمنين أنّي في أرض السعر فيه رخيصٌ ، وإنّي أُعالج من الحـرفة والـزراعة مـا يعالـج أهله ، وفي رزق أميـر المؤمنين سعة ، والله لـو رأيت خيانتـك حلالاً مـا خنتك ، فـاقصـر أيّهـا الرَّجل فإنَّ لنا أحساباً هي خيرٌ من العمل لك إن رجعنا إليها عشنا بها ، ولعمري إنَّ عندك من تذمُّ معيشته ولا تذمُّ له ، فأَنَّى كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركـك في عملك .

فكتب إليه عمر :

أما بعد : فإنّي والله ما أنا من أساطيرك التي تسطِّر ، ونسقـك الكلام في غيـر مرجع ، لا يغني عنك أن تزكّي نفسك ، وقد بعثت إليك محمّدبن مسلمـة فشاطـره مـالك ، فـإنّكم أيّها الأُمـراء جلستم على عيـون المـال لم يـزعكم عـذرٌ تجمعـون لأبنـائكم ، وتمهِّـدون لأنفسكم ، أمـا إنّكم تجمعـون العـار ، وتـورثـون النّـار ، والسّـلام .

فلمّا قدم عليـه محمّد بن سلمـة صنع لـه عمرو طعامـاً كثيـراً فأبى محمّـد بن سلمة أن يأكل منه شيئاً فقال لـه عمرو : أتحـرّموا طعـامنا ؟ فقـال : لو قـدَّمت إليَّ طعام الضيف أكلته ولكنّه قدَّمت إليَّ طعاماً هو تقدمـة شرٍّ والله لا أشـرب عندك مـاءً فاكتب لي كلّ شيء هـو لك ولا تكفـه ، فشاطـره مالـه بأجمعـه حتـى بقيـت نعلاه فـأخذ إحـداهما وتـرك الأُخرى ، فغضب عمـرو بن العاصي فقـال : يا محمّـد بن سلمـة قبّح الله زمـاناً عمرو بـن العاصي لعمـر بن الخـطّاب فيـه عـامـلٌ ، والله إنّي لأعرف الخطّاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب ، وعلى ابنه مثلها ، ومـا منهما إلاّ في نمرة لا تبلغ رسغيه، والله ما كان العـاصي بن وائل يـرضى أن يلبس الديبـاج مزرّراً بالذهب . قال لـه محمّد : أُسكت والله عمـر خيرٌ منـك وأمّا أبـوك وأبوه ففي النّار ، والله لولا الزّمان الذي سبقته فيـه لا ألفيت معقل شـاة يسرّك غرزهـا ويسـرّك بكرها . فقال عمرو : هي عندك بأمانة الله فلم يخبر بها عمر .

٥ - زار أبو سفيان معاوية فلمّا رجع من عنده دخل على عمر فقال : أجزنا أبا سفيان قال : ما أصبنا شيئاً فنجيزك به . فأخذ عمر خاتمه فبعث به إلى هند وقال للرّسول : قل لها يقول لك أبو سفيان أُنظري الخرجين اللذين جئت بهما فأحضريهما فما لبث عمر أن أُتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فطرحهما عمر في بيت المال ، فلمّا ولي عثمان ردّهما عليه فقال أبو سفيان : ما كنت لآخذ مالاً عابه عليَّ عمر .

٦ - لمّا ولّى عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثمّ عزله تلقّاه في بعض الطريق فوجد معه ثلاثين ألفاً فقال : أنّى لك هذا ؟ قال : والله ما هو لك ولا للمسلمين ولكنّه مالٌ خرجت به لضيعة أشتريها . فقال عمر : عاملنا وجدنا معه مالاً ما سبيله إلّا بيت المال ، ورفعه فلمّا ولي عثمان قال لأبي سفيان : هل لك في هذا المال ؟ فإنّي لم أرَ لأخذ ابن الخطاب فيه وجهاً ، قال : والله إنّ بنا إليه حاجة ولكن لا تردّ فعل من قبلك فيردّ عليك من بعدك .

٧ - مرَّ عمر يوماً ببنّاء يبني بحجارة وجصّ فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : لعامل من عمّالك بالبحرين فقاسمه ماله وكان يقول : لي على كلِّ خائن أمينان : الماء . والطين .

٨ - أرسلَ عمر إلى أبي عُبيدة : إن أكذب خالدٌ نفسه فهو أميرٌ على ما كان عليه ، وإن لم يكذب نفسه فهو معزولٌ فانتزع عمامته وقاسمه نصفين . فلم يكذب نفسه فقاسمه أبو عبيدة ماله حتّى أخذ إحدى نعليه وترك له الأُخرى وخالد يقول : سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين .

بلغ عمراً أنَّ خالداً أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء إحسانه فأرسل لأبي عبيدة أن يصعد المنبر ويوقف خالداً بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيّده بعمامته لأنَّ العشرة آلاف إن كان دفعها من ماله فهو سرفٌ ، وإن كان من مال المسلمين فهي خيانة ، فلمّا قدم خالد رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه قال له : من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف ؟ فقال : من الأنفال والسهمان . قال : ما زاد على التسعين ألفاً فهو لك ثمَّ قوّم أمواله وعروضه

وأخذ منه عشرين ألفاً ثمَّ قال له : والله إنَّك عليَّ لكريم وإنَّك لحبيب ولم تعمل لي بعد اليوم على شيء . وكتب رضي الله عنه إلى الأمصار : إنِّي لم أعزل خالد عن مبخلة(١) ولا خيانة ولكنَّ النّاس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أنَّ الله هو الصانع .

قال الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٢٢٠ : وأصل العداوة بين خالد وسيِّدنا عمر رضي الله عنهما على ما حكاه الشعبي أنَّهما وهما غلامان تصارعا وكان خالد إبن خال عمر فكسر ساق عمر فعولجت وجبرت ولمّا ولي سيِّدنا عمر رضي الله تعالى عنه الخلافة أوَّل شيء بدأ به عزل خالد وقال : لا يلي لي عملاً أبداً ، ومن ثمَّ أرسل إلى أبي عبيدة إن أكذب خالد إلخ . وذكره إبن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١١٥ .

وأخرج الطبري في تاريخه عن سليمان بن يسار قال : كان عمر كلّما مرَّ بخالد قال : يا خالد ! أخرج مال الله من تحت إستك . فيقول : والله ما عندي من مال ، فلمّا أكثر عليه عمر قال له خالد : يا أمير المؤمنين ما قيمة ما أصبت في سلطانكم أربعين ألف درهم ؟ فقال عمر : قد أخذت ذلك منك بأربعين ألف درهم . قال : هو لك ، قال : قد أخذته ولم يكن لخالد مال إلاّ عُدَّة ورقيق فحُسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم فناصفه عمر ذلك فأعطاه أربعين ألف وأخذ المال فقيل له : يا أمير المؤمنين ! لو رددت على خالد ماله ؟ فقال : إنَّما أنا تاجرٌ للمسلمين والله لا أردُّه عليه أبداً فكان عمر يرى أنَّه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك .

وفي تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ١١٧ : إنَّ عمر قال لعليّ ـ بعد موت خالد ـ : ندمت على ما كان منّي . وقال عمر : رحم الله ابا سليمان لقد كنّا نظنُّ به أُموراً ما كانت .

وذكر إبن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١١٥ عن محمّد بن سيرين قال : دخل خالد على عمر وعليه قميصٌ حرير فقال عمر : ما هذا يا خالد ؟ فقال : وما بأس يا

---

(١) في تاريخ الطبري : عن سخطة .

أمير المؤمنين ؟ أليس قد لبسه عبدالرَّحمن بن عوف ؟ فقال : وأنت مثل إبن عوف ؟ ولك مثلما لابن عوف ؟ عزمت على مَن بالبيت إلّا أخذ كلّ واحد منهم بطائفة ممّا يليه . قال : فمزّقوه حتّى لم يبق منه شيءٌ .

وذكر البلاذري جمعاً من عمّال شاطرهم عمر بن الخطاب أموالهم حتّى أخذ نعلاً وترك نعلاً وهم :

٩ - أبو بكرة نفيع بن الحرث بن كلدة الثقفي .

١٠ - نافع بن الحرث بن كلدة الثقفي أخو أبي بكرة .

١١ - الحجّاج بن عتيك الثقفي وكان على الفرات .

١٢ - جزء بن معاوية عمّ الأحنف كان على سرّق .

١٣ - بشر بن المحتفز كان على جندي سابور .

١٤ - إبن غلاب خالد بن الحرث من بني دهمان كان على بيت المال بإصبهان .

١٥ - عاصم بن قيس بن الصلت السّلمي كان على مناذر .

١٦ - سمرة بن جندب كان على سوق الأهواز .

١٧ - النعمان بن عُدي بن نضلة الكعبي كان على كور دجلة .

١٨ - مجاشع بن مسعود السّلمي صهر بني غزوان كان على أرض البصرة وصدقاتها .

١٩ - شبل بن معبد البجلي ثمّ الأحمسي كان على قبض المغانم .

٢٠ - أبو مريم بن محرش الحنفي كان على رام هرمز .

وهؤلاء ذكرهم أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد في شعر قدّمه إلى عمر بن الخطاب قال :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة   فأنت أمين الله في النهي والأمر

وأنت أمين الله فينا ومن يكن أميناً لربِّ العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرَّساتيق والقرى يسيغون مال الله في الأدم والوفر
فأرسل إلى الحجّاج فاعرف حسابه وأرسل إلى جزءٍ وأرسل إلى بشر
ولا تنسينَّ النافعين كليهما ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منها بصفر عيابه وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وأرسل إلى النعمان واعرف حسابه وصهر بني غزوان إنّي لذو خبر
وشبلاً فسله المال وابن محرَّش فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهمُ أهلي فداؤك إنَّهم سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهادة إنَّني أغيب ولكنّي أرى عجب الدهر
نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا فأنّى لهم وفرٌ ولسنا أولي وفر
إذا التاجر الداري جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجري

فقاسم عمر هؤلاء القوم فأخذ شطر أموالهم نعلاً بنعل ، وكان فيهم أبو بكر فقال : إنِّي لم آل لك شيئاً فقال : أخوك على بيت المال وعشور الإبلة فهو يعطيك المال تتَّجر به فأخذ منه عشرة آلاف ويُقال : قاسمه فأخذ شطر ماله .

٢١ ـ وصادر الحرث بن وهب أحد بني ليث بكر بن كنانة وقال له : ما قلاص وأعبد بعتها بمائة دينار ؟ قال : خرجت بنفقة لي فاتَّجرت فيها . قال : وإنّا والله ما بعثناك للتّجارة ، أدِّها . قال : أما والله لا أعمل لك بعدها . قال : أنا والله لا أستعملك بعدها .

راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٩٠ ، ٢٢٦ ، ٣٩٢ ، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٦ ، ٢٠٥ ، العقد الفريد ج ١ ص ١٨ ـ ٢١ ، معجم البلدان ج ٢ ص ٧٥ ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨٦ ، ٤٧٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ ، ج ٣ ص ١٠٤ ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٨ ، ١١٥ ، وج ٨ ص ١١٣ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٢٠ ، الإصابة ج ٣ ص ٣٨٤ ، ٦٧٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٩٦ ، الفتوحات الإسلاميَّة ج ٢ ص ٤٨٠ .

قال الأميني : أنا لا أدري إن قامت البيِّنة عند الخليفة على أنَّ تلك الأموال مختلسة من بيت مال المسلمين ، فلمَ لم يُصادر كلّها ، وإن كان يحسب أنَّ هناك أموالاً مملوكة لهم فهل من المعقول أن يقدِّر ذلك في الجميع بنصف ما بأيديهم حتّى النعل والنعل ؟ وقد عُدّ ذلك سيرة له ، قال سعيد بن عبد العزيز : كان عمر يقاسم عمّاله نصف ما أصابوا[1] وإن لم تقم البيِّنة على ذلك فكيف رفع أيدي القوم عمّا كان في حيازتهم ورفض دعاويهم بأنّها من ربح تجارة ، أو نتاج خيل ، أو منافع زرع ، أو ثمن ضيعةٍ ؟ ولِمَ لم يحاكمهم في الأمر بإحضار الشهود والتدقيق في القضيَّة وغرم قبل ذلك بمجرَّد الظنَّة والتهمة ؟ ويد المسلم من إمارات الملك ودعواه له بلا معارض مسموعٌ منه وإلّا لما قام للمسلمين سوقٌ .

على أنَّ ظاهر حال هؤلاء الصَّحابة المغرمين بمقتضى فقه الخليفة أنَّهم لصوصٌ بأقبح التلصّص لأنَّ السارق في الغالب لا يسرق إلّا من واحد أو اثنين أو أكثر يُعدّون بالأنامل لكن هؤلاء بحكم تلك المشاطرة سرّاق من مال المسلمين جميعاً ، وكان قد ائتمنهم قبل ذلك وبعده على نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم وأحكامهم باستعمالهم على البلاد ، والعباد ، غير أنَّه كان فيهم من تنصّل عن العمل بعد التغريم ، أصحيح أنَّهم كانوا هكذا ؟ أنا لا أدري . أصحيح أنهم كلّهم عدول ؟ أيضاً لا أدري .

٨٦ ـ الخليفة في شراء الإبل :

عن أنس بن مالك قال : إنَّ أعرابيّاً جاء بإبل له يبيعها فأتاه عمر يساومه بها فجعل عمر ينخس بعيراً بعيراً يضربه برجله ليبعث البعير لينظر كيف قواده فجعل الأعرابي يقول : خلِّ إبلي لا أباً لك . فجعل عمر لا ينهاه قول الأعرابيِّ أن يفعل ذلك ببعير بعير ، فقال الأعرابي لعمر : إنِّي لأظنّك رجل سوء . فلمّا فرغ منها اشتراها فقال : سقها وخذ أثمانها فقال الأعرابي : حتّى أضع عنها أحلاسها وأقتابها فقال عمر : إشتريتها وهي عليها فهي لي كما اشتريتها فقال الأعرابي : أشهد أنّك رجل سوء فبينما هما يتنازعان إذ أقبل عليٌّ فقال عمر : ترضى بهذا الرَّجل بيني

(١) الإصابة ج ٢ ص ٤١٠ .

وبينك ؟ قال الأعرابي : نعم . فقصّا على عليّ قصّتهما فقال عليٌّ : يا أمير المؤمنين إن كنت اشترطت عليه أحلاسها وأقتابها ؟ فهي لك كما اشترطت ، وإلاّ فإنّ الرجل يزين سلعته بأكثر من ثمنها . فوضع عنها أحلاسها وأقتابها فساقها الأعرابيّ فدفع إليه عمر الثمن . كنز العمال ج ٢ ص ٢٢١ ، منتخب الكنز هامش مسند أحمد ج ٢ ص ٢٣١ .

جزى الله أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام عن الأعرابيّ خيراً يوم حفظ له الأحلاس والأقتاب عن أن تُؤخذ منه بغير ثمنٍ ، وأمّا حلّ مشكلة عمل الخليفة وفقهه في المقام فنكله إلى نظرة التنقيب للباحث الحرّ .

٨٧ ـ رأي الخليفة في بيت المقدس :

عن سعيد بن المسيّب قال : استأذن رجلٌ عمر بن الخطاب في إتيان بيت المقدس فقال له : إذهب فتجهّز فإذا تجهّزت فأعلمني فلمّا تجهّز جاءه فقال له عمر : إجعلها عمرة . قال : ومرَّ به رجلان وهو يعرض إبل الصّدقة فقال لهما : من اين جئتما ؟ قالا : من بيت المقدس ، فعلاهما بالدرّة وقال : أحجٌّ كحجٍّ البيت ؟ قالا : إنّا كنا مجتازين[1] .

قال الأميني : إنَّ بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشدُّ إليها الرِّحال وتُقصد بالزِّيارة والصّلاة فيها لكن الخليفة عزبت عنه تلكم المأثورات النبويَّة فلم يسمعها منه صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يعها أو نسيها فمنع الرَّجل المتأهّب لزيارته عنها وعلا بالدِرَّة من حسب أنّه زاره فتترّسا عنها بإبداء أنّهما مرّا به مجتازين ، وإليك نصوص أحاديث الباب فاقرأها واعجب .

١ ـ عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم : لا تشدُّ الرِّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى .

أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، ٢٧٨ ، والبخاري في صحيحه كما في السنن الكبرى ج ٥ ص ٤٤ ، ومسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٩٢ ،

---

(١) أخرجه الأزرقي كما في كنز العمال ج ٧ ص ١٥٧ .

والدارمي في سننه ج ١ ص ٣٣٠ ، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٣١٨ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٣٠ ، والنسائي في سننه ج ٢ ص ٣٧ ، والبيهقي في سننه ج ٥ ص ٢٤٤ ، والبغوي في مصابيحه ج ١ ص ٤٧ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣ : رواه أحمد والبزّار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقاتٌ أثباتٌ .

لفظ آخر لأبي هريرة :

إنّما يُسافر إلى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة . ومسجدي ومسجد إيلياء .

أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٩٢ ، والبيهقي في سننه ج ٥ ص ٢٤٤ .

قال الأميني : إيلياء إسم مدينة بيت المقدس ، قيل : معناه بيت الله . قال أبو علي : وسمِّي البيت المقدس ايلياء بقول الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته   وقصرٌ بأعلى إيلياء مشرَّف

٢ - عن علي أمير المؤمنين بلفظ أبي هريرة الأول .

أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣ .

٣ - عن عبدالله بن عمر بلفظ أبي هريرة الأوّل .

أخرجه البزّار وقال الهيثمي في المجمع ج ٤ ص ٤ : رجاله رجال الصحيح . وفي لفظ آخر له :

لا تُشدّ الرِّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام . ومسجد المدينة . ومسجد بيت المقدس .

أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات .

٤ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً : إنَّ سليمان بن داود ﷺ لمّا بنى بيت المقدس سأل الله عزَّ وجلَّ خلالاً ثلاثة : سأل الله عزَّ وجلَّ حكماً يصادف

حكمه . فأوتيه . وسأل الله عزَّ وجلّ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه . وسأل الله عزَّ وجلَّ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلاّ الصَّلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمّه .

أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٣٠ ، والنسائي في سننه ج ٢ ص ٣٤ .

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : لا ينبغي للمطيِّ أن تُشدَّ رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصَّلاة غير مسجد الحرام . والمسجد الأقصى . ومسجدي هذا .

أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٦٤ ، وبلفظ أبي هريرة الأوَّل في ج ٣ ص ٧ ، ٣٤ ، ١٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، وفي صحيفة ٤٥ بدل المسجد الأقصى مسجد بيت المقدس ، وبلفظ أبي هريرة أخرجه عن أبي سعيد البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٢٢٤ في باب الصَّوم يوم النحر ، والترمذي في صحيحه ج ١ ص ٦٧ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٣٠ ، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ص ٦٠ .

٦ ـ عن أبي الجعد الضميري مرفوعاً :لا تُشدُّ الرِّحال. . .إلخ بلفظ أبي هريرة الأوَّل .

رواه البزّار والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ج ٤ ص ٤ .

٧ ـ عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري مرفوعاً : لا يعمل المطيّ إلاّ إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدي هذا ، وإلى مسجد إيلياء . أو : بيت المقدس . يشكّ أيّهما قال . بغية الوعاة ص ٤٤٤ .

٨ ـ عن ميمونة مولاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قالت : يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس . قال : أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلّوا فيه فإنَّ صلاةً فيه كألف صلاة في غيره . قلت : أرأيت إن لم أستطع أن أتحمَّل إليه ؟ قال : فتهدي له زيتاً يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه .

أخـرجـه ابن مـاجـة في سننـه ج ١ ص ٤٢٩ ، والبيهقي في سننـه ج ٢ ص ٤٤١ .

هـذه جملةٌ ممَّا ورد في بيت المقـدس وقصده الصَّـلاة ، وقد أسـرى المولى سبحانه عبده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجـد الأقصى ، وكانت الصّحابة تقصدها للصَّلاة في مسجدهـا كما في مجمـع الزوائـد ج ٤ ص ٤ ، وأفرد الحافظ إبن عساكر كتاباً فيه وأسماه [المستقصى في فضائل المسجد الأقصى] .

وإذا غضضنا الطرف عن هذه الأحاديث فإنَّ شدَّ الرِّحال إلى أيّ من المساجد يكون من المباحات الأوَّليّة التي لم يـرد عنها نهيٌ ، فمـا معنى الإرهاب بـالدرَّة في مثلهـا ؟ مع أنَّ من يمَّم مسجـداً للصَّلاة فيـه يُحاسب في أجـره ممشاه بـالخـطوات وقرب سيره وبعده كما في صحاح أخرجهـا الترمـذي في صحيحه ج ١ ص ١٨٤ . نعم . كأنَّ الخليفة كان يرى إتيان تلكم المساجد إحياءً لآثـار الأنبياء ولـه فيها رأيـه الشاذّ كما أسلفناه صفحة ١٨٠ من هذا الجزء .

٨٨ - رأي الخليفة في المجوس :

أخرج يحيى بن سعيد بإسناده عن عمر بن الخطاب أنَّه قال :ما أدري ما أُصنع بـالمجوس وليسـوا أهل كتـاب ؟ - وفي لفظ : ما أدري كيف أصنـع في أمـرهم ؟ - فقـال عبدالـرَّحمٰن بن عوف : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : سنّـوا بهم سنّـة أهـل الكتاب .

وعن بجـالة قـال : كنت كاتبـاً لجزء بن معـاوية على منـاذر(١) فجاءنـا كتـاب عمر : أُنظر المجوس من قبلك فخذ منهم الجزية فإنَّ عبدالرَّحمٰن بن عوف أخبـرني أنَّ رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر .

وعنه قال : لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتّى شهد عبدالرَّحمٰن بن عوف أنَّ رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر .

---

(١) كورة من كور الأهواز .

راجع الأموال لأبي عبيد ص ٣٢ ، موطأ مالك ج ١ ص ٢٠٧ ، صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب الجزية ، مسند أحمد ج ١ ص ١٩٠ ، جامع الترمذي ج ١ ص ١٩٢ وفي ط ١ ص ٣٠٠ بعدَّة طرق صحَّح بعضها وحسَّن أُخرى ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٤ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٥ ، كتاب الرِّسالة للشافعي ص ١١٤ ، أحكام القرآن للجصّاص ج ٣ ص ١١٤ ، فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٧٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٤٨ ، وج ٩ ص ١٨٩ ، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٩٧ وصحّحه ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١١٤ ، مشكاة المصابيح ص ٣٤٤ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٤٥ .

قال الأميني : أوَ لا تعجب ممَّن يتصدّى للخلافة الكبرى ولا يعرف أمس لوازمها بها ؟ فإنَّ حكم المجوس من أوليات ما يلزم معرفته لمتولي السلطة الإسلاميَّة من الناحية الماليَّة والسياسيَّة والدينيَّة .

أوَلا تعجب من تعطيل حكم هامّ كهذا سنين متطاولة إلى شهادة عبدالرَّحمٰن ابن عوف وإجراء الحكم بعدها ؟ وكان ذلك قبل موت الخليفة بسنة[1] ومن الممكن أن يبتلى به وبمثله وعبدالرَّحمٰن أو مثله في منتأى عنه ، فبماذا يعمل إذن ؟ ولو لم تلد عبد الرَّحمٰن أُمّه فإلى ما كان يؤول أمره؟ ومن ذا الذي كان يفيض علمه عليه ؟ وكيف يتولّى الأمر مَن يجد في الرعيَّة مَن هو أعلم منه ؟ وأين هو ومَن ولاّه الأمر من قول النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : من تولّى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أنَّ فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنَّة رسوله فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين[2] . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ .

٨٩ - رأي الخليفة في صوم رجب :

عن خرشة بن الحرّ قال : رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكفَّ الرِّجال في صوم رجب

(١) راجع مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ص ٣٤٤ .
(٢) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٥ ص ٢١١ .

حتّى يضعونها في الطعام ويقول : رجب وما رجب ، إنّما رجب شهر كان يعظّمه أهل الجاهليّة فلمّا جاء الإسلام ترك[١] .

قال الأميني : لقد عزب عن الخليفة ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خصوص صوم رجب والترغيب فيه وذكر المثوبات الجزيلة له من ناحية .

وما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صوم ثلاثة أيّام من الأشهر كلّها وهو يعمُّ رجباً وغيره من ناحية أُخرى .

وما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صوم خصوص الأشهر الحرم ومنها شهر رجب من ناحية ثالثة .

وما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الترغيب في صوم يوم وإفطار يوم من تمام السنة وفيها شهر رجب من ناحية رابعة .

وما جاء في التطوّع بمطلق الصّوم والترغيب فيه من أيِّ شهر كان وهذه خامسة النواحي التي فاتت المانع عن صوم رجب فهلمّ معي فاقرأها .

الطائفة الأولى :

١ - عن عثمان بن حكيم قال: سألت سعيد بن جبير عن صوم رجب فقال : سمعت ابن عبّاس رضي الله عنه يقول : كان رسول الله ﷺ يصوم حتّى نقول : لا يفطر . ويفطر حتّى نقول : لا يصوم .

وفي لفظ البخاري : كان يصوم حتّى يقول القائل : لا والله : لا يفطر . ويفطر حتى يقول القائل : لا والله لا يصوم .

راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٥ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٨ ، مسند أحمد ج ١ ص ٣٢٦ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٨١ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٢٩١ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٢٨ .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٣ ص ١٩١ ، وكنز العمال ج ٤ ص ٣٤١ .

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مرفوعاً : رجب شهرٌ عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ، من صام يوماً من رجب فكأنّما صام سنة ، ومن صام منه سبعة أيّام غلقت عنه سبعة أبواب جهنّم ، ومن صام منه ثمانية أيّام فتحت له ثمانية أبواب الجنّة ، ومن صام منه عشرة أيّام لم يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه ، ومن صام منه خمسة عشر يوماً نادى منادٍ في السّماء : قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل ، ومن زاد زاده الله .

مجمع الزائد ج ٣ ص ١٩١ ، الغنية للجيلاني ج ١ ص ١٩٨ وله هناك أحاديث بألفاظ أخر عن أمير المؤمنين ، ورواه الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٨٢ من طريق البيهقي في شعب الإيمان عن أنس بن مالك .

٣ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : لم يتمّ صوم شهر بعد رمضان إلاّ رجب وشعبان . مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٩١ ، الغنية ج ١ ص ٢٠٠ .

٤ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً : إنَّ في الجنّة قصراً لا يدخله إلاّ صوّام رجب .

أخرج إبن شاهين في الترغيب كما في كنز العمّال ج ٤ ص ٣٤١ ، وذكره الجيلاني في الغنية ج ١ ص ٢٠٠ .

وأخرج البيهقي عن أنس مرفوعاً : إنَّ في الجنّة نهراً يقال له : رجب . أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر .

ورواه الشيرازي في الألقاب ، وذكره الزرقاني في شرح المواهب ج ٨ ص ١٠٨ ، والجيلاني في الغنية ج ١ ص ٢٠٠ ، والسيوطي في الجامع الصغير وقال المناوي في شرحه ج ٢ ص ٤٧٠ : هذا تنويهٌ عظيمٌ بفضل رجب ومزيّة الصيام فيه .

٥ ـ أخرج ابن عساكر عن أبي قلابة انّه قال : إنَّ في الجنّة قصراً لصوّام رجب . وذكره القسطلاني في المواهب اللدنيّة كما في شرحه ج ٨ ص ١٢٨ ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٤ ص ٣٤١ .

٦ - أخرج أبو داود عن عطاء بن أبي رباح : إنَّ عروة بن الزّبير قال لعبدالله بن عمر : هل كان رسول الله ﷺ يصوم في رجب ؟ قال : نعم ويُشرِّفه . قالها ثلاثاً .

وذكره القسطلاني في المواهب كما في شرحه ج ٨ ص ١٢٨ ، والرفاعي في ضوء الشمس ج ٢ ص ٦٧ .

٧ - عن مكحول قال : سأل رجلٌ أبا الدرداء رضي الله عنه عن صيام رجب ، فقال له : سألت عن شهر كانت الجاهليّة تعظّمه في جاهليتها وما زاده الإسلام إلّا فضلاً وتعظيماً ، ومن صام منه يوماً تطوّعاً يحتسب به ثواب الله تعالىٰ ويبتغي به وجهه مخلصاً أطفأ صومه ذلك اليوم غضب الله تعالىٰ ، وأغلق عنه باباً من أبواب النّار ، ولو أعطى ملء الأرض ذهباً ما كان جزاء له ولا يستكمل له أجر شيء من الدنيا دون يوم الحساب . الحديث . ذكره الجيلاني في الغنية ج ١ ص ١٩٨ .

وهناك أحاديث جمّة في فضل صوم رجب وأوّل خميس منه ويوم السابع والعشرين منه خاصّة من طريق أبي سعيد الخدري . والإمامين السبطين . وأنس بن مالك . وأبي هريرة . وسلمان الفارسي . وأبي ذر الغفاري . وسلامة بن قيس . وابن عبّاس . أسلفنا شطراً منها في الجزء الأوّل ص ٤٦٦ . وجمعها الجيلاني في الغنية ج ١ ص ١٩٦ - ٢٠٥ ، وذكر بعضها صاحب مفتاح السّعادة ج ٣ ص ٤٦ ، وأورد عدَّة منها الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٨١، ٨٢ ، والرفاعي في ضوء الشمس ج ٢ ص ٦٧ ثمَّ قال :

ذُكر في طبقات السبكي : أنَّ البيهقي ضعَّف حديث النهي عن صوم رجب ثمَّ حكى عن الشافعي في القديم أنَّه قال : أكره أن يتّخذ الرَّجل صوم شهر كامل غير رمضان لئلّا يظنّ الجاهل وجوبه . وقال الشيخ عزالدين ابن عبد السّلام رضي الله تعالىٰ عنه : من نهى عن صوم رجب فهو جاهلٌ . والمنقول إستحباب صيام الأشهر الحرم وهي أربعة : رجب . وذو القعدة . وذو الحجّة . والمحرّم . وعن النبيِّ ﷺ : رجب شهر الله ، قيل : ما معناه ؟ قال : لأنَّه مخصوصٌ بالمغفرة وفيه تحقن الدِّماء . وفي الحديث : أخبرني جبريل إذا كان أوَّل ليلة من رجب أمر الله

ملكاً ينادي : ألا إنَّ شهر التوبة قد استهلَّ فطوبى لمن استغفر الله فيه . وروي أنّه قال آدم عليه الصَّلاة والسَّلام : يا ربِّ أخبرني بأحبِّ الأوقات إليك وأحبِّ الأيّام إليك ؟ قال : أحب الأيام إليَّ النصف من رجب فمن تقرَّب إليَّ يوم النصف من رجب بصيام وصلاة وصدقة فلا يسألني شيئاً إلّا أعطيته ولا استغفرني إلّا غفرت له ، يا آدم من أصبح يوم النِّصف من رجب صائماً ذاكراً حافظاً لفرجه متصدِّقاً من ماله لم يكن له جزاء إلّا الجنَّة . الخ .

وقد ذهب فقهاء المذاهب الأربعة إلى استحباب صوم رجب وعدّوها من الصَّوم المندوب غير أنَّ الحنابلة قالوا بكراهة إفراد رجب بالصَّوم إلّا إذا أفطر في أثنائه فلا يكره[1] ولعلّه أخذاً بما في إحياء العلوم ج ١ ص ٢٤٤ من قوله : وكره بعض الصَّحابة أن يصام رجب كلّه حتّى لا يضاهى بشهر رمضان .

الطائفة الثانية :

١ ـ عن معاذة العدويَّة قالت : سألت عائشة أكان النبيُّ يصوم من كلِّ شهر ثلاثة أيّام ؟ قالت : نعم . قلت من أيِّ أيّام الشهر كان يصوم ؟ قالت : لم يكن يبالي من أيِّ الأيّام يصوم .

وفي لفظ أبي داود والبيهقي : ما كان يبالي من أيِّ أشهر كان يصوم .

وفي لفظ ابن ماجة : قلت : من أيّه ؟ قالت : لم يكن يبالي من أيِّه كان .

أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٢١ ، والترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٤٧ ، وابن داود في سننه ج ١ ص ٣٨٤ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٢ ، والبيهقي في سننه ج ٤ ص ٢٩٥ ، والخطيب التبريزي في المشكاة ص ١٧١ .

٢ ـ عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً : من صام من كلِّ شهر ثلاثة أيّام فذلك صيام الدَّهر .

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٣٩ .

وفي لفظ آخر له : أوصاني حبيبي بثلاثة لا أدعهنَّ إن شاء الله تعالىٰ أبداً ، أوصاني بصلاة الضحى ، وبالوتر قبل النوم ، وبصيام ثلاثة أيّام من كلِّ شهر .

أخرجه الترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٤٦ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٢ ، والنسائي في سننه ج ٤ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣١ ، وابن الأثير في جامع الأصول كما في تلخيصه ج ٢ ص ٣٣٠ .

٣ ـ عن عثمان بن أبي العاص مرفوعاً : صيام حسن ثلاثة أيّام من كلِّ شهر .

أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، والنسائي في سننه ج ٤ ص ٢١٩ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٣ .

٤ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : صوم الشّهر الصبر ، وثلاثة أيّام من كلِّ شهر صوم الدّهر .

وعنه قال : أوصاني خليلي ﷺ بثلاثة : صيام ثلاث من كلِّ شهر ، الحديث .
وفي لفظ الترمذي : عهد إليَّ النبيُّ ﷺ ثلاثة : وصوم ثلاثة أيّام من كلِّ شهر .

راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢٠ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٢٠٠ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ١٨ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٦٣ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٤٦ ، سنن النسائي ج ٤ ص ٢١٨ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٢٩٣ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٠ ، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٠ .

٥ ـ عن أبي الدّرداء قال : أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لن أدعهنَّ ما عشت ، بصيام ثلاثة أيّام من كلِّ شهر .

أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٢٠٠ ، والمنذري في الترغيب ج ٢ ص ٣٠ .

٦ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً : صوم ثلاثة أيّام من كلِّ شهر صوم الدّهر كلّه .

وفي لفظ آخر له : أما يكفيك من كلِّ شهر ثلاثة أيّام ؟ .

وفي لفظ ثالث له : حسبك من كلِّ شهر ثلاثاً فذلك صيام الدَّهر كلّه .

وفي لفظ رابع له : أدلّك على صوم الدَّهر ثلاثة أيّام من الشهر .

وفي لفظ خامس له : صُم من كلِّ شهر ثلاثة أيّام .

راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٩ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٠ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٨٠ ، سنن النسائي ج ٤ ص ٢١٠ ـ ٢١٥ ، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٠ .

٧ ـ عن قرة بن إياس مرفوعاً : صيام ثلاثة أيّام من كلِّ شهر صيام الدَّهر كلّه وإفطاره .

أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٣٤ ، بإسناد صحيح ، والبزّار والطبراني وابن حبّان في صحيحه ، كما في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣١ ، والجامع الصغير ج ٢ ص ٧٨ .

٨ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً : صوم شهر الصبر ، وثلاثة أيّام من كلِّ شهر تذهبن بحرّ الصَّدر .

قال الحافظ المنذري في الترغيب ج ٢ ص ٣١ : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه أحمد وابن حبّان في صحيحه والبيهقي الثلاثة من حديث الأعرابي ولم يسمّوه ورواه البزّار أيضاً من حديث عليّ .

٩ ـ عن عمرو بن شرحبيل مرفوعاً : ألا أُخبركم بما يذهب بحرّ الصّدر ؟ صوم ثلاثة أيّام من كلِّ شهر .

أخرجه النسائي في سننه ج ٤ ص ٢٠٨ ، والمنذري في الترغيب ج ٢ ص ٣١ .

١٠ ـ عن أبي عقرب مرفوعاً : صم ثلاثة أيّام من كلِّ شهر .

أخرجه النسائي في سننه ج ٤ ص ٢٢٥ .

١١ ـ عن عبدالله بن مسعود قال : إنَّ رسول الله ﷺ كان يصوم ثلاثة أيّام من

غرّة كلّ شهر .

أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٣٨٤ ، والترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٤٣ ، والنسائي في سننه ج ٤ ص ٢٠٤ ، والبيهقي في سننه ج ٤ ص ٢٩٤ ، والخطيب التبريزي في المشكاة ص ١٧٢ .

١٢ ـ عن عبدالله بن عمر قال : كان النبيُّ ﷺ يصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر .

أخرجه النسائي في سننه ج ٤ ص ٢١٩ ، وفي صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٨ من طريقه مرفوعاً : صُم من الشهر ثلاثة أيّام .

١٣ ـ عن أُمّ سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم من كلّ شهر ثلاثة أيّام وبهذا اللفظ جاء عن حفصة أيضاً ، وفي لفظ لأُمّ سلمة : كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر .

راجع سنن النسائي ج ٤ ص ٢٠٣ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٢٩٥ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٨٤ ، مشكاة المصابيح ص ١٧٢ .

وقبل هذه كلّها ما أخرجه أئمّة الحديث عن عمر نفسه مرفوعاً : ثلاث من كلّ شهر ، ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدّهر كلّه .

أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٢١ ، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٣٨٠ ، والنسائي في سننه ج ٤ ص ٢٠٩ ، والمنذري في الترغيب ج ٢ ص ٣١ ، والخطيب التبريزي في المشكاة ص ١٧١ .

الطائفة الثالثة :

١ ـ عن الباهلي مرفوعاً: صُمْ شهر الصبر ، وثلاثة أيّام بعده ، وصُمْ أشهر الحرم .

وفي لفظ آخر له : صُمْ من الحرُم واترك ، صُم من الحرُم واترك ، صُمْ من الحرُم واترك .

وفي لفظ ثالث له : صُم من الأشهر الحرُم واترك . قالها ثلاثاً .

أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٣٨١ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٣٠ ، والبيهقي في سننه ج ٤ ص ٢٩٢ ، ويوجد في المواهب اللدنيّة ، وشرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ١٢٧ .

٢ ـ عن أنس مرفوعاً : مَن صام ثلاثة أيّام من شهر حرام : الخميس ، والجمعة ، والسبت كتب له عبادة سنتين .

أخرجه الطيالسي والأزدي ، والغزالي في إحياء العلوم ج ١ ص ٢٤٤ ، وحكاه عن الطيالسي السيوطي في الجامع الصغير وحسّنه .

٣ ـ ذكر أبو داود في سننه : إنَّ رسول الله ﷺ ندب إلى الصّوم من الأشهر الحرُم ورجب أحدها .

وحكاه عن أبي داود القسطلاني في المواهب اللدنيّة ، والنووي في شرح صحيح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٥ ص ١٥٠ .

الطّائفة الرّابعة :

١ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً : أحبُّ الصيام إلى الله صيام داود ، وأحبُّ الصّلاة صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يفطر يوماً ويصوم يوماً .

وفي لفظ آخر له : صُم صوم داود عليه السلام صُم يوماً وأفطر يوماً .

وفي لفظ ثالث له : صُم أفضل الصِّيام عند الله صوم داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

ولهذا الحديث ألفاظٌ كثيرةٌ توجد في الصِّحاح والمسانيد راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٧ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٩ ـ ٣٢١ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٤٨ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٠ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٨٣ ، سنن النسائي ج ٤ ص ٢٠٩ ـ ٢١٥ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٢٣ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، مشكاة المصابيح ص ١٧١ .

٢ ـ أخرج مسلم والنسائي بالإسناد عن عمر في حديث قال : كيف بمن يصوم يوماً ويفطر يوماً ؟ قال ﷺ : ذلك صوم داود ﷺ .

صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢١ ، سنن النسائي ج ٤ ص ٢٠٩ .

الطائفة الخامسة :

١ ـ عن أبي أمامة قال قلت : يا رسول الله ! مرني بأمر ينفعني الله تعالىٰ به فقال : عليك بالصّوم فإنّه لا عدل له .

سنن النسائي ج ٤ ص ١٦٥ ، الترغيب ج ٢ ص ١٤ ، تيسير الوُصول ج ٢ ص ٣٢١ .

٢ ـ عن أبي سعيد مرفوعاً : من صام يوماً في سبيل الله باعدَ الله وجهه عن النّار سبعين خريفاً .

أخرجه مسلم في صيحه ج ١ ص ٣١٨ ، وأحمد في مسنده ج ٣ ص ٨٣ ، والبيهقي في سننه ج ٩ ص ١٧٣ ، وج ٤ ص ٢٩٦ ، والنسائي في سننه ج ٤ ص ١٧٣ ، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٢٥ ، والتبريزي في مصابيح السنّة ج ١ ص ١٣٥ .

٣ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : من صام يوماً في سبيل الله عزَّ وجلَّ زحزح الله وجهه عن النّار بذلك اليوم سبعين خريفاً .

وفي لفظ آخر له : من صام يوماً في سبيل الله تعالى جعل الله بينه وبين النّار خندقاً كما بين السّماء والأرض .

راجع صحيح الترمذي ج ١ ص ١٤٥ ، سنن النسائي ج ٤ ص ١٧٢ ، سنن إبن ماجة ج ١ ص ٥٢٥ ، مشكاة المصابيح ص ١٧٢ ، تاريخ الخطيب البغدادي ج ٤ ص ٨ .

٤ ـ عن عبدالله بن سفيان الأزدي مرفوعاً : ما من رجل يصوم يوماً في سبيل الله إلّا باعده الله عن النّار مقدار مائة عام . أخرجه الطبراني كما في الإصابة ج ٢ ص ٣١٩ .

أضف إلى هذه طوائف أُخرى تعمُّ بإطلاقها صوم رجب منها ما ورد في صوم الأربعاء والخميس والجمعة من دون اختصاص بأيّام شهر دون آخر .

ومنها ما ورد في صوم الأيّام البيض من كلِّ شهر وأنّه صيام الشهر .

ومنها ما ورد في صوم كلِّ أربعاء وخميس من الأيّام .

ومنها ما ورد في صوم أربعة أيّام من كلِّ شهر .

ومنها ما ورد في صوم الإثنين والخميس في أيّام السنة بأسرها .

توجد أحاديث هذه الطوائف في صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٩ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ١٩ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨٣ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، سنن النسائي ج ٤ ص ٢١٧ - ٢٢٣ ، سنن البيهقي ج ٤ ص ٢٩٤ ، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٠ - ٣٧ .

ولا أحسبك بعد ذلك كلّه تُقيم وزناً لما انفرد به إبن ماجة عن إبن عبّاس من أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن صيام رجب . إن كانت الرّواية صحيحة فإنّها معارضةٌ بما عرفته من المتواتر معنى أو بالتواتر الإجمالي من استحباب صوم رجب المرغّب فيه بصدور قطعيّ كما أفتى به علماء المذاهب الأربعة فكيف بها وهي ضعيفةٌ بمكان داود بن عطاء قال أحمد : ليس بشيء وقال أبو حاتم : ليس بالقويّ ، ضعيف الحديث منكره . وقال البخاري وأبو زرعة : منكر الحديث . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال الدارقطني : متروكٌ وقال ابن حبّان : كثير الوهم في الأخبار لا يحتجُّ به بحال لكثرة خطائه[1] . وقال السندي في شرح سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٣١ في نفس الحديث : في إسناده داود بن عطاء وهو ضعيفٌ متّفق على تضعيفه ، وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٨ ص ١٢٧ : قال الذهبي وغيره : حديثٌ لا يصحُّ ، فيه راوٍ وضعيفٌ متروكٌ ، وقد أخذ به الحنابلة فقالوا : يكره إفراده بالصوم .

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٩٤ .

على أنَّه من متفرِّدات ابن ماجة ولا يأبه بها عند نقَّاد الفنّ ، قال أبو الحجّاج المزِّي : كلّ ما انفرد به إبن ماجة فهو ضعيفٌ يعني بذلك ما انفرد به من الحديث عن الأئمّة الخمسة ـ أصحاب الصِّحاح[1] ـ ولذلك نصَّ غير واحد من الأعلام ـ وحديث النهي نصب أعينهم ـ على عدم النهي عن صوم رجب كما في المواهب اللدنيّة ، وإرشاد الساري ج ٥ ص ١٤٨ ، وشرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ١٢٧ .

فبعد هذه كلّها لا أدري ما محلّ ضرب الأيدي حتّى يضعونها في الطعام ؟ وما معنى قول القائل : رجب وما رجب إنّما رجب شهر كان يعظّمه أهل الجاهليّة فلمّا جاء الإسلام ترك ؟ راجع ص ٣٣١ وتأمّل فيما جاء به الخليفة فعلاً وقولاً .

٩٠ ـ اجتهاد الخليفة في السؤال عن مشكلات القرآن :

١ ـ عن سليمان بن يسار . إنَّ رجلاً يقال له : صُبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعدّ له عراجين النخل فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبدالله صُبيغ : فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه وقال : أنا عبدالله عمر . فجعل له ضرباً حتّى دمي رأسه فقال : يا أمير المؤمنين ! حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي .

وعن نافع مولى عبدالله : إنَّ صُبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتّى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلمّا أتاه الرّسول بالكتاب فقرأه فقال : أين الرَّجل ؟ فقال : في الرَّحل . قال عمر : أبصر أن يكون ذهب فتصيبك منّي العقوبة الموجعة . فأتاه به فقال عمر : تسأل محدثة ؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتّى ترك ظهره دبرة[2] ثمَّ تركه حتّى برأ ، ثمَّ عاد له ثمَّ تركه حتّى برأ فدعا به ليعود له قال صُبيغ : إن كنت تريد قتلي ، فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني ، فقد والله برئت .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥٣١ .

(٢) في سنن الدارمي : وبرة وفي حاشيته : أي ذات فروج : وفي لفظ ابن عساكر والسيوطي دبرة ، وهو الصحيح والمعنى واضح .

فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري : أن لا يجالسه أحدٌ من المسلمين . فاشتدَّ ذلك على الرَّجل فكتب أبو موسى إلى عمر: أن قد حسنت توبته، فكتب عمر : أن يأذن الناس بمجالسته .

وعن السائب بن يزيد قال : أُتي عمر بن الخطاب فقيل : يا أمير المؤمنين ! إنّا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن فقال عمر : أللهمَّ مكّنّي منه . فبينما عمر ذات يوم جالساً يغدي الناس إذ جاء [الرَّجل] وعليه ثيابٌ وعمامة صفدي حتّى إذا فرغ قال : يا أمير المؤمنين ! والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً ؟ فقال عمر : أنت هو ؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته فقال : والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب وأخرجوه حتّى تقدّموا به بلاده ثمَّ ليقم خطيب ثُمَّ يقول : إنَّ صُبيغاً ابتغى العلم فأخطأه . فلم يزل وضيعاً في قومه حتّى هلك وكان سيِّد قومه .

وعن أنس : إنَّ عمر بن الخطاب جلد صُبيغاً الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتّى اضطربت الدِّماء في ظهره .

وعن الزهري : إنَّ عمر جلد صبيغاً لكثرة مساءلته عن حروف القرآن حتّى اضطربت الدماء في ظهره(١) .

قال الغزالي في الإحياء ج ١ ص ٣٠ و[عمر] هو الذي سدَّ باب الكلام والجدل وضرب صبيغاً بالدرّة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر النّاس بهجره . هـ .

وصُبيغ هذا هو صُبيغ بن عسل . ويقال : ابن عسيل . ويقال : صُبيغ بن شريك من بني عسيل .

---

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٤ ، ٥٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٨٤ ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٩ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٢ ، إتقان السيوطي ج ٢ ص ٥ ، كنز العمال ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ نقلاً عن الدارمي ، ونصر المقدسي ، والأصبهاني ، وابن الأنباري ، والإلكلائي ، وابن عساكر ، الدر المنثور ج ٦ ص ١١١ ، فتح الباري ج ٨ ص ١٧ ، الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٤٥ .

٢ ـ عن أبي العديس قال : كنّا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ! ما الجوار الكنّس ؟ فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرَّجل فألقاها عن رأسه فقال عمر : أحروريّ ؟ والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك .

كنز العمال ج ١ ص ٢٢٩ نقلاً عن الكنى للحاكم ، الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١ .

٣ ـ عن عبدالرَّحمن بن يزيد : إنَّ رجلاً سأل عمر عن فاكهة وأبّاً فلمّا رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرَّة[١] .

قال الأميني : أحسب أنَّ في مقول العراجين ، ولسان المخصرة ، ومنطق الدرَّة الجواب الفاصل عن كلِّ ما لا يعلمه الإنسان ، وإليه يوعز قول الخليفة : نهينا عن التكلّف . في الجواب عن أبسط سؤال يعلمه كلُّ عربيّ صميم ألا وهو معنى الأبِّ المفسَّر في نفس الكتاب المبين بقوله تعالىٰ : ﴿متاعاً لكم لأنعامكم﴾ .

وأنا لا أعلم أنَّ السائلين بماذا استحقّوا الإدماء والإيجاع بمحض السؤال عمّا لا يعلمونه من مشكل القرآن أو ما غاب عنهم من لغته ؟ وليس في ذلك شيءٌ ممّا يوجب الإلحاد ، لكنَّ القصص جرت على ما ترى .

ثمَّ ما ذنب المجيبين بعلم عن السؤال عن الأبِّ ؟ ولماذا أقبل عليهم الخليفة بالدرَّة ؟ وهل تبقى قائمة لأصول التعليم والتعلّم والحالة هذه ؟ ولعلَّ الأُمَّة قد حرمت ببركة تلك الدرَّة عن التقدُّم والرقيِّ في العلم بعد أن آل أمرها إلى أن هاب مثل ابن عبّاس أن يسأل الخليفة عن قوله تعالىٰ : وإن تظاهرا عليه[٢] وقال : مكثت سنتين أُريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن حديث ما منعني منه إلا هيبته[٣] وقال : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبةً[٤] .

---

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٣ ، الدر المنثور ج ٦ ص ٣١٧ .
(٢) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٥ ص ٨ .
(٣) كتاب العلم لأبي عمر ص ٥٦ .
(٤) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١١٨ .

٩١ - رأي الخليفة في السؤال عمّا لم يقع :

أضف إلى اجتهاد الخليفة في مشكلات القرآن رأيه الخاصّ به في السؤال عمّا لم يقع فإنَّه كان ينهى عنه قال طاوس : قال عمر على المنبر : أُحرِّج بالله على رجل سأل عمّا لم يكن فإنَّ الله قد بيَّن ما هو كائنٌ(١) .

وقال : لا يحلُّ لأحد أن يسأل عمّا لم يكن ، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ قد قضى فيما هو كائنٌ .

وقال : أُحرِّج عليكم أن لا تسألوا عمّا لم يكن فإنَّ لنا فيما كان شغلاً .

وجاء رجلٌ إلى ابن عمر فسأله عن شيءٍ لا أدري ما هو فقال له ابن عمر : لا تسأل عمّا لم يكن فإنّي سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمّا لم يكن(٢) .

فساق اللعن أعلام الصَّحابة إلى هذا الحادث ، وعمّت البليَّة ، وطفقوا لم يجيبوا عن السؤال عمّا لم يكن ، فهذا ابن عبّاس سأله ميمون عن رجل أدركه رمضانان فقال : أكان أو لم يكن ؟ قال : لم يكن بعدُ . قال : أُترك بليّة حتّى تنزل . قال : فدلّسنا له رجلاً فقال : قد كان . فقال : يطعم من الأوَّل منهما ثلاثين مسكيناً لكلِّ يوم مسكين(٣) .

وهذا أُبيُّ بن كعب سأله رجلٌ فقال : يا أبا المنذر ما تقول في كذا وكذا ؟ قال : يا بُنيَّ أكان الذي سألتني عنه ؟ قال : لا . قال : أمّا لا فأجِّلني حتّى يكون فنعالج أنفسنا حتّى نخبرك(٤) .

وقال مسروق : كنت أمشي مع أُبيِّ بن كعب فقال فتىً : ما تقول يا عمّاه في كذا

---

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٠ ، جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٤١ .
(٢) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٠ ، كتاب العلم لأبي عمر ج ٢ ص ١٤٣ ، وفي مختصره ص ١٩٠ ، فتح الباري ج ١٣ ص ٢٢٥ ، كنز العمال ج ٢ ص ١٧٤ .
(٣) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٧ .
(٤) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٦ .

وكذا ؟ قال : يابن أخي أكان هذا ؟ قال : لا . قال : فاعفنا حتّى يكون[١] .

٩٢ - نهي الخليفة عن الحديث :

وأردف الحادثين في مشكل القرآن والسؤال عمّا لم يقع ، بثالث أفظع وهو نهي الخليفة عن الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو عن إكثاره ، وضربه وحبسه وجوه الصّحابة بذلك .

قال قرظة بن كعب لَمّا سيّرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال : أتدرون لِم شيّعتكم ؟ قالوا : نعم مكرمةً لنا . قال : ومع ذلك إنّكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النحل فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم جرِّدوا القرآن وأقلّوا الرِّواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم . فلمّا قدم قرظة بن كعب قالوا : حدِّثنا . فقال : نهانا عمر رضي الله عنه[٢] .

وفي لفظ أبي عمر : قال قرظة : فما حدَّثت بعده حديثاً عن رسول الله ﷺ .

وفي لفظ الطبري : كان عمر يقول : جرِّدوا القرآن ولا تفسِّروه وأقلّوا الرِّواية عن رسول الله وأنا شريككم[٣] .

ولمّا بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنّك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دويٌّ بالقرآن كدويّ النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك في ذلك . ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٠٧ فقال : هذا معروفٌ عن عمر رضي الله عنه .

وأخرج الطبراني عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن إنَّ عمر حبس ثلاثةً : ابن مسعود ، وأبا الدَّرداء ، وأبا مسعود الأنصاري ، فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ ، حبسهم بالمدينة حتّى استشهدا[٤] .

---

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٦ .

(٢) سنن الدارمي ج ١ ص ٨٥ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٦ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ١٠٢ ، جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢٠ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٢٠ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧ ، مجمع الزوائد ج ١ ص ١٤٩ وصححه محشي الكتاب فقال : =

وفي لفظ الحاكم في المستدرك ج ١ ص ١١٠ :

إنَّ عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولأبي الدّرداء ولأبي ذر : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتّى أُصيب .

وفي لفظ جمال الدين الحنفي :

إنَّ عمر حبس أبا مسعود وأبا الدَّرداء وأبا ذر حتّى أُصيب . وقال : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ ثمَّ قال : وممّا روي عنه أيضاً أنَّ عمر قال لابن مسعود وأبي ذر : ما هذا الحديث ؟ قال : أحسبه حبسهم حتّى أُصيب . فقال :

وكذلك فعل بأبي موسى الأشعري مع عدله عنده [المعتصر ج ١ ص ٤٥٩] .

وقال عمر لأبي هريرة : لتتركنَّ الحديث عن رسول الله أو لأُلحقنّك بأرض دوس[1] .

وقال لكعب الأحبار : لتتركنَّ الحديث عن الأوَّل أو لأُلحقنَّك بأرض القردة .

[تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠٦] .

وأخرج الذهبي في التّذكرة ج ١ ص ٧ عن أبي سلمة قال : قلت لأبي هريرة : أكنت تحدِّث في زمان عمر هكذا ؟ فقال : لو كنت أُحدِّث في زمان عمر مثل ما أُحدِّثكم لضربني بمخفقته .

وأخرج أبو عمر عن أبي هريرة : لقد حدَّثتكم بأحاديث لو حدَّثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرَّة .

[جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢١] .

وفي لفظ الزهري : أفكنت محدّثكم بهذه الأحاديث وعمر حيّ أما والله إذاً

= هذا صحيح عن عمر من وجوه كثيرة وكان عمر شديداً في الحديث .

(١) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ج ٥ ص ٢٣٩ ، وأخرجه أبو زرعة كما في تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠٦ .

لأيقنت أنَّ المخفقة ستباشر ظهري . وفي لفظ ابن وهب : إنّي لأُحدِّث أحاديث لو تكلّمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشجّ رأسي .

[تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠٧] .

فمن جرّاء هذا الحادث قال الشعبي : قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً فما سمعته يحدِّث عن رسول الله ﷺ إلاّ حديثاً[١] .

وقال السائب بن يزيد : صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكّة فما سمعته يحدِّث بحديث واحد .

[سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٦] .

وقال أبو هريرة : ما كنّا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ﷺ حتّى قبض عمر .

[تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠٧] .

قال الأميني : هل خفي على الخليفة أنَّ ظاهر الكتاب لا يغني الأُمّة عن السنّة ، وهي لا تفارقه حتّى يردا على النبيِّ الحوض ، وحاجة الأُمّة الى السنّة لا تقصر عن حاجتها إلى ظاهر الكتاب ؟ والكتاب كما قال الأوزاعي ومكحول : أحوج إلى السنّة من السنّة إلى الكتاب .

[جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٩١] .

أو رأى هناك أُناساً لعبوا بها بوضع أحاديث على النبيِّ الأقدس - وحقّاً رأى - فهمَّ قطع جراثيم التقوُّل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقصير تلكم الأيدي الأثيمة عن السنّة الشريفة ؟ فإن كان هذا أو ذاك فما ذنب مثل أبي ذر المنوَّه بصدقه بقول النبيِّ الأعظم : ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر[٢] أو مثل عبدالله بن مسعود صاحب سرِّ رسول الله ، وأفضل من قرءا القرآن ، وأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، الفقيه في الدين ، العالم بالسنّة[٣] أو مثل أبي الدرداء عويمر كبير الصّحابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤] فلماذا حبسهم حتّى

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٨٤ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٥ .

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ويأتي تفصيل هذا الحديث ومصادره .

(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٢ ، ٣١٥ .

(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣٧ .

أُصيب ؟ ولماذا هتك أُولئك العظماء في الملأ الديني وصغّرهم في أعين النّاس ؟ وهل كان أبو هريرة وأبو موسى الأشعري من أولئك الوضّاعين حتّى استحقّا بذلك التعزير والنهر والحبس والوعيد ؟ أنا لا أدري .

نعم : هذه الآراء كلّها أحداث السياسة الوقتيّة سدّت على الأُمّة أبواب العلم ، وأوقعتها في هوّة الجهل ومعترك الأهواء وإن لم يقصدها الخليفة ، لكنّه تترّس بها يوم ذاك ، وكافح عن نفسه قحم المعضلات ، ونجابها عن عويصات المسائل .

وبعد نهي الأُمّة المسلمة عن علم القرآن ، وإبعادها عمّا في كتابها من المعاني الفخمة والدروس العالية من ناحية العلم والأدب والدين والإجتماع والسياسة والأخلاق والتاريخ ، وسدّ باب التعلّم والأخذ بالأحكام والطقوس ما لم يتحقّق ويقع موضوعها ، والتجافي عن التهيّؤ للعمل بدين الله قبل وقوع الواقعة ، ومنعها عن معالم السنّة الشريفة والحجز عن نشرها في الملأ ، فبأيٍّ علم ناجع ، وبأيِّ حُكم وحِكَم تترفّع وتتقدّم الأُمّة المسكينة على الأُمم ؟ وبأيٍّ كتاب وبأيّة سنّة تتأتّى لها سيادة العالم التي أسّسه لها صاحب الرّسالة الخاتمة ؟ فسيرة الخليفة هذه ضربةٌ قاضيةٌ على الإسلام وعلى أُمّته وتعاليمها وشرفها وتقدّمها وتعاليها علم بها هو أو لم يعلم ، ومن ولائد تلك السيرة الممقوتة حديث كتابة السنن ، ألا وهو :

٩٣ ـ حديث كتابة السنن :

عن عروة : أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثمَّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إنّي كنت أُريد أن أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتُباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٦ ، مختصر جامع بيان العلم ص ٣٣ .

وقد اقتفى أثر الخليفة جمعٌ وذهبوا إلى المنع عن كتابة السنن خلافاً للسنَّة الثابتة عن الصادع الكريم(١) .

٩٤ ـ رأي الخليفة في الكتب :

أضف إلى الحوادث الأربعة : حادث مشكلات القرآن . وحادث السؤال عمّا لم يقع . وحادث الحديث عن رسول الله . وحادث كتابة السنن . رأي الخليفة واجتهاده حول الكتب والمؤلّفات . أتى رجلٌ من المسلمين إلى عمر فقال : إنّا لمّا فتحنا المدائن أصبنا كتاباً فيه علمٌ من علوم الفرس وكلامٌ معجبٌ . فدعا بالدرَّة فجعل يضربه بها ثمَّ قرأ نحن نقصُّ عليك أحسن القصص ويقول : ويلك أقصص أحسن من كتاب الله ؟ إنما هلك من كان قبلكم لأنَّهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتّى درسا وذهب ما فيهما من العلم .

صورة اخرى :

عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّا لمَّا فتحنا المدائن أصبت كتاباً فيه كلامٌ معجبٌ ، قال : أمن كتاب الله ؟ قال : لا . فدعا بالدِرَّة فجعل يضربه بها فجعل يقرأ : آلر نلك آيات الكتاب المبين . ﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون﴾ . إلى قوله تعالىٰ :﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ .ثمَّ قال : إنّما أهلك من كان قبلكم أنَّهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التَّوراة والإنجيل حتّى درسا وذهب ما فيهما من العلم .

وأخرج عبد الرزّاق ، وابن الضريس في فضائل القرآن والعسكري في المواعظ ، والخطيب عن إبراهيم النخعي قال : كان بالكوفة رجلٌ يطلب كتب دانيال وتلك الضريبة فجاء فيه كتابٌ من عمر بن الخطاب أن يُرفع إليه فلمّا قدم على عمر علاه بالدرَّة ثمَّ جعل يقرأ عليه :﴿آلر تلك آيات الكتاب المبين﴾ ـ حتى

(١) راجع سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٥ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٦ ، مختصر جامع العلم ص ٣٦ ، ٣٧ .

بلغ ـ ﴿الغافلين﴾ . قال :فعرفت ما يريد فقلت :يا أمير المؤمنين ! دعني فوالله لا أدع عندي شيئاً من تلك الكتب إلّا أحرقته فتركه .

راجع سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٧ ، شرح إبن أبي الحديد ج ٣ ص ١٢٢ ، كنز العمّال ج ١ ص ٩٥ .

وجاء في تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج الملطي المتوفّى سنة ٦٨٤ ص ١٨٠ من طبعة بوك في اوكسونيا سنة ١٦٦٣ م ما نصّه :

وعاش [يحيى الغراماطيقي] إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندريَّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفيَّة التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلاً حسن الإستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه ثمَّ قال له يحيى يوماً : إنَّك قد أحطت بحواصل الإسكندريّة وختمت على كلِّ الأصناف الموجودة بها ، فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه ، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به . فقال له عمرو : ما الذي تحتاج إليه ؟ قال : كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكيَّة . فقال عمرو : هذا ما لا يمكنني أن آمر فيه إلّا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إلى عمر وعرَّفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وأمَّا الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما وافق كتاب الله ، ففي كتاب الله عنه غنى ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فلا حاجة إليه فتقدَّم بإعدامها . فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمّامات الإسكندريَّة وإحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدَّة ستَّة أشهر فاسمع ما جرى واعجب .

هذه الجملة من كلام الملطي ذكرها جرجي زيدان في تاريخ التمدّن الإسلامي ج ٣ ص ٤٠ برمَّتها فقال في التعليق عليها : النسخة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت قد حذفت منها هذه الجملة كلّها لسبب لا نعلمه .

وقال عبد اللطيف البغدادي المتوفّى سنة ٦٢٩ الهجري في الإفادة والإعتبار ص ٢٨ : رأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيحٌ وبعضها مكسورٌ ويظهر من حالها أنّها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف

وعمود السواري عليه قبّةٌ هو حاملها . وأرى أنّه الرِّواق الذي كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده وأنّه دار المعلّم التي بناها الإسكندر حين بنى مدينته ، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضي الله عنه .

صورة مفصلة :

وقال القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفّى سنة ٦٤٦ في كتابه تراجم الحكماء المخطوط(١) في ترجمة يحيى النحوي :

وعاش [يحيى النحوي] إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر والإسكندريّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى فأكرمه عمرو ورأى له موضعاً وسمع كلامه في إبطال التثليث فأعجبه وسمع كلامه أيضاً في انقضاء الدَّهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقيّة وسمع من ألفاظه الفلسفيّة التي لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله ، وكان عمرو عاقلاً حسن الإستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه ، ثمَّ قال له يحيى يوماً : إنّك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كلِّ الأجناس الموصوفة الموجودة بها ، فأمّا ما لك به انتفاعٌ فلا أُعارضك فيه ، وأمّا ما لا نفع لكم به فنحن أولى به ، فأمر بالإفراج عنه . فقال له عمرو : وما الذي تحتاج إليه ؟ قال : كتب الحكمة في الخزائن الملوكيّة وقد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها . فقال له : ومن جمع هذه الكتب وما قصّتها ؟ فقال له يحيى : إن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندريّة لمّا ملك حبّب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت وولّى أمرها رجلاً يعرف بابن زمرة [زميرة] وتقدَّم إليه بالإجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها وترغيب تجّارها ففعل واجتمع من ذلك في مدَّة خمسون ألف كتاباً ومائة وعشرون كتاباً .

ولمّا علم الملك باجتماعها وتحقّق عدَّتها قال لزميرة : أترى بقي في الأرض

(١) توجد نسخة في دار الكتب الخديوية مكتوبة سنة ١١٩٧ كما في تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ص ٤٢ .

من كتب العلم ما لم يكن عندنا ؟ فقال له زميرة : قد بقي في الدنيا شيءٌ في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الرّوم . فعجب الملك من ذلك وقال له : دم على التحصيل فلم يزل على ذلك إلى أن مات ، وهذه الكتب لم تزل محروسةً محفوظةً يراعيها كلٌ من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا ، فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له : لا يمكنني أن آمر بأمر إلاّ بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وكتب إلى عمر وعرَّفه بقول يحيى الذي ذكر ، واستأذنه ما الذي يصنعه فيها ؟ فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وأمّا الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ، ففي كتاب الله عنه غنى ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى ، فلا حاجة إليها فتقدَّم بإعدامها . فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمّامات الإسكندريّة وإحراقها في مواقدها وذكرت عدّة الحمامات يومئذٍ وأنسيتها ، فذكروا أنّها استنفدت في مدَّة ستّة أشهر ، فاسمع ما جرى واعجب . ا هـ .

وفي فهرست ابن النديم المتوفّى سنة ٣٨٥ إيعاز الى تلك المكتبة المحروقة قال في صحيفة ٣٣٤ : وحكى إسحاق الرّاهب في تاريخه أنَّ بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندريّة لمّا ملك فحص عن كتب العلم وولّى أمرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكي أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً . وقال له : أيّها الملك قد بقي في الدنيا شيءٌ كثيرٌ في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الرّوم . ا هـ .

ومؤسّس تلك المكتبة هو بطليموس الأوَّل وهو الذي بنى مدرسة الإسكندريّة المعروفة باسم الرواق وجمع فيها جميع علوم تلك الأزمان من فلسفة ورياضيّات وطبّ وحكمة وآداب وهيئة وكانت المدرسة توصل للقصر الملكي ، وبويع لولده بطليموس الثاني ـ الملقّب بفيلادلفوس [أي محبُّ أخيه] ـ بالملك حياة أبيه قبل موته بسنتين سنة خمس وثمانين ومائتين قبل الميلاد أي سنة سبع وتسعمائة قبل الهجرة وله من العمر أربع وعشرون سنة ومات سنة ستّ وأربعين ومائتين قبل الميلاد أي سنة ثمان وستّين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدَّة حكمه ثمانياً وثلاثين سنة ، وكان على سيرة أبيه في حبِّ العلم وأهله والعناية بخزانة كتب الإسكندريّة

وجمع الكتب فيها[١] .

وكان رأي الخليفة هذا عامّاً على جميع الكتب في الأقطار التي فتحتها يد الإسلام قال صاحب «كشف الظنون» ج ١ ص ٤٤٦ : إنَّ المسلمين لمّا فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم كتب سعد بن أبي وقّاص إلى عمر بن الخطّاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب إليه عمر رضي الله عنه : أن اطرحوها في الماء ، فإن يكن ما فيها هدىً ، فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه ، وإن يكن ضلالاً ، فقد كفانا الله تعالى . فطرحوها في الماء أو في النار فذهبت علوم الفرس فيها .

وقال في ج ١ ص ٢٥ في أثناء كلامه عن أهل الإسلام وعلومهم : إنَّهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد .

وقال ابن خلدون في تاريخه ج ١ ص ٣٢ : فالعلوم كثيرة والحكماء في أُمم النوع الإنساني متعدِّدون ، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر ممّا وصل ، فأين علوم الفرس التي أمر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح ؟

قال الأميني : ليس النظر في كتب الأوَّلين على إطلاقه محظوراً ولاسيّما إذا كانت كتباً علميّة أو صناعيّة أو حكميّة أو أخلاقيّة أو طبّية أو فلكيّة أو رياضيّة إلى أمثالها ، وأخصّ منها ما كان معزوّاً إلى نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام كدانيال إن صحّت النسبة ولم يطرقه التحريف ، نعم : إذا كان كتاب ضلال من دعاية إلى مبدأ باطلٍ ، أو دين منسوخ ، أو شبهةٍ موجّهة إلى مبادىء الإسلام يحرم النظر فيه للبسطاء القاصرين عن الجواب والنقد ، وأمّا من له منّة الدفع أو مقدرة الحجاج فإنَّ نظره فيه لإبطال الباطل وتعريف الناس بالحقِّ الصراح من أفضل الطاعات .

ولا منافاة بين كون القرآن أحسن القصص وبين أن يكون في الكتب علمٌ ناجعٌ ، أو حكمةٌ بالغةٌ ، أو صناعةٌ تفيد المجتمع ، أو علومٌ يستفيد بها البشر ، وإن كان ما في القرآن أبعد من ذلك مغزىً ، وأعمق منتهى ، وأحكم صنعاً ، غير أنَّ

---

(١) راجع الكافي في تاريخ مصر ج ١ ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

قصر الأفهام عن مغازي القرآن الكريم ترك الناس لا يستنبطون تلك العلوم ، مع إخباتهم إلى أنّه لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلّا أحصاها ، ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين ، فالمنع عن النظر في تلك الكتب جنايةٌ على المجتمع وإبعادٌ عن العلوم ، وتعزير الناظر فيها لا يساعده قانون الإسلام العامّ كتاباً وسنّة .

والله يعلم ما خسره المسلمون بإبادة تلك الثروة العلميَّة في الإسكندريَّة وتشتيتها في بلاد الفرس من حضارة راقية ، وصنائع مستطرفة لا ترتبطان بهدى أو ضلال كما حسبه الخليفة في كتب الفرس ، ولا تناطان بموافقة الكتاب أو بمخالفته كما زعمه في أمر مكتبة الإسكندريَّة العامرة ، وما كان يضرُّ المسلمين لو حصلوا على ذلك الثراء العلمي ؟ فأوقفهم على ثروة ماليَّة ، وبسطة في العلم ، وتقدّم في المدنيَّة ، ورقيّ في العمران ، وكمال في الصحَّة ، وكلٌّ منها يستتبع قوّةً في الملك ، وهيبةً عند الدُّول ، وبذخاً في العالم كلّه ، وسعةً في أديم السلطة ، فهل يفتّ شيء من ذلك في عضد الهدى ؟ أو يثلم جانباً من الدين ؟ نعم أعقب ذلك العمل الممقوت تقهقراً في العلوم ، وفقراً في الدنيا ، وسمعةً سيِّئةً لحقت العروبة والإسلام ، وفي النقّاد مَن يحسبه توحّشاً ، وفيهم من يعدُّه من عمل الجاهلين ، ونحن نكل الحكم فيه إلى العقل السليم ، والمنطق الصحيح .

على أنَّ الخليفة كان يسعه أنْ ينتقي من هذه الكتب ما أوعزنا إليه ممّا ينجع المجتمع البشري ، ويتلف ما فيه الإلحاد والضّلال ، لكنّه لم يفعل ومضى التاريخ كما وقعت القصَّة .

٩٥ ـ الخليفة والقراءات :

١ ـ عن محمّد بن كعب القرظي مرَّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية **﴿والسّابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه[1]﴾** فأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ فقال : أُبيّ بن كعب . فقال : لا تفارقني حتّى أذهب بك إليه فلمّا جاءه قال عمر : أنت أقرأت

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٠ .

هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم . قال : لأسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم ، قال : لقد كنت أرى أنّا رفعنا رفعة لا يبلغها أحدٌ بعدنا .

وأخرج الحاكم ، وأبو الشيخ عن أبي سلمة ، ومحمّد التيمي ، قالا مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ : والذين اتّبعوهم بإحسان . بالواو ، فقال : من أقرأك هذه ؟ فقال : أُبيّ . فأخذ به إليه فقال : يا أبا المنذر أخبرني هذا أنّك أقرأته هكذا . فقال أُبيّ : صدق وقد تلقّتها كذلك من في رسول الله ﷺ . فقال عمر : أنت تلقّنتها كذلك من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم . فأعاد عليه فقال في الثالثة وهو غضبان : نعم والله لقد أنزلها الله على جبريل عليه السلام وأنزلها جبريل على قلب محمّد ﷺ ولم يستأمر فيها الخطّاب ولا إبنه . فخرج عمر رافعاً يديه وهو يقول : الله أكبر ، الله أكبر .

وفي لفظ من طريق عمر بن عامر الأنصاري : فقال أُبيّ : والله اقرأنيها رسول الله ﷺ وأنت تبيع الخيط . فقال عمر : نعم إذن فنعم ، إذن نتابع أُبيّاً .

وفي لفظ : قرأ عمر : والأنصار [رفعاً] الذين بإسقاط الواو نعتاً للأنصار ، حتّى قاله زيد بن ثابت : إنّه بالواو فسأل عمر أُبيّ بن كعب فصدَّق زيداً فرجع إليه عمر وقال : ما كنّا نرى إلاّ أنّا رُفعنا رفعة لا ينالها معنا أحدٌ .

وفي لفظ : فقال عمر : فنعم إذن نتابع أُبيّاً . وفي لفظ الطبري : إذا نُتابع أُبيّاً .

وفي لفظ : أنَّ عمر سمع رجلاً يقرأه بالواو فقال : من أقرأك ؟ قال : أُبيّ . فدعاه فقال : اقرأنيه رسول الله ﷺ وإنّك لتبيع القرظ بالبقيع . قال : صدقت وإن شئت قلت : شهدنا وغبتم ، ونصرنا وخذلتم ، وآوينا وطردتم ، ثمَّ قال عمر : لقد كنت أرانا رفعنا رفعةً لا يبلغها أحدٌ بعدنا .

راجع تفسير الطبري ج ١ ص ٧ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٠٥ ، تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٣٨ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٣ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٤٦ ، الدّر المنثور ج ٣ ص ٢٦٩ ، كنز العمّال ج ١ ص ٢٨٧ ، ذكر لفظ أبي الشيخ ثمَّ حكاه عن جمع من الحفّاظ ، وذكر تصحيح الحاكم إيّاه ، وفي ص ٢٨٥

نقله عن أبي عبيد في فضائله وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٣٧٩ ، روح المعاني طبع المنيريَّة ج ١ ص ٨ .

٢ ـ أخرج أحمد في مسنده عن إبن عبّاس قال : جاء رجلٌ إلى عمر فقال : أكلتنا الضبع . قال مسعر : يعني السنة قال : فسأله عمر ممّن أنت ؟ فما زال ينسبه حتّى عرفه فإذا هو موسى فقال عمر : لو أنَّ لامرىء وادياً أو واديين لابتغى إليهما ثالثاً . فقال إبن عبّاس : ولا يملأ جوف إبن آدم إلاّ التراب ثمَّ يتوب الله على من تاب . فقال عمر لابن عبّاس : ممّن سمعت هذا ؟ قال : من أُبيّ . قال : فإذا كان بالغداة فاغد عليّ قال : فرجع إلى أُمّ الفضل فذكر ذلك لها فقالت : وما لك وللكلام عند عمر ؟ وخشي إبن عبّاس أن يكون أُبيّ نسي فقالت أُمّه : إنَّ أُبيّاً عسى أن لا يكون نسي ـ فغدا إليَّ عمر ومعه الدرّة فانطلقنا إلى أُبيّ فخرج أُبيّ عليهما وقد توضّأ فقال : إنّه أصابني مذيٌ فغسلت ذكري أو فرجي ـ مسعر شكَّ ـ فقال عمر : أوَ يجزىء ذلك ؟ قال : نعم . قال : سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وسأله عمّا قال ابن عبّاس فصدَّقه .

وفي المسند عن ابن عبّاس قال : جاء رجلٌ إلى عمر يسأله فجعل ينظر إلى رأسه مرَّة وإلى رجليه أُخرى هل يرى عليه من البؤس شيئاً ثمَّ قال له عمر : كم مالك ؟ قال : أربعون من الإبل . قال ابن عبّاس : فقلت : صدق الله ورسوله : لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب ويتوب الله على من تاب . فقال عمر : ما هذا ؟ فقلت : هكذا أقرأنيها أُبيّ . قال : فمر بنا إليه قال : فجاء إلى أُبيّ فقال : ما يقول هذا ؟ قال أُبيّ : هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ قال : أفأُثبتها ؟ فأثبتها .

وفي المحكي عن أحمد : قال «عمر» إذاً أثبتها في المصحف ؟ قال : نعم .

وأخرج ابن الضريس عن ابن عبّاس قال : قلت : يا أمير المؤمنين إنَّ أُبيّاً يزعم أنّك تركت من آيات الله آية لم تكتبها قال : والله لأسألنَّ أُبيّاً فإن أنكر لتكذبنَّ فلمّا صلّى صلاة الغداة غدا على أُبيّ . فأذن له وطرح له وسادة وقال : يزعم هذا أنّك تزعم أنّي تركت آية من كتاب الله لم أكتبها فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ

يقول : لو أنَّ لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ، ويتوب الله على من تاب فقال عمر : أفأكتبها ؟ قال : لا أنهاك . قال : فكأنَّ أُبيّاً شكَّ أقولٌ من رسول الله (ص) أو قرآنٌ منزلٌ ؟

راجع مسند أحمد ج ٥ ص ١١٧ ، كنز العمّال ج ١ ص ٢٧٩ نقلاً عن أحمد ، وسعيد بن منصور ، وأبي عوانة ، الدرّ المنثور ج ٦ ص ٣٧٨ .

٣ - عن أبي إدريس الخولاني قال : كان أُبيّ يقرأ : **﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهليّة[١]﴾** ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله سكينته على رسوله . فبلغ ذلك عمر فاشتدَّ فبعث إليه فدخل عليه فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال : مَن يقرأ منكم سورة الفتح ؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم فغلظ له عمر فقال أُبيّ : أأتكلّم ؟ قال : تكلّم . فقال : لقد علمت أنّي كنت أدخل على النبيِّ ﷺ ويقرأني وأنت بالباب ، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت وإلّا لم أقرأ حرفاً ما حييت ؟ قال : بل أُقرئ الناس.

وفي لفظ : فقال أُبيّ : والله يا عمر إنّك لتعلم أنّي كنت أحضر وتغيبون ، وأُدعى وتحجبون ، ويصنع بي ، والله لئن أحببت لألزمنَّ بيتي فلا أحدِّث أحداً بشيءٍ ؟

راجع تفسير إبن كثير ج ٤ ص ١٩٤ ، الدرّ المنثور ج ٦ ص ٧٩ حكاه عن النسائي والحاكم وذكر تصحيح الحاكم له ، كنز العمّال ج ١ ص ٢٨٥ نقلاً عن النسائي وابن أبي داود في المصاحف والحاكم . ثمَّ قال : وروى إبن خزيمة بعضه .

٤ - عن ابن مجلز قال : إنَّ أُبيّ بن كعب قرأ : **﴿من الذين استحقَّ عليهم الأوليان﴾[٢]** فقال عمر : كذبت . قال : أنت أكذب . فقال رجلٌ : تُكذّب أمير المؤمنين ؟ قال : أنا أشدّ تعظيماً لحقِّ أمير المؤمنين منك ، ولكن كذَّبته في تصديق كتاب الله ، ولم أُصدِّق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله . فقال عمر : صدق .

(١) سورة الفتح ؛ الآية : ٢٦ .
(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ١٠٧ .

أخرجه ابن جرير الطبري وعبد بن حميد وابن عدي كما في الدرّ المنثور ج ٢ ص ٣٤٤ ، وكنز العمّال ج ١ ص ٢٨٥ .

٥ ـ عن خرشة بن الحرّ قال : رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوبة فيه : **﴿إذا نودي للصّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله[1]﴾** فقال : من أملى عليك هذا؟ قلت : أُبيُّ بن كعب . قال : إنَّ أُبيّاً أقرأنا للمنسوخ قرأها فامضوا إلى ذكر الله .

عن عبدالله بن عمر قال : ما سمعت عمر يقرأها قطُّ إلاّ فامضوا إلى ذكر الله .

عن إبراهيم قال : قيل لعمر : إنَّ أُبيّاً يقرأ : فاسعوا إلى ذكر الله . قال عمر : أُبيّ أعلمنا بالمنسوخ كان يقرأها فامضوا إلى ذكر الله .

وأخرجه أبو عبيد في فضائله ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن الأنباري في المصاحف ، وعبد الرزّاق ، والشافعي ، والفرباني ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في السنن كما في الدرّ المنثور ج ٦ ص ٢١٩ ، وكنز العمّال ج ١ ص ٢٨٥ .

٦ ـ عن بجالة قال : مرَّ عمر بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف : **﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أُمّهاتهم[2]﴾** وهو أبٌ لهم . فقال : يا غلام حكّها . قال : هذا مصحف أُبيّ فذهب إليه فسأله فقال له أُبيّ : إنّه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق . وأغلظ لعمر .

أخرجه سعيد بن منصور ، والحاكم ، والبيهقي في السنن ج ٧ ص ٦٩ ، والقرطبي في تفسيره ج ١٤ ص ١٢٦ ، وحكى عن الأوّلين في كنز العمّال ج ١ ص ٢٧٩ .

٧ ـ قرأ أُبيُّ بن كعب : **﴿ولا تقربوا الزّنا إنّه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً إلاّ**

---

(١) سورة الجمعة ؛ الآية : ٩ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٦ .

من تاب[1] فإنَّ الله كان غفوراً رحيماً﴾ . فذكر لعمر فأتاه فسأله عنها قال : أخذتها من في رسول الله ﷺ وليس لك عمل إلاَّ الصفق بالبيع .

أخرجه إبن مردويه وعبد الرزّاق كما في كنز العمّال ج ١ ص ٢٧٨ .

٨ - عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الرَّحمن بن عوف : ألم تجد فيما أُنزل علينا : أن جاهدوا كما جاهدتم أوَّل مرَّة ؟ فإنّا لم نجدها . قال : أُسقط فيما أُسقط من القرآن .

أخرجه أبو عبيد كما في الإتقان ج ٢ ص ٤٢ ، وكنز العمّال ج ١ ص ٢٧٨ .

٩ - عن ابن عبّاس وعُديّ بن عُديّ عن عمر إنَّه قال : إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : أن لا ترغبوا عن آبائكم :فإنّه كفرٌ بكم . أو : إنَّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ثمَّ قال لزيد بن ثابت : أكذلك ؟ قال : نعم .

أخرجه البخاري في صحيحه ج ١٠ ص ٤٣ . وأبو عُبيد كما في الإتقان ج ٢ ص ٤٢ .

١٠ - أخرج مالك والشافعي عن سعيد بن المسيِّب عن عمر في خطبة له قال : إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرَّجم يقول قائلٌ : لا نجد حدّين في كتاب الله فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا والذي نفسي بيده لولا أن يقول النّاس زاد عمر في كتاب الله تعالى لكتبتها : الشيخ والشيخة فارجموهما البتّة . فإنّا قد قرأناها .

وفي لفظ أحمد عن عبد الرَّحمن بن عوف : لولا أن يقول قائلون أو يتكلّم متكلّمون أنَّ عمر رضي الله عنه زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت .

وفي لفظ البخاري عن إبن عبّاس : إنَّ الله بعث محمّداً ﷺ بالحقِّ وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالنّاس زمانٌ أن يقول قائلٌ : والله ما نجد آية الرَّجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فضيلة أنزلها الله ، والرَّجم في كتاب الله حقّ على

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٢٢ .

من زنى إذا أحصن من الرِّجال والنساء إذا قامت البيِّنة أو كان الحبل أو كان الإعتراف .

وفي لفظ إبن ماجة عن ابن عبّاس : لقد خشيت أن يطول بالنّاس زمانٌ حتّى يقول قائلٌ : ما أجد الرَّجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة من فرائض الله . ألا وإنَّ الرَّجم حقٌّ إذا أحصن الرَّجل وقامت البيِّنة أو كان حملٌ أو اعترافٌ وقد قرأتها : الشيخ ، والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة . رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده .

وفي لفظ أبي داود : وأيم الله لولا أن يقول النّاس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها .

وفي لفظ البيهقي : ولولا أنّي أكره أن أزيد في كتاب الله لكتبته في المصحف ، فإنِّي أخاف أن يأتي أقوامٌ فلا يجدونه فلا يُؤمنون به .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ٢٩ ، ٥٠ ، اختلاف الحديث للشافعي المطبوع هامش كتاب الأُمّ له ج ٧ ص ٢٥١ ، موطأ مالك ج ٢ ص ١٦٨ ، صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٣ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٣ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٢٩٩ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ١٧٩ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١١٥ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٣٠ ، مسند الطيالسي ص ٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢١١ - ٢١٣ ، أحكام القرآن للجصّاص ج ٣ ص ٣١٧ . ـ

قال الأمينيُّ : كلُّ هذه تكشف عن انحسار علم الخليفة عن ترتيل القرآن الكريم وإن هؤلاء المذكورين أعلم منه به ، وإنّما ألهاه عنه الصَّفق بالأسواق ، أو بيع الخيط أو القرظة ، ولم يكن له عملٌ إلّا الصَّفق بالبيع .

ما بال الخليفة - وهو القدوة والأُسوة في الكتاب والسنَّة يتّبع آراء الناس في كتاب الله ؟ ويمحو ويثبت في المصحف بقول أُناس آخرين ؟ ولم يفرّق بين الكتاب والسنّة ؟ ويعير سمعه إلى هذا وذلك ؟ ويقبل من هذا قوله : أثبتها . ويصدِّق لآخر رأيه في إسقاط شيء من القرآن ، ويرى آياً محرَّفة من الكتاب تمنعه عن إدخالها فيه خشية قول القائلين وتكلّم المتكلّمين ، وهذا هو التحريف الذي يعزونه إلى الشيعة ، ويشنّون به عليهم الغارات ، والشيعة عن بكرة أبيهم براء من

تلكم الخزاية ، فقد أصفق المحقِّقون منهم على نفي ذلك نفياً باتّاً كما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١٣٥ .

وشتّان بين مَن هذا شأنه وبين مَن قال فيه التابعيُّ العظيم أبو عبد الرَّحمٰن السلمي القارىء المجمع على ثقته وجلالته : ما رأيت ابن انثى أقرأ لكتاب الله تعالى من عليّ . وقال أيضاً : ما رأيت أقرأ من عليّ عرض القرآن على النبيِّ ﷺ وهو من الذين حفظوه أجمع بلا شكّ عندنا[١] . وقد مرَّ بعض أحاديث علمه ﷺ بالكتاب ص ١٩٣ .

٩٦ - اجتهاد الخليفة في الأسماء والكنى :

١ - عن زيد بن أسلم عن أبيه أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب إبناً له تكنّى أبا عيسى ، وإنَّ المغيرة بن شعبة تكنّى بأبي عيسى فقال له عمر : أما يكفيك أن تكنّى بأبي عبدالله ؟ فقال : رسول الله ﷺ كنّاني أبا عيسى فقال : إنَّ رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وإنّا في جلستنا[٢] فلم يزل يكنّى بأبي عبدالله حتّى هلك .

صورة اخرى :

إنَّ المغيرة استأذن على عمر فقال : أبو عيسى . قال : مَن أبو عيسى ؟ فقال : المغيرة بن شعبة . قال : فهل لعيسى من أب ؟ فشهد له بعض الصَّحابة أنَّ النبيَّ ﷺ كان يكنّيه بها . فقال : إنَّ النبيَّ ﷺ غُفر له وإنّا لا ندري ما يُفعل بنا وكنّاه أبا عبدالله .

راجع سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩ ، سنن البيهقي ج ٩ ص ٣١٠ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٥٠ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٣٩ ، الكنى والأسماء للدولابي ج ١ ص ٨٥ ، زاد المعاد لابن القيِّم ج ١ ص ٢٦٢ ، نهاية إبن الأثير ج ١ ص ١٩٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٤١٣ ، ج ٣ ص ٤٥٣ .

---

(١) طبقات القراء ج ١ ص ٥٤٦ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٥١ .
(٢) وفي لفظ أبي داود : جلجلتنا .

٢ ـ جاءت سريَّة لعبيدالله بن عمر إلى عمر تشكوه فقالت : يا أمير المؤمنين ! ألا تعذرني من أبي عيسى ؟ قال : ومَن أبو عيسى ؟ قالت : ابنك عبيدالله . قال : ويحك ! وقد تكنّى بأبي عيسى ؟ ودعاه وقال : أيهاً اكتنيت بأبي عيسى ؟ فحذر وفزع فأخذ يده فعضّها حتى صاح ثمَّ ضربه وقال : ويلك هل لعيسى أب ؟ أما تدري ما كنى العرب ؟ أبو سلمة . أبو حنظلة أبو عرفطة . أبو مرَّة .

راجع شرح إبن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٤ ، عمدة القاري ج ٧ ص ١٤٣ .

٣ ـ كان عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة : لا تسمّوا أحداً باسم نبيّ ، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم المسمّين بمحمّد حتّى ذكر له جماعة من الصّحابة أنّه ﷺ إذن لهم في ذلك فتركهم .

[عمدة القاري ج ٧ ص ١٤٣] .

٤ ـ عن حمزة بن صهيب : إنَّ صهيباً كان يكنّى أبا يحيى ، ويقول : إنّه من العرب ، ويطعم الطعام الكثير . فقال له عمر بن الخطاب : يا صهيب ما لك تتكنّى أبا يحيى وليس لك ولدٌ ؟ وتقول إنَّك من العرب ، وتطعم الطعام الكثير ، وذلك سرفٌ في المال فقال صهيب : إنَّ رسول الله ﷺ كنّاني أبا يحيى ، وأمّا قولك في النسب فأنا رجلٌ من النمر بن قاسط من أهل الموصل ، ولكنّي سبيت غلاماً صغيراً قد عقلت أهلي وقومي . وأمّا قولك في الطعام ، فإنَّ رسول الله ﷺ كان يقول : أطعم الطعام ، وردّ السّلام . فذلك الذي يحملني على أن أُطعم الطعام .

وفي لفظ لأبي عمر : قال عمر : ما فيك شيء أعيبه يا صهيب ! إلاّ ثلاث خصال لولاهنَّ ما قدّمت عليك أحداً ، هل أنت مخبري عنهنَّ ؟ فقال صهيب : ما أنت بسائل عن شيء إلاّ صدقتك عنه . قال : أراك تنسب عربيّاً ولسانك أعجميّ ، وتتكنّى بأبي يحيى اسم نبيّ ، وتبذر مالك . قال : أمّا تبذير مالي فما أنفقه إلاّ في حقّه ، وأما اكتنائي بأبي يحيى فإنَّ رسول الله ﷺ كنّاني بأبي يحيى أفأتركها لك ؟ وأمّا انتسابي إلى العرب فإنَّ الرُّوم سَبَتني صغيراً فأخذتُ لسانهم وأنا رجلٌ من النّمر بن قاسِط لو انفلقتْ عنّي روثةٌ لانتسبت إليها .

أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ١٦ ، والحاكم في المستدرك ج ٤

ص ٢٨٨ ، وابن ماجة شطراً منه في سننه ج ٢ ص ٤٠٦ ، وأبو عمر في الإستيعاب في ترجمة صهيب ج ١ ص ٣١٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٦ .

٥ ـ سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً ينادي رجلاً : يا ذا القرنين . قال : أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ؟ .

راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١ ، فتح الباري ج ٦ ص ٢٩٥ .

قال الأميني : تكشف هذه الرِّوايات عن موارد من الجهل :

١ ـ نهي الخليفة عن التسمية باسم النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمره المسمَّين به بتغيير أسمائهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَن وُلد له ثلاثة أولاد فلم يسمّ أحدهم محمّداً فقد جهل[1] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا سمَّيتم محمّداً فلا تضربوه ولا تحرموه[2] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا سمَّيتم الولد محمّداً فأكرموه ، وأوسعوا له في المجلس ، ولا تقبحوا له وجهاً . طب ج ٣ ص ٩١ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ الله ليوقف العبد بين يديه يوم القيامة إسمه أحمد أو محمّد فيقول الله تعالى له : عبدي أما استحيتني وأنت تعصيني وإسمك إسم حبيبي محمّد . فينكس العبد رأسه حياءً ويقول : أللهمّ إنّي قد فعلت ، فيقول الله عزّ وجلّ : يا جبريل خُذ بيد عبدي وأدخله الجنّة فإنّي أستحي أن أُعذّب بالنّار مَن إسمه إسم حبيبي[3] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : مَن وُلد له مولودٌ فسمّاه محمّداً حبّاً لي وتبرُّكاً باسمي كان هو ومولوده في الجنّة[4] .

---

(١) أخرجه الطبري وابن عدي والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٤٩ ، والسيوطي في الجامع الصغير في حرف الميم .

(٢) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٤٨ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٨٩ .

(٣) المدخل لابن الحاج ج ١ ص ١٢٩ .

(٤) أخرجه ابن عساكر ، وذكره المناوي في فيض القدير ج ٦ ص ٢٣٧ ، والحلبي في السيرة النبوية ج ١ ص ٨٩ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : جاءت امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالت : يا رسول الله إنِّي قد ولدت غلاماً فسمَّيته محمّداً وكنَّيته أبا القاسم فذكر لي أنَّك تكره ذلك فقال : ما الذي أحلَّ إسمي وحرَّم كنيتي ؟ أو : ما الذي حرَّم كنيتي وأحلَّ إسمي[١] ؟ .

وقد سمَّى ﷺ محمَّد بن طلحة بن عبيدالله محمّداً وكنّاه بأبي القاسم[٢] ومحمّد هذا كان ممّن همَّ عمر أن يغيِّر إسمه[٣] .

وقد سمَّى رسول الله ﷺ غير واحد من ولدان عصره محمَّداً منهم :

محمّد بن ثابت بن قيس الأنصاري[٤] . و

محمّد بن عمرو بن حزم الأنصاري[٥] . و

محمّد بن عمارة بن حزم الأنصاري[٦] . و

محمّد بن أنس بن فضالة الأنصاري[٧] . و

محمَّد بن يفديدويه «بالمهملتين» الهروي[٨] .

وقال ﷺ لرجل أنصاريّ همَّ بأن يسمّي إبنه محمّداً فكرهوه وسألوه ﷺ : سمّوا باسمي[٩] .

وفي رجل وُلد له غلامٌ فسمَّاه القاسم فقالوا له : لا نكنِّيك به فسأله ﷺ

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣١٠ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ١٤٩ ، زاد المعاد ج ١ ص ٢٦٢ .
(٢) الإستيعاب ج ١ ص ٢٣٦ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٣٢٢ .
(٣) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) الإستيعاب ج ١ ص ٢٣٣ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٣١٣ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٧٢ .
(٥) الإستيعاب ج ١ ص ٢٣٧ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٣٢٧ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٧٦ .
(٦) الإصابة ج ٣ ص ٤٧٦ .
(٧) الإستيعاب ج ١ ص ٢٣٤ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٣١٢ ، الإصابة ج ٣ ص ٣٧٠ .
(٨) أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٨٥ .
(٩) مسند أحمد ج ٣ ص ٣٦٩ ، ٣٨٥ .

فقال : تسمّوا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي[١] .

على أنَّ تحسين الأسماء ممّا رغبت فيه الشّريعة المطهَّرة ومحمّد أحسنها وخير الأسماء ما عُبد به وحُمد فجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : إنَّكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم[٢] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من حقِّ الولد على الوالد أن يحسن إسمه وأن يحسن أدبه[٣] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أبردتم إليَّ بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الإسم[٤] .

وفي جامع الترمذي ج ٢ ص ١٠٧ ، عن عائشة قالت : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يغيِّر الإسم القبيح .

وممّن غيَّر إسمه عاصية بنت عمر فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميلة كما في صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٣٧ ، ومصابيح السنّة ج ٢ ص ١٤٨ .

٢ - نهيه عن التسمّي بأسماء الأنبياء وهي أحسن الأسماء بعد تلكم الأسماء المشتقّة من أسماء الله الحسنى من محمَّد وعليّ والحسن والحسين . وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله : ما من أهل بيت فيه اسم نبيّ إلّا بعث الله تبارك وتعالى إليهم ملكاً يقدِّسهم بالغداوة والعشيّ[٥] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم سمّوا بأسماء الأنبياء ، وأحبُّ الأسماء إلى الله عبدالله وعبد الرَّحمٰن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرَّة[٦] .

٣ - تذمّره من التكنِّي بأبي عيسى مستدلاً بقوله : فهل لعيسى من أب . أكان

---

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٢) سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٧ ، سنن البيهقي ج ٩ ص ٣٠٦ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٨ ص ٤٧ .

(٤) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٨ ص ٤٧ ، زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٥٨ .

(٥) المدخل لابن الحاج ج ١ ص ١٢٨ .

(٦) سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٧ ، سنن البيهقي ج ٩ ص ٣٠٦ ، الإستيعاب في ترجمة أبي وهب ج ٢ ص ٧٠٠ ، زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ وأثبته .

الخليفة يحب أنّ من يكنّى به يرى نفسه أباً لعيسى بن مريم ويكنى به حتّى يُقال عليه : فهل لعيسى من أب ؟ أو أنّه لم ير لعيسى الذي كنّاه به أبوه من أب ؟ وكان يحسب أنَّ الآباء يكنّون بأسماء أولادهم من هنا قال لصهيب : ما لك تكنّى أباً يحيى وليس لك ولد ؟ .

٤ ـ وأعجب من هذه كلّها أنَّ الخليفة بعد سماعه من المغيرة أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كنّاه بأبي عيسى لم يتزحزح عن رأيه ، وقد صدَّقه في مقاله ، لكنَّه عدَّ ذلك ذنباً مغفوراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأراد أن لا يذنب هو ولفيفه إذ لا يدري ما يُفعل بهم ، وليت شعري هل أثبت كون ذلك إثماً مستتبعاً للعذاب أو المغفرة ببرهان قاطع ؟ ثمّ علم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتكبه فحكم بالمغفرة له بدلالة الآية الكريمة من سورة الفتح ؟ لا . لم يثبت ذلك إلاّ بتلك السفسطة من قوله : هل لعيسى من أب ؟ إن كان الأوّل ؟ ـ ولا أقوله ـ فمرحباً بنبيّ غير معصوم ـ والعياذ بالله ـ وإن كان الثاني ؟ فزهٍ بقائل لا يعلم .

٥ ـ أنّه بعد ما حسب كون هاتيك التكنية سيِّئةً جعل التعزير بها عَضَّ اليد قبل الضرب ولم تسمع أُذن الدهر بمثل ذلك التعزير القاسي قطُّ .

٦ ـ إنَّ ممّا اختاره الخليفة من كنى العرب : أبو مرَّة . وقد مرَّ نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التسمية بمرَّة . على أنَّ أبا مرة كنية إبليس كما في المعاجم[1] وقيل تكنّى بابنة له تسمّى مرَّة . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التسمية بحيات وقال : فإنَّ الحيات الشيطان . وأخرج أبو داود في سننه ج ٢ ص ٣٠٨ عن مسروق قال : لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال من أنت ؟ قلت : مسروق بن الأجدع ، فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الأجدع الشيطان . فكأنّه كان ناسياً ذلك حين أمر بالتكنّي بأبي مرَّة ، أو لم يكن يعلم أنّها كنية إبليس ، أو كان له رأيٌ تجاه الرأي النبويِّ . والله أعلم .

وكذلك التكنّي بأبي حنظلة فقد عدَّ ابن القيِّم حنظلة من أقبح الأسماء كما في زاد المعاد ج ١ ص ٢٦٠ .

(١) قاموس اللغة ج ٢ ص ١٣٣ ، تاج العروس ج ٢ ص ٥٣٩ ، لسان العرب ج ٧ ص ١٨ .

٧ - حُسبانه أنَّ ذا القرنين من أسماء الملائكة وقد عزب عنه أنَّه كان غلاماً روميّاً أُعطي الملك كما فيما أخرجه الطبري ، وفي صحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنَّه كان رجلاً أحبَّ الله فأحبَّه ، وناصح الله فناصحه ، لم يكن نبيّاً ولا ملكاً[1] .

وفي القرآن الكريم آياتٌ كريمةٌ في ذكر ذي القرنين كأنَّها عزبت عن الخليفة برمَّتها ، وخفيت عليه تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً أمير المؤمنين بذي القرنين ، فقال على رؤوس الأشهاد : يا أيّها الناس أوصيكم بحبِّ ذي قرنيها أخي وابن عمّي عليِّ بن أبي طالب فإنَّه لا يحبّه إلاّ مؤمنٌ ، ولا يُبغضه إلاّ منافق ، من أحبَّه فقد أحبَّني ، ومن أبغضه فقد أبغضني[2] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلّي عليه السلام : إنَّ لك في الجنة بيتاً - ويروى : كنزاً - وأنت لذو قرنيها .

وقال شرّاح الحديث : أي ذو طرفي الجنَّة وملكها الأعظم تسلك ملك جميع الجنَّة كما سلك ذو القرنين جميع الأرض . أو ذو قرني الأُمّة فأضمرت وإن لم يتقدَّم ذكرها كقوله تعالىٰ : ﴿حتّى توارت بالحجاب﴾ . أراد الشَّمس ولا ذكر لها ، قال أبو عبيد : وأنا أختار هذا التفسير الأخير على الأوَّل .

قالوا : ويروى عن عليّ رضي الله عنه وذلك أنَّه ذكر ذا القرنين فقال : دعا قومه إلى عبادة الله تعالىٰ فضربوه على قرنه ضربتين وفيكم مثله . فنرى أنَّه أراد نفسه ، يعني أدعو إلى الحقِّ حتّى يُضرب رأسي ضربتين يكون فيهما قتلي . أو ذو جبليها الحسن والحسين - سبطي الرّسول - رضي الله عنهما روي ذلك عن ثعلب . أو ذو شجّتين في قرني رأسه إحداهما من عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق ، والثانية من ابن ملجم لعنه الله . قال أبو عبيد : وهذا أصحُّ ما قيل[3] . ا هـ .

---

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٢٩٥ ، كنز العمال ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٤ ، تذكرة السبط ص ١٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٥١ .

(٣) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٣٠٧ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٣ ، الرياض النضرة =

وبعد خفاء ما في الكتاب والسنّة على الخليفة لا يسعنا أن نؤاخذه بالجهل بشعر رجالات الجاهليّة ، وقد ذكر ذو القرنين في شعر امرىء القيس، وأوس ابن حجر ، وطرفة بن العبد ، وقال الأعشى بن ثعلبة :

والصَّعب ذو القرنين أمسى ثاوياً ... بالحنو في جدثٍ هناك مقيم

وقال الرَّبيع بن ضُبيع :

والصَّعب ذو القرنين عمّر ملكه ... ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قسّ بن ساعدة :

والصّعب ذو القرنين أصبح ثاوياً ... باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال تبّع الحميري :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ... ملكاً تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خُلب وثأط حرمد
من بعده بلقيس كانت عمَّتي ... ملكتهم حتّى أتاها الهدهد

وقال النعمان بن بشير الصّحابيّ الأنصاريّ :

ومن ذا يعادينا من الناس معشرٌ ... كرامٌ وذو القرنين منّا وحاتم

ثمَّ ما المانع عن التسمّي بأسماء الملائكة ؟ وما أكثر من سمّي بأسماء أفضل الملائكة كجبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل؟ فإنّها بالعبرانيَّة وترجمتها بالعربيّة عبدالله وعبيدالله وعبد الرَّحمٰن كما فيما أخرجه إبن حجر ، وفي صحيح البخاري عن عكرمة إنَّ جبر . وميك . وسراف : عبد . وإيل : الله[1] وقد ورد في الصحيح :

= ج ٢ ص ٢١٠ ، النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٨ ، لسان العرب ج ١٧ ص ٢١٠ ، قاموس اللغة ج ٤ ص ٢٥٨ ، تاج العروس ج ٩ ص ٣٠٧ ، كنز العمال ج ١ ص ٢٥٤ .

(١) صحيح البخاري باب : من كان عدواً لجبريل . في كتاب التفسير ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٤٠ ، فتح الباري ج ٨ ص ١٣٤ .

إنَّ أحبَّ الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرَّحمٰن[١] . ولا وازع إذا وقعت التسمية بتلكم الألفاظ العبرانيَّة أيضاً .

٨ ـ حُسبانه أنَّ في إطعام الطعام سرفاً في المال فأفحمه صُهيب بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ، وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيّها الناس أفشوا السَّلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام . وعن عبد الله بن عمرو : إنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أيّ الإسلام خيرٌ ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السَّلام على من عرفت ومن لم تعرف[٢] .

وأخرج الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢١٢ من طريق إبن عمر قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أفشوا السّلام ، وأطعموا الطعام ، وكونوا عباداً كما وصفكم الله عزَّ وجلَّ .

٩ ـ أخذه صُهيباً بالتكنية وليس له ولدٌ ولم يكن هذا من شرطها ، هذا عبدالله بن مسعود كنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبد الرَّحمٰن قبل أن يولد له . كما في المستدرك ج ٣ ص ٣١٣ .

وهذا محمَّد بن طلحة كنّاه صلى الله عليه وآله وسلم أبا القاسم وهو رضيع . وهذا أخو أنس بن مالك بن عينيه كنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي عمير وكان صغيراً لم يبلغ الحلم ، وهذا أنس كنّاه صلى الله عليه وآله وسلم أبا حمزة ولا حمزة له ، وهذه نساء النبيِّ كلّها كانت تكنّى غير عائشة فكنّاها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بأُمّ عبدالله وغير واحد منهنَّ لم يكن لها ولد . راجع صحيحي البخاري ومسلم ، وسنن البيهقي ج ٩ ص ٣١٠ ، ومصابيح السنّة ج ٢ ص ١٤٩ ، وزاد المعاد ج ١ ص ٢٦١ ، والإستيعاب ، وأُسد الغابة ، والإصابة .

٩٧ ـ حدُّ الخليفة ابنه بعد الحدِّ :

عن عبدالله بن عمر قال : شرب أخي عبد الرَّحمٰن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه كما في الإصابة ج ٢ ص ٣٩٩ .

(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٣٩٩ ، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ١٦٩ ، زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٧٧ قال : ثبت عنه في الصحيحين .

فسكرا فلمّا صحوَا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر فقالا : طهِّرنا فإنّا سكرنا من شراب شربناه . قال عبدالله بن عمر : فلم أشعر أنّهما أُتيا عمرو بن العاص قال : فذكر لي أخي : أنّه قد سكر . فقلت له : أُدخل الدار أُطهِّرك . قال : إنّه قد حدَّث الأمير قال عبدالله فقلت : والله لا تحلق اليوم على رؤوس الناس ، أُدخل أحلقك . وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحدِّ فدخل معي الدار قال عبدالله : فحلقت أخي بيدي ثمَّ جلدهما عمرو بن العاص فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب إلى عمرو : أن ابعث إليَّ عبد الرَّحمٰن بن عمر على قتب ففعل ذلك عمرو فلمّا قدم عبد الرَّحمٰن على عمر رضي الله عنه جلده وعاقبه من أجل مكانه منه ثمَّ أرسله فلبث أشهراً صحيحاً ثمّ أصابه قدره فيحسب عامَّة النّاس أنّه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده .

عن عمرو بن العاص ـ في حديث ـ قال قائلٌ : هذا عبد الرَّحمٰن بن عمر وأبو سروعة على الباب يستأذنان ، فقلت : يدخلان . فدخلا وهما منكسران فقالا : أقم علينا حدَّ الله فإنّا قد أصبنا البارحة شراباً فسكرنا قال : فزبرتهما وطردتهما فقال عبد الرَّحمٰن : إن لم تفعل أخبرت أبي إذا قدمت . قال فحضرني رأيٌ وعلمت أنّي إن لم أُقم عليهما الحدَّ غضب عليَّ عمر في ذلك وعزلني وخالفه ما صنعت فنحن على ما نحن عليه إذ دخل عبدالله بن عمر فقمت إليه فرحّبت به وأردت أجلسه في صدر مجلسي فأبى عليَّ وقال : أبي نهاني أن أدخل عليك إلاّ أن لا أجد من ذلك بدّاً إنَّ أخي لا يحلق على رؤوس الناس شيئاً فأمّا الضرب إصنع ما بدا لك . قال : وكانوا يحلقون مع الحدِّ قال : فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحدَّ ودخل ابن عمر بأخيه إلى بيت من الدار فحلق رأسه ورأس أبي سروعة فوالله ما كتبت إلى عمر بشيء ممّا كان حتّى إذا تحينت كتابه [وذكر فيه] : فإذا جاءك كتابي هذا فابعث بعبد الرَّحمٰن بن عمر في عباءة على قتب حتّى يعرف سوء ما صنع . فبعث به كما قال أبوه وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه وكتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه وأخبره أنّي ضربته في صحن داري وبالله الذي لا يُحلف بأعظم منه إنّي لأقيم الحدود في صحن داري على الذميِّ والمسلم ، وبعث بالكتاب مع عبدالله بن عمر قال أسلم : فقدم بعبد الرَّحمٰن على أبيه فدخل عليه وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من مركبه فقال :

يا عبد الرَّحمٰن فعلت كذا وفعلت ، السياط . فكلّمه عبد الرَّحمٰن بن عوف وقال : يا أمير المؤمنين قد أُقيم عليه الحدُّ مرَّة . فلم يلتفت إلى هذا عمر وزبره فجعل عبد الرَّحمٰن يصيح : أنا مريضٌ وأنت قاتلي . فضربه الحدَّ ثانية وحبسه ثمَّ مرض فمات رحمه الله .

ذكره البيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ٣١٢ ، وابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ٣ ص ٤٧٠ ، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٤٥٥ ، وابن الجوزي في سيرة عمر ص ١٧٠ وفي ط ٢٠٧ ، والمحبّ الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٣٢ ، والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٩ ص ٤٣٩ وصحّحه .

وقال أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٣٩٤ : عبد الرَّحمٰن بن عمر الأوسط هو أبو شحمة وهو الذي ضربه عمرو بن العاص بمصر في الخمر ثمَّ حمله إلى المدينة فضربه أبوه أدب الوالد ، ثمَّ مرض ومات بعد شهر ، هكذا يرويه معمّر عن الزهري عن سالم عن أبيه ، وأمّا أهل العراق فيقولون : إنَّه مات تحت سياط عمر وذلك غلطٌ ، وقال الزبير : أقام عليه حدَّ الشارب فمرض ومات .

وذكر ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٧٢ كلام أبي عمر فقال : أخرج عبد الرزّاق القصَّة مطوَّلة عن معمر بالسند المذكور وهو صحيحٌ .

وقال الطبري في تاريخه ج ٤ ص ١٥٠ ، وابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٢٠٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٤٨ : وفي هذه السنة [أي سنة ١٤] ضرب عمر بن الخطاب ابنه في الشراب وجماعة فيه .

قال الأميني : يقع الكلام على هذه المسألة من شتّى النواحي : فإنَّ الحدَّ كفّارةٌ وطهورٌ فلا يبقى معه على المحدود بعدُ وزرٌ يُحدُّ عليه ثانياً ، وقد ثبت ذلك في السنَّة الشريفة .

١ ـ عن خزيمة بن ثابت مرفوعاً : من أُقيم عليه حدٌّ غُفر له ذلك الذنب .

وفي لفظ آخر له : من أصاب ذنباً فأُقيم عليه حدُّ ذلك الذنب فهو كفّارته .

أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، والدارمي في سننه ج ٢

ص ١٨٢ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ٣٢٨ ، والخطيب التبريزي في المشكاة ص ٣٠٨ .

٢ ـ عن عبادة بن الصّامت مرفوعاً : من أصاب منكم حدّاً فعجلت له عقوبته فهو كفّارته وإلاّ فأمره إلى الله .

وفي لفظ آخر له : من أتى منكم حدّاً ممّا نُهي عنه فأُقيم عليه الحدُّ فهو كفّارةٌ له ، ومن أُخِّر عنه الحدُّ فأمره إلى الله إن شاء عذّبه ، وإن شاء غفر له .

وفي لفظ ثالث له : مَن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفّارةٌ له .

راجع صحيح البخاري ج ١٠ ص ٢٥ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٩ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٢٧١ ،مسند أبي داود ص ٧٩، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٢٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٣٢٨ .

٣ ـ وأخرج الشافعي في حديث مرفوعاً : ما يُدريك لعلَّ الحدود نزلت كفّارةً للذنوب . سنن البيهقي ج ٨ ص ٣٢٨ .

٤ ـ عن عليّ أمير المؤمنين انّه قال : من أتى شيئاً من حدٍّ فأُقيم عليه الحدُّ فهو كفارته ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٣٢٩ .

٥ ـ عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى : أنَّ عليّاً رضي الله عنه أقام على رجل حدّاً فجعل الناس يسبّونه ويلعنونه ، فقال عليٌّ رضي الله عنه : أمّا عن ذنبه هذا فلا يُسأل . سنن البيهقي ج ٨ ص ٣٢٩ .

٦ ـ عن عبدالله بن معقل : إنَّ عليّاً رضي الله عنه ضرب رجلاً حدّاً فزاده الجلّاد سوطين فأقاده منه عليٌّ رضي الله عنه . سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٢٢ .

وإن كان الخليفة يحسب أنَّ حدَّ عمرو بن العاص كان ملغىً لوقوعه في صحن الدار فقد أخبره الرَّجل أنَّ ذلك عادته الجارية في الحدود كلّها وليس من شرط الحدّ أن يكون على رؤوس الأشهاد بل يُكتفى بضرب الحدّ سرّاً كما عزاه القسطلاني في إرشاده ج ٩ ص ٤٣٩ إلى الجمهور ، ولو صدق هذا الحسبان

لوجب أن يحدَّ أبا سروعـة أيضاً في القضيَّـة وغيره ممّن حـدّه عمرو بن العـاص في صحن داره .

ولو أراد بذلك تعزيراً وتأديباً كما اعتذر عنه البيهقي في سننه ج ٨ ص ٣١٣ ، وأبو عمر كما مرَّ ، والقسطلاني في الإرشاد ج ٩ ص ٤٣٩ فـإنَّه بعـد مخالفتـه للفظ الحديث من أنّه أقام عليه الحـدَّ ثانيـاً زيادةً لم تفـوّض إليه لمـا ذكرنـاه من أنَّ الحدَّ كفّارةٌ ولا يُسأل بعده المحدود عن ذنبه فلا حدَّ ولا تعزير ، ولا بأس ولا تأديب .

ثمَّ إن صـحَّ فإنّـه لا يزيـد في السنّة على عشـرة أسواط كمـا مرَّ في ص ٢١٠ فلماذا ساوى بينه وبين الحدّ ؟

وأعطف على هذا أمره عمرو بن العـاص بأن يبعث ولـده على قتب في عباءة فدخل عليه ولم يستطع المشي من مركبه ، فإنَّ كلَّ ذلك إيذاءٌ درأه الحـدُّ ولم يبحه الشّرع .

ثمَّ لماذا لم يكن له مرتدعٌ عن تأجيل ما ارتآه من الحـدِّ الجديـد بمرضـه ولم يرجئه حتّى يبرأ ، وهو حكم المريض المحدود فـي السنَّة الشريفة .

وإن تعجب بعد ذلك كلّه فعجبٌ قول ابن الجوزي في سيـرة عمر من أنّـه لا ينبغي أن يُظنّ بعبد الـرَّحمٰن بن عمر أنّـه شرب الخمـر ، وإنّما شـرب النبيذ متـأوّلاً وظنَّ أنّ ما شرب منه لا يسكر ، وكذلك أبو سروعة وأبو سـروعة من أهـل بدر فلمّـا خرج بهما الأمر إلى السكر طلبا التطهير بالحدِّ ، وقد كان يكفيهما مجـرَّد الندم على التفريط غير أنّهما غضبا لله سبحانه على أنفسهما المفرّطة فأسلماها إلى إقامة الحدِّ ، وأمّا كون عمر أعاد الضرب على ولده فليس ذلك حدّاً وإنّما ضربه غضباً وتأديباً وإلاّ فالحدُّ لا يكرّر . انتهى بلفظه .

وإن صحَّت هـذه المزعمـة يُوجَّـه النقد إلى عمـرو وعمر إن علمـا ذلك وإلى نفس المحـدودين حيث عرضـا أنفسهمـا على الحـدِّ من دون أيِّ مـوجب لـه وكـان يكفيهما الندم كمـا حسبه ابن الجـوزي ، والحقّ أنّه لا حـاجة إليـه أيضاً لأنّهمـا لم يقترفا ذنباً بعد اعتقاد أنه لا يسكر فلا توْبة عنه ، وإن كان كامل الإيمـان يتضجّر عن مثله وعلى هذا فإنّهمـا لا يملكان لأنفسهمـا أن يعرضـاها على هـذا الإيلام الشـديد

والإضرار المؤلم إن لم يكن ذلك تشريعاً . لكن من أين أتت ابن الجوزي هذه الرؤيا الصّادقة ؟ فأراد تبرئة الرجلين ممّا اجترحاه من السيئة مع اعترافهما بذلك بكلّ راحة فألقاهما في هوّة الإضرار بالنفس المحظور شرعاً ، والتشرّع في الدين المحرّم ، والكذب الصراح الذي هو من الكبائر ، وألحق بمن أقام الحدّ أوّلاً تبعة إقامته من دون موجب له ، والغضب الذي عزاه إلى الخليفة في حدّ الثاني سواءٌ كانا شربا الخمر كما اعترفا به أو لم يشرباها على ما تحمّله إبن الجوزي ، وشذّ به عن أئمّة الحديث ورجال التاريخ ، وذلك واضحٌ من هذا البيان الضافي .

٩٨ ـ جهل الخليفة بما يقرأ يوم العيد :

عن عبيدالله قال : خرج عمر رضي الله عنه يوم عيد فأرسل إلى أبي واقد الليثي بأيّ شي كان النبيُّ ﷺ يقرأ في مثل هذا اليوم ؟ فقال : بقاف واقتربت .

صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤٢ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٠ ، موطأ مالك ج ١ ص ١٤٧ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٨٨ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٠٦ ، سنن النسائي ج ٣ ص ١٨٤ ، سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٩٤ واللفظ لابن ماجة .

قال الأميني : هذه روايةٌ صحيحةٌ أخرجها الأئمّة في الصّحاح كما عرفت ، ورميها بالإرسال بأنّ عبيدالله بن عبدالله لم يدرك عمر مدفوعٌ بأنّ الرّواية في صحيح مسلم عن عبيدالله بن عبدالله عن أبي واقد ولا شكّ أنّ عبيدالله أدرك أبا واقد ، وبهذا ردّ هذه الرمية البيهقي والسندي والسيوطي وغيرهم .

فهلمّ معي نسائل الخليفة عن أنّه لماذا عزب عنه العلم بما كان يقرأه رسول الله ﷺ في صلاة العيدين ؟ أوَ كان ناسياً له فأراد أن يستثبت كما اعتذر به السيوطي في «تنوير الحالك ج ١ ص ١٤٧» ؟ أو أنّه ألهاه عنه الصّفق في الأسواق ؟ كما اعتذر به هو في غير هذا المورد ، وقد تقدّم في ص ١٩١ ويأتي بُعيد هذا ووصفه به غير واحد ، ويبعّد النسيان أنّ حكماً مطّرداً كهذا يكرر في كلّ عام مرّتين على رؤوس الأشهاد ومزدحم الجماهير لا يُنسى عادةً .

وأمّا احتمال السيوطي الآخر من أنّه أراد إعلام النّاس بذلك فكان من الممكن إعلامهم بهتاف نفسه هتافاً مسمعاً وعمله المستمرّ المتّبع فيه سنّة الرسول ﷺ فالحاجة غير ماسّة إلى الإرسال والسؤال .

٩٩ - الخليفة ومعاني الألفاظ :

١ - عن عمر رضي الله عنه أنّه قال على المنبر : ما تقولون في قوله تعالىٰ : ﴿أو يأخذهم على تخوّف ؟[١]﴾ فسكتوا فقام شيخٌ من هذيل فقال : هذه لغتنا ، التخوّف : التنقّص . قال : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم . قال شاعرنا - زهير - أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقّص السير سنامها بعد مكّة واكتنازه :

تخوّف الرَّحل منها تامكاً قرداً ... كما تخوّف عود النبعة السفن[٢]

فقال عمر : أيّها النّاس عليكم بديوانكم لا يضلّ . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهليّة فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

راجع تفسير الكشّاف ج ٢ ص ١٦٥ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١١٠ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦٦٧ .

٢ - عن أبي الصّلت الثقفي : أنّ عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية[٣] : ﴿ومَن يُرد الله أن يُضلّه يجعل صدره ضيِّقاً حرَجاً﴾ . بنصب الراء ، وقرأها بعض مَن عنده من أصحاب رسول الله حرِجاً بالخفض فقال : ايتوني رجلاً من كنانة أو اجعلوا راعياً وليكن مدلجيّاً فأتوا به فقال له عمر : يا فتى ما الحرجة ؟ فقال : الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيّة ولا شيء . فقال عمر رضي الله عنه : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيءٌ من الخير .

راجع تفسير إبن كثير ج ٢ ص ١٧٥ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٥٣ ، الدرّ

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٤٧ .
(٢) تمك السنام : طال وارتفع . القرد : المتراكم بعض لحمه فوق بعض النبعة ، شجرة من أشجار الجبال يتخذ منها القسي . السفن : القشر .
(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٥ .

المنثور ج ٣ ص ٤٥ ، كنز العمّال ج ١ ص ٢٨٥ نقلاً عن عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ .

٣ ـ عن عبدالله بن عمر قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية : **﴿ما جعل عليكم في الدِّين من حَرج[1]﴾** ثمّ قال : ادعوا لي رجلاً من بني مدْلج قال عمر : ما الحرج فيكم ؟ قال : الضيق . كنز العمّال ج ١ ص ٢٥٧ .

٤ ـ أخرج الحاكم عن سعيد بن المسيَّب : إنَّ عمر بن الخطاب أتى على هذه الآية : **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم[2]﴾** فأتى أُبيّ بن كعب فسأله أيّنا لم يظلم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين إنّما ذاك الشّرك ، أما سمعت قول لقمان لابنه : **﴿يا بنيَّ لا تشرك بالله إنَّ الشِّرك لظلمٌ عظيمٌ ؟﴾** [المستدرك ج ٣ ص ٣٠٥] .

إنّي أعذر الخليفة إن عزب عنه علم الكتاب والسنّة أو تقاصر عن الحكم في القضايا فإنَّ الإمتهان بالبرطشة[3] والصّفق بالأسواق ، والإحتراف ببيع الخيط والقرظة[4] في إملاق لا يحدوه إلاّ إلى تحرّي لماظة يقتات بها ألهته عن العلوم ، لكن لا أعذره على عدم معرفته باللّغة وهي لغته تلوكها أشداقه في آناء الليل وأطراف النهار .

١٠٠ ـ رأي الخليفة في صوم الدهر :

عن أبي عمر الشيباني قال : خبّر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه برجل يصوم الدَّهر فجعل يضربه بمخفقته[5] ويقول : كل يا دهر يا دهر[6] .

قال الأميني : لقد أربكني الموقف فلا أدري على أيِّ النقلين ألقي ثقتي ؟

---

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٧٨ .

(٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ٨٢ .

(٣) راجع النهاية ج ١ ص ٧٨ ، قاموس اللغة ج ٢ ص ٢٦٢ ، تاج العروس ج ٤ ص ٧٢١ ، وقال : هو الذي يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ عليه جعلاً .

(٤) راجع صحيفة ١٩١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ .

(٥) المخفقة . الدرة التي يضرب بها .

(٦) سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٧٤ .

أعلى رواية ابن الجوزي هذه من حديث المخفقة ؟ أم على نقله الآخر في سيرة عمر ص ١٤٦ من أنّه كان يصوم الدهر ، وروى الطبري وجعفر الفريابي في السنن وحكى عنهما السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٤ ص ٣٣٢ من أنّه كان يسرد الصِّيام ، وفي سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٠١ : أنّ عمر بن الخطاب قد كان يسرد الصِّيام قبل أن يموت ، وسرد عبدالله بن عمر في آخر زمانه ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٣٥ ورواه المحبُّ الطبري في الرياض ج ٢ ص ٣٨ واستدل به على أنَّ سرد الصَّوم أفضل من صوم يوم وفطر يوم .

وليس هناك نهيٌ عن ذلك في السنّة الشريفة ، وما يشعر بظاهره النهي عنه مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا صام من صام الأبد . وقوله : من صام الأبد فلا صام ولا أفطر . فهو منزَّل على صوم الأبد المستلزم بصوم الأيّام المحرّمة صومها أو على صورتي إيجابه الضعف أو تفويت الحقِّ ، وبدون هذه لا فهي عنه كما في صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٩ ، وسنن البيهقي ج ٤ ص ٢٩٩ ، وكثير من كتب الفقه وشروح مجامع الحديث وأخرج ابن جرير عن أمّ كلثوم قالت قيل لعائشة : تصومين الدهر وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام الدهر ؟ قالت : نعم سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن صيام الدهر ولكن من أفطر يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر(١) .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم هامش الإرشاد ج ٥ ص ٥١ : وفي هذه الروايات المذكورة في الباب النهي عن صيام الدهر ، واختلف العلماء فيه فذهب أهل الظاهر إلى منع صيام الدهر نظراً لظواهر هذه الأحاديث قال القاضي وغيره ، وذهب جماهير العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيّام المنهيّ عنها وهي العيدان والتشريق ، ومذهب الشافعي وأصحابه أنّ سرد الصيام إذا أفطر العيدين والتشريق لا كراهة فيه بل هو مستحبٌّ بشرط أن لا يلحقه به ضررٌ ولا يفوِّت حقّاً فإن تضرّر أو فوَّت حقّاً فمكروهٌ ، واستدلّوا بحديث حمزة بن عمرو وقد رواه البخاري ومسلم أنّه قال : يا رسول الله إنّي أسرد الصوم أفأصوم في السفر ؟ فقال : إن شئت فصم . وهذا لفظ رواية مسلم فأقرّه ﷺ على سرد الصِّيام ، ولو كان مكروهاً لم يقرّه لا

(١) كنز العمال ج ٤ ص ٣٣٤ .

سيّما في السفر ، وقد ثبت عن ابن عمر بن الخطاب أنَّه كان يسرد الصِّيام ، وكذلك أبو طلحة وعائشة وخلائق من السَّلف قد ذكرت منهم جماعة في شـرح المهذَّب في باب صوم التطوُّع وأجابوا عن حديث لا صام من صام الأبـد بأجـوبة أحـدها : أنَّـه محمولٌ على حقيقته بأن يصوم معه العيدين والتشريق وبهذا أجابت عائشة رضي الله عنها .

والثاني : أنَّه محمولٌ على من تضرَّر به أو فوَّت به حقّاً ، ويؤيِّده قول رسـول الله ﷺ : فإنَّك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ونم وقُم وصُم من الشهر ثلاثة أيّام فـإنَّ الحسنـة بعشرة أمثالها وذلـك مثل صيـام الدهـر . والنهي كـان خـطابـاً لعبـدالله بن عمرو بن العاص وقد ذكر مسلم عنه أنه عجز في آخر عمره وندم على كونه لم يقبل الـرّخصة قـالوا : فنهى ابن عمـرو وكان لعلمـه بأنـه سيعجز ، وأقـرَّ حمزة بن عمرو لعلمه بقدرته بلا ضرر .

والثالث : انَّ معنى لا صام أنَّه يجد من مشقَّته ما يجدها غيره فيكون خبـراً لا دعاءً . إلخ .

وقال في شرح حديث صُم يوماً وأفطر يوماً : إختلف العلماء فيه فقال المتولّي من أصحابنا وغيره من العلماء هو أفضل من السَّرد لظاهر هذا الحـديث . وفي كلام غيـره إشارة إلى تفضيـل السَّرد وتخصيص هـذا الحديث بعبـدالله بن عمرو ومَن في معناه ، وتقديره لا أفضل من هـذا في حقّك ، ويؤيِّـد هذا أنَّـه ﷺ لم ينه حمـزة بن عمرو عن السَّرد وأرشده إلى يوم ويوم ، ولو كان أفضل في حقِّ كـلِّ النّاس لأرشـده إليه وبيَّنه له فإنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز . والله أعلم .

والباحث يجد كثيراً من هذه الكلمات في غضون التـآليف لأئمّة الفقـه وشرَّاح الحديث . وممّن يؤثر عنه صوم الدَّهر :

١ ـ عثمان بن عفّان المقتول سنة ٣٥ . [الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧] .

٢ ـ عبدالله بن مالـك الأزدي المتوفّى سنـة ٥٦/٥٩ .

[يه ج ٨ ص ٩٩ ، صب ج ٢ ص ٣٦٤] .

٣ - أسود بن يزيد النخعي المتوفّى سنة ٧٥ . [يه ج ٩ ص ١٢] .

٤ - أبو بكر بن عبد الرَّحمٰن القرشي المتوفّى سنة ٩٤ . [يه ج ٩ ص ١١٦] .

٥ - الفقيه أبو خالد مسلم المخزومي المتوفّى سنة ١٠٨ .

[بق ج ١ ص ٢٣٥] .

٦ - سعد بن إبراهيم المدني المتوفّى سنة ١٢٥ .

[صه ص ١١٣ ، هب ج ١ ص ١٧٣] .

٧ - وكيع بن الجراح المتوفّى سنة ١٩٦ .

[طب ج ١٣ ص ٤٧٠ ، بق ج ١ ص ٢٨٢] .

٨ - مصعب بن عبدالله بن الزبير المتوفّى سنة ٢٣٣ .

[م ج ٣ ص ١٧٢] .

٩ - محمّد بن علي أبو العبّاس الكرخي المتوفّى سنة ٣٤٣ .

[ظم ج ٦ ص ٣٧٦] .

١٠ - أبو بكر النجاد شيخ الحنابلة بالعراق المتوفّى سنة ٣٤٨ .

[ظم ج ٦ ص ٣٩٠ يه ج ١١ ص ٢٣٤] .

١١ - أحمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفّى سنة ٣٨٦ .

[يه ج ١١ ص ٣١٩] .

١٢ - أبو القاسم عبدالله بن أحمد الحربي المتوفّى سنة ٤١٢ .

[طب ج ١٠ ص ٣٨٢ ، ظم ج ٨ ص ٤] .

١٣ - أبو الفرج المعدل أحمد بن محمّد المتوفّى سنة ٤١٥ .

[طب ج ٥ ص ٦٧ ، يه ج ١٢ ص ١٨ ، ظم ج ٨ ص ١٧] .

١٤ ـ أبو العبّاس أحمد الأبيوري المتوفّى سنة ٤٢٥ .

[طب ج ٥ ص ٥١] .

١٥ ـ أبو عبدالله الصّوري محمّد بن علي المتوفّى سنة ٤٤١ .

[طب ج ٣ ص ١٠٣ ، ظم ج ٨ ص ١٤٣] .

١٦ ـ عبد الملك بن الحسن المتوفّى سنة ٤٧٢ .

[يه ج ١٢ ص ١٢٠] .

١٧ ـ أبو البركات يحيى الأنباري المتوفّى سنة ٥٥٢ .

[يه ج ١٢ ص ٢٣٧] .

١٨ ـ الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفّى سنة ٦٠٠ .

[يه ج ١٣ ص ٣٩] .

١٩ ـ الفقيه محمود البغدادي الحنبلي المتوفّى سنة ٦٠٩ .

[هب ج ٥ ص ٣٩] .

٢٠ ـ الشيخ محيي الدِّين النووي المتوفّى سنة ٦٧٧ .

[يه ج ١٣ ص ٢٧٩] .

٢١ ـ عبد العزيز بن دنف الحنبلي البغدادي .

[هب ج ٥ ص ١٨٤][(١)] .

وليس هذا الإصفاق منهم إلّا لما عرفوه من جوازه في شرع الإسلام ، هذا كلّه ولكنّ للمخفقة شأنها ، وللخليفة إجتهاده ، ولعلّه كان يرى إختصاص هذا الحكم به من دون النّاس وإلّا فما وجه ضرب الرَّجل المتعبِّد بالمخفقة ؟

﴿إنَّ هذا لهو القصص الحق﴾ ، ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ ، ﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ ، ﴿وإنَّ الظنَّ لا يغني من الحقّ شيئاً﴾ .

---

(١) راجع في عرفان الرموز المذكورة مقدمة الجزء الخامس صحيفة ط ، ي .

نتاج البحث

هذا قليلٌ من كثير ممّا وقفنا عليه من نوادر الأثر في علم عمر ، وبوسعنا الآن أن نأتي بأضعاف ما سردناه لكنّا نقتصر على هذا رعاية لمقتضى الحال ، وعندنا لمّةٌ جمّة نقدّمها بين يدي القارىء في مستقبل الأجزاء إن شاء الله تعالى ، والذي تلخّص من هذا البحث الضافي أُمورٌ :

١ ـ إنَّ الخليفة أخذ العلم عن أُناس من الصَّحابة حيث كان يفقد ما عندهم من الفقه وفيهم من لم يُعرف بالعلم وهم :

١ ـ عبد الرَّحمن بن عوف .

٢ ـ معاذ بن جبل .

٣ ـ عبدالله بن العبّاس .

٤ ـ زيد بن ثابت .

٥ ـ عمّار بن ياسر .

٦ ـ أبو عبيدة الجرّاح .

٧ ـ عبدالله بن مسعود .

٨ ـ مغيرة بن شعبة .

٩ ـ محمّد بن مسلمة .

١٠ ـ أبو موسى الأشعري .

١١ ـ أبو سعيد الخدري .

١٢ ـ أُبيّ بن كعب .

١٣ ـ صهيب أبو يحيى .

١٤ ـ الضحّاك بن سفيان .

١٥ ـ حمل بن نابغة .

١٦ ـ عبدالله بن عمرو بن العاص .

١٧ ـ أبو واقد الليثي .

١٨ ـ إمرأةٌ من قريش .

١٩ ـ شابٌّ من فتيان الأنصار .

٢٠ ـ رجلٌ لا يُعرف .

٢١ ـ عبدٌ أسود .

٢٢ ـ عجوزٌ مدنيّة .

٢٣ ـ شيخٌ من هذيل .

٢٤ ـ رجلٌ من بني مدلج .

٢٥ ـ رجلٌ شاميّ .

وقبل هؤلاء كلّهم مولانا أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه ، وأخذ الخليفة عنه أكثر من غيره كما عرفت شطراً من ذلك ، وهناك أشطارٌ كثيرة لم تذكر بعدُ ، ولهذا أكثر من قوله : لولا عليٌّ لهلك عمر .

وقوله : لولا عليٌّ لضلّ عمر . تمهيد الباقلاني ص ١٩٩ .

وقوله : أللهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها إبن أبي طالب .

وقوله : لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن .

وقوله : أللهمّ لا تنزل بي شديدة إلّا وأبو حسن إلى جنبي .

وقوله : كاد يهلك إبن الخطاب لولا عليّ بن أبي طالب .

وقوله : أعوذ بالله من معضلة لا عليّ بها .

وقوله : عجزت النساء أن تلدن مثل عليٍّ بن أبي طالب ، لولا عليٌّ لهلك عمر .

وقوله : ردّوا قول عمر إلى عليّ ، لولا عليٌّ لهلك عمر .

وقوله : لا أبقاني الله بعد إبن أبي طالب .

وقوله : يا أبا الحسن أنت لكلِّ معضلة وشدَّة تُدعى .

وقوله : هل طفحت حرَّة بمثله وأبرعته .

وقوله : هيهات هناك شجنةٌ من بني هاشم ، وشجنـةٌ من الرَّسـول ، وأثرةٌ من علم يُؤتى لها ولا يأتي ، في بيته يؤتى الحكم .

وقوله : أبا حسن لا أبقاني الله لشدَّة لست لها ، ولا في بلد لست فيه .

وقوله : يا ابن أبي طالب فما زلت كاشف كلِّ شبهة ، وموضح كلِّ حكم .

وقوله : لولاك لافتضحنا .

وقوله : أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن .

وقوله مشيراً إلى عليّ : هذا أعلم بنبيِّنا وبكتاب نبيِّنا مرَّ تفصيـل هذه كلّهـا ، ولكثرة حاجته إلى علم الصّحابة ، وتقويمهم أوده في مـواقف لا تحصى في القضاء والفتيا كان يستفتي كبار الصّحابة ويراجعهم ويستشيرهم في الأحكام ، وكـان يُعرب عن جليّة الحال بحقِّ المقال من قوله : كلُّ أحد أفقه من عمر .

وقوله : تسمعونني أقول مثل القول فلا تنكرونه حتّى تردَّ عليّ امرأةٌ ليست من أعلم النساء .

وقوله : كلُّ أحد أعلم من عمر .

وقوله : كلُّ النّاس أفقه منك يا عمر .

وقوله : كلُّ النّاس أفقه من عمر حتّى ربّات الحجال .

وقوله : كلُّ النّاس أفقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت .

وقوله : كلُّ النّاس أعلم منك يا عمر .

وقوله : كلٌّ واحد أفقه منك حتّى العجائز يا عمر .

وقوله : كلٌّ أحد أفقه منّي . مرَّ تفصيل هذه كلّها في نوادر الأثر .

إنَّ الأخذ بمجامع تلكم الأحاديث من النوادر المذكورة ومئات من أمثالها يعطينا خبراً بأنَّ الخليفة لم يك متحلّياً بما أوجبته أعلام الأمّة في الإمامة من الإجتهاد قال إمام الحرمين الجويني في «الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أُصول الإعتقاد» ص ٤٢٦ : من شرائط الإمام أن يكون من أهل الإجتهاد بحيث لا يحتاج إلى استفتاء غيره في الحوادث ، وهذا متَّفقٌ عليه . ا هـ .

فأين يقع من هذا الشرط بعد إصفاق الأُمّة عليه رجلٌ لم يُعط بسطة من العلم ولم يك ما كان يعلمه يغنيه عن الناس ، وإنَّما الأُمّة كانت في غنى عن ثرى علمه ، وحديث استفتائه غيره ملأ كتب الحديث والسنن ، وشحن معاجم التاريخ والسير ، فماذا بعد الحقِّ إلاّ الضّلال .

وبما ذكرناه كلّه تعرف قيمة قول ابن حزم الأندلسي في كتابه [الفصل] : علم كلّ ذي حسّ علماً ضرورياً أنَّ الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ من العلم إلى آخر كلامه المذكور في الجزء الثالث من كتابنا هذا ص١٢٨.

وقول إبن تيميّة في منهاج السنّة ج ٣ ص ١٢٨ : وقد جمع الناس الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فوجدوا أصوبها وأدلّها على علم صاحبها أُمور أبي بكر ثمَّ عمر ولهذا كان ما يوجد من الأُمور التي وجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقلّ ممّا وجد من عليّ ، وأمّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصٌّ يخالفه .

فقال : ولم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصّحابة يخصّان عليّاً بسؤال ، والمعروف أنَّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر كما في السنن عن عليّ قال : كنت إذا سمعت عن النبيِّ ﷺ حديثاً نفعني الله به ما شاء أن ينفعني ، وإذا حدَّثني غيره حديثاً استحلفته فإذا حلف لي صدَّقته ، وحدَّثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثمَّ يقوم فيصلّي ثمَّ يستغفر الله إلاّ غفر الله له . ا هـ .

وعجيبٌ أنَّ الرجل يموِّه على نفسه ويحسب أنَّ ذلك ينطلي على غيره أيضاً ، أوَ هل في الحديث المذكور - بعد فرض صحَّته وقد زيَّفه غير واحد من الحفّاظ[1] . غير أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يثق برواية أبي بكر وأين هو عن أخذ العلم عنه ؟ وهل علمه صلوات الله عليه مقصورٌ على هذا الحديث الوارد في أدب من آداب الشَّريعة فحسب ؟ وهل يبتنى عليه شيءٌ من أقضيته وفتاواه ، وما حلّه من عويصات المسائل في الفرائض والأحكام ؟ وهل جهل عليه السلام موقع هذا الحديث فعلّمه أبو بكر ؟ أو جهل شيئاً ممّا يبتنى عليه فسدَّده هو كما وقع كلُّ ذلك فيما سردناه من نوادر الأثر ؟ والمحتمل أنَّ تصديقه عليه السلام أبا بكر في روايته هذه لأنَّه عليه السلام كان سمعها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه فلم يُلغ الواسطة إذن لضرب من المصلحة ، وكيف يأخذ أمير المؤمنين العلم من أبي بكر وهو باب مدينة علم الرَّسول ؟ كما أسلفناه ص ٨٤ - ١٠٥، وهو وارث علومه وحكمه كما مرَّ في الجزء الثالث ص ١٣٢ ؟ هذا لا يكون مهما هملج إبن تيميّة في تركاضه وهو يدَّعي شيخوخة الإسلام وعلى هذا فقس بقيَّة ما افتعله في كلامه هذا . وبعد إبني حزم وتيميَّة قول صاحب الوشيعة المذكور ص ١٠٦.

٢ - وتعرف أيضاً بما ذكرناه قيمة تأوّل القوم للصحيحة المرويَّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين فتمسّكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأُمور فإنَّ كلّ محدثة بدعةٌ وكلّ بدعة ضلالةٌ[2] حيث نزَّلوه على مَن تسنَّم عرش الخلافة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم بالإختيار وبنصِّ أبي بكر بعده وبالشورى ولم يسعهم إلّا أن يذكروا عليّاً أمير المؤمنين معهم ، إذ ليس من المعقول أن يأمر صلى الله عليه وآله وسلم باتِّباع سيرة من لا سيرة له إلّا الأخذ من أفواه الرِّجال في الفقه والكتاب والسنّة أو الفتيا برأيه قائلاً : إنِّي سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله ، وإن يك خطأ فمنِّي ومن الشيطان[3] إذن لأمر صلى الله عليه وآله وسلم باتِّباع سيَر الناس

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢) راجع سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٠ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٦١ ، سنن الدارمي ج ١ ص ٤٥ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ٩٦ .

(٣) كما مرّ في نوادر الأثر ص ١٦٠ . ويأتي تفصيل القول فيه في الجزء السابع .

والرأي المجرَّد في دين الله . وليس هذا كالأمر باتِّباع المجتهدين الذين يستنبطون الفتيا ممّا عرفوه من كتاب وسنَّة وإجماع ، أو فقل من قياس فإنَّ المجتهد يستنبط كما قلناه ممّا عرف ، والذي لا يعرف شيئاً ، ولم يحر جواباً عن واضحات المسائل ، وقد يحلف بأنَّه ما يدري ما يصنع(١) وتعزب عنه المسائل المطّردة مع كثرة الإبتلاء بها كالتيمّم والشكوك والغسل وفروع الصَّلاة والصَّوم والحجِّ وأمثالها لا يمكن أن يكون متبعاً للأمّة وإن تعطيه الخلافة قيادها .

على أنّ العلماء خالفوا سنَّة عمر في موارد أسلفناها لمضادَّة النصِّ النبويّ لها ، ولو صحَّ هذا التأوّل لكانت مناقضة بين الحديث وبين النصوص المضادّة لفتيا عمر التي واجبت إعراض العلماء عن قوله ، وكذلك بين شطري هذا الحديث نفسه وهما : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بسنَّتي . وسنَّة الخلفاء بعدي . والمفروض أنَّ سنَّته صلى الله عليه وآله وسلم تخالف في الجملة سنَّة الرَّجل .

والصَّحيح من معنى الحديث أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد من الخلفاء إلاّ الذين لم يزل ينصّ بهم بأسمائهم ، وجعلهم أعدال القرآن الكريم في قوله : إنِّي تاركٌ فيكم الخليفتين . أو مخلِّف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض(٢) كما يقتضيه لام العهد وقد وصفهم بالرشد والهدى ، وهم الذين طابقت سيرتهم سيرته حَذو القذّة بالقذّة لا الذين لم يعرفهم بعدُ ولا نصبهم ولا أوصى إليهم ولا بهم ، ولا يذكر صلى الله عليه وآله وسلم هناك عدداً ينطبق عليهم ، وإنّما ذكر أوصافاً لا ينطق إلاّ على الذين أرادهم من الخلفاء من أهل بيته المعصومين ، وليس التمسّك بهذا الحديث فيما ارتأوه من أمر الخلافة إلاّ كالتمسّك بالعامِّ في الشبهات المصداقيَّة .

٣ ـ إنّ هناك أحاديث موضوعة تذكر في فضائل عمر لا تلتئم مع شيء ممّا ذكرناه بأسانيده الوثيقة ، وكلٌّ من ذلك يفنِّدها ، منها ما يُعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم من قول : لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر(٣) .

---

(١) كما مرّ في نوادر الأثر في غير موضع .

(٢) هذا الحديث مما اتفقت الأئمة والحفاظ على صحته .

(٣) راجع الجزء الخامس ص ٣٧٨ .

ورواية : لو لم أبعث لبعثت يا عمر[١] .

ورواية : لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر بن الخطاب[٢] .

ورواية : قد كان في الأمم محدَّثون فإن يكن في أُمّتي أحدٌ فهو عمر[٣] .

ورواية : إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه[٤] .

ورواية : إنّ الله ضرب بالحقِّ على لسان عمر وقلبه[٥] .

ومنها ما رووه عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام من قول : كنّا نتحدّث إنّ ملكاً ينطق على لسان عمر[٦] .

وقوله : ما كنّا نبعد أنَّ السكينة تنطق على لسان عمر[٧] .

ومنها ما يُروى عن أعاظم الصَّحابة مثل ما يعزى إلى إبن مسعود من قول : لو وضع علم عمر في كفّة وعلم أهل الأرض في كفّة لرجح علم عمر .

وأمثال هذه من الأكاذيب ، فإنَّ من يكون بتلك المثابة حتّى يكاد أن يبعث نبيّاً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أُمّته بها ، ولا يتعلّم مثله سورة من القرآن في اثنتي عشرة سنة[٨] وأين كان الحقّ والملك والسكينة يوم كان لا يهتدي إلى أُمّهات المسائل سبيلاً فلا تسدِّده ولا تفرغ الجواب على لسانه ، ولا تضع الحقّ في قلبه ؟ .

وكيفَ يسع المُسدَّد بذلك كلّه أنْ يحسب كلَّ النّاس أفقه منه حتّى ربّات الحجال ؟

---

(١) راجع الجزء الخامس ص ٣٨٣ .
(٢) الرياض النضرة ج ١ ص ١٩٩ .
(٣) راجع الجزء الخامس ص ٦٥ .
(٤) حلية الأولياء ج ١ ص ٤٢ .
(٥) الأموال لأبي عبيد ص ٥٤٣ .
(٦) حلية الأولياء ج ١ ص ٤٢ .
(٧) الأموال لأبي عبيد ص ٥٤٣ .
(٨) راجع صحيفة ٢٣٤ من هذا الجزء .

وكيفَ كان يأخذ علم الكتاب والسنّة من نساء الأُمّة وغوغاء النّاس فضلاً عن رجالها وأعلامها ؟

وكيفَ كان يرى عرفان لفظة مفسّرة بالقرآن تكلّفاً ويقول : هذا لعمر الله هو التكلّف ، ما عليك يابن أُمّ عمر أن لا تدري ما الأبّ[1] ؟

وكيفَ كان يأخذ عن أُولئك الجمّ الغفير من الصّحابة ويستفتيهم في الأحكام .

وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنّة بقوله : ألهاني عنه الصّفق بالأسواق[2] .

وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة ويقيمها ولم يتمكّن من تعلّم صور ميراث الجدّ وكان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما أراه يعلمها . وما أراه يقيمها . ويقول : إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلم ذلك[3] ؟

وكيف كان مثل أُبيّ بن كعب يغلظ له في القول ويراه ملهىً عن علم الكتاب بالصّفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة[4] ؟

وكيفَ كان يراه أمير المؤمنين جاهلاً بتأويل القرآن الكريم[5] . وكيف ؟ وكيف ؟ إلى مائة كيف ؟ !

نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يتروّوا في لوازمها وحسبوا أنّ المستقبل الكشّاف يمضي كما مضت القرون خالياً عن باحث أو منقّب ، أو أنّ بواعث الإرهاب يلجم لسانه عن أن ينطق ، ويضرب على يده عن أن تكتب ، ولا تفسح حرّية القلم والمذاهب والأفكار العلماء أن يبوحوا بما عندهم ، فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله .

---

(١) راجع ص١٢٦.
(٢) راجع ص١٩١ .
(٣) راجع ص ١٤٥ ، ١٩١ .
(٤) راجع ص٣٥٦ ، ٣٥٩ .
(٥) راجع ص ١٣٢ .

عود إلى ما يتبع شعر شمس الدين المالكي :

٣ - وممّا ذكره شاعرنا المالكي في شعره من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام حديث الولاية وهو حديث الغدير موضوع كتابنا هذا .

٤ - حديث المنزلة : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ، أشار إليه بقوله :

وإنّك منّي خالياً من نبوّة　　كهارون من موسى وحسبك فاحمد

وقد أسلفنا الكلام حول هذا الحديث وأنّه الصحيح الثبت بنصّ من أئمة الحديث وحفّاظه في الجزء الثالث ص ٢٤٨ ، قال ابن عبد البرّ في الإستيعاب : رواه جماعةٌ من الصّحابة ، وهو من أثبت الآثار وأصحّها رواه سعد بن أبي وقاص ، وطرق حديث سعد فيه كثيرةٌ جدّاً قد ذكرها إبن أبي خيثمة وغيره ، ورواه ابن عبّاس ، وأبو سعيد الخدري ، وأمّ سلمة ، وأسماء بنت عميس ، وجابر بن عبدالله ، وجماعةٌ يطول ذكرهم . اهـ .

٥ - حديث سبق أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإسلام أوعز إليه بقوله :

وكان من الصبيان أوّل سابق　　إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد

وقد فصّلنا القول فيه في الجزء الثالث ص ٢٧٢ - ٣٠٠ .

٦ - حديث تكنية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام بأبي تراب قال فيه :

وجاء رسول الله مرتضياً له　　وكان عن الزّهراء بالمتشرّد

فمسّح عنه الترب إذمسّ جلده　　وقد قام منها آلفاً للتفرّد

وقال له قول التلطّف : قم أبا　　تراب كلام المخلص المتودّد

هذا التكنّي إنّما كان في غزوة العشيرة الواقعة في جمادى الأولى أو الثانية أو فيهما من السنة الثانية الهجريّة حين وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً أمير المؤمنين وعمّاراً نائمين في دقعاء[1] من التراب فأيقظهما وحرّك عليّاً فقال : قم يا أبا تراب

(١) الدقعاء التراب اللين .

ألا أُخبرك بأشقى الناس رجلين : أُحيمر[1] ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذه [يعني قرنه] فيخضب هذه منها [يعني لحيته] .

وهذا الحديث صحيح السند ممّا استدرك به الحاكم أبو عبدالله النيسابوري وصحّحه الهيثمي ، أخرجه إمام الحنابلة في مسنده ج ٤ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٠ ، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢٦١ ، وابن هشام في السيرة النبويّة ج ٢ ص ٢٣٦ ، وابن كثير في تاريخه ج ٣ ص ٢٤٧ ، والهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٣٦ وقال : رواه أحمد والطبراني والبزّار ورجال الجميع موثّقون ، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٩ نقلاً عن ابن عساكر وابن النجار ، والعيني في عمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠ .

ويجده القارىء من المتسالم عليه في طبقات ابن سعد ص ٥٠٩ ، وعيون الأثر لابن سيِّد النّاس ج ١ ص ٢٢٦ ، والإمتاع للمقريزي ص ٥٥ ، والسيرة الحلبيّة ج ٢ ص ١٤٢ ، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٦٤ ، وغيرها .

وأخرج الطبراني في الأوسط والكبير بإسناده عن أبي الطفيل قال : جاء النبيُّ وعليٌّ رضي الله عنه نائمٌ في التراب فقال : إنَّ أحقَّ أسمائك أبو تراب ، أنت أبو تراب . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٠ فقال : رجاله ثقات .

وأخرج البزّار وأحمد وغيرهما عن عمّار بن ياسر انَّ النبيَّ ﷺ كنّى عليّاً رضي الله عنه بأبي تراب ، فكانت من أحبِّ كناه إليه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٠ فقال : رجال أحمد ثقاتٌ .

وأخرج الطبراني في الكبير والأوسط بإسناده عن ابن عبّاس قال : لَمّا آخى النبيُّ ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فلم يواخ بين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبين أحد منهم ، وخرج عليٌّ مغضباً حتّى أتى جدولاً فتوسّد ذراعه فسفت عليه الرِّيح فطلبه النبيُّ ﷺ حتّى وجده فوكزه برجله فقال له : قم فما صلحت أن تكون إلّا أبا تراب أغضبتَ عليَّ حين آخيت بين المهاجرين والأنصار

---

(١) أحيمر لقب قدار بن سالف عاقر ناقة صالح . «الرياض النضرة» .

ولم أُؤاخ بينك وبين أحد منهم ؟ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ؟ إلاّ أنّه ليس بعدي نبيٌّ ، الا من أحبّك حُفَّ بالأمن والإيمان ، ومن أبغضك أماته الله ميتةً جاهليّة وحوسب بعمله في الإسلام .

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١ ، مناقب الخوارزمي ص ٢٢ ،الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ص ٢٢ .

وأخرج أبو يعلى في مسنده بإسناده عن عليّ عليه السلام قال : طلبني رسول الله ﷺ فوجدني في جدول نائماً فقال : ما اليوم الناس يسمّونك أبا تراب ، فرآني كأنّي وجدت في نفسي من ذلك ، فقال : قم والله لأُرضينّك أنت أخي وأبو ولدي ، تقاتل عن سنّتي ،وتبرىءعن ذمّتي ، من مات في عهدي فهو كبّر الله . ومن مات في عهدك فقد قضى نحبه ، ومن مات يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمسٌ أو غربت ، ومن مات يبغضك مات ميتةً جاهليَّة وحوسب بما عمل في الإسلام .

ذكره السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٤ وقال : قال البوصيري رواته ثقاتٌ .

وأخرج إبن عساكر بإسناده عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن عبدالله : إنَّ هؤلاء القوم يدعونني إلى شتم عليٍّ بن أبي طالب . قال : وما عسيت أن تشتمه به ؟ قال : أُكنّيه بأبي تراب ، قال : فوالله ما كانت لعليّ كنيةٌ أحبُّ إليه من أبي تراب ، إنَّ النبيَّ ﷺ آخى بين النّاس ولم يؤاخ بينه وبين أحد فخرج مغضباً حتّى أتى كثيباً من رمل فنام عليه فأتاه النبيُّ فقال : قم يا أبا تراب ، أغضبت أن آخيت بين النّاس ولم أُؤاخ بينك وبين أحد ؟ قال : نعم . قال رسول الله ﷺ : أنت أخي وأنا أخوك . كفاية الطالب ص ٨٢ .

وهناك صحيحةٌ أخرجها مسلم والبخاري في موضعين من صحيحه : ١ ـ في باب مناقب أمير المؤمنين . ٢ ـ كتاب الصّلاة في باب نوم الرَّجل في المسجد وأخرجها الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٣٦٣ عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه قال : قلت لسهل بن سعد : إنَّ بعض أُمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تسبُّ عليّاً

فوق المنبر . قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : لعن الله أبا تراب ، قال : والله ما سمّاه بذلك إلّا رسول الله ﷺ قال : قلت : وكيف ذاك يا أبا العبّاس ؟ قال : دخل عليٌّ على فاطمة ثمَّ خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد ، قال : ثمَّ دخل رسول الله ﷺ على فاطمة فقال لها : أين ابن عمّك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجعٌ في المسجد . قال : فجاءه رسول الله ﷺ فوجده قد سقط رداؤه من على ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول : إجلس أبا تراب . فوالله ما سمّاه به إلّا رسول الله ﷺ ، ووالله ما كان له إسمٌ أحبُّ إليه منه .

وفي لفظ البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٤٤٦ : إستعمل على المدينة رجلٌ من آل مروان فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّاً رضي الله عنه قال : فأبى سهل فقال له : أما إذا أبيت فقل : لعن الله أبا تراب . فقال سهل : ما كان لعليّ رضي الله عنه إسمٌ أحبّ إليه من أبي تراب ، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها . فقال له : أخبرنا عن قصّته لِمَ سمّي أبا تراب ؟ الحديث .

لا تعارض بين هذا الصحيح وبين ما مرَّ من الأحاديث الصّحيحة الدالّة على تكنّي أمير المؤمنين بأبي تراب يوم العشيرة أو يوم التآخي ، وليس في كلٍّ منها ومن هذا إلّا عدّ موقف من المواقف التي سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأبي تراب ، ولعلّ سهل بن سعد ما كان يعلم من تلكم المواقف إلّا ما حدَّث به ، فلا وازع هناك عن ثبوت الجميع ، ومن زعم التعارض بين هذا وتلك[1] واختلق بزعمه ما يتأتّى به الجَمعُ فقد كشف عن خداج رأيه .

نعم عند الحفّاظ في متن حديث سهل اضطرابٌ ينبىء عن تصرُّف الأهواء فيه ، وفي بعض ألفاظه إيهام المباغضة بين أمير المؤمنين وإبنة عمّه الطاهرة الصديقة فاطمة كما أوعز إليها شاعرنا المالكي المترجم بقوله :

وكان عن الزّهراء بالمتشرِّد .

وهما سلام الله عليهما بعيدان عن ذلك بما منحهما الله تعالىٰ من العصمة بنصِّ الكتاب الكريم .

---

(١) راجع شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٣٩٥ .

وروى ابن إسحاق(١) عن بعض أهل العلم أنّه حدَّثه أنَّ رسول الله ﷺ إنّما سمي عليّاً أبا تراب إنّه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلّمها ، ولم يقل لها شيئاً تكرهه إلاّ أنّه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه ، قال : فكان رسول ﷺ إذا رأى عليه التراب عرف أنَّه عاتب على فاطمة فيقول : ما لك يا أبا تراب ؟

قال الأميني : إن هي إلاّ نفثات قوم حناق لفظتها رمية القول على عواهنه تلويثاً لقداسة أمير المؤمنين ، وتشويهاً لعشرته الحميدة مع حليلته المطهّرة ، وفيها حطّ الصدِّيق الأكبر والصدِّيقة الكبرى عن مكانتهما الراقية في مكارم الأخلاق ، وقد أثمر اليوم ما بذرته أمس يد الإحن والشحناء من تلكم المفتعلات حتّى سوّد مؤلِّف اليوم صحائف تاريخه(٢) بقوله : وكان عليّ يحرد بعد كلّ منافرة ويذهب لينام في المسجد ، وكان حموه يربِّته على كتفيه ويعظه ويوفق بينه وبين فاطمة إلى حين ، وممّا حدث أن رأى النبيُّ إبنته في بيته ذات مرَّة وهي تبكي من لَكمِ عليّ لها . اهـ .

وقال الحاكم أبو عبدالله النيسابوري : كان بنو أُميّة تنقّص عليّاً عليه السلام بهذا الإسم الذي سمَّاه رسول الله ﷺ ويلعنونه على المنبر بعد الخطبة مدّة ولايتهم وكانوا يستهزؤون به وإنّما استهزؤوا الذي سمّاه به وقد قال الله تعالىٰ : **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** . الآية .

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٤ : والذي ذكره الحاكم صحيحٌ فإنّهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص : أنّه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال : ما منعك أن تسبَّ أبا تراب ؟ الحديث(٣) .

مكرمة حول الحديث :

قال الشيخ علاء الدين السكتواري في [محاضرة الأوائل] ص ١١٣ : أوّل من كُنّي بأبي تراب عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه . كنّاه به رسول الله ﷺ حين

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٧ ، والعيني في عمدته ج ٧ ص ٦٣٠ .
(٢) راجع الجزء الثالث ص ٣٦ من كتابنا هذا .
(٣) راجع تمام الحديث في الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٠٠ .

وجده راقداً وعلى جنبه التراب فقال له ملاطفاً : قم يا أبا تراب . فكان أحبَّ ألقابه ، وكان بعد ذلك له كرامة ببركة النفس المحمّدي كان التراب يحدِّثه بما يجري عليه إلى يوم القيامة وبما جرى . فافهم سرّاً جليّاً . دلائل النبوّة . ا هـ .

وقد أبدع الشاعر المفلق عبد الباقي أفندي العمري في قوله :

يا أبا الأوصياء أنت لطه ... صهره وابن عمّه وأخوه
إنَّ لله في معانيك سرّاً ... أكثر العالمين ما علموه
أنت ثاني الآباء في منتهى الدّو ... دَور ، وآباؤه تُعدُّ بنوه
خلق اللّه آدماً من تراب ... فهو إبن له ، وأنت أبوه

٧ ـ وممّا أشار إليه شاعرنا المالكي من مناقب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حديث البراءة وتبليغها قال :

وأرسله عنه الرَّسول مبلّغاً ... وخصَّ بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال : هل التبليغ عنّي ينبغي ... لمن ليس من بيتي من القوم ؟ فاقتدي

وذلك : أنَّ رسول صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا بكر إلى مكة بآيات من صدر سورة البراءة ليقرأها على أهليها . فجاء جبرائيل من عند الله العزيز فقال : لن يؤدِّي عنك إلاّ أنت أو رجلٌ منك . فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً على ناقته العضباء أو الجدعاء اثره فقال : أدركه فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه واذهب إلى أهل مكّة فاقرأه عليهم فلحقه عليٌّ عليه السلام في العرج أو في ذي الخليفة أو في ضجنان أو الجحفة وأخذ الكتاب منه وحجَّ وبلّغ وأذَّن .

هذه الإثارة أخرجها كثيرٌ من أئمّة الحديث وحفّاظه بعدّة طرق صحيحة يتأتّى التواتر بأقلّ منها عند جمع من القوم ، وإليك أُمّةٌ ممّن أخرجها :

١ ـ أبو محمّد إسماعيل السدي الكوفي المتوفّى سنة ١٢٨ .

٢ ـ أبو محمّد عبدالملك بن هشام البصري المتوفّى سنة ٢١٨ .

٣ ـ أبو عبدالله محمّد بن سعد الزهري المتوفّى سنة ٢٣٠ .

٤ ـ الحافظ أبو بكر إبن أبي شيبة العبسي الكوفي المتوفى سنة ٢٣٥ .

٥ - الحافظ أبو الحسن إبن أبي شيبة العبسي الكوفي المتوفّى سنة ٢٣٩ .

٦ - إمام الحنابلة أحمد بن حنبل الشيباني المتوفّى سنة ٢٤١ .

٧ - الحافظ أبو محمّد عبدالله الدارمي صاحب السنن المتوفّى سنة ٢٥٥ .

٨ - الحافظ أبو عبدالله بن ماجة القزويني صاحب السنن المتوفّى سنة ٢٧٣ .

٩ - الحافظ أبو عيسى الترمذي صاحب الصحيح المتوفّى سنة ٢٧٩ .

١٠ - الحافظ أبو بكر أحمد إبن أبي عاصم الشيباني المتوفّى سنة ٢٨٧ .

١١ - الحافظ أبو عبدالرَّحمٰن أحمد النسائي صاحب السنن المتوفّى سنة ٣٠٣ .

١٢ - الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ .

١٣ - الحافظ أبو بكر محمّد بن إسحاق إبن خزيمة النيسابوري المتوفّى سنة ٣١١ .

١٤ - الحافظ أبو عوانة يعقوب النيسابوري صاحب المسند المتوفّى سنة ٣١٦ .

١٥ - الحافظ أبو القاسم عبدالله البغوي صاحب المصابيح المتوفّى سنة ٣١٧ .

١٦ - الحافظ عبد الرَّحمٰن بن أبي حاتم التميمي المتوفّى سنة ٣٢٧ .

١٧ - الحافظ أبو حاتم محمّد بن حبّان التميمي المتوفّى سنة ٣٥٤ .

١٨ - الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ .

١٩ - الحافظ أبو الشيخ المتوفّى سنة ٣٦٩ .

٢٠ - الحافظ عليّ بن عمر الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥ .

٢١ - الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك المتوفّى سنة ٤٠٥ .

٢٢ ـ الحافظ أبو بكر بن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٦ .

٢٣ ـ الحافظ أبو نعيم أحمد الأصبهاني صاحب الحلية المتوفّى سنة ٤٣٠ .

٢٤ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب السنن المتوفّى سنة ٤٥٨ .

٢٥ ـ الفقيه أبو الحسن علي ابن المغازلي الشافعي المتوفّى سنة ٤٨٣ .

٢٦ ـ الحافظ أبو محمّد الحسين البغوي الشافعي المتوفّى سنة ٥١٦ .

٢٧ ـ الحافظ نجم الدِّين أبو حفص النسفي السمرقندي الحنفي المتوفَّى سنة ٥٣٧ .

٢٨ ـ الحافظ أبو القاسم جار الله الزمخشري الشافعي المتوفّى سنة ٥٣٨ .

٢٩ ـ أبو عبدالله يحيى القرطبي صاحب التفسير الكبير المتوفّى سنة ٥٦٧ .

٣٠ ـ الحافظ أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزمي الحنفي المتوفّى سنة ٥٦٨ .

٣١ ـ الحافظ أبو القاسم إبن عساكر الدمشقي الشافعي المتوفّى سنة ٥٧١ .

٣٢ ـ أبو القاسم عبد الرَّحمٰن الخثعمي السهيلي الأندلسي المتوفّى سنة ٥٨١ .

٣٣ ـ أبو عبدالله محمّد بن عمر الفخر الرازي الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ .

٣٤ ـ أبو السَّعادات إبن الأثير الشيباني الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ .

٣٥ ـ الحافظ أبو الحسن علي بن الأثير الشيباني المتوفّى سنة ٦٣٠ .

٣٦ ـ أبو عبدالله ضياء الدين محمّد المقدسي الحنبلي المتوفّى سنة ٦٤٣ .

٣٧ ـ أبو سالم محمّد بن طلحة القرشي النصيبي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢

٣٨ ـ أبو المظفَّر يوسف سبط الحافظ إبن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ .

٣٩ - عزالدِّين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٦٥٥ .

٤٠ - الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ .

٤١ - القاضي ناصرالدين أبو الخير البيضاوي الشافعي المتوفّى سنة ٦٨٥ .

٤٢ - الحافظ أبو العبّاس محبُّ الدِّين الطبري الشافعي المتوفّى سنة ٦٩٤ .

٤٣ - شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم الحموي المتوفّى سنة ٧٢٢ .

٤٤ - وليُّ الدِّين محمد الخطيب العمري التبريزي صاحب مشكاة المصابيح المتوفّى سنة ٧٣٧ .

٤٥ - علاء الدِّين علي بن محمّد الخازن صاحب التفسير المتوفّى سنة ٧٤١ .

٤٦ - أثير الدِّين أبو حيّان الأندلسي صاحب التفسير المتوفّى سنة ٧٤٥ .

٤٧ - الحافظ شمس الدِّين محمّد الذهبي الشافعي المتوفّى سنة ٧٤٨ .

٤٨ - نظام الدِّين الحسن النيسابوري صاحب التفسير المتوفّى سنة . . .

٤٩ - الحافظ عمادالدِّين إسماعيل إبن كثير الدمشقي الشافعي المتوفّى سنة ٧٧٤ .

٥٠ - الحافظ أبو الحسن عليّ بن أبي بكر الهيثمي الشافعي المتوفّى سنة ٨٠٧ .

٥١ - تقيُّ الدِّين أحمد بن علي المقريزي الحنفي المتوفّى سنة ٨٤٥ .

٥٢ - الحافظ أبو الفضل إبن حجر أحمد العسقلاني الشافعي المتوفّى سنة ٨٥٢ .

٥٣ - نورالدِّين عليّ بن محمّد بن الصبّاغ المكّي المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥ .

٥٤ - بدرالدِّين محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفّى سنة ٨٥٥ .

٥٥ ـ شمس الدِّين محمّد بن عبدالرَّحمن السخاوي نزيل الحرمين المتوفّى سنة ٩٠٢ .

٥٦ ـ الحافظ جلال الدِّين عبدالرَّحمٰن السيوطي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ .

٥٧ ـ الحافظ أبو العبّاس أحمد القسطلاني الشافعي المتوفّى سنة ٩٢٣ .

٥٨ ـ الحافظ أبو محمّد عبدالرَّحمٰن إبن الديبع الشيباني الشافعي المتوفّى سنة ٩٤٤ .

٥٩ ـ المؤرّخ الديار بكري صاحب تاريخ (الخميس) المتوفّى سنة ٨٢/٩٦٦ .

٦٠ ـ الحافظ شهاب الدِّين أحمد إبن حجر الهيثمي الشافعي المتوفّى سنة ٩٧٤ .

٦١ ـ المتّقي عليّ بن حسام الدِّين القرشي الهندي ـ نزيل مكّة ـ المتوفّى سنة ٩٧٥ .

٦٢ ـ الحافظ زين الدِّين عبد الرؤوف المناوي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٣١ .

٦٣ ـ الفقيه شيخ بن عبدالله العيدروس الحسيني ـ اليمني ـ المتوفّى سنة ١٠٤١ .

٦٤ ـ الشيخ أحمد إبن باكثير المكّي الشافعي صاحب الوسيلة المتوفّى سنة ١٠٤٧ .

٦٥ ـ أبو عبدالله محمّد الزرقاني المصري المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ .

٦٦ ـ ميرزا محمّد البدخشي صاحب مفتاح النجا المتوفّى سنة ٠٠٠٠

٦٧ ـ السيِّد محمّد بن إسماعيل الصنعاني الحسيني المتوفّى سنة ١١٨٢ .

٦٨ - أبو العرفان الشيخ محمّد الصبّان الشافعي صاحب الإسعاف المتوفّى سنة ١٢٠٦ .

٦٩ - القاضي محمّد بن علي الشوكاني الصنعاني المتوفّى سنة ١٢٥٠ .

٧٠ - أبو الثناء شهاب الدِّين السيِّد محمود الآلوسي الشافعي المتوفّى سنة ١٢٧٠ .

٧١ - الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحسيني - الحنفي - المتوفّى سنة ١٢٩٣ .

٧٢ - السيّد أحمد زيني دحلان المكّي الشافعي المتوفّى سنة ١٣٠٤ .

٧٣ - السيِّد مؤمن الشبلنجي مؤلِّف (نور الأبصار) المتوفّى سنة . . . .

أسلفنا ترجمة كثير من هؤلاء الأعلام في الجزء الأوّل ص ٧٧ - ٨٧ تنتهي أسانيدهم في مأثرة أذان البراءة وتبليغها إلى جميع من الصّحابة الأوّلين منهم :

١ - عليٌّ أمير المؤمنين من طريق زيد بن يثيع قال رضي الله عنه : لمّا نزلت عشر آيات من براءة على النبيِّ ﷺ دعا أبا بكر رضي الله عنه ليقرأها على أهل مكّة ثمّ دعاني فقال لي : أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكّة فاقرأه عليهم . فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : لا . ولكنَّ جبريل جاءني فقال : لن يؤدِّي عنك إلّا أنت أو رجلٌ منك .

أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ، والحافظ أبو الشيخ ، وابن مردويه ، وحكاه عنهم السيوطي في الدرِّ المنثور ج ٣ ص ٢٠٩ ، وكنز العمّال ج ١ ص ٢٤٧ ، والشوكاني في تفسيره ج ٢ ص ٣١٩ ، ويوجد في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٤٧ ، وذخائر العقبى ص ٦٩ ،وتاريخ إبن كثير ج ٥ ص ٣٨ ، وفي ج ٧ ص ٣٥٧ ، وفي تفسيره ج ٢ ص ٣٣٣ ، ومناقب الخوارزمي ص ٩٩ ، وفرائد السمطين للحمّوي ، ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٩ ، وشرح صحيح البخاري

للعيني ج ٨ ص ٦٣٧ ، ووسيلة المآل لابن باكثير ، وشرح المواهب اللدنيّة للزرقاني ج ٣ ص ٩١ ، وتفسير المنار ج ١٠ ص ١٥٧ .

صورةٌ أخرى عن زيد :

قال : نزلت براءةٌ فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر ثمَّ أرسل عليّاً فأخذها منه فلمّا رجع أبو بكر قال : هل نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : لا . ولكنّي أُمرت أن أُبلّغها أنا أو رجلٌ من أهل بيتي . فانطلق عليٌّ إلى مكّة فقام فيهم بأربع . تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٦ ، تفسير إبن كثير ج ٢ ص ٣٣٣ .

صورةٌ ثالثةٌ عن زيد :

إنَّ رسول الله ﷺ بعث ببراءة إلى أهل مكّة مع أبي بكر ثمَّ أتبعه بعليّ فقال له : خُذ الكتاب فامض إلى أهل مكّة قال : فلحقه فأخذ الكتاب منه فانصرف أبو بكر وهو كئيب فقال لرسول الله ﷺ : أنزلَ فيَّ شيءٌ ؟ قال : لا . إلّا أنّي أُمرت أن أُبلّغه أنا أو رجلٌ من أهل بيتي . خصائص النسائي ص ٢ ، الأموال لأبي عبيد ص ١٦٥ .

صورةٌ رابعةٌ :

عن عليّ أمير المؤمنين من طريق حنش باللفظ الأوّل المذكور من ألفاظ زيد ابن يُثيع حرفيّاً . أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ١٥١ ، والكنجي في الكفاية ص ١٢٦ نقلاً عن أحمد وابن عساكر ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٩ .

صورةٌ خامسةٌ عن حنش عن أمير المؤمنين :

قال : إنَّ النبيَّ ﷺ حين بعثه ببراءة فقال : يا نبيّ الله إنّي لست باللسن ولا بالخطيب ، قال : ما بدّ أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت قال : فإن كان ولا بدّ فسأذهب أنا ، قال : فانطلق فإنَّ الله يثبت لسانك ويهدي قلبك . قال : ثمّ وضع يده على فمه .

مسند أحمد ج ١ ص ١٥٠ ، الرّياض النضرة ج ٢ ص ١٧٤ ، تفسير إبن

كثير ج ٢ ص ٣٣٣ الدرُّ المنثور ج ٣ ص ٢١٠ نقلاً عن أبي الشيخ ، كنز العمّال ج ١ ص ٢٤٧ .

صورةٌ سادسةٌ عن أبي صالح عن أمير المؤمنين :

قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة إلى أهل مكّة وبعثه على الموسم ثمَّ بعثني في أثره فأدركته فأخذتها منه فقال أبو بكر : ما لي ؟ قال : خيرٌ أنت صاحبي في الغار ، وصاحبي على الحوض ، غير أنّه لا يبلّغ عنّي غيري أو رجلٌ منّي .

أخرجه الطبري كما في فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٨ ص ٢٥٦ .

٢ ـ أبو بكر بن أبي قحافة قال : إنّ النبيَّ ﷺ بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ولا يدخل الجنّة إلاّ نفسٌ مسلمةٌ ، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى مدّته والله بريء من المشركين ورسولُهُ، فسار ثلاثاً ثمَّ قال لعليّ : إلحقْه فردَّ عليّ أبا بكر وبلّغها أنت . قال : ففعل فلمّا قدم على النبيِّ أبو بكر بكى فقال : يا رسول الله حدث فيَّ شيءٌ ؟ قال : ما حدث فيك إلاّ خير ولكن أُمرت أن لا يبلّغه إلاّ أنا أو رجلٌ منّي .

أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٣ ، وابن خزيمة ، وأبو عوانة ، والدارقطني في الأفراد كما في كنز العمال ج ١ ص ٢٤٦ ، والكنجي في الكفاية ص ١٢٥ نقلاً عن أحمد وأبي نعيم وابن عساكر ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٧ .

٣ ـ إبن عبّاس قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي بهذه الكلمات ثمَّ أتبعه عليّاً فبينا أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغا ناقة رسول الله القصواء فخرج أبو بكر فزعاً فظنَّ أنّه رسول الله ﷺ فإذا هو عليٌّ رضي الله عنه فدفع إليه كتاب رسول الله وأمر عليّاً أن ينادي بهؤلاء الكلمات [فإنّه لا ينبغي أن يبلّغ عنّي إلاّ رجلٌ من أهلي ثمَّ اتّفقا][1] فانطلقا فقام عليٌّ أيام التشريق ينادي : ذمّة الله ورسوله بريةٌ عن كلِّ مشرك . الحديث .

---

(١) لا يوجد ما بين القوسين في بعض المصادر .

أخـرجـه التـرمـذي في جـامعـه ج ٢ ص ١٣٥ ، والبيهقي في سننـه ج ٩ ص ٢٢٤ ، والخـوارزمي في المنـاقب ص ٩٩ ، وابن طلحـة في مـطالب السؤول ص ١٧ ، والشـوكاني في تفسيـره ج ٢ ص ٣١٩ نقلاً عن التـرمذي وابن أبي حـاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي بلفظ أخصر ، وأشـار إليه ابن حجـر في فتح البـاري ج ٨ ص ٢٥٦ .

صورةٌ أُخرى من لفظ ابن عبّاس :

قال : إنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة ثمَّ أتبعه عليّاً فأخذها منه فقال أبـو بكر رضي الله عنه : يـا رسول الله حـدث فيَّ شيء ؟ قال : لا . أنت صـاحبي في الغار وعلى الحوض ، ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو عليٌّ . الحديث .

أخرجه الطبري في تفسيره ج ١٠ ص ٤٦ .

حديث آخر عن ابن عبّاس :

قال في حديث طويل عدَّ فيه جملةً من فضائل مولانا أمير المؤمنين ؑ ممّا تسـالمت الأُمَّة عليـه : بعث رسول الله ﷺ فـلاناً بسـورة التـوبـة فبعث عليّـاً خلفـه فأخذها منه وقال : لا يذهب بها إلّا رجلٌ هو منّي وأنا منه .

وحـديث ابن عبـاس هـذا أخـرجـه كثيـرون من أئمّـة الحـديث وحفّـاظـه في المسانيد بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات مصـرِّحين بصحَّته وثقة رجالـه ، أسلفناه في الجـزء الأوّل ص ٧٥ - ٧٧ ومـرّ الكـلام حـولـه في الجـزء الثـالث ص ٢٤٥ - ٢٦٩ .

حديث آخر عن ابن عبّاس :

أخرج إبن عساكر بإسناده من طريق الحافظ عبد الرزّاق عن ابن عبّاس قـال : مشيت وعمـر بن الخطاب في بعض أزقّـة المدينـة فقـال : يـابن عبّـاس أظنُّ القـوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أُموركم . فقلت : والله ما استصغـره رسول الله ﷺ إذ اختـاره لسورة بـراءة يقـرأهـا على أهـل مكّـة . فقـال لي : الصـواب تقـول والله لسمعت رسـول الله ﷺ يقول لعليٍّ بن أبي طـالب : من أحبَّك أحبَّني ، ومن أحبَّني

أحبَّ الله ، ومن أحبَّ الله أدخله الجنَّـة مدلاً . كنـز العمال ج ٦ ص ٣٩١ ، شـرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٥ ذكره إلى قوله «فقال لي» .

٤ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري : إنَّ النبيَّ ﷺ حين رجـع من عمرة الجعـرانة بعث أبا بكر على الحجِّ فأقبلنا معه حتّى إذا كنّا بالعـرج ثوب بـالصبح فلمّـا استوى للتكبير سمع الـرغوة خلف ظهـره فوقف عن التكبيـر فقال : هـذه رغوة نـاقة رسـول الله ﷺ الجـدعاء لقـد بدا لـرسول الله ﷺ في الحـجِّ فلعلّه أن يكون رسـول الله ﷺ فنصلّي معه فإذا عليٌّ رضي الله عنه عليها فقال له أبو بكر : أميرٌ أم رسولٌ ؟ قـال : لا بل رسول أرسلني رسـول الله ﷺ ببراءة أقـرؤها على النّـاس في مواقف الحـج . فقـدمنا مكّـة فلمّا كـان قبل التـروية بيـوم قام أبـو بكر فخـطب الناس فحـدَّثهم عن مناسكهـم حتّى إذا فرغ قام عليٌّ فقرأ على النـاس حتّى ختمها ثمَّ خـرجنا معـه حتّى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب النّاس فحدَّثهم عن مناسكهم حتّى إذا فرغ قام عليٌّ رضي الله عنه فقرأ على النّاس براءة حتّى ختمها فلمّا كـان النفر الأوَّل قـام أبو بكر فخطب النّاس فحدَّثهم كيف ينفرون أو كيـف يرمون فعلّمهم مناسكهـم فلمّا فرغ قام عليٌّ رضي الله عنه فقرأ على النّاس براءة حتّى ختمها .

أخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٦٧ ، والنسـائي في الخصائص ص ٢٠ ، وابن خزيمة وصحّحه ، وابن حبّان من طريق ابن جريج ، والطبري ، ومحبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٣ من طريق أبي حـاتم والنسائي . ويـوجد في تيسير الوصول ج ١ ص ١٣٣ ، تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٧ ، المواهب اللدنيـة للقسـطلاني ، شـرح المـواهب للزرقـاني ج ٣ ص ٩١ ، تـاريـخ الخميس ج ٢ ص ١٤١ ، سيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٣٦٥ ، تفسيـر الآلوسي روح المعـاني ج ٣ ص ٢٦٨ ، تفسير المنار ج ١٠ ص ١٥٦ نقلاً عن الحفّاظ الخمسـة المذكـورين من الدارمي إلى محبّ الدِّين الطبري .

٥ ـ أنس بن مالك قـال : إنَّ رسول الله ﷺ بعث ببـراءة مع أبي بكر إلى أهل مكّة ثمَّ دعاه فقال : لا ينبغي أن يبلّغ هذا إلاّ رجلٌ من أهلي ، فدعى عليّـاً فأعـطاه إيّاها .

وفي لفظ آخر لأحمد :

إنَّ رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فلمّا بلغ ذا الحليفة قال : لا يبلّغها إلاّ أنا أو رجلٌ من أهل بيتي فبعث بها مع عليّ .

طرق الحديث صحيحةٌ رجاله كلّهم ثقات أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٢١٢ ، ٢٨٣ ، والترمذي في جامعه ج ٢ ص ١٣٥ ط الهند ، والنسائي في خصائصه ص ٢٠ ، وابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٣٨ عن الترمذي وأحمد ، وفي تفسيره ج ٢ ص ٣٣٣ ، والخوارزمي في المناقب ص ٩٩ ، والقسطلاني في شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ١٣٦ ، وابن حجر في شرح الصحيح ج ٨ ص ٢٥٦ ، والعيني في شرح الصحيح ج ٨ ص ٦٣٧ . وابن طلحة في مطالب السؤول ص ١٧ والسيوطي في الدرّ المنثور ج ٣ ص ٢٠٩ نقلاً عن ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وأبي الشيخ وابن مردويه ، وفي كنز العمّال ج ١ ص ٢٤٩ عن إبن أبي شيبة ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ٩١ ، والشوكاني في تفسيره ج ٢ ص ٣١٩ نقلاً عمّن نقل عنه السيوطي في الدرّ المنثور ، والآلوسي في تفسيره ج ٣ ص ٢٦٨ نقلاً عن أحمد والترمذي وأبي الشيخ ، وصاحب المنار في تفسيره ج ١٠ ص ١٥٧ .

٦ ـ أبو سعيد الخدري قال : بعث رسول الله أبا بكر رضي الله عنه يؤدّي عنه براءة فلمّا أرسله بعث إلى عليّ رضي الله عنه فقال : يا عليّ إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو أنت فحمله على ناقته العضباء فسار حتّى لحق بأبي بكر رضي الله عنه فأخذ منه براءة فأتى أبو بكر النبيّ ﷺ وقد دخله من ذلك مخافة أن يكون قد أُنزل فيه شيء فلمّا أتاه قال : ما لي يا رسول الله ؟ قال : خيرٌ أنت أخي وصاحبي في الغار وأنت معي على الحوض غير أنّه لا يبلّغ عنّي غيري أو رجلٌ منّي .

أخرجه إبن حبّان وابن مردويه كما في الدرّ المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢٠٩ ، وروح المعاني للآلوسي ج ٣ ص ٢٦٨ وفي طبع المنيريّة ج ١٠ ص ٤٠ ، وأوعز إليه إبن حجر في فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٦ من طريق عمرو بن عطيّة عن أبيه عن أبي سعيد .

٧ - أبو رافع قال رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ببراءة إلى الموسم فأتى جبريل عليه السلام فقال: إنّه لن يؤدّيها عنك إلاّ أنت أو رجلٌ منك فبعث عليّاً رضي الله عنه على أثره حتّى لحقه بين مكّة والمدينة فأخذها فقرأها على الناس في الموسم.

أخرجه إبن مردويه والطبراني بإسنادهما كما في الدرّ المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢١٠، وفتح الباري لابن حجر ج ٨ ص ٢٥٦.

٨ - سعد بن أبي وقّاص قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة حتّى إذا كان ببعض الطريق أرسل عليّاً رضي الله عنه فأخذها منه ثمّ سار بها فوجد أبو بكر في نفسه فقال رسول الله ﷺ: لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجلٌ منّي.

خصائص النسائي ص ٢٠، الدّر المنثور ج ٣ ص ٢٠٩ نقلاً عن إبن مردويه، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٣١٩، وأوعز إليه إبن حجر في فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٥.

حديث آخر عن سعد:

أخرج إبن عساكر بإسناده عن الحرث بن مالك قال: أتيت مكّة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت: هل سمعت لعليّ منقبة؟ قال: لقد شهدت له أربعاً لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح: إنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة ثمّ قال لعليّ: إتبع أبا بكر فخذها وبلّغها فردّ عليٌّ أبا بكر فرجع يبكي فقال: يا رسول الله أنزلَ فيَّ شيءٌ؟ قال: لا. إلاّ خيراً إنّه ليس يُبلّغ عنّي إلاّ أنا أو رجُلٌ مِنّي، أو قال: مِن أهل بيتي. الحديث. راجع الجزء الأوّل ص ٦٤.

٩ - أبو هريرة قال: كنت مع عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه لمّا بعثه رسول الله ﷺ فنادى بأربع حتّى صهل صوته. الحديث.

أخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٢٣٧، والنسائي في سننه ج ٥ ص ٢٣٤ مع اختصار غير مخلّ كما قاله السيوطي في شرحه، وحديث أبي هريرة أخرجه كثيرٌ

من الحفّاظ غير أنّه لعبت به أيدي الهوى ، ومهّدت لرماة القول على عواهنه مجال الترة والدجل حول هذه الإثارة الكريمة .

وأخرج الحافظ محبُّ الدِّين الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٧٣ ، وذخائر العقبى ص ٦٩ من طريق أبي حاتم عن أبي سعيد أو أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر فلمّا بلغ ضجنان سمع بغام ناقة عليّ فعرفه فأتاه فقال : ما شأني ؟ قال : خيرٌ إنَّ رسول الله ﷺ بعثني ببراءة. فلمَّا رجعنا انطلق أبو بكر إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ما لي ؟ قال: خيرٌ أنت صاحبي في الغار غير أنَّه لا يبلّغ غيري أو رجلٌ منّي يعني عليّاً .

١٠ ـ عبدالله بن عمر ، ذكر إبن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٦ ما مرَّ عن أمير المؤمنين عليه السلام من طريق أبي صالح ثمَّ قال : ومن طريق العمري عن نافع عن إبن عمر كذلك .

١١ ـ حبشي بن جنادة قال : قال رسول الله ﷺ : عليٌّ منِّي وأنا منه لا يؤدِّي عنِّي إلاّ أنا أو عليّ .

حديثٌ صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات أخرجه بطرق أربعة أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢١٣ وصحّحه وحسّنه ، والنسائي في الخصائص ص ٢٠ ، وابن ماجة في السنن ج ١ ص ٥٧ ، والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٧٥ ، والخطيب العمري في المشكاة ص ٥٥٦ ، والفقيه ابن المغازلي في المناقب ، والكنجي في الكفاية ص ٥٥٧ ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ، والمحبّ الطبري في الرِّياض ج ٢ ص ٧٤ ، عن الحافظ السلفي ، وسبط إبن الجوزي في التذكرة ص ٢٣ ، والذهبي في تذكرة الحفّاظ في ترجمة سويد بن سعيد ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٦ ، والسخاوي في المقاصد الحسنة ، والمناوي في كنوز الدقائق ص ٩٢ والحمويني في الباب السابع من فرائد السمطين ، وجلال الدِّين السيوطي في الجامع الصغير ، وفي جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٣ ، وذكره إبن حجر في الصواعق ص ٧٣ ، والمتّقي الهندي في كنز العمّال عن أحد عشر حافظاً ، والبدخشاني في

نـزل الأبرار ص ٩ نقـلاً عن إبن أبي شيبة ، وأحمـد ، وابن مـاجـة ، والتـرمـذي ، والبغـوي ، وابن أبي عـاصم ، والنسـائي ، وابن قـانـع ، والـطبـراني ، والضيـاء المقـدسي ، والجارودي ، والفقيـه شيخ بن العيـدروس في العقد النبـوي ، والأمير محمّد الصنعاني في الروضة النديّة ، والقندوزي في ينابيع المودَّة ، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٨ ، والصبّان في الإسعاف هامش نور الأبصار ص ١٥٥ .

قال الأميني : هذه الجملة المرويَّة من حبشي بن جنـادة . وعمران . وأبي ذر الغفـاري مأخـوذةٌ من حديث التبليـغ وهي شطره كمـا نصَّ عليـه صـاحب اللمعـات والمرقاة والسنـدي الحنفي في شرح سنن ابن مـاجة ج ١ ص ٥٧ وقـالوا : قـال ﷺ هذا تكريماً لعليّ واعتذاراً إلى أبي بكر رضي الله عنهما .

١٢ ـ عمران بن حصين في حديث مـرفوعـاً : عليٌّ منّي وأنا منـه ، ولا يؤدِّي عنّي إلاّ علي ، أخـرجه التـرمذي وقـال حديثٌ حسنٌ غـريبٌ كذا في تـذكرة السبط ص ٢٢ .

١٣ ـ أبو ذر الغفاري مرفوعـاً : عليٌّ منّي وأنا من عليّ ، ولا يؤدّي إلاّ أنـا أو عليّ . مطالب السؤول ص ١٨ .

المراسيل :

١ ـ عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ [الإمام الباقر عليه السلام] قال : لمّا نزلت بـراءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه ليقيم للناس الحـجَّ قيل له : يا رسول الله ! لو بعثت بها إلى أبي بكـر ، فقال : لا يؤدِّي عنّي إلاّ رجـلٌ من أهل بيتي ، ثمَّ دعا عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال لـه : أُخرج بهـذه القصّة من صدر براءة وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعـوا بمنى : أنه لا يـدخل الجنّة كافرٌ ، ولا يحجّ بعد العام مشـركٌ ، ولا يطوف بـالبيت عريـانٌ ، ومن كان لـه عند رسول الله ﷺ عهـدٌ فهو لـه إلى مدَّتـه ، فخرج عليُّ بن أبي طـالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتّى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلمّا رآه أبو بكر بالطريق قال : أميرٌ أو مأمورٌ ؟ فقـال : بل مـأمورٌ . ثمَّ مضيـا فأقـام أبو بكـر للناس الحجَّ والعرب إذ ذاك في تلك السنـة على منازلهم من الحـجِّ التي كانـوا عليها في

الجاهليّة حتّى إذا كان يوم النحر قام عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأذّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ . الحديث .

سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠٣ ، تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٧ ، تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٣٧ ، عمدة القاري ج ٤ ص ٦٣٣ .

٢ ـ رُوي أنَّ أبا بكر لمّا كان ببعض الطريق هبط جبريل ﵇ وقال : يا محمَّد لا تبلّغن رسالتك إلاّ رجلٌ منك فأرسل عليّاً ، فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أشيءٌ نزل من السّماء ؟ قال : نعم فسر وأنت على الموسم وعليٌّ ينادي بالآي . الحديث . ذكره نظام الدين النيسابوري في تفسيره المطبوع في هامش تفسير الطبري ج ١٠ ص ٣٦ .

٣ ـ عن السدي قال : لَمّا نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية بعث بهنَّ رسول الله ﷺ مع أبي بكر وأمره على الحجِّ فلمّا سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعليّ فأخذها منه فرجع أبو بكر إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! بأبي أنت وأُمّي أنزل في شأني شيء ؟ قال : لا . ولكن لا يبلّغ عنّي غيري أو رجلٌ منّي ، أما ترضى يا أبا بكر أنّك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض ؟ قال : بلى يا رسول الله . فسار أبو بكر على الحاجِّ وعليٌّ يؤذّن ببراءة . الحديث .

تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٧ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٤ .

٤ ـ قال البغوي المفسِّر في تفسيره ـ هامش تفسير الخازن ـ ج ٣ ص ٤٩ : لمّا كان سنة تسع وأراد رسول الله ﷺ أن يحجّ ثمَّ قال : إنّه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحجَّ وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثمَّ بعث بعده عليّاً كرَّم الله وجهه على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذّن بمكّة ومنى وعرفة : أن قد برئت ذمّة الله وذمّة رسوله من كلِّ مشرك ولا يطوف بالبيت عريانٌ . فرجع أبو بكر فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي أنزل في شأني شيءٌ ؟ قال : لا . ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلّغ هذا إلاّ رجلٌ من أهلي أما ترضى يا أبا بكر

أنّك كنت معي في الغار ، وأنّك صاحبي على الحوض ؟ قال : بلى يا رسول الله . فسار أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحاجّ وعليٌّ رضي الله عنه ليؤذّن ببراءة . الحديث .

وتجده مرسلاً إرسال المسلّم بلفظ موجز أو مفصّل في طبقات ابن سعد ص ٦٨٥ ، تفسير أبي حيّان ج ٥ ص ٦ ، تفسير الكشّاف ج ٣ ص ٢٣ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٢١٣ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٨٨ ، تفسير النسفي هامش الخازن ج ٢ ص ٢١٢ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ١٠ ص ٣٦ ، تذكرة السبط ص ٢٢ ، امتاع المقريزي ص ٤٩٩ ، الروض الأنف ج ٢ ص ٣٢٨ ، كامل ابن الأثير ج ٢ ص ١٢١ ، تفسير الرازي ج ٤ ص ٤٠٨ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٩١ ، الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٩ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ ، الصواعق ص ١٩ . السيرة النبويّة لزيني دحلان ج ٢ ص ٣٦٤ .

وينبىء عن إطباق الصّحابة الأوّلين على هذه المأثرة لأمير المؤمنين استنشاده عليه السلام بها أصحاب الشورى يوم ذاك بقوله : أفيكم من اؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجلٌ منّي ، غيري ؟ قالوا : لا .

وقد أسلفنا حديث المناشدة يوم الشورى في الجزء الأول ص ١٩٩ ـ ٢٠٤ وأنّ هذه الجملة المذكورة عدّها ابن أبي الحديد من الصحيح وممّا استفاض في الرّوايات من المناشدة يوم الشورى .

المتخلّص من سرد هذه الأحاديث هو تواتر معنوي أو إجمالي لوقوع أصل القصّة من استرداد الآي من أبي بكر وتشريف أمير المؤمنين عليه السلام بتبليغها ونزول الوحي المبين بأنّه لا يبلغ عنه صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ هو أو رجلٌ منه ، ولا يجب علينا البخوع لبعض الخصوصيّات التي تفرّد به بعض الطرق والمتون فإنّها لا تعدو أن تكون آحاداً ، وفي القصّة إيعاز إلى أنّ من لا يستصلحه الوحي المبين لتبليغ عدّة آيات من الكتاب كيف يأتمنه على التعليم بالدّين كلّه ، وتبليغ الأحكام والمصالح كلّها ؟

الشاعر :

أبو عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن علي الهواري المالكي الأندلسي النحوي المعروف بابن جابر الأعمى ، من أهل المريَّة[١] أحد رجالات الشعر والأدب متضلّع في النحو والتاريخ والسير والحديث ، ولد سنة ٦٩٨ وقرأ القرآن والنحو على محمّد بن يعيش ، والفقه على محمّد بن سعيد الرندي ، والحديث على أبي عبدالله الزواوي ، ثمَّ رحل إلى الشرق وصحب أبا جعفر أحمد بن يوسف الألبيري[٢] الطليطلي[٣] الشهير بالبصير المتوفَّى سنة ٧٧٩ ، وشمَّرا لطلب العلم والأدب ذراعاً ، ومدّا إلى التاريخ باعاً ، فكان المترجم يؤلّف وينظّم ويملي ، وصاحبه يقرأ عليه ويكتب ، حتّى نبغا في الأدب غير أنَّ المترجم أكثر نظماً ، ولم يزالا على ذلك طيلة عمرهما ، وسمعا بمصر من أبي حيّان ، ثمَّ حجّا ورجعا إلى الشام وسمعا الحديث من المزّي أبي الحجّاج الدمشقي المتوفَّى سنة ٧٤٢ والجندي ، وابن كاميار ثمَّ قطنا حلب وحدَّثا بها ثمَّ غادراها إلى ألبيرة فاستمرّا بها نحواً من خمسين سنة إلى أن تزوَّج إبن جابر في الآخر فتهاجرا . يروي عن المترجم جماعةٌ منهم : محمّد بن أحمد بن الحرير قاضي حلب وأجاز لمن أدرك حياته ومات في جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ .

تآليفه :

١ ـ شرح الألفية لابن مالك ، قال السيوطي في «البغية» : كتابٌ مفيدٌ يعتني بالإعراب للأبيات وهو جليلٌ جدّاً نافعٌ للمبتدئين .

٢ ـ نظم الفصيح لثعلب أبي العبّاس الشيباني المتوفَّى سنة ٢٩١ .

٣ ـ نظم كفاية المتحفّظ .

٤ ـ شرح ألفيّة إبن المعطي في ثمان مجلّدات ، قاله السيوطي في «بغية

---

(١) المرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء : مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس .

(٢) ألبيرة بألف قطع : كورة كبيرة من الأندلس .

(٣) طليطلة بضم الطاءين وفتح اللام أو ضم الأولى وفتح الثانية : مدينة كبيرة بالأندلس .

الوعاة» وفي «شذرات الذهب» : ثلاث مجلّدات .

٥ ـ ديوان شعره الكثير المتنوّع .

٦ ـ مقصورة في مدح النبيّ الأعظم في ٢٩٦ بيتاً أوّلها :

بادر قلبي للهوى وما ارتأى　　　لمّا رأى من حسنها ما قد رأى

٧ ـ بديعيّته المشهورة ببديعيّة العميان المسمّاة بـ [الحلّة السيرا في مدح خير الورى] مرَّ مستهلّه والإيعاز إلى شرحه في ترجمة صفيّ الدين الحلّي ، سمعها منه شرف الدين أبو بكر محمّد بن عمر العجلوني المتوفّى سنة ٨٠١ ، وسمعها منه إبن حجر كما في «شذرات الذهب» ج ٧ ص ١٠ .

توجد ترجمته في الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٣٩ ، بغية الوعاة في طبقات النحاة ص ١٤ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٦٨ ، نفح الطيب ج ٤ ص ٣٧٣ - ٤٠٨ ذكر جملة ضافية من شعره ، وذكر له قصيدةً يمدح بها النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وفيها التورية بسور القرآن وهي :

في كلِّ فاتحة للقول معتبره　　　حقّ الثناء على المبعوث بالبقره

في آل عمران قدماً شاع مبعثه　　　رجالهم والنساء استوضحوا خبره

من مدَّ للناس من نعماء مائدة　　　عمّت فليست على الأنعام مقتصره

أعراف نعماه ما حلَّ الرَّجاء بها　　　إلّا وأنفال ذاك الجود مبتدره

به توسَّل إذ نادى بتوبته　　　في البحر يونس والظلماء معتكره

هود ويوسف كم خوف به أمنا　　　ولن يروّع صوت الرَّعد من ذكره

مضمون دعوة إبراهيم كان وفي　　　بيت الإله وفي الحجر التمس أثره

ذو أُمَّة كدويِّ النحل ذكرهم　　　في كلِّ قطر فسبحان الذي فطره

بكهف رحماه قد لاذ الورى وبه　　　بشرى ابن مريم في الإنجيل مشتهره

سمَّاه طه وحضَّ الأنبياء على　　　حجِّ المكان الذي من أجله عمره

قد أفلح النّاس بالنور الذي عمروا　　　من نور فرقانه لمّا جلا غرره

أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا　　　كالنمل إذ سمعت آذانهم سوره

وحسبه قصصٌ للعنكبوت أتى إذ حاك نسجاً بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدماً أمره وبه لقمان وُفّق للدرّ الذي نثره
كم سجدة في طلى الأحزاب قد سجدت سيوفه فأراهم ربّه عبره
سباهمُ فاطر السّبع العلى كرماً لمن بياسين بين الرُّسل قد شهره
في الحرب قد صفّت الأملاك تنصره فصار جمع الأعادي هازماً زمره
لغافر الذنب في تفضيله سور قد فصّلت لمعان غير منحصره
شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها مثل الدخان فيعشي عين من نظره
عزّت شريعته البيضاء حين أتى أحقاف بدر وجند الله قد نصره
فجاء بعد القتال الفتح متّصلاً وأصبحت حجرات الدين منتصره
بقاف والذاريات الله أقسم في أنّ الذي قاله حقٌّ كما ذكره
في الطور أبصر موسى نجم سؤدده والأفق قد شقّ إجلالاً له قمره
أسرى فنال من الرَّحمٰن واقعة في القرب ثبّت فيه ربّه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها وفي مجادلة الكفّار قد أزره
في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في صفّ من الرّسل كلٌّ تابعٌ أثره
كفٌّ يسبّح لله الحصاة بها فاقبل إذا جاءك الحقّ الذي قدره
قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها نالت طلاقاً ولم يصرف لها نظره
تحريمه الحبّ للدنيا ورغبته عن زهرة الملك حقّاً عندما نظره
في نون قد حقّت الأمداح فيه بما أثنى به الله إذ أبدى لنا سيره
بجاهه سال نوحٌ في سفينته سفن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت الجنُّ: جاء الحقُّ فاتّبعوا مزمّلاً تابعاً للحقّ لن يذره
مدّثراً شافعاً يوم القيامة هل أتى نبيٌّ له هذا العلى ذخره ؟
في المرسلات من الكتب انجلى نبأ عن بعثه سائر الأخبار قد سطره
ألطافه النازعات الضيم في زمن يوم به عبس العاصي لما ذعره
إذ كوّرت شمس ذات اليوم وانفطرت سماؤه ودعت ويلٌ به الفجره
وللسّماء انشقاقٌ والبروج خلت من طارق الشهب والأفلاك مستتره
فسبّح إسم الذي في الخلق شفّعه وهل أتاك حديث الحوض إذ نهره

كالفجر في البلد المحروس غرّته   والشمس من نوره الوضّاح مستنره
والليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم   نشرح لك القول في أخباره العطره
ولو دعا التين والزيتون لابتدرا   إليه في الحين واقرأ تستبن خبره
في ليلة القدر كم قد حاز من شرف   في الفخر لم يكن الإنسان قد قدره
كم زلزلت بالجياد العاديات له   أرضٌ بقارعة التخويف منتشره
له تكاثر آيات قد اشتهرت   في كلِّ عصر فويلٌ للذي كفره
ألم تر الشّمس تصديقاً له حبست   على قريش وجاء الرّوح إذ أمره
أرأيت أنّ إله العرش كرّمه   بكوثر مرسل في حوضه نهره
والكافرون إذا جاء الورى طُردوا   عن حوضه فلقد تبّت يدا الكفره
إخلاص أمداحه شغلي فكم فلقٌ   للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
أزكى صلاتي على الهادي وعترته   وصحبه وخصوصاً منهمُ عشره

ثمَّ سمّى العشرة المبشّرة وبعدها خصّ بالذكر حمزة والعبّاس وجعفراً وعقيلاً وخديجة وبنتها الزّهراء سلام الله عليهم ، وقد جاراه في قصيدته هذه أئمّة الأدب في مدح النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم منهم الشيخ القلقشندي بقصيدة ذات ٥١ بيتاً أوّلها :

عوّذت حبّي بربِّ الناس والفلق   المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق

والشيخ أبو عمران موسى الفاسي بقصيدة ذات ١٥٤ بيتاً أوّلها :

بدأت باسم اللّه في أوّل السطر   فأسماؤه حصنٌ منيعٌ من الضرّ

ولغيرهما قصيدة ذات ٤٠ بيتاً مستهلّها :

بحمد إله العرش أستفتح القولا   وفي آية الكرسي أستمنح الطولا

ولآخر قصيدة ذات ٣٧ بيتاً مطلعها :

بسم الإله افتتاح الحمد والبقرة   مصلّياً بصلاةٍ لم تزل عطرة

وللمترجم في نفح الطيب قوله :

جعلوا لأبناء الرّسول علامة   إنَّ العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوّة في كريم وجوههم   يغني الشريف عن الطراز الأخضر

قال الحافظ القسطلاني في المواهب اللدنيَّة كما في شرحه ج ٧ ص ٢١ : فهذه الذريَّة الطاهرة قد خصّوا بمزايا التشريف ، وعمّوا بواسطة السيِّدة فاطمة بفضل ضيف ، وألبسوا رداء الشرف ، ومنحوا بمزيد الإكرام والتحف ، وقد وقع الإصطلاح على اختصاصهم من بين الشرف كالعبّاسيين والجعافرة [ذرية جعفر بن أبي طالب] بالشطفة[1] الخضراء لمزيد شرفهم ، والسبب في ذلك كما قيل : أنَّ المأمون الخليفة العبّاسي أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتّخذ لهم شعاراً أخضر ، وألبسهم ثياباً خضراً ، لكون السّواد شعار العبّاسيين ، والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها ، والأحمر مختلف في كراهته ، والأصفر شعار اليهود بآخره ، ثمَّ انثنى عزمه عن ذلك ، وردّ الخلافة لبني العبّاس فبقي ذلك شعاراً لأشراف العلويِّين من الزّهراء ، لكنّهم اختصروا الثياب إلى قطعة من ثوب أخضر توضع على عمائمهم هي المسمّاة [بالشطفة] شعاراً لهم ثمَّ انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن ؛ قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من إنباء الغمر بأبناء العمر : وفيها أمر السّلطان الأشرف أن يمتازوا عن الناس بعصائب «جمع عصابة» خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الأديب أبو عبدالله إبن جابر الأندلسي [وذكر البيتين المذكورين] والأديب شمس الدين الدمشقي :

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصّهم لها ... شرفاً ليفرقهم من الأطراف

والأشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر ، خنق سنة ٧٧٨ .

* * *

---

(١) الشطفة بضم المعجمة : القطعة .



٧١ - علاء الدين الحلي

أجآذرٌ منعت عيونك ترقد ... بعراص بابل أم حسانٌ خرّد ؟
ومعاطف عطفت فؤادك أم غصو ... نٌ نقى على هضباتها تتأودُ ؟
وبروق غادية شجاك وميضها ... أم تلك درٌّ في الثغور تنضّد ؟
وعيون غزلان الصَّريم بسحرها ... فتنتك أم بيضٌ عليك تجرَّد ؟
يا ساهر الليل الطويل يمدُّه ... عوناً على طول السهاد الفرقدُ
ومُهاجراً طيب الرقاد وقلبه ... أسفاً على جمر الغضا يتوقّد
ألا كففت الطرف إذ سفرت بدو ... ر السَّعد بالسُّعدى عليك وتسعد
أسلمت نفسك للهوى متعرِّضاً ... وكذا الهوى فيه الهوان السَّرمد
وبعثتَ طرفك رائداً ولرُبّما ... صَرع الفتى دون الورود المورد
فغدوت في شرك الظباء مقيّداً ... وكذا الظباء يصدن من يتصيّد
فلعبن أحياناً بلبّك لاهياً ... بجمالهنَّ فكاد منك الحُسَّدُ
حتّى إذا علقت بهنَّ بعدت من ... كثب فهل لك بعد نجد منجد ؟
رحلوا فما أبقوا لجسمك بعدهم ... رمقاً ولا جلداً به تتجلَّد
واهاً لنفسك حيث جسمك بالحمى ... يبلى وقلبك بالرَّكائب منجد
ألفت عيادتك الصَّبابة والأسى ... وجفاك من طول السقام العوَّد
وتظنّ أنَّ البعد يعقب سلوة ... وكذا السلوُّ مع التباعد يبعد

يا نائماً عن ليل صبٍّ[1] جفنه ... أرقٌ إذا غفت العيون الهجّد
ليس المنام لراقدٍ جهل الهوى ... عجباً بلى عجبٌ لمن لا يرقد
نام الخليُّ من الغرام وطرف من ... ألف الصّبابة والهيام مسهَّد
أترى تقرُّ عيون صبٍّ قلبه ... في أسر مائسة القوام مقيَّد ؟
شمسٌ على غصن يكاد مهابةً ... لجمالها تعنو البدور وتسجد
تفترّ عن شنب كأنَّ جمانه ... بردٌ به عذب الزلال مبرَّد
ويصدُّني عن لثمه نارٌ غدت ... زفرات أنفاسي بها تتصعَّد
من لي بقرب غزالة في وجهها ... صبحٌ تجلّى عنه ليلٌ أسود ؟
أعنو لها ذلّاً فتعرض في الهوى ... دَلّاً وأمنحها الدنوّ وتبعد
تحمي بناظرها مخافة ناظر ... خدّاً لها حسن الصّقال مورَّد
يا خال وجنتها المخلّد في لظى ... ما خلت قبلك في الجحيم يخلّد
إلّا الذي جحد الوصي وما حكى ... في فضله يوم «الغدير» محمّد
إذ قام يصدع خاطباً ويمينه ... بيمينه فوق الحدائج تعقد
ويقول والأملاك محدقةٌ به ... واللّه مطّلعٌ بذلك يشهد
من كنت مولاه فهذا حيدر ... مولاه من دون الأنام وسيِّد
يا ربّ وال وليّه واكبت مُعا ... ديه وعاند من لحيدر يعند
واللّه ما يهواه إلّا مؤمن ... برٌّ ولا يقلوه إلّا ملحد
كونوا له عوناً ولا تتخاذلوا ... عن نصره واسترشدوه تُرشدوا
قالوا : سمعنا ما تقول وما أتى ... الرّوح الأمين به عليك يؤكّد
هذا «عليٌّ» إمامنا ووليّنا ... وبه إلى نهج الهدى نسترشد
حتّى إذا قبض النبيُّ ولم يكن ... من بعده في وسط لحد يلحد[2]
خانوا مواثيق النبيِّ وخالفوا ... ما قاله خير البريّة أحمد
واستبدلوا بالرُّشد غيّاً بعدما ... عرفوا الصواب وفي الضلال تردّدوا
وغدا سليل أبي قحافة سيّداً ... لهمُ ولم يك قبل ذلك سيّد

(١) الصب : العاشق يقال : رجل صب جمع صبون .
(٢) وفي نسخة : في لحده من بعد غسل يلحد .

يـا لـلرِّجـال لأمّـةٍ مـفـتـونـةٍ ... سـادت على السّـادات فيهـا الأعبُدُ
أضحى بهـا الأقصى البعيد مقـرّبـاً ... والأقـرب الأدنـى يـذاد ويُـبـعـدُ
هـلّا تـقـدّمـه غـداة بـراءة ... إذ ردَّ وهـو بـفـرط غـيظ مـكـمـد ؟
ويـقـول معتـذراً : أقيلوني وفي ... إدراكها قـد كـان قِـدمـاً يجـهـد
أيكـون منها المستقيـل وقـد غـدا ... فـي آخـر يـوصـي بـهـا ويـؤكّـد ؟

ثمَّ اقتفى

فقضى بهـا خشنـاء يـغلظ كـلمهـا ... ذلَّ الـولـيُّ بـهـا وعـزَّ الـمـفـسـد
وأشـار بـالشّـورى فقـرَّب نعثـلاً ... مـنـهـا فـبئس الـخـائـن . . .
فـغـدا لـمال الـلّه فـي قـربـائـه ... عـمـداً يـفـرِّق جـمـعـه ويـبـدِّد
ونـفـى أبـا ذرّ وقـرَّب فـاسـقـاً(١) ... كـان الـنـبـيُّ لـه يـصـدُّ ويـطرد
لـعـبـوا بـهـا حـينـاً وكـلٌّ منـهـم ... مـتـحـيّـرٌ فـي حـكـمـهـا متـردِّد
ولـو اقـتـدوا بـإمـامهم ووليّـهـم ... سـعـدوا بـه وهـو الـولـيُّ الأوكـد
لـكـن شـقـوا بـخـلافـه أبـداً ومـا ... سعـدوا بـه وهـو الـوصيُّ الأسعـد
صـنـو الـنبيِّ ونـفـسـه وأمـيـنـه ... وولـيّـه الـمـتـعـطّف الـمـتـودّد
كُتبـا على العـرش المجيـد ولم يكن ... فـي سـالـف الأيّـام آدمُ يـوجـد
نـوران قـدسيّـان ضمَّ عـلاهـمـا ... من شيبـة الحمد ابن هـاشم محتـد
مـن لـم يُـقـم وجـهـاً إلى صنـم ولا ... لـلّات والـعـزّى قـديمـاً يسجـد
والـديـن والإشـراك لـولا سـيـفـه ... مـا قـام ذا شـرفـاً وهـذا يـقـعـد
سَـلْ عنـه بـدراً حين وافى شيبـةً ... شـلواً عـليـه الـنـائـحـات تـعـدِّد
وثـوى الـولـيـد بسيفـه متعـفّـراً ... وعليـه ثـوبٌ بـالـدمـاء مجسّـد
وبـيـوم أُحـد والـرِّمـاح شـوارعٌ ... والبيض تصـدر في الـنحـور وتـورد
مَـن كـان قـاتـل طلحـة لـمّـا أتـى ... كـالليث يـرعـد لـلقتـال ويـزبـد
وأبـاد أصـحـاب اللواء وأصـبـحـوا ... مثـلاً بهم يـروى الحـديث ويُسنـد ؟

---

(١) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية عم عثمان بن عفان أخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة وطرده عنها ، راجع الإستيعاب وغير واحد من المعاجم .

هــذا يُــجــرُّ وذاك يــرفــع رأســه ... فــي رأس مــنــتــصــب وذاك مــقــيّــد
ويــوم خيبــر إذ بــرايــة «أحمــد» ... ولّــى عتــيــق والــبــريّــة تشــهــد
ومضى بهــا الثــاني فــآب يجــرُّهــا ... ذلّاً يــوبّــخ نــفــســه ويــفــنّــد
حــتّــى إذا رجــعــا تــمــيّــز «أحــمــد» ... حــرداً وحــقّ لــه بــذلــك يــحــرد
وغــدا يحــدّث مُسمعــاً مَن حــولــه ... والــقــول مــنــه مــوفّــق ومــؤيّــد
إنّــي لأعــطي رايتــي رجــلاً وفــي ... بــطلٌ بــمختلس الــنـفــوس معــوّد
رجــلٌ يــحــبُّ الــلّه ثــمَّ رســولــه ... ويــحبّــه الــلّه الــعــليُّ وأحــمــد
حتّى إذا جنــح الــظلام مضى على ... عجــل وأسفــر عــن صبيحتــه غــد
قــال : ائت يــا سلمــان لي بــأخي فقــا ... ل الــطهــر ســلمــانٌ : عــليٌ أرمــد
ومــضــى وعــاد بــه يُــقــاد ألا لــقــد ... شــرف الــمقــود عُــلاً وعــزَّ الــقيّــد
فــجــلا قــذاهُ بــتــفــلة وكــســاه ســا ... بغــةً بهــا الــزرد الحديــد منضّد[١]
فــيــدٌ تــنــاولــه الــلــواء وكــفّــه الــ ... أُخــرى تــزرّد درعــه وتــبــنّــد
ومــضى بــهــا قــدمــاً وآب مــظفّــراً ... مستبشــراً بــالــنّصــر وهــو مــؤيّــد
وهــوى بحــدّ السيف هــامــة مــرحب ... فــبــراه وهــو الــكــافــر الــمــتــمــرّد
ودنــا من الحصن الحصين وبــابــه ... مــستــغلق حــذر الــمنيّــة مــوصــد
فــدحــاه مــقــتــلعــاً لــه فــغــدا لــه ... حسّــان ثــابت في المحافل ينشد[٢]
إنَّ امــرأً حــمــل الــرّتــاج[٣] بخيبــر ... يــوم الــيــهــود لــقــدره لــمــؤيّــد
حمــل الــرّتــاج وماج بــاب قموصهــا ... والمسلمــون وأهــل خيبــر تشــهــد
واســأل حنينــاً حين بــادر جــرول[٤] ... شــاكي السِّلاح لفــرصة يتــرصّــد

---

(١) درع سابغة : واسعة جمع سوابغ . الزرد : الدرع المزرودة يتداخل بعضها في بعض جمع زرود .

(٢) مر شعر حسان بن ثابت في هذه المأثرة الكريمة وشرحه في الجزء الثاني ص ٥٧ .

(٣) الرتاج : الباب العظيم . الباب المغلق وفيه باب صغير .

(٤) هو أبو جرول صاحب راية هوازن يوم حنين ، كان يوم ذاك على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام الناس وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ، وكان يرتجز بقوله :

أنــا أبــو جــرول لا بــراح ... حــتــى يــبــيــح الــقــوم أويــبــاح

حتّى إذا ما أمكنته غشاهم ... في فيلق يحكيه بحرٌ مزبد
وثوى قتيلاً أيمن[١] وتبادرت ... عصب الضّلال لحتف أحمد تقصد
وتفرَّقت أنصاره من حوله ... جزعاً كأنّهم النعام الشرَّد
ها ذاك منحدرٌ إلى وهدٍ وذا ... حذر المنيَّة فوق تلع يصعد
هلاّ سألت غداة ولّى جمعهم ... خوف الردى إن كنت من يسترشد ؟
من كان قاتل جرول ومذلّ جيـ ... ـش هوازن إلاّ الوليُّ المرشد
كلٌّ له فقد النبيُّ سوى أبي ... حسن عليّ حاضرٌ لا يفقد
ومبيته فوق الفراش مجاهداً ... بمهاد خير المرسلين يُمهّد
وسواه محزونٌ خلال الغار من ... حذر المنيَّة نفسه تتصعَّد
وتعدُّ منقبة لديه وإنّها ... إحدى الكبائر عند من يتفقّد
ومسيره فوق البساط مخاطباً ... أهل الرقيم فضيلةٌ لا تُجحد
وعليه قد ردَّت[٢] ذكاء وأحمد ... من فوق ركبته اليمين موسَّد
وعليه ثانية بساحة بابل ... رجعت كذا ورد الحديث المسند
ووليُّ عهد محمَّد أفهل ترى ... أحداً إليه سواه أحمد يعهد ؟
إذ قال : إنّك وارثي وخليفتي ... ومغسِّلٌ لي دونهم وملحّد
أم هل ترى[٣] في العالمين بأسرهم ... بشراً سواه ببيت مكّة يولدُ ؟
في ليلة جبريل جاء بها مع الـ ... ـملأ المقدس حوله يتعبَّد
فلقد سما مجداً «علي» كما علا ... شرفاً به دون البقاع المسجد
أم هل سواه فتىً تصدَّق[٤] راكعاً ... لمّا أتاه السائل المسترفد ؟

= فهوى له عليّ أمير المؤمنين من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ثم ضربه فقطره ثم قال :

قد علم القوم لدى الصباح ... اني لدى الهيجاء ذو نضاح

(١) أيمن بن أُم أيمن بن عبيد. من المستشهدين في غزوة حنين .

(٢) أسلفنا تفصيل القول في فضيلة رد الشمس للإمام عليه السلام في الجزء الثالث ص ١٦٥ - ١٨١ .

(٣) قد مرّ حديث ولادته عليه السلام ببطن الكعبة المشرفة في هذا الجزء ص ٣٨ - ٥٦ .

(٤) هذه الفضيلة فصلنا القول فيها تفصيلاً في ج ٢ ص ٦٥ وج ٣ ص ١٩٩ - ٢١٠ .

المؤثـر المتصـدق المـتفضـل الْـ   ـمتمسّـك المتنسّـك المتـزهّـد
الشـاكـر المتـطوع المـتضـرع الْـ   ـمتخضـع المتخشـع المتهـجّـد
الصـابـر المتـوكـل المتـوسـل الْـ   ـمتـذلـل المـتملمـل المـتعـبّـد
رجـلٌ يتيـه بـه الفخـار مفـاخـراً   ويسـود إذ يُعـزى إليـه السّـودد
إن يحسـدوه عـلى عُـلاه فـإنّمـا   أعـلا البـريّـة رتبـةً من يُحسـد
وتـتـبّـعت أبـنـاؤهـم أبـنـاؤه   كـلٌّ لـكـلٍّ بـالأذى يـتـقـصّـد
حسـدوه إذ لا رتـبـة وفـضـيـلة   إلّا بـمـا هـو دونـهـم مـتـفـرّد
بـالـلّه أقـسـم والـنـبـيّ وآلـه   قـسمـاً يـفـوز بـه الـوليُّ ويسعـد
لولا الأولى نقضـوا عهـود محمّـد   من بعـده وعلى الـوصيّ تـمـرّدوا
لـم تـسـتـطع مَـدّاً لآل أمـيّـة   يـوم الـطفـوف على ابن فـاطمـة يـد
بـأبي القتيـل المستضـام ومَـن لـه   نـارٌ بـقـلـبـي حـرُّهـا لا يـبـرد
بـأبي غـريب الـدار منتهـك الخبـا   عـن عُـقـر مـنـزلـه بـعيـدٌ مفـرد
بـأبي الـذي كـادت لفرط مصـابـه   شـمُّ الـرّواسي حـسـرةً تـتـبـدّد
كـتبـت إليـه عـلى غـرور أمـيّـة   سفهـاً وليس لهـم كـريمٌ يحـمـد
بـصحـائف كـوجـوههـم مسـودّة   جـاءت بهـا ركـبـانـهـم تـتـردّد
حـتّى تـوجّـه واثـقـاً بـعـهـودهـم   ولـه عـيـونـهـم انـتـظاراً تـرصـد
أضحى الـذيـن أعـدّهم لـعـدوّهم   إلـبـاً[1] جنـودهـم عـليـه تـجنّـد
وتـبـادروا يتسـارعـون لحـربـه   جـيشـاً يُقـاد لـه وآخـر يُحشـد
حتى تـراءى منهـم الجـمعـان في   خـرق وضمهـمُ هنـالـك فـدْفـد
ألـفـوه لا وكِـلاً ولا مـسـتـشـعـراً   ذلّاً ولا فـي عـزمـه يـتـردّد
مـاضٍ على عـزم يفـل بحـده الـ   ـمـاضي حـدود البيض حينَ تجـرّد
مـستبشـراً بـالحـرب علمـاً أنّـه   يـتبـوّأ الـفـردوس إذ يـستشـهـد
فـي أسـرةٍ مـن هـاشـم عـلـويّـة   عـزّت أرومتهـا وطـاب المـولـد
وسُـراة أنـصـارٍ ضـراغـمـة لـهـم   أهـوال أيّـام الـوقـائـع تـشـهـد
يتسـارعـون إلى القتـال يسابق الـ   ـكهـل المسنّ على القتـال الأمـرد

(١) الإلْب : القوم تجمعهم عداوة واحد يقال : هم على إلْب واحد .

فكأنما تلك القلوب تقلبت ... زبراً عليهن الصفيح يضمد[١]
وتخال في إقدامهم أقدامهم ... عُمداً على صمِّ الجلامد توقد
جادوا بأنفسهم أمام إمامهم ... والجود بالنفس النفيسة أجود
نصحوا غنوا غرسوا جنوا شادوا بنوا قربوا دنوا سكنوا النعيم فخلّدوا
حتّى إذا انتهبت نفوسهم الضبا ... من دون سيّدهم وقلّ المسعد
طافوا به فرداً وطوع يمينه ... متذلّق ماضي الغرار مهنّد[٢]
عضبٌ[٣] بغير جفون هامات العدى ... يوم الكريهة حدُّه لا يغمد
يسطو به ثبت الجنان ممنّع ... ماضي العزيمة دارعٌ ومُزرِّد
ندبٌ متى ندبوه[٤] كرّ معاوداً ... والأسد في طلب الفرائس عوّد
فيروعهم من حدِّ غرب حسامه ... ضربٌ يقدُّ به الجماجم أهود
يا قلبه يوم الطفوف أزبرة ... مطبوعةٌ أم أنت صخرٌ جلمد ؟
فكأنّه وجواده وسنانه ... وحسامه والنقع داجٍ أسود[٥]
فلكٌ به قمرٌ وراه مذنّب ... وأمامه في جنح ليل فرقد
في ضيق معترك تقاعص دونه ... جرداء مائلة وشيظم أجرد
فكأنّما فيه مسيل دمائهم ... بحرٌ تهيّجه الرِّياح فيزبد
فكأنَّ جَرد الصّافنات سفائن ... طوراً تعوم به وطوراً تركد[٦]

---

(١) الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد جمع زبر . الصفيح جمع الصفيحة : السيف العريض .
(٢) الذلق : الحد . المتذلّق المحدد الطرف . الماضي فاعل من مضى مضاء السيف أي قطع . الغرار بالكسر : حد السيف . المهند : السيف المطبوع من حديد الهند .
(٣) العضب : السيف القاطع ، ويقال : سيف عضب أي قاطع . والعضب : الرجل الحديد الكلام .
(٤) الندب : السريع إلى الفضائل . الظريف النجيب . ندب فلاناً للأمر أي إليه دعاه ووجهه إليه .
(٥) هذا البيت وما بعده في بعض النسخ يوجد كذا :

فكأنه وجواده وسنان صعدته ... وليل النقع داج أسود
قمر به فلك يمرّ يؤمه ... متقدماً في جنح ليل فرقد

(٦) الجرد بفتح الجيم : الترس . الصافنات جمع الصافن من صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . تعوم : تسير .

حتى شفى بالسيف غلّة صدره — ومن الزلال العذب ليس تبرّد
لهفي له يرد الحتوف ودونه — ماء الفرات محرّمٌ لا يورد
شزراً[1] يلاحظه ودون وروده — نارٌ بأطراف الأسنَّة توقد
ولقد غشوه فضاربٌ ومفوّق — سهماً إليه وطاعنٌ متقصِّد
حتّى هوى كالطود غير مذمَّم — بالنفس من أسف يجود ويجهد
لهفي عليه مرمّلاً بدمائه — ترب الترائب بالصعيد يوسّد
تطأ السنابك[2] منه صدراً طالما — للدرس فيه وللعلوم تردّد
ألقت عليه السّافيات ملابساً — فكسته وهو من اللباس مجرّد
خضبت عوارضه دماه فخيّلت — شفقاً له فوق الصَّباح تورّد
لهفي لفتيته خموداً في الثرى — ودماؤهم فوق الصعيد تبدّد
فكأنّما سيل الدِّماء على عوار — ضهم عقيقٌ ثمَّ منه زبرجد
لهفي لنسوته برزن حواسراً — وخدودهنَّ من الدموع تخدّد
هاتيك حاسرة القناع وهذه — عنها يُماط رداً ويُنزع مرود
ويقلن جهراً للجواد لقد هوى — من فوق صهوتك الجواد الأجود
يا يوم عاشوراء حسبك إنّك — اليوم المشوم بل العبوس الأنكد
فيك الحسين ثوى قتيلاً بالعرى — إذ عزَّ ناصره وقلَّ المُسعد
والتائبون الحامدون العابدون — السائحون الرّاكعون السجَّد
أضحت رؤوسهمُ أمام نسائهم — قُدماً تميل بها الرِّماح وتأود
والسيِّد السجّاد يُحمل صاغراً — ويُقاد في الأغلال وهو مقيَّد
لا راحماً يشكو إليه مصابه — في دار غربته ولا مُتودّد
يُهدى به وبرأس والده إلى — لكعٍ زنيمٍ كافرٍ يتمرَّد
لا خير في سفهاء قوم عبدهم — ملكٌ يطاع وحرُّهم مستعبد
يا عين إن نفدت دموعك فاسمحي بدم ولست أخال دمعك ينفد
أسفاً على آل الرّسول ومَن بهم — ركن الهدى شرفاً يُشاد ويُعضد

---

(١) شزر : نظر بجانب عينه مع اعراض أو غضب .
(٢) السنبك : طرف الحافر .

منهم قتيلٌ لا يُجار ومَن سُقي سمّاً وآخر عن حماه يشرَّد
ضاقت بلاد الله وهي فسيحةٌ بهمُ وليس لهم بأرض مقعد
متباعدون لهم بكلّ تنوفة[1] مستشهدٌ وبكلِّ أرض مشهد

أبني المشاعر والحطيم ومَن هم حججٌ بهم تشقى الأنام وتسعد
أقسمت لا ينفكُّ حزني دائماً بكمُ ونار حشاشتي لا تخمد
بكمُ يميناً لا جرى في ناظري حزناً عليكم غير دمعي مرود
يفنى الزمان وتنقضي أيامه وعليكم بكم الحزين المكمد
فلجسمه حلل السّقام ملابسٌ ولطرفه حرّ المدامع أثمد
ولو انّني استمددت من عيني دماً ويقلّ من عيني دماً يستمدد
لم أقض حقّكم عليٌّ وكيف أن تقضي حقوق المالكين الأعبد ؟
يا صفوة الجبّار يا مستودعي الأسرار يا مَن ظلّهم لي مقصد
عاهدتكم في الذرّ معرفةً بكم ووفيت أيماناً بما أتعهّد
ووعدتموني في المعاد شفاعة وعلى الصِّراط غداً يصحّ الموعد
فتفقّدوني في الحساب فإنّني ثقةً بكم لوجوهكم أتقصّد
كم مدحة لي فيكم في طيّها حِكمٌ تفوز بها الركاب وتنجد
وبنات أفكار تفوق صفات أبكار يقوم لها القريض ويقعد
ليس النضار[2] لها نظيراً بل هي الدرّ المفصّل لا الخلاص العسجد
هذا ولو أنّ العباد بأسرهم تحكي مناقب مجدكم وتعدّد
لم يدركوا إلّا اليسير وأنتم أعلى عُليٍّ ممّا حكوه وأزيد
ولكان في أمّ الكتاب كفاية عمّا تُنظّمه الورى وتُنضّد
صلّى الإله عليكم ما باكرت وِرقٌ على وَرق الغصون تُغرّد

وله من قصيدة يمدح بها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وفيها من البديع الجناس في القوافي في ٥٦ بيتاً قوله :

---

(١) التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس جمع تنائف .
(٢) النضار : الجوهر الخالص من التبر . الذهب والفضة وقد غلب على الذهب .

يا روح قدس من اللّه البديء بدا ... وروح أُنس على العرش العليّ بدا
يا علّة الخلق يا من لا يُقارب خير ... المرسلين سواه مشبهٌ أبدا
يا سرَّ موسى كليم اللّه حين رأى ... ناراً فآنس منها للظلام هدى
ويا وسيلة إبراهيم حين خبت ... نار ابن كنعان برداً والضرام هدا
أنت الذي قسماً لولا علاك لما كلّت لدى النحر عن نحر الذّبيح مُدى
ولا غدا شمل يعقوب النبيّ مع الصدّيق مشتملاً من بعد طول مَدى
أليّةً بك لولا أنت ما كشفت ... مسرّة الأمن عن قلب النبيّ صدى
ولا غدت عرصات الكفر موحشة ... يبكي عليهنَّ من بعد الأنيس صدى[١]
يا من به كمل الدين الحنيف ولا ... سلام من بعد وهن ميله عضدا
وصاحب النصّ في خمّ وقد رفع النبيُّ على رغم العدا عَضدا
أنت الذي اختارك الهادي البشير ... أخاً وما سواك ارتضى من بينهم أحدا
أنت الذي عجبت منه الملائك في ... بدرٍ ومن بعدها إذ شاهدوا أُحدا
وحقّ نصرك للإسلام تكلؤه ... حياطةً بعد خطب فادحٍ ورَدى
ما فصّل المجد جلباباً لذي شرف ... إلّا وكان لمعناك البهيج ردا
يا كاشف الكرب عن وجه النبيِّ لدى ... بدر وقد كثرت أعداؤه عُددا
استشعروا الذلَّ خوفاً من لقاك وقد ... تكاثروا عدداً واستصحبوا عُددا
ويوم عمرو بن ودٍّ العامري وقد ... سارت إليك سرايا جيشه مَددا
أضحكت ثغر الهدى بشراً به وبكت ... عين الضّلال له بعد الدما مُددا
وفي هوازن لمّا نارها استعرت ... من عزم عزمك يوماً حرّها بردا
أجرى حسامك صوباً من دمائهم ... هدراً وأمطرتهم من أسهم بُردا[٢]
أقدمت وانهزم الباقون حين رأوا ... على النبيِّ محيطاً جحفلاً لَبدا[٣]
لولا حسامك ما ولّوا ولا اطّرحوا ... من الغنائم مالاً وافراً لُبدا[٤]

---

(١) الصدى : نوع من البوم يأوي إلى الأماكن الخربة المظلمة ويسمى أيضاً : الهامة .
(٢) ثلج جامد ينزل من السحاب يسمى حبَّ الغمام وحبّ المزن .
(٣) لبد القوم بالرجل : لزموه وأطافوا به .
(٤) لبد بضم اللام أي الكثير الجمّ .

الشاعر :

أبو الحسن علاء الدين الشيخ عليّ بن الحسين الحلّي الشهيفي[١] المعروف بابن الشهفيّة ، عالمٌ فاضلٌ ، وأديبٌ كاملٌ ، وقد جمع بين الفضيلتين علم غزير وأدب بارع بفكر نابغ ، ونظر صائب ، ونبوغ ظاهر ، وفضل باهر ، وجاء في الطليعة من شعراء أهل البيت عليهم السلام ، وقصائده الرنّانة السائرة الطافحة بالحجاج ، الزاهية بالرقائق ، المشحونة بالدقائق ، المتبلّجة بالمحسّنات البديعيّة على جزالةٍ في اللفظ ، وحصافةٍ في المعنى ، ومتانةٍ في الأسلوب ، وقوّةٍ في المبنى ، ورصانةٍ في النضد ، ورشاقةٍ في النظم في مدائح أمير المؤمنين ومراثي ولده الإمام السبط أعدل شاهد لعبقريّته ، وتقدُّمه في محاسن الشعر ، وثباته على نواميس المذهب ، واقتفائه أثر أئمَّة دينه عليهم السلام ولشيخنا الشهيد الأوّل معاصره المقتول سنة ٧٨٦ شرح إحدى قصائده وهي الغديريَّة الثانية المذكورة ولمّا وقف المترجم على ذلك الشرح فخر به ومدح الشارح بمقطوعة .

ترجمه وأثنى عليه بالعلم والفضل والأدب القاضي في «المجالس» ، وشيخنا الحرّ في أمل الآمل ، والميرزا صاحب رياض العلماء ، وسيّدنا مؤلّف رياض الجنَّة ، وابن أبي شبانة في تتميم الأمل وغيرهم .

وقصائده السَّبع الطوال التي أوعز إلى عددها في بعضها وهي التي رآها صاحب [رياض العلماء] بخطِّ العلاّمة الشيخ محمَّد بن علي بن الحسن الجباعي العاملي تلميذ إبن فهد الحلّي المتوفى سنة ٨٤١ وقفنا منها على عدَّة نسخ ، إحداها غديريَّته الأولى المذكورة وإليك الستُّ الباقية :

ذهب الصّبا وتصرَّم العمر ... ودنا الرَّحيل وقوَّض السفر

ووهت قواعد قوَّتي وذوى ... غصن الشبيبة وانحنى الظهر

وبكت حمائم دوحتي أسفاً ... لمّا ذوت عذباتها الخضر

وخلت من الينع الجنيِّ فلا ... قطفٌ بها يُجنى ولا زهر

---

(١) لم تعرف وجه هذه النسبة ونجد في ضبطها اختلافاً في النسخ بين الشهيفي ، والشفهيني ، والشهفيني ، والشفهي ، والشهيفيني .

وتبدَّلت لذهاب سندسها ... ذهبيَّة أوراقها الصفر
وتغيَّبت شمس الضحى فخلا ... للبيض عن أوطاني النفر
وجَفونني بعد الوصال فلا ... هَديٌ يقرِّبني ولا نحر
وهجرن بيتي أن يطفن به ... ولهنَّ في هجرانه عذر
ذهبت نضارة منظري وبدا ... في جنح ليل عذاري الفجر
وإذا الفتى ذهبت شبيبته ... فيما يضرُّ فربحه خسر
وعليه ما اكتسبت يداه إذا ... سكن الضريح وضمَّه القبر
وإذا انقضى عمر الفتى فرطاً ... في كسب معصية فلا عمر
ما العمر إلاّ ما به كثرت ... حسناته وتضاعف الأجر
ولقد وقفت على منازل مَن ... أهوى وفيض مدامعي غمر
وسألتها لو أنّها نطقت ... أم كيف ينطق منزل قفر ؟
يا دار هل لك بالأولى رحلوا ... خَبرٌ ؟ وهل لمعالم خُبر ؟
أين البدور بدور سعدك يا ... مغنى ؟ وأين الأنجم الزهر ؟
أين الكفاة ومن أكفّهم ... في النائبات لمعسر يسر ؟
أين الرُّبوع المخصبات إذا ... عفت السنون وأعوز البشر
أين الغيوث الهاطلات إذا ... بخل السَّحاب وأنجم القطر ؟
ذهبوا فما وأبيك بعدهم ... للنّاس نيسانٌ ولا غمر
تلك المحاسن في القبور على ... مرّ الدهور هوامدٌ دثر
أبكي اشتياقاً كلّما ذكروا ... وأخو الغرام يهيجه الذكر
ورجوتهم في منتهى أجلي ... خلفاً فأخلف ظنّي الدهر
فأنا الغريب الدّار في وطني ... وعلى اغترابي ينقضي العمر
يا واقفاً في الدار مفتكراً ... مهلاً فقد أودى بك الفكر
إن تمس مكتئباً لبينهم ... فعقيب كلِّ كآبة وَزر[1]
هلاّ صبرت على المصاب بهم ... وعلى المصيبة يحمد الصَّبر
وجعلت رزءك في الحسين ففي ... رزء ابن فاطمة لك الأجر

---

(١) الوزر بفتح الواو وتاليها : الملجأ .

مكروا به أهل النفاق وهل ... لمنافق يستبعد المكر ؟
بصحائف كوجوههم وردت ... سوداً وفحو كلامهم هجر
حتّى أناخ بعقر ساحتهم ... ثقةً تأكّد منهم الغدر
وتسارعوا لقتاله زمراً ... ما لا يحيط بعدّه حصر
طافوا بأروع[1] في عرينته ... يحمي النزيل ويأمن الثغر
جيشٌ لهامٌ يوم معركة ... وليوم سلمٍ واحدٌ وتر
فكأنّهم سربٌ قد اجتمعت ... إلفاً فبدّد شملها صقر
أو حاذرٌ ذو لبدة وجمت ... لهجومه في مرتع عفر[2]
يا قلبه وعداه من فَرَق ... فرقٌ وملء قلوبهم ذعر
أمن الصّلاب الصّلب أم زبر ... طبعت وصبَّ خلالها قطر ؟
وكأنّه فوق الجواد وفي متن الحسام دماؤهم هدر
أسدٌ على فلكٍ وفي يده ... المرّيخ قاني اللون محمر
حتى إذا قرب المدى وبه ... طاف العدى وتقاصر العمر
أردوه منعفراً تمجُّ دماً ... منه الظبي والذبّل السمر
تطأ الخيول إهابه وعلى الـ ... ـخدّ التريب لوطيها أثر
ظامٍ يبلّ أُوام غلّته ... ريّاً يفيضُ نجيعه النحر
تأباه إجلالاً فتزجرها ... فئةٌ يقود عصاتها شمر
فتجول في صدرٍ أحاط على ... علم النبوّة ذلك الصّدر
بأبي القتيل ومَن بمصرعه ... ضعف الهدى وتضاعف الكفر
بأبي الذي أكفانه نُسجت ... من عثير وحنوطه عفر
ومغسّلاً بدم الوريد فلا ... ماءٌ أُعدَّ له ولا سِدر
بدرٌ هوى من سعده فبكا ... لخمود نور ضيائه البدر
هوت النسور عليه عاكفةً ... وبكاه عند طلوعه النسر

(١) الأروع : من يعجب الناس بحسنه أو شجاعته .
(٢) الحاذر : المتأهب المستعد . اللبدة بالكسر والضم : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد . الوجم والوجوم : السكوت والعجز من الغيظ أو الخوف والإمساك عن أمر كرهاً . العفر بالكسر والضم : الخنزير . الشجاع . الغليظ الشديد .

سلبت يد الطلقاء مغفره ... فبكى لسلب المغفر العفر
وبكت ملائكة السّماء له ... حزناً ووجه الأرض مغبرٌّ
والدَّهر مشقوق الرِّداء ولا ... عجبٌ يشقُّ رداءه الدَّهر
والشَّمس ناشرةٌ ذوائبها ... وعليه لا يستقبح النشر
برزت له في زيٍّ ثاكلة ... أثيابها دمويَّةٌ حمر
وبكت عليه المعصرات دماً ... فأديم خدِّ الأرض محمرٌّ
لا عذر عندي للسَّماء وقد ... بخلت وليس لباخلٍ عذر
تبكي دماً لمّا قضى عطشاً ... لِمَ لا بكى حبّاً له القطر
وكريمة المقتول يوجد من ... دمه على أثوابها أثر
بأبي كريمات «الحسين» وما ... من دونهنَّ لناظر ستر
لا ظلُّ سجف يكتنفن به ... عن كلِّ أفّاك ولا خِدر
ما بين حاسرة وناشرة ... برزت يواري شعرها[1] العشر
يندبن أكرم سيِّد ظفرت ... لأقلِّ أعبده به ظفر
ويقلن جهراً للجواد وقد ... أمّ الخيام: عُقرت يا مهر
ما بال سرجك يا جواد من النْـ ... ـندب الجواد أخي العلى صفر؟
آهاً لها نارٌ تأجّج في ... صدري فلا يُطفى لها حرٌّ
أيموت ظمآنا «حسين» وفي ... كلتا يديه من الندى بحر؟
وبنوه في ضيق القيود ومن ... ثقل الحديد عليهمُ وقر
حُملوا على الأقتاب عاريةً ... شعثاً وليس لكسرهم جبر
تسري بهم خوض الركاب وللطـ ... ـطلقاء في أعقابها زجر
لا راحمٌ لهمُ يرقُّ ولا ... فيما أصابهمُ له نكر
ويزيد في أعلى القصور له ... تشدو القيان وتسكب الخمر
ويقول جهلاً والقضيب به ... تدمي شفاه (حسين) والثغر
يا ليت أشياخي الأُولى شهدوا ... لسُراة هاشم فيهمُ بدر
شهدوا الحسين وشطر أُسرته ... أسرى ومنهم هالكٌ شطر

---

(١) وفي بعض النسخ: نشرها.

إذ لا استهلّوا فيهمُ فرحاً | كأبي غداة غزاهمُ(١) بسر
ويقول وزراً إذ بطشت بهم | لا خفّ عنه ذلك الوزر
زعموا بأن سنعود ثانية | وأبيك لا بعثٌ ولا نشر
يابن الهداة الأكرمين ومَن | شرف الفخار بهم ولا فخر
قسماً بمثواك الشريف وما | ضمت منى والركن والحجر(٢)
فهم سواءٌ في الجلالة إذ | بهم التمام يحل والقصر
تعنو له الألباب تلبيةً | ويطوف ظاهر حجره الحجر
ما طائر فقد الفراخ فلا | يؤويه بعد فراخه وكر
بأشدَّ من حزني عليك ولا الْـ | ـخنساء جدَّد حزنها صخر(٣)
ولقد وددت بأن أراك وقد | قلَّ النصير وفاتك النصر
حتَّى أكون لك الفداء كما | كرماً فداك بنفسه الحرُّ(٤)
ولئن تفاوت بيننا زمنٌ | عن نصركم وتقادم العصر ؟
فلأبكينَّك ما حييت أسىً | حتّى يواري أعظمي القبر
ولأمنحنَّك كلَّ نادبةٍ | يعنو لنظم قريضها الشعر
أبكار فكري في محاسنها | نظمٌ وفيض مدامعي نثر
ومصاب يومك يابن فاطمة | ميعادنا وسلوّنا الحشر
أو فرحةٌ بظهور قائمكم | فيها لنا الإقبال والبشر
يوماً تردّ الشمس ضاحيةً | في الغرب ليس لعرفها نكر
وتكبِّر الأملاك مسمعةً | إلّا لمن في أُذنه وَقر
ظهر الإمام العالم العلم الْـ | ـبرُّ التقيُّ الطاهر الطّهر
من ركن بيت اللّه حاجبه | عيسى المسيح وأحمد الخضر

---

(١) أشار إلى حرب صفين ، وبسر هو ابن أرطأة أحد الرجلين اللذين كشفا عن سوءتهما يوم ذاك من بأس أمير المؤمنين وتخلصا من سطوته كما مرّ حديثه في ج ٢ ص ١٨٣ .

(٢) وفي بعض النسخ : والخيف . بدل الركن .

(٣) صخر بن عمرو بن الشريد كانت الخنساء أخته ملهوفة القلب على موته ولم تزل ترثيه وتبكيه حتى عميت .

(٤) الحر بن يزيد الرياحي ، أول قتيل سعيد بين يدي الإمام السبط يوم كربلاء .

في جحفل لَجِبٍ يكاد بهم ... من كثرة يتضايق القُطر
فهم النجوم الزاهرات بدا ... في تمّه من بينها البدر
عجّل قدومك يابن فاطمة ... قد مسَّ شيعة جدِّك الضرُّ
علماؤهم تحت الخمول فلا ... نفعٌ لأنفسهم ولا ضرُّ
يتظاهرون بغير ما اعتقدوا ... لا قوَّةٌ لهمُ ولا ظهر
استعذبوا مرّ الأذى فحلا ... لهم ويحلو فيكم المرُّ
فهم الأقلُّ الأكثرون ومن ... ربِّ العباد نصيبهم وَفر
أعلام دين رسّخ لهم ... في نشر كلِّ فضيلة صدر
فكفاهمُ فخراً إذا افتخروا ... ما دام حيّاً فيهم الفخر
وصلوا نهارهمُ بليلهم ... نظراً وما لوصالهم هجر
وطووا على مَضض سرائرهم ... صبراً وليس لطيّها نشر
حتّى يفضّ ختامها وبكم ... يطفى بُعيد شرارها الشرُّ
يا غائبين متى بقربكم ... من بَعد وهن يجبر الكسر
الفيءُ مقتسمٌ لغيركم ... وأكفّكم من فيئكم صفر
والمال حلٌّ للعصاة ويحـ ... ـرمه الكرام السّادة الغرُّ
فنصيبهم منه الأعمّ على ... عصيانهم ونصيبكم نزر
يُمسون في أمنٍ وليس لهم ... من طارق(١) يغتالهم حذر
ويكاد من خوف ومن جزع ... بكمُ يضيق البرُّ والبحر

ويقول بعد سبعة أبيات :

وإذا ذُكرتم في محافلهم ... فوجوههم مُربدَّةٌ صفر
يتميّزون لذكركم حنقاً ... وعيونهم مُزورَّةٌ خزر
وعلى المنابر في بيوتكم ... لأولي الضلالة والعمى ذكر
حالٌ يسوء ذوي النهى وبه ... يستبشر المتجاهل الغمر
ويصفِّقون على أكفِّهم ... فرحاً إذا ما أقبل العشر

---

(١) في بعض النسخ : من طارق يغشاهم خدر .

جعلوه من أهنى مواسمهم لا مرحباً بك أيّها الشهر
تلك الأنامل من دمائكم يوم الطفوف خضيبةٌ حمر
فتوارث الهمج الخضاب فمن كفر تولّد ذلك الكفر
نبكي فيضحكهم مصابكم وسرورهم بمصابكم نكر
تالله ما سروا النبيّ ولا لوصيّه بسرورهم سرّوا
فإلى مَ هذا الإنتظار وفي لهواتنا من صبرنا صَبر(١)
لكنّه لا بدَّ من فرج والأمر يحدث بعده الأمر
أبني المفاخر والذين علا لهمُ على هام السّها قدر
أسماؤكم في الذكر معلنةٌ يجلو محاسنها لنا الذِّكر
شهدت بها الأعراف معرفة والنحل والأنفال والحجر
وبراءةٌ شهدت بفضلكم والنور والفرقان والحشر
وتعظِّم التوراة قدركم فإذا انتهى سِفرٌ حكى سفر
ولكم مناقب قد أحاط بها الـ إنجيل حار لوصفها الفكر
ولكم علوم الغائبات فمنـ ـها الجامع المخزون والجفر
هذا ولو شجر البسيطة أقْـ ـلام ، وسبعة أبحر حبر
وفسيح هذي الأرض مجملةٌ طرسٌ فمنها السّهل والوعر
والإنس والأملاك كاتبةٌ والجنُّ حتّى ينقضي العمر
ليعدِّدوا ما فيه خصّكم ذو العرش حتّى ينفد الدَّهر
لم يذكروا عُشر العشير وهل يُحصى الحصى أو يحصر الذرُّ ؟
فأنا المقصِّر في مديحكم حصراً فما المقصِّر عذر
ولقد بلوت من الزَّمان ولي في كلِّ تجربةٍ بهمْ خُبر
فوجدت ربَّ الفقر محتقراً وأخو الغنى يزهو به الكبر
فقطعت عمّا خوّلوا أملي ولذي الجلال الحمد والشكر
وثنيت نحوكم الرِّكاب فلا زيدٌ نؤمّله ولا عمرو

---

(١) لهوات جمع لهات وهي : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . الصبر بالفتح : عصارة شجر مرّ .

حتّى إذا أمّت جنابكم ... ومن القريض حمولها دُرُّ
آبت من الحسنات مثقلةً ... فأنا الغنيُّ بكم ولا فقر
سمعاً بني الزّهراء سائغةً ... ألفاظها من رقّة سحر
عبقت مناقبكم بها فذكى ... في كلِّ ناحية لها عطر
يرجو «عليٌّ» بها النجاة إذا ... مُدَّ الصّراط وأعوز العبرُ
أعددتها يوم القيامة لي ... ذخراً ونعم لديكم الذخر
فتقبّلوها من وليّكم ... بكراً فنعم الغادة البكر
فقبولكم نعم القرين لها ... وهي العروس فبورك الصهر
لكمُ عليٌّ كمال زينتها ... وليّ الجنان عليكمُ مهر
أنا عبدكم والمستجير بكم ... وعليٌّ من مرح الصّبا إصر
فتعطّفوا كرماً عليٌّ وقد ... يتفضّل المتعطّف البرُّ
وتفقّدوني في الحساب كما ... فقد العبيد المالك الحرُّ
صلّى الإله عليكمُ أبداً ... ما جنَّ ليلٌ أو بدا فجر
وعليكم منّي التحيّة ما ... سحَّ الحيا وتبسّم الزهر

القصيدة الثانية :

أبرقٌ تراءى عن يمين ثغورها ؟[١] ... أم ابتسمت عن لؤلؤمن ثغورها ؟[٢]
ومرّت بليل في بَليل[٣] عراصها ... بنا نسمةٌ أم نفحةٌ من عبيرها ؟
وطلعة بدرٍ أم تراءت عن اللوى ... لعينيك ليلى من خلال ستورها ؟
نعم هذه ليلى وهاتيك دارها ... بسقط اللوى يغشاك لألاء نورها[٤]

(١) الثغر : الحد بين المتعاديين وكل فرجة في جبل أو واد .
(٢) الثغر مقدم الأسنان .
(٣) البليل والبليلة : الريح الباردة مع ندى .
(٤) السقط : ناحية الخباء . اللوى : ما التوى وانعطف من الرمل أو مسترقه ج الـواء ، وواد من أودية بني سليم . ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع . وقد أكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين هذا وذاك وعزّ الفصل بينهما .

سلامٌ على الدار التي طالما غدت جلاء لعيني درَّة من درورها[1]
وما عطفت بالصبّ ميلاً إلى الصبا بها شغفاً إلّا بدورُ بدورها
قضيت بها عصر الشباب بريئةً من الريب ذاتي مع ذوات خدورها
أتمّ جمالاً من جميل وسؤدداً وأكثر كسباً للعلى من كثيرها
وبتُّ بريئاً من دنوٍّ دناءة أُعاتب من محظورها وخطيرها
لعلمي بأنّي في المعاد مناقش حساباً على قطميرها ونقيرها
وما كنت من يسخو بنفس نفسية فأُرخص بذلاً سِعرها بسعيرها
وأجمل ما يعزى إلى المجد عزوة غدا مسفراً بالبشر وجه بشيرها
أعذرٌ لمبيضٍ العذار إذا صبا ؟ وأكبر مقتاً صبوة من كبيرها
كفى بنذير الشيب نهياً لذي النهى وتبصرةً فيها هدى لبصيرها
وما شبت إلّا من وقوع شوائب لأصغرها يبيضّ رأس صغيرها
ولولا مصاب السبط بالطفّ ما بدا بليل عذاري السبط وخط قتيرها
رمته بحرب آل حرب وأقبلت إليه نفوراً في عداد نفورها
تقود إليه القود في كلّ جحفل إلى غارة معتدَّة من مغيرها
وما عدلت في الحكم بل عدلت به وقائع صفّين وليل هريرها
وعاضدها في غيّها شرّ أُمّة على الكفر لم تسعد برأي مشيرها
خلاف سطور في طروس تطلّعت طلائع غدرٍ في خلال سطورها
فحين أتاها واثق القلب أصبحت نواظرها مزورَّة غبّ زورها
فما أوسعت في الدين خرقاً ولا سعت إلى جورها إلّا لترك أُجورها
بنفسي إذ وافى عصاة عصابة غرار الضبى مشحوذة من غرورها
قؤولاً لأنصارٍ لديه وأُسرةٍ لذي العرش سرٌّ مودعٌ في صدورها
أُعيذكم أن تطعموا الموت فاذهبوا بمغفرةٍ مرضيَّةٍ من غفورها
فأجمل في ردِّ الندا كلُّ ذي ندى ينافس عن نفس بما في ضميرها
أعن فَرقٍ نبغي الفراق وتصطلي وحيداً بلا عون شرار شرورها ؟
وما العذر في اليوم العصيب لعصبة وقد خفرت يوماً ذمام خفيرها ؟

(١) وفي بعض النسخ : ذرة من ذرورها .

وهــل سـكنـت روح إلـى روح جنّــة ... وقـد خالفت في الـدين أمـر أميـرهـا ؟
أبــى الــلّه إلاّ أن تــراق دمــاؤنــا ... ونُصبـح نهبـاً في أكفّ نسـورهـا
وثــابــوا إلى كسب الثـواب كـأنّـهم ... أُسـود الشّـرى في كـرٍّهـا وزئيـرهـا
تـهشّ إلـى الإقـدام علـمـاً بـأنّـهـا ... تحلّ محلّ القـدس عند مصيـرهـا
قضت فقضت من جنّـة الخلد سؤلـها ... وسـادت على أحبـارهـا بحبـورهـا
وهــان عليهــا الصّعب حيـن تـأمّلت ... إلى قـاصـرات الـطرف بين قصـورهـا
ومـا أنس لا أنسى (الحسين) مجاهـداً ... بنفس خلت من خـلّهـا وعشيـرهـا
يـصــول إذا زرق النـصــول تـأوّهت ... لنـزع قنا أعجمـت من صـريـرهـا(١)
تـرى الخيل في أقـدامهـا منه مـا تـرى ... مـحـاذرة إن أمّهـا مـن هـصـورهـا
فتصـرف عن بـأس مخـافـة بـأسـه ... كمـا جفلت كـدر القطا من صقـورهـا
يُـفلّق هـامـات الـكـمـاة حـسـامـه ... لـه بـدلاً من جفنهـا وجفيـرهـا(٢)
فـلا فـرقـة إلاّ وأوسـع سيـفـه ... بهـا فـرقـاً أو فـرقـة من نفـورهـا
أجـدّك هـل سمـر العـواسـل تجتني ... لكم عسـلاً مستعـذبـاً من مـريـرهـا ؟
أم استنكـرت أُنس الحيـاة نفـاسـة ... نفـوسكمُ فـاستبـدلت أُنس حـورهـا ؟
بنفسي مَـجـروح الجـوارح آيسـاً ... من النصـر خلواً ظهـره من ظهيـرهـا
بنفسي مـحـزوز الـوريـد معفّـراً ... على ظمـأ من فـوق حـرّ صُخـورهـا
يـتـوق إلـى مـاء الـفـرات ودونـه ... حـدود شفـار أحـدقت بشفيـرهـا
قضى ظـامـيـاً والمـاء يلمع طـاميـاً ... وغـودر مـقتـولاً دويـن غـديـرهـا
هـلال دُجـى أمسى بحـدّ غـروبهـا ... غـروبـاً على قيعـانهـا ووعـورهـا
فيـا لـك مقتـولاً علت بهجـة العلى ... بـه ظُلمـةٌ من بعـد ضوء سفـورهـا
وقـارن قَـرن الشمس كسف ولم تعـد ... نـظارتهـا حُـزنـاً لفقـد نـظيـرهـا
وأعلنت الأمـلاك نـوحـاً وأعـولـت ... لـه الجنّ في غيـطانهـا وحفيـرهـا

---

(١) وفي بعض النسخ :
يصــول إذا زرق النصـول تـأودت ... لقـرع قسيّ أعجمت عن صريـرهـا

(٢) الكماة : جمع الكمي كغني : الشجاع أو لابس السلاح . الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها أو من خشب لا جلود فيها .

وكـادت تمـور الأرض من فـرط حسـرة ... على السبط لـولا رحمـة من مُميـرهـا
ومـرَّت عـليهـم زعـزعٌ لتـذيقـهـم ... مـريـر عـذاب مهلك بمـريـرهـا
أسـفت وقـد آبـوا نـجيّـاً ولـم تـرح ... لـهم دابـرٌ مقـطوعـةٌ بـدبـورهـا
وأعجب إذ شـالت كـريمٌ كـريمهـا ... لتكـبيـرهـا في قتلهـا الكبيـرهـا
فيـا لـكِ عينـاً لا تجفُّ دمـوعهـا ... ونـاراً يـذيب القلب حـرُّ زفيـرهـا
على مثل هـذا الرزء يستحسـن البكـا ... وتـقـلـع منّـا أنـفسٌ عـن سـرورهـا
أيُـقتـل خيـر الخـلق أمّـاً ووالـداً ... وأكـرم خلق اللّه وابـن نـذيـرهـا ؟
ويمنـع من مـاء الفـرات وتـغتـدي ... وحـوش الفـلا ريّـانـةً من نميـرهـا ؟
أجـلُّ [حسينـاً] أن يمثّـل شخـصـه ... بمثلة قتـل كـان غيـر جـديـرهـا
يُـدار علـى رأس السنـان بـرأسـه ... سنـانٌ ألا شلّت يـمـيـن مُـديـرهـا
ويُـؤتى بـزيـن العـابـديـن مكبّـلاً ... أسيـراً ألا روحي الـفـدا لأسيـرهـا
يُقـاد ذليـلاً في الـقيـود ممـثّـلاً ... لأكـفـر خـلق الله وابـن كـفـورهـا
ويمسي يـزيـدٌ رافـلاً في حـريـره ... ويمسي حسينٌ عـاريـاً في حـرورهـا
ودار بني صخـر بن حـرب أنيسـةٌ ... بنشـد أغـانيهـا وسكب خمـورهـا
تـظلُّ على صوت البغـايـا بغـاتهـا ... بـهـا زمـرٌ تـلهـو بـلحـن زمـورهـا
ودار عـليّ والـبـتـول وأحـمـد ... وشبّـرهـا مـولى الـورى وشبيـرهـا
معـالمهـا تبـكي عـلى علمـائـهـا ... وزائـرهـا يبكي لفـقـد مَـزورهـا
منـازل وحي أقـفـرت فصـدورهـا ... بـوحشتهـا تبكي لفقـد صـدورهـا
تـظلُّ صيـامـاً أهلهـا فـفـطورهـا ... التـلاوة والتسبيـح فضـل سحـورهـا
إذا جـنّ ليـلٌ زان فيـه صـلاتـهـم ... صِلات فـلا يحصى عـداد يسيـرهـا
وَطـول على طُـول الصـلاة ومن غـدا ... مُقيمـاً على تقصيـره في قـصيـرهـا
قفـا نسـأل الـدار الـتي درس البلى ... معـالمهـا من بعـد درس زبـورهـا
متى أفلت عنهـا شمـوس نـهـارهـا ... وأظلم ظلمـاً أفقهـا من بـدورهـا ؟
بدور بأرض الطف طـاف بهـا الـردى ... فـأهبـطهـا من جـوّهـا في قبـورهـا
كـواسـر عقبـان عليهـا تـعـاقبت ... بـغـاة بُغاث إذ نـأت عن وكـورهـا[1]

---

(١) الكواسر جمع الكاسرة يقال : عقاب كاسر : منقض يكسر جناحيه يريد الوقوع ، أو يكسر ،

قضت عطشاً والماء طام فلم تجد ... لها منهلاً إلاّ دماء نحورها
عراةٌ عراها وحشةٌ فأذاقها ... وقد رميت بالهجر حرّ هجيرها
ينوح عليها الوحش من طول وحشة ... وتندبها الأصداء[1] عند بكورها
سيسأل تيمٌ عنهمُ وعديّها ... أوائلها ما أكّدت لأخيرها
ويُسأل عن ظلم الوصيّ وآله ... مشير غواة القوم من مستشيرها
وما جرّ يوم الطفّ جور أميّة ... على السبط إلاّ جرأة ابن أجيرها
تقمّصها ظلماً فأعقب ظلمه ... تعقّب ظلم في قلوب حميرها
فيا يوم عاشوراء حسبك إنّك ... المشوم وإن طال المدى من دهورها
لأنت وإن عظّمت أعظم فجعة ... وأشهر عندي بدعة من شهورها
فما محن الدنيا وإن جلّ خطبها ... تشاكل من بلواك عُشر عشيرها
بني الوحي هل من بعد خبرة ذي العلى ... بمدحكمُ من مدحةٍ لخبيرها
كفى ما أتى في هل أتى من مديحكم ... وأعرافها للعارفين وطورها
إذا رمت أن أجلو جمال جميلكم ... وهل حصر ينهي في صفات حصورها
تضيق بكم ذرعاً بحور عروضها ... ويحسدكم شحّاً عريض بحورها
منحتكمُ شكراً وليس بضائع ... بضائعُ مدحٍ منحة من شكورها
أقيلوا عثاري يوم لا فيه عثرة ... تُقال إذا لم تشفعوا لعثورها
فلي سيئات بتّ من خوف نشرها ... على وجل أخشى عقاب نشورها
فما مالكٌ يوم المعاد بمالكي ... إذا كنتمُ لي جُنّة من سعيرها
وإنّي لمشتاقٌ إلى نور بهجة ... سنا فجرها يجلو ظلام فجورها
ظهور أخي عدل له الشمس آية ... من الغرب تبدو معجزاً في ظهورها
متى يجمع اللّه الشتات وتجبر ... القلوب التي لا جابرٌ لكسيرها ؟
متى يظهر المهديُّ من آل هاشم ... على سيرة لم يبق غير يسيرها ؟
متى تقدم الرايات من أرض مكّة ... ويضحكني بشراً قدوم بشيرها ؟

= ما يصيده كسراً . عقبان جمع العقاب : طائر قوي المخالب . بغاث طائر أغبر بطيء الطيران .

(١) الأصداء جمع الصدى : أي الموتى يقال : هم اليوم أعداء وهم غداً أصداء . والصدى نوع من البوم كما مر ص ٤٢٥ .

وتنظر عيني بهجةً علويّة ... ويسعد يوماً ناظري من نضيرها
وتهبط أملاك السّماء كتائباً ... لنصرته عن قدرةٍ من قديرها
وفتيان صدقٍ من لؤيّ بن غالب ... تسير المنايا رهبةً لمسيرها
تخالهمُ فوق الخيول أهلّة ... ظهرن من الأفلاك أعلى ظهورها
هنالك تعلو همّة طال همّها ... لإدراك ثارٍ سالفٍ من مثيرها
وإن حان حيني قبل ذاك ولم يكن ... لنفس [عليّ] نصرة من نصيرها
قضى صابراً حتّى انقضاء مراده ... وليس يضيع اللّه أجر صبورها

القصيدة الثالثة :

يا عين ما سفحت غروب دماكِ ... إلا بما أُلهمت حبَّ دُماك
ولطول إلفك بالطلول أراك ... قُمراً بزغن على غصون أراك
ما ريق دمعك حين راق لك الهوى ... إلا لأمر في عناك عناك
لك ناظرٌ في كلِّ عضو ناضر ... منّاك تسويفاً بلوغ مُناك
كم نظرة أسلفت نحو سوالف ... سامت أساك بها علاج أساك
فجنيت دون الورد ورداً متلفاً ... وانهار دون شِفاك فيه شَفاك
يا بانة السعدي ما سُلّت ظُبا ... ك عليَّ إلاّ من عيون ظباك
شعبت فؤادي في شبابك ظبية ... تصمي القلوب بناظر فتّاك
تبدو هلال دجىً وتلحظ جؤذراً ... وتميس دَلاًّ في منيع حماك
شمسٌ تبوأت القلوب منازلاً ... مأنوسة عوضاً عن الأفلاك
سكنت بها فسكونها متحرِّك ... وجسومها ضعفت بغير حراك
أسدية الآباء إلاّ أنَّ منـ ... ـتسب الخؤولة من بني الأتراك
أشقيقة الحسبين هل من زورة ... فيها يبلُّ من الضنا مُضناك ؟
ماذا يضرّك يا ظُبيّة بابل ... لو أنَّ حسنك مثله حسناك ؟
أنكرت قتل متيّم شهدت له ... خدّاك ما صنعت به عيناك ؟
وخضبت من دمه بنانك عَنوة ... وكفاك ما شهدت به كفّاك
حجبتك عن أسد الأسود عرينها ... وحَماك لحظك عن أُسود حماك

حجبــوك عن نــظري فيا لـلّه مـا ... أدنــاكِ مـن قـلبـي ومـا أقـصـاك
ضنّ الكرى بالـطيف منك فلم يكن ... إسـراك بـل هجر الكـرى أُسـراك
ليت الخيــال يجـود منـكِ بنـظرة ... إن كـان عـزَّ على المحبّ لـقـاك
فأرقت أرض الجامعين[1] فلا الصّبا ... عـذبٌ ولا طـرف السحـائب بـاكي
كـلّا ولا بـرد الكـلا بيـد الحبـا[2] ... فيهـا يحـاك ولا الحمـام يحـاكي
ودّعـت راحـلةً فـكـم مـن فـاقـد ... بـاكٍ وكـم من مُـسعـف متبـاكـي
أبكي فـراقـكم الـفـريق فـأعـين ... المشكـوِّ تبكي رحـمـة للشـاكـي
كنّـا وكنت عن الـفـراق بمعـزل ... حـتّـى رمـانـا عـامـداً ورمـاك
وكــذا الأُولىٰ من قبلنا بـزمـانهم ... وثقـوا فصيَّرهم حكـايـة حـاكي
يـا نفس لـو أدركتِ حـظّاً وافـراً ... لنهـاكِ عن فعـل القبيـح نُهـاك
وعــرفت مَن أنشـاكِ من عـدم إلى ... هـذا الـوجـود وصـانعـاً سـوّاك
وشكــرت منّته عليـك وحسن ما ... أولاكِ مـن نـعـمـائه مـولاك
أولاك حـبَّ محـمّـد ووصـيّـه ... خـيـر الأنـام فـنـعـم مـا أولاك
فهمـا لعمـرك علّمـاك الـدين في ... الأُولىٰ وفي الأُخرى همـا عَلمـاك
وهمـا أمـانـك يـوم بعثـكِ في غـد ... وهمـا إذا انقـطع الـرجـاء رجـاك
وإذا الصحـائف في القيامـة نُشـرت ... سترا عيـوبـك عنـد كشف غـطاك
وإذا وقفت عـلى الصِّـراط تبـادرا ... فـتقـدّمـاك فـلم تـزل قـدمـاك
وإذا انتهيـت إلـى الجنـان تلقّيـا ... كِ وبشّـراك بـهـا فـيـا بشـراك
هــذا رسـول اللّه حسبـك في غـد ... يـوم الحسـاب إذا الخليـل جفـاك
ووصـيّـه الهـادي أبـو حسـن إذا ... أقـبلتِ ظـاميـة إليـه سـقـاك
فهـو المشفّـع في المعـاد وخيـر من ... عـلقـت بـه بـعـد النـبيّ يـداك
وهـو الـذي للدِّين بعـد خمـولـه ... حـقّـاً أراكِ فـهـذّبـت آراك
لـولاه ما عُرف الهدى ونجـوت من ... مـتـضـايـق الأشـراك والإشـراك
هـو فُلك نـوح بين ممتسـك بـه ... نـاجٍ ومـطّرح مـع الـهـلّاك

(١) أرض الجامعين إسم للحلة الفيحاء في سابقها وأما اليوم فهو إحدى محلاتها .

(٢) الحبا : السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض .

كم مـارقٍ من مـأزقٍ قـد غـادرت ... مـزقـاً حـدود حسـامـه البتّـاك
سـل عنـه بـدراً حين بـادر قـاصم ... الأمـلاك قـائـد مـوكب الأمـلاك
مَن صبّ صوب دم الوليد ومَن ترى ... أخلى مـن الـدُّهم الحمـاة حِمـاك ؟
واسـأل فـوارسهـا بـأحـد من تـرى ... ألقـاك وجـه الحتف عنـد لقـاك ؟
وأطـاح طلحـة عنـد مشتبـك القنـا ... ولَـواك قسـراً عنـد نكس لِـواك ؟
واسـأل بخيبر خـابـريهـا مَن تـرى ... عـفّى فـنـاك ومَن أبـاح فـنـاك ؟
وأذاق مـرحـبـك الـرّدى وأحـلّه ... ضيق الشبـاك وفـلّ حـدًّ شبـاك ؟
واستخبـري الأحـزاب لمّـا جـرّدت ... بيض المذاكي[1] فوق جـرد مذاكي
واستشعـرت فرقـاً جموعـكِ إذ غدت ... فـرقـاً وأدبـر إذ قـفـاك قـفـاك
قـد قلت حين تقـدَّمتـه عصـابـة ... جـهلوا حـقـوق حـقيـقـة الإدراك
لا تفـرحي فبكثر مـا استعـذبت في ... أُولاك قـد عُـذِّبـت فـي أُخـراك
يـا أمّـة نـقضـت عهـود نـبيّـهـا ... أفمن إلى نقض العهـود دعـاك ؟
وصّـاكِ خيراً بـالـوصيِّ كـأنّمـا ... متـعـمّـداً فـي بـغـضـه وصّـاك
أوَ لـم يقـل فـيـه النبـيُّ مبـلّغـاً ... هـذا عـليّـك في الـعلى أعـلاك
وأمين وحي اللّه بـعـدي وهـو في ... إدراك كـلِّ قـضـيّـة أدراك
والمؤثـر المتصـدِّق الـوهّـاب إذ ... ألهـاكِ في دنيـاكِ جمـع لُـهـاك
إيّـاك أن تـتـقـدّمـيـه فـإنّـه ... فـي حكـم كـلِّ قضيّـة أقـضـاك
فـأطعـت لكن بـاللسـان مخـافـةً ... من بـأسـه والغـدر حشـو حشـاك
حـتّى إذا قُبض النبـيُّ ولـم يـطل ... يـومـاً مَـداك لـه سننت مِـداك
وعـدلت عنـه إلى سـواه ضـلالـةً ... ومـددت جهـلاً في خَـطاك خُـطاك
وزويتِ بضعـة أحمـد عن إرثهـا ... ولـبـعـلهـا إذ ذاك طـال أذاك
يـا بضعـة الهـادي النبيِّ وحقِّ من ... أسمـاكِ حيـن تقـدَّسـت أسمـاك
لا فـاز من نـار الجحيم معـانـدٌ ... عـن إرث والـدكِ الـنـبـيِّ زواك
أتـراه يغفـر ذنب من أقصـاكِ عن ... سـخطٍ وأسـخط إذ أبـاكِ أبـاك

---

(١) جمع مذكاة وهي ما تذكى به النار من قطنة ونحوها وهي إسم آلة استعيرت للسيف بعلاقة إنه تلتهب منه نار الحرب كما يلتهب الحطب بالمذكاة .

كـلاّ ولا نـال السّعـادة من غـوى — وعـداك ممتسكـاً بـحبـل عـداك
يـا تـيمُ لا تـمّت عليـكِ سعـادة — لكن دعـاكِ إلى الشقـاء شقـاك
لـولاكِ مـا ظـفـرت علوج أُميّـة — يـومـاً بـعـتـرة أحـمـد لـولاك
تـاللّه مـا نلت السّعـادة إنّمـا — أهـواكِ في نـار الجحيم هـواك
أنّى استقلتِ وقـد عقـدت لآخـر — حكمـاً فكيف صـدقت في دعـواك
ولأنـت أكبـر يـا عـديُّ عـداوةً — واللّه مـا عضـد النفـاق سـواك
لا كـان يـومٌ كنت فيـه وسـاعـة — فضّ النفيـل بهـا ختـام صهـاك
وعليـكِ خـزيٌ يـا أُميّـة دائمـاً — يبقـى كمـا فـي النّار دام بقـاك
هـلاّ صفحتِ عن الحسين ورهطه — صفـح الـوصيٍّ أبيه عـن آبـاك ؟
وعففت يـوم الـطفّ عفّـة جـدّه — المبعـوث يوم الفتح عن طُلقـاك ؟
أفهـل يـدٌ سلبت إمـاءكِ مثـل مـا — سلبت كـريمـات الحسين يـداك ؟
أم هـل بـرزن بفتـح مكّـة حُسّـراً — كنسـائه يـوم الطفـوف نسـاك ؟
يـا أُمّـةً بـاءت بقتـل هُـداتهـا — أفمن إلى قتـل الهُـداة هـداك ؟
أم أيّ شيـطان رمـاكِ بغـيّـه ؟ — حتّى عـراكِ وحـلّ عقـد عُـراك
بئس الجـزاء لأحـمـد فـي آلـه — وبنيـه يـوم الـطفّ كـان جـزاك
فلئن سُـررت بخـدعـة أسـررت في — قتـل الحسين فقـد دهـاكِ دُهـاك
مـا كـان في سلب ابن فـاطم ملكـه — مـا عنه يـومـاً لـو كفـاكِ كفـاك
لهفي على الجسـد المغادر بـالعرا — شـلواً تـقـلّبـه حـدود ظُـبـاك
لهفي على الخـدّ الـتـريب تخـدّه — سفهـاً بـأطـراف القنـا سُفهـاك
لهفـي لآلـك يـا رسـول اللّه فـي — أيـدي الطغـاة نـوائحـاً وبـواكي
مـا بين نـادبـة وبيـن مـروعـة — فـي أسـر كـلّ مُـعـانـدٍ أفّـاك
تـاللّه لا أنسـاكِ زينب والعدى — قسـراً تجاذب عنـك فضـل رداك
لم أنس لا واللّه وجهـكِ إذ هـوت — بـالـرُّدن سـاتـرةً لـه يـمـنـاك
حتّى إذا همّـوا بسلبك صحت بـاسـ — ـم أبيـك واستصـرخت ثـمّ أخـاك
لهفي لندبك بـاسم ندبك وهـو مجـ — ـروح الجـوارح بـالسيـاق يـراك
تستصـرخيـه أسىً وعـزٌّ عليـه أن — تستـصـرخيـه ولا يجيب نـداك

واللّه لو أنَّ النبيَّ وصنوه   يوماً بعرصة كربلا شهداك
لم يمس منهتكاً حماكِ ولم تمط   يوماً أُميّة عنك سجف خباك
يا عين إن سفحت دموعك فليكن   أسفاً على سبط الرّسول بكاك
وابكي القتيل المستضام ومن بكت   لمصابه الأملاك في الأفلاك
أقسمت يا نفس الحسين أليّة   بجميل حسن بلاكِ عند بلاك
لو أنَّ جدَّك في الطفوف مشاهد   وعلى التراب تريبةٌ خدّاك
ما كان يؤثر أن يرى حرّ الصفا   يوماً وُطاك ولا الخيول تطاك
أو أنَّ والدك الوصيَّ بكربلا   يوماً على تلك الرُّمول يراك
لفداك مجتهداً وودَّ بأنّه   بالنفس من ضيف الشّراك شراك
عالوك لمّا أن علوت فآه مِن   خطبٍ نراه على عُلاك علاك
قد كنت شمساً يستضاء بنورها   يعلو على هام السّماك سماك
وحمىً يلوذ به المخوف ومنهلاً   عذباً يصوب نداك قبل نِداك
ما ضرَّ جسمك حرُّ جندلها وقد   أضحى سحيق المسك ترب ثراك
فلئن حرمتِ من الفرات وورده   فمن الرَّحيق العذب ريّ صداكِ
ولئن حرمتِ نعيمها الفاني ؟ فمن   دار البقاء تضاعفت نعماك
ولئن بكتك الطاهرات لوحشة   فالحور تبسم فرحةً بلقاك
ما بتٌّ في حمر الملابس غدوةً   إلّا انثنت خُضراً قُبيل مَساك
إنّي ليقلقني التلهّف والأسى   إذ لم أكن بالطفِّ من شهداك
لأقيك من حرِّ السيوف بمهجتي   وأكون إذ عزَّ الفداءُ فداك
ولئن تطاول بعد حينك بيننا   حينٌ ولم أكُ مُسعداً سُعداك ؟
فلأبكينّك ما استطعت بخاطرٍ   تحكي غرائبه غروب مَداك
وبمقول ذرب اللسان أشدّ من   جند مجنّدة على أعداك
ولقد علمت حقيقة وتوكّلاً   أنّي سأسعد في غدٍ بولاك
وولاءِ جدّك والبتول وحيدر   والتسعة النجباء من أبناك
قومٌ عليهم في المعاد توكّلي   وبهم من الأسر الوثيق فكاكي
فليهن عبدكمُ «عليّاً» فوزه   بجنان خلد في جنان علاك
صلّى عليك اللّه ما أملاكه   طافت مقدَّسة بقدس حِماك

القصيدة الرابعة :

نـمَّ العـذار بعـارضيـه وسلسـلا ... وتضمّنت تلك المـراشف سلسـلا
قـمـرٌ أبـاح دمـي الحـرام محلّلا ... إذ مـرَّ يـخـطر في قـبـاه محـلّلا
رشأ تـردَّى بـالـجمـال فلم يـدع ... لأخي الصّبـابـة في هـواه تجمّـلا
كتب الجمـال عـلى صحيفـة خـدِّه ... بـيـراع معنـاه البـهيـج ومثَّـلا
فـبـدا بنـونـي حـاجبيـه معـرّقـاً ... من فـوق صـادي مقلتيـه وأقـفـلا
ثمَّ استمـدَّ فمـدَّ أسـفـل صـدغـه ... ألـفـاً ألفت بـه الـعـذاب الأطـولا
فـاعـجب لـه إذ هـمَّ ينـقط نـقـطةً ... من فـوق حـاجبـه فجـاءت أسفـلا
فتحقّقت فـي حـاء حـمـرة خـدِّه ... خـالاً فعمَّ هـواه قـلبي الـمبـتـلى
ولـقـد أرى قـمـر الـسَّـماء إذا بـدا ... في عقـرب الـمـرِّيـخ حـلَّ مؤيَّـلا
وإذا بـدا قـمـري وقـارن عـقـربي ... صدغيـه حـلَّ بـه السعـود فـأكمـلا
أنـا بـين طـرَّتـه وسحـر جفـونـه ... رهـن الـمـنيَّـة إذ عـليـه تـوكّـلا
دبَّت لـتحـرس نـور وجنـة خـدِّه ... عيني فقـابلت الـعيـون الـغـزَّلا
جـاءت لتلقـف سحـرهـا فتلقّفت ... منّـا القلوب وسحـرهـا لـن يبـطلا
فـاعجب لمشتـركين في دم عـاشق ... حـرم الـمـنـى ومحـرّم مـا حـلّلا
جـاءت وحين سعت لـقلبي أوسعت ... لسعـاً وتلك نضت لقتلي منصـلا
قـابلته شـاكي السّلاح قـد امتطى ... في غـرَّة الأضحى أغـرَّ محـجّـلا
متـردِّيـاً خضـر الـمـلابس إذ لها ... بـاللؤلؤ الـرَّطب المنضّـد مجتلى
فنـظرت بـدراً فـوق غصـنٍ مـائس ... خضـر تـعـاوده الـحيـا فتـكـلّلا
وكـأنَّ صـلت جبينـه فـي شعـره ... كـلآلىء صفّت عـلى بنـد الـكـلا
صبـحٌ على الـجـوزاء لاح لنـاظـر ... متـبـلّج فـأزاح لـيـلاً ألـيـلا
حـتَّى إذا قـصـد الـرميَّـة وانـثـنى ... بسـهـامـه خـاطبتـه متمثّـلا
لـك مـا ينـوب عن السّلاح بمثلهـا ... يـا من أصـاب من المحبِّ المقتـلا
يكفيـك طـرفـك نـابـلاً والقـدُّ ... خـطّاراً وحـاجبك المعرّق عيـطلا
عـاتبتـه فشكـوت مجمـل صـدِّه ... لفـظاً أتى لـطفـاً فكـان مفصّـلا
وأبـان تبيـان الـوسيلة مـدمعي ... فـاعجب لـذي نـطقٍ تحمّل مُهمـلا

فتضرَّجت وجناته مستعذباً عتبي ويعذب للمعاتب ما حَلا
وافترَّ عن ورد وأصبح عن ضحىً مَن لي بلثم المجتنى والمجتلى ؟
مَن لي بغصن نقاً تبدّى فوقه قمرٌ تغشّى جنح ليل فانجلى ؟
حلو الشمائل لا يزيد على الرِّضا إلّا عليَّ قساوةً وتدلّلا
نجلت به صيد الملوك فأصبحت شرفاً له هام المجرّة منزلا
فالحكم منسوبٌ إلى آبائه عدلاً وبي في حكمه لن يعدلا
أدنو فيصدف مُعرضاً متدلّلا عنّي فأخضع طائعاً متذلّلا
أبكي فيبسم ضاحكاً ويقول لي : لا غرو إن شاهدت وجهي مقبلا
أنا روضةٌ والرَّوض يبسم نوره بشراً إذا دمع السَّحاب تهلّلا
وكذاك لا عجبٌ خضوعك طالما أُسد العرين تُقاد في أسر الطلا[1]
قسماً بفأء فتور جيم جفونه لأُخالفنَّ على هواه العُذَّلا
ولأُوقفنَّ على الهوى نفساً علت فغلت ويَرخص في المحبّة ما غلا
ولأُحسننَّ وإن أساء وألين طوعاً إن قسا وأزيد حبّاً إن قلا
لا نلت ممّا أرتجيه مآربي إن كان قلبي من محبَّته سلا
إن كنت أهواهُ لفاحشة فلا بوِّئتُ في دار المقامة منزلا
يا حبَّذا متحابين تواصلا دهراً وما اعتلقا بفحش أذيلا
لا شيءَ أجمل مِن عفافٍ زانه ورعٌ ومَن لبس العفاف تجمَّلا
طُبعت سرائرنا على التقوى ومن طُبعت سريرته على التقوى علا
أهواه لا لخيانة حاشى لمن أنهى الكتاب تلاوة أن يجهلا
لي فيه مزدجرٌ بما أخلصته في المصطفى وأخيه من عقد الولا
فهما لعمرك علّة الأشياء في العلل الحقيقة إن عرفت الأمثلا
الأوَّلان الآخران الباطنان الظاهران الشّاكران لذي العلا
الزاهدان العابدان الراكعان السّاجدان الشاهدان على الملا
خُلقا وما خُلق الوجود كلاهما نوران من نور العليِّ تفصّلا
في علمه المخزون مجتمعان لن يتفرّقا أبداً ولن يتحوَّلا

---

(١) الطلا : ولد الظبي .

فـاسأل عن النـور الـذي تجـدنّـه ... في النـور مسطوراً وسـائل من تـلا
واسـأل عـن الكـلمـات لمّـا أنّـهـا ... حـقّـاً تـلقّـى آدم فـتـقـبّـلا
ثـمّ اجـتـبـاه فـأودعـا فـي صـلـبـه ... شـرفـاً لـه وتـكـرّمـاً وتبـجّـلا
وتقـلـبـا في السّـاجـدين وأودعـا ... فـي أطهـر الأرحـام ثـمّ تـنـقّـلا
حـتّى استقـرّ الـنـور نـوراً واحـداً ... في شيبـة الحمـد بن هاشم يجتلي
قُسمـا لـحكـم إرتـضـاه فـكـان ذا ... نعم الـوصيّ وذاك أشـرف مـرسـلا
فـعـليٌّ نـفـس محـمـد ووصـيّـه ... وأمـيـنـه وسـواه مـأمـونٌ فـلا
وشـقيـق نبعتـه وخيـر من اقـتـفي ... منـهـاجـه وبـه اقـتـدى ولـه تـلا
مـولـىً بـه قَبـل الـمـهـيمن آدمـاً ... لـمّـا دعـا وبـه تـوسّـل أوّلا
وبـه استقـرّ الـفلك فـي طـوفـانـه ... لـمّـا دعـا نـوحٌ بـه وتـوسّـلا
وبـه خبت نـار الخليـل وأصبحت ... بـرداً وقـد أذكت حـريقـاً مشعـلا
وبـه دعـا يـعقـوب حيـن أصـابـه ... من فقـد يـوسف مـا شجـاه وأثقـلا
وبـه دعـا الصـدّيق يـوسف إذ هـوى ... فـي جبّـه وأقـام أسـفـل أسـفـلا
وبـه أمـاط الـلّه ضـرّ نـبـيّـه ... أيّـوب وهـو الـمستكين الـمبتـلا
وبـه دعـا عـيسى فـأحيـى ميّـتـاً ... من قبـره وأهـال عـنـه الجـنـدلا[1]
وبه دعـا مـوسى فـأوضحت العصـا ... طـرقـاً ولجّـة بحـرهـا طـام مـلا
وبـه دعـا داود حـيـن غـشـاهـم ... جـالـوت مقتحمـاً يقـود الجحفـلا
ألـقـاه دامـغـةً فـأردى شـلوه ... مـلقىً وولّـى جـمـعـه متـجـفّـلا
وبـه دعـا لـمّـا عـليـه تـسـوّر ... الخصمـان محـراب الصّـلاة وأدخـلا
فقضى على أُحـديهمـا بـالـظلم في ... حكم النعـاج وكـان حكمـاً فيصـلا
فـتجـاوز الـرحـمن عنـه تكـرّمـاً ... وبـه ألان لـه الـحـديـد وسـهّـلا
وبـه سـليـمـانٌ دعـا فـتسـخـرت ... ريـح الـرّخـاء لأجـله ولـهـا عـلا
ولـه استقـرّ الـملك حين دعـا بـه ... عمـر الحيـاة فعـاش فيـه مخـوّلا
وبـه تـوسّـل آصـفٌ لـمّـا دعـا ... بـسـريـر بلقيس فجـاء مـعـجّـلا
العـالم العلَم الـرّضيُّ المـرتـضى ... نـور الهـدى سيف العـلاء أخ العـلا

(١) وفي نسخة : في الغابرين وشقّ عنه الجندلا .

من عنده علم الكتاب وحكمه ... وله تأوّل مُتقناً ومحصّلا
وإذا علت شرفاً ومجداً هاشم ... كان الوصيُّ بها المعمُّ المخولا
لا جدّه تيم بن مرَّة لا ولا ... أبواه من نسل النفيل تنقّلا
ومكسِّر الأصنام لم يسجد لها ... متعفّراً فوق الثرى متذلّلا
لكن له سجدت مخافة بأسه ... لمّا على كتف النبيِّ علاً على
تلك الفضيلة لم يفز شرفاً بها ... إلّا الخليل أبوه في عصر خلا
إذ كسَّر الأصنام حين خلا بها ... سرّاً وولّى خائفاً مستعجلا
فتميَّز الفعلين بينهما وقِس ... تجد الوصيَّ بها الشجاع الأفضلا
وانظر ترى أزكى البريَّة مولداً ... في الفعل متَّبعاً أباه الأوَّلا
وهو القؤول وقول الصِّدق الذي(١) ... لا ريب فيه لمن وعى وتأمّلا
والله لو أنَّ الوسادة ثنّيت ... لي في الذي حظر العليُّ وحلّلا
لحكمت في قوم الكليم بمقتضى ... توراتهم حكماً بليغاً فيصلا
وحكمت في قوم المسيح بمقتضى ... إنجيلهم وأقمت منه الأميلا
وحكمت بين المسلمين بمقتضى ... فرقانهم حكماً بليغاً فيصلا
حتّى تقرّ الكتب ناطقةً لقد ... صدق الأمين «عليٌّ» فيما علّلا
فاستخبروني عن قرون قد خلت ... من قبل آدم في زمان قد خلا
فلقد أحطت بعلمها الماضي وما ... منها تأخّر آتياً مستقبلا
وانظر إلى نهج البلاغة هل ترى ... لأولي البلاغة منه أبلغ مقولا ؟
حكمٌ تأخّرت الأواخر دونها ... خرساً وأفحمت البليغ المِقولا
خسأت ذوو الآراء عنه فلن ترى ... من فوقه إلّا الكتاب المنزلا
وله القضايا والحكومات التي ... وضحت لديه فحلَّ منها المشكلا
وبيوم بعث الطائر المشويِّ إذ ... وافى النبيّ فكان أطيب مأكلا
إذ قال أحمد : آتني بأحبِّ من ... تهوى ومن أهواه يا ربَّ العلى
هذا روى أنس بن مالك لم يكن ... ما قد رواه مُصحَّفاً ومُبدَّلا
وشهادة الخصم الألدّ فضيلة ... للخصم فاتّبع الطريق الأسهلا

---

(١) راجع ص ٢٣٢ من هذا الجزء .

وكسدَّ أبواب الصَّحابة غيره ... لمميّز عرف الهدى مُتوصّلا
إذ قال قائلهم : نبيّكمُ غوى ... في زوج إبنته ويعذر إن غلا
تالله ما أوحى إليه وإنَّما ... شرفاً حباه على الأنام وفضّلا
حتّى هوى النجم المبين مكذّباً ... مَن كان في حقِّ النبيِّ تقوّلا
أبداره حتّى الصباح أقام ؟ أم ... في دار حيدرة هوى وتنزّلا ؟
هذي المناقب ما أحاط بمثلها ... أحدٌ سواه فترتضيه مُفضّلا
يا ليت شعري ما فضيلة مدَّع ... حكم الخلافة ما تقدَّم أوّلا ؟
أبعزله عند الصَّلاة مؤخّراً ؟ ... ولو ارتضاه نبيّه لن يعزلا
أم ردّه في يوم بعث براءة ... من بعد قطع مسافة مُتعجّلا ؟
إن كان أوحى الله جلَّ جلاله ... لنبيِّه وحياً أتاه منزّلا
أن لا يؤدّيها سواك فترتضي ... رجلاً كريماً منك خيراً مفضلا
أفهل مضى قصداً بها متوجّهاً ... إلّا عليٌّ ؟ يا خليليَّ اسألا
أم يوم خيبر إذ براية أحمد ... ولّى لعمرك خائفاً مُتوجّلا ؟
ومضى بها الثاني فآب يجرُّها ... حذر المنيَّة هارباً ومُهرولا
هلّا سألتهما وقد نكصا بها ... متخاذلين إلى النبيِّ وأقبلا
من كان أوردها الحتوف سوى أبي ... حسن وقام بها المقام المهولا ؟
وأباد مرحبهم ومدَّ يمينه ... قلع الرتاج وحصن خيبر زلزلا
يا علّة الأشياء والسبب الذي ... معنى دقيق صفاته لن يُعقلا
يكفيك فخراً أنَّ دين محمَّد ... لولا كمالك نقصه لن يكملا
وفرائض الصَّلوات لولا أنّها ... قرنت بذكرك فرضها لن يقبلا
يا مَن إذا عدَّت مناقب غيره ... رجحت مناقبه وكان الأفضلا
إنّي لأعذر حاسديك على الذي ... أولاك ربّك ذو الجلال وفضّلا
إن يحسدوك على علاك فإنّما ... متسافل الدرجات يَحسد مَن علا
إحياؤك الموتى ونطقك مخبراً ... بالغائبات عذرتُ فيك لمن غلا
وبردِّك الشمس المنيرة بعدما ... أفلت وقد شهدت برجعتها الملا
ونفوذ أمرك في الفرات وقد طما ... مدّاً فأصبح ماؤه مستسفلا

وبليلة نحو المدائن قاصداً فيها لسلمان بُعثت مغسِّلا
وقضيّة الثعبان حين أتاك في إيضاح كشف قضيّة لن تعقلا
فحللت مشكلها فآب لعلمه فرحاً وقد فصّلت فيها المجملا
والليث يوم أتاك حين دعوت في عُسر المخاض لعرسه فتسهّلا
وعلوت من فوق البساط مخاطباً أهل الرقيم فخاطبوك معجّلا
أمخاطب الأذياب في فلواتها ومكلِّم الأموات في رمس البلى
يا ليت في الأحياء شخصك حاضر وحسينٌ مطروحٌ بعرصة كربلا
عريان يكسوه الصَّعيد ملابساً أفديه مسلوب اللباس مُسربلا
متوسِّداً حرَّ الصخور معفّراً بدمائه ترب الجبين مُرمّلا
ظمآن مجروح الجوارح لم يجد ممّا سوى دمه المبدَّد منهلا
ولصدره تطأ الخيول وطالما بسريره جبريل كان موكّلا
عُقرت أما علمت لأيِّ معظّم وطأت وصدرٍ غادرته مفصَّلا ؟
ولثغره يعلو القضيب وطالما شرفاً له كان النبيُّ مُقبِّلا
وبنوه في أسر الطغاة صوارخ ولهاء مُعولة تجاوب معولا
ونساؤه من حوله يندبنه بأبي النساء النادبات الثكّلا
يندبن أكرم سيِّد من سادة هجروا القصور وآنسوا وحش الفلا
بأبي بدوراً في المدينة طُلّعاً أمست بأرض الغاضريَّة أُفّلا
آساد حرب لا يمسُّ عفاتها ضرُّ الطوى ونزيلها لن يخذلا
من تلق منهم تلق غيثاً مُسبلا كرماً وإن قابلت ليثاً مُشبلا
نزحت بهم عن عقرهم أيدي العدى بأبي الفريق الظاعن المترحِّلا
ساروا حثيثاً والمنايا حولهم تسري فلا يجدون عنها معزلا
ضاقت بهم أوطانهم فتبيّنوا شاطي الفرات عن المواطن موئلا
ظفرت بهم أيدي البغاة فلم أخل وأبيك تقتنص البغاث الأجدلا
منعوهمُ ماء الفرات ودونه بسيوفهم دمهم يُراق مُحلّلا
هجرت رؤوسهم الجسوم فواصلت زرق الأسنَّة والوشيج الذبَّلا
يبكي أسيرهم لفقد قتيلهم أسفاً وكلٌّ في الحقيقة مبتلى

هــذا يـمـيــل عـلـى الـيـمـيـن مُعفّـراً ... بــدم الـوريـد وذا يُـسـاق مـغـلّلا
ومن العـجـائب أن تـقـاد أسـودهـا ... أسـراً وتفتـرس الـكـلاب الأشبـلا
لهفـي لـزين الـعـابـدين يُـقـاد في ... ثـقـل الحـديـد مـقيّـداً ومكـبّـلا
مُـتـقـلـقـلاً فـي قـيـده مُـتـثـقّـلاً ... متـوجّعـاً لـمـصـابـه متـوجّـلا
أفـدي الأسيـر وليت خـدّي مـوطنـاً ... كـانت لـه بين المحـامـل محمـلا
أقسمت بـالـرّحمن حلفـة صـادق ... لـولا الفـراعنـة الـطواغيت الأولى
مـا بـات قـلب محـمّـد في سبـطه ... قـلقـاً ولا قـلب الـوصـيّ مـقـلقـلا
خـانـوا مـواثـيق الـنبـيّ وأجّجـوا ... نيـران حـرب حـرّهـا لن يصطلى
يـا صـاحب الأعراف يعرض كلّ مخـ ... ـلوق عـلـيـه محـقّـقـاً أو مبطلا
يـا صـاحب الحـوض المباح لحـزبـه ... حـلّ ويـمنعـه الـعـصـاة الـضـلّلا
يـا خيـر من لبّى وطـاف ومـن سعى ... ودعـا وصـلّى راكـعـاً وتـنـفّـلا
ظـفـرت يـدي منكم بـقـسـم وافـر ... سبحـان من وهب العـطاء وأجـزلا(١)
شغلت بنـو الـدنيـا بمـدح ملوكهم ... وأنـا الـذي بسـواكُـم لـن أشغـلا
وتـردّدوا لـوفـادة لـكـنّـهـم ... ردّوا وقـد كسبـوا على القيـل القـلا
ومنحتكم مـدحي فـرحب خـزانتي ... بنفـائس الحسنـات مفعمـةٌ مَـلا
وأنـا الـغـنـيّ بـكـم ولا فـقـرٌ ومَـن ... مـلك الغنـى لسـواكُـمُ لـن يسـألا
مـولاي دونـك مـن «عليّ» مـدحـة ... عـربيّـة الألفـاظ صـادقـة الـولا
لـيس النضـار نـظيـرهـا لكنّـهـا ... درٌّ تـكـامـل نـظمـه فتـفـصّـلا
فـاستجـلهـا منّـي عـروسـاً غـادة ... بكـراً لغيـرك حسنهـا لـن يجتلى
فصـداقهـا منـك القبـول فكن لهـا ... يـابن المكـارم سـامعـاً متقبّـلا
وعـليكـمُ منّـي الـتحيّـة مـا دعـا ... داعـي الفـلاح إلى الصّـلاة مـهـلّلا
صلّى عليـك اللّه مـا سـحّ الحيـا ... وتبسّـمت لبكـائـه ثـغـر الكـلا

القصيدة الخامسة :

حلّت عليـك عقـود المـزن يـا حلل(٢) ... وصـافحتـك أكـفّ الـطلّ يـا طلل

---

(١) وفي نسخة : سبحان من قسم العطاء الأجزلا .

(٢) الحلل جمع الحلة وهي : المحلة ، المجلس والمجتمع .

وحاكت الورق في أعلى غصونك إذ حاكت بك الودق جلباباً له مثل
يزهو على الربع من أنواره لمع ويشمل الربع من نوّاره حلل
وافترَّ في ثغرك المأنوس مبتسماً ثغر الأقاح وحيَّاك الحيا الهطل
ولا انثنت فيك بانات اللوى طرباً إلّا وللورق في أوراقها زَجَل
وقارن السعد يا سعدى وما حجبت عن الجآذر فيك الحجب والكلل
يروق طرفي بروق منك لامعة تحت السحاب وجنح الليل منسدل
يذكي من الشوق في قلبي لهيب جوىً كأنّما لمعها في ناظري شُعل
فإن تضوَّع من أعلى رباك لنا ريّاك والروض مطلولٌ به خضل
فهو الدواء لأدواءٍ مبرِّحة نعلُّ منها إذا أودت بنا العلل
أقسمت يا وطني لم يهنني وطري مذ بان عنّي منك البان والأثل
لي بالرُّبوع فؤاد منك مرتبع وفي الرواحل جسم عنك مرتحل
لا تحسبنَّ الليالي حدَّثت خلدي بحادث فهو عن ذكراك مشتغل
لا كنت إن قادني عن قاطنيك هوى أو مال بي مَلل أو حال بي حوَل
أنّى ولي فيك بين السرب جارية مقيدي في هواها الشكل والشكل[1]
غرّاء ساحرة الألحاظ مانعة الألفاظ مائسةٌ في مشيها ميل
في قدِّها هيفٌ في خصرها نحف في خدِّها صَلفٌ في ردفها ثقل[2]
يرنِّح الدلّ عطفيها إذا خطرت كما ترنَّح سكراً شاربٌ ثَمل
تُريك حول بياض حمرةً ذهبت بنضرتي في الهوى خدٌّ لها صقل
ما خلت من قبل فتك من لواحظها أن تقتل الأسد في غاباتها المقل
عهدي بها حين ريعان الشبيبة لم يُرعه شيبٌ وعيشي ناعمٌ خضل
وليل فوديَ ما لاح الصّباح به والدار جامعةٌ والشمل مشتمل
وربع لهويَ مأنوسٌ جوانبه تروق فيه ليَ الغزلان والغَزَلُ
حتّى إذا خالط الليل الصّباح وأضـ ـحى الرأس وهو بشهب الشيب مشتعل

---

(١) وفي نسخة : مقيدي في هواها الشكل لا الشكل .
الشكل بفتح المعجمة : الصورة . وبالفتح والكسر : دلال المرأة وغنجها .
(٢) وفي نسخة : في طرفها كحل .

وخطٌّ وخط مشيبي في صحيفته ... لي أحرفاً ليس معنى شكلها شكل
مالت إلى الهجر من بعد الوصال وعهـ ... ـد الغانيات كفيء الظل منتقل
من معشرٍ عدلوا عن عهد حيدرة ... وقابلوه بعدوانٍ وما قبلوا
وبدّلوا قولهم يوم «الغدير» له ... غدراً وما عدلوا في الحب بل عدلوا
حتى إذا فيهم الهادي البشير قضى ... وما تهيّا له لحدٌ ولا غسل
مالوا إليه سراعاً والوصيُّ برزءِ ... المصطفى عنهمُ لاه ومشتغل
وقلّدوها عتيقاً لا أباً لهم ... أنّى تسود أُسود الغابة الهمل
وخاطبوه أمير المؤمنين وقد ... تيقّنوا أنّه في ذاك منتحل
وأجمعوا الأمر فيما بينهم وغوت ... لهم أمانيّهم والجهل والأمل
أن يحرقوا منزل الزهراء فاطمة ... فيا له حادثٌ مستصعبٌ جلل
بيتٌ به خمسة جبريل سادسهم ... من غير ما سببٍ بالنار يُشتعل
وأُخرج المرتضى عن عقر منزله ... بين الأراذل محتفٌّ بهم وكل
يا للرجال لدين قلَّ ناصره ... ودولة ملكت أملاكها السّفل
أضحى أُجير ابن جدعان له خلفاً ... برتبة الوحي مقرونٌ ومتّصل
فأين أخلاف تيم والخلافة والـ ... حكم الربوبيُّ لولا معشرٌ جهلوا ؟
ولا فخارٌ ولا زهدٌ ولا ورعٌ ... ولا وقارٌ ولا علمٌ ولا عمل
وقال : منها أقيلوني فلست إذاً ... بخيركم وهو مسرورٌ بها جذل
وفضّها وهو منها المستقيل على ... الثاني ففي أيِّ قول يصدق الرَّجل ؟
ثمَّ اقتفتها عديٌّ من عداوتها ... وافتض من فضها العدوان والجدل
أضحى يسير بها عن قصد سيرتها ... فلم يسدّ لها من حادث خلل
وأجمع الشور في الشورى فقلّدها ... أُميّة وكذا الأحقاد تنتقل
تداولوها على ظلم وأرّثها ... بعض لبعض فبئس الحكم والدول
وصاحب الأمر والمنصوص فيه بإذ ... ن اللّه عن حكمه ناءٍ ومعتزل
أخو الرسول وخير الأوصياء ومن ... بزهده في البرايا يُضرب المثل
وأقدم القوم في الإسلام سابقةً ... والناس باللّات والعزى لهم شغل
ورافع الحق بعد الخفض حين قنا ... ة الدين واهيةٌ في نصبها مَيل
الأروع الماجد المقدام إذ نكصوا ... والليث ليث الشرى والفارس البطل

من لم يعش في غـواة الجـاهلين ذوي غـيٍّ ولا مـقـتـدى آرائـه هَـبـل
عـافـوه وهـو أعـفّ النـاس دونـهم طفـلاً وأعلى محـلاً وهـو مكـتهـل
وإنّـه لـم يـزل حـلمـاً ومـكـرمـةً يقابـل الـذنب بـالحسنى ويحتمـل
حتّى قضى وهـو مـظلومٌ وقـد ظُلم الـ حسين من بـعـده والـظلم متّصـل
من بعـدمـا وعـدوه النصر واختلفت إليـه بـالكتب تسعى منهم الـرُسـل
فـليتـه كـفّ كـفّـاً عـن رعـايتـهم يـومـاً ولا قـرَّبتـه منـهـم الإبـل
قـومٌ بهم نـافقٌ سـوق النـفـاق ومِن طبـاعهم يُستمـد الغـدر والـدّخـل
تـالـلّه مـا وصـلوا يـومـاً قـرابتـه لـكن إلـيـه بـمـا قـد سـاءه وصـلوا
وحـرّمـوا دونـه مـاء الـفـرات ولـلـ ـكـلاب مـن سعـةٍ فـي وردهـا علل
وبـيّتـوه وقـد ضـاق الـفسيـح بـه منهم على مـوعـد من دونـه العـطل
حتّى إذا الحـرب فيهم من غـد كشفت عن سـاقهـا وذكى من وقـدهـا شعـل
تـبـادرت فـتـيـةٌ مِـن دونـه غـرر شمّ العـرانـين مـا مـالـوا ولا نـكلوا
كـأنّـمـا يُجتنى حـلواً لأنـفـسهـم دون المنـون من العسّـالـة العسـل
تسـربلوا في متـون السـابقـات دلا ص السـابغـات وللخـطيّـة اعتقلوا
وطلّقـوا دونـه الـدنيـا الـدنيّـة وار تـاحـوا إلى جنة الفـردوس وارتحلوا
تـراءت الحـور في أعلى الجنـان لهم كشفـاً فهـان عليهم فيـه مـا بـذلـوا
سـالت على البيض منهم أنفس طهرت نـفيسـةٌ فـعلَوا قـدراً بـمـا فـعلوا
إن يُقتلوا طـالمـا فـي كـلٍّ معـركـة قـد قـاتلوا ولكـم من مـارق قـتلوا ؟
لـهفـي لسبط رسـول الـلّه مـنـفـرداً بين الـطغـاة وقـد ضـاقت بـه السُبـل
يـلقى الـعـداة بـقـلب لا يـخـامـره رهـبٌ ولا راعـه جبـنٌ ولا فـشـل
كـأنّـه كـلّـمـا مـرّ الـجـواد بـه سيـلٌ تمـكّن فـي أمـواجـه جبـل
ألقى الحسـام عليهم راكعـاً فهـوت بـالتـرب سـاجـدةٌ من وقعـه القلل
قـدّت نعـالاتـه هـامـاتهم فبـهـا أخـدى الجـواد فـأمسى وهـو منتعـل
وقـد رواه حـميدٌ نجـل مسلم ذو الـ قـول الصدوق وصـدق القول ممتثـل
إذ قـال : لم أر مكـثـوراً عشيـرتـه صـرعى فمنعـفـرٌ منهم ومـنجـدل
يـومـاً بـأربط جـاشـاً من حسين وقـد حفت بـه البيض واحتـاطت بـه الأسـل

كـأنّـمـا قسـورٌ ألـقـى عـلى حُـمر عـطفاً فخـامرهـا من بـأسـه ذَهـل
أو أجـدلٌ مـرَّ فـي سـرب فغـادره شـطر خمـود وشـطرٌ خيفـة وجـل
حـتّـى إذا آن مـا إن لا مـردَّ لـه وحـان عنـد انقضـاء المـدَّة الأجـل
أردوه كـالطود عن ظهـر الجـواد حميـ ـد الـذكـر مـا راعـه ذلّ ولا فشـل
لهفـي وقـد راح ينعـاه الجـواد إلى خبـائـه وبـه مـن أسهـم قَـزل(١)
لهفـي لـزينـب تسـعى نـحـوه ولهـا قلبٌ تـزايـد فيـه الـوجـد والـوجـل
فـمـذ رأتـه سليبـاً للشـمـال علـى معنى شمـائله من نسجهـا سمـل
هـوت مُـقبِّـلةً منـه المحـاسـن والـ ـحسين عنهـا بكـرب المـوت مشتغـل
تُـدافـع الشّمـر عنـه بـاليمين وبـا لشمـال تستـر وجهـاً شـأنـه الخجـل
تقـول : يـا شمـر لا تعجـل عليـه ففي قتـل إبن فـاطمـة لا يُحمـد العجـل
ألـيس ذا ابـن عـليّ والبـتـول ومَـن بجـدِّه ختمت في الأُمَّـة الـرسـل ؟
هـذا الإمـام الـذي يُنمى إلى شـرف ذريّـة لا يُـدانـي مجـدهـا زحـل
إيّـاك مـن زلّـة تـصـلى بـهـا أبـداً نـار الجحيم وقد يـردي الفتى الزلـل
أبى الشـقيُّ لـهـا إلاّ الخـلاف وهـل يجدي عتاب لأهـل الكفر إنْ عُذلوا ؟
ومـرَّ يحتـزُّ رأسـاً طـالمـا لـرسـو ل اللّه مـرتشـفـاً في ثـغـره قُـبـل
حتّى إذا عـاينت منـه الكـريـم على لـدنٍ يـمـيـل بـه طـوراً ويـعتـدل
ألقت لفـرط الأسى منهـا البنـان على قـلب تقـلّب فيـه الحـزن والثـكـل
تـقـول : يـا واحـداً كـنـا نـؤمّـله دهـراً فخـاب رجـانـا فيـه والأمـل
ويـا هـلالاً عـلا في سعـده شـرفـاً وغـاب في التـرب عـنّا وهـو مكتمـل
أخي لقـد كنت شمساً يُستضـاء بهـا فحـلّ في وجههـا من دوننـا الطفـلُ
وركن مجـد تـداعى مـن قـواعـده والمجـد منهـدم البنيـان منتقـل
وطـرف سبق يفوت الطرف سرعته(٢) مـذ أدرك المجـد أمسى وهـو معتقل
مـا خلت من قبـل مـا أمسيت مرتهنـاً بين اللئـام وسُـدّت دونـك السبـل

---

(١) قزل قزلانا وقزلاً : وثب ومشى مشية العرجان . القزل محركة : أسوأ العرج .
(٢) الطرف : الكريم الطرفين من الناس والخيل .

أن يوغل البوم في البازيّ إن ظفرت ... ظفراً ولا أسداً يغتاله حمل (١)
كلّا ولا خلت بحراً مات من ظمأ ... ومنه ريٌّ إلى العافين متّصل
فليت عينك بعد الحجب تنظرنا ... أسرى تجاذبنا الأشرار والسفل
يسيّرونا على الأقتاب عارية ... وزاجر العيس لا رفقٌ ولا مَهل
فليت لم تر كوفاناً ولا وخدت ... بنا إلى إبن زياد الأينق الذلل
إيهاً على حسرة في كلّ جانحة ... ما عشت جائحة تعلو لها شعل
أيُقتل السبط ظمآناً ومن دمه ... تروى الصّوارم والخطيّة الذبل
ويسكن الترب لا غسلٌ ولا كفن ... لكن له من نجيع النحر مغتسل
وتستباح بأرض الطفّ نسوته ... ودون نسوة حرب تُضرب الكلل
باللّه أُقسم والهادي البشير وبيـ ... ـت اللّه طاف به حافٍ ومنتعل
لولا الأُولى نقضوا عهد الوصيّ وما ... جاءت به قدماً في ظلمها الأول
لم يُعل قوماً على أبناء حيدرة ... من الموارد ما تروى به الغلل
يا صاح طف بي إذا جئت الطفوف على ... تلك المعالم والآثار يا رجل
وابك البدور التي في الترب آفلة ... بعد الكمال تغشّى نورها الظلل
وابك الشفاه التي لم ترو من عطش ... لكن عليهنّ من سيل الدما بلل
يا آل أحمد يا سفن النجاة ومَن ... عليهمُ بعد ربّ العرش أتّكل
وحقّكم ما بدا شهر المحرّم لي ... إلّا ولي ناظرٌ بالسهد مكتحل
ولا استهلّ بنا إلّا استهلّ من ... الأجفان لي مدمعٌ في الخدّ منهمل
حُزناً لكم ومواساةً وليس لممـ ... ـلوك بدمع على ملّاكه بُخل
فإن يكن فاتكم نصري فلي مدحٌ ... بمجدكم أبداً ما عشت تتّصل
عرائس حدت الحادون من طرب ... بها تُعرّس أحياناً وترتحل
فدونكم من (عليّ) عبد عبدكم ... فريدةٌ طاب منها المدح والغزل
رقّت فراقت معانيها الحسان فلا ... يُماثل الطول منها السبعة الطول
أعددتها جُنّة من حرّ نار لظىً ... أرجو بها جنّة أنهارها عسل
صلّى الإله عليكم ما شدت طرباً ... ورقٌ على ورقٍ والليل منسدل

(١) الحمل : الخروف أو الجذع من أولاد الضأن . جمع الحملان وأحمال .

القصيدة السادسة :

عسى موعدٌ إن صحّ منك قبول ... تؤدّيه إن عزّ الرّسول قبول
فربّ صباً تهدي إليّ رسالةً ... لها منك إن عزّ الوُصول وَصول
تطاول عمر العتب يا عتب بيننا ... وليس إلى ما نرتجيه سبيل
أفي كلّ يوم للعتاب رسائل ... مجدّدةٌ ما بيننا ورسول
رسائل عتب لا يُردّ جوابها ... ونفث صدور في السطور يطول
يدلّ عليها من وسائل سائل ... خضوع ومن شكوى الفصال فصول
عسى مسمع يصغي إلى قول مسمع ... فيعطف قاس أو يرقّ ملول
وأعجب شيء أن أراك غريّةً ... بهجري وللواشي عليّ قبول
سجيّة نفسي بالوعود مع القلى ... وكلّ سخيّ بالوعود بخيل
عذرتك إن ميّلت أو ملت أنّني ... أخالك غصناً والغصون تميل
وما الظباء السرب خلقك إنّما ... لخلقك منها في الغدول عدول
وقد كنت أبكي والديار أنيسةٌ ... وما ظعنت للظاعنين قفول
فكيف وقد شطّ المزار وروّعت ... فريقَ التداني فُرقةٌ ورحيل
إذا غبتُم عن ربع حلّة بابل ... فلا سحبت للسحب فيه ذيول
ولا ابتسمت للثغر فيه مباسم ... ولا ابتهجت لطلٍّ فيه طُلول
ولا هبَّ معتلّ النسيم ولا سرت ... بليل على تلك الربوع بَليل
ولا صدرت عنها السوام ولا غدا ... بها راتعاً بين الفصول فصيل
ولا برزت في حُلّة سُندسيّة ... لذات هدير في الغصون هديل[1]
وما النفع فيها وهي غير أواهل ... ومعهدها من عهدت مَحيل
تنكّر منها عرفها فأهيلها ... غريبٌ وفيها الأجنبيُّ أهيل
رعى اللّه أياماً بظلّ جنابها ... ونحن بشرقيّ الأثيل نُزول
ليالِيَ لا عود الرّبيع يجفّه ... ذُبولٌ ولا عود الربوع هزيل
بها كنت أصبو والصّبا ليَ مسعد ... وصعب الهوى سهلٌ لديَّ ذلول

---

(١) هدر الحمام : قرقر وكرر صوته في حنجرته . الهديل : صوت الحمام .

وإذ نحن لا طَرف الوعود عن اللقا ... بطيٌّ ولا طَرف السعود كليل
نبيت ولا غير العفاف شعارنا ... ولا أمن من واش علَيَّ شمول
كروحين في جسم أقاما على الوفا ... عفافاً وأبناء العفاف قليل
إلى أن تداعى بالفراق فريقكم ... ولمَّ بكم حادٍ وأمَّ دليل
تقاضى الهوى منِّي فما الضلاله ... مَقيلٌ ولا ممّا جناهُ مُقيل
فحسبيَ إذ شطّت بكم غربة النوى ... علاج نحولٍ لا يكاد يحول
أروم بمعتلِّ الصِّبا برء علّتي ... وأعجب ما يشفي العليل عليل
لعلَّ الصبا إن شطّت الدار أودنا ... مثالكمُ أوعزَّ منك مَثيل
أحيّ الحيا إن شطَّ من صوب أرضكم ... بناديه من لمع البروق زميل
تمرُّ بنا في الليل وهناً بريّها ... يُبلّ[1] غليلٌ أو يَبلّ[2] عليل
سرى وبريق الثغر وهناً كأنَّما ... لديَّ بريق الثغر منك بديل
وأنشى شمال الغور لي منك نشوةً ... عساه لمعتلِّ الشمال شَمول[3]
أمتّهم قلبي من البين سلوةً ... ومتهمةٌ[4] في الرَّكب ليس تؤول
أغرّك أنّي ساترٌ عنك لوعةً ... لها ألمٌ بين الضلوع دخيل
فلا تحسبي أنّي تناسيت عهدكم ... ولكنَّ صبري يا أميم جميل
ثقي بخليلٍ لا يغادر خلّه ... بغدر ولا يثنيه عنك عذول
جميل خلالٍ لا يُراع خليله ... إذا ريع في جنب الخليل خليل
خليقٌ بأفعال الجميل خلاقه ... وكلٌّ خليق بالجميل جميل
يزين مقال الصِّدق منه فعاله ... وما كلُّ قوّالٍ لديك فعول
غضيضٌ إذا البيض الحسان تأوَّدت ... لهنَّ قدودٌ في الغلائل ميل
ففي الطرف دون القاصرات تقاصر ... وفي الكفِّ من طَول المكارم طُول
أما وعفافٌ لا يدنِّسه الخنا ... وسرّ عتاب لم يزله مزيل

---

(١) البلة : الندوة .
(٢) بل من مرضه . برئ .
(٣) الشمول : الخمر أو الباردة منها .
(٤) من أتهم أي أتى تهامة أو نزل فيها .

لأنت لقلبي حيث كنت مسرَّة ... وأكرم مسؤول لدي وسؤول
يقصّر آمالي صدودك والقِلى ... وينشرها منك الرَّجا فتطول
وتعلق آمالي غروراً بقربكم ... كما غرَّ يوماً بالطفوف قتيل
قتيل بكت حزناً عليه سماؤها ... وصبَّ لها دمعٌ عليه همول
وزلزلت الأرض البسيط لفقده ... ووريع له حزنٌ بها وسهول
أأنسى حسيناً للسهام رميّة ... وخيل العدى بغياً عليه تجول ؟
أأنساه إذ ضاقت به الأرض مذهباً ؟ ... يشير إلى أنصاره ويقول
أُعيذكمُ بالله أن تردوا الرَّدى ... ويطمع في نفس العزيز ذليل
ألا فاذهبوا فالليل قد مدَّ سجفه ... وقد وضحت للسالكين سبيل
فثاب إليه قائلاً كلُّ أقيل ... نمته إلى أزكى الفروع أُصول
يقولون والسّمر اللدان شوارعٌ ... وللبيض من وقع الصّفاح صليل
أنُسلم مولانا وحيداً إلى العدى ... وتسلم فتيانٌ لنا وكهول ؟
ونعدل خوف الموت عن منهج الهدى ... وأين عن العدل الكريم عدول ؟
نودُّ بأن نبلى وننشر للبلى ... مراراً ولسنا عن علاك نحول
وثاروا لأخذ الثار قدماً كأنّهم ... أُسودٌ لها بين العرين شبول
مغاوير عرس عرسها يوم غارة ... لها الخط في يوم الكريهة غيل
حماةٌ إذا ما خيف للثغر جانب ... كماةٌ على قبِّ الفحول فحول
ليوثٌ لها في الدارعين وقائعٌ ... غيوثٌ لها للسائلين سيول
أدلّتها في الليل أضواء نورها ... وفي النّقع أضواءُ السيوف دليل
يؤُمّ بها قصد المغالب أغلب ... فروسٌ لأشلاء الكماة أكول ؟
له الخطّ كوب والجماجم أكؤس ... لديه وآذيُّ الدِّماء شمول
يرى الموت لا يخشاه والنبل واقعٌ ... ولا يختشي وقع النبال نبيل
صؤولٌ إذا كرَّ الكميُّ مناجزٌ ... بليغ إذا فاه البليغ قؤول
له من عليّ في الخطوب شجاعةٌ ... ومن أحمد عند الخطابة قيل
إذا شمخت في ذروة المجد هاشمٌ ... فعمَّاه منها جعفرٌ وعقيل
كفاه علوّاً في البريّة أنّه ... لأحمد والطّهر البتول سليل
فما كلُّ جدٍّ في الرِّجال محمَّدٌ ... ولا كلُّ أمٍّ في النساء بتول

حسينٌ أخو المجد المنيف ومن له ... فخارٌ إذا عُدَّ الفخار أثيل
أرى الموت عذباً في لهاك وصابه ... لغيرك مكروه المذاق وبيل
فما مرَّ ذو بأسٍ إلى مرِّ بأسه ... على مهل إلّا وأنت عجول
كأنَّ الأعادي حين صلت مبارزاً ... كثيبٌ ذرته الرِّيح وهو مهيل
وما نهل الخطيُّ منك ولا الظبا ... ولا علَّ إلّا وهو منك عليل
بنفسي وأهلي عافر الخدِّ حوله ... لدى الطف من آل الرَّسول قبيل
كأنّ حسيناً فيهمُ بدر هالة ... كواكبها حول السماك حلول
قضى ظامئاً والماء طامٍ تصدّه ... شرار الورى عن ورده ونغول
وحزَّ وريد السِّبط دون وروده ... وغالته من أيدي الحوادث غول
وآب جواد السِّبط يهتف ناعياً ... وقد ملأ البيداء منه صهيل
فلمّا سمعن الطاهرات نعيَّه ... لراكبه والسَّرج منه يميل
برزن سليبات الحليِّ نوادباً ... لهنَّ على الندب الكريم عويل
بنفسي أُخت السِّبط تعلن ندبها ... على ندبها محزونةً وتقول
أخي يا هلالاً غاب بعد طلوعه ... وحاق به عند الكمال أُفول
أخي كنت شمساً يكسف الشمس نورها ... ويخسأ عنها الطرف وهو كليل
وغصناً يروق الناظرين نضارةً ... تغشّاه بعد الإخضرار ذبول
وربعاً يمير الوافدين ربيعه ... تعاهده غبّ العهاد مُحول
وعضباً رماه الدهر في دار غربة ... وفي غربه للمرهفات(١) فلول
وضرغام غيلٍ غيل من دون عرسه ... ومخلبه ماضي الغرار(٢) صقيل
فلم أر دون الخدر قبلك خادراً ... له بين أشراك الضباع حصول
أصبت فلا ثوب المآثر صَيِّبٌ ... ولا في ظلال المكرمات مقيل
ولا الجود موجودٌ ولا ذو حميَّة ... سواك فيحمى في حماه نزيل
ولا صافحت منك الصفاح محاسناً ... ولا كاد حسن الحال منك يحول
ولا تربت منك الترائب في البلى ... ولا غالها في القبر منك مغيل

(١) العضب : السيف القاطع ، والرجل الحديد الكلام . الغرب : الحدة . المرهف : المحدد المرقق الحد .

(٢) الغرار : حد السيف .

لتنظرنا من بعد عزٍّ ومنعة ... تلوح علينا ذلّة وخمول
تعالج سلب الحلي عنّا علوجها ... وتحكم فينا أعبدٌ ونغول
وتبتزُّ أهل اللبس عنّا لباسنا ... وتُنزَعُ أقراطٌ لنا وحجول
ترى أوجهاً قد غاب عنها وجيهها ... وأعوزها بعد الكفاة كفيل
سوافر بين السفر في مهمه الفلا ... لنا كلّ يوم رحلةٌ ونزول
تزيد خفوقاً يابن أمّ قلوبنا ... إذا خفقت للظالمين طبول
فيا لك عيناً لا تجفّ دموعها ... وناراً لها بين الضلوع دخيل
أيقتل ظمآناً حسينٌ وجدُّه ... إلى الناس من ربِّ العباد رسول
ويمنع شرب الماء والسرب آمنٌ ... على الشرب منها صادرٌ ونهول
وآل رسول اللّه في دار غربة ... وآل زياد في القصور نزول
وآل عليٍّ في القيود شواحبٌ ... إذا أنَّ مأسورٌ بكته ثكول
وآل أبي سفيان في عزِّ دولة ... تسير بهم تحت البنود خيول
مصابٌ أُصيب الدين منه بفادح ... تكاد له شمُّ الجبال تزول
عليك ابن خير المرسلين تأسّفي ... وحزني وإن طال الزّمان طويل
جللت فجل الرزء فيك على الورى ... كذا كلّ رزءٍ للجليل جليل
فليس بمجد فيك وجدي ولا البكا ... مفيدٌ ولا الصّبر الجميل جميل
إذا خفّ حزن الثاكلات لسلوةٍ ... فحزني على مرِّ الدهور ثقيل
وإن سئم الباكون فيك بكاؤهم ... ملالاً فإنّي للبكاء مُطيل
فما خفّ من حزني عليك تأسّفي ... ولا جفّ من دمعي عليك مسيل
وينكر دمعي فيك من بات قلبه ... خليّاً وما دمع الخليِّ هطول
وما هي إلّا فيك نفسٌ نفيسة ... يحلّلها حرُّ الأسى فتسيل
تباين فيك القائلون فمعجبٌ ... كثيرٌ وذو حزن عليك قليل
فأجرُ بني الدنيا عليك لشأنهم ... دنيٌّ وأجر المخلَصين جزيل
فإن فاتني إدراك يومك سيِّدي ... وأخَّرني عن نصر جيلك جيل
فلي فيك أبكارٌ لوفق جناسها ... أصولٌ بها للشامتين نُصول
لها رقّة المحزون فيك وخطبها ... جسيمٌ على أهل النفاق مَهول

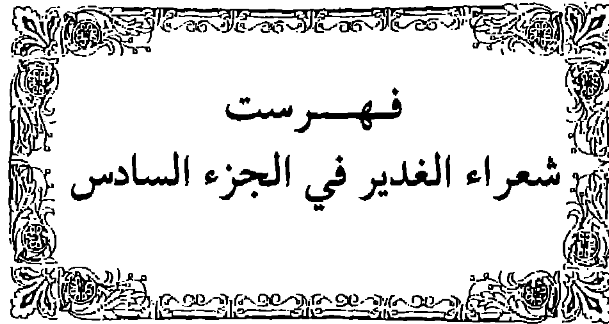
يهيم بها سرُّ الوليِّ مسرَّة ... وينصب منها ناصبٌ وجهول
لها في قلوب الملحدين عواسلٌ ... ووقع نصول ما لهنَّ نصول
بها من «عليّ» في علاك مناقبٌ ... يقوم عليها في الكتاب دليل
ينمُّ عن الأعراف طيِّب عرفها ... فتعلقها للعاقلين عقول
إذا نطقت آي الكتاب بفضلكم ... فماذا عسى فيما أقول أقول ؟
لساني على التقصير في شرح وصفكم ... قصيرٌ وشرح الإعتذار طويل
عليكم سلام الله ما اتَّضح الضحى ... وما عاقبت شمس الأصيل أُفول

وذكر له العلاّمة السيّد أحمد العطّار في الجزء الثاني من موسوعته الموسومة بـ (الرائق) وقال : قد قالها في مرض موته . قوله :

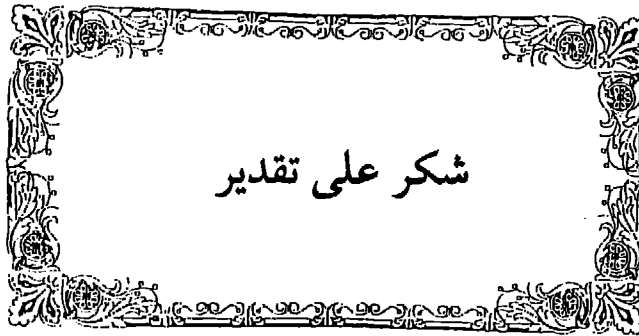
آن الرَّحيل وحقَّ فينا ما ترى ... وسرت لقطع مفازة البين البُرى
وظعنت عمّن ودَّ يوم ترحّلي ... لو أنّها بالرُّوح لي عوض تُرى
ونقلت من سعة القصور وروحها ... فرداً إلى ظلمات أطباق الثرى
وتصرَّمت أيّامنا فكأنَّها ... كانت وكنّا طيف أحلام الكرى
ومروعةٌ بالبين كاد فؤادها ... من هول يوم البين أن يتفطّرا
وتقول إذ آن الرَّحيل ودمعها ... قد خطَّ في الخد المخدّد أسطرا
يا نازلاً بحشاشتي ومخلّفي ... عرض المخافة والمجاعة والعرا
فإلى من الملجا سواك لنا إذا ... شطت صروف الدهر أو خطب عرا
فأجبتها والعين كوب فراقها ... تهمي على خدِّي نجيعاً أحمرا
أنتم وديعة ذي الجلال كما غدا ... شخصي وديعة حيدر خير الورى
يا مونسي في وحدتي إذ عاينت ... عيني نكيراً في اللحود ومنكرا
أنا واثقٌ بك لا أرى شخصيهما ... إلاّ بشيراً سائلي ومبشّرا
فبحقِّ قوم ائتمنتهمُ على ... مكنون سرِّك عارفاً ومخبّرا
إلاّ غفرت ذنوب عبدٍ نازل ... بفناء مَن ألزمت طاعته الورى
لا زاهدٍ ورعٍ ولا متجنّب ... إثماً ولا يوماً بعسر أيسرا
لكن يدي علقت بحبل ولاكم ... ثقة بكم ولنا بذلك مفخرا
يا ناصر الإسلام حين تأوَّدت ... منه الدعائم فاستقام بلا مرا

ومــذلّ عــزّ الـكفــر بـعــد حـمـيّـة　　خشنــاء عــاليــة الجــوانب والــذرى
الــلّه فــي عــبــد أتــاك مــجــاوراً　　مـتـحـصّـنــاً بــولائـكـم مـتـسـتّــرا
إنّــي أتــيــتــك وافــداً ومــجــاوراً　　ولــكــلّ جــارٍ وافــدٍ حــقّ الــقِــرا

انتهى الجزء السادس من كتاب الغدير
ويليه السابع إن شاء اللّه
وما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكلت وإليه أنيب



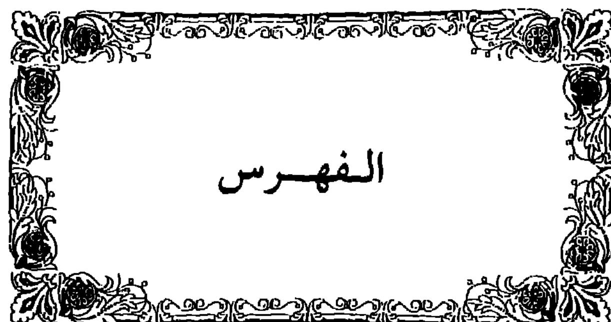
الأعلام الصفحات



شكر على تقدير

تفضَّل علينا جمعٌ من رجالات العلمِ والدِّين من مصر ، والهند ، وصيداء ، وبغداد ، والنجف الأشرف ، وغير واحدةٍ مِن مُدن العراق ، وإيران ، بكتب تتضمّن تقريظ كتابنا هذا ، وإعجابهم به ، وإكبارهم ما في طيّه ، وإخباتهم إلى تلكم الحقائق الراهنة ، كلُّ ذلك ينمُّ عن حياةٍ روحيّة في الملأ الإسلاميّ ، وتوحيد كلمة في المجتمع الدينيّ ، لا يسعنا نشر تلكم الكلم القيِّمة في هذا الجزء ، فنقدِّم إلى الجميع شكرنا المتواصل ونسأل الله لهم التوفيق .

ونخصُّ بالذكر والشكر الجزيل سيِّدنا الأجلّ ، آية الله ، سماحة السيِّد محمّد الكوهكمري الشهير بالسيِّد الحجّة ، قاطن قُم المشرَّفة ، أحد أعلام الأُمّة ، وزعمائها الدينيِّين ، ونراه بالكتاب أعنى ، وله كتابات تقريظ أنيقة تشكر ، فحيّاه الله وبيَّاه ، علماً للعلم ، والدِّين .


الفهــرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء السابع

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٧

الطبعة الأولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

سّسة الأعلمي للمطبوعات :
بروت . شارع المطار . قرب كليّة الهندسة .
ث الاعلمي . ص.ب : ٧١٢٠
ف : ٨٣٣٤٥٣ - ٨٣٣٤٤٧

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

أمل محقق وشكر متواصل

كنّا نأمل أن يكون نظر أعلام الأُمّة والأساتذة المثقفين في كتابنا هذا نظرة بسيطةً مجرَّدةً عن عوامل النقمة ، معرّاةً عن تحيّزات وانحيازات ، ليسهل التّفاهم ويتسنّىٰ الوقوف على الحقيقة التي هي ضالّتنا المنشودة ، ويستتبع ذلك الوئام والسلام من أقرب طرقهما ، وأوصل الوسائل إليهما ؛ لأنّي لم أقصد (وشهيدي الله) غير الإصحار بالحقّ والدَّعوة إليه .

وما قد يحسبه القارىء شدَّة في البيان (لعمر الله) صراحةٌ في القول ، وقوَّةٌ في الحجَّة ، لا قسوةٌ في الحجاج ، وقد عرف ذلك منّا شاعر الأهرام أُستاذ الأدب وعلم الإجتماع بكلية ـ البوليس ـ الملكيَّة بالقاهرة محمّد عبد الغني حسن المصري ، وأعرب عنه بقوله من قصيدة يطري بها الكتاب ويصف مؤلِّفه :

يشتدُّ في سبب الخصومة لهجةً ... لكن يرقُّ خليقةً وطباعا
وكذلك العلماء في أخلاقهم ... يتباعدون ويلتقون سراعا

لقد حقّق الله سبحانه هذا الأمل فوجدنا قراءَنا الأكارم في ظنّنا الحسن بهم وحسبتُ أنهم وجدوني في ظنِّهم الحسن بي ـ ولله الحمد ـ فجاء رجالات الأُمَّة حماة البيت الهاشمي الرفيع ، وأركان عرشه المعلّى وفي مقدَّمهم فخامة نوري باشا

السعيد ، وفخامة السيِّد صالح جبر ، ومعالي السيِّد نجيب الراوي ـ على ما بلغنا ـ يدافعون عن الكتاب جلبة كل مغفَّل غير عارف بنفسيَّات المؤلِّف ، وما انحنت عليه أضالعه من الصالح العام ، فشكراً لهم ثمَّ شكراً .

وقد انهالت علينا كلمات الثناء وجمل التقريظ والإطراء من شتّى النواحي ، وأقاصي البلاد وأدانيها ، ومن أُناس مختلفين في الآراء والنزعات ، لكن ذلك الخلاف لم يسفَّ بهم إلى هوَّة العصبيَّة ، ولم يزعهم عن المصارحة بالحقِّ ، والأخذ بالجامعة الدينيَّة ، والتآخي في الله وفي الدين ـ إنَّما المؤمنون إخوة ـ فنحن كما قال شاعر الأهرام المذكور :

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمَّةً ... ويضمُّنا دين الهدى أتباعا

ويؤلِّف الإسلام بين قلوبنا ... مهما ذهبنا في الهوى أشياعا

فمرحىً بها من غرائز كريمة ، ونوايا حسنة ، ونفسيات نزيهة ، بعثتهم إلى الأُلفة والإخاء ، وإن رغمت آناف دجّالين يسرّون على الأُمّة حسواً في ارتغاء .

وقد نشرنا في غير واحد من الأجزاء المتقدِّمة جملاً ذهبيَّة ممّا وافانا عن الملوك والسّاسة ، والحجج والآيات من العلماء الفطاحل ، والأساتذة النبلاء وصاغة الشعر المقدّمين ، وهناك أُناس لم تنشر كلماتهم ولم تُذكر أسماؤهم لضيق في نطاق الأجزاء فها نحن نوعز إليهم مشفوعاً ذلك بشكر متواصل وثناء جميل .

آية الله سيِّدنا الحجَّة السيِّد محمَّد الكوهكمري (١) ... قم المشرَّفة

العلاَّمة الشريف الحجَّة الحاج السيِّد جعفر آل بحر العلوم ... نجف الأشرف

صاحب المعالي السيِّد عبد المهدي المنتفكي (٢) ... بغداد

---

(١) توفّي قدس سره يوم الإثنين ثالث جمادى الأُولى سنة ١٣٧٢ كان في الرعيل الأول من زعماء الدين ومراجع المسلمين ، وله في إقامة حوزة العلم بقُم المشرفة أشواط بعيدة وخطوات واسعة بالتدريس والتهذيب والإصلاح ، وادرار المعيشة وسدّ أعواز الطالبين ، وإقامة الامت والعوج ، ولم يفتأ على وتيرة واحدة في السعي وراء صالح الأُمّة وتسديد خطة العلم والعمل ، والسوق إلى الطريقة المثلى والسير بالأُمَّة إليها في سبيلها الجدد ، كما أنّ له أياد مشكورة على حوزة النجف الأشرف حتى لفظ نفسه الأخير سعيداً شكوراً .

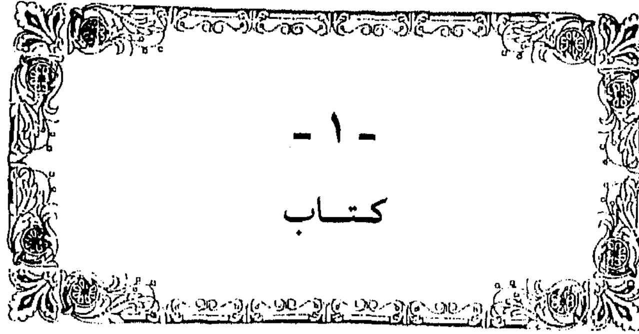
(٢) تلقينا منه بعدُ كلمة تنشر في الجزء الثامن .

العلاّمة الحجّة الحاج السيِّد حسن اللواساني	غازية . سوريا
البحّاثة الكبير الأستاذ السيِّد علي فكري صاحب تآليف قيّمة (١)	مصر . القاهرة
العلاّمة الشريف السيِّد محمَّد سعيد الحكيم	بصـــرة
البحّاثة الجليل السيِّد سبط الحسن صاحب تآليف ممتعة	محمود آباد . الهند
العلاّمة الشهير السيِّد علي أكبر البرقعي صاحب تآليف نفيسة (٢)	قُم المشرَّفة
العلاّمة الشريف السيِّد محمَّد علي القاضي الطباطبائي	قُم المشرَّفة
الأستاذ محمَّد عبد الغني حسن مؤلِّف (أعلام من الشرق)	مصر . القاهرة
الخطيب الشريف السيِّد صالح السيِّد عباس الموسوي	بغداد . صبابيغ الآل
الخطيب المفوّه السيِّد عبّود الحسني	بصـــرة
الدكتور الشهير مصطفى جواد البغدادي	بغـــداد
العلاّمة الصالح الشيخ حسن الناصري	نجف الأشرف
الخطيب المصقع الشيخ كاظم آل نوح مؤلِّف (محمَّد والقرآن)	كاظميَّة
الخطيب الأكبر المدره الحاج الشيخ محمّد تقي الفلسفي	طهران
البحّاثة الكبير الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي	عاملة . نبطيَّة
الأستاذ القدير السيِّد شمس الدين الخطيب البغدادي	بغـــداد
الشريف الفاضل السيِّد عبد الزهراء السيِّد حسين الخضري	خضر . العراق
العلاّمة الثقة ميرزا محمَّد علي الچرندابي التبريزي	قُم المشرَّفة
الأستاذ عبد الحمزة نصر الله فتحي	ديوانيَّة . العراق

---

(١) توفّي وكان مؤلفاً مكثراً نزيهاً .

(٢) مرت كلمتنا في الرجل في الجزء الرابع ص ٢١١ .



- ١ -

كتاب

تفضّل به الشريف المصلح الأكبر آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي ، وهو من عرفته الأمّة فشكرته على أياديه الواجبة ، ومساعيه المشكورة ، ودأبه المتواصل على الإصلاح والدعوة الإلهية ، والنظر في مناهج المسلمين ، والتفاني دون الحقّ المتبع . فحيّاه الله وجزاه عن أمّته خيراً .

حجّة الإسلام العلّامة الثبت المجاهد (الأميني) أعزّه الله وأعزّ به .

تحيّة طيّبة وسلاماً كريماً .

أشعر أنّ لك عليّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقريظ (الغدير) موسوعتك النادرة ، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافيّاً منقطع النظير .

فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك ، وأقلّ ما يوزن به تتبّعك واستيعابك ، أمّا الذي يعطيك كفاء حقّك في هذه الموسوعة الفاضلة فتقديرٌ يبلّغ الأُمّة أنّك من أبطالها الأقلّين ، ويدعوها من أجل هذا إلى شدّ أزرك وإرهافك في سبيلك النيّر الخيّر هذا ، إنصافاً للقيم التي توشك أن تضيع فتُضيع ؛ ومتى ضاعت وأضاعت فقد خسرت الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة لأنّها تخلو آنذاك من حقٍّ وخيرٍ وجمال ، أي تخلو ممّا يحبّب الحياة ويرفعها ، ويدلّ على أقدارها .

موسوعتك (الغدير) في ميزان النقد وحكم الأدب عملٌ ضخمٌ دون ريب ،

فهي موسوعةٌ لو اصطلح على إبداعها عدّةٌ من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقّاً .

ولكنّي ما سقت كلمتي لأقول هذا ، وإنّما سقتها لأُشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة داعياً إلى التشدُّد ، والإلتفات حول الحفنة الباقية من رجال الفكر الإسلامي ممَّن يجيلون أقلامهم في علومنا وآثارنا بفقه وحبّ .

فليس شيءٌ عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرُّق عن رجاله ، لأنَّ التفرُّق عنهم نذيرٌ بعقم نتاجه ، وقطع حلقاته ، فالتفرُّق عنهم بمعناه تفريقٌ للحواضر والبواعث التي تتَّصل بها حياة الحقِّ في طبائع الأشياء وظواهر السنن .

وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا النتاج وقطع هذه الحلقات .

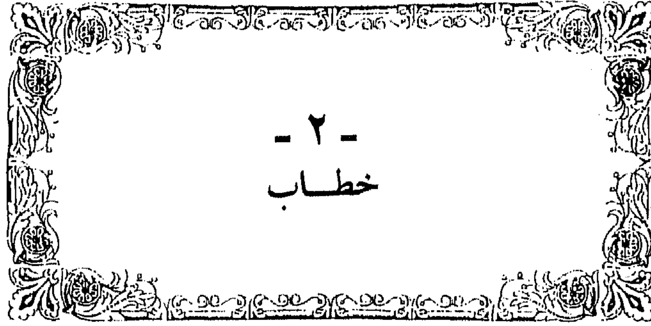
فإذا دعونا إلى موازرتك والوقوف إلى جانبك في شقِّ الطريق بين يدي (غديرك) فإنّنا ندعو في واقع الأمر إلى خدمة فكرةٍ كلّيةٍ ترتفع بها شخصيّة الأُمَّة كاملة ، آملين أن يرى المفكّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأُمَّة حولك ، وحسن تقديرها لك ، أن يخدموا الحقَّ الذي خدمته لوجه الحقِّ خالص النيَّة .

أقف هنا لأقول : إنَّ قمَّة (الهرم) في عملك الجاهد القيِّم إنّما هي حبُّك له حبّاً يدفعك فيه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمثبِّطات ، وهي خصلةٌ في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدّام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم ، ذلك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادىء الإنسانيَّة من معارفهم النيِّرة .

أمَّا الجوانب الفنيَّة فقد نسجتها نسج صناع ، وهيَّأت لقلمك القوي فيها عناصر التجويد والإبداع في مادَّة الكتاب وصورته ، وفي أدواتهما المتوفّرة على سعة باع ، وكثرة اطّلاع ، وسلامة ذوق ، وقوَّة محاكمة ، أمامك ، حفظك الله وأعانك .

عبد الحسين شرف الدين
الموسوي

١٤ ذو الحجَّة ١٣٦٨



- ٢ -
خطاب

تفضّل به سيدنا الشريف المبجّل آية الله السيّد محسن الحكيم «وإنه لأريض للفضل» حيّاه الله وبيّاه نذكر نصّ خطابه شكراً لسماحته وإكباراً لمقامه الأسمى .

بسم اللّه الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

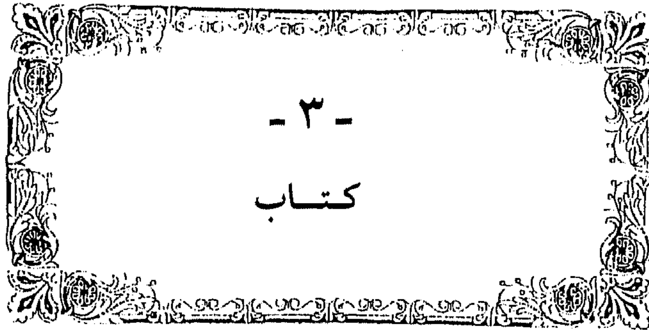
الحمد لله كما هو أهله ، والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه محمَّد وآله الطيبين الطاهرين وبعد : فإنَّ من أعظم ما أنعم به الله جلَّ وعزّ على هذه الفرقة المحقَّة والطائفة الحقَّة أن أتاح لها في كلِّ عصر منها رجالاً لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن الجهاد في سبيلها والقيام بحقِّها ، والعمل على إعلاء كلمتها ، ورفع مقامها ، فحقَّقوا حقائقها ، وبلّغوا رسالتها، وأقاموا الحجَّة لها على غيرها ، كلُّ ذلك بالرغم ممّا مُنيت به من أشياء من شأنها أن تحول بينهم وبين ذلك كلّه لولا العناية الربّانية .

وإنَّ من فحول هذه الزمرة المجاهدة مؤلِّف كتاب (الغدير) المحقِّق الفذّ العلّامة الأوحد الأميني دام تأييده وتسديده ، وقد سرحت النظر في أجزائه المتتابعة فوجدته كما ينبغي أن يصدر من مؤلِّفه المعظَّم ، وألفيته كتاباً لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه بتوفيق من عزيز عليم ، ولقد توفّق كلّ التوفيق في قوَّة حجَّته ، وشدَّة عارضته ، وروعة أُسلوبه ، وجمال محاورته ، وقد ضمَّ إلى حصافة الرأي جودة السرد ، وإلى بداعة المعاني قوَّة المباني ، وتفنّن في المواضيع المختلفة فوردها سديداً وصدر عنها قويماً .

فجديرٌ بالمسلم المثقَّف الذي يرتاد الحقيقة ويتطلّب الأمر الواقع أن يقرأه ويستنير بضوئه ، وحقيقٌ بمؤلِّفه الموفَّق أن يشكر الله تعالىٰ على توفيقه وعنايته ورعايته ، وجزاه الله على عظيم خدمته خير جزاء المحسنين ، والسَّلام عليه ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم



- ٣ -

كتــاب

أتــانـا من بحــاثـة المسيحيين ، القــاضي الحـرّ ، والشـاعـر النبيـل ، الأستــاذ بـولس سـلامة البيـروتي صاحب الملحمـة العـربيـة الغراء الخالد الذكر . فشكراً له ثمّ شكراً .

حضرة صاحب الفضيلة العلاّمة الشيخ عبد الحسين الأميني نفعنا الله بعلمه . آمين .

كـان عليَّ أن أكتب إلى فضيلتكم شـاكـراً يـوم تسلّمت الجــزء السّـادس من (الغدير) وقد شرّفتموني بإدراج رسالتي في المقدّمة .

وقـد اطّلعت على هـذا السفر النفيس فحسبت أنَّ لآلىء البحـار جميعاً قـد اجتمعت في غـديـركم هـذا . أجل : يـا صـاحب الفضيلة ! إنَّ هـذا العمـل العـظيم الـذي تقومون به منفردين لَعِبءٌ تنوء به الجماعة من العلماء ، فكيف استطعتم النهـوض به وحدكم ؟ .

لا ريب أنَّ تلك الروح القدسيَّة روح الإمام العظيم عليه وعلى أحفاده الأطهار أشرف السَّلام هي التي ذلّلت المصـاعب ، وفتحت بصيـرتكم النيِّـرة على كنـوز المعـرفة ، تغتـرفون منهـا وتنثرون ، فيبقى ذخـراً للمؤرِّخين ، ومـرجعـاً للعلمـاء ، ومنهلاً للشعراء ، يسقون منه غراس الأدب كلما لفحها الهجير .

ولقد لفت نظري على الأخصّ ما ذكرتموه بشأن الخليفة الثاني فللّه درُّكم ، ما أقوى حجّتكم ، وأسطع برهانكم ، فلو حاول بعد هذا مكابرٌ أن يردَّ تلك الحجج المكينة لكان مَثلُه مَثَل الوعل الذي ناطح الصخرة .

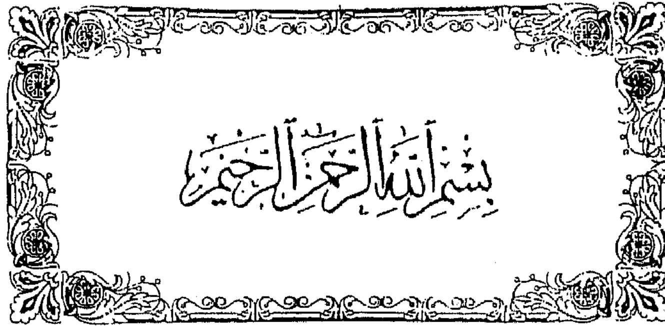
حفظكم الله يا صاحب الفضيلة ! منارةً تبعث أضواءها من النجف الأشرف فتنير البلاد العربيَّة ، وإنِّي أسأل الله سبحانه أن يطيل حياتكم الثمينة بشفاعة مولانا أمير المؤمنين المرفوع اللواء في الدارين المخلّد الذكر إلى الأبد .

بيروت ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ . المخلص

بولس سلامة

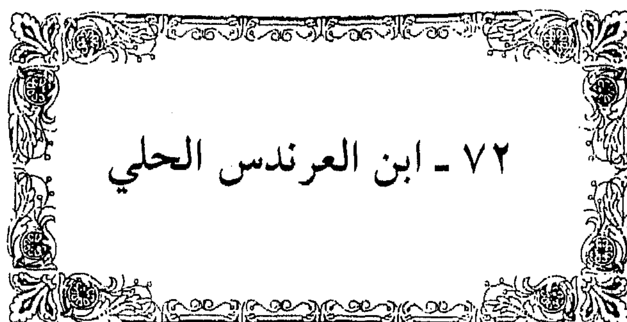
الجزء السابع
شعراء الغدير
في القرن التاسع
وهم ثلاثة حليون

وفي هذا الجزء من الدروس
العلمية الدينية التاريخية ما تدعم به
الحقائق ، ويحق للباحث
أن يكون به أعنى



سُبحانكَ أنتَ وَليُّنا مِنْ دونِهِمْ ، وَاجعَلْ لَنا مِنْ لَدُنكَ وَلِيّاً واجعَلْ لنَا مِنْ لَدُنكَ نصيراً ، يا أيّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحقُّ مِن رَبِّكم ، فَمَن اهتَدى فَإنَّما يهتَدي لِنَفسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَليها ، وَمَا أنا عَليكُمْ بوكيلٍ وَمَا عَلينا إلاَّ البلاغ ، قَد جاءكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مبينٌ ، لِيَهلكَ مَنْ هَلكَ عَنْ بَيِّنةٍ ، وَيحيى مَن حَيَّ عنْ بيِّنةٍ ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نفْسَهُ وَأنْ تَقولوا عَلى اللّهِ ما لا تَعْلمُون، هذا كتابٌ أنزلناهُ مُباركٌ فاتَّبعوهُ وَاتّقوا لعلّكُمْ تُرحمون ، وَلقدْ جِئناكُم بالحقِّ وَلكنَّ أكثرَكُمْ للحقِّ كارِهُون ، يَعرِفُون نعمةَ اللَّه ثُمَّ يُنكِرونَها تحُاجّونَ فِيما ليسَ لَكم بِه عِلمٌ ، إن تتَّبِعونَ إلاَّ الظنَّ وَإنْ أنتُمْ إلاَّ تخرصُون ، لا تَتَّبعوا أهواء قومٍ قَدْ ضَلّوا مِنْ قَبلُ وأضَلّوا كثيراً ، أطيعُوا اللّه وأطيعُوا الرَّسُول وأُولي الأمْر منكُم ، الَّذين يُنفقُونَ أَمْوالَهُم باللَّيْلِ وَالنَّهار سِرّاً وَعَلانيَةً ، وَيُطعِمونَ الطَّعامَ على حبِّه مِسكيناً وَيتيماً وأسيراً ، الَّذِينَ آمنوا وَعملوا الصّالِحاتِ أُولئكَ هُمْ خيرُ البريَّة .

الأميني



٧٢ ـ ابن العرندس الحلي

أضحى يميس كغصن بانٍ في حُلى ... قمرٌ إذا ما مرَّ في قلبي حلا
سلب العقول بناظرٍ في فترةٍ ... فيها حرام السحر بان محلّلا
وانحلَّ شدُّ عزائمي لمَّا غدا ... عن خصره بند القباء محلّلا
وزهى بها كافور سالف خدِّه ... لمّا بريحان العذار تسلسلا
وتسلسلت عشاً سلاسل صدغه ... فلذاك بتُّ مقيّداً ومسلسلا
قمرٌ قويم قوامه كقناته ... ولحاظه في القتل تحكي المنصلا
وجناته جوريَّةٌ وعيونه ... حوريَّةٌ تسبي الغزال الأكحلا
أهوى فواترها المراض إذا رنت ... وأحبّ جفنيها المراض الغزَّلا
جارت وما صفحت على عشّاقه ... فتكاً وعامل قدِّه ما أعدلا
ملكت محاسنه ملوكاً طالما ... أضحى لها الملك العزيز مذلّلا
كسرى بعينيه الصحاح وخدّه ... النعمان بالخال النجاشي خوّلا
كتب العليُّ على صحائف خدّه ... نوني قسيِّ الحاجبين ومَثّلا
فرمى بها في عين غنج عيونه ... سهم السهام أصاب منّي المقتلا
فاعجب لعين عبير عنبر خاله ... في جيم جمرة خدِّه لن تشعلا
وسَلا الفؤاد بحرِّ نيران الجوى ... منّي فذاب وعن هواهُ ما سلا
فمتى بشير الوصل يأتي منجحاً ... وأبيت مسروراً سعيداً مُقبلا

ولقد بـرى منّي السقـام وبثّ في | لجـج الغرام معـالجاً كـرب البلا
وجـرت سحـائب عبـرتي في وجنتي | كـدم الحسين عـلى أراضي كـربلا
الصـائم القـوّام والمتصـدّق الطـ | ـعّـامُ أفرس مَن على فـرسٍ عـلا
رجُـلٌ بصيـوان الغمـامة جـدّه الـ | ـمختـار في حـرّ الهجيـر تـظلّلا
وأبـوه حـيـدرة الـذي بـعـلومـه | وبـفضـلـه شـرح الكتـاب تفصّـلا
والأمُّ فـاطـمـة الـمـطهّـرة الـتي | بـالمجـد تـاج فخـارهـا قـد كلّلا
نـسبٌ كـمنبلج الـصبـاح يـزينـه | حسبٌ شبيـه الشمس زاهي المجتـلى
السيّـد السند السعيـد الساجد السّـ | ـبط الشهيـد المستضـام المبتـلى
قـمـرٌ بكت عيـن السمـاء لأجله | أسفـاً وقلب الـدهـر بـات مقلقـلا
تـالـلّه لا أنـسـاه فـرداً ظـامـيـاً | والـمـاء ينـهـل منـه ذيبـان الفـلا
والسيّـد العبّـاس قـد سلب العـدى | عـنـه الـلبـاس وصيّـروه مـجـدّلا
والـطفـل شمس حياتـه قـد أصبحت | بـالخسف في طفلٍ وجـلّ مؤثـلا[١]
وبنـو أُميّـة في جسـوم صحـابـه | قـد حـطّمـوا السمـر اللدان الـذبّـلا
شـربـوا بكاسـات القنا خمـر الفنـا | مـزج البـلاء بـه فـأمسـوا في البـلا
وتقـاطعت أرحـامهـم وجسـومهـم | كـرمـاً وأوصلت الـرؤوس الأرجـلا
وتـوارثـوا من بعـد سلب نفـوسـهم | دار المقـامـة في القيـامـة مـوئـلا
والـسبط شـاكٍ مـا لـه من نـاصـرٍ | شـاكٍ إلـى ربّ الـسّمٰـوات الـعلى
ظـامٍ إلـى مـاء الفـرات فـإن يـرم | نهـلاً يـرى البيض الصـوارم منهـلا
والقـوم محـدقـةٌ عليـه بجـحفـلٍ | كـالـبحـر آخـره يـحـاكـي الأوّلا
متـلاطمٌ سـغبت[٢] بـه أسيـافـهم | فغـدا الهـم لحـم الفـوارس مـأكـلا
ومن العجـائب أنّـه يشكـو الـظمـا | وأبـوه يسقي في الـمعـاد الـسلسـلا
حـامـت عليـه لـلحمـام كـواسـرٌ | ظمئت فـأشربت الحمـام دم الـطلا[٣]

---

(١) الطفل من طفلت الشمس : دنت للغروب . المؤثل : الدائم .
(٢) السغوب والسغب : الجوع .
(٣) الكواسر جمع الكاسرة مؤنث الكاسر : العقاب . الطلا : ولد الظبي ساعة يولد . الصغير من كل شيء .

أمست بـه سمـر الـرّمـاح وزرقهـا حمـراً وشهب الخيـل دهمـاً جفّـلا (١)
هـاتيك بـالـدم قـد صُبغن وهـذه صُبغـت بنقـع صبغـةً لن تـنصـلا
عقـدت سنـابك صـافنـات خيـولـه من فـوق هامـات الفـوارس قسـطلا (٢)
ودجـت عـجـاجـتـه ومـدَّ سـواده حتّى أعـاد الـصبـح ليـلاً أليـلا
وكـأنّمـا لمـع الـصـوارم تـحتـه بـرقٌ تـألّق في غـمـامٍ فـانجلى
جيشٌ مـلا فـوه الـفـلا وأتـى فـلا أمست سنـابـك خيـله تفـلي الفـلا
أبنـاءُ من جحـد الـوصيَّ وكـذّب الـ ـهـادي النبيَّ وكـان حقّـاً مـرسـلا
بـذلـوا النفـوس وبـدّلـوا من جهلهم مـا لـيس في الإسـلام كـان مبـدّلا
فـمـحـلّلٌ قـد صيّـروه مـحـرَّمـاً ومـحـرَّمٌ قـد غـادروه مـحـلّلا
وتعمّـدوا قـتـل الـوصيِّ وحـرّفـوا مـا كـان أحمـد في الكتـاب لـه تـلا
وأتـوا إلى قتـل الـحسين وأجّـجـوا نـاراً لهيبُ ضـرامهـا لـن يُصـطلى
فسـطا عليـهم بـالـنـزال بعـزمـة تـذرُ الـحسـام الـمشـرفيَّ مفـلّلا
مـن فـوقِ طـرفٍ أعـوجيّ سـابـح كـالبـرق يسبق في سُـراه الشمـألا (٣)
فـرسٌ حـوافـره بغيـر جمـاجم الـ ـفـرسـان في يـوم الـوغى لن تنعـلا
أضـحى بـمبيضِ الصبـاح مجـلّلا وغـدا بـمسـودِّ الـظلام مسـربـلا
وبـكـفّـه سـيـفٌ جـرازٌ بـاتـرٌ عضبٌ يضمّ الغمـد منـه جـدولا (٤)
فقـر الجمـاجم والـطلا بغـراره (٥) مـن كـلّ كفّـار وأبـرى الـمفـصـلا
فـكـأنّـه وجـواده وحـسـامـه (٦) يـا صـاحـبيَّ لـمـن أراد تـأمّـلا

(١) الشهب والشهباء : بياض يتخلله سواد . الدهمة : السواد . الجفل من جفل الشعر : شعث وثار .
(٢) السنبك : طرف الحافر . ج السنابك . الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة . القسطل : المنية . الغبار الساطع في الحرب .
(٣) الطرف من الخيل : الكريم الطرفين . السابح من سبح في الماء : عام وانبسط فيه ويستعار لمر النجوم وجري الفرس . الشمأل : ريح الشمال .
(٤) الجراز بضم المعجمة : السيف القطاع . الباتر : السيف القاطع ج بواتر . العضب : السيف القاطع .
(٥) الفقر : الحز . الطلا بضم المهملة وكسرها : قشرة الدم . الغرار : حد السيف .
(٦) سبقه إلى مثل هذه البداعة شيخنا علاء الدين الشفهيني بما هو أوسع وأبلغ راجع ج ٦ =

شمسٌ على الفلك المدار بكفّه | قمرٌ منازله الجماجم والطلا
والخيل محدقةٌ بجيم جماله | وقلوبهم في الغلي تحكي المرجلا(١)
والسبط يخترق المواكب حاملاً | بعزيمةٍ تردي الخميس الجحفلا
فبسين سمر الخطّ يطعن أنجلاً | وبباء بيض الهند يضرب أهدلا(٢)
فتخال طاء الطعن أنّى أعجمت | نقطاً وضاد الضرب كيف تشكّلا
حتّى إذا ما السبط آن مماته | وعليه سلطان الحمام توكّلا
داروا به النفر الطغاة بنو الزنا | ت العاهرات وطبّقوا رحب الفلا
ورماه بعض المارقين بعيطلٍ | سهماً فخرّ على الصعيد مجدّلا
وأتى بغيٌّ بني ضباب صائلاً | بالقسّ تغميض القطامي الأجدلا
وجثا على صدر الحسين وقلبه | حقداً وعدواناً عليه قد امتلا
فبرى بسيف البغي رأساً طالما | لثم النبيُّ ثنيّتيه وقبّلا
واسودّ قرص الشمس ساعة قتله | أسفاً وشهب الفلك أمست أفّلا
ونعاه جبريلٌ وميكالٌ وإسرا | فيلُ والعرش المجيد تزلزلا
والطير في الأغصان ناح مغرّدا | والوحش في القيعان ناح وأعولا
وأتى الجواد ولا جواد فوقه | متوجّعاً متفجّعاً متوجّلا
عالي الصهيل بمقلةٍ إنسانها | باكٍ يسحّ الدمع نقطاً مهملا
فسمعن نسوان الحسين صهيله | فبرزن من خلل المضارب نكّلا
ينثون من جَون العيون مدامعاً | حمراً على بيض السوالف هُطّلا(٣)
حتى إذا قُتل الحسين وأصبحت | من بعده غرّ المدارس عُطّلا
ومنازل التنزيل حلَّ بها العزا | ومن الجليس أنيس مربعها خلا

= ص ٤٢٣

(١) المرجل : القدر .

(٢) الأنجل من نجل الرجل نجلاً : وسعت عينه وحسنت . الأهدل : المسترخي المشفر أو الشفة .

(٣) ينثون من نثى نثوا : فرق ونشر . الجون : الأبيض . الأسود . السوالف جمع السالفة صفحة العنق ، وسالفة الفرس : ما تقدم من عنقه . هطل المطر : نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر فهو هاطل والجمع هُطّل .

بغت البغاة جهالةً سبي النسا ... وبغت وحقٌّ لمن بغى أن يجهلا
نصبوا بمرفوع القناة كريمةً[١] ... جهراً وجرّوا للمعاصي أذيلا
وسروا بنسوته السراة بلا ملاً ... حسرى يلاحظهنّ ألحاظ الملا
وغدوا بزين العابدين الساجد الـ ... ـحَبْر الأمين مقيّدا ومغلّلا
وسكينة أمست وساكن قلبها ... متحرّكٌ فيه الأسى لن يرحلا
وبدال دمع العين منها غرّقت ... صاد الصعيد وأنبتت كاف الكلا
وديارهنّ الآنسات بلاقعٌ ... أقوت[٢] وكنّ بها الأحبّة نزّلا
والصبر عنّي ظاعن مترحّلٌ ... لمّا شددن على المطيّ الأرحلا
ومدامعي فوق الخدود نوازلٌ ... لمّا زمن جمالهنّ البزّلا[٣]
تسري بهنّ إلى الشآم عصابةٌ ... أمويّةٌ تبغي العطاء الأجزلا
تُرضي يزيد لكي يزيد لها العطا ... جهلاً ويتحفها السؤال معجّلا
فلألعننّ بني أُميّة ما حدا الـ ... حادي وما سرت الركائب قفّلا
ولألعننّ زيادها ويزيدها ... ويزيدُها ربّي عذاباً منزلا
تبّاً لهم فعلوا بآل محمّد ... ما ليس تفعله الجبابرة الأولى
ولأبكينّ على الحسين بمدمعٍ ... قانٍ أبلّ به الصعيد الممحلا
يا طفّ طاف على ثراك من الحيا ... هامٍ تسير به السحائب جفّلا[٤]
ذو هيدبٍ متراكبٍ مُتلاحمٍ[٥] ... عالي البروق يسحّ دمعاً مُسبلا
يشفيك إذ يسقيك منه بوابلٍ ... عذب له أرجٌ يُحاكي المندلا[٦]
ثمّ السّلام من السّلام على الذي ... نُصبت له في (خمّ) رايات الولا

---

(١) الكريمة : كل جارحة شريفة .
(٢)أقوت الدار : خلت من ساكنيها .
(٣) زمم الجمال : خطمها . بزل البعير : انشق نابه . فهو بازل ج بوازل وبزل .
(٤) الحيا : المطر . هام فاعل من همى يهمي همياً أي سال لا يثنيه شيء . جفل ؛ أي أسرع . والجفيل : الكثير .
(٥) الهيدب من السحاب : المتدلي الذي يدنو من الأرض . المتلاحم : المتلاصق والمتلائم .
(٦) الوابل : المطر الشديد . الأرج : الرائحة الطيبة : المندل بفتح الميم . العود الطيب الرائحة .

تـالي كـتـاب الـلّه أكـرم مـن تـلا وأجـلُّ من للمصطفى الهـادي تـلا
زوج البتول أخ الرسول مطلّق الدُّ نـيـا وقـاليها بنيـران الـقـلا
رجـلٌ تسربـل بـالعفـاف وحبّـذا رجـلٌ بـأثـواب العفـاف تسـربـلا
تـلقـاه يـوم السلم غيثـاً مُسبـلاً وتـراه يـوم الحـرب ليثـاً مُشبـلا
ذو الـراحـة اليمنى التي حسنـاتـهـا مـدّت على كيوان بـاعـاً أطـولا[١]
والمعـجـزات البـاهـرات الـنّيـرا ت المشرقـات المعذرات لمن غـلا
منهـا رجـوع الشمس بعـد غـروبهـا[٢] نـبـأ تصيـر لـه البصـائـر ذُهّـلا
ولـسيـره فـوق الـبسـاط فـضيـلةٌ[٣] أوصـافهـا تُعيي الفصيح المقـولا
وخـطاب أهـل الكهف منقبـةٌ غـلت وعلت فجـاوزت الـسمـاك الأعـزلا
وصعـود غـارب أحمـدٍ فضـل لـه دون القـرابـة والصحـابـة أفضـلا
هـذا الـذي حـاز العلوم بـأسـرهـا مـا كـان منهـا مُجمـلاً ومفصّـلا
هـذا الـذي بـصَـلاتـه وصِـلاتـه لـلديـن والـدنـيـا أتـمّ وأكـمـلا
هـذا الـذي بـحسـامـه وقـنـاتـه في خيـبـر صعـب الفتـوح تسـهّـلا
وأبـاد مـرحب في النـزال بضـربـة ألقت على الكفّـار عبئـاً مُـثقـلا
وكتـائب الأحـزاب صيّـر عَمـروهـا بـدمـائـه فـوق الـرمـال مُـرمَّـلا
وتبـوك نـازل شـوسهـا فـأبـادهم ضـربـاً بـصـارم عـزمـه لن يُـفـللا
وبـه تـوسّـل آدم لـمّـا عـصـى حتـى اجـتبـاه ربُّـنـا وتـقـبّـلا
وبـه دعـا نـوحٌ فـسـارت فـلكـه والأرض بـالـطـو فـان مفعـمـةٌ مـلا
وبـه الخليـل دعـا فـأضحت نـاره بـرداً وقـد أذكت حـريقـاً مُـشعـلا
وبـه دعـا مـوسى تلقّـفت الـعصـا حيّـات سحـرٍ كُـنَّ قِـدمـاً أحبـلا
وبه دعـا عيسى المسيـح فـأنطق الـ ميت الـدفين بـه وقـام من البـلا

---

(١) كيوان: زحل تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد. الباع: قدر مد اليدين.

(٢) مر حديث رد الشمس في الجزء الثالث ص ١٦٥ - ١٨٢ ط ٢.

(٣) أخرجها الثعلبي والفقيه المغازلي والقزويني عن ابن عباس وأنس بن مالك وستأتي بلفظها في محلها إن شاء الله تعالى.

وبخمّ واخاه النبيُّ محمَّدٌ حقاً وذلك في الكتاب تنزّلا
عذل النواصب في هواه وعنّفوا فعصيتهم وأطعت فيه مَن غلا
ومدحته رغماً على آنافهم مدحاً به ربِّي صدا قلبي جلا
وتراب نعل أبي ترابٍ كلّما مسَّ القذا عيني يكون لها جلا
فعليه أضعاف التحيَّة ما سرى سارٍ وما سحَّ السحاب وأهملا
سمعاً أمير المؤمنين قصائداً تزداد ما مرَّ الزمان تجمّلا
عربيَّة نشأت بحلّة بابلٍ فغدت تُخجّل بالفصاحة جرولا
سادت فشادت للعرندس صالح مجداً على هام النجوم مؤثّلا
وسمت قلوب حواسدي وسمت على [نمَّ العذار بعارضيه وسلسلا](١)
وعلت بمدحك يا عليُّ ووازنت [لم أبك ربعاً للأحبّة قد خلا](٢)

مايتبع الشعر :

ذكر شاعرنا ابن العرندس في قصيدته هذه جملة من مناقب مولانا أمير المؤمنين وقد مرَّ تفصيل بعضها ، وستوافيك كلمتنا الضافية في بعضها الآخر ، ونقتصر في المقام على ما أشار إليه بقوله :

وصعود غارب أحمد فضلٌ له دون القرابة والصَّحابة أفضلا

عن عليّ رضي الله عنه قال : انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال : إجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثمَّ صعد رسول الله ﷺ على منكبي ثمَّ قال : انهض بي إلى الصنم فنهضت به فلمّا رأى ضعفي تحته قال : إجلس فجلست وأنزلته عني وجلس لي رسول الله ﷺ ثمَّ قال لي : يا عليّ : إصعد على منكبي . فصعدت على منكبيه ثمَّ نهض بي رسول الله ﷺ فلمّا نهض بي خيل لي أنِّي لو شئت نلت أُفق السَّماء وصعدت على الكعبة وتنحّى رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول

---

(١) مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي المذكورة في الجزء السادس ص ٤٤٣

(٢) هي قصيدة جمال الدين الخليعي المترجم في الجزء السادس ص ٢٩ ـ ٣٦ والقصيدة في الإمام السبط الشهيد تقدر بـ ٧٥ بيتاً كما مرّ في ج ٦ ص ٣٥ .

الله ﷺ : عالجه فعالجته فما زلت أُعالجه ورسول الله ﷺ يقول : إيه إيه إيه . فلم أزل أُعالجه حتّى استمكنت منه . فقال : دقّه فدققته وكسرته ونزلت .

وفي لفظ : قال رسول الله ﷺ : إقذف به . فقذفت به فتكسّر كما تنكسر القوارير ثمّ نزلت . وفي لفظ : ونزوت من فوق الكعبة .

وعن جابر بن عبد الله قال : دخلنا مع النبيّ ﷺ مكّة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستّون صنماً فأمر بها رسول الله ﷺ فألقيت كلّها لوجوهها وكان على البيت صنمٌ طويلٌ يُقال له : هبل . فنظر النبيُّ ﷺ إلى عليّ وقال له : يا عليّ ! تركب عليَّ أو أركب عليك لأُلقي هبل عن ظهر الكعبة ؟ قلت : يا رسول الله ! بل تركبني : فلمّا جلس على ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة قلت : يا رسول الله ! بل أُركبك . فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي ، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى : **﴿وقل جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾**[1] .

وعن ابن عبّاس قال : قال النبيُّ ﷺ لعليّ : قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسّره فقاما جميعاً فلمّا أتياه قال له النبيُّ ﷺ : قم على عاتقي حتّى أرفعك عليه فأعطاه عليٌّ ثوبه فوضعه رسول الله ﷺ على عاتقه ثمّ رفعه حتّى وضعه على البيت فأخذ عليٌّ الصنم وهو من نحاس ، فرمى به من فوق الكعبة كأنّما كان له جناحان .

هذه الأثارة أخرجتها أُمّةٌ من الحفّاظ وأئمّة الحديث والتاريخ ، وأخذها منهم رجال التأليف في القرون المتأخّرة وذكروها في كتبهم مرسلين إيّاها إرسال المسلّم من دون أيّ غمز في سندها . وإليك جملةٌ منهم :

١ ـ اسباط بن محمّد القرشي المتوفّى سنة ٢٠٠ روى عنه أحمد في المسند .

٢ ـ الحافظ أبو بكر الصغاني المتوفّى سنة ٢١١ حكاه عنه السيوطي .

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٨١ .

٣ ـ الحافظ ابن أبي شيبة المتوفّى سنة ٢٣٥ حكاه عنه الزرقاني والسيوطي .

٤ ـ إمام الحنابلة أحمد المتوفّى سنة ٢٤١ في مسنده ج ١ ص ٨٤ بإسناد صحيح رجاله كلُّهم ثقات .

٥ ـ أبو علي أحمد المازني المتوفّى سنة ٢٦٣ روى عنه النسائي .

٦ ـ الحافظ أبو بكر البزّار المتوفّى سنة ٢٩٢ كما في الينابيع .

٧ ـ الحافظ ابن شعيب النسائي المتوفّى سنة ٣٠٣ في الخصائص ص ٣١ .

٨ ـ الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ في مسنده .

٩ ـ الحافظ أبو جعفر الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ كما في جمع الجوامع .

١٠ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ كما في تاريخ الخميس .

١١ ـ الحافظ الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ في المستدرك ج ٢ ص ٣٦٧ وصحّحه .

١٢ ـ الحافظ أبو بكر الشيرازي المتوفى سنة ٤٠٧/١٠ في نزول القرآن من طريق جابر .

١٣ ـ الحافظ أبو محمّد أحمد بن محمّد العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى .

١٤ ـ الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٣٤٠ روى عنه الخطيب إملاءً .

١٥ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ روى من طريقه الخوارزمي .

١٦ ـ الحافظ الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ في تاريخه ج ١٣ ص ٣٠٢ .

١٧ ـ الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي المتوفّى سنة ٤٨٣ في مناقبه من طريق أبي هريرة .

١٨ ـ الحافظ أبو عبدالله الفراوي المتوفّى سنة ٥٣٠ كما في كفاية الكنجي .

١٩ ـ أخطب خطباء خوارزم المتوفّى سنة ٥٦٨ في المناقب ص ٧٣ من طريق الحافظين : البيهقي والحاكم .

٢٠ ـ الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٩ .

٢١ ـ الحافظ رضي الدين أبو الخير الحاكمي في أربعينه في فضائل عليّ عليه السلام .

٢٢ ـ الحافظ أبو عبد الله ابن النجار المتوفّى سنة ٦٤٣ كما في الكفاية .

٢٣ ـ أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ في مطالب السؤول ص ١٢ .

٢٤ ـ أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي المتوفّى سنة ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧ .

٢٥ ـ الحافظ أبو عبد الله الكنجي المتوفّى سنة ٦٥٨ في الكفاية ص ١٢٨ . وقال : رواه الحاكم والبيهقي ، وهو حديثٌ حسنٌ ثابتٌ عند أهل النقل .

٢٦ ـ الحافظ الصالحاني كما في تاريخ الخميس .

٢٧ ـ الحافظ محب الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٠ نقلاً عن أحمد وابن الجوزي والحاكمي .

٢٨ ـ جمال الدين أبو عبد الله ابن النقيب المتوفّى سنة ٦٩٨ في تفسيره والعبر .

٢٩ ـ شيخ الإسلام الحموي المتوفّى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين .

٣٠ ـ الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ في تلخيص المستدرك وقال : إسناده نظيفٌ والمتن منكر . قال الأميني : لم يك يعرف أي حافظ هذه النكارة في تلكم القرون الخالية إلى أن جاد الدهر بالذهبي ،وكوى الحديث بعينه ، فكوّاه نار حقده ، غير أنَّ تلك النكارة الموهومة دفنت معه ولم يتّبع أثره فيها أيُّ محدِّث بعده .

٣١ ـ الحافظ الزرندي المتوفّى بضع سنة و ٧٥٠ في نظم درر السمطين .

٣٢ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج٦ ص ٤٠٧ عن ابن أبي شيبة ، وعبد الرزّاق ، وأحمد ، وابن جرير ، والخطيب ، والحاكم وقال : صححه . وذكره في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٦٤ .

٣٣ ـ الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٢٠٤ نقلاً عن ابن النقيب .

٣٤ ـ القاضي الديار بكري المالكي المتوفّى سنة ٨٢/٩٦٦ في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٥ نقلاً عن الطبراني والزرندي والصالحاني وابن النقيب المقدسي والمحبّ الطبري وصاحب شواهد النبوَّة فقال : ثمَّ إنَّ عليّاً أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدّباً وشفقةً على النبيِّ ﷺ ولمّا وقع على الأرض تبسّم فسأله النبيُّ ﷺ عن تبسّمه ؟ قال : لأنّي ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألمٌ . قال : كيف يصيبك ألمٌ وقد رفعك محمّد وأنزلك جبريل ؟ وقال الشاعر :

قيل لي : قل في عليّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً موصده
قلت : لا أُقدم في مدح امرىء ... ضلّ ذو اللبِّ إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا : ... ليلة المعراج لمّا صعده
وضع اللّه بظهري يده ... فأحسَّ القلب أن قد برده
وعليٌّ واضعٌ أقدامه ... في محلّ وضع الله يده

٣٥ ـ نور الدين الحلبي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٤ في السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٩٧ .

٣٦ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب ج ٢ ص ٣٣٦ عن ابن أبي شيبة والحاكم فقال : قد أجاد القائل :

يا ربِّ بالقدم التي أوطأتها ... من قاب قوسين المحلّ الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها ... كتف المؤيّد بالرسالة سلّما
ثبِّت على متن الصراط تكرُّماً ... قدمي وكن لي منقذاً ومسلّما
واجعلهما ذخري فمن كانا له ... ذخراً فليس يخاف قطّ جهنّما

٣٧ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان المكي المتوفّى سنة ١٢٣٢ في السِّيرة النبويَّة هامش الحلبيّة ج ٢ ص ٢٩٣ فقال : وقد أجاد القائل :

يا ربِّ بالقدم التي أوطأتها ... إلى آخر الأبيات المذكورة

٣٨ ـ شهاب الدين الآلوسي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في شرح العينيَّة ص ٧٥ وقد مرَّت كلمته في ج ٦ ص ٣٩ .

٣٩ ـ خواجه كلان القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في ينابيع المودَّة ص ١٩٣ عن البزّار وأبي يعلى الموصلي .

٤٠ ـ الشيخ أبو بكر بن محمَّد الحنفي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في قرَّة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٥ .

٤١ ـ السيِّد محمود القراغولي الحنفي في جوهرة الكلام ص ٥٥ ، ٥٩ .

الشاعر

الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس ، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلِّفي علمائها في الفقه والأُصول ، وله مدائح ومراثي لأئمة أهل البيت عليهم‌السلام تنمُّ عن تفانيه في ولائهم ومناوءته لأعدائهم ، ذكر شطراً منها شيخنا الطريحي في «المنتخب» وجملة منها مبثوثة في المجاميع والموسوعات ، وعقد له العلاّمة السماوي في «الطليعة» ترجمة اطراه فيها بالعلم والفضل والتقى والنسك والمشاركة في العلوم . وأشفع ذلك الخطيب الفاضل اليعقوبي في «البابليات» ، وأثنى عليه ثناءً جميلاً ، وذكر في «الطليعة» أنّه توفّي حدود سنة ٨٤٠

بالحلّة الفيحاء ودفن فيها وله قبرٌ يُزار ويتبرَّك به .

كان ابن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على نمط الشيخ علاء الدين الشفهيني المترجم في الجزء السادس ص ٤١٦ وتعلوه القوَّة والمتانة ، ويُعرب عن تضلّعه في العربيَّة واللغة ، ولولا تهالكه على ما تجده في شعره من الجناس الكثير لكان ما ينظمه أبلغ وأبرع ممّا هو الآن .

ومن شعر شيخنا الصّالح رائيةٌ اشتهر بين الأصحاب ، أنَّها لم تقرأ في مجلس إلاَّ وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالىٰ فرجه ، توجد برمَّتها في منتخب شيخنا الطريحي ج ٢ ص ٧٥ وهي :

طوايا نظامي في الزّمان لها نشرُ ... يعطِّرها من طيب ذكراكمُ نشر
قصائدُ ما خابت لهنَّ مقاصدٌ ... بواطنها حمدٌ ظواهرها شكر
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً ... فأخلاقها زُهرٌ وأنوارها زَهر
عرائس تجلى حين تُجلى قلوبنا ... أكاليلها درٌّ وتيجانها تبر
حسان لها حسّان بالفضل شاهد ... على وجهها تبرٌ يُزان بها التِّبر
أُنظِّمها نظم اللآلي وأسهر الليالي ليحيى لي بها وبكم ذكر
فيا ساكني أرض الطفوف عليكمُ ... سلامُ مُحبّ ما له عنكمُ صبر
نشرتُ دواوين الثنا بعد طيِّها ... وفي كلِّ طرس من مديحي لكم سطر
فطابق شعري فيكمُ دمع ناظري ... فمبيضٌ ذا نظمٌ ومحمرٌّ ذا نثر
فلا تتهموني بالسّلوّ فإنّما ... مواعيد سلواني وحقّكمُ الحشر
فذلّي بكم عزٌّ وفقري بكم غنى ... وعسري بكم يسر وكسري بكم جبر
ترقّ بروق السّحب لي من دياركم ... فينهلٌ من دمعي لبارقها القطر
فعيناي كالخنساء[1] تجري دموعها ... وقلبي شديدٌ في محبّتكم صخر
وقفت على الدّار التي كنتمُ بها ... فمغناكمُ من بَعد معناكمُ قَفْرُ
وقد دُرست منها الدُّروس وطالما ... بها درس العلم الإلٰهيّ والذّكر

---

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة صحابية شهيرة لها شعر كثير في رثاء أخيها لأبيها صخر وقد قتله بنو أسد .

وسالت عليها من دموعي سحائبٌ ... إلى أن تروّى البان بالدمع والسّدر
فَراق فِراق الرّوح لي بَعد بُعدكم ... ودار برسم الدّار في خاطري الفكر
وقد أقلعت عنها السحابُ ولم يُجد ... ولا درَّ من بعد الحسين لها در
إمام الهدى سبط النبوَّة والد الأئمّـ ... ـة ربّ النّهى مولىً له الأمر
إمامٌ أبوه المرتضى علم الهدى ... وصيُّ رسول الله والصّنو والصهر
إمامٌ بكته الإنس والجنُّ والسما ... ووحش الفلا والطير والبرُّ والبحر
له القبَّة البيضاء بالطفِّ لم تزل[1] ... تطوف بها طوعاً ملائكةٌ غر
وفيه رسول اللّه قال وقوله ... صحيحٌ صريحٌ ليس في ذلكم نكر
: حُبي بثلاث ما أحاط بمثلها ... وليٌّ فمن زيدٌ هناك ومَن عمرو ؟
له تربةٌ فيها الشفاء وقبَّةٌ ... يجاب بها الداعي إذا مسَّه الضر
وذُريَّةٌ دريَّةٌ منه تسعة ... أئمَّة حقّ لا ثمان ولا عشر
أيقتل ظمآناً حسينٌ بكربلا ... وفي كلّ عضوٍ من أنامله بحر ؟
ووالده السّاقي على الحوض في غد ... وفاطمةٌ ماء الفرات لها مهر
فوالهف نفسي للحسين وما جنى ... عليه غَداة الطفِّ في حربه الشمر
رماه بجيش كالظلام قسيّه الـ ... أهلة والخرصان أنجمه الزّهر
لراياتهم نصبٌ وأسيافهم جزمٌ ... وللنَّقع رفعٌ والرِّماح لها جر
تجمَّع فيها من طغاة أُميَّة ... عصابة غدر لا يقوم لها عذر
وأرسلها الطاغي يزيد ليملك الـ ... ـعراق وما أغنته شامٌ ولا مصر
وشدَّ لهم أزراً سليل زيادها ... فحلَّ به من شدِّ أزرهم الوزر
وأمَّر فيهم نجل سعد لنحسه ... فما طال في الريِّ اللعين له عُمر
فلمَّا التقى الجمعان في أرض كربلا ... تباعد فعل الخير واقترب الشر
فحاطوا به في عشر شهر محرَّم ... وبيض المواضي في الأكفِّ لها شَمر
فقام الفتى لمّا تشاجرت القنا ... وصال وقد أودى بمهجته الحَر
وجال بطرف في المجال كأنَّه ... دجى اللّيل في لألآء غرَّته الفجر

(١) تلك القبة المقدسة كانت بيضاء في تلكم القرون وأما اليوم فقد تغشتها صفائح النضار ، فهي صفراء لونها تسرّ الناظرين كما أن باطنها سرح ممرد من قوارير .

لــه أربــعٌ لــلرّيــح فيــهــنَّ أربــعٌ ... لقد زانه كرٌّ وما شانه الفر

ففــرَّق جمــع القــوم حتّى كــأنَّهـم ... طيــور بُغــاث[١] شتَّ شملهم الصقــرُ

فـأذكرهم ليـل الهرير فـأجمع الكـلا ... ب على اللّيث الهــزبـرِ وقــد هــرّوا[٢]

هنــاك فـدتــه الصّـالحــون بــأنفس ... يُضـاعف في يوم الحسـاب لهـا الأجـر

وحــادوا عن الكفّـار طــوعــاً لنصــره ... وجاد له بـالنفس من سَعـده الحُــر[٣]

ومــدّوا إلـيــه ذُبَّــلاً سـمـهــريَّــة[٤] ... لــطول حياة السبط في مــدِّهــا جــزر

فـغــادره في مــارق الـحــرب مــارقٌ ... بسهم لنحــر السبط من وقعــه نحــر

فمالَ عن الطِرف الجواد أخو الندى الـ ... جـواد قتيلاً حـولـه يصهـل المهـر[٥]

سَنــان سنـانٍ خــارقٌ منه في الحشــا ... وصــارم شمــرٍ في الــوريــد لـه شَمــر[٦]

تجــرّ عليــه العــاصفــات ذيــولهــا ... ومن نسج أيدي الصـافنات لـه طمر[٧]

فــرجَّت لـه السبــع الـطبــاق وزلـزلت ... رواسي جبـال الأرض والتـطم البحــر

فيــا لــك مقتــولاً بكتــه السمــاء دمــاً ... فمغبــرٌّ وجـه الأرض بــالــدّم محمــر

مــلابسه في الحــرب حمرٌ من الـدما ... وهنَّ غداة الحشر من سندس خضر

ولهفي لــزين العــابــدين وقــد ســرى ... أسيــراً عــليــلاً لا يــفــكُّ لــه أســر

وآل رســول الـلّه تسبى نســائـهــم ... ومن حــولهنَّ الستــر يهتــك والخــدر

سبــايــا بــأكــوار المــطايــا حــواسراً ... يــلاحـظهنَّ العبــد في النــاس والحــر

(١(البغاث بتثليث الباء : طائر أبغث أصغر من الرخم بطيء الطيران ج بغثان .

(٢) ليلة الهرير من ليـالي صفين قتل فيهـا ما يقـرب من سبعين ألف قتيل ولمـولانا أميـر المؤمنين ولاصحابه في تلك الليلة موقف شجاعة يذكر مع الأبد . الهرير كـأمير . هـرير الكلب صـوته دون نباحه من قلة صبره على البرد .

(٣) الحر بن يزيد الرياحي التميمي اليربوعي كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية وإسلاماً كما قاله ابن الأثير .

(٤) الـذبّل بضم المعجمـة ثم الموحـدة المفتوحـة جمع الـذابل : الـرقيق . السمهري : الـرمح الصلب .

(٥) الطرف كما مر من الخيل : الكريم الطرفين : الأب والأم . المهر : ولد الفرس .

(٦) الشمر بفتح المعجمة من شمر تشميراً : مر مسرعاً . وأشمره بالسيف : أدرجه .

(٧) العاصفات : الأرياح الشديدة . الصافنات :«راجع ص ١٩ » الطمر : الثوب البالي .

ورملة[١] في ظلّ القصور مصونة — يُناط على أقراطها الدرُّ والتبر
فويلُ يزيدٍ من عذاب جهنّم — إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطُّهر
ملابسها ثوبٌ من السمّ أسودٌ — وآخرُ قانٍ من دم السبط محمر
تنادي وأبصار الأنام شواخصٌ — وفي كلِّ قلبٍ من مهابتها ذُعر[٢]
وتشكو إلى اللّه العليِّ وصوتها — عليٌّ ومولانا عليٌّ لها ظهر
فلا ينطق الطاغي يزيد بما جنى — وأنّى له عذرٌ ومن شأنه الغدر ؟
فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم النّعـ — ـيم ويُخلى في الجحيم له قصر
ويشدو له الشادي فيطربه الغنا — ويسكب في الكأس النّضار له خمر
فذاك الغنا في البعث تصحيفه العَنا — وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
أيُقرع جهلاً ثغر سبط محمّد — وصاحب ذاك الثغر يُحمى به الثغر ؟
فليس لأخذ الثار إلّا خليفة — يكون لكسر الدين من عدله جبر
تحفُّ به الأملاك من كل جانب — ويقدمه الإقبال والعزُّ والنصر
عوامله في الدارعين شوارعٌ — وحاجبه عيسى وناظره الخضر
تظلّله حقّاً عمامة جدِّه — إذا ما ملوك الصيد ظلّلها الجبر
محيطٌ على علم النبوَّة صدره — فطوبى لعلم ضمَّه ذلك الصدر
هو ابن الإمام العسكري محمَّد التـ — ـقيُّ النقي الطّاهر العَلم الحَبر
سليل علي الهادي ونجل محمَّد الجـ — ـواد ومَن في ارض طوس له قبر
عليّ الرضا وهو ابن موسى الذي قضى — ففاح على بغداد من نشره عطر
وصادق وعدٍ انَّه نجل صادق — إمامٌ به في العلم يفتخر الفخر
وبهجة مولانا الإمام محمَّد — إمامٌ لعلم الأنبياء له بَقر
سلالة زين العابدين الذي بكى — فمن دمعه يُبس الأعاشيب مُخضر
سليل حسين الفاطميِّ وحيدر الـ — ـوصيِّ فمن طُهر نمى ذلك الطُّهر

---

(١) رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، شبب بها عبد الرّحمٰن بن حسّان بأبيات أولها :

رمل هل تذكرين يوم غزال — إذ قطعنا مسيرنا بالتمنّي

ولهذا التشبيب قصة توجد في معاجم التراجم .

(٢) الشواخص من شخص البصر ، أي : فتح عينيه فلم يطرف . الذعر : الفزع والخوف .

له الحسن المسموم عمَّ فحبَّذا الـ ... إمامُ الذي عمَّ الورى جوده الغَمْرُ
سميُّ رسول اللّه وارث علمه ... إمامٌ على آبائه نزل الذِّكر
هم النّور نور اللّه جلَّ جلاله ... همُ التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي اللّه خزّان علمه ... ميامين في أبياتهم نزل الذّكر
وأسماؤهم مكتوبةٌ فوق عرشه ... ومكنونة من قبل أن يُخلق الذر
ولولاهمُ لم يخلق اللّه آدماً ... ولا كان زيدٌ في الأنام ولا عمرو
ولا سطحت أرضٌ ولا رُفعت سما ... ولا طلعت شمسٌ ولا أشرق البدر
ونوحٌ به في الفلك لمّا دعا نجا ... وغيض به طوفانه وقضى الأمر
ولولاهمُ نار الخليل لما غدت ... سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمر
ولولاهمُ يعقوب ما زال حزنه ... ولا كان عن أيّوب ينكشف الضر
ولان لداوُد الحديد بسرِّهم ... فقدَّر في سردٍ يحير به الفكر
ولمّا سليمان البساط به سرى ... أُسيلت له عينٌ يفيض له القطر
وسخّرت الريح الرَّخاء بأمره ... فغدوتها شهرٌ وروحتها شهر
وهم سرُّ موسى والعصا عندما عصى ... أوامره فرعون والتقف السِّحر
ولولاهمُ ما كان عيسى بن مريم ... لعازر من طيِّ اللحود له نشر
سرى سرّهم في الكائنات وفضلهم ... وكلُّ نبيّ فيه من سرِّهم سر
علا بهمُ قدري وفخري بهم غلا ... ولولاهمُ ما كان في الناس لي ذكر
مصابكمُ يا آل طه ! مصيبةٌ ... ورزءٌ على الإسلام أحدثه الكفر
سأندبكم يا عدَّتي عند شدَّتي ... وأبكيكمُ حزناً إذا أقبل العَشر
وأبكيكمُ مادمتُ حيّاً فإن أمت ... ستبكيكمُ بعدي المراثي والشعر
عرائس فكر الصالح بن عرندس ... قبولكمُ يا آل طه لها مهر
وكيف يحيط الواصفون بمدحكم ... وفي مدح آيات الكتاب لكم ذكر ؟
ومولدكم بطحاء مكّة والصَّفا ... وزمزم والبيت المحرَّم والحجر
جعلتكمُ يوم المعاد وسيلتي ... فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخر
سيُبلي الجديدان الجديد وحبُّكم ... جديد بقلبي ليس يُخلقه الدَّهر
عليكم سلامُ اللّه ما لاح بارقٌ ... وحلّت عقود المزن وانتشر القطر

وله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

بـات العـذول على الحبيب مسهّـدا ۞ فـأقـام عـذري في الغـ
ورأى العـذار بسـالفيـه مُسلسـلا ۞ فـأقـام في سجـن الغـر
هـذا الـذي أمسى عـذولي عـاذري ۞ فـيـه وراقـد مقـلتيـه
ريـمٌ[1] رمى قـلبي بسهـم لحـاظـه ۞ عن قـوس حـاجبـه أصـاب
قمـرٌ هـلال الشمس فـوق جبينـه ۞ عـال تـغـار الـشـمس مـن
وقـوامـه كـالغصن رنّحـه الـصبـا ۞ فـيـه حمـام الـحي بـا
فـإذا أراد الـفـتـك كـان قـوامـه ۞ لـدنـاً وجـرَّدت الـلحـا
تـلقـاه منعـطفـاً قضيبـاً أميـداً ۞ وتـراه مـلتـفـتـاً غـزالاً
في طاء طـرَّتـه وجيـم جبـيـنـه ۞ ضـدّان شـأنهمـا الضَّـلالـ
لـيـلٌ وصبـحٌ أسـودٌ فـي أبيضٍ ۞ هـذا أضـلَّ الـعـاشقـين
لا تـحـسـبـوا داود قـدَّر سـرده ۞ فـي سيـن سـالفـه فبـا
لـكـنّـمـا يـاقـوت خـاء خـدوده ۞ نمَّ[3] العـذار بـه فصـار
يـا قاتـل العـشّـاق يـا مـن طـرفـه ۞ الـرشّاق يـرشـقـنـا سهـامـاً
قـسمـاً بـثـاء الـثـغـر منـك لأنّـه ۞ ثغـرٌ بـه جيم الجـمـان تـ
وبـراء ريـقٍ كـالـمـدام مـزاجـه ۞ شهـدٌ بـه تـروى القلوب مـ
إنّي لقـد أصبحت عبـدك في الهـوى ۞ وغـدوت في شـرح المحـ
فـاعـدل بعبـدك لا تجـر واسمـح ولا ۞ تـبخـل بـقـربٍ من وفـا
وابـدِ الـوفـا ودَعِ الجفـا وذَرِ العفـا ۞ فلقـد غـدوتُ أخـا غـر

(١) الريم : الظبي الخالص البياض .

(٢) منعطفاً : منثنياً . القضيب : السيف القطاع . القوس عملت من قضيب مشقوق . الاميد من ماد يميد ميداً : تحرك واضطرب . الأغيد من غيد يغ عنقه لانت أعطافه فهو أغيد وهي غيداء .

(٣) نمَّ نمّاً : زين .

(٤) الرشق : الرمي . الردى : الهلاك .

(٥) الثغر : مقدم الأسنان . الجمان : اللؤلؤ .

وفجعت قلبي بالتفرُّق مثلما ... فجعت أُميَّة بالحسين محمَّدا
سبط النبيِّ المصطفى الهادي الَّذي ... أَهدى الأَنام من الضلال وأرشدا
وهو ابن مولانا عليِّ المرتضى ... بحر الندى مروي الصدا مُردي العدا
أسمى الورى نسباً وأشرفهم أباً ... وأجلّهم حسباً وأكرم محتدا
بحرٌ طما . ليثٌ حمى . غيثٌ همى ... صبحٌ أضا . نجمٌ هدى . بدرٌ بدا
السيِّد السند الحسين أعمُّ أهـ ... ـل الخافقين ندىً وأسمحهم يدا
لم أنسه في كربلا متلظّيا ... في الكرب لا يلقى لماءٍ موردا
والمقنب الأمويُّ حول خبائه ... النبويِّ قد ملأ الفدافد فُدفدا[1]
عصبٌ عصت غضّت بخيلهم الفضا ... غصبت حقوق بني الوصيِّ وأحمدا
حمَّت كتائبه وثار عجاجه ... فحكى الخضمَّ المدلهمَّ المزبدا
للنُّصب فيه زماجرٌ مرفوعةٌ ... جزمت بها الأسماء من حرف الندا
صامت صوافنه وبيض صفاحه ... ملّت فصيّرت الجماجم سجَّدا
نسج الغبار على الأُسود مدارعاً ... فيه فجسَّدت النجيع وعسجدا
والخيل عابسةُ الوجوه كأنّها الـ ... ـعقيان تخترق العجاج الأربدا
حتّى إذا لمعت بروق صفاحها ... وغدا الجبان مِن الرواعد مُرعدا
صال الحسين على الطغاة بعزمه ... لا يختشي من شرب كاسات الردى
وغدا بلام اللدن يطعن أنجلاً ... وبغين غرب العضب يضرب أهودا[2]
فأعاد بالضرب الحسام مفلّلا ... وثنى السنان من الطعان مقصَّدا[3]
فكأنّما فتكاته في جيشهم ... فتكات (حيدر) يوم أُحد في العدى
جيشٌ يريد رضى يزيد عصابةٌ ... غصبت فأغضبت العليَّ وأحمدا
جحدوا العليَّ مع النبيِّ وخالفوا الـ ... ـهادي الوصيَّ ولم يخافوا الموعدا

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . الفدافد بفتح الفاء : الفلاة . فدفد بضم الفاء : الجافي الكلام المرتفع الصوت .

(٢) الأنجل : الواسع الطويل العريض ، يُقال : طعنة نجلاء . أي واسعة . الأهود من الهوادة : اللين والرفق .

(٣) المقصدة من القصدة بالكسر : القطعة مما يكسر . يُقال رمح قصد وقصيد وأقصاد : أي متكسر .

وغــواهــمُ شيــطانـهـم فـأضلّهـم عــمــداً فلم يـجـدوا وليّـاً مُـرشـدا
ومن العجـائب أنَّ عـذب فـراتـهـا تسـري مُسـلسلةً ولـنْ تـتـقـيَّـدا
طـام وقـلب السـبط ظـام نـحـوه وأبــوه يـسقـي النـاس سـلسله غـدا
وكـأنّــه والـطِرف والـبـتّـار والـ ـخرصان في ظُلل العجاج وقد بدا[١]
شـمسٌ عـلى فـلكٍ وطـوع يـمـينـه قمرٌ يقـابـل في الـظّلام الفـرقـدا[٢]
والسيِّـد العبـاس قـد سـلب العـدى عــنــه الـلبـاس وصـيَّـروه مـجـرَّدا
وابن الحسين السبط ظمـآن الـحشـا والـمـاء تـنـهـله الـذئـاب مُـبـرَّدا
كـالبـدرِ مقـطوع الـوريـد لـه دمٌ أمسى عـلى تـرب الصـعيـد مُبـدَّدا
والسّـادة الشهـداء صـرعى في الفـلا كـلٌّ لأحقـاف[٣] الـرمـال تـوسَّـدا
فـأولئك القـوم الّـذين على هـدى من ربِّهم فمـن اقتـدى بـهـم اهـتـدى
والسبط حـرّان الحشـا لـمصـابـهم حـيـران لا يلقـى نصيـراً مُسـعـدا
حتى إذا اقـتـربت أبـاعيـد الـرَّدى وحـيـاتـه منـهـا القـريـب تبعَّـدا
دارت عـلـيـه عـلـوج آل أمـيَّـة مـن كـلّ ذي نـقص يـزيـد تـمـرُّدا
فـرمـوه عن صُفـر القسيِّ بأسهم[٤] من غيـر مـا جُـرم جـنـاهُ ولا اعتـدى
فهـوى الجوادُ عن الجـواد فـرجَّت الـ ـسَّبـع الشِّداد وكـان يـومـاً أنكـدا
واحتـزَّ منـه الشمـر رأسـاً طـالمـا أمـسى لـه حِـجـر النبـوَّة مـرقـدا
فبكـتـه أمـلاك السَّـمـاوات العـلى والـدهـر بـات عليـه مشقـوق الـرّدا
وارتـدَّ كفُّ الجـود مكفـوفـاً وطـر ف العلم مـطروفـاً[٥] عـليـه أرمـدا
والـوحش صـاح لمـا عـراه من الأسى والـطيـر نـاحَ على عـزاه وعـدَّدا[٦]

---

(١) الطرف . راجع ص ١٩ البتار : السيف القاطع . الخرصان : جمع الخرص ، الرمح القصير السنان .
(٢) هذه البداعة مأخوذة من علاء الدين الشفهيني كما مرّت في ج ٦ ص ٣٦٢ ومرّت لابن العرندس أيضاً في هذا الجزء ص ٥ .
(٣) الأحقاف جمع الحقف : ما اعوج من الرمح واستطال .
(٤) الصفر : الدائرة . القسيّ جمع القوس : آلة معروفة ترمى بها السهام .
(٥) المطروفة من العين : التي أصابها شيء فدمعت .
(٦) عدَّد الميت : عد مناقبه ووصفها .

وسروا بزين العابدين الساجد الـ ـباكي الحزين مُقيَّداً ومُصفَّدا
وسكينةٌ سكن الأسى في قلبها فغدا بضامرها[١] مُقيماً مُقعدا
وأسال قتل الطفِّ مدمع زينب فجرى ووسط الخدِّ منها خدّدا
ورأيت ساجعةً تنوح بأيكة[٢] سجعت فأخرست الفصيح المنشدا
بيضاء كالصبح المضيء أكفُّها حمرٌ تطوَّقت الظلام الأسودا
ناشدتها يا ورق! ما هذا البكا ردِّي الجواب فجعت قلبي المكمدا
والطوق فوق بياض عنقك أسودٌ وأكفُّكِ حمرٌ تحاكي العسجدا
لمّا رأت ولهي وتسآلي لها ولهيب قلبي ناره لن تخمدا
رفعت بمنصوب الغصون لها يداً جزمت به نوح النوائح سرمدا
: قُتل الحسين بكربلا يا ليته لاقى النجاة بها وكنتُ له الفدا
فإذا تطوَّق ذاك دمعي أحمرٌ قانٍ مسحتُ به يديَّ تورُّدا
ولبستُ فوق بياض عنقي من أسىً طوقاً بسين سواد قلبي أسودا
فالآن هاذي قصَّتي يا سائلي ونجيع دمعي سائلٌ لن يجمدا
فاندب معي بتقرُّحٍ وتحرُّقٍ وابكِ وكن لي في بكائي مُسعدا
فلألعننَّ بني أُميَّة ما حدا حادٍ وما غار الحجيج وأنجدا[٣]
ولألعننَّ يزيدها وزيادها ويزيدُها ربِّي عذاباً سرمدا
ولأبكينَّ عليك يابن محمّدٍ حتى أُوسَّد في التراب مُلحَّدا
ولأحلينَّ على عُلاك مدائحاً من درِّ ألفاظي حساناً خُرَّدا
عُرباً فصاحاً في الفصاحة جاوزت قُسّاً[٤] وبات لها لبيد[٥] مُبلَّدا
قلّدتها بقلائد من جودكم أضحى بها جيد الزمان مُقلَّدا
يرجو بها نجلُ العرندس صالحٌ في الخلد مع حور الجنان تخلّدا

---

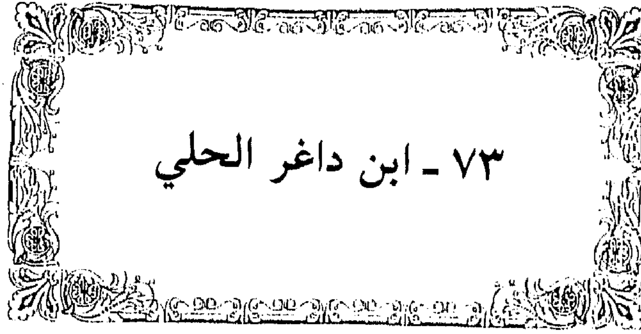
(١) ضمر فهو ضامر: هزل ودقّ وقلّ لحمه.
(٢) الأيكة: الشجر الكثير الملتفّ.
(٣) غار الرجل: سار. انجد الرجل: أتى نجدا. قرب من أهله.
(٤) قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة.
(٥) لبيد بن ربيعة العامري توفّي في أول خلافة معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة.

وسقى الطفوف الهامرات من الحيا ... سُحباً تسحُّ عيونها دمع النَّدى[1]
ثمَّ السَّلام عليك يابن المرتضى ... ما ناح طيرٌ في الغصون وغرَّدا

وله قصيدة تناهز ٥٦ بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي ج٢ ص ١٩ ط بمبىء مطلعها :

نوحوا أيا شيعة المولى أبا حسنٍ ... على الحسين غريب الدار والوطن

(١) الهامرات من همر الماء : انصب . والهمّار من السحاب : السيال . الحيا : المطر . سح الماء : صبه صباً متتابعاً غزيراً . الندى : المطر .



٧٣ ـ ابن داغر الحلي

حيَّا الإله كتيبة مرتادها ... يطوى له سهل الفلا ووهادها
قصدت أمير المؤمنين بقبَّة ... يُبنى على هامِ السِّماك عمادها
وفدت على خير الأنام بحضرةٍ ... عند الإله مكرَّمٌ وُفَّادها
فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... أهل الفتوَّة ربّها مقتادها
فله الفخار قديمه وحديثه ... والفاضلات طريفها وتلادها(١)
مولى البريَّة بعد فقد نبيِّها ... وإمامها وهمامها وجوادها
وإذا القروم تصادمت في معركٍ ... والخيل قد نسج القتام طرادها
وترى القبائل عند مختلف القنا ... منه يحذِّر جمعها آحادها
والشوس تعثر في المجال وتحتها ... جردٌ تجدُّ إلى القتال جيادها(٢)
فكأنَّ منتشر الرعال لدى الوغا ... زجلٌ تنشَّر في البلاد جرادها
ورماحهم قد شظِّيت عيدانها(٣) ... وسيوفها قد كسِّرت أغمادها

---

(١) الطريف : المكتسب حديثاً . التلاد والتليد : ما كان من قديم .

(٢) الشوس جمع أشوس : الشديد الجريء في القتال . تعثر يُقال : عثر الرجل عثوراً إذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره . المجال : محل الجولان أي الميدان . جرد جمع الأجرد : السباق من الخيل . يجد من جذ في سيره : أسرع : الجياد جمع الجواد : السريع من الفرس .

(٣) شظى تشظية : فرق ، تشظى العود : تطاير شظايا . عيدان وأعود وأعواد جمع عود : الخشب .

والشهب تغمد في الرؤوس نصولها ... والسمر تصعد في النفوس صعادها[١]
فترى هناك أخا النبيّ محمّدٍ ... وعليه من جهد البلاء جلادها
متردّياً عند اللقا بحسامه ... متصدّياً لكماتها يصطادها
عضد النبيّ الهاشميّ بسيفه ... حتى تقطّع في الوغا أعضادها
واخاه دونهمُ وسدَّ دُوينه ... أبوابهم فتّاحها سدّادها
وحباه في (يوم الغدير) ولايةً ... عام الوداع وكلّهم أشهادها
فغدا به (يوم الغدير) مفضّلاً ... بركاته ما تنتهي أعدادها
قبلت وصيّة أحمد وبصدرها ... تخفي لآل محمّد أحقادها
حتى إذا مات النبيُّ فأظهرت ... أضغانها في ظلمها أجنادها
منعوا خلافة ربِّها ووليّها ... ببصائر عميت وضلَّ رشادها
واعصوصبوا في منع فاطم حقّها ... فقضت وقد شاب الحياة نكادها[٢]
وتوفّيت غصصاً وبعد وفاتها ... قُتل الحسين وذبّحت أولادها
وغدا يُسبُّ على المنابر بعلها ... في أمّة ضلّت وطال فسادها
ولقد وقفت على مقالة حاذقٍ ... في السالفين فراق لي إنشادها
[أعلى المنابر تعلنون بسبّه ... وبسيفه نصبت لكم أعوادها][٣]
يا آل بيت محمّد يا سادةً ... ساد البريّة فضلها وسدادها !
أنتم مصابيح الظلام وأنتمُ ... خير الأنام وأنتمُ أمجادها
فضلاؤها علماؤها حلماؤها ... حكماؤها عبّادها زهّادها
أمّا العباد فأنتمُ ساداتها ... أمّا الحروب فأنتمُ آسادها
تلك المساعي للبريّة أوضحت ... نهج الهدىٰ ومشت به عبّادها
وإليكم من شاردات (مغامس) ... بكراً يقرُّ بفضلها حسّادها
كملت بوزن كمالكم وتزيّنت ... بمحاسن من حسنكم تزدادها

(١) الشهب جمع الشهاب : السنان . سمّي به لما فيه من بريق . نصول جمع النصل : حديدة الرمح والسهم . السمر : الرمح . صعاد جمع الصعدة : القناة المستوية .
(٢) اعصوصبوا : اجتمعوا وصاروا عصائب . شاب : خلط وغش . النكاد : الكدر .
(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي رحمه الله المتوفّى سنة ٤٦٦ .

ناديتها صوتاً فمذ أسمعتها لبَّت ولم يصلد عليَّ زنادها
نفقت لديَّ لأنها في مدحكم فلذاك لا يخشى عليَّ كسادها
رحم الإله ممدّها أقلامه ورجاؤه أن لا يخيب مدادها
فتشفّعوا الكبائر أسلفتها قلقت لها نفسي وقلّ رقادها
جرماً لو انَّ الراسيات حملنه دكّت وذاب صخورها وصلادها
هيهات تُمنع عن شفاعة جدِّكم نفسٌ وحبُّ أبي تراب زادها
صلّى الإله عليكمُ ما أرعدت سحبٌ وأسبل ممطراً أرعادها

وله قوله من قصيدة تناهز الاثنين والتسعين بيتاً :

كيف السَّلامة والخطوب تنوبُ ومصائب الدنيا الغرور تصوبُ ؟
إنَّ البقاء على اختلاف طبائع ورجاء أن ينجو الفتى لعصيب
العيش أهونه وما هو كائن حتمٌ وما هو واصلٌ فقريب
والدهر أطوارٌ وليس لأهله إن فكّروا في حالتيه نصيب
ليس اللبيب من استغرَّ بعيشه إنَّ المفكِّر في الأمور لبيب
يا غافلاً ! والموت ليس بغافلٍ عِش ما تشاء فإنّك المطلوب
أبديت لهوك إذ زمانك مقبلٌ زاهٍ وإذ غضّ الشباب رطيب
فمن النصير على الخطوب إذا أتت وعلا على شرخ الشباب مشيب
علل الفتى من علمه مكفوفة حتى الممات وعمره مكتوب
وتراه يكدح في المعاش ورزقه في الكائنات مقدّرٌ محسوب
إنَّ الليالي لا تزال مجدّة في الخلق أحداثٌ لها وخطوب
من سرَّ فيها ساءه من صرفها ريبٌ له طول الزمان مريب
عصفت بخير الخلق آل محمَّد نكباء إعصار لها وهبوب[1]
أمّا النبيُّ فخانه من قومه في أقربيه مجانبٌ وصحيب
من بعد ما ردّوا عليه وصاته حتى كأنَّ مقاله مكذوب
ونسوا رعاية حقّه في حيدر في «خمّ» وهو وزيره المصحوب
فأقام فيهم برهة حتى قضى في الغيظ وهو بغيظهم مغضوب

(١) الإعصار : ريح ترتفع بالتراب . الهبوب من الرياح : المثيرة للغبرة .

ومنها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام :

بأبي الإمام المستضام بكربلا يدعو وليس لما يقول مجيب
بأبي الوحيد وماله مِن راحمٍ يشكو الظما والماء منه قريب
بأبي الحبيب إلى النبيِّ محمَّدٍ ومحمَّدٌ عند الإله حبيب
يا كربلاء أفيكِ يُقتل جهرةً سبط المطهَّر ؟ إنَّ ذا العجيب
ما أنتِ إلاَّ كربةٌ وبليَّةٌ كلُّ الأنام بهولها مكروب
لهفي عليه وقد هوى متعفِّراً وبه أُوامٌ فادحٌ ولغوب(١)
لهفي عليه بالطفوف مجدّلاً تسفي عليه شمالٌ وجنوب
لهفي عليه والخيول ترضّه فلهنَّ ركضٌ حوله وخبيب(٢)
لهفي له والرأس منه مميّز والشيب من دمه الشريف خضيب
لهفي عليه ودرعه مسلوبة لهفي عليه ورحله منهوب
لهفي على حرم الحسين حواسراً شعثاً وقد ريعت لهنَّ قلوب
حتّى إذا قطع الكريم بسيفه لم يثنه خوفٌ ولا ترعيب
للّه كم لطمت خدودٌ عنده جزعاً وكم شُقَّت عليه جيوب !
ما أنس إن أنسى الزكيَّة زينباً تبكي له وقناعها مسلوب
تدعو وتندب والمصاب تكظُّها بين الطفوف ودمعها مسكوب(٣)
ءَأُخيَّ بعدك لا حييت بغبطةٍ واغتالني حتفٌ إليَّ قريب
ءَأُخيَّ بعدك مَن يدافع جاهلاً عنّي ويسمع دعوتي ويجيب
حزني تذوب له الجبال وعنده يسلو وينسى يوسفاً يعقوب

الشاعر :

الشيخ مغامس بن داغر الحلي : طفح بذكر المغامس في حبِّ آل الله صلّىٰ

---

(١) الاوام : العطش. الفادح : الصعب المثقل . اللغوب : المتعب المعيي .
(٢) الخبيب من خب الفرس في عدوه : راوح بين يديه ورجليه أي قام على احداهما مرّة وعلى الأُخرىٰ مرّة .
(٣) تكظها من كظَّ الأمر كظاً : غمّ وبهظ. الطفوف جمع الطف : ما أشرف من الأرض .

الله عليهم غير واحد من المعاجم المتأخّرة كالحصون المنيعة للعلاّمة الشيخ علي آل كاشف الغطاء ، والطليعة للعلاّمة السماوي ، والبابليّات للخطيب اليعقوبي ، وذكر شطراً من شعره شيخنا فخر الدين الطريحي في المنتخب ، والأديب الإصبهاني في التحفة الناصريّة ، وتضمّن غير واحد من المجاميع قريظه المتدفّق بمدح أهل بيت الوحي أئمّة الهدى ورثائهم صلوات الله عليهم حتّى جمع منها الشيخ السماوي ديواناً باسم المترجم يربو على ألف وثلاثمائة وخمسين بيتاً ولعلّ التالف منها أكثر وأكثر .

فهو من شعراء أهل البيت المكثرين المتفانين في حبّهم وولائهم غير أنّ الدهر أنسى ذكره الخالد ، ولعلّ هذا الإنقطاع عن غيرهم عليهم السلام هو الذي قطع اطّراد ذكره في جملة من الموسوعات أو المعاجم لمن لا يألف إلى ودّهم كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى كثيرين من أمثال المترجم فتركوا ذكره أو أثبتوه بصورة مصغّرة ، وعندهم مكبّرات لذكريات أناس هم دون أولئك في الفضيلة والأدب ، وكم للتاريخ من جنايات في الخفض والرفع ؛ والجرّ والنصب ؛ لا تستقصى ؟ .

كان الشيخ مغامس من إحدى القبائل العربيّة في ضواحي الحلّة الفيحاء ، فهبطها للدراسة ، ولم يبارحها حتّى قضى بها نحبه شاعراً خطيباً ، في أواسط القرن التاسع ويعرب شعره عن أنّه كان له شوطٌ في مضمار الخطابة كما كان يركض في كلِّ حلبة من حلبات القريض قال :

فتارةً أنظم الأشعار ممتدحاً   وتارةً أنثر الأقوال في الخطب

وكان أبوه داغر شاعراً موالياً وهو الذي علّمه قرض الشعر ومرّنه على ولاء العترة الطاهرة كما يأتي في قوله :

أعملت في مدحكم فكري فعلّمني   نظم المديح وأوصاني بذاك أبي

فحيّى الله الوالد والولد . وإليك فهرست قصائده التي وقفنا عليها في مجاميع الأدب :

عدد القصائد	المطلع	عدد الأبيات
١	محبّ الليالي في مساعيه متعبُ يساق إليه حتفه وهو يدأب	٩٣

٢ تــذكّــر مــا أحصى الكتــاب فتــابــا　　وحــاذر مــن مسِّ الــعــذاب عــقــابــا ٩٢
٣ أصبحت للتــقــوى بجــهلك تــدَّعــي　　دعــواك بــاطــلــةٌ إذا لــم تــقــلــع ٨١
٤ هــل حين عمَّمــه المشيب وقــنَّعــا ؟　　أتــراه يصنــع في الهــدايــة مصنعــا ؟ ٩٠
٥ أتــطلب دنيــاً بعــد شيب قــذال ؟[1]　　وتــذكــر أيّــامــاً مــضت وليــالــي ؟ ٩٢

توجد جملة من هذه القصيدة في المنتخب ج ٢ ص ٤٥ ط بمبىء .

٦ فصلت صــروف الحــادثــات مفــاصلي　　وأصــاب سهم الــنــائبــات مــقــاتلي
قــطع الــزمــان عــرى قــواي وكلّمــا　　قــطع الــزمــان فمــا لــه من واصــلِ ٧٧

هذه القصيدة ذكرها شيخنا الطريحي في المنتخب ج ٢ ص ٣٦ .

٧ لــغيــرك يــا دنيــا ثــنيت عِــنــانــي　　وذاك لأمــر عــن غِــنــاك عَــنــانــي ٩٩

توجد هذه القصيدة برمَّتها في المنتخب ج ٢ ص ٥٨ .

٨ لــبــنــي الــهــادي مــنــاحــي　　فــي غــدوّي ورواحــي
صــاح مــا قــلبــي بــصــاح　　مــا لــحــزنــي مــن بــراح ١٠٥
٩ هــجــر الــغــمض وســادي　　وكــوى الــحــزن فــؤادي
فــحــيــاتــي فــي نــكــادي　　لــقــتــيــل ابــن زيــاد ٦٢
١٠ لــيتــني كــنت فــداءً لــلحــســيــنْ　　وهــو بــالــطفِّ قــطيــع الــودجين
يــنــظر الشــمــر بعــيــنٍ وبــعــيــنْ　　يــنــظر النســوة بيــن العــســكــريــن ١٠٦
١١ بكيــت ومــا لــريعــان الــشبــابِ　　ولا لــدروس مــنــزلــة خــراب
ولا لــفــوات عــيش مــســتــطابِ　　ولا لــفــراق زيــنــب والــربــاب ٨٠
١٢ صــحبتــكِ لا أنِّي بــودِّك مــغــرمُ　　فبيني فغيــري في هــواكِ المتيَّم ٨٨
١٣ رحــل الــشبــاب وإنّــه لــكــريــمُ　　وفــراغــه عنــد النفــوس عــظيم ٨١
١٤ أزال الشبــاب الغضَّ عنــك مــزيــلُ　　فهــل أنت للبيض الحسان خليــل ؟ ٧٥
١٥ يمدح بها النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :
عــرِّج على المصطفى يــا ســائق النجبِ　　عــرِّج على خيــر مبعــوث وخيــر نبي

---

(١) القذال بفتح القاف : مابين الأُذنين من مؤخر الرأس .

عرّج على السيّد المبعوث من مُضر ... عرِّج على الصادق المنعوت في الكتب
عرّج على رحمة الباري ونعمته ... عرِّج على الابطحيِّ الطاهر النسب
رآه آدم نوراً بين أربعة ... لألاؤها فوق ساق العرش من كَثب
فقال : ياربِّ مَن هذا ؟ فقيل له ... قول المحبِّ وما في القول من ريب
: هم أوليائي وهم ذرّيةٌ لكم ... فقرّ عيناً ونفساً فيهمُ وطب
أما وحقِّهمُ لولا مكانهمُ ... منِّي لما دارت الأفلاك بالقطب
كلاّ ولا كان من شمسٍ ولا قمرٍ ... ولا شهابٍ ولا أُفقٍ ولا حجب
ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا شجرٍ ... للناس يهمي(١) عليه واكف السحب
ولا جنانٍ ولا نارٍ مؤجَّجة ... جعلت أعداءهم فيها مِن الحطب
وقال للملأ الأعلى : ألا أحدٌ ... يُنبي بأسمائهم صدقاً بلا كذب
فلم يجيبوا فأنبا آدمٌ بهمُ ... لها بعلم من الجبّار مُكتسب
فقال للملأ الأعلى : اسجدوا كملاً ... لآدم وأطيعوا واتَّقوا غضبي
وصيَّر اللّه ذاك النّور ملتمعاً ... في الوجه منه بوعدٍ منه مرتقب
وخاف نوحٌ فناجى ربَّه فنجا ... بهم على دسر الألواح والخشب
وفي الجحيم دعا اللَّهَ الخليلُ بهم ... فأخمدت بعد ذاك الحرّ واللهب
وقد دعا اللَّهَ موسى إذ هوى صعقاً ... بحقِّهم فنجا من شدَّة الكرب
فظلَّ منتقلاً واللّه حافظه ... على تنقُّله مِن حادث النُّوب
حتّى تقسَّم في عبد الإله معاً ... وفي أبي طالب عن عبد مُطَّلب
فأودع اللّه ذاك القسم آمنةً ... يوماً إلى أجلٍ بالحمل مقترب
حتى إذا وضعته انهدَّ مِن فزع ... ركن الضلال ونادى الشرك بالحرب
وانشقَّ إيوان كسرى وانطفت حذراً ... نيرانهم وأقرَّ الكفر بالغلب
تساقطت أنجم الأملاك مؤذنةً ... بالرَّجم فاحترق الأصنام باللهب
حتّى إذا حاز سنَّ الاربعين دعا ... ربِّي به في لسان الوحي بالكتب
فقال : لبَّيك مِن داعٍ وأرسله ... إلى البرية من عُجم ومن عرب
فأظهر المعجزات الواضحات لهم ... بالبيِّنات ولم يحذر ولم يهب

(١) همى الماء يهمي همياً : سال لا يثنيه شيء . الواكف : المطر المنهل .

أراهم الآية الكبرى فواعجباً ... ما بالهم خالفوا ؟ من أعجب العجب
رامت بنو عمّه تبييته سحراً ... فعاذ منهم رسول اللّه بالهرب
وبات يفديه خير الخلق حيدرةٌ(١) ... على الفراش وفي يمناه ذو شطب(٢)
فأدبروا إذ رأوا غير الذي طلبوا ... وأوغلوا الرسول اللّه في الطلب
فرابهم عنكبٌ في الغار إذ جعلت ... تسدي وتلحم في أبرادها القَشَب
حتى إذا ردَّهم عنه الإلّه مضى ... ذاك النّجيب على المهريّة النُّجب
فحلَّ دار رجال بايعوه على ... أعدائه فدماء القوم في صبب
في كلِّ يوم لمولى الخلق واقعةٌ ... منه على عابدي الأوثان والصلب
يمشي إلى حربهم واللّه ناصره ... مشي العفرناة في غاب القنا السلب
في فتية كالاسود المحذرات لها ... براثن(٣) من رماح الخطِّ والقضب
عافوا المعاقل للبيض الحسان فما ... معاقل القوم غير البيض واليلب(٤)
فالحقُّ في فرح والدينُ في مَرَح ... والشركُ في ترح والكفر في نصب
حتّى استراح نبيُّ اللّه قاضيةً ... بهم وراحتهم في ذلك التعب
يا من به أنبياء اللّه قد ختموا ... فليس من بَعده في العالمين نبي
إن كنت في درجات الوحي خاتمهم ؟ ... فأنت أوّلهم في أوّل الرُّتب
قد بشّرت بك رسل اللّه في أُمم ... خلت فما كنت فيما بينهم بغبي(٥)
شهدت أنَّك أحسنت البلاغ فما ... تكون في باطل يوماً بمنجذب
حتّى دعاك إلّهي فاستجبت له ... حبّاً ومَن يدعه المحبوب يستجب
وقد نصبت لهم في دينهم خلفاً ... وكان بعدك فيهم خير منتصب
لكنّهم خالفوهُ وابتغوا بدلاً ... تخيَّروه وليس النبع كالغرب(٦)

---

(١) مر حديث ليلة المبيت في الجزء الثاني ص ٦٦

(٢) الشطب جمع الشطبة بضم الأول وكسره . الخط في متن السيف .

(٣) البرثن من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الإنسان جمع : براثن .

(٤) المعقل : الملجأ . البيض جمع بيضاء : السيف . اليلب : الترس أو الدروع اليمانية من الجلود . خالص الحديد .

(٥) المستور : المجهول .

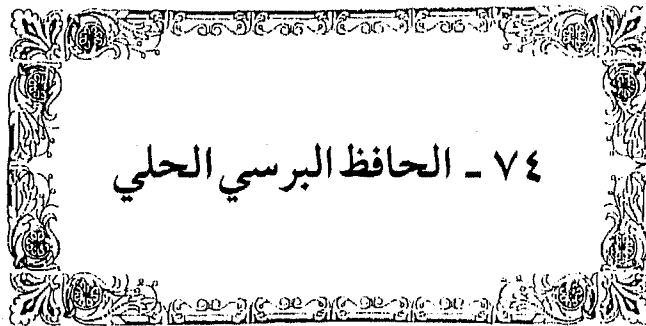
(٦) النبع : خروج الماء من العين . الغرب : الماء المقطر من الدلو بين الحوض والبئر .

ويقول فيهـا :

يـا راكب الهـوجـل المحبـوك تحمله[١] إلـى زيـارة خيـر العـجـم والعـرب
إذا قضيت فـروض الحـجّ مكتـمـلاً ونـلتَ إدراك مـا فـي النفس مـن إرب
وزرت قـبـر رسـول الـلّه سـيّـدنـا وسيّـد الخلق مـن نـاءٍ ومُـقـتـرب
قِف مـوقفـي ثمَّ سـلّم لي عـليـه معـاً حـتـى كـأنّـي ذاك اليـوم لـم أغـب
واثن السّـلام إلـى أهـل البقيـع فـلي بـهـا أحبّـة صـبٌّ دائـم الـوصـب
وبثهـم صبـوتـي طـول الـزمـان لهـم وقـل بـدمـع على الخـدّين مُنسكب
:يـا قـدوة الخلق في علمٍ وفـي عمـلٍ وأطـهـر الخلق في أصـل وفـي نسـب
وصلتُ حبـل رجـائي في حـبـائلكـم كـمـا تعـلّق فـي أسـبـابكـم سـببـي
دنـوت في الـدين منكـم والـوداد فلو لادان لم يـدن من أحسـابكـم حسـبي
مـديحكم مكسبي والـدين مكتسبـي مـا عشت والـظنُّ في معـروفكم نشبي
فـإن عـدتني الليـالي عـن زيـارتكـم فـإنَّ قـلبي عـنكـم غيـر مـنـقـلب
قـد سيط لحمي وعـظمي في محبّتكـم وحبّكم قـد جـرى في المـخّ والعَصب
هجـري وبغضي لمن عـاداكـمُ ولكـم صـدقي وحبّي وفي مـدحي لكم طـربي
فـتـارةً أنـظـم الأشـعـار ممتـدحـاً وتـارةً أنـثـر الأقـوال فـي الـخـطـب
حتّى جـعلت مـقـال الضـدّ مـن شبـهٍ إذ صغت فيكم قـريض القـول من ذهب
أعملت في مـدحكم فكـري فـعلّمني نـظم المديـح وأوصـاني بـذاك أبي
فهـل أنـال مفـازاً فـي شفـاعـتكـم ممّـا احتقبت لـه في سائر الحقبِ ؟
فيـا مغـامس ! إحبس في مـدائحهـم تلك القـوافي وأجـر اللّه فـاحتسب

---

(١) الهوجل : الناقة التي بها هوج من سرعتها . المحبوك : مشدود الوسط .



٧٤ ـ الحافظ البرسي الحلي

هو الشّمس ؟ أم نور الضّريح يلوحُ ؟ هو المسك ؟ أم طيب الوصيِّ يفوح؟
وبحرُ ندا ؟ أم روضةٌ حوت الهدى ؟ وآدم ؟أم سرُّ المهيمن نوح ؟
وداودُ هذا ؟ أم سليمانُ بعده ؟ وهارون ؟ أم موسى العصا ومسيح ؟
وأحمدُ هذا المصطفى ؟أم وصيّه عليٌّ ؟ نماه هاشمٌ وذبيح
محيط سماء المجد بدرُ دجنّةٍ وفلكٌ جمال للأنام ويوحُ(١)
حبيب حبيب اللّه بل سرُّ سرِّه وجثمان أمرٍ للخلائق روح
له النصُّ في (يوم الغدير) ومدحه من اللّه في الذكر المبين صريح
إمامٌ إذا ما المرء جاء بحبِّه فميزانه يوم المعاد رجيح
له شيعةٌ مثل النجوم زواهرٌ لها بين كلِّ العالمين وضوح
إذا قاولت فالحقُّ فيما تقوله به النور باد واللسان فصيح
وإن جاولت أو جادلت عن مرامها تولّى العدوُّ الجلد وهو طريح
عليك سلام اللّه يا راية الهدى سلامُ سليم يغتدي ويروح

وتأتي له قصيدة منها قوله :

مولى له بغدير خمّ بيعة خضعت لها الأعناق وهي طوايح

(١) يوح : الشمس .

الشاعر :

الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلّي ، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم ، على فضله الواضح في فنّ الحديث ، وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته ، وتضلّعه في علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها ، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقّة النظر ، وله في العرفان والحروف مسالك خاصّة ، كما أنَّ له في ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريّات لا يرتضيها لفيفٌ من الناس ، ولذلك رموه بالغلوّ والإرتفاع ، غير انّ الحقَّ أنّ جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة ، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله : إيّاكم والغلوّ فينا ، قولوا : إنّا عبيدٌ مربوبون . وقولوا في فضلنا ما شئتم[1] وقال الإمام الصادق عليه السلام : إجعلوا لنا ربّاً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم . وقال عليه السلام : اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا[2] .

وأنّى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر ؟ وأنّى لنا الوقوف على غاية ما شرَّفهم الله به من ملكات فاضلة ، ونفسيّات نفيسة ؛ وروحيّات قدسيّة ، وخلائق كريمة ، ومكارم ومحامد ؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ؟ أو يمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ضلَّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيَّرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الالبّاء ، وكلّت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، وفضيلة من فضائله ، وأقرّت بالعجز والتقصير ؛ وكيف يوصف بكلّه ؟ أو ينعت بكنهه ؟ أو يفهم شيء من أمره ؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ؟ لا . كيف ؟ وأنّى ؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ، فأين الإختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا[3] ؟ .

---

(١) الخصال لشيخنا الصدوق .

(٢) بصائر الدرجات للصفار .

(٣) من قولنا : فمن ذا الذي يبلغ . إلى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكليني ثقة الإسلام =

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمّة الهدى صلوات الله عليهم كلّ هاتيك الشؤون وغيرها ممّا لا يتحمّله غيرهم ، وكان في علماء قُم من يرمي بالغلوّ كلّ من روى شيئاً من تلكم الأسرار حتى قال قائلهم : إنّ أول مراتب الغلوّ نفي السهو عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن جاء بعدهم المحقّقون وعرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً ، وهذه بليّة مُني بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان ومنهم المترجم ، ولم تزل الفئتان على طرفي نقيض ، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدّها ، والصلح خير .

وفذلكة المقام أنّ النفوس تتفاوت حسب جبلّاتها واستعدادتها في تلقّي الحقائق الراهنة ، فمنها ما تبهظه المعضلات والأسرار ، ومنها ما ينبسط لها فيبسط إليها ذراعاً ويمدّ لها باعاً ، وبطبع الحال إنّ الفئة الأُولىٰ لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون ، كما أنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مدحرة البطلان ، فهنالك تثور المنافرة ، وتحتدم الضغائن ، ونحن نقدّر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقّ ونقول :

على المرء أن يسعى بمقدار جهده ... وليس عليه أن يكون موفّقا

ألا إنّ الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة[١] وقد تواتر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام : انّ أمرنا ، أو حديثنا . صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبيٌّ مرسلٌ أو ملكٌ مقرّبٌ ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان[٢] إذن فلا نتحرّى وقيعة في علماء الدين ولا نمسُّ كرامة العارفين ، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه ، إذ لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها . وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لو جلست أُحدِّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم لخرجتم من عندي وأنتم تقولون : إنّ عليّاً من أكذب الكاذبين[٣] .

= في أُصول الكافي ص ٩٩ عن الإمام الرضا صلوات الله عليه .

(١) حديث ثابت عند الفريقين .

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٦ ، أُصول الكافي ص ٢١٦ .

(٣) منح المنة للشعراني ص ١٤ .

وقال إمامنا السيّد السجاد عليه السلام : لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق[1] وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً .

وإلى هذا يشير سيّدنا الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله :

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحقّ ذو جهلٍ فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
فربَّ جوهر علمٍ لو أبوح به ... لقيل لي : أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا[2]

ولسيّدنا الأمين في أعيان الشيعة ج ٣١ ص ١٩٣ - ٢٠٥ في ترجمة الرجل كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه وممّا نقم عليه به اعتماده على علم الحروف والأعداد الذي لا تتمّ به برهنة ولا تقوم به حجّة ، ونحن وإن صافقناه على ذلك إلّا أنّ للمترجم له ومن حذا حذوه من العلماء كابن شهرآشوب ومن بعده عذراً في سرد هاتيك المسائل فإنها أشبه شيء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها في أبواب أُخرى من علماء الحروف من العامّة كقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٥ : قال بعض علماء الحروف : يؤخذ دوام ناموس آل الصدّيق وقيام عزّته إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالىٰ : ﴿**في ذريّتي**﴾ . فإن عدّتها بالجمل الكبير ألف وأربعمائة وعشرة وهي مظنّة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين بالعزّة والسيادة مدّة الدنيا ، وقد استنبط تلك المدّة عمدة أهل التحقيق مصطفى لطف الله الرزنامجي بالديوان المصري من قوله تعالىٰ : ﴿**لا يلبثون خلافك إلّا قليلا**﴾ ، قال ما لفظه : إذا أسقطنا مكرّرات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن خ ف ك ق) أحد عشر حرفاً عددهم بالجمل الكبير ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين زدنا عليه عدد الحروف وهو أحد عشر صار المجموع وهو ألف وأربعمائة وعشرة

---

(١) بصائر الدرجات للصفار ص ٧ آخر الباب الحادي عشر من الجزء الأوّل . أُصول الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢١٦ .

(٢) تفسير الالوسي ج ٦ ص ١٩٠ .

وهو مطابق لقوله تعالىٰ : ﴿ذريّتي﴾ . وسمعت ختام الأعلام شيخنا الشيخ يوسف الفيشي رحمه الله يقول : قال محمّد البكري الكبير : يجلس عقبنا مع عيسى بن مريم على سجّادة واحدة وهذا يقوي تصحيح ذلك الاستنباط . ا هـ .

ونحن لا ندري ماذا يعني سيّدنا الأمين بقوله : وفي طبعه شذوذٌ وفي مؤلّفاته خبطٌ وخلطٌ وشيءٌ من المغالاة لا موجب له ولا داعي إليه وفيه شيءٌ من الضرر وإن أمكن أن يكون له محل صحيح ؟ ليت السيِّد يوعز إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لا يبقى قوله دعوى مجرَّدة . وبعد اعترافه بإمكان محمل صحيح لما أتى به المترجم له فأيّ داعٍ إلى حمله على الخبط والخلط ، ونسيان حديث : ضع أمر أخيك على أحسنه ؟ وأيّ ضرر فيه على ذلك التقدير ؟ على أنّا سبرنا غير واحد من مؤلّفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول ، وستوافيك نبذٌ ممتعة من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم وليس فيها إلَّا إشادة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى ، فأين يقع الإرتفاع الذي رماه به بعضهم ؟ وأين المغالاة التي رآها السيِّد ؟ والبرسي لا يحذو في كتبه إلَّا حذو شعره المقبول ، فأين مقيل الخبط والضرر والغلو التي حسبها سيِّد الأعيان ؟ .

وأمَّا ما نقم به عليه من اختراع الصَّلوات والزيارة بقوله : (واختراع صلاة عليهم وزيارة لهم لا حاجة إليه بعدما ورد ما يغني عنه ولو سلّم أنَّه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض) فإنَّه لا مانع منه إلَّا ما يوهم المخترع أنَّها مأثورة ، وأيّ وازع من إبداء كلِّ أحد تحيَّته بما يجريه الله تعالىٰ على لسانه وهو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً ؟ وقد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممَّن هو قبل المترجم وبعده ، ولا تسمع أذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيِّ أحد من أعلام الأُمَّة .

وأمَّا قول سيِّدنا : «وإنَّ مؤلفاته ليس فيها كثير نفع وفي بعضها ضررٌ ولله في خلقه شؤون سامحه الله وإيَّانا» . فإنَّه من شطفة القلم صدر عن المشطف[1] سامحه الله وإيَّانا .

(١) المشطف كمنبر : من يعرض بالكلام على غير القصد .

تــآليفـه القيّمة :

١ ـ مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين .

٢ ـ مشارق الأمان ولباب الإيمان ألّفه سنة ٨١٣ .

٣ ـ رسالة في الصّلوات على النبيِّ وآله المعصومين .

٤ ـ رسالة في زيـارة أمير المؤمنين طـويلة قال شيخنـا صاحب الـرياض : في نهـاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة معروفة .

٥ ـ رسالة اللمعة من أسرار الأسمـاء والصفات والحـروف والآيات والـدعوات فيهـا فوائد ولا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض .

٦ ـ الـدرّ الثمين في خمسمـائـة آيـة نـزلت في مـولانـا أميـر المؤمنين بـاتّفـاق أكثـر المفسِّرين من أهل الدين ، ينقل عنه المولى محمَّد تقي الزنجاني في كتابـه : طريق النجاة .

٧ ـ أسرار النبيِّ وفاطمة والأئمَّة عليهم السلام .

٨ ـ لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد في أُصول العقائد .

٩ ـ تفسير سورة الإخلاص .

١٠ ـ رسالة مختصرة في التوحيد والصَّلوات على النبيِّ وآله .

١١ ـ كتاب في مولد النبيِّ وعليٍّ وفاطمة وفضائلهم .

١٢ ـ كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق .

١٣ ـ كتاب الألفين في وصف سادة الكونين .

شعــره الرائــق :

للحافظ البرسي شعرٌ رائق وجلّه بل كلّه في مـدائح النبيِّ الأقـدس وأهل بيتـه الطاهر صلوات الله عليهم ويتخلّص في شعره بـ (الحافظ) ومن شعره يمدح به النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

أضـاء بـك الأُفـق المشـرقُ ودان لـمنـطقـك الـمنـطق
وكـنـتَ ولا آدم كـائـنـاً لأنَّـك مـن كـونـه أسـبـق

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : كنت أوّل الناس في الخلق وآخرهم في البعث .

أخرجه ابن سعد في الطبقات . والطبري في تفسيره ج ٢١ ص ٧٩ ، وأبو نعيم في الدلائل ج ١ ص ٦ وذكره ابن كثير في تأريخه ج ٢ ص ٣٠٧ ، والغزالي في المضنون الصغير هامش الإنسان الكامل ج ٢ ص ٩٧ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٦٤ .

وفي حديث الإسراء : إنَّك عبدي ورسولي وجعلتك أوّل النبيِّين خلقاً وآخرهم بعثاً(١) وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أوّل ما خلق الله نوري(٢) وتواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من طرق صحيحة : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين . أو : بين الروح والجسد . أو : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

ولـولاك لـم تخـلق الكـائـنـات ولا بـان غـربٌ ولا مـشـرق

أشار به إلى ما أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٥ والبيهقي ، والطبراني ، والسبكي ، والقسطلاني ، والعزامي ، والبلقيني ، والزرقاني وغيرهم من طريق ابن عبّاس قال : أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمن بمحمَّد وأمر من أدركه من أُمّتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمَّد ما خلقت الجنَّة ولا النار .

ومن طريق عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لمّا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحقِّ محمَّد لما غفرت لي فقال الله يا آدم ! وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنَّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إلٰه إلّا الله محمَّد رسول الله ، فعلمت أنَّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبَّ الخلق إليك . فقال الله :

---

(١) مجمع الزوائد ج ١ ص ٧١ .
(٢) السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ١٥٩ .

صدقت يا آدم ! إنَّه لأحبُّ الخلق إليَّ ادعني بحقِّه قد غفرت لك . ولولا محمّد ما خلقتك .

فميمك مفتاح كلِّ الوجود ‏ ‏ ‏ وميمك بالمنتهى يغلقُ
تجلّيت يا خاتم المرسلين ‏ ‏ ‏ بشأوٍ من الفضل لا يُلحق
فأنت لنا أوّلٌ آخرٌ ‏ ‏ ‏ وباطن ظاهرك الأسبق

في هذه الأبيات إشارةٌ إلى أسمائه الشريفة : الفاتح ، الخاتم . الأوّل . الآخر . الظاهر . الباطن . راجع المواهب للزرقاني ج ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

تعاليت عن صفة المادحين ‏ ‏ ‏ وإن أطنبوا فيك أو أغمقوا
فمعناك حول الورى دارةٌ ‏ ‏ ‏ على غيب أسرارها تحدق
وروحك من ملكوت السَّماء ‏ ‏ ‏ تنزَّل بالأمر ما يُخلق
ونشرك يسري على الكائنات ‏ ‏ ‏ فكلٌّ على قدره يعبق
إليك قلوب جميع الأنام ‏ ‏ ‏ تحنُّ وأعناقها تعنق
وفيض اياديك في العالمين ‏ ‏ ‏ بأنهار أسرارها يدفق
وآثار آياتك البيِّنات ‏ ‏ ‏ على جبهات الورى تشرق
فموسى الكليمُ وتوراته ‏ ‏ ‏ يدلّان عنك إذا استنطقوا
وعيسى وإنجيله بشّرا ‏ ‏ ‏ بأنَّك أحمدُ مَن يُخلق
فيا رحمة اللَّه في العالمين ‏ ‏ ‏ ومَن كان لولاه لم يُخلقوا
لأنَّك وجه الجلال المنير ‏ ‏ ‏ ووجه الجمال الذي يشرق
وأنت الأمينُ وأنت الأمان ‏ ‏ ‏ وأنت ترتِّق ما يُفتق
أتى رجبٌ لك في عاتقٍ ‏ ‏ ‏ ثقيل الذنوب . فهل تعتق؟

وله يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

العقل نورٌ وأنت معناهُ ‏ ‏ ‏ والكون سرٌّ وأنت مبداه
والخلق في جمعهم إذا جمعوا ‏ ‏ ‏ الكلّ عبدٌ وأنت مولاه
أنت الوليُّ الذي مناقبه ‏ ‏ ‏ ما لعلاها في الخلق أشباه
يا آية اللّه في العباد ويا ‏ ‏ ‏ سرَّ الذي لا إلّه إلاَّ هو !

تناقض العالمون فيك وقد حاروا عن المهتدى وقد تاهوا
فقال قومٌ : بأنَّه بشرٌ وقال قومٌ : بأنَّه اللّهُ
يا صاحب الحشر والمعاد ومَن مولاه حكم العباد ولاّه !
يا قاسم النار والجنان غداً أنت ملاذ الراجي ومنجاه
كيف يخاف البرسيُّ حرَّ لظى وأنت عند الحساب غوثاه ؟
لا يختشي النار عبد حيدرةٍ إذ ليس في النار مَن تولاّه

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله :

أيّها اللائم دعني واستمع من وصف حالي
كلَّما ازددت مديحاً فيه قالوا : لا تغال
وإذا أبصرت في الحـ ـقِّ يقيناً لا أُبالي
آية اللّه التي في وصفها القول حلا لي
كم إلى كم أيّها العا ذل أكثرت جدالي ؟
يا عذولي في غرامي خلّني عنك وحالي
رُح إلى مَن هو ناجٍ واطّرحني وضلالي
إنَّ حبِّي لوصيِّ الـ مصطفى عين الكمال(١)
هو زادي في معادي ومعاذي في مآلي
وبه إكمال ديني وبه ختم مقالي

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله :

بأسمائك الحسنى أُروِّح خاطري إذا هبَّ من قدس الجلال نسيمها
لئن سقمت نفسي فأنت طبيبها وإن شقيت يوماً فمنك نعيمها
رضيت بأن ألقى القيامة خائفاً دماء نفوسٍ حاربتك جسومها
أبا حسن لو كان حبّك مدخلي جحيماً لكان الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من كان موقناً بأنَّك مولاهُ وأنت قسيمها ؟

---

(١) إنَّ حبّي لعليّ المر تضى عين الكمال [خ ل]

فواعجباً من أُمَّة كيف ترتجي | من اللّه غفراناً وأنت خصيمها ؟
وواعجباً إذ أخَّرتك وقدَّمت | سواك بلا جرمٍ وأنت زعيمها

وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه :

تعالىٰ عليٌّ في الجلال فرائدٌ | يعود وفي كفَّيه منه فرائد
ووارد فضلٍ منه يصدر عزلها | تضيق بها منه اللها والأوارد
تبارك موصولاً وبورك واصلاً | له صلةٌ في كلِّ نفسٍ وعائد
روى فضله الحسّاد من عظم شأنه | وأعظم فضلٍ جاء يرويه حاسد
محبّوه أخفوا فضله خيفة الهدى | وأخفاه بغضاً حاسدٌ ومعاند
فشاع له ما بين ذين مناقبٌ | تُجلُّ بأن تُحصى إذا عدَّ قاصد
إمامٌ له في جبهة المجد أنجمٌ | علت فعلت إن يدن منهنَّ راصد
لها الفرق من فرع السماك منابرٌ | وفي عنق الجوزاء منها قلائد
مناقب إذ جلَّت جلت كلَّ كربة | وطابت فطابت من شذاها المشاهد
إمامٌ يحار الفكر فيه فعابدٌ | له ومقرٌّ بالولاء وجاهد
إمامٌ مبينٌ كلَّ أُكرومة حوى | بمدحته التنزيل والذكر شاهد
عليه سلام اللّه ما ذكر اسمه | محبٌّ وفي البرسيِّ ذلك خالد

وله في سيِّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السَّلام :

أبديتَ يا رجب الغريبْ | فقيل : يا رجب المرجَّب
أبديت للسرِّ المصو | ن المضمر الخافي المغيَّب
وكشفت أستاراً وأسرا | راً عن الأشرار تُحجب
حلَّ الورى فإذا الظوا | هر فضَّةٌ والبطن أسرب
إلاَّ قليلاً من رجا | لٍ أصلهم زاك مهذَّب
وكتبتَ ما بالنور منـ | ـهُ على خدود الحور يكتب
فلذاك أضحى الناس قلـ | ـباً من قوى الجهل المركّب
رجلٌ يحبُّ ومبغضٌ | قالٍ وحزب اللّه أغلب
وطويلُ أنف إن رآ | ني مُقبلاً وَلّى وقطّب

فـي أُمّـه شـكٌّ بـلا شـكّ ولـو صـدقت لأنجب
يـزورٌ إن سـمع الـحـديـث إلى أميـر النحـل يُنسب
وتـراه إن كـرّرت ذكـر فـضائـل الكـرّار يغضب

وله رائية غرّاء رنّانة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام خمّسها ابن السبعي[1] نذكرها معه :

أعيت صفاتك أهل الرأي والنظرِ وأوردتهم حياض العجز والخطر
أنت الّذي دقّ معناه لمعتبر يا آية اللّه بل يا فتنة البشر
وحجّة اللّه بل يا منتهى القَدَر

عن كشف معناه ذو الفكر الدقيق وَهَنْ وفيك ربُّ العلى أهل العقول فتن
أنّى بحدّك يا نور الإله فطنْ ؟ يا من إليه إشارات العقول ومن
فيه الألبّاء تحت العجز والخطر

ففي حدوثك قومٌ في قواك غووا إن أبصروا منك أمراً معجزاً فغَلوا
حيّرت أذهانهم يا ذا العلا فعَلوا هيّمت أفكار ذي الأفكار حين رأوا
آيات شأنك في الأيّام والعصر

أوضحت للنّاس أحكاماً محرّفةً كما أتيت أحاديثاً مصحّفةً
أنت المقدّم أسلافاً وسالفةً يا أوّلاً آخراً نوراً ومعرفةً
يا ظاهراً باطناً في العين والأثر

يا مطعم القرص للعافي الأسير وما ذاق الطعام وأمسى صائماً كرما
ومُرجع القرص إذ بحر الظّلام طما لك العبارة بالنطق البليغ كما
لك الإشارة في الآيات والسّور

أنوار فضلك لا تطفى لهنّ عدا ممّا يكتّمه أهل الضلال بدا
تخالفت فيك أفكار الورى أبدا كم خاض فيك أُناس وانتهى فغدا
معناك محتجباً عن كلّ مقتدر ؟

---

(١) العلامة الحجة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد الاحسائي نزيل الهند والمتوفّى بها من تلمذة ابن المتوج وقرناء ابن فهد الحلي المتوفّى سنة ٨٤١ .

لولاك ما اتّسقت للطُّهر ملّتهُ   كلّا ولا اتّضحت للناس شرعته
ولا انتفت عن أسير الشكّ شبهتهُ   أنت الدليل لمن حارت بصيرته
في طيّ مشتبكات القول والعبر

أدركتَ مرتبة ما الوهم يدركها   وخُضتَ مَن غمرات الحرب مهلكها
مولاي يا مالك الدنيا وتاركها   أنت السفينة مَن صدقاً تمسّكها
نجا ومن حاد عنها خاض في الشرر

مِن نور فضلك ذو الأفكار مقتبس   ومن معالم ربّ العلم مختلس
لولا بيانك أمر الكلّ ملتبسُ   فليس قبلك للأفكار ملتمس
وليس بعدك تحقيقٌ لمعتبر

جاءت بتأميرك الآيات والصحفُ   فالبعض قد آمنوا والبعض قد وقفوا
لولاك ما اتفقوا يوماً ولا اختلفوا   تفرّق الناس إلّا فيك وائتلفوا
فالبعض في جنّةٍ والبعض في سقر

خير الخليفة قومٌ نهجك اتّبعتْ   وشرُّها مَن على تنقيصك اجتمعت
وفرقةٌ أوّلت جهلاً لما سمعتْ   فالناس فيك ثلاثٌ فرقةٌ رُفعت
وفرقةٌ وقعت بالجهل والقذر

يا ويحها فرقة ما كان يمنعها   لو أنّها اتّبعت ما كان ينفعها
يا فرقة غيّها بالشوم موقعها   وفرقة وقعت لا النّور يرفعها
ولا بصائرها فيها بذي غور

بعظم شأنك كلُّ الصّحف تعترفُ   ومن علومك ربُّ العلم يقترف
لولاك ما اصطلحوا يوماً وما اختلفوا   تصالح الناس إلّا فيك واختلفوا
إلّا عليك وهذا موضع الخطر

جاءت بتعظيمك الآيات والسّورُ   فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا
والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا   وكم أشاروا ! وكم أبدوا ! وكم ستروا !
والحقّ يظهر مِن بادٍ ومستتر

أقسمت باللّه باري خلقنا قسما   لولاك ما سمّك اللّه العليُّ سما
يا مَن له إسمٌ بأعلى العرش قد رُسما   أسماؤك الغرُّ مثل النيّرات كما

صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكر

أنت العليمُ إذاربُّ العلوم جهلْ | إذ كلٌّ علم فشى في الناس عنك نقل
وأنت نجم الهدى تهدي لكلِّ مضلْ | وولدك الغرُّ كالأبراج في فلك ال

معنى وأنت مثال الشمس والقمر

أئمَّةٌ سور القرآن قد نطقتْ | بفضلهم وبهم طرق الهدى اتّسقت
طوبى لنفسٍ بهم لا غيرهم وثقتْ | قومٌ هم الآل آل اللّه مَن علقت

بهم يداه نجا مِن زلّة الخطر

عليهمُ محكم القرآن قد نزلا | مفصّلاً من معاني فضلهمُ جملا
هم الهداة فلا تبغي لهم بدلا | شطر الأمانة معراج النجاة إلى

أوج العلوم وكم في الشطر من غير !

بلطف سرِّك موسى فجَّر الحجرا | وأنت صاحبه إذ صَاحبَ الخضرا
وفيك نوحٌ نجا والفلك فيه جرى | يا سرَّ كلّ نبيٍّ جاء مشتهرا

وسرَّ كل نبيٍّ غير مشتهر

يلومني فيك ذو جهل أخو سفهِ | ولا يضرّ محقّاً قول ذي شُبه
ومن تنزَّه عن ندٍّ وعن شَبهِ | أُجلٌّ وصفك عن قدرٍ لمشتبه

وأنت في العين مثل العين في الصور

ولهُ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

يا منبع الأسرار يا | سرَّ المهيمن في الممالك !
يا قطب دائرة الوجود | وعين منبعه كذلك !
والعين والسرّ الذي | منه تلقّنت الملائك
ما لاح صبحٌ في الدجى (١) | إلاّ وأسفر عن جمالك
يابن الأطايب والطواهر | والفواطم والعواتك !
أنت الأمان من الرَّدى | أنت النجاة من المهالك
أنت الصِّراط المستقيم | قسيم جنَّات الأرائك

---

(١) ما لاح صبح للهدى. كذا في بعض النسخ .

والنار مفزعها إليك | وأنت مالك أمر مالك
يا من تجلّى بالجمال | فشقّ بردة كلّ حالك !
صلّى عليك الله من | هادٍ إلى خير المسالك
والحافظ البرسيّ لا | يخشى وأنت له هنالك

وله أبيات في أهل البيت عليهم السلام خمّسها الشاعر المفلق الشيخ أحمد بن الحسن النحوي نذكرها مع تخميسها :

ولائي لآل المصطفى وبنيهمُ | وعترتهم أزكى الورى وذَويهم
بهم سمةٌ من جدِّهم وأبيهمُ | هم القوم أنوار النبوَّة فيهم
تلوح وآثار الإمامة تلمعُ

نجومُ سماء المجد أقمارُ تمِّهِ | معالمُ دين اللّه أطوادُ حلمه
منازلُ ذكر اللّه حكَّام حكمهِ | مهابطُ وحي اللّه خزّان علمه
وعندهمُ سرُّ المهيمن مودع

مديحهمُ في محكم الذّكر محكمُ | وعندهمُ ما قد تلقَّاه آدم
فدَع حكم باقي الناس فهو تحكّمُ | إذا جلسوا للحكم فالكلُّ أبكم
وإن نطقوا فالدّهرُ أذنٌ ومسمع

بحبِّهمُ طاعاتنا تتقبَّلُ | وفي فضلهم جاء الكتاب المنزَّل
يعمُّ شذاهم كلَّ أرض ويشملُ | وإن ذكروا فالكون نَدٌّ ومندل[1]
لهم أرجٌ من طيبهم يتضوَّع

دعا بهمُ موسى ففرَّج كربهُ | وكلّمه من جانب الطور ربّه
إذا حاولوا أمراً تسهَّل صعبهُ | وإن برزوا فالدّهر يخفق قلبه
لسطوتهم والأُسد في الغاب تفزع

فلولاهمُ ما سار فلكٌ ولا جرى | ولا ذرأ اللّه الأنام ولا برى
كرامٌ متى ما زرتهم عجّلوا القِرى | وإن ذُكر المعروف والجود في الورى
فبحر نداهم زاخرٌ يتدفَّع

---

(١) الندّ بفتح المعجمة و كسرها : عود يتبخر به . المندل : العود الطيب الرائحة .

أبوهم أخو المختار طه ونفسهُ وهم فرع دوح في الجلالة غرسه
وأمّهم الزهراء فاطم عرسهُ أبوهم سماء المجد والأمّ شمسه
نجومُ لها برج الجلالة مطلع

لهم نسبٌ أضحى بأحمد معرقا رقى منه للعلياء أبعد مرتقى
وزادهمُ من رونق القدس رونقا فيا نسباً كالشمس أبيض مشرقا
ويا شرفاً من هامة النجم أرفع

كرامٌ نماهم طاهرٌ متطهِّر وبُثَّ بهم من أحمد الطُّهر عنصر
وأُمُّهم الزهراء والأب حيدرُ فمن مثلهم في الناس إن عُدّ مفخر
أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمع

عليٌّ أمير المؤمنين أميرهم وشُبَّرهم أصل التُّقى وشبيرهم
بَهاليلُ صوّامون فاح عبيرهمْ ميامين قوّامون عزَّ نظيرهم
هداةٌ ولاةٌ للرسالة منبع

مناجيب ظلُّ اللّه في الأرض ظلُّهمْ وهم معدنٌ للعلم والفضل كلُّهم
وفضلهمُ أحيا البرايا وبذلهمْ فلا فضل إلّا حين يُذكر فضلهم
ولا علم إلّا علمهم حين يرفع

إليهم يفرُّ الخاطئون بذنبهمْ وهم شفعاء المذنبين لربِّهم
فلا طاعةٌ ترضى لغير محبّهمْ ولا عملٌ ينجي غداً غير حبِّهم
إذا قام يوم البعث للخلق مجمع

حلفتُ بمن قد أمّ مكّة وافدا لقد خاب مَن قد كان للآل جاحدا
ولو أنّه قد قطّع العمر ساجدا ولو أنّ عبداً جاء لِلّه عابدا
بغير ولا أهل العبا ليس ينفع

بني أحمد ! مالي سواكم أرى غدا إذا جئت في قيد الذنوب مقيَّدا
أُناديكمُ يا خير مَن سمع الندا أيا عترة المختار يا راية الهدى !
إليكم غداً في موقفي أتطلّع

فواللّه لا أخشى من النار في غدِ وأنتم وُلاة الأمر يا آل أحمد !
وها أنا قد أدعوكمُ رافعاً يدي خذوا بيدي يا آل بيت محمَّد !

فَمَن غيركم يوم القيامة يشفع ؟

وهذه القصيدة خمّسها الشيخ هادي المتوفى سنة ١٢٣٥ ، ابن الشيخ أحمد النحوي المخمِّس المذكور أوّل تخميسه :

بنو أحمد قد فاز مَن يرتضيهمُ ... أئمَّة حقٍّ للنجا يرتضيهم
وطوبى لمن في هديه يقتضيهمُ ... هم القوم أنوار النبوَّة فيهم
تلوح وآثار الإمامة تلمع

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله :

فرضي ونفلي وحديثي أنتمُ ... وكلُّ كلّي منكمُ وعنكم
وأنتمُ عند الصّلاة قبلتي ... إذا وقفت نحوكم أيمّم
خيالكم نصبٌ لعيني أبداً ... وحبُّكم في خاطري مخيّم
يا سادتي وقادتي أعتابكم ... بجفن عيني لثراها ألثم
وقفاً على حديثكم ومدحكم ... جعلت عمري فاقبلوه وارحموا
مُنّوا على الحافظ مِن فضلكمُ ... واستنقذوه في غدٍ وأنعموا

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله :

يا آل طاها أنتمُ أملي ... وعليكمُ في البعث متّكلي
إن ضاق بي ذنبٌ فحبُّكمُ ... يوم الحساب هناك يوسع لي
بولاءكم وبطيب مَدحكمُ ... أرجو الرّضا والعفو عن زللي
رجب المحدّث عبد عبدكمُ ... والحافظ البرسي لم يزلِ
لا يختشي في الحشر حرَّ لظى ... إذ سيِّداه محمَّدٌ وعلي
سيثقّلان وزان صالحه ... ويُبيِّضان صحيفة العمل
لم ينشعب فيكون منطلقاً ... من ضلّةٍ للشعب ذي الظلل

وله مسمِّطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله :

سرُّكم لا تناله الفكرُ ... وأمركم في الورى له خطر
مستصعبٌ فكُّ رمزه خطرُ ... ووصفكم لا يطيقه البشر

ومدحكم شرِّفت به السور

وجودكم للوجود علّته ونوركم للظُّهور آيته

وأنتمُ للوجود قبلته وحبُّكم للمحبِّ كعبته

يسعى بها طائفاً ويعتمر

لولاكمُ ما استدارت الأُكرُ ولا استنارت شمسٌ ولا قمر

ولا تدلّى غصنٌ ولا ثمرُ ولا تندّى ورقٌ ولا خضر

ولا سرى بارقٌ ولا مطر

عندكمُ في الإياب مجمعنا وأنتمُ في الحساب مفزعنا

وقولكم في الصراط مرجعنا وحبّكم في النشور ينفعنا

به ذنوب المحبِّ تُغتفر

يا سادةً قد زكت معارفهمْ وطاب أصلاً وساد عارفهم

وخاف في بعثه مخالفهمْ إن يختبر للورى صيارفهم

فأصلهم بالولاء يُختبر

أنتم رجائي وحبّكم أملي عليه يوم المعاد متّكلي

فكيف يخشى حرَّ السعير ولي وشافعاه محمَّدٌ وعلي ؟

أو يعتريه من شرِّها شررُ ؟

عبدكم الحافظ الفقير على أعتاب أبوابكم يروم فلا

تخيّبوه يا سادتي ! أملا وأقسموه يوم المعاد إلى

ظلٍّ ظليلٍ نسيمه عطر

صلّى عليكم ربُّ السّماء كما أصفاكمُ واصطفاكمُ كرما

وزاد عبداً والاكمُ نعما ما غرّد الطير في الغصون وما

ناح حمامٌ وأورق الشجر

وله في العترة الطاهرة وسيِّدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله :

إذا رمتَ يوم البعث تنجو من اللظى ويُقبل منك الدين والفرض والسنن

فوال عليّاً والأئمّة بعده نجوم الهدى تنجو من الضيق والمحن

فهم عترةٌ قد فوَّض اللّه أمره إليهم لما قد خصَّهم منه بالمنن

أئمّة حقٍّ أوجب اللّه حقّهم ... وطاعتهم فرضٌ بها الخلق تمتحن
نصحتك أن ترتاب فيهم فتنثني ... إلى غيرهم مَن غيرهم في الأنام مَن ؟
فحبُّ عليٍّ عدّةٌ لوليّه ... يُلاقيه عند الموت والقبر والكفن
كذلك يوم البعث لم ينج قادمٌ ... من النار إلاّ مَن تولّى أبا الحسن

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

يميناً بنا حادي السّرى إن بدت نجدُ ... يميناً فللعاني العليل بها نجد
وعُج فعسى من لاعج الشوق يشتفي ... غريم غرامٍ حشو أحشائه وقد
وسر بي لسربٍ فيه سربُ جآذر ... لسربي من جهد العهاد بهم عهد
ومُر بي بليلٍ في بليلٍ عراصها ... لأروى بريّا تربة تربها ندُّ
وقف بي أُنادي وادي الأيك علّني ... هناك أرى ذاك المساعد يا سعد !
فبالرَّبع لي من عهد جَيرون جيرةٌ ... يُجيرون إن جار الزمان إذا استعدوا
هم الأهل إلاّ أنّهم لي أهلّةٌ ... سوى أنّهم قصدي وأنّي لهم عبد
عزيزونٌ ربع العمر في ربع عزّهم ... تقضّى ولا روعٌ عراني ولا جهد
وربعي مُخضرٌّ وعيشي مخضلٌ ... ووجهيَ مُبيضٌّ وفودي مُسودٌّ
وشملي مشمولٌ وبُرد شبيبتي ... قشيبٌ وبرد العيش ما شانه نكد
معالم كالأعلام معلمة الرُّبى ... فأنهارها تجري وأطيارها تشدو
طوت حادثات الدهر منشور حسنها ... كما رسمت في رسمها شمألٌ تغدو
وأضحت تجرُّ الحادثات ذيولها ... عليه ولا دعدٌ هناك ولا هِند
ولا غرو إن جارت ومارت صروفها ... وغارت وأغرت واعتدت واغتدت تشدو
فقد غدرت قِدماً بآل محمّد ... وطاف عليهم بالطفوف لها جند
وجاشت بجيشٍ جاش طامٍ عرمرمٍ ... خميس لهامٍ حام يُحمومه اسد(١)

(١) طام من طمى يطمي الفرس : أي أسرع . ويُقال : البحر الطامي : أي الغزير . العرمرم : الجيش الكثير . الخميس : الجيش ذات خمس فرق : المقدمة . القلب ، الميمنة ، الميسرة ، الساقة . اللهام : الجيش العظيم . حام أي دار به . اليحموم : اسم فرس الإمام السبط الحسين ، وفرس هشام بن عبد الملك ، وفرس حسان الطائي ، وفرس النعمان بن المنذر .

وعمّت بأشرار عن الرشد قد عَموا　　وهل يسمع الصمّ الدعاء إذا صدّوا ؟
فيا أُمّةً قد أدبرت حين أقبلت　　فرافقها نحسٌ وفارقها سعد
أبت إذ أتت تنأى وتنهى عن النهى　　وولّت وألوت حين مال بها الجدُّ
سرت وسرت بغياً وسرّت بغيِّها　　بغيّاً دعاها إذ عداها به الرشد
عصابة عصب[1] أوسعت إذ سعت إلى　　خطاء خطاها والشقاء بها يحدو
أثاروا وثاروا ثار بدرٍ وبادروا　　لحرب بُدورٍ مِن سناها لهم رشد
بغت فبغت عمداً قتال عميدها　　صدور طغاة في الصدور لها حقد
وساروا يسنّون العناد وقد نسوا الـ　　ـمعاد فهم مِن قوم عادٍ إذا عُدُّوا
فيا قلب قلب الدين في يوم أقبلوا　　إلى قتل مأمولٍ هو العَلم الفرد
فركن الهدى هدّوا وقدّ العلىٰ قدّوا　　وأزر الهوى شدّوا ونهج التقى سدّوا
كأنّي بمولاي الحسين ورهطه　　حيارى ولا عونٌ هناك ولا عضد
بكرب البلا في كربلاء وقد رُمي　　بعادٍ وشطّت دارهم وسطت جند
وقد حدقت عين الرَّدى حين أحدقت[2]　　عتاة عداةٍ ليس يُحصى لهم عدُّ
وقد أصبحوا حلاًّ لهم حين أصبحوا　　حُلولاً ولا حَلٌّ لديهم ولا عقد
فنادى ونادى الموت بالخطب خاطب　　وطير الفنا يشدو وحادي الرّدى يحدو
يسائلهم : هل تعرفوني ؟ مُسائلاً　　وسائل دمع العين سالَ به الخدُّ
فقالوا : نعم أنت الحسين بن فاطم　　وجدّك خير المرسلين إذا عُدّوا
وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً　　إليك إذا عُدّ العلى ينتهي المجد
فقال لهم : إذ تعلمون فما الذي　　دعاكم إلى قتلي فما عن دمي بُدُّ !
فقالوا : إذا رمتَ النجاة من الرّدى!　　فبايع يزيداً إنَّ ذاك هو القصد
وإلاّ فهذا الموت عبّ عبابه[3]　　فخض ظامياً فيه تروح ولا تغدو
فقال : ألا بُعداً بما جئتم به　　ومِن دونه بيضٌ وخطّيةٌ مِلد[4]

---

(١) العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل . العصب : الطي واللي ، والقبض على الشيء .
(٢) حدق : فتح عينيه وطرف بهما . أحدقت : أحاقت .
(٣) عبّ عبابه : كثر موجه وارتفع .
(٤) الملد بالفتح : الناعم اللين .

فضربٌ لهشم الهام تترى بنظمه ... فمن عقده حلٌّ وفي حلّه عقد
فهل سيِّدٌ قد شيَّد الفخر بيته ... حذار الرّدى يشقى لعبد له عبد ؟
وما عذرُ ليثٍ يرهب الموت بأسه ... يذلُّ ويضحي السيّد يرهبه الأُسد ؟
إذا سام منّا الدهر يوماً مذلّة ... فهيهات يأبى ربُّنا وله الحمد
وتأبى نفوسٌ طاهراتٌ وسادةٌ ... مواضيهمُ هام الكماة لها غمد
لها الدم وردٌ والنفوس قنائصٌ ... لها القَدم قِدمٌ والنفوس لها جند(١)
ليوث وغىً ظِلّ الرماح مقيلها ... مغاوير طعم الموت عندهمُ شهد(٢)
حماةٌ عن الأشبال يوم كريهة ... بدور دجىً سادوا الكهول وهم مُرد
إذا افتخروا في الناس عزَّ نظيرهم ... ملوكٌ على أعتابهم يسجد المجد
أيادي عطاهم لا تُطاول في النَّدى ... وأيدي علاهم لا يُطاق لها ردُّ
مطاعيم للعافي مَطاعين في الوغى ... مُطاعين إن قالوا لهم حججٌ لُدُّ(٣)
مَفاتيح للداعي مَصابيح للهدى ... معاليم للساري بها يهتدي النجد(٤)
نزيلهمُ حرمٌ مُنازلهم لقىً ... مَنازلهم أمنٌ بهم يُبلغ القصد
فضائلهم جلّت فواضلهم جلت ... مَدائحهم شهدٌ منائحهم نَدٌّ(٥)
مَرابعهم تسقى مَرابعهم تُلقى ... مُطالعهم يُكفى مَطالعهم سعد
كرامٌ إذا عافٍ عفى منه معهدٌ ... وصَوَّح من خضرائه السبط والجعد(٦)
وآملهم راجٍ وأمَّ لهم رجاً ... وحلَّ بناديهم أحلّ له الرفد
زكوا في الورى أمّاً وجدّاً ووالداً ... وطابوا فطاب الأمُّ والأب والجدُّ
بأسمائهم يُستجلب البرُّ والرضا ... بذكرهمُ يُستدفع الضرُّ والجهد

---

(١) الورد : الماء الذي يورد . قنائص : الصيود . القدم بفتح القاف : الشرف القديم . القدم بكسر القاف : الزمان القديم .

(٢) الوغى : الحرب . المقيل : موضع النوم والراحة . مغاوير جمع المغوار : كثير الغارة .

(٣) لدّ بضم اللام جمع الألد : الخصم الشديد الخصومة .

(٤) النجد : الدليل الماهر .

(٥) الند : بفتح النون وكسرها : عود يتبخر به .

(٦) العافي : الوارد . الضيف : كل طالب فضل أو رزق . عفى : درس وبلى . صوّح : جفف يبس . السبط ضد الجعد . الجعد : القبض خلاف المسترسل .

ومـالَ إلـى فـتـيـانـه ورجـالـه ... يقـول: لقـد طـاب الممـات ألا اشتدّوا
فسـار لأخـذ الثـار كـلّ شـمـردل ... إذا هـاج قـدحٌ للهيـاج لـه زنـد[1]
وكـلُّ كـميّ أريحـيٍّ غشـمـشـم[2] ... تجمّـع فيـه الفضـل وانعـدم الضـدُّ
إذا مـا غـدا يـوم النـدا أسـر العـدى ... ولمّـا بـدا يـوم النّـدى أُطلق الـوعـد
لـيـوث نـزالٍ بـل غـيـوثٌ نـوازلٌ ... سـراةٌ كـأُسـد الغـاب لا بـل هم الأُسـد
إذا طُـلبـوا رامـوا وإن طَـلبـوا رَمـوا ... وإن ضُـربـوا صَـدوا وإن ضَـربـوا قـدّوا
فـوارس أُسـد الغيـل منهـا فـرائسٌ ... وفتيـان صـدقٍ شـأنهـا الـطعن والـطّرد
وجـوهـهـمُ بـيضٌ وخضـرٌ رُبـوعـهـمْ ... وبـيضـهـمُ حمـرٌ إذا الـنّقـع مُـسـودُّ
إذا مـا دُعـوا يـومـاً لـدفـع مُـلمّـة ... غـدا الموت طـوعـاً والقضـاء هـو العبـد
بهـا كـلُّ نـدبٍ يسبق الـطرف طِـرفـه ... جـوادٌ على ظهـر الجـواد لـه أفـد[3]
كـأنّـهمُ نبت الـرُّبـى في سـروجـهم ... لشـدّة حزمٍ لا بحُـزمٍ لها شُـدّوا[4]
لبـاسهمُ نسـج الـحـديـد إذا بـدوا ... جبـالاً وأقيـالاً تـقـلّهم الـجـرد[5]
إذا لبسـوا فـوق الـدروع قلوبـهـم ... وصـالـوا فحـرّ الكـرّ عنـدهمُ بَـرد
يخـوضـون تيّـار الحمـام ظـوامـيـاً ... وبحـر المنـايـا بـالمنـايـا لهـا مـدُّ
يـرون المنـايـا تنيلهـا غـايـة المنى ... إذا استشهـدوا مـرّ الـرَّدى عنـدهم شهـد
إذا فـلّلت أسـيـافـهـم فـي كـريـهـةٍ ... غـدا في رؤوس الـدارعيـن لهـا حَـدُّ
فـمن أبـيضٍ يلقـى الأعـادي بـأبيضٍ ... ومِـن أسـمـرٍ فـي كـفّـه أسـمـر صـلد

---

(١) الشمردل بالمهملة والشمرذل بالمعجمة: الفتى السريع من الإبل وغيره. هاج: ثار وتحرك. القدح: الفولاذة التي تقدح بها النار. الهياج: الحرب. زند النار قدحها وإخراجها من الزند.

(٢) الكمي: الشجاع أو لابس السلاح. الغشمشم: المغشّم وهو الشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريد.

(٣) الندب: السريع إلى الفضائل، الظريف النجيب. الطرف بكسر المهملة مرّ ص ٣١. الأفد: العجلة والسرعة.

(٤) الربى جمع الربوة: ما ارتفع من الأرض. الحزم بفتح المهملة. ضبط الأمر. الحزم بضم الأول والثاني جمع الحزام بالكسر: ما يشدّ به وسط الدابة.

(٥) أقيال جمع القيل: الرئيس. تقلّهم من قلّ الشيء قلاً: أي حمله. وقلّه عن الأرض: رفعه. الجرد جمع الأجرد: السباق من الخيل.

يذبّون عن سبط النبيّ محمّدٍ وقد ثار عالي النّقع واصطخب الوقد
يخال بَريق البيض برقاً سجاله الدماء وأصوات الكماة لها رعد
إلى أن تدانى العمر واقترب الرَّدى وشأن اللّيالي لا يدوم لها عهد
أعدّوا نفوساً للفناء وما اعتدوا فطوبى لهم نالوا البقاء بما عَدّوا
أحلّوا جسوماً للمواضي وأحرموا فحلّوا جنان الخلد فيها لهم خلد
أمام الإمام السبط جادوا بأنفس بها دونه جادوا وفي نصره جدّوا
شروا عندما باعوا نفوساً نفائساً ففي هجرها وصلٌ وفي وصلها نقد
قضوا إذ قضوا حقَّ الحسين وفارقوا وما فرَّقوا بل وافقوا السعد يا سعد
فلمّا رأى المولى الحسين رجاله وفتيانه صرعى وشادي الردى يشدو
غدا طالباً للموت كاللّيث مغضباً يُحامي عن الأشبال يشتدُّ إن شدّوا
وإن جمعوا سبعين ألفاً لقتله فيحمل فيهم وهو بينهمُ فرد
إذا كرَّ فرّوا من جريحٍ وواقعٍ ذبيحٍ ومهزومٍ به طوّح الهدُّ(١)
ينادي : ألا يا عصبةً عصت الهدى وخانت فلم يُرعَ الذّمامُ ولا العهد
فبعداً لكم يا شيعة الغدر إنّكم كفرتم فلا قلبٌ يلين ولا وُدُّ
ولايتنا فرضٌ على كلِّ مسلمٍ وعصياننا كفرٌ وطاعتنا رُشد
فهل خائفٌ يرجو النَّجاة بنصرنا ويخشى إذا اشتدَّت سعيرٌ لها وَقد ؟
ويرنو لنحو الماء يشتاق ورده إذا ما مضى يبغي الورود لَه رَدُّ
فيحمل فيهم حملةً علويَّةً بها للعوالي في أعالي العدى قصد
كفعل أبيه حيدرٍ يوم خيبرٍ كذلك في بدر ومِن بَعدها أُحد
إذا ما هوى في لبّة الليث عضبه فمن نحره بحرٌ ومِن جزره مَدُّ
وعاد إلى أطفاله وعياله وغرب المنايا لا يفلُّ لها حَدُّ(٢)
يقول : عليكنَّ السَّلام مودِّعاً فها قد تناهى العمر واقترب الوعد
ألا فاسمعي يا اخت إن مسَّني الرَّدى فلا تلطمي وجهاً ولا يُخمش الخدُّ

---

(١) طوّح به : حمله على ركوب المهالك وقذفه . الهدّ : الكسر . الصوت الغليظ .
(٢) الغرب يوصف به السيف أي قاطع حديد . المنايا جمع المنية : الموت . الفلّ : الثلمة في حدّ السيف . الحد من السيف : مقطعه .

وإن برحت فيك الخطوب بمصرعي … وجلّ لديك الحزن والثكل والفقد
فارضي بما يرضي إلهكِ واصبري … فما ضاع أجر الصابرين ولا الوعد
وأوصيكِ بالسجّاد خيراً فإنّه … إمام الهدى بعدي له الأمر والعهد
فضجّ عيال المصطفى وتعلّقوا … به واستغاث الأهل بالنّدب والولد
فقال وكرب الموت يعلو كأنّه … ركام ومن عظم الظما انقطع الجهد(١)
: ألا قد دنا الترحال فاللّه حسبكم … وخير حسيبٍ للورى الصّمد الفرد
وعاد إلى حرب الطغاة مجاهداً … وللبيض والخرصان في قَدّه قَدُّ
إلى أن غدا مُلقىً على التّرب عارياً … يُصافح منه إذ ثوى للثرى خدُّ
وشمّر شِمر الذيلَ في حزّ رأسه … ألا قُطعت منه الأنامل والزّند
فوا حزن قلبي للكريم علا على … سِنان سَنان والخيول لها وَخد(٢)
تزلزلت السّبع الطباق لفقده … وكادت له شُمُّ الشماريخ تنهدُّ(٣)
وأرجف عرش اللّه من ذاك خيفةً … وضجّت له الأملاك وانفجر الصلد
وناحت عليه الطير والوحش وحشةً … وللجنّ إذ جنّ الظلام به وَجد
وشمس الضّحى أمست عليه عليلةً … علاها اصفرار إذ تروح وإذ تغدو
فيا لك مقتولاً بكته السماء دماً … وثُلّ سرير العزّ وانهدم المجد
شهيداً غريباً نازح الدار ظامياً … ذبيحاً ومن قاني الوريد له ورد
بروحي قتيلاً غسله من دمائه … سليباً ومن سافي الرياح له بُردُ
ترضُّ خيول الشرك بالحقد صدره(٤) … وترضخ منه الجسم في ركضها جرد
ومذ راحَ لمّا راحَ للأهل مهره … خليّاً يخدُّ الأرض بالوجه إذ يعدو
برزن حيارى نادبات بذلّةٍ … وقلبٍ غدا من فارط الحزن ينقدُّ
فحاسرةٌ بالردن تستر وجهها … وبرقعها وقدٌ ومدمعها رفد

---

(١) الركام : المتراكم بعضه فوق بعض . الجهد : الطاقة .

(٢) الوخد من وخد البعير أي أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام . وهذا البيت في نسخة :
فوالهف نفسي للمحيا علا على … سنان سنان والخيول به تعدو

(٣) الشمراخ : رأس الجبل . تنهدّ : تقع وتنهدم : الأوصاب جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .

(٤) الرضّ : الدقّ والجرش . الرضخ : الكسر . الجرد راجع ص ٣٩ .

ومن ذاهلٍ لم تدر أين مُعزُّها ... تضيقُ عليها الأرض والطرق تنسد
وزينب حسرى تندب الندب عندها ... من الحزن أوصابٌ يضيق بها العدُّ
تنادي : أخي يا واحدي وذخيرتي ... وعوني وغوثي والمؤمَّل والقصد
ربيع اليتامى يا حسينُ وكافلُ ... الأيامى رمانا بَعد بُعدكم البعد
أخي بعد ذاك الصون والخدر والخبا ... يُعالجنا علجٌ ويسلبنا وَغد
بناتك يابن الطّهر طاها حواسرٌ ... ورحلك منهوبٌ تقاسمه الجند
لقد خابت الآمال وانقطع الرجا ... بموتك مات العلم والدين والزهد
وأضحت ثغور الكفر تبسم فرحةً ... وعين العلى ينخدُّ من سحِّها الخدُّ(١)
وصوَّح نبت الفضل بعد اخضراره ... وأصبح بدر التمِّ قد ضمّه اللّحد
تُجاذبنا أيدي العدى فضلة الرِّدا ... كأن لم يكن خير الأنام لنا جَدُّ
فأين حصوني والأُسود الأولي بهم ... يُصال على ريب الزمان إذا يعدوا ؟
إذا غربت يابن النبيِّ بدورُكم ... فلا طلعت شمسٌ ولا حلّها سعد
ولا سحبت سحبٌ ذيولاً على الرُّبى ... ولا ضحك النوّار وانبعق الرعد(٢)
وساروا بآل المصطفى وعياله ... حيارى ولمُ يخش الوعيد ولا الوعد
وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت ... تجوب بعيد البيد فيها لها وَخد
تؤمُّ يزيداً نجلَ هند إمامها ... ألا لُعنت هندٌ وما نجلت هند
فيا لك من رزءٍ عظيم مصابه ... يُشقُّ الحشا منه ويُلتدم الخدُّ
أيُقتل ظمآناً حسين بكربلا ... ومن نحره البيض الصقال لها ورد
وتضحي كريماتُ الحسين حواسراً ... يلاحظها في سيرها الحرُّ والعبد
فليس لأخذ الثار إلاّ خليفة ... هو الخلف المأمول والعَلم الفرد
هو القائم المهديُّ والسيِّد الذي ... إذا سار أملاك السَّماء له جُند
يُشيِّد ركن الدين عند ظهوره ... علوّاً وركنُ الشِّرك والكفر ينهدُّ
وغصن الهدى يُضحي وريقاً ونبته ... أنيقاً وداعي الحقِّ ليس له ضدُّ

---

(١) ينخدّ : ينشقّ . السّح : الصبّ المتتابع الغزير .
(٢) سحبت من السحب : الجرّ على وجه الأرض . النوار : الزهر والأبيض منه . انبعق : انبعج المطر .

لعلَّ العيون الرمد تحظى بنظرةٍ إليه فتجلى عندها الأعين الرّمد
إليك انتهى سرُّ النبيّين كلِّهم وأنت ختام الأوصياء إذا عُدّوا
بني الوحي يا أُمّ الكتاب ومَن لهم مناقب لا تحصى وإن كثر العدُّ
إليكم عروساً زفّها الحزن ثاكلاً تنوح إذا الصبُّ الحزين بها يشدو
لها عبرةٌ في عشر عاشور ارسلت إذا أنشدت حادي الدُّموع بها تحدو
رجا (رجبٌ) رَحب المقام بها غدا إذ ما أتى والحشر ضاق به الحشد
بذلت اجتهادي في مديحكمُ وما قدارُ مديحي بَعد أن مَدح الحمد
ولي فيكمُ نظمٌ ونثرٌ غناؤه فقيرٌ وهذا جهد مَن لا له جهد
مصابي وصوب الدَّمع فيكم مجدَّد وصبري وسلواني به أخلق الجهد
تذكّرني يا ابن النبيِّ غداً إذا غدا كلُّ مولى يستجير به العبد
فأنتم نصيب المادحين وإنَّني مدحت وفيكم في غدٍ يُنجز الوعد
إذا أصبح الراجي نزيل ربوعكم فقد نجحت منه المطالب والقصد
فإن مال عنكم يا بني الفضل راغبٌ يظلُّ يضحي عند من لا له عند
فيا عدَّتي في شدَّتي يوم بعثتي بكم غلَّتي من عِلّتي حرُّها برد
عبيدكم (البرسيُّ) مولى فخاركم كفاه فخاراً أنّه لكمُ عبد
عليكم سلام الله ما سكب الحيا دموعاً على روضٍ وفاح لها ندُّ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

دمعٌ يبدّده مقيمٌ نازحُ ودمٌ يبدِّده مقيمٌ نازح
والعين إن أمست بدمع فجِّرت فجرت ينابيع هناك مُوانح
أظهرت مكنون الشجون فكلما شجّ الأمون سجا الحرون الجامح (١)
وعليَّ قد جعل الأسى تجديده وقفاً يُضاف إلى الرحيب الفاسح
وشهود ذلِّي مع غريم صبابتي كتبوا غرامي والسقام الشارح

---

(١) الشج من شجّ المفازة : قطعها . الأمون من الناقة : وثيقة الخلق القوية . سجا يسجو سجواً . مدّ حنينه . الحرون من الدابة الذي لا ينقاد . وإذا استدبر جريه وقف . الجامح : المتغلب على راكبه والذاهب به وهو لا ينثني .

أوهى اصطباري مطلقٌ ومقيَّدٌ غربٌ وقلبٌ بالكآبة بائح[١]
فالجفنُ مُنسجمٌ غريقٌ سائحٌ والقلب مُضطرمٌ حريقٌ قادح
والخدُّ خدَّده طليقٌ فاترٌ والوجد جدَّدهُ مجدٌّ مازح
أصبحت تخفضني الهموم بنصبها والجسم مُعتلٌّ مِثالٌ لائح
حلّت له حلل النحول فبرده بُرد الذبول تحلٌّ فيه صفائح
وخطيب وجدي فوق منبر وحشتي لفراقهم لهو البليغ الفاصح
ومحرّمٌ حزني وشوّال العَنا والعيد عندي لاعجٌ ونوائح
ومديد صبري في بسيط تفكّري هزجٌ ودمعي وافرٌ ومُسارح[٢]
ساروا فمعناهم ومغناهم عفى واليومَ فيه نوائحٌ وصوائح
درس الجديد جديدها فتنكّرت ورنا بها للخطب طرفٌ طامح[٣]
نسج البلى منه محقِّق حسنه فنآؤه ماحي الرسوم الماسح
فطفقتُ أندبه رهينَ صبابةٍ عدم الرفيق وغاب عنه الناصح
وأقول والزفرات تذكي جذوةً بين الضلوع لها لهيبٌ لافح
: لا غر وإن غَدر الزمان بأهله وجفا وحان وخان طرفٌ لامح
فلقد غوى في ظلم آل محمّد وعوى عليهم منه كلبٌ نابح
وسطا على البازي غرابٌ أسحمٌ وشبا على الأشبال زنجٌ ضابح[٤]
وتطاول الكلبُ العقورُ فصاول اللّيث الهصور وذاك أمرٌ فادح[٥]
وتواثبت عرج الضباع وروّعت[٦] والسيد أضحى للأسود يكافح
آل النبيِّ بنو الوصيِّ ومنبع الـ ـشّرف العليِّ وللعلوم مفاتح

---

(١) بائح من باح يبوح بوحاً بسرّه : أظهره كأباحه .
(٢) إشارة إلى أنواع الشعر .
(٣) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف . الطامح من طمح البصر : ارتفع ونظر شديداً .
(٤) البازي من طيور الصيد وله أنواع كثيرة . الأسحم : الأسود . شبا : علا . الزنج : قوم من السودان . الضابح : المتغير اللون كلون الضبح أي الرماد .
(٥) صاوله : واثبه . الهصور من الأسد الذي يهصر فريسته أي يكسرها كسراً . الفادح : الصعب المثقل .
(٦) تواثبت من وثب وثباً : نهض وقام . عرج جمع الأعرج : المصاب في رجله الماشي مشية =

خــزّان عــلـم الـلّه مـهـبط وحـيـــهِ وبحـارُ علم والأنام ضحـاضـح [١]
التـائبـونَ العـابـدون الحــامـدونَ الـذّاكـرون وجنـحُ ليـلٍ جـانـح
الصــائمونَ القـائمون المـطعمـونَ المؤثـرونَ لـهم يـدٌ ومَـنـائـح
عند الجدى سحب وفي وقت الهدى سمتٌ وفي يـوم النّزال جَحـاجح [٢]
هــم قبـلةٌ للســاجـديـنَ وكعبـةٌ لـلطائفيـنَ ومَـشـعـرٌ وبَـطـائـح
طـرق الهـدى سُفن النجـاة محبُّهم ميـزانـه يـوم القيـامـة راجـح
مــا تبلغ الشعــراء منهم في الـثنـا واللّه في السّبـع المثـانـي مـادح
نسب كمنبلج الـصّبــاح ومنـتـمىً زاكٍ لـه يعنـو السمـاك الـرّامـح [٣]
الجـدُّ خيـر المـرسلين محمّـد الـ ـهـادي الأمينُ أخو الختـام الفـاتـح
هــو خـاتمٌ بـل فـاتـحٌ بـل حـاكمٌ بـل شاهـدٌ بـل شـافـعٌ بـل صـافـح
هــو أوّل الأنـوار بـل هـو صفـوة الـ ـجبّـار والنشـر الأريـج الفـائـح
هو سيِّد الكونين بل هو أشرف الثـ ـقلين حقّـاً والنـذيـر النـاصـح
لـولاك مـا خُلق الـزمـان ولا بـدت للعـالمين مَسـاجـدٌ ومَصـابـح
والأمُّ فـاطمـة البتـول وبضعـة الـ هادي الرسـول لها المهيمن مـانح
حـوريَّـةٌ إنسيَّـةٌ لـجـلالـهـا وجمـالهـا الـوحي المنزَّل شـارح
والـوالد الـطهر الـوصيُّ المـرتضى عَلم الهـداية والمنـارُ الـواضـح
مـولىً لـه النبأ العـظيم وحبُّه النـ ـهـج القـويم بـه المتـاجـر رابح
مــولىً لــه بغــديـر خـمٍّ بيعـةٌ خضعت لها الأعناق وهي طـوامـح
القســور البتّـاكُ والـفتّـاكُ والسـ ـفّاك في يـوم العـراك الـذّابـح
أســد الإلّـه وسـيـفـه ووليُّـه وشقيق أحمـد والـوصيُّ النـاصـح
وبـعضـدهِ وبـعضبـهِ وبعـزمـهِ حقّـاً على الكفّـار نـاحَ النـائـح

= غير متساوية . الضبع : الضباع جمع الضبع .

(١) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر .

(٢) الجدى : العطية . السمت : المحجة والطريق . الجحاجح جمع الجحجح : السيد المسارع إلى المكارم . المبادر .

(٣) يعنو : يذلّ ويخضع . السماك الرامح : نجم معروف يسمى بذلك لأنه يقدمه كوكب يقولون : هو رمحه .

يا ناصر الإسلام يا باب الهدى ... يا كاسر الأصنام فهي طوامح (١)
يا ليت عينك والحسين بكربلا ... بين الطغاةِ عن الحريم يُكافح
والعاديات صواهلٌ وجوائلٌ ... بالشوس في بحر النجيع سوابح (٢)
والبيض والسمر اللدان بوارقٌ ... وطوارقٌ ولوامعٌ ولوائح (٣)
يَلقى الردى بحر الندى بين العدى ... حتّى غدا مُلقىً وليس مُنافح (٤)
أفديه محزوز الوريد مرمّلا ... ملقىً عليه الترب سافٍ سافح (٥)
والماء طامٍ وهو ظامٍ بالعرا ... فردٌ غريبٌ مستضامٌ نازح
والطاهرات حواسرٌ وثواكلٌ ... بين العدى ونوادبٌ ونوائح
في الطفّ يَسحبنَ الذُّيول بذلة ... والدّهر سهم الغدر رامٍ رامح (٦)
يسترنَ بالأَردان نورَ محاسن ... صوناً وللأعداء طَرفٌ طامح
لهفي لزينب وهي تندب نَدبها ... في نَدبها والدمع سارٍ سارح (٧)
تدعو: أخي يا واحدي ومؤمّلي ... مَن لي إذا ما ناب دهرٌ كالح؟ (٨)
مَن لليتامى راحمٌ؟ مَن للأيا ... مى كافلٌ؟ مَن للجفاة مناصح؟
حُزني لفاطمَ تلطم الخدَّينِ من ... عظم المصاب لها جوىً وتبارح (٩)
أجفانها مقروحةٌ ودموعها ... مسفوحةٌ والصّبر منها جامح
تهوي لتقبيل القتيل تضمّه ... بفتيل معجرها الدِّماء نَواضح
تحنو على النَّحر الخضيب وتلثُم الثـ ... ـغر التريب لها فؤادٌ قادح

(١) مرّ حديث كسره عليه السلام الأصنام في صفحة ٢٣ ـ ٢٨ من هذا الجزء .
(٢) الشوس جمع الأشوس . راجع ص ٢٤ . النجيع الدم المائل إلى السواد . سوابح جمع سابح : السريع الغير المضطرب في جريه .
(٣) البيض جمع الأبيض : السيف . السمر : الرمح . اللدان جمع لدن بفتح اللام : اللين .
(٤) المنافح : المدافع .
(٥) ساف من سفى يسفي سفياً : التراب تذرى وتبدد . سافح : المصبوب الذي لا يحبسه شيء .
(٦) يسحبن من سحب سحباً : جرّ على وجه الأرض . الرامح : الطاعن بالرمح .
(٧) السارح : الجاري جرياً سهلاً .
(٨) ناب : نزل . الكالح من كلح وجهه : عبس وتكشّر فهو كالح .
(٩) الجوى شدة الوجد من حزن أو عشق . داء في الصدر . التبارح من البرح : الأذى والعذاب الشديد والمشقة .

أسفي على حرم النبوَّة جئن مـطـ ... ـروحاً هنالك بالعتاب تطارح[(١)]
يَنْدُبْنَ بدراً غاب في فلك الثرى ... وهزبر غابٍ غيَّبته ضرائح
هذي أخي تدعو وهذي ياأبي ... تشكو وليس لها وليٌّ ناصح
والطهر مشغول بكرب الموت من ... ردِّ الجواب وللمنيَّة شابح [(٢)]
ولفاطم الصغرى نحيبٌ مقرحٌ ... يذكي الجوانح للجوارح جارح
عِلجٌ يعالجها لسلب حليِّها ... فتظلُّ في جهد العفاف تطارح[(٣)]
بالردن تستر وجهها وتمانع الـ ... ـملعون عن نهب الرِّدا وتكافح
تستصرخ المولى الإمام وجدَّها ... وفؤادَها بعد المسرَّة نازح
: ياجدُّ قد بلغ العدى ما أمَّلوا ... فينا وقد شمتَ العدوُّ الكاشح
يا جدُّ غاب ولينا وحميِّنا ... وكفيلنا ونصيرنا والناصح
ضيَّعتمونا والوصايا ضُيِّعت ... فينا وسهمُ الجور سارٍ سارح
يا فاطم الزهراء قومي وانظري ... وجهَ الحسين له الصعيد مصافح
أكفانه نسجُ الغبار وغسله ... بدم الوريد ولم تنحه نوائح
وشبوله نهب السيوف تزورها ... بين الطفوف فراعلٌ وجوارح[(٤)]
وعلى السنان سنان رافع رأسه ... ولجسمه خيل العداة روامح[(٥)]
والوحش يندب وحشةً لفراقه ... والجنُّ إن جنَّ الظّلام نوائح
والأرض ترجف والسماء لأجله ... تبكي معاً والطير غادٍ رائح
والدهر من عظم الشجى شق الردا ... أسفاً عليه وفاض جفنٌ دالح [(٦)]
يا للرِّجال لظلم آل محمَّدٍ ... ولأجل ثارهمُ وأين الكادح ؟[(٧)]

---

(١) تطارح : تجاوب .
(٢) الشابح من شبح شبحاً الجلد : مده بين أوتاد . الرجل مده كالمصلوب .
(٣) تطاوح : تباعد .
(٤) فراعل جمع الفرعل : ولد الضبع . الجوارح جمع الجارحة : ذات الصيد من السباع والطير والكلاب .
(٥) روامح من رمحته الدابة : رفسته .
(٦) الدالح : الكثير الماء .
(٧) الكادح : الذي جهد نفسه في العمل .

يُضحي الحسين بكربلاء مرمَّلاً عريان تكسوه التراب صحاصح[١]
وعيالُه فيها حيارى حسَّرٌ للذلِّ في أشخاصهنَّ ملامح[٢]
يُسرى بهم أسرى إلى شرِّ الورى من فوق أقتاب الجمال مضابح[٣]
ويُقاد زين العابدين مغلّلاً بالقيد لم يشفق عليه مسامح
ما يكشف الغمّاء إلاّ نفحةٌ يحيي بها الموتى نسيمٌ نافح
نبويَّةٌ علويَّةٌ مهديَّةٌ يُشفى بريّاها العليل البارح
يضحي مناديها ينادي : يا لثا رات الحسين وذاك يومٌ فارح
والجنُّ والأملاك حول لوائه والرعب يقدم والحتوف تُناوح[٤]
و و في جذعيهما خفضاً ونصب الصلب رفعٌ فاتح
و و والإثم والـ ـعدوان في ذُلِّ الهوان شوائح
لعنوا بما اقترفوا وكلُّ جريمة شبَّت لها منهم زنادٌ قادح
يابن النبيِّ صبابتي لا تنقضي كمداً وحزني في الجوانح جانح[٥]
أبكيكمُ بمدامع تترى إذا بخل السحاب لها انصبابٌ سافح
فاستجل من مولاك عبد ولاك من لولاك ما جادت عليه قرائح
برسيَّة كملت عقود نظامها حليَّة ولها البديع وشائح[٦]
مدَّت إليك يداً وأنت منيلها يابن النبيِّ وعن خطاها صافح
يرجو بها (رجب) القبول إذا أتى وهو الذي بك واثقٌ لك مادح
أنت المعاذ لدى المعاد وأنت لي إن ضاق بي رَحب البلاد الفاسح
صلّى عليك الله ما سكب الحيا دمعاً وما هبَّ النسيم الفائح

---

(١) صحاصح جمع الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .
(٢) الملاح : ما بدى من محاسن الوجه ومساويه .
(٣) المضابح : المقالي والمخاصم .
(٤) تناوح : تقابل .
(٥) الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر . الجانح من جنحت السفينة : لزقت بالأرض فلم تمض .
(٦) وشائح جمع وشاح شبه قلادة يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها .

وله في رثاء الإمام السبط صلوات الله عليه قوله :

ما هاجني ذكر ذات البان والعلم ... ولا السّلام على سلمى بذي سلم
ولا صبوت لصبّ صاب مدمعه ... من الصبابة صبَّ الوابل الرزم[1]
ولا على طلل يوماً أطلت به ... مخاطباً لأهيل الحيِّ والخيم
ولا تمسّكت بالحادي وقلت له : ... إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم[2]
لكن تذكرت مولاي الحسين وقد ... أضحى بكرب البلا في كربلاء ظمي
ففاض صبري وفاض الدمع وابتعد الر ... قاد واقترب السهاد بالسقم
وهامَ إذ همت العبرات من عدم[3] ... قلبي ولم استطع مع ذاك منع دَمي
لم أنسه وجيوش الكفر جائشة ... والجيش في أمل والدين في ألم
تطوف بالطّف فرسان الضّلال به ... والحقُّ يسمع والأسماع في صمم
وللمنايا بفرسان المنى عجلٌ ... والموت يسعى على ساق بلا قدم
مُسائلاً ودموع العين سائلةٌ ... وهو العليم بعلم اللوح والقلم
ما إسم هذا الثرى يا قوم ! فابتدروا ... بقولهم يوصلون الكلم بالكلم
بكربلا هذه تُدعى . فقال : أجل ... آجالنا بين تلك الهضب والأكم
حطوا الرِّحال فحال الموت حلَّ بنا ... دون البقاء وغير اللّه لَم يدم
يا للرِّجال لخطب حلَّ مخترم الـ ... آجال معتدياً في الأشهر الحرم
فها هنا تصبح الأكباد من ظمأ ... حرَّى وأجسادها تروى بفيض دم
وها هنا تصبح الأقمار آفلةً ... والشّمس في طفل والبدر في ظلم
وها هنا تملك السادات أعبدُها ... ظلماً ومخدومها في قبضة الخدم
وها هنا تصبح الأجساد ثاويةً ... على الثرىٰ مَطعماً للبوم والرّخم[4]
وها هنا بُعد بُعد الدار مدفننا ... وموعد الخصم عند الواحد الحكم

---

(١) صبوت من صبا يصبو : حنّ . الصب : العاشق . الصبابة : الشوق ورقة الهوى . الوابل المطر الشديد . الرزم : الذي لا ينقطع رعده .

(٢) مطلع بديعية صفي الدين الحلي . راجع ج ٦ ص ٦٣

(٣) همت من همى يهمي همياً : سال لا يثنيه شيء .

(٤) البوم : طائر يسكن الخراب . الرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع .

وصاح بالصحب هذا الموت فابتدروا أُسداً فرائسها الآساد في الأجم
من كل أبيض وضّاح الجبين فتىً يغشي صلى الحرب لا يخشى من الضرم
من كلّ منتدبٍ للّه محتسب في اللّه مُنتجب باللّه مُعتصم
وكلّ مصطلم الأبطال مصطلم الـ آجال مُلتمس الآمال مُستلم
وراحَ ثمَّ جواد السبط يندبه عالي الصهيل خليّاً طالب الخيم
فمذ رأته النساء الطاهرات بدا يكادم[1] الأرض في خدّله وفم
برزن نادبةً حسرى وثاكلةً عبرى ومعلولة بالمدمع السجم
فجئن والسبط ملقىً بالنصال أبت مِن كفّ مُستلمٍ أو ثغرِ ملتثم
والشمر ينحر منه النحر من حنقٍ والأرض ترجف خوفاً مِن فعالهم
فتستر الوجه في كمّ عقيلته وتنحني فوق قلبٍ والهٍ كلم[2]
تدعو أخاها الغريب المستضام أخي ياليت طرف المنايا عن علاك عم
من اتكلت عليه في النساء ومَن أوصيت فينا ومن يحنو على الحرم ؟
هذي سكينة قد عزّت سكينتها وهذه فاطمٌ تبكي بفيض دم
تهوي لتقبيله والدمع منهمرٌ والسبط عنها بكرب الموت في غمم[3]
فيمنع الدمّ والنصل الكسير به عنها فتنصلُّ لم تبرح ولم ترم
تضمُّه نحوها شوقاً وتلثمه ويخضب النحرُ منه صدرَها بدم
تقول من عظم شكواها ولوعتها وحزنها غير منقضٍ ومنفصم
أخي لقد كنت نوراً يستضاء به فما لنور الهدى والدين في ظلم
أخي لقد كنت غوثاً للأرامل يا غوث اليتامى وبحر الجود والكرم
ياكافلي هل ترى الأيتام بعدك في اسر المذلّة والأوصاب[4] والألم
يا واحدي يابن أُمّي يا حسين لقد نال العدى ما تمنّوا مِن طلابهم
وبرّدوا غلل الأحقادِ من ضغنٍ وأظهروا ما تخفّى في صدورهم

---

(١) يكادم : يعضّ .
(٢) الكلم من كلمه علماً : جرحه .
(٣) غمم بضم المعجمة جمع الغمة : الحيرة واللبس .
(٤) الأوصاب جمع الوصب راجع ص ٧٠ .

أين الشفيقُ وقد بان الشقيق وقد جار الرفيق ولجّ الدّهر في الأُزم[١]
مات الكفيل وغاب اللّيث فابتدرت عرج الضباع على الأشبال في نهم
وتستغيث رسول اللّه صارخةً : يا جدُّ أين الوصايا في ذوي الرحم؟
يا جدُّ لو نظرتْ عيناك مِن حزن للعترة الغرِّ بعد الصون والحشم
مشرَّدين عن الأوطان قد قهروا ثكلى أسارى حيارى ضرِّجوا بدم
يُسْرى بهنَّ سبايا بعد عزِّهمُ فوق المطايا كسبي الروم والخدم
هذا بقيَّة آل اللّه سيّد أهـ ل الأرض زينُ عباد اللّه كلّهم
نجل الحسين الفتى الباقي ووارثه والسيِّد العابد السجّاد في الظلم
يُساق في الأسر نحو الشام مهتضماً بين الأعادي فمن باكٍ ومبتسم
أين النبيُّ وثغر السِّبط يقرعه يزيدُ بغضاً لخير الخلق كلّهم؟
أيَنكت الرجس ثغراً كان قبَّله من حبِّه الطهر خيرُ العرب والعجم ؟
ويدَّعي بعدها الإسلام من سفه وكان أكفر من عاد ومن إرم ؟
يا ويله حين تأتي الطُّهر فاطمةٌ في الحشر صارخةً في موقف الأُمم
تأتي فيطرق أهلُ الجمع أجمعهم منها حياءً ووجه الأرض في قتم
وتشتكي عن يمين العرش صارخة وتستغيث إلى الجبّار ذي النقم
هناك يظهر حكم اللّه في ملأ عضّوا وخانوا فيا سحقاً لفعلهم
وفي يديها قميصٌ للحسين غدا مضمَّخاً بدم قرناً إلى قدم
أيا بني الوحي والذكر الحكيم ومَن ولاهمُ أملي والبرء مِن ألمي
حزني لكم أبداً لا ينقضي كمداً حتى الممات وردِّ الروح في رمم
حتّى تعود إليكم دولةٌ وُعدت مهديَّة تملأ الأقطار بالنعم
فليس للدين مِن حامٍ ومُنتصرٍ إلّا الإمام الفتى الكشّاف للظلم
القائم الخلف المهديُّ سيِّدنا الطاهر العلم ابن الطاهر العلم
بدر الغياهب تيّار المواهب مَنْ صور الكتائب حامي الحلّ والحرم[٢]

---

(١) الازم : من أزم الدهر القوم : استأصلهم . وأزم بصاحبه : لزم . وأزم الحبل : أحكم فعله . والازم ج الأزمة : الشدة .

(٢) الغياهب جمع الغيهب : الظلمة الشديدة السواد من الليل . التيّار . موج البحر الهائج . الكتائب جمع الكتيبة : القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل .

يـابن الإمام الـزكيّ العسكـري فتى الـ   هـادي التقيّ عليٍّ الـطاهـر الـشيم
يابن الجـواد ويـا نجـل الـرضـا ويا   سـليـل كـاظم غيظ مَنبـع الـكـرم
خليفـة الصّـادق المـولى الـذي ظهـرت   عـلومـه فـأنـارت غـيـهب الـظلم
خليفـة البـاقـر المـولى خليفـة زيـ   ـن العابـديـن عـليّ طـيِّـب الـخـيـم
نجـل الحسين شهيـد الـطفّ سيِّدنـا   وحبِّـذا مـفـخـرٌ يـعـلو عـلى الأُمـم
نجـل الحسين سليـل الـطُّهر فـاطمـة   وابن الـوصيّ عليٍّ كـاسـر الصنم(١)
يـابن النـبيِّ ويـابـن الـطُّهـر حيـدرة   يـابن البتـول ويـابن الحـلِّ والحـرم
أنـت الـفـخـار ومـعـنـاه وصـورتـه   ونقـطة الحـكم لا بـل خـطّة الحِكم
أيّـامـك البيض خضـرٌ فهي خاتمة الـ   ـدنـيـا وختـم سعـود الـديـن والأُمم
مـتـى نـراك فـلا ظُـلمٌ ولا ظـلم   والـدين في رَغَـد والـكفـر في رغم ؟
أقبـل فسبل الهـدى والـدين قـد طمست   ومسّـهـا نـصبٌ والـحـقُّ فـي عـدم
يـا آل طـاهـا ومن حبّي لهـم شـرفٌ   أعـدُّه في الـورى من أعـظم الـنعم
إلـيكـمُ مِـدحـةٌ جـاءت مـنـظّمـةً   مَيمـونـة صغتهـا مِن جـوهـر الـكلم
بسيـطة إن شـذت أو أُنشـدت عـطرت   بمـدحكم كبسـاط الـزهـر منخـرم
بكـراً عـروسـاً ثكـولاً زفّهـا حـزنٌ   على المنـابـر غيـر الـدّمـع لم تسم
يـرجـو بهـا (رجب) رَحب المقـام غـداً   بـعـد العنـاء غنـاء غيـر مـنـهـدم
يـا سـادة الحقِّ مـالي غيـركم أمـلٌ   وحبّكم عـدّتي والـمـدح معتصمي
مـا قـدر مـدحي والـرَّحمٰن مـادحكم   في هـل أتى قـد أتى مـع نـون والقلم
حـاشـاكم تحـرمـوا الـراجي مكـارمكم   ويـرجـع الجـارُ عنكم غيـر محتـرم
أو يختشي الـزلَّـة (البـرسيُّ) وهـو يـرى   ولاكم فـوق ذي القـربى وذي الـرحم
إلـيـكـمُ تـحـف الـتـسـليـم واصـلةٌ   ومـنكـمُ وبـكـم أنـجـو مِـن الـنـقـم
صـلّى الإلٰـه عـليكـم مـا بدا نسمٌ(٢)   ومـا أتت نسمات الصبـح في الحـرم

ولـه قـولـه :

أمـا والّـذي لِـدَمـي حـلّلا   وخصَّ أُهيـل الـولا بـالـبـلا

---

(١) راجع من هذا الجزء ص ٢٣–٢٨
(٢) نسم جمع النسمة : الإنسان أو كل دابة فيها روح .

لئن أُسق فيه كؤس الحمام لما قال قلبي لساقيه : لا
فموتي حياتي وفي حبّه يلذُّ افتضاحي بين الملا
فمن يسل عنه ؟ فإنّ الفؤا د تسلّى وما قطُّ آناً سلا
مضت سنّة اللّه في خلقه بأنّ المحبَّ هو المبتلى

وله قوله :

لقد أظهرتَ يا حافظُ سرّاً كان مخفيّا
وأبرزتَ مِن الأنوارِ نوراً كان مطويّا
به قد صرت عند اللّهِ والسّادات علويّا
ومقبولاً ومسعوداً ومحسوداً ومرضيّا
فطب نفساً وعش فرداً وكن طيراً سماويّا
غريباً يألف الخلوةَ لا يقرب إنسيّا
غدا في الناس بالخلوةِ والوحدة منسيّا
وإن أصبحت مرفوضاً بسهم البغض مرميّا
فلم يبغضك إلاّ مَن أبوه الزنج بصريّا
عمانيّاً مراديّاً مجوسيّاً يهوديّا
لهذا قد غدا يبغض ذاك الطين كوفيّا
وفي المولد والمحتد برسيّاً وحليّا

وله في الغزال قوله :

لقد شاع عني حبُّ ليلى وإنّني كلفت بها عشقاً وهمت بها وجدا
وأصبحت أُدعى سيّداً بين قومها كما أنّني أصبحت فيهم لها عبدا
أُلاقي الورى في حبّها في تنكُّر فذا مانحٌ صدّاً وذا صاعرٌ خدّا
وذا عابسٌ وجهاً يطوّل أنفه عليَّ كأنّي قد قتلتُ له ولدا
ولا ذنب لي في هجرهم لي وهُجرهم سوى أنّني أصبحتُ في حبّها فردا
ولو عرفوا ما قد عرفتُ ويمّموا حماها كما يمّمته أعذروا حدّا
وظنّوا وبعض الظنِّ إثمٌ وشنّعوا بأنّ امتداحي جاوز الحدَّ والعدّا

فــوالـلّه مــا وصفـي لـهــا جــاز حــدَّه		ولكنهــا في الحسن قـد جــازت الحـدّا

هذه جملة ما وقفنا عليه من شعـر شيخنا الحـافظ البرسي وهي ٥٤٠ بيتـاً ولا يوجد فيها كما ترى شيء ممّا يرمى به من الإرتفاع والغلوّ فالأمر كما قال هو :

وظّـنــوا وبعض الـظنِّ إثـمٌ وشـنّـعــوا		بــأنَّ امتــداحي جــاوز الحــدَّ والعــدّا
فــوالـلّه مــا وصفـي لـهــا جــاز حــدَّه		ولكنَّهــا في الحسن قـد جــازت الحـدّا

توجد ترجمته في أمل الآمل . ورياض العلماء . وريـاض الجنّة في الـروضة الـرابعـة . وروضـــات الجنـات . وتتميم الأمـــل للسيّـد ابن أبي شبـــانـة . الكنى والألقاب . واعيان الشيعة . والطليعة . والبابليات .

ولـم نقف على تاريخ ولادة شاعرنا الحافظ ووفاته ، غير أنَّه أرّخ بعض تـآليفه بقـولـه : إنَّ بين ولادة المهـدي عليه السلام وبـين تـأليف هـذا الكتــاب خمسـمائــة وثـمانيــة عشر سنـة . فيوافق سنة ٧٧٣ ، أخـذاً بـروايـة سنـة ٢٥٥ في ولادة الإمـام المنصـور صلوات الله عليـه ، ومرَّ في تـاريخ بعض كتبـه أنّه أرَّخـه بسنة ٨١٣ ، ولعلّه تـوفّي حـدود هـذا التاريخ والله العالم .



المغالاة في الفضائل

لمّا وقع غير واحد من شعراء الغدير نظراء المترجم - البرسي - في شبك النقد والإعتراض ، ورُموا بالغلوّ ؛ وجاء غير واحد من المؤلّفين[١] فشنَّ عليهم الغارات بالقذف والسباب المقذع فيهمّنا إيقاف الباحث على هذا المهمّ حتّى لا يستهويه اللغب والصخب ، ولا يصيخ إلى النعرات الطائفيّة الممقوتة ، وقول الزور ، فنقول :

الغلوّ على ما صرَّح به أئمّة اللغة كالجوهري والفيّومي والراغب وغيرهم هو تجاوز الحدِّ ، ومنه غلا السعر يغلو غلاءً ، وغلا الرجل غلوّاً ، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فجاوزت لداتها قال الحرث بن خالد المخزومي :

خمصانة قلق موشحها   رود الشباب غلا بها عظم

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تغالوا في النساء فإنّما هنّ سقيا الله[٢] وقول عمر : لا تغالوا في مهور النساء[٣] والغلوُّ ممقوت لا محالة أينما كان وحيثما كان

(١) كابن تيمية ، وابن كثير ، والقصيمي ، وموسى جار الله . ومن لفّ لفهم .
(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١ .
(٣) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ١٢٤

في أيّ أمر كان ، ولا سيّما في الدِّين وعليه ينزّل قوله تعالىٰ في موضعين[١] من الذكر الحكيم : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ . ويعني في ذلك كما ذكره المفسرون[٢] غلوّ اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلوّ النصارى حتى جعلوه ربّاً فالإفراط والتقصير كله سيّئة . والحسنة بين السيّئتين كما قاله مطرف بن عبد الله ، وقال الشاعر :

وأوف ولا تستوف حقّك كله   وصافح فلم يستوف قطُّ كريم
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأُمور ذميم

وقال آخر :

عليك بأوساط الأُمور فإنّها   نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

وقال مولانا أمير المؤمنين : إنَّ دين الله بين المقصّر والغالي فعليكم بالنمرقة الوسطى فيها يلحق المقصّر ، ويرجع إليها الغالي[٣] غير أنّ من الواجب تعيين الحدّ الذي لا يجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلوِّ الكذب تارة ، والإغراء بالجهل أُخرىٰ ، وبخس الحقوق الواجبة آونة ، لاما دأبت عليه أُمّة من الرمي بالغلوّ كلّ قائل ما لا يروقها ، وتحدوها العصبيّة العمياء إلى التجهم أمام القول بما لا يلائم ذوقها ، ومن هذا الباب أكثر ما ترمى به الشيعة الإماميّة من الغلوّ لاعتقادهم أو روايتهم فضائل لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وقد طفحت بها الصحاح والمسانيد ، وتدفّقت بنقلها الكتب والمؤلّفات ، حيث لم يُقم مَن نَبَزَهُم به لأئمّة الهدى وزناً تقيمه الحقيقة ويقتضيه مقامهم الأسمى ، ذلك المقام الشامخ المستنبط من الكتاب والسّنة والإعتبار الصحيح والقضايا الخارجيّة الصادقة المتسالم عليها بين الأُمّة ، لولا أنّ هناك من يتعامى أو يتصامم عن رؤية هذه وسماع هاتيك ، أو تقصر منّته العلميّة عن تحليل الفلسفة الصحيحة ، أو يقصر باعه عن الإحاطة بالكائنات التاريخيّة ، من الذين استأسرهم الهوى وَتدَهور بهم الجهل إلى هوّة التيه والضلال ، فعدّوا من

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١٧١ ، سورة المائدة ؛ الآية : ٧٧ .
(٢) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١ .
(٣) ربيع الأبرار للزمخشري .

الغلوِّ الفاحش القول بعلم الغيب فيهم ، أو إخبارهم عمّا في الضمير ، أو تكلّم الموتى معهم ، أو علمهم بمنطق الطير والحيوانات ، أو إحياء الله الموتى بدعائهم ، أو استجابة دعواتهم في برء الأكمه والأبرص ، وبلّ كلّ ذي عاهة ، أو القول بالرجعة لهم ، أو ظهور كرامة لهم تخرق العادة ، أو الشخوص إلى زيارة قبورهم والتوسُّل بهم ، والتبرّك بتربتهم ، والدعاء والصَّلاة عند مراقدهم ، أو التلهف والتأسف على ما انتابهم من المصائب ، إلى كثير من أمثال هذه من مبادىء تراها الشيعة في العترة الهادية من فضائلهم المدعومة بالبرهنة الصحيحة والحجج القويَّة ممّا أنكرته أبناء حزم وجوزي وتيميَّة وقيّم وكُثير ومَن حذا حذوهم ولفَّ لفَّهم .

ولعلَّ لهم العذر في ذلك بأنَّ الذي يرتأونه في الخليفة لا يزيد على أنَّه رجلٌ يقطع السارق ويقتصُّ من القاتل ، ويحفظ الثغور ، ويدحر الهرج في الأوساط ، ويجمع الفيء ويقسِّم ، إلى أمثال هذه ممّا هو شأن الملوك والأمراء في الأمم والأجيال ، وتُعرب عنه خطب أبي بكر وعمر لمّا استخلفا[1] واستخلاف عثمان ومعاوية وابنه الطاغي ، وهلمّ جرّا ، وحديث عبد الله بن عمر وحميد بن عبد الرّحمٰن كما يأتي بيانه .

وهم لا يوجبون في الخليفة قوّة في النفس منبعثةً عن نزاهة وقداسة وعصمة يتصرَّف بها صاحبها في الكائنات كيفما اقتضته المصلحة ، ويبصر المغيَّب بعين بصيرته ، أو بنور بصره الذي لا يقلُّ عن أشعَّة (رنتجن) التي يبصر صاحبها الأمعاء من وراء الجلد الغليظ وتُري ما في قبضة الماسك بيده من ظهر اليد ، وبلغت بها القوَّة حتى أخذت بها الصورة الشمسيَّة من وراء سياج الصندوق الحديدي .

والذي يخبت في القوى النفسيَّة إلى مثل التنويم المغناطيسي الصناعي ، أو استحضار الأرواح واستخدامها للجواب عن كلِّ مسألة يريدها الإنسان ممّا في وراء عالم الشهود بقوَّة نفسه كيف يسعه إنكار ردّ الأرواح إلى الأجسام بإذن ربِّها لدعاء

---

(١) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ٢٢٩ وهذا الجزء فيما يأتي .

وليٍّ ، أو مقـدرة صدِّيق موهوبـة له من بـارىء كيانـه ؟ وليس على الله بعزيـز ، هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنَّما يقول له كن فيكون .

وكذلك مَن يشهد : أنَّ الطائرات الجوِّية تطوي مئـات من الفراسـخ في آونة قصيـرة ، وكان يستـدعي ذلك اشغـال أشهـر من الـزمن يـوم كـانـوا يـطوونهـا على الظهور ، أنّى يُسيغ له حِجاه أن ينكر طيّ الأرض لمن يحمل بين جنبيه قوىً مفاضةً من المبدأ الحقّ سبحانه ؟ ﴿وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب﴾[1] .

ومثله : الذي يبصر المذياع وهو ينقل الأصوات من أبعد المسافات فيسمعهـا كأنَّه يتلو القرآن الكريم ، أو يُلقي خطابته ، أو يسرد أخباره ، أو يغنّي بأهازيجه إلى جنبه ، فهو لا يسعـه إنكار مـا يشابـه ذلك في إمـام حقّ مؤيَّد من عنـد الله ، ﴿إنَّ الله يسمع مَن يشاء وما أنت بمسمع مَن في القبور﴾[2] .

ونظيره : المتكلّم الـذي تُمثَّل لـه بالقـوى الممثِّلة صورةُ مَن يخـاطبه ويتكلّم معه (في الهاتف) مِن صقعٍ شاسعٍ كأنّه يراه وينظر إليه من كَثَب . ﴿وكـذلك نُـري إبراهيم ملكوت السَّموات والأرض﴾[3] .

وأمثال هذه في المكتشفات الحديثة من آثار الكهرباء وغيرها كثيرة ذلَّلت فيهم المعضـلات التي كانت تقصـر عنهـا العقـول السـذّج قبـل هـذا اليـوم ، ولعـلَّ في المستقبل الكشّاف يكـون ما هـو أعظم وأعـظم من هذه كلّهـا ، فإنَّ العلم لم يقف على حدّ ، ولا دلّت البرهنة على وصول الكشف إلى غايته المحدودة ، فمن الجائز أن يتدرَّج إلى الأمام كما تدرَّج في هذه القرون الأخيرة جلّت قدرة بارئها .

أنـا لا أُحاول جعـل تلكم المعاجـز وكرامـات الأولياء من قبيـل ما ذكـرتـه من مجاري النامـوس الطبيعيِّ ، ولـو أنَّها لا يعـدوها الإعجـاز حتّى لو كـانت على تلك المجـاري ، لأنَّها حـدثت يوم لم تكن هـذه الآثار مكتشفـة ، ولا عـرفهـا أحـدٌ من الناس ، حتى انّه لو فاهَ بها أحدٌ لما كانوا يحفلون به إلاَّ بالهزء والسخـريَّة معتقـدين

---

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨ .

(٢) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ٧٥ .

بأنّه يلهج بالمحال فصدورها من إنسان هذا ظرفه وتلك أحوال أُمَّته ، ولم يعهد أنّه دخل كلِّية أو تخرَّج على يد أستاذ لا يعدوه أن تكون معجزة ، لكنّا نعتقد أنَّ أُولئك الأئمّة ـ بما أنَّهم مقيّضون لإصلاح الأُمَّة ولا يكون إلَّا بخضوعها لهم ، وأقوى الحجج لاستلانة جماحها لذلك الخضوع هو صدور المعجزات والخوارق ـ لهم صلة بالمبدأ الأقدس يسدِّدهم بها من فوق عالم الطبيعة ، وهو لازم اللطف الواجب على الله سبحانه من تقريب البعيد إلى ما ذكرناه من الاكتشافات الحديثة لتقريب الأذهان وتشحيذها ، وإيقاف المنصف على الحقائق . وقد فصَّلنا القول في الموضوع في الجزء الخامس ص ٧٧ ، ٩٢

فهلمَّ معي إلى أُناس يشنِّعون على الشيعة بإثبات تلكم النسب ، ويقذفونهم بالغلوِّ والكفر والشرك وهم يثبتونها لغير واحد من أُوليائهم ، وذكروا أضعاف ما عند الشيعة من تلكم الفضائل المرميَّة بالغلوِّ في تراجم العاديِّين من رجالهم ، ونشروها في الملأ واتَّخذوها تاريخاً صحيحاً من دون أيِّ غمز وإنكار في السند ، ومن غير مناقشة ونظرةٍ صحيحة في المتون ، كلّ ذلك حبّاً وكرامة لأُولئك الرجال ، وحبُّ الشيء يعمي ويصمّ ، وهذه السيرة مطَّردة فيهم منذ القرن الأوّل حتّى اليوم ، ولا يسع لأيِّ باحثٍ رمي أُولئك المؤلِّفين الحفّاظ بالضّلال والشرك والغلوِّ وخروجهم عمّا أجمعت عليه الأُمَّة الإسلاميَّة كما هم رموا الشيعة بذلك ، على أنَّ الباحث يجد فيما لفَّقته يد الدعاية والنشر ، ونسجته أكفُّ المخرقة والغلوِّ في الفضائل ، عجائب وغرائب أو قل : سفاسف وسفسطات ، تبعد عن نطاق العقل السليم ، فضلاً عن أن تكون مشروعةً أو غير مشروعة . وإليك البيان :

الغلوّ في أبي بكر :

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أيِّ فرد شئت من الصَّحابة ، إذ التاريخ ـ مع ما فيه من الخبط والخلط ، مع ما نسجت عليه أيدي المعرَّة الأثيمة ، مع ما طمس صحيحه بالفتن المظلمة في أدوارها وقرونها الخالية ، مع ما لعبت به الأهواء المضلّة بالتحريف والإختلاق ، مع ما دسَّ فيه عباقرة الإفك والإفتعال ، مع ما سوِّدت صفحاته بآراء تافهة ، ونظريّات سخيفة ، ومبادىء فاسدة ، ونعرات طائفيَّة ، ومخاريق قوميَّة ، وجنايات شعوبيّة ـ فيه رمزٌ من الحقيقة ، لا يختلط للناقد

البصير زُبده بخاثره ، وصحيحه بسقيمه ، ويسع له أن يستخرج المحض بالمخض ، يتّخذ منه دروس الحقائق ، ويعرف به حدود الرجال ، ومقاييس السلف ، ومقادير الأُمم الغابرة .

ومن اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيّات البارزة من رجال الإسلام سلفاً وخلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة ، ولا سيَّما من عُرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الدينيِّ ولو بالإنتخاب الدستوري الذي ليس له أيّ قيمة وكرامة في سوق الإعتبار ، وميزان العدل ، **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة﴾**(١) **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**(٢) **﴿ولله الأمر من قبلُ ومِن بعدُ﴾**(٣) **﴿وهو وليهّم بما كانوا يعملون﴾**(٤) ، **﴿وكذّبوا واتّبعوا أهوائهم وكلّ أمر مستقرّ﴾**(٥) .

فصاحب النبيِّ الأعظم في الغار ، والمهاجر الوحيد معه في الرعيل الأوَّل من المهاجرين السابقين يهمّنا إكباره وإعظامه ، ويُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقّه ، والتقصير في تحديد نفسيّاته ، والخروج عن قضاء العدل فيها ، والنزول على حكم العاطفة .

ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة وأنَّها كيف تمَّت ؟ كيف صارت ؟ كيف قامت ؟ كيف دامت ؟ وأنَّ الآراء فيها هل كانت حرَّة ؟ ووصايا المشرِّع الأعظم هل كانت متَّبعة ؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة هي تبطش وتقبض ، وهي ترفع وتخفض ، وهي ترتق وتفتق ، وهي تنقض وتبرم ، وهي تحلّ وتعقد .

لا يهمّنا البحث عن هذه كلّها بعدما سمعت أُذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦٨ .
(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .
(٣) سورة الروم ؛ الآية : ٤ .
(٤) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٧ .
(٥) سورة القمر ؛ الآية : ٦٧ .

الشويلة ، وقرّطت بنبأ تلك الصاخّة الكبرى ، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار ، إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة .

ما عساني أن أقول ؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه بأنّ كلّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسّلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة ، وترك الإقتحام في تلك الثورات النائرة ، وكانت الخواطر تهدّده بالقتل مهما أبدى الشقاق ، أو التحيز إلى فئة دون فئة ، بعدما رأت عيناه فِرند الصارم المسلول ، وسمعت أُذناه نداء محزّ[1] يتوعّد بالقتل كلّ قائل بموت رسول الله ، ويقول : لا أسمع رجلاً يقول : مات رسول الله إلاّ ضربته بسيفي . أو يقول : من قال : إنّه مات ، علّوت رأسه بسيفي ، وإنّما ارتفع إلى السّماء[2] .

يصيح : مَن قال نفس المصطفى قبضت علوت هامته بالسيف أبريها[3]

بعدما تشازرت الأُمّة وتلاكمت وتكالمت وقام الشيخان يعرض كلٌّ منهما البيعة لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أيِّ أحد ، كأنّ الأمر دبّر بليل ، فيقول هذا لصاحبه : أبسط يدك فلأُبايعك . ويقول آخر : بل أنت . وكلٌّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، ومعهما أبو عبيدة الجراح حفّار القبور بالمدينة[4] يدعو الناس إليهما[5] . والوصيُّ الأقدس والعترة الهادية وبنو هاشم ألهاهم النبيُّ الأعظم وهو مسجّى بين يديهم وقد أغلق دونه الباب أهله[6] وخلّى أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين

---

(١) المحزّ : الرجل الغليظ الكلام .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٢ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ص ١٥٦ ، المواهب اللدنية للقسطلاني ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨٠ ، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، ذكرى حافظ للدمياطي ص ٣٦ نقلاً عن الغزالي .

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل .

(٤) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٨١ ، ٣٨٢

(٥) تأريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ .

(٦) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٦ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٣ .

أهله فولوا إجنانه[1] ومكث ثلاثة أيّام لا يُدفن[2] أو من يوم الإثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته[3] فدفنه أهله ولم يله إلاّ أقاربه[4] دفنوه في الليل أو في آخره[5] ولم يعلم به القوم إلاّ بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل[6] ولم يشهد الشيخان دفنه صلى الله عليه وآله وسلم[7] .

بعدما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزبد شدقاه[8] .

بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابيّ بدريّ عظيم ـ الحباب بن المنذر ـ وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول : والله لا يردُّ عليَّ أحدٌ ما أقول إلاّ حطمت أنفه بالسيف ، أنا جُذيلها المحكَّك[9] وعُذيقها المرجّب ، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يُعزى إلى الاسد ، فيقال عليه : إذن يقتلك الله . فيقول : بل إياك يقتل . أو : بل

(١) طبقات ابن سعد ص ٨٢١ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٦ .
(٢) تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٢ .
(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٩٩ ، سيرة ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٤٠ ، تأريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢ ، وقال : الأصح دفنه ليلة الأربعاء ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ١٧١ وقال : هو المشهور عن الجمهور . وقال : والصحيح أنه دفن ليلة الأربعاء ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨٤ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٠ .
(٤) طبقات ابن سعد ص ٨٢٤ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ .
(٥) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٩٩ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ .
(٦) الطبقات لابن سعد ص ٨٢٤ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٤ ، تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧٠ .
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ .
(٨) طبقات ابن سعد ص ٧٨٧ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٣ .
(٩) الجذل بالكسر والفتح : أصل الشجرة والعود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتكّ به فتستشفي به ، فالقول مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه ، والتصغير للتعظيم .
وكذلك عذيقها المرجّب . والعذق : النخلة بحملها والترجيب أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها .

أراك تقتل[١] فأُخذ ووطىء في بطنه ، ودُسّ في فيه التراب[٢] .

بعدما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لأبي بكر وينادي : أما والله أرميكم بكلّ سهم في كنانتي من نبل، وأخضب منكم سناني ورمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأُقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي[٣] .

بعدما رأى رابعاً يتذمّر على البيعة ، ويشبُّ نار الحرب بقوله : إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلاّ دم[٤] .

بعدما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون يُنزى عليه ، ويُنادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً قتله الله إنّه منافق . أو : صاحب فتنة . وقد قام الرجل على رأسه ويقول : لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك . أو تندر عيونك[٥] .

بعدما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة . أو : لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة[٦] .

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٥ ، مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ، البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩ ، تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٦ ، ج ٧ ص ١٤٢ ، الصفوة ج ١ ص ٩٧ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ وج ٢ ص ٤ ، السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٣٨٧ ، أبو بكر الصديق للأستاذ محمد رضا المصري ص ٢٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٤) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة ٣١٢

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٤ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٦) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

بعدما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبايع عليٌّ . فيقول عمر : عليكم الكلب ، فيؤخذ سيفه من يده ويُضرب به الحجر ويُكسر(١) .

بعدما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره ، أو نظر إلى الحباب بن المنذر وهو يحطَّم أنفه ، وتُضرب يده أو إلى اللائذين بدار النبوَّة ، مأمن الأُمَّة ، وبيت شرفها ، بيت فاطمة وعليٍّ ـ سلام الله عليهما ـ وقد لحقهم الإرهاب والترعيد(٢) وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأُمَّة(٣) .

بعدما رأى هجوم رجال الحزب السياسيِّ دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة(٤) وقد علت عقيرة قائدهم بعدما دعا بالحطب : والله لتحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة . أو لتخرجنَّ إلى البيعة أو لأحرقنَّها على مَن فيها . فيقال للرجل : إنَّ فيها فاطمة . فيقول : وإن(٥) .

بعد قول ابن شحنة : إنَّ عمر جاء إلى بيت عليٍّ ليحرقه على من فيه فلقيته فاطمة فقال : ادخلوا فيما دخلت فيه الأُمَّة «تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤» .

بعدما سمع أنَّةً وحنّةً من حزينة كئيبة ـ بضعة المصطفى ـ وقد خرجت عن

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ ، ١٣٢ ، ج ٢ ص ٥ ، ١٩ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٧ .

(٤) الأموال لأبي عبيد ص ١٣١ ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨ ، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٢ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ، ج ٢ ص ١٩ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٥ .

خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة[١] ؟ .

بعدما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميّات تنادي : يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله .
[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ج ٢ ص ١٩]

بعدما شاهد هيكل القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يُقاد إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش[٢] ويُدفع ويُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ، ويُقال له : بايع . فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ فيقال : إذن والله الذي لا إلّه إلّا هو نضرب عنقك فيقول : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله[٣] .

بعدما رأى صنو المصطفى عليّاً لاذ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصيح ويبكي ويقول : يا بن أمّ ! إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[٤] .

بعد نداء أبي عبيدة الجرّاح لعليّ عليه السلام يوم سيق إلى البيعة : يابن عمّ إنّك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً واستطلالاً ، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر فإنّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليقٌ وحقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك[٥] .

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم : لا نبايع إلّا

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ ، الإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ٢٢٥ .
(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨ و ١٩ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ .
(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ .
(٥) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .

عليّاً . وبعد صياح بدريّهم : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، وقول عمر له : إذ كان ذلك فمت إن استطعت(١) .

بعد قول أبي بكر للأنصار : نحن الأُمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشقّ الابلمة - يعني الخوصة -(٢) .

مدّت لها الأوس كفّاً كي تناولها ... فمدّت الخزرج الأيدي تباريها
وظنّ كلّ فريق أنّ صاحبه ... أولى بها وأتى الشحناء آتيها(٣)

بعد قول أُمّ مسطح بن أثاثة واقفةً عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي تنادي : يا رسول الله !

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثةٌ(٤) ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب(٥)

هذه كلّها كانت تهدّد السواد ، وتروّع عامّة الناس وما كان لأحد في إصلاح القوم مطمع ، ولا لأيّ من الأُمّة بعدما شاهد الحال يوم ذاك حسبان حرمة ولا كرامة لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيّار المتدفّق .

---

(١) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر وفي باب رجم الحبلى ج ١٠ ص ٤٥ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ وج ٣ ص ١٢٩ ، البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، التمهيد للباقلاني ص ١٩٧ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٧ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ١٤٦ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤١ ، ٤٥ .

(٢) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨١ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٤ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ ، ج ٣ ص ١٢٩ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥٢ ، السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٣٨٦ ، نهاية ابن الأثير ج ١ ص ١٣ فيه : كقد الابلمة . تاج العروس ج ٨ ص ٢٠٥ .

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل .

(٤) الهنبثة : الأمر الشديد والإختلاط في القول .

(٥) طبقات ابن سعد ص ٨٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧ ، وج ١ ص ١٣٢ ، وقد يعزى البيتان مع أبيات أُخرى إلى الصديقة فاطمة سلام الله عليها .

وكـانت هناك أُمَّةٌ تراهـا سكارى ـ ومـا هي بسكارى ـ من حـراجـة المـوقف تسارّها هواجسها بالتربّص إلى حين ، حتّى تضع الغائلة أوزارها ، ويتّضح مـآل أمر دبّر بليل ، ويتبيَّن الرشد من الغيِّ ، وهواجس تجعل جماعة كالنزيعـة تجهش وتحنُّ وتقرع سنَّ الأسف ، وكم حنون لا يجديه حنينه .

وما عساني أن قول في تلك الخلافة ؟ بعدما رآها أبـو بكر وعمـر بن الخطاب فلتة كفلتة الجاهليَّة وقى الله شرَّها(١) .

بعدما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة(٢) .

بعد قوله يوم السقيفة : من بايع أميراً عن غيـر مشورة المسلمين فـلا بيعة لـه ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتلا(٣) .

بعـد قولـه لابن عباس : لقـد كان عليٌّ فيكم أولى بهـذا الأمـر منّي ومن أبي بكر(٤) .

بعـد قولـه : إنّا والله مـا فعلناه عن عـداوة ولكن استصغرنـاه ، وحسبنـا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها .

بعد قول ابن عبّاس له في جوابه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثـه فينطح كبشهـا فلم يستصغره ، أفتستصغره أنت وصاحبك ؟(٥) .

بعد قول عمر لابن عبّاس : يابن عبّاس ! ما أظنُّ صاحبك إلاَّ مظلوماً . وقول

---

(١) التمهيـد للباقـلاني ص ١٩٦ ، شـرح ابن أبي الحـديـد ج ٢ ص ١٩ ، الغـديـر لنـا ج ٥ ص ٤٤٦ .

(٢) التمهيـد ص ١٩٦ ، شرح ابن أبي الحـديـد ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، الصـواعق لابن حجـر ص ٢١ .

(٣) صحيـح البخاري ج ١٠ ص ٤٤ بـاب رجم الحبلى من الزنـا ؛ مسند أحمـد ج ١ ص ٥٦ ؛ سيـرة ابن هشـام ج ٤ ص ٣٣٨ ، نهـاية ابن الأثيـر ج ٣ ص ١٧٥ ، تيسيـر الـوصـول ج ٢ ص ٤٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ وج ٢ ص ٢٠ ، الغدير كتابنا هذا ج ١ ص ٤٤٧ .

(٥) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٤٤٧ ، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ .

ابن عبّاس له : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر .
[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٨]

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم ، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، فيقول عمر : لست متروكاً حتى تبايع . فيقول عليٌّ : احلب يا عمر ! حلباً لك شطره[١] .

بعد قوله عليه السلام : الله الله يا معشر المهاجرين ! ألا تخرجوا سلطان محمَّد في العرب من داره ، وقعر بيته إلى دوركم ، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه ، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقُّ الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، العالم بسنن الله ، المتطلّع لأمر الرعيَّة ، الدافع عنهم الأُمور السيّئة ، القاسم بينهم بالسويَّة ، والله إنّه لفينا ، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقِّ بعدا[٢] .

بعد قوله عليه السلام : لَمّا مضى ـ المصطفى ـ لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يُلقى في روعي ، ولا يخطر على بالي أنَّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمَّد عن أهل بيته ، ولا أنّهم مُنَحّوه عنّي من بعده ، فما راعني إلاَّ انثيال الناس على أبي بكر ، وإجفالهم إليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أنّي أحقُّ بمقام محمَّد في الناس ممَّن تولّى الأمر من بعده[٣] .

بعدما خرج عليٌّ كرَّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابَّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنَّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول عليٌّ كرَّم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه ، وأخرج أُنازع سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلاَّ ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٤] .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .
(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .
(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .
(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، ج ٢ ص ٥ .

بعد قوله عليه السلام : أما والله لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة ، وإنَّه ليعلم أنَّ محلّي منها محلُّ القطب من الرَّحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين أنْ أصول بيدٍ جذَّاء ، أو أصبر على طخيةٍ عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه ، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا ، حتّى مضى الأوَّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده .

«ثمَّ تمثَّل بقول الأعشى» :

شتَّان ما يومي على كورها ويوم حيَّان أخي جابر

فيا عجباً يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيَّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسُّها ، ويكثر العثار فيها والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن اشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحَّم ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلوُّن واعتراض ، فصبرت على طول المدَّة ، وشدَّة المحنة حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنِّي أحدهم فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب فيَّ مع الأوَّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر ، لكنّي أسففت إذ اسفّوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجلٌ منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته . الحديث .

كلمتنا حول هذه الخطبة :

هذه الخطبة تسمّى بالشقشقيّة وقد كثر الكلام حولها فأثبتها مَهرَة الفنِّ من الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين الثابتة التي لا مغمز فيها ، فلا يُسمع إذن قول الجاهل بأنَّها من كلام الشريف الرضي ، وقد رواها غير واحد في القرون الأُولى قبل أن تنعقد للرضي نطفته ، كما جاءت باسناد معاصريه والمتأخرين عنه من غير طريقه وإليك أُمَّة من أُولئك :

١ ـ الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحماني المتوفّى سنة ٢٢٨ كما في طريق الجلودي في العلل والمعاني .

٢ ـ أبو جعفر دعبل الخزاعي المتوفّى سنة ٢٤٦ رواها بإسناده عن ابن عبّاس كما في أمالي شيخ الطائفة ص ٢٣٧ ، ورواها عنه أخوه أبو الحسن علي .

٣ ـ أبو جعفر أحمد بن محمّد البرقي المتوفّى سنة ٢٧٤ / ٨٠ كما في علل الشرائع .

٤ ـ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة المتوفّى سنة ٣٠٣ كما في الفرقة الناجية للشيخ إبراهيم القطيفي ، والبحار للعلاّمة المجلسي ج ٨ ص ١٦١ .

٥ ـ وجدتْ بخطّ قديم عليه كتابة الوزير أبي الحسن عليٍّ بن الفرات المتوفّى سنة ٣١٢ كما في شرح ابن ميثم .

٦ ـ أبو القاسم البلخي أحد مشايخ المعتزلة المتوفّى سنة ٣١٧ كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩ .

٧ ـ أبو أحمد عبد العزيز الجلودي البصري المتوفّى سنة ٣٣٢ كما في معاني الأخبار .

٨ ـ أبو جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور رواها في كتابه (الإنصاف) كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩ ، وشرح ابن ميثم .

٩ ـ الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ كما في طريق القطب الراوندي في شرح النهج .

١٠ ـ أبو جعفر ابن بابويه القمي المتوفّى سنة ٣٨١ في كتابيه : علل الشرائع ومعاني الأخبار .

١١ ـ أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفّى سنة ٣٨٢ . حكى عنه شيخنا الصدوق شرح الخطبة في معاني الأخبار والعلل .

لفت نظر :

عدَّه السيِّد العلاّمة الشهرستاني في (ما هو نهج البلاغة) ص٢٢ ممّن روى الشقشقيّة فأرّخ وفاته بسنة ٣٩٥ ، وذكره في ص ٢٣ فقال : من أبناء القرن الثالث . لا يتمُّ هذا ولا يصحُّ ذلك ، وقد خفي عليه أنَّ الحسن بن عبد الله العسكري راوي الشقشقيّة هو أبو أحمد صاحب كتاب الزواجر وقد توفِّي سنة ٣٨٢ وولد سنة ٢٩٣ ، وحسبه أبا هلال الحسن بن عبد الله العسكري صاحب كتاب «الأوائل» تلميذ أبي أحمد العسكري والتاريخ الذي ذكره تاريخ فراغه من كتابه الأوائل لا تاريخ وفاته . توجد ترجمة كلا الحسنين العسكريين في معجم الأُدباء ج ٨ ص ٢٣٣ - ٢٦٨ ، وبغية الوعاة ص ٢٢١ .

١٢ - أبو عبد الله المفيد المتوفّى سنة ٤١٢ ، استاذ الشريف الرضي رواها في كتابه (الإرشاد) ص ١٣٥ .

١٣ - القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفّى سنة ٤١٥ : ذكر في كتابه «المغني» تأويل بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة مَن تقدّم على أمير المؤمنين من دون أيِّ إيعاز إلى الغمز في إسنادها .

١٤ الحافظ أبو بكر ابن مردويه المتوفّى سنة ٤١٦ ، كما في طريق الراوندي في شرح النهج .

١٥ - الوزير أبو سعيد الآبي المتوفّى سنة ٤٢٢ في كتابه (نثر الدرر ونزهة الأديب) .

١٦ - الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر توفِّي سنة ٤٣٦ ذكر جملة منها في الشافي ص ٢٠٣ فقال : مشهورٌ : وذكر صدرها في ص ٢٠٤ فقال : معروفٌ .

١٧ - شيخ الطائفة الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ رواها في أماليه ص ٣٢٧ عن السيِّد أبي الفتح هلال بن محمّد بن جعفر الحفّار المترجم في مستدرك العلاّمة النوري ج ٣ ص ٥٠٩ من طريق الخزاعيِّين . وفي تلخيص الشافي .

١٨ ـ أبو الفضل الميداني المتوفّى سنة ٥١٨ في مجمع الأمثال ص ٣٨٣ قال : ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خطبةٌ تعرف بالشقشقيّة لأنَّ ابن عبّاس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه : يا أمير المؤمنين ! لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت . فقال : هيهات يا ابن عبّاس ! تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت .

١٩ ـ أبو محمّد عبد الله بن أحمد البغدادي الشهير بابن الخشاب المتوفّى سنة ٥٦٧ قرأها عليه أبو الخير مصدَّق الواسطي النحوي ، وسيوافيك بُعيد هذا كلامه فيها .

٢٠ ـ أبو الحسن قطب الدين الراوندي المتوفّى سنة ٥٧٣ رواها في شرح نهج البلاغة من طريق الحافظين : ابن مردويه والطبراني وقال : أقول : وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدَّة ، أحدهما : أنَّها مضمنة كتاب «الإنصاف» لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي . الثاني : وجدتها بنسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن علي بن محمّد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة ، والذي يغلب على ظنّي أنَّ تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدَّة .

٢١ ـ أبو منصور الطبرسي أحد مشايخ ابن شهرآشوب المتوفّى سنة ٥٨٨ في كتابه «الإحتجاج» ص ٩٥ فقال : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عبّاس .

٢٢ ـ أبو الخير مصدّق بن شبيب الصلحي النحوي المتوفّى سنة ٦٠٥ قرأها على أبي محمّد ابن الخشّاب وقال : لمّا قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمّد ابن الخشّاب ووصلت إلى قول ابن عبّاس : ما أسفت على شيء قطُّ كأسفي على هذا الكلام . قال : لو كنت حاضراً لقلت لابن عبّاس : وهل ترك ابن عمّك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ؟ فإنّه ما ترك لا الأوَّلين ولا الآخرين . قال مصدّق : وكانت فيه دعابة فقلت له : يا سيِّدي ! فلعلّها منحولةٌ إليه . فقال : لا والله إنّي أعرف أنَّها من كلامه كما أعرف أنَّك مصدّق . قال فقلت : إنَّ النّاس

ينسبونها إلى الشريف الرضي . فقال : لا والله ، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ؟ فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه ثمَّ قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتاب صنّف قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط مَن هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أو أحمد والد الرضي .

[راجع شرح ابن ميثم . وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩]

٢٣ ـ مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٠٦ ، أوعز إليها في كلمة «شقشق» في النهاية ج ٢ ص ٢٩٤ فقال : ومنه حديث عليّ في خطبة له : تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت .

٢٤ ـ أبو المظفر سبط ابن الجوزي المتوفّى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ٧٣ من طريق شيخه أبي القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عبّاس فقال : تُعرف بالشقشقيَّة ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخلَّ بالبعض وقد أتيت بها مستوفاة . ثمَّ ذكرها مع اختلاف ألفاظها .

٢٥ ـ عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٦٥٥ قال في شرح النهج ج ١ ص ٦٩ قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديّين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة . ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإماميَّة وهو الكتاب المشهور بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالىٰ ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالىٰ موجوداً .

٢٦ ـ كمال الدين ابن ميثم البحراني المتوفّى سنة ٦٧٩ ، حكاها عن نسخة قديمة عليها خطُّ الوزير علي بن الفرات المتوفّى سنة ٣١٢ ، وعن كتاب «الإنصاف» لابن قبة ، وذكر كلمة ابن الخشّاب المذكورة وقراءة أبي الخير إيّاها عليه .

٢٧ ـ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري المتوفّى سنة

٧١١ قال في مادَّة (شقشق) من كتابه (لسان العرب) ج ١٢ ص ٥٣ : وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له : تلك شقشقةٌ هدرت ثمَّ قرَّت .

٢٨ ـ مجد الدين الفيروزآبادي المتوفّى سنة ١٧/٨١٦ ، أوعز إليها في القاموس ج ٣ ص ٢٥١ قال : والخطبة الشقشقية العلويَّة لقوله لابن عبّاس لمّا قال له : لو اطَّردت مقالتك من حيث أفضيت : يابن عبّاس ! هيهات تلك شقشقةٌ هدرت ثمَّ قرَّت .

ثمَّ ما عساني أن أقول بعدما يُعربد شاعر النيل[١] اليوم ، ويؤجج النيران الخامدة ويُجدِّد تلكم الجنايات المنسيَّة (لاها الله لا تُنسى مع الأبد) ويعدّها ثناء على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرّات ، ويتبهَّج ويتبجَّح بقوله في القصيدة (العمريَّة) تحت عنوان : عمر وعليّ :

وقولةٍ لعليّ قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها
: حرَّقت دارك لا أُبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوهُ بها ... أمام فارس عدنانٍ وحاميها

ماذا أقول بعدما تحتفل الأُمَّة المصريَّة في حفلة جامعة في أوائل سنة ١٩١٨ بإنشاد هذه القصيدة العمريَّة التي تتضمَّن ما ذكر من الأبيات ؟ وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم ، ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين . وأحمد الزين . وإبراهيم الأبياري[٢] وعلي جارم . وعلي أمين[٣] وخليل مطران[٤] ومصطفى الدمياطي بك[٥] وغيرهم[٦] ويعتنون بنشر ديوانٍ هذا شعره ، وبتقدير شاعر هذا شعوره ،

(١) محمد حافظ إبراهيم المتوفّى سنة ١٩٣٣ م ١٣٥١ هـ .
(٢) ضبط وصحح وشرح هؤلاء الثلاث الديوان طبعة سنة ١٩٣٧ م بدار الكتب في جزءين والأبيات المذكورة توجد فيها ج ١ ص ٨٢ .
(٣) هما ومعهما ثالث التزموا تصحيح الديوان في طبعة أُخرى .
(٤) له مقدمة لديوان الحافظ في طبعة مكتبة الهلال سنة ١٩٣٥ م ١٣٥٣ هـ والأبيات فيها ص ١٨٤ غير أن الشطر الثاني من البيت الثاني محرف : إن لم تبالغ وبنت المصطفى فيها .
(٥) شارح القصيدة العمرية طبع بمطبعة السعادة في مصر في ٩٠ صفحة . توجد الأبيات فيه مشروحة ص ٣٨ .
(٦) في عدة طبعات أُخرى .

ويخدشون العواطف في هذه الأزمة ، في هذا اليوم العصبصب ، ويعكِّرون بهذه النعرات الطائفيَّة صفو السّلام والوئام في جامعة الإسلام ، ويشتّتون بها شمل المسلمين ، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً .

وتراهم يجدِّدون طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمريَّة خاصَّة مرَّة بعد أُخرى ويعلِّق عليها شارحها الدمياطي قوله في البيت الثاني : المراد أنَّ عليّاً لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار .

وقال في ص ٣٩ من الشرح : وفي رواية لابن جرير الطبري قال : حدّثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال : أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال : والله لأحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه . فإن كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق . والظاهر أنَّ حافظاً رحمه الله عوَّل على هذه الرواية . ا هـ .

وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنَّه جاء للأُمَّة بعلم جمّ ، أو رأي صالح جديد ، أو أتى لعمر بفضيلة رابية تسرُّ بها الأُمَّة ونبيُّها المقدَّس ، فبشرى بل بشريان للنبيّ الأعظم بأنَّ بضعته الصدِّيقة لم تكن لها أيّ حرمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول ، ولم يكن سكناها في دار طهَّر الله أهلها يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم . فزهٍ زهٍ بانتخاب هذا شأنه ، وبخٍ وبخٍ ببيعة تمَّت بذلك الإرهاب ، وقضت بتلك الوصمات .

لا تهمّنا هذه كلّها وإنَّما يهمّنا الساعة «بعد أن درسنا تاريخ حياة الخليفة الأوّل فوجدناه لدة غيره من الناس العاديِّين في نفسيّاته قبل إسلامه وبعده ، وإنَّما سنّمه عرش الخلافة الانتخاب فحسب» البحث في موضوعين ألا وهما : فضائله المأثورة . وملكاته النفسيَّة .

١ ـ فضائله المأثورة

هل صحّ عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيه حديث فضلة ؟ وهل صحيحٌ ما رووه

فيه من الثناء الكثير الحافل ؟ نحن هٰهنا نقف موقف المستشفّ للحقيقة ، ولا ننبس في القضاء ببنت شفة ، غير ما ننقله عن أئمّة فنّ الحديث المميّزين بين صحيحه وسقيمه ، ثمّ نردفه بالإعتبار الذي يساعده .

قال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه «سفر السعادة المطبوع» : خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيءٌ صحيحٌ ، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيءٌ . ثمّ عدَّ أبواباً إلى أن قال :

باب فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . أشهر المشهورات من الموضوعات أنَّ الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصَّة . وحديث : ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلّا وصبَّه في صدر أبي بكر . وحديث : كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتاق الجنَّة قبَّل شيبة أبي بكر . وحديث : أنا وأبو بكر كفرسي رهان . وحديث : إنَّ الله لمّا اختار الأرواح اختار روح أبي بكر . وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل اهـ .

وعدَّ العجلوني في كتابه كشف الخفا ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ مائة باب من أبواب الفقه وغيره فقال : لم يصحّ فيه حديثٌ . أو : ليس فيه حديثٌ صحيح . وما يقاربهما وقال في ص ٤١٩ : فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث أن الله يتجلّى للناس عامَّة ولأبي بكر خاصَّة . إلى آخر عبارة الفيروز آبادي المذكورة .

وذكر السيوطي في «اللآلي المصنوعة» ج ١ ص ١٨٦ ـ ٣٠٢ ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر «ممّا اتّخذه المؤلِّفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه ، وأرسلوه إرسال المسلّم بلا أيِّ سند أو أيِّ مبالاة» وزيَّفها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحفّاظ فيها .

كان السيوطي يهملج وراء القوم فبهظه أن لا يستصحّ حتّى حديثاً واحداً من تلكم الثلاثين فقال في ص ٢٩٦ فيما عزي إليه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : «عُرج بي إلى السَّماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً : محمّد رسول الله ، أبو بكر

الصدِّيق من خلفي» بعدما حكم عليه بالوضع لمكان عبد الله بن إبراهيم الغفاري[١] الوضّاع . وكان شيخه عبد الرّحمٰن بن زيد المتّفق على ضعفه ينصّ منه عليهما بذلك ما لفظه :

قلت : الذي أستخير الله فيه الحكم على هذا الحديث بالحسن لا بالوضع ولا بالضعف لكثرة شواهده . ثمّ ذكر شواهد عن طريق لا يصحّ شيءٌ منها ، وفي كلٍّ واحد منها وضّاعٌ أو كذّابٌ ، أو من اتفق على ضعفه ، أو مجهول لا يُعرف يروي عن مجهول مثله ، وقد غزب عنه أنَّ الإستخارة لا تقلّب الشّر خيراً ، ولا يعيد السقيم صحيحاً . ولا المنكر معروفاً .

وراحت إلى العطار تبغي شبابها ... فهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر؟

والله سبحانه لا يجازف في إسداء الخير ، والشواهد المكذوبة لا تقوي الضعف مع نصِّ الحفّاظ على كلِّ واحد منها بالوضع أو الضعف ، وإليك بيان طرق تلك الشواهد :

١ - طريق الخطيب البغدادي مرَّ في الجزء الخامس ص ٣٦٨ ، ٣٩٣

٢ - طريق البزّار في مسنده وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري الوضّاع ، وشيخه عبد الرّحمٰن بن زيد المتّفق على ضعفه كما في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٧٨ ، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٢٩٦ .

٣ - طريق ابن شاهين في السنّة وهو طريق الخطيب البغدادي وحديثه ، وقد حكم الذهبي وابن حجر ببطلانه كما مرَّ في الجزء الخامس .

٤ - طريق الدارقطني في الافراد قال السيوطي في «اللآلي» ج ١ ص ٢٩٧ بعد ذكره قال الدارقطني : تفرَّد به (محمّد) بن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدَّث به غير هذين . وأورده المؤلِّف في الواهيات من طريق السري وقال : لا يصحّ . قال ابن حبّان : لا يحلُّ الإحتجاج بالسري بن عاصم .

---

(١) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٦٨ ط ٢ .

قال الأميني : السري بن عاصم راوي الحديث أحد الكذّابين مرَّت ترجمته في الجزء الخامس ص ٢٨٣ ، وللدارقطني طريق آخر وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد أحد الكذّابين[1] وبهذا الطريق ذكره السيوطي في «اللآلي ج ١ ص ٣٠٩» فقال : لا يصحُّ آفته عمر كذّابٌ .

٥ ـ طريق الديلمي في مسند الفردوس فيه بعد رجال مجاهيل عبد المنعم بن بشير أبو الخير الكذّاب الوضّاع الذي له مائتا حديث كذب[2] وعبد الرَّحمٰن بن زيد بن أسلم المجمع على ضعفه كما مرَّ .

٦ ـ طريق الختلي في ديباجه عن نصر بن حريش[3] عن أبي سهل مسلم الخراساني عن عبد الله بن إسماعيل عن الحسن البصري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مكتوب على ساق العرش : لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، محمّدٌ رسول الله ، ووزيراه أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق .

قال الدارقطني كما في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٦ : هذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يثبت ، أبو سهل ونصر بن حريش ضعيفان . وقال العقيلي كما في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٦٠ : عبد الله بن إسماعيل منكر الحديث لا يُتابع على شيء من حديثه . والحديث مع هذا مرسلٌ والحسن البصري لا يروي عن رسول الله ولم يدركه . وللخطيب طريق بهذا اللفظ ليست فيه كلمة (ساق . ووزيراه) وفي اسناده أحمد بن رجاء بن عبيدة قال الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١٥٨ : مجهولٌ .

٧ ـ طريق ابن عساكر فيه عبد العزيز الكتاني ليَّنه الذهبي كما في لسان الميزان ج ٤ ص ٣٣ ، وفيه الحارث بن زياد المحاربي قال الذهبي وغيره : ضعيفٌ مجهولٌ كما في اللسان ج ٢ ص ١٤٩ ، وفيه من لا يُعرف ولا توجد له ترجمةٌ في المعاجم .

ولابن عساكر طريقٌ آخر بالإسناد عن محمّد بن عبد بن عامر المعروف بوضع

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٠١

(٢) راجع الجزء الخامس من الكتاب ص ٢٩٥

(٣) في اللآلي : جريش : والصحيح ما ذكرناه .

الحديث[١] عن عصام بن يوسف ضعَّفه ابن سعد ، وخطّأه ابن حبّان ، وقال ابن عدي : روى أحاديث لا يُتابع عليها . كما في لسان الميزان ج ٤ ص ١٦٨ .

ويرشدك إلى صحَّة قول الفيروزآبادي والعجلوني ما أوضحناه في الجزء الخامس ص ٣٦١ ـ ٤٠٢ من تفنيد مائة منقبة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمَّة والحفّاظ . وكذا ما زيّفناه من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة في صفحة ٤٠٣ ـ ٤٣٠ كلٌّ ذلك بقضاء من رجالات الفنِّ نظراء : ابن عدي ، الطبراني ، ابن حبّان ، النسائي ، الحاكم ، الدارقطني ، العقيلي ، ابن المديني ، أبو عمر ، الجوزقاني ، المحب الطبري ، الخطيب البغدادي ، ابن الجوزي ، أبو زرعة ، ابن عساكر ، الفيروزآبادي ، إسحاق الحنظلي ، ابن كثير ، ابن القيِّم ، الذهبي ، ابن تيميَّة ، ابن أبي الحديد ، ابن حجر الهيثمي ، ابن حجر العسقلاني ، الحافظ المقدسي ، السَّيوطي ، الصغّاني ، الملاّ علي القاري ، العجلوني ، ابن درويش الحوت ، وغيرهم .

ويشهد لبطلان تلكم الروايات الجمَّة في فضائل الخليفة الأوَّل خلوُّ الصحاح الستّ والسنن والمسانيد القديمة عنها ، فلو كان مؤلِّفوها يجدون على شيء منها مسحة من الصحَّة بل لو كانوا واقفين عليها ولو على واحدة منها لما أجمعوا على تركها فيرويها متحرّو الزوايا ، ونبّاشة الدفائن ، فيبرزوها إلى الملأ من تحت غبار الهجر ، أو وراء نسج عناكب النسيان ، فيرشدنا ذلك إلى أنَّ مواليد هذه الروايات متأخِّرٌ تاريخها عن عهد أرباب الصِّحاح وحسبها ذلك مهانةً . كما أنَّ ما في الصِّحاح من النزر اليسير ولائذ متأخِّرة عن عهدالنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

على أنَّ الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث ولو يسيراً منها من قائلها صلى الله عليه وآله وسلم لَما كان يرى مثل أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور أولى منه بالخلافة ، ولما قدّمه على نفسه. ولما ترك الإحتجاج به يوم كانت حاجته إليه مسيسة ، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قَدمٍ وساق ، وطفق كلُّ ذي فضل يُدلي بحججه ، وقد احتدم الجدال حتى كاد أن يكون جلاداً ، واستحرَّ

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣١٧

الحجاج حتّى عاد لجاجاً ، لكن الرجل لم يكن عنده حجّة ولا لزبانيته إلاّ أنّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وأنّه أكبر القوم سناً ـ وكان أبوه أكبر منه لا محالة ـ وقد اختارته الجماعة وانعقدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه ممّا لا تثبت بها حجّة ، ولا يخضع لها ذو مسكة ، ولا يصلح بها شأن الأمّة ، ولا يجمع بها شمل ، ولا يتمّ بها الأمر .

نعم : روي عن أبي بكر أنّه ذكر في الحجاج له أشياء حذفتها الرواة ولم يذكروا منها إلاّ أنّه أوّل من أسلم . أو : أوّل من صلّى . عن أبي سعيد الخدري قال : قال أبو بكر : ألست أحقّ النّاس بها ؟ ألست أوّل من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ؟ ألست صاحب كذا؟[1] .

وعن أبي نضرة قال : لمّا أبطأ الناس عن أبي بكر قال : مَن أحقّ بهذا الأمر منّي؟ ألستُ أوّل من صلّى ؟ ألست ؟ ألست ؟ فذكر خصالاً مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[2] .

ونحن لا نعرف شيئاً ممّا حذفوه من فضائله المزعومة أو اختلقوا نسبته إليه إذ من الممكن ـ بل المحقق ـ أنّه لم يقل شيئاً ، وإنّما اصطنعوا له هذه الصورة لإيهام أنّه كانت له يوم ذاك فضائل مسلّمة ، لكن نعطف النظرة على المذكور من تلك المناقب وهو كون الخليفة أوّل من أسلم . أو : أوّل من صلّى ، ولم يكن كذلك . والقول به يخالف رأي النبيّ الأعظم ونصوص الصّحابة ، وقد فصّلنا القول فيه في الجزء الثالث ص٢٧٢ ـ ٢٩٧ وذكرنا مائة نصّ عن النبيّ الأقدس وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما ، وعن الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان على أنّ أوّل من أسلم وأوّل من صلّى من ذكر هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام . وأوضحنا هناك أنّ أبا بكر ليس أوّل من أسلم . أو : صلّى . بل في صحيحة الطبري : أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً . فراجع .

---

(١) أخرجه الترمذي ، والبزار ، وابن حبان ، وأبو نعيم في المعرفة ، وابن مندة في غرائب شعبة ، وسعيد بن منصور ، وأبو داود كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٢٥ ، وذكره ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٠٩ ، وابن كثير في تأريخه ج ٣ ص ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط ليدن ج ٣ ص ١٢٩ ، وخيثمة الطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

ولو كانت الصحابة الأوَّلون يعرفون شيئاً من تلكم الموضوعات الجمَّة لما تركوا الإحتجاج به يوم ذاك في إخضاع الناس بدلاً عن إشفاع الدعوة بالإرهاب والترعيد ، ولما يقتصر عمر بن الخطاب يوم السقيفة بقوله : مَن له مثل هذه الثلاث : ثاني اثنين إذ هما في الغار . إذ يقول لصاحبه لا تحزن . إنَّ الله معنا .

وبقوله : إنَّ أولى الناس بأمر نبيِّ الله ثاني اثنين إذ هما في الغار . وأبو بكر السبَّاق المسنُّ .

وبقوله يوم بيعة العامَّة : إنَّ أبا بكر صاحب رسول الله . وثاني اثنين إذ هما في الغار[١] .

وَلما قال سلمان للصحابة : أصبتم ذا السنِّ منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيِّكم[٢] .

وَلما يكتفي عثمان بن عفَّان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله : إنَّ أبا بكر الصدِّيق أحقّ الناس بها ، إنَّه لصدِّيق وثاني اثنين وصاحب رسول الله ﷺ[٣] .

وَلما فاه المغيرة بن شعبة بمقاله لأبي بكر وعمر : تلقّوا العبّاس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية عليّ ويكون لكم حجّة عند الناس على عليّ إذا مال معكم العبّاس .

ولما دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة على العبّاس ليلاً ، وَلما قال أبو بكر له : لقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عمّ رسول الله[٤] .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٦ ، تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، ج ٢ ص ١٧ .

(٣) أخرجه الأطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥ ، تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٢ .

وَلما تمّ الأمر لـه ببيعة اثنين فحسب : عمـر وأبي عبيدة . أو : ببيعـة أربع : همـا مع اسيـد وبشر . أو بخمسـة : هم مـع سـالم مـولى أبي حـذيفـة كمـا يـأتي تفصيله .

ولما تخلّف عن بيعته رؤوس المهـاجرين والأنصـار : عليّ وابناه السبـطان . والعبّاس وبنوه في بني هاشم . وسعد بن عبادة وولده وأُسرته . والحبـاب بن المنذر وتـابعوه . والـزبير وطلحـة . وسلمان . وعمّـار . وأبو ذر . والمقـداد . وخالـد بن سعيـد . وسعد بن أبي وقـاص . وعتبة بن أبي لهب . والبـراء بن عازب . وأُبي بن كعب . وأبو سفيان بن حرب . وغيرهم[1] .

وَلما كان مجال لقول محمّد بن إسحاق : كان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصـار لايشكّون انَّ عليّاً صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . شرح ابن أبي الحديـد ج ٢ ص ٨ .

ولما قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بملأ من مدّعي الفضائل :

مـا كنت أحسب أنّ الأمـر منصـرف ... عـن هـاشم ثـمّ منهم عـن أبي حسن
عن أوّل النـاس إيمـانـاً وسـابقـةً ... وأعـلم النـاس بـالـقـرآن والسـنن
وآخـر النـاس عهـداً بـالنبيِّ ومَن ... جبـريـلُ عون لهُ في الغسـل والكفن
مَن فيـه مـا فيهـمُ ؟ لا يمتـرون بِـهِ ... وليس في القـوم مـا فيـه مِن الحسن
مـاذا الـذي ردّكم عنـه ؟ فـنعـلمـه ... هـا إنَّ بـيعـتكـم مـن أوّل الـفتـن[2]

وَلما قال قصيّ يوم ذاك :

بني هـاشم لا تـطمعـوا النـاس فيكمُ ... ولا سيّـمـا تـيـم بـن مـرّة أو عـدي

---

(١) تـأريخ اليعقـوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، الريـاض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، تـأريخ أبي الفـدا ج ١ ص ١٥٦ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤ ، شرح ابن أبي الحـديد ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، رسائل الجاحظ ص ٢٢ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٤٠ ، تأريـخ أبي الفـدا ج ١ ص ١٦٤ ، شرح ابن أبي الحـديد ج ٣ ص ٢٥٩ ، الغـدير ج ٣ ص ٢٨٧ . تعزى هذه الأبيات إلى عدة شعراء راجع المصادر المذكورة .

فـمـا الأمـر إلاّ فـيـكـمُ وإلـيـكـمُ ... ولـيـس لـهـا إلاّ أبـو حـسـن عـلـي
أبـا حسن فـاشـدد بهـا كفَّ حـازمٍ ... فـإنّـك بـالأمـر الـذي يُـرتجى ملـي
وإنَّ امـرأً يـرمـي قـصـيّـاً وراءه ... عـزيز الحمى والنـاس من غـالب قصي [١]

٢ ـ ملكاته ونفسيّاته

يهمُّنا النظر إلى ملكات الخليفة وما انحنت عليه أضالعه من علوم أو نفسيّات حتّى نعلم أنّها هل تجعل له صلة بفضيلة ؟ أو تقرّب مبوّأه من التأهُّل لهاتيك المرويّات ؟ أو تعيِّن له حدّاً يكون التفريط منه إجحافاً به ، وبخساً بحقِّه ، وتحطيماً لمقامه ؟ أو يُعرف الغلوُّ بالإفراط فيه ؟ .

أمّا هو قبل الإسلام فلا نفيض عنه قولاً لأنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله ، فلا التفات إذن إلى ما جاء به عكرمة رضي الله تعالىٰ عنه من قوله : كان أبو بكر رضي الله عنه يُقامر أُبيّ بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل أن يحرم القمار . ذكره الإمام الشعراني في كتابه كشف الغمّة ج ٢ ص ١٥٤ .

وقال الإمام أبو بكر الجصّاص الرازي الحنفي المتوفّى سنة ٣٧٠ في أحكام القرآن ج ١ ص ٣٨٨ : لا خلاف بين أهل العلم في تحريم القمار وأنَّ المخاطرة من القمار ، قال ابن عبّاس : إنَّ المخاطرة قمار وإنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يخاطرون على المال والزوجة وقد كان ذلك مباحاً إلى أن ورد تحريمه ، وقد خاطر أبو بكر الصدِّيق المشركين حين نزلت : ﴿**آلم غلبت الروم**﴾ .

كما لا يلتفت إلى ما ذكره أبو بكر الإسكافي في الردِّ على الرسالة العثمانيَّة للجاحظ[٢] من أنَّ أبا بكر كان قبل إسلامه مذكوراً ورئيساً معروفاً ، يجتمع إليه كثيرٌ من أهل مكّة فينشدون الأشعار ، ويتذاكرون الأخبار ، ويشربون الخمر ، وقد سمع دلائل النبوَّة وحجج الرسالة ، وسافر إلى البلدان ، ووصلت إليه الأخبار .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥ .
(٢) رسائل الجاحظ ص ٣٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٤ .

وأخرج الفاكهي في كتاب مكّة بإسناده عن أبي القموص قال : شرب أبو بكر - الخمر في الجاهليّة[1] فأنشأ يقول :

تحيّي أمُّ بكر بالسَّلامِ وهل لي بعد قومك من سلام ؟

فبلغ رسول الله ﷺ فقام يجرُّ إزاره حتّى دخل فتلقّاه عمر وكان مع أبي بكر فلمّا نظر إلى وجهه محمرّاً قال : نعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ ، والله لا يلج لنا رأساً أبداً ، فكان أوّل من حرّمها على نفسه .

وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول ص ٦٦ فقال : هو ممّا تنكره القلوب . فكأنَّ الحكيم وجد الحديث دائراً سائراً في الألسن غير أنَّه رأى القلوب تنكره .

وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٢٢ فقال : واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال : شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ورثى قتلى بدر من المشركين .

وحديث أبي القموص هذا أخرجه الطبري في تفسيره ج ٢ ص ٢٠٣ ، وفي طبعة١٢١١ عن ابن بشار[2] عن عبد الوهّاب[3] عن عوف[4] عن أبي القموص زيد بن علي[5] قال : أنزل الله عزَّ وجلَّ في الخمر ثلاث مرّات ، فأوّل ما أنزل قال الله : **﴿يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾**[6] قال : فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك حتى شرب رجلان فدخلا في الصّلاة فجعلا يهجران كلاماً لا يدري عوف ما هو فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيها : **﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون﴾**[7] فشربها من شربها منهم وجعلوا يتّقونها عند الصَّلاة حتى

(١) هذه الكلمة دخيلة في الرواية ، وذيل الرواية يكذبها أيضاً وسنوقفك على التاريخ الصحيح .
(٢) الحافظ أبو بكر محمد بن بشار العبدي البصري . من رجال الصحاح الست .
(٣) ابن عبد المجيد البصري . من رجال الصحاح الست .
(٤) ابن أبي جميلة العبدي البصري . من رجال الصحاح الست .
(٥) ثقة كما في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٢٠ .
(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٩ .
(٧) سورة النساء ؛ الآية : ٤٣ .

شربها فيما زعم أبو القموص رجلٌ فجعل ينوح على قتلى بدر :

تحيي بالسّلامة أمّ عمرو ... وهل لك بعد رهطك من سلام ؟
ذريني أصطبح بكراً فإنّي ... رأيت الموت نقّب عن هشام
وودّ بنو المغيرة لو فدوه ... بألف من رجال أو سوام
كأنّي بالطويّ طويّ بدر ... من الشيزى يكلّل بالسنام
كأنّي بالطويّ طويّ بدرٍ ... من الفتيان والحلل الكرام

قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فزعاً يجرُّ رداءه من الفزع حتّى انتهى إليه فلمّا عاينه الرجل فرفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه قال : أعوذ بالله من غضب الله ورسوله والله لا أطعمها أبداً فأنزل الله تحريمها : **﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس﴾**[١] . إلى قوله : **﴿فهل أنتم منتهون﴾** . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنتهينا . إنتهينا[٢] .

وأخرج البزّار عن أنس بن مالك قال : كنت ساقي القوم تيناً وزبيباً خلطناهما جميعاً وكان في القوم رجلٌ يُقال له : أبو بكر فلمّا شرب قال :

أحيّي أمّ بكر بالسّلام ... وهل لك بعد قومك من سلام ؟
يحدثنا الرسول بأنّ سحتاً ... وكيف حياة أصلٍ أو هشام[٣]

فبينا نحن كذلك والقوم يشربون إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال : ما تصنعون ؟ إنَّ الله تبارك وتعالىٰ قد نزَّل تحريم الخمر . الحديث .

وقال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ ، والعيني في عمدة القاري ج ٢٠ ص ٨٤ : من المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان[٤] عن أنس . أنَّ أبا بكر وعمر كانا فيهم . وهو منكرٌ مع نظافة

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٩١ .
(٢) لا يخفى على القارىء أن الطبري حرّف اسم أبي بكر وجعل مكانه : رجل . وحرّف كلمة «أم بكر» في الشعر وبدّلها بأم عمرو . صوناً للكرامة .
(٣) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥١ .
(٤) وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن سفيان ، وأبو داود ، والحاكم ، =

سنده ، وما أظنُّه إلاَّ غلطاً .

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة شعبة من حديث عائشة قالت : حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهليَّة ولا إسلام .

ويحتمل ان كان محفوظاً أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ولم يشربا معهم[1] ثمَّ وجدت عند البزّار من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقي القوم وكان في القوم رجلٌ يُقال له : أبو بكر فلمّا شرب قال :

تحيّي بالسّلامة أُمّ بكر . . . .

فدخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال : قد نزل تحريم الخمر . الحديث . وأبو بكر هذا يُقال له : ابن شغوب فظنَّ بعضهم أنَّه أبو بكر الصدِّيق وليس كذلك ولكن قرينة ذكر عمر تدلُّ على عدم الغلط في وصف الصدِّيق فحصَّلنا تسمية عشرة . اهـ .

قال الأميني : ترى ابن حجر يتلعثم في ذكر الحديث ، فلا يدعه حبّه للخليفة أن يقبله ، ولا تُخلِّيه صحَّته أن يصفح عنه ، فجاء يستغرب أوَّلاً ثمَّ يستنكره مع الحكم بنظافة سنده . ويظنّه غلطاً تارةً ويراه محفوظاً أُخرى ، وبالأخير يأخذه صدق النبأ وصحَّته فيتخلّص منه بالحكم بأنَّ المذكور فيه هو أبو بكر الصدِّيق بقرينة عمر ، فيعدهما من أحد عشر الذين كانوا يشربون الخمر في دار أبي طلحة .

وابن حجر يعلم بأنَّ ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة لا يقاوم هذا النبأ الثابت المرويَّ بالطرق الصحيحة عن رجال الصحاح ، ذكر أبو نعيم حديثه في الحلية ج ٧ ص ١٦٠ من طريق عباد بن زياد الساجي عن ابن عدي عن شعبة عن محمّد بن عبد الرّحمن أبي الرجال عن أُمّه عمرة عن عائشة . وقال : غريبٌ من حديث شعبة لم نكتبه إلاَّ من حديث عباد بن أبي عدي . ا هـ . وفيه :

عباد بن زياد الساجي ، يتهم بالقدر . قال موسى بن هارون : تركت حديثه ،

= والدارقطني ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢١٦ .

(١) هنا ينتهي كلام العيني والبقية كلمة ابن حجر فحسب .

وقـال ابن عدي : هـو من أهل الكـوفة الغـالين في التشيع لـه أحـاديث منـاكيـر في الفضائل .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩٤]

وفيه : شعبة عن محمَّد بن عبد الرّحمٰن أبي الرجـال . قال الخـطيب : هذا وهمٌ شعبـة لم يـرو عن أبي الـرجـال شيئـاً ، وكـذلـك من قـال فيـه عن شعبـة عن محمّد بن عبد الرَّحمٰن عن أُمّه عمرة .

[تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٩٥]

وقـال ابن حجر والعيني : وقـع عند عبـد الـرزاق عن معمـر بن ثـابت وقتـادة وغيرهما عن أنس : إنَّ القوم كانوا أحد عشر رجلاً[١] .

نادي الخمر هذا كان عام الفتح سنـة ثمان من الهجـرة بالمـدينة المشـرّفة في دار أبي طلحة زيد بن سهـل وكانت السقـاية لأنس كمـا في صحيح البخـاري كتاب التفسير في سورة المائدة في آية الخمر ، وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة باب تحـريم الخمر وقـال السيوطي في الـدرّ المنثـور ج ٢ ص ٣٢١ : أخـرجـه عبـد بن حميد . وأبو يعلى . وابن المنذر ، وأبو الشيخ . وابن مردويه عن أنس .

وأخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٨١ ، ٢٢٧ ، والطبري في تفسيره ج ٧ ص ٢٤ ، والبيهقي في السنن الكبـرى ج ٨ ص ٢٨٦ ، ٢٩٠ . وابن كـثيـر فـي تفسيره ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ .

وكان عدَّة الحضور في ذلك النادي كما مرَّت عن معمر وقتادة أحد عشر رجلاً ذكـر منهم ابن حجـر في فتـح البـاري ج ١٠ ص ٣٠ عشـرة أنفس وقـال كمـا مـرَّ ص١١٥: فحصَّلنا تسمية عشرة . وهم :

١ ـ أبو بكر بن أبي قحافة . وكان يوم ذاك ابن ثمان وخمسين سنة .

٢ ـ عمربن الخطاب . وكان يوم ذاك ابن خمس وأربعين سنة .

٣ ـ أبو عبيدة الجراح . وكان ابن ثمان وأربعين سنة .

---

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ ، عمدة القاري ج ١٠ ص ٨٤ .

٤ ـ أبو طلحة زيد بن سهل صاحب النادي ، وكـان له أربـع وأربعون سنـة ، قـال ابن الجوزي في الصفـوة ج ١ ص ١٩١ : توفي سنـة أربـع وثـلاثين وهـو ابن سبعين سنة .

٥ ـ سهيل بن بيضاء . توفي بعد القضيَّة بسنة وهو كبير السنّ .

٦ ـ أُبيّ بن كعب .

٧ ـ أبو دجانة سماك بن خرشة .

٨ ـ أبو أيوب الأنصاري .

٩ ـ أبو بكر بن شغوب .

١٠ ـ أنس بن مالك ساقي القوم . كـان يوم ذاك ابن ثمـانية عشـر عامـاً على الأصحّ وفي صحيحـة مسلم في الأشـربـة في بـاب تحـريم الخمـر ، والبيهقي في السنن ج٨ ص ٢٩ عن أنس أنَّه قال : إنِّي لقائمٌ أسقيهم وأنا أصغرهم .

وقد عزب عن ابن حجر حادي عشر القوم وهو : معاذ بن جبل . كما ورد في حديث قتادة عن أنس ، أخرجه ابن جـرير في تفسيـره ج ٧ ص ٢٤ ، والهيثمي في مجمـع الـزوائـد ج ٥ ص ٥٢ ، والعيني في عمـدة القـاري : ج ٨ ص ٥٨٩ ، والسيـوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢١ نقـلاً عن ابن جـريـر وأبي الشيـخ وابن مردويه ، والنووي في شرح مسلم هامش إرشاد القسطلاني ج ٨ ص ٢٣٢ .

وكان معاذ يوم ذاك ابن ثلاث وعشرين سنة إذ توفّي سنة ١٨ وله ٣٣ عاماً كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة .

وهؤلاء المـذكورين من الـذين كانـوا يشربـون الخمر بعـد نزول الآيتين فيهـا بتأويل فيهما كما مرَّ في الجزء السادس ص ٢٩٧ ، إلى أن نزلت آية المائدة : **﴿يـا أيّها الـذين آمنـوا إنّمـا الخمـر والميسـر والأنصـاب والأزلام رجسٌ من عمـل الشيطان﴾** . إلى قولـه تعالىٰ : **﴿فهـل أنتم منتهون﴾** . وكـان ذلك في عـام الفتح فلمّا رأوا غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلموا من الآية الثـالثة التحـذير والـوعيد إنتهـوا وقال عمر : انتهينا . إنتهينا .

قال الآلوسي في تفسيره ج ٢ ص ١١٥ : شربها كبار الصحابة رضي الله عنهم بعد نزولها «يعني آية الخمر في البقرة» وقالوا : إنّما نشرب ما ينفعنا ولم يمتنعوا حتى نزلت آية المائدة . اهـ .

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس أنَّه قال : كنّا نشرب الخمر فأُنزلت : ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾ الآية . فقلنا : نشرب منها ما ينفعنا . فأُنزلت في المائدة : ﴿**إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس**﴾ الآية . فقالوا : اللّهُمَّ قد انتهينا[١] .

وأخرج عبد بن حميد عن عطاء أنَّه قال : أوَّل ما نزل في تحريم الخمر ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾ الآية فقال بعض الناس : نشربها لمنافعها التي فيها . وقال آخرون لا خير في شيء فيه إثمٌ ثمَّ نزل : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى**﴾ الآية ، فقال بعض الناس : نشربها ونجلس في بيوتنا . وقال آخرون : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصّلاة مع المسلمين . فنزلت : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر**﴾ الآية فانتهوا[٢] .

ولتعدُّد آيات الخمر واختلاف السلف فيها وتأويل جمع منهم آيتي البقرة والنساء من تلكم الآيات وقع الخلاف في تاريخ حرمتها على أقوال :

١ ـ الأخذ بما أخرجه الطبراني من طريق معاذ بن جبل من أنّ أوَّل ما نهى عنه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث شرب الخمر وملاحاة الرجال[٣] فتحريم الخمر كان في أوليات الهجرة إن لم تكن في أوليات البعثة ، ويساعده ما صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أن أعظم الكبائر شرب الخمر[٤] ويبرمه النظر في آيات الخمر فالآية الأُولىٰ منها من سورة البقرة وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة[٥] والآية الثانية في سورة النساء وقد

---

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ ، تفسير الشوكاني ج ١ ص ١٩٧ .
(٢) تفسير الآلوسي ج ٧ ص ١٧ .
(٣) أوائل السيوطي ص ٩٠ .
(٤) الغدير ج ٦ ص ٣٠٥
(٥) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٣٢ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥ ، تفسير الخازن ج ١ ص ١٩ .

نزلت في أوائل الهجرة[١] .

ولعلَّ هذا رأي كلٍّ من رأى حرمة الخمر بآية البقرة ، قالت عائشة : لَمّا نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك[٢] وقد نزلت سورة البقرة بعد زواج عائشة كما مرَّ في الجزء السادس ص ٢٣٦ .

واختار الجصّاص حرمة الخمر بآية البقرة كما أسلفنا كلامه في الجزء السادس صفحة ٣٠١ ، وقال القرطبي في تفسيره ج ٣ ص ٦٠ : قال قومٌ من أهل النظر حرّمت الخمر بهذه الآية يعني التي في سورة البقرة ، وقال الرازي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢٩ : إنَّ هذه الآية «يعني آية البقرة» دالةٌ على تحريم شرب الخمر . وذكر في ص ٢٣١ في وجه دلالتها عليه وجوهاً .

٢ ـ رأى البلاذري أنَّه كان سنة أربع من الهجرة كما في «الإمتاع» للمقريزي ص ١٩٣ ، وذكر ابن إسحاق : أنَّه كان في وقعة بني النضير سنة أربع على الراجح[٣] وقال ابن هشام في سيرته ج ٢ ص ١٩٢ : نزل ببني النضير وذلك في شهر ربيع الأوّل ـ سنة أربع ـ فحاصرهم فيها ستّ ليال ، ونزل تحريم الخمر . وذكره ابن سيّد الناس في عيون الأثر ج ٢ ص ٤٨ .

ويؤيِّد هذا الرأي ما أخرجه ابن مردويه عن جابر أنَّه قال : حرّمت الخمر بعد أُحد[٤] وقد وقعت غزوة أُحد في سنة ثلاث فبعدها تكون سنة أربع تقريباً .

٣ ـ جزم الدمياطي على أنَّ تحريم الخمر كان في سنة الحديبيّة سنة ستّ كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٤ : وعمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢ .

٤ ـ حرمتها في سنة الفتح عام ثمان من الهجرة يوم الندوة المذكورة المنعقدة في دار أبي طلحة بآية المائدة التي فيها الإرهاب والتحذير ، وبها كفَّ عمر ومن كان معه في تلك الندوة عن الشرب وقال : إنتهينا ، إنتهينا .

---

(١) راجع ما يأتي في الجزء الثامن صفحة ٣٠

(٢) تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٥٨ ، الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٢٤ ، عمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢ .

(٤) تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٧١ .

وهذا القول غير مدعوم بحجّة ، وليس إلاّ لتصحيح شرب أُولئك الرجال من الصحابة وجعله قبل التحريم ، فترى مثل ابن حجر لا يحكم به حكماً باتّاً بل يستظهره من حديث أحمد قال في فتح الباري ج ٨ ص ٢٧٤ : الذي يظهر أنّ تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبد الرّحمٰن بن وعلة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال : كان لرسول الله ﷺ صديقٌ من ثقيف أو من دوس فلقيه بمكة عام الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! أما علمت أنّ الله حرَّمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : اذهب فبعها ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! بماذا أمرته ؟ قال : أمرته أن يبيعها . قال : إنّ الذي حرَّم شربها حرَّم بيعها . فأمر بها فأُفرغت في البطحاء .

وقصارى ما في هذا الحديث أنّ تحريم الخمر بلغ الرجل في عام الفتح لا أنّها حُرِّمت فيه ، لأنّ الرجل كان في منتأى عن مستوى تبليغ الأحكام ، متخبّطاً بين أعراب البوادي ، غير عارف حتى بأُصول المراودة والتحابب ، ويشهد لذلك إهداؤه الخمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّها على فرض عدم حرمتها ليست ممّا يُهدى إلى مثله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن الرجل كان من دهماء الناس ، وجرى على ما هو المطرد بين الرعرعة والساقة .

الخليفة في الاسلام :

وأمّا هو «أبو بكر» في الإسلام فلم نعهد له نبوغٌ في علم ، أو تقدُّمٌ في جهاد ، أو تبرُّزٌ في الأخلاق ، أو تهالكٌ في العبادة ، أو ثباتٌ على مبدأ .

أمّا نبوغه في علم التفسير فلم يؤثر عنه في هذا العلم شيء يُحفل به ، فدونك كتب التفسير والحديث فلا تكاد تجد فيها عنه ما يُروي غُلّة صادٍ ، أو يُنجع طلبة طالب . نعم : يروى عنه أنّه شارك صاحبه ـ عمر بن الخطاب ـ في عدم المعرفة لمعنى الأبّ[1] الذي عرفه كلُّ عربيّ صميم حتى أعراب البادية ، وليس من البد أن يعرفه حتى الساقة من الناس فإنّه لا يعدوه أن يكون لدة بقيّة الكلمات

---

(١) في قوله تعالى في سورة عبس ٢٧ ـ ٣١ : ﴿فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا﴾ .

العربيَّة التي لا تزال العرب تلهج بها في كلِّ حلّ ومرتحل ، ولا هو الدخيل[١] حتى يُعذر فيه الجاهل به ، ولا من شواذّ الكلم التي قلّما تتعاطاه الجامعة العربيّة حتى يشذَّ عرفانه عن بعضهم .

وإن تعجب فعجبٌ اعتذار من جنح إليه[٢] بأنّه كان يلتزم الحائطة في تفسير القرآن ، ولذلك تورَّع عن الإفاضة في معنى الأبِّ ، لكن عرف من عرف أنَّ الحائطة إنَّما تجب في بيان مغازي القرآن الكريم وتعيين إرادته ، وتبيين مجمله ، وتأويل متشابهه ، وما يجري مجرى ذلك ممّا يحظر في الدين التسرُّع إليه من دون تثبُّت وتوقيف ، وأما معاني ألفاظه العربيَّة للعريق في لغة الضاد فأيّ حائطة تضرب على يده عن أن يفهمها وهو يعرفها بطبعه وجبلّته .

وهب أنَّ الرجل لم يحط خبراً بلغة قومه فهلّا تروَّى في الذكر الحكيم في ذيل الآية الكريمة من قوله سبحانه : ﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ . بياناً للفاكهة والأبّ ؟ ليعلم أنَّه سبحانه وتعالىٰ امتنَّ على الناس بالفاكهة ليأكلوها ، وبالأبّ لترعاه أنعامهم ، فتلك فاكهة ، وهذا العشب .

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال : سُئل أبو بكر عن آيةٍ فقال : أيّ أرض تسعني ؟ أو أيّ سماء تظلّني ؟ إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله ؟ .

وأخرج أبو عبيدة عن ابراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر عن قوله تعالىٰ﴿**وفاكهة وأبّا**﴾ ؟ فقال : أيّ سماء تظلّني ؟ أو أيّ أرض تقلّني ؟ إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ؟ .

وفي لفظ القرطبي : أيّ سماء تظلّني ؟ وأي أرض تقلّني ، وأين أذهب ؟ وكيف أصنع ؟ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالىٰ .

---

(١) أما ما زعمه ابن حجر في فتح الباري من أن الكلمة من الدخيل ولذلك لم يعرفها الخليفتان فقد مرّ الجواب عنه في الجزء السادس ص ١٢٨

(٢) نظراء القرطبي والسيوطي .

ذكره القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٩ ، ابن تيميَّة في مقدَّمة أُصول التفسير ص ٣٠ ، الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٢٥٣ ، ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥ وصحّحه في ص ٦ ، ابن القيِّم في أعلام الموقعين ص ٢٩ وصحَّحه ، الخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٧٤ ، النسفي في تفسيره هامش الرازي ج ٨ ص ٣٨٩ ، السيوطي في الدرّ المنثور ج ٦ ص ٣١٧ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد ، ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٢٣٠ ، وأوعز إليه ابن جزي الكلبي في تفسيره ج ٤ ص ١٨٠ .

الكـلالـة :

وتجد الخليفة على شاكلة صنوه في عدم العلم بالكلالة النازلة في آية الصيف آخر سورة النساء : **﴿يستفتونك قل الله يُفتيكم في الكلالة إن امرؤٌ هلكَ ليسَ له وَلدٌ وله أُختٌ فلها نصف ما ترك﴾** الآية : ١٢ .

أخرج أئمَّة الحديث بإسناد صحيح رجاله ثقات عن الشعبي قال : سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة ؟ فقال : إنِّي سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فمنِّي ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، أراه ما خلا الولد والوالد ، فلمّا استخلف عمر رضي الله عنه قال : إنِّي لأستحيي الله أن أردَّ شيئاً قاله أبو بكر .

أخرجه سعد بن منصور ، عبد الرّزاق ، ابن أبي شيبة ، الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٦٥ ، وابن جرير الطبري في تفسيره ج ٦ ص ٣٠ ، ابن المنذر ، البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٣ ، وحكى عنهم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ٢٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٦٠ ، والخازن في تفسيره ج ١ ص ٣٦٧ ، وابن القيِّم في أعلام الموقعين ص ٢٩ .

قال الأميني : هذا رأيه الثاني وكان أوَّلاً يرى أنَّ الكلالة من لا ولد له خاصَّة ، وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب ثمَّ رجعا عنه إلى ما سمعت[1]

---

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٧٧ .

ثمَّ اختلفا فيها ، قال ابن عبّاس كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب قال : اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت[١]وفي صحيحة البيهقي والحاكم والذهبي وابن كثير[٢] عن ابن عبّاس قال : كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول : القول ما قلت . قلت : وما قلت ؟ قال : قلت : الكلالة ما لا ولد له .

هذا القول كان من عمر لَمّا طعن بعد قوله لمّا استخلف : إنّي لأستحيي أن أخالف فيه أبا بكر كما مرَّ . وبعد قوله : أتى عليَّ زمانٌ لا أدري ما الكلالة وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد[٣] وبعد هذه كلّها قال ما قال وهو على ما يقول بصير .

أنا لا أدري أين ولّت تلك الحائطة التي التزمها الخليفة الأوّل في معنى الأبِّ لتلك الحدَّة والشدَّة ؟ وأيّ سماء أظلّته ؟ وأيّ أرض أقلته ؟ وأين ذهب ؟ وكيف صنع لمَّا قال في دين الله برأي لا يعرف غيَّه من رشده ، ولا يعلمه أمن الله أم منه ومن الشيطان ؟ وكيف خفيت عليه آية الصيف ؟ وقد رأى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها الكفاية في عرفان الكلالة كما مرَّ ج ٦ ص ١٥٧ ، وكيف عزب عنه قوله تعالىٰ : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ولِمَ لم يسأل ولم يتعلّم ولم يعبأ بأهل الذكر وهو يعرفه لا محالة ؟ فكأنَّ الأحكام ليست بتوقيفيَّة ، وكأنَّها منوطةٌ بالحظِّ والنصيب ولكلِّ إنسان ما رأى ، ولو صدقت هذه الأحلام فيسع لكلِّ امرىء أن يُفتي برأيه فيما يُسأل عنه من الكتاب والسنَّة ويقول : إنْ كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان .

نعم هذا الإفتاء بالرأي يفتقر إلى جرأة على الله وعلى رسوله ، وتلك لا تتأتى لأيِّ أحد فتخصّ لا محالة بجماعة دون أُخرى ، وكأنَّ هذا هو معنى الإجتهاد عند

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ .

(٢) المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٠٤ وصححه ، السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٢٥ ، تلخيص . المستدرك للذهبي واقرّ تصحيح الحاكم ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ وذكر تصحيح الحاكم واقرّه .

(٣) السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٤ .

القوم لا استنباط الأحكام من أدلّتها التفصيليَّة من الكتاب والسنَّة . ومن هنا يـرون نظراء عبد الرَّحمٰن بن ملجم قاتل مولانا أمير المؤمنين(١) .

وأبي الغادية قاتل الصحابيِّ العظيم عمّار بن ياسر سلام الله عليه(٢) .

ومعاوية بن أبي سفيان قاتل آلاف من الأبرياء والأزكياء(٣) .

وعمرو بن النابغة ، العاصي ابن العاصي(٤) .

وخالد بن الوليد قاتل مالك ظلماً والزّاني بامرأته(٥) .

وطلحة والزبير(٦) الخارجين على الإمام الحقِّ الثابت إمامته بالنصِّ والإختيار .

ويزيد الخمور والفجور صاحب الطامات والصحائف السوداء(٧) .

مجتهدين في دين الله متأوِّلين في تلكم الآراء الشاذّة عن حكم الإسلام وشرعة الحقِّ ، مأجورين في تلك المظالم العادية . وقال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥١ : والظنُّ بالصحابة في تلك الحروب أنَّهم كانوا فيها متأوّلين وللمجتهد المخطىء أجرٌ ، وإذا ثبت هذا في حقِّ آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولىٰ . اهـ .

مرحباً مرحباً بهذا الدين ، وبخٍ وبخٍ ما أكثر المجتهدين من أُمّة محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى أصبحت غوغاء الشام ، وطغام الأُمَّة ، وحثالة الأعراب ، وأجلاف الأحزاب ، وأبناء الطلقاء مجتهدين متأوّلين .

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٣٧٧

(٢) راجع الجزء الأول من الكتاب ص ٣٨٢

(٣) الفصل لابن حزم ج ٤ ص٨٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٩ .

(٤) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٨٣ .

(٥) تأريخ ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٣ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٧ ، وسيأتي تفصيله .

(٦) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٢ .

(٧) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣ .

وزهٍ زهٍ بأولئك المتحلّين بأبراد الإجتهاد جرائيم الفساد ، قتلة صفوة الأبرار الهاجمين على ناموس الإسلام ، وقدس صاحب الرِّسالة ، الخارجين عن طوع الكتاب والسنّة ، الفئة الباغية الطاغية ، المدرَّبين بالشرِّ والفساد وبغض العترة الطاهرة تحت راية الطليق ابن الطليق ، اللعين ابن اللعين بلسان النبيِّ الأعظم(١) صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : آفة الدين ثلاثة : فقيهٌ فاجر . وإمامٌ جائر ، ومجتهدٌ جاهل(٢) .

وحسب الإسلام عاراً وشناراً أولئك الأعلام أصحاب هذه الآراء المضلّة والأقلام المسمومة التي تنزِّه ساحة المجرمين عن دنس الفجور والنفاق ، وتجعل المحسن والمسيء والمبطل والمحقّ ، والطيِّب والخبيث ، عكمي بعير ، وتضلّ الأمّة عن رشدها بأمثال هذه الكلم التافهة ، والدعاوى الفارغة ، والآراء الساقطة ، وتصغِّر في عين المجتمع الديني تلكم الجنايات العظيمة على الله وعلى رسوله وكتابه وسنّته وخليفته وعترته ومواليهم . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً . فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره .

وأوّل من فتح باب التأويل والإجتهاد ، وقدَّس ساحة المجرمين بذينك ، وحابى رجال الجرائم والمعرّات بهما هو الخليفة الأوَّل ، فقد نزَّه بهذا العذر المفتعل ذيل خالد بن الوليد عن دنس آثامه الخطيرة ، ودرأ عنه الحدَّ بذلك كما سنوقفك على تفصيله إنْ شاء الله تعالى .

هذا انموذجٌ من تقدُّم الخليفة في علم التفسير على قلّة ما روي عنه في ذلك قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «الإتقان» ج ٢ ص ٣٢٨ :

إشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة . وابن مسعود . وابن عبّاس . وأُبيّ بن كعب . وزيد بن ثابت . وأبو موسى الأشعري . وعبد الله بن الزبير . أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليُّ بن أبي طالب ، والروايات عن الثلاثة نزرة جدّاً ، وكان السبب في ذلك تقدُّم وفاتهم كما أنَّ هو السبب في قلّة

---

(١) راجع الجزء الثالث من الكتاب ص ٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) كنز العمال ج ٥ ص ٢١٢ .

رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلاّ آثاراً قليلة جدّاً لا تكاد تجاوز العشرة .

وأمّا عليٌّ فروي عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل : شهدت عليّاً يخطب وهو يقول : سلوني فوالله لاتسألون عن شيء إلاّ أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال : إنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلاّوله ظهرٌ وبطنٌ ، وإنَّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن .

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيّاش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن عليّ قال : والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم أُنزلت وأين أُنزلت إنَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً . اهـ .

قال الأميني : ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا ؟ ألا مسائل الرجل عن أنَّ الذي لم يجد له هو نفسه وهو ذلك المتتبِّع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير كيف عدَّه ممّن اشتهر بالتفسير من الصحابة ؟ نعم راقه أن لا يفرِّق بينه وبين مولانا أمير المؤمنين وقد روى فيه ما روى ذاهلاً عن قوله تعالىٰ : ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والَّذين لا يعلمون**﴾ .

تقدّم الخليفة في السنّة :

أمّا تقدّمه في السنَّة فكلّ ما أثبته عنه إمام الحنابلة أحمد في المسند ج ١ ص ٢ ـ ١٤ ثمانون حديثاً ، ويربو المتكرّر منها على العشرين ، فلم يصفُ منها إلاّ ما يقرب الستين حديثاً ، وقد التقط ما في مسنده من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث ، وكان يحفظ ألف ألف حديث[١] .

وجمع ابن كثير بعد جهود جبّارة أحاديثه في اثنين وسبعين حديثاً وسمّى

(١) طبقات الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧ ، ترجمة أحمد في آخر الجزء الأول من مسنده .

مجموعه : مسند الصدِّيق[١] .

واستدرك ما جمعه ابن كثير جلال الدين السيوطي بعد تصعيد وتصويب ومع تضلّع وإحاطة بالحديث ، فأنهى أحاديثه إلى مائة وأربعة ، وذكرها برمّتها في تاريخ الخلفاء ص ٥٩ ـ ٦٤ .

وقد يروى أنَّ له مائة واثنان وأربعون حديثاً اتّفق الشيخان على ستّة أحاديث منها . وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بواحد[٢] .

وفي وسع الباحث المناقشة في غير واحد من تلك الأحاديث سنداً أو متناً ، فإنَّ من جملتها ما ليس بحديث وإنّما هو قول قاله كقوله للحسن السبط سلام الله عليه : بأبي شبيه بالنبيِّ ليس شبيهاً بعليّ .

وقوله : شاور رسول الله في أمر الحرب .

وقوله : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدى جملاً لأبي جهل .

ومنها ما هو محكومٌ عليه بالوضع ، أو يخالف الكتاب والسنّة ، ويكذّبه العقل والمنطق والطبيعة مثل قوله :

١ ـ لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر .
٢ ـ وقوله : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .
٣ ـ وقوله : إنَّ الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحيِّ .
٤ ـ وقوله : إنَّما حرُّ جهنَّم على أُمَّتي مثل الحمّام .

أمّا الأوَّل فله عدّة طرق لا يصحُّ شيء منها الطريق الأوَّل لابن عدي وفي إسناده :

١ ـ زكريّا بن يحيى الوكار، أحد الكذّابين الكبار مرّت ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص ٢٨٢

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٢ .
(٢) شرح رياض الصالحين للصديقي ج ٢ ص ٢٣ .

٢ - بشر بن بكر . قال الأزدي منكر الحديث ولا يعرف ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٠ .

٣ - أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني . قال أحمد : ضعيفٌ كان عيسى بن يونس لا يرضاه ، وعن أبي داود عن أحمد : أنّه ليس بشيء . وقال أبو حاتم : سألت ابن معين عنه فضعّفه . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث طرقه لصوصٌ فأخذوا متاعه فاختلط[١] وقال الجوزقاني : ليس بالقوي . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال أبو سعد : كان كثير الحديث ضعيفاً . وقال الدارقطني : متروكٌ[٢] .

الطريق الثاني لابن عدي أيضاً وفي إسناده :

١ - مصعب بن سعيد أبو خيثمة المصيصي . قال ابن عدي : يحدّث عن الثقات بالمناكير ويصحّف . وقال : والضعف على رواياته بيّن . وقال ابن حبّان : كان مدلّساً وقال صالح جزرة : شيخٌ ضريرٌ لا يدري ما يقول . وذكر الذهبي له أحاديث فقال : ما هذه إلّا مناكير وبلايا[٣] .

٢ - عبد الله بن واقد . قال ابن عدي والجوزقاني والنسائي : متروك الحديث وقال غيرهما : ليس بشيء . وقال الأزدي : عنده مناكير . وقال أحمد : أظنّه كان يدلّس . وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث لا يحدّث عنه . وقال البخاري : تركوه منكر الحديث . وقال ابن حبّان : وقع المناكير في حديثه فلا يجوز الإحتجاج بخبره . وقال صالح جزرة : ضعيف مهين . وقال أبو أحمد الحاكم : حديثه ليس بالقائم[٤]

٣ - مشرح بن عاهان . قال ابن عدي وابن حبان : لا يحتجُّ به . وقال غيرهما :

---

(١) قال الأميني : لو لم يكن لاختلاط الرجل آية غير حديثه هذا لكفى وحسبه .
(٢) تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٩ .
(٣) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٣ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٤٤ .
(٤) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٦٦ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٨٤ ، لسان الميزان ج ٣ ص ٣٧٤ ، اللآلىء المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢ .

يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها . وقال آخرون : الصواب ترك ما انفرد به[١] .

أورده بهذين الطريقين ابن الجوزي في الموضوعات فقال : هذان حديثان لا يصحّان عن رسول الله ﷺ ، أمّا الأوّل ، فإنَّ زكريّا بن يحيى كان من الكذّابين . قال ابن عدي ، كان يضع الحديث . وأمّا الثاني : فقال أحمد ويحيى : عبد الله بن واقد ليس بشيء . وقال النسائي : متروكٌ : وقال ابن حبان : انقلبتُ على مشرح صحائفه فبطل الإحتجاج به . ا هـ .

الطريق الثالث لأبي العبّاس الزوزني في كتاب شجرة العقل بلفظ : لو لم أُبعث لبعثت يا عمر ! . وفي إسناده :

١ ـ عبد الله بن واقد . وقد مرَّ في الطريق الثاني .

٢ ـ راشد بن سعد بن الحمصي ، ذكر الحاكم أن الدارقطني ضعَّفه ، وكذا ضعَّفه ابن حزم ، وذكر البخاري أنَّه شهد صفّين مع معاوية[٢] فالرجل من الفئة الباغية بنصّ من النبي الأعظم ، وذكره الصغّاني فقال : موضوعٌ . كما في كشف الخفاء ج ٣ ص ١٦٣ .

الطريق الرابع للديلمي عن أبي هريرة بلفظ : لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر . أيّد الله عمر بملكين يوفّقانه ويسدّدانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً .

في إسناده إسحاق بن نجيح الملطي أبو صالح الأزدي . قال أحمد : من أكذب الناس . وقال ابن معين : كذّابٌ عدوّ الله رجل سوء خبيث . كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق الملطي . وقال ابن أبي مريم عنه : من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال علي بن المديني : ليس بشيء وضعَّفه ، روى عجائب . وقال عمر بن علي : كذّابٌ كان يضع الحديث . وقال الجوزقاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال : كذّابٌ وضّاعٌ لا يجوز قبول خبره ولا الإحتجاج

---

(١) اللآلىء المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢ ، ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٢ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٢٦ .

بحديثه ويجب بيان أمره . وقال الجهضمي والبخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : كذّابٌ متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامّة ما أتى عن ابن جريج بكلّ منكر ووضعه عليه ، وهو بيِّن الأمر في الضعفاء ، وهو ممّن يضع الحديث . وقال ابن حبّان : دجّالٌ من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً . وقال البرقي : نسب إلى الكذب . وقال أبو سعيد النقّاش : مشهورٌ بوضع الحديث . وقال : وقال ابن طاهر : دجّالٌ كذّابٌ . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنّه كان يضع الحديث[1] .

قال الديلمي بعد ذكر الحديث بالطريق المذكور : وتابعه راشد بن سعد عن المقدام بن معدي كرب عن أبي بكر الصدِّيق والله أعلم .

قال الأميني : عرفت في الطريق الثالث ضعف راشد ؛ وإنّما الصغّاني حكم على حديثه هذا بالوضع ، وأقرّه العجلوني وزيَّفه في كشف الخفاء ج ٢ ص ١٥٤ ، ١٦٣ . وذكره السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ١ ص ٣٠٢ غير أنّه عدّه بهذا الطريق الوعر في تاريخ الخلفاء عن أحاديث أبي بكر ، ولا تخفى عليه تراجم هؤلاء الرجال أمثال إسحاق الملطي ، نعم راقه أن يكثر عدد أحاديث الخليفة ولو بمثل هذا وقد حذف الأسانيد منها حتّى لا يقف القارىء على ما فيها من الوضع والاختلاق والله من ورائه حسيب .

أما الحديث الثاني :

فأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٩٠ بإسناده عن عبد الله بن داود الواسطي التمّار عن عبد الرّحمٰن ابن أخي محمّد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما : يا خير الناس بعد رسول الله ! فقال أبو بكر : أما إنّك إن قلت ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .

عقّبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال : قلت عبد الله ضعّفوه ، وعبد

(١) مرت المصادر في الجزء الخامس ص ٢٦٨

الرّحمٰن متكلّم فيه ، والحديث شبه موضوع . وقال في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٢٣ : رواه عبد الله بن داود التمّار وهو هالكٌ ، عن عبد الرّحمٰن بن أخي محمّد المنكدر لا يكاد يُعرف ، ولا يتابع على حديثه ، وقال الترمذي : ليس إسناده بذلك .

قال الأميني : أمّا عبد الله بن داود التمّار فقال البخاري : فيه نظر. وقال أبو حاتم ليس بقويّ ، في حديثه مناكير، وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالمتين عندهم ، وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جدّاً يروي المناكير عن المشاهير لا يجوز الإحتجاج بروايته . وقال الدارقطني : ضعيفٌ[1] .

وأمّا عبد الرّحمٰن فقال يحيى بن معين : ما أعرف عبد الرّحمٰن فقرأه إبراهيم بن الجنيد الحديث فقال يحيى : ما أعرف عبد الرّحمٰن . وأنكر الحديث ولم يعرفه[2] .

جاء العلاّمة الحريفيش في القرن الثامن وأتى في كتابه الروض الفائق ص ٣٨٨ بحديث مختلق في فضيلة مولانا أمير المؤمنين وأبي بكر وجعل هذه الرواية في فضل أبي بكر عن لسان عليّ عليه السلام قال روى أبو هريرة : إنَّ أبا بكر الصدِّيق وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال عليٌّ لأبي بكر رضي الله عنهما : تقدَّم فكن أوّل قارع يقرع الباب وألح عليه ، فقال أبو بكر : تقدَّم أنت يا عليّ فقال عليٌّ : ما كنت بالذي يتقدَّم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقه : ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي على رجل أفضل من أبي بكر الصدِّيق . فقال أبو بكر : ما كنت بالذي يتقدَّم على رجل قال في حقِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خير النساء لخير الرجال . إلى آخره وفيه مناقب ستّ لأبي بكر على لسان عليّ وكذلك لعليّ على لسان أبي بكر لم يذكر السيوطي شيئاً منها في عدِّ أحاديث أبي بكر مع اهتمامه بإكثار عددها وذلك لبداهة الكذب فيه ، وركّة لفظه ، ووضوح الإختلاق في معانيه وألفاظه ، وظهور

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠٠ .
(٢) لسان الميزان ج ٣ ص ٤٤٨ .

التهافت بين جمله كما ترى . نعم لكلّ من الوضّاعين في وضع الحديث ذوقٌ ، ولكلٍّ واحد منهم طريقة وسليقة ، وليس أمرهم سلكي .

أما الحديث الثالث :

فمن المنكر الواضح وهو لِدة ما سبق عن عمر في الجزء السادس صفحة ١٩٥ من قوله : إن الميِّت يعذَّب ببكاء الحيِّ . وقد أنكرته عليه عائشة ، وهو مخالفٌ للكتاب المجيد حيث يقول :﴿**ولاتزروازرة وزرأُخرى**﴾، وأمثالها وقد فصَّلنا القول فيه تفصيلاً في الجزء السابق فراجع ص ١٩٢ ـ ٢٠٠

ومخالفٌ للعدل فإنَّ تعذيب أيِّ أحد لما اجترعه غيره من سيّئة ـ بعد تسليم كون البكاء عليه سيِّئة ـ يرفضه ناموس العدل الإلٓهي ، وتلفظه العقول السليمة ، ويتوجَّه إلى قائله اللوم من كلِّ ذي مسكة ، تعالىٰ الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً .

أما الحديث الرابع : إنما حرّ جهنم على امّتي مثل الحمّام :

فإنَّه أشبه شيء بمخاريق المعتوهين ، أو من يريد تحطيماً من عظمة أمر المولى سبحانه ، أو إغراءً لبسطاء الأُمَّة على اقتحام الجرائر بحسبان أنَّ حرَّ الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبّار للعصاة عامَّة لا يصيب هذه الأُمَّة وإنَّما هو للأُمم السابقة ومن لم يعتنق الإسلام من الموجودين ، وأنت إذا تأمَّلت في ﴿**نار الله الموقدة التي تطَّلع على الأفئدة**﴾[1] ﴿**التي وقودها الناس والحجارة**﴾[2] ﴿**يوم يُحمى عليها في نار جهنَّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم**﴾[3] ﴿**إذا الجحيم سعِّرت**﴾[4] ﴿**وبُرِّزت الجحيم لمن يرى**﴾[5] ﴿**ترمي بشرر كالقصر كأنَّه جمالةٌ صفر**﴾[6] ﴿**كلّا إنَّها لظى نزَّاعة للشوى**﴾[7] ﴿**يوم يسحبون في النَّار على وجوههم**

---

(١) سورة الهمزة ؛ الآية : ٧ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤ .
(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٥ .
(٤) سورة التكوير ؛ الآية : ١٢ .
(٥) سورة النازعات ؛ الآية : ٣٦ .
(٦) سورة المرسلات ؛ الآية : ٣٣ .
(٧) سورة المعارج ؛ الآية : ١٥ .

ذوقوامسَّ سقر﴾(١) **﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر﴾**(٢) **﴿قالوا ما سلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين﴾**(٣) **﴿إنَّ شجرة الزّقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم﴾**(٤) .

أو تأمّلت فيما هدَّد به المولى سبحانه المتثاقلين عن النفر للجهاد في الحرِّ بقوله : **﴿قل نار جهنّم أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾**(٥) ومَن يأكل أموال اليتامى بقوله : **﴿إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾**(٦) إلى كثير من أمثال هذه لا ترتاب في أنَّ الأمم كلها بالنسبة إليها شرعٌ سواء ، بل إنَّ توجيه تلكم الخطابات إلى الأمّة المرحومة المعنيَّة بالتهذيب وإيقافها عن المعصية بالتهديد أولى من توجيهها إلى الأمم البائدة التي جرى عليها ما جرى من عاقبة طاعة ، أو مغبَّة عصيان ، فذهبوا رهائن أعمالهم ، وبه يتمُّ اللطف ، وتحسن التربية ، وهو الذي كان يُبكي الصالح ، ويُفجع المتّقين ، ويدرُّ عبرات الأولياء ، ويجعل سيِّدهم أمير المؤمنين يتململ في جنح الليل البهيم تململ السليم قابضاً على لحيته ، يبكي بكاء الحزين وهو يقول : يا ربَّنا ! ـ يتضرَّع إليه ـ ثمَّ يقول للدنيا : إليَّ تغرَّرت ؟ إليَّ تشوّقت ؟ هيهات هيهات ، غرّي غيري قد بتتكِ ثلاثاً ، فعمركِ قصير ، ومجلسكِ حقير ، وخطركِ يسير ، آه آه من قلَّة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق(٧) .

ثمَّ أيّ مشابهة بين ذلك اللهب المصطلم وبين الحمَّام الذي لا يكون الحرُّ

---

(١) سورة القمر ؛ الآية : ٤٨ .

(٢) سورة المدثر ؛ الآية : ٢٩ .

(٣) سورة المدثر ؛ الآية : ٤٥ .

(٤) سورة الدخان ؛ الآية : ٤٦ .

(٥) سورة التوبة ؛ الآية : ٨١ .

(٦) سورة النساء ؛ الآية : ١٠ .

(٧) حلية الأولياء ج ١ ص ٨٥ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٣ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٢ ، زهر الآداب للقيرواني ج ١ ص ٣٨ ، تذكرة السبط ص ٢٧٠ ، مطالب السؤول ص ٣٣ ، إتحاف الشبراوي ص ٧ .

فيه إلّا صحيّاً ، تُزاح به الأوساخ ، وتعرق به الأبدان ، وترفع بـه الأتعاب ، وتـرتاح به الأجسام ؟ وهل يهدّد بمثله عصاة البشر الذي خُلق ظلوماً جهولاً جموحـاً ، البشر الذي هذا عقله ورشده وحديثه ؟ .

غاية جهـد الباحـث :

هذه غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بـالسنّة وهـذه سعة إطّـلاعه عليهـا ، فنحن إذا قسنـا مجموع مـا ورد عن الخليفة من الصحيـح والمـوضـوع في التفسيـر والأحكام والفوائد من المائةوأربعة أحاديث أو المائةواثنين وأربعين حديثاً إلى ما جاء عن النبيِّ الأقـدس من السنَّة الشـريفة لتجـدها كقـطرة من بحر لجي ، لا تقـام بهـا قـائمةٌ لـلإسلام ، ولا تـدعم بها أيّ دعـامة للدين ، ولا تُـروى بها غلّة صـاد ، ولا تنحلُّ بها عقدة أيّة مشكلة . هـذا أبو هريـرة ، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر ، وعبـد الله بن العبّـاس ، وعبـد الله بن عمـرو بن العـاص ، وعبـد الله بن مسعــود ، و و ويروون آلافاً من السنَّة النبويَّـة فقد أخـرج تقيّ بن مخلّد في مسنده من حـديث أبي هريرة فحسب خمسة آلاف وثلاثمائة حـديث وكسراً[١] وأبـو هريـرة لم يصحب النبيَّ إلّا ثلاث سنين .

وهذا أحمد بن الفرات كتب ألف ألف وخمسمائة ألف حديث ، وانتخب منها ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد .

[خلاصة التهذيب ص ٩]

وهذا حرمة بن يحيى أبو حفص المصري صاحب الشـافعي يروي عن طـريق ابن وهب فحسب مائة ألف حديث .

[خلاصة التهذيب ص ٦٣]

وهـذا أبو بكـر الباغنـدي يجيب عن ثلاثمـائة ألف مسألة في حـديث رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

[تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠]

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٢٠٥ .

وهذا الحافظ روح بن عبادة القيسي له أكثر من مائة ألف حديث .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٤٢]

وهذا الحافظ مسلم صاحب الصحيح عنده ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ١٥١]

وهذا الحافظ أبو محمّد عبدان الأهوازي يحفظ مائة ألف حديث .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٨٨]

وهذا الحافظ أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٦]

وهذا الحافظ أبو زرعة حفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد ، ويُقال : سبعمائة ألف حديث .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٧ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣]

وهذا الحافظ ابن عقدة يجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم حدَّث بها عنه الدارقطني .

[تذكرة الحفّاظ ج ٣ ص ٥٦]

وهذا الحافظ أبو العبّاس أحمد بن منصور الشيرازي كتب عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث .

[تذكرة الحفّاظ ج ٣ ص ١٢٢]

وهذا الحافظ أبو داود السجستاني كتب عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة ألف حديث .

[تذكرة الحفّاظ ج ٢ ص ١٥٤]

وهذا عبد الله بن إمام الحنابلة أحمد سمع من أبيه مائة ألف وبضعة أحاديث .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ٢١٤]

وهذا ثعلب البغدادي سمع من القواريري مائة ألف حديث .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ٢١٤]

وهذا أبو داود الطيالسي يملي من حفظه مائة ألف حديث .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢]

وهذا أبو بكر الجعابي يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ويذاكر ستمائة ألف حديث . ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والخطابات قريباً من ذلك .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٦١]

وهذا إمام الحنابلة أحمد عنده أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً .

[راجع آخر الجزء الأوّل من مسنده]

وهذا الحافظ أبو عبد الله الختلي يحدِّث من حفظه بخمسين ألف حديث .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢١٧]

وهذا يحيى بن يمان العجلي يحفظ عن سفيان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط .

[تاريخ الطبري ج ١٤ ص ١٢١]

وهذا الحافظ ابن أبي عاصم يملي من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعدما ذهبت كتبه .

[تذكرة الحفّاظ ج ٢ ص ١٩٤]

وهذا الحافظ أبو قلابة عبد الملك حدَّث من حفظه ستِّين ألف حديث .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ١٤٣]

وهذا أبو العبّاس السرَّاج كتب لمالك سبعين ألف مسألة .

[تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥١]

وهذا الحافظ ابن راهويه يملي سبعين ألف حديث من حفظه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٤١٣]

وهذا الحافظ إسحاق الحنظلي يحفظ سبعين ألف حديث .

[تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٥٢]

وهذا إسحاق بن بهلول التنوخي يحدِّث من حفظه خمسين ألف حديث .

[تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٦٨]

وهذا محمّد بن عيسى الطبّاع كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث .

[تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٩٦]

وهذا الحافظ ابن شاهين يكتب من حفظه بعدما ذهبت كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث .

[تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٦٨]

وهذا الحافظ يزيد بن هارون يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بأسنادها .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ١٦]

فهلمَّ معي نرى أنَّ إسلاماً هذه سعة نطاق علمه ، وكثرة طقوسه وسننه ، وغزارة فنونه وعلومه ، ونبيّاً هذا حديثه وسنَّته ، وهذه ودائعه المصلحة لأُمَّته ، وهذا شأن الأعلام أُمناء ودائع العلم والدين ، وهذه سيرة حفظة السنَّة الشريفة ، كيف يجب أن يتحلّى خليفة ذلك النبيِّ الأقدس بأبراد علوم الكتاب والسنَّة ؟ وكيف يحقُّ أن يكون حاملاً بأعباء علوم مستخلفه ومعالمه ، وارثاً مآثره وآثاره ؟ أفهل يُقتصر منه بمائة وأربعة أحاديث؟ أو تقبل الأُمَّة المسكينة أو تُجديها هذه الكميَّة اليسيرة من ذلك الحوش الحائش ؟ أو يسدُّ ذلك الفراغ ، ويمثِّل تلك العلوم الإسلاميّة الجمَّة مَن هذا شأنه وشعاره ، وهذه سيرته وسنَّته ، وهذا علمه وحديثه ؟ أو يُتلقّى بالقبول عذر المدافع عن الخليفة بأنَّ قلّة حديثه لقصر مدَّة خلافته ؟ أيّ صلة بين قصر العمر بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقلّة الرواية ؟ فإنَّ رواة الأحاديث على العهد النبويِّ ما كان حجر عليها ، ولم يكن عقال في ألسن أولئك الصحابة الأوّلين ، ولا على الأفواه أوكية عن بثِّ العلم من الكتاب والسنَّة طيلة حياة النبيِّ الأقدس ، ولم يكن المكثرون من الرواية قصروا أحاديثهم على ما بعد أيّامه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلَّة حديث الرجل إن هي إلاّ لقلّة تلقِّيه ، وقصر حفظه إنّما الإناء ينضح بما فيه والأوعية إذا طفحت فاضت .

ثمَّ أنّى يسوغ للخليفة ؟ أن تُثقله أعباء الخلافة ، وتعييه معضلات المسائل ويتترَّس بمثل قوله : أيّ سماء تظلّني . إلخ . أو قوله : سأقول فيها برأيي . أو يخطب بعد أيّام قلائل من خلافته وقد أحرجته المواقف ، ويتطلّب الفوز منها بقول : لوددت أنَّ هذا كفانيه غيري ، ولئن أخذتموني بسنَّة نبيِّكم ﷺ لا أُطيقها ،

إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء[١] .

أو بقوله : أما والله ما أنا بخيركم ، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت أنَّ فيكم من يكفيني ، أفتظنّون أنّي أعمل فيكم بسنّة رسول الله ﷺ ؟ إذن لا أقوم بها إنَّ رسول الله كان يُعصم بالوحي ، وكان معه ملك ، وإنَّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا غضبت فاجتنبوني أنْ لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم ، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني .

وفي لفظ ابن سعيد : ألا وإنَّما أنا بشرٌ ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني ، وإن رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم[٢] .

أو بقوله : إنّي وُليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على الحقِّ فأعينوني وإن رأيتموني على الباطل فسدِّدوني[٣] .

وفي لفظ ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ، ص ٩٨ : قد وُليت أمركم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوِّموني .

وهل الخليفة حريٌّ بأن ترعاه أُمّته ورعيَّته فتعينه وتسدِّده وتقوِّمه عند الخطل والزيغ ؟ وكيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنَّة وهو وارث علم النبيِّ وحامل سنَّته وقد أكمل الله دينه وأوحى إلى نبيِّه ما تحتاج إليه أُمّته . وبلّغ صلى الله عليه وآله وسلم كلَّ ما جاء به حتى حقَّ له أن ينهى عن الرأي والقياس في دين الله ، أو يقول : ما تركت شيئاً ممَّا

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٤ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٦ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، الصفوة ج ١ ص ٩٩ ، شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨ . ج ٤ ص ١٦٧ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص١٣٩ ، المجتنى لابن دريد ص ٢٧ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٤ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، تهذيب الكامل ج ١ ص ٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، إعجاز القرآن ص ١١٥ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، ١٧٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ وصححه ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٧ ، ٤٨ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٨ .

أمركم الله به إلاَّ وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلاَّ وقد نهيتكم عنه[١] .

وقد فتح الخليفة لقصر باعه في علوم الكتاب والسنّة باب القول بالرأي بمصراعيه بعدما سدَّه النبيُّ الأعظم على أُمَّته ، ولم تكن عند الخليفة مندوحة سواه ، قال ابن سعد في الطبقات ، وأبو عمر في كتاب العلم ج ٢ ص ٥١ ، وابن القيِّم في أعلام الموقعين ص ١٩ ، إنَّ أبا بكر نزلت به قضيَّة فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ، ولا في السنَّة أثراً ، فاجتهد رأيه ثمَّ قال : هذا رأيي فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنِّي واستغفر الله .

[وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن سعد ص ٧١]

وقال ميمون بن مهران : كان أبو بكر إذ ورد عليه الخصم فإن وجد في الكتاب أو علم من رسول الله ما يقضي بينهم قضى به ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أنَّ رسول الله قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاءً ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الَّذي جعل فينا من يحفظ على نبيِّنا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنَّة من رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به[٢] .

هكذا كان شأن الخليفة في القضاء ، وهذا مبلغ علمه ، وهذه سيرته في العمل بالرأي المجرَّد وقد قال عمر بن الخطاب : أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلّتت منهم أن يرووها ، فاشتقّوا الرأي ، أيُّها الناس إنَّ الرأي إن كان من رسول الله مصيباً لأنَّ الله كان يريه ، وإنَّما هو منّا الظنّ والتكلّف[٣] .

ثمَّ ما المسوّغ لمن سدَّ فراغ النبيِّ وأشغل منصَّته أن يسأل الناس عن السنَّة

---

(١) كتاب العلم لأبي عمر ، وفي مختصره ص ٢٢٢ .

(٢) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٨ ، وأخرجه البغوي كما في الصواعق ص ١٠ .

(٣) كتاب العلم لأبي عمر ج ٢ ص ١٣٤ ، وفي مختصره ص ١٨٥ ، أعلام الموقعين ص ١٩ .

الشريفة ، ويأخذها ممَّن هو خليفة عليه ؟ ولماذا خالف سيرته هذه لمّا سُئل عن الأبِّ والكلالة وترك سؤال الصحابة واستشارتهم فأفتى برأيه ما أفتى ، وقال بحريَّته ما قال .

وفيما اتَّفق لأبي بكر من القضايا غير ما مرَّ مع قلّته غنية وكفاية في عرفان مبلغ علمه وإليك منها :

١ ـ رأي الخليفة في الجدّة :

عن قُبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها أبو بكر : ما لك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنّة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . الحديث[١] .

فانظر إلى ما عزب عنه علم الخليفة في مسألة تكثر بها البلوى ويطَّرد الحكم فيها ، حتى اضطرَّته الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنى ثقيف وأكذب الأُمَّة[٢] وكان من تغييره للسنَّة ولعبه بها أنَّه صلّى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين[٣] وكان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام كلَّما رقي صهوة المنبر[٤] .

٢ ـ رأي الخليفة في الجدّتين :

عن القاسم بن محمّد أنّه قال : أتت الجدَّتان إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فأراد أن يجعل السدس للّتي من قِبَل الأُمِّ فقال له رجلٌ من الأنصار : أما إنَّك

(١) موطأ مالك ج ١ ص ٣٣٥ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٩ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ١٧ ، سنن ابن ماجة ج ٣ ص ١٦٣ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٢٤ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٣٤ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٤ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ١٧٣

(٣) الأغاني ج ١٤ ص ١٤٢ .

(٤) مرّ في الجزء السادس ص ١٧٥ ، ١٧٦

تترك التي لوماتت وهو حيّ كان إيّاها يرث ، فجعل أبو بكر السدس بينهما .

لفظ آخر :

إنَّ جدَّتين أتتا أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أُمّ الأُمّ وأُمّ الأب فأعطى الميراث أُمّ الأُمّ دون أُمّ الأب فقال له عبد الرّحمٰن بن سهيل - سهل - أخو بني حارثة : يا خليفة رسول الله ! لقد أعطيت التي لو أنّها ماتت لم يرثها . فجعله أبو بكر بينهما يعني السدس .

راجع موطأ مالك ج١ ص ٣٣٥ ، سنن البيهقي ج ١ ص ٢٣٥ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٤ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠٠ ، الإصابة ج ٢ ص ٤٠٢ وقال : رجاله ثقاتٌ ، كنز العمال ج ٦ ص ٦ نقلاً عن مالك ، وسعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والدارقطني ، والبيهقي .

قال الأمينيّ : أو لا تعجب عن جهل الرّجل بحكم إرث الجدَّتين ، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أوّلاً بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة ؟ وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدَّة من قبل الأُمّ لكنَّه شركهما في الميراث واتَّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم ، وأصل الحكم مأخوذٌ من رواية المغيرة المخصوصة بالجدَّة الواحدة فانظر واعتبر .

وأمّا رأي الرجل الأنصاري في الجدَّة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنَّة بل كان مخالفاً لهما وفقاً لقول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا   بنوهنَّ أبناء الرِّجال الأباعد

فخصَّ القوم به قول الله تعالىٰ : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظِّ الأُنثيين**﴾[1] لعقب الأبناء دون من عقبته البنات ، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجِّين بقول الشاعر .

قال ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٥٥ : قالوا : إذا أعطى الرجل بنيه أو

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١ .

وقف عليهم فإنّه يختصُّ بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجّوا بقول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا بنوهنّ أبناء الرِّجال الأباعد (ا هـ)

وقال البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٣٠٠ : هذا البيت لا يُعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم . قال العيني : هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيّون على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، وانَّ الإنتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك في الوصيَّة ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه ، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله .

وقال : رأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبيصي(١) أنَّه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق ابن غالب(٢) ثمَّ ترجمه والله أعلم بحقيقة الحال . اهـ .

سبحانك اللّهُمَّ ما أجرأهم على هذا الرأي - السياسيِّ - في دين الله لإخراج آل الله عن بنوَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالىٰ : **﴿قل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ﴾**(٣) فهو نصٌّ صريحٌ على أنَّ الحسنين السبطين ابني النبيِّ الأقدس .

وقد سمّى الله سبحانه أسباط نوح ذريَّة له وليست الذريَّة إلاَّ ولد الرجل كما في القاموس ج ٢ ص ٣٤ فقال سبحانه : **﴿ومن ذريَّته داود وسليمان﴾** - إلى قوله - **﴿ويحيى وعيسى﴾**(٤) فعدَّ عيسى من ذريَّة نوح وهو ابن بنته مريم .

قال الرازي في تفسيره ج ٢ ص ٤٨٨ : هذه الآية «يعني آية قل تعالوا» دالَّةٌ على أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ ، وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا إبنيه ، وممّا يؤكد هذا قوله تعالىٰ في سورة

---

(١) شمس الدين أبو بكر الخبيصي اسمى شرحه بالمرشح .
(٢) نسبه صاحب جامع الشواهد إلى عمر في صفحة ٩١ فقال: هو من أبيات لعمر بن الخطاب. وهذا أقرب إلى ما يشاهد فيه من الإلمام بالسياسة .
(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .
(٤) سورة الأنعام ؛ الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

الأنعـام : ﴿ومن ذريّتـه داود وسليمان﴾ ـ إلى قـولـه ـ ﴿وزكريـا ويحيى وعيسى﴾ ، ومعلومٌ أنَّ عيسى إنّمـا انتسب إلى إبراهيم عليه‌السلام بـالأُمّ لا الأب فثبت أنَّ ابن البنت قد يُسمّى إبناً والله أعلم .

وقال القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ١٠٤ : فيها «يعني آيـة تعالـوا» دليلٌ على أنَّ أبناء البنات يسمُّون أبناء . وقال في ج ٧ ص ٣١ . عُدّ عيسى من ذريّـة إبراهيم وإنّما هو ابن البنت ، فأولاد فاطمة رضي الله عنها ذريّة النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وبهذا تمسَّك من رأى : أنَّ ولد البنات يدخلون في اسم الولـد . قال أبـو حنيفة والشـافعي : من وقف وقفاً على ولده وولـد ولده أنّـه يدخـل فيه ولـد ولده وولـد بناتـه ما تنـاسلوا . وكذلك إذا أوصى لقرابته يدخل فيـه ولد البنت ، والقـرابة عنـد أبي حنيفة كـلّ ذي رحم محرم . إلى أن قال :

وقال مالك : لا يدخل في ذلك ولد البنات ، وقد تقدَّم نحو هذا عن الشافعي ج ٤ ص ١٠٤ ـ والحجَّـة لهما قـوله سبحـانه : ﴿يـوصيكم الله في أولادكم﴾ . فلم يعقـل المسلمون[1] من ظـاهر الآيـة إلاَّ ولد الصلب وولـد الإبن خـاصّـة . إلى أن قـال : وقـال ابن القصّـار : وحجَّـة من أدخـل البنـات في الأقـارب قـولـه عليه‌السلام للحسن بن علي : إنَّ ابني هذا سيِّد . ولا نعلم أحداً يمتنع أن يقول في ولد البنـات لأنّـهم ولـد لأبي أُمّهم . والمعنى يقتضي ذلـك لأنَّ الـولـد مشتقٌ من التـولّـد وهـم متولّدون عن أبي أُمّهم لا محالة ، والتـولّد من جهـة الأُمّ كالتـولّد من جهـة الأب ، وقد دلّ القرآن على ذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ومن ذرِّيّته داود وسليمان﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿من الصالحين﴾ . فجعل عيسى من ذريَّته وهو ابن بنته . اهـ .

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي حرب بن الأسود قال : أرسل الحجّـاج إلى يحيى بن يعمـر فقـال : بلغني أنّـك تـزعم أنَّ الحسن والحسيـن من ذريّـة النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم تجده في كتاب الله ؟ وقد قرأتـه من أوّله إلى آخـره فلم أجده . قـال : أليس تقـرأ سـورة الأنعـام : ﴿ومن ذريّتـه داود وسليمـان﴾ . حتّى بلغ : ﴿ويحيى

(١) هـذه فرية على المسلمين وحاشـاهم أن يعقلوا من الآية خـلاف ظاهـرهـا من دون أي دليـل صارف .

وعيسى؟﴾ قال بلىٰ . قال : أليس عيسى من ذريّة إبراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت . فلهذا إذا أوصى الرجل لذريَّته أو وقف على ذريَّته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم . الخ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ .

فبعد كون ذريَّة الرجل ولده على الإطلاق ودخل فيهم أولاد البنات لا ينبغي التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذريّة والأولاد، ولا يسع لأيٍّ أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرِّجال الأباعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة ، ويصحُّ له مع ذلك عدُّهم من ذريَّته وليست إلاَّ ولد الرجل .

ويشهد على لغة القرآن المجيد وأنَّ ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

١ ـ أخبرني جبرائيل : أنَّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل . وفي لفظ : إنَّ أُمّتي ستقتل إبني هذا .

[طبقات ابن سعد ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٧ ، أعلام النبوة للماوردي ص ٨٣ ، ذخائر العقبى ص١٤٨ ، الصواعق ص ١١٥] .

٢ ـ وقوله : إبني هذا يُقتل بأرض من العراق .

[دلائل النبوة لأبي نعيم ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، ذخائر العقبى ص ١٤٦]

٣ ـ وقوله للحسن السبط : ابني هذا سيّد .

[المستدرك ج ٣ ص ١٧٥ ، أعلام الماوردي ص ٨٣ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٥٥]

٤ ـ وقوله لعلي : أنت أخي وأبو ولدي .

[ذخائر العقبى ص ٦٦]

٥ ـ وقوله : إنَّ جبرائيل أخبرني أنَّ الله عزّ وجلَّ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً .

[ذخائر العقبى ص ١٥٠]

٦ ـ وقوله : المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدريِّ .

[ذخائر العقبى ص ١٣٦]

٧ ـ هذان إبناي مَن أحبَّهما فقد أحبَّني : «الحسن والحسين» .

[المستدرك ج ٣ ص ١٦٦ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٤ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢١]

٨ ـ وقوله لفاطمة الصدِّيقة : ادعي لي إبنيَّ .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣١٦]

٩ ـ وقوله لأنس : ادع لي إبني .

[تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٠٥]

١٠ ـ وقوله ادعوا إبني . فأتى الحسن بن علي .

[ذخائر العقبى ص ١٢٢]

١١ ـ وقوله : اللَّهُمَّ إنَّ هذا إبني ـ الحسن ـ وأنا أُحبُّه فأَحِبَّه وأحبَّ من يحبُّه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٣]

١٢ ـ وقوله لعليّ : أيّ شيء سمَّيت إبني؟ قال : ما كنت لأسبقك بذلك ، فقال : وما أنا السابق ربِّي فهبط جبرائيل فقال : يا محمَّد إنَّ ربَّك يقرئك السَّلام ويقول لك : عليٌّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبيَّ بعدك ، فسمِّ ابنك هذا باسم ولد هارون .

[ذخائر العقبى ص ١٢٠]

١٣ ـ وقوله : أروني إبني ما سمَّيتموه . قاله لمّا ولد الحسن ، وفي ولادة الحسين ، وكذلك في ولادة محسن بن عليّ .

[المستدرك ج ٣ ص ١٨٠ ، كنز العمال ج ٧ ص ١٠٧ ، ١٠٨ عن الدارقطني ، وأحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن حبان ، والدولابي ، والبيهقي ، والحاكم ، والخطيب] .

١٤ ـ وقوله : اطلبوا إبنيَّ . لمّا ضلَّ الحسن والحسين .

[كنز العمال ج ٧ ص ١٠٨]

١٥ ـ وقوله : إبنيَّ هذين ريحانتيَّ من الدنيا . يعني الحسن والحسين .

[الصواعق ص ١١٤ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٠ . ج ٧ ص ١٠٩]

١٦ - وقوله : إبني إرتحلني .

[أخرجه أحمد . والبغوي . والطبراني . والحاكم . والبيهقي . وسعيد بن منصور . وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٣٦ ، وراجع كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢ ، وج ٧ ص ١٠٩] .

١٧ - وقوله : هاتوا إبنيَّ أُعوِّذهما بما عوَّذ به إبراهيم إبنيه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٩]

١٨ - وقوله لأنس : ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي - يعني الحسن - .

[كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢]

١٩ - وقوله : إبناي هذان : الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة .

[الصواعق لابن حجر ص ١١٤]

٢٠ - وقوله في عليّ : هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي .

[كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤]

٢١ - وقوله : سمَّيت إبنيَّ هذين باسم إبني هارون شبّر وشبير .

[الصواعق ص ١١٥ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢]

٢٢ - وقوله : لو لم يبق من الدنيا إلاَّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي إسمه كاسمي . فقال سلمان : من أيِّ ولدك يا رسول الله ! قال : من وَلدي هذا . وضرب بيده على الحسين .

[ذخائر العقبى ص ١٣٦]

٢٣ - وقول الحسن السبط سلام الله عليه في خطبة له : أنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبيِّ ، وأنا ابن البشير ،وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي الى الله بإذنه والسراج المنير .

[المستدرك ج ٣ ص ١٧٢ ، وذخائر العقبى ص ١٣٨ ، ١٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١١ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦ ، إتحاف الشبراوي ص ٥] .

٢٤ - وقوله لأبي بكر وهو في منبر جدِّه الأقدس : إنزل عن مجلس أبي فقال أبو بكر : صدقت إنَّه مجلس أبيك . وفي لفظ : إنزل عن منبر أبي . فقال أبو

بكر : منبر أبيك لا منبر أبي .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧ ، الصواعق ص ١٠٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٤ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٣٢] .

٢٥ ـ وقوله في وصيَّته : ادفنوني عند أبي ـ يعني المصطفى ـ .

[إتحاف الشبراوي ص ١١]

٢٦ ـ وقول الحسين السبط عليه‌السلام لعمر : إنزل عن منبر أبي . فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، مَن أمرك بهذا ؟ .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢١]

٢٧ ـ وقول ابن عبّاس : هذان ـ الحسن والحسين ـ إبنا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢١٢ ، ٣٢٢]

٢٨ ـ وقول زهير بن قين مخاطباً الحسين عليه‌السلام : قد سمعنا يابن رسول الله مقالتك .

[جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٤٠]

٢٩ ـ وقول الإمام السبط الحسن الزكيِّ كما في الإتحاف للشبراوي ص ٤٩ :

خيرة اللّه من الخلق أبي بعد جدِّي وأنا ابن الخيرتين
فضّةٌ قد صُيغت من ذهب فأنا الفضَّة ابن الذهبين

٣٠ ـ وقوله كما في الإتحاف ص ٥٧ :

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه وليس على الحقِّ المبين طخاء
أليس رسول اللّه جدّي ووالدي أنا البدر إن خلَّ النجوم خفاء

٣١ ـ وقول الفرزدق في مدح الإمام السجّاد عليٍّ بن الحسين عليه‌السلام :

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم

٣٢ ـ وقول ابن بشر في زيد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليه‌السلام يمدحه :

إذا نــزل ابن المصــطفى بــطن تـلعــة نفى جـدبهـا واخضـرَّ بـالنبت عــودهـا
وزيدٌ ربــيع الـناس في كـلّ شــتـوةٍ إذا أخـلـفــت أبــراقــهــا ورعـودهــا

٣٣ - وقــول أبي عــاصم ابن حمــزة الأسلمي يمــدح الحسن بـن زيــد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليه‌السلام كما في زهر الآداب للحصري القيرواني ج ١ ص ٨٠ .

ستــأتي مــدحـتي الـحســن بن زيــد وتـشـهــد لـي بـصـفّـيــن الـقــبــور
قبـورٌ لــم تــزل مُــذ غـاب عــنــهــا أبــو حـســنٍ تــعـاديـهــا الــدهـور
قــبــورٌ لــو بـأحــمــدَ أو عــليٍّ يـلوذُ مجيــرهــا حـمي الـمـجيــر
هــمــا أبــواكَ مـن وضـعــا فـضـعــه وأنـت بــرفــع مَـن رفــعــا جـديــر

٣٤ - وقول إبراهيم بن علي بن هرمة لَمّا نصحه الحسن بن زيد المذكـور كما في زهر الآداب ج ١ ص ٨١ .

نهـاني ابن الـرســول عن المــدامِ وأدَّبــنــي بــآداب الــكــرام

٣٥ - وقول أبي تمام الطائي(١) :

فـعـلتـم بــأبـنــاء الـنـبــيِّ ورهــطه أفــاعيـلَ أدنــاهـا الخيــانـة والغــدر

٣٦ - وقول دعبل الخزاعي :

فـكـيـف ومـن أنّـى بــطالــب زلــفــة إلى اللّه بعــد الصّـوم والصّلوات؟
ســوى حــبِّ أبنــاءِ الـنبيِّ ورهــطه وبغض بني الــزرقــاء والعبــلات

٣٧ - وقـولــه :

ألــم يـحــزنـك أنَّ بــنــي زيــاد أصــابــوا بــالتــرات بني النبيِّ

٣٨ - وقول الحمّاني :

قــومٌ لمــاء المـعــالي فـي وجــوههــمُ عــنــد التـكــرم تصــويبٌ وتصـعيــد

---

(١) راجع فيما يلي من الأبيات تراجم شعرائها في أجزاء كتابنا هذا .

يـدعـون أحمـد إن عُـدَّ الفخـار أبـاً   والـعـود ينسب في أفنائـه الـعـود

٣٩ ـ وقول التنوخي :

مـن ابـن رسـول الـلّه وابـن وصـيِّـه   إلى مـدخـل في عقبـة الـدين نـاصب

٤٠ ـ وقول الزاهي :

بنـو المصـطفى تُفنـون بـالسيف عنـوةً   ويسلمني طـيف الـهجـوع فـأهـجـع

٤١ ـ وقـول الناشي :

بـني أحـمـد قـلبـي بـكـم يـتـقـطَّعُ   بمثـل مصـابي فـيكـمُ ليس يُسمـع

٤٢ ـ وقول الصاحب بن عباد :

مـا لـعـليٍّ الـعـليِّ أشـبـاه   لا والَّـذي لا إلَـه إلاَّ هـو
مَـبنـاه مـبـنـى الـنـبيّ تـعـرفـه   وابـنـاهُ عنـد الـتفـاخـر إبـنـاه

٤٣ ـ وقـولـه :

أيُـجـزُّ رأس ابن الـنـبيِّ وفـي الـورى   حـيٌّ أمـام ركـابـه لـم يـقـتـل ؟

٤٤ ـ وقـولـه :

بمحمَّـد ووصيّـه وابـنـيـهمـا   وبعـابـدٍ وبـبـاقـرين وكـاظم

٤٥ ـ وقـولـه :

بمحمَّـد ووصيِّـه وابـنـيـهمـا   الـطـاهـريـن وسيِّـد الـعبَّـاد

٤٦ ـ وقـول الصوري :

فـلهـذا أبـنـاء أحـمـد أبـنـاء   عـليٍّ طـرائـدُ الآفـاق

٤٧ ـ وقول مهيار الديلمي :

بـأيّ حـكـمٍ بـنـوهُ يـتـبـعـونـكـمُ   وفخـركم أنَّـكم صحبٌ لـه تَـبـع ؟

٤٨ ـ وقـولـه :

فيوم السَّقيفة يابن النبيِّ طرَّق يومك في كربلا

٤٩ ـ وقول ابن جابر :

جعلوا لأبناء الرَّسول علامة إنَّ العلامة شأنُ مَن لم يشهر

٥٠ ـ وقال الشبراوي :

يابن الرَّسول بأمِّك الزهر البتولِ وجدِّك المأمول عند الناس
وغدوت في الأشراف يابن المصطفى كالعقل أو كالرّوح أو كالرّاس

فما المبرِّر عندئذ للخليفة في صفحه عمّا في كتاب الله وسنَّة نبيِّه وتلقّيه بالقبول قول الأنصاريِّ الشاذّ عن الكتاب والسنَّة ؟ وما عذر فقيه أو حافظ اتَّخذ رأي الأنصاري ديناً محتجّاً بقول شاعرٍ لم يُعرف بعدُ ، وبين يديه القرآن والحديث والأدب ؟ .

٣ ـ رأي الخليفة في قطع يد السارق :

عن صفيَّة بنت أبي عبيد : أنَّ رجلاً سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه مقطوعة يده ورجله فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يقطع رجله ويدع يده يستطيب بها ويتطهّر بها ، وينتفع بها ، فقال عمر : لا والذي نفسي بيده لتقطعنَّ يده الأُخرىٰ . فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت يده .

وعن القاسم بن محمّد : أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أراد أن يقطع رِجلاً بعد اليد والرِّجل فقال عمر رضي الله عنه : السنَّة اليد[1] .

إنَّ من موارد الحيرة أنَّ الخليفة لا يعلم حدَّ السارق الذي هو من أهمِّ ما تجب عليه معرفته لحفظ الأمن العامِّ ، وتهدئة الحالة ، وقطع جرثومة الفساد ، ومن المحيِّر أيضاً تسرّعه إلى الحكم قبل ما عزي إليه فيما مرَّ ص ١٣٩ من الرجوع إلى الكتاب والسنَّة ثمَّ الإستعلام من الصحابة ثمَّ المشورة .

ثمَّ إنَّ الذي سدَّده في هذه القضيَّة لِمَ نسي الحكم إبّان خلافته فأراد عين ما أراده

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

صاحبه . راجع الجزء السادس ص ١٦٨

٤ ـ رأي الخليفة في الجد :

عن ابن عبّاس وعثمان وأبي سعيد وابن الزبير قالوا : إنَّ أبا بكر جعل الجدَّ أباً[١] يعنون أنّه كان يحجب الأُخوة بالجدِّ ولم يشرك بينهما كما أنَّ الأب يحجب الأُخوة والأخوات .

قال الأميني : لم يكن رأي الخليفة هذا متّخذاً من الكتاب والسنَّة ، ولم يكن يعمل به أحدٌ من الصحابة طيلة حياته ، وما اتّفق لجدّ يرث في أيّامه حتى يؤيّد رأيه ويُقال : إنَّ أحداً من الصحابة لم يخالف أبا بكر في حياته في رأيه هذا كما قاله البخاري والقرطبي[٢] وأوّل جدّ كان في الإسلام فأراد أن يأخذ المال كلّه مال ابن ابنه دون اخوته هو عمر بن الخطاب فأتاه عليٌّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنّما كنت كأحد الأخوين ، وقد فصّلنا القول فيه في الجزء السادس ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ فأوّل رجل خالف الخليفة في الجدِّ هو خليفته بعده ، وقد اتّفق عليٌّ وعمر وعثمان وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود على خلاف الخليفة على توريث الأُخوة مع الجدِّ[٣] وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمّد والشافعي وابن أبي ليلى[٤] .

وافتعل القوم للخليفة عذراً بأنّه كان يرى الجدّ أباً لمكان قوله تعالىٰ : ﴿ملّة أبيكم إبراهيم﴾ . وقوله : ﴿يا بني آدم﴾ بتقرير إطلاق الأب على الجدِّ على الحقيقة . ولا يخفى على أيِّ أحد أنَّ صحّة هذا الإطلاق لا توجب إتّحاد الأب والجدِّ في جميع الأحكام ، ألا ترى انَّ صحّة إطلاق الأُمّ على الجدَّة على الحقيقة وقولهم في

---

(١) صحيح البخاري باب ميراث الجدّ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٢ ، أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٤ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٤٦ ، تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٢) راجع صحيح البخاري باب ميراث الجدّ ، وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

(٣) صحيح البخاري باب ميراث الجدّ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٤ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٠ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٤ ، تفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

تعريف الجدَّة : إنَّها الأُمّ العليا[1] لا تستدعي الإشتراك في النصيب فيرون مع هذه للجدَّة السدس بالاتِّفاق . وفريضة الأُمِّ هي الثلث بالكتاب والسنَّة .

على أنَّ الصحابة الأوَّلين لم يكن عندهم أيّ إيعاز إلى هذا العذر المنحوت ، ولو كانت لرأي الخليفة قيمةٌ وكرامةٌ لأباحه أحدٌ منهم ، وفاهَ به عندما خالف عليٌّ وزيد عمر بن الخطاب ونهياه عن إعمال هذا الرأي .

بل فيما رواه الدارمي عن الحسن من أنَّ الجدَّ قد مضت سنَّته ، وأنَّ أبا بكر جعل الجدَّ أباً ، ولكن الناس تخيّروا[2] إيعازٌ إلى أنَّ السنَّة في الجدِّ ماضيةٌ ثابتةٌ وقد خالفها الخليفة ، وتخيَّر الناس فخالفوه وعملوا بالسنَّة الشريفة .

٥ - رأي الخليفة في تولية المفضول :

قال الحلبي في السيرة النبويَّة ج ٣ ص ٣٨٦ : إنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحقُّ عند أهل السنَّة لأنَّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين ، وأعرف بتدبير الأمر ، وما فيه انتظام حال الرعيّة .

أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجرّاح على نفسه في الخلافة وقوله : بايعوا أيّ الرجلين إنْ شئتم .

وقال الباقلاني في التمهيد ص ١٩٥ عند الجواب عن قول أبي بكر : وليتكم ولست بخيركم : يمكن أن يكون قد اعتقد أنَّ في الأُمَّة أفضل منه إلَّا أنَّ الكلمة عليه أجمع والأُمَّة بنظره أصلح ، لكي يدلّهم على جواز إمامة المفضول عند عارض يمنع من نصب الفاضل ، ولهذا قال للأنصار وغيرهم : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما : عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح ، وهو يعلم أنَّ أبا عبيدة دونه ودون عثمان وعليّ في الفضل ، غير أنَّه قد رأى أنَّ الكلمة تجتمع عليه ، وتنحسم الفتنة بنظره . وهذا أيضاً ممّا لا جواب لهم عنه .

---

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

(٢) سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٣ .

قال الأميني : الذي نرتئيه في الخلافة أنَّها إمرةٌ إلٓهيَّةٌ كالنبوَّة ، وإن كان الرسول خُصَّ بالتشريع والوحي الإلٓهي ، وشأن الخليفة التبليغ والبيان ، وتفصيل المجمل . وتفسير المعضل ، وتطبيق الكلمات بمصاديقها ، والقتال دون التأويل(١) كما يُقاتل النبيُّ دون التنزيل ، وإظهار ما لم يتسنَّ للنبيِّ الإشادة به إمّا لتأخّر ظرفه ، أو لعدم تهيؤ النفوس له ، أو لغير ذلك من العلل ؛ فكلٌّ منهما داخلٌ في اللطف الإلٓهيِّ الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية ، ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلّمهم ما لم يعلموا ، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتّعوا ويلهيهم الأمل . ولكن خلقهم ليعرفوه ، وليمكّنهم من الحصول على مرضاته ، وسهَّل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة ، وبما أنَّ أيّ نبيّ لم يُنط عمره بمنصرم الدنيا ، ولا قُدِّر له البقاء مع الأبد ، وللشرائع ظروفٌ مديدةٌ ، كما أنَّ للشريعة الخاتمة أمدٌ لا منتهى له ، فإذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدَّتين وفي كلٍّ منهما نفوسٌ لم تكمل بعدُ ، وأحكامٌ لم تُبلّغ وإن كانت مشرَّعة ، وأُخرى لم تأت ظروفها ، ومواليد قدِّر تأخير تكوينها ، ليس من المعقول بعدُ أن تترك الأُمَّة سُدى والحالة هذه ، والناس كلّهم في شمول ذلك اللطف الواجب عليه سبحانه شرع سواء ، فيجب عليه جلّت عظمته أن يقيِّض لهم مَن يكمل الشريعة ببيانه ، ويزيح شبه الملحدين ببرهانه ، ويجلو ظلم الجهل بعرفانه ، ويدرأ عن الدين عادية أعدائه بسيفه وسنانه ، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه .

ومهما كان للمولى جلّت منّته عناية بعبيده ، وقد ألزم نفسه بإسداء البرِّ إليهم ، وأن لا يولِّيهم إلاَّ الخير والسعادة ، فعليه أن يختار لهم مَن ينوء بذلك العبء الثقيل ويمثِّل مخلّفه الرسول في الوظائف كلّها ، فينصّ عليه بلسان ذلك النبيِّ المبعوث ، ولا يجوز أن يخلي سربهم ، ويتركهم سُدى ، ألا ترى أنَّ عبد الله بن

---

(١) وبهذا عرَّف النبي صلّى الله عليه وآله مولانا أمير المؤمنين بقوله : إنَّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ ! قال : لا . قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ ! قال : لا . ولكن خاصف النعل ، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها . أخرجه جمع من الحفّاظ وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي كما يأتي تفصيله .

عمر قال لأبيه : إنَّ النّاس يتحدَّثون انّك غير مستخلف ، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمَّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط - لرأيت أن قد ضيَّع - ورعية الناس أشدُّ من رعية الإبل والغنم ، ماذا تقول لله عزَّ وجلَّ إذ لقيته ولم تستخلف على عباده[١] ؟ .

وقالت عائشة لابن عمر : يا بنيّ أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع أُمَّة محمَّد بلا راع ، إستخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإنِّي أخشى عليهم الفتنة[٢] فتركُ النّاس مهملين فيه خشيةُ الفتنة عليهم .

وقال عبد الله بن عمر لأبيه : لو استخلفت ؟ قال : من ؟ قال : نجتهد فإنَّك لست لهم بربّ ، تجتهد ، أرأيت لو أنَّك بعثت إلى قيِّم أرضك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض ؟ قال : بلى . قال : أرأيت لو بعثت إلى راعي غنمك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف رجلاً حتى يرجع[٣] ؟ .

وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسَّك بهذا الحكم العقليِّ المسلّم في استخلاف يزيد ويقول : إنِّي أرهب أن أدع أُمَّة محمَّد بعدي كالضأن لا راعي لها[٤] .

ليت شعري هذا الدليل العقليُّ المتسالم عليه لِمَ أهملته الأُمَّة في استخلاف النبيِّ الأعظم واتَّهمته بالصفح عنه ؟ أنا لا أدري .

ولا يجوز أيضاً توكيل الأمر إلى أفراد الأُمَّة ، أو إلى أهل الحلّ والعقد منهم لأنَّ ممّا أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفاً بشرائط بعضها من النفسيَّات الخفيَّة والملكات التي لا يعلمها إلاَّ العالم بالسرائر[٥] كالعصمة والقداسة الروحيَّة ،

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٤٩ عن صحيح مسلم ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٩٠ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٧٤ ، حلية الأولياء ج ١ ص ٤٤ ، فتح الباري ج ١٣ ص ١٧٥ عن مسلم .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧٠ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥١ .

(٥) وقد أشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الإمامة في غير هذا المورد .

والنزاهة النفسيَّة لتبعده عن الأهواء والشهوات ، والعلم الذي لا يضلُّ معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس ، ولا يظهر في الخارج منها إلاَّ جزئيّات من المستصعب الحكم باستقرائها على ثبوت كلّياتها ، ﴿**وربُّك يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون**﴾[١] . والله يعلم حيث يجعل رسالته .

فالأُمَّة المنكفىء علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصفات فالغالب على خيرتها الخطأ ، فإذا كان نبيّ كموسى على نبيِّنا وآله و عليه السلام تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلَّفة سبعين رجلاً . وأنّهم لمّا بلغوا الميقات قالوا : أرنا الله جهرة ؟ فما ظنُّك بأفراد عاديِّين واختيارهم ، وأُناس ماديِّين وانتخابهم ، وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممَّن هو وإيّاهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدّد ، وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عائث ، أو يكون إلتياثهم بمشاغب ، أو يكون إنثيالهم وراء من يسرُّ على الأُمَّة حسواً في ارتغاء[٢] أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام ، ويأتي بالجرائم ، ويقترف المآثم وهو لا يعلم ، أو يعلم ولا يكترث لأن يقول زوراً ، ويحكم غروراً ، فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا ، ويقعوا في الهلكة وهم لا يشعرون ، كما وقعت أمثال ذلك في البيعة لمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويِّين .

فعلى الباريء الرؤوف الذي يكره كلَّ ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها و ﴿**قد خلقه ظلوماً جهولاً**﴾[٣] ﴿**ألا يعلم مَن خلق وهو اللّطيف الخبير**﴾[٤] ، ﴿**وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة في الأمر**﴾[٥] ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً**﴾[٦] .

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦٩ .

(٢) مثل يُضرب لمن يظهر امرًا ويريد غيره ـ تاج العروس ج ١٠ ص ١٥٣ .

(٣) راجع سورة الأحزاب ؛ الآية : ٧٢ .

(٤) سورة الملك ؛ الآية : ١٤ .

(٥) سورة القصص ؛ الآية : ٦٧ .

(٦) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

وقد أخبر به النبيُّ الأعظم من أوَّل يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عـامر بن صعصعـة ودعاهم إلى الله فقـال له قـائلهم : أرأيت إن نحن تابعنـاك على أمرك ثمَّ أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمـر من بعدك ؟ قـال : إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء(١) .

أنّى تسـوغ أن تكون للخلق خيـرة في الأمر مـع شيـوع الغـايـات والأغـراض والـدعاوى والميـول والشهوات في النـاس حول الإنتخـاب ، مـع اختـلاف الأنـظار وتضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيّات الرجال والشخصيّـات البارزة ، مـع كثرة الأحزاب والفرق والأقوام والطوائف المتشاكسة ، مع شقـاق القوميَّـة والطائفيّـة والشعوبيّة الذائع الشائع في المسكين ابن آدم من أوَّل يومه .

وقـد اقترن الإنتخـاب من بدءٍ بـدئه، بالتحـارش والتـلاكم والتكـالم والتشـازر والتصاخب والتخاصم حتى قُدَّت برودٌ يمانيَّة(٢) ووقع البرَح براحاً(٣) وكم بالإنتخاب هُتكت حـرمات ؟ وأُهينت مقـدَّسات ، وأُضيعت حقـائق ، ودُحض الحقُّ الثـابت ، ودُحس الصـالح العـام ، واختلَّ الـوئام ، وأُقلق السَّـلام ، وُسفحت دمـاءٌ زكيَّـة ، وتشلشلت اشـلاء الإسلام الصحيـح ، فجاء يـطمـع في الأمـر مَن لا خـلاق لـه مِن سوقي ،بردي ،أو مبرطش ألهاه الصفق بالأسواق ، أو بـزّاز يحمل بني أبيـه على رقاب النـاس ، أو حفّار قبـور لا يعـرف عـرضـه من طـولـه ، أو طليق غـاشم ، أو خمّـار سكّير ، أو مستهتر مشاغب ، من الّذين اتّخـذوا عباد الله خـولاً ، ومال الله نحـلاً ، وكتاب الله دغلاً ، ودين الله حولاً .

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليقـة أجمع في أُمّتـه لأنَّه لو كان في وقته من يماثله في الفضيلة أو من ينيف عليه إستلزم تعيينـه الترجيـح بلا مرجِّح أو التطفيف في كفَّة الرجحان .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٤ ، بهجة المحـافل لعمـاد الدين العـامري ج ١ ص ١٢٨ ، السيـرة الحلبيَّـة ج ٢ ص ٣ ، سيـرة زيني دحـلان ج ١ ص ٣٠٢ هامش الحلبية ، حياة محمد لهيكل ص ١٥٢ .

(٢) مثل يضرب في شدة الخصومة ، أي تخاصموا حتى تشاقوا الثياب الغالية .

(٣) البرح : الشدة والأذى والشر ، والبراح : الصراح البين .

على أنَّ الإمام لو قصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبا عنه علمه ، أو تضاءَلت عنه بصيرته ، أو ضعفت عنه مُنّته ، فعندئذ الطامَّة الكبرى من الفتيا المجرَّدة ، والرأي لا عن دليل ، أو الأخذ عمَّن يسدِّده ، وفي الأوَّل العيث والفشل ، وفي الثاني سقوط المكانة ، وقد أُخذ في الإمام مثل النبيِّ أن يكون بحيث يُطاع ، ﴿وما أرسلنا من رسول إلاَّ ليُطاع بإذن الله﴾[١] وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالىٰ : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول وأولي الأمر منكم﴾[٢] وذلك ليمكنه إقامة الحدود الإلٰهيَّة ، ودحض الأباطيل ، وربما تسرَّبت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة وحقيقة الدين إن كان عميده الداعي إليه يقصر عن الدفاع عنه وإزاحة الشكوك المتوجّهة إليه .

فكلُّ هذا يستدعي كماله في الصفات الكماليَّة كلّها فيفضل على الأُمَّة جمعاء ، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٣] ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير ، أم هل تستوي الظلمات والنور﴾[٤] ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يُتَّبع أمّن لا يهدي إلاَّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[٥] .

الخلافة عند القوم :

نعم الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كلَّ ما ذكرنا فإنَّهم يحسبون الخليفة أيَّ مستحوذٍ على الأُمَّة يقطع السارق ، ويقتصُّ القاتل ، ويكلأ الثغور ، ويحفظ الأمن العام إلى ما يشبه هذه ، ولا يخلع بفسق ، ولا ينتقد بفاحشة مبيَّنة ، ولا يُعاب بجهل ، ولا يُؤاخذ بعثرة ، ولا يُشترط فيه أيٌّ من الملكات الكريمة ، وله العتبى في كلِّ ذلك ، وليس عليه من عتب .

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٦٤ .
(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .
(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٩ .
(٤) سورة الرعد ؛ الآية : ١٦ .
(٥) سورة يونس ؛ الآية : ١٣٥ .

كلمة الباقلاني :

قال الباقلاني في التمهيد ص ١٨١ : باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له : فإن قال قائل : فخبِّرونا ما صفة الإمام المعقود له عندكم ؟ قيل لهم : يجب أن يكون على أوصاف : منها أن يكون قرشيّاً من الصميم ، ومنها : أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين ، ومنها : أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب ، وتدبير الجيوش والسرايا ، وسدِّ الثغور ، وحماية البيضة ، وحفظ الأُمَّة ، والإنتقام من ظالمها ، والأخذ لمظلومها ، وما يتعلّق به من مصالحها .

ومنها : أن يكون ممَّن لا تلحقه رقّة ولا هوادة في إقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب والأبشار .

ومنها : أن يكون من أمثلهم في العلم وسائر هذه الأبواب التي يمكن التفاضل فيها ،إلَّا أن يمنع عارضٌ من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول ، وليس من صفاته أن يكون معصوماً ، ولا عالماً بالغيب ، ولا أفرس الأُمّة وأشجعهم ، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش .

وقال في صفحة ١٨٥ : فإن قالوا : فهل تحتاج الأُمَّة إلى علم الإمام وبيان شيء خُصَّ به دونهم ، وكشف ما ذهب علمه عنهم؟ قيل لهم : لا ؟ لأنّه هو وهُم في علم الشريعة وحكمها سيّان . فإن قالوا : فلماذا يُقام الإمام ؟ قيل لهم : لأجل ما ذكرناه من قبل من تدبير الجيوش ، وسدِّ الثغور ، وردع الظالم ، والأخذ للمظلوم ، وإقامة الحدود ، وقسم الفيء بين المسلمين والدفع بهم في حجِّهم وغزوهم ، فهذا الذي يليه ويُقام لأجله ، فإن غلط في شيء منه ، أو عدل به عن موضعه كانت الأُمَّة من ورائه لتقويمه والأخذ له بواجبه .

وقال في ص ١٨٦ : قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث : لا ينخلع الإمام «بفسقه وظلمه بغصب الأموال ، وضرب الأبشار ، وتناول النفوس المحرَّمة ، وتضييع الحقوق ، وتعطيل الحدود» ولا يجب الخروج عليه ، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله ، واحتجّوا في

ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيِّ ﷺ وعن الصَّحابة في وجوب طاعة الأئمّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، وإنَّه قال ﷺ : اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع ، ولو لعبد حبشيّ ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر . وروى أنَّه قال : أطعهم وإن أكلوا مالك ، وضربوا ظهرك ، وأطيعوهم ما أقاموا الصَّلاة . في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب وقد ذكرنا ما في هذا الباب في كتاب «إكفار المتأوِّلين» وذكرنا ما روي في معارضتها وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه إن شاء الله .

وقال في صفحة ١٨٦ : وليس ممّا يوجب خلع الإمام حدوث فضل في غيره ويصير به أفضل منه ، وإن كان لو حصل مفضولاً عند ابتداء العقد لوجب العدول عنه إلى الفاضل ، لأنَّ تزايد الفضل في غيره ليس بحدث منه في الدين ، ولا في نفسه يوجب خلعه ، ومثل هذا ما حكيناه عن أصحابنا أنَّ حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه ، وإن كان ما لو حدث فيه عند ابتداء العقد لبطل العقد له ووجب العدول .

قال الأميني : وممّا أوعز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالَّة على وجوب طاعة الأئمّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، ولا ينعزل الإمام بالفسق ما يلي :

١ ـ عن حذيفة بن اليمان قال : قلت يا رسول الله ! إنَّا كنّا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ ؟ قال : نعم . قلت : وهل وراء هذا الشرِّ خيرٌ ؟ قال نعم . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرٌّ ؟ قال : نعم . قلت : كيف يكون ؟ قال : يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهداي ولا يستنُّون بسنَّتي ، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس . قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟قال : تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٧]

٢ ـ عن عوف بن مالك الأشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمَّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله !

أفلا نابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصّلاة ، ألا ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا تنزعنَّ يداً من طاعة .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٢ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩]

٣ ـ سأل سلمة بن يزيد الجعفي النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن قامت علينا أُمراء يسألوننا حقّهم ويمنعوننا حقّنا فما تأمرنا ؟ قال : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثمّ سأله فقال : إسمعوا وأطيعوا فإنّما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم .
[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٨]

٤ ـ عن المقدام : إنَّ رسول الله ﷺ قال : أطيعوا أُمراءكم ما كان ، فإن أمروكم بما حدَّثتكم به ، فإنّهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتكم ، وإن أمروكم بشيء ممّا لم آمركم به فهو عليهم وأنتم منه برءاء ، ذلك بأنّكم إذا لقيتم الله قلتم : رَبّنا لا ظلم . فيقول : لا ظلم . فيقولون : ربّنا أرسلتَ إلينا رسلاً فأطعناهم بإذنكَ . واستخلفتَ علينا خلفاء[1] فأطعناهم بإذنكَ . وَأمَّرت علينا أُمراء فأطعناهم . قال : فيقول : صدقتم هو عليهم وأنتم منه برءاء .

[سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩]

٥ ـ عن سويد بن غفلة قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا أميّة لعلّك أن تخلف بعدي ، فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشيّاً ، إن ضربك فاصبر ، وإن أمرك بأمر فاصبر ، وإن حرمك فاصبر ، وإن ظلمك فاصبر ، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل : سمع وطاعة ، دمي دون ديني[2] .

وأخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٨ ص ٣٦ في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الأُمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا

---

(١) هذا افتراء على الله ، ان الله قطّ لم يستخلف ولم يأمر على الأمّة أُولئك الخلفاء والأُمراء وإنما هم خيرة أُمّتهم ، والشكر والعتب عليها مهما صلحوا أو جاروا .

(٢) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩ .

عليهم إلَّا أن تروا منهم منكراً مُحقّقاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم ، وقولوا بالحقِّ حيثما كنتم ، وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنَّة أنَّه لا ينعزل السلطان بالفسق ـ إلى أن قال : فلو طرأ على الخليفة فسقٌ قال بعضهم : يجب خلعه إلَّا أن تترتَّب عليه فتنةٌ وحربٌ ، وقال جماهير أهل السنَّة من الفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين : لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يخلع ، ولا يجوز الخروج عليه بذلك ، بل يجب وعظه وتخويفه .

قال الأميني : فما عذر عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين ؟ هبه صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان ، وعطّل الحدود «معاذ الله» فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأُمَّة المسكينة سنَّة ثابتة مشروعة ؟ أنا لا أدري .

كلمة التفتازاني :

وقال التفتازاني في شرح المقاصد ج ٢ ص ٧١ : ولا يشترط أن يكون «الإمام» هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل مَن يُولّى عليهم .

وقال في ص ٢٧٢ : إذا مات الإمام وتصدّى للإمامة مَن يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكة انعقدت له الخلافة ، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلَّا أنَّه يُعصى فيما فعل ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً .

كلمة القاضي الإيجي[1] :

قال في المواقف : الجمهور على أنَّ أهل الإمامة مجتهدٌ في الأُصول والفروع ليقوم بأُمور الدين ، وذو رأي لقوم بأُمور الملك ، شجاع ليقوى على الذبِّ عن الحوزة وقيل : لا يشترط هذه الصفات لأنَّها لا توجد فيكون اشتراطها عبثاً أو

(١) إمام الشافعية القاضي عبد الرّحمٰن الإيجي المتوفّى سنة ٧٥٦ .

تكليفاً بما لا يُطاق ومستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها .

نعم : يجب أن يكون عدلاً لئلا يجور . عاقلاً ليصلح للتصرفات . بالغاً لقصور عقل الصبيِّ . ذكراً إذ النساء ناقصات عقل ودين . حرّاً لئلاّ يشغله خدمة السيِّد ، ولئلاّ يُحتقر فيعصى ، فهذه الصفات مشروطٌ بالإجماع .

وهٰهنا صفاتٌ في إشتراطها خلافٌ ، **الأولىٰ** : أن يكون قرشيّاً . **الثانية** : أن يكون هاشميّاً ، شرطه الشيعة . **الثالثة** : أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين ، وقد شرطه الإمامية . **الرابعة** : ظهور المعجزة على يده إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامة ، والعصمة وبه قال الغلاة . ويبطل الثلاثة : أنّا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيءٌ ممّا ذكر[1] ، **الخامسة** : أن يكون معصوماً اشترطه الإماميَّة والإسماعيليَّة ، ويبطله : أنَّ أبا بكر لا يجب عصمته اتّفاقاً[2] .

كلمة أبي الثناء[3] :

قال في مطالع الأنظار ص ٤٧٠ : صفات الأئمَّة هي تسع . **الأولىٰ** : أن يكون الإمام مجتهداً في أُصول الدين وفروعه . **الثانية** : أن يكون ذا رأي وتدبير ، يدير الوقائع ، أمر الحرب والسلم وسائر الأُمور السياسيَّة. **الثالثة** : أن يكون شجاعاً قويَّ القلب لا يجبن عن القيام بالحرب ، ولا يضعف قلبه عن إقامة الحدِّ ولا يتهوّر بإلقاء النفوس في التهلكة . وجمعٌ تساهلوا في الصفات الثلاث وقالوا : إذا لم يكن الإمام متَّصفاً بالصفات الثلاث ينيب من كان موصوفاً بها .

الرابعة : أن يكون الإمام عدلاً لأنَّه متصرِّف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم فلو لم يكن عدلاً لا يؤمن تعدّيه . إلخ .

الخامسة : العقل . **السادسة** : البلوغ . **السابعة** : الذكورة . **الثامنة** : الحريَّة . **التاسعة** : أن يكون قرشيّاً .

---

(١) دليل يضحك الثكلى لأنه لا يعدوه أنْ يكون مصادرة بالمطلوب ، وأخذ المدّعي دليلاً .

(٢) إقرأ واضحك أو اعطفه على ما قبله .

(٣) شمس الدين بن محمود الأصبهاني المتوفّى سنة ٧٤٩ .

ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيليَّة والاثنا عشريَّة . لنا إمامة أبي بكر(١)والأُمَّة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ، لا أقول إنَّه غير معصوم .

ما تنعقد به الإمامة :

قال القاضي عضد الإيجي في المواقف : المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة : إنَّها تثبت بالنصِّ من الرَّسول ، ومن الإمام السابق بالإجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحلِّ والعقد خلافاً للشيعة : لنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة(٢) .

وقال : إذا ثبت حصول الإمامة بالإختيار والبيعة ، فاعلم أنَّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع(٣) إذ لم يقم عليه دليلٌ من العقل أو السمع بل الواحد والإثنان من أهل الحلِّ والعقد كاف لعلمنا أنَّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبد الرَّحمٰن بن عوف لعثمان . ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأُمَّة . هذا ولم ينكر عليهم أحدٌ ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا .

وقال بعض الأصحاب : يجب كون ذلك بمشهد بيِّنة عادلة كفّاً للخصام في إدّعاء من يزعم عقد الإمامة له سرّاً قبل من عقد له جهراً ، وهذا من المسائل الإجتهاديَّة .

ثمَّ إذا اتَّفق التعدد تفحص عن المتقدم فأُمضي ، ولو أصرَّ الآخر فهو من البغاة ، ولا يجوز العقد لإمامين في صقع متضايق الأقطار ، أمَّا في متَّسعها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محلُّ الإجتهاد .

انتهى ما في المواقف وقد أقرَّه شرّاحه وهم : السيِّد الشريف الجرجاني ، والمولى حسن چلبي ، والشيخ مسعود الشيرواني راجع شرح المواقف ج ٣ ص ٢٦٥ ـ ٧ .

---

(١) ما أتقنها من برهنة ويا للعجب .

(٢) انظر إلى هذا النول الذي تشابهوا في النسج عليه .

(٣) قال السيد الشريف الجرجاني : يعني من جميع أهل الحلّ والعقد .

كلمة الماوردي :

وقال الماوردي في الأحكام السلطانيّة ص ٤ : اختلفت العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى فقالت طائفةٌ : لا تنعقد إلّا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد ليكون الرضاء به عامّاً ، والتسليم لإمامته إجماعاً ، وهذا مذهبٌ مدفوعٌ ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعة قدوم غائب عنها .

وقالت طائفة أُخرى : أقلُّ مَن تنعقد به منهم الإمامة خمسةٌ يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين : **أحدهما** : أنَّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه إنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمَّ تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب . وأبو عبيدة بن الجراح . وأُسيد بن حضير . وبشر بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم . **الثاني** : أنَّ عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولّاها أحدهم برضى الإثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصحُّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين .

وقالت طائفةٌ أُخرى : تنعقد بواحد لأنَّ العبّاس قال لعليّ رضي الله عنهما : امدد يدك أُبايعك فيقول الناس : عمُّ رسول الله بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك اثنان . ولأنّه حُكمٌ وحُكم الواحد نافذٌ . اهـ .

كلمة الجويني :

قال إمام الحرمين الجويني المتوفّى سنة ٤٧٨ في «الإرشاد» ص ٤٢٤ : باب في الإختيار وصفته وذكر ما تنعقد الإمامة به :

إعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأُمَّة على عقدها ، والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في

الأقطار ، ولم ينكر عليه منكر ، ولم يحمله على التريُّث حامل ، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة ، لم يثبت عددٌ معدود ، ولا حدٌّ محدود ، فالوجه الحكم بأنَّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد .

ثمّ قال بعض أصحابنا : لا بدّ من جريان العقد بمشهد من الشهود ، فإنّه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدّعي مدَّع عقداً سرّاً متقدِّماً على الحقِّ المظهر المعلن . وليست الإمامة أحطّ رتبة من النكاح ، وقد شرط فيه الإعلان ، ولا يبلغ القطع ، إذ ليس يشهد له عقل ، ولا يدلُّ عليه قاطعٌ سمعيٌّ ، وسبيله سبيل سائر المجتهدات . اهـ .

وقال الإمام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ج ١٣ ص ٢٢٩ : لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه .

كلمة القرطبي :

وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٣٠ : فإن عقدها واحدٌ من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد ، ودليلنا أنّ عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك[١] ولأنّه عقد فوجب ألاّ يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود ، قال الإمام أبو المعالي : من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت ، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر ، قال : وهذا مجمعٌ عليه . اهـ .

قال الأميني : فما المبرِّر عندئذ لتخلّف عبدالله بن عمر . وأُسامة بن زيد . وسعد بن أبي وقاص . وأبي موسى الأشعري . وأبي مسعود الأنصاري . وحسّان بن ثابت . والمغيرة بن شعبة . ومحمّد بن مسلمة وبعض آخر من ولاة

(١) كأنّ بني هاشم كلهم ، والأنصار بأجمعهم إلاّ رجلين ، والزبير وعمار وسلمان ومقداداً وأبا ذر وآخرين كثيرين من المهاجرين المتخلفين عن بيعة أبي بكر المنكرين إيّاها كما فصل في محله لم يكونوا من الصحابة عند القرطبي وإلاّ فلا يجوز للمفسر أن يكذب وهو يعلم أن التاريخ الصحيح سيكشف الستر عن دجله .

عثمان على الصدقات وغيرها عن بيعة مولانا أمير المؤمنين بعد إجماع الأُمَّة عليها ؟ وما عذر تأخّرهم عن طاعته في حروبه ، وقد عُرفوا بين الصحابة وسمُّوا المعتزلة لاعتزالهم بيعة عليّ(١) ؟ .

رأي الخليفة الثاني

في الخلافة وأقواله فيها :

عن عبد الرّحمٰن بن أبزي قال : قال عمر : هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحدٌ ، ثمَّ في أهل أحد ما بقي منهم أحدٌ ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيءٌ [طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٨] وفي كلمة له ذكرها ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥ : إنَّ هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء .

وقال : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة الجراح . ولو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى(٢) .

وقال لمّا طُعن : إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم : يعني عليّاً . فقال له ابن عمر : ما يمنعك أن تقدّم عليّاً ؟ قال : أكره أن أحملها حيّاً وميتاً .

[الانساب للبلاذري ج ٥ ص ١٦ ، الإستيعاب لأبي عمر ج ٢ ص ٤١٩]

وقال : لو ولّيتها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس ، والله لو فعلت لفعل ، ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتّى يجزّوا رأسه . فقالوا : عليٌّ ؟ قال : رجل قُعدد(٣) قالوا : طلحة ؟ قال : ذاك رجلٌ فيه بأو قالوا : الزبير ؟

---

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١١٥ ، تأريخ الطبري ج ٥ ص ١٥٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٠ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٥ ، ١٧١ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٨ ، التمهيد للباقلاني ص ٢٠٤ ، الإستيعاب لأبي عمر ج ٢ ص ٥٦١ ، طرح التثريب ج ١ ص ٤٩ ، أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) القعدد الجبان الخامل . كأنّ الخليفة نسي سوابق مولانا أمير المؤمنين في المغازي والحروب وعزمه الماضي، وبسالته المشهودة إلى غيرها من صفاته الكمالية وتغافل عن أن الذي أقعده =

قال : ليس هناك . قالوا : سعد ؟ قال : صاحب فرس وقوس . فقالوا : عبد الرَّحمٰن بن عوف ؟ قال : ذاك فيه إمساكٌ شديدٌ ، ولا يصلح لهذا الأمر إلَّا معط في غير سرف ، وممسك في غير تقتير .

أخرجه القاضي أبو يوسف الأنصاري المتوفّى سنة ١٨٢ في كتابه «الآثار» نقلاً عن شيخه إمام الحنفيَّة أبي حنيفة .

هذه الكلمات وما يتلوها سلسلة بلاء تشذُّ عن الحقِّ والمنطق غير أنّا نمرُّ بها كراماً .

وعن ابن عبّاس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأُمَّة محمَّد ؟ وذلك قبل أن يُطعن ، فقلت : ولِمَ تهتمُّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصاحبكم ؟ يعني عليّاً قلت : نعم ، هو أهل لها في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه . فقال عمر إنَّ فيه بطالةٌ وفكاهةٌ . قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : أين الزهو والنخوة ؟ قلت عبد الرَّحمٰن بن عوف ؟ قال : هو رجلٌ صالحٌ على ضعف . قلت : فسعد ؟ قال : ذاك صاحب مقنب وقتال ، لا يقوم بقرية لو حمّل أمرها . قلت : فالزبير ؟ قال : لقيسٌ مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح . إنَّ هذا الأمر لا يصلح إلَّا لقويّ في غير عنف ، رفيق في غير ضعف ، جواد في غير سرف . قلت : فأين عن عثمان ؟ قال : لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه .

ذكره البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٦ ، وفي لفظ آخر له ص ١٧ : قيل : طلحة ؟ قال : أنفه في السَّماء وإسته في الماء .

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم :

قال الأميني : هذا ما جاء به القوم من الخلافة الإسلاميَّة والإمامة العامّة فهي

= عن مناجزته بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله هو خوف الردّة من الناس بوقوع الفتنة لا حذار بارقة عمر وراعدته وشجاعته التي هو سلام الله عليه جدّ عليم بكمّها وكيفها ، نعم : الجوّ الخالي يبعث الإنسان على أن يقول هكذا .

البأو : الكبر والتعظيم فيه .

عندهم ليست إلاَّ رياسة عامَّة لتدبير الجيوش ، وسدِّ الثغور ، وردع الظالم ، والأخذ للمظلوم ، وإقامة الحدود ، وقسم الفيء بين المسلمين ، والدفع بهم في حجِّهم وغزوهم ، ولا يشترط فيها نبوغ في العلم زائد على علم الرعيَّة ، بل هو والأُمَّة في علم الشريعة سيّان ، ويكفي له من العلم ما يكون عند القضاة ، وهؤلاء القضاة بين يديك وأنت جدُّ عليم بعلمهم ويسعك إمعان النظر فيه من كثب ، ولا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه وجوره وفجوره ، ويجب على الأُمَّة طاعته على كلِّ حال برّاً كان أو فاجراً ، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره .

فعلى هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوري في القضاء والإفتاء عن حكم الكتاب والسنَّة ولم يكن هناك أيُّ وازع ، ولم يكن يوجد قطُّ أحدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، خوفاً ممّا افتعلته يد السياسة ؛ وجعلت به على الأفواه أوكية ، من حديث عرفجة مرفوعاً : ستكون هنات ؛ فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأُمَّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان(١) .

ورواية عبد الله مرفوعاً : ستكون بعدي أثرة وأُمور تنكرونها قالوا : يا رسول الله ! كيف تأمر من أدرك منّا ذلك ؟ قال : تؤدّون الحقَّ الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٨]

وعلى هذا الأساس تمكّن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة ويبايعه الناس على البراءة من عليٍّ بن أبي طالب .

[البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٥]

وعلى هذا الأساس أقرَّ عبد الله بن عمر بيعة يزيد الخمور ، قال نافع : لَمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه ومواليه . وفي رواية سليمان : حشمه وولده وقال : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ينصب لكلِّ غادر لواء يوم القيامة . زاد الزهراني : قال : وإنّا قد بايعنا هذا الرَّجل على بيعة الله ورسوله ، وإنِّي لا أعلم غدراً أعظم من أن تبايع رجلاً على بيعة الله ورسوله ثمَّ

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢١ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٣ .

تنصب له القتال ، وإنّي لا أعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلّا كانت الفيصل فيما بيني وبينه .

وفي لفظ : إنّ عبد الله بن عمر جمع أهل بيته حين انتزى أهل المدينة مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وخلعوا يزيد بن معاوية ، فقال : إنّا بايعنا هذا الرَّجل على بيعة الله ورسوله ، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإنَّ من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ، ثمَّ ينكث بيعته ، ولا يخلعن أحدٌ منكم يزيد ، ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صيلماً بيني وبينه[١] .

وعلى هذا الأساس جاء عن حميد بن عبد الرّحمٰن أنَّهُ قال : دخلت على يسير الأنصاري (الصحابيّ) حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : إنَّهم يقولون : إنَّ يزيد ليس بخير أُمَّة محمَّد ﷺ ، وأنا أقول ذلك ولكن لإن يجمع الله أمر أُمَّة محمّد ﷺ أحبُّ إليَّ من أن يفترق، قال النبيُّ ﷺ : لا يأتيك في الجماعة إلّا خير[٢] .

وعلى هذا الأساس تكلّمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمَّد في الخلافة ؟ قالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة[٣] .

وعلى هذا الأساس يوجَّه قول مروان بن الحكم ، قال : ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليّ ، فقيل له : ما لكم تسبُّونه على المنابر ؟ قال :لأنَّهُ لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[٤] .

وعلى هذا الأساس صحَّ قتل معاوية عبد الرَّحمٰن بن خالد لمَّا أراد البيعة

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٦٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٩٦ .
(٢) الإستيعاب ج ٢ ص ٦٣٥ ، اسد الغابة ج ٥ ص ١٢٦ .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩ .
(٤) الصواعق المحرقة ص ٣٣ .

ليزيد ، أنَّه خطب أهل الشام وقال لهم : يا أهل الشام إنَّـه قد كبـرت سنّي ، وقرب أجلي ، وقـد أردت أن أعقد لـرجل يكـون نظامـاً لكم ، إنّما أنـا رجلٌ منكم فـرأوا رأيكم فأصقعوا واجتمعوا وقالوا : رضينا عبـد الرَّحمٰن بن خـالد[1] فشقَّ ذلـك على معاوية وأسرَّها في نفسه ، ثمَّ إنَّ عبد الرَّحمٰن مرض فأمر معـاوية طبيبـاً عنده يهـوديّاً وكان عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأتاه فسقاه فانخرق بطنـه فمات ، ثمَّ دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً هو وغلامٌ لـه فرصـدا ذلك اليهـودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجما عليه ومعه قومٌ هربوا عنه فقتله المهاجر .

ذكره أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠٨ فقال : وقصَّته هـذه مشهورةٌ عنـد أهل السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها ، ذكرها عمر بن شبه في أخبار المدينة وذكرها غيره . اهـ . وذكرها ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٩ .

وعلى هذا الأساس يتمُّ اعتذار شمر بن ذي الجوشن قاتـل الإمام السبط فيمـا رواه أبـو إسحاق ، قـال : كان شمـر بن ذي الجوشن يصلّي معنـا ثمّ يقول : اللَّهُمَّ إنَّك شريفٌ تحبُّ الشرف وإنَّك تعلم أنِّي شريفٌ فاغفر لي . قلت : كيف يغفر الله لـك وقـد أعنت على قتـل ابن رسـول الله ﷺ ؟ قـال : ويحـك فكيف نصنـع ؟ إنَّ أمـراءنا هؤلاء أمـرونا بـأمر فلم نخـالفهم ، ولو خالفناهم كنّا شـرّاً من هـذه الحمـر الشقاة[2] .

وفي لفظ : اللَّهُمَّ اغفـر لي فإنِّي كـريم لم تلدني اللئـام . فقلت لـه : إنَّـك لسيِّىء الرأي والفكر تسارع إلى قتل ابن بنت رسـول الله ﷺ وتدعـو بهذا الـدعاء ، فقـال : إليـك عنِّي فلو كنّـا كمـا تقـول أنت وأصحـابـك لكنّـا شـرّاً من الحمـر في الشعاب .

وعلى هـذا الأساس جـرى ما جـرى على أبي بكر الـطائي وأصحـابـه . قـال سليمان بن ربوة : اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن

---

(١) صحـابي من فرسـان قريش لـه هدى حسن وفضـل وكرم إلاّ أنـه كان منحـرفـاً عن علي وبني هاشم . اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٣٨ ، ميزان الإعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٤٩ .

أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبونا إلى الوالي فقال لهم أبو بكر الطائي : يا سادة اسمعوا لنا إنَّما قرأنا اليوم فضائل عليّ وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له : هات فأنشأ بديهاً :

حبُّ عليّ كلّه ضربُ ... يرجف من خيفته القلب
ومذهبي حبُّ إمام الهدى ... يزيد والدين هو النَّصب
مَن غير هذا قال فهو امرؤ ... ليس له عقلٌ ولا لبُّ
والناس مَن يغدُ لأهوائهم ... يسلم وإلاّ فالقضا نهب

قالوا : فخلّوا عنّا . [تمام المتون للصفدي ص ١٨٨]

وعلى هذا الأساس هتكت حرمات آل الله، وأُضيعت مقدَّسات العترة الهادية ، وسفكت دماء الأبرياء الأزكياء من شيعة أهل البيت الطاهر ، وشاع وذاع لعن سيِّد العترة نفس النبيِّ الأقدس ، والمطهَّر بلسان الله ، على صهوات المنابر ، واتَّخذه خلفاء بين أُميَّة سنَّة متَّبعة في أرجاء العالم الإسلامي ، حتّى وبَّخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبِّ أبي السبطين مولانا أمير المؤمنين(١) حتى تمكَّن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان من أن قام إلى هشام بن عبد الملك عشيَّة عرفة وهو على المنبر فقال : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبُّ فيه لعن أبي تراب(٢) .

وقال سعيد بن عبد الله لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! إنَّ أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب فالعنه أنت أيضاً(٣) .

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لا عسف ولا حزازة في رأي الخليفة الأوَّل ومن حذا حذوه من صحَّة اختيار المفضول على الفاضل ، وتقديم المتأخّر على المتقدّم بأعذار مفتعلة ، وأوهام مختلقة ، ومرجّحات واهية ، وسياسة وقتيَّة ،

---

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢٥٠
(٢) رسائل الجاحظ ص ٩٢ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ١١٦ .
(٣) تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٤٣٢ .

إذ الأمر الذي لا يشترط في صاحبه شيءٌ من القداسة الروحيَّة ، والملكات الفاضلة ، والخلائق الكريمة ، والنفسيّات الشريفة ، ومعالم ومعارف ، ومدارج ومراتب ، ولا يؤاخذ هو بما فعل ، ولا يخلع بتعطيل الأحكام ، وترك إقامة الحدود ، ولا ينابذ ما دام يقيم في أُمَّته الصّلاة كما سمعت تفصيل ذلك كلّه لا وازع عندئذ من أن يكون أمثال أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور حاملاً لهذا العبء الثقيل ، متحلّياً بأبراد الخلافة ، ولا مانع من تقديم الخليفة الأوّل إيّاه أو صاحبه على نفسه في بدء الأمر ، ولا حاجز من اختيار أيٍّ مستأهل لتنفيذ ما ذكر ص ١٦٠ ممّا يُقام له الإمام ولو بمعونة سماسرته وجلاوزته ومن يُهمُّه أمره ، بل من له الشدَّة والفظاظة والعنف والتهوُّر إلى أمثالها ربما يكون أولى من غيره مهما اقتضته السياسة الوقتيَّة .

واتّبع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل ، قال القاضي في المواقف : جوَّز الأكثرون إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، إذ لعلّه أصلح للإمامة من الفاضل ، إذا المعتبر في ولاية كلِّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده ، وقوَّة القيام بلوازمه ، وربَّ مفضول في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف ، وشرائطها أقوم ، وفصَّل قوم فقالوا : نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلَّا وجب . وقال الشريف الجرجاني : كما إذا فرض أنَّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضول .

[شرح المواقف ج ٣ ص ٢٧٩]

قال الأميني : إنَّا لا نريد بالأفضل إلَّا الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها في البشر لا الأفضليَّة في صفة دون أُخرىٰ ، فيكون حينئذ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشؤون السياسة ، والأعرف بمصالح الأُمور ومفاسدها ، والأثبت في إدارة الصالح العامّ ، والأبسل في مواقف الحروب ، والأقضى في المحاكمات ، والأخشن في ذات الله، والأرأف بضعفاء الأُمَّة ، والأسمح على محاويج الملأ الديني ، إلى أمثالها من الشرائط والأوصاف ، إذن فلا تصوير لما حسبوه من أنَّ المفضول قد يكون أقدر وأعرف وأقوم . إلخ . وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن إنسان هو كما قلناه ، بعد أن أثبتنا أنَّ تقييضه من اللطف الواجب عليه سبحانه ، وهو عديل القرآن الكريم ولا يفترقا حتّى يردا على النبيّ الحوض .

وأمّا مَن لا ينقاد له من الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة ، لا يزحزَح بذلك صاحب الأمر عمّا قيَّضه الله له مِن الولاية الكبرى ، بل يجب على بقيَّة الأمَّة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الردَّة أو مَن حسبوه منهم ، وأن يفوّقوا إليه سهم الجنِّ كما فوَّقوه إلى سعد بن عبادة أمير الخزرج .

ولم تكن للخليفة مندوحة عن رأيه في تقديم المفضول ، وما كان إلاَّ تصحيحاً لخلافة نفسه ، ولتقدُّمه على من قدَّسه المولى سبحانه في كتابه العزيز ، ورآه نفس النبيِّ الأقدس وقرن طاعته بطاعته ، وولايته بولايته ، وأكمل به الدين ، وأتمَّ به النعمة ، وأمر نبيَّه بالبلاغ وضمن له العصمة من الناس ، وهتف هاتف الوحي بولايته وأولويَّته بالمؤمنين من أنفسهم في محتشد رهيب بين مائة ألف أو يزيدون قائلاً : يا أيُّها الناس ! إنَّ الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهُمَّ وال من والاه ، وعاد مَن عاداه .

ولم تكن تخفى لأيِّ أحد فضائل أبي السبطين وملكاته وروحيَّاته ، وطيب عنصره ، وطهارة محتده ، وقداسة مولده ، وعظمة شأنه ، وبُعد شأوه في حزمه وعزمه وسبقه في الإسلام ، وتفانيه في ذات الله ، وأفضليَّته في العلم والفضائل كلّها .

نعم : على رأي الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل وقع الإنتخاب من أوَّل يومه ، فبويع أبو بكر بعقد رجلين ليس إلاَّ : عمر بن الخطاب وأبي عبيدة الحفّار ابن الجراح ، وكان الأمر أمر نهار قضي ليلاً ، مدبَّراً بين أُولئك الرجال مؤسّسي الإنتخاب الدستوري ، وما اتَّبعهما يوم ذاك إلاَّ أُسيد بن حضير ، وبشر بن سعد ، ثمَّ دَرْدَب النّاس لَمّا عَضَّه الشفاف[١] واتّسع الخرق على الرّاقع ، وما أُدركت القويمة حتّى أكلتها الهويمة[٢] وأصبح المصلح الهضيم يقول : دع الرجل واختياره[٣] وإنّ في الشرِّ خيارا ، ولا يجتنى من الشوك العنب .

(١) مثل يضرب لمن يمتنع مما يراد منه ثم يذل وينقاد .

(٢) أصل المثل : أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة . والمراد : أدرك الرجل الجاهل حتى لا يقع في هلكة .

(٣) مثل يضرب لمن لا يقبل الوعظ .

بويع أبو بكر ودبّ قمله[١] وقسمت الوظائف الدينيَّة من أوّل يومه بين ثلاث : لـه الإمامـة ، وقال عمـر : وإليَّ القضاء . وقـال أبـو عبيـدة : وإليَّ الفيء . وقـال عمر : فلقد كـان يأتي عليَّ الشهـر ما يختصم إليَّ فيـه اثنان[٢] ولم يكن هنـاك من يزعم أو يفوه بأفضليَّة أبي بكر وعمر من مولانا أميـر المؤمنين ، هذا أبـو بكر ينـادي على صهوات المنابر : وليت ولست بخيركم ، ولي شيـطان يعتريني . ويـطلب من أُمَّته العون له على نفسه وإقامة أمته وعوجه[٣] .

وهذا عمر بن الخطاب ونصوصه بين يديـه على أنَّ الأمر كـان لعليّ غير أنَّهم زحـزحـوه عنـه لحـداثـة سنِّـه والـدمـاء التي عليـه[٤] أو لِمـا قـالـه لمّـا عـزم على الإستخلاف : لله أبوك لـولا دعابـة فيك . كمـا في «الغيث المنسجم للصفدي ج ١ ص ١٦٨» وكان يدعو الله ربَّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبـو الحسن ، ويرى أنَّ عليّاً لولاه لضـلّ هو[٥] ولـولاه لهلك هو ، ولـولاه لافتضح هـو ، وعقمت النساء أن تلدن مثل عليّ . إلى كثير ممّا مرَّ عنه في الجزء السادس في نوادر الأثـر ، ولم يكن قطّ يختلج في هواجس ضميره ولن يختلج «أنَّى يختلج» أنّه كان يماثل مـولانا عليّـاً في إحدى فضائله ، أو يدانيه في شيءٍ منها ، أو يبعد عنه بقليل .

وبعدما عرفت معنى الخلافة عند القـوم ، ووقفت على رأي سلفهم فيها وفي مقـدَّمهم الخليفـة الأوّل ، هلمَّ معي إلى التهـافت بين تلكم الكلمـات وبين مـزاعم أُخرى جنح إليها لفيف آخر﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً**﴾ .

قال أحمد بن محمّد الوتـري البغدادي في روضة الناظـرين ص ٢ : إعلم أنَّ جماهير أهـل السنَّة والجمـاعة يعتقـدون أنَّ أفضل النـاس بعد النبيِّ ﷺ أبـو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ رضي الله تعالىٰ عنهم ، وانَّ المتقدّم في الخلافة هو المقدّم في الفضيلة لاستحالة تقديم المفضول على الفـاضل لأنَّهم كـانوا يـراعون الأفضـل

(١) مثل يضرب للإنسان إذا سمن وحسن حاله .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٠
(٣) راجع ما مر في هذا الجزء ص ١٣٨ .
(٤) راجع ما مر في الجزء الأول ص ٤٤٧ ، وفي هذا الجزء ص ٩٦ .
(٥) التمهيد للباقلاني ص ١٩٩ .

فالأفضل ، والدليل عليه : إنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما نصَّ على عمر رضي الله عنه قام إليه طلحة رضي الله عنه فقال له : ما تقول لربِّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً قال أبو بكر رضي الله عنه : فركتَ لي عينيك ، ودلكت لي عقبيك ، وجئتني تكفّني عن رأيي ، وتصدُّني عن ديني أقول له إذا سألني : خلّفت عليهم خير أهلك . فدلَّ على أنَّهم كانوا يُراعون الأفضل فالأفضل . اهـ .

وأنت ترى أنَّ هذه المزعمة فيها دجلٌ لإغراء البسطاء من الأُمَّة المسكينة وهي تصادم رأْي الجمهور ونظريّات علماء الكلام منهم ، وعمل الصحابة ونصوصهم ، وقبل كلِّ شيء رأْي الخليفة أبي بكر ، وكأنَّ ما حسبه من الإستحالة قد خفي على الخليفة وعلى من آزره على أمره ، واعتنق إمامته في القرون والأجيال من بعده .

وكأنَّ أفضليَّة الرجل الفظّ الغليظ كانت تخفى على الصحابة ، ولم يكن يعلمها أحدٌ فأعرب عنها أبو بكر ، وكأنَّ التاريخ ونوادر الأثر لم تكن بين يدي (الوتري) حتّى يعرف مقادير الرجال ، ولا يغلو فيهم ، ولا يتحكّم ولا يجازف في القول ولا يسرف في الكلام ويعلم بأنَّ عمر لو كان خير الأُمَّة وتلك سيرته ونوادر أثره فعلى الإسلام السَّلام .

نعم : إنّما هي أهواء وشهوات أخذ كلٌّ بطرف منها ، وفتاوى مجرَّدة هملج وراءَها كلٌّ حسب ميوله ، ونحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين : مَن نصفه نحن ، ومَن يقول به هؤلاء . فراجعه إلى أيّهما يجنح ، وأيّاً منهما يتّخذه وسيلة بينه وبين ربِّه سبحانه ، وأيُّهما يحقُّ له أنَّ يستحوذ على رقاب المسلمين ونفوسهم ونواميسهم وأحكامهم في دنياهم وأُخراهم ؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عين . فويلٌ للمطففين .

٦ ـ رأي الخليفة في القدَر :

أخرج اللالكائي في السنَّة عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجلٌ إلى أبي بكر فقال : أرأيت الزنا يُقدَّر ؟ قال : فإنَّ الله قدَّره عليَّ ثمَّ يعذِّبني ؟ قال : نعم ، يابن

اللخناء ! أما والله لو كان عندي إنسانٌ أمرت أن يجأ[١] أنفك[٢] .

قال الأميني : أترى الخليفة عرف معنى القـدَر الصحيح ؟ بمعنى ثبـوت الأمر الجـاري في العلم الأزلي الإلٰهي ، مـع إعـطاء القـدرة على الفعـل والتـرك ، مـع تعريف الخير والشرِّ وتبيان عاقبة الأوَّل ومغبَّة الأخير .

﴿إنّا هدينـاه السبيل إمّـا شاكـراً وإمّا كفـوراً﴾[٣] ﴿إنّا هـديناه النجـدين﴾[٤] ﴿ومن شكر فإنّمـا يشكر لنفسـه ، ومن كفر فـإنَّ ربّي غنيٌّ كريم﴾[٥] ﴿ومن يشكـر فإنّما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإنَّ الله غنيٌّ حميد﴾[٦] .

كلُّ ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان ، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمّارة بالسوء ، فمن عاملٍ بالطاعة بحسن اختياره ، ومِن مقتـرفٍ للمعصية بسوء الخيرة .

﴿فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات﴾[٧] ﴿من اهتـدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنّما يضلُّ عليها﴾[٨] ﴿فمن اهتدى فلنفسـه ومن ضلَّ فـإنّما يضـلُّ عليها﴾[٩] ﴿من عمـل صالحـاً فلنفسه ومن أسـاء فعليهـا ثمَّ إلى ربِّكم ترجعون﴾[١٠] ﴿فمن أبصـر فلنفسه ومن عمي فعليهـا﴾[١١] ﴿قل إن ضللت فـإنّما أضـلُّ على نفسي ، وإن اهتـديت فبمـا يـوحي إليَّ ربّي﴾[١٢] ﴿إن أحسنتم أحسنتم

---

(١) وجأ عنقه : ضربه ، ووجأه : رضّه ودقّه .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٣) سورة الإنسان ؛ الآية : ٣ .

(٤) سورة البلد ؛ الآية : ١٠ .

(٥) سورة النمل ؛ الآية : ٤٠ .

(٦) سورة لقمان ؛ الآية : ١٢ .

(٧) سورة فاطر ؛ الآية : ٣٣ .

(٨) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٨ ، وسورة الإسراء ؛ الآية : ١٥ .

(٩) سورة الزمر ؛ الآية : ٤١ .

(١٠) سورة الجاثية ؛ الآية : ١٥ .

(١١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٠٤ .

(١٢) سورة سبأ ؛ الآية : ٥ .

لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾[١] ﴿إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾[٢] ﴿ربِّي أعلم مَن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ .

فالقدر لا يستلزم جبراً وعلم المولى سبحانه بمقادير ما يختاره العباد من النجدين ويأتون به من العمل من خير أو شرٍّ لا ينافي التكليف ، كما لا أثر له في اختيار المكلَّفين ، ولا يقبح معه العقاب على المعصية ، ولا يسقط معه الثواب على الطاعة .

﴿فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرَّة شراً يره﴾[٣] ﴿ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مثقال حبَّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٤] ﴿اليوم تجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾[٥] ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفِّيت كلُّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾[٦] .

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القدَر ، فأجاب بما أجاب ؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد ، غير أنَّه لو كان يريد ذلك لَما جابَه المنتقد بالسباب المقذع والتمنِّي بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيء الرجل إلى الحقِّ .

أو أنَّ الخليفة لم يكن يعرف من القدَر إلا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه من القول بخلق الأعمال ؟ فيتَّجه إلى ما قاله المنتقد سبَّه الخليفة أو لم يسبَّه .

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧ .
(٢) سورة النجم ؛ الآية : ٣٠ .
(٣) سورة القصص ؛ الآية : ٨٥ .
(٤) سورة الزلزلة ؛ الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٤٧ .
(٦) سورة غافر ؛ الآية : ١٧ .
(٧) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٥ .

والذي يؤثر عن إبنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها على مولانا أمير المؤمنين ، وتبرّجها عن خدرها المضروب لها تبرُّج الجاهليَّة الأُولىٰ بعد أن ليمت على ذلك : بأنَّها كانت قدَراً مقدوراً وللقدَر أسباب ، أخرجه الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخه ج ١ ص ١٦٠ .

وإن كان يوقفنا موقف السادر ما يؤثر عنها فيما أخرج الخطيب أيضاً في تاريخه ج ٥ ص ١٨٥ عن عروة قال : ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قطّ إلّا بكت حتّى تبلّ خمارها وتقول : يا ليتني كنت نسياً منسيّاً[1] قال سفيان الثوري : النسي المنسيّ : الحيضة الملقاة .

كأنّها كانت ترى مسيرها حوباً كبيراً جديراً أن تبكي عليه مدى الدهر ، وتبلّ بدمعها خمارها ، وتتمنّى ما تمنّت ، وهذا ينافي ذلك الإعتذار البارد المأخوذ أصله عن رأي أبيها الخليفة الذي لم يجد مساغاً في دفع ما يتّجه عليه إلّا السباب .

٧ ـ ترك الخليفة الضحيَّة مخافة أن تستنّ :

قد مرَّ في الجزء السادس ص ٢١٣ من الصحيح الوارد في أنَّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحِّيان كراهة أن يقتدى بهما ، فيظنّ فيها الوجوب .

وقد استوفينا حقّ القول هناك فراجع .

٨ ـ ردّة بني سليم :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان في بني سليم ردَّة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثمَّ أحرقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال : تدع رجلاً يعذِّب بعذاب الله عزَّ وجلَّ . فقال أبو بكر : والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوِّه حتى يكون هو الذي يشيمه ، ثمَّ أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٠٠]

---

(١) وذكره ابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ١٥١ ، وابن منظور في لسان العرب ج ٢٠ ص ١٩٦ ، والزبيدي في تاج العروس ج ١٠ ص ٣٦٧ .

ليس في هذا الجواب مخرجٌ عن إعتراض عمر فقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالىٰ : **﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾**(١) .

وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم النهي عن الإحراق وقوله : لايعذِّب بالنار إلاّ ربُّ النار . وقوله : إنَّ النار لا يعذّب بها إلاّ الله . وقوله : لا يعذِّب بالنار إلاّ ربّها(٢) : وقوله : من بدَّل دينه فاقتلوه(٣) وقوله : لا يحلُّ دم امرىء مسلم يشهد أن لا إلـه إلاّ الله وانَّ محمَّداً رسول الله إلاّ بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان فإنَّه يرجم ، ورجل يخرج محارباً لله ورسوله فإنَّه يُقتل ، أو يُصلب ، أو يُنفى من الأرض ، أو يقتل نفساً فيقتل بها .

[سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، مصابيح السنَّة ج ٢ ص ٥٩ ، مشكاة المصابيح ص ٣٠٠]

وأمّا فعل أمير المؤمنين عليه السلام بعبد الله بن سبا وأصحابه فلم يكن إحراقاً ولكن حفر لهم حفائر ، وخرق بعضها إلى بعض ، ثمَّ دخن عليهم حتّى ماتوا كما قال عمّار الدهني : فقال عمرو بن دينار : قال الشاعر :

لترم بي المنايا حيث شاءت ... إذا لم ترم بي في الحفرتينِ
إذا ما أجَّجوا حطباً وناراً ... هناك الموت نقداً غير دين(٤)

وأمّا قول أبي بكر : لا أُشيم سيفاً . الخ . فهو تحكّم تجاه النصِّ النبويِّ ، وما كان السيف أنطق من القول ، ومتى شهر الله سبحانه هذا السيف صاحب الدواهي الكبرى والطامات في يومه هذا ، ويومه الآخر المخزي في بني حنيفة ومع

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٣ .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣٢٥ كتاب الجهاد باب : لا يعذّب بعذاب الله ، مسند أحمد ج ٣ ص ٤٩٤ وج ٢ ص ٢٠٧ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، صحيح الترمذي ، سنن البيهقي ج ٩ ص ٧١ ، ٧٢ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٨٣ كتاب استتابة المرتدين ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٧ .

(٤) سنن البيهقي ج ٩ ص ٧١ .

مالك بن نويرة وأهله ، ويومه قبلهما مع بني جذيمة الذي تبرّأ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عمله ، إلى غيرها من المخاريق والمخازي التي تغمد بها هذا السيف .

٩ - حرق الخليفة الفجاءة :

قدم على أبي بكر رجلٌ من بني سليم يُقال له : الفجاءة وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف فقال لأبي بكر : إنِّي مسلم وقد أردت جهاد من ارتدَّ من الكفار فاحملني وأعنِّي فحمله أبو بكر على ظهر وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجلٌ من بني الشريد يُقال له : نجبة بن أبي الميثاء فلمّا بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طُريفة بن حاجز : إنَّ عدوَّ الله الفجاءة أتاني يزعم أنَّه مسلمٌ ويسألني أن أُقوِّيه على من ارتدَّ عن الإسلام فحملته وسلّحته ثمَّ انتهى إليَّ من يقين الخبر أنَّ عدوَّ الله قد استعرض الناس المسلم والمرتدَّ يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به فسار إليه طريفة فلمّا التقى الناس كانت بينهم الرميّا بالنبل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به فلمّا رأى الفجاءة من المسلمين الجدَّ قال لطريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر منِّي أنت أمير لأبي بكر وأنا أمير له، فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه فلمّا قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز فقال : أُخرج به إلى هذا البقيع فحرِّقه فيه بالنار . فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً فقذفه فيها . وفي لفظ الطبري : فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير ثمَّ رمي فيها مقموطاً . وفي لفظ ابن كثير : فجمعت يداه إلى قفاه وأُلقي في النار فحرَّقه وهو مقموط[١] .

قال الأميني : القول في هذا كالذي سبقه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها ، على أنَّ الفجاءة كان متظاهراً بالإسلام وتلقّاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً وسلّحه ، وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما انتهى إلى الخليفة من يقين

---

(١) تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٣٤ ، تأريخ ابن كثير ج ٦ ص ٣١٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٦ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٢٢ .

الخبر ، ولم يكن سيف الله مشهوراً هٰهنا حتى يتورّع عن إغماده ، ولا يُدَّعى مثله لطريقة حتى يكون معذّراً في مخالفة النصّ الشريف ، ولعلَّ لذلك كلّه ندم أبو بكر نفسه يوم مات عن فعله ذلك كما في الصحيح الآتي إن شاء الله تعالىٰ . فإلى الملتقى .

والعجب كلّ العجب من دفاع القاضي عضد الإيجي عن الخليفة بقوله في المواقف : إنَّ أبا بكر مجتهدٌ ، إذ ما من مسألة في الغالب إلاّ وله فيها قولٌ مشهورٌ عند أهل العلم ، وإحراق الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته لأنَّه زنديقٌ ولا تقبل توبة الزنديق في الأصحِّ .

وجاء بعده القوشجي مدافعاً عن الخليفة بقوله في شرح التجريد ص ٤٨٢ : إحراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاده فكم مثله للمجتهدين ؟ .

إقرأ واضحك أو إبك زهٍ زهٍ بالإجتهاد تجاه نصِّ الكتاب والسنَّة ، ومرحباً لمجتهد يخالف دين الله .

١٠ ـ رأي الخليفة في قصّة مالك :

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتّى قدمها فلم يجد بها أحداً وكان مالك بن نويرة قد فرَّقهم ونهاهم عن الإجتماع وقال : يا بني يربوع إنّا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح ، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإيّاكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرَّقوا وأُدخلوا في هذا الأمر ، فتفرَّقوا على ذلك ، ولمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلِّ من لم يُجب ، وإن امتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذّن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة ثمَّ تقتلوا كلّ قتلة ، الحرق فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلاّ الغارة ، ولا كلمة ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم وعبيد وعرين وجعفر فاختلفت السيرة فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنَّهم قد أذَّنوا وأقاموا وصلّوا ، فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا

في ليلة باردة لا يقوم لها شيءٌ وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : ادفئوا أسراكم . وكانت في لغة كنانة القتل فظنَّ القوم أنَّه أراد القتل ولم يُرد إلَّا الدفء فقتلوهم ، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ، وتزوّج خالد أُمّ تميم امرأة مالك ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ؟ فزبره خالد فغضب ومضى . وفي تاريخ أبي الفدا : كان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين فكلّما خالداً في أمره فكره كلامهما . فقال مالك : يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا . فقال خالد : لا أقالني الله إن أقلتك وتقدَّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه .

فقال عمر لأبي بكر : إنَّ سيف خالد فيه رَهَق وأكثر عليه في ذلك فقال : يا عمر ! تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنِّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

وفي لفظ الطبري وغيره : إنَّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصّلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا ، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنّوا الغارة فاقتلوا وحرِّقوا ، وكان ممَّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعيّ ، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ، وكان يحدِّث أنَّهم لمّا غشّوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح ، قال : فقلنا : إنّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون ؟ فضعوا السلاح . قال : فوضعوها ثمَّ صلّينا وصلّوا ، وكان خالد يعتذر في قتله : إنَّه قال وهو يراجعه : ما أخال صاحبكم إلَّا وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أو ما تعدّه لك صاحباً . ثمَّ قدَّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه .

فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال : عدوّ الله عدا على امرىء مسلم فقتله ثمَّ نزا على امرأته ، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباءٌ له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له قد غرز في

عمامته أسهماً فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثمَّ قال : أرثاء ؟ قتلت امرأ مسلماً ثمَّ نزوت على امرأته ، والله لأرجمنّك بأحجارك ولا يكلّمه خالد بن الوليد ولا يظنّ إلاّ أنَّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتّى دخل على أبي بكر فلمّا أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، وعمر جالسٌ في المسجد فقال خالد : هلمّ إليَّ يابن أمّ شملة ؟ قال فعرف عمر أنَّ أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلّمه ودخل بيته .

وقال سويد : كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإنَّ أهل العسكر اثفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلاّ وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً فإنَّ القدر نضجت وما نزج رأسه من كثرة شعره ، وقى الشعر البشَر حرَّها أن يبلغ منه ذلك .

وقال ابن شهاب : إنَّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس ، فلمّا قتل أمر خالد برأسه فنصب اثفية لقِدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه .

وقال عروة : قدم أخو مالك متمِّم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له بردِّ السبي ، وألحَّ عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال : إنَّ في سيفه رهقاً . فقال : لا يا عمر ! لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

وروى ثابت في الدلائل : إنَّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته : قتلتيني . يعني سأُقتل من أجلكِ[1] ،

وقال الزمخشري وابن الأثير وأبو الفدا والزبيدي : إنَّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن وليد : أقتلتني . أي عرَّضتني بحسنِ وجهكِ للقتل لوجوب الدفع عنكِ ، والمحاماة عليك ، وكانت جميلة حسناء تزوَّجها خالد بعد قتله فأنكر ذلك عبد الله بن عمر . وقيل فيه :

---

(١) تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٤١ ، تأريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٩ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ ، تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٠٥ ، ١١٢ ، خزانة الأدب ج ١ ص ٢٣٧ ، تأريخ ابن كثير ج ٦ ص٣٢١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣٣ ، الإصابة ج ١ ص ٤١٤ وج ٣ ص ٣٥٧ .

أفي الحق أنّا لم تجفّ دماؤنا وهذا عروساً باليمامة خالدُ ؟[١]

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٥ : أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت إلى زوجته وقال لخالد : هذه التي قتلتني . وكانت في غاية الجمال ، فقال خالد : بل قتلك رجوعك عن الإسلام . فقال مالك : أنا مسلم . فقال خالد : يا ضرار ! اضرب عنقه فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي :

ألا قل لحيّ أوطؤا بالسنابكِ تطاول هذا الليل من بَعد مالك
قضى خالدٌ بغياً عليه بعرسه وكان له فيها هوىً قبل ذلك
فأمضى هواه خالدٌ غير عاطفٍ عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

فلمّا بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر : إنَّ خالداً قد زنى فاجلده . قال أبو بكر : لا ، لأنّه تأوّل فأخطأ قال : فإنّه قتل مسلماً فاقتله . قال : لا ، إنّه تأوّل فأخطأ . ثمَّ قال : يا عمر ! ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم ، ورثى مالكاً أخوه متمّم بقصائد عديدة . وهذا التفصيل ذكره أبو الفدا أيضاً في تاريخه ج ١ ص ١٥٨ .

وفي تاريخ الخميس ج٢ ص ٢٣٣ : اشتدَّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر : إرجم خالداً فإنّه قد استحلَّ ذلك ، فقال أبو بكر : والله لا أفعل ، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ وفي شرح المواقف : فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً ، فقال أبو بكر : لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار . وقال عمر لخالد : لئن وليتُ الأمر لأقيدنَّك به .

وفي تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١١٢ : قال عمر : إنّي ما عتبت على خالد إلّا في تقدُّمه وما كان يصنع في المال . وكان خالد إذا صار إليه شيء قسّمه في

(١) الفائق ج ٢ ص ١٥٤ ، النهاية ج ٣ ص ٢٥٧ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٨ ، تاج العروس ج ٨ ص ٧٥ .

أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه ، وكان فيه تقدّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا يراها أبو بكر ، وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته ، وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة ، فكره ذلك أبو بكر ، وعرض الدية على متمّم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد .

نظـرة في القضيـة :

قال الأميني : يحقُّ على الباحث أن يمعن النظرة في القضيَّة من ناحيتين . الأولىٰ : ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنزَّه عنها ساحة كلِّ معتنق بالإسلام ، وتضادُّ نداء القرآن الكريم والسنَّة الشريفة ، ويتبرَّأ منها وممَّن اقترفها مَن آمن بالله ورسوله واليوم الآخر . **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدى﴾** ؟[١] **﴿أيحسب ان لن يقدر عليه أحد﴾** ؟[٢] **﴿أم حسب الذين يعملون السيِّئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾** ؟[٣] .

بأيِّ كتاب أم بأيَّة سنَّة ساغ للرجل سفك تلكم الدماء الزكيَّة من الذين آمنوا بالله ورسوله واتَّبعوا سبيل الحقِّ وصدَّقوا بالحسنىٰ ، وأذَّنوا وأقاموا وصلّوا وقد علت عقيرتهم : بأنّا مسلمون ، فما بال السلاح معكم ؟ **﴿لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبُّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازةٍ من العذابِ ولهم عذابٌ أليم﴾**[٤] .

ما عذر الرَّجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبيَّ الأعظم ، وأحسن صحبته ، واستعمله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه ، وقد عُدَّ من أشراف الجاهليَّة والإسلام ، ومن أرداف الملوك . **﴿ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ،**

---

(١) سورة القيامة ؛ الآية : ٣ .

(٢) سورة البلد ؛ الآية : ٥ .

(٣) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٨٨ .

فكأنّما قتل الناس جميعاً﴾[١] . **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمِّداً فجزاءه جهنَّم خالداً فيها﴾**[٢] .

وماذا أحلَّ للرجل شنَّ الغارة على أهل أُولئك المقتولين وذويهم الأبرياء وإيذائهم وسبيهم بغير ما اكتسبوا إثماً ، أو اقترفوا سيِّئة ، أو ظهر منهم فساد في الملأ الدينيِّ ؟ **﴿الَّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾**[٣] .

ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الإسلام ، وتعذيب رؤوس أُمَّة مسلمة ، وجعلها أثفيةً للقدر وإحراقها بالنار ؟ فويلٌ للقاسية قلوبهم ، فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم .

ما خالد وما خطره بعدما اتَّخذ إلّهه هواه ، وسوَّلته نفسه ، وأضلّته شهوته ،وأسكره شبقه ؟ فهتك حرمات الله ، وشوَّه سمعة الإسلام المقدَّس ، ونزى على زوجة مالك قتيل غيِّه في ليلته[٤] إنَّه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً ، ولم يكن قتل الرجل إلَّا لذلك السفاح ، وكان أمراً مشهوداً وسرّاً غير مستسرّ ، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله لها : أقتلتني . فقتل الرجل مظلوماً غيرة ومحاماةً على ناموسه . وفي المتواتر : من قتل دون أهله فهو شهيد[٥] وفي الصحيحة من قتل دون مظلمته فهو شهيدٌ[٦] .

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يُبرِّىء خالداً من تلكم الجنايات ، أيصدِّق جحد الرجل فرض الزكاة ومكابرته عليها وهو مؤمنٌ بالله وكتابه ورسوله ومصدِّقٌ بما جاء به نبيُّه الأقدس ، يقيم الصّلاة ويأتي بالفرائض بأذانها وإقامتها ، وينادي بأعلى صوته : نحن المسلمون ، وقد استعمله النبيُّ الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن ؟ لاها الله .

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٩٣ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٨ .

(٤) الصواعق ص ٢١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ١٩١ ، نص على تواتره المناوي في الفيض القدير ج ٦ ص ١٩٥ .

(٦) أخرجه النسائي والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير ، وصححه السيوطي راجع فيض القدير ج ٦ ص ١٩٥ .

أيوجب الردَّة مجرَّد إمتناع الرجل المسلم الموحِّد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة ؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ ؟ وقد صحَّ عن المشرِّع الأعظم قوله : لا يحلُّ دم رجل يشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وانِّي رسول الله إلاَّ بإحدى ثلاثة : النفس بالنفس ، والثيِّب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة[١] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس[٢] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلاَّ الله ، فإذا قالوها منعوا منِّي دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله[٣] .

وعهد أبو بكر نفسه لسلمان بقوله : من صلّى الصلوات الخمس فإنَّه يصبح في ذمَّة الله ويمسي في ذمَّة الله تعالى فلا تقتلنَّ أحداً من أهل ذمَّة الله فتخفر الله في ذمَّته فيكبّك الله في النار على وجهك[٤] .

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أُولئك الكفرة الفجرة الذين حقَّ على النبيِّ الطاهر شنُّ الغارة عليهم ؟ ويحكم عليهم بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون ، والنزو على تلكم الحرائر المأسورات ؟ .

وأما ما مرَّ من الإعتذار بأنَّ خالداً قال : ادفئوا أسراكم وأراد الدفء وكانت

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٦٣ كتاب المحاربين . باب : قول الله تعالىٰ إنَّ النفس بالنفس ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧ ، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٠ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١١٠ ، مصباح السنة ج ٢ ص ٥٠ ، مشكاة المصابيح ص ٢٩١ .

(٢) الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ٩ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١١٠ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩ .

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠ ، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٧ ، ١٨ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٥٧ ، خصائص النسائي ص ٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩ ، ١٩٦ .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٠ .

في لغة كنانة : القتل ، فقتلوهم فخرج خالد وقد فرغوا منهم . فلا يفوه به إلاّ معتوهٌ استأسر هواه عقله ، وسفه في مقاله ، لِماذا قتل ضرار مالكاً بتلك الكلمة وهو لم يكن من كنانة ولا من أهل لغتها ؟ بل هو أسديٌّ من بني ثعلبة ، ولم يكن أميره يتكلّم قبل ذلك اليوم بلغة كنانة .

وإن صحّت المزعمة فلماذا غضب أبو قتادة الأنصاري على خالد وخالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كثب ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب ؟ .

ولِماذا اعتذر خالد بأنَّ مالكاً قال : ما أخال صاحبكم إلاّ قال كذا وكذا ؟ وهذا اعترافٌ منه بأنّه قتله غير أنّه نحت على الرجل مقالاً ، وهو من التعريض الذي لا يجوِّز القتل «بعد تسليم صدوره منه» عند الأُمّة الإسلاميَّة جمعاء ، والحدود تُدرأ بالشبهات .

ولِماذا رآه عمر عدوّاً لله ، وقذّفه بالقتل والزنا ؟ وإن لم يفتل ذلك ذؤابة[1] أبي بكر .

ولِماذا هتكه عمر في ملأ من الصحابة بقوله إيّاه : قتلتَ امرأً مسلماً ثمَّ نزوت على امرأته ، والله لأرجمنَّك بأحجارك ؟ .

ولِماذا رأى عمر رَهَقاً في سيف خالد وهو لم يقتل مالكاً وصحبه وإنّما قتلتهم لغة كنانة ؟ .

ولِماذا سكت خالد عن جوابه ؟ وما أخرسه إلاّ عمله ، إنَّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .

ولِماذا صدّق أبو بكر عمر بن الخطاب في مقاله ووقيعته على خالد وما أنكر عليه غير أنّه رآه متأوِّلاً تارةً ، ونَحَت له فضيلةً أُخرىٰ ؟ .

ولِماذا أمر خالد بالرؤوس فنصبت أثفيةً للقدور ، وزاد وصمة على لغة كنانة ؟ .

---

(١) مثل يضرب يُقال : فتل ذؤابة فلان . أي أزاله عن رأيه .

ولماذا نزى على امرأة مالك ، وسبى أهله ، وفرّق جمعه ، وشتّت شمله ، وأباد قومه ، ونهب ماله ؟ أكلُّ هذه معرّة لغة كنانة ؟ .

ولماذا ذكر المؤرِّخون انّ مالكاً قُتل دون أهله محاماة عليها ؟ .

ولماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الذريع على خالد دون لغة كنانة ، وقالوا في ترجمة ضُرار وعبد بن الأزور : إنَّه هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة[١] وقالوا في ترجمة مالك : إنَّه قتله خالد . أو : قتله ضرارٌ صبراً بأمر خالد ؟[٢] هذه أسئلة توقف المعتذر موقف السَدِر ، ولم يحر جواباً .

ما شأن أبناء السلف وقد غرَّرت بهم سكرة الشبق ، وغالتهم داعية الهوى ، وجاؤوا لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمّة وأُولئك هم المعتدون ؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامّات رغبةً في نكاح أُمِّ تميم .

وهذا يقتل سيِّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قطام .

وآخر[٣] شنَّ الغارة على حيّ من بني أسد فأخذ امرأة جميلة فوطئها بهبة من أصحابه ، ثمَّ ذكر ذلك لخالد فقال : قد طيَّبتها لك «كأنَّ تلكم الجنود كانت مجنّدة لوطي النساء وفضّ ناموس الحرائر» فكتب إلىّ عمر فأجاب برضخه بالحجارة[٤] .

وهذا يزيد بن معاوية يدسُّ إلى زوجة ريحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السمَّ النقيع لتقتله ويتزوجها[٥] أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي .

ووراء هؤلاء المعتدين قومٌ ينزِّه ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والإجتهاد - وليتهما لم يكونا - وتخطئة لغة كنانة ، والله يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنَّ الله يحبُّ المقسطين .

---

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٣٨ ، اسد الغابة ج ٣ ص ٣٩ ، خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٩ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .
(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣٥٧ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٦٢ .
(٣) هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في النزو على الحرائر .
(٤) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣١ ، خزانة الأدب ج ٢ ص ٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .
(٥) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٢٦ .

الناحيــة الثـانيــة :

الثانية من الناحيتين التي يهمُّنا أن نـولّي شطرهـا وجه البحث تسليط الخليفـة أوّلاً أمثال خالد وضرار بن الأزور شارب الخمور وصاحب الفجور(١) . على الأنفس والدماء ، على الأعراض ونواميس الإسلام ، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الردَّة وقد عرفت النهي عنه في السنَّة الشريفة ص ١٧٩ . وصفحه ثانياً عن تلكم الطامّات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مـذكوراً ، فمـا سمعت أُذن الدنيـا منه حـولها ركزاً ، وما حُكيت عنه في الإنكار عليها ذامة ، وما رأى أحدٌ منه حَوَلا .

لِمَ لم يؤاخذ الخليفة خالداً بقتل مالك وصحبه المسلمين الأبرياء ، وقـد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه ومحاماته عليه ؟ .

لِمَ لم يقتصّ منه قصاص القـاتل ؟ ولم يُقم عليـه جلدة الزاني ؟ ولم يضـربه حدَّ المفتري ؟ ولم يعزِّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي أُولئك المسلمين ؟ .

لِمَ لم ير عزل خالد وقد كره ما فعله ، وعرض الدية على متمِّم بن نويرة أخي مالك ؟ وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك كما في الإصابة ج ١ ص ٤١٥ ؟ .

دَع هذه كلّها ولا أقلَّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلكم الجرائم ، وأقلّ الإنكـار كما قـال أمير المؤمنين عليه السلام : أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرَّة .

ما للخليفة يتلعثم ويتلعذم في الدفاع عن خالد وجناياته ؟ فيرى تارةً أنّـه تأوّل وأخـطأ ، ويعتذر أُخـرى بأنّـه سيفٌ من سيـوف الله ، وينهى عمـر بن الخـطاب عن الوقيعة فيه ، ويأمـره بالكفِّ عنـه وصرف اللسـان عن مغايـطته ، ويغضب على أبي قتادة لإنكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٧ .

ونحن نقتصـر في البحث عن هذا الجـانب على توجيـه القـارىء إليـه ، ولم نـذهب به قُصـاه ، ولم نبتغ فيـه مداه ، إذ لم نـر أحـداً تخفى عليـه حـزازة أيّ من العـذرين ، هلاّ يعلم متشـرِّعٌ في الإسلام انَّ تلكم الـطامّات والجـرائم الخطيـرة لا

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٠ ، خزانة الأدب ج ٢ ص ٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

يتطرَّق إليها التأوّل والإجتهاد ؟ ولا يسوغ لكلِّ فاعل تارك أن يتترَّس بأمثالها في معرّاته ، ويتدرَّع بها في أحنائه ، ولا تُدرأ بها الحدود ، ولا تطلّ بها الدماء ، ولا تحلُّ بها حرمات الحرائر ، ولا يرفض بها حكم الله في الأنفس والأعراض والأموال ، ولم يصخ الحاكم لمدَّعيها كما ادَّعى قدامة بن مظعون في شربه الخمر بأنَّه تأوَّل واجتهد فأقام عمر عليه الحدَّ وجلده ولم يقبل منه العذر . كما في سنن البيهقي ج ٨ ص ٣١٦ وغيره .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن محارب بن دثّار : إنَّ ناساً من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم شربوا الخمر بالشام وقالوا: شربنا لقول الله : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا**﴾ الآية . فأقام عمر عليهم الحدَّ[1] .

وجلد أبو عبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأوِّلاً لقوله تعالىٰ : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا**﴾ . الآية . كما في الروض الأنف للسهيلي ج ٢ ص ٢٣١ .

وهل يرتاب أحدٌ في أنَّ سيفاً سَلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطُّ رهقٌ ولا شغب ، ولا تُسفك به دماءٌ محرَّمة ، ولا تُهتك به حرمات الله ، ولا يُرهف لنيل الشهوات ، ولا يُنضى للشبق ، ولا يُفتك به ناموس الإسلام ، ولا يحمله إلَّا يد أُناس طيِّبين ، ورجال نزهين عن الخنابة والعيث والفساد ؟ .

فما خالد وما خطره حتّى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الرابية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه ، وهو عدوُّ الله بنصّ من الخليفة الثاني كما مرَّ في ص ١٨٢ ؟ أليست هذه كلّها تحكماً وسرفاً في الكلام ، وزوراً في القول ، واتّخاذ الفضائل في دين الله مهزأة ومجهلة ؟ .

كيف يسعنا أن نعدَّ خالداً سيفاً من سيوف الله سلّه على أعدائه ؟ وقد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا : أنّه كان جبّاراً فاتكاً ، لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ؟ ولقد وقع منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بني جذيمة

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢١ .

بالغميصا أعظم ممّا وقع منه في حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن غضب عليه مدّة وأعرض عنه ، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبطاح(١) .

إن كان عفو النبيّ الأعظم عن الرجل بعد ما غضب عليه وأخذه بذنبه ، وأعرض عنه ردحاً من الزمن أطمعه حتّى فعل ما فعل ، فانظر ماذا يصنع صفح الخليفة عنه من دون أيِّ غضب عليه وإعراض عنه ؟ وما الذي يؤثر دفاعه عنه من الجرأة والجسارة ، في نفس الرجل ونفوس مشاكليه من أُناس العيث والفساد ، وشعب الشغب والفتن ؟

أنّى لنا أن نرى خالداً سيفاً سلّه الله على أعدائه وفي صفحة التاريخ كتاب أبي بكر إليه وفيه قوله : لعمري يا ابن أُمّ خالد ! انّك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعدُ(٢) كتبه إليه لمّا قال خالد لمجاعة : زوِّجني ابنتك فقال له مجاعة : مهلاً إنّك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال : أيُّها الرجل زوِّجني فزوَّجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه الكتاب فلمّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأُعيسر . يعني عمر بن الخطاب .

وليست هذه بأوّل قارورة كسرت في الإسلام بيد خالد ، وقد صدرت منه لِدة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبرّأ صلى الله عليه وآله وسلم من صنيعه . قال ابن إسحاق : بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممّن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تُهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة بن عامر فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإنَّ الناس قد أسلموا .

قال : حدَّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجلٌ منّا يُقال له جحدم(٣) : ويلكم يا بني جذيمة إنّه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٤ ، تاريخ الخميس ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) في الإصابة جحدم . في ج ١ ص ٢٢٧ ، وجذيم بن الحارث في ج ١ ص ٢١٨ ، والصحيح هو الأول .

خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلاَّ الإسار ، وما بعد الإسار إلاَّ ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً قال : فأخذه رجالٌ من قومه فقالوا : يا جحدم ! أتريد أن تسفك دماءَنا إنَّ الناس قد أسلموا ، ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس ؟ فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ، فلمّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِّفوا ، ثمَّ عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلمّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السَّماء ثمَّ قال : اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد . قال أبو عمر في الإستعياب ج ١ ص ١٥٣ : هذا من صحيح الأثر .

قال ابن هشام : حدَّث بعض أهل العلم عن ابراهيم بن جعفر المحمودي قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت كأنِّي لقمتُ لقمة من حَيس[1] فالتذذت طعمها فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها فأدخل عليٌّ يده فنزعه . فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه : يا رسول الله ! هذه سريَّة من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحبّ ويكون في بعضها اعتراض فتبعث عليّاً فيسهِّله .

قال ابن إسحاق : ثمَّ دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : يا عليّ ! اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهليَّة تحت قدميك . فخرج عليٌّ حتّى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال حتى إنَّه ليدى لهم ميلغة[2] الكلب إذا لم يبق شيءٌ من دمٍ ولا مال إلاَّ وداه ، بقيت معه بقيَّة من المال . فقال لهم عليٌّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم (بقيَّة من) دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنِّي أعطيكم هذه البقيَّة من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ممّا لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ثمَّ رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . قال : ثمَّ قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه

---

(١) الحيس : بفتح فسكون أن يخلط السمن والتمر والاقط فيؤكل . والاقط : ما يعقد من اللبن ويجفف .

(٢) الميلغة : خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب .

حتى انّه ليرى ما تحت منكبيه يقول : اللّهمَّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن وليد . ثلاث مرّات .

وقد كان بين خالد وبين عبد الرَّحمٰن بن عوف كلامٌ في ذلك فقال له عبد الرَّحمٰن بن عوف : عملت بأمر الجاهليَّة في الإسلام[1] وفي الإصابة : أنكر عليه عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد تُعدُّ هذه الفضيحة أيضاً من جنايات لغة كنانة كما في الإصابة ج ٢ ص ٨١ .

فهذا الرَّهق والسرف في سيف خالد على عهد أبي بكر من بقايا تلك النزعات الجاهليَّة ، وهذه سيرته من أوَّل يومه ، فأنّى لنا أن نعدَّه سيفاً من سيوف الله وقد تبرَّأ منه نبيُّ الإسلام الأعظم غير مرَّة ، مستقبل القبلة شاهراً يديه وأبو بكر ينظر إليه من كَثَب .

١١ - ثلاثة وثلاثة وثلاثة :

عن عبد الرَّحمٰن بن عوف قال : إنَّه دخل على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في مرضه الذي توفّي فيه فأصابه مهتمّاً ، فقال له عبدالرَّحمٰن : أصبحت والحمد لله بارئاً فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتراه؟ قال : نعم . قال : إنّي ولّيت أمركم خيركم في نفسي فكلُّكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولمّا تقبل وهي مقبلة حتى تتَّخذوا ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يألم أحدكم أن ينام على حسك ، والله لإن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خيرٌ من أن يخوض في غمرة الدنيا ، وأنتم أوَّل ضالّ بالناس غداً فتصدّونهم عن الطريق يميناً وشمالاً ، يا هادي الطريق إنَّما هو الفجر أو البحر . فقلت له : خفِّض عليك رحمك الله ، فإنَّ هذا يهيضك في أمرك ، إنَّما الناس في أمرك بين رجلين : إمّا رجلٌ رأى ما رأيت فهو معك . وإمّا رجلٌ خالفك فهو مشيرٌ عليك وصاحبك كما تحبّ ، ولا نعلمك أردت إلاّ خيراً ، ولم

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٣ - ٥٧ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٥٩ ، صحيح البخاري شطراً منه في كتاب المغازي باب بعث خالد إلى بني جذيمة ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٥ ، اسد الغابة ج ٣ ص ١٠٢ ، الإصابة ج ١ ص ٣١٨ ، ج ٢ ص ٨١ .

تزل صالحاً مصلحاً ، وإنّك لا تأسى على شيء من الدنيا . قال أبو بكر رضي الله عنه : أجل انّي لا آسي على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنَّ وددت أنّي تركتهنَّ . وثلاثة تركتهنَّ وددت أنّي فعلتهنّ . وثلاث وددت أنّي سألت عنهنَّ رسول الله ﷺ .

فأمّا الثلاث اللاّتي وددت أنّي تركتهنَّ : فوددت أنِّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب . ووددت أنِّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنِّي كنت قتلته سريحاً ، أو خلّيته نجيحاً . ووددت أنِّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً .

وأما اللاّتي تركتهنَّ فوددت أنِّي يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه ، فإنَّه تخيّل إليَّ أنَّه لا يرى شرّاً إلاَّ أعان عليه . ووددت أنِّي حين سيَّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرِّدة كنت أقمت بذي القصَّة فإن ظفر المسلمون ظفروا ، وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ، ووددت أنِّي إذا وجَّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجَّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يدي كلتيهما في سبيل الله . ومدَّ يديه .

ووددت انِّي كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر ؟ فلا ينازعه أحد ، ووددت انِّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ ووددت انِّي كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمَّة فإنَّ في نفسي منهما شيئاً .

أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٣١ ، والطبري في تاريخه ج ٤ ص ٥٢ ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨ ، والمسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ ، وابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ .

والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ أربعة منهم من رجال الصِّحاح الستِّ .

قال الأميني : إنَّ في هذا الحديث أُموراً تسعة ، ثلاثة منها فات الخليفة فقهها يوم عمل بها ، وقد بسطنا القول في إحراق الفجاءة منها .

وأمّا تمنّي قذف الأمر في عنق أحد الرجلين فإنّه ينمّ عن أنّ الخليفة انكشف له في أُخريات أيّامه أنَّ ما ناء به من الأمر لم يكن على القانون الشرعيِّ في الخلافة والوصيَّة ، لأنَّ المخلّف والموصي يجب أن يكون هو المعيِّن لمن ينهض بأمره من بعده ، وهو الذي تنبَّه له الخليفة الثاني بعد ردحٍ من الزمن فقال : كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهليَّة وقى الله شرَّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[١] .

ولا أدري أنَّ ما تنبّها له هل هو قصورٌ في المختار «بالفتح» أو فيه «بالكسر» أو فيهما معاً ؟ أو في كون الإختيار موجباً لتعيين الخليفة ؟ وأيّاً ما أراد فلنا فيه المخرج وهؤلاء زمر الأنبياء والرسل لم يعدهم التنصيص بالخليفة من بعدهم ، وما انتخبت أُممهم خلفاء لهم .

وهل هنالك ذو حجىً يزعم أنَّ وصاية الفقيد المبيحة للتصرُّف فيما تركه من بعده موكولةٌ إلى أُناس أجانب لا يعرفون ما يرتئيه في شؤونه ، بعداء عن مغازيه وما يروقه في ماله وأهله ، والفقيد عاقلٌ رشيدٌ يعرف الصالح من غيره ، ويعلم بنوايا مَن يلتاث به ، ومَن يحدوه الجشع ، وترقل به النهمة ، ويستفزُّه الطمع ، أفتراه والحالة هذه يترك الوصيَّة ؟ فيدع ما تركه أُكلة للآكل ؟ ومطمعاً للناهب ؟ لا .

لا يفعل ذلك وهو يريد خيراً بآله وصلاحاً في ماله ، وعلى ذلك جرت سنَّة المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر ، وأقرَّته الشريعة الإسلاميَّة ، وشرّعت للوصايا أحكاماً ، وجاء في الصحيحين[٢] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال : ما حقُّ امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلاَّ ووصيَّته مكتوبةٌ عنده ، كذا في لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم : يبيت ثلاث ليال ، قال ابن عمر : ما مرَّت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلاَّ وعندي وصيّتي . قال النووي في رياض الصالحين ص ١٥٦ : متَّفقٌ عليه .

وصّى الإله وأوصت رسله فلذا ... كان التأسّي بهم من أفضل العمل
لولا الوصيَّة كان الخلق في عمَه ... وبالوصيَّة دام الملك في الدُّول

(١) راجع الجزء الخامس ص ٤٤٦ وهذا الجزء ص ٩٦
(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢ كتاب الوصية ، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٠ .

فـاعمـل عليهـا ولا تهمـل طـريقتهـا　　إنَّ الـوصيَّـة حكـم اللّه فـي الأزل
ذكـرت قـومـاً بمـا أوصى الإلـه بـه　　وليس إحـداث أمـر في الـوصيَّة لي[1]

فإذا كانت الوصية ثابتة في حطام زائل ، فما بالها تنفى في خلافة راشدة ، وشريعة خالدة ، متكفِّلة بصلاح النفوس والنواميس والأموال والأحكام والأخلاق والصالح العام والسَّلام والوئام ؟ ومن المسلّم قصور الفهم البشريِّ العاديِّ عن غايات تلكم الشؤون فلا منتدح والحالة هذه عن أن يعيِّن الرسول الأمين عن ربِّه خليفته من بعده ليقتصَّ أثره في أُمَّته .

وقد مرَّ في صفحة ١٥٤ رأي عائشة وعبد الله بن عمر ومعاوية وحديث الناس بأنَّ راعي إبل أو غنم أو قيّم أرض لأيِّ أحد لا يسعهم ترك رعيتهم هملاً ، ورعية الناس أشدّ من رعية الإبل والغنم . فالأُمَّة لماذا صفحت يوم السقيفة عن هذا الحكم المتسالم عليه بينها ؟ ولماذا نبأت عنه الأسماع ؟ وخرست الألسن ؟ وذهلت الأحلام عنه يوم ذاك ، ثمَّ حدَّث به الناس ونبَّأته الأمَّة ؟ ولماذا ترك النبيُّ ﷺ أُمَّته سُدىً هملاً ؟ وفتح بذلك أبواب الفتن المضلّة المدلهمَّة ؟ واستحقر أُمَّته ورأى رعيتها أهون من رعية الإبل والغنم ؟ حاشا النبيّ الأعظم عن هذه الأوهام ، فإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم وصّى واستخلف ونصَّ على خليفته وبلَّغ أُمَّته غير أنَّه عهد إلى وصيِّه من بعده : إنَّ الأُمَّة ستغدر به بعده كما ورد في الصحيح[2] وقال له أيضاً : أما إنَّك ستلقى بعدي جهداً ، قال (عليٌّ) : في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من دينك[3] وقال لعليٍّ : ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلَّا من بعدي[4] وقال له : يا عليّ انَّك ستبتلى بعدي فلا تقاتلنَّ .

[كنوز الدقائق للمناوي ص ١٨٨]

---

(١) الجزء الأخير من الفتوحات المكية لابن العربي ص ٥٧٥ .
(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ ، ١٤٢ ، وصححه هو والذهبي في تلخيصه ، تاريخ الخطيب ج ١١ص٢١٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢١٩ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ .
(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ وصححه هو وأقره الذهبي .
(٤) أخرجه ابن عساكر ، والمحب الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢١٠ نقلاً عن أحمد في المناقب ، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٤٢ ، والخوارزمي في المقتل ج ١ ص ٣٦ .

ثمَّ إنَّ الخليفة النادم لِماذا تمنَّى التسلّل عن الأمر يوم السقيفة ؟ وقذفه في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر ؟ أكان ندمه عن حقٍّ وقع ؟ فالحقُّ لا ندم فيه . وإن كان عن باطل سبق ؟ فهو يهدم أساس الخلافة الراشدة .

ثمّ الّذي ودَّه من قذفه إلى عنق أحد الرجلين فإنّا لا نعرف وجهاً لتخصيصهما بالقذف وفي الصحابة أعاظم وذوو فضائل لا يبلغ الرجلان شأو أيٍّ منهم، وهذان بالنظر إلى ما عرفناه من أحوال الصحابة إن لم نقل إنَّهما من ساقتهم ، فإنّا نقول بكلِّ صراحة إنَّهما لم يكونا من الأعالي منهم وفيهم من فيهم ، وقبل جميعهم سيِّدنا أمير المؤمنين عليه‌السلام صاحب السوابق والمناقب والصهروالقرابة والغناء والعناء ، وصاحب يوم الغدير ، والأيام المشهودة ، والمواقف المشهورة ، نفس النبيِّ الأعظم بنصٍّ من الكتاب العزيز[١] المطهَّر من كلِّ رجس بآية التطهير[٢] .

فهلاّ ودَّ أن يقذفه إليه ؟ فيسير بالأُمّة سيراً سُجحاً ، ويحملهم على المحجَّة البيضاء ، ويأخذ بهم الطريق المستقيم ، ويجدونه هادياً مهديّاً ، يدخلهم الجنَّة . كما أخبر بهذه كلّها النبيُّ الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقد مرَّ شطرٌ منها في الجزء الأوّل صفحة ٣١ .

وأمّا كشف بيت فاطمة سلام الله عليها فإنّه لا يروقنا هٰهنا خدش العواطف بتلكم النوائب ، غير أنّه سبق منّا بعض القول في الجزء الثالث ص١٣٦ - ١٣٨ وفي هذا الجزء ص ٩٣ ، ١٠٣.

وفذلكة ذلك النبأ العظيم أنَّ الصدِّيقة سلام الله عليها قضت وهي واجدةٌ على من ارتكبه ، وكانت صلوات الله عليها تدعو عليه بعد كلِّ صلاة صلّتها[٣] .

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ القوم ارتكب ما ارتكب من تلكم الفظائع وارتبك فيها وملأ الأسماع هتاف النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بقوله : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعةٌ منّي ، هي قلبي وروحي التي بين جنبيَّ ، فمن آذاها فقد آذاني .

---

(١) بآية المباهلة في سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٢) في سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ ، رسائل الجاحظ ص ٣٠١ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١٥ .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منِّي يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منِّي فمن أغضبها فقد أغضبني .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منِّي يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها(١) .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ مني يسرّني ما يسرّها(٢) .

وبقوله : يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبكِ ، ويرضى لرضاكِ(٣) .

وبهذا الهتاف تعلم أنَّ ندم الخليفة كان في محلّه ، غير أنَّه ندم ولات حين مَندم ، نَدم وقد قضي الأمر ووقع ما وقع ، نَدم والصدِّيقة الطاهرة مقبورةٌ ومِلء اهابها موجدة .

الثلاثة الوسطى :

وأمّا الثلاثة من هاتيك الأُمور التسعة التي ندم عليها الخليفة على تركها فإنَّها تعرب عن أنَّه ارتكب ما ارتكب فيها لا عن تروٍّ أو بصيرة في الأمر ، أو إستنادٍ إلى حكم شرعيّ ، حتى كشف له الخطأ فيها جمعاء ، وقد وقعت فيها عظائم ، وأعقبتها طامّات ، وخليفة المسلمين يجب أن لا يرتكب ما يستتبعها ، ولا يفعل ما يوجب الندم في مغبَّته ، وقصّة الأشعث بن قيس تعرب عن أنَّ ندم الخليفة كان في محلّه ، فإنَّ الرجل بعد ما ارتدَّ وأتى بمعرّات وقاتل المسلمين وأُخذ وأُتي به أسيراً إلى الخليفة فقال : ماذا تراني أصنع بك؟ فإنك قد فعلت ما علمت . قال : تمنُّ عليَّ فتفكّني من الحديد ، وتزوِّجني اختك ، فإنِّي قد راجعت وأسلمت . فقال أبو بكر : قد فعلت فزوَّجه أُمّ فروة ابنة أبي قحافة ، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلاَّ عرقبه ، فصاح الناس : كفر الأشعث . فلمّا فرغ طرح سيفه وقال : إنّي والله ما كفرت ولكن زوَّجني هذا الرجل أُخته ولو كنّا في بلادنا كانت

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٤٠ ، وسنوقفك على تفصيلها في هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ .

(٣) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٢٧ ، وسنفصل فيه القول إن شاء الله .

وليمة غير هذه ، يا أهل المدينة ! كلوا ، ويا أصحاب الإبل ! تعالوا خذوا شرواها ، فكان ذلك اليوم قد شبّه بيوم الأضحى وفي ذلك يقول وبرة بن قيس الخزرجي :

لقد أولم الكنديُّ يوم ملاكه ... وليمة حمّال لثقل الجرائم
لقد سلَّ سيفاً كان مُذ كان مغمداً ... لدى الحرب منها في الطلا والجماجم
فأغمده في كلّ بكر وسابحٍ ... وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكنديِّ يوم لقائه ... ذهبت بأسنى مجد أولاد آدم

وقال الأصبغ بن حرملة الليثي متسخِّطاً لهذه المصاهرة :

أتيت بكنديٍّ قد ارتدَّ وانتهى ... إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث إحياء نفسه ... وكان ثواب الكفر تزويجه البِكرا
ولو أنّه يأبى عليك نكاحها ... وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنّه رام الزيادة مثلها ... لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر : لقد شنت بعدها ... قريشاً وأخملتَ النباهة والذِّكرا
أما كان في تيم بن مرَّة واحد ... تُزوِّجه ؟ لولا أردت به الفخرا ؟
ولو كنت لمّا أن أتاك قتلته ... لأحرزتها ذكراً وقدَّمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلن فريضة ... عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا[1]

الثلاثة الاخر :

إنَّ الثلاثة الأُخر التي تمنّى الخليفة أن يكون استعلمها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّها تنبئنا بقصوره في علم الدين ، وانّه كان نابياً في فقهه ، لا يعرف أحكام المواريث التي يكثر إبتلاء خليفة المسلمين بها طبعاً ، وانّه كان شاكّاً في أصل الخلافة هل هي بالنصِّ أو الإختيار ؟ وعلى الثاني هل تخصّ المهاجرين فحسب ؟ أو أنّه يشاركهم فيها الأنصار؟ وعلى أيّ فهو في تسنّمه عرش الخلافة غير متيقّن بالرشد

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٧٦ ، ثمار القلوب للثعالبي ص ٦٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٥١ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠ ، مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٤١ ، الإصابة ج ١ ص ٥١ ، وج ٣ ص ٦٣٠ .

من أمره ، ولا نُحكّم هٰهنا غير ضميرك الحرّ ، وليس في الحقِّ مغضبة .

ثمَّ إنِّي لا أعرف لهذا التمنّي محصَّلاً لأنَّه لـو كان سـأله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلـك لما كان يجيبه إلَّا بمثل قوله : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه . غ ج ١[1] .

وقوله : إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[2] .

وقوله : إنِّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي[3] .

وقـوله : عليٌّ مني بمنـزلـة هـارون من مـوسى إلَّا أنَّـه لا نبيَّ بعـدي غ ج ٣ ص ٢٤٩ .

وقوله لعليّ : أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّك لست بنبيّ ، إنَّه لا ينبغي أن أذهب إلَّا وأنت خليفتي . غ ج ٣ ص ٢١٧ .

وقـوله : أُوحي إليَّ في علي ثـلاث : إنَّه سيـد المسلمين . وإمـام المتَّقين . وقائد الغرّ المحجلين : مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٨ .

وقوله : إن الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منها أباكِ فبعثـه نبيّاً ، ثمَّ اطَّلع الثانية فـاختار بعلكِ فـأوحى إليَّ فأنكحتـه واتَّخذتـه وصيّاً . غ ج ٢ ص ٣٦٩ وج ٣ ص ٤٣ .

وقوله : عليٌّ الصدّيق الأكبر وفاروق هذه الأُمَّـة ، يفرق بين الحقِّ والبـاطل ، ويعسوب المؤمنين ، وهو بـابي الذي أُوتى منـه ، وهو خليفتي من بعـدي . غ ج ٢ ص ٣٦٢ .

وقوله : عليٌّ راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، والكلمـة التي ألزمتها المتقين من أحبَّه أحبَّني ومن أبغضه أبغضني . غ ج ٣ ص ١٥٥ .

وقــولــه : عـليٌّ أخي ووصيّي ووارثي وخليفـتي مـن بـعــدي . غ ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

---

(١) هذا رمز كتابنا هذا (الغدير) في هذا الجزء وبقية الأجزاء .

(٢) (٣) مرّ الإيعاز إلى حديث الثقلين غير مرّة وسنفصل القول فيه إن شاء الله .

وقوله : عليٌّ سيِّدٌ مبجَّل ، مؤمل المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وموضع سرِّي وعلمي ، وبابي الذي يؤوى إليه ، وهو الوصيُّ على أهل بيتي ، وعلى الأخيار من أمَّتي ، وهو أخي في الدنيا والآخرة . غ ج ٣ ص ١٥٣ .

وقوله : عليٌّ أخي ووزيري وخير من أترك بعدي . غ ج ٢ ص ٣٦٤ .

وقوله : عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع علي لن يفترقا حتى يراد عليَّ الحوض . غ ج ٣ ص ٢٢٣ .

وقوله : عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه وعلى لسانه يدور حيثما دار عليٌّ . غ ج ٣ ص ٢٢٤ .

وقوله : عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض . غ ج ٣ ص ٢٢٧ .

وقوله : عليٌّ منِّي وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي : غ ج ٣ ص ٤٢ ، ٢٦٨ .

وقوله : عليٌّ مولى كلِّ مؤمن بعدي ومؤمنة . غ ج ١ ص ٣٦ ، ٧٦ .

وقوله : عليٌّ أنزله الله منِّي بمنزلتي منه . غ ج ١ ص ٤٣ .

وقوله : عليٌّ وليِّي في كلِّ مؤمن بعدي . مسند أحمد ج ١ ص ٢٣١ .

وقوله : عليٌّ منِّي بمنزلتي من ربِّي . السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩١ .

وقوله : عليٌّ وليّ المؤمنين من بعدي . تاريخ الخطيب ج ٤ ص ٣٣٩ .

وقوله : من كان الله ورسوله وليُّه فعليٌّ وليُّه . غ ج ١ ص ٦٢ .

وقوله : لا يُبلّغ عنّي إلَّا أنا أو رجل منِّي . غ ج ٦ ص ٣٩٥ - ٤١٠ .

وقوله : ما من نبيٍّ إلَّا وله نظير وعليٌّ نظيري . غ ج ٣ ص ٤٣ .

وقوله : أنا وعليّ حجَّة على أُمّتي يوم القيامة . تاريخ الخطيب ج ٢ ص ٨٨ .

وقوله : من أطاع عليّاً فقد أطاعني ، ومن عصى عليّاً فقد عصاني . مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ ، ١٢٨ .

كيف تمنّى الخليفة ما تمنّى مع هذه النصوص ؟ أو كان في الآذان وقرٌ يوم هتف صلى الله عليه وآله وسلم بهاتيك الكلم الجامعة المعربة عن الخلافة بكلّ ما يمكن من التعبير ؟ أم أنّ في القوم من تصامم عنها لأمر دبّر بليل .

أو لَم يكف الخليفة أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عرض نفسه على القبائل وكان معه عليٌّ أمير المؤمنين ومعهما أبو بكر وبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمَّ أظهرك الله على مَن خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[1] ! .

أفكان يزعم الخليفة ؟ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي أناط الأمر بعده إلى المولى سبحانه ومشيئته كان لو سأله عن ذلك أجابه بالترديد بين اختيار الأُمَّة ولو لم تكتمل فيه شرائط الإجماع والإنتخاب الصحيح كما في البيعة الأُولىٰ ؟ وبين وصيَّة الخليفة واستخلافه كما وقع في أمر الثاني ؟ وبين الشورى مع إرهاب المخالف بالقتل كما كان في منتهى الثلاثة ؟ لكنّه لو كان يحسب ذلك لما ودَّ أن لو كان سأله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعلم أيضاً أنَّ الترديد في الجواب على فرضه إغراءٌ للأُمَّة بالفوضى ، وفي ذلك مسرح لكل مدَّعٍ محقّ أو مبطل ، ولاحتجَّ به كلّ ناعبٍ وناعقٍ حتّى تنتهي النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء أمثال معاوية ويزيد وهلمَّ جرّا .

تحفّظ على كرامة :

حذف أبو عبيد من الحديث ذكر الأمر الأوَّل من الثلاثة الأُول وهو : كشف بيت فاطمة وجعل مكانه قوله : فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا ـ لخلّة ذكرها ـ فقال : لا أُريد أذكرها . وما حرَّف ماحرَّف إلّا تحفُّظاً على كرامة الخليفة ، والأسف على أنَّ غيره ما شاركه فيما فعل ، فظهرت خيانته على ودائع التاريخ .

---

(١) مرّت مصادره في هذا الجزء ص ١٥٦.

١٢ - سؤال يهوديّ أبا بكر :

عن أنس بن مالك قال : أقبل يهوديٌّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال : أُريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاَّ نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ قال أبو بكر : سل عمّا بدا لك . قال اليهودي : أخبرني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله . فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهوديّ ! وهمَّ أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي ، فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : ما أنصفتم الرجل . فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلّم به ؟ فقال ابن عبّاس إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى عليّ رضي الله عنه يجيبه فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ بن أبي طالب : اللَّهُمَّ اهد قلبه ، وثبّت لسانه ، قال : فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا عليَّ بن أبي طالب فاستأذنوا عليه فقال أبو بكر : يا أبا الحسن ! إنَّ هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة . فقال عليٌّ : ما تقول يا يهودي ؟ قال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ . فقال له : قل . فردَّ اليهودي المسائل : فقال عليٌّ رضي الله عنه: أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود ! : إنّ العزير ابن الله ، والله لا يعلم أنَّ له ولداً . وأمّا قولك : أخبرني بما ليس عند الله . فليس عنده ظلم للعباد ، وأمّا قولك : أخبرني بما ليس لله فليس له شريك . فقال اليهوديُّ : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، وأنّك وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال أبو بكر والمسلمون لعليّ عليه السلام : يا مفرّج الكرب .

[المجتنى لابن دريد ص ٣٥]

قال الأميني : إقرأ واحكم .

١٣ - وفد النصارى وأسئلتهم :

أخرج الحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : لمّا قبض النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعت النصارى إلى قيصر ملك الروم فقالوا له : أيّها الملك إنّا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسىٰ إسمه أحمد وقد رمقنا خروجه وجاءَنا نعته فأشر علينا فإنّا قد رضيناك لديننا ودنيانا قال : فجمع قيصر من نصارى

بلاده مائة رجل وأخذ عليهم المواثيق أن لا يغدروا ولا يخفوا عليه من أُمورهم شيئاً وقال : انطلقوا إلى هذا الوصيِّ الذي من بعد نبيِّهم فسلوه عمّا سئل عنه الأنبياء عليهم السلام وعمّا أتاهم به من قبل ، والدلائل التي عرفت بها الأنبياء ، فإن أخبركم فآمنوا به وبوصيِّه واكتبوا بذلك إليَّ ، وإن لم يخبركم فاعلموا أنَّه رجلٌ مُطاع في قومه ، يأخذ الكلام بمعانيه ،ويردّه على مواليه ، وتعرّفوا خروج هذا النبيِّ . قال : فسار القوم حتّى دخلوا بيت المقدس واجتمعت اليهود إلى رأس جالوت فقالوا له مثل مقالة النصارى بقيصر ، فجمع رأس جالوت من اليهود مائة رجل ، قال سلمان فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة[1] وأبو بكر قاعدٌ في المسجد رضي الله عنه يفتي الناس فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصارى واليهود فأذن لهم بالدخول عليه فدخل عليه رأس جالوت فقال : يا أبا بكر إنّا قومٌ من النصارى واليهود جئناكم لنسألكم عن فضل دينكم فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه وإلاّ فديننا أفضل الأديان ! قال أبو بكر : سل عمّا تشاء أُجبك إن شاء الله قال : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أبو بكر : أمّا أنا فقد كنت عند الله مؤمناً وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري ما يكون من بعد . فقال اليهودي : فصف لي صفة مكانك في الجنّة ، وصفة مكاني في النار ، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني . قال : فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرَّة وإلى ابن مسعود مرَّة ، وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة أُمَّته : ما كان هذا نبيّاً : قال سلمان : فنظر إليَّ القوم ، قلت لهم : أيّها القوم ! ابعثوا إلى رجل لو ثنيتم له الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولأهل الزبور بزبورهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم ، ويعرف ظاهر الآية من باطنها ، وباطنها من ظاهرها . قال معاذ : فقمت فدعوت عليَّ بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى فأقبل حتّى جلس في مسجد رسول الله ﷺ قال ابن مسعود : وكان علينا ثوب ذلّ : فلمّا جاء عليُّ بن أبي طالب كشفه الله عنّا قال عليٌّ : سلني عمّا تشاء أُخبرك إن شاء الله قال اليهودي : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أمّا أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى

(١) يعني يوم الجمعة وكان يسمى قديماً بيوم عروبة ، ويوم العروبة . والأفصح ترك الألف واللام .

الساعة فلا أدري ما يكون بعدُ . وأمّا أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافراً ولا أدري ما يكون بعدُ . قال رأس جالوت : فصف لي صفة مكانك في الجنَّة وصفة مكاني في النار فأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني قال عليٌّ : يا يهودي ! لم أرَ ثواب الجنَّة ولا عذاب النار فأُعرِّف ذلك ، ولكن كذلك أعدَّ الله للمؤمنين الجنّة وللكافرين النار ، فإن شككت في شيء من ذلك فقد خالفتَ النبيَّ ﷺ ولست في شيء من الإسلام . قال : صدقت رحمك الله فإنَّ الأنبياء يوقنون على ما جاؤوا به فإن صدقوا آمنوا، وإن خولفوا كفروا . قال : فأخبرني أعرفت الله بمحمَّد أم محمّداً بالله ؟ فقال عليٌّ : يا يهودي ! ما عرفت الله بمحمَّد ولكن عرفت محمّداًبالله لأنَّ محمَّداً محدودٌ مخلوقٌ وعبدٌ من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه وألهم الله نبيَّه كما ألهم الملائكة الطاعة ، وعرَّفهم نفسه بلا كيف ولا شبه . قال : صدقت قال : فأخبرني الربَّ في الدنيا أم في الآخرة ؟ فقال عليٌّ : إنَّ «في» وعاءٌ فمتى ما كان بفي كان محدوداً ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة ، وعرشه في هواء الآخرة وهو محيطٌ بالدنيا ، والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر ، وإن أخرجته لم يستقم مكانه هناك فكذلك الدنيا وسط الآخرة . قال : صدقت قال : فأخبرني الربّ يَحمل أو يُحمل ؟ قال عليٌّ بن أبي طالب : يَحمل . قال رأس جالوت : فكيف ؟ وإنّا نجد في التوراة مكتوباً ويحمل عرش ربِّك فوقهم يومئذ ثمانية . قال عليٌّ : يا يهوديّ : إنَّ الملائكة تحمل العرش ، والثرى يحمل الهواء ، والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالىٰ : **﴿له ما في السّمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾** . قال اليهوديُّ : صدقت رحمك الله . الحديث .

[زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي]

هلمّ معي إلى الغلو :

هذه جملة ممّا وقفنا عليه من فتاوى أبي بكر وآرائه وهي على قلّتها تدلُّك على مكانته من علم الكتاب ، وعرفان السنَّة ، وفقه الشريعة ، وأحكام الدين ، أو لَيس من المغالاة إذن أن يُقال : عَلِم كلُّ ذي حظّ من العلم أنّ الذي كان عند أبي

بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ منه(١) ؟ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : إنَّ المعروف أنَّ الناس قد جمعوا الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فوجدوا أصوبها وأدلّها على علم صاحبها أُمور أبي بكر ثمَّ عمر ، ولهذا كان ما يوجد من الأُمور التي وجد نصّ يخالفها عن عمر أقلّ ممّا وجد عن عليّ ، وأمّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصّ يخالفه ؟ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : لم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان عليّاً بسؤال ، والمعروف : أنَّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر(٢) ؟ .

أليس من المغالاة أن يُقال : إنَّ أبا بكر من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق ؟ . قاله ابن حجر في الصواعق ص ١٩ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : إنَّ أبا بكر أعلم الصحابة وأذكاهم ، وكان مع ذلك أعلمهم بالسنَّة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع ، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبيِّ ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول ﷺ من أوَّل البعثة إلى الوفاة(٣) .

أليس من المغالاة ؟ ما عزوه إلى النبيِّ الأقدس من قيله صلى الله عليه وآله وسلم ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ صببته في صدر أبي بكر(٤) .

أليس من المغالاة ؟ ما رووه عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّهُ قال : رأيت كأنّي أُعطيت عسّاً مملوّاً لبناً فشربت منه حتّى امتلأت ، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر . قالوا : يا رسول الله ! هذا علم أعطاكه الله حتّى إذا امتلأت ففضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر ، قال ﷺ : قد أصبتم .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٠١]

(١) قاله ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ١٣٦ ، راجع ما مرّ في الجزء الثالث ص ١٢٨
(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج ٣ ص ١٢٨ . راجع ما أسلفناه في ج ٦ ص ٣٨٥
(٣) تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩ .
(٤) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٨٣ وهذا الجزء ص ١٠٥.

أليس من المغالاة ؟ ما جاء به ابن سعد عن ابن عمر من أنّه سُئل عمّن كان يفتي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما .

راجع اسد الغابة ج ٣ ص ٢١٦ ، الصواعق ص ١٠ ، ٢٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥ .

قال الأميني : ليتني أدري وقومي ما بال القوم ؟ في نحت هذه الدعاوى الفارغة ، واختلاق هذه الأكاذيب المكردسة ، وزعق بسطاء الأُمّة إلى المزالق والطامّات ، وردعهم عن مهيع الحقّ ، وَجدد الصِّدق في عرفان الرجال ، ومقادير السلف .

أليست هذه الآراء تضادُّ نداء المشرِّع الأقدس وقوله لفاطمة : أما ترضين انّي زوَّجتكِ أوَّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً ؟ .

وقوله لها : زوَّجتكِ خير أُمَّتي أعلمهم علماً .

وقوله : إنَّ عليّاً لأوَّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً .

وقوله : أعلم أُمَّتي من بعدي عليّ .

وقوله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها .

وقوله : عليٌّ وعاء علمي .

وقوله : عليٌّ باب علمي .

وقوله : عليٌّ خازن علمي .

وقوله : عليٌّ عيبة علمي .

وقوله : أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها .

وقوله : أنا دار العلم وعليٌّ بابها .

وقوله : أنا ميزان العلم وعليٌّ كفَّتاه .

وقوله : أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه .

وقوله : أقضى أُمّتي عليٌّ .

وقوله : أقضاكم عليّ[1] إلى أمثال هذه من الكثير الطيّب .

أليست تلكم الآراء المجـرَّدة تخـالف مـا أسلفناه في الجـزء الثـالث ص ١٢٨ ـ ١٣٤ وفي نـوادر الأثـر في الجـزء السادس من أقـوال الصحـابـة الأوّلين والتابعين بإحسان في علم عليّ ؟ نظراء عائشة . وعمـر . ومعاويـة . وابن عبّاس . وابن مسعود . وعديّ بن حاتم . وسعيد بن المسيب . وهشـام بن عتبة . وعـطاء . وعبد الله بن حجل .

أنّى يسوغ القول بأعلميَّة أيِّ أحد من الأُمَّة غير عليّ أمير المؤمنين بعد ما مـرَّ في الجـزء الثـالث ص ١٣٣ من إجمـاع أهـل العلم أنَّ عليّاً عليه السلام هـو وارث علم النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم دونهم . وما أسلفناه هناك من الصحيح الوارد عن مولانـا أمير المؤمنين من قوله : والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه ، فمن أحقُّ به منّي ؟ .

ثمَّ أيُّ نُجفـة من العلم كـانت آيـة فضلة عسّ شـربهـا الخليفـة من يـد النبيِّ الأعظم إن صحَّت الأحلام ؟ أقوله في الأبّ ؟ أم رأيه في الكلالـة والجدِّ والجـدَّتين والخلافة وغيرها ؟ أبمثل هذه كان هو وصاحبه يفتيان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

وأيُّ صدرٍ هذا لم يك ينضح بشيء من العلم ـ والإناء ينضح بما فيه ـ بعـدما صبَّ فيه رسول الله كلّما صبَّ الله في صدره صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

وأنت جـدُّ عليم بـأنَّ الأخـذ بمجـامـع تلكم الصحـاح المـأثـورة عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الصحابة والتابعين في علم أمير المؤمنين عليه السلام والجمع بينهـا وبين تلكم الآراء في علم أبي بكر يستلزم القول بأعلميَّته من رسـول الله أيضاً بعـد كونـه وعليّ صلّى الله عليهمـا وآلهما صنـوين في الفضائـل ، بعد كـون عليّ رديف أخيه الأقدس ونفسه في مآثره ، بعد كونه وارث علمه وبـابه وعيبتـه ووعائه وخـازنه ، ولا أحسب كلَّ القوم ولا جلّهم يقـول بذلـك . نعم : مَن لم يتحـاش عن الغلوِّ في أبي حنيفة والقول بأعلميَّته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القضاء كمـا مرَّ في الجـزء الخامس ص ٣٤١ لا يكترث للقول بذلك في أبي بكر الأفضل من أبي حنيفة .

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ١٢٨ ، والجزء السادس ص ٨٣/ ١٠٤

هذا هو الغلوُّ الممقوت الَّذي تصكُّ به المسامع لا ما تقول به الشيعة يـا أتباع أبناء حزم وتيميَّة وكثير وجوزيَّة ! .

١ - مظـاهر عـلم الخليفــة :

وأوَّل مـظهر من مـظاهر علم الخليفــة عنـد البـاقلاني من المتقـدِّمين كما في تمهيده ص ١٩١ ، وعند السيِّـد أحمد زيني دحـلان من المتأخِّـرين كما في سيـرته هامش الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٧٦ هـو إعلامـه الناس بمـوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحجـاجه عمر بن الخطاب بقول العزيـز الحكيم : **﴿وما محمَّـد إلاَّ رسولٌ قـد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾** الآية[1] .

مـا أذهل الـرجلين عن أنَّ الأمر لم يعضـل على أيِّ امـرىء من الصحـابـة ، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم ، وقـد كان حملة القـرآن الكريم بـأسرهم على علم من موته صلى الله عليه وآله وسلم أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطَّردة : **﴿ثـم قضى أجلاً وأجل مسمّى﴾** **﴿وما كان لنفس أن تموت إلاَّ بإذن الله كتاباً مؤجَّلاً﴾** ، **﴿ولكلِّ أمَّـة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** . وتمسُّكاً بـالقرآن العـظيم ، ونصوصه صلى الله عليه وآله وسلم الكثيرة عليه في مواقف لا تحصى ، أحفلها حجَّـة الوداع ومن هنـا سُمِّيت تلك الحجَّة بحجَّة الوداع .

ولم يكن إنكار عمر موته صلى الله عليه وآله وسلم لجهله بذلك ، وقد قرأ عمـرو بن زائدة عليـه وعلى الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إيّـاها وأشفعهـا بقولـه تعالىٰ **﴿إنَّك ميِّتٌ وإنَّهم ميّتون﴾**[2] فضرب الرجـل عنها وعن قـارئهـا صفحاً ، وعمرو بن زائـدة صحابيٌّ عـظيم استخلفه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينـة ثلاث عشرة مرَّة في غزواته كما في الإصابة ج ٢ ص ٥٢٣ .

وإنَّما كان إنكـاره ذلك وإرهـابه النـاس لسياسـة مدبَّـرة ، وذلك صـرف فكرة الشعب عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائباً بالسُّنح[3] خارج

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤ .

(٢) راجع تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨١ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٧ ، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ط مصر : ٧٨٦ ، تفسير =

المدينة ، وكان الأمر دُبِّر بليل .

ألا ترى أنَّ غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا عن إنكار عمر موته صلى الله عليه وآله وسلم بغير الجهل فمنهم من قال : إنَّ ذلك كان لتشوّش البال ، واضطراب الحال ، والذهول عن جليّات الأحوال[١] ومنهم من اعتذر بقوله : خَبَل عمر في وفاة النبيِّ ﷺ فجعل يقول : إنّه والله ما مات ولكنَّه ذهب إلى ربِّه[٢] .

المظهر الثاني : وجاء ابن حجر من علم الخليفة بمظاهر أُخرى واحتجَّ بها على كونه أعلم الصحابة على الإطلاق ، منها : ما أخرجه البخاري في صحيحه في صلح الحديبيَّة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فأتيت نبيَّ الله ﷺ . فقلت : يا نبيَّ الله ألست نبيَّ الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلِمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذن ؟ قال : إنِّي رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أو ليس كنتَ تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنَّك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنَّك آتيه ومطوِّف به . قال : فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت : يا أبا بكر : أليس هذا نبيُّ الله حقّاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الله وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن . فقال : أيّها الرجل ! إنَّه رسول الله ولن يعصي ربّه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنَّه على الحقِّ . فقلت : أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنَّك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنَّك آتيه ومطوِّفٌ به .

قال الأميني : هل في هذه الرواية غير أنَّ أبا بكر كان مؤمناً بنبوَّة رسول الله ، وبطبع الحال إنَّ كلَّ من اعتنق هذا المبدأ يرى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لا يعصي ربّه وهو ناصره وأنَّ كلَّ ميعاد جاء به لا بدَّ وأن يقع في الأجل المضروب له إن كان موقّتاً وإلاَّ فهو يقع لا محالة في ظرفه الخاصِّ به ، فلا يخالجه شكٌّ إذا لم يُعجَّل .

= القرطبي ج ٤ ص ٢٢٣ ، عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٩ .

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ج ٣ ص ٣٣٩ .

هذه غاية ما يوصف به أبو بكر بهـذا الحديث ، وهـو معنى يشترك فيـه جميع المسلمين وليس من خاصَّته ، فأيُّ دلالة فيه على كون أبي بكر أعلم الصحابـة على الإطلاق ؟ ولو كان عمر يسأل أيّ صحابيّ بسؤاله هذا لما سمع إلاّ لِـدة ما أجاب به أبو بكر ومثل ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلـك المسلمون كلّهم إلى منصـرم الدنيا ، فإنَّك لا تجد عند أحدهم ضميراً غير هذا ، وإذا فاتحته بالكلام عن مثله فلا تسمع جواباً غيره ، فهل فاتح عمر به غير أبي بكر أحداً من الصحابة وسمـع جوابـاً غير ما أجاب به ؟ حتى يُستدلّ به على أعلميَّته على الإطلاق أو على التقييد .

وهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدد بيـان غامض من علومـه لمّا أجـاب عمر حتّى يكون إذا وافقه أبو بكر في الجواب يصبح به أعلم الصحابة على الإطلاق ؟

وابن حجر يعلم ذلك كلّه ولذلك تعمَّد بإسقاط لفظ الرواية وقال في الصواعق ص ١٩ : هو (أبو بكر) من أكابـر المجتهدين بـل هو أعلم الصحـابة على الإطـلاق لـلأدلَّة الـواضحة على ذلـك منها : مـا أخرجـه البخاري وغيـره أنَّ عمـر في صلح الحديبيَّة سأل رسول الله ﷺ عن ذلـك الصلح وقال : عـلامَ نعطي الـدنيّة في ديننـا فـأجابـه النبيُّ ﷺ ثمَّ ذهب إلى أبي بكر فسـأله عمّـا سأل عنـه ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبيِّ ﷺ فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء . اهـ .

يوهم ابن حجر أنَّ هناك معضلةٌ كشفها أبو بكر ، أو عويصةٌ من العلوم حلَّهـا ممَّـا يُعدّ الخـوض فيه من الأدلَّـة الواضحـة على أعلميَّة صـاحبه من الصحـابة على الإطلاق فليفعل ابن حجر ما شاء ، فإنَّ نـظّارة التنقيب رقيبةٌ عليـه ، والله من ورائه حسيب .

المظهر الثالث : ومن الأدلَّة الـواضحة عنـد ابن حجر على أنَّ الخليفـة أعلم الصحابة على الإطلاق ما روى في الصواعق ص ١٩ عن عائشة مرسلاً أنَّها قالت : لمّـا توفّي رسـول الله ﷺ : اشرأبَّ النفـاق ، أي رفـع رأسـه ، وارتـدَّت العـرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيـات ما نـزل بأبي لهـاضها ، أي فتتهـا ، فما اختلفوا في لفظة إلاّ طار أبي بعبثها وفصلها ، قالوا : أين ندفن رسول الله ﷺ ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مـا

من نبيّ يقبض إلاّ دفن تحت مضجعه الذي مات فيه . واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة .

ثمَّ قال : قال بعضهم : وهذا أوَّل اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم : ندفنه بمكّة مولده ومنشأه ، وبعضهم بمسجده ، وبعضهم بالبقيع ،وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء ، حتّى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم ، قال ابن زنجويه : وهذه سنّةٌ تفرَّد بها الصدِّيق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها .

قال الأميني : غاية ما في هذه المرسلة عن عائشة أنَّ أبا بكر روى حديثين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شذَّت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين ، فإن يكن بهما أبو بكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتّى مَن لم يحضرهما ولو بنحو من التهجُّم والرجم بالغيب فكيف بمن روى آلافاً مؤلَّفة من الأحاديث شذَّت عن أبي بكر روايتها جمعاء أو رواية أكثرها ؟ ومع ذلك لا يُعدُّ أحدٌ منهم أعلمَ الصحابة أو أعلمَ مِن أبي بكر على الأقلِّ .

أليس هو صاحب نادرة الأبِّ والكلالة والجدِّ والجدَّتين إلى نوادر أُخرىٰ ؟ أليس هو الآخذ بالسنَّة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبة ومحمَّد بن مسلمة وعبد الرَّحمٰن بن سهيل إلى أُناس آخرين عاديِّين ؟ .

كأنَّ ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولائد حَجَر لا يعقلون شيئاً وهم يسمعون ، ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم هتف بقوله :

١ ـ ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٢ ـ ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّة. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٣ ـ ما بين حجرتي إلى منبري روضةٌ من رياض الجنَّة . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٤ ـ ما بين المنبر وبيت عائشة روضةٌ من رياض الجنَّة . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٥ - من سرَّه أن يصلّي في روضة من رياض الجنة فليصلِّ بين قبري ومنبري ؟ .

وهذه الأحاديث أخرجها باللفظ الأوّل البخاري[1] وأحمد ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن المنصور ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والخطيب ، والبزار ، والطبراني ، والدارقطني ، وأبو نعيم ، وسمويه ، وابن عساكر من طريق جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدري .

راجع تاريخ الخطيب ج ١١ ص ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٤ ص ٤١٣ وصحَّح إسناد البزّار وقال : عند البزّار بسند رجاله ثقات ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٤ ، شرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٠٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ج ٤ ص ٤١٢ ، وحكاه السمهودي في وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ عن الصحيحين ، وصحَّحه من طريق البزّار .

وأخرجها باللفظ الثاني البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأحمد ، والدارقطني ، وأبو يعلي ، والبزّار والنسائي ، وعبد الرزّاق ، والطبراني ، وابن النجّار ، من طريق جابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله المازني ، وأبي بكر .

راجع صحيح البخاري كتاب الصَّلاة : باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وكتاب الحجِّ ، وصحيح مسلم كتاب الحجِّ ، باب : فضل ما بين قبره ﷺ ومنبره ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٣٢٣ ، تمييز الطيب ص ١٣٩ ، فقال : متَّفقٌ عليه ، كنوز الدقائق ص ١٢٩ ، كنز العمّال ج ٦ ص ٢٥٤ ، الجامع الصغير وصحَّحه وقال : حديثٌ متواترٌ كما في الفيض القدير ج ٥ ص ٤٣٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ج ٤ ص ٤١٢ ، وفاء الوفا ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وصحَّحه بإسناد أحمد والبزّار .

وأخرجه باللفظ الثالث أحمد ، والشاشي ، وسعيد بن منصور ، والخطيب من طريق جابر وعبد الله المازني كما في تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٣٦٠ ، وكنز العمال

---

(١) حكاه الأنصاري عن نسخة من صحيحه في تحفة الباري المطبوع في ذيل إرشاد الساري ج ٤ ص ٤١٢ .

ج ٦ ص ٢٥٤ ، وشرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٠٣ .

واللفظ الرابع : تجده في الأوسط للطبراني من طريق أبي سعيد الخدري كما في إرشاد الساري ج ٤ ص ٤١٣ ، ووفاء الوفا ج ١ ص ٣٠٣ .

والخامس منها أخرجه الديلمي من طريق عبيد الله بن لبيد كما في كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٤ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٩٣ : قلت : كيف اختلفوا في موضع دفنهَ وقد قال لهم : فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري . وهذا تصريح بأنَّه دفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عائشة . اهـ .

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد ، وابن منيع ، والحاكم ، والبيهقي ، والطبراني في الأوسط من طريق ابن مسعود كما في الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي ج ٢ ص ٢٧٦ .

أيرى ابن حجر أنَّ الصحابة بعد تلكم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك الروضة المقدَّسة التي أنبأهم بها نبيُّهم الأقدس ، وأمرهم بالصَّلاة عليها ؟ أو يراهم انَّهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة ، ووقفوا على حدودها من كَثَب أخذاً منه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ اختلفوا في المدفن الشريف ، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم على الإطلاق ؟ .

على أنَّه لو صحَّت رواية الدفن لوجب أن يبوح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن أوصاه بغسله ودفنه[1] لمن ولي غسله وكفنه وإجنانه[2] لمن يعلم أنَّه يباشر دفنه ويلي إجنانه في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما مرَّ في ص ٩٠ لا الذي يغيب عن ذلك المشهد ، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى ، وتعيين المدفن من أهمِّ ما يوصى به عند كلِّ أحد فضلاً عن سيِّد البشر ، وهذا الإعتبار يعاضد ما أخرجه أبو يعلى من حديث عائشة أيضاً وإن يعارض حديثها عن أبيها .

(١) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٧٩٨ ، ٨٠١ ، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ص ٧٩٨ .

قالت : اختلفوا في دفنه(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عليٌّ : إنَّ أحبَّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيَّه .

[الخصائص ج ٢ ص ٢٧٨]

ولعلَّ تجاه هذا الحديث أُختلفت رواية الدفن .

ولو كان عند دفن جثمان القداسة حوارٌ كما وصفه ابن حجر لتناقلته الألسن وتداولته السير والمدوَّنات نقلاً عن الصحابة الحضور يوم ذاك الواقفين على الجلبة ، والمستمعين للّغط ، ولَما اختصَّت بوصفه صفحات الصواعق أو ما يشاكله من كتب المتأخرين ولا تفرَّدت برواية شيء منها عائشة ، وكيف تفرَّدت بها ؟ وهي التي تقول : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل[١] .

ثمَّ إنَّ أوَّل مفنِّد لهذه السنَّة المزعوم إطِّرادها هو مدفن أوَّل الأنبياء آدم عليه السلام فإنه توفي بمكّة ودفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند ، وقيل بجبل أبي قبيس بمكّة[٢] .

وقد اشترى إبراهيم الخليل على نبيِّنا وآله وعليه السّلام مغارة في حبرون[٣] من عفرون بن صخر فدفن فيها سارة ثمَّ دفن فيها هو وابنه إسحاق .

وتوفي يعقوب عليه السلام في مصر واستأذن يوسف سلام الله عليه ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكابر مصر فدفنه في المغارة بحبرون[٤] .

المظهر الرابع : أمّا رواية الإرث فسرعان ما ناقض ابن حجر فيها نفسه .

---

(١) راجع ما مرّ في ٩٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ٨٠ ، ٨١ ، العرائس للثعلبي ص ٢٩ ، الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ١ ص ٩٨ .

(٣) في تاريخ الطبري : جيرون . والصحيح : حبرون .

(٤) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٦١ ، ١٦٩ ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٨ ، تاريخ ابن كثير ج ١ ص ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ .

فتراه يحسب هٰهنا في ص ١٩ : أنَّها مختصَّةٌ بأبي بكر ، وهي من الأدلَّة الواضحة على أعلميَّته ، وهو يعتقد في صفحة ٢١ : إنّه رواها عليٌّ والعبّاس وعثمان وعبد الرّحمٰن بن عوف والزبير وسعد وأُمَّهات المؤمنين وقال : كلّهم كانوا يعلمون أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذلك : وإنَّ أبا بكر إنَّما انفرد باستحضاره أوَّلاً ثمَّ استحضره الباقون .

ما هذا التهافت بين كلامي الرَّجل ؟ وما أذهله أخيراً عمّا جاء به أوَّلاً ؟ وهل الأعلميَّة مترشّحة من محض الإستحضار أوَّلاً ؟ أو السبق إلى الهتاف به ؟ وكلٌّ منهما كما ترى لا يفيد مزيَّة إلَّا في الحفظ دون العلم .

ثمَّ لو كان رسول الله ﷺ قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدَّعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم والسنَّة الشريفة ، فلا يكون هناك صخبٌ وحوارٌ تتعقَّبهما محنٌ وإحنٌ ، ولا تموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها[1] ويكون ذلك كلّه مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلّ من الفريقين ، وقد بُعث هو ﷺ لكسح تلكم المعرّات وعقد الإخاء بين الأُمم والأفراد .

ألم يكن ﷺ على بصيرة ممّا يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف أهله وذويه على هذا الحكم المختصّ به ﷺ المخصِّص لشرعة الإرث ؟ حاشاه . وعنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم .

وهل ترى أنَّ دعوى الصدِّيق الأكبر أمير المؤمنين وحليلته الصدِّيقة الكبرى . صلوات الله عليهما وآلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده ممّا تركه النبيُّ ﷺ من ماله كانت بعد علمٍ وتصديق منهما بتلك السنَّة المزعومة صفحاً منهما عنها لاقتناء حطام الدنيا ؟ أو كانت عن جهلٍ منهما بما جاء به أبو بكر ؟ نحن نقدِّس ساحتهما [أخذاً بالكتاب والسنَّة] عن علمٍ بسنَّة ثابتة والصفح عنها ، وعن جهلٍ يربكهما في الميزان .

---

(١) سيوافيك في هذا الجزء تفصيل ذلك .

ولِماذا يُصدَّق أبو بكر في دعواه الشاذَّة عن الكتاب والسنَّة ، فيما لا يُعلم إلّا من قِبَل ورثته صلى الله عليه وآله وسلم ووصيِّه الذي هتف صلى الله عليه وآله وسلم به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات[1] ، ولم تكن أُذنٌ واعية لدعوى الصدِّيقة وزوجها الطاهر بكون فدك نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي لا تُعلم إلّا من قِبلهما ؟ قال مالك بن جعونة عن أبيه أنَّه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنَّ رسول الله ﷺ جعل لي فدك فأعطني إيّاها ، وشهد لها عليُّ بن أبي طالب ، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أُمُّ أيمن : فقال : قد علمت يا بنت رسول الله ! أنَّه لا تجوز إلّا رجلين أو رجل وامرأتين وانصرفت .

وفي رواية خالد بن طهمان : إنَّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه : أعطني فدك فقد جعلها رسول الله ﷺ لي فسألها البيِّنة فجاءت بأُمِّ أيمن ورباح مولى النبيِّ ﷺ فشهد لها بذلك فقال : إنَّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلّا شهادة رجل وامرأتين[2] .

ثمَّ مِمَّ كان غضب الصدِّيقة الطاهرة سلام الله عليها ؟ وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس : انَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها[3] أمِن حكم صَدَع به والدها وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى ؟ وحاشاها . أم لأنَّ ذلك الحكم البات رواه عنه صدِّيق أمين يريد بثَّ حكم الشريعة وتنفيذه وهي مصدِّقة له ؟ نحاشي ساحة البضعة الطاهرة بنصِّ آية التطهير عن هذه الخزاية ، فلم يبق إلّا شقٌّ ثالث وهو : أنَّها كانت تتهم الراوي ، أو تعتقد خللاً في الرواية ، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنَّة ، وهذا الذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمَّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنَّت أنَّة أجهش لها القوم بالبكاء ، وارتجَّ المجلس ، ثمَّ مهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، افتتحت

(١) راجع الجزء الثاني صفحة ٣٢٣ .
(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨ .
(٣) راجع ج ٣ ص ٤٠ وسيأتيك في هذا الجزء .

كلامها بالحمد لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه والصَّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثمَّ قالت ما قالت وفيما قالت : أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهليَّة يبغون ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ يابن أبي قحافة ! أترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحَكم الله ، والزعيم محمَّد ، والوعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون . ثمَّ انكفأت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فقالت :

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنَّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا ... لمّا قضيت وحالت دونك الكثب[1]

وهذا الذي تركها غضباء على مَن خالفها وتدعو عليه بعد كلِّ صلاة حتى لفظت نفسها الأخيرة صلّى الله عليها كما سيوافيك تفصيله .

وهل هذا الحكم مطّردٌ بين الأنبياء جميعاً ؟ أو أنَّه من خاصَّة نبيِّنا صلى الله عليه وآله وسلم ؟ والأول ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالىٰ : ﴿وورث سليمان داود﴾[2] وقوله سبحانه عن زكريّا : ﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[3] .

ومن المعلوم أنّ حقيقة الميراث إنتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه ، فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوّة كما فعله القوم خلاف الظاهر لأنَّ النبوَّة والعلم لا يورثان ، والنبوَّة تابعة للمصلحة العامَّة ، مقدَّرة لأهلها من أوَّل يومها عند بارئها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالىٰ أحداً من عباده نبيّاً ، والعلم موقوفٌ على من يتعرَّض له ويتعلّمه .

على أنَّ زكريّا سلام الله عليه إنَّما سأل وليّاً من ولده يحجب مواليه «كما هو

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٣ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٨ .

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ١٦ .

(٣) سورة مريم ؛ الآية : ٦ .

صريح الآيـة» من بني عمِّه وعصبته من الميراث ، وذلـك لا يليق إلاَّ بالمـال ، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوَّة والعلم .

ثمَّ إنَّ إشتـراطه عليه السلام في وليِّـه الوارث كـونـه رضيّـاً بقـولـه : **﴿واجعله ربِّ رضيّاً﴾** . لا يليق بالنبوَّة ، إذ العصمة والقـداسة في النفسيّـات والملكات لا تفـارق الأنبياء ، فلا محصل عندئذ لمسألتـه ذلك . نعم يتمُّ هـذا في المال ومَن يـرثه فـإنَّ وارثه قد يكون رضيّاً وقد لا يكون .

وأمّـا كون الحكم من خـاصَّة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقـول بـه يستلزم تخصيص عمـوم آي الإرث مثل قـولـه تعـالىٰ : **﴿يـوصيكم الله في أولادكم للذكـر مثـل حظِّ الأُنثيين﴾**[1]، وقـولـه سبحـانـه : **﴿وأولـوا الأرحـام بعضهم أولى ببعض في كتـاب الله﴾**[2] ، وقوله العزيز : **﴿إن ترك خيراً الوصيَّة للوالدين والأقربين بالمَعروف﴾**[3] ولا يسوغ تخصيص الكتاب إلاَّ بدليل ثابت مقطوع عليه لا بالخبـر الواحـد الذي لم يصحَّ الأخذ بعموم ظاهره لمخالفتـه ما ثبت من سيـرة الأنبياء المـاضين صلوات الله على نبيِّنا وآله وعليهم .

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبت إليه صدّيقة الأُمَّة وصدِّيقهـا الذي ورث علم نبيّهـا الأقدس ، وعـدَّه المولى سبحـانـه في الكتـاب نفسـاً لنبيِّـه صلّى الله عليهمـا وآلهما .

لا بـالخبر الـواحد الـذي لم يُنبَّأ عنـه قطُّ خبيرٌ من الأُمَّـة وفي مقدَّمهـا العتـرة الطاهرة وقـد اختصَّ الحكم بهم وهم الّذين زُحـزحوا بـه عن حكـم الكتاب والسنَّـة الشـريفة ، وحـرموا من وراثـة أبيهم الطاهـر ، وكان حقّـاً عليـه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبـرهم بذلك ، ولا يؤخر بيانه عن وقت حاجتهم ، ولا يكتمه في نفسـه عن كلِّ أهله وذويـه وصاحبته وأُمَّته إلى آخر نَفَس لفظه .

لا بالخبر الواحد الذي جرَّ على الأُمَّة كلَّ هـذه المحن والإحن ، وفتح عليهـا

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١ .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٧٥ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٠ .

باب العداء المحتدم بمصراعيه ، وأجّج فيها نيران البغضاء والشحناء في قرونها الخالية ، وشقّ عصا المسلمين من أوّل يومهم ، وأقلق من بينهم السّلام والوئام وتوحيد الكلمة . جزى الله محدِّثه عن الأُمّة خيراً .

ثمّ إن كان أبو بكر على ثقة من حديثه فلِمَ ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصدِّيقة سلام الله عليها ، بفدك ؟ غير أنّ عمر بن الخطاب دخل عليه فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها . فقال : ممّا ذا تنفق على المسلمين ، وقد حاربتك العرب كما ترى ؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقّه . ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١ .

وإن كان صحّ الخبر وكان الخليفة مصدَّقاً فيما جاء به تلكم الآراء المتضاربة بعد الخليفة ؟ وإليك شطراً منها :

١ ـ لمّا ولي عمر بن الخطاب الخلافة ردّ فدكاً إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها . فكان عليٌّ يقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلها في حياته لفاطمة . وكان العبّاس يأبى ذلك ويقول : هي ملك رسول الله وأنا وارثه . فكانا يتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتها إليكما .

راجع صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس ج ٥ ص ٣ ـ ١٠ ، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب : حكم الفيء ، الأموال لأبي عبيد ص ١١ ذكر حديث البخاري وبتره ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٩٩ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٣ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٨ ، تاج العروس ج ٧ ص ١٦٦ ،

لفت نظر : نحن لا نناقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التنازع المزعوم بين ،عليّ والعبّاس ، وما جاء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العبّاس لعمر : يا أمير المؤمنين ! اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن .

أهكذا كان العبّاس يقذف سيِّد العترة الطاهرة المطهَّر بهذا السباب المقذع وبين يدية آية التطهير وغيرها ممّا نزل في عليّ أمير المؤمنين في آي الكتاب العزيز ؟ فما العبّاس وما خطره عندئذ ؟ وبماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النبيِّ الطاهر : من سبَّ علياً فقد سبَّني ، ومن سبَّني فقد سبَّ الله ، ومن سبَّ الله كبَّه الله على منخريه في النار[١] .

لاها الله . نحن نحاشي العبّاس عن هذه النسب المخزية ، ونرى القوم راقهم سبُّ مولانا أمير المؤمنين فنحتوا هذه الأحاديث وجعلوها للنيل منه قنطرة ومعذرة والله يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون. وإلى الله المشتكى .

٢ - أُقطع مروان بن الحكم فدكاً في أيّام عثمان بن عفان كما في سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠١ وما كان إلاّ بأمر من الخليفة .

٣ - لمّا ولي معاوية بن أبي سفيان الأمر أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك ، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت لمروان بن الحكم أيّام خلافته فوهبها لعبد العزيز إبنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز .

٤ - ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال : إنّ فدكاً كانت ممّا أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فسألته إيّاها فاطمة، فقال : ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، ثمَّ ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثمّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان فلمّا ولي الوليد سألته حصَّته منها فوهبها لي ، وسألت سليمان حصَّته منها فوهبها لي فاستجمعتها ، وما كان لي من مال أحبُّ إليَّ منها ، فاشهدوا أنِّي قد رددتها إلى ما كانت عليه .

٥ - فكانت فدك بيد أولاد فاطمة مدَّة ولاية عمر بن عبد العزيز فلمّا ولي

(١) مر الإيعاز إليه في الجزء الثاني ص ٣٤٧ وسيوافيك تفصيل مصادره إن شاء الله .

يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم .

٦ ـ ولمّا ولي أبو العباس السفّاح ردَّها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين .

٧ ـ ثمَّ لمّا ولي أبو جعفر المنصور قبضها من بني الحسن .

٨ ـ ثمَّ ردَّها المهدي بن المنصور على ولدِ فاطمة سلام الله عليها .

٩ ـ ثمَّ قبضها موسى بن المهدي وأخوه من أيدي بني فاطمة فلم تزل في أيديهم حتّى ولي المأمون .

١٠ ـ ردّها المأمون على الفاطميِّين سنة ٢١٠ وكتب بذلك إلى قُثم بن جعفر عامله على المدينة :

أمَّا بعد : فإنَّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقرابة به ، أولى مَن استنَّ بسنّته ، ونفَّذ أمره ، وسلّم لمن منحه منحةً ، وتصدَّق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه ـ في العمل بما يقرِّبه إليه ـ رغبته ، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله فدكاً ، وتصدَّق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ ، ولم تزل تدَّعي منه ما هو أولى به من صُدِّق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها ، ويسلّمها إليهم تقرُّباً إلى الله تعالىٰ بإقامة حقِّه وعدله ، وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه ، والكتاب إلى عمّاله ، فلئن كان ينادى في كلِّ موسم بعد أن قبض نبيُّه ﷺ أن يذكر كلَّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك ، فيُقبل قوله ، وتنفَّذ عدته ، انَّ فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدَّق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها .

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره بردِّ فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلّات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمَّد بن يحيى بن الحسين بن

زيد بن عليٍّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمَّد بن عبدالله بن الحسن بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إيّاهما القيام بها لأهلها .

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ، ووفَّقه له من التقرّب إليه وإلى رسول الله ﷺ ، وأعلمه مَنْ قِبَلك ، وعامل محمَّد بن يحيى ومحمَّد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاّتها إن شاء الله ، والسّلام .

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ .

١١ ـ ولمّا استخلف المتوكّل على الله أمر بردّها إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٩ ـ ٤١ ، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٨ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٣٢٣ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٢٠٠ وله هناك تحريف دعته إليه شنشنة أعرفها من أخزم ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٠٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٤ ، جمهرة رسائل العرب ج ٣ ص ٥١٠ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١١ .

كلُّ هذه تضادُّ ما جاء به الخليفة من خبره الشاذِّ عن الكتاب والسنّة ، فأنّى لابن حجر ومن لفَّ لفَّه أن يعدَّه من الأدلّة الواضحة على علمه وهذا شأنه ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ .

التمسك بالأفائك :

والعجب العجاب قول ابن حجر في الصواعق ص ٢٠ : لا يُقال بل عليٌّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها . لأنّا نقول : سيأتي انَّ ذلك الحديث مطعونٌ فيه ، وعلى تسليم صحَّته أو حسنه فأبو بكر محرابها . ورواية فمن أراد العلم فليأت الباب لا تقتضي الأعلميَّة فقد يكون غير الأعلم يُقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرُّغ للناس بخلاف الأعلم . على أنَّ تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ،

وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعليّ بابها . فهذه صريحةٌ في أنَّ أبا بكر أعلمهم ، وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنَّما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قلته لما هو معلومٌ ضرورة أنَّ كلاًّ من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الباب . اهـ .

قال الأميني : إنَّ الطعن في حديث أنا مدينة العلم لم يصدر إلاَّ من ابن الجوزي ومن يشاكله مِن رماة القول على عواهنه ، وقد عرفت في الجزء السادس ص ٨٣ - ١٠٤ نصوص العلماء على صحَّة الحديث ، واعتبار قوم حسنه ، وتقرير آخرين ما صدر ممَّن تقدَّمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ما ارتآه ابن الجوزي .

وأمّا ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقاربها في اللفظ ممّا تدرَّج نحته في الأزمنة المتأخرة تجاه ما يثبته هتاف النبيِّ الأعظم من فضيلة العلم الرابية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وابن حجر نفسه من أُولئك الذين زيَّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثيّة ص ١٩٧ فقال : حديثٌ ضعيفٌ ، ومعاوية حلقتها فهو ضعيف أيضاً . فأذهله لجاجه في حجاجه عن حكمه ذاك ، ورأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلميَّة أبي بكر .

وقال العجلوني في كشف الخفا ج ١ ص ٢٠٤ : روى الديلمي في «الفردوس» بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ؛ وعليٌّ بابها . وروى أيضاً عن أنس مرفوعاً : أنا مدينة العلم ، وعليٌّ بابها ، ومعاوية حلقتها . قال في المقاصد : وبالجملة فكلّها ضعيفةٌ وألفاظ أكثرها ركيكة .

وقال السيِّد محمّد درويش الحُوت في أسنى المطالب ص ٧٣ : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيَّما مثل ابن حجر الهيثمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيِّد من مثله . اهـ .

فلم يبق إذن مجالٌ للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه

وبالأساس والحيطان والسقف والحلقة لغيره ، حسب المسكين ناحت هذه المهزأة مدينةً خارجيّة يرمق إليها ، ويتجوّل بين جدرانها ، ويتفيّأ تحت سقفها ، ويدقّ بابها بالحلقة ، وقد عزب عنه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم يريد أنّ السبب الوحيد للإستفادة من علوم النبوّة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كما أنّ المدخل الوحيد للمدينة بابها ، فهو معنى كنائيّ جيء به لإفادة ما ذكرناه ، والأساس لافضيلة له غير أنّه يقوم عليه سياج المدينة المشاد للوقاية من الغارات والسرقات ، وأمّا معنويّات المدينة فلا صلة لها بشيء من ذلك ، والإستفادة بالسقف على فرض تصويره في المدن ليس إلاّ الإستظلال ودفع عائدة الحرّ والقرّ ولذلك لا يسقف إلاّ المحال التي يتصوّر فيها ذلك كالبيوت والحمامات والحوانيت والربط وأمثالها . فقاصد المدينة للإستفادة ممّا فيها من علمٍ أو ثروة أو أيٍّ من أقسام النفع معنويّة وماديّة لا يتوصّل بها إلاّ بالدخول من الباب ، فهو أهمّ ممّا جاء به ابن حجر من الأساس والجدار والسقف . وأمّا الحلقة فيُحتاج إليها لفتح الباب وسدّه والدقّ إذا كان مرتجاً غير أنّ باب علم النبوّة غير موصود ، ولا يزال مفتوحاً على البشر بمصراعيه أبد الدهر .

ثمّ إنّ من الواضح أنّ المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنّما هو الإستفادة والأخذ ، ولا يتمّ هذا إلاّ أن يكون عنده كلّ علم النبوّة الذي أراد صلى الله عليه وآله وسلم سوق الأُمّة إليه ، وَحصر الطريق إلى ذلك بمن عبّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثمّ زاد في التأكيد بقوله : فمن أراد المدينة فليأت الباب .

فعليٌّ أمير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس ، ومَن عنده كلُّ علم النبوّة وكلُّ ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حُكم أو حِكم أو سياسة أو حزم أو عزم ، فهو أعلم الناس لا محالة ، وأمّا زيادة الإيضاح والبيان والتفرّغ للناس ، فلا يجوز أن تنفكّ عمّن سيق إليه البشر لغاية التفهّم ، وإزاحة الجهل ، لا لمحض البيان وجودة السرد ، لأنّ وضوح البيان بمجرّده غير واف للغرض ، لارتباك صاحبه عند الجهل بما يقدّم إليه من المعضلات ، كارتباك الأعلم عند التفهيم إذا أعوزه البيان عن الإفهام ، فمن الواجب أن يجتمعا في إنسان واحد الذي هو مرجع الأُمّة جمعاء ، وهو قضيّة اللطف الواجب عليه سبحانه ، فذلك

الإنسان هو عِدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفتا النبيِّ الأقدس لا يتفرَّقا حتّى يردا عليه الحوض ، ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾(١) .

٢ ـ شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهدٌ يدلُّ على فروسيَّته ، كما أنَّه لم نجد له في مغازي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة ، أو وقفة تخلّد له الذكر في التاريخ ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تُعرب عن شيء من هذا الجانب الهامّ غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناضلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب ، قال عليٌّ وابن عبّاس : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً ومن معه ، فلمّا كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يُجبن أصحابَه ويُجبنه أصحابُه .

أخرجه الطبراني والبزّار كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ ورجال إسناد البزّار رجال الصحيح غير محمَّد بن عبد الرَّحمٰن ومحلّه الصِّدق ، وذكر انهزام الرجلين يوم خيبر القاضي عضد الإيجي في المواقف وأقرَّه شرّاحه كما في شرحه ج ٣ ص ٢٧٦ ، وذكره القاضي البيضاوي في طوالع الأنوار كما في المطالع ص ٤٨٣ .

ويُعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فرّا : لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرّار . وفي لفظ : كرّار غير فرّار . وفي لفظ : والذي كرّم وجه محمَّد لأعطينّها رجلاً لا يفرّ ، وفي لفظ : لأدفعنَّ إلى رجل لن يرجع حتّى يفتح الله له . وفي لفظ : لا يولي الدبر(٢) .

---

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٩١ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٤ ، طبقات ابن سعد ص ٦١٨ ، ٦٣٠ رقم التسلسل ط مصر ، مسند أحمد ج١ ص ١٨٤، ١٨٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، خصائص النسائي ص ٤ ـ ٨ ، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٨٦ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٩ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ٦٢ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١ ، الإمتاع للمقريزي =

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي فيما يعزى إليه من القصيدة العلويّة :

وما أنسَ لا أنس اللّذين تقدّما — وفرَّهما والفرُّ قد علما حوبُ[١]
وللراية العظمى وقد ذهبا بها — ملابسُ ذلّ فوقها وجلابيب
يشلُّهما من آل موسى شمردلٌ — طويل نجاد السيف أجيد يعبوب[٢]
يمجُّ مَنوناً سيفه وسِنانه — ويلهب ناراً غِمده والأنابيبُ
أحضرٌ هما أم حضرُ أخرج خاضبٍ — وذان هما أم ناعم الخدّ مخضوب[٣]
عذرتكما إنّ الحمام لمبغضٌ — وإنّ بقاء النفس للنفس محبوب
ليكره طعم الموت والموت طالب — فكيفَ يلذُّ الموت والموت مطلوب

وممّا ينبئنا عن هذا الجانب حديث كعٍّ الخليفة عن ذي الثدية لمّا أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وهو في صلاته غير شاك السلاح ، فرأى مخالفة الأمر النبويِّ أهون من قتل الرجل ، فآب إليه صلى الله عليه وآله وسلم معتذراً بما سيوافيك تفصيله إن شاء الله ،

نعم يراه ابن حزم في كتاب «المفاضلة بين الصحابة» ومن لفَّ لفَّه أشجع الصحابة على الإطلاق ونحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين أنّه قال : أخبروني من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت ، قال : أما إني ما بارزت أحداً إلّا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس ؟ قالوا :لا نعلم : فمن ؟ قال : أبو بكر ، إنّه لمّا كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلّا يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلّا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس

= ص ٣١٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ١٨٥ - ١٨٧ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٢٧ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٨ . وهناك مصادر كثيرة تأتي في محلها إن شاء الله تعالىٰ .

(١) الحوب : الإثم .

(٢) شمردل مرّ في ص ٦٨ ، يريد من طول النجاد طول القامة . الأجيد : الطويل الجيد وهو العنق . اليعبوب : الفرس الكثير الجري . أطلق على مرحب هذه اللفظة لشدته وسرعة حركته .

(٣) الحضر : العدو . الاخرج : ذكر النعام الذي فيه بياض وسواد . الخاضب : الذي أكل الربيع فاحمرّ ظنبوباه أو اصفر . ناعم الخد مخضوب : كناية عن المرأة . يعني : هما رجلان أم امرأتان في ضعفهما ورقّة قلبيهما ؟ ! .

رسول الله لا يهوي إليه أحدٌ إلاّ هوى إليه ، فهو أشجع الناس . الحديث(١) .

ليت القوم لم يحذفوا سند هذه الأثارة المفتعلة وكانوا يروونها بالإسناد حتّى نعرّف الملأ العلمي بالذي اختلقها ، وحسبنا أنّ الحافظ الهيثمي ذكرها بلا إسناد في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦١ وضعَّفه وقال : فيه من لم أعرفه .

وتكذِّبها صحيحة ابن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ «يوم بدر» في العريش وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشّح بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرَّة العدوِّ(٢) .

ثمَّ إنَّ حراسة النبيِّ ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كلِّ موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهد أحدٌ من الصحابة بحراسته ، فكانت الحراسة لسعد بن معاذ ليلة بدر وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٥٣ ، ولمحمَّد بن مسلمة يوم أُحد ، وللزبير بن العوّام يوم الخندق ، وللمغيرة بن شعبة يوم الحديبيَّة ، ولأبي أيوب الأنصاري ليلة بنى بصفيّة ببعض طرق خيبر ، ولبلال وسعد بن أبي وقّاص وذكوان بن عبد قيس بوادي القرى ، ولابن أبي مرثد الغنوي ليلة وقعة حنين(٣) .

وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرَّة إلى أن نزل قوله تعالىٰ في حجَّة الوداع ﴿والله يعصمك من الناس﴾ . فترك الحرس(٤) فأبو بكر رديف أُولئك الحرسة بعد تسليم ما جاء في حراسته .

ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهميَّة الكبرى لكان هو أولى

---

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٩٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥ .
(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٢٥٨ .
(٣) عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨٣ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤ .
(٤) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣١٣ ، تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٤٤ ، تفسير ابن جزي الكلبي ج ١ ص ١٧٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٨ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٢٦ عن الترمذي والحاكم والبيهقي وأبي نعيم .

وأحقّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون عليّ وحمزة وعُبيدة لمّا نزل فيهم ذلك اليوم : ﴿هذان خصمان إختصموا في ربّهم﴾(١)(٢) .

ولو صحّت المزعمة لما خُصّ عليٌّ وحمزة وعُبيدة بقوله تعالىٰ : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾(٣)(٤) .

ولَما نزل في عليّ أمير المؤمنين قوله تعالىٰ : ﴿هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾(٥) . ولَما ورد فيها عن النبيِّ الأعظم ممّا أسلفناه بالجزء الثاني ص ٦٤ - ٦٩ .

ولَما خَصَّ لمولانا عليٍّ قوله : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾(٦) ، كما ذكره القرطبي في تفسيره ج ٣ ص ٢١ وفصّلنا القول فيه في الجزء الثاني ص ٦٥ - ٦٧

وكان حقّاً على رضوان منادي الله يوم بدر بقوله :

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ

أن ينوّه باسم أبي بكر وبسيفه المشهور على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ هل تنحصر مغازي النبيِّ الأعظم وحروبه الدامية ببدر ؟ وهل العريش كان في بدر فحسب دون سائر الغزوات ؟ وهل سيِّد العريش النبيُّ الأعظم كان يلازم عريشه ولم يحضر قطُّ في ميادين القتال ؟ أو كان ينزل بالمعارك ويستخلف صاحبه على العريش(٧) ؟ .

---

(١) سورة الحج ؛ الآية: ١٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٩٨ كتاب التفسير ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠ ، طبقات ابن سعد ص ٥١٨ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ وصححه هو والذهبي ، تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٢٥ ، ٢٦ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ ، تفسير ابن جزي ج ٣ ص ٣٨ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣ .

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الثاني ص ٧٠

(٥) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٢ .

(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

(٧) راجع ما أسلفناه في الجزء الثاني صفحة ٧٨ - ٨٠

ما أعوز النبيَّ الأعظم يوم خيبر مجاهدٌ كرّارٌ غيـر فرّار لا يـولّي الدبـر ، وكان معه الخليفة الأشجع ؟ أكان فرّاراً غير كرّار ؟ ومَن المعنيّ في قول المؤرخين من أنَّ النبيَّ ﷺ دفع لواءه لرجل من المهاجرين فـرجع ولم يصنـع شيئاً[١] ؟ أهـذا الرجـل وصاحبه نكرتان لا يُعرفان ؟ لاها الله .

وأين كان الأشجع ؟ يوم خرجت كتائب اليهود يقـدمهم ياسـر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسـول الله ﷺ في موقفـه ، فاشتـدَّ ذلك على رسـول الله ﷺ وأمسى مهموماً[٢] .

ولمـاذا بعث ﷺ يـوم ذاك ـ وكـان الأشجـع معـه ـ سلمـة بن الأكـوع إلى عليّ ؟ وكان قد تخلّف بالمدينة لرمد عينيه ، وكان لا يبصر موضع قدمه فـذهب إليه سلمة وأخذ بيده يقوده[٣] ومَلأ المسامـع قولـه ﷺ لأُعطينَّ الـراية إلى رجـل كرّار غير فرّار .

أكان الأشجع في العريش يوم خيبر؟ لمّا قاتل المصـطفى بنفسه يـوم ذاك أشدَّ القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر ، وهو على فرس يُقال له : الظرب[٤] وفي يده قناة وترس كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ .

أكان الأشجع في العـريش يوم أُحـد يوم بـلاء وتمحيص ؟ حتى خلص العدوُّ إلى رسول الله فدُثَّ بالحجارة حتَّى وقع لشقّه فأُصيبت رباعيته ، وشجَّ في وجهـه ، وكلمت شفته ، فجعل الدم يسيل على وجهـه ، وجعل يمسـح الدم ويقـول : كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم[٥] .

---

(١) الإمتاع للمقريزي ص ٣١٣ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩ .

(٢) الإمتاع للمقريزي ص ٣١٤ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩ .

(٣) صحيـح مسلم ج ٢ ص ١٠٢ ، سنن البيـهقـي ج ٩ ص ١٣١ ، الـريـاض النضـرة ج ٢ ص ١٨٦ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٤١ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٤) من أشهر خيله ﷺ وأعرفها ، سُمّي بذلك لكبره أو لسمنه أو لقوّته وصلابته تشبيهاً له بالجبل . قـالـوا : أهـداه لـه ﷺ فـروة بن عمـرو الجـذامي . أو : ربيعـة بن أبي البـراء . أو : جنادة بن المعلى .

(٥) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ ، طبقـات ابن سعد رقم التسلسـل ٥٤٩ ، تاريـخ ابن كثير ج ٤ =

أكان الأشجع في العريش ؟ يوم قال فيه عليٌّ : لمّا تخلّى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى ، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا ، فرفع نبيّه ، فما فيَّ خيرٌ من أن أقاتل حتى أُقتل ، فكسرت جفن سيفي ثمَّ حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا برسول الله بينهم ، وقد أصابت عليّاً يوم ذاك ست عشرة ضربة كلُّ ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلاّ جبريل .

[اسد الغابة ج ٤ ص ٢٠]

أكان الأشجع في العريش يوم وقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ؟ فأخذ عليُّ بن أبي طالب بيده صلى الله عليه وآله وسلم واحتضنه ورفعه طلحة حتّى استوى قائماً[1] .

أكان الأشجع في العريش يوم رُئي رسول الله في ميدان النزال وهو لابسٌ درعين : درعه ذات الفضول ودرعه فضة ، أو يوم حنين وله درعان : درعه ذات الفضول والسعديَّة .

[شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٤]

أكان الأشجع في العريش يوم ضُرب وجه النبيِّ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرَّها كلها ؟ .

[المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٤]

أكان الأشجع في العريش يوم بايع رسول الله على الموت ثمانية ؟ هم : عليٌّ ، والزبير ، وطلحة ، وأبو دجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، ورسول الله يدعوهم في اخراهم .

[الإمتاع للمقريزي ص ١٣٢]

أكان الأشجع في العريش يوم كان عليٌّ يذبُّ عن رسول الله من ناحية ، وأبو

= ص ٢٣ ، ٢٩ ، إمتاع المقريزي ص ١٣٥ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٣٧ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ ، الإمتاع للمقريزي ص ١٣٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٢٤ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٢ .

دجانة مالك بن خرشة من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص يذبُّ طائفة ، والحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تُحاش الغنم ؟ .

[الإمتاع للمقريزي ص ١٤٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حمي الوطيس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت راية الأنصار ؟ وأرسل إلى عليّ أن قدِّم فقدّم عليٌّ وهو يقول : أنا أبو القصم(١) .

أكان الأشجع في العريش يوم انتهى رسول الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة فوالله صدقني اليوم ! يوم ملأ عليٌّ درقته ماءً من المهراس فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم وصبَّ على رأسه ، وأخذت فاطمة (سلام الله عليها) قطعة حصير فأحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم(٢) .

أكان الأشجع في العريش لمّا ملأ الفضاء نداء جبرائيل :

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

أكان الأشجع في العريش يوم نظم حسّان بن ثابت .

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمنجلي
والمسلمون قد أحدقوا حول النبيِّ المرسل
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ(٣)

أكان الأشجع في العريش يوم حمراء الأسد ؟ وقد خرج صلى الله عليه وآله وسلم وهو مجروحٌ في وجهه ، مشجوجٌ في جبهته ، ورباعيته قد شظيت ، وشفته السفلى قد كلمت

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٣١ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٩٠ رقم التسلسل ٢٥٢ ، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤ ، ٥١ ، الإمتاع ص ١٣٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٣٥ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٥ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٥ ، شرح الزرقاني ج ٢ ص ٥٦ .
(٣) راجع ما مرّ في الجزء الثاني صفحة ٧٨ ـ ٨٠

في باطنها ، وهو متوهّن منكبه الأيمن من ضربة ابن قميئة ، وركبتاه مجحوشتان .
[طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٥٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حُنين ؟ لمّا حمي الوطيس وفرَّ الناس عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبق معه إلاَّ أربعة : ثلاثةٌ من بني هاشم ورجلٌ من غيرهم : علي ابن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان ، وابن مسعود من جانبه الأيسر ، ولا يقبل أحدٌ من المشركين إلى جهته صلى الله عليه وآله وسلم إلاَّ قتل .
[السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣]

أكان الأشجع في العريش يوم الأحزاب ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينقل مع صحبه من تراب الخندق وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول :

لا هـمَّ لـولا أنت مـا اهتـدينـا ... ولا تـصـدَّقـنـا ولا صـلّيـنـا
فـأنـزلـن سـكـينـةً عـلـينـا ... وثـبِّـت الأقـدام إن لاقـيـنـا
إنَّ الأولـى قـد بـغـوا علـينـا ... إذا أرادوا فـتـنـة أَبـيـنـا

[طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٧٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٩٦]

أكان الأشجع في العريش يوم قال صلى الله عليه وآله وسلم : لضربة عليّ خيرٌ من عبادة الثقلين وفي لفظ : قتل عليّ لعمرو أفضل من عبادة الثقلين . وفي لفظ : لَمبارزة عليّ لعمرو بن ودّ أفضل من أعمال أُمّتي إلى يوم القيامة(١) ؟ .

نعم . للرجل موقفٌ يوم أُحد لمّا طلع يومئذ عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر (وكان من المشركين) فقال : من يبارز وارتجز يقول :

لـم يـبـق إلاَّ شـكّـة ويـعـبـوب ... وصـارم يـقـتـل ضـلاّل الـشيـب

فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول : أنا ذلك الأشيب ثمَّ ارتجز فقال :

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ ، المواقف للقاضي الإيجي ج ٣ ص ٢٧٦ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨ ، السيرة الحلبيَّة ج ٢ ص ٣٤٩ وهناك كلمة رداً على ابن تيمية في ردّه على هذا الحديث ، هداية المرتاب في فضائل الأصحاب ص ١٤٨ .

لـم يبـق إلاّ حسـبي وديـني وصـارمٌ تقضـي بـه يميـني

فقال له عبد الرّحمٰن : لولا أنّك أبي لم أنصرف .

[الإمتاع ص ١٤٤]

حجـاج بالعـريش :

قال المحاملي : كنت عند أبي الحسن بن عبدون وهو يكتب لبدر ، وعنده جمع فيهم أبو بكر الداودي وأحمد بن خالد المادرائي ـ فذكر قصّة مناظرته مع الداودي في التفضيل إلى أن قال ـ : فقال الداودي : والله ما نقدر نذكر مقامات عليّ مع هذه العامّة . قلت : أنا والله أعرفها : مقامه ببدر ، وأُحد ، والخندق ، ويوم حُنين ، ويوم خيبر . قال : فإن عرفتها ينفعني أن تقدّمه على أبي بكر وعمر ، قلت : قد عرفتها ومنه قدّمت أبا بكر وعمر عليه . قال : مِن أين ؟ قلت : أبو بكر كان مع النبي ﷺ على العريش يوم بدر مقامه مقام الرئيس ، والرئيس ينهزم به الجيش ، وعليٌّ مقامه مقام مبارز ، والمبارز لا ينهزم به الجيش .

ذكره الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢١ ، وابن الجوزي في المنتظم ج ٦ ص ٣٢٧ ، وأحسب أنَّ مبتدع هذه الباكورة ، ومؤسِّس فكرة العريش والإستدلال بها في التفضيل هو الجاحظ قال في خلاصة كتاب العثمانيّة ص ١٠ : والحجّة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ قتله الأقران وخوضه الحروب ، وليس له في ذلك كبير فضيلة ، لأنَّ كثرة القتل والمشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل وكان دليلاً على الرياسة والتقدُّم ، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمّد بن مسلمة وابن عفراء والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ ! لأنّه لم يقتل إلاَّ رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف ، وإنَّما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه أبو بكر . وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران ، ويجندل الأبطال ، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز وهو الرئيس ، أو ذو الرأي والمستشار في الحرب ، لأنَّ للرؤساء من الإكتراث والإهتمام وشغل البال والعناية والتفقُّد ما ليس لغيرهم ، ولأنَّ الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الأُمور ، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر ، وباسمه ينهزم

العـدوُّ ، ولو لم يكن لـه إلاّ أنّ الجيش لـو ثبت وفـرَّ هـو لم يغن ثبـوت الجيش كلّه وكانت الدبرة عليه ، ولو ضيع القـوم جميعاً وحفظ هـو لانتصر وكـانت الدولـة له ، ولهذا لا يُضاف النصر والهزيمـة إلاّ إليه . ففضـل أبي بكر بمقـامه في العـريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد عليّ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش . اهـ .

قال الأميني : نحن لا ننبس في الجواب عن هذه الأساطيـر المشمرجـة ببنت شفة ، وإنّما نقتصر فيه بما أجاب به عنها أبـو جعفر الإسكـافي المعتزلي البغـدادي المتوفّى سنة ٢٤٠ قال في الردِّ عليها(١) :

لقد أُعطي أبـو عثمان مقـولاً وحرم معقـولاً ، إن كان يقـول هذا على اعتقـاد وجـدّ ، ولم يذهب بـه مذهب اللعب واللهـو ، أو على طريق التفـاصح والتشـادق وإظهار القوَّة والسلاطة وذلاقة اللسان وحـدَّة الخاطـر والقوَّة على جـدال الخصوم . ألم يعلم أبو عثمان أنَّ رسول الله ﷺ كان أشجع البشر وأنّـه خاض الحـروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب ، وبلغت القلوب الحناجر ؟ فمنهـا يوم أُحـد ووقـوفه بعـدأن فرَّ المسلمـون بأجمعهم ولم يبق معـه إلاَّ أربعة : عليٌّ . والـزبير . وطلحة . وأبو دجانة ، فقـاتل ورمى بـالنبل حتى فنيت نبله وانكسـرت سِية قـوسه ، وانقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر ، فقـال : أوتـر مـا بلغ . قال عكـاشة : فـوالذي بعثـه بـالحقِّ لقـد أوتـرت حتّى بلغ وطويت منه شبراً على سِية القوس ، ثمَّ أخذها فما زال يرميهم حتّى نظرت إلى قوسه قد تحطَّمت ، وبارز أُبيّ بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليـه بعضنا ؟ فأبى وتناول الحربة من الحارث بن السمت ثمَّ انتفض بأصحـابه كمـا ينتفض البعير قالوا : فتطايرنا عنه تطاير الشعارين فطعنه بالحربة فجعـل يخور كمـا يخور الثـور ، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلاَّ قولـه : ﴿**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أُخراكم**﴾ فكونه ﷺ في أُخـراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليلٌ على أنَّه ثبت ولـم يفرّ . وثبت يوم حُنين في تسعة من أهله ورهطه الأدنين ، وقد فرَّ المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به ، العبّاس آخذٌ بحكمـة

(١) رسائل الجاحظ ص ٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٥ .

بغلته ، وعليٌّ بين يديه مصلتٌ سيفه ، والباقون حول بغلته يُمنةً ويُسرةً ، وقد انهزم المهاجرون والأنصار ، وكلّما فرّوا أقدم هو ﷺ وصمَّم مستقدماً يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره ، ثمَّ أخذ كفّاً من البطحاء وحصب المشركين وقال : شاهت الوجوه . والخبر المشهور عن عليّ وهو أشجع البشر : كنّا إذا اشتدَّ البأس وحمي الوطيس إتّقينا برسول الله ﷺ ولذنا به . فكيف يقول الجاحظ : إنَّه ما خاض الحروب ولا خالط الصفوف ؟ وأيّ فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله ﷺ إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ثمَّ أيّ مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى ؟ ليقيسه وينسبه إلى رسول الله صاحب الجيش والدعوة ورئيس الإسلام والملّة ، والملحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإيماء والإشارة ، وهو الذي أحنق قريشاً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ، ثمَّ وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم ، وحقٌّ لمثله إذا تنحّى عن الحرب واعتزلها أن يتنحّى ويعتزل ، لأنَّ ذلك شأن الملوك والرؤساء إذ كان الجيش منوطاً بهم وببقائهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه ، وإن عطب جيشه بأن يستجدَّ جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه ، وخطّأوا الإسكندر لمّا بارز فور ملك الهند ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم ، فليقل لنا الجاحظ : أيّ مدخل لأبي بكر في هذا المعنى ؟ ومَن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل ؟ وهل هو إلَّا واحدٌ من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرّحمٰن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ؟ بل كان عثمان أكثر منه صيتاً ، وأشرف منه مركباً ، والعيون إليه طمح ، والعدوُّ عليه أحنق وأكلب . ولو قُتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثّر قتله في الإسلام ضعفاً ؟ أو يحدث وهناً ؟ أو يخاف على الملّة لو قُتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتُعفى آثارها وتنطمس منارها ؟ ليقول الجاحظ : إنَّ أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحروب وإعتزالها . نعوذ بالله من الخذلان . وقد علم العقلاء كلّهم ممَّن له بالسير معرفة وبالآثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت ، وحاله عليه الصَّلاة والسَّلام فيها كيف كان ، ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب ، وجلوسه في العريش يوم جلس ،

وأنَّ وقوفه ﷺ وقـوف رئاسـةٍ وتدبيـر ، ووقوف ظهـرٍ وسند ، يتعـرَّف أُمور أصحـابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلّفه عن التقدُّم في أوائلهم ، لأنَّهم متى علمـوا أنَّه في أُخـراهم إطمـأنَّت قلوبهم ولم تتعلّق بـأمـره نفـوسهم ، فيشتغلوا بالإهتمام به عن عدوهم ، ولا يكـون لهم فئة يلجـأون إليها وظهـراً يرجعـون إليه ، ويعلمون أنَّه متى كان خلفهم تفقَّد أُمورهم وعلم مواقفهم وآوى كلُّ إنسان مكانه في الحماية والنكـاية وعنـد النازلـة في الكرِّ والحملة ، فكـان وقوفـه حيث وقف أصلح لأمـرهم ، وأحمى وأحـرس لبيضتهم ، ولأنَّـه المـطلوب من بينهم ، إذ هـو مـدبِّـر أُمورهم ووالي جماعتهم ، ألا تـرون أنَّ موقف صـاحب اللواء موقف شـريف ؟ وأنَّ صلاح الحرب في وقوفه ، وأنَّ فضيلتـه في ترك التقـدُّم في أكثر حـالاته ، فللرئيس حالات : الأولى : حالة يتخلّف ويقف آخراً ليكون سنداً وقوَّة ورداءً وعُدَّة ، وليتـولّى تدبير الحرب ويعرف مواضع الخلل . والحالة الثانية : يتقـدَّم فيها في وسط الصفِّ ليقوي الضعيف ويُشجِّع الناكس : وحالة ثالثة : وهي إذا اصطدم الفيلقان ، وتكافح السيفـان ، إعتمد مـا يقتضيه الحـال من الـوقـوف حيث يستصلح ، أو من مبـاشـرة الحرب بنفسه فإنَّها آخر المنازل وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفسالة الجبان المموَّه . فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ ؟ وأين منزلـة أبي بكـر ليُسـوَّى بين المنـزلتين ، ويناسب بين الحـالتين ؟ ولو كـان أبو بكـر شريكـاً لرسـول الله في الرسالة وممنوحـاً من الله بفضيلة النبوَّة ، وكـانت قريش والعـرب تطلبـه كما تـطلب محمَّداً ﷺ ؟ لكان للجاحظ أن يقول ذلك ، فأمّا وحاله حاله وهو أضعف المسلمين جناناً وأقلّهم عنـد العرب تِـرةً لم يرمِ قطّ بسهمٍ ، ولا سـلَّ سيفاً ، ولا أراق دمـاً ، وهو أحد الأتبـاع غير مشهـور ولا معروف ولا طـالب ولا مطلوب ، فكيف يجـوز أن يجعل مَقامه ومنزلته مقام رسول الله ﷺ ومنزلته ؟ ولقد خـرج ابنه عبـد الرَّحمٰن مـع المشركين يوم أُحد فرآه أبو بكر فقام مغيظاً عليه فسلَّ من السيف مقدار إصبع يـروم البروز إليه فقال له رسـول الله ﷺ : يا أبـا بكر ! شِم سيفـك وأمتعنا بنفسـك . ولم يقل له (وأمتعنا بنفسك) إلَّا لعلمه بأنَّه ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال وأنّه لـو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الأقـران وقتل أبـطال

الشرك ؟ وهل قامت عمد الإسلام إلاّ على ذلك ؟ وهل ثبت الدين واستقرّ إلاّ بذلك ؟ أتراه لم يسمع قول الله تعالى : **﴿إنَّ الله يحبُّ الذين يُقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيانٌ مرصوص﴾** ؟ والمحبَّة من الله تعالىٰ هي إرادة الثواب ، فكلُّ من كان أشد ثبوتاً في هذا الصفِّ وأعظم قتالاً كان أحبَّ إلى الله ، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً ، فعليّ عليه السلام إذاً هو أحبّ المسلمين إلى الله لأنَّه أثبتهم قدماً في الصفِّ المرصوص ، لم يفرّ قطُّ بإجماع الأُمَّة ، ولا بارزه قِرنٌ إلاّ قتله ، أو تراه لم يسمع قول الله تعالى : **﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾** ؟ وقوله : **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾** ثمَّ قال سبحانه : مؤكّداً لهذا البيع والشراء **﴿ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الَّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾** وقال الله تعالىٰ : **﴿ذلك بأنَّهم لا يصيبهم ظَمَأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلاّ كُتب لهم به عملٌ صالح﴾** فمواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض ، فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنَّة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدَّة نكايته فيهم ممَّن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك مَن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلاّ أنَّه بحيث تناله السهام والنبل أعظم عناءً وأفضل ممَّن وقف حيث لا يناله ذلك ، ولو كان الضعيف والجبان يستحقَّان الرئاسة بقلّة بسط الكفِّ وترك الحرب وإنَّ ذلك يشاكل فعل النبيِّ ﷺ ، لكان أوفر الناس حظّاً في الرئاسة وأشدّهم لها استحقاقاً حسّان بن ثابت ، وإن بطل فضل عليّ في الجهاد لأنَّ النبيّ ﷺ كان أقلّهم قتالاً - كما زعم الجاحظ - ليبطلنَّ على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأنَّ رسول الله ﷺ كان أقلّهم مالاً ، وأنت إذا تأمَّلت أمر العرب وقريش ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنها تطلب محمَّداً ﷺ وتقصد قصده وتروم قتله ، فإن أعجزها وفاتها طلبت عليّاً وأرادت قتله ، لأنَّه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدَّهم عنه دفعاً ، وإنَّهم متى قصدوا عليّاً فقتلوه أضعفوا أمر محمَّد ﷺ وكسروا شوكته ، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوَّة والشجاعة والنجدة والإقدام

والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر ، وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فأخرج إليهم الرّسول نفراً من الأنصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا : إرجعوا إلى قومكم ، ثمّ نادوا : يا محمّد ! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال النبيُّ ﷺ لأهله الأدنين : قوموا يا بني هاشم ! فانصروا حقّكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء ، قم يا عليّ ! قم يا حمزة ! قم يا عبيدة ! ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنّه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر ؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها :»

ما كان لي من عُتبة من صبر ... أبي وعمّي وَشقيق صَدري

أخي الذي كان كضوءِ البَدرِ ... بهم كَسرتَ يا عليّ ! ظهري

وذلك لأنّه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة ، وأمّا عمّها شيبة فإنّ حمزة تفرّد بقتله . وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أحد : إن قتلت محمّداً فأنت حرٌّ ، وإن قتلت عليّاً فأنت حرّ ، وإن قتلت حمزة فأنت حرٌّ ، فقال: أمّا محمّد فسيمنعه أصحابه ، وأما عليٌّ فرجل حذِر كثير الإلتفات في الحرب ، ولكنّي سأقتل حمزة . فقعد له وزرقه بالحربة فقتله .

ولما قلنامن مقاربة حال عليّ في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها إيّاه ما وجدناه في السيرة والأخبار من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة ، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق وقد برز عليٌّ إلى عمرو ورفع يديه إلى السّماء بمحضر من أصحابه : اللهُمَّ إنّك أخذت منّي حمزة يوم أحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليومَ عليَّ عليّاً ، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . ولذلك ضنَّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً في كلّها يحجمون ويقدم عليٌّ فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ : إنّه عمرو فقال : وأنا عليّ . فأدناه وقبّله وعمّمه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودِّع له ، القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه . ثمّ لم يزل ﷺ رافعاً يده إلى السّماء مستقبلاً لها بوجهه والمسلمون صموت حوله كأنّما على رؤوسهم الطير حتّى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أنّ عليّاً قتل عمراً . فكبّر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال

حذيفة بن اليمان : لو قسّمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم . وقال ابن عبّاس : في قوله تعالى : ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾ : قال : بعليٍّ بن أبي طالب . اهـ .

الغريق يتشبّث بكلّ حشيش :

أعيت القوم شجاعة الخليفة ، وأضلّتهم عن المذاهب ، وجعلتهم في الرونة ، وأركبتهم على الزحلوقة تسفُّ بهم تارةً وتُعليهم أُخرىٰ ، فلم يجدوا مهيعاً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خاليةً عن كلِّ عين وأثر يسعهم الركون إليه في الحجاج لها ، فتشبَّثوا بالتفلسف فيها فهذا يبني فلسفة العريش ، والآخر ينسج نسج العناكيب ويعدُّ ثباته في موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم تضعضعه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته ، قال القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ٢٢٢ في سورة آل عمران الآية ١٤٤ عند قوله تعالىٰ : ﴿**وما محمّدٌ إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ، ومَن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً**﴾ : هذه الآية أدلُّ دليل على شجاعة الصديق وجرأته فإنَّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبيِّ ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه وقال الناس : لم يمت رسول الله ﷺ منهم عمر ، وخرس عثمان ، واستخفى عليٌّ ، واضطرب الأمر فكشفه الصدّيق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُنح[1] .

وهذا الإستدلال أقرَّه الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣٥ وقال : لمّا توفّي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم مَن خبَل ، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى ، وكان عمر رضي الله عنه ممّن خبل ، وكان عثمان رضي الله عنه ممّن أخرس ، فكان لا يستطيع أن يتكلّم ، وكان عليٌّ رضي الله عنه ممّن أقعد فلم يستطع أن يتحرَّك ، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم : أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ـ إلى أن قال ـ : قال

---

(١) بضم أوله وسكون النون وقد تضم : موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبي ميل .

القرطبي : وهذا أدلُّ دليل على كمال شجاعة الصديق . الخ .

قال الأميني : يوهم القرطبي أنَّ في كتاب الله العزيز ما يدلُّ على شجاعة الخليفة وعلمه ، وليس فيما جاء به أكثر من أنَّه استدلَّ بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ فأيُّ صلة بها إلى شجاعة الرجل ؟ ! وأيُّ قسمٍ فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدلَّ دليل ؟ فإن يكن هناك شيءٌ من الدلالة ـ وأين وأنّى فهو في ثبات جأشه وتمسُّكه بالآية الكريمة لا في الآية نفسها .

ثمَّ كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة؟ وإنَّ هذا النسج الذي هو أوهن من بيت العنكبوت إنَّما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك ، فخبَّلوا عمر بن الخطاب «وحاشاه الخبل» تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنَّه كان من ذلك القلق كما مرَّ في ص ٢١٠ ، وأقعدوا عليّاً لإيهام العذر في تخلّفه عن البيعة ، وأخرسوا عثمان لأنَّه لم ينبس في ذلك الموقف ببنت شفة .

على أنَّ ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله ﷺ أيضاً إذ لم يُرو عن أبي بكر في رزيَّة النبيِّ الأعظم أكثر من أنَّه كشف عن وجه النبيِّ وقبَّله وهو يبكي وقال : طبت حيّاً وميّتاً[1] وقد فعل صلى الله عليه وآله وسلم أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون فإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم إنكبَّ عليه ثلاث مرّات مرَّةً بعد أُخرى وقبَّله باكياً عليه وعيناه تذرفان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيقٌ[2] وشتّان بين عثمان بن مظعون وبين سيِّد البشر روح الخليقة وعلّة العوالم كلّها ، وشتّان بين المصيبتين .

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطاب أشجع من النبيِّ الأقدس لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها ، وعمر كان يوم ذاك يضرب النسوة

---

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٨١ ، كتاب المغازي ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٤ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٧٨٥ ، تاريخ الطبري ج ٣٤ ص ١٩٨ .

(٢) سنن البيهقي ج ٣ ص ٤٠٦ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٠٥ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٩٥ ، اسد الغابة ، الغدير ج ٣ ص ٤٦١ ، الإصابة ج ٢ ص ٤٦٤ .

الباكيات عليها بالسوط كما مرَّ في الجزء السادس ص ١٥٩ ط ٢ فضلاً عن عدم تأثُّره بتلك الرزيَّة .

وعلى هذا الميزان يغدو عثمان بن عفّان أشجع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجده صلى الله عليه وآله وسلم لموت إحدى بنتيه : رقية أو أم كلثوم زوجة عثمان . وبكائه عليها ، وعثمان غير متأثِّر به ولا بانقطاع صهره من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غير مشغول بذلك عن مقارفة بعض نسائه في ليلة وفاتها كما في صحيحة أنس[1] .

وقبل هذه كلّها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله : كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يجري حتّى مات . وقوله : كان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله ﷺ ما زال يذيبه حتّى مات . وفي لفظ القرماني : مازال جسمه ينقص حتّى مات .

راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٣ ، أسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٤ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٠٠ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٨٠ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٤٩ ، الصواعق ص ٥٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٥ ، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل ج ١ ص ١٩٨ ، نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٩٧ ، مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٢٥ .

كأنَّ هذا الحديث عزب عن القرطبي والحلبي ، فأخذا بهذا مشفوعاً بكلامهما المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هو شاكلة عبد الله بن أنيس في موتهما كمداً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم ينبّأ قطُّ خبير بموت أحدٍ من الصحابة غيرهما بموته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا دليل على ضعف قلبهما عند حلول المصائب ، فهما أجبن الصحابة على الإطلاق إذا وُزنا بميزان القرطبي وفيها عين .

ووراء هذه المغالاة في شجاعة الخليفة وعدِّه من أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من أنَّه قال : أوّل من أظهر الإسلام بسيفه محمّد ﷺ وأبو بكر ،

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٧٤٨ وصححه ، الإصابة ج ٤ ص ٣٠٤ ، ٤٨٩ الغدير ج ٣ ص ٤٤ .

والزبير بن العوام رضي الله عنهم(١) وما يُعزى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنّه قال : لولا أبو بكر الصدِّيق لذهب الإسلام(٢) .

قال الأميني : لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة ، فلم يُؤثر أنه تقلّده يوماً ، أو سلّه في كريهة ، أو هابه إنسان في معمعة ، حتّى يقرن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان منذ بعث سيفاً لله تعالى مجرَّداً

إنَّ الرسول لنورٌ يستضاء به   مهنّدٌ من سيوف اللّه مسلولُ(٣)

أو يقرن بمثل الزبير الذي عرفته وسيفه الحرب الزَّبون فشكرته ، وقد سجَّل التاريخ مواقفه المشهودة ، وسجَّل للخليفة يوم خيبر وأمثاله .

وأنا لا أدري بأيِّ خصلة في الخليفة نيط بقاء الإسلام ، أبشجاعته هذه ؟ أم بعلمه الذي عرفت كميَّته ؟ أم بماذا ؟ «فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر» .

٣ - ثبات الخليفة على المبدأ

عن أبي سعيد الخدري : إنَّ أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنِّي مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجلٌ متخشِّعٌ حسن الهيئة يصلّي . فقال له رسول الله ﷺ : إذهب إليه فاقتله . قال : فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال النبيُّ ﷺ لعمر : إذهب إليه فاقتله . قال فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآها أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله ! إنِّي رأيته متخشِّعاً فكرهت أن أقتله قال : يا عليّ ! إذهب فاقتله . فذهب عليٌّ فلم يره فرجع فقال : يا رسول الله ! إنِّي لم أره . فقال النبيُّ ﷺ : إنَّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثمَّ لا يعودون فيه حتّى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرُّ البريَّة(٤) .

---

(١) نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٨٢ .
(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ٥٤ .
(٣) البيت من قصيدة لكعب بن زهير المشهورة ببانت سعاد .
(٤) مسند أحمد ج ٣ ص ١٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٩٨ .

وعن أنس بن مالك قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجلٌ يعجبنا تعبُّده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا : هو هذا . قال : إنَّكم لتخبروني عن رجل إنَّ في وجهه لسفعةً من الشيطان فأقبل حتّى وقف عليهم ولم يسلّم فقال له رسول الله ﷺ أُنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في القوم أحدٌ أفضل منّي أو خير منّي ؟ قال : اللّهُمَّ نعم . ثمَّ دخل يصلّي فقال رسول الله ﷺ : من يقتل الرجل ؟ فقال أبو بكر أنا ، فدخل عليه فوجده يصلّي فقال : سبحان الله ! أقتل رجلاً يصلّي ؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلّين ، فخرج . فقال رسول الله ﷺ : ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أُقتله وهو يصلّي وأنت قد نهيت عن قتل المصلّين. قال: مَن يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر: أبو بكر أفضل منّي ولم يقتله فخرج فقال له النبيُّ ﷺ مَه؟ قال: وجدتُه واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله . فقال : مَن يقتل الرجل ؟ فقال عليٌّ : أنا . فقال : أنت إن أدركته . فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال له : مَه ؟ قال : وجدته قد خرج . قال : لو قُتل ما اختلف من أُمَّتي رجلان كان أوَّلهم وآخرهم(١) .

صاحب القصَّة هو ذو الثُديَّة رأس الفتنة يوم النهروان قتله أمير المؤمنين الإمام عليٌّ يوم ذاك كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود ، قال الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٢ : ذو الثُديَّة شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علّمهم الضلال ، وكان النبيُّ ﷺ أمر بقتله وهو في الصّلاة فكعَّ عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلمَّا قصده عليٌّ رضي الله عنه لم يره ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : أما إنَّك لو قتلته لكان أوَّل فتنة وآخرها ، ولمّا كان يوم النهروان وجده بين القتلى فقال عليٌّ رضي الله عنه :ائتوني بيده المخدجة . فأُتي بها فأمر بنصبها .

قال الأميني : هلم معي نسائل الرّجلين ممَّن أخذا أنَّ الصّلاة تحقن دم

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٧ ، ج ٣ ص ٢٢٧ ، مسند البزار من طريق الأعمش ، وأبو يعلى في مسنده كما في تأريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٩٨ ، الإصابة ج ١ ص ٤٨٤ .

صاحبها ؟ هل أخذاها عن شريعة غاب الصادع بها ، فارتبكا بين قوله؟ أليست هي الشريعة المحمَّديَّة وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل ؟ وهو ينظر إليه من كَثب ، ويعلم أنَّه يصلي ، وقد أخبرته الصحابة وفيهم الرجلان بخضوعه وخشوعه في صلاته ، وإعجابهم بتعبُّده واجتهاده ، وفي المخبرين أبو بكر نفسه ، غير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرف بواسع علمه النبويِّ أنَّ كلَّ ذلك عن دهاء وتصنُّع يريد به إغراء الدهماء للحصول على أُمنيَّته الفاسدة التي لم يتمكَّن منها إلاَّ على عهد الخوارج فأراد صلى الله عليه وآله وسلم قمع تلك الجرثومة الخبيثة بقتله ، ولقد أراد صلى الله عليه وآله وسلم تعريف الناس بالرجل وإيقافهم على ما انطوت عليه أضالعه فاستحفاه عمّا دار في خَلده حين وقف على القوم وفيهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يعلموا أنَّه يجد نفسه خيراً أو أفضل منهم ومنه صلى الله عليه وآله وسلم .

أيّ كافر هذا يجب قتله لاسيّما بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ في وجهه لسفعةً من الشيطان ؟ وأيّ شقيّ هذا يقف على المنتدى وقد ضمّ صدره نبيَّ العظمة ولم يسلّم ؟ وأيّ صفيق يُعرب عن سوء ما هجس في ضميره بكلِّ صراحة ، غير محتشم عن موقفه ، ولا مكترث لمقاله ؟ .

نعم لذلك كلّه أمر صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى ، لكن الشيخين رؤفا به حين وجداه يصلّي تثبُّتاً على المبدأ ، وتحفّظاً على كرامة الصّلاة ومَن أتى بها ، وزاد عمر : إنَّ أبا بكر خيرٌ منِّي ولم يقتله . أو لَم يكن النبيُّ الآمر بقتله خيراً منهما ؟ أو لم يكن هو مشرِّع الصّلاة والآتي بحرمتها ؟ أوَ لم يكن مصدَّقاً لدى الصدِّيق وصاحبه في قوله حول الرجل وإعرابه عن نواياه ؟ .

كان خيراً للشيخين أن يتركا هذا التعلّل الواضح فساده ويتعلّلا بما في لفظ أبي نعيم في الحلية من أنَّهما هابا أن يقتلاه ، وبما أسلفناه عن ثمار القلوب للثعالبي من أنَّهما كعّا عن الرجل . أي جبنا وضعفا وتهيّبهما الرجل وإن كان مصلّياً غير شاك السلاح ، فلعلّه يكون معذّراً لهما عن ترك الإمتثال ، فلا يكلّف الله نفساً إلاَّ وسعها ، لكنَّهما يوم عرفا نفسهما كذلك والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لماذا لم يقدما على قتل الرجل، ففوّتا على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم طلبته وعلى الأُمَّة

السَّلام والأمن ولو بعد لأي من عمر الدهر عند ثورات الخوارج ؟ وأبو بكر هذا هو الَّذي يحسبه ابن حزم والمحبّ الطبري والقرطبي والسيوطي أشجع الناس كما مرَّ ص ٢٢٧ وقد يهابه ظلّ الرجال في مصلّاهم .

وللرجل (ذي الثُديَّة) سابقة سوء عند الشيخين من يوم قسَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنيمة هوازن قال ذو الثُديَّة للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم : لم أرك عدلت . أو : لم تعدل هذه قسمةٌ ما أُريد بها وجه الله . فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ فقال عمر : يا رسول الله ألا أقتله ؟ قال : لا ، سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قومٌ يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة لا يجاوز إيمانهم تراقيهم . تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٨ ، الإمتاع للمقريزي ص ٤٢٥ .

٤ ـ تهالك الخليفة في العبادة

لم يؤثر عن الخليفة دأْب على العبادة على العهد النبويِّ أو بعده غير أشياء لا تُنجع من أثبتها له إلَّا بعد تحمّل متطاول ، أو تفلسف في القول لو أجدت الفلسفة على لا شيء .

روى المحبُّ الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٣ : أنَّ عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها ثمَّ قالت : إلا أنَّه كان في كلِّ ليلة جمعة يتوضَّأ ويصلّي ثمَّ يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه فإذا كان وقت السحر رفع رأسه وتنفَّس الصعداء فيشمُّ في البيت روائح كبدٍ مشويٍّ . فبكى عمر وقال : أنّى لابن الخطاب بكبدٍ مشويّ .

وفي مرآة الجنان ج ١ ص ٦٨ : جاء أنَّ أبا بكر كان إذا تنفَّس يشمُّ منه رائحة الكبد المشويَّة .

وفي عمدة التحقيق للعبدي المالكي ص ١٣٥ : لمّا مات أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار الصدِّيق رضي الله عنه

ويتشبَّه بفعله فكان يتردَّد كلّ قليل إلى عائشة واسماء رضي الله تعالىٰ عنهما ويقول لهما : ما كان يفعل الصدِّيق إذا خلا بيته ليلاً ؟ فيقال له : ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام إنَّما كان إذا جنَّه الليل يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء ويضع رأسه على ركبتيه ثمَّ يرفعها الى السماء ويتنفَّس الصعداء ويقول : أخ . فيطلع الدّخان مِن فيه . فيبكي عمر ويقول : كلُّ شيء يقدر عليه عمر إلاَّ الدخان . فقال :

وأصل ذلك أن شدَّة خوفه من الله تعالىٰ أُوجبت إحتراق قلبه ، فكان جليسه يشمُّ منه رائحة الكبد المشوي ، وسببه انَّ الصدِّيق لم يتحمَّل أسرار النبوَّة الملقاة إليه وفي الحديث : أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه . فالمعرفة التامَّة تكشف عن جلال المعروف وجماله ، وكلاهما أمرٌ عظيم جدّاً تتقطَّع دونه الغايات ولولا أن الله تعالىٰ ثبت من أراد ثباته وقوّاه على ذلك ما استطاع أحدُ الوقوف ذرَّة على كليهما جلالاً وجمالاً ، والغاية في الطرفين قد نالها الصدِّيق رضي الله عنه . فقد ورد : ما صُبَّ في صدري شيءٌ إلاَّ صببته في صدر أبي بكر . ولو صبَّه جبرائيل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه لعدم مجراه من المماثل ، لكن لما صبَّ في صدر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو من جنس البشريَّة فجرى في قناة مماثلة للصدِّيق ، فبواسطتها أطاق حمله ، ومع ذلك احترق قلبه . الخ .

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأُصول ص ٣١ و ٢٦١ ، عن بكر بن عبد الله المزني قال : لم يفضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنَّما فضلهم بشيء كان في قلبه . وذكر أبو محمَّد الأزدي في شرح مختصر صحيح البخاري ج ٢ ص ٤١ ، ١٠٥ ،وج ٣ ص ٩٨ . وج ٤ ص ٦٣ ، والشعراني في اليواقيت والجواهر ج ٢ ص ٢٢١ . واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ٦٨ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٣ : إنَّ في الحديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صومٍ ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره .

قال الأميني : لو صحَّ حديث الكبد المشويَّة لوجب اطّراده في الأنبياء والرُّسل ويقدمهم سيِّد المرسلين محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لأنَّهم أخوف من الله من أبي بكر وخاتم النبيِّين أخوفهم ، ولوجب أن تكون الرائحة فيهم أشدَّ وأنشر ، فإنَّ الخوف فرع الهيبة المسبَّبة عن إحاطة العلم بما هناك من عظمة وقهر وجبروت ومنعة ،

وينبئنا عن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿إنَّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[١] قال ابن عبّاس : يريد إنَّما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزَّتي وسلطاني . وقيل : عظّموه وقدّروا قدره ، واخشَوْه حقَّ خشيته ، ومن ازداد به علماً ازداد به خشية .

[تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥]

وفي الحديث : أعلمكم بالله أشدُّكم له خشية .

[تفسير ابن جزي ج ٣ ص ١٥٨]

وفي خطبة له صلى الله عليه وآله وسلم : فوالله إنِّي لأعلمهم بالله وأشدُّهم له خشية[٢] .

وفي خطبة أُخرى له صلى الله عليه وآله وسلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[٣] .

وقال مولانا أمير المؤمنين : أعلمكم أخوفكم .

[غرر الحكم للآمدي ص ٦٢]

وقال مقاتل : أشدُّ الناس خشية لله أعلمهم .

[تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥]

وقال الشعبي ومجاهد : إنَّما العالم من خشي الله[٤] .

وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله تعالىٰ فليس بعالم[٥] .

ومن هنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنِّي أعلمكم بالله وأخشاكم لله[٦] ولذلك تجد أنَّ أزلف الناس إلى السلطان يتهيَّبه أكثر ممَّن دونه في الزُّلفى . فترى الوزير يكبره ويخافه أبلغ ممَّن هو أدنى منه ، والأمر على هذه النسبة في رجال الوظائف ، حتّى

(١) سورة فاطر : الآية : ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب المناقب . باب علمه بالله وشدة خشيته ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق . باب لو تعلمون ما أعلم ، مسند أحمد ج ٦ ص ١٦٤ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٢٦ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٤) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٣ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٥) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٣ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٦) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣٠٢ ، اللمع لأبي نصر ص ٩٦ .

تنتهي إلى أبسطها كالشرطي مثلاً ، ثمَّ إلى سائر أفراد الرعيَّة .

وهلمَّ معي إلى الأولياء والمقرَّبين والمتهالكين في الخشية من الله والمتفانين في العبادة وفي مقدَّمهم سيِّدهم مولانا أمير المؤمنين علي عليه‌السلام الذي كان في حلك الظلام يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويتأوَّه ويتفوَّه بما ينمُّ عن غاية الخوف والخشية ، وهو قسيم الجنة والنار بنصّ من الرَّسول الأمين كما مرَّ في الجزء الثالث ص ٣٦١ ، وكان يُغشى عليه عدَّة غشوات في كلِّ ليلة ، ولم يشم أحدٌ منه ولا منهم رائحة الكبد المشويَّة .

ولو اطّرد ما يزعمونه لوجب تكيّف الفضاء من لدن آدم إلى عهد الخليفة بتلك الرائحة المنتشرة من تلكم الأكباد المشويَّة ، ولاَسودَّ وجه الدنيا بذلك الدخان المتصاعد من الأكباد المحترقة .

أيحسب راوي هذه المهزأة أنَّ على كبد المختشي ناراً موقدة يعلوها ضرمٌ ، ويتولَّد منها دخانٌ ؟ فلِمَ لم تُحرق ما في الحشى كلّه ويكون إنضاجها مقصوراً على الكبد فحسب ؟ وهل للكبد حالُ المعذَّبين الَّذين كلّما نضجت جلودهم بُدّلوا جلوداً أُخرىٰ ؟ وإلاَّ فالعادة قاضيةٌ بفناء الكبد بذلك الحريق المتواصل .

وإن تعجب فعجب بقاء الإنسان بعد فناء كبده ، ولعلّك إذا أحفيت الراوي السؤال عن هذه لأجابك بأنَّها كلّها معاجز تخصُّ بالخليفة .

وأحسب أنَّ صاحب المزاعم من المتطفِّلين على موائد العربيّة فإنَّ العربيَّ الصميم جِدُّ عليم بكثير الكناية والإستعارة في لغة الضاد فإذا قالوا : إنَّ نار الخوف أحرقت فلاناً لا يريدون لهباً متّقداً يصعد منه الدخان أو تشمُّ منه رائحة شيِّ الأكباد ، وإنَّما يعنون لهفةً شديدة ، وحرقةً معنويَّة تشبَّه بالنيران .

وأمّا ما سرده العبيدي من فلسفة ذلك الحريق في كبد الخليفة فإنَّها من الدعاوى الفارغة وفيها الغلوُّ الفاحش وإن شئت قلت : إنَّما هي أوهام لم تقم لها حجّة ، وليس من السهل أن يدعمها ببرهنة يمسكها عن التزحزح ، فهي كالريشة في مهبِّ الريح تجاه حِجاج المجادل ، ووجاه سيرة الخليفة نفسه ، وما عزاه إلى الرواية من حديث خرافة : ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاَّ وصببته في صدر أبي

بكر . فهو على تنصيص العلماء على وضعها كما مرَّ في ج ٥ ص ٣٨٣ لا يلزم به الخصم ، ولا يثبت به المدَّعى ، وفيه من سَرَف القول ما لا يخفى على العارف بالرجال وتاريخهم .

٥ ـ تبرُّز الخليفة في الأَخلاق

لم نقف من أخلاقيّات الخليفة على شيء يرفع الإنسان من هذه الناحية عدا ما في صحيح البخاري في كتاب التفسير من طريق ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير قال : قد قَدِمَ ركب من بني تميم على النبيِّ ﷺ فقال أبو بكر : أمِّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمِّر الأقرع بن حابس[١] . فقال أبو بكر : ما أردت إلَّا خلافي ، فقال عمر : ما أردتُ خلافك . فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك : ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله واتَّقوا الله إنَّ الله سميعٌ عليم**﴾[٢] .

وأخرج البخاري من طريق ابن أبي مليكة أيضاً قال : كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبيِّ ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع . وأشار الآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه . فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلَّا خلافي . قال : ما أردتُ خلافك . فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله : ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيِّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾[٣][٤] .

قال الأَميني : ألا تعجب من الرجلين انَّهما طيلة مصاحبتهما هذا النبيِّ المعظَّم ﷺ لم يحدهما التأثّر بأخلاقه الكريمة إلى الحصول على أدب محاضرة

(١) الأقرع بن حابس هو ذلك الأعرابي الذي رآه النبي ﷺ وهو يبول في المسجد ، وقد أخرج حديثه البخاري في صحيحه . راجع إرشاد الساري ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة الحجرات ؛ الآية : ٣ .

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٥ ، الإستيعاب في ترجمة القعقاع ج ٢ ص ٥٣٥ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣٠٠ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٢ ، الإصابة ج ١ ص ٥٨ وج ٣ ص ٢٤ .

العظماء والمثول بين أيديهم لاسيَّما هذا العظيم ، العظيم خلقه بنصِّ الذكر الحكيم ، وما عرفا أنَّ الكلام بين يديه لا بدَّ وأن يكون اتخافتاً وهمساً إكباراً لمقامه وإعظاماً لمرتبته . وأن لا يتقدَّم أحدٌ إليه بالكلام إلَّا أن يكون جواباً عن سؤال ، أو ما ينمّ عن امتثال أمر ، أو إخباراً عن مهمَّة ، أو سؤالاً عن حكم لكنّهما تقدَّما بالكلام الخارج عن ذلك كلّه ، وتماريا واحتدم الحوار بينهما ، وارتفعت أصواتهما في ذلك ، وكاد الخيِّران أن يهلكا حتّى جعلا أعمالهما في مظنَّة الإحباط فنزلت الآية الكريمة .

وما أخرجه ابن عساكر عن المقدام أنَّه قال : استبَّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر وكان أبو بكر سبّاباً .وكأنَّ ابن حجر استشعر من هذه الكلمة ما لا يروقه فقال : سبّاباً أو نسّاباً . لكن الرجل أنصف في الترديد وقد جاء بعده السيوطي فحذف كلمة : سبّاباً . وجعلها نسّاباً بلا ترديد[1] والمنقِّب يعلم أنَّ لفظة نسّاباً لا صلة لها بقول استبّا بل المناسب كونه سبّاباً ، وكأنَّ الراوي يريد بذلك انّه فاق عقيلاً بالسبِّ لأنَّه كان مَلَكة له ، وإن كان يسع المحوِّر أن يقول بإرادة كونه نسّاباً أنَّه كان عرافاً بحلقات الأنساب ومواقع الغمز فيها ، فكان إذا استبَّ يطعن مستابَّه في عرضه ونسبه ، لكنه لا يجدي المتمحِّل نفعاً فإنَّه من أشنع مصاديق السبِّ ، وفيه القذف وإشاعة الفحشاء .

ويظهر من لفظ الحديث كما في الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٨٦ أنَّ السباب بين أبي بكر وعقيل كان بمحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك في أُخريات أيّامه صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن شواهد كونه سبّاباً (وسباب المسلم فسوق)[2] ما مرَّ في صفحة ١٧٦ من قوله للسائل عن القدَر : يابن اللخناء . وقوله لعمر : ثكلتك أُمّك وعدمتك يابن

---

(١) الصواعق ص ٤٣ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٧ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٤١١ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٦١ ، تاريخ الخطيب ج ٥ ص ١٤٤ ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣٢٣ : متفق عليه .

الخطاب . لمّا بلّغه طلب الأنصار أن يولّي عليهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة فأخذ بلحيته فقال : استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه[1] ؟ .

على أنّه وهم في قوله هذا من ناحيتن : إحداهما أنَّ الذي يجب أن لا يعزل من منصوبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الخليفة فحسب لا يتسرَّب إليه الرأي والمقاييس ، كما لا يتطرّقان إلى الأحكام والسنن المشرّعة ، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم نصبه يوم نصب بأمر من المولى سبحانه رئيساً عالميّاً مدى أمد حياته ، كما أنَّه شرَّعها أحكاماً عالميَّة مدى أمد الدهر . بخلاف أمراء الجنود والولاة والعمّال فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يولّيهم الأمر لمصالح وقتيَّة بعد الفراغ من تأهُّلهم للإمارة والولاية والعمل ، وإذا انقضى ظرف المصلحة أو تبدّلت بأخرى أو سلب التأهّل من أحدهم كان يزحزحه من عمل إلى عمل، أو يسقطه عن الوظيفة نهائيّاً ، أو إلى أمد تعود بعده إليه جدارته . وكذلك شأن الخليفة من بعده فانّه قائم مقامه صلى الله عليه وآله وسلم وله النصب والنزع ، والخفض والرفع ، ولذلك أمّر أبو بكر نفسه خالد بن سعيد على مشارق الشام في الردَّة ، وكان قد استعمله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على ما بين زمع وزبيد إلى حدِّ نجران أو على صدقات مذحج ومات صلى الله عليه وآله وسلم وهو على عمله .

واستعمل أبو بكر نفسه أيضاً يعلى بن أُميّة على حلوان ، ثمَّ عمل لعمر على بعض اليمن ، ثمَّ استعمله عثمان على صنعاء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استعمله على الجند وتوفي وهو على عمله .

واستعمل أبو بكر عكرمة على عمّان ثمَّ عزله واستعمل عليها حذيفة بن محصن وكان قد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص على عمان فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أميرها ، واستعمل عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته .

واستعمل عمر عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين سنة ١٥ ، وكان قد استعمله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على الطائف وأقرّه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

واستعمل عمر عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري على البصرة ، ثمَّ عزله

(١) التمهيد للباقلاني ص ١٩٣ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٩ . تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، الروض الأنف ج ٢ ص ٣٧٥ .

عثمان وأقرَّه على الكوفة ، ثمَّ عزله عليٌّ عليه السلام عنها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولّاه مخاليف اليمن .

وقال أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٦٦ : أقرَّ عثمان ولاة عمر سنة لأنَّه كان أوصى بذلك ثمَّ عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ، وولّاها سعد بن أبي وقاص ، ثمَّ عزله وولَّى الكوفة الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أُمِّه .

راجع تاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير ، والإستيعاب ، واسد الغابة ، وتاريخ أبي الفدا ، وتاريخ ابن كثير ، والإصابة ، وغيرها من كتب التاريخ ومعاجم التراجم .

وكم وكم لهؤلاء الولاة المذكورين من نظير ، فليس أُسامة ببدع من هؤلاء ، وإنَّما هو كأحدهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم .

فاقتصار الخليفة في الحجاج بنصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُسامة في غير محلّه ، إلّا أن يقيِّده بأنَّ ما ارتآه صلى الله عليه وآله وسلم من المصلحة يوم ذاك باقيةٌ بعدُ من غير حاجة إلى أيٍّ من القول والفعل اللذين ارتكبهما .

الناحية الثانية : إنَّ طلبة الأنصار هذه متَّخذةٌ عن عمل الخليفة نفسه وصاحبيه حيث قدَّماه يوم السقيفة بكبر سنّه وشيبته كما مرَّ في صفحة ١٠٨، ١٠٩ فلا غضاضة على الأنصار إذن أن يتحرّوا للإمارة عليهم مَن هو أقدم سنّاً من أُسامة تأسياً بالخلافة ، وإذا كان تولية الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم أُسامة للقيادة مانعة عن نزعه فما بالُ منصوبه صلى الله عليه وآله وسلم للخلافة يوم غدير خُمّ بمشهد من مائة ألف أو يزيدون ، وفي مواقف أُخرى متكثِّرة يعزل عن الأمر ؟ ولا منكرٌ يُصاخ إليه ، ولا وازعٌ يُسمع منه ، هب أنَّ قيساً أخذ بلحية عمر يوم ذاك كما أخذ بها أبو بكر يوم أُسامة ، واحتجَّ آخرون لأمير المؤمنين عليه السلام واحتدم الحوار ، لكن : لا رأي لمن لا يُطاع .

نعم : أخرج ابن حبّان في خُلق الخليفة من طريق إسماعيل بن محمّد الكذّاب الوضّاع مرفوعاً عن جبرائيل أنّه قال : أبو بكر لفي السَّماء أشهر منه في الأرض فإنَّ الملائكة لتسمّيه حليم قريش . الخ . وقد أسلفناه في الجزء الخامس ص ٤١٦ وبيَّنا هناك أنّه كذبٌ موضوعٌ .

ولو كان الخليفة حليم قريش أو كان يرث النبيَّ الأعظم شيئاً من خلقه العظيم لَما توفّيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدةٌ عليه من جرّاء ما تلقّت منه من غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمنّى تركه عند وفاته ، ولم يكن يأمر بقتال من فيه[1] إلى هنات وهنات .

أخرج البخاري في باب فرض الخمس ج ٥ ص ٥ عن عائشة : إنَّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إنَّ رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة . فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتّى توفّيت .

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر ج ٦ ص ١٩٦ عن عائشة قالت : إنَّ فاطمة «إلى أن قالت» : فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت ، وعاشت بعد النبيِّ ﷺ ستّة أشهر فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها .

ويوجد الحديث في صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٢ ، مسند أحمد ج ١ ص ٦ ، ٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٢ ، مشكل الآثار للطحاوي ج ١ ص ٤٨ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، كفاية الطالب ص ٢٢٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٥ وقال في ج ٦ ص ٣٣٣ : لم تزل فاطمة تبغضه مدّة حياتها ، وذكره بلفظ الصحيحين الدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٣ .

ولأيِّ الأُمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها ؟

بلغت من موجدتها أنّها أوصت بأن تُدفن ليلاً ، وأن لا يدخل عليها أحد ، ولا يصلّي عليها أبو بكر ، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر ، وصلّى عليها عليٌّ وهو الذي غسّلها مع أسماء بنت عميس[2] .

---

(١) راجع صفحة ٩٣ و١٩٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ، رسائل الجاحظ ص ٣٠٠ ، حلية الأولياء ج ٢ ص٤٣ ، مستدرك الحاكم ج٣ ص ١٦٣ ، طرح التثريب ج ١ ص ١٥٠ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٤ ، الإستيعاب ج ٢

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩٠ : ثبت عندنا أنَّ عليّاً كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلاً وصلّى عليها ومعه العبّاس والفضل ولم يعلموا بها أحداً .

وقال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٣٧٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٧ : روى الواقدي من طريق الشعبي قال : صلّى أبو بكر على فاطمة . وهذا فيه ضعفٌ وانقطاع ، وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمّد عن أبيه نحوه ووهّاه الدارقطني وابن عدي ، وقد روى البخاري عن عائشة : أنَّها لمّا توفّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ، ولم يُؤْذن بها أبا بكر وصلّى عليها .

قال الأميني : حديث مالك عن جعفر بن محمّد أسلفناه في الجزء الخامس صحيفة ٤٢٣ ولفظه : توفيت فاطمة ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وجماعةٌ كثيرة فقال أبو بكر لعليّ : تقدَّم فصلِّ . قال : لا والله لا تقدَّمت وأنت خليفة رسول الله ، فتقدَّم أبو بكر فصلّى أربعاً . وقد بيّنا هنالك أنَّه من موضوعات عبد الله بن محمّد القدامي المصيصي كما عدَّه الذهبي في الميزان ج ٢ ص ٧ من مصائبه .

ومن جرّاء تلك الموجدة مُنعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها ، فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت : لا تدخلي . فشكت إلى أبي بكر وقالت: هذه الخثعميَّة تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ! ما حملك على أن منعتِ أزواج النبيِّ ﷺ أن يدخلن على بيت رسول الله ﷺ ، وقد صنعتِ لها هودج العروس ؟ قالت: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحدٌ ، وأمرتني أن أصنع لها ذلك .

راجع الإستيعاب ج ٢ ص ٧٧٢ ، ذخائر العقبى ص ٥٣ ، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ ، كنز العمال ج ٧ ص ١١٤ ، شرح صحيح مسلم للسنوسي ج ٦ ص ٢٨١ ، شرح الآبي لمسلم ج ٦ ص ٢٨٢ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٢١ .

= ص ٧٥١ ، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٨٣ ، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٣٦٢ ، الإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ .

إعتذار الخليفة إلى الصدّيقة :

هذه المذكورات كلّها وبعضٌ سواها تكذّب ما اختلقته رُماة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنّه قال : جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد اشتدّ مرضها فاستأذن عليها فقال لها عليٌّ : هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له ؟ قالت : أو ذَاك أحبّ إليك ؟ قال : نعم . فدخل فاعتذر إليها وكلّمها فرضيت عنه .

وعن الأوزاعي قال : بلغني أنَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتّى قام على بابها في يوم حارّ ثمّ قال : لا أبرح مكاني حتى ترضى عنّي بنت رسول الله ﷺ فدخل عليها عليٌّ فأقسم عليها لترضى فرضيت[1] .

ما قيمة هذه الرواية تجاه تلكم الصحاح ؟ ولا يوجد لها أثرٌ في أيِّ أصل من أُصول الحديث ومسانيد الحفّاظ ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفّى سنة ١٥٧ وأرسل بها الشعبي المتوفّى سنة ١٠٤/٥/٦/٧/٩/١٠ ولا يُعرف من بلّغها ، ومن أتى بها ، ومَن أوحاها إلى الرجلين . نعم تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة والجاحظ قال الأوّل : إنَّ عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما : انطلق بنا الى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها ، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السّلام فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ! والله إنَّ قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي ، وإنّكِ لأحبُّ إليَّ من عائشة إبنتي ، ولوددت يوم مات أبوكِ أنّي متُّ ولا أبقى بعده ، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعكِ حقّكِ وميراثكِ من رسول الله ؟ إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به ؟ فقالا : نعم . فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبَّ فاطمة إبنتي فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٩ .

قالا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ . قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيَّ لأشكونّكما إليه . فقال أبو بكر : أنا عائذٌ بالله تعالىٰ من سخطه وسخطكِ يا فاطمة ! ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول : والله لأدعونَّ عليك في كلِّ صلاة أُصلّيها . ثمَّ خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كلُّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي[1] .

وقال الجاحظ في رسائله ص ٣٠٠ : وقد زعم أُناس أنَّ الدليل على صدق خبرهما «يعنى أبا بكر وعمر» في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما . . ! قد يُقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ، أنَّ ترك المتظلّمين والمحتجّين عليهما والمطالبين لهما دليلٌ على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهم ، ولاسيّما وقد طالت المناجاة ، وكثرت المراجعة والملاحاة ، وظهرت الشكيَّة ، واشتدَّت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة أنها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر . ولقد كانت قالت له حين أتته مطالبة بحقّها ومحتجَّة لرهطها : مَن يرثك يا أبا بكر إذا متَّ ؟ قال : أهلي وولدي قالت : فما بالنا لا نرث النبيَّ ﷺ[2] ؟ فلمّا منعها ميراثها ، وبخسها حقّها واعتلَّ عليها ، وجلح أمرها ، وعاينت التهضّم ، وأيست في التورُّع ، ووجدت نشوة الضعف وقلّة الناصر ، قالت : والله لأدعونَّ الله عليك . قال : والله لأدعونَّ الله لكِ . قالت والله لا كلَّمتُك أبداً قال: والله لا أهجركِ أبداً . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، أنَّ في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟ وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجرا ، وتجوِّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأُمور واستوت

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ١٠ ، والبلاذري في فتوح البلدان ص ٣٨ ، وابن كثير في تأريخه ج ٥ ص ٢٨٩ .

الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظنّ به ظلمها والتعدّي عليها ، وكلّما ازدادت عليه غلظة ازداد لها ليناً ورقّةً . حيث تقول له : والله لا أكلّمك أبداً . فيقول : والله لا أهجركِ أبداً . ثمّ تقول : والله لأدعونّ الله عليك . فيقول : والله لأدعونّ الله لكِ . ثمّ يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبة ، ثمّ لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرّباً كلام المعظّم لحقها . المكبّر لمقامها ، الصائن لوجهها ، المتحنّن عليها : ما أحدٌ أعزّ عليّ منك فقراً ، ولا أحبُّ إليّ منكِ غنى ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسّلامة من الجور ، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم ، وذلّة المنتصف ، وحدب الوامق ، ومقت المحقّ . وكيف جعلتم ترك النكير حجّةً قاطعة ودلالةً واضحة ؟ وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ : متعة النساء ومتعة الحجّ ، أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما[1] فما وجدتم أحداً أنكر قوله ، ولا استشنع مخرج نهيه ، ولا خطّأه في معناه ، ولا تعجّب منه ولا استفهمه .

وكيف تقضون بترك النكير ؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أنّ النبيّ ﷺ قال : الأئمّة من قريش[2] ثمّ قال في شكايته : لو كان سالم حيّاً ما تخالجني فيه الشك[3] حين أظهر الشكّ في استحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم

---

(١) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ٢٥٢

(٢) أخرجه غير واحد من الحفاظ وصححه ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ٨٩ فقال : هذه رواية جاءت مجيء التواتر ، ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ، ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار به يوم السقيفة . هـ .

(٣) أخرجه ابن سعد ، والباقلاني ، وأبو عمر ؛ والحافظ العراقي كما مرّ ص ١٦٦ .

شورى وسالم عبدٌ لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه ، ثمَّ لم ينكر ذلك من قوله منكرٌ ، ولا قابل إنسانٌ بيّن قوله ولا تعجّب منه ، وإنّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله ، فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي والقتل والإستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجّة تشفي ولا دلالة تضيء . إنتهت كلمة الجاحظ .

نظرة في كلمة قارصة :

لا يسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٩ من أنَّ فاطمة حصل لها ـ وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة ـ عتبٌ وتغضّب ، ولم تكلّم الصدِّيق حتّى ماتت . وقال في ص ٢٨٩ : وهي امرأةٌ من بنات آدم تأسف كما يأسفون ، وليست بواجبة العصمة ، مع وجود نصِّ رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما . اهـ .

أنّى لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها وفي أبيها وبعلها وبنيها ؟ .

أنّى لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة بضعةٌ منّي فمن أغضبها أغضبني ؟ .

وفي لفظة : فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما أنصبها . في تاج العروس : أي يتعبني ما أتعبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يسعفني ما يسعفها ، في تاج العروس : أي ينالني ما ينالها ، ويلمّ بي ما يلمّ بها .

وفي لفظة : فاطمة شجنةٌ منّي يبسطني ما يبسطها ، ويقبضني ما يقبضها .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منّي فمن آذاها فقد آذاني .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منّي يقبضني ما قبضها ، ويبسطني ما بسطها .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منّي يسرُّني ما يسرُّها .

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمّة الصحاح الستّ وعدّةٌ أُخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم وإليك جملةً ممّن رواها :

١ ـ ابن أبي مليكة المتوفّى سنة ١١٧ كما في رواية البخاري ومسلم وابن ماجة وابن داود وأحمد والحاكم .

٢ ـ أبو عمر بن دينار المكي المتوفّى سنة ١٢٥/٦ كما في صحيحي البخاري ومسلم .

٣ ـ الليث بن سعد المصري المتوفّى سنة ١٧٥ كما في إسناد ابن ماجة وابن داود وأحمد .

٤ ـ أبو محمّد ابن عيينة الكوفي المتوفّى سنة ١٩٨ كما في الصحيحين .

٥ ـ أبو النضر هاشم البغدادي المتوفّى سنة ٢٠٥/٧ كما في مسند أحمد .

٦ ـ أحمد بن يونس اليربوعي المتوفّى سنة ٢٢٧ كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود .

٧ ـ الحافظ أبو الوليد الطيالسي المتوفّى سنة ٢٢٧ كما في صحيح البخاري .

٨ ـ أبو المعمّر الهذلي المتوفّى سنة ٣٣٦ كما في صحيح مسلم .

٩ ـ قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفّى سنة ٢٤٠ روى عنه مسلم وأبو داود .

١٠ ـ عيسى بن حمّاد المصري المتوفّى سنة ٢٤٨/٩ روى عنه ابن ماجة .

١١ ـ إمام الحنابلة أحمد المتوفّى سنة ٢٤١ في مسنده ج ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٨ .

١٢ ـ الحافظ البخاري أبو عبد الله المتوفَّى سنة ٢٥٦ في صحيحه في المناقب ج ٥ ص ٢٧٤ .

١٣ ـ الحافظ مسلم القشيري المتوفَّى سنة ٢٦١ في صحيحه في الفضائل ج ٢ ص ٢٦١ .

١٤ ـ الحافظ أبو عبد الله ابن ماجة المتوفّى سنة ٢٧٢ في سننه ج ١ ص ٢١٦ .

١٥ ـ الحافظ أبو داود السجستاني المتوفَّى سنة ٢٧٥ في سننه ج ١ ص ٣٢٤ .

١٦ ـ الحافظ أبو عيسى الترمذي المتوفَّى سنة ٢٧٥ في جامعه ج ٢ ص ٣١٩ .

١٧ ـ الحكيم أبو عبد الله الترمذي المحدِّث المتوفَّى سنة ٢٨٥ في نوادر الأُصول ص ٣٠٨ .

١٨ ـ الحافظ أبو عبد الرّحمٰن النسائي المتوفَّى سنة ٣٠٣ في خصائصه ص ٣٥ .

١٩ ـ أبو الفرج الأصبهاني المتوفَّى سنة ٣٠٣ في الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ .

٢٠ ـ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفَّى سنة ٤٠٥ في المستدرك ج ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

٢١ ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفَّى سنة ٤٣٠ في حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠ .

٢٢ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفَّى سنة ٤٥٨ في السنن الكبرى ج ٧ ص ٣٠٧ .

٢٣ ـ أبو زكريا الخطيب التبريزي المتوفَّى سنة ٥٠٢ في مشكاة المصابيح ص ٥٦٠ .

٢٤ ـ الحافظ أبو القاسم البغوي المتوفّى سنة ٥١٠/١٦ في مصابيح السنّة ج ٢ ص ٢٧٨ .

٢٥ ـ القاضي أبو الفضل عياض المتوفّى سنة ٥٤٤ في الشفاء ج ٢ ص ١٩ .

٢٦ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨ في مقتله ج ١ ص ٥٣ .

٢٧ ـ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١ في تاريخه ج ١ ص ٢٩٨ .

٢٨ ـ أبو القاسم السهيلي المتوفّى سنة ٥٨١ في الروض الأنف ج ٢ ص ١٩٦ .

وقال : إنّ أبا لبابة رفاعة بن عبد المنذر ربط نفسه في توبة وإنّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته فقال : قد أقسمت ألا يحلّني إلاّ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إنّ فاطمة مضغة منّي . فصلّى الله عليه وعلى فاطمة ، فهذا حديثٌ يدلُّ على أنّ من سبّها فقد كفر ، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها ﷺ .

٢٩ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٥٨٦ في شرح النهج ج ٢ ص ٤٥٨ .

٣٠ ـ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في صفة الصفوة ج ٢ ص ٥ .

٣١ ـ الحافظ أبو الحسن بن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠ في اسد الغابة ص ٥٢١ .

٣٢ ـ أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ في مطالب السؤول ج ٦ ص ٧ .

٣٣ ـ سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧٥ .

٣٤ ـ الحافظ الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ في الكفاية ص ٢٢٠ .

٣٥ ـ الحافظ محبّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في ذخائر العقبى ص ٣٧ .

٣٦ ـ الحافظ أبو محمّد الأزدي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٩٩ في شرح المختصر من صحيح البخاري ج ٣ ص ٩١ .

٣٧ ـ الحافظ الذهبي الشافعي المتوفّى سنة ٧٤٧ في تلخيص المستدرك .

٣٨ ـ القاضي الإيجي المتوفّى سنة ٧٥٦ في المواقف كما في شرحه ج ٣ ص ٢٦٨ .

٣٩ ـ جمال الدين محمّد الزرندي الحنفي المتوفّى في بضع و ٧٥٠ في درر السمطين .

٤٠ ـ أبو السعادات اليافعي المتوفّى سنة ٧٦٨ في مرآة الجنان ج ١ ص ٦١ .

٤١ ـ الحافظ زين الدين العراقي المتوفّى سنة ٨٠٦ في طرح التثريب ج ١ ص ١٥٠ .

٤٢ ـ الحافظ نور الدين الهيثمي المتوفّى سنة ٨٠٧ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ .

٤٣ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ في تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤١ .

٤٤ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ في الجامع الصغير والكبير .

٤٥ ـ الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ في المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٥٧ .

٤٦ ـ القاضي الدياربكري المالكي المتوفّى سنة ٨٢/٩٦٦ في الخميس ج ١ ص ٤٦٤ .

٤٧ ـ ابن حجر الهيتمي المتوفَّى سنة ٩٧٤ في الصواعق ص ١١٢ ، ١١٤ .

٤٨ ـ صفيُّ الدين الخزرجي المتوفَّى سنة .... في الخلاصة ص ٤٣٥ .

٤٩ ـ زين الدين المناوي المتوفَّى سنة ١٠٣١/٥ في كنوز الدقائق ص ٩٦ .

وقال في شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٢١ : استدلّ به السهيلي على أنَّ مَن سبَّها كفر لأنَّه يغضبه ، وأنَّها أفضل من الشيخين قال الشريف السمهودي : ومعلومٌ أنَّ أولادها بضعةٌ منها فيكونون بواسطتها بضعة منه ، ومن ثمَّ لمّا رأت أُمّ الفضل في النوم أنَّ بضعة منه وضعت في حجرها أوَّلها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها ، فولدت الحسن فوضع في حجرها ، فكلُّ مَن يشاهد الآن من ذرّيتها بضعة من تلك البضعة ، وإن تعدَّدت الوسائط ، ومن تأمَّل ذلك إنبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنَّب بغضهم على أيِّ حال كانوا عليه .

قال ابن حجر : وفيه تحريم أذى مَن يتأذّى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بتأذّيه ، فكلُّ من وقع منه في حقِّ فاطمة شيء فتأذَّت به فالنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يتأذّى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم مِن إدخال الأذى عليها من قِبَل ولدها ، ولهذا عرف بالإستقرار معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشدُّ .

٥٠ ـ الشيخ أحمد المغربي المالكي المتوفَّى سنة ١٠٤١ في فتح المتعال ص ٣٨٥ . قال في قصيدة كبيرة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

فما كسبطي رسول الله من أحد ... ولا يضاهيهما في الفخر مفتخر
وهل كفاطمة الزهراء أُمّهما ... بنت النبيِّ المصطفى بشر ؟
فإنَّها بضعةٌ منه وما أحدٌ ... كبضعة المصطفى إن حقَّق النظر

٥١ ـ الشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٧ في وسيلة المآل .

٥٢ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٥ فقال : استدلَّ به السهيلي على أنَّ من سبَّها كفر . وتوجيهه أنَّها تغضب ممَّن سبَّها وقد سوّى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه كفر .

٥٣ - الزبيدي الحنفي المتوفَّى سنة ١٢٠٥ في تاج العروس ج ٥ ص٢٢٧ وج ٦ ص ١٣٩ .

٥٤ - القندوزي الحنفي المتوفَّى سنة ١٢٩٣ في ينابيع المودَّة ص ١٧١ .

٥٥ - الحمزاوي المالكي المتوفَّى سنة ١٣٠٣ في النور الساري هامش البخاري ج ٥ ص ٢٧٤ .

٥٦ - الشيخ مصطفى الدمشقي المتوفَّى سنة .... في مرقاة الوصول ص ١٠٩ .

٥٧ - السيّد حميد الدين الآلوسي المتوفَّى سنة ١٣٢٤ في نثر اللآلي ص ١٨١ .

٥٨ - السيِّد محمود القراغولي البغدادي الحنفي في جوهرة الكلام ص ١٠٥ .

٥٩ - عمر رضا كحالة في أعلام النساء ج ٤ ص ١٢٤ .

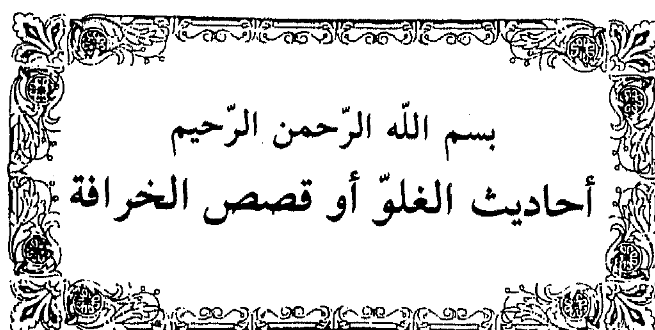
ثمَّ أنّى لنا القول بمقال ابن كثير وملء الأسماع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيَّ فمن آذاها فقد آذاني[1] . وقوله : إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها . أو : إنَّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ قاله لفاطمة ؟ !! .

راجع معجم الطبراني ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه ، مسند ابن النجار ، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٥٢ ، تذكرة السبط ص ١٧٥ ، كفاية الطالب للكنجي ص ٢١٩ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٣٩ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٧٢ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٣ ، كنز العمال ج ٧ ص ١١١ ، أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ١٨٥ ، كنوز الدقائق للمناوي ص ٣٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٢ ، الإسعاف ص ١٧١ ، ينابيع المودّة ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، الشرف المؤبّد ص ٥٩ .

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٤٠ .

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصدِّيقة سلام الله عليها حتّى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري ، وذلك يكشف عن أنّها صلوات الله عليها لا ترضى إلاّ لما فيه مرضاة المولى سبحانه ، ولا تغضب إلاّ على ما يغضبه ، حتّى انّها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فإنّ هناك جهةٌ شرعيّةٌ تدخله في الراجحات ، أو تجعله من المكروهات ، فلن تجد منها في أيّ من الرضا والغضب وجهةٌ نفسيَّةٌ أو صبغةٌ شهويَّةٌ ، وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق ـ ابن كثير ـ بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها وبعلها وبنيها : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** .



هذه أبحاث مجملة تمثّل لنا نفسيّات الخليفة ، وملكاته الفاضلة ، نقتصر بها في هذه العجالة وإن لم تزحفنا ولم يتأتَّ بها القصوى ، غير أنَّ فيها بلغةً في إيقاف الباحث على حدِّ الخليفة ، ومقياساً يُعرف به القالي له من الغالي فيه ، والمقتصد فيه من القاسط عليه ، ويمتاز به سَرَف القول في امتداحه عن جزاف الإمتداح عليه ، فيهمُّنا عندئذ ذكرُ نزر يسير ممّا سرده القوم من فضائله التي فيها من الغلوِّ الفاحش ما لا يخفى على أيِّ أحد ثمَّ نشفعه بما جاء في غيره حتى يُعرف أهل الغلوّ في الفضائل .

١ ـ الشمس على العجلة :

ذكر الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه «عمدة التحقيق في بشائر آل الصدِّيق»(١) نقلاً عن كتاب «العقائق» والصفوري في «نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤» نقلاً عن «عيون المجالس» قالوا :

روي أنَّ النبيَّ ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها : إنَّ الله تعالىٰ لمّا خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرَّة وجعلها على عجلة ، وخلق للعجلة ثمانمائة وستّين عروة ، وجعل في كلِّ عروة سلسلة من الياقوت

(١) ص ١٨٤ هامش روض الرياحين لليافعي المطبوع بمصر سنة ١٣١٥ .

الأحمر ، وأمر ستّين ألفاً من الملائكة المقرّبين أن يجرّوها بتلك السلاسل مع قوّتهم التي اختصّهم الله بها ، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبّة الخضراء ، وتجلو جمالها على أهل الغبراء ، وفي كلّ يوم تقف على خطّ الإستواء فوق الكعبة لأنّها مركز الأرض وتقول : يا ملائكة ربّي إنّي لأستحي من الله عزّ وجلّ إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها ، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكلّ قوّتها فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها ، فالله تعالى يوحي إلى الملائكة وحي إلهام فينادون : أيها الشمس بحرمة الرّجل الذي إسمه منقوش على وجهك المنير إلّا رجعت إلى ما كنت فيه من السير . فإذا سمعت ذلك تحرّكت بقدرة المالك ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ! من هو الرّجل الذي إسمه منقوشٌ عليها ؟ قال : هو أبو بكر الصدّيق يا عائشة ! قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنّه يخلق الهواء ، ويخلق على الهواء هذه السّماء ، ويخلق بحراً من الماء ، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا ، وإنّ الشمس تتمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الإستواء ، وإنّ الله تعالىٰ قدّر أن يخلق في آخر الزمان نبيّاً مفضّلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة ! على رغم الأعداء ، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر صدّيق المصطفى ، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس ، وعادت إلى سيرها ، بقدرة المولى ، وكذلك إذا مرّ العاصي من أُمّتي على نار جهنّم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم ، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش إسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة ، ولغيره طالبة .

قال الأميني : إنّ ممّا يغمرني في الحيرة أنّ هذه العجلة ، لِم لم يكشف عنها علماء الهيئة قديماً وحديثاً ، مع توفّر أدوات الكشف ومحصّلاته لأهل الهيئة الجديدة خاصّة ؟ وأنّهم لِماذا استقرّت آراؤهم بعد تقدُّم العلم واستفحال أمره وكثرة اكتشافاته على دوران الأرض على الشمس ؟ .

وتُعلمنا الرّواية عن أنّ البخار لم يَكن مستخدماً عند إنشاء تلك العجلة فيمدّها الله سبحانه به حتى لا يشعر بإرادة مريد ، ولا حياء من يستحي ، فيمضي بالعجلة ويوصلها في أسرع وقت إلى حيث شيءَ لَها قدماً ، ولكنَّ العجب أنَّ الله

سبحانه : لِم لَم يستبدل بالبخار عن الملائكة بعد اكتشافه فيطلق صراح أُولئك الآلاف المؤلّفة المقيّدة بسلاسل بلاء العجلة ، ويعتقهم عن مكابدة تمرُّد الشمس في كلّ يوم ؟ .

وهناك مسألة لا أدري من المجيب عنها وهي : إنَّ إرادة الله سبحانه الفائقة على كلِّ قوَّة جامحة وهي تمسك السَّماء بغير عمد ترونها ، وتسير الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كلَّ شيء ، لِمَ لم تقم مقام أُولئك المسخَّرين لجرِّ الشمس حتّى لا يوقفها تمرُّد ، ولا تحتاج إلى عرى وسلاسل ، او الأقسام بمن كتب إسمه عليها ؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعرى والسلاسل ، وخلق أُولئك الجمّ الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجرِّ الثقيل ، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له : كن ، فيكون ؟ .

ثمَّ إنَّ الشمس هلاّ كانت تعلم أنَّ إرادة الله سبحانه ماضيةٌ عليها بجريها إلى الغاية المقصودة ؟ فما هذا التوقُّف والتمرُّد ؟ والله تعالىٰ أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها وقد جعلها في خطّة سيرها . أنّى للشمس أن تجهل بها ؟ وهي الشاعرة بخطِّ الإستواء ، ومحاذاة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدَّسة ، وهي العارفة بمقامات الصدِّيق ، وانَّ إسمة منقوشٌ عليها ، وانَّ من واجبها أن تنقاد ولا تجمح على من أقسم به عليها .

وعن عويصات لا تنحلُّ : تجديد الشمس تمرُّدها كلَّ يوم ، **﴿والشمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾**(١) **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون﴾**(٢) .

وأعوص من ذلك : إنشاد الملائكة إيّاها في كلِّ نهار بتلك الأُنشودة الضخمة ووحي الله إليهم بها طيلة عمر الدنيا .

---

(١) سورة يسٓ ؛ الآية : ٣٨ .
(٢) سورة يسٓ ؛ الآية : ٤٠ .

هكذا تشوّه رواةُ السوء سمعة السنّة الشريفة ، وهي مقدَّسةٌ عن هذه الأوهام الخرافيّة وإنَّ هذه كلّها من جرّاء الغلوّ الممقوت في الفضائل ، ولو كان مختلق هذه المرسلة المقطوعة عن الإسناد يعلم ما ذكرناه من الفضائح المترتبة على افتعالها لَما اقتحم هذا الإقتحام المزري .

٢ ـ التوسّل بلحية أبي بكر :

ذكر اليافعي في روض الرياحين[1] عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنَّه قال : بينما نحن جلوسٌ بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم فرددنا عليه السّلام وأجلسناهُ بين يدي النبيِّ ﷺ فقال : من يقضيني حاجة في حبِّ النبيِّ ﷺ ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما حاجتك يا شيخ ؟ فقال : إنَّ لي أهلاً ولم يكن عندي ما نقتات به ، وأُريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حبِّ رسول الله ﷺ . قال فنهض أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وقال : نعم أنا أُعطيك ما يقوم بك في حبِّ رسول الله ﷺ . ثمَّ قال : هل من حاجة أُخرى ؟ فقال : نعم إنَّ لي ابنة أُريد من يتزوَّج بها في حياتي حبّاً في محمَّد ﷺ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا أتزوَّج بها في حياتك حبّاً في رسول الله ﷺ ، هل من حاجة أُخرىٰ ؟ فقال : نعم أُريد أن أضع يدي في شيبة أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالىٰ عنه حبّاً في محمَّد ﷺ . فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الأعمى وقال : أمسك لحيتي في حبِّ محمَّد ﷺ . قال : فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وقال : يا ربِّ أسألك بحرمة شيبة أبي بكر إلا رددت عليَّ بصري . قال : فردَّ الله عليه بصره لوقته ، فنزل جبرائيل عليه السلام على النبيِّ ﷺ وقال : يا محمَّد ! السّلام يقرئك السّلام ، ويخصُّك بالتحيَّة والإكرام ، ويقول لك : وعزَّته وجلاله لو أقسم عليَّ كل أعمى بحرمَة شيبة أبي بكر الصدِّيق لرددت عليه بصره ،

---

(١) طبع بمصر في المطبعة السعيدية هامش العرائس للثعلبي توجد الرواية في ص ٤٤٣ ينقل عنه القسطلاني في المواهب ، وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٥٧ : مؤلف حسن ، وطبع لليافعي كتاب آخر مستقلاً في مصر سنة ١٣١٥ باسم روض الرياحين أيضاً ، وهو تأليفه الآخر غير المطبوع في حاشية العرائس .

ومـا تركت على وجـه الأرض أعمى ، وهذا كلّه ببـركتك وعلوّ قـدرك وشأنـك عنـد ربِّك .

قـال الأميني : ﴿**إنَّهـا لا تعمـى الأبصـار ولـكن تـعمـى القـلوب التـي في الصـدور**﴾ . حقّاً إنَّ هـذا الضريـر قد عمي قلبـه قبل بصـره ، فلم يعقل أنَّ القسم بشيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولىٰ من شيبة أبي بكر ، فهي مقـدَّمة قـداسةً وشـرفاً وزلفـةً عند الله سبحانه ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أكبُر من أبي بكر سنّاً وأكثر شيبـة ، فما أعمـى الرجـل عنها إن كان يريد مقسماً به يبرّ الله سبحانـه به قسمـه ؟ أو أنَّه كـان له في شيبـة أبي بكر غاية لم نعرفهـا ؟ ثمَّ أين عن هذه الشيبـة عميان أهـل السنَّة ، ومـا أغفلهم عن الوحي المنزل فيها ؟ فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم ، وما بال الحفّاظ وأئمَّة الحديث أرجأوا نشر هـذه الروايـة إلى القرن الثـامن في عهد اليـافعي ؟ هل بخلوا على عميـان الأُمَّة بمثـل هذا النجـاح الباهـر وفي الوحي المـزعوم قـوله سبحـانه : وعزَّتـي وجـلالي لـو أقسـم عليَّ كل أعمى . الـخ ؟ أو أنّهم وجـدوا مـولـد هـذا الحديث بعد عصورهم فلم يشيدوا بذكره ؟ أو رأوا فيـه غلـواً فاحشـاً بتقديم لحيـة أبي بكر على شيبة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطووا عن روايتـه كشحاً ؟ أو عقلوا فيـه مهزأة بالله ووحيه وأمينه ونبيِّه فضربوا عنه صفحاً ؟ .

وللقـوم حول شيبـة أبي بكـر روايـات منهـا مـا أسلفنـاه في الجـزء الخـامس ص ٤١٧ من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا اشتاق إلى الجنَّة قبّـل شيبة أبي بكـر . ومرَّ هنـالك أنَّهـا من أشهر المشهـورات من الموضـوعات ، ومن المفتـريـات المعلوم بـطلانهـا ببديهة العقل كما قاله الفيروزآبـادي والعجلوني .

ومنهـا مـا ذكـره العجلوني في كشف الخفـا ج ١ ص ٢٣٣ من أنَّ لإبـراهيم الخليل وأبي بكر الصدِّيق شيبةٌ في الجنَّة .

ثمَّ قـال فـي المقاصـد نقلاً عن شيخـه ابن حجر : لم يصـحّ أنَّ للخليل في الجنَّة لحية ولا للصدِّيق ، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة . ثمَّ قـال : وعلى تقديـر ثبوت وروده فيـظهر لي أنَّ الحكمـة في ذلك : أمّا في حقِّ الخليل فلكونه منزّلاً منـزلة الـوالد للمسلمين لأنَّـه الذي سمّـاهم

بالمسلمين وأُمروا باتّباع ملّته ، وأمّا في حقّ الصدّيق فلأنّه كالوالد الثّاني للمسلمين ، إذ هو الفاتح لهم باب الدخول على الإسلام .

قال الأميني : إنَّ الذي سمّى الأُمَّة المرحومة بالمسلمين هو الله سبحانه كما في قوله تعالىٰ : **﴿جاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم . هو سمّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا﴾**(١) .

وإن أمكنت التسمية من إبراهيم من قبلُ فإنّها غير ممكنة منه في هذا وهو القرآن الكريم ، وإنّما وقع ذكر ملّة إبراهيم في البين إمتناناً منه سبحانه على الأُمَّة بجعل الإسلام شريعة سهلة لا حرج فيها ترغيباً في الدخول فيه . فالقول بأنَّ إبراهيم سمّاهم مسلمين لا يتمُّ مع قوله تعالىٰ : **﴿وفي هذا﴾** يعني في القرآن ، قال القرطبي : هذا القول مخالفٌ لقول عظماء الأُمَّة . وقال القرطبي : هذا لا وجه له لأنّه من المعلوم أنَّ إبراهيم لم يسمّ هذه الأُمَّة في القرآن المسلمين .

وقال ابن عبّاس : الله سمّاكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدِّمة وفي الذِّكر . وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وابن مبارك .

وتدلُّ على تعيّن هذا القول قراءة أُبيّ بن كعب : الله سمّاكم المسلمين . كما في تفسير البيضاوي ج ٢ ص ١١٢ ، وكشّاف الزمخشري ج ٢ ص ٢٨٦ ، وتفسير الرازي ج ٦ ص ٢١٠ ، وتفسير ابن الجزي الكلبي ج ٣ ص ٤٧ .

واستقربه الرازي في تفسيره فقال : لأنّه تعالىٰ قال : **﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾** . فبيَّن أنّه سمّاهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلّا بالله .

واستصوبه ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٢٣٦ وقال : لأنّه تعالى قال : **﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حَرج﴾** . ثمَّ حثّهم وأغراهم على ما جاء به الرّسول صلوات الله عليه بأنّه ملّة أبيهم الخليل ، ثمَّ ذكر منّته تعالىٰ على هذه الأُمّة بما نوّه به من ذكرها والثناء عليه في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يُتلى

---

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٧٨ .

على الأحبار والرهبان فقال :﴿هو سمّاكم المسلمين من قبلُ﴾ . أي من قبل هذا القرآن . وفي هذا .

وبهذا تعرف قيمة ما حسبه المتفلسف من أنَّ تنزيل إبراهيم منزلة الأب للمسلمين لمحض التسمية فإنّه ممّا لا يُقام له وزنٌ وإلاّ لوجب اتّخاذ من سمّى أحداً باسمٍ (أباً) تنزيليّاً ومن المعلوم بطلانه، وإنّما سمّاه الله أباً للمسلمين لأنّه عليه السلام أب الرسول الأمين وإنَّ قريشاً من ذريّته وهو صلى الله عليه وآله وسلم أبو الأمّة وأُمّته في حكم أولاده وأزواجه أُمّهاتهم كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : إنّما أنا لكم كالوالد . أو : مثل الوالد[1] .

أنا لا أدري ما هي الخاصّة في الأب التنزيليِّ لأُمّة خاصّة أن تكون له لحية في الجنّة دون الأب الحقيقيِّ للأُمم جمعاء ، وهو أبو البشر آدم عليه السلام ، ولا لحية له ؟ مع ما ورد عن كعب الأحبار أنّه قال : ليس أحدٌ في الجنة له لحية إلاّ آدم ، له لحية سوداء إلى سرَّته . ذكره ابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٩٧ .

وإن كانت الحكمة في لحية إبراهيم الخليل وأبي بكر ما زعمه العجلوني من الأُبوَّة فما الحكمة في لحية موسى بن عمران ؟ وقد جاء في الحديث : ليس أحدٌ يدخل الجنّة إلاّ جرد مرد إلاّ موسى بن عمران فإنَّ لحيته إلى سرَّته .
[السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٤٢٥]

ثم إنَّ للأُمَّة المسلمة أباً تنزيليّاً روحيّاً هو أحقُّ بالأُبوَّة من الخليل عليه السلام وهو نبيّها الأقدس محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم كما مرّ حديثه ، وبه حياتها الحقيقيَّة ، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم ، ومنه كيانها المستقرُّ ، وعزُّها الخالد ، فهو أولى باللحية من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر .

والعجب كلّ العجب في عدِّ أبي بكر أباً ثانياً للأمَّة لأنَّه فتح لها باب الدخول إلى الإسلام ، وإنَّ الذي فتح باب الإسلام بمصراعيه لدخول الأُمم فيه ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته الكريمة ،

---

(١) تفسير الخازن ج ٣ ص ٣١٤ ، تفسير النسفي هامش الخازن ج ٣ ص ٣١٤ .

وبراهينه الصادقة ، ومعاجزه المعلومة ، ونواميسه المقدَّسة ، وخلائقه الرضيَّة ، ومغازيه الدامية ، فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنَّة .

على أنَّ الأُمَّة قطُّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الإسلام ، ولم يدر أيّ أحد أنَّه متى فتحه ، وأين فتحه ، ولماذا فتحه ، وأيّ باب هو . نعم لا تخفى على الأُمَّة جمعاء أنَّه غلّق باباً عليها وحرمها من خير أهله وعلمه ورشده وهداه ، ألا : وهو باب مدينة علم النبيِّ مولانا أمير المؤمنين بالنصِّ المتواتر ، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله ، وإليه يتوجَّه الأولياء ، فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه ، وزهرت معالمه ، وتبلّغت حكمه ، وعمل بأحكامه ، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم أُمَّةٌ مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون ، لكّنه عليه السلام مُنع عن حقِّه فجهلت العباد ، وأجدبت البلاد ، وصوّحت المرابع ، وظهر الفساد في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ، وإلى الله المشتكى .

وإن أراد القائل من فتح الباب بدءَ الفتوح في أيام الخليفة ؟ فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحية منه ، لأنَّ عمدة الفتوح وقعت في أيّامه .

نعم : إن يكن هناكَ من يحقُّ أن يُعدَّ للأُمَّة أباً ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي به كان تمام الدعوة والنجاح في المغازي ، وهو نفس النبيِّ القدسيَّة وخليفته المنصوص عليه ، ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : حق عليٍّ على هذه الأُمَّة كحقِّ الوالد على الولد ، ومن طريق عمّار وأبي أيّوب الأنصاري قوله : حقُّ عليّ على كلِّ مسلم حقُّ الوالد على ولده[1] .

٣ ـ شهادة أبي بكر وجبرائيل :

ذكر النسفي أنَّ رجلاً مات بالمدينة فأراد النبيُّ ﷺ أن يصلّي عليه فنزل جبرائيل وقال : يا محمّد لا تصلِّ عليه . فامتنع فجاء أبو بكر فقال : يا نبيَّ الله صلِّ

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٢ نقلاً عن الحاكمي ، كنوز الدقائق ص ٦٤ نقلاً عن الديلمي ، مناقب الخوارزمي ص ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحمويي ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٢ .

عليه فما علمتُ منه إلاّ خيراً . فنزل جبرائيل وقال : يا محمّد صلّ عليه ، فإنّ شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي .

[مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٢٥ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

قال الأميني : هلمّ معي نناقش راوي هذه السفسطة الحساب بعد أن لم نقف لها على إسناد نناقش رجاله ، ونسائله عن أنّ ما أدّاه جبرائيل من الشهادة أكان من عند نفسه ؟ ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قِبَل نفسه فحابى أبا بكر بتقديم شهادته أم كان وحياً من المولى سبحانه ؟ ـ وهو المطّرد في كلّ هبوط له إلى الرسول الأمين ـ فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفةً لمحض أنّ أبا بكر شهد بضدّ ما جاء به ؟ وأيّاً ما كان فإنّ إخباره كان لا محالة عن عدم تأهّل الرجل في الواقع للصّلاة عليه في صورة نهي مفيد للتحريم ، ومؤدّاه أنّ الله سبحانه يبغض أنّ ترفع إليه صلاةٌ على مثله من نبيِّه المحبوب ، فهل يكون قول أبي بكر بتأهّله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطىء ويصيب ، ولا شكّ أنّه مخطىء في هذا المورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه ، فهل يكون قولٌ هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين ؟ تبصّر واحكم .

٤ ـ خاتم النبيّ وسجلّه :

روي أنّ النبيَّ ﷺ دفع خاتمه إلى أبي بكر وقال : اكتب عليه : لا إلّه إلاّ الله ، فدفعه أبو بكر إلى النقّاش وقال : اكتب عليه : لا إلّه إلاّ الله ، محمّد رسول الله . فكتب عليه ، فلمّا جاء به أبو بكر إلى النبيِّ ﷺ وجد عليه لا إلّه إلاّ الله محمّد ، رسول الله ، أبو بكر الصدِّيق . فقال : ما هذه الزيادة يا أبا بكر ؟ فقال : ما رضيت أن أُفرِّق اسمك عن اسم الله ، وأمّا الباقي فما قلته فنزل جبرائيل وقال : إنّ الله سبحانه وتعالىٰ يقول : إنّي كتبت اسم أبي بكر لأنّه ما رضي أن يفرِّق اسمك عن اسمي ، فأنا ما رضيت أن أُفرِّق إسمه عن اسمك . نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٨٥ نقلاً عن تفسير الرازي ، مصباح الظلام للجرداني ص ٢٥ .

قال الأميني : المتسالم عليه بين المحدِّثين أنّ نقش خاتم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

كان «محمّد رسول الله» بلا أيّ زيادة ففي الصِّحاح عن أنس أنَّه ﷺ صنع خاتماً من ورق ونقش فيه : محمَّد رسول الله . وقال : فلا ينقش أحدٌ على نقشه .

صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٩ . صحيح مسلم ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٢٤ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، سنن النسائي ج ٨ ص ١٧٣ .

وفي رواية البخاري والترمذي عن أنس قال : كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمَّد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر.

[صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٩ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٢٥]

وروى ابن سعد في طبقاته من مرسل ابن سيرين أنَّ نقشه كان : بسم الله محمَّدٌ رسول الله . وقال ابن حجر : ولم يتابع على هذه الزيادة . ذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ٣٩ .

وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبويَّة من رواية عرعرة بن البرند عن أنس قال : كان مكتوباً على فصِّ خاتم رسول الله ﷺ : لا إلٰـه إلّا الله ، محمَّدٌ رسول الله . قال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٠ : عرعرة ضعّفه ابن المديني وزيادته هذه شاذَّة . وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ٣٩ : كان نقش الخاتم النبويِّ كما في الصحيحين وغيرهما . محمَّدٌ رسول الله . فلا عبرة بهذه الرِّواية كرواية أنَّه كان فيه كلمتا الشهادة معاً ؛ ورواية ابن سعد عن أبي العالية أنَّ نقشه : صدق الله . ثمَّ ألحق الخلفاء : محمَّدٌ رسول الله .

فما قيمة ما جاء به من النقش صوّاغ القرون المتأخِّرة ، وصاغته يد الإفك والغلوِّ بعد لأي من وفاة النبيِّ الأعظم وانقطاع الوحي عنه ، ولا يوجد في تآليف الأوَّلين منه عين ولا أثر ؟ وأنت ترى السلف حاكمين في حديث زيادة كلمة الإخلاص والبسملة بالشذوذ وأنَّه لا عبرة به ولا يُتابع عليه ، ولا يبحث أيُّ متضلع في الفنِّ عن هذه الزيادة المختلقة التي لا صلة لها بالموضوع ، وليست هي إلَّا إستهزاء بالله ونبيِّه ووحيه وأمين وحيه .

ثمَّ قد صحَّ عند القوم أنَّ ذلك الخاتم المنقوش الخاصّ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم «وكان

يتختم به ويختم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدُّد قطُّ أحدٌ في رفع اختلاف أحاديث النقش» كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعده في يد عمر ، وبعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو : من يد غيره ، في بئر أريس(١) واتَّخذ له خاتماً آخر(٢) وفي رواية ابن سعد عن الأنصاري كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٠ وسنن النسائي ج ٨ ص ١٧٩ : إنَّه كان في يد عثمان ستّ سنين من عمله . فلو كانت تلكم الأُسطورة صحيحة وكان إسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبيُّ الأقدس طيلة حياته وتنظر إليه الصحابة من كثَب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ كان حقاً على الخليفة والخاتم بيده أن يحتجَّ بها يوم تسنَّم عرش الخلافة ، وكان هناك حوارٌ وصخبٌ ، لكنه لم يحتج لأنَّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعدُ ولا منقوشاً ، ولم يُعط من المغيّب أنَّه يُستنحت له ذلك بعد قرون متطاولة . وكان حقّاً على الصحابة الملتاثين به أن يحتجّوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت ، فإنَّ الإحتجاج به أولى من الإحتجاج بكبر السنّ وأمثاله ، لكنَّهم تركوا الحِجاج لأنَّ هذا المولود لم يكن يولد بعدُ ، وإنَّما ولدته أُمُّ الغلوِّ في الفضائل في آخر الدهر .

ولا يتأتّى لأحد عرفان سرٍّ ما جاء به جبرائيل الخيالي من القران بين اسم النبيِّ الأعظم وبين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب ، أكان أبو بكر نفس النبيِّ الأعظم بنصِّ القرآن الكريم ، أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر الحكيم ؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب ؟ أم أكمل الله به الدين ، وأتمَّ به النعمة كما بدأ بالنبيِّ الطاهر ؟ أم كان رديف النبيِّ الأقدس في الإسلام والدعوة إلى الله من أوَّل يومه ؟ أم كان وصيَّه وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة ؟ أم قُرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أم كان نظيره في أُمَّته بنصٍّ منه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أم ؟ أم ؟ إلى مائة أم . لِماذا

---

(١) هي ميلين من المدينة وهي من أقل الآبار ماء .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٦ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٢١٤ ، سنن النسائي ج ٨ ص ١٧٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٥٥ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٦٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ .

ذلك القِران ؟ أنا لا أدري ، ومختلق الرواية أيضاً لا يدري .

٥ ـ عَرض جنّـة أبي بكر :

قـال الصفوري في نـزهـة المجـالس ج ٢ ص ١٨٣ : رأيت في الحـديث أنَّ الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملكٌ : وددت أنَّ الله تعالىٰ أعـطاني قوَّة ألف ملك ، وكسـاني ريش ألف طير ، فـأطير حـول الجنـة حتى أبلغ طـرفهـا ، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتّى ذهبت قوته وتساقط ريشه ، ثمَّ أعطاه الله تعالىٰ قـوَّةً وأجنحة فـطار ألف سنة ثـانية حتّى ذهبت قـوَّته وتسـاقط ريشه ، ثمَّ أعـطاه الله تعالىٰ قوَّةً وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتّى ذهبت قوَّته وتساقط ريشـه ، فوقـع على باب قصر باكياً فأشرفت عليـه حوراء فقـالت : أيُّها الملك مـا لي أراك باكيـاً وليست هذه بدار بكاء وحزن ، وإنَّمـا هي دار فرح وسـرور ؟ فقال : لأنّي عـارضت الله في قدرته . ثمَّ أعلمها بحديثه ، فقالت له : لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طـرت في هذه الثلاثة آلاف سنة ؟ قال : لا . قالت : وعزَّة ربِّي ما طرت أكثر من جـزء واحد من عشرة آلاف جزء ممّا أعدَّه الله تعالىٰ لأبي بكر الصـدِّيق رضي الله عنه . وذكـره الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : فمجموع ما أعدَّه الله تعالىٰ لأبي بكر في الجنَّة هو مسير ثلاثين ألف ألف سنة لطائر يطير بقوَّة ألف ملك وريش ألف طير ، جلّت قدرة الباري .

أنـا أكل حسـاب هـذه الروايــة إلى الشبـاب النـابـه العصـري المتخـرِّج من المدارس العالية في أرجاء العـالم . كما أرى النـظرة في رجال سنـدها من وظـائف رجـال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليـه متتبِّـع ، ويعـرفـه حـافظٌ ضليـع ، أو محدِّثٌ بعيد الطِّنء ، أو رجاليّ واسع الخطوة من رجال عالم الشهود .

٦ ـ اللّه يستحيي من أبي بكر :

عن أنس بن مالك قـال : جاءت امـرأةٌ من الأنصار فقـالت : يا رسـول الله ! رأيت في المنـام كـأن النخلة التي في داري وقعت ، وزوجي في السفـر . فقـال : يجب عليكِ الصبر فلن تجتمعي بـه أبداً . فخـرجت المرأة بـاكيةً فـرأت أبا بكـر ،

فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبيِّ ﷺ ، فقال : إذهبي فإنَّك تجتمعين به في هذه الليلة . فدخلت إلى منزلها وهي متفكّرة في قول النبيِّ ﷺ وقول أبي بكر ، فلمّا كان الليل وإذا بزوجها قد أتى ، فذهبت إلى النبيِّ ﷺ وأخبرته بزوجها ، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبرائيل وقال : يا محمَّد ! الذي قلته هو الحقُّ ، ولكن لمّا قال الصدِّيق إنَّكِ تجتمعين به في هذه الليلة استحيى الله منه أن يجري على لسانه الكذب ، لأنَّه صدّيق فأحياه كرامةً له .

[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

قال الأميني : ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النبهاء الذين أرادوا كسح معرَّة الكذب عن ساحة الصدِّيق فجرُّوها إلى الساحة النبويَّة ، فكأنَّ الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيِّه الصّادق المصدَّق ، حيث انَّه لم يخبر عن موت الرجل وإنَّما أخبر امرأته بأنَّها لن تجتمع به أبداً بكلمة لن المفيدة لتأبيد النفي المؤكّد بقوله أبداً فظهر خلافه ، لكنَّه استحى من أبي بكر بعد أن رجم بالغيب إفكاً ظاهراً فأرادأن يرحض عنه ذلك بإحياء الرجل وعدم إماتته كرامةً له ، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب ؟ أنا لا أدري .

وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسوله عليه ؟ حيث لم يرض بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفاه ؛ ولم يكن في انتشاره عنه كسرٌ للإسلام لكن انتشاره عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فتٌّ في عضد الدين .

ثمَّ اعجب من تعليل الرواية بأنَّ أبا بكر كان صدِّيقاً . أوَ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيِّد الصدِّيقين أجمع ؟ وهب أنّ وحي هذه المزعمة خفف عن ساحة النبوَّة شيئاً يمكن أن يفوه به مَن اختلقها بأنّ الأمر كان كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن أُحيا الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب صلى الله عليه وآله وسلم لكن يدفعه ما قدّمناه من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبر عن موت الرجل وإنَّما أخبر عن أنَّها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به . نعم : لعلَّ ما مرَّ من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضول على الفاضل ، أو الغلوُّ في الفضائل ، يرخِّصان بكلِّ ما ذكر .

٧ ـ كرامة دفن أبي بكر :

أخرج ابن عساكر في تاريخه قال : رُوي أنّ أبا بكر رضي الله عنه لمّا حضرته الوفاة قال لمن حضره : إذا أنامتُّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتّى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبيِّ ﷺ فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليك يا رسول الله ! هذا أبو بكر يستأذن . فإن أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فأدخلوني وادفنوني ، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به ، فلمّا وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر : أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاقٌ .

وذكره الرازي في تفسيره ج ٥ ص ٣٧٨ ، والحلبي في السيرة النبويَّة ج ٣ ص ٣٩٤ ، والدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٤ ، والقرماني في أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ٢٠٠ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٩٨ .

قال الأميني : أراد رواة هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة [حجرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم] بعد أن أعيتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب ، فإنَّ الحجرة الشريفة إمّا أن تكون باقية على ملكه صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحقُّ المبين . أو أنَّها عادت صدقة يؤول أمرها إلى المسلمين أجمع ؟ وعلى الأوَّل كان يشترط فيه رضاء أولاد وارثته الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتهما ولم يستأذن منهم أحدٌ . وعلى الثاني كان يجب على الخليفة أو على من تولّى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة الإسلاميَّة ولم يكن من أيّ منهما شيءٌ من ذلك ، فبقي الدفن هنالك خارجاً عن ناموس الشريعة . وإن قيل : إنَّه دفن بحق ابنته ؟ فأيّ حق لها بعدما جاء به أبوها من قوله : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ؟ على أنّا أسلفنا في الجزء السادس ص ٢٢٩ : أنَّه لم يكن لأُمّهات المؤمنين إلاَّ السكنى في حجرهنَّ كالمعتدَّة ولم يكن لهنَّ ترتيب آثار الملك على شيء منها . وقدّمنا هنالك أيضاً أنَّ على فرض الميراث وعلى تقدير الإرث من العقار فإنَّ لعائشة تسع الثمن من حجرتها لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم توفّي عن تسع ، ومساحة المحلِّ لا يسع تسع ثمنها جثمان

إنسان مهما كبرت الحجرة . على أنَّ حقّها كان مشاعاً وليس لها التصرُّف فيه بغير إذن شريكاتها في الميراث .

أراد القوم التقصّي عن هذه المشكلات فكوَّنوا ما يستتبع مشكلةً بعد مشكلة وهي : أنَّ الخليفة هل قال ما قاله بعهد من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أو أنَّه أحاط علماً بالمغيَّب ؟ أمّا الثاني فلا أحسب أحداً يدَّعي له ذلك بعدما أحطنا خُبراً بكلِّ ما قيل في فضائله ، وبعدما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات ، فأين هو عن الغيوب ؟ .

وأمّا الأوَّل فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجرة إن فتح الباب وسقط القفل ، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك ، فإنَّ ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لا بدَّ أن يكون ، فلا ترديد فيه .

نعم : من المحتمل أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإنّما رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوَّه بما قال بالترديد ، أو أنَّ الرواية لا صحّة لها ، ولذلك لم تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد الحافظ ابن عساكر ، وهي على فرض صحّتها مكرمة عظمى وقعت بمشهد الصحابة ومزدحم المهاجرين والأنصار يوم شيّعوه إلى مقرِّه الأخير ، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل الهتاف بها ، وبذلك الهتاف المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر ، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة ، ولا في الآذان وقر ، ولا في الألسنة بكم ، لكنه ويا للأسف لم ينبس أحدٌ عنها ببنت شفة ، وما ذلك إلاَّ لأنَّ المكرمة لم تقع ، والقفل ما سقط ، والباب ما انفتح ، والهتاف لم يكن ، وأُدخلوا الحبيب إلى الحبيب ، فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق مهزأة نشأت من الغلوِّ في الفضائل تنبىء عن روح التصوّف في مختلق الرواية . نعم :

ما كلُّ من زار الحمى سمع النـدا   مِن أهله أهلاً بذاك الزائر

هذه الكرامة المنحوتة المنحولة ذكرها الرازي ومن بعده مرسلين إيّاها إرسال المسلّم ، محتجّين بها في عداد فضائل أبي بكر ، غير مكترثين لما في إسنادها من العلل أو جاهلين بها ، وإنّما أخرجها ابن عساكر من طريق أبي طاهر موسى بن

محمّد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبّة العرني فقال : هذا منكرٌ ، وأبو الطاهر كذّابٌ ، وعبد الجليل مجهولٌ . وفي لسان الميزان ج ٣ ص ٣٩١ : خبرٌ باطلٌ . اهـ .

وأبو الطاهر المقدسي كذّبه أبو زرعة وأبو حاتم . وقال النسائي ليس بثقة . وقال ابن حبان : لا تحلُّ الرواية عنه كان يضع الحديث . وقال ابن عدي : كان يسرق الحديث . وقال العقيلي : يحدِّث عن الثقات بالأباطيل والموضوعات ، منكر الحديث وقال منصور بن إسماعيل : كان يضع الحديث على مالك . راجع المصادر المذكورة ج ٥ ص٢٨٣

٨ ـ جبرائيل يسجد مهابةً من أبي بكر :

حدَّث عالم الأُمّة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال : كان جبرائيل إذا قدم أبو بكر على النبيِّ ﷺ وهو يحادثه يقوم إجلالاً للصدِّيق دون غيره ، فسأله النبيُّ ﷺ عن ذلك ؟ فقال جبرائيل : أبو بكر له عليَّ مشيخة في الأزل ، وما ذاك إلاَّ أنَّ الله تعالىٰ لمّا أمر الملائكة بالسجود لآدم حدَّثتني نفسي بما طُرد به إبليس فحين قال الله تعالىٰ : ﴿اسجدوا﴾ . رأيت قبّة عظيمة عليها مكتوبٌ . أبو بكر أبو بكر . مراراً وهو يقول : أُسجد . فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ما كان .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق في هامش روض الرياحين ص ١١١ فقال : وحدَّثني أيضاً شيخنا الأستاذ محمّد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي وسمعتها من أغلب مشايخنا بالأزهر .

قال الأميني : عجباً لهؤلاء القوم لم يسلم منهم حتى أمين الله على وحيه ـ جبرائيل ـ المعصوم من الزلل من أوّل يومه فجعلوه في عداد إبليس اللعين الطريد لولا أنَّ أبا بكر تدارك أمره .

عجباً لهذا الملك المزعوم يأتمنه المولى سبحانه ثمّ يرتاب في أمره ، ولا يُصلح ذلك الشنار القول بأنّه إنّما ائتمنه بعد زلّته تلك ، فإنّه سبحانه لا يأتمن من يمكن في حديث نفسه الكفر ، فلعلَّ تلك الخاطرة دبّت فيه ولم يحصل مَن يسدِّده فتعود هاجسته كفراً صريحاً .

عجباً لهذا الملك المقرَّب تروعه هيبة أبي بكر ولا تأخذه هيبة الإلٓه العظيم فيطيع أبا بكر وهو يهم أن يطيع الله في أمره بالسجدة ، وأيّ سجدة هذه وما قيمتها من مثل جبرائيل وقد وقعت من هيبة أبي بكر لا بصفة القربان إلى المولى سبحانه والزلفى لديه والإمتثال لأمره فكأن هيبة أبي بكر في الملأ الأعلى أعظم وأفخم من هيبة بارئه جلّت عظمته .

ثمَّ أين كانت قبَّة أبي بكر من مستوى عالم الملكوت ؟ ومِن الأحرى أن تضرب هناك قبَّة نبيٍّ العظمة حتى يسدِّد فيها من شارف الزلَّة لا قبَّة إنسان من الممكن أن تكتنفه المآثم ، وتموت بضعة المصطفى وهي واجدةٌ عليه .

ومِن أين علم أبو بكر بهاجسة جبرائيل وحديث نفسه ؟ أو هل كان يعلم الغيب ؟ أو اوحي إليه بواسطة غير أمين الوحي ؟ لك الحكم في هذه كلّها أيُّها القارىء الكريم .

ثمَّ العجب من مشايخ الأزهر الذين أخبتوا إلى هذه الخزاية فأثبتوها في الكتب ولهجوا بها في الأندية ، وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى فنشروها في الملأ العلمي وشوَّهوا بها صفحة التاريخ وسمعة الإسلام المقدَّس ، نعم : أرادوا نحت فضيلة للخليفة فأعماهم الغلوُّ في الفضائل فنحتوها رذيلةً لجبرائيل الأمين ، كلّ ذلك لأنَّهم افتعلوها من غير بصيرة في الدين ، أو رويَّة شاعرة في المبادىء الإسلاميَّة .

وأحسب أنَّ مَن اختلق هذه الرّواية أراد إثباتها تِجاه ما يروى لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام من تسديده لجبرائيل يوم خاطبه الله سبحانه : مَن أنا ومَن أنت ؟ فتروّى قليلاً وقد أخذته هيبة الجليل سبحانه حتّى أدركته نورانيّة مولانا الإمام عليه السلام ، فعلّمه أن يقول : أنت الجليل وأنا عبدك جبرائيل . وقد نظم ذلك الشاعر المبدع الشيخ صالح التميمي من قصيدة له في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وخمَّسها الشاعر المفلق عبد الباقي افندي العمري كما في ديوانه ص ١٢٦ وفي ديوان صاحب الأصل ص ٤ قالا :

روضةٌ أنت للعقول ودوحُ ... يجتنى من طوباك رشدٌ ونصح
ومتى هبَّ من عبيرك نفحُ ... شمل الرُّوح من نسيمك روح

حيـن مِـن ربِّـه أتـاه النِّـداءُ

طـالما لـلأمـلاك كنتَ دليـلا ولـنـا مـوسهم هـديتَ سبيـلا
يـوم نـادى ربُّ السَّمـا جبرئيـلا قـائـلاً : مَن أنـا فـروَّى قليـلا

وهـو لـولاك فـاتـه الإهـتـداء[١]

لـك شكـلٌ نتيجـةٌ لـلقضـايـا لـك قـلبٌ للعـالـميـن مـرايـا
لـك فعـلٌ حـوى رفيع المـزايـا لـك إسـمٌ رآه خيـر الـبـرايـا

مـذ تـدلـى وضـمَّـه الإسـراء

وليست هذه كقصَّة أبي بكر، فليس فيها أنَّ جبرائيل نوى ما نواه إبليس من المروق عن أمره سبحانه ، ولا فيها أنَّ أمير المؤمنين أنبأ عن مغيَّب ، ولا أنّ هيبته غلبت هيبة الله العظيم ، ولا أنَّ جبرائيل سجد من هيبته ، ولا أنَّ له هنالك قبَّةٌ عظيمة مكتوبٌ عليها : علي علي ، ولا أنَّه هتف مخاطباً لجبرائيل بقوله : أُسجد . وروَّعه بذلك ، ليست فيها هذه كلّها لأنَّ الشيعة في المنتأى عن الغلوّ في الفضائل .

٩ ـ قصّة فيها كرامة لأبي بكر :

أخبر أبو العبّاس ابن عبد الواحد عن الشيخ الصالح عمر بن الزغبي قال : كنت مجاوراً بالمدينة المشرَّفة على مشرِّفها أفضل الصّلاة والسَّلام فخرجت يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإماميَّة في قبَّة العباس وقد اجتمعوا في القبَّة قال : فوقفت أنا على باب القبَّة وقلت : أُريد في محبّة أبي بكر شيئاً . فخرج إليَّ شيخٌ منهم وقال : إجلس حتّى نفرغ ونعطيك ، فجلست حتّى فرغوا ثمَّ خرج ذلك الرجل وأخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق ورائي الباب وسلّط عليَّ عبدين فكتَّفاني وأوجعاني ضرباً ، ثمَّ أمرهما بقطع لساني فقطعاه ، ثمَّ أمرهما فحلاّ كتافي ، وقال : أُخرج إلى الذي طلبت في محبّته ليردَّ إليك لسانك . قال : فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبويَّة وأنا أبكي من شدَّة الوجع والألم فقلت في نفسي : يا رسول الله ! قد تعلم ما أُصابني في محبّة أبي بكر فإن كان صاحبك حقّاً ؟ فأُحبُّ أن يرجع إليَّ لساني وبتُّ في الحجرة قلقاً من شدَّة الألم

(١) يعني الإهتداء إلى ذلك الجواب الحسن الجميل .

فأخذتني سنةٌ من النوم فنمت فرأيت في منامي أنَّ لساني قد عاد إلى حاله كما كان فاستيقظت فوجدته في فيَّ صحيحاً كما كان وأنا أتكلّم فقلت : الحمد لله الذي ردَّ عليَّ لساني وازددت محبَّة في أبي بكر رضي الله عنه ، فلمّا كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عادتهم فخرجت إلى باب القبَّة وقلت : أُريد في محبّة أبي بكر ديناراً ، فقام إليَّ شابٌ من الحاضرين وقال لي : إجلس حتّى نفرغ . فجلست فلمّا فرغوا خرج إليَّ ذلك الشابّ وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني فيها ووضع بين يديَّ طعاماً، ولمّا فرغنا قام الشابُّ وفتح عليَّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي فقمت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً فسألته عن قضيَّته فزاد بكاءً فسكّنته حتّى سكن ، فقلت له : بالله أخبرني عن حالك ، فقال : إن حلفت لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك ، فحلفت له ، فقال : اعلم أنّه أتانا في عام أوَّل رجلٌ وطلب في محبّة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبَّة العبّاس يوم عاشوراء فقام إليه أبي وكان من أكابر الإماميّة والشيعة فقال له : إجلس حتّى نفرغ . فلمّا فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلّط عليه عبدين فضرباه ، وأمر بقطع لسانه فقطع ، وأخرجه فمضى لسبيله ولم نعرف له خبراً ، فلمّا كان الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدَّة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففزعنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه ، وأظهرنا للناس موته وهو ذا نبكي عليه بكرة وعشيًّا . فقلت له : إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه ؟ قال : لا والله : فقلت : أنا هو والله ، أنا الذي قطع أبوك لساني ، وقصصت عليه القصّة فأكبَّ عليَّ يقبِّل رأسي ويدي ثمَّ أعطاني ثوباً وديناراً وسألني كيف ردَّ الله عليَّ لساني ؟ فأخبرته وانصرفت .

مصباح الظلام للجرداني ص ٢٣ من الطبعة الرابعة المصريَّة المطبوعة بمطبعة الرَّحمانيّة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ ، ونزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٩٥ .

قال الأميني : ما أحوج القوم إلى اختلاق هذه الأساطير المشمرجة وهي لا يصدِّقها ايُّ قارٍ وبادٍ مهما يُقرُّها قصّاص في أُذنيه ، ولا يصير بها الأمر إلى قراره مهما حبكت نسقها يد الإفك ، وأبدعت في نسجها مهرة الإفتعال .

أنّى يصدِّق ذو مسكة بأنَّ رجلاً شهيراً يُعدُّ من عليـة قوم ومن أكابر أُمّة يُمسخ ويُربط في داره وهو بَعدُ مجهولٌ لا يعرف اسمه ، ولا ينبِّيء عنه خبير ، ويسع لخلفه إخفاء أمره بدعوى موته ، ولم يُسأل أهله عن تجهيزه وتشييعه ودفنه ومقبره وسبب موته ، وتتأتّى لولده الغشية عليها عن أعين الناس وأسماعهم كأنَّ في آذانهم صمماً وفي أبصارهم عمى .

ولِماذا أخذه ابن الجاني ـ الذي لم يُخلق بعدُ لا هو ولا أبوه ـ ضيفه إلى والده وهو لا يعرف الرَّجل ولم يخش من الفضيحة ، ولِماذا أوقفه على أمر أبيه وعواره وقد كان يستخفيه ويُظهر للناس موته ؟ .

وأنّى يُصدَّق بأنَّ رجلاً قُطع لسانه دون مبدئه وحبّه لخليفته قد استخفى قصّته ، وما أشاع بها ، وما صاح وما باح بمظلمته ، وما أبان أمره عند قومه ، وما أفاض عن شأنه بكلمة ، ولا يمَّم قاضياً ولا حاكماً ولا الدوائر الحكوميَّة الصالحة للنظر في مظلمته من عدليَّة أو دائرة شرطة ، وعقيرته مرفوعةٌ من شدَّة الألم ، ولم يزل القوم يتربصون الدوائر على الشيعة ، ويختلقون عليهم طامّات كهذه .

وأنّى يُصدَّق أنّه لمّا خرج مِن دار من جنى عليه وهو مقصوص اللسان وقد ملأ فمه دمه ، ولاذ بالحجرة الشريفة باكياً قلقاً من شدَّة الألم ، ما تنبَّه له أيُّ أحد ، وما عُرفت مع هذه كلّها من أمره قُذَ عملة ، ولا تنبَّه لأمره سدنة الحضرة الشريفة ؟ .

وما بال الرَّجل لم يُمط الستر في وقته عن جناية عدوٍّ خليفته ، ولم يُفش سرَّه ، ولم يُعلن كرامة الصدِّيق ، ولم يفضح عدوَّه ، ولم يُعرب عن هذه المكرمة الغالية ، ولم يقرِّط الآذان بسماعها ، وينبس أمره ولم ينبشه ، كأنَّ لسانه بعدُ مقطوعٌ ، وأنّه لم يجده في فيه صحيحاً ؟ أو رضي بأن يفشفش[1] بعده أعلام قومه ؟ .

وإن تعجب فعجبٌ عود هذا الشحّاذ الجريء إلى سؤاله مرَّة ثانية في سنته

---

(١) فشفش : أفرط في الكذب ، وانتحل ما لغيره .

القابلة بعد أن رأى ما رأى قبل عـام ، ووقـوفـه في ذلك المـوقف الخطر في قبَّـة العباس يوم عـاشوراء ، ومضيِّـه من دون أيِّ تحاش إلى تلك الـدار التي وقعت فيها واقعته الخطرة الهائلة ، ودخوله فيها رابطاً جأشه ، وإلقاءه نفسـه إلى التهلكة ، ولم يكن يعرف شيئاً من قصَّة الشيعيِّ ومسخه ، ولا من حنـوِّ الشابِّ وعـطفه ، وقـد قال الله تعالىٰ : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

ولعلّه كان في هذه كلّها على ثقة وطمأنينة من أنه قطُّ لا يبقى بلا لسان ، وأنَّ لسانه مهما قُطع يُردُّ إليه كما كان من بركة الخليفـة ، وهو في حسبـانه هـذا وقدومـه إلى المهالك مجتهدٌ وله أجره وإن أخطأ كاجتهاد سلفه .

وقد أنصف الشيخ الصالح المـدني في اختلاق هـذه القصّة على شيعيٍّ كبير لم يـولد بعـدُ ولم تسمِّـه أُمّـه . وجـاء غيـره بـأُسـطورة معتـوه قمـوص الحنجـرة[١] وافتجر[٢] في القول وأفجس[٣] ألا وهو الشيخ عليـا المالكي ، قـال الشيخ إبـراهيم العبيـدي المالكي في عمـدة التحقيق المطبـوع بمصر في هـامش روض الـريـاحين ص ١٢٣ : سمعت خـالي العـالم الشيـخ عليـا المـالكي يقـول : إنَّ الـرافضيَّ إذا أشرف على الموت يقلّب الله صورة وجهه وجه خنزير فلا يموت إلَّا إذا مُسخ وجهـه وجه خنزير ، ويكون ذلك علامـة على أنَّه مـات على الرفض ، فيستبشـرون بذلـك الروافض ، وإن لم يقلّب وجهه عنـد الموت يحـزنون ويقـولون : إنّـه مات سنّيّـاً . انتهى .

وتخرَّق بعض الثقات في تاريخ حلب شاهداً على هـذه المخرقـة فقال : لمّـا مات ابن منير[٤] خرج جماعـة من شبّان حلب يتفـرَّجون فقـال بعضهـم لبعض : قد سمعنا أنَّه لا يمـوت أحدٌ ممّن كـان يسبُّ أبا بكـر وعمر إلَّا ويمسخـه الله تعالىٰ في قبره خنزيـراً ولا شكَّ أنَّ ابن منيـر كان يسبّهمـا ، فأجمعـوا رأيهم على المضيِّ إلى

(١) يُقال فلان قموص الحنجرة : أي كذّاب .

(٢) افتجر في الكلام : أي اختلقه وذكره من غير أن يسمعه من أحد .

(٣) أفجس : افتخر بالباطل .

(٤) أحد شعراء الغدير مرّت ترجمته في الجزء الرابع ص ٣٧٢ ـ ٣٨٢ مـات في دمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها .

قبره ، فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال ، فأخرجوا على قبره ليشاهده الناس ثمَّ بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردُّوا عليه التراب وانصرفوا .

وذكره العلاّمة الجرداني في مصباح الظلام المؤلَّف سنة ١٣٠١ والمطبوع بمصر سنة ١٣٤٧ وقرَّظه جمعٌ من الأعلام ألا وهم كما في آخر الكتاب : العالم العفيف السيِّد محمود أنسي الشافعي الدمياطي ، والعلاّمة الشيخ محمّد جودة ، والعلاّمة الأوحد الشيخ محمّد الحمامصي ، وحضرة الفاضل اللبيب الشيخ عطية محمود قطارية ، والعالم العامل الشيخ محمّد القاضي ، وحضرة الشاعر اللبيب محمّد أفندي نجل العلاّمة الشيخ محمّد النشّار .

ليست هذه النفثات إلاَّ كتيت[١] الإحن ، ونغران[٦] الشحناء . وإن شئت قلت : إنَّها سكرة الحبّ ، وسرَف المغالاة . قد أعمت الأهواء بصائر أُولئك الرِّجال فجاؤوا بهذه المخاريق المخزية ، والأفائك المزخرفة ، وبيَّتوها غير مكترثين لمغبّة صنيعهم ، ولا متحاشين عن معرَّة قيلهم ، وشتّان بينها وبين أدب الدين ، وأدب العلم ، وأدب التأليف ، وأدب العفّة ، وأدب الدعاية والنشر . إنَّهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ، ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيِّتون ما لا يرضى من القول .

كأنَّ هؤلاء يحدِّثون عن أُمَّة بائدة لم يُبق لها الملوان مَن يشاهده أحدٌ من[٢] الأجيال الحاضرة ، أو لَيست الشيعة هؤلاء الذين هم مبثوثون في أرجاء العالم وأجواء الأُمم ، يشاهدهم كلُّ ذي بصر وبصيرة أحياءً وأمواتاً ؟ فمن ذا الذي شهد أحدهم أنّه انقلب عند موته خنزيراً غير أُولئك الشبّان الموهومين الذين شاهدوا ابن منير في قبره ؟ وهل الشيخ عليا المالكي هو وجد أحداً من الشيعة كما وصفه ؟ أو رُوي له ذلك الإفك فوثق به كما وثق العبيدي ؟ وهل كان يمكنه أن يقف على الموتى جميعاً أو أكثرهم وليس هو بمغسِّل الموتى أو من حفَّاري القبور ولا مِن نبّاشيها ؟ .

---

(١) الكتيت : صوت غليان القدر والنبيذ ونحوهما .

(٢) نغر الرجل عن فلان نغراً ونغراناً : غلا جوفه عليه غضباً .

على أنَّ التشيُّع ليس من ولائد تلكم العصور وإنَّما بديء به منذ العهد النبويِّ ، فهل كان السلف الشيعيُّ من الصحابة والتابعين يموتون كذلك وكان فيهم مَن يعرف بالتشيُّع كأبي ذر وسلمان وعمّار والمقداد وأبي الطفيل ؟ فهل يسحب هذا الرجل ذيل مزعمته الى ساحة أُولئك الأعاظم ؟ قطعت جهيزة قول كلِّ خطيب[1] .

١٠ ـ أبو بكر شيخ يُعرف ، والنبيّ شابّ لا يُعرف :

عن أنس بن مالك قال : أقبل النبيُّ ﷺ إلى المدينة ، وأبو بكر شيخٌ يُعرف والنبيُّ ﷺ شابٌّ لا يُعرف فيلقى الرجل أبا بكر[2] فيقول : يا أبا بكر ! مَن هذا الذي بين يديك ؟ فيقول : يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنَّه يهديه الطريق وإنَّما يعني سبيل الخير .

وفي لفظ : إنَّ أبا بكر كان رديف النبيِّ ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول : يا أبا بكر ! مَن هذا الغلام بين يديك ؟ وفي لفظ أحمد : كانوا يقولون : يا أبا بكر ! ما هذا الغلام بين يديك ؟ فيقول : هذا يهديني السبيل . وفي لفظ : قالوا : يا أبا بكر ! مَن هذا الذي تعظِّمه هذا الإعظام ؟ قال : هذا يهديني الطريق وهو أعرف به منِّي .

وفي رواية : ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته . وفي التمهيد لابن عبد البرّ : أنّه لمّا أُتي براحلة أبي بكر سأل أبو بكر رسول الله ﷺ أن يركب ويردفه فقال رسول الله ﷺ : بل أنت اركب وأُردفك أنا فإنَّ الرجل أحقُّ بصدر دابّته . فكان إذا قيل له : من هذا وراءك ؟ قال هذا يهديني السبيل .

وفي لفظ : لمّا قدم ﷺ المدينة تلقّاه المسلمون فقام أبو بكر للناس ، وجلس النبيُّ صامتاً ، وأبو بكر شيخٌ والنبيُّ شابٌّ ، فطفق مَن جاء مِن الأنصار ممَّن لم يرَ رسول الله ﷺ يجيء أبا بكر فيعرّفه بالنبيِّ ﷺ حتّى أصابت الشمس رسول الله ﷺ

---

(١) مثل يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها .

(٢) في الإنتقال من بني عمرو . كذا قاله القسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٢١٤ وبنو عمرو بن عوف هم من الأنصار النازلين بقباء كان قد نزل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى المدينة كما يأتي تفصيله .

فأقبل أبو بكر حتّى ظلّل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

صحيح البخاري بـاب هجـرة النبيِّ ج ٦ ص ٥٣ . سيـرة ابن هشـام ج ٢ ص ١٠٩ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٢٢ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٧ ، معارف ابن قتيبـة ص ٧٥ ، الريـاض النضرة ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، المـواهب اللدنية ج ١ ص ٨٦ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٦ ، ٦١ .

قال الأميني : ما أنزل الدهر نبيَّ الإسلام حتّى قيل : إنّـه شـابٌّ لا يُعرف . كأنّه غلامٌ نكرة اتّخذه شيخٌ انتشر صوتـه كصيته بين النـاس دليلاً في مسيـره يرتـدفه تارة ويمشّيه بين يديه أُخرى ومهما سُئل عنه يقول : هذا يهديني الطريق وهـو أعرف به منّي ، كأنَّ نبيَّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كـلِّ مـوسمٍ فعـرفـوه على بَكـرة أبيهم مَن آمن منهم ومَن لم يُؤمن ، خصـوصـاً الأنصار المدنيُّون منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج ، وقد بايعوه عند العقبة الأولى مرَّة ، وبايعه منهم مرَّة ثانية عند العقبة ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان .

وكأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ذلك الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة قبله ، وكأنَّ بتلك الهجـرة غلقت أبواب ، وخلت دور أُنـاس من السكنى ، وهاجـر أهلها رجـالاً ونسـاءً وكان في مقدَّم المهاجرين ما يناهز ستّين رجـلاً ، فلم يبق في مكة المعـظّمة مَن أسلم معـه صلى الله عليه وآله وسلم إلاَّ أمير المؤمنين وأبـو بكر ، وكـأنَّ المـدينـة ليست بـدار بني النجار وهم خؤولة النبيِّ الأقدس .

وكأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن الذي اتَّخذ المدينة قاعدة ملكـه ، وعاصمـة حكومتـه ، ومعسكر نهضته ، فبثَّ فيها رجاله وخاصَّته من أهلها ومن المهاجرين فكانوا يـرقبون مقدمه الشريف في كلِّ حين حتّى إذا وافوه مقبلاً عليهم استقبلوه بقضّهم وقضيضهم وفيهم أهل البيعتين ومن تقدَّمه من المهاجرين وكلّهم يعرفونه كما يعرفـون أبناءَهم ، وإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم مكث في قباء عند بني عمرو بن عوف أيّامـاً وليالي حتى أسّس مسجـده الشـريف فيها ، فعـرفه كلُّ مَن في قباء ممَّن لم يكن يعـرفـه قبـلُ مِن رجـال الأوس والخزرج ، واتَّصل به كلُّ من قدمها من المدينة فعرفوه جميعاً ، وقد صلّى الجمعـة في قباء وفي بطن الوادي، وادي رانونا، وائتمّ به من حضر من المسلمين عامّة .

وبقضاء من الطبيعة أنّ الناس عند التطلّع إلى رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم كان يومي إليه كلّ عارف ، ويسأل عنه كلّ جاهل، ويتقدّم المبايعون إلى التعرُّف به والتزلُّف إليه ، فلا يبقى في المجتمع جاهلٌ به حتّى يسأل أبا بكر عنه في إنتقاله من بني عمرو بقوله : مَن هذا الغلام بين يديك يا أبا بكر ؟ ! .

فكأنّ القادم رجلٌ عاديٌّ ما دوّخ صيته الأقطار، ولم يره بشرٌ من ذلك الجمع الحافل ، ولم يحتفل به ذلك الإحتفال ، ولا احتفى به تلك الحفاوة ، وما صعدت ذوات الخدور على الأجاجير[١] وما هزجت الصبيان والولائد بقولهنَّ :

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لِلّه داع
أيُّها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكأنَّه قدم في صورة منكَّرة بلا أيِّ تقدمة إلى بلد لا يعرفه فيه أحدٌ حتّى خصَّ السؤال عنه بأبي بكر فحسب .

ثمَّ ما هذه التعمية في جواب أبي بكر بقوله : إنَّه يهديني السبيل . يريد سبيل السعادة فيحسب الحاسب أنَّه يهديه الطريق ؟ أَلخوف كانت ؟ ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ على العدَّة والعدد والمنعة والعزَّة ، وقد بايعته الأنصار على التفاني دونه . أو كان يخاف أبو بكر قريشاً وهو في حصن الدين المنيع ودرعه الحصينة ؟ أم كانت لغير ذلك ؟ فاسأل عنه خبيراً . والعجب كلّ العجب أنَّ رجلاً هذه سيرته في التقيَّة عن الناس في عاصمة الإسلام بين فرسان المهاجرين والأنصار كيف صحَّ عنه ما جاء عن ابن مسعود وما روي عن مجاهد مرسلاً من قولهم : إنَّ أوَّل من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ، أبو بكر . الخ[٢] .

على أنَّ الحالة كانت تقتضي أن يسأل كلُّ قادم إلى المدينة يوم ذاك عن شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوان نزوله بها لا عن الغلام بين يدي أبي بكر .

---

(١) جمع الاجّار بكسر الأول وتشديد الجيم : السطح .
(٢) تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٥٨ ، تأريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٤٨ .

والعجب أنَّ الجهل برسول الله في مزعمة هذا الراوي كان مستمرّاً بين مستقبليه ، وكلهم نفوسهم نزّاعة إلى عرفانه والتبرّك برؤيته ، حتى ظلّله أبو بكر بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

ومتى كان أبو بكر شيخاً والنبيُّ شابّاً وهو صلى الله عليه وآله وسلم أكبر منه بسنتين وعدَّة أشهر كما يأتي تفصيله إن شاء الله ؟ وابن قتيبة أخذ هذا الحديث بظاهره فقال في المعارف ص ٧٥ : هذا الحديث يدلُّ على أنَّ أبا بكر كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بمدَّة طويلة ، والمعروف عند أهل الأخبار ما حكيناه . اهـ . وحكى قبل هذا انَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أكبر سنّاً من أبي بكر .

نعم : عرف شرّاح البخاري من المتأخِّرين موضع الغمز فأوَّلوا كون أبي بكر شيخاً بظهور الشيب في لحيته . وكون النبيِّ شابّاً بسواد كريمته ، والعارف بأساليب الكلام يعلم أنَّه تمحّلٌ محض ، وأنَّ المفهوم من تلك كما فهمه ابن قتيبة : كون أبي بكر شيخاً ورسول الله شابّاً لا غير ذلك . وإلاَّ فما معنى قولهم : ما هذا الغلام بين يديك ؟ و : من هذا الغلام بين يديك ؟ ومن المعلوم أنَّ الغلام لا يُطلق على من عمره خمسون سنة تقريباً مهما اسودَّ عارضه .

وعلى صحَّة هذا التأويل أين المؤوّلون من صحيحة ابن عبّاس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ! قد شبت ؟ قال : شيَّبتني هود والواقعة . الحديث . وروى مثله الحفّاظ عن ابن مسعود ، وفي لفظ أبي جحيفة : قالوا : يا رسول الله ! نراك قد شبت ؟ قال : شيَّبتني هود وأخواتها[١] .

فهذه الصحيحة تعرب عن أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بان فيه الشيب على خلاف الطبيعة ، وأسرع فيه حتّى أصبح مسؤولاً عنه وعمّا أثَّره فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فأين منها ذلك التأويل البارد ؟ .

---

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه ، والحكيم الترمذي في نوادر الاصول ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وابن أبي شيبة ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٣٤٣ وصححه هو وأقرّه الذهبي ، والقرطبي في تفسيره ج ٧ ص ١ ، وأبو نصر في اللمع ص ٢٨٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٣٥ ، والخازن في تفسيره ج ٢ ص ٣٣٥ .

وربما يُقال في حلِّ مشكلة (يُعرف ولا يُعرف) : إنَّ أبا بكـر كان تـاجراً عـرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشـام ، لكنَّه على فـرض تسليم كونـه تاجـراً ، وعلى تقـدير تسليم سفـره إلى الشام ودون إثبـاته خـرط القتاد ، مقـابلٌ بـأنَّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كان يحاول التجارة ، ويستطرق المدينة إلى الشام ، فلو كانت التجارة بمجـرَّدها تستـدعي معرفـة الناس بـالتاجـر فهـو في النبيِّ الأعـظم أولى لأنَّ شـرفـه المكتسب ، وشهرته بالأمانـة ، وعظمتـه في النفوس ، وتحلّيـه بالفضـائل ، وبـروز عصمته وقداسته عند الناس من أوَّل يومه ، وشرفه الطائـل في نسبه ، أجلب لتـوجّه النفوس إليه ، بخلاف التاجر الذي هو خلوٌ من كلِّ ذلك .

على أنَّ التـاجر متى هبط مصـراً فعارفـوه رجالٌ معـدودون ممَّن شـاركـوه في الحرفة ، أو شارفوه في المعاملة ، وهذا التعارف يخصُّ بأُناس تُعَدُّ بالأنامل لا عـامَّة الناس كما حسبوه . وأنّى هذا من سفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المـدينة وأبـو بكر يـوم ذلك يرضع من ثدي أُمِّه ، خرجت بـه صلى الله عليه وآله وسلم أُمّ أيمن لمّا بلغ ستَّ سنين من عمـره إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور به أخوالـه ، فنزلت بـه في دار النابغـة رجلٌ من بني عدي بن النجار فأقامت به شهراً . وممّا وقع في تلك السفرة :

قالت أُمُّ أيمن : أتاني رجلان من اليهود يـوماً نصف النهـار بالمـدينة فقـالا : أخرجي لنا أحمد . فأخرجته ونظرا إليه وقلَّباه مليّاً ثمَّ قـال أحدهمـا لصاحبـه : هذا نبيُّ هـذه الأُمَّة ، وهـذه دار هجرتـه ، وسيكون بهـذه البلدة من القتـل والسبي أمـرٌ عـظيمٌ . قالت أُمُّ أيمن : وعيت ذلـك كلّه من كلامهمـا[1] أبعد هـذه كلّها ، وبعـد تلكم الإرهاصات للنبوَّة التي ملأت بين الخافقين ، وبعد ذلك الصيت الطائل الذي دوَّخ الأقطار ، وبعد مضيِّ خمسين سنة من عمـره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم يـزعـمـون أنَّ رسول الله شابٌّ لا يُعرف وأبو بكـر شيخٌ يُعـرف ، يُسأل عنـه : مَن هذا الغـلام بين يديك ؟ .

ولإيضـاح هذه الجمـل من الحريِّ أن نسـرد كيفيَّة هجـرته صلى الله عليه وآله وسلم حتى تـزيد بصيرة القارىء على موقع الإفك من هذه المجهلة المأثورة في الصِّحـاح والمسانيـد الصادرة عن الغلوِّ في الفضائل عمياً وصمّاً . فأقول :

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ ص ٥٠ ؛ صفة الصفوة لابن الجـوزي ج ١ ص ٢٠ ؛ تاريـخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٩ ؛ بهجة المحافل ج ١ ص ٤٤ .

الانصــار في البيعتين :

كـان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعـرض نفسـه على القبـائـل في المـواسم إذا كـان يـدعوهم إلى الله ويخبـرهم أنَّه نبيٌّ مـرسـلٌ فعـرض نفسـه على كنـدة ، وعلى بني عبـد الله بطن من كلب ، وعلى بني حنيفـة ، وعلى بني عامـر بن صعصعة ، وعلى قوم من بني عبد الأشهل . فلمّا أراد الله عـزَّ وجلَّ إظهـار دينه ، وإعـزاز نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم وإنجاز موعده له خرج صلى الله عليه وآله وسلم في الموسم الـذي لقي فيه النفـر من الأنصار فعـرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلِّ موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخـزرج أراد الله بهم خيـراً وفيهم : أسعـد بن زرارة أبـو أُمـامـة النجـاري ، وعوف بن الحـرث بن عفراء ، ورافـع بن مـالـك ، وقـطبـة بن عـامـر بن حـديـدة ، وعقبة بن عامر بن نابي ، وجابر بن عبدالله .

فكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الله ، وعـرض عليهم الإسلام ، وتـلا عليهم القرآن فأجابوه فيما دعاهم إليه ثمَّ انصرفوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدَّقوا .

فلمّـا قدمـوا المدينـة إلى قـومهم ذكـروا لهم رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعـوهم إلى الإسـلام حتّى فشـا فيهم ، فلم تبق دارٌ من دور الأنصـار إلاَّ وفيهـا ذكـرٌ مِن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتَّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة الأولىٰ فبايعوا رسـول الله ﷺ على بيعة النسـاء وذلك قبـل أن يفترض عليهم الحرب ، وهـم : أبو أُمامة أسعـد بن زرارة ، وعوف بن عفـراء ، ومعاذ بن عفـراء ، ورافع بن مالـك ، وذكوان بن عبـد قيس ، وعبادة بن الصـامت ، ويزيـد بن ثعلبة ، والعبّـاس بن عبادة ، وعقبـة بن عامـر ، وقطبـة بن عامر ، وأبـو الهيثم بن التيهـان ، وعويم بن ساعدة .

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبـة الأُولىٰ : على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريـه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف .

فلمّـا انصـرف القــوم عنـه ﷺ بعـث رســول الله معهم مصعب بن عميـر بن

هـاشم بن عبد مُنـاف وأمره أن يقرئهـم القـرآن ، ويعلّمهم الإسـلام ، ويفقّههم في الدين ،ويقيم فيهم الجمعة والجماعة ، وكان مصعب يسمّى بالمدينة : المقـرىء ، وكان منزله على أسعد بن زرارة أبي أُمامة النجاري ، وكان يصلّي بهم الجمعة فأقام عنده يدعـوان الناس إلى الإسـلام حتّى لم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيهـا رجالٌ ونساءٌ مسلمون .

ثمَّ إنَّ مصعب بن عميـر رجـع إلى مكّـة ، وخـرج مَن خـرج من الأنصـار من المسلمين إلى الموسم مع حُجّاج قومهم من أهل الشرك حتّى قـدموا مكّـة فواعـدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيّـام التشريق . قـال كعب : فلمّا فـرغنا من الحـجِّ وكـانت الليلة التي واعدنـا رسول الله ﷺ لهـا ومعنا عبـد الله بن عمرو بن حـرام أبو جابر سيِّد ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنـا ، ثمَّ دعونـاه إلى الإسلام فـأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتّى إذا مضى ثلث الليـل خرجنـا مع رحالنـا لميعاد رسـول الله ﷺ حتّى اجتمعنا في الشعب عنـد العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجـلاً ، ومعنا امـرأتان من نسـائنا : نسيبـة بنت كعب أُمّ عمارة ، وأسماء بنت عمرو أُمّ منيع .

قال : فتكلّم رسول الله ﷺ فتـلا القرآن ودعـا إلى الله ورغب في الإسلام ثمَّ قال : أُبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فـأخذ البـراء بن معرور بيده ثمَّ قال : نعم والّذي بعثك بالحقِّ لنمنعنّك عمّا نمنع منه أُزرنا(١) فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهـل الحلقة ، ورثنـاها كـابراً عن كـابر فقـال رسول الله ﷺ : أخـرجوا إليّ منكم إثني عشـر نقيباً ليكـونوا على قـومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم إثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وهم :

١ ـ أبو أُمامة أسعد بن زرارة الخزرجي .

٢ ـ سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي .

٣ ـ عبد الله بن رواحة بن امرىء القيس الخزرجي .

٤ ـ رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي .

---

(١) ازرنا : يعني نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالإزار .

٥ ـ البراء بن معرور بن صخر الخزرجي .

٦ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي .

٧ ـ عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي .

٨ ـ سعد بن عبادة بن دُليم الخزرجي .

٩ ـ المنذر بن عمرو بن خنيس الخزرجي .

١٠ ـ اسيد بن حضير بن سماك الأوسي .

١١ ـ سعد بن خيثمة بن الحرث الأوسي .

١٢ ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسي . وقد يعدُّ بمكانه أبو الهيثم بن التيهان .

فقال رسول الله ﷺ للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريِّين لعسى بن مريم وأنا كفيلٌ على قومي : يعني المسلمين . قالوا : نعم .

قال العبّاس بن عبادة بن نضلة الأنصاري : يا معشر الخزرج ! هل تدرون عَلام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنّكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتّل أُسلمتموه ؟ فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنّا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنّة . قالوا : أُبسط يدك فبسط يده فبايعوه .

فقال له العبّاس بن عبادة : والله الذي بعثك بالحقِّ إن شئت لنميلنَّ على أهل مِنى غداً بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : لم نُؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم . فرجعوا إلى مضاجعهم . فلمّا قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، وكان أهل بيعة العقبة الآخرة ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين وهم :

أُسيد بن حُضير النقيب	أبو الهيثم بن التيهان النقيب	سلمة بن سلامة الأشهلي
ظهير بن رافع الخزرجي	أبو بردة بن نيار بن عمرو	نهير بن الهيثم الحارثي

سعد بن خيثمة النقيب	رفاعة بن عبد المنذر النقيب	عبد الله بن جبير بن النعمان
معن بن عدي بن الجلد	عويم بن ساعدة الأوسي	أبو أيّوب خالد الأنصاري
معاذ بن الحارث الأنصاري	أسعد بن زرارة النقيب	سهيل بن عتيك النجاري
أوس بن ثابت الخزرجي	أبو طلحة زيد بن سهل	قيس بن أبي صعصعة النجاري
عمرو بن غزية الخزرجي	سعد بن الربيع النقيب	خارجة بن زيد الخزرجي
عبد الله بن رواحة النقيب	بشير بن سعد الخزرجي	خلّاد بن سويد الخزرجي
عقبة بن عمرو الخزرجي	زياد بن لبيد الخزرجي	فروة بن عمرو الخزرجي
خالد بن قيس الخزرجي	رافع بن مالك النقيب	ذكوان بن عبد قيس الخزرجي
عبادة بن قيس الخزرجي	الحارث بن قيس الخزرجي	البراء بن معرور النقيب
بشر بن البراء الخزرجي	سنان بن صيفي الخزرجي	الطفيل بن النعمان الخزرجي
معقل بن المنذر الخزرجي	يزيد بن المنذر الخزرجي	مسعود بن يزيد الخزرجي
الضحاك بن حارثة الخزرجي	يزيد بن خزام الخزرجي	جبار بن صخر الخزرجي
الطفيل بن مالك الخزرجي	كعب بن مالك الخزرجي	سليم بن عمرو الخزرجي
قطبة بن عامر الخزرجي	يزيد بن عامر الخزرجي	كعب بن عمرو الخزرجي
صيفي بن سواد الخزرجي	ثعلبة بن غنمة السلمي	عمرو بن غنمة السلمي
عبد الله بن أنيس السلمي	خالد بن عمرو السلمي	عبد الله بن عمر النقيب
جابر بن عبد الله السلمي	ثابت بن ثعلبة السلمي	عمير بن الحارث السلمي
خديج بن سلامة بن الفرافر	معاذ بن جبل الخزرجي	أوس بن عباد الخزرجي
عبادة بن الصامت النقيب	غنم بن عوف الخزرجي	العبّاس بن عبادة الخزرجي
أبو عبد الرحمن الخزرجي	عمرو بن الحرث الخزرجي	رفاعة بن عمرو الخزرجي
عقبة بن وهب الجشمي	سعد بن عبادة النقيب	المنذر بن عمرو النقيب
عوف بن الحارث الأنصاري	معوذ بن الحارث الأنصاري	عمارة بن حزم الأنصاري
عباد الله بن زيد مناة الخزرجي .		

نبأ الهجرة :

فلمّا عتت قريش على الله عزّ وجلّ ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذّبوا نبيّه ﷺ ، وعذّبوا ونفوا مَن عَبده ووحّده وصدّق نبيّه واعتصم بدينه أذن الله

عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ في القتال فنزل قوله تعالىٰ : ﴿**أُذن للذين يُقاتلون بأنَّهم ظلموا**﴾ الآية . ثمَّ أنزل الله تعالىٰ : ﴿**وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**﴾ .

فلمّا أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وتابعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتَّبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين مِن قومه ومَن بمكّة مِن المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها . فخرجوا أرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكّة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فهاجر بنو جحش فغلّقت دورهم هجرة تخفق أبوابها يبابا ، ليس فيها ساكنٌ، خلاء من أهلها ، وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة نسائهم ورجالهم ، ثمَّ تتابع المهاجرون وفيهم :

أبو سلمة بن عبد الأسد	عامر بن ربيعة الكعبي	عبد الله بن جحش	عبد بن جحش أبو أحمد
عكاشة بن محصن	شجاع بن وهب	عقبة بن وهب	عربد بن حُمير
منقذ بن نباتة	سعيد بن رُقيش	محرز بن نضلة	يزيد بن رُقيش
قيس بن خابر	عمرو بن محصّن	مالك بن عمرو	صفوان بن عمرو
ثقف بن عمرو	ربيعة بن أكثم	الزبير بن عبيدة	تمام بن عبيدة
سخبرة بن عبيدة	محمد بن عبد الله بن جحش	عمر بن الخطاب	عياش بن أبي ربيعة
زيد بن الخطاب	عمرو بن سراقة	عبد الله بن سراقة	خنيس بن حذافة
إياس بن البكير	عاقل بن البكير	عامر بن البكير	خالد بن البكير
طلحة بن عبيد الله	حمزة بن عبد المطلب	صهيب بن سنان	زيد بن حارثة
كنّار بن حصين	عبيدة بن الحارث	الطفيل بن الحارث	الحصين بن الحرث
مسطح بن أثاثة	سويبط بن سعد	طليب بن عمير	خبّاب مولى عتبة
عبد الرحمن بن عوف	الزبير بن عوام	أبو سبرة بن أبي رهم	مصعب بن عمير
أبو حذيفة بن عتبة	سالم مولى أبي حذيفة	عتبة بن غزوان	عثمان بن عفان
أنس مولى رسول الله	أبو كبشة مولى رسول الله .		

وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلّف معه بمكّة أحدٌ من المهاجرين إلاّ من حُبس أو فتن ، إلاّ عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما حتّى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكّة من بين ظهري قومه ، وما كان يعلم بخروجه ﷺ أحدٌ حين خرج إلاّ عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر الصدِّيق وآل أبي بكر ، أما عليٌّ فإنَّ رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلّف بعدُ بمكّة ، حتى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكّة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلاّ وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ .

فلمّا أجمع رسول الله ﷺ الخروج فخرج ومعه أبو بكر ثمَّ عمد إلى غار بثور جبل بأسفل مكّة فدخلاه فأقام فيه رسول الله ﷺ ثلاثاً ومعه صاحبه .

ثمَّ خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكّة ثمَّ مضى بهما على الساحل أسفل من عسفان(١) ، ثمَّ سلك بهما على أسفل أمج(٢) ، ثمَّ استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً(٣) ، ثمَّ أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرّار(٤) ، ثمَّ سلك بهما ثنيّة(٥) المرة ، ثمَّ سلك بهما لقفاً(٦) ، ثمَّ استبطن بهما مدلجة مجاج(٧) ثمَّ سلك بهما مَرجح مجاج ثمَّ تبطّن بهما مرجح(٨) من ذي العضوين - الغضوين - ثمَّ بطن ذي كشر(٩) ثمَّ أخذ بهما على الجداجد(١٠)، ثمَّ

---

(١) بضم الأول ثم السكون : محل من مكة على مرحلتين .
(٢) بفتح الهمزة والميم : بلد من أعراض المدينة .
(٣) بضم الأول وفتح الدال : موضع فيه ماء بين مكة والمدينة . بها منازل خزاعة .
(٤) بفتح المعجمة وتشديدالراء : موضع قرب الجحفة .
(٥) ثنية المرة مخفف الراء .
(٦) يُقال : لقف بالتحريك . وبفتح اللام وسكون الفاء . وبكسر اللام وسكون الفاء .
(٧) بفتح الميم وكسره بجيمين وصححه بعض بفتح الميم ثم المعجمة وآخره مهملة .
(٨) بفتح الميم وسكون الراء بعدها معجمة مكسورة وآخره مهملة .
(٩) بفتح الكاف وسكون الشين وآخره مهملة .
(١٠) بالمعجمتين والمهملتين بينهما ألف . من الآبار القديمة .

على الأجرد[١] ، ثمَّ سلك بهما ذا سلم من بطن أعدا مَدلجة تعهن[٢] ، ثمَّ على العبابيد[٣] ، ثمَّ أجاز بهما الفاجة[٤] ، ثمَّ هبط بهما العرْج[٥] فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يُقال له : أوس بن حجر على جمل له يُقال له : ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاماً يُقال له مسعود بن هُنيدة ، ثمَّ خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنيَّة العائر [٦] عن يمين ركوبه [٧] حتَّى هبط بهما بطن رئم [٨] ، ثمَّ قدم بهما قباء [٩] على بني عمرو بن عوف حين اشتدَّ الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

ولمّا دنوا من قباء بعثوا رجلاً من أهل البادية إلى أبي أُمامة وأصحابه من الأنصار فثار المسلمون إلى السلاح واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار فوافوه وهو مع أبي بكر في ظلِّ نخلة ، ثمَّ قالوا لهما : اركبا آمنين مطاعين . فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسَّس مسجده وقد يُقال كما في سنن أبي داود ج ١ ص ٧٤ : إنَّه أقام في قباء أربعة عشر ليلة ، وحكى موسى بن عقبة إثنين وعشرين ليلة ، وقال البخاري : بضع عشرة ليلة ، وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج .

---

(١) اسم جبل هناك .
(٢) تعهن بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون : اسم عين ماء سُمّي به على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة ، ويُقال في ضبطه غير هذا .
(٣) ويُقال : العبابيب ، ويُقال العثيانة .
(٤) ويُقال : الفاحة بالمهملة . والقاحة . مدينة على ثلاثة مراحل من المدينة .
(٥) بفتح العين وسكون الراء : عقبة بين مكة والمدينة .
(٦) قال محمد محيي الدين المصري في حاشية سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٨ : لم يذكر ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالغين المعجمة . أقول : ذكره في العين المهملة ج ٦ ص ١٠٣ وقال : جبل بالمدينة . وفي حديث الهجرة : ثنية العائر عن يمين ركوبه . ويُقال : ثنية الغائر بالغين المعجمة ، اهـ ملخصاً .
(٧) بفتح الراء : ثنية صعبة عند العرج .
(٨) بكسر الراء المهملة موضع على أربعة برد من المدينة . وقيل : ثلاثة برد .
(٩) بضم أوله : قرية على ميلين من المدينة .

ثمَّ أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء ، فكانت أوَّل جمعة صلّاها بالمدينة .

قال عبد الرَّحمٰن بن عويم : حدَّثني رجالٌ من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لمّا سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكّة وتوكّفنا[١] قُدومه كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهر حرَّتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح حتّى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلّاً دخلنا ، وذلك في أيّام حارّة .

فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وصلّى الجمعة أتاه عتبان بن مالك وعبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ! أقم عندنا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنها مأمورةٌ - يعني ناقته - فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتّى إذا وازنت دار بني بياضة تلقّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرَّت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ ، فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحرث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتى إذا مرَّت بدار بني عدي بن النجار اعترضها سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عديّ فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلى أخوالك إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ. فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مِربد[٢] لغلامين يتيمين

---

(١) استشعرناه وانتظرناه .

(٢) بكسر الميم وفتح الباء بينهما مهملة ساكنة أصله الموضع الذي يجفف فيه التمر .

من بني النجار : سهل وسهيل ابني عمرو ، فلمّا بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبَتْ فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يثنيها به ، ثمَّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أوّل مرَّة فبركت فيه ثمَّ تحلحلت[١] ورزمت[٢] ووضعت جرانها[٣] فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيّوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه فاتّخذه مسجداً .

راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١ ـ ١١٤ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٤٩ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٢٤ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٨ ، ٤٤ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٣٨ ـ ٢٠٥ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢١ ـ ١٢٤ ، الإمتاع للمقريزي ص ٣٠ ـ ٤٧ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣ ـ ٦١ .

١١ ـ أبو بكر أسنّ من النبي :

عن يزيد[٤] بن الأصم انَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر : أنا أكبر أو أنت ؟ قال : لا بل أنت أكبر منِّي وأكرم وخيرٌ منِّي ، وأنا أسنُّ منك .

أخرجه ابن الضحاك ، وذكره أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٢٢٦ ، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ١٢٧ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٢ نقلاً عن خليفة بن خيّاط ، وأحمد بن حنبل ، وابن عساكر .

قال الأميني : أوَ لا تعجب من أُكذوبة تُعدُّ أُكرومة ؟ متى تصحُّ رواية يزيد بن الأصم عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يُدركه ، فإنَّ الرجل توفّي سنة ١٠١/٣/٤ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة فولادته بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بدهر .

(١) تحلحلت : تحركت . وقد يُقال : تلحلحت . أي لزمت مكانها .

(٢) وعند ابن الأثير : أرزمت . أي رغت ورجعت في رغائها .

(٣) الجران ، ككتاب : قال السهيلي : أي عنقها . وقال غيره : الجران . ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها .

(٤) في الرياض : زيد . والصحيح : يزيد .

ثمَّ متى كان أبو بكر أسنَّ من النبيِّ وقد وُلد صلى الله عليه وآله وسلم في عام الفيل ، ووُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين . وقال سعيد بن المسيب : استكمل أبو بكر بخلافته سنَّ رسول الله ﷺ فتوفِّي وهو بسنِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثلاث وستين سنة . راجع :

المعارف لابن قتيبة ص ٧٥ فقال : إتّفقوا على أنَّ عمره ثلاث وستون سنة فكان رسول الله ﷺ أسنَّ من أبي بكر بمقدار سني خلافته . اهـ. صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٨٨ وفيه : أنَّه ﷺ توفّي وهو ابن خمس وستين سنة ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٥ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٥ وج ٤ ص ٤٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٣٥ وقال : لا يختلفون أنَّ سنّه انتهت إلى حين وفاته ثلاثاً وستّين سنة إلاَّ ما لا يصح وأنَّه استوفى بخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال في الجزء الثاني ص ٦٢٦ بعد ذكر حديث يزيد الأصم : هذا الخبر لا يعرف إلاَّ بهذا الإسناد ، وأحسبه وهماً لأنَّ جمهور أهل العلم بالأخبار والسير والآثار يقولون : إنَّ أبا بكر استوفى بمدَّة خلافته سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، الكامل ج ١ ص ١٨٥ وج ٢ ص ١٧٦ . اسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٣ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٦٥ ، ٦٩ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٤ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩٦ .

نعم : هذه المساءلة وقعت بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين سعيد بن يربوع المخزومي كما رواها البغوي وابن مندة[1] وابن يربوع توفّي سنة ٥٤ وله ١٢٠ سنة ، وقيل : وزيادة أربع ، ولمّا كانت شيبة أبي بكر وكبر سنّه هي الحجة الوحيدة على مخالفيه يوم السقيفة فأيّدها المغالون في فضائله بأمثال هذه المخاريق المفتعلة ، وتحريف التاريخ عن مواضعه ، والله يعلم أنَّهم لكاذبون .

١٢ ـ إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ :

عن شبابة عن فرات بن السائب قال : قلت لميمون بن مهران : أبو بكر

(١) الإصابة ج ٢ ص ٥١ .

الصدّيق أوّل إيماناً بالنبيِّ ﷺ أم عليّ بن أبي طالب ؟ قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبيِّ ﷺ زمن بحيرا الراهب ، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتّى أنكحها إيّاه ، وذلك كلّه قبل أن يولد عليٌّ بن أبي طالب .

وعن ربيعة بن كعب[1] قال : كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنّه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصَّها على بحيرا فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من مكة . فقال : من أيّها ؟ قال : من قريش . قال : فأيُّ شيء أنت ؟ قال : تاجر . قال : إن صدَّق الله رؤياك فإنّه يبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته . فأسرَّ ذلك أبو بكر في نفسه حتّى بعث النبيُّ ﷺ فجاءه فقال : يا محمَّد ما الدليل على ما تدَّعي ؟ قال : الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبّل بين عينيه وقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّك رسول الله .

وقال الإمام النووي : كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً ، أسلم وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة .

راجع الرياض النضرة ج ١ ص ٥١ ، ٥٤ ، اسد الغابة ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٣١٩ ، الصواعق المحرقة ص ٤٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٩ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٢ .

قال الأميني : هلمَّ معي ننظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحةٌ من الصدق ؟ أمّا رواية ابن مهران سنداً :

١ - فشبابة بن سوار[2] أبو عمرو المدائني قال أحمد : تركته لم أكتب عنه للإرجاء وكان داعية ، وقال ابن خراش : كان أحمد لا يرضاه وهو صدوقٌ في الحديث ، وقال الساجي وابن عبد الله وابن سعد والعجلي وابن عدي : إنّه كان يقول بالإرجاء .

---

(١) في الخصائص الكبرى عن كعب . وهو الصحيح .

(٢) في ميزان الإعتدال : سواد .

وقبل هذه كلّها يظهر ممّا رواه أبو علي المدائني : أنّه كان يبغض أهل بيت النبيِّ صلوات الله عليهم . وضربه الله بالفالج لدعاء مَن دعا عليه بقوله : اللَّهُمَّ إن كان شبابة يبغض أهل نبيِّك فاضربه الساعة بالفالج . ففلج في يومه ومات .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٠٢]

٢ ـ فرات بن السائب الجزري . قال البخاري : منكر الحديث وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، منكر الحديث . وقال الدارقطني وغيره : متروكٌ . وقال أحمد بن حنبل : قريبٌ من محمَّد بن زياد الطحان في ميمون يتّهم بما يتّهم به ذاك . ومحمَّد بن زياد هو اليشكري أحد الكذّابين الوضّاعين كما مرَّ في ج ٥ ص ٣١٥ ، ففرات عند إمام الحنابلة كذّابٌ وضّاعٌ . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث . وقال الساجي : تركوه . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : له أحاديث غير محفوظة وعن ميمون مناكير .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٢٥ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٣٠]

٣ ـ ميمون بن مهران حسبه ما مرَّ في رواية فرات عنه ، أَضف إلى ذلك قول العجلي : انَّه كان يحمل على عليّ . كما في تهذيب ابن حجر ج ١٠ ص ٣٩١ . هب أنَّه وثَّقه مَن وثَّقه ، فما قيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

ثمَّ قد أتى ميمون في حديثه بأمرين : إسلام أبي بكر زمن بحيرا ، واختلافه في زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة . أما اختلافه بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين خديجة فلم ينبىء عنه قطّ خبير . وليس من الجائز أن يكون الوسيط في قِران رجل عظيم كمحمَّد وامرأة من بيت مجد وسؤدد ورياسة كخديجة ، شابٌّ حدث ابن إثنتين وعشرين سنة وللزوج أعمام أشراف أعاظم كالعبّاس وحمزة وأبي طالب وهو بينهم وفي بيتهم ، وكان عمُّه أبو طالب كما يأتي يحبُّه حبّاً شديداً لا يحبّ أولاده مثله ، وكان لا ينام إلّا إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج[1] وكان هو الذي كلّم خديجة حتّى وكلت

(١) يأتي تفصيل ذلك في الكلام عن أبي طالب عليه السلام .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتجارتها ، كما في الإمتاع للمقريزي ص ٨ .

والذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القِران أنَّ خديجة بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورغبت في زواجه لقرابته وأمانته وحسن خُلقه وصدق حديثه ، وعرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعمامه فخرج معه عمُّه حمزة وفي لفظ ابن الأثير : خرج معه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته . حتّى دخل على خويلد بن أسد ، أو على عمرو بن أسد عمّ خديجة فخطبها إليه فتزوَّجها عليه وآله الصّلاة والسَّلام وخطب أبو طالب عليه السلام خطبة النكاح ، فقال :

الحمدلله الذي جعلنا من ذريَّة إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء معد، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسوّاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ،وجعلنا الحكّام على الناس، ثمَّ إنَّ ابن أخي هذا محمَّد بن عبد الله لا يوزن برجل إلَّا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، فإن كان في المال قلّ ؟ فإنَّ المال ظلٌّ زائل ، وأمرٌ حائل ، ومحمَّد مَن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأٌ عظيم ، وخطرٌ جليل . فزوَّجها .

راجع طبقات ابن سعد ج ١ ص ١١٣ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٧ ، أعلام الماوردي ص ١١٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٥ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٤ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٩ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٩ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٢٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٧٢ ، المواهب اللدنيّة ج ١ ص ٥٠ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٠٠ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ١١٤ .

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر ؟ :

وأمَّا إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ أمير المؤمنين زمن «بحيرا» الراهب فإنَّه مأخوذٌ ممّا أخرجه ابن مندة[1] من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن

(١) أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ الرجال المتوفّى سنة ٣٥٥ .

عبّاس : إنَّ أبا بكر الصدِّيق صحب النبيَّ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبيُّ ابن عشرين وهم يريدون الشام في تجارة حتّى إذا نزل منزلاً فيه سدرة قعد في ظلّها ومضى أبو بكر إلى راهب يُقال له : بُحيرا يسأله عن شيء . الخ .

هذه الرواية ضعَّفها غير واحد من الحفَّاظ . قال الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٣ : عبد الغني ضعَّفه ابن يونس . وأقرَّ ضعفه ابن حجر في لسانه ج ٤ ص ٤٥ ، وقال في الإصابة ج ١ ص ١٧٧ : أحد الضعفاء المتروكين .

وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ج١ ص ٨٦ فقال : سندٌ ضعيف وضعَّفه القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٥٠ ، والحلبي في السيرة النبويَّة ج ١ ص ١٣٠ .

وأفظع من هذا رواية أخرجها الحفّاظ من طريق أبي نوح قراد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش فلمّا أشرفوا على الراهب ـ يعني بحيرا ـ هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال : فنزل وهم يحلّون رحالهم ، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد النبيِّ ﷺ فقال : هذا سيِّد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين ، إلى أن قال :

فبايعوه وأقاموا معه عنده ، فقال الراهب : انشدكم الله أيُّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى ردَّه ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٨٤ فقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٦ ، وأبو نعيم في الدلائل ج ١ ص ٥٣ ، والبيهقي في الدلائل ، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ١٩٥ ، وابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٢٦٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ٢٨٤ ، نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخرائطي والحفّاظ المذكورين ، وابن سيِّد الناس في عيون الأثر ج ١ ص ٤٢ ، والقسطلاني في المواهب ج١ ص ٤٩ .

رجـال الـروايـة :

١ ـ أبو نوح قراد عبد الرّحمٰن بن غزوان . قال عبّاس الدوري : ليس في الدنيا أحدٌ يحدِّث بهذا الحديث غير قراد أبي نوح وقد سمعه منه أحمد ويحيى لغرابته وانفراده .

[تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥]

وقال الذهبي في الميزان ج ٢ ص ١١٣ : كان يحفظ ، وقوله مناكير ، وأنكر ما له حديث عن يونس «وذكر شطراً من الحديث» فقال : وممّا يدلُّ على أنّه باطلٌ قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وبلال لم يكن خُلق ، وأبو بكر كان صبيّاً .

وقال في تلخيص المستدرك تعليقاً على تصحيحه : قلت : أظنّه موضوعاً فبعضه باطلٌ .

وقال ابن حجر في التهذيب ج ٦ ص ٢٤٨ : ذكره ابن حبّان في الثقات وقال : كان يخطىء يتخالج في القلب منه لروايته عن الليث قصَّة المماليك ، وقال أحمد : هذا «يعني حديث المماليك» باطلٌ ممّا وضع الناس ، وقال الدارقطني : قال أبو بكر : أخطأ فيه قراد .

٢ ـ يونس بن أبي إسحاق . ضعَّف أحمد حديثه عن أبيه ، وقال : حديثه عن أبيه مضطربٌ ، وقال أبو حاتم : كان صدوقاً إلاَّ أنّه لا يُحتجُّ بحديثه ، وقال أبو أحمد الحاكم : ربما وهم في روايته .

[تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣٤]

٣ ـ أبو اسحاق السبيعي . قال ابن حبان : مدلِّس ، وذكره الكرابيسي في المدلِّسين ، وقال معن : أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحاق للتدليس .

[تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٦٦]

وقال أبو حاتم: صدوقٌ لا يحتج به ، وقال ابن خراش في حديثه لينٌ ، وقال ابن حزم في المحلّى : ضعَّفه يحيى وأحمد جدّاً ، وقال أحمد : حديثه مضطرب .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٣٩]

٤ ـ أبو بكر بن أبي موسى توفّي سنة ١٠٦ ، ضعّفه ابن سعد ، وقال أحمد : لم يسمع من أبيه .

[تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤١ .]

٥ ـ أبو موسى الأشعري المتوفّى سنة ٤٢/٥٠/٥١/٥٣ وهو ابن ٦٣ سنة بلا خلاف أجده وقد وقعت الواقعة بعد عام الفيل بتسع سنين أو اثني عشر عاماً قبل ولادة أبي موسى الأشعري ١٧/٢٢/٢٣/٢٥ عاماً ، فإن كان أبو موسى هو الشاهد للقصّة قبل مولده فحبّذا ؟ وإن كان يرويها عمّن شاهدها فمن هو ؟ حتّى ننظر في حاله .

هذا شأن الرواية سنداً ، أهذه كلّها تخفى على مثل الترمذي ومَن بعده مِن الحفّاظ فيحكمون فيها بالحسن ؟ أو بالصحّة كما فعله ابن حجر والحلبي ؟ أنا لا أدري . نعم : الحبُّ يُعمي أو يُصمّ .

وأمّا متن الرواية فهو يكفي في تكذيبها إذ سفر أبي طالب عليه‌السلام إلى الشام وأخذه معه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كان وقد مضى من عمره صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم تسع سنين على ما قاله أبو جعفر الطبري والسهيلي وغيرهما ، أو إثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون[1] وكان أبو بكر يوم ذاك ابن ستّ أو تسع سنين : فإين كان هو ؟ وماذا كان يصنع بالشام ؟ وأيّ اختيار كان له بين شيوخ قريش ؟ ولم تكن تنعقد نطفة بلال يوم ذاك أخذاً بقول من قال : إنّه توفّي سنة ٢٥ وله بضع وستون سنة[2] أو أنّه ولد في تلكم السنين أخذاً بقول ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ص ١٧٤ من أنّه مات سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة . كأنَّ أبو بكر وُلد وهو شيخٌ وبلال عتيقه ، وكان معه من أوّل يومه ، وكان من يوم ولد له الحلُّ والعقد .

ثمَّ أيّ بيعة كانت يوم ذاك ؟ وما معنى قول أبي موسى الأشعري : فبايعوه

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٢ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢ ، ٢٦٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ١١٨ ، إمتاع المقريزي ص ٨ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ١٩٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٣ .

وأقاموا معه عنده ؟ وأيُّ إيمان وإسلام على زعم رواة هذه الأفيكة ، وكان قبل البعثة بإحدى وثلاثين سنة ، أو ثمانية وعشرين عاماً ، أو إثنين وعشرين ، أو سبع عشرة سنة على زعم النووي ؟ ولم تكن للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ دعوة ، ولا كلّف أحداً بالإيمان به ، فلا يُقال لمن عرف شيئاً من إرهاصات النبوَّة أنَّه أسلم يوم عرف وإلاَّ لكان «بحيرا» الراهب و «نسطور» وأمثالهما من الرهبان والكهنة أقدم إسلاماً من أبي بكر ، وكم هنالك أُناس عرفوا أمر الرسالة قبلها وبشّروا بها ثمَّ بعد البعثة عاندوا وحسدوا ، فمنهم من مات مشركاً ، ومنهم من أدركته الهداية بعد حين كما يأتي في كعب الأحبار بُعيد هذا ،وكيف أثبت ذلك اليوم إيماناً لأبي بكر وصار بذلك أقدم الناس إسلاماً ولم يُثبت لأبي طالب لا ذاك ولا غيره ؟ وأبو موسى لم يستثن أبا طالب من أُولئك الذين بايعوا يوم ذاك نظراء أبي بكر وبلال الخياليِّ .

قال الحافظ الدمياطي : في هذا الحديث وهمان : الأوَّل : قوله : فبايعوه وأقاموا معه . والثاني : قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً . ولم يكونا معه ، ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر ، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلاَّ بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة وكذا ضعَّفه الذهبي[1] .

وقال الزركشي في الإجابة ص ٥٠ : هذا من الأوهام الظاهرة لأنَّ بلالاً إنَّما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أن أسلم بلال وعذَّبه قومه ولمّا خرج النبيُّ ﷺ إلى الشام مع عمِّه أبي طالب كان له من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وأيّام . ولعلَّ بلالاً لم يكن بعد وُلد . اهـ .

وقال ابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ٢٨٥ : إنَّ قوله : وبعث أبو بكر معه بلالاً إن كان عمره عليه الصَّلاة والسَّلام إذ ذاك إثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقلَّ من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذلك ؟ ثمَّ أين كان بلال ، كلاهما غريبٌ ، اللّهُمَّ إلاَّ أن يُقال : إنَّ هذا كان ورسول الله ﷺ كبيراً ، إمّا بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأنَّ عمره كان إذ ذاك اثنتي عشرة سنة غير محفوظ فإنّه إنَّما ذكره مقيَّداً بهذا الواقدي ، وحكى

---

(١) حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٧٥ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٢ .

السهيلي عن بعضهم أنَّه كان عمره عليه الصَّلاة والسَّلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الأميني : إنَّ ابن كثير غضَّ البصر عمّا في الرواية من خرافة البيعة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . ثمَّ أتى في تصحيح بعث أبي بكر بلالاً بما لا يخفى عليه فساده ، إذ لم يزد سفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام مع أبي طالب عليه السلام على المرَّة الواحدة ، وكون عمره صلى الله عليه وآله وسلم إثني عشر عاماً محفوظٌ عند ابن سعد وابن جرير وابن عساكر وابن الجوزي ، ولم ينحصر بالواقدي كما حسبه ، وقد سافر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام مرَّة ثانية سنة خمس وعشرين من عام الفيل مع ميسرة غلام السيِّدة خديجة سلام الله عليها وليس هناك أيّ ذكر من «بحيرا» وإنَّما فيه قضيَّة «نسطور» الراهب(١) .

وقال ابن سيِّد الناس في عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ مثل مقالة الدمياطي المذكورة وكذلك الحلبي في السيرة النبويَّة ج ١ ص ١٢٩ ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ٢١ ، من طريق داود بن الحصين وليس فيه أثرٌ من الوهمين ولا ذكرٌ من أبي بكر .

نظرة في حديث كعب :

وأمّا رواية كعب فإنِّي لم أجدها في أصل من أُصول الحديث ، ولم أر لها سنداً قطُّ ، وفي ذكر كعب وهو كعب الأحبار من رجال سندها كفاية ، وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرّحمن أنَّه سمع معاوية يحدِّث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يحدِّثون عن أهل الكتاب وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب(٢) .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، دلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ ص ٥٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٤ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٤ ، الإجابة للزركشي ص ٥٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٣٩ ، الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٦٢ : روى جماعة من أهل السير : أنّ عليّاً كان يقول في كعب الأحبار : إنّه الكذّاب وكان كعب منحرفاً عن عليّ عليه السلام .

وأخرج ابن أبي خيثمة بإسناد حسّنه ابن حجر عن قتادة قال : بلغ حذيفة أنّ كعباً يقول : إنّ السّماء تدور على قطب كالرحى . فقال : كذب كعب إنّ الله يقول : ﴿إنّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا﴾[1] .

على أنّ كعباً لو كان يصدّق نفسه فيما أخبره من الإرهاصات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وما كان يؤّخر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب ، ولما كان يتعلّل عندما سُئل عمّا منعه عن إسلامه في العهد النبويّ بقوله : إنَّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال : إعمل بهذا . وختم على سائر كتبه وأخذ عليَّ بحقِّ الوالد على الولد أن لا أفضّ الختم عنها ، فلمّا رأيت ظهور الإسلام قلت : لعلَّ أبي غيَّب عنّي علماً ففتحتها فإذا صفة محمَّد وأُمَّته فجئت الآن مسلماً [2] وكان له يوم توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنان وثمانون عاماً[3] وأثر الكذب لائحُ في جلِّ ما جاء به كعب وحسبه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٦٠ من حديث ذي قربات الذي حكم الحفّاظ بعدم صحّته ، وما جاء به السيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣١ من حديث إخباره عمر وعثمان بأنَّهما مذكوران بالخلافة في التوراة ، وفيها أنَّ عثمان يُقتل مظلوماً ، ومع هذه كلّها لم يُعلم صدور هذه البشارة منه في أيّام إسلامه ولعلّه كان قبله فلا يُقبل قوله ولا يصدّق في حديثه .

على أنَّ الأحلام إن صحَّت وصدقت فلِمَ لم يحدِّث أبو بكر أحداً من الصحابة بما أخبره «بحيرا» من البشارة في نفسه من أنَّه يكون وزيراً وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يدور حديثه في دور النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم على ألسنتهم ، وتخبت إليه

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

(٣) راجع الإصابة ، اسد الغابة ، تهذيب التهذيب . .

أفئدتهم ، وتزهر بمذاكرته أنديتهم ؟ أو أنّه حدّث بها لكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً فلم تنه إلى المحدِّثين ، ولا انتهت إلى أحد من أرباب الصحاح والمسانيد حتّى انتهت النوبة إلى الغلاة في الفضائل من المتأخِّرين فأرسلوها إرسال المسلّم تجاه الحقائق الراهنة .

ولو كان أبو بكر أوّل من أسلم بتلكم التقاريب فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها : لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يصلّي غيرنا[١] ؟ .

وفي أوّليّة أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قدّمناها في الجزء الثالث ، وأسلفنا هناك ما يربو على ستّين حديثاً من الصحابة والتابعين في أنَّ عليّاً أوّل الناس إسلاماً وأوّل من صلّى وآمن من ذكر . وقد مرّت هناك صحيحة الطبري أنَّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً ، ولو كان أبو بكر أوّل من أسلم وقد آمن به صلى الله عليه وآله وسلم قبل ولادة علي عليه السلام فأين كان هو يوم قال العبّاس لعبد الله بن مسعود : ما على وجه الأرض أحدٌ يعبد الله بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثة : محمَّدٌ وعليٌّ وخديجة ؟ .

[تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٣١٨]

فلا يحقُّ آنئذ لأيِّ مُغالٍ في الفضائل أن يدع تلكم الصحاح عن النبيِّ الأعظم ووصيِّه الأقدس والصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان ، ويأخذ تجاهها برواية كعب ، وإن هو إلاّ كعب ليس إلاّ ، ولا يثبت الحقُّ بالكعاب . ليس بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهل الكتاب ، ولا تتّبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك .

١٣ - أبو بكر أسنّ أصحاب النبيّ :

أخرج ابن سعد والبزّار بسند حسن عن أنس قال : كان أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر الصدِّيق وسهيل بن عمرو بن بيضاء .

وأخرجه أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٥٧٦ ، وابن الأثير في اسد الغابة

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٧٤ - ٢٧٨

ج ٢ ص ٣٧٠ وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ فقال : رواه البزّار وإسناده حسن ، ورواه ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٨٥ . وفيه : سهل ، بدل سهيل وهو أخوه ، أو هو هو ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٣ نقلاً عن ابن سعد والبزّار .

قال الأميني : كنّا نعتقد أنَّ المغالاة يمكن أن تقع في النفسيّات التي لا تدرك بالحواسِّ الظاهرة كالعلم والتقوى وأمثالها ، وأمّا الغلوُّ في المشهودات فلم يَدَع المنطق له مساغاً فسرعان ما يظهر فيه كذب الغالي ، ويفتضح به المائن حتّى أوقفنا السير على أمثال هذه الأقاويل ، فرأينا الرجل يقول بملء فيه : إنَّ أبا بكر أسنَّ أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يجد في معاجم الصحابة كثيرين هم أسنّ منه بكثير وإليك أسماء أُمّة منهم :

١ ـ أماناة بن قيس بن شيبان الكندي . أسلم وقد عاش دهراً ، ويُقال : انّه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة كما في الإصابة ج ١ ص ٦٣ .

٢ ـ أمد بن أبد الحضرمي . أدرك هاشم بن عبد مُناف وأُميَّة بن عبد شمس ويُقال : إنَّه كان في عهد معاوية له ثلاثمائة سنة .

[صب ج ١ ص ٦٣]

٣ ـ أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي . قُتل مع عليّ كان سيِّد خثعم في الجاهليَّة عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة .

[صب ج ١ ص ٧٣]

٤ ـ أوس بن حارثة الطائي والد خرام صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاش مائتي سنة ، وأكثر هذه المدَّة من أيّام الجاهليَّة .

[صب ج ١ ص ٨٢]

٥ ـ ثور ـ ثوب ـ بن تلدة . أنشد له الكلبي :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجَّة ... إلى مائتين كلّما هو ذاهب

قال : ولا أدري ما عاش بعدما أنشد هذا لمعاوية ، وقد يُقال : إنَّه كان له

يوم بدر عشرون ومائة عاماً .

[صب ج ١ ص ٢٠٥]

٦ ـ الجعد بن قيس المرادي . أسلم ، وكان قد بلغ مائة سنة .

[صب ج ١ ص ٢٣٥]

٧ ـ حسَّان بن ثابت الأنصاري . عاش في الجاهليَّة ستِّين وفي الإسلام ستِّين عاماً .

[صب ج ١ ص ٣٢٦]

٨ ـ حكيم بن حرام الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولد قبل عام الفيل بثلاثة وعشرين سنة ، وتوفّي وهو ابن عشرين ومائة سنة .

[صب ج ١ ص ٣٤٩]

٩ ـ حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيِّ الأعظم ولد قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم بسنتين أو بأربع .

[صب ج ١ ص ٣٥٣]

١٠ ـ حنيفة بن جبير بن بكر التميمي . أدرك أحفاده النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولهم صحبة وكانوا يوم ذاك ذا لحى كما في الإصابة ج ١ ص ٣٥٩ :

١١ ـ حويطب بن عبد العزَّى بن أبي قيس العامري المتوفّى سنة ٥٤ له مائة وعشرين عاماً .

[صب ج١ ص ٣٦٤]

١٢ ـ حيدة بن معاوية العامري . مات وهو عمُّ ألف رجل وامرأة وأدرك عبد المطلب بن هاشم جدَّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان بالغاً مبلغ الرجال .

[صب ج ١ ص ٣٦٥]

١٣ ـ خنابة بن كعب العبسي . كان له على عهد معاوية بن أبي سفيان مائة وأربعون سنة وله قوله في الإصابة ج ١ ص ٤٦٣ :

حويت من الغايات تسعين حجَّة ... وخمسين حتى قيل : أنت المقزَّع

١٤ ـ خويلد بن مرة الهذلي أبو خراش ، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً .

[صب ج ١ ص ٤٦٥]

١٥ ـ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو أروى الهاشمي . كان أسنّ من عمه العبّاس الآتي ذكره .

[صب ج١ ص ٥٠٦]

١٦ ـ سعيد بن يربوع القرشي المخزومي المتوفّى سنة ٥٤ وله ١٢٠/٢٤ عاماً .

[صب ج ٢ ص ٥٢]

١٧ ـ سلمة السلمي ، أقبل إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ .

١٨ ـ سلمان أبو عبد الله الفارسي مات سنة ٦/٣/٣٢ روى أبو الشيخ عن العباس بن يزيد أنَّه قال : أهل العلم يقولون : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فأمّا مائتان وخمسون فلا يشكّون فيها .

[صب ج ٢ ص ٦٢]

١٩ ـ أبو سفيان القرشي الأموي . كان أسنّ من أبي بكر بإثني عشر عاماً وعدَّة أشهر .

[صب ج ٢ ص ١٧٩]

٢٠ ـ صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي . أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ عاش نحواً من مائة وعشرين عاماً وهو القائل كما في الإصابة ج ٢ ص ١٨٣ :

بدا لي أنّي عشت تسعين حجَّة وعشراً وما بعدها لي ثمانيا

فلم ألفها لمّا مضت وعددتها يحسبها في الدهر إلاّ لياليا

٢١ ـ صرمة بن مالك الأنصاري ، أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ .

[صب ج ٢ ص ١٨٣]

٢٢ ـ طارق بن المرقع الكناني ، كان في حجَّة الوداع شيخاً كبيراً ج ٢ ص ٢٢١ .

٢٣ ـ الطفيل بن زيد الحارثي ، هو الذي أخبر عمر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهليَّة ، وكان يوم ذلك قد أتت عليه مائة وستون سنة .

[صب ج ٢ ص ٢٢٤]

٢٤ ـ عاصم بن عديّ العجلاني توفّي سنة خمس وأربعين وله مائة وعشرون سنة .

[صب ج ٢ ص ٢٤٦]

٢٥ ـ العبّاس بن عبد المطلب عمُّ النبيِّ الأعظم ، ولد قبل رسول الله بسنتين أو ثلاث .

[صب ج ٢ ص ٢٧١]

٢٦ ـ عبد الله بن الحارث بن أُميَّة ، أدرك الإسلام وهو شيخٌ كبيرٌ .

[صب ج ٢ ص ٢٩١]

٢٧ ـ عدي بن حاتم الطائي ، مات بعد الستّين وبلغ مائة وثمانين كما قاله أبو حاتم السجستاني ، أو مائة وعشرين كما في قول خليفة .

[صب ج ٢ ص ٤٦٨]

٢٨ ـ عدي بن وداع الدوسي ، من رجال الجاهليَّة أدرك الإسلام فأسلم وغزا وتوفّي وله ثلاثمائة سنة .

[صب ج ٢ ص ٤٧٢]

٢٩ ـ عمرو بن المُسبّح(١) الطائي ، مات وله مائة وخمسون عاماً . قال ابن قتيبة : لست أدري أقبض قبل وفاة النبيِّ أم بعده .

[صب ج ٣ ص ١٦]

٣٠ ـ فضالة بن زيد العدواني ، سأله معاوية : كم أتت لك يا فضالة ؟ قال : عشرون ومائة سنة .

[صب ج ٣ ص ٢١٤]

---

(١) بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الموحدة كما في الإصابة ج ٣ ص ١٦ ، وفي المعارف لابن قتيبة ص ١٣٦ ؛ المسيح .

٣١ ـ قباث بن أشيم ، سأله عثمان بن عفان : أنت أكبر أم رسول الله ؟ فقال : رسول الله أكبر منّي وأنا أسنُّ منه .

[صب ج ٣ ص ٢٢١]

٣٢ ـ قردة بن نفاثة السلولي ، أدرك الإسلام وهو شيخٌ كبيرٌ وعاش مائة وخمسين سنة وله كما في الإصابة ج ٣ ص ٢٣١ من أبيات :

بان الشباب فلم أحفل به بالا ... وأقبل الشيب والإسلام إقبالا

٣٣ ـ لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي الجعفري ، توفّي سنة ٤١ وهو ابن مائة وأربعين أو مائة وسبع وخمسين سنة أو مائة وستين سنة .

[صب ج ٣ ص ٣٢٦]

٣٤ ـ اللجاج الغطفاني ، وفد إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن سبعين وعاش مائة وعشرين سنة .

[صب ج ٣ ص ٣٢٨]

٣٥ ـ المستوعز بن ربيعة بن كعب ، كان من فرسان العرب في الجاهليّة عاش إلى أيّام معاوية وكان له ٣٢٠/٣٠ سنة .

[صب ج ٣ ص ٤٩٢]

٣٦ ـ معاوية بن ثور البكائي ، أسلم بيد النبيِّ وهو شيخٌ كبيرٌ .

[صب ج ١ ص ١٥٦]

وفي بعض المعاجم كان ابن مائة سنة .

٣٧ ـ منقذ بن عمرو الأنصاري ، كان قد أتى عليه مائة وثلاثون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في اسد الغابة .

٣٨ ـ النابغة الجعدي ، عاش في الجاهليّة مائتي سنة ، ومات وهو ابن ٢٢٥/٣٠ عاماً وهو القائل كما في الإصابة ج ٣ ص ٥٣٨ :

ألا زعمت بنو أسد بأنّي ... أبو ولد كبير السنّ فاني ؟
فمن يك سائلاً عنّي ؟ فإنّي ... من الفتيان أيّام الختان

أتت مائةٌ لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحِجّتان
وقد أبقت صروف الدهر منّي كما أبقت من السيف اليماني

وقال أبو حاتم : عاش مائتي سنة وهو القائل :

قال : أمامة كم عمرت زمانه وذبحت من عنز على الأوثان ؟
ولقد شهدت عكاظ قبل محلّها فيها وكنت أُعدّ من فتيان
والمنذر بن محرّق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتّى جاء أحمد بالهدى وقوارع تُتلى من القرآن
ولبست في الإسلام ثوباً واسعاً من سيب لا حرم ولا منّان

٣٩ - نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي ابن عمّ النبيِّ الطاهر . كان أسنَّ من أسلم من بني هاشم حتّى من عمَّيه حمزة والعبّاس المذكورين .

[صب ج ٣ ص ٥٧٧]

٤٠ - نوفل بن معاوية بن عروة الدئلي ، كان ممَّن عاش في الجاهليَّة ستّين وفي الإسلام ستّين سنة .

[صب ج ٣ ص ٥٧٨]

وقبل هؤلاء كلّهم أبو قحافة والد الخليفة فإنَّه كان أكبر سنّاً من الخليفة لا محالة إن لم تُصغِّره المعاجز من إبنه كما صغَّرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلته غلاماً وشابّاً لا يُعرف بين يدي أبي بكر وهو أكبر منه .

راجع في تراجم هؤلاء المذكورين المعارف لابن قتيبة ، معجم الشعراء للمرزباني ، الإستيعاب لأبي عمر ، اسد الغابة لابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، الإصابة لابن حجر، مرآة الجنان لليافعي، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي . ونحن اقتصرنا منها بذكر الإصابة مرموزاً بـ (صب) روماً للإختصار .

هؤلاء جملةٌ ممَّن وقفنا على أسمائهم ممَّن أربوا على أبي بكر في السنِّ من الصحابة الأوَّلين ، وهب أنّا غضضنا الطرف عن كلِّ ذلك فهلّا نسائل القوم عن وجه الفضيلة في كبر السنِّ ؟ أوَ ليس في الأُمم والأجيال من طعنوا في السنِّ فبلغوا من

العمر عتيّاً ، وفيهم الحالي بالفضائل والعاطل عنها ، وإذا مُدح أحدهم فإنّما يُمدح بمآثره لا بطول عمره ، ومهما طال عمر الخليفة فإنّ أكثره انقضى في الجاهليّة ، بُعث النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وللخليفة ثمان وثلاثون سنة وقد مرَّ في الجزء الثالث ص ٢٧٤ أنّه صلى الله عليه وآله وسلم صلّى سبع سنين ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين . إذن فلأبي بكر عند إسلامه خمسة وأربعون عاماً وتوفّي وهو ابن ثلاث وستّين ، فقد أشغل في الإسلام ثماني عشرة سنة ، وهذه المدّة الأخيرة هي التي يمكن أن تزدان بشيء من المناقب ، فهل ازدانت أو لا ؟ .

وفي الغاية أحسب أنّه ليس للقوم غاية يعتدُّ بها في كبر السنّ والإهتمام بذلك غير أنّهم جعلوا الحجر الأساسي للخلافة الراشدة أشياء منها : إنّ أبا بكر قُدّم على أمير المؤمنين لأنّه شيخٌ محنّك لا تِرَةَ لأحد عنده فيُبغض ، وعلى هذا الأساس جعلوه تارة أكبر سنّاً من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرفت حاله في صفحة ٣٠٣ وأُخرى أنّه كان شيخاً يُعرف والنبيُّ شاباً لا يُعرف ، وأوقفناك على حقيقة الحال في ص ٢٩٠ . وآونة أنّه أسنّ الصحابة ليحسموا مادّة النقض بشيوخ في الصحابة كلّهم أكبر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفيهم رؤساء وأعاظم ، وما عرفوا أنّ المستقبل الكشّاف سيوقف الباحثين على أُناس هم أكبر من الرجل سنّاً ، وأوفر علماً ، وأبلغ حُنكةً ، وأقدم شرفاً ، وأسبق إسلاماً .

١٤ ـ أبو بكر في كفّة الميزان :

أخرج الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٧٨ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الهذيل عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن عليّ بن زيد[1] عن القاسم بن عبد الرّحمٰن عن أبي أُمامة : قال : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنّة فسمعت فيها خشفة بين يديَّ . فقلت : ما هذا ؟ قال بلال . فمضيت فإذا أكثر أهل الجنّة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين ولم أر فيها أحداً أقلّ من الأغنياء والنساء «إلى أن قال» : ثمّ خرجنا من أحد أبواب الجنّة الثانية فلمّا كنت عند الباب أُتيت

---

(١) كذا والصحيح : يزيد .

بكفّة فوضعت فيها ووضعت أُمَّتي في كفَّة فرجحت بها ، ثمَّ أُتي بأبي بكر فوضع في كفّة وجيء بجميع أُمَّتي فوضعوا في كفَّة فرجح أبو بكر ، ثمَّ أُتي بعمر فوضع في كفَّة وجيء بجميع أُمَّتي فوضعوا فرجح عمر ، ثمَّ رُفع الميزان إلى السماء . وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول ص ٢٨٨ .

رجال الرواية :

١ ـ مطرح بن يزيد الكوفي قال الدوري عن ابن معين : ليس بشيء وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث وقال أبو حاتم : ليس بالقويِّ ضعيف الحديث يروي أحاديث عن ابن زحر عليِّ بن يزيد فلا أدري البلاء منه أو من عليِّ بن يزيد . وقال الآجري عن أبي داود : زعموا أنَّ البليَّة من قِبَل عليِّ بن يزيد : وقال النسائي : ضعيفٌ ليس بشيء وقال ابن عدي : يجانب روايته عن ابن زحر والضعف على حديثه بيّن .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٧١]

٢ ـ عبيد الله بن زحر الأفريقي ، مجمعٌ على ضعفه كما في الميزان . ضعَّفه أحمد : وقال ابن معين : ليس بشيء كلُّ حديثه عندي ضعيفٌ . وقال ابن المديني : منكر الحديث . وقال الحاكم : ليِّن الحديث . وقال ابن عدي : يقع في أحاديثه ما لا يتابع عليه . وقال أبو مسهر : صاحب كل معضلة . وقال الدارقطني : ضعيفٌ ، وقال ابن حبّان : يروي الموضوعات عن الأثبات . فإذا روى عن عليّ بن يزيد أتى بالطامّات وإذا اجتمع في إسناد خبر عبد الله بن زحر وعليّ بن يزيد والقاسم بن عبد الرّحمن لم يكن مَتن ذلك الخبر إلاَّ ما عملته أيديهم[1] . قال الأميني : هذه الرواية ممّا اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو ممّا عملته أيديهم .

٣ ـ علي بن يزيد الألهاني . قال ابن معين : عليُّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة ضعاف كلّها ،وقال يعقوب : واهي الحديث كثير المنكرات ، وقال

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٣ .

الجوزجاني : رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التي يرويها عنه عبيد الله بن زحر . وقال زرعة : ليس بالقويِّ ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث أحاديثه منكرة . وقال البخاري : منكر الحديث ضعيفٌ . وقال النسائي : ليس بثقة متروك الحديث . وقال الأزدي والدارقطني والبرقي : متروكٌ . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال الساجي : إتّفق أهل العلم على ضعفه . وقال أبو نعيم : منكر الحديث . وقال ابن حجر : متّهمٌ .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٠ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٣ ، ٣٩٦]

٤ ـ القاسم بن عبد الرّحمٰن الشامي . قال أحمد : هذه المناكير التي يرويها عنه جعفر وبشر ومطرح مناكير ممّا يرويها الثقات أنّها من قِبَل القاسم . وقال الأثرم : حملها أحمد على القاسم . وقال : ما أرى هذا إلاّ من قِبَل القاسم . وقال الحرّاني : قال أحمد : ما أرى البلاء إلاّ من القاسم . وقال الغلابي : منكر الحديث . وقال ابن حبّان : يروي عن الصحابة المعضلات .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٤ ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٢٣]

وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٩ فقال : رواه أحمد والطبراني وفيهما : مطرح بن زياد وعليّ بن يزيد الألهاني وكلاهما مجمعٌ على ضعفه .

قال الأميني : هذا شأن الرواية سنداً ورجاله كما ترى ، واستدلَّ الهيثمي على ضعفه بما في متنه راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٩ .

١٥ ـ توسُّل الشمس بأبي بكر :

قال النبيُّ ﷺ : عُرض عليَّ كلُّ شيء ليلة المعراج حتى الشمس فإنّي سلّمت عليها وسألتها عن كسوفها فأنطقها الله تعالى وقالت : لقد جعلني الله تعالى على عجلة تجري حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فنزل بي العجلة فأوقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول : أحد أحد . والآخر يقول : صدق صدق . فأتوسّل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف ، فأقول : يا ربِّ من هما ؟ فيقول : الذي يقول : أحد أحد هو حبيبي محمّد ﷺ . والذي يقول : صدق

صدق هو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

أنا لا أُحكِّم في هذه الرواية إلاَّ علماء علم الفلك سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون . وقد تكلَّمنا في صحيفة ٢٦٨ عن العجلة التي حملت الشمس وبحثنا عنها بحثاً ضافياً ، وليت الهيئيِّين درسوا هذه الرواية فأخذوا عنها علماً غزيراً ، وعرفوا أنَّ الكسوف يكون بغمس الشمس في البحر عقوبة على نظرها إلى نفسها بعين العجب وإن إنجلاءَها يتمُّ بالتوسُّل، ولعلَّ المستقبل الكشّاف يأتي بمن يُعلِّم الأُمَّة بسرِّ خسوف القمر وتتأتَّى به للمجالس نزهة بعد نزهة .

وهنا أسئلةٌ جمَّةٌ :

١ ـ ليس الكسوف يخصُّ بهذه الأُمَّة فحسب ، ولا بأيّام حياة أبي بكر خاصَّة ، فمن ذا الذي كان يقول : صدق صدق . قبل ميلاد أبي بكر ؟ ومن ذا الذي يقولها بعد وفاته ؟ وبمن كانت الشمس تتوسَّل قبل ذلك ؟ وبمن تتوسَّل به بعده ؟ .

٢ ـ أين كان يقول أبو بكر : صدق صدق ؟ أيقولها وهو في محلّه بمرأى من الناس ومسمع فيُسمعها الشمس بالإعجاز ؟ أو كان يحضر على ذلك البحر الذي لم يحدَّد بأيِّ ساحل فيغيب عن الناس وتطوى له المسافة بخرق العادات ؟ فَلِمَ لم يُحدِّث عنه ذلك ولو مرَّة واحدة ؟ أو أنَّه يذهب هو ويدع قالبه المثالي بين الناس فيحسبونه هو هو ؟ أو أنَّه يثبت في مكانه فيرسل قالبه ذلك فتحسبه الشمس أنَّه هو ؟ .

٣ ـ هب أنَّ الشمس تحمل حياةً روحيَّةً فهل تحمل معها نفساً أمّارة بالسوء بها تعجب بنفسها ؟ أنا لا أدري . وعلى فرض ثبوت النفس الأمّارة فما بالها تدأب على المعصية وهي ترى استمرار العقوبة مع كلِّ عصيان ؟ فهل هي تتوب بعد كلِّ معصية ثمَّ تعود إليها بنسيان العقاب أو غلبة الشهوة ؟ ومن المعلوم أنَّ الكسوف لم ينقطع ليلة المعراج فهو من الكائنات المتجدّدة إلى انقراض العالم فكأنَّ الشمس حينئذ كانت تخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتصميمها على الإستمرار على المعصية منذ كلِّ

كسوف فمتى تتوب هذه العاصية الشاعرة ؟ أنا لا أدري . وفي ذمّة الصفوري صاحب الكتاب الخروج عن عهدة هذه الأسئلة . فهل يخرج ؟ أنا لا أدري ، وهذا أيضاً من الغلوّ في الفضائل والحبّ المعمي والمصمّ .

١٦ ـ كلبةٌ من الجنّ مأمورة :

عن أنس بن مالك قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجلٌ من أصحابه وساقاه تشخبان دماً فقال النبيُّ ﷺ : ما هذا ؟ قال : يا رسول الله ! مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني . فقال ﷺ : إجلس فجلس بين يدي النبيِّ ﷺ ، فلمّا كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجلٌ آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً مثل الأوّل فقال النبيُّ ﷺ : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! إنّي مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني قال : فنهض النبيُّ ﷺ : وقال لأصحابه : هلمّوا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلُّهم وحمل كلٌّ واحد منهم سيفه فلمّا أتوها وأرادوا أن يضربوها بالسيوف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طَلِق ذلِق : لا تقتلني يا رسول الله ! فإنّي مؤمنةٌ بالله ورسوله فقال : ما بالك نهشت هذين الرّجلين ؟ فقالت : يا رسول الله ! إنّي كلبةٌ من الجنّ مأمورة أن أنهش مَن سبَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . فقال النبيُّ ﷺ : يا هذين ! أما سمعتما ما تقول الكلبة ؟ قالا : نعم يا رسول الله ! إنّا تائبان إلى الله عزّ وجلّ .

[عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥]

قال الأميني : ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتّى استدعى أمرها أن يتجهّز لحربها النبيُّ ﷺ ويحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف ؟ فهل هي كلبةٌ أو أسدٌ ضارٍ ؟ أو عفرنى باسل ؟ أو حشدٌ لُهام ؟ وأحسب أنَّ اللذين نهشتها كانا من هيّابة الصحابة فإنَّ شجعانهم ما كانوا يبالون بالضراغم فضلاً عن الكلاب .

وأين كانت هذه الكلبة عمَّن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد وبعد العهد النبويِّ وهلمَّ جرّا ؟ فلم تُشهد لها نهشة ، ولا سمع لها عواء ، فليتهيَّأ صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل وذلك بعد الغضّ عن اسناده

الموهوم .

ثمَّ ما أخرس ألسنة أُولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بثِّ هذه الفضيلة الرابية ؟ ومثلها تتوفَّر الدواعي لنقلها ، وما أذهل الحفّاظ وأئمَّة الحديث وأرباب السير عن روايتها ؟ فلا يجدها الباحث في المسانيد والصحاح والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوَّة ودلائلها إلى أن بشَّر بها العبيدي آل الصدِّيق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الأُكذوبة أنس بن مالك .

أهكذا تكون المغالاة في الفضائل ؟ . . . لعلَّها تكون .

نعم لِلهِ كلابٌ مفترسة وأُسودٌ ضارية سلّطها اللهعلى أعدائه بدعاء نبيِّه الأعظم أو أحد من أولاده الصّادقين صلوات الله عليه وعليهم ، منها : كلبٌ سلّطه الله على لهب بن أبي لهب بدعاء النبيِّ الأقدس كما مرَّ في الجزء الأوَّل ص ٣٠٩ ومنها ، كلب أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما مرَّ في ج ١ ص ٣٠٩ قال الحلبي في السيرة النبويَّة ج ١ ص ٣١٠ : ووقع مثل ذلك لجعفر الصّادق قيل له : هذا فلان ينشد الناس هجاءكم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل : هل علقت من قوله بشيء ! قال : نعم . قال : فأنشِدْ . فأنشد :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أرَ مهديّاً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليّاً سفاهة ... وعثمان خيرٌ من عليّ وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال : اللَّهُمَّ إن كان كاذباً فسلِّط عليه كلباً من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد . وإنَّما سمِّي الأسد كلباً لأنَّه يشبه الكلب في أنَّه إذا بال رفع رجله .

قال الأميني : الشاعر المفترَس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أُميَّة بدمشق وقصَّته هذه من المتسالم عليه غير أنَّ في معجم الأدباء كما مرَّ في الجزء الثاني ص ٢٣٢ من كتابنا هذا أنَّ الداعي على الرَّجل هو عبد الله بن جعفر. وأحسبه تصحيف أبي عبد الله جعفر ، فعلى كلّ قد وقع من أهله في محلّه .

١٧ ـ هبة أبي بكر لمحبِّيه :

عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ وليس معنا ثالثٌ إلاّ الله عزّ وجلّ فقال : يا عليّ تريد أن أُعرِّفك بسيِّد كهول أهل الجنّة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة ؟ فقلت : أي وعيشك يا رسول الله ! قال : هذان المقبلان . قال عليٌّ : فالتفتُّ فإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . ثمَّ رأيت رسول الله ﷺ تبسَّم ثمَّ قطب وجهه حتّى ولجا المسجد فقال أبو بكر : يا رسول الله ! لمّا قربنا من دار أبي حنيفة تبسَّمت لنا ثمّ قطبت وجهك فلِمَ ذلك يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : لمّا صرتما لجانب دار أبي حنيفة عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما ثمّ رفع يديه إلى السَّماء أسمعه وأراه وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو ويقول : اللّهُمَّ إنِّي أسألك بحقِّ هذين الرجلين أن لا تعذِّبني بعذاب باغضي هذين الرجلين . قال أبو بكر : ومَن هو الذي يبغضنا يا رسول الله ! وقد آمنّا بك وآزرناك وأقررنا بما جئت به من عند ربِّ العالمين ؟ قال : نعم يا أبا بكر ! قومٌ يظهرون في آخر الزمان يُقال لهم : الرافضة يرفضون الحقّ ، ويتأوَّلون القرآن على غير صحّته وقد ذكرهم الله عزَّ وجلّ في كتابه العزيز وهو قوله : ﴿يحرِّفون الكلم عن مواضعه﴾[1] فقال : يا رسول الله ! فما جزاء من يبغضنا عند الله ؟ قال يا أبا بكر ! حسبك أنَّ إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالىٰ أن لا يعذِّبه بعذاب باغضيكما . قال : يا رسول الله ! هذا جزاء من قد أبغض فما جزاء من قد أحبَّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تهديا له هديَّة من أعمالكما . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله أُشهد الله وملائكته اني قد وهبت لهم ربع أجري ـ أي عملي ـ منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه . فقال عمر رضي الله عنه : وأنا مثل ذلك يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : فضعا خطّكما بذلك . قال عليٌّ كرّم الله وجهه : فأخذ أبو بكر زجاجة وقال له رسول الله ﷺ اكتب . فكتب :

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم يقول عبد الله عتيق بن أبي قحافة : إنِّي قد أُشهدت

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٤٦ ، وسورة المائدة ؛ الآية : ١٣ .

الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أنّي قد وهبت ربع عملي لمحبّي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه ، وبذلك وضعت خطّي .

قال : وأخذ عمر وكتب مثل ذلك فلمّا فرغ القلم من الكتابة هبط الأمين جبرائيل عليه‌السلام وقال : يا رسول الله ! الربُّ يقرئك السّلام ويخصُّك بالتحيَّة والإكرام ويقول لك : هات ما كتبه صاحباك . فقال رسول الله ﷺ : هذا هو . فأخذه جبرائيل وعرج به إلى السَّماء ثمَّ إنَّه عاد إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : أين ما أخذت يا جبرائيل منّي ؟ قال : هو عند الله تعالىٰ وقد شهد الله فيه ، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله تعالىٰ : هو عندي حتّى يفي أبو بكر وعمر بما قالا يوم القيامة .

[عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥ ـ ١٠٧]

قال الأميني : أنا لا أحاول إطناباً في تفنيد هذه الرِّواية الشبيهة بأساطير القصّاصين أو الرِّوايات الخياليَّة ، فإنَّ كلَّ فصل منها شاهد صدق على عدم صحَّتها .

أنا لا أخدش في كهولة الشيخين بما مرَّ في الجزء الخامس ص ٣٧٩ من القول المعزوِّ إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : يا عليّ أتحبُّ هذين الشيخين ؟ . ولا بما مرَّ في هذا الجزء ص ٢٧٢ من أنَّ أبا بكر له شيبة في الجنَّة وليست لأحد لحية هناك إلّا هو وإبراهيم الخليل ولا بما مرَّ ص ٢٧٢ من أنَّ رسول الله كان يقبِّل شيبة أبي بكر ، ولا بما مرَّ في صفحة ٢٩٠ من أنَّ أبا بكر كان يوم هجرة النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى المدينة شيخاً والنبيُّ شابّاً . ولا بما مرَّ في ص ٣٠٣ من أنَّ أبا بكر كان أكبر من النبيِّ . ولا بما مرَّ في ص ٣١٤ من أنَّه كان أسنَّ أصحاب النبيِّ .

ولا أتكلّم في عذاب باغضي أبي بكر وعمر وأنَّه ما الذي أربى به على عذاب مَن تكبَّر وتجبَّر تِجاه المولى سبحانه وعانده وخالف أمره وهو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يغوي عباد الله ويضلّهم عن سبيل الحقِّ ؟ .

ولا أُناقش في أنَّ إبليس كيف كان يصحُّ له أن يتعوَّذ بالله من عذاب باغضيهما ؟ أكان يحبّهما فلماذا هو ؟ او كان يبغضهما كما يبغض كلُّ مؤمن بالله ؟

فالدعاء لماذا ؟ وماذا ينتج له وهو يعلم عذاب مبغضيهما وهو يبغضهما ولا يزال يغري الناس ببغضهما ؟ .

ولا أمدُّ يراعي إلى الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة الموهومة لئلّا تنكسر فتحرم الأُمَّة المرحومة من تلك البضاعة الغالية .

ولا أُسائل رواة هذه المهزأة عن تلكم الشهادات من الله إلى حملة عرشه إلى أمين وحيه إلى ميكائيل وإسرافيل . لماذا هي كلّها ؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه إلى ذلك الإهتمام البالغ في استحكام ذلك الصكّ ؟ وما الذي أهمَّ ادِّخاره عند الله حتى يفي أبو بكر وعمر بما قالا يوم القيامة ؟ .

ولا أقول لِماذا تركت الأئمَّة وحفّاظ الحديث هذه الفضيلة العظيمة إلى قرن العبيدي المالكي ـ القرن الحادي عشر ـ وفيها بشارةٌ كبيرةٌ لمحبِّ الشيخين وإرشاد للأُمَّة إلى ما فيه نجاتهم ونجاحهم والمثوبة الجزيلة بجزاء ربعي أعمالهما ؟ ولِماذا شحَّ أُولئك الحفظة على الأُمَّة وسمع العبيدي ؟ .

ولكن هلمَّ معي إلى مفاد الآية الكريمة فهي في موضعين من القرآن الكريم :

١ ـ ﴿من الذين هادوا يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا﴾[١] .

٢ ـ ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثني عشر نقيباً وقال الله : إنِّي معكم لئن أقمتم الصَّلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأُكفِّرنَّ عنكم سيِّئاتكم ولأُدخلنَّكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السبيل* فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به﴾[٢] .

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٤٦ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

ألا تعجب من تحريف الكلم بإسناد ما ناء به اليهود وبنو إسرائيل بنصِّ القرآن الحكيم إلى قوم لم يأتوا بعدُ وسيضمنهم الزمان في أُخرياته ؟ حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ذلك ، ولكنّها ورطات القالة ، واهواءٌ وشهوات ، حبّذت الوقيعة في قوم مؤمنين اتّبعوا النبيّ الأمين ، وهُدوا إلى الصِّراط المستقيم ، وهُدوا إلى الطيِّب من القول ، وهُدوا إلى صراط الحميد ، ﴿**ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم**﴾ .

١٨ - أبو بكر في قاب قوسين :

بلغنا أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لّما كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالىٰ بصوت أبي بكر رضي الله عنه فاطمأنَّ قلبه واستأنس بصوت صاحبه .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٤ فقال : هذه كرامةٌ للصدِّيق انفرد بها رضي الله تعالىٰ عنه .

قال الأميني : لِماذا تلك الوحشة ؟ ولماذا ذلك الأُنس ؟ وهو صلى الله عليه وآله وسلم في ساحة القدس الربوبيِّ ، وكان لا يأنس إلا بالله ، وكانت نفسه القدسيَّة في كل آناته منعطفة إليها فهل هو يستوحش إذا حصل فيها ؟ وهي أزلف مباءة إلى المولى سبحانه لا تقلُّ غيره ، حتّى انَّ جبرائيل الأمين إنكفأ[1] عنها فقال : إن تجاوزت إحترقت بالنار . لمّا جذبه الله تعالىٰ إليها وحفّته قداسةٌ إلٰهية تركته مستعدّاً لتلقّي الفيض الأقدس ، وهل هناك وحشةٌ لمثله صلى الله عليه وآله وسلم يسكّنها صوت أبي بكر ؟ وهل كانت له صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مقام الفناء لفتةٌ إلى غيره جلّت عظمته حتى يأنس بصوته ؟ لاها الله ، وما كان قلب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يقلُّ غيره سبحانه فهو مستأنسٌ به ومطمئنٌ بآلائه ، فلا مدخل فيه لأيِّ أحد يطمئنّ به ، ﴿**وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾ ، ﴿**ولقد رآه بالأُفق المبين**﴾ ، ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رآه نزلةً أُخرى عند سدرة المنتهى**﴾ ، ﴿**ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى**﴾ ، ولم تبرح نفسه الكريمة مطمئنّة

---

(١) الكامل ج ٢ ص ٢١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٣١ .

بارئها حتى خوطب بقوله سبحانه : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربّك راضيةً مرضيّة﴾ .

هذا مبلغ الرواية من نفس الأمر لكن الغلوّ في الفضائل آثر أن يعدّوها من فضائل الخليفة وإن كانت مقطوعةً عن الإسناد .

١٩ ـ الدين وسمعه وبصره :

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يُعلّمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريّين . قيل له : فأين أنت عن أبي بكر وعمر ؟ قال : إنّه لا غنى بي عنهما إنّهما من الدين كالسمع والبصر .

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٧٤ فقال : هذا حديث تفرّد به حفص بن عمر العدني عن مسعر ، وقال الذهبي في تلخيصه : هو واهٍ .

قال الأميني : قال النسائي : حفص بن عمر ليس بثقة ، وقال ابن عدي : عامّة حديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبّان : كان ممّن يُقلّب الأسانيد لا يجوز الإحتجاج به إذا انفرد ، وقال ابن معين : رجل سوء ، ليس بثقة . وقال مالك بن عيسى : ليس بشيء ، وقال العقيلي : يحدّث بالأباطيل ، وقال أحمد : كان مع حمّاد[١] في تلك البلايا ، وقال أبو داود : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيفٌ ، ليس بقويّ ، متروكٌ[٢] .

هذا على ما فرّق جمعٌ بينه وبين حفص بن عمر بن دينار الإيلي وأمّا إن كان هو هو فقال ابن عدي : أحاديثه كلّها منكرة المتن والسند وهو إلى الضعف أقرب . وقال أبو حاتم : كان شيخاً كذّاباً ، وقال العقيلي : يحدّث عن شعبة ومسعر ومالك بن مغول والأئمّة بالبواطل ، وقال الساجي : كان يكذب ، وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث[٣] .

---

(١) أحد الكذّابين الوضّاعين .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٦٢ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤١٠ .

(٣) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٦٣ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٢٤ .

هذا شأن سند الرواية ؛ وليت شعري أيّ سنَّة أو فريضة كان يعلّمها الرجلان على فرض إرسالها ؟ وبماذا كانا يفتيان في الكلالة وإرث الجدّ والجدّة والتيمم وشكوك الصّلاة إلى مسائل أُخرى عرَّفناك بعضها في الجزء السادس وجملة منها في هذا الجزء ؟ وبماذا كانا يجيبان لو سُئلا عن آيات القرآن وهما يتقاعسان عن معرفة بعض ألفاظها اللغويَّة فكيف بالغوامض والمعضلات ؟ .

ثمَّ بماذا كان غناء الرجلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وبماذا كانا من الدين كالسمع والبصر ؟ أبصولاتهما في الحروب ؟ أم بأياديهما في الجدوب ؟ أم ببصائرهما في الأُمور ؟ أم بعلمهما الناجع في الكتاب والسنَّة ؟ أم بتوقّف الدعوة عليهما في عاصمة الإسلام ؟ أم بإناطة تنفيذ الأحكام بهما ؟ إقرأ السير ثمَّ استحف الخبر .

وقد مرّ في ج ٥ ص٣٩٣ عن المقدسي : إنَّ أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر من موضوعات الوليد بن الفضل الوضّاع .

وذكر أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ١٤٦ مرفوعاً لأبي بكر وعمر : هذان منّي بمنزلة السمع والبصر من الرَّأس وقال : إسناده ضعيف أخبرنا أبو عبد الله يعيش بن سعيد قال : أخبرنا أبو بكر بن محمَّد بن معاوية : قال جعفر بن محمَّد الفريابي : قال عبد السّلام بن محمد الحرّاني : قال ابن أبي فديك ، عن المغيرة بن عبد الرَّحمٰن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جدّه أنَّ النبيَّ . . . ليس له غير هذا الإسناد والمغيرة بن عبد الرَّحمٰن هذا هو الحزامي ضعيفٌ وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي (الخ) وقال في ج ١ ص ٣٤٨ : حديث مضطرب الإسناد لا يثبت . وفي الإصابة ج ٢ ص ٢٩٩ : حديث هذان السمع والبصر . في أبي بكر وعمر قال أبو عمر : حديث مضطرب لا يثبت .

أقول في الإسناد المذكور غير واحد من المجاهيل والضعاف ولا ينحصر ضعفه بمكان المغيرة فحسب ، وقال فيه ابن معين : إنّه ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقويّ .

[تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٦]

٢٠ ـ أبو بكر ومنزلته عند الله :

عن ابن عبّاس قال : كان أبو بكر مع النبيّ ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبيِّ ﷺ فقال له النبيُّ ﷺ : إذهب إلى صدر الغار فاشرب . قال أبو بكر : فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ثمَّ عدت إلى النبيِّ ﷺ فقال : شربت ؟ قلت : نعم . قال : ألا أُبشِّرك يا أبا بكر ؟ قلت : بلى يا رسول الله ! قال : إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أمر الملك الموكّل بأنهار الجنَّة أن اخرق نهراً من جنَّة الفردوس إ لى صدر الغار ليشرب أبو بكر فقلت : يا رسول الله ! ولي عند الله هذه المنزلة ؟ فقال النبيُّ ﷺ : نعم وأفضل ، والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً لا يدخل الجنّة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيّاً .

[الرياض النضرة ج ١ ص ٧١ ، مرقاة الوصول ص ١١٤]

قال الأميني : كيف تصحّ هذه الرواية وقد ضرب عنها حفّاظ الحديث وأئمّة التاريخ والسير صفحاً ؟ مع ما فيها من نبأ عظيم وكرامة هامّة وهي بين أيديهم وهم يهتمّون بجمع دلائل النبوَّة ومعاجز الرسالة ، فلم تخرّج في أصل ، ولم تذكر في سيرة ، وإنّما ذكرها السيوطي في الخصائص ج ١ ص ١٨٧ فقال : أخرجه ابن عساكر بسند واهٍ .

ولماذا خصَّت روايتها بابن عبّاس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو سنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبيِّ ﷺ وصاحبه ؟ فأين روايتهما إيّاها ؟ وأين أُولئك الصحابة عنها ؟ أيحقّ لحكيم أو حافظ أن يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلّم في عدّ الفضائل ؟ .

نعم : للقوم في محبّة أبي بكر وصاحبه روايات تشبه بالقصص الخياليّة نسجتها يد الغلوّ في الفضائل وإليك منها :

١ ـ عن عبد الله بن عمر مرفوعاً ، لَمّا وُلد أبو بكر في تلك الليلة اطّلع الله على جنّة عدن فقال : وعزّتي وجلالي لا أدخلك إلّا من أحبَّ هذا المولود .

من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مرَّ في ج ٥ ص ٣٦٥

٢ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : إنَّ في السَّماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبَّ أبا بكر وعمر ، وفي السَّماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر .

من طامّات أبي سعيد الحسن بن علي البصري كما أسلفناه في ج ٥ ص ٣٦٥

٣ ـ عن أنس : إنَّ يهوديّاً أتى أبا بكر فقال : والذي بعث موسى وكلّمه تكليماً إنِّي لأحبّك فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاوناً باليهوديِّ فهبط جبرائيل على النبيِّ ﷺ وقال : يا محمَّد إنَّ العليَّ الأعلىٰ يقرأ عليك السَّلام ويقول لك : قل لليهوديِّ : إنَّ الله قد أحاد عنك النار . الحديث . إقرأ واحكم بعد قراءتك القرآن والتدبّر في الآي النازلة في عذاب الكفّار. من موضوعات أبي سعيد البصري .راجع الجزء الخامس ص ٣٦٦

٤ ـ عن أنس مرفوعاً : إنَّ الله تعالىٰ في كلِّ ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار إلاَّ رجلين فإنَّهما يدخلان في أُمَّتي وليسا منهم ، وإنَّ الله لا يعتقهما فيمن عتق منهم مع أهل الكبائر في طبقتهم ، مصفَّدين مع عبدة الأوثان : مبغضي أبي بكر وعمر ، وليس هم داخلين في الإسلام ، وإنَّما هم يهود هذه الأُمَّة . الخ .

من وضع أبي شاكر مولى المتوكِّل كما مرَّ في ج ٥ ص ٣٦٨

٥ ـ عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ . من بلايا السنجري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٧٥

٦ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً قال لعليّ : أتحبُّ هذين الشيخين ؟ قال : نعم يا رسول الله ! قال : أَحِبَّهما تدخل الجنَّة . من صناعة الأشناني كما مرَّ ج ٥ ص٣٧٨

٧ ـ عن جابر مرفوعاً : لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبّهما منافقٌ .

من موضوعات معلّى الطحان راجع ج ٥ ص ٣٩٢

٨ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : هذا جبرائيل يخبرني عن الله ما أحبَّ أبا بكر وعمر إلَّا مؤمن تقيّ، ولا أبغضهما إلَّا منافقٌ شقيٌّ .

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٩٤

٩ ـ عن أبي سعيد مرفوعاً ، من أبغض عمر فقد أبغضني . راجع ج ٥ ص ٣٩٧

١٠ ـ عن عليّ مرفوعاً: قد أخذ الله بكم الميثاق في أُمِّ الكتاب لا يحبُّكم «يعني أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّاً» إلَّا مؤمن تقيٌّ ، ولا يبغضكم إلَّا منافق شقيٌّ .

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٩٤

١١ ـ عن عليّ مرفوعاً في أبي بكر : من أحبَّني فليحبَّه ، ومن أراد كرامتي فليكرمه مرَّ في الجزء الخامس ص ٤٢٨

١٢ ـ عن أنس مرفوعاً : إنَّ لعرش الرَّحمٰن ثلاثمائة وستّين قائمة ، كلُّ قائمة كطباق الدنيا ستّين ألف مرَّة ، بين كلِّ قائمتين ستّون ألف صخرة ، كلُّ صخرة مثل الدنيا ستّون ألف مرَّة ، في كلِّ صخرة ستّون ألف عالم ، كلُّ عالم مثل الثقلين ستّون ألف مرَّة . قد ألهمهم الله تعالىٰ الإستغفار لمن يحبّ أبا بكر وعمر ، ويلعنون مبغضهما إلى يوم القيامة[1] .

كأنَّ لعدد ستِّين ألف خاصَّةٌ عند واضع هذه الخرافة فجعل سلسلة الأكوان الخياليَّة على ذلك العدد ، ليست هذه كلّها إلَّا حلقة بلاء جاءت بها رماة القول على عواهنه المغالون في الفضائل تجاه الحقائق الراهنة ، غير أنّا لا نخدش العواطف ببسط القول في متونها ، ونكل القضاء فيها إلى ضمير الباحث النّابه الحرِّ .

---

(١) عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٨٣ نقلاً عن كتاب العقائق .

٢١ - النبيُّ مؤيَّدٌ بـالشيخين :

عن أبي أروى الدوسي قال كنت جالساً عند النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطّلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ الحمد لله الذي أيَّدني بكما .

قال الأميني : أخرجه الحاكم في المستـدرك ج ٣ ص ٧٤ من طريق ابن أبي فديك وهو وإنْ وثَّقه ابن معين غير أنَّ ابن سعد قال : ليس بحجَّة ، عن :

عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ضعَّفه أحمد وابن معين وأبو حاتم ، وابن عدي ، وقال الفـروي : ليس بقويّ ، وقـال الجوزجـاني : يضعف حديثه وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال الترمذي : متروكٌ ليس بثقة ، وقـال ابن حبّان : يخـطىء ويخالف وقـال أيضاً : منكـر الحـديث جِـدّاً يـروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبـات ، لا يجوز الإحتجـاج به إلَّا فيمـا وافق الثقات ، وقال ابن الجارود : ليس حديثه بحجَّة . وتكلّم النسائي على أحمد بن صالح حيث وثَّقه . عن :

سهيل بن أبي صالح قال ابن معين : حـديثه ليس بحجَّـة ، وقال أبـو حاتم : حديثه لا يُحتجُّ به ، وقال ابن حبَّان يخطىء ، وقال ابن أبي خيثمـة عن يحيى : لم يزل أهل الحديث يتَّقون حديثه ، وذكر العقيلي عن يحيى أنَّه قال : هو صويلح وفيه لين . عن :

محمَّـد بن إبراهيم بن الحارث المـدني وثَّقه غيـر واحد غيـر أنَّ إمام الحنـابلة أحمد قال : في حديثه شيءٌ يروي أحاديث مناكير أو منكـرة[١] والحديث ذكـره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٥ وضعّفه .

هذا مجمل القول في رجال سند الرواية ، وأمّا متنه فكما ترى آيةٌ في الغلوِّ .

٢٢ - الأشباح الخمسة من ذريّة آدم :

عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : أخبرني جبـرائيل أنَّ

---

(١) راجـع ميزان الإعتـدال ج ٢ ص ٤ وج ١ ص ٤٣٢ ، تهـذيب التهـذيب ج ٩ ص ٦ ، ٦١ ، وج ٤ ص ٢٦٣ ، ج ٥ وبهذا الطريق أخرجه البزار كما في الصواعق ص ٤٧ .

الله تعالىٰ لمّا خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفّاحةً من الجنَّة فأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأُولى أنت يا محمَّد ، ومن الثانية أبا بكر ، ومن الثالثة عمر ، ومن الرابعة عثمان ، ومن الخامسة عليّ . فقال آدم : من هؤلاء الذين كرَّمتهم ؟ فقال الله تعالىٰ : هؤلاء خمسة أشباح من ذريّتك ، وقال : هؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي . قال : فلمّا عصى آدم ربَّه . قال : ربِّ بحرمة أُولئك الأشباح الخمسة الذين فضَّلتهم إلاَّ تبت عليَّ فتاب الله عليه .

ذكره الحافظ محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ٣٠ ، وابن حجر في الصواعق ص ٥٠ نقلاً عن رياض المحبّ الطبري وقال : عهدته عليه .

قال الأميني : ماأبعد المسافة بين من يجوِّز توسّل آدم أوَّل الأنبياء إلى الله تعالىٰ بأُناس عاديِّين في سياق توسّله بأفضل الرُّسل وسيِّد الأوصياء عليهما وآلهما السَّلام ، وبين مَن ينكر التوسُّل لأيِّ أحد ، بأيِّ أحد ، ولا يرى لتوسّل آدم بالنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أيّ قيمة وكرامة ، فيعتقد الأوَّل صحَّة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بأنّها كذبٌ موضوعٌ ، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء ، وإن عدَّه في صواعقه من الفضائل زعماً بأنَّ الدهر لم يأت بعده بمن يناقشه في الحساب ، وصافقهما على التكذيب والوضع العجلوني فقال في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٣٣ : قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي : كذبٌ موضوعٌ .

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك غير أنَّ المغالاة في الفضائل إختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالىٰ : ﴿**فتلقّى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه**﴾ «سورة البقرة» .

أخرج الديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور ج ١ ص ٦٠ بإسناده عن عليّ قال سألت النبيَّ ﷺ عن قول الله : ﴿**فتلقّى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه**﴾ ؟ فقال : إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجدَّة ـ إلى أنَّ قال ـ حتى بعث الله إليه جبرائيل ، وقال : يا آدم ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ألم

أسجد لك ملائكتي ؟ ألم أُزوِّجك حوّاء أمتي ؟ قال : بلى . قال : فما هذا البكاء ؟ قال وما يمنعني من البكاء ؟ وقد أُخرجت من جوار الرَّحمٰن . قال : فعليك بهؤلاء الكلمات فإنَّ الله قابلٌ توبتك ، وغافرٌ ذنبك . قل : اللّٰهُمَّ إنِّي أسألك بحقِّ محمَّد وآل محمَّد سبحانك لا إلٰه إلاَّ أنت، عملت سوءاً، وظلمت نفسي فاغفر لي إنَّك أنت الغفور الرَّحيم . فهؤلاء الكلمات التي تلقّى آدم .

وأخرج ابن النجار عن ابن عبّاس قال : سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربِّه فتاب عليه ؟ قال : سأل بحقِّ محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاَّ تبت عليَّ . فتاب عليه .

[الدر المنثور ج ١ ص ٦٠]

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب كما في ينابيع المودَّة ص ٢٣٩ .

وروى أبو الفتح محمّد بن علي النطنزي المولود سنة ٤٨٠ في كتابه : الخصائص عن ابن عبّاس أنَّه قال ـ لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال : الحمد لله فقال له ربُّه : يرحمك ربُّك . فلمّا أسجد له الملائكة فقال : يا ربِّ خلقت خلقاً هو أحبّ إليك منِّي ؟ قال : نعم ولولاهم ما خلقتك . قال : يا ربِّ فأرنيهم فأوحى الله إلى ملائكة الحجب : أن ارفعوا الحجب . فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش قال : يا ربِّ من هؤلاء ؟ قال : يا آدم هذا محمَّد نبيِّي ، وهذا عليٌّ أمير المؤمنين ابن عمِّ نبيِّي ووصيُّه وهذه فاطمة بنت نبيِّي ، وهذان الحسن والحسين إبنا علي وولدا نبيِّي ، ثمَّ قال : يا آدم هم ولدك . ففرح بذلك فلمّا اقترف الخطيئة قال : يا ربِّ أسألك بمحمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي . فغفر الله له ، فهذا الذي قال الله تعالىٰ : ﴿**فتلقى آدم من ربِّه كلمات**﴾ . إنَّ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربِّه : اللّٰهُمَّ بحقِّ محمَّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلاَّ تبت عليَّ . فتاب الله عليه .

وهذا الرجل يُروى له بسند صحيح توسّل عمر ـ أحد الأشباح المزعومة ـ بالعبّاس عمِّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في الإستسقاء ، خرج يستسقي به وقد أجدب الناس فقال : اللّٰهُمَّ إنّا نستشفع إليك بعمِّ نبيِّك أن تذهب عنّا المحل ، وأن تسقينا

الغيث . فقال العبّاس : اللَّهُمَّ إنَّه لم ينزل بلاء من السَّماء إلَّا بذنب ، ولا يكشف إلَّا بتوبة ، وقد توجَّه بي القوم إليك لمكاني من نبيِّك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعي لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصغير ، ورقَّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرَّ وأخفى ، اللَّهُمَّ فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنَّه لا ييأس من رحمتك إلَّا القوم الكافرون .

فما تمَّ كلامه حتّى أرخت السَّماء مثل الحبال ، فنشأت السحاب ، وهطلت السَّماء ، فطفق الناس بالعبّاس يمسحون أركانه ويقولون : هنيئاً لك ساقي الحرمين . فقال حسّان بن ثابت :

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرَّة العبّاس
عمِّ النبيِّ وصنو والده الذي ... ورث النبيَّ بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرَّة الأجناب بعد اليأس

وقال ابن عفيف النصري :

مازال عبّاس بن شيبة غايةً ... للناس عند تنكّر الأيّام
رجلٌ تفتّحت السَّماء لصوته ... لمّا دعا بدعاوة الإسلام
فتحت له أبوابها لمّا دعا ... فيها بجند معلمين كرام
عمُّ النبيِّ فلا كمن هو عمّه ... ولد ولا كالعمِّ في الأقوام
عرفت قريشٌ يوم قام مقامه ... فبه له فضلٌ على الأقوام

وقال شاعر بني هاشم :

رسول اللَّه والشهداء منّا ... وعبَّاس الذي بعج الغماما

وقال العبّاس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمّي سقى اللَّه الحجاز وأهله ... عشيَّة يستسقي بشيبته عمر
توجَّه بالعباس في الجدب دائماً ... إليه فما إن دام حتى أتى المطر

ومـنّـا رسـول الـلّه فـيـنـا تـراثـه   فهـل فـوق هـذا للمفـاخـر مفتخر[١] ؟

فهلّا هذا الرجل هو المتوسَّل به في حديث الأشباح - المختلق - الواقع في رديف صاحب الرسالة وسيِّد الوصيِّين صلَّى الله عليهما وآلهما ، وهو ومن معه أكرم خلق الله جميعاً باعتراف ممَّن خلقهم وفي خلقه سبحانه الأنبياء وأُولو العزم من الرُّسل والأوصياء والملائكة والمقرَّبون ؟ .

فهلّا هذا الرجل دعا الله بنفسه ؟ وما محلُّ توسّله بالعبّاس وهو أكرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمَّ جرّا ؟ أو أنَّه وجد استثناء في العبّاس فحسب فهو أكرم على الله منه ومن كلِّ من هو أكرم على الله منه ؟ .

أنا لا أدري ماذا أقول ، ولك الفسحة والمجال لأن تقول الحقَّ وما يحدوك إليه ضميرك الحرّ وتقول : كيف يكون المذكورون في الحديث - غير محمَّد وصنوه - أكرم على الله من جميع خلقه وفيهم من ذكرناهم من الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء والملائكة ؟ وكيف يتوسَّل أبو البشر النبيُّ المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيهِ وهم هم ؟ وسيرتهم بين يديك ، وكيف يكونون رديف النبيِّ الأعظم وصنوه المعصوم بنصِّ الكتاب العزيز ونفسه المطهّر الناطق به القرآن الكريم ؟ وكيف يشاركون معهما في فضيلة الخلقة ، وكرامة التوسّل ؟ ولا أحسب أنَّ أحداً من شيعة القوم يصافق رواة هذه الأفيكة على هذه المزاعم ، ولعلّهم يصافقونهم ويجعلونها على عهدتهم كما فعل ابن حجر إذ غلوُّهم في الفضائل غير محدود .

وأمَّا الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسفَّ به إلى هوَّة الجهل فكالقصيمي الذي أنكر ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربِّ أسألك بحقِّ محمَّد لما

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب سؤال الناس الإمام الإستسقاء ، صحيح مسلم كتاب الصّلاة ، الأغاني ج ١٢ ص ٨١ ، أعلام الماوردي ص ٧٨ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٨ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٩٢ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٧٢ ، طرح التثريب ج ١ ص ٦٣ ، فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٨ وقال : يستفاد من القصة استحباب الإستسقاء بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ، عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٨ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩ .

غفرت لي فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه ؟ قال : يا ربِّ لأنَّك لمَّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إلـه إلاَّ الله ، محمَّدٌ رسول الله فعلمت أنَّك لم تضف إلى اسمك إلاَّ أحبَّ الخلق اليك . فقال الله : صدقت يا آدم ! إنَّه لأحبُّ الخلق إليَّ ، ادعني بحقِّه قد غفرت لك ، ولولا محمَّد ما خلقتك .

أخرجه البيهقي في دلائل النبوَّة[1] والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٥ وصحَّحه ؛ والطبراني في المعجم الصغير ، وأبو نعيم في الدلائل ، وابن عساكر كما في الخصائص ، وأقرَّ صحته السبكي في شفاء السقام ص ١٢٠ ، والقسطلاني في المواهب ج ١ ص ١٦ ، والسمهودي في وفاء الوفا ج ٢ ص ٤١٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ج١ ص٦٢ ، والعزّامي في فرقان القرآن ص ١١٧ ، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى عن عدَّة من الحفّاظ ج ١ ص ٦ .

فقال القصيمي في الصّراع ج ٢ ص ٥٩٣ تبعاً لأثر ابن تيميَّة في الردِّ على هذه المأثرة النبويَّة الصحيحة : والسؤال بحقِّ النبيِّ أو بحقِّ غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العمليَّة الدينيَّة ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة غفران وعفوٍ تامّ ، وماذا في قول القائل : أسألك يا الله بحقِّ فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهِّل قائله لأن يكون من المغفور لهم ؟ وإنَّما يغفر للمستغفر .

وقال : وأمّا الألفاظ المجرَّدة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطّ به الذنوب والخطايا الثقيلة ، فما في قول القائل : أسألك بحقِّ محمَّد لمّا غفرت لي من الشأن والقيمة ؟ حتَّى يُقال له : وإذ سألتني بحقِّه فقد غفرت لك . وأجهل الناس وأرقُّهم ديناً وتقوىً وفضيلةً وأشدُّهم بعداً عن الله وعن رضاه يقولون ذلك ، ويلهجون به ، وهم على رغمهم لا يجدر بهم الغفران ولا التجاوز والعفو والرضا بل وهم خليقون بالإنتقام والطرد والعذاب الأليم الموجع ، ولن تجديهم هذه المقالة ولا هذا التوسل قليلاً ولا كثيراً ، فنحن لا نشكُّ في أنَّ

(١) قال الذهبي في الثناء عليه : عليك به فكله هدى ونور .

آدم ما غفر له ذنبه إلّا لتوبته ولرجوعه إلى ربّه ولإقلاعه عن ذنبه ، ولإعتذاره واستغفاره الصادرين عن جميع نفسه وقلبه وعقله ، أمّا السؤال بالحقّ فلا قيمة ولا وزن له عند الله البتة . اهـ .

نحن لا نقابل هذا المغفّل المستهتر البذيّ إلّا بالسّلام ، حذا في هذيانه هذا حذو شيخه ابن تيميّة ، وقد ردَّ عليه جمعٌ من أئمّة الحديث وحفّاظه بكلمات ضافية نقتصر منها بكلام السبكي قال في شفاء السقام ص ١٢١ ، قال ابن تيميّة : أمّا ما ذكر في قصّة آدم من توسّله فليس له أصل ، ولا نقله أحدٌ من النبيِّ ﷺ بإسناد يصلح للإعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الإستشهاد . ثمّ ادّعى ابن تيميّة انّه كذبٌ وأطال الكلام في ذلك جدّاً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرُّص ، ولو بلغه أنَّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك ، أو لتعرَّض للجواب عنه ، وكأنّي به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرَّحمٰن بن يزيد راوي الحديث ، ونحن نقول : قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم ، وأيضاً عبد الرَّحمٰن بن يزيد لا يبلغ في الضعف إلى الحديث الذي إدَّعاه ، وكيف يحلُّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردُّه عقلٌ ولا شرع ؟ وقد ورد فيه هذا الحديث ، وأمّا ما ورد من توسّل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسِّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له : ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبَّر عنه بالتوسُّل أو الإستعانة أو التشفُّع أو التجوُّه . والداعي بالدعاء المذكور ما في معناه متوسّلٌ بالنبيِّ ﷺ لأنّه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه أو مستغيثٌ به ، والمعنى أنّه استغاث الله به على ما يقصده . الخ .

وقد أسلفنا الكلام حول الموضوع في الجزء الخامس ص ١٨٤ - ١٩٧ راجع .

٢٣ - أبو بكر خير أهل السّماوات والأرض :

عن أبي هريرة : إنَّ رسول الله ﷺ قال : أبو بكر وعمر خير أهل السّماوات والأرض ، وخير الأوّلين والآخرين ، إلّا النبيِّين والمرسلين .

ذكره ابن حجر في الصّواعق ص ٤٥ نقلاً عن الحاكم وابن عدي ، وأخرجه

الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٢٥٣ وسكت عمّا في سنده من العلل «على عادته الجارية في مناقب الشيخين» وفيه : جبرون بن واقد الأفريقي والراوي عنه محمّد بن داود القنطري ، قال الذهبي في الميزان : جبرون متّهم فإنّه روى بقلّة حياء عن سفيان ، وروى عنه محمّد بن داود القنطري ، عن أبي هريرة مرفوعاً : أبو بكر وعمر خير الأوّلين . الحديث تفرّد به وبالذي قبله وهما موضوعان . وزاد ابن حجر في اللسان ج ٢ ص ٩٤ عن ابن عدي أنّه قال : لا أعرف له غير هذين الحديثين ولا أعلم من يرويهما عنه غير محمّد بن داود وهما منكران .

وقال الذهبي في ترجمة محمّد بن داود : عن جبرون الأفريقي بحديثين باطلين ذكرهما ابن عدي في ترجمة جبرون وقال تفرّد بهما محمّد .

وقال ابن حجر في اللسان ج ٥ ص ١٦١ : أحسب الآفة في الحديث من جبرون وقد ساق المؤلّف الحديثين في ترجمته وصرّح بأنّهما موضوعان وأشار إلى أنّ المشتهر بهما جبرون .

قال الأميني : ومن الحريّ لمثل هذين المبطلين أن يرويا باطلاً كمثل هذا الذي يرتئي مفتعله تفضيل الرّجلين على الملائكة المقرّبين المعصومين من أهل السّماوات وفيهم سيّدهم أمين الوحي جبرائيل ، وعلى من ثبتت زلفتهم وقربهم من أولياء الله وأصفيائه وأوصياء الأنبياء ، أنا لا أدري بماذا فضلا عليهم أبعلمهما المتدفّق؟ وقد عرفت مبلغهما منه ، أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب ؟ وأنت لا تقول بها ، أو أنّ ما حفظه التاريخ من سيرتهما لا يدع أن تقول بها ، لكن عصمة الملائكة ثابتةٌ لا ريب فيها ، وعصمة الأوصياء واجبةٌ بالبرهنة الصحيحة ، وزلفى المقرّبين كلقمان والخضر وذي القرنين من القضايا التي قياساتها معها ، أم ببأسهما المرهب في ذات الله وعنائهما في سبيل الدين وجهودهما الجبّارة ؟ لا يخفى على أحد حقّ القول في ذلك كلّه ، ضع يدك هٰهنا على أيّ فضيلة فإنّك لا تجد فيهما منها ما يربي بهما على كثير من الصّحابة والتابعين وهلمّ جرّا فضلاً عن مَن ذكرناهم ، غير أنّ الغلوّ في الفضائل حدى صاحبه إلى أن يقول بذلك ، فدعه يقول فإنّ الحقائق الثابتة غير قابلة للزوال ، والأصول الموضوعة لا يركن إليها على كلّ حال .

٢٤ ـ ثواب النبيِّ (ص) وأبي بكر :

عن عليٍّ بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر : يا أبا بكر ! إنَّ الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني ، وإنَّ الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة .

أخرجه الخلعي والملاّ كما في الرياض النضرة ج ١ ص ١٢٩ ، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٥٣ من طريق أحمد بن محمَّد بن عبيد الله أبي الحسن التمّار المقرىء فقال : كان غير ثقة روى أحاديث باطلة ذاكرت أبا القاسم الأزهري حال هذا الشيخ وقلت : أراه ضعيفاً لأنَّ في حديثه مناكير . فقال : نعم هو مثل أبي سعيد العدوي .

قال الأميني : أبو سعيد العدوي هو الحسن بن علي العدوي البصري شيخٌ قليل الحياء كذّابٌ يضع الحديث، أسلفنا ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص ٢٧٥ ، فقول الأزهري في أبي الحسن التمّار (انَّه مثل أبي سعيد) يومي إلى أنَّه أيضاً كذّابٌ وضّاعٌ .

وفي الإسناد أبو معاوية الضرير وقد اشتهر عنه الغلوّ غلوّ التشيع ، وقال يعقوب بن شيبة : ثقةٌ ربما يدلِّس «ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٨٢» وفيه أبو البختري عن عليّ قال سلمة بن كهيل : ما كان من حديث أبي البختري فهو حسن ، وما كان عنه فهو ضعيفٌ «ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٤٤» .

هذا شأن سند الرواية وأما متنه فضميرك الحرُّ نعم الحَكَم فيه .

٢٥ ـ الحبُّ والشكر الواجبان على الأُمَّة :

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ حبُّ أبي بكر وشكره واجب على أمَّتي .

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٤٥٣ من طريق عمر بن إبراهيم الكردي وقال : تفرَّد به عمر ، وهو ذاهب الحديث . وذكره الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٩ فقال : الحديث منكرٌ جدّاً .

ورواه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٧٣ من طريق عمر الكردي أيضاً بلفظ : إنَّ أمنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وذات يده أبو بكر الصدِّيق ، فحبُّه وشكره وحفظه واجبٌ على أمَّتي .

قال الأميني : هذه الرِّواية من موضوعات عمر الكردي قال الدارقطني : كذّابٌ خبيثٌ ، وقال الخطيب : غير ثقة يروي مناكير من الأثبات . راجع ما مرَّ في سلسلة الكذّابين في الجزءالخامس ص ٣٠١

والعجب من الخطيب في تاريخه أنَّه مع قوله المذكور في ترجمة الكردي ترى عقدةً في لسانه لمّا يذكر الرواية فيسكت عمّا فيها تارةً ولم يتكلّم بذأمة تُعرب عن وضعها ، ويقتصر أُخرىٰ بقوله : تفرَّد بروايته عمروغير عمر أوثق منه . كما قاله في الموضع الثاني ، وليست هذه كلها إلاَّ لإغفال القرّاءعن جليَّة الحال ، والتمويه على الحقائق الراهنة ، فمن جرّائها يأتي الصفوري بعد حين ويذكر الرواية في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٦ مرسِلاً إيّاها إرسال المسلّم .

٢٦ ـ أبو بكر في كفَّة الميزان :

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول ص ١١٢ قال : حدَّثنا رزق الله بن موسى الباجي البصري قال : حدَّثنا مؤمل بن إسماعيل ـ العدوي البصري ـ قال : حدَّثنا حماد بن سلمة قال : حدَّثنا سعيد بن جمهان البصري عن سفينة مولى أُمّ سلمة قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الصبح أقبل على أصحابه فقال : أيُّكم رأى الليل رؤيا ؟ قال : فصلّى ذات يوم الصبح ثمَّ أقبل على أصحابه فقال : أيُّكم رأى الليل رؤيا ؟ فقال رجلٌ : أنا يا رسول الله رأيت كأنَّ ميزاناً أُدلي من السَّماء فوضعت في كفَّة الميزان ووُضع أبو بكر في كفَّة أُخرىٰ فرجحت بأبي بكر فرفعت . وتُرك أبو بكر فجيء بعمر فوضع في الكفَّة الأُخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر ، ورُفع أبو بكر وترك عمر مكانه فجيء بعثمان فوضع في الكفَّة الأُخرى فرجح عمر بعثمان ، ورفع عمر وتُرك عثمان مكانه فجيء بعليّ فوضع في الكفَّة الأُخرى فرجح عثمان بعليّ ورُفع الميزان ، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثمَّ قال : خلافة نبوَّة ثلاثين عاماً ثمَّ تكون ملكاً .

رجــال إسنـاده :

١ - رزق الله البصري المتوفّى سنـة ٢٥٦/٦٠ قال الأنـدلسي : روى أحاديث منكرة وهو صالحٌ لا بأس به .

[تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧٣]

٢ - مؤمّل العدوي البصري المتوفّى سنة ٢٠٦ قال أبو حاتم : صـدوقٌ شديـدٌ في السنَّة كثير الخطأ ، وقال البخاري : منكر الحـديث ، وقال يعقـوب بن سفيان : شيـخٌ جليـلٌ سنّيٌ سمعت سليمـان بن حـرب يحسن الثنـاء - عليـه - كـان مشيختنـا يوصون به إلَّا أنَّ حديثـه لا يشبه حـديث أصحابـه ، وقد يجب على أهـل العلم أن يقفوا عن حديثه ، فإنَّه يروي المناكير عن ثقات شيوخه ، وهذا أشدُّ فلو كانت هـذه المناكير عن الضعفاء لكنّا نجعل له عـذراً ، وقال السـاجي : صدوقٌ كثيـر الخطأ ، ولـه أوهـامٌ يـطول ذكـرهـا ، وقـال ابن سعـد والـدارقـطني : كثيـر الخـطأ . وقـال المروزي : إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقَّف ويتثبَّت فيـه ، لأنَّه كـان سيّء الحفظ كثير الغلط .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٢١ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٨١]

٣ - سعيـد بن جمهان البصـري المتوفّى سنـة ١٣٦ . قال أبـو حـاتم : يكتب حديثه ولا يُحتجُّ به ، وقال الساجي : لا يُتابع على حديثه .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٧٧ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤]

قال الأميني : **﴿ويلٌ للمطفّفين * الَّذين إذا اكتالوا على النـاس يستوفـون * وإذا كالوهـم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظنُّ أُولئك أنَّهم مبعوثون * لِيـوم عظيم * يوم يقوم الناس لربِّ العالمين﴾** .

هـذه الميزان التي جـاء بها البصـريّون وأُدليت من سمـاء البصرة في منجمهـا عينٌ ، وفي إحـدى كفَّتيها شـولٌ ، وفي لسانهـا عوج . **﴿قـل هـل يستـوي الـذين يعلمـون والذين لا يعلمون﴾** ؟ **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هـل تستوي الـظلمات والنور﴾** ؟ .

كيـف يوزن في ميزان العـدل والنصفة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو هـو مع ابن أبي

قحافة الذي ليس إلاّ أبو بكر ، أيّ خلائق كريمة ؟ أيّ نفسيّات طاهرة ؟ أيّ ملكات فاضلة ؟ أيّ حِكم علميّة أو عمليّة ؟ أيّ عوارف ومعارف راقية ؟ أيّ بصيرة نافذة ؟، أيّ أيّ ؟ جعلت في كفّة جعل فيها أبو بكر . هل هذه الموازنة يقبلها الوجدان والمنطق حتّى يُقال بالرجحان في إحدى كفّتي الميزان ؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً .

ثمّ كيف رجح أبو بكر بعمر وإنّهما كانا عكمي بعير في الفضائل كلّها أيّام حياتهما غير أنّ فتوحات عمر وأياديه في بسط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى ، ولم تزل تذكر في صفحات التاريخ ، فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة .

وكيف فُضّل بين النبيّ الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان ؟ وهو نفسه بنصّ القرآن الكريم ، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز ، وهو وارث علمه ، وباب حكمته ، وهو عدل القرآن وخليفة نبيّ الإسلام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّي مخلّفٌ فيكم إثنين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . وأيّ فضيلة رابية لعثمان جعلت في كفّة الميزان ورجح بها على عليّ رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضائله . أنا لا أدري .

ثمّ إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقّاً فهو لا محالة بتقدير من الله تعالىٰ ومشيئة منه رعايةً للنظام الأصلح ، فلماذا تغيّر وجهه صلى الله عليه وآله وسلم ممّا قدّره المولىٰ سبحانه وشاءه وأحبّه ؟ ولم تكن له غاية إلاّ الحصول على مرضاته والدعوة إليها وإيقاف الأُمّة عليها أوَ ليس هذا ممّا ينافي عصمته ويضادُّ مقامه الأسمى ؟ لكن الغلوّ في الفضائل قد يصحّح أمثال ذلك . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٢٧ ـ ما أسلم أبو مهاجر ، إلاّ أبو بكر :

أخرج ابن مندة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلاّ أبو بكر .

[تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣]

وروى المحبّ الطبري في رياضه ج ١ ص ٤٧ عن الواحدي مرسلاً بلا إسناد

عن عليٍّ بن أبي طالب انَّه قال في أبي بكر : أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين من أسلم أبواه غيره .

[وذكره القرطبي في تفسيره ج ١٦ ص ١٩٤]

وأخذ غير واحد من المتأخِّرين كالشبلنجي ونظراؤه هذين الحديثين فعدّوهما من فضائل أبي بكر المتسالم عليها .

قال الأميني : نحن نقدِّس ساحة عليّ وعائشة عن مثل هذا الكذب الفاحش الذي ينادي التاريخ بخلافه ، وتكذّبه سيرة الصحابة المهاجرين ، وإنَّما الحبُّ الدفين قد أعمى رواة هذه الأفيكة وأصمَّهم عمَّا في غضون الكتب ، فأسرفوا في القول وتغالوا في الفضائل غير مكترثين لمغبَّة قيلهم ، أهذا مبلغهم من العلم ؟ أم يقولون على الله الكذِب وهم يعلمون ؟ .

هاجر بنو مظعون من بني جمح . وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني أُميَّة ، وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب . بأهليهم وأموالهم ، وغلقت دورهم بمكة هجرةً ليس فيها ساكن كما في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٩ ، ١١٧ ، أكانت نساء تلكم الأُسر الكبيرة أرامل أو عقائم ؟ أو كانت أبناؤها أيتاماً من الأبوين أيامى ؟ أو كانت آباؤها رجالاً بلا أعقاب . قاتل الله الحبَّ كيف يُعمي ويُصمّ .

وهلمَّ معي نقرأ صحيفة من تراجم المهاجرين هذا عمّار بن ياسر مهاجرٌ عظيمٌ وأبواه في الرعيل الأوّل من المعذَّبين في الإسلام . قال مسدَّد كما في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٨ : لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمّار بن ياسر . فهذا ينفي إسلام والدي أبي بكر ويكذِّب ذلك المختلق .

وهذا عبد الله بن جعفر هاجر أبوه ومعه عبد الله وأخواه محمّد وعون ومعهم أُمّهم أسماء بنت عميس .

وهذاعمرو بن أبان بن سعيد الأموي ، من المهاجرين وأبوه شهد خيبراً مع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأُمُّه فاطمة بنت صفوان مسلمة .

وهذا خالد بن أبان الأموي أخو عمرو بن أبان المذكور .

وهذا إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي ، هاجـر مع أبيـه وأُمِّه ريـطة بنت الحارث بن جبلة .

وهـذا الحاطب بن الحـارث الجمحي من المهاجرين، وهاجـر معه أبـوه وأُمُّـه فاطمة بنت المجلّل .

وهـذا الحطَّاب بن الحـارث الجمحي ، هاجـر مع أبيـه وأُمِّه وأخيـه الحاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار .

وهـذا حكيم بن الحارث الـطائفي ، هاجـر مع امـرأته وبنيـه ومعه أبـواه وهـما مسلمان .

وهـذا خزيمـة بن جهم بن قيس العبدري ، هاجر مـع أبيه وأخيـه عمرو ومعهم أُمّهما أُمّ حرملة بنت عبد الأسود .

وهذا جابر بن سفيان بن معمر الجمحي ، هاجر هو وأبوه وأُمُّه حسنة .

وهذا جنادة بن سفيان الجمحي ، هاجر ومعه أُمُّه حسنة وأخوه جابر المذكور .

وهذا سلمة بن أبي سلمـة بن عبد الأسـد المخزومي ، هـاجر أبـوه وهاجـرت بعده أُمُّه أُمّ سلمة زوج النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مع إبنها سلمة .

وهـذا جناب بن الحـارثة بن صخـر العذري ، هـاجـر إلى المـدينـة وأبوه قـد أسلم .

وهـذا الحارث بن قيس السهمي، هـاجر مـع بنيـه الحـارث وبشـر ومعمـر فهم مهاجرون وأبوهم الحارث قد أسلم وهاجر .

وهذا السائب بن عثمان بن مظعـون الجمحي ، من المهاجـرين وأبوه مهـاجرٌ عظيمٌ .

وهذا سليط بن سليط بن عمرو العامري . قال عمر : دلّوني على فتى مهاجـر هو وأبوه . فدلّوه عليه .

وهذا عبد الرّحمٰن بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عبد الله بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عامر بن غيلان بن سلمة الثقفي ، هاجر إلى رسول الله وأبوه قد أسلم .

وهذا عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . من المهاجرين ووالده صحابيٌّ عظيم .

وهذا عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة مهاجر، وهاجر أبوه وأسلم جدُّه وجدَّته أُمّ الخير على زعم القوم وسيأتي الكلام في إسلامهما .

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب . مهاجر وأبوه قد أسلم وهاجر .

وهذا محمَّد بن عبد الله بن جحش . أحد المهاجرين ومعه أبوه وأُمّه .

وهذا عبد الله بن المطلب بن أزهر . أحد المهاجرين وأبوه مهاجر .

وهذا معمر بن عبد الله بن نضلة . أحد المهاجرين ووالده مهاجر .

وهذا مهاجر بن قنفذ بن عمير القرشي التيمي . من المهاجرين السابقين إلى الإسلام وأبوه له صحبة .

وهذا موسى بن الحرث بن خالد القرشي التيمي . مهاجر ابن مهاجر .

وهذا النعمان بن عدي بن نضلة . مهاجر هو ووالده .

راجع سيرة ابن هشام ص ٢١ ، طبقات ابن سعد ، تاريخ الطبري ، الإستيعاب ، اسد الغابة ، كامل ابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، عيون الأثر لابن سيِّد الناس ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، السيرة الحلبيَّة .

ولعلَّ الباحث يقف في غضون السير وكتب التاريخ ومعاجم التراجم على كثير من نظراء هؤلاء من المهاجرين الذين أسلم آباؤهم أو آباؤهم وأُمَّهاتهم . فما جاء به المحبُّ الطبري والسيوطي ومَن لفَّ لفَّهما من فضيلة إسلام والد أبي بكر أو والديه دون سائر الصحابة وعزوه إلى مولانا أمير المؤمنين ليس إلَّا مجهلة ومخرقة نشأت من الغلوِّ الفاحش في الفضائل .

إسلام والدي أبي بكر :

هلمَّ معي نحاسب إسلام والدي أبي بكر أحقّاً هما أسلما ؟ فضلاً عن أن يخصَّ بهما الإسلام من بين آباء المهاجرين وأُمّهاتهم، أم لم ينبّيء به خبير؟ بل هو نبأ كنبأ إسلام والدي غيره من المهاجرين يناقش فيه وإنّما ولّده الغلوُّ في الفضائل . أمّا إسلام أبي قحافة فيقال : إنّه أسلم يوم الفتح وقد أتى به إبنه أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يؤثر إتيانه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته غير مرَّة واحدة في تلك السنة يوم ذاك . وها نحن نذكر جميع ما ورد في إتيانه ذاك ، ونجعل تلكم الروايات المرويّة فيه قسمين : الأوَّل ما لم يذكر فيه إيعاز إلى إسلامه . والثاني ما يوعز فيه إلى إسلامه .

القسم الأوَّل :

١ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٥ عن أبي عبد الله محمَّد بن أحمد القاضي ابن القاضي قال: حدَّثني أبي حدّثنا محمَّد بن شجاع حدّثنا الحسين[1] بن زياد عن أبي حنيفة عن يزيد بن أبي خالد عن أنس رضي الله عنه قال : كأنّي أنظر إلى لحية أبي قحافة كأنّه ضرام عرفج من شدَّة حمرته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمةً لأبي بكر .

سكت الحاكم عمّا في سند هذه الرواية ولم يصحّحه على عادته في الكتاب ، وتبعه في ذلك الذهبي في تلخيصه ، كلُّ ذلك تكرمةً لأبي بكر، وإن بخسا الحقَّ والحقيقة ، فيه :

أ ـ محمَّد بن شجاع البغدادي أبوعبد الله ابن الثلجي الفقيه . قال أحمد إمام الحنابلة : مبتدعٌ صاحب هوى . وقال عبد الله بن أحمد : سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيّام وذكر ابن الثلجي فقال هو كافرٌ . قال : فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت ، فقلت : ما أكفره إلّا بشيء سمعه منه . قال : نعم .

وقال زكريا الساجي : فأمّا ابن الثلجي فكان كذّاباً إحتال في إبطال حديث

---

(١) الصحيح : الحسن بن زياد .

رسول الله ﷺ وردّه نصرةً لمذهبه ، وفي المنتظم : نصرةً لأبي حنيفة ورأيه .

وقال ابن عدي ، كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يبليهم بذلك .

وقال الأزدي : كذّابٌ لا تحلُّ الرواية عنه لسوء مذهبه ، وزيغه عن الدين .

وقال الجوزجاني : قال موسى بن القاسم الأشيب : كان كذّاباً خبيثاً[1] وفيه :

٢ ـ الحسن بن اللؤلؤي الكوفي . قال يحيى بن معين : كذّابٌ .

وقال ابن المديني : لا يكتب حديثه .

وقال محمّد بن عبد الله بن نمير : يكذب على ابن جريج .

وقال أبو داود : كذّابٌ غير ثقة .

وقال أبو حاتم : ليس بثقة . وقال الدارقطني : ضعيفٌ متروكٌ .

وقال نضر بن شميل لرجل كتب كُتب الحسن : لقد جلبتَ إلى بلدك شرّاً .

وقال أبو ثور : ما رأيت أكذب من اللؤلؤي ،كان على طرف لسانه : ابن جريج عن عطاء .

وقال أحمد بن سليمان : رأيته يوماً في الصّلاة وغلام أمرد إلى جانبه في الصفّ فلمّا سجد مدّ يده إلى خدِّ الغلام فقرصه فقذفته فلا أُحدِّث عنه .

وقال ابن أبي شيبة : كان أبو أُسامة يسمِّيه الخبيث .

وقال يعقوب بن سفيان ، والعقيلي ، والساجي : كذّابٌ .

وقال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون[2] إقرأ واحكم . أتخفى هذه كلّها على مثل الحاكم والذهبي ؟ لاها الله .

٢ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٤ عن أبي العبّاس محمّد بن يعقوب قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق الصغّاني حدّثنا حسين بن محمّد الروزي حدّثنا عبد الله بن عبد الملك الفهري حدّثنا القاسم بن محمّد بن أبي بكر عن أبيه عن أبي

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٧١ ، المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ٥٧ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٢٠ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٢٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٠٨ .

بكر رضي الله عنهم قال : جئت بأبي أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ فقال : هلاّ تركت الشيخ حتّى آتيه ؟ فقلت : بل هو أحقُّ أن يأتيك . قال : إنّا لنحفظه لأيادي إبنه عندنا .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٠ فقال : رواه البزّار وفيه عبد الله بن عبد الملك الفهري ولم أعرفه . وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : عبد الله منكر الحديث .

وقال الذهبي في الميزان ج ٢ ص ٥٥ ، وابن حجر في لسانه ج ٢ ص ٣١١ : قال ابن حبان : «عبد الله» لا يشبه حديثه حديث الثقات يروي العجائب . وقال العقيلي : منكر الحديث لا يتابع عليه ، وقال أبو زرعة : هو ضعيفٌ يضرب على حديثه . وقال البرقاني : سألت أبا الحسن عنه قلت : ثقة ؟ قال : لا ولا كرامة . إنتهى ما في الميزان ولسانه . وفي السند :

القاسم بن محمَّد عن أبي بكر ، توفّي القاسم بن محمَّد سنة ١٠٨/٩ وهو ابن ٧٢/٧٠ سنة كما في صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ٥٠ وتوفّي والده محمد سنة ٣٨ فتكون ولادة القاسم سنة وفاة أبيه محمَّد ، وإن أخذنا قول ابن سعد من أنَّ القاسم توفّي سنة ١١٢ وهو ابن سبعين سنة فيكون القاسم عند وفاة والده ابن أربع سنين فأنّى له الرواية عن أبيه .

وأمّا رواية محمَّد عن أبيه أبي بكر فلا يصحُّ إذ محمَّد ولد عام حجَّة الوداع سنة عشرة من الهجرة وتوفّي والده في جمادى الآخرة عام ثلاثة عشر ، فأين يكون مقيل هذه الرواية من الصحَّة ؟ قال الذهبي في تلخيص المستدرك في تعقيب هذه الرواية : القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبا بكر .

٣ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٤ عن القاضي أبو بكر محمَّد بن عمر بن سالم بن الجعابي الحافظ ألا وحدَّثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرّاني ، بإسناده عن أنس قال : جاء أبو بكر رضي الله عنه يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه .

ليت شعري ما الذي دعا الذهبي إلى تسليم رواية الجعابي هذه وترك الغمز فيها وقد ترجمه في ميزانه ج ٣ ص ١١٣ وقذفه بقوله : إنّه فاسقٌ رقيق الدين ، وقال الخطيب : كثير الغرائب ، ومذهبه في التشيّع معروفٌ ، ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بريءٌ منه ، وحكي عن الحاكم أنّه قال : قلت للدارقطني : بلغني انّ ابن الجعابي تغيّر بعدنا . فقال : وأيَّ تغيّر . فقلت : هذا فهمه في الحديث . قال : أي والله حدَّث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً بأسانيد ليس له فيها أصلٌ . إلى آخر ما أتى به القوم في ترجمته ، راجع تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٢٦ ، المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٣٨ ، لسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٢ .

ثمَّ كيف خفي عليه وعلى الحاكم أنَّ الجعابي وُلد سنة ٢٨٥ وتوفّي سنة ٣٥٥ باتفاق المؤرِّخين فأنّى تصحُّ روايته عن أبي شعيب عبد الله بن الحسن المتوفّى سنة ٢٩٢ ؟ كما أرَّخه الذهبي في ميزان الإعتدال ، هذا أخذاً بما في لفظ الذهبي في تلخيصه من حذف حرف «ألاوَ» من السند وأمّا على ما في لفظ الحاكم من «ألاوَ» فيكون الراوي عن أبي شعيب المتوفّى سنة ٢٠٢ هو نفس الحاكم المولود سنة ٣٢١ .

على أنَّ الذهبي قال في الميزان ج ٢ ص ٣٠ : كان أبو شعيب غير متَّهم لكنه أخذ الدراهم على الحديث ؛ وحكى ابن حجر عن ابن حبّان في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٧١ انَّه قال : كان يخطىء ويهم .

٤ - أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٤ عن أبي العبّاس محمَّد بن يعقوب حدّثنا بحر بن نصر حدّثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أنَّ عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا وقف به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غيّروه(١) ولا تقرِّبوه سواداً .

متن هذه الرواية يكذِّبه كلُّ ما ورد في إتيان أبي قحافة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّ في الجميع أنَّ الآتي به هو أبو بكر . ثمَّ مرَّ في حديث أنس أنَّه نظر إلى لحية أبي

---

(١) قال الذهبي في تلخيص المستدرك : غيّروه يعني الشيب .

قحافة كأنّه ضرام عرفج من شدّة حمرتها ، فما معنى ما ورد في هذا الرواية من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غيّروه ولا تقرّبوه سواداً ؟ .

وأمّا سندها ففيه عبد الله بن وهب قال ابن معين : ابن وهب ليس بذاك . وفي ابن جريج كان يستصغر .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٨٦]

وفيه أبو الزبير محمّد بن مسلم الأسدي المكي ففي الميزان ج ٣ ص ١٢٥ : يردّ ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول : عن جابر ونحوه ، لأنّه عندهم ممّن يدلّس فإذا قال : سمعت وأخبرنا أُحتجّ به . قال الأميني : هذا الحديث ممّا قال فيه أبو الزبير عن جابر فهو يُردُّ على ما قاله ابن حزم .

وقال أبو زرعة وأبو حاتم : أبو الزبير : لا يُحتجُّ به . وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي واحتجَّ عليه رجلٌ بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال : أبو الزبير محتاج إلى دعامة . وعن ورقاء قال : قلت لشعبة : مالك تركت حديث أبي الزبير ؟ قال : رأيته يزن ويسترجح في الميزان . وقال شعبة : قدمت مكّة فسمعت من أبي الزبير فبينا أنا جالسٌ عنده إذ جاءه رجلٌ يوماً فسأله عن مسألة فردَّ عليه فقلت له : يا أبا الزبير ! تفتري على رجل مسلم قال : إنّه أغضبني . قلت : مَن يغضبك تفتري عليه ؟ لا رويت عنك حديثاً أبداً . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٤٠ وحكى تضعيف أيّوب وأحمد وغيرهما إيّاه .

وعن أبي الزبير هذا أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٥ عن جابر أنّه قال : أُتي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح بأبي قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اخضبوا لحيته .

٥ ـ أخرج ابن حجر من طريق محمّد بن زكريا العلائي[١] عن العبّاس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخٌ قد عمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تركت الشيخ حتّى

---

(١) الصحيح : الغلابي .

آتيه ؟ قال : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحقِّ لأنا كنت أشدُّ فرحاً بإسلام أبي طالب منِّي بإسلام أبي ، ألتمس بذلك قرَّة عينك .

[الإصابة ج ٤ ص ١١٦]

رجال الإسناد :

١ ـ محمَّد بن زكريّا الغلابي البصري . قال الذهبي : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة . وقال ابن مندة : تكلّم فيه . وقال الدارقطني يضع الحديث . وذكر الصولي بإسناده حديثاً فقال : هذا كذبٌ من الغلابي .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٥٨]

٢ ـ العباس بن بكار البصري . قال الدارقطني : كذّابٌ . وقال العقيلي : الغالب على حديثه الوهم والمناكير .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٨]

٣ ـ أبو بكرالهذلي البصري . قال الدوري ليس بشيء وقال أيضاً : ليس بثقة . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال غندر : كان يكذب . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ . وقال أبو حاتم : ليّن الحديث يكتب حديثه ولا يُحتجُّ بحديثه . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يُكتب حديثه . وقال ابن الجنيد : متروك الحديث . وقال ابن المديني : ضعيفٌ ليس بشيء ، ضعيفٌ جدّاً ، ضعيفٌ ضعيف . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال الدارقطني : منكر الحديث متروكٌ . وقال يعقوب بن سفيان : ضعيفٌ ليس حديثه بشيء . وقال المروزي : كان أبو عبد الله يضعِّف أمره . وقال ابن عمّار : بصريّ ضعيفٌ . وقال أبو إسحاق : ليس بحجّة . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقويِّ عندهم . وقال ابن عدي : عامَّة ما يرويه لا يتابع عليه .

وقال الذهبي : ضعَّفه أحمد وغيره . وقال غندر وابن معين : لم يكُن بثقة . وقال يزيد بن زريع : عدلتُ عنه عمداً . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال البخاري : ليس بالحافظ عندهم .

راجع ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٤٥ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٦ ، وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث : إسنادٌ واهٍ .

٦ ـ قال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٧ : أخرج أبو قرة موسى بن طارق عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكّة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تركت الشيخ حتّى نأتيه ؟ قال أبو بكر : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي طالب لو كان أسلم[1] منّي بأبي .

هذا الحديث كسابقه لا يدلّ علي إسلام أبي قحافة وهو نظير قول عمر للعبّاس أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح منّي بإسلام الخطّاب يعني لو كان أسلم[2] وأمّا رجال إسناده ففيه :

١ ـ موسى بن طارق . قال أبو حاتم : يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به كما قاله الذهبي في الميزان ج ٣ ص ٢١١ . وفيه :

٢ ـ موسى بن عبيدة قال الذهبي : قال أحمد : لا يُكتب حديثه . وقال النسائي وغيره : ضعيفٌ . وقال ابن عدي : الضعف على روايته بيِّنٌ . وقال ابن معين ليس بشيء . وقال مرّة : لا يُحتجُّ بحديثه . وقال يحيى بن سعيد : كنا نتّقي حديثه . وقال يعقوب بن شيبة : صدوقٌ ضعيف الحديث جدّاً . ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢١٤ . وفيه :

٣ ـ عبد الله بن دينار . قال العقيلي : روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير الحمل فيها عليهم .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٢]

---

(١) هذه الجملة أعني (لو كان أسلم) دخيلة من المتأخرين نظراء ابن حجر ولا توجد في الأُصول القديمة راجع الرياض النضرة ج ١ ص ٤٥ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ١١٧ .

القسم الثاني :

لا يوجد في كتاب الحديث ومعاجم التراجم ما يدلُّ على إسلام أبي قحافة إلَّا ما أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٤٩ من طريق ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لمّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لإبنة له من أصغر ولده : أي بنيَّة إظهري بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كفَّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه فقال : يا بنيَّة ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً قال : يا بنيَّة ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ويتقدَّم إليها ثمَّ قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فانحطَّت به وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوقٌ لها من ورق فتلقّاها رجل فاقتلعه من عنقها قالت : فلمّا دخل رسول الله ﷺ مكّة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : هلاّ تركت الشيخ في بيته حتّى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبوبكر : يا رسول الله ! هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه قال : فأجلسه بين يديه ثمَّ مسح صدره ثمَّ قال له : أسلم ، فأسلم ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنَّه ثغامة فقال رسول الله ﷺ : غيّروا هذا من شعره ، ثمَّ قام أبو بكر فأخذ بيد أُخته فقال : أُنشد بالله والإسلام طوق أُختي فلم يجبه أحدٌ ، فقال : يا أُخيَّة : إحتسبي طوقك .

وفي لفظ المحبّ الطبري في الرياض ج ١ ص ٤٥ : إحتسبي طوقك فوالله إنَّ الأمانة في الناس اليوم قليل .

قال الأميني : هذه الرِّواية لا تصحُّ لمكان محمَّد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني نزيل العراق وليست هي إلَّا من موضوعاته . قال سليمان التميمي : ابن إسحاق كذّابٌ . وقال هشام بن عروة : كذّابٌ .

وقال مالك : دجّالٌ من الدجاجلة .

وقال يحيى القطان : أشهد أنَّ محمد بن إسحاق كذّابٌ .

وقال الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه ، وكان يرمى بغير نوع من البدع .

وقال ابن نمير : يحدِّث عن المجهولين أحاديث باطلة .

وقال أيّوب بن إسحاق : سألت أحمد فقلت له : يا أبا عبد الله ! إذا انفرد ابن إسحاق بحديث تقبله ؟ قال : لا والله إنّي رأيته يحدِّث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصِّل كلام ذا من كلام ذا .

وقال أبو داود : سمعت أحمد ذكر محمَّد بن إسحاق فقال : كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الحديث فيضعها في كتبه ، وكان يدلِّس ، وكان لا يبالي عمَّن يحكي عن الكلبي وغيره .

وقال عبد الله بن أحمد : ما رأيت أبي أتقن حديثه قطُّ ، وكان يتتبَّعه بالعلوِّ والنزول ، قيل له : يحتجُّ به ؟ قال : لم يكن يحتجّ به في السنن .

وقال ابن معين : ليس بذاك ، ضعيفٌ ، ليس بقويٍّ .

وقال النسائي : ليس بقويٍّ .

وقال ابن المديني : كذَّبه سليمان التميمي ، ويحيى القطَّان ، ووهيب بن خالد .

وقال الدارقطني : لا يحتجُّ به . وقال : اختلفت الأئمَّة فيه وليس بحجَّة إنَّما يعتبر به .

وقال هشام بن عروة : يحدِّث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إن رآها قطّ .

وقال وهيب : سألت مالكاً عنه فاتَّهمه .

وقال أحمد : هو كثير التدليس جِدّاً(١) .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ : من طريق الحديث الرابع المذكور عن عبد الله بن وهب عن عمر بن محمَّد عن زيد بن أسلم رضي الله عنه : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هنَّأ أبا بكر بإسلام أبيه .

---

(١) راجع ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢١ ـ ٢٤ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨ ـ ٤٦ .

وفيه مضافاً إلى ما أسلفناه في الحديث الرابع : انَّ زيد بن أسلم توفِّي سنة ١٣٦ وعُدَّ ممَّن لقي ابن عمر[1] فلا تصحُّ روايته عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد ولد بعده بكثير .

على أنَّ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٧ : ذكر ابن عبد البرّ في مقدِّمة التمهيد ما يدلُّ على أنَّه كان يدلِّس . وقال في موضع آخر : لم يسمع من محمود بن لبيد وحكى عن ابن عيينة أنَّه قال : كان زيد رجلاً صالحاً وكان في حفظه شيءٌ . ونقل عن غيره قوله : لا أعلم به بأساً إلَّا أنَّه يفسِّر برأيه القرآن ويكثر منه ، وفي ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٦١ : إنَّه كان يفسِّر القرآن برأيه .

هذا إسلام أبي قحافة وحديثه وليس إلَّا دعوى مجرَّدةً مدعومةً بالواهيات ، ولا يثبت بها إسلام أيِّ أحد ، ويظهر من نفس رواية أحمد أنَّ إتيانه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [على فرض تسليمه] لم يكن إلَّا لاسترداد ما أخذه المسلمون من إبنته من الطوق ، ولو كان له إسلامٌ ثابتٌ وكان إتيانه للإسلام لكان يعيد زيارته صلى الله عليه وآله وسلم مرَّة بعد أُخرىٰ ، وكان ينتهز الفرص أيام إقامته تلك في مكّة ويستفيد من نمير علمه ، ويأخذ منه معالم دينه ، وكان حقّاً عليه أن يزوره في حجَّة الوداع ، ولو كان له إسلام لكان يروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولو حديثاً واحداً ، أو كان يروي عن أصحابه ولو عن واحد منهم ، ولو كان قد أسلم لكان تُنقل عنه كلمة في الإسلام ، أو قولٌ في الذبّ عنه ، أو حرفٌ واحدٌ في الدعوة إليه أو كان له في التاريخ ذكرٌ عن أيَّام إسلامه ، ونبأ عن آثار إيمانه بالله وبرسوله ، ولا أقلَّ من روايته هو بحديث إسلامه .

ثمَّ إن صحَّ الخبر ، وقد أكرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : هلّا تركت الشيخ في بيته . الخ . وكان ذلك كما مرَّ تكرمةً لأبي بكر ، فما بال الصحابة تردُّ شفاعة مثل هذا الرَّجل العظيم ؟ الذي عظَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الكلمة القيِّمة التي لم تُؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في أحد من الصحابة حتّى في أعمامه صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم العبّاس الذي يستسقى به الغمام وهم يسمعونها منه صلى الله عليه وآله وسلم ما بالهم يصفحون عن شفاعته في

(١) تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ٦١ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٢٨٤ .

والده بإعادة الطوق إليه وهو شيخٌ كبيرٌ جديد العهد بالإسلام حريٌ بأن يُكرم ؟ وما بال أبي بكر الذي أنفق جلَّ ماله لرسول الله ﷺ على زعم القوم يأخذ بيد أُخته ويأتي بها إلى مجتمع الثويلة وينشد الحضور بالله والإسلام ويسألهم ردَّ طوقها إليها ؟ وما الطوق وما قيمته والصحابة لم تقبل فيه شفاعة شيخهم يوم ذاك وخليفتهم في الغد ؟ وكيف يستعظم أبو بكر أمر الطوق ويأمر أُخته بالإحتساب ويرى الأمانة قليلة في الصحابة يوم ذاك مع حضور نبيِّهم فيهم ؟ فما كان محلُّهم من الإمامة بعد يومهم ذاك بثلاث سنين ، وقد ارتحل النبيُّ ﷺ من بين ظهرانيهم ؟ وكيف صاروا بعد فقدهم نبيِّهم عدولاً ؟ أنا لا أدري .

إسلام أُمّ أبي بكر :

ليس إسلام أُمِّ الخير أُمّ أبي بكر إلاَّ كإسلام أبيه أبي قحافة ، لا يُدعم بدليل ولا تقوِّمه البرهنة .

أخرج الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الإطرابلسي قال : حدَّثنا عبيد الله بن محمَّد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة ، حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمَّد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدَّثني أبي عبيد الله ، حدَّثني عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدَّثني أبي محمَّد بن عمران عن القاسم بن محمَّد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمّا اجتمع أصحاب النبيِّ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال : يا أبا بكر إنَّا قليلٌ . فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد كلُّ رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أوَّل خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووُطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرِّفهما لوجهه ، وأثَّر ذلك حتى مايُعرف أنفه من وجهه ، وجاءت بنو تيم تتعادى فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتّى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته ، ورجع بني تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ

عتبة ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبـو قحافـة وبنو تيم يكلّمـون أبا بكـر حتّى أجابهم فتكلّم آخر النهار : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فنالوه بألسنتهم وعذلوه ثمَّ قـاموا وقـالوا لأمّ الخير بنت صخر : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إيّاه ، فلمّا خلت به وألحّت جعـل يقول : مـا فعل رسـول الله ﷺ ؟ قالت : والله مـا أعلم بصـاحبـك . قـال : فاذهبي إلى أمّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه فخرجت حتّى جاءت إلى أمّ جميل فقالت : إنَّ أبا بكر يسألـك عن محمَّد بن عبـد الله . قالت : مـا أعرف أبـابكر ولا محمَّـد بن عبـد الله ، وإن تحبّي أن أمضي معـك إلى ابنـك فعلت ؟ قـالت : نعم فمضت معها حتّى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنت منه أمّ جميل وأعلنت بـالصياح وقالت : إنَّ قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وإنّي لأرجو أن ينتقم الله لك . قال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمّك تسمـع . قال : فـلا عين عليك منهـا قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : فأنّى هو ؟ قالت : في دار الأرقم قال : فـإنَّ لله عليَّ آليت أن لا أذوق طعـاماً ولا شـراباً أو آتي رسـول الله ﷺ فأمهلتـاه حتّى اذا هـدأت الـرِّجـل وسكن الناس خرجتا به يتّكىء عليهما حتّى دخلتا على النبيِّ ﷺ قـال : فانكبَّ عليـه فقبَّله وانكبَّ عليه المسلمون ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّةً شديدة فقال أبو بكر : بـأبي أنت وأمّي ليس بي إلاَّ ما نال الفاسق من وجهي ، هذه أمّي برَّة بوالديها وأنت مبارك فـادعها إلى الله وادع الله عـزَّ وجلَّ لهـا عسى أن يستنقذهـا بك من النـار . فدعـاها رسول الله ﷺ فأسلمت[1] .

قال الأميني : تفرَّد بهذا الحديث عبيد الله بن محمَّد العمري ، رماه النسـائي بالكذب ، وحكاه عنه الذهبي وابن حجر[2] وقال الدارقطني في حديث آخر تفرَّد به العمري أيضاً : ليس بصحيح تفرَّد به العمري وكان ضعيفاً .

وبقيَّـة رجال السنـد كلّهم تيميّون فيهم عبـد الله وعبيد الله من أولاد طلحـة بن عبيد الله مجهولان لا يعرفان . وعبيد الله ، ومحمَّد بن عمـران ، من أولاد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ، أو : من أولاد طلحـة بن عبيد الله أيضـاً وهما مجهولان كسابقيهما .

---

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٤٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٨٠ ، لسان الميزان ج ٤ ص ١١٢ .

على أنَّ أبا بكر لا يعدُّ من المعذَّبين في الإسلام ، ولو كان له هذا الموقف في ذلك اليوم العصبصب وكانت على النبأ مسحةٌ من الصحَّة لكان يُذكر في صفحة كلِّ تاريخ ، ولم يكن يهمله أيُّ مؤرِّخ ، أمن المعقول أن يحفظ التاريخ في طيّاته تعذيب الموالي ولم يكن في صفحته ذكرٌ عن مثل هذا الموقف لمثل أبي بكر ؟ .

ثمَّ لو لم يكن الحفّاظ عدّوا هذه الرواية من موضوعات عبيد الله العمري وكان عندهم ثقة برجالها ولو بالعلاج ولو بقيل قائل لما أعرضوا عنها في تلكم القرون الخالية كلّها ، وكان يتلقّاها حافظٌ عن حافظ وإمامٌ عن إمامٍ ولم تكن تخصُّ روايتها بالمحبِّ الطبري وابن كثير المتخصِّصين لذكر الموضوعات والأحاديث المفتعلة أو من يحذو حذوهما . وفي نفس الرِّواية ما يكذِّبها من شتَّى النواحي :

١ ـ إنَّ عائشة ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة[١] والقضيَّة على تسليم قبولها قد وقعت في السادسة من البعثة فأين كانت عائشة يوم ذاك ؟ أشاهدت موقف أبيها وهي على ثدي أُمِّها بنت سنة أو سنتين ؟ لماذا لم يُرو ذلك عن أبيها أو عن أُمِّها أو عن أُمِّ جميل ؟ لعلَّ الرواية من ولائد القرون المتأخّرة عنهم ، ولدتها أُمّ الفضائل بعد قضاء الدهر على حياة من خُلقت لأجله .

٢ ـ إنَّ في لفظ الرواية : لمّا اجتمع أصحاب النبيِّ ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً . فعلى هذا لم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً أخذاً بقول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنا نصلّي وليس معنا أحدٌ يُصلّي غيرنا[٢] وما مرَّت من الصحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الناس بسبع سنين[٣] وما أسلفنا من صحيحة الطبري : أنَّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً[٤] .

٣ ـ في الرواية : ألحَّ أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال : يا أبا بكر !

---

(١) طرح التثريب ج ١ ص ١٤٧ ، الإصابة ج ٤ ص ٣٥٩ .
(٢) راجع الجزء الثالث ص ٢٧٤
(٣) راجع الجزء الثالث ص ٢٧٥
(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٥ .

إنّا قليلٌ فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ . الخ . يكذِّبه ما في السير من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أظهر الدعوة قبل ذلك اليوم بثلاث سنين .

وروى ابن سعد وابن هشام والطبري وغيرهم : انَّ الله عزَّ وجلَّ أمر نبيَّه محمَّداً ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه فقال له : ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾[1] وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أُمر بإظهار الدَّعوة إلى الله مستسرّاً مخفياً أمره ﷺ وأنزل عليه : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إنِّي بريءٌ ممّا تعملون**﴾[2][3] .

فإظهار النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم دعوته كان بأمر من المولى سبحانه من دون سبق أيِّ إلحاح من أيِّ أحد عليه من أبي بكر أو غيره سواء كان أسلم أبو بكر يوم ذاك أو لم يسلم .

على أنَّ أبا بكر عُدَّ ممَّن كان يدعو سرّاً بعد ذلك اليوم بعد ظهور الدعوة من المسلمين فأين مقيل إلحاحه على رسول الله في الظهور من الصحَّة يوم ذاك ؟ قال ابن سعد في طبقاته ج ١ ص ١٨٥ : كان أبو بكر يدعو ناحية سرّاً ، وكان سعد بن زيد مثل ذلك ، وكان عثمان مثل ذلك ، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبد المطلب ، فإسرار أبي بكر في الدعوة يوم إعلان عمر كان بعد ذلك اليوم ، إذ أسلم عمر بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة . بعد أربعين رجلاً[4] وقد مرَّ في الرواية أنَّ القضيَّة وقعت والمسلمون ثمان وثلاثون نسمة .

---

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآيات : ٢١٤ - ١٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٣ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٤ ، الكامل ج ٢ ص ٢٣ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٦٢ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٩٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٦ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٩ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٠٩ ، تفسير الشوكاني ج ٣ ص ١٣٩ .

(٤) الإستيعاب هامش الإصابة ج ٢ ص ٤٥٩ ، تأريخ ابن كثير ج ٣ ص ٣١ .

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٩ حديثين في إسلام أُمّ أبي بكر أحدهما عن ابن عبّاس قال : أسلمت أُمّ أبي بكر وأُمّ عثمان وأُمّ طلحة وأُمّ الزبير وأُمّ عبد الرّحمٰن بن عوف وأُمّ عمّار . فقال :

فيه : خازم بن الحسين وهو ضعيفٌ . وقال الذهبي في الميزان ج ١ ص ٣١٥ : قال ابن معين : خازم ليس بشيء . وقال أبو داود : روى مناكير . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه .

والحديث الثاني للهيثمي عن طريق الهيثم بن عدي قال : هلك أبو بكر فورثاه أبواه جميعاً وكانا أسلما . ثمّ قال : إسناده منقطعٌ .

قال الأميني : كأنَّ الحافظ الهيثمي يوهم بكلمته الأخيرة انَّ علّة الحديث هي انقطاعه فحسب ولم يذكر بقيَّة رجاله حتّى تقف عليها نظّارة التنقيب غير أنَّ في ذكر الهيثم بن عدي الكذّاب كفاية . قال البخاري : ليس بثقة كان يكذب . وقال أبو داود : كذّابٌ . وقال النسائي وغيره : متروك الحديث . وقالت جارية الهيثم : كان مولاي يقوم عامَّة الليل يصلّي فإذا أصبح جلس يكذب ، وقال النسائي أيضاً : منكر الحديث . وذكر حديثاً وعدَّه من افتراء الهيثم على هشام بن عروة . وقال أبو حاتم : متروك الحديث وقال أبو زرعة : ليس بشيء . وقال العجلي : كذّابٌ وقد رأيته . وقال الساجي : سكن مكّة وكان يكذب . وقال إمام الحنابلة أحمد : كان صاحب أخبار وتدليس . وقال الحاكم النقاش : حدَّث عن الثقات بأحاديث منكرة . وعدَّ البيهقي والنقاش والجوزجاني الحديث من الموضوعات لكون الهيثم فيه . وقال أبو نعيم : يوجد في حديثه المناكير[1] .

فإسلام أُمّ أبي بكر كإسلام والده أبي قحافة قطُّ لا يثبت . والّذي ذكر إسلامهما من المؤرِّخين كابن كثير والدياربكري والحلبي وغيرهم لا يعوّل على قولهم بعدما عرفت الحال في مستند أقوالهم ، فلا قيمة للدعوى المجرَّدة والتقوُّل بلا دليل .

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢٦٥ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٠٩ ، الغدير ج ٥ ص ٣٣٠

ويُعرب عن جليَّة الحال بقاء أمِّ الخير «أمّ أبي بكر» في حبالة أبي قحافة في مكّة ، وقد أسلمت هي على قول من يقول بإسلامها في السادسة من البعثة وأسلم أبو قحافة في الثامن من الهجرة سنة الفتح كما سمعت فتخلّلت بين إسلامهما ثلاثة عشر عاماً ، فبأيِّ كتاب أم بأيَّة سنَّة بقيت تلك المسلمة أمُّ مثل أبي بكر تلك السنين المتطاولة في نكاح أبي قحافة الذي لم يسلم بعدُ ؟ وما الذي جمع بينهما ؟ والفراق بينهما كان أوَّل شعارِ الإسلاميَّة . فأين إسلامها ؟ وبماذا يثبت والحال هذه ؟ .

أبو بكر وأبواه في القرآن :

لعبت أيدي الهوى بكتاب الله ، وحرَّفت الكلم عن مواضعها ، وجاء من يؤلِّف في التفسير وقد أعماه الحبُّ وأصمَّه يخبط خبط عشواء ، فتراه كحاطب ليل يروي في كتابه أساطير السلف الأوَّلين من الوضّاعين مرسلاً إيّاها إرسال المسلّم من دون أيِّ تحقيق وتثبُت وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً ، ومع ذلك يرون أنفسهم أئمّة وقادةً في علم القرآن العزيز . حتّى يرون أنَّ قوله تعالىٰ في الأحقاف ، الآية ١٥ : **﴿ووصَّينا الإنسان بوالديه حسناً ، حملته أُمُّه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ، حتّى إذا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريَّتي إنِّي تبت إليك وإنِّي من المسلمين﴾** . نزلت في أبي بكر .

ويروون عن عليّ أمير المؤمنين وابن عبّاس أنَّ الآية نزلت في أبي بكر الصدِّيق وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً ، حملته أُمُّه تسعة أشهر وأرضعته إحدى وعشرين شهراً ، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره ، فأوصاه الله بهما ولزم ذلك مَن بعده . فلمّا نُبِّىء رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة صدَّق أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة فلمّا بلغ أربعين سنة قال : ربِّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ ، واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلُّهم .

الكشاف ج ٣ ص ٩٩ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، الرياض النضرة ج ١ ص ٤٧ ، مرقاة الوصول ص ١٢١ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ١٣٢ ،

تفسير النسفي هامش الخازن ج ٤ ص ١٣٢ ، تفسير الشوكاني ج ٥ ص ١٨ .

ألا مسائل هؤلاء الأعلام المغفَّلين عن أنَّ كون مدَّة الحمل والفصال ثلاثين شهراً هل يخصّ بأبي بكر فحسب حتى يُخصَّ بالذكر ؟ أم هو مطَّردٌ في خلق الله ، إمّا بكون مدّة الحمل ستة أشهر ومدَّة الإرضاع حولين كاملين ، وإمّا بكون الحمل تسعة أشهر والإرضاع واحداً وعشرين شهراً ؟ وإنَّ الحريَّ بالذكر هو الأوّل لشذوذه عن العادة المطَّردة .

ثمَّ إن كان هذا من خاصَّة أبي بكر وحكايةً لحمله وفصاله فكيف يصحّ لمولانا أمير المؤمنين وابن عبّاس الإستدلال بالآية مع ما في سورة لقمان على كون أقلِّ الحمل ستة أشهر كما مرَّ في الجزء السّادس ص ١٢٠ - ١٢٢ فالآية الكريمة لا تبيّن إلَّا ما هو السائر الدائر بين البشر بأحد الوجهين المذكورين وبهذا يتمُّ الإستدلال . وفيه قال ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٥٧ : وهو إستنباطٌ قويّ صحيحٌ ووافقه عليه عثمان وجماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم . وابن كثير مع إكثاره بنقل الموضوعات لم يوعز إلى نزول الآية في أبي بكر لما يرى في نقله من الفضيحة على نفسه .

ثمَّ إنَّ في نصِّ الآية : إنَّ ذلك الإنسان قال ما قاله وقد بلغ أشدّه وبلغ من عمره أربعين عاماً . وأبو بكر لم يكن مسلماً يوم ذاك لا هو ولا أبوه ولا أُمّه ، أمّا هو فقد قدَّمنا أنَّه أسلم بعد سبع من البعثة بنصوص مرَّت في الجزء الثالث ص ٢٧٥ - ٢٧٨

وأمّا أبوه فقد أسلم «إن أسلم» يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان لأبي بكر يومئذ ستّ وخمسون سنة أو أكثر .

وأمَّا أُمُّه فقد أسلمت «إن أسلمت» في السنة السادسة من البعثة وأبو بكر يوم ذاك ابن أربع وأربعين سنة أو أكثر منها .

فبماذا أنعم الله عليه وعلى والديه يوم قال : ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ . وكلُّهم غير مسلمين ؟ والجملة دعائيّة بالنسبة إلى إلهام الشكر على ما أنعم الله به على والديه فحسب ، وأمّا بالنسبة إلى كونهم

من المنعم عليهم فخبريَّة تقتضي سبق تلك النعمة على ظرف الدعاء ، فالقول : بأنَّ الله سبحانه استجاب له فأسلم والداه وأولاده كلُّهم ، مهزأةٌ غير مدعومة بشاهد .

على أنَّ أخبار إسلام والديه «بعد تسليمها والغضّ عمّا فيها» تدلُّ على أنَّ إسلام أُمِّه كان بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها بالإسلام . وإسلام أبيه من بركة مسحه صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره ، فأين دعاء أبي بكر ؟ .

وأمّا ما في ذيل الرواية ممّا عزي إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنَّه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبي بكر . فحاشا أمير المؤمنين بقول مثل ذلك ، وقد عرّفناك ص ٣٤٨ - ٣٥٠ زرافات من المهاجرين أسلموا هم وآباؤهم وأُمَّهاتهم ويقدِّمهم هو سلام الله عليه وبالأوَّليَّة والأولويَّة .

آية أُخرىٰ في أبي بكر وأبيه :

وردت في قوله تعالىٰ من سورة المجادلة : ٦٢ : **﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وايَّدهم بروحٍ منه ، ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون .﴾** .

من طريق ابن جريج : إنَّ أبا قحافة سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فصكّه أبو بكر ابنه صكّة فسقط منها على وجهه ، ثمَّ أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : أو فعلته لا تعد إليه فقال : والّذي بعثك بالحق نبيّاً لو كان السيف منّي قريباً لقتلته . فنزلت قوله : **﴿لا تجد قوماً﴾** الآية .

تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٣٠٧ ، تفسير الزمخشري ج ٣ ص ١٧٢ ، مرقاة الوصول حاشية نوادر الأصول ص ١٢١ ، تفسير الآلوسي ج ٢٨ ص ٣٦ .

قال الأميني : أصفق رجال التفسير على أنَّ سورة الأحقاف التي مرَّت فيها الآية الأُولى مكيَّةٌ ، وعلى أنَّ سورة المجادلة مدنيَّةٌ ، وعلى أنَّ هذه الآية نزلت بعد

ردح من الزمن من نزول الأحقاف ، ويظهر من تفسير القرطبي وابن كثير والرازي أنّها نزلت بعد بدر وأحد فيقع نزولها على هذا في السنة الرابعة من الهجرة تقريباً ، فما وجه الجمع بين الآيتين على تقدير تسليم نزولهما في أبي بكر ، والأولى منهما كما مرّ نصّ على أنّ أبا قحافة ممّن أنعم الله عليه يوم كان لأبي بكر أربعون سنة ، ولمّا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال : ﴿**ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ**﴾ . وهذه الآية كما ترى نصّ في أنّ أبا قحافة يوم نزولها ـ وكان يوم ذاك لأبي بكر ثلاث وخمسون سنة تقريباً ـ كان ممّن حادّ الله ورسوله .

والذي يهوّن الخطب انّ متن هذه الرواية كالرواية السابقة الواردة في الآية الأولىٰ يكذّب نفسها ، إذ الآية كما سمعت نزلت بالمدينة ، وظاهر الرواية وقوع القصّة بها ، ويوم ذاك كان أبو قحافة بمكّة ، فأين وأنّى اجتمع أبو بكر مع أبيه وصكّه ؟ .

ثمّ هل يشترط وجوب قتل من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقرب السيف ممّن سمعه ؟ أو شُرّع هذا الحكم بعد القضيّة ؟ أو خُصّ أبو قحافة منه بالدليل . سل مَن أعماه الغلوّ في الفضائل وأصمّه ، إنّهم ليقولون منكراً من القول وزُوراً ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

الغاية للقالة

أحسب أنّ القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب ، ولا أنّ لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا ، أو أنّ لهم غاية في إسلام أبوي أبي بكر ، لكنّهم زمّروا لِما لم يزل لهم فيه مكاءٌ وتصديةٌ من تكفير سيّد الأباطح شيخ الأئمّة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما ، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقيعة في الولد فوجّهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى . وكان من تهويلهم في تخفيف تلكم الوطأة أن جرّوا ذلك إلى والدي النبيِّ المعظّم صلى الله عليه وآله وسلم وعليهما حتّى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبيِّ والمرتضى صلّى الله عليهما وآلهما : أمّا تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية فإنّ النبيَّ في كثرة ما أنعم الله تعالىٰ

عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه ، وعلى هذا جمهور المسلمين[١] إلاّ شرذمةٌ قليلون لا يلتفت إليهم ، فكذلك المرتضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والإفضال لم يرزقه إسلام أبويه[٢] . اهـ .

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغط مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالته لصاحب الرسالة ، ودَرْئه عنه كلّ سوء وعادية ، وهتافه بدينه القويم ، وخضوعه لناموسه الإلهيّ في قوله وفعله وشعره ونثره ، ودفاعه عنه بكلّ ما يملكه من حول وطول .

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدّين شخصاً وقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جسّ الحماما
تكفّل عبد مناف بأمر ... وأودى فكان عليٌّ تماما
فقل في ثبير مضى بعدما ... قضى ما قضاه وأبقى شماما
فَلِلّه ذا فاتحاً للهدى ... ولِلّه ذا للمعالي ختاما
وما ضرَّ مجدَ أبي طالب ... جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى
كما لا يضرُّ إياب الصبا ... ح مَن ظنَّ ضوء النهار الظلاما[٣]

وهناك طرقٌ لا يمكن التوسُّل إلى الإذعان بنفسيّات ايّ أحد إلاّ بها ألا وهي :

١ ـ إستنباطها ممّا يلفظ به من قول .

٢ ـ أو ممّا ينوء به من عمل .

٣ ـ أو ممّا يروي عنه آله وذووه ، فإنَّ أهل البيت أدرى بما فيه .

٤ ـ أو ممّا أسنده إليه مَن لاث به وبخع له .

---

(١) كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى .

(٢) أفك الرجل على جمهور المسلمين ، فإن الإمامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محققي أهل السنة ذهبوا إلى إسلام والدي النبي الأقدس ، ومن شذّ عنهم فلا يأبه به ولا يلتفت إليه .

(٣) ذكرها ابن أبي الحديد لنفسه في شرحه ج ٣ ص ٣١٧ .

١ ـ أقوال أبي طالب سلام الله عليه :

أمّا أقوال أبي طالب سلام الله عليه فإليك عقوداً عسجديّة من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث :

أخرج الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦٢٣ بإسناده عن ابن إسحاق قال : قال أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضُّه على حسن جوارهم والدفع عنهم يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين :

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً ... وزيرٌ لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلٌّ بأمر اللّه يهدي ويعصم
وإنّكمُ تتلونه في كتابكم ... بصدق حديثٍ لا حديث المبرجم
وانّك ما تأتيك منها عصابةٌ ... بفضلك إلاّ أُرجعوا بالتكرُّم

وقال سلام الله عليه من قصيدة :

فبلّغ عن الشحناء أفناء غالب ... لويّاً وتيماً عند نصر الكرائم
لأنّا سيوف الله والمجد كلُّه ... إذا كان صوت القوم وجي الغمائم
ألم تعلموا أنّ القطيعة مأثمٌ ... وأمر بلاء قاتم غير حاز ؟
وأنّ سبيل الرشد يُعلم في غدٍ ... وأنّ نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهن أحلامكم في محمّد ... ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنّيتم أن تقتلوه وإنّما ... أمانيُّكم هذي كأحلام نائم
وإنّكم واللّه لا تقتلونه ... ولمّا تروا قطف اللحا والغلاصم(١)
ولم تبصروا الأحياء منكم ملاحماً ... تحوم عليها الطير بعد ملاحم
وتدعو بأرحام أواصر بيننا ... فقد قطّع الأرحام وقع الصوارم
زعمتم بأنا مسلمون محمّداً ... ولمّا نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضالٌ أبيٌّ على العدى ... تمكّن في الفرعين من آل هاشم
أمينٌ حبيبٌ في العباد مسوَّم ... بخاتم ربٍّ قاهرٍ في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ... وما جاهلٌ في قومه مثلُ عالم

---

(١) في رواية : والجماجم . الغلاصم جمع الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

نبيٌّ أتاه الوحي من عند ربِّه ... ومن قال : لا يقرع بها سنّ نادم
تطيف به جرثومةٌ هاشميَّةٌ ... تُذبِّب عنه كل عاتٍ وظالم

ديوان أبي طالب ص ٣٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ :

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصّتها قوله :

ألا أبلغا عنّي على ذات بينها ... لؤياً وخصّا من لؤيّ بني كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمَّداً ... رسولاً كموسى خُطَّ في أوَّل الكتب ؟
وانَّ عليه في العباد محبَّةً ... ولا حيف فيمن خصَّه اللّه بالحبّ
وأنَّ الذي رقَّشتمُ في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب(١)
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزُّبى(٢) ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودَّة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً(٣) وربّما ... أمرّ على مَن ذاقه حَلبُ الحرب
فلسنا وبيت اللّه نُسلم أحمداً ... لِعزّاء من عضّ الزمان ولا كرب(٤)
ولَمّا تَبِن مِنّا ومِنكم سوالفٌ ... وأيدٍ أترَّت(٥) بالمهنّدة الشهب
بمُعتركٍ ضنكٍ ترى كسر القنا ... به والضباع العرج تعكف كالشرب(٦)
كأنَّ مجال الخيل في حجراته ... ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب ؟
ولسنا نملُّ الحرب حتّى تملّنا ... ولا نشتكي ممّا ينوب من النكب
ولكنّنا أهل الحفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب

---

(١) في رواية ابن هشام :

وأن الذي ألصقتم من كتابكم ... لكم كائن نحساً كراغية السقب

رقش : كتب وسطر . الراغية من الرغاء : أصوات الإبل . السقب . ولد الناقة .

(٢) في سيرة ابن هشام : الثرى . بدل الزبى .

(٣) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أُخرى . أشد الحروب .

(٤) العزّاء : السنة الشديدة ، عضّ الزمان : شدته وكلبه .

(٥) تبن : تنفصل . السوالف : صفحات الأعناق . اترت : قطعت .

(٦) ضنك : ضيق . الضباع العرج مرّ ص ٥٨ . الشرب : الجماعة من القوم يشربون . والشطر الثاني في سيرة ابن هشام : به والنسور الطخم يعكفن كالشرب .

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ ، بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٢٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٧ ، أسنى المطالب ص ٦ ، ١٣ ، طلبة الطالب ص ١٠ .

ومن شعره قولـه :

ألا مـا لـهـمّ آخـر الـليـل معـتـمِ ... طـوانـي وأُخـرى النجم لـمّـا تقـحَّم
طـوانـي وقـد نـامت عيـونٌ كـثيـرةٌ ... وسـامَـرَ أُخـرى قـاعـدٌ لـم يُنـوَّم
لأحـلام أقـوامٍ أرادوا مـحـمَّـداً ... بـظلم ومن لا يـتَّـقي الـبغي يُـظلم
سعـوا سفهاً واقتـادهم سـوء أمـرهم ... على خـائـل من أمـرهم غيـر محكم
رجـاة أُمـور لـم ينـالـوا نـظامـهـا ... وإن نـشـدوا فـي كـلِّ بـدوٍ ومـوسـم
يـرجُّـون مـنَّـا خـطَّة دون نـيـلهـا ... ضـرابٌ وطعنٌ بـالـوشيـج المقـوَّم
يـرجُّـون أن نسخي بقـتـل محمَّـد ... ولم تختضب سمـر العـوالي من الـدَّم
كـذبـتم وبيـت الـلّه حـتى تـفـلّقـوا ... جـمـاجم تُـلقى بـالـحطيـم وزمـزم
وتُـقـطع أرحـامٌ وتـنـسـى حـليـلةٌ ... حليـلاً ويغشى مـحـرمٌ بعـد مـحـرم
ويـنهض قـومٌ بـالـحـديـد إلـيـكمُ ... يـذبّـون عن أحسـابهم كـلَّ مـجـرم
هم الأُسـد اسـد الـزأرتين إذا غـدت ... علـى حـنـقٍ لـم تـخش إعـلام مـعـلم
فيـا لبَـني فـهـرٍ أفـيـقـوا ولـم تُـقم ... نـوائـح قتلى تـدَّعـي بـالتـسـدّم(١)
على مـا مضى من بغيكم وعـقـوقكم ... وغـشيـانـكم فـي أمـرنـا كـلَّ مـأثم
وظلم نبـيٍّ جـاء يـدعـو إلى الـهـدى ... وأمـر أتى من عنـد ذي العـرش قيِّم(٢)
فـلا تـحـسبـونـا مـسلِميـه ومثلـه ... إذا كـان فـي قـوم فـليس بـمـسـلَم
فـهـذي مـعـاذيـرٌ وتـقـدمـةٌ لـكـم ... لكيـلا تكـون الحـرب قبـل التقـدُّم

ديوان أبي طالب ص ٢٩ : شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٢ .

---

(١) التسدّم من السدم : الهمّ مع الندم . الغيظ مع الحزن .

(٢) في رواية شيخ الطائفة : مبرم .

وله قوله مخاطباً للنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي ولقد دعوتَ وكنتَ ثمَّ أمينا[1]
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمَّدٍ من خير أديان البريَّة دينا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال : قد اتّفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل ، وعبد الله بن عبّاس ، والقسم بن محضرة ، وعطاء بن دينار . راجع خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١ ، تاريخ إبن كثير ج ٣ ص ٤٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ص ١٢٠ ، فتح الباري ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٦١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٥ ، ديوان أبي طالب ص ١٢ ، طلبة الطالب ص ٥ ، بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٥ ، السيرة النبويَّة لزيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩١ ، ٢١١ ، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب ص ٦ فقال : عدَّه البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف .

لفت نظر : زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات :

لولا الملامة أو حذاري سبَّة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قال السيِّد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ١٤ : فقيل : إنَّ هذا البيت موضوعٌ أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه .

قال الأميني : هب أنَّ البيت الأخير من صُلب ما نظمه أبو طالب عليه السلام فإنَّ أقصى ما فيه أنَّ العار والسبّة اللذين كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محلّه عند قريش فلا تتسنّى له نصرة الرسول المبعوث صلى الله عليه وآله وسلم إنَّما منعاه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين ، وإعلان الإيمان بما جاء به النبيُّ الأمين ، وهو صريح

(١) وفي رواية القسطلاني :

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

قوله : لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً . أي مظهراً ، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه ، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع ؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيّناً بينه وبين أبياته الأُولىٰ التي ينصّ فيها بأنَّ دين محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم من خير أديان البريَّة ديناً ، وأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم صادقٌ في دعوته أمينٌ على أُمَّته .

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذَّبته قريش ونالت منه :

أمِن تذكّر دهر غير مأمونِ ... أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
أم مِن تذكّر أقوامٍ ذوي سفهٍ ... يغشون بالظلمَ من يدعو إلى الدين ؟!
ألا ترون أذلَّ اللّه جمعكمُ ... إنَّا غضبنا لعثمان بن مظعون ؟
ونمنع الضيم من يبغي مضيَّمنا ... بكلِّ مطَّرد في الكفِّ مسنون
ومرهفات كأنَّ الملح خالطها ... يُشفى بها الداء من هام المجانين
حتّى تقرَّ رجالٌ لا حلوم لها ... بعد الصعوبة بالأسماع واللين
أو تؤمنوا بكتاب مُنزلٍ عجبٍ ... على نبيٍّ كموسى أو كذي النون[1]

ومن شعره يمدح النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

لقد أكرم اللّه النبيَّ محمَّداً ... فأكرم خلق اللّه في الناس أحمد
وشقَّ له من إسمه ليجلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمَّد

أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن يزيد ، وأبو نعيم في دلائل النبوّة ج ١ ص ٦ ، وابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٢٧٥ ، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ ، وابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٢٦٦ ، وابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٥ ، والقسطلاني في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٥١٨ نقلاً عن تاريخ البخاري ، والدياربكري في تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٤ فقال : أنشأ أبو طالب في مدح النبيِّ أبياتاً منها هذا البيت :

وشقَّ له من إسمه ليجلّه ... .

وحسّان بن ثابت ضمَّن شعره هذا البيت فقال :

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ .

ألـم تـر أنّ الـلّه أرسـل عـبـده بـآيـاتـه والـلّه أعـلى وأمـجـد
وشـقَّ لـه مـن إسـمـه لـيـجـلّه ....

والـزرقاني في شـرح المـواهب ج ٣ ص ١٥٦ وقـال : تـوارد حسّـان معـه أو ضمنه شعره وبه جزم في الخميس ، أسنى المطالب ص ١٤ .

ومن شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ :

أنـت الـنـبـيُّ مـحـمَّـدٌ قـرمٌ أغـرُّ مـسـوَّدٌ
لـمـسـوّديـن أكـارم طـابـوا وطـاب المـولـد
نـعـم الأرومـة أصـلـهـا عـمـرو الـخـضمّ الأوحـد
هشم الـربيكـة في الجفـا ن وعـيـش مـكّـة أنـكـد
فـجـرت بـذلـك سـنَّـةٌ فـيـهـا الـخـبـيـزة تـثـرد
ولنـا الـسـقـايـة للحـجيـ ـج بهـا يمـات الـعـنـجـد
والمـأزمـان[1] ومـا حـوت عـرفـاتـهـا والمسجـدُ
أنَّـى تُـضـام ولـم أمـت وأنـا الشجـاع الـعـربـد
وبـطـاح مـكَّـة لايُـرى فـيـهـا نـجـيـعُ أسـود
وبـنـو أبـيـك كـأنَّـهـم اسـد الـعـرين تـوقّـدوا
ولقـد عهـدتـك صـادقـاً فـي الـقـول لا يـتـزيَّـد
مـا زلـتَ تنـطق بـالصـوا ب وأنـت طـفـلٌ أمـرد

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجدٌ وبيده حجر يـريد أن يرميه به فلمّا رفع يده لصق الحجر بكفِّه فلم يستطع ما أراد فقال أبو طالب :

أفـيـقـوا بـني غـالـب ! وانتـهـوا عـن الغـيِّ من بـعض ذا المـنـطق
وإلّا فـإنّـي إذن خـائـفٌ بـوائـق في داركـم تـلـتـقـي
تـكـون لـغـيـركـمُ عـبـرةً وربِّ الـمـغـارب والـمـشـرق
كـمـا نـال مَـن لان مِـن قـبـلكـم ثـمـودُ وعـادٌ ومـاذا بـقـي

---

(١) المأزمان : موضع بمكّة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين .

غداة أتاهم بها صرصرٌ ونـاقـة ذي العرش قد تستقي
فحلَّ عليهم بها سخطه من اللّه في ضربة الأزرق
غداة يعضُّ بعرقوبها حساماً من الهند ذا رونق
وأعجب مِن ذاك في أمركم عجائب في الحجر الملصق
بكفِّ الذي قام من خبثه إلى الصّابر الصّادق المتَّقي
فأثبته اللّه في كفِّه على رغمه الجائر الأحمق
أُحيمق مخزومكم إذ غوى لغيِّ الغواة ولم يصدق

ديوان أبي طالب ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٤ : قالوا وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله انه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

نصرت الرَّسول رسول المليك ببيض تلألا كلمع البروق
أذبُّ وأحمي رسول الإله حماية حام عليه شفيق
وما إن أدبّ لأعدائه دبيب البكار حذار الفنيق[1]
ولكن أزير لهم سامياً كما زار ليثٌ بغيل مضيق

وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه ص ٢٤ .

ولسيِّدنا أبي طالب أبياتٌ كتبها إلى النجاشي بعدما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي . يحرّض النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عمّا يقوله عمرو ، منها :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ وعمرو وأعداء النبيِّ الأقارب
وهل نال إحسان النجاشيِّ جعفراً وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب ؟
تعلّم أبيت اللعن أنَّك ماجدٌ كريمٌ فلا يشقى إليك المجانب
ونعلم أنَّ اللّه زادك بسطةً وأسباب خير كلها بك لازب

تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٧٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ : ومن شعره المشهور ايضاً قوله يخاطب محمّداً ، ويسكّن جأشه ، ويأمره بإظهار الدعوة :

(١) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته جمع فنق وأفناق .

لا يـمـنـعـنّـك مـن حـقّ تـقـوم بـه أيـدٍ تـصـول ولا سلق بـأصـوات
فـإنّ كـفّـك كفّي إن مليت بهـم ودون نفسـك نفسي في الـملِمّـات

قال ابن هشام : ولمّا خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكّة وبمكانه منها ، وتودَّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنّه غير مسلم رسول الله ﷺ ، ولا تاركه لشيء أبداً ، حتّى يهلك دونه فقال أبو طالب :

خـليـليَّ مـا أُذنـي لأوّل عـاذلٍ بـصغـواء في حقٍّ ولا عـنـد بـاطـل
ولـمّـا رأيت الـقـوم لاودَّ فـيـهـم وقـد قـطعوا كـلَّ العـرى والـوسـائـل
وقـد صـارحـونـا بـالعـداوة والأذى وقـد طـاوعـوا أمـر العـدوِّ المـزايـل
وقـد حـالفـوا قـومـاً علينـا أظنَّـةً(١) يعضّـون غيـظاً خلفنـا بـالأنـامـل
صَبَـرت لهم نفسي بسمـراء سمحـة وأبيض عضب من تـراث الـمقـاول(٢)

* * *

أعـوذ بـربِّ النـاس من كـلِّ طـاعـنٍ عـليـنـا بـسـوء أو مُـلحٍّ بـبـاطـل
ومـن كـاشـحٍ يسعى لـنـا بمعيبـةٍ ومن ملحق في الـدين مـا لـم نحـاول
وثـورٍ ومَن أرسى ثـبيـراً مـكـانـه وراقٍ لـيـرقـى فـي حـراء ونـازل(٣)
وبـالبيت حقّ الـبيت من بـطن مـكّـة وبـالـلّه إنَّ الـلّه لـيس بـغـافـل
وبـالحجـر المسـودّ إذ يمسحـونـه إذا اكـتـنـفـوه بـالضحى والأصـائـل

* * *

كـذبـتـم وبيـت الـلّه نـتـرك مـكّـة ونـضـعـن إلاّ أمـركـم فـي بـلابـل
كـذبـتم وبيت الـلّه نبـزي محـمّـداً ولـمّـا نُـطاعـن دونـه ونـنـاضـل
ونـسـلمـه حـتّـى نُـصـرَّع حـولـه ونذهـل عـن أبنـائـنـا والـحـلائـل
ويـنهض قـومٌ بـالـحـديـد إلـيـكـمُ نهوض الرّوايا تحت ذات الصلاصل(١)

(١) أظنة جمع ظنين : المتهم .
(٢) سمراء سمحة : أردا بها قناة لينة تسمح بالإنعطاف عند هزها. العضب : القاطع . المقاول أراد بها السادات .
(٣) ثور ، وثبير ، وحراء : جبال في مكة .
(٤) الروايا : الإبل التي تحمل الماء ، واحدتها : رواية . الصلاصل جمع الصلصلة : الصوت وذات الصلاصل : المزادات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الإبل .

وحتَّى نـرى ذا الـضِّغـن يركـب ردعـه ... من الـطعن فعـل الأنكب المتحـامـل (١)
وإنـا لـعـمـر الـلّه إن جـدَّ مـا أرى ... لـتـلتبـسـن أسيـافـنـا بـالأمـاثـل
بكفّي فتىً مثـل الـشهـاب سميـدع ... أخي ثقـة حـامي الحقيـقـة بـاسـل
شهـوراً وأيّـامـاً وحـولاً مجـرَّمـاً (٢) ... علينـا وتـأتي حجّـةٌ بـعـد قابـل
ومـا تـرك قـوم ـ لا أبـالـك ـ سيِّـداً ... يحوط الـذِّمـار غيـر ذَربٍ مُـواكـل (٣)
وأبيض يُستـسقى الـغمـامُ بـوجـهـه ... ثمـال اليتـامى عـصمـة لـلأرامـل
يـلوذ بـه الـهُـلّاك مـن آل هـاشـم ... فـهـم عـنـده في رحـمـةٍ وفـواضـل

* * *

بـميـزان قـسط لا يـخيس شعـيـرةً ... لـه شـاهـدٌ من نفسـه غيـرُ عـائـل (٤)
لقـد سفُهت أحـلام قـوم تبـدَّلـوا ... بني حلَفٍ قيضـاً بنـا والغيـاطـل (٥)
ونـحن الـصميم مـن ذُؤابـة هـاشمٍ ... وآلِ قُـصيّ فـي الـخـطوب الأوائـل
وسـهـمٌ ومـخـزومٌ تـمـالـوا وألّبـوا ... علينا العدى مـن كـل طمـلٍ وخامل (٦)
فـعبـد منـاف أنتمُ خيـر قـومـكـم ... فـلا تُشـركـوا في أمـركم كـلَّ واغـل (٧)
ألـم تـعـلمـوا أنَّ ابنـنـا لا مكـذَّبٌ ... لـدينـا ولا نعبـأ بقـول الأبـاطـل ؟
أشـمَّ من الـشُمِّ البـهـالـيـل ينتـمي ... إلى حسب في حـومـة المجـدِ فـاضـل
لعمـري لقـد كلّفت وجـداً بـأحـمـد ... وأحببتـه حبَّ الـحبيب الـمـواصـل

---

(١) يُقال : ركب ردعه ، أي خرّ صريعاً لوجهه . الأنكب : الذي يمشي على شق .
(٢) حولا مجرّما : أي مكملاً . يُقال : تجرّمت السنة ، إذا كملت وانقضت .
(٣) الذمار : ما يلزمك أن تحميه . ذرب : فاسد . مواكل : يتكل على غيره .
(٤) لا يخيس من قـولهم : خاس بـالعهـد إذا نقضـه وأفسـده . ويـروى «لا يخسّ» أي لا ينقص عائل : جائر .
(٥) قيضاً بنا : عوضاً منّا تقول : قاضه بكذا أي عوضـه به . الغيـطلة : من بني مرّة بن عبـد مناة أخوة مدلج بن مرّة وهي أم الغياطل فقيـل لولـدها : الغيـاطل وهم من بني سهم بن عمـرو بن هصيص .
(٦) الطمل : الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع . اللئيم . الأحمق . اللص الفاسق .
(٧) كل واغل ، أراد كل ملصق ليس من صميم ، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى .

فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل
فأصبح فينا أحمدُ في أرومةٍ ... تقصِّر عنه سورةُ المتطاول
حدبت بنفسي دونه وَحَميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل[1]
فأيَّده ربُّ العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقُّه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٨، أربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه ج ٣ ص ٥٣ - ٥٧، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال في ص ٥٧: قلت هذه قصيدةٌ عظيمةٌ بليغةٌ جِدّاً لا يستطيع أنْ يقولها إلَّا من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلّقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأمويّ في مغازيه مطوّلة بزيادات أُخر والله أعلم.

وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب ص ٢ - ١٢ في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلّها تمام القصيدة.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٣١٥ بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنّه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدلُّ على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ومجموعها متواترٌ كما أنَّ كلّ واحدة من قتلات عليّ عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواترٌ يفيدنا العلم الضروريَّ بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء إياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك. قالوا: واتركوا هذا كلّه جانباً ما قولكم في القصيدة اللاميَّة التي شهرتها كشهرة قفا نبك. وإن جاز الشكُّ فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشكُّ في قفا نبك وفي بعض أبياتها.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٢ ص ٢٢٧: قصيدةٌ جليلةٌ بليغةٌ من بحر الطويل وعدَّة أبياتها مائة وعشرة أبيات قالها لمّا تمالأ قريش على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام.

---

(١) حدبت: عطفت ومنعت. الذرى جمع ذرة: أعلى ظهر البعير. الكلاكل جمع كلكل: معظم الصدر.

وذكر منها في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٨ ، أبياتاً فقال : هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين : إنَّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنَّه كان يعرف نبوَّة النبيِّ ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» وغيره من شأنه . وقال العيني في عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٤ : قصيدةٌ طنّانةٌ وهي مائة بيت وعشرة أبيات أوَّلها :

خليليَّ ما أُذني لأوَّل عاذلٍ ... بصغواء في حقّ ولا عند باطل

ذكر منها البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٦١ إثنين وأربعين بيتاً مع شرحها وقال أوَّلها :

خليليَّ ما أُذني لأوَّل عاذلٍ ... بصغواء في حقّ ولا عند باطل
خليليَّ إنَّ الرأي ليس بشركة ... ولا نهنه عند الأُمور البلابل
ولمّا رأيت القوم لا ودَّ عندهم ... وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل

وذكر الآلوسي عدَّة منها في بلوغ الأرب ج ١ ص ٢٣٧ وذكر كلمة ابن كثير المذكورة وقال : هي مذكورةٌ مع شرحها في كتاب لبِّ لباب لسان العرب .

وذكر منها السيِّد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبويّة هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٨٨ فقال : قال الإمام عبد الواحد[١] السفاقسي في شرح البخاري : إنَّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنَّه كان يعرف نبوَّة النبيِّ ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوَّته لله جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره .

قال الأميني : أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والإعتراف بالنبوَّة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوِّعة المذكورة في هذه الأشعار ؟ ولو وُجد واحدٌ منها في شعر أيِّ أحد أو نثره لأصفق الكلُّ على إسلامه ، لكن جميعها لا يدلُّ على إسلام أبي طالب . فاعجب واعتبر .

هذه جملةٌ من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كلِّ شطره الإيمان

---

(١) هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني .

الخالص ، والإسلام الصحيح ، قال العلاّمة الأوحد ابن شهر أشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى : ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره﴾ في سورة الحجِّ : إنَّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ويصحِّح نبوَّته . ثمَّ ذكر جملة ضافية وممّا ذكر له في قوله في وصيَّته :

أُوصي بنصر نبيِّ الخير أربعة ... إبني عليّاً وشيخ القوم عبّاسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته ... وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أُمّي وما ولدت ... في نصر أحمد دون الناس أتراسا[1]

٢ ـ ما ناء به من عمل بار وقول مشكور :

أمّا ما ناء به سيِّد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عملٍ بارٍّ وسعي مشكور في نصرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وكلاءته والذَّب عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير ، وقد تخلّل ذلك جملٌ من القول كلّها نصوصٌ على إسلامه الصحيح ، وإيمانه الخالص ، وخضوعه للرسالة الإلٰهيَّة ، فإلى الملتقى . روى القوم :

١ ـ قال ابن إسحاق : إنَّ أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً فلمّا تهيَّأ للرحيل وأجمع السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمّ إلى مَن تكلني لا أب لي ولا أُمّ لي ؟ فرقّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أُفارقه أبداً . قال : فخرج به معه فلمّا نزل الركب «بصرى» من أرض الشام وتهيَّأ راهب يُقال له : بحيرا ، في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانيَّة، ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن ، فلمّا نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرُّون عليه قبل ذلك فلا يكلِّمهم ولا يتعرَّض لهم حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب

---

(١) في النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف وتحريف في الأبيات راجع ج ٢ ص ٦٥ .

حين أقبلوا ، وغمامة تظلّه ﷺ من بين القوم . ثمَّ أقبلوا حتّى نزلوا بظلّ شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلّت الشجرة وتهصّرت يعني تدلّت أغصانها على رسول الله ﷺ حتّى استظلّ تحتها فلمّا رأى «بحيرا» ذلك نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثمَّ أرسل إليهم فقال : إنّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ! وأنا أحبُّ أن تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وحرّكم وعبدكم فقال له رجلٌ منهم : يا بحيرا : إنَّ لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنّا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقولون ولكنكم ضيوف فأحببت أن أُكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلّكم ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة فلمّا نظر «بحيرا» في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلّف أحدٌ منكم عن طعامي هذا فقالوا : يا بحيرا ! ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغي أن يأتيك إلّا غلامٌ هو أحدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجلٌ من قريش : واللّات والعزّى إنَّ لهذا اليوم نبأ . أيليق أن يتخلّف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا ؟ ثمَّ قام إليه فاحتضنه ثمَّ أقبل به حتّى أجلسه مع القوم فلمّا رآه «بحيرا» جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتّى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا قام «بحيرا» فقال له : يا غلام أسألك باللّات والعزّى إلّا أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزّى شيئاً قطُّ ، فقال بحيرا : فبالله إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال : سلني عمّا بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيئته وأُموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند «بحيرا» من صفته ثمَّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده . الحديث . فقال أبو طالب في ذلك :

إنَّ ابن آمنة النبيَّ محمَّداً ... عندي يفوق منازل الأولاد
لمّا تعلّق بالزمام رحمتُه ... والعيس قد قلّصن[1] بالأزواد

---

(١) قلص القوم : اجتمعوا فساروا . قلصت الناقة : استمرت في مضيّها . تقلص : انضم وانزوى . تدانى .

فـارفضّ مـن عـينـيّ دمـعٌ ذارفٌ　　مـثـل الجـمـان مفـرّق الأفـراد
راعيتُ فيـه قـرابـةً مـوصـولـةً　　وحفـظت فيـه وصيّـة الأجـداد
وأمـرتـه بـالسيـر بين عمـومـة　　بيض الـوجـوه مصـالت أنجـاد[1]
سـاروا لأبعـد طيّـة مـعـلومـة　　فلقـد تبـاعـد طيّـة[2] المـرتـاد
حتّى إذا مـا القـوم بصـرى عـاينـوا　　لاقـوا على شـركٍ من المـرصـاد
حبـراً فـأخبـرهم حـديثـاً صـادقـاً　　عنـه وردَّ مـعـاشـر الـحسّـاد
قـومٌ يـهـودٌ قـد رأوا لـمّـا رأى　　ظـلّ الغمـام وعنّ ذي الأكبـاد[3]
ثـاروا لقتـل مـحمّـد فنهـاهـمُ　　عنـه وجـاهـد أحسن التجهـاد
فثنى زبيـراً مـن بُحيـرا فـانثـنى　　في القـوم بعـد تجـاول وبـعـاد
ونهى دريسـاً فـانتهى عن قـولـه　　حـبـرٌ يـوافـق أمـره بـرشـاد

وقـال أيضـاً :

ألـم تـرني مـن بعـد هـمّ هـممـتـه　　بـفـرقـة حـرّ الـوالـدين حـرام
بـأحمـد لمّـا أن شـددت مـطيّـتي　　بـرحـلي وقـد ودّعـتـه بـسـلام
بكى حـزنـاً والعيس قـد فصلت بنـا　　وأخـذت بـالـكفـين فـضـل زمـام
ذكـرت أبـاه ثـمّ رقـرقـتْ عـبـرةً　　تـجـود من الـعـينـين ذات سـجـام
فقلت : تـرحّـل راشـداً في عمومـة　　مـواسيـر في الـبـأسـاء غيـر لئـام
فجـاء مـع العيـر التي راح ركبهـا　　شـآميّ الهـوى والأصـل غيـر شـآم
فلمّـا هبـطنـا أرض بصـرى تشـرّفـوا　　لـنـا فـوق دورٍ ينـظرون جـسـام
فجـاء بُحيـرا عنـد ذلـك حـاشـداً　　لـنـا بـشـرابٍ طـيّـب وطـعـام
فقـال : اجمعوا أصحـابكم لطعـامنـا　　فقلنـا : جمعنـا القـوم غيـر غـلام
يـتيـم فقـال : ادعـوه إنّ طعـامنـا　　كـثـيـرٌ عـليـه الـيـوم غـيـر حـرام

---

(١) مصالت : الماضي في الحوائج . الصلت الجبين : الواضح . أنجاد جمع النجد : الضابط للأمور يذلل المصائب . الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . سريع الإجابة إلى ما دُعي إليه .
(٢) في الموضعين في رواية : طبّة . بالموحدة مؤنث الطبّ بفتح الطاء : الناحية .
(٣) وفي رواية :

قوم يـهود قد رأوا مـا قـد رأوا　　ظـلّ الـغـمـامـة نـاغـري الأكـبـاد

فلولا الّذي خبّرتمُ عن محمَّد ... لكنتم لدينا اليوم غير كرام
فلمّا رآه مقبلاً نحو داره ... يوقّيه حرَّ الشمس ظلُّ غمام
حنى رأسه شبه السجود وضمّه ... إلى نحره والصدر أيَّ ضمام
وأقبل ركبٌ يطلبون الذي رأى ... بُحيرا من الأعلام وسط خيام
فثار إليهم خشيةً لعرامهم[1] ... وكانوا ذوي بغي لنا وعرام
دريس وتمام وقد كان فيهمُ[2] ... زبيرُ وكلُّ القوم غير نيام
فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمَّد ... فردَّهمُ عنه بحسن خصام
بتأويله التوراة حتى تيقّنوا ... وقال لهم : رمتم أشَدَّ مرام
أتبغون قتلاً للنبيِّ محمَّدٍ ... خصصتم على شؤم بطول أنام
وإنَّ الذي نختاره منه مانعٌ ... سيكفيه منكم كيد كلِّ طغام
فذلك من أعلامه وبيانه ... وليس نهارٌ واضحٌ كظلام

ديوان أبي طالب ص ٣٣ ـ ٣٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ، الروض الأنف ج ١ ص١٢٠ .

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٤ فقال في ص ٨٥ : وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها :

فما رجعوا حتّى رأوا من محمَّد ... أحاديث تجلو غمَّ كلِّ فؤاد
وحتّى رأوا أحبار كلِّ مدينةٍ ... سجوداً له من عصبةٍ وفراد
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً ... دريساً وهمُّوا كلّهم بفساد
فقال لهم قولاً بُحيرا وأيقنوا ... له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهط الذين تهوَّدوا ... وجاهدهم في اللّه كلَّ جهاد
فقال ولم يترك له النصح : رُدّه ... فإنَّ له إرصاد كلِّ مصاد
فإنّي أخاف الحاسدين وإنَّهُ ... لفي الكتب مكتوبٌ بكلِّ مداد

---

(١) العرام : الشراسة والأذى .
(٢) دريس ، وتمام ، وزبير ـ في بعض النسخ : زدير . أحبار من اليهود .

٢ ـ استسقاء أبي طالب بالنبيِّ (ص) :

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش : يا أبا طالب ! أقحط الوادي ، وأجدب العيال ، فهلمَّ واستسق فخرج أبو طالب ومعه غلامٌ كأنَّه شمس دجن تجلّت عنه سحابةٌ قتماء وحوله أُغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذَ بإصبعه الغلام ، وما في السماء قزعة[1] فأقبل السحاب من هٰهنا وهٰهنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي ففي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة ... ووزّان صدق وزنه غير هائل

شرح البخاري للقسطلاني ج ٢ ص ٢٢٧ ، المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٨ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٦ ، ١٢٤ ، شرح بهجة المحافل ج ١ ص ١١٩ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ١٢٥ ، السيرة النبويَّة لزيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٨٧ ، طلبة الطالب ص ٤٢ .

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ٣ ص ٢٢٥ سيِّدنا عبد المطلب وقال : وممّا يدلُّ على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوّة أنّ أهل مكّة لمّا أصابهم ذلك الجدب العظيم وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب إبنه أن يحضر المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وهو رضيعٌ في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه إلى السَّماء وقال : ياربّ بحقِّ هذا الغلام . ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول : بحقِّ هذا الغلام إسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً . فلم يلبث ساعة أن طبّق السحاب وجه السَّماء وأمطر حتّى خافوا على المسجد وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللاّمي الذي منه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) القزعة : القطعة من السحاب .

ثمَّ ذكر أبياتاً من القصيدة ، ولا يخفى على الباحث أنَّ القصيدة نظمها أبو طالب عليه السلام أيّام كونه في الشعب كما مرّ .

فاستسقاء عبد المطلب ،وابنه سيّد الأبطح بالنبيِّ الأعظم يوم كان صلى الله عليه وآله وسلم رضيعاً ويافعاً يُعرب عن توحيدهما الخالص ، وإيمانهما بالله ، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة ، وقداسة صاحبها من أوّل يومه ، ولو لم يكن لهما إلاَّ هذين الموقفين لكفياهما كما يكفيان الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما الإيمان .

٣ ـ أبو طالب في مولد أمير المؤمنين (ع) :

عن جابر بن عبد الله قال : سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد عليٍّ بن أبي طالب فقال : لقد سألتني عن خير مولود وُلد في شبيه المسيح عليه السلام إنَّ الله تبارك وتعالىٰ خلق عليّاً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد . ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيَّة فما نقلت من صلب إلاَّ ونقل عليٌّ معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة . واستودع عليّاً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد . وكان في زماننا رجلٌ زاهدٌ عابدٌ يُقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عَبدَ الله تعالىٰ مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجةً فبعث الله إليه أبا طالب فلمّا أبصره المبرم قام إليه وقبَّل رأسه وأجلسه بين يديه ثمَّ قال له : من أنت ؟ فقال : رجلٌ من تهامة . فقال : من أيِّ تهامة ؟ فقال : من بني هاشم . فوثب العابد فقبَّل رأسه ثمَّ قال : يا هذا إنَّ العليَّ الأعلىٰ ألهمني إلهاماً . قال أبو طالب : وما هو ؟ قال : ولدٌ يولد من ظهرك وهو وليُّ الله عزَّ وجلَّ ، فلمّا كان الليلة التي وُلد فيها عليٌّ أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول : أيُّها الناس وُلد في الكعبة وليُّ الله فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول :

يا ربَّ هذا الغسق الدجيِّ ... والقمر المنبلج المضيِّ
بيِّن لنا من أمرك الخفيِّ ... ماذا ترى في اسم ذا الصبيِّ ؟

قال : فسمع صوت هاتف يقول :

يا أهل بيت المصطفى النبيِّ ... خصصتم بالولد الزكيِّ
إنَّ اسمه من شامخ العليِّ ... عليٌّ من اشتقَّ من العليِّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ وقال : تفرَّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي ، وتفرَّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروفٌ عندنا .

٤ ـ بدء أمر النبيِّ وأبو طالب :

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمَّد الدينوري في كتابه ـ نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرَّسول[1] ـ بإسناده عن طاوس عن ابن عبّاس في حديث طويل : إن النبيَّ ﷺ قال للعبّاس رضي الله عنه : إنَّ الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك ؟ فقال له العبّاس رضي الله عنه : يابن أخي تعلم أنَّ قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك ، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامّة الطمّاء والداهية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً ، صِلنا ولكن قرِّب إلى عمِّك أبي طالب فإنّه كان أكبر أعمامك إنْ لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك ، فأتياه فلمّا رآهما أبو طالب قال : إنَّ لكما لظنَّة وخبراً ما جاء بكما في هذا الوقت ؟ فعرَّفه العبّاس ما قال له النبيُّ ﷺ وما أجابه به العبّاس فنظر إليه أبو طالب وقال له : أُخرج ابن أبي فإنّك الرفيع كعباً ، والمنيع حزباً ، والأعلىٰ أباً ، والله لا يسلقك لسانٌ إلّا سلقته ألسنٌ حداد ، واجتذبته سيوفٌ حداد ، والله لتذلّنَّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها ، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال : إنَّ من صلبي لنبيّاً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به .

قال الأميني : أترى أنَّ أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به ؟ فينشّط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذ التنشيط لأوَّل يومه ، ويأمره بإشهار أمره والإشادة بذكر الله وهو مخبتٌ بأنّه هو ذلك النبيُّ الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة ، ويتكهّن بخضوع العرب له ، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلّها ثمَّ لا يُؤمن به ؟ إن هذا إلّا اختلاق .

---

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاوس ص ٨٥ ، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

٥ ـ أبو طالب وفقده النبيَّ (ص) :

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى ص ١٨٦ ج ١ ط مصر وص ١٣٥ ط ليدن حديث ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره ﷺ إلى أن قال : فاشمأزّوا ونفروا منها (يعني من مقالة محمّد) وغضبوا وقاموا وهم يقولون: إصبروا على آلهتكم ، إنَّ هذا لشيءٌ يُراد . ويُقال : المتكلّم بهذا : عقبة بن أبي معيط . وقالوا : لا نعود إليه أبداً ، وما خير من أن نغتال محمّداً ، فلمّا كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب ثمَّ قال : ليأخذ كلٌّ واحد منكم حديدةً صارمة ، ثمَّ ليتبعني إذا دخلت المسجد ، فلينظر كلّ فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم : ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فإنّه لم يغب عن شرّ إن كان محمَّد قد قُتل ، فقال الفتيان : نفعل ، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال ، فقال : يا زيد ! أحسست ابن أخي ؟ قال : نعم كنت معه آنفاً . فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه ؛ فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدَّثون ، فأخبره الخبر ، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب ، فقال : يا بن أخي ! أين كنت ؟ أكنت في خير ؟ قال : نعم . قال : أُدخل بيتك ، فدخل رسول الله ﷺ فلمّا أصبح أبو طالب غدا على النبيِّ ﷺ فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميّون والمطلبيّون فقال : يا معشر قريش ! هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا : فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان : إكشفوا عمّا في أيديكم . فكشفوا ، فإذا كلُّ رجل منهم معه حديدةٌ صارمةٌ . فقال : والله لو قتلتموه ما بقّيت منكم أحداً ، حتّى نتفانى نحن وأنتم ، فانكسر القوم وكان أشدُّهم إنكساراً أبو جهل .

لفظ آخر :

وأخرج الفقيه الحنبلي إبراهيم بن عليّ بن محمَّد الدينوري في كتابه ـ نهاية الطلب[1] ـ بإسناده عن عبد الله بن المغيرة بن معقب قال : فقد أبو طالب رسول

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس ص ٨٥ .

الله صلى الله عليه وآله وسلم فظنَّ أنَّ بعض قريش إغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم فقال : يا بني هاشم أظنُّ أنَّ بعض قريش إغتال محمَّداً فقتله فليأخذ كلُّ واحد منكم حديدةً صارمةً وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش فإذا قلت : أبغي محمَّداً . قتل كلٌّ منكم الرجل الذي إلى جانبه ، وبلغ رسول الله جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا فأتى أبا طالب وهو في المسجد فلمّا رآه أبو طالب أخذ بيده ثمَّ قال : يا معشر قريش ! فقدت محمَّداً فظننت أنَّ بعضكم اغتاله فأمرت كلَّ فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدةً ويجلس كلُّ واحد منهم إلى عظيم منكم فإذا قلت : أبغي محمَّداً : قتل كلُّ واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه ، فاكشفوا عمّا في أيديكم يا بني هاشم ! فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ أنشأ أبو طالب :

ألَّا أبلغ قريشاً حيث حلّت ... وكلُّ سرائر منها غرور
فإنّي والضوابح عاديات[١] ... وما تتلو السفاسرة الشهور[٢]
لآل محمّد راعٍ حفيظ ... وودّ الصدر منّي والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ... ولو جرَّت مظالمها الجزور
أيأمر جمعهم أبناء فهر ... بقتل محمَّد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ... ولا أمَّت رشاداً إذ تشير
بُنيّ أخي ونوط القلب منّي ... وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان ريّاً ... وأحمد قد تضمَّنه القبور
أيا بن الأنف أنف بني قُصيّ[٣] ... كأنَّ جبينك القمر المنير

لفت نظر :

قال شيخنا العلّامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٣١ روى جامع الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر مرسلاً ثمَّ ذكر الأشعار هكذا فذكر الأشعار

---

(١) في تاج العروس ج ٣ ص ٢٧٢ «فإنّي والسوابح كلّ يوم» وفي ص ٣٢٠ «فإنّي والضوائح كل يوم» .

(٢) السفاسرة : أصحاب الأسفار وهي الكتب . الشهور : العلماء جمع الشهر . كذا فسر البيت كما في تاج العروس ج ٣ ص ٢٧٢ ، ٣٢٠ .

(٣) الأنف : السيد .

وفيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر وهي لا توجد في الديوان المطبوع لسيِّدنا أبي طالب .

لفظٌ ثالثٌ :

وقال السيِّد فخار بن معد في كتابه «الحجَّة» ص ٦١ : وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرّحمٰن بن محمَّد بن الجوزي المحدِّث البغدادي (وكان ممَّن يرى كفر أبي طالب ويعتقده) بواسط العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمائة بإسناد له إلى الواقدي قال : كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغيب صباح النبيِّ ولا مساءه ، ويحرسه من أعدائه ، ويخاف أن يغتالوه، فلمّا كان ذات يوم فقده فلم يره وجاء المساء فلم يره وأصبح الصباح فطلبه في مظانِّه فلم يجده فلزم أحشاءه وقال : وا ولداه وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه فقال لهم : إنَّ محمّداً قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا ولا أظنُّ إلاَّ أنَّ قريشاً قد اغتالته وكادته وقد بقي هذا الوجه ما جئته وبعيدٌ أن يكون فيه واختار من عبيده عشرين رجلاً ، فقال : امضوا وأعدّوا سكاكين وليمض كلُّ رجل منكم وليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش فإن أتيت ومحمَّد معي فلا تُحدثن أمراً وكونوا على رسلكم حتّى أقف عليكم ، وإن جئت وما محمَّد معي فليضرب كلٌّ منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتّى رضوها ، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أراده ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلّي إلى جنب صخرة فوقع عليه وقبّله وأخذ بيده وقال : يا بن أخ ! قد كدت أن تأتي على قومك ، سر معي ، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوسٌ عند الكعبة فلمّا رأوه قد جاء ويده في يد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمَّد إنَّ له لشأناً ، فلمَّا وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده : أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كلٌّ واحد منهم ما في يده فلمّا رأوا السكاكين قالوا : ما هذا يا أبا طالب ؟ قال : ما ترون ؛ إنِّي طلبت محمَّداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم : إن جئت وليس محمَّدٌ معي فليضرب كلٌّ منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذنّي فيه ولو كان هاشميّاً فقالوا : وهل كنت فاعلاً ؟ فقال : أي وربِّ هذه وأومى إلى الكعبة ، فقال له المطعم بن عدي بن

نوفل بن عبد مُناف وكان من أحلافه : لقد كدت تأتي على قومك ؟ قال هو ذلك . ومضى به وهو يقول :

إذهب بُنيَّ فما عليك غضاضةٌ ... إذهب وقرَّ بذاك منك عيونا
واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أُوسَّد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً لا محالة إنَّه ... من خير أديان البريَّة دينا[1]

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعطاف وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم .

قال الأميني : هذا الشيخ الأبطح يروقه أن يُضحِّي كلّ قومه دون نبيِّ الإسلام وقد تأهَّب لأن يطأ القوميّات كلّها والأواصر المتَّشجة بينه وبين قريش بأخمص الدين . فحيّاها الله من عاطفة إلٰهيَّة ؛ وآصرة دينيَّة هي فوق أواصر الرَّحم .

٦ - أبو طالب في بدء الدعوة :

لمّا نزلت : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[2] . خرج رسول الله ﷺ فصعد على الصفا فهتف : ياصباحاه . فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدِّقي ؟ قالوا : نعم ما جرَّبنا عليك كذباً . قال : فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبّاً لك ، أما جمعتنا إلَّا لهذا ؟ ثمَّ أَحضر قومه في داره فبادره أبو لهب وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمِّك فتكلَّم ودع الصبأة[3] واعلم أنّه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وإنَّ أحقّ من أخذك فحبسك بنو أبيك ، وإن أقمت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينبَّ لك بطون قريش ، وتمدَّهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرٍّ ممّا جئتهم به . فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلّم .

---

(١) راجع ما أسلفناه ص ٣٧٤ .
(٢) مرّ حديثها في الجزء الثاني ص ٣٢٣
(٣) الصبأ : الخروج من دين إلى دين آخر .

ثمَّ دعاهم ثانية وقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأُومن به وأتوكّل عليه وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له . ثمَّ قال : إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلَّا هو انِّي رسول الله إليكم خاصَّة وإلى الناس عامَّة ، والله لتموتنَّ كما تنامون ، ولتبعثنَّ كما تستيقظون ، ولتحاسبنَّ بماتعملون ، وإنّها الجنَّة أبداً والنار أبداً .

فقال أبو طالب : ما أحبَّ إلينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشدَّ تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنَّما أنا أحدهم غير أنِّي أسرعهم إلى ما تحبُّ ، فامضِ لما أُمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أنَّ نفسي لا تُطاوعني على فراق دين عبد المطلب[1] .

قال الأميني : لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلَّا دين التوحيد والإيمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنيَّة ، وهو الذي كان يقول في وصاياه : إنَّه لن يخرج من الدنيا ظلومٌ حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة . إلى أن هلك ظلومٌ لم تصبه عقوبة . فقيل له في ذلك ففكّر في ذلك فقال : والله إنَّ وراء هذه الدار دارٌ يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته ، وهو الذي قال لأبرهة : إنَّ لهذا البيت ربّاً يذبُّ عنه ويحفظه ، وقال وقد صعد أبا قبيس :

لا هُمَّ أنَّ المرء يمنع ... حلّه فامنع حلالك
لا يغلبنَّ صليبهم ... ومحالهم عدوا محالك
فانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمرٌ ما بدا لك[2]

ويُعرب عن تقدُّمه في الإيمان الخالص والتوحيد الصَّحيح إنتماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه ومباهاته به يوم حُنين بقوله :

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل ج ٣ ص ٢٢٤ ، الدرج المنيفة للسيوطي ص ١٥ ، مسالك الحنفاء ص ٣٧ .

أنـا الـنـبـيُّ لا كَـذِب　　　أنـا ابن عبـد المـطَّلب(١)

وقد أجاد الحافظ شمس الدين بن ناصر بن الدمشقي في قوله :

تنقَّـل أحمـد نـوراً عـظيمـاً　　　تـلالا في جباه السـاجـدينـا
تـقلّب فـيهـمُ قـرنـاً فقـرنـاً　　　إلى أن جـاء خير المـرسلينـا(٢)

وهذا هو الذي أراده أبو طالب سلام الله عليه بقولـه : نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . وهو صـريح بقيَّـة كلامـه ، وقد أراد بهـذا السياق التعمية على الحضـور لئلاّ ينـاصبوه العـداء بمفارقتهم ، وهـذا السياق من الكـلام من سنن العرب في محاورتهم ، قد يريدون به التعمية ، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غيـر أنَّ سيـوفهـم　　　بـهنَّ فـلولٌ من قـراع الـكتـائـب

ولو لم يكن لسيِّدنا أبي طالب إلاَّ موقفه هذا لكفى بمفرده في إيمانه الثابت ، وإسلامه القويم ، وثباته في البدء .

قـال ابن الأثير : فقـال أبو لهب : هـذه والله السوء خـذوا على يديـه قبل أن يـأخـذ غيـركم ، فقـال أبـو طـالـب : والله لنمنعنَّـه مـا بقينـا . وفي السيـرة الحلبيَّـة ج ١ ص ٣٠٤ : إنَّ الدعوة كانت في دار أبي طالب .

قـال عقيل بن أبي طـالب : جاءت قـريش إلى أبي طـالب فقـالـوا : إنَّ ابن أخيك يُؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويُسمعنا ما نكره فإن رأيت أن تكفَّه عنّا فافعل . فقـال لي : يا عقيـل ! إلتمس لي ابن عمِّك فـأخرجتـه من كبس من كباس أبي طالب فجاء يمشي معي يطلب الفيء يطأ فيه لا يقدر عليـه حتَّى انتهى إلى أبي

(١) طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسـل ٦٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٩ .
(٢) مسالك الحنفا للسيوطي ص ٤٠ ، الدرج المنيفة ص ١٤ .

طالب فقال : يا بن أخي ! والله لقد كنت لي مطيعاً جاء قومك يزعمون أنَّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم فتؤذيهم وتسمعهم ما يكرهون ، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم . فحلق بصره إلى السَّماء وقال : والله ما أنا بقادر أن أردَّ ما بعثني به ربِّي ، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً . فقال أبو طالب : والله ما كذب قطُّ فارجعوا راشدين .

قال الأميني : هكذا أخرجه البخاري في تاريخه بإسناد رجاله كلّهم ثقات ، وبهذا اللفظ ذكره المحبُّ الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٢٣ . غير أنَّ ابن كثير لمّا رأى لكلمة : راشدين . قيمة في إيمان أبي طالب فحذفها في تاريخه ج ٣ ص ٤٢ . حيّا الله الأمانة .

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٧١ حديث الدعوة عن عليّ وفيه : ثمَّ قال لهم ﷺ : من يؤازرني على ما أنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنَّة ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، وإنِّي لأحدثهم سنّاً ، وأحمشهم ساقاً . وسكت القوم ، ثمَّ قالوا : يا أبا طالب ! ألا ترى إبنك ؟ قال : دعوه فلن يألو[1] ابن عمّه خيراً .

وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي أنّه قال في لغة ـ العور ـ إنَّه الرديّ من كلِّ شيء قال : ومن العور ما في رواية ابن عبّاس . ثمَّ ذكر حديث عليّ ﵁ بطوله إلى أن قال : فلمّا أراد النبيُّ ﷺ أن يتكلّم اعترضه أبو لهب فتكلّم بكلمات وقال : قوموا . فقاموا وانصرفوا . قال : فلمّا كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا فقام رسول الله ﷺ ليتكلَّم فاعترضه أبو لهب فقال له أبو طالب : اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ ثمَّ قال : لا يقومنَّ أحدٌ . فجلسوا ثمَّ قال للنبيِّ ﷺ : قم يا سيِّدي فتكلَّم بما تحبّ وبلِّغ رسالة ربِّك فإنَّك الصّادق المصدَّق .

وإلى هذا الحديث وكلمة أبي طالب ـ اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ ـ وقع الإيعاز إليه في النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٦ ، والفائق للزمخشري ج ٢ ص ٩٨

---

(١) يألو : يقصر .

نقلاً عن ابن الأعرابي ، وفي لسان العرب ج ٦ ص ٢٩٤ ، تاج العروس ج ٣ ص ٤٢٨ .

قال الأميني : أيّ كافر طاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الإسلام المقدّس بكلّ حوله وطوله ، ويسلق رجال قومه بلسان حديد ، ويحضّ النبيَّ الأعظم على الدّعوة وتبليغ رسالته عن ربّه ، ويراه الصّادق المصدَّق ؟ .

٧ - قول أبي طالب لعليّ : إلزم ابن عمِّك :

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصَّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليُّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصَّلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أنْ يمكثا ، ثمَّ إنَّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان فقال لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عمّ ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم .

وذكروا أنَّه قال لعليّ : أي بنيَّ ! ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدَّقته بما جاء به ، وصلَّيت معه للّه واتَّبعته ، فزعموا أنَّه قال له : أما إنَّه لم يدعك إلاَّ إلى خير . فالزمه . وفي لفظ عن عليّ : إنَّه لمَّا أسلم قال له أبو طالب : إلزم ابن عمِّك .

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٤ ، تفسير الثعلبي ، عيون الأثر ج ١ ص ٩٤ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، أسنى المطالب ص ١٠ .

وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ : روي عن عليّ قال : قال أبي : يا بنيَّ! إلزم ابن عمِّك فإنَّك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل ثمَّ قال لي :

إنَّ الوثيقة في لزوم محمَّد ... فاشدد بصحبته عليُّ يديكا

فقال : ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند مُلمِّ الزمان والنوب

لا تخـذلا وانصـرا ابن عمّـكمـا أخـي لأمّي مـن بيـنـهـم وأبـي
والـلّه لا أخـذل الـنـبـيّ ولا يـخـذلـه من بـنـيّ ذو حـسـب

هـذه الأبيـات الثـلاث تـوجـد في ديـوان أبي طـالـب أيضـاً ص ٣٦ وذكـرهـا العسكـري في كتاب الأوائـل قال : إنّ أبـا طالب مـرّ بالنبيّ ﷺ ومعـه جعفر فـرأى رسول الله ﷺ يصلّي وعليٌّ معه فقال لجعفر : يا بنيّ ! صل جناح ابن عمّك . فقام إلى جنب عليّ فأحسّ النبيُّ فتقدّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغـوا فانصرف أبـو طالب مسروراً وأنشأ يقول :

إنّ عـليّـاً وجـعـفـراً ثـقـتـي عـنـد مـلمّ الـزمـان والـنـوب

وذكر أبياتاً لم يذكرها ابن أبي الحديد ومنها :

نـحـن وهـذا الـنـبـيُّ نـنـصـره نضـرب عنـه الأعـداء كـالشهب

وأخرج أبو بكر الشيرازي في تفسيره : إنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أُنزل عليه الـوحي أتى المسجـد الحرام وقـام يصلّي فيه فـاجتاز بـه عليٌّ عليه السلام وكـان ابن تسـع سنين فناداه : يا عليّ ! إليّ أقبل ، فأقبل إليه ملبّيـاً فقال لـه النبيُّ : إنّي رسول الله إليـك خاصّة وإلى الخلق عامّة فقف عن يميني وصـلِّ معي . فقال : يـا رسول الله ! حتى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي ؛ فقال له : إذهب فإنّه سيأذن لك ، فـانطلق إليـه يستأذنه في اتّباعه ، فقال : ياولدي ! نعلم أنّ محمّداً أمين الله منذ كان ، إمض إليه واتّبعه ترشـد وتفلح . فأتى عليٌّ عليه السلام ورسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائمٌ يصلّي في المسجـد فقام عن يمينه يُصلّي معه فاجتاز أبو طـالـب بهما وهمـا يصلّيان فقـال : يا محمّـد ما تصنـع ؟ قال : أعبـد إله السّمـاوات والأرض ومعي أخي عليّ يعبـد مـا أعبـد وأنـا أدعوك إلى عبادة الواحد القهّار فضحك أبو طالب حتّى بدت نواجذه وأنشأ يقول :

والله لن يـصلوا إلـيـك بجـمـعـهـم حـتّى أُغـيَّب فـي التـراب دفـيـنـا

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها ص ٣٧٤ .

٨ ـ قول أبي طالب : صِل جناح ابن عمّك :

أخرج ابن الأثير : إنّ أبا طالب رأى النبيَّ ﷺ وعليّاً يصلّيان وعليٌّ إلـى يمينه

فقال لجعفر رضي الله تعالىٰ عنه : صِل جناح ابن عمِّك ، وصَلِّ عن يساره ، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه عليٍّ بقليل . وقال أبو طالب :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدين وُفِّقت صابرا
وحط مَن أتى بالحقِّ من عند ربِّه ... بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمزُ كافرا
فقد سرَّني إذ قلت : إنَّك مؤمنٌ ... فكن لرسول اللّه في اللّه ناصرا
وباد قريشاً بالذي قد أتيته ... جهاراً وقل : ما كان أحمد ساحرا

اسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٥ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٦ ، أسنى المطالب ص ٦ وقال : قال البرزنجي : تواترت الأخبار أنَّ أبا طالب كان يُحبُّ النبيَّ ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه . ويُصدِّقه فيما يقوله ؛ ويأمر أولاده كجعفر وعليّ باتِّباعه ونصرته .

وقال في ص ١٠ : قال البرزنجي : هذه الأخبار كلّها صريحةٌ في أنَّ قلبه طافحٌ وممتلىءٌ بالإيمان بالنبيِّ ﷺ .

٩ ـ أبو طالب وحنوه على النبيِّ (ص) :

قال أبو جعفر محمَّد بن حبيب رحمه الله في أماليه : كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه وكان شديد الحبِّ والحنوِّ عليه ، وكذلك كان عبد المطَّلب شديد الحبِّ له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيات إذا عرف مضجعه فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع إبنه عليّاً مكانه ، فقال له عليٌّ ليلة : يا أبت إنِّي مقتولٌ . فقال له :

إصبرَن يا بنيَّ فالصبر أحجى ... كلُّ حيٍّ مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغرِّ ذي الحسب الثا ... قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى[1] ... فمصيبٌ منها وغير مصيب

(١) في بعض المصادر : تترى .

كـلُّ حـيٍّ وإن تـملّى بـعـمـرٍ[1]   آخـذٌ من مـذاقـهـا بـنـصـيب

فأجاب عليٌّ بقوله :

أتـأمـرني بـالصبـر في نصـر أحمـد ؟   ووالـلّه مـا قلت الـذي قلت جـازعـا
ولـكـنّـني أحـببت أن تـرَ نـصـرتـي   وتـعـلم أنّـي لـم أزل لـك طـائـعـا
سـأسعى لـوجـه اللّه في نصـر أحمـد   نبيِّ الهـدى المحمـود طفـلاً ويـافعـا

وذكـره ابن أبي الحديـد نقلاً عن الأمـالي ج ٣ ص ٣١٠ وهنـاك تصحيفٌ في البيت الثـاني والثالث من أبيـات أبي طالب صحّحنـاه من طبقات السيِّـد علي خـان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط ، وذكر القصّة أبو علي الموضح العمري العلوي كما في كتابه (الحجّة) ص ٦٩ .

قال الأميني : إنَّ القرابة والرحم تبعثان على المحاماة إلى حدّ محـدود ، لكنّه إذا بلغت حدَّ التضحية بولد كأمير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والـده فهناك يقف التفاني على موقفه ، فلا يستسهـل الوالـد أن يعرض إبنـه على القتل كـلَّ ليلة فينيمه على فـراش المفـدّى ، ويستعـوض منه ابن أخيـه ، إلاَّ أن يكون منـدفعاً الى ذلـك بـدافع دينيٍّ وهـو معنى اعتنـاق أبي طـالب بـالـدين الحنيف ، وهـو الـذي تعـطيـه المحاورة الشعريَّة بين الوالد والولد فترى الولد يصارح بالنبـوّة فلا ينكـر عليه الـوالد بأنَّ هذا التهالك ليس إلاَّ بـدافعٍ قـوميٍّ غير فـاتر عن حضِّ إبنـه على ما يبتغيـه من النصرة ولا متثبِّط عن النهوض بها (فسلام الله على والد وما ولد) .

١٠ ـ أبو طالب وابن الزبعرى :

قال القرطبي في تفسيره ص ٤٠٦ : روى أهل السير قال : كـان النبيُّ ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلّي ، فلمّا دخل في الصّلاة قال أبـو جهل ـ لعنـه الله ـ : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبعـرى فأخـذ فرثـاً ودماً فلطخ به وجه النبيِّ ﷺ ، فانفتل النبيُّ ﷺ من صلاته ، ثمَّ أتى أبا طـالب عمَّه فقال : يا عمّ ! ألا ترى إلى ما فُعِـلَ بي ؟ فقال أبـو طالب : من فعـل هذا بـك ؟!

(١) في مصادر مخطوطة عتيقة : كل حيّ وإن تطاول عمراً .

فقال النبيُّ ﷺ عبد الله بن الزبعرى . فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معـه حتّى أتى القـوم فلمّا رأوا أبـا طـالب قـد أقبـل جعـل القـوم ينهضـون فقـال أبـو طـالب والله لئن قام رجلٌ لجللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بُنيَّ مَنِ الفاعل بك هـذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبعرى ؛ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجـوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم وقد لعبت به أيدي الهوى وسنوقفك إن شـاء الله على حقِّ القول فيـه تحت عنوان [أبـو طالب في الذكر الحكيم] .

١١ ـ سيِّدنا أبو طالب وقريش :

قال ابن إسحاق : لَمّا بادى رسـول الله ﷺ قومـه بالإسـلام ، وصدع بـه كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه فيما بلغني حتّى ذكر آلهتهم وعابهـا ، فلمّا فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلاّ من عصم الله تعالىٰ منهم بالإسلام وهم قليلٌ مستخفون ، وحَدب(١) على رسول الله ﷺ عمّه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره ، لا يردُّه عنه شيءٌ .

وقال : إنَّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هـذه المقالـة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا بن أخي ! إنَّ قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أُطيق ، قال : فـظنَّ رسول الله ﷺ أنَّـه قد بدا لعمِّه فيه بـداء ، وأنّه خـاذله ومسلمـه ، وأنّه قـد ضعف عن نصرتـه والقيام معـه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : يا عمِّ ! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يـظهره الله أو أهلك فيـه ما تـركته . قـال : ثمَّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثمَّ قـال : فلمّا ولّى نـاداه أبو طـالب فقال : أقبـل يابن أخي ! قـال : فأقبـل عليه رسـول الله ﷺ فقال : إذهب يـابن أخي فقـل مـا أحببت فوالله لا أُسلمك لشيء أبداً .

---

(١) حدب : عطف عليه ومنع له .

ثمَّ إنَّ قريشاً حين عرفوا أنَّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىً في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره.واتّخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك وفرَّق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنّما هو رجلٌ برجل ، قال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني إبنكم أغذوه لكم وأعطيكم إبني تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبداً . قال : فقال المطعم بن عديّ بن نوفل : والله يا أبا طالب ! لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلّص ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال .

قال : فحقب الأمر ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادى بعضهم بعضاً ، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عديّ ويعمُّ من خذله من عبد مُناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرو والوليد ومطعمٍ ... ألا ليت حظّي من حياطتكم بَكر(١)
من الخور حبحابٌ كثيرٌ رُغاؤه ... يُرشُّ على الساقين من بوله قطر(٢)
تخلّف خلف الورد ليس بلاحقٍ ... إذا ما علا الفيفاء قيل له : وَبر(٣)
أرى أخوينا من أبينا وأمِّنا ... إذا سُئلا قالا : إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمرٌ ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذي علقٍ صخر(٤)
أخصّ خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفّهما صفْر

---

(١) البكر : الفتى من الإبل .

(٢) الخور جمع أخور : الضعيف . حبحاب بالمهملتين : القصير . ويروى بالجيمين المعجمتين : الكثير الكلام . ويروى بالخاء المعجمة ومعناه : الضعيف .

(٣) الفيفاء : الأرض القفر . وبر : دويبة على قدر الهرّة .

(٤) تجرجما : سقطا وانحدرا ، يُقال : تجرجم الشيء إذا سقط . ذو علق : جبل في ديار بني أسد .

همـا أشركـا في المجد من لا أبـا لـه — مـن الـنـاس إلّا أن يُـرسَّ لـه ذكـر[١]
وتـيـمٌ ومـخـزومٌ وزهـرة مـنـهـمُ — وكـانـوا لـنـا مـولىً إذا بُـغي الـنصـر
فـوالـلّه لا تـنـفـكُّ مـنّـا عـداوةٌ — ولا منهمُ مـا كـان من نسلنا شـفـر[٢]
فقـد سفـهت أحـلامـهم وعـقـولهـم — وكـانـوا كجفـرٍ بئس مـا صنعت جفـر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما. قال الأميني: حذف ابن هشام منها ثلاث أبيات لا تخفى على أيِّ أحد غايته الوحيدة فيه، وإنَّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. ألا وهي:

ومـا ذاك إلّا سـؤدد خـصَّـنـا بـه — إلـه العبـاد واصـطفـانـا لـه الفخـر
رجـالٌ تمـالـوا حـاسـدين وبغضـة — لأهـل الـعـلى فـبـيـنـهـمُ أبـداً وتـر
ولـيـد أبـوه كـان عـبـداً لـجـدّنـا — إلى علجـة زرقـاء جـال بهـا السحـر

يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبيِّ الأعظم ومن الَّذين مشوا إلى أبي طالب عليه السلام في أمر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد نزل فيه قوله تعالىٰ: **﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾**[٣] وكان يسمّى: الوحيد. في قومه.

ثمَّ قام أبو طالب - حين رأى قريش يصنعون ما يصنعون - في بني هاشم وبني المطَّلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه ما دعاهم إليه إلّا ما كان من أبي لهب عدوِّ الله الملعون.

فلمّا رأى أبو طالب من قومه ما سرج في جهدهم معه وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم؛ ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشدّ لهم رأيهم، وليحدبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يـومـاً قـريشٌ لمفخـرٍ — فعبـد مُنـافٍ سـرّهـا وصميمهـا[٤]

---

(١) يرسّ له ذكر: يذكر ذكراً خفيفاً. رسّ الحديث: حدّث به في خفاء.
(٢) شفر: أحد. يُقال: ما بالدار شفر، أي ما بها أحد.
(٣) الروض الأنف ج ١ ص ١٧٣، تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٥٦٢، الكشاف ج ٣ ص ٢٣٠، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٣، تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٤٥.
(٤) سرّها وصميمها: خالصها وكريمها. يُقال: فلان من سرّ قومه. أيّ: من خيارهم ولبابهم وأشرافهم.

فإن حُصّلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإنّ محمّداً ... هو المصطفى من سرّها وكريمها
تدعّت قريشٌ غثّها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها[1]
وكنّا قديماً لا نُقرُّ ظُلامة ... إذا ما ثنوا صُعر الخدود نُقيمها[2]
ونحمي حماها كلّ يوم كريهةٍ ... ونضرب عن أحجارها مَن يرومها
بنا انتعش العود الذّواء وإنّما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها[3]

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥ ـ ٢٨٣ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٦ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٨ ـ ٢٢١ ، ديوان أبي طالب ص ٢٤ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن كثير ج٢ ص ١٢٦ ، ٢٥٨ ، وج ٣ ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، عيون الأثر ج ١ ص ٩٩ ، ١٠٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٧ ، السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٣٠٦ ، أسنى المطالب ص ١٥ فقال : هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبيِّ ﷺ الدالة على تصديقه إيّاه ، طلبة الطالب ص ٥ ـ ٩ .

١٢ ـ سيِّد الأباطح وصحيفة قريش :

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، ويخلوا بينهم وبينه ، وكتبوه في صحيفة بخطِّ منصور بن عكرمة ، أو بخطِّ بغيض بن عامر ، أو بخطِّ النضر بن الحرث ، أو بخطِّ هشام بن عمرو ، أو بخطِّ طلحة ابن أبي طلحة ، أو بخطِّ منصور بن عبد ، وعلّقوا منها صحيفةً في الكعبة في هلال المحرَّم سنة سبع من النبوَّة وكان اجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصَّب فانحاز بنو هاشم

---

(١) طاشت حلومها : ذهبت عقولها .
(٢) ثنوا : عطفوا . صعر جمع أصعر : المائل . يُقال : صعر خده . أي أماله إلى جهة كما يفعل المتكبر .
(٣) انتعش : ظهرت فيه الخضرة . الذواء : اليابس . الأكناف : النواحي . الأرومة : الأصل .

وبنـو المطلب إلى أبي طـالب ودخلوا معه في الشعب إلاّ أبـا لهب فكان مـع قريش فـأقامـوا على ذلك سنتين وقيـل ثلاث سنين وإنّهـم جهـدوا في الشعب حتّى كـانـوا يأكلون الخبط وورق الشجر .

قال ابن كثير : كان أبو طالب مدّة إقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشـه كلّ ليلة حتّى يراه من أراد به شرّاً وغائلة فـإذا نام النـاس أمر أحـد بنيه أو إخـوانه أو بني عمِّه أن يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ويأمـر هو أن يـأتي بعض فرشهم فيـرقد عليها .

ثمَّ إنَّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلى النبيِّ ﷺ أنَّ الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القـطيعة والـظلم فلم تدع سـوى اسم الله فقط فـأخبر النبيُّ ﷺ عمَّـه أبا طـالب بذلك فقال : يا بن أخي ! أربّـك أخبرك بهـذا ؟ قال : نعم . قـال : والثواقب مـا كذبتني قطُّ فانـطلق في عصابـة من بني هاشم والمـطلب حتى أتوا المسجـد فأنكـر قريش ذلك وظنُّوا أنَّهم خرجوا من شدَّة البلاء ليسلموا إليهم رسول الله ﷺ فقال أبـو طالب : يا معشـر قريش جـرت بيننا وبينكم أُمـور لم تذكـر في صحيفتكم فأتـوا بها لعلَّ أن يكون بيننا وبينكم صلحٌ ، وإنَّما ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتـوا بها فأتوا بها وهم لا يشكّون أنَّ أبا طالب يدفع إليهم النبيَّ ﷺ فوضعوهـا بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب : قد آن لكم أن ترجعـوا عمّا أحـدثتم علينا وعلى أنفسكم ؟ فقال : أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم إنَّ ابن أخي أخبـرني ولم يكذبني : إنَّ الله قـدبعـث علـى صحيفتكم دابَّة فلم تتـرك فيها إلاَّ اسم الله فقط ، فـإن كان كمـا يقول ؟ فأَفيقوا عمّا أنتم عليـه ، فوالله لا نسلمـه حتى نموت من عنـد آخرنـا . وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم ؟ فقـالوا : رضينـا . ففتحوهـا فوجـدوها كما قال ﷺ . فقالوا : هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً .

وإنَّ أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كمـا أخبر بـه ﷺ : علامَ نحصـر ونحبس وقد بان الأمر وتبيّن أنكّم أولى بالـظلم والقطيعـة ؟ ودخل هـو ومن معه بين أستار الكعبة وقـال : اللّٰهُمَّ انصرنـا على مَن ظلمنا ، وقـطع أرحامنـا ، واستحلَّ مـا يحرم عليه منّا .

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال أبو طالب :

ألا هل أتى بَحرِيّنا[١] صنع ربِّنا ... على نأيهم ؟ والله بالناس أرودُ[٢]
فيخبرهم : أنَّ الصحيفة مُزّقت ... وأن كلّ ما لم يرضه اللّه مفسد
تراوحها إفكٌ وسحرٌ مُجمَّع ... ولم يلف سحرٌ آخر الدهر يصعد
تداعى لها مَن ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردَّد[٣]
وكانت كفاءً وقعةٌ بأثيمةٍ ... ليقطع منها ساعدٌ ومقلّد
ويظن أهل المكّتين فيهربوا ... فرائصهم من خشية الشرِّ ترعد
ويُترك حرّاثٌ يقلّب أمره ... أيُتهم فيها عند ذاك ويُنجد[٤]
وتصعد بين الأخشبين كتيبةٌ ... لها حُدُجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهد[٥]
فَمَنْ ينشُ مِن حضّار مكّة عزُّه ... فعزَّتنا في بطن مكّة أتلد[٦]
نشأنا بها والناس فيها قلائلٌ ... فلن نَنفكِك نزداد خيراً ونحمد
ونُطعم حتّى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد[٧]
جزى اللّه رهطاً بالحجون تتابعوا ... على ملأ يهدي لحزم ويُرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنّهم ... مقاولةٌ[٨] بل هم أعزُّ وأمجد
أعان عليها كلُّ صقر كأنّه ... إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد[٩]
ألا إنَّ خير الناس نفساً ووالداً ... إذا عدَّ سادات البريَّة أحمد
نبيُّ الإله والكريم بأصله ... أخلاقه وهو الرشيد المؤيَّد
جريءٌ على جُلّى الخطوب كأنّه ... شهابٌ بكفّي قابس يتوقَّد[١٠]

---

(١) يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر .
(٢) أرود : أرفق .
(٣) القرقر : اللين السهل . وقال السهيلي : من ليس فيها بقرقر : أي ليس بذليل . وطائرها : أي حظها من الشؤم والشرّ ، وفي التنزيل : ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾ .
(٤) الحراث : المكتسب . يتهم : يأتي تهامة . ينجد : يأتي نجداً .
(٥) الأخشبان : جبلان بمكة . المرهد : الرمح اللين .
(٦) ينش : أي ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس . أتلد : أقدم .
(٧) المفيضين : الضاربون بقداح الميسر . يريد سلام الله عليه : إنّهم يطعمون إذا بخل الناس .
(٨) المقاولة : الملوك .
(٩) رفرف الدرع : ما فصل منها . أحرد : بطيء المشي لثقل الدرع .
(١٠) وفي رواية :

=

مـن الأكــرميـن من لـويٍّ بـن غــالـبٍ إذا سيم خـسفـاً وجـهــه يتــربَّــد[1]

طـويل النجـاد[2] خـارجٌ نصف سـاقـه على وجهــه يُسقى الغمــام ويسعــد

عــظيـم الــرمــاد سيِّــدٌ وابـن سيِّـد يحضُّ على مَقرى الضيـوف ويحشـد

ويـبنـي لأبنـاء الـعشيـرة صـالحـاً إذا نـحن طُـفنـا فـي الـبـلاد ويـمهـد

ألَظَّ[3] بــهــذا الـصـلح كــلَّ مبـرّأ عــظيـم الـلوا أمــره ثـم يـحـمـد

قضـوا مـا قضـوا في ليلهم ثمَّ أصبحـوا عـلى مَهَــلٍ وســائـر الـنــاس رُقَّــد

همُ رجَّعــوا سهـل بن بيضــاء راضيـاً وسُــرَّ أبــو بــكــر بـهــا ومــحــمَّــد

متى شــرك الأقـوام في جُــلِّ أمــرنــا وكــنّــا قــديـمــاً قــبـلهـا نــتــودَّد

وكـنّــا قــديـمــاً لا نُـقِـرُّ ظُـلامَـةً ونُــدرك مــا شئـنــا ولا نــتـشــدَّد

فـيــا لقَصُيٍّ هــل لكم في نفوسكم ؟ وهــل لكُم فـيمــا يـجيء بــه غــد ؟

فــإنّي وإيّــاكم كمــا قــال قـائــلٌ : لــديــك البيان لــو تكلّمت أســود[4]

طبقـات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ، سيرة ابن هشـام ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٤ ، عيـون الأخبار لابن قتيبـة ج ٢ ص ١٥١ ، تاريخ اليعقـوبي ج ٢ ص ٢٢ ، الإستيعـاب ترجمـة سهل بن بيضـاء ج ٢ ص ٥٧٠ ، صفة الصفـوة ج ١ ص ٣٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٣١ ، خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٥٢ ، تـاريخ ابن كثيـر ج ٣ ص ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، عيون الأثـر ج ١ ص ١٢٧ ، الخصائص الكبـرى ج ١ ص ١٥١ ، ديوان أبي طالب ص ١٣ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٧ ، سيـرة زيني دحلان هـامش الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٠ ، طلبـة الـطالب ص ٩ ، ١٥ ، ٤٤ ، أسنى المطالب ص ١١ - ١٣ .

= حــزيم على جـل الأمــور كــأنــه شهــاب بكـفي قــابس يـتــوقّــد

(١) سيم - بالبناء للمجهول - : كلف . الخسف : الذل . يتربّد : يتغير إلى السواد .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

(٣) ألظَّ : ألحّ ولزم .

(٤) أسود : جبل ، قتل فيه قتيل فلم يُعرف قـاتله فقال أوليـاء المقتول : لـديك البيـان لو تكلمت أسـود . فذهب مثـلاً . توجـد في ديوان أبي طـالب أبيات من هـذه القصيدة غيـر ما ذكـر لم نجدها في غيره .

وذكر ابن الأثير قصّة الصحيفة في الكامل ج ٢ ص ٣٦ فقال : قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم، أبياتاً منها :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرةٌ ... متى ما يُخبَّر غائب القوم يعجب
محا اللّه منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحقِّ مُعرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحقِّ يكذب

١٣ ـ وصيَّة أبي طالب عند موته :

عن الكلبي قال : لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيِّد المطاع ، وفيكم المِقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا انَّكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلَّا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلَّا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حربٌ وعلى حربكم إلب ، وإني اوصيكم بتعظيم هذه البنيَّة (يعني الكعبة) فإنَّ فيها مرضاةً للربّ ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، صِلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإنَّ صِلة الرحم منسأةٌ في الأجل ، وزيادةٌ في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم ، أجيبوا الداعي ، وأعطوا السائل فإنَّ فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإنَّ فيهما محبَّة في الخاصّ ، ومكرمة في العام .

وإنِّي اوصيكم بمحمَّد خيراً فإنَّه الأمين في قريش ، والصدِّيق في العرب ، وهو الجامع لكلِّ ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قَبِله الجنان ، وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأنِّي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدَّقوا كلمته ، وعظَّموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ،وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ! ابن أبيكم ، كونوا له ولاةً ولحزبه حماةً ، والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلَّا رَشَد ، ولا يؤخذ أحدٌ بهديه إلَّا سَعَد ، ولو كان لنفسي مدَّة ، وفي أَجلي تأخير ،

لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي.

الروض الأنف: ج ١ ص ٢٥٩، المواهب ج ١ ص ٧٢، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٩، ثمرات الأوراق هامش المستطرف ج ٢ ص ٩، بلوغ الأرب: ج ١ ص ٣٢٧، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٥، السيرة لزيني دحلان على هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩٣، أسنى المطالب ص ٥.

قال الأميني: في هذه الوصيَّة الطافحة بالإيمان والرشاد دلالةٌ واضحةٌ على أنَّه عليه‌السلام إنَّما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يئس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه، المؤدِّي إلى ضعف المُنّة وتفكّك القوى، فلا يتسنّى له حينئذ الذبُّ عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وإن كان الإيمان به مستقرّاً في الجنان من أوّل يومه، لكنه لمّا شعر بأُزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنته أضالعه فأوصى بالنبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بوصيّته الخالدة.

١٤ - وصيَّة أبي طالب لبني أبيه:

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى: إنَّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمَّد، وما اتَّبعتم أمره فاتَّبعوه وأعينوه ترشدوا.

وفي لفظ: يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمَّداً وصدِّقوه تفلحوا وترشدوا.

وتوجد هذه الوصيَّة في تذكرة السبط ص ٥، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٧، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٢، ٣٧٥، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩٢، ٢٩٣، أسنى المطالب ص ١٠. ورأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان أبي طالب ونعمّا هو، قال: قلت: بعيدٌ جِدّاً أن يَعرف أنَّ الرشاد في اتّباعه ويأمر غيره بذلك ثمَّ يتركه هو.

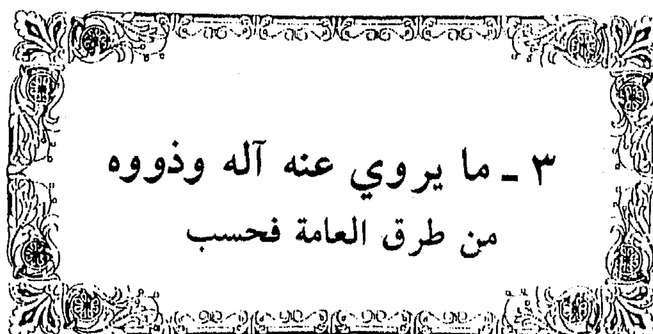
قال الأميني: ليس في العقل السليم مساغٌ للقول بأنَّ هذه المواقف كلّها لم تنبعث عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف وتصديقه للصادع به صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وإلاَّ فماذا الذي كان يحدوه إلى مخاشنة قريش ومقاساة الأذى منهم وتعكير الصفوِّ من

حياته لا سيَّما أيّام كان هو والصفوة من فئته في الشعب ، فلا حياة هنيئة ، ولا عيش رغد ، ولا أمن يطمأنُّ به ، ولا خطرٌ مدروء ؛ يتحمّل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه ؟ فماذا الذي أقدمه على هذه كلِّها ؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدَّة سنين تِجاه أمر لا يقول بصدقه ولا يخبت إلى حقيقته ؟ لاها الله لم يكن كلُّ ذلك إلاَّ عن إيمانٍ ثابت ، وتصديقٍ وتسليم وإذعان بما جاء به نبي الإسلام ، يظهر ذلك للقارىء المستشفِّ لجزئيّات كلٍّ من هذه القصص ، ولم تكن القرابة والقوميَّة بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلكم المشاقّ كما لم تدع أبا لهب أخاه ، وهب أنَّ القرابة تدعوه إلى الذبّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم لكنَّها لا تدعو إلى المصارحة بتصديقه وأنَّ ما جاء به حقٌّ ، وأنَّه نبيٌّ كموسى خطَّ في أوَّل الكتب ، وأنَّ من اقتصَّ أثره فهو المهتدي ، وأنَّ الضالَّ من إزورَّ عنه وتخلّف ، إلى أمثال ذلك من مصارحات قالها بملءفمه ، ودعا إليه صلى الله عليه وآله وسلم فيها بأعلى هتافه .

١٥ ـ حديثٌ عن أبي طالب :

ذكر ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٦ من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال : سمعت أبا طالب يقول : سمعت ابن أخي محمَّد بن عبد الله يقول : إنَّ ربَّه بعثه بصلة الأرحام ، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره ، ومحمَّد الصدوق الأمين .

وذكره السيِّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٦ وقال : أخرجه الخطيب . وأخرجه السيِّد فخار بن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٦ من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني ، وبإسناد آخر من طريق أبي الفرج الإصبهاني . وروى الشيخ إبراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال : سمعت أبا طالب رضي الله عنه يقول : حدَّثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً : إنَّ ربَّه أرسله بصلة الأرحام ، وإقام الصّلاة ، وإيتاء الزكاة . وكان يقول : أُشكر ترزق ، ولا تكفر تُعذَّب .



٣ ـ ما يروي عنه آله وذووه
من طرق العامة فحسب

أمّا رجال آل هاشم ، وأبناء عبد المطلب ، وولد أبي طالب ، فلم يؤثر عنهم إلاّ الهتاف بإيمانه الثابت ؛ وإنَّ ما كان يؤثره في نصرة النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم كان منبعثاً عن تديّن بما صدع به صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت أدرى بما فيه ، قال ابن الأثير في جامع الأُصول وما أسلم من أعمام النبيِّ ﷺ غير حمزة والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام . اهـ .

نعم : هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملء الأفواه وبكلِّ صراحة وجبهوا من خالفهم في ذلك .

إذا قالت حذام فصدِّقوها فإنَّ القول ما قالت حذام

١ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ : روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العبّاس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة : إنَّ أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلاّ الله ، محمَّدٌ رسول الله . والخبر مشهورٌ أنَّ أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفيّاً أُصغى إليه أخوه العبّاس[1] وروي عن عليّ عليه السلام أنّهُ قال :ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا .

وذكر أبو الفدا والشعراني عن ابن عبّاس : إنَّ أبا طالب لمّا اشتدّ مرضه قال

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٢٣ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ١٣١ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، المواهب اللدنية ج ١

له رسول الله ﷺ : يا عمّ ! قلها أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشَّهادة فقال له أبو طالب : يا بن أخي ! لولا مخافة السبَّة وأن تظنَّ قريش إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها فلمّا تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرِّك شفتيه فأصغى إليه العبّاس باذنه وقال : والله يابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك يا عمّ(١) !

وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية ج ١ ص ٩٤ : نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أنّ ذلك الحديث أعني حديث العبّاس ثبت عند بعض أهل الكشف وصحَّ عندهم إسلامه .

قال الأميني : ذكرنا هذا الحديث مجاراةً للقوم وإلاَّ فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلفُّظ بتينك الكلمتين اللّتين كرَّس حياته الثمينة بالهتاف بمفادهما في شعره ونثره ، والدعوة إليهما ، والذبِّ عمّن صدع بهما ، ومعاناة الأهوال دونهما حتى يومه الأخير ؟ ما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذ إلى التفوُّه بهما كأمر مستجدّ ؟ فمتى كفر هو ؟ ومتى ضلَّ ؟ حتّى يؤمن ويهتدي بهما ، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه ص ٣٧١ :

ليعلم خيار الناس أنَّ محمَّداً ... وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصم
وإنَّكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث مبرجم

وقوله في ص ٣٧١ :

أمينٌ حبيب في العباد مسوَّمٌ ... بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
نبيٌّ أتاه الوحي من عند ربِّه ... ومن قال : لا . يقرع بها سنَّ نادم

وقوله في ص ٣٧٢ :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمَّداً ... رسولاً كموسى خُطَّ في أوّل الكتب

= ص ٧١ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٢ ، السيرة الدحلانية هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٨٩ ، أسنى المطالب ص ٢٠ .

(١) تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢٠ ، كشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٤٤ .

وقوله في ص ٣٧٣ :

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى   وأمرٌ أتى من عند ذي العرش قيِّم

وقوله في ص ٣٧٤ :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة   وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنَّك ناصحي   ولقد دعوت وكنتَ ثَمَّ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمَّد   من خير أديان البريَّة دينا

وقوله في ص ٣٧٥ :

أو تؤمنوا بكتابٍ مُنزلٍ عجبٍ   على نبيٍّ كموسى أو كذي النون

وقول في ص ٣٧٧ :

نصرت الرَّسول رسول المليك   ببيض تلألا كلمع البروق
أذبُّ وأحمي رسول الإله   حماية حامٍ عليه شفيق

وقوله في ص ٣٨٠ :

فأيَّده ربُّ العباد بنصره   وأظهر ديناً حقُّه غير باطل

وقوله في ص ٣٩٧ :

والله لا أخذل النبيَّ ولا   يخذله من بنيَّ ذو حسب
نحن وهذا النبيُّ ننصره   نضرب عنه الأعداء بالشهب

وقوله في ص ٣٨٥ :

أتبغون قتلاً للنبيِّ محمَّدٍ   خصصتم على شؤم بطول أثام

وقوله في ص ٣٩٨ :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد   وكن مظهراً للدين وفِّقت صابرا
وحط مَن أتى بالحقِّ من عند ربِّه   بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمز كافرا
فقد سرَّني إذ قلت : إنَّك مؤمنٌ   فكن لرسول الله في الله ناصرا

وقوله وقد رواه أبو الفرج الأصبهاني :

زعمت قريش انَّ أحمد ساحرٌ كذبوا وربِّ الراقصات إلى الحرم[١]
ما زلت أعرفه بصدق حديثه وهو الأمين على الحرائب والحرم

وقوله المرويُّ من طريق أبي الفرج الإصبهاني كما في كتاب (الحجَّة) ص ٧٢ ومن طريق الحسن بن محمَّد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٢ .

قل لمن كان من كنانة في العزِّ وأهل الندى وأهل المعالي
: قد أتاكم من المليك رسولٌ فاقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحمداً فإنَّ من اللّه رداءً عليه غير مدال

وقوله : من أبيات في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٥ :

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترةٍ[٢]

ولو كان يؤثر أقلّ من هذا عن أحد من الصحابة لطبَّل له ، وزمَّر من يتشبَّث بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم مغالاةً فيهم ، لكنّي أجد إسلام أبي طالب مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه . لماذا ؟ أنا لا أدري .

٢ ـ أخرج ابن سعد في طبقاته : ج ١ ص ١٠٥ عن عبيد الله بن أبي رافع عن عليّ قال : أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ثمَّ قال : إذهب فاغسله وكفِّنه وواره غفر الله له ورحمه .

وفي لفظ الواقدي : فبكى بكاء شديداً ثمَّ قال : إذهب فاغسله . الخ .

وأخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب ص ٢١ ، والبيهقي في دلائل النبوَّة ، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٦ ، وابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٤ ، والحلبي في السيرة ج ١ ص ٣٧٣ ، والسيد زيني دحلان في السيرة هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩٠ ، والبرزنجي في نجاة أبي طالب وصحَّحه كما في أسنى المطالب ص ٣٥ وقال : أخرجه أيضاً أبو داود وابن الجارود وابن خزيمة .

(١) أراد بالراقصات إلى الحرم : الإبل الراكضات . رقص الجمل إذا ركض .

(٢) أشار إلى قوله تعالى :﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ . وتوجد الأبيات في كتاب الحجة للسيد فخار سلام الله عليه ص ٧٤ .

وقال : إنَّما تـرك النبيُّ ﷺ المشي في جنازتـه إتّقاءً من شـرٍّ سفهاء قـريش ، وعدم صلاته لعدم مشروعيَّة صلاة الجنازة يومئذ .

عن الأسلمي وغيره : توفّي أبو طالب للنصف من شوّال في السنة العاشرة من حين نُبِّىء رسول الله ﷺ ، وتوفّيت خديجة بعده بشهر وخمسـة أيّام فـاجتمـع على رسول الله ﷺ عليها وعلى عمِّه حزناً شديداً حتّى سمّي ذلك العام عام الحزن .

طبقـات ابن سعد ج ١ ص ١٠٦ ، الإمتـاع للمقريـزي ص ٢٧ ، تاريـخ ابن كثير ج ٣ ص ١٣٤ ، السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٣٧٣ ، السيرة لـزيني دحلان هـامش الحلبيَّة ج ١ ص ٢٩١ ، أسنى المطالب ص ١١ .

لـفت نظـر :

عيَّن ابن سعد لوفـاة أبي طالب يـوم النصف من شوّال كمـا سمعت وقال أبـو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٢٠ تـوفّي في شـوّال ، وأوعز القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٧١ موته في شوّال إلى القيل ، وقال المقريزي في الإمتاع ص٢٧ : تـوفّي أوّل ذي القعدة وقيل : النصف من شوّال ؛ وقال الـزرقاني في شـرح المواهب ج ١ ص ٢٩١ : مات بعد خـروجهم من شعب في ثامن عشـر رمضان سنـة عشر ؛ وفي الإستيعاب : خرجوا من الشعب في أوّل سنة خمسين وتـوفّي أبو طـالب بعده بستـة أشهر فتكون وفاته في رجب (ا هـ). وهذا الإختلاف موجودٌ في تآليف الشيعة أيضاً .

٣ - أخـرج البيهقي عن ابن عبّاس : إن النبيَّ ﷺ عـاد من جنـازة أبي طـالب فقـال : وصلتك رحم ، وجـزيت خيراً يـا عمّ ! وفي لفظ الخطيب : عـارض النبيُّ جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم جزاك الله خيراً يا عمّ ! .

دلائل النبوة للبيهقي ، تاريخ الخطيب البغدادي ج١٣ ص ١٩٦ ، تـاريخ ابن كثيـر ج ٣ ص ١٢٥ ؛ تذكـرة السبط ص ٦ ، نهايـة الطلب للشيـخ إبراهيم الحنفي كمـا في الـطرائف ص ٨٦ ، الإصـابـة ج ٤ ص١١٦ ، شـرح شـواهـد المغني ص ١٣٦ .

وقال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٢٦ : لمّا قيل لرسول الله : إنَّ أبـا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتدَّ له جزعه ثمَّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات

وجبينه الأيسر ثلاث مرّات ، ثمَّ قال : يا عمّ ! ربّيت صغيراً ، وكفلت يتيماً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً ، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول : وصلتك رحم ، وجُزيت خيراً .

٤ ـ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العبّاس : يا رسول الله ! أترجو لأبي طالب ؟ قال : كلَّ الخير أرجو من ربِّي .

أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ١٠٦ بسند صحيح رجالهم كلّهم ثقاتٌ رجال الصِّحاح وهم : عفّان بن مسلّم . وحمّاد بن سلمة . وثابت البناني . وإسحاق بن عبد الله .

وأخرجه ابن عساكر كما في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٧. والفقيه الحنفي الشيخ إبراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرئف ص ٦٨ . وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١١ ، والسيوطي في التعظيم والمنّة ص ٧ نقلاً عن ابن سعد .

٥ ـ وعن أنس بن مالك قال : أتى أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا صبيٌّ يصطبح ، ثمَّ أنشد :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت أمُّ الصبيِّ عن الطفل
وألقى بكفَّيه الصبيُّ استكانة ... من الجوع ضعفاً ما يمرُّ ولا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلّا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلّا إلى الرُّسل

فقام رسول الله ﷺ يجرُّ رداءه حتّى صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثمَّ قال : اللَّهُمَّ اسقنا غيثاً مغيثاً سحّاً طبقاً غير رايث ، تنبت به الزرع ، وتملأ به الضرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون .

فما استتمَّ الدعاء حتّى التقت السّماء بروقها ، فجاء أهل البطالة يضجّون : يا رسول الله ! الغرق فقال : حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه وقال : لِلّه درُّ أبي طالب لو

كان حيّاً لقرَّت عيناه ، مَن الذي ينشدنا شعره ؟ فقال عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه يا رسول الله ! كأنَّك أردت قوله :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل فأنشده أبياتاً من القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ثمَّ قام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممَّن شكرْ سقينا بوجه النبيِّ المطر
دعا اللّه خالقه دعوةً وأشخص معها إليه البصر
فلم يك إلَّا كإلقا الردى وأسرع حتّى رأينا الدرر
دفاق العزاليّ جمّ البعاق[1] أغاث به اللّه عليا مضر
فكان كما قاله عمُّه أبو طالب أبيضٌ ذو غرر
به اللّه يسقي صيوب الغمام وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ : إن يك شاعراً يحسن فقد أحسنت .

أعلام النبوَّة للماوردي ص ٧٧ ؛ بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٦ ، السيرة الحلبيَّة ، عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥ ، شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦ ، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ٨٧ ، أسنى المطالب ص ١٥ ، طلبة الطالب ص ٤٣ .

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب : فقول النبيِّ ﷺ : لله درُّ أبي طالب يشهد له بأنَّه لو رأى النبيَّ وهو يستسقي على المنبر لسرَّه ذلك ، ولقرَّت عيناه فهذا من النبيِّ ﷺ شهادةٌ لأبي طالب بعد موته أنَّه كان يفرح بكلمات النبيِّ ﷺ وتقرُّ عينه بها ، وما ذلك إلَّا لسرٍّ وقر في قلبه من تصديقه بنبوَّته وعلمه بكمالاته . اهـ .

قال الأميني : وذكر جمعٌ هذا الحديث في استسقاء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وحذف منه كلمة [لِلّه درُّ أبي طالب] وأنت أعرف منِّي بالغاية المتوخّاة في هذا التحريف ، ولا يفوتنا عرفانها .

---

(١) راجع ص١٤ من الجزء الثاني من هذا الكتاب .

٦ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٦ : ورد في السير والمغازي أنَّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لمّا قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه عليٌّ وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفهما حتّى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنَّ مخَّ ساقه ليسيل فقال : يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّه قد صدق في قوله :

كذبتم وبيت اللّه نُخلي محمَّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناضل
ونَنصره حتّى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إستغفر له ولأبي طالب يومئذ .

٧ ـ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لعقيل بن أبي طالب : يا أبا يزيد ! انِّي أُحبُّك حبّين حبّاً لقرابتك منِّي ، وحبّاً لما كنت أعلم من حبِّ عمِّي أبي طالب إيَّاك .

أخرجه أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٥٠٩ ، والبغوي ، والطبراني كما في ذخائر العقبى ص ٢٢٢ ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٦٣ ؛ وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل ج ١ ص ٣٢٧ ، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ وقال : قالوا : إشتهر واستفاض هذا الحديث ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٣ وقال : رجاله ثقات .

هذا شاهد صدق على أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتقد إيمان عمِّه وإلاّ فما قيمة حبِّ كافر لأيِّ أحد حتّى يكون سبباً لحبّه صلى الله عليه وآله وسلم أولاده . وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نصَّ عليه الإمام العامري في بهجة المحافل وقال : وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، ولمّا أسلم قال له النبيّ ﷺ : يا أبا يزيد . الخ . وقال جمال الدين الأشخر اليمني في شرح البهجة عند شرح الحديث : ومن شأن المحبِّ محبّة حبيب الحبيب .

ألا تعجب من حبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب إن لم يك معتنقاً بدينه ـ العياذ بالله ـ ومن إعرابه عنه بعد وفاته . ومن حبّه عقيلاً لحبِّ أبيه إيّاه ؟ !! .

٨ ـ أخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عبّاس وغيره قالوا : كان أبو طالب يحبُّ

النبيَّ ﷺ حبّاً شديداً لا يحبُّ أولاده مثله ، ويقدمه على أولاده ، ولذا كان لا ينام إلّا إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج .

ولمّا مات أبو طالب نالت قريشٌ منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتّى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ؛ فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : يا بنيَّة لا تبكي فإنَّ الله مانع أباك ، ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعين (أي جبانين) حتّى مات أبو طالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعة حتّى مات أبو طالب .

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٣٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢١ ، الفائق للزمخشري ج٢ ص ٢١٣ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٣ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٥ ، فتح الباري ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ نقلاً عن البيهقي ، أسنى المطالب ص ١١ ؛ ٢١ ؛ طلبة الطالب ج ٤ ص ٥٤ .

٩ ـ عن عبد الله قال : لمّا نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر : لو أنَّ أبا طالب حيّ لعلم أنَّ أسيافنا قد أخذت بالأماثل يعني قول أبي طالب :

كذبتم وبيت الله إن جدَّ ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

الأغاني ج ١٧ ص ٢٨ ، طلبة الطالب ص ٣٨ نقلاً عن دلائل الإعجاز .

١٠ ـ أخرج الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٦٨ : من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عبّاس في حديث مرفوعاً قال لعليّ : لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحقّ منك لقدمتك في الإسلام ، وقرابتك من رسول الله ، وصهرك عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب ، أتاني حين نزل القرآن وأنا حريصٌ أن أرعى ذلك في ولده بعده .

قال الأميني : إنَّ شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لا يتَّفق مع كفر أبي طالب فهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يأمر خليفته الإمام عليه السلام بتكفين كافر ولا تغسيله ، ولا يستغفر له ولا يترحَّم عليه ، كما في الحديث الثالث ، ولا يرجو له بعض الخير فضلاً عن كلِّه كما في الحديث الرابع ، ولا يستدرُّ له الخير كما في حديث الإستسقاء ؛ ولا يستغفر له كما في الحديث السادس ؛ ولا يحبُّ عقيلاً لحبِّه إياه ، فإنَّ الكفر يزع المسلم عن بغض هذه فكيف بكلِّها فضلاً عن نبيِّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادع بقول الله العزيز : **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**[1] .

وقوله تعالىٰ : **﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء تلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾**[2] .

وقوله تعالىٰ : **﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا آبائكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولَّهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾**[3] .

وقوله تعالىٰ : **﴿ولو كانوا يُؤمنون بالله والنبيِّ وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾**[4] . إلى آيات أُخرىٰ .

الكلم الطيِّب :

أخرج تمام الرّازي في فوائده بإسناده عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأُمّي وعمّي أبي طالب وأخٍ لي كان في الجاهليَّة .

ذخائر العقبى ص ٧ ، الدرج المنيفة للسيوطي ص ٧ ، مسالك الحنفا ص ١٤ ، وقال فيه : أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأنَّ الأخ من الرضاعة ،

---

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .
(٢) سورة الممتحنة ؛ الآية : ١ .
(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٢٣ .
(٤) سورة المائدة : الآية : ٨١ .

فالطرق عدَّة يشدُّ بعضها بعضاً فإنَّ الحديث الضعيف يتقوّى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإنَّ الحاكم صحَّحه .

وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦ روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّهُ قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ وعدني في أربعة في أبي وأمِّي وعمِّي وأخ كان لي في الجاهليَّة .

أخرج ابن الجوزي بإسناده عن عليٍّ عليه السلام مرفوعاً : هبط جبرائيل عليه السلام عليَّ فقال : إنَّ الله يقرئك السَّلام ويقول : حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، أمَّا الصلب فعبد الله ، وأمَّا البطن فآمنة ، وأمّا الحجر فعمّه يعني أبا طالب وفاطمة بنت أسد . التعظيم والمنَّة للحافظ السيوطي ص ٢٥ .

وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال لي جبرائيل : إنَّ الله مشفّعك في ستَّة : بطن حملتك آمنة بنت وهب . وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك أبو طالب . وبيت آواك عبد المطلب . وأخ كان لك في الجاهليَّة . الخ .

رثاء أمير المؤمنين والده العظيم :

ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٦ أنَّ عليّاً عليه السلام قال في رثاء أبي طالب :

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظُّلَم
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك وليُّ النّعم
ولقّاك ربُّك رضوانه ... فقد كنت للطهر من خير عم

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب أيضاً ص ٣٦ ، وذكرها أبو علي الموضح كما في كتاب الحجَّة ص ٢٤ للسيِّد فخار بن معد المتوفّى سنة ٦٣٠ ، وقال ابن أبي الحديد : قال أيضاً :

أرقت لطير آخر الليل غرّدا ... يذكّرني شجواً عظيماً مجدَّدا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى ... جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردا
فأمست قريش يفرحون بموته ... ولست أرى حيّاً يكون مخلّدا

أرادوا أُمـوراً زيَّنتـهـا حُلومـهـم ... ستـوردهم يـومـاً مـن الغيِّ مـوردا
يُـرجُّـون تـكـذيـب النـبيِّ وقتله ... وأن يفتـرى قِـدمـا عليـه ويجحـدا
كـذبتم وبيت اللّه حتّى نـذيقكم ... صـدور العوالي والحسـام المهنَّـدا
فـإمّـا تـبيـدونـا وإمّـا نـبيـدكـم ... وإمّـا تـروا سـلم العشيـرة أرشـدا
وإلاَّ فـإنَّ الـحـيَّ دون مـحـمَّـد ... بني هـاشم خيـر البـريَّـة محتـدا

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانـا أمير المؤمنين عليه السلام مع تغيير يسير وزيادة وإليك نصّها :

أرقـت لـنـوح آخـر الـليـل غـرَّدا ... يُـذكّـرني شجـواً عـظيمـاً مجـدَّدا
أبـا طالب مـأوى الصعـاليك ذا الندى ... وذا الحلم لا خُلفـاً ولم يـك قُـعـددا
أخـا الملك خلّى ثلمـة سيسـدّهـا ... بنـو هـاشم أو يستبـاح فيُـهـمـدا
فـأمست قـريشٌ يفـرحـون بفقـده ... ولـسـت أرى حيّـاً لـشـيء مخلَّـدا
أرادت أُمـوراً زيَّـنـتـهـا حـلومـهـم ... ستـوردهم يـومـاً مـن الغيِّ مـوردا
يُـرجُّـون تـكـذيـب النـبيِّ وقـتـله ... وأن يفتـروا بـهتـاً عـليـه ويُجـحـدا
كـذبتم وبيت اللّه حتّى نـذيقكم ... صـدور العـوالي والصفيـح المهنَّـدا
ويـبـدو مـنّـا مـنـظرٌ ذو كـريـهـة ... إذا مـا تسـربلنـا الحـديـد المسـرَّدا
فـإمّـا تـبيـدونـا وإمّـا نـبيـدكـم ... وإمّـا تـروا سـلم العشيـرة أرشـدا
وإلاَّ فـإنَّ الـحـيَّ دون مـحـمَّـد ... بنـو هـاشم خيـر البـريَّـة محتـدا
وإنَّ لـه فـيـكـم مـن اللّه نـاصـراً ... ولـست بـلاقٍ صـاحـب اللّه أوحـدا
نـبـيٌّ أتـى مـن كـلِّ وحـي بـحـظه ... فسمّـاه ربِّـي في الكتـاب محـمَّـدا
أغـرّ كـضـوء البـدر صـورة وجـهـه ... جـلا الغيم عنـه ضـوءه فتـوقّـدا
أمـينٌ عـلى مـا استـودع اللّه قـلبـه ... وإن كـان قـولاً كـان فيـه مسـدَّدا

كلمة الإمام السجّـاد :

قـال ابـن أبي الـحـديـد في شـرحـه ج ٣ ص ٣١٢ : روي أنَّ علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا ـ يعني عن إيمان أبي طالب ـ فقال : واعجبا إنَّ الله تعالىٰ نهى رسوله أن يقرَّ مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من

السّابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتّى مات .

كلمة الإمام البـــاقر :

سُئل عليه السلام عمّا يقـوله النـاس إنّ أبا طـالب في ضحضاح من نـار فقال : لـو وضع إيمان أبي طالب في كفّة ميزان وإيمان هـذا الخلق في الكفّة الأُخـرى لرجـح إيمـانه ثمّ قـال : ألم تعلموا أنّ أميـر المؤمنين عليّـاً عليه السلام كـان يؤمـر أن يحـجّ عن عبد الله وابنه وأبي طالب في حياته ثمّ أوصى في وصيّته بالحجّ عنهم ؟ .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١١]

كلمة الإمام الصّادق :

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرّتين وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرّتين .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٢]

قال الأميني : هذا الحـديث أخرجـه ثقة الإسـلام الكليني في أُصول الكـافي ص ٢٤٤ عن الإمام الصّادق غير مرفـوع ولفظه : إنّ مثـل أبي طالب مثـل أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين .

وبلفظ ابن أبي الحديد ذكـره السيّد ابن معـد في كتابـه (الحجّة) ص ١٧ من طريق الحسين بن أحمد المالكي وزاد فيه : ومـا خرج من الـدنيا حتّى أتتـه البشارة من الله تعالىٰ بالجنّة .

كلمة الإمام الرِّضـــا :

كتب أبان بن محمود إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك إنّي قـد شككت في إسلام أبي طالب . فكتب إليه : ﴿**ومن يشاقق الرّسول من بعـدما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين**﴾ . الآية . وبعـدهاإنـك إن لم تقرّ بـإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار .

قصــارى القــول
في سيد الأبطح عند القوم

إنَّ كـلًّا من هـذه العقـود الـذهبيَّـة بمفـرده كـافٍ في إثبـات الغـرض فكيف بمجموعها ومن المقطوع به أنَّ الأئمَّـة من ولد أبي طـالب ﷺ أبصر النـاس بحال أبيهم ، وأنَّهم لم ينـوِّهوا إلَّا بمحض الحقيقـة ، فإنَّ العصمـة فيهم رادعـةٌ عن غيـر ذلك ، ولقد أجـاد مفتي الشافعيَّـة بمكّة المكرَّمة في (أسنى المطالب) حيث قـال في ص ٣٣ :

هذا المسلك الذي سلكه العلاّمة السيِّد محمَّـد بن رسول البـرزنجي في نجاة أبي طالب لم يسبقه إليه أحدٌ فجـزاه الله أفضل الجـزاء ، وسلكه هـذا الذي سلكـه يرتضيه كلُّ من كان متَّصفاً بالإنصـاف من أهل الإيمـان ، لأنَّه ليس فيـه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيفٌ لها ، وغاية ما فيه أنَّه حملها على معـان مستحسنة يـزول بها الإشكال ويرتفع الجدال ، ويحصـل بـذلك قـرَّة عين النبيِّ ﷺ ، والسَّلامـة من الـوقوع في تنقيص أبي طـالب أو بغضه ، فـإنَّ ذلـك يؤذي النبيَّ ﷺ وقـد قـال الله تعالىٰ : ﴿**إنَّ الَّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً**﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿**والَّذين يؤذون رسول الله لهم عـذابٌ أليم**﴾ .

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شـرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبـار للعلاّمـة محمَّد بن سـلامة القضـاعي المتـوفّى سنة ٤٥٤ : إنَّ بغض أبي طـالب كفـرٌ . ونصَّ على ذلـك أيضـاً من أئمَّـة المالكيَّة العلاّمة عليّ الأجهوري في فتاويه ، والتلمساني في حاشيتـه على الشفـاء فقال عند ذكر أبي طالب : لا ينبغي أن يذكر إلَّا بحماية النبيِّ ﷺ لأنَّه حماه ونصـره بقـوله وفعله ، وفي ذكـره بمكروه أذيَّـةٌ للنبيِّ ﷺ ومؤذي النبيِّ ﷺ كافـر ، والكافـر يقتل ، وقال أبو طاهر : من أبغض أبا طالب فهو كافرٌ .

وممّا يؤيِّد هذا التحقيق الذي حقَّقه العلاّمة البرزنجي في نجـاة أبي طالب انَّ كثيراً من العلماء المحقِّقين وكثيـراً من الأولياء العـارفين أرباب الكشف قـالوا بنجـاة أبي طالب منهم : القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون وقالوا : هذا الـذي

نعتقده وندين الله به ، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي ، فقد اتَّفق معهم على القول بنجاته ، فقول هؤلاء الأئمَّة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالىٰ لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتها العلاَّمة البرزنجي . اهـ .

وذكر السيِّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٤٣ قال : ولِلَّهِ درّ القائل :

قفا بمطلع سعد عزّ ناديه — وأمليا شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الأنوار في أُفق الـ — حجون واحترسا أن تبهرا فيه
مغنى به وابل الرضوان منهمرٌ — ونائرات الهدى دلَّت مناديه
قفا فذا بلبل الأفراح من طربٍ — يروي بديع المعاني في أماليه
واستمليا لأحاديث العجائب عن — بحرٍ هناك بديع في معانيه
حامي الذمار مجير الجار من كرمت — منه السجايا فلم يفخر مباريه
عمّ النبيِّ الذي لم يثنه حسد — عن نصره فتغالى في مراضيه
هو الذي لم يزل حصناً لحضرته — موفَّقاً لرسول اللّه يحميه
وكلُّ خير ترجَّاه النبيُّ له — وهو الذي قطُّ ما خابت أمانيه
فيا مَن أمَّ العلى في الخالدات غدا — أغث لِلَهفانه واسعف مناديه
قد خصَّك اللّه بالمختار تكلؤه — وتستعزُّ به فخراً وتطريه
عنيت بالحبِّ في طه ففزت به — ومن ينل حبّ طه فهو يكفيه
كم شمت آيات صدق يستضاء بها — وتملأ القلب إيماناً وترويه ؟
مَن الذي فاز في الماضين أجمعهم — بمثل ما فزت من طه وباريه ؟
كفلت خير الورى في يتمه شغفاً — وبتَّ بالروح والأبناء تفديه
عضدته حين عادته عشيرته — وكنت حائطه من بغي شانيه
نصرت مَن لم يشمّ الكون رائحة الـ — وجود لو لم يقدَّر كونه فيه
إنَّ الذي قمت في تأييد شوكته — هو الذي لم يكن شيءٌ يساويه
إنَّ الذي أنت قد أحببت طلعته — حبيب مَن كلُّ شيء في أياديه
لِلَّه درُّك من قنّاص فرصته — مذ شمت برق الأماني من نواحيه
يهنيك فوزك أن قدَّمت منك يداً — إلى مليٍّ وفيٍّ في جوازيه

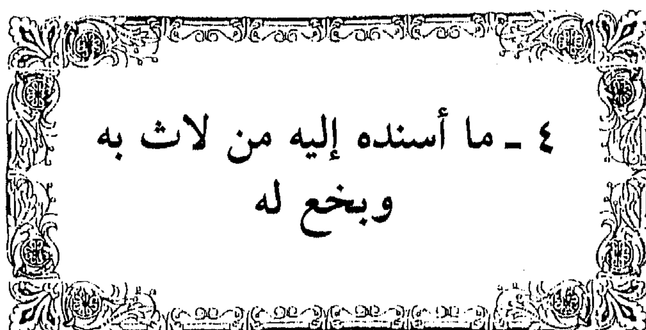
من يسد أحسن معروف لأحسن مَن ... جازى ينل فوق ما نالت أمانيه
ومَن سعى لسعيد في مطالبه ... فهو الحريُّ بأن تحظى أماليه
فيا سعيد المساعي في متاجره ... قد جئت ربعك أستهمي غواديه
مستمطراً منك مزن الخير معترفاً ... بأنَّ غرس المنى يعنى بصافيه الخ

ثمَّ قال : في ص ٤٤ وقيل أيضاً :

إنَّ القلوب لتبكي حين تسمع ما ... أبدى أبو طالب في حقٍّ من عظما
فإن يكن أجمع الأعلام أنَّ له ... ناراً فللّه كلّ الكون يفعل ما[1]
أمَّا إذا اختلفوا فالرأي أن تردا ... موارداً يرتضيها عقل من سلما
تتابع المثبتي الإيمان مِن زمر ... في معظم الدين تابعناهمُ فكما[2]
وهم عدولٌ خيارٌ في مقاصدهم ... فلا نقل : إنَّهم لن يبلغوا عظما
لا تزدريهم أتدري من همُ فهمُ ... همُ عرى الدين قد أضحوا به زعما
هم السيوطيُّ والسبكيُّ مع نفر[3] ... كعدّة النقبا حفّاظ أهل حما
وأهل كشف وشعرانيُّهم وكذا ... القرطبي والسحيمي الجميع كما[4]

---

(١) أي يفعل ما يشاء .
(٢) أي كما تابعناهم في معظم الدين نتابعهم في هذا .
(٣) للسيوطي كتاب (بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته) توجد نسخته في مكتبة «قوله» بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦ ، وهي بخط السيد محمود فرغ من الكتابة سنة ١١٠٥ . راجع الذريعة لشيخنا الطهراني ج ٢ ص ٥١١ .
(٤) أي كما ترى في الوثاقة .



٤ ـ ما أسنده إليه من لاث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يشكُّ أحدٌ منهم في ايمان أبي طالب عليه السلام ويرونه في أسمى مراقيه وعلى صهوته العليا آخذين ذلك يداً عن يد حتّى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعين لهم بإحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أئمّتهم عليهم السلام بعدما ثبت عن جدِّهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال المعلّم الأكبر شيخنا المفيد في (أوائل المقالات) ص ٤٥ : إتّفقت الإماميَّة على أنَّ آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عزَّ وجلَّ موحِّدون (إلى أن قال) : وأجمعوا على أنَّ أبا طالب مات مؤمناً، وأنَّ آمنة بنت وهب كانت على التوحيد. الخ . وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان ج ٢ ص ٣٩٨ : عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام أنَّ أبا طالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإماميَّة لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلَّة قاطعة موجبة للعلم .

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧ : قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجَّة لأنَّهم أحد الثقلين اللذين أمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله : إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا .

وقال سيِّدنا ابن معد الفخار : لقد يكفينا من الإستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم

على إسلامه واتّفاقهم على إيمانه ، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلاَّ المؤمنون ، والأقوال التي لا يقولها إلاَّ المسلمون ، ما يشهد له بصحّة الإسلام وتحقيق الإيمان ، إذ كان إجماعهم حجَّة يعتمد عليها ودلالة يصمد إليها . كتاب الحجَّة ص ١٣ .

وقال شيخنا الفتّال في روضة الواعظين ص ١٢٠ : إعلم أنَّ الطائفة المحقَّة قد أجمعت على أنَّ أبا طالب . وعبد الله بن المطلب ، وآمنة بنت وهب ، كانوا مؤمنين وإجماعهم حجَّة .

وقال سيِّدنا الحجّة ابن طاوس في الطرائف ص ٨٤ : إنَّني وجدت علماء العترة مجمعين على إيمان أبي طالب . وقال في ص ٨٧ : لا ريب أنَّ العترة أعرف بباطن أبي طالب من الأجانب ، وشيعة أهل البيت مجمعون على ذلك ، ولهم فيه مصنَّفات وما رأينا وما سمعنا أنَّ مسلماً أحوجه ما أحوجهم في إيمان أبي طالب ، والذي نعرفه منهم أنَّهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى خبر واحد وبالتلويح ، وقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب إنَّ هذا من جملة العجائب .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١١ : إختلف الناس في أبي طالب فقالت الإماميَّة وأكثر الزيديَّة : ما مات إلاَّ مسلماً ، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما .

وقال العلاَّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٩ : قد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنَّه قد آمن بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في أوَّل الأمر ولم يعبد صنماً قطُّ بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى انَّ المخالفين كلّهم نسبوا ذلك إليهم وتواترت الأخبار من طرق الخاصَّة والعامّة في ذلك ، وصنَّف كثيرٌ من علمائنا ومحدِّثينا كتاباً مفرداً[١] في ذلك كما لا يخفى على من تتبَّع كتب الرجال .

---

(١) ستوافيك عدّة ممن أفرد التأليف في إيمان أبي طالب عليه السلام .

ومستند هذه الإجماعات إنَّما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيِّد الأبطح وإليك أربعون حديثاً :

١ - أخرج شيخنا أبو علي الفتّال وغيره عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال : نزل جبرائيل عليه السلام على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمَّد ! إنَّ ربَّك يقرئك السَّلام ويقول : إنِّي قد حرَّمت النار على صُلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك . فالصُّلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب . وأمّا حجر كفلك فحجر أبي طالب . وزاد في رواية : وفاطمة بنت أسد[1] .

[روضة الواعظين ص ١٢١]

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٢ ، معاني الأخبار للصدوق ، كتاب الحجَّة للسيد فخار بن معد ص ٨ ، ورواه شيخنا المفسِّر الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٢١٠ ولفظه : انَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّم على النار صُلباً أنزلك ، وبطناً حملك ، وثدياً أرضعك، وحِجراً كفلك .

٢ - عن أمير المؤمنين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هبط عليَّ جبرائيل فقال لي : يا محمَّد إنَّ الله عزَّ وجلَّ مشفِّعك في ستَّة : بطن حملك آمنة بنت وهب . وصُلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك أبو طالب . وبيت آواك عبد المطلب وأخ كان لك في الجاهليَّة . وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذويب .

رواه السيِّد فخار بن معد في كتاب الحجَّة ص ٨ .

٣ - روى شيخنا المعلّم الأكبر الشيخ المفيد بإسناد يرفعه قال : لمّا مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآذنه بموته فتوجَّع توجُّعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً ثمَّ قال لأمير المؤمنين عليه السلام : إمض يا عليّ فتولَّ أمره ، وتولَّ غسله وتحنيطه وتكفينه ، فإذا رفعته على سريره فأعلمني . ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فرقَّ وتحزَّن وقال : وصلتك رحم

(١) راجع ما أسلفناه ص ٤٢٠ .

وجزيت خيراً يا عمّ ! فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ، ونصرت وآزرت كبيراً ، ثمَّ أقبل على الناس وقال : أمَ والله لأشفعنَّ لعمِّي شفاعة يعجب بهاأهل الثقلين .

وفي لفظ شيخنا الصدوق : ياعمّ كفلت يتيماً ،وربيت صغيراً ، ونصرت كبيراً فجزاك الله عنِّي خيراً[1] .

راجع تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، أمالي ابن بابويه الصدوق ، الفصول المختارة لسيِّدنا الشريف المرتضى ص ٨٠ ، الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٦٧ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة لسيِّدنا الشيرازي ، ضياء العالمين .

٤ ـ عن العبّاس بن المطلب رضي الله عنه أنَّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : كلَّ الخير أرجو من ربِّي عزَّ وجلَّ .

كتاب الحجَّة ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة . راجع ما أسلفناه ص ٤١٥ .

٥ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انَّه قال لعقيل بن أبي طالب : أنا احبُّك يا عقيل حبَّين : حبّاً لك وحبّاً لأبي طالب لأنَّه كان يحبُّك[2] .

علل الشرائع لشيخنا الصدوق ، الحجّة ص ٣٤ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٦ .

٦ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمِّي وعمّي وأخ لي مواخياً في الجاهليَّة . تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، ٤٩٠ ، تفسير البرهان ج ٣ ص ٧٩٤ . راجع ما أسلفناه في صفحة ٤٢٠ .

٧ ـ عن الإمام السبط الحسين بن عليّ عن والده أمير المؤمنين انّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجلٌ فقال له : يا أمير المؤمنين ! إنَّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذّبٌ في النار فقال له : مَه فضَّ الله فاك ، والذي بعث محمّداً بالحقِّ نبيّاً لو شفع أبي في كلِّ مذنب على وجه الأرض لشفَّعه الله ، أأبي

(١) راجع ما مرّ في صفحة ٤١٥ .
(٢) راجع ما أسلفناه ص ٤١٨ .

معـذَّبٌ في النار وابنـه قسيم الجنَّة والنـار ؟ والذي بعث محمَّـداً بالحقِّ إنَّ نـور أبي طالب يوم القيامة ليطفيء أنوار الخـلائق إلاَّ خمسة أنـوار : نور محمَّـد ونور فـاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمَّة ، ألا إنَّ نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام .

المنـاقب المائـة للشيخ أبي الحسن ابن شـاذان[1] كنـز الفـوائـد للكـراجكي ص ٨٠ أمالي ابن الشيخ ص ١٩٢ ، إحتجاج الطبرسي كما في البحار ، تفسير أبي الفتـوح ج ٤ ص ٢١١ ، الحجَّة ص ١٥ ، الـدرجات الـرفيعة ، بحـار الأنـوار ج ٩ ص ١٥ ، ضياء العالمين ، تفسير البرهان ج ٣ ص ٧٩٤ .

٨ ـ عن مـولانا أميـر المؤمنين عليه السلام أنَّـه قـال : والله مـا عَبَـدَ أبي ولا جـدِّي عبـد المطلب ولا هـاشم ولا عبد مُنـاف صنماً قطُّ . قيـل له : فمـا كانـوا يعبدون ؟ قال : كانوا يُصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسِّكين به .

رواه شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين ص ١٠٤ ، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١٠ ، والسيِّد في البرهان ج ٣ ص ٧٩٥ .

٩ ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : قال عليّ عليه السلام إنَّ أبي حين حضـره الموت شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها .

رواه بإسناده السيِّد فخار بن معـد في كتاب الحجَّـة ص ٢٣ ، وذكره الفتـوني في ضياء العالمين .

١٠ ـ عن أميـر المؤمنين عليه السلام قال : مـا مات أبـو طالب حتّى أعـطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسـه الـرضـا . تفسيـر علي بن إبـراهيم ص ٣٥٥ ، كتـاب الحجَّـة ص ٢٣ ، الدرجات الرفيعة ، ضياء العالمين .

١١ ـ عن الشعبي يرفعه عن أميـر المؤمنين أنَّه قـال : كان والله أبـو طالب بن

---

(١) محمـد بن أحمد القمي الفـامي أحد مشـايخ شيـخ الطائفـة الـطوسي والكراجكي ، والكتـاب مخطوط موجود عندنا .

عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش .

قال أبو علي الموضح : ولأمير المؤمنين في أبيه يرثيه :

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك وليُّ النعم
ولقَّاك ربُّك رضوانه فقد كنت للمصطفى خير عم(١)

[كتاب الحجّة ص ٢٤]

١٢ ـ عن الأصبغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمّونها الفهيرة ويذبحونها على النصب فلم يسلّم عليهم فلمّا انتهى إلى دار الندوة قالوا : يمرُّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلّم علينا فأيّكم يأتيه فيفسد عليه مصلاّه ؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي : أنا أفعل ؛ فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجدٌ فملأ به ثيابه ومظاهره فانصرف النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أتى عمّه أبا طالب فقال : يا عمّ من أنا ؟ فقال : ولِمَ يا بن أخي ؟ فقصَّ عليه القصّة فقال : وأين تركتهم ؟ فقال : بالأبطح فنادى في قومه : يا آل عبد المطلب ! يا آل هاشم ! يا آل عبد مُناف ! فأقبلوا إليه من كلِّ مكان ملبِّين فقال : كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعون قال : خذوا سلاحكم . فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتّى انتهى إلى أُولئك النفر فلمّا رأوه أرادوا أن يتفرَّقوا فقال لهم : وربِّ هذه البنيَّة لا يقومنَّ منكم أحدٌ إلاَّ جللته بالسيف . ثمَّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتّى قطعها ثلاثة أفهار(٢) ثمَّ قال : يا محمَّد ! سألتني من أنت ؟ ثمَّ أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم :

أنت النبيُّ محمَّدُ قرمٌ أغرّ مسوَّد

إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٧٦ ثمَّ قال : يا محمَّد ! أيُّهم الفاعل بك ؟ فأشار

(١) راجع ما أسلفناه ص ٤١٨ .

(٢) ثلاثة أفهار : ثلاث قطع كل منها تملأ الكف .

النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبد الله بن الزبعرى السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتّى أدماها ثمَّ أمر بالفرث والدم فأمرّ على رؤوس الملأ كلّهم ثمَّ قال : يا ابن أخ أرضيت ؟ ثمَّ قال : سألتني من أنت ؟ أنت محمَّد بن عبد الله ثمَّ نسَّبه إلى آدم عليه السلام ثمَّ قال : أنت والله أشرفهم حسباً ، وأرفعهم منصباً ، يا معشر قريش ! من شاء منكم يتحرَّك فليفعل ؛ أنا الذي تعرفوني(١) .

رواه السيِّد ابن معد في الحجَّة ص ١٠٦ ، وذكر لِدة هذه القضيَّة الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٢٢ وفي طبع ص ٩١ ، وابن حجَّة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ج ٢ ص ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي .

١٣ ـ ذكر ابن فيّاض في كتابه شرح الأخبار : إنَّ عليّاً عليه السلام قال في حديث له : إنَّ أبا طالب هجم عليَّ وعلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ونحن ساجدان فقال : أفعلتماها ؟ ثم أخذ بيدي فقال : أنظر كيف تنصره ، وجعل يرغِّبني في ذلك ويحضّني عليه . الحديث .

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوني .

١٤ ـ روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : من كان آخر الأوصياء قبل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : أبي .

[ضياء العالمين للفتوني]

١٥ ـ عن الإمام السّجاد زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي عليهم السلام أنّه سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً ؟ فقال عليه السلام : نعم . فقيل له : إنَّ هٰهنا قوماً يزعمون أنَّه كافرٌ . فقال عليه السلام : واعجباً كلَّ العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وقد نهاه الله تعالىٰ أن يقرَّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشكّ أحدٌ انَّ فاطمة بنت أسد رضي الله تعالىٰ عنها من المؤمنات السابقات ، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه .

---

(١) راجع ما أسلفنا ص ٤٠٠ ويأتي في الجزء الثامن في الآيات ما يؤيد هذه القصة .

راجع ما مرّ ص ٤٢٢ ، وكتاب الحجّة ص ٢٤ ، والدرجات الرفيعة ؛ ضياء العالمين فقال : قيل إنّها متواترةٌ عندنا .

١٦ ـ عن أبي بصير ليث المرادي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : سيّدي إنّ الناس يقولون : إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فقال عليه السلام : كذبوا والله إنّ إيمان أبي طالب لو وُضع في كفّة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفّة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم . إلى آخر ما مرَّ ص ٤٢٢ ، رواه السيِّد في كتاب الحجَّة ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصَّدوق ، والسيِّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين .

وروى السيِّد ابن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٧ من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً . الخ .

١٧ ـ عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمَّد عليه السلام قال : إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُوا الإيمان وأظهروا الشِّرك فآتاهم الله أجرهم مرَّتين .

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٤ ، أمالي الصدوق ص ٣٦٦ ، روضة الواعظين ص ١٢١ ، كتاب الحجَّة ص ١١٥ ، وفي ص ١٧ ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكي :

قال عبد الرَّحمٰن بن كثير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنَّ الناس يزعمون أنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار : فقال : كذبوا ، ما بهذا نزل جبرائيل على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت : وبِمَ نزل ؟ قال : أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمَّد إنَّ ربَّك يقرئك السَّلام ويقول لك : إنَّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشِّرك فآتاهم الله أجرهم مرَّتين ، وإنَّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرَّتين ، وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالىٰ بالجنَّة ، ثمَّ قال : كيف يصفونه بهذا ؟ وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال : يا محمَّد أُخرج من مكّة فما لك بها ناصرٌ بعد أبي طالب .

وذكره العلاّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٤ ، والسيِّد في الدرجات

الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين ، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره ج ٤ ص ٢١٢ .

١٨ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٤٤ بالإسناد عن إسحاق بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : قيل له : إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافراً ، فقال : كذبوا ، كيف وهو يقول :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خُطّ في أوّل الكتب ؟

وذكره غير واحد من أئمّة الحديث في تآليفهم رضوان الله عليهم أجمعين .

١٩ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي ج ١ ص ٢٤٤ عن الإمام الصادق قال : كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول ؟ :

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّبٌ لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وذكره السيِّد في البرهان ج ٣ ص ٧٩٥ ، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة أخذاً عن الكليني .

٢٠ ـ روى شيخنا أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ عن الإمام الصّادق عليه السلام قال : لمّا حضر أبا طالب رضي الله عنه الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش ! أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه ، فيكم السيِّد المطاع ، الطويل الذراع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، إعلموا أنّكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلّا حزتموه ، ولا شرفاً إلّا أدركتموه ، فلكم على الناس بذلك الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب إلى آخر ما مرَّ في ص ٤٠٧ من مواقف سيِّدنا أبي طالب المشكورة المرويَّة من طرق أهل السنَّة ، وذكر هذه الوصيَّة شيخنا العلّامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٣ .

٢١ ـ حدَّث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين ص ١٠٣ بالإسناد عن محمّد بن مروان عن الإمام الصادق عليه السلام : إنّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرَّ الإيمان

فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أُخرج منها فليس لك بها ناصر . فهاجر إلى المدينة .

وذكره سيِّدنا الشريف المرتضى في الفصول المختارة ص ٨٠ فقال : هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقوية أمره .

وذيل الحديث رواه السيِّد الحجَّة ابن معد في كتابه «الحجَّة» ص ٣٠ وقال في ص ١٠٣ : لمّا قبض أبو طالب اتَّفق المسلمون على أنَّ جبرائيل عليه السلام نزل على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : ربُّك يقرئك السَّلام ويقول لك : إنَّ قومك قد عولوا على أن يُبيِّتوك وقد مات ناصرك فاخرج عنهم وأمره بالمهاجرة . فتأمل إضافة الله تعالىٰ أبا طالب رحمه الله إلى النبيِّ عليه السلام وشهادته له أنَّه ناصره ، فإنَّ في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا مِن شعره وتوحيده وتصديقه للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يمكنهم قتله والمنابذة له لأنَّ قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مُناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم ، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه ، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافَّة ، ولذلك قال أبو لهب لمّا سمع قريشاً يتحدَّثون في شأنه ويفيضون في أمره : دعوا عنكم هذا الشيخ فإنّه مغمٌ بابن أخيه ، والله لا يُقتل محمَّد حتّى يُقتل أبو طالب ، ولا يقتل أبو طالب حتّى تُقتل بنو هاشم كافّة ، ولا تُقتل بنو هاشم حتّى تُقتل بنو عبد مُناف ، ولا تقتل بنو عبد مُناف حتّى تُقتل أهل البطحاء ؛ فامسكوا عنه وإلاَّ ملنا معه فخاف القوم أن يفعل فكفُّوا ، فلمّا بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته فقال يستعطفه ويرقّقه :

عجبت لحلم يا ابن شيبة حادث ... وأحلام أقوام لديك ضعاف

إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣٠٧ مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيِّد في الحجّة . وذكرها ابن الشجري في حماسته ص ١٦ .

فقال السيِّد : فلمّا أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً :

وإنَّ امرأً من قومه أبو معتب[1] ... لفي منعة من أن يسام المظالما

---

(١) يعني به أبا لهب .

أقول له وأين منه نصيحتي : أبا معتب ثبِّت سوادك قائما

إلى أبيات خمسة . وقد ذكرها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٣٩٤ مع زيادة أربعة أبيات غير أنَّ البيت الأوَّل فيه :

وإنَّ امرأ أبو عُتيبة عمُّه لفي روضة ما إن يُسام المظالما

وذكرها ابن أبي الحديد في الشرح ج ٣ ص ٣٠٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٣ ص ٩٣ .

٢٢ - عن يونس بن نباتة عن الإمام الصّادق عليه السلام قال : يا يونس ! ما يقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار يغلي منها أمّ رأسه فقال : كذب أعداء الله ، إنَّ أبا طالب من رفقاء النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً .

كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ص ٨٠ ، كتاب الحجَّة ص ١٧ ، ضياء العالمين .

٢٣ - روى الشريف الحجَّة ابن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٢ من طريق شيخنا أبي جعفر الصّدوق عن داود الرقي قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت نواه فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام : إذا مررت بمكّة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلِّ عنه ركعتين ، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلِّ عنه ركعتين ، وطف عن عبد الله طوافاً وصلِّ عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً وصلِّ عنها ركعتين ، وعن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلِّ عنها ركعتين . ثم ادع الله عزَّ وجلَّ أن يردَّ عليك مالك . قال : ففعلت ذلك ثمَّ خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول : يا داود ! جئني هناك فاقض حقّك .

وذكره العلاّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٤ .

٢٤ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : بينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام وعليه ثيابٌ له جدد فألقى المشركون عليه سلا[1]

(١) السلا : الجلدة التي يكون فيها الولد .

ناقة فملأوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلى أبي طالب فقال له : يا عمّ ! كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له : وما ذاك يابن أخي ؟ فأخبره الخبر فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة : خذ السلا ثمّ توجّه إلى القوم والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة ، فلمّا رأوه عرفوا الشرَّ في وجهه ثمّ قال لحمزة : أمِرَّ السلا على أسبلتهم[1] ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم ثمّ التفت أبو طالب إلى النبيِّ فقال : يابن أخي هذا حسبك فينا .

وذكره جمع من الأعلام وأئمّة الحديث في تآليفهم .

٢٥ ـ أخرج أبو الفرج الأصبهاني بإسناده عن الإمام الصّادق عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب عليه السلام وأن يدوّن وقال : تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله وفيه علمٌ كثير .

كتاب الحجّة ص ٢٥ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٤ ، ضياء العالمين للفتوني .

٢٦ ـ روى شيخنا الصّدوق في أماليه ص ٣٠٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : أوّل جماعة كانت انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلّي وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب معه إذ مرَّ أبو طالب به وجعفر معه قال : يا بنيَّ صِلْ جناح إبن عمِّك فلمّا أحسّه رسول الله تقدَّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند ملمِّ الزمان والكرب

إلى آخر أبيات مرَّت صحيفة ٣٩٧ وتأتي في ص ٤٤٠ ، والحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١١ .

٢٧ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٢ بإسناده عن درست بن أبي منصور أنّه سأل أبا الحسن الأوّل ـ الإمام الكاظم ـ عليه السلام : أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محجوجاً بأبي طالب ؟ فقال : لا . ولكنّه كان مستودعاً للوصية فدفعها إليه فقال : قلت : فدفع إليه الوصية على أنّه محجوجٌ به ؟ فقال : لو كان محجوجاً به ما

(١) وفي بعض النسخ . سبالهم جمع السبلة : مقدمة اللحية . وما على الشارب من الشعر .

دفع إليه الوصيَّة قال : قلت : فما كان حال أبي طالب ؟ قال : أقرَّ بالنبيِّ وبما جاء به ودفع إليه الوصية ومات من يومه .

قال الأميني : هذه مرتبة فوق مرتبة الإيمان فإنَّها مشفوعةً بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجيَّة في وقته فضلاً عن بسيط الإيمان ، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حدٍّ ظنَّ السائل أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان محجوجاً به قبل بعثته ، فنفى الإمام عليه السلام ذلك ، وأثبت ما ثبت له من الوصاية وأنَّه كان خاضعاً بالإبراهيميَّة ، ثمَّ رضخ للمحمديَّة البيضاء ، فسلَّم الوصية للصادع بها ، وقد سبق إيمانه بالولاية العلويَّة الناهض بها ولده البارُّ صلوات الله وسلامه عليه .

٢٨ ـ أخرج شيخنا أبو الفتح الكراجكي ص ٨٠ بإسناده عن أبان بن محمَّد قال كتبت إلى الإمام الرضا عليِّ بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك . إلى آخر ما مرَّ في ص ٤٢٣ .

وذكره السيِّد في كتاب الحجَّة ص ١٦ ، والسيِّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والعلاَّمة المجلسي في بحار الأنوار ص ٣٣ ، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين .

٢٩ ـ روى شيخنا المفسِّر الكبير أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١١ عن الإمام الرِّضا سلام الله عليه وقال روى عن آبائه بعدَّة طرق : إنَّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان :

رضيت بالله ربّاً ، وبابن أخي محمَّد نبيّاً ، وبابني عليّ له وصيّاً .

ورواه السيِّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والأشكوري في محبوب القلوب .

٣٠ ـ أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق بإسناد له : إنَّ عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرِّضا عليه السلام : عرِّفني يابن رسول الله عن الخبر المرويِّ : إنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي

منه دماغه . فكتب إليه الرِّضا عليه السلام :

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم ، أمّا بعد : فإنَّك إن شككت في ايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار .

كتاب الحجَّة ص ١٦ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف .

٣١ ـ أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصَّدوق بالإسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل : إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إنِّي قد أيَّدتك بشيعتين : شيعةٌ تنصرك سرّاً ، وشيعةٌ تنصرك علانية ، فأمَّا التي تنصرك سرّاً فسيِّدهم وأفضلهم عمُّك أبو طالب ، وأمَّا التي تنصرك علانية فسيِّدهم وأفضلهم ابنه عليُّ بن أبي طالب . ثمَّ قال : وإنَّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه .

كتاب الحجَّة ص ١١٥ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف .

٣٢ ـ أخرج شيخنا الصَّدوق في أماليه ص ٣٦٥ من طريق الأعمش عن عبد الله بن عبّاس عن أبيه قال : قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يابن أخي ! الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : فأرني آية . قال : ادع لي تلك الشجرة . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمَّ انصرفت ، فقال أبو طالب : أشهد أنّك صادق ، يا علي صِل جناح ابن عمِّك .

ورواه أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ ، ورواه السيِّد ابن معد في الحجَّة ص ٢٥ ولفظه : قال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمحضر من قريش ليريهم فضله : يابن أخي الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : إنَّ للأنبياء معجزاً وخرق عادة فأرنا آية . قال : ادع تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمَّد بن عبد الله : أقبلي بإذن الله . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمَّ أمرها بالإنصراف فانصرفت ، فقال أبو طالب : أشهد أنَّك صادقٌ . ثمَّ قال لابنه عليّ عليه السلام : يا بنيَّ إلزم ابن عمِّك .

وذكره غير واحد من أعلام الطائفة .

٣٣ ـ أخرج أبو جعفر الصَّدوق قدس الله سره في الأمالي ص ٣٦٦ بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عبّاس أنَّه سأله رجل فقال له : يابن عمِّ رسول الله ! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً ؟ قال : وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل ؟ :

وقد علموا أنَّ ابننا لا مكذَّب لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل

إنَّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الإيمان وأظهروا الشِّرك فأتاهم الله أجرهم مرَّتين .

ورواه السيِّد ابن معد في (الحجّة) ص ٩٤ ، ١١٥ ، وذكره غير واحد من أئمَّة الحديث .

٣٤ ـ أخرج شيخنا أبو علي الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين ص ١٢٣ عن ابن عبّاس قال : مرَّ أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله عليه السلام وهو في المسجد الحرام يصلّي صلاة الظهر وعليٌّ عليه السلام عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر : صِلْ جناح ابن عمِّك فتقدَّم جعفر وتأخّر عليٌّ واصطفا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى قضى الصَّلاة وفي ذلك يقول أبو طالب :

إن عليّاً وجعفراً ثقتي عند ملمِّ الزمان والنوب[1]
أجعلهما عرضة العداء إذا أُترك ميتاً وانتمي إلى حسبي
لا تخذلا وانصرا ابن عمِّكما أخي لأُمّي من بينهم وأبي
واللّه لا أخذل النبيَّ ولا يخذله من بَنيَّ ذو حسب[2]

وأخرج سيِّدنا ابن معد في كتاب الحجَّة ص ٥٩ بإسناده عن عمران بن الحصين الخزاعي قال : كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه ، وذلك : مرَّ أبو طالب ومعه إبنه جعفر برسول الله وهو يُصلّي وعليٌّ عليه السلام عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر : صِلْ جناح ابن عمِّك فجاء جعفر فصلّى مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمّا قضى

(١) وفي نسخة : عند احتدام الهموم والكرب .
(٢) راجع فيما أسلفناه ص ٤٣٧ .

صلاته قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : يا جعفر ! وصلت جناح ابن عمّك ، إنَّ الله يعوِّضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنّة . فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند ملمِّ الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما ... أخي لأُمّي من بينهم وأبي
انَّ أبا معتب قد أسلمنا ... ليس أبو معتب بذي حدب[1]
واللّه لا أخذل النبيَّ ولا ... يخذله من بَنيَّ ذو حسب
حتى ترون الرؤوس طايحةً ... منّا ومنكم هناك بالقضب
نحن وهذا النبيُّ أُسرته ... نضرب عنه الأعداء كالشهب
إن نلتموه بكلِّ جمعكُم ... فنحن في الناس الأُم العرب

ورواه شيخنا أبو الفتح الكراجكي بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال : كنت أنصر النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب قبل إسلامي ، فإنّي يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدَّة القيظ إذ خرج أبو طالب إليَّ شبيهاً بالملهوف فقال لي : يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين ؟ يعني النبيَّ وعليّاً عليهما السلام فقلت : ما رأيتهما مُذ جلست فقال : قم بنا في الطلب لهما فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالهما قال : فمضينا حتّى خرجنا من أبيات مكّة ، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلّته فإذا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عن يمينه وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان فقال أبو طالب لجعفر ابنه وكان معنا : صِلْ جناح ابن عمِّك . فقام إلى جنب عليّ فأحسَّ بهما النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فتقدَّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا ممّا كانوا فيه ثمَّ أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردَّد في وجه أبي طالب ثمَّ انبعث يقول الأبيات .

٣٥ ـ عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : أخبرني أبي أنَّ أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله .

[ضياء العالمين]

---

(١) أبو معتب كنية أبي لهب كما مرَّ . ذي حدب : ذي تعطف .

٣٦ ـ في تفسير الوكيع من طريق أبي ذر الغفاري أنّه قال : والله الذي لا إلٰه إلّا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتّى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أتفقه الحبشة ؟ قال : يا عمّ ! إنَّ الله علّمني جميع الكلام . قال : يا محمّداً ! اسدن لمصاقا قاطالاها . يعني أشهد مخلصاً لا إلٰه إلّا الله ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إنَّ الله أقرَّ عيني بأبي طالب . ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

أحبَّ سيّد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعدما أكثرها بلغة الضّاد وبغيرها كما فصّل القول فيها شيخنا الحجّة أبو الحسن الشريف الفتوني المتوفّى سنة ١١٣٨ في كتابه القيّم الضخم «ضياء العالمين» وهو أثمن كتاب أُلِّف في الإمامة .

٣٧ ـ روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه ـ الخرائج والجرائح ـ عن فاطمة بنت أسد أنّها قالت : لمّا توفّي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عنده لوصيَّة أبيه به وكنت أخدمه وكان في بستان دارنا نخلات وكان أوّل إدراك الرطب وكنت كلّ يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي.فاتّفق يوماً أن نسيت أن أُلتقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً ، وكان محمَّد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلّما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتبه. فانتبه محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ودخل البستان فلم ير رطبةً على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال : أيّتها الشجرة أنا جائع . فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتّى أكل منها ما أراد ثمَّ ارتفعت إلى موضعها ، فتعجَّبت من ذلك وكان أبو طالب رضي الله عنه غائباً فلمّا أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال : هو إنّما يكون نبيّاً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس . فولدت عليّاً عليه السلام كما قال .

٣٨ ـ روى شيخنا الفقيه الأكبر ابن بابويه الصّدوق في أماليه ص١٥٨ بالإسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال: قال عبد المطلب: بينا أنا نائمٌ في الحجر إذ رأيت رؤياً هالتني فأتيت كاهنة قريش وعليَّ مطرف خزّ وجمّتي تضرب منكبي ، فلمّا نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغيّر ، فاستوت وأنا يومئذ سيِّد قومي فقالت: ما شأن

سيِّد العرب متغيّر اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب ؟ فقلت لها : بلى إنّي رأيت الليلة وأنا نائمٌ في الحجر كأنَّ شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السَّماء وضربت بأغصانها الشرق والغرب ، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها ، وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً ، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شابٌّ من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسِّر ظهورهم ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشابُّ وقال : مهلاً ليس لك منها نصيب ، فقلت : لمن النصيب والشجرة منّي ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وسيعود إليها ، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغيِّر اللون ، فرأيت لون الكاهنة قد تغيّر ثمَّ قالت : لئن صدقت ليخرجنَّ من صُلبك ولدٌ يملك الشرق والغرب وينبّیء في الناس . فتسرّى عنّي غمّي ، فانظر أبا طالب لعلّك تكون أنت ، وكان أبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين .

٣٩ ـ قال السيِّد الحجَّة في كتابه (الحجَّة) ص ٦٨ : ذكر الشريف النسَّابة العلوي العمري المعروف بالموضح بإسناده : انَّ أبا طالب لَمّا مات لم تكن نزلت الصَّلاة على الموتى فما صلّى النبيُّ عليه ولا على خديجة ، وإنَّما اجتازت جنازة أبي طالب والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وجعفر وحمزة جلوسٌ فقاموا وشيعوا جنازته واستغفروا له فقال قوم : نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ظنّاً منهم أنَّ أبا طالب مات مشركاً لأنَّه كان يكتم إيمانه فنفى الله عن أبي الشرك ونزّه نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والثلاثة المذكورين عليهم السلام عن الخطأ في قوله : **﴿ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى﴾** ، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبيِّ بالخطأ والله تعالىٰ قد نزَّهه عنه في أقواله وأفعاله . الخ .

وأخرج أبو الفرج الإصبهاني بالإسناد عن محمَّد بن حميد قال : حدَّثني أبي قال : سئل أبو الجهم بن حذيفة : أصلّى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب ؟ فقال : وأين الصَّلاة يومئذ ؟ إنَّما فرضت الصَّلاة بعد موته ، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر عليّاً بالقيام بأمره وحضر جنازته وشهد له العبَّاس وأبو بكر بالإيمان

وأشهد على صدقهما لأنّه كان يكتم إيمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه .

٤٠ - عن مقاتل : لمّا رأت قريش يعلو أمر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : لا نرى محمَّداً يزداد إلَّا كبراً وإن هو إلَّا ساحرٌ أو مجنونٌ ، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب رضي الله عنه ليجمعنَّ القبائل كلّها على قتله ، فبلغ أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصّاهم بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ابن أخي كلّما يقول أخبرنا بذلك آباؤنا وعلمائنا ، وأنَّ محمَّداً نبيٌّ صادقٌ ، وأمينٌ ناطقٌ ، وانَّ شأنه أعظم شأن ، ومكانه من ربِّه أعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته ، وروموا عدوّه من وراء حوضته ، فإنّه الشرف الباقي لكم طول الدهر ثمَّ أنشأ يقول :

أُوصي بنصر النبيِّ الخير مشهده ... عليّاً ابني وعمّ الخير عبّاسا
وحمزة الأسد المخشيّ صولته ... وجعفراً أن يذودوا دونه النّاسا
وهاشماً كلّها أُوصي بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فداءً لكم أُمّي وما ولدت ... من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكلِّ أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباسا[١]

قال الأميني : هذه جملةٌ ممّا أوقفنا السير عليه من أحاديث رواة الحقِّ والحقيقة وصفحنا عمّا يربو على الأربعين روماً للاختصار ، فأنت اذا أضفت إليها ما أسلفناه ممّا يروى عن آل أبي طالب وذويه ، وأشفعتها بما مرَّ من أحاديث مواقف سيِّد الأباطح ، وجمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربو الأدلّة على إيمانه الخالص وإسلامه القويم على مائة دليل ، فهل من مساغ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلّها ؟ وكلُّ واحد منها يحقُّ أن يستند إليه في إسلام أيِّ أحد ، نعم : إنَّ في أبي طالب سرّاً لا يثبت إيمانه بألف دليل ، وإيمان غيره يثبت بقيل مجهول ودعوى مجرَّدة ، إقرأ واحكم .

وقد فصَّل القول في هذه الأدلّة جمعٌ من أعلام الطائفة كشيخنا العلّامة الحجة

---

(١) ضياء العالمين لشيخنا الفتوني .

المجلسي في بحار الأنوار ج ٩ ص ١٤ ـ ٣٣ ، وشيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوني في الجزء الثاني من كتابه القيِّم الضخم ضياء العالمين (والكتاب موجودٌ عندنا) وهو أحسن ما كتب في الموضوع كما أنَّ ما ألَّفه السيِّد البرزنجي ولخَّصه السيِّد أحمد زيني دحلان أحسن ما أُلِّف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنّة ، وأفرد ذلك بالتأليف آخرون منهم :

١ ـ سعد بن عبد الله أبو القاسم الأشعري القميّ المتوفى سنة ٢٩٩/٣٠١ ، له كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله أبي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم «رجال النجاشي ص ١٢٦» .

٢ ـ أبو علي الكوفي أحمد بن محمّد بن عمّار المتوفّى سنة ٣٤٦ ، له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ ص ٢٩ ، ورجال النجاشي ص ٧٠ .

٣ ـ أبو محمَّد سهل بن أحمد بن عبد الله الديباجي سمع منه التلعكبري سنة ٣٧٠ له كتاب إيمان أبي طالب ، ذكره النجاشي في فهرسته ص ١٣٣ .

٤ ـ أبو نعيم عليٌّ بن حمزة البصري التميمي اللغوي المتوفّى سنة ٣٧٥ له كتاب إيمان أبي طالب ، توجد نسخته عند شيخنا الحجّة ميرزا محمّد الطهراني[١] في سامراء المشرَّفة . نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي طالب واتّهم مؤلفه بالرفض .

٥ ـ أبو سعيد محمَّد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جدُّ المفسِّر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأُمّه ، له كتاب (منى الطالب في إيمان أبي طالب) رواه الشيخ منتجب الدين كما في فهرسته ص ١٠ عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه .

٦ ـ أبو الحسن عليٌّ بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي له كتاب (البيان عن خيرة الرحمٰن) في إيمان أبي طالب وآباء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ذكره له الشيخ في فهرسته ص ٩٦ ، والنجاشي ص ١٨٨ .

---

(١) توفّي قدس الله سرّه وأبقى له آثارا ومآثر تذكر مع الأبد وتشكر .

٧ - أحمد بن القاسم ، له كتاب إيمان أبي طالب ، رآه النجاشي (كما في فهرسته ص ٦٩) بخطّ الحسين بن عبيد الله الغضائري .

٨ - أبو الحسين أحمد بن محمّد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي المتوفّى سنة ٤٥٠ ، ذكر له النجاشي في فهرسته ص ٦٣ كتاب إيمان أبي طالب .

٩ - شيخنا الأكبر أبو عبد الله المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان المتوفّى سنة ٤١٣ له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست النجاشي ص ٢٨٤ .

١٠ - أبو علي شمس الدّين السيِّد فخار بن معد الموسوي المتوفّى سنة ٦٣٠ ، له كتاب (الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) قرَّظه العلاّمة السيِّد محمّد صادق بحر العلوم بقوله :

بشراك (فخار) بما أولا ... ك الخالق في يوم المحشر
نزَّهت بحجَّتك الغرّا ... شيخ البطحاء أبا حيدر
عمّا نسبوه إليه من الـ ... ـكفر المردود دعاة الشر
أنّى وبه قام الإسلا ... م فنال بعلياه المفخر
قسماً بولاء (أبي حسن) ... لولاه الدين لما أزهر
فعليه من اللّه الرضوا ... ن وللأعدا نارٌ تسعر

١١ - سيِّدنا الحجَّة أبو الفضائل أحمد بن طاوس الحسني المتوفّى سنة ٦٧٣ ، له كتاب إيمان أبي طالب ، ذكره في كتابه بناء المقالة العلويَّة لنقض الرسالة العثمانيّة ، وهو كتاب في الإمامة ألَّفه في الردِّ على رسالة أبي عثمان الجاحظ .

١٢ - السيِّد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ المتوفّى سنة ١٣٠٧ له كتاب (منية الطالب في ايمان أبي طالب) فارسيٌّ مطبوع .

١٣ - المفتي الشريف السيِّد محمد عباس التستري الهندي المتوفّى سنة ١٣٠٦ ، له كتاب (بغية الطالب في إيمان أبي طالب) أحد شعراء الغدير تأتي

ترجمته في القرن الرابع عشر ، إن شاء الله تعالىٰ .

١٤ ـ شمس العلماء ميرزا محمَّد حسين الكركاني له كتاب (مقصد الطالب في إيمان آباء النبيِّ وعمّه أبي طالب) فارسيٌّ طبع في بمبيء سنة ١٣١١ .

١٥ ـ الشيخ محمَّد علي ابن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكّة المعظَّمة له كتاب (القول الواجب في إيمان أبي طالب) .

١٦ ـ شيخنا الحجَّة الحاج ميرزا محسن ابن العلّامة الحجَّة ميرزا محمَّد التبريزي .

١٧ ـ السيِّد محمَّد علي آل شرف الدين العاملي[١] له كتاب (شيخ الأبطح أو أبو طالب) طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ في ٩٦ صفحة وقد جمع فيه فأوعى ، ولم يبق في القوس منزعاً .

١٨ ـ الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجَّة ميرزا محمَّد الطهراني ، له كتاب (الشهاب الثاقب لرجم مكفِّر أبي طالب) .

١٩ ـ الشيخ جعفر ابن الحاج محمَّد النقدي «المرحوم» . له كتاب (مواهب الواهب في فضائل ابي طالب) طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤١ في ١٥٤ صفحة ، فيه فوائد جمَّة وطرائف ونوادر .

وقد نظم ذلك كثيرون من أعاظم الشيعة في قريضهم وممّا يسعنا إثباته هٰهنا قول السيِّد أبي محمَّد عبد الله بن حمزة الحسني الزيدي من قصيدة :

حماه أبونا أبو طالب   وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكتم إيمانه   وأمّا الولاء فلم يكتم

وقول الشريف العلّامة السيِّد علي خان الشيرازي[٢] في الدرجات الرفيعة :

---

(١) انتقل إلى دار البقاء سنة ١٣٧٢ وأبقى لهفة وجوى في قلوب أُمّة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله .

(٢) أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته إن شاء الله تعالىٰ .

أبـو طـالـب عـمُّ الـنبيِّ مـحـمَّـد — بـه قـام أزر الـدين واشتـدَّ كـاهـلـه
ويكفيـه فخـراً في المـفـاخـر أنّـه — مـوازره دون الأنـام وكـافـلـه
لئن جهلت قـومٌ عـظيـم مـقـامـه — فمـا ضرَّ ضَوء الصبح من هـو جاهله
ولـولاه مـا قـامـت لأحـمـد دعـوةٌ — ولا انجـاب ليـل الغيِّ وانـزاح بـاطله
أقـرَّ بـديـن الـلّه سـرّاً لـحكـمـة — فـقـال عـدوُّ الحقِّ مـا هـو قـائـلـه
ومـاذا عليـه وهـو في الـدين هضبـة — إذا عصفت من ذي العنـاد أبـاطـلـه ؟
وكيف يحـلُّ الـذمُّ سـاحـة مـاجـدٍ — أواخـره مـحـمـودةٌ وأوائـلـه
عـلـيـه سـلام الـلّه مـا ذرَّ شـارقٌ — ومـا تـليـت أحـسـابـه وفـضـائـلـه

ومن قصيدة للشريف الأجلِّ سيِّدنا آية الله السيِّد ميرزا عبد الهادي الشيرازي [١] :

ولي نـدحـةٌ في مـدحـة النـدب والـدا — ئـمـة أعـدال الـكتاب أولي الأمر
هـو الـعلم الـهـادي أزيـن بـمـدحـه — شعـوري ويـزهـو في مـآثـره شعـري
أبـو طـالـب حـامي الحقيقـة سيِّـدٌ — تـزان بـه البـطحـاء في البـرِّ والبحـر
أبـو طـالـب والخيـل والليـل والـلوا — لـه شهـدت في ملتقى الحـرب بـالنصر
أبـو الأوصيـاء الـغـرّ عـمُّ مـحـمَّـد — تضـوع بـه الأحسـاب عن طيِّب النجر
لقـد عـرفت منـه الخطـوب محنَّكـاً — تـدرَّع يـوم الـزحف بـالبـاس والحجر
كمـا عـرفت منـه الجـدوب أخـا نـدى — دُويـن سـداه الغـمـر ملتـطم الـبحـر
فـذا واحـد الـدنيـا وثـان لـه الحيـا — وقـل في سنـاه ثـالث الشمس والبـدر
وأنّى يحـيط الـوصف غُـرَّ خـصـالـه — وقـد عجزت عن سردها صاغـة الشعـر
حمى المصـطفى في باس نـدب مدجَّـج — تـذلُّ لـه الأبـطال في مـوقف الـكـرِّ
فـلولاه لـم تـنـجـح لـطاهـا دعـايـة — ولا كـان لـلإسـلام مستـوسق الأمـر
وآمـن بـالـلّه الـمـهـيـمـن والـورى — لـهم وثبـات من يـعـوق إلـى نـسـر
وجـابـه أسـراب الضَّـلال مصـدِّقـاً — نبيّ الهـدى إذ جـاء يصـدع بـالأمـر
كفى مـفخـراً شـيـخ الأبـاطـح أنَّـه — أبـو حيـدر المنـدوب في شـدَّة الضـرِّ

(١) أحد شعراء الغدير يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله .

وصلّى عليه اللّه ما هبَّت الصبا　　بريّا ثنا شيخ الأباطح في الدهر

وقال العلاَّمة الحجَّة شيخنا الأوردبادي(١) :

بشيخ الأبطحين فشا الصَّلاحُ　　وفي أنواره زهت البطاح
براه اللّه للتوحيد عضباً　　يلين به من الشركِ الجماح
وعمٍّ المصطفى لولاه أضحى　　حمى الإسلام نهباً يستباح
نضا للدين منه صفيح عزم　　عنت لمضائه القضب الصفاح
وأشرع للهدى بأساً مريعاً　　تحطَّم دونه السّمر الرماح
وأصحر بالحقيقة في قريض　　عليه الحقُّ يطفح والصلاح
صريخة هاشم في الخطب لكن　　تزمّ لنيله الإبل الطلاح
أخو الشرف الصراح أقام أمراً　　حداه لمثله الشرف الصراح
فلا عابٌ يدنِّسه ولكن　　غرائز ما برحن به سجاح
فعلمٌ زانه خلقٌ كريمٌ　　ودينٌ فيه مشفوعٌ سماح
ومنه الغيث إمّا عمَّ جدب　　وفيه الغوث إن عن الصباح
مناقب أعيت البلغاء مدحاً　　وتنفد دونها الكلم الفصاح
وصفو القول إنَّ أبا عليّ　　له الدين الأصيل ولا براح
ولكن لابنه نصبوا عداءً　　وما عن حيدر فضلٌ يزاح
فنالوا من أبيه وما المعالي　　لكلِّ محاولٍ قصداً تُباح
وضوء البدر أبلج لا يوارى　　وإن يك حوله كشر النباح
(وهبني قلت : إنَّ الصبح ليلٌ)　　فهل يخفى لذي العين الصباح ؟
فدع بمتاهة التضليل قوماً　　بمرتبك الهوى لهم التياح
فذا شيخ الأباطح في هداه　　تصافقه الإمامة والنجاح
أبو الصيد الأكارم من لويّ　　مقاديم جحاجحة وضاح

---

(١) من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالىٰ .

لهم كأبيهمُ إن جال سهمٌ　　لأهل الفضل فائزة قداح

وقال العلّامة الأوحد الشيخ محمّد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها أهل البيت عليهم السلام :

بسيف عليّ قد أُشيدت صروحه　　كما بأبيه قام قدماً بناؤه
أبو طالب أصل المعالي ورمزها　　ومبدأ عنوان الهدى وانتهاؤه
توحّد في جمع الفضائل والنُّهى　　وضمّ جميع المكرمات رداؤه
وتنحطُّ عنه رفعةً هامة السُّهى　　ويأرج في عرف الخزامى ثناؤه
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه　　وكعبة قصد المرتجي وغناؤه
تحلّق في جمع المكارم نفسه　　ويسمو به للنيِّرين إباؤه
أصاخ إلى الدين الحنيف ملبِّياً　　لدعوته لمّا أتاه نداؤه
وباع بإعزاز الشريعة نفسه　　فبورك قدراً بيعه وشراؤه

وقال العلّامة الشريف المبجّل السيِّد علي النقي اللكهنوي(١) :

زهت أُمُّ القرى بأبي الوصيِّ　　غداة غدا يذود عن النبيِّ
وقام بنصرة الإسلام فرداً　　يراغم كلَّ مختال غويِّ
يذبُّ عن الهدى كيد الأعادي　　بأمضى من ذباب المشرفيِّ
وأبصر رشده من دين طاها　　فجاهر فيه بالسرِّ الخفيِّ
وآمن بالإله الحقِّ صدقاً　　بقلب موحِّدٍ بَرٍّ تقيِّ
بنى للسؤدد العربيِّ صرحاً　　محاطاً بالفخار الهاشمي
تلقّى الرشد عن آباء صدقٍ　　توارثه صفيّاً عن صفيِّ
كأنَّ الأُمّهات لهم أبت أن　　تلدن سوى نبيّ أو وصيِّ
فكان على الهدى كأبيه قِدماً　　ولم يبرح على النهج السويِّ
وكان به رواء الشَّرع بدءاً　　وتمَّ بنجله الزاكي عليِّ

وقال العلّامة الفاضل الشيخ محمّد السماوي(٢) من قصيدة نشرت في آخر

---

(١) أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله .

(٢) أحد شعراء الغدير يأتي ذكره إن شاء الله . توفّي رحمه الله في يوم الأحد ٢ محرم سنة ١٣٧٠ .

كتاب الحجّة ص ١٣٥ مطلعها :

فؤاديَ بالغادة الكاعب غدا كُرةً في يدي لاعب
كأنّي بدائرة من هوى فمن طالع لي ومن غارب
بليت بمن ضربت خدرها بمنقطع النظر الصائب
بحيث الصفاح وحيث الرما ح فمن مشرفيٍّ إلى راغب
لها منعةٌ في ذرى قومها كأنَّ أباها (أبو طالب)
فخار الأبيِّ وعمُّ النبيِّ وشيخ الأباطح من غالب
وأمنع لا يرتقي أجدل إلى ذروة منه أو غارب
إذا الرافع الطرف يرنوله يعود بتنحية الناصب
تهلّل طلعته للعيو ن كما جرِّد الغمد عن قاضب
أقام عماد العلى سامكاً بأربعة كالسنا الثاقب
بمثل (عليٍّ) إلى (جعفر) ومثل (عقيل) إلى (طالب)
أولئك لا زمعات الرجا ل من قالص الذيل أو ساحب
ومن ذا كعبد مُناف يطو ل على راجل ثمَّ أو راكب
حمى الدين في سيفه فانبرى بمكّة ممتنع الجانب
وآمن بالله في سرِّه لأمرٍ جليٍّ على الطالب
وصدَّق (أحمد) في وحيه وقام بما كان من واجب
فكم بين مخفٍ لتصديقه وآخر مبدٍ له كاذب
لنعم ملاذ الهدى والتقى ومنتجع الوافد الراغب
ومعتصم الدين في مكّة إذ الدين منفرد الصاحب
ومانح حوزة أهل الهدى مدى العمر من وثبة الواثب
فلولاه ما طفق (المصطفى) ينادي على المنهج اللاحب
ولم يعب الشرك مستظهراً بيوم يضيق على العائب

وللبحاثة الفاضل صاحب التآليف القيِّمة الشّيخ جعفر بن الحاج محمَّد النقدي[1] من قصيدة ذكرها في كتابه (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب)

(١) من شعراء الغدير يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله . ارتحل إلى =

المطبوع في النجف الأشرف في ١٥٤ صفحة مطلعها :

برق ابتسامك قد أضاء الوادي ... وحيا خدودك فيه ريُّ الصادي

قوله :

مهما تراكمت الخطوب فإنّها ... تجلى متى بأبي الوصيِّ أُنادي
عبد المناف الطُّهر عمُّ محمَّد ... الطاهر الآباء والأجداد
غيث المكارم ليث كلِّ ملمَّةٍ ... غوث المنادي بدر أُفق الناد
شيخ الأباطح من بصارم عزمه ... بلغ الأنام لخطَّة الإرشاد
دانت لديه المكرمات رقابها ... وإليه ألقى الدهر فضل قياد
جدُّ الأئمَّة شيخ أُمَّة أحمد ... ربع الأماني مربع الوفّاد
سيفٌ له المجد الأثيل حمائل ... وله الفخار غدا حليَّ نجاد
داعي الورى للرشد في عصر به ... لا يعرفون الناس نهج رشاد
وله قريش كم رأت من معجز ... عرفوه فيه واحد الآحاد
كرضاعه خير البريَّة أحمداً(١) ... وقبول دعوته لسقي الوادي(٢)
وبشارة الأسد الهصور بنجله ... وشفائه بدعا النبيِّ الهادي(٣)
وكلامه بالوحي قبل صدوره ... وله انفجار الأرض إذ هو صادي
وبيوم مولد أحمد إخباره ... عن حيدر الكرّار بالميلاد(٤)
وله على الإسلام من سنن غدت ... للمسلمين قلائد الأجياد
كفل النبيَّ المصطفى خير الورى ... ورعى الحقوق له بصدق وداد
ربّاه طفلاً واقتفاهُ يافعاً ... وحماه كهلاً من أذى الأضداد
ولأجله عادى قريشاً بعدما ... سلكوا سبيل الغيِّ والإفساد

= رحمة ربّه الودود يوم السبت ٨ محرم سنة ١٢٨٠ بالكاظمية ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف .

(١) أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي ص ٣٤٤ .

(٢) راجع ما أسلفناه صفحة ٣٤٥ .

(٣) يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين .

(٤) راجع ما مرّ في صفحة ٣٤٨ ، ٤٠٠ .

ورآهم متعاضدين ليقتلوا خير البريّة سيّد الأمجاد
فسطا بعزم ناله من معشر شمّ الأنوف مصالت أنجاد
وانصاع يفدي أحمداً في نفسه والجاه والأموال والأولاد
وأقام ينصره إلى أن أصبحت تزهو شريعته بكلّ بلاد
أفديه من صاد لواءً للهدى يحمي لأفصح ناطق بالضاد
قد كان يعلم أنّه المختار من ربّ السماء عميد كلّ عماد
ولقد روى عن أنبياء جدوده فيه حديثاً واضح الإسناد
وعلا به عيناً على كلّ الورى إذ قال فيه بمطرب الانشاد
: (إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً عندي يفوق منازل الأولاد)(١)
راعيت فيه قرابةً موصولةً وحفظت فيه وصيّة الأجداد
ياوالد الكرّار والطيّار والـ أطهار أبناء النبيّ الهادي
كم معجز أبصرته من أحمد باهلت فيه معاشر الحسّاد
من لصق أحجار ومزق صحيفةٍ ونزول أمطار ونطق جماد(٢)
لا فخر إلاّ فخرك السامي الذي فقئت به أبصار أهل عناد
إنّ المكارم لو رأت أجسادها عين رأتك الروح للأجساد
شكر الإله فعالك الغرّ التي فرحت بها أملاك سبع شداد
لِلّه همّتك التي خضعت لها من خوف بأسك شامخ الأطواد
لِلّه هيبتك التي رجفت بها أعداء مجدك عصبة الإلحاد
لِلّه كفّك كم بها من معدم أحييت ، في الإصدار والأيراد

وله قصيدة من ٤٣ بيتاً يمدح بها شيخ الأباطح أبا طالب سلام الله عليه توجد في كتابه مواهب الواهب ص ١٥١ مستهلها :

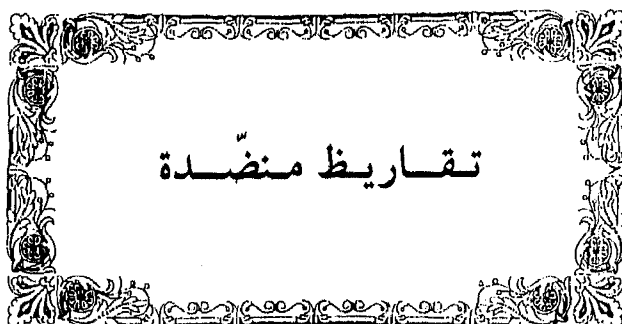
---

(١) راجع ما أسلفناه ص ٣٨٢ .

(٢) أشار شاعرنا (النقدي) بهذا البيت إلى أربع مكرمات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهدها شيخ الأبطح أبو طالب ، مرّ حديثها صفحة ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٤٤٠ .

بالله يــا قــاصــد الأطــلال في الـعــلَمِ ... سـلمت سـلّم على سـلمى بــذي سَـلَم

هٰهنا نجعجع بالقلم عن الإفاضة في القول ، لأنَّ نطاق الجزء
ضاقَ عن التبسُّط فنرجىء تكملة البحث إلى أُوليات
الجزء الثامن إن شاء الله تعالىٰ
وآخِرُ دعوانا أن الحمدُ للّه ربِّ العالَمينَ



أتانا شعر كثير في تقريظ الكتاب من الأساتدة والشعراء نظراء العلّامة الشيخ قاسم محيي الدين ، والنطاسي المحنّك ميرزا محمّد الخليلي مؤلف كتاب ـ معجم أدباء الأطباء ـ والخطيب الهاشمي السيّد علي مؤلف كتاب ـ محمّد بن الحنفية ـ والفاضل الفذّ الشيخ علي السماوي ، والخطيب المغفور له الشيخ محسن أبي الحب الحائري طاب ثراه ، والأستاذ الفاضل الشيخ أسد حيدر النجفي ، ونحن نشكر الجميع ونرجىء ذكر قريضهم إلى تراجمهم الآتية في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالىٰ ، ونقتصر الآن ـ مشفوعاً بالشكر ـ على ما جاءت به قريحة العلويِّ الشاعر السيِّد رؤوف جمال الدين ، وشاعر أهل البيت المكثر الشيخ محمَّد رضا الخالصي ، والأستاذ عبد الصاحب الدجيلي صاحب كتاب شعراء العراق ـ قال السيِّد آل جمال الدين :

١ ـ بنت الحقيقة في كتاب الغدير :

بنت الحقيقة أسفرت عن وجهها ... ما بين أسطره وشعَّ سناها
أبدت محيّاها الجميل وقبله ... كانت غياهبُ باطلٍ تغشاها
تلكَ الحقيقة في «الغدير» فحيّها ... إن كنت ذا عقلٍ وخذ بهداها
كانت محجَّبةً يشقُّ حصولها ... واليوم قد برزتْ لمن يهواها

برزتْ برغم (حسودها) وضّاءةً | أعظم (بمن) في جهده أبداها
كم معولٍ للحقدِ رامَ بناءَها | هدماً فلم يفلح بهدم بناها
سبعون ألفاً ضيّعوا ميثاقها | تَبّاً لهم من جهلهم معناها
سَدلوا عليها الستر من أحقادهم | سفهاً. وهل تخفى ذكاء ضياها ؟
ويل التعصّب كم به حقٌّ خبت | أنواره أو بدعة أحياها
لا منصفٌ يعطي الحقيقة مالها | في ذمّة الوجدان أو يرضاها
بنت الحقيقة في علوٍّ مقامها | جذلانةً في فعل مَن والاها
يهوى الحقيقة منصفاً لا ينثني | عن حبّها أو يعشقنّ سواها
مثل (ابن أحمد) مَن غدا متجاهراً | في نصرها لا يحذرنَّ عِداها
بذل النفيس لوجهها لا ينبغي | أجراً فنال الفوز في إحياها
إيهاً حليف الحقِّ كم من بدعة | كانت محجّبةً كشفت غطاها
أظهرْتها بين الملا كي يعرفوا | أين الهدى ثاوٍ وأين عماها
ذاك (الغدير) وقد تضمّن معجزاً | يبقى مدى الأعوام لا يتناها
فاهنأ بذكرٍ لا يزولُ وفي غدٍ | دار النعيم تفوز في سكناها

٢ ـ وقال الشيخ الخالصي :

إنَّ (الأمينيَّ) شئا من مضى | بسعيه المشكور ما بين الورى
آياتُ فضل اللّه قد فصّلت | رتّلها في الناس من أبصرا
عيلم علم لم يزل مدّه | يطفحُ حتى أخجل الأبحرا
لِلَّهِ مفضال بتأليفهِ | حاز العلى والمجد والمفخرا
لا يبلغ المعشار من فضله | مادحه ماعاش أو أكثرا
ولا يوفّي الكيل في مدحه | الشاعر إنْ عمَّر ما عمّرا
لا خيّب الرّحمنُ آماله | وكلّما في القلب قد أضمرا
قد أزهقَ الباطل إرشادهُ | والحقّ للنظّار قد أسفرا

* * *

غديره السّادس بحرٌ طمى | فيه من اللؤلؤ ما أبهرا

سفرٌ حوى أسرارَ قدس بها أصبح منهاج الهدى نيّرا
مَن ذا الذي ممن قضى قبله كمثل ما حرَّر قد حرَّرا ؟
روضةُ آداب بأزهارها والله (عَصر النور) قد عَطّرا
وكلّما قلّبت أوراقه شممت من أوراقه عنبرا
كتاب تاريخ لأهل الحجى عن سير الماضين قد أخبرا
ما سرَّح الطرف به كامل إلّا لعينيه به أسهرا
أسأل ربّي أن يُريني الذي بعدُ ويأتي بالهدى مشعرا
وثامن الأجزاء من بعده وما يليه بعده أن أرى
وأتحف الله بنعمائه جامعه المفضال بين الورى
دامتْ أياديه وأيّامه ما بلّت السحبُ أديم الثرى
أدامهُ الله لنا مرجعاً وللخفايا بيننا مُظهرا
لِلَّهِ من فذّ بأنواره أشرق وَجه الشرق مستبشرا
أوضح للضلّال نهج الهدى وكان بالتمويه قد ستّرا
أصدر أسفاراً بإصدارها أصبح مَن قد ضلَّ مستبصرا
لِلَّهِ مِن مجتهد نيقد أبدع والله بما أصدرا

٣ ـ وقال الأستاذ الدجيلي :

ألا حُيّيت من فذٍّ ضليع سديد الرأي منقطع القرين
تغوصُ على المعاني الغرِّ فرداً لتلقى الناس بالدرِّ الثمين
تُحدِّثنا ـ وأنتَ بنا أمينٌ ـ لذاك دُعيت بالحبر «الأميني»
كتابك في الغدير (غدير خُمّ) تضمُّ به البحور من الفنون
وما يوم «الغدير» سوى شعاع سرى لينير في دنياً ودين
تمرُّ به القرون وما سواهُ جديرٌ بالخلود مدى القرون

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

موسوعة الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني، علمي، فني، تأريخي، أدبي، أخلاقي

مبتكر في موضوعه، فريد في بابه، يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنة وأدباً، ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة من العلم وغيرهم

الجزء الثامن

العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
(١٣٢٠-١٣٩٠هـ)

تحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

بإشراف
آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي

موسوعة الغدير

في

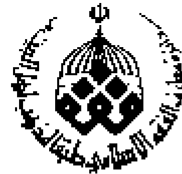
الكتاب والسنة والأدب

الأميني، عبدالحسين، ١٣٢٠ ـ ١٣٩٠هـ.
موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: كتاب ديني، علمي، فني... / عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية؛ ويراستار عدنان علي حامد الحسيني. قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ١٤٢٥هق = ٢٠٠٥م = ١٣٨٤هش.
١٤ ج.
ISBN: 964 - 8360 - 03 - 0 (vol. SET)
ISBN: 964 - 8360 - 12 - X (vol. 9)
فهرستنويسي بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي.
جلد سيزدهم وچهاردهم كتاب حاضر "الفهارس الفنية" مي‌باشد.
كتاب حاضر در سالهاى مختلف توسط ناشرين مختلف منتشر شده است.
كتابنامه:
١ ـ غدير خم.
٢ ـ علي بن أبي طالب عليه السلام، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ه اثبات خلافت. الف ـ حسيني، عدنان، ١٣٣٥، ويراستار. ب ـ مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامي. ج ـ مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامي، مركز الغدير للدراسات الاسلاميه. د ـ عنوان.
BP٢٢٣/٥٤/ ٤غ١٨الف ٢٩٧/٤٥٢
١٣٨٢
كتابخانه ملى ايران
م٨٢ـ٢٠١٩٩

الطبعة الثالثة
١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م
وتشتمل على تصحيحات وإضافات تحقيقية مفيدة

الإخراج الفني: سيّد كمال البطّاط
الألواح الحساسة: عادل المياحي
عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: سبحان

الناشر:



مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي
Islamic jurisprudence Encyclopedia Institute
ايران ـ قم المقدسة
Iran - Qum
ص. ب: ٣٧١٨٥/٣٧٩٦
P.O. Box 3796/37185
هاتف: ٧٧٣٩٩٩٩/فاكس: ٧٧٤٤٩٦٣
Tel. +982517739999/Fax +982517744963

وكلاء التوزيع:
لبنان: ✓ بيروت ـ حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري ـ دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع ـ هاتف: ٩٦١١٥٥٨٢١٥+ فاكس: ٩٦١١٢٧٣٦٠٤+
العراق: ✓ النجف الأشرف ـ دار الغدير للطباعة والنشر.
✓ بغداد ـ شارع المتنبي ـ دار الكتاب العربي.

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الجزء أبحاث قيّمة ودروس دينيّة راقية لا منتدح لأيّ دينيّ ارتاد مهيع الحق، وابتغى لاحب الحقيقة عن عرفانها والخوض فيها، والبحث عنها بضمير حُرّ غير جانحٍ إلى العصبيّة العمياء والعاطفة الحمقاء..

والله وليّ التوفيق

أدب أمير المؤمنين عليه السلام
أدب الشيعة، أدب الأميني

قال مولانا أمير المؤمنين لحجر بن عدي وعمرو بن الحَمِق:

«كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، تشتمون وتبرؤون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، ولو قلتم مكان لعنكم إيّاهم وبراءتكم منهم: اللّهمّ احقن دماءهم ودماءنا، واصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من ضلالتهم، حتى يَعرف الحقّ منهم من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان منهم من لهج به، لكان أحبّ إليّ وخيراً لكم».

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك، ونتأدّب بأدبك[1].

وقال الأميني مثل ما قالا، وهو مقال الشيعة جمعاء.

والسلام على من اتّبع الهدى

(١) كتاب صفّين لنصر بن مزاحم ص١١٥ [ص١٠٣]. (المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ ، الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعلَمُونَ ، إِذ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أَفوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ، قُلْ إِيْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ، وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفتَرَىٰ وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ ، فَهَدَىٰ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِهِ ، فَمَاذَا بَعدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .

قُلِ الحَمدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصطَفَى .

أبو طالب في الذكر الحكيم

٣/٨ لقد أغرق القوم نزعاً في الوقيعة والتحامل على بطل الإسلام والمسلم الأوّل بعد ولده البارّ، وناصر دين الله الوحيد، فلم يقنعهم ما اختلقوه من الأقاصيص حتى عمدوا إلى كتاب الله فحرّفوا الكلم عن مواضعه، فافتعلوا في آيات ثلاث أقاويل نأت عن الصدق، وبعدت عن الحقيقة بُعد المشرقين، وهي عمدة ما استند إليه القوم في عدم تسليم إيمان أبي طالب، فإليك البيان:

الآية الأولىٰ:

قوله تعالى: ﴿**وَهُم يَنْهَوْنَ عَنهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[١].

أخرج الطبري وغيره من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمّن سمع ابن عبّاس أنّه قال: إنّها نزلت في أبي طالب، ينهى عن أذى رسول الله ﷺ أن يؤذى، وينأى أن يدخل في الإسلام[٢].

وقال القرطبي: هو عامّ في جميع الكفّار، أي ينهون عن اتّباع محمد ﷺ وينأون عنه، عن ابن عبّاس والحسن. وقيل: هو خاصّ بأبي طالب ينهى الكفّار عن أذاية محمد ﷺ ويتباعد عن الإيمان به، عن ابن عبّاس أيضاً. روى أهل السير قال: كان النبيّ ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلّي، فلمّا دخل في الصلاة

---

(١) الأنعام: ٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ١٠٥/١ [١٢٣/١]، تفسير الطبري: ١١٠/٧ [مج٥/ج١٧٣/٧]، تفسير ابن كثير: ١٢٧/٢، الكشّاف: ٤٤٨/١ [١٤/٢]، تفسير ابن جزي: ٦/٢، تفسير الخازن: ١٠/٢. (المؤلّف)

قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطّخ به وجه النبيّ ﷺ فانفتل النبيّ ﷺ من صلاته، ثمّ أتى أبا طالب عمّه فقال: يا عمّ ألا ترى إلى ما فُعل بي؟ فقال أبو طالب: من فَعل
٤/٨ هذا بك؟ فقال /النبيّ ﷺ: عبدالله بن الزبعرى، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلمّا رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجلّلته بسيفي. فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بنيّ من الفاعل بك هذا؟ فقال: عبدالله بن الزبعرى. فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنأونَ عَنه**﴾. فقال النبيّ ﷺ: يا عم نزلت فيك آية. قال: وما هي؟ قال: تمنع قريشاً أن تؤذيني، وتأبى أن تؤمن بي. فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتىٰ أُوسَّد في التراب دفينا

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها (٧/٣٣٤، ٣٥٢). فقالوا: يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي طالب[1]؟ قال: نعم، دفع عنه بذاك الغلّ، ولم يقرن مع الشياطين، ولم يدخل في جبّ الحيّات والعقارب، إنّما عذابه في نعلين من نار [في رجليه][2] يغلي منهما دماغه في رأسه، وذلك أهون أهل النار عذاباً[3].

قال الأميني: نزول هذه الآية في أبي طالب باطل لا يصحّ من شتّى النواحي:

١ ـ إرسال حديثه بمن بين حبيب بن أبي ثابت وابن عبّاس، وكم وكم غير ثقة في أُناس رووا عن ابن عبّاس، ولعلّ هذا المجهول أحدهم.

٢ ـ إنّ حبيب بن أبي ثابت انفرد به ولم يروه أحد غيره ولا يمكن المتابعة

(١) في المصدر: هل تنفع أبا طالب نصرته؟

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) تفسير القرطبي: ٦/٤٠٦ [٦/٢٦١]. (**المؤلّف**)

علىما يرويه، ولو فرضناه ثقة في نفسه بعد قول ابن حبّان[١]: إنّه كان مدلّساً. وقول العقيلي[٢]: غمزه ابن عون وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها. وقول القطّان: له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة. وقول الآجري عن أبي داود: ليس لحبيب عن عاصم بن ضمرة شيء يصحّ، وقول ابن خزيمة: كان مدلّساً[٣].

ونحن لا نناقش في السند بمكان سفيان الثوري، ولا نؤاخذه بقول من قال: إنّه يدلّس ويكتب عن الكذّابين[٤].

٥/٨ ٣ ـ إنّ الثابت عن ابن عبّاس بعدّة طرق مسندة يضادّ هذه المزعمة، ففيما رواه الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طلحة وطريق العوفي عنه أنّها في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به، وينأون عنه يتباعدون عنه[٥].

وقد تأكّد ذلك ما أخرجه الطبري وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق وكيع عن سالم عن ابن الحنفية، ومن طريق الحسين بن الفرج عن أبي معاذ، ومن طريق بشر عن قتادة.

وأخرج عبد الرزّاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة والسدي والضحّاك، ومن طريق أبي نجيح عن مجاهد، ومن طريق يونس عن ابن زيد قالوا: ينهون عن القرآن وعن النبيّ، وينأون عنه يتباعدون عنه[٦].

---

(١) الثقات: ١٣٧/٤.

(٢) الضعفاء الكبير: ٢٦٣/١ رقم ٣٢٢.

(٣) تهذيب التهذيب: ١٧٩/٢ [١٥٦/٢]. (المؤلّف)

(٤) ميزان الاعتدال: ٣٩٦/١ [١٦٩/٢ رقم ٣٣٢٢]. (المؤلّف)

(٥) تفسير الطبري: ١٠٩/٧ [مج ٥/ج ١٧٢/٧]، الدرّ المنثور: ٨/٣ [٢٦٠/٣ ـ ٢٦١]. (المؤلّف)

(٦) تفسير الطبري: ١٠٩/٧ [مج ٥/ج ١٧٢/٧]، الدرّ المنثور: ٨/٣، ٩ [٢٦٠/٣، ٢٦١]، تفسير الآلوسي: ١٢٦/٧. (المؤلّف)

وليس في هذه الروايات أيّ ذكر لأبي طالب، وإنّما المراد فيها الكفار الذين كانوا ينهون عن اتّباع رسول الله أو القرآن، وينأون عنه بالتباعد والمناكرة، وأنت جدّ عليم بأنّ ذلك كلّه خلاف ما ثبت من سيرة شيخ الأبطح الذي آواه ونصره وذبّ عنه ودعا إليه إلى آخر نفس لفظه.

٤ ـ إنّ المستفاد من سياق الآية الكريمة أنّه تعالى يريد ذمّ أُناس أحياء ينهون عن اتّباع نبيّه ويتباعدون عنه، وإنّ ذلك سيرتهم السيّئة التي كاشفوا بها رسول‌الله ﷺ وهم متلبّسون بها عند نزول الآية، كما هو صريح ما أسلفناه من رواية القرطبي وأنّ النبيّ ﷺ أخبر أبا طالب بنزول الآية.

لكن نظراً إلى ما يأتي عن الصحيحين فيما زعموه من أنّ قوله تعالى في سورة القصص: ﴿**إنَّكَ لاَ تَهدِي مَنْ أحبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهدِي مَنْ يَشاء**﴾. نزلت في أبي طالب بعد وفاته. لا يتمّ نزول آية ينهون عنه وينأون النازلة في أُناس أحياء في أبي طالب، فإنّ سورة الأنعام التي فيها الآية المبحوث عنها نزلت جملة واحدة[1] بعد سورة القصص
٦/٨ بخمس سور كما في الإتقان[2] (١٧/١) فكيف يمكن تطبيقها على أبي طالب وهو رهن أطباق الثرى، وقد توفّي قبل نزول الآية ببرهة طويلة؟

٥ ـ إنّ سياق الآيات الكريمة هكذا: ﴿**وَمِنهُم مَنْ يَستَمِعُ إلَيكَ وَجَعَلنَا عَلىٰ قُلُوبِهِم أكِنَّةً أنْ يَفقَهُوهُ وَفِي آذانِهِم وَقْراً وإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنُوا بِها حَتَّىٰ إذا جاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا إنْ هٰذا إلّا أساطِيرُ الأوَّلين * وَهُمْ يَنْهَونَ عَنهُ وَيَنأونَ عَنهُ**

(١) أخرجه أبو عبيد وابن المنذر والطبراني [في المعجم الكبير: ١٦٦/١٢ ح ١٢٩٣٠] وابن مردويه والنحّاس من طريق ابن عبّاس والطبراني وابن مردويه من طريق عبدالله بن عمر، راجع تفسير القرطبي: ٣٨٢/٦، ٣٨٣ [٢٤٦/٦]، تفسير ابن كثير: ١٢٢/٢، الدرّ المنثور: ٢/٣ [٢٤٥/٣]، تفسير الشوكاني: ٩١/٣، ٩٢ [٩٦/٢، ٩٧]. (المؤلّف)

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٢٤/١، ٢٧.

وإنْ يُهلِكُونَ إلّا أنفُسَهُم وَمَا يَشعُرُون ﴾[1].

وهو كما ترى صريح بأنّ المراد بالآيات كفّار جاؤوا النبيّ فجادلوه وقذفوا كتابه المبين بأنّه من أساطير الأوّلين، وهؤلاء الذين نهوا عنه ﷺ وعن كتابه الكريم، ونأوا وباعدوا عنه، فأين هذه كلّها عن أبي طالب، الذي لم يفعل كلّ ذلك طيلة حياته، وكان إذا جاءه فلكلاءته والذبّ عنه بمثل قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتىٰ أوسَّد في التراب دفينا

وإن لهج بذكره نوّه برسالته عنه بمثل قوله:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً رسولاً كموسىٰ خطّ في أوّل الكتب

وإن قال عن كتابه هتف بقوله:

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب علىٰ نبيٍّ كموسىٰ أو كذي النونِ

وقد عرف ذلك المفسّرون فلم يقيموا للقول بنزولها في أبي طالب وزناً، فمنهم من عزاه إلى القيل، وجعل آخرون خلافه أظهر، ورأى غير واحد خلافه أشبه، وإليك جملة من نصوصهم:

قال الطبري في تفسيره[2] (١٠٩/٧): المراد المشركون المكذّبون بآيات الله ينهون الناس عن اتّباع محمد ﷺ والقبول منه وينأون عنه ويتباعدون عنه. ثمّ رواه من الطرق التي أسلفناها عن ابن الحنفية وابن عباس والسدي وقتادة وأبي معاذ، ثمّ ذكر قولاً آخر بأنّ المراد ينهون عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه، وعدّ ممّن قال به قتادة ومجاهد وابن زيد، ومرجع هذا إلى القول الأوّل، ثمّ ذكر القول بنزولها في

(١) الأنعام: ٢٥، ٢٦.

(٢) جامع البيان: مج٥/ج١٧١/٧ ـ ١٧٤.

أبي طالب وروى حديث حبيب بن أبي ثابت عمّن سمع ابن عبّاس وأردفه بقوله في (ص١١٠) :

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويل وهم ينهون عنه عن اتّباع محمد ﷺ / من سواهم من الناس وينأون عن اتّباعه، وذلك أنّ الآيات قبلها ٧/٨ جرت بذكر جماعة المشركين العادين به والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ والإعراض عمّا جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ خبراً عنهم، إذ لم يأتنا ما يدلّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحّة ما قلنا من أنّ ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ دون أن يكون خبراً عن خاصّ منهم، وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: وإن يرَ هؤلاء المشركون يا محمد كلّ آية لا يؤمنوا [بها][1] حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقولون إن هذا الذي جئتنا به إلّا أحاديث الأوّلين وأخبارهم، وهم ينهون عن استماع التنزيل وينأون عنك، فيبعدون منك ومن اتّباعك، وإن يهلكون إلّا أنفسهم. انتهى.

وذكر الرازي في تفسيره[2] (٢٨/٤) قولين: نزولها في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن اتّباع النبيّ والإقرار برسالته. ونزولها في أبي طالب خاصّة، فقال: والقول الأوّل أشبه لوجهين:

الأوّل: أنّ جميع الآيات المتقدّمة على هذه الآية تقتضي ذمّ طريقتهم فكذلك قوله: ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ** ﴾. ينبغي أن يكون محمولاً على أمر مذموم، فلو حملناه على أنّ أبا طالب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم.

والثاني: أنّه تعالى قال بعد ذلك ﴿ **وإنْ يُهلِكُونَ إلّا أنفُسَهم** ﴾ يعني به ما تقدّم

---

(١) من المصدر.

(٢) التفسير الكبير: ١٨٩/١٢.

ذكره، ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله وهم ينهون عنه النبي عن أذيّته؛ لأنّ ذلك حسن لا يوجب الهلاك.

فإن قيل: إنّ قوله: ﴿ وإنْ يُهلِكُونَ إلّا أنْـفُسَهُم ﴾ يرجع إلى قـوله: ﴿ وَيَـنْأَونَ عَنهُ﴾ لا إلى قوله ﴿ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾؛ لأنّ المراد بذلك أنّهم يبعدون عنه بمفارقة دينه وترك الموافقة له وذلك ذمّ فلا يصحّ ما رجحتم به هذا القول قلنا: إنّ ظاهر قـوله: ﴿وإن يُهلِكُونَ إلّا أنْفُسَهُم ﴾ يرجع إلى كلّ ما تقدّم ذكره؛ لأنّه بمنزلة أن يقال: إنّ فلاناً يبعد عن الشيء الفلاني وينفر عنه ولا يضرّ بذلك إلّا نفسه، فلا يكون هذا الضرر متعلّقاً بأحد الأمرين دون الآخر. انتهى.

وذكر ابن كثير في تفسيره (١٢٧/٢) القول الأوّل نقلاً عن ابن الحنفيّة وقتادة ومجاهد والضحّاك وغير واحد، فقال: وهذا القول أظهر والله أعلم، وهو اختيار ابن جرير.

٨/٨ وذكر النسفي في تفسيره[١] بهامش تفسير الخازن (١٠/٢) القول الأوّل ثمّ قال: وقيل: عني به أبو طالب: والأوّل أشبه.

وذكر الزمخشري في الكشّاف[٢] (٤٤٨/١) والشوكاني في تفسيره[٣] (١٠٣/٢) وغيرهما القول الأوّل وعزوا القول الثاني إلى القيل، وجـاء الآلوسي[٤] وفـصّل في القول الأوّل ثمّ ذكر الثاني وأردفه بقوله: وردّه الإمام. ثمّ ذكر محصّل قول الرازي.

وليت القرطبي لمّا جاءنا يخبط في عشواء وبين شفتيه رواية التقطها كحاطب ليل دلّنا على مصدر هذا الذي نسجه، ممّن أخذه؟ وإلى من ينتهي إسناده؟ ومن ذا

---

(١) تفسير النسفي: ٨/٢.

(٢) الكشّاف: ١٤/٢.

(٣) فتح القدير: ١٠٨/٢.

(٤) روح المعاني: ١٢٦/٧ ـ ١٢٧.

الذي صافقه على روايتها من الحفّاظ ؟ وأيّ مؤلّف دوّنه قبله، ومن الذي يقول: إنّ ما ذكره من الشعر قاله أبو طالب يوم ابن الزبعرى؟ ومن الذي يروي نزول الآية يوم ذلك؟ وأيّ ربط وتناسب بين الآية وإخطارها النبيّ ﷺ على أبي طالب وبين شعره ذاك؟ وهل روى قوله في هذا النسيج: يا عم نزلت فيك آية. غيره من أئمّة الحديث ممّن هو قبله أو بعده؟ وهل وجد القرطبي للجزء الأخير من روايته مصدراً غير تفسيره؟ وهل أطلّ على جبّ الحيّات والعقارب فوجده خالياً من أبي طالب؟ وهل شدّ الأغلال وفكّها هو ليعرف أنّ شيخ الأبطح لا يغلّ بها؟ أم أنّ مدركه في ذلك الحديث النبويّ؟ حبّذا لو صدقت الأحلام، وعلى كلّ فهو محجوج بكلّ ما ذكرناه من الوجوه.

الآية الثانية والثالثة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[١].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[٢].

أخرج البخاري في الصحيح في كتاب التفسير في القصص[٣] (١٨٤/٧)، قال: حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أُميّة بن المغيرة فقال: أي عم قل: لا اله إلّا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أُميّة: أترغب عن ملّة عبدالمطّلب؟ فلم يزل

---

(١) البراءة: ١١٣.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) صحيح البخاري: ١٧٨٨/٤ ح ٤٤٩٤.

رسول الله ﷺ يعرضها / عليه ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما ٩/٨
تكلّم[١] على ملّة عبدالمطّلب وأبى أن يقول: لا إله إلّا الله. فقال رسول الله ﷺ: والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك. فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾. وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وفي مرسلة الطبري[٢]: فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية. ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحْبَبْتَ﴾.

وأخرجه مسلم في صحيحه[٣] من طريق سعيد بن المسيّب، وتبع الشيخين جلّ المفسّرين لحسن ظنّهم بهما وبالصحيحين.

مواقع النظر في هذه الرواية:

١ ـ إنّ سعيداً الذي انفرد بنقل هذه الرواية كان ممّن ينصب العداء لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام فلا يحتجّ بما يقوله أو يتقوّله فيه وفي أبيه وفي آله وذويه، فإنّ الوقيعة فيهم أشهى مأكلة له، قال ابن أبي الحديد في الشرح[٤] (٣٧٠/١): وكان سعيد بن المسيّب منحرفاً عنه عليه السلام، وجبهه عمر بن عليّ عليه السلام في وجهه بكلام شديد، روى عبدالرحمن بن الأسود عن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيّب وأقبل عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له سعيد: يابن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله ﷺ، كما يفعل أخوتك وبنو أعمامك؟ فقال عمر: يابن المسيّب أكلّما دخلت المسجد أجيء، فأُشهدك؟ فقال سعيد: ما أحبّ أن تغضب

---

(١) في المصدر: آخر ما كلّمهم.

(٢) جامع البيان: مج٧/ج٤١/١١.

(٣) صحيح مسلم: ٨٢/١ ح٣٩ كتاب الإيمان.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٠١/٤ الأصل ٥٦.

سمعت أباك يقول: إنّ لي من الله مقاماً لهو خير لبني عبدالمطّلب ممّا على الأرض من شيء. فقال عمر: وأنا سمعت أبي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا إلّا يتكلّم بها. فقال سعيد: يابن أخي جعلتني منافقاً؟ قال: هو ما أقول لك. ثمّ انصرف.

وأخرج الواقدي من أنّ سعيد بن المسيّب مرّ بجنازة السجّاد عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ولم يصلّ عليها، فقيل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟ فقال: صلاة ركعتين أحب إليّ من الصلاة على الرجل الصالح!

ويعرّفك سعيد بن المسيّب ومبلغه من الحيطة في دين الله ما ذكره ابن حزم في المحلّى (٢١٤/٤) عن قتادة قال: قلت لسعيد: أنصلّي خلف الحجّاج؟ قال: إنّا لنصلّي خلف من هو شرّ منه.

٢ ـ إنّ ظاهر رواية البخاري كغيرها تعاقب نزول الآيتين عند وفاة أبي ١٠/٨
طالب عليه السلام، كما أنّ صريح ما ورد في كلّ واحدة من الآيتين نزولها عند ذاك، ولا يصحّ ذلك لأنّ الآية الثانية منهما مكيّة والأولى مدنيّة نزلت بعد الفتح بالاتّفاق وهي في سورة براءة المدنيّة التي هي آخر ما نزل من القرآن[1] فبين نزول الآيتين ما يقرب من عشر سنين أو يربو عليها.

٣ ـ إنّ آية الاستغفار نزلت بالمدينة بعد موت أبي طالب بعدّة سنين تربو

---

(١) صحيح البخاري: ٦٧/٧ في آخر سورة النساء [١٦٨١/٤ ح٤٣٢٩]، الكشّاف: ٤٩/٢ [٣١٥/٢]، تفسير القرطبي: ٢٧٣/٨ [١٧٣/٨]، الإتقان: ١٧/١ [٢٧/١]، تفسير الشوكاني: ٣١٦/٣ [٣٣١/٢]، نقلاً عن ابن أبي شيبة [في مصنّفه: ٥٤٠/١٠ ح١٢٦٢] والبخاري والنسائي [في السنن الكبرى: ٣٥٣/٦ ح١١٢١٢] وابن الضريس وابن المنذر والنحّاس وأبي الشيخ وابن مردويه عن طريق البراء بن عازب. (المؤلّف)

على ثمانية أعوام، فهل كان النبيّ ﷺ خلال هذه المدّة يستغفر لأبي طالب عليه السلام أخذاً بقوله ﷺ: والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك؟ وكيف كان يستغفر له؟ وكان هو ﷺ والمؤمنون ممنوعين عن موادّة المشركين والمنافقين وموالاتهم والاستغفار لهم ـ الذي هو من أظهر مصاديق الموادّة والتحابب ـ منذ دهر طويل بقوله تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾ الآية.

هذه آية (٢٢) من سورة المجادلة المدنيّة النازلة قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بسبع سور كما في الإتقان[١] (١٧/١)، وأخرج:[٢] ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وأبو نُعيم، والبيهقي، وابن كثير كما في تفسيره (٣٢٩/٤)، وتفسير الشوكاني (١٨٩/٥)، وتفسير الآلوسي (٣٧/٢٨) أنّ هذه الآية نزلت يوم بدر وكانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة، أو نزلت على ما في بعض التفاسير في أُحد وكانت في السنة الثالثة باتّفاق الجمهور كما قاله الحلبي في السيرة[٣]، فعلى هذه كلّها نزلت هذه الآية قبل آية الاستغفار بعدّة سنين.

وبقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً**﴾.

هذه الآية (١٤٤) من سورة النساء وهي مكيّة على قول النحّاس وعلقمة ١١/٨
وغيرهما ممّن قالوا: إنّ قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ حيث وقع إنّما هو مكّي[٤]، وإن

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢٧/١.

(٢) المعجم الكبير: ١٥٤/١ ح٣٦٠، المستدرك على الصحيحين: ٢٩٦/٣ ح٥١٥٢، حلية الأولياء: ١٠١/١ رقم١٠، السنن الكبرى للبيهقي: ٢٧/٩، فتح القدير: ١٩٤/٥.

(٣) السيرة الحلبية: ٢١٦/٢.

(٤) تفسير القرطبي: ١/٥ [٣/٥].

أخذنا بما صحّحه القرطبي في تفسيره (١/٥) وذهب إليه الآخرون من أنّها مدنيّة أخذاً بما في صحيح البخاري[١] من حديث عائشة: ما نزلت سورة النساء إلّا وأنا عند رسول الله ﷺ، فإنّها نزلت في أوليات الهجرة الشريفة بالمدينة، وعلى أيٍّ من التقديرين نزلت قبل سورة آية الاستغفار ـ البراءة ـ بإحدى وعشرين سورة كما في الإتقان[٢] (١٧/١).

وبقوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾.

هذه الآية (١٣٩) من سورة النساء وقد عرفت أنّها نزلت قبل براءة.

وبقوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾.

هذه الآية (٢٨) من آل عمران، نزل صدرها إلى بضع وثمانين آية في أوائل الهجرة الشريفة يوم وفد نجران كما في سيرة ابن هشام[٣] (٢٠٧/٢)، وأخذاً بما رواه القرطبي وغيره[٤] نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت يوم الأحزاب كانت في الخمس من الهجرة، وعلى أيّ من التقديرين وغيرهما نزلت آل عمران قبل براءة ـ سورة آية الاستغفار ـ بأربع وعشرين سورة كما في الإتقان[٥] (١٧/١).

وبقوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾

---

(١) صحيح البخاري: ٣٠٠/٧ [١٩١٠/٤ ح٤٧٠٧] في كتاب التفسير باب تأليف القرآن، وذكره القرطبي في تفسيره: ٥/١. (المؤلّف)

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٢٧/١.

(٣) السيرة النبوية: ٢٢٥/٢.

(٤) تفسير القرطبي: ٥٨/٤ [٣٨/٤]، تفسير الخازن: ٢٣٥/١ [٢٢٧/١]. (المؤلّف)

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٢٧/١.

وهي الآية السادسة من المنافقين نزلت عام غزوة بني المصطلق سنة ست، وهو المشهور عند أصحاب المغازي والسير كما قاله ابن كثير[١]، ونزلت قبل براءة بثماني سور كما في الإتقان (١٧/١).

وبقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُم وَإِخْوَانَكُم أَوْلِيَاءَ إِنْ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْكُفْرَ عَلَى الإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾. وبقوله تعالى: ١٢/٨
﴿ٱستَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَستَغفِرْ لَهُمْ إنْ تَستَغفِرْ لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغفِرَ اللهُ لَهُم ﴾.

وهذه وما قبلها الآيتان (٢٣ و ٨٠) من سورة التوبة نزلتا قبل آية الاستغفار.

أترى النبيّ ﷺ مع هذه الآيات النازلة قبل آية الاستغفار كان يستغفر لعمّه طيلة سنين وقد مات كافراً ـ العياذ بالله ـ وهو ينظر إليه من كثب؟ لاها الله، حاشا نبيّ العظمة.

ولعلّ لهذه كلّها استبعد الحسين بن الفضل نزولها في أبي طالب وقال: هذا بعيد لأنّ السورة من آخر ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان الإسلام والنبيّ ﷺ بمكّة، وذكره القرطبي وأقرّه في تفسيره[٢] (٢٧٣/٨).

٤ ـ إنّ هناك روايات تضادّ هذه الرواية في مورد نزول آية الاستغفار من سورة براءة، منها:

صحيحة أخرجها[٣]: الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي،

---

(١) تفسير القرطبي: ١٢٧/١٨ [٨٣/١٨]، تفسير ابن كثير: ٣٦٩/٤. (المؤلّف)

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٣/٨.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ص ٢٠ ح ١٣١، المصنّف في الأحاديث والآثار: ٥٢٢/١٠ ح ١٠١٩٠، مسند أحمد: ٢١٠/١ ح ١٠٨٨، سنن الترمذي: ٢٦٢/٥ ح ٣١٠١، السنن الكبرى: ٦٥٥/١ ح ٢١٦٣، مسند أبي يعلى: ٢٨٠/١ ح ٣٣٥، جامع البيان: مج ٧/ ج ٤٣/١١، المستدرك على الصحيحين: ٣٦٥/٢ ح ٣٢٨٩، شعب الإيمان: ٤١/٧ ح ٩٣٧٨.

والنسائي، وأبو يعلى، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء في المختارة عن عليّ قال: «سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أوَلم يستغفر إبراهيم؟ فذكرت ذلك للنبيّ ﷺ فنزلت: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾[1]».

يظهر من هذه الرواية أنّ عدم جواز الاستغفار للمشركين كان أمراً معهوداً قبل نزول الآية ولذلك ردع عنه مولانا أمير المؤمنين الرجل، وقوله عليه السلام هذا لا يلائم استغفار النبيّ ﷺ لعمّه على تقدير عدم إسلامه، وترى الرجل ما استند في تبرير عمله إلى استغفار رسول الله ﷺ لعمّه علماً بأنّه ﷺ لم يستغفر لمشرك قطّ.

١٣/٨ قال السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب[2] (ص١٨): هذه الرواية صحيحة وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلمّا نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثمّ أنزل الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ الآية يعني استغفر له ما دام حيّاً فلمّا مات أمسك عن الاستغفار له، قال: وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصحّ كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنّها نزلت في استغفار أُناس لآبائهم المشركين لا في أبي طالب. انتهى.

ومنها: ما أخرجه[3] ـ في سبب نزول آية الاستغفار ـ مسلم في صحيحه،

---

(١) التوبة: ١١٣، ١١٤.

(٢) أسنى المطالب: ص٤٥.

(٣) صحيح مسلم: ٣٦٥/٢ ح١٠٦ كتاب الجنائز، مسند أحمد: ١٨٦/٣ ح٩٣٩٥، سنن أبي داود: ٢١٨/٣ ح٣٢٣٤، السنن الكبرى: ٦٥٤/١ ح٢١٦١، سنن ابن ماجه: ٥٠١/١ ح١٥٧٢.

وأحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة ﵁ أنّ رسول الله ﷺ أتى قبر أُمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال رسول الله ﷺ: استأذنت ربّي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي. فزوروا القبور فإنّها تذكرة الآخرة[١].

وأخرج: الحاكم[٢]، وابن أبي حاتم، والبيهقي[٣] عن ابن مسعود وبريدة، والطبراني[٤]، وابن مردويه، والطبري من طريق عكرمة عن ابن عبّاس: أنّه ﷺ لمّا أقبل من غزوة تبوك اعتمر فجاء قبر أُمّه فاستأذن ربّه أن يستغفر لها، ودعا الله تعالى أن يأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن فنزلت الآية[٥].

وأخرج الطبري في تفسيره[٦] (٣١/١١) عن عطيّة: لمّا قدم رسول الله ﷺ مكّة وقف على قبر أمّه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

وروى الزمخشري في الكشّاف[٧] (٤٩/٢) حديث نزول الآية في أبي طالب، ثمّ ذكر هذا الحديث في سبب نزولها وأردفها بقوله: وهذا أصحّ لأنّ موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة.

---

(١) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: ١٥١/٧ [٣١٤/١٠ ح ٤٦٧٥]. **(المؤلّف)**

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٦٦/٢ ح ٣٢٩٢.

(٣) دلائل النبوة: ١٨٩/١.

(٤) المعجم الكبير: ٢٩٦/١١ ح ١٢٠٤٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣١/١١ [مج ٧/ج ٤٢/١١]، إرشاد الساري: ٢٧٠/٧ [٣١٤/١٠ ح ٤٦٧٥]، الدرّ المنثور: ٢٨٣/٣ [٣٠٢/٤]. **(المؤلّف)**

(٦) جامع البيان: مج ٧/ج ٤٢/١١.

(٧) الكشّاف: ٣١٥/٢.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري[١] (٧/٢٧٠): قد ثبت أنّ النبيّ ﷺ أتى
١٤/٨ قبر أُمّه / لمّا اعتمر فاستأذن ربّه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية. رواه الحاكم[٢] وابن أبي حاتم عن ابن مسعود، والطبراني[٣] عن ابن عبّاس، وفي ذلك دلالة على تأخّر نزول الآية عن وفاة أبي طالب والأصل عدم تكرار النزول.

قال الأميني: هلّا كان رسول الله ﷺ يعلم إلى يوم تبوك بعد تلكم الآيات النازلة التي أسلفناها في (ص ١٠ ـ ١٢)، أنّه غير مسوغ له وللمؤمنين الاستغفار للمشركين والشفاعة لهم، فجاء يستأذن ربّه أن يستغفر لأُمّه ويشفع لها؟ أو كان يحسب أنّ لأُمّه حساباً آخر دون سائر البشر؟ أو أنّ الرواية مختلقة تمسّ كرامة النبيّ الأقدس، وتدنّس ذيل قداسة أُمّه الطاهرة عن الشرك.

ومنها: ما أخرجه الطبري في تفسيره[٤] (١١/٣١) عن قتادة قال: ذكر لنا أنّ رجالاً من أصحاب النبيّ ﷺ قالوا: يا نبيّ الله إنّ من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفكّ العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال النبيّ ﷺ: [بلى][٥] والله لأستغفرنّ لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه، فأنزل الله: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ**﴾، ثمّ عذر الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾.

وأخرج الطبري من طريق عطيّة العوفي عن ابن عبّاس قال: إنّ النبيّ ﷺ أراد أن يستغفر لأبيه فنهاه الله عن ذلك بقوله: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ**

---

(١) إرشاد الساري: ١٠/٥٦٠ ـ ٥٦١ ح ٤٧٧٢.
(٢) المستدرك على الصحيحين: ٢/٣٦٦ ح ٣٢٩٢.
(٣) المعجم الكبير: ١١/٢٩٦ ح ١٢٠٤٩.
(٤) جامع البيان: مج ٧/ج ١١/٤٣.
(٥) من المصدر.

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية. قال: فإنّ إبراهيم قد استغفر لأبيه، فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَوْعِدَةٍ ﴾ الآية: الدرّ المنثور[1] (٢٨٣/٣).

وفي هاتين الروايتين نصّ على أن نزول الآية الكريمة في أبيه وآباء رجال من أصحابه ﷺ لا في عمّه ولا في أُمّه.

ومنها: ما جاء به الطبري في تفسيره[2] (٣٣/١١) قال: قال آخرون: الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة. ثمّ أخرج من طريق المثنّى عن عطاء بن أبي رباح قال: ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشيّة حبلى من الزنا، لأنّي لم أسمع الله يحجب الصلاة إلّا عن المشركين يقول الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية.

١٥/٨ وهذا التفسير إن صحّ فهو مخالف لجميع ما تقدّم من الروايات الدالّة على أنّ المراد من الآية هو طلب المغفرة كما هو الظاهر المتفاهم من اللفظ.

ونفس هذا الاضطراب والمناقضة بين هذه المنقولات وبين ما جاء به البخاري ممّا يفتّ في عضد الجميع، وينهك من اعتباره، فلا يحتجّ بمثله ولا سيّما في مثل المقام من تكفير مسلم بارّ، وتبعيد المتفاني دون الدين عنه.

٥ ـ إنّ المستفاد من رواية البخاري نزول آية الاستغفار عند موت أبي طالب كما هو ظاهر ما أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن الحسن، قال: لمّا مات أبو طالب قال النبي ﷺ: إنّ إبراهيم استغفر لأبيه وهو مشرك وأنا أستغفر لعمّي حتى أبلغ، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية. يعني به أبا طالب، فاشتدّ على النبيّ ﷺ فقال الله لنبيّه ﷺ ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ

(١) الدرّ المنثور: ٣٠٢/٤.

(٢) جامع البيان: مج٧/ج٤٤/١١.

إبرَاهِيمَ لِأَبِيه إلّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيّاهُ ﴾ الدرّ المنثور[١] (٢٨٣/٣). وإن ناقضها ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن عليّ قال: أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى فقال: اذهب فغسّله وكفّنه وواره غفر الله له ورحمه. ففعلت وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أيّاماً ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل عليه‌السلام بهذه الآية ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيّ والّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية[٢].

ولعلّه ظاهر ما أخرجه ابن سعد وأبو الشيخ وابن عساكر من طريق سفيان بن عيينة عن عمر قال: لمّا مات أبو طالب قال له رسول الله ﷺ: رحمك الله وغفر لك، لا أزال أستغفر لك حتى ينهاني الله، فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيّ والّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشرِكِينَ ﴾. الدرّ المنثور (٢٨٣/٣).

لكن الأُمّة أصفقت على أنّ نزول سورة البراءة التي تضمّنت الآية الكريمة آخر ما نزل من القرآن كما مرّ في (ص١٠) وكان ذلك بعد الفتح، وهي هي التي بعث بها رسول الله ﷺ أبا بكر ليتلوها على أهل مكّة ثمّ استرجعه بوحي من الله سبحانه وقيّض لها مولانا أمير المؤمنين فقال: «لا يبلّغها عنّي إلّا أنا أو رجل منّي»[٣] وقد
١٦/٨ جاء / في صحيحة مرّت من عدّة طرق في (ص١٣) من أنّ آية الاستغفار نزلت بعد ما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك وكانت في سنة تسع فأين من هذه كلّها نزولها عند وفاة أبي طالب أو بعدها بأيّام؟ وأنّى يصحّ ما جاء به البخاري ومن يشاكله في رواية البواطيل.

---

(١) الدرّ المنثور: ٣٠١/٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ١٠٥/١ [١٢٣/١]، الدرّ المنثور: ٢٨٢/٣ [٣٠١/٤] نقلاً عن ابني سعد وعساكر [مختصر تاريخ مدينة دمشق: ٣٢/٢٩]. (المؤلّف)

(٣) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا: ص٣٣٨ ـ ٣٥٠. (المؤلّف)

٦ ـ إنّ سياق الآية الكريمة ـ آية الاستغفار ـ سياق نفي لا نهي فلا نصّ فيها على أنّ رسول الله ﷺ استغفر فنُهي عنه، وإنّما يلتئم مع استغفاره لعلمه بإيمان عمّه، وبما أنّ في الحضور من كان لا يعرف ذلك من ظاهر حال أبي طالب الذي كان يماشي به قريشاً، فقالوا في ذلك أو اتّخذوه مدركاً لجواز الاستغفار للمشركين، كما ربما احتجّوا بفعل إبراهيم عليه السلام، فأنزل الله سبحانه الآية وما بعدها من قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ** ﴾. الآية. تنزيهاً للنبيّ ﷺ وتعذيراً لإبراهيم عليه السلام، وإيعازاً إلى أنّ من استغفر له النبيّ ﷺ لم يكن مشركاً كما حسبوه، وأنّ مرتبة النبوّة تأبى عن الاستغفار للمشركين، فنفس صدوره منه ﷺ برهنة كافية على أنّ أبا طالب لم يكن مشركاً، وقد عرفت ذلك أفذاذ من الأُمّة فلم يحتجّوا بعمل النبيّ ﷺ لاستغفارهم لآبائهم المشركين، وإنّما اقتصروا في الاحتجاج بعمل إبراهيم عليه السلام كما مرّ في صحيحة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أوَلم يستغفر إبراهيم؟». الحديث. راجع صفحة (١٢) من هذا الجزء.

ولو كان يعرف هذا الرجل أبا طالب مشركاً لكان الاستدلال لتبرير عمله باستغفار نبيّ الإسلام له ـ ولم يكن يخفى على أيّ أحد ـ أولى من استغفار إبراهيم لأبيه لكنّه اقتصر على ما استدلّ به.

٧ ـ إنّا على تقدير التسليم لرواية البخاري وغضّ الطرف عمّا سبق عن العبّاس من أنّ أبا طالب لهج بالشهادتين، وقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداك يا عمّ وما مرّ عن مولانا أمير المؤمنين من أنّه ما مات حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا، وما مرّ من قوله ﷺ: «كلّ الخير أرجو من ربّي لأبي طالب». وما مرّ من وصيّة أبي طالب عند الوفاة لقريش وبني عبدالمطّلب بإطاعة محمد ﷺ واتّباعه والتسليم لأمره وأنّ فيه الرشد والفلاح، وأنّه ﷺ الأمين في قريش والصدّيق في العرب. / إلى تلكم النصوص الجمّة في نثره ونظمه، فبعد غضّ الطرف عن هذه كلّها ١٧/٨

لا نسلّم أنّ أبا طالب عليه السلام أبى عن الإيمان في ساعته الأخيرة لقوله: على ملّة عبدالمطّلب. ونحن لا نرتاب في أنّ عبدالمطّلب سلام الله عليه كان على المبدأ الحقّ، وعلى دين الله الذي ارتضاه للناس ربّ العالمين يومئذٍ، وكان معترفاً بالمبدأ والمعاد، عارفاً بأمر الرسالة، اللائح على أساريره نورها، الساكن في صلبه صاحبها، وللشهرستاني حول سيّدنا عبدالمطّلب كلمة ذكرنا جملة منها في الجزء السابع (ص٣٤٦ و ٣٥٣) فراجع الملل والنحل[1] والكتب التي ألّفها السيوطي[2] في آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى تعرف جليّة الحال، فقول أبي طالب عليه السلام: على ملّة عبدالمطّلب. صريح في أنّه معتنق تلكم المبادئ كلّها، أضف إلى ذلك نصوصه المتواصلة طيلة حياته على صحّة الدعوة المحمديّة.

٨ ـ نظرة في الثانية من الآيتين، ولعلّك عرفت بطلان دلالتها على ما ارتأوه من كفر شيخ الأباطح ـ سلام الله عليه ـ من بعض ما ذكرناه من الوجوه، فهلمّ معي لننظر فيها خاصّة وفيما جاء فيها بمفردها، فنقول:

أوّلاً: إنّ هذه الآية متوسّطة بين آيٍ تصف المؤمنين، وأُخرىٰ يذكر سبحانه فيها الذين لم يؤمنوا حذار أن يتخطّفوا من مكة المعظّمة، فمقتضى سياق الآيات أنّه سبحانه لم يرد بهذه الآية إلّا بيان أنّ الذين اهتدوا من المذكورين قبلها لم تستند هدايتهم إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، وإنّما الاستناد الحقيقي إلى مشيئته وإرادته سبحانه على وجه لا ينتهي إلى الإلجاء بنحو من التوفيق، كما أنّ استناد الإضلال إليه سبحانه بنحو من الخذلان، وإن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيطاً في تبليغ الدعوة ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوا**

---

(١) الملل والنحل: ٢/٢٤٩.

(٢) منها: مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ، الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، التعظيم والمنّة في أنّ أبوي رسول الله في الجنّة، نشر العلمين في إحياء الأبوين، السبل الجليّة في الآباء العليّة. (**المؤلّف**)

فَإِنَّمَا عَلَيهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ البَلاغُ المُبِينُ ﴾[١] . وفي الذكر الحكيم ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعبُدَ رَبَّ هٰذِهِ البَلْدَةِ الّذي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شيءٍ وَأُمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ * وَأَنْ أَتلُوَ القُرآنَ فَمَنِ اهتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا / مِنَ المُنذِرِين ﴾[٢] ، كما أنّ إبليس اللعين يزيّن للعاصي عمله ١٨/٨
﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَيطَانُ يَدعُوهُم إِلىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[٣] ، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[٤] ، ﴿ اَسْتَحوَذَ عَلَيهِمُ ٱلشَّيطَانُ فَأَنسَاهُم ذِكْرَ ٱللهِ ﴾[٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارتَدُّوا عَلَىٰ أَدبَارِهِم مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُم ﴾[٦] وقد جاء فيما أخرجه العقيلي[٧] وابن عدي[٨] وابن مردويه والديلمي[٩] وابن عساكر وابن النجّار عن عمر بن الخطّاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت داعياً ومبلّغاً وليس إليّ من الهدى شيء، وخلق إبليس مزيّناً وليس إليه من الضلالة شيء»[١٠].

فهذه الآية الكريمة كبقيّة ما جاء في الذكر الحكيم من إسناد كلّ مِن الهداية والضلال إليه سبحانه كقوله تعالى:

١ ـ ﴿ لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلٰكِنَّ الله يَهدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ البقرة: ٢٧٢.

٢ ـ ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلىٰ هُدَاهُم فَإِنَّ اللهَ لا يَهدِي مَنْ يُضلُّ ﴾ النحل: ٣٧.

---

(١) النور: ٥٤.
(٢) النمل: ٩١، ٩٢.
(٣) لقمان: ٢١.
(٤) العنكبوت: ٣٨، النمل: ٢٤.
(٥) المجادلة: ١٩.
(٦) محمد: ٢٥.
(٧) الضعفاء الكبير: ٩/٢ رقم ٤١٠.
(٨) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٩/٣ رقم ٥٩٧.
(٩) الفردوس بمأثور الخطاب: ١١/٢ ح ٢٠٩٤.
(١٠) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، الجامع الصغير للسيوطي [٤٨٧/١ ح ٣١٥٣]. (المؤلّف)

٣ ـ ﴿ أفَأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ أو تَهدِي العُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبينٍ ﴾ الزخرف : ٤٠ .

٤ ـ ﴿ وَمَا أنتَ بِهَادِي العُمي عَنْ ضَلَالَتِهم ﴾ النمل : ٨١.

٥ ـ ﴿ أتُرِيدُونَ أنْ تَهدُوا مَنْ أضَلَّ اللهُ ﴾ النساء : ٨٨.

٦ ـ ﴿ أفَأنتَ تَهْدِي العُمْيَ وَلَو كَانُوا لا يُبصِرُونَ ﴾ يونس : ٤٣ .

٧ ـ ﴿ مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِ وَمَنْ يُضلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرشِداً ﴾ الكهف : ١٧ .

٨ ـ ﴿ إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِيَّ إلَيهِ مَنْ أنَابَ ﴾ الرعد : ٢٧ .

٩ ـ ﴿ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ إبراهيم : ٤ .

١٠ ـ ﴿ وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَاءُ ﴾ النحل : ٩٣ .

١٩/٨ إلى آيات كثيرة ممّا يدلّ على استناد الهداية والضلال إلى الله تعالى على وجه / لا ينافي اختيار العبد فيها، ولذلك أُسندا إليه وإلى مشيئته أيضاً في آي أُخرىٰ كقوله تعالى :

١ ـ ﴿ فَمَنِ اهتَدَىٰ فَإنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَا ﴾ يونس :١٠٨ .

٢ ـ ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَليُؤمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَليَكفُرْ ﴾ الكهف : ٢٩ .

٣ ـ ﴿ إنْ هُوَ إلّا ذِكرٌ لِلعَالَمِين * لِمَنْ شَاءَ مِنكُم أن يَستَقِيمَ ﴾ التكوير : ٢٧، ٢٨ .

٤ ـ ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فإنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَا ﴾ الإسراء : ١٥ .

٥ ـ ﴿ فَمَنْ اهتَدَىٰ فَإنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إنَّمَا أنَا مِنَ المُنذِرِين ﴾ النمل : ٩٢.

٦ ـ ﴿ أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم ﴾ البقرة : ١٦ .

٧ ـ ﴿ فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيهِم الضَّلَالَةُ ﴾ الأعراف : ٣٠.

٨ ـ ﴿ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ القصص : ٨٥.

٩ ـ ﴿ إنْ أحْسَنتُم أحسَنتُم لِأَنفُسِكُمْ وَإنْ أسَأتُم فَلَها ﴾ الإسراء : ٧.

١٠ ـ ﴿ فَإِنْ أَسلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلبَلَاغُ ﴾ آل عمران : ٢٠.

إلى آيات أُخرىٰ، ولا مناقضة بين هذين الفريقين من الآي الكريمة بما قدّمناه وبما ثبت من صحّة إسناد الفعل إلى الباعث تارة وإلى المباشر المختار أُخرىٰ.

فآيتنا هذه صاحبة البحث والعنوان من الفريق الأوّل، وقد سيق بيانها بعد آيات المؤمنين لإفادة ما أُريدت إفادته من لداتها، ولبيان أنّ هؤلاء المذكورين من المهتدين هم على شاكلة غيرهم في إسناد هدايتهم إليه سبحانه، فلا صلة لها بأيّ إنسان خاصّ أبي طالب أو غيره، وإن ماشينا القوم على وجود الصلة بينها وبين أبي طالب عليه السلام فإنّها بمعونة سابقتها على إيمانه أدلّ. هكذا ينبغي أن تفسّر هذه الآية غير مكترث لما جاء حولها من التافهات ممّا سبق ويأتي.

وثانياً: إنّ ما رُوي فيها بمفردها كلّها مراسيل، فإنّ منها: ما رواه عبد بن حميد ومسلم[1] والترمذي[2] وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال: لمّا حضرت وفاة أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمّاه قل: لا اله إلّا الله، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة، / فقال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون: ما حمله عليها إلّا جزعه من الموت ٢٠/٨
لأقررت بها عينك فأنزل الله عليه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية[3].

كيف يرويه أبو هريرة وكان يوم وفاة أبي طالب شحّاذاً من متكفّفي دوس

---

(١) صحيح مسلم: ١/٨٤ ح ٤٢ كتاب الايمان.

(٢) سنن الترمذي: ٥/٣١٨ ح ٣١٨٨.

(٣) الدرّ المنثور: ٥/١٣٣ [٦/٤٢٨]. **(المؤلّف)**

باليمن الكفرة، يسأل الناس إلحافاً، ويكتنفه البؤس من جوانبه، وما ألمّ بالإسلام إلّا عام خيبر سنة سبع من الهجرة الشريفة باتّفاق من الجمهور؟ فأين كان هو من وفاة أبي طالب، وما دار هنالك من الحديث؟ فإن صدق في روايته فهو راوٍ عمّن لم ينوّه باسمه، وإن كان تدليس أبي هريرة قد اطّرد في موارد كثيرة، روى أشياء ادّعى فيها المشاهدة أو دلّ عليها السياق لكنه لم يشاهد شيئاً منها، ومن أراد الوقوف على هذه وغيرها من أمر أبي هريرة فليراجع كتاب أبو هريرة لسيّدنا المصلح الشريف الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي حيّاه الله وبيّاه فقد جمع ذلك فأوعى.

ومنها: ما أخرجه ابن مردويه وغيره من طريق أبي سهل السريّ بن سهل بالإسناد عن عبد القدوس، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: نزلت ﴿**إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ الآية، في أبي طالب ألحّ عليه النبيّ ﷺ أن يسلم فأبى، فأنزل الله ﴿**إنَّك لا تَهْدِي**﴾. الحديث[1].

أبو سهل السريّ أحد الكذّابين وضّاع كان يسرق الحديث كما مرّ في سلسلة الكذّابين (٢٣١/٥)، وعبد القدوس أبو سعيد الدمشقي أحد الكذّابين كما أسلفناه في الجزء الخامس (ص٢٣٨).

وظاهر هذه الرواية كسابقتها هو المشاهدة، والأثبت على ما قاله ابن حجر في الإصابة (٣٣١/٢): أنّ ابن عبّاس ولد قبل الهجرة بثلاث. فهو عند وفاة عمّه أبي طالب كان يرضع ثدي أُمّه فلا يسعه الحضور في ذلك المشهد.

وإن صدقت الرواية عنه ـ وأنّى تصدق؟ ـ فإنّ ابن عبّاس أسند ما يقوله إلى من لا نعرفه، ولعلّ رواة السوء حذفوه لضعفه، كما حذف غير واحد من المؤلّفين أبا سهل السريّ وعبد القدوس ونظراءهما من أسانيد هذه الأفائك ستراً على عللها.

---

(١) الدرّ المنثور: ١٣٣/٥ [٤٢٩/٦].

والقول الفصل: إنّ حبر الأُمّة لم يلهج بتلكم الخزاية، وإن لهج بشيء من أمر ذلك المشهد عن أحد فأولى له أن يقول ما قاله أبوه من أنّه سمع أبا طالب يشهد بالشهادتين عند وفاته[1]. أو يفوه بما أسلفناه عن ابن عمّه الأقدس رسول الله ﷺ[2]، أو يروي ما جاء عن ابن عمّه الطاهر أمير المؤمنين[3]، أليس ابن عبّاس راوي ما ثبت عنه من قول أبي طالب لرسول الله ﷺ كما مرّ في (٧/٣٥٥): قم يا سيّدي فتكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق؟ ٢١/٨

ومنها: ما أخرجه أبو سهل السري الكذّاب المذكور من طريق عبد القدوس الكذّاب أيضاً، عن نافع، عن ابن عمر قال: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾: الآية. نزلت في أبي طالب عند موته، والنبيّ ﷺ عند رأسه وهو يقول: يا عم قل لا إله إلّا الله أشفع لك بها يوم القيامة، قال أبو طالب: لاتعيّرني نساء قريش بعدي أنّي جزعت عند موتي، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ الحديث[4].

لعلّ ابن عمر لا يدّعي في روايته الحضور في ذلك المحضر. وليس له أن يدّعي ذلك لأنّه كان وقتئذٍ ابن سبع سنين تقريباً، فإنّ مولده كان بعد البعثة بثلاث[5]، ومن طبع الحال أنّ من هو بهذا السنّ لا يُطلق سراحه إلى ذلك المنتدى الرهيب، والمسجّى فيه سيّد الأباطح ويلي أمره نبيّ العظمة، ويحضره مشيخة قريش، فلا بدّ من أنّه سمع من يقول ذلك ممّن حضر واطّلع، ولا يخلو أن يكون ذلك إمّا ولد المتوفّى وهو مولانا أمير المؤمنين والثابت عنه ما مرّ في الجزء السابع، أو عن بقيّة أولاده من طالب وجعفر

(١) راجع ما أسلفناه في صفحة: ٣٧٠ من الجزء السابع. (**المؤلّف**)

(٢) راجع ما مرّ في صفحة ٣٧٣ من الجزء السابع. (**المؤلّف**)

(٣) راجع ما سبق في صفحة ٣٧٩ من الجزء السابع. (**المؤلّف**)

(٤) الدرّ المنثور: ٥/١٣٣ [٦/٤٢٩]. (**المؤلّف**)

(٥) الإصابة: ٢/٣٤٧ [رقم ٤٨٣٤]. (**المؤلّف**)

وعقيل ولم ينبسوا في هذا الأمر ببنت شفة، أو عن أخيه العبّاس وقد صحّ عنه ما أسلفناه في الجزء السابع، أو عن ابن أخيه الرسول الأعظم ﷺ فقد عرفت قوله فيه فيما مرّ، فممّن أخذ ابن عمر؟ ولماذا حذف اسمه؟ ولما شرّك أبا جهل مع أبي طالب
٢٢/٨ في إحدى روايتيه، ولم يقل به أحد غيره؟ وهل في الرواة من تقوّل عليه / كلّ ذلك؟ فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.

واعطف على هذه ما عزوه إلى مجاهد وقتادة في شأن نزول الآية[1]، فإنّ مستند أقوالها إمّا هذه الروايات أو أنّهما سمعاها من أُناس مجهولين، فمراسيل كهذه لا يحتجّ بها على أمر خطير مثل تكفير أبي طالب بعد ثبوت إيمانه بما صَدَع به الصادع الكريم وتفانيه دونه والذبّ عنه بالبرهنة القاطعة.

ومن التفسير بالرأي والدعوى المجرّدة ما عن قتادة ومن يشاكله مرسلاً من تبعيض الآية بين أبي طالب والعبّاس، فجعل صدرها لأبي طالب وذيلها للعبّاس[2] الذي أسلم بعد نزول الآية بعدّة سنين كما هو المتسالم عليه عنه الجمهور.

وأنت تعرف بعد هذه كلّها قيمة قول الزجّاج: أجمع المسلمون على أنّها نزلت في أبي طالب. وما عقّبه به القرطبي من قوله: والصواب أن يقال: أجمع جلّ المفسّرين على أنّها نزلت في شأن أبي طالب[3].

﴿ انْظُرْ كَيفَ يَفتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثماً مُبِيناً ﴾[4]

---

(١) تاريخ ابن كثير: ٣/١٢٤ [٣/١٥٣]. (المؤلّف)
(٢) تفسير القرطبي: ١٣/٢٩٩ [١٣/١٩٨]، الدرّ المنثور: ٥/١٣٣ [٦/٤٢٩]. (المؤلّف)
(٣) تفسير القرطبي: ١٣/٢٩٩ [١٣/١٩٨]. (المؤلّف)
(٤) النساء: ٥٠.

حديث الضحضاح

إلى هنا انتهى كلّ ما للقوم من نَبل تقلّه كنانة الأحقاد، أو ذخيرة في عيلبة ٢٣/٨
الضغائن رموا بها أبا طالب، وقد أتينا عليها فجعلناها هباءً منثوراً، ولم يبق لهم إلّا رواية الضحضاح، وما لأعداء أبي طالب حولها من مُكاء وتصدية، وهي على مايلي:

أخرج البخاري ومسلم من طريق سفيان الثوري عن عبدالملك بن عمير، عن عبدالله بن الحارث قال: حدّثنا العبّاس بن عبدالمطّلب أنّه قال: قلت للنبيّ ﷺ: ما أغنيت عن عمّك فإنّه كان يحوطك ويغضب لك. قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل.

وفي لفظ آخر: قلت: يا رسول الله إنّ أبا طالب كان يحفظك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح.

ومن حديث الليث حدّثني ابن الهاد عن عبدالله بن خباب، عن أبي سعيد أنّه سمع النبيّ ﷺ ذُكر أبو طالب عنده فقال: لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

وفي صحيح البخاري من طريق عبدالعزيز بن محمد الدراوردي عن يزيد بن الهاد نحوه، غير أنّ فيه تغلي منه أمّ دماغه.

راجع[١]: صحيح البخاري في أبواب المناقب باب قصّة أبي طالب (٣٣/٦، ٣٤)، وفي كتاب الأدب باب كنية المشرك (٩٢/٩)، صحيح مسلم كتاب الإيمان،

---

(١) صحيح البخاري: ١٤٠٨/٣ ح٣٦٧٠، ص١٤٠٩ ح٣٦٧٢ و ٢٢٩٣/٥ ح٥٨٥٥، ص٢٤٠٠ ـ ٢٤٠١ ح٦١٩٦، صحيح مسلم: ٢٤٧/١ ح٣٥٧ كتاب الإيمان، الطبقات الكبرى: ١٢٤/١، مسند أحمد: ٣٣٩/١ ح١٧٦٦، ص٣٤٠ ح١٧٧١، عيون الأثر: ١٧٢/١، البداية والنهاية: ١٥٤/٣.

طبقات ابن سعد (١٠٦/١) طبعة مصر، مسند أحمد (٢٠٦/١، ٢٠٧)، عيون الأثر (١٣٢/١)، تاريخ ابن كثير (١٢٥/٣).

قال الأميني: نحن لا تروقنا المناقشة في الأسانيد لمكان سفيان الثوري وما مرّ فيه (ص ٤) من أنّه كان يدلّس عن الضعفاء ويكتب عن الكذّابين. ولا لمكان عبدالملك بن عمير اللخمي الكوفي الذي طال عمره وساء حفظه، قال أبو حاتم[1]: ٢٤/٨ ليس بحافظ تغيّر / حفظه، وقال أحمد[2]: ضعيف، وقال ابن مَعِين[3] مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد أنّه ضعّفه جدّاً[4].

ولا لمكان عبدالعزيز الدراوردي، قال أحمد بن حنبل: إذا حدّث من حفظه يهم ليس هو بشيء، وإذا حدّث من كتابه فنعم، وإذا حدّث جاء ببواطيل، وقال أبو حاتم[5]: لا يحتجّ به، وقال أبو زُرعة: سيِّئ الحفظ[6].

كما أنّا لا نناقش بتضارب متون الرواية بأنّ قوله: لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، يعطي أنّ الضحضاح مؤجّل له إلى يوم القيامة بنحو من الرجاء المدلول عليه لقوله: لعلّه. وإنّ قوله: وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح. هو واضح في تعجيل الضحضاح له وثبوت الشفاعة قبل صدور الكلام.

لكن لنا هاهنا كلمة واحدة وهي أنّ رسول الله ﷺ أناط شفاعته لأبي طالب عند وفاته بالشهادة بكلمة الإخلاص بقوله ﷺ: يا عم قل لا إله إلّا الله كلمة

---

(١) الجرح والتعديل: ٣٦١/٥ رقم ١٧٠٠.

(٢) العلل ومعرفة الرجال: ٢٤٩/١ رقم ٣٣٩.

(٣) التاريخ: ٣٧٣/٢.

(٤) ميزان الاعتدال: ١٥١/٢ [٦٦٠/٢ رقم ٥٢٣٥]. **(المؤلّف)**

(٥) الجرح والتعديل: ٣٩٥/٥ رقم ١٨٣٣.

(٦) ميزان الاعتدال: ١٢٨/٢ [٦٣٣/٢ رقم ٥١٢٥]. **(المؤلّف)**

استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة[١]، كما أنّه ﷺ أناطها بها في مطلق الشفاعة، وجاء ذلك في أخبار كثيرة جمع جملة منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب[٢] (١٥٠/٤ ـ ١٥٨) منها في حديث عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: قيل لي: «سل فإنّ كلّ نبيّ قد سأل فأخّرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلّا الله» فقال: رواه أحمد[٣] بإسناد صحيح.

ومنها: عن أبي ذرّ الغفاري مرفوعاً في حديث: «أُعطيت الشفاعة وهي نائلة من أُمّتي من لا يشرك بالله شيئاً»: فقال: رواه البزّار وإسناده جيّد إلّا أنّ فيه انقطاعاً.

ومنها: عن عوف بن مالك الأشجعي في حديث: «إنّ شفاعتي لكلّ مسلم» فقال: رواه الطبراني[٤] بأسانيد أحدها جيّد، وابن حبّان في صحيحه[٥] وفي لفظه:

«الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئاً». ٢٥/٨

ومنها: عن أنس في حديث: أوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك سل تُعط واشفع تُشفّع ـ إلى قوله ـ: أدخل من أُمّتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلّا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك.

فقال المنذري[٦]: رواه أحمد[٧] ورواته محتجّ بهم في الصحيح.

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣٣٦/٢ [٣٦٦/٢ ح ٣٢٩١، وكذا في تلخيصه] صحّحه هو والذهبي في التلخيص، تاريخ أبي الفداء: ١٢٠/١، المواهب اللدنيّة: ٧١/١ [٢٦٢/١]، كشف الغمّة للشعراني: ١٤٤/٢، كنز العمّال: ١٢٨/٧ [٣٧/١٤ ح ٣٧٨٧٤]، شرح المواهب للزرقاني: ٢٩١/١. (المؤلّف)

(٢) الترغيب والترهيب: ٤٣٢/٤ ـ ٤٣٧ ح ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٨.

(٣) مسند أحمد: ٤٤٤/٢ ح ٧٠٢٨.

(٤) المعجم الكبير: ٥٩/١٨ ح ١٠٧.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٣٧٦/١٤ ح ٦٤٦٣.

(٦) الترغيب والترهيب: ٤٣٦/٤، ح ٩٦.

(٧) مسند أحمد: ٥٦١/٣ ح ١١٧٤٣.

ومنها: عن أبي هريرة مرفوعاً في حديث: «شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً، وأنّ محمداً رسول الله، يصدّق لسانه قلبه وقلبه لسانه». رواه أحمد[(١)] وابن حبّان في صحيحه[(٢)].

ومنها: ما مرّ في (ص١٣) من طريق أبي هريرة وابن عبّاس من أنّه ﷺ دعا ربّه واستأذنه أن يستغفر لأُمّه ويأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن.

وقال السهيلي في الروض الأُنف[(٣)] (١١٣/١): وفي الصحيح أنّه ﷺ قال: أستأذنت ربّي في زيارة قبر أمّي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي. وفي مسند البزّار من حديث بريدة أنّه ﷺ حين أراد أن يستغفر لأُمّه ضرب جبريل عليه السلام في صدره وقال له: لا تستغفر لمن كان مشركاً، فرجع وهو حزين[(٤)].

فالمنفيّ في صورة انتفاء الشهادة جنس الشفاعة بمعنى عدمها كلّية لعدم أهليّة الكافر لها حتى في بعض مراتب العذاب، فالشفاعة للتخفيف في العذاب من مراتبها المنفيّة، كما أنّها نفيت كذلك في كتاب الله العزيز بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** ﴾ فاطر: ٣٦.

وبقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** ﴾ النحل: ٨٥.

وبقوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** ﴾ البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨.

---

(١) مسند أحمد: ٣٢٣/٣ ح ١٠٣٣٥.

(٢) الإحسان في تقريب ابن حبّان: ٣٨٤/١٤ ح ٦٤٦٦.

(٣) الروض الأُنف: ١٨٥/٢.

(٤) نحن لا نقيم لمثل هذه الرواية وزناً ولا كرامة، غير أنّ خضوع القوم لها يلجئنا إلى الحجاج بها. (المؤلّف)

وبقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ العَذَابِ * قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكافِرِينَ إلَّا فِي ضَلالٍ ﴾ غافر: ٤٩، ٥٠. ٢٦/٨

وبقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ اشْتَرَوُا ٱلحَيَاةَ الدُّنيَا بِالآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُم يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ٨٦.

وبقوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَعِباً وَلَهواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلحَيَاةُ ٱلدُّنيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبسَلَ نَفسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعدِلْ كُلَّ عَدلٍ لَا يُؤخَذْ مِنها أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُم شَرَابٌ مِن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكفُرُونَ ﴾ الأنعام: ٧٠.

وبقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إلّا أَصحَابَ اليَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ ٱلمُجرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾. المدّثّر: ٣٨ ـ ٤٨.

وبقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرهُم يَومَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى ٱلحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨.

وبقوله تعالى ﴿ وَنَسُوقُ ٱلمُجْرِمِينَ إلىٰ جَهَنَّمَ وِرداً * لَا يَملِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ الرَّحمٰنِ عَهداً ﴾ مريم: ٨٦، ٨٧.

الاستثناء في الآية الشريفة منقطع، والعهد: شهادة أن لا اله إلّا الله والقيام بحقّها. أي لا يشفع إلّا للمؤمن.

راجع[1]: تفسير القرطبي (١١/١٥٤)، تفسير البيضاوي (٢/٤٨)، تفسير ابن كثير (٣/١٣٨)، تفسير الخازن (٣/٢٤٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١١/١٠٢ ـ ١٠٣، تفسير البيضاوي: ٢/٤٠، تفسير الخازن: ٣/٢٣٢.

فرواية الضحضاح على تقدير أنّ أبا طالب عليه السلام مات مشركاً ـ العياذ بالله ـ وما فيها من الشفاعة لتخفيف العذاب عنه بجعله في الضحضاح منافية لكلّ ما ذكرناه من الآيات والأحاديث، فحديث يخالف الكتاب والسنّة الثابتة يضرب به عرض الحائط، وقد جاء في الصحيح مرفوعاً: «تكثر لكم الأحاديث من بعدي فإذا روي لكم حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فردّوه»[1][2].

٢٧/٨ ولا يغرّنّك إخراج البخاري لها، فإنّ كتابه المعبّر عنه بالصحيح هو علبة السفاسف وعيبة السقطات، وسنوقفك على جليّة الحال في البحث عنه إن شاء الله تعالى.

نختم البحث هاهنا عن إيمان سيّدنا أبي طالب ـ سلام الله عليه ـ بقصيدة شيخ الفقه والفلسفة والأخلاق شيخنا الأكبر آية الله الشيخ محمد الحسين الأصبهاني النجفي[3] قال:

نورُ الهدىٰ في قلبِ عمِّ المصطفىٰ ... في غايةِ الظهور في عين الخفا
في سرِّه حقيقةُ الايمانِ ... سرٌّ تعالىٰ شأنُه عن شانِ
إيمانُه يمثِّلُ الواجبَ في ... مقامِ غيبِ الذاتِ والكنزِ الخفي
إيمانه المكنون سام اسمه ... إلّا المطهّرون لا يمسّه
إيمانه بالغيب غيب ذاته ... له التجلّي التامُ في آياته
آياتُه عند أُولي الأبصارِ ... أجلىٰ من الشمسِ ضحى النهارِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. (المؤلّف)

(٢) سنن الدارقطني: ٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩ ح١٧ ـ ٢٠، المعجم الكبير للطبراني: ٢/٩٧ ح١٤٢٩، مجمع الزوائد: ١/١٧٠، كنز العمال: ١/١٧٩ و١٩٦ ح٩٠٧ و٩٩٢ ـ ٩٩٤ بألفاظ مختلفة.

(٣) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأتي ترجمته إن شاء الله تعالىٰ. (المؤلّف)

وهــو كـفيلُ خـاتمِ النـبوّه　　وعــنه قد حـاميٰ بكـلِّ قـوّه
نــاصرُه الوحـيدُ في زمـانِه　　وركـنُه الشـديدُ في أوانِـه
عـميدُ أهـلِه زعـيمُ أُسرتِـه　　وكـهفُه الحـصينُ يومَ عسرتِه
حـجابهُ العـزيزُ عـن أعـدائِـه　　وحـرزُه الحـريزُ في ضرّائِـه
فـما أجـلّ شرفـاً وجـاها　　من حـرزِ يـاسينَ وكـهفِ طـه
قـام بـنصرةِ النـبيّ السـامي　　حتى استوت قـواعدُ الإسـلامِ
جـاهد عـنه أعـظمَ الجـهادِ　　حـتىٰ عـلا أمرُ النـبيِّ الهـادي
حماه عـن أذىٰ قـريشِ الكـفره　　بـصولةٍ ذلّت لهـا الجـبابره
صـابرَ كـلَّ محـنةٍ وكـربه　　والشِّعبُ من تلك الكروبِ شُعبه
أكـرم بـه مـن نـاصرٍ وحـامي　　وكـافلٍ لسـيّدِ الأنـامِ
كـفاه فـخراً شرفُ الكـفاله　　لصـاحبِ الدعـوةِ والرسـاله
لسـانُه البـليغُ في ثـنائِه　　أمضىٰ من السيفِ علىٰ أعـدائـه
له مـن المـنظومِ والمـنثورِ　　مـا جـعل العـالم مـلْ النـورِ
يـنبيء عـن إيمـانِه بـقلبِه　　وأنّـه عـلىٰ هـدىً مـن ربِّـه
وأشرقت أُمُّ القـرىٰ بـنوره　　وكـلُّ نـورٍ هـو نـورُ طـورِه ٢٨/٨
وكـيف لا وهـو أبـو الأنـوارِ　　ومـطلعُ الشـموسِ والأقـمـارِ
مـبدأ كـلِّ نـيّرٍ وشـارقِ　　وكـيف وهـو مشرقُ المشـارق
بـل هـو بـيضاءُ سماءِ المجـدِ　　مـليكُ عـرشهِ أبـاً عـن جـدِّ
له السـموّ كـابراً عـن كـابرِ　　فـهو تـراثُـه مـن الأكـابرِ
أزكـىٰ فـروعِ دوحـةِ الخـليلِ　　فـيا له مـن شرفٍ أصـيلِ
بل شرفُ الأشراف مـن عـدنانِ　　مـلاذُها في نـوبِ الزمـانِ
له مـن السـموِّ مـا يسـمو علىٰ　　ذرى الصراحِ والسماوات العـلىٰ
وكيف لا وهـو كـفيل المـصطفىٰ　　أبـو المـيامينِ الهـداةِ الخـلفا

ووالدُ الوصيِّ والطـــــيّارِ وهـــو لعمري منتهى الفـخارِ
بـــضوئِهِ أضـــاءتِ البــطحاءُ لا بـــل بــه أضّـــاءتِ السماءُ
والنـــيّرِ الأعــظمُ في سمائــه مثلُ السها في النور مـن سمائه
كـــيف ومـــن غــرّته تجــلّىٰ لأهـله نـورُ العــليِّ الأعــلىٰ
ســـاد الورىٰ بمكــةَ المكــرّمه فــحاز بــالسؤددِ كـلَّ مكـرمه
بـــل هـــو فــخرُ البلدِ الحــرامِ بـل شرفُ المشــاعرِ العــظامِ
وقـــبلةُ الآمـــال والأمـــاني بـــل مســتجارُ كـعبةِ الإيمـانِ
وفي حمـــىٰ ســؤددِه وهــيبتِه تمَّ لداعِ الحـــقِّ أمــرُ دعــوتِهِ
مـــا تمّتِ الدعــوةُ للـمختارِ لولاه فـهو أصلُ ديـنِ البـاري
كـــيف وظــلُّ اللهِ في الأنــامِ في ظـــلّهِ دعـــا إلى الإســلامِ
وانـــتشر الإســـلامُ في حمـاهُ مكـــرمةٌ مـــا نـــالها ســـواهُ
رايـــتُه عـــلت بـــعالي همّــتِه كـــفاه هـــذا في عـــلوِّ رتــبتِه
مـــفاخرٌ يـــعلو بهـــا الفـــخارُ مآثـــرٌ تحـــلو بهـــا الآثـــارُ
ذاك أبـــو طـــالبٍ المـــنعوتُ من قَصُرتْ عن شأنِه النـعوتُ
يجـــلُّ عـــن أيِّ مـــديحٍ قـــدرُهُ لكـــنَّه يُحـــيي القـــلوبَ ذكـرُهُ

القصيدة

٢٩/٨ ومن قصيدة للعلّامة الحجّة شيخنا الشيخ عبدالحسين صادق العاملي قـدّس سرّه قوله:

لولاه مـــا شُــدَّ أزرُ المســلمين ولا عـين الحـنيفة سـالت في مجـاريها
آوىٰ وحامىٰ وساوىٰ قـيدَ طـاقتِهِ عن خيرِ حاضرِها طـرّاً وبـاديها
ما كان ذاك الحفاظُ المرءُ أطّـةَ أر حامٍ وضربَ عـروقٍ فـار غـاليها[1]

---

(١) أطيط الإبل: حنينها.

بـل للإلـهِ كـما فـاهت روائـعُه الـ — ـعصماءُ في كلِّ شطرٍ مِن قـوافـيها
ضاقت بما رحبت أُمُّ القرىٰ بـرسو — لِ اللهِ من بـعدِه واسـودّ ضـاحيها
فـانصاع يـدعو له بـالخيرِ مـبتهلاً — بـدعوةٍ ليس بـالمحبوهِ داعـيها
لولم تكن نفسُ عمِّ المصطفىٰ طهُرتْ — مـا فـاه فـوه بمـا فـيه يُـنجّيها
عـاماً قـضىٰ عـمُّه فـيه وزوجـتُه — قـضاهُ بـالحزنِ يـبكيه ويـبكيها
أَعظِمْ بإيمانِ مبكيِّ المـصطفىٰ سـنةً — أيّامُها البيضُ أدجـىٰ مـن ليـاليها
من صـلبهِ انـبثّتِ الأنـوارُ قـاطبةً — فالمرتضىٰ بـدؤها والذخـرُ تـاليها

هذا أبو طالب شيخ الأباطح وهذه نبذة من آيات إيمانه الخالص. ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾[1] ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[2] ﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3].

---

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) المدّثر: ٣١.

(٣) الحشر: ١٠.

عود إلى بدء

أحاديث الغلوّ في فضائل أبي بكر

ـ ٢٩ ـ

ملَك يردّ على شاتم الخليفة

٣٠/٨ أخرج يوسف بن أبي يوسف في الآثار (ص٢٠٨) عن أبيه يعقوب بن إبراهيم القاضي عن أبي حنيفة قال: بلغني أنّ رجلاً شتم أبا بكر فحلم أبو بكر والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قاعد، ثمّ إنّ أبا بكر ردّ عليه، فقام النبيّ، فقال أبو بكر: شتمني فلم تقم وقمت حين رددت عليه. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ملَكاً كان يردّ عنك فلمّا رددت أنت ذهب فقمت.

وأخرجه أحمد في مسنده[1] (٤٣٦/٢) من طريق أبي هريرة: إنّ رجلاً شتم أبابكر والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جالس، فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعجب ويتبسّم، فلمّا أكثر ردّ عليه بعض قوله، فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقام فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس فلمّا رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنّه كان معك ملك يردّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان.

قال الأميني: لم نعرف طريق بلاغ الحديث أبا حنيفة حتى نقف على مبلغه من

---

(١) مسند أحمد: ١٧٧/٣ ح ٩٣٤١.

الصحّة، ولعلّ أبا يوسف القاضي بمفرده يكفيه وهنا نظراً إلى بعض ما قيل فيه كقول الفلّاس: صدوق كثير الخطأ.

وقول أبي حفص: صدوق كثير الغلط.

وقول البخاري[1]: تركوه.

وقول يحيى بن آدم: شهد أبو يوسف عند شريك فردّه وقال: لا أقبل من يزعم أنّ الصلاة ليست من الإيمان.

وقول ابن عديّ[2]: يروي عن الضعفاء.

وقول ابن المبارك بسند صحيح: إنّه وهّاه، وقوله لرجل: إن كنت صلّيت ٣١/٨
خلف أبي يوسف صلوات تحفظها فأعدها. وقوله: لأن أخرّ من السماء إلى الأرض فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أن أروي عن ذلك. وقال رجل لابن المبارك: أيّهما أصدق أبو يوسف أو محمد؟ قال: لا تقل أيّهما أصدق. قل: أيّهما أكذب!

وقول عبدالله بن إدريس: كان أبو يوسف فاسقاً من الفاسقين.

وقول وكيع لرجل قال: أبو يوسف يقول كذا وكذا: أما تتّقي الله، بأبي يوسف تحتجّ عند الله عزّ وجلّ؟

وقول أبي نُعَيم الفضل بن دكين: سمعت أبا حنيفة يقول لأبي يوسف: ويْحَكُم كم تكذبون عليّ في هذه الكتب ما لم أقل!

وقول يحيى بن مَعِين: لا يكتب حديثه. وقوله: كان ثقة إلّا أنّه كان ربّما غلط.

---

(١) التاريخ الكبير: ٣٩٧/٨ رقم٣٤٦٣.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٤٤/٧ رقم٢٠٥٥.

وقول يزيد بن هارون: لا تحلّ الرواية عنه كان يُعطي أموالِ اليتامى مضاربة ويجعل الربح لنفسه.

وقول ابن أبي كثير مولى بني الحارث [بن كعب] أو النظام لمّا دفن أبو يوسف:

سقىٰ جدثاً بـه يـعقوبُ أمسىٰ ... مـن الوسمـيِّ منبجسٌ ركـامُ
تلطّف في القياسِ لنا فأضـحتْ ... حـلالاً بـعد حـرمتِها المـدامُ
ولولا أنّ مـدّتَهُ تـقضّت ... وعـاجله بـبيتتِهِ الحِـمامُ
لأعمل في القياسِ الفكرَ حـتىٰ ... تحـلَّ لنـا الخـريدةُ والغـلامُ[1]

وأمّا طريق أحمد ففيه سعيد بن أبي سعيد المدني وقد اختلط قبل موته بأربع سنين كما في تهذيب التهذيب[2] (٣٩/٤، ٤٠)، ومتن الرواية يشهد على صدورها منه في أيّام اختلاطه.

وممّا لا ريب فيه إساءة الأدب من كلا المتسابّين بحضرة رسول الله ﷺ ورفع أصواتها بطبع من حال التشاتم، فإنّه لا يؤتى به همساً والله يقول: ﴿ **يا أيّها الّذين آمَنُوا لَا تَرفَعُوا أَصوَاتَكُم فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَولِ** ﴾ الآية وقد نزلت في
٣٢/٨ أبي بكر وعمر لمّا تماريا عند رسول الله ﷺ كما مرّ حديثه في الجزء السابع (ص٢٢٣).

وماذا على أبي بكر لو بقي متحلّماً مراعياً لأدب حضرة النبيّ إلى آخر مجلسه؟ كما فعله أوّلاً لذلك ـ أو أنّ ما فعله أوّلاً كان منه رمية من غير رامٍ؟ ـ فلا ينقلب إلى الإساءة وإزعاج رسول الله ﷺ حتى قام عنه.

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي: ٢٥٧/١٤ [رقم٧٥٥٨]، ميزان الاعتدال [٤٤٧/٤ رقم٩٧٩٤]، لسان الميزان: ٣٠٠/٦ [٣٦٨/٦ رقم٩٣١٩]. (المؤلّف)

(٢) تهذيب التهذيب: ٣٤/٤.

وماذا عليه لو قام معه فيقطع مادّة البغضاء؟ وماذا عليه لو سكت عن النبيّ ﷺ ولم يُسئ الأدب بالاعتراض والنقد على قيامه؟

وماذا عليه لو أبقى المَلَك وهو يحسبه مظلوماً فيسبّ الرجل ردّاً عليه؟ لكنّه رآه مكافئ الظالم فتركه.

وعجبي ممّا في لفظ أحمد من قول النبيّ لأبي بكر: فلمّا رددتَ عليه بعض قوله وقع الشيطان. إلى آخره. كيف كان ذلك المحفل خلواً من الشيطان إلى أن ردّ عليه أبو بكر والرجل كان يشتم أبا بكر ويُكثر، ولمّا ردّ عليه وقع الشيطان؟ فكأنّ ردّ أبي بكر كان من همزات الشيطان دون سبّ الرجل إيّاه، وكأنّ النبيّ الأعظم لم تكن له مندوحة عن سماع شتم الرجل أبا بكر، أو لم تكن فيه مغضبة دون ردّ أبي بكر إيّاه؟ إنّ هذا لشيء عجاب!

ثمّ هل في عالم الملكوت من يقابل البذاءة بمثلها؟ أو أنّ هناك عالم القداسة لا يطرقه الفحش والسباب المقذع لقبحها الذاتي؟ وهل لله سبحانه ملائكة قيّضهم لذلك العمل القبيح؟ وهل هذا التقييض مخصوص بأبي بكر فحسب؟ أو أنّه يكون لكلّ متسابّين من المؤمنين إذا سكت أحدهما؟ وهل قُيّضت الملائكة للردّ على من هجا رسول الله من المشركين؟ أنا لم أقف على أثر في هذه كلّها، وليست المسألة عقليّة فتعضدها البرهنة، مع قطع النظر عن استهجان العقل السليم لذلك، والمتيقّن أنّ جزاء الشاتم إن كان ظالماً مُرجَأ إلى يوم الجزاء، وأمّا ردّه بقول لا يسمعه الظالم فيتأدّب ويرتدع، ولا المظلوم فيشفي غليله، ولا أيّ أحد فيكون فضيحة لمرتكب القبيح فعساه يترك شنعته، فمن التافهات[1]، نعم؛ أخرج الخطيب في تاريخه (٥/٢٨٠)

(١) من التافهات: متعلق بخبر لمبتدأ محذوف إذ التقدير: فهو من التافهات، والجملة الاسمية خبر للمبتدأ في قوله وأما ردّه.

من طريق سهل بن صقين عن أبي هريرة مرفوعاً: إنّ لله تعالى في السماء سبعين ألف ملَك يلعنون من شتم أبا بكر وعمر.

غير أنّ الخطيب نفسه أردفه بقوله: سهل يضع. راجع ما أسلفناه في الجزء الخامس صفحة (٣٢٨). ٣٣/٨

ـ ٣٠ ـ

خطبة النبيّ ﷺ في فضل الخليفة

أخرج البخاري[١] في المناقب باب قول النبيّ: سدّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر (٢٤٢/٥) وباب الهجرة (٤٤/٦) من طريق أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إنّ الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّر فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إنّ أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متّخذاً خليلاً غير ربّي لاتّخذت أبابكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته، لا يبقين في المسجد باب إلّا سُدّ إلّا باب أبي بكر.

وزاد في لفظ ابن عساكر[٢]: فعلمنا أنّه مستخلفه. وفي لفظ الرازي في تفسيره[٣] (٣٤٧/٢): ما من الناس أحد أمنّ علينا في صحبته ولا ذات يده من ابن أبي قحافة.

قال الأميني: راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة (٢٠٢ ـ ٢١٥) تزدد

---

(١) صحيح البخاري: ١٣٣٧/٣ ح ٣٤٥٤، ص١٤١٧ ح ٣٦٩١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٤٦/٣٠ رقم٣٣٩٨.

(٣) التفسير الكبير: ٤٦/٧.

وثوقاً بما تضمّنته هذه الرواية من أُكذوبة حديث الأبواب وسدّها، وما لابن تيميّة هنالك من مكاء وتصدية.

وأمّا بقيّة الحديث فممّا فيه قول أبي سعيد: وكان أبو بكر أعلمنا. لم يخصّ هذا العلم بأبي بكر وإنّما تحمّله كلّ من سمعه ﷺ ووعى أقواله في حجّة الوداع الذي كان يقول فيها: «يوشك أن أُدعى فأجيب». إلى ما يقارب ذلك ممّا هو مذكور في الجزء الأوّل. وهب أنّ العلم بذلك كان مقصوراً على الخليفة لكنّه أيّ علم هذا يباهى به؟ أهو حلّ عويصة من الفقه؟ أو بيان مشكلة من الفلسفة؟ أو شرح غوامض من علوم الدين؟ أو كشف مخبأ من أسرار الكون؟ لم يكن في هذا العلم شيء من ذلك كلّه وإنّما هو على فرض الصحّة تنبّه منه إلى أنّه ﷺ يريد نفسه، ولعلّه سمعه قبل ذلك فتذكّره عندئذٍ، وقد أسلفناه في الجزء السابع عند البحث عن أعلميّة الرجل بما لا مزيد عليه. فراجع.

٣٤/٨ أمّا قوله: إنّ أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر. فأيّ منٍّ لأيّ أحد في صحبته ﷺ وإنفاق ماله في دعوته؟ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[1]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2]، وكانت لرسول الله المنّة على البشر عامّة بالدعوة والهداية والتهذيب، وإن صاحَبه أحد وناصَره فلنفسه نظر ولها نصح، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَاتَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُم أَنْ هَدَاكُم لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أَنفُسِهِم يَتْلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[4].

---

(١) فصّلت: ٤٦.

(٢) الإسراء: ٧.

(٣) الحجرات: ١٧.

(٤) آل عمران: ١٦٤.

على أنّ منّة المال لأبي بكر سالبة بانتفاء الموضوع وسنوقفك على جليّة الحال، وقصّة الخلّة في ذيل الرواية أوقفناك عليها في الجزء الثالث وأنّها موضوعة، ويعارضها موضوع آخر أخرجه الحافظ السكري من طريق أُبيّ بن كعب أنّه قال: إنّ أحدث الناس عهدي[١] بنبيّكم ﷺ قبل وفاته بخمس ليال، دخلت عليه وهو يقلّب يديه وهو يقول: إنّه لم يكن نبيّ إلّا وقد اتّخذ من أُمّته خليلاً وإنّ خليلي من أُمّتي أبو بكر بن أبي قحافة، ألا وإنّ الله قد اتّخذني خليلاً كما اتّخذ إبراهيم خليلاً[٢].

وموضوع آخر أخرجه الطبراني[٣] من طريق أبي أمامة: إنّ الله اتّخذني خليلاً كما اتّخذ إبراهيم خليلاً وإنّ خليلي أبو بكر. كنز العمّال[٤] (١٣٨/٦).

وموضوع آخر أخرجه أبو نُعَيم من طريق أبي هريرة: لكلّ نبي خليل في أُمّته وإنّ خليلي أبو بكر. كنز العمّال[٥] (١٤٠/٦).

هكذا تعارض سلسلة الموضوعات بعضها بعضاً لجهل كلّ من واضعيها بما أتىٰ به الآخر. ولكلّ مُنّته[٦] وسعة باعه في نسج الأكاذيب: ﴿**وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ**﴾[٧].

وقبل هذه كلّها ما في رجال سند الرواية من الآفة لمكان إسماعيل بن عبدالله أبي عبدالله بن أبي أويس ابن أُخت مالك ونسيبه والراوي عنه. ٣٥/٨

---

(١) كذا في الرياض النضرة، وفي إرشاد الساري: إنّ أحدث عهدي بنبيّكم قبل موته بخمس.

(٢) الرياض النضرة للمحبّ الطبري: ٨٣/١[١١٠/١]، إرشاد الساري للقسطلاني: ٨٣/٦[١٦٩/٨]. (المؤلّف)

(٣) المعجم الكبير: ٢٠١/٨ ح٧٨١٦.

(٤) كنز العمّال: ٥٤٨/١١ ح٣٢٥٧٢.

(٥) المصدر السابق: ص٥٥٣ ح٣٢٥٩٨.

(٦) المُنّة: القوّة.

(٧) البقرة: ١٤٤.

قال ابن أبي خيثمة: صدوق ضعيف العقل ليس بذلك، يعني أنّه لا يحسن الحديث ولا يعرف أن يؤدّيه أو يقرأ من غير كتابه.

وقال معاوية بن صالح: هو وأبوه ضعيفان.

وقال ابن مَعِين[1]: هو وأبوه يسرقان الحديث. وقال إبراهيم بن الجنيد عن يحيى بن مَعِين: مخلّط يكذب ليس بشيء.

وقال النسائي[2]: ضعيف. وقال في موضع آخر: غير ثقة. وقال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدّي إلى تركه، ولعلّه بانَ له ما لم يبِن لغيره لأنّ كلام هؤلاء كلّهم يؤول إلى أنّه ضعيف.

وقال ابن عدي[3]: روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

قال الأميني: هذه الرواية التي رواها عن خاله من تلك الغرائب.

وذكره الدولابي في الضعفاء وقال: سمعت النصر بن سلمة المروزي يقول: ابن أبي أويس كذّاب كان يحدّث عن مالك بمسائل ابن وهب.

وقال العقيلي في الضعفاء[4] عن يحيى بن مَعِين أنّه قال: ابن أبي أويس لا يسوى فلسين[5] وقال الدارقطني: لا أختاره في الصحيح.

وذكره الإسماعيلي في المدخل فقال: كان ينسب في الخفّة والطيش إلى ما أكره ذكره.

---

(١) معرفة الرجال: ١/٦٥ رقم ١٢١.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٥١ رقم ٤٤.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ١/٣٢٣ رقم ١٥١.

(٤) الضعفاء الكبير: ١/٨٧ رقم ١٠٠.

(٥) في الضعفاء الكبير: يسوى فلساً، وفي تهذيب التهذيب: يسوى فلسين.

وقال بعضهم: جانبناه للسنّة.

وقال ابن حزم في المحلّى: قال أبو الفتح الأزدي: حدّثني سيف بن محمد، أنّ ابن أبي أويس كان يضع الحديث.

وأخرج النسائي من طريق سلمة بن شبيب أنّه قال: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربّما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم[(١)].

أليس من الجزاف وقول الزور، قول النووي في مقدّمة شرح صحيح مسلم[(٢)]: إتّفق العلماء رحمهم الله على أنّ أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم؟

٣٦/٨ أكتاب هذا حديثه وهذه ترجمة رجال إسناده وهو أخف ما فيه من الطامّات يصلح أن يكون أصحّ الكتب بعد القرآن؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم، ولو كان هذا شأن الأصحّ المتّفق عليه فما قيمة غيره في سوق الاعتبار؟!

ـ ٣١ ـ

ثناء أمير المؤمنين عليه‌السلام على الخليفة

أخرج ابن الجوزي في صفة الصفوة[(٣)] (٩٧/١) من طريق الحسن قال: قال عليّ عليه‌السلام: لمّا قبض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد قدّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لديننا فقدّمنا أبا بكر.

وأخرجه مرسلاً أيضاً المحبّ الطبري في الرياض النضرة[(٤)] (١٥٠/١) فقال:

(١) تهذيب التهذيب: ٣١٢/١ [٢٧٢/١].

(٢) شرح صحيح مسلم: ١٤/١.

(٣) صفة الصفوة: ٢٥٧/١ رقم ٢.

(٤) الرياض النضرة: ١٨٨/١.

وعنه[١] قال: قال عليّ: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس وقد رأى مكاني وما كنت غائباً ولا مريضاً، ولو أراد أن يقدّمني لقدّمني، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا.

وعن قيس بن عبادة، قال: قال لي عليّ بن أبي طالب: إنّ رسول الله ﷺ مرض ليالي وأيّاماً ينادي بالصلاة فيقول: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس، فلمّا قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا فبايعنا.

قال الأميني: ما أجرأ الحفّاظ على رواية هذه الأكاذيب الفاحشة، وإغراء بسطاء الأُمّة المسكينة بالجهل، والتمويه على الحقائق بأمثال هذه الأفائك! وهم مهرة الفنّ، ولا يعزب عن أيّ أحد منهم عرفان ما في تلكم المختلقات من الغمز والاعتلال.

نعم؛ وكم وكم يجد الباحث في طيّات أجزاء كتابنا هذا ممّا يكذّب هذه الأفيكة من التاريخ المتسالم عليه، والحديث الصحيح، والنصوص الصريحة من كلمات مولانا أمير المؤمنين؛ وشتّان بينه وبين كلمات الحفّاظ والمؤرّخين حول تخلّف عليّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر؛ مثل قول القرطبي في المفهم شرح صحيح مسلم في شرح حديث منه، قوله: كان لعليّ من الناس جهة حياة فاطمة. قال: جهة أي جاه واحترام، كان الناس يحترمون عليّاً في حياتها كرامةً لها كأنّها بضعة من رسول الله وهو مباشر / لها، فلمّا ٣٧/٨
ماتت وهو لم يبايع أبا بكر. انصرف الناس عن ذلك الاحترام ليدخل فيما دخل فيه الناس ولا يفرّق جماعتهم.

نعم؛ أكثر الوضّاعون في الكذب على سيّد العترة أمير المؤمنين وبان ذلك في الملأ حتى قال عامر بن شراحيل[٢]: أكثر من كُذِب عليه من الأُمّة الإسلاميّة هو

---

(١) أي: عن الحسن.

(٢) هو المعروف بالشعبي، ونصُّ قوله: ما كُذب على أحد في هذه الأُمة ما كذب على عليّ عليه السلام.

أمير المؤمنين عليه السلام[1]. وإليك نماذج ممّا يُعزى إليه وهو سلام الله عليه بريء منه، أضفها إلى أحاديث الغلوّ في فضائل أبي بكر.

ـ ٣٢ ـ

عن عليّ: أوّل من يدخل من الأُمّة الجنّة أبو بكر وعمر، وإنّي لموقوف مع معاوية للحساب.

ـ ٣٣ ـ

عن عليّ مرفوعاً: يا عليّ لا تكتب جوازاً لمن سبّ أبا بكر وعمر فإنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة بعد النبيّين. ويأتي بلفظ آخر.

ـ ٣٤ ـ

عن عليّ مرفوعاً: الخليفة بعدي أبو بكر وعمر ثمّ يقع الاختلاف.

ـ ٣٥ ـ

عن عليّ مرفوعاً: يا عليّ سألت الله ثلاثاً أن يقدّمك فأبى عَلَيَّ إلّا أن يقدّم أبا بكر.

ـ ٣٦ ـ

عن عليّ: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أسرّ إليّ أنّ أبابكر سيتولّى بعده ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ أنا.

ـ ٣٧ ـ

عن عليّ: إنّ الله فتح هذه الخلافة على يدي أبي بكر وثنّاه عمر وثلّثه عثمان وختمها بي بخاتمة نبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) تذكرة الحفّاظ للذهبي: ٧٧/١ [٨٢/١ رقم٧٦]. (المؤلّف)

- ٣٨ -

عن عليّ: ما خرج رسول الله ﷺ من الدنيا حتى عهد إليّ أنّ أبابكر يلي الأمر بعده ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ إليّ فلا يُجتمع عليّ.

- ٣٩ -

عن عليّ مرفوعاً: أتاني جبرئيل فقلت: من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر، ويلي أمر أُمّتك من بعدك وهو أفضل أُمّتك من بعدك.

- ٤٠ -

عن عليّ مرفوعاً: أعزّ أصحابي إليّ، وخيرهم عندي، وأكرمهم على الله، وأفضلهم في الدنيا والآخرة: أبو بكر الصدّيق. الحديث بطوله.

- ٤١ -

عن عليّ: إنّا نرى أبابكر أحقّ الناس بها بعد رسول الله، إنّه لصاحب / الغار، ٣٨/٨
وثاني اثنين، وإنّا لنعلم بشرفه وكبره. الحديث.

- ٤٢ -

عن عليّ مرفوعاً: يا عليّ إنّ الله أمرني أن اتّخذ أبابكر وزيراً، وعمر مشيراً، وعثمان سنداً، وإيّاك ظهيراً، أنتم أربعة فقد أخذ الله ميثاقكم في أُمّ الكتاب، لا يحبّكم إلّا مؤمن ولا يبغضكم إلّا فاجر، أنتم خلائف نبوّتي، وعقدة ذمّتي، وحجّتي على أُمّتي لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تعافوا.

- ٤٣ -

قيل لعليّ: يا أمير المؤمنين من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قيل: ثمّ من؟ قال عمر. قيل: ثمّ من؟ قال: ثمّ عثمان. قيل: ثمّ من؟ قال: أنا.

ـ ٤٤ ـ

خطب عليّ خطبة وقال في آخرها: واعلموا أنّ خير الناس بعد نبيّهم ﷺ أبو بكر الصدّيق، ثمّ عمر الفاروق، ثمّ عثمان ذو النورين، ثمّ أنا. وقد رميت بها في رقابكم وراء ظهوركم فلا حجّة لكم عليّ.

ـ ٤٥ ـ

سُئل عليّ عن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: أخبرنا عن أبي بكر بن أبي قحافة قال: ذاك امرؤ سمّاه الله الصدّيق على لسان جبريل عليه السلام وعلى لسان محمد ﷺ، كان خليفة رسول الله ﷺ رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا.

ـ ٤٦ ـ

عن عليّ: إنّه كان يحلف بالله إنّ الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء: الصدّيق.

ـ ٤٧ ـ

عن عليّ: أوّل من أسلم من الرجال أبو بكر، وأوّل من صلّى إلى القبلة عليّ ابن أبي طالب.

ـ ٤٨ ـ

عن عبدالرحمن[١] بن أبي الزناد عن أبيه قال: أقبل رجل فتخلّص الناس حتى وقف على عليّ بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين ما بال المهاجرين والأنصار قدّموا

---

(١) قال ابن مَعِين [في معرفة الرجال: ٧٣/١ رقم١٨٣]: ليس ممّن يحتجّ به أصحاب الحديث، ليس بشيء. وعن ابن المديني: كان عند أصحابنا ضعيفاً. وكان عبد الرحمن يخطّ على حديثه، وضعّفه الساجي وابن شيبة، وقال النسائي [في كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٦٠ رقم٣٨٧]: لا يحتجّ بحديثه. تهذيب التهذيب: ١٧١/٦ [١٥٧/٦]. (المؤلّف)

أبا بكر وأنت أورى منقبة، وأقدم إسلاماً، وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت قرشيّاً فأحسبك من عائذة، قال نعم. قال: لولا أنّ المؤمن عائذ الله لقتلتك. ويحك إنّ أبا بكر سبقني لأربع لم أوتهنّ ولم أعتض منهنّ: سبقني إلى الإمامة. أو: تقدّم الإمامة. و / تقدّم الهجرة، وإلى الغار، وإفشاء الإسلام. الحديث بطوله وفي آخره: ثمّ قال: لا ٣٩/٨
أجد أحداً يفضّلني على أبي بكر إلّا جلدته جلد المفتري.

- ٤٩ -

عن عليّ: جاء جبريل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: من يهاجر معي؟ فقال: أبو بكر، وهو الصدّيق. مرّ بلفظ آخر.

- ٥٠ -

جاء أبو بكر وعليّ يزوران النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته بستة أيّام فقال عليّ لأبي بكر: تقدّم يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: عليّ منّي كمنزلتي من ربّي. فقال عليّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما منكم من أحد إلّا وقد كذّبني غير أبي بكر، وما منكم من أحد يصبح إلّا على بابه ـ على باب قلبه ـ ظلمة إلّا باب أبي بكر. فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله؟ قال: نعم. فأخذ أبو بكر بيد عليّ ودخلا جميعاً.

- ٥١ -

عن عليّ مرفوعاً: ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيّين والمرسلين أفضل من أبي بكر.

- ٥٢ -

عن عليّ: دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: يا رسول الله ألا تستخلف؟

فقال : إن يعلم الله فيكم خيراً استعمل عليكم خيركم. فعلم الله فينا خيراً فاستعمل علينا أبا بكر.

ـ ٥٣ ـ

عن عليّ قال : أفضلنا أبو بكر.

ـ ٥٤ ـ

عن عليّ مرفوعاً : ينادي منادٍ يوم القيامة : أين السابقون الأوّلون ؟ فيقال : من ؟ فيقول : أين أبو بكر الصدّيق ؟ فيتجلّى الله لأبي بكر خاصّة وللناس عامّة.

ـ ٥٥ ـ

عن عليّ مرفوعاً : الخير ثلاثمئة وسبعون خصلة، إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه واحدةً منهنّ فدخل بها الجنّة، قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله هل فيّ شيء منها ؟ قال : نعم جمع من كلّ.

ـ ٥٦ ـ

عن عليّ مرفوعاً : يا أبا بكر إنّ الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني، وإنّ الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة.

ـ ٥٧ ـ

إلتقى أبو بكر الصدّيق وعليّ بن أبي طالب، فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ فقال له عليّ : مالك تبسّمت ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يجوز أحد الصراط
إلّا من كتب له عليّ بن أبي طالب الجواز. فضحك عليّ وقال : ألا أُبشّرك يا أبا بكر. ٨/٤٠
قال رسول الله ﷺ : لا تكتب الجواز إلّا لمن أحبّ أبا بكر.

- ٥٨ -

عن عليّ مرفوعاً: نازلت ربّي فيك ثلاثاً فأبى إلّا أبا بكر.

- ٥٩ -

عن عليّ: إنّ رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في الإمارة، ولكنّه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمن قبل أنفسنا. ثمّ استخلف أبو بكر فأقام واستقام، ثمّ استخلف عمر فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه.

- ٦٠ -

قال أبو بكر لعليّ بن أبي طالب: قد علمت أنّي كنت في هذا الأمر قبلك؟ قال: صدقت يا خليفة رسول الله، فمدّ يده فبايعه.

- ٦١ -

قال أبو بكر بعدما بويع له وبايع له عليّ وأصحابه فأقام ثلاثاً يقول: أيّها الناس قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم عليّ في أوائل الناس يقول: لا والله لانقيلك ولانستقيلك قدّمك رسول الله ﷺ، فمن ذا الذي يؤخّرك؟

وفي لفظ: ولولا أنّا رأيناك أهلاً ما بايعناك.

وفي لفظ سويد بن غفلة: لمّا بايع الناس أبا بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس اذكر بالله أيّما رجل ندم على بيعتي لمّا قام على رجليه، قال: فقام إليه عليّ بن أبي طالب ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر والأخرى على الحصى، وقال والله لا نقيلك. الحديث.

- ٦٢ -

عن عليّ مرفوعاً: خير أُمّتي بعدي أبو بكر وعمر.

ـ ٦٣ ـ

عن عليّ: إنّه دخل على أبي بكر وهو مسجّى فقال: ما أحد لقي الله بصحيفة أحبّ إليّ من هذا المسجّى.

ـ ٦٤ ـ

عن عليّ: ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أنّ أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أنّ أفضلنا بعد أبي بكر عمر رضي الله تعالى عنهما.

ـ ٦٥ ـ

عن عليّ: مرفوعاً: يا عليّ هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين إلّا النبيّين والمرسلين، لا تخبرهما يا عليّ. قال: فما أخبرتهما حتى ماتا.

ـ ٦٦ ـ

٤١/٨ عن عليّ مرفوعاً: أوّل من يحاسب يوم القيمة أبو بكر. يأتي بطوله.

هذه غياهب الإفك والإحن، وأغشية التمويه والدجل، ظلمات بعضها فوق بعض، أو قل: هي أساطير الأوّلين التي اكتتبوها، أحاديث الغلوّ وقصص الخرافة لفّقتها يد الأمانة الخائنة على السنّة النبويّة تقوّلاً على مولانا أمير المؤمنين، لقد فصّلنا القول فيها طيّات أجزاء[1] كتابنا هذا، ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً** ﴾[2].

---

(١) تجد بسط المقال حول جلّها في الجزء الخامس: ص٢٩٧ ـ ٣٧٥. (المؤلّف)

(٢) المجادلة: ٢.

- ٦٧ -

ليلة الغار والخليفة فيها

أخرج أبو نُعَيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٣٣/١) عن عبدالله بن محمد بن جعفر، عن محمد بن العبّاس بن أيّوب، عن أحمد بن محمد بن حبيب المؤدّب، عن أبي معاوية، عن هلال بن عبدالرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة أبي معاذ، عن أنس ابن مالك قال: لمّا كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني فلأدخل قبلك، فإن كانت حيّة أو شيء كانت لي قبلك. قال: ادخل، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلّما رأى جحراً جاء بثوبه فشقّه ثمّ ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثمّ أدخل رسول الله ﷺ، قال: فلمّا أصبح قال له النبيّ ﷺ: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع، فرفع النبيّ ﷺ يده فقال: اللّهمّ اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة. فأوحى الله تعالى إليه: إنّ الله قد استجاب لك.

وقال ابن هشام في السيرة[1] (٩٨/٢): حدّثني بعض أهل العلم أنّ الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حيّة، يقي رسول الله ﷺ بنفسه.

وذكره ابن كثير في تاريخه[2] (١٧٩/٣) فقال: فيه انقطاع من طرفيه.

وفي مرسل المحبّ الطبري في الرياض[3] (٦٥/١): دخل أبو بكر الغار فلم يرَ فيه جحراً إلّا أدخل إصبعه فيه حتى أتى على جحر كبير فأدخل رجله فيه إلى فخذه

---

(١) السيرة النبويّة: ١٣٠/٢.

(٢) البداية والنهاية: ٢٢٠/٣.

(٣) الرياض النضرة: ٨٩/١.

ثمّ قال: أُدخل يا رسول الله فقد مهّدت لك الموضع تمهيداً.

وبات أبو بكر بليلة منكرة من الأفعى، فلمّا أصبح قال له رسول الله ﷺ:
٤٢/٨ ما / هذا يا أبابكر؟ وقد تورّم جسده فقال: يا رسول الله الأفعى، فقال له رسول الله ﷺ: فهلّا أعلمتني؟ فقال أبو بكر: كرهت أن أفسد عليك، فأمرّ رسول الله ﷺ يده على أبي بكر فاضمحلّ ما كان بجسده من الألم وكأنّه أُنشط من عقال.

وقال في مرسل آخر عن عمر(١) في (ص٦٨): كان في الغار خروق فيها حيّات وأفاعٍ، فخشي أبو بكر أن يخرج منها شيء يؤذي رسول الله ﷺ فألقمه قدمه، فجعلن يضربنه ويلسعنه الحيّات والأفاعي، وجعلت دموعه تتحادر ورسول الله ﷺ يقول له: يا أبا بكر لا تحزن إنّ الله معنا، فأنزل الله سكينته وهي الطمأنينة لأبي بكر.

والذي صحّحه الحاكم في المستدرك(٢) من طريق عمر من الحديث قوله: فلمّا انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الحجرة، فدخل واستبرأ ثمّ قال: انزل يا رسول الله، فنزل، فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. فقال الحاكم: صحيح لولا إرسال فيه.

وفي حديث زيّفه ابن كثير بالإرسال أيضاً: قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسّه وأقصّه، فإن كانت فيه دابّة أصابتني قبلك. قال نافع: فبلغني أنّه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوّفاً أن يخرج منه دابّة أو شيء يؤذي رسول الله ﷺ.

وفي لفظ: لمّا دخل الغار سدّد تلك الأجحرة كلّها وبقي منها جحر واحد،

---

(١) الرياض النضرة: ٩٣/١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٧/٣ ح٤٢٦٨.

فألقمه كعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل، تاريخ ابن كثير[١] (١٨٠/٣) فقال: في هذا السياق غرابة ونكارة.

وزاد عليه الحلبي في السيرة: قد كان ﷺ وضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله تعالى عنه ونام فسقطت دموع أبي بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ قال: مالك يا أبا بكر؟ قال: لُدِغت فداك أبي وأمّي، فتفل رسول الله على محلّ اللدغة فذهب ما يجده.

وقال: زاد في رواية: وأنّه رأى على أبي بكر أثر الورم فسأل عنه فقال: من لدغة الحية، فقال: هلّا أخبرتني؟ قال: كرهت أن أوقظك، فمسحه النبيّ ﷺ فذهب ما به من الورم والألم.

٤٣/٨ وقال: قال بعضهم: والسرّ في اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصّص على رؤوسهم تعظيماً للحيّة التي لدغت أبا بكر في الغار؛ لأنّهم يزعمون أنّ ذلك على صورة تلك الحيّة.

السيرة الحلبيّة[٢] (٣٩/٢، ٤٠)، السيرة النبويّة لزيني دحلان هامش الحلبيّة[٣] (٣٤٢/١).

قال الأميني: للباحث حقّ النظر في هذه الرواية من عدّة نواحٍ:

أوّلاً: من حيث رجال السند ولا إسناد لها منذ يوم وضعت، ولا تروى في كتب السلف والخلف إلّا مرسلة إمّا من الطرفين كرواية ابن هشام، وإمّا من طرف واحد كإسناد الحاكم وأبي نُعَيم، ومن الغريب جدّاً أنّ القضيّة مشتركة بين اثنين ليس إلّا،

---

(١) البداية والنهاية: ٢٢٠/٣ ـ ٢٢١.

(٢) السيرة الحلبية: ٣٥/٢.

(٣) السيرة النبويّة: ١٦٣/١.

وهما: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وروايتها بطبع الحال تنحصر بهما غير أنّها لم تنقل عنهما ولم يوجد لها ذكر في أيّ سند، والدواعي في مثلها متوفّرة لأن يذكر مع الأبد، وتتداولها الألسن، إذ فيها من أعلام النبوّة، وكرامة مع ذلك لأبي بكر.

وإسناد أبي نُعَيم المذكور لا يعوّل عليه لمكان عبد الله بن محمد بن جعفر، قال ابن يونس: خلط في الآخر، ووضع أحاديث على متون معروفة، وزاد في نسخ مشهورة فافتضح وحرقت الكتب في وجهه.

وقال الحاكم عن الدارقطني: كذّاب ألّف كتاب سنن الشافعي وفيها نحو مائتي حديث لم يحدّث بها الشافعي.

وقال الدارقطني: وضع في نسخة عمرو بن الحارث أكثر من مئة حديث.

وقال عليّ بن رزيق: كان إذا حدّث يقول لأبي جعفر ابن البرقي في حديث بعد حديث: كتبت هذا عن أحد؟ فكان يقول: نعم عن فلان وفلان. فاتّهمه الناس بأنّه يفتعل الأحاديث، ويدّعيها ابن البرقي كعادته في الكذب. قال: وكان يصحّف أسماء الشيوخ[1].

على أنّ عبدالله بن محمد توفي سنة (٣١٥) كما في لسان الميزان فلا تتمّ رواية أبي نُعَيم عنه وهو من مواليد (٣٣٦).

٤٤/٨ وفيه: محمد بن العباس بن أيّوب الحافظ الشهير بابن الأخرم، قال أبو نُعَيم نفسه: اختلط قبل موته بسنة، كما في لسان الميزان[2] (٢١٦/٥)، ولمّا لم يُعلم تاريخ صدور الرواية منه أهو قبل الاختلاط أم بعده؟ ـ إن لم تعدّ الرواية من بيّنات اختلاطه ـ سقطت عن الاعتبار كما هو الشأن في رواية كلّ من اختلط. عن:

---

(١) لسان الميزان: ٣٤٥/٣ [٤٢٥/٣ رقم ٤٧٧٢]. (المؤلّف)

(٢) لسان الميزان: ٢٤٤/٥ رقم ٧٥٣٩.

أحمد بن محمد بن حبيب المؤدّب، أحسبه السرخسي، أخرج الخطيب في تاريخه (١٤٠/٥) حديثاً من طريقه فقال: رجاله كلهم ثقات معروفون بالثقة إلّا المودّب. عن:

أبي معاوية محمد بن خازم، مرجئ مدلّس رئيس المرجئة بالكوفة كما في تهذيب التهذيب[١] (١٣٩/٩). عن:

هلال بن عبدالرحمن، قال العقيلي[٢]: منكر الحديث، وقال بعد ما ذكر له أحاديث: كلّ هذه مناكير لا أُصول لها ولا يتابع عليها. وقال الذهبي[٣]: الضعف على أحاديثه لائح فليترك. لسان الميزان[٤] (٢٠٢/٦). عن:

عطاء بن أبي ميمونة، ثقة صالح قدريّ لا يحتجّ بحديثه. راجع تهذيب التهذيب[٥] (٢١٥/٧).

ولمّا لم يصحّ شيء من أسانيد الرواية ومتونها لم يوعز إليها السيوطي في الخصائص الكبرى في باب ما وقع في الهجرة النبويّة من الآيات والمعجزات، وقد ذكر فيه أحاديث ضعيفة مع النصّ على ضعفها، فكأنّه عرف بأنّ ذكر هذه الرواية تمسّ كرامة المؤلّف وتحطّ مكانة تأليفه عن الأنظار، وهكذا لم يذكرها أحد ممّن ألّف في أعلام النبوّة ومعاجز النبيّ الأعظم.

ثانياً: إنّ الأُصول القديمة في القرون الأُولى لا يوجد فيها إلّا أنّ أبا بكر دخل

---

(١) تهذيب التهذيب: ١٢١/٩.

(٢) الضعفاء الكبير: ٣٥٠/٤ رقم١٩٥٦.

(٣) ميزان الاعتدال: ٣١٥/٤ رقم٩٢٧٣.

(٤) لسان الميزان: ٢٤٣/٦ رقم٨٩٥٥.

(٥) تهذيب التهذيب: ١٩٢/٧.

الغار قبل النبيّ ﷺ لينظر أفيه سبع أو حيّة كما في سيرة ابن هشام[١]، ولم يصحّ عند الحاكم من القصّة إلّا هذا المقدار كما سمعت، ولو صحّ شيء زائد على هذا لما فاتته روايته ولو مرسلة.

وزيدت في القرن الرابع قصّة الثوب وبقاء جحر واتّكاء أبي بكر عليه بعقبه ودعاء النبيّ ﷺ له لاتّقائه عنه ﷺ بثوبه عن لدغ الحشرات المزعومة.

٨/٤٥ وجدّدت النغمات في قرن المحبّ الطبري المتخصّص الفنّان في رواية الموضوعات وجمع شتاتها، فجاء في روايته ما سمعت، غير أنّ ألفاظه مع وجازته مضطربة جدّاً لا يلتئم شيء منها مع الآخر.

ثمّ جاء الحلبي فنوّم رسول الله ﷺ ورأسه في حجر أبي بكر، وسقى وجه رسوله الكريم بدموع أبي بكر المتساقطة من الألم، كلّ هذه لم يبرّد كبد الحلبي وما شفى غليله، فوجّه قوارصه على الرافضة وألبس رؤوسهم لباداً مقصّصاً على صورة تلك الحيّة الموهومة التي لم يُذعن رافضيّ قطّ بوجودها.

ثمّ لمّا أدخل أبو بكر رجله إلى فخذه في الجحر ونزل النبيّ ﷺ ووجده قاعداً لا يتحرّك، ورام أن ينام، ووضع رأسه الشريف في حجره، هلّا سأل ﷺ صاحبه عن حالته العجيبة وجلوسه المستغرب الذي لا يقوم عنه؟ وهل يمكن له أن يستر على صاحبه كلّ ما فعل وهو معه ينظر إليه من كَثَب؟

وأيّ لديغ هذا؟! وأيّ تصبّر وتجلّد؟! وأيّ منظر مهول؟! رجل الرجل في الجحر إلى فخذه ولا ثوب عليه، ورأس النبيّ العظيم في حجره، والأفاعي والحيّات تلدغه وتلسعه من هنا وهنا، لا اللديغ يتململ تململ السليم، حتى يحرّك رجله أو عقبه فتجد تلكم الحشرات مسرحاً فتبعد عنه، ولا يئنّ ولا يحنّ ولا تُسمع له زفرة،

---

(١) السيرة النبوية: ٢/١٣٠.

وإنّ الدموع تتحادر حتى يستيقظ النبيّ الذي تنام عينه ولا ينام قلبه[(١)] فينجي صاحبه الذي اختاره لصحبته من لسعة الحيّات والأفاعي.

وهل من العدل والعقل والمنطق أن يحفظ الله نبيّه عن كلّ هاتيك النوازل؟ ويري له في الدرء عنه آية بعد آية في سويعات؛ من ستره عن أعين مشركي قريش لمّا مرّ بهم من بين أيديهم، وإنباته شجرةً في وجهه تستره بها، وإيقاعه حمامتين وحشيّتين بفم الغار، ونسج العناكيب باب الغار بأمر منه تعالى شأنه[(٢)]، ويدع صاحبه الذي اتّخذه بأمره، وتفانى في حبّ النبيّ ﷺ، وعرّض نفسه للمهالك دونه بدخوله الغار قبله، فلم يدفع عنه لدغ الحيّات والأفاعي، ولا يرحمه في تلك الحالة التي تكسر / القلوب، وتشجي الأفئدة، وينظر إليه رسول الله ﷺ، ويقول له: ٤٦/٨
لا تحزن إنّ الله معنا. والمسكين يبكي وتسيل دموعه.

وهلّا كان يعلم أبو بكر أنّ الله الذي أمر نبيّه بالهجرة وأدخله الغار يكلؤه عن لدغ الحيات والأفاعي بقدرته كما أعمى عنه عيون البشر الضاري، وقصّر عن النيل منه مخالب تلك الفئة الجاهلة؟

وهلّا كان يؤمن بأنّ صاحبه المفدّى لو اطّلع على حاله لينجيه بمسحة مسيحيّة أو بدعوة مستجابة، فكلّ ما حُكي عنه لماذا؟

نعم؛ أعمى الحبّ مختلق الرواية وأصمّه فجاء بالتافهات غلوّاً في الفضائل.

---

(١) أخرج الشيخان في الصحيحين [صحيح البخاري: ٣٨٥/١ ح١٠٩٦، صحيح مسلم: ١٧٤/٢ ح١٢٥ كتاب صلاة المسافرين] مرفوعاً: «إنّ عينيّ تنامان ولا ينام قلبي»، وأخرجا أيضاً [صحيح البخاري: ١٣٠٨/٣ ح٣٣٧٧، صحيح مسلم: ١٩٧/٢ ح١٨٦ بلفظ: أن النبيّ ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه] مرفوعاً: «إن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم». (المؤلّف)

(٢) طبقات ابن سعد: ٢١٣/١ [٢٢٩/١]، الخصائص الكبرى: ١٨٥/١، ١٨٦ [٣٠٦/١]. المؤلّف)

- ٦٨ -

الشيطان لا يتمثّل بأبي بكرٍ

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (٣٣٤/٨) عن محمد بن الحسين قطيط أبي الفتح الشيباني الذي ترجمه في تاريخه ولم يذكره بثقة. عن:

٢ ـ خلف بن عامر الضرير، قال الذهبي في ميزانه[١]: فيه جهالة، قال ابن الجوزي[٢]: روى حديثاً منكراً ـ يعني هذا الحديث ـ[٣]. عن:

٣ ـ محمد بن إسحاق بن مهران أبي بكر الشافعي قال الخطيب في تاريخه (٢٥٨/١): حديثه كثير المناكير. وحسبك في عرفان حاله حديثه الذي أخرجه الخطيب في ترجمته مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنّه أمين مأمون. فراوٍ يكون هذا حديثه لا يرتاب في كذبه ووضعه. عن:

٤ ـ أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي ذكره ياقوت في المعجم (٢٢٨/٣) وقال: قالوا: كان ضعيفاً فيما يرويه. قال ابن عدي الحافظ[٤]: يحدّث عن الأصمعي والقرقساني بمناكير، وقال أبو أحمد الحافظ: لا يتابع على جلّ حديثه.

وحكى ابن حجر في تهذيب التهذيب[٥] (٦٠/١) كلمة ابن عديّ وأبي أحمد وزاد عليها: قال الحاكم أبو عبدالله: سكت مشايخنا عن الرواية عنه، وقال ابن حبّان[٦]:

---

(١) ميزان الاعتدال: ٦٦١/١ رقم٢٥٤١.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ٢٥٥/١ رقم١١١٨.

(٣) لسان الميزان: ٤٠٣/٢ [٤٩٢/٢ رقم٣١٧٧]. (المؤلّف)

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٨٨/١ رقم٢٦.

(٥) تهذيب التهذيب: ٥٢/١.

(٦) الثقات: ٤٣/٨.

ربّما خالف، وقال الذهبي[١]: ليس بعمدة.

وقال السيوطي في بغية الوعاة[٢] (١٤٤/٥): قال ابن عَدِيّ[٣]: يحدّث بمناكير. ٤٧/٨

عن رجال ثقات عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي، ومن رأى أبا بكر الصدّيق في المنام فقد رآه فإنّ الشيطان لا يتمثّل به.

قال الأميني: لم يدع القوم خاصّة للأنبياء أماثل البشر إلّا وقد أشركوا بهم فيها أُناساً ليسوا أمثالهم في العصمة والقداسة والنفسيّات الكريمة والملكات الفاضلة، أخرج الشيخان[٤] حديث «من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي» ورواه الحفّاظ من طرق صحيحة لا مغمز لها، ونصّ السيوطي كما في شرح المناوي[٥] على تواتره، ورآه أئمّة الفنّ من خاصّة رسول الله ﷺ ومن فضائله التي تخصّ به، وفصّلوا القول في بيان أسراره، وعدّه السيوطي من خصائصه ﷺ في الخصائص الكبرى[٦] (٢٥٨/٢) تحت عنوان ـ باب ومن خصائصه أنّ رؤيته في المنام حقّ ـ ولم أجد أحداً من شرّاح الحديث سلفاً وخلفاً يوعز إلى هذه الموضوعة التي جاء بها الخطيب في القرن الخامس، فكأنّ الكلّ ضربوا عنها صفحاً وعرفوا أنّها مكذوبة مختلقة، غير أنّ الخطيب راقه أن يرويها ويسكت عمّا في إسنادها من العلل شأنه في فضائل غير العترة الطاهرة، وأعجب منه أنّ ابن حجر ذكرها في لسان

---

(١) ميزان الاعتدال: ٦٦٢/٢ رقم ٥٢٤٠.

(٢) بغية الوعاة: ٣٣٣/١ رقم ٦٣٢.

(٣) في الأصل: عيسى، كذا في الطبعة التي اعتمدها المؤلّف، وفي الطبعة المحققة: عدي، بدلاً من: عيسى، وأشار محقّقها في الحاشية إلى أن: عيسى، تصحيف.

(٤) صحيح البخاري: ٢٥٦٨/٦ ح ٦٥٩٣، صحيح مسلم: ٤٥١/٤ ح ١٠ كتاب الرؤيا.

(٥) فيض القدير: ١٣٢/٦ ح ٨٦٨٨.

(٦) الخصائص الكبرى: ٤٥٢/٢.

الميزان[١] (٢/٤٠٣) في ترجمة خلف بن عامر فقال: روى عن محمد بن إسحاق بن مهران بسند صحيح. وهو الذي ترجم ثلاثة من رجال السند بما سمعت. هكذا تخطّ يد الغلوّ في الفضائل الجانية على ودائع العلم والدين ﴿**فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيدِيهِم وَوَيْلٌ لَهَم مِمَّا يَكْسِبُون**﴾[٢].

ـ ٦٩ ـ

أبو بكر لم يسؤ النبيّ قطّ

أخرج الخلعي وابن منده وغيرهما من طريق سهل بن مالك قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ من حجّة الوداع صعد المنبر فقال: أيّها الناس إنّ أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك[٣].

٤٨/٨ قال ابن منده: غريب لا نعرفه إلّا من وجه خالد بن عمرو الأموي. وقال ابن حجر بعد نقله: قلت: خالد بن عمرو متروك واهي الحديث. إلى أن قال نقلاً عن أبي عمر: ومدار حديثه[٤] على خالد بن عمرو وهو متروك، وإسناد حديثه مجهولون ضعفاء يدور على سهل بن يوسف أو مالك بن يوسف[٥].

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب[٦] (٣/١٠٩) في ترجمة خالد بن عمرو: قال أحمد[٧]: منكر الحديث، ليس بثقة يروي أحاديث بواطيل، وعن يحيى بن

---

(١) لسان الميزان: ٢/٤٩٢ رقم٣١٧٧.

(٢) البقرة: ٧٩.

(٣) الرياض النضرة: ١/١٢٧ [١/١٦٠]، الإصابة: ٢/٩٠ [رقم٣٥٥٢]. (المؤلّف)

(٤) يعني حديث سهل. (المؤلّف)

(٥) الإصابة ٢/٩٠ [رقم٣٥٥٢]. (المؤلّف)

(٦) تهذيب التهذيب: ٣/٩٤.

(٧) العلل ومعرفة الرجال: ٣/٢٥٤ رقم٥١٢٢.

معين[١] قال: ليس حديثه بشيء، كان كذّاباً يكذب، حدّث عن شعبة أحاديث موضوعة. وقال البخاري[٢] والساجي وأبو زُرعة: منكر الحديث. وقال أبو حاتم[٣]: متروك الحديث ضعيف. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي[٤]: ليس بثقة. وقال صالح بن محمد البغدادي: كان يضع الحديث. وقال ابن حبّان[٥]: كان يتفرّد عن الثقات بالموضوعات لا يحلّ الاحتجاج بخبره. وقال ابن عدي[٦]: روى عن الليث وغيره أحاديث مناكير وأورد له أحاديث من روايته عن الليث عن يزيد. ثمّ قال: وهذه الأحاديث كلّها باطلة، وعندي أنّه وضعها على الليث، ونسخة الليث عن يزيد عندنا ليس فيها من هذا شيء.

وله غير ما ذكرت وعامّتها أو كلّها موضوعة، وهو بيّن الأمر من الضعفاء. وعن أحمد بن حنبل أنّه قال: أحاديثه موضوعة. إلى آخره.

قال الأميني: اقرأ ثمّ انظر إلى أمانة الحافظ المحبّ الطبري يروي هذه الأكذوبة محذوفة الإسناد مرسِلاً إيّاها إرسال المسلّم ويعدّها من فضائل أبي بكر، وتبعه في جنايته هذه غير واحد من المؤلّفين، ﴿ **وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنْعاً** ﴾[٧] ﴿ **وَيَحسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ** ﴾[٨].

---

(١) التاريخ: ٥١٨/٣ رقم٢٥٣٦، معرفة الرجال: ٦٠/١ رقم٨٥.

(٢) التاريخ الكبير: ١٦٤/٣ رقم٥٦٣.

(٣) الجرح والتعديل: ٣٤٣/٣ رقم١٥٥١.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٩٥ رقم١٧٤.

(٥) كتاب المجروحين: ٢٨٣/١.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣١/٣ رقم٥٩٣.

(٧) الكهف: ١٠٤.

(٨) المجادلة: ١٨.

ـ ٧٠ ـ

الآيات النازلة في أبي بكر

قال العبيدي المالكي في عمدة التحقيق[١] (ص١٣٤) عن الشيخ زين العابدين البكري : لمّا قرأت عليه قصيدة جدّه محمد البكري ومنها :

٤٩/٨ لئن كان مدح الأوّلين صحائفاً فـإنّا لآيـات الكـتاب فـواتحُ

قال : المراد بأوّل الكتاب : ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ فالألف أبو بكر ، واللام لله ، والميم محمد .

وذكر البغوي[٢] أنّ المراد من قوله تعالى ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[٣] هو أبو بكر .

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾[٤] أنّه الصدّيق . قال الشيخ محمد زين العابدين : كان للصدّيق ثلاثمئة كرسي وستون كرسيّاً على كلّ كرسي حلّة بألف دينار .

قال الأميني : هاهنا نُنهي البحث عن فضائل أبي بكر ، ولا يسعنا الولوج في الكلام حول الآيات التي تقوّل القوم نزولها فيه ، وقد حرّفوا آياً كثيرة ، وقالوا في كتاب الله ما سوّلت لهم الميول والشهوات ، وراقهم الغلوّ في الفضائل لدة ما سمعت من المخازي ، كما لا نفيض القول في الغلوّ الفاحش فيه بالقريض مثل قول الشاعر العلّامة

---

(١) عمدة التحقيق : ص٢٢٨ .

(٢) تفسير البغوي : ٣/٤٩٢ .

(٣) لقمان : ١٥ .

(٤) النور : ٢٢ .

الملّا حسن أفندي البزّار الموصلي في ديوانه (ص٤٢):

إنَّ قدرَ الصدِّيقِ جلَّ فأضحىٰ كلُّ مدحٍ مقصّراً عن عُلاهُ
ليت شعري ما قيمةُ الشعرِ فيمن جاء في محكمِ الكتاب ثناهُ
كلُّ من في الوجود يبغي رضا الله تعالىٰ واللهُ يبغي رضاهُ

وقوله في مدحه أيضاً:

إنَّ ذكرَ الصدِّيقِ ما دارَ إلّا ملأَ الكونَ هيبةً ووقارا
صاحبُ الغار كان للسيّدِ المختارِ واللهِ صاحباً مختارا
تاهَ في ذكره الوجودُ فلولا هيبةٌ منه أوقرته لطارا

نعم؛ لنا حقّ النظر في ثروة أبي بكر التي منحوه إياها، فكانت من جرّائها له المنن على رسول الله وعلى الدين والمسلمين، تلك الثروة الطائلة التي هيأت له ألف ألف أوقية ـ كما جاء فيما أخرجه النسائي[1] عن عائشة قالت: فخرت بمال أبي في الجاهليّة وكان ألف ألف / أوقية[2] ـ ونضّدت له ثلاثمئة وستّين كرسيّاً في داره، ٥٠/٨
وأسدلت على كلّ كرسي حلّة بألف دينار، كما سمعته عن الشيخ محمد زين العابدين البكري، وأنت تعلم ما يستتبع هذا التجمّل من لوازم وآثار، وأثاث ورياش، ومناضد وأواني وفرش، لا تقصر عنها في القيمة، وما يلزم من خدم وحشم، وقصور شاهقة، وغرف مشيّدة، وما يلازم هذه البسطة في المال من خيل وركاب وأغنام ومواشي وضيعة وعقار، إلى غيرها من توابع الجاه والمال.

أنا لا أدري أيّ باحة كانت تقلّ ذلك كلّه؟ ولم يفز بمثلها يومئذٍ أحد من ملوك الدنيا، وهل كانت الكراسي المذكورة منضّدة في غرفة واحدة؟ فما أكبرها من غرفة!

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣٤١/٢ [٣٧٥/٣ رقم٦٨٢٣]، تهذيب التهذيب: ٣٢٥/٨[٢٩١/٨]. (المؤلّف)
(٢) الأوقية: أربعون درهماً. (المؤلّف)

تضاهي ميادين القتال، ومفازات البراري، وما أكبر الدار التي هي إحدى غرفها! وأيّ يوم كان يوم قبول أبي بكر؟ تزدلف إليه فيه الرجال فتجلس على تلكم الكراسي، ولِمَ لا نسمع من السير والتواريخ عن ذلك اليومِ ركزاً؟ أكان في أفواه الجالسين عليها أوكية عن نقل شيء من حديثه؟ وطبع الحال يقضي أن يكون في ذلك المحتشد العظيم المتكرّر في كلّ أسبوع، وعلى الأقلّ في كلّ شهر. وأقلّ منه في كلّ سنة، ولا أقلّ من انعقاده في العمر مرّة، من الأنباء ما لا يلهو التاريخ عن ذكره، ولا يستسهل المؤرّخ تركه، لكنّك بالرغم من ذلك كلّه لا تجد عنه إلّا همساً يتخافت به العبيدي بعد لأي من عمر الدهر.

ومن أيّ حرفة أو مهنة أو صنعة أو ضياع حصل الرجل على مليون أوقية من النقود؟ وكان يومئذٍ يوم فاقة لقريش، وكانوا كما وصفتهم الصدِّيقة الطاهرة في خطبتها مخاطبة أبا بكر والقوم معه: «كنتم تشربون الطَّرَق[١] وتقتاتون الورق، أذلّة خاشعين تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله»[٢].

ولعلّ في ذلك اليوم كان ما رواه الماوردي في أعلام النبوّة[٣] (ص١٤٦) من طريق مالك بن أنس أنّه بلغه أنّ رسول الله ﷺ دخل المسجد فوجد أبا بكر
٥١/٨ وعمر رضي الله عنهما / فسألهما فقال: ما أخرجكما؟ فقالا: أخرجنا الجوع. فقال رسول الله ﷺ: وأنا أخرجني الجوع فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيّهان فأمر له بحنطة أو شعير عنده يعمل. الحديث.

ثمّ متى أدركت عائشة العهد الجاهلي وقد ولدت بعد المبعث بأربع أو خمس

---

(١) الطرق بفتح المهملة: الماء المجتمع الذي خيض فيه وبيل وبعر فكدر. لسان العرب [١٥١/٨]. (المؤلّف)

(٢) بلاغات النساء: ص١٣ [ص٢٤]، أعلام النساء: ١٢٠٨/٣ [١١٧/٤]. (المؤلّف)

(٣) أعلام النبوة: ص ٢٢٠ باب ٢٠.

سنين[١]؟ وهل كانت تفخر في دور الإسلام بثروة بائدة في الجاهليّة وصاحبها جائع في الحال الحاضر؟

ولست أدري ما الذي قضى على تلكم الآلاف المـؤلّفة؟ ومـا الذي أفـناها وأبادها وأفقر صاحبها؟ حتى أصبح ولا يملك شيئاً، أوكان لا يملك يوم هجرته إلّا أربعة أو خمسة أو ستة آلاف من الدراهم -إن كان ملكها- ولو كان أنفق أيّ أحد عشر معشار ذلك المال لدوّخ العالم صيته، وكان يومئذٍ يُعدّ في الرعـيل الأوّل مـن أجواد الدنيا ولم يوجد في صحيفة التاريخ ذكر من تلكم الآلاف والكراسي والحلل، هب أنّ الذهبي قال في حديث عائشة: ألف الثانية باطلة قـطعاً فـإنّ ذلك لا يـتهيّأ لسلطان العصر.

وأقرّ ابن حجر تعقيبه في تهذيب التهذيب[٢]، فأين قصّة ألف أوقية الصحيحة في صحائف التاريخ؟

وإن صحّت الأحلام، وصُدّقت هذه القصص الوهميّة، وكان لأبي بكـر ذلك المال الطائل الخيالي لما افتقر أبو قحافة والده لأن يكون أجير عبد الله بن جدعان للنداء على طعامه، ولم يكن يقتني بتلك الخسّة لماظة من العيش كما قاله الكـلبي في المثالب، وأشار إليه أُميّة بن الصلت في قصيدة يمدح بها ابن جدعان بقوله:

له داعٍ بمكـــة مُشْـــمَعِلٌّ   وآخر فوق دارتـه يـنادي[٣]

---

(١) الإصابة: ٣٥٩/٤ [رقم ٧٠٤]، ويستفاد ذلك مـن صـحيح البـخاري في بـاب زواج عـائشة [١٤١٥/٣ ح٣٦٨٣]، وتاريخ ابن عساكر: ٣٠٤/١ [١٩٧/٣]، والاستيعاب [القسم الرابع/١٨٨٢ رقم٤٠٢٩]. (المؤلّف)

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي: ٣٤١/٢ [٣٧٥/٣ رقم٦٨٢٣]، تهذيب التهذيب: ٣٢٥/٨ [٢٩١/٨]. (المؤلّف)

(٣) اشمعلّ الرجل: ارتفع وشرف.

إلى رُدُحٍ من الشيزى عليها[1] لبابُ البرِّ يُلبَكُ بالشهادِ[2]

قال الكلبي: المُشْمَعِلّ هو: سفيان بن عبدالأسد. وآخر: أبو قحافة، وفي تعليق مسامرة الأوائل (ص٨٨) يقال: إنّ الداعي هو أبو قحافة والد الصدّيق.

٥٢/٨ بل يحقّ على صاحب ألف ألف أوقية، وثلاثمئة وستّين كرسيّاً محلّىً بالديباج أن ينادي على الطعام في دور ضيافته عشرة مثل أبي قحافة، فضلاً عن أن يكون أجير أُناس آخرين بدراهم زهيدة، أو بشبع من الطوى.

وإن كان لأبي بكر عندئذٍ ما حسبوه من الثروة أو شطر منها لما احتاج إلى أن يبتاع للهجرة مع صحابة الرسول ﷺ راحلتين بثمانمئة درهم[3] ثمّ قدّم إحداهما لرسول الله ﷺ فلم يقبلها إلّا بالثمن، وقال ﷺ: إنّي لا أركب بعيراً ليس لي، قال أبو بكر: فهو لك يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي. قال: لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال: كذا وكذا قال: قد أخذتها بذلك[4].

ولم يكن ردّ رسول الله ﷺ إيّاها إلّا لضعف حال أبي بكر من ناحية المال، أو أنّه لم يرقه أن يكون لأحد عليه منّة حتى لا يُفتعل عليه بعد ملاوة من الدهر بقول من افتعل عليه: إنّ أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر. كما مرّ في (ص٣٣) من هذا الجزء.

---

(١) الردُح: جمع رداح وهي القصعة. الشيزى: خشب أسود تصنع منه القصاع.

(٢) مثالب الكلبي، الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: ٤/٨ [٣٤٢/٨]، مسامرة الأوائل: ص٨٨. (المؤلّف)

(٣) طبقات ابن سعد: ٢١٢/١ [٢٢٨/١]، تاريخ ابن كثير: ١٧٧/٣، ١٧٨ [٢١٨/٣، ٢٢٠]. (المؤلّف)

(٤) صحيح البخاري: ٤٧/٦ [١٤١٩/٣ ح٣٦٩٢]، تاريخ الطبري: ٢٤٥/٢ [٣٧٦/٢]، سيرة ابن هشام: ٩٨/٣، ١٠٠ [١٣١/٢]، طبقات ابن سعد: ٢١٣/١ [٢٢٨/١]، تاريخ ابن كثير: ١٨٤/٣، ١٨٨ [٢٢٥/٣، ٢٣١]. (المؤلّف)

على أنّ للنظر في رواية الراحلتين مجالاً واسعاً بما رواه ابن الصبّاغ في الفصول المهمّة[1] والحلبي في السيرة[2] (٤٤/٢) من أنّ رسول الله ﷺ أمر أسماء بنت أبي بكر أن تأتي عليّاً وتخبره بموضعهما، وتقول له يستأجر لهما دليلاً ويأتي معه بثلاث من الإبل بعد مضيّ ساعة من الليلة الآتية وهي الليلة الرابعة، فجاءت أسماء إلى عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ فأخبرته بذلك، فاستأجر لهما رجلاً يقال له الأُريقط بن عبد الله الليثي، وأرسل معه بثلاث من الإبل، فجاء بهنّ إلى أسفل الجبل ليلاً، فلمّا سمع النبيّ ﷺ رغاء الإبل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه.

وفيه صراحة بأنّه لم تكن هناك راحلتان لأبي بكر معبّأتان لركوبهما، وإنّما جيء بالرواحل مستأجرة، وقد جمع الحلبي بين هذا وبين حديث الراحلتين بأنّ المراد باستئجار عليّ ﷺ إعطاؤه الأجرة. وهذا الجمع يأباه لفظ الحديثين كما ترى.

٥٣/٨ ولقد روي كما يأتي أنّ الذي استصحبه أبو بكر من المال ـ يوم هاجر من المدينة ـ وهو كلّ ما يملكه أربعة أو خمسة أو ستّة آلاف درهم، فأين هذا من الألف ألف أُوقية؟ والكراسي المذكورة وحللها المقوّمة بثلاثمئة وستين ألف دينار وما يتبعها؟ وأيّ نسبة بين صاحب تلك الثروة وبين ما لا يملك إلّا هذه الدراهم المعدودة؟

وأيّ نسبة بينها وبين أيّامه وأيّام أبيه بمكة وبين ما كان يحترف به في المدينة من بيع الأبراد والأقمشة على عنقه وعلى ساعده، حرفةً ضئيلة يدور بها في الأزقّة والأسواق من دون أن يستقرّ في متجر أو حانوت.

أخرج ابن سعد من طريق عطاء قال: لمّا استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتّجر بها فلقيه عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة الجرّاح، فقالا

(١) الفصول المهمّة: ص٤٨.

(٢) السيرة الحلبيّة: ٢/٤٠.

له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق . قالا : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قالا له : انطلق حتى نفرض لك شيئاً . فانطلق معهما ففرضوا له كلّ يوم شطر شاة وماكسوه في الرأس والبطن .

وروى من طريق عمير بن إسحاق : إنّ رجلاً رأى على عنق أبي بكر الصدّيق عباءة فقال : ما هذا ؟ هاتها أكفيكها . فقال : إليك عنّي لا تغرّني أنت وابن الخطّاب من عيالي .

وفي لفظ آخر لابن سعد أيضاً : إنّ أبا بكر لمّا استخلف راح إلى السوق يحمل أبراداً له وقال : لا تغرّوني من عيالي .

وفي لفظ الحلبي : لمّا بويع أبو بكر بالخلافة أصبح ﷺ على ساعده قماش وهو ذاهب إلى السوق ، فقال له عمر : أين تريد ؟ إلى آخره[(١)] .

ثمّ متى كان إنفاقه لثروته الطائلة على النبيّ ﷺ وفي مناجحه ومصالحه ، حتى كان به أمنّ الناس عليه بماله ؟ وكيف أنفق ولم يره أحدٌ ولا رواه أيّ ابن أُنثى ؟ ولِمَ لم يذكر التاريخ مورداً من موارد نفقاته ؟ وقد حفظ له تقديم راحلة واحدة للنبيّ ﷺ مع ردّه إيّاها وأخذه ثمنها ، كما حفظ لكلّ من أنفق شيئاً في مهمّات
٨/٥٤ الرسول / ﷺ وغزواته ومصالح الإسلام والمسلمين .

ولم يكن رسول الله ﷺ يحتاجه في شخصيّاته وما يتعلّق بها بمكة قبل الهجرة ، فإنّ عمّه أبا طالب سلام الله عليه كان متكفّلاً لذلك كلّه قبل زواجه بخديجة ، وبعده كان مال خديجة تحت يده وهي في طوعه ، وإنّما وقعت الحاجة بعد الهجرة لتوسّع نطاق الإسلام ، وتمطّط أمره فكان يحتاج إلى تجهيز الجيوش وقيادة العساكر ، وهؤلاء

---

(١) راجع طبقات ابن سعد طبع ليدن : ٣/١٣٠ ، ١٣١ [٣/١٨٤ ، ١٨٥] ، صفة الصفوة لابن الجوزي : ١/٩٧ [١/٢٥٧] ، السيرة الحلبية : ٢/٣٨٨ [٣/٣٥٩] . (المؤلّف)

رجال بني سالم بن عوف، ورجال بني بياضة، ورجال بني ساعدة وفي مقدّمهم سعد ابن عبادة، ورجال بني الحارث بن الخزرج، ورجال بني عديّ أخوال رسول الله الأكرمين، كلّ منهم رفع عقيرته يوم دخوله ﷺ المدينة بقوله: هلّم إلينا إلى العَدد والعُدّة والمنعة[1].

ولم يكن عند أبي بكر يومئذٍ من المال غير ما جاء به من مكّة أربعة أو خمسة أو ستّة آلاف درهم ـ إن كان جاء به وأنّى لك بإثباته؟ ـ وما عساها أن تجدي نفعاً لو أنفقها كلّها؟ وما هي وما قيمتها تجاه ذلك السلطان العظيم؟ لكنّا مع غضّ النظر عن ذلك نسائل أيضاً مدّعي الإنفاق أنّه متى أنفقها؟ وفي أيّ مصرف أدرّها؟ وفي أيّ أمر بذلها؟ ولأيّ حاجة سمح بها؟ ولِمَ خفي ذلك على خلق الله من أولئك الصحابة؟ ولماذا عزب عن المؤرّخين؟ فلم يسطروها في صحائف التاريخ ولا ذكروها في فضائل الخليفة، وهل قام عمود الإسلام وتمّ أمره بهذه الدريهمات المجهول مصرفها؟ وعاد أبو بكر أمنّ الناس على رسول الله بماله؟

والعجب كلّ العجب أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كانت له أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم جهراً، فأنزل الله فيه القرآن فقال: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيةً فَلَهُمْ أجرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُمْ يَحزَنُونَ** ﴾[2] سورة البقرة (٢٧٤).

---

(١) أسلفنا حديثه في الجزء السابع: ص٢٦٩. (المؤلّف)

(٢) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني [في المعجم الكبير: ٨٠/١١ ح ١١١٦٤] وابن عساكر [ترجمة الإمام علي بن أبي طالب: رقم٩١٨، ٩١٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٩/١٨] وابن جرير. راجع تفسير القرطبي: ٣٤٧/٣ [٢٢٥/٣]، تفسير البيضاوي: ١٨٥/١ [١٤١/١]، تفسير الزمخشري: ٢٨٦/١ [٣١٩/١]، تفسير الرازي: ٣٦٩/٢ [٨٣/٧]، تفسير ابن كثير: ٣٢٦/١، تفسير الدرّ المنثور: ٣٦٣/١ [١٠٠/٢ ـ ١٠١]، تفسير الخازن: ٢٠٨/١ [٢٠١/١]، تفسير الشوكاني: ٢٦٥/١ [٢٩٤/١]، تفسير الآلوسي: ٤٨/٣. (المؤلّف)

٥٥/٨ وهو سلام الله عليه تصدّق بخاتمه للسائل فذكره تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١) سورة المائدة (٥٥).

وأطعم هو وأهله مسكيناً ويتيماً وأسيراً فأنزل الله فيهم قوله ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ سورة هل أتى. وقد أسلفنا تفصيل أمرهم هذا في الجزء الثالث (ص١٠٦ ـ ١١١).

وأمّا أبو بكر فينفق جميع ماله في سبيل الله ويراه النبيّ الأعظم أمنّ الناس عليه في صحبته وماله، ولم يوجد له مع ذلك كلّه ذكر في الكتاب العزيز، هذا لماذا؟ أنت تدري.

والأعجب: أنّ أبا بكر غدا أمنّ الناس على رسول الله ﷺ بإنفاق أربعة أو خمسة أو ستّة آلاف درهماً ـ إن كانت له ـ ولم يكن عثمان كذلك وقد أنفق أضعاف ما أنفقه أبو بكر، وبعث إلى رسول الله في غزوة بعشرة آلاف دينار كما جاء في مكذوبة أبي يعلى(٢) فوضعها بين يديه فجعل ﷺ يقلّبها ويدعو له بقوله: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة(٣)، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها!

وإنّي أرى الأنجح للمدّعي أن يسحب كلامه ويقول: لا أعلم بشيء من ذلك ولا أُثبت شيئاً منه، وإنّما اختلقه الغلوّ في الفضائل.

ولعلّ الباحث يقف على ما أخرجه الحافظان الحاكم وأبو نُعَيم، أو على ما جاء

---

(١) راجع ما مرّ في ٤٧/٢ و ١٥٥/٣ ـ ١٦٣. (المؤلّف)

(٢) أخرجه بإسناد واهٍ وذكره ابن كثير في تاريخه: ٢١٢/٧ [٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]. (المؤلّف)

(٣) هذه الجملة توهن متن الرواية، وتعرب عن أنّها مكذوبة على رسول الله. (المؤلّف)

به البيضاوي والزمخشري، فيقع ذلك منه موقعاً حسناً ويطالبني المخرج منه، فإليك البيان:

أمّا الأخيران فقد ذكر البيضاوي في تفسيره[١] (١٨٥/١)، والزمخشري في الكشاف[٢] (٢٨٦/١) أنّ قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية. نزلت في أبي بكر حين تصدّق ٥٦/٨
بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة بالسرّ، وعشرة بالعلانية.

هذه المرسلة التي لم أعرف قائلها من الصحابة والتابعين، ولم أقف على عزوها إلى أحد من السلف في كتب القوم إلّا سعيد بن المسيّب المعروف بانحرافه عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ، اختلقتها يد الوضع تجاه ما أخرجه الحفّاظ من نزولها في عليّ أمير المؤمنين، ومنحت فيها لأبي بكر أربعين ألف دينار لتقريب نزول الآية فيمن أنفق كمّية كبيرة كهذه إلى فهم بسطاء الأُمّة دون مُنفق أربعة دراهم، ذاهلاً عمّا هو المتسالم عليه عند القوم من أخذ أبي بكر يوم هجرته إلى المدينة أربعة أو خمسة أو ستّة آلاف درهم، وهي جميع ما كان يملكه. والآية المذكورة في سورة البقرة، وقد أصفقت أئمّة الحديث والتفسير على نزولها بالمدينة في أُوليات الهجرة[٣]، قال ابن كثير في تفسيره: هكذا قال غير واحد من الأئمّة والعلماء والمفسّرين، ولا خلاف فيه.

فأنّى لأبي بكر عند نزول الآية الأربعون ألف دينار؟ تصدّق بها أم لم يتصدّق، ولم يكن يملك إلّا دريهمات إن صحّ حديثها أيضاً، وستعرف أنّه لا يصحّ.

---

(١) تفسير البيضاوي: ١٤١/١.

(٢) الكشّاف: ٣١٩/١.

(٣) تفسير القرطبي: ١٣٢/١ [١٠٧/١]، تفسير ابن كثير: ٣٥/١، تفسير الخازن: ٩١/١ [١٩/١]، تفسير الشوكاني ٦١/١ [٢٧/١]. (المؤلّف)

وتعقّب السيوطي[١] هذه المرسلة بقوله: خبر أنّ الآية نزلت فيه لم أقف عليه. وكأنّ من ادّعى ذلك فهمه ممّا أخرجه ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: لمّا قُبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه واستخلف عمر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أيّها الناس إنّ بعض الطمع فقر، وإنّ بعض اليأس غنى، وإنّكم تجمعون مالا تأكلون، وتؤمّلون ما لا تدركون، واعلموا أنّ بعضاً من الشحّ شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم، فأين أصحاب هذه الآية؟ وقرأ الآية الكريمة، وأنت تعلم أنّها لا دلالة فيها على المدّعى[٢]. انتهى.

وجاء مختلق آخر[٣] فروى عن سعيد بن المسيّب مرسلاً من الطرفين أنّ الآية
٥٧/٨ المذكورة نزلت في عثمان بن عفّان وعبدالرحمن بن عوف في نفقتهم في جيش العسرة يوم غزوة تبوك.

وذكره الرازي في تفسيره[٤] (٣٤٧/٢) فقال: إنّ التي نزلت في عثمان لإنفاقه جيش العسرة هي قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى** ﴾ الآية.

وقد أعمى الحبّ بصائر القوم، فحرّفوا الكلم عن مواضعه، وقالوا في كتاب الله ما زيّن لهم الشيطان، خفي على المغفّلين أنّ الآيتين من سورة البقرة آية (٢٦٢ و٢٧٤)، وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة المشرّفة كما قاله المفسّرون[٥]، وقد نزلت قبل

---

(١) الدرّ المنثور: ١٠١/٢.

(٢) راجع تفسير الآلوسي: ٤٨/٣. (المؤلّف)

(٣) راجع تفسير الشوكاني: ٢٦٥/١ [٢٩٤/١]، تفسير الآلوسي: ٤٨/٣. (المؤلّف)

(٤) التفسير الكبير: ٤٥/٧.

(٥) راجع تفسير القرطبي: ١٣٢/١ [١٠٧/١]، تفسير الخازن: ١٩/١، تفسير الشوكاني: ١٦/١ [٢٧/١]. (المؤلّف)

غزوة تبوك وجيشها ـ جيش العسرة الواقعة في شهر رجب سنة تسع ـ بعدّة سنين، فلا يصحّ نزول أيّ من الآيتين في عثمان.

وأمّا ما أخرجه الحافظان:

١ ـ فأخرج أبو نُعَيم في الحلية (٣٣/١) عن محمد بن أحمد بن محمد الورّاق، عن إبراهيم بن عبدالله بن أيوب المخرمي، عن سلمة بن حفص السعدي، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كانت يد النبيّ ﷺ في مال أبي بكر ويد أبي بكر واحدة حين حجّا.

رجال السند:

(١) محمد بن أحمد الورّاق. كذّبه أبو بكر بن إسحاق قاله الحاكم. لسان الميزان[١] (٥١/٥).

(٢) إبراهيم بن عبدالله المخرمي. قال الدارقطني: ليس بثقة حدّث عن الثقات بأحاديث باطلة. لسان الميزان[٢] (٧٢/١).

(٣) سلمة بن حفص السعدي، شيخ كوفيّ. قال ابن حبّان[٣]: كان يضع الحديث. فذكر له حديثاً منكراً. وقال: لا يحلّ الاحتجاج به ولا الرواية عنه. وروى عنه حديثاً فقال: لا أصل له. لسان الميزان[٤] (٦٧/٣).

---

(١) لسان الميزان: ٦٠/٥ رقم ٦٩٥٧.

(٢) المصدر السابق: ٦٥/١ رقم ١٩٤.

(٣) كتاب المجروحين: ٣٣٩/١.

(٤) لسان الميزان: ٨١/٣ رقم ٣٨٣٢.

٥٨/٨ ٢ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[١] (٥/٣) من طريق أحمد بن عبدالجبّار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد [بن عبدالله بن الزبير]، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لمّا توجّه رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة ألف أو ستّة ألف[٢] درهم، فأتاني جدّي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: إنّ هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلّا يا أبتِ قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار فجعلتهنّ في كوّة البيت، وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها وغطّيت على الأحجار بثوب، ثمّ جئت فأخذت بيده فوضعتها على الثوب فقال: أمّا إذا ترك هذا فنعم. قالت: ووالله ما ترك قليلاً ولا كثيراً.

رجال السند:

(١) أحمد بن عبد الجبّار أبو عمر الكوفي. قال ابن أبي حاتم[٣]: كتبت عنه وأمسكت عن الرواية عنه لكثرة كلام الناس فيه، وقال مطين: كان يكذب. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم تركه ابن عقدة. وقال ابن عدي[٤]: رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه، وكان ابن عقدة لا يحدّث عنه. وكان أحمد يلعب بالحمام الهدّى[٥].

(٢) محمد بن إسحاق. أسلفنا في الجزء السابع صفحة (٣١٩) كلمات الحفّاظ فيه وأنّه كذّاب دجّال مدلّس لا يحتجّ به.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٦/٣ ح٤٢٦٧.

(٢) كذا في الموضعين والصحيح: آلاف، كما في جميع المصادر. (**المؤلّف**)

(٣) الجرح والتعديل: ٦٢/٢ رقم ٩٩.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٩١/١ رقم ٣٠.

(٥) تاريخ الخطيب: ٢٦٣/٤ [رقم ٢٠٠٤]، تهذيب التهذيب: ٥١/١ [٤٤/١]. (**المؤلّف**)

(٣) أخرج أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٣٢/١) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أرقم، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطّاب ﷺ يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدّق ووافق ذلك مال عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي قال: فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكلّ ما عنده. فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أُسابقك إلى شيء أبداً.

ورواه من طريق عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر.

كفى الإسناد ضعفاً هشام بن سعد أبو عباد المدني. كان يحيى بن سعد لا يروي عنه. / وعن أحمد[١] قال: ليس هو محكم الحديث. وقال حرب: لم يرضه أحمد. وقال ابن مَعِين[٢]: ضعيف، ليس بذاك القوي، ليس بشيء حديثه مختلط. وقال أبو حاتم[٣]: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي[٤]: ضعيف، وقال مرّةً: ليس بالقويّ. وقال ابن سعد[٥]: كثير الحديث يستضعف وكان متشيّعاً. وقال ابن المديني: صالح وليس بالقويّ. وقال الخليلي: أنكر الحفّاظ حديثه في المواقع. وذكره ابن سفيان في الضعفاء[٦]. ٥٩/٨

وأمّا عبد الله بن عمر العمري، فقال أبو زُرعة الدمشقي عن أحمد: كان يزيد في الأسانيد ويخالف، وكان رجلاً صالحاً. وقال ابن المديني: ضعيف. وعن يحيى ابن سعيد: لا يُحدّث عنه. وقال صالح جزرة: ليّن مختلط الحديث. وقال

---

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٥٠٧/٢ رقم٣٣٤٣.

(٢) التاريخ: ١٩٥/٣ رقم٨٩٣، معرفة الرجال: ٧٠/١ رقم١٥٨.

(٣) الجرح والتعديل: ٦١/٩ رقم٢٤١.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٢٤٢ رقم٦٤٠.

(٥) الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ـ: ص٤٤٥ رقم٣٧٤.

(٦) تهذيب التهذيب: ٤٠/١١ [٣٧/١١]. (المؤلّف)

النسائي[١]: ضعيف الحديث. وقال ابن سعد[٢]: كثير الحديث. وقال أبو حاتم[٣]: يكتب حديثه ولا يحتجّ به. وقال ابن حبّان[٤]: كان ممّن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن الضبط فاستحقّ الترك. وقال البخاري[٥]: كان يحيى بن سعيد يضعّفه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. وقال ابن شيبة: يزيد في الأسانيد كثيراً[٦].

وأمّا زيد بن أرقم فالصحيح: زيد بن أسلم مولى عمر في النسخة تصحيف.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون ﴾

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعمَالُنَا ﴾

﴿ وَلَكُمْ أَعمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيكُمْ لا نَبتَغِي الجَاهِلِينَ ﴾[٧]

---

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٤٦ رقم٣٤١.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ـ القسم المتمم ـ: ص٣٦٧ رقم٢٨٨.

(٣) الجرح والتعديل: ١٠٩/٥ رقم٤٩٩.

(٤) كتاب المجروحين: ٦/٢.

(٥) التاريخ الكبير: ١٤٥/٥ رقم٤٤١.

(٦) تهذيب التهذيب: ٣٢٧/٥ [٢٨٥/٥]. (المؤلّف)

(٧) القصص: ٥١، ٥٥.

الغلوّ في فضائل عمر

قدّمنا في الجزء السادس من نفسيّات الخليفة الثاني وملكاته من فقهه وعلمه وخطواته الواسعة في شتّى النواحي ما يوقفك على أنّ كلّ ما نسرد هاهنا من ولائد الغلوّ في الفضائل، وقد التمط[1] بحياته الروحيّة، من أوّل يومه إلى أن تسنّم عرش الخلافة بإدلاء من الخليفة الأوّل إليه، حصوله على لماظة من العيش يقتات بها. ٦٠/٨

كان ردحاً من الزمن يرعى الإبل في وادي ضجنان[2] يُرعب ويُتعب إذا عمل، ويُضرب إذا قصر[3].

وآونة كان يحتطب ويحمل فوق رأسه حزمة من الحطب مع أبيه الخطّاب وما منهما إلّا في نمرة[4] لا تبلغ رسغيه[5].

---

(١) الالتماط بالشيء: الذهاب به.

(٢) جبل بناحية مكّة. (المؤلّف)

(٣) الاستيعاب: ٤٢٨/٢ [القسم الثالث/١١٥٧ رقم١٨٧٨]، الرياض النضرة: ٥٠/٢ [٣٢٤/٢ - ٣٢٥]، تاريخ أبي الفداء: ١٦٥/١، [تاريخ] الخلفاء للنجّار: ص١١٣، وأوعز إلىٰ حديثه ابن منظور في لسان العرب: ١١٢/١٧ [٢٤/٨]، والزبيدي في تاج العروس: ٢٦٣/٩. (المؤلّف)

(٤) النمرة في القاموس [ص٦٢٧]: بردة من صوف تلبسها الأعراب. وفي الفائق للزمخشري [٢٧/٤]: بردة تلبسها الإماء فيها تخطيط. (المؤلّف)

(٥) الرسغ: مفصل ما بين الساعد والكف، والساق والقدم. (المؤلّف)

وكان مدّة يقف في سوق عكاظ وبيده عصا ترعُّ الصبيان[١] به، وكان يوم ذاك يُسمّى عميراً[٢].

وكان برهة من أيّام إسلامه يمتهن بالبرطشة[٣]، وكان مبرطشاً يلهيه عن أخذ الكتاب والسنّة الصفق بالأسواق[٤].

وكان دهراً يبيع الخبط والقرظة بالبقيع[٥]. ٦١/٨

أنا لا أدري في أيّ من أيّامه هذه حصل على جدارة لما يخبرنا به ابن الجوزي في سيرة عمر[٦] (ص٦): من أنّه كانت السفارة ـ في الجاهليّة ـ إلى عمر بن الخطّاب إن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً؟ وزاد عليه أبو عمر في الاستيعاب[٧] قوله: وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافراً ومفاخراً[٨].

أوَكانت قريش كلّهم من هذه الطبقة الواطئة؟ فكانوا يبعثون للسفارة والمفاخرة غلاماً هذا شأنه؟ وفيهم الصناديد والعظماء والرؤساء وذوو العارضة ورجال الكلام.

---

(١) كذا في الإصابة، والرعُّ: السكون ومعنى: تُرعّ الصبيان به، تُسكّت الصبيان به. وفي الاستيعاب: ترعى الضأن.

(٢) الاستيعاب [القسم الرابع/١٨٣١ رقم ٣٣٢٠] هامش الإصابة: ٢٩١/٤، الإصابة: ٢٩٠/٤ [رقم ٣٦١]، الفتوحات الإسلامية: ٤١٣/٢ [٢٧٢/٢] وفيه تحريف نلفت إليه الأنظار. (المؤلّف)

(٣) المبرطش: الذي يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ على ذلك جُعْلاً.

(٤) مرّ تفصيله في الجزء السادس: ص١٤٦، ٢٨٧، ٣٠٢ الطبعة الأولى [٢٢٣، ٤٢٩، ٤٣٣]. (المؤلّف)

(٥) راجع ما أسلفناه في الجزء السادس: ص٣٠٣. (المؤلّف)

(٦) سيرة عمر: ص٩ باب ٥.

(٧) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٤٥ رقم ١٨٧٨.

(٨) وذكر ابن عساكر ما رواه أبو عمر وابن الجوزي في تاريخه: ٤٣٢/٦ [المنتظم: ١١٨/٢٤ رقم ٢٨٨٣]. (المؤلّف)

أم كانوا لا يبالون بمن يرسلونه؟ ـ والرسول دليل عقل المرسل ـ لم يكن هذا ولا ذاك ولكن الحبّ يُعمي ويصمّ، وإنّك تجد من نظائر هذه شيئاً كثيراً، وإليك جملة منه مضافاً على ما مرّ في الجزء الخامس ممّا وضعته يد الغلوّ في فضائله:

ـ ١ ـ

كلمات في علم عمر

[١ ـ] ورد في علمه عن ابن مسعود: لو وضع علم أحياء العرب في كفّة ميزان ووضع علم عمر في كفّة لرجح علم عمر، ولقد كانوا يرون أنّه ذهب بتسعة أعشار العلم.

وفي لفظ المحبّ الطبري: لو وُضع علم عمر في كفّة وعلم أهل الأرض في كفّة لرجح علم عمر.

مستدرك الحاكم (٨٦/٣)، الاستيعاب (٤٣٠/٢)، الرياض النضرة (٨/٢)، أعلام الموقّعين لابن القيّم (ص٦)، تاريخ الخميس (٢٦٨/٢)، عمدة القاري (٤١٠/٥)[١].

٢ ـ وقال حذيفة: كان علم الناس كلّهم قد درس في حجر عمر مع علم عمر. الاستيعاب[٢] (٤٢٠/٢)، أعلام الموقّعين (ص٦)[٣].

٣ ـ وقال مسروق: شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم ينتهي إلى ستّة: إلى علي، وعبدالله، وعمر، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأُبيّ. ثم شاممت

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٩٢/٣ ح٤٤٩٧، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٤٩ ـ ١١٥٠ رقم١٨٧٨، الرياض النضرة: ٢٧٤/٢، أعلام الموقّعين: ١٦/١، تاريخ الخميس: ٢٤٠/٢.

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٤٩ رقم١٨٧٨. وفيه: كان علم الناس كلّهم قد درس في علم عمر.

(٣) وفيه: كأن علم الناس مع علم عمر دُسّ في جحر.

الستّة فوجدت علمهم انتهى إلى عليّ وعبد الله. أعلام الموقّعين[١] (ص٦).

٦٢/٨ ٤ ـ وقال الشعبي: إذا اختلف الناس في شيء فخذوا بما قال عمر. أعلام الموقّعين (ص٦).

٥ ـ وقال ابن المسيّب: ما أعلم أحداً بعد رسول الله ﷺ أعلم من عمر بن الخطّاب. أعلام الموقّعين[٢] (ص٧).

٦ ـ وقال بعض التابعين: دفعت إلى عمر، فإذا الفقهاء عنده مثل الصبيان قد استعلى عليهم في فقهه وعلمه. أعلام الموقّعين[٣] (ص٧).

٧ ـ وقال خلد الأسدي: صحبت عمر فما رأيت أحداً أفقه في دين الله ولا أعلم بكتاب الله ولا أحسن مدارسة منه. الرياض النضرة[٤] (٨/٢).

هاهنا لا نطيل القول وإنّما نحيلك إلى الجزء السادس من هذا الكتاب من صفحة (٨٣ ـ ٣٢٥) فإنّ هنالك ما يغني الباحث عن الإسهاب في المقام، وأنت أيّها المخبت إلى هذه الأقاويل هل علمت شيئاً ممّا قدّمناه؟ ودريت فذلكة ذلك البحث الضافي أو لا؟

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظمُ

وأنت جدّ عليم بأنّ هذه التقوّلات لا تلائم ما حفظه التاريخ من نوادر الأثر في علم عمر، والحريّ هو الأخذ بما مرّ من أقواله نفسه في علمه (٣٢٨/٦) وبها تتضح جليّة الحال، والإنسان على نفسه بصيرة.

---

(١) أعلام الموقّعين: ١٦/١.

(٢) و(٣) أعلام الموقّعين: ٢٠/١.

(٤) الرياض النضرة: ٢٧٤/٢.

- ٢ -

عمر أقرأ الصحابة وأفقههم

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: أُمرت أن أقرأ القرآن على عمر، ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول[١] (ص٥٨).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان عمر أتقانا للربّ، وأقرأنا الكتاب الله. أخرجه الحاكم في المستدرك[٢] (٨٦/٣).

وذكر المحبّ الطبري نقلاً عن عليّ بن حرب الطائي من طريق ابن مسعود أنّه قال لزيد بن وهب: إقرأ بما أقرأكه عمر، إنّ عمر أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله[٣].

هذه مراسيل مقطوعة عن الإسناد، وأنصف الحاكم إذ سكت عن إسناد ما أخرجه أو أنّه لم يقف عليه فيصحّحه، وسكت عنه الذهبي للعلّة نفسها، وأحسب أنّ بطلان هذه /الروايات في غنىً عن إبطال إسنادها، فإنّ العناية الالهية لو شملت الخليفة ٦٣/٨
بحيث أمر نبيّه ﷺ بقراءة القرآن عليه، لا بدّ وأن تشمله بالتمكّن من تلقيّه وضبطه وحفظه وفقهه والوقوف على مغازيه والعمل به، وأن يكون أقرأ كما في رواية الحاكم، أو أعلم وأفقه كما في رواية الطائي، إذن فما تلكم الجهود المتعبة في تعلّم سورة البقرة فحسب طيلة اثنتي عشرة سنة؟ كما مرّ في الجزء السادس (ص١٩٦).

وما هاتيك الأحكام الشاذّة عن موارد من القرآن الكريم؟:

---

(١) نوادر الأُصول: ١٤٢/١ الأصل ٤٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٩٢/٣ ح٤٤٩٨.

(٣) الرياض النضرة: ٨/٢ [٢٧٤/٢]. (المؤلّف)

١ ـ كحكمه للجنب الفاقد للماء بترك الصلاة، ذاهلاً عن قوله تعالى في سورة النساء (٤٣)، وفي سورة المائدة (٦).

٢ ـ وحكمه على امرأة ولدت لستة أشهر بالرجم، ونصب عينه الآية الكريمة ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرضِعْنَ أولادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ ﴾[٢].

٣ ـ ونهيه عن المغالاة في مهور النساء وبين يديه قوله تعالى: ﴿ وَآتَيتُمْ إحداهُنَّ قِنطَاراً ﴾[٣].

٤ ـ وجهله بمعنى الأبّ وهو يتلو: ﴿ مَتَاعاً لَكُم وَلأنعَامِكُم ﴾[٤].

٥ ـ وحسبانه أنّ الحجر الأسعد لا يضرّ ولا ينفع جهلاً بمغزى قوله تعالى: ﴿وَإذ أخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾[٥] الآية.

٦ ـ ونهيه عن الطيّبات في الحياة الدنيا تمسّكاً بقوله تعالى: ﴿ أذْهبتُم طَيِّباتِكُم فِي حَياتِكُمُ الدُّنيَا ﴾[٦] ذاهلاً عمّا قبله، غير ملتفت إلى الآية الأخرى: ﴿ قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ الَّتِي أخرَجَ لِعِبادِهِ وَٱلطَّيِّباتِ مِنَ ٱلرِزْقِ ﴾[٧] الآية.

٧ ـ وجهله بمعاريض الكلم المتّخذة من الكتاب.

٨ ـ وأمره برجم الزانية المضطرّة، وفي الذكر الحكيم: ﴿ فَمَنِ أضْطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلَا

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(٣) النساء: ٢٠.

(٤) عبس: ٣٢، النازعات: ٣٣.

(٥) الأعراف: ١٧٢.

(٦) الأحقاف: ٢٠.

(٧) الأعراف: ٣٢.

عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيهِ ﴾[١].

٩ ـ وتجسسّه عن صوت ارتاب به، فتسلّق الحائط ودخل البيت ولم يسلّم، غير مكترث لآيات ثلاث: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[٢] ﴿ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾[٣] ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا ﴾[٤].

١٠ ـ وجهله بالكلالة، وبمسمع منه آية الصيف.

١١ ـ وقوله بتعذيب الميت ببكاء الحيّ كأنّه لم يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٥].

٦٤/٨ ١٢ ـ وقوله الشاذّ في الطلاق قصوراً منه عن فهم قوله تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾[٦].

١٣ ـ ونهيه عن متعة الحجّ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[٧].

١٤ ـ وتحريمه متعة النساء ذهولاً منه عن قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[٨] الآية.

تجد تفاصيل هذه الجمل في نوادر الأثر من الجزء السادس من كتابنا هذا، وهناك موارد كثيرة من القرآن، لم يهتدِ إليها، وتجد جملة منها في طيّات أجزاء كتابنا هذا.

---

(١) البقرة: ١٧٣.
(٢) الحجرات: ١٢.
(٣) البقرة: ١٨٩.
(٤) النور: ٦١.
(٥) الأنعام: ١٦٤.
(٦) البقرة: ٢٢٩.
(٧) البقرة: ١٩٦.
(٨) النساء: ٢٤.

فهل من السائغ في شريعة الحجى أن يكون الأقرأ والأعلم والأفقه بهذه المثابة من الابتعاد عن الآي الشريفة، ومراميها الكريمة؟ ولو كان كما زعموه فما قوله في خطبته الصحيحة الثابتة له بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت؟ راجع (١٩١/٦).

ـ ٣ ـ

الشيطان يخاف ويفرّ من عمر

١ ـ عن بريدة: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلمّا انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إنّي كنت نذرت إن ردّك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدفّ وأتغنّى، فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي وإلّا فلا. فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، ثمّ دخل عمر فألقت الدفّ تحت استها ثمّ قعدت عليها، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنّي كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، فلمّا دخلت أنت يا عمر ألقت الدفّ!

وفي لفظ أحمد: إنّ الشيطان ليفرَق منك يا عمر.

وعن جابر قال: دخل أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ وكان يُضرب بالدفّ عنده، فقعد ولم يزجر لما رأى من رسول الله ﷺ، فجاء عمر ﷺ فلمّا سمع
٦٥/٨ رسول الله صوته كفّ عن ذلك، فلمّا خرجا قالت عائشة ﷺ: يا رسول الله / كان حلالاً فلمّا دخل عمر صار حراماً؟ فقال ﷺ: يا عائشة ليس كلّ الناس مُرخىً عليه.

أخرجه[1]: أحمد في مسنده (٣٥٣/٥)، والترمذي في جامعه (٢٩٣/٢) فقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والحكيم الترمذي في نوادر الأُصول (ص٥٨) من طريق بريدة، و(ص١٣٨) من حديث جابر، فقال في الموضع الأوّل: فلا يظنّ ذو عقل أنّ عمر في هذا أفضل من أبي بكر، وأبو بكر شبيه رسول الله ﷺ في ذلك، ولكن رسول الله ﷺ قد جمع الأمرين والدرجتين، فله درجة النبوّة لا يلحقه أحد، وأبو بكر له درجة الرحمة، وعمر له درجة الحقّ.

ورواه البيهقي في سننه (٧٧/١٠)، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (ص ٥٥٠)، وابن الأثير في أُسد الغابة (٦٤/٤)، والشوكاني في نيل الأوطار (٢٧١/٨).

٢ ـ عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشيّة تزفن ـ أي ترقص ـ والصبيان حولها، فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبعت؟ أما شبعت؟ فجعلت أقول: لا لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر فارفضّ الناس عنها، فقال رسول الله ﷺ: إنّي لأنظر شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر، قالت: فرجعتُ.

أخرجه[2]: الترمذي في صحيحه (٢٩٤/٢) فقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والبغوي في مصابيح السنّة (٢٧١/٢)، والخطيب العمري التبريزي في مشكاة المصابيح (ص ٥٥٠)، والمحبّ الطبري في الرياض (٢٠٨/٢).

---

(١) مسند أحمد: ٤٨٥/٦ ح٢٢٤٨٠، سنن الترمذي: ٥٨٠/٥ ح٣٦٩٠، مشكاة المصابيح: ٣٤٣/٣ ح٦٠٤٨، نوادر الأُصول: ١٤٣/١ ـ ١٤٤ الأصل ٤٣، ص٢٩٨ الأصل ١٠٠، أُسد الغابة: ١٦١/٤ رقم ٣٨٢٤، نيل الأوطار: ١١٩/٨.

(٢) سنن الترمذي: ٥٨٠/٥ ح٣٦٩١، مصابيح السنة: ١٥٩/٤ ح٤٧٣٧، مشكاة المصابيح: ٣٤٣/٣ ح٦٠٤٩، الرياض النضرة: ٢٥٥/٢.

٣ ـ أخرج أحمد في مسنده[١] (٢/٢٠٨) من حديث أبي هريرة قال: بينا الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له النبيّ ﷺ : دعهم يا عمر.

وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده (ص ٢٠٤) من حديث عائشة قال: كانت الحبشة يدخلون المسجد، فجعلوا يلعبون، ورسول الله ﷺ يسترني وأنا أنظر إليهم جارية حديثة السن، فجاء عمر فنهاهنّ، فقال رسول الله ﷺ : دعهنّ يا عمر. ثمّ قال: هنّ بنات أرفدة.

٦٦/٨ ٤ ـ روى أبو نصر الطوسي في اللمع[٢] (ص ٢٧٤): أنّ النبيّ ﷺ دخل بيت عائشة رضي الله عنها، فوجد فيه جاريتين تغنّيان وتضربان بالدفّ فلم ينههما عن ذلك، وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه حين غضب: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال ﷺ : دعهما يا عمر؛ فإنّ لكلّ قوم عيداً.

قال الأميني: لا حاجة لنا إلى البحث عن إسناد هذه الروايات فإنّ في متونها من الخزاية ما فيه غنى عن ذلك. فدع الترمذي يستحسن إسناد ما رواه ويصحّحه، ودع الحفّاظ يملؤون عياب علمهم بعيوب مثلها، ودع شاعر النيل يتّبع من لاخلاق له من الحفّاظ ويعدّها من فضائل عمر، ويقول تحت عنوان: مثال من هيبته:

في الجاهليّةِ والإسلام هيبتهُ ... تثني الخطوبَ فلا تعدو عواديها
في طيّ شدّتِهِ أسرارُ مرحمةٍ ... للعالمين ولكن ليس يُفشيها
وبين جنبيه في أوفى صرامتِهِ ... فؤادُ والدةٍ ترعى ذراريها
أغنت عن الصارمِ المصقولِ دِرَّتُه ... فكم أخافتْ غويّ النفس عاتيها

---

(١) مسند أحمد: ٢/٥٩٤ ح ٨٠١٩.

(٢) اللمع: ص ٣٤٥ رقم ١٥٣.

كانت له كعصا موسىٰ لصاحبها ... لا ينزل البُطْلُ مجتازاً بواديها[1]
أخاف حتى الذراري في ملاعبها ... وراع حتى الغواني في ملاهيها
أَرَيْتَ تلك التي لله قد نذرت ... أُنشودةً لرسول الله تهديها[2]
قالت نذرتُ لَئن عاد النبيّ لنا ... من غزوه لعَلىٰ دُفّي أُغنّيها
ويمّمت حضرةَ الهادي وقد ملأت ... أنوارُ طلعتِه أرجاءَ واديها
واستأذنت ومشت بالدُّفّ واندفعتْ ... تشجي بألحانِها ما شاء مشجيها[3]
والمصطفىٰ وأبو بكرٍ بجانبه ... لا ينكران عليها من أغانيها
حتىٰ إذا لاح عن بُعدٍ لها عمرُ ... خارت قواها وكاد الخوف يُرديها
وخبّأت دُفَّها في ثوبِها فَرَقاً ... منه وودّت لو آنّ الأرضَ تطويها
قد كان علمُ رسولِ الله يؤنسُها ... فجاءَ بطشُ أبي حفصٍ يخشّيها
فقال مهبطُ وحي اللهِ مبتسماً ... وفي ابتسامته معنىً يواسيها
قد فرّ شيطانُها لمّا رأىٰ عمراً ... إنَّ الشياطينَ تخشىٰ بأس مخزيها[4] ٦٧/٨

لقد عزب عن المساكين أنّ ما تحرّوه من إثبات فضيلة للخليفة الثاني يجلب الفضائح إلى ساحة النبوّة ـ تقدّست عنها ـ فأيّ نبيّ هذا يروقه النظر إلى الراقصات والاستماع لأهازيجهنّ وشهود المعازف، ولا يقنعه ذلك كلّه حتى يُطلع عليها حليلته عائشة، والناس ينظر إليها من كثَب، وهو يقول لها: شبعتِ شبعتِ؟ وهي تقول: لا. لعرفان منزلتها عنده ولا تزعه أُبّهة النبوّة عن أن يقف مع الصبيان للتطلّع على مشاهد اللهو شأن الذنابي والأوباش وأهل الخلاعة والمجون، وقد جاءت شريعته

---

(١) البُطْل: الباطل.
(٢) أريت: أي أرأيت.
(٣) تشجىٰ: تثير الشعور وتشوق. (المؤلّف)
(٤) هذه الأبيات من العمرية الشهيرة لشاعر النيل محمد حافظ إبراهيم [ديوان حافظ إبراهيم: ٩٤/١]، وقد مرّ الايعاز إليها في الجزء السابع: ص٨٦، ٨٧. (المؤلّف)

المقدّسة بتحريم كلّ ذلك بالكتاب والسنّة الشريفة.

[١ ـ] هذا قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولئِكَ لَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[١].

وقد جاء عنه ﷺ، من حديث أبي أُمامة: «لا تبيعوا القينات، ولا تشروهنّ ولا تعلّموهنّ ولا خير في تجارة فيهنّ، وثمنهنّ حرام» في مثل هذا أُنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَاسِ مَنْ يَشْتَرِي ﴾ الآية.

وفي لفظ الطبري والبغوي: «لا يحلّ تعليم المغنّيات ولا بيعهنّ، وأثمانهنّ حرام» وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية.

أخرجه[٢]: سعيد بن منصور، أحمد، الترمذي، ابن ماجه، ابن جرير، ابن المنذر، ابن أبي حاتم، ابن أبي شيبة، ابن مردويه، الطبراني، البيهقي، ابن أبي الدنيا. وغيرهم. راجع تفسير الطبري (٢١/٣٩)، تفسير القرطبي (١٤/٥١)، نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص٣٤٧)، تفسير ابن كثير (٣/٤٤٢)، تفسير الخازن (٣/٣٦)، إرشاد الساري (٩/١٦٣)، الدرّ المنثور (٥/١٥٩)، تفسير الشوكاني (٤/٢٢٨)، نيل الأوطار (٨/٢٦٣)، تفسير الآلوسي (٢١/٦٨).

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه من طريق عائشة مرفوعاً: «إن الله تعالى

---

(١) لقمان: ٦.

(٢) مسند أحمد: ٦/٣٣٥ ح٢١٦٦٥، ص٣٥٤ ح٢١٧٧٧، ص٣٤٣ ح٢١٧١٥، ص٣٦٠ ح٢١٨٠٤، سنن الترمذي: ٣/٥٧٩ ح١٢٨٢، سنن ابن ماجه: ٢/٧٣٣ ح٢١٦٨، مصنّف ابن أبي شيبة: ٦/٣٠٩ ح١١٧١، المعجم الكبير: ٨/١٨٠ ح٧٧٤٩، السنن الكبرى للبيهقي: ٦/١٤، جامع البيان: مج١١/ج٢١/٦٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٣٦، تلبيس ابليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣٢، ٢٣٣، تفسير الخازن: ٣/٤٣٨، إرشاد الساري: ١٣/٣٥٠، الدرّ المنثور: ٦/٥٠٤، فتح القدير: ٤/٢٣٦، نيل الأوطار: ٨/١١٢.

حرّم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها» ثمّ قرأ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ ﴾، الدرّ المنثور (١٥٩/٥)، تفسير الشوكاني (٢٢٨/٤)، تفسير الآلوسي (٦٨/٢١).

وعن ابن مسعود أنّه سُئل عن قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ ﴾. ٦٨/٨

قال: هو والله الغناء. وفي لفظ: هو الغناء والله الذي لا إله إلّا هو، يردّدها ثلاث مرّات. وعن جابر في الآية قال: هو الغناء والاستماع له. ومعنى يشتري يستبدل، كما في قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى ﴾[1] أي استبدلوه منه واختاروه عليه، وقال مطرف: شراء لهو الحديث استحبابه. وقال قتادة: سماعه شراؤه.

وبالغناء فسّر لهو الحديث في الآية الشريفة وأنّها نزلت فيه: ابن عبّاس، وعبدالله بن عمر، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومكحول، وعمرو بن شعيب، وميمون بن مهران، وقتادة، والنخعي، وعطاء، وعليّ بن بذيمة، والحسن، كما أخرجه: ابن أبي شيبة، ابن أبي الدنيا، ابن جرير، ابن المنذر، الحاكم، البيهقي في شعب الإيمان[2]، ابن أبي حاتم، ابن مردويه، الفريابي، ابن عساكر.

راجع[3]: تفسير الطبري (٣٩/٢١، ٤١)، سنن البيهقي (٢٢١/١٠، ٢٢٣، ٢٢٥)، مستدرك الحاكم (٤٤١/٢)، تفسير القرطبي (٥١/١٤، ٥٢، ٥٣)، نقد العلم والعلماء

(١) البقرة: ١٦.

(٢) شعب الإيمان: ٢٧٨/٤ ح٥٠٩٦.

(٣) جامع البيان: مج١١/ج٦١/٢١، المستدرك على الصحيحين: ٤٤٥/٢ ح٣٥٤٢، الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/١٤ ـ ٣٧، (نقد العلم والعلماء) تلبيس إبليس: ص٢٣١، إرشاد الساري: ٣٥٠/١٣، تفسير الخازن: ٤٣٨/٣، تفسير النسفي: ٢٧٨/٣، الدرّ المنثور: ٥٠٤/٦، فتح القدير: ٢٣٦/٤، نيل الأوطار: ١١٣/٨.

لابن الجوزي (ص٢٤٦)، تفسير ابن كثير (٤٤١/٣، ٤٤٢)، إرشاد الساري للقسطلاني (١٦٣/٩)، تفسير الخازن (٤٦٠/٣)، تفسير النسفي هامش الخازن (٤٦٠/٣)، تفسير الدرّ المنثور (١٥٩/٥، ١٦٠)، تفسير الشوكاني (٢٢٨/٤)، تفسير الآلوسي (٦٧/٢١)، نيل الأوطار (٢٦٣/٨).

٢ ـ ينذر الله تعالى أُمّة محمد ﷺ في الكتاب العزيز بقوله: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾[1]، قال عكرمة عن ابن عبّاس، إنّه قال: هو الغناء بلغة حِميَر. يُقال: سمّد لنا. أي غنّ لنا، ويقال للقينة: اسمدينا. أي: ألهينا بالغناء.

أخرجه: سعيد بن منصور، عبد بن حميد، ابن جرير، عبد الرزّاق، الفريابي، أبو عبيد، ابن أبي الدنيا، البزّار، ابن المنذر، ابن أبي حاتم، البيهقي.

راجع[2]: تفسير الطبري (٤٨/٢٨)، تفسير القرطبي (١٢٢/١٧)، نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص٢٤٦)، نهاية ابن الأثير (١٩٥/٢)، الفائق للزمخشري (٣٠٥/١)، تفسير ابن كثير (٢٦٠/٤)، تفسير الخازن (٢١٢/٤)، الدرّ المنثور (١٣٢/٦)، تاج العروس (٣٨١/٢)، تفسير الشوكاني (١١٥/٥)، تفسير الآلوسي (٧٢/٢٧)، نيل الأوطار (٢٦٣/٨).

٦٩/٨ ٣ ـ وفي خطاب الله العزيز قوله تعالى لإبليس: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[3].

---

(١) النجم: ٦١.

(٢) جامع البيان: ج١٣/ج٨٢/٢٧، الجامع لأحكام القرآن: ٨٠/١٧، تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣١، النهاية لابن الأثير:: ٣٩٨/٢، الفائق للزمخشري: ١٩٩/٢، تفسير الخازن: ٢٠١/٤، الدرّ المنثور: ٦٦٧/٧، فتح القدير: ١١٨/٥.

(٣) الإسراء: ٦٤.

قال ابن عبّاس ومجاهد: إنّه الغناء والمزامير واللهو[١]. كما في تفسير الطبري (٨١/١٥)، تفسير القرطبي (٢٨٨/١٠)، نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص٢٤٧)، تفسير ابن كثير (٤٩/٣)، تفسير الخازن (١٧٨/٣)، تفسير النسفي (١٧٨/٣)، تفسير ابن جزي الكلبي (١٧٥/٢)، تفسير الشوكاني (٢٣٣/٣)، تفسير الآلوسي (١١١/١٥).

الغناء والمعازف في السنّة

[١ ـ] قد جاء في السنّة الشريفة عنه ﷺ: «ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلّا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب، فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت».

وفي لفظ ابن أبي الدنيا وابن مردويه: «ما رفع أحد صوته بغناء إلّا بعث الله تعالى إليه شيطانين يجلسان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك».

راجع[٢]: تفسير القرطبي (٥٣/١٤)، تفسير الزمخشري (٤١١/٢)، نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص٢٤٨)، تفسير الخازن (٤٦٠/٣)، تفسير النسفي هامش الخازن (٤٦٠/٣)، إرشاد الساري (١٦٤/٩)، الدرّ المنثور (١٥٩/٥)، تفسير الشوكاني (٢٢٨/٤)، تفسير الآلوسي (٦٨/٢١).

٢ ـ عن عبدالرحمن بن عوف: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه، وشقّ جيوب، ورنّة شيطان».

---

(١) جامع البيان: ج٩/ج١١٨/١٥، ١٨٧/١٠، الجامع لأحكام القرآن: تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣٢، تفسير الخازن: ١٧٠/٣، تفسير النسفي: ٣٢٠/٢، فتح القدير: ٢٤١/٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١٤، الكشّاف: ٤٩٠/٣ و ٤٩١، تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣٢، تفسير الخازن: ٤٣٨/٣، تفسير النسفي: ٢٧٨/٣، إرشاد الساري: ٣٥١/١٣، الدرّ المنثور: ٥٠٦/٦، فتح القدير: ٢٣٦/٤.

وفي لفظ الترمذي[1] وغيره[2] من حديث أنس مرفوعاً: «صوتان ملعونان فاجران أنهى عنهما: صوت مزمار ورنّة شيطان عند نغمة ومرح، ورنّة عند مصيبة، لطم خدود، وشقّ جيوب».

تفسير القرطبي (١٤/٥٣)، نقد العلم والعلماء (ص٢٤٨)، الدرّ المنثور (٥/١٦٠)، كنز العمّال(٧/٣٣٣)، تفسير الشوكاني (٤/٢٢٩)، نيل الأوطار (٨/٢٦٨)[3].

٣ ـ عن عمر بن الخطّاب مرفوعاً: «ثمن القينة سحت، وغناؤها حرام، والنظر إليها حرام، وثمنها من ثمن الكلب وثمن الكلب سحت». ٨/٧٠

أخرجه[4] الطبراني كما في إرشاد الساري للقسطلاني (٩/١٦٣) ونيل الأوطار للشوكاني (٨/٢٦٤).

٤ ـ عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيّين» فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: «قرّاء أهل الجنّة».

أخرجه[5]: الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول، والقرطبي في تفسيره(١٤/٥٤).

٥ ـ مرفوعاً: «ليكوننّ في أُمّتي قوم يستحلّون الخزّ والخمر والمعازف»[6].

---

(١) سنن الترمذي: ٣/٣٢٨ ح١٠٠٥.

(٢) أُنظر: شرح معاني الآثار: ٤/٢٩٣ ح٦٩٧٥، المصنّف لابن أبي شيبة: ٣/١٧٥ ح٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٣٧، تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣٣، الدرّ المنثور: ٦/٥٠٧، كنز العمّال: ١٥/٢١٩ ح٤٠٦٦١، فتح القدير: ٤/٢٣٦، نيل الأوطار: ٨/١١٧.

(٤) المعجم الكبير: ١/٧٣ ح٨٧، إرشاد الساري: ١٣/٣٥١، نيل الأوطار: ٨/١١٣.

(٥) نوادر الأُصول: ١/٣٣٣ الأصل ١٢١، الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٣٧.

(٦) في حواشي الدمياطي: المعازف: الدفوف وغيرها ممّا يضرب به. ويطلق على الغناء عزف وعلى كل لعب. نيل الأوطار: ٨/٢٦١ [٨/١٠٩]. (المؤلّف)

أخرجه[١]: أحمد، وابن ماجه، وأبو نُعَيم، وأبو داود بأسانيد صحيحة لامطعن فيها، وصحّحه جماعة آخرون من الأئمّة، كما قاله بعض الحفّاظ. قاله الآلوسي في تفسيره (٧٦/٢١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٢١/١٠) فقال: أخرجه البخاري في الصحيح.

٦ ـ عن ابن عبّاس وأنس وأبي أمامة مرفوعاً: «ليكونن في هذه الأُمّة خسف وقذف ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمور، واتّخذوا القينات، وضربوا بالمعازف».

أخرجه[٢]: ابن أبي الدنيا، وأحمد، والطبراني، كما في الدرّ المنثور (٣٢٤/٢) وتفسير الآلوسي (٧٦/٢١).

٧ ـ عن عبد الله بن عمر ـ عمرو ـ قال: إنّ قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ﴾[٣] هي في التوراة: إنّ الله أنزل الحقّ ليذهب به الباطل، ويبطل به اللعب، والزفن، والمزامير، والكبارات يعني البرابط، والزمارات يعني الدف، والطنابير.

أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في سننه (٢٢٢/١٠)، وراجع تفسير ابن كثير (٩٦/٢)، والدرّ المنثور[٤] (٣١٧/٢).

٨ ـ عن أنس وأبي أمامة مرفوعاً: «بعثني الله رحمة وهدى للعالمين؛ وبعثني بمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهليّة»[٥]. كتاب العلم لابن عبد البرّ (١٥٣/١)، الدرّ

---

(١) سنن ابن ماجه: ١٣٣٣/٢ ح ٤٠٢٠، سنن أبي داود: ٤٦/٤ ح ٤٠٣٩، صحيح البخاري: ٢١٢٣/٥ ح ٥٢٦٨.

(٢) مسند أحمد: ٣٤٧/٢ ح ٦٤٨٥، المعجم الكبير: ١٥٠/٦ ح ٥٨١٠، الدرّ المنثور: ١٧٩/٣.

(٣) المائدة: ٩٠.

(٤) الدرّ المنثور: ١٦٣/٣.

(٥) جامع بيان العلم: ص ١٨٣ ح ٩٣٧، الدرّ المنثور: ١٧٨/٣.

٧١/٨ المنثور (٣٢٣/٢)، نيل الأوطار[١] (٢٦٢/٨).

٩ ـ عن عليّ مرفوعاً: «تمسخ طائفة من أُمّتي قردة، وطائفة خنازير، ويُخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم بأنّهم شربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتّخذوا القيان، وضربوا بالدفوف». الدرّ المنثور[٢] (٣٢٤/٢).

١٠ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «يُمسخ قوم من هذه الأُمّة في آخر الزمان قردةً وخنازير» قالوا: يا رسول الله أليس يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله؟ قال: «بلى ويصومون ويصلّون ويحجّون»، قالوا: فما بالهم؟ قال: «اتّخذوا المعازف والدفوف والقينات، وباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير».

وقريب من هذا حديث عبدالرحمن بن سابط، والغازي بن ربيعة، وصالح بن خالد، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وعمران بن حصين.

أخرجها[٣]: ابن أبي الدنيا، ابن أبي شيبة، ابن عدي، الحاكم، البيهقي، أبو داود، ابن ماجه. راجع الدرّ المنثور (٣٢٤/٢).

١١ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: «من جلس إلى قينة يسمع منها صُبّ في أذنه الآنك[٤] يوم القيامة»[٥]. تفسير القرطبي (٥٣/١٤)، نيل الأوطار (٢٦٤/٨).

---

(١) نيل الأوطار: ١١١/٨.

(٢) الدرّ المنثور: ١٧٩/٣.

(٣) المصنّف: ١٠٧/٧ ح ٣٨١٠، المستدرك على الصحيحين: ٥٦٠/٤ ـ ٥٦١ ح ٨٥٧٢، السنن الكبرى: ٢٩٥/٨، سنن أبي داود: ٤٦/٤ ح ٤٠٣٩ سنن ابن ماجه: ١٣٣٣/٢ ح ٤٠٢٠، الدرّ المنثور: ١٧٩/٣.

(٤) الآنك: الرصاص. (المؤلّف)

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١٤، نيل الأوطار: ١١٣/٨.

١٢ ـ عن عائشة مرفوعاً: «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلّوا عليه». تفسير القرطبي[1] (٥٣/١٤).

١٣ ـ أخرج الترمذي[2] من حديث عليّ مرفوعاً: «إذا فعلت أُمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء ـ فذكر منها ـ: إذا اتّخذت القينات والمعازف». وفي لفظ أبي هريرة: «ظهرت القيان والمعازف»[3].

نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص٢٤٩)، تفسير القرطبي (ص٥٣/١٤)، نيل الأوطار (٢٦٣/٨).

١٤ ـ عن ابن المنكدر: بلغنا أنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين عبادي الذين كانوا ينزّهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أحلّوهم رياض المسك وأخبروهم أنّي قد أحللت عليهم رضواني. تفسير القرطبي[4] (٥٣/١٤).

١٥ ـ عن ابن مسعود: أنّ النبيّ ﷺ سمع رجلاً يتغنّى من الليل فقال: «لا صلاة له، لا صلاة له، لا صلاة له» نيل الأوطار[5] (٢٦٤/٨). ٧٢/٨

١٦ ـ قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة: «إنّما بعثت بكسر الدفّ والمزمار»، فخرج الصحابة رضوان الله عليهم يأخذونها من أيدي الولدان ويكسرونها. بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد بن أبي جمرة الأزدي (٧٤/٢).

١٧ ـ في حديث من طريق معاوية: يا أيّها الناس إنّ النبيّ ﷺ نهى عن تسع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١٤.

(٢) سنن الترمذي: ٤٢٨/٤ ح ٢٢١٠.

(٣) تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣٣ ـ ٢٣٤، الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١٤، نيل الأوطار: ١١٢/٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١٤.

(٥) نيل الأوطار: ١١٣/٨.

وأنا أنهى عنهنّ. وعدّ منها: الغناء. تاريخ البخاري (٤ قسم ٢٣٤/١).

الغناء في المذاهب الأربعة

١ ـ حرّمه إمام الحنفيّة وعدّه وسماعه من الذنوب، وهذا مذهب مشايخ أهل الكوفة: سفيان، وحمّاد، وإبراهيم، والشعبي، وعكرمة.

٢ ـ عن مالك إمام المالكية أنّه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال: إذا اشترى أحد جارية فوجدها مغنّية فله أن يردّها بالعيب. وهو مذهب سائر أهل المدينة إلّا إبراهيم بن سعد وحده.

وسُئل مالك: ما ترخّص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنّما يفعله عندنا الفسّاق. وسُئل مالك عن الغناء؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ **فَمَاذَا بَعدَ الحَقِّ إلّا الضَّلَالُ** ﴾[1]. أفحقّ هو؟!

٣ ـ ونقل التحريم عن جمع من الحنابلة على ما حكاه شارح المقنع، وعن عبدالله ابن الإمام أحمد أنّه قال: سألت أبي عن الغناء. فقال: ينبت النفاق في القلب لا يعجبني، ثمّ ذكر قول مالك: إنّما يفعله عندنا الفسّاق.

٤ ـ وصرّح أصحاب الشافعي العارفون بمذهبه بتحريمه، وأنكروا على من نسب إليه حلّه كالقاضي أبي الطيّب، وله في ذم الغناء والمنع عنه كتاب مصنّف، والطبري والشيخ أبي إسحاق في التنبيه.

وقال أبو الطيّب الطبري: أمّا سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإنّ أصحاب الشافعي لا يجوّزونه سواء كانت حرّة أو مملوكة. قال: وقال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه تردّ شهادته، ثمّ غلّظ القول فيه

---

(١) يونس: ٣٢.

فقال: فهي دياثة. وإنّما جعل صاحبها سفيهاً لأنّه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهاً.

وقال ابن الصلاح: هذا السماع حرام بإجماع أهل الحلّ والعقد من المسلمين. ٧٣/٨

وقال الطبري: أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه، وإنّما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد، وعبيد الله العنبري.

وسُئل القاسم بن محمد عن الغناء فقال: أنهاك عنه وأكرهه لك. فقال السائل: أحرام هو؟ قال: أُنظر يابن أخي إذا ميّز الله تعالى الحقّ من الباطل في أيّهما يجعل سبحانه الغناء؟ وقال: لعن الله المغنّي والمغنّى له.

وقال المحاسبي في رسالة الإنشاء: الغناء حرام كالميتة.

وفي كتاب التقريب: إنّ الغناء حرام فعله وسماعه.

وقال النحّاس: ممنوع بالكتاب والسنّة.

وقال القفّال: لا تقبل شهادة المغنّي والرقّاص.

راجع[1]: سنن البيهقي (٢٢٤/١٠)، نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص٢٤٢ - ٢٤٦)، تفسير القرطبي (٥١/١٤، ٥٢، ٥٥، ٥٦)، الدرّ المنثور (١٥٩/٥)، عمدة القاري للعيني (١٦٠/٥)، تفسير الآلوسي (٦٨/٢١، ٦٩).

وفي مفتاح السعادة[2] (٣٣٤/١): وقد قيل: التلذّذ بالغناء وضرب الملاهي كفر.

قال الأميني: لعلّ القائل أخذ بما أخرجه أبو يعقوب النيسابوري من حديث

(١) تلبيس إبليس (نقد العلم العلماء): ص٢٢٨ - ٢٣١، الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/١٤ - ٣٩، الدرّ المنثور: ٥٠٤/٦ - ٥٠٧، عمدة القاري: ٢٧١/٦.

(٢) مفتاح السعادة: ٣٧٦/١.

أبي هريرة مرفوعاً: «استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذّذ بها كفر». نيل الأوطار[1] (٢٦٤/٨).

وعن إبراهيم بن مسعود: الغناء باطل والباطل في النار. وعنه: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. وعنه: إذا ركب الرجل الدابّة ولم يسمّ ردفه شيطان فقال: تغنّه. فإن كان لا يحسن قال: تمنّه[2].

ومرّ ابن عمر ﷺ بقوم محرمين وفيهم رجل يغنّي، قال: ألا لا سمع الله لكم. ومرّ بجارية صغيرة تغنّي فقال: لو ترك الشيطان أحداً لترك هذه.

وقال الضحّاك: الغناء منفدة للمال، مسخطة للربّ، مفسدة للقلب.

وقال يزيد بن الوليد الناقص: يا بني أُميّة إيّاكم والغناء فإنّه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وأنّه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم / لا بدّ فاعلين فجنّبوه النساء فإنّ الغناء داعية الزنا. ٨/٧٤

وفيما كتب عمر بن عبد العزيز إلى سهل مولاه: بلغني عن الثقات من حملة العلم أنّ حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بهما، ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء العشب.

وقيل: الغناء جاسوس القلب، وسارق المروءة والعقول، يتغلغل في سويداء القلوب، ويطّلع على سرائر الأفئدة، ويدبّ إلى بيت التخييل، فينشر ما غرز فيها الهوى والشهوة والسخافة والرعونة، فبينما ترى الرجل وعليه سمت الوقار، وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار العلم، كلامه حكمة، وسكوته عبرة، فإذا سمع الغناء نقص عقله وحياؤه، وذهبت مروءته وبهاؤه، فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه، ويبدي من أسراره ما كان يكتمه، وينتقل من بهاء السكوت والسكون إلى

---

(١) نيل الأوطار: ١٦٣/٨.

(٢) الهاء في تغنّه وتمنّه للسكت وليست ضميراً.

كثرة الكلام والهذيان والاهتزاز كأنّه جانّ وربّما صفق بيديه، ودقّ الأرض برجليه، وهكذا تفعل الخمر إلى غير ذلك.

راجع[١]: سنن البيهقي (٢٢٣/١٠)، نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (ص ٢٥٠)، تفسير الزمخشري (٤١١/٢)، تفسير القرطبي (٥٢/١٤)، إرشاد الساري (١٦٤/٩)، الدرّ المنثور (١٥٩/٥، ١٦٠)، كنز العمّال (٣٣٣/٧)، تفسير الخازن (٤٦/٣)، تفسير الشوكاني (٢٢٨/٤)، نيل الأوطار (٢٦٤/٨)، تفسير الآلوسي (٦٧/٢١، ٦٨).

نظرة في الأحاديث المعنونة:

هذا شأن الغناء والملاهي، وتلك ما يؤثر عن نبيّ الإسلام ﷺ أفمن المعقول إذاً أن تعزى إليه تلك المساحة المزرية بعصمته، المسقطة لمحلّه، المسفّة به إلى هوّة الجهل؟ ثمّ يُحسب أنّ الذي تذمّر منها وتجهّم أمام الباطل ودحضه هو عمر فحسب دون رسول الله ﷺ؟ وما هذا الشيطان الذي كان يفرَقُ[٢] من عمر وما كان يخاف رسول الله ﷺ؟

أيّ نبيّ هذا وهو يسمع الملاهي، وترقص بين يديه الرقّاصة الأجنبيّة، وتضرب بالدفّ وتغنّي، أو يوقِف هو حليلته على تلك المواقف المخزية، ثمّ يقول: «لست من ددٍ ولا الدد[٣] منّي. أو يقول: لست من ددٍ ولادَدُ منّي. أو يقول: لست من الباطل ولا الباطل منّي»[٤]؟

---

(١) تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء): ص٢٣٥ ـ ٢٣٦، الكشّاف: ٤٩١/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/١٤ ـ ٣٩، إرشاد الساري: ٣٥١/١٣، الدرّ المنثور: ٥٠٦/٦، كنز العمّال: ٢١٩/١٥ ح٤٠٦٥٩، تفسير الخازن: ٤٣٨/٣، فتح القدير: ٢٣٦/٤، نيل الأوطار: ١١٣/٨ ـ ١١٩.

(٢) يفرَق: يخاف.

(٣) الدّد: اللهو واللعب.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب [الأدب المفرد: ص٢١٦ ح٨٠٦]، والبيهقي [في سننه: ٢١٧/١٠]، والخطيب، وابن عساكر. راجع كنز العمّال: ٣٣٣/٧ [٢١٩/١٥ ح٤٠٦٦٤]، فيض القدير: ٢٦٥/٥ [ح٧٢٤١]. (المؤلّف)

٧٥/٨ أيّ عظيم هذا يرى في بيته غناء الجواري وضربهنّ بالدف ولا ينبس ببنت شفة غير أنّ عمر يغضبه ذلك ويقول: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ؟ أليس هذا النبيّ هو الذي كان إذا سمع مزماراً يضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق؟

قال نافع: سمع عبدالله بن عمر مزماراً فوضع إصبعيه على أُذنيه ونأى عن الطريق وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئاً؟ فقلت: لا، فرفع إصبعيه من أُذنيه وقال: كنت مع رسول الله ﷺ فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا[١]. أليس ابن عبّاس قال أخذاً بالسنّة الشريفة: الدّفُ حرام، والمعازف حرام، والكوبة حرام، والمزمار حرام؟

ألا تعجب من رسول الله ﷺ والحبشة تلعب في مسجده الشريف أشرف بقاع الدنيا وتزفن وتغنّي وهو ﷺ وحليلته ينظران إليها، وعمر ينهاهنّ، ويقول النبيّ ﷺ: دعهنّ يا عمر؟

أصحيح ما جاء عن النبيّ الأقدس ﷺ من قوله بعدّة طرق: «جنّبوا مساجدكم صبيانكم، ومجانينكم، وشراءكم، وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم»؟

وقوله ﷺ: «من سمع رجلاً ينشد ضالّة في المسجد فليقل: لا ردّها الله عليك. فإنّ المساجد لم تبن لهذا»؟ أخرجه[٢] مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي.

وما أخرجه[٣] مسلم والنسائي وابن ماجه عن بريدة: أنّ رجلاً نشد في

---

(١) سنن أبي داود: ٣٠٤/٢ [٢٨١/٤ ح ٤٩٢٤]، سنن البيهقي: ٢٢٢/١٠، تاريخ ابن عساكر: ٢٠٦/٧، ٢٨٤ [١٦٩/٢٦ رقم ٣٠٦٨، ٣٥/٢٧ رقم ٣١٥٣]. (المؤلّف)

(٢) صحيح مسلم: ٣٩/٢ ح ٧٩ كتاب المساجد، سنن أبي داود: ١٢٨/١ ح ٤٧٣، سنن ابن ماجه: ٢٥٢/١ ح ٧٦٧، سنن الترمذي: ١٣٩/٢ ح ٣٢٢.

(٣) صحيح مسلم: ٣٩/٢ ح ٨٠، ص ٤٠ ح ٨١ كتاب المساجد، السنن الكبرى: ٢٦٣/١ ح ٧٩٦، سنن ابن ماجه: ٢٥٢/١ ح ٧٦٥.

المسجد الجمل، فقال رسول الله ﷺ: «لا وجدت، إنّما بنيت المساجد لِما بنيت له»؟

وقوله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة»؟ أخرجه ابن حبّان في صحيحه[١].

وقوله ﷺ: «لا تتّخذوا المساجد طرقاً إلّا لذكر أو صلاة»[٢]؟

وما ظنّك بنبيّ العصمة يحول المولى سبحانه بينه وبين ما يهمّه من سماع المعازف والمزامير قبل بعثته تشريفاً وتعظيماً لمكانته من القداسة، ويخلّيه واسع السرب رخيّ البال بعد مبعثه الشريف يسمع غناء الأجنبيّات وهي تزفن[٣]؟ أخرج الحفّاظ بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما هممت بشيء
ممّا كان في / الجاهليّة يعملون به غير مرّتين، كلّ ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما ٧٦/٨
أريد، فإنّي قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت إلى غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها ما يسمر الشباب. فقال: ادخل. فخرجت أُريد ذلك حتى إذا جئت أوّل دار من دور مكّة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان ابن فلان تزوّج فلانة ابنة فلان، فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أُذني فنمت فما أيقظني إلّا مسّ الشمس، قال: فجئت صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً، وأخبرته الخبر. قال: ثمّ قلت له ليلة أُخرىٰ مثل ذلك، فقال: افعل، فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة فجلست أنظر فضرب الله على أُذني فوالله ما أيقظني إلّا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي

---

(١) الإحسان في صحيح ابن حبّان: ١٥/١٦٢ ح ٦٧٦١.

(٢) جمع هذه الأحاديث وأمثالها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: ١/٨٩ ـ ٩٢ [١/١٩٦ ـ ٢٢٥]. (المؤلّف)

(٣) الزّفن: الرقص.

فأخبرته الخبر، ثمّ ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته[١].

قال الماوردي في أعلام النبوّة[٢] (١٤٠): هذه أحوال عصمته قبل الرسالة، وصدّه عن دنس الجهالة، فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم، ومن الأدناس أسلم، وكفى بهذه الحال أن يكون من الأصفياء الخيرة إن أمهل، ومن الأتقياء البررة إن أغفل، ومن أكبر الأنبياء عند الله تعالى من أرسل مستخلص الفطرة، عليّ النظرة، وقد أرسله الله تعالى بعد الاستخلاص، وطهّره من الأدناس، فانتفت عنه تهم الظنون، وسلم من ازدراء العيون، ليكون الناس إلى إجابته أسرع، وإلى الانقياد له أطوع. انتهى.

وإليّ نسائل ذلك الحكيم المتأوّل الذي مرّ كلامه (ص٦٥) عن أنّه كيف خصّ محمداً ﷺ بالنبوّة، وأبابكر بالرحمة، وعمر بالحقّ، وحسب أنّه فتح باباً مُرتجاً من المعضلات، أو أتى بقرني حمار، أيّ نبوّة تفارق الحقّ؟ وأيّ نبيّ هو أوضع من صاحب الحقّ؟ وأيّ حقٍّ اقتناه عمر لنفسه وعزب عن الرسول ﷺ عرفانه؟

وهلمّ معي إلى طامّة أُخرى من الزركشي في الإجابة[٣] (ص٦٧)، الذي عدّ فيها من خصائص عائشة: أنّ رسول الله ﷺ كان يتبع رضاها كلعبها باللعب،
٧٧/٨ ووقوفه في / وجهها لتنظر إلى الحبشة يلعبون. فقال: واستنبط العلماء من ذلك أحكاماً كثيرة فما أعظم بركتها! انتهى.

---

(١) دلائل النبوّة لأبي نُعَيم: ٥٨/١ [٢٣٦/١ ح١٢٨]. أعلام النبوّة للماوردي: ص١٤٠ [ص٢١١ باب١٩]. تاريخ الطبري: ١٩٦/٢ [٢٧٩/٢]، الكامل لابن الأثير: ١٤/٢ [٤٧١/١]، عيون الأثر لابن سيّد الناس: ٤٤/١ [٦٥/١]، تاريخ ابن كثير: ٢٨٧/٢ [٣٥٠/٢]، الخصائص الكبرىٰ: ٨٨/١ [١٤٩/١]، السيرة الحلبية: ١٣٢/١ [١٢٢/١]. **(المؤلّف)**

(٢) أعلام النبوّة: ص٢١٢ باب١٩.

(٣) الإجابة: ص٦٣ باب١.

أو هل يريد هذا الرجل إثبات مأثرة لعائشة؟ أو ذكر مَزلّة لبعلها؟ وهل كان ﷺ يتّبع رضاها في المشروع؟ أو كان اتّباعه أعمّ من ذلك؟ ـ معاذ الله ـ وهل من الممكن أن يتّبع رضاها حتى في نقض ما جاء به هو من الشريعة الالهيّة؟ وأيّ حكم يستنبط من مثل هذا المدرك الساقط؟ فمرحباً بالكاتب، وزهٍ بالعلماء المستنبطين، وكثّر الله أمثال هذه البركات ـ لاكثّرها.

ثمّ هل النذر يبيح المحظور؟ وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «لا نذر في معصية ولا نذر فيما لا يملك ابن آدم»[1].

وقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[2].

وقال عقبة بن عامر: إنّ أخته نذرت أن تمشي حافية غير مختمرة وأنّه ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «مرها فلتركب ولتختمر»[3].

وعن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله ﷺ مرّ برجل بمكة وهو قائم في الشمس فقال: «ما هذا؟» قالوا: نذر أن يصوم ولا يستظلّ إلى الليل ولا يتكلّم ولا يزال

---

(١) صحيح مسلم: ١٧/٢ [٤٦٢/٣ ح٨ كتاب النذر]، سنن أبي داود: ٨١/٢ [٢٢٨/٣ ح ٣٢٧٤]، سنن ابن ماجه: ٦٥٢/١ [٦٨٦/١ ح ٢١٢٤]، سنن النسائي: ١٩/٧، ٢٩ [١٣٦/٣ ح ٤٧٥٤]. (المؤلّف)

(٢) صحيح البخاري: ٢٤٥/٩، ٢٤٦ [٢٤٦٣/٦ ح٦٣١٨، ص ٢٤٦٤ ح٦٣٢٢]، صحيح الترمذي: ٢٨٨/١ [٨٨/٤ ح١٥٢٦]، سنن ابن ماجه: ٦٥٣/١ [٦٨٧/١ ح٢١٢٦]، سنن أبي داود: ٧٨/٢ [٢٣٣/٣ ح٣٢٨٩]، سنن النسائي: ١٧/٧ [١٣٤/٣ ح٤٧٤٩، ٤٧٥٠]، سنن البيهقي: ٧٥/١٠. (المؤلّف)

(٣) سنن ابن ماجه: ٦٥٤/١ [٦٨٩/١ ح ٢١٣٤]، سنن النسائي: ٢٠/٧ [١٣٦/٣ ح٤٧٥٧]، صحيح الترمذي: [٩٤/٤ ح١٥٣٦] كما في تيسير الوصول: ٢٧٩/٤ [٣٣٥/٤]، سنن البيهقي: ٨٠/١٠. (المؤلّف)

قائماً. قال: «ليتكلّم وليستظلّ وليجلس وليتمّ صومه»[١].

وقال ﷺ: «لا نذر إلّا فيما يُبتغى به وجه الله تعالى»[٢].

٧٨/٨ وقال ﷺ: «النذر نذران، فمن كان نذره في طاعة الله فذلك لله وفيه الوفاء، ومن كان نذره في معصية الله فذلك للشيطان ولا وفاء فيه»[٣].

أوَليس من شرط انعقاد النذر على هذا الرجحان في متعلّقه وكونه ممّا يُبتغى به وجه الله ليكون مقرّباً إليه سبحانه زلفى، فيصحّ للناذر أن يقول: لله عليّ كذا؟ فأيّ رجحان في ضرب المرأة الأجنبيّة الدفّ بين يدي الرجل الأجنبيّ وفي غنائها ورقصها أمامه؟ إلّا أن يقول القائل: إنّ تلك الجارية أو مسجد النبيّ الأعظم أباحا تلكم المحظورات. أو الغلوّ في الفضائل -فضائل الخليفة- أباح أن تستساغ.

رأي عمر في الغناء

إن تعجب فعجب أنّ هذه المهازئ تشعر بكراهة عمر للغناء وقد عدّه العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري[٤] (١٦٠/٥) نقلاً عن كتاب التمهيد لأبي عمر صاحب الاستيعاب ممّن ذهب إلى إباحته في عداد عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وعبدالله بن عمر، ومعاوية، وعمرو بن العاصي، والنعمان بن بشير، وحسّان بن ثابت.

---

(١) سنن ابن ماجه: ٦٥٥/١ [٦٩٠/١ ح٢١٣٦]، صحيح البخاري: ٢٤٧/٩ [٢٤٦٥/٦ ح٦٣٢٦]، سنن أبي داود: ٧٩/٢ [٢٣٥/٣ ح٣٣٠٠]، سنن البيهقي: ٧٥/١٠. (المؤلّف)

(٢) أخرجه أبو داود [في سننه: ٢٥٨/٢ ح٢١٩٢] كما في تيسير الوصول: ٢٨١/٤ [٣٣٧/٤]، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٧٥/١٠. (المؤلّف)

(٣) أخرجه النسائي [في سننه: ٢٩/٧ طبعة دار الكتاب العربي] كما في التيسير: ٢٨١/٤ [٣٣٨/٤]. (المؤلّف)

(٤) عمدة القاري: ٢٧٢/٦.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار[١] (٢٦٦/٨): قد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة: عمر. كما رواه ابن عبدالبرّ[٢] وغيره، ثمّ عدّ جمعاً منهم: عثمان، عبدالرحمن بن عوف، أبو عبيدة الجرّاح، سعد بن أبي وقّاص، عبدالله بن عمر.

وروى المبرّد والبيهقي في المعرفة كما في نيل الأوطار[٣] (٢٧٢/٨) عن عمر: أنّه إذا كان داخلاً في بيته ترنّم بالبيت والبيتين. واستدلال الشوكاني بهذا على إباحة الغناء في بعض المواقف يومي إلى أنّ المراد من الترنّم: التغنّي.

وقال ابن منظور في لسان العرب[٤](٣٧٤/١٩): قد رخّص عمر ﷺ في غناء الأعراب.

ويُعرب عن جليّة الحال حديث خوات بن جبير الصحابي، قال: خرجنا حجّاجاً مع عمر، فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجرّاح وعبدالرحمن بن عوف، فقال القوم: / غنّنا من شعر ضرار، فقال عمر: دعوا أبا عبدالله فليغنّ من بنيّات ٧٩/٨
فؤاده[٥]. فما زلت أُغنّيهم حتى كان السحر، فقال عمر: إرفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا[٦].

وزاد ابن عساكر في تاريخه[٧] (١٦٣/٧): فقال أبو عبيدة: هلمّ إلى رجل أرجو

---

(١) نيل الأوطار: ١١٥/٨.

(٢) الاستيعاب: القسم الثاني/٤٥٧ رقم٦٨٦.

(٣) نيل الأوطار: ١٢٠/٨.

(٤) لسان العرب: ١٣٥/١٠.

(٥) يعني: من شعره.

(٦) سنن البيهقي: ٢٢٤/١٠، الاستيعاب: ١٧٠/١ [القسم الثاني/٤٥٧ رقم٦٨٦]، الإصابة: ٤٥٧/١ [رقم٢٢٩٨]، كنز العمّال: ٣٣٥/٧ [٢٢٨/١٥ ح٤٠٦٩٧]. (المؤلّف)

(٧) تاريخ مدينة دمشق: ٤٨٣/٢٥ رقم٣٠٥١.

أن لا يكون شرّاً من عمر. قال: فتنحّيت أنا وأبو عبيدة فما زلنا كذلك حتى صلّينا الفجر.

وفي كنز العمّال[1] (٣٣٦/٧): كلّم أصحاب النبيّ خوات بن جبير أن يغنّيهم فقال: حتى أستأذن عمر. فاستأذنه فأذن له، فغنّى خوات، فقال عمر: أحسن خوات، أحسن خوات.

وفي حديث رباح بن المعترف: قال: إنّه كان مع عبدالرحمن بن عوف يوماً في سفر، فرفع صوته رباح يغنّي غناء الركبان، فقال له عبد الرحمن: ما هذا؟ قال: غير ما بأس نلهو ونقصّر عنّا السفر. فقال عبدالرحمن: إن كنتم لا بدّ فاعلين فعليكم بشعر ضرار بن الخطّاب، ويقال: إنّه كان معهم في ذلك السفر عمر بن الخطّاب وكان يغنّيهم غناء النصب[2]. في تاج العروس[3]: النصب ضرب من أغاني الأعراب.

وعن عثمان بن نائل عن أبيه قال: قلنا لرباح بن المعترف: غنّنا بغناء أهل بلدنا، فقال: مع عمر؟ قلنا: نعم، فإن نهاك فانته.

وذكر الزبير بن بكار: أنّ عمر مرّ به ورباح يغنّيهم غناء الركبان[4] فقال: ما هذا؟ قال عبدالرحمن: غير ما بأس يقصّر عنّا السفر، فقال: إذا كنتم فاعلين فعليكم بشعر ضرار بن الخطّاب. الإصابة (٥٠٢/١).

وعن السائب بن يزيد قال: بينا نحن مع عبدالرحمن بن عوف في طريق مكّة إذ

---

(١) كنز العمّال: ٢٢٩/١٥ ح ٤٠٧٠٠.

(٢) سنن البيهقي: ٢٢٤/١٠، الاستيعاب: ١٨٦/١ [القسم الثاني/٤٨٦ رقم٧٤٦]. (المؤلّف)

(٣) تاج العروس: ٤٨٥/١.

(٤) قال ابن الأعرابي: كانت العرب تتغنّى بالركباني إذا ركبت وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها، فأحبّ النبي ﷺ أن يكون هِجّيراهم [أي: عادتهم ودأبهم] بالقرآن مكان التغنّي بالركباني. لسان العرب: ٣٣٧/١٩ [١٣٥/١٠]، تاج العروس: ٢٧٣/١٠. (المؤلّف)

قال عبدالرحمن لرباح: غنّنا. فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطّاب. الإصابة (٢٠٩/٢).

وفي لفظ ابن عساكر في تاريخه[١] (٣٥/٧): فقال عمر: ما هذا؟ فقال عبدالرحمن: ما بأس بهذا اللهو ونقصّر عنّا سفرنا. فقال عمر: إن كنت... إلى آخره. ٨٠/٨

وعن العلاء بن زياد: أنّ عمر كان في مسير فتغنّى فقال: هلا زجرتموني إذا لغوت. كنز العمّال[٢] (٣٣٥/٧).

وعن الحارث بن عبد الله بن عباس: أنّه بينا هو يسير مع عمر في طريق مكّة في خلافته ومعه المهاجرون والأنصار فترنّم عمر ببيت، فقال له رجل من أهل العراق ليس معه عراقيّ غيره: غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين، فاستحيا عمر وضرب راحلته حتى انقطعت من الركب. أخرجه الشافعي والبيهقي كما في الكنز[٣] (٣٣٦/٧).

هذا عمر وهذا رأيه وهذه سيرته في الغناء، فهل من المعقول أن يهابه المغنّون فيجفلون عمّا كانوا يقترفونه، ويسمعه النبيّ ﷺ ولا يتحرّج؟ ويرى أنّ الشيطان يفرق من عمر، ولا يفرق منه؟ المستعاذ بك يا الله.

وقد تروى هذه المنقبة الموهومة لعثمان فيما أخرجه أحمد في مسنده[٤] (٣٥٣/٤) من طريق ابن أبي أوفى قال: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبيّ ﷺ وجارية تضرب بالدُّف فدخل، ثمّ استأذن عمر رضي الله عنه فدخل، ثمّ استأذن عثمان رضي الله عنه فأمسكت. قال: فقال رسول الله ﷺ: إن عثمان رجل حيي.

وأخرجه في (ص٣٥٤) بإسناد آخر بلفظ: كانت جارية تضرب بالدفّ عند

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٠٠/٢٤ رقم٢٩٣٢.
(٢) كنز العمّال: ٢٢٨/١٥ ح٤٠٦٩٦.
(٣) المصدر السابق: ح٤٠٦٩٨.
(٤) مسند أحمد: ٤٧٠/٥ ح١٨٦٣٤، ص٤٧١ ح١٨٦٣٨.

رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر ثمّ جاء عمر، ثمّ جاء عثمان رضي الله عنه فأمسكت، فقال: إلى آخره. وسنوقفك على حياء عثمان حتى تعرف صحّة هذا الحديث أيضاً.

ثمّ لنتوجّه إلى شاعر النيل المشبّه دِرّة عمر بعصا موسى التي كانت معجزة قاهرة لنبيٍّ معصوم أبطل بها الباطل، وأقام الحقّ، فقال كما مرّ في (ص٦٦):

أغنتْ عن الصارمِ المصقولِ درّتهُ — فكم أخافت غويَّ النفسِ عاتيها
كانت له كعصا موسى لصاحبِها — لا ينزلُ البُطْلُ مجتازاً بواديها

فنسأل الرجال عن وجه الشبه بين تلك العصا وبين هذه الدِرّة التي قيل فيها: لعلّ درّته لم يسلم من خفقتها إلّا القلائل من كبار الصحابة، وكانت الدرّة في يده على الدوام أنّى سار، وكان الناس يهابونها أكثر ممّا تخيفهم السيوف، وكان يقول: أصبحت أضرب الناس ليس فوقي أحد إلّا ربّ العالمين[1]، فقيل بعده: لدرّة عمر أهيب من ٨١/٨
سيف الحجّاج كما في محاضرة السكتواري (ص١٦٩).

فما وجه الشبه بين عصا نبيّ معصوم وبين درّة إنسان لم يسلم منها إلّا القلائل من كبار الصحابة؟ أهي تشبهها حين ضرب صاحبها النساء الباكيات على بنت رسول الله ﷺ وأخذ ﷺ بيده وقال: «مه يا عمر»؟ (غ) (١٥٩/٦)[2].

أم حين ضرب أُمّ فروة بنت أبي قحافة حين بكت على أبيها؟ (غ) (١٦١/٦).

أم حين ضرب تميم الداري لإتيانه الصلاة بعد العصر وهي سنّة؟ (غ) (١٨٣/٦ ـ ١٨٤).

أم حين ضرب المنكدر وزيد الجهني وآخرين للصلاة بعد العصر؟ (غ) (١٨٤/٦).

---

(١) محاضرات الخضري: ١٥/٢، الخلفاء للنجّار: ص١١٣، ٢٣٩. (المؤلّف)

(٢) غ: رمز كتابنا هذا (الغدير) في جميع الأجزاء. (المؤلّف)

أم حين ضرب في المجزرة كلّ من اشترى اللحم لأهله يومين متتابعين؟ (غ) (٢٦٧/٦).

أم حين ضرب رجلاً أتى بيت المقدس وإتيانه سنّة؟ (غ) (٢٧٨/٦).

أم حين ضرب الصائمين في رجب وصومه سنّة مؤكّدة؟ (غ) (٢٨٢/٦).

أم حين ضرب سائلاً عن آية من القرآن لا يعرف مغزاها؟ (غ) (٢٩٠/٦).

أم حين ضرب مسلماً أصاب كتاباً فيه العلم؟ (غ) (٢٩٧/٦).

أم حين ضرب مسلماً اقتنى كتاباً لدانيال؟ (غ) (٢٩٨/٦).

أم حين ضرب من كنّي بأبي عيسى؟ (غ) (٣٠٨/٦).

أم حين ضرب سيّد ربيعة من غير ذنب أتى به؟ (غ) (١٥٧/٦).

أم حين ضرب معاوية من دون أن يقترف إثماً؟ كما في تاريخ ابن كثير[١] (١٢٥/٨).

أم حين ضرب أبا هريرة لابتياعه أفراساً من ماله؟ (غ) (٢٧١/٦).

أم حين ضرب من صام دهراً؟ (غ) (٣٢٢/٦).

إلى مواقف لا تحصى. فانظر إلى من تتوجّه قارصة الرجل في قوله: فكم أخافت غويّ النفس عاتيها.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَام ﴾[٢].

---

(١) البداية والنهاية: ١٣٤/٨ حوادث سنة ٦٠ هـ.

(٢) البقرة: ٢٠٤.

ـ ٤ ـ

كرامات عمر الأربع

٨٢/٨ ١ ـ لمّا فتح عمر مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهُر العجم، فقالوا له: أيّها الأمير إنّ لنيلنا هذا سنّة لا يجري إلّا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا له: إنّا إذا كانت ثلاث عشرة ليلة نحواً[1] من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أباها وحملنا عليها من الحليّ والثياب أفضل ما يكون ثمّ ألقيناها في النيل، فقال لهم عمرو: إنّ هذا شيء لا يكون في الإسلام وإنّ الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى[2]، لا يجري قليلاً ولا كثيراً، فكتب إلى عمر بن الخطّاب ﷺ، فكتب إليه عمر: أنّك قد أصبت بالذي فعلت، إنّ الإسلام يهدم ما قبله، وكتب إلى عمرو أنّي قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا إليك فألقها في النيل إذا وصل كتابي إليك، فلمّا قدم كتاب عمر ﷺ إلى عمرو بن العاص فإذا فيها مكتوب:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أمّا بعد: فان كنت إنّما تجري من قبلك فلا تجرِ، وإن كان الله الواحد القهّار هو مجريك فنسأل الله الواحد القهّار أن يجريك.

وفي لفظ الواقدي: فان كنت مخلوقاً لا تملك ضراً ولا نفعاً وأنت تجري من قِبَل نفسك وبأمرك فانقطع ولا حاجة لنا بك، وإن كنت تجري بحول الله وقوّته فاجر كما كنت، والسلام.

فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بشهر فقد تهيّأ أهل مصر للجلاء

---

(١) في البداية والنهاية: خلت.

(٢) أسماء الأشهر القبطية.

والخروج فإنّه لا تقوم مصلحتهم فيها إلّا بالنيل، فلمّا ألق البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السنّة عن أهل مصر إلى اليوم.

٢ ـ قال الرازي في تفسيره: وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر الدرّة على الأرض وقال: اسكني بإذن الله. فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك.

٣ ـ في تفسير الرازي: وقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقة: يا نار اسكني بإذن الله. فألقوها في النار فانطفأت في الحال.

٤ ـ في محاضرة الأوائل للسكتواري: أوّل زلزلة كانت في الإسلام سنة عشرين / من الهجرة في خلافة عمر ﷺ فضرب أمير المؤمنين ﷺ برمحه قائلاً: يا ٨٣/٨
أرض اسكني، ألم أعدل عليك؟ فسكنت. فكان من جملة كرامته، فظهرت له كرامات أربعة في العناصر الأربعة: تصرّف في عنصر التراب، والماء في قصّة رسالته إلى نيل مصر، وفي الهواء في قصّة سارية الجبل، وفي النار في قصّة احتراق قرية رجل حين كلّفه أن يغيّر اسمه فأبى، وكان اسمه يتعلّق بالنار كالشهاب والقبس والثاقب كما ذكر في تبصرة الأدلّة ودلائل النبوّة.

راجع[1]: فتوح الشام للواقدي (٤٤/٢)، تفسير الرازي (٤٧٨/٥)، سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١٥٠)، الرياض النضرة (١٢/٢)، تاريخ ابن كثير (١٠٠/٧)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٨٦)، محاضرة الأوائل للسكتواري (ص١٦٨)، خزانة الأسرار (ص١٣٢) تاريخ القرماني هامش الكامل (٢٠٣/١)، الروض الفائق

---

(١) فتوح الشام: ٦٩/٢، التفسير الكبير: ٨٨/٢١، سيرة عمر: ص١٥٥ ـ ١٥٧ باب ٥٥، الرياض النضرة: ٢٧٨/٢، البداية والنهاية: ١١٤/٧ حوادث سنة ١٩ هـ، تاريخ الخلفاء: ص١١٧ ـ ١١٩، خزانة الأسرار: ص٩٣، أخبار الدول وآثار الأُوَل: ٢٨٨/١، الفتوحات الإسلامية: ٢٨٢/٢، نور الأبصار: ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(ص٢٤٦)، الفتوحات الاسلاميّة (٤٣٧/٢)، نور الأبصار (ص٦٢)، جوهرة الكلام للقراغولي الحنفي (ص٤٤).

قال الأميني: أمّا رواية النيل فراويها الوحيد هو عبدالله بن صالح المصري أحد الكذّابين الوضّاعين كما مرّ في الجزء الخامس (ص٢٣٩) قال أحمد بن حنبل[١]: كان أوّل أمره متماسكاً ثمّ فسد بآخره، وقال أحمد بن صالح: متّهم ليس بشيء، وقال صالح جزرة: كان ابن مَعِين يوثّقه وهو عندي يكذب في الحديث، وقال النسائي[٢]: ليس بثقة، وقال ابن المديني: لا أروي عنه شيئاً، وقال ابن حبّان[٣]: كان في نفسه صدوقاً إنّما وقعت المناكير في حديثه من قبل جارٍ له [رجل سوء][٤] فسمعت ابن خزيمة يقول: كان له جار كان بينه وبينه عداوة كان يضع الحديث على شيخ أبي[٥] صالح ويكتبه بخطّ يشبه خطّ عبدالله [بن صالح][٦] ويرميه في داره بين كتبه فيتوهّم عبدالله أنّه خطّه فيحدّث به، وقال ابن عدي[٧]: يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمّد.

قامت القيامة على عبدالله بهذا الخبر الذي قال عن جابر مرفوعاً: إنّ الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيّين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً فجعلهم خير أصحابي وأصحابي كلّهم خير. ثمّ ذكر أقوال الحفّاظ في بطلان هذا الحديث وأنّه موضوع. راجع ميزان الاعتدال[٨] (٤٦/٢).

---

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٢١٢/٣ رقم٤٩١٩.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٤٩ رقم٣٥١.

(٣) كتاب المجروحين: ٤٠/٢.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: عبد الله بن صالح، ويأتي أيضاً في: ٣٦٠/٩.

(٦) من المصدر.

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٠٨/٤ رقم١٠١٥.

(٨) ميزان الاعتدال: ٤٤٢/٢ رقم٤٣٨٣.

فالرواية مكذوبة اختلقتها يد الغلوّ في الفضائل، وإن كنّا لا نناقش في إمكان خضوع النيل لتلكم الكتابة، فيكون معجزة للإسلام لمسيس حاجة القوم إلى مثلها لحداثة عهدهم بالإسلام. ٨٤/٨

وأمّا ما جاء به الرازي من حديث الزلزلة فلم يوجد في حوادث عهد عمر لا مسنداً ولا مرسلاً، ولم يذكره قطّ مؤرّخ ضليع، ولم يخرجه الحفّاظ حتى ينظر في إسناده. وقوله: وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك، فكرامة مكذوبة يكذّبها التاريخ، وقد وقعت الزلزلة بعد ذلك غير مرّة فقد وقعت زلزلة عظيمة بالحجاز سنة (٥١٥) فتضعضع بسببها الركن اليماني وتهدّم بعضه، وتهدّم بها شيء من مسجد رسول الله ﷺ كما ذكره ابن كثير في تاريخه[١] (١٨٨/١٢).

وحدثت بالمدينة زلزلة عظيمة ليلاً واستمرّت أيّاماً، وكانت تزلزل كلّ يوم وليلة قدر عشر نوبات. وذلك سنة (٦٥٤) وقصّتها طويلة توجد في تاريخ ابن كثير[٢] (١٨٨/١٣، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢).

واعطف على ما قاله الرازي قول السكتواري من أنّها أوّل زلزلة كانت في الإسلام سنة عشرين من الهجرة. فقد وقعت سنة ستّ من الهجرة الشريفة كما في تاريخ الخميس[٣] (٥٦٥/١) فقال النبيّ ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ يستعتبكم فأعتبوه.

وأمّا حديث قول عمر: يا سارية الجبل الجبل، فقال السيّد محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب[٤] (ص٢٦٥): هو من كلام عمر قاله على المنبر حين كُشِف

---

(١) البداية والنهاية: ٢٣٣/١٢ حوادث سنة ٥١٥ هـ.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٠/١٣ حوادث سنة ٦٥٤ هـ.

(٣) تاريخ الخميس: ٥٠٢/١.

(٤) أسنى المطالب: ص٥٥٣ ح ١٧٦٤.

له عن سارية[١] وهو بنهاوند من أرض فارس، روى قصّته الواحدي والبيهقي بسند ضعيف وهم في المناقب يتوسّعون. انتهى.

كنّا نرى السيد ابن الحوت غير منصف في حكمه على الحديث بالضعف وأنّه كان حقّاً عليه الحكم بالوضع إلى أن أوقفنا السير على تصحيح ابن بدران المتوفى(١٣٤٦) إيّاه فيما علّق عليه في تاريخ ابن عساكر (٤٦/٦) بعد ذكر الحديث من طريق سيف بن عمر، فوجدنا ابن الحوت عندئذٍ أنّه جاء بإحدى بنات طبق[٢] في حكمه ذلك، ما أجرأ ابن بدران على هذا التمويه والدجل! أليست بين يديه أقوال أعلام قومه حول سيف بن عمر؟ أم ليسوا أولئك الحفّاظ رجال الجرح والتعديل في كلّ إسناد؟ قال ابن حبّان[٣]: كان سيف بن عمر يروي الموضوعات عن الأثبات.
٨٥/٨ وقال: قالوا: إنّه كان يضع الحديث واتّهم / بالزندقة. وقال الحاكم: اتّهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط، وقال ابن عدي[٤]: بعض أحاديثه مشهورة وعامّتها منكرة لم يتابع عليها. وقال ابن عدي: عامّة حديثه منكر. وقال البرقاني عن الدارقطني[٥]: متروك. وقال ابن مَعِين[٦]: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال أبو حاتم[٧]: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي[٨]: ضعيف. وقال السيوطي: وضّاع، وذكر حديثاً من طريق السري بن يحيى عن

---

(١) إسم قائد الجيش.

(٢) بنات طبق: الدواهي. يقال للداهية إحدى بنات طبق، وأصلها الحيّة. أي أنها استدارت حتى صارت مثل الطبق.

(٣) كتاب المجروحين: ٣٤٥/١.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ٤٣٥/٣ رقم ٨٥١.

(٥) الضعفاء والمتروكون: ص ٢٤٣ رقم ٢٨٣.

(٦) التاريخ: ٤٦٠/٣ رقم ٢٢٦٢.

(٧) الجرح والتعديل: ٢٧٨/٤ رقم ١١٩٨.

(٨) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٢٣ رقم ٢٧١.

شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال: موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف.

راجع[١]: ميزان الاعتدال (٤٣٨/١)، تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤)، اللآلئ المصنوعة (١٥٧/١، ١٩٩٠، ٤٢٩).

وأمّا احتراق القرية بإباء الرجل تغيير اسمه فخرافة يأباها الشرع والعقل والمنطق. إنّ ما تقدّم في الجزء السادس (ص٣٠٨ ـ ٣١٥) من آراء الخليفة الخاصّة به في الأسماء والكنى ـ ومن جرّائها غيّر كنى رجال كنّاهم رسول الله ﷺ وأسماء آخرين سمّاهم بها هو ﷺ بحجّة داحضة من أنّ رسول الله ﷺ مات وغفر له ونحن لا ندري ما يفعل بنا ـ يستدعي ألّا يُمتثل في أمثال ذلك لا أن يُعذّب الله قرية آمنة مطمئنّة لعدم امتثال صاحبها بما يقوله الخليفة دون أمر مباحٍ، وهو من الظلم الفاحش لما احترق فيها من أبرياء وتلفت من أموال، ولو وقفتَ بمطلع الأكمة من تلك القرية المضطرمة لبكيت على الرضّع والبهائم بكاء الثكلى، نحاشي ربّنا الحكم العدل عن مثل ذلك، ونحاشي أعلام الأُمّة عن قبول هذه المخاريق المخزية. قاتل الله الحبّ، ماذا يفعل ويفتعل ويختلق!

ـ ٥ ـ

تسمية عمر بأمير المؤمنين

قال الواقدي: حدّثنا أبو حمزة[٢] يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي عمرو قال: قلت لعائشة: من سمّى عمر الفاروق أمير المؤمنين؟ قالت: النبي ﷺ قال: أمير المؤمنين هو. ذكره ابن كثير في تاريخه[٣] (١٣٧/٧).

قال الأميني: كان أبو حزرة قاصّاً يقصّ، فَرَاقه أن يكذب على رسول الله ﷺ

(١) ميزان الاعتدال: ٢٥٥/٢ رقم٣٦٣٧، تهذيب التهذيب: ٢٥٩/٤.

(٢) كذا في تاريخ ابن كثير والصحيح: أبو حزرة. بفتح المهملتين بينهما معجمة ساكنة. (المؤلّف)

(٣) البداية والنهاية: ١٥٤/٧ حوادث سنة ٢٣ هـ.

٨٦/٨ وعلى حليلته أُمّ المؤمنين، لإرضاء مستمعيه بافتعال منقبة لعمر ذاهلاً عن أنّ التاريخ يكذّبه ويكشف عن سوأته ولو بعد حين.

أخرج الحاكم من طريق ابن شهاب قال: إنّ عمر بن عبدالعزيز سأل أبا بكر ابن سليمان بن أبي خيثمة: لأيّ شيء كان يُكتب: من خليفة رسول الله ﷺ في عهد أبي بكر ﷺ ثمّ كان عمر يكتب أوّلاً: من خليفة أبي بكر؟ فمن أوّل من كتب: من أمير المؤمنين؟ فقال: حدّثتني الشفاء وكانت من المهاجرات الأُوَل: إنّ عمر بن الخطّاب ﷺ كتب إلى عامل العراق بأن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث عامل العراق بلبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم، فلمّا قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثمّ دخلا المسجد فإذا هما بعمرو بن العاص فقالا: استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، هو الأمير ونحن المؤمنون، فوثب عمرو فدخل على أمير المؤمنين. فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يابن العاص، ربّي يعلم لتخرجنّ ممّا قلت. قال: إنّ لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثمّ دخلا عليّ فقالا لي: استأذن لنا ياعمرو على أمير المؤمنين فهما والله أصابا اسمك، نحن المؤمنون وأنت أميرنا، قال: فمضى به الكتّاب من يومئذٍ.

أخرجه الحاكم في المستدرك[١] وصحّحه. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: صحيح. وقال السيوطي في شرح شواهد المغني[٢] (ص٥٧): روينا بسند صحيح أنّ لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم هما اللذان سمّيا عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين حين قدما عليه من العراق. وذكر القصّة في تاريخ الخلفاء[٣] (ص٩٤).

(١) المستدرك على الصحيحين: ٨٧/٣ ح ٤٤٨٠.
(٢) شرح شواهد المغني: ١٥٥/١ رقم٥٩.
(٣) تاريخ الخلفاء: ص١٢٩.

وأخرج الطبري في تاريخه[١] (٢٢/٥) بالإسناد عن حسّان الكوفي قال: لمّا ولي عمر قيل: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر ﷺ: هذا أمر يطول، كلّ ما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمّي أمير المؤمنين.

وقال ابن خلدون في مقدّمة تاريخه[٢] (ص٢٢٧): اتّفق أن دعا بعض الصحابة عمر ﷺ: يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به، يقال: إنّ أوّل من دعا بذلك عبد الله بن جحش، وقيل: عمرو بن العاصي، والمغيرة بن شعبة، وقيل: ٨٧/٨
بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول: أين أمير المؤمنين؟ وسمعها أصحابه فاستحسنوه وقالوا: أصبت والله اسمه، إنّه والله أمير المؤمنين حقّاً، فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس، وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها أحد سواهم إلّا سائر دولة بني أُميّة. انتهى.

فصريح هذه النقول أنّ عمر نفسه ما كانت له سابقة علم بهذا اللقب لا عن رسول الله ﷺ ولا عن غيره، ولذلك استغربه وقال: ربّي يعلم لتخرجنّ ممّا قلت. ولا كان عمرو بن العاصي يعلم ذلك ولذلك نسب الإصابة بالتسمية إلى الرجلين ونحت لها من عنده ما يبرّرها. ولا كانت عند الرجلين ـ اللذين صحّ كما مرّ أنّهما هما اللذان سمّياه ـ أثارة من علم بما جاء به ابن كثير وإنّما هو شيء جرى على لسانهما، ثمّ أعطف نظرةً ثانية على كلمة ابن خلدون المقرّرة للخلاف في أوّل من سمّاه بأمير المؤمنين ولم يذكر فيه قولاً بأنّ الرسول ﷺ هو الذي سمّاه، وصريح رواية الطبري أنّ عمر هو الذي رأى هذه التسمية.

نعم؛ إنّ الذي سمّاه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين هو مولانا عليّ عليه السلام. أخرج

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٠٨/٤.

(٢) مقدّمة ابن خلدون: ٢٨٣/١ فصل ٣٢.

أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٦٣/١) بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أنس اسكب لي وضوءاً». ثمّ قام فصلّى ركعتين. ثمّ قال: «يا أنس أوّل من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين»، قال أنس: قلت: أللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته إذ جاء عليّ، فقال: «من هذا يا أنس؟» فقلت: عليّ، فقام مستبشراً فاعتنقه ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق عليّ بوجهه. قال عليّ: «يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل؟ قال: وما يمنعني وأنت تؤدّي عنّي، وتُسمِعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي».

وأخرج ابن مردويه من طريق ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ في بيته فغدا عليه عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ بالغداة أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل فإذا النبيّ ﷺ في صحن البيت، فإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فقال: «السلام عليك، كيف أصبح رسول الله؟» قال: بخير يا أخا رسول الله، فقال عليّ
٨٨/٨ «جزاك الله عنّا خيراً أهل البيت» / فقال له دحية: إنّي لأحبّك وإنّ لك عندي مدحةً أزفّها لك، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين إلى آخره. وفيه: فأخذ رأس النبيّ ﷺ فوضعه في حجره فقال النبيّ ﷺ: «ما هذه الهمهمة؟» فقال عليّ بما جرى، فقال: «يا عليّ لم يكن دحيّة ولكن كان جبرائيل سمّاك باسم سمّاك الله به».

وأخرج الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطّار من طريق ابن عبّاس في حديث: قال ﷺ: «يا أُمّ سلمة اشهدي واسمعي هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين». الحديث مرّ بتمامه في الجزء السادس (ص ٨٠).

وأخرج الطبراني في معجمه[١] من طريق عبد الله بن عليم الجهني مرفوعاً: «إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ في عليّ ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنّه سيّد المؤمنين،

---

(١) المعجم الصغير: ٨٨/٢.

وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين».

وتعضد هذه الأحاديث وتؤكّدها عدّة أحاديث، منها ما أخرجه أبو نُعَيم في حلية الأولياء من طريق ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله آية فيها يا أيّها الذين آمنوا إلّا وعليّ رأسها وأميرها».

وفي لفظ الطبراني[(١)] وابن أبي حاتم: «إلّا وعليّ أميرها وشريفها» ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليّاً إلّا بخير[(٢)].

ومنها ما أخرجه الخطيب والحاكم وصحّحه من طريق جابر بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذ بيد عليّ يقول: «هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»[(٣)].

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن عبّاس كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١١٥)، ونور الأبصار[(٤)] (ص ٨٠)، وأخرجه شيخ الإسلام الحمّوئي[(٥)] من طريق عبدالرحمن بن سهمان في فرائد السمطين، وذكره ابن حجر في الصواعق[(٦)] نقلاً عن الحاكم وحرّفه / وجعل مكان أمير البررة: إمام البررة. حيّا الله الأمانة. ٨٩/٨

---

(١) المعجم الكبير: ١١/٢١٠ ح ١١٦٨٧.

(٢) راجع حلية الأولياء: ١/٦٤ [رقم ٤]، الرياض النضرة: ٢/٢٠٦ [٣/١٥٨]، كفاية الكنجي: ص ٥٤ [ص ١٤٠ باب ٣١]، تذكرة السبط: ص ٨ [ص ١٣]، درر السمطين لجمال الدين الزرندي [ص ٨٩]، الصواعق لابن حجر: ص ٧٦ [ص ١٢٧]، كنز العمّال: ٦/٢٩١ [١١/٦٠٤ ح ٣٢٩٢٠]، تاريخ الخلفاء: ص ١١٥ [ص ١٦٠]. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي: ٢/٣٧٧ [رقم ٨٨٧] و ٤/٢١٩ [رقم ١٩١٥]، مستدرك الحاكم: ٣/١٢٩ [٣/١٤٠ ح ٤٦٤٤]. (المؤلّف)

(٤) نور الأبصار: ص ١٦٣.

(٥) فرائد السمطين: ١/١٥٧ ح ١١٩ باب ٣٢.

(٦) الصواعق المحرقة: ص ١٢٥.

ومنها ما أخرجه ابن عدي في كامله[١] من طريق عليّ: إنّ النبيّ ﷺ قال: «عليّ يعسوب[٢] المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»، وفي رواية: «يعسوب الظلمة» وفي رواية «يعسوب الكفّار» ذكره الدميري في حياة الحيوان[٣] (٤١٢/٢)، وابن حجر في الصواعق[٤] (ص٧٥)، وقال الدميري: ومن هنا قيل لأمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه: أمير النحل.

ومنها قول عليّ: «أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكفّار» وفي لفظ: «المنافقين»، وفي لفظ: «الفجّار» نهج البلاغة[٥] (٢١١/٢)، تاج العروس (٣٨١/١).

هذه هي الحقيقة الراهنة لكن القوم نحتوا تجاهها بقضاء من الغلوّ في الفضائل ما عرفته من رواية القصّاص أبي حزرة.

ـ ٦ ـ

عمر لا يحبّ الباطل

أخرج أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٤٦/٢) من طريق الأسود بن سريع قال: أتيت النبيّ ﷺ فقلت: قد حمدت ربّي بمحامد ومِدَح وإيّاك. فقال: إنّ ربّك عزّوجلّ يحبّ الحمد. فجعلت أنشده، فاستأذن رجل طويل أصلع، فقال لي رسول الله ﷺ: اسكت، فدخل فتكلّم ساعة ثمّ خرج فأنشدته، ثمّ جاء فسكّتني النبيّ ﷺ فتكلّم ثمّ خرج، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً فقلت: يا رسول الله من هذا الذي أسكتّني له؟ فقال: هذا عمر، رجل لا يحب الباطل.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٤٤/٥ رقم١٣٨٩.

(٢) اليعسوب: الأمير. الرئيس. (المؤلّف)

(٣) حياة الحيوان: ٤٤١/٢.

(٤) الصواعق المحرقة: ص١٢٥.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٣٠ رقم٣١٦.

ومن طريق آخر عن الأسود التميمي قال: قدمت على النبيّ ﷺ فجعلت أنشده فدخل رجل أقنى[1] فقال لي: أمسك. فلمّا خرج قال: هات. فجعلت أنشده فلم ألبث أن عاد فقال لي: أمسك. فلمّا خرج قال: هات. فقلت: من هذا يا نبيّ الله الذي إذا دخل قلت: أمسك، وإذا خرج قلت: هات؟ قال: هذا عمر بن الخطّاب، وليس من الباطل في شيء.

ومن طريق آخر عن الأسود قال: كنت أنشده ﷺ ولا أعرف أصحابه حتى
جاء رجل بعيد ما بين المناكب أصلع، فقيل: اسكت اسكت: قلت: واثكلاه، من هذا ٩٠/٨
الذي أسكت له عند النبيّ ﷺ؟ فقيل: عمر بن الخطّاب، فعرفت والله بعد أنّه كان يهون عليه لو سمعني أن لا يكلّمني حتى يأخذ برجلي فيسحبني إلى البقيع.

قال الأميني: هل علمت رواة السوء بالذي تلوكه بين أشداقها؟ أم درت فتعمّدت؟ أم أنّ حبّ عمر والمغالاة في فضائله أعمياهم عن تبعات هذا القول الشائن ﴿**فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور**﴾[2].

يقول القائل: إنّ ما أراد إنشاده محامد ومدح لله ولرسوله فيجيزه رسول الله ﷺ ويقول: إنّ ربّك عزّ وجلّ يحبّ الحمد. فأيّ باطل في هذا حتى يبغضه عمر؟ ولو كان باطلاً لمنعه رسول الله ﷺ قبل عمر، وأيّ نبيّ هذا يتّقي رجلاً من أُمّته ولا يتّقي الله؟ وكيف خشي الرجل أن يسحبه عمر برجله إلى البقيع ولم يخش رسول الله ﷺ أن يفعل به ذلك أو يأمر فيُفعل به؟ أو أنّ عمر ما كان يميّز بين الحقّ والباطل فيحسب أنّ كل ما ينشد من الباطل، فيجاريه النبيّ ﷺ على مزعمته؟ فهل علم الراوي أو المؤلّف بهذه المفاسد، أو لا؟

فإنّ كان لا يدري فتلك مصيبةٌ وإن كان يدري فالمصيبةُ أعظمُ

(١) قنى الأنف وأقنى: ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه. (المؤلّف)

(٢) الحج: ٤٦.

- ٧ -

الملائكة تُكلّم عمر بن الخطّاب

أخرج البخاري في كتاب المناقب[١] باب مناقب عمر عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ : لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمّتي منهم أحد فعمر.

وأخرج في الصحيح[٢] بعد حديث الغار عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ : إنّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمم محدّثون، إن كان في أُمّتي هذه منهم فإنّه عمر ابن الخطّاب. أسلفنا ألفاظ هذه الرواية في الجزء الخامس (٤٢ ـ ٤٦)، ومرّ هناك عن القسطلاني قوله: ليس قوله ـ فإن يكن ـ للترديد بل للتأكيد كقولك: إن يكن لي صديق ففلان؛ إذ المراد الاختصاص بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء. إلى آخره.

قال الأميني: أنا لست أدري ما الغاية في حديث الملائكة مع عمر؟ أهي محض
إيناسه باختلاف الملك إليه وتكليمه إيّاه؟ أم هي إقالة عثراته، وتسديد خطاه، وردّ ٨/٩١
أخطائه وتعليمه ما لم يعلم؟ حتى لا يكون خليفة المسلمين خلواً عن جواب مسألة، صفراً عن حلّ معضلة، ولا يفتي بخلاف الشريعة المطهّرة، ولا يرمي القول على عواهنه، إن كانت للمحادثة المزعومة غاية معقولة فهي هذه لا غيرها، إذاً فراجع الجزء السادس وتتبّع الخطى، وتروّ في الأخطاء، واسمع مالا يعني، وانظر إلى التافهات، وعندنا أضعاف ما هنالك لعلّ بعض الأجزاء الآتية يتكفّل بعضها إن شاء الله تعالى، فهل هذا الملَك طيلة صدور ما في نوادر الأثر في الجزء السادس منه كان في

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٣٤٩ ح٣٤٨٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٢٧٩ ح٣٢٨٢.

سنة عن أداء وظيفته؟ أو كان ما يصدر خافياً عليه؟ أو أنّ الاستبداد في الرأي كان يحول بينهما؟ أو أنّ الملك في حلّه وترحاله قد يتأخّر عن الأوبة إليه، فيقع ما يقع في غيبته، أو أنّ القصّة مفتعلة لا مقيل لها في مستوى الصحّة؟ وهذه أقوى الوجوه ولعلّه غير خاف على البخاري نفسه لكنّه ...

- ٨ -

قرطاس في كفن عمر

إنّ الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطّاب وهو مشغول، ثمّ انتبه لهما فقام فقبّلهما ووهب لكلّ واحد منهما ألفاً، فرجعا فأخبرا أباهما فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنّة في الجنّة. فرجعا إلى عمر فحدّثاه فاستدعى دواة وقرطاساً وكتب: حدّثني سيّدا شباب أهل الجنّة عن أبيهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال كذا وكذا، فأوصى أن يجعل في كفنه ففعل ذلك، فأصبحوا وإذا القرطاس على القبر وفيه: صدق الحسن والحسين وصدق رسول الله!

قال الأميني: بلغ هذه القصّة الخياليّة من الخرافة حدّاً ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات كما في تحذير الخواصّ للسيوطي[1] صفحة (٥٣) فقال: والعجب من هذا الذي بلغت به الوقاحة إلى أن يصنّف مثل هذا وما كفاه حتى عرضه على أكابر الفقهاء فكتبوا عليه تصويب هذا التصنيف. انتهى.

قاتل الله الغلوّ في الفضائل فإنّه شوّه سمعة أكابر الفقهاء، كما سوّد صحيفة التاريخ، وقبّح وجه التأليف.

---

(١) تحذير الخواص: ص٢٠٧.

- ٩ -

لسان عمر وقلبه

٩٢/٨ أخرج إمام الحنابلة أحمد في المسند[(١)] (٤٠١/٢) عن نوح بن ميمون، عن عبدالله ابن عمر العمري، عن جهم بن أبي الجهم، عن مسور بن المخرمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه.

قال الأميني: أمّا قلب الرجل فلا صلة لنا به لأنّ ما فيه من السرائر لا يعلمه إلّا الله، نعم ربّما ينمّ عنه ما جرى على لسانه، وإن شئت فسائل الإمام أحمد أكان الحقّ على لسان عمر لمّا جابه رسول الله ﷺ بقوله الفظّ حين أراد الكتف والدواة ليكتب للمسلمين كتاباً لا يضلّون بعده؟ فحال بينه وبين ما أراده من هداية الأُمّة. ومهما كانت الكلمة القارصة فإنّ رسول الله ﷺ منزّه عنها في كلّ حين فلا يغلبه الوجع، ولا يهجر من شدّة ما به، ولا سيّما وهو في صدد تبليغ ما به من الهداية والصون عن الضلال ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[(٢)]. وانتظر لهذه الجملة بحثاً ضافياً إن شاء الله تعالى.

أم كان الحقّ على لسانه في المئة مورد التي أخطأ فيها جمعاء؟ وقد فصّلناها تفصيلاً في نوادر الأثر من الجزء السادس، وقد اتّخذناها مقياساً لمعرفة حال هذه الرواية وأمثالها ممّا نسجته يد الغلوّ في الفضائل.

أضف إلى هذا ما في سنده من الضعف فإنّ فيه: نوح بن ميمون، قال ابن حبّان[(٣)]: ربّما أخطأ[(٤)].

---

(١) مسند أحمد: ١١٦/٣ ح ٨٩٦٠.

(٢) النجم: ٣ و ٤.

(٣) الثقات: ٢١١/٩.

(٤) تهذيب التهذيب: ٤٨٩/١٠ [٤٣٥/١٠]. (المؤلّف)

وفيه: عبد الله بن عمر العمري. قال أبو زُرعة عن أحمد إمام الحنابلة: إنّه كان يزيد في الأسانيد ويخالف. وقال عليّ بن المديني: ضعيف. وقال يحيى بن سعيد: لا يحدّث عنه. وقال يعقوب بن شيبة: في حديثه اضطراب. وقال صالح جزرة: ليّن مختلط الحديث. وقال النسائي[1]: ضعيف الحديث. وقال ابن سعد[2]: كثير الحديث يستضعف. وقال أبو حاتم[3]: يكتب حديثه ولا يحتجّ به. وقال ابن حبّان[4]: كان ممّن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن الضبط فاستحقّ الترك. وقال البخاري في التاريخ[5]: كان يحيى بن سعيد / يضعّفه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. ٩٣/٨
وقال المروزي: ذكره أحمد[6] فلم يرضه[7].

وفيه: جهم بن أبي الجهم، قال الذهبي في ميزان الاعتدال[8]: لا يعرف.

ـ ١٠ ـ

رؤيا رسول الله ﷺ في علم عمر

أخرج البخاري في صحيحه[9] (٣٥٥/٥) في مناقب عمر، عن عبدالله بن عمر، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: بينا أنا نائم شربت ـ يعني اللبن ـ حتى أنظر إلى الريّ يجري في ظفري أو في أظفاري، ثمّ ناولت عمر. فقالوا: فما أوّلته؟ قال: العلم.

---

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٤٦ رقم٣٤١.

(٢) الطبقات الكبرى ـ القسم المتمّم ـ: ص٣٦٧ رقم٢٨٨.

(٣) الجرح والتعديل: ١٠٩/٥ رقم٤٩٩.

(٤) كتاب المجروحين: ٦/٢.

(٥) التاريخ الكبير: مج١٤٥/٥ رقم٤٤١.

(٦) العلل ومعرفة الرجال: ٦٠٥/٢ رقم٣٨٧٧.

(٧) تهذيب التهذيب: ٣٢٧/٥ [٢٨٧/٥]. **(المؤلّف)**

(٨) ميزان الاعتدال: ٤٢٦/١ رقم١٥٨٣.

(٩) صحيح البخاري: ١٣٤٦/٣ ح٣٤٧٨.

وأخرجه[1] الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول (ص١١٩)، والبغوي في المصابيح (٢٧٠/٢)، وابن عبد البرّ في الاستيعاب (٤٢٩/٢)، والمحبّ الطبري في الرياض (٨/٢). وفي لفظهم:

بينا أنا نائم أُتيتُ بقدح لبن فشربت حتى رأيت الريّ يخرج من أظفاري ثمّ أعطيت فضلي عمر. الحديث.

قال الحافظ ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي في بهجة النفوس (٢٤٤/٤) عند شرحه الحديث: فانظر بنظرك إلى الذي شرب فضله ﷺ كيف كان قوّة علمه الذي لم يقدر أحد من الخلفاء يماثله فيه؟ فكيف بغيرهم من الصحابة ؟ وكيف ممّن بعد الصحابة؟ إلى آخر ما جاء به من التافهات.

قال الأميني: إنّ طبع الحال يستدعي أن تكون هذه الرؤيا بعد إسلام عمر وبعد مضيّ سنين من البعثة، وهل كان ﷺ طيلة هذه المدّة خلواً من العلم؟ وهو في دور الرسالة، أو كان في علمه إعواز أكمله هذا اللبن الساري ريّه في ظفره أو أظفاره؟ أو كان فيها إعلام بمبلغ علم عمر فحسب، وكناية عن أنّه من مستقى الوحي؟ فهل تخفى على من هو هذا شأنه جليّة المسائل فضلاً عن معضلاتها؟ وهل يسعه أن يعتذر في الجهل بكتاب الله بقوله: ألهاني عنه الصفق بالأسواق؟

وهلّا تأثّرت نفس الرجل بالعلم لمّا شرب من منهل علم النبيّ العظيم؟ فما معنى قوله: كلّ الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال؟ وأمثاله[2]، وما الوجه في أخطائه / التي لا تحصى في الفتيا وغيرها؟ ممّا سبق ويأتي إن شاء الله تعالى. ٩٤/٨

ولقد تلطّف المولى سبحانه على الأُمّة المرحومة أنّه ولي أمرها بعد شرب تلك

---

(١) نوادر الأُصول: ٢٦٠/١ الأصل٧٧، مصابيح السنّة: ١٥٥/٤ ح٤٧٢٨، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٤٨ رقم١٨٧٨، الرياض النضرة: ٢٧٤/٢.

(٢) راجع ما مرّ في الجزء السادس: ص٣٢٨. (المؤلّف)

الكأس. وأنا لا أدري لو كان وليه قبل ذلك ماذا كان يصدر من ولائد الجهل؟ وأيّ حدّ كانت تبلغ نوادر الأثر في علمه؟

وليت مصطنع هذه المهزأة اصطنعها على وجه ينطبق حكمها على رسول الله ﷺ وعلى الخليفة، لكنّه لا ينطبق على أيّ منهما كما بيّناه، غير أنّ وظيفة المائن أن يأتي بأساطيره على كلّ حال، وإنّما العتب على البخاري الذي يعتبرها ويدرجها في الصحيح غلوّاً منه في الفضائل، وأشدّ منه وأعظم على أمثال ابن أبي جمرة الأزدي من الذين يموّهون الحقائق بزخرف القول على أغرار الأُمّة، ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم.

ـ ١١ ـ

عمر وفَرَق الشيطان منه

أخرج البخاري في صحيحه[1] في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٨٩/٥)، وفي كتاب المناقب باب مناقب عمر (٢٥٦/٥) عن سعد بن أبي وقّاص قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يُكلّمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهنّ، فلمّا استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنّك يا رسول الله، قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي فلمّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحقّ أن يهبنَ، ثمّ قال ـ عمر ـ: أي عدوّات أنفسهنّ، أتهبنَني ولا تهبْنَ رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظّ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلّا سلك فجّاً غير فجّك.

قال الأميني: ما أوقح هذا الراوي الذي ساق هذا الحديث في عداد الفضائل وهو بعدّه عند سياق السفاسف أولى، حسب أوّلاً أنّ النساء لم يكنّ يهبنَ رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري: ١١٩٩/٣ ح ٣١٢٠، ص١٣٤٧ ح ٣٤٨٠.

وهبن عمر ، فعلى هذا نسائله : أكنّ هذه النسوة نساءَه ﷺ ؟ كما ذكره شرّاح الحديث[1] ستراً لعوار الرواية ، أم كنّ أجنبيّات عنه ﷺ ؟ وعلى الأوّل فلا وجه لهيبتهنّ إيّاه على الإسفار أو الإكثار أمامه ، فإنّ للحلائل مع أزواجهنّ شؤوناً خاصّة ، ٩٥/٨
فتسترهنّ عن عمر لكونه أجنبيّاً عنهنّ لا هيبةً له .

وعلى الثاني وهو الذي يعطيه سياق الحديث كقوله : وعنده نساء من قريش . وقوله ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي . إلى آخره . وقول عمر : فأنت يا رسول الله كنت . إلى آخره . وقوله : يا عدوّات أنفسهن إلى آخره . فكلّ هذه لا يلتئم مع كونهنّ نساءَه لتنكير النساء في الأوّل ، وظهور قوله : كنّ عندي في أنّ حضورهنّ لديه من ولائد الاتفاق لا أنّهنّ نساؤه الكائنات معه أطراف الليل وآناء النهار ، وقلنا أيضاً : إنّه لا وجه للهيبة مع كونهنّ أزواجه ، ولا هنّ على ذلك عدوّات أنفسهنّ ، فإنّ إبداء الزينة والجمال للزوجة عبادة لا معصية ، فجلوسهنّ وهنّ أجنبيّات عند رسول الله ﷺ سافرات على هذا الوجه إمّا لأنّه ﷺ لم يحرّم السفور ، وإمّا لأنّه حرّمه ونسيه ، أو أنّه ﷺ تسامح في النهي عنه ، أو أنّه هابهنّ وإن لم يهبن ، وكان مع ذلك يروقه أن ينتهين عمّا هنّ عليه ، ولذلك استبشر لمّا بادرن الحجاب وأثنى على عمر ، ولازم هذا أن يكون عمر أفقه من رسول الله ﷺ ، أو أثبت منه على المبدأ ، أو أخشن منه في ذات الله ، أو أقوى منه نفساً . أعوذ بالله من التقوّل بلا تعقّل .

وأمّا ما عُزي إليه ﷺ ثانياً من قوله : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلّا سلك فجّاً غير فجّك ، فما بال الشيطان يهاب الخليفة فيسلك فجّاً غير فجّه ولا تروعه عظمة النبيّ ﷺ ولا قوّة إيمانه ؟ فيسلك في فجّه فلا يدعه أن ينهى عن المنكر ، ويحدو بصواحب المنكر إلى أن يتظاهرن به أمامه . بل الشيطان لعنه الله يعرض له ﷺ ليقطع عليه صلاته وإن رجع عنه خائباً ، كما أخرجه البخاري في

(١) راجع إرشاد الساري : ٥/ ٢٩٠ [١٩٨/٨ ح ٣٦٨٣] . (المؤلّف)

صحيحه[١] (١٤٣/١) في كتاب الصلاة باب ما لا يجوز من العمل في الصلاة. ومسلم في صحيحه[٢] (٢٠٤/١) باب جواز لعن الشيطان في الصلاة، أخرجا بالإسناد عن أبي هريرة قال: صلّى رسول الله صلاة فقال: إنّ الشيطان عرض لي فشدّ عليّ ليقطع الصلاة عليّ، فأمكنني الله منه فذعتُّه[٣]. الحديث.

هب أنّ اللعين في هذه المرّة لم يصب من رسول الله ﷺ لكنّه تجرّأ على مقامه الأسمى، وقد جاء في الصحيحين[٤] عن أبي هريرة: أنّ الشيطان إذا سمع الأذان للصلاة ٩٦/٨
من أي مسلم كان أدبر هارباً وولّى فرقاً، وله ضراط هلعٍ جزع.

كيف يجرؤ اللعين على رسول الله حتى في حال صلاته؟ ولم يتجرّأ قطّ على عمر لأنّه يسلك فجّاً غير فجّه. وجاء فيما أخرجه[٥] أحمد والترمذي وابن حبّان عن بريدة: أنّ الشيطان لَيفرَقُ منك يا عمر[٦]، وفيما أخرجه الطبراني[٧] وابن منده وأبو نُعَيم، عن سديسة مولاة حفصة، عن حفصة بنت عمر مرفوعاً: إنّ الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلّا خرّ لوجهه[٨].

إنّي وإن لا يروقني خدش العواطف بذكر مواقف الرجل التي لم يكن العامل الوحيد فيها إلّا الشيطان، غير أنّي لست أدري هل الشيطان كان يفرق ويفرّ منه،

---

(١) صحيح البخاري: ٤٠٥/١ ح١١٥٢.

(٢) صحيح مسلم: ٢٣/٢ ح٣٩ كتاب الصلاة.

(٣) فذعتّه: فخنقته. والذعت والدعت بالمهملة والمعجمة: الدفع العنيف. (المؤلّف)

(٤) صحيح البخاري: ٧٨/١ كتاب الأذان: [٢٢٠/١ ح٥٨٣]. صحيح مسلم: ١٥٣/١ [٣٦٩/١ ح١٦]، باب فضل الأذان. (المؤلّف)

(٥) مسند أحمد: ٤٨٥/٦ ح٢٢٤٨٠، سنن الترمذي: ٥٨٠/٥ ح٣٦٩٠، الإحسان في صحيح ابن حبان: ٣١٥/١٥ ح٦٨٩٢.

(٦) فيض القدير: ٣٥٩/٢ [ح٢٠٣٧]. (المؤلّف)

(٧) المعجم الكبير: ٣٠٥/٢٤ ح٧٧٤.

(٨) الإصابة: ٣٢٦/٤ [رقم٥٣٣]، فيض القدير: ٣٥٢/٢ [ح٢٠٢٦]. (المؤلّف)

ويخرّ على وجهه، ويسلك فجّاً غير فجّه أيضاً منذ أسلم إلى سنة الفتح الثامنة من الهجرة النبويّة؟ إلى نزول آية ﴿ **فَهَلْ أَنتُمْ منتَهُون** ﴾؟ إلى يوم قول الرجل: انتهينا انتهينا؟ إلى يوم النادي في دار أبي طلحة الأنصاري[1]؟ فعلى الباحث الوقوف على ما أسلفناه في الجزء السادس (ص٢٥١ ـ ٢٦١) وفي الجزء السابع (ص٩٥ ـ ١٠٢).

ثمّ أين كانت تلك البسالة من رسول الله ـ الحاجزة بين الشيطان الرجيم وبين صلاته ﷺ لمّا عرض له وشدّ عليه ـ يوم كانت عنده نساء قريش فتخنقه وتردع النسوة؟

فبهذه كلّها تعلم مقدار هذه الرواية ومقيلها من الصدق، ومبلغ صحيح البخاري من الاعتبار، وتعرف ما يفعله الغلوّ في الفضائل والحبّ المعمي والمصمّ.

أضف إلى هذه المخاريق ما أسلفناه في الجزء الخامس في سلسلة الموضوعات ممّا وضعته يد الغلوّ في فضائل عمر.

﴿ **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيكَ مِن أنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَد آتَينَاكَ مِن لَدُنَّا ذِكراً * مَنْ أعرَضَ عَنهُ فَإنَّهُ يَحمِلُ يَومَ القِيَامَةِ وِزْرَا** ﴾[2].

---

(١) هو زيد بن سهل الأنصاري، فتح نادياً لشرب الخمر في داره، وكان يحضره جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب.

(٢) سورة طه: ٩٩، ١٠٠.

الغلوّ في فضائل عثمان

ابن عفان بن أبي العاص بن أُميّة الخليفة الأموي

قبل الشروع في سرد الفضائل نوقفك على موادّ تعرّفك مبلغ الخليفة من العلم، ٩٧/٨
ومقداره من النفسيّات الفاضلة، وموقفه من التقوى، ومبوّأه من الإيمان، حتى يكون نظرك في فضائله نظر عارف به وبها.

- ١ -

قضاؤه في امرأة ولدت لستّة أشهر

أخرج الحفّاظ عن بعجة بن عبدالله الجهني قال: تزوج رجل منّا امرأة من جهينة فولدت له تماماً لستّة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان، فأمر بها أن ترجم، فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فأتاه فقال: «ما تصنع؟ ليس ذلك عليها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً**﴾[1]. وقال: ﴿**وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ**﴾[2] فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً. والحمل ستّة أشهر». فقال عثمان: والله ما فطنت لهذا. فأمر بها عثمان أن تردّ فوجدت قد رجمت، وكان من قولها لأختها: يا أُخيّة لا تحزني فوالله ما كشف فَرجي أحد قطّ غيره، قال: فشبّ الغلام بعد فاعترف

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

الرجل به وكان أشبه الناس به، وقال: فرأيت الرجل بعد يتساقط عضواً عضواً على فراشه.

أخرجه[1]: مالك، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وأبو عمر، وابن كثير، وابن الديبع، والعيني، والسيوطي كما مرّ في الجزء السادس صفحة(٩٤).

قال الأميني: إن تعجب فعجب أنّ إمام المسلمين لا يفطن لما في كتاب الله العزيز ممّا تكثر حاجته إليه في شتّى الأحوال، ثمّ يكون من جرّاء هذا الجهل أن تودى بريئة مؤمنة، وتتّهم بالفاحشة، ويهتك ناموسها بين الملأ الديني وعلى رؤوس الأشهاد.

٩٨/٨ وهلّا كان حين عزب عنه فقه المسألة قد استشار أحداً من الصحابة يعلم ما جهله فلا يبوء بإثم القتل والفضيحة؟ وهلّا تذكّر لدة هذه القضيّة وقد وقعت غير مرّة على عهد عمر؟ حين أراد أن يرجم نساء ولدن ستّة أشهر فحال دونها أمير المؤمنين وابن عبّاس كما مرّت في الجزء السادس (ص٩٣ ـ ٩٥).

ثمّ هب أنّه ذهل عن الآيتين الكريمتين، ونسي ما سبق في العهد العمري، فماذا كان مدرك حكمه برجم تلك المسكينة؟ أهو الكتاب؟ فأنّى هو؟ أو السنّة؟ فمن ذا الذي رواها؟ أو الرأي والقياس؟ فأين مدرك الرأي؟ وما ترتيب القياس؟ وإن كانت فتوى مجرّدة؟ فحيّا الله المفتي، وزه بالفتيا، ومرحباً بالخلافة والخليفة، نعم؛ لا يُربّي بيت أُميّة أربى من هذا البشر، ولا يجتنى من تلك الشجرة أشهى من هذا الثمر.

---

(١) موطّأ مالك: ٨٢٥/٢ ح ١١، السنن الكبرى للبيهقي: ٤٤٢/٧، تفسير ابن كثير: ١٥٨/٤، تيسير الوصول: ١١/٢، عمدة القاري: ١٨/٢١، الدرّ المنثور: ٤٤١/٧.

- ٢ -

إتمام عثمان الصلاة في السفر

أخرج الشيخان وغيرهما بالإسناد عن عبدالله بن عمر قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته ﷺ، ثمّ إنّ عثمان صلّى بعد أربعاً، فكان ابن عمر إذا صلّى مع الإمام صلّى أربعاً، وإذا صلّى وحده صلّى ركعتين[1].

وفي لفظ ابن حزم في المحلّى (٤/٢٧٠): إنّ ابن عمر كان إذا صلّى مع الإمام بمنى أربع ركعات انصرف إلى منزله فصلّى فيه ركعتين أعادها.

وأخرج مالك في الموطّأ[2] (١/٢٨٢) عن عروة: أنّ رسول الله ﷺ صلّى الرباعية بمنى ركعتين، وأنّ أبابكر صلّاها بمنى ركعتين، وأنّ عمر بن الخطاب صلّاها بمنى ركعتين، وأنّ عثمان صلّاها بمنى ركعتين شطر إمارته ثمّ أتمّها بعد.

وأخرج النسائي في سننه[3] (٣/١٢٠) عن أنس بن مالك أنّه قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى ومع أبي بكر وعمر ركعتين ومع عثمان ركعتين صدراً من إمارته.

وبإسناده عن عبدالرحمن بن يزيد قال: صلّى عثمان بمنى أربعاً حتى بلغ ذلك عبدالله فقال: لقد صلّيت مع رسول الله ﷺ ركعتين. الحديث. ٩٩/٨

ورواه إمام الحنابلة أحمد في المسند[4] (١/٣٧٨)، وأخرج حديث أنس المذكور

---

(١) صحيح البخاري: ٢/١٥٤ [٢/٥٩٦ ح١٥٧٢]، صحيح مسلم: ٢/٢٦٠ [٢/١٤٢ ح١٧ كتاب صلاة المسافرين]، مسند أحمد: ٢/١٤٨ [٢/٣١٩ ح٦٣١٦]، سنن البيهقي: ٣/١٢٦. (المؤلّف)

(٢) موطّأ مالك: ١/٤٠٢ ح٢٠١.

(٣) السنن الكبرى: ١/٥٨٦ ح١٠٩٥ و ١٩٠٧.

(٤) مسند أحمد: ١/٦٢٥ ح٣٥٨٢، ٣/٦١١ ح١٢٠٦٩.

في مسنده (١٤٥/٣) ولفظه: صلّى رسول الله ﷺ الصلاة بمنى ركعتين وصلّاها أبو بكر بمنى ركعتين، وصلّاها عمر بمنى ركعتين، وصلّاها عثمان بن عفان بمنى ركعتين أربع سنين ثمّ أتمّها بعدُ.

وأخرج الشيخان وغيرهما بالإسناد عن عبدالرحمن بن يزيد قال: صلّى بنا عثمان بن عفان ﷺ بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبدالله بن مسعود، فاسترجع ثمّ قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصلّيت مع أبي بكر ﷺ بمنى ركعتين، وصلّيت مع عمر بن الخطّاب ﷺ بمنى ركعتين، فليت حظّي من أربع ركعات ركعتان متقبّلتان(١).

وأخرج أبو داود وغيره عن عبدالرحمن بن يزيد قال: صلّى عثمان ﷺ بمنى أربعاً، فقال عبدالله: صلّيت مع رسول الله ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ومع عثمان صدراً من إمارته ثمّ أتمّها، ثمّ تفرّقت بكم الطرق فلوددت أنّ لي من أربع ركعات ركعتين متقبّلتين. قال الأعمش: فحدّثني معاوية بن قرّة عن أشياخه: أنّ عبدالله صلّى أربعاً فقيل له: عبت على عثمان ثمّ صلّيت أربعاً؟ قال: الخلاف شرّ(٢).

وأخرج البيهقي في السنن الكبير (١٤٤/٣) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنّا مع عبدالله بن مسعود بجمع، فلمّا دخل مسجد منى فقال: كم صلّى أمير المؤمنين؟ قالوا: أربعاً، فصلّى أربعاً قال: فقلنا: ألم تحدّثنا أنّ النبيّ ﷺ صلّى ركعتين، وأبا بكر صلّى ركعتين؟ فقال: بلى وأنا أحدّثكموه الآن، ولكن عثمان كان إماما فما أخالفه والخلاف شرّ.

---

(١) صحيح البخاري: ١٥٤/٢ [٣٦٨/١ ح ١٠٣٤]، صحيح مسلم: ٢٦١/١ [١٤٣/٢ ح ١٩ كتاب صلاة المسافرين]، مسند أحمد: ٤٢٥/١ [٧٠٠/١ ح ٤٠٢٤]. (المؤلّف)

(٢) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ [١٩٩/٢ ح ١٩٦٠]، الآثار للقاضي أبي يوسف: ص ٣٠، كتاب الأمّ للشافعي: ١٥٩/١ و ١٧٥/٧ [١٨٥/١ و ٢٤٨/٧]. (المؤلّف)

وأخرج البيهقي في السنن (١٤٤/٣) عن حميد، عن عثمان بن عفّان أنّه أتمّ الصلاة بمنى، ثمّ خطب الناس فقال: يا أيّها الناس إنّ السنّة سنّة رسول الله ﷺ وسنّة ١٠٠/٨
صاحبيه، ولكنّه حدث العام من الناس فخفت أن يستنّوا. وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمّال[1] (٢٣٩/٤).

وأخرج أبو داود وغيره عن الزهري: أنّ عثمان بن عفّان رضي الله عنه أتمّ الصلاة بمنى من أجل الأعراب لأنّهم كثروا عامئذٍ فصلّى بالناس أربعاً ليعلمهم أنّ الصلاة أربعاً[2].

وروى ابن حزم في المحلى (٢٧٠/٤) من طريق سفيان بن عيينه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتلّ عثمان وهو بمنى، فأتى عليّ فقيل له: صلّ بالناس فقال: إن شئتم صلّيت بكم صلاة رسول الله ﷺ. يعني ركعتين قالوا: لا، إلّا صلاة أمير المؤمنين ـ يعنون عثمان ـ أربعاً. فأبى.

وذكره ابن التركماني في ذيل سنن البيهقي (١٤٤/٣).

وأخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده[3] (٤٤/٢) عن عبدالله بن عمر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فكان يصلّي صلاة السفر ـ يعني ركعتين ـ ومع أبي بكر وعمر وعثمان ستّ سنين من إمرته ثمّ صلّى أربعاً.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى (١٥٣/٣) بالإسناد عن أبي نضرة: أنّ رجلاً سأل عمران بن حصين عن صلاة رسول الله ﷺ في السفر فقال: ائت مجلسنا. فقال: إنّ هذا قد سألني عن صلاة رسول الله ﷺ في السفر فاحفظوها عنّي:

---

(١) كنز العمّال: ٢٣٤/٨ ح ٢٢٧٠١.

(٢) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ [١٩٩/٢ ح ١٩٦٤]، سنن البيهقي: ١٤٤/٣، تيسير الوصول: ٢٨٦/٢ [٣٤٣/٢]، نيل الأوطار: ٢٦٠/٢ [٢٤١/٣]. (المؤلّف)

(٣) مسند أحمد: ١٣٧/٢ ح ٥٠٢١.

ما سافر رسول الله ﷺ سفراً إلّا صلّى ركعتين حتى يرجع ويقول: يا أهل مكة قوموا فصلّوا ركعتين فإنّا سفر، وغزا الطائف وحنين فصلّى ركعتين، وأتى الجعرانة فاعتمر منها، وحججت مع أبي بكر ﷺ واعتمرت فكان يصلّي ركعتين، ومع عمر بن الخطّاب ﷺ فكان يصلّي ركعتين، ومع عثمان فصلّى ركعتين صدراً من إمارته، ثمّ صلّى عثمان بمنى أربعاً. وفي لفظ الترمذي في الصحيح[١] (٧١/١): ومع عثمان ستّ سنين من خلافته أو ثماني سنين فصلّى ركعتين. فقال: حسن صحيح.

١٠١/٨ وفي الكنز[٢] (٢٤٠/٤) من طريق الدارقطني عن ابن جريج قال: سأل حميد الضمري ابن عبّاس فقال: إنّي أسافر؛ فأقصر الصلاة في السفر أم أتمّها؟ فقال ابن عبّاس: لست تقصرها ولكن تمامها وسنّة رسول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ آمناً لا يخاف إلّا الله فصلّى اثنتين حتى رجع، ثمّ خرج أبو بكر لا يخاف إلّا الله فصلّى ركعتين حتى رجع، ثمّ خرج عمر آمناً لا يخاف إلّا الله فصلّى اثنتين حتى رجع، ثمّ فعل ذلك عثمان ثلثي إمارته أو شطرها ثمّ صلّاها أربعاً، ثمّ أخذ بها بنو أُميّة. قال ابن جريج: فبلغني أنّه أوفى أربعاً بمنى فقط من أجل أنّ أعرابيّاً ناداه في مسجد الخيف بمنى: يا أمير المؤمنين ما زلت أُصلّيها ركعتين منذ رأيتك عام الأوّل صلّيتها ركعتين. فخشي عثمان أن يظنّ جهّال الناس الصلاة ركعتين وإنّما كان أوفاها بمنى.

وأخرج أحمد في المسند[٣] (٩٤/٤) من طريق عباد بن عبدالله قال: لمّا قدم علينا معاوية حاجّاً صلّى بنا الظهر ركعتين بمكة، ثمّ انصرف إلى دار الندوة فدخل عليه مروان وعمرو بن عثمان فقالا له: لقد عبت أمر ابن عمّك لأنّه كان قد أتمّ الصلاة. قال: وكان عثمان حيث أتمّ الصلاة إذا قدم مكّة صلّى بها الظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً، ثمّ إذا خرج إلى منى وعرفة قصّر الصلاة فإذا فرغ الحجّ وأقام

---

(١) سنن الترمذي: ٤٣٠/٢ ح ٥٤٥.

(٢) كنز العمّال: ٢٣٨/٨ ح ٢٢٧٢٠.

(٣) مسند أحمد: ٥٨/٥ ح ١٦٤١٥.

بمنى أتمّ الصلاة. وذكره ابن حجر في فتح الباري[١] (٤٥٧/٢)، والشوكاني في نيل الأوطار[٢] (٢٦٠/٢).

وروى الطبري في تاريخه[٣] وغيره: حجّ بالناس في سنة (٢٩) عثمان فضرب بمنى فسطاطاً فكان أوّل فسطاطٍ ضربه عثمان بمنى، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة، فذكر الواقدي بالإسناد عن ابن عبّاس قال: إنّ أوّل ما تكلّم الناس في عثمان ظاهراً أنّه صلّى بالناس بمنى في ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة أتمّها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبيّ ﷺ، وتكلّم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى جاءه عليّ فيمن جاءه فقال: والله ما حدث أمر ولا قَدُم عهد ولقد عهدت نبيّك ﷺ يصلّي ركعتين، ثمّ أبا بكر، ثم عمر، وأنت صدراً من ولايتك، فما أدري ما يرجع إليه؟ فقال: رأي رأيته.

وعن عبدالملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمّه قال: صلّى عثمان بالناس بمنى أربعاً فأتى آتٍ عبدالرحمن بن عوف فقال: هل لك في أخيك؟ قد صلّى بالناس أربعاً، فصلّى عبدالرحمن بأصحابه ركعتين، ثمّ خرج حتى دخل على عثمان فقال له: ألم تُصلّ / في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟ قال: بلى. ١٠٢/٨
قال: ألم تُصلّ مع أبي بكر ركعتين؟ قال: بلى. قال: أفلم تصلّ مع عمر ركعتين؟ قال: بلى. قال؟ ألم تُصلّ صدراً من خلافتك ركعتين؟ قال: بلى. قال: فاسمع منّي يا أبا محمد إنّي أُخبِرت أنّ بعض من حجّ من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين. وقد اتّخذت بمكّة أهلاً فرأيت أن أصلّي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس، وأُخرىٰ قد اتّخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال، فربّما اطلعته فأقمت فيه بعد الصدر.

(١) فتح الباري: ٥٧١/٢.
(٢) نيل الأوطار: ٢٤٠/٣ ـ ٢٤١.
(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٦٧/٤ حوادث سنة ٢٩هـ.

فقال عبدالرحمن بن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عذر، أمّا قولك: اتّخذت أهلاً، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وتقدم بها إذا شئت، إنّما تسكن بسكناك.

وأمّا قولك: ولي مال بالطائف. فإنّ بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف.

وأمّا قولك: يرجع من حجّ من أهل اليمن وغيرهم فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين وهو مقيم؛ فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذٍ الإسلام فيهم قليل، ثمّ أبو بكر مثل ذلك، ثمّ عمر، فضرب الإسلام بجرانه فصلّى بهم عمر حتى مات ركعتين. فقال عثمان: هذا رأي رأيته.

قال: فخرج عبدالرحمن فلقي ابن مسعود فقال: أبا محمد غيّر ما يُعلم؟ قال: لا. قال: فما أصنع؟ قال: اعمل أنت بما تعلم. فقال ابن مسعود: الخلاف شرّ، قد بلغني أنّه صلّى أربعاً فصلّيت بأصحابي أربعاً. فقال عبدالرحمن بن عوف: قد بلغني أنّه صلّى أربعاً فصلّيت بأصحابي ركعتين، وأمّا الآن فسوف يكون الذي تقول، يعني نصلّي معه أربعاً.

أنساب البلاذري (٣٩/٥)، تاريخ الطبري (٥٦/٥)، كامل ابن الأثير (٤٢/٣)، تاريخ ابن كثير (١٥٤/٧)، تاريخ ابن خلدون (٣٨٦/٢)[1].

نظرة في رأي الخليفة:

قال الأميني: أنت ترى أنّ ما ارتكبه الرجل مجرّد رأي غير مدعوم ببرهنة ولا معتضد بكتاب أو سنّة، ولم يكن عنده غير ما تترّس به من حججه الثلاث التي دحضها عبدالرحمن بن عوف بأوفى وجه حين أدلى بها، بعد أن أربكه النقد، وكان

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٦٨/٤ حوادث سنة ٢٩هـ، الكامل في التاريخ: ٢٤٤/٢ حوادث سنة ٢٩هـ، البداية والنهاية: ١٧٣/٧ حوادث سنة ٢٩هـ، تاريخ ابن خلدون: ٥٨٨/٢.

ذلك منه تشبّثاً كتشبّث الغريق، ومن أمعن النظر فيها لا يشكّ أنّها ممّا لا يفوه به ذو ١٠٣/٨
مرّة في الفقاهة فضلاً عن إمام المسلمين، ولو كان مجرّد أنّ زوجته مكّية من قواطع السفر فأيّ مهاجر من الصحابة ليس كمثله؟ فكان إذن من واجبهم الإتمام، لكنّ الشريعة فرضت التقصير على المسافر مطلقاً، والزوجة في قبضة الرجل تتبعه في ظعنه وإقامته، فلا تخرج زوجها عن حكم المسافر لمحض أنّه بمقربة من بيئتها الأصليّة التي هاجر عنها وهاجرت.

قال ابن حجر في فتح الباري[1] (٤٥٦/٢): أخرج أحمد والبيهقي من حديث عثمان وأنّه لمّا صلّى بمنى أربع ركعات أنكر الناس عليه فقال: إنّي تأهّلت بمكة لمّا قدمت وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تأهّل ببلدة فإنّه يصلّي صلاة مقيم. قال: هذا الحديث لا يصحّ منقطع، وفي رواته من لا يُحتجّ به، ويردّه أنّ النبيّ ﷺ كان يسافر بزوجاته وقصّر.

وقال ابن القيّم[2] في عدّ أعذار الخليفة: إنّه كان قد تأهّل بمنى، والمسافر إذا أقام في موضع وتزوّج فيه، أو كان له به زوجة أتمّ. ويُروى في ذلك حديث مرفوع عن النبيّ ﷺ، فروى عكرمة بن إبراهيم الأزدي عن أبي ذئاب عن أبيه قال: صلّى عثمان بأهل منى أربعاً وقال: يا أيّها الناس لمّا قدمت تأهّلت بها، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا تأهّل الرجل ببلدة فإنّه يصلّي بها صلاة مقيم. رواه الإمام أحمد ؓ في مسنده[3] (٦٢/١)، وعبدالله بن الزبير الحميدي في مسنده[4] أيضاً، وقد أعلّه البيهقي با نقطاعه، وتضعيفه عكرمة بن إبراهيم، قال أبو البركات ابن تيميّة:

---

(١) فتح الباري: ٢٧٠/٢.
(٢) زاد المعاد: ١٢٩/١ ـ ١٣٠.
(٣) مسند أحمد: ١٠٠/١ ح ٤٤٥.
(٤) مسند الحميدي: ٢١/١ ح ٣٦.

ويمكن المطالبة بسبب الضعف، فإنّ البخاري ذكره في تاريخه[١] ولم يطعن فيه، وعادته ذكر الجرح والمجروحين، وقد نصّ أحمد وابن عباس قبله: إنّ المسافر إذا تزوّج لزمه الإتمام، وهذا قول أبي حنيفة ﷺ، ومالك وأصحابهما، وهذا أحسن ما اعتذر به عن عثمان. انتهى.

قال الأميني: لو كان عثمان لهج بهذه المزعمة في وقته على رؤوس الأشهاد، وكان من المسلّم في الإسلام أنّ التزويج من قواطع السفر ـ وليس كذلك ـ لما بقيت كلمة مطويّة تحت أستار الخفاء حتى يكتشفها هذا الأثريّ المتمحّل، أو يختلقها له رماة القول على عواهنه.

١٠٤/٨ ثمّ لأيّ شيء كانت، والحالة هذه، نقود الصحابة الموجّهة إلى الرجل؟ أو لم يسمعوه لمّا رفع عقيرته بعذره الموجّه؟ أو سمعوه ولم يقيموا له وزناً؟ أو أنّ الخطاب من ولائد أُمّ الفرية بعد منصرم أيّامه؟

على أنّ النكاح لا يتمّ عند القوم إلّا بشاهدين عدلين، وورد عن ابن عبّاس: «لا نكاح إلّا بأربعة: وليّ، وشاهدين، وخاطب»[٢]، فأين كان أركان نكاح الخليفة يوم توجيه النقود إليه؟ حتى يدافعوا عنه تلك الجلبة واللغط.

ومتى تأهّل الرجل بهذه المرأة الموهومة قاطعة السفر له؟ وما المسوّغ له ذلك وقد دخل مكة محرماً؟ وكيف يشيع المنكر ويقول: تأهّلت بمكة مذ قدمت؟ ولم يكن متمتّعاً بالعمرة ـ لأنّه لم يكن يبيح ذلك أخذاً برأي من حرّمها كما يأتي تفصيله ـ حتى يقال: إنّه تأهّل بين الإحرامين بعد قضاء نسك العمرة، فهو كان لم يزل محرماً من مسجد الشجرة حتى أحلّ بعد تمام النسك بمنى، فيجب أن يكون إتمامه الصلاة إن

---

(١) التاريخ الكبير: ج٧/٥٠ رقم٢٢٧.

(٢) سنن البيهقي: ٧/١٢٤ ـ ١٢٧، ١٤٢. (المؤلّف)

صحّ الإتمام بالتأهّل، وأنّى؟ من حيث أحلّ وتأهّل، وقد صلّاها تامّة بمنى أيّام منى وبعرفات أيضاً محرماً مع الحاج، فهذه مشكلة أُخرىٰ قطّ لا تنحلّ لما صحّ من طريق عثمان نفسه عن رسول الله ﷺ من قوله: «لا يَنكِحُ المحرمُ ولا يُنكَحُ ولا يخطب»[1].

وعن مولانا أمير المؤمنين قال: «لا يجوز نكاح المحرم، إن نكح نزعنا منه امرأته»[2].

قال ابن حزم في المحلّى (١٩٧/٧): مسألة: لا يحلّ لرجل ولا لامرأة أن يتزوّج أو تتزوّج، ولا أن يزوّج الرجل غيره من وليّته، ولا أن يخطب خطبة نكاح مذ يحرمان إلى أن تطلع الشمس من يوم النحر، ويدخل وقت رمي جمرة العقبة، ويفسخ النكاح قبل الوقت المذكور، كان فيه دخول وطول مدّة وولادة أو لم يكن، فإذا دخل الوقت / المذكور حلّ لهما النكاح والإنكاح. ثمّ ذكر دليل الحكم فقال: ١٠٥/٨

فإن نكح المحرم أو المحرمة فسخ لقول رسول الله ﷺ: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ. وكذلك إن أنكح من لا نكاح لها إلّا بإنكاحه فهو نكاح مفسوخ لما ذكرنا، ولفساد الإنكاح الذي لا يصحّ النكاح إلّا به، ولا صحّة لما لا يصحّ، إلّا بما يصحّ، وأمّا الخطبة فإن خطب فهو عاصٍ ولا يفسد النكاح، لأنّ الخطبة لا متعلّق لها

---

(١) الموطّأ لمالك: ٣٢١/١، وفي طبعة ٢٥٤ [٣٤٨/١ ح ٧٠]، الأُم للشافعي: ١٦٠/٥ [١٧٨/٥]، مسند أحمد: ٥٧/١، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٣ [٩٢/١ ح ٤٠٣، ص ١٠٤ ح ٤٦٤، ص ١٠٥ ح ٤٦٨، ص ١١٠ ح ٤٩٤، ص ١١٧ ح ٥٣٥]، صحيح مسلم: ٩٣٥/١ [٢٠١/٣ ح ٤١ كتاب النكاح]، سنن الدارمي: ٣٨/٢ [١٤١/٢]، سنن أبي داود: ٢٩٠/١ [١٦٩/٢ ح ١٨٤١]، سنن ابن ماجه: ٦٠٦/١ [٦٣٢/١ ح ١٩٦٦]، سنن النسائي: ١٩٢/٥ [٣٧٦/٢ ح ٣٨٢٥]، سنن البيهقي: ٦٥/٥، ٦٦. **(المؤلّف)**

(٢) المحلّىٰ لابن حزم: ١٩٩/٧ [مسألة ٨٦٩]. **(المؤلّف)**

بالنكاح، وقد يخطب ولا يتمّ النكاح إذا ردّ الخاطب، وقد يتمّ النكاح بلا خطبة أصلاً، لكن بأن يقول لها: أنكحيني نفسك فتقول: نعم قد فعلت. ويقول هو: قد رضيت، ويأذن الوليّ في ذلك. ثمّ بسط القول في ردّ من زعم جواز نكاح المحرم بأحسن بيان. فراجع. وللإمام الشافعي في كتابه الأمّ[1] كلمة حول نكاح المحرم ضافية لدة هذه، راجع (١٦٠/٥).

وليتني أدري بأيّ كتاب أم بأيّة سنّة قال أبو حنيفة ومالك ونصّ أحمد ـ كما زعمه ابن القيّم[2] ـ: على أنّ المسافر إذا تزوّج ببلدة لزمه الإتمام بها؟ وسنّة رسول الله الثابتة عنه ﷺ خلافه؛ وكان المهاجرون كلّهم يقصّرون بمكّة، وهي قاعدة أزواجهم كما سمعت، وليس مستند القوم إلّا رواية عكرمة بن إبراهيم التي أعلّها البيهقي، وقد مرّ عن ابن حجر أنّها لا تصحّ. وقال يحيى[3] وأبو داود: عكرمة ليس بشيء. وقال النسائي[4]: ضعيف ليس بثقة. وقال العقيلي[5]: في حديثه اضطراب. وقال ابن حبّان[6]: كان ممّن يقلّب الأخبار، ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به. وقال يعقوب: منكر الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي، وذكره ابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء[7].

نعم راق أولئك الأئمّة التحفظ على كرامة الخليفة ولو بالإفتاء بغيرما أنزل الله، وكم له من نظير! ونوقفك في الأجزاء الآتية على شطر مهمّ من الفتاوى الشاذّة عن

---

(١) كتاب الأُم: ١٧٨/٥.

(٢) زاد المعاد: ١٣٠/١.

(٣) التاريخ: ١٧١/٤ رقم ٣٧٧٠.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٩٤ رقم ٥٠٦.

(٥) الضعفاء الكبير: ٣٧٧/٣ رقم ١٤١٤.

(٦) كتاب المجروحين: ١٨٨/٢.

(٧) لسان الميزان: ١٨٢/٤ [٢١٠/٤ رقم ٥٦٧٦]. (المؤلّف)

الكتاب والسنّة عند البحث عنها، والعجب كلّ العجب عدّ ابن القيّم هذا العذر المفتعل أحسن ما اعتذر به عن عثمان، وهو مكتنف بكلّ ما ذكرناه من النقود والعلل، هذا شأن أحسن ما اعتذر به، فما ظنّك بغيره؟!

١٠٦/٨ وأمّا وجود مال له بالطائف فالرجل مكّي قد هاجر عنها لا طائفيّ، وبينه وبين الطائف عدّة مراحل، هب أنّ له مالاً بمكة أو بنفس منى وعرفة اللتين أتمّ فيهما الصلاة، فإنّ مجرّد المال في مكان ليس يقطع السفر ما لم يجمع الرجل مكثاً، وقد قصّر أصحاب النبي ﷺ معه عام الفتح، وفي حجة أبي بكر ولعدد منهم بمكة دار أو أكثر وقرابات. كما رواه الشافعي، قال في كتاب الأم[1] (١٦٥/١): قد قصّر أصحاب رسول الله ﷺ معه عام الفتح، وفي حجّته، وفي حجّة أبي بكر، ولعدد منهم بمكّة دار أو أكثر وقرابات منهم: أبو بكر له بمكّة دار وقرابة، وعمر له بمكة دور كثيرة، وعثمان له بمكة دار وقرابة؛ فلم أعلم منهم أحداً أمره رسول الله ﷺ بالإتمام، ولا أتمّ ولا أتمّوا بعد رسول الله ﷺ في قدومهم مكة، بل حفظ عمّن حفظ عنه منهم القصر بها. وذكره البيهقي في السنن (١٥٣/٣).

وأمّا الخيفة ممّن حجّ من أهل اليمن وجفاة الناس الذين لم يتمرّنوا بالأحكام أن يقولوا: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمام المسلمين يصلّيها كذلك. فقد كانت أولى بالرعاية على العهد النبويّ والناس حديثو عهد بالإسلام، ولم تطرق جملة من الأحكام أسماعهم، وكذلك على العهدين قبله، لكنّ رسول الله ﷺ لم يرعها بعد بيان حكمي الحاضر والمسافر، وكذلك من اقتصّ أثره من بعده، ولقد صلّى ﷺ بمكة ركعتين أيّام إقامته بها ثمّ قال: أتمّوا الصلاة يا أهل مكة فإنّا سفر. أو قال: يا أهل البلد صلّوا أربعاً فإنّا سفر[2]. فأزال ﷺ ما حاذره الخليفة في تعليله المنحوت بعد

---

(١) كتاب الأُم: ١٨٧/١.

(٢) سنن البيهقي: ١٣٦/٣، ١٥٧، سنن أبي داود: ١٩١/١ [٩/٢ ح١٢٢٩]، أحكام القرآن للجصّاص: ٣١٠/٢. (المؤلّف)

الوقوع، فهلّا كان منه اقتصاص لأثر النبيّ ﷺ فيما لم يزل دائباً عليه في أسفاره؟ فهلّا اقتصّ أثره مع ذلك البيان الأوفى؟ ولم يكن على الأفواه أوكية[1]، ولا على الآذان صمم، وهل الواجب تعليم الجاهل؟ أو تغيير الحكم الثابت من جرّاء جهله؟

على أنّ الخليفة إن أراد أن ينقذ الهمج من الجهل بتشريع الصلاة أربعاً فقد ألقاهم في الجهل بحكم صلاة المسافر، فكان تعليمه العملي إغراء بالجهل، وواجب التعليم هو الاستمرار على ما ثبت في الشريعة مع البيان، كما فعله رسول الله ﷺ في
١٠٧/٨ مكة كما مرّ، / وكان عمر إذا قدم مكة صلّى لهم ركعتين ثمّ يقول: يا أهل مكة أتمّوا صلاتكم فإنّا قوم سفر، وروى البيهقي عن أبي بكر مثل ذلك. سنن البيهقي (١٢٦/٣، ١٥٧)، المحلّى لابن حزم (١٨/٥)، موطّأ مالك[2] (١٢٦/١).

هذه حجج الخليفة التي أدلى بها يوم ضايقه عبدالرحمن بن عوف لكنّها عادت عنده مدحورة، وقد أربكه عبدالرحمن بنقد ما جاء به فلم يبق عنده إلّا أن يقول: هذا رأي رأيته، كما أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمّا دخل عليه وخصمه بحجاجه فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد. إلخ. وعجز الرجل عن جوابه فقال: رأي رأيته.

هذا منقطع معاذير عثمان في تبرير أُحدوثته فلم يبق له بعد ارتحاضه إلّا قوله: رأي رأيته، لكنّ للرجل من بعده أنصاراً اصطنعوا له أعذاراً أُخرىٰ هي أوهن من بيت العنكبوت، ولم يهتد إليها نفس الخليفة حتى يُغبّر بها في وجه منتقديه، ولكن كم ترك الأوّل للآخر، منها:

١ ـ إنّ منى كانت قد بنيت وصارت قرية، كثر فيها المساكن في عهده ولم يكن ذلك في عهد رسول الله ﷺ، بل كانت فضاء ولهذا قيل له: يا رسول الله ألا تبني لك

---

(١) جمع وكاء وهو ما يشدّ به فم القربة.

(٢) موطّأ مالك: ٤٠٢/١ ح ٢٠٢.

بمنى بيتاً يظلّك من الحرّ؟ فقال: لا، منى مناخ من سبق، فتأوّل عثمان أنّ القصر إنّما في حال السفر[١].

أنا لا أدري ما صلة كثرة المساكن وصيرورة المحلّ قرية بحكم القصر والإتمام؟ وهل السفر يتحقّق بالمفاوز والفلوات دون القرى والمدن حتى إذا لم ينو فيها الإقامة؟ إنّ هذا لحكم عجاب، وهذه فتوى من لا يعرف مغزى الشريعة، ولا ملاك تحقق السفر والحضر المستتبعين للقصر والاتمام، على أنّ رسول الله ﷺ صلّى أيّام إقامته بمكة قصراً وكذلك في خيبر، وكانت مكة أُمّ القرى، وفي خيبر قلاع وحصون مشيّدة وقرى ورساتيق، وكذلك كان يفعل في أسفاره، وكان يمرّ بها على قرية ويهبط أُخرىٰ.

على أنّ صيرورة المحلّ قرية لم تكن مفاجأة منها وإنّما عادت كذلك بالتدريج، ففي أيّ حدّ منها كان يلزم الخليفة تغيير الحكم؟ وعلى أيّ حدّ غيّر؟ أنا لا أدري.

٢ ـ إنّه أقام بها ثلاثاً وقد قال النبيّ ﷺ: «يقيم المهاجر بعد قضاء نسكه
١٠٨/٨ بمكة / ثلاثاً» فسمّاه مقيماً والمقيم غير مسافر[٢]. وفي لفظ مسلم[٣]: «يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً». وفي لفظ البخاري: «للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدر بمكة». انتهى[٤].

إنّ ملاك قطع السفر ليس صدق لفظ الإقامة، فليست المسألة لغويّة وإنّما هي شرعيّة، وقد أناطت السنّة الشريفة الإتمام في السفر بإقامة محدودة ليس فيما دونها إلّا

(١) ذكره ابن القيّم في زاد المعاد [١٢٩/١] هامش شرح المواهب للزرقاني: ٢٤/٢ وفنّده بقول موجز. (المؤلّف)

(٢) هذا الوجه ذكره ابن القيّم في زاد المعاد [١٢٩/١] هامش شرح المواهب: ٢٤/٢ ونقده بكلام وجيز. (المؤلّف)

(٣) صحيح مسلم: ١٥٩/٣ ح ٤٤٤ كتاب الحج.

(٤) ألفاظ هذا الحديث مذكورة في تاريخ الخطيب: ٢٦٧/٦ ـ ٢٧٠ [رقم٣٢٩٩]. (المؤلّف)

التقصير في الصلاة، وليس لمكة حكم خاصّ يُعدل به عمّا سنّه رسول الله ﷺ، والمراد من الإقامة فيما تشبّث به ناحت المعذرة هو المكث للمهاجر بمكة لما لهم بها من سوابق وعلائق وقرابات، لا الإقامة الشرعيّة التي هي موضوع حكم الإتمام، وقد أقام رسول الله ﷺ بمكة عشراً كما في الصحيحين[(١)] أو أكثر منها كما في غيره[(٢)] ولم يزد على التقصير في الصلاة، فقصر المكث بمكة ثلاثاً على المهاجر دون غيره من الوافدين إلى مكة، وعلى مكة دون غيرها كما هو صريح تلكم الألفاظ المذكورة يُعرب عن إرادة المعنى المذكور، ولا يسع لفقيه أن يرى الإقامة ثلاثاً بمكة خاصّة من قواطع السفر للمهاجر فحسب، وقد أعرض عن استيطانها بالهجرة، ولم يتمّ رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بمكة وقد أقام بها أكثر من ثلاثة أيام بلغ عشراً أو لم يبلغ أو زاد عليها.

على أنّ الشافعي ومالكاً وأصحابهما وآخرين احتجّوا بالألفاظ المذكورة على استثناء مكث المهاجر بمكة ثلاثاً من الإقامة المكروهة لهم بها، قالوا: كره رسول الله للمهاجرين الإقامة بمكة التي كانت أوطانهم فأخرجوا عنها، ثمّ أباح لهم المقام بها ثلاثاً بعد تمام النسك. وقال ابن حزم: إنّ المسافر مباح له أن يقيم ثلاثاً وأكثر من ثلاث لا كراهية في شيء من ذلك، وأمّا المهاجر فمكروه له أن يقيم بمكة بعد انقضاء نسكه أكثر من ثلاث[(٣)]، فأين هذا الحكم الخاصّ بمكة للمهاجر فحسب من الأقامة القاطعة للسفر؟

١٠٩/٨ ثمّ لو كان هذا عذر الرجل لكان عليه أن يتمّ بمكة لا بمنى وعرفة وقد أتمّ بهما.

---

(١) صحيح البخاري: ١٥٣/٢ [٣٦٧/١ ح١٠٣١ و ١٥٦٤/٤ ح٤٠٤٦]، صحيح مسلم: ٢٦٠/١ [١٤١/٢ ح١٥]. (المؤلّف)

(٢) المحلّى لابن حزم: ٢٧/٥ [المسألة ٥١٥]. (المؤلّف)

(٣) المحلّى لابن حزم: ٢٤/٥. (المؤلّف)

٣ ـ إنّه كان قد عزم على الإقامة والاستيطان بمنى وإتّخاذها دار الخلافة، فلهذا أتمّ ثمّ بدا له أن يرجع إلى المدينة. انتهى.

كأنّ هذا المتأوّل استشفّ عالم الغيب من وراء ستر رقيق ولا يعلم الغيب إلّا الله، إنّ مثل هذه العزيمة وفسخها ممّا لا يُعلم إلّا من قبل صاحبها، أو من يخبره بها هو، وقد علمت أنّ الخليفة لمّا ضويق بالنقد لم يعدّ ذلك من معاذيره، وإلّا لكانت له فيه منتدح، وكان خيراً له من تحشيد التافهات، لكن كشف ذلك لصاحب المزعمة بعد لأي من عمر الدهر فحيّا الله الكشف والشهود.

وكان من المستصعب جدّا والبعيد غايته تغيير العاصمة الإسلاميّة والتعريجة على التعرّب بعد الهجرة من دون استشارة أحد من أكابر الصحابة، وإلغاء مقدّمات تستوعب برهة طويلة من الزمن كأبسط أمر ينعقد بمحض النيّة ويفسخ بمثلها.

وقال ابن حجر في الفتح[(١)] (٤٥٧/٢)، والشوكاني في نيل الأوطار[(٢)] (٢٦٠/٣): روى عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، عن عثمان: إنّما أتمّ الصلاة لأنّه نوى الإقامة بعد الحجّ وأُجيب بأنّه مرسل، وفيه أيضاً نظر لأنّ الإقامة بمكة على المهاجرين حرام، وقد صحّ عن عثمان أنّه كان لا يودّع البيت إلّا على ظهر راحلته، ويسرع الخروج خشية أن يرجع في هجرته، وثبت أنّه قال له المغيرة لمّا حاصروه: اركب رواحلك إلى مكّة. فقال: لن أُفارق دار هجرتي. انتهى.

ولابن القيّم في زاد المعاد[(٣)] (٢٥/٢) وجه آخر في دحض هذه الشبهة. فراجع.

٤ ـ إنّه كان إماماً للناس والإمام حيث نزل فهو عمله ومحلّ ولايته، فكأنّه وطنه.

---

(١) فتح الباري: ٥٧١/٢.

(٢) نيل الأوطار: ٢٤١/٣.

(٣) زاد المعاد: ١٢٩/١.

قال الأميني: إنّ ملاك حكم الشريعة هو المقرّر من قبل الدين لا الاعتبارات المنحوتة، والإمام والسوقة شرع سواء في شمول الأحكام، بل هو أولى بالاتّباع لنواميس الدين حتى يكون قدوة للناس وتكون به أُسوتهم، وهو وإن سرت ولايته وعمله مع مسير نفوذه في البلاد أو في العالم كلّه إلّا أنّ التكليف الشرعيّ غير منوط بهذا السير، بل هو مرتبط بتحقّق الموازين الشرعيّة، فإن أقام في محلّ جاءه حكم الإقامة، وإن لم ينوِ الإقامة فهو على حكم السفر، وكان رسول الله ﷺ إمام الخلائق
٨/١١٠ على الإطلاق، ومع ذلك كان يقصّر صلاته في أسفاره، ولا يعزى إليه أنّه ربّع بمكة أو في منى أو بعرفة أو بغيرها، وإنّما اتّبع ما استنّه للأمّة جمعاء وبهذا ردّه ابن القيّم في زاد المعاد، وابن حجر في فتح الباري[(١)] (٤٥٦/٢).

أضف إليه هتاف النبيّ الأعظم وأبي بكر وعمر بن الخطّاب بما مرّ (ص١٠٧) من قولهم: أتمّوا صلاتكم يا أهل مكة فإنّا قوم سفر. فإنّه يعرب عن أنّ حكم القصر والإتمام يعمّ الصادع الكريم ومن شغل منصّة الخلافة بعده.

على أنّه لو كان تربيع الرجل من هذه الناحية لوجب عليه أن يهتف بين الناس بأنّ ذلك لمقام الإمامة فحسب، وأمّا من ليس له ذلك المقام فحكمه التقصير، وإلّا لكان إغراءً بالجهل بعمله، وإبطالاً لصلاتهم بترك البيان، فإذ لم يهتف بذلك ولم يعلّل عمله به جواباً لمنتقديه علمنا أنّه لم يرد ذلك، وأنّ من تابعه من الصحابة لم يعلّلوا عمله بهذا التعليل، وإنّما تابعوه دفعاً لشرّ الخلاف كما مرّ في صفحة (٩٩، ١٠٢) وهذا ينبئ عن عدم صحّة عمله عندهم.

ويشبه هذا التشبّث في السقوط ما نحتوه لأمّ المؤمنين عائشة في تربيعها الصلاة في السفر بأنّها كانت أُمّ المؤمنين، فحيث نزلت فكان وطنها كما ذكره ابن القيّم في زاد

---

(١) فتح الباري: ٥٧٠/٢.

معاده[1] (٢٦/٢)، فإن كان لأمّ المؤمنين هذا الحكم الخاصّ، وجب أن تكون أُمومتها منتزعة من أُبوّة رسول الله ﷺ، وإنّ ثبوت الحكم في الأصل أولى من الفرع، لكن رسول الله كان يصلّي في أسفاره عامّة ركعتين، وليس من الهيّن تغيير حكم الله بأمثال هذه السفاسف، ولا من السهل نحت العذر لكلّ من يخالف حكماً من أحكام الدين لرأي ارتآه، أو غلط وقع فيه، أو لسياسة وقتيّة حدته إليه، ولا ينقضي عجبي من العلماء الذين راقتهم أمثال هذه التافهات فدوّنوها في الكتب، وتركوها أساطير من بعدهم يهزأ بها.

٥ ـ إنّ التقصير للمسافر رخصة لا عزيمة، ذكره جمع، وقال المحبّ الطبري في الرياض[2] (١٥١/٢): عذره في ذلك ظاهر، فإنّه ممّن لم يوجب القصر في السفر. وتبعه في ذلك شرّاح صحيح البخاري، وهذا مخالف لنصوص الشريعة، والمأثورات النبويّة، والسنّة الشريفة الثابتة عن النبيّ الأقدس، وكلمات الصحابة، وإليك نماذج منها:

١ ـ عن عمر: صلاة السفر ركعتان، والجمعة ركعتان، والعيد ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد. وفي لفظ: على لسان النبيّ ﷺ[3]. ١١١/٨

مسند أحمد (٣٧/١)، سنن ابن ماجه (٣٢٩/١)، سنن النسائي (١١٨/٣)، سنن البيهقي (١٩٩/٣)، أحكام القرآن للجصّاص (٣٠٨/٢، ٣٠٩)، المحلّى لابن حزم (٢٦٥/٤)، زاد المعاد هامش شرح المواهب (٢١/٢) فقال: ثابت عن عمر.

٢ ـ عن يعلى بن أُميّة قال: سألت عمر بن الخطّاب قلت ﴿**فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ**﴾[4] الآية. وقد أمن الناس؟ فقال: عجبت ممّا عجبت منه،

---

(١) زاد المعاد: ١٢٩/١.

(٢) الرياض النضرة: ٨٩/٣.

(٣) مسند أحمد: ٦٢/١ ح٢٥٩، سنن ابن ماجه: ٣٣٨/١ ح١٠٦٣، السنن الكبرى: ٥٨٤/١ ح١٨٩٨، أحكام القرآن: ٢٥٢/٢، زاد المعاد: ١٢٨/١.

(٤) النساء: ١٠١.

فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته[١].

صحيح مسلم (١/١٩١، ١٩٢)، سنن أبي داود (١/١٨٧)، سنن ابن ماجه (١/٣٢٩)، سنن النسائي (٣/١١٦)، سنن البيهقي (٣/١٣٤، ١٤١)، أحكام القرآن للجصاص (٢/٣٠٨)، المحلّى لابن حزم (٤/٢٦٧).

٣ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من هذه المدينة لم يزد على ركعتين حتى يرجع إليها. وفي لفظ: صحبت رسول الله فكان لا يزيد في السفر على الركعتين[٢]. الحديث.

مسند أحمد (٢/٤٥)، سنن ابن ماجه (١/٣٣٠)، سنن النسائي (٣/١٢٣)، أحكام القرآن للجصّاص (٢/٣١٠)، زاد المعاد هامش شرح المواهب للزرقاني (٢/٢٩) وصحّحه.

٤ ـ عن ابن عبّاس قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيّكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

وفي لفظ لمسلم: إنّ الله عزّ وجلّ فرض الصلاة على لسان نبيّكم ﷺ على المسافر ركعتين وعلى المقيم أربعاً[٣].

---

(١) صحيح مسلم: ٢/١٣٨ ح ٤ كتاب صلاة المسافرين، سنن أبي داود: ٢/٣ ح ١٣٩٩، سنن ابن ماجه: ١/٣٣٩ ح ١٠٦٥، السنن الكبرى: ١/٥٨٣ ح ١٨٩١، أحكام القرآن: ٢/٢٥٢.

(٢) مسند أحمد: ٢/١٣٧ ح ٥٠٢٢، سنن ابن ماجه: ١/٣٣٩ ح ١٠٦٧، السنن الكبرى: ١/٥٨٨ ح ١٩١٦، أحكام القرآن: ٢/٢٥٤، زاد المعاد: ١/١٢٩.

(٣) صحيح مسلم: ٢/١٣٨ ح ٥ و ٦ كتاب صلاة المسافرين، مسند أحمد: ١/٥٨٥ ح ٣٣٢٢، سنن ابن ماجه: ١/٣٣٩ ح ١٠٦٨، السنن الكبرى: ١/٥٨٥ ح ١٩٠٠، أحكام القرآن: ٢/٢٥١ و ٢٥٤، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٢٦، زاد المعاد: ١/١٢٨.

صحيح مسلم (٢٥٨/١)، مسند أحمد (٣٥٥/١)، سنن ابن ماجه (٣٣٠/١)، سنن النسائي (١١٩/٣)، سنن البيهقي (١٣٥/٣)، أحكام القرآن للجصّاص (٣٠٧/٢، ٣١٠)، المحلّى لابن حزم (٢٧١/٤) فقال: ورويناه أيضاً من طريق حذيفة، وجابر، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وابن عمر كلّهم عن رسول الله ﷺ بأسانيد في غاية الصحّة.

تفسير القرطبي (٣٥٢/٥)، تفسير ابن جزي (١٥٥/١)، زاد المعاد لابن القيّم هامش شرح الزرقاني (٢٢١/٢)، مجمع الزوائد (١٥٤/٢) من طريق أبي هريرة.

٥ ـ عن عائشة قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأُقرّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر. ١١٢/٨

وفي لفظ ابن حزم من طريق البخاري: فرضت الصلاة ركعتين، ثمّ هاجر رسول الله ﷺ ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الأولى.

وفي لفظ أحمد: كان أوّل ما افترض على رسول الله ﷺ الصلاة ركعتان ركعتان إلّا المغرب فإنّها كانت ثلاثة، ثمّ أتمّ الله الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً في الحضر، وأقرّ الصلاة على فرضها الأوّل في السفر.

راجع[1]: صحيح البخاري (١٥٩/١ و ١٠٥/٢ و ١٧٢/٥)، صحيح مسلم (٢٥٧/١)، موطّأ مالك (١٢٤/١)، سنن أبي داود (١٨٧/١)، كتاب الأم للشافعي (١٥٩/١) أحكام القرآن للجصّاص (٣١٠/٢)، سنن البيهقي (١٣٥/٣)، المحلّى (٢٦٥/٤)، زاد المعاد (٢١/٢)، تفسير القرطبي (٣٥٢/٥، ٣٥٨).

---

(١) مسند أحمد: ٣٨٧/٧ ح٢٥٨٠٦، صحيح البخاري: ١٣٧/١ ح٣٤٣، ص٣٦٩ ح١٠٤٠ و ١٤٣١/٣ ح٣٧٢٠، صحيح مسلم: ١٣٧/٢ ح١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، موطّأ مالك: ١٤٦/١ ح٨، سنن أبي داود: ٣/٢ ح١١٩٨، كتاب الأم: ١٨٠/١، أحكام القرآن: ٢٥٤/٢، زاد المعاد: ١٢٨/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٦/٥.

٦ ـ عن موسى بن مسلمة قال: قلت لابن عباس: كيف أُصلّي بمكة إذا لم أُصلّ في جماعة؟ قال: ركعتين؛ سنّة أبي القاسم ﷺ[1].

مسند أحمد (١/٢٩٠، ٣٣٧)، صحيح مسلم (١/٢٥٨)، سنن النسائي (٣/١١٩).

٧ ـ عن أبي حنظلة قال: سألت ابن عمر عن الصلاة في السفر فقال: ركعتان سنّة النبيّ ﷺ، وفي لفظ البيهقي: قصر الصلاة في السفر سنّة سنّها رسول الله ﷺ.

مسند أحمد[2] (٢/٥٧)، سنن البيهقي (٣/١٣٦).

٨ ـ عن عبدالله بن عمر قال: الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفر.

سنن البيهقي (٣/١٤٠)، المحلّى لابن حزم (٤/٢٧٠)، أحكام القرآن للجصّاص[3] (٢/٣١٠)، المعجم الكبير للطبراني كما في مجمع الزوائد (٢/١٥٤) وقال: رجاله رجال الصحيح.

٩ ـ عن ابن عبّاس قال: من صلّى في السفر أربعا كمن صلّى في الحضر ركعتين.

مسند أحمد[4] (١/٣٤٩)، المحلّى (٤/٢٧٠).

١٠ ـ عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسافراً صلّى ركعتين حتى يرجع. وفي لفظ: كان النبيّ ﷺ إذا خرج لم يزد على ركعتين حتى يرجع[5].

---

(١) مسند أحمد: ١/٤٧٧ ح٢٦٢٧، ص٥٥٤ ح٣١٠٩، صحيح مسلم: ٢/١٣٩ ح٧ كتاب صلاة المسافرين، السنن الكبرى: ١/٥٨٥ ح١٩٠١ و ١٩٠٢.

(٢) مسند أحمد: ٢/١٦٠ ح٥١٩١.

(٣) أحكام القرآن: ٢/٢٥٤، المعجم الأوسط: ٨/٤١٢ ح٧٨٤٢.

(٤) مسند أحمد: ١/٥٧٥ ح٣٢٥٨.

(٥) المصدر السابق: ص٤٦٩ ح٢٥٧٠، ص٥٨٧، ح٣٣٣٩، أحكام القرآن: ٢/٢٥٤.

مسند أحمد (٢٨٥/١، ٣٥٦)، أحكام القرآن للجصّاص (٣٠٩/٢). ١١٣/٨

١١ ـ عن عمران بن حصين قال: ما سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً قطّ إلّا صلّى ركعتين حتى يرجع، وحججت مع النبيّ ﷺ فكان يصلّي ركعتين حتى يرجع إلى المدينة، وأقام بمكة ثماني عشرة لا يصلّي إلّا ركعتين وقال لأهل مكة: صلّوا أربعاً فإنّا قوم سفر[1].

راجع سنن البيهقي (١٣٥/٣)، أحكام القرآن للجصّاص (٣١٠/٣).

وعن عمران في لفظ آخر: ما سافر رسول الله ﷺ إلّا صلّى ركعتين إلّا المغرب. أخرجه أبو داود وأحمد كما في مجمع الزوائد (١٥٥/٢).

١٢ ـ عن عمر بن الخطّاب عن النبيّ ﷺ قال: صلاة المسافر ركعتان حتى يؤوب إلى أهله أو يموت. أحكام القرآن للجصّاص[2] (٣١٠/٣).

١٣ ـ عن إبراهيم: إنّ عمر بن الخطّاب ﷺ صلّى الظهر بمكة ركعتين، فلمّا انصرف قال: يا أهل مكة إنّا قوم سفر، فمن كان منكم من أهل البلد فليكمل. فأكمل أهل البلد.

الآثار للقاضي أبي يوسف (ص ٣٠، ٧٥)، وراجع ما مرّ صفحة (١٠٧) من هذا الجزء.

١٤ ـ عن أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فكان يصلّي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة[3].

---

(١) أحكام القرآن: ٢٥٤/٢، سنن أبي داود: ٩/٢ ح ١٢٢٩، مسند أحمد: ٥٩٤/٥ ح ١٩٣٦٤.

(٢) أحكام القرآن: ٢٥٤/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٣٦٧/١ ح ١٠٣١، صحيح مسلم: ١٤١/٢ ح ١٥ كتاب صلاة المسافرين، مسند أحمد: ٤٠/٤ ح ١٢٦٥٣.

صحيح البخاري (١٥٣/٢)، صحيح مسلم (٣٦٠/١)، مسند أحمد (١٩٠/٣)، سنن البيهقي (١٣٦/٣، ١٤٥).

١٥ ـ عن عبدالله بن عمر قال: إنّ رسول الله ﷺ أتانا ونحن في ضلال فعلّمنا، فكان فيما علّمنا: أنّ الله عزّ وجلّ أمرنا أن نصلّي ركعتين في السفر[١].

أخرجه النسائي كما مرّ في تفسير الخازن (٤١٢/١)، ونيل الأوطار (٢٥٠/٣).

١٦ ـ عن أبي الكنود عبدالله الأزدي قال: سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال: ركعتان نزلتا من السماء، فان شئتم فردّوهما.

أخرجه الطبراني في الصغير[٢] كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي (١٥٤/٢) فقال: رجاله موثّقون.

١١٤/٨ ١٧ ـ عن السائب بن يزيد الكندي قال: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثمّ زيد في صلاة الحضر وأقرّت صلاة السفر.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥/٢): رواه الطبراني في الكبير[٣] ورجاله رجال الصحيح.

١٨ ـ عن ابن مسعود قال: من صلّى في السفر أربعاً أعاد الصلاة.

أخرجه الطبراني[٤] كما في مجمع الزوائد (١٥٥/٢).

١٩ ـ عن حفص بن عمر قال: انطلق بنا أنس بن مالك إلى الشام إلى عبدالملك

---

(١) تفسير الخازن: ٣٩٥/١، نيل الأوطار: ٢٣٢/٣.

(٢) المعجم الصغير: ٨٤/٢، وفيه: فردّوها.

(٣) المعجم الكبير: ١٥٥/٧ ح٦٦٧٦.

(٤) المصدر السابق: ٢٨٩/٩ ح٩٤٥٩.

ونحن أربعون رجلاً من الأنصار ليفرض لنا، فلمّا رجع وكنّا بفجّ الناقة صلّى بنا الظهر[١] ركعتين ثمّ دخل فسطاطه؛ وقام القوم يضيفون إلى ركعتيهم ركعتين أُخريين فقال: قبّح الله الوجوه، فوالله ما أصابت السنّة ولا قبلت الرخصة، فأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ قوماً[٢] يتعمّقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرميّة».

أخرجه أحمد في المسند[٣] (١٥٩/٣)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٥٥/٢).

٢٠ ـ عن سلمان قال: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فصلّاها رسول الله ﷺ بمكة حتى قدم المدينة وصلّاها بالمدينة ماشاء الله، وزيد في صلاة الحضر ركعتين وتركت الصلاة في السفر على حالها.

رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١٥٦/٢).

٢١ ـ عن ثمامة بن شراحيل قال: خرجت إلى ابن عمر فقلت: ما صلاة المسافر؟ قال: ركعتين ركعتين إلّا صلاة المغرب ثلاثاً. قلت: أرأيت إن كنّا بذي المجاز؟ قال: ما ذو المجاز؟ قلت: مكان نجتمع فيه ونبيع فيه ونمكث عشرين ليلة أو خمس عشرة ليلة. فقال: يا أيّها الرجل كنت بأذربيجان ـ لا أدري قال: أربعة أشهر أو شهرين ـ فرأيتهم يصلّونها ركعتين ركعتين، ورأيت نبيّ الله ﷺ بصر عيني يصلّيها ركعتين، ثمّ نزع إليّ بهذه الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٤].

أخرجه أحمد في المسند[٥] (١٥٤/٢).

---

(١) في مسند أحمد: صلّى بنا العصر.

(٢) في المسند: أقواماً.

(٣) مسند أحمد: ٦٣٣/٣ ح ١٢٢٠٤.

(٤) الأحزاب: ٢١.

(٥) مسند أحمد: ٣٣٠/٢ ح ٦٣٨٨.

٢٢ ـ أخرج أحمد في المسند[١] (٢/٤٠٠) من طريق أبي هريرة قال: أيّها الناس إنّ الله عزّ وجلّ فرض لكم على لسان نبيّكم ﷺ الصلاة في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين.

١١٥/٨ ٢٣ ـ عن عمر بن عبدالعزيز قال: الصلاة في السفر ركعتان حتمان لا يصحّ غيرهما. ذكره ابن حزم في المحلّى (٤/٢٧١).

وذهب عمر وابنه، وابن عبّاس، وجابر، وجبير بن مطعم، والحسن، والقاضي إسماعيل، وحمّاد بن أبي سليمان، وعمر بن عبدالعزيز، وقتادة والكوفيّون إلى أنّ القصر واجب في السفر. كما في تفسير القرطبي[٢] (٥/٣٥١)، وتفسير الخازن[٣] (١/٤١٣).

أترى مع هذه الأحاديث مجالاً للقول بأنّ القصر في السفر رخصة لا عزيمة؟ ولو كان يسوغ الإتمام في السفر لكان رسول الله ﷺ يُعرب عنه بقول أو بفعل، ولو بإتيانه في العمر مرّة لبيان جوازه كما كان يفعل في غير هذا المورد، أخرج مسلم في صحيحه[٤] من حديث بريدة قال: كان النبيّ ﷺ يتوضّأ عند كلّ صلاة، فلمّا كان يوم الفتح صلّى الصلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: إنّك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه. فقال: «عمداً صنعته يا عمر» قال الشوكاني في نيل الأوطار[٥] (١/٢٥٨) بعد ذكر الحديث: أي لبيان الجواز.

وأخرج أحمد[٦] وأبو يعلى[٧] عن عائشة قالت: إنّ رسول الله ﷺ بال فقام

(١) مسند أحمد: ٣/١١٥ ح٨٩٤٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٢٦.
(٣) تفسير الخازن: ١/٣٩٦.
(٤) صحيح مسلم: ١/١٢٢ [١/٢٩٤ ح٨٦ كتاب الطهارة]. (المؤلّف)
(٥) نيل الأوطار: ١/٢٤٨.
(٦) مسند أحمد: ٧/١٣٨ ح٢٤١٢٢.
(٧) مسند أبي يعلى: ٨/٢٦٢ ح٤٨٥٠.

عمر خلفه بكوز فقال: ما هذا يا عمر؟ فقال: ماء تتوضّأ به يا رسول الله. قال: «ما أُمرت كلّما بلت أن أتوضّأ ولو فعلت كانت سنّة». مجمع الزوائد (٢٤١/١). وكم للحديثين من نظير في أبواب الفقه!

ولو كان هناك ترخيص لما خفي على أكابر الصحابة حتى نقدوا عثمان نقداً مرّاً وفنّدوا معاذيره وفيهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبيّ، ومستقى أحكام الدين من بعده، يعرف رُخصها من عزائمها قبل كلّ الصحابة، فهل يعزب عنه حكم الصلاة وهو أوّل من صلّى من ذكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

حتى إنّ الخليفة نفسه لم يفُه بهذا العذر البارد، ولو كان يعرف شيئاً ممّا قالوه لما أرجأ بيانه إلى هؤلاء المدافعين عنه، ولما كان في منصرم معاذيره بعد أن أعوزته أنّه رأي رآه، ولما كان تابعه على ذلك من تابعه محتجّاً بدفع شرّ الخلاف فحسب من دون أيّ تنويه بمسألة الرخصة.

وأنت تعرف بعد هذه الأحاديث قيمة قول المحبّ الطبري في رياضه النضرة[1] (١٥١/٢): إنّها مسألة اجتهاديّة ولذلك اختلف فيها العلماء، فقوله ـ يعني عثمان ـ فيها لا يوجب تكفيراً ولا تفسيقاً. انتهى. ١١٦/٨

خفي على المغفّل أنّ الاجتهاد في تجاه النصّ لا مساغ له، وأنّ المسألة لم يكن فيها خلاف إلى يوم أُحدوثة عثمان بل كانت السنّة الثابتة عند جميع الصحابة بقول واحد وجوب القصر للمسافر، وما كان عمل الخليفة إلّا مجرّد رأي رآه خلاف سنّة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم ويعرب عن جليّة الحال صحيح أحمد الآتي في ترجمة مروان وفيه: إنّ معاوية لمّا قدم مكة صلّى الظهر قصراً فنهض إليه مروان وعمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمّك ما عبته به، فقال لهما: وما ذاك؟ فقالا له: ألم تعلم أنّه أتمّ الصلاة بمكة؟ قال لهما: ويحكما وهل كان غير ما صنعت؟ قد صلّيتها مع

---

(١) الرياض النضرة: ٨٩/٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي بكر وعمر. قالا: فإنّ ابن عمّك قد أتمّها وإنّ خلافك إيّاه له عيب، فخرج معاوية إلى العصر فصلّاها أربعاً. واختلاف العلماء بعدُ لا قيمة له قطّ ويضرب به عرض الجدار بعد ثبوت السنّة، وليس إلّا لتبرير ساحة الرجل، وأنّى؟ بل عمله يدنّس ذيل كلّ مبرّر، وأمّا عدم إيجاب القول بالإتمام للمسافر الكفر أو الفسق وإيجابه ذلك، فالمرجع فيه الحديث الثامن المذكور (ص١١٢) من صحيحة عبدالله بن عمر قال: الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفر.

الدين عند السلف سياسة وتقيّة:

تعطينا هذه الروايات الواردة في صلاة الخليفة درساً ضافياً صافقه الاستقراء لكثير من الموارد، أنّ كثيرين من الصحابة ما كان يحجزهم الدين عن مخالفة التعاليم المقرّرة وكانوا يقدّمون عليها سياسة الوقت، وإلّا فلا وجه لتربيعهم الصلاة وهم يرون أنّ المشروع خلافه لمحض أنّ الخلاف شرّ، وهم أو من ناضل عنهم وحكم بعدالتهم أجمع لا يرون جواز التقيّة، فعبدالله بن عمر يتّبع الخليفة في أحدوثته، وكان يتمّ إذا صلّى مع الإمام، وإذا صلّى وحده صلّى ركعتين، وفي لسانه قوله: الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفر[1]، وبمسمع منه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله لا يقبل عمل
١١٧/٨ امرئٍ حتى يتقنه». / قيل: وما إتقانه؟ قال: «يخلصه من الرياء والبدعة»[2]. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[3].

وهذا عبدالله بن مسعود يرى السنّة في السفر ركعتين، ويحدّث بها ثمّ يتمّ معتذراً بأنّ عثمان كان إماماً فما أُخالفه والخلاف شرّ. كما مرّ في (ص٩٩).

---

(١) راجع صفحة ١١٢ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٢) بهجة النفوس للحافظ ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي: ١٦٠/٤ [ح ٢٤١]. (المؤلّف)

(٣) المحلّى: ١٩٧/٧ [المسألة ٨٦٦]. (المؤلّف)

وهذا عبدالرحمن بن عوف لم يكن يرى للخليفة عذراً فيما أتى بـه مـن إتمـام الصلاة في السفر، ويقول له مجيباً عن أعذاره: ما من هذا شيء لك فيه عذر. ويسمع منه قوله: إنّه رأي رأيته. خلافاً للسنّة الثابتة، ومع ذلك كلّه يصلّي أربعاً بعدما سمع من ابن مسعود بأنّ الخلاف شرّ[1]. لماذا كانت مخالفة عثمان شرّاً، ولم تكن مخـالفته ومخالفتهم على ناموس الشريعة ونبيّها شرّاً؟ دعني واسأل الصحابة الأوّلين.

وهذا عليّ أمير المؤمنين المقتصّ الوحيد أثر النبيّ الأعظم يؤتى به للصلاة ـ كما مرّ في (ص ١٠٠) ـ فيقول: «إن شئتم صلّيت بكم صلاة رسول الله ﷺ ركعتين». فيقال له: لا إلّا صلاة أمير المؤمنين عثمان أربعاً. فيأبى ولا يبالون.

نعم، لم تكن الأحكام عند أُولئك الخلفاء الذين أدخلوا آراءهم الشاذّة في دين الله والذين اتّبعوهم إلّا سياسة وقتيّة يدور بها الأمر والنهي، ويتغيّر بتغيّرها الآراء حيناً بعد حين؛ فترى الأوّل منهم يقول على رؤوس الأشهاد: لئن أخذتمـوني بسنّة نبيّكم لا أطيقها. وقد جاء النبيّ الأعظم بسنّة سهلة سمحة. ويقول: إنّي أقول برأيي إن يك صواباً فمـن الله، وإن يك خطأً فمنّي ومـن الشـيطان. راجـع الجـزء السـابع (ص ١٠٤، ١١٨، ١١٩).

ويأتي بعده من يفتي بترك الصلاة للجنب الفاقد للماء ولا يبالي، وقد عـلّمه النبيّ الأعظم التيمّم فضلاً عمّا في الكتاب والسنّة. راجع (٦/٨٣).

وكان لم يقرأ بفاتحة الكتاب في الركـعة الأولى، ويكـرّرها في الثـانية تـارة، وأُخرى لم يقرأها في ركعاتها، ويقتصر على حسن الركوع والسجود، وطوراً يتركها ولم يقرأ شيئاً ثمّ يعيد. راجع (٦/١٠٨).

وكان ينهى عن التطوّع بالصلاة بعد العصر، ويضرب بالدرّة من تنفّل بهـا، ١١٨/٨

---

(١) راجع من هذا الجزء: ص ٩٩. (المؤلّف)

والناس تخبره بأنّه سنّة محمد ﷺ، وهو لا يصيخ إلى ذلك، كما مرّ في الجزء (١٨٤/٦).

وتراه يحكم في الجدّ بمئة قضيّة كلها ينقض بعضها بعضاً، كما مرّ حديثه في الجزء (١١٦/٦).

وثبت عنه قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما. كما فصّلناه في (٦/ ٢١٠).

وجاء عنه قوله: أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهنّ وأحرّمهنّ وأعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل. راجع الجزء (٢١٣/٦).

إلى قضايا أُخرىٰ لدة هذه أسلفناها في الجزء السادس في نوادر الأثر في علم عمر.

وهذا عثمان يخالف السنّة الثابتة في مثل الصلاة عماد الدين، ويعتذر بقوله: إنّه رأي رأيته.

ويحدث أذاناً بعد الأذان والإقامة، ويتّخذه الملأ الإسلامي سنّةً في الحواضر الإسلاميّة.

وينهى عليّاً أمير المؤمنين عن متعة الحج، وهو يسمع منه قوله: «لم أكن لأدع سنّة رسول الله لقول أحد من الناس».

ويأخذ الزكاة من الخيل، وقد عفى الله عنها بلسان نبيّه الأقدس.

ويقدّم الخطبة على الصلاة في العيدين خلاف السنّة المسلّمة.

ويترك القراءة في الأولين، ويقضيها في الأخريين.

ويرى في عدّة المختلعة ما يخالف السنّة المتسالم عليها؛ واتّخذ في الأموال

والصدقات سيرة دون ما قرّره الكتاب والسنّة، إلى كثير من الآراء الشاذّة عن مقرّرات الإسلام المقدّس، وسيوافيك تفصيلها.

وهذا معاوية، وما أدراك ما معاوية؟! يتّبع أثر النبيّ الأعظم في صلاة ظهره فيأتيه مروان وابن عثمان فيزحزحانه عن هديه، فيخالف السنّة الثابتة ـ باعتراف منه / ـ في صلاة عصره، إتّباعاً لسياسة الوقت، وإحياءً لبدعة ابن عمّه، وإماتة لشرعة ١١٩/٨
المصطفى، تزلّفاً إلى مثل مروان وابن عثمان.

وتراه يحكم بجواز الجمع بين الأختين المملوكتين، ويعترض عليه الناس فلا يبالي[(١)].

ويحلّل الربا؛ وفي كتاب الله العزيز: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[(٢)] فأخبره أبو الدرداء أنّ النبيّ ﷺ نهى عن بيع باعه، فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً، فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية، أخبره عن رسول الله، ويخبرني عن رأيه. لا أساكنك بأرض؛ فخرج من ولاية معاوية. اختلاف الحديث للشافعي[(٣)] هامش كتابه الأم (٢٣/٧).

وأخذ ألف دينار دية الذمّي، وجعل خمسمئة في بيت المال، وخمسمئة لأهل القتيل. بدعة مسلّمة خلاف سنّة الله[(٤)].

وأمر بالأذان في العيدين، ولا أذان فيهما، ولا أذان إلّا في المكتوبة. ذكره الشافعي في كتاب الأُم[(٥)] (٢٠٨/١).

---

(١) الدرّ المنثور: ١٣٧/٢ [٤٧٧/٢]. (المؤلّف)

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) اختلاف الحديث: ص ٤٨٠.

(٤) كتاب الديات لأبي عاصم الضحاك: ص ٥٠. (المؤلّف)

(٥) كتاب الأُم: ٢٣٥/١.

وأخذ من الأعطية زكاة، وهو أوّل من أحدثها، كما في كتاب الأُم[١] (١٤/٢).

وهو أوّل من نقص التكبير، كما أخرجه ابن أبي شيبة.

وأُتي إليه بلصوص، فقطع بعضهم، وعفى عن أحدهم لسماعه منه ومن أمّه كلاماً يروقه، كما ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية[٢] (ص٢١٩)، وابن كثير في تاريخه[٣] (١٣٦/٨).

وقدّم الخطبة على الصلاة في العيدين كما يأتي تفصيله والمسنون خلافه.

وسنّ لعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأمر به الخطباء وأئمّة الجمعة والجماعة في جميع الحواضر الإسلاميّة.

فكن على بصيرةٍ من أمرك ﴿ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٤]، ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ﴾[٥]، ﴿ سواءً محْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٦].

ـ ٣ ـ

إبطال الخليفة الحدود

١٢٠/٨ أخرج البلاذري في الأنساب (٣٣/٥) من طريق محمد بن سعد، بالإسناد عن أبي اسحاق الهمداني: أنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلّى بالناس الغداة ركعتين[٧]

(١) كتاب الأُم: ١٧/٢.

(٢) الأحكام السلطانيّة: ٢٢٨/١.

(٣) البداية والنهاية: ١٤٥/٨ حوادث سنة ٦٠هـ.

(٤) الجاثية: ١٨.

(٥) المائدة: ٤٩.

(٦) الجاثية: ٢١.

(٧) هكذا في الأنساب وصحيح مسلم [٥٣٩/٣ ح٣٨ كتاب الحدود] وأما بقيّة المصادر فكلّها مطبقة على أربع ركعات وستوافيك إن شاء الله تعالى. (المؤلّف)

ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فقالوا: لا قد قضينا صلاتنا، ثمّ دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكراً.

قال أبو إسحاق: وأخبرني مسروق أنّه حين صلّى لم يَرِمْ حتى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو حبيبة الغفاري، والصعب بن جثامة، فأخبروا عثمان خبره، فقال عبدالرحمن بن عوف: ماله؟ أجنّ؟ قالوا: لا، ولكنّه سكر. قال: فأوعدهم عثمان وتهدّدهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي[1] يشرب الخمر؟ قال. معاذ الله، ولكنّي أشهد أنّي رأيته سكران يقلسها من جوفه، وأنّي أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق: فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وأنّ عثمان زبرهم، فنادت عائشة: أنّ عثمان أبطل الحدود وتوعّد الشهود.

وقال الواقدي: وقد يقال: إنّ عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً، فأتوا عليّاً فشكوا ذلك إليه. فأتى عثمان فقال: «عطّلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فقلّبت الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أُميّة وآل أبي معيط خاصّة على رقاب الناس» قال: فما ترى؟ قال: «أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئاً من أُمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحدّ».

قال: ويقال: إنّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها، وقال: وما أنت وهذا؟ إنّما أُمِرتِ أن تقرّي في بيتك. فقال قوم مثل قوله: وقال آخرون: ومن أولى بذلك / منها، ١٢١/٨
فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبي ﷺ.

وأخرج من عدّة طرق: أنّ طلحة والزبير أتيا عثمان فقالا له: قد نهيناك عن

---

(١) كان الوليد أخاه لأمّه، أمّهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. (المؤلّف)

تولية الوليد شيئاً من أُمور المسلمين فأبيت وقد شُهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله، وقال له عليّ: «اعزله وحُدّه إذا شهد الشهود عليه في وجهه». فولّى عثمان سعيد بن العاص الكوفة وأمره بإشخاص الوليد، فلمّا قدم سعيد الكوفة غسل المنبر ودار الإمارة وأشخص الوليد، فلمّا شهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحدّه ألبسه جبّة حبر وأدخله بيتاً، فجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش ليضربه قال له الوليد: أنشدك الله أن تقطع رحمي وتغضب أمير المؤمنين عليك. فيكفّ. فلمّا رأى ذلك عليّ ابن أبي طالب أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد مثل تلك المقالة، فقال له الحسن: صدق يا أبتِ، فقال عليّ: ما أنا إذاً بمؤمن. وجلده بسوط له شعبتان؛ وفي لفظ: فقال عليّ للحسن ابنه: قم يا بنيّ فاجلده، فقال عثمان: يكفيك ذلك بعض من ترى، فأخذ عليّ السوط ومشى إليه فجعل يضربه والوليد يسبّه؛ وفي لفظ الأغاني: فقال له الوليد: نشدتك بالله وبالقرابة، فقال له عليّ: «اسكت أبا وهب فإنّما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود» فضربه وقال: «لتدعوني قريش بعد هذا جلّادها».

قالوا: وسئل عثمان أن يحلق، وقيل له: إنّ عمر حلق مثله، فقال: قد كان فعل ذلك ثمّ تركه.

وقال أبو مخنف وغيره: خرج الوليد بن عقبة لصلاة الصبح وهو يميل فصلّى ركعتين ثمّ التفت إلى الناس فقال: أزيدكم؟ فقال له عتاب بن علاق أحد بني عوافة بن سعد وكان شريفاً: لا زادك الله مزيد الخير، ثمّ تناول حفنة من حصى فضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس وقالوا: والله ما العجب إلّا ممّن ولّاك، وكان عمر بن الخطّاب فرض لعتّاب هذا مع الأشراف في ألفين وخمسمئة. وذكر بعضهم: أنّ القيء غلب على الوليد في مكانه، وقال يزيد بن قيس الأرحبي ومعقل بن قيس الرياحي: لقد أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أُمّة محمد ﷺ. وفي الوليد يقول الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي:

شهد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقُّ بالعذرِ
نادىٰ وقد نفدت[1] صلاتُهمُ ... أ أزيدُكم؟ ثملاً وما يدري ١٢٢/٨
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا ... منهُ لزادهمُ على عشرِ
فأبوا أبا وهبٍ ولو فعلوا ... لقرنتَ بين الشفع والوترِ
حبسوا عنانَكَ إذ جَريتَ ولو ... خلَّوا عنانَكَ لم تزل تجري[2]

وذكر أبو الفرج في الأغاني[3] (١٧٨/٤)، وأبو عمر في الاستيعاب[4] بعد هذه الأبيات للحطيئة أيضاً قوله:

تكلّمَ في الصلاة وزاد فيها ... علانيةً وجاهر بالنفاقِ
ومجَّ الخمرَ في سنن المصلّى ... ونادىٰ والجميع إلى افتراقِ
أزيدكمُ علىٰ أن تحمدوني ... فما لكمُ ومالي من خلاقِ

ثمّ قال أبو عمر: وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله: أزيدكم؟ بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار.

وهكذا جاء[5] في مسند أحمد (١٤٤/١)، سنن البيهقي (٣١٨/٨)، تاريخ اليعقوبي (١٤٢/٢) وقال: تهوّع في المحراب. كامل ابن الأثير (٤٢/٣)، أُسد الغابة (٩١/٥، ٩٢) وقال: قوله لهم: أزيدكم؟ بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات من

---

(١) في الأغاني: ١٧٨/٤، ١٧٩ [١٣٨/٥، ١٤٠]: تمّت. بدل نفدت. (المؤلّف)

(٢) وفي الأغاني: ١٧٩/٤ [١٤٠/٥]، حول هذه الأبيات رواية لا تخلو عن فائدة. (المؤلّف)

(٣) الأغاني: ١٣٩/٥.

(٤) الاستيعاب: القسم الرابع/١٥٥٥ رقم ٢٧٢١.

(٥) مسند أحمد: ٢٣٣/١ ح ١٢٣٤، تاريخ اليعقوبي: ١٦٥/٢، الكامل في التاريخ: ٢٤٦/٢ حوادث سنة ٣٠هـ، أُسد الغابة: ٤٥٢/٥ رقم ٥٤٦٨.

أهل الحديث. ثمّ ذكر حديث الطبري[(١)] في تعصّب القوم على الوليد وقول عثمان له: يا أخي اصبر فإنّ الله يؤجرك ويبوء القوم بإثمك. فقال: قال أبو عمر[(٢)]: والصحيح عند أهل الحديث أنّه شرب الخمر وتقيّأها، وصلّى الصبح أربعاً.

تاريخ أبي الفدا (١٧٦/١)، الإصابة (٦٣٨/٣) وقال: قصّة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجة، تاريخ الخلفاء للسيوطي[(٣)] (ص١٠٤)، السيرة الحلبيّة[(٤)] (٣١٤/٢) وقال: صلّى بأهل الكوفة أربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده: إشرب واسقني. ثمّ قاء في المحراب ثمّ سلّم وقال: هل أزيدكم؟ فقال له ابن
١٢٣/٨ مسعود / ﷺ: لا زادك الله خيراً ولا من بعثك إلينا، وأخذ فردة خفّه وضرب به وجه الوليد وحصبه الناس، فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنّح. إلخ.

وحكى أبو الفرج في الأغاني[(٥)] (١٧٨/٤) عن أبي عبيد والكلبي والأصمعي: أنّ الوليد بن عقبة كان زانياً شرّيب خمر فشرب الخمر، بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات ثمّ التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقيّأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

علقَ القلبُ الربابا ... بعد ما شابت وشابا

وذكره في (ص١٧٩) نقلاً عن عمر بن شبة، وروى من طريق المدائني في

---

(١) أخرجه في تاريخه: ٦٠/٥، ٦١ [٢٧٣/٤]، من طريق مجمع على بطلانه عن كذّاب عن مجهول عن وضّاع متّهم بالزندقة وهم: السري عن شعيب عن سيف بن عمر، وسيوافيك تفصيل القول في هذا الطريق الوعر وأنّه شوّه تاريخ الطبري. (المؤلّف)

(٢) الاستيعاب: القسم الرابع/١٥٥٦ رقم ٢٧٢١.

(٣) تاريخ الخلفاء: ص١٤٤.

(٤) السيرة الحلبيّة: ٢٨٤/٢.

(٥) الأغاني: ١٣٩/٥، ١٤١، ١٤٣.

صفحة (١٨٠) عن الزهري أنّه قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال: أكلّما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل؟ لئن أصبحت لكم لأُنكلنّ بكم، فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مُرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلّا بيت عائشة. فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت: تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا؟ حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال، ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له: إتّق الله لا تعطّل الحدّ واعزل أخاك عنهم، فعزله عنهم.

وأخرج من طريق مطر الورّاق قال: قدم رجل المدينة فقال لعثمان ﷺ: إنّي صلّيت الغداة خلف الوليد بن عقبة فالتفت إلينا فقال: أزيدكم؟ إنّي أجد اليوم نشاطاً، وأنا أشمّ منه رائحة الخمر. فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عطّلت الحدود، وضربت الشهود.

وروى ابن عبد ربّه قصّة الصلاة في العقد الفريد[1] (٢٧٣/٢) وفيه: صلّى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران. إلخ.

وجاء في صحيح البخاري[2] في مناقب عثمان في حديث: قد أكثر الناس فيه. قال ابن حجر في فتح الباري[3] (٤٤/٧) في شرح الجملة المذكورة: ووقع في رواية معمر: وكان أكثر الناس فيما فعل به، أي من تركه إقامة الحدّ عليه ـ على الوليد ـ وإنكارهم عليه عزل سعد بن أبي وقّاص. ١٢٤/٨

(١) العقد الفريد: ١١٩/٤.

(٢) صحيح البخاري: ١٣٥١/٣ ح٣٤٩٣.

(٣) فتح الباري: ٥٦/٧.

قال الأميني : الوليد هو هذا الذي تسمع حديثه وسنوقفك في هذا الجزء والأجزاء الآتية إن شاء الله على حقيقته حتى كأنّك مطلّ عليه من أمَم، تراه يشرب الخمر، ويقيء في محرابه، ويزيد في الصلاة من سَورة السكر، ويُنتزع خاتمه من يده فلا يشعر به من شدّة الثمل، وقد عرّفه الله تعالى قبل يومه هذا بقوله عزّ من قائل ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَستَوون** ﴾ سورة السجدة: (١٨)[١]. وبقوله ﴿ **إِنَ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا** ﴾[٢]. وقال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب[٣] (٦٢٠/٢): لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أنّ قوله عزّ وجلّ ﴿ **إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأ** ﴾ نزلت في الوليد. وحكاها عنه ابن الأثير في أُسد الغابة[٤] (٩٠/٥).

فهل من الممكن أن يحُوز مثله حنكة الولاية عن إمام المسلمين؟ فيحتنك النفوس ويستحوذ على الأموال، ويستولي على النواميس والأعراض، وتؤخذ منه الأحكام وتُلقى إليه أزمّة البسط والقبض في حاضرة المسلمين، ويؤمّهم على الجمعة والجماعة؟ هل هذا شيء يكون في الشريعة؟ أعزب عنّي واسأل الخليفة الذي ولّاه وزبر الشهود عليه وتوعّدهم أو ضربهم بسوطه.

وهب أنّ الولاية سبقت منه لكنّ الحدّ الذي ثبت موجبه وليمَ على تعطيله ما وجه إرجائه إلى حين إدخال الرجل في البيت مجلّلاً بجبّة حبر وقاية له عن ألم السياط؟

ثمّ من دخل عليه ليحدّه دافعه المحدود بغضب الخليفة وقطع رحمه، فهل كان

---

(١) راجع الجزء الثاني صفحة ٤٢ الطبعة الأولى و ٤٦ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) الاستيعاب: القسم الرابع/١٥٥٣ رقم ٢٧٢١.

(٤) أُسد الغابة: ٤٥١/٥ رقم ٥٤٦٨.

الخليفة يعلم بنسبة الغضب إليه على إقامه حدّ الله وإيثار رحمه على حكم الشريعة؟ فيغضّ الطرف عنه رضاً منه بما يقول، أولا يبلغه؟ وهو خلاف سياق الحديث الذي ينمّ عن اطّلاعه على كلّ ما هنالك، وكان يتعلّل عن إقامة الحدّ بكلّ تلكم الأحوال، حتى أنّه منع السبط المجتبى الحسن عليه السلام لما علم أنّه لا يجنح إلى الباطل بالرقّة عليه وأحبّ أن يجلده زبانيته الذين يتحرّون مرضاته، لكن غلب أمر الله ونفذ حكمه بمولانا أمير المؤمنين الذي باشر الحدّ بنفسه والظالم يسبّه وهو سلام الله عليه لا تأخذه / في الله لومة لائم، أو أمر ـ سلام الله عليه ـ عبدالله بن جعفر فجلده وهو عليه السلام ١٢٥/٨
يعدّ كما في الصحيح لمسلم[(١)] والأغاني[(٢)] وغيرهما.

وهل الحدّ يعطّل بعد ثبوت ما يوجبه، حتى يقع عليه الحجاج، ويحتدم الحوار فيعود الجدال جلاداً، وتتحوّل المكالمة ملاكمة، وتعلو النعال والأحذية، ويُشكّل أوّل قتال بين المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقيرة أُمّ المؤمنين مرتفعة: إنّ عثمان عطّل الحدود وتوعّد الشهود. ويوبّخه على ذلك سيّد العترة ـ صلوات الله عليه ـ بقوله: «عطّلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك» وهل بعد هذه كلّها يستأهل مثل هذا الفاسق المهتوك بلسان الكتاب العزيز أن يبعث على الأموال؟ كما فعله عثمان وبعث الرجل بعد إقامة الحدّ عليه على صدقات كلب وبلقين[(٣)]، وهل آصرة الإخاء تستبيح ذلك كلّه؟

ليست ذمّتي رهينة بالجواب عن هذه الأسئلة وإنّما عليّ سرد القصّة مشفوعة بالتعليل والتحليل، وأمّا الجواب فعلى عهدة أنصار الخليفة، أو أنّ المحكّم فيه هو القارئ الكريم.

---

(١) راجع الجزء الثاني من صحيح مسلم: صفحة ٥٢ [٥٣٦/٣ ح٣٨ كتاب الحدود]. (المؤلّف)
(٢) الأغاني: ١٤٢/٥.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٤٢/٢ [١٦٥/٢]. (المؤلّف)

ـ ٤ ـ

النداء الثالث بأمر الخليفة

أخرج البخاري وغيره بالإسناد عن السائب بن يزيد: إنّ النداء يوم الجمعة كان أوّله في زمان رسول الله ﷺ وفي زمان أبي بكر وفي زمان عمر إذا خرج الإمام، وإذا قامت الصلاة، حتى كان زمان عثمان فكثر الناس فزاد النداء الثالث على الزوراء فثبتت حتى الساعة[١].

وفي لفظ البخاري وأبي داود: إنّ الأذان كان أوّله حين يجلس الإمام على المنبر
١٢٦/٨ يوم الجمعة في عهد النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلمّا كان خلافة عثمان / وكثر الناس، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذّن به على الزوراء[٢] فثبت الأمر على ذلك.

وفي لفظ النسائي: أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذّن به على الزوراء.

وفي لفظ له أيضاً: كان بلال يؤذّن إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة فإذا نزل أقام، ثمّ كان كذلك في زمن أبي بكر وعمر.

وفي لفظ الترمذي: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إذا

---

(١) صحيح البخاري: ٩٥/٢، ٩٦ [٣٠٩/١ ح ٨٧٠، ٨٧٤]، صحيح الترمذي: ٦٨/١ [٣٩٢/٢ ح٥١٦]، سنن أبي داود: ١٧١/١ [٢٨٥/١ ح١٠٨٧]، سنن ابن ماجه: ٣٤٨/١ [٣٥٩/١ ح١١٣٥]، سنن النسائي: ١٠٠/٣ [٥٢٧/١ ح ١٧٠٠]، كتاب الأُم للشافعي: ١٧٣/١ [١٩٥/١]، سنن البيهقي: ٤٢٩/١، ١٩٢/٣، ٢٠٥، تاريخ الطبري: ٦٨/٥ [٢٨٧/٤ حوادث سنة ٣٠ هـ]، كامل ابن الأثير: ٤٨/٣ [٢٥٣/٢ حوادث سنة ٣٠هـ]، فيض الإله المالك للبقاعي: ١٩٣/١ [٢٠١/١]. **(المؤلّف)**

(٢) الزوراء: اسم موضع في سوق المدينة قرب المسجد، وهو مرتفع كالمنارة. معجم البلدان: ١٥٦/٣.

خرج الإمام أُقيمت الصلاة؛ فلمّا كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء.

وفي لفظ البلاذري في الأنساب (٣٩/٥) عن السائب بن يزيد: كان رسول‌الله ﷺ إذا خرج للصلاة أذّن المؤذّن ثمّ يقيم، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر، وفي صدر من أيّام عثمان، ثمّ إنّ عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة[١] فعاب الناس ذلك وقالوا: بدعة.

وقال ابن حجر في فتح الباري[٢] (٣١٥/٢): والذي يظهر أنّ الناس أخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك لكونه خليفة مطاع الأمر، لكن ذكر الفاكهاني: أنّ أوّل من أحدث الأذان الأوّل بمكة الحجّاج وبالبصرة زياد، وبلغني أنّ أهل المغرب الأدنى الآن لا تأذين عندهم سوى مرّة؛ وروى ابن أبي شيبة[٣] من طريق ابن عمر قال: الأذان الأوّل يوم الجمعة بدعة. فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار، ويحتمل أن يريد أنّه لم يكن في زمن النبيّ ﷺ، وكلّ ما لم يكن في زمنه يسمّى بدعة.

وحكى ما في الفتح، الشوكاني في نيل الأوطار[٤] (٣٣٢/٣)، وذكر العيني في عمدة القاري[٥] حديث ابن عمر من أنّ الأذان الأوّل يوم الجمعة بدعة؛ وروى عن الزهري قوله: إنّ أوّل من أحدث الأذان الأوّل عثمان يؤذّن لأهل الأسواق. وقال: وفي لفظ: فأحدث عثمان التأذينة الثالثة على الزوراء ليجتمع الناس -إلى أن قال-: وقيل: إنّ أوّل من أحدث الأذان الأوّل بمكة الحجّاج وبالبصرة زياد.

---

(١) يعني السنة السابعة من خلافة عثمان توافق الثلاثين من الهجرة كما في تاريخ الطبري [٢٨٧/٤ حوادث سنة ٣٠ هـ] وغيره. (المؤلّف)

(٢) فتح الباري: ٣٩٤/٢.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٨/٢ ح ٣.

(٤) نيل الأوطار: ٢٩٨/٣.

(٥) عمدة القاري: ٢١١/٦.

قال الأميني : إنّ أوّل ما يُستفهم من رواة هذه الأحاديث أنّ المراد من
١٢٧/٨ كثرة الناس الموجبة لتكرّر الأذان هل هو كثرتهم في مركز الخلافة المدينة المنوّرة أو كثرتهم في العالم ؟ أمّا الثاني فلم يكن يُجديهم فيه ألف أذان ، فإنّ صوت مؤذّن المدينة لا يبلغ المدن والأمصار ؛ ولا أنّ أولئك مكلّفون بالإصغاء إلى أذان المدينة ولا الصلاة معه .

وأمّا كثرة الناس في المدينة نفسها لو تمّ كونها مصحّحاً للزيادة في النداء ، فإنّما يصحّح تكثير المؤذّنين في أنحاء البلد في وقت واحد لا الأذان بعد الإقامة الفاصل بينها وبين الصلاة ، وقد ثبت في السنّة خلافه في الترتيب ، وأُحدوثة الخليفة إنّما هي الزيادة في النداء بعد الإقامة لا إكثار المؤذّنين ، كما نبّه إليه التركماني في شرح السنن الكبرى للبيهقي (٤٢٩/١) ، ولذلك عابه عليه الصحابة ، وحسبوه بدعة ، ولا يخصّ تعدّد المؤذّنين بأيّام عثمان فحسب ، وقد كان في أيّام رسول الله ﷺ يؤذّن بلال وابن أُمّ مكتوم ، واتّخذ عثمان أربعة للحاجة إليها حين كثر الناس كما في شرح الأُبّي على صحيح مسلم[1] (١٣٦/٢) ، ولا أجد خلافاً في جواز تعدّد المؤذّنين ، بل رتّبوا عليه أحكاماً مثل قولهم هل الحكاية المستحبّة أو الواجبة كما قيل تتعدّد بتعدد المؤذّنين أم لا ؟ وقولهم : إذا أذّن المؤذّن الأوّل ، هل للإمام أن يبطئ بالصلاة ليفرغ من بعده ؟ أو له أن يخرج ويقطع من بعده أذانه ؟ وقولهم : إذا تعدّد المؤذّنون لهم أن يؤذّن واحد بعد واحد ، أو يؤذّن كلّهم في أوّل الوقت ؟ وقال الشافعي في كتاب الأُم[2] (٧٢/١) : إن كان مسجداً كبيراً له مؤذّنون عدد فلا بأس أن يؤذّن في كلّ منارة له مؤذّن فيسمع من يليه في وقت واحد .

وظاهر ما مرّ في الصحيح من أنّه زاد النداء الثالث هو إحداث الأذان بعد

---

(١) شرح صحيح مسلم للأُبّي : ٢٣٩/٢.

(٢) كتاب الأُم : ٨٤/١.

الأذان والإقامة لا الأذان قبلها كما يأتي عن الطبراني[١]، ويومي إليه قول بعض شرّاح الحديث من أنّ النداء الثالث ثالث باعتبار الشرعيّة لكونه مزيداً على الأذان بين يدي الإمام وعلى الإقامة للصلاة[٢]، نعم: قال ابن حجر في فتح الباري[٣] (٣١٥/٢): تواردت الشرّاح على أنّ معنى قوله: الأذان الثالث، أنّ الأوّلين الأذان والإقامة، فتسمية ما أمر به عثمان ثالثاً يستدعي سبق اثنين قبله. وقال العيني في عمدته[٤] (٢٩٠/٢): إنّما أطلق الأذان على الإقامة لأنّها إعلام
كالأذان، ومنه قوله ﷺ: «بين كلّ أذانين صلاة لمن / شاء»[٥]، ويعني به بين الأذان ١٢٨/٨
والإقامة.

وعلى تقدير إيجاب كثرة الناس الزيادة في النداء يلزم كما قلنا أن يكون الأذان الزائد في أطراف البلد وأقاصيه عن المسجد ليبلغ من لا يبلغه أذان المسجد الذي كان يؤذّن به على باب المسجد على العهد النبويّ ودور الشيخين، كما ورد في سنن أبي داود[٦] (١٧١/١)، لا في الزوراء التي هي دار بقرب المسجد كما في القاموس[٧]، وتاج العروس[٨]، سواء كانت هي دار عثمان بن عفّان التي ذكرها الحموي في المعجم[٩] (٤١٢/٤)، وقال الطبراني[١٠]: فأمر عثمان بالنداء الأوّل على داره يقال لها الزوراء

---

(١) المعجم الكبير: ١٤٥/٧ ح٦٦٤٢.

(٢) شرح الترمذي في هامشه: ٦٨/٢. (المؤلّف)

(٣) فتح الباري: ٣٩٥/٢.

(٤) عمدة القاري: ٢١١/٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: ٨/٢ [٢٢٥/١ ح٦٠١]. (المؤلّف)

(٦) سنن أبي داود: ٢٨٥/١ ح١٠٨٧.

(٧) القاموس المحيط: ص٥١٦.

(٨) تاج العروس: ٢٤٦/٣.

(٩) معجم البلدان: ١٥٦/٣.

(١٠) المعجم الكبير: ١٤٥/٧ ح٦٦٤٢.

فكان يؤذّن له عليها[1]، أو موضع عند سوق المدينة بقرب المسجد كما ذكره الحموي أيضاً، أو حجر كبير عند باب المسجد على ما جزم به ابن بطّال كما في فتح الباري (٣١٥/٢)، وعمدة القاري (٢٩١/٣). فالنداء في الزوراء على كلّ حال كالنداء في باب المسجد في مدى الصوت ومبلغ الخبر، فأيّ جدوى في هذه الزيادة المخالفة للسنّة؟

ثمّ إنّ كثرة الناس على فرضها في المدينة هل حصلت فجائيّة في السابعة من خلافة عثمان؟ أو أنّ الجمعيّة كانت إلى التكثّر منذ عادت عاصمة الخلافة الإسلاميّة؟ فما ذلك الحدّ الذي أوجب مخالفة السنّة أو ابتداع نداء ثالث؟ وهل هذه السنّة المبتدعة يجري ملاكها في العواصم والأوساط الكبيرة التي تحتوي أضعاف ما كان بالمدينة من الناس فيكرّر فيها الأذان عشرات أو مئات؟ سل الخليفة وأنصاره المبرّرين لعمله.

على أنّ كثرة الناس في المدينة إن كانت هي الموجبة للنداء الثالث فلماذا أخذ فعل الخليفة أهل البلاد جمعاء وعمل به؟ ولم يكن فيها التكثّر، وكان على الخليفة أن ينهاهم عنه وينوّه بأنّ الزيادة على الأذان المشروع تخصّ بالمدينة فحسب، أو يؤخذ بحكمها في كلّ بلدة كثر الناس بها.

نعم، فتح الخليفة باب الجرأة على الله فجاء بعده معاوية ومروان وزياد والحجّاج ولعبوا بدين الله على حسب ميولهم وشهواتهم والبادي أظلم.

- ٥ -

توسيع الخليفة المسجد الحرام

١٢٩/٨ قال الطبري في تاريخه[2] (٤٧/٥) في حوادث سنة (٢٦) الهجريّة: وفيها زاد

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ٣١٥/٢ [٣٩٤/٢]، عمدة القاري: ٢٩١/٣ [٢١٢/٦]. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٥١/٤.

عثمان في المسجد الحرام ووسّعه، وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم الحبس وقال: أتدرون ما جرّأكم عليّ؟ ما جرّأكم عليّ إلّا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. ثمّ كلّمه فيهم عبدالله بن خالد بن أسيد فأُخرجوا. وذكره هكذا اليعقوبي في تاريخه[1] (١٤٢/٢)، وابن الأثير في الكامل[2] (٣٩/٣).

وأخرج البلاذري في الأنساب (٣٨/٥) من طريق مالك عن الزهري قال: وسّع عثمان مسجد النبيّ ﷺ فأنفق عليه من ماله عشرة آلاف درهم، فقال الناس: يوسّع مسجد رسول الله ويغيّر سنّته.

قال الأميني: كأنّ الخليفة لم يكن يرى لليد ناموساً مطّرداً في الإسلام، ولا للملك والمالكيّة قيمة ولا كرامة في الشريعة المقدّسة، وكأنّه لم يقرع سمعه قول نبيّ العظمة ﷺ: «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا عن طيب نفس منه»[3].

وإنّ من العجب العجاب أنّ الخليفة نفسه أدرك عهد عمر وزيادته في المسجد، وشاهد محاكمة العبّاس بن عبدالمطّلب معه وإباءه عن إعطاء داره، ورواية أبيّ بن كعب وأبي ذر الغفاري وغيرهما حديث بناء بيت المقدس عن داود ﷺ، وقد خصمه العبّاس بذلك، وثبتت عند عمر السنّة الشريفة فخضع لها، كما مرّ تفصيله في الجزء السادس (ص٢٦٢ ـ ٢٦٦). غير أنّ الرجل لم يكترث لذلك كلّه ويخالف تلك السنّة الثابتة، / ثمّ يحتجّ بفعل عمر وهيبة الناس لكنّه حلم فلم يهابوه، فهدم دور الناس من ٣٠/٨
دون رضاهم وسجن من حاوره أو فاوضه في ذلك، ووضع الأثمان في بيت المال

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٦٤/٢.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٣٤/٢ حوادث سنة ٢٦هـ.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الحافظ ابن أبي جمرة الأزدي في بهجة النفوس: ١٣٤/٢ [ح٧٢] و ١١١/٤ [ح٢٢٣]. (**المؤلّف**)

حتى قال الناس: يوسّع مسجد رسول الله ويغيّر سنّته.

- ٦ -

رأي الخليفة في متعة الحجّ

أخرج البخاري في الصحيح بالإسناد عن مروان بن الحكم قال: سمعت[١] عثمان وعليّاً رضي الله عنهما بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلمّا رأى ذلك عليّ أهلّ بهما جميعاً، قال: «لبّيك بعمرة وحجّة معاً» قال: فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت؟ قال: «لم أكن لأدع سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس».

وفي لفظ أحمد: كنّا نسير مع عثمان رضي الله عنه، فإذا رجل يلبّي بهما جميعاً، فقال عثمان رضي الله عنه: من هذا؟ فقالوا: عليّ. فقال. ألم تعلم أنّي قد نهيت عن هذا؟ قال: «بلى. ولكن لم أكن لأدع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقولك».

وأخرج الشيخان بالإسناد عن سعيد بن المسيب قال: اجتمع عليّ وعثمان رضي الله عنهما بعسفان، وكان عثمان ينهى عن المتعة، فقال له عليّ «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه؟» قال: دعنا منك، قال: «إنّي لا أستطيع أن أدعك». فلمّا رأى ذلك عليّ أهلّ بهما جميعاً.

وأخرج مسلم من طريق عبدالله بن شقيق قال: كان عثمان رضي الله عنه ينهى عن المتعة وكان عليّ رضي الله عنه يأمر بها، فقال عثمان لعليّ كلمة، ثمّ قال عليّ: «لقد علمت أنّا قد تمتّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال: أجل ولكنّا كنّا خائفين.

راجع[٢]: صحيح البخاري (٦٩/٣، ٧١)، صحيح مسلم (٣٤٩/١)، مسند أحمد

---

(١) في المصدر: شهدت عثمان وعليّاً ....

(٢) صحيح البخاري: ٥٦٧/٢ ح١٤٨٨، ص٥٦٩ ح١٤٩٤، صحيح مسلم: ٦٨/٣ ح١٥٨ كتاب الحج، مسند أحمد: ٩٨/١ ح٤٣٣، ص١٥٣ ح٧٣٥، السنن الكبرى: ٣٤٥/٢ ح٣٧٠٣، المستدرك على الصحيحين: /٦٤٤ ح١٧٣٥، تيسير الوصول: ٣٣٣/١.

(٦١/١، ٩٥)، سنن النسائي (١٤٨/٥، ١٥٢)، سنن البيهقي (٣٥٢/٤ و ٢٢/٥)، مستدرك الحاكم (٤٧٢/١)، تيسير الوصول (٢٨٢/١).

قال الأميني: لقد فصّلنا القول في هذه المسألة في نوادر الأثر من الجزء السادس (ص١٩٨ ـ ٢٠٥ و ٢١٣ ـ ٢٢٠)، تفصيلاً وذكرنا هنالك أحاديث جمّة أنّ متعة الحجّ ثابتة بالكتاب والسنّة، ولم تنزل آية تنسخ متعة الحجّ ولم ينه عنها رسول الله ﷺ ١٣١/٨
حتى مات، وإنّما النهي عنها رأي رآه الخليفة الثاني كما أخرجه الشيخان وجمع من أئمّة الحديث من طرقهم المتكثّرة. ولقد شاهد عثمان تلكم المواقف وما وقع فيها من الحوار وما أنكره الصحابة على من نهى عنها، وكان كلّ حجّته: إنّي لو رخّصت في المتعة لهم لعرّسوا بهنّ في الأراك ثمّ راحوا بهنّ حجّاجاً. وأنت ترى أنّ هذه الحجّة الداحضة لم تكن إلّا رأياً تافهاً غير مدعوم ببرهنة، بل منقوض بالكتاب والسنّة، وكان رسول الله ﷺ أعرف من صاحب هذا الرأي بهذه الدقيقة التي اكتشفها بنظّارته المقرّبة، والله سبحانه قبله يعلم كلّ ذلك، فلم ينهيا عن متعة الحج بل أثبتاها.

ما العلمُ إلّا كتابُ اللهِ والأثرُ   وما سوىٰ ذاك لاعينٌ ولا أثرُ
إلّا هوىً وخصوماتٌ ملفّقةٌ   فلا يغرنّكَ من أربابِها هذَرُ[1]

نعم، شهد عثمان كلّ ذلك لكنّه لم يكترث لشيء منها، وطفق يقتصّ أثر من قبله، وكان حقّاً عليه أن يتّبع كتاب الله وسنّة نبيّه والحقّ أحقّ أن يتّبع، ولم يقنعه كلّ ذلك حتى أخذ يعاتب أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ـ الذي هو نفس الرسول، وباب مدينة علمه، وأقضى أُمّته وأعلمها ـ على عدم موافقته له في رأيه المجرد الشاذّ عن حكم الله، حتى وقع الحوار بينهما في عسفان وفي الجحفة وأمير المؤمنين عليه السلام متمتّع بالحجّ، وكاد من جرّاء ذلك يُقتَلُ عليّ ـ سلام الله عليه ـ كما مرّ حديثه في الجزء السادس ص(٢٠٥)

(١) البيان للفقيه أبي زيد علي الزبيدي المتوفّى ٨١٣، ذكرهما صاحب شذرات الذهب: ٢٠٣/٧ [١٥٣/٩ حوادث سنة ٨١٣هـ]. (المؤلّف)

[من] الطبعة الأُولى و (٢١٩) من الطبعة الثانية.

ونحن لا ندري مغزى جواب الرجل لمولانا عليّ عليه السلام لمّا قال له: «لقد علمت أنّا تمتّعنا مع رسول الله». من قوله: أجل ولكنّا كنّا خائفين. أيّ خوف كان في سنة حجّة التمتع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وهي حجّة الوداع والنبيّ الأقدس كان معه مئة ألف أو يزيدون، وأنت تجد أعلام الأُمّة غير عارفين بهذا العذر التافه المختلق أيضاً، قال إمام الحنابلة أحمد في المسند بعد ذكر[1] الحديث: قال شعبة لقتادة: ما كان خوفهم. قال: لا أدري!

١٣٢/٨ أنا لا أدري، هذا مبلغ علم الخليفة، أو مدى عقليّته، أو كميّة إصراره على تنفيذ ما أراد، أو حدّ اتّباعه كتاب الله وسنّة نبيّه، أو مقدار أمانته على ودائع الدين؟ وهو خليفة المسلمين ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

أليس من الغلوّ الممقوت الفاحش عندئذٍ ما جاء به البلاذري في الأنساب (٤/٥) من قول ابن سيرين: كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر؟

إن كان أعلم الأُمّة هذه سيرته وهذا حديثه، فعلى الإسلام السلام.

ـ ٧ ـ

تعطيل الخليفة القصاص

أخرج الكرابيسي في أدب القضاء بسند صحيح إلى سعيد بن المسيب أنّ عبدالرحمن بن أبي بكر قال: لمّا قتل عمر إنّي مررت بالهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجيٌّ، فلمّا رأوني ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فنظروا إلى الخنجر الذي قتل به عمر فإذا هو الذي وصفه، فانطلق عبيدالله بن عمر

---

(١) مسند أحمد: ٩٨/١ ح٤٣٣.

(٢) النحل: ٤٣.

فأخذ سيفه حتى سمع ذلك من عبدالرحمن، فأتى الهرمزان فقتله وقتل جفينة [وقتل][1] بنت أبي لؤلؤة صغيرة وأراد قتل كلّ سبيّ بالمدينة فمنعوه؛ فلمّا استخلف عثمان قال له عمرو بن العاص: إنّ هذا الأمر كان وليس لك على الناس سلطان فذهب دم الهرمزان هدراً.

وأخرجه الطبري في تاريخه[2] (٤٢/٥) بتغيير يسير والمحبّ الطبري في الرياض[3] (١٥٠/٢)، وذكره ابن حجر في الإصابة (٦١٩/٣) وصحّحه باللفظ المذكور.

وذكر البلاذري في الأنساب (٢٤/٥) عن المدائني، عن غياث بن إبراهيم: أن عثمان صعد المنبر فقال: أيّها الناس إنّا لم نكن خطباء وإن نَعِش تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله، وقد كان من قضاء الله أنّ عبيد الله بن عمر أصاب الهرمزان وكان الهرمزان من المسلمين[4] ولا وارث له إلّا المسلمون عامّة وأنا إمامكم وقد عفوت أفتعفون؟ قالوا: نعم. فقال عليّ: «أَقِدِ الفاسقَ فإنّه أتى عظيماً، قتل مسلماً بلا ذنب». وقال لعبيدالله: «يا فاسق لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنّك بالهرمزان».

وقال اليعقوبي في تاريخه[5] (١٤١/٢): أكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيدالله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس، ثمّ قال: ألا إنّي وليّ دم الهرمزان ١٣٣/٨
وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر. فقام المقداد بن عمرو فقال: إنّ الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله. قال: فننظر وتنظرون، ثمّ أخرج

---

(١) الزيادة من المصدر.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٤٠/٤ حوادث سنة ٢٣ هـ.
(٣) الرياض النضرة: ٨٩/٣.
(٤) أسلم على يد عمر وفرض له في ألفين كما في الإصابة وغيرها. (المؤلّف)
(٥) تاريخ اليعقوبي: ١٦٣/٢.

عثمان عبيدالله بن عمر من المدينة إلى الكوفة، وأنزله داراً فنُسِب الموضع إليه ـ كُوَيْفة ابن عمر ـ فقال بعضهم:

أبا عمرو[(١)] عـبيدُاللهِ رهـنٌ فلا تشكُكْ بـقتلِ الهـرمزان

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى (٦١/٨) بإسناد عن عبدالله[(٢)] بن عبيد بـن عمير قال: لمّا طعن عمر ﷺ وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله، فقيل لعمر: إنّ عبيدالله بن عمر قتل الهرمزان. قال: ولم قتله؟ قال: إنّه قتل أبي. قـيل: وكـيف ذاك؟ قال: رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي. قال عمر: مـا أدري ما هذا، انظروا إذا أنا متّ فاسألوا عبيد الله البيّنة على الهرمزان: هو قتلني؟ فإن أقام البيّنة فدمه بدمي، وإن لم يقم البيّنة فأقيدوا عبيدالله مـن الهـرمزان. فـلمّا ولي عثمان ﷺ قيل له: ألا تمضي وصيّة عمر ﷺ في عبيدالله؟ قال: ومن وليّ الهرمزان؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال قد عفوت عن عبيدالله بن عمر.

وفي طبقات ابن سعد[(٣)] (٨/٥ ـ ١٠) طبع ليدن: انطلق عبيدالله فقتل ابنة أبي لؤلؤة وكانت تدّعي الإسلام، وأراد عبيد الله ألّا يترك سبياً بالمدينة يومئذٍ إلّا قتله. فاجتمع المهاجرون الأوّلون فأعظموا ما صنع عبيدالله من قبل هؤلاء واشتدّوا عليه وزجروه عن السبي، فقال: والله لأقتلنّهم وغيرهم. يعرّض ببعض المهاجرين، فـلم يزل عمرو بن العاص يرفق به حتى دفع إليه سيفه، فأتاه سعد فأخذ كلّ واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان[(٤)]، حتى حجز بينهما الناس، فأقبل عثمان وذلك في الثـلاثة الأيّام الشورى قبل أن يبايع له، حتى أخذ برأس عبيدالله بن عمر وأخذ عـبيدالله برأسه ثمّ حُجز بينهما وأظلمت الأرض يومئذٍ على النـاس، فـعظم ذلك في صـدور

(١) أبو عمرو هي كنية عثمان بن عفّان.

(٢) في الأصل عبيدالله، وصحّحناه من السنن الكبرىٰ.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٥/٥ ـ ١٧.

(٤) التناصي: هو الأخذ بالنواصي جمع ناصية، وهي شعر مقدّم الرأس.

الناس وأشفقوا أن تكون عقوبة حين قتل عبيدالله جُفَينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة.

وعن أبي وجزة عن أبيه قال: رأيت عبيدالله يومئذٍ وإنّه ليناصي عثمان، وإنّ عثمان ليقول: قاتلك الله قتلت رجلاً يصلّي وصبيّة صغيرة، وآخر من ذمّة رسول‌الله ﷺ / ما في الحقّ تركك. قال: فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه! ولكن ١٣٤/٨
عرفت أنّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلفته عن رأيه.

وعن عمران بن منّاح قال: جعل سعد بن أبي وقّاص يناصي عبيدالله بن عمر حيث قتل الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وجعل سعد يقول وهو يناصيه:

لا أُسْدَ إلّا أنتَ تنهِتُ واحداً ‌ ‌ ‌ وغالت أُسودَ الأرض عنك الغوائلُ[1]

فقال عبيد الله:

تعلّمُ أنّي لحمُ ما لا تسيغه ‌ ‌ ‌ فكلْ من خشاش الأرض ما كنت آكلا

فجاء عمرو بن العاص فلم يزل يكلّم عبيدالله، ويرفق به حتى أخذ سيفه منه، وحبس في السجن حتى أطلقه عثمان حين ولي.

عن محمود بن لبيد: كنتُ أحسب أنّ عثمان إن ولي سيقتل عبيدالله لما كنت أراه صنع به، كان هو وسعد أشدّ أصحاب رسول الله ﷺ عليه.

وعن المطّلب بن عبدالله قال: قال عليّ لعبيدالله بن عمر: «ما ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها؟». قال: فكان رأي عليّ حين استشاره عثمان ورأي الأكابر من أصحاب رسول الله على قتله، لكن عمرو بن العاص كلّم عثمان حتى تركه، فكان عليّ يقول: «لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه».

---

(١) الشعر لكلاب بن علاط أخي الحجّاج بن علاط. (المؤلّف)

وعن الزهري: لمّا استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال: أشيروا عليّ في قتل هذا الذي فتق في الدين ما فتق. فأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتله، وقال جلّ الناس: أبعد الله الهرمزان وجفينة يريدون يُتبعون عبيدالله أباه. فكثر ذلك القول، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إنّ هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك سلطان على الناس فأعرض عنه، فتفرّق الناس عن كلام عمرو بن العاص.

وعن ابن جريج: إنّ عثمان استشار المسلمين فأجمعوا على ديتهما، ولا يقتل بهما عبيدالله بن عمر، وكانا قد أسلما، وفرض لهما عمر، وكان عليّ بن أبي طالب لمّا بويع له أراد قتل عبيدالله بن عمر فهرب منه إلى معاوية بن أبي سفيان، فلم يزل معه فقتل بصفين[(١)].

١٣٥/٨ وذكر الطبري في تاريخه[(٢)] (٤١/٥) قال: جلس عثمان في جانب المسجد ـ لمّا بويع ـ ودعا عبيدالله بن عمر، وكان محبوساً في دار سعد بن أبي وقّاص، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جُفَينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وكان يقول: والله لأقتلنّ رجالاً ممّن شرك في دم أبي. يعرّض بالمهاجرين والأنصار فقام إليه سعد فنزع السيف من يده، وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه، فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا عليّ في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فقال عليّ: «أرى أن تقتله». فقال بعض المهاجرين: قُتل عمر أمس ويُقتل ابنه اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إنّ الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان، إنّما كان هذا الحدث ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليّهم وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي،

---

(١) حذفنا أسانيد هذه الأحاديث روماً للاختصار وهي كلّها مسندة. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٣٩/٤.

قال: وكان رجل من الأنصار يقال له: زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيدالله بن عمر قال:

ألا يــا عــبيدَ اللهِ مــا لك مــهربٌ ... ولا ملجأٌ من ابن أروىٰ[1] ولا خفرْ
أصــبتَ دمــاً واللهِ في غــيرِ حــلّهِ ... حراماً وقــتلُ الهــرمزان له خــطرْ
علىٰ غير شيءٍ غير أنْ قالَ قــائلٌ ... أتــتّهمون الهــرمزانَ عــلىٰ عــمرْ
فــقال ســفيهٌ والحــوادث جمّــةٌ ... نــعم اتّهــمه قــد أشــار وقــد أمــرْ
وكان سلاحُ العبدِ في جــوفِ بــيتِهِ ... يــقلّبها والأمــرُ بــالأمرِ يــعتبرْ

قال: فشكا عبيدالله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره، فدعا عثمان زياد ابن لبيد فنهاه، قال: فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبــا عــمرو عــبيدُاللهِ رهــنٌ ... فلا تشكك بــقتلِ الهــرمزانِ
فإنّك إن غفرتَ الجرمَ عــنه ... وأسباب الخطا فَرَسا رهانِ
أتعفو إذ عفوت بــغير حــقٍّ ... فما لك بالذي تحكــي يــدانِ

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذّبه. وذكره ابن الأثير في الكامل[2] (٣١/٥).

قال الأميني: الذي يعطيه الأخذ بمجامع هذه النقول أنّ الخليفة لم يُقِد عبيدالله قاتل الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة الصغيرة، مع إصرار غير واحد من الصحابة على القصاص، ووافقهم على ذلك مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، لكنه قدّم على رأيه ١٣٦/٨
الموافق للكتاب والسنّة، وهو أقضى الأُمّة بنص النبيّ الأمين وعلى آراء الصحابة إشارة عمرو بن العاصي ابن النابغة ـ المترجم في الجزء الثاني صفحة (١٢٠ ـ ١٧٦) بترجمة ضافية تعلمك حسبه ونسبه وعلمه ودينه ـ حيث قال له: إنّ هذا الأمر كان

---

(١) أروى بنت كريز أُمّ عثمان كما مرّ في: ص ١٢٠. (المؤلّف)

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٢٦/٢ حوادث سنة ٢٣هـ.

وليس لك على الناس سلطان ... إلخ. على حين أنّ من كانت له السلطة عندئذٍ، وهو الخليفة المقتول، في آخر رمق من حياته حكم بأن يقتصّ من ابنه إن لم يقم البيّنة العادلة بأنّ الهرمزان قتل أباه، ومن الواضح أنّه لم يقمها، فلم يزل عبيدالله رهن هذا الحكم حتى أطلق سراحه، وكان عليه مع ذلك دم جفينة وابنة أبي لؤلؤة.

وهل يشترط ناموس الإسلام للخليفة في إجرائه حدود الله وقوع الحوادث عند سلطانه؟ حتى يصاخ إلى ما جاء به ابن النابغة، وإن صحّت الأحلام فاستيهاب الخليفة لماذا؟ وهب أنّ خليفة الوقت له أن يهب أو يستوهب المسلمين حيث لا يوجد وليّ للمقتول، ولكن هل له إلغاء الحكم النافذ من الخليفة قبله؟ وهل للمسلمين الذين استوهبهم فوهبوا مالا يملكون ردّ ذلك الحكم البات؟ وعلى تقدير أن يكون لهم ذلك، فهل هبة أفراد منهم وافية لسقوط القصاص، أو يجب أن يوافقهم عليها عامّة المسلمين؟ وأنت ترى أنّ في المسلمين من ينقم ذلك الإسقاط وينقد من فعله، حتى أنّ عثمان لمّا رأى المسلمين أنّهم قد أبوا إلّا قتل عبيدالله أمره فارتحل إلى الكوفة وأقطعه بها داراً وأرضاً، وهي التي يقال لها: كويفة ابن عمر، فعظم ذلك عند المسلمين وأكبروه وكثر كلامهم فيه[1].

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو سيّد الأُمّة وأعلمها بالحدود والأحكام يكاشف عبيدالله ويهدّده بالقتل على جريته متى ظفر به، ولمّا ولي الأمر تطلّبه ليقتله فهرب منه إلى معاوية بالشام، وقتل بصفّين، كما في الكامل لابن الأثير[2] (٣٢/٣). وفي الاستيعاب[3] لابن عبدالبرّ: إنّه قتل الهرمزان بعد أن أسلم وعفا عنه عثمان، فلمّا ولي عليّ خشي على نفسه فهرب إلى معاوية فقتل بصفّين. وفي مروج

---

(١) راجع ما مرّ في: ص١٣٣، ومعجم البلدان: ٣٠٧/٧ [٤٩٦/٤]. (المؤلّف)

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٢٦/٢ حوادث سنة ٢٣هـ.

(٣) الاستيعاب: القسم الثالث/١٠١٢ رقم١٧١٨.

الذهب[١] (٢٤/٢): إنّ علياً ضربه [ضربةً][٢] فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه، وإنّ / علياً قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان: «لئن فاتني ١٣٧/٨
في هذا اليوم، لا يفوتني في غيره».

هذه كلّها تنمّ عن أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مستمرّاً على عدم العفو عنه، وأنّه لم يكن هناك حكم نافذ بالعفو يُتّبع، وإلّا لما طلبه ولا تحرّى قتله، وقد ذكّره بذلك يوم صفّين لمّا برز عبيدالله أمام الناس فناداه عليّ: «ويحك يابن عمر علام تقاتلني؟ والله لو كان أبوك حيّا ما قاتلني». قال: أطلب[٣] بدم عثمان. قال: «أنت تطلب بدم عثمان، والله يطلبك بدم الهرمزان»؛ وأمر عليّ الأشتر النخعي بالخروج إليه[٤].

إلى هنا انقطعت المعاذير في إبقاء عبيدالله والعفو عنه، لكن قاضي القضاة أطلع رأسه من مكمن التمويه، فعزا إلى شيخه، أبي عليّ أنّه قال[٥]: إنّما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلى عزّ الدين، لأنّه خاف أن يبلغ العدوّ قتله فيقال: قتلوا إمامهم، وقتلوا ولده، ولا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شماتة. انتهى.

أولا تسائل هذا الرجل؟ عن أيّ شماتة تتوجّه إلى المسلمين في تنفيذهم حكم شرعهم وإجرائهم قضاء الخليفة الماضي في ابنه الفاسق قاتل الأبرياء، وأنّهم لم تأخذهم عليه رأفة في دين الله لتعدّيه حدوده سبحانه ﴿ **وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[٦] ولم يكترثوا لأنّه في الأمس أُصيب بقتل أبيه واليوم يقتل هو

---

(١) مروج الذهب: ٢/٣-٤٠.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: أطالب.

(٤) مروج الذهب: ١٢/٢ [٣٩٩/٢]. (المؤلّف)

(٥) راجع شرح ابن أبي الحديد: ٢٤٢/١ [٦٠/٣ خطبة ٤٣]. (المؤلّف)

(٦) البقرة: ٢٢٩.

فتشتبك المصيبتان على أهله، هذا هو الفخر المرموق إليه في باب الأديان لأنّه منبعث عن صلابة في إيمان، ونفوذ في البصيرة، وتنمّر في ذات الله، وتحفّظ على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ؟ وأخذ بمجاميع الدين الحنيف، فأيّ أُمّة هي هكذا لا تنعقد عليها جمل الثناء ولا تفد إليها ألفاظ المدح والإطراء؟ وإنّما الشماتة في التهاون بالأحكام، وإضاعة الحدود بالتافهات، واتّباع الهوى والشهوات، لكن الشيخ أبا علي راقه أن يكون له حظٌّ من الدفاع فدافع.

ثمّ إنّ ما ارتكبه الخليفة خلق لمن يحتذي مثاله مشكلة ارتبكوا في التأوّل في
تبرير عمله الشاذّ عن الكتاب والسنّة. فمن زاعم أنّه عفا عنه ولوليّ الأمر ذلك. وهم ١٣٨/٨
يقولون: إنّ الإمام له أن يصالح على الدية إلّا أنّه لا يملك العفو، لأنّ القصاص حقّ المسلمين بدليل أنّ ميراثه لهم، وإنّما الإمام نائب عنهم في الإقامة، وفي العفو إسقاط حقّهم أصلاً ورأساً وهذا لا يجوز، ولهذا لا يملكه الأب والجدّ وإن كانا يملكان استيفاء القصاص، وله أن يصلح على الدية[١].

وثان يحسب أنّه استعفى المسلمين مع ذلك وأجابوه إلى طلبته وهم أولياء المقتول إذ لا وليّ له. ونحن لا ندري أنّهم هل فحصوا عن وليّه في بلاد فارس؟ والرجل فارسيّ هو وأهله، أو أنّهم اكتفوا بالحكم بالعدم؟ لأنّهم لم يشاهدوه بالمدينة، وهو غريب فيها ليس له أهل ولا ذوو قرابة، أو أنّهم حكموا بذلك من تلقاء أنفسهم؟ وما كان يضرّهم لو أرجعوا الأمر إلى أوليائه، في بلاده فيؤمنوهم حتى يأتوا إلى صاحب ترتهم[٢] فيقتصّوا منه أو يعفوا عنه؟

ثمّ متى أجاب المسلمون إلى طلبة عثمان؟ وسيّدهم يقول: «أقدِ الفاسق فإنّه أتى عظيماً». وقد حكم خليفة الوقت قبله بالقصاص منه، ولم يكن في مجتمع الإسلام

---

(١) بدائع الصنائع لملك العلماء الحنفي: ٧/ ٢٤٥. (المؤلّف)

(٢) الترة: الثأر.

من يدافع عنه ويعفو إلّا ابن النابغة، وقد مرّ عن ابن سعد قول الزهري من أنّه أجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتله.

وثالث يتفلسف بما سمعته عن الشيخ أبي علي، وهل يتفلسف بتلك الشماتة والوصمة والمسبّة على بني أُميّة في قتلهم من العترة الطاهرة والداً وما ولد وذبحهم في يوم واحد منهم رضيعاً ويافعاً وكهلاً وشيخاً سيد شباب أهل الجنّة؟

وهناك من يصوغ لهرمزان وليّاً يسمّيه القماذبان، ويحسب أنّه عفا بالحاح من المسلمين، أخرج الطبري في تاريخه[1] (٤٣/٥) عن السري وقد كتب إليه عن شعيب، عن سيف بن عمر، عن أبي منصور قال: سمعت القماذبان يحدّث عن قتل أبيه قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمرّ فيروز بأبي ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال: ما تصنع في هذه البلاد؟ فقال أبس[2] به، فرآه رجل. فلمّا أُصيب عمر قال: رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز، فاقبل عبيد الله فقتله، فلمّا ولي عثمان دعاني فأمكنني / منه، ثمّ قال: يا بنيّ هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منّا فاذهب ١٣٩/٨
فاقتله. فخرجت به وما في الأرض أحد إلّا معي إلّا أنّهم يطلبون إليّ فيه فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم. وسبّوا عبيد الله، فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبّوه. فتركته لله ولهم فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلّا على رؤوس الرجال وأكفّهم.

لو كان هذا الوليّ المزعوم موجوداً عند ذاك فما معنى قول عثمان في الصحيح المذكور على صهوة المنبر: لا وارث له إلّا المسلمون عامّة وأنا إمامكم؟ وما قوله الآخر في حديث الطبري نفسه: أنا وليّهم وقد جعلته دية واحتملتها في مالي؟ ولو كان يعلم بمكان هذا الوارث فلم حوّل القصاص إلى الدية قبل مراجعته؟ ثمّ لما حوّله فلم لم يدفع الدية إليه واحتملها في ماله؟ ثمّ أين صارت الدية وما فعل بها؟ أنا لا أدري!

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٤٣/٤.

(٢) بسّ الشيء: حطمه، وفي المصدر: آنس بدلاً من أبس.

ولو كان المسلمون يعترفون بوجود القماذبان وما في الأرض أحد إلّا معه وهو الذي عفا عن قاتل أبيه، فما معنى قول الخليفة: وقد عفوت، أفتعفون؟ وقوله في حديث البيهقي: قد عفوت عن عبيدالله بن عمر؟ وما معنى استيهاب الخليفة المسلمين وليّ المقتول حيّ يرزق؟ وما معنى مبادرة المسلمين إلى موافقته في العفو والهبة؟ وما معنى تشديد مولانا أمير المؤمنين في النكير على من تساهل في القصاص؟ وما معنى قوله عليه السلام لعبيد الله «يا فاسق لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنّك بالهرمزان»؟ وما معنى تطلّبه لعبيد الله ليقتله إبّان خلافته؟ وما معنى هربه من المدينة إلى الشام خوفاً من أمير المؤمنين؟ وما معنى قول عمرو بن العاصي لعثمان: إنّ هذا الأمر كان وليس لك على الناس سلطان؟ وما معنى قول سعيد بن المسيّب: فذهب دم الهرمزان هدراً؟ وما معنى قول لبيد بن زياد وهو يخاطب عثمان: أتعفو إذ عفوت بغير حقّ.. الخ؟ وما معنى ما رواه ملك العلماء الحنفي في بدائع الصنائع (٢٤٥/٧) وجعله مدرك الفتوى في الشريعة؟ قال: روي أنّه لمّا قُتِل سيّدنا عمر رضي الله عنه خرج الهرمزان والخنجر في يده، فظنّ عبيد الله أنّ هذا هو الذي قتل سيّدنا عمر رضي الله عنه فقتله، فرجع ذلك إلى سيّدنا عثمان رضي الله عنه فقال سيّدنا عليّ رضي الله عنه لسيّدنا عثمان: «اقتل عبيدالله» فامتنع سيّدنا عثمان رضي الله عنه وقال: كيف أقتل رجلاً قُتل أبوه أمس؟ لا أفعل؛ ولكن هذا رجل من أهل الأرض وأنا وليّه أعفو عنه وأودي ديته.

١٤٠/٨ وما معنى قول الشيخ أبي علي: إنّه لم يكن للهرمزان وليّ يطلب بدمه والإمام وليّ من لا وليّ له، وللوليّ أن يعفو؟

ولبعض ما ذكر زيّفه ابن الأثير في الكامل[١] (٣٢/٣) فقال: الأول أصحّ في إطلاق عبيدالله؛ لأنّ عليّاً لمّا ولي الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر وليّ الدم لم يتعرّض له عليّ. انتهى.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢٢٧/٢ حوادث سنة ٢٣هـ.

وقبل هذه كلّها ما في إسناد الرواية من الغمز والعلّة، كتبها إلى الطبري السري ابن يحيى الذي لا يوجد بهذه النسبة له ذكر قطّ، غير أنّ النسائي أورد عنه حديثاً لسيف بن عمر فقال: لعلّ البلاء من السري[1] وابن حجر يراه السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي الذي كذّبه يحيى بن سعيد وضعّفه غير واحد من الحفّاظ، ونحن نراه السري بن عاصم الهمداني نزيل بغداد المتوفّى (٢٥٨)، وقد أدرك ابن جرير الطبري شطراً من حياته يربو على ثلاثين سنة، كذّبه ابن خراش، ووهّاه ابن عدي[2]، وقال: يسرق الحديث وزاد ابن حبّان[3]: ويرفع الموقوفات لا يحلّ الاحتجاج بـه، وقـال النقاش في حديث: وضعه السري[4] فهو مشترك بين كذّابين لا يهمّنا تعيين أحدهما.

والتسمية بابن يحيى محمولة على النسبة إلى أحد أجداده كما ذكره ابن حجر في تسميته بابن سهل[5] هذا إن لم تكن تدليساً، ولا يحسب القارئ أنّه السري بن يحيى الثقة لقدم زمانه وقد توفّي سنة (١٦٧)[6] قبل ولادة الطبري ـ الراوي عنه المولود سنة (٢٢٤) ـ بسبع وخمسين سنة.

وفي الإسناد شعيب بن إبراهيم الكـوفي المجـهول، قـال ابـن عـدي[7]: ليس بالمعروف وقال الذهبي: راوية كتب سيف عنه فيه جهالة[8].

---

(١) تهذيب التهذيب: ٣/ ٤٦٠ [٣/ ٣٩٩]. (المؤلّف)

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣/ ٤٦٠ رقم ٨٧٤.

(٣) كتاب المجروحين: ١/ ٣٥٥.

(٤) تاريخ الخطيب: ٩/ ١٩٣ [رقم ٤٧٧٠]، ميزان الاعتدال: ١/ ٣٨٠ [٢/ ١١٧ رقم ٣٠٨٩]، لسان الميزان: ٣/ ١٣ [٣/ ١٦ رقم ٣٦٢٤] مرّ في: ٥/ ٢٣١. (المؤلّف)

(٥) لسان الميزان: ٣/ ١٣. (المؤلّف)

(٦) تهذيب التهذيب: ٣/ ٤٦١ [٣/ ٤٠٠]. (المؤلّف)

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال: ٤/ ٤ رقم ٨٨٥.

(٨) ميزان الاعتدال: ١/ ٤٤٨ [٢/ ٢٧٥ رقم ٣٧٠٤]، لسان الميزان: ٣/ ١٤٥ [٣/ ١٧٦ رقم ٤١٠٠]. (المؤلّف)

وفيه سيف بن عمر التميمي راوي الموضوعات، المتروك، الساقط، المتسالم

١٤١/٨ على / ضعفه: المتّهم بالزندقة، كما مرّت ترجمته في صفحة (٨٤). وقد مرّ عن السيوطي[١] أنّه ذكر حديثاً بهذا الطريق وقال: موضوع فيه ضعفاء أشدّهم سيف بن عمر.

وفيه: أبو منصور، مشترك بين عدّة ضعفاء لا يعوّل عليهم ولا على روايتهم.

عذر مفتعل:

إنّ المحبّ الطبري أعماه الحبّ وأصمّه فجاء بعذر مفتعل غير ما ذكر، قال في رياضه النضرة[٢] (٢/١٥٠): عنه جوابان:

الأوّل: أنّ الهرمزان شارك أبا لؤلؤة في ذلك ومالأه، وإن كان المباشر أبا لؤلؤة وحده، ولكن المعين على قتل الإمام العادل يباح قتله عند جماعة من الأئمّة، وقد أوجب كثير عن الفقهاء القود على الآمر والمأمور. وبهذا اعتذر عبيدالله بن عمر وقال: إنّ عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره أنّه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة يدخلون في مكان يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه في وسطه فقتل عمر في صبيحة تلك الليلة، فاستدعى عثمان عبد الرحمن فسأله عن ذلك فقال: انظروا إلى السكّين فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلّا وقد اجتمعوا على قتله. فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبدالرحمن، فلذلك ترك عثمان قتل عبيدالله بن عمر لرؤيته عدم وجوب القود لذلك، أو لتردّده فيه فلم ير الوجوب بالشك.

والجواب الثاني: أنّ عثمان خاف من قتله ثوران فتنة عظيمة لأنّه كان بنوتيم وبنو عدي مانعين من قتله، ومانعين عنه، وكان بنو أُميّة أيضاً جانحين إليه، حتى قال

---

(١) اللآلئ المصنوعة: ٤٢٩/١.

(٢) الرياض النضرة: ٨٨/٣.

له عمرو بن العاص: قُتل أمير المؤمنين عمر بالأمس، ويُقتل ابنه اليوم؟ لا والله لا يكون هذا أبداً، ومال في بني جمح، فلمّا رأى عثمان ذلك اغتنم تسكين الفتنة وقال: أمره إليّ وسأرضي أهل الهرمزان منه.

قال الأميني: إنّ إثبات مشاركة هرمزان أبا لؤلؤة في قتل الخليفة على سبيل البتّ لمحض ما قاله عبدالرحمن بن أبي بكر من أنّه رآهما متناجيين وعند أبي لؤلؤة خنجر له رأسان دونه خرط القتاد، فإنّ من المحتمل أنّهما كانا يتشاوران في أمر آخر بينهما، أو أنّ أبا لؤلؤة استشاره فيما يريد أن يرتكب فنهاه عنه الهرمزان، لكنّه لم يصغ إلى قيله فوقع القتل غداً، إلى أمثال هذين من المحتملات، فكيف يلزم الهرمزان والحدود تُدرَأ بالشبهات[1]؟ ١٤٢/٨

هبّ أنّ عبدالرحمن شهد بتلك المشاركة، وادّعى أنّه شاهد الوقفة بعينه، فهل يُقتل مسلم بشهادة رجل واحد في دين الله؟ ولم تنعقد البيّنة الشرعيّة مصافقة لتلك الدعوى، ولهذا لما أُنهيت القضيّة من اختلاء الهرمزان بأبي لؤلؤة إلى آخرها إلى عمر نفسه قال: ما أدري هذا، انظروا إذا أنا متّ فاسألوا عبيدالله البيّنة على الهرمزان، هو قتلني؟ فإن أقام البيّنة فدمه بدمي، وإذا لم يقم البيّنة فأقيدوا عبيدالله من الهرمزان.

وهب أنّ البيّنة قامت عند عبيد الله على المشاركة، فهل له أن يستقلّ بالقصاص؟ أو أنّه يجب عليه أن يرفع أمره إلى أولياء الدم؟ لاحتمال العفو في بقيّة الورثة مضافاً إلى القول بأنّه من وظائف السلطان أو نائبه، وعلى هذا الأخير الفتوى المطّردة بين العلماء[2].

---

(١) سنن ابن ماجه: ١١٢/٢ [٨٥٠/٢ ح ٢٥٤٥]، سنن البيهقي: ٢٣٨/٨، سنن الترمذي: ١٧١/٢ [٢٥/٤ ح ١٤٢٤]، أحكام القرآن للجصّاص: ٣٣٠/٣ [٢٦٨/٣]، تيسير الوصول: ٢٠/٢ [٢٣/٢]. **(المؤلّف)**

(٢) كتاب الأم للشافعي: ١١/٦، المدوّنة الكبرى: ٥٠٢/٤ [٤٣٧/٦]، فيض الإله المالك للبقاعي: ٢٨٦/٢ [٢٨٧/٢]. **(المؤلّف)**

على أنّه لو كانت لعبيدالله أو لمن عطّل القصاص منه معذرة كهذه لأبدياها أمام الملأ المنتقد، ولما قال مولانا أمير المؤمنين: «اقتل هذا الفاسق»، ولما تهدّده بالقتل متى ظفر به، ولما طلبه ليقتله إبّان خلافته، ولما هرب عنه عبيدالله إلى معاوية، ولما اقتصر عثمان بالعذر بأنّه وليّ الدم، وأنّ المسلمين كلّهم أولياء المقتول، ولما وهبه واستوهب المسلمين، ولما كان يقع الحوار بين الصحابة الحضور في نفس المسألة، ولما قام إليه سعد بن أبي وقّاص وانتزع السيف من يده وجرّه من شعره حتى أضجعه وحبسه في داره.

وهب أنّه تمّت لعبيدالله هذه المعذرة فماذا كان اعتذاره في قتل بنت أبي لؤلؤة المسكينة الصغيرة، وتهديده الموالي كلّهم بالقتل[١]؟

٢ ـ أنا لا أدري من أين جاء المحبّ بهذا التاريخ الغريب من نهضة تيم وعدي ومنعهم من قتل عبيد الله، وجنوح الأمويّين إليهم بصورة عامّة، حتى خافهم الخليفة الجديد. وأيّ خليفة هذا يستولي عليه الفرق من أوّل يومه؟ فإذا تبيّنت عليه هذه الضؤولة في مفتتح خلافته، فبأيّ هيبة يسوس المجتمع بعده؟ ويقتصّ القاتل، ويقيم الحدود، ولكلّ مقتصّ منه أو محدود قبيلة تغضب له، ولها أحلاف يكونون عند مرضاتها.

ليس في كتب التاريخ والحديث أيّ أثر ممّا ادّعاه المحبّ المعتذر، وإلّا لكان سعد ابن أبي وقّاص أولى بالخشية يوم قام إلى عبيدالله وجرّ شعره، وحبسه في داره، ولم يُر أيّ تيميّ طرق باب سعد، ولا عدويّ أنكر عليه، ولا أمويّ أظهر مقته على ذلك، لكن المحبّ يريد أن يستفزّهم وهم رمم بالية.

ثمّ لو كان عند من ذكرهم جنوح إلى تعطيل هذا الحكم الإلهي حتى أوجب ذلك حذار الخليفة من بوادرهم، فإنّه معصية تنافي عدالة الصحابة، وقد أطبق القوم

(١) ما تقدّم ردّ الجواب الأوّل للمحبّ الطبري.

على عدالتهم. ولو كان الخليفة يروعه إنكار المنكرين على ما يريد أن يرتكب فلماذا لم يرعه إنكار الصحابة على الأحداث في أُخرياته؟ حتى أودت به، أكان هيّاباً ثمّ تشجّع؟ سل عنه المحبّ الطبري.

ـ ٨ ـ

رأي الخليفة في الجنابة

أخرج مسلم في الصحيح بالإسناد عن عطاء بن يسار: أنّ زيد بن خالد الجهني أخبره أنّه سأل عثمان بن عفّان قال: قلت: أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُمنِ؟ قال عثمان: يتوضّأ كما يتوضّأ للصلاة، ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وأخرجه البخاري في صحيحه، وزاد عليه، ولفظه: سُئل عثمان بن عفّان عن الرجل يجامع فلا يُنزل، فقال: ليس عليه غسل. ثمّ قال: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فسألت بعد ذلك عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وأُبيّ ابن كعب فقالوا مثل ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. وأخرجه بطريق آخر وفيه: فأمروه بذلك، بدل قوله: فقالوا مثل ذلك عن النبيّ[2].

١٤٤/٨ وأخرجه أحمد في مسنده[3] (٦٣/١، ٦٤) وفيه: فسألت عن ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وأُبيّ بن كعب فأمروه بذلك. فليس في لفظه (عن رسول الله) وبالألفاظ الثلاثة ذكره البيهقي في السنن الكبرى(١٦٤/١، ١٦٥).

---

(١) صحيح مسلم: ١٤٢/١ [٣٤٣/١ ح٨٦ كتاب الحيض]. (المؤلّف)

(٢) صحيح البخاري: ١٠٩/١ [١١١/١ ح٢٨٨]. (المؤلّف)

(٣) مسند أحمد: ١٠١/١ ح٤٥٠، ص١٠٣ ح٤٦٠.

قال الأميني : هذا مبلغ فقه الخليفة إبّان خلافته وبين يديه قوله تعالى : ﴿ **لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وَأنتُم سُكَارَىٰ حَتّىٰ تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إلّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتّىٰ تَغتَسِلُوا** ﴾[1] .

قال الشافعي في كتاب الأمّ[2] (٣١/١) : فأوجب الله عزّ وجلّ الغسل من الجنابة ، فكان معروفاً في لسان العرب أنّ الجنابة الجماع وإن لم يكن مع الجماع ماء دافق ، وكذلك ذلك في حدّ الزنا وإيجاب المهر وغيره ، وكلّ من خوطب بأنّ فلاناً أجنب من فلانة عقل أنّه أصابها وإن لم يكن مقترفاً ، قال الربيع : يريد أنّه لم ينزل .

ودلّت السنّة على أنّ الجنابة أن يفضي الرجل من المرأة حتى يغيب فرجه في فرجها إلى أن يواري حشفته ، أو أن يرى الماء الدافق ، وإن لم يكن جماع . انتهى .

وقال في اختلاف الحديث في هامش كتاب الأُم[3] (٣٤/١) : فكان الذي يعرفه من خوطب بالجنابة من العرب أنّها الجماع دون الإنزال ، ولم تختلف العامّة أنّ الزنا الذي يجب به الحدّ الجماع دون الإنزال ، وأنّ من غابت حشفته في فرج امرأة وجب عليه الحدّ ، وكان الذي يشبه أنّ الحدّ لا يجب إلّا على من أجنب من حرام . انتهى .

وفي تفسير القرطبي[4] (٢٠٤/٥) : الجنابة : مخالطة الرجل المرأة . والجمهور من الأُمّة على أنّ الجنب هو غير الطاهر من إنزال أو مجاوزة ختان . انتهى .

ثمّ كيف عزب عن الخليفة حكم المسألة ، وقد مرّنته الأسئلة ، وعلّمته الجوابات النبويّة ، وبمسمع منه مذاكرات الصحابة لما وعوه عن رسول الله ﷺ وإليك جملة منها :

---

(١) النساء : ٤٣ .

(٢) كتاب الأم : ٣٦/١ .

(٣) اختلاف الحديث : ص٤٩٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٣٣/٥ .

١ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قعد بين شعبها الأربع وألزق الختان بالختان فقد وجب الغسل».

وفي لفظ «إذا قعد بين شعبها الأربع، ثمّ أجهد نفسه، فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل».

وفي لفظ ثالث: «إذا التقى الختان بالختان وجب الغسل أنزل أو لم ينزل». ١٤٥/٨

وفي لفظ أحمد: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ثمّ جهد، فقد وجب الغسل».

صحيح البخاري (١٠٨/١) صحيح مسلم (١٤٢/١)، سنن الدارمي (١٩٤/١)، سنن البيهقي (١٦٣/١)، مسند أحمد (٢٣٤/٢، ٣٤٧، ٣٩٣)، المحلّى لابن حزم (٣/٢)، مصابيح السنّة (٣٠/١)، الاعتبار لابن حازم (ص٣٠)، تفسير القرطبي (٢٠٠/٥)، تفسير الخازن (٣٧٥/١)[1].

٢ ـ عن أبي موسى: أنّهم كانوا جلوساً فذكروا ما يوجب الغسل، فقال من حضره من المهاجرين: إذا مسّ الختان الختان وجب الغسل. وقال من حضره من الأنصار: لا حتى يدفق. فقال أبو موسى: أنا آتي بالخبر، فقام إلى عائشة فسلّم ثمّ قال: إنّي أُريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحييك، فقالت: لا تستحي أن تسألني عن شيء كنت سائلاً عنه أُمّك التي ولدتك إنّما أنا أُمّك. قال: قلت: ما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومسّ الختان الختان وجب الغسل».

صحيح مسلم (١٤٣/١)، مسند أحمد (١١٦/٦)، الموطّأ لمالك (٥١/١)، كتاب

---

(١) صحيح البخاري: ١١٠/١ ح٢٨٧، صحيح مسلم: ٣٤٤/١ ح٨٧ كتاب الحيض، مسند أحمد: ٤٦٦/٢ ح٧١٥٧، ٢٣/٣ ح٨٣٦٩، ص١٠٢ ح٨٨٦٣، مصابيح السنّة: ٢١٢/١ ح٢٩٢، الاعتبار: ص١٢٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٣٤/٥، تفسير الخازن: ٤٤٣/١.

الأُم للشافعي (٣١/١، ٣٣)، سنن البيهقي (١٦٤/١)، المحلّى لابن حزم (٢/٢)، المصابيح للبغوي (٣٢/١)، سنن النسائي، وصححه ابن حبّان، وابن القطان، الاعتبار لابن حازم (ص ٣٠)[١].

٣ ـ عن أُم كلثوم عن عائشة: أنّ رجلاً سأل النبيّ ﷺ عن الرجل يجامع أهله [ثم][٢] يكسل هل عليه من غسل؟ وعائشة جالسة، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لأفعل ذلك أنا وهذه [ثم][٣] نغتسل».

صحيح مسلم (١٤٣/١)، سنن البيهقي (١٦٤/١)، المدوّنة الكبرى (٣٤/١)[٤].

٤ ـ عن الزهري: أنّ رجالاً من الأنصار فيهم أبو أيّوب وأبو سعيد الخدري كانوا يفتون: الماء من الماء، وأنّه ليس على من أتى امرأته فلم ينزل غسل، فلمّا ذكر ذلك لعمر، وابن عمر، وعائشة أنكروا ذلك، وقالوا: إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل.

١٤٦/٨ صحيح الترمذي[٥] (١٦/١)، وصحّحه فقال: وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ. سنن البيهقي (١٦٥/١).

٥ ـ عن عائشة قالت: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله فاغتسلنا».

وفي لفظ: «إذا قعد بين الشعب الأربع، ثمّ ألزق الختان بالختان فقد وجب الغسل».

---

(١) صحيح مسلم: ٣٤٤/١ ح٨٨ كتاب الحيض، مسند أحمد: ١٦٣/٧ ح٢٤٢٩٦، موطّأ مالك: ٤٥/١، كتاب الأُم: ٣٧/١، ٣٩، مصابيح السنّة: ٢١٦/١ ح٣٠٢، السنن الكبرى: ١٠٨/١ ح١٩٧، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٤٥٢/٣ ح١١٧٦، الاعتبار: ص ١٢٠.

(٢) و (٣) من المصدر.

(٤) صحيح مسلم: ٣٤٥/١ ح٨٩ كتاب الحيض، المدّونة الكبرى: ٣٠/١.

(٥) سنن الترمذي: ١٨٠/١ ح١٠٩.

سنن ابن ماجه[١]، مسند أحمد[٢] (٤٧/٦، ١١٢، ١٦١).

٦ ـ عن عمرو بن شعيب بن عبدالله بن عمرو بن العاصي عن أبيه مرفوعاً عن جدّه: «إذا التقى الختانان وتوارت الحشفة فقد وجب الغسل». وزاد في المدوّنة: «أنزل أو لم ينزل».

سنن ابن ماجه (٢١٢/١)، المدوّنة الكبرى (٣٤/١)، مسند أحمد (١٧٨/٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة كما في نيل الأوطار (٢٧٨/١)[٣].

وكأنّ الخليفة كان بمنتأى عن هذه الأحاديث فلم يسمعها ولم يعِها، أو أنّه سمعها لكنّه ارتأى فيها رأياً تجاه السنّة المحقّقة، أو أنّه أدرك من أوليات الإسلام ظرفاً لم يشرّع فيه حكم الغسل، وهو المراد ممّا زعم أنّه سمعه من رسول الله فحسب أنّه مستصحب إلى آخر الأبد حيث لم يتحرّ التعلّم، ولم يُصِخ إلى المحاورات الفقهيّة حتى يقف على تشريع الحكم إلى أن تقلّد الخلافة على من يعلم الحكم وعلى من لا يعلمه، فألهته عن الأخذ والتعلّم، ثمّ إذ لم يجد منتدحاً عن الفتيا في مقام السؤال فأجاب بما ارتآه أو بما علق في خاطره منذ دهر طويل قبل تشريع الحكم.

أو أنّه كان سمع حكماً منسوخاً وعزب عنه ناسخه بزعم من يرى أنّ قوله ﷺ «الماء من الماء»[٤] وما يشابهه في المعنى من قوله: «إذا أُعجِلت أو أُقحِطت[٥] فلا

---

(١) سنن ابن ماجه: ١٩٩/١ ح٦٠٨.

(٢) مسند أحمد: ٧٢/٧ ح٢٣٦٨٦، ص١٦٣ ح٢٤٢٩٦، ص٢٣١ ح٢٤٧٥٣.

(٣) سنن ابن ماجه: ٢٠٠/١ ح٦١١، المدوّنة الكبرى: ٣٠/١ مسند أحمد: ٣٧٣/٢ ح٦٦٣٢، مصنّف ابن أبي شيبة ١١٢/١، نيل الأوطار: ٢٦١/١.

(٤) صحيح مسلم: ١٤١/١، ١٤٢ [٣٤١/١ ح٨٠ كتاب الحيض]، سنن ابن ماجه: ٢١١/١ [٢٠٠/١ ح٦٠٧]، سنن البيهقي: ١٦٧/١. (المؤلّف)

(٥) الإقحاط كناية عن عدم الإنزال.

غسل عليك وعليك الوضوء»[(١)] قد نسخ بتشريع الغسل إن كان الاجتزاء بالوضوء فحسب حكماً لموضوع المسألة، وكان قوله ﷺ: «الماء من الماء» وارداً في الجماع. وأمّا على ما ذهب إليه ابن عبّاس من أنّه ليس منسوخاً بل المراد به نفي وجوب
١٤٧/٨ الغسل بالرؤية / في النوم إذا لم يوجد احتلام[(٢)] كما هو صريح قوله ﷺ: «إن رأى احتلاماً ولم ير بللاً فلا غسل عليه»[(٣)] فمورد سقوط الغسل أجنبي عن المسألة هذه فلا ناسخ ولا منسوخ.

قال القسطلاني في إرشاد الساري[(٤)] (٣٣١/١)، والنووي في شرح مسلم هامش الإرشاد[(٥)] (٤٢٦/٢): الجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا: إنّه منسوخ ويعنون بالنسخ أنّ الغسل من الجماع بغير إنزال كان ساقطاً ثمّ صار واجباً، وذهب ابن عبّاس وغيره إلى أنّه ليس منسوخاً بل المراد نفي وجوب الغسل بالرؤية في النوم إذا لم ينزل، وهذا الحكم باقٍ بلا شك. انتهى.

وأمّا ما مرّ في روايات أوّل العنوان من موافقة مولانا أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وأبيّ ابن كعب وآخرين لعثمان في الفتيا، فمكذوب عليهم ستراً على عوار جهل الخليفة بالحكم في مسألة سمحة سهلة كهذه، أمّا الإمام عليه السلام فقد مرّ في الجزء السادس (ص ٢٤٤)[(٦)]

---

(١) صحيح مسلم: ١٤٢/١ [٢٤٢/١ ح٨٣ كتاب الحيض]، سنن ابن ماجه: ٢١١/١ [١٩٩/١ ح٦٠٦]. (المؤلّف)

(٢) مصابيح البغوي: ٣١/١ [٢١٢/١ ح٢٩٣]، تفسير القرطبي: ٢٠٥/٥ [١٣٤/٥]، الاعتبار لابن حازم: ص٣١ [ص١٢٢]، فتح الباري: ٣١٦/١ [٣٩٨/١]. (المؤلّف)

(٣) سنن الدارمي: ١٩٦/١، سنن البيهقي: ١٦٧/١، ١٦٨، مصابيح البغوي: ٣١/١ [٢١٥/١ ح٣٠١]. (المؤلّف)

(٤) إرشاد الساري: ٦١٣/١.

(٥) شرح صحيح مسلم: ٣٦/٤.

(٦) الطبعة الاولى و ص٢٦١ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

ردّه على الخليفة الثاني في نفس المسألة وقوله: «إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل». فأرسل عمر إلى عائشة فقالت مثل قول عليّ عليه السلام فأخبت إليه الخليفة فقال: لا يبلغني أنّ أحداً فعله ولا يغسل إلّا أنهكته عقوبة.

وقد علم يوم ذاك حكم المسألة كلّ جاهل به ورفع الخلاف فيها، قال القرطبي في تفسيره[1] (٢٠٥/٥): على هذا جماعة العلماء من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، وأنّ الغسل يجب بنفس التقاء الختانين وقد كان فيه خلاف بين الصحابة ثمّ رجعوا فيه إلى رواية عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. أترى عليّاً عليه السلام وافق عثمان وحكم خلاف ما أنزل الله تعالى بعد إفتائه به، وسوق الناس إليه، وإقامة الحجّة عليه بشهادة من سمعه عن النبيّ الأعظم؟ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾[2].

وأمّا أُبيّ بن كعب فقد جاء عنه من طرق صحيحة قوله: إنّ الفتيا التي كانت الماء من الماء رخصة أرخصها رسول الله في أوّل الإسلام ثمّ أمر بالغسل.

وفي لفظ: إنّما كانت الفتيا في الماء من الماء في أوّل الإسلام ثمّ نهي عنها. ١٤٨/٨

وفي لفظ: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّما جعل ذلك رخصة للناس في أوّل الإسلام لقلّة الثياب، ثمّ أمر بالغسل. وفي لفظ: ثمّ أمر بالاغتسال بعد[3].

فليس من الممكن أنّ أُبيّاً يروي هذه كلّها، ثمّ يوافق عثمان على سقوط الغسل بعد ما تبيّن حكم المسألة وشاع وذاع في أيّام الخليفة الثاني.

وأمّا غيرهما: في فتح الباري[4] (٣١٥/١) عن أحمد أنّه قال: ثبت عن هؤلاء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٤/٥.

(٢) النجم: ٢٣.

(٣) سنن الدارمي: ١٩٤/١، سنن ابن ماجه: ٢١٢/١ [٢٠٠/١ ح٦٠٩]، سنن البيهقي: ١٦٥/١، الاعتبار لابن حازم: ص٣٣ [ص ١٢٤]. (المؤلّف)

(٤) فتح الباري: ٣٩٧/١.

الخمسة الفتوى بخلاف ما في هذا الحديث.

فنسبة القول بعدم وجوب الغسل في التقاء الختانين إلى الجمع المذكور بهت وقول زور، وقد ثبت منهم خلافه، تقوّل القوم عليهم لتخفيف الوطأة على الخليفة، وافتعلوا للغاية نفسها أحاديث منها ما في المدوّنة الكبرى[١] (٣٤/١) من طريق ابن المسيّب قال: إنّ عمر بن الخطّاب، وعثمان بن عفّان، وعائشة كانوا يقولون: إذا مسّ الختان الختان فقد وجب الغسل.

حسب المغفل أنّه باختلاق هذه الرواية يمحو ما خطّته يد التاريخ والحديث في صحائفهما من جهل الرجلين بالحكم، ورأيهما الشاذّ عن الكتاب والسنّة.

وأعجب من هذا عدّ ابن حزم في المحلّى (٤/٢) عليّاً وابن عبّاس وأُبيّاً وعثمان وعدّة أُخرى وجمهور الأنصار، ممّن رأى أن لا غسل من الإيلاج إن لم يكن أنزل، ثمّ قال: وروي الغسل في ذلك عن عائشة وأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وابن عبّاس إلخ. كلّ هذه آراء متضاربة ونسب مفتعلة لفّقها أمثال ابن حزم لتزحزح فتوى الخليفتين عن الشذوذ.

وأخرج أحمد في مسنده[٢] (١٤٣/٤) من طريق رشدين بن سعد، عن موسى ابن أيوب الغافقي، عن بعض ولد رافع بن خديج، عن رافع بن خديج قال: ناداني رسول الله ﷺ، وأنا على بطن امرأتي، فقمت ولم أنزل، فاغتسلت وخرجت إلى رسول الله ﷺ فاخبرته أنّك دعوتني وأنا على بطن امرأتي، فقمت ولم أنزل، ١٤٩/٨ فاغتسلت، فقال / رسول الله ﷺ لا عليك، الماء من الماء. قال رافع: ثم أمرنا رسول الله ﷺ بعد ذلك بالغسل.

---

(١) المدوّنة الكبرى: ٣٠/١.

(٢) مسند أحمد: ١٣٥/٥ ح١٦٨٣٧.

هذه الرواية افتعلها واضعها لإبطال تأويل ابن عباس وإثبات النسخ ذاهلاً عن أنّ هذا لا يبرّر ساحة عثمان من لوث الجهل أيام خلافته بالحكم الناسخ.

وهل في وسع ذي مرّة تعقل حكاية ابن خديج قصّته لرسول الله ﷺ؟ وأنّه كان على بطن امرأته لما دعاه، وأنّه قام ولم ينزل؟ هل العادة قاضية لنقل مثل هذه لمثل رسول الله ﷺ؟

ثمّ إن كان الرجل قام من فوره لدعوة نبيّه، ولم يقض من حليلته وطره، فلماذا أرجأ إجابة تلك الدعوة بالاغتسال ولم يكن واجباً؟ فممّن أخذه؟ ولماذا اغتسل ولمّا أمروا به بعد؟

والنظرة في إسناد الرواية تغنيك عن البحث عمّا في متنها لمكان رشدين بن سعد أبي الحجّاج المصري، ضعّفه أحمد[1]، وقال ابن مَعِين[2]: لا يكتب حديثه، ليس بشيء، وقال أبو زُرعة: ضعيف الحديث. وقال أبو حاتم[3]: منكر الحديث فيه غفلة ويحدّث بالمناكير عن الثقات، ضعيف الحديث. وقال الجوزقاني: عنده معاضيل ومناكير كثيرة وقال النسائي[4]: متروك الحديث ضعيف لا يكتب حديثه. وقال ابن عدي[5]: أحاديثه ما أقلّ من يتابعه عليها. وقال ابن سعد[6]: كان ضعيفاً. وقال ابن قانع، والدارقطني[7]، وأبو داود: ضعيف الحديث. وقال يعقوب بن سفيان: رشدين أضعف وأضعف.

---

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٤٧٩/٢ رقم ٣١٤٥.
(٢) معرفة الرجال: ٥١/١ رقم ١٥.
(٣) الجرح والتعديل: ٥١٣/٣ رقم ٢٣٢٠.
(٤) كتاب الضعفاء المتروكين: ص ١٠٧ رقم ٢١٢.
(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٤٩/٣ رقم ٦٦٩.
(٦) الطبقات الكبرى: ٥١٧/٧.
(٧) الضعفاء والمتروكون: ص ٢٠٩ رقم ٢٢٠.

عن : موسى بن أيوب الغافقي وهو وإن حكيت ثقته عن ابن مَعِين، غير أنّه نقل عنه أيضاً قوله فيه: منكر الحديث، وكذا قال الساجي، وذكره العقيلي[١] في الضعفاء[٢].

عن : بعض ولد رافع، مجهول لا يعرف، فالرواية مرسلة بإسناد لا يعوّل عليه، قال الشوكاني في نيل الأوطار[٣] (٢٨٠/١): حسّنه الحازمي، وفي تحسينه نظر، لأنّ في إسناده رشدين، وليس من رجال الحسن، وفيه أيضاً مجهول لأنّه قال عن بعض ولد رافع بن خديج، فالظاهر ضعف الحديث لا حسنه. انتهى.

وأمّا تبرير عثمان بتوهّم كون السؤال عنه والجواب قبل تشريع الحكم، أو قبل نسخه السابق في أوّل الإسلام على العهد النبويّ، كما يعرب عنه كلام القسطلاني في
١٥٠/٨ إرشاد الساري[٤] (٣٣٢/١)، فمن المستبعد جدّاً، فإنّ المسؤول يومئذٍ عن الأحكام وعن كلّ مشكلة هو رسول الله لا غيره، فما كان عثمان يُسأل عن حكم حتى إذا جهله رجع السائل إلى أفراد آخرين، فتصل النوبة إلى طلحة والزبير دون رسول الله؛ وأين كان الشيخان يوم ذاك؟ وقد رووا عن ابن عمر أنّه لم يك يفتي على عهد رسول الله أحد إلّا أبو بكر وعمر كما مرّ في (١٨٢/٧)، فلا يسع لأيّ أحد الدفاع عن الخليفة بهذا التوهّم.

وإن تعجب فعجب قول البخاري[٥]: الغسل أحوط، وذاك الأخير إنّما بيّناه لاختلافهم. قاله بعد إخراج رواية أبي هريرة الموجبة للغسل المذكورة (ص١٤٤)،

---

(١) الضعفاء الكبير: ٦٦/٢ رقم ٥٠٩.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٧٧/٣ و ٣٣٦/١٠ [٢٤٠/٣ و ٢٩٩/١٠]. (المؤلّف)

(٣) نيل الأوطار: ٢٦٢/١.

(٤) إرشاد الساري: ٦١٥/١.

(٥) صحيح البخاري: ١١١/١ ح ٢٨٩.

وفتوى عثمان المذكورة وحديث أُبيّ الموافق معه، فجنح إلى رأي عثمان، وضرب عمّا جاء به نبيّ الإسلام، وأجمعت عليه الصحابة والتابعون والعلماء، كما سمعت عن القرطبي، وقال النووي في شرح مسلم[1] هامش إرشاد الساري (٤٢٥/٢): إنّ الأُمّة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع، وإن لم يكن معه إنزال، وعلى وجوبه بالإنزال. انتهى.

وهذا الإجماع من عهد الصحابة وهلمّ جرّا، وقال القاضي عياض: لا نعلم أحداً قال به بعد خلاف الصحابة إلّا ما حُكي عن الأعمش، ثمّ بعده داود الأصبهاني.

وقال القسطلاني في الإرشاد[2] (٣٣٣/١): قال البدر الدماميني كالسفاقسي: فيه جنوح لمذهب داود، وتعقّب هذا القول البرماوي بأنّه إنّما يكون ميلاً لمذهب داود، والجمهور على إيجاب الغسل بالتقاء الختانين وهو الصواب.

وقال ابن حجر في فتح الباري[3] (٣١٦/١): قال ابن العربي: إيجاب الغسل أطبق عليه الصحابة ومن بعدهم، وما خالف فيه إلّا داود، ولا عبرة بخلافه، وإنّما الأمر الصعب مخالفة البخاري وحكمه بأنّ الغسل مستحبّ، وهو أحد أئمّة الدين وأجلّة علماء المسلمين. انتهى.

فلا تعجب عن بخاريّ يقدّم في الفتوى رأي مثل عثمان على ما جاء به رسول الله ﷺ بعد إجماع الأُمّة عليه تقديه نظراء عمران بن حطّان الخارجي على الإمام الصادق جعفر بن محمد في الرواية.

﴿ وَلَئِنْ اتَّبَعتَ أهواءَهُم مِنْ بَعدِ ما جَاءَكَ مِن العِلمِ إنَّك إذاً لَمِنَ الظَّالِمين ﴾[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم: ٣٦/٤.

(٢) إرشاد الساري: ٦١٧/١.

(٣) فتح الباري: ٣٩٨/١.

(٤) البقرة: ١٤٥.

- ٩ -

كتمان الخليفة حديث النبيّ ﷺ

أخرج أحمد في مسنده(١) (٦٥/١) عن أبي صالح قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يقول على المنبر: أيّها الناس إنّي كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرّقكم عنّي، ثمّ بدا لي أن أحدّثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل».

وأخرج في المسند(٢) (٦١/١، ٦٥) عن مصعب قال: قال عثمان بن عفّان رضي الله عنه وهو يخطب على منبره: إنّي محدّثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ما كان يمنعني أن أحدّثكم إلّا الضنّ بكم، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها».

وأخرج في المسند(٣) (٥٧/١) عن حمران قال: توضّأ عثمان رضي الله عنه على البلاط ثمّ قال: لأحدّثنكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لولا آية في كتاب الله ما حدّثتكموه، سمعت النبي ﷺ يقول: «من توضّأ فأحسن الوضوء ثمّ دخل فصلّى غُفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصلّيها».

وذكرها غير واحد من الحفّاظ أخذاً من مسند أحمد.

قال الأميني: ليت مخبراً يخبرني عن مبرّر هذا الشحّ عن تعليم أُمّة محمد ﷺ بتلكم الأحاديث، والناس في حاجة أكيدة إلى الحديثين في فضل الجهاد والمرابطة اللذين بهما قام عمود الدين، ومُطط أديمه، ودخلت هيبته القلوب، وكانوا يومئذٍ

---

(١) مسند أحمد: ١٠٥/١ ح٤٧٢.

(٢) المصدر السابق: ص٩٨ ح٤٣٥، ص١٠٤ ح٤٦٥.

(٣) المصدر السابق: ص٩٢ ح٤٠٢.

يتسابقون على الجهاد لكثرة ما انتهى إليهم من فضله، ولتعاقب الفتوح التي مرّنتهم على الغزو وشوّقتهم إلى توسيع دائرة المملكة، وحيازة الغنائم، فلو كان الخليفة يروي لهم شيئاً ممّا لم يزل له نقر في آذانهم، ونكت في قلوبهم لازدادوا إليه شوقاً، وازدلفوا إليه رغبة، وكان يعلّم العالم منهم من لم يعلم، لا أنّهم كانوا يتفرّقون عنه كما حسبه الخليفة، ولو كان يريد تفرّقهم عنه إلى الجهاد فهو حاجة الخليفة إلى مجتمعه وحاجة المجتمع إلى الخليفة الذي يكتنفون به، فهي مقصورة من الجانبين على التسرّب إلى الجهاد والدفاع والدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه الحقّ وصراطه المستقيم، لا أن يجتمعوا حوله فيؤنسونه / بالمعاشرة والمكاشرة؛ إذن فلا وجه للضنّة بهم عن نقل تلكم ١٥٢/٨
الروايات.

وأمّا ثالث الأحاديث فهو من حاجة الناس إلى أميرهم في ساعة السلم، وأيّ نجعة في الأمير هي خير من بعث الأُمّة على إحسان الوضوء، والصلاة بعده التي هي خير موضوع وهي عماد الدين، ووسيلة إلى المغفرة، ونجح الطلبات، وأحد أُصول الإسلام، فلماذا يشحّ به الخليفة فيحرم أُمّته عن تلكم المثوبات والأجور؟

وأمّا الآية التي بعثته على التنويه بالحديث، فليته كان يدلّنا عليها ويعرب عنها، وقد كانت موجودة منذ نزولها، وفي إبّان شحّ الخليفة على رواية الحديث، فما الذي جعجع به إلى هذا التاريخ، وأرجأ روايته إلى الغاية المذكورة؟ ولعلّه أراد ما نصّ عليه أبو هريرة، فيما أخرجه الجصّاص في آيات الاحكام[1] (١١٦/١) عن أبي هريرة أنّه قال: لولا آية في كتاب الله عزّ وجلّ ما حدّثتكم، ثمّ تلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ**﴾[2]. قال الجصّاص: فأخبر أنّ الحديث عن رسول الله ﷺ من البيّنات والهدى الذي أنزله الله تعالى.

---

(١) أحكام القرآن: ١٠٠/١.

(٢) البقرة: ١٥٩.

وهب أنّ الآية لم تنزل، فهل الحكم الذي هتف به رسول الله ﷺ يسدل عليه ستار الإخفاء إلى أن يرتئي الخليفة أن يبوح به؟ أنا لا أدري السرّ في هذه كلّها، ولعلّ عند الخليفة ما لا أعلمه.

وهل كان مبلغ جهل الصحابة الأوّلين بالسنّة هذا الحدّ بحيث كان يخفى عليهم مثل الحديثين، وكان علمها يخصّ بالخليفة فحسب والخليفة مع هذا كان يعلم جهل جميعهم بذلك وأنّه لو كتمه لما بان؟

على أنّ كاتم العلم وتعاليم النبوّة بين اثنين: رحمة تزوى عنه، وذموم تتوجّه إليه. وإليك في المقامين أحاديث جمّة، فمن الفريق الثاني ما ورد:

١ ـ عن ابن عمر مرفوعاً: «علم لا يُقال به، ككنز لا يُنفق منه»[(١)]. أخرجه ابن عساكر.

٢ ـ عن ابن مسعود مرفوعاً: «علم لا ينفع، ككنز لا يُنفق منه»[(٢)]. أخرجه القضاعي.

٣ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «مثل الذي يتعلّم العلم، ثمّ لا يحدّث به، كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه»[(٣)]. أخرجه الطبراني في الأوسط[(٤)] والمنذري.

١٥٣/٨ ٤ ـ عن أبي سعيد مرفوعاً: «كاتم العلم يلعنه كلّ شيء حتى الحوت في البحر

---

(١) كنز العمال: ١٠/١٨٩ ح٢٨٩٩٣.

(٢) المصدر السابق: ص١٩٠ ح٢٨٩٩٤.

(٣) المعجم الأوسط: ١/٣٩٤ ح٦٩٣، الترغيب والترهيب: ١/١٢٢، كنز العمال: ١٠/١٩٠ ح٢٨٩٩٥.

(٤) في الطبعات السابقة: الطيالسي، وهو سهو منه ﷺ. إذ ترجم ما رمز إليه المتقي في كنز العمال بـ(طس) بالطيالسي، والحال أنه رمز للطبراني في الأوسط. وتكرر هذا السهو منه في تخريج حديث: اللهم ارحم خلفائي... انظر ص٢٢١.

والطير في السماء»[١] أخرجه ابن الجوزي في العلل.

٥ ـ عن ابن مسعود مرفوعاً: «أيّما رجل آتاه الله علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[٢]. أخرجه الطبراني.

٦ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما آتى الله تعالى عالماً علماً إلّا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه»[٣] أخرجه ابن النظيف وابن الجوزي.

٧ ـ عن ابن مسعود مرفوعاً: «من كتم علماً عن أهله ألجم[٤] يوم القيامة لجاماً من نار»[٥]. أخرجه ابن عدي.

٨ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلّا أتى[٦] يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»[٧]. أخرجه ابن ماجه.

٩ ـ عن أبي سعيد مرفوعاً: «من كتم علماً ممّا ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه يوم القيامة بلجام من نار»[٨] أخرجه ابن ماجه والمنذري.

١٠ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «مثل الذي يتعلّم العلم ثمّ لا يحدّث به كمثل رجل رزقه الله مالاً فكنزه فلم ينفق منه»[٩]. أخرجه أبو خيثمة في العلم وأبو نصر في الإبانة.

---

(١) العلل: ٩٩/١ ح١٢٥، كنز العمال: ١٩٠/١٠ ح٢٨٩٩٧.

(٢) المعجم الكبير ١٢٨/١٠ ح١٠١٩٧، كنز العمال: ١٩٠/١٠ ح٢٨٩٩٨.

(٣) العلل: ١٠٤/١ ح١٤١، كنز العمال: ١٩٠/١٠ ح٢٩٠٠٠.

(٤) في الكامل: لُجم.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٠٦/٣ رقم٧٠٢، كنز العمال: ١٩١/١٠ ح٢٩٠٠٢.

(٦) في سنن ابن ماجه: أُتي به.

(٧) سنن ابن ماجه: ٩٦/١ ح٢٦١، كنز العمال: ١٩٦/١٠ ح٢٩٠٣١.

(٨) سنن ابن ماجه: ٩٧/١ ح٢٦٥، الترغيب والترهيب: ١٢١/١.

(٩) كنز العمال: ٢١٥/١٠ ح٢٩١٣٨.

١١ ـ عن ابن عمر مرفوعاً: «من بخل بعلم أوتيه أُتي به يوم القيامة مغلولاً ملجوماً بلجام من نار»[١] أخرجه ابن الجوزي في العلل.

١٢ ـ وفي لفظ ابن النجار عن ابن عمرو: «من علم علماً ثمّ كتمه ألجمه الله تعالىٰ يوم القيامة بلجام من نار»[٢].

وفي لفظ الخطيب[٣]: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[٤]. أخرجه ابن حبّان والحاكم والمنذري.

١٣ ـ عن ابن مسعود مرفوعاً: «من كتم علماً ينتفع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[٥]. أخرجه الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل والسجزي والخطيب.

١٤ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[٦]. أخرجه الطبراني في الكبير.

١٥ ـ عن قتادة: «[هذا][٧] ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم علماً
١٥٤/٨ فليعلّمه الناس، و/إيّاكم وكتمان العلم، فإنّ كتمان العلم هلكة» أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في تفسير الشوكاني[٨] (٣٧٥/١).

(١) كنز العمال: ٢١٥/١٠ ح٢٩١٣٨.

(٢) كنز العمال: ٢١٧/١٠ ح٢٩١٤٦.

(٣) تاريخ بغداد: ٣٩/٥ رقم ٢٣٩١.

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٢٩٨/١ ح٩٦، المستدرك على الصحيحين: ١٨٢/١ ح٣٤٦، الترغيب والترهيب: ١٢١/١، كنز العمال: ٢١٧/١٠ ح٢٩١٤٧.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٤٥٥/٣ رقم ٨٧١، كنز العمال: ٢١٧/١٠ ح٢٩١٤٨، تاريخ بغداد: ٧٧/٦ رقم ٣١١٣.

(٦) المعجم الكبير: ٥/١١ ح١٠٨٤٥، كنز العمال: ٢١٧/١٠ ح٢٩١٤٩.

(٧) الزيادة من المصدر.

(٨) فتح القدير: ٤٠٩/١.

١٦ ـ عن الحسن قال: «لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدّثتكم بكثير ممّا تسألون عنه». أخرجه ابن سعد[١].

وحسبك من الفريق الأوّل قوله ﷺ:

١ ـ «رحم الله امرأً سمع منّي حديثاً فحفظ[٢] حتى يبلّغه غيره»[٣]. أخرجه ابن حبّان.

٢ ـ «رحم الله امرأً سمع منّا حديثاً فوعاه ثمّ بلّغه من هو أوعى منه»[٤] أخرجه ابن عساكر.

٣ ـ «أللهمّ ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنّتي ويعلّمونها الناس»[٥]. أخرجه الطبراني في الاوسط[٦] والرامهرمزي والخطيب وابن النجار.

٤ ـ «رحمة الله على خلفائي»، قيل: من خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: «الذين يحيون سنّتي ويعلّمونها الناس»[٧]. أخرجه أبو نصر في الإبانة وابن عساكر والمنذري في الترغيب.

٥ ـ «نضّر الله امرأً سمع منّا حديثاً فبلّغه غيره»[٨]. أخرجه المنذري.

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٥٨/٧.

(٢) في المصدر: فحفظه.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٢٧٠/١ ح٦٧، كنز العمال: ٢٢٨/١٠ وح ٢٩٢٠٤.

(٤) كنز العمال: ٢٢٩/١٠ ح٢٩٢٠٦.

(٥) المعجم الاوسط: ٣٩٥/٦ ح٥٨٤٢، كنز العمال: ٢٢٩/١٠ ح٢٩٢٠٨.

(٦) في الطبعات السابقة: الطيالسي، وقد أشرنا إلىٰ ذلك في ص٢١٨.

(٧) الترغيب والترهيب: ١١٠/١، كنز العمال: ٢٢٩/١٠ ح٢٩٢٠٩.

(٨) الترغيب والترهيب: ١٠٨/١، كنز العمال: ٢٢١/١٠ ح٢٩١٦٥.

راجع[١] مسند أحمد مسانيد الصحابة المذكورين، مسند الطيالسي، الترغيب والترهيب للمنذري، كتاب العلم لأبي عمر، إحياء العلوم للغزالي، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، كنز العمّال كتاب العلم.

نعم؛ لعلّ الخليفة اتّبع في كتمانه سنّة رسول الله ﷺ رأي الشيخين قبله في نهيهما عن إكثار الحديث عن النبيّ ﷺ كما فصّلنا القول فيه في (٢٩٤/٦)، ولست أدري أنّ قلّة رواية الخليفة وقد بلغت عدّتها كما ذكرها السيوطي في تاريخ الخلفاء[٢] (ص١٠٠)، وابن العماد الحنبلي في الشذرات[٣] (١٣٦/١) مئة وستة وأربعين حديثاً أهي لقلّة مُنّته في السنّة، وصفريده من العلم بها؟ أو لشحّه على بثّها وضنّه بالأُمّة؟ والله يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون.

ـ ١٠ ـ

رأي الخليفة في زكاة الخيل

أخرج البلاذري في الأنساب[٤] (٢٦/٥) بالإسناد من طريق الزهري: أنّ عثمان
١٥٥/٨ كان / يأخذ من الخيل الزكاة، فأنكر ذلك من فعله وقالوا: قال رسول الله ﷺ: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وقال ابن حزم في المحلّى (٢٢٧/٥): قال ابن شهاب: كان عثمان بن عفّان يصدق الخيل.

---

(١) مسند أحمد: ٨/٢ ح٤١٤٦ ٢٩١/٣ ح١٠١٠٩، ٢٣٣/٦ ح٢١٠٨٠، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٣٠ ح٢٥٣٤، جامع بيان العلم: ص٤٧ ح١٦٠، ص١٤٦ ح٧١٥، ص١٤٧ ح٧١٧ ـ ٧١٩، إحياء علوم الدين: ١٦/١ ـ ١٧، مجمع الزوائد: ١٣٧/١، ١٦٣، ١٨٤ ح٢٨٧٨٥.

(٢) تاريخ الخلفاء: ص١٣٩.

(٣) شذرات الذهب: ٢٦٣/١ حوادث سنة ٥٧هـ. وفيه: مئة وأربعة وستون حديثاً، والرقم مئة وستة وأربعون ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات ٣٢٢/١، ترجمة عثمان بن عفّان.

(٤) أنساب الأشراف: ٢٦/٥.

وأخرجه عبدالرزّاق[١] عن الزهري كما في تعاليق الآثار للقاضي أبي يوسف (ص٨٧).

قال الأميني: ليت هذه الفتوى المجرّدة من الخليفة كانت مدعومة بشيء من كتاب أو سنّة، لكن من المأسوف عليه أنّ الكتاب الكريم خال عن ذكر زكاة الخيل، والسنّة الشريفة على طرف النقيض ممّا أفتى به، وقد ورد فيما كتبه رسول الله ﷺ في الفرائض قوله: «ليس في عبد مسلم ولا في فرسه شيء».

وجاء عنه ﷺ قوله: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وفي لفظ ابن ماجه: «قد تجوّزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وقوله: «ليس على المسلم صدقة في عبده ولا في فرسه».

وفي لفظ البخاري: «ليس على المسلم في فرسه وغلامه صدقة».

وفي لفظ له: «ليس على المسلم صدقة في عبده وفرسه»[٢].

وفي لفظ مسلم: «ليس على المسلم في عبده ولا في[٣] فرسه صدقة».

وفي لفظ له: «ليس على المرء المسلم في فرسه ولا مملوكه صدقة».

وفي لفظ أبي داود: «ليس في الخيل والرقيق زكاة إلّا زكاة الفطر في الرقيق».

وفي لفظ الترمذي: «ليس على المسلم في فرسه ولا في عبده صدقة».

وفي لفظ النسائي كلفظ مسلم الأوّل.

وفي لفظ له: «لا زكاة على الرجل المسلم في عبده ولا فرسه».

وفي لفظ له: «ليس على المرء في فرسه ولا في مملوكه صدقة».

---

(١) المصنّف: ٤/٣٥ ح٦٨٨٨.

(٢) في البخاري: ولا فرسه.

(٣) في مسلم: ولا فرسه بدون (في).

وفي لفظ : «ليس على المسلم صدقة في غلامه ولا في فرسه».

ولفظ ابن ماجه كلفظ مسلم الأوّل.

وفي لفظ أحمد: «ليس في عبد الرجل ولا في فرسه صدقة».

وفي لفظ البيهقي: «لا صدقة على المسلم في عبده ولا في فرسه».

١٥٦/٨ وفي لفظ عبد الله بن وهب في مسنده: «لا صدقة على الرجل في خيله ولا في رقيقه».

وفي لفظ ابن أبي شيبة: «ولا في وليدته».

وفي رواية للطبراني في الكبير والبيهقي في السنن (١١٨/٤) من طريق عبدالرحمن بن سمرة: «لا صدقة في الكسعة والجبهة والنّخة»[(١)].

ومن طريق أبي هريرة: «عفوت لكم عن صدقة الجبهة والكسعة والنخّة».

راجع[(٢)] صحيح البخاري (٣٠/٣، ٣١)، صحيح مسلم (٣٦١/١)، صحيح الترمذي (٨٠/١)، سنن أبي داود (٢٥٣/١)، سنن ابن ماجه (٥٥٥/١، ٥٥٦)، سنن

(١) الجبهة: الخيل. الكسعة: البغال والحمير. النخة. المربّيات في البيوت. (المؤلّف)

[قال ابن منظور في لسان العرب: النَّخّة والنُّخَّة: اسم جامع للحُمُر، والنَّـخّة: الرقيق من الرجال والنساء يعني بالرقيق المماليك. والنّخة: أن يأخذ المصدّق ديناراً لنفسه بعد فراغه من الصدقة. وقيل: النَّخَّة الدينار الذي يأخذه، وبكل ذلك فُسّر قوله ﷺ: ليس في النّخّة صدقة، وكان الكسائي يقول: إنما هو النُّخة بالضم. وهو البقر العوامل...].

(٢) صحيح البخاري: ٥٣٢/٢ ح١٣٩٤، ١٣٩٥، صحيح مسلم: ٣٧١/٢ ح٨ ـ ٩ كتاب الزكاة، سنن الترمذي: ٢٣/٣ ح٦٢٨، سنن أبي داود: ١٠٨/٢ ح١٥٩٤ ـ ١٥٩٥، سنن ابن ماجه: ٥٧٩/١ ح١٨١٣، السنن الكبرى: ١٧/٢ ـ ١٩ ح٢٢٤٦ ـ ٢٢٥٧، مسند أحمد: ١٤٩/١ ح٧١٣، ص١٩٥ ح٩٨٧، ص٢١٢ ح١١٠٠، ص٢٣٤ ح١٢٣٧، ص٢٣٥ ح١٢٤٧، ص٢٣٩ ح١٢٧٠ و ٤٧٩/٢ ح٧٢٥٣، ص٤٩٣ ح٧٢٤٩، ص٥٤٥ ح٧٦٩٩ و ١٢٦/٣ ح٩٠٢٨، ص١٦٩ ح٩٢٩٥، كتاب الأم: ٢٦/٢، موطّأ مالك: ٢٧٧/١ ح٣٧، أحكام القرآن: ١٥٤/٣، عمدة القاري: ٣٦/٩.

النسائي (٣٥/٥، ٣٦، ٣٧)، سنن البيهقي (١١٧/٤)، مسند أحمد (٦٢/١، ١٢١، ١٣٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨ و ٢٤٣/٢، ٢٤٩، ٢٧٩، ٤٠٧، ٤٣٢)، كتاب الأُم للشافعي (٢٢/٢)، موطّأ مالك (٢٠٦/١)، أحكام القرآن للجصّاص (١٨٩/٣)، المحلّى لابن حزم (٢٢٩/٥)، عمدة القاري للعيني (٣٨٣/٤).

ولو كان في الخيل شيء من الزكاة لوجب أن يذكر في كتاب رسول الله ﷺ الذي فصّل فيه الفرائض تفصيلا[1]، وقد أعطاه كبرنامج يعمل به في الفرائض وعليه كان عمل الصحابة، ومنه أخذ أبوبكر ما كتبه دستوراً يعوّل عليه في الصدقات[2]، وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يهتف بتلك السنّة الثابتة، وعليها كان عمله عليه السلام، وعليها أصفقت الصحابة وجرت الفتيا من التابعين، وبها قال عمر بن عبدالعزيز، وسعيد بن المسيب، وعطاء، ومكحول، والشعبي، والحسن، والحكم بن عتيبة، وابن سيرين، والثوري، والزهري، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأهل الظاهر، وأبو يوسف، ومحمد بن الحنفيّة[3].

وقال ابن حزم: وذهب جمهور الناس إلى أن لا زكاة في الخيل أصلاً. وقال مالك والشافعي، وأحمد، وأبو يوسف، ومحمد، وجمهور العلماء: لا زكاة في الخيل بحال.

نعم؛ للحنفيّة هاهنا تفصيل مجرّد عن أيّ برهنة ضربت عنه الأُمّة صفحاً ١٥٧/٨
قالوا: لا زكاة في الخيل الذكور، ولو كثرت وبلغت ألف فرس، وإن كانت إناثاً، أو إناثاً وذكوراً سائمة غير معلوفة فحينئذ تجب فيها الزكاة. وصاحب الخيل مخيّر إن شاء أعطى عن كلّ فرس منها ديناراً أو عشرة دراهم، وإن شاء قوّمها فأعطى من كلّ مائتي درهم خمسة دراهم.

---

(١) راجع سنن البيهقي: ٨٥/٤ ـ ٩٠، مستدرك الحاكم: ٣٩٠/١ ـ ٣٩٨ [٥٤٨/١ ـ ٥٥٤ ح ١٤٤١ ـ ١٤٤٧]. **(المؤلّف)**

(٢) راجع مصابيح السنّة للبغوي: ١١٩/١ [١٤/٢ ح ١٢٦٣]. **(المؤلّف)**

(٣) راجع المحلّى لابن حزم: ٢٢٩/٥ [المسألة ٦٤١]، عمدة القاري: ٣٨٣/٤ [٣٦/٩]. **(المؤلّف)**

كذا حكاه ابن حزم في المحلّى (٢٢٨/٥)، وأبو زُرعة في طرح التثريب ١٤/٤)، وملك العلماء في بدائع الصنائع (٣٤/٢)، والنووي في شرح مسلم[١].

وهذا التفصيل ما كان قطّ يعرفه الصحابة والتابعون لأنّهم لم يجدوا له أثراً فيكتاب أو سنّة، وكان من الحقيق إن كان للحكم مدرك يعوّل عليه أن يعرفوه، وأن يثبته رسول الله ﷺ في كتابه، وكذلك أبوبكر من بعده، وهذا كاف في سقوطه، ولذلك خالف أبا حنيفة فيه أبو يوسف ومحمد، وقالا بعدم الزكاة في الخيل كما ذكره الجصاص في أحكام القرآن[٢] (١٨٨/٣)، وملك العلماء في البدائع (٣٤/٢)، والعيني في العمدة[٣] (٣٨٣/٤).

وغاية جهد أصحاب أبي حنيفة في تدعيم قوله بالحجّة أحاديث لم يوجد في شيء منها ما جاء به من الرأي المجرّد، ألا وهي:

١ ـ أخرج البخاري[٤] ومسلم[٥] في الصحيحين من طريق أبي هريرة مرفوعاً: ما من صاحب ذهب ولا فضّة لا يؤدّي منها حقّها. فذكر الوعيد الذي في منع حقّها وحقّ الإبل والبقر والغنم، وذكر في الإبل: ومن حقّها يوم وردها، ثمّ قال: قيل: يا رسول الله. فالخيل؟ قال: الخيل لثلاثة: هي لرجل وزر، وهي لرجل أجر، وهي لرجل ستر. فأمّا الذي هي له وزر: فرجل ربطها رياء وفخراً ونواء على أهل الاسلام فهي له وزر، وأمّا الذي هي له ستر: فرجل ربطها في سبيل الله. ثمّ لم ينس حقّ الله في ظهورها، ولا رقابها فهي له ستر. وأمّا الذي هي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الاسلام. الحديث. وفي لفظ مسلم بدل قوله: ثمّ لم ينس حقّ الله...

(١) شرح صحيح مسلم: ٥٥/٧.

(٢) أحكام القرآن: ١٥٣/٣.

(٣) عمدة القاري: ٣٦/٩.

(٤) صحيح البخاري: ١٣٣٢/٣ ح ٣٤٤٦.

(٥) صحيح مسلم: ٣٧٦/٢ ح ٢٤ كتاب الزكاة.

إلخ: ولم ينس حقّ الله في ظهورها وبطونها، في عسرها ويسرها.

١٥٨/٨ استدلّ به ابن التركماني المارديني في الجوهر النقيّ ـ ذيل سنن البيهقي ـ (١٢٠/٤) وقال: يدلّ عليه ظاهر قوله: ثمّ لم ينس حقّ الله. إلخ. مع قرينة قوله في أوّل الحديث: ما من صاحب كنز لا يؤدّي زكاته، وما من صاحب إبل لا يؤدّي زكاتها، وما من صاحب غنم لا يؤدّي زكاته. ونحن لا نعرف وجه الدلالة في ظاهر قوله: ثمّ لم ينس. مع ضمّ القرينة إليه على ما أفتى به أبو حنيفة، وغيرنا أيضاً لا يرى فيه دلالة على الزكاة في الخيل، كما قاله البيهقي في السنن (١١٩/٤).

٢ ـ أخرج البيهقي في سننه الكبرى (١١٩/٤) عن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن عبدان عن أبيه، عن أبي عبدالله محمد بن موسى الإصطخري، عن إسماعيل بن يحيى ابن بحر الأزدي، عن الليث بن حماد الإصطخري، عن أبي يوسف القاضي، عن غورك بن الحصرم أبي عبدالله، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: في الخيل السائمة في كلّ فرس دينار.

قال البيهقي: تفرّد به غورك، وأخبرنا أبو بكر بن الحارث قال: قال علي بن عمر الحافظ ـ يعني الدارقطني ـ: تفرّد به غورك عن جعفر، وهو ضعيف جدّاً ومن دونه ضعفاء.

قال الأميني: في رجال الإسناد:

١ ـ أحمد بن عبدان: مجهول. قاله مسلمة بن قاسم.

٢ ـ محمد بن موسى الإصطخري: شيخ مجهول، روى عن شعيب خبراً موضوعاً قاله ابن حجر.

٣ ـ إسماعيل بن يحيى الأزدي: ضعّفه الدارقطني، وحكاه عنه ابن حجر.

٤ ـ ليث بن حمّاد الإصطخري: ضعّفه الدارقطني، ونقله عنه الذهبي وابن حجر.

٥ ـ أبو يوسف القاضي : قال البخاري : تركوه ، وعن [ابن] المبارك : أنّه وهّاه . وعن يزيد بن هارون : لا تحلّ الرواية عنه . وقال الفلّاس : صدوق كثير الخطأ . إلى آخر ما مرّ من ترجمته في هذا الجزء (ص ٣٠، ٣١).

٦ ـ غورك السعدي : قال الدارقطني : ضعيف جدّاً ، وذكره الذهبي في الميزان[1] .

١٥٩/٨ ومما يوهن هذه الرواية عدم إخراج ابن أبي يوسف القاضي فيما جمعه من الأحاديث عن والده وأسماه بالآثار . وذكرها الذهبي في الميزان[2] (٣٢٣/٢) فقال : ضعّف الدارقطني الليث وغيره في إسناده .

على أنّ الرواية خالية عن التفصيل الذي جاء به أبو حنيفة من نفي الزكاة في ذكور الخيل ولو كثرت ، ووجوبها إن كانت إناثا ، أو إناثا وذكوراً . إلى آخر ما تقوّل به .

٣ ـ أخرج ابن أبي شيبة في مسنده من طريق عمر مرفوعاً في حديث طويل قال : فلا أعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي : يا محمد . يا محمد ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلّغت . ولا أعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حمحمة ينادي : يا محمد . يا محمد ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً . الحديث .

إستدلّ به على وجوب الزكاة في الخيل ابن التركماني المارديني في الجوهر النقيّ ذيل سنن البيهقي (١٢٠/٤) . وقال : فدلّ على وجوب الزكاة في هذه الأنواع . انتهى .

---

(١) راجع ميزان الاعتدال : ٣٢٣/٢، ٣٦٠ [٣٣٧/٣، ٤٢٠ رقم٦٦٧٢، ٦٩٩٤]، لسان الميزان : ١٩٢/١، ٤٤١ و ٤٢١/٤، ٤٩٣ و ٤٠١/٥ و ٣٠٠/٦ [٢٠٥/١ رقم٦٠٧، ص٤٩٢ رقم١٣٧٧ و ٤٩٠/٤ رقم٦٥٠٣، ص٥٨٥ رقم٦٧٧٩ و ٤٥٤/٥ رقم٨٠٩٤ و ٣٦٨/٦ رقم٩٣١٩].

(المؤلّف)

(٢) ميزان الاعتدال : ٣٣٧ رقم ٦٦٧٢.

أمعن النظر في الحديث لعلّك تعرف وجه الدلالة على ما ارتآه الرجل، وما أحسبك أن تعرفه، غير أنّ حبّ المارديني إمامه أبا حنيفة أعماه وأصمّه، فحسب أنّه أقام البرهنة على ما خرق به الرجل إجماع الأُمّة، وتقوّل تجاه النصّ الأغرّ، والسنّة الثابتة، وكلّ هذه من جرّاء رأي من صدّق الخيل بعد عفو الله ورسوله عنها.

٤ ـ فعل عمر بن الخطّاب وأخذه الزكاة من الخيل، وليس في فعله أيّ حجّة للحنفية ولا لغيرهم، لأنّه لم يكن، فيما عمله، التفصيل الذي ذكره القوم، على أنّه كان يأخذ ما أخذه من الخيل تطوّعاً لا فريضة باستدعاء من أرباب الخيل كما مرّ في الجزء السادس (ص ١٥٥)، وما كان يخافه مولانا أمير المؤمنين ﷺ، ويحذّر به عمر في أخذه الزكاة من الخيل من أن يعود جزية يوجبها أُناس في المستقبل، فكان كما توسّم سلام الله عليه على عهد عثمان، فالتفصيل المذكور أحدوثة في الدين خارجة عن السنّة الثابتة، وهو كما قال ابن حزم في المحلّى (٥/٢٢٨): وأتوا بقول في صفة زكاتها لا نعلم أحداً قاله قبلهم.

وقولهم هذا يخالف القياس الذي هو أساس مذهبهم. قال ابن رشد في ممهّدات المدوّنة الكبرى (١/٢٦٣): والقياس أنّه لمّا اجتمع أهل العلم في البغال والحمير على أنّه لا زكاة فيها وإن كانت سائمة، واجتمعوا في الإبل، والبقر، والغنم على الزكاة فيها ٨/١٦٠ إذا كانت سائمة، واختلفوا في الخيل السائمة وجب ردّها إلى البغال والحمير لا إلى الإبل والبقر والغنم، لأنّها بها أشبه لأنّها ذات حافر كما أنّها ذوات حوافر، وذو الحافر بذي الحافر أشبه منه بذي الخفّ أو الظلف، ولأنّ الله تبارك وتعالى قد جمع بينها فجعل الخيل والبغال والحمير صنفاً واحداً لقوله: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً** ﴾[1] وجمع بين الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم فجعلها صنفاً واحداً لقوله ﴿ **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِين**

---

(١) النحل: ٨.

تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرَحُونَ﴾[١] ولقوله عزّ وجلّ: ﴿اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنعَامَ لِتَركَبُوا مِنها وَمِنهَا تَأكُلُون﴾[٢].

- ١١ -

تقديم عثمان الخطبة على الصلاة

قال ابن حجر في فتح الباري[٣] (٣٦١/٢): روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: أوّل من خطب قبل الصلاة عثمان، صلّى بالناس ثمّ خطبهم[٤] فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك، أي صار يخطب قبل الصلاة، وهذه العلّة غير التي اعتلّ بها مروان، لأنّ عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة، وأمّا مروان فراعى مصلحتهم في إسماعهم الخطبة.

لكن قيل: إنّهم كانوا في زمن مروان يتعمّدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبّ من لا يستحقّ السبّ، والإفراط في مدح بعض الناس، فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه، ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحياناً بخلاف مروان الذي واظب عليه.

وذكره الشوكاني في نيل الأوطار[٥] (٣٦٢/٣).

وأخرج ابن شبة[٦] عن أبي غسان قال: أوّل من خطب الناس في المصلّى على منبر عثمان بن عفّان. وقال ابن حجر: يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرّة ثمّ تركه

---

(١) النحل: ٥، ٦.

(٢) غافر: ٧٩.

(٣) فتح الباري: ٤٥١/٢.

(٤) على الباحث مناقشة الحساب حول هذه الكلمة. (المؤلّف)

(٥) نيل الأوطار: ٣٣٤/٣، ٣٤٥.

(٦) تاريخ المدينة: ١٣٥/١.

حتى أعاده مروان. فتح الباري[١] (٣٥٩/٢)، نيل الأوطار[٢] (٣٧٤/٣).

وذكره السيوطي في الأوائل، وتاريخ الخلفاء[٣] (ص ١١١)، والسكتواري في محاضرة الأوائل[٤] (ص ١٤٥): إنّ أوّل من خطب في العيدين قبل الصلاة عثمان ﷺ.

١٦١/٨ **قال الأميني**: إنّ الثابت في السنّة الشريفة أنّ الخطبة في العيدين تكون بعد الصلاة، قال الترمذي في الصحيح[٥] (٧٠/١): والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ وغيرهم أنّ صلاة العيدين قبل الخطبة ويقال: إنّ أوّل من خطب قبل الصلاة مروان بن الحكم. انتهى.

وإليك جملة ممّا ورد فيها:

١ ـ عن ابن عبّاس قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنّه صلّى يوم فطر أو أضحى قبل الخطبة ثمّ خطب[٦].

صحيح البخاري (١١٦/٢)، صحيح مسلم (٣٢٥/١)، سنن أبي داود (١٧٨/١، ١٧٩)، سنن ابن ماجه (٣٨٥/١)، سنن النسائي (١٨٤/٣)، سنن البيهقي (٢٩٦/٣).

٢ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كان النبيّ ﷺ ثمّ أبو بكر ثمّ عمر يصلّون العيد قبل الخطبة. وفي لفظ الشافعي: إنّ النبيّ وأبا بكر وعمر كانوا يصلّون في العيدين قبل

---

(١) فتح الباري: ٤٤٩/٢.

(٢) نيل الأوطار: ٣٤٥/٣.

(٣) تاريخ الخلفاء: ص ١٥٤.

(٤) الأوائل: ص ١٤٥.

(٥) سنن الترمذي: ٤١١/٢ ح ٥٣١.

(٦) صحيح البخاري: ٥٢٥/٢ ح ١٣٨١، صحيح مسلم: ٢٨٣/٢ ح ٢ كتاب صلاة العيدين، سنن أبي داود: ٢٩٧/١ ح ١١٤٢، سنن ابن ماجه: ٤٠٦/١ ح ١٢٧٣، السنن الكبرى: ٥٤٥/١ ح ١٧٦٦.

الخطبة، وفي لفظ للبخاري: إنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي في الأضحى والفطر ثمّ يخطب بعد الصلاة[١].

صحيح البخاري (١١١/٢، ١١٢)، صحيح مسلم (٣٢٦/١)، موطّأ مالك (١٤٦/١)، مسند أحمد (٣٨/٢)، كتاب الأم للشافعي (٢٠٨/١)، سنن ابن ماجه (٣٨٧/١)، سنن البيهقي (٢٩٦/٣)، سنن الترمذي (٧٠/١)، سنن النسائي (١٨٣/٣)، المحلّى لابن حزم (٨٥/٥)، بدائع الصنائع (٢٧٦/١).

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم العيد فيصلّي بالناس ركعتين ثمّ يسلّم فيقف على رجليه[٢]. انتهى.

سنن ابن ماجه (٣٨٩/١)، المدوّنة الكبرى لمالك (١٥٥/١)، سنن البيهقي (٢٩٧/٣).

٤ ـ عن عبدالله بن السائب، قال: حضرت العيد مع رسول الله ﷺ فصلّى بنا العيد ثمّ قال: «قد قضينا الصلاة فمن أحبّ أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحبّ أن يذهب فليذهب»[٣].

سنن ابن ماجه (٣٨٦/١)، سنن أبي داود (١٨٠/١)، سنن النسائي (١٨٥/٣)، سنن البيهقي (٣٠١/٣)، المحلّى (٨٦/٥). ١٦٢/٨

٥ ـ عن جابر بن عبدالله قال: إنّ النبيّ ﷺ قام يوم الفطر فصلّى فبدأ بالصلاة

---

(١) صحيح البخاري: ٣٢٦/١ ح٩١٤، ص٣٢٧ ح٩٢٠، صحيح مسلم: ٢٨٦/٢ ح٨ كتاب صلاة العيدين، موطّأ مالك: ١٧٨/١، مسند أحمد: ١٢٦/٢ ح٤٩٤٣، كتاب الأُم: ٢٣٥/١، سنن ابن ماجه: ٤٠٧/١ ح١٢٧٦، سنن الترمذي: ٤١١/٢ ح٥٣١، السنن الكبرى: ٥٤٥/١ ح١٧٦٧.

(٢) سنن ابن ماجه: ٤٠٩/١ ح١٢٨٨، المدوّنه الكبرى: ١٦٩/١.

(٣) سنن ابن ماجه: ٤١٠/١ ح١٢٩٠، سنن أبي داود: ٣٠٠/١ ح١١٥٥، السنن الكبرى: ٥٤٨/١ ح١٧٧٩.

قبل الخطبة ثمّ خطب الناس[1].

صحيح البخاري (١١١/٢)، صحيح مسلم (٣٢٥/١)، سنن أبي داود (١٧٨/١)، سنن النسائي (١٨٦/٣)، سنن البيهقي (٢٩٦/٢، ٦٩٨).

٦ ـ عن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي قبل الخطبة. المدوّنة الكبرى[2] (١٥٥/١).

٧ ـ عن البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر بعد الصلاة[3].

صحيح البخاري (١١٠/٢)، سنن النسائي (١٨٥/٣).

٨ ـ عن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عليّ بن أبي طالب وعثمان محصور، فجاء فصلّى ثمّ انصرف فخطب[4].

موطّأ مالك (١٤٧/١)، كتاب الأُم للشافعي (١٧١/١) ذكر من طريق مالك شطراً منه.

هذه الأحاديث تكشف عن استمرار رسول الله ﷺ على هذه السنّة المرتّبة ولم يُعزَ إليه غيرها قطّ، وعلى ذلك مضى الشيخان ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وعثمان نفسه ردحاً من أيّامه، كما جاء في رواية ابن عمر من أنّ النبيّ وأبابكر وعمر وعثمان كانوا يصلّون في العيدين قبل الخطبة[5]. وظاهر هذا اللفظ وإن كان مطلقاً إلّا أنّ الجمع بينه وبين ما جاء من مخالفة عثمان للقوم وأنّه أوّل من قدّم الخطبة أنّه كان

---

(١) صحيح البخاري: ٣٣٢/١ ح٩٣٥، صحيح مسلم: ٢٨٤/٢ ح٣ كتاب صلاة العيدين، سنن أبي داود: ٢٩٧/١ ح١١٤١، السنن الكبرى: ٥٤٥/١ ح١٧٦٥.

(٢) المدوّنة الكبرى: ١٦٩/١.

(٣) صحيح البخاري: ٣٣٤/١ ح٩٤٠، السنن الكبرى: ٥٤٧/١ ح١٧٧٧.

(٤) موطّأ مالك: ١٧٨/١، كتاب الأُم: ١٩٢/١.

(٥) كتاب الأُم للشافعي: ٢٠٨/١[٢٣٥/١]، صحيح البخاري: ١١٢/٢[٣٢٧/١ح٩٢٠]. (المؤلّف)

أوّلاً على وتيرتهم حتى بدا له أن يغيّر الترتيب ففعل، ويؤيّده سكوت ابن عمر نفسه عن عثمان فيما مرّ (ص ١٦١) من قوله: كان النبيّ ثمّ أبو بكر ثمّ عمر يصلّون العيد قبل الخطبة. فإن كان عثمان أيضاً مستمرّاً على سيرتهم وسنّتهم لذكره ولم يفصل بينهم وبهذا يتأتّى الجمع أيضاً بين حديثي ابن عبّاس من قوله: شهدت العيد مع النبيّ وأبي بكر وعمر فبدؤا بالصلاة قبل الخطبة. ومن قوله: صلّى رسول الله ثمّ خطب وأبوبكر وعمر وعثمان[١].

١٦٣/٨ وليتني أدري كيف يُتقرّب إلى المولى سبحانه بصلاة بدّلوا فيها سنّة الله التي لا تبديل لها؟ قال الشوكاني في نيل الأوطار[٢] (٣٦٣/٣): قد اختُلف في صحّة العيدين مع تقدّم الخطبة، ففي مختصر المزني[٣] عن الشافعي ما يدلّ على عدم الاعتداد بها، وكذا قال النووي في شرح المهذّب: إنّ ظاهر نصّ الشافعي أنّه لا يعتدّ بها. قال: وهو الصواب.

ثمّ تابع عثمان المسيطرون من الأمويّين من بعده فخالفوا السنّة المتّبعة بتقديم الخطبة لكن الوجه في فعل عثمان غيره في من تبعه، أمّا هو فكان يُرتج عليه القول فلا يروق المجتمعين ما يتكلّفه من تلفيقه غير المنسجم فيتفرّقون عنه، فقدّمها ليصيخوا إليه وهم منتظرون للصلاة ولا يسعهم التفرّق قبلها.

قال الجاحظ: صعد عثمان بن عفّان ﷺ المنبر فأُرتج عليه فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب، وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله[٤].

---

(١) مسند أحمد: ٣٤٥/١، ٣٤٦ [٥٦٩/١ ح٣٢١٥ ـ ٣٢١٧]، صحيح مسلم: ٣٢٤/١ [٢٨٣/٢ ح١ كتاب صلاة العيدين]. (المؤلّف)

(٢) نيل الأوطار: ٣٣٥/٣.

(٣) مختصر المزني: ص٣١.

(٤) البيان والتبيين: ٢٧٢/١ و ١٩٥/٢ [٢٧٩/١ و ١٧١/٢]. (المؤلّف)

وقال البلاذري في الأنساب[١] (٢٤/٥): إنّ عثمان لمّا بويع خرج إلى النـاس، فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس إنّ أوّل مركب صعب، وإنّ بعد اليوم أيّاماً، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها، فما كنّا خطباء وسيعلّمنا الله. وبهذا اللفظ أخرجه ابن سعد في طبقاته[٢]: (٤٣/٣) طبع ليدن، وفي لفظ أبي الفداء في تـاريخه: (١٦٦/١): لمّا بويع عثمان رقى المنبر وقام خطيباً فحمد الله وتشهّد ثمّ أُرتج عليه، فقال: إنّ أوّل كلّ أمر صعب وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها. ثمّ نزل.

وروى أبو مخنف كما في أنساب البلاذري: إنّ عثمان لمّا صعد المنبر قال: أيّهـا الناس إنّ هذا مقام لم أزوّر له خطبة ولا أعددت له كلاماً، وسنعود فنقول إن شاءالله.

وعن غياث بن إبراهيم: إنّ عثمان صعد المنبر فقال: أيّها النـاس إنّـا لم نكـن خطباء، وإن نعش تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله.

وروي أنّ عثمان خطب فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المـقام مـقالاً وسيأتي الله به. انتهى.

وذكره اليعقوبي في تاريخه[٣] (١٤٠/٢) فقال: صعد عثمان المـنبر وجـلس في الموضع /الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه، جلس ١٦٤/٨
أبو بكر دونه بمرقاة، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة[٤] فتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ، وكان عثمان رجلاً حييّاً فأُرتج عليه فقام مليّاً لا يـتكلّم ثمّ قال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّق الخطب، وإن تعيشوا فستأتيكم الخطبة. ثمّ نزل.

---

(١) أنساب الأشراف: ٢٤/٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦٢/٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٦٢/٢.

(٤) وذكره غير واحد من مؤلّفي القوم. (المؤلّف)

وفي لفظ ملك العلماء في بدائع الصنائع (٢٦٢/١): إنّ عثمان لمّا استخلف خطب في أوّل جمعة، فلمّا قال: الحمد لله. أرتج عليه، فقال: أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال، وإنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المكان مقالاً وستأتيكم الخطب من بعد، وأستغفر الله لي ولكم. ونزل وصلّى بهم الجمعة.

ولعلّه لحراجة الموقف عليه كان يماطل الخطبة باستخبار الناس وسؤالهم عن أخبارهم وأسعارهم وهو على المنبر، كما أخرجه أحمد في المسند[1] (٧٣/١) من طريق موسى بن طلحة. وذكره الهيثمي في المجمع (١٨٧/٢) فقال: رجاله رجال الصحيح.

ولا يبرّر عمل الخليفة ما احتجّ به ابن حجر فيما مرّ عن فتح الباري (ص ١٦٠) من أنّه رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة... إلخ. لأنّ هذه المصلحة المزعومة كانت مرموقة على العهد النبويّ لكنّه ﷺ لم يرعها لما رآه من مصلحة التشريع الأقوى، فهذا الرأي تجاه ما ثبت من السنّة نظير الاجتهاد في مقابلة النصّ، ولو سوّغنا تغيير الأحكام، وما قرّره الشرع الأقدس بآراء الرجال، فلا تبقى قائمة للإسلام، فلا فرق بينه وبين ما ارتآه مروان في كونهما بدعة مستحدثة، وإن ضمّ إليه شنعة أُخرىٰ من سبّ من لا يحلّ سبّه.

هذا مجمل القول في أحدوثة الخليفة، وأمّا من عداه من آل أُميّة. فكانوا يسبّون ويلعنون مولانا أمير المؤمنين عليّاً ـ صلوات الله عليه ـ في خطبهم على صهوات المنابر، فلا تجلس لهم الناس وينثالون عنهم[2]، فقدّموا الخطبة ليضطرّ الناس إلى الاستماع له بالرغم من عدم استباحتهم ذلك القول الشائن، لما وعوه من حديث رسول الله ﷺ الصحيح المأثور من طريق ابن عبّاس وأُمّ سلمة من قوله: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن / سبّني فقد سبّ الله تعالى»[3]. ١٦٥/٨

(١) مسند أحمد: ١١٨/١ ح ٥٤١.

(٢) أي: يتفرقون.

(٣) المستدرك: ١٢١/٣ [١٣٠/٣ ح ٤٦١٦]، وستوافيك طرقه ومصادره. (المؤلّف)

أخرج أئمّة الصحاح من طريق أبي سعيد الخدري قال: أخرج مروان المنبر يوم العيد، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل فقال: يا مروان خالفت السنّة، أخرجت المنبر يوم عيد، ولم يكن يخرج به، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، ولم يكن يُبدأ بها. فقال مروان: ذاك شيء قد ترك. فقال أبو سعيد: أمّا هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله يقول: «من رأى منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وفي لفظ الشافعي في كتاب الأُم[1] من طريق عياض بن عبد الله قال: إنّ أبا سعيد الخدري قال: أرسل إليّ مروان وإلى رجل قد سمّاه، فمشى بنا حتى أتى المصلّى، فذهب ليصعد فجبذته[2] إليّ فقال: يا أبا سعيد تُرك الذي تعلم. قال أبو سعيد: فهتفت ثلاث مرّات، فقلت: والله لا تأتون إلّا شرّاً منه.

وفي لفظ البخاري في صحيحه: خرجت مع مروان ـ وهو أمير المدينة ـ في أضحى أو فطر، فلمّا أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبذت بثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم والله. فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم، فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[3].

وفي لفظ: قال أبو سعيد: قلت: أين الابتداء بالصلاة؟ فقال: لا يا أبا سعيد قد

(١) كتاب الأُم: ٢٣٥/١.

(٢) جبذ: جذب. (المؤلّف)

(٣) راجع صحيح البخاري: ١١١/٢ [٣٢٦/١ ح٩١٣]، صحيح مسلم: ٢٤٢/١ [٢٨٦/٢ ح٩ كتاب صلاة العيدين]، سنن أبي داود: ١٧٨/١ [٢٩٦/١ ح١١٤٠]، سنن ابن ماجه: ٣٨٦/١ [٤٠٦/١ ح١٢٧٥]، سنن البيهقي: ٢٩٧/٣، مسند أحمد: ١٠/٣، ٢٠، ٥٢، ٥٤، ٩٢ [٣٨١/٣ ح١٠٦٨٩، ص٣٩٧ ح١٠٧٦٦، ص٤٥٢ ح١١١٠٠، ص٤٥٦ ح١١١٢٢، ص٥١٨، ح١١٤٦٦]، بدائع الصنائع: ٢٧٦/١. (المؤلّف)

تُرك ما تعلم، قلت: كلّا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير ممّا أعلم. ثلاث مرّات.

قال ابن حزم في المحلّى (٨٦/٥): أحدث بنو أُميّة تقديم الخطبة قبل الصلاة
واعتلّوا بأنّ الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنّهم كانوا
يلعنون عليّ بن أبي طالب ﷺ، فكان المسلمون يفرّون وحقّ لهم، فكيف / وليس ١٦٦/٨
الجلوس واجباً؟

وقال ملك العلماء في بدائع الصنائع (٢٧٦/١): وإنّما أحدث بنو أُميّة الخطبة قبل الصلاة لأنّهم كانوا يتكلّمون في خطبتهم بما لا يحلّ، وكان الناس لا يجلسون بعد الصلاة لسماعها فأحدثوها قبل الصلاة ليسمعها الناس. وبمثل هذا قال السرخسي في المبسوط (٣٧/٢).

وقال السندي في شرح سنن ابن ماجه (٣٨٦/١): قيل: سبب ذلك أنّهم كانوا يسبّون في الخطبة من لا يحلّ سبّه، فتفرّق الناس عند الخطبة إذا كانت متأخّرة لئلّا يسمعوا ذلك فقدّم الخطبة ليُسمعهم.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار[(١)]: (٣٦٣/٣): قد ثبت في صحيح مسلم[(٢)] من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال: أوّل من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، وقيل: أوّل من فعل ذلك معاوية، حكاه القاضي عياض. وأخرجه الشافعي[(٣)] عن ابن عبّاس بلفظ: حتى قدم معاوية فقدّم الخطبة. ورواه عبدالرزاق[(٤)] عن الزهري بلفظ: أوّل من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية. وقيل: أوّل

---

(١) نيل الأوطار: ٣٣٥/٣.

(٢) صحيح مسلم: ١٠٠/١ ح٧٨ كتاب الإيمان.

(٣) أخرجه في كتاب الأم: ٢٠٨/١ [٢٣٥/١] من طريق عبد الله بن يزيد الخطمي، ولعلّ حديث ابن عبّاس مذكور في غير هذا الموضع. (المؤلّف)

(٤) المصنّف: ٢٨٤/٣ ح٥٦٤٦.

من فعل ذلك زياد بالبصرة في خلافة معاوية، حكاه القاضي أيضاً. وروى ابن المنذر عن ابن سيرين أنّ أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة قال: ولا مخالفة بين هذين الأثرين، وأثر مروان، لأنّ كلّاً من مروان وزياد كان عاملاً لمعاوية فيحمل على أنّه ابتدأ ذلك، وتبعه عمّاله. انتهى.

لا شكّ أنّ كلّاً من هؤلاء الثلاثة جاء ببدعة وتردّى بالفضيحة، لكنّ كلّ التبعة على من جرّأهم على تغيير السنّة فعلّوا على أساسه، ولعبوا بسنن المصطفى حتى الصلاة. أخرج الشافعي في كتاب الأُم[1] (٢٠٨/١) من طريق وهب بن كيسان قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثمّ قال: كلّ سنن رسول الله ﷺ قد غُيّرت حتى الصلاة.

فإن كان ما ينقم على الخليفة من هذا الوجه أمراً واحداً فهو في بقيّة الأمويّين أمران: مخالفة السنّة، والابتداع بسبّ أمير المؤمنين. فهم مورد المثل السائر: أحشفاً ١٦٧/٨
وسوء كيلة[2]. أنا لا أعجب من هؤلاء الثلاثة إن جاؤوا بالبدع، فإنّ بقيّة أعمالهم تلائم هاتيك الخطّة، فإنّ الخلاعة والتهتّك مزيج نفسيّاتهم، والمعاصي المقترفة ملء أرديتهم فلا عجب منهم إن غيّروا السنّة كلّها، ولا أعجب من مروان إن قال لأبي سعيد بكلّ ابتهاج: تُرك الذي تعلم. أو قال: قد ذهب ما تعلم، ولا عجب إن بدّلوا الخطبة المجعولة للموعظة وتهذيب النفوس؛ الخطبة التي قالوا فيها: وجبت لتعليم ما يجب إقامته يوم العيد والوعظ والتكبير، كما في البدائع (٢٧٦/١) بدّلوها بما هو محظور شرعاً أشدّ الحظر من الوقيعة في أمير المؤمنين، وأوّل المسلمين، وحامية الدين، الإمام المعصوم، المطهّر بنصّ الكتاب العزيز، نفس النبيّ الأقدس بصريح القرآن، وعدل الثقل الأكبر في حديث الثقلين، صلوات الله عليه. ولعلّك لا تعجب من الخليفة

---

(١) كتاب الأُم: ٢٣٥/١.

(٢) مثل يضرب لخلّتي الإساءة تجتمعان على الرجل. المستقصى في أمثال العرب: ٢٥٩/١.

أيضاً تغييره سنّة الله وسنّة رسوله بعد أن درست تاريخ حياته، وسيرته المعربة عن نفسيّاته، وهو وهم من شجرة واحدة اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار.

لكنّ العجب كلّه ممّن يرى هؤلاء، وأمثالهم من سماسرة الشهوات والميول، عدولاً بما أنّهم من الصحابة، والصحابة كلّهم عدول عندهم، وأعجب من هذا أن يُحتجّ في غير واحد من أبواب الفقه بقول هؤلاء وعملهم. نعم، وافق شنّ طبقه.

ـ ١٢ ـ

رأي الخليفة في القصاص والدية

أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٣٣/٨) من طريق الزهري: أنّ ابن شاس الجذامي قتل رجلاً من أنباط الشام، فرُفِع إلى عثمان ﷺ فأمر بقتله، فكلّمه الزبير ﷺ وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فنهوه عن قتله، قال: فجعل ديته ألف دينار. وذكره الشافعي في كتاب الأُم[1] (٢٩٣/٧).

وأخرج البيهقي من طريق الزهري، عن سالم، عن ابن عمر ﷺ: أنّ رجلاً مسلماً قتل رجلاً من أهل الذمّة عمداً، ورُفِع إلى عثمان ﷺ فلم يقتله وغلّظ عليه الدية مثل دية المسلم.

وقال أبو عاصم الضحّاك في الديات (ص٧٦): وممّن يرى قتل المسلم بالكافر عمر / بن عبدالعزيز، وإبراهيم، وأبان بن عثمان بن عفّان، وعبدالله؛ رواه الحكم عنهم، وممّن أوجب دية الذمّي مثل دية المسلم عثمان بن عفّان. ١٦٨/٨

قال الأميني: إنّ عجبي مقسّم بين إرادة الخليفة قتل المسلم بالكافر، وبين جعل عقل الكافر مثل دية المسلم، فلا هذا مدعوم بحجّة، ولا ذلك مشفوع بسنّة، وأيّ خليفة هذا يزحزحه مثل الزبير، المعروف سيرته والمكشوف سريرته، عن رأيه في

(١) كتاب الأُم: ٣٢١/٧.

الدماء وينهاه عن فتياه؟ غير أنّه يفتي بما هو لدة رأيه الأوّل في البعد عن السنّة، ويسكت عنه الزبير وأناس نهوا الخليفة عمّا ارتآه أوّلاً، واكتفوا بحقن دم المسلم وما راقهم مخالفة الخليفة مرّة ثانية، وهذه النصوص النبويّة صريحة في أنّ المسلم لا يُقتل بالكافر، وأنّ عقل الكتابي الذمّي نصف عقل المسلم، وإليك لفظ تلكم النصوص في المسألتين:

أمّا الأولى منهما فقد جاء:

١ ـ عن أبي جحيفة قال: قلت لعليّ بن أبي طالب: هل عندكم شيء من العلم ليس عند الناس؟ قال: لا والله ما عندنا إلّا ما عند الناس، إلّا أن يرزق الله رجلاً فهماً من القرآن أو ما في هذه الصحيفة، فيها الديات عن رسول الله ﷺ وأن لا يُقتل مسلم بكافر.

وفي لفظ الشافعي: لا يقتل مؤمن بكافر. فقال: لا يُقتل مؤمن عبد ولا حرّ ولا أمرأة بكافر في حال أبدا، وكلّ من وصف الإيمان من أعجميّ وأبكم يعقل ويشير بالإيمان ويصلّي فقتل كافراً فلا قود عليه، وعليه ديته في ماله حالة، وسواء أكثر القتل في الكفار أو لم يكثر، وسواء قتل كافراً على مال يأخذه منه أو على غير مال، لا يحلّ ـ والله أعلم ـ قتل مؤمن بكافر بحال في قطع طريق ولا غيره.

راجع[1]: صحيح البخاري (١٠/٧٨)، سنن الدارمي (٢/١٩٠)، سنن ابن ماجه (٢/١٤٥)، سنن النسائي (٨/٢٣)، سنن البيهقي (٨/٢٨)، صحيح الترمذي (١/١٦٩)، مسند أحمد (١/٧٩)، كتاب الأُم للشافعي (٦/٣٣، ٩٢)، أحكام القرآن للجصّاص (١/١٦٥)، الاعتبار لابن حازم (ص١٩٠)، تفسير ابن كثير (١/٢١٠) فقال: ذهب

(١) صحيح البخاري: ٦/٢٥٣٤ ح٦٥١٧، سنن ابن ماجه: ٢/٨٨٧ ح٢٦٥٨، السنن الكبرى ٤/٢٢٠ ح٦٩٤٦، سنن الترمذي: ٤/١٧ ح١٤١٢، مسند أحمد: ١/١٢٨ ح٦٠٠، كتاب الأُم: ٦/٣٨، ١٠٥، أحكام القرآن: ١/١٤٢، الاعتبار: ص٤٥٣.

الجمهور إلى أنّ المسلم لا يُقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن عليّ قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يُقتل مسلم بكافر». ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا، وأمّا أبو حنيفة فذهب إلى أنّه يُقتل به لعموم آية المائدة.

١٦٩/٨ **قال الأميني**: يعني من آية المائدة قوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾[1]. وقد خفي على المجتهد تجاه النصوص الصحيحة الثابتة أنّ عموم الآية لا يأباها عن التخصيص، وقد خصّصها هو نفسه بمخصّصات. أجاب عن هذا الاستدلال الواهي كثير من الفقهاء وفي مقدّمهم الإمام الشافعي، قال في كتاب الأُم[2] (٢٩٥/٧) في مناظرة وقعت بينه وبين بعض أصحاب أبي حنيفة: قلنا: فلسنا نريد أن نحتجّ عليك بأكثر من قولك إنّ هذه الآية عامّة، فزعمت أنّ فيها خمسة أحكام مفردة وحكماً سادساً جامعاً، فخالفت جميع الأربعة الأحكام التي بعد الحكم الأوّل والحكم الخامس والسادس جماعتها[3] في موضعين: في الحرّ يقتل العبد. والرجل يقتل المرأة. فزعمت أن عينه ليس بعينها ولا عين العبد، ولا أنفه بأنفها ولا أنف العبد، ولا أُذنه بأُذنها، ولا أُذن العبد، ولا سنّه بسنّها ولا سنّ العبد، ولا جروحه كلّها بجروحها ولا جروح العبد، وقد بدأت أوّلاً بالذي زعمت أنّك أخذت به فخالفته في بعض ووافقته في بعض، فزعمت أنّ الرجل يقتل عبده فلا تقتله به، ويقتل ابنه فلا تقتله به، ويقتل المستأمن فلا تقتله به، وكلّ هذه نفوس محرّمة.

قال ـ يعني المدافع عن أبي حنيفة ـ: اتّبعت في هذا أثراً. قلنا: فتخالف الأثر الكتاب؟ قال: لا. قلنا: فالكتاب إذاً على غير ما تأوّلت، فلم فرّقت بين أحكام الله عزّ وجلّ على ما تأوّلت؟ قال بعض من حضره: دع هذا فهو يلزمه كلّه.

---

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) كتاب الأُم: ٣٢٥/٧.

(٣) كذا في المصدر.

قال: والآية الأُخرى: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَلِيِّهِ سُلطَاناً فَلَا يُسرِفْ فِي القَتلِ ﴾[1] دلالة على أنّ من قُتل مظلوماً فلوليّه أن يقتل قاتله. قيل له: فيُعاد عليك ذلك الكلام بعينه في الابن يقتله أبوه، والعبد يقتله سيده، والمستأمن يقتله المسلم.

قال: فلي من كلّ هذه مخرج. قلت: فاذكر مخرجك. قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا جعل الدم إلى الوليّ كان الأب وليّاً فلم يكن له أن يقتل نفسه. قلنا: أفرأيت إن كان له ابن بالغ أتخرج الأب من الولاية وتجعل للابن أن يقتله؟ قال: لا أفعل. قلت: فلا تخرجه بالقتل من الولاية؟ قال: لا. قلت: فما تقول في ابن عمّ لرجل قتله ١٧٠/٨
وهو وليّه ووارثه لو لم يقتله وكان له ابن عمّ هو أبعد منه، أفتجعل للأبعد أن يقتل الأقرب؟ قال: نعم. قلنا: ومن أين وهذا وليّه وهو قاتل؟ قال: القاتل يخرج بالقتل من الولاية. قلنا: والقاتل يخرج بالقتل من الولاية؟ قال: نعم. قلنا: فلم لم تخرج الأب من الولاية وأنت تخرجه من الميراث؟ قال: اتّبعت في الأب الأثر. قلنا: فالأثر يدلّك على خلاف ما قلت. قال: فاتّبعت فيه الإجماع. قلنا: فالإجماع يدلّك على خلاف ما تأوّلت فيه القرآن، فالعبد يكون له ابن حرّ فيقتله مولاه أيخرج القاتل من الولاية ويكون لابنه أن يقتل مولاه؟ قال: لا، بالإجماع. قلت: فالمستأمن يكون معه ابنه أيكون له أن يقتل المسلم الذي قتله؟ قال: لا، بالإجماع. قلت: أفيكون الإجماع على خلاف الكتاب؟ قال: لا. قلنا: فالإجماع إذاً يدلّك على أنّك قد أخطأت في تأويل كتاب الله عزّ وجلّ، وقلنا له: لم يجمع معك أحد على أن لا يقتل الرجل بعبده إلّا من مذهبه أن لا يُقتل الحرّ بالعبد ولا يُقتل المؤمن بالكافر، فكيف جعلت إجماعهم حجّة، وقد زعمت أنّهم أخطأوا في أصل ما ذهبوا إليه؟ والله أعلم.

٢ ـ عن قيس بن عباد قال: انطلقت أنا والأشتر إلى عليّ فقلنا: هل عهد إليك

---

(١) الإسراء: ٣٣.

رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس عامّة ؟ قال : لا إلّا ما في كتابي هذا . فأخرج كتاباً فإذا فيه : لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذوعهد في عهده .

أخرجه[1] : أبو عاصم في الديات (ص٢٧)، وأحمد في المسند (١١٩/١، ١٢٢)، وأبو داود في سننه (٢٤٩/٢)، والنسائي في سننه (٢٤/٨)، والبيهقي في السنن الكبرى(٢٩/٨، ١٩٤)، والجصّاص في أحكام القرآن (٦٥/١)، وابن حازم في الاعتبار (ص١٨٩)، وذكره الشوكاني في نيل الأوطار (١٥٢/٧) وقال :

هو دليل على أنّ المسلم لا يُقاد بالكافر، أمّا الكافر الحربيّ فذلك إجماع كما حكاه البحر . وأمّا الذمّي فذهب إليه الجمهور لصدق اسم الكافر عليه، وذهب الشعبي والنخعي وأبو حنيفة وأصحابه إلى أنّه يُقتل المسلم بالذميّ . ثمّ بسط القول في أدلّتهم وزيّفها بأحسن بيان . فراجع .

٣ ـ عن عائشة قالت : وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ كتابان وفي
١٧١/٨ أحدهما : / « لا يُقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده » .

أخرجه أبو عاصم في الديات (ص٢٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٠/٨) .

٤ ـ عن معقل بن يسار مرفوعاً : « لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده، والمسلمون يد على من سواهم تتكافأ دماؤهم » .

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٠/٨) .

٥ ـ عن ابن عبّاس مرفوعاً : « لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده » .

أخرجه ابن ماجه في سننه[2] (١٤٥/٢) .

---

(١) مسند أحمد : ١٩١/١ ح٩٦٢، ص١٩٦ ح٩٩٤، سنن أبي داود : ١٨٠/٤ ح٤٥٣٠، السنن الكبرى : ٢٢٠/٤ ح٦٩٤٨، أحكام القرآن : ١٤٢/١، الاعتبار : ص٤٥١، نيل الأوطار : ١٠/٧ .

(٢) سنن ابن ماجه : ٨٨٨/٢ ح٢٦٦٠ .

٦ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عبدالله بن عمرو بن العاصي مرفوعاً: «لا يُقتل مسلم بكافر».

وفي لفظ أحمد: «لا يُقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده».

أخرجه[1]: أبو عاصم الضحّاك في الديات (ص٥١)، وأبو داود في سننه (٢٤٩/٢)، وأحمد في مسنده (٢١١/٢)، والترمذي في سننه (١٦٩/١)، وابن ماجه في سننه (١٤٥/٢)، والجصّاص في أحكام القرآن (١٦٩/١) بلفظ أحمد، وذكره الشوكاني في نيل الأوطار (١٥٠/٧) فقال: رجاله رجال الصحيح. وقال في (ص١٥٢):

هذا في غاية الصحّة فلا يصحّ عن أحد من الصحابة شيء غير هذا إلّا ما رويناه عن عمر أنّه كتب في مثل ذلك أن يُقاد به ثمّ ألحقه كتاباً فقال: لا تقتلوه ولكن اعتقلوه[2].

٧ ـ عن عمران بن الحصين مرفوعاً: «لا يُقتل مؤمن بكافر».

قال الشافعي في كتاب الأُم[3] (٣٣/٦): سمعت عدداً من أهل المغازي، وبلغني عن عدد منهم أنّه كان في خطبة رسول الله ﷺ يوم الفتح: «لا يُقتل مؤمن بكافر». وبلغني عن عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه أنّه روى ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حسين، عن مجاهد وعطاء وأحسب طاووساً والحسن أنّ رسول الله ﷺ قال في خطبة عام الفتح: «لا يُقتل مؤمن بكافر».

وأخرجه البيهقي في السنن (٢٩/٨) فقال: قال الشافعي رحمه الله: وهذا / عامّ ١٧٢/٨

(١) سنن أبي داود: ١٨١/٤ ح ٤٥٣٠، مسند أحمد: ٤٢٦/٢ ح ٦٩٣١، سنن الترمذي: ١٨/٤ ح ١٤١٣، سنن ابن ماجه: ٨٨٨/٢ ح ٢٦٦٠، أحكام القرآن: ١٤٢/١، نيل الأوطار: ١٠/٧، ١١.

(٢) أسلفنا في: ١٣٣/٦، ١٣٤ ما يعرب عن عدم وقوف الخليفة على حكم المسألة. (المؤلّف)

(٣) كتاب الأُم: ٣٨/٦.

عند أهل المغازي أنّ رسول الله ﷺ تكلّم به في خطبته يوم الفتح، وهو يروي عن النبيّ ﷺ مسنداً من حديث عمرو بن شعيب وحديث عمران بن الحصين.

وذكره الشوكاني في نيل الأوطار[(١)] (١٥٣/٧) فقال: إنّ السبب في خطبته ﷺ يوم الفتح بقوله: «لا يُقتل مسلم بكافر». ما ذكره الشافعي في الأُم[(٢)]، حيث قال: وخطبته يوم الفتح كانت بسبب القتيل الذي قتلته خزاعة وكان له عهد فخطب النبيّ ﷺ فقال: «لو قتلت مسلماً بكافر لقتلته به». وقال: «لا يُقتل مؤمن بكافر». إلخ.

٨ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده».

أخرجه الجصّاص في أحكام القرآن[(٣)] (١٦٥/١).

أمّا الثانية ففيها:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: أنّ رسول الله ﷺ قضى أنّ عقل أهل الكتابين نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى[(٤)].

وفي لفظ أبي داود: كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ثمانمئة دينار أو ثمانية آلاف درهم، ودية أهل الكتاب يومئذٍ النصف من دية المسلمين، قال: فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيباً فقال: إنّ الإبل قد غلت. [قال:][(٥)] ففرضها

---

(١) نيل الأوطار: ١٢/٧.

(٢) كتاب الأُم: ٣٢١/٧.

(٣) أحكام القرآن: ١٤٢/١.

(٤) سنن ابن ماجه: ١٤٢/٢ [٨٨٣/٢ ح ٢٦٤٤]، سنن النسائي: ٤٥/٨ [٢٣٥/٤ ح ٧٠٠٩].

(المؤلّف)

(٥) من المصدر.

عمر على أهل الذهب ألف دينار. الحديث. سنن أبي داود[١] (٢٥١/٢).

وفي لفظ آخر لأبي داود: دية المعاهد نصف دية الحرّ (٢٥٧/٢).

وفي لفظ أبي عاصم الضحّاك في الديات (ص ٥١): دية الكافر على النصف من دية المسلم، ولا يُقتل مسلم بكافر.

قال الخطّابي في شرح سنن ابن ماجه في ذيل الحديث (١٤٢/٢): ليس في دية أهل الكتاب شيء أثبت من هذا، وإليه ذهب مالك وأحمد، وقال أصحاب أبي حنيفة: ديته كدية المسلم. وقال الشافعي: ثلث دية المسلم. والوجه الأخذ بالحديث ولا بأس بإسناده.

وأخرج النسائي في سننه[٢] (٤٥/٨) من طريق عبدالله بن عمر [وابن العاص][٣] مرفوعاً: «عقل الكافر نصف عقل المؤمن». وأخرجه الترمذي في سننه[٤] (١٦٩/١).

١٧٣/٨ هذه سنّة رسول الله ﷺ، وإليها ذهب الجمهور، وعليها جرت الفقهاء من المذاهب، غير أنّ لأبي حنيفة شذوذاً عنها في المسألتين أخذاً بما يعرب عن قصوره عن فهم السنّة، وعرفان الحديث، وفقه الكتاب، وقد ذكر غير واحد من أعلام المذاهب أدلّته في المقامين وزيّفها، وبسط القول في بطلانها، وحسبك في المقام كلمة الإمام الشافعي في كتاب الأُم[٥] (٢٩١/٧) فإنّه فصّل القول فيها تفصيلاً وجاء بفوائد جمّة. فراجع. وعمدة ما ركن إليه أبو حنيفة في المسألة الأولى تجاه تلكم الصحاح

---

(١) سنن أبي داود: ١٨٤/٤ ح٤٥٤٢، ص ١٩٤ ح٤٥٨٣.

(٢) السنن الكبرى: ٢٣٥/٤ ح٧٠١٠.

(٣) من المصدرين.

(٤) سنن الترمذي: ١٨/٤ ح١٤١٣.

(٥) كتاب الأُم: ٣٢٠/٧.

مرسلة عبد الرحمن بن البيلماني، وقد ضعّفها الدارقطني[١] وابن حازم في الاعتبار[٢] (ص١٨٩) وغيرهما، وذكر البيهقي في سننه (٣٠/٨): باب بيان ضعف الخبر الذي روي في قتل المؤمن بالكافر. وذكر لها طرقاً وزيّفها بأسرها.

ـ ١٣ ـ
رأي الخليفة في القراءة

قال ملك العلماء في بدائع الصنائع (١١١/١): إنّ عمر ﷺ ترك القراءة في المغرب في إحدى الأُوليين فقضاها في الركعة الأخيرة وجهر، وعثمان ﷺ ترك القراءة في الأوليين من صلاة العشاء فقضاها في الأُخريين وجهر.

وقال في صفحة (١٧٢): روي عن عمر ﷺ أنّه ترك القراءة في ركعة من صلاة المغرب فقضاها في الركعة الثالثة وجهر. وروي عن عثمان ﷺ أنّه ترك السورة في الأُوليين فقضاها في الأُخريين وجهر.

قال الأميني: إنّ ما ارتكبه الخليفتان مخالف للسنّة من ناحيتين، الأولى: الاجتزاء بركعة لاقراءة فيها. والثانية: تكرير الحمد في الأخيرة أو الأُخريين بقضاء الفائتة مع صاحبة الركعة، وكلاهما خارجان عن السنّة الثابتة لا يجتزأ بالصلاة التي يكونان فيها، أمّاالناحية الأولى فإليك نبذة ممّا ورد فيها:

١ ـ عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأمّ القرآن فصاعداً».

وفي لفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إمام أو غير إمام».

وفي لفظ الدارمي: «من لم يقرأ بأمّ الكتاب فلا صلاة له».

---

(١) سنن الدارقطني: ١٣٥/٣ ح١٦٥.

(٢) الاعتبار: ص٤٥٢.

راجع[١]: صحيح البخاري (٣٠٢/١)، صحيح مسلم (١٥٥/١)، صحيح أبي داود (١٣١/١)، سنن الترمذي (٣٤/١، ٤١)، سنن النسائي (١٣٧/٢، ١٣٨)، سنن الدارمي (٢٨٣/١)، سنن ابن ماجه (٢٧٦/١)، سنن البيهقي (٣٨/٢، ٦١، ١٦٤)، مسند أحمد (٣١٤/٥، ٣٢١)، كتاب الأُمّ (٩٣/١)، المحلّى لابن حزم (٢٣٦/٣)، المصابيح للبغوي (٥٧/١) وصحّحه، المدوّنة الكبرى (٧٠/١). ١٧٤/٨

٢ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج، غير تمام».

وفي لفظ: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج ـ ثلاثاً ـ غير تمام».

وفي لفظ الشافعي: «كلّ صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج». الحديث.

وفي لفظ أحمد: «أيّما صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، ثمّ هي خداج، ثمّ هي خداج».

راجع[٢]: مسند أحمد (٢٤١/٢، ٢٨٥)، كتاب الأُمّ للشافعي (٩٣/١)، موطّأ مالك (٨١/١) المدوّنة الكبرى (٧٠/١)، صحيح مسلم (١٥٥/١، ١٥٦)، سنن أبي داود (١٣٠/١)، سنن ابن ماجه (٢٧٧/١)، سنن الترمذي (٤٢/١)، سنن النسائي (١٣٥/٢)،

---

(١) صحيح البخاري: ٢٦٣/١ ح٧٢٣، صحيح مسلم: ٣٧٥/١ ح٣٤ كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ٢١٧/١ ح٨٢٢، سنن الترمذي: ٢٥/٢ ح٢٤٧، السنن الكبرى: ٣١٦/١ ح٩٨٢ ـ ٩٨٣، سنن ابن ماجه: ٢٧٣/١ ح٨٣٧، مسند أحمد: ٤٢٧/٦ ح٢٢١٦٩، ص٤٣٩ ح٢٢٢٣٧، كتاب الأُم: ١٠٧/١، مصابيح السنّة: ٣١٩/١ ح٥٧٧، المدوّنة الكبرى: ٦٧/١.

(٢) مسند أحمد: ٤٧٩/٢ ح٧٢٤٩، ص٥٥٥ ح٧٧٧٧، كتاب الأُم: ١٠٧/١، موطّأ مالك: ٨٤/١ ح٣٩، المدوّنة الكبرى: ٦٨/١، صحيح مسلم: ٣٧٥/١ ـ ٣٧٧ ح٣٨ ـ ٤١ كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ٢١٦/١ ح٨٢١، سنن ابن ماجه: ٢٧٣/١ ح٨٣٨، سنن الترمذي: ١٢١/٢ ح٣١٢، السنن الكبرى: ٢٨٣/٦ ح١٠٩٨٢، مصابيح السنّة ٣١٩/١ ح٥٧٨.

سنن البيهقي (٣٨/٢، ٣٩، ٤٠، ١٥٩، ١٦٧)، مصابيح السنّة (٥٧/١).

٣ ـ عن أبي هريرة قال: إنّ النبيّ ﷺ أمره أن يخرج فينادي: لا صلاة إلّا بقراءة فاتحة الكتاب. فما زاد.

أخرجه[1] أحمد في المسند (٤٢٨/٢)، الترمذي في صحيحه (٤٢/١)، أبو داود في سننه (١٣٠/١)، البيهقي في سننه (٣٧/٢، ٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢٣٩/١) وقال: صحيح لا غبار عليه.

٤ ـ عن عائشة مرفوعاً: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج».

أخرجه[2] أحمد في مسنده (١٤٢/٦، ٢٧٥)، وابن ماجه في سننه (٢٧٧/١). ويوجد في كنز العمّال (٩٥/٤، ٩٦) من طريق عائشة، وابن عمر، وعليّ، وأبي أمامة نقلاً عن أحمد، وابن ماجه، والبيهقي، والخطيب، وابن حبّان، وابن عساكر، وابن عدي.

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة في فريضة أو غيرها»[3]. صحيح الترمذي (٣٢/١)، سنن ابن ماجه (٢٧٧/١)، ١٧٥/٨
كنز العمّال (٩٥/٥).

٦ ـ عن أبي سعيد قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وبما تيسّر[4].

---

(١) مسند أحمد: ١٦٣/٣ ح٩٢٤٥، سنن الترمذي: ١٢١/٢ ح٣١٢، سنن أبي داود: ٢١٦/١ ح٨٢٠، المستدرك على الصحيحين: ٣٦٥/١ ح٨٧٢.

(٢) مسند أحمد: ٢٠٥/٧ ح٢٤٥٧٥، ص٣٩١ ح٢٥٨٢٤، سنن ابن ماجه: ٢٧٤/١ ح٨٤٠، كنز العمّال: ٤٣٧/٧ ح١٩٦٦٣، ص٤٣٨ ح١٩٦٦٨، سنن البيهقي: ١٦٧/٢، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ٨٤/٥ ح١٧٨٤، الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٨٤/٦ رقم١٧٦٩.

(٣) سنن الترمذي: ٣/٢ ح٢٣٨، سنن ابن ماجه: ٢٧٤/١ ح٨٣٩، كنز العمّال: ٤٣٧/٧ ح١٩٦٦٦.

(٤) سنن أبي داود: ٢١٦/١ ح٨١٨، تيسير الوصول: ٢٧٢/٢. وانظر كنز العمّال: ١١٢/٨ ح٢٢١٤١.

سنن البيهقي (٦٠/٢)، سنن أبي داود (١٣٠/١)، تيسير الوصول (٢٢٣/٢).

٧ ـ عن أبي قتادة قال: إنّ النبيّ ﷺ كان يقرأ في الركعتين الأُوليين من الظهر والعصر بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأُخريين بفاتحة الكتاب.

وفي لفظ لمسلم وأبي داود: كان يصلّي بنا فيقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأُوليين بفاتحة الكتاب وسورتين.

راجع[1]: صحيح البخاري (٥٥/٢)، صحيح مسلم (١٧٧/١)، سنن الدارمي (٢٩٦/١)، سنن أبي داود (١٢٨/١)، سنن النسائي (١٦٥/٢، ١٦٦)، سنن ابن ماجه (٢٧٥/١)، سنن البيهقي (٥٩/٢، ٦٣، ٦٦، ١٩٣)، مصابيح السنّة (٥٧/١) وصحّحه.

٨ ـ عن سمرة بن جندب قال: حفظت سكتتين في الصلاة. وفي لفظ: حفظت سكتتين عن رسول الله ﷺ: سكتة إذا كبّر الإمام حتى يقرأ، وسكتة إذا فرغ من فاتحة الكتاب وسورة عند الركوع[2].

سنن أبي داود (١٢٤/١)، صحيح الترمذي (٣٤/١)، سنن الدارمي (٢٨٣/١)، سنن ابن ماجه (٢٧٨/١)، سنن البيهقي (١٩٦/٢)، مستدرك الحاكم (٢١٥/١)، مصابيح السنّة (٥٦/١)، تيسير الوصول (٢٢٩/٢).

٩ ـ عن رفاعة بن رافع قال: جاء رجل يصلّي في المسجد قريباً من رسول‌الله ﷺ ثمّ جاء فسلّم على النبيّ ﷺ فقال له النبيّ ﷺ: «أعد صلاتك

---

(١) صحيح البخاري: ٢٧٠/١ ح٧٤٥، صحيح مسلم: ٤٢٠/١ ح١٥٤ كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ٢١٢/١ ح٧٩٨، السنن الكبرى: ٣٣٦/١ ح١٠٤٩ ـ ١٠٥٠، سنن ابن ماجه: ٢٧١/١ ح٨٢٩، مصابيح السنّة: ٣٢١/١ ح٨٥٢.

(٢) سنن أبي داود: ٢٠٦/١ ح٧٧٧، سنن الترمذي: ٣١/٢ ح٢٥١، سنن ابن ماجه: ٢٧٥/١ ح٨٤٥، المستدرك على الصحيحين: ٣٣٥/١ ح٧٨٠، مصابيح السنّة: ٣١٨/١ ح٥٧٥، تيسير الوصول: ٢٧٩/٢.

فإنّك لم تصلّ » . فعاد فصلّى كنحو ممّا صلّى ، فقال النبيّ ، ﷺ : « أعد صلاتك فإنّك لم تصلّ » . فقال : علّمني يا رسول الله كيف أُصلّي ؟ قال : « إذا توجّهت إلى القبلة فكبّر ثمّ اقرأ بأمّ القرآن وما شاء الله أن تقرأ ، فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك ومكّن ركوعك وامدد ظهرك فإذا رفعت فأقم صلبك ، وارفع رأسك حتى ترجع العظام إلى مفاصلها ، فإذا سجدت فمكّن سجودك ، فإذا رفعت فاجلس على فخذك اليسرى ، ثمّ اصنع ذلك في كلّ ركعة وسجدة حتى تطمئنّ » وفي لفظ أحمد : « فإذا أتممت صلاتك على هذا فقد أتممتها ، وما انتقصت / من هذا من شيء فإنّما تنقصه من صلاتك »(١) .

سنن أبي داود (١٣٧/١) ، سنن البيهقي (٣٤٥/٢) ، مسند أحمد (٣٤٠/٤) ، كتاب الأُم للشافعي (٨٨/١) ، مستدرك الحاكم (٢٤١/١ ، ٢٤٢) ، المحلّى لابن حزم (٢٥٦/٣) .

وأخرج البخاري مثله من طريق أبي هريرة في صحيحه (٣١٤/١) ، وكذلك مسلم في صحيحه (١١٧/١) ، وذكره البيهقي في سننه (٣٧/٢ ، ٦٢ ، ١٢٢) نقلاً عن الشيخين .

١٠ ـ عن وائل بن حجر قال : شهدت النبيّ ﷺ وأُتي بإناء ـ إلى أن قال : فدخل في المحراب فصفّ الناس خلفه وعن يمينه وعن يساره ثمّ رفع يديه حتى حاذتا شحمة أذنيه ، ثمّ وضع يمينه على يساره وعند صدره ، ثمّ افتتح القراءة فجهر بالحمد ، ثمّ فرغ من سورة الحمد فقال : آمين . حتى سمع من خلفه ، ثمّ قرأ سورة أُخرى ، ثمّ رفع يديه بالتكبير حتى حاذتا بشحمة أُذنيه ، ثمّ ركع فجعل يديه على ركبتيه ـ إلى أن قال : ثمّ صلّى أربع ركعات يفعل فيهنّ ما فعل في هذه . مجمع الزوائد (١٣٤/٢) .

١١ ـ عن عبد الرحمن بن أبزى قال : ألا أريكم صلاة رسول الله ؟ فقلنا : بلى .

---

(١) سنن أبي داود : ٢٢٧/١ ح ٨٥٩ ، مسند أحمد : ٤٤٩/٥ ح ١٨٥١٨ ، كتاب الأُم : ١١٠/١ ، المستدرك على الصحيحين : ٣٦٨/١ ح ٨٨١ ، ص ٣٦٩ ح ٨٨٤ ، صحيح البخاري : ٢٦٣/١ ح ٧٢٤ ، صحيح مسلم : ٣٧٨/١ ح ٤٥ كتاب الصلاة .

فقام فكبّر ثمّ قرأ، ثمّ ركع فوضع يديه على ركبتيه حتى أخذ كلّ عضو مأخذه، ثمّ رفع حتى أخذ كلّ عضو مأخذه، ثمّ سجد حتى أخذ كلّ عضو مأخذه، ثمّ رفع حتى أخذ كلّ عضو مأخذه، ثمّ سجد حتى أخذ كلّ عضو مأخذه، ثمّ رفع فصنع في الركعة الثانية كما صنع في الركعة الأولى. ثمّ قال: هكذا صلاة رسول الله.

أخرجه أحمد في المسند[1] (٤٠٧/٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠/٢) فقال: رجاله ثقات.

١٢ ـ عن عبدالرحمن بن غنم قال: إنّ أبا مالك الأشعري قال لقومه: قوموا حتى أُصلّي بكم صلاة النبيّ، ﷺ، فصففنا خلفه وكبّر ثمّ قرأ بفاتحة الكتاب فسمع من يليه، ثمّ كبّر فركع، ثمّ رفع رأسه فكبّر، فصنع ذلك في صلاته كلّها.

صورة مفصّلة بلفظ أحمد:

إنّ أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال: يا معشر الأشعريّين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم أعلّمكم صلاة النبيّ ﷺ صلّى لنا بالمدينة. فاجتمعوا وجمعوا نساءهم وأبناءهم، فتوضّأ وأراهم كيف يتوضّأ، فأحصى الوضوء إلى أماكنه حتى لمّا
أن فاء الفيء وانكسر الظلّ قام فأذّن، وصفّ الرجال في أدنى الصفّ، وصفّ الولدان ١٧٧/٨
خلفهم، وصفّ النساء خلف الولدان، ثمّ أقام الصلاة فتقدّم فرفع يديه وكبّر فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة يسرّ بهما[2]، ثمّ كبّر فركع فقال: سبحان الله وبحمده. ثلاث مرّات ثمّ قال: سمع الله لمن حمده، واستوى قائماً، ثمّ كبّر وخرّ ساجداً، ثمّ كبّر فرفع رأسه، ثمّ كبّر فسجد، ثمّ كبّر فانتهض قائماً، فكان تكبيره في أوّل ركعة ستّ تكبيرات وكبّر حين قام إلى الركعة الثانية، فلمّا قضى صلاته أقبل على قومه بوجهه

(١) مسند أحمد: ٤١٢/٤ ح١٤٩٤٦.
(٢) في المصدر: يسرّهما.

فقال: احفظوا تكبيري وتعلّموا ركوعي وسجودي؛ فإنّها صلاة رسول الله ﷺ التي كان يصلّي لنا كذي الساعة من النهار.

أخرجه[1] أحمد في المسند (٣٤٣/٥)، وعبدالرزّاق والعقيلي كما في كنز العمّال (٢٢١/٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٣٠/٢).

١٣ ـ أخرج أبو حنيفة وأبو معاوية وابن فضيل وأبو سفيان عن أبي نضرة، عن سعيد، عن النبيّ ﷺ قال: «لا تجزي صلاة لمن لم يقرأ في كلّ ركعة بالحمد لله وسورة في الفريضة وغيرها». أحكام القرآن للجصّاص[2] (٢٣/١).

١٤ ـ عن أنس بن مالك: كان النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله ربّ العالمين. كتاب الأُمّ للشافعي[3] (٩٣/١).

١٥ ـ عن عليّ بن أبي طالب قال: «من السنّة أن يقرأ الإمام في الركعتين الأُوليين من صلاة الظهر بأمّ الكتاب وسورة سرّاً في نفسه، وينصت من خلفه ويقرؤون في أنفسهم، ويقرأ في الركعتين الأُخريين بفاتحة الكتاب في كلّ ركعة ويستغفر الله ويذكره ويفعل في العصر مثل ذلك».

بهذا اللفظ حكاه السيوطي عن البيهقي كما في كنز العمّال[4] (٢٥١/٤) وفي السنن الكبرى للبيهقي (١٦٨/٢) لفظه: إنّه كان يأمر أو يحثّ أن يقرأ خلف الإمام في الظهر والعصر في الركعتين الأُوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الركعتين الأُخريين بفاتحة الكتاب. وقريباً من هذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك[5] (٢٣٩/١).

---

(١) مسند أحمد: ٤٧٠/٦ ح ٢٣٩٩، المصنّف: ٦٣/٢ ح ٢٤٩٩، كنز العمّال: ١٦٢/٨ ح ٢٢٣٩٩.
(٢) أحكام القرآن: ٢٢/١.
(٣) كتاب الأم: ١٠٧/١.
(٤) كنز العمّال: ٢٨٤/٨ ح ٢٢٩٣٢.
(٥) المستدرك على الصحيحين: ٣٦٥/١ ح ٨٧٤.

١٦ ـ عن عائشة قالت: كان النبيّ ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله ربّ العالمين.

راجع[١]: صحيح مسلم (١٤٢/١)، سنن أبي داود (١٢٥/٢)، سنن ابن ماجه (٢٧١/١)، سنن البيهقي (١١٣/٢). ١٧٨/٨

١٧ ـ عن أبي هريرة قال: في كلّ الصلاة يُقرأ، فما أسمعنا رسول الله ﷺ أسمعناكم، وما أخفى علينا أخفينا عليكم. وفي لفظ: في كلّ صلاة قراءة[٢].

مسند أحمد (٣٤٨/٢)، صحيح مسلم (١١٦/١)، سنن أبي داود (١٢٧/١)، سنن النسائي (١٦٣/٢)، سنن البيهقي (٤٠/٢) عن مسلم، وفي (ص٦١) عن البخاري، تيسير الوصول (٢٢٨/٢).

١٨ ـ عن أبي هريرة قال: إنّ النبيّ ﷺ كان يفتتح القراءة بالحمد لله ربّ العالمين. أخرجه[٣] ابن ماجه في سننه (٢٧١/١).

وأخرجه الدارمي من طريق أنس بن مالك مع زيادة في سننه (٢٨٣/١)، والنسائي في سننه (١٣٣/٢)، والشافعي في كتاب الأمّ (٩٣/١).

١٩ ـ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاصي مرفوعاً: «كلّ صلاة لا يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج». وفي لفظ أحمد: «فهي خداج، ثمّ هي خداج، ثمّ هي خداج».

(١) صحيح مسلم: ٤٤٩/١ ح٢٤٠ كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ٢٠٨/١ ح٧٨٣، سنن ابن ماجه: ٢٦٧/١ ح٨١٢.

(٢) مسند أحمد: ٢٤/٣ ح٨٣٧٨، صحيح مسلم: ٣٧٧/١ ح٤٣ كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ٢١١/١ ح٧٩٧، السنن الكبرى: ٣٣٤/١ ح١٠٤١، تيسير الوصول: ٢٧١/٢.

(٣) سنن ابن ماجه: ٢٦٧/١ ح٨١٤، السنن الكبرى: ٣١٤/١ ح٩٧٥، كتاب الأُم: ١٠٧/١.

أخرجه[1]: أحمد في المسند (٢/٢٠٤، ٢١٥)، وابن ماجه في سننه (١/٢٧٨).

٢٠ ـ أخرج أبو داود في سننه[2] (١/١١٩) من طريق عليّ بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه كان إذا قام إلى الصلاة كبّر ورفع يديه حذو منكبيه، ويصنع [مثل][3] ذلك إذا قضى قراءته وإذا أراد أن يركع.

٢١ ـ كان أبو حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو قتادة، فقال أبو حميد: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ، كان رسول الله إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثمّ يكبّر حتى يقرّ كلّ عظم في موضعه معتدلاً، ثمّ يقرأ ثمّ يكبّر فيرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثمّ يركع ـ ثمّ ذكر كيفيّة الركوع والسجدتين ـ فقال: ثمّ يصنع في الركعة الأخرى مثل ذلك[4].

سنن أبي داود (١/١١٦)، سنن الدارمي (١/٣١٣)، سنن ابن ماجه (١/٢٨٣) وذكر شطراً منه، سنن البيهقي (٢/٧٢)، مصابيح السنّة (١/٥٤).

١٧٩/٨ ٢٢ ـ عن جابر بن عبدالله قال: يقرأ في الأُوليين بفاتحة الكتاب وسورة وفي الأُخريين بفاتحة الكتاب. قال: وكنّا نحدّث أنّه لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب فما فوق ذاك. وفي لفظ الطبراني: سنّة القراءة في الصلاة أن يقرأ في الأُوليين بأُمّ القرآن وسورة، وفي الأخريين بأُمّ القرآن.

سنن البيهقي (٢/٦٣) فقال: وروينا ما دلّ على هذا عن عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعائشة. وأخرجه[5] ابن أبي شيبة كما في كنز العمّال: (٤/٢٠٩،

---

(١) مسند أحمد: ٢/٤١٥ ح ٦٨٦٤، ص٤٣٣ ح٦٩٧٧، سنن ابن ماجه: ١/٢٧٤ ح ٨٤١.

(٢) سنن أبي داود: ١/١٩٨ ح ٧٤٤.

(٣) من المصدر.

(٤) سنن أبي داود: ١/١٩٤ح ٧٣٠، سنن ابن ماجه: ١/٢٨٠ح ٨٦٢، مصابيح السنّة: ١/٣٠٩ح ٥٥٦.

(٥) مصنّف ابن أبي شيبة: ١/٢٧١، كنز العمّال: ٨/١٠٩ ح ٢٢١٢٥، ص٢٨١ ح ٢٢٩٢٤.

٢٥٠)، ورواه الطبراني باللفظ المذكور كما في مجمع الزوائد (١١٥/٢).

٢٣ ـ عن جابر بن عبدالله: من صلّى ركعة لم يقرأ فيها بأُمّ القرآن فلم يصلّ، إلّا وراء إمام[1].

صحيح الترمذي (٤٢/٢)، وصحّحه، موطّأ مالك (٨٠/١)، المدوّنة الكبرى لمالك (٧٠/١)، سنن البيهقي (١٦٠/٢)، تيسير الوصول (٢٢٣/٢).

٢٤ ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من صلّى مكتوبة أو سبحة فليقرأ بأُمّ القرآن وقرآن معها، ومن صلّى صلاة لم يقرأ فيها فهي خداج ـ ثلاثا ـ».

أخرجه[2] عبد الرزاق كما في كنز العمّال (٩٦/٤) وحسّنه.

٢٥ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب».

وفي لفظ الدارقطني[3] وصحّحه: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ الرجل فيها فاتحة الكتاب». وفي لفظ أحمد[4]: «لا تُقبل صلاة لا يُقرأ فيها بأمّ الكتاب».

كنز العمّال[5] (٩٦/٤) نقلاً عن جمع من الحفّاظ.

٢٦ ـ عن أبي الدرداء: أقرأ في الركعتين الأُوليين من الظهر والعصر والعشاء الآخرة في كلّ ركعة بأمّ القرآن وسورة، وفي الركعة الآخرة من المغرب بأمّ القرآن. كنز العمّال[6] (٢٠٧/٤).

---

(١) سنن الترمذي: ١٢٣/٥ ح٣١٢، موطّأ مالك: ٨٤/١ ح٣٨، المدوّنة الكبرى: ٦٨/١، تيسير الوصول: ٢٧٢/٢.

(٢) المصنّف: ١٣٣/٢ ح٢٧٨٧، كنز العمّال: ٤٤٢/٧ ح١٩٦٨٨.

(٣) سنن الدارقطني: ٣٢٢/١.

(٤) مسند أحمد: ٧٧/٦ ح٢٠٢١٧.

(٥) كنز العمّال: ٤٤٢/٧ ح١٩٦٨٩ و٤٤٣ ح١٩٦٩٧ و١٩٦٩٨.

(٦) المصدر السابق: ١١٠/٨ ح٢٢١٣٢.

٢٧ ـ عن حسين بن عرفطة مرفوعاً: «إذا قمت في الصلاة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ألحمد لله ربّ العالمين. حتى تختمها، قل هو الله أحد إلى آخرها». أخرجه الدارقطني[١] كما في كنز العمّال[٢] (٩٦/٤).

١٨٠/٨ ٢٨ ـ عن ابن عبّاس: «لا تصلّينّ صلاة حتى تقرأ بفاتحة الكتاب وسورة، ولا / تدع أن تقرأ بفاتحة الكتاب في كلّ ركعة»[٣]. أخرجه عبد الرزّاق كما في الكنز (٢٠٨/٤).

٢٩ ـ عن ابن سيرين قال: إنّ ابن مسعود كان يقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأُوليين بفاتحة الكتاب وسورة في كلّ ركعة، وفي الأُخريين بفاتحة الكتاب.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/٢).فقال: رجاله ثقات إلّا أنّ ابن سيرين لم يسمع من ابن مسعود.

٣٠ ـ عن زيدبن ثابت قال: القراءة سنّة، لا تخالف الناس برأيك. أخرجه الطبراني في الكبير[٤]. كما في مجمع الزوائد (١١٥/٢).

هذه سنّة نبيّ الإسلام في قراءة الفاتحة في كلّ ركعة من الفرائض والنوافل، وعلى هذه فتاوى أئمّة المذاهب، وإليك نصوصها:

رأي الشافعي:

قال إمام الشافعية في كتاب الأُم[٥] (٩٣/١): سنّ رسول الله ﷺ أن يقرأ

---

(١) لم نجده عند الدارقطني بهذا الإسناد، ولكنه أخرج مضمونه بأسانيد كثيرة أُخرى. أُنظر سنن الدارقطني ٣١٧/١ ـ ٣٢٣.

(٢) كنز العمّال: ٤٤٢/٧ ح١٩٦٨٧.

(٣) المصنّف: ٩٤/٢ ح٢٦٢٨، كنز العمّال: ١١٤/٨ ح٢٢١٥٣.

(٤) المعجم الكبير: ١٣٣/٥ ح٤٨٥٥.

(٥) كتاب الأُم: ١٠٧/١، ١٠٢ ـ ١٠٣.

القارئ في الصلاة بأُمّ القرآن، ودلّ على أنّها فرض على المصلّي إذا كان يحسن أن يقرأها. فذكر عدّة من الأحاديث فقال: فواجب على من صلّى منفرداً أو إماماً أن يقرأ بأمّ القرآن في كلّ ركعة لا يجزيه غيرها، وإن ترك من أُمّ القرآن حرفاً واحداً ناسياً أو تساهياً لم يعتدّ بتلك الركعة، لأنّ من ترك منها حرفاً لا يقال له قرأ أُمّ القرآن على الكمال.

وقال في صفحة (٨٩) فيمن لا يحسن القراءة: فإن لم يحسن سبع آيات وأحسن أقلّ منهنّ لم يجزه إلّا أن يقرأ بما أحسن كلّه إذا كان سبع آيات أو أقلّ، فإن قرأ بأقلّ منه أعادالركعة التي لم يكمل فيها سبع آيات إذا أحسنهنّ. وقال: ومن أحسن أقلّ من سبع آيات، فأمّ أو صلّى منفرداً ردّد بعض الآي حتى يقرأ به سبع آيات أو ثمان آيات وإن [لم يفعل][1] لم أر عليه إعادة، ولا يجزيه في كلّ ركعة إلّا قراءة ما أحسن ممّا بينه وبين أن يكمل سبع آيات أو ثمان آيات من أحسنهنّ.

وقال[2]: وأقلّ ما يجزئ من عمل الصلاة أن يحرم ويقرأ بأم القرآن يبتدئها بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) إن أحسنها، ويركع حتى يطمئنّ راكعاً، ويرفع حتى يعتدل قائماً، ويسجد حتى يطمئنّ ساجداً على الجبهة، ثمّ يرفع حتى يعتدل جالساً، ثمّ / يسجد ١٨١/٨
الأخرى كما وصفت، ثمّ يقوم حتى يفعل ذلك في كلّ ركعة، ويجلس في الرابعة ويتشهّد ويصلّي على النبيّ ﷺ ويسلّم تسليمة يقول: السلام عليكم، فإذا فعل ذلك أجزأته صلاته وضيّع حظّ نفسه فيما ترك، وإن كان لا يحسن أُمّ القرآن فيحمد الله ويكبّره مكان أُمّ القرآن لا يجزئه غيره، وإن كان لا يحسن غير أُمّ القرآن قرأ بقدرها سبع آيات لا يجزئه دون ذلك، فإن ترك من أُمّ القرآن حرفاً وهو في الركعة رجع إليه وأتمّها، وإن لم يذكر حتى خرج من الصلاة وتطاول ذلك أعاد.

---

(١) من المصدر، وهي موجودة في طبعة الغدير الأولى.

(٢) ذكره المزني في مختصره هامش كتاب الأم: ١/٩٠، ٩١ [ص١٧ ـ ١٨]. (المؤلّف)

وقال في كتاب الأُم(١) (٢١٧/١): إنّ من ترك أُمّ القرآن في ركعة من صلاة الكسوف في القيام الأوّل أو القيام الثاني لم يعتدّ بتلك الركعة، وصلّى ركعة أُخرىٰ وسجد سجدتي السهو، كما إذا ترك أُمّ القرآن في ركعة واحدة من صلاة المكتوبة لم يعتدّ بها.

رأي مالك:

وقال إمام المالكية كما في المدوّنة الكبرى(٢) (٦٨/١): ليس العمل على قول عمر حين ترك القراءة(٣) فقالوا له: إنّك لم تقرأ؟ فقال: كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا حسن. قال: فلا بأس إذن. وأرى أن يعيد من فعل هذا(٤) وإن ذهب الوقت.

وقال في رجل ترك القراءة في ركعتين من الظهر أو العصر أو العشاء الآخرة: لا تجزئه الصلاة وعليه أن يعيد، ومن ترك القراءة في جلّ ذلك أعاد، وإن قرأ في بعضها وترك بعضها أعاد أيضاً، وإذا قرأ في ركعتين وترك القراءة في ركعتين، فإنّه يعيد الصلاة من أيّ الصلوات كانت.

وقال: من نسي قراءة أُمّ القرآن حتى قرأ السورة فإنّه يرجع فيقرأ أُمّ القرآن ثمّ يقرأ سورة أيضاً بعد قراءته أُمّ القرآن. وقال: لا يقضي قراءة نسيها من ركعة في ركعة أُخرىٰ. وقال فيمن ترك أُمّ القرآن في الركعتين وقد قرأ بغير أُمّ القرآن: يعيد صلاته. وقال في رجل ترك القراءة في ركعة في الفريضة: يلغي تلك الركعة بسجدتيها ولا يعتدّ بها.

---

(١) كتاب الأُم: ٢٤٥/١.

(٢) المدوّنة الكبرى: ٦٥/١، ٦٦.

(٣) مرّ حديثه في الجزء السادس صفحة: ١٠٠ الطبعة الأولى و ١٠٨ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

(٤) في المصدر: ذلك، بدلاً من: هذا.

رأي الحنابلة:

قال ابن حزم في المحلّى (٢٣٦/٣): وقراءة أُمّ القرآن فرض في كلّ ركعة من كلّ ١٨٢/٨
صلاة إماماً كان أو مأموماً أومنفرداً، والفرض والتطوّع سواء، والرجال والنساء سواء. ثمّ ذكر جملة من أدلّة المسألة.

وذكر في (ص٢٤٣) فعل عمر وما يعزى إلى عليّ ـ وحاشاه من ذلك ـ فقال: لا حجّة في قول أحد بعد رسول الله ﷺ.

وقال في (ص٢٥٠): من نسي التعوّذ أو شيئاً من أُمّ القرآن حتى ركع أعاد متى ذكر فيها وسجد للسهو إن كان إماماً أو فذّاً، فإن كان مأموماً ألغى ما قد نسي إلى أن ذكر، وإذا أتمّ الإمام قام يقضي ما كان ألغى، ثمّ سجد للسهو، ولقد ذكرنا برهان ذلك فيمن نسي فرضاً في صلاته فإنّه يعيد مالم يصلّ كما أُمر، ويعيد ما صلّى كما أُمر. قال:

ومن كان لا يحفظ أُمّ القرآن [صلّى][1] وقرأ ما أمكنه من القرآن إن كان يعلمه، لا حدّ في ذلك وأجزأه، وليسعَ في تعلّم أُمّ القرآن فإن عرف بعضها، ولم يعرف البعض قرأ ما عرف منها فأجزأه، وليسعَ في تعلّم الباقي، فإن لم يحفظ شيئاً من القرآن صلّى كما هو يقوم ويذكر الله كما يحسن بلغته ويركع ويسجد حتى يتمّ صلاته ويجزيه، وليسعَ في تعلّم أُمّ القرآن.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار[2] (٢٣٣/٢): اختلف القائلون بتعيّن الفاتحة في كلّ ركعة هل تصحّ صلاة من نسيها؟ فذهبت الشافعيّة وأحمد بن حنبل إلى عدم

---

(١) من المصدر.

(٢) نيل الأوطار: ٢٣٨/٢.

الصحّة، وروى ابن القاسم عن مالك أنّه إن نسيها في ركعة من صلّى ركعتين فسدت صلاته، وإن نسيها في ركعة من صلّى ثلاثيّة أو رباعيّة، فروي عنه أنّه يعيدها ولا تجزئه، وروي عنه أنّه يسجد سجدتي السهو، وروي عنه أنّه يعيد تلك الركعة ويسجد للسهو بعد السلام، ومقتضى الشرطيّة التي نبّهناك على صلاحيّة الأحاديث للدلالة عليها أنّ الناسي يعيد الصلاة كمن صلّى بغير وضوء ناسياً. انتهى.

وأمّا أبو حنيفة إمام الحنفيّة فإنّ له في مسائل الصلاة آراء ساقطة تشبه أقوال المستهزئ بها وحسبك برهنة صلاة القفال[1]، وسنفصّل القول في تلكم الآراء الشاذّة
١٨٣/٨ عن الكتاب والسنّة، وقد اجتهد في المسألة تجاه تلكم النصوص. قال الجصّاص في أحكام القرآن (١٨/١): قال أصحابنا ـ الحنفيّة ـ جميعاً رحمهم الله: يقرأ بفاتحة الكتاب وسورة في كلّ ركعة من الأُوليين، فإن ترك قراءة فاتحة الكتاب وقرأ غيرها فقد أساء وتجزيه صلاته. انتهى.

قال ابن حجر في فتح الباري[2]: إنّ الحنفيّة يقولون بوجوب قراءة الفاتحة لكن بنوا على قاعدتهم أنّها مع الوجوب ليست شرطاً في صحّة الصلاة، لأنّ وجوبها إنّما ثبت بالسنّة، والذي لا تتمّ الصلاة إلّا به فرض، والفرض عندهم لا يثبت بما يزيد على القرآن وقد قال تعالى: ﴿ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[3] فالفرض قراءة ما تيسّر، وتعيّن الفاتحة إنّما يثبت بالحديث فيكون واجباً يأثم من يتركه وتجزئ الصلاة بدونه، وهذا تأويل على رأي فاسد، حاصله ردّ كثير من السنّة المطهّرة بلا برهان ولا حجّة نيّرة، فكم موطن من المواطن يقول فيه الشارع: لا يجزئ كذا، لا يقبل كذا، لا يصحّ كذا، ويقول المتمسّكون بهذا الرأي يجزئ، ويقبل، ويصحّ؛ ولمثل هذا حذّر السلف

---

(١) ذكرها ابن خلّكان في تاريخه [١٨٠/٥ رقم٧١٣] في ترجمة السلطان محمود السبكتكين. **(المؤلّف)**

(٢) فتح الباري: ٢٤٢/٢.

(٣) المزمّل: ٢٠.

من أهل الرأي. انتهى. وذكره الشوكاني في نيل الأوطار[(١)] (٢/٢٣٠).

ونظراً إلى الأهميّة الواردة في قراءة أُمّ الكتاب في الصلوات كلّها، وأخذاً بظاهر: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، ذهب من ذهب من القوم إلى وجوبها على المأموم أيضاً مطلقاً أو في الصلوات الجهريّة؛ قال الترمذي في الصحيح[(٢)] (١/٤٢): قد اختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام، فرأى أكثر أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ والتابعين من بعدهم القراءة خلف الإمام، وبه يقول مالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وروي عن عبدالله بن المبارك أنّه قال: أنا أقرأ خلف الإمام والناس يقرؤون إلّا قوم[(٣)] من الكوفيّين، وأرى أنّ من لم يقرأ صلاته جائزة، وشدّد قوم من أهل العلم في ترك قراءة فاتحة الكتاب وإن كان خلف الإمام فقالوا: لا تُجزئ صلاة إلّا بقراءة فاتحة الكتاب وحده كان أو خلف الإمام. انتهى.

وقد جاء مع ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «إنّي أراكم تقرؤون وراء إمامكم فلا تفعلوا إلّا بأُمّ القرآن فإنّه لا صلاة لمن لم يقرأها».

وفي لفظ أبي داود: «لا تقرؤوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلّا بأُمّ القرآن».

١٨٤/٨ وفي لفظ النسائي وابن ماجه: «لا يقرأنّ أحد منكم إذا جهرت بالقراءة إلّا بأُمّ القرآن».

وفي لفظ الحاكم: «إذا قرأ الإمام فلا تقرؤوا إلّا بأُمّ القرآن فإنّه لا صلاة لمن لم يقرأ بها».

---

(١) نيل الأوطار: ٢/٢٣٥.

(٢) سنن الترمذي: ٢/١٢٢ ح ٣١٢.

(٣) كذا في الطبعة التي اعتمدها المؤلّف ﷺ، وفي الطبعة المحققة: إلّا قوماً، وهو الصحيح لوجوب نصبه على الاستثناء.

وفي لفظ الطبراني: «من صلّى خلف الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب».

وعن أنس بن مالك مرفوعاً: «أتقرؤون في صلاتكم خلف الإمام بقرآن والإمام يقرأ؟ فلا تفعلوا وليقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه».

وعن أبي قلابة مرسلاً: «أتقرؤون خلفي وأنا أقرأ فلا تفعلوا ذلك، ليقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه سرّاً»(١).

قال ابن حزم في المحلّى (٢٣٩/٣): اختلف أصحابنا فقالت طائفة: فرض على المأموم أن يقرأ أُمّ القرآن في كلّ ركعة أسرّ الإمام أو جهر، وقالت طائفة: هذا فرض عليه فيما أسرّ فيه الإمام خاصّة ولا يقرأ فيما جهر فيه الإمام، ولم يختلفوا في وجوب قراءة أُمّ القرآن فرضاً في كلّ ركعة على الإمام والمنفرد.

وأخرج البيهقي أحاديث صحاحاً تدلّ على أنّ القراءة تسقط مع الإمام جهر أو لم يجهر. وذكر قول من قال: يقرأ خلف الإمام مطلقاً ثمّ قال: هو أصحّ الأقوال على السنّة وأحوطها. راجع السنن الكبرى (١٥٩/٢ ـ ١٦٦).

هذا تمام القول في الناحية الأولى من ناحيتي مخالفة عمل الخليفتين في الصلاة للسنّة الشريفة، ومن ذلك كلّه يُعلم حكم الناحية الثانية وأنّ الأُمّة مطبقة على أنّ تدارك الفائتة من قراءة ركعة في ركعة أُخرىٰ لم يرد في السنّة النبويّة، وأنّ رأي الرجلين غير مدعوم بحجّة، لا يُعمل به، ولا يُعوّل عليه، ولا يستنّ به قطّ أحد من رجال الفتوى، والحقّ أحقّ أن يُتّبع.

---

(١) مسند أحمد: ٣٠٢/٢، ٣٠٨ و ٣١٣/٥، ٣١٦، ٣٢٢ [٥٨٣/٢ ح٧٩٤٧، ص٥٩٤ ح٨٠١٥، ٤٢٧/٦ ح٢٢١٦٣، ص٤٣٠ ح٢٢١٨٦، ص٤٤٠ ح٢٢٢٤٤]، سنن الترمذي: ٤٢/١ [١٢٢/٢ ح٣١٢]، المحلّى لابن حزم: ٢٣٦/٣ [المسألة ٣٦٠]، مستدرك الحاكم: ٢٣٨/١، ٢٣٩ [٣٦٤ ـ ٣٦٥ ح٨٧٠ ـ ٨٧١] سنن النسائي: ١٤١/٢ [٣١٩/١ ح٩٩٢]، سنن البيهقي: ١٦٤/٢، ١٦٥، مصابيح السنّة: ٦٠/١ [٣١٩/١ ح٥٧٧ ـ ٥٧٨]. (المؤلّف)

ـ ١٤ ـ

رأي الخليفة في صلاة المسافر

أخرج أبو عبيد في الغريب[١] وعبد الرزّاق[٢] والطحاوي وابن حزم عن أبي المهلّب، قال كتب عثمان: أنّه بلغني أنّ قوماً يخرجون إمّا لتجارة أو لجباية أو لحشريّة[٣] يقصرون الصلاة وإنّما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوّ. ١٨٥/٨

ومن طريق قتادة عن عياش المخزومي: كتب عثمان إلى بعض عمّاله: أنّه لا يصلّي الركعتين المقيم ولا البادي ولا التاجر، إنّما يصلي الركعتين من معه الزاد والمزاد.

وفي لفظ ابن حزم: إنّ عثمان كتب إلى عمّاله: لا يصلّي الركعتين جابٍ ولا تاجر ولا تان[٤]، إنّما يصلّي الركعتين ... إلخ.

وفي لسان العرب: في حديث عثمان ﷺ أنّه قال: لا يغرّنكم جشركم من صلاتكم فإنّما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو يحضره عدوّ. قال أبو عبيد: الجشر القوم يخرجون بدوابّهم إلى المرعى، ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت[٥].

وفي هامش سنن البيهقي (١٣٧/٣): شاخصاً: يعني رسولاً في حاجة، وفي النهاية[٦]: شاخصاً: أي مسافراً ومنه حديث أبي أيوب: فلم يزل شاخصاً في سبيل الله.

---

(١) غريب الحديث: ٤١٩/٣.

(٢) المصنّف: ٥٢١/٢ ح ٤٢٨٢.

(٣) كذا في النسخ بالمهملة، والصحيح كما يأتي: الجشر بالمعجمة. (المؤلّف)

(٤) التناية: هي الفلاحة والزراعة. نهاية ابن الأثير [١٩٩/١]. (المؤلّف)

(٥) سنن البيهقي: ١٣٧/٣، المحلّى لابن حزم: ١/٥ [مسألة ٥١٣]. نهاية ابن الأثير: ٣٢٥/٢ [٢٧٣/١]، لسان العرب: ٢٠٧/٥ [٢٨٧/٢]، كنز العمّال: ٢٣٩/٤ [٢٣٥/٨ ح ٢٢٧٠٤]، تاج العروس: ١٠٠/٣ و ٤٠١/٤. (المؤلّف)

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٥١/٢.

قال الأميني: من أين جاء عثمان بهذا القيد في السفر؟ والأحاديث المأثورة في صلاته مطلقات كلّها، كما أوقفناك عليها في (ص١١١ ـ ١١٥)، وقبلها عموم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾[١]. ولأبي حنيفة وأصحابه والثوريّ وأبي ثور في عموم الآية نظر واسع لم يخصّوه بالمباح من السفر، بل قالوا بأنّه يعم سفر المعصية أيضاً كقطع الطريق والبغي كما ذكره ابن حزم في المحلّى(٢٦٤/٤)، والجصّاص في أحكام القرآن[٢] (٣١٢/٢)، وابن رشد في بداية المجتهد[٣] (١٦٣/١)، وملك العلماء في البدائع (٩٣/١)، والخازن في تفسيره[٤] (٤١٣/١).

١٨٦/٨ وليس لحضور العدوّ أيّ دخل في القصر والإتمام وإنّما الخوف وحضور العدوّ لهما شأن خاصّ في الصلوات، وأحكام تخصّ بهما، وناموس مقرّر لا يعدوهما.

فمقتضى الأدلّة كما ذهبت إليه الأُمّة جمعاء: أنّ التاجر والجابي والتاني والجشرية وغيرهم إذا بلغوا مبلغ السفر فحكمهم القصر، فهم وبقيّة المسافرين شرع سواء، وإلّا فهم جميعاً في حكم الحضور يتمّون صلاتهم من دون أيّ فرق بين الأصناف، وليس تفصيل الخليفة إلّا فتوى مجرّدة ورأياً يخصّ به، وتقوّلاً لا يؤبه له تجاه النصوص النبويّة، وإطباق الصحابة، واتّفاق الأُمّة، وتساند الأئمّة والعلماء، وإنّما ذكرناه هنا لإيقافك على مبلغ الرجل من الفقاهة، أو تسرّعه في الفتيا من غير فحص عن الدليل، أو أنّه عرف الدليل لكنّه لم يكترث له وقال قولاً أمام قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

على أنّ التاجر جاء فيه ما أخرجه ابن جرير الطبري وغيره من طريق عليّ

---

(١) النساء: ١٠١.

(٢) أحكام القرآن: ٢٥٥/٢.

(٣) بداية المجتهد: ١٧٢/١.

(٤) تفسير الخازن: ٣٩٦/١.

كرّم الله وجهه قال: «سأل قوم من التجّار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّا نضرب في الأرض فكيف نصلّي؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾[1].

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إنّي رجل تاجر أختلف إلى البحرين، فأمره أن يصلّي بركعتين[2].

- ١٥ -

رأي الخليفة في صيد الحرم[3]

أخرج إمام الحنابلة أحمد وغيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن الحارث بن نوفل / قال: أقبل عثمان إلى مكة، فاستقبلتُهُ بقديد، فاصطاد أهل الماء حجلاً فطبخناه ١٨٧/٨
بماء وملح، فقدّمناه إلى عثمان وأصحابه فأمسكوا، فقال عثمان: صيد لم نصده ولم نأمر بصيده اصطاده قوم حِلّ فأطعموناه فما بأس به. فبعث إلى عليّ فجاء، فذكر له فغضب عليّ وقال: «أنشد رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أُتي بقائمة حمار وحش فقال رسول الله ﷺ إنّا قوم حرم فأطعموه أهل الحِلّ» فشهد اثنا عشر رجلاً من

---

(١) تفسير ابن جرير: ١٥٥/٥ [مج٤/ج٥/٢٤٤]، مقدمات المدوّنة الكبرى لابن رشد: ١٣٩/١، تفسير ابن عطيّة كما في تفسير القرطبي: ٣٦٢/٥ [٢٣٢/٥]، الدرّ المنثور: ٢٠٩/٢ [٦٥٦/٢]، تفسير الشوكاني: ٤٧١/١ [٥٠٨/١]، تفسير الآلوسي: ١٣٤/٥. (المؤلّف)

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/١، الدرّ المنثور: ٢١٠/٢ [٦٥٦/٢]. (المؤلّف)

(٣) مسند أحمد: ١٠٠/١، ١٠٤ [١٦١/١ ح٧٨٥، ٧٨٦، ص١٦٧ ح٨١٦]، كتاب الأُم للشافعي: ١٥٧/٧ [١٧٠/٧ ـ ١٧١]، سنن أبي داود: ٢٩١/١ [١٧٠/٢ ح١٨٤٩]، سنن البيهقي: ١٩٤/٥، تفسير الطبري: ٤٥/٧، ٤٦ [مج٥/ج٧/٧٠]، المحلّى لابن حزم: ٢٥٤/٧ [المسألة ٨٩٢] كنز العمّال: ٥٣/٣ [٢٥٣/٥ ح١٢٧٩٣] نقلاً عن أحمد وأبي داود وابن جرير، وعن الطحاوي وقال: صحّحه [في شرح معاني الآثار ١٦٨/٢ ح٣٧٨٥] وأبي يعلى [في مسنده: ٢٩٤/١ ح٣٥٦] والبيهقي. (المؤلّف)

أصحاب رسول الله ﷺ، ثمّ قال عليّ: «أنشد الله رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أُتي ـ ببيض النعام ـ فقال رسول الله ﷺ: إنّا قوم حرم أطعموه أهل الحلّ» فشهد دونهم من العدّة من الاثني عشر قال: فثنى عثمان وركه من الطعام فدخل رحله، وأكل الطعام أهل الماء.

وفي لفظ آخر لأحمد عن عبد الله بن الحارث: إنّ أباه ولي طعام عثمان، قال: فكأنّي أنظر إلى الحجل حوالي الجفان فجاء رجل فقال: إنّ عليّاً ﷺ يكره هذا، فبعث إلى عليّ وهو ملطّخ يديه بالخبط فقال: إنّك لكثير الخلاف علينا، فقال عليّ: «أُذكر الله من شهدا النبيّ ﷺ أُتي بعجز حمار وحش وهو محرم فقال: إنّا محرمون فأطعموه أهل الحلّ». فقام رجال فشهدوا ثمّ قال: «أُذكر الله رجلاً شهد النبيّ ﷺ أُتي بخمس بيضات بيض نعام فقال: إنّا محرمون فأطعموه أهل الحلّ» فقام رجال فشهدوا، فقام عثمان فدخل فسطاطه وتركوا الطعام على أهل الماء.

وفي لفظ الإمام الشافعي: إنّ عثمان أُهديت له حجل وهو محرم، فأكل القوم إلّا عليّاً فإنّه كره ذلك.

وفي لفظ لابن جرير: حجّ عثمان بن عفّان فحجّ عليّ معه، فأُتي عثمان بلحم صيد صاده حلال، فأكل منه ولم يأكله عليّ، فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا فقال عليّ ﴿وَحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ مَا دُمْتُم حُرُماً﴾[1].

وفي لفظ: إنّ عثمان بن عفّان ﷺ نزل قديداً فأُتي بالحجل في الجفان شائلة بأرجلها، فأرسل إلى عليّ ﷺ وهو يضفر[2] بعيراً له، فجاء والخبط ينحات من

---

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) ضفر الدابّة يضفرها ضفراً: ألقى اللجام في فيها. والضفر: ما شددت به البعير من الشعر المضفور. والمضفور والضفير: الحبل المفتول. الضفائر: الذوائب المضفورة [لسان العرب: ٨/ ٧٠، ٧١]. (المؤلّف)

يديه، فأمسك عليّ وأمسك الناس فقال عليّ: «من هاهنا من أشجع؟ هل تعلمون أنّ النبيّ ﷺ جاءه أعرابيّ ببيضات نعام وتتمير[1] وحش فقال: أطعمهنّ أهلك فإنّا حرم؟» قالوا: بلى. فتورّك عثمان عن سريره ونزل فقال: خبثت علينا. ١٨٨/٨

وفي لفظ البيهقي: كان الحارث خليفة عثمان ﷺ على الطائف، فصنع لعثمان ﷺ طعاماً وصنع فيه من الحجل واليعاقيب ولحوم الوحش قال: فبعث إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ فجاءه الرسول وهو يخبط لأباعر له، فجاءه وهو ينفض الخبط من يده فقالوا له: كل. فقال: «أطعموه قوماً حلالاً فإنّا قوم حرم»، ثمّ قال عليّ ﷺ: «أنشد الله من كان هاهنا من أشجع، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ أُهدي إليه رجل حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله؟» قالوا: نعم.

وأخرج الطبري من طريق صبيح بن عبد الله العبسي قال: بعث عثمان بن عفّان أبا سفيان بن الحارث على العروض، فنزل قديداً فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وصقر فاستعاره منه فاصطاد به من اليعاقيب فجعلهنّ في حظيرة، فلمّا مرّ به عثمان طبخهنّ ثمّ قدّمهنّ إليه فقال عثمان: كلوا، فقال بعضهم: حتى يجيء عليّ بن أبي طالب. فلمّا جاء فرأى ما بين أيديهم قال عليّ: «إنّا لا نأكل منه». فقال عثمان مالك لا تأكل؟ فقال: «هو صيد [و][2] لا يحلّ أكله وأنا محرم». فقال عثمان: بيّن لنا. فقال عليّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[3]. فقال عثمان: أوَنحن قتلناه؟ فقرأ عليه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾[4].

---

(١) التتمير: التقديد. والتتمير: التيبيس. والتتمير: أن يقطع اللحم صغاراً ويجفّف. واللحم المتمّر: المقطع. لسان العرب [٢/٥٠]. (المؤلّف)

(٢) من المصدر.

(٣) المائدة: ٩٥.

(٤) المائدة: ٩٦.

وأخرج سعيد بن منصور كما ذكره ابن حزم من طريق بسر بن سعيد قال : إنّ عثمان بن عفّان كان يصاد له الوحش على المنازل ثمّ يذبح فيأكله وهو محرم سنتين من خلافته ، ثمّ إنّ الزبير كلّمه فقال : ما أدري ما هذا يُصاد لنا ومن أجلنا ، لو تركناه ، فتركه .

قال الأميني : هذه القصّة تشفّ عن تقاعس فقه الخليفة عن بلوغ مدى هذه المسألة ، أو أنّه راقه اتّباع الخليفة الثاني في الرأي حيث كان يأمر المحرم بأكل لحم الصيد ، ويحذّر أهل الفتوى عن خلافه مهدّداً بالدرّة إن فعل وسيوافيك / تفصيله إن ١٨٩/٨
شاء الله تعالى . غير أنّ عثمان أفحمه مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام بالكتاب والسنّة فلم يجد ندحة من الدخول في فسطاطه والاكتفاء بقوله : إنّك لكثير الخلاف علينا . وهذا القول ينمّ عن توفّر الخلاف بين مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام وبين الخليفة ، ومن الواضح الجليّ أنّ الحقّ كلّما شجر خلاف بين مولانا عليّ عليه‌السلام وبين غيره كائناً من كان لا يعدو كفّة الإمام صلوات عليه للنصّ النبويّ : « عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة »[1] وقوله : « عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض »[2] وأنّه باب مدينة علم النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ووارث علمه ، وعيبة علمه ، وأقضى أُمّته[3] وكان سلام الله عليه منزّهاً عن الخلاف لاتّباع هوى أو احتدام بغضاء بينه وبين غيره ، فإنّ ذلك من الرجس الذي نفاه الله عنه عليه‌السلام في آية التطهير . وقد طأطأ كلّ عليم لعلمه ، وكان من المتسالم عليه أنّه أعلم الناس بالسنّة ؛ ولذلك لمّا نهى عمر عبدالله بن جعفر عن لبس الثياب المعصفرة في الإحرام جابهه الإمام عليه‌السلام

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثالث : ص١٥٥ ـ ١٥٨ الطبعة الأولى و ١٧٦ ـ ١٨٠ الطبعة الثانية . (المؤلّف)

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث : ص١٥٨ الطبعة الأولى و ١٨٠ الطبعة الثانية . (المؤلّف)

(٣) راجع ما فصّلناه في الجزء السادس : ص٥٤ ـ ٧٣ الطبعة الأولى و ٦١ ـ ٨١ الطبعة الثانية . (المؤلّف)

بقوله: «ما أخال أحداً يعلّمنا السنّة»[١]، فسكت عمر إذ كان لم يجد منتدحاً عن الإخبات إلى قوله، ولو كان غيره ﷺ لعلاه بالدرّة، ولذلك كان عمر يرجع إليه في كلّ أمر عصيب، فإذا حلّه قال: لولا عليّ لهلك عمر[٢]، أو نظير هذا القول. وسيوافيك عن عثمان نفسه قوله: لولا عليّ لهلك عثمان.

فرأي الإمام الطاهر هو المتّبع وهو المعتضد بالكتاب بقوله تعالى ﴿ **وحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ مَادُمتُم حُرُماً** ﴾، كما استدلّ به ﷺ على عثمان، فبعمومه كما حكاه ابن حزم في المحلّى (٢٤٩/٧) عن طائفة ظاهر في أنّ الشيء المتصيّد هو المحرّم ملكه وذبحه وأكله كيف كان، فحرّموا على المحرم أكل لحم الصيد وإن صاده لنفسه حلال، وإن ذبحه الحلال[٣]، وحرّموا عليه ذبح شيء منه وإن كان قد ملكه قبل إحرامه. / وقال ١٩٠/٨
القرطبي في تفسيره[٤] (٣٢١/٦): التحريم ليس صفة للأعيان، وإنّما يتعلّق بالأفعال. فمعنى قوله: ﴿ **وَحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ** ﴾ أي فعل الصيد، وهو المنع من الاصطياد، أو يكون الصيد بمعنى المصيد على معنى تسمية المفعول بالفعل، وهو الأظهر لإجماع العلماء على أنّه لا يجوز للمحرم قبول صيد وهب له، ولا يجوز له شراؤه ولا اصطياده ولا استحداث ملكه بوجه من الوجوه، ولا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ **وَحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ مَا دُمتُم حُرُماً** ﴾ ولحديث الصعب بن جثامة. وقال في (ص٣٢٢): وروي عن عليّ بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر: أنّه لا يجوز للمحرم أكل صيد على حال من الأحوال سواء صيد من أجله أو لم يصد لعموم قوله تعالى ﴿ **وَحُرِّم عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ مَا دُمتُم حُرُماً** ﴾: قال ابن عبّاس: هي مبهمة. وبه قال طاووس، وجابر بن زيد أبو الشعثاء، وروي ذلك عن الثوري، وبه

---

(١) كتاب الأُم للإمام الشافعي: ١٢٦/٢ [١٤٧/٢]، المحلّى لابن حزم: ٢٦٠/٧ [المسألة ٨٩٦]. (المؤلّف)
(٢) راجع نوادر الأثر في علم عمر في الجزء السادس من كتابنا هذا. (المؤلّف)
(٣) هكذا هي العبارة في المحلّى، وهي لا تخلو من اضطراب.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/٦ ـ ٢٠٨.

قال إسحاق، واحتجّوا بحديث ابن جثامة. انتهى.

ويعتضد رأي الإمام عليه‌السلام ومن تبعه بالسنّة الشريفة الثابتة بما ورد في الصحاح والمسانيد، وإليك جملة منه:

١ ـ عن ابن عبّاس قال: يا زيد بن أرقم هل علمت أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أُهدي إليه عضد صيد فلم يقبله وقال: « إنّا حُرُم »؟ قال: نعم.

وفي لفظ: قدم زيد بن أرقم فقال له ابن عبّاس يستذكره: كيف أخبرتني عن لحم صيد أُهدي لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو حرام؟ قال: نعم أهدى له رجل عضواً من لحم صيد فردّه وقال: «إنّا لا نأكل إنّا حُرم».

وفي لفظ مسلم[1]: إنّ زيد بن أرقم قدم فأتاه ابن عبّاس رضي‌الله‌عنه فاستفتاه في لحم الصيد فقال: أُتي رسول الله بلحم صيد وهو محرم فردّه.

راجع[2] صحيح مسلم (١/٤٥٠) سنن أبي داود (١/٢٩١)، سنن النسائي (٥/١٨٤)، سنن البيهقي (٥/١٩٤)، المحلّى لابن حزم (٧/٢٥٠) وقال. رويناه من طرق كلّها صحاح.

٢ ـ عن الصعب بن جثامة قال: مرّ بي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأنا بالأبواء أو بودّان[3] وأهديت له لحم حمار وحش فردّه عليّ، فلمّا رأى في وجهي الكراهية قال: «إنّه / ليس بنا ردّ عليك ولكنّنا حُرم». ١٩١/٨

---

(١) كذا في سنن البيهقي. والموجود في صحيح مسلم هو اللفظ الذي قبله.

(٢) صحيح مسلم: ٣/٢٣ ح ٥٥ كتاب الحج، سنن أبي داود: ٢/١٧٠ ح ١٨٥٠، السنن الكبرى: ٢/٣٧٠ ح ٣٨٠٣ ـ ٣٨٠٤.

(٣) ودّان بفتح الواو قرية جامعة بين مكة والمدينة، بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال من الجحفة، ومنها الصعب بن جثامة. معجم البلدان [٥/٣٦٥]. (المؤلّف)

وفي لفظ: إنّ النبيّ ﷺ أُتي بلحم حمار وحش فردّه وقال: «إنّا حُرم لا نأكل الصيد».

راجع[1]. صحيح مسلم (٤٤٩/١)، مسند أحمد (٣٧/٤)، سنن الدارمي (٣٩/٢)، سنن ابن ماجه (٢٦٢/٣)، سنن النسائي (١٨٤/٥)، سنن البيهقي (١٩٢/٥) بعدّة طرق، أحكام القرآن للجصّاص (٥٨٦/٢)، تفسير الطبري (٤٨/٧)، تيسير الوصول (٢٧٢/١).

٣ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أُهدي للنبيّ ﷺ شقّ حمار وحش وهو محرم فردّه.

وفي لفظ أحمد: إنّ الصعب بن جثامة أهدى إلى النبيّ ﷺ وهو محرم عجز حمار، فردّه رسول الله ﷺ وهو يقطر دماً.

وفي لفظ طاووس في حديثه: عضداً من لحم صيد.

وفي لفظ مقسم: لحم حمار وحش.

وفي لفظ عطاء في حديثه: أُهدي له صيد فلم يقبله وقال: «إنّا حُرم».

وفي لفظ النسائي: أهدى الصعب بن جثامة إلى رسول الله ﷺ رجل حمار وحش تقطر دماً وهو محرم وهو بقديد فردّها عليه.

وفي لفظ ابن حزم: إنّه أهدى لرسول الله ﷺ رجل حمار وحش فردّه عليه وقال: «إنّا حُرم لا نأكل الصيد». وفي لفظ: «لولا أنّا محرمون لقبلناه منك».

---

(١) صحيح مسلم: ٢٢/٣ ح ٥٠ ـ ٥١ كتاب الحج، مسند أحمد: ٦٢٤/٤ ح١٥٩٨٧، ١٥٩٨٨، سنن ابن ماجه: ١٠٣٢/٢ ح ٣٠٩٠، السنن الكبرى: ٣٧٠/٢ ح ٣٨٠١ ـ ٣٨٠٢، أحكام القرآن: ٤٨١/٢، جامع البيان: ج٥/ج٧/٧٤، تيسير الوصول: ٣٢١/١ ح٤٣.

راجع[1] : صحيح مسلم (٤٤٩/١)، مسند أحمد (٢٩٠/١، ٣٣٨، ٣٤١)، مسند الطيالسي (ص ١٧١)، سنن النسائي (١٨٥/٥)، سنن البيهقي (١٩٣/٥)، المحلّى لابن حزم (٢٤٩/٧) وقال: رويناه من طرق كلّها صحاح، أحكام القرآن للجصّاص (٥٨٦/٢)، تفسير القرطبي (٣٢٢/٦).

لفت نظر:

أخرج البيهقي في تجاه هذا الصحيح المتسالم عليه في السنن الكبرى (١٩٣/٥) من طريق عمرو بن أُميّة الضمري: أنّ الصعب بن جثامة أهدى للنبيّ عجز حمار وحش وهو بالجحفة فأكل منه وأكل القوم. ثمّ قال: وهذا إسناد صحيح، فإن كان محفوظاً فكأنّه ردّ الحيّ وقبل اللحم والله أعلم. انتهى.

لا أحسب هذا مبلغ علم البيهقي، وإنّما أعماه حبّه لتبرير الخليفة في رأيه الشاذّ عن الكتاب والسنّة، فرأى الضعيف صحيحاً، وأتى في الجمع بينه وبين الصحيح
١٩٢/٨ المذكور بما / يأباه صريح لفظه، ولهذه الغاية أخرج البخاري ذلك الصحيح المتسالم عليه في صحيحه[2] (١٦٥/٣) وحذف منه كلمة: الشقّ، والعجز، والرجل، والعضد، واللحم. وتبعه في ذلك الجصّاص في أحكام القرآن[3] (٥٨٦/٢) حيّا الله الأمانة.

وعقّب ابن التركماني رأي البيهقي فيما أخرجه فقال في شرح السنن الكبرى[4]: قلت: هذا في سنده يحيى بن سليمان الجعفي عن ابن وهب، أخبرني يحيى بن أيّوب هو

---

(١) صحيح مسلم: ٢٣/٣ ح٥٣ ـ ٥٤ كتاب الحج، مسند أحمد: ٤٧٧/١ ح٢٦٢٥، ص٥٥٦ ح٣١٢٢، ص٥٦١ ح٣١٥٨، السنن الكبرى: ٣٧١/٢ ح٣٨٠٥، أحكام القرآن: ٤٨١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٨/٦.

(٢) صحيح البخاري: ٦٤٩/٢ ح١٧٢٩.

(٣) أحكام القرآن: ٤٨١/٢.

(٤) الجوهر النقي: ١٩٣/٥.

الغافقي المصري، ويحيى بن سليمان ذكره الذهبي في الميزان[١] والكاشف[٢] عن النسائي أنّه ليس بثقة. وقال ابن حبّان[٣]: ربّما أغرب. والغافقي قال النسائي[٤]: ليس بذاك القوي. وقال أبو حاتم[٥]: لا يحتجّ به. وقال أحمد[٦]: كان سيّئ الحفظ يخطئ خطأً كثيراً، وكذّبه مالك في حديثين، فعلى هذا لا يشتغل بتأويل هذا الحديث لأجل سنده ولمخالفته للحديث الصحيح، وقول البيهقي: ردّ الحيّ وقبل اللحم يردّه ما في الصحيح أنّه ﷺ ردّه. انتهى.

٤ ـ عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عبّاس، عن عليّ بن أبي طالب قال: «أُتي النبيّ ﷺ بلحم صيد وهو محرم فلم يأكله»[٧].

مسند أحمد (١٠٥/١)، سنن ابن ماجه (٢٦٣/٢).

٥ ـ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أُمّ المؤمنين أنّها قالت له: يابن أُختي إنّما هي عشر ليال فإن يختلج في نفسك شيء فدعه. يعني أكل لحم الصيد[٨].

موطّأ مالك (٢٥٧/١)، سنن البيهقي (١٩٤/٥)، تيسير الوصول (٢٧٣/١).

٦ ـ عن نافع قال: أهدي إلى ابن عمر ظبي مذبوحة بمكة فلم يقبلها، وكان ابن عمر يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كلّ حال.

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣٨٢/٤ رقم ٩٥٣٢.

(٢) الكاشف: ٢٥٨/٣ رقم ٦٢٨٥.

(٣) الثقات: ٢٦٣/٩.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٢٤٩ رقم ٦٥٧.

(٥) الجرح والتعديل: ١٢٧/٩ رقم ٥٤٢.

(٦) العلل ومعرفة الرجال: ٥٢/٣ رقم ٤١٢٥.

(٧) مسند أحمد: ١٦٩/١ ح ٨٣٢، سنن ابن ماجه: ١٠٣٢/٢ ح ٣٠٩١.

(٨) موطّأ مالك: ٣٥٤/١ ح ٨٥، تيسير الوصول: ٣٢٢/١ ح ٤٨.

رواه ابن حزم في المحلّى (٧/٢٥٠) من طريق رجاله كلّهم ثقات.

ولو كان عند الخليفة علم بسنّة نبيه لعلّه لم يك يخالفها، ولو كان عنده ما يجد به في الحجاج تجاه هذه السنّة الثابتة لأفاضه وما ترك النوبة لأتباعه ليحتجّوا له بعد لأي من عمر الدهر بما لا يغني من الحقّ شيئاً، قال البيهقي في سننه (٥/١٩٤): أمّا عليّ وابن عبّاس رضي الله عنهما فإنّهما ذهبا إلى تحريم أكله على المحرم مطلقاً، وقد خالفهما عمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم ومعهم حديث أبي قتادة وجابر والله أعلم. انتهى.

١٩٣/٨ أمّا حديث أبي قتادة قال: انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبيّة فأحرم أصحابي ولم أحرم، فانطلق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكنت مع أصحابي فجعل بعضهم يضحك إلى بعض، فنظرت فإذا حمار وحش فحملت عيه فطعنته فأثبته، فاستعنت بهم فأبوا أن يعينوني فأكلنا منه، فلحقت برسول الله وقلت: يا رسول الله إنّي أصبت حمار وحش ومعي منه فاضلة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للقوم: «كلوا» وهم محرمون[١].

فهو غير واف بالمقصود لأنّ قصّته كانت عام الحديبيّة السادس من الهجرة كما هو صريح لفظه، وكثير من أحكام الحجّ شرّعت في عام حجّة الوداع السنة العاشرة ومنها تعيين المواقيت ولذلك ما كان أبو قتادة محرماً عند ذاك، مع إحرام رسول الله وإحرام أصحابه. قال ابن حجر في فتح الباري[٢] (٤/١٩): قيل: كانت هذه القصّة قبل أن يوقّت النبيّ المواقيت. وقال السندي في شرح سنن النسائي (٥/١٨٥) عند ذكر حديث أبي قتادة: قوله عام الحديبيّة بهذا تبيّن أنّ تركه الإحرام ومجاوزته الميقات بلا إحرام كان قبل أن تُقرّر المواقيت، فإنّ تقرير المواقيت كان سنة حجّ الوداع كما روي عن أحمد.

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٦٣ [٢/٦٤٧ ح١٧٢٦]، صحيح مسلم: ١/٤٥٠ [٣/٢٤ ح٥٦ كتاب الحج]، سنن النسائي: ٥/١٨٥ [٢/٣٧١ ح٣٨٠٧] سنن ابن ماجه: ٢/٣٦٣ [٢/١٠٣٣ ح٣٠٩٣]، سنن البيهقي: ٥/١٨٨. (المؤلّف)

(٢) فتح الباري: ٤/٢٣.

ومنها أحكام الصيد النازلة في سورة المائدة التي هي آخر ما نزل من القرآن، وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قرأها في حجّة الوداع وقال: «يا أيّها الناس إنّ سورة المائدة من آخر ما نزل فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها». وروي نحوه عن عائشة موقوفاً وصحّحه الحاكم وأقرّه ابن كثير، وأخرجه أبو عبيد من طريق ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس مرفوعاً[1].

فليس من البدع أن يكون غير واحد من مواضيع الحجّ لم يشرّع لها حكم في عام الحديبيّة ثمّ شرّع بعده ومنها هذه المسألة، وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً في عام الحديبيّة وقد شاهد قصّة أبي قتادة كما شاهدها غيره ـ على فرض صحّتها ـ ومع ذلك أنكر على عثمان وكذلك الشهود الذين استنشدهم صلوات الله عليه فشهدوا له / لم يعزب عنهم ما وقع في ذلك العام، لكنّهم شهدوا على التشريع الأخير الثابت. ١٩٤/٨

ولو كان لقصّة أبي قتادة مقيل من الصحّة أو وزن يقام لما ترك عثمان الاحتجاج بها لكنّه كان يعلم أنّ الشأن فيها كما ذكرناه، وأنّ العمل قبل التشريع لا حجّيّة له، وأفحمه الإمام عليه السلام بحجّته الداحضة، فتوارى عن الحجاج في فسطاطه وترك الطعام على أهل الماء.

وأمّا حديث جابر فقد أخرجه غير واحد من أئمّة الفقه والحديث ناصّين على ضعفه من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن حنطب، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: صيد البرّ لكم حلال وأنتم حرم إلّا ما اصطدتم وصيد لكم[2].

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣١١/٢ [٣٤٠/٢ ح ٣٢١٠]، تفسير القرطبي: ٣١/٦ [٢٢/٦]، تفسير الزمخشري: ٤٠٣/١ [٦٠٢/١]، تفسير ابن كثير: ٢/٢، تفسير الخازن: ٤٤٨/٢ [٤٢٩/١]، تفسير الشوكاني: ١/٢ [٣/٢]. (المؤلّف)

(٢) كتاب الأُم: ١٧٦/٢ [٢٠٨/٢]، سنن أبي داود: ٢٩١/١ [١٧١/٢ ح ١٨٥١]، سنن النسائي: ١٨٧/٥ [٣٧٢/٢ ح ٣٨١٠]، سنن البيهقي: ١٩٠/٥، المحلّى لابن حزم: ٢٥٣/٧ [المسألة ٨٩٢]. (المؤلّف)

قال النسائي في سننه: أبو عبدالرحمن عمرو بن أبي عمرو ليس بالقويّ في الحديث وإن كان قد روى عنه مالك.

وقال ابن حزم في المحلّى: أمّا خبر جابر فساقط لأنّه عن عمرو بن أبي عمرو وهو ضعيف.

وقال ابن التركماني في شرح سنن البيهقي[1] عند قول الشافعي: إنّ ابن أبي يحيى أحفظ من الدراوردي[2]: قلت: الدراوردي احتجّ به الشيخان وبقيّة الجماعة، وقال ابن مَعِين[3]: ثقة حجّة، ووثّقه القطّان وأبو حاتم[4] وغيرهما، وأمّا ابن أبي يحيى فلم يخرج له في شيء من الكتب الخمسة، ونسبه إلى الكذب جماعة من الحفّاظ كابن حنبل وابن مَعِين وغيرهما، وقال بشر بن المفضل: سألت فقهاء المدينة عنه فكلّهم يقولون: كذّاب أو نحو هذا، وسُئل مالك: أكان ثقة؟ فقال: لا ولا في دينه، وقال ابن حنبل[5]: كان قدريّاً معتزليّاً جهميّاً كلّ بلاء فيه، وقال البيهقي[6] في التيمّم والنكاح: مختلف في عدالته. ومع هذا كلّه كيف يرجّح على الدراوردي؟

قال: ثمّ لو رجح عليه هو ومن معه فالحديث في نفسه معلول عمرو بن أبي
١٩٥/٨ عمرو / مع اضطرابه في هذا الحديث متكلّم فيه. قال ابن مَعِين[7]: وأبو داود ليس بالقوي. زاد يحيى: وكان مالك يستضعفه. وقال السعدي: مضطرب الحديث.

قال: والمطلب قال فيه ابن سعد[8]: ليس يحتجّ بحديثه لأنّه يرسل عن

---

(١) الجوهر النقي: ٥/١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) الرجلان وردا في طريق الشافعي للحديث. (المؤلّف)

(٣) التاريخ: ٣/٢٣٠ رقم ١٠٧٩.

(٤) الجرح والتعديل: ٥/٣٩٥ رقم ١٨٣٣.

(٥) العلل ومعرفة الرجال: ٢/٥٠٣ رقم ٣٣١٧.

(٦) سنن البيهقي: ١/٢٠٥، ٧/١٥٧.

(٧) التاريخ: ٣/١٩٤ رقم ٨٨٣.

(٨) الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ـ: ص ١١٦ رقم ٢١.

النبيّ ﷺ كثيراً، وعامّة أصحابه يدلّسون، ثمّ الحديث مرسل، قال الترمذي[1]: المطلب لا يعرف له سماع من جابر. فظهر بهذا أنّ الحديث فيه أربع علل: إحداها: الكلام في المطلب. ثانيتها: أنّه ولو كان ثقة فلا سماع له من جابر فالحديث مرسل. ثالثتها: الكلام في عمرو. رابعتها: أنّه ولو كان ثقة فقد اختلف عليه فيه كما مرّ. انتهى.

ثمّ ذكر ما استشكل به الطحاوي في الحديث من جهة النظر من قوله: إنّ الشيء لا يحرم على إنسان بنيّة غيره أن يصيد له.

هذا مجمل القول في حديث أبي قتادة وجابر، فلا يصلحان للاعتماد ورفع اليد عن تلكم الصحاح المذكورة الثابتة، ولا يخصّص بمثلها عموم، ولا يتمّ بهما تقييد مطلقات الكتاب، والمعوّل عليه في المسألة هو كتاب الله العزيز والسنّة الشريفة الثابتة، وما شذّ عنهما من رأي أيّ بشر يضرب به عرض الجدار ﴿ **فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

ـ ١٦ ـ

خصومة يرفعها الخليفة إلى عليّ

أخرج أحمد والدورقي من طريق الحسن بن سعد عن أبيه: إنّ يحيس[3] وصفيّة كانا من سبي الخمس، فزنت صفيّة برجل من الخمس وولدت غلاماً، فادّعى الزاني ويحيس فاختصما إلى عثمان، فرفعهما عثمان إلى عليّ بن أبي طالب، فقال عليّ: «أقضي فيهما بقضاء رسول الله ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وجلدهما خمسين خمسين[4].

---

(١) سنن الترمذي: ٢٠٤/٣ ح٨٤٦.

(٢) الجاثية: ١٨.

(٣) في مسند أحمد: يحنس. (المؤلّف)

(٤) مسند أحمد: ١٠٤/١ [١٦٧/١ ح٨٢٢]، تفسير ابن كثير: ٤٧٨/١، كنز العمّال: ٢٢٧/٣ [١٩٨/٦ ح١٥٣٤٠]. (المؤلّف)

قال الأميني: هل علمت أنّه لماذا ردّ الخليفة الحكم إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟ لقد رفعه إليه إن كنت لا تدري لأنّه لم يكن عنده ما يفصل به الخصومة، ولعلّه كان ملء سمعه قوله تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[(١)] ويعلم في الجملة أنّ هناك فرقاً في كثير من الأحكام بين الأحرار والمملوكين، لكن عزب عنه
١٩٦/٨ أنّ مسألة الحدّ أيضاً من تلكم الفروع، فكأنّه لم يلتفت إلى قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ** ﴾ الآية[(٢)].

أو أنّ الآية الكريمة كانت نصب عينيه لكن لم يسعه فهم حقيقتها؛ لأنّ قيد ذاكرته أنّ حدّ المحصنات هو الرجم، غير أنّه لم يتسنَّ له تعرّف أنّ الرجم لا يتبعّض فالذي يمكن تنصيفه من العذاب هو الجلد، فالآية الشريفة دالّة بذلك على سقوط الرجم عن المحصنات من الإماء وإنّما عليهنّ نصف الجلد الثابت عليها في السنّة الشريفة[(٣)].

وأخرج أحمد في مسنده[(٤)] (١٣٦/١) من طريق أبي جميلة عن عليّ عليه السلام قال: «أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمة له سوداء زنت لأجلدها الحدّ، قال: فوجدتها في دمائها فأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك فقال لي: إذا تعالت من نفاسها فاجلدها

---

(١) النور: ٢.

(٢) النساء: ٢٥.

(٣) صحيح البخاري: ٤٨/١ [٢٥٠٩/٦ ح٦٤٤٨]، صحيح مسلم: ٣٧/٢ [٥٣٥/٣ ح٣٠ كتاب الحدود]، سنن أبي داود: ٢٣٩/٢ [١٦٠/٤ ح٤٤٧٠ ـ ٤٤٧١]، سنن ابن ماجه: ١١٩/٢ [٨٥٧/٢ ح٢٥٦٦]، سنن البيهقي: ٢٤٢/٨، موطّأ مالك: ١٧٠/٢ [٨٢٧/٢ ح١٦]، كتاب الأم: ١٢١/٦ [١٣٥/٦]، تفسير القرطبي: ١٥٩/١٢ [١٠٧/١٢]. **(المؤلّف)**

(٤) مسند أحمد: ٢١٩/١ ح١١٤٦.

خمسين» وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٧٦/١) وفيه: «إذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين». وذكره الشوكاني في نيل الأوطار[١] (٢٩٢/٧) باللفظ المذكور. وأخرجه[٢] مسلم وأبو داود والترمذي وصحّحه وليس في لفظهم (خمسين).

هب أنّ الخليفة نسيها لبعد العهد، لكنّه هل نسي ما وقع بمطلع الأكمة منه على العهد العمري؟ من جلده المحصنات من الإماء خمسين جلدة كما أخرجه الحفّاظ[٣]، أو أنّ الخليفة وقف على مغازي الآيات الكريمة، ولم تذهب عليه السنّة النبويّة، وكان على ذكر ممّا صدر على عهد عمر لكن أربكه حكم العبد، لأنّه رأى الآية الكريمة نصّاً
في الإماء، وكذلك نصوص الأحاديث، ولم يهتدِ إلى اتّحاد الملاك بين العبيد والإماء / من ١٩٧/٨
المملوكيّة، وهو الذي أصفق عليه أئمّة الحديث والتفسير كما في[٤] كتاب الأُم للشافعي (١٤٤/٦)، أحكام القرآن للجصّاص (٢٠٦/٢)، سنن البيهقي (٢٤٣/٨)، تفسير القرطبي (١٤٦/٥، ١٥٩/١٢)، تفسير البيضاوي (٢٧٠/١)، تيسير الوصول (٤/٢)، فيض الإله المالك للبقاعي (٣١١/٢)، فتح الباري (١٣٧/١٢)، فتح القدير (٤١٦/١)، تفسير الخازن (٣٦٠/١)، وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٢٩٢/٧): لا قائل بالفرق بين الأمة والعبد كما حكى ذلك صاحب البحر[٥].

أو أنّ الخليفة حسب أنّ ولد الزانية لا بدّ وأن يكون للزاني، ولم يشعر بمقاربة

---

(١) نيل الأوطار: ١٣٦/٧.

(٢) صحيح مسلم: ٥٣٧/٣ ح ٣٤ كتاب الحدود، سنن أبي داود: ١٦١/٤ ح ٧٣ ٤٤، سنن الترمذي: ٣٧/٤ ح ١٤٤١.

(٣) موطّأ مالك: ١٧٠/٢ [٨٢٧/٢ ح١٦]، سنن البيهقي: ٢٤٢/٨، تفسير ابن كثير: ٤٧٦/١، كنز العمّال: ٨٦/٣ [٤١٤/٥ ح١٣٤٦٨]. (المؤلّف)

(٤) كتاب الأُم للشافعي: ١٥٥/٦، أحكام القرآن: ١٦٩/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٦/٥، ١٠٧/١٢، تفسير البيضاوي: ٢١٠/١، تيسير الوصول: ٧/٢، فتح الباري: ١٦٥/١٢، فتح القدير: ٤٥٢/١، تفسير الخازن: ٣٤٦/١، نيل الأوطار: ١٣٦/٧.

(٥) هو أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ في البحر الزخار: ١٤٣/٦.

زوجها إيّاها أو إمكان مقاربته منذ مدّة يمكن أن ينعقد الحمل فيها، وبذلك يتحقّق الفراش الذي يلحق الولد بصاحبه، كما حكم به مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والأصل فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

لقد أنصف الخليفة في رفع حكم هذه المسألة إلى من عنده علم الكتاب والسنّة، فإنّه كان يعلم علم اليقين إنّ ذلك عند العترة الطاهرة لا البيت الأموي، وليته أنصف هذا الإنصاف في كلّ ما يرد عليه من المسائل، وليته علم أنّ حاجة الأُمّة إنّما هي إلى إمام لا يعدوه علم الكتاب والسنّة فأنصفها، غير أنّ .....

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلىٰ ما تستطيع

ـ ١٧ ـ

رأي الخليفة في عدّة المختلعة[1]

عن نافع، أنّه سمع ربيع بنت معوذ بن عفراء وهي تخبر عبدالله بن عمر أنّها اختلعت من زوجها على عهد عثمان فجاء معاذ بن عفراء إلى عثمان فقال: إنّ ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم أتنتقل؟ فقال له عثمان: تنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدّة عليها إلّا أنّها لا تنكح حتى تحيض حيضة، خشية أن يكون بها حبل. فقال عبدالله عند ذلك: عثمان خيرنا وأعلمنا. وفي لفظ آخر: قال عبدالله: أكبرنا وأعلمنا.

١٩٨/٨ وفي لفظ عبد الرزّاق[2] عن نافع، عن الربيع / بنة معوذ أنّها قالت: كان لي زوج

---

(١) سنن البيهقي: ٤٥٠/٧، ٤٥١، سنن ابن ماجه: ٦٣٤/١ [٦٦٣/١ ح٢٠٥٨]، تفسير ابن كثير: ٢٧٦/١ نقلا عن ابن أبي شيبة [في المصنّف: ١١٥/٥]، زاد المعاد لابن القيّم: ٤٠٣/٢ [٢١٤/٤]، كنز العمّال: ٢٢٣/٣ [١٨١/٦ ح١٥٢٦٤، ح١٥٢٦٨]، نيل الأوطار: ٣٥/٧ [٢٧٨/٦]. (المؤلّف)

(٢) المصنّف: ٥٠٤/٦ ح١١٨٥٠.

يُقلّ الخير عليّ إذا حضر ويحزنني إذا غاب[١]، فكانت منّي زلّة يوماً فقلت له: اختلعت منك بكلّ شيء أملكه فقال: نعم. ففعلت، فخاصم عمّي معاذ بن عفراء إلى عثمان فأجاز الخلع وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه، أو قالت: دون عقاص الرأس.

وفي لفظ عن نافع: إنّه زوّج ابنة أخيه رجلاً فخلعها، فرفع ذلك إلى عثمان فأجازه فأمرها أن تعتدّ حيضة. وفي لفظ ابن ماجه من طريق عبادة بن الصامت: قالت ـ الربيع ـ: اختلعت من زوجي ثمّ جئت عثمان فسألت ماذا عليّ من العدّة؟ فقال: لا عدّة عليك إلّا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى تحيضي حيضة. انتهى.

قال الأميني: ﴿ وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصنَ بِأنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[٢] نصّاً من الله العزيز الحكيم من غير فرق بين أقسام الطلاق المنتزعة من شقاق الزوج والزوجة، فإن كان الكره من قبل الزوج فحسب فالطلاق رجعي. أو من قبل الزوجة فقط فهو خلعي. أو منهما معاً فمباراة. فليس لكلّ من هذه الأقسام حكم خاصّ في العدّة غير ما ثبت لجميعها بعموم الآية الكريمة المنتزع من الجمع المحلّى باللام ـ المطلّقات ـ وعلى هذا تطابقت فتاوى الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم وفي مقدّمهم أئمّة المذاهب الأربعة. قال ابن كثير في تفسيره (٢٧٦/١): مسألة: وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه في رواية عنهما وهي المشهورة إلى أنّ المختلعة عدّتها عدّة المطلّقة بثلاثة قروء إن كانت ممّن تحيض، وروي ذلك عن عمر وعليّ وابن عمر، وبه يقول سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وعروة، وسالم، وأبو سلمة، وعمر بن عبد العزيز، وابن شهاب، والحسن، والشعبي، وإبراهيم النخعي،

---

(١) في المصدر: ويحرمني إذا غاب.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

وأبو عياض، وخلاس بن عمر، وقتادة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبو عبيد، وقال الترمذي[1]: وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم، ومأخذهم في هذا أنّ الخلع طلاق فتعتدّ كسائر المطلّقات. انتهى.

هذه آراء أئمّة المسلمين عند القوم وليس فيها شيء يوافق ما ارتآه عثمان وهي
١٩٩/٨ مصافقة للقرآن الكريم كما ذكرناه.

وقد احتُجّ لعثمان بما رواه الترمذي في صحيحه[2] (١٤٢/١) من طريق عكرمة عن ابن عباس: إنّ امرأة ثابت بن قيس ﷺ اختلعت منه فجعل النبيّ ﷺ عدّتها حيضة.

وهذه الرواية باطلة، إذ المحفوظ عند البخاري[3] والنسائي[4] من طريق ابن عبّاس في قصّة أمرأة ثابت ما لفظه: قال ابن عبّاس: جاءت أمرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّي ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكنّي أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ «أتردّين عليه حديقته؟» ـ وكانت صداقها ـ قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «إقبل الحديقة وطلّقها تطليقة».

فامرأة ثابت نظراً إلى هذه اللفظة مطلّقة تطليقة والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء.

على أنّ الاضطراب الهائل في قصّة امرأة ثابت يوهن الأخذ بما فيها، ففي لفظ: إنّها جميلة بنت سلول. كما في سنن ابن ماجه[5]. وفي لفظ أبي الزبير: إنّها زينب. وفي

---

(١) قاله في صحيحه: ١٤٢/١ [٤٩٢/٣ ح ١١٨٥]. (المؤلّف)

(٢) سنن الترمذي: ٤٩١/٣ ح ١١٨٥.

(٣) صحيح البخاري: ٢٠٢١/٥ ح ٤٩٧١.

(٤) السنن الكبرى: ٣٦٩/٣ ح ٥٦٥٧.

(٥) سنن ابن ماجه: ٦٦٣/١ ح ٢٠٥٦، ٢٠٥٨.

لفظ: إنّها بنت عبدالله. وفي لفظ لابن ماجه والنسائي: إنّها مريم العالية. وفي موطّأ مالك[1]: إنّها حبيبة بنت سهل. وذكر البصريّون: إنّها جميلة بنت أُبي[2]. وجلّ هذه الألفاظ كلفظ البخاري والنسائي يخلو عن ذكر العدّة بحيضة، فلا يخصّص حكم القرآن الكريم بمثل هذا.

على أنّه لو كان لها مقيل في مستوى الصدق والصحّة لما أصفقت الأئمّة على خلافها كما سمعت من كلمة ابن كثير.

وقد يعاضَد رأي الخليفة بما أخرجه الترمذي في صحيحه (١٤٢/١) عن الربيع بنت معوذ ـ صاحبة عثمان ـ أنّها اختلعت على عهد رسول الله ﷺ فأمرها النبيّ ﷺ أو أُمِرت أن تعتدّ بحيضة. قال الترمذي: حديث الربيع الصحيح أنّها أُمِرت أن تعتدّ بحيضة. وبهذا اللفظ جاء في حديث سليمان بن يسار عن الربيع قالت: إنّها اختلعت من زوجها فأُمرت أن تعتدّ بحيضة.

وقال البيهقي بعد رواية هذا الحديث: هذا أصحّ وليس فيه من أَمَرَها ولا على عهد النبيّ، ﷺ وقد روينا في كتاب الخلع أنّها اختلعت من زوجها زمن عثمان بن ٢٠٠/٨
عفّان رضي الله عنه. ثمّ أخرج حديث نافع المذكور في صدر العنوان فقال: هذه الرواية تصرّح بأنّ عثمان رضي الله عنه هو الذي أمرها بذلك، وظاهر الكتاب في عدّة المطلّقات يتناول المختلعة وغيرها، فهو أولى وبالله التوفيق. انتهى[3].

فليس للنبيّ ﷺ في قصّة بنت معوذ حكم وما رفعت إليه ﷺ، وإنّما وقعت في عصر عثمان وهو الحاكم فيها، وقد حرّفتها عن موضعها يد الأمانة على ودائع العلم والدين لتبرير ساحة عثمان عن لوث الجهل، ولو كان لتعدّد القصّة وزن يقام عند

---

(١) موطّأ مالك: ٥٦٤/٢ ح ٣١.

(٢) راجع نيل الأوطار: ٣٤/٧ ـ ٣٧ [٢٧٦/٦ ـ ٢٧٨]. (المؤلّف)

(٣) سنن البيهقي: ٤٥١/٧. (المؤلّف)

الفقهاء ورواياتها بمشهد منهم ومرأى لما عدلوا عنها على بكرة أبيهم إلى عموم الكتاب ولما تركوها متدهورة في هوّة الإهمال.

وعلى الباحث أن ينظر نظرة عميقة إلى قول ابن عمر وقد كان في المسألة أوّلاً مصافقاً في رأيه الكتاب ومن عمل به من الصحابة وعدّ في عدادهم، ثمّ لمحض أن بلغه رأي الخليفة المجرّد عن الحجّة عدل عن فتواه فقال: عثمان خيرنا وأعلمنا. أو قال: أكبرنا وأعلمنا. هكذا فليكن المجتهدون، وهكذا فلتصدر الفتاوى.

ـ ١٨ ـ

رأي الخليفة في امرأة المفقود

أخرج مالك من طريق سعيد بن المسيب أنّ عمر بن الخطّاب ﷺ قال: أيّما امرأة فقدت زوجها فلم تدر أين هو فإنّها تنتظر أربع سنين، ثمّ تنتظر أربعة أشهر وعشراً، ثمّ تحلّ. وقضى بذلك عثمان بن عفّان بعد عمر.

وأخرج أبو عبيد بلفظ: إنّ عمر وعثمان ﷺ قالا: امرأة المفقود تربّص أربع سنين، ثمّ تعتدّ أربعة أشهر وعشراً، ثمّ تنكح.

وفي لفظ الشيباني: إنّ عمر ﷺ أجّل امرأة المفقود أربع سنين. وفي لفظ شعبة من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قضى عمر ﷺ في المفقود تربّص امرأته أربع سنين ثمّ يطلّقها وليّ زوجها، ثمّ تربّص بعد ذلك أربعة أشهر وعشراً ثمّ تزوّج.

٢٠١/٨ ومن طريق ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر ﷺ في امرأة المفقود قال: إن جاء زوجها وقد تزوّجت خيّر بين امرأته وبين صداقها، فإن اختار الصداق كان على زوجها الآخر، وإن اختار امرأته اعتدّت حتى تحلّ، ثمّ ترجع إلى زوجها الأوّل وكان لها من زوجها الآخر مهرها بما استحلّ من فرجها. قال ابن شهاب: وقضى بذلك عثمان بعد عمر ﷺ.

وفي لفظ الشافعي: إذا تزوّجت فقدم زوجها قبل أن يدخل بها زوجها الآخر كان أحقّ بها، فإن دخل بها زوجها الآخر فالأوّل المفقود بالخيار بين امرأته والمهر[1].

قال الأميني: من لي بمتفقّه في المسألة، يخبرني عن علّة تريّث المفقود عنها زوجها أربع سنين، أهو مأخوذ من كتاب الله؟ فأين هو منه؟ أم أُخذ من سنّة رسول الله ﷺ فمن ذا الذي رواها ونقلها؟ والصحاح والمسانيد للقوم خالية عنها، نعم ربّما يُتشبّث للتقدير بأنّها نهاية مدّة الحمل. قال البقاعي في فيض الإله المالك (٢/٢٦٣): وسبب التقدير بأربع سنين أنّها نهاية مدّة الحمل وقد أخبر بوقوعه لنفسه الإمام الشافعي وكذا الإمام مالك وحكي عنه أيضاً أنّه قال: جارتنا امرأة صدق وزوجها رجل صدق حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كلّ بطن أربع سنين، وورد هذا عن غير تلك المرأة أيضاً. انتهى.

وهذا التعليل حكاه ابن رشد في مقدّمات المدوّنة الكبرى (٢/١٠١) عن أبي بكر الأبهري ثمّ عقّبه بقوله: وهو تعليل ضعيف؛ لأنّ العلّة لو كانت في ذلك هذا لوجب أن يستوي فيه الحرّ والعبد[2] لاستوائهما في مدّة لحوق النسب. ولوجب أن يسقط جملة في الصغيرة التي لا يوطأ مثلها إذا فقد عنها زوجها فقام عنها أبوها في ذلك، فقد قال: إنّها لو أقامت عشرين سنة ثمّ رفعت أمرها لضرب لها أجل أربعة أعوام وهذا يبطل تعليله إبطالاً ظاهراً. انتهى.

٨/٢٠٢ وليت هذا المتشبّث أدلى في حجّته بذكر أُناس تريّثوا في الأرحام النزيهة عن الخنا أربعاً قبل فتيا الخليفتين، وإلّا فما غناء قصّة وقعت بعدهما بردح طويل من

---

(١) موطّأ مالك: ٢/٢٨ [٢/٥٧٥ ح٥٢]، كتاب الأُم للشافعي: ٧/٢١٩ [٧/٢٣٦]، سنن البيهقي: ٧/٤٤٥، ٤٤٦. **(المؤلّف)**

(٢) التفصيل بين الحرّ والعبد بأنّ امرأة الحرّ يضرب لها الأجل أربعة أعوام ولامرأة العبد تربّص عامين كما نصّ عليه ابن رشد، رأي مجرّد لا دليل عليه. **(المؤلّف)**

الزمن ولا يُدرى أصحيحة هي أم مكذوبة ؟ وعلى فرض الصحّة فهل كان الخليفتان يعلمان الغيب ؟ وأنّه سينتج المستقبل الكشّاف رجلاً يكون حجّة لما قدّراه من مدّة التربّص ؟ أو كان ما قد رآه فتوى مجرّده ؟ فنحتت لها الأيّام علّة بعد الوقوع.

على أنّ أقصى مدّة الحمل محلّ خلاف بين الفقهاء، ذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري إلى أنّه عامان، ومذهب الشافعي أنّه أربعة أعوام، واختار ابن القاسم أنّ أكثره خمسة أعوام[(١)]، وروى أشهب عن مالك سبعة أعوام على ما روي أنّ امرأة ابن عجلان ولدت ولداً مرّة لسبعة أعوام[(٢)].

ولعلّ أبناء عجلان آخرين في أرجاء العالم لا يُرفع أمر حلائلهم إلى مالك والشافعي وقد ولدن أولاداً لثمانية أو تسعة أو عشرة أعوام، دع العقل والطبيعة والبرهنة تستحيل ذلك كلّه، ماهي وما قيمتها تجاه ما جاءت به امرأة عجلان وحكم به مالك ؟! أو وجاه ما أتت به أُمّ الإمام الشافعي فأفتى به ؟!

ونقل ابن رشد في سبب التقدير بأربعة أعوام عللاً غير هذا وإن ردّها وفنّدها، منها: أنّها المدّة التي تبلغها المكاتبة في بلد الإسلام مسيراً ورجوعاً، ومنها: أنّه جهل إلى أيّ جهة سار من الأربع جهات، فلكلّ جهة تربّص سنّة فهي أربع سنين. هذا مبلغ علمهم بفلسفة آراء جاء بها عمر وعثمان فأين يقع هو من حكم ما صدع به النبيّ الأقدس ؟

ثمّ يخبرني هذا المتفقّه عن هذه العدّة التي أثبتها الخليفتان لماذا هي ؟ فإن كانت عدّة الوفاة فإنّها غير جازمة بها، ولا تثبت بمجرّد مرور أربع سنين أو أكثر، وفي رواية عن عمر كما سمعت أنّه قضى في المفقود تربّص امرأته أربع سنين ثمّ يطلّقها وليّ

---

(١) في الفقه على المذاهب الأربعة: ٥٣٥/٤ إنّه خمس سنين على الراجح. (المؤلّف)

(٢) راجع مقدّمات المدوّنة الكبرى للقاضي ابن رشد: ١٠٢/٢. (المؤلّف)

زوجها ثمّ تربّص بعد ذلك الأربعة أشهر وعشر ثمّ تزوّج[1]. فعلى هذا إنّها عدّة الطلاق فيجب أن تكون ثلاثة قروء، فما هذه أربعة أشهر وعشراً؟ وعلى فرض ثبوت هذه العدّة ولو بعد الطلاق من باب الأخذ بالحائطة فما علاقة الزوج بها؟ حتى إنّه إذا جاء بعد النكاح خُيّر بين امرأته وبين صداقها، وقد قطع الشرع أيّ صلة بينهما ورخّص في ٢٠٣/٨
تزويجها، فنكحت على الوجه المشروع، قال ابن رشد[2]: ألا ترى أنّها لو ماتت بعد العدّة لم يوقف له ميراث منها، وإن كان لو أتى في هذه الحالة كان أحقّ بها، ولو بلغ هو من الأجل ما لا يجيء إلى مثله من السنين وهي حيّة لم تورث منه، وإنّما يكون لها الرضا بالمقام على العصمة ما لم ينقض الأجل المفروض، وأمّا إذا انقضى واعتدّت فليس ذلك لها وكذلك إن مضت بعد العدّة.

ثمّ ما وجه أخذ الصداق من الزوج الثاني عند اختيار الأوّل الصداق ولم يأت بمأثم وإنّما تزوّج بامرأة أباحتها له الشريعة؟

وأعجب من كلّ هذه أنّ هذه الروايات بمشهد من الفقهاء كلّهم ولم يُفْتِ بمقتضاها أئمّة المذاهب في باب الخيار. قال مالك في الموطّأ[3] (٢٨/٢): إن تزوّجت بعد انقضاء عدّتها فدخل بها زوجها أو لم يدخل بها فلا سبيل لزوجها الأوّل إليها. وقال: وذلك الأمر عندنا، وإن أدركها زوجها قبل أن تتزوّج فهو أحقّ بها.

وقال الشافعي وأبو حنيفة والثوري: لا تحلّ امرأة المفقود حتى يصحّ موته. قاله القاضي ابن رشد في بداية المجتهد (٥٢/٢) فقال: وقولهم مرويّ عن عليّ وابن مسعود.

وقال الحنفيّة: يُشترط لوجوب النفقة على الزوج شروط: أحدها أن يكون

---

(١) سنن البيهقي: ٤٤٥/٧. (المؤلّف)

(٢) مقدّمات المدوّنة الكبرى: ١٠٤/٢. (المؤلّف)

(٣) موطّأ مالك: ٥٧٥/٢ ح ٥٢.

العقد صحيحاً، فلو عقد عليها عقداً فاسداً أو باطلاً وأنفق عليها ثمّ ظهر فساد العقد أو بطلانه فإنّ له الحقّ في الرجوع عليها بما أنفقه.

ومن ذلك ما إذا غاب عنها زوجها فتزوّجت بزوج آخر ودخل بها ثمّ حضر زوجها الغائب، فإنّ نكاحها الثاني يكون فاسداً، ويفرّق القاضي بينهما، وتجب عليها العدّة بالوطء الفاسد، ولا نفقة لها على الزوج الأوّل ولا على الزوج الثاني(١).

وقال الشافعي في كتاب الأُمّ(٢) (٢٢١/٥): لم أعلم مخالفاً في أنّ الرجل أو المرأة لو غابا أو أحدهما برّاً أو بحراً عُلم مغيبهما أو لم يعلم فماتا أو أحدهما فلم يُسمع لهما
٢٠٤/٨ بخبر / أو أسرهما العدوّ فصيّروهما إلى حيث لا خبر عنهما لم نورّث واحداً منهما من صاحبه إلّا بيقين وفاته قبل صاحبه، فكذلك عندي امرأة الغائب أيّ غيبة كانت ممّا وصفت أو لم أصف بأسار عدوّ أو بخروج الزوج ثمّ خفي مسلكه، أو بهيام من ذهاب عقل أو خروج فلم يُسمَع له ذكر، أو بمركب في بحر فلم يأت له خبر، أو جاء خبر أن غرق كان يرون أنّه قد كان فيه ولا يستيقنون أنّه فيه، لا تعتدّ امرأته ولا تنكح أبداً حتى يأتيها بيقين وفاته، ثمّ تعتدّ من يوم استيقنت وفاته وترثه، ولا تعتدّ امرأة من وفاة ومثلها يرث إلّا ورثت زوجها الذي اعتدّت من وفاته، ولو طلّقها وهو خفيّ الغيبة بعد أيّ هذه الأحوال كانت، أو آلى منها، أو تظاهر، أو قذفها، لزمه ما يلزم الزوج الحاضر في ذلك كلّه، وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن تكون امرأة رجل يقع عليها ما يقع على الزوجة تعتدّ لا من طلاق ولا وفاة، كما لو ظنّت أنّه طلّقها أو مات عنها لم تعتدّ من طلاق إلّا بيقين، وهكذا لو تربّصت سنين كثيرة بأمر حاكم واعتدّت وتزوّجت فطلّقها الزوج الأوّل المفقود لزمها الطلاق، وكذلك إن آلى منها، أو تظاهر، أو قذفها، لزمه ما يلزم الزوج، وهكذا لو تربّصت بأمر حاكم أربع سنين ثمّ اعتدّت

---

(١) الفقه على المذاهب الاربعة: ٥٦٥/٣ [٥٧٥/٤]. (المؤلّف)

(٢) كتاب الأُم: ٢٣٩/٥.

فأكملت أربعة أشهر وعشراً ونكحت ودخل بها، أو نكحت ولم يدخل بها، أو لم تنكح وطلّقها الزوج الأوّل المفقود في هذه الحالات لزمها الطلاق لأنّه زوج، وهكذا لو تظاهر منها أو قذفها أو آلى منها لزمه ما يلزم المولى غير أنّه ممنوع من فرجها بشبهة بنكاح غيره، فلا يقال له فيء حتى تعتدّ من الآخر إذا كانت دخلت عليه، فإذا أكملت عدّتها أجّل من يوم تكمل عدّتها أربعة أشهر، وذلك حين حلّ له فرجها وإن أصابها فقد خرج من طلاق الإيلاء وكفّر، وإن لم يصبها قيل له: أصبها أو طلّق.

قال: وينفق عليها من مال زوجها المفقود من حين يُفقد حتى يعلم يقين موته، وإن أجّلها حاكم أربع سنين أنفق عليها فيها وكذلك في الأربعة الأشهر والعشر من مال زوجها، فإذا نكحت لم ينفق عليها من مال الزوج المفقود لأنّها مانعة له نفسها، وكذلك لا ينفق عليها وهي في عدّة منه لو طلّقها أو مات عنها ولا بعد ذلك، ولم أمنعها النفقة من قبل أنّها زوجة الآخر، ولا أنّ عليها منه عدّة، ولا أنّ بينهما ميراثاً، ولا أنّه يلزمها طلاقه، ولا شيء من الأحكام بين الزوجين إلا لحوق الولد به إن أصابها، وإنّما / منعتها النفقة من الأوّل لأنّها مخرجة نفسها من يديه ومن الوقوف عليه، ٢٠٥/٨
كما تقف المرأة على زوجها الغائب بشبهة، فمنعتها نفقتها في الحال التي كانت فيها مانعة له نفسها بالنكاح والعدّة، وهي لو كانت في المصر مع زوج فمنعته نفسها منعتها نفقتها بعصيانها، ومنعتها نفقتها بعد عدّتها من زوجها الآخر بتركها حقّها من الأوّل وإباحتها نفسها لغيره، على معنى أنّها خارجة من الأوّل، ولو أنفق عليها في غيبته ثمّ ثبتت البيّنة على موته في وقت ردّت كلّ ما أخذت من النفقة من حين مات فكان لها الميراث.

ولو حكم لها حاكم بأن تزّوج فتزوّجت فسخ نكاحها وإن لم يدخل بها فلا مهر لها، وإن دخل بها فأصابها فلها مهر مثلها لا ما سمّي لها وفسخ النكاح وإن لم يفسخ حتى مات أو ماتت فلا ميراث لها منه ولا له منها.

قال: ومتى طلّقها الأوّل وقع عليها طلاقه، ولو طلّقها زوجها الأوّل أو مات عنها وهي عند الزوج الآخر كانت عند غير زوج، فكانت عليها عدّة الوفاة والطلاق ولها الميراث في الوفاة والسكنى في العدّة في الطلاق وفيمن رآه لها بالوفاة، ولو مات الزوج الآخر لم ترثه وكذلك لا يرثها لو ماتت. إلخ.

فأنت بعد هذه كلها جدّ عليم بأنّه لو كان على ما أفتى به الخليفتان مسحة من أُصول الحكم والفتيا لما عدل عنه هؤلاء الأئمّة، ولما خالفها قبلهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ولما قال عليه السلام في امرأة المفقود إذا قدم وقد تزوّجت امرأته: «هي امرأته إن شاء طلّق وإن شاء أمسك ولا تُخيَّر».

ولما قال عليه السلام: «إذا فقدت المرأة زوجها لم تتزوّج حتى تعلم أمره».

ولما قال عليه السلام: «إنّها لا تتزوّج».

ولما قال عليه السلام: «ليس الذي قال عمر رضي الله عنه بشيء، هي امرأة الغائب حتى يأتيها يقين موته أو طلاقها، ولها الصداق من هذا بما استحلّ من فرجها ونكاحه باطل».

ولما قال عليه السلام: «هي امرأة الأوّل دخل بها الآخر أو لم يدخل بها».

ولما قال عليه السلام: «امرأة ابتليت فلتصبر لا تنكح حتى يأتيها يقين موته»[1]. قال
٢٠٦/٨ الشافعي بعد ذكر الحديث: وبهذا نقول.

وأمير المؤمنين كما تعلم أفقه الصحابة على الإطلاق؛ وأعلم الأُمّة بأسرها، وباب مدينة العلم النبويّ، ووارث علم النبيّ الأقدس على ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم، فليتهما رجعا إليه صلوات الله عليه في حكم المسألة ولم يستبدّا بالرأي المجرّد كما استعلماه في

---

(١) كتاب الأُم للشافعي: ٢٢٣/٥ [٢٤١/٥]، سنن البيهقي: ٤٤٤/٧، ٤٤٦، مقدّمات المدوّنة الكبرى: ١٠٣/٢. (المؤلّف)

كثير ممّا أربكها من المشكلات، وأنّى لها باقتحام المعضلات وهما هما؟ وأيّ رأي هذا [الذي] ضربت عنه الأُمّة صفحاً؟ وكم له من نظير! وكيف أوصى النبيّ الأعظم باتّباع أُناس هذه مقاييس آرائهم في دين الله، وهذا مبلغهم من العلم، بقوله فيهم: عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين فتمسّكوا بها[1]؟

﴿ خَصمَانِ بَغَىٰ بَعضُنَا عَلَىٰ بَعضٍ فَاحكُمْ بَينَنَا بِالحَقِّ ﴾[2].

- ١٩ -
الخليفة يأخذ حكم الله من أُبيّ

أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٤١٧/٧) بالإسناد عن أبي عبيدة قال: أرسل عثمان ﷺ إلى أُبيّ يسأله عن رجل طلّق امرأته ثمّ راجعها حين دخلت في الحيضة الثالثة. قال أُبيّ: إنّي أرى أنّه أحقّ بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة، وتحلّ لها الصلاة. قال: لا أعلم عثمان ﷺ إلّا أخذ بذلك.

قال الأميني: صريح الرواية أنّ الخليفة كان جاهلاً بهذا الحكم حتى تعلّمه من أُبيّ وأخذ بفتياه، ولا شكّ أنّ الذي علّمه هو خير منه، فهلّا ترك المقام له أو لمن هو فوقه؟ وفوق كلّ ذي علم عليم، ولو ترك الأمر لمن لا يسأل غيره في أيّ من مسائل الشريعة لدخل مدينة العلم من بابها.

وحسبك في مبلغ علم الخليفة قول العيني في عمدة القاري[3] (٧٣٣/٢): إنّ عمر كان أعلم وأفقه من عثمان. وقد أوقفناك على علم عمر في الجزء السادس وذكرنا نوادر الأثر في علمه، فانظر ماذا ترى؟

---

(١) أسلفنا الحديث في الجزء السادس: ص ٣٣٠، وبيّنا المعنى الصحيح المراد منه. (المؤلّف)

(٢) سورة ص: ٢٢.

(٣) عمدة القاري: ٢٠٣/٥.

ـ ٢٠ ـ

الخليفة يأخذ السنّة من امرأة

أخرج الإمامان الشافعي ومالك وغيرهما بالإسناد عن فريعة بنت مالك بن
٢٠٧/٨ سنان / أخبرت: أنّها جاءت النبي ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة وأنّ زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، فسألت رسول الله ﷺ أنّي أرجع إلى أهلي فإنّ زوجي لم يتركني في مسكن يملكه، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي فدعيت له قال: «فكيف قلت؟» فرددت عليه القصّة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله». قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، فلمّا كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتّبعه وقضى به.

قال الشافعي في الرسالة: وعثمان في إمامته وفضله وعلمه يقضي بخبر امرأة بين المهاجرين والأنصار.

وقال في اختلاف الحديث: اخبرت الفريعة بنت مالك عثمان بن عفّان أنّ النبيّ ﷺ أمرها أن تمكث في بيتها وهي متوفّى عنها حتى يبلغ الكتاب أجله، فاتّبعه وقضى به.

قال ابن القيّم في زاد المعاد: حديث صحيح مشهور في الحجاز والعراق وأدخله مالك في موطّئه، واحتجّ به وبنى عليه مذهبه، ثمّ ذكر تضعيف ابن حزم إيّاه وفنّده وقال: ما قاله أبو محمد فغير صحيح. وذكر قول ابن عبد البرّ في شهرته، وأنّه معروف عند علماء الحجاز والعراق.

راجع[1] الرسالة للشافعي (ص١١٦)، كتاب الأُم له (٢٠٨/٥)، اختلاف

---

(١) الرسالة: ٤٣٨ ح ١٢١٤، كتاب الأُم: ٢٢٧/٥، اختلاف الحديث: ص٤٧٩، موطّأ مالك: ٥٩١/٢ ح٨٧، سنن أبي داود: ٢٩١/٢ ح ٢٣٠٠، أحكام القرآن: ٤١٨/١، زاد المعاد: ٢١٥/٤، نيل الأوطار: ٣٣٥/٦، سنن الترمذي: ٥٠٨/٣ ح ١٢٠٤، السنن الكبرى: ٣٩٣/٣ ح ٥٧٢٤، سنن ابن ماجه: ٦٥٤/١ ح ٢٠٣١.

الحديث له هامش كتاب الأُم (٢٢/٧)، موطّأ مالك (٣٦/٢)، سنن أبي داود (٣٦٢/١)، سنن البيهقي (٤٣٤/٧)، أحكام القرآن للجصّاص (٤٩٦/١)، زاد المعاد (٤٠٤/٢)، الإصابة (٣٨٦/٤)، نيل الأوطار (١٠٠/٧) وقال: رواه الخمسة وصحّحه الترمذي ولم يذكر النسائي وابن ماجه إرسال عثمان.

قال الأميني: هذه كسابقتها تكشف عن قصور علم الخليفة عمّا توصّلت إليه المرأة المذكورة، وهاهنا نعيد ما قلناه هنالك، فارجع البصر كرّتين، وأعجب من خليفة يأخذ معالم دينه من نساء أُمّته، وهو المرجع الوحيد للأمّة جمعاء يومئذٍ في كلّ ما جاء به الإسلام المقدّس كتاباً وسنّة، وبه سُدّ فراغ النبيّ الأعظم، وعليه يُعوّل في مشكلات الأحكام وعويصات المسائل فضلاً عن مثل هذه المسألة البسيطة.

٢٠٨/٨ ثمّ اعجب من ابن عمر أنّه يرى من هذا مبلغ علمه أعلم الصحابة في يومه، ما عشت أراك الدهر عجباً.

- ٢١ -
رأي الخليفة في الإحرام قبل الميقات

أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٣١/٥) بالإسناد عن داود بن أبي هند أنّ عبدالله[(١)] بن عامر بن كريز حين فتح خراسان قال: لأجعلنّ شكري لله أن أخرج من موضعي محرماً، فأحرم من نيسابور. فلمّا قدم على عثمان لامه على ما صنع قال: ليتك تضبط من الوقت الذي يحرم منه الناس.

لفظ آخر من طريق محمد بن إسحاق قال: خرج عبد الله بن عامر من

---

(١) هو ابن خال عثمان بن عفّان كما في الإصابة راجع: ٦١/٣ [رقم ٦١٧٩]. (المؤلّف)

نيسابور معتمراً قد أحرم منها، وخلف على خراسان الأحنف بن قيس، فلمّا قضى عمرته أتى عثمان بن عفّان ﷺ وذلك في السنة التي قتل فيها عثمان ﷺ فقال له عثمان ﷺ: لقد غررت بعمرتك حين أحرمت من نيسابور.

وقال ابن حزم في المحلّى (٧٧/٧): روينا من طريق عبد الرزّاق، حدثنا معمر عن أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين قال: أحرم عبدالله بن عامر من حيرب[1] فقدم على عثمان بن عفّان فلامه، فقال له: غررت وهان عليك نسكك. وفي لفظ ابن حجر: غررت بنسكك.

فقال ابن حزم: قال أبو محمد ـ يعني نفسه ـ: وعثمان لا يعيب عملاً صالحاً عنده ولا مباحاً، وإنّما يعيب ما لا يجوز عنده لا سيّما وقد بيّن أنّه هوان بالنسك، والهوان بالنسك لا يحلّ وقد أمر الله تعالى بتعظيم شعائر الحجّ.

وذكره ابن حجر في الإصابة (٦١/٣) وقال: أحرم ابن عامر من نيسابور شكراً لله تعالى وقدم على عثمان فلامه على تغريره بالنسك. فقال: كره عثمان أن يحرم من خراسان أو كرمان، ثمّ ذكر الحديث من طريق سعيد بن منصور وأبي بكر بن أبي شيبة وفيه: أنّ ابن عامر أحرم من خراسان. فذكره من طريق محمد بن سيرين والبيهقي فقال: قال البيهقي: هو عن عثمان مشهور[2].

٢٠٩/٨ وذكر هذه كلّها في تهذيب التهذيب[3] (٢٧٣/٥) غير كلمة البيهقي في شهرة الحديث. وفي تيسير الوصول[4] (٢٦٥/١): عن عثمان ﷺ: أنّه كره أن يحرم الرجل

---

(١) وفي نسخة: جيرب. ولم أجدهما في المعاجم. (المؤلّف)

(٢) توجد كلمة البيهقي هذه في سننه الكبرى: ٣١/٥. (المؤلّف)

(٣) تهذيب التهذيب: ٢٣٩/٥.

(٤) تيسير الوصول: ٣١٢/١.

من خراسان وكرمان. أخرجه البخاري[١] ترجمةً.

قال الأميني: إنّ الذي ثبت في الإحرام بالحجّ أو العمرة أنّ هذه المواقيت حدّ للأقلّ من مدى الإحرام، بمعنى أنّه لا يعدوها الحاجّ وهو غير محرم، وأمّا الإحـرام قبلها من أيّ البلاد شاء أو من دويرة أهل المحرم، فإن عقده باتّخاذ ذلك المحلّ ميقاتاً فلا شكّ أنّه بدعة محرّمة كتأخيره عن المواقيت، وأمّا إذا جيء به للاستزادة من العبادة عملاً بإطلاقات الخير والبرّ، أو شكراً على نعمة، أو لنذر عقده المحرم فهو كالصلاة والصوم وبقيّة القرب للشكر أو بالنذر أو لمطلق البرّ، تشمله كلّ من أدلّة هذه العناوين ولم يرد عنه نهي من الشارع الأقدس، وإنّما المأثور عنه وعن أصحابه ما يلي:

١ ـ أخرج أئمّة الحديث؛ بإسنادٍ صحيح من طريق الأخنسي، عن أُمّ حكيم، عن أُم سلمة مرفوعاً: « من أهلّ من المسجد الأقصى بعمرة أو بحجّة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه ». قال الأخنسي: فركبت أُمُّ حكيم عند ذلك الحديث إلى بيت المقدس حتى أهلّت منه بعمرة.

وفي لفظ أبي داود والبيهقي والبغوي: « من أهلّ بحجّة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ». أو: « وجبت له الجنّة » وفي لفظ: « ووجبت له الجنّة ».

وفي لفظ ابن ماجه: « من أهلّ بعمرة من بيت المقدس غُفر له ».

وفي لفظ له أيضاً: « من أهلّ بعمرة من بيت المقدس كانت له كفّارة لما قبلها من الذنوب ». قالت: فخرجت أُمّي[٢] من بيت المقدس بعمرة.

---

(١) صحيح البخاري: ٥٦٥/٢ باب ٣٢ كتاب الحج.

(٢) كلمة: أمي غير موجودة في لفظ ابن ماجه. وفي لفظ أحمد: فركبت أُم حكيم.

وقال أبو داود بعد الحديث: يرحم الله وكيعاً أحرم من بيت المقدس يعني إلى مكة.

راجع[١] مسند أحمد (٢٩٩/٦)، سنن أبي داود (٢٧٥/١)، سنن ابن ماجه (٢٣٥/٢)، سنن البيهقي (٣٠/٥)، مصابيح السنّة للبغوي (١٧٠/١)، والترغيب والترهيب للمنذري (٦١/٢) ذكره بالألفاظ المذكورة وصحّحه من طريق ابن ماجه وقال: ورواه ابن حبّان في صحيحه.

٢١٠/٨ ٢ ـ أخرج ابن عدي[٢] والبيهقي من طريق أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ﴾[٣]: أنّ من تمام الحجّ أن تحرم من دُويرة أهلك.

سنن البيهقي (٣٠/٥)، الدرّ المنثور[٤] (٢٠٨/١)، نيل الأوطار[٥] (٢٦/٥) قال: ثبت ذلك مرفوعاً من حديث أبي هريرة.

٣ ـ أخرج الحفّاظ من طريق عليّ أمير المؤمنين؛ أنّه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ﴾: «إتمامها أن تحرم بهما من دُويرة أهلك».

أخرجه[٦] وكيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم،

---

(١) مسند أحمد: ٤٢٤/٧ ح٢٦٠١٨، سنن أبي داود: ١٤٣/٢ ح ١٧٤١ سنن ابن ماجه: ٩٩٩/٢ ح ٣٠٠١ و ٣٠٠٢، مصابيح السنّة: ٢٣١/٢ ح١٨٢٧، الترغيب والترهيب: ١٩٠/٢، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ١٣/٩ ح ٣٧٠١.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٢٠/٢ رقم ٣٢٨.

(٣) البقرة: ١٩٦.

(٤) الدرّ المنثور: ٥٠٢/١.

(٥) نيل الأوطار: ٣٣٥/٤.

(٦) مصنّف ابن أبي شيبة: ١٩٥/٤ ح ٢٠ كتاب الحج، جامع البيان: مج٢/ج٢/٢٠٧، المستدرك على الصحيحين: ٣٠٣/٢ ح ٣٠٩٠، وكذا في تلخيصه، أحكام القرآن: ٢٨٦/١، ٣٠٠، التفسير الكبير: ١٤٤/٥، الدرّ المنثور: ٥٠٢/١، نيل الأوطار: ٣٣٥/٤.

والنحّاس في ناسخه (ص٣٤)، وابن جرير في تفسيره (١٢٠/٢)، والحاكم في المستدرك (٢٧٦/٢)، وصحّحه وأقرّه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠/٥)، والجصّاص في أحكام القرآن (٣٣٧/١، ٣٥٤)، تفسير ابن جزي (٧٤/١)، تفسير الرازي (١٦٢/٢)، تفسير القرطبي (٣٤٣/٢)، تفسير ابن كثير (٢٣٠/١)، الدرّ المنثور (٢٠٨/١)، نيل الأوطار (٢٦/٥).

٤ ـ قال الجصّاص في أحكام القرآن[1] (٣١٠/١): رُوي عن عليّ وعمر وسعيد ابن جبير وطاووس، قالوا: إتمامها أن تحرم بها من دُويرة أهلك.

وقال في (ص٣٣٧): أمّا الإحرام بالعمرة قبل الميقات فلا خلاف بين الفقهاء فيه. وروي عن الأسود بن يزيد، قال: خرجنا عُمّاراً، فلمّا انصرفنا مررنا بأبي ذرّ فقال: أحلقتم الشعث وقضيتم التفث؟ أما إنّ العمرة من مدركم. وإنّما أراد أبو ذرّ: أنّ الأفضل إنشاء العمرة من أهلك، كما رُوي عن عليّ: تمامها أن تحرم بها من دُويرة أهلك.

وقال الرازي في تفسيره[2] (١٦٢/٢): روي عن عليّ وابن مسعود: أنّ إتمامها أن يحرم من دُويرة أهله. وقال في (ص١٧٢): إشتهر عن أكابر الصحابة أنّهم قالوا: من إتمام الحجّ أن يحرم المرء من دُويرة أهله.

وقال القرطبي في تفسيره[3] (٣٤٣/٢) بعد ذكره حديث عليّ عليه السلام: وروي ذلك عن عمر وسعد بن أبي وقّاص وفعله عمران بن حصين. ثمّ قال: أمّا ما روي عن عليّ وفعله عمران بن حصين في الإحرام قبل المواقيت التي وقّتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال به عبدالله / بن مسعود وجماعة من السلف، وثبت أنّ عمر أهلّ من إيلياء[4]، وكان ٢١١/٨

(١) أحكام القرآن: ٢٦٣/١، ٢٨٦.

(٢) التفسير الكبير: ١٤٤/٥، ١٦١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٤/٢.

(٤) إيلياء ـ بالمد وتقصر ـ: اسم مدينة بيت المقدس [معجم البلدان: ٢٩٣/١]. (المؤلّف)

الأسود وعلقمة وعبدالرحمن وأبو إسحاق يُحرمون من بيوتهم، ورخّص فيه الشافعي. ثمّ ذكر حديث أُم سلمة المذكور.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢٣٠/١) بعد حديث عليّ عليه السلام : وكذا قال ابن عبّاس وسعيد بن جبير وطاووس وسفيان الثوري.

٥ ـ أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٣٠/٥) من طريق نافع عن ابن عمر: أنّه أحرم من إيلياء عام حكم الحكمين.

وأخرج مالك في الموطّأ[١] (٢٤٢/١): أنّ ابن عمر أهلّ بحجّة من إيلياء. وذكره ابن الديبع في تيسير الوصول[٢] (٢٦٤/١)، وسيوافيك عن ابن المنذر في كلام أبي زُرعة: أنّه ثابت.

قال الشافعي في كتاب الأُمّ[٣] (١١٨/٢): أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو ابن دينار، عن طاووس، قال: قال ـ ولم يسمّ عمرو القائل إلّا أنّا نراه ابن عبّاس ـ: الرجل يهلّ من أهله ومن بعد ما يجاوز أين شاء ولا يجاوز الميقات إلّا محرماً. إلى أن قال:

قلت: إنّه لا يضيق عليه أن يبتدئ الإحرام قبل الميقات كما لا يضيق عليه لو أحرم من أهله، فلم يأت الميقات إلّا وقد تقدّم بإحرامه، لأنّه قد أتى بما أُمر به من أن يكون محرماً من الميقات. انتهى.

قال ملك العلماء في بدائع الصنائع (١٦٤/٢): كلّما قدّم الإحرام على المواقيت هو أفضل. وروي عن أبي حنيفة: أنّ ذلك أفضل إذا كان يملك نفسه أن يمنعها ما يمنع منه

---

(١) موطّأ مالك: ٣٣١/١ ح٢٦.

(٢) تيسير الوصول: ٣١٣/١.

(٣) كتاب الأُمّ: ١٣٨/٢، ١٣٩.

الإحرام. وقال الشافعي: الإحرام من الميقات أفضل بناءً على أصله أنّ الإحرام ركن فيكون من أفعال الحجّ، ولو كان كما زعم لما جاز تقديمه على الميقات، لأنّ أفعال الحجّ لا يجوز تقديمها على أوقاتها[1] وتقديم الإحرام على الميقات جائز بالإجماع إذا كان في أشهر الحجّ، والخلاف في الأفضليّة دون الجواز، ولنا قوله تعالى: ﴿ **وَأَتِمُّوا**
الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ ﴾، وروي عن عليّ وابن مسعود ﷺ أنّهما قالا: إتمامها أن تحرم بهما ٢١٢/٨
من دُويرة أهلك. وروي عن أُمّ سلمة... إلى آخره.

وقال القرطبي في تفسيره[2] (٣٤٥/٢): أجمع أهل العلم على أنّ من أحرم قبل أن يأتي الميقات أنّه محرم، وإنّما منع من ذلك من رأى الإحرام عند الميقات أفضل، كراهية أن يضيّق المرء على نفسه ما وسّع الله عليه، وأن يتعرّض بما لا يؤمن أن يحدث في إحرامه، وكلّهم ألزمه الإحرام إذا فعل ذلك، لأنّه زاد ولم ينقص.

وقال الحافظ أبو زُرعة في طرح التثريب (٥/٥ ـ ٦): قد بيّنا أنّ معنى التوقيت بهذه المواقيت منع مجاوزتها بلا إحرام إذا كان مريداً للنسك، أمّا الإحرام قبل الوصول إليها فلا مانع منه عند الجمهور، ونقل غير واحد الإجماع عليه، بل ذهب طائفة من العلماء إلى ترجيح الإحرام من دُويرة أهله على التأخير إلى الميقات وهو أحد قولي الشافعي، ورجّحه من أصحابه القاضي أبو الطيّب والرويانى والغزالي والرافعي وهو مذهب أبي حنيفة، وروي عن عمر وعليّ أنّهما قالا في قوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ**﴾ : إتمامها أن تحرم بهما من دُويرة أهلك. وقال ابن المنذر: ثبت أنّ ابن عمر أهلّ من إيلياء يعني بيت المقدس، وكان الأسود وعلقمة وعبدالرحمن وأبو إسحاق يحرمون من بيوتهم. انتهى. لكن الأصحّ عند النووي[3] من

---

(١) لاصلة بين ركنيّة الإحرام وكونه من أفعال الحج وبين عدم جواز تقديمه على المواقيت كما زعمه ملك العلماء، بل هو ركن يجوز تقديمه عليها لما مرّ من الأدلّة. (المؤلّف)

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم: ٨٧/٧.

قولي الشافعي: أنّ الإحرام من الميقات أفضل، ونقل تصحيحه عن الأكثرين والمحقّقين، وبه قال أحمد وإسحاق، وحكى ابن المنذر فعله عن عوام أهل العلم بل زاد مالك عن ذلك فكرة تقدّم الإحرام على الميقات، قال ابن المنذر: وروينا عن عمر أنّه أنكر على عمران بن حصين إحرامه من البصرة، وكره الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح ومالك الإحرام من المكان البعيد. انتهى.

وعن أبي حنيفة رواية: أنّه إن كان يملك نفسه عن الوقوع في محظور فالإحرام من دويرة أهله أفضل، وإلّا فمن الميقات، وبه قال بعض الشافعيّة.

وشذّ ابن حزم الظاهري[١] فقال: إن أحرم قبل هذه المواقيت وهو يمرُّ عليها فلا إحرام له إلّا أن ينوي إذا صار [إلى][٢] الميقات تجديد إحرام. وحكاه عن داود وأصحابه[٣] وهو قول مردود بالإجماع قبله على خلافه قاله النووي، وقال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أنّ من أحرم قبل أن يأتي الميقات فهو محرم، وكذا نقل الإجماع في ذلك الخطّابي وغيره. انتهى.

وذكر الشوكاني في نيل الأوطار[٤] (٢٦/٥) جواز تقديم الإحرام على الميقات مستدلاً عليه بما مرّ في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لله﴾. ثمّ قال:

وأمّا قول صاحب المنار: إنّه لو كان أفضل لما تركه جميع الصحابة؛ فكلام على غير قانون الاستدلال، وقد حكى في التلخيص أنّه فسّره ابن عيينة فيما حكاه عنه أحمد بأن ينشئ لهما سفراً من أهله، ولكن لا يناسب لفظ الإهلال الواقع في حديث الباب ولفظ الإحرام الواقع في حديث أبي هريرة. انتهى.

---

(١) المحلّى: ٧/ ٧٠ المسألة ٨٢٢.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: وأصحابهم.

(٤) نيل الأوطار: ٤/ ٣٣٥.

والإمعان في هذه المأثورات من الأحاديث والكلم يعطي حصول الإجماع على جواز تقديم الإحرام على الميقات، وأنّ الخلاف في الأفضل من التقديم والإحرام من الميقات، لكن الخليفة لم يعط النظر حقّه، ولم يوفِ للاجتهاد نصيبه، أو أنّه عزبت عنه السنّة المأثورة، فطفق يلوم عبدالله بن عامر، أو أنّه أحبّ أن يكون له في المسألة رأي خاصّ، وقد قال شمس الدين أبو عبدالله الذهبي:

العلمُ قال اللهُ قال رسولُه ... إن صحَّ والإجماعُ فاجهد فيهِ
وحذارِ من نصبِ الخلافِ جهالةً ... بين الرسولِ وبين رأي فقيهِ

وهلمّ معي واعطف النظرة فيما ذكرناه عن ابن حزم من أنّ عثمان لا يعيب عملاً صالحاً... الى آخره. فإنّه غير مدعوم بالحجّة غير حسن الظنّ بعثمان، وهذا يجري في أعمال المسلمين كافّة ما لم يزع عنه وازع، وسيرة الرجل تأبى عن الظنّ الحسن به، وأمّا مسألتنا هذه فقد عرفنا فيها السنّة الثابتة وأنّ نهي عثمان مخالف لها، وليس من الهيّن الفتُّ في عضد السنّة لتعظيم إنسان وتبرير عمله، فإنّ المتّبع في كافّة القُرَب ما ثبت من الشرع، ومن خالفه عِيب عليه كائناً من كان.

وأمّا تشبّثه بالهوان بالنسك فتافه جدّاً، وأيّ هوان بها في التأهّب لها قبل ميقاتها بقربةٍ مطلقة إن لم يكن تعظيماً لشعائر الله، وإنّما الهوان المحرّم بالنسك إدخال الآراء فيها على الميول والشهوات، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1].

ـ ٢٢ ـ
لولا عليٌّ لهلك عثمان

أخرج الحافظ العاصمي في كتابه زين الفتى في شرح سورة هل أتى؛ من ٨/٢١٤

(١) النحل: ١١٦.

طريق شيخه أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد يرفعه: أنّ رجلاً أتى عثمان بن عفّان وهو أمير المؤمنين وبيده جمجمة إنسان ميّت، فقال: إنّكم تزعمون النار يعرض على هذا وأنّه يعذّب في القبر وأنا قد وضعت عليها يدي فلا أحسُّ منها حرارة النار. فسكت عنه عثمان وأرسل إلى عليّ بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلمّا أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال للرجل: أعد المسألة. فأعادها، ثمّ قال عثمان بن عفّان: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن فقال عليّ: « ائتوني بزند وحجر » والرجل السائل والناس ينظرون إليه، فأُتي بهما فأخذهما وقدح منهما النار، ثمّ قال للرجل: « ضع يدك على الحجر »، فوضعها عليه ثمّ قال: « ضع يدك على الزند »، فوضعها عليه فقال: « هل أحسست منها حرارة النار »، فبهت الرجل، فقال عثمان: لولا عليّ لهلك عثمان.

قال الأميني: نحن لا نرقب من عثمان وليد بيت أُميّة الحيطة بأمثال هذه العلوم التي هي من أسرار الكون، وقد تقاعست عنها معرفة من هو أرقى منه في العلم، فكيف به؟ وإنّما تُقلّها عيبة العلوم الإلهيّة المتلقّاة من المبدأ الأعلى منشئ الكون ومُلقي أسراره فيه، وهو الذي أفحم السائل ها هنا وفي كلّ معضلة أعوز القوم عرفانها.

وإنّما كان المترقّب من عثمان ـ بعد ما تسنّم عرش الخلافة ـ الحيطة بما كان يسمعه ويراه ويفهم ويعقل من السنّة المفاضة على أفراد الصحابة، لئلا يرتبك في موارد السؤال، فيرتكب العظائم ويفتي بخلاف الوارد، أو يرتئي رأياً عدت عنه المراشد لكن ويا للأسف..

ـ ٢٣ ـ
رأي الخليفة في الجمع بين الأُختين بالملك

أخرج مالك في الموطأ[1] (١٠/٢)، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب أنّ رجلاً سأل عثمان بن عفّان عن الأُختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان:

---

(١) موطّأ مالك: ٥٣٨/٢ ح ٣٤.

٢١٥/٨ أحلّتها / آية وحرّمتها آية، أمّا أنا فلا أُحبُّ أن أصنع ذلك. قال: فخرج من عنده فلقي رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثمّ وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً. قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب.

لفظ آخر للبيهقي:

عن ابن شهاب؛ قال: أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنّ نياراً الأسلمي سأل رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن الأُختين فيما ملكت اليمين، فقال له: أحلّتها آية وحرّمتها آية، ولم أكن لأفعل ذلك. قال: فخرج نيار من عند ذاك الرجل فلقيه رجل آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ما أفتاك به صاحبك الذي استفتيتهُ؟ فأخبره، فقال: إنّي أنهاك عنهما، ولو جمعت بينهما ولي عليك سلطان عاقبتك عقوبة منكلة.

قال ملك العلماء في البدائع: وروي عن عثمان ﷺ أنّه قال: كلُّ شيء حرّمه الله تعالى من الحرائر حرّمه الله تعالى من الإماء إلّا الجمع في الوطء بملك اليمين.

وقال الجصّاص في أحكام القرآن: وروي عن عثمان وابن عباس أنّهما أباحا ذلك وقالا: أحلّتها آية وحرّمتها آية. وقال: روي عن عثمان الإباحة، وروي عنه أنّه ذكر التحريم والتحليل وقال: لا آمر به ولا أنهى عنه. وهذا القول منه يدلُّ على أنّه كان ناظراً فيه غير قاطع بالتحليل والتحريم فيه، فجائز أن يكون قال فيه بالإباحة ثمّ وقف فيه، وقطع عليّ فيه بالتحريم.

وقال الزمخشري: أمّا الجمع بينهما في ملك اليمين؛ فعن عثمان وعليّ ﷺ أنّهما قالا: أحلّتها آية وحرّمتها آية. فرجّح عليّ التحريم وعثمان التحليل.

وقال الرازي[1]: وعن عثمان، أنّه قال: أحلّتها آية وحرّمتها آية، والتحليل أولى.

---

(١) التفسير الكبير: ٣٦/١٠.

وقال ابن عبدالبرّ في كتاب الاستذكار[1] : إنّما كنّى قبيصة بن ذؤيب عن عليّ ابن أبي طالب لصحبته عبدالملك بن مروان، وكانوا يستثقلون ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

راجع[2] : السنن الكبرى للبيهقي (١٦٣/٧، ١٦٤)، أحكام القرآن للجصّاص (١٥٨/٢)، المحلّى لابن حزم (٥٢٢/٩)، تفسير الزمخشري (٣٥٩/١)، تفسير القرطبي
٢١٦/٨ (١١٧/٥)، بدائع الصنائع / لملك العلماء (٢٦٤/٢) تفسير الخازن (٣٥٦/١) الدرّ المنثور (١٣٦/٢) نقلاً عن مالك والشافعي وعبد بن حميد وعبدالرزّاق وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والبيهقي، تفسير الشوكاني (٤١٨/١) نقلاً عن الحفّاظ المذكورين.

قال الأميني : يقع البحث عن هذه المسألة في موردين :

الأوّل : في حكم الجمع بين الأُختين بملك اليمين ووطئهما جميعاً، فهو محرّم على المشهور بين الفقهاء كما قاله الرازي في تفسيره[3] (١٩٣/٣).

وهو المشهور عن الجمهور والأئمّة الأربعة وغيرهم، وإن كان بعض السلف قد توقّف في ذلك كما قاله ابن كثير في تفسيره (٤٧٢/١).

ولا يجوز الجمع عند عامّة الصحابة، كما في بدائع الصنائع (٢٦٤/٢).

كان فيه خلاف بين السلف ثمّ زال وحصل الإجماع على تحريم الجمع بينهما بملك اليمين. واتّفق فقهاء الأمصار عليه كما قاله الجصّاص في أحكام القرآن[4] (١٥٨/٢).

---

(١) في بيان حديث الموطّأ المذكور في أوّل العنوان في قول قبيصة : فلقي رجلاً . **(المؤلّف)**

(٢) أحكام القرآن: ١٣٠/٢، الكشّاف: ٤٩٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٥، تفسير الخازن: ٣٤٢/١، الدرّ المنثور: ٤٧٦/٢، موطّأ مالك: ٥٣٨/٢ ح ٣٤، كتاب الأُم للشافعي: ٣/٥، المصنّف لعبدالرزاق: ١٨٩/٧ ح ١٢٧٢٨، مصنّف ابن أبي شيبة: ١٦٩/٤، فتح القدير: ٤٥٣/١ .

(٣) التفسير الكبير: ٣٦/١٠ .

(٤) أحكام القرآن: ١٣٠/٢، ١٣٢ .

وذهب كافّة العلماء إلى عدم جوازه ولم يلتفت أحد من أئمّة الفتوى إلى خلافه ـ قول عثمان ـ لأنّهم فهموا من تأويل كتاب الله خلافه ولا يجوز عليهم تحريف التأويل. وممّن قال ذلك من الصحابة عمر وعليّ وابن عبّاس وعمّار وابن عمر وعائشة وابن الزبير، وهؤلاء أهل العلم بكتاب الله فمن خالفهم فهو متعسّف في التأويل. كذا قاله القرطبي في تفسيره[1] (١١٦/٥، ١١٧).

وقال أبو عمر في الاستذكار: روي مثل قول عثمان عن طائفة من السلف منهم ابن عبّاس، ولكن اختلف عليهم ولم يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار والحجاز، ولا العراق ولا ما وراءهما من المشرق ولا بالشام والمغرب إلّا من شذّ عن جماعتهم باتّباع الظاهر ونفي القياس، وقد ترك من يعمل ذلك ظاهراً ما اجتمعنا عليه، وجماعة الفقهاء متّفقون على أنّه لا يحلُّ الجمع بين الأُختين بملك اليمين في الوطء كما لا يحلُّ ذلك في النكاح[2].

وحُكِيت الحرمة المتسالم عليها بين الأُمّة جمعاء عن عليّ، وعمر، والزبير، وابن عبّاس، وابن مسعود، وعائشة، وعمّار، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وابن الزبير، وابن منبه، وإسحاق / بن راهويه، وإبراهيم النخعي، والحكم بن عتيبة، وحمّاد بن أبي ٢١٧/٨
سليمان، والشعبي، والحسن البصري، وأشهب، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد وإسحاق، وأبي حنيفة، ومالك[3].

ومع المجمعين الكتاب والسنّة، فمن الكتاب إطلاق الذكر الحكيم في عدّ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٤٧٣/١، تفسير الشوكاني: ٤١١/١ [٤٤٧/١]. (المؤلّف)
(٣) راجع أحكام القرآن للجصّاص: ١٥٨/٢ [١٣٠/٢]، المحلّى لابن حزم: ٥٢٢/٩، ٥٢٣، تفسير القرطبي: ١١٧/٥، ١١٨ [٧٧/٥، ٧٨]، تفسير أبي حيّان: ٢١٣/٣، تفسير الرازي: ١٩٣/٣ [٣٦/١٠]، الدرّ المنثور: ١٣٧/٢ [٤٧٦/٢]. (المؤلّف)

المحرّمات في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَجمَعُوا بَينَ الأُختَين ﴾[1]، فقد حرّمت الجمع بينهما بأيّ صورة من نكاح أو ملك يمين. قال ابن كثير في تفسيره (٤٧٣/١): وقد أجمع المسلمون على أنّ معنى قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُم أُمَّهَاتُكُم وَبَنَاتُكُم وَأَخَوَاتُكُم ﴾ إلى آخر الآية[2]: أنّ النكاح وملك اليمين في هؤلاء كلّهنّ سواء، وكذلك يجب أن يكون نظراً وقياساً الجمع بين الأُختين وأمّهات النساء والربائب، وكذلك هو عند جمهورهم وهم الحجّة المحجوج بها على من خالفها وشذّ عنها. انتهى.

وقد تمسّك بهذا الإطلاق الصحابة والتابعون والعلماء وأئمّة الفتوى والمفسّرون، وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يشدّد النكير على من يفعل ذلك ويقول: «لو كان لي من الأمر شيء ثمّ وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً». أو يقول للسائل: «إنّي أنهاك عنهما ولو جمعت بينهما ولي عليك سلطان عاقبتك عقوبة منكلة».

وروي عن إياس بن عامر أنّه قال: سألت عليّ بن أبي طالب فقلت: إنّ لي أُختين ممّا ملكت يميني اتّخذت إحداهما سريّة وولدت لي أولاداً ثمّ رغبت في الأخرى فما أصنع؟ قال: « تعتق التي كنت تطأ ثمّ تطأ الأخرى » ثمّ قال: « إنّه يحرم عليك ممّا ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله من الحرائر إلّا العدد ». أو قال: « إلّا الأربع، ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب »[3].

ولو لم يكن في هذا المورد غير كلام الإمام عليه السلام لنهض حجّة للفتوى، فإنّه أعرف الأُمّة بمغازي الكتاب وموارد السنّة، وهو باب علم النبيّ صلّى الله عليهما وآلهما وهو الذي خلّفه صلى الله عليه وآله وسلم عدلاً للكتاب ليتمسّكوا بهما فلا يضلّوا. ٢١٨/٨

(١) النساء: ٢٣.

(٢) هي آية ﴿ وأَنْ تَجْمَعُوا بَينَ الأُخْتَينِ ﴾. (المؤلّف)

(٣) أخرجه الجصّاص في أحكام القرآن: ١٥٨/٢ [١٣٠/٢]، وأبو عمر في الاستذكار، وذكره ابن كثير في تفسيره: ٤٧٢/١، والسيوطي في الدرّ المنثور: ١٣٧/٢ [٤٧٦/٢]. (المؤلّف)

وقد أصفق على ذلك أئمّة أهل البيت من ولده، وهم عترته ﷺ أعدال الكتاب وأبوهم سيّدهم، وقولهم حجّة في كلّ باب.

وبهذه تعرف مقدار ما قد يعزى إلى أمير المؤمنين ﷺ من موافقته لعثمان في رأيه الشاذّ عن الكتاب والسنّة وقوله: أحلّتها آية وحرّمتها آية وحاشاه ﷺ من أن يختلف رأيه في حكم من أحكام الله، غير أنّ رماة القول على عواهنه راقهم أن يهون على الأُمّة خطب عثمان فكذبوا عليه صلوات الله عليه واختلقوا عليه، قال الجصّاص في أحكام القرآن[1] (١٥٨/٢): قد روى إياس بن عامر أنّه قال لعليّ: إنّهم يقولون: إنّك تقول: أحلّتها آية وحرّمتها آية. فقال: « كذبوا ».

ومن السنّة للمجمعين ما استدل به على الحرمة ابن نُجَيم في البحر الرائق (٩٥/٣)، وملك العلماء في بدائع الصنائع (٢٦٤/٢) وغيرهما من قوله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعنّ ماءه في رحم أُختين ».

المورد الثاني: هل هناك ما يخصّص الحرمة المستفادة من القرآن بالنسبة إلى ملك اليمين؟ يدّعي عثمان ذلك فقال: أحلّتها آية وحرّمتها آية. ولم يعيّن الآية المحلّلة كما يعيّنها غيره من السلف، نعم؛ أخرج عبدالرزّاق[2] وابن أبي شيبة[3] وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طريق ابن مسعود؛ أنّه سُئل عن الرجل يجمع بين الأُختين الأمتين فكرهه، فقيل: يقول الله تعالى: ﴿ **إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم** ﴾. فقال: وبعيرك أيضاً ممّا ملكت يمينك. وفي لفظ ابن حزم: إنّ جملك ممّا ملكت يمينك[4].

---

(١) أحكام القرآن: ١٣٠/٢.

(٢) المصنّف: ١٩٣/٧ ح١٢٧٤٢.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٠٦/٣ ح٣ باب ٥٠ من كتاب النكاح.

(٤) المحلّى لابن حزم: ٥٢٤/٩، تفسير ابن كثير: ٤٧٢/١، الدرّ المنثور: ١٣٧/٢ [٤٧٦/٢] نقلاً عن الحفّاظ المذكورين. (**المؤلّف**)

وقال الجصّاص في أحكام القرآن[١] (١٥٨/٢): يعنون بالمحلّل قوله تعالى: ﴿وَالمُحصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم﴾. والقول بهذا بعيد عن نطاق فهم القرآن وعرفان أسباب نزول الآيات، ولا تساعده الأحاديث الواردة في الآية الكريمة، وأنّى للقائل من ثبوت التعارض بين الآيتين بعد ورودهما في موضوعين مختلفين؟ ولأعلام القوم في المقام بيانات ضافية قيّمة نقتصر منها بكلام[٢] الجصّاص، قال في أحكام القرآن[٣] (١٩٩/٢): إنّ / الآيتين غير متساويتين في إيجاب التحريم والتحليل وغير جائز الاعتراض ٢١٩/٨ بأحدهما على الأخرى؛ إذ كلُّ واحدة منهما ورودها في سبب غير سبب الأخرى، وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجمَعُوا بَينَ الأُختَين﴾ وارد في حكم التحريم كقوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أبنَائِكُم... وأُمَّهاتُ نِسَائِكُم﴾ وسائر من ذكر في الآية تحريمها. وقوله تعالى: ﴿وَالمُحصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم﴾ وارد في إباحة المسبيّة التي لها زوج في دار الحرب، وأفاد وقوع الفرقة وقطع العصمة فيما بينهما، فهو مستعمل فيما ورد فيه من إيقاع الفرقة بين المسبيّة وبين زوجها وإباحتها لمالكها، فلا يجوز الاعتراض به على تحريم الجمع بين الأُختين، إذ كلّ واحدة من الآيتين واردة في سبب غير سبب الأخرى، فيستعمل حكم كلّ واحدة منهما في السبب الذي وردت فيه. قال:

ويدلُّ على ذلك أنّه لا خلاف بين المسلمين في أنّها لم تعترض على حلائل الأبناء وأُمّهات النساء وسائر من ذكر تحريمهنّ في الآية، وأنّه لا يجوز وطء حليلة الابن ولا أُمّ المرأة بملك اليمين، ولم يكن قوله تعالى: ﴿إلَّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم﴾ موجباً لتخصيصهنّ لوروده في سبب غير سبب الآية الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون حكمه في اعتراضه على تحريم الجمع وامتناع عليّ ﷺ ومن تابعه في ذلك من الصحابة من الاعتراض بقوله تعالى: ﴿إلَّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم﴾ على تحريم الجمع بين الأُختين يدلُّ

(١) أحكام القرآن: ١٣٠/٢، والآية: النساء: ٢٤.
(٢) الظاهر أنه ﷺ ضمّن (نقتصر) معنى (نكتفي) فعدّاه بالباء.
(٣) أحكام القرآن: ١٣١/٢.

على أنّ حكم الآيتين إذا وردتا في سببين، إحداهما في التحليل والأخرى في التحريم أنّ كلّ واحدة منهما تجري على حكمها في ذلك السبب ولا يعترض بها على الأخرى، وكذلك ينبغي أن يكون حكم الخبرين إذا وردا عن الرسول ﷺ في مثل ذلك. إلى آخره.

ونحن نردف كلام الجصّاص بما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَالمُحصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم** ﴾. وأنّه كما سمعت من الجصّاص غير السبب الوارد فيه قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْ تَجمَعُوا بَينَ الأُختَين** ﴾.

أخرج مسلم في صحيحه وغيره؛ بالإسناد عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهنّ ولهنّ أزواج، فسألنا النبيّ ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ **وَالمُحصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم** ﴾. فاستحللنا بها فروجهنّ.

٨/ ٢٢٠ وفي لفظ أحمد: إنّ أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهنّ أزواج من أهل الشرك، فكان أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفّوا وتأثّموا من غشيانهنّ، قال: فنزلت هذه الآية في ذلك: ﴿ **وَالمُحصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم** ﴾.

وفي لفظ النسائي: إنّ نبيّ الله ﷺ بعث جيشاً إلى أوطاس فلقوا عدوّاً فقاتلوهم وظهروا عليهم، فأصابوا لهم سبايا لهنّ أزواج في المشركين، فكان المسلمون تحرّجوا من غشيانهنّ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَالمُحصَنَاتُ مَنَ النِّسَاء إلّا مَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم** ﴾.

راجع[1]: صحيح مسلم (١/ ٤١٦، ٤١٧)، صحيح الترمذي (١/ ١٣٥)، سنن أبي

(١) صحيح مسلم: ٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ح٣٣ ـ ٣٥. كتاب الرضاع، سنن الترمذي: ٥/ ٢١٨ ح٣٠١٦، ٣٠١٧، سنن أبي داود: ٢/ ٢٤٧ ح٢١٥٥، السنن الكبرى: ٣/ ٣٠٨ ح٥٤٩١ و ٥٤٩٢، مسند أحمد: ٣/ ٤٨٦ ح١١٢٩٤، و ص٥٠٥ ح١١٣٨٨، أحكام القرآن: ٢/ ١٣٦، مصابيح السنّة: ٢/ ٤٢١ ح٢٣٥٦، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٨٠، تفسير البيضاوي: ١/ ٢٠٩، تفسير الخازن: ١/ ٣٤٢، فتح القدير: ١/ ٤٥٤.

داود (٣٣٦/١)، سنن النسائي (١١٠/٦)، مسند أحمد (٧٢/٣، ٨٤)، أحكام القرآن للجصّاص (١٦٥/٢)، سنن البيهقي (١٦٧/٧)، المحلّى لابن حزم (٤٤٧/٩)، مصابيح السنّة (٢٩/٢)، تفسير القرطبي (١٢١/٥)، تفسير البيضاوي (٢٦٩/١)، تفسير ابن كثير (٤٧٣/١) تفسير الخازن (٣٧٥/١)، تفسير الشوكاني (٤١٨/١).

وعلى ذلك تأوّله عليّ، وابن عبّاس، وعمر، وعبدالرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن مسعود، وسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وقالوا: إنّ الآية وردت في ذوات الأزواج من السبايا أُبيح وطؤهنّ بملك اليمين ووجب بحدوث السبي عليها دون زوجها وقوع الفرقة بينهما[(١)].

وقال القرطبي في تفسيره[(٢)] (١٢١/٥): قد اختلف العلماء في تأويل هذه الآية؛ فقال ابن عبّاس وأبو قلابة وابن زيد ومكحول والزهري وأبو سعيد الخدري: المراد بالمحصنات هنا المسبيّات ذوات الأزواج خاصّة، أي هنّ محرّمات إلّا ما ملكت اليمين بالسبي من أرض الحرب، فإنّ تلك حلال للذي تقع في سهمه وإن كان لها زوج. وهو قول الشافعي في أنّ السباء يقطع العصمة، وقاله ابن وهب وابن عبدالحكم وروياه عن مالك، وقال به أشهب، يدلُّ عليه ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري وذكر الحديث، فقال: وهذا نصّ [صحيح][(٣)] صريح في أنّ الآية نزلت بسبب تحرّج أصحاب النبيّ ﷺ عن وطء المسبيّات ذوات الأزواج، فأنزل الله تعالى في
٢٢١/٨ جوابهم: ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ / أَيمَانُكُمْ ﴾. وبه قال مالك وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى. انتهى.

---

(١) أحكام القرآن للجصّاص: ١٦٥/٢ [١٣٥/٢]، سنن البيهقي: ١٦٧/٧، تفسير الشوكاني: ٤١٨/١ [٤٥٤/١]. (المؤلّف)

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٨٠/٥.

(٣) الزيادة من المصدر.

قول آخر في الآية المحلّلة:

قال ملك العلماء في بدائع الصنائع (٢٦٤/٢)، والزمخشري في تفسيره[١] (٣٥٩/١) عني عثمان بآية التحليل قوله عزّ وجلّ: ﴿**إلّا عَلَى أزوَاجِهِم أو مَا مَلَكَتْ أيمَانُهُم فإنَّهُم غيرُ مَلُومِينَ**﴾.

وهذا إنّما يتمّ بالتمسّك بعموم ملك اليمين، لكن الممعن في لحن القول يجد أنّه لا يجوز الأخذ بهذا العموم لأنّه في مقام بيان ناموس العفّة للمؤمنين بأنّ صاحبها يكون حافظاً لفرجه إلّا فيما أباح له الشارع في الجملة من زوجة أو ملك يمين فقال: ﴿**والّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ * إلّا عَلَى أزوَاجِهِم أوْ مَامَلَكَتْ أيمَانُهُم فَإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ**﴾[٢] ولا ينافي هذا وجود شروط في كلّ منها، فإنّ العموم لا يبطل تلكم الشروط الثابتة من الشريعة، وإنّما هي التي تضيّق دائرة العموم وهي الناظرة عليه، مثلاً لا يقتضي هو إباحة وطء الزوجة في حال الحيض والنفاس وفي أيّام شهر رمضان وفي الإحرام والإيلاء والظهار والمعتدّة من وطء بشبهة، ولا إباحة وطء الأُختين ولا وطء الأمة ذات الزوج فإنّ هذه شرائط جاء بها الإسلام لا يخصّصها أيُّ شيء، ولا يعارض أدلّتها عموم إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم.

ولو وسّعنا عموم الآية لوجب أن نبيح كلّ هذه أو نراها تعارض أدلّتها، ولنا عندئذٍ أن نقول في نكاح الأُختين وفي بقيّة ما ورد فيه الكتاب ممّا ذكر: أحلّته آية وحرّمته آية! فقد استُثنِيا ـ الزوجة وملك اليمين ـ بنسق واحد وهذا ممّا لا يفوه به أيّ متفقّه.

---

(١) الكشّاف: ٤٩٦/١.

(٢) المؤمنون: ٥ و٦.

وكذلك لو أخذنا بعمومها في الرجال والنساء كما جوّزه الجصّاص لوجب أن نبيح للمرأة المالكة أن يطأها من تملكه، وهذا لا يحلُّ إجماعاً من أئمّة المذاهب، وقال ابن حزم في المحلّى (٥٢٤/٩): لا خلاف بين أحد من الأُمّة كلّها قطعاً متيقّناً في أنّه
ليس على عمومه، بل كلّهم مجمع قطعاً على أنّه مخصوص، لأنّه لا خلاف ولا شكّ / في ٢٢٢/٨
أنّ الغلام من ملك اليمين وهو حرام لا يحلُّ، وأنّ الأُمّ من الرضاعة من ملك اليمين والأُخت من الرضاعة من ملك اليمين، وكلتاهما متّفق على تحريمها، أو الأمة يملكها الرجل قد تزوّجها أبوه ووطأها وولد منها حرام على الابن.

وقال: ثمّ نظرنا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾. ﴿ وأُمَّهَاتُ نِسَائِكُم وَرَبَائِبُكُم اللاّتِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَائِكُم اللاّتي دَخَلتُم بِهِنّ ﴾. ﴿ وَلَا تنكِحُوا الْمُشرِكَاتِ حَتّى يُؤمِنّ ﴾[1]. ولم يأت نصّ ولا إجماع على أنّه مخصوص حاش زواج الكتابيّات فقط، فلا يحلُّ تخصيص نصّ لا برهان على تخصيصه، وإذ لا بدّ من تخصيص ما هذه صفتها أو تخصيص نصّ آخر لا خلاف في أنّه مخصوص، فتخصيص المخصوص هو الذي لا يجوز غيره. انتهى.

وأمّا ما قيل[2] من أنّ الآية المحلّلة قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُم ﴾ في ذيل آية عدّ المحرّمات فباطل أيضاً، فإنّه بمنزلة الاستثناء ممّا قبله من المحرّمات ومنها الجمع بين الأُختين، وقد عرفت أنّ الأُمّة صحابيّها وتابعيّها وفقهاءها مجمعة على عدم الفرق في حرمة الجمع بين الأُختين في الوطء نكاحاً وملك يمين، ولم يفرّقوا بينهما قطُّ، وهو الحجّة، على أنّ ملاك التحريم في النكاح وهو الوطء موجود في ملك اليمين، فالحكم فيهما شرع سواء في المراد ممّا وراء ذلك هو ما وراء المذكورات كلّها من الأُمّهات والبنات إلى آخر ما فيها، ومنها الجمع بين الأُختين بقسميه.

---

(١) البقرة: ٢٢١.

(٢) تفسير القرطبي: ١١٧/٥ [٧٧/٥]، تفسير ابن كثير: ٤٧٤/١ (المؤلّف)

وعلى فرض الإغضاء عن كلّ هذه وعن أسباب نزول الآيات وتسليم إمكان المعارضة بين الآيتين، فإنّ دليل الحظر مقدّم على دليل الإباحة في صورة التعارض ووحدة سبب الدليلين، كما بيّنه علماء علم الأُصول ونصّ عليه في هذه المسألة الجصّاص في أحكام القرآن[1] (١٥٨/٢) والرازي في تفسيره[2] (١٩٣/٣).

لكن عثمان كان لا يعرف كلّ هذا، ولا أحاط بشيء من أسباب نزول الآيات، فطفق يغلّب دليل الإباحة في مزعمته على دليل التحريم المتسالم عليه عند الكلّ، وقد عزب عنه حكم العقل المستدعي لتقديم أدلّة الحرمة دفعاً للضرر المحتمل، وقد شذّ بذلك عن جميع الأُمّة كما عرفت تفصيله، ولم يوافقه على هذا الحسبان أيّ أحد إلّا ما يعزى / إلى ابن عبّاس بنقل مختلف فيه كما مرّ عن أبي عمر في الاستذكار. ٢٢٣/٨

وفي كلام الخليفة شذوذ آخر وهو قوله: كلُّ شيء حرّمه الله تعالى من الحرائر حرّمه الله تعالى من الإماء إلّا الجمع بالوطء بملك اليمين. فهو باطل في الاستثناء والمستثنى منه، أمّا الاستثناء فقد عرفت إطباق الكلّ على حرمة الجمع بين الأُختين بالوطء بملك اليمين معتضداً بالكتاب والسنّة، وأمّا المستثنى منه فقد أبقى فيه ما هو خارج منه بالاتّفاق من الأُمّة جمعاء وهو العدد المأخوذ في الحرائر دون الإماء.

لقد فتحت أمثال هذه المزاعم الباطلة الشاذّة عن الكتاب وفقه الإسلام باب الشجار على الأُمّة بمصراعيه، فإنّها في الأغلب لا تفقد متابعاً أو مجادلاً قد ضلّوا وأضلّوا وهم لا يشعرون، وهناك شرذمة سبقها الإجماع ولحقها من أهل الظاهر لا يُؤبه بهم لم يزالوا مصرّين على رأي الخليفة في هذه المسألة، لكنّهم شذّاذ عن الطريقة المثلى. قال القرطبي في تفسيره[3] (١١٧/٥): شذّ أهل الظاهر فقالوا: يجوز

---

(١) أحكام القرآن: ١٣٠/٢.

(٢) التفسير الكبير: ٣٦/١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٥.

الجمع بين الأُختين بملك اليمين في الوطء كما يجوز الجمع بينهما في الملك، واحتجّوا بما روي عن عثمان في الأُختين من ملك اليمين: حرّمتهما آية وأحلّتهما آية.

﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهْوَاءَهُم مِن بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[(١)]

- ٢٤ -
رأي الخليفة في ردِّ الأخوين الأُمّ عن الثلث

أخرج الطبري في تفسيره[(٢)] (١٨٨/٤)؛ من طريق شعبة، عن ابن عبّاس: أنّه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال: لِمَ صار الأخوان يردّان الأُمّ إلى السدس، وإنّما قال الله ﴿فَإنْ كَانَ لَهُ إخوَةٌ ﴾[(٣)]. والأخَوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوة؟ فقال عثمان رضي الله عنه: هل أستطيع نقض أمر كان قبلي، وتوارثه الناس، ومضى في الأمصار.

وفي لفظ الحاكم والبيهقي: لا أستطيع أن أردّ ما كان قبلي ومضى في الأمصار وتوارث به الناس.

أخرجه الحاكم في المستدرك[(٤)] (٣٣٥/٤) وصحّحه، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٧/٦)، وابن حزم في المحلّى (٢٥٨/٩)، وذكره الرازي في تفسيره[(٥)] (١٦٣/٣)، وابن
٢٢٤/٨ كثير في تفسيره (٤٥٩/١)، والسيوطي في الدرّ المنثور[(٦)] (١٢٦/٢)، والآلوسي في روح المعاني (٢٢٥/٤).

قال الأميني: ما أجاب به الخليفة ابن عبّاس ينمُّ عن عدم تضلّعه في العربيّة مع

---

(١) البقرة: ١٤٥.

(٢) جامع البيان: مج٣/ج٤/٢٧٨.

(٣) النساء: ١١.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٣٧٢/٤ ح ٧٩٦٠.

(٥) التفسير الكبير: ٢١٥/٩.

(٦) الدرّ المنثور: ٤٤٧/٢.

أنّها لسان قومه، ولو كان له قسط منها لأجاب ابن عبّاس بصحّة إطلاق الجمع على الاثنين وأنّه المطّرد في كلام العرب، لا بالعجز عن تغيير ما غلط فيه الناس كلّهم ـ العياذ بالله ـ وما هو ببدع في ذلك عمّن تقدّماه يوم لم يعرفا معنى الأبّ وهو من صميم لغة الضاد ومشروح بما بعده في الذكر الحكيم، فإنّ إطلاق الإخوة على الأخوين قد لهج به جمهور العرب، ولذلك لا تجد أيّ خلاف في حجب الأخوين الأُمّ عن الثلث إلى السدس بين الصحابة العرب الأقحاح، والتابعين الذين نزلوا منزلتهم من العربيّة الفصحاء، والفقهاء من مذاهب الإسلام، ولا استناد لهم في الحكم إلّا الآية الكريمة، وما ذلك إلّا لتجويزهم إطلاق الجمع على الإثنين سواء كان ذلك أقلّه أو توسّعاً مطّرداً في الإطلاق.

قال الطبري في تفسيره[1] (١٨٧/٤): قال جماعة أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من علماء أهل الإسلام في كلّ زمان: عنى الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ **فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ** ﴾. إثنين كان الإخوة أو أكثر منهما، أُنثيين كانتا أو كنّ إناثاً، أو ذكرين كانا أو كانوا ذكوراً، أو كان أحدهما ذكراً والآخر أُنثى، واعتلّ كثير ممّن قال ذلك بأنّ ذلك قالته الأُمّة عن بيان الله جلّ ثناؤه على لسان رسول الله ﷺ فنقلته أُمّة نبيّه نقلاً مستفيضاً قطع العذر مجيئه، ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده. ثمّ نقل حديث ابن عبّاس المذكور فقال: والصواب من القول في ذلك عندي أنّ المعنيّ بقوله: (**فإن كان له إخوة**) إثنان من إخوة الميت فصاعداً على ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ دون ما قاله ابن عبّاس ﷺ[2] لنقل الأُمّة وراثة صحّة ما قالوه من ذلك عن الحجّة وإنكارهم ما قاله ابن عبّاس في ذلك. قال:

فإن قال قائل: وكيف قيل في الأخوين إخوة؟ وقد علمت أنّ الأخوين في

---

(١) جامع البيان: مج٣/ج ٢٧٨/٤، ٢٧٩.

(٢) سيوافيك فساد عزو الخلاف إلى ابن عبّاس. (المؤلّف)

منطق العرب مثالاً[١] لا يشبه مثال الإخوة في منطقها ؟ قيل : إنّ ذلك وإن كان كذلك فإنّ من شأنها[٢] التأليف بين الكلامين بتقارب معنييها وإن اختلفا في بعض وجوهها. فلمّا كان ذلك / كذلك وكان مستفيضاً في منطقها، منتشراً مستعملاً في كلامها : ضربت من عبدالله وعمرو رؤوسهما، وأوجعت منهما ظهورهما. وكان ذلك أشدّ استفاضة في منطقها من أن يقال : أوجعت منهما ظهرهما، وإن كان مقولاً : أوجعت ظهرهما، كما قال الفرزدق : ٨/٢٢٥

بما في فؤادينا من الشوق والهوى فيبرأ منهاضُ الفؤاد المشغَّف

غير أنّ ذلك وإن كان مقولاً فأفصح منه بما في أفئدتنا كما قال جلّ ثناؤه : ﴿إن تَتُوبَا إلى اللهِ فَقَد صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[٣] فلمّا كان ما وصفت من إخراج كلّ ما كان في الإنسان واحداً إذا ضمّ إلى الواحد منه آخر من إنسان آخر فصارا اثنين من اثنين، فلفظ الجمع أفصح في منطقها وأشهر في كلامها، وكان الأخوان شخصين كلّ واحد منها غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الإنسان من أعضائه واحداً لا ثاني له، فأخرج أُنثييهما بلفظ أنثى العضوين اللذين وصفت، فقيل : إخوة في معنى الأخوين، كما قيل : ظهور في معنى الظهرين، وأفواه في معنى فموين، وقلوب في معنى قلبين. وقد قال بعض النحويّين : إنّما قيل إخوة ؛ لأنّ أقلّ الجمع إثنان ...إلى آخره. انتهى.

وأخرج الحاكم بإسناد صحّحه في المستدرك[٤] (٣٣٥/٤)، والبيهقي في السنن (٢٢٧/٦) عن زيد بن ثابت أنّه كان يحجب الأُمّ بالأخوين فقال : إنّ العرب تسمّي

(١) كذا في المصدر أيضاً، ولعلّها في الأصل : أن للأخوين . . . مثالاً .

(٢) أي : العرب .

(٣) التحريم : ٤ .

(٤) المستدرك على الصحيحين : ٣٧٢/٤ ح ٧٩٦١ .

الأخوين إخوة. وذكره الجصّاص في أحكام القرآن[١] (٩٩/٢).

وأخرج ابن جرير في تفسيره[٢] (١٨٩/٤) وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾. قال: اضرّوا بالأُمّ، ولا يرثون ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك. الدرّ المنثور[٣] (١٢٦/٢).

وذكر الجصّاص في أحكام القرآن[٤] (٩٨/٢) قول الصحابة بحجب الأخوين الأُمّ عن الثلث كالإخوة فقال: والحجّة: أنّ اسم الأخوة قد يقع على الاثنين كما قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وهما قلبان. وقال تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[٥]. ثم قال تعالى: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[٦]. فأطلق لفظ الجمع على اثنين. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٧] فلو كان أخاً وأُختاً كان حكم الآية جارياً فيها... إلخ[٨].

٢٢٦/٨ وقال مالك في الموطّأ[٩] (٣٣١/١): فإن كان له إخوة فلأُمّه السدس فمضت السنّة أنّ الإخوة اثنان فصاعداً.

وفي عمدة السالك وشرحه فيض المالك[١٠] (١٢٢/٢): فإن كان معها ـ أي

---

(١) أحكام القرآن: ٨٢/٢.
(٢) جامع البيان: مج٣/ج٤/٢٨٠.
(٣) الدرّ المنثور: ٤٤٧/٢.
(٤) أحكام القرآن: ٨١/٢.
(٥) و(٦) سورة ص: ٢١، ٢٢.
(٧) النساء: ١٧٦.
(٨) بقيّة كلامه لا تخلو عن فوائد. فراجع الجصّاص أحد أئمّة الحنفية. (المؤلّف)
(٩) موطّأ مالك: ٥٠٧/٢.
(١٠) عمدة السالك: ص١٤٥، فيض الإله المالك: ١٢٨/٢.

الأُمّ ـ ولد أو كان معها ولد ابن ذكر أو أنثى أو كان معها عدد اثنان فأكثر من الأخوة ومن الأخوات فلها السدس لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ . والمراد بهم اثنان فأكثر إجماعاً[1].

وقال الشافعي كما في مختصر المزني ـ هامش كتاب الأُم[2] (١٤٠/٣): وللأُمّ الثلث، فإن كان للميّت ولد أو ولد ولد أو اثنان من الأُخوة أو الأخوات فصاعداً فلها السدس.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤٥٩/١): حكم الأخوين كحكم الإخوة عند الجمهور. ثمّ ذكر حديث زيد بن ثابت من أنّ أخوين يسمّيان إخوة.

وقال الشوكاني في تفسيره[3] (٣٩٨/١): قد أجمع أهل العلم على أن الاثنين من الإخوة يقومون مقام الثلاثة فصاعداً في حجب الأُمّ إلى السدس.

هذا رأي الأُمّة في الإخوة فقد عزب عن الخليفة صحّة الإطلاق في الآية الكريمة في لسان قومه، وأنّ السلف لم يعرف من الإخوة معنى إلّا ما يعمُّ الأخوين، وزعم أنّ من كان قبله شذّوا عن لسان قومه، وذهبوا إلى حجب الأُمّ بالأخوين خلاف كتاب الله، وجاء يأسف على أنّه لم يستطع تغيير ما وقع ونقض ما كان من الناس، هذا مبلغ علم الرجل بالكتاب وأدلّة الأحكام والفروض المسلّمة بين الأُمّة.

وأمّا ابن عبّاس فإنّه لم يشذّ عن لغة قومه وهو من جبهة العرب وعلى سنام قريش ومن بيت هم أفصح من نطق بالضاد، وإنّما أراد باستفهامه من الخليفة أن يعرّف الملأ مقداره من أبسط شيء يجب أن يكون في مثله، فضلاً عن معضلات المسائل وهو الحيطة باللغة وعرفان موارد الاستعمال، حتى يتسنّى له أخذ الحكم من

---

(١) هذا مذهب الحنابلة والكتاب لأحد أئمّتهم. (المؤلّف)

(٢) مختصر المزني: ص١٣٨.

(٣) فتح القدير: ٤٣٢/١.

الكتاب والسنّة اللذين جاءا بهذه اللغة الكريمة، ولذلك أتى في قوله بصورة الاستفهام عن مدرك الحكم لا عن أصله، فإنّ الحكم كان مسلّماً عنده لا أنّ ما قاله للخليفة كان رأياً له في الخلاف في حجب الأخوين، وإلّا لتبعه أصحابه المقتصّون أثره، لكنهم كلّهم موافقون للأُمّة وعلمائها / في حجب الأخوين كما ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٥٩/١) فعدُّ ٢٢٧/٨
ابن عبّاس مخالفاً في المسألة بهذه الرواية، كما فعله الطبري في تفسيره[١] (١٨٨/٤)، وابن رشد في البداية[٢] (٣٢٧/٢) وغير واحد من الفقهاء وأئمّة الحديث ورجال التفسير أُغلوطة[٣] نشأت من عدم فهم مغزى كلامه.

ـ ٢٥ ـ

رأي الخليفة في المعترفة بالزنا

عن يحيى بن حاطب قال: توفّي حاطب فأعتق من صلّى من رقيقه وصام، وكانت له أمة نوبيّة قد صلّت وصامت وهي أعجميّة لم تفقه فلم ترعه إلّا بحبلها وكانت ثيّباً. فذهب إلى عمر رضي الله عنه فحدّثه فقال: لأنت الرجل لا تأتي بخير، فأفزعه ذلك فأرسل إليها عمر رضي الله عنه فقال: أحبلت؟ فقالت: نعم من مرغوش بدرهمين. فإذا هي تستهلّ بذلك لا تكتمه قال: وصادف عليّاً وعثمان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم فقال: أشيروا عليّ، وكان عثمان رضي الله عنه جالساً فاضطجع، فقال عليّ وعبدالرحمن: قد وقع عليها الحدُّ. فقال: أشِر عليّ يا عثمان. فقال: قد أشار عليك أخواك، قال: أشر عليّ أنت. قال: أراها تستهلُّ به كأنّها لا تعلمه، وليس الحدُّ إلّا على من علمه. فقال: صدقت صدقت والذي نفسي بيده، ما الحدُّ إلّا على من علمه. فجلدها عمر مئة وغرّبها عاماً[٤].

---

(١) جامع البيان: مج٣ / ج ٤ / ٢٧٨.
(٢) بداية المجتهد: ٣٤٠/٢.
(٣) خبر لقوله المتقدم: فَعَدُّ ابن عباس.
(٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٢٣٨/٨، كتاب الأُم للشافعي: ١٥٢/١.

قال الأميني: أسلفنا هذا الحديث في الجزء السادس[١]، وتكلّمنا هنالك حول رأي الخليفة الثاني وما أمر به من الجلد والاغتراب وأنّه خارج عن نطاق الشرع، وها هنا ننظر إلى رأي عثمان وفتياه بعدم الحدّ.

لو كان ما يقوله الخليفة حقّاً لبطلت الأقارير والاعترافات في أمثال المورد، فيقال في كلّها إنّه لا يعلم الحدّ ولو علمه لأخفاه خيفة إجرائه عليه، وكان رسول الله ﷺ يحدُّ بالإقرار، ولو بعد استبراء الخبر والتريّث في الحكم رجاء أن تكون هناك شبهة يدرأ بها الحدّ، فكان ﷺ يقول للمعترف بالزنا «أبك جنون؟»[٢] أو يقول: «لعلّك قبّلت / أو غمزت أو نظرت؟»[٣] وكذلك مولانا أمير ٢٢٨/٨
المؤمنين عليّ وقبله الخليفة الثاني كانا يدافعان المعترف رجاء أن ينتج الأخذ والردّ لشبهة في الإقرار، لكنّهما بعد ثبات المعترف على ما قال كانا يجريان عليه الحدّ، ألا ترى قول عمر للزانية: ما يبكيك؟ أنّ المرأة ربّما استكرهت على نفسها. فأخبرت أنّ رجلاً ركبها وهي نائمة فخلّى سبيلها، وأنّ علياً عليه السلام قال لشراحة حين أقرّت بالزنا: لعلّك عصيت نفسك؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة فرجها[٤].

ولعلّ من جرّاء أمثال هذه القضايا طرق سمع الخليفة أنّ الحدود تدرأ بالشبهات، والحدود تُدْفَعُ ما وجدها مدفع، غير أنّه لم يدر أنّ للإقرار ناموساً في الشريعة لا يعدوه ولا سيّما في مورد الزنا، فإنّه يؤاخذ به المعترف في أوّل مرّة كما تعطيه

---

(١) صفحة ١٦١ الطبعة الأولى، و ص ١٧٤ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

(٢) كما في صحيح أخرجه البخاري [٦/٢٥٠٢ ح٦٤٣٩] ومسلم [٣/٥٢٥ ح١٧ كتاب الحدود] والبيهقي في السنن: ٨/٢٢٥. (المؤلّف)

(٣) كما في حديث ماعز، وقد أخرجه غير واحد من أصحاب الصحاح وفي مقدّمهم البخاري في صحيحه: ١٠/٣٩ [٦/٢٥٠٢ ح٦٤٣٨]، [وفي صحيح مسلم: ٣/٥٢٩ ح٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي: ٨/٢٢٦]. (المؤلّف)

(٤) أخرجها الجصّاص في أحكام القرآن: ٣/٣٢٥ [٣/٢٦٤]. (المؤلّف)

قصّة العسيف الواردة في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما[١]، أو بعد أربعة أقارير، إمّا في مجلس واحد كما ورد في قصّة ماعز في لفظ الشيخين في الصحيحين، أو في عدّة مجالس كما يظهر من حديث زاني بني ليث الوارد في سنن البيهقي (٢٢٨/٨)، فتقوم تلكم الأقارير مقام أربع شهادات، كما وقع في سارق جاء إلى عليّ فقال: إنّي سرقت، فردّه، فقال: إنّي سرقت، فقال: شهدت على نفسك مرّتين، فقطعه[٢]. وقد عزب عن الخليفة فقه المسألة كما بينّاه، وهي على ما جاءت في الأحاديث المذكورة يختلف حكمها عند أئمّة المذاهب. قال القاضي ابن رشد في بداية المجتهد[٣] (٤٢٩/٢): أمّا عدد الإقرار الذي يجب به الحدُّ فإنّ مالكاً[٤] والشافعي[٥] يقولان: يكفي في وجوب الحدّ عليه اعترافه به مرّة واحدة وبه قال داود وأبو ثور والطبري[٦] وجماعة، وقال أبو حنيفة وأصحابه وابن أبي ليلى: لا يجب الحدُّ إلّا بأقارير أربعة مرّة بعد مرّة، وبه قال أحمد وإسحاق، وزاد أبو حنيفة وأصحابه في مجالس متفرّقة.

٢٢٩/٨ ثمّ ماذا يعني الخليفة بقوله: أراها تستهلُّ به كأنّها لا تعلمه، وليس الحدُّ إلّا على من علمه؟ هل يريد جهلها بالحدّ أو بحرمة الزنا؟ أمّا العلم بثبوت الحدّ فليس له أيّ صلة بإجراء حكم الله فإنّه يتبع تحقّق الزنا في الخارج، علم الزاني أو الزانية بترتّب الحدّ عليهما أم لم يعلما.

---

(١) صحيح البخاري: ٢٦٣١/٦ ح ٦٧٧٠، صحيح مسلم: ٥٣٢/٣ ح ٢٥ كتاب الحدود. وانظر: سنن ابن ماجه: ٨٥٢/٢ ح ٢٥٤٩، سنن الترمذي: ٣١/٤ ح ١٤٣٣.

(٢) كنز العمّال: ١١٧/٣ [٥٤٩/٥ ح ١٣٩٠٩] نقلاً عن عبدالرزاق [في المصنّف: ١٩١/١٠ ح ١٨٧٨٣]، وابن المنذر، والبيهقي [في السنن الكبرى: ٢٧٥/٨]. **(المؤلّف)**

(٣) بداية المجتهد: ٤٣٤/٢.

(٤) ذكر تفصيل ما ذهب إليه في الموطّأ [٨٢٥/٢، ٨٢٦ ح ١٢، ١٣]، والمدوّنة الكبرى [٢٠٩/٦]. **(المؤلّف)**

(٥) يوجد تفصيل قوله في كتابه الأُم: ١٦٩/٧ [١٨٣/٧]. **(المؤلّف)**

(٦) في بداية المجتهد: والبرطي، بدلاً من الطبري.

على أنّه ليس من الممكن في عاصمة النبوّة أن يجهل ذلك أيُّ أحد وهو يشاهد في الفينة بعد الفينة مجلوداً تنال منه السياط، ومرجوماً تتقاذفه الأحجار.

وأمّا حرمة الزنا فلا يقبل من المعتذر بالجهل بها، إلّا حيث يمكن صدقه كمن عاش في أقاصي البراري والفلوات والبقاع النائية عن المراكز الإسلاميّة، فيمكن أن يكون الحكم لم يبلغه بعدُ، وأمّا المدنيُّ يومئذٍ الكائن بين لوائح النبوّة ومجاري الأحكام والحدود وتحت سيطرة الخلفاء، وهو يعي كلّ حين التشديد في الزنا وحرمته، ويشاهد العقوبات الجارية على الزناة من جرّاء حرمة السفاح، فعقيرة ترتفع من ألم السياط، وجنازة تُشال بعد الرجم، فليس من الممكن في حقّه عادةً أن يجهل حرمة الزنا، فلا تقبل منه دعواه الجهل، ولعلّ هذا ممّا اتّفقت عليه أئمّة المذاهب. قال مالك في المدوّنة الكبرى[1] (٣٨٢/٤) في الرجل يطأ مكاتبته يغتصبها أو تطاوعه: لا حدّ عليه وينكّل إذا كان ممّن لا يُعذر بالجهالة.

وقال فيمن يطلّق امرأته تطليقةً قبل البناء بها فيطؤها بعد التطليقة ويقول: ظننت أنّ الواحدة لا تبينها منّي وأنّه لا يبرئها منّي إلّا الثلاث: قال ابن القاسم: ليس عليه الحدُّ إن عذر بالجهالة، فأرى في مسألتك إن كان ممّن يُعذر بالجهالة أن يدرأ عنه الحدّ لأنّ مالكاً قال في الرجل يتزوّج الخامسة: إن كان ممّن يُعذر بالجهالة وممّن يظنُّ أنّه لم يعرف أنّ ما بعد الأربع ليس ممّا حرّم الله، أو يتزوّج أُخته من الرضاع على هذا الوجه، فإنّ مالكاً درأ عنه الحدّ وعن هؤلاء.

وفي (ص٤٠١)[2]: من وطئ جارية هي عنده رهن أنّه يقام عليه الحدّ، قال ابن القاسم: ولا يعذر في هذا أحد أدّعى الجهالة. قال مالك: حديث التي قالت: زنيت

(١) المدوّنة الكبرى: ٢٠٧/٦.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤٢.

بمرغوش بدرهمين[1] أنّه لا يؤخذ به. وقال مالك: أرى أن يقام الحدُّ ولا يُعذر العجم بالجهالة.

٨/ ٢٣٠ وقال الشافعي في كتاب الأُم[2] (١٦٩/٧) في زناء الرجل بجارية امرأته: إنّ زناه بجارية امرأته كزناه بغيرها إلّا أن يكون ممّن يُعذر بالجهالة ويقول: كنت أرى أنّها لي حلال.

قال شهاب الدين أبو العبّاس ابن النقيب المصري في عمدة السالك[3]: ومن زنى وقال: لا أعلم تحريم الزنا وكان قريب العهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لا يحدّ، وإن لم يكن كذلك حدّ[4]. انتهى.

ولو قُبل من كلّ معتذرٍ بالجهل لعطّلت حدود الله، وتترّس به كلُّ زانٍ وزانية، وشاع الفساد، وساد الهرج، وارتفع الأمن عن الفروج والنواميس، ولو راجعت ماجاء في مدافعة النبي ﷺ والخلفاء عن المعترف بالزنا لإلقاء الشبهة لدرء الحدّ تراهم يذكرون الجنون والغمز والتقبيل وما شبه ذلك، ولا تجد ذكر الجهل بالحرمة في شيء من الروايات، فلو كان لمطلق الجهل تأثير في درء الحدّ لذكروه لا محالة من غير شك.

على أنّ الجهل حيث يُسمع يجب أن يكون بادّعاء من الرجل لا بالتوسّم من وجناته وأسارير جبهته واستهلاله في إقراره كما زعمه الخليفة، وهو ظاهر كلمات الفقهاء المذكورة.

ولِما قلناه كلّه لم يعبأ الحضور بذلك الاستهلال، فأخذها مولانا أمير المؤمنين

(١) يعني الحديث المذكور في عنوان المسألة الذي نبحث عمّا فيه. (المؤلّف)

(٢) كتاب الأم: ١٨٢/٧.

(٣) عمدة السالك: ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) راجع فيض الإله المالك في شرح عمدة السالك: ٣١٢/٢ [٣١٤/٢] (المؤلّف)

وعبدالرحمن فقالا: قد وقع عليها الحدُّ. وأمّا عمر فالذي يظهر من قوله لعثمان صدقت. إلى آخره. وفعله من إجراء الجلد والاغتراب أنّه هزأ بهذا القول، ولو كان مصدّقاً لما جلدها، لكنّه جلدها وهي تستحقُّ الرجم كما مرّ في الجزء السادس.

- ٢٦ -
شراء الخليفة صدقة رسول الله

أخرج الطبراني في الأوسط[1] من طريق سعيد بن المسيب قال: كان لعثمان آذن، فكان يخرج بين يديه إلى الصلاة، قال: فخرج يوماً فصلّى والآذن بين يديه ثمّ جاء فجلس الآذن ناحية ولفّ رداءه فوضعه تحت رأسه واضطجع ووضع الدرّة بين يديه، فأقبل عليّ في إزار ورداء وبيده عصا، فلمّا رآه الآذن من بعيد قال: هذا عليّ قد
٢٣١/٨ أقبل، / فجلس عثمان فأخذ عليه رداءه، فجاء حتى قام على رأسه فقال: اشتريت ضيعة آل فلان ولوقف رسول الله ﷺ في مائها حقّ، أما إنّي قد علمت أنّه لا يشتريها غيرك. فقام عثمان وجرى بينهما كلام حتى ألق الله عزّ وجلّ[2] وجاء العبّاس فدخل بينهما، ورفع عثمان على عليّ الدرّة ورفع عليّ على عثمان العصا، فجعل العباس يسكّنهما ويقول لعليّ: أمير المؤمنين. ويقول لعثمان: ابن عمّك. فلم يزل حتى سكتا. فلمّا أن كان من الغد رأيتهما وكلّ منهما آخذٌ بيد صاحبه وهما يتحدّثان. مجمع الزوائد (٢٢٦/٧).

قال الأميني: يعلمنا الحديث أنّ الخليفة ابتاع الضيعة وماءها وفيه حقّ لِوقف رسول الله لا يجوز ابتياعه، فإن كان يعلم بذلك، وهو المستفاد من سياق الحديث حيث إنّه لم يعتذر بعدم العلم، وهو الذي يلمح إليه قول الإمام عليه السلام: وقد علمت أنّه لا يشتريها غيرك. فبأي مبرّر استساغ ذلك الشراء؟ وإن كان لا يعلم فقد أعلمه

---

(١) المعجم الأوسط: ٣٦٣/٨ ح ٧٧٤٠.

(٢) عبارة الطبراني في المعجم الأوسط: وجرى بينهما كلام لا أرده حتى ألق الله.

الإمام عليه السلام فما هذه المماراة والتلاحي ورفع الدرّة الذي اضطرّ الإمام إلى رفع العصا؟ حتى فصل بينهما العبّاس، أو في الحق مغضبة؟ وهل يكون تنبيه الغافل أو إرشاد الجاهل مجلبةً لغضب الإنسان الديني؟ فضلاً عمّن يُقلّه أكبر منصّة في الإسلام.

وأحسب أنّ ذيل الرواية مُلصق بها لإصلاح ما فيها، وعلى فرض صحّته فإنّه لا يجديهم نفعاً، فإنّ الإمام عليه السلام لم يألُ جهداً في النهي عن المنكر سواء ارتدع فاعله أو أنّه عليه السلام يئس من خضوعِه للحقّ، وعلى كلّ فإنّه عليه السلام كان يماشيهم على ولاء الإسلام ولا يثيره إلّا الحقّ إذا لم يُعمل به، فيجري في كلّ ساعة على حكمها من مكاشفة أو ملاينة، وهكذا فليكن المصلح المنزّه عن الأغراض الشخصيّة الذي يغضب لله وحده ويدعو إلى الحقّ للحقّ.

ـ ٢٧ ـ
الخليفة في ليلة وفاة أُمّ كلثوم

أخرج البخاري في صحيحه[1] في الجنائز باب يعذّب الميت ببكاء أهله، وباب من يدخل قبر المرأة (٢/٢٢٥، ٢٤٤)، بالإسناد من طريق فليح بن سليمان، عن أنس ابن مالك، قال: شهدنا بنت[2] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس على القبر، فرأيت / عينيه تدمعان فقال: « هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟ » فقال أبو طلحة ـ ٨/٢٣٢
زيد بن سهل الأنصاري ـ: أنا، قال: « فانزل في قبرها ». قال: فنزل في قبرها فقبرها. قال ابن مبارك: قال فليح: أراه يعني الذنب. قال أبو عبدالله ـ يعني البخاري

(١) صحيح البخاري: ١/٤٣٢ ح١٢٢٥، ص٤٥٠ ح١٢٧٧.

(٢) الصحيح عند شرّاح الحديث أنها أُمّ كلثوم زوجة عثمان بن عفّان، وجاء في لفظ أحمد [٤/١٠٦ ح١٢٩٨٥] وغيره أنها رقيّة. وعقّبه السهيلي وقال: هو وهمٌ بلا شكّ. راجع الروض الأُنف: ٢/١٠٧ [٥/٣٦٢]، فتح الباري: ٣/١٢٢ [٣/١٥٨]، عمدة القاري: ٤/٨٥ [٨/٧٦ ح٤٦].
(المؤلّف)

نفسه ـ ليقترفوا: ليكتسبوا[١] وفي مسند أحمد؛ قال سريج: يعني ذنباً.

وأخرجه[٢] ابن سعد في الطبقات (٣١/٨) طبع ليدن، وأحمد في مسنده (١٢٦/٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤٧/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٣/٤) من طريقين، وذكره السهيلي في الروض الأُنف (١٠٧/٢) نقلاً عن تاريخ البخاري وصحيحه وعن الطبري فقال: قال ابن بطّال: أراد النبيُّ ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها، وقد كان أحقّ الناس بذلك لأنّه كان بعلها وفقد منها علقاً لا عوض منه لأنّه حين قال ﷺ: « أيّكم لم يقارف الليلة أهله ». سكت عثمان ولم يقل أنا، لأنّه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ولم يشغله الهمُّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيّ ﷺ عن المقارفة، فحرم بذلك ما كان حقّاً له وكان أولى من أبي طلحة وغيره، وهذا بيّن في معنى الحديث، ولعلّ النبيّ ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقل له شيئاً لأنّه فعل فعلاً حلالاً، غير أنّ المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير تصريح والله أعلم.

ويوجد الحديث في نهاية ابن الأثير[٣] (٢٧٦/٣)، لسان العرب[٤] (١٨٩/١١)، الإصابة (٤٨٩/٤)، تاج العروس (٢٢٠/٦).

قال الأميني: اضطربت كلمات العلماء حول هذا الحديث غير أنّ فليحاً المتوفّى

---

(١) إيعاز إلى قوله تعالى ﴿وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣] كما في فتح الباري: ١٦٣/٣ [٢٠٩/٣]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذينَ يَكْسِبونَ الإثمَ سَيُجْزَوْن بِما كانوا يَقْتَرِفُون﴾ [الأنعام: ١٢٠]. (المؤلّف)

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٨/٨، مسند أحمد: ٥٧٩/٣ ح١١٨٦٦، ١٠٤/٤ ح١٢٩٧٠، ص١٠٦ ح١٢٩٨٥، وص١٧٥ ح١٣٤٤١، المستدرك على الصحيحين: ٥٢/٤ ح٦٨٥٣، الروض الأُنُف: ٣٦٢/٥، تاريخ الأُمم والملوك: ٤٩٨/١١ حوادث سنة ٩ هـ.

(٣) النهاية: ٤٦/٤.

(٤) لسان العرب: ١٢٧/١١.

سنة (١٦٣)، الذي فسّر المقارفة بالذنب، وأيّد البخاري كلامه بقوله: ليقترفوا: ليكتسبوا، وسريجاً المتوفّى سنة (٢١٧) هم أقدم من تكلّم فيه، وقال الخطّابي[1]: معناه لم يذنب[2]. وجاء ابن بطّال[3] وخصّه بمقارفة النساء، وجمع بينهما العيني[4]، وأيّاً ما كان / فلا شكّ في أنّه أمر استحقّ من جرّائه عثمان الحرمان من النزول في قبر زوجته ٢٣٣/٨
ابنة رسول الله ﷺ وكان أولى الناس بها، والمسلمون كلّهم كانوا يعلمون ذلك، لكن رسول الله ﷺ الداعي إلى الستر على المؤمنين والإغضاء عن العيوب، الناهي عن إشاعة الفحشاء في كتابه الكريم، والمانع عن التجسّس عمّا يقع في الخلوات، المبعوث لإعزاز أهل الدين، شاءَ ـ وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى ـ أن يستثني مورداً واحداً تلوّح بأمر عظيم حرم لأجله عثمان من الحظوة بالنزول في قبر حليلته أو معقد شرفه بصهر رسول الله ﷺ وواسطة مفخره بهاتيك الصلة، فعرف المسلمون ذلك المقتضي بالطبع الأوّل وهذا المانع من المقارفة المختلف في تفسيرها، فإن كان ذنباً أثّر في رسول الله ﷺ أن حطّ من رتبته بما قلناه. ولو كانت صغيرة وهي غير ظاهرة تستّر عليها، لكنّها بلغت من الكبر حدّاً لم يَرَ ﷺ سترها؛ ولا رعى حرمةً ولا كرامةً لمقترفها، فإن كانت سيّئة هذا شأنها، فلا خير فيمن يجترح السيّئات.

وإن أُريدت مقارفة النساء على الوجه المحلّل فهي من منافيات المروءة ومن لوازم الفظاظة والغلظة، فأيّ إنسان تحبّذ له نفسه التمتّع بالجواري في أعظم ليلة عليه هي ليلة تصرّم مجده، وانقطاع فخره، وانفصام عرى شرفه، فكيف هان ذلك على الخليفة؟ فلم يراعِ حرمة رسول الله ﷺ واستهانت تلك المصيبة العظيمة فتلذّذ

---

(١) أبو سليمان حمد بن محمد البستي صاحب التآليف القيّمة المتوفّى ٣٨٨. (المؤلّف)

(٢) ذكره العيني في عمدة القاري: ٨٥/٤ [٧٦/٨ ح٤٦]. (المؤلّف)

(٣) ذكر كلامه السهيلي في الروض الأُنف: ١٠٧/٢ [٣٦٢/٥] كما مرّ بلفظه. (المؤلّف)

(٤) في عمدة القاري: ٨٥/٤ [٧٦/٨ ح٤٦]. (المؤلّف)

بالرَّفَث إلى جارية[١]، والمطلوب من الخلفاء معرفة فوق هذه من أوّل يومهم؛ ورأفةأربى ممّا وقع، ورقّة تنيف على ما صدر منه، وحياء يفضل على ماناء به.

ومن العسير جدّاً الخضوع للاعتقاد بأنّ رسول الله ﷺ ارتكب ذلك الهتك والإهانة على أمر مباح مع رأفته الموصوفة على أفراد الأُمّة وإغراقه نزعاً في الستر عليهم؛ وكيف في حقّ رجل يعلم ﷺ أنّه سيشغل منصّة الخلافة؟

هذا ما عندنا وأمّا أنت فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.

أيحكم ضميرك الحرُّ عندئذٍ في رجل هذا شأنه وهذه سيرته مع كريمة رسول الله ﷺ بصحّة ما أخرجه ابن سعد في طبقاته[٢] (٣٨/٣) من القول المعزوّ إلى رسول الله ﷺ يوم قارف الرجل، يوم سمع من النبيّ الأعظم تلك القارصة: لو كان
٢٢٤/٨ عندي ثالثة / زوجتها عثمان، قاله لمّا ماتت أُمّ كلثوم؟ كذا قال ابن سعد.

أو قوله: لو كنّ ـ يعني بناته ـ عشراً لزوجتهنّ عثمان[٣]؟

أو قوله فيما أخرجه ابن عساكر[٤]: لو أنّ لي أربعين بنتاً لزوّجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهنّ واحدة[٥]؟

أو قوله فيما جاء به ابن عساكر[٦] من طريق أبي هريرة قال: إنّ رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفّان على باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل

---

(١) كما في عمدة القاري: ٨٥/٤ [٧٦/٨ ح٤٦]. (المؤلّف)

(٢) الطبقات الكبرى: ٥٦/٣.

(٣) طبقات ابن سعد طبع ليدن: ٢٥/٨ [٣٨/٨]. (المؤلّف)

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/٣٩.

(٥) تاريخ ابن كثير: ٢١٢/٧ [٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥ هـ] وقال: إسناد ضعيف، أخبار الدول للقرماني: ص٩٨ [٢٩٥/١]. (المؤلّف)

(٦) راجع تاريخ ابن كثير: ٢١١/٧. [٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلّف)

يخبرني أنّ الله قد زوّجك أُمّ كلثوم بمثل صداق رقيّة على مثل مصاحبتها[1]؟

أكانت مصاحبة عثمان هذه أُمّ كلثوم ولدّة مصاحبتها رقيّة وكانت مرضيّة للمولى سبحانه؟ أو ترى عثمان متخلّفاً عن شرط الله في أُمّ كلثوم؟ أنا لا أدري.

على أنّ إسناد هذا الحديث معلول من جهات، وكفاه علّة عبدالرحمن بن أبي الزناد القرشي وقد ضعّفه ابن مَعِين[2] وابن المديني وابن أبي شيبة وعمرو بن عليّ والساجي وابن سعد[3]، وقال ابن مَعِين والنسائي[4]: ولا يحتجُّ بحديثه[5].

- ٢٨ -

إتّخاذ الخليفة الحمى له ولذويه

لقد جعل الإسلام منابت العيش من مساقط الغيث والمروج كلّها شرعاً سواء بين المسلمين إذا لم يكن لها مالك مخصوص كما هو الأصل في المباحات الأصليّة من أجواز الفلوات وأطراف البراري؛ فترتع فيها مواشيهم وترعى إبلهم وخيلهم من دون أيّ مزاحمة بينهم، وليس لأيّ أحد أن يحمي لنفسه حمى فيمنع الناس عنه؛ فقال ﷺ: « المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار ».

وقال: « ثلاث لا يُمنعن: الماء والكلأ والنار ».

وقال: « لا يُمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ » وفي لفظ: « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ ». وفي لفظ: « من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه الله

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/٣٩، ٤٠.

(٢) التاريخ: ٢٥٨/٣ رقم ١٢١١.

(٣) الطبقات الكبرى: ٤١٦/٥.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٦٠ رقم ٣٨٧.

(٥) تهذيب التهذيب: ١٧١/٦ [١٥٥/٦]. (المؤلّف)

٢٣٥/٨ فضله يوم / القيامة »[١] نعم كان في الجاهليّة يحمي الشريف منهم ما يروقه من قِطَع الأرض لمواشيه وإبله خاصّة فلا يشاركه فيه أحد وإن شاركهم هو في مراتعهم، وكان هذا من مظاهر التجبّر السائد عندئذٍ، فاكتسح رسول الله ﷺ ذلك فيما اكتسحه من عادات الطواغيت وتقاليد الجبابرة فقال ﷺ: « لا حمى إلّا لله ولرسوله »[٢].

وقال الشافعي في تفسير الحديث: كان الشريف من العرب في الجاهليّة إذا نزل بلداً في عشيرته استعوى كلباً، فحمى لخاصّته مدى عُواء الكلب لايشركه فيه غيره فلم يرعه معه أحد، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله. قال: فنهى النبيُّ ﷺ أن يُحمى على الناس حمى كما كانوا في الجاهليّة يفعلون. قال:

وقوله: إلّا لله ولرسوله. يقول: إلّا ما يُحمى لخيل المسلمين وركابهم التي تُرصد للجهاد ويُحمل عليها في سبيل الله وإبل الزكاة كما حمى عمر النقيع[٣] لنعم الصدقة والخيل المعدّة في سبيل الله[٤].

واستعمل عمر على الحمى مولى له يقال له هنّي فقال له: يا هنّي ضمّ جناحك للناس، واتّقِ دعوة المظلوم فإنّ دعوة المظلوم مجابة، وأدخل ربّ الصريمة وربّ الغنيمة، وإيّاي ونعم ابن عفّان[٥] ونعم ابن عوف فإنّهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى

---

(١) توجد هذه الأحاديث في صحيح البخاري: ١١٠/٣ [٨٣٠/٢ ح٢٢٢٦ و ٢٢٢٧]، الأموال لأبي عبيد: ص٢٩٦ [ص٣٧٣ ح٧٣١ و٧٣٣]، سنن أبي داود: ١٠١/٢ [٢٧٧/٣، ٢٧٨ ح٣٤٧٣، ٣٤٧٧]، سنن ابن ماجه: ٩٤/٢ [٨٢٨/٢ ح٢٤٧٨]. (المؤلّف)

(٢) صحيح البخاري: ١١٣/٣ [٨٣٥/٢ ح٢٢٤١]، الأموال لأبي عبيد: ص٢٩٤ [ص٣٧٢ ح٧٢٨]، كتاب الأُم للشافعي: ٢٠٧/٣ [٤٧/٤] وفي الأخيرين تفصيل ضافٍ حول المسألة. (المؤلّف)

(٣) على عشرين فرسخاً أو نحو ذلك من المدينة. معجم البلدان [٣٠١/٥]. (المؤلّف)

(٤) راجع كتاب الأُم: ٢٠٨/٣ [٤٧/٤]، معجم البلدان: ٣٤٧/٣ [٣٠١/٥]، نهاية ابن الأثير: ٢٩٧/١ [٤٤٧/١]، لسان العرب: ٢١٧/١٨ [٣٤٨/٣]، تاج العروس: ٩٩/١٠. (المؤلّف)

(٥) في لفظ أبي عبيد: ودعني من نعم ابن عفّان. بدل: وإيّاي ونعم ابن عفّان. (المؤلّف)

نخل وزرع، وإنّ ربّ الغنيمة والصريمة يأتي بعياله فيقول: يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا؟ لا أبا لك. الى آخره[1].

كان هذا الناموس متسالماً عليه بين المسلمين حتى تقلّد عثمان الخلافة فحمى لنفسه دون إبل الصدقة كما في أنساب البلاذري (٣٧/٥)، والسيرة الحلبيّة[2] (٨٧/٢)، أو له ولحكم بن أبي العاص كما في رواية الواقدي، أو لهما ولبني أُميّة كلّهم كما في شرح ابن أبي الحديد[3] (٦٧/١) قال: حمى عثمان المراعي حول المدينة كلّها من مواشي ٢٣٦/٨
المسلمين كلّهم إلّا عن بني أُميّة. وحكى في (ص٢٣٥)[4] عن الواقدي أنّه قال: كان عثمان يحمي الربذة والشرف والنقيع، فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ولا لبني أُميّة حتى كان آخر الزمان، فكان يحمي الشرف[5] لإبله، وكانت ألف بعير ولإبل الحكم بن أبي العاص، ويحمي الربذة[6] لإبل الصدقة، ويحمي النقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بني أُميّة. انتهى.

نقم ذلك المسلمون على الخليفة فيما نقموه عليه وعدّته عائشة ممّا أنكروه عليه، فقالت: وإنّا عتبنا عليه كذا وموضع الغمامة المحماة[7]، وضربه بالسوط والعصا، فعمدوا

---

(١) صحيح البخاري: ٧١/٤ [١١١٣/٣ ح٢٨٩٤]، الأموال لأبي عبيد: ص٢٩٨ [ص٣٧٦ ح٧٤١]، كتاب الأُم: ٢٧١/٣ [٤٨/٤]. (المؤلّف)

(٢) السيرة الحلبيّة: ٧٨/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٩٩/١ خطبة ٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٩/٣ خطبة ٤٣.

(٥) كبد نجد. عند البخاري بالسين المهملة، وفي موطّأ ابن وهب: الشرف ـ بالشين المعجمة وفتح الراء ـ وهذا هو الصواب. معجم البلدان [٢١٢/٣، ٣٣٦]. (المؤلّف)

(٦) الربذة في الشرف المذكورة هي الحمى الأيمن [معجم البلدان: ٣٣٦/٣]. (المؤلّف)

(٧) يسمّى العشب بالغمامة كما يسمّى بالسماء. المحماة: من أحميت المكان فهو محمى؛ أي جعلته حمى. الفائق للزمخشري. (المؤلّف)

إليه حتى إذا ماصوه كما يماص الثوب[١]، قال ابن منظور في ذيل الحديث: الناس شركاء فيما سقته السماء من الكلأ إذا لم يكن مملوكاً فلذلك عتبوا عليه.

كانت في اتّخاذ الخليفة الحمىٰ جِدّة وإعادة لعادات الجاهليّة الأُولى التي أزاحها نبيُّ الإسلام ﷺ وجعل المسلمين في الكلأ مشتركين، وقال: «ثلاثة يبغضهم الله»، وعدّ فيهم من استنّ في الإسلام سنّة الجاهليّة[٢]. وكان حقّاً على الرجل أن يحمي حمى الإسلام قبل حمى الكلأ، ويتّخذ ما جاء به الرسول ﷺ سنّة متّبعة ولا يحيي سنّة الجاهليّة، ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحوِيلا ﴾[٣]. ولكنّه...

ـ ٢٩ ـ

إقطاع الخليفة فدك لمروان

عدّ ابن قتيبة في المعارف[٤] (ص٨٤)، وأبو الفداء في تاريخه (١٦٨/١) ممّا نقم الناس على عثمان إقطاعه فدك لمروان وهي صدقة رسول الله، فقال أبو الفداء: وأقطع
٢٣٧/٨ مروان / بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة ميراثاً، فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبدالعزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى (٣٠١/٦) من طريق المغيرة حديثاً في فدك

(١) راجع الفائق للزمخشري: ١١٧/٢ [٧٧/٣]، نهاية ابن الأثير: ٢٩٨/١، و١٢١/٤ [٤٤٧/١ و٣٧٢/٤]، لسان العرب: ٣٦٣/٨ و٢١٧/١٨ [٣٤٩/٣ و٢٢٣/١٣]، تاج العروس: ٩٩/١٠. (المؤلّف)

(٢) بهجة النفوس للحافظ الأزدي ابن أبي جمرة: ١٩٧/٤. (المؤلّف)

(٣) فاطر: ٤٣.

(٤) المعارف: ص١٩٤ ـ ١٩٥.

وفيه: أنّها أقطعها مروان لمّا مضى عمر لسبيله. فقال: قال الشيخ: إنّما أقطع مروان فدكاً في أيّام عثمان بن عفّان ﷺ وكأنّه تأوّل في ذلك ما روي عن رسول الله ، ﷺ إذا أطعم الله نبيّاً طعمة فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنياً عنها بماله فجعلها لأقربائه ووصل بها رحمهم، وذهب آخرون إلى أنّ المراد بذلك التولية وقطع جريان الإرث فيه، ثمّ تصرف في مصالح المسلمين كما كان أبو بكر وعمر ﷺ يفعلان.

وفي العقد الفريد[1] (٢٦١/٢) في عدّ ما نقم الناس على عثمان: أنّه أقطع فدك مروان وهي صدقة لرسول الله ﷺ وافتتح أفريقية وأخذ خمسها فوهبه لمروان.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه[2] (٦٧/١): وأقطع عثمان مروان فدك، وقد كانت فاطمة ﷺ طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارةً بالميراث وتارةً بالنحلة فدفعت عنها.

قال الأميني: أنا لا أعرف كنه هذا الإقطاع وحقيقة هذا العمل فإنّ فدك إن كانت فيئاً للمسلمين ـ كما ادّعاه أبو بكر ـ فما وجه تخصيصها بمروان؟ وإن كانت ميراثاً لآل رسول الله ﷺ كما احتجّت له الصدّيقة الطاهرة في خطبتها، واحتجّ له أئمّة الهدى من العترة الطاهرة وفي مقدّمهم سيّدهم أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام، فليس مروان منهم، ولا كان للخليفة فيها رفع ووضع. وإن كانت نحلة من رسول الله ﷺ لبضعته الطاهرة فاطمة المعصومة ـ صلوات الله عليها ـ كما ادّعته وشهد لها أمير المؤمنين وابناها الإمامان السبطان وأُمّ أيمن المشهود لها بالجنّة فردّت شهادتهم بما لا يُرضي الله ولا رسوله، وإذا رُدّت شهادة أهل آية التطهير فبأيّ شيء يُعتمد[3]؟ وعلى أيّ حجّة يُعوّل؟

---

(١) العقد الفريد: ١٠٣/٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٩٨/١ ـ ١٩٩ خطبة ٣.

(٣) ضمّن ﷺ (يُعتمد) معنى (يوثّق).

إن دام هذا ولم يحدثْ به غِيَرٌ   لم يُبكَ ميتٌ ولم يُفرحْ بمولودِ

٢٣٨/٨ فإن كانت فدك نحلة فأيّ مساس بها لمروان؟ وأيُّ سلطة عليها لعثمان؟ حتى يقطعها لأحد. ولقد تضاربت أعمال الخلفاء الثلاثة في أمر فدك فانتزعها أبو بكر من أهل البيت، وردّها عمر إليهم، وأقطعها عثمان لمروان، ثمّ كان فيها ما كان في أدوار المستحوذين على الأمر منذ عهد معاوية وهلمّ جرّاً فكانت تؤخذ وتعطى، ويفعلون بها ما يفعلون بقضاء من الشهوات، كما فصّلناه في الجزء السابع (ص١٩٥ ـ ١٩٧) ولم يُعمل برواية أبي بكر في عصر من العصور، فإن صانعه الملأ الحضور على سماع ما رواه عن رسول الله ﷺ وحابوه وجاملوه، فقد أبطله من جاء بعده بأعمالهم وتقلّباتهم فيها بأنحاء مختلفة.

بل إنّ أبا بكر نفسه أراد أن يبطل روايته بإعطاء الصكّ للزهراء فاطمة، غير أنّ ابن الخطّاب منعه وخرق الكتاب كما مرّ في الجزء السابع عن السيرة الحلبيّة، وبذلك كلّه تعرف قيمة تلك الرواية ومقدار العمل عليها وقيمة هذا الإقطاع، وسيوافيك قول مولانا أمير المؤمنين في قطائع عثمان.

ـ ٣٠ ـ

رأي الخليفة في الأموال والصدقات

لم تكن فدك ببدع من سائر الأموال من الفيء والغنائم والصدقات عند الخليفة بل كان له رأي حرّ فيها وفي مستحقّيها، كان يرى المال مال الله، ويحسب نفسه وليّ المسلمين، فيضعه حيث يشاء ويفعل فيه ما يريد، فقام كما قال مولانا أمير المؤمنين: «نافجاً حضنيه بين نثيله ومُعتلفه، وقام معه بنو أبيه يَخضمون مال الله خَضمة الإبل نبتة الربيع»[1].

(١) نهج البلاغة: ٣٥/١ [ص٤٩ خطبة ٣]. (المؤلّف)

كان يصل رحمه بمال يستوي فيه المسلمون كلّهم، ولكلّ فرد من الملأ الدينيّ منه حقّ معلوم للسائل والمحروم، لا يسوغ في شرعة الحقّ وناموس الإسلام المقدّس حرمان أحد من نصيبه وإعطاء حقّه لغيره من دون مرضاته.

جاء عن رسول الله ﷺ في الغنائم: «لله خمسه وأربعة أخماس للجيش، وما أحد أولى به من أحد، ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحقّ به من أخيك المسلم»[(١)].

٢٣٩/٨ وكان ﷺ إذا جاءه فيء قسّمه من يومه فأعطى ذا الأهل حظّين، وأعطى العزب حظّاً[(٢)].

والسنّة الثابتة في الصدقات أنّ أهل كلّ بيئة أحقّ بصدقتهم ما دام فيهم ذو حاجة، وليس الولاية على الصدقات للجباية وحملها إلى عاصمة الخلافة وإنّما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالّها، وقد ورد في وصيّة رسول الله ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام والصلاة أنّه قال: «فإذا أقرّوا لك بذلك فقل لهم: إنّ الله قد فرض عليكم صدقة أموالكم تُؤخذ من أغنيائكم فتردّ في فقرائكم»[(٣)].

قال عمرو بن شعيب: إنّ معاذ بن جبل لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله إلى اليمن حتى مات النبيُّ ﷺ وأبو بكر، ثمّ قدم على عمر فردّه على ما كان عليه فبعث

---

(١) سنن البيهقي: ٦/٣٢٤، ٣٣٦. (المؤلّف)

(٢) سنن أبي داود: ٢/٢٥ [٣/١٣٦ ح٢٩٥٣]، مسند أحمد: ٦/٢٩ [٧/٤٥ ح٢٣٤٨٤]، سنن البيهقي: ٦/٣٤٦. (المؤلّف)

(٣) صحيح البخاري: ٣/٢١٥ [٢/٥٠٥ ح١٣٣١]، الأموال لأبي عبيد: ص٥٨٠، ٥٩٥، ٦١٢ [ص٦٩٣ ح١٨٥٢، ص٧٠٩ ح١٩٠٨، ص٧٢٨ ح١٩٩٠]، المحلّى: ٦/١٤٦ [مسألة ٧١٩]. (المؤلّف)

إليه معاذ بثلث صدقة الناس، فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جابياً ولا آخِذَ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردّها على فقرائهم. فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه منّي. الحديث[1].

ومن كتاب لمولانا أمير المؤمنين إلى قثم بن العبّاس يوم كان عامله على مكة: «وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلّات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسّمه فيمن قِبلنا» نهج البلاغة[2] (١٢٨/٢).

وقال عليه السلام لعبد الله بن زمعة لمّا قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً: «إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلّا فجناة[3] أيديهم لا تكون لغير أفواههم». نهج البلاغة[4] (٤٦١١).

ومن كلام له عليه السلام: «إنّ القرآن أُنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأموال أربعة: أموال
٢٤٠/٨ المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسّمه على مستحقّيه، / والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها». راجع ما أسلفناه في (٧٧/٦).

وأتى عليّاً أميرالمؤمنين مال من أصبهان فقسّمه بسبعة أسباع ففضل رغيف فكسره بسبع [كِسَر][5] فوضع على كلّ جزءكسرة ثمّ أقرع بين الناس أيّهم يأخذ أوّل[6].

---

(١) الأموال: ص٥٩٦ [ص٧١٠ ح١٩١٢]. (المؤلّف)

(٢) نهج البلاغة: ص٤٥٧ كتاب ٦٧.

(٣) الجَناة: ما يجنى من الشجر، أي يُقطف.

(٤) نهج البلاغة: ص٣٥٣ رقم ٢٣٢.

(٥) من المصدر.

(٦) سنن البيهقي: ٣٤٨/٦. (المؤلّف)

وأتته عليه‌السلام امرأتان تسألانه عربيّة ومولاة لها، فأمر لكلّ واحدة منهما بكرّ من طعام وأربعين درهماً، فأخذت المولاة الذي أُعطيت وذهبت، وقالت العربيّة: يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربيّة وهي مولاة؟ قال لها عليّ عليه‌السلام: إنّي نظرت في كتاب الله عزّ وجلّ فلم أرَ فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق[(١)].

ولذلك كلّه كانت الصحابة لا ترتضي من الخليفة الثاني تقديمه بعضاً من الناس على بعض في الأموال بمزيّة معتبرة كان يعتبرها فيمن فضّله على غيره، كتقديم زوجات النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أُمّهات المؤمنين على غيرهنّ، والبدريّ على من سواه، والمهاجرين على الأنصار، والمجاهدين على القاعدين، من دون حرمان أيّ أحدٍ منهم[(٢)]، وكان يقول على صهوات المنابر: من أراد المال فليأتني فإنّ الله جعلني له خازناً وقاسماً[(٣)].

ويقول بعد قراءة آيات الأموال: والله ما من أحد من المسلمين إلّا وله حقّ في هذا المال أُعطي منه أو مُنِع حتى راعٍ بعدن[(٤)].

ويقول: أبدأ برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثمّ الأقرب فالأقرب إليه. فوضع الديوان على ذلك.

وفي لفظ أبي عبيد: إنّ رسول الله إمامنا فبرهطه نبدأ، ثمّ بالأقرب فالأقرب[(٥)].

---

(١) سنن البيهقي: ٣٤٩/٦. (المؤلّف)

(٢) الأموال لأبي عبيد: ص٢٢٤ ـ ٢٢٧ [ص ٢٨٦ ـ ٢٩٠ ح٥٥٠ ـ ٥٥٩]، فتوح البلدان للبلاذري: ص٤٥٣ ـ ٤٦٦ [ص٤٣٥ ـ ٤٤٧]، سنن البيهقي: ٣٤٩/٦، ٣٥٠، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص٧٩ ـ ٨٣ [ص٩٤ ـ ١٠٩ باب ٣٩]. (المؤلّف)

(٣) راجع الجزء ٦ من كتابنا هذا ص١٩٢ [أُنظر الأموال: ص٢٨٥ ح٥٤٨]. (المؤلّف)

(٤) الأموال: ص٢١٣ [ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ ح٥٢٥]، سنن البيهقي: ٣٥١/٦. (المؤلّف)

(٥) الأموال: ص٢٢٤ [ص٢٨٦ ح٥٤٩]، سنن البيهقي: ٣٦٤/٦. (المؤلّف)

٢٤١/٨ وقبل هذه كلّها سنّة الله في الذكر الحكيم حول الأموال مثل قوله تعالى :

١ ـ ﴿ وَٱعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمتُم مِن شَيءٍ فَأَنّ للهِ خُمسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ ﴾[1] .

٢ ـ ﴿ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبيلِ اللهِ وَابنِ السَّبيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

٣ ـ ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُم فَمَا أَوجَفْتُم عَلَيهِ مِن خيلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدير * مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهْلِ القُرَى فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبيل ﴾[3] .

هذه سنّة الله وسنّة نبيّه غير أنّ الخليفة عثمان نسي ما في الكتاب العزيز، وشذّ عمّا جاء به النبيُّ الأقدس في الأموال، وخالف سيرة من سبقه، وتزحزح عن العدل والنصفة، وقدّم أبناء بيته الساقط، أثمار الشجرة الملعونة في كتاب الله، رجال العيث والعبث؛ والخمور والفجور، من فاسق إلى لعين؛ إلى حلّاف مهين همّاز مشّاء بنميم، وفضّلهم على أعضاء الصحابة وعظماء الأُمّة الصالحين، وكان يهب من مال المسلمين لأحد من قرابته قناطير مقنطرة من الذهب والفضّة من دون أيّ كيل ووزن، ويؤثرهم على من سواهم كائناً من كان من ذي قربى رسول الله ﷺ وغيرهم. ولم يكن يجرؤ أحد عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كان يرى سيرته الخشنة مع أُولئك القائمين بذلك الواجب، ويشاهد فيهم من الهتك والتغريب والضرب بدرّة كانت أشدّ من الدرّة العمريّة[4] مشفوعة بالسوط والعصا[5]، وإليك نبذة من سيرة الخليفة في الأموال :

(١) الأنفال : ٤١ .

(٢) التوبة : ٦٠ .

(٣) الحشر : ٦ و ٧ .

(٤) راجع محاضرة الأوائل للسكتواري : ص ١٦٩ . (المؤلّف)

(٥) يأتي حديثه بعيد هذا . (المؤلّف)

- ٣١ -

أيادي الخليفة عند الحكم بن أبي العاص

أعطى صدقات قضاعة الحكم بن أبي العاص عمّه، طريد النبيّ بعدما قرّبه وأدناه، وألبسه يوم قدم المدينة وعليه فزر[1] خلق وهو يسوق تيساً والناس ينظرون إلى سوء / حاله وحال من معه، حتى دخل دار الخليفة ثمّ خرج وعليه جبّة خزّ وطيلسان. تاريخ اليعقوبي[2] (٤١/٢). ٢٤٢/٨

وقال البلاذري في الأنساب (٢٨/٥) رواية عن ابن عبّاس أنّه قال: كان ممّا أنكروا على عثمان أنّه ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة[3]، فبلغت ثلاث مئة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها.

وقال ابن قتيبة وابن عبد ربّه والذهبي: وممّا نقم الناس على عثمان أنّه آوى طريد النبيّ ﷺ الحكم ولم يؤوِه أبو بكر وعمر وأعطاه مئة ألف[4].

وعن عبدالرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان، فقال له: إدفعها إلى الحكم بن أبي العاص؛ وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إن‌شاءالله. فألحّ عليه فقال: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله ما أنا لك بخازنٍ ولا لأهل بيتك إنّما أنا

---

(١) من فزر الثوب: انشقّ وتقطّع وبلي. (المؤلّف)

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١٦٤/٢.

(٣) أبو حيّ باليمن. (المؤلّف)

(٤) المعارف لابن قتيبة: ص٨٤ [ص١٩٤]، العقد الفريد: ٢٦١/٢ [١٠٣/٤]، محاضرات الراغب: ٢١٢/٢ [ج٢/ج ٤٧٦/٤]، مرآة الجنان لليافعي: ٨٥/١ نقلاً عن الذهبي [في تاريخ الإسلام: ص٣٦٥ ـ ٣٦٦ حوادث سنة ٣١ هـ]. (المؤلّف)

خازن المسلمين، وجاء بالمفاتيح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته وإنما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها فأخذها ودفعها إلى زيد بن ثابت. تاريخ اليعقوبي[1] (١٤٥/٢).

قال الأميني: يُروى نظير هذه القضية كما يأتي لزيد بن أرقم وعبدالله بن مسعود، ولعلّ هذه وقعت لغيرهم من الولاة على الصدقات أيضاً، والله العالم.

الحَكَم وما أدراك ما الحكَم؟:

كان خصّاء يخصي الغنم[2] أحد جيران رسول الله ﷺ بمكة من أُولئك الأشدّاء عليه ﷺ المبالغين في إيذائه شاكلة أبي لهب كما قاله ابن هشام في سيرته[3](٢٥/٢)، وأخرج الطبراني[4] من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر قال: كان
٢٤٣/٨ الحكَم يجلس / عند النبيّ ﷺ فإذا تكلّم اختلج، فبصر به النبيّ ﷺ فقال: «كن[5] كذلك» فما زال يختلج حتى مات.

وفي لفظ مالك بن دينار: مرّ النبي ﷺ بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ بإصبعه فالتفت فرآه فقال: «اللّهمّ اجعل به وزغاً»[6] فرجف مكانه وارتعش. وزاد الحلبي: بعد أن مكث شهراً مغشيّاً عليه[7].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٦٨/٢.

(٢) حياة الحيوان للدميري: ١٩٤/١ [٢٧٦/١]. (المؤلّف)

(٣) السيرة النبوية: ٥٧/٢.

(٤) المعجم الكبير: ٢١٤/٣ ح٣١٦٧.

(٥) كذا في الإصابة، وفي المعجم الكبير: أنت.

(٦) الوزغ: الارتعاش والرعدة.(المؤلّف)

(٧) الإصابة: ٣٤٥/١، ٣٤٦ [رقم ١٧٨١]، السيرة الحلبيّة: ٣٣٧/١ [٣١٧/١]، الفائق للزمخشري: ٣٠٥/٢ [٥٧/٤ ـ ٥٨] تاج العروس: ٣٥/٦. (المؤلّف)

أسلفناه من طرق الحفّاظ[1] الطبراني والحاكم والبيهقي. ومرّت صحّته في الجزء الأوّل صفحة (٢٦٠).

روى البلاذري في الأنساب (٢٧/٥): إنّ الحكم بن أبي العاص كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهليّة وكان أشدّ جيرانه أذىً له في الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة وكان مغموصاً عليه في دينه، فكان يمرُّ خلف رسول الله ﷺ فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلّى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خبلة، واطّلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حُجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة[2] وقال: «من عذيري من هذا الوزغة اللعين؟» ثم قال: لا يساكنني ولا ولده فغرّبهم جميعاً إلى الطائف، فلمّا قبض رسول الله ﷺ كلّم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردّهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لآوي طرداء رسول الله ﷺ. ثمّ لمّا استخلف عمر كلّمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر، فلمّا استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلّمت رسول الله فيهم وسألته ردّهم فوعدني أن يأذن لهم فقُبض قبل ذلك. فأنكر المسلمون عليه إدخاله إيّاهم المدينة.

قال الواقدي: ومات الحكم بن أبي العاص بالمدينة في خلافة عثمان فصلّى عليه وضرب على قبره فسطاطاً.

وعن سعيد بن المسيب قال: خطب عثمان فأمر بذبح الحمام وقال: إنّ الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرمي ونالنا بعضه، فقال الناس: يأمر بذبح الحمام وقد آوى طرداء رسول الله ﷺ.

٢٤٤/٨ وذكره بلفظ أخصر من هذا في صفحة (١٢٥) وذكر بيتين لحسان بن ثابت في

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٦٧٨/٣ ح ٤٢٤١، دلائل النبوة: ٢٣٩/٦، ٢٤٠

(٢) العنزة: عصاً في قدر نصف الرمح أو اكثر، فيها سنان مثل سنان الرمح.

عبدالرحمن بن الحكم الآتيين في لفظ أبي عمر فقال: كان يفشي أحاديث رسول الله، فلعنه وسيّره إلى الطائف ومعه عثمان الأزرق والحارث وغيرهما من بنيه، وقال: « لا يساكنني » فلم يزالوا طرداء حتى ردّهم عثمان، فكان ذلك ممّا نُقم عليه.

وفي السيرة الحلبيّة[1] (٣٣٧/١): اطّلع الحكم على رسول الله من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة، فخرج إليه رسول الله ﷺ بالعنزة، وقيل بمدرى[2] في يده وقال: « من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه »، ولعنه وما ولد، وذكره ابن الأثير مختصراً في أُسد الغابة[3] (٣٤/٢).

وقال أبو عمر في الاستيعاب: أخرج رسول الله ﷺ الحكم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف وخرج معه ابنه مروان، واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إيّاه فقيل: كان يتحيّل ويستخفي ويتسمّع ما يسرُّه رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفّار والمنافقين، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته، إلى أُمور غيرها كرهت ذكرها، ذكروا: أن النبيّ ﷺ كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم يحكيه فالتفت النبيُّ ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ: « فكذلك فلتكن». فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذٍ، فعيّره عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبدالرحمن بن الحكم يهجوه:

إنّ اللعين أبوك فارمِ عظامَه ... إن تَرمِ تَرمِ مخلّجاً مجنونا
يمسي خميصَ البطنِ من عملِ التقى ... ويظلُّ من عملِ الخبيثِ بطينا[4]

---

(١) السيرة الحلبية: ٣١٧/١.

(٢) المدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس.

(٣) أُسد الغابة: ٣٧/٢ و٣٨ رقم ١٢١٧.

(٤) الاستيعاب ١١٨/١ [القسم الأول ٣٥٩ ـ ٣٦٠ رقم ٥٢٩]، أُسد الغابة: ٣٤/٢ [٣٧/٢ و٣٨ رقم ١٢١٧]. (المؤلّف)

وأخرج أبو عمر من طريق عبدالله بن عمرو بن العاصي قال: قال رسول الله ﷺ: « يدخل عليكم رجل لعين » وكنت قد تركت عمراً يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ فلم أزل مشفقاً أن يكون أوّل من يدخل، فدخل الحكم ابن أبي العاص[1].

وقال ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق[2] (ص١٤٤): وبسند رجاله رجال الصحيح عن عبدالله بن عمر ﷺ أنّه قال: « ليدخلنّ الساعة عليكم رجل لعين ». فوالله ما زلت أتشوّف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان ـ يعني الحكم ـ كما ٢٤٥/٨
صرّحت به رواية أحمد[3].

وروى البلاذري في الأنساب (١٢٦/٥)، والحاكم في المستدرك[4] (٤٨١/٤) وصحّحه والواقدي كما في السيرة الحلبيّة[5] (٣٣٧/١) بالإسناد عن عمرو بن مرّة قال: استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: « ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمنين وقليل ما هم، ذوو مكر وخديعة يُعطَون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق »[6].

وفي لفظ ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق[7] (ص١٤٧): «ائذنوا له

(١) الاستيعاب: ١١٩/١ [القسم الأول / ٣٦٠ رقم ٥٢٩]. (المؤلّف)

(٢) تطهير الجنان: ص٦٣.

(٣) مسند أحمد: ٣٤٧/٢ ح ٦٤٨٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٥٢٨/٤ ح ٨٤٨٤.

(٥) السيرة الحلبية: ٣١٧/١.

(٦) وذكره الدميري في حياة الحيوان: ٢٩٩/٢ [٤٢٢/٢]، وابن حجر في الصواعق: ص١٠٨ [ص١٨١]، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه: ٩٠/٦ [كنز العمّال: ٣٥٧/١١ ح ٣١٧٢٩] نقلاً عن أبي يعلى، والطبراني، والحاكم والبيهقي، وابن عساكر [في مختصر تاريخ دمشق: ١٩١/٢٤ ترجمة مروان بن الحكم]. (المؤلّف)

(٧) تطهير الجنان: ص٦٤.

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا، ويترذّلون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة إلّا الصالحين منهم وقليل ماهم».

وأخرج الحاكم في المستدرك[١] (٤٨١/٤) وصحّحه من طريق عبدالله بن الزبير قال: إنّ رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده.

وأخرج الطبراني[٢] وابن عساكر والدارقطني في الأفراد من طريق عبدالله بن عمر قال: هجرت الرواح إلى رسول الله ﷺ فجاء أبو الحسن فقال له رسول الله ﷺ: «ادنُ»، فلم يزل يدنيه حتى التقم أُذنيه، فبينما النبيُّ ﷺ يساره إذ رفع رأسه كالفزع قال: فَدعّ[٣] بسيفه الباب فقال لعليّ: «إذهب فقده كما تقاد الشاة إلى حالبها» فإذا عليّ يدخل الحكم بن أبي العاص آخذاً بأذنه ولها زنمة[٤] حتى أوقفه بين يدي النبي ﷺ فلعنه نبيُّ الله ﷺ ثلاثاً ثمّ قال: «أحلّه ناحية» حتى راح إليه قوم من المهاجرين والأنصار ثمّ دعا به فلعنه ثمّ قال: «إنّ هذا سيخالف كتاب الله وسنّة نبيّه، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء». فقال ناس من القوم: هو أقلُّ وأذلُّ من أن يكون هذا منه قال «بلى وبعضكم يومئذٍ شيعته». كنز العمّال[٥] (٣٩/٦، ٩٠).

وأخرج ابن عساكر[٦] من طريق عبدالله بن الزبير، قال وهو على المنبر: وربّ
هذا البيت الحرام والبلد الحرام إنّ الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان ٨ ٢٤٦/٨
محمد ﷺ وفي لفظ: إنّه قال وهو يطوف بالكعبة: وربّ هذه البنيّة للعن

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٥٢٨/٤ ـ ٥٢٩ ح ٨٤٨٥.

(٢) المعجم الكبير: ٣٣٦/١٢ ح ١٣٦٠٢.

(٣) الدعّ: الطرد والدفع.

(٤) زنمة: هي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلّقاً بها.

(٥) كنز العمّال: ١٦٥/١١ ح ٣١٠٦٠، ص ٣٥٩ ح ٣١٧٤.

(٦) مختصر تاريخ دمشق: ١٩١/٢٤.

رسول الله ﷺ الحكم وما ولد. كنز العمال[1] (٩٠/٦).

وأخرج ابن عساكر[2] من طريق محمد بن كعب القرظي أنّه قال: لعن رسول الله ﷺ الحكَم وما ولد، إلّا الصالحين وهم قليل.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد بن حميد والنسائي[3] وابن المنذر والحاكم وصحّحه عن عبدالله قال: إنّي لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إنّ الله تعالى قد أرى لأمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ في يزيد رأياً حسناً أن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟ إنّ أبا بكر رضي الله تعالى عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية إلّا رحمة وكرامة لولده. فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه: أُفّ لكما؟ فقال عبدالرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله أباك؟ فسمعت عائشة فقالت: مروان أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا، كذبت والله ما فيه نزلت، نزلت في فلان بن فلان.

وفي لفظ آخر عن محمد بن زياد: لمّا بايع معاوية لابنه قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر. فقال عبدالرحمن: سنّة هرقل وقيصر. فقال مروان: هذا الذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾[4] الآية. فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب مروان، كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أُسمّي الذي نزلت فيه لسمّيته، ولكنّ رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله. وفي لفظ: ولكن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله. وفي لفظ

---

(١) كنز العمّال: ٣٥٧/١١ ح٣١٧٣٢ و٣١٧٣٣.

(٢) كنز العمال: ٣٦١/١١ ح٣١٧٤٦.

(٣) السنن الكبرى: ٤٥٨/٦ ح١١٤٩١.

(٤) الأحقاف: ١٧.

الفائق: فأنت فظاظة[١] لعنة الله ولعنة رسوله.

راجع[٢] مستدرك الحاكم (٤/٤٨١)، تفسير القرطبي (١٦/١٩٧)، تفسير الزمخشري (٣/٩٩)، الفائق له (٢/٣٢٥)، تفسير ابن كثير (٤/١٥٩)، تفسير الرازي (٧/٤٩١)، أُسد الغابة لابن الأثير (٢/٣٤)، نهاية ابن الأثير (٣/٢٣) شرح ابن أبي
٨/٢٤٧ الحديد (٢/٥٥) / تفسير النيسابوري هامش الطبري (٢٦/١٣)، الإجابة للزركشي (ص١٤١)، تفسير النسفي هامش الخازن (٤/١٣٢)، الصواعق لابن حجر (ص١٠٨)، إرشاد الساري للقسطلاني (٧/٣٢٥)، لسان العرب (٩/٧٣)، الدرّ المنثور (٦/٤١)، حياة الحيوان للدميري (٢/٣٩٩)، السيرة الحلبية (١/٣٣٧)، تاج العروس (٥/٦٩)، تفسير الشوكاني (٥/٢٠)، تفسير الآلوسي (٢٦/٢٠)، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية (١/٢٤٥).

لفت نظر:

يوجد هذا الحديث في المصادر جلّها لولا كلّها باللفظ المذكور، غير أنّ البخاري أخرجه في تفسير صحيحه[٣] في سورة الأحقاف وحذف منه لعن مروان وأبيه وماراقه ذكر ما قاله عبدالرحمن، وهذا دأبه في جلّ ما يرويه، وإليك لفظه:

---

(١) قال الزمخشري: افتظظت الكرش إذا اعتصرت ماءها، كأنّه عصارة قذرة من اللعنة. (المؤلّف)

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤/٥٢٨ ح٨٤٨٣، الجامع لأحكام القرآن: ١٦/١٣١، الكشّاف: ٤/٣٠٤، الفائق في غريب الحديث: ٤/١٠٢، التفسير الكبير: ٢٨/٢٣، أُسد الغابة: ٢/٣٨ رقم ١٢١٧، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٤٥٤، شرح نهج البلاغة: ٦/١٥٠ خطبة ٧٢، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري: ٦/١٢١، الإجابة: ص١٢٩ ـ ١٣٠ باب ٢ فصل ٨، تفسير النسفي: ٤/١٤٣ ـ ١٤٤، الصواعق المحرقة: ص١٨١، إرشاد الساري: ١١/٦٩، لسان العرب: ١٠/٢٧٩، الدرّ المنثور: ٧/٤٤٤، حياة الحيوان: ٢/٤٢٢، السيرة الحلبيّة: ١/٣١٧، فتح القدير: ٥/٢١، السيرة النبوية لزيني دحلان: ١/١١٧.

(٣) صحيح البخاري: ٤/١٨٢٧ ح٤٥٥٠.

كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه. فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه[1]، فقال مروان: إنّ هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلّا أنّ الله أنزل عذري.

وهذا الحديث يكذّب ما عزاه القوم إلى أمير المؤمنين وابن عبّاس من قولهما بنزول آية: ﴿وَأَصلِح لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[2] في أبي بكر كما مرّ في الجزء السابع (ص٣٢٦).

وكان الحَكَم مع ذلك كلّه يدعو الناس إلى الضلال ويمنعهم عن الإسلام. اجتمع حويطب بمروان يوماً فسأله مروان عن عمره، فأخبره، فقال له: تأخّر إسلامك أيّها الشيخ حتى سبقك الأحداث. فقال حويطب: الله المستعان والله لقد هممت بالإسلام غير مرّة كلّ ذلك يعوقني أبوك يقول: تضع شرفك، وتدع دين آبائك لدين مُحدث، وتصير تابعاً؟ فسكت مروان وندم على ما كان قال له. تاريخ ابن كثير[3] (٨/٧٠).

الحَكَم في القرآن:

أخرج ابن مردويه عن أبي عثمان النهدي، قال: قال مروان لمّا بايع الناس ليزيد: سنّة أبي بكر وعمر... إلى آخر الحديث المذكور. فسمعت ذلك عائشة فقالت: إنّها لم تنزل في عبدالرحمن، ولكن نزل في أبيك: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ الآية. سورة القلم: ١٠، ١١.

---

(١) كلمة (عليه) غير موجودة في المصدر. والصحيح ـ ظاهراً ـ ذكرها لحاجة السياق إليها.

(٢) الأحقاف: ١٥.

(٣) البداية والنهاية: ٧٦/٨ حوادث سنة ٥٣ هـ.

٢٤٨/٨ راجع[1]: الدر المنثور (٤١/٦، ٢٥١)، السيرة الحلبيّة (٣٣٧/١)، تفسير الشوكاني (٢٦٣/٥)، تفسير الآلوسي (٢٨/٢٩)، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيّة (٢٤٥/١). وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنّها قالت لمروان: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدّك ـ أبي العاص بن أُميّة ـ: « إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن ».

ذكره[2] السيوطي في الدرّ المنثور (١٩١/٤)، والحلبي في السيرة (٣٣٧/١) والشوكاني في تفسيره (٢٣١/٣)، والآلوسي في تفسيره (١٠٧/١٥). وفي لفظ القرطبي في تفسيره[3] (٢٨٦/١٠):

قالت عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت بعضٌ من لعنة الله. ثمّ قالت: والشجرة الملعونة في القرآن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مُرّة قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت بني أُميّة على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء »، واهتمّ رسول الله لذلك، فأنزل الله: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً** ﴾[4].

وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي: «إنّ رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم فقيل: مالَك يا رسول الله؟ فقال: إنّي أُريت في المنام كأنّ بني أُميّة يتعاورون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله لا تهتم فإنّها دنيا تنالهم، فأنزل الله ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي** ﴾ الآية.

---

(١) الدرّ المنثور: ٤٤٤/٧، ٢٤٦/٨، السيرة الحلبية: ٣١٧/١، فتح القدير: ٢٧٠/٥، السيرة النبوية: ١١٧/١.

(٢) الدرّ المنثور: ٣٠٩/٥، ٣١٠، السيرة الحلبية: ٣١٧/١، فتح القدير: ٢٤٠/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٥/١٠.

(٤) الإسراء: ٦٠.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي[١] وابن عساكر[٢]، عن سعيد ابن المسيّب قال: رأى رسول الله ﷺ بني أُميّة على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: إنّما هي دنيا أُعطوها. فقرّت عينه وذلك قوله تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ** ﴾. الآية.

وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما من طريق سهل بن سعد قال: رأى رسول الله ﷺ بني أُميّة ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل الله تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ** ﴾ الآية.

وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عبّاس: أنّ الشجرة الملعونة بنو أُميّة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمرو[٣] أنّ النبيّ ﷺ قال: « رأيت ولد ٢٤٩/٨
الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة » فأنزل الله: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ** ﴾ يعني الحكم وولده.

وفي لفظ: إنّ النبيّ ﷺ رأى في المنام أنّ ولد الحكم بن أُميّة يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك[٤].

وفي لفظ للحاكم والبيهقي في الدلائل[٥] وابن عساكر[٦] وأبي يعلى من طريق أبي هريرة: «إنّي أريت في منامي كأنّ بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة » فما رؤي النبيُّ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفّي.

---

(١) دلائل النبوة: ٥٠٩/٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ١٩١/٢٤.

(٣) وفي بعض المصادر: ابن عمر. (المؤلّف)

(٤) كما في تفسير الخازن: ١٦٩/٣.

(٥) دلائل النبوّة: ٥١١/٦.

(٦) مختصر تاريخ دمشق: ١٩٠/٢٤.

مصادر ما رويناه[1]:

تفسير الطبري (٧٧/١٥)، تاريخ الطبري (٣٥٦/١١)، مستدرك الحاكم (٤٨/٤)، تاريخ الخطيب (٢٨/٨ و ٤٤/٩)، تفسير النيسابوري هامش الطبري (٥٥/١٥)، تفسير القرطبي (٢٨٣/١٠، ٢٨٦)، النزاع والتخاصم للمقريزي (ص٥٢)، أُسد الغابة (١٤/٣) من طريق الترمذي، تطهير الجنان لابن حجر هامش الصواعق (ص١٤٨) فقال: رجاله رجال الصحيح إلّا واحداً فثقة، والخصائص الكبرى (١١٨/٢)، الدرّ المنثور (١٩١/٤)، كنز العمال (٩٠/٦)، تفسير الخازن (١٧٧/٣)، تفسير الشوكاني (٢٣٠/٣، ٢٣١)، تفسير الآلوسي (١٠٧/١٥) فقال الآلوسي:

ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاءً لهم ومختبراً، وبذلك فسّره ابن المسيّب، وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا، وعدلوا عن سنن الحقّ وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممّن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً، أو ممّن كان أعوانهم كيف ما كان، ويحتمل أن يكون المراد: ما جعلنا خلافتهم وما جعلنا أنفسهم إلّا فتنة، وفيه من المبالغة في ذمّهم ما فيه، وجعل ضمير نخوّفهم على هذا لِما كان له أولاً أو للشجرة باعتبار أنّ المراد بها بنو أُميّة، ولعنهم لِما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة، والفروج المحصنة، وأخذ الأموال من غير حلّها، ومنع الحقوق عن أهلها، وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى

---

(١) جامع البيان: ج٩ / ج١٥ / ١١٢ ـ ١١٣، تاريخ الأُمم والملوك: ٥٨/١٠ حوادث سنة ٢٨٤ هـ، المستدرك على الصحيحين: ٥٢٧/٤ ح٨٤٨١، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري: ٣٦١/٤ ـ ٣٦٢، ٣٦٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٣/١٠ ـ ١٨٥، النزاع والتخاصم: ص٧٩، أُسد الغابة: ١٤/٢ رقم ١١٦٥، سنن الترمذي: ٤١٤/٥ ح٣٣٥٠، تطهير الجنان: ص٦٥، الخصائص الكبرى للسيوطي: ٢٠٠/٢، الدرّ المنثور: ٣٠٩/٥، كنز العمّال: ٣٥٨/١١ ح٣١٧٣٦ ـ ٣١٧٣٧، تفسير الخازن: ١٦٩/٣، فتح القدير: ٢٤٠/٣.

على نبيّه عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد / تُنسى ما دامت الليالي والأيّام، وجاء لعنهم في القرآن إمّا على الخصوص كما ٨/٢٥٠
زعمته الشيعة، أو على العموم كما نقول، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ** ﴾[(١)]. وقال عزّ وجلّ: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُم إِنْ تَوَلَّيتُم أَنْ تُفسِدوا في الأرضِ وَتُقطِّعُوا أرحَامَكُم * أولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فأصَمَّهُم وَأعمَى أبصَارَهُم** ﴾[(٢)]. إلى آيات أُخَر، ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولاً أوّليّاً... إلى آخر كلامه. راجع.

نظرة في كلمتين:

١ ـ قال القرطبي بعد روايته حديث الرؤيا: لا يدخل في هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبدالعزيز ولا معاوية.

لا يهمّنا بسط القول حول هذا التخصيص، ولا ننبس ببنت شفة في تعميم العموم الوارد في الأحاديث المذكورة وأمثالها الواردة في بني أُميّة عامّة وفي بني أبي العاص جدّ عثمان خاصّة، من قوله ﷺ في الصحيح من طريق أبي سعيد الخدري: «إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أُمّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم»[(٣)].

وقوله ﷺ من طريق أبي ذر: «إذا بلغت بنو أُميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً[(٤)]، وكتاب الله دغلاً»[(٥)].

---

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) سورة محمد: ٢٢، ٢٣.

(٣) مستدرك الحاكم: ٤/٤٨٧ [٤/٥٣٤ ح ٨٥٠٠]. وصحّحه. **(المؤلّف)**

(٤) في كنز العمال: دخلاً.

(٥) مستدرك الحاكم: ٤/٤٧٩ [٤/٥٢٦ ح٨٤٧٦]، وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمّال: ٦/٣٩ [١١/١٦٥ ح٣١٠٥٨]. **(المؤلّف)**

وقوله ﷺ من طريق حمران بن جابر اليمامي : « ويل لبني أُميّة ـ ثلاث [مرات] [١] أخرجه ابن منده كما في الإصابة (٣٥٣/١)، وحكاه عن ابن مندة وأبي نُعَيم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه [٢] (٣٩/٦، ٩١).

وقوله ﷺ من طريق أبي ذر : « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً » قال حلام بن جفال [٣] : فأنكر على أبي ذر فشهد عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام : « إنّي سمعت رسول الله يقول : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ، وأشهد أنّ رسول الله ﷺ قاله ».

أخرجه الحاكم من عدّة طرق وصحّحه هو والذهبي كما في المستدرك [٤] (٤٨٠/٤)
وأخرجه [٥] أحمد، وابن عساكر، وأبو يعلى، والطبراني، والدارقطني من طريق أبي ٢٥١/٨
سعيد وأبي ذرّ وابن عبّاس ومعاوية وأبي هريرة كما في كنز العمّال (٣٩/٦، ٩٠).

وذكر ابن حجر في تطهير الجنان [٦] هامش الصواعق (ص١٤٧) بسند حسّنه : أنّ مروان دخل على معاوية في حاجة وقال : إنّ مؤنتي عظيمة أصبحت أبا عشرة، وأخا عشرة، وعمّ عشرة ثمّ ذهب، فقال معاوية لابن عبّاس وكان جالساً معه على سريره : أنشدك بالله يابن عبّاس أما تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال : « إذا بلغ بنو

---

(١) من الكنز والإصابة.

(٢) كنز العمّال : ١٦٥/١١ ح٣١٠٥٩، ص٣٦٣ ح٣١٧٥٠.

(٣) في المستدرك : حلام بن جذل، وفي شرح النهج : ٢٥٧/٨ : جلّام بن جندل.

(٤) المستدرك على الصحيحين : ٥٢٧/٤ ح٨٤٧٨، وكذا في التلخيص.

(٥) مسند أحمد : ٤٩٨/٣ ح١١٣٤٩، و٣٤٧/٢ ح٦٤٨٣، مختصر تاريخ دمشق : ١٨٣/٢٤، ٢٩٠/٢٨، مسند أبي يعلى : ٣٨٣/٢ ح١١٥٢، المعجم الكبير : ١٨٢/١٢ ح١٢٩٨٢، كنز العمّال : ١٦٥/١١ ح٣١٠٥٥، ص٣٥٩ ح٣١٧٣٨.

(٦) تطهير الجنان : ص٦٤. وفيه : دغلاً، بدلاً من : دخلاً.

أبي الحكم ثلاثين رجلاً اتّخذوا آيات الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتابه دخلاً، فإذا بلغوا سبعة وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من كذا »؟ قال: اللّهم نعم.

وقوله ﷺ بإسناد حسّنه ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق[١] (ص١٤٣): « شرُّ العرب بنو أُميّة، وبنو حنيفة، وثقيف »، وقال: صحّ. قال الحاكم: على شرط الشيخين عن أبي برزة ﷺ قال: كان أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله بنو أُميّة.

وقول مولانا أمير المؤمنين ﷺ: « لكلّ أُمّة آفة وآفة هذه الأُمّة بنو أُميّة ». كنز العمّال[٢] (٦/٩١).

فالحَكَم في هذه العمومات ولا سيّما بعد ملاحظة ما أثبتته السير ومدوّنات التاريخ وغيرها، وبعد الإحاطة بأحوال الرجال وما ارتكبوه وما ارتبكُوا فيه، أنت ووجدانك أيّها القارئ الكريم.

٢ ـ قال ابن حجر في الصواعق[٣] (ص١٠٨): قال ابن ظفر: وكان الحَكَم هذا يُرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل، كذا ذكره الدميري في حياة الحيوان[٤].

ولعنته ﷺ للحَكَم وابنه لا تضرهما لأنّه ﷺ تدارك ذلك بقوله ممّا بيّنه في الحديث الآخر: إنّه بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنّه سأل ربّه أنّ من سبّه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون [ذلك][٥] رحمةً وزكاةً وكفّارةً وطهارةً. وما نقله الدميري عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه في الحكم فإنّه صحابيّ، وقبيح أيّ

---

(١) تطهير الجنان: ص٦٣.

(٢) كنز العمّال: ١١/٣٦٤ ح٣١٧٥٥.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٨١.

(٤) حياة الحيوان: ٢/٤٢٢.

(٥) من المصدر.

قبيح أن يُرمى صحابيّ بذلك، فليحمل على أنّه إن صحّ ذلك كان يُرمى به قبل الإسلام. انتهى.

أنا لا أدري أيعلم ابن حجر ماذا يلوك بين أشداقه؟ أهو مجدّ فيما يقول أم هازئ؟ أمّا ما اعتذر به من أنّ لعنته ﷺ لا تضرُّ الحَكَم وابنه. إلى آخره. فقد أخذه
٢٥٢/٨ ممّا أخرجه / الشيخان في الصحيحين[1] من طريق أبي هريرة، غير أنّه حرّف منه كلماً وزاد فيه أُخرى وإليك لفظه:

قال: اللّهمّ إنّما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنّي قد اتّخذت عندك عهداً لم تخلفنيه فأيّما مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقرّبه بها إليك.

هذا حطّ من مقام الرسالة لأجل أمويّ ساقط، وحسبان أنّ صاحبها كإنسان عاديّ يثيره ما يثير غيره فيغضب لما لا ينبغي أن يُغضب له، ومخالف للكتاب العزيز من قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إنْ هُوَ إلّا وَحيٌ يُوحَى** ﴾[2].

نعم، هو ﷺ بشر غير أنّه كما قال في الذكر الحكيم: ﴿ **قُلْ إنَّمَا أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَى إلَيَّ** ﴾ فإن كان في الوحي أن يلعن الطريد وما ولد فماذا ينجيه من اللعن؟ إلّا أن يحسب ابن حجر أنّ الوحي أيضاً يتّبع الشهوات! كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وكيف يكون اللعن رحمةً وزكاةً وطهارةً وكفّارةً وقد أصاب موضعه بأمر من الله سبحانه؟

---

(١) صحيح البخاري: ٧١/٤ [٢٣٣٩/٥ ح ٦٠٠٠ كتاب الدعوات]، صحيح مسلم: ٣٩١/٢ [١٧٠/٥ ح ٩١ كتاب البرّ والصلة وبزيادة: يوم القيامة، في ذيل الحديث]. (المؤلّف)

(٢) النجم: ٣ ـ ٤.

وما يصنع ابن حجر بالصحيح المتضافر من أنّ سباب المسلم فسوق[(١)]؟

وكيف يسوّغ له إيمانه أن يكون رسول الله سبّاباً أو لعّاناً أو مؤذياً لأحد أو جالداً لمسلم على غير حقّ؟ وكلُّ ذلك من منافيات العصمة والله سبحانه يقول ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[(٢)]. وجاء في الصحيح: إنّه ﷺ لم يكن سبّاباً ولا فحّاشاً ولا لعّاناً، وقد أبى رسول الله ﷺ عن الدعاء على المشركين، وقال ﷺ: «إنّي لم أُبعث لعّاناً وإنّما بُعثت رحمة»[(٣)] فهو ﷺ كان يأمل في أُولئك المشركين الهداية فلم يلعنهم ولا دعا عليهم، ولمّا كان لم يَرجُ في الحَكَم وولده أيّ خير لعنهم لعناً يُبقي عليهم خزي الأبد.

نعم؛ رواية الصحيحين المنافية لعصمة الرسول ﷺ اختلقتها يد الهوى على عهد / معاوية تزلّفاً إليه، وطمعاً في رضيخته، وتحبّباً إلى آل أبي العاص المقرّبين عنده. ٢٥٣/٨
ومن أراد الوقوف على أبسط ممّا ذكرناه في المقام فليراجع كتاب (أبو هريرة) لسيّدنا الآية السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي[(٤)] (ص١١٨ ـ ١٢٩).

---

(١) أخرجه أحمد [في المسند: ٢٤/٢ ح٤٢٥٠]، والبخاري [في الصحيح: ٢٢٤٧/٥ ح ٥٦٩٧]، والترمذي [في السنن: ٢٢/٥ ح٢٦٣٥]، والنسائي [في السنن الكبرى: ٣١٣/٢ ـ ٣١٤ ح٣٥٦٧ ـ ٣٥٧٨]، وابن ماجه [في السنن: ١٢٩٩/٢ ح٣٩٣٩] وغيرهم من طريق ابن مسعود. وابن ماجه [في السنن ١٢٩٩/٢ ـ ١٣٠٠ ح ٣٩٤٠ من طريق أبي هريرة، ٣٩٤١ من طريق سعد بن أبي وقاص] من طريق جابر وسعد، والطبراني [في المعجم الأوسط: ٤١٣/١ ح٧٣٨، والكبير: ٣٩/١٧ ح ٨٠] عن عبدالله بن المغفل وعمرو بن النعمان. وصحّحه غير واحد من الحفاظ؛ كالهيثمي [في مجمع الزوائد: ٧٣/٨]، والسيوطي [في الدر المنثور: ٥٣٠/١]، والمناوي [في فيض القدير: ٨٤/٤ ح٤٦٣٣]. **(المؤلّف)**

(٢) الأحزاب: ٥٨.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٢/٩ [٢٢٤٣/٥ ح٥٦٨٤]، ومسلم في صحيحه: ٣٩٣/٢ [١٦٨/٥ ح٨٧]. **(المؤلّف)**

(٤) أبو هريرة: ص٣٥ ـ ٤٥.

هبنا ـ العياذ بالله ـ ما شينا ابن حجر في أساطيره في نبيّ العصمة والقداسة، فما حيلة المغفّل فيما نزل من الذكر الحكيم في الحَكَم وبنيه؟ هل فيه ضير؟ أم يراه أيضاً رحمةً وزكاةً وكفّارةً وطهارةً.

وشتّان بين رأي ابن حجر في الحَكَم وبين ما يأتي من قول أبي بكر لعثمان فيه: عمّك إلى النار، وقول عمر لعثمان: ويحك يا عثمان تتكلّم في لعين رسول الله وطريده وعدّو الله وعدوّ رسوله؟

وأمّا ما عالج به داء الحكم فهو يعلم أنّه موصوم بما هو أفظع من ذلك؛ من لعن رسول الله وطرده إيّاه، وكان الخبيث يهـزأ برسول الله ﷺ في مشيته حتى أخذته دعوته ﷺ، وهل تجديه الصحبة وحاله هذه؟ وهل تشمل الصحبة التي هي مـن أربى الفضائل اللصّ الذي ساكن الصحابة لا ستراق أموالهم وإلقاح الفتن فيهم؟ وهل تشمل المنافقين الذي كانوا في المـدينة يـومئذٍ؟ ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ** ﴾[1] فإن طهّرت الصحبة أمثال الحكم فهي مطهّرة أُولئك بطريق أولى لأنّه لم يكشف عنهم الغطاء كما كشف عن الحكم على العهد النبويّ وفي دور الشيخين، حتى أراد ابن أخيه أن ينقذه من الفضيحة فزيد ضغث على إبّالة[2]، ونبشت الدفائن، وذكر ما كاد أن يُنسى.

ثمّ هب أنّ الصحبة مُزيحة لعلل النفس والأمراض القلبيّة فهل هي مزيلة للأدواء الجسمانيّة؟ لم نجد في كتب الطبّ من وصفها بذلك، ولا تعدادها في صفّ الأدوية المفيدة لداء من الأدواء، ولا لذلك الداء العضال الذي زعم ابن حجر أنّه منفيّ عن الحكم لمحض الإسلام والصحبة، وجوّز أن يكون قبل اتّصاله بالمسلمين، حيّا الله هذا الطبّ الجديد!

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) الإبالة: الحزمة من الحطب.. الضغث: القبضة من الحشيش. ومعنى المثل: بليّة على أُخرى. أُنظر مجمع الأمثال: ٢/٢٦٠.

إنّ من الممكن جدّاً أن يكون هذا الداء العضال من علل طرد الرجل من المدينة، فلم يُرد ﷺ أن يكون بين صحابته في عاصمة نبوّته مخزيّ مثله.

إذا أنهاك البحث إلى هاهنا وعرفت الحكَم ومقداره في أدوار حياته جاهليّةً وإسلاماً، فاقرأ ما جاء به سالم بن وابصة تزلّفاً إلى معاوية بن مروان بن الحكم من ٢٥٤/٨
قوله:

إذا افتخرت يوماً أُميّةُ أطرقتْ ... قريش وقالوا معدن الفضل والكرمْ
فإن قيل هاتوا خَيركم أطبقوا معاً ... على أنّ خيرَ الناسِ كلِّهمُ الحكمْ
ألستم بني مروان غيثَ بلادِنا ... إذا السنةُ الشهباءُ سدّتْ على الكظمْ

سبحانك اللّهمّ ما قيمة بشر خيره الحكَم؟ وما شأن جدوب غيثها بنو مروان؟ إن هي إلّا أساطير الأوّلين نسجتها يد الغلوّ في الفضائل.

المساءلة:

هلمّ معي نسائل الخليفة في إيواء لعين رسول الله وطريده ـ الحكَم ـ وبمسمعٍ منه ومرأى نزول القرآن فيه واللعن المتواصل من مصدر النبوّة عليه وعلى من تناسل منه عدا المؤمنين، وقليل ما هم، ما هو المبرّر لعمله هذا وردّه إلى مدينة الرسول؟ وقد طرده ﷺ وأبناءه منها تنزيها لها من تلكم الأرجاس والأدناس الأمويّة، قد سأل أبا بكر وبعده عمر أن يردّاه، فقال كلّ منهما: لا أحلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ[1]

وقال الحلبي في السيرة[2] (٨٥/٢): كان يقال له: طريد رسول الله ﷺ ولعينه، وقد كان ﷺ طرده إلى الطائف ومكث به مدّة رسول الله ومدّة أبي بكر بعد أن سأله

(١) الأنساب للبلاذري: ٢٧/٥، الرياض النضرة: ١٤٣/٢ [٨٠/٣]، أُسد الغابة: ٣٥/٢ [٣٨/٢ رقم ١٢١٧]، السيرة الحلبية ٣٣٧/١ [٣١٧/١]، الإصابة: ٣٤٥/١ [رقم ١٧٨١]. (المؤلّف)
(٢) السيرة الحلبيّة: ٧٦/٢ ـ ٧٧.

عثمان في إدخاله المدينة فأبى، فقال له عثمان: عمّي، فقال: عمُّك إلى النار؛ هيهات هيهات أن أُغيّر شيئاً فعله رسول الله ﷺ، والله لا رددته أبداً، فلمّا توفّي أبو بكر وولي عمر كلّمه عثمان في ذلك فقال له: ويحك يا عثمان تتكلّم في لعين رسول الله ﷺ وطريده وعدوّ الله وعدوّ رسوله؟ فلمّا ولي عثمان ردّه إلى المدينة فاشتدّ ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة، فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه. انتهى.

ألم تكن للخليفة أُسوة في رسول الله؟ والله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرجُو اللهَ وَالْيَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[1] أو كان قومه وحامّته أحبّ إليه من الله ورسوله؟ وبين يديه الذكر الحكيم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤكُم وَأَبنَاؤكُم
٨/٢٥٥ وَإِخوَانُكُم / وَأزوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأموَالٌ اقتَرَفتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرضَونَهَا أَحَبَّ إِلَيكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَومَ الفَاسِقِينَ﴾[2].

ثمّ ما هو المبرّر لتخصيص الرجل بتلك المنحة الجزيلة من حقوق المسلمين وأُعطياتهم؟ بعد تأمينه على أخذ الصدقات المشترط فيه الثقة والأمانة واللعين لا يكون ثقةً ولا أميناً.

ثمّ نسائل الحَكَم والخليفة على تقريره لما ارتكبه من حمل صدقات قضاعة إلى دار الخلافة وقد ثبت في السنّة كما مرّ (ص٢٣٩) أنّها تُقسّط على فقراء المحلّ وعليها أتت الأقوال. قال أبو عبيد في الأموال[3] (ص٥٩٦): والعلماء اليوم مجمعون على هذه الآثار كلّها أنّ أهل كلّ بلد من البلدان، أو ماء من المياه أحقُّ بصدقتهم ما دام فيهم من ذوي الحاجة واحد فما فوق ذلك، وإن أتى ذلك على جميع صدقتها حتى يرجع

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) التوبة: ٢٤.

(٣) الأموال: ص٧٠٩ ح١٩١١.

الساعي ولا شيء معه منها، بذلك جاءت الأحاديث مفسّرة. ثمّ ذكر أحاديث فقال[1] (ص٥٩٧): قال أبو عبيد: فكلّ هذه الأحاديث تثبت أنّ كلّ قوم أولى بصدقتهم حتى يستغنوا عنها، ونرى استحقاقهم ذلك دون غيرهم إنّما جاءت به السنّة لحرمة الجوار وقُرب دارهم من دار الأغنياء. انتهى.

ألم يكن في قضاعة ذو حاجة فيُعطى؟ أو لم يكن في المدينة الطيّبة من فقراء المسلمين أحد فيقسّم ذلك المال الطائل بينهم بالسويّة؟ ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا**﴾[2]. الآية. فتخصيصها للحَكَم لماذا؟

وهلمّ معي إلى المسكين صاحب المال تُؤخذ منه الصدقات شاء أو أبى وهو يعلم مَصبّ تلكم الأموال ومدرّها من أيدي أولئك الجبابرة أو الجباة ـ نظراء الحكم ومروان والوليد وسعيد ـ وما يرتكبونه من فجور ومجون، وبعد لم ينقطع من أذنه صدى ما ارتكبه خالد بن الوليد سيف.. مع مالك بن نويرة وحليلته وذويه وما علكه، وكان يسمع من وحي الكتاب قوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[3]، فهل يرى المسكين أنّ هذا الأخذ يطهّره ويزكيّه؟ لاحكم إلّا لله.

٢٥٦/٨ نعم، يقول المغيرة بن شعبة ـ زاني ثقيف ـ: إنّ النبيّ ﷺ أمرنا أن ندفعها إليهم وعليهم حسابهم[4] ويقول ابن عمر: ادفعوها إليهم وإن شربوا بها الخمر. ويقول: ادفعها إلى الأمراء وإن تمزّعوا بها لحوم الكلاب على موائدهم[5].

نحن لا نقيم لأمثال هذه الآراء وزناً، ولا أحسب أنّ الباحث يقدّر لها قيمة.

---

(١) الأموال: ص٧١١ ح١٩١٦.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) سنن البيهقي: ١١٥/٤. (المؤلّف)

(٥) سنن البيهقي: ١١٥/٤، الأموال لأبي عبيد: ص٥٧٠ [ص٦٨١ ح١٧٩٩]. (المؤلّف)

فإنّها ولائد ظنون مجرّدة، وقد جاء في أولئك الأُمراء بإسناد صحّحه الحاكم والذهبي من طريق جابر بن عبدالله قال: قال ﷺ لكعب بن عجرة: « أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء » . قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله ؟ قال: « أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنّون بسنّتي، فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منّي ولست منهم، ولا يردون عليّ[1] حوضي، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منّي وأنا منهم وسيردون على حوضي »[2] .

فإعطاء الصدقات لأولئك الأمراء من أظهر مصاديق الإعانة على الإثم والعدوان والله تعالى يقول: ﴿ **وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَان** ﴾[3] .

ثم إنّ الصدقات كضرائب ماليّة في أموال الأغنياء لإعاشة الضعفاء من الأُمّة. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: « إنّ الله عزّ وجلّ فرض على الأغنياء في أموالهم ما يكفي الفقراء، فإن جاعوا أو عروا أو جهدوا فبمنع الأغنياء، وحقّ على الله تبارك وتعالى أن يحاسبهم ويعذّبهم » . الأموال لأبي عبيد[4] (ص٥٩٥)، المحلّى لابن حزم (١٥٨/٦)، وأخرجه الخطيب في تاريخه (٣٠٨/٥) من طريق عليّ مرفوعاً.

وفي لفظ: « إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلّا بما متّع به غنيّ، والله سائلهم عن ذلك» نهج البلاغة[5] (٢١٤/٢).

هذا هو مجرى الصدقات في الشريعة المطهّرة، وهو الذي يطهّر صاحب المال

---

(١) في المصدر: على.

(٢) مستدرك الحاكم: ٤٢٢/٤ [٤٦٨/٤ ح٨٣٠٢ وكذا في التلخيص]. (**المؤلّف**)

(٣) المائدة: ٢.

(٤) الأموال: ص٧٠٩ ح١٩١٠.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٣٣ رقم٣٢٨.

ويُزكّيه، ويكتسح عن المجتمع معرّة الآراء الفاسدة من الفقراء، المقلقة للسلام والمعكّرة لصفو الحياة.

٢٥٧/٨ ثمّ الخليفة يدّعي[١] أنّ رسول الله ﷺ وعده ردّ الحكم بعد أن فاوضه في ذلك، إن كان هذا الوعد صحيحاً فلِم لَم يعلم به أحد غيره؟ ولا عرفه الشيخان وهلّا رواه لهما حين كلّمهما في ردّه فجبهاه بما عرفت؟ أو أنّهما لم يثقا بتلك الرواية؟ فهذه مشكلة أُخرىٰ. أو أنّهما صدّقاه؟ غير أنّهما رأيا أنّ النبيّ ﷺ وعده أن يردّه هو ﷺ ولم يردّه، ولعلّ المصلحة الواقعيّة أو الظروف لم تساعده على إنجاز الوعد حتى قضى نحبه، فمن اين عرف الترخيص له في ردّه؟ ولو كانت هناك شبهة رخصة؟ لعمل بها الشيخان حين فاوضهما هو في ذلك، لكنّهما ما عرفا الشبهة ولا علما تلميحاً للرخصة بل رأياه عقدة لرسول الله ﷺ لا تنحلّ، وفي الملل والنحل للشهرستاني[٢] (٢٥/١): فما أجابا إلى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً. انتهى. ومن هنا رأى ابن عبدربّه في العقد، وأبو الفدا في تاريخه (١٦٨/١) أنّ الحكم طريد رسول الله وطريد أبي بكر وعمر أيضاً، وكذلك الصحابة كلّهم ماعرفوا مساغاً لردّ الرجل وأبنائه، وإلّا لما نقموا به عليه ولعذروه على ما ارتكبه وفيهم من لا تخفى عليه مواعيد النبيّ ﷺ.

وللخليفة معذرة أُخرىٰ، قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد[٣] (٢٧٢/٢): لمّا ردّ عثمان الحَكَم طريد النبيّ ﷺ وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة تكلّم الناس في ذلك، فقال عثمان: ما ينقم الناس منّي؟ إنّي وصلت رحماً وقرّيت عيناً. انتهى. ونحن لا نخدش العواطف بتحليل كلمة الخليفة هذه، ولا نفصّل القول في مغزاها وإنّما نمرّ به

(١) الأنساب للبلاذري: ٢٧/٥، الرياض النضرة: ١٤٢/٢ [٨٠/٣]، مرآة الجنان لليافعي: ٨٥/١، الصواعق: ص٦٨ [ص١١٣]، السيرة الحلبية: ٨٦/٢ [٧٧/٢]. (المؤلّف)

(٢) الملل والنحل: ٣٢/١.

(٣) العقد الفريد: ١١٨/٤.

كراماً، وأنت إذا عرفت الحكَم وما ولد، فعلمت أنّ ردّهم إلى المدينة المشرّفة وتولّيهم على الأُمور، وتسليطهم على ناموس الإسلام، واتّخاذ الحمى لهم كما مرّ (ص ٢٣٥) جناية كبيرة على الأُمّة لا تُغتفر، ولا تقرّ بها قطُّ عين.

ـ ٣٢ ـ

أيادي الخليفة عند مروان

أعطى مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمّه وصهره من ابنته أُمّ أبان خُمس غنائم إفريقية وهو خمسمئة ألف دينار، وفي ذلك يقول عبدالرحمن بن حنبل الجمحي الكندي مخاطباً الخليفة:

٢٥٨/٨ سأحلف بالله جهد اليميـ ـن[1] ما ترك الله أمراً سُدى
ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي لَكَ[2] أو تبتلى
فإنّ الأمينين قد بيّنا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلةً وما جعلا درهماً في الهوى
دعوت اللعينَ فأدنيتَهُ خلافاً لسنّة من قد مضى
وأعطيت مروانَ خمس العبا د ظُلماً لهم وحميت الحمى[3]

هكذا رواه ابن قتيبة في المعارف[4] (ص ٨٤)، وأبو الفداء في تاريخه (١٦٨/١)، وذكر البلاذري الأبيات في الأنساب (٣٨/٥) ونسبها إلى أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي الخزرجي الذي منع أن يدفن عثمان بالبقيع، وإليك لفظها:

---

(١) في الطبعة المعتمدة لدينا من المعارف: أحلف بالله ربّ الأنام.

(٢) في المعتمدة: نبتلى بك.

(٣) في المعتمدة ورد الشطر الثاني هكذا: فهيهات شأوك ممن سعى.

(٤) المعارف: ص ١٩٥.

أُقــســمُ بــالله ربِّ العــبا | د ما ترك الله خـلقاً سُدى
دعــوتَ اللــعينَ فأدنـيته | خلافاً لسنّة من قـد مـضى

قال: يعني الحكَم والد مروان.

وأعطيت مروان خمس العبا | دظلماً لهـم وحميت الحـمى
ومـالٌ أتـاك بـه الأشعريُّ | من الفيء أنهـيته مـن تـرى
فأمّــا الأمــينان إذ بــيّنا | منار الطريق عليه الصُّـوى
فـلم يأخـذا درهمـاً غـيلةً | ولم يصرفا درهماً في هـوى

وذكرها ابن عبد ربّه في العقد الفريد[1] (٢٦١/٢) ونسبها إلى عبدالرحمن، وروى البلاذري من طريق عبدالله بن الزبير أنّه قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية فأصاب عبدالله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم. وفي رواية أبي مخنف: فابتاع الخمس بمائتي ألف دينار فكلّم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان[2].

وفي رواية الواقدي كما ذكره ابن كثير: صالحه بطريقها على ألفي ألف دينار وعشرين ألف دينار، فأطلقها كلّها عثمان في يوم واحد لآل الحكَم ويقال: لآل مروان[3].

٢٥٩/٨ وفي رواية الطبري عن الواقدي، عن أُسامة بن زيد، عن ابن كعب قال: لمّا وجّه عثمان عبدالله بن سعد إلى إفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جُرجير ألفي

(١) العقد الفريد: ١٠٣/٤.
(٢) الأنساب: ٢٧/٥، ٢٨. (المؤلّف)
(٣) تاريخ ابن كثير: ١٥٢/٧ [١٧٠/٧ حوادث سنة ٢٧ هـ]. لا يخفى على القارئ تحريف ابن كثير رواية الواقدي، والصحيح ما ذكره الطبري عنه. (المؤلّف)

ألف دينار وخمسمئة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمئة قنطار كما أخذ منهم عبدالله بن سعد. إلى أن قال: كان الذي صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلاثمئة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان؟ قال: لا أدري. تاريخ الطبري[1] (٥٠/٥).

وقال ابن الأثير في الكامل[2] (٣٨/٣): وحُمل خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمئة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممّا أُخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية، فإنّ بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس إفريقية عبدالله بن سعد. وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم، وظهر بهذا أنّه أعطى عبدالله خمس الغزوة الأولى، وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية. والله أعلم.

وروى البلاذري وابن سعد: أنّ عثمان كتب لمروان بخمس مصر وأعطى أقرباءه المال، وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتّخذ الأموال واستسلف من بيت المال وقال: إنّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنّي أخذته فقسّمته في أقربائي. فأنكر الناس عليه ذلك[3].

وأخرج البلاذري في الأنساب (٢٨/٥) من طريق الواقدي عن أُمّ بكر بنت المسور قالت: لمّا بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلىٰ طعامه وكان المسور فيمن دعا، فقال مروان وهو يحدّثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكتّ لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا إفريقية وإنّك لأقلّنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفّنا ثقلاً، فأعطاك ابن عفّان خمس

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٥٦/٤ حوادث سنة ٢٧ هـ.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٣٧/٢ حوادث سنة ٢٧ هـ.

(٣) طبقات ابن سعد: ٤٤/٣ طبع ليدن [٦٤/٣]، الأنساب للبلاذري: ٢٥/٥. (المؤلّف)

إفريقية وعُمّلت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين. فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرمٌ متّقٍ.

وقال ابن أبي الحديد في الشرح[1] (٦٧/١): أمر ـ عثمان ـ لمروان بمئة ألف من بيت المال وقد زوّجه ابنته أُمّ أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها / بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا. ولكن ٨/٢٦٠ أبكي لأنّي أظنُّك أنّك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، ولو[2] أعطيت مروان مئة درهم لكان كثيراً. فقال: ألق المفاتيح يابن أرقم فإنّا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسّمها كلّها في بني أُميّة.

وقال الحلبي في السيرة[3] (٨٧/٢): وكان من جملة ما انتقم به على عثمان ﷺ أنّه أعطى ابن عمّه مروان بن الحكم مئة ألف وخمسين أوقية.

مروان وما مروان؟

مرّ في صفحة (٢٤٦) ما صحّ من لعن رسول الله ﷺ على أبيه وعلى من يخرج من صلبه. وأسلفنا ما صحّ من قول عائشة لمروان: لعن رسول الله ﷺ أباك فأنت فضض من لعنة الله.

وأخرج الحاكم في المستدرك[4] (٤٧٩/٤) من طريق عبدالرحمن بن عوف وصحّحه أنه قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلّا أُتي به إلى النبيّ ﷺ [فدعا له]

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٩٩/١ خطبة ٣.

(٢) في المصدر: والله لو.

(٣) السيرة الحلبية: ٧٨/٢.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٥٢٦/٤ ح٨٤٧٧. وما بين المعقوفين منه.

فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون.

وذكره الدميري في حياة الحيوان[١] (٣٩٩/٢)، وابن حجر في الصواعق[٢] (ص١٠٨)، والحلبي في السيرة[٣] (٣٣٧/١). ولعلّ معاوية أشار إليه بقوله لمروان: يابن الوزغ لست هناك. فيما ذكره ابن أبي الحديد[٤] (٥٦/٢).

وأخرج ابن النجيب من طريق جبير بن مطعم قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمرّ الحكم بن أبي العاص فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل لأُمّتي ممّا في صلب هذا»[٥].

وفي شرح ابن أبي الحديد[٦] (٥٥/٢) نقلاً عن الاستيعاب[٧]: نظر عليّ عليه السلام يوماً إلى مروان فقال له: «ويل لك وويل لأُمّة محمد منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك». وفي لفظ ابن الأثير: «ويلك وويل أُمّة محمد منك ومن بنيك». أُسد الغابة[٨] (٣٤٨/٤). ورواه ابن عساكر بلفظ آخر كما في كنز العمّال[٩] (٩١/٦).

وقال مولانا أمير المؤمنين يوم قال له الحسنان السبطان: «يبايعك مروان
٢٦١/٨ يا أمير / المؤمنين»: «أوَلم يبايعني قبل قتل[١٠] عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنّها كفّ

---

(١) حياة الحيوان: ٤٢٢/٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٨١.

(٣) السيرة الحلبية: ٣١٧/١.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٥٥/٦ خطبة ٧٢.

(٥) أُسد الغابة: ٣٤/٢ [٣٧/٢ رقم ١٢١٧]، الإصابة: ٣٤٦/١ [رقم ١٧٨١]، السيرة الحلبية: ٣٣٧/١ [٣١٧/١]، كنز العمّال: ٤٠/٦ [١٦٧/١١ ح٣١٠٦٦]. (المؤلّف)

(٦) شرح نهج البلاغة: ١٥٠/٦ خطبة ٧٢.

(٧) الاستيعاب: القسم الثالث / ١٣٨٨ رقم ٢٣٧٠.

(٨) أُسد الغابة: ١٤٥/٥ رقم ٤٨٤١.

(٩) كنز العمّال: ١٦٧/١١ ح٣١٠٦٧.

(١٠) في نهج البلاغة وشرحه: بعد قتل...

يهوديّة لو بايعني بيده لغدر بسبّته، أما إنّ له إمرةً كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة[(١)] وستلق الأُمّة منه ومن ولده يوماً أحمر». نهج البلاغة [(٢)].

قال ابن أبي الحديد في الشرح[(٣)] (٥٣/٢): قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت في زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة وهي قوله عليه السلام في مروان: «يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وإنّ له إمرة» الى آخره.

هذه الزيادة أخذها ابن أبي الحديد من ابن سعد ذكرها في طبقاته[(٤)] (٣٠/٥) طبع ليدن قال: قال عليٌّ بن أبي طالب يوماً ونظر إليه: «ليحملنّ راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه، وله إمرة كلحسة الكلب أنفه». انتهى. وهذا الحديث كما ترى غير ما في نهج البلاغة وليس كما حسبه ابن أبي الحديد زيادة فيه، ولا توجد تلك الزيادة في رواية السبط أيضاً في تذكرته[(٥)] (ص٤٥). والله العالم.

قال البلاذري في الأنساب (١٢٦/٥): كان مروان يلقّب خيط باطل[(٦)] لدقّته وطوله شبه الخيط الأبيض الذي يُرى في الشمس، فقال الشاعر ـ ويقال: إنّه عبدالرحمن بن الحكم أخوه ـ:

لعمرك ما أدري وإنّي لسائلٌ حليلة مضروب القفا كيف يصنعُ[(٧)]

---

(١) هم بنو عبدالملك: الوليد، سليمان، يزيد، هشام. كذا فسّره الناس وعند ابن أبي الحديد [١٤٧/٦ ـ ١٤٨ خطبة ٧٢] هم أولاد مروان: عبدالملك، بشر، محمد، عبدالعزيز. (**المؤلّف**)

(٢) نهج البلاغة: ص١٠٢ رقم ٧٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٤٨/٦، خطبة ٧٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ٤٣/٥.

(٥) تذكرة الخواص: ص٧٨.

(٦) أُنظر ثمار القلوب: ص٧٦ رقم١٠٣.

(٧) أشار بقوله: مضروب القفا إلى ما وقع يوم الدار، فإنّ مروان ضُرِب يوم ذاك على قفاه كما يأتي حديثه في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى. (**المؤلّف**)

لحى الله قوماً أمّروا خيطَ باطلٍ　　على الناس يعطي ما يشاء ويمنعُ[(١)]

وذكر البلاذري في الأنساب (١٤٤/٥) في مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبدالملك بن مروان ليحيى بن سعيد أخي الأشدق قوله:

غدرتم بعمروٍ يا بني خيط باطل　　ومثلكمُ يبني البيوتَ على الغَدرِ

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه[(٢)] (٥٥/٢) لعبد الرحمن بن الحكَم في أخيه قوله:

٢٦٢/٨ وهبت نصيبي منك يا مروَ[(٣)] كلّه　　لعمرو ومروان الطويل وخالدِ
وربّ ابن أُمّ زائدٍ غير ناقص　　وأنت ابن أُمّ ناقصٍ غير زائدِ

ومن شعر مالك بن الريب ـ المترجم في الشعر والشعراء لابن قتيبة[(٤)] ـ يهجو مروان قوله:

لعمرك ما مروانُ يقضي أُمورَنا　　ولكنّا تقضي لنا بنتُ جعفرِ[(٥)]
فياليتها كانت علينا أميرةً　　وليتك يا مروانُ أمسيت ذا حِرِ

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢/١٠) من طريق أبي يحيى قال: كنت بين الحسن والحسين ومروان يتسابّان فجعل الحسن يسكّت الحسين، فقال مروان: أهل بيت ملعونون. فغضب الحسن وقال: « قلت أهل بيت ملعونون، فوالله لقد لعنك الله

---

(١) ورواهما وما قبلهما ابن الأثير في أسد الغابة: ٣٤٨/٤ [١٤٥/٥ رقم ٤٨٤١]. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٥١/٦ خطبة ٧٢.

(٣) هو مرخّم مروان.

(٤) الشعر والشعراء: ص ٢٢١.

(٥) بنت جعفر هي الهاشمية الشهيرة بأم أبيها بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب زوجة عبدالملك بن مروان. ثمّ طلّقها فتزوّجها عليّ بن عبدالله بن عباس. (المؤلّف)

وأنت في صلب أبيك ». أخرجه[١] الطبراني وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه (٩٠/٦) نقلاً عن ابن سعد وأبي يعلى وابن عساكر.

إنّ الذي يستشفّه المنقّب من سيرة مروان وأعماله أنّه ما كان يقيم لنواميس الدين الحنيف وزناً، وإنّما كان يلحظها كسياسات زمنيّة فلا يبالي بإبطال شيء منها، أو تبديله إلى آخر حسب ما تقتضيه ظروفه وتستدعيه أحواله، وإليك من شواهد ذلك عظائم، وعليها فقس ما لم نذكره:

١ ـ أخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده[٢] (٩٤/٤) من طريق عباد بن عبدالله ابن الزبير قال: لمّا قدم علينا معاوية حاجّاً، قدمنا معه مكة قال: فصلّى بنا الظهر ركعتين ثمّ انصرف إلى دار الندوة، قال: وكان عثمان حين أتمّ الصلاة فإذا قدم مكة صلّى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة، فإذا فرغ من الحجّ وأقام بمنى أتمّ الصلاة حتى يخرج من مكة، فلمّا صلّى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمّك بأقبح ما عبته به. فقال لهما: وما ذاك؟ قال: فقالا له: ألم تعلم أنّه أتمّ الصلاة بمكة؟ قال: فقال لهما: ويحكما وهل كان غير ما صنعت؟ قد صلّيتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قالا: فإنّ ابن عمّك قد أتمّها وإنّ خلافك إيّاه / له عيب. قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلّاها بنا أربعاً. ٢٦٣/٨

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٦/٢) نقلاً عن أحمد والطبراني فقال: رجال أحمد موثّقون.

فإذا كان لعب مروان وخليفة وقته معاوية بالصلاة التي هي عماد الدين إلى

---

(١) المعجم الكبير: ٨٥/٣ ح ٢٧٤٠، كنز العمّال: ٣٥٧/١١ ح ٣١٧٣٠، مسند أبي يعلى: ١٣٥/١٢ ح ٦٧٦٤، مختصر تاريخ دمشق: ١٨١/٢٤.

(٢) مسند أحمد ٥٨/٥ ح ١٦٤١٥.

درجة يقدّم فيها التحفّظ على عثمان في عمله الشاذّ عن الكتاب والسنّة على العمل بسنّة رسول الله ﷺ حتى أخضع معاوية لما ارتآه من الرأي الشائن في صلاة العصر، فماذا يكون عبثهما بالدين فيما هو دون الصلاة من الأحكام؟

وإن تعجب فعجب أنّه يَعدُّ مخالفة عثمان في رأيه الخاصّ له عيباً عليه يغيّر لأجله الحكم الدينيّ الثابت، ولا يَعدّ مخالفة رسول الله وما جاء به محظورة تترك لأجلها الأباطيل والأحداث!

ومن العجيب أيضاً أن يُنهى معاوية عن مخالفة عثمان، ولا يُنهى من خالف رسول الله ﷺ عن مخالفته. أهؤلاء من خير أُمّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله؟ وأعجب من كلّ ذلك حسبان أُولئك العابثين بدين الله عدولاً وهذه سيرتهم ومبلغهم من الدين الحنيف.

٢ ـ أخرج البخاري[١] من طريق أبي سعيد الخدري قال: خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فلمّا أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم والله. فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم. فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة. وفي لفظ الشافعي: يا أبا سعيد تُرك الذي تعلم.

أترى مروان كيف يغيّر السنّة؟ وكيف يفوه ملء فمه بما لا يسوغ لمسلم أن يتكلّم به؟ كأنّ ذلك مفوّضٌ إليه، وكأنّ تركها المنبعث عن التجرّي على الله ورسوله يكون مبيحاً لإدامة الترك، لماذا ذهب ما كان يعلمه أبو سعيد من السنّة؟ ولماذا تُرك؟

نعم؛ كان لمروان في المقام ملحوظتان: الأُولى اقتصاصه أثر ابن عمّه عثمان،

---

(١) صحيح البخاري: ٣٢٦/١ ح ٩١٣.

والآخر أنّه كان يقع في الخطبة في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ويسبُّه ويلعنه فتتفرّق عنه الناس لذلك، فقدّمها على الصلاة لئلّا يجفلوا فيسمعوا العظائم ويصيخوا إلى ما يلفظ ٢٦٤/٨ به من كبائر وموبقات. راجع تفصيلاً أسلفناه صفحة (١٦٤ ـ ١٦٧) من هذا الجزء.

ويستظهر ممّا سبق (ص١٦٦) من كلام عبدالله بن الزبير: كلُّ سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غيّرت حتى الصلاة. إنّ تسرّب التغيير ولعب الأهواء بالسنن لم يكن مقصوراً على الخطبة قبل الصلاة فحسب، وإنّما تطرّق ذلك إلى كثير من الأحكام كما يجده الباحث السابر أغوار السير والحديث.

٣ ـ سبّه لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وكان الرجل كما قال أُسامة بن زيد فاحشاً متفحّشاً[1].

الحجر الأساسي في ذلك هو عثمان جرّأ الوزغ اللعين على أمير المؤمنين يوم قال له: أقد مروان من نفسك. قال عليه السلام: «ممّ ذا؟» قال: من شتمه وجذب راحلته. وقال له: لِمَ لا يشتمك؟ كأنّك خير منه![2] وعلّاه معاوية بكلّ ما عنده من حول وطول، لكن مروان تبعه شرّ متابعة، ولم يأل جهداً في تثبيت ذلك كلّما أقلّته صهوة المنبر، أووقف على منصّة خطابة، ولم يزل مجدّاً في ذلك وحاضّاً عليه حتى عاد مطّرداً بعد كلّ جمعة وجماعة في أيّ حاضرة يتولّى أمرها، وبين عمّاله يوم تولّى خلافة هي كلعقة الكلب أنفه تسعة أشهر كما وصفها مولانا أمير المؤمنين، ولم تكن هذه السيرة السيّئة إلّا لسياسة وقتيّة، وقد أعرب عمّا في سريرته بقوله، فيما أخرجه الدارقطني من طريقه عنه، قال: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ. فقيل له: ما لكم تسبُّونه على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[3].

---

(١) الاستيعاب في ترجمة أُسامة [القسم الأول / ٧٧ رقم ٢١]. (المؤلّف)

(٢) يأتي حديثه تفصيلاً في قصة أبي ذر في هذا الجزء إن شاء الله تعالى. (المؤلّف)

(٣) الصواعق لابن حجر: ص٣٣ [ص٥٥]. (المؤلّف)

قال ابن حجر في تطهير الجنان[1] هامش الصواعق (ص١٤٢) وبسندٍ رجاله ثقات : إنّ مروان لمّا ولي المدينة كان يسبُّ عليّاً على المنبر كلّ جمعة ، ثمّ ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسبّ ، ثمّ أُعيد مروان فعاد للسبّ ، وكان الحسن يعلم ذلك فيسكت ولا يدخل المسجد إلّا عند الإقامة ، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل
٢٦٥/٨ للحسن في بيته / بالسبّ البليغ لأبيه وله ، ومنه : ما وجدت مثلك إلّا مثل البغلة يقال لها : من أبوك ؟ فتقول : الفرس خالي[2] . فقال للرسول : « ارجع إليه فقل له : والله لا أمحو عنك شيئاً ممّا قلت بأنّي أسبّك ، ولكن موعدي وموعدك الله ، فإن كنت كاذباً فالله أشدُّ نقمة ، قد أكرم جدّي أن يكون مثلي مثل البغلة » . الى آخره .

ولم يختلف من المسلمين اثنان في أنّ سبّ الإمام ولعنه من الموبقات ، وإذا صحفَ ما قاله ابن مَعِين[3] كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب[4] (٥٠٩/١) من أنّ كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجّال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

فما قيمة مروان عندئذٍ ؟ ونحن مهما تنازلنا فإنّا لا نتنازل عن أنّ مولانا أمير المؤمنين كأحد الصحابة الذين يشملهم حكم كلّ من سبّهم ولعنهم ، فكيف ونحن نرى أنّه عليه السلام سيّد الصحابة على الإطلاق ، وسيّد الأوصياء ، وسيّد من مضى ومن غبر عدا ابن عمّه ﷺ وهو نفس النبيّ الأقدس بنصّ الذكر الحكيم ، فلعنه وسبُّه لعنه وسبُّه وقد قال ﷺ : « من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله »[5] .

---

(١) تطهير الجنان : ص٦٣ .

(٢) في الأصل : أبي الفرس ، وكذا في المصدر . والصواب ما أثبتناه . وأصله مَثَلٌ يُضرب للمخلِّط ، نصّه : قيل للبغل : من أبوك ؟ قال : الفرس خالي . مجمع الأمثال للميداني : ٥٠٧/٢ رقم ٢٢٩٢ .

(٣) التاريخ : ٦٦/٢ .

(٤) تهذيب التهذيب : ٤٤٧/١ .

(٥) مستدرك الحاكم : ١٢١/٣ [١٣١/٣ ح٤٦١٦] ، مسند أحمد : ٣٢٣/٦ [٤٥٥/٧ ح٢٦٢٠٨] ، وسيوافيك تفصيل طرقه . (المؤلّف)

وكان مروان يتربّص الدوائر على آل بيت العصمة والقداسة، ويغتنم الفرص في إيذائهم. قال ابن عساكر في تاريخه[1] (٢٢٧/٤): أبى مروان أن يُدفن الحسن في حجرة رسول الله ﷺ وقال: ما كنت لأدع ابن أبي تراب يُدفن مع رسول الله وقد دفن عثمان بالبقيع. ومروان يومئذٍ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك، فلم يزل عدوّاً لبني هاشم حتى مات. انتهى.

أيّ خليفة هذا يُجلب رضاه بإيذاء عترة رسول الله؟ ومن أولى بالدفن في الحجرة الشريفة من السبط الحسن الزكيّ؟ وبأيّ كتاب وبأيّة سنّة وبأيّ حقّ ثابت كان لعثمان أن يدفن فيها؟ ومن جرّاء ذلك الضغن الدفين على بني هاشم، كان ابن الحكم يحثُّ ابن عمر على الخلافة والقتال دونها. أخرج أبو عمر من طريق الماجشون وغيره: أنّ مروان دخل في نفر على عبدالله بن عمر بعدما قُتل عثمان ﷺ فعرضوا عليه أن يبايعوا له قال: وكيف لي بالناس؟ قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك.
فقال: / والله لو اجتمع عليّ أهل الأرض إلّا فدك ما قاتلتهم، قال: فخرجوا من عنده ٢٦٦/٨
ومروان يقول:

والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا[2]

لماذا ترك الوزغ سنّة الانتخاب الدستوري في الخلافة بعد انتهاء الدور إلى سيّد العترة؟ وما الذي سوّغ له ذلك الخلاف؟ وحضّ ابن عمر على الأمر، وتثبيطه على القتال دونه، بعد إجماع الأُمّة وبيعتهم مولانا أمير المؤمنين؟ نعم: لم يكن من اليوم الأوّل هناك انتخاب صحيح قطُّ، ورأي حرّ لأهل الحلّ والعقد، أنّى كان ثمّ أنّى؟

والمُلك بعد أبي الزهرا لمن غلبا

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٨٧/١٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٤١/٧.
(٢) الاستيعاب ترجمة عبدالله بن عمر [القسم الثالث / ٩٥٢ رقم ١٦١٢]. (المؤلّف)

هذا مروان :

فهلمّ معي إلى الخليفة نستحفيه الخبر عن هذا الوزغ اللعين في صلب أبيه وبعد مولده بماذا استباح إيواءه وتأمينه على الصدقات والطمأنينة إليه في المشورة في الصالح العام ؟ ولِمَ استكتبه وضمّه إليه فاستولى عليه؟[1] ونصب عينيه ما لهج به النبيُّ الأعظم ﷺ ، وما ناء به هو من المخاريق والمخزيات ، ومن واجب الخليفة تقديم الصلحاء من المؤمنين وإكبارهم شكراً لأعمالهم لا الاحتفال بأهل المجانة والخلاعة كمروان الذي يجب الإنكار والتقطيب تجاه عمله الشائن ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ : « من رأى منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع بلسانه فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[2] ، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام : « أدنى الإنكار أن تلق أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة » .

وهب أنّ الخليفة تأوّل وأخطأ لكنّه ما هذا التبسّط إليه بكلّه ؟ وتقريبه وهو ممّن يجب إقصاؤه ، وإيواؤه وهو ممّن يستحقُّ الطرد ، وتأمينه وهو أهل بأن يُتّهم ، ومنحه أجزل المنح من مال المسلمين ومن الواجب منعه ، وتسليطه على أعطيات المسلمين ومن المحتّم قطع يده عنها ؟

أنا لا أعرف شيئاً من معاذير الخليفة في هذه المسائل ـ لعلّ لها عذراً وأنت
٢٦٧/٨ تلومها ـ / لكنّ المسلمين في يومه ما عذروه وهم الواقفون على الأمر من كَثب ، والمستشفّون للحقائق المعنون فيها ، وكيف يعذره المسلمون ونصب أعينهم قوله عزّ من قائل : ﴿ وَٱعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى

---

(١) كما ذكره أبو عمر في الاستيعاب [القسم الثالث / ١٣٨٧ رقم ٢٣٧٠] ، وابن الأثير في أُسد الغابة : ٣٤٨/٤ [١٤٤/٥ ـ ١٤٥ رقم ٤٨٤١] . (المؤلّف)

(٢) مرّ الحديث في : ص ١٦٥ . (المؤلّف)

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُم آمَنتُم بِالله ﴾[١]؟

أليس إعطاء الخمس لمروان اللعين خروجاً عن حكم القرآن؟ أليس عثمان هو الذي فاوض بنفسه ومعه جبير بن مطعم رسول الله ﷺ أن يجعل لقومه نصيباً من الخمس فلم يجعل ونصّ على أنّ بني عبد شمس وبني نوفل لا نصيب لهم منه؟

قال جبير بن مطعم: لمّا قسم رسول الله سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطّلب[٢] أتيته أنا وعثمان فقلت: يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا يُنكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم، أرأيت بني المطّلب أعطيتهم ومنعتنا؟ وإنّما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال: «إنّهم لم يفارقوني ـ أو: لم يفارقونا ـ في جاهليّة ولا إسلام وإنّما هم بنو هاشم وبنو المطّلب شيء واحد» وشبك بين أصابعه، ولم يقسم رسول الله لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من ذلك الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم وبني المطّلب[٣].

ومن العزيز على الله ورسوله أن يُعطى سهم ذوي قربى الرسول ﷺ لطريده ولعينه، وقد منعه النبيُّ ﷺ وقومه من الخمس، فما عذر الخليفة في تزحزحه عن حكم الكتاب والسنّة، وتفضيل رحمه أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على قربى رسول الله ﷺ الذين أوجب الله مودّتهم في الذكر الحكيم؟ أنا لا أدري. والله من ورائهم حسيب.

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) المطّلب أخو هاشم لأبٍ وأمٍّ، وأمّها عاتكة بنت مرّة. (المؤلّف)

(٣) صحيح البخاري: ٢٨/٥ [١١٤٣/٣ ح٢٩٧١]، الأموال: ص٣٣١ [ص٤١٥ ح٨٤٣، ٨٤٤]، سنن البيهقي: ٣٤٠/٦، ٣٤٢، سنن أبي داود: ٣١/٢ [١٤٥/٣ ـ ١٤٦ ح٢٩٧٨ ـ ٢٩٨٠]، مسند أحمد: ٨١/٤ [٣٦/٥ ح١٦٢٩٩]، المحلّى: ٣٢٨/٧ [المسألة ٩٤٩].

(المؤلّف)

ـ ٣٣ ـ

إقطاع الخليفة وعطيّـته الحارث

أعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ـ أخا مروان وصهر الخليفة من ابنته عائشة ـ ثلاثمئة ألف درهم كما في أنساب البلاذري (٥٢/٥)، وقال في (ص٢٨): قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم.

٢٦٨/٨ وقال ابن قتيبة في المعارف[(١)] (ص٨٤)، وابن عبد ربّه في العقد الفريد[(٢)] (٢٦١/٢)، وابن أبي الحديد في شرحه[(٣)] (٦٧/١)، والراغب في المحاضرات[(٤)] (٢١٢/٢): تصدّق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزون[(٥)] على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم.

وقال الحلبي في السيرة[(٦)] (٨٧/٢): أعطى الحارث عشر ما يباع في السوق، أي سوق المدينة.

قال الأميني: لقد اصطنع الخليفة لهذا الرجل ثلاثاً لا أظنّه يخرج من عهدة النقد عليها:

١ ـ إعطاءه ثلاثمئة ألف ولم يكن من حرّ ماله.

---

(١) المعارف: ص١٩٥.

(٢) العقد الفريد: ١٠٣/٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٩٨/١ خطبة ٣.

(٤) محاضرات الأُدباء: مج٢ / ح٤ ص٤٧٦.

(٥) في المعارف: مهزوز. وفي شرح ابن أبي الحديد: تهروز. وفي محاضرات الراغب: مهزور.
[في طبعتي المعارف وشرح النهج المعتمدتين لدينا: مهزور] (المؤلّف)

(٦) السيرة الحلبية: ٧٨/٢.

٢ ـ هبته إبل الصدقة إيّاه وحده.

٣ ـ إقطاعه إيّاه ما تصدّق به رسول الله ﷺ على عامّة المسلمين.

أنا لا أدري بماذا استحقّ الرجل هذه الأعطيات الجزيلة؟ وكيف خصّ به ما تصدّق به رسول الله ﷺ على كافّة أهل الإسلام، وحرمه الباقون؟ ولو كان الخليفة موفّراً عليه بهذه الكمّيّة من مال أبيه لاستكثر ذلك نظراً إلى حاجة المسلمين وجيوشهم ومرابطيهم، فكيف به وقد وهبه ما لا يملك من مال المسلمين ومن الأوقاف والصدقات؟ وما كان الرجل يعرف بشيء من الأعمال البارّة والمساعي المشكورة في سبيل الدعوة الإلهيّة وخدمة المجتمع الديني حتى يحتمل فيه استحقاق زيادة في عطائه، وهب أنّا نجزنا ذلك الاستحقاق لكنّه لا يعدو أن يكون مخرج الزيادة ممّا يسوغ للخليفة التصرّف فيه، لا ممّا لا يجوز تبديله من إقطاع ما تصدّق به النبي ﷺ وجعله وقفاً عامّاً على المسلمين لا يخصُّ به واحد دون آخر، ﴿**بدّلهُ بعدَ ما سَمِعهُ فَإنّما إثمهُ عَلى الذينَ يُبدّلونَهُ**﴾[1].

فلم يبق مبرّر لتلكم الصنائع أو الفجائع إلّا الصهر بينه وبين الخليفة والنسب لأنّه ابن عمّه. ولك حقّ النظر في صنيع كلّ من الخليفتين: ١ ـ عثمان؛ وقد علمت ما ارتكبه ها هنا وفي غيره. ٢ ـ مولانا عليّ عليه السلام؛ يوم جاءه عقيل يستميحه صاعاً من البُرّ / للتوسيع له ولعياله ممّا قدّر له في العطاء، فأدّى عليه السلام ما هو حقُّ الأُخوّة والتربية، ٢٦٩/٨

ولا سيّما في مثل عقيل من الأشراف والأعاظم الذين يجب فيهم التهذيب أكثر من غيرهم، فأدنى إليه الحديدة المحماة فتأوّه فقال عليه السلام: « تجزع من هذه وتعرّضني لنار جهنّم؟ »[2].

وفي رواية ابن الأثير في أُسد الغابة[3] (٤٢٣/٣) من طريق سعد: أنّ عقيل بن

---

(١) البقرة: ١٨١.

(٢) الصواعق لابن حجر: ص٧٩ [ص١٣٢]. (المؤلّف)

(٣) أُسد الغابة: ٦٥/٤ رقم ٣٧٢٦.

أبي طالب لزمه دين فقدم على عليّ بن أبي طالب الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه، فلمّا أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلّا ما أرى. قال: « لا » قال: فتقضي ديني؟ قال: « وكم دينك؟ » قال: أربعون ألفاً. قال: « ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنّه أربعة آلاف فأدفعه إليك ». فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك؟ فقال: « أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها؟» إقرأ ﴿ **فَاحكُمْ بَينَ النَّاسِ بِالحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوَى** ﴾.

ـ ٣٤ ـ

حظوة سعيد من عطيّة الخليفة

أعطى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة مئة ألف درهم، قال أبو مخنف والواقدي: أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مئة ألف درهم، فكلّمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبدالرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إنّ له قرابةً ورحماً. قالوا: أفما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذو رحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي؛ فقالوا: فهديهما والله أحبُّ إلينا من هديك. فقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله[1].

قال الأميني: كان العاص أبو سعيد من جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا يؤذونه، وقتله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر مشركاً[2].

٨/٢٧٠ وأما خَلْفه سعيد فهو ذلك الشابُّ المترف كما في رواية ابن سعد[3] / ورد الكوفة

---

(١) أنساب البلاذري: ٥/٢٨. (المؤلّف)

(٢) طبقات ابن سعد: ١/١٨٥ طبع مصر [١/٢٠١]، أُسد الغابة: ٢/٣١٠ [٢/٣٩١ رقم ٢٠٨٢]. (المؤلّف)

(٣) الطبقات: ٥/٢١ طبع ليدن [٥/٣٢]. وننقل عنه كلّ ما يأتي في سعيد بن العاص، وذكره ابن عساكر في تاريخه: ٦/١٣٥ [٧/٢٥٧، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٩/٣٠٦]. (المؤلّف)

من غير سابقة والياً من قبل عثمان بعد عزله الوليد ولم يحمل أيّ حنكة، فطفق يلهج من أوّل يومه بما يثير العواطف ويجيش الأفئدة، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف وقال: إنّ هذا السواد بستان لأغيلمة من قريش.

ولقد أزرى هذا الغلام بهاشم بن عتبة المرقال الصحابيّ العظيم صاحب راية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين، العبد الصالح الذي فُقِئت إحدى عينيه في سبيل الله يوم اليرموك ومات شهيداً في الجيش العلوي.

قال ابن سعد(١): قال سعيد مرّة بالكوفة: من رأى الهلال منكم؟ وذلك في فطر رمضان، فقال القوم: ما رأيناه. فقال هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص: أنا رأيته. فقال له سعيد: بعينك هذه العوراء رأيته من بين القوم؟ فقال هاشم: تعيّرني بعيني وإنّما فُقئت في سبيل الله؟ وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك؛ ثمّ أصبح هاشم في داره مفطراً وغدّى الناس عنده، فبلغ ذلك سعيداً فأرسل إليه فضربه وحرّق داره.

ما أجرأ ابن العاص على هذا العظيم من عظماء الصحابة فيضربه ويحرّق داره لعمله بالسنّة الثابتة في الأهلّة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا » وفي لفظ: « صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته »(٢)!

لم يكن يعلم هاشم المرقال بأنّ آراء الولاة وأهواءهم لها صولة وجولة في رؤية الهلال أيضاً، وأنّ الشهادة بها قد تكون من الجرائم التي لا تُغفر، وأنّ السياسة الوقتيّة لها دخل في شهادات الرجال، وأنّ حملة النزعة العلويّة لا تقبل شهاداتهم.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٢/٥.

(٢) صحيح البخاري [٦٧٤/٢ ح ١٨١٠]، صحيح مسلم [٤٦١/٢ ح ١٩ كتاب الصيام]، سنن أبي داود [٢٩٧/٢، ٢٩٨ ح ٢٣٢٠، ٢٣٢٦]، سنن الدارمي [٣/٢]، سنن النسائي [٦٩/٢ ـ ٧١ ح ٢٤٢٦ ـ ٢٤٣٥]، سنن ابن ماجه [٥٢٩/١ ح ١٦٥٤]، سنن البيهقي [٢٠٦/٤].
(المؤلّف)

قد شكاه إلى الخليفة الكوفيّون مرّة فلم يعبأ بها، فقال: كلّما رأى أحدكم من أميره جفوة أرادنا أن نعزله، فانكفأ سعيد إلى الكوفة، وأضرّ بأهلها إضراراً شديداً[1] ونفى في سنة (٣٣) بأمر من خليفته جمعاً من صلحاء الكوفة وقرّائها إلى الشام كما يأتي تفصيله. ولم يفتأ على سيرته السيّئة إلى أن رحل من الكوفة إلى عثمان مرّة ثانية سنة (٣٤) والتقى هناك بالفئة الشاكية إلى عثمان وهم:

الأشتر بن الحارث، يزيد بن مكفّف، ثابت بن قيس، كميل بن زياد، زيد بن
٢٧١/٨ صوحان، صعصعة بن صوحان، الحارث الأعور، جندب بن زهير، أبو زينب الأزدي أصغر بن قيس الحارثي.

وهم يسألون الخليفة عزل سعيد، فأبى وأمره أن يرجع إلى عمله، وقفل القوم قبله إلى الكوفة واحتلّوها ودخلها من ورائهم، وركب الأشتر مالك بن الحارث في جيش يمنعه من الدخول فمنعوه حتى ردّوه إلى عثمان، فجرى هنالك ما جرى، ويأتي نبأه بعد حين إن شاء الله تعالى.

لقد أراد الخليفة أن يصل رحمه من هذا الشابّ المجرم بإعطاء تلك الكمّية الزائدة على حدّه وحقّه من بيت المال، إن كان له ثمّة نصيب، ولو كان هذا العطاء حقّاً لَما نقده عليه أعاظم الصحابة وفي طليعتهم مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه.

وأمّا ما تترّس به من المعذرة من الاحتساب بصلة الرحم كما احتسب مَن قبله بمنع رحمهم عن الزيادة في إعطياتهم من بيت المال فتافه، لأنّ الصلة إنّما تستحسن من الإنسان إن كان الإنفاق من خالص ماله لا المال المشترك بين آحاد المسلمين؛ ومن وهب مالا يملكه لا يُعَدُّ أميناً على أرباب المال، فهو إلى الوزر أقرب منه إلى الأجر.

---

(١) أنساب البلاذري: ٥ [/ ٣٩ ـ ٤٥]. (المؤلّف)

ـ ٣٥ ـ

هبة الخليفة للوليد من مال المسلمين

أعطى الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أُميّة أخا الخليفة من أُمّه ما استقرض عبدالله بن مسعود من بيت مال المسلمين ووهبه له. قال البلاذري في الأنساب (٣٠/٥): لمّا قدم الوليد الكوفة ألفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثمّ تردُّ ما تأخذ، فأقرضه عبدالله ماسأله، ثمّ إنّه اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبدالله بن مسعود: إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال. فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنُّ أنّي خازن للمسلمين، فأمّا إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال.

وعن عبدالله بن سنان قال: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة، وفي الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا أهل الكوفة
٢٧٢/٨ فقدت / من بيت مالكم الليلة مئة ألف لم يأتني بها كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة. قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فنزعه عن بيت المال. العقد الفريد[1] (٢٧٢/٢).

الوليد ومن ولده:

أمّا أبوه عقبة بن أبي معيط فكان أشدّ الناس على رسول الله ﷺ في إيذائه من جيرانه، أخرج ابن سعد بالإسناد من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كنت بين شرّ جارين بين أبي لهب وعقبة بن

---

(١) العقد الفريد: ١١٩/٤.

أبي معيط ، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي ، حتى إنّهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي »[١].

وقال ابن سعد في الطبقات[٢] (١٨٥/١): كان أهل العداوة والمناواة لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل أبو جهل ، أبو لهب ، إلى أن عدّ عقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص فقال : وذلك أنّهم كانوا جيرانه ، والذي كان تنتهي عداوة رسول الله ﷺ إليهم : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي معيط .

وقال ابن هشام في سيرته[٣] (٢٥/٢): كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أُميّة ، وعقبة بن أبي معيط .

وقال[٤] في (٣٨٥/١): كان أُبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط متصافيين حَسَناً ما بينهما ، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه فبلغ ذلك أُبيّاً فأتى عقبة فقال له : ألم يبلغني أنّك جالست محمداً وسمعت منه ؟ ثمّ قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلّمك ، واستغلظ له من اليمين إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه . ففعل ذلك عدوّ الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا ﴾[٥] وأخرج ابن مردويه وأبو نُعَيم في الدلائل بإسنادٍ صححهُ السيوطي

---

(١) طبقات ابن سعد : ١٨٦/١ طبع مصر [٢٠١/١] . (المؤلّف)

(٢) المصدر السابق : ٢٠٠/١ ـ ٢٠١ .

(٣) السيرة النبوية : ٥٧/٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣٨٧/١ .

(٥) الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩ .

من طريق [١] / سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: أنّ عقبة[٢] بن أبي معيط كان يجلس مع النبيّ بمكة لا يؤذيه، وكان له خليل[٣] غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبا عقبة. وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد ممّا كان عليه؟ فقالت: أشدّ مما كان أمراً. فقال: ما فعل خليلي عقبة؟ فقالت: صبا. فبات بليلة سوء. فلمّا أصبح أتاه عقبة فحيّاه فلم يردّ عليه التحية، فقال: ما لك لا تردّ عليّ تحيّتي؟ فقال: كيف أردُّ عليك تحيّتك وقد صبوت؟ قال: أوَقد فعلتها قريش؟ قال: نعم، قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلته؟ قال: تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم، ففعل، فلم يردّ رسول الله ﷺ على أن مسح وجهه من البزاق ثمّ التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً». ٢٧٣/٨

فلمّا كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا، قال: وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه. فخرج معهم، فلمّا هزم الله المشركين وحمل[٤] به جمله في جدود من الأرض فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش وقدّم إليه عقبة فقال: أتقتلني من بين هؤلاء؟ قال: «نعم، بما بزقت في وجهي». وفي لفظ الطبري: «بكفرك وفجورك وعتوّك على الله ورسوله». فأمر عليّاً فضرب عنقه فأنزل الله فيه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾.

---

(١) دلائل النبوّة: ٢/٦٠٦ ـ ٦٠٧ ح ٤٠١.

(٢) وقع في الدرّ المنثور [٦/٢٥٠] الاشتباه في اسم الرجل فجعله أبا معيط، وتبعه على علّاته من حكاه عنه كالشوكاني [في تفسيره: ٤/٧٤] وغيره. (المؤلّف)

(٣) هو أُبيّ بن خلف كما سمعت، وفي غير واحد من المصادر: أُميّة بن خلف: (المؤلّف)

(٤) في الدر المنثور: وَحَلَ به جملُهُ في جدد من الأرض.

وقال الضحّاك: لمّا بزق عقبة رسول الله ﷺ رجع بزاقه على وجهه لعنه الله تعالى، ولم يصل حيث أراد فأحرق خدّيه وبقي أثر ذلك فيهما حتى ذهب إلى النار.

وفي لفظ: كان عقبة يكثر مجالسة رسول الله ﷺ، واتّخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل، وكان أُبيُّ بن خلف صديقه فعاتبه وقال: صبأت يا عقبة، قال: لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له، والشهادة ليست في نفسي، فقال:
٢٧٤/٨ وجهي من وجهك / حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ قفاه وتبزق وجهه وتلطم عينه. فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلّا علوت رأسك بالسيف» الحديث.

وقال الطبري في تفسيره: قال بعضهم عني بالظالم عقبة بن أبي معيط لأنّه ارتدّ بعد إسلامه طلباً منه لرضا أُبيّ بن خلف وقالوا: فلان هو أُبيّ.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: كان أُبيّ بن خلف يحضر النبيّ ﷺ فزجره عقبة بن أبي معيط فنزل ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾ إلى آخره. قال: الظالم: عقبة وفلان: أُبيّ. وروي مثله عن الشعبي وقتادة وعثمان ومجاهد.

أخرج نزول الآيات الكريمة ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ**﴾ إلى قوله: ﴿**خَذُولًا**﴾. في عقبة، وأنّ الظالم هو: ابن مردويه، وأبو نُعيم في الدلائل[1]، وابن المنذر، وعبدالرزاق في المصنّف[2]، وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والفريابي، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن جرير.

---

(١) دلائل النبوّة: ٦٠٦/٢ ح ٤٠١.

(٢) المصنّف: ٣٥٧/٥ ح ٩٧٣١.

راجع[1]: تفسير الطبري (٦/١٩)، تفسير البيضاوي (١٦١/٢)، تفسير القرطبي (٢٥/١٣)، تفسير الزمخشري (٣٢٦/٢)، تفسير ابن كثير (٣١٧/٣)، تفسير النيسابوري هامش الطبري (١٠/١٩)، تفسير الرازي (٣٦٩/٦)، تفسير ابن جزي الكلبي (٧٧/٣)، إمتاع المقريزي (ص ٦١، ٩٠)، الدرّ المنثور للسيوطي (٦٨/٥)، تفسير الخازن (٣٦٥/٣)، تفسير النسفي هامش الخازن (٣٦٥/٣)، تفسير الشوكاني (٧٢/٤)، تفسير الآلوسي (١١/١٩).

هذا الوالد، وما أدراك ما ولد؟ :

أمّا الوليد الفاسق بلسان الوحي المبين، الزاني، الفاجر، السكّير، المدمن للخمر المتهتّك في أحكام الدين وتعاليمه، المهتوك بالجلد على رؤوس الأشهاد، فسل عنه قوله تعالى: ﴿ **إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾[2] فإنّ من المجمع عليه بين أهل العلم بتأويل القرآن نزوله فيه. كما مرّ في (ص ١٢٤).

وسل عنه قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ** ﴾[3] وهذه الآية كسابقتها تومي بالفاسق إليه كما أسلفناه في الجزء الثاني (ص ٤٢، ٤٣، الطبعة الأولى و ٤٦، ٤٧ الطبعة الثانية).

وسل عن محراب جامع الكوفة يوم قاء فيه من السكر وصلّى الصبح أربعاً وأنشد فيها رافعاً صوته :

علِقَ القلبُ الربابا بعدما شابت وشابا ٢٧٥/٨

---

(١) جامع البيان: مج ١١ / ج ١٩ / ٧ ـ ٨، تفسير البيضاوي: ١٣٩/٢ ـ ١٤٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٩/١٣، الكشّاف: ٢٧٦/٣، تفسير غرائب القرآن: ٢٣٤/٥، التفسير الكبير: ٧٥/٢٤، الدرّ المنثور: ٢٥٠/٦ ـ ٢٥٣، تفسير الخازن: ٣٤٧/٣، تفسير النسفي: ١٦٤/٣، فتح القدير: ٧٤/٤.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) السجدة: ١٨.

وقال: هل أزيدكم؟ فضربه ابن مسعود بفردة خفّه، وأخذه الحصباء من المصلّين، ففرّ عنهم حتى دخل داره والحصباء من ورائهِ، كما فصّلناه في هذا الجزء (ص ١٢٠ ـ ١٢٤).

وسل عنه سوط عبدالله بن جعفر لمّا جلده حدّ الشارب بأمر مولانا أمير المؤمنين، وهو يسبّه بمشهد عثمان بعد ضوضاء من المسلمين على تأخير الحدّ، كما مرّ (ص ١٢٥).

وسل عنه ابن عمّه سعيد بن العاص لمّا غسل منبر جامع الكوفة ومحرابه تطهيراً من أقذار الفاسق حين ولّاه عثمان على الكوفة بعد الوليد.

وسل عنه الإمام السبط الحسن المجتبى يوم تكلّم عليه في مجلس معاوية فقال عليه السلام: « وأمّا أنت ياوليد فوالله ما ألومك على بغض عليّ وقد جلدك ثمانين في الخمر وقتل أباك بين يدي رسول الله صبراً، وأنت الذي سمّاه الله الفاسق، وسمّى عليّاً المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له: اسكت يا عليّ فأنا أشجع منك جناناً، وأطول منك لساناً، فقال لك علي: اسكت يا وليد فأنا مؤمن، وأنت فاسق. فأنزل الله تعالى في موافقته قوله: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُون** ﴾. ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً: ﴿ **إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر[1] فيك وفيه:

أنزل اللهُ والكتاب عزيزٌ — في عليٍّ وفي الوليد قرانا
فتبوّا الوليد إذ ذاك فسقاً — وعليٌّ مبوّأ إيمانا
ليس من كان مؤمناً عمرك اللـ — ـه كمن كان فاسقاً خوّانا
سوف يُدعى الوليد بعد قليلٍ — وعليٌّ إلى الحساب عيانا

---

(١) هو حسّان بن ثابت. راجع الجزء الثاني ص ٤٢ الطبعة الأولى و ٤٥ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

فعليٌّ يُجزى بذاك جناناً ... ووليدٌ يُجزى بذاك هوانا
ربّ جدٍّ لعقبة بن أبان[1] ... لابسٌ في بلادنا تُبّانا

وما أنت وقريش؟ إنّما أنت علج من أهل صفوريّة، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسنّ ممّن تُدعى إليه ». شرح ابن أبي الحديد: (١٠٣/٢)[2].

وإن شئت فسل الخليفة عثمان عن تأهيله إيّاه للولاية على صدقات بني تغلب ٢٧٦/٨
ثمّ للإمارة على الكوفة، وائتمانه على أحكام الدين وأعراض المسلمين، وتهذيب الناس ودعوتهم إلى الدين الحنيف، وإسقاط ما عليه من الدين لبيت مال المسلمين وإبراء ذمّته عمّا عليه من مال الفقراء، هل في الشريعة الطاهرة تسليط مثل الرجل على ذلك كلّه؟ أنا لا أعرف لذلك جواباً، ولعلّك تجد عند الخليفة ما يبرّر عمله، أو تجد عند ابن حجر بعد اعترافه بصحّة ما قلناه، وأنّه جاء من طريق الثقات جواباً منحوتاً لا نعرف المحصّل منه.

قال في تهذيب التهذيب[3] (١٤٤/١١): قد ثبتت صحبته وله ذنوب أمرها إلى الله تعالى والصواب السكوت. انتهى.

أمّا نحن فلا نرى السكوت صواباً بعد أن لم يسكت عنه الذكر الحكيم وسمّاه فاسقاً في موضعين، ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُون ﴾، ومهما سكتنا عن أمر بينه وبين الله سبحانه فليس من السائغ أن نسكت عن ترتيب آثار العدالة عليه والرواية عنه وهو فاسق في القرآن، متهتّك بالجرائم على رؤوس الأشهاد، متعدٍّ حدود الله ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾[4].

---

(١) أبان اسم أبي معيط جدّ الوليد. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٩٢/٦ ـ ٢٩٣ خطبة ٨٣.

(٣) تهذيب التهذيب: ١٢٧/١١.

(٤) البقرة: ٢٢٩.

- ٣٦ -

هبة الخليفة لعبدالله من مال المسلمين

أعطى لعبد الله بن خالد بن أُسيد بن أبي العيص بن أُميّة ثلاثمئة ألف درهم ولكلّ رجل من قومه ألف درهم. وفي العقد الفريد[١] (٢٦١/٢)، والمعارف لابن قتيبة[٢] (ص٨٤)، وفي شرح ابن أبي الحديد[٣] (٦٦/١): أنّه أعطى عبدالله أربعمئة ألف درهم.

قال أبو مخنف: كان على بيت مال عثمان عبدالله بن الأرقم، فاستسلف عثمان من بيت المال مئة ألف درهم وكتب عليه بها عبدالله بن الأرقم ذكر حقّ للمسلمين وأشهد عليه عليّاً وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر، فلمّا حلّ الأجل ردّه عثمان، ثمّ قدم عليه عبدالله بن خالد بن أُسيد من مكة وناس معه غزاة فأمر لعبدالله بثلاثمئة ألف درهم ولكلّ رجل من القوم بمئة ألف درهم، وصكّ بذلك إلى ابن أرقم فاستكثره وردّ الصكّ له. ويقال: إنّه سأل عثمان أن يكتب عليه به ذكر حقّ فأبى ذلك، فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان: إنّما أنت
٢٧٧/٨ خازن لنا فما / حَمَلك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازناً للمسلمين وإنّما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبداً. وجاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر، ويقال: بل ألقاها إلى عثمان فدفعها عثمان إلى نائل مولاه، ثمّ ولّى زيد بن ثابت الأنصاري بيت المال وأعطاه المفاتيح. ويقال: إنّه ولّى بيت المال معيقيب بن أبي فاطمة، وبعث إلى عبدالله بن الأرقم ثلاثمئة ألف درهم فلم يقبلها. أنساب البلاذري (٥٨/٥).

---

(١) العقد الفريد: ١٠٣/٤.

(٢) المعارف: ص١٩٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٩٨/١ خطبة ٣.

وذكر أبو عمر في الاستيعاب[١] وابن حجر في الإصابة[٢] حديث عبدالله بن أرقم في ترجمته وردّه ما بعث إليه عثمان من ثلاثمئة ألف. وفي رواية الواقدي: قال عبدالله: مالي إليه حاجة وما عملت لأن يثيبني عثمان، والله لئن كان هذا من مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن أُعطى ثلاثمئة ألف درهم، ولئن كان من مال عثمان ما أُحبّ أن آخذ من ماله شيئاً.

وقال اليعقوبي في تاريخه[٣] (١٤٥/٢): زوّج عثمان ابنته من عبدالله بن خالد بن أُسيد وأمر له بستمئة ألف درهم، وكتب إلى عبدالله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة.

قال الأميني: أنا لا أدري هل قرّرت الشريعة لبيت مال المسلمين حساباً وعدداً؟ أو أنّها أمرت أن يُكال ويوزن لأيّ أحد بغير حساب؟ إذن فمن ذا الذي أمرته بالقسمة على السويّة، والعدل في الرعيّة؟ لقد بلغ الفوضى في الأموال على عهد هذا الخليفة حدّاً لم يسطع معه أمناؤه على بيت المال أن يستمرّوا على عملهم، فكانوا يلقون مفاتيحه إليه لما كانوا يجدونه من عدم تمكّنهم من الجري على النواميس المطّردة في الأموال الثابتة في السنّة الشريفة، ولا على ما مضى الأوّلان عليه من الحصول على مرضاة العامّة في تقسيمها، فرأوا التنصّل من هذه الوظيفة أهون عليهم من تحمّل تبعاتها الوبيلة، وقد ناقشوا الحساب فلم يجدوا لعبد الله بن خالد أيّ جدارة للتخصّص بهذه الكمّيات، فهو لو عُدّ في عداد غيرهم لم يحظ بغير عطائه زنة أعطيات المسلمين، لكن صهر الخلافة والاتّصال بالنسب الأمويّ لعلّهما يبرّران ما هو فوق الناموس الماليّ المطّرد في الشريعة!

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/٨٦٦ رقم ١٤٦٩.

(٢) الإصابة: ٢٧٤/٢ رقم ٤٥٢٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٦٨/٢.

ـ ٣٧ ـ
عطيّة الخليفة أبا سفيان

أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف من بيت المال قاله ابن أبي الحديد في الشرح[1] (٦٧/١).

٢٧٨/٨ **قال الأميني**: لا أرى لأبي سفيان المستحقّ للمنع عن كلّ خير أيّ موجب لذلك العطاء الجزل من بيت مال المسلمين، وهو ـ كما في الاستيعاب لأبي عمر عن طائفة ـ كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهليّة ينسب إلى الزندقة. قال الزبير يوم اليرموك لمّا حدّثه ابنه أنّ أبا سفيان كان يقول: إيه بني الأصفر: قاتله الله يأبى إلّا نفاقاً أوَلسنا خيراً له من بني الأصفر؟ وقال له عليّ عليه السلام: « ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله ». ومن طريق ابن المبارك عن الحسن: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُميّة، فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار. فصاح به عثمان: قم عنّي فعل الله بك وفعل. الاستيعاب[2] (٦٩٠/٢).

وفي تاريخ الطبري[3] (٣٥٧/١١): يا بني عبدمناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة. مروج الذهب[4] (٤٤٠/١).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٩٩/١ خطبة ٣.

(٢) الاستيعاب: القسم الرابع / ١٦٧٨ ـ ١٦٧٩ رقم ٣٠٠٥.

(٣) تاريخ الأُمم الملوك: ٥٨/١٠ حوادث سنة ٢٨٤ هـ.

(٤) مروج الذهب: ٣٦٠/٢.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه[١] (٤٠٧/٦) عن أنس: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي فقال: هل هنا أحد[٢]؟ فقالوا: لا. فقال: اللّهمّ اجعل الأمر أمر جاهليّة، والملك ملك غاصبيّة، واجعل أوتاد الأرض لبني أُميّة.

وقال ابن حجر: كان رأس المشركين يوم أُحد ويوم الأحزاب، وقال ابن سعد في إسلامه: لمّا رأى الناس يطؤون عقب رسول الله ﷺ حسده، فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. فضرب رسول الله في صدره ثمّ قال: « إذاً يخزيك الله » وفي رواية: قال في نفسه: ما أدري لِمَ[٣] يغلبنا محمد؟ فضرب في ظهره وقال: « بالله يغلبك ». الإصابة (١٧٩/٢).

وإن سألت مولانا أمير المؤمنين عن الرجل فعلى الخبير سقطت، قال في حديث له: « معاوية طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين»[٤].

وحسبك ما في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان من قوله: « يابن صخر
يابن / اللعين »[٥] ولعلّه عليه السلام يوعز بقوله هذا إلى ما رويناه من أنّ رسول الله ﷺ لعنه ٢٧٩/٨
وابنيه معاوية ويزيد لمّا رآه راكباً وأحد الولدين يقود والآخر يسوق فقال: « اللّهمّ العن الراكب والقائد والسائق »[٦].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٧١/٢٣ رقم ٢٨٤٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٦٧/١١.

(٢) في المصدر: ها هنا أحد؟

(٣) في الإصابة: بِمَ..

(٤) تاريخ الطبري ٤/٦ [٨/٥ حوادث سنة ٣٧ هـ]. (المؤلّف)

(٥) شرح ابن أبي الحديد: ٤١١/٣ و ٥١/٤ [٨٢/١٥ كتاب ١٠ و ١٣٥/١٦ كتاب ٣٢]. (المؤلّف)

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: صفحة ٢٢٢ الطبعة الأولى، و ٢٥٢ الطبعة الثانية [أُنظر تاريخ الأُمم والملوك: ٥٨/١٠ سنة ٢٨٤ هـ]. (المؤلّف)

وذكر ابن أبي الحديد في الشرح[١] (٤/٢٢٠) من كتاب للإمام عليه السلام كتبه إلى معاوية قوله: فلقد سلكت طرائق أبي سفيان أبيك وعتبة جدّك وأمثالهما من أهلك ذوي الكفر والشقاق والأباطيل[٢].

ويعرّفك أبا سفيان قول أبي ذر لمعاوية ـ لمّا قال له: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله ـ: ما أنا بعدوّ لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر. إلى آخر ما يأتي في البحث عن مواقف أبي ذر مع عثمان.

هذا حال الرجل يوم كفره وإسلامه ولم يغيّر ما هو عليه حتى لفظ نفسه الأخير، فهل له في أموال المسلمين قطمير أو نقير[٣] فضلاً عن الآلاف؟ لولا أنّ النسب الأمويّ برّر للخليفة أن يخصّه بمنائحه الجمّة من مال الناس، وافق السنّة أم خالفها.

ـ ٣٨ ـ

عطاء الخليفة من غنائم إفريقية

أعطى عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة الخمس من غنائم إفريقية في غزوها الأوّل كما مرّ في صفحة (٢٥٩) وقال ابن كثير: أعطاه خمس الخمس. وكان مئة ألف دينار على ما ذكره أبو الفدا من تقدير ذلك الخمس بخمسمئة ألف دينار. وكان حظُّ الفارس من تلك الغنيمة العظيمة ثلاثة آلاف [مثقال]، ونصيب

(١) شرح نهج البلاغة: ١٨/٢٣ الكتاب ٦٥.

(٢) قوله عليه السلام لمعاوية هو: فلقد سلكت مدارج أسلافك با دعائك الأباطيل. وأما القول الذي ينقله العلّامة رحمه الله فهو لابن أبي الحديد في شرحه لقول أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) القطمير: القشرة الدقيقة على النواة بين النواة والتمر. النقير: كناية عن الشيء التافه. يقال: هو حقير نقير.

الراجل ألف [مثقال]. كما ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة[١] (١٧٣/٣)، وابن كثير في تاريخه[٢] (١٥٢/٧).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه[٣] (٦٧/١): أعطى عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وقال البلاذري في الأنساب (٢٦/٥): كان ـ عثمان ـ كثيراً ما يولّي من بني أُميّة من لم يكن له مع النبيّ ﷺ صحبة، فكان يجيء من أُمرائه ما ينكره أصحاب ٢٨٠/٨
محمد ﷺ وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلمّا كان في الستّ الأواخر استأثر ببني عمّه فولّاهم وولّى عبدالله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلّمون منه. إلى أن قال: فلمّا جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه، فأبى أن ينزع عمّا نهاه عثمان عنه، وضرب بعض من كان شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبع مئة إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة ﵂ تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه عليٌّ بن أبي طالب وكان متكلّم القوم، فقال له: « إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل وقد ادّعوا قِبَله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حقّ فأنصفهم منه ». فقال لهم: اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصدّيق، فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر، فكتب عهده على مصر ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن

(١) أُسد الغابة: ٢٦٠/٣ رقم ٢٩٧٤. وما بين المعقوفين منه.
(٢) البداية والنهاية: ١٧٠/٧ حوادث سنة ٢٧ هـ.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٩٩/١ خطبة ٣.

أبي سرح. وسيأتي تمام الخبر وكتاب عثمان إلى ابن أبي سرح يأمره بالتنكيل بالقوم.

قال الأميني: ابن أبي سرح هذا هو الذي أسلم قبل الفتح وهاجر ثمّ ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إنّي أضرب محمداً حيث أُريد. فلمّا كان يوم الفتح أمر ﷺ بقتله وأباح دمه ولو وجد تحت أستار الكعبة، ففرّ إلى عثمان فغيّبه حتى أتى به رسول الله بعدما اطمأنّ أهل مكة فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً. ثمّ قال: « نعم » فلمّا انصرف عثمان قال ﷺ لمن حوله: « ما صمتُّ إلّا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه » وقال رجل من الأنصار: فهلّا أومأت إليّ يا رسول الله ؟ فقال: « إنّ النبيّ لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين »[1].

ونزل القرآن بكفره في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ**
٢٨١/٨ **أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللهُ** ﴾ الآية[2].

أطبق المفسّرون على أنّ المراد بقوله: سأُنزل مثل ما أنزل الله هو عبدالله بن أبي سرح وسبب ذلك فيما ذكروه: أنّه لمّا نزلت الآية التي في المؤمنين ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ** ﴾[3]. دعاه النبيُّ ﷺ فأملاها عليه، فلمّا انتهى إلى قوله: ﴿ **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ** ﴾[4] عجب عبدالله في تفصيل خلق الإنسان فقال: تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين، فقال رسول الله ﷺ: « هكذا أُنزلت عليّ »، فشكّ عبدالله حينئذٍ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أُوحي إليه، وإن كان كاذباً لقد قلت كما

---

(١) سنن أبي داود: ٢٢٠/٢ [١٢٨/٤ ح٤٣٥٩]، أنساب البلاذري: ٤٩/٥، مستدرك الحاكم: ١٠٠/٣ [١٠٧/٣]، الاستيعاب: ٣٨١/١ [القسم الثالث / ٩١٨ رقم ١٥٥٣]، تفسير القرطبي: ٤٠/٧ [٢٨/٧]، أُسد الغابة: ١٧٣/٣ [٢٥٩/٣ رقم ٢٩٧٤]، الإصابة: ٣١٧/٢ [رقم ٤٧١١]، تفسير الشوكاني: ١٣٤/٢ [١٤١/٢]. **(المؤلّف)**

(٢) الأنعام: ٩٣.

(٣) المؤمنون: ١٢.

قال. فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين فذلك قوله: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾.

راجع[1] الأنساب للبلاذري(٤٩/٥)، تفسير القرطبي(٤٠/٧)، تفسير البيضاوي (٣٩١/١)، كشّاف الزمخشري (٤٦١/١)، تفسير الرازي (٩٦/٤)، تفسير الخازن (٣٧/٢)، تفسير النسفي هامش الخازن (٣٧/٢)، تفسير الشوكاني (١٣٣/٢، ١٣٥) نقلاً عن ابن أبي حاتم، وعبدبن حميد، وابن المنذر، وابن جريج، وابن جرير، وأبي الشيخ.

كان الرجل أمويّ النزعة والنشأة، أرضعته وعثمان ثدي الأشعريّة فقرّبته الأُخوّة من الرضاعة إلى الخليفة، وآثرته نزعاته الأمويّة على المسلمين، وأوصلته إلى الحظوة والثروة من حطام الدنيا، وحلّلت له تلك المنحة الطائلة وان لم تساعد الخليفة على ذلك النواميس الدينيّة، إذ لم يكن أمر الغنائم مفوّضاً إليه وإنّما خمسها لله ولرسوله ولذي القربى، وأدّى الرجل شكر تلكم الأيادي بامتناعه عن بيعة عليّ أمير المؤمنين بعد قتل أخيه الخليفة، والله يعلم منقلبهم ومثواهم.

هذه سيرة عثمان وسنّته في الأموال وفي لسانه قوله على صهوة الخطابة: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم. ولا يصيخ إلى قوله عمّار يوم ذاك: أشهد الله أنّ أنفي أوّل راغم من ذلك.

وبين شفتيه قوله: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام. ولا يعبأ بقول مولانا أمير المؤمنين في ذلك الموقف: « إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه »[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٧ ـ ٢٨، تفسير البيضاوي: ٣١١/١ ـ ٣١٢، الكشّاف: ٤٥/٢ ـ ٤٦، التفسير الكبير: ٨٤/١٣، تفسير الخازن: ٣٥/٢، تفسير النسفي: ١١٦/٣، فتح القدير: ١٤٠/٢، جامع البيان: ج٥/ج٢٧٤/٧.

(٢) سيوافيك تفصيل الحديث في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى. (المؤلّف)

نعم: هذا عثمان وهذا قيله، والمشرّع الأعظم ﷺ يقول فيما أخرجه البخاري
٢٨٢/٨ في صحيحه[١] (١٥/٥): « إنّما أنا قاسم وخازن والله يُعطي ». ويقول: « ما أعطيكم ولا أمنعكم إنّما أنا قاسم حيث أُمرت ». وفي لفظ: « والله ما أُوتيكم من شيء ولا أمنعكموه، إن أنا إلّا خازن أضع حيث أُمرت »[٢]. وقد حذّر ﷺ أُمّته من التصرّف في مال الله بغير حقّ بقوله: « إنّ رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حقّ فلهم النار يوم القيامة»[٣].

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾[٤].

ـ ٣٩ ـ

الكنوز المكتنزة ببركة الخليفة

إقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت، وأصحاب الفتن والثورات من جرّاء الفوضى في الأموال ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة، وثروة طائلة، ببركة تلك السيرة الأمويّة في الأموال، الشاذّة عن الكتاب والسنّة الشريفة وسيرة السلف، فجمعوا من مال المسلمين مالاً جمّاً، وأكلوه أكلا لمّاً.

منهم: الزبير بن العوام: خلّف كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد باب بركة الغازي في ماله[٥] (٢١/٥): إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة، فأصاب كلّ امرأة بعد رفع الثلث ألف

---

(١) صحيح البخاري: ١١٣٣/٣ باب ٧.

(٢) صحيح البخاري: ١٧/٥ [١١٣٤/٣ ح ٢٩٤٩]، سنن أبي داود: ٢٥/٢ [١٣٥/٣ ح ٢٩٤٩]، طرح التثريب: ١٦٠/٧. (المؤلّف)

(٣) صحيح البخاري: ١٧/٥ [١١٣٨/٣، ١١٣٩]. (المؤلّف)

(٤) البقرة: ١٨٧، ٢٢٩.

(٥) صحيح البخاري: ١١٣٨/٣، ١١٣٩ ح ٢٩٦١.

ألف ومائتا ألف. قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. وقال ابن الهائم: بل الصواب أنّ جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمئة ألف[1] وصرّح ابن بطّال والقاضي عياض وغيرهما: بأنّ الصواب ما قاله ابن الهائم، وأنّ البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في صحيح البخاري وغيره من المصادر غير مقيّدة بالدرهم أو الدينار، غير أنّ في تاريخ ابن كثير[2] (٢٤٩/٧) قيّدها بالدرهم.

وقال ابن سعد في الطبقات[3] (٧٧/٣) طبع ليدن: كان للزبير بمصر خطط، وبالاسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلّات تقدم عليه من أعراض المدينة.

وقال المسعودي في المروج[4] (٤٣٤/١)، خلّف ألف فرس وألف عبد وألف أمة ٢٨٣/٨
وخططاً.

ومنهم: طلحة بن عبيدالله التيمي: ابتنى داراً بالكوفة تُعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة[5] أكثر ممّا ذكر، وشيّد داراً بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج.

وعن محمد بن إبراهيم قال: كان طلحة يغلُّ بالعراق ما بين أربعمئة ألف إلى خمسمئة ألف، ويغلُّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقلّ.

---

(١) ذكره شرّاح البخاري، راجع فتح الباري [٢٣٣/٦]، إرشاد الساري [٥٠/٧]، عمدة القاري [٥٣/١٥ ح٣٧]، شذرات الذهب: ٤٣/١ [٢٠٨/١ حوادث سنة ٣٦ هـ]. **(المؤلّف)**

(٢) البداية والنهاية: ٢٧٨/٧ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٣) الطبقات الكبرى: ١١٠/٣.

(٤) مروج الذهب: ٣٥٠/٢.

(٥) بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء [معجم البلدان: ٢٠٥/٣]. **(المؤلّف)**

وقال سفيان بن عيينة: كان غـلّته كـلّ يـوم ألف وافٍ. والوافي وزنـه وزن الدينار، وعن موسى بن طلحة: أنّه ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكان ماله قد اغتيل.

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كان قيمة ما ترك طـلحة مـن العـقار والأموال وما ترك من الناضّ[1] ثلاثين ألف ألف درهم؛ ترك مـن العـين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض.

وعن سعدى أُمّ يحـيى بن طلحة: قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهـم ومائتا ألف درهم، وقوّمت أُصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم.

وعن عمرو بن العاص: أنّ طلحة ترك مئة بُهار في كلّ بُهار ثـلاثة قـناطير ذهب. وسمعت أنّ البُهار[2] جلد ثور. وفي لفظ ابن عبدربّه من حـديث الخشـني: وجدوا في تركته ثلاثمئة بُهار من ذهب وفضة.

وقال ابن الجوزي: خلّف طلحة ثلاثمئة جمل ذهباً.

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: أعطى عـثمان طـلحة في خلافته مائتي ألف دينار.

راجع[3] طبقات ابن سعد (١٥٨/٣) طبع ليدن، الأنسـاب للـبلاذري (٧/٥)، مروج الذهب (٤٣٤/١)، العقد الفريد (٢٧٩/٢)، الريـاض النـضرة (٢٥٨/٢)، دول

---

(١) الناضّ: الدرهم والدينار. (المؤلّف)

(٢) البُهار يساوي ثلاثمئة رطل. وقيل: هو ما يحمل على البعير بلغة أهـل الشـام. أُنـظر النهـاية: ١٦٦/١.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢١/٣ ـ ٢٢٢، مروج الذهب: ٣٥٠/٢، العقد الفريد: ١٢٩/٤، الريـاض النضرة: ٢٢٧/٣ ـ ٢٢٨، دول الإسلام: ص٢٢، ٢٣ حوادث سنة ٣٥ هـ، خلاصة الخزرجي: ١٢/٢ رقم ٣١٩٥.

الإسلام للذهبي (١٨/١) الخلاصة للخزرجي (ص١٥٢).

وسيأتي عن عثمان قوله: ويلي على ابن الحضرميّة - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يحرّض على نفسي. ٢٨٤/٨

ومنهم: عبدالرحمن بن عوف الزهري: قال ابن سعد: ترك عبدالرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً.

وقال: وكان فيما خلّفه ذهب قُطّع بالفؤوس حتى مجلت[1] أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة ثمانون ألفاً. وعن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن قال: صالحنا امرأة عبدالرحمن التي طلّقها في مرضه من ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً.

وقال اليعقوبي: ورّثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مئة ألف دينار. وقيل: ثمانين ألف. وقال المسعودي: ابتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مئة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً.

راجع[2] طبقات ابن سعد (٩٦/٣) طبع ليدن، مروج الذهب (٤٣٤/١)، تاريخ اليعقوبي (١٤٦/٢)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١٣٨/١)، الرياض النضرة لمحبّ الطبري (٢٩١/٢).

ومنهم: سعد بن أبي وقّاص، قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق. وقال المسعودي: بنى داره بالعقيق

---

(١) أي: صلُبت وثخُن جلدها من أثر العمل.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٣٦/٣، مروج الذهب: ٣٥٠/٢، تاريخ اليعقوبي: ١٧٠/٢، صفة الصفوة: ٣٥٥/١ رقم ٨، الرياض النضرة: ٢٧٢/٤.

فرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شرفات[١]. طبقات ابن سعد (١٠٥/٣)، مروج الذهب (٤٣٤/١).

ومنهم؛ يعلى بن أُميّة[٢]: خلّف خمسمئة ألف دينار، وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مئة[٣] ألف دينار. كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب[٤] (٤٣٤/١).

ومنهم؛ زيد بن ثابت ـ المدافع الوحيد عن عثمان ـ، قال المسعودي: خلّف من الذهب والفضّة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع، بقيمة مئة ألف دينار. مروج الذهب[٥] (٤٣٤/١).

هذه نبذ ممّا وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم أنّ التاريخ لم يُحصِ كلّ ما كان هناك من عظائم، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولا سيّما المتدرّجة منها في الحصول.

٢٨٥/٨ وأمّا ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدّث عنه ولا حرج، كان ينضّد أسنانه بالذهب ويتلبّس بأثواب الملوك. قال محمد بن ربيعة: رأيت على عثمان مطْرَف خزّ ثُمِّن مئة دينار فقال: هذا لنائلة[٦] كسوتها إيّاه، فأنا ألبسه أسرّها به. وقال أبو عامر سليم: رأيت على عثمان برداً ثمنه مئة دينار[٧].

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٤٨/٣ ـ ١٤٩، مروج الذهب: ٣٥٠/٢.

(٢) كذا في نسخة المؤلِّف من المروج. وفي طبعتنا المعتمدة: منية.

(٣) كذا في نسخة المؤلِّف من المروج. وفي طبعتنا المعتمدة: ثلاثمئة.

(٤) و (٥) مروج الذهب: ٣٥١/٢.

(٦) هي حليلة عثمان بنت الفرافصة. (المؤلِّف)

(٧) طبقات ابن سعد: ٤٠/٣ طبع ليدن [٥٨/٣]، أنساب البلاذري: ص٣، ٤ [٤٨/٥]، الاستيعاب في ترجمة عثمان: ٤٧٦/٢ [القسم الثالث / ١٠٤٢ رقم ١٧٧٨]. (المؤلِّف)

قال البلاذري: كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليٌّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم. وفي لفظ: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام، فقال له عليّ: « إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه » إلى آخر الحديث الآتي في مواقف الخليفة مع عمّار.

وجاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضّة، فقسّمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره[١].

وقال ابن سعد في الطبقات[٢] (٥٣/٣) طبع ليدن: كان لعثمان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومئة ألف دينار فانتُهبت وذهبت.

وترك ألف بعير بالربذة وصدقات ببراديس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار.

وقال المسعودي في المروج[٣] (٤٣٣/١): بنى داره في المدينة وشيّدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر[٤]، وأقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة، وذكر عبدالله بن عتبة: أنّ عثمان يوم قُتل كان عند خازنه من المال خمسون ومئة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحُنين وغيرهما مئة ألف دينار، وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً.

---

(١) الصواعق المحرقة: ص٦٨ [ص١١٣]، السيرة الحلبية: ٨٧/٢ [٧٨/٢]. (المؤلّف)

(٢) الطبقات الكبرى: ٧٦/٣ ـ ٧٧.

(٣) مروج الذهب: ٣٤٩/٢ ـ ٣٥٠.

(٤) العرعر: شجر يقال له الساسم ويقال له الشيزى، ويقال: هو شجر عظيم جبلي.

وقال الذهبي في دول الإسلام[1] (١٢/١): كان قد صار له أموال عظيمة ﷺ وله ألف مملوك.

٢٨٦/٨

صورة متخذة

من أُعطيات الخليفة والكنوز العامرة ببركته

الدينار	الأعلام
٥٠٠٠٠٠	مروان
١٠٠٠٠٠	ابن أبي سرح
٢٠٠٠٠٠	طلحة
٢٥٦٠٠٠٠	عبدالرحمن
٥٠٠٠٠٠	يعلى بن أُميّة
١٠٠٠٠٠	زيد بن ثابت
١٥٠٠٠٠	عثمان الخليفة
٢٠٠٠٠٠	عثمان الخليفة

٤ر٣١٠ر٠٠٠ الجمع أربعة ملايين وثلاثمئة وعشرة آلاف دينار.

إقرأ ولا تنس قول مولانا أمير المؤمنين في عثمان: « قام نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ».

وقوله الآتي بُعيد هذا: « ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ».

الدرهم	الأعلام
٣٠٠٠٠٠	الحكَم

(١) دول الإسلام: ص١٦.

الأعلام	الدرهم
آل الحكَم	٢٠٢٠٠٠٠
الحارث	٣٠٠٠٠٠
سعيد	١٠٠٠٠٠
الوليد	١٠٠٠٠٠
عبدالله	٣٠٠٠٠٠
عبدالله	٦٠٠٠٠٠
أبو سفيان	٢٠٠٠٠٠
مروان	١٠٠٠٠٠
طلحة	٢٢٠٠٠٠٠
طلحة	٣٠٠٠٠٠٠٠
الزبير	٥٩٨٠٠٠٠٠
ابن أبي وقّاص	٢٥٠٠٠٠
عثمان الخليفة	٣٠٥٠٠٠٠٠

٠٠٠ر٧٧٠ر١٢٦ المجموع مئة وستة وعشرون مليوناً وسبعمئة وسبعون ألف درهم.

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على المذكورين ومن جرى مجراهم من زبانيته؛ أهل خلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أنّ الشريعة منعت عن الصلات وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أُمّة محمد ﷺ كأبي ذرّ الغفاري، وعمّار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود إلى نظرائهم؟ فيجب عليهم أن يقاسوا الشدّة، ويعانوا البلاء، ويشملهم المنع بين منفيّ ومضروب ومهان، وهذا سيّدهم أمير المؤمنين يقول: «إنّ بني أُميّة ليُفوّقُونني تراث محمد ﷺ تفويقاً»[1] أي يعطونني من المال قليلاً ٢٨٧/٨

(١) نهج البلاغة: ١٢٦/١ [ص١٠٤ خطبة ٧٧]. (المؤلّف)

قليلاً كفُواق الناقة[١].

وهل الوجود هو بذل الرجل ماله وما تملكه ذات يده ؟ أو جدحه من سويق غيره[٢] كما كان يفعل الخليفة ؟ ليتني وجدت من يحير جواباً عن مسألتي هذه. أمّا الخليفة فلم أدركه حتى أستحفي منه الخبر، ولعلّه لو كنت مستحفياً منه لسبقت الدِرّة الجواب.

نعم يُعلَم حكم تلكم الأعطيات والقطائع ـ وقد أقطع أكثر أراضي بيت المال[٣] ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين، ذكرها الكلبي مرفوعة إلى ابن عبّاس قال: إنّ عليّاً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: « ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله؛ فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزُوّج به النساء، وفرّق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحقّ فالجور عنه أضيق »[٤].

قال الكلبي: ثمّ أمر عليه السلام بكلّ سلاح وُجد لعثمان في داره ممّا تقوّى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وُجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكفّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أُصيبت أو أُصيب أصحابها، فبلغ ذلك عمرو بن العاص، وكان

٢٨٨/٨ بأيلة من / أرض الشام أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها، فكتب إلى معاوية:

---

(١) فُواق الناقة: الحلبة الواحدة من لبنها.

(٢) يقال: جدح جوين من سويق غيره. مثل يضرب لمن يجود بأموال الناس [مجمع الامثال: ٢٨٢/١ رقم٨٢٦]. (المؤلّف)

(٣) السيرة الحلبية: ٨٧/٢ [٧٨/٢]. (المؤلّف)

(٤) نهج البلاغة: ٤٦/١[ص٥٧ خطبة ١٥]، شرح ابن أبي الحديد: ٩٠/١[٢٦٩/١ خطبة ١٥]. (المؤلّف)

ما كنت صانعاً فاصنع إذ قشرك ابن أبي طالب من كلّ مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها. وقال الوليد بن عقبة ـ المذكور آنفاً ـ يذكر قبض عليّ عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه:

بني هاشمٍ ردّوا سلاحَ ابنِ أُختِكمْ ... ولا تنهبوه لا تحلُّ مناهبُه
بني هاشمٍ كيف الهوادةُ بيننا ... وعند عليٍّ درعُه ونجائبُه
بني هاشمٍ كيف التودُّدُ منكمُ ... وبزُّ ابنِ أروى فيكمُ وحرائبُه
بني هاشمٍ إلّا تردّوا فإننا ... سواءٌ علينا قاتلاه وسالبُه
بني هاشم إنّا وما كان منكمُ ... كصدعِ الصفا لا يشعب الصدع شاعبُه
قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه ... كما غدرتْ يوماً بكسرى مرازبُه

فأجابه عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب بأبيات طويلة من جملتها:

فلا تسألونا سيفَكم إنّ سيفَكمْ ... أُضيع وألقاه لدى الروعِ صاحبُه
وشبّهته كسرى وقد كان مثلُه ... شبيهاً بكسرى هديُه وضرائبُه

قال: أي كان كافراً كما كان كسرى كافراً؛ وكان المنصور رحمه الله تعالى إذا أنشد هذا البيت يقول: لعن الله الوليد هو الذي فرّق بين بني عبدمناف بهذا الشعر[(١)].

هذه الأبيات المعزوّة إلى عبدالله نسبها المسعودي في مروج الذهب[(٢)] (٤٤٣/١) إلى الفضل بن العباس بن أبي لهب وذكر منها:

سلوا أهلَ مصرٍ عن سلاحِ ابنِ أُختنا ... فهم سلبوه سيفَه وحرائبه
وكان وليَّ العهدِ بعد محمدٍ ... عليٌّ وفي كلِّ المواطنِ صاحبه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٩٠/١ [٢٧٠/١ ـ ٢٧١]. (المؤلّف)
(٢) مروج الذهب: ٣٦٥/٢.

عــلـيٌّ وليُّ الله أظـــهرَ ديــنَه وأنت مــع الأشــقين فــيما تحاربه
وأنت امرؤٌ من أهلِ صيفورَ مارحٌ[١] فــما لك فــينا مــن حمــيمٍ تــعاتبه
وقــد أنــزل الرحمــنُ أنّك فــاسقٌ فــما لك في الإسلام سهمٌ تـطالبه

ـ ٤٠ ـ

الخليفة والشجرة الملعونة في القرآن

كان مزيج نفس الخليفة حبّ بني أبيه آل أُميّة الشجرة الملعونة في القرآن و / تفضيلهم على الناس، وقد تنشّب ذلك في قلبه وكان معروفاً منه من أوّل يومه، ٢٨٩/٨
وعرفه بذلك من عرفه. قال عمر بن الخطّاب لابن عبّاس: لو وليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه[٢].

وفي لفظ الإمام أبي حنيفة: لو وليتُها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس، والله لو فعلت لفعل، ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتى يجزّوا رأسه. ذكره القاضي أبو يوسف في الآثار[٣] (ص٢١٧).

ووصّى إلى عثمان بقوله: إن وليتَ هذا الأمر فاتّق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس[٤].

وبهذه الوصيّة أخذه عليّ وطلحة والزبير لمّا ولّى الوليد بن عقبة على الكوفة وقالوا له: ألم يوصك عمر ألّا تحمل آل أبي معيط وبني أُميّة على رقاب الناس؟ فلم يجبهم بشيء. أنساب البلاذري (٣٠/٥).

---

(١) في الطبعة المعتمدة لدينا من المروج: صفواء نازح.

(٢) أنساب البلاذري: ١٦/٥. (المؤلّف)

(٣) الآثار: ص٢١٧ باب ٣٤ ح ٩٦٠.

(٤) طبقات ابن سعد: ٢٤٧/٣ [٣٤٠/٣]، أنساب البلاذري: ١٦/٥، الرياض النضرة: ٧٦/٢ [٣٥٦/٢]. (المؤلّف)

كان يبذل كلّ جهده في تأسيس حكومة أمويّة قاهرة في الحواضر الإسلاميّة كلّها تقهر مَن عداهم، وتنسي ذكرهم في القرون الغابرة، غير أنّ القَدر الحاتم راغمه على منويّاته فجعل الذكر الجميل الخالد والبقيّة المتواصلة في الحقب والأجيال كلّها لآل عليّ عليه وعليهم السلام، وأمّا آل حرب فلا تجد من ينتمي إليهم غير متوارٍ بانتسابه، متخافت عند ذكر نسبه؛ فكأنّهم حديث أمس الدابر، فلا ترى لهم ذكراً، ولا تسمع لأحد منهم رِكزاً.

كان الخليفة يمضي وراء نيّته هاتيك قدماً؛ وراء أمل أبي سفيان فيما قال له يوم استخلف: فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أُميّة. فولّى على الأمر في المراكز الحسّاسة والبلاد العظيمة أغلمة بني أُميّة، وشبابهم المترَف المتبختر في شرخ الشبيبة وغلوائها.

وأمّر فتيانهم الناشطين للعمل، الذين لم تحنّكهم الأيّام ولم يؤدّبهم الزمان، وسلّطهم على رقاب الناس، ووطّد لهم السبل، وكسح عن مسيرهم العراقيل، وفتح باب الفتن والجور بمصراعيه على الجامع الصالح في الأمصار الإسلاميّة، وجرّ الويلات بيد أُولئك الطغام / على نفسه وعلى الأُمّة المرحومة من يومه وهلمّ جراً. ٢٩٠/٨

قال أبو عمر[1]: دخل شبل بن خالد على عثمان ﷺ حين لم يكن عنده غير أمويّ فقال: ما لكم معشر قريش؟ أما فيكم صغير تريدون أن ينبُل؟ أو فقير تريدون غناه؟ أو خامل تريدون التنويه باسمه؟ عَلام أقطعتم هذا الأشعري ـ يعني أبا موسى ـ العراق يأكلها هضماً؟ فقال عثمان: ومن لها؟ فأشاروا بعبدالله[2] بن عامر

(١) الاستيعاب: القسم الثاني / ٦٩٣ رقم ١١٥٥.

(٢) كان ابن خال عثمان؛ لأن أُمّ عثمان أروى بنت كريز. وعبدالله ابن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. (المؤلّف)

وهو ابن ستّ عشرة سنة[١] فولّاه حينئذٍ.

وكان هؤلاء الأغلمة لا يبالي أحدهم بما يفعل؛ ولا يكترث لما يقول؛ والخليفة لا يصيخ إلى شكاية المشتكي، ولا يعي عذل أيّ عاذل، ومن أُولئك الأغلمة والي الكوفة سعيد بن العاص ذاك الشاب المترف، كان يقول كما مرّ في (ص ٢٧٠) على صهوة المنبر: إنّ السواد بستان لأغيلمة من قريش.

وهؤلاء الأغيلمة هم الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ بقوله: « إنّ فساد أُمّتي على يدي غلمة سفهاء من قريش »[٢].

وبقوله ﷺ: « هلاك هذه الأُمّة على يد أُغيلمة من قريش »[٣].

وأُولئك السفهاء الأمراء هم المعنيّون بقوله ﷺ لكعب بن عجرة: « أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء ». قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: « أُمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنّون بسنّتي ». الحديث مرّ في صفحة (٢٥٦).

٢٩١/٨ وأُولئك هم المعنيّون بقوله ﷺ: « إسمعوا هل سمعتم؟ إنّه سيكون بعدي / أُمراء فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منّي ولست منه

(١) أحسبه تصحيفاً؛ قال أبو عمر [في الاستيعاب: القسم الثالث/٩٣٢ ـ ٩٣٣ رقم ١٥٨٧] في ترجمة عبدالله بن عامر: عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن أبي العاص عن فارس وجمع ذلك كلّه لعبدالله. قال صالح: وهو ابن أربع وعشرين سنة. وقال أبو اليقظان: قدم ابن عامر البصرة والياً عليها وهو ابن أربع أو خمس وعشرين سنة. (المؤلّف)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن: ١٤٦/١٠ [١٣١٩/٣ ح ٣٤١٠، ٢٥٨٩/٦ ح٦٦٤٩]، والحاكم في المستدرك: ٤٧٠/٤ [٥١٧/٤ ح ٨٤٥٠] صحّحه هو والذهبي، وقال الحاكم: شهد حذيفة بن اليمان بصحّة هذا الحديث. (المؤلّف)

(٣) مستدرك الحاكم: ٤٧٩/٤ [٥٢٦/٤ ح٨٤٧٦]: فقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولهذا الحديث توابع وشواهد عن رسول الله ﷺ وصحابته الطاهرين والأئمّة من التابعين لم يسعني إلّا ذكرها. ثمّ ذكر بعض ما أسلفنا في الحكم ومروان وبني أبي العاص. (المؤلّف)

وليس بواردٍ عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منّي وأنا منه وسيرد عليّ الحوض»، وفي لفظ: «سيكون أُمراء يكذبون ويظلمون فمن صدّقهم بكذبهم...»[1].

وفي لفظ أحمد في المسند[2] (٢٦٧/٤): «ألا إنّه سيكون بعدي أُمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدّقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس منّي ولا أنا منه، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو منّي وأنا منه».

وهم المعنيّون بقوله ﷺ: «سيكون أُمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون مالا يُؤمرون» مسند أحمد[3] (٤٥٦/١).

يستعملهم عثمان وهو أعرف بهم من أيّ ابن أُنثى وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنّة نبيّه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»[4] وفي تمهيد الباقلاني (ص ١٩٠): «من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه خان الله ورسوله والمسلمين».

فعهد أُولئك الأُغيلمة عهد هلاك أُمّة محمد ودور فسادها، منهم بدأت الفتن وعليهم عادت، فترى الولاة يوم ذاك من طريدٍ لعين إلى وزغٍ مثله، ومن فاسقٍ مهتوك بالذكر الحكيم إلى طليق منافق، ومن شابّ مترف إلى أُغيلمة سفهاء.

وكان للخليفة وراء ذلك كلّه أمل بأنّه لو بيده مفاتيح الجنّة ليعطيها بني أُميّة

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي: ١٠٧/٢ [رقم ٥٠٠] و٣٦٢/٥ [رقم ٢٨٨٦]. (المؤلّف)

(٢) مسند أحمد: ٣٣٣/٥ ح ١٧٨٨٩.

(٣) المصدر السابق: ٤١/٢ ح ٤٣٥٠.

(٤) سنن البيهقي: ١١٨/١٠، مجمع الزوائد ٢١١/٥. (المؤلّف)

حتى يدخلوها من عند آخرهم؛ أخرج أحمد في المسند[١] (٦٢/١) من طريق سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ﷺ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمّار بن ياسر فقال: إنّي سائلكم وإنّي أُحبّ أن تصدقوني، نشدتكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان ﷺ: لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم. إسناده صحيح رجاله كلّهم ثقات رجال الصحيح.

٢٩٢/٨ فكأنّ الخليفة يحسب أنّ الهرج الموجود في العطاء عنده سوف يتسرّب معه إلى باب الجنّة يحابي قومه بالنعيم كما حاباهم في الدنيا بالأموال، فما حظي الخليفة بما أحبّ لهم في الدنيا يوم طحنهم بكلكله البلا، وأجهزت عليهم المآثم والجرائم، وأمّا الآخرة فإنّ بينهم وبين الجنّة لَسدّاً بما اقترفوه من الآثام، فلا أرى الخليفة يحظى بأُمنيّته هنالك؛ ونحن لا نعرف نظريّة الخليفة في أمر الثواب والعقاب؛ ولا ما يؤوّل به الآي الواردة فيها في الذكر الحكيم، ولا رأيه في الجنّة والنار وأهلها، ﴿ **أَيَطمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنهُم أَنْ يُدخَلَ جَنَّةَ نَعيم** ﴾[٢] ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء** ﴾[٣] ﴿ **كَلّا إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعيمٍ * وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصلَونَهَا يَومَ الدِّين** ﴾[٤] ﴿ **كَلّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّين** ﴾[٥] ﴿ **كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ * وَمَا أَدرَاكَ مَا الحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفئِدَةِ** ﴾[٦]

---

(١) مسند أحمد: ١٠٠/١ ح٤٤١.
(٢) المعارج: ٣٨.
(٣) الجاثية: ٢١.
(٤) الانفطار: ١٣ ـ ١٥.
(٥) المطفّفين: ٧.
(٦) الهمزة: ٤ ـ ٧.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلجَنَّةُ لِلمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلجَحِيمُ لِلغَاوِينَ﴾[١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخبَتُوا إِلى رَبِّهِم أُولئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ﴾[٢].

فهؤلاء الأمويّون لم يكونوا في أمل الخليفة ولا أغنوا عنه شيئاً يوم ضحّى بنفسه وجاهه وملكه لأجلهم حتى قُتل من جرّاء ذلك، ولا أحسب أنّهم مغنون عنه شيئاً غداً عند الله يوم لا يغني عنه مال ولا بنون.

ألا تعجب من خليفة لا يروقه إيثار نبيّه بني هاشم على سائر قريش، وتدعوه عصبيّته العمياء إلى أن يعارض بمثل هذا التافه المخزي قوله ﷺ فيما أخرجه أحمد[٣]: « يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو أخذت بحلقة الجنّة ما بدأت إلّا بكم »[٤]؟

ـ ٤١ ـ

تسيير الخليفة أبا ذر إلى الربذة

روى البلاذري[٥]: لمّا أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث ابن الحَكَم بن أبي العاص ثلاثمئة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مئة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشّر الكانزين بعذاب أليم، ويتلو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيم﴾[٦]

فرفع ذلك /مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر ناتلاً مولاه أن انته عمّا يبلغني ٢٩٣/٨

(١) الشعراء: ٩٠، ٩١.

(٢) هود: ٢٣.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ص١٢٢ ح١٨٠.

(٤) الصواعق: ص٩٥ [ص١٦٠]. (المؤلّف)

(٥) أنساب الأشراف: ٥٢/٥.

(٦) التوبة: ٣٤.

عنك، فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله؟ فوالله لأن أُرضي الله بسخط عثمان أحبُّ إليّ وخير لي من أن أُسخط الله برضاه. فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وكفّ؛ وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذر: يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي! إلحق بمكتبك، وكان مكتبه بالشام إلّا أنّه كان يقدم حاجّاً ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله ﷺ فيأذن له في ذلك، وإنّما صار مكتبه بالشام لأنّه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعاً: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب» فأذن لي آتي الشام فأغزو هناك فأذن له، وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمئة دينار، فقال: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلةً فلا حاجة لي فيها. وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك منّي حين تبعث إليّ بمال؟ وردّها.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية. وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ماهي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، والله إنّي لأرى حقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيى، وصادقاً يُكذّب، وأثرةً بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه. فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إنّ أبا ذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة. فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد؛ فاحمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه معاوية من سار به الليل والنهار، فلمّا قدم أبو ذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرّب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: إلحق بأيّ أرض شئت. فقال بمكة. فقال: لا. قال: فبيت المقدس. قال: لا. قال: فبأحد المصرين. قال لا: ولكنّي مُسيّرك إلى الربذة. فسيّره إليها فلم يزل بها حتى مات.

ومن طريق محمد بن سمعان قال: قيل لعثمان: إنّ أبا ذر يقول: إنّك أخرجته إلى الربذة. فقال: سبحان الله ما كان من هذا شيء قطُّ، وإنّي لأعرف فضله، وقديم ٢٩٤/٨
إسلامه، وما كنّا نعدُّ في أصحاب النبيّ ﷺ أكَلّ شوكة منه.

ومن طريق كميل بن زياد قال: كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذر باللحاق بالشام، وكنت بها في العام المقبل حين سيّره إلى الربذة.

ومن طريق عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال: تكلّم أبو ذر بشيء كرهه[1] عثمان فكذّبه[2] فقال: ما ظننت أنّ أحداً يكذّبني بعد قول رسول الله ﷺ: « ما أقلّت الغبراء وما أطبقت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر »، ثمّ سيّره إلى الربذة فكان أبو ذر يقول: ما ترك الحقُّ لي صديقاً. فلمّا سار إلى الربذة قال: ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابيّاً.

قال: وشيّع عليّ أبا ذر، فأراد مروان منعه منه فضرب عليّ بسوطه بين أُذني راحلته، وجرى بين عليّ وعثمان في ذلك كلام حتى قال عثمان: ما أنت بأفضل عندي منه. وتغالظا فأنكر الناس قول عثمان ودخلوا بينهما حتى اصطلحا.

وقد روي أيضاً: أنه لمّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمّار بن ياسر: نعم، فرحمه الله من كلّ أنفسنا. فقال عثمان: يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره؟ يأتي تمام الحديث في ذكر مواقف عمّار.

ومن طريق ابن خراش[3] الكعبي قال: وجدت أبا ذر بالربذة في مظلّة شعرٍ فقال: ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحقُّ لي صديقاً.

---

(١) في رواية الواقدي، والمسعودي [في مروج الذهب: ٣٥٨/٢] كما يأتي أنه قال: لسمعت رسول الله يقول: « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً...» الحديث. (المؤلّف)

(٢) في لفظ الواقدي: قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟ (المؤلّف)

(٣) في الأصل: حراس، والتصويب من طبقات ابن سعد: ٢٣٦/٤، ويأتي مثله في صفحة ٤٥٢. وهو عبدالله خِراش بن أُميّة الكعبي الخزاعي.

ومن طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قلت لأبي ذرّ: ما أنزلك الربذة؟ قال: النصح لعثمان ومعاوية.

ومن طريق بشر بن حوشب الفزاري عن أبيه قال: كان أهلي بالشربّة[1] فجلبت غنماً لي إلى المدينة فمرّت بالربذة وإذا بها شيخ أبيض الرأس واللحية. قلت: من هذا؟ قالوا: أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ. وإذا هو في حِفش[2] ومعه قطعة
٢٩٥/٨ من غنم فقلت: / والله ما هذا البلد بمحلّة لبني غفار. فقال: أُخرجت كارهاً. فقال بشر ابن حوشب: فحدّثت بهذا الحديث سعيد بن المسيب فأنكر أن يكون عثمان أخرجه وقال: إنّما خرج أبو ذر إليها راغباً في سكناها[3].

وأخرج البخاري في صحيحه[4] من حديث زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فقلت لأبي ذر: ما أنزلك [منزلك] هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ﴾ فقال: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: [نزلت] فينا وفيهم. فكتب يشكوني إلى عثمان، فكتب عثمان: إقدم المدينة. فقدمت فكثر الناس عليّ كأنّهم لم يروني قبل ذلك، فذكر[ت] ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحّيت فكنت قريباً. فذلك الذي أنزلني هذا المنزل.

قال ابن حجر في فتح الباري[5] في شرح الحديث: وفي رواية الطبري أنّهم كثروا عليه يسألونه عن سبب خروجه من الشام، فخشي عثمان على أهل المدينة

---

(١) الشربّة ـ بفتح أوّله وثانيه وتشديد الموحدة ـ: موضع بين السليلة والربذة في طريق مكة. (المؤلّف)

(٢) الحفش ـ بكسر المهملة ـ: البيت الصغير، أو هو من الشعر. (المؤلّف)

(٣) أُنظر إلى ابن المسيّب يكذّب أبا ذر لتبرير عثمان من تسييره، ولا يكترث لاستلزامه تكذيب رسول الله ﷺ، وسيوافيك البحث عنه. (المؤلّف)

(٤) صحيح البخاري: ٥٠٩/٢ ح ١٣٤١. وما بين المعقوفات منه.

(٥) فتح الباري: ٢٧٥/٣.

ما خشيه معاوية على أهل الشام. وقال بعد قوله: إن شئت تنحّيت. في رواية الطبري: تنحّ قريباً. قال: والله لن أدع ما كنت أقوله. ولابن مردويه: لا أدع ما قلت.

وذكر المسعودي أمر أبي ذر بلفظ هذا نصُّه قال: إنّه حضر مجلس عثمان ذات يوم، فقال عثمان: أرأيتم من زكّى ماله هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين. فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يابن اليهوديّ ثمّ تلا: ﴿ **لَيسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلٰكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إذَا عَاهَدُوا** ﴾ الآية[1].

فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أُمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي، غيّب وجهك عنّي فقد آذيتني. فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان: إنّ أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس ٢٩٦/٨
معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له: إنّك تموت من ذلك فقال: هيهات لن أموت حتى أُنفى، وذكر جوامع ما نزل به بعدُ ومن يتولّى دفنه، فأحسن إليه [عثمان][2] في داره أيّاماً، ثمّ دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلّم بأشياء، وذكر الخبر في ولد أبي العاص: « إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خولاً ». ومرّ في الخبر بطوله وتكلّم بكلام كثير، وكان

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) من المصدر.

في ذلك اليوم قد أُتي عثمان بتركة عبدالرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت[1] البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إنّي لأرجو لعبد الرحمن خيراً لأنّه كان يتصدّق ويقري الضيف وترك ما ترون. فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال: يابن اليهوديّ تقول لرجل مات وترك هذا المال إنّ الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما يسرُّني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً» فقال له عثمان: وارِ عنّي وجهك. فقال: أسير إلى مكة. قال لا والله. قال: فتمنعني من بيت ربّي أعبده فيه حتى أموت؟ قال: أي والله. قال: فإلى الشام. قال: لا والله. قال: البصرة. قال: لا والله فاختر غير هذه البلدان. قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيّرني حيث شئت من البلاد. قال: فإنّي مُسيّرك إلى الربذة. قال: الله أكبر صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ. قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأنّي أُمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز. وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة. فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيّره عنها، إذ طلع عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبدالله بن جعفر وعمّار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا عليّ إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيّعوه، فإن كنت لم تدرِ بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه عليُّ بن أبي طالب بالسوط [وضرب][2] بين أُذني راحلته وقال: « تنحّ نحّاك الله إلى النار » ومضى مع أبي ذر فشيّعه ثمّ ودّعه وانصرف. فلمّا
٢٩٧/٨ أراد الانصراف بكى أبو ذر وقال: / رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن

(١) نضّت: أي ظهرت، وفي الطبعة المعتمدة لدينا من مروج الذهب: فنثرت.

(٢) من المصدر.

وولدك ذكرت بكم رسول الله ﷺ. فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به عليٌّ بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ؟ ردّ رسولي عمّا وجّهته له وفعل كذا والله لنعطينّه حقّه. فلمّا رجع عليّ استقبله الناس(١) فقالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر. فقال عليّ: « غضب الخيل على اللجم »(٢). ثمّ جاء. فلمّا كان بالعشيّ جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري؟ قال: « أمّا مروان فإنّه استقبلني يردُّني فرددته عن ردّي؟ وأمّا أمرك فلم أردُّه » قال عثمان: أوَلم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال عليّ: « أوَكلّ ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة لله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل ». قال عثمان: أقد مروان. قال: « وما أقيده »؟ قال: ضربت بين أُذني راحلته(٣) قال عليّ: « أمّا راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنّك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلّا حقّاً » قال عثمان: ولِمَ لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب عليّ بن أبي طالب وقال: « إليّ تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأُمّي أفضل من أُمّك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلمّ فأقبل بنبلك ». فغضب عثمان واحمرّ وجهه فقام ودخل داره وانصرف عليّ فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار، فلمّا كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكا إليهم عليّاً وقال: إنّه يعيبني ويظاهر من يعيبني

---

(١) هذه الجملة تعرب عن غيبة الإمام عليه السلام عن المدينة المشرّفة في تشييع أبي ذر أيّاماً وتقرّب ما قاله الأُستاذ عبدالحميد جودت السحّار المصري في كتابه الإشتراكي الزاهد: ص١٩٢: ومضى عليّ ورفقاؤه مع أبي ذر حتى بلغوا الربذة فنزلوا عن رواحلهم وجلسوا يتحدّثون. (المؤلّف)

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٤١٢ رقم٢٦٦٢. مثل يضرب لمن يغضب غضباً لا ينتفع به، واللُجم جمع لجام: الحديدة في فم الفرس.

(٣) في العبارة سقط يظهر في الجواب وسيأتي صحيحها بُعيد هذا إن شاء الله. (المؤلّف)

يريد بذلك أبا ذر وعمّار بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما، وقال له عليّ: «والله ما أردت تشييع أبي ذرّ إلّا الله».

وفي رواية الواقدي من طريق صهبان مولى الأسلميّين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت ما فعلت[١]؟ فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشّني. فقال عثمان: كذبت ولكنّك تريد الفتنة
٢٩٨/٨ وتحبّها قد انغلت[٢] / الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتّبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك لا أُمّ لك؟ قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب؛ إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام. فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً وقال: أُشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿ **وإن يكُ كاذباً فعليه كذبه وإن يكُ صادقاً يُصبكم بعضُ الذي يعدُكم إنَّ الله لا يهدي من هو مُسرفٌ كذّاب** ﴾[٣] قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أُحبّ ذكره وأجابه عليّ بمثله.

قال: ثمّ إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلّموه، فمكث كذلك أيّاماً، ثمّ أمر أن يؤتى به فأُتي به، فلمّا وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنّك لتبطش بي بطش جبار، فقال: اخرج عنّا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك! فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنّما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها؛ أفأردُّك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا.

---

(١) في شرح النهج: فعلت وفعلت.

(٢) أنغل: أفسد.

(٣) غافر: ٢٨.

قال: ولِمَ؟ قال: تقدم على قوم أهل شبه وطعن في الأُمّة؟ قال: فأخرج إلى مصر. قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال أبو ذر: فهو إذن التعرّب بعد الهجرة أأخرج إلى نجد؟ فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فأقصى، إمض على وجهك هذا ولا تعدوَنّ الربذة فسر إليها. فخرج إليها.

وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أنّ أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله ﷺ ويجتمع إليه الناس فيحدّث بما فيه الطعن عليه، وأنّه وقف بباب المسجد فقال: أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذيّ؛ ﴿إنّ اللهَ اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمين * ذريّةً بعضُها من بعضٍ واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾[1]. محمد الصفوة من نوح، فالأوّل من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد، إنّه شرُف شريفهم واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها وبورك زيدها[2] ومحمد / وارث علم آدم وما فضّلت به النبيّون. إلى أن قال: ٢٩٩/٨

وبلغ عثمان أنّ أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول الله ﷺ وسنن أبي بكر وعمر فسيّره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المجلس[3] فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلّى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له؛ ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له. فقال:

وكتب معاوية إلى عثمان: إنّك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر. فكتب

---

(١) آل عمران: ٣٣ و٣٤.

(٢) ولعلّ الصحيح زندها، كما في بعض المصادر [وفي الطبعة المعتمدة لدينا: زبدها]. (المؤلّف)

(٣) في المصدر: في المسجد.

إليه أن احمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه، فلمّا دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنّك تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كملت بنو أُميّة ثلاثين رجلاً اتّخذوا بلاد الله دولا؛ وعباد الله خولا؛ ودين الله دغلا »، فقال: نعم سمعت رسول الله يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟ فبعث إلى عليّ بن أبي طالب فأتاه فقال: يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقصّ عليه الخبر فقال عليّ: « نعم ». فقال: فكيف تشهد؟ قال: « لقول رسول الله ﷺ: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر ». فلم يقم بالمدينة إلّا أيّاماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجنّ عنها، قال: أتُخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا. ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها. يا مروان أخرجه ولا تدع أحداً يكلّمه حتى يخرج. فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج عليّ والحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وعمّار بن ياسر ينظرون، فلمّا رأى أبو ذر عليّاً قام إليه فقبّل يده ثمّ بكى وقال: إنّي إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتى أبكي. فذهب عليّ يكلّمه؛ فقال مروان: إنّ أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد. فرفع عليّ السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: « تنحّ نحّاك الله إلى النار ». ثمّ شيّعه وكلّمه بكلام يطول شرحه، وتكلّم كلُّ رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين عليّ في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً.

وأخرج ابن سعد من طريق الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة ثمّ أتيت
٨/٣٠٠ الشام / فجمّعت[١] فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلّا خرّ أهلها يصلّي ويخفّ صلاته. قال: فجلست إليه فقلت له: يا عبدالله من أنت؟ قال: أنا أبو ذر. فقال لي:

---

(١) أي: حضرت الجمعة.

فأنت من أنت ؟ قال : قلت : أنا الأحنف بن قيس . قال : قم عنّي لا أعدك بشرّ . فقلت له : كيف تعدني بشرّ ؟ قال : إنّ هذا ـ يعني معاوية ـ نادى مناديه ألّا يجالسني أحد .

وأخرج أبو يعلى من طريق ابن عبّاس قال : استأذن أبو ذر عثمان فقال : إنّه يؤذينا ، فلمّا دخل قال له عثمان : أنت الذي تزعم أنّك خير من أبي بكر وعمر ؟ قال : لا ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي من بقي على العهد الذي عاهدته عليه وأنا باقٍ على عهده »[1] قال : فأمره أن يلحق بالشام ، وكان يحدّثهم ويقول : لا يبيتنّ عند أحدكم دينار ولا درهم إلّا ما ينفقه في سبيل الله أو يعدّه لغريم . فكتب معاوية إلى عثمان : إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذر . فكتب إليه عثمان : أن اقدم عليّ فقدم .

راجع[2] : الأنساب (٥/٥٢ ـ ٥٤) ، صحيح البخاري في كتابي الزكاة والتفسير ، طبقات ابن سعد (٤/١٦٨) ، مروج الذهب (١/٤٣٨) ، تاريخ اليعقوبي (٢/١٤٨) ، شرح ابن أبي الحديد (١/٢٤٠ ـ ٢٤٢) ، فتح الباري (٣/٢١٣) ، عمدة القاري (٤/٢٩١) .

كلمة أمير المؤمنين

لمّا أُخرج أبو ذر إلى الربذة

« يا أبا ذر إنّك غضبت لله فارجُ من غضبت له ، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، وما أغناك عمّا منعوك ، وستعلم من الرابح غداً ، والأكثر

---

(١) حديث العهد أخرجه أحمد في مسنده [١/٣٢١ ح١٦٩٨] . (المؤلّف)

[والعيني في عمدة القاري : ٨/٢٦٢]

(٢) صحيح البخاري : ٢/٥٠٩ ح١٣٤١ ، ٤/١٧١١ ح٤٣٨٣ ، الطبقات الكبرى : ٤/٢٢٩ ، مروج الذهب : ٢/٣٥٧ ـ ٣٦٠ ، تاريخ اليعقوبي : ٢/١٧١ ـ ١٧٢ ، شرح نهج البلاغة : ٣/٥٢ ـ ٥٩ خطبة ٤٣ ، فتح الباري : ٣/٢٧٤ ، عمدة القاري : ٨/٢٦٢ ح١١ .

حسداً، ولو أنّ السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثمّ اتّق الله لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسنّك إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك، ولو قرضتَ منها لأمّنوك »[١].

ذكر ابن أبي الحديد في الشرح[٢] (٣٧٥/٢ ـ ٣٨٧) تفصيل قصّة أبي ذر ورآه
٣٠١/٨ مشهوراً متضافراً، وإليك نصّه قال:

واقعة أبي ذر وإخراجه إلى الربذة أحد الأحداث التي نقمت على عثمان، وقد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة[٣] عن عبدالرزاق، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: لمّا أُخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس: أن لا يكلّم أحد أبا ذر ولا يشيّعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به، وتحاماه الناس إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً عليهما السلام وعمّاراً، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلّم أبا ذر، فقال له مروان: إيهاً يا حسن ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل؟ فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك. فحمل عليّ عليه السلام على مروان فضرب بالسوط بين أُذني راحلته وقال: « تنحّ نحّاك الله إلى النار ». فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر فتلظّى على عليّ عليه السلام، ووقف أبو ذر فودّعه القوم ومعه ذكوان مولى أُم هاني بنت أبي طالب، قال ذكوان: فحفظت كلام القوم ـ وكان حافظاً ـ فقال عليّ عليه السلام:

« يا أبا ذر إنّك غضبت لله، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلى ونفوك إلى الفلا، والله لو كانتْ السماوات والأرض على عبد رتقاً ثمّ

---

(١) نهج البلاغة: ٢٤٧/١ [ص١٨٨ خطبة ١٣٠ وقرَضت منها: قطعت منها جزءاً]. (المؤلّف)

(٢) المصدر السابق: ٢٥٢/٨ ـ ٢٦٢ خطبة ١٣٠.

(٣) السقيفة وفدك: ص٧٨ ـ ٨١.

اتّق الله لجعل له منها مخرجاً؛ يا أبا ذر لا يؤنسنّك إلّا الحق، ولا يوحشنّك إلّا الباطل ».

ثمّ قال لأصحابه: « ودّعوا عمّكم ». وقال لعقيل: «ودّع أخاك »، فتكلّم عقيل فقال: ما عسى ما نقول يا أبا ذر؟ وأنت تعلم أنّا نحبّك وأنت تحبّنا، فاتّق الله فإنّ التقوى نجاة، واصبر فإنّ الصبر كرم، واعلم أنّ استثقالك الصبر من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثمّ تكلّم الحسن فقال: « يا عمّاه لولا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت وللمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى من القوم إليك[1] ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراغها، وشدّة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيّك صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنك راضٍ ».

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال: « يا عمّاه إنّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى، والله كلّ يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم / إلى ما منعتهم! فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع ٣٠٢/٨
والجزع، فإنّ الصبر من الدين والكرم، وإنّ الجشع لا يُقدّم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجلاً ».

ثمّ تكلّم عمّار مغضباً فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك. أما والله لو أردت دنياهم لأمّنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا والجزع من الموت، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

---

(١) في المصدر: وقد أتى القوم إليك.

فبكى أبو ذر رحمه الله ـ وكان شيخاً كبيراً ـ وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ﷺ، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إنّي ثقلتُ على عثمان بالحجاز كما ثقلتُ على معاوية بالشام، وكره أن أُجاور أخاه وابن خاله بالمصرين[1] فأفسد الناس عليهما، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أُريد إلّا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء عليّ عليه السلام إلى عثمان فقال له: ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟ فقال عليّ عليه السلام: «أمّا رسولك فأراد أن يردّ وجهي فرددته، وأمّا أمرك فلم أصغّره»، قال: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر؟ قال: «أوَكلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟» قال عثمان: أقد مروان من نفسك. قال: «مِمّ ذا؟» قال: من شتمه وجذب راحلته. قال: «أمّا راحلته فراحلتي بها، وأمّا شتمه إيّاي فوالله لا يشتمني شتمة إلّا شتمتك مثلها لا أكذب عليك». فغضب عثمان وقال: لِمَ لا يشتمك؟ كأنّك خير منه؟ قال عليّ: «إي والله ومنك». ثمّ قام فخرج، فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أُميّة يشكو إليهم عليّاً عليه السلام، فقال القوم: أنت الوالي عليه وإصلاحه أجمل. قال: وددت ذاك. فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: لو اعتذرت إلى مروان وأتيته. فقال: «كلّا أمّا مروان فلا آتيه ولا أعتذر منه، ولكن إن أحبّ عثمان أتيته». فرجعوا إلى عثمان فأخبروه، فأرسل عثمان إليه فأتاه ومعه بنو هاشم، فتكلّم
٣٠٣/٨ عليّ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه / ثمّ قال: «أمّا ما وجدت عليّ فيه من كلام أبي ذر ووداعه فوالله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقّه. وأمّا مروان فإنّه اعترض يريد ردّي عن قضاء حقّ الله عزّ وجلّ فرددته، ردّ مثلي مثله، وأمّا ما كان منّي إليك فإنّك أغضبتني فأخرج الغضب منّي ما لم أرده».

---

(١) يعني مصر والبصرة، كان والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة، وكان على البصرة عبدالله بن عامر ابن خاله كما مرّ: ص ٢٩٠. (المؤلّف)

فتكلّم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا ما كان منك إليّ فقد وهبته لك، وأمّا ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك، وأمّا ما حلفت عليه فأنت البرُّ الصادق، فأدنِ يدك. فأخذ يده فضمّها إلى صدره، فلمّا نهض قالت قريش وبنو أُميّة لمروان: أأنت رجل جبهك عليٌّ وضرب راحلتك؟ وقد تفانت وائل في ضرع ناقة، وذبيان وعبس في لطمة فرس، والأوس والخزرج في نسعة[1] أفتحمل لعليّ عليه السلام ما أتاه إليك؟ فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

فقال ابن أبي الحديد[2]: واعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل أنّ عثمان نفى أبا ذر أوّلاً إلى الشام ثمّ استقدمه إلى المدينة لمّا شكا منه معاوية، ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذة لمّا عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام.

أصل هذه الواقعة: أنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشّر الكانزين[3] بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾. فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت. ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من مواليه أن انتهِ عمّا بلغني عنك، فقال أبو ذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك أمر الله تعالى؟ فوالله لأن أُرضي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أُسخط الله برضا عثمان، فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك، إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذر: يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا؟ فقال

---

(١) النسعة ـ بكسر النون ـ: حبل عريض طويل تشدّ به الرحال. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥٥/٨ خطبة ١٣٠.

(٣) في النسخة: الكافرين. والصحيح كما مرّ عن البلاذري [في الأنساب: ٥٢/٥]. (المؤلّف)

٣٠٤/٨ عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك بأصحابي، إلحق بالشام. فأخرجه إليها، / فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمئة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها. وردّها عليه. ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف، وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه ﷺ، والله إنّي لأرى حقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيا، وصادقاً مكذّباً، وأثرةً بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه. فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إنّ أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانيّة عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار تحمل النار، اللّهمّ العن الآمرين بالمعروف والتاركين له، اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له. فازبأرّ[١] معاوية وتغيّر لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللّهمّ لا. قال: من عَذيري من جندب بن جنادة يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت، ثمّ قال: ادخلوه عليّ، فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكنّي أستأذن فيك. قال جلام: وكنت أُحبُّ أن أرى أبا ذر لأنّه رجل من قومي، فالتفتّ إليه فإذا رجل أسمر ضرب[٢] من الرجال خفيف العارضين في ظهره

---

(١) ازبأرّ الرجل ازبئراراً: تهيّأ للشرّ. (المؤلّف)

(٢) الضرب: الرجل الماضي الندب. (المؤلّف)

حناء[١]، فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدوّ لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرّات أن لا تشبع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ولي الأُمّة الأَعْيَنُ[٢] الواسع البلعوم الذي / يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأُمّة حذرها منه»[٣]. فقال معاوية: ما أنا ذاك ٣٠٥/٨
الرجل. قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعته يقول وقد مررت به: «اللّهمّ العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب». وسمعته ﷺ يقول: «است معاوية في النار». فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها إلّا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

فلمّا قدم بعث إليه عثمان: إلحق بأيّ أرض شئت قال: بمكة؟ قال: لا. قال: بيت المقدس؟ قال: لا. قال: بأحد المصرين؟ قال: لا، ولكني مسيّرك إلى الربذة، فسيّره إليها، فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي: أنّ أبا ذر لمّا دخل على عثمان قال له:

لا أنــعمَ اللهُ بــقَيْنٍ عــينا نــعم ولا لقّــاه يــوماً زيــنا
تحــيّة الســخط إذا التــقينا

---

(١) كذا في الطبعة التي اعتمدها المؤلّف، وفي الطبعة المعتمدة لدينا: في ظهره جنأ. والجنأ: إشراف الكاهل على الصدر.

(٢) في لفظ الحديث سقط كما لا يخفى [والأَعْيَن هو واسع العين، ويبدو أن سياق الحديث متماسك]. (المؤلّف)

(٣) وفي حديث عليّ عليه السلام: «لا يذهب أمر هذه الأُمّة إلّا على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم» ذكره ابن الأثير في النهاية: ١١٢/١ [٣٦٢/٢]، لسان العرب: ٣٢٢/١٤ [٢٤٨/٦]، تاج العروس: ٢٠٦/٨. (المؤلّف)

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي قيناً قطُّ. وفي رواية أُخرىٰ: لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب. فقال أبو ذر: أنا جندب وسمّاني رسول الله ﷺ عبدالله، فاخترت اسم رسول الله ﷺ الذي سمّاني به على اسمي، فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنّا نقول: يد الله مغلولة وأنّ الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، ولكنّي أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً». فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله؟ قالوا: لا. قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تدرون أنّي صدقت؟ قالوا: لا والله ما ندري. فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً. فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص. فأعاده، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: أسمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: «لا وقد صدق أبو ذر» فقال: كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنّي سمعت رسول الله ﷺ
٣٠٦/٨ يقول: «ما أظلّت / الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» فقال من حضر: أمّا هذا فسمعناه كلّنا من رسول الله. فقال أبو ذر: أحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله ﷺ فتتّهموني؟ ما كنت أظنُّ أنّي أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ﷺ.

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟ فقال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشّني. قال عثمان: كذبت ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها وقد أنغلت الشام علينا. قال له أبو ذر: اتّبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام. فقال عثمان: ما لك وذلك لا أُمّ لك؟ قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام. فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً فقال: «أُشير عليك بما

قال مؤمن آل فرعون: ﴿ **وإن يكُ كاذباً فعليهِ كذبهُ وإن يكُ صادِقاً يُصبكُم بعضُ الذي يَعدُكم إنّ اللهَ لا يهدي من هو مُسرِفٌ كذّاب** ﴾. فأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه عليّ ﷺ بمثله ولم نذكر الجوابين تذمّماً منهما.

قال الواقدي: ثمّ إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلّموه فمكث كذلك أيّاماً ثمّ أُتي به فوقف بين يديه، فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل هديك كهديهم؟ أما إنّك لتبطش بي بطش جبّار. فقال عثمان: اخرج عنّا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك! فإلى إين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنّما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، أفأردّك إليها؟ قال: أفأخرج إلى العراق؟ قال: لا إنّك إن تخرج إليها تقدم على قوم أُولي شقّة[1] وطعن على الأئمّة والولاة. قال: أفأخرج إلى مصر؟ قال: لا، قال: فإلى أين أخرج؟ قال: إلى البادية. قال أبو ذر: أصير بعد الهجرة أعرابيّاً؟ قال: نعم. قال أبو ذر: فأخرج إلى بادية نجد. قال عثمان: بل إلى الشرق الأبعد أقصى فأقصى، إمض على وجهك هذا فلا تَعدُوَنّ الربذة، فخرج إليها.

وروى الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة: أنّ أبا الأسود / الدؤلي قال: كنت أُحبُّ لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجئته فقلت له: ألا تخبرني: أخرجت من المدينة طائعاً أم أُخرجت كرهاً؟ فقال: كنت في ثغرٍ من ثغور المسلمين أغني عنهم فأُخرجت إلى المدينة، فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأُخرجت من المدينة إلى ما ترى، ثمّ قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله ﷺ إذ مرّ بي ﷺ فضربني برجله وقال: « لا أراك نائماً في المسجد » فقلت: بأبي أنت وأُمّي غلبتني عيني ٣٠٧/٨

---

(١) في شرح النهج: أُولي شُبَه.

فنمت فيه . قال : « فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ » قلت : إذاً ألحق بالشام فإنّها أرض مقدّسة وأرض الجهاد . قال : « فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ » قلت : أرجع إلى المسجد قال : « فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ » قلت : آخذ سيفي فأضربهم به ، فقال : « ألا أدلُّك على خير من ذلك ؟ إنسَق[1] معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع » . فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأُطيع ، والله ليلقينّ الله عثمان وهو آثم في جنبي .

ثمّ ذكر ابن أبي الحديد الخلاف في أمر أبي ذر ، وحكى عن أبي علي حديث البخاري الذي أسلفناه (ص ٢٩٥) فقال : ونحن نقول : هذه الأخبار وإن كانت قد رويت لكنّها ليست في الاشتهار والكثرة كتلك الأخبار ، والوجه أن يقال في الاعتذار عن عثمان وحسن الظنّ بفعله : إنّه خاف الفتنة واختلاف كلمة المسلمين فغلب على ظنّه أنّ إخراج أبي ذر إلى الربذة أحسم للشغب وأقطع لأطماع من يشرئبُّ إلى شقّ العصا ، فأخرجه مراعاةً للمصلحة ومثل ذلك يجوز للإمام ، هكذا يقول أصحابنا المعتزلة وهو الأليق بمكارم الأخلاق ، فقد قال الشاعر :

إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلّةٌ   فكن أنت محتالاً لزلّته عذرا

وإنّما يتأوّل أصحابنا لمن يحتمل حاله التأويل كعثمان ، فأمّا من لم يحتمل حاله التأويل وإن كانت له صحبة سالفة كمعاوية وأضرابه فإنّهم لا يتأوّلون لهم ، إذا كانت أفعالهم وأحوالهم لا وجه لتأويلها ولا تقبل العلاج والإصلاح . انتهى .

من المستصعب جدّاً التفكيك بين الخليفتين وبين أعمالهم ، فأنّهما من شجرةٍ واحدة ، وهما في العمل صنوان ، لا يشذّ أحدهما عن الآخر ، فتربّص حتى حين ، وسنوقفك على جليّة الحال .

---

(١) فعل أمر من : إنساق ينساق .

هلمّ معي إلى نظارة التنقيب

٣٠٨/٨ **قال الأميني**: هل تعرف موقف أبي ذر الغفاري من الإيمان، وثباته على المبدأ، ومحلّه من الفضل، ومبلغه من العلم، ومقامه من الصدق، ومُبوّأه من الزهد، ومُرتقاه من العظمة، وخشونته في ذات الله، ومكانته عند صاحب الرسالة الخاتمة؟ فإن كنت لا تعرف فإلى الملتقى.

تعبّده قبل البعثة، سبقه في الإسلام، ثباته على المبدأ

١ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات[1] (١٦١/٤) من طريق عبدالله بن الصامت قال: قال أبو ذر: صلّيت قبل الإسلام قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين. فقلت: لمن؟ قال: لله. فقلت: أين توجّه[2]؟ قال: أتوجّه حيث يوجّهني الله.

وأخرج من طريق أبي معشر نجيح قال: كان أبو ذر يتألّه في الجاهليّة ويقول: لا إله إلّا الله، ولا يعبد الأصنام، فمرّ عليه رجل من أهل مكة بعدما أُوحي إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر إنّ رجلاً بمكة يقول مثل ما تقول: لا إله إلّا الله. ويزعم أنّه نبيّ. وذكر حديث إسلامه[3] (ص ١٦٤).

وفي صحيح مسلم في المناقب[4] (١٥٣/٧)، بلفظ ابن سعد الأوّل، وفي (ص ١٥٥) بلفظ: صلّيت سنتين قبل مبعث النبيّ، قال: قلت: فأين كنت توجّه؟ قال: حيث وجّهني الله.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢٢٠/٤. وفيه: صلّيت يابن أخي قبل أن...

(٢) فعل مضارع للمفرد المخاطب، وأصله: تتوجه، فحذفت تاء المضارعة للتخفيف.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢٢/٤ ـ ٢٢٣.

(٤) صحيح مسلم: ٧٢/٥ ح ١٣٢ كتاب فضائل الصحابة ص٧٦.

وفي لفظ أبي نُعَيم في الحلية (١٥٧/١): يابن أخي صلّيت قبل الإسلام بأربع سنين. وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة[١] (٢٣٨/١).

وفي حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه[٢] (٢١٨/٧): أخذ أبو بكر بيد أبي ذر وقال: يا أبا ذر هل كنت تتألّه في جاهليّتك؟ قال: نعم، لقد رأيتني أقوم عند الشمس، فما أزال مصلّياً حتى يؤذيني حرّها فأخرّ كأنّي خفاء، فقال: فأين كنت تتوجّه؟ قال: لا أدري إلّا حيث وجّهني الله.

٢ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات[٣] (١٦١/٤) من طريق أبي ذر قال: كنت في الإسلام خامساً. وفي لفظ أبي عمر وابن الأثير: أسلم بعد أربعة. وفي لفظ آخر: يقال: أسلم بعد ثلاثة. ويقال: بعد أربعة. وفي لفظ الحاكم: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع. وفي لفظ أبي نُعَيم: كنت رابع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة وأنا الرابع. وفي لفظ المناوي: أنا رابع الإسلام. وفي لفظ ابن سعد من طريق ابن أبي ٣٠٩/٨
وضّاح البصري: كان إسلام أبي ذر رابعاً أو خامساً.

راجع[٤]: حلية الأولياء (١٥٧/١)، مستدرك الحاكم (٣٤٢/٣) الاستيعاب (٨٣/١ و٦٦٤/٢)، أُسد الغابة (١٨٦/٥)، شرح الجامع الصغير للمناوي (٤٢٣/٥)، الإصابة (٦٣/٤).

٣ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات[٥] (١٦١/٤) من طريق أبي ذر قال: كنت أوّل

---

(١) صفة الصفوة: ٥٨٥/١ رقم ٦٤. وفيه: قبل أن ألقىٰ رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٧/٢٦ رقم٣٠٧٥، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٣٥١/١١.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢٤/٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٣٨٥/٣ ح٥٤٥٩، الاستيعاب: القسم الأول / ٢٥٢ رقم ٣٣٩، والقسم الرابع/ ١٦٥٣ رقم ٢٩٤٤، أُسد الغابة: ٣٥٧/١ رقم ٨٠٠.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٢١/٤.

من حيّاه ﷺ بتحيّة الإسلام فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك ورحمة الله. وفي لفظ أبي نُعَيم: انتهيت إلى النبيّ ﷺ حين قضى صلاته، فقلت: السلام عليك، فقال: «وعليك السلام».

وأخرجه مسلم في المناقب من الصحيح[1] (١٥٤/٧، ١٥٥)، وأبو نُعَيم في الحلية (١٥٩/١)، وأبو عمر في الاستيعاب[2] (٦٦٤/٢).

٤ ـ أخرج ابن سعد والشيخان في الصحيحين من طريق ابن عبّاس واللفظ للأوّل قال: لمّا بلغه أنّ رجلاً خرج بمكة يزعم أنّه نبي أرسل أخاه فقال: اذهب فائتني بخبر هذا الرجل وبما تسمع منه. فانطلق الرجل حتى أتى مكة فسمع من رسول الله ﷺ فرجع إلى أبي ذر، فأخبره أنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بمكارم الأخلاق. فقال أبو ذر: ما شفيتني. فخرج أبو ذر ومعه شنّة[3] فيها ماؤه وزاده حتى أتى مكة، ففرق أن يسأل أحداً عن شيء ولمّا يلقَ رسول الله ﷺ، فأدركه الليل فبات في ناحية المسجد، فلمّا أعتَمَ[4] مرّ به عليّ فقال: ممّن الرجل؟ قال: رجل من بني غفار. قال: قم إلى منزلك. قال: فانطلق به إلى منزله، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء. وغدا أبو ذر يطلب، فلم يَلقَه وكره أن يسأل أحداً عنه، فعاد فنام حتى أمسى، فمرّ به عليّ فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله؟ فانطلق به فبات حتى أصبح لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، فأصبح اليوم الثالث فأخذ على عليّ لئن أفشى إليه الذي يريد ليكتمنّ عليه وليسترنه، ففعل فأخبره أنّه بلغه خروج هذا الرجل يزعم أنّه نبيّ، فأرسلت أخي ليأتيني بخبره وبما سمع منه، فلم يأتني بما يشفيني من حديثه، فجئت بنفسي لألقاه، فقال له عليّ: إنّي غادٍ فاتّبع أثري، / فإنّي إن ٣١٠/٨

(١) صحيح مسلم: ٧٤/٥، ٧٦ ح ١٣٢ كتاب فضائل الصحابة.

(٢) الاستيعاب: القسم الرابع / ١٦٥٤ رقم ٢٩٤٤.

(٣) الشنّة: الخَلَقُ من كل آنية صُنعت من جلد.

(٤) من العتمة: وهي دخول الليل.

رأيتُ ما أخاف عليك اعتللتُ بالقيام كأنّي أُهريق الماء فآتيك، وإن لم أرَ أحداً فاتّبع أثري حتى تدخل حيث أدخل. ففعل حتى دخل على أثر عليّ على النبيّ ﷺ فأخبره الخبر وسمع قول رسول الله ﷺ فأسلم من ساعته، ثمّ قال: يا نبيّ الله ما تأمرني؟ قال: « ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمري » قال: فقال له: والذي نفسي بيده لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام في المسجد. قال: فدخل المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ. قال: فقال المشركون: صبأ الرجل، صبأ الرجل، فضربوه حتى صرع، فأتاه العبّاس فأكبّ عليه وقال: قتلتم الرجل، يا معشر قريش أنتم تجّار وطريقكم على غفار فتريدون أن يقطع الطريق؟ فأمسكوا عنه. ثمّ عاد اليوم الثاني فصنع مثل ذلك ثمّ ضربوه حتى صُرع، فأكبّ عليه العباس وقال لهم مثل ما قال في أوّل مرّة، فأمسكوا عنه.

وذكر ابن سعد في حديث إسلامه: ضربه لإسلامه فتية من قريش فجاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله أمّا قريش فلا أدعهم حتى أثأر منهم، ضربوني. فخرج حتى أقام بعُسفان، وكلّما أقبلت عِير لقريش يحملون الطعام ينفّر بهم على ثنيّة غزال[١] فتلقّي أحمالها فجمعوا الحِنَط[٢]. فقال لقومه: لا يمسُّ أحد حبّة حتى تقولوا: لا إله إلا الله. فيقولون لا إله إلّا الله، ويأخذون الغرائر.

راجع[٣] طبقات ابن سعد(١٦٥/٤، ١٦٦)، صحيح البخاري كتاب المناقب باب إسلام أبي ذر (٢٤/٦)، صحيح مسلم كتاب المناقب (١٥٦/٧)، دلائل النبوّة لأبي نُعَيم (٨٦/٢)، حلية الأولياء له(١٥٩/١)، مستدرك الحاكم (٣٣٨/٣)، الاستيعاب (٦٦٤/٢).

---

(١) بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية.

(٢) الحِنَط: جمع حنطة.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢٣/٤ ـ ٢٢٥، صحيح البخاري: ١٢٩٤/٣ ح٣٣٢٨، صحيح مسلم: ٧٦/٥ ح١٣٢، دلائل النبوة: ٣٣٦/١ ح١٩٧، المستدرك على الصحيحين: ٣٨٢/٣ ح٥٤٥٦، الاستيعاب: القسم الرابع / ١٦٥٣ رقم ٢٩٤٤.

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (١٥٨/١) من طريق ابن عبّاس عن أبي ذر، قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة فعلّمني الإسلام وقرأت من القرآن شيئاً، فقلت: يا رسول الله إنّي أُريد أن أُظهر ديني. فقال رسول الله ﷺ: « إنّي أخاف عليك أن تُقتل». قلت: لا بد منه وإن قُتلت. قال: فسكت عنّي، فجئت وقريش حلق يتحدّثون في المسجد، فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله. فانتقضت الحلق، فقاموا فضربوني حتى تركوني كأنّي نصب أحمر، وكانوا يرون أنّهم قد قتلوني. فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال فقال لي: « ألم أنهك ؟» فقلت: يا رسول الله كانت حاجة في / نفسي فقضيتها، فأقمت مع ٣١١/٨
رسول الله ﷺ فقال: « إلحق بقومك فإذا بلغك ظهوري فأتِني ».

وأخرج من طريق عبدالله بن الصامت قال: قال لي أبو ذر ﷺ: قدمت مكة فقلت: أين الصابئ؟ فقالوا: الصابئ الصابئ. فأقبلوا يرمونني بكلّ عظم وحجر حتى تركوني مثل النصب الأحمر.

وأخرجه أحمد في المسند[١] (١٧٤/٥) بصورة مفصّلة، ومسلم في المناقب[٢]، والطبراني[٣] كما في مجمع الزوائد (٣٢٨/٩).

حديث علمه:

١ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى[٤] (١٧٠/٥) طبع ليدن من طريق زاذان سُئل عليّ عن أبي ذر فقال: « وعى علماً عجز فيه، وكان شحيحاً حريصاً، [شحيحاً] على دينه، حريصاً على العلم، وكان يكثر السؤال فيُعطى ويُمنَع، أما أن قد

---

(١) مسند أحمد: ٢٢١/٦ ح ٢١٠١٥.

(٢) صحيح مسلم: ٧٢/٥ ح ١٣٢.

(٣) المعجم الأوسط: ٣٦٧/٣ ح ٢٧٨٥.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢٣٢/٤. وما بين المعقوفين منه.

ملئ له في وعائه حتى امتلأ ».

وقال أبو عمر: روى عنه جماعة من الصحابة وكان من أوعية العلم المبرّزين في الزهد والورع والقول بالحقّ، سُئل عليّ عن أبي ذر فقال: « ذلك رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثمّ أوكأ فيه فلم يُخرج شيئاً منه ». الاستيعاب[١] (٨٣/١ و ٦٦٤/٢).

وحديث عليّ عليه السلام ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة[٢] (١٨٦/٥)، والمناوي في شرح الجامع الصغير (٤٢٣/٥) ولفظه: « وعاء ملئ علماً ثمّ أوكأ عليه »، وابن حجر في الإصابة (٦٤/٤) وقال: أخرجه أبو داود بسند جيّد.

٢ ـ أخرج[٣] المحاملي في أماليه والطبراني من طريق أبي ذر قال: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ممّا صبّه جبرئيل وميكائيل في صدره إلّا وقد صبّه في صدري. الحديث. مجمع الزوائد (٣٣٠/٩)، الإصابة (٤٨٤/٣).

قال أبو نُعَيم في الحلية (١٥٦/١): العابد الزهيد، القانت الوحيد، رابع الإسلام ورافض الأزلام قبل نزول الشرع والأحكام، تعبّد قبل الدعوة بالشهور والأعوام، وأوّل من حيّا الرسول بتحيّة الإسلام، لم يكن تأخذه في الحقّ لائمة اللوّام، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكّام، أوّل من تكلّم في علم البقاء والفناء[٤]، وثبت على المشقّة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا، واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حلّ بساحة المنايا؛ أبو ذر الغفاري رضي الله عنه. خدم الرسول، وتعلّم الأُصول، ونبذ الفضول.

---

(١) الاستيعاب: القسم الاول / ٢٥٥ رقم ٣٣٩، والقسم الرابع / ١٦٥٥ رقم ٢٩٤٤. وفيه: ثم أوكأ عليه.

(٢) أُسد الغابة: ١٠١/٦ رقم ٥٨٦٢.

(٣) أمالي المحاملي: ص ١٠٠ ـ ١٠١ ح ٦٠، المعجم الكبير: ١٤٩/٢ ح ١٦٢٤.

(٤) هذه الكلمة غير موجودة في المصدر.

وفي (ص١٦٩): قال الشيخ رحمه الله تعالى: كان أبو ذر رضي الله تعالى عنه للرسول ﷺ ملازماً وجليساً، وعلى مساءلته والاقتباس منه حريصاً، وللقيام على ما استفاد منه أنيساً، سأله عن الأُصول والفروع، وسأله عن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤية ربّه تعالى، وسأله عن أحبّ الكلام إلى الله تعالى، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء أم تبق؟ وسأله عن كلّ شيء حتى [عن][1] مسّ الحصى في الصلاة. ثمّ أخرج من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن كلّ شيء حتى سألته عن مسّ الحصى. فقال: « مسّه مرّة أو دع». ٣١٢/٨

وأخرج أحمد في المسند[2] (١٦٣/٥) عن أبي ذر قال: سألت النبيّ ﷺ عن كلّ شيء حتى سألته عن مسح الحصى فقال: « واحدة أو دع ».

وقال ابن حجر في الإصابة (٦٤/٤): كان يوازي ابن مسعود في العلم.

حديث صدقه وزهده:

١ ـ أخرج ابن سعد والترمذي من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر، وأبي الدرداء مرفوعاً: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق من أبي ذر ».

وأخرج الترمذي بلفظ: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى بن مريم » . فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله أفنعرّف ذلك له؟ قال: « نعم فاعرفوه له ».

وفي لفظ الحاكم: « ما تقلُّ الغبراء ولا تظلُّ الخضراء من ذي لهجة أصدق

---

(١) من الحلية.

(٢) مسند أحمد: ٢٠٥/٦ ح٢٠٩٣٥.

ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم ». فقام عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله فنعرف ذلك له؟ قال: « نعم فاعرفوه له ».

وفي لفظ ابن ماجه من طريق عبدالله بن عمرو: « ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء بعد النبيّين أصدق من أبي ذر ».

وفي لفظ أبي نُعَيم من طريق أبي ذر: « ما تظلُّ الخضراء ولا تقلُّ الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر شبيه ابن مريم ».

وفي لفظ ابن سعد من طريق أبي هريرة: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر ».

٣١٣/٨ وفي لفظ لأبي نُعَيم: « أشبه الناس بعيسى نسكاً وزهداً وبرّاً ».

وفي لفظٍ من طريق الهجنع بن قيس: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ثمّ رجل بعدي، من سرّه أن ينظر إلى عيسى بن مريم زهداً وسمتاً فلينظر إلى أبي ذر ».

وفي لفظٍ من طريق عليّ عليه السلام: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، يطلب شيئاً من الزهد عجز عنه الناس ».

وفي لفظٍ من طريق أبي هريرة: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر؛ فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم هدياً وبرّاً ونسكاً فعليكم به ».

وفي لفظٍ من طريق أبي الدرداء: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ».

وفي لفظ ابن سعد من طريق مالك بن دينار: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت

الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، من سرّه أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر».

أخرجه على اختلاف ألفاظه: ابن سعد، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، ابن أبي شيبة[1]، ابن جرير[2]، أبو عمر، أبو نُعَيم، البغوي، الحاكم، ابن عساكر[3]، الطبراني[4]، ابن الجوزي.

راجع طبقات ابن سعد[5] (١٦٧/٤، ١٦٨) طبع ليدن، صحيح الترمذي (٢٢١/٢)، سنن ابن ماجه (٦٨/١)، مسند أحمد (١٦٣/٢، ١٧٥، ٢٢٣ و ١٩٧/٥ و ٤٤٢/٦)، مستدرك الحاكم (٣٤٢/٣) صحّحه وأقرّه الذهبي، و (٤٨٠/٤) صحّحه أيضاً وأقرّه الذهبي، مصابيح السنّة (٢٢٨/٢)، صفة الصفوة (٢٤٠/١)، الاستيعاب (٨٤/١)، تمييز الطيّب لابن الدّيبع (ص١٣٧)، مجمع الزوائد (٣٢٩/٩)، الإصابة لابن حجر (٦٢٢/٣ و ٦٤/٤)، الجامع الصغير للسيوطي من عدّة طرق، شرح الجامع الصغير للمناوي (٤٢٣/٥) فقال: قال الذهبي: سنده جيّد وقال الهيثمي: رجال أحمد وُثّقوا وفي بعضهم خلاف، كنز العمّال (١٦٩/٦ و ١٥/٨ ـ ١٧).

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة: ١٢٤/١٢ ح٢٣١٥ ـ ٢٣١٧.

(٢) تهذيب الآثار: ص١٥٨ ح١٨ من مسند عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ٢٩٠/٢٨.

(٤) المعجم الكبير: ١٤٩/٢ ح١٦٢٥.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٢٨/٤، سنن الترمذي: ٦٢٨/٥ ح٣٨٠١ ـ ٣٨٠٢، سنن ابن ماجه: ٥٥/١ ح١٥٦، مسند أحمد: ٣٤٧/٢ ح٦٤٨٣، ص٣٦٦ ح٦٥٩٣، ص٤٤٦ ح٧٠٣٨ و٢٥٥/٦ ح٢١٢١٧ و٥٩٥/٧ ح٢٦٩٤٧، المستدرك على الصحيحين: ٣٨٥/٣ ح٥٤٦٠ و٥٢٦/٤ ـ ٥٢٧ ح٨٤٧٨ وكذا في تلخيصه، مصابيح السنّة: ٢٢٠/٤ ح٤٨٩٧، ص٢٢١ ح٤٨٩٨، صفة الصفوة: ٥٩٠/١ رقم ٦٤، الاستيعاب: القسم الأول /٢٥٥ رقم ٣٣٩، تمييز الطيّب من الخبيث: ص١٥٩ ح١١٧٣، الجامع الصغير: ٤٨٥/٢ ح٧٨٢٥، كنز العمّال: ٦٦٦/١١ ـ ٦٦٨ ح٣٣٢٢١ ـ ٣٣٢٢٢، ٣٣٢٢٥ ـ ٣٣٢٢٩ و ٣١٦/١٣ ح٣٦٨٩٨.

٢ ـ أخرج الترمذي في صحيحه[(١)] (٢٢١/٢) مرفوعاً: « أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم عليه السلام ».

٣١٤/٨ وفي لفظ أبي عمر في الاستيعاب (٦٦٤/٢): « أبو ذر في أُمّتي على زهد عيسى ابن مريم» وفي (٨٤/١): « أبو ذر في أُمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده ». وبلفظ: « من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر »[(٢)].

وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة[(٣)] (١٨٦/٥) بلفظ أبي عمر الأوّل.

٣ ـ أخرج الطبراني مرفوعاً: « من أحبّ أن ينظر إلى المسيح عيسى بن مريم إلى برّه وصدقه وجدّه فلينظر إلى أبي ذر ».

كنز العمّال[(٤)] (١٦٩/٦)، مجمع الزوائد (٣٣٠/٩).

٤ ـ أخرج الطبراني[(٥)] من طريق ابن مسعود مرفوعاً: « من سرّه أن ينظر إلى شبه عيسى خَلقاً وخُلقاً فلينظر إلى أبي ذر ».

مجمع الزوائد (٣٣٠/٩)، كنز العمّال[(٦)] (١٦٩/٦).

٥ ـ أخرج الطبراني[(٧)] من طريق ابن مسعود مرفوعاً: « إنّ أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته ». كنز العمّال[(٨)] (١٦٩/٦).

---

(١) سنن الترمذي: ٦٢٩/٥ ح ٣٨٠٢.
(٢) الاستيعاب: القسم الرابع/ ١٦٥٥ رقم ٢٩٤٤، القسم الأول/ ٢٥٥ رقم ٣٣٩.
(٣) أُسد الغابة: ١٠١/٦ رقم ٥٨٦٢.
(٤) كنز العمّال: ٦٦٨/١١ ح ٣٣٢٣٠.
(٥) المعجم الكبير: ١٤٩/٢ ح ١٦٢٦.
(٦) كنز العمّال: ٦٦٨/١١ ح ٣٣٢٣١.
(٧) المعجم الكبير: ١٤٩/٢ ح ١٦٢٥.
(٨) كنز العمّال: ٦٦٦/١١ ح ٣٣٢١٩.

حديث فضله :

١ ـ عن بريدة عن النبيّ ﷺ : « إنّ الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم : عليّ وأبو ذر والمقداد وسلمان » .

أخرجه[1] الترمذي في صحيحه (٢١٣/٢)، وابن ماجه في سننه (٦٦/١)، والحاكم في المستدرك (١٣٠/٣) وصححه، وأبو نُعَيم في الحلية (١٧٢/١)، وأبو عمر في الاستيعاب(٥٥٧/٢)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وصحّحه وأقرّ تصحيحه المناوي في شرح الجامع (٢١٥/٢). وابن حجر في الإصابة (٤٥٥/٣)، وقال السندي في شرح سنن ابن ماجه[2]: الظاهر أنّه أمر إيجاب ويحتمل الندب، وعلى الوجهين فما أُمر به النبيّ ﷺ فقد أمر به أُمّته، فينبغي للناس أن يحبّوا هؤلاء الأربعة خصوصاً.

٢ ـ أخرج ابن هشام في السيرة[3] (١٧٩/٤) مرفوعاً: « رحم الله أبا ذر يمشي وحده، / ويموت وحده، ويُبعث وحده » . ٣١٥/٨

وأخرج ابن هشام في السيرة[4]، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٧٠/٤) في حديث دفنه قال: فاستهلّ عبدالله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله: « تمشي وحدك وتموت وحدك، وتبعث وحدك » .

وذكره أبو عمر في الاستيعاب[5] (٨٣/١)، وابن الأثير في أُسد الغابة (١٨٨/٥)،

---

(١) سنن الترمذي: ٥٩٤/٥ ح٣٧١٨، سنن ابن ماجه: ٥٣/١ ح ١٤٩، المستدرك على الصحيحين: ١٤١/٣ ح ٤٦٤٩، الاستيعاب: القسم الثاني/٦٣٦ رقم ١٠١٤، الجامع الصغير: ٢٥٨/١ ح ١٦٩٢.

(٢) شرح سنن ابن ماجه: ٦٦/١.

(٣) السيرة النبوية: ١٦٧/٤.

(٤) السيرة النبوية: ١٦٨/٤، الطبقات الكبرى: ٢٣٥/٤.

(٥) الاستيعاب: القسم الأول /٢٥٣ رقم ٣٣٩، أُسد الغابة: ١٠١/٦ رقم ٥٨٦٢.

وابن حجر في الإصابة (٦٤/٤).

٣ ـ أخرج البزّار من طريق أنس بن مالك مرفوعاً: « الجنّة تشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وأبي ذر ».

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٠/٩) فقال: إسناده حسن.

٤ ـ أخرج أبو يعلى[1] من طريق الحسين بن عليّ قال: أتى جبريل النبيّ ﷺ فقال: يا محمد إنّ الله يحبُّ من أصحابك ثلاثة فأحبّهم: عليُّ بن أبي طالب، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود. مجمع الزوائد (٣٣٠/٩).

٥ ـ أخرج الطبري[2] من طريق أبي الدرداء أنّه ذكر أبا ذر فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً، ويسرُّ إليه حين لا يسرُّ إلى أحد. كنز العمّال[3] (١٥/٨).

وأخرج أحمد في المسند[4] (١٩٧/٥) من طريق عبدالرحمن بن غنم قال: إنّه زار أبا الدرداء بحمص فمكث عنده ليالي وأمر بحماره فأوكف، فقال أبو الدرداء: ما أراني إلّا متّبعك، فأمر بحماره فأُسرج فسارا جميعاً على حماريهما، فلقيا رجلاً شهد الجمعة بالأمس عند معاوية بالجابية، فعرفهما الرجل ولم يعرفاه فأخبرهما خبر الناس، ثمّ إنّ الرجل قال: وخبر آخر كرهت أن أخبركما أراكما تكرهانه. فقال أبو الدرداء: فلعلّ أبا ذر نُفي؟ قال: نعم والله، فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء: إرتقبهم واصطبر، كما قيل لأصحاب الناقة. اللّهمّ إن كذّبوا أبا ذر فإنّي لا أُكذّبه، اللّهمّ وإن اتّهموه فإنّي لا أتّهمه، اللّهمّ وإن استغشّوه فإنّي لا أستغشّه،

---

(١) مسند أبي يعلى: ١٤٣/١٢ ح٦٧٧٢.

(٢) تهذيب الآثار: ص١٦٠ ح٢٦٠ من مسند عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) كنز العمال: ٣١١/١٣ ح٣٦٨٨٦.

(٤) مسند أحمد: ٢٥٥/٦ ـ ٢٥٦ ح٢١٢١٧.

فإنّ رسول الله ﷺ كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً، ويسرُّ إليه حين لا يسرُّ إلى أحد، أما والذي نفس أبي الدرداء بيده لو أنّ أبا ذر قطع يميني ما أبغضته بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلّت الخضراء...»[1] الحديث.

وأخرجه الحاكم ملخّصاً في المستدرك[2] (٣٤٤/٣) وصحّحه وقال الذهبي: سند جيد.

٣١٦/٨ ٦ ـ من طريق ابن الحارث عن أبي الدرداء أنّه قال وذكرت له أبا ذر: والله إن كان رسول الله ﷺ ليُدنيه دوننا إذا حضر، ويتفقّده إذا غاب، ولقد علمت أنّه قال: «ما تحمل الغبراء ولا تُظلّ الخضراء للبشر بقولٍ أصدق لهجة من أبي ذر».

كنز العمّال[3] (١٥/٨)، مجمع الزوائد (٣٣٠/٩)، الإصابة (٦٣/٤)، نقلاً عن الطبراني لفظه: كان رسول الله ﷺ يبتدئ أبا ذر إذا حضر ويتفقّده إذا غاب.

٧ ـ أخرج أحمد في مسنده[4] (١٨١/٥) من طريق أبي الأسود الدؤلي أنّه قال: رأيت أصحاب النبيّ ﷺ فما رأيت لأبي ذر شبيهاً.

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣١/٩).

٨ ـ روى شهاب الدين الأبشيهي في المستطرف[5] (١٦٦/١) قال: مرّ أبو ذر على النبيّ ﷺ ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلم يسلّم فقال جبريل: هذا أبو ذر لو سلّم لرددنا عليه. فقال: «أتعرفه يا جبريل؟» قال: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لهو في ملكوت السماوات السبع أشهر منه في الأرض قال: «بمَ نال هذه

(١) أنظر: تهذيب الآثار: ص١٥٩ ـ ١٦٠ ح ٢٦٠ من مسند عليّ عليه السلام.
(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٨٧/٣ ح٥٤٦٧.
(٣) كنز العمّال: ٣١١/١٣ ح٣٦٨٨٧.
(٤) مسند أحمد: ٢٣١/٦ ح٢١٠٦٥.
(٥) المستطرف: ١٣٧/١ ـ ١٣٨.

المنزلة ؟ » قال: بزهده في هذه الحطام الفانية. وذكره الزمخشري في ربيع الأبرار[١] باب ٢٣.

عهد النبي الأعظم إلى أبي ذر:

١ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[٢] (٣٤٣/٣) من طريق صحّحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة؟ » وشبك بين أصابعه، قلت: يا رسول الله فما تأمرني؟ قال: « اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم، وخالفوهم في أعمالهم ».

٢ ـ أخرج أبو نُعَيم في الحلية (١٦٢/١) من طريق سلمة بن الأكوع عن أبي ذر رضي الله عنه قال: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ فقال لي: « يا أبا ذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي ». قلت: في الله؟ قال: « في الله ». قلت: مرحباً بأمر الله.

٣ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى[٣] (١٦٦/٤) طبع ليدن من طريق أبي ذر قال: قال النبيُّ ﷺ: « يا أبا ذر كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالفيء؟ » قال: قلت: إذاً والذي بعثك بالحقّ أضربِ بسيفي حتى ألحق به. فقال: « أفلا أدلّك على ما هو خير من ذلك؟ اصبر حتى تلقاني ».

٣١٧/٨ وفي لفظ أحمد وأبي داود: « كيف أنت وأئمّة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟ » قال: قلت: إذاً والذي بعثك بالحقّ أضع سيفي على عاتقي ثمّ أضرب به حتى ألقاك أو ألحق بك. قال: « أوَلا أدلُّك على ما هو خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني ». وفي لفظ: « كيف أنت عند ولاة يستأثرون بهذا الفيء؟ ».

---

(١) ربيع الأبرار: ٨٣٤/١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٨٦/٣ ح ٥٤٦٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢٦/٤.

مسند أحمد[١] (١٨٠/٥)، سنن أبي داود[٢] (٢٨٢/٢)، ولأحمد طريقان كلاهما صحيحان رجالهما كلّهم ثقات، وهم:

١ ـ يحيى بن آدم، مجمع على ثقته من رجال الصحاح الستّة.

٢ ـ زهير بن معاوية الكوفي، متّفق على ثقته من رجال الصحاح الستّة.

٣ ـ يحيى بن أبي بكير الكوفي، مجمع على ثقته من رجال الصحاح الستّة.

٤ ـ مطرف بن طريف، متّفق على ثقته من رجال الصحاح الستّة.

٥ ـ أبو الجهم سليمان بن الجهم الحارثي، تابعيّ لا خلاف في ثقته.

٦ ـ خالد بن وهبان، تابعيّ ثقة.

٤ ـ أخرج أحمد في المسند[٣] (١٧٨/٥) من طريق أبي السليل في حديث عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ قال: « يا أبا ذر كيف تصنع إن أُخرجت من المدينة؟ » قال: قلت: إلى السعة والدعة أنطلق حتى أكون حمامة من حمام مكة. قال: « كيف تصنع إن أُخرجت من مكة؟ » قال: قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدّسة. قال: « وكيف تصنع إن أُخرجت من الشام؟ » قال: إذاً والذي بعثك بالحقّ أضع سيفي على عاتقي. قال: « أوخير من ذلك؟ » قال: قلت: أوَخير من ذلك؟ قال: « تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشيّاً ».

رجال الإسناد كلّهم ثقات وهم:

١ ـ يزيد بن هارون بن وادي، مجمع على ثقته من رجال الصحيحين.

٢ ـ كهمس بن الحسن البصري، ثقة من رجال الصحيحين.

٣ ـ أبو السليل ضريب بن نقير البصري، ثقة من رجال مسلم والصحاح الأربعة غير البخاري.

---

(١) مسند أحمد: ٢٢٨/٦ ـ ٢٢٩ ح٢١٠٤٨، ٢١٠٤٩.

(٢) سنن أبي داود: ٢٤١/٤ ح٤٧٥٩.

(٣) مسند أحمد: ٢٢٧/٦ ح٢١٠٤١.

وفي لفظ : « كيف تصنع إذا أُخرجت منه ؟ » أي المسجد النبويّ . قال : آتي
٣١٨/٨ الشام . / قال : « كيف تصنع إذا أُخرجت منها ؟ » قال : أعود إليه ـ أي المسجد ـ قال : « كيف تصنع إذا أُخرجت منه ؟ » ، قال : أضرب بسيفي . قال : « أدلّك على ما هو خير لك من ذلك وأقرب رشداً . قال : تسمع وتطيع وتنساق لهم حيث ساقوك » .

فتح الباري[1] (٢١٣/٣) ، عمدة القاري[2] (٢٩١/٤) .

٥ ـ أخرج الواقدي من طريق أبي الأسود الدؤلي قال : كنت أُحبُّ لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه ، فنزلت الربذة فقلت له : ألا تخبرني : أَخَرجت من المدينة طائعاً ، أم [أُخرجتَ] مكرهاً ؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم فأُخرجت إلى مدينة الرسول ﷺ فقلت : أصحابي ودار هجرتي ، فأُخرجت منها إلى ما ترى . ثمّ قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مرّبي رسول الله ﷺ فضربني برجله وقال : « لا أراك نائماً في المسجد » ، فقلت : بأبي أنت وأُمّي غلبتني عيني فنمت فيه ، فقال : « كيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ » فقلت : إذن ألحق بالشام فإنّها أرض مقدسة وأرض بقيّة الإسلام وأرض الجهاد ، فقال : « فكيف تصنع إذا أُخرجت منها ؟ » . فقلت : أرجع إلى المسجد ، قال : « فكيف تصنع إذا أخرجوك منه » . قلت : إذن آخذ سيفي فأضرب به ، فقال ﷺ : « ألا أدلُّك على خير من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع » . فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأُطيع ، والله ليلقينّ الله عثمان وهو آثم في جنبي . شرح ابن أبي الحديد[3] (٢٤١/١) .

وبهذا الطريق واللفظ أخرجه أحمد في المسند[4] (١٥٦/٥) والإسناد صحيح

---

(١) فتح الباري : ٢٧٥/٣ .

(٢) عمدة القاري : ٢٦٣/٨ ح ١١ ، وفيه : ألا أدلّك .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٥٧/٣ ـ ٥٨ خطبة ٤٣ . وما بين المعقوفين منه .

(٤) مسند أحمد : ١٩٤/٦ ح ٢٠٨٧٤ .

رجاله كلّهم ثقات، وهم:

١ ـ عليّ بن عبدالله المديني، وثّقه جماعة، وقال النسائي: ثقة مأمون، أحد الأئمّة في الحديث.

٢ ـ معمر بن سليمان أبو محمد البصري، متّفق على ثقته من رجال الصحاح الستّة.

٣ ـ داود بن أبي هند أبو محمد البصري، مجمع على ثقته من رجال الصحاح غير البخاري، وهو يروي عنه في التاريخ[(١)] من دون غمز فيه.

٤ ـ أبو الحرب بن [أبي] الأسود الدؤلي، ثقة من رجال مسلم.

٥ ـ أبو الأسود الدؤلي، تابعيّ متّفق على ثقته من رجال الصحاح الستّة.

٦ ـ مرّ في (ص٢٩٦) في حديث تسيير أبي ذر: قال ـ عثمان ـ: فإنّي مُسَيِّرك إلى الربذة. قال ـ أبوذر ـ: الله أكبر صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ. قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأنّي أُمنَع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة. الحديث. ٣١٩/٨

هذا أبو ذر

وفضائله وفواضله وعلمه وتقواه وإسلامه وإيمانه ومكارمه وكرائمه ونفسيّاته وملكاته الفاضلة وسابقته ولاحقته وبدء أمره ومنتهاه، فأيٌّ منها كان ينقمه الخليفة عليها[(٢)]، فطفق يعاقبه ويطارده من مُعتقل إلى منفى، ويستجلبه على قتب بغير وطاء، يطير مركبه خمسة من الصقالبة الأشدّاء حتى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، ولم يفتأ يسومه سوء العذاب حتى سالت نفسه في منفاه الأخير ـ الربذة ـ على غير ماء ولا كلأ، يلفحه حرّ الهجير، وليس له من وليّ حميم يمرّضه، ولا أحد من قومه يواري جثمانه الطاهر، مات رحمه الله وحده، وسيحشر

(١) التاريخ الكبير: ٢٣١/٣ رقم ٧٨٠.

(٢) كذا.

وحده كما أخبره رسول الله ﷺ الذي خوّله بتلكم الفضائل، والله سبحانه من فوقهما نعم الخصيم للمظلوم، فانظر لِمن الفَلْج[1] يومئذٍ.

لقد كان الخليفة يباري الريح في العطاء لحامّته ومن ازدلف إليه ممّن يجري مجراهم، فملكوا من عطاياه وسماحه الملايين، وليس فيهم من يبلغ شأو أبي ذر في السوابق والفضائل، ولا يشقّ له غباراً في أُكرومة، فماذا الذي أخّر أبا ذر عنهم حتى قطعوا عنه عطاءه الجاري؟ ومنعوه الحظوة بشيء من الدعة، وأجفلوه عن عقرداره وجوار النبيّ الأعظم، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولماذا نودي عليه في الشام أن لا يجالسه أحد[2]؟ ولماذا يفرّ الناس منه في المدينة؟ ولماذا حظر عثمان على الناس أن يقاعدوه ويكلّموه؟ ولماذا يمنع الخليفة عن تشييعه ويأمر مروان أن لا يدع أحداً يكلّمه؟ فلم يحلّ ذلك الصحابي العظيمّ إلّا محلّا وعراً، ولم يرتحل إلّا إلى متبوّأ الإرهاب، كأنّما خلق أبو ذر للعقوبة فحسب، وهو من عرّفته الأحاديث التي ذكرناها، وقصّته لعمر الله وصمة على الإسلام وعلى خليفته لا تُنسى مع الأبد.

٨/٣٢٠ نعم؛ إنّ أبا ذر ينقم ما كان مطّرداً عند ذاك من السرف في العطاء من دون أيّ كفاءة في المعطى ـ بالفتح ـ ومخالفة رسول الله ﷺ في ذلك وفي كلّ ما يخالف السنّة الشريفة، واضطهاد أهل السوابق من الأُمّة بيد أُمراء البيت الأمويّ رجال العيث والعبث؛ وكانوا يحسبون عرش ذلك اليوم قد استقرّ على تلكم الأعمال؛ فرأوا أنّ في الإصاخة إلى قيل أبي ذر وشاكلته من صلحاء الصحابة تزحزحاً لذلك العرش عن مستقرّه، أو أنّ مُهْلجة الجشع الذين حصّلوا على تلكم الثروات الطائلة خافوه أن يُسلب ما في أيديهم إن وعى واعٍ إلى هتافه، فتألّبوا عليه وأغروا خليفة الوقت به بتسويلات متنوّعة حتى وقع ما وقع، والخليفة أسير هوى قومه، ومسيّر بشهواتهم،

---

(١) الفَلْج: الظفر والفوز.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١٦٨/٤ [٢٢٩/٤]. (المؤلّف)

مدفوع بحبّ بني أبيه وإن كانوا من الشجرة الملعونة في القرآن.

وما كان أبو ذر يمنعهم عن جلب الثروة من حقّها، ولا يبغي سلب السلطة عمّن ملك شيئاً ملكاً مشروعاً، لكنّه كان ينقم على أهل الأثرة على اغتصابهم حقوق المسلمين، وخضمهم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، وما كان يتحرّى إلّا ما أراد الله سبحانه بقوله عزّ من قائل: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾، وما جاء به رسول الله ﷺ في الجهات الماليّة.

أخرج أحمد في مسنده[١] (١٦٤/٥، و١٧٦) من طريق الأحنف بن قيس قال: كنت بالمدينة فإذا أنا برجل يفرّ الناس منه حين يرونه، قال: قلت: من أنت؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ. قال: قلت: ما يفرّ الناس منك؟ قال: إنّي أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله.

وفي لفظ مسلم في صحيحه[٢] (٧٧/٣) قال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش فمرّ أبو ذر ﷺ وهو يقول: بشّر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ من أقفيتهم يخرج من جباههم قال: ثمّ تنحّى فقعد إلى سارية، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو ذر، فقمت إليه فقلت: ما شيء سمعتك تقول قُبَيْلُ؟ قال: ما قلت إلّا شيئاً سمعته من نبيّهم ﷺ. قال: قلت: ما تقول في هذا العطاء؟ قال: خذه فإنّ فيه اليوم معونة، فإذا كان ثمناً لدينك فدعه. سنن البيهقي (٣٥٩/٦).

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (١٦٢/١) من طريق سفيان بن عيينة بإسناده عن
أبي ذر، / قال: إنّ بني أُميّة تُهـدّدني بالفقر والقتل؛ ولَبطن الأرض أحبّ إليّ من ٢٢١/٨
ظهرها، ولَلفقر أحبّ إليّ من الغنى، فقال له رجل: يا أبا ذر مالك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك؟ قال: إنّي أنهاهم عن الكنوز.

---

(١) مسند أحمد: ٢٠٦/٦ ح ٢٠٩٤٠، ص ٢٢٤ ح ٢١٠٢٤.

(٢) صحيح مسلم: ٣٨٥/٢ ح ٣٥.

وفي فتح الباري[1] (٢١٣/٣) نقلاً عن غيره: الصحيح أنّ إنكار أبي ذر كان على السلاطين الذين يأخذون المال لأنفسهم ولا ينفقونه في وجهه. وتعقّبه النووي بالإبطال لأنّ السلاطين حينئذٍ كانوا مثل أبي بكر وعمر وعثمان وهؤلاء لم يخونوا. انتهى.

وفي هذا التعقيب تدجيل ظاهر، فإنّ يوم هتاف أبي ذر بمناوئيه لم يكن العهد لأبي بكر وعمر، وإنّما كان ذلك يوم عثمان المخالف لهما في السيرة مخالفة واضحة، والمبائن للسيرة النبويّة في كلّ ما ذكرناه؛ ولذلك كلّه كان سلام الله عليه ساكتاً عن هتافه في العهدين وكان يقول لعثمان: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبابكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنّك تبطش بي بطش جبّار. ويقول: اتّبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام. راجع (ص٢٩٨ و ٣٠٦).

ولم يكن لأبي ذر منتدح من ندائه والدعوة إلى المعروف الضائع، والنهي عن المنكر الشائع، وهو يتلو آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إلَى الخَيرِ وَيأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُون** ﴾[2]. قال ابن خراش: وجدت أبا ذر بالربذة في مظلّة شعر فقال: ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحقّ لي صديقاً[3].

وكان ينكر مع ذلك على معاوية المتّخذ شناشن الأكاسرة والقياصرة بالترفّه والتوسّع والاستئثار بالأموال، وكان في العهد النبويّ صعلوكاً لا مال له ووصفه به رسول الله ﷺ[4] وفي لفظ: إنّ معاوية ترب خفيف الحال[5].

---

(١) فتح الباري: ٢٧٥/٣.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الأنساب: ٥٥/٥، ومرّ مثله من طريق آخر: ص٢٩٤. (المؤلّف)

(٤) صحيح مسلم: كتاب النكاح والطلاق: ١٩٥/٤ [٢٩٠/٣ ح٣٦]، سنن النسائي: ٧٥/٦ [٢٧٤/٣ ح٥٣٥٢]، سنن البيهقي: ١٣٥/٧. (المؤلّف)

(٥) صحيح مسلم: ١٩٩/٤ [٢٩٥/٣ ح٤٨]. (المؤلّف)

فما واجب أبي ذر عندئذٍ؟ وقد أمره النبيّ الأعظم في حديث[1] السبعة التي ٣٢٢/٨
أوصاه بها، بأن يقول الحقّ وإن كان مرّاً، وأمره بأن لا يخاف في الله لومة لائم. وما الذي يجديه قول عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك؟ ولأبي ذر أن يقول له كما قال: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولم تكن لما رفع به أبو ذر عقيرته جدّة ليس لها سلف من العهد النبويّ، فلم يهتف إلّا بما تعلّمه من الكتاب والسنّة، وقد أخذه من الصادع الكريم من فَلَق فيه، ولم يكن ﷺ يسلب ثروة أحد من أصحابه وكان فيهم تجّار وملّاك ذوو يسار، ولم يأخذ منهم زيادة على ما عليهم من الحقوق الإلهيّة، وعلى حذوه حذا أبو ذر في الدعوة والتبليغ.

كان ﷺ أخبره بما يجري عليه من البلاء والعناء وما يُصنع به من طرده من الحواضر الإسلاميّة: مكة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة. ووصفه عند ذلك بالصلاح وأمره بالصبر وأنّ ما يصيبه في الله، فقال أبو ذر: مرحباً بأمر الله. فصلاح أبي ذر يمنعه عن الأمر بخلاف السنّة بما يخلّ نظام المجتمع، وكون بلائه في الله يأبى أن يكون ما جرّ إليه ذلك البلاء غير مشروع.

وإن كان ذلك خلاف الصالح العام ولم تكن فيه مرضاة الله ورسوله لوجب عليه ﷺ أن ينهاه عمّا سينوء به من الإنكار وهو يعلم أنّ تلك الدعوة تجرّ عليه الأذى والبلاء الفادح، وتشوّه سمعة خليفة المسلمين، وتسوّد صحيفة تاريخه، وتبقى وصمة عليه مع الأبد.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ص١٦٤ [٢٢٩/٤] من طريق عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي بسبع: [أمرني] بحبّ المساكين والدنوّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحقّ وإن كان مُرّاً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أُكثِر من لا حول ولاقوّة إلّا بالله. فإنّهنّ من كنزٍ تحت العرش. (المؤلّف)

وما كانت الشريعة السمحاء تأتي بذلك الحكم الشاقّ الذي أتّهم به أبو ذر؛ ولم يكن قطّ يقصده وهو شبيه عيسى في أُمّة محمد ﷺ زهداً ونسكاً وبرّاً وهدياً وصدقاً وجدّاً وخلقاً.

هكذا وصفه رسول الله ﷺ غير أنّ عثمان قال لمّا غضب عليه: أشيروا عليّ
٣٢٣/٨ في هذا الشيخ الكذّاب، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله. وكذّبه حين روى عن
رسول الله ﷺ حديث بني العاص، عجباً هذا جزاء من نصح لله ورسوله وبلّغ عنهما
صادقاً؟ لاها الله هذا أدب يخصّ بالخليفة. وأعجب من هذا جواب عثمان لمولانا أمير
المؤمنين لمّا دافع عن أبي ذر بقوله: «أُشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون». أجابه
بجواب غليظ أخفاه الواقدي وما أحبّ أن يذكره، ونحن وإن وقفنا عليه من طريق
آخر لكن ننزّه الكتاب عن ذكره.

وقد تجهّم عثمان مرّة أُخرى أمام أمير المؤمنين عليه السلام بكلام فظّ، لمّا شيّع هو وولداه السبطان أبا ذر في سبيله إلى المنفى ومروان يراقبه وقد مرّ تفصيله (ص٢٩٤ و٢٩٧) وفيه قوله لعليّ عليه السلام: ما أنت بأفضل عندي من مروان.

إنّ من هوان الدنيا على الله أن يقع التفاضل بين عليّ ومروان الوزغ ابن الوزغ اللعين ابن اللعين، أنا لا أدري هل كان الخليفة في معزل عن النصوص النبويّة في مروان؟ أو لم يكن مروان ونزعاته الفاسدة بمرأىً منه ومسمع؟ أو القرابة والرحم بعثته إلى الإغضاء عنها، فرأى ابن الحكم عدلاً لمن طهّره الجليل ورآه نفس النبيّ الأعظم في الذكر الحكيم؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم...

﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغُونَ وَمَنْ أَحسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ ﴾[1]

---

(١) المائدة: ٥٠.

جناية التاريخ

ما أكثر جناية التاريخ على ذوي الفضل والأحساب الذين تستفيد الأُمّة من تاريخ حياتهم، وكرائم أخلاقهم، وآثار مآثرهم، ونفسيّاتهم الكاملة، ومعاقد أقوالهم وبوالغ عظاتهم، ودرر حكمهم، وموارد إقدامهم وإحجامهم! ٣٢٤/٨

تجد التاريخ هنا يسرع السير فيُنسي ذكرهم، ويغمط فضلهم، أو يأتي بمجمل من القول في صورة مصغّرة، أو يحوّر الكلام ومزيجه الخبر المائن أو رواية شائنة، كلّ ذلك تأييداً لمبدأ، وأخذاً بناصر نزعة، وستراً على أقوام آخرين تمسّ الحقيقة الراهنة بهم وبكرامتهم، وتبعاً لأهواء وشهوات من ساسة الوقت أو زعماء الزمن.

فمن هذه النواحي كلّها أغفل التاريخ عن التبسّط في حياة أبي ذر الماثلة بالفضائل والفواضل الشاخصة بالعبقريّة والكمال، التي يجب أن تُتّخذ قدوة في السلوك والتهذيب، وأن تكون للأمّة بها أسوة وقُدوة في التقوى والمبدأ.

البلاذري:

فتجد البلاذري يذكر حديث إخراج أبي ذر إلى الربذة من عدّة طرق بصورة مرّت في صفحة (٢٩٤) ويروي قول أبي ذر لحوشب الفزاري ـ وأبو ذر هو الذي ما أظلّت الخضراء... إلخ ـ: أُخرجت كارهاً. ثمّ عقّبه بأُكذوبة سعيد بن المسيّب ـ الذي كان من مناوئي العترة الطاهرة وشيعتهم ـ من إنكار إخراج عثمان إيّاه، وأنّه خرج إليها راغباً في سكناها.

ولا يعلم المغفّل أنّ في ذلك تكذيباً لرسول الله ﷺ فيما أخبر أبا ذر بأنّه يُخرَج من المدينة كما مرّ (ص٣١٦) بطرق صحيحة. وتكذيباً لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال لعثمان بعد وفاة أبي ذر في المنفى، وقد صمّم عثمان أن يتبع ذلك بنفي عمّار: «يا عثمان

٣٢٥/٨ إتّق الله فإنّك سيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك»[١]. وتكذيباً / لأبي ذر في قوله الآنف فيما رواه البلاذري نفسه من طريق صحيح: ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً.

وتكذيباً لعثمان الذي روى عنه البلاذري أيضاً أنّه لمّا أنهي إليه نعي أبي ذر قال: رحمه الله. فقال عمّار: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا. فقال عثمان: يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره؟ -يأتي تمام الحديث في مواقف عمّار.

وتكذيباً لما رواه البلاذري أيضاً عن كميل بن زياد النخعي في حديث أسلفنا (ص ٢٩٤) وتكذيباً، وتكذيباً.

ولا يعلم المسكين أنّ تلك الحادثة الفجيعة المتعلّقة بعظيم من عظماء الصحابة كأبي ذر وقد كثر حوله الحوار والأخذ والردّ وتوفّرت النقمة والنقد حتى عُدّت من عظائم الحوادث، وسار بحديثها الركبان، وتذمّر لها المؤمنون، وشمت فيها من شمت، ونقم بها على الخليفة، وكان ممّا استتبعها أنّ ناساً من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة: إنّ هذا الرجل فعل بك وفعل، هل أنت ناصب لنا راية؟ يعني نقاتله. فقال: لا، لو أنّ عثمان سيّرني من المشرق إلى المغرب سمعت وأطعت[٢].

وقال ابن بطّال كما في عمدة القاري للعيني[٣] (٢٩١/٤): إنّما كتب معاوية يشكو أبا ذر لأنّه كان كثير الاعتراض عليه والمنازعة له، وكان في جيشه مَيل إلى أبي ذر، فأقدمه عثمان خشية الفتنة لأنّه كان رجلاً لا يخاف في الله لومة لائم.

فما كنت يومئذٍ تمرّ بحاضرة من الحواضر الإسلاميّة إلّا وتجد توغّلاً من أهلها في هذا الحديث، وتغلغلاً بين أرجائها من جرّاء ذلك الحادث الجلل.

---

(١) سيوافيك الحديث بتمامه إن شاء الله تعالى. (المؤلّف)

(٢) طبقات ابن سعد: ٢١٢/٣ [٢٢٧/٤]. (المؤلّف)

(٣) عمدة القاري: ٢٦٢/٨ ح ١١.

إنّ حادثة كمثلها لا تستتر بإنكار مثل ابن المسيّب المنبعث عن الولاء الأموي لكنّه شاء أن يقول فقال، ذاهلاً عن أنّه لا يقبل منه ذو مسكة أن يترك مثل أبي ذر دار هجرته ومهجر شرفه ويعرض عن جوار نبيّه ويختار الربذة منزلاً له ولأهله مع جدبها وقفرها، ولو كانت له خيرة في الأمر، فما تلك المدامع الجارية من لوعة المصاب وغصّة الاكتئاب؟ وما تلكم النفثات الملفوظة منه ومن مشيّعيه في ذلك الوادي الوعر لمّا حان التوديع وآن الفرقان بين الأحبّة؟

ومن أمانة البلاذري في النقل أنّه عند سرد قصّة أبي ذر ومشايعة مولانا أمير ٣٢٦/٨
المؤمنين له قال: جرى بين عليّ وعثمان في ذلك كلام. ولم يذكر ما جرى لأنّ فيه نيلاً من صاحبه.

ابن جرير الطبري:

وإنّك تجد الطبري في التاريخ[1] لمّا بلغ إلى تاريخ أبي ذر يقول: في هذه السنة ـ أعني سنة ٣٠ ـ كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذُكِر في سبب إشخاصه إيّاه منها إليها أمورٌ كثيرة كرهت ذكر أكثرها، فأمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصّة. انتهى.

لماذا ترك الطبري تلكم الأُمور الكثيرة ولم يذكر منها إلّا قصّة العاذرين التي افتعلوها معذرة لمعاوية وتبريراً لعمل الخليفة؟ وأمّا الحقائق الراهنة التي كانت تمسّ كرامة الرجلين، وكانت حديث أُمّة محمد وقتئذٍ وهلمّ جراً من ذلك اليوم حتى عصرنا الحاضر فكره إيرادها، وحسب أنّها تبقى مستورة إن لم يلهج هو بها، وقد ذهب عليه أنّ في فجوات الدهر، وثنايا التاريخ، وغضون كتب الحديث منها بقايا كافية لمن

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٨٣/٤ حوادث سنة ٣٠هـ.

تروقه نفسيّات مناوئي أبي ذر، وتحقّق أعلام النبوّة التي جاء بها النبيّ الأعظم في قصّة أبي ذر من المغيّبات.

ثمّ ذكر القصّة بصورة مكذوبة مختلقة لا يصحّ شيء منها، وكلّ جملة منها يكذّبه التاريخ الصحيح أو الحديث المتسالم على صحّته، وكفاها وهناً ما في سندها من الغمز وإليك رجاله:

١ ـ السريّ. مرّ الكلام فيه في هذا الجزء (ص١٤٠) وأنّه مشترك بين اثنين عُرفا بالكذب والوضع.

٢ ـ شعيب بن إبراهيم الأُسيدي الكوفي. أسلفنا صفحة (١٤٠) من هذا الجزء قول الحافظين ابن عديّ والذهبي فيه وأنّه مجهول لا يُعرف.

٣ ـ سيف بن عمر التميمي الكوفي. ذكرنا في صفحة (٨٤) من هذا الجزء أقوال الحفّاظ وأئمّة الجرح والتعديل حول الرجل وأنّه ضعيف، متروك، ساقط، وضّاع، عامّة حديثه منكر، يروي الموضوعات عن الأثبات، كان يضع الحديث، واتّهم بالزندقة.

أضف إلى المصادر السابقة: الاستيعاب[١] ـ ترجمة القعقاع ـ (٥٣٥/٢)، الإصابة ٣٢٧/٨
(٢٣٩/٣)، مجمع الزوائد للهيثمي (٢١/١٠).

٤ ـ عطيّة بن سعد العوفي الكوفي، للقوم فيه آراء متضاربة بين توثيق وتضعيف وقال الساجي: ليس بحجّة وكان يقدّم عليّاً على الكلّ. وقال ابن سعد[٢]: كتب الحجّاج إلى محمد بن القاسم أن يعرضه على سبّ عليّ فإن لم يفعل فاضربه أربعمئة سوط واحلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسبّ فأمضى حكم الحجّاج فيه[٣]. وذكر

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/١٢٨٣ رقم ٢١٢١.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٠٤/٦.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٢٧/٧ [٢٠٠/٧ ـ ٢٠١]. (المؤلّف)

ابن كثير في تفسيره (٥٠١/١) عن صحيح الترمذي[1] من طريق عطيّة في عليّ مرفوعاً: «لا يحلّ لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك». فقال: ضعيف لا يثبت فإنّ سالماً متروك وشيخه عطيّة ضعيف. انتهى. وكون الرجل في الإسناد آية كذب الرواية؛ إذ الشيعيّ الجلد كالعوفي لا يروي حديث الخرافة.

٥ ـ يزيد الفقعسي: لا أعرفه ولا أجد له ذكراً في كتب التراجم.

فانظر إلى أمانة الطبري على ودائع التاريخ، فإنّه يصفح عن ذلك الكثير الثابت الصحيح ويقتصر على هذه المكاتبة المكذوبة المفتعلة، حيّا الله الأمانة!

نظرة قيّمة في تاريخ الطبري:

شوّه الطبري تاريخه بمكاتبات السريّ الكذّاب الوضّاع، عن شعيب المجهول الذي لا يُعرف، عن سيف الوضّاع، المتروك، الساقط، المتّهم بالزندقة، وقد جاءت في صفحاته بهذا الإسناد المشوّه (٧٠١) رواية وضعت للتمويه على الحقائق الراهنة في الحوادث الواقعة من سنة ١١ إلى ٣٧ عهد الخلفاء الثلاثة فحسب، ولا يوجد شيء من هذا الطريق الوعر في أجزاء الكتاب كلّها غير حديث واحد ذكره في السنة العاشرة، وإنّما بدأ برواية تلكم الموضوعات من عام وفاة النبيّ الأقدس، وبثّها في الجزء الثالث والرابع والخامس، وانتهت بانتهاء خامس الأجزاء.

ذكر في الجز الثالث من (ص ٢١٠) في حوادث سنة (١١)	٦٧	حديثاً.
أخرج في الجزء الرابع في حوادث السنةالثانية عشرة	٤٢٧	حديثاً.
أورد في الجزء الخامس في حوادث السنة ال(٢٣ ـ ٣٧)	٢٠٧	حديثاً.
المجموع	٧٠١	

(١) سنن الترمذي: ٥٩٨/٥ ح٣٧٢٧.

٣٢٨/٨ وممّا يهمّ لفت النظر إليه أنّ الطبري من صفحة (٢١٠) من الجزء الثالث إلى[١] (ص٢٤١) يروي عن السريّ بقوله: حدّثني، المعرب عن السماع منه، ومن[٢] (ص٢٤١) يقول: كتب إليّ السريّ، إلى آخر ما يروي عنه، إلّا حديثاً واحداً في الجزء الرابع[٣] (ص٨٢) يقول فيه: حدّثنا.

ولست أدري أنّ السريّ، وسيف بن عمر هل كان علمهما بالتاريخ مقصوراً على حوادث تلكم الأعوام المحدودة فقط؟ ومن حوادثها على ما يرجع إلى المذهب فحسب لا مطلقاً؟ أو كانت موضوعاتهما تنحصر بالحوادث الخاصّة المذهبيّة الواقعة في الأيّام الخالية من السنين المعلومة؟ لكونها الحجر الأساسي في المبادئ والآراء والمعتقدات، وقد أرادوا خلط التاريخ الصحيح وتعكير صفوه بتلكم المفتعلات تزلّفاً إلى أناس، واختذالاً عن آخرين، ومن أمعن النظر في هذه الروايات يجدها نسيج يد واحدة، ووليد نفس واحد، ولا أحسب أنّ هذه كلّها تخفى على مثل الطبري، غير أنّ الحبّ يعمي ويصم.

وقد سوّدت هاتيك المخاريق المختلقة صحائف تاريخ ابن عساكر، وكامل ابن الأثير، وبداية ابن كثير، وتاريخ ابن خلدون، وتاريخ أبي الفداء إلى كتب أناس آخرين اقتفوا أثر الطبري على العمى، وحسبوا أنّ ما لفّقه هو في التاريخ أصل متّبع لاغمز فيه، مع أنّ علماء الرجال لم يختلفوا في تزييف أيّ حديث يوجد فيه أحد من رجال هذا السند فكيف إذا اجتمعوا في إسناد رواية.

والتآليف المتأخّرة اليوم المشحونة بالتافهات التي هي من ولائد الأهواء والشهوات كلّها متّخذة من هذه السفاسف التي عرفت حالها وسنوقفك على نماذج

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٢٣/٣ ـ ٢٧٦ حوادث سنة ١١هـ.

(٢) المصدر السابق: ص٢٧٦ حوادث سنة ١١هـ.

(٣) المصدر السابق: ص٤٧٨ حوادث سنة ١٣هـ.

منها في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى.

ابن الأثير الجزري:

وأنت ترى ابن الأثير في الكامل ـ الناقص ـ تبعاً للطبري في الذكر والإهمال كما هو كذلك في كلّ ما توافقا عليه من التاريخ، لكنّه زاد ضغثاً على إبّالة[1] فقال[2]: وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أُموراً كثيرة من سبّ معاوية إيّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة / من الشام بغير وطاء، ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصحّ النقل به، ٣٢٩/٨
ولو صحّ لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان، فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيّته، وغير ذلك من الأعذار، لا أن يجعل ذلك سبباً للطعن عليه كرهت ذكرها. انتهى.

إنّ الذي لم يصحّح الرجل نقله صحّحه آخرون فنقلوه قبله وبعده فلم ينل المسكين مبتغاه، وكان قد حسب أنّ الحقائق الثابتة تخفى عن أعين الناس إن سترها هو بذيل أمانته، وقد ذهب عليه أنّ أهل النصفة من المؤلّفين وروّاد الحقائق من الرواة سوف لا يدَعون صغيرة ولا كبيرة إلّا ويحصونها على الأُمّة، وإنّ مدوّنة التاريخ ليست قصراً على كتابه.

هبّ أنّه ستر التاريخ بالإهمال لكنّه ماذا يصنع بالمحدّثين الذين أثبتوا حديث إخراجه من المدينة وطرده عن مكة والشام في باب الفتن وفي باب أعلام النبوّة[3]؟ أوَلا يبهظ ذلك أبا ذر وزملاءه من رجالات أهل البيت عليهم السلام ومن يرى رأيه من صلحاء الأُمّة، ولا سيّما أنّ سابقة الطرد من عاصمة النبوّة لم تكن إلّا لمثل الحكم ـ عمّ

---

(١) الضغث: القبضة من الحشيش، والإبّالة: الحزمة من الحطب، وقد مرّ كراراً شرح هذا المثل.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٥١/٢ حوادث سنة ٣٠هـ.

(٣) راجع: ص ٣٢٤ ـ ٣٢٨. **(المؤلّف)**

الخليفة ـ وابنه وعائلته زبانية العيث والفساد تنزيهاً للعاصمة عن معرّتهم، وتطهيراً لها عن لوث بقائهم فيها، أفهل يُساوى أبو ذر ذلك العظيم عند الله ورسوله شبيه عيسى بن مريم في أُمّة محمد ﷺ الذي ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق منه، وقد أمر الله سبحانه رسوله بحبّه، وهو من الثلاثة الذين تشتاق إليهم الجنّة، والثلاثة الذين يحبّهم الله تعالى. أفهل يساوى من هو هذا بالطريد اللعين؟ فيشوّه ذكره بهذه التسوية، ويشهر بين الملأ موصوماً بذلك، ويُمنع الناس عن التقرّب إليه، وينادى عليه بذلّ الاستخفاف، ويُحرَم الناس من علومه الجمّة التي هو وعاؤها، ولعمر الحقّ، وشرف الإسلام، ومجد الإنسانيّة، وقداسة أبي ذر، إنّ النشر بالمناشير، والقرض بالمقاريض أهون على الدينيّ الغيور من بعض هاتيك الشنائع.

ثمّ إنّ تأديب الخليفة للرعيّة إنّما يقع على من فقد الآداب الدينيّة وطوّحت به
٨/٣٣٠ طوائح الجهل إلى مساقط الضعة. وأمّا مثل أبي ذر الذي أطراه رسول الله ﷺ / بما لم يُطرِ به غيره، وقرّبه وأدناه وعلّمه وإذا غاب عنه تفقّده، وشهد أنّه شبيه عيسى بن مريم هدياً وسمتاً وخلقاً وبرّاً وصدقاً ونسكاً وزهداً. فبماذا يؤدّب؟ لماذا؟ وأيّ تأديب هذا يراه النبيّ الأعظم بلاءً في الله؟ ويأمر أبا ذر بالصبر وهو يقول: مرحباً بأمر الله. وبم ولم استحقّ أبو ذر التأديب؟ وعمله مبرور مشكور عند المولى سبحانه، ويراه مولانا أمير المؤمنين غضباً لله ويقول له: «فارجُ من غضبت له»[1].

نعم؛ يجب أن يكون أبو ذر هو المؤدّب للناس لما حمله من علم النبوّة وأحكام الدين وحكمه، والنفسيّات الكريمة، والملكات الفاضلة التي تركته شبيهاً بعيسى بن مريم في أُمّة محمد ﷺ.

ما بال الخليفة يتحرّى تأديب أبي ذر وهو هذا، ويبهظه تأديب الوليد بن عقبة السكير على شرب الخمر واللعب بالصلاة المفروضة؟

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء صفحة: ٣٠٠. (المؤلّف)

ويبهظه تأديب عبيد الله بن عمر على قتل النفوس المحترمة.

ويبهظه تأديب مروان وهو يتّهمه بالكتاب المزوّر عليه.

ويبهظه تأديب الوقاح المستهتر المغيرة بن الأخنس وهو يقول له: أنا أكفيك عليّ بن أبي طالب. فأجابه الإمام بقوله: «يابن اللعين الأبتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟! فوالله ما أعزّ الله من أنت ناصره»[1] إلخ.

ما بال الخليفة يطرد أبا ذر ويردفه بصلحاء آخرين، ويرى الإمام الطاهر أمير المؤمنين أحقّ بالنفي منهم[2] ويؤوي طريد رسول الله الحكم وابنه ويرفدهما وهما هما؟

ما بال الخليفة يخوّل مروان مهمّات المجتمع، ويلقي إليه مقاليد الصالح العام؟ ولم يُصغ إلى قول صالح الأُمّة مولانا أمير المؤمنين له: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يُقاد حيث يُسار به؟ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه، وأيم الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لايُصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغُلِبت على أمرك» يأتي تمام الحديث في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى. ٣٢١/٨

ما بال الخليفة يعطي مروان أزمّة أُموره ويشذّ عن السيرة الصالحة حتى توبّخه زوجته نائلة بنت الفرافصة؟ وتقول: قد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: فما أصنع؟ قالت. تتقي الله وتتّبع سنّة صاحبيك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولاهيبة ولا محبّة، وإنّما تركك الناس لمكانه، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه، فإنّ له قرابة وهو لا يعصى[3]. ليت الخليفة كانت له أُذن واعية تسمع

---

(١) نهج البلاغة: ٢٥٣/١ [ص١٩٣ خطبة١٣٥]. (المؤلّف)

(٢) سيوافيك حديثه في مواقف عمّار إن شاء الله تعالى. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الطبري: ١١٢/٥ [٣٦٢/٤ ـ ٣٦٣ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٦٩/٣ [٢٨٥/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]. (المؤلّف)

من بنت الفرافصة كلمتها الحكميّة التي كانت فيها نجاته في النشأتين.

كان من صالح الخليفة أن يدني إليه أبا ذر فيستفيد بعلمه وخلقه ونسكه وأمانته وثقته وتقواه وزهده لكنّه لم يفعل، وماذا كان يجديه لو فعل؟ وحوله الأمويّون وهو المتفاني في حبّهم، وهم لا يرون ذلك الرأي السديد سديداً لأنّه على طرف النقيض ممّا حملوه من النهمة والشره، واكتناز الذهب والفضة، والسير مع الهوى والشهوات، وهم المسيطرون على رأي الخليفة وأبو سفيان يقول: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة. أو يقول لعثمان: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أُميّة فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار. راجع (ص٢٧٨).

وعثمان وإن زبره تلك الساعة، لكنّه لم يَعْدُ رأيه في بني أُميّة المتلاعبين بالدين لعبهم بالأكر، ولا أدري هل تهجّس في تأديب أبي سفيان على ذلك القول الإلحادي الشائن كما تهجّس وفعل في أبي ذر البرّ التقي، ومن يماثله من الصلحاء الأتقياء؟

لقد فات ابن الأثير كلّ هذا، فاعتذر عن الرجل بأنّ الخليفة يؤدّب رعيّته.

عماد الدين بن كثير:

جاء ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية[١] (١٥٥/٧) فبنى على أساس ما علاّه من قبله في حذف ما كان هنالك من هنات وزاد في الطنبور نغمات، قال: كان أبو ذر ينكر على من يقتني مالاً من الأغنياء ويمنع أن يدّخر فوق القوت ويوجب أن يتصدّق بالفضل ويتأوّل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **والَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أليم** ﴾[٢] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا

---

(١) البداية والنهاية: ١٧٥/٧ حوادث سنة ٣٠هـ.

(٢) التوبة: ٣٤.

٣٣٢/٨ يمتنع، فبعث يشكوه إلى عثمان، / فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة فقدمها، فلامه عثمان على بعض ما صدر منه واسترجعه فلم يرجع. فأمره بالمقام بالربذة ـ وهي شرقي المدينة ـ ويقال: إنّه سأل عثمان أن يقيم بها، وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال لي: إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها. وقد بلغ البناء سلعاً، فأذن له عثمان بالمقام بالربذة، وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان حتى لا يرتدّ أعرابيّاً بعد هجرته، ففعل، فلم يزل مقيماً بها حتى مات. انتهى.

وقال [١] في (ص١٦٥) عند ذكر وفاته: جاء في فضله أحاديث كثيرة، من أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن عبدالله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر». وفيه ضعف. ثمّ لمّا مات رسول الله ﷺ ومات أبو بكر خرج إلى الشام، فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، ثمّ نزل الربذة، فأقام بها حتى مات في ذي الحجّة من هذه السنة، وليس عنده سوى امرأته وأولاده، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه، إذ قدم عبدالله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه، فحضروا موته وأوصاهم كيف يفعلون به، وقيل: قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوها بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفّان إلى أهله فضمّهم مع أهله. انتهى.

هذا كلّ ما في عيبة ابن كثير من المخاريق في المقام، وفيه مواقع للنظر:

١ ـ اتّهامه أبا ذر بأنّه كان ينكر اقتناء المال على الأغنياء... إلخ.

هذه النظريّة قديماً ما عزوها إلى الصحابيّ العظيم اختلاقاً عليه وزوراً، وقد تحوّلت في الأدوار الأخيرة بصورة مشوّهة أُخرىٰ من نسبة الاشتراكيّة إليه،

---

(١) البداية والنهاية: ١٨٥/٧ حوادث سنة ٣٢هـ.

وسنفصّل القول عنها تفصيلاً إن شاء الله تعالى.

٢ ـ إنّه حسب نزوله الشام وهبوطه الربذة بخيرة منه بعدما أوعز إلى أنّ عثمان أمره بالمقام بالربذة، أمّا حديث الربذة فقد أوقفناك آنفاً على أنّه كان منفيّاً إليها، وأخرج من مدينة الرسول بصورة منكرة، ووقع هنالك ما وقع بين عليّ عليه السلام ومروان، وبينه وبين عثمان، وبين عثمان وبين عمّار، واعتراف عثمان بتسييره، وتسجيل عليّ أمير المؤمنين عليه ذلك، وسماع غير واحد من أبي ذر الصادق نفسه حديثه، وأنّ عثمان
٣٣٣/٨ جعله أعرابيّاً بعد الهجرة، وهو مقتضى إعلام النبوّة في إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيّاه بأنّه سوف يُخرَج من المدينة، ويُطرد من مكة والشام، وأمّا خبر الشام فقد مرّ إخراجه إليها ولم يكن ذلك باختياره أيضاً.

٣ ـ وأمّا حديث بلوغ البناء سلعاً فإفك مفترىً على أُمّ ذر، وقد جاء في مستدرك الحاكم[1] (٣٤٤/٣)، وذكره البلاذري كما مرّ في (ص٢٩٣) ورآه سبب خروج أبي ذر إلى الشام بإذن عثمان لا سبب خروجه إلى الربذة كما في حديث الطبري.

على أنّ ابن كثير أخذه من الطبري في التاريخ، وجلّ ما عنده إنّما هو ملخّص ما فيه مع التصرّف فيه على ما يروقه، وإسناد الرواية في التاريخ رجاله بين كذّاب وضّاع وبين مجهول لا يُعرَف إلى ضعيف متّهم بالزندقة كما أسلفناه في (ص٨٤، ١٤٠، ١٤١،٣٢٧) وهم:

١ ـ السريّ. ٢ ـ شعيب. ٣ ـ سيف. ٤ ـ عطيّة. ٥ ـ يزيد الفقعسي.

وحديث يكون في إسناده أحد هؤلاء لا يعوّل عليه، وعلى فرض اعتباره فإنّه لا يقاوم الصحاح المعارضة له الدالّة على إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه يُخرَج ويُطرَد من مكّة والمدينة والشام. راجع (ص٣١٦ ـ ٣١٩) وهي معتضدة بما مرّ عن أبي ذر

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣٨٧/٣ ح٥٤٦٨.

وعثمان وغيرهما في تسيير عثمان إيّاه، أضف إليها الأعذار الباردة الواردة عن أعلام القوم في تبرير عثمان عن هذا الوزر الشائن.

٤ ـ وأمّا ما ذكره من أمر عثمان أبا ذر أن يتعاهد المدينة حتى لا يرتدّ أعرابيّاً فإنّه من جملة تلك الرواية المكذوبة التي تشتمل على حديث سلع، وقد مرّ من طريق البلاذري بإسناد صحيح في (ص٢٩٤) قول أبي ذر: ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابيّاً. على أنّه لم يذكر أحد أنّ أبا ذر قدم المدينة خلال أيّام نفيه من سنة ثلاثين إلى وفاته سنة اثنتين وثلاثين حتى يكون ممتثلاً لأمر عثمان بالتعاهد.

٥ ـ ما ذكره من أنّه جاء في فضله أحاديث كثيرة من أشهرها ... إلخ.

إنّ شنشنة الرجل في الفضائل أنّه إذا قدم لسرد تاريخ من يهواه من الأمويّين ومن انضوى إليهم من روّاد النهم جاء بأشياء كثيرة وسرد التافه الموضوع في صورة الصحاح من غير تعرّض لإسنادها أو تعقيب لمضامينها، ولا يملّ من تسطيرها وإن سوّدت أضابير من القراطيس، لكنّه إذا وصلت النوبة إلى ذكر فضل أحد من أهل ٣٣٤/٨
البيت أو شيعتهم وبطانتهم من عظماء الأُمّة وصلحائها كأبي ذر تضيق عليه الأرض برحبها، وتلكّأ وتلعثم كأنّ في لسانه عقلة وفي شفتيه عقدة، أو أنّه كان في أُذنه وقر عن سماعها فلم تُنهَ إليه؛ وإن اضطرّته الحالة إلى ذكر شيء منها جاء به في صورة مصغّرة، كما تجده هاهنا حيث جعل ما هو من أشهر فضائل أبي ذر ضعيفاً، وهو يعلم أنّ طريق هذا الإسناد ليس منحصراً بما ذكره هو من طريق ابن عمرو الذي أخرجه ابن سعد والترمذي وابن ماجه والحاكم، وإنّما جاء من طريق عليّ أمير المؤمنين وأبي ذر وأبي الدرداء وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وأبي هريرة؛ وحسّن الترمذي غير واحد من طرقه في صحيحه[1] (٢٢١/٢).

---

(١) سنن الترمذي: ٦٢٨/٥ ح٣٨٠١، ٣٨٠٢.

وإسناد أحمد من طريق أبي الدرداء في مسنده[١] (١٩٧/٥) صحيح رجاله كلّهم ثقات.

وإسناد الحاكم من طريق أبي ذر صحّحه هو وأقرّه الذهبي كما في المستدرك[٢] (٣٤٢/٣).

وإسناد الحاكم من طريق عليّ عليه السلام وأبي ذر أيضاً صحّحه هو وأقرّه الذهبي كما في المستدرك[٣] (٤٨٠/٤).

وأمّا إسناد ما أخرجه ابن كثير من طريق ابن عمرو، فقال الذهبي فيما نقله عنه المناوي في شرح الجامع الصغير[٤]: سنده جيّد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد[٥]: رجال أحمد وثّقوا وفي بعضهم خلاف. وحسّنه السيوطي في الجامع الصغير[٦]. فأين الضعف المزعوم؟

ولا يهمّنا التعرّض لبقيّة ما رمى القول فيه على عواهنه؛ فإنّها مأخوذة من الطبري مع عدم الإجادة في الأخذ؛ ولعلّه أراد إصلاح ما في روايته من التهافت فزاد عواراً على عواره وروايته هي من جملة أساطير أوقفناك على وضعها (ص٣٢٧).

والممعن في كتب المحدّثين يعلم أنّ هذه الجنايات التي أوعزنا إلى بعضها لم تَعْدُ كتب الحديث، فتجدها تثبت ما من حقّه الحذف، وتحذف ما يجب أن يذكر، ونَكِل عرفان ذلك إلى سعة باعك أيّها القارئ الكريم.

﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[٧]

---

(١) مسند أحمد: ٢٥٥/٦ ح٢١٢١٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٨٥/٣ ح٥٤٦٠، وكذا في التلخيص.

(٣) المصدر السابق: ٥٢٧/٤ ح٨٤٧٨.

(٤) فيض القدير: ٤٢٣/٥.

(٥) مجمع الزوائد: ٣٣٠/٩.

(٦) الجامع الصغير: ٤٨٥/٢ ح٧٨٢٥.

(٧) سورة ق: ٢٢.

نظرية أبي ذر في الأموال

٣٣٥/٨ وافى سيّدنا أبو ذر كغيره من قرنائه المقتصّين أثر الكتاب والسنّة يبغي صالح قومه ونجاح أُمّته، يبغي بهم أن لا يتخلّفوا عنها قيد ذرّة، يريد أن ينفي عن الناس البخل الذميم، وأن تكون لضعفاء الأُمّة لماظة من منائح الأغنياء، وأن لا يُمنَعوا حقوقهم التي افترضها الله لهم، وكان نكيره الشديد متوجّهاً إلى مغتصبي أموال الفقراء، وإلى أهل الأثرة الذين كانت القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة منضّدة في دورهم، وكانت سبائك التبر تُقسّم بكسرها بالفؤوس، من دون أن تُخرَج منها الحقوق المفروضة من أخماس وزكوات، ومن غير إغاثة للملهوفين الذين كان قوتهم السغب، وريّهم الظمأ وراحتهم النكد، وعند القوم أموال لهم متكدّسة لا تنتفع بها العفاة، ولا يستفيد من نمائها المجتمع، ولا يُصرف شيء منها في الصالح العام، وقد شاء الله سبحانه للذهب والفضّة أن تتداولها الأيدي، ويتقلّبا في وجوه الحرف والمهن والصنائع، فتنتجع العامّة بهما، فأربابهما بالأرباح، والضعفاء بالأجور، والبلاد بالعمران، والأراضي بالإحياء، والمعالم والمعارف بالدعاية والنشر، والملأ العلمي بالجوامع والكلّيات والكتب والصحف، والمضطرّون بحقوقها الإلهيّة [المخرجة، والجنود بالعتاد، والرواتب والرواحل، وثغور الإسلام بالعِدّة والعُدّة][(١)] واستحكامات تقتضيها الظروف، حتى تكون الأُمّة سعيدة بما يتسنّى لها من تلكم الجهات من السعي وراء مناجحها؛ ولذلك حرّم المولى سبحانه اتخاذ الأواني من الذهب والفضّة لئلّا يبقيا جامدين يعدوهما أعظم الفوائد وأكثرها المرقومة فيهما المترقّبة منهما من الوجوه التي ذكرناها.

كان نكير سيّدنا أبي ذر موجّهاً إلى أمثال من ذكرناهم كمعاوية الذي كان

---

(١) ساقط من الطبعة الثانية.

يرفع أبو ذر عقيرته على بابه كلّ يوم ويتلو قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾. وكان يرى الأموال تُجبى إليه فيقول: جاءت القطار تحمل النار.

وكمروان الذي كان إحدى منائح عثمان له خمس إفريقية وهو خمسمئة ألف دينار.

٣٣٦/٨ وكعبد الرحمن بن عوف، وقد خلّف ذهباً قُطّع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كلَّ امرأة ثمانون ألفاً، فتكون ثروته من هذا الذهب المكنوز فحسب ما مرّ في صفحة (٢٨٤).

وكزيد بن ثابت المخلّف من الذهب والفضّة غير الأموال المكردسة والضياع العامرة ما كان يُكسر عند تقسيمه بالفؤوس.

وكطلحة التارك بعده مئة بُهار في كلّ بهار ثلاث قناطر ذهب ـ والبُهار جلد ثور ـ وهذه هي التي قال عثمان فيها: ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يحرّض على نفسي[1] أو طلحة التارك مئة جمل ذهباً كما مرّ عن ابن الجوزي.

وأمثال هؤلاء البخلاء على المجتمع الديني، وهو يرى أنّ خليفة الوقت يأتيه أبو موسى بكيلة ذهب وفضّة فيقسمها بين نسائه وبناته من دون أيّ اكتراث لمخالفة السنّة الشريفة، وهو يعلم الكمّيّة المدّخرة من النقود التي نهبت يوم الدار: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنعامِ وَالحَرثِ ذلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾[2].

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٤٠٤/٢ [٣٥/٩ خطبة ١٣٧]. (المؤلّف)

(٢) آل عمران: ١٤.

فما ظنّك بالرجل الدينيّ الواقف على كلّ هذه الكنوز من كثب؟ وهو يعلم بواسع ما وعاه من رسول الله ﷺ من المغيّبات، وممّا يشاهده من نفسيّات القوم، أنّ تلكم الأموال المكتنزة سوف يُصرَف أكثرها في الدعوة إلى الباطل، وفي تجهيز العساكر من ناكثي بيعة الإمام الطاهر والخارجين عليه والمزحزحين حليلة المصطفى عن خدرها عن عقر داره ﷺ؛ وفي أُجور الوضّاعين للأحاديث في فضائل بني أُميّة والوقيعة في رجالات أهل البيت ؈، وفي محرّفي الكلم عن مواضعه، وفي منائح لاعني مولانا أمير المؤمنين وقاتلي الصلحاء الأبرياء من موالي العترة الطاهرة، ويُصرف شيء كثير منها في الخمور والفجور، إلى غير ذلك من وجوه الشرّ.

ما ظنّك بالرجل؟ وفي أُذنه نداء الصادع الكريم: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين / رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً». ويرى بين عينيه آل أبي العاص بلغوا ثلاثين وجاؤوا يلعبون بالملك تلاعب الصبيان بالأُكَر، وقد اتّخذوا مال الله دولا... ٢٣٧/٨

فهل تراه يخفق على ذلك كلّه، كأنّه لا يبصر ولا يسمع ولا يعلم؟ أو أنّه يُدوّخ العالم بعقيرته؟ ويلفت الأنظار إلى جهات الحكمة ووجوه الفساد؟ عساه يكسح شيئاً من الشرّ الحاضر، ويسدّ عادية المعرّة المقبلة، وإنّ أسس هذا الدين الحنيف الدعوة إلى الحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ ﴾[1].

لقد ناء أبو ذر بهذه المهمّة الدينيّة وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وما كان يلهج إلّا بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أليمٍ ﴾ ولم يشذّ في تأويل الآية عمّا يقتضيه ظاهرها، لأنّ مطمح نظره

(١) آل عمران: ١٠٤.

كان هؤلاء الذين ذكرناهم ممّن جمعوا من غير حلّه، وادّخروا على غير حقّه، ولم يؤدّوا المفترض ممّا استباحوه من المال واكتنزوه، ولذلك لم يوجّه نكيره إلى أُناس آخرين من زملائه ومعاصريه من أهل اليسار كقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي كان يهب غير الحقوق الواجبة عليه آلافاً مؤلّفة، وقد عرفت شطراً من يساره في الجزء الثاني (٨٥ ـ ٨٨).

وكأبي سعيد الخدري الذي كان يقول: ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منّا[١].

وكعبد الله بن جعفر الطيّار الذي دوّخ الأجواء ذكر ثروته وعطاياه وقد فصّلها ابن عساكر في تاريخه[٢] (٧/٣٢٥ ـ ٣٤٤) وغيره.

وعبدالله بن مسعود الذي خلّف تسعين ألفاً كما في صفة الصفوة.

وحكيم بن حزام الذي كانت بيده دار الندوة فباعها من معاوية بمئة ألف درهم، فقال له عبدالله بن الزبير: بعت مكرمة قريش. فقال حكيم: ذهبت المكارم إلّا التقوى يابن أخي، إنّي اشتريت بها داراً في الجنّة أُشهدك أنّي قد جعلتها في سبيل
٨/٣٣٨ الله. وحجّ / حكيم ومعه مئة بدنة قد أهداها وجلّلها الحبرة[٣]؛ ووقف مئة وصيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقة الفضّة قد نقش في رؤوسها: عتقاء الله عزّ وجلّ عن حكيم. وأعتقهم، وأهدى ألف شاة[٤].

إلى أُناس آخرين لدة هؤلاء من أهل اليسار. فلم تسمع أُذن الدنيا أنّ أبا ذر وجّه إلى أحد من هؤلاء الأثرياء لوماً لأنّه كان يعلم بأنّهم اقتنوها من طرقها

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/٣٠٠ [١/٧١٥ رقم ١٠٥]. (المؤلّف)

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٧/٢٤٨ ـ ٢٩٨ رقم ٣٢٢٢، وانظر: المنتظم: ٦/٢١٤ رقم ٤٧٧.

(٣) الحِبَرَة والحَبَرَة: ضربٌ من البرود اليمانية.

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/٣٠٤ [١/٧٢٥ رقم ١٠٩]. (المؤلّف)

المشروعة وأدّوا ما عليهم منها وزادوا، وراعوا حقوق المروءة حقّ رعايتها، وما كان يبغي بالناس إلّا هذه.

لماذا يرى أبو ذر بناء معاوية الخضراء في دمشق فيقول: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف. فسكت معاوية. ويقول أبو ذر: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، والله إنّي لأرى حقّاً يطفأ، وباطلاً يُحيى، وصادقاً يكذّب، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه[1].

ويرى بناء المقداد داره بالمدينة بالجرف وقد جعلها مجصّصة الظاهر والباطن كما في مروج الذهب[2] (٤٣٤/١) فلا ينكره عليه ولا ينهاه عنه ولا ينبس ببنت شفة، وليس ذلك إلّا لما كان يراه من الفرق الواضح بين المالين والبناءين وصاحبيهما.

وأمّا وجوب إنفاق المال الزائد على القوت كلّه الذي عزاه إلى سيّدنا أبي ذر المختلقون فمن أفائكهم المفتريات، لم يدّعه أبو ذر ولا دعا إليه، وكيف يكون ذلك وأبو ذر يعي من شريعة الحقّ وجوب الزكاة؟ وهل يمكن ذلك إلّا بعد اليسار والوفر الزائد على المؤن؟ والله سبحانه يقول: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم ﴾[3] وفي تنكير الصدقة و (من) التبعيض دلالة على أنّ المأخوذ بعض المال لا كلّه.

على أنّ النُصب الزكويّة المضروبة في النقدين والأنعام والغلّات كلّها نصوص على أنّ الباقي من المال مباح لأربابه، ولأبي ذر نفسه في آداب الزكاة أحاديث أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الصحاح وأحمد والبيهقي وغيرهم.

فلو كان يجب إنفاق بعد إخراج الزكاة فما معنى التحديد بالنصب والإخراج ٣٣٩/٨

(١) راجع ما مرّ: ص ٣٠٤. (المؤلّف)

(٢) مروج الذهب: ٣٥١/٢.

(٣) التوبة: ١٠٣.

منها ؟ وهذا معنى واضح لا يخفى على كلّ مسلم، فضلاً عن مثل أبي ذر الذي هو وعاء العلم والمحيط بالسنّة الشريفة.

ولو كانت على المكلّف بقيّة من الواجب بعد الزكاة لم يؤدّها فما معنى الفلاح؟ الذي وصف الله تعالى به المؤمنين: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[1].

وليت شعري إن كان من المفترض إنفاق كلّ ما للإنسان من المال بعد المؤن فبماذا يحترف أو يمتهن؟ وليس عنده فاضل على المؤن. أبما ادّخره لقوته؟ أم بما رجع عنه بخفّي حنين؟ وممّاذا يخرج الزكاة؟ فيسدّ بها خلّة الضعفاء ويقتات هو في مستقبله الذي هو أوان فاقته. أمن المحتمل أنّ أبا ذر كان يوجب ترك كلّ هذه ويريد أن تكون الدنيا مشحونة بالعفاة المتكفّفين؟ فلا يرى المتسوّل إلّا شحّاذاً مثله، ولا يجد العافي مُنتجعاً لكشف كربته وتسديد إعوازه إن دامت الحالة على ما يُتقوّل به على أبي ذر سنة أو دون سنة.

تالله لا يبغي أبو ذر بالمجتمع الديني هذه الضعة وهو لا يحبّ لهم إلّا الخير كلّه، ولا يريد هذا أيّ مصلح أو صالح في نفسه، فضلاً عن أبي ذر المعدود في علماء الصحابة ومصلحيهم وصلحائهم.

نعم؛ غضب أبو ذر لله كما قاله مولانا أمير المؤمنين[2] وغضب للمسلمين حيث رأى فيئهم مدّخراً عنهم تتمتّع به سماسرة النهمة والجشع.

يرى فيئهم في غيرهم متقسّماً   وأيديَهُمْ من فيئِهمْ صَفِراتِ

فكان كلّ ما انتابه من جرّاء هذا الأخذ والرد بعين الله وفي سبيله كما عهد إليه

---

(١) المؤمنون: ١ ـ ٤.

(٢) راجع: ص ٣٠٠ من هذا الجزء. (المؤلّف)

رسول الله ﷺ فقال: «أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي». قال: في الله؟ قال: «في الله». قال: مرحباً بأمر الله. راجع (ص٣١٦) من هذا الجزء.

ثمّ إنّ ما شجر من الخلاف بين أبي ذر ومعاوية في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾. ـ فخصّه معاوية بأهل / الكتاب وعمّمه أبو ذر عليهم وعلى المسلمين، كما أخرجه البخاري ومرّ ٣٤٠/٨
بلفظه (ص٢٩٥) وهذه الرواية هي المستند الوحيد لجملة من الأفّاكين على أبي ذر ـ ظاهر[1] في أنّه لا خلاف بينهما في المقدار المنفق من المال وإنّما هو في توجيه الخطاب، فارتأى معاوية أنّ المخاطب به أهل الكتاب، وعلم أبو ذر من مستقى الوحي ولحن الآية الكريمة أنّها تعمّ كلّ مكلّف. إذن فيجب إمّا أن يُعزى هذا الشذوذ إليهما جميعاً، أو يبرّآن عنه جميعاً، فإفراد أبي ذر بالقذف من ولائد الضغائن والإحن.

وأيّاً ما كان، فالمراد إنفاق البعض لا الكلّ، وإن كان النظر القاصر قد يجنح إلى الأخير لأوّل وهلة. وليست هذه الآية بدعاً من آيات أُخرى تماثلها في السياق كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ الآية، البقرة: ٢٦١.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمَوالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم ﴾ البقرة: ٢٧٤.

وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذىً لَهُم أَجْرُهُم عِندَ رَبِّهِمْ ﴾، البقرة: ٢٦٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم ابتِغَاءَ مَرضَاةِ اللهِ ﴾ الآية، البقرة: ٢٦٥.

على أنّ هذه الآيات أصرح من هاتيك في العموم لمكان الجمع المضاف فيها،

---

(١) خبر «إنّ» في أول الفقره، من قوله: ثم إن ما شجر ....

لكن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أنّه نزّلها إلى البعض، ولعلّ النكتة في الإتيان بالجمع المضاف فيها أنّ الموصوفين بها بلغوا من نزاهة النفس وكرم الطباع وعلوّ الهمّة حدّاً لا يبالون معه لو توقّفت الحالة على إنفاق كلّ أموالهم. أو أنّهم حين يسمحون بإنفاق البعض في سبيل الله تعالى يجعله سبحانه في مكان إنفاق الكلّ بفضل منه ويثيبهم على ذلك. وبهذا يُعلم السرّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، الأنفال: ٣٦. وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ الآية، النساء: ٣٨.

فليست هذه الآيات في منتأى عن قوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، آل عمران: ٩٢.

٣٤١/٨ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾، إبراهيم: ٣١.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، البقرة: ٣.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، الأنفال: ٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، الحج: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، السجدة: ١٦.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، البقرة: ٢٥٤.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾، البقرة: ٢٦٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾، المنافقون: ١٠.

على أنّ غير واحد من تلكم الآيات تومي إلى الإنفاق المندوب كما نصّ

عليه علماء التفسير وحفّاظ الحديث، ومع ذلك لم يدعها سبحانه على ما يتوهّم منها من جمعها المضاف حتى جعل لها حدّاً بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾، الإسراء: ٢٩. وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴾، الفرقان: ٦٧.

أترى أنّ أبا ذر ـ سلام الله عليه ـ عزب عنه كلّ هذه الآيات الكريمة والأُصول المسلّمة؟ أو كان له رأي خاصّ في تأويلها تجاه الحقائق الراهنة حتى جاء بعد لأي من عمر الدنيا رعرعة تجشّأهم الدهر فقاءهم وقفوا على تلكم الكنوز المخبّأة؟!

ولو كان لأبي ذر أدنى شذوذ عن الطريقة المثلى في حكم إلهي، شذوذاً يخلّ بنظام المجتمع ويقلق السلام والوئام، وتكثر حوله القلاقل، وفيه إثارة العواطف والإخلال بالأمن أو التزحزح عن مبادئ الإسلام، لكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من يردعه ويحبسه عن قصده السيّئ وأبو ذر أطوع له من الظلّ لذيه، لكنّه عليه السلام بدلاً عن ذلك يقول: «غضبتَ لله فارجُ من غضبت له». ويقول: «والله ما أردتُ تشييع أبي ذر إلّا لله». ويقول لعثمان: «اتّق الله فإنّك سيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك». وأمير المؤمنين من تعرفه بتنمّره في ذات الله لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو مع الحقّ / والحقّ معه في كلّ ما يقول ويفعل. ٣٤٢/٨

وهل ترى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّه كان يعلم أنّ أبا ذر سوف ينوء في أُخرياته بدعوة باطلة كهذه طفق ينوّه به، ويعرّفه بين الملأ بصفات فاضلة تكبر مقامه، وتعظّم مكانته عند الجامعة[1]، وتمكّنه من القلوب الصالحة؟ ويقول عمر

---

(١) أي: المجتمع الإسلامي.

له ﷺ : يــا رسـول الله فـنعرف ذلك له ؟ فـيقول ﷺ : «نـعم فـاعرفوه له» . فيكون ﷺ مؤيّداً له على عيثه ، ومؤسّساً لباطله ، ومعرّفاً لضلاله ، حاشا رسول العظمة من مثل ذلك .

﴿ فَمَنْ أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى على اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلمٍ ﴾ (١)

﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِن عِلمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ (٢)

﴿ إذْ تَلَقَّونَهُ بِألسِنَتِكُم وَتَقُولُونَ بِأفوَاهِكُم مَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٣)

﴿ ما لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِم ﴾ (٤)

﴿ إنْ يَتَّبِعُونَ إلّا الظَّنَّ وَإنْ هُم إلّا يَخرُصُون ﴾ (٥)

أبو ذر والاشتراكيّة

٨/٣٤٣ لقد عرفت كلّ ما في كنانة الأوّلين من نبال مرشوقة إلى العبد الصالح شبيه عيسى في أُمّة محمد ﷺ ، فهلمّ هاهنا إلى رجرجة الآخرين من مقلّدة الدور الأخير الخابطين خبط عشواء، الذين رموا أباذر ــ وأُجلّه ــ بالاشتراكيّة تارة وبالشيوعيّة أُخرىٰ.

هل أحاط علماً هؤلاء الأغرار بمبادئ الشيوعيّة التعيسة ، ومواد الاشتراك الذي هو بمقربة من رديفته المبغوضة ؟

وهل أُتيح لهم عرفان مغازي أبي ذر المصلح العظيم فيما قال ودعا إليه حتى طفقوا يوفّقوا بين المبدأين ؟

---

(١) الأنعام: ١٤٤.

(٢) الأنعام: ١٤٨.

(٣) النور: ١٥.

(٤) الكهف: ٥.

(٥) الأنعام: ١١٦.

لا أحسب أنّهم عرفوا شيئاً من تلكم المغازي، وأنّهم في ظنّي الغالب بهم شيوعيّة خونة يديفون السمّ في الدسم، ويُسرّون حسواً في ارتغاء[1]، اتّخذوا ماقالوه بل تقوّلوه أكبر دعاية إلى تلكم المبادئ الهدّامة لأُسس المدنيّة والحضارة، المضادّة لناموس الطبيعة، فضلاً عن حدود الإسلام، يجعل مثل أبي ذر العظيم شيوعيّاً أو اشتراكيّاً، وقد صافقه على ما هتف به ونقم على من ناوأه وآذاه من القوم جلّ الصحابة إن لم نقل كلّهم ممّن يعبأ به وبرأيه، واستاؤوا لما نُكب به من جرّاء ذلك الهتاف وفي مقدّمهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وابناه الإمامان إن قاما وإن قعدا، وعمّار الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه يدور عمّار مع الحقّ أينما دار»[2] إلى كثيرين وافقوا هؤلاء على النقمة والاستياء، فلم يكن أبو ذر شاذّاً في رأيه، ولا أُنهي إلينا أنّه خالفه أحد من الصحابة، فدونك صحائف التاريخ وزبر الحديث.

نعم؛ خالفه الذين يريدون أن يخضموا مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، وكانوا يكنزون الذهب والفضّة ولا يُنفقون منها ما يجب عليهم إنفاقه، ويحرمون الأُمّة عن أعطياتهم وما ينمو منها، ويريدون للضعفاء أن يرزخوا تحت نير الاضطهاد، ويرسفوا في قيود الفاقة والضعة، خاضعين لهم مستعبدين، وللقوم من أموالهم قصور مشيّدة، ٣٤٤/٨
ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة، يأكلون فيها مال الله أكلاً لمّا، ويحبّون احتكاره حبّاً جمّا.

نعم؛ خالفه أولئك الذين عرّفهم يزيد بن قيس الأرحبيّ يوم صفين بقوله من خطبة له: يحدّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت[3]، ويأخذ مال الله، ويقول: لا إثم

(١) مثل يضرب لمن يُريك أنّه يعينك، وإنما يجرّ النفع إلى نفسه. مجمع الأمثال ٥٢٥/٣ رقم ٤٦٨٠.
(٢) سيوافيك في محلّه في الجزء التاسع بإذن الله تعالى. (المؤلّف)
(٣) من ألفاظ الكنايات. ومعناها: كيت وكيت.

عليّ فيه، كأنّما أُعطي تراثه من أبيه، كيف؟ إنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا، قاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغيرما أنزل الله ولا تأخذكم فيهم لومة لائم، إنّهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم، وهم من قد عرفتم وجرّبتم[1].

فأيّ إنسان يبلغه أنّ العظماء الذين نوّهنا بذكرهم، وهم أهل الفضائل والعلوم، اعتنقوا مبدأً لا يروقه أن يقتصّ أثرهم؟ وهو لا يعلم أنّ ذلك العزو المختلق تقوّلوه دعاية إلى ضلالهم وترويجاً لباطلهم وستراً على عوارهم.

دع ذلك كلّه وهلمّ معي إلى النظر في مبادئ الشيوعيّة والفرق الاشتراكيّين، إنّ القوم على تعدّد فرقهم إلى الاشتراكيّة الديمقراطية، والاشتراكيّة الوطنيّة النازيّة، والشيوعيّة، والماركسيّة ـ اشتراكيّة رأس المال ـ وبالرغم من تباينهم الكثير في شتّى النواحي لا يختلفون في موادّ ثلاثة تجمع شملهم المبدّد ـ بدّد الله شملهم:

١ ـ تقويض النظام الحالي، وتشييد نظام جديد على أنقاضه يضمن توزيع الثروة توزيعاً عادلاً بين الأفراد.

٢ ـ إلغاء الملكيّة الخاصّة ـ ثروات الإنتاج ـ كرأس المال، والأرض، والمصانع، على أن تستولي الدولة على هذه الملكيّات جميعها وتجعلها ملكيّة عامّة تديرها للمصلحة العامّة.

٣ ـ يشتغل الأفراد لحساب الدولة بأجور تُعطى لهم بالتساوي؛ على أساس قيمة العمل الذي ينتجه كلّ منهم، وتبعاً لذلك لا يكون هناك دخل للأفراد سوى الأجور.

---

(١) تاريخ الطبري: ٦/ ١٠ [٥/ ١٨ حوادث سنة ٣٧هـ]، كامل ابن الأثير: ٣/ ١٢٨ [٢/ ٣٧٣ حوادث سنة ٣٧هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٤٨٥ [٥/ ١٩٤ خطبة ٦٥]. (المؤلّف)

وتنفرد الشيوعيّة عن بقيّة الاشتراكيّين بأمرين:

أحدهما: إلغاء الملكيّة الخاصّة إلغاءً نهائيّاً من غير فرق بين ثروات الإنتاج وثروات الاستهلاك.

وثانيهما: توزيعها المال بين الأفراد لكلّ على حسب حاجته، ويستخدم من كلّ على حسب قدرته، فيكلّف العامل بالعمل على قدر استطاعته، ويدرّ عليه المعاش بما يسدّ حاجته. ٣٤٥/٨

فعلينا هاهنا أن نعيد ذكر ما هتف به أبو ذر في شتّى مواقفه، وما رواه عن رسول الله ﷺ في باب الأموال، وما قال في حقّه عظماء الصحابة من الإطراء له والدفاع عنه بعد هتافه بما هتف، وما يؤثر فيه عن رسول الله ﷺ من الثناء الجميل وعهده إليه بما ينتابه من النكبات. فننظر إليها نظرة مُستشفّ للحقيقة فنرى هل ينطبق شيء منها على موادّ الشيوعيّة والاشتراكيّة؟ أو ينحسر عنه ذلك الإفك المفترى داحراً إلى حضيض البهت والافتراء.

إنّ من قول أبي ذر لعثمان: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؛ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبطش بي بطش جبّار.

ومن قوله له أيضاً: اتّبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك لا أُمّ لك؟ قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تجد أبا ذر هاهنا يلفت نظر عثمان إلى عهد الرسالة ثمّ إلى عهد الشيخين ويدعوه إلى اتّباع تلكم السير؛ ومن جليّة الحال عند هاتيك الأدوار الثلاثة اطّراد الملكيّة الخاصّة، ووجود أهل اليسار من الملاّكين والتجّار؛ وحرّيتهم في ثروتي الإنتاج والاستهلاك، واختصاص كلّ ماليّة من نقود أو عقار أو ضياع أو مصانع أو

أطعمة بأربابها، ومن النواميس المسلّمة عند نبيّ الإسلام ﷺ أنّه لا يحلّ مال امرئٍ إلّا بطيب نفسه[١] وفي الذكر الحكيم: ﴿ **لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ** ﴾[٢]، فتجده يعزو الأموال إلى أربابها ويحرّم أكلها بالباطل إلّا أنْ تستباح بتجارة شرعيّة تستتبع رضا المالك الخاصّ، وهناك آيات كريمة كثيرة تربو على خمسين آية لم يعدها عزو الأموال إلى مالكيها. تقدّم شطر منها في صفحة (٣٤٠).

فأبو ذر في هذا الموقف يدعو إلى ضدّ الدعوة الاشتراكيّة الملغية للملكيّة
٣٤٦/٨ الخاصّة، ويرى مخالفة ذلك من المنكر الذي يجب النهي عنه، فلم يردعه عمّا مضى فيه قول عثمان: مالك وذلك لا أُمّ لك.

ومن قوله لمعاوية لمّا بنى الخضراء: إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف.

فأبو ذر هاهنا يجوّز أن يكون المال مقسوماً إلى مال الله وإلى ما يختصّ للإنسان نفسه، فيرتّب على الأوّل الخيانة، وعلى الثاني السرف، ولم ينقم على معاوية نفس تصرّفه في المال وإنّما نقم عليه أحد الأمرين الخيانة أو الإسراف، ولو كان ملغياً للملكيّة لكان الواجب عليه أن ينتقد منه أصل تصرّفه في تلكم الأموال.

وتراه يسمّي مال المسلمين من الفيء والصدقات والغنائم مال الله؛ وقد روى ذلك عن رسول الله ﷺ أيضاً لعثمان حيث قال له: أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلا» وصدّقه في حديثه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذه التسمية لم تكن قصراً على عهد أبي ذر ومعاوية وإنّما كانت دارجة قبله

---

(١) مرّ الحديث ص١٢٩. (المؤلّف)

(٢) النساء: ٢٩.

وبعده، هذا عمر بن الخطّاب وقوله لأبي هريرة لمّا قدم من البحرين: يـا عـدوّ الله وعدوّ كتابه أسرقت مال الله؟ قال: لست بعدوّ الله ولا بعدوّ كتابه؛ ولكنّي عدوّ من عاداهما، ولم أسرق مال الله[١].

وقال الأحنف بن قيس: كنّا جلوساً بباب عمر فخرجت جارية، فقلنا: هذه سُرّيّة عمر، فقالت: إنّها ليست بسُرّيّة عمر إنّها لا تحلّ لعمر، إنّها من مال الله. قال: فتذاكرنا بيننا ما يحلّ له من مال الله، قال: فرقي ذلك إليه فأرسل إلينا، فقال: ما كنتم تذاكرون؟ فقلنا: خرجت علينا جارية فقلنا: هذه سُريّة عمر. فقالت: إنّها ليست بسُريّة عمر إنّها لا تحلّ لعمر، إنّها من مال الله، فتذاكرنا بيننا ما يحلّ لك من مال الله. فقال: ألا أُخبركم بما أستحلّ من مال الله؟ حُلّتين: حلّة الشتاء والقيظ[٢].

وقال عمر: لا يترخّصنّ أحدُكم في البرذعة أو الحبل أو القتب؛ فـإنّ ذلك
للمسلمين / ليس أحد منهم إلّا وله فيه نصيب، فإن كان لإنسان واحد رآه عظيماً، وإن ٣٤٧/٨
كان لجماعة المسلمين ارتخص فيه وقال: مال الله[٣]؟!

ومن قوله في حديث: البلاد بلاد الله، وتحمى لنعم مال الله، يحمل عـليها في سبيل الله[٤].

وفي حديث من قوله: المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً في شبر[٥].

---

(١) الأموال لأبي عبيد: ص٢٦٩ [ص٣٤٢ ح٦٦٧]، راجع ما أسلفناه في: ٢٥٤/٦ الطبعة الأُولى و ٢٧١ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

(٢) الأموال لأبي عبيد: ص٢٦٨ [ص٣٤١ ح٦٦٣]. (المؤلّف)

(٣) المصدر السابق: ص٢٦٨ [ص٣٤٢ ح٦٦٥]. (المؤلّف)

(٤) المصدر السابق: ص٢٩٩ [ص٣٧٧ ح٧٤١]. (المؤلّف)

(٥) المصدر السابق: ص٢٩٩ [ص٣٧٧ ح٧٤٢]. (المؤلّف)

وكان عمر كلّما مرّ بخالد قال: يا خالد أخرج مال الله من تحت استك[١].

وهذا مولانا أمير المؤمنين يقول في خطبته الشقشقيّة[٢]: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع».

وفي خطبة له عليه السلام: «لو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف و [إنما] المال مال الله؟ ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف»[٣].

ومن كتاب له إلى عامله بأذربيجان: «ليس لك أن تفتات في رعيّة، ولا تخاطر إلّا بوثيقة، وفي يديك مال من مال الله عزّ وجلّ وأنت من خزّانه»[٤].

ومن كتاب له إلى أهل مصر: «ولكنني آسي أن يلي أمر هذه الأُمّة سفهاؤها وفجّارها فيتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزبا»[٥].

ومن كتاب له إلى قُثَم بن العباس: «وانظر إلى ما اجتمع عنده من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة»[٦].

وروي أنّه عليه السلام رفع إليه رجلان سرقا من مال الله، أحدهما عبد من مال الله

٣٤٨/٨ والآخر / من عُروض الناس. فقال عليه السلام: «أمّا هذا فهو من مال الله ولا حدّ عليه، مال

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السادس: ص٢٥٧ الطبعة الأُولى و ص٢٧٤ الطبعة الثانية. (المؤلّف)

(٢) أسلفنا مصادرها في الجزء السابع: ص٨٢ ـ ٨٧. (المؤلّف)

(٣) نهج البلاغة: ٢٤٢/١ [ص١٨٣ خطبة١٢٦ والزيادة منه]. (المؤلّف)

(٤) المصدر السابق: ٦/٢ [ص٣٦٦ كتاب٥]، العقد الفريد: ٢٨٣/٢ [١٣٤/٤]. (المؤلّف)

(٥) المصدر السابق: ص١٢٠ [ص٤٥٢ كتاب٦٢]. (المؤلّف)

(٦) المصدر السابق: ص١٢٨ [ص٤٥٧ كتاب٦٧]. (المؤلّف)

الله أكل بعضه بعضاً» الحديث. نهج البلاغة[١] (٢٠٢/٢).

كما أنّ التسمية بمال المسلمين أيضاً كان مطّرداً قبل هذا العهد وبعده، قال عمر ابن الخطّاب لعبد الله بن الأرقم: اقسم بيت مال المسلمين في كلّ شهر مرّة، اقسم مال المسلمين في كلّ جمعة مرّة. ثمّ قال: اقسم بيت المال في كلّ يوم مرّة. قال: فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين لو أبقيت في مال المسلمين بقيّة تعدّها لنائبة. سنن البيهقي (٣٥٧/٦).

وقال عمر في خالد لمّا أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف: إن كان دفعها من ماله فهو سرف، وإن كان من مال المسلمين فهي خيانة[٢]. الغدير (٢٧٤/٦).

وقال مولانا أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له في ذكر أصحاب الجمل: «فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها» نهج البلاغة[٣] (٣٢٠/١).

وقال لعبد الله بن زمعة: إنّ هذا المال ليس لي ولا لك وإنّما هو فيء للمسلمين. نهج البلاغة[٤] (٤٦١/١).

ومن كتاب له إلى زياد بن أبيه: «وإنّي أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خُنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدّة» نهج البلاغة[٥] (١٩/٢).

وفي كتاب لعبد الحميد بن عبدالرحمن إلى عمر بن عبدالعزيز: إنّي قد أخرجت للناس أُعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال. فكتب إليه: انظر كلّ من أدان في غير

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٢٣ رقم ٢٧١.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٦٧/٤ حوادث سنة ١٧ هـ، البداية والنهاية: ٩٣/٧ حوادث سنة ١٧ هـ.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٤٧ خطبة ١٧٢.

(٤) المصدر السابق: ص٣٥٣ رقم ٢٣٢.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٧٧ كتاب ٢٠.

سفه ولا سرف فاقض عنه. فكتب إليه: إنّي قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال. فكتب إليه: أن انظر كلّ بكر ليس له مال فشاء أن تزوّجه [فزوّجه] وأصدق عنه. فكتب إليه: إنّي قد زوّجت كلّ من وجدت وقد بقي في بيت مال المسلمين مال. الأموال لأبي عبيد[1] (ص٢٥١).

ولكلّ من التسميتين وجه معقول، أمّا التسمية بمال الله فلأنّه لله سبحانه وهو الآمر بإخراجه ومعيّن النُصب، ومبيّن الكمّيات المخرجة، ومشخّص المصارف والمستحقّين، وأمّا التسمية بمال المسلمين فلأنّهم المصرف والمدرّ له، فلا غضاضة على أبي ذر لو سمّاه بأيّ من الاسمين، ولا يعرب أيّ منهما عن مبدأ سوء.

٣٤٩/٨ وما رواه الطبري في تاريخه[2] (٦٦/٥) من طريق عرّفناك رجاله في (ص٣٢٦ـ٣٢٨) وأنّه باطل لا يُعوّل عليه، من أنّه لمّا ورد ابن السوداء[3] الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله، ألا إنّ كلّ شيء لله، كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمّي مال المسلمين مال الله: قال؟ يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره؟ قال: فلا تقله. قال: فإنّي لا أقول: إنّه ليس لله ولكن سأقول: مال المسلمين.

فهذا بعد الغضّ عن إسناده الباطل ومتنه الركيك وبعد الإغضاء عن أنّ مثل أبي ذر الذي هو من أوعية العلم وعلب الفضائل وحملة الرأي السديد ليس بالذي يحرّكه ابن السوداء اليهوديّ فيعيره أُذناً واعية، ثم يمضي لما ألقاه عليه من التلبيس

---

(١) الأموال: ص٣٢٠ ح٦٢٥.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٨٣/٤ حوادث سنة ٣٠هـ.

(٣) يعني عبدالله بن سبأ اليهودي الممقوت لكافّة فرق المسلمين خصوصاً الشيعة منهم، فإنّه محكوم عليه عندهم بالكفر، وقد نقم عليه وعلى أصحابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لإلحادهم. (المؤلّف)

فيخبط الجوّ ويعكّر الصفو. فقصارى ما فيه أنّ أبا ذر وجد معاوية متذرّعاً بهذه التسمية إلى الحيف في أموال المسلمين والتقلّب فيها على حسب الميول والشهوات بإيهام أنّ المال مال الله، فهو مباح لعبيده يتصرّف كلّ منهم فيه كيف شاء ويتملّك منه ما شاء كالمباحات الأصليّة، فأراد أبو ذر أن يدحر حجّته الداحضة ورأيه الضئيل بأنّ المال للمسلمين كافّة بأمر من مالكه الأصليّ جلّت آلاؤه، فليس لأحد أن يستبدّ بشيء منه دونهم، ويستغلّه بحرمانهم واكتناز الذهب والفضّة، وفيهم أمسّ الحاجة إلى مقدّراتهم.

ويُعرب عن رأي معاوية ما جرى بينه وبين صعصعة بن صوحان، رواه المسعودي في مروج الذهب[1] (٧٩/٢) من طريق إبراهيم بن عقيل البصري، قال: قال معاوية يوماً وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب عليّ وعنده وجوه الناس: الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي، فقال صعصعة:

تمنّيك نفسك ما لا يكو ... ن جهلاً معاويُ لا تأثم

فهذا الحوار بين أبي ذر ومعاوية في منتأى عن إثبات المالكيّة ونفيها، وليس فيه إلى المبدأ الاشتراكيّ أيّ طرف رامق، وتُعرب عن رأي معاوية خطبة الأرحبي المذكورة (ص ٣٤٤).

ومن كلمات أبي ذر قوله لمعاوية لمّا بعث إليه بثلاثمئة دينار: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها. ٢٥٠/٨

فإنّك تشهد هاهنا أبا ذر يقسّم المال إلى العطاء المفترض الذي منع منه عامه ذلك ـ لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ـ وإلى المال المملوك الذي يُخرج منه الصلة

---

(١) مروج الذهب: ٥٣/٣.

بطوع من صاحبه ورغبة، فإنّ الصلة من المروءات وهي لا تكون إلّا من خالص مال الرجل، ومن غير الحقوق الإلهيّة، ومن غير الأموال المسروقة، فأين هو عن إلغاء الملكيّة الذي هو الحجر الأساسي للاشتراكيّين؟ على أنّه ليس عندهم صلة ولا غيرها من حقوق الإنسانيّة، وإنّما هي عندهم أُجور على قيم أعمال الرعيّة.

رواياته في الأموال:

وأمّا ما رواه أبو ذر في باب الأموال عن رسول الله ﷺ فينادي بما لا يلائم الاشتراكيّة قطّ، وإليك جملة منه:

١ ـ «ما من مسلم ينفق من كلّ مال له زوجين في سبيل الله عزّ وجلّ إلّا استقبلته حجبة الجنّة كلّهم يدعوه إلى ما عنده». قلت: وكيف ذلك؟ قال ﷺ: «إن كانت رجالاً فرجلين، وإن كانت إبلاً فبعيرين، وإن كانت بقراً فبقرتين».

وفي لفظ: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنّة»[(١)].

ففيه إثبات المال لكلّ إنسان بالرغم من المبدأ الاشتراكيّ، والترغيب بالتطوّع بالإنفاق في سبيل الله من كلّ نوع زوجين.

٢ ـ «في الإبل صدقتها، وفي الغنم صدقتها، وفي البقر صدقتها، وفي البرّ صدقته».

٣ ـ «ما من رجل يموت فيترك غنماً أو إبلاً أو بقراً لم يؤدّ زكاته إلّا جاءت يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمن حتى تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها».

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٥/١٥١، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٤ [٦/١٨٧ ح٢٠٨٣٤، ص١٩٠ ح٢٠٨٥١، ص١٩٩ ح٢٠٩٠٤، ص٢٠٦ ح٢٠٩٤٢]. (المؤلّف)

وفي لفظ: «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدّي زكاتها إلّا جاءت يوم القيامة ...» الحديث[١].

فهي تثبت الماليّة وأنّه لا فريضة على الإنسان في ماله غير الزكاة، وهي من بعضها، وأنّ الباقي لصاحبه، رضي الاشتراكيّ أو غضب. ٣٥١/٨

وأمّا ما وقع له مع كعب الأحبار في مشهد عثمان ـ وهو من عمدة ما تشبّث به المتحاملون على أبي ذر وقاذفوه ـ ممّا أخرجه الطبري بإسناده الواهي عن السريّ الكذّاب الوضّاع، عن شعيب المجهول الذي لا يعرف، عن سيف بن عمر الوضّاع المتّهم بالزندقة الذين عرفت حالهم في صفحة (٣٢٦ ـ ٣٢٧) من طريق ابن عبّاس قال: كان أبو ذر يختلف من الربذة إلى المدينة مخافة الأعرابيّة، وكان يحبّ الوحدة والخلوة، فدخل على عثمان وعنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكفّ الأذى حتى يبذلوا المعروف، وقد ينبغي لمؤدّي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات. فقال كعب: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه. فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجّه، فاستوهبه عثمان فوهبه له وقال: يا أبا ذر اتّق الله واكفف يدك ولسانك. وقد كان قال له: يابن اليهوديّة ما أنت وما هاهنا؟ والله لتسمعنّ منّي أو لأدخل عليك[٢].

ومرّ (ص٢٩٥) في لفظ المسعودي[٣]: أنّ أبا ذر حضر مجلس عثمان ذات يوم، فقال عثمان: أرأيتم من زكّى ماله هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين،

---

(١) مسند أحمد: ١٥٢/٥، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٩ [١٨٩/٦ ح٢٠٨٤٤، ص١٩٧ ح٢٠٨٩٢، ص٢١٤ ح٢٠٩٨٠، ص٢٢٨ ح٢١٠٤٧]، الأموال لأبي عبيد: ص٣٥٥ [ص٤٤٣ ح٩٢٢]، سنن ابن ماجه: ٥٤٤/١ [٥٦٩/١ ح١٧٨٥]. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الطبري: ٦٧/٥ [٢٨٤/٤ حوادث سنة ٣٠هـ]. (المؤلّف)

(٣) مروج الذهب: ٣٥٧/٢.

فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يابن اليهوديّ ثم تلا: ﴿ لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ والنَّبِيِّينَ وَآتى آلمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي القُربى وَاليَتامى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عَاهَدُوا﴾ ، الآية[١]. فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أُمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يابن اليهوديّ ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي! غيّب وجهك عنّي فقد آذيتني. فخرج أبو ذر إلى الشام[٢].

٣٥٢/٨ فإنّما دعا أبو ذر في هذه الواقعة إلى العطاء المندوب المدلول عليه بقوله: ـ ينبغي ـ الوارد في رواية الطبري، وبالآية الكريمة الواردة في حديث المسعودي: وهو من واجبات البشريّة وفروض الإنسانيّة التي ضيّعتها الشيوعيّة الممقوتة، والأحاديث المرغّبة لكلّ ممّا ذكر أبو ذر أكثر من أن تحصى.

جاء من طريق فاطمة بنت قيس عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ في المال حقّاً سوى الزكاة» ثمّ قرأ: ﴿ لَيسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ ﴾ . الآية المذكورة. وروى بيان وإسماعيل هذا الحديث عن الشعبي.

أخرجه[٣] ابن أبي حاتم، والترمذي، وابن ماجه، وابن عدي، وابن مردويه، والدارقطني، وابن جرير، وابن المنذر.

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) هذه القضيّة كما ترى وقعت قبل إخراج أبي ذر إلى الشام وهي السبب الوحيد في نفيه إليها، فهذا اللفظ يكذّب ما في رواية الطبري من أنّ أبا ذر كان يختلف من الربذة إلى المدينة... إلخ. ولم يختلف اثنان في أنّ أباذر في مدّة نفيه إلى الربذة لم يأتِ قطّ إلى المدينة كما مرّ في: ص٣٢٣. (المؤلّف)

(٣) سنن الترمذي: ٤٨/٣ ح ٦٦٠، سنن ابن ماجه: ٥٧٠/١ ح ١٧٨٩. الكامل في ضعفاء الرجال: ١١/٤ رقم ٨٨٨، سنن الدارقطني: ١٢٥/٢ ح ١١، جامع البيان: مج ٢/ج ٩٦/٢.

راجع[١] سنن البيهقي (٨٤/٤)، أحكام القرآن للجصّاص (١٥٣/١)، تفسير القرطبي (٢٢٣/٢)، تفسير ابن كثير (٢٠٨/١)، شرح سنن ابن ماجه (٥٤٦/١) تفسير الشوكاني (١٥١/١)، تفسير الآلوسي (٤٧/٢).

وأخرج البخاري في الصحيح[٢] في كتاب الزكاة (٢٩/٣) من طريق أنس قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبّ أمواله إليه بيرحاء[٣] وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيّب. قال أنس: فلمّا أنزلت هذه الآية: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾. وإنّ أحبّ أموالي إليّ بيرحاء، وإنّها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإنّي أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه.

وأخرجه[٤] مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي مختصراً.

وأخرج أبو عبيد في الأموال[٥] (ص٣٥٨) من طريق ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ: ماذا ينفقون؟ فنزلت: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم**

---

(١) أحكام القرآن: ١٣١/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/٢، فتح القدير: ١٧٤/١.

(٢) صحيح البخاري: ٥٣٠/٢ ح١٣٩٢.

(٣) بيرحاء ـ بفتح الموحّدة والراء المهملة ـ: موضع بقرب المسجد بالمدينة يعرف بقصر بني جديلة [معجم البلدان: ٥٢٤/١]. **(المؤلّف)**

(٤) صحيح مسلم: ٣٨٨/٢ ح٤٢ كتاب الزكاة، سنن الترمذي: ٢٠٩/٥ ح٢٩٩٧، السنن الكبرى: ٣١١/٦ ح١١٠٦٦.

(٥) الأموال: ص٤٤٦ ح٩٣٣.

٣٥٣/٨ مِنْ خَيرٍ فَلِلْوَالِدَينِ / وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَىٰ وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ ﴾[١]. قال: فتلك التطوّع والزكاة سوى ذلك.

وقال أبو عبيد في الأموال[٢] (ص٣٥٨): إنّ هذا مذهب[٣] ابن عمر وأبي هريرة. وأصحاب رسول الله أعلم بتأويل القرآن وأولى بالاتّباع، و[هو][٤] مذهب طاووس، والشعبي أنّ في المال حقوقاً سوى الزكاة مثل برّ الوالدين، وصلة الرحم، وقرى الضيف، مع ما جاء في المواشي من الحقوق.

وفي الأموال[٥] (ص٣٥٧) من طريق أبي حمزة قال: قلت للشعبي: إذا أدّيت زكاة مالي أيطيب لي مالي؟ قال: فقرأ عليّ هذه الآية: ﴿ لَيسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ ﴾ إلى آخر الآية المذكورة.

فنداء أبي ذر في موقفه هذا نداء القرآن الكريم ونداء المشرّع الأعظم ونداء تابعيهما من الصحابة والتابعين، ولا يردّ ذلك إلّا مثل كعب الأحبار الذي هو حديث عهد باليهوديّة، وقد اعتنق الإسلام أمس، على حين أنّه لم يسلم طيلة عهد النبوّة وإنّما سالم على عهد عمر، ولا أدري هل حدته إلى ذلك الحقيقة؟ أو الفَرَق من بطش المسلمين وشوكتهم؟ أو الطمع في العطاء الجاري؟ ولا أدري أيضاً أنّه في مدّة إسلامه القصيرة هل أحاط خبراً بنواميس الإسلام وفروضه وسننه أو لا؟ ولا أحسب، كما أوعز إليه أبو ذر الناظر إليه من كثب، حيث قال له: يابن اليهوديّة ما أنت وما هاهنا؟ وكان من حقّه أن يؤدّب بالمحجن كما فعله سيّد غفار ـ ساء الخليفة أم سرّه ـ

---

(١) البقرة: ٢١٥.

(٢) الأموال: ص٤٤٦ ح٩٣١.

(٣) في المصدر: فهذا غير مذهب...

(٤) من المصدر.

(٥) المصدر السابق: ص٤٤٦ ح٩٢٩.

لأنّه لم يكن أهلاً للفتيا، فأفتى تجاه عالم من علماء الصحابة الذي ملء إهابه العلم بالكتاب والسنّة، وحشو ردائه الفروض والسنن، ولا يُفرغ إلّا عن رسول الله ﷺ: «ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق وأوفى من أبي ذر».

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

وإثبات العطاء مندوباً ومفترضاً فرع إثبات الماليّة للأشخاص، ولا تتّفق معه الشيوعيّة بحال، وأين يقع أبو ذر منها؟

٤ ـ «ثلاثة يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغنيّ الظلوم».

وفي لفظ: «إنّ الله يبغض الشيخ الزاني، والفقير المختال، والمكثر البخيل».

وفي لفظ: «إنّ الله لا يحبّ كلّ مختال فخور، والبخيل المنّان، والتاجر ٣٥٤/٨
الحلّاف»[2].

في هذه الروايات ذكر اختلاف طبقات الناس وحدودهم بما يملكون، ففقير وغنيّ، ومكثر وتاجر تتقوّم تجارته برأس ماله، والاشتراكيّ يرى أنّ الناس شرع سواء بالنسبة إلى الأموال.

٥ ـ قلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر يصلّون ويصومون ويحجّون.

---

(١) التوبة: ٧٩.

(٢) مسند أحمد: ١٥٣/٥، ١٧٦ [١٩٠/٦ ح٢٠٨٤٨ ـ ٢٠٨٤٩، ص٢٢٣ ح٢١٠٢٠]، وأخرجه أبوداود، وابن خزيمة في صحيحه [١٠٤/٤ ح٢٤٥٦]، والنسائي [في السنن الكبرى: ٢٦٩/٤ ح٧١٣٧]، والترمذي في باب كلام الحور العين وصحّحه [٦٠١/٤ ح٢٥٦٨]، وابن حبّان في صحيحه [١٣٦/٨ ح٣٣٤٩]، والحاكم [في المستدرك: ١٢٣/٢ ح٢٥٣٢] وصحّحه. راجع الترغيب والترهيب للمنذري: ٢٤٧/١، و ٢٣٠/٢، ٢٣٨ [٣٣/٢، ص٥٨٩، ص٦١٠].

(المؤلّف)

قال : « وأنتم تصلّون وتصومون وتحجّون » . قلت : يتصدّقون ولا نتصدّق .قال : « وأنت فيك صدقة : رفعك العظم عن الطريق صدقة ، وهدايتك الطريق صدقة ، وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة ، وبيانك عن الأرتم[1] صدقة ، ومباضعتك امرأتك صدقة » قال : قلت : يا رسول الله نأتي شهوتنا ونؤجر ؟ قال : « أرأيت لو جعلته في حرام أكان تأثم ؟ » . قال : قلت : نعم . قال : « فتحتسبون بالشرّ ، ولا تحتسبون بالخير ؟ » .

وفي لفظ : قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأُجور ، يصلّون كما نصلّي ويصومون كما نصوم ويتصدّقون بفضول أموالهم ، قال : فقال رسول الله : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصّدّقون ؟ إنّ بكلّ تسبيحة صدقة وبكلّ تحميدة صدقة » . الحديث .

وفي لفظ : قيل للنبيّ ﷺ : ذهب أهل الأموال بالأجر . فقال النبيّ ﷺ : « إنّ فيك صدقة كثيرة فاذكر فضل سمعك وفضل بصرك » . الحديث .

وفي لفظ : « على كلّ نفس في كلّ يوم طلعت فيه الشمس صدقة عنه على نفسه » . قلت يا رسول الله : من أين أتصدّق وليس لنا أموال ؟ قال : « لأنّ من أبواب الصدقة : التكبير ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، وأستغفر الله ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر ، وتهدي الأعمى ، وتُسمع الأصمّ والأبكم حتى يفقه ، وتدلّ المستدلّ على حاجة له وقد علمت مكانها ، وتسعى بشدّة ساقيك إلى اللهفان المستغيث ، وترفع بشدّة
٣٥٥/٨ ذراعيك مع الضعيف ، كلّ ذلك / من أبواب الصدقة منك على نفسك »[2] .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية : ١٩٤/٢ بعد روايته الحديث : كذا وقع في الرواية ، فإن كان محفوظاً فلعله من قولهم : رتمت الشيء إذا كسرته ، ويكون معناه معنى الأرَتّ ، وهو الذي لا يفصح الكلام ولا يصحّحه ولا يبينه .

(٢) مسند أحمد : ١٥٤/٥ ، ١٦٧ ، ١٧٨ [١٩١/٦ ح٢٠٨٥٦ ، ص ٢١٠ ح٢٠٩٥٨ ، ٢١١ ح٢٠٩٦٢ ، ٢١٢ ح٢٠٩٧٢ ص٢٢٦ ح٢١٠٣٨] ، صحيح مسلم : ٨٢/٣ [٣٩٣/٢ ح٥٣ كتاب الزكاة] ، سنن البيهقي : ١٨٨/٤ . (المؤلّف)

وفي هذه الأحاديث تقرير الأغنياء وأهل الدثور والأموال على أحوالهم المنوطة بالوفر المخصوص بهم واليسار الممنوح لهم وأنّه ليس منهم، وذكر الصدقة من فضول أموال المثرين، والتأسف على ما يفوت الفقراء من صدقاتهم بالأموال فرضاً وتطوّعاً، وأين يثبت الاشتراكيّ مالاً لأحد فيثبت له فضولاً؟ ومتى يرى في العالم غنيّاً غير غاصب؟ وأنّى يُبقي موضوعاً للصلات والصدقات وفروض الإنسانيّة؟ لكن روايات أبي ذر تثبت كلّ ذلك.

٦ ـ أمرني خليلي ﷺ بسبع: أمرني بحبّ المساكين والدنوّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي.

وفي لفظ: أوصاني حِبّي بخمس: أرحم المساكين وأجالسهم، وأنظر إلى من هو تحتي ولا أنظر إلى من هو فوقي[1] ....

وممّا لا غبار عليه أنّ المراد من الدون والتحت في الحديثين: من هو دونه في المال ليشكر الله سبحانه على تفضيله عليهم، ولا ينظر إلى من فوقه لئلّا يشغله الاستياء أو الحسد على تفضيل غيره عليه عن الذكر والشكر والنشاط في العبادة، وأمّا الأعمال والطاعات والملكات الفاضلة، فينبغي للإنسان أن ينظر إلى من هو فوقه فيها ليتنشّط على مثل عمله فيتحرّى شأوه، ولا ينظر إلى من هو دونه فيفتر عن العمل ويقعد عن اكتساب الفضائل والفواضل، وربّما داخله العجب.

ففي الحديثين إثبات الماليّة والتفاضل فيها بالرغم من المبدأ الشيوعيّ.

٧ ـ ليس من فرس عربيّ إلّا يؤذن له مع كلّ فجر يدعو بدعوتين يقول: اللّهمّ

---

(١) مسند أحمد: ١٥٩/٥، ١٧٣ [١٩٩/٦ ح٢٠٩٠٦، ص٢١٩ ح٢١٠٠٦]، حلية أبي نُعَيم: ١٦٠/١. (المؤلّف)

خوّلتني من خوّلتني من بني آدم، فاجعلني من أحبّ أهله وماله إليه. أو: أحبّ أهله وماله إليه[١].

نحن لا نحتجّ هنا بدعوة الفرس ورأيه، لكن بما أخبر رسول الله ﷺ من إلهام
٣٥٦/٨ الله سبحانه إيّاه أنّه يدعو بتلك الدعوة وفيها إثبات التحويل والماليّة وإن ازورّ عنها الشيوعيّ.

هذه جملة من روايات أبي ذر الصدوق المصدّق تضادّ بنصّها ما اتّهم به من المبدأ الممقوت، وإن هي إلّا نداء القرآن الكريم وما صدع به الرسول الأمين.

﴿ الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولٰئِكَ هُم أُولُوا الألْبَاب ﴾[٢]

﴿ فأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِهِ ﴾[٣]

نظرة في الكلمات الواردة في إطراء أبي ذر

هل تلائم ما اتّهم به؟

٣٥٧/٨ أمّا ثناء الصحابة عليه بعد نفيه ودأبه على ما هتف به فحسبك من ذلك قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّك غضبت لله فارجُ من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك» إلى آخر ما مرّ في صفحة (ص ٣٠٠).

صدرت هذه الكلمة الذهبيّة من الإمام عليه السلام في منصرم ما صعّد به أبو ذر وصوّب، فليس له بعد هذا إلّا طفائف سمعها منه من زاره بالمنفى ـ الربذة ـ فلم يكن

---

(١) مسند أحمد: ٥/١٧٠ [٦/٢١٥ ح٢٠٩٨٦]. (المؤلّف)

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) آل عمران: ٧.

لهـا شأن كبير، وفي الكلمة صراحة بأنّ غضب أبي ذر كان لله فعليه أن يرجو مـن غضب له، وهو فرع رضا الله سبحانه على ماناء به ودعا إليه، وأنّ ما لهج بـه ممّـا أغضب القوم كانت كلمة دينيّة محضة تجاه الدنيويّة المحضة التي خافها أبو ذر على دينه وخافها القوم على دنياهم، فامتحنوه بالقلى ونفوه إلى الفلا، وأنّه هو الرابح غداً، وإنّما القوم حاسدوه، وأيّ من هذه تلتئم مع الشيوعيّة التي هي مادّية محضة ليس بـينها وبين مرضاة الله تعالى أيّ صلة؟

أتحسب أنّ مولانا أمير المؤمنين ﷺ أطرى أبا ذر بهذا الإطراء البالغ ويقول في كلمته الأخرى لعثمان: «اتّـق الله سـيّرت رجـلاً صـالحاً مـن المسـلمين فـهلك في تسييرك»، فيراه صالحاً ويرى هلاكه في ذلك التسيير حوباً لا يصدر من المتّقي، إنّه أطراه وهو غير مستشفّ لنظريّته؟ ولا عارف بنفسيّته وهو كروحه التي بين جنبيه؟ أو أنّه يوافقه على المذهب الشيوعيّ؟ أو أنّه يراغم أعداءه مع حيطته بباطله؟ وقد قال لعثمان ـوهو الصادق الأمين ـ: والله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقّه. وأيّ حقّ للشيوعيّ مُتحرّي الفساد في الجامعة وباخس حقوق الأُمّة؟ وإنّما الحقّ للمؤمن الكامل في نفسه، المحقّ في دعائه، الصالح في رأيه.

وهناك ما هو أصرح من ذلك في كون أبي ذر محقّاً وأنّ نظريّة من خالفه من الباطل المحض، وهو قول الإمام في ذيل كلمته في توديع أبي ذر: «يا أبا ذر لا يؤنسنّك إلّا / الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل». وأيّ اشتراكيّ يكون هكذا؟ نعوذ بالله من السفاسف. ٣٥٨/٨

أضف إلى كلمة الإمام قول ولده الإمام الزكيّ السبط المجتبى أبي محمد الحسن لأبي ذر: «قد أتى من القوم إليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكّر فراغها، واصبر حتى تلقى نبيّك وهو عنك راض». راجع (ص ٣٠١).

فترى الإمام المعصوم يتذمّر ممّا أصاب أبا ذر من القوم، ويأمره بالصبر المقابل

بالأجر الجزيل، وأنّه سيلق رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وهل تجد توفيقاً بين [رضا][1] الرسول ومعتقد الإمام المجتبى وبين الشيوعيّة؟ ذلك المعول الهدّام لأساس دين المصطفى وسنّة الله التي لن تجد لها تحويلاً.

وأشفع الكلمتين بقول الإمام السبط الشهيد أبي عبدالله لأبي ذر: «قد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك؛ فاسأل الله الصبر والنصر».

وهذه الكلمة لدة كلمات أبيه وأخيه ـ صلوات الله عليهم ـ في المصارحة بأنّ دعوة أبي ذر كانت دينيّة ولم يكن فيها أيّ شذوذ، ودعوة مناوئيه دنيويّة، والمرجع في الإفراج عنه إزاء ما انتابه من المحن هو الله، لرضاه سبحانه بدعوة المنكوب وسخطه على من نال منه؛ ولا يحسب عاقل أنّ شيئاً من ذلك يلتئم مع الاشتراكيّة المقوتة.

وبعد تلكم الكلمات الذهبيّة خطاب عمّار بن ياسر أبا ذر بقوله: لا آنس الله من أوحشك ولا آمن من أخافك، والله لو أردت دنياهم لآمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك.

أيجوز لمسلم عاديّ فضلاً عن مثل عمّار الذي لا يفارق الحقّ ولا يفارقه نصّاً من النبيّ الكريم أن يدعو على أُناس نكبوا بعائث في المجتمع الدينيّ مقلق فيهم السلام بذلك الدعاء المجهد؟ ويحكم عليهم بأنّهم أهل دنيا غرّتهم الأمانيّ، وأنّ أعمالهم غير مرضيّة، وأنّهم خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين؟

يدعو عليهم بذلك في مشهد إمام معصوم خشن في ذات الله كمولانا أمير المؤمنين وشبليه السبطين الحسنين ثمّ لا ينكر ذلك عليه أحد منهم. إنّ هذا لا يكون.

وإنّ مشايعة القوم لأبي ذر قبل هذه الكلمات كلّها مع العلم بنهي الخليفة عنها إشادة بأمره؛ وتصديق لمقاله، والإمام يرى أنّ النهي عن مشايعته معصية أو أنّه

---

(١) ساقط من الطبعة الثانية.

خلاف / الحقّ لا يُتّبع كما قاله لعثمان[١] ولا يجتمع شيء من ذلك مع ما قذفوه به من الطامّة الكبرى. ٣٥٩/٨

كانت الصحابة كلّهم المهاجرون منهم والأنصار ينقمون ما نيل به أبو ذر من النفي والتعذيب، وكان قيل النقمة بين شفاههم، وفي طيّات قلوبهم، وأسطر خطاباتهم، يوم التجمهر ويوم الدار، وكانت إحدى العلل المعدّة لما جرى هنالك من مغبّات الأعمال، فلم تكن الغضبة عمّن ذكرنا أسماءهم بدعاً من جمهرة الأصحاب، غير أنّ منهم من صبّها في بوتقة الإطراء لأبي ذر؛ ومنهم من أفرغها في قالب العيب على من نال منه، ولهم هنالك لهجات مختلفة في الصورة متّحدة في المآل، ولذلك عدّ المؤرّخون ممّا أنكر الصحابة من سيرة عثمان تسييره أبا ذر. وقال البلاذري: قد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمّار، فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر[٢].

وهذه النقمة العامّة المنبعثة عن مودّة القوم لأبي ذر مودّة خالصة دينيّة وإخاء في الإيمان وولاء في الطريقة المثلى. كلّ ذلك أخذاً بما وعوه عن رسول الله ﷺ في أبي ذر وهديه وسمته ونسكه وتقواه وإيمانه وصدقه لا تلتئم مع شيء ممّا قذفوا به أبا ذر من الشيوعيّة، أو تقول: إنّ الصحابة كلّهم شيوعيّون؟ أعوذ بالله من الفرية الشائنة. ولو كان أبو ذر شيوعيّاً كان في الحقّ نفيه عن أديم الأرض لا عن المدينة فحسب، وكان من واجب الصحابة أن يرضوا بذلك الحكم البات. قال الله تعالى: **﴿إنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسعَوْنَ فِي الأَرضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا**

---

(١) راجع صفحة: ٢٩٧ و ٣٠٢. **(المؤلّف)**

(٢) أنساب البلاذري: ٢٦/٥، تاريخ اليعقوبي: ١٥٠/٢ [١٧٠/٢ ـ ١٧١]، مروج الذهب: ٤٣٨/١، ٤٤١ [٣٥٦/٢، ٣٦٢]، الرياض النضرة: ١٢٤/٢ [٧٣/٣ ـ ٧٥]، تاريخ ابن خلدون: ٣٨٥/٢ [٥٨٧/٢]، الصواعق: ص٦٨ [ص ١١٤]، تاريخ الخميس: ٢٦١/٢ [٢٦٨/٢]. **(المؤلّف)**

أو تُقَطَّعَ أيدِيهِم وَأرجُلُهُم مِن خِلَافٍ أو يُنفَوا مِنَ الأرضِ ذَلِكَ لَهُم خَزيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وأيّ فساد في الأرض أعظم من هذا المبدأ التعيس المضادّ للكتاب والسنّة؟ وفي الكتاب الكريم قوله سبحانه: ﴿ أهُم يَقسِمُونَ رَحمَةَ رَبِّكَ نَحنُ

٣٦٠/٨ قَسَمنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم / فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَرَفَعنَا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم بَعضاً سُخرِيّاً وَرَحمَةُ رَبِّكَ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ ﴾[2]. وأما السنّة الشريفة فحدّث عنها في باب الأموال والاختصاص فيها وتقرير ميسرة الأغنياء ولا حرج. وبذلك كلّه تقوم دعائم المدنيّة، وتشاد علالي الحضارة الراقية.

ثناء النبيّ ﷺ عليه وعهده إليه:

أمّا ما أُثر عن نبيّ الإسلام من ذلك فقد قدّمنا شطراً منه في صفحة (٣١٢ ـ ٣١٩) ولا منتدح من أن نقول: إنّ نبيّ العظمة كان جدّ عليم بواسع علم النبوّة بما سوف ينوء به أبو ذر في خواتيم أيّامه بأقوال وأعمال تبهظ مناوئيه، وكان يعلم أيضاً أنّ أُمّته سيتّخذون كلّ ما لهج به أصولاً متّبعة. فلو كان يعلم في أبي ذر شذوذاً لما أغرى الأُمّة بموافقته بتلكم الكلم الدرّية، على أنّه ﷺ عهد إليه وأخبره أنّ ما يصيبه من الكوارث من جرّاء ما يدعو إليه في الله وبعينه؛ فلا يعقل أن يكون في رأيه شذوذ عن طريقة الدين، بل كان من واجبه ﷺ أن يُنبّهه على خطئه في الرأي وغلطه في الدعوة، فإذ لم يفعل وأشفع ذلك بثنائه البالغ عليه وعهده إليه علمنا أنّ أبا ذر هو ذلك البرّ التقيّ، ورجل الإصلاح، ومثال العطف والحنوّ على ضعفاء الأُمّة، وطالب الخير والسعادة لأقويائها، ولقد تحمّل الشدائد لينقذ المكبّين على الدنيا من مغبّة العمل السيّئ، وليسعد آخرين برغد العيش وبُلهنية الحياة، موصولة حلقات حياتهم الدنيا بدرجات الآخرة العليا، لكن جهلوه وجهلوا أمره وجهلوا حقّه،

---

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) الزخرف: ٣٢.

وأضاعوه وأيّ فتىً أضاعوا؟ وأضاعوا فيه وصيّة نبيّه ﷺ وناوأه قوم ليسوا له بأكفاء.

ولو أنّي بُليت بهاشميٍّ خؤولته بنو عبد المدانِ
لهان عليَّ ما ألقىٰ ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[1]

نظرة في مقال

أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر

٣٦١/٨ جاء في جريدة الوقت المصريّة العدد الثاني لسنتها الأُولى الموافقة سنة (١٣٦٧) ما نصّه:

لجنة الفتوى بالأزهر تقول: لا شيوعيّة في الإسلام.

عن الأهرام الغرّاء

كانت وزارة الداخليّة قد أحالت إلى فضيلة الأُستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كتاباً تناول فيه مؤلّفه مذهب العالم الصحابيّ أبي ذر الغفاريّ غفر الله له، وخلص من بحثه إلى القول بوجود الشيوعيّة في الإسلام، وذلك لكي تعرف الوزارة رأي الدين في ذلك، وما إذا كان هذا الكتاب يمكن تداوله. وقد أحال فضيلة الأُستاذ الأكبر هذا الموضوع إلى لجنة الفتوى في الأزهر، فاجتمعت برئاسة فضيلة الأُستاذ الشيخ عبد المجيد سليم المفتي السابق ورئيس هذه اللجنة، وبحثت موضوع الكتاب بحثاً مستفيضاً، ثمّ أصدرت فيه فتواها وقد تلقّت وزارة الداخليّة هذه الفتوى من فضيلة الأُستاذ الأكبر. وهذا نصّها بعد الديباجة:

---

(١) الصف: ١٤.

لا شيوعيّة في الإسلام

إنّ من مبادئ الدين الإسلاميّ احترام الملكيّة، وإنّ لكلّ امرئٍ أن يتّخذ من الوسائل والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته ما يحبّه ويستطيعه ويتملّك بهذه السبل ما يشاء، هذا وقد ذهب جمهور من الصحابة وغيرهم من الفقهاء المجتهدين إلى أنّه لا يجب في مال الأغنياء إلّا ما أوجبه الله من الزكاة والخراج والنفقات الواجبة بسبب الزوجيّة أو القرابة، وما يكون لعوارض موقّتة وأسباب خاصّة كإغاثة ملهوف وإطعام جائع مضطرّ، وكالكفّارات وما يتّخذ من العدّة للدفاع عن الأوطان وحفظ النظام إذا كان ما في بيت مال المسلمين لا يكفي لهذا، ولسائر المصالح العامّة المشروعة كما هو مفصّل في كتب التفسير وشروح السنّة وكتب الفقه الإسلاميّ. هذا هو الواجب. غير أنّ الإسلام يدعو كلّ قادر من المسلمين أن يتطوّع بما شاء من ماله
٣٦٢/٨ يصرفه في وجوه البرّ / والخير مع عدم الإسراف والتبذير في ذلك كما قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَجعَلْ يَدَكَ مَغلُولَةً إلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبسُطْهَا كُلَّ البَسطِ فتَقعُدَ مَلُوماً مَحسُوراً﴾**[1] وكما قال عزّ وجلّ في وصف عباده الذين أثنى عليهم: **﴿وَالَّذِينَ إذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسرِفُوا وَلَمْ يَقتُرُوا وَكَانَ بَينَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**[2] وكما تدلّ عليه السنّة في أحاديث كثيرة. وذهب أبو ذر الغفاري ﷺ إلى أنّه يجب على كلّ شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من مال مجموع عنده ـ في سبيل الله ـ أي في سبيل البرّ والخير، وأنّه يحرم ادّخار ما زاد عن حاجته ونفقته ونفقة عياله.

هذا هو مذهب أبي ذر ولا يُعلم أنّ أحداً من الصحابة وافقه عليه. وقد تكفّل كثير من علماء المسلمين بردّ مذهبه وتصويب ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين

---

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) الفرقان: ٦٧.

بما لا مجال للشكّ معه في أنّ أبا ذر ﷺ مخطئ في هذا الرأي. والحقّ أنّ هذا مذهب غريب من صحابيّ جليل كأبي ذر، وذلك لبعده عن مبادئ الإسلام وعمّا هو الحقّ الظاهر الواضح، ولذلك استنكره الناس في زمنه واستغربوه منه.

قال الآلوسي في تفسيره[1] بعدما بيّن مذهبه ما نصّه: وكثر المعترضون على أبي ذر في دعواه تلك، وكان الناس يقرأون له آية المواريث ويقولون: لو وجب إنفاق كلّ المال لم يكن للآية وجه. وكانوا يجتمعون عليه مزدحمين حيث حلّ مستغربين منه ذلك. انتهى.

ومن هذا يتبيّن أنّ هذا الرأي خطأ وصاحبه مجتهد مخطئ مغفور له خطؤه بل مأجور على اجتهاده، ولكنّه لا يُتابع فيما أخطأ فيه بعد تبيين أنّه خطأ لا يتّفق هو وما يدلّ عليه كتاب الله وسنّة رسوله وقواعد الدين الإسلاميّ.

ولمّا كان مذهبه داعياً إلى الإخلال بالنظام والفتنة بين الناس طلب معاوية والي الشام من الخليفة عثمان ﷺ أن يستدعيه إلى المدينة -وكان أبو ذر وقتئذٍ في الشام- فاستدعاه الخليفة، فأخذ أبو ذر يقرّر مذهبه ويفتي به ويذيعه بين الناس، فطلب منه عثمان أن يقيم بجهة بعيدة عن الناس، فأقام بالربذة -مكان بين مكة والمدينة.

وقال ابن كثير في تفسيره[2]: كان من مذهب أبي ذر ﷺ تحريم ادّخار ما زاد على نفقة العيال. وكان يفتي بذلك ويحثّهم عليه ويأمرهم به ويغلظ في خلافه، فنهاه معاوية فلم ينته، فخشي أن يضرّ بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى عثمان وأن يأخذه إليه، فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأنزله بالربذة وحده، وبها مات ﷺ في خلافة عثمان.

---

(١) روح المعاني: ٨٧/١٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٢.

٣٦٣/٨ وجاء في فتح الباري[1] للحافظ ابن حجر ما خلاصته : أنّ دفع المفسدة مقدّم على جلب المصلحة، ولذلك أمر عثمان أبا ذر أن يقيم بالربذة مع أنّ في بقائه بالمدينة مصلحة كبيرة لطالبي العلم لما في بقائه بالمدينة من مفسدة تترتّب على نشر مذهبه.

وممّا ذكرنا يتبيّن أنّ ما في هذا الكتاب ـ الشيوعيّة في الإسلام ـ لا يتّفق هو ومبادئ الإسلام وقواعده. كما يتبيّن أنه لا شيوعيّة في الإسلام بالمعنى الذي يفهمه الناس، والذي صرّح به صاحب هذا الكتاب وسمّاه شيوعيّة الإسلام، ومن أجل هذا نرى ألّا يذاع مثل هذا الكتاب بين الناس لئلّا يتّخذها المفسدون في الأرض الهدّامون للنظم الصالحة ذريعة للإخلال بالنظام وإفساد عقول ضعفاء الإيمان والجاهلين بمبادئ الإسلام.

قال الأميني: إنّ وزارة الداخليّة أو شيخ الأزهر لو أحال كلّ منهما النظر في هذه المهمّة إلى لجنة عارفة بحال أبي ذر، واقفة على مقاله، مطّلعة على كتب الحديث والسير والتفاسير، بصيرة بما فيها من الغثّ والسمين خالية عن الأغراض، بعيدة عن النعرات الطائفيّة، لحكمت بما هو الحقّ الصراح، وعرفت أنّ ما دعا إليه أبو ذر لم يكن خارجاً عمّا سردته هي في مفتتح مقالها من اعتبار المالكيّة لكلّ إنسان، وما يجب عليه إنفاقه من المال، وما يتطوّع به الرجل من النفقات، وقد أوقفناك قبل هذا على كلّ ذلك، وأنّ هياجه لم يكن موجّهاً إلّا إلى أناس معلومين كانوا يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقون منها في سبيل الله، ويحرمون الأُمّة من منافعها المفروضة لها فضلاً عن المندوب إليها والمرغّب فيها. وبذلك كلّه تعرف أن ما عزت إليه اللجنة الحاكمة ـ من غير بصيرة ـ من وجوب إنفاق ما فضل من المال على حاجة الإنسان ونفقته ونفقة عياله زور من القول، وفند[2] من الرأي، وليتها أشارت إلى مصدر ما ادّعته من

---

(١) فتح الباري: ٣/٢٧٥.

(٢) الفند: الكذب، والمحرّف من الكلام.

مذهب أبي ذر الذي حسبته مخالفاً لجمهور الصحابة والتابعين، وقد أسلفنا لك جملة ممّا أثر عنه في ذلك، وليس في شيء منه أيّ دلالة على ما ادّعته من العزو المختلق، وليتها بيّنت العلماء الذين تصدّوا لنقض مذهب أبي ذر، وأشارت إلى ما جاءوا به في تدعيم حجّتهم، ولعلّها أرادت بهم المؤرّخ محمد الخضري، وأحمد أمين، وصادق إبراهيم عرجون، وعمر أبي نصر، ومحمد أحمد جاد المولى بك، وعبد الحميد بك العبادي، وأمثالهم من المحدثين / المتسرّعين الذين مُنيت بهم البلاد والعباد. ٣٦٤/٨

وأسلفنا لك أيضاً قول عظماء الصحابة في أبي ذر وموافقتهم له على حقيقة رأيه، واستيائهم لما نكب به من جرّاء ذلك، وإجماع صلحائهم على أنّ ما جاء به كان رأياً صحيحاً دينيّاً محضاً مستفاداً من الكتاب والسنّة.

وعجيب استغرابها مذهب أبي ذر وهي لا تعرفه، وأعجب منه اعتذارها له ببعده عن مبادئ الإسلام وعمّا هو الحقّ الظاهر الواضح مع قولها باجتهاد أبي ذر، أيّ اجتهاد هذا من عيلم أخذ المبادئ من مشرّعها يبعد حامله عن مبادئ الإسلام وعمّا هو الحقّ الظاهر الواضح؟ نعم؛ كم وكم عند القوم من المجتهدين البعيدة آراؤهم عن مبادئ الإسلام كابن ملجم قاتل الإمام أمير المؤمنين، وأبي الغادية قاتل عمّار، وابني هند والنابغة قائدي الفئة الباغية، وأمثالهم[1] لكن شتّان بين هؤلاء وسيّد غفار!

أوَليس ممّا يُضحك الثكلى ويبكي كلّ مسلم أن يُحسب أنّ مذهب أبي ذر بعيد عن مبادئ الإسلام وعمّا هو الحقّ الظاهر الواضح؟ وهو الذي لم يعبد الصنم قبل إسلامه وصلّى سنين قبل المبعث الشريف مولّياً وجهه إلى الله وهو محسن، وهو ربع الإسلام ورابع المسلمين، وقد طوى جُلّ سنيّه على عهد النبوّة في صحبة الرسول الأعظم ولم يفتأ متعلّماً منه، مصيخاً إلى كلّ ما يدعو إليه ويهتف به، فتنتقش كلّ تلكم

(١) ممّن أسلفنا ذكرهم في الجزء السابع: ص ١٠٥، ١٠٦. (المؤلّف)

المثل العليا في نفسه كما تنتقش الصور في المرآة الصافية، بل تثبت فيها كما تثبت في العدسة اللاقطة.

كان ﷺ يدنيه دون الصحابة إذا حضر ويتفقّده إذا غاب، وكان شحيحاً على دينه حريصاً على العلم، وقد سأل رسول الله ﷺ عن كلّ شيء حتى عن مسّ الحصى في الصلاة، وقد صبّ ﷺ في صدره ما صبّه جبريل وميكائيل في صدره ﷺ، وعرّفه ﷺ لأمته بأنّه شبيه عيسى هدياً وسمتاً ونسكاً وبرّاً وصدقاً وخلقاً وخُلقاً[١].

وما ظنّك برجل قال فيه باب مدينة علم النبيّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمّا
٣٦٥/٨ سُئل عنه: «وعاء ملئ علماً ثمّ أوكى[٢] عليه»[٣].

أوَليس من العجب العجاب أنّ من هو هكذا وهو في عهد النبوّة لم يزل في مدينة الرسول يتلقّى منه ﷺ كلّ إفاضاته، ويستقي من مستقى الوحي يكون مذهبه بعيداً عن مبادئ الإسلام وعمّا هو الحقّ الواضح، ويكون رأي كعب الأحبار اليهوديّ حديث العهد بالإسلام أو من بعده بعد لأي من عمر الدهر ـ وقد نمى وترعرع وشبّ وشاب في عاصمة الفراعنة يوم غشيت الحقائق ظلمات بعضها فوق بعض ـ قريباً منها، ويكون صاحبه عارفاً بها حاكماً على مثل أبي ذرّ بما حكم؟! كأنّ الحقائق الإسلاميّة نصب عينه دون سيّد غفّار، أو معلّقة على شحمة أُذنه يسمع رنّتها دون ذلك الصحابيّ العظيم!

هب أنّا تنازلنا للّجنة الحاكمة عن كلّ ما قلناه، ولكن هل يسعنا التغاضي عمّا جاء به الحفّاظ وأئمّة الحديث من طرق صحيحة عن نبيّ الإسلام ﷺ في إطراء

---

(١) راجع في كلّ ذلك صفحة: ٣١٢ ـ ٣١٦ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٢) يقال: أوكى القربة وأوكى عليها إذا شدها.

(٣) راجع: ص٣١١ من هذا الجزء. (المؤلّف)

الرجل والثناء عليه وإكباره وتقرير هديه وهداه مع عدم استثناء شيء من أطواره في أولياته أو أخرياته؟ وهو العارف بعلم النبوّة بكلّ ما ينهض به أبو ذر بعده، فهلّا بدر ﷺ إلى ردعه عمّا سينوء به بدل أمره إيّاه بالصبر على ما ينتابه من جرّاء ما قام به ودعا إليه؟ بدل عدّه ما أصابه من المحن ممّا هو لله وفيه؟ بدل إخباره بكلّ ما يجري عليه من النفي والجلاء مقصوراً على ذلك من غير ردع؟

ونسائل اللجنة الحاكمة عن الذين استنكروا مذهب أبي ذر واستغربوه منه من الصحابة أهُم من عليّة الصحابة أو من أذنابها؟ وبطبع الحال أنّها ستجيبنا أنّهم الحكم ابن أبي العاص، ومروان بن الحكم وأخوه الحارث بن الحكم، والوليد بن عقبة، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن خالد، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وإن شئت قلت حثالة من بني أُميّة البعداء عن مبادئ الإسلام وعمّا هو الحقّ الواضح، ومن حذا حذوهم في الإكباب على حطام الدنيا واكتناز المال من غير حلّه ممّن أقلقوا السلام، وجرّوا الويلات إلى خليفة الوقت، وحرموا ضعفاء الأُمّة عن حقوقهم، وولغوا في الدماء المحرّمة وأثاروها حروباً دامية، وألقحوها فتنة شعواء، فلم تزل عداءً محتدماً / تتلقّاها الأجيال من بعدهم حتى انتهت إلى عصرنا الحاضر، ٣٦٦/٨
وهو الذي حفز اللجنة الحاكمة على رميها القول على عواهنه، ولكن صافق أبا ذر على رأيه الصحيح الموافق لمبادئ الدين الإمام أبو السبطين وشبلاه الإمامان وصلحاء الأُمّة كلّهم ومن استاء لنكبات أبي ذر ونقم بها على خليفة الوقت.

حنّ قدح ليس منها[١]:

لقد جرّأ تقحّم هذه اللجنة الجائرة في حكمها جبران ملكون الصحافي

---

(١) مثل يُضَرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها، أو يتمدّح بما لا يوجد فيه. مجمع الأمثال: ٢٤١/١ رقم١٠١٨.

النصرانيّ صاحب جريدة الأخبار العراقيّة في سنتها العاشرة (١٣٦٨هـ) في عددها المتسلسل (٢٥٠٣) الصادر في جمادى الأولى، فطفق يرقص لما هنالك من مكاء وتصدية، والمسكين لا يعرف مبادئ الإسلام ولو عرفها لاتّبعها، ولا مبالغ رجالات المسلمين ولو عرفهم لنزّههم وذبّ عنهم، لكنّه حسب ما لفّقوه حقيقة راهنة وصبّها في بوتقة من القول هو أربى في إفادة ما حاولوه، غير أنّه يطفو عليه القوارص واللواذع قال:

لكن أبا ذر الغفاري يعتقد أنّه يتعيّن على كلّ فرد أن ينفق في سبيل الله كلّ ما يفيض عن حاجته وحاجة أُسرته، ولكن لم يُعرف أنّ أحداً من الصحابة شاطره هذا الرأي، وإنّما عارض الكثير من عقلاء المسلمين وحكمائهم في هذا المبدأ، فلا شكّ إذن في أنّ أبا ذر كان مخطئاً في رأيه، ولا ينبغي اتّباعه بعد أن ثبت أنّه خطأ، وأنّ رأيه لا يتّفق مع القرآن ولا السنّة ولا المبادئ الإسلاميّة وتعاليمها. انتهى.

ونحن هاهنا لا نعاتبه ولا نستعتبه، أمّا الأوّل فإنّ الرجل كما قلناه بعيد عن كلّ ما يجب أن يقرب منه في أمثال هذه المباحث حتى يتسنّى له الحكم الباتّ فيها، وإنّما أحسن ظنّه بأولئك المتقوّلين زاعماً أنّهم هم الأقرباء من المبادئ الإسلاميّة العرفاء بحقيقة ما حكموا به، ولو كان الأمر كما زعم لكان الحقّ معهم، وإن كان لنا أن نؤاخذه بأنّ مرحلة حسن الظنّ لا يكتفى بها في باب القضاء الحاسم على عظيم من عظماء الأُمّة، فكان من واجبه أن يستفرغ وسعه في تحقيق تلكم المزاعم وهو في عاصمة من عواصم الإسلام ـ بغداد ـ وبمطلع الأكمة منه عاصمة الدنيا في العلم والدين ـ النجف الأشرف ـ وفيها العلماء، والمؤلّفون، والمحقّقون، والجهابذة، وعباقرة الوقت في كلّ جيل، فكان من السهل عليه أن يستحفي الخبر هنالك أو هاهنا، ولهذا لسنا نستعتبه
٣٦٧/٨ لخروجه عن الطريقة المثلى في القضاء، ونحن نعدّ هذه وأمثالها سيّئة من سيّئات اللجنة الحاكمة وهي المؤاخذة بها. وكأنّي بها وهي تحسب أنّها تحسن صنعاً، وتبتهج بما نشرته من الحكم الساقط وقذف عظيم من عظماء الأُمّة بما تبرأ منه ساقة

المسلمين، وتراه دفاعاً عن بيضة الإسلام المقدّس، وكفاحاً للشيوعيّة الهدّامة، وردماً لثلمة أتت على الدين من ذلك المبدأ التعس، وكأنّها جاءت بقرني حمار[1] لمّا استشهدت على ما ارتأته بأقاويل أُناس زورٍ عن مواقف الحقّ والصدق.

شهود اللجنة:

لقد استشهدت اللجنة على ما أرادت بكلام الآلوسي وابني كثير وحجر، كأنّها لم تجد في أبي ذر كلاماً لغير هؤلاء من ناصبي العداوة لأهل البيت وشيعتهم، وما أذهلها ـ أو تذاهلت هي ـ عمّا قدّمناه من الكلمات فيه! وما كان أغناه عن الركون إلى هذه التافهات المختلقة المائنة! لكنّا نعذرها على ذلك لأنّها تتحرّى ما يدعم دعواها، وما أشرنا إليه من الكلمات السابقة تنقض تلكم الدعوى وتدحرها، ولذلك اقتصرت في النقل على بعض تلكم الكلم، وإنّما أسقطت البعض الآخر ممّا لفّقوه للتهافت الظاهر بينها، فكأنّها شعرت بذلك فحذفته، وهي تحسب أنّ البحّاثة لا تراجع تلك الكتب ولا تقف على تناقضها، أو أنّ الآراء لا مناقشة في حسابها، وليس وراءها محاسب ولو بعد حين، فنقول هاهنا: أمّا الآلوسي فإليك تمام كلامه في تفسيره (٨٧/١٠) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾:

أخذ بظاهر الآية فأوجب إنفاق جميع المال الفاضل عن الحاجة أبو ذر ﷺ، وجرى بينه لذلك وبين معاوية في الشام ما شكاه له إلى عثمان ﷺ في المدينة، فاستدعاه إليها فرآه مصرّاً على ذلك حتى إنّ كعب الأحبار قال له: يا أبا ذر إنّ الملّة الحنيفيّة أسهل الملل وأعدلها، وحيث لم يجب إنفاق كلّ المال في الملّة اليهوديّة وهي أضيق الملل وأشدّها كيف يجب فيها؟ فغضب رضي الله تعالى عنه وكانت فيه حدّة

---

(١) مجمع الأمثال: ٢٩٦/١ رقم ٨٧٣.

وهي التي دعته إلى تعيير بلال ﷺ بأُمّه وشكايته إلى رسول الله ﷺ وقوله فيه:
٣٦٨/٨ إنّك امرؤ فيك جاهليّة، فرفع عصاه ليضربه وقال / له: يا يهوديّ ما ذاك من هذه المسائل. فهرب كعب فتبعه حتى استعاذ بظهر عثمان ﷺ فلم يرجع حتى ضربه، وفي رواية: إنّ الضربة وقعت على عثمان، وكثر المعترضون على أبي ذر في دعواه، وكان الناس يقرؤون له آية المواريث ويقولون: لو وجب إنفاق كلّ المال لم يكن للآية وجه، وكانوا يجتمعون عليه مزدحمين حيث حلّ مستغربين منه ذلك، فاختار العزلة فاستشار عثمان فيها، وأشار إليه بالذهاب إلى الربذة، فسكن فيها حسبما يريد، وهذا ما يُعوّل عليه في هذه القصّة. ورواها الشيعة على وجه جعلوه من مطاعن ذي النورين وغرضهم بذلك إطفاء نوره ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره. انتهى.

في هذه الكلمة مواقع للنظر:

١ ـ قوله: أخذ بظاهر الآية. إلخ. ليس للآية ظاهر غير باطنها، وليس فيها إيجاب لإنفاق جميع المال المؤداة زكاته الفاضل عن الحاجة، فأيّ ظهور فيها يعاضد ما عزوه إلى أبي ذر حتى يسعه الأخذ به والتعويل عليه؟ وإنّما هي زاجرة عن الاكتناز الذي بينّاه في صفحة (٣٢٠) ولم يؤثر قطّ عن أبي ذر المصارحة ولا الإشارة إلى شيء ممّا عزاه إليه، بل أوقفناك على أنّ كلّ ما روي عنه أو فيه منافٍ لذلك.

٢ ـ ما رتّبه على ذلك من وقوع النزاع بينه وبين معاوية، وقد أسلفنا في صفحة (٢٩٥) عن صحيح البخاري من أنّ النزاع بينهما كان في نزول الآية لا في مفادها، فكان معاوية يزعم أنّها نزلت في أهل الكتاب وأبو ذر يعمّمها عليهم وعلى المسلمين، ومرّ أيضاً مراد أبي ذر من الإنفاق ومقدار المنفق من المال وأنّه ليس ما فضل عن الحاجة وإنّما هو ما ندب إليه الشرع واجباً أو تطوّعاً، ولم يكن إنكاره إلّا على الاكتناز الذي هو لدة الاحتكار في الأطعمة، يحرم الملأ من منافع النقدين

ونمائها، ويحرم الفقراء خاصّة عن حقوقهم المجعولة فيهما من ناحية الدين، وقد فصّلنا القول في هذه كلّها.

٣ ـ ما رواه من قصّة كعب الأحبار: لقد أقرأناك المأثور من هذه القصّة وكيفيّة الحال فيها واختلاف ألفاظها، وليس في شيء منها أكثر ما لفّقه الآلوسي من قول الرجل لأبي‌ذر: إنّ الملّة الحنيفية. إلخ. ومن استعاذته بظهر عثمان، وعدم اكتراث أبي‌ذر لذلك ووقوع الضربة على عثمان، وليته ذكر لما تقوّله مصدراً ولو من / أضعف الكتب ٣٦٩/٨
أو من مدوّنات القصّاصين، لكنّه أراد أن ينشب على أبي ذر ثورة وهو في عالم البرزخ بوقوع الضربة على عثمان؛ غير أنّه أخفق ظنّه وأكدى أمله بفضل التنقيب الصحيح.

ونذكر لك هنا لفظ أحمد في مسنده[١] (٦٣/١) من طريق مالك بن عبدالله الزيادي عن أبي ذر: أنّه جاء يستأذن على عثمان بن عفّان ﷺ فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان ﷺ: يا كعب إنّ عبدالرحمن توفّي وترك مالاً، فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حقّ الله فلا بأس [عليه]. فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أُحبّ لو أنّ لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبّل منّي أذر خلفي منه ستّ أواق». أُنشدك الله يا عثمان أسمعته؟ ثلاث مرّات. قال: نعم.

ومنه يتجلّى أنّها قضيّة في واقعة ترجع إلى مال عبدالرحمن بن عوف الذي ترك ذهباً قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وبلغ ربع ثُمنه ثمانين ألفاً، وقد أُعطي له ذلك بغير استحقاق من مال الله الذي يستوي فيه المسلمون، فكانت أثرة ممقوتة واكتنازاً منهيّاً عنه، وما كانت فتوى كعب تُبرّر شيئاً من عمله، لأنّه لم يكن من نماء زرع أو نتاج ماشية أو ربحاً من تجارة حتى يطهّره إخراج حقوق الله منه، وإنّما كان المال كلّه لله، وأفراد المسلمين فيه شرع سواء، وإن كان لابن عوف فيه حقٌّ فعلى زنة بقيّة المسلمين فحسب.

---

(١) مسند أحمد: ١٠٢/١ ح ٤٥٥. وما بين المعقوفين منه.

والعجب من هذا الاستفتاء ومن توجيهه إلى كعب خاصّة ـ وهو يهوديّ قريب العهد بالإسلام ـ وفي المنتدى مثل أبي ذر عالم الصحابة، والمستفتي جدّ عليم بحقيقة ذلك المال لأنّه هو الذي أدرّه عليه جزاء حسن اختياره للخلافة يوم الشورى، ولم تكن ثروته الشخصيّة تفي بتلكم العطايا الجزيلة، فليس لها مدرّ إلّا مال الله، فعلى أبي ذر البصير بمواقع أحكام الشرع أن ينكر تلكم المنكرات على من استباح ذلك العطاء، وعلى من استباح أخذه واكتنازه؛ وعلى من حاول أن يُبرّر تلكم الأعمال. **﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾**.

وإن كانت توجب نظريّة أبي ذر هذه الشيوعيّة أو الاشتراكيّة فقد سبقه إليها
٣٧٠/٨ الخليفة الثاني ببيان أوفى وتقرير أوضح، أخرجه الطبري في تاريخه[1] (٣٣/٥) من
طريق أبي وائل، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسّمتها على فقراء المهاجرين.

وأخرجه ابن حزم في المحلّى (١٥٨/٦) فقال: هذا إسناد في غاية الصحّة والجلالة.

وفي عصر المأمون[2] (٢/١): حرّم عمر بن الخطّاب على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة لأنّ أرزاقهم وأرزاق عيالهم وما يملكون من عبيد وموال، كلّ ذلك يدفعه لهم من بيت المال، فما بهم إلى اقتناء المال من حاجة.

نعم؛ عزبت عن اللجنة نظريّة الخليفة الثاني في ناحية المال، أو أنّ عظمة الخلافة صدّتهم عن الجرأة عليه، لكنّ أبا ذر لم يكن خليفة فتمنعهم عظمته عن التقوّل

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٢٦/٤ حوادث سنة ٢٣هـ.

(٢) لمؤلفه أحمد فريد رفاعي، المفتش في وزارة الداخلية المصرية سابقاً.

عليه، وقد مات في المنفى فريداً وحيداً لا يجد من يعينه أو يدافع عنه أو يجهّزه بعد موته فيتوثّب عليه حتى الخنافس والديدان، غير أنّ له يوماً آخر يُحشر فيه أُمّة واحدة، هنالك تُبلى السرائر ويُعلم ما ارتآه أبو ذر وما رُمي به، ذلك يوم مشهودٌ له الناس، والحكم هنالك لله الواحد القهّار.

٤ ـ ما عزا إليه من الحدّة، وهو ينافي تشبيه رسول الله ﷺ إيّاه بعيسى بن مريم في هديه وخلقه ونسكه وزهده[١] فهو ممثّل المسيح ﷺ في هذه الأُمّة، وأنّى تقع الحدّة منه؟ إلّا أن يدعوه إليها الدين كما هو من خصال المؤمنين الموصوفين بالوداعة بينهم، والخشونة في ذات الله، وأبو ذر في الرعيل الأوّل منهم؛ فليس من المستطاع أن نخضع لصحّة هذه الرواية، وفيها الوقيعة من أبي ذر فيمن يعلم أنّ رسول الله ﷺ يقرّبه ويدنيه ويحبّه.

فلا تكاد تنهض حجّة على مفادها ولو جاءت بسند صحيح؛ لأنّ المعلوم من حال أبي ذر هو ما أخبر به النبيّ الصادق الأمين، وعلى فرض صحّتها قضيّة في واقعة لا تعدو أن تكون فلتة ليست لها لدة، ولعلّها صدرت منه قبل تحريم ذلك كما ذهب إليه شرّاح صحيح البخاري[٢] وبمثلها لا يمكن أن تثبت لأبي ذر غريزة الحدّة فيحمل ما صدر / منه في المقام عليها. ٣٧١/٨

وكأنّ الرجل هاهنا ذهل عمّا ذكره في كتابه مسائل الجاهليّة (ص١٢٩) من قوله: إنّ أبا ذر ﷺ قبل بلوغه المرتبة القصوى من المعرفة تسابّ هو وبلال الحبشي المؤذّن فقال له: يابن السوداء. فلمّا شكا بلال إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال له: «شتمت بلالاً وعيّرته بسواد أُمّه؟» قال: نعم. قال: «حسبت أنّه

---

(١) راجع: ص٣١٢ ـ ٣١٤ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٢) راجع فتح الباري لابن حجر [٨٧/١]، وإرشاد الساري للقسطلاني [٥٨٦/٣ ـ ٥٨٧ ح١٤٠٦]، وعمدة القاري للعيني [٢٦٢/٨ ح١١]. (المؤلّف)

بقي فيك شيء من كبر الجاهليّة». فألق أبو ذر خدّه على التراب ثمّ قال: لا أرفع خدّي حتى يطأ بلال خدّي بقدمه. انتهى.

وهكذا رواه البرماوي، وذكره القسطلاني في إرشاد الساري[1] (١١٣/١) وقال: زاد ابن الملقن: فوطأ خدّه.

هذا أبو ذر وهذا أدبه وكرم أخلاقه، وإنّه لعلى خلق عظيم.

٥ ـ ما ادّعاه من كثرة المتعرّضين لأبي ذر... إلخ. ليته سمّى واحداً من أولئك المتعرّضين، أو سمّى مصدراً ولو من أتفه المصادر يصافقه على هذه الدعوى، وإنّما كانت الصحابة يومئذٍ بين مصافق لأبي ذر على هتافه، ومُسلّ له على نكبته، ومُستاء على ما أصابه من الأذى، وناقم على من فعل به ذلك، لم يكن عندئذٍ من يردّ عليه قوله ويحفظ آية المواريث، وأبو ذر ناسيها وهو وعاء ملئ علماً بشهادة من أعلم الأُمّة باب مدينة علم النبيّ صلّى الله عليهما وآلهما.

كان من العزيز على صلحاء الصحابة المنابأة[2] بالفادح الجلل تسيير أبي ذر إلى الربذة لكرههم ذلك ونُبوّ[3] سمعهم عنه، وكان الصحابيّ الصالح يسترجع مراراً لمّا قرع سمعه ذلك النبأ المزري، وكان يقول: ارتقبهم واصطبر، اللّهمّ إن كذّبوا أبا ذر فإنّي لا أُكذّبه، اللّهمّ وإن اتّهموه فإنّي لا أتّهمه، اللّهمّ وإن استغشّوه فانّي لا أستغشّه، فإنّ رسول الله ﷺ كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً، ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد[4].

ولعلّ الآلوسي يريد بمن ذكرهم من المتعرّضين طغمة آل أُميّة المتّخذين مال الله

(١) إرشاد الساري: ١٩٦/١ ـ ١٩٧ ح ٣٠.

(٢) كذا، ولعله ﷺ أراد: المُنابة: من نابه أمر إذا نزل به أو أصابه.

(٣) نبا سمعه نبوّاً: أي تجافى وكره.

(٤) راجع من هذا الجزء صفحة: ٣١٥. (المؤلّف)

دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً، وكتابه دغلاً، غير أنّهم ما كانوا يجادلون بالقرآن، وما كانوا يعرفون منه إلّا ظاهراً من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[1] وكانت مجادلتهم مجالدة بالحراب والعتاد، وكان قولهم في ذلك صخباً وجلبة، فتبعهم الآلوسي تحت جامع النزعة. ٣٧٢/٨

٦ ـ حسبانه بأنّ خروجه إلى الربذة كان مللاً منه من تعرّض الناس وازدحامهم عليه مستغربين منه رأيه، بعد أن استشار عثمان فأشار إليه بالذهاب إليها فسكن فيها حسبما يريد. وهذه أُكذوبة أُخرىٰ، فقد مرّ فيما تقدّم أنّه نُفي إلى الربذة، ومُنع الناس عن مشايعته، فلم يدنُ منه أحد إلّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وابناه الإمامان وعمّار معهم، وما جرى بينهم وبين مروان، ثمّ ما جرى بين الإمام وبين عثمان، وما قال له مشايعوه من كلمات التسلية، وما قاله أبو ذر نفسه لمن زاره في الربذة، وقول عثمان لعمّار: يا عاضّ أير أبيه أتحسب أنّي ندمت من تسييره؟ إلى كلمات أُخرىٰ كلّها صريحة في تسييره على صورة غير مرضية، ونقمة الصحابة جمعاء على من فعل به ذلك. وقد عرفت قبل هذه كلّها إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك النفي والإخراج بالرغم من أشواق أبي ذر المحتدمة على جواره مرقد النبيّ الأعظم، فراجع تفاصيل هذه الجمل فيما تقدّم من صحائف هذا الجزء. لكن الآلوسي أراد أن يخفّف وطأة النقد على من والاه و ردّ النقمة عنه فصدّر للقصّة صورة خياليّة، وحسب أنّ التنقيب لا يكشف عن عوارها، وليت اللجنة الحاكمة لم تتغافل عن أنّ هذه الجملة الأخيرة تنافي ما استشهدت به من كلام ابني كثير وحجر، فقد اعترفا بأنّ خروج أبي ذر إلى الربذة كان تسييراً بلا اختيار منه، غير أنّهما حاولا الاعتذار عن قِبَل من ارتكب ذلك.

٧ ـ قوله: هذا ما يُعوّل عليه في هذه القصّة... إلخ. انظر إلى هذا الرجل كيف

---

(١) القصص: ٧٧.

يحاول أن يغمط الحقائق الثابتة حسب ميوله وأهوائهِ، وهو يزعم أنّ الأُمّة ستتّخذ ما لفّقه أصلاً متّبعاً، فتمحو الكتب وتلقي الستار على صفحة التاريخ، وتحذف الأحاديث من مدوّناتها، وتضرب صفحاً عن غير كتابه ممّا ثبت فيها كلّ ما نفاه هو كما قدّمنا لك ذلك في أبحاثنا هذه. وقصارى القول أنّ العلماء في هذه المسألة فريقان: فقسم سرد تلكم الأحوال سرداً تاريخيّاً أو أخرجها إخراج الحديث من غير تعرّض لما لها أو عليها وقد عرفت هؤلاء، وفريق يعترف بكلّ ما هنالك غير أنّه يعتذر عمّن ارتكب هاتيك الأحوال بأنّها كانت لحفظ أبّهة الخلافة، وصيانة منصب الشريعة، وإقامة
٣٧٣/٨ حرمة الدين[1] / وليس أحد من هؤلاء من الشيعة حتى يجعل الآلوسي روايتهم غير معوّل عليها، وهل من الجائز أن لا يتفطّن أعلام القوم وحفّاظهم في كلّ تلكم القرون الخالية لما جاء به الآلوسي، وحسبوا أُولئك ما روته الشيعة صحيحاً وجعلوه من مطاعن عثمان المتسالم عليه عندهم، وجاؤوا ينحتون له الأعذار في تبريره؟ وبعد هذه كلّها فلا عذر للجنة الحاكمة في أن تعتمد على مثل هذه الكلمة التي مزيجها الكذب، وحشوها الأغلاط، والعوار مكتنف بها من شتّى نواحيها، هذا حال الشاهد الأوّل الذي استشهدت به اللجنة الحاكمة.

الشاهد الثاني: أمّا شاهد اللجنة الثاني وهو ابن كثير، وما أدراك ما ابن كثير؟ وما أدراك ما كتاباه في التفسير والتاريخ؟ مجاميع الفحش، وموسوعات البهت، وكراريس الدجل، ومن تدجيله هاهنا ما ادّعاه من نسبة تحريم ادّخار ما زاد على نفقة العيال إلى أبي ذر وأنّه كان يفتي به ويحثّهم عليه... إلخ. على حين أنّه لا يوجد لأبي ذر أيّ فتوى تصرّح أو تلوّح بذلك التحريم أو حثّ له على ذلك أو أمر به أو تغليظ فيه غير ما لفّقه الأفّاكون في الأدوار المتأخّرة من عزو مختلق، نعم؛ وربما يتّخذ

---

(١) راجع الرياض النضرة: ١٤٦/٢ [٣/٧٤ ـ ٧٥]، الصواعق: ص٦٨ [ص١١٤]، تاريخ الخميس: ٢٦٨/٢. **(المؤلّف)**

مصدراً لهذه الأفائك ماشوّه به الطبري صحيفة تاريخه من مكاتبة السريّ الكذّاب من طريق شعيب المجهول عن سيف الساقط المتّهم بالزندقة، الذين عرفت موقفهم من الدين والصدق والأمانة وعرفت حال روايتهم خاصّة في (ص٣٢٦ ـ ٣٢٨)؛ وغير خاف ذلك على مثل ابن كثير ومن لفّ لفّه، لكنّهم نبذوا الرجل نبذةً ليسقطوه عن محلّه، ويسقطوا آراءه عن الاعتبار فتشبّثوا بالحشيش كالغريق، لكنّهم خابوا وفشلوا، وإنّما المأثور عنه تلاوة الآية الكريمة، ونقل السنّة الواردة عن نبيّ الإسلام في اكتناز الذهب والفضّة، وأمّا الآية الكريمة فقد عرفت مقدار دلالتها وأنّ الخلاف الواقع بين أبي ذر ومعاوية إنّما هو بالنسبة إلى نزولها دون المفاد، وأنّه لو صحّت النسبة لوجب قذفهما معاً أو تبرئتهما معاً.

على أنّ لأبي ذر في ما ادّعاه من شأن الآية مصافقين، فروى ابن كثير نفسه عن ابن عبّاس: أنّها عامّة. وعن السدي أنّه قال: هي في أهل القبلة. فهو أيضاً يوافقه في الجملة.

٣٧٤/٨ وفي تفسير الخازن[1] (٢٣٢/٢): قال ابن عبّاس والسدي: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين، وقال القرطبي في تفسيره[2] (١٢٣/٨): قال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين، وهو الصحيح لأنّه لو أراد أهل الكتاب خاصّة لقال: ويكنزون بغير (والذين) فلمّا قال: (والذين) فقد استأنف معنىً آخر يبيّن أنّه عطف جملة على جملة، فالذين يكنزون كلام مستأنف وهو رفع على الابتداء، قال السدي: عنى أهل القبلة.

وقال الزمخشري في الكشّاف[3] (٣١/٢): ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون

---

(١) تفسير الخازن: ٢٢١/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧٩/٨.

(٣) الكشّاف: ٢٦٦/٢.

غير المنفقين. وقال البيضاوي في تفسيره[(١)] (٤٩٩/١): ويجوز أن يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدّون حقّه. وقال الشوكاني في تفسيره[(٢)] (٣٣٩/٢): والأولى حمل الآية على عموم اللفظ فهو أوسع من ذلك. وقال الآلوسي في تفسيره (٨٧/١٠): والمراد من الموصول إمّا الكثير من الأحبار والرهبان، وإمّا المسلمون وهو الأنسب لقوله: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾.

فرأي أبي ذر أخذاً بمجاميع هذه الكلمات، هو الصحيح والأنسب والأولى، وما تفرّد به بل ذهب إليه آخرون، فلماذا لا يقذفون هؤلاء بما قُذف به أبو ذر؟ وهل لأبي ذر حساب آخر يسوّغ الفرية عليه دون أولئك؟ نعم. نعم.

وأمّا السنّة فقد روى نظير ما رواه غير واحد من الصحابة، لكن القوم لم يضمروا على أحد منهم من الحقد ما أضمروه على أبي ذر لمكان رأيه في الإمامة منذ الصدر الأوّل، ونزعته العلويّة التي لم يزل مجاهراً بها، ومناوأته للبيت الأمويّ، فحاولوا تشويه ذكره وتفنيد رأيه بكلّ ما تيسّر لهم، فمن أولئك الصحابة:

١ ـ عبدالله بن مسعود، قال: دخل النبيّ ﷺ على بلال وعنده صبرة من تمر فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: أُعدّ ذلك لأضيافك. قال: «أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنّم؟ انفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً».

رواه البزّار[(٣)] بإسناد حسن والطبراني في الكبير[(٤)] وقال: «أما تخشى أن يفور له بخار في نار جهنّم».

٢ ـ أبو هريرة، قال: إنّ النبيّ ﷺ عاد بلالاً فأخرج له صبراً من تمر فقال:

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤٠٣/١.

(٢) فتح القدير: ٣٦٦/٢.

(٣) البحر الزخّار (مسند البزّار): ٣٤٨/٥.

(٤) المعجم الكبير: ٣٤٠/١ ح ١٠٢٠ وفيه: يفور لها بخار من جهنم.

«ما هذا / يا بلال؟» قال: ادّخرته لك يا رسول الله، قال: «أما تخشى أن يجعل لك ٣٧٥/٨
بخار في نار جهنّم؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً».

رواه[١] أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن.

٣ ـ أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا توكي فيوكى عليك». وفي رواية: «انفقي ـ أو انفحي ـ أو انضحي ـ ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك». رواه[٢] البخاري ومسلم وأبو داود.

٤ ـ بلال مرفوعاً: «يا بلال مُت فقيراً ولا تمت غنيّاً»، قلت: وكيف لي بذلك؟ قال «ما رزقت فلا تخبأ، وما سُئلت فلا تمنع». فقلت: يا رسول الله وكيف لي بذلك؟ قال: «هو ذاك أو النار».

رواه الطبراني في الكبير[٣]، وابن حبّان في كتاب الثواب، والحاكم[٤] وصحّحه.

٥ ـ أنس بن مالك، قال أُهديت للنبيّ ثلاث طوائر فأعطى خادمه طائراً، فلمّا كان من الغد أتته بها، فقال لها رسول الله ﷺ: «ألم أنهَكِ أن ترفعي شيئاً لغد؟ فإنّ الله يأتي برزق غد». رواه[٥] أبو يعلى والبيهقي، ورجال أبي يعلى ثقات.

٦ ـ أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ لا يدّخر شيئاً لغد.

---

(١) مسند أبي يعلى: ٤٣٠/١٠ ح٦٠٤٠، المعجم الكبير: ٣٤٢/١ ح١٠٢٥، المعجم الأوسط: ٢٧٢/٣ ح٢٥٩٣.

(٢) صحيح البخاري: ٥٢٠/٢ ح١٣٦٦، ص٩١٥ ح٢٤٥١، صحيح مسلم: ٤٠٩/٢ ح٨٨ و ٨٩، كتاب الزكاة، سنن أبي داود: ١٣٣/٢ ح١٦٩٩ ـ ١٧٠٠.

(٣) المعجم الكبير: ٣٤١/١ ح١٠٢١.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٣٥٢/٤ ح٧٨٨٧.

(٥) مسند أبي يعلى: ٢٢٤/٧ ح٤٢٢٣، شعب الإيمان: ١١٩/٢ ح١٣٤٨.

رواه[١] ابن حبّان في صحيحه والبيهقي.

٧ ـ سمرة بن جندب، مرفوعاً: «إنّي لألجُ هذه الغرفة ما ألجها إلّا خشية أن يكون فيها مال فأُتوفّى ولم أنفقه». رواه الطبراني في الكبير[٢] بإسناد حسن.

٨ ـ أبو سعيد الخدري، مرفوعاً: «ما أُحبّ أنّ لي أُحداً ذهباً أبقى صبح ثالثة وعندي منه شيء إلّا شيء أُعدّه لدين»[٣].

رواه البزّار وهو إسناد حسن وله شواهد كثيرة.

٩ ـ أبو أمامة: إنّ رجلاً توفّي على عهد رسول الله ﷺ فلم يوجد له كفن، فأُتي النبيّ ﷺ فقال: «انظروا إلى داخلة إزاره» فأصيب دينار أو ديناران، فقال: «كيّتان»[٤].

١٠ ـ توفّي رجل من أهل الصفّة فوجد في مئزره دينار، فقال رسول الله ﷺ: «كيّة». ثمّ تُوفّي آخر فوجد في مئزره ديناران، فقال رسول الله ﷺ: «كيّتان».

رواه[٥] أحمد والطبراني من عدّة طرق، وابن حبّان في صحيحه من طريق
٣٧٦/٨ عبدالله / بن مسعود.

١١ ـ سلمة بن الأكوع، قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فأُتي بجنازة ثمّ أُتي

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ٢٧٠/١٤ ح٦٣٥٦، شعب الإيمان: ١٧١/٢ ـ ١٧٢ ح١٤٦٤.

(٢) المعجم الكبير: ٢٦٩/٧ ـ ٢٧٠ ح٧١٠٥.

(٣) مجمع الزوائد: ٢٣٩/١٠.

(٤) الكيّتان: أي لذعة على كلّ دينار كنز.

(٥) مسند أحمد: ٣٤٤/٦ ح٢١٧١٨، المعجم الكبير: ١٠٥/٨ ح٧٥٠٦ و ٧٥٠٨، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ٥٤/٨ ح٣٢٦٣.

بأخرى فقال: «هل ترك من دين؟» قالوا: لا. قال: «فهل ترك شيئاً؟» قالوا: نعم ثلاثة دنانير. فقال بإصبعه: «ثلاث كيّات».

أخرجه[١] أحمد بإسناد جيّد وابن حبّان في صحيحه باللفظ المذكور والبخاري نحوه.

١٢ ـ أبو هريرة: أنّ أعرابيّاً غزا مع رسول الله ﷺ خيبر، فأصابه من سهمه ديناران فأخذهما الأعرابي، فجعلهما في عباءة فخيط عليهما ولفّ عليهما، فمات الأعرابيّ فوجد الديناران، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «كيّتان».

رواه أحمد[٢] وإسناده حسن لابأس به.

هذه جملة من تلكم الأحاديث، وقد جمعها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب[٣] (١/٢٥٣ ـ ٢٥٨).

١٣ ـ أخرج أحمد في مسنده[٤] (١/٣٠٠) من طريق ابن عبّاس قال: إنّ النبيّ ﷺ التفت إلى أُحد فقال: «والذي نفس محمد بيده ما يسرّني أنّ أُحداً يحوّل لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت أدع منه دينارين، إلّا دينارين أعدّهما لدين إن كان».

١٤ ـ أخرج ابن كثير نفسه في تفسيره (٢/٣٥٢) من طريق عبدالله بن مسعود: «والذي لا إله غيره لا يكون عبد يكنز فيمسّ دينار ديناراً ولا درهم درهماً، ولكن

---

(١) مسند أحمد: ٤/٦٣٩ ح١٦٠٧٥، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ٨/٥٤ ح٣٢٦٤، صحيح البخاري: ٢/٧٩٩ ح٢١٦٨.
(٢) مسند أحمد: ٣/٣٨ ـ ٣٩ ح٨٤٦٣.
(٣) الترغيب والترهيب: ٢/٥١ ـ ٥٨.
(٤) مسند أحمد: ١/٤٩٣ ح٢٧١٩.

يُوسع جلده فيوضع كلّ دينار ودرهم على حدته».

رواه سفيان عن عبدالله بن عمر[١] بن مرّة عن مسروق عن ابن مسعود، ورواه ابن مردويه عن أبي هريرة.

١٥ ـ حكى ابن كثير[٢] عن أبي جعفر بن جرير الطبري[٣] من طريق ثوبان مرفوعاً: «من ترك بعده كنزاً مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذي تركته بعدك. ولا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثمّ يتبعها سائر جسده». قال: ورواه ابن حبّان في صحيحه[٤].

١٦ ـ ونقل في (ص٣٥٣) عن ابن أبي حاتم بإسناده من طريق ثوبان مرفوعاً: «ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض إلّا جعل الله بكلّ قيراط صفحة من نار يكوى بها من قدمه إلى ذقنه».

١٧ ـ وذكر[٥] عن أبي يعلى بالإسناد من طريق أبي هريرة مرفوعاً: ٣٧٧/٨
«لا يوضع الدينار على الدينار، ولا الدرهم على الدرهم، ولكن يُوسع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون».

١٨ ـ أخرج أحمد[٦] من طريق عبدالله بن أبي الهذيل، قال: حدّثني صاحب لي: أنّ رسول الله ﷺ قال: «تبّاً للذهب والفضّة» وقال: إنّه انطلق مع عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله! قولك: «تبّاً للذهب والفضّة». ماذا نـدّخر؟ قال

---

(١) في المصدر: عمرو.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٢.

(٣) جامع البيان: م٦/ج١٠/١٢٤.

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ٤٩/٨ ح٣٢٥٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٤/٢.

(٦) مسند أحمد: ٥٠٣/٦ ح٢٢٥٩١.

رسول الله ﷺ: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة تعين على الآخرة». تفسير ابن كثير (٢/٣٥١).

١٩ ـ أخرج[١] أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال: لمّا نزلت في الذهب والفضّة ما نزل قالوا: فأيّ المال نتّخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك فأَوضَعَ[٢] على بعير، فأدركه[٣] وأنا في أثره، فقال: يارسول الله أيّ المال نتّخذ؟ قال: «قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة».

٢٠ ـ وقبل هذه كلّها ما أخرجه إمام الحنابلة أحمد في مسنده[٤] (١/٦٢) من طريق عثمان بن عفّان من أنّ رسول الله ﷺ قال: «كلّ شيء سوى ظلّ بيت، وجِلْف[٥] الخبز، وثوب يواري عورته والماء، فما فضل عن هذا فليس لابن آدم فيهنّ حقّ». وأخرجه أبو نُعَيم في حلية الأولياء (١/٦١).

هذه الأحاديث أخرجها أئمّة الفقه وحفّاظ الحديث وأعلام التفسير في تآليفهم محتجّين بها لما ارتأوه من الترغيب إلى الزهد والتطوّع بالإنفاق، والترهيب عن الاكتناز والادّخار، ولم يتكلّم أحد منهم في راوٍ من رواتها، وما أتّهم في أيّ منهم بما أتّهم به أبو ذر، فإن كان للتأويل والحمل على معنىً صحيح فيها مجال فهي وما رواه أبو ذر على شرع سواء، فأيّ وازع عن تأويل ما جاء به أبو ذر؟ ولماذا رشقوه بين أولئك الصحابة بنبال القذف؟ مع أنّ أبا ذر لم يكن هتافه ذلك للدعوة إلى تهذيب

---

(١) مسند أحمد: ٦/٣٨١ ح٢١٩٣١، سنن الترمذي: ٥/٢٥٩ ح٣٠٩٤، سنن ابن ماجه: ١/٥٩٦ ح١٨٥٦.

(٢) يقال: أوضع الراكب إيضاعاً إذا سار بين القوم.

(٣) في سنن ابن ماجه: فأدرك النبيّ.

(٤) مسند أحمد: ١/١٠٠ ح٤٤٢.

(٥) جِلْفُ الخبز: الخبز اليابس الغليظ بلا أُدم ولا لبن.

النفس بالزهادة في حطام الدنيا والفوز بمراتب الكمال، وإنّما كان نكيره على أُمّة اتّخذت كنوزاً مكدّسة من الذهب والفضّة على غير وجه حلّها، كما فصّلنا القول في ذلك تفصيلاً.

وإذ لم يجد ابن كثير شاهداً قويّاً لما ادّعاه من أقوال أبي ذر تشبّث بعمله، فقال: وقد اختبره معاوية ﷺ وهو عنده، هل يوافق عمله قوله؟ فبعث إليه بألف دينار
٣٧٨/٨ ففرّقها / من يومه، ثمّ بعث إليه الذي أتاه بها فقال: إنّ معاوية إنّما بعثني إلى غيرك فأخطأت فهات الذهب، فقال: ويحك إنّها خرجت، ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به[1].

وليس فيه إلّا زهد أبي ذر المهلك سبده ولبده[2]، ولم يكن عمله هذا عن فتوى ولا إيجاب، وإنّما كان تطوّعاً ومبالغة في الزهادة والجود، وقد سبقه إلى ذلك سيّد البشر ﷺ، عاش ﷺ كما عرفت ومات ولم يدع ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شاةً ولا بعيراً، وترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[3] وحذا حذوه آله سلام الله عليهم الذين كانوا ﴿**وَيُطعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾، ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمِ وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَة**﴾ ﴿**ٱلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاة وَهُم رَاكِعُونَ**﴾[4]، ﴿**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أمْوالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً**﴾[5] وقد خرج الإمام السبط الحسن الزكيّ من ماله

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٣٣٥٣.

(٢) السَّبَد: الوبر، وقيل: الشعر. والعرب تقول: ماله سَبَدٌ ولا لَبَد، أي ماله ذو وبر ولا صوف متلبد، يكنّى بهما عن الإبل والغنم.

(٣) طبقات ابن سعد طبع مصر، رقم التسلسل: ٨٣٦، ٨٣٧ [٢/٣١٧]، مسند أحمد: ١/٣٠٠ [١/٤٩٣ ح٢٧١٩]، تاريخ الخطيب البغدادي: ٤/٣٩٦ [رقم٢٢٨٨]. (المؤلّف)

(٤) راجع ما فصّلناه في الجزء الثاني: ص٤٧، ٥٢ و ٣/١٥٥ ـ ١٦٣. (المؤلّف)

(٥) نزلت في أمير المؤمنين كما مرّ في هذا الجزء: ص٥٤. (المؤلّف)

مرّتين. وقاسم الله عزّ وجلّ ماله ثلاث مرار حتى أن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً[1].

وما أكثر الزهّاد أمثال أبي ذر في أُمّة محمد ﷺ، وقد أفنت الزهادة كلّ ماهم من ثمٍّ ورُمّة[2] وقد عُدّ ذلك في الجميع فضيلة يُذكرون بها ويُشكرون عليها، إلّا في أبي ذر شبيه عيسى بن مريم في الأُمّة المرحومة فاتّخذوه مدركاً لتلك الفتوى المزعومة. غفرانك اللّهمّ وإليك المصير.

استشهاد اللجنة بكلمة ابن حجر:

أمّا الشاهد الثالث ـ ابن حجر ـ فليت اللجنة الحاكمة لم تلخّص كلامه، ففيما سرده في فتح الباري[3] (٢١٣/٣) ما لا يلائم خطّة اللجنة، ففيه من أعلام النبوّة ما قدّمنا ذكره من عهد النبيّ ﷺ بذلك النفي والإخراج في سياق يؤدّي أنّ أبا ذر سيكون مضطهداً في ذلك مظلوماً، ويؤكّد هذا السياق ما أسلفناه من قوله ﷺ: «يا أبا ذر أنت / رجل صالح وسيصيبك بلاءٌ بعدُ». قال: في الله؟ فقال ﷺ: «في الله» ٣٧٩/٨
قال: مرحباً بأمر الله. وما كان في الله وبعين الله ويعرّف ﷺ صاحبه بالصلاح، ويراه في هديه ونسكه وزهده شبيه نبيّ معصوم كعيسى سلام الله عليه؛ ويأمره بالصبر لا يكون فاسداً ولا تترتّب عليه مفسدة، إذن فلا أدري أين يكون مقيل نظريّة ابن حجر الملخّصة عند اللجنة من الصدق؟

وممّا ذكره ابن حجر في فتح الباري ما حكاه عن بعض أعلام قومه: الصحيح أنّ إنكار أبي ذر كان على السلاطين الذين يأخذون المال لأنفسهم ولا ينفقونه في وجهه.

---

(١) حلية الأولياء: ٣٨/٢، صفة الصفوة: ٣٣٠/١ [٦١/١ـ٧ رقم ١٢٠]، الصواعق: ص ٨٢ [ص ١٣٩]. (المؤلّف)

(٢) أي: من قليل وكثير.

(٣) فتح الباري: ٢٧٥/٣.

نعم هذا هو الصحيح كما قدّمناه في صفحة (٣٣٥) ويعرفه كلّ من سبر التاريخ والحديث. إذن فليس من المتسالم عليه ما حاوله ابن حجر في ملخّص قوله وتحرّته اللجنة في حكمها والاستشهاد بكلامه، مثل هذا الأساس لا تبنى عليه برهنة، ولا يصحّ به حكم لأيّ إنسان أو عليه، لكنّ ابن حجر قال، واللجنة حكمت؛ والقوّة نفّذت ذلك الحكم، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

هؤلاء شهود اللجنة الحاكمة، وقد اختبرت أنت أيّها القارئ حالهم ومقالهم، إذن فما ظنّك بما ابتنوه على ذلك من شفا جرفٍ هارٍ؟ **﴿نَحنُ أعلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أنْتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ﴾**[1].

ها هنا أكرّر مخاطبة اللجنة بأنّ دليلها في إثبات شيوعيّة أبي ذر غير ناهضة لإثبات ما ترتئيه، لأنّ نظريّة أبي ذر على ما ادّعته هي وجوب إنفاق ما فضل عن حاجة الإنسان، ومقتضاه أنّه يملك التصرّف في قدر الحاجة، والشيوعيّ لا يقول بذلك وإنّما يحاول إلغاء الملكيّة رأساً، ثمّ إنّ الحكومة الشيوعيّة تدرّ عليه قدر الحاجة أو بمقدار العمل صوناً لحياته فهو كالأجير عندها يقتات بما يعمل أو كعائلتها تسدّ عيلتها بمقدار خلّتها، على ما قدّمناه من أنّ رأي أبي ذر لا يستوعب المال كلّه وإنّما يريد الإخراجات الواجبة وما تدعو إليه العاطفة البشريّة والمروءات من الأعطيات المندوبة، فاللجنة لم تعط النصفة حقّها في إسناد ما أسندته إلى أبي ذر؛ كما أنّها لم تؤدّ حقّ الردّ على الشيوعيّة الممقوتة، فهي مائنةٌ فيما تقول خبريّاً أو مخبريّاً، وجائرة في حكمها من حيث لا تشعر.

كان حقّاً علينا أن ننظر في بقيّة الكلمات المقولة في شيوعيّة أبي ذر على وجه
٢٨٠/٨ التفصيل ككلمة الخضري في المحاضرات (٣٦/٢، ٣٧) وعبد الحميد بك العبادي عميد كليّة الآداب في صور من التاريخ الإسلامي (ص١٠٩ ـ ١١٣) تحت عنوان: أبو ذر

(١) سورة ق: ٤٥.

الغفاري. وأحمد أمين في فجر إسلامه (١٣٦/١)[١] ومحمد أحمد جاد المولى بك في: إنصاف عثمان (ص٤١ ـ ٤٥)، وصادق إبراهيم عرجون في: عثمان بن عفّان (ص٣٥)، وعبد الوهاب النجّار في: الخلفاء الراشدون (ص٣١٧)، ومن حذا حذوهم ممّن اقتحم معارك التاريخ والأبحاث الخطرة من دون مُنّة[٢] علميّة تنقذهم من القحمة وصرعة الاسترسال التي لا تُستقال، لكنّهم لم يألوا بأكثر ممّا فنّدناه، غير ما ذكره بعضهم[٣] من أنّ أبا ذر أخذ المبدأ الشيوعيّ من عبد الله بن سبأ استناداً إلى رواية الطبري السابقة في(ص٣٢٦ و٣٤٩) عن السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، عن يزيد الفقعسي، وقد عرّفناك هنالك ما في رجالها من أفّاك وضّاع، أو معتدٍ أثيم، أو ضعيف متّفق على ضعفه، أو مجهولٍ لا يُعرف، وما في متنها من ملامح الكذب وآثار الافتعال.

على أنّ عبد الله بن سبأ المعروف باليهوديّة والإفساد وتفريق كلمة المسلمين الذي عزوا إليه ثورة المصريّين، وأنّه يمّم الحواضر الإسلاميّة لإلقاح الفتن وإثارة الملأ على خليفة الوقت، وبثّ تلكم المبادئ التعيسة، ولم ينظر إليه رامقٌ شزراً، ولا وقع عليه قبض من سلطات الوقت، ولا أصابه نفي عن الأوساط الدينيّة، وقد تُرك يلهو ويلعب كما تشاء له الميول والشهوات، لكن النقمات كلّها توجّهت على الأبرار من صحابة محمد ﷺ والتابعين لهم بإحسان كأبي ذر، وعبدالله بن مسعود، وعمّار بن ياسر، ومالك بن الحارث الأشتر، وزيد وصعصعة ابني صوحان، وجندب بن زهير، وكعب بن عبدة الناسك، ويزيد الأرحبي العظيم سعند الناس، وعامر بن [عبد] قيس الزاهد الناسك، وعمرو بن الحَمِق المعروف بدعاء النبيّ ﷺ له، وعروة البارق الصحابيّ الجليل، وكميل بن زياد الثقة الأمين، والحارث الهمداني الفقيه الثقة[٤] فمن منفيّ / هلك ٣٨١/٨

(١) فجر الإسلام: ص١١٠.

(٢) المُنّة: القدرة.

(٣) كالخضري وأحمد أمين. (المؤلّف)

(٤) سيوافيك حديث أمرهم في الجزء التاسع بإذن الله تعالى. (المؤلّف)

في تسـيره، إلى مضروب كسرت أضالعه، إلى مهان توجّهت إليه لسبات الألسن.

وقبل هؤلاء مولانا أمير المؤمنين صالح الأُمّة، يراه عثمان أحقّ بالنفي من أولئك كما يأتي حديثه؛ وأخرجه إلى ينبع مرّة بعد أُخرىٰ ليقلّ هتاف الناس باسمه للخلافة، وقال لابن عبّاس: اكفني ابن عمّك. وقال ابن عبّاس: ابن عمّي ليس بالرجل يُرى له، ولكنّه يرى لنفسه فأرسلني إليه بما أحببت. قال: قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أغتم به ولا يغتمّ بي. فأتى عليّاً فأخبره، فقال: «ما اتّخذني عثمان إلّا نـاضحاً» ثم أنشد يقول:

فكيف به إنّي أُداوي جـراحَـهُ فيدوى فلا ملّ الدواءُ ولا الداءُ

وقال: «يابن عبّاس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغَرْب[1] أُقبل وأُدبر، بعث إليّ أن أخرج، ثمّ بعث إليّ أن أقدم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً»[2].

فهلّا كان ابن سبأ وأصحابه بمرأى من الخليفة ومسمع وقد طـغوا في البـلاد وأكثروا فيها الفساد، وكيف بهضه أمر أولئك الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ولا يهمّه قمع تلكم الجرثومة الخبيثة باجتثاث أصلها بإعدام عبدالله بن سبأ، أو صلبه على جذوع النخل، أو قطع يده ورجله من خلاف، أو نفيه من الأرض؟

هلّا كان واجب الخليفة أن يشاور صلحاء الصحابة في الرجل الضالّ المضلّ، بدل ما شاور أبناء بيته الساقط في أبي ذر العظيم بقوله القارص: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنّه قد فرّق جماعة المسـلمين،

---

(١) نضح الجمل الماء: حمله من بئر أو نهر ليسقي به الزرع فهو ناضح. والغرب ـبالفتح فسكون ـ: الدلو العظيمة، والكلام تمثيل للتسخير. (المؤلّف)

(٢) نهـج البـلاغة: ٤٦٨/١ [ص٣٥٨ رقـم ٢٤٠]، العـقد الفـريد: ٢٧٤/٢ [١٢١/٤]. (المـؤلّف)

أو أنفيه من أرض الإسلام[1]؟

نعم؛ كان عبدالله بن سبأ من جراثيم العيث والفساد، وجذوم الكفر والإلحاد، ولم يفتأ يتقلّب بين المسلمين بنواياه السيّئة وإن لم يثبت عنه المبدأ الشيوعيّ قطّ، ولا / إثارة الثائرين على عثمان إلّا بمكتوبة السري، عن شعيب، عن سيف المكذوبة ٣٨٢/٨
الساقطة التي لا قيمة لها في سوق الاعتبار[2] فإنّ المسلمين خصوصاً الثائرين على عثمان والمتجمهرين عليه، وهم جلّ الصحابة ـ لو لم نقل كلّهم ـ كما يأتي تفصيله في الجزء التاسع بإذن الله ـ وخصوصاً من لاث بمولانا أمير المؤمنين من علية الصحابة كأبي ذر وعمّار ومالك الأشتر وابني صوحان وأمثالهم ما كانوا يقيمون وزناً لنعرات أيّ ابن أُنثى تجاه ما اتّخذوه من مستقى الوحي، فضلاً عن مثل ابن سبأ المعروف عندهم ملكاته ونزعاته في أمسه ويومه ذاك، فأنّى يصيخون إلى ماله من هلجة وهم رجال الفكرة الصالحة في المجتمع الدينيّ، ولم يُثبت التاريخ الصحيح اتّصال أحد منهم بهذا الرجل فضلاً عن تأثيره في نفسيّاتهم وإثارة الفتن في المجتمع الدينيّ بأيديهم، وهلّا كان خليفة الوقت أراح المسلمين من شرّه بتشتيت شمله وتمزيق جمعه، كما فعله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فقطع عن أديم الأرض أُصول تلك النزعات الوبيلة بإلقاء الدخان على حامليها، كما مرّ في الجزء السابع (ص١٥٦)، وذكره ابن حزم في الفصل (١٨٦/٤).

كلمتنا الأخيرة

لو درست الأساتذة حقيقة الشيوعيّة وما يهتفون به من أصولها وحقيقة أبي ذر العالم الصحابيّ ونظرائه وما يؤثر عنهم من قول وعمل وأحاديث جاءت فيهم عرفوا البون الشاسع بين المبدأين، وإنّ مثل أبي ذر لا يكون شيوعيّاً مهما أسفّ من

---

(١) راجع ما مرّ: ص٢٩٨، ٣٠٦ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٢) راجع: ص٣٢٦ ـ ٣٢٨ من هذا الجزء. (المؤلّف)

والأنفال وغيرها من الواجب المالي المقرّر، مضافاً على ما قد يجب على الإنسان حيناً بعد حين لموجب هنالك كالكفّارات والنذور والمظالم.

وأمّا التطوّع بالصدقات والإنفاق ممّا فضل وهو الذي كاد أن يُعدّ من فروض الإنسانيّة فحدّث عنه ولا حرج، وقد بالغ الصادع الكريم في الحث عليه ومرّ شطر من أحاديثه، وأخرج مسلم[١] والترمذي[٢] وغيرهما من طريق أبي أمامة مرفوعاً: «يابن آدم إنّك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شرّ لك، ولا تُلام على كفاف». الترغيب والترهيب[٣] (١/٢٣٢، ٢٥٢).

وأخرج مسلم[٤] من طريق أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «من كان معه فضل من ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له». سنن البيهقي (٤/١٨٢).

وفي صحيح مرّ في (ص ٣٥٤) قوله ﷺ: «على كلّ نفس في كلّ يوم طلعت فيه الشمس صدقة عنه على نفسه».

٣٨٤/٨ وللإسلام وراء هذه كلّها آداب وسنن تُعرب عن حرمة من قتر عليه رزقه وعن كرامته في الملأ الدينيّ تصديقاً للإنكار الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾[٥]. فأمر كتابه المقدّس بالإنفاق من جيّد المال ونفيسه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا

(١) صحيح مسلم: ٢/٤١٣ ح٩٧ كتاب الزكاة.
(٢) سنن الترمذي: ٤/٤٩٥ ح٣٣٤٣.
(٣) الترغيب والترهيب: ١/٥٩٠ و ٢/٤٩.
(٤) صحيح مسلم: ٣/٥٦٦ ح١٨ كتاب اللقطة.
(٥) الفجر: ١٥، ١٦، ١٧.

الخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ ﴾ الآية[١]. وقوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[٢] ونهى عن نهر السائل وإبطال الصدقات بالمنّ والأذى ورياء الناس، فقال عزّ من قائل: ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنهَر ﴾[٣] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَّا يَقدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾[٤]. وقال: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذىً لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُمْ يَحزَنُون ﴾[٥]. وقال: ﴿قَولٌ مَعرُوفٌ وَمَغفِرَةٌ خَيرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذىً وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيم ﴾[٦].

وقال النبيّ الأعظم ﷺ: «لا يقبل الله من مُسمعٍ ولا مُراءٍ ولا منّانٍ، والمتحدّث بصدقته يطلب السمعة، والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء»[٧].

وأخرج مسلم في صحيحه[٨] مرفوعاً: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب إليم: المنّان بما أعطى ...». سنن البيهقي (١٩١/٤).

وذكر ابن كثير مرفوعاً: «لا يدخل الجنّة عاقّ، ولا منّان، ولا مُدمن خمر». تفسير ابن كثير (٣١٨/١).

ولقطع أُصول المنّ بالإعطاء وتنزيه نفوس أهل اليسار عن الاستعلاء والترفّع والعُجب بأُعطياتهم، ومن كان غنيّاً فليستعفف، وتطهير قلوب الفقراء الشريفة عمّا ٣٨٥/٨

(١) البقرة: ٢٦٧.

(٢) آل عمران: ٩٢.

(٣) الضحى: ١٠.

(٤) البقرة: ٢٦٤.

(٥)، (٦) البقرة: ٢٦٢، ٢٦٣.

(٧) إحياء العلوم: ٢٢٢/١ [١٩٤/١]. (المؤلّف)

(٨) صحيح مسلم: ١٤١/١ ح ١٧١ كتاب الايمان.

يعتريها من ذلّ المسكنة، وتطييب خواطرهم من هوان بسط يد الأخذ إلى الأغنياء، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الصدقة تقع بيد الله عزَّ وجلَّ قبل أن تقع في يد السائل»[(١)].

وفي صحيح أخرجه مسلم[(٢)] (٨٥/٣) من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «ما تصدّق أحد بصدقة من طيّب ـ ولا يقبل الله إلّا الطيّب ـ إلّا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل». الحديث.

فيرى المعطي المسلم وجهه إلى الله وهو محسن أنّه مسلّم إلى الله جلّ وعلا حقّه ممّا خوّله سبحانه بمنّه إيّاه. والفقير يرى أنّه آخذ من الله وباسط كفّه إلى الله ويد الله هي مدرّ الأنعم، وهي اليد العليا، وهي الوسيطة بين المعطي والآخذ، وله المنّ عليهما، ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ ﴾[(٣)] ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَو فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾[(٤)].

فالشيوعيّ لا يكون شيوعيّاً إلّا ويغمره تيّار الجهل الهائج، وإنّ سماسرة الشيوعيّة يمنعون قبل كلّ شيء عن تحرّي العلم الصحيح ويسوقون الملأ إلى مستوى الجهل والبساطة، ولعلّك لا تشكّ في ذلك متى جست خلال الديار في المملكة السوفيتيّة ومن جنح إليها من أقطار الأرض، فإنّك لا تجد من يُهملج إلى الغاية الشيوعيّة إلّا الرجرجة الدهماء الذين لم يعطوا من العلم شيئاً، لكن البلاد الخصبة بالعلم والعلماء كلّها من إسلاميّ وغيره في منتأىً من تلك الخسّة، وكذلك كلّ من أُوتي نصيباً من العلم لا تدعه عقليّته أن يسفّ إلى تلكم الهوّة الوبيئة، وكيف بأبي ذر ـ وعاء العلم ـ وأمثاله؟

---

(١) أخرجه الدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان [٢٧٤/٣ ح ٣٥٢٥]. (المؤلّف)

(٢) صحيح مسلم: ٣٩٧/٢ ح ٦٣ كتاب الزكاة.

(٣) محمد: ٣٨.

(٤) النساء: ١٣٥.

نعم؛ للبلاد الإسلاميّة خاصّتها في الابتعاد عن هاتيك السفاسف لوجود العلم الصحيح الناجع عند علمائها ـ لا ما جاءت به اللجنة الحاكمة ـ والمواد الحيويّة المبثوثة في دينها الإسلاميّ الحنيف، فهي وهم سدّان قويّان لدفع ذلك السيل الأتيّ، فليس لمجابهة الشيوعيّة ومكافحتها شيء أقوى من العلم والدين، وتنوير فكرة الشعب
٨/٣٨٦ الإسلاميّ / بهما. فمن واجب الدول الإسلاميّة ـ وقد شعرت هي بهذا الواجب ـ توسيع نطاق العلم، وبثّ نواميس الدين، وإحياء ناشئة الإنسان الذي خُلق جهولاً بروح الثقافة الدينيّة وتربية أبناء الوطن العزيز في صفوف المدارس الابتدائيّة إلى العالية بدراسة العلوم الناجعة، والتحفّظ على حقوق ضعفاء الأُمّة، والأخذ بناصر أخي عيلة العائل بإجراء مقرّرات الدين المبين، وتعظيم العلماء الصالحين، وتقدير رجالات الوعظ والخطابة لتستمرّ طهارة البلاد عن تلكم الرجاسة، فحيّا الله العلماء العاملين، وحيّا الله الحكومات الإسلاميّة، الناهضين بكلاءة العباد والبلاد.

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاستَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أهوَاءَهُم وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرتُ لأعدِلَ بَينَكُم اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم لَنَا أعمَالُنَا وَلَكُم أعمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَينَنَا وَبينَكُمْ اللهُ يَجمَعُ بَينَنَا وَإليهِ المَصِيرُ ﴾[1].

والحمد لله أوّلاً وآخراً

انتهى الجزء الثامن من كتاب الغدير

ويتلوه الجزء التاسع

يُبتدأ فيه بتتمّة هذه المباحث إن شاء الله فتربّص حتى حين

﴿ وَلَا تَعجَلْ بِالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقضَىٰ إلَيكَ وَحيُهُ ﴾[2]

---

(١) الشورى: ١٥.

(٢) سورة طه: ١١٤.

محتويات الكتاب

الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء التاسع

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

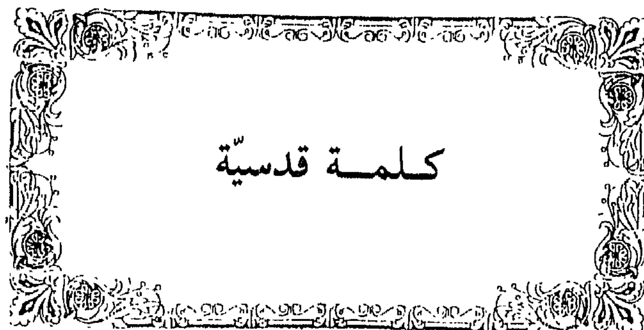
٩

الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



تفضَّـل بهـا سيّـدنـا الحجَّـة آيـة الله السيِّـد حسين المـوسـوي الحمّـامي النجفي دام ظلّه الـوارف ، وقـد شفّعهـا بخـطاب يبـدي فيـه إعجـابه بكتاب «الغدير» ويعـرب عن نـوايـاه الحسنة في تقدير آثارالأُمَّة ومآثرها ، وإليـك نصُّ الخـطاب مشفوعـاً بالشكـر المتـواصـل لسماحة السيِّد .

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاّمة الحجّة الأميني دام عزّه وتأييده .

بعد السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أُرسـل كتابي إليكم مشفـوعاً بكلمتي عن موسوعتكم «الغدير» وكنت قبـل هذا من زمن ليس بـالقريب أُحـاول القيام بغيـر هذا فقط تجاه مقامك السامي ومنزلتك الرفيعة ، تقديراً لخدمتك المشكورة ولكن : المـرء رهين المقدور . فمـا استطعت أن أمـدَّ بـاعي بمـا حـاولت ، وهـا أنـا أبعث رسالتي إليك وملؤها الإعتذار لتقـع منك مـوقع حسن القبـول ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ونرجو من الله عزَّ وجـلَّ أن يمدَّ عنـايته بكم ويـرعاكم بـألطافـه لا زلتم مؤيّدين .

الأحقر حسين الموسوي الحمّامي

ودونك الكلمة نفسها :



وبـه ثقتـي

الحمـدلله كما هـو أهلٌ للحمـد ، والصّلاة والسّـلام على أشرف خلقـه وسيِّد رسله محمّـد ، وعلى آله أئمَّـة الهدى ومصـابيـح الـدجى ، واللعنـة الـدائمـة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

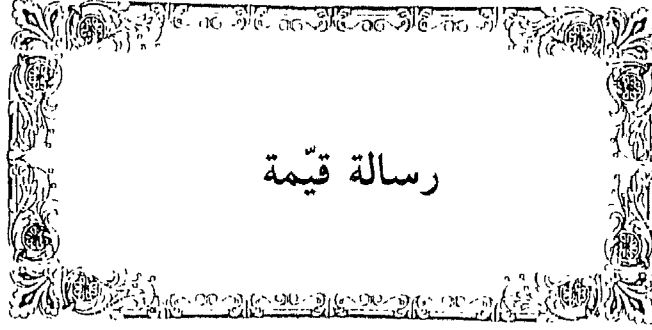
لا يخفى على من أجال النظر وأمعن التفكيـر في عالم التـأليف والتصنيف وما يلاقيه ذوو العلم من المجهود على اختلاف مواضيع ما يؤلّف ، وسعة معرفة المؤلِّف ونطاق إحاطته بما أُوتي من علم وفضل (يجد المنصف من نفسه) أنَّ كتاب «الغدير» هو الجدير بالذكر والإطراء ، والتقريض والثناء ، وأنَّه المفرد في بابه ، والوحيـد في موضوعـه ، فكم من حقائق أُسدل عليها ستار الشبه، وسترتهـا يد الأهـواء ، وأخفتها كفّ طالما سترت الحقّ طيّ أناملها، وزوته في بطون كتبها ، فراح الحقُّ رهين أهواء وسلطة ، فجـاء «الغديـر» من بعد حين يميط عنهـا غيـاهب الـظلم ، ويكشف دون وجههـا حجاب التـدجيل ، فـأسفر الحقُّ عن محضـه ، وأصحـر النـور لـذي عينين كـالشمس في رائعة النهـار ، فللّه درُّ كتاب لا يـأتيـه البـاطـل من بين يـديـه ولا من خلفـه ، وأقول والحقُّ يُقـال : إنَّ من سبر هـذا السفـر الميمـون والكتـاب الجليـل وأحاط بما أُودع فيه من غزارة العلم ، ومتـانة التعبيـر ، وحسن الاسلوب ، ورصانـة البيـان ، وسعة التنقيب ، وطـول الباع ، وكثـرة الإطّلاع يكـاد يذهب إلى مـا قـالـه

البعض في حقّ الكتاب : إنّه عملٌ ومجهودٌ لا تقوم بأعبـاء ثقله إلاّ أُمّة وجمـاعة قـد نهض به عالمٌ وحده . والله يؤتـي الحكمة مَن يشـاء ، ومن يؤت الحكمة فقـد أُوتي خيراً كثيراً . ولا أُسهب في القول إن وصفته بهذا فحسب ، وأجدني غير موفٍ لحقّ المقام ، غير أنَّ الظروف لا تسع للإعراب عن كـلّ ما يُـراد ، وإنَّ مؤلّفنا الثقـة فقيه المؤرِّخين ومؤرِّخ الفقهاء العلامة «الأميني» دام عزُّه ومجده وتأييـده وتسديـده هو من أولئـك الذين وقفـوا حياتهم الثمينـة وأرخصوا أوقـاتهم الغاليـة لتشييد الـدين وإعلاء كلمة الحقِّ والجهاد في سبيل الشريعة المقدَّسة والصِّراط المستقيم والمنهـج المهيع ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ .

ونحن في الوقت الذي ندعو للمؤلِّف الأمين بالتأييـد والتسديـد نطلب من الله تعالى شأنه من فضله وعنايته بهذه الامّة الإسلاميّة المحمديّة والفرقة الناجيـة العلويّة أن يكثر فيها أمثاله من الأعلام وحملة العلم والأقلام ورجالات الفضيلة ، وأن يتقبَّل هذا المجهود العظيم منه بعين لطفه وأن يرعاه بـالقبول ، وأن يجمـع به شمـل الامّة وشتات الفرقة .

ومن أراد الحقَّ وطلب سبيـل الـرشـاد واستضـاء بنـور الهـدايـة فلديـه كتـاب «الغدير» كتاب ينطق بـالحقِّ وهم لا يُظلمـون . وفَّق الله الجميع لمـراضيه إنَّـه وليُّ التوفيق ، والسَّلام على جميع المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

١٣٧٠/٦/٦ الأحقر حسين الموسوي الحمّامي



رسالة قيّمة

أتتنا من العلويِّ الشريف العلاّمة السيِّد حسين الموسوي الهندي نزيل «خرنابات» مؤلِّف «الإسلام مبدأ وعقيدة» أقدِّم له جزيل شكري مُعجباً بتأليفه القيِّم .

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة البحّاثة المدقّق والثبت المتتبِّع حجَّة الإسلام الاستاذ الكبير شيخنا الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم .

أبعث إليكم رسالة بعجز مرسلها ناطقة ، وبعفوكم وقبولكم عارفة ، وبفيض فضلكم مغمورة ، دمتم للمؤمنين ذخراً وللمسلمين فخراً ، فأريج المسك يعبق من نفحات همّتكم الفيّاضة بالعمل النافع ، وديم الفضل تغدق من سماء مجدكم الشامخ بالعلم الوفير ، وضياء بدر عزيمتكم يسطع من غرر أعمالكم الخالدة ، وينير في جنبات العالم بأنوار تعاليمكم ، ونجوم مؤلّفاتكم المتألّقة في آفاق الدنيا المدلهمَّة ، هي ممّا جاد به يراعكم وأفاض به فكركم ، كللتم تاج العصر الحاضر بما أتحفتموه من درر بيانكم وجواهر كلامكم لا سيّما في «الغدير» الذي أروى الغليل وأشفى العليل ، فإنَّه آيات تنزل من وحي الضمير الصّادق على الصدر الرحيب ، وبيّنات من الهدى والفرقان ، مقتبسات من أحاديث النبيِّ الأمين ، ومستقاة من نهج بلاغة أمير المؤمنين ، وإنَّه آيات تصكُّ المسامع بالحجج وتأخذ

بالمسلمين إلى الصراط السويِّ ، وهي بنفسها حصونٌ منيعة لسور الإيمان ، وأسلاك شائكة على حمى الولاية تمنع عنها العدوان وتردُّ الأيدي الأثيمة ، فكم للمسلمين من ثغر سدَّدتموه بمدادكم وحرستموه بعيون مؤلَّفاتكم . .

فللغدير فصول من الثناء وللمحاسبات التاريخيَّة فيه أبوابٌ من المدح سجّلها لكم التاريخ بمداد البقاء على ألواح الخلود ، وللردود بنودٌ من الإطراء تتَّصل بالأجيال اتِّصال معقب لما يكتب أو يقال ، وإنّه لعمر الحقِّ موسوعةٌ جامعةٌ كشمس ذات إشعاع متموّج قرَّت فيها عيون ، وأرمصت منها أُخرى ، أو هي كفواكه ذوات طعوم متنوِّعة وروائح شتّى ممّا لذَّ وطاب ، وإنّها لآية الإبداع في العمل ، ومعجزة الزمن الحاضر التي رفعت كلمة المستحيل من قاموس العاملين ، والتي لا يحلم بها مسلمٌ عاملٌ ولا يفكر فيها مؤمن صفر الكفِّ من وضر الدنيا والمساعدين ، فأقدمتم والعزيمة تحفز همّتكم والتصميم يوكلكم ، فكانت كأحسن ما تكون موسوعة اشتركت في مواضيعها جمعيَّة جزَّأتها حسب الإختصاص والكفاءات ، وبرزت تبعث في القلوب بهجة وروعة ، وترسل إلى الأرواح متعاً وغذاءً ، وتوصل النفوس من كشف الغيوب إلى عالم الشهادة والسّعادة ، فحيّا الله جدَّكم الذي لم يخر أمام مشاكل ملتوية ، ومرحاً لسعيكم المشكور الذي لم يثنه شيءٌ من مهمّات الامور ، فأمدَّ الله إلى قوَّتكم قوَّة ، وأعانكم منه على عملكم الدائب المستمرِّ ، وأخذ بناصركم إنّه سميعٌ مجيب ، هذه تذكرةٌ وذكرى ، تذكرةٌ للعاملين وذكرى لمقامكم الرفيع وقوَّة جهادكم لمناصرة الدين .

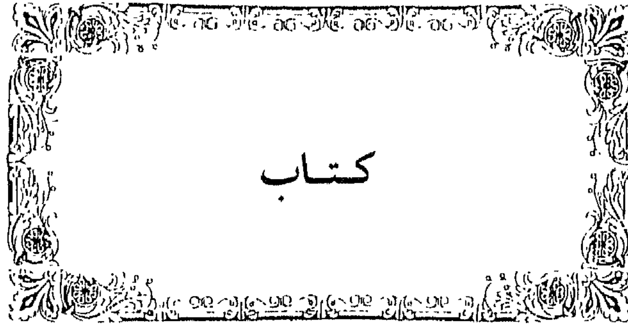
فالحقُّ على المؤمنين أن يفتخروا برجلهم الفذِّ ، وواحدهم الذي غالب آحاداً ممّن دوَّخوا التاريخ بالصيت وملأوا الكتب بالشهرة ، والواجب عليهم أن يقرنوا الشكر له بالدعاء في دوام البقاء ، ويأخذوا بهدى آل البيت النبويِّ الطاهر من حامل علومهم المناضل المجاهد العالم العامل ، فهو ممّن منحه الله ملكة الإيحاء إلى القلوب النقيَّة وأمكنه من إفهام الطبقات الراقية من أهل الثقافات العالية بما يزيل به عنهم درن صدورهم ويزيح عنهم وساوس شكوكهم بالحقائق الراهنة والصراحة المحبّبة .

فيا أيُّها المولى الجليل ! تحيَّة المتفاني بالإخلاص إليكم ، وسلام المغمور

بفيض فضلكم ، وثناء المتربِّع على مائدة علمكم التي دعوتم إليها القريب والبعيد .

إنِّي أُجلُّ مقامكم السامي عن المدح والثناء ، لأنِّي عيٌّ وحصورٌ فلا أفي ببعض الواجب ، ولكنِّي سايرت القلم الملهم من يراعكم لما رأيته يحنو لعظمتكم ويهمس من هيبتكم ، فليكن الرضا منكم شفيعاً بالقبول ، والصدر منكم رحيباً للتقصير أو القصور ، ولكم الفضل أولاً ويعود إليكم آخراً كما كان بولائكم متَّصلاً .

حسين الموسوي الهندي
«خرنابات» ٢٨ محرم الحرام ١٣٧١



أتانا من شيخنا العَلَم الأوحد حجَّة الإسلام مولانا الشيخ حيدر قلي الشهير بسردار الكابلي قطين كرمانشاه صاحب التآليف الضخمة الفخمة القيّمة حيّاه الله وبيّاه ذخراً للملأ العلمي ، وشكراً له وألف شكر ، وإليك نصّه :

يتشرَّف بتقبيل أنامل العلم العلّامة البحّاثة الفهّامة حجَّة الإسلام والمسلمين عماد المؤمنين مولانا المبرَّأ من كلِّ شين الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إنّي أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلّا هو ، وأُصلّي وأُسلّم على سيِّد رسله وأشرف أنبيائه ، وعلى وصيِّه بالصِّدق وخليفته بالحقِّ ، الذي نصبه يوم الغدير علماً لعباده ومناراً في بلاده ، وعلى بنيه الأئمَّة الهداة والأوصياء الولاة من بعده ، لئلّا يكون للنّاس على الله حجَّة بعد الرسل وأوصيائهم ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى مَن حيَّ عن بيِّنة صلّى الله عليهم وسلّم .

أمّا بعد : فقد أتاني رسولٌ من عندك بغالية فيها حياة القلوب وشفاء النفوس ، ألا وهي كتاب «الغدير» فرأيته بحراً متلاطماً تيّاره ، متراكماً زخّاره ، لولا أنّه سفينة

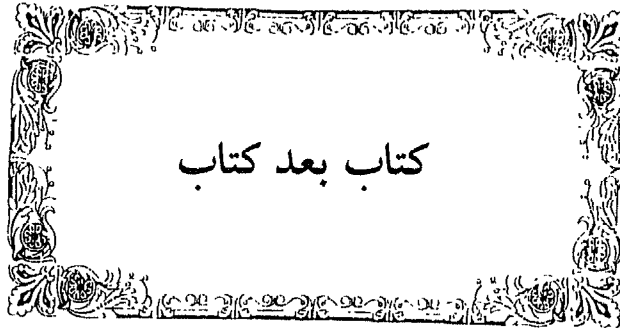
مشحونة بجواهر الحقائق العوالي ولآلـي الأسرار الغـوالي ، غير أنّـه شمسٌ أشرقت من أُفق الغريِّ فأضاءت الدنيـا بنورهـا الأبهج ، وأمـاطت غياهب الشبهـات بضيائها الأبلج ، بيد أنّه دائرة المعارف الإلّهيّة وسفط من العلوم الربّانيّة ، لولا أنّه روضةٌ من ريـاض القدس فيهـا ما تلذُّ بـه العين وتشتهيه النفس ، فتـرى طيورهـا شـادية على أفنانها ، وحمامها مغرِّدة على أغصانهـا بأنـواع الألحان المـطربة ، فتجـذب القلوب الصـافيـة والنفـوس الـزاكيـة إلى مقـامـات الصفـاء ومنـازل الإنس ، غـرستهـا يـد الـولايـة الـربّانيَّـة العظمى والخـلافة الإلّهيّـة الكـبرى ، فيهـا زرافـاتٌ من الأوليـاء وكبـار الأمَّـة ، وثلّةٌ من العلماء الأبـرار والفقهاء الأخيـار ، وصنوفٌ من العـرفـاء والحكـماء ، وصفـوفٌ من الأُمـراء والشعـراء وعباقـرة الأدب واقفين على باب الحضـرة العلويّة على مشـرّفها الـصَّـلاة والسَّلام ، والعلاّمـة «الأميني» يُنزلهم في منـازلهـم المعلومة بـأمر مـولاه صلوات الله وسلامه عليه على حسب درجاتهم ، يتذاكرون الأحاديث النبويَّة على ضفَّة الغدير ، وينشدون الأشعار الغديريَّة ، فيطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون بأكـواب وأباريق وكـأس من معين ، يُسقـون من رحيق مختـوم ختـامـه مسـك ، وفي ذلـك فليتنـافس المتنـافسـون ، ثمَّ يصلهم بمقـامـات الصِّلة ويُخبـرهم على حسب طبقـاتهم وحسن طـويَّاتهم وصفـاء نيّاتهم بمـا لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ، فهنيئاً لـك أيُّها الأمينيّ ولهم ، وأذاقنا الله تعالى بفضله رشفـة أو رشحة من ذلـك الغديـر العذب إنّـه غفورٌ رحيم ، وآخر دعوانا أن الحمدلله ربِّ العالمين ، وصلّى الله على محمَّد وآله .

مخلصكم في الوداد

حيدر قلي الكابلي عفي عنه

إنّا للّه وإنّا إليه راجعون

فجعنا بفقد هذا العلم الشامـخ ، فقيد العلم والـدين ، صبيحة الثـلاثاء رابـع جمادى الاولى سنة ١٣٧٢ هـ . وفد إلى ربّه الكريم بعد إقامة فريضة الصبـح قدس الله سرَّه ، ويوافك تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى .



أتيانا من الخطيب المفوّه الاستاذ محمّد نجيب زهر الدين العاملي مدرّس العلوم الدينيّة في الكلّية العامليّة ببيروت ، بالغ بهما في الثناء على كتابنا «الغدير» وممّا جاء في كتابه الأوّل قوله :

فإنّي من أشدّ المعجبين بفضلكم ، المشيدين بآثاركم ومآثركم ، وأبحاثكم الطريفة المفيدة ، وفوائدكم التي ظهرت واضحة جليّة ، وبرزت ساطعةً قويّة في كتابكم الجليل الخالد ، ومؤلّفكم العظيم النّادر : «الغدير» السفر الذي بزَّ الأسفار ، والذي كشفتم به النقاب عن وجه الحقِّ المقنّع ، وجلوتم به الحقيقة سافرة رقراقة ، فحيّاكم الله وجزاكم عن صاحب يوم الغدير خير الجزاء على هذا المجهود الجبّار الذي سوف يبقى مدى الأجيال ذكراً مذكوراً ، وعملاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً . إلى أن قال :

رأيت من الواجب عليَّ أن أرد منهل مولانا العلاّمة «الأميني» هذا المنهل العذب ، وأروي ظمأ نفسي وعقلي من غديره الصافي ، ثمّ أعود مِن هذا الورود بذلك الريّ بمجموعة نفيسة وتحفة غالية من دُرر عالمنا «الأميني» ولآليه فأنثرها على صهوات المنابر ومواقف التدريس على عقول الجماهير وأفكار الناشئة حِكماً نافعة ، وحججاً قاطعة ، وشعلةً وهّاجةً ، وقبساً منيراً .

ومن فصول كتابه الثاني المؤرّخ بـ ٨ شوّال سنة ١٣٧٠ قوله :

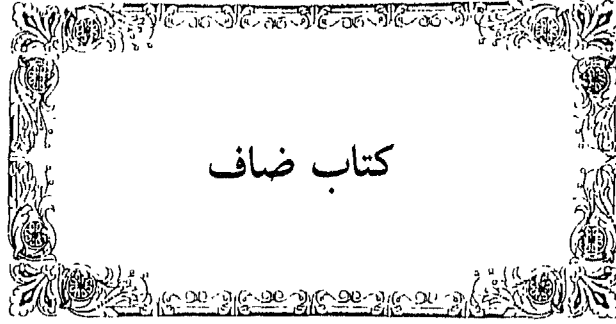
و«الغـدير» بعـدُ سفر ضخم من أسفار الحقيقـة والخلود ، لأنّـه كتـاب حقّ ، وصحيفـة صدق ، وديـوان للعلم والحكمة والأدب والتـاريخ ، ومنهـل عذب لـروّاد الحديث ودرايته وفنونه ، ومصـدرٌ لتتبّع الحـوادث الفذّة واستقـرائها ، ومنبـعٌ فيّاضٌ بالأدلّة الساطعة ، والبـراهين القاطعـة الدالّـة على إمامـة صاحب البيعـة يوم الغـدير سلام الله عليه ، والناطقة بفضله وفضل الأئمّة من بنيه عليه وعليهم أطيب التحيّـات وأزكى الصّلوات .

وما كان «الغدير» ليَخرج للنّاس بهـذه الحلة القشيبة والثـوب النقيِّ الفضفاض لـولا بيان «الأميني» النـاصع ، وعلمـه الناجـع ، واسلوبه الـرائع ، وأدبـه الممتع ، ودليله المقنع ، وبلاغته الواضحة ، وحجّته اللائحة ، وديباجته المشـرقة ، وبـراعته المعرقة ، ومنـطقه السـديد ، وبحثـه المفيد ، وتعبيـره الرائق ، وتجـرُّده الصّادق ، وجهده الكبير ، وعناؤه الكثير !! .

فشكـراً للعـلاّمـة «الأميني» وألف شكـر . . وثنـاء على جهـده وجهـاده وألف ثنـاء . . ومرحى لآثـاره العلميَّة النـافعة ، وجـزاه الله عن الإسلام ونبيِّـه وعتـرة نبيِّـه أحسن الجزاء .

وليأذن لي علاّمتنا «الأميني» أن أُسجِّل لديه بهـذه المناسبـة شكراً خـاصّاً لمن شرَّفني بالتعرُّف على شخصيَّة مؤلِّف «الغدير» الفـذَّة ، وإيمانـه الراسـخ ، وعقيدتـه الصافية ، وأخلاقه السمحة ، ومقاصده النبيلة ، ونصرته للحقِّ وأهله بروحه وماله ، ولسانه ويده ، ونفسه ونفيسه ، وعلمه وعمله ، نسأل الله له التوفيق والتأييـد والفلاح والنجاح .

وليعلم مـولانا «الأميني» أنِّي عـاملٌ على الإستقـاء من آثاره لأنشـرهـا ، ومِن آدابه لأبثّها ، ومن معـارفه لأذيعهـا في المدرسـة تارة ، وفي المجتمـع طوراً ، ومِن على منبر الخطابة تارةً أُخرى . الخ .



كتاب ضاف

جاءنا من الاستاذ القدير سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي من ناحية الكميت ، يحتوي على معان فخمة يطري بها كتاب «الغدير» ويشكر جهودنا في تأليفه ، ويذكر موقف الملأ الدينيّ تجاهه ، ومن جملة قوله :

فقد تصفّحنا سفركم الغدير بأجزائه الثمانية فوجدناه سفراً جليلاً ضمّ بين طيّاته آيات الحقّ الواضحة والبراهين الساطعة التي إن دلّت فإنّما تدلّ على مدى حبّكم لآل البيت وتفانيكم في سبيل إظهار الحقّ ومحق الباطل .

سيّدي ! لقد أظهرتم ـ ولست بمبالغ ـ للملأ الإسلاميّ خاصّة سفراً عجز عن مثله السابقون وقد يعجز عنه الاحقون ، فما سعيكم طيلة حقب كثيرة مضت وما اجتيازكم عقبات جمّة صادفتموها أثناء التنقيب والتفتيش عن البراهين والحجج القويّة التي تثبت بدورها غايتكم التي تريدون إثباتها وإظهارها للملأ ما هو إلاّ أن تظهروا ذلك السفر بمظهره اللائق به ، وحقّاً فقد جاء كما أنشدكم .

«الغدير» يا سيّدي هو ذلك الكتاب الزاخر باللآلىء الوضّاءة التي تكشف عن الحقائق المطمورة ، وظهور تلك الحقائق بدوره يذهب كلّ باطل ظاهر ، فكم ضال اهتدى بنور ذلك السفر الجليل وآب إليه عقله ، وكم من متحمّس إلى إظهار لواء

الحقِّ إلَّا وقد رفع رأسه عالياً بفضل هذا الكتاب الجليل . الخ .

ناحية الكميت　　　　سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي

١٠ رمضان سنة ١٣٧٠ هـ　　　　١٥ حزيران سنة ١٩٥١ م

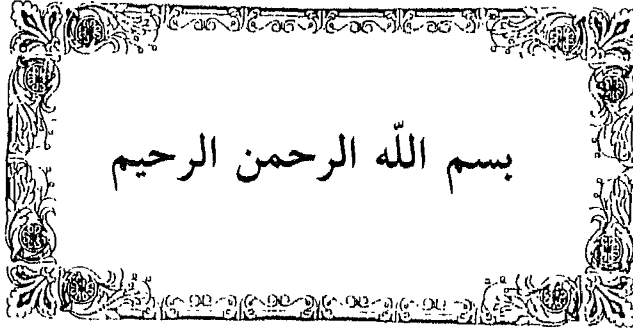
* * *

وهناك عدّة كتب في تقريظ «الغدير» أتتنا من بعض الأعلام والأساتـذة الأفذاذ أرجأنا نشرها إلى آونة أُخرى ، نقدّم للجميع شكرنا الجزيل المتواصل .

الجزء التاسع

يتضمن تراجم جمع من أعاظم الصَحابة، رجال الدعوة الصالحة. والبحث عمّا لفّقته يد الافتعال من التاريخ المزوّر. وما ألّفته سماسرة الجهل والدجل من الكتب. والاعراب عن صحيح ما في قصّة قتيل الصَحابة «عثمان» واخفاق ما هنالك من جلبة ولغط، أو مكاء وتصدية.

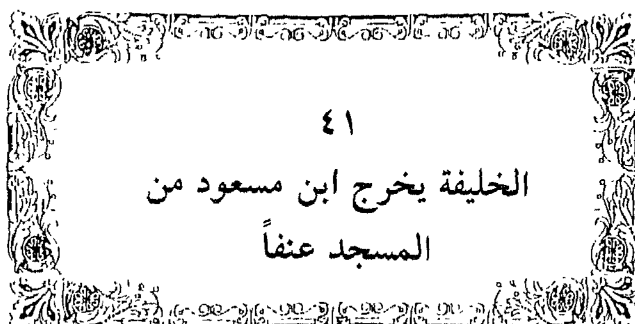
والله وليّ التوفيق



سُبحانَكَ ! ما كانَ لنا أنْ نَتَّخِذ مِنْ دُونِك مِنْ أولياءَ ، فـالحَقُّ والحقَّ أقـولُ ، حقيقٌ عليَّ أنْ لا أقـولَ عَلى الله إلّا الحقَّ ، مِنَ النَّـاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي الله بِغيـرِ عِلمٍ وَلا هدىً ولا كِتابٍ مُنير ، وَلدينا كِتابٌ يَنطقُ بـالحقِّ ، كِتابٌ مُصَـدِّقٌ لِساناً عَربيّاً ، إذهبْ بِكتابي هذا فألقِهِ إلَيهِمْ ثُمَّ تولَّ عَنهُمْ ، وقُلْ : جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقاً ، ولقدْ وصَّلنـا لهُمُ القـولَ لعلّهم يَتـذكّـرونْ ، وَلِيعلمَ الـذينَ أُوتـوا العِلمَ أنَّه الحقُّ مِنْ ربِّك فَيُؤمِنـوا بهِ ، فَتُخبِتَ لـهُ قُلوبهُمْ ، إنَّما قَولُ المُؤمِنينَ إذا دُعُوا إلى الله وَرَسُولِهِ ليحكم بينَهُمْ أنْ يقُـولوا : سمعنـا وَأطعنا ، الـذينَ يستمِعُونَ القـولَ فيتَّبعـونَ أحسَنهُ أُولئكَ الذينَ هَداهُمُ الله وأُولئِكَ هُم أُولوا الألبابِ .

يا قوم ! لا أسألكمْ عَليهِ مالاً إنْ أجري إلّا على الله ، لا أسألكُمْ عَليهِ أجـراً إلّا المودَّة في القُـربى ، ومَا عَلينـا إلّا البَلاغ المُبينُ ، إنّما وَليُّكُم الله ورَسولُه وَالـذينَ آمَنُوا الـذينَ يُقيمـونَ الصّلاةَ وَيُؤتـونَ الزَّكـاةَ وَهُم راكِعونَ ، فَـالحَمـدُ لله وَسلامٌ عَلى المُرسلينَ .

الأمينـي



٤١
الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً

أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣٦ قال : حدَّثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما : إنَّ عبدالله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال : مَن غيَّر غيَّر الله ما به . ومن بدَّل أسخط الله عليه ، وما أرى صاحبكم إلاّ وقد غيَّر وبدَّل ، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولّى الوليد ؟ وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو :

إنَّ أصدق القول كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمّد ﷺ ، وشرَّ الامور محدثاتها ، وكلّ محدَث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار[١] .

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال : إنّه يعيبك ويطعن عليك ، فكتب إليه عثمان يأمُره بإشخاصه فاجتمع الناس فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيءٌ تكرهه ، فقال : إنَّ له عليَّ حقّ الطاعة ولا أُحبُّ أن أكون أوّل من فتح باب الفتن . وفي لفظ أبي عمر : إنّها ستكون امور وفتن لا أُحبّ أن أكون أوّل من فتحها . فردَّ الناس وخرج إليه[٢] .

---

(١) هذه جملة من كلمة ابن مسعود وقد أخرجها برمتها أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص١٣٨ وهي كلمة قيمة فيها فوائد جمة .
(٢) الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ .

قال البلاذري : وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن فقالوا له : جزيت خيراً فلقد علّمتَ جاهلنا ، وثبَّت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقَّهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل ، ثمَّ ودَّعوه وانصرفوا ، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلمّا رآه قال : ألا إنّه قد قدمت عليكم دُويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال إبن مسعود : لست كذلك ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان . ونادت عائشة : أي عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ ثمَّ أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبدالله بن زمعة الأرض ، ويقال : بل احتمله «يحموم» غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقَّ ضلعه ، فقال عليٌّ : يا عثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة ؟ فقال : ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجّهت زُبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له إبن مسعود : إنَّ دم عثمان حلال ، فقال عليٌّ : أحلت عن زبيد على غير ثقة .

وفي لفظ الواقدي : إنَّ ابن مسعود لمَّا استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلمَّا علم عثمان بدخوله قال : يا أيُّها الناس! إنَّهُ قد طرقكم الليلة دُويبةٌ ، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله يوم بدر ، وصاحبه يوم بيعة الرضوان ، وصاحبه يوم الخندق ، وصاحبه يوم حنين ، قال : وصاحت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ؟ فقال عثمان : اسكتي . ثمَّ قال لعبدالله بن زمعة : أخرجه إخراجاً عنيفاً ، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال إبن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

قال البلاذري : وقام عليٌّ بأمر إبن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برىء الغزو فمنعه من ذلك وقال له مروان : إنَّ ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أفتريد أن يُفسد عليك الشام ؟ فلم يبرح المدينة حتّى توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين ، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين .

وقال قومٌ : إنّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص ، ولمّا مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربِّي . قال : ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : أفلا آمر لك بعطائك[1] ؟ قال : منعتنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لولدك ، قال : رزقهم على الله . قال : إستغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي ، وأوصى أن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم فلمّا علم غضب ، وقال : سبقتموني به ؟ فقال له عمّار بن ياسر : إنّه أوصى أن لا تصلّي عليه . فقال ابن الزبير[2] :

لأعرفنّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وفي لفظ ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٦٣ : جاءه عثمان في مرضه عائداً فقال له : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربِّي . قال: ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لي به. فقال: يكون لبناتك من بعدك ، فقال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إنِّي أمرت بناتي أن يقرأن كلَّ ليلة سورة الواقعة وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَن قرأ الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقةٌ أبداً .

وقال البلاذري : كان الزبير وصيّ ابن مسعود في ماله وولده ، وهو كلّم عثمان في عطائه بعد وفاته حتّى أخرجه لولده ، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر ، وقومٌ يزعمون أنَّ عمّاراً كان وصيّه ووصيَّة الزبير أثبت .

وأخرج البلاذري من طريق أبي موسى القروي بإسناده : انَّه دخل عثمان على إبن مسعود في مرضه فاستغفر كلّ واحد منهما لصاحبه ، فلمّا انصرف عثمان قال بعض من حضر : إنَّ دمه لحلال . فقال إبن مسعود : ما يسرُّني أنَّني سددت إليه سهماً يخطئه وأنَّ لي مثل أُحد ذهباً .

---

(١) قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٦٣ : كان قد تركه سنتين .

(٢) كذا والصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ : فتمثل الزبير .

وقال الحاكم وأبـو عمر وابن كثيـر : أوصى إبن مسعود إلى الـزبير بن العـوام فيقال : إنَّه هـو الذي صلّى عليـه ودفنه بـالبقيع ليـلاً بإيصـائه بـذلك إليـه ولم يعلم عثمان بدفنه ، ثمَّ عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيـل : بل صلى عليـه عثمان ، وقيل : عمّار[١] .

وفي روايـة توجـد في شـرح ابن أبي الحـديـد ج ١ ص ٢٣٦ : لمّـا حضـره الموت قال : مَن يتقبّل منّي وصيَّة اوصيـه بها على مـا فيها ؟ فسكت القـوم وعرفـوا الذي يريد فأعادها فقـال عمّار : أنـا أقبلها ، فقـال ابن مسعود : أن لا يصلّي عليَّ عثمان . قال : ذلك لك ، فيقـال : إنَّه لمّـا دفن جاء عثمـان منكراً لـذلك فقـال له قائلٌ : إنَّ عمّـاراً وليُّ الأمر . فقـال لعمار : مـا حملك على أن لم تؤذني ؟ فقال : عهـد إليَّ أن لا اؤذنـك . إلـخ . وذكـر كـلَّ مـا رويـنـاه عن البـلاذري مـع زيـادة ، فراجع .

وفي لفظ اليعقوبي : إعتلَّ إبن مسعود فأتاه عثمان يعـوده فقال لـه : ما كـلام بلغني عنك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي إنَّك أمـرت بي فوطىء جـوفي فلم أعقل صلاة الظهـر ولا العصر ومنعتني عـطائي . قال : فـإنّي اقيدك من نفسي فـافعل بي مثل الذي فعل بك . قـال : ما كنت بالذي أفتـح القصاص على الخلفـاء . قال : فهذا عطاؤك فخـذه ، قال : منعتنيـه وأنا محتـاجٌ إليه . وتعـطينيه وأنـا غنيٌّ عنه ، لا حاجة لي به . فانصرف فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتّى توفّي .

[تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٧] .

وأخرج محمَّد بن إسحـاق عن محمّد بن كعب القـرظي : إنَّ عثمان ضـرب إبن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر .

[شرح إبن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٧] .

وفي تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨ : حبس (عثمان) عن عبد الله بن مسعود وأبي ذر عطاءهما وأخرج أبا ذر إلى الربذة وكان بها إلى أن مات . وأوصى (عبدالله) إلى الزبير وأوصاه أن يصلّي عليه ولا يستـأذن عثمان لئـلاّ يصلّي عليه ، فلمّـا دفن وصل

---

(١) المستدرك ج ٣ ص ٣١٣ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣ .

عثمان ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين . وأجاب بأنّ عثمان كان مجتهداً ولم يكن من قصده حرمانه ، إمّا التأخير إلى غاية أدباً ، وإمَّا مع حصول تلك الغاية أو دونها وصل به ورثته ولعلّه كان أنفع له .

وفي السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ من جملة ما انتُقم به على عثمان : أنَّه حبس عبدالله بن مسعود وهجره ، وحبس عطاء أُبيٍّ بن كعب ، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لمّا شكاه معاوية ، وضرب عمّار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنَّك منافق . الخ .

قال الأميني : لعلّك لا تستكنه هذه الجرأة ولا تبلغ مداها حتّى تعلم أنَّ ابن مسعود مَن هو ، فهنالك تؤمن بأنَّ ما فُعل به حوبٌ كبير لا يبرّر مَن ارتكب به أيّ عذر معقول فضلاً عن التافهات .

١ ـ أخرج مسلم وابن ماجة من طريق سعد بن أبي وقاص قال نزل قوله تعالى : ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما مِن حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين**﴾[1] في ستة نفر منهم عبدالله بن مسعود .

راجع تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٨ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣١٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٠٠ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٥ ، تفسير إبن جزي ج ٢ ص ١٠ ، تفسير الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

٢ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٠٨ ط ليدن من طريق عبدالله بن مسعود نزول قوله تعالى : ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم**﴾[2] في ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم .

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٢ .
(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٢ .

وذكر ابن كثير والخازن في تفسيرهما انّ ابن مسعود ممّن نزلت فيهم الآية .

٣ - ذكر الشربيني والخازن نزول قوله تعالى : ﴿**أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة**﴾ . في إبن مسعود وعمّار وسلمان . يأتي تفصيله بُعيد هذا في ترجمة عمّار .

٤ - عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : عبدالله يوم القيامة في الميزان أثقل من أُحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لهما (يعني ساقي ابن مسعود) أثقل في الميزان من أُحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لساقا عبدالله يوم القيامة أشدُّ وأعظم من أُحد وحراء .

راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٧ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٧٠ ، مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٨٩ ، وقال : أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أُمّ موسى وهي ثقة ، ورواه من طريق البزّار والطبراني فقال : رجالهما رجال الصحيح . كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ج ٧ ص ٥٥ نقلاً عن الطبراني والضياء وابن خزيمة وصحّحه .

٥ - عن علقمة وعمر في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرَّه أن يقرأ القرآن غضّاً . أو : رطباً ، كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن امِّ عبد .

أخرجه أبو عبيد في فضائله ، أحمد ، الترمذي ، النسائي ، البخاري في تاريخه ، إبن أبي خزيمة ، إبن أبي داود ، إبن الأنباري ، عبد الرزاق ، إبن حبان ، الدارقطني ، إبن عساكر ، أبو نعيم ، الضياء المقدسي ، البزّار ، الطبراني ، أبو يعلى ، وغيرهم .

راجع سنن إبن ماجة ج ١ ص ٦٣ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٨ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١

ص ١٥٦ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٨٧ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨١ .

٦ ـ عن أبي الدرداء مرفوعاً في حديث : رضيت لأُمَّتي ما رضي الله لها وابن أُمِّ عبد ، وسخطت لأُمَّتي ما سخط الله لها وابن أُم عبد .

أخرجه البزار والطبراني ورجال البزّار ثقات كما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٠ ، ورواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ويوجد في كنز العمّال ج ٦ ص ١٨١ وج ٧ ص ٥٦ .

٧ ـ عن عبدالله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي[1] حتّى أنهاك . قال إبن حجر : أخرجه أصحاب الصحاح .

مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٨ ، سنن إبن ماجة ج ١ ص ٦٣ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ .

٨ ـ أخرج الترمذي من طريق عبدالله في حديث قال : قال رسول الله ﷺ : تمسّكوا بعهد إبن أُم عبد .

وفي لفظ أحمد : تمسّكوا بعهد عمّار ، وما حدَّثكم إبن مسعود فصدِّقوه .

راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٥ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٦٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، كنز العمّال ج ٧ ص ٥٥ .

٩ ـ سُئل عليٌّ (أمير المؤمنين) عن إبن مسعود قال : علم القرآن وعلم السنّة ثمَّ انتهى وكفى به علماً .

---

(١) كذا في جميع المصادر والسواد بالكسر : السرار . يُقال : ساودت الرجل أي سارَرْتُه . وحسبه ناشر حلية الأولياء غلطاً فجعله في المتن «سراري» وقال في التعليق : في الأصلين : سوادي .

راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٢٩ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣١٨ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٧ .

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣١٥ من طريق حبة العرني قال : إنَّ ناساً أتوا عليّاً فأثنوا على عبدالله بن مسعود فقال : أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل : من قرأ القرآن وأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، فقيهٌ في الدين ، عالمٌ بالسّنة .

١١ ـ أخرج الترمذي بإسناد رجاله ثقاتٌ من طريق حذيفة بن اليمان : إنَّ أشبه الناس هدياً ودلاًّ وسمتاً بمحمَّد صلى الله عليه وآله عبدالله .

وفي لفظ البخاري : ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاًّ برسول الله صلى الله عليه وآله من إبن أم عبد ، وزاد الترمذي : ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ إبن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى . وفي لفظ أبي نعيم : إنّه من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وفي لفظ أبي عمر : سمع حذيفة يحلف بالله ما أعلم أحداً أشبه دلاًّ وهدياً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبدالله بن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أنّه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة .

وفي لفظ علقمة : كان يشبّه بالنبيِّ في هديه ودلّه وسمته .

راجع صحيح البخاري كتاب المناقب . مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٩ ، المستدرك ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣٢٠ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، مصابيح السنَّة ج ٢ ص ٢٨٣ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٦٢ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٧ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، كنز العمّال ج ٧ ص ٥٥ .

١٢ ـ أخرج الشيخان والترمذي عن أبي موسى قال : قدمتُ أنا وأخي من اليمن وما نرى ابن مسعود إلاّ أنّه رجل من أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله لما نرى من دخوله ودخول أُمّه على النبيِّ صلى الله عليه وآله .

راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣١٤ ، مصابيح السنَّة ج ٢ ص ٢٨٤ ،

تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ نقلاً عن الشيخين والترمذي ، تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ١٦٢ ، مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٨٧ ، الإصابة ج ٨ ص ٣٦٩ قال : عند البخاري في التاريخ بسند صحيح .

١٣ ـ أخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٠٣ من طريق عمرو بن العاصي قال : مات رسول الله ﷺ وهو يحبُّ عبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٠ بلفظ : مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنه . حكاه عن أحمد والطبراني فقال . رجال أحمد رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن أبي العاص الثقفي كما في كنز العمّال ج ٧ ص ٥٦ .

١٤ ـ أخرج البخاري من طريق عبدالله بن مسعود قال : أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإنَّ زيد بن ثابت لصبيٌّ من الصبيان . وفي لفظ : أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت وله ذؤابة يلعب مع الغلمان . وفي لفظ : ما ينازعني فيها أحد .

حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٥ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٨ وصحّحه كنز العمّال ج ٧ ص ٥٦ نقلاً عن إبن أبي داود .

١٥ ـ أخرج البغوي من طريق تميم بن حرام[1] قال : جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبّ إليَّ أن أكون في صلاحه من إبن مسعود ، الإصابة لإبن حجر ج ٢ ص ٣٧٠ .

وأخرجه البخاري في تاريخه ج ١ قسم ٢ ص ١٥٢ ولفظه : أدركت أبي بكر وعمر وأصحاب محمَّد عليه السلام فما رأيت أحداً . الخ .

١٦ ـ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة : كان عبدالله صاحب سِواد رسول الله ﷺ يعني سرّه .

وعن أبي الدرداء : ألم يكن فيكم صاحب السواد عبدالله ؟ .

(١) في تاريخ البخاري : حذلم .

وعن عبدالله بن شدّاد : انَّ عبدالله كان صاحب السِواد والوساد والسواك والنعلين[١] .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٨ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ ، طرح التشريب ج ١ ص ٧٥ .

١٧ - عن أبي وائل قال إبن مسعود : إنِّي لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم وما في كتاب الله سورة ولا آية إلّا وأنا أعلم فيم أُنزلت ومتى نزلت . قال أبو وائل : فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه .

أخرجه الشيخان والنسائي كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، وذكره اليافعي في مرآته ج ١ ص ٨٧ .

هذا ابن مسعود :

وهذا علمه وهديه وسمته وصلاحه وزلفته إلى نبيِّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم ، أضف إلى ذلك كلّه سابقته في الإسلام وهو سادس ستة ، وهجرته إلى الحبشة ثمَّ إلى المدينة ، وشهوده بدراً ومشاهد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّها ، وهو أحد العشرة المبشَّرة بالجنَّة كما في رواية أبي عمر في الإستيعاب ، ولعلّك لا تشكُّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة والتاريخ في أنَّه لم يكن له دأب إلّا على نشر علم القرآن وسنَّة الرسول وتعليم الجاهل ، وتنبيه الغافل ، وتثبيت القلوب ، وشدِّ أزر الدين ، في كلّ ذلك هو شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هديه وسمته ودلِّه ، فلا تجد فيه مغمزاً لغامز ، ولا محلاًّ للمز لامز ، وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلّمهم أُمور دينهم ، وبعث عمّاراً أميراً وكتب إليهم : إنَّهما من النجباء من أصحاب محمَّد من أهل بدر ، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما ، وقد آثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي[٢] وقد سمعت ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم : جُزيت خيراً ، فلقد علّمت

---

(١) كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله ويحمل نعليه . قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٦ : ص ٢٨ .

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، ج ٢ : ص ٤٣٦ ، الاصابة ج ٢ ص ٣٦٩ .

جاهلنا وثبَّتَ عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقَّهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل .

كان إبن مسعود أوَّل من جهر بالقرآن بمكّة ، إجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قطّ ، فمن رجلٌ يسمعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسعود : أنا . قالوا : إنّا نخشاهم عليك ، إنَّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإنَّ الله سيمنعني ، قال : فغدا إبن مسعود حتّى أتى المقام في الضحى ، وقريشٌ في أنديتها ، حتّى قام عند المقام ثمَّ قرأ : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم . رافعاً بها صوته . ﴿الرّحمٰن علّم القرآن﴾. قال: ثمَّ استقبلها يقرؤها ، قال : وتأمّلوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال إبن أُم عبد ؟ قال : ثمَّ قالوا : إنَّه ليتلو بعض ما جاء به محمَّد ﷺ فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثمَّ انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن . ولئن شئتم لأُغادينَّهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون(١)

وقد هذَّبته تلكم الأحوال وكهربته ، فلم يُسق لمغضبة على باطل ، ولم يحده طيشٌ إلى غاية ، فهو إن قال فعن هُدى ، وإن حدَّث فعن الصادع الكريم صدقاً ، وإن جال ففي مستوى الحقّ ، وإن صال فعلى الضلالة ، وعرفه بذلك مَن عرفه من أوّل يومه ، وكان معظماً مبجَّلاً لدى الصحابة وكانوا يحذرون خلافه والردَّ عليه ويعدُّونه حوباً قال أبو وائل : إنَّ ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال : إرفع إزارك . فقال : وأنت يابن مسعود ! فارفع إزارك . فقال : إنِّي لست مثلك إنَّ بساقي حموشة وأنا آدم الناس فبلغ ذلك عمر فضرب الرجل ويقول : أتردّ على ابن مسعود(٢)؟ .

وأخرج أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ بالإسناد عن علقمة قال : جاء

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٧ .
(٢) الاصابة ج ٢ ص ٣٧٠ ، كنز العمّال ج ٧ ص ٥٥ .

رجلٌ إلى عمر وهو بعرفات فقال : جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه فغضب عمر غضباً شديداً وقال : ويحك ومن هو ؟ قال عبدالله بن مسعود . قال : فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله وقال : والله ما أعلم من النّاس أحداً هو أحقُّ بذلك منه .

فلماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاؤه سنين ؟ ثمّ يأتيه مَن سامه سوء العذاب وقد خالجه الندم ولات حين مَندم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها إبن مسعود وهو في منصرم عمره ، ويسأل ربّه أن يأخذ له منه بحقّه ، ثمّ يتوجّه إلى النعيم الخالد مُعرضاً عن الحطام الزائل ، موصياً بأن لا يصلّي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع .

لماذا فُعل به هذا ؟ ولماذا شُتم على رؤوس الأشهاد ؟ ولماذا أُخرج من مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مُهاناً عنفاً ، ولماذا ضُرب به الأرض فدُقّت أضالعه؟ ولماذا بطشوا به بطش الجبّارين ؟ .

كلّ ذلك لأنّه امتنع عن أن يبيح للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال الكوفة يوم كان عليه ما أمر به ، فألقى مفاتيح بيت المال لما لم يجد من الكتاب والسنّة وهو العليم بهما مساغاً لهاتيك الإباحة ولا لأثرة الآمر بها ، وعلم أنّها سوف تتبعها من الأُعطيات التي لا يقرّها كتاب ولا سنّة ، فتسلّل عن عمله وتنصّل ، وما راقه أن يبوء بذلك الإثم ، فلهج بما علم ، وأبدى معاذيره في إلقاء المفاتيح ، فغاض تلكم الأحوال داعية الشهوات ، وشاخص الهوى الوليد بن عقبة ، فكتب في حقّه ونمَّ وسعى ، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ما عرفت ، ولم تمنع عن ذلك سوابقه في الإسلام وفضائله وفواضله وعلمه وهديه وورعه ومعاذيره وحججه ، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كلّه ، فأوجب نقمة الصحابة على مَن نال ذلك منه ، وإنكار مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام وصيحة أُمّ المؤمنين في خدرها ، ولم تزل البغضاء محتدمة على هذه وأمثالها حتّى كان في مغبّة الأمر ما لم يحمده خليفة الوقت وزبانيته الذين جرّوا إليه الويلات .

ولو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الإنتقام ، أو أعار

لنصح صلحاء الامَّة أُذناً واعية ، أو لم يستبدل بجراثيم الفتن عن محنّكي الرجال ، أو لم ينبذ كتاب الله وسنّة نبيّه وراء ظهره ، لما استقبله ما جرى عليه وعلى من اكتنفه من الوأد والهوان لكنَّه لم يفعل ففعلوا ، ولمحكمة العدل الإلٓهيِّ غداً حكمها البات .

ولابن مسعود عند القوم مظلمةٌ أُخرى وهي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر ، لماذا كان ذلك ؟ لأنَّه دفن أبا ذر لمّا حضر موته في حجَّته . وجد بالربذة في ذلك الوادي القفر الوعر ميتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان .

وجد صحابيّاً عظيماً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقرّبه ويُدنيه قد فارق الدنيا .

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة .

وجد مثالاً للقداسة والتقوى، فتمثَّلت أمام عينيه تلك الصورة المكبَّرة التي كان يشاهدها على العهد النبويِّ .

وجد شبيه عيسى بن مريم في الامَّة المرحومة هدياً وسمتاً ونُسكاً وزُهداً وخُلقاً ، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام .

وجد عزيزاً من أعزّاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً .

وجد في قارعة الطريق جثمان طيِّب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس ، وتسفي عليه الرياح ، وذكر قول رسول الله : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ، ويحشر وحده .

فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمرُّوا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كلِّ مسلم فضلاً عن أبي ذر الذي بشَّر بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنهضوا بالواجب فأودعوه في مقرِّه الأخير والعيون عبرى ، والقلوب واجدة على ما ارتكب من هذا الإنسان المبجّل ، فلمّا هبطوا يثرب نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر ، فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً ، حتى صدر الأمر بجلده

أربعين سوطاً ، وذلك أمرٌ لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطمّ جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة ، فكيف بمثل أبي ذر وعاء العلم ، وموئل التقوى ، ومنبثق الإيمان ، وللعداء مفعولٌ قد يبلغ أكثر من هذا .

أيّ خليفة هذا لم يُراع حرمةً ولا كرامة لصلحاء الامَّة وعظماء الصحابة من البدريِّين الذين نزل فيهم القرآن ، وأثنى عليهم النبيُّ العظيم ؟ وقد جاء في مجرمٍ بدريّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قال عمر : إئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه : مهلاً يابن الخطّاب إنَّه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فإنّي غافرٌ لكم[1] واختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان في زمرتهم لفضلهم المتسالم عليه عند الامَّة جمعاء ، كأنَّ الرجل آلى على نفسه أن يُطلَّ على الامَّة الداعية إلى الخير ، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، بالذلِّ والهوان ، ويُسرَّ بذلك سماسرة الأهواء من بني أبيه ، فطفق بمراده ، والله من ورائهم حسيب .

والمدافع إن أعوزته المعاذير تشبَّث بالطحلب فقال[2] : حداه إلى ذلك الإجتهاد . ذلك العذر العام المصحّح للأباطيل ، والمبرِّر للشنائع ، والوسيلة المتَّخذة لإغراء بسطاء الامَّة ، وذلك قولهم بأفواههم ، **﴿وإنَّ ربَّك يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون﴾**[3] **﴿وإنَّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾**[4] .

٤٢ - مواقف الخليفة مع عمّار :

١ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٨ بالإسناد من طريق أبي مخنف قال : كان في بيت المال بالمدينة سفطٌ فيه حليٌّ وجوهر ، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتى

---

(١) أحكام القرآن ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٢) راجع التمهيد للباقلاني ص ٢٢١ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٤٥ ، الصواعق ص ٦٨ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٣) سورة النمل ؛ الآية : ٧٤ .

(٤) سورة القيامة ؛ الآية : ١٤ .

أغضبوه فخطب فقال : لنأخذنَّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام . فقال له عليٌّ : إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه . وقال عمّار بن ياسر : أُشهد الله إنَّ أنفي أوَّل راغم من ذلك . فقال عثمان : أعليَّ يابن المتكاء[1] تجترىء ؟ خذوه ، فأُخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غُشي عليه ثمَّ أُخرج فحمل حتى أُتي به منزل أُمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال : الحمد لله ليس هذا أوَّل يوم أُوذينا فيه في الله ، وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم فقال : يا عثمان أمّا عليّ فاتَّقيته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتّى أشفيتَ به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنَّ به رجلاً من بني أُميَّة عظيم السُرَّة ، فقال عثمان : وإنَّك لها هنا يابن القسريَّة ؟ قال : فإنَّهما قسريَّتان وكانت أُمّه وجدَّته قسريَّتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج ، فأتى أُمَّ سلمة فإذا هي قد غضبت لعمّار ، وبلغ عائشة ما صنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمَّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنّة نبيِّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبلَ بعدُ . فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى ما درى ما يقول فالتجَّ المسجد وقال الناس : سبحان الله ، سبحان الله ، وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبدالله بن سعد بن أبي سرح فجعل يُكثر التعجب والتسبيح .

وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى أُمِّ سلمة وغضبها لعمّار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ! ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون . واستقبح الناس فعله بعمّار وشاع فيهم فاشتدَّ إنكارهم له .

وفي لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري ص ٨٨ : كان في الخزائن سفطٌ فيه حليٌ وأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أُعطيه مَن شئت وأمنعه مَن شئت فأرغم الله أنف

---

(١) المتكاء : البظراء . المفضاة . التى لا تمسك البول . العظيمة البطن .

من رغم فقال عمّار : أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك . فقال عثمان : لقد اجترأت عليَّ يابن سميَّة ؟! وضربه حتّى غشي عليه فقال عمّار : ما هذا بأوّل ما أوذيت في الله . وأطلعت عائشة شعراً من رسول الله ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه ـ فيما يحسب وهب ـ ثمَّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيِّكم . وقال عمرو بن العاص : هذا منبر نبيِّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبلَ فيكم وقد بدَّلتم وغيَّرتم . فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول .

٢ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٩ : إنَّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدَّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدَّدوا فيه أحداث عثمان وخوَّفوه ربَّه وأعلموه أنَّهم مواثبوه إن لم يُقلع فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعليَّ تقدم مِن بينهم ؟ فقال عمّار : لأنّي أنصحهم لك . فقال : كذبت يابن سميَّة ! فقال : أنا والله ابن سميَّة وابن ياسر . فأمر غلمانه فمدّوا بيديه ورجليه ثمَّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه .

وذكره ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وقال أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٢٢ : وللحلف والولاء اللذين بين بني مخزوم وبين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا : والله لئن مات لَقتلنا به أحداً غير عثمان .

صورة مفصلة :

قال إبن قتيبة : ذكروا أنَّه اجتمع ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً ذكروا فيه : ١ ـ ما خالف فيه عثمان من سُنَّة رسول الله وسنَّة صاحبيه .

٢ ـ وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حقُّ الله ورسوله ، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين .

٣ ـ وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته .

٤ ـ وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله .

٥ ـ وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أُميَّة من أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرَّسول ولا تجربة لهم بالأُمور .

٦ ـ وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح وهو أميرٌ عليها سكران أربع ركعات ثمَّ قال لهم : إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم .

٧ ـ وتعطيله إقامة الحدِّ عليه وتأخيره ذلك عنه .

٨ ـ وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم .

٩ ـ وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة .

١٠ ـ وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأُعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبيِّ ﷺ ثمَّ لا يغزون ولا يذبّون .

١١ ـ وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط ، وأنّه أوَّل من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وإنَّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرَّة والخيزران .

ثمَّ تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممَّن حضر الكتاب عمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة ، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكَم وأهله من بني أُميَّة فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له : أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال : نعم . قال : ومَن كان معك؟ قال : معي نفرٌ تفرَّقوا فرَقاً منك . قال : ومن هم ؟ قال : أُخبرك بهم . قال : فلمَ اجترأت عليَّ من بينهم ؟ فقال مروان : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا العبد الأسود (يعني عمّاراً) قد جرَّأ عليك الناس وإنَّك إنْ قتلته

نَكلتَ بـهِ مَن وراءه . قال عُثمـان : إضربـوه . فضربـوه وضربـه عثمان معهم حتّى فتقوا بطنه فغشي عليه فجرُّوه حتى طرحـوه على باب الـدار ، فأمـرت به أمّ سلمـة زوج النبيِّ ﷺ فـأُدخل منـزلها وغضب فيـه بنو المغيـرة وكان حليفهم ، فلمّـا خـرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بـن المغيرة فقـال : أما والله لئن مـات عمّار من ضربه هذا لأقتلنَّ به رجلاً عظيماً من بني أُميَّة فقال عثمـان : لست هناك . قال : ثمَّ خرج عثمان إلى المسجد فـإذا هو بعليّ وهـو شاك معصـوب الرأس فقـال عثمان : والله يا أبا الحسن ! ما أدري أشتهي موتك أم أشتهي حيـاتك ؟ فـوالله لئن متّ مـا أُحبُّ أن أبقى بعدك لغيـرك ، لأنِّي لا أجد منـك خَلفاً ولئن بقيت لا أعـدم طـاغياً يتَّخـذك سُلّماً وعضـداً ويعدّك كهفـاً وملجأ ، لا يمنعني منـه إلّا مكانـه منك ومكانك منه ، فأنا منك كالإبن العاق من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقَّـه ، فإمّـا سلمٌ فنسالم وإمّا حربٌ فنحارب ، فلا تجعلني بين السَّماء والأرض . فإنَّك والله إن قتلتني لا تجد منِّي خلفاً ، ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ، ولن يلي أمـر هذه الامَّـة بـادىء فتنة . فقـال عليٌّ : إنَّ فيما تكلّمت بـه لجواباً ولكني عن جوابـك مشغـولٌ بـوجعي فأنـا أقول كمـا قال العبـد الصالـح : فصبرٌ جميـل والله المستعان على مـا تصفون . قال مروان : إنّا والله إذاً لنكسـرن رماحنـا ولنقطعن سيـوفنا ولا يكـون في هذا الأمر خيـرٌ لمن بعدنـا ، فقال لـه عثمان : أُسكت ، مـا أنت وهذا ؟ . الإمـامة والسياسة ج ١ ص ٢٩ .

وذكـره مختصراً ابن عبـد ربِّه في العقـد الفريـد ج ٢ ص ٢٧٢ نقـلاً عن أبي بكـر بن أبي شيبة من طـريق الأعمش قـال : كتب أصحـاب عثمـان عيبـه ومـا ينقم الناس عليه في صحيفة فقالوا : من يذهب بها إليه ؟ قـال عمّار : أنـا . فذهب بهـا إليه فلمّا قرأها قال : أرغم الله أنفك قـال : وبأنف أبي بكـر وعمر قـال : فقام إليـه فوطئه حتى غشي عليـه ثمَّ ندم عثمـان وبعث إليه طلحـة والزبيـر يقولان لـه : إختر إحدى ثلاث : إمّا أن تعفو ، وإمّا أن تأخـذ الأرش ، وإمّا أن تقتصَّ ، فقـال : والله لا قبلت واحدة منها حتّى ألقى الله .

٣ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥٤ : وقد روي أيضـاً : أنّه لمّـا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال : رحمه الله . فقال عمّار بن ياسر : نعم فرحمه الله

من كلٍّ أنفسنا . فقال عثمان : يا عاضَّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره ؟ وأمر فدفع في قفاه وقال : إلحق بمكانه فلمّا تهيَّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يُكلّم عثمان فيه فقال له عليّ : يا عثمان ! إتّق الله فإنّك سيّرت رجلاً[١] صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثمَّ أنت الآن تريد أن تنفي نظيره ، وجرى بينهما كلامٌ حتى قال عثمان : أنت أحقُّ بالنفي منه فقال عليٌّ : رُم ذلك إن شئت . واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كلّما كلّمك رجلٌ سيَّرته ونفيتَه فإنَّ هذا شيءٌ لا يسوغ . فكفَّ عن عمّار .

وفي لفظ اليعقوبي : لمّا بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال : رحم الله أبا ذر . قال عمّار : نعم رحم الله أبا ذر من كلِّ أنفسنا . فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان عن عمّار كلام فأراد أن يسيِّره أيضاً ، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال عليٌّ : لا ندع عثمان ورأيه . فجلس عمّار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلّمت به بنو مخزوم فأمسك عنه . تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٠ .

٤ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٩ : إنَّ عثمان مرَّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل : قبر عبدالله بن مسعود فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصّلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطىء عمّاراً حتّى أصابه الفتق .

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وفي لفظ اليعقوبي : توفّي «ابن مسعود» وصلّى عليه عمّار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلمّا انصرف رأى عثمان القبر فقال : قبر مَن هذا ؟ فقيل : قبر عبدالله بن مسعود ، قال : فكيف دُفن قبل أن أعلم ؟ فقالوا : ولي أمره عمّار بن ياسر وذكر أنّه أوصى أن لا يُخبر به ولم يلبث إلّا يسيراً حتّى مات المقداد[٢] فصلى عليه عمّار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به فاشتدَّ غضب

---

(١) يعني سيدنا أبا ذر الغفاري .

(٢) اتفقوا على انّه مات سنة ثلاث وثلاثين ، وتوفي ابن مسعود قبله بسنة او أقل او أكثر .

عثمان على عمّار وقال : ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليماً . تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٧ .

وفي طبقات إبن سعد ج ٣ ص ١٨٥ ط ليدن : إنَّ عقبة بن عامر هو الذي قتل عمّاراً وهو الذي كان ضربه حين أمره عثمان بن عفّان .

قال الأميني : هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على طمأنينته بالإيمان والرضا بقنوته آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، في رجل هو أوّل مسلم اتّخذ مسجداً في بيته يتعبّد فيه[1] في رجل تضافر الثناء عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشفوعاً بالنهي المؤكّد عن بغضه ومعاداته وسبّه وتحقيره وانتقاصه بألفاظ ستقف عليها إن شاء الله تعالى . وقد أكبرته الصحابة الأوَّلون ونقمت على من آذاه وأغضبه وأبغضه ، وفُعِل به كلّ تلكم المناهي ولم يؤثر عن عمّار إلاّ الرضا بما يُرضي الله ورسوله والغضب لهما والهتاف بالحقِّ والتجهُّم أمام الباطل رضي الناس أم غضبوا ، ولم يزل على ذلك كلّه منذ بدء أمره الذي اوذي فيه هو وأبواه ، فكان مرضيّاً عند الله إيمانهم وخضوعهم وبعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذكرهم ورداً لنبيِّ الإسلام فلم يزل يلهج بهم ويدعو لهم ويقول :

إصبروا آل ياسر ! موعدكم الجنّة . من طريق عثمان بن عفان[2] .

ويقول : أبشروا آل ياسر ! موعدكم الجنّة . من طريق جابر[3] .

ويقول : اللهمَّ اغفر لآل ياسر وقد فعلت . رواه عثمان أيضاً[4] .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار وبأبيه وأُمِّه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ط/ليدن ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١١ .

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله ثقات ، وأخرجه الطبراني عن عمّار ، والبغوي وابن مندة والخطيب وأحمد وابن عساكر عن عثمان كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٨٥ .

(٣) مجمع الزوائد نقلاً عن الطبراني ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم وهو ثقة .

(٤) مسند أحمد ج ١ ص ٦٢ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه البيهقي والبغوي والعقيلي والحاكم في الكنى وابن الجوزي وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٢ .

حميت الظهيرة يعذّبونهم برمضاء مكّة فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر ! موعدكم الجنّة . صبراً آل ياسر ! فإنَّ مصيركم إلى الجنّة[١] .

نعم : كان عمّار هكذا عند مفتتح حياته الدينيّة إلى منصرم عمره الذي قتلته فيه الفئة الباغية . وقد أخبر به النبيُّ ﷺ بقوله :

ويحك يا بن سميّة تقتلك الفئة الباغية .

وفي لفظ : تقتل عمّاراً الفئة الباغية ، وقاتله في النار .

وفي لفظ : ويح عمّاراً وويح ابن سميّة تقتله الفئة الباغية .

وفي لفظ معاوية : تقتل عمّاراً الفئة الباغية .

وفي لفظ عثمان : تقتلك الفئة الباغية ، قاتل عمّار في النار .

وفي لفظ : تقتل عمّاراً الفئة الباغية عن الطريق ، وإنَّ آخر رزقه من الدنيا ضياحٌ من لبن .

وفي لفظ عمّار : أخبرني حبيبي ﷺ انّه تقتلني الفئة الباغية ، وأنَّ آخر زادي مذقة من لبن .

وفي لفظ حذيفة : إنّك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحقِّ ، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن .

وفي لفظ : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار .

وفي لفظ أنس : ابن سميّة تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه في النار .

وفي لفظ عائشة : اللهمَّ بارك في عمّار ، ويحك ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية ، وآخر زادك من الدنيا ضياحٌ من لبن .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، وأخرجه الحارث والضياء والحاكم والطيالسي والبغوي وابن مندة وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٢ .

وفي لفظ : ويح ابن سميَّة ليسوا بالذين يقتلونك إنَّما تقتلك الفئة الباغية .

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدَّ التواتر منها طريق عثمان بن عفان ، عمرو بن العاص ، معاوية بن أبي سفيان ، حذيفة بن اليمان ، عبدالله بن عمر ، خزيمة بن ثابت ، كعب بن مالك ، جابر بن عبدالله ، ابن عباس ، أنس بن مالك ، أبي هريرة الدوسي ، عبدالله بن مسعود ، أبي سعد ، أبي امامة ، أبي رافع ، أبي قتادة ، زيد بن أبي أوفى ، عمّار بن ياسر ، عبدالله بن أبي هذيل ، أبي اليسر ، زياد بن الفرد ، جابر بن سمرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أُمّ سلمة ، عائشة .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٠ ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ وقال : تواترت الآثار عن النبيِّ ﷺ انَّه قال : تقتل عمّاراً الفئة الباغية . وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوَّته وهو من أصحِّ الأحاديث . طرح التثريب ج ١ ص ٨٨ وصحَّحه ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٦ وصحَّحه من عدَّة طرق ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩ وذكر تواتره ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ وقال : تواترت الأحاديث ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ ، ج ٧ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ونصَّ على تواتره السيوطي في الخصائص كما مرَّ في الجزء الثالث ٣٠٨

وأخرجه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والبزار ، وعبد الرزاق ، والطبراني ، والدارقطني ، وأبو يعلى ، وأبو عوانة ، والإسماعيلي ، والضياء المقدسي ، وأبو نعيم ، وتمام ، وابن قانع ، وابن مندة ، والباردي ، والبرقاني ، وابن عساكر ، والخطيب .

عمّار في الذكر الحكيم :

هذا عمّار بين البدء والختام المحمودين وهو بينهما كما أثنى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالى : ﴿**أمَّنْ هُو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة**﴾[١] .

---

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٩ .

أخرج ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٧٨ ط ليدن وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس : إنها نزلت في عمّار بن ياسر .

وذكر الزمخشري في تفسيره ج ٣ ص ٢٢ : إنَّها نزلت في عمّار وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي .

وذكر القرطبي في تفسيره ج ١٥ ص ٢٣٩ عن مقاتل : إنَّ مَن هو قانت : عمّار بن ياسر .

وذكر الخازن في تفسيره ج ٣ ص ٥٣ : إنَّها نزلت في ابن مسعود وعمّار وسلمان . وذكره الخطيب الشربيني في تفسيره ج ٣ ص ٤١٠ . وذكر الشوكاني في تفسيره ج ٤ ص ٤٤٢ حديث ابن سعد وابن مردويه وابن عساكر. وزاد الآلوسي عليه في تفسيره ج ٢٣ ص ٢٤٧ قوله : وأخرج جويبر عن ابن عباس انَّها نزلت في عمّار وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة . وعن عكرمة : الإقتصار على عمّار . وعن مقاتل : المراد بمن هو قانت : عمّار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر . وجلُّ ما ذكره الآلوسي مأخوذ من الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٣ .

آية ثانية : أخرج ابن ماجة في قوله تعالى : **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء﴾** . الآية[1] انَّها نزلت في عمّار وصهيب وبلال وخباب .

راجع تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٨٠ ، تفسير الزمخشري ج ١ ص ٤٥٣ ، تفسير الرازي ج ٤ ص ٥٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٤ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ١٠ ، الدر المنثور ج ٣ ص ١٤ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

آية ثالثة : أخرج جمعٌ من الحفّاظ نزول قوله تعالى : **﴿إلاّ مَن أُكره وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان﴾**[2] في عمّار . وقال أبو عمر في الإستيعاب . هذا ممّا اجتمع

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٢ .
(٢) سورة النحل ؛ الآية : ١٠٦ .

أهل التفسير عليه . وقال القرطبي : نزلت في عمّار في قول أهل التفسير . وقال ابن حجر في الإصابة : اتّفقوا على أنها نزلت في عمّار .

قال ابن عبّاس (في لفظ الواحدي) نزلت في عمّار بن ياسر وذلك أنَّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأُمّه سميّة وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً ، فأمّا سمية فإنّها رُبطت بين بعيرين ووُجيء قُبلها بحربة ، وقيل لها : إنّك أسلمتِ من أجل الرجال . فقتلت ، وقتل زوجها ياسر ، وهما أوّل قتيلين قُتلا في الإسلام ، وأمّا عمّار فإنَّه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأُخبر النبيُّ ﷺ بأنَّ عمّاراً كفر . فقال : كلّا إنَّ عمّاراً مليء ايماناً من قرنه إلى قدمه ، وأُخلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال : إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

أخرج حديث نزوُلها في عمّار ، ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبري عن ابن عبّاس . وعبد الرزّاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصحَّحه، وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن محمَّد بن عمّار عن أبيه . وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر عن أبي مالك .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٢٢ ، أسباب النزول للواحدي ص ٢١٢ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٥٧ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨٠ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ١٧٦ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦٨٣ ، تفسير الرازي ج ٥ ص ٣٦٥ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ١٦٢ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ١٤ ص ١٢٢ ، بهجة المحافل ج ١ ص ٩٤ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٧ ، الدرّ المنثور ج ٤ ص ١٣٢ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٤٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، تفسير الشوكاني ج ٣ ص ١٩١ ، تفسير الآلوسي ج ١٤ ص ٢٣٧ .

آية رابعة : ذكر الواحدي من طريق السديّ أنَّ قوله تعالى : **﴿أفَمَن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمَن متّعناه متاع الحياة الدُنيا ثمَّ هو يوم القيامة من**

المحضرين﴾[١] نزل في عمّار والوليد بن المغيرة .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٥٥ ، تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٠٣ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٣٨٦ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٤٣ ، تفسير الشربيني ج ٣ ص ١٠٥ .

آية خامسة : أخرج أبو عمر من طريق ابن عبّاس في قوله تعالى : **﴿أوَمَن كان ميّتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾**[٢] إنّه عمّار بن ياسر .

وأخرج نزولها في عمّارابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ راجع الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ٢٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧٢ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٠٠ ، تفسير السيوطي ج ٣ ص ٤٣ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٢٩ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٣٢ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١٥٢ .

الثناء الجميل على عمّار :

أمّا الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدِّث عنها ولا حرج وإليك نزراً منها :

١ ـ عن إبن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث : إنَّ عمّاراً مُلىء إيمانه مِن قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه .

راجع حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ١٧٦ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦٨٣ ، بهجة المحافل ج ١ ص ٩٤ ، تفسير الرازي ج ٥ ص ٣٦٥ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٤٣ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ وج ٧ ص ٧٥ ، تفسير الآلوسي ج ١٤ ص ٢٣٧ .

٢ ـ أخرج ابن عساكر من طريق عليّ : عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحقِّ حيث زال ، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً .

[كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٣]

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦١ .

(٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢ .

٣ ـ أخرج البزّار من طريق عائشة قالت : ما أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ إلّا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمّاراً فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : مُلىء إيماناً إلى مشاشه . وفي لفظ أبي عمر : مُلىء عمّار إيماناً إلى أخمص قدميه . وفي لفظ له : إنَّ عمّار بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أُذنيه ايماناً .

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ وقال : رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن ماجة من طريق عليّ كما في طرح التشريب ج ١ ص ٨٧ ، وأخرجه إبن ديزيل والنسائي من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل مرفوعاً كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣١١ ولفظه : لقد مُلىء عمّار إيماناً من قدمه إلى مشاشه . ورواه عبد الرزاق والطبراني وابن جرير وابن عساكر كما في كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ . وأخرجه أبو عمر بالألفاظ الثلاثة في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ .

٤ ـ أخرج إبن ماجة وأبو نعيم من طريق هاني بن هاني قال : كنّا عند عليّ فدخل عليه عمّار فقال : مرحباً بالطيِّب المطيَّب سمعت رسول الله ﷺ يقول : عمّار ملىء ايماناً إلى مشاشه .

سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٥ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

٥ ـ أخرج إبن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٨٧ ط ليدن مرفوعاً : إنَّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه ، يدور عمّار مع الحقِّ أينما دار ، وقاتل عمّار في النار .

وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم من طريق إبن مسعود مرفوعاً : إذا اختلف النّاس كان إبن سميّة مع الحقِّ .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٧٠ ، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٨٤ ، وفي لفظ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ـ في سيرة عليّ ـ : جاء رجلٌ إلى ابن مسعود فقال : أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله . قال : أرأيت إن جاء قوم كلّهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلف النّاس كان ابن سميّة مع الحقِّ .

وأخرج أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ من طريق حُذيفة : عليكم بابن سميَّة فإنّه لن يُفارق الحقّ حتّى يموت . أو قال : فإنّه يدور مع الحقِّ حيث دار .

٦ ـ أخرج ابن ماجة من طريق عطاء بن يسار عن عائشة مرفوعاً : عمّار ما عُرض عليه أمران إلّا اختار الأرشد منهما .

وفي لفظ أحمد من طريق ابن مسعود مرفوعاً : ابن سميَّة ما عُرض عليه أمران قطّ إلّا أخذ بالأرشد منهما . وفي لفظ آخر له من طريق عائشة : لا يخيَّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما . وفي لفظ الترمذي : ما خُيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٩ وج ٦ ص ١١٣ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦ ، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٢٨٨ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

٧ ـ أخرج الترمذي من طريق عليّ قال : إستأذن عمّار على النبيِّ ﷺ فقال : إئذنوا له : مرحباً بالطيِّب المطيَّب . فقال : حسنٌ صحيحٌ .

وأخرجه الطبراني وابن أبي شيبة وأحمد في المسند ج ١ ص ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، والبخاري في تاريخه ج ٤ ص ٢٢٩ من القسم الثاني ، وابن جرير وصحَّحه والحاكم والشاشي وسعيد بن منصور وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ ، والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٨٨ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، وابن ماجة في السنن ج ١ ص ٦٥ ، وابن كثير في البداية ج ٧ ص ٣١١ ، وابن الديبع في التيسير ج ٣ ص ٢٧٨ ، والعراقي في طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، والسيوطي في الجامع الكبير ج ٧ ص ٧١ .

٨ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً : إنَّ الجنَّة تشتاق إلى أربعة : عليّ بن أبي طالب ، وعمّار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والمقداد .

وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر : إشتاقت الجنَّة إلى ثلاثة : عليٌّ

وعمّار وسلمان .

وفي لفظ لابن عساكر : إشتاقت الجنَّة إلى ثلاثة : إلى عليّ وعمّار وبلال .

أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١٤٢ ، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٧ ، وصحَّحه هو والذهبي ، والترمذي والطبراني كما في تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١ ، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٣٠٧ ، وأخرجه إبن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٣٠٦ ، وفي ج ٦ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ .

٩ ـ أخرج البزّار من طريق عليّ مرفوعاً : دم عمّار ولحمه حرامٌ على النّار أن تطعمه . وفي لفظ ابن عساكر : دم عمّار ولحمه حرامٌ على النّار أن تأكله أو تمسّه .

مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ ، ج ٧ ص ٧٥ .

١٠ ـ أخرج ابن هشام مرفوعاً : ما لهم ولعمّار ؟ يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النّار ، إنَّ عمّاراً جِلدةٌ ما بين عينيَّ وأنفي ، فإذا بُلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه .

سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٥ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩ ، شرح إبن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٤ ولفظه : ما لقريش ولعمّار يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النّار ، قاتله وسالبه في النار ، وبهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٦٨ .

١١ ـ أخرج الطبراني وابن عساكر من طريق عائشة مرفوعاً : كم من ذي طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبرَّه ، منهم : عمّار بن ياسر .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٤ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤]

١٢ ـ أخرج أحمد من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً : مَن عادى عمّاراً عاداه الله ، ومَن أبغض عمّاراً أبغضه الله . صحَّحه الحاكم والذهبي بطريقين ، وصحَّحه الهيثمي .

وفي لفظ : من يسبّ عمّاراً يسبُّه الله ، ومَن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومَن يسفّه عمّاراً يسفهه الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ : مَن يسبّ عماراً ، يسبّه الله ومَن يُعادِ عمّاراً يُعادِه الله . صحَّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ لأحمد : مَن يعاد عمّاراً يعاده الله عزَّ وجلَّ ، ومَن يبغضه يبغضه الله عزَّ وجلَّ ، ومَن يسبّه يسبّه الله عزَّ وجلَّ .

وفي لفظ الحاكم : مَن يحقِّر عمّاراً يحقِّره الله ، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله .

وفي لفظ ابن النجار : من سبَّ عمّاراً سبَّه الله ، ومن حقَّر عمّاراً حقَّره الله ، ومن سفَّه عمّاراً سفهه الله .

وفي لفظ ابن عساكر : من يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومن يلعن عمّاراً يلعنه الله .

وفي لفظ الطبراني : من يُعادي عمّاراً يعاديه الله ، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومن يسبُّ عمّاراً يسبُّه الله ، ومن يسفِّه عمّاراً يسفهه الله ، ومن يحقّر عمّاراً يحقّره الله .

وفي لفظ الطبراني أيضاً : من يحقِّر عمّاراً يحقِّره الله ، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومن ينتقص عمّاراً ينتقصه الله ، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله . قال الهيثمي : رجاله ثقات .

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمعٌ كثير من الحفّاظ وأئمة الفنِّ راجع مسند أحمد ج ٤ ص ٨٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٥٢ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، أُسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ ، طرح التشريب ج ١ ص ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٥ ، ج ٧ ص ٧١ ـ ٧٥ .

١٣ ـ عن حذيفة أنّه قيل له : إنَّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا ؟ قال : إلزموا

عمّاراً قيل : إنَّ عمّاراً لا يفارق عليّاً قال : إنَّ الحسد هو أهلك للجسد ، وإنَّما ينفركم من عمّار قربه من عليّ . فوالله لعليٌّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب ، وإنَّ عمّاراً من الأخيار . أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمّال ج ٧ ص ٧٣ .

١٤ ـ عن عبدالله بن جعفر قال : ما رأيت مثل عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر كانا لا يحبّان أن يعصيا الله طرفة عين ، ولا يخالفان الحقّ قيد شعرة . أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٢ .

١٥ ـ ذكر الأبشيهي في المستطرف ج ١ ص ١٦٦ في حديث : هبط جبرائيل على رسول الله ﷺ يوم اُحد (وكان يسأل عن أصحابه) إلى أن قال : من هذا الذي بين يديك يتّقي عنك ؟ قال : عمّار بن ياسر . قال : بشّره بالجنّة حرمت النار على عمّار .

هذا عمّار :

إذا درستَ هذه كلّها فهل تجد من الحقِّ أن يُعمل معه تلكم الفظاظات مرّة بعد اُخرى ؟ وهل تجد مبرِّراً لشيء منها ؟ فإن زعمت انّها تأديبٌ من خليفة الوقت فإنَّ التأديب لا يسوغ إلاّ على إساءة في الأدب ، وزور من القول ، ومناقضة للحقِّ ، ومضادَّة للشريعة ، ويُجلّ عمّار عن كلِّ ذلك ، فلم يصدر منه غير دُعاء إلى الحقِّ ، وأذان بالحقيقة ، وتضجُّرٍ لمظلوم ، وعمل بالوصيَّة واجب ، ورسالةٍ عن اُناس مؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فهل حظر الإسلام شيئاً من هذه فأراد الخليفة أن يعيد عمّاراً إلى نصاب الحقِّ ؟ أو أنَّ الخليفة مفوّضٌ في النفوس كما يرى أنّه مفوّضٌ في الأموال فيراغم فيها عامَّة المسلمين بإرضاء من يجب إرغامهم من اُناس لا خلاق لهم ؟ وكذلك يفعل بالنفوس فعل المستبدِّين ولوازم الدكتاتوريَّة ومقتضيات الملك العضوض .

ولو كان الخليفة ناصباً نفسه للتأديب فهل أدَّب أمثال عبيدالله بن عمر ، والحكم بن أبي العاص ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص ، ونظرائهم من رجال العيث والفساد المستحقين للتأديب حيناً بعد حين ؟

وهو كان يرنو إلى أعمالهم من كثَب ، لكنّه لم يصدر منه إلاّ إرضائهم وتوفير العطاء لهم والدفاع عنهم ، وتسليطهم على النفوس والأموال حتى أوردوه مورد الهلكة ، ولقد ادَّخر تأديبه كلّه لصلحاء الامَّة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود ومن حذا حذوهم ، فإلى الله المشتكى .

وإنَّك لو أمعنت النظرة في أعماله وأفعاله لتجدنَّه لا يقيم وزناً لأيِّ صالح من الأُمَّة ، ولقد ترقّى ذلك أو تسافل حتى انَّه جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرَّة بقوارص كلماته وممّا قال له ممّا مرَّ في صفحة «٣٦ ، ٣٧» قوله : أنت أحقُّ بالنفي منه . وقوله : لئن بقيتُ لا أعدم طاغياً يتخذك سلّماً وعضداً ويعدُّك كهفاً وملجأ . يريد بالطاغي أبا ذر وعمّار وأمثالهما ويجعل الإمام عليه السلام سُلّماً وعضداً وكهفاً وملجأ لمن سمَّاهم الطغاة . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم .

كأنَّ الرجل لم يصاحب النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يَعِ إلى ما هتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أوَّل يومه آناء الليل وأطراف النهار في حلّه ومرتحله ، في ظعنه وإقامته ، عند أفراد من أصحابه أو في محتشد منهم ، ولدى الحوادث والوقائع ، وعند كلِّ مناسبة ، وفي حروبه ومغازيه .

وكأنَّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام عليه السلام في مآزق الإسلام الحرجة ، ولم يشهد كرَّاته وقد فرَّ أصحابه ، وتفانيه في سبيل الدعوة عند خذلان غيره ، واقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة ، وتقهقر بهم الفرَق ، وثبَّطهم الخول .

يزعم القوم أنَّ الخليفة كان حافظاً للقرآن وأنَّه كان يتلوه في ركعة في لياليه ولو صحَّ ما يقولون فهلاّ كان يمرُّ بآية التطهير ومولانا الإمام عليه السلام أحد الخمسة الذين أُريدوا بها ؟ وبآية المباهلة وهو نفس النبي فيها ؟ إلى آيات أُخرى نازلة فيه بالغة إلى ثلاثمائة آية كما يقوله حبر الأُمَّة عبدالله بن العباس[1] أو أنّه كان يمرُّ بها على حين غفلة من مفادها ؟ أو يمرُّ بها وقد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء الاول ص ٣٨٩

يلتفت إليها ؟ أو أنَّه كان يرتِّلها ملتفتاً إلى مغازيها ؟ ولكن . . . .

أنا لا أدري بماذا يُعلِّل قوارص الخليفة عليّاً ؑ إبنا حجر وكثير وأمثالهما المعلّلون أقوال الخليفة وأفعاله في مثل أبي ذر وابن مسعود ومالك الأشتر ، بأنَّ مصلحة بقائهم في الأوساط الإسلاميَّة مع الحريَّة في المقال لا تكافىء المفسدة المترتّبة عليه من سقوط أُبَّهة الخلافة . على أنَّه ما كان عند القوم إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل يجرُّهم الحبُّ المعمي والمصمُّ إلى أن يقولوا بمثل ذلك في حقِّ عظيم الدنيا والدين مولانا أمير المؤمنين ؑ ؟ فهل كانت مفسدة هنالك مترتّبة على مقام الإمام في المدينة حتى يكون نفيه عنها أولى ؟ وهل هو إلّا الصلاح كلّه ؟ وهل المصالح النوعيَّة والفرديَّة تُسْتَقَى من غيره ؟ ولعمر الحقِّ انَّ أبّهة تسقط لمكان أمير المؤمنين ؑ وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه لحريَّةٌ بالسقوط ، وأيم الله لو وسع أُولئك المُدافِعون عن تلكم العظائم لدنَّسوا ساحَة قُدس الإمام بالفرية الشائنة ، واتَّهموه بمثل ما اتَّهموا به غيره من صُلحاء الأُمَّة وأعلام الصحابة والخيرة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ولكن . . .

ولو كان الخليفة يعير لنصائح الإمام ؑ أُذناً واعية لصانه عن المهالك ، ولم تزل الأُبَّهة مصونة له ، والعزُّ والنجاح ذخراً له ولأهل الإسلام ، وكان خيراً له من ركوبه النهابير التي جرَّعته الغصص وأودت به وجرَّت الويلات على الأُمَّة حتى اليوم ، ولكنَّه . . .

لا جرم أنَّ الله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون ، إنَّ هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً .

٤٣ ـ تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام :

روى البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال : لَمّا عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها ، فكان يجالس قرّاءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم : مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، وزيد وصعصعة إبنا صوحان العبديّان ، وحرقوص بن زهير السعدي ، وجندب بن زهير الأزدي ، وشريح بن أوفى بن

يزيد بن زاهر العبسي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وكان يقال لعبدة بن سعد : ابن ذو الحبكة ـ وكان كعب ناسكاً وهو الذي قتله بُسر بن أرطاة بتثليث ـ وعدي بن حاتم الجواد الطائي ويكنّى أبا طريف ، وكدام بن حضري بن عامر ، ومالك بن حبيب بن خراش ، وقيس بن عطارد بن حاجب ، وزياد بن خصفة بن ثقف ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وغيرهم فإنَّهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السَّواد والجبل ففضّلوا السَّواد وقالوا : هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل ، وكان حسّان بن محدوج الذهلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك فقال عبد الرحمن بن خُنيس الأسدي صاحب الشرطة : لوددت أنَّه للأمير وأنَّ لكم أفضل منه . فقال له الأشتر : تمنَّ للأمير أفضل منه ولا تمنَّ له أموالنا . فقال عبدالرحمن : ما يضرّك من تمنّي حتّى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له . فقال الأشتر : والله لو رام ذلك ما قدر عليه . فغضب سعيد وقال : إنّما السّواد بستان لقريش . فقال الأشتر : أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ والله لو رامه أحدٌ لقُرع قرعاً يتصأصأ منه . ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي .

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً . فكتب إليه أن سيِّرهم إلى الشام . وكتب إلى الأشتر : إنِّي لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحلَّ دمك وما أظنّك منتهياً حتى يصيبك قارعةٌ لا بُقيا بعدها ، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك مَن قِبلك وإنَّك لا تألوهم خبالاً . فسيَّر سعيد الأشتر ومَن كان وثب مع الأشتر وهم : زيد وصعصعة إبنا صوحان ، وعائذ بن حملة الطُهوي من بني تميم ، وكميل بن زياد النخعي ، وجُندب بن زهير الأزدي ، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ، ويزيد بن المكفف النخعي ، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي ، وأصعر[1] بن قيس بن الحارث الحارثي .

فخرج المسيّرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق ونزلوا مع عمرو بن زرارة فبرَّهم معاوية وأكرمهم ، ثمَّ انّه جرى بينه وبين الأشتر قولٌ حتى تغالظا

---

(١) كذا في انساب الاشراف بالعين المهملة وفي الاصابة بالمعجمة .

فحبسه معاوية فقام عمرو بن زرارة فقال : لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه . فأمر بحبس عمرو فتكلّم سائر القوم فقالوا : أحسن جوارنا يا معاوية ! ثمَّ سكتوا فقال معاوية : ما لكم لا تكلّمون فقال زيد بن صوحان : وما نصنع بالكلام ؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله ، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية . فقال معاوية : يا أبا عائشة ! أنت رجل صدق . وأذن له في اللحاق بالكوفة ، وكتب إلى سعيد بن العاص : أمّا بعد : فإنّي قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه فأحسن جواره وكفّ الأذى عنه وأقبل إليه بوجهك وودّك ، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً . فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج مَن حبس ففعل .

وبلغ معاوية أنَّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه فكتب إلى عثمان : إنّك بعثت إليَّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه ، ولا آمن أن يفسدوا طاعة مَن قِبلي ويعلموهم مالا يُحسنونه حتّى تعود سلامتهم غائلة ، واستقامتهم اعوجاجاً .

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص ، ففعل وكان واليها عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة ، ويقال : إنَّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجَّ منهم سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل .

[الأنساب ج ٥ ص ٣٩ ـ ٤٣]

صورة مفصّلة :

إنَّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة عليه من تأمير بني أُميَّة ولا سيّما الفسّاق منهم وأرباب السفه وقلّة الدين ، وإخراج مال الفيء إليهم وما جرى في أمر عمار وأبي ذر وعبدالله بن مسعود وغير ذلك من الامور التي جرت في أواخر خلافته ، ثمَّ اتّفق أنَّ الوليد بن عقبة لمّا كان عاملاً على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر صرفه ، وولّى سعيد بن العاص مكانه فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوماً يسمرون عنده فقال سعيد يوماً : إنَّ السّواد بستان لقريش وبني أُميَّة ، فقال الأشتر النخعي : وتزعم أنَّ السّواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيافنا بستانٌ لك ولقومك ؟ فقال صاحب شرطته : أتردُّ على الأمير مقالته ؟ وأغلظ له ،

فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم من أشراف الكوفة : ألا تسمعون ؟ فوثبوا عليه بحضرة سعيدفوطأوه وطأ عنيفاً وجرُّوا برجله ، فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سماره ، فلم يأذن بعدُ لهم فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ثمَّ تعدوا إلى شتم عثمان ، واجتمع إليهم ناسٌ كثيرٌ حتّى غلظ أمرهم فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن يسيِّرهم إلى الشام لئلاّ يفسدوا أهل الكوفة وكتب إلى معاوية وهو والي الشام : إنَّ نفراً من أهل الكوفة قد همّوا بإثارة الفتنة وقد سيَّرتهم إليك ، فانههم فإن آنست منهم رشداً فأحسن إليهم واردهم إلى بلادهم . فلمّا قدموا على معاوية ، وكانوا : الأشتر ، ومالك بن كعب الأرحبي ، والأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وصعصعة بن صوحان العبدي ، وغيرهم جمعهم يوماً وقال لهم :

إنَّكم قومٌ من العرب ذوو أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم ، وقد بلغني أنَّكم ذممتم قريشاً ، ونقمتم على الولاة فيها ، ولولا قريش لكنتم إذلَّة إنَّ أئمَّتكم لكم جُنَّة فلا تفرَّقوا عن جنَّتكم ، إنَّ أئمَّتكم ليصبرون على الجور ويحتملون فيكم العتاب ، والله لتنتهينَّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمدكم على الصبر ثمَّ تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعيَّة في حياتكم وبعد وفاتكم .

فقال له صعصعة بن صوحان : أمّا قريش فإنَّها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهليَّة ، وإنَّ غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع .

فقال معاوية : إنَّك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً وقد عرفتكم الآن ، وعلمت أنَّ الذي أغراكم قلّة العقول ، أُعظّم عليكم أمر الإسلام فتذكروني الجاهليَّة ، أخزى الله قوماً عظّموا أمركم ، إفقهوا عنِّي ولا أظنُّكم تفقهون : إنَّ قريشاً لم تعزّ في جاهليَّة ولا في الإسلام إلاّ بالله وحده ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدِّها ولكنَّهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأمحضهم أنساباً ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهليَّة والناس تأكل بعضهم بعضاً إلاّ بالله ، فبوَّأهم حرماً آمناً يتخطَّف الناس من حولهم ، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً ، إلاّ وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمهم إلاّ ما كان من قريش ، فإنّه لم يردّهم أحدٌ من الناس

بكيد إلّا جعل الله خدَّه الأسفل حتّى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتِّباع دينه من هوان الدنيا وسوء مردِّ الآخرة ، فارتضى لذلك خير خلقه ، ثمَّ ارتضى له أصحاباً ، وكان خيارهم قريشاً ، ثمَّ بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصحُّ الأمر إلّا بهم ، وقد كان الله يحوطهم في الجاهليَّة وهم على كفرهم ، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ؟ أُفٍ لك ولأصحابك ، أمّا أنت يا صعصعة ! فإنَّ قريتك شرُّ القرى ، أنتنها نبتاً ، وأعمقها وادياً ، وألأمها جيراناً ، وأعرفها بالشرِّ ، لم يسكنها شريفٌ قطُّ ، ولا وضيع إلّا شبَّ بها نزاع الأُمم وعبيد فارس ، وأنت شرُّ قومك أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجاً ، وتنزع إلى الغواية ؟ إنَّه لن يضرَّ ذلك قريشاً ولا يضعهم ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم ، انَّ الشيطان عنكم لغير غافل ، قد عرفكم بالشرِّ فأغراكم بالناس ، وهو صارعكم وإنَّكم لا تدركون بالشرِّ أمراً إلّا فتح عليكم شرُّ منه وأخزى ، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضرُّه ، ولستم برجال منفعة ولا مضرَّة ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تبطرنكم النعمة ، فإنّ البطر لا يجرُّ خيراً ، اذهبوا حيث شئتم ، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

وكتب إلى عثمان : إنَّه قدم عليَّ قومٌ ليست لهم عقولٌ ولا أديان ، أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلّمون بحجَّة ، إنَّما همهم الفتنة والله مبتليهم وفاضحهم وليسوا بالذين نخاف نكايتهم ، وليسوا الأكثر ممَّن له شعب ونكير . ثمَّ أخرجهم من الشام .

وروى الحسن المدائني : إنَّه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم ، وإنَّ معاوية قال لهم في جملة ما قاله : إنَّ قريشاً قد عرفت أنَّ أبا سفيان أكرمها وابن أكرمها إلّا ما جعل الله لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّه انتجبه وأكرمه ، ولو أنَّ أبا سفيان ولد الناس كلّهم لكانوا حلماء .

فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت ، قد ولدهم خيرٌ من أبي سفيان ، مَن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرُّ والفاجر والكيِّس والأحمق .

قال : ومن المجالس التي دارت بينهم : إنَّ معاوية قال لهم : أيُّها القوم ردُوا خيراً واسكنوا وتفكّروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه وأطيعوني .

فقال له صعصعة : لست بأهل لذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله .

فقال : إنَّ أول كلام ابتدأتُ به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا .

فقال صعصعة : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : إن كنتُ فعلتُ فإنِّي الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وأن توقّروا أئمَّتكم وتطيعوهم .

فقال صعصعة : إذا كنت تبت فإنّا نأمرك أن تعتزل أمرك فإنَّ في المسلمين من هو أحقّ به منك ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك ، وهو أحسن قَدماً في الإسلام منك .

فقال معاوية : إنَّ لي في الإسلام لقدماً وإن كان غيري أحسن قدماً منِّي لكنَّه ليس في زماني أحدٌ أقوى على ما أنا فيه منِّي ، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب ، فلو كان غيري أقوى منِّي لم يكن عند عمر هوادة لي ولغيري ، ولا حدث ما ينبغي له أن أعتزل عملي ، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليَّ فاعتزلت عمله ، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلاّ وهو خير ، فمهلاً فإنَّ فيَّ دون ما أنتم فيه ، ما يأمر فيَّ الشيطان وينهى ، ولعمري لو كانت الامور تُقضى على رأيكم وأهوائكم ما استقامت الامور لأهل الإسلام يوماً وليلة ، فعودوا إلى الخير وقولوه . فقالوا : لست لذلك أهلاً . فقال : أما والله إنّ لله لسطوات ونقمات وإنِّي لخائفٌ عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرَّحمن فيحلّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل .

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال : مَهْ ، إنَّ هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتّى يقتلوكم فلعمري إنَّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً ، ثمَّ قام من عندهم فقال : والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت وكتب إلى عثمان :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، لعبدالله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان أمَّا بعد : يا أمير المؤمنن ! فإنَّك بعثت إليَّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين وما يُملون عليهم ويأتون النّاس زعموا من قِبل القرآن فيشبِّهون على النّاس ، وليس كلّ النّاس يعلم ما يريدون ، وإنَّما يريدون فُرقة ، ويقرِّبون فتنة ، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم ، وتمكّنت رُقى الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من النّاس ممَّن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغرُّوهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم ، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم . والسَّلام .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردَّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردَّهم إليه فلم يكونوا إلاّ أطلق ألسنةً منهم حين رجعوا ، وكتب سعيد إلى عثمان يضجُّ منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيِّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميراً على حمص وهم : الأشتر ، وثابت بن قيس الهمداني[١] وكميل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان وأخوه صعصعة ، وجندب بن زهير الغامدي ، وحبيب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد[٢] وعمرو بن الحمق الخزاعي .

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه : أمَّا بعد : فإنِّي قد سيَّرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها فإنَّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً . والسَّلام .

فلمَّا قرأ الأشتر الكتاب قال : اللّهمَّ أسوأنا نظراً للرعيَّة ، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجّل له النقمة . فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمٰن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقاً .

وروى الواقدي : إنَّ عبد الرحمٰن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً وفرض لهم طعاماً ثمّ قال لهم : يا بني الشيطان ! لا مرحباً بكم ولا أهلاً ، قد رجع

(١) في تاريخ الطبري : النخعي . بدل : الهمداني .
(٢) في اسد الغابة ج ٣ ص ٤٠٣ : كان ممّن سيره عثمان رضي الله عنه الى الشام من أهل الكوفة .

الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ في بساط ضلالكم وغيّكم ،جزى الله عبد الرّحمٰن إنْ لم يؤذكم ، يا معشر مَن لا أدري أعربٌ هم أم عجم ، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية ؟ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن مَن عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقىء عين الردَّة ، والله يابن صوحان ! لأطيرنَّ بك طيرة بعيدة المهوى إن بلغني أنَّ أحداً ممَّن معي دقَّ أنفك فاقتنعت رأسك ، قال : فأقاموا عنده شهراً كلّما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة : يابن الخطية ! إنَّ مَن لم يُصلحه الخير أصلحه الشرُّ ، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية ؟ فيقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال : تاب الله عليكم. فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردَّهم إلى الكوفة .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٨ ـ ٩٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٥٧ ـ ٦٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ ـ ١٦٠ ورأى هذه الصورة أصحَّ ما ذكر في القضيَّة ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ في حوادث سنة ٣٣ .

قال الأميني : ان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه وتقواهم المعترَف بها مُرتدَعٌ عن أذاهم وإجفالهم عن مستوى عزِّهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من مَنفى إلى منفى ، والإصاخة إلى سعاية ذلك الشابِّ المستهتر والله سبحانه يقول : **﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**(١) وكان على الخليفة أن يبعث إليه باللائمة بل يعاقبه على ما فرط في جنب أولياء الله بتسميته إيّاهم السفهاء وهم قرّاء المصر ، وزعماء الملأ ، ونسّاك القطر ، وفقهاء القارَّة ، وهم القدوة في التقوى والنسك ، وبهم الأُسوة في الفقه والأخلاق ، ولم يكن عليهم إلّا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف ، وعدم مماشاتهم إيّاه على شهواته ومزاعمه ، وهلّا استشفَّ الخليفة حقيقة ما شجر بينه وبين القوم حتى يحكم فيه بالحقِّ ، لكنَّه بدل أن يتخذ تلكم الطريقة المثلى في القضيَّة استهواه ذلك الشابُّ المترف فمال إليه بكلّه ، ونال من القوم ما نال ،

---

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٦ .

وأوقع بهم ما حبّذه له الحبُّ المعمي والمصمّ ، لكن الدين وملأه أنكرا ذلك عليه وحفظه التاريخ ممّا نقم به على عثمان .

كانت لائمة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لا عن حلم ، وخشونة لا يستمرُّ عليها ، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقّ أو ابتغاء إصلاح ، وإنّما كان يكاشفهم جلباً لمرضاة الخليفة ، ويوادعهم لما كان يدور في خلده من هوى الخلافة غداً ، وكان يعرف القوم بالشدَّة والمتبوعيَّة ، فما كان يروقه قطع خطّ الرجعة بينه وبينهم متى تسنّى له الحصول على غايته المتوخّاة ، وكانت هذه الخواطر لا تبارحه ، ولا يزال هو يعدّ الدقائق والثواني للتوصُّل إليها ، وكان أحبّ الأشياء إليه اكتساح العراقيل دونها ، ولذلك أطلق سُراح القوم وتثبَّط عن النهضة لنصرة عثمان لمّا استنصره (كما سيأتي تفصيله) حتّى قُتل ومعاوية في الخاذلين له .

وأمّا ابن خالد فقد جرى مجرى أبيه في الفظاظة والغلظة ، فلم يعاملهم إلاّ بالرعونة ولم يُجاملهم إلاّ بالقسوة ، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح .

وها هنا نوقفك على نُبذ من أحوال مَن يهمّك الوقوف على حياته الثمينة مِن أُولئك الرجال المنفيِّين الأبرار ، حتّى تعلم أن ما تقوّلوه فيهم وفعلوه بهم في منتأى عنهم ، وإنّما كان ذلك ظلماً وعدواناً ، وتعلم أنَّ ابن حجر مائنٌ فيما يصف به الأشتر من المروق[1] غير مصيب في قذفه ، متجانف للإثم في الدفاع عن عثمان بقوله : إنَّ المجتهد لا يُعترض عليه في أُموره الإجتهاديَّة ، لكن أُولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل[2] .

الأشتر :

١ - مالك بن الحارث الأشتر ، أدرك النبيَّ الأعظم وقد أثنى عليه كلُّ مَن ذكره ، ولم أجد أحداً يغمز فيه ، وثّقه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات ، ولا يُحمل عدم رواية أيِّ إمام عنه على تضعيفه ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢ : قال مهنّا : سألت أحمد عن الأشتر يروي عنه الحديث ؟ قال :

(١) راجع الصواعق ص ٦٨ .

(٢) راجع الصواعق ص ٦٨ .

لا . قال : ولم يرد أحمد بذاك تضعيفه ، وإنّما نفى أن تكون له رواية . وكفاه فضلاً ومنعة كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه في حياته وبعد المنون ، وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم :

١ ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصرَ لمّا ولّى عليهم الأشتر :

أمّا بعد : فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع ، أشدّ على الفجّار من حريق النّار . وهو : مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ ، فإنّه سيفٌ من سيوف الله ، لا كليل الظُبة[1] ولا نابي الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنّه لا يُقدم ولا يُحجم ، ولا يؤخّر ولا يُقدّم إلّا عن أمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم . الخ .

تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٦١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ .

صورة أُخرى :

رواها الشعبي من طريق صعصعة بن صوحان .

أمّا بعد : فإنّي قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر ، لا ناكلٌ من قدم ، ولا واهٍ في عزم ، مِن أشدّ عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضرّ على الفجّار من حريق النّار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو : مالك بن الحارث الأشتر ، حسامٌ صارمٌ ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحدّ ، حكيمٌ في السِّلم ، رزينٌ في الحرب ، ذو رأي أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا

---

(١) الظبة بتخفيف الموحدة : حدّ السيف .

فأقيموا ، فإنّه لا يُقدم ولا يُحجم إلاّ بأمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم . الخ[1] .

٢ ـ من كتاب للمولى أمير المؤمنين كتبه إلى أميرين من أُمراء جيشه :

وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّزكما مالك بن الحارث الأشتر ، فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجنّاً ، فإنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل .

قال إبن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٤١٧ : فأمّا ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ، ولعمري كان الأشتر أهلاً لذلك ، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً ، وكان يجمع بين اللين والعنف ، فيسطو في موضع السطوة ، ويرفق في موضع الرفق ، ومن كلام عمر : إنَّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويّ في غير عُنف ، وليّن في غير ضعف . ا هـ .

٣ ـ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر يذكر فيه الأشتر فيقول :

إنَّ الرجل الذي كنت ولّيته مصر كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد استكمل أيّامه ، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب .

تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ .

٤ ـ لمّا بلغ عليّاً (أمير المؤمنين) موت الأشتر قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمدلله ربِّ العالمين ، اللهمَّ إنّي أحتسبه عندك فإنَّ موته من مصائب الدهر . ثمَّ قال : رحم الله مالكاً فقد كان وفى بعهده ، وقضى نحبه ، ولقي ربّه ، مع أنّا قد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ ، جمهرة الرسائل ج١ ص ٥٤٩ .

وطّنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّها من أعظم المصائب ، قال المغيرة الضبي : لم يزل أمر عليّ شديداً حتّى مات الأشتر[1] .

٥ ـ عن جماعة من أشياخ النخع قالوا : دخلنا على عليّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهّف ويتأسّف عليه ثمّ قال : لله درُّ مالك ، وما مالك ؟ لو كان مِن جبل لكان فِنداً[2] ، ولو كان من حجر لكان صلدا ، أما والله ليهدنَّ موتك عالماً ، وليفرحنَّ عالماً ، على مثل مالك فليبك البواكي ، وهل موجودٌ كمالك ؟ .

وقال علقمة بن قيس النخعي : فما زال عليٌّ يتلهّف ويتأسّف حتى ظنّنا أنّه المصاب دوننا ، وعرف ذلك في وجهه أيّاماً .

وفي لفظ الشريف الرضي والزبيدي : لو كان جبلاً لكان فنداً ، لا يرتقيه حافر ، ولا يوفي عليه الطائر .

نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ ، لسان العرب ج ٤ ص ٣٣٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، تاج العروس ج ٢ ص ٤٥٤ .

٦ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٤١٦ : كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٧ ـ دسَّ معاوية بن أبي سفيان للأشتر مولى عمر فسقاه شربة سويق فيها سمّ فمات فلمّا بلغ معاوية موته قام خطيباً في النّاس فحمدالله وأثنى عليه وقال : أمّا بعد : فإنّه كانت لعليٍّ بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر ، وقطعت الاخرى اليوم وهو مالك الأشتر . تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) الفند بالكسر : القطعة العظيمة من الجبل .

قال الأميني : ما أجرأ الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور والتبهّج بموت الأخيار الأبرار بعدما يقتلهم ، ويقطع عن أديم الأرض أصول بركاتهم ، ويبشّر بذلك أُمّته الفئة الباغية ، ويأمرهم بالدعاء عليهم ، **﴿أُولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾**[1] ، **﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب مَن أضلّ سبيلا﴾**[2] ؟ .

٨ - وقبل هذه كلّها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دفن أبي ذر سيِّد غفّار من قوله في لفظ الحاكم وأبي نعيم وأبي عمر : ليموتنَّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين . وفي لفظ البلاذري : يلي دفنه رهطٌ صالحون . وقد دفنه مالك الأشتر وأصحابه الكوفيّون كما في أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٧ ، والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٣٧ ، والإستيعاب لأبي عمر ج ١ ص ٨٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١٦ فقال : هذا الحديث يدلُّ على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهي شهادة قاطعة من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه مؤمن .

قال الأميني : ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف إبن حجر إيّاه في الصواعق ص ٦٨ بالمروق وعدم الفهم والعقل ، ولعنه إيّاه وأصحابه الصلحاء ، وقد عزب عنه إنَّه لا يلفظ من قول إلاّ ولديه رقيبٌ عتيد .

نحن لسنا الآن في صدد التبسُّط في فضائل مالك وتحليل نفسيّاته الكريمة ومآثره الجمّة وإلاّ لأريناك منه كتاباً ضخماً ، ولقد ناء بشطر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيِّد محمَّد الرضا آل السيِّد جعفر الحكيم النجفي ، وابن عمِّه السيِّد محمَّد التقي بن السيِّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك ، وقد سبقهما إلى ذلك بعض علمائنا السابقين ، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا عليه السلام بخراسان المشرّفة ، حيّا الله حملة العلم سلفاً وخلفاً .

---

(١) سورة النمل ؛ ٥ .

(٢) سورة الفرقان ؛ ٤٢ .

٢ ـ زيد بن صوحان العبدي الشهير بزيد الخير ، أدرك النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وترجمه أبو عمر وابن الأثير وابن حجر في معاجم الصحابة ، قال أبو عمر : كان فاضلاً ديِّناً سيِّداً في قومه .

أخرج أبو يعلى وابن مندة والخطيب وابن عساكر من طريق عليّ عليه السلام مرفوعاً : مَن سرَّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

وفي حديث آخر : الأقطع الحبر زيد ، زيد رجلٌ من أُمتي تدخل الجنَّة يده قبل بدنه ـ قطعت يده يوم القادسيَّة ـ .

وفي حديث أخرجه ابن مندة وأبو عمر وابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد وما زيد ؟ يسبقه بعض جسده إلى الجنَّة ثمَّ يتبعه سائر جسده إلى الجنَّة .

وأخرج ابن عساكر من طريق الحكم بن عيينة قال : لَمّا أراد زيد أن يركب دابَّته أمسك عمر بركابه ثمَّ قال لمن حضره : هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه .

تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١١ ـ ١٣ ، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٤٠ ، الإستيعاب ج ١ ص ١٩٧ ، أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤ ، بهجة المحافل ج ٢ ص ٢٣٧ ، الإصابة ج ١ ص ٥٨٢ .

وفي الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣٥ : قال فيه النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام : زيد الخير الأجذم من الخيار الأبرار .

وفي معارف ابن قتيبة ص ١٧٦ : كان من خيار النـاس ، وروي في الحديث أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : زيد الخير الأجذم ، وجندب ما جندب ؟ فقيل : يا رسول الله ! أتذكر رجلين ؟ فقال : أمَّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنَّة بثلاثين عاماً ، وأمَّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحقِّ والباطل ، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده وشهد مع عليّ يوم الجمل فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أراني إلاّ مقتولاً ، قال : وما علمك بهذا يا أبا سليمان ؟ قال : رأيت يدي نزلت من السَّماء وهي تستشيلني . فقتله عمرو بن يثربي وقَتل أخاه سليمان يوم الجمل .

وفي تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٣٩ : كان زيد يقوم الليل ويصوم النهار وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها ، وقال : قُتل يوم الجمل وقال : ادفنوني في ثيابي فإنّي مخاصم . وفي رواية : لا تغسلوا عنّي دماً ولا تنزعوا عنّي ثوباً إلاّ الخفين ، وارمسوني الأرض رمساً فإنّي رجلٌ محاجّ . زاد أبو نعيم : أُحاجُّ يوم القيامة .

وفي مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٩ : كان زيد من سادة التابعين صوّاماً قوّاماً . وفي شذرات الذهب ج ١ ص ٤٤ : من خواص عليّ من الصلحاء الأتقياء .

وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث مروج الذهب ج ٢ ص ٧٥ : أمّا زيد وعبد الله (أخوه) فإنّهما نهران جاريان يصبُّ فيهما الخلجان ، ويغاث بهما اللهفان ، رجلا جدّ لا لعب معهما .

ووصفه أخوه صعصعة لابن عبّاس لمّا قال له : أين أخواك منك زيد وعبدالله ؟ صفهما فقال : كان «زيد» والله يا بن عبّاس عظيم المروَّة ، شريف الأُخوَّة ، جليل الخطر ، بعيد الأثر ، كميش العروة ، أليف البدوَّة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الدهر ، ذاكراً الله طرفي النهار وزلفاً من الليل ، الجوع والشبع عنده سيّان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقلّ في أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكوت ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار . فقال ابن عباس : ما ظنّك برجل من أهل الجنَّة ، رحم الله زيداً .

٣ ـ صعصعة بن صوحان العبدي أخو زيد الخير المذكور ، ذكر في معاجم الصحابة قال أبو عمر : كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ لم يلقه ولم يره . كان سيِّداً فصيحاً خطيباً ديِّناً . قال الشعبي : كنت أتعلّم منه الخطب ، وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث : أمّا صعصعة فعظيم الشأن ، عضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق ما فتق ، ويفتق ما رتق ، قليل النظير . وقال ابن الأثير : كان سيِّداً من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحاً خطيباً لسناً ديِّناً فاضلاً يُعدُّ في أصحاب عليّ رضي الله عنه .

له مع عثمان محاورة سيوافيك شيءٌ منها ، ومواقفه مع معاوية ذكرت جملة

منهـا في مروج الـذهب ج ٢ ص ٧٦ ـ ٨٣ ، وتاريـخ ابن عسـاكـر ج ٦ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧ ، وثّقه ابن سعد والنسائي وابن حبّان وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر .

أخـرج ابن شبة أنَّ عمـر بن الخطاب قسَّم المـال الذي بعث إليـه أبو مـوسى وكـان ألف ألف درهم وفضلت منه فضلة فـاختلفوا عليـه حيث يضعها فقـام خطيبـاً فحمدالله وأثنى عليه وقال : أيُّها النـاس قد بقيت لكم فضلة بعـد حقوق النـاس فما تقولون فيها ؟ فقام صعصعة بن صوحان وهو غلامٌ شابٌّ فقـال : يا أميـر المؤمنين ! إنّما تُشاور النـاس فيما لم ينـزل الله فيه قـرآناً ، أمّـا ما أنـزل الله به القـرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها فقال : صدقت أنت منّي وأنـا منك . فقسّمه بين المسلمين .

راجع طبقات ابن سعد ، مروج الذهب ، تاريـخ ابن عسـاكـر ، الإستيعاب ، أُسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، خلاصة الجزري .

٤ ـ جنـدب بن زهير الأزدي ، صحـابيٌّ متـرجم لـه في الإستيعـاب ، وأُسـد الغـابـة ، والإصـابـة ولـه في يـومي الجمـل وصفّين مـواقف محمـودة مـع أميـر المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ كعب بن عبدة ، سمعت فيما مرَّ عن البلاذري أنَّه كان ناسكاً .

٦ ـ عدي بن حاتم الطائي ، صحابيٌ عـظيمٌ قدم على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ٧ لم يختلف إثنـان في ثقته أخـرج حديثـه أئمّة الصحـاح الستّ ، وقـد أثنى عليـه عمـر بن الخطاب لمّـا قال لـه : يا أميـر المؤمنين أتعـرفني ؟ فقـال : نعم والله إنّي لأعرفك، أكرمك الله بـأحسن المعرفـة ، أعرفـك والله آمنت إذ كفروا ، وعـرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، وإنَّ أوَّل صدقة بيَّضت وجه رسـول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ . ثمَّ أخذ يعتذر .

أخـرجه أحمـد في المسند ج ١ ص ٤٥ ، وابن سعـد في الطبقـات ، ومسلم في صحيحـه ، وأبو عمـر في الإستيعاب ، والخـطيب في تاريخـه ، وابن الأثير في أسد الغابة وفيه : إنّه كان منحرفاً عن عثمان ، وابن حجر في تهـذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٦ .

وأعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب ما أخرجه في ج ١ ص ١٩١ بالإسناد عن المغيرة قال : خرج عدي بن حاتم ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا (قرقيساء) وقالوا : لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان .

والصَّواب : يُشتم فيه عليٌّ . فبدَّلت يد التحريف عليّاً بعثمان وذكره على علاّته ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٧ .

توجد ترجمة عدي في الإستيعاب ، تاريخ بغداد ج ١ ، أُسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب .

٧ - مالك بن حبيب . له إدراكٌ عُدَّ من الصحابة .

٨ - يزيد بن قيس الأرحبي . له إدراكٌ وكان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس ولمّا ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قرّاء الكوفة وأمّروه ، وكان مع عليّ في حروبه وولاّه شرطته ثمّ ولاّه اصبهان والري وهمذان وهو المعنيُّ في قول ثمامة :

معاوي إن لا تُسرع السير نحونا فبايع عليّاً أو يزيد اليمانيا

وله يوم صفِّين مواقف وخطابات تُعرب عن نفسيّاته الكريمة وملكاته الفاضلة ، تُذكر وتُشكر ، ذكر جملة منها إبن مزاحم في كتاب صفِّين ، والطبري في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل ، وممّا ذكروه قوله :

إنَّ المسلم السليم من سلم دينه ورأيه ، إنَّ هؤلاء القوم ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه ، ولا يقاتلونا إلاّ على إقامة الدنيا ، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً ، فلو ظهروا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - إذاً ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبيدالله بن عامر السفيه ، يحدِّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت ، ويأخذ مال الله ويقول : هذا لي ولا إثم عليَّ فيه ، كأنّما أُعطي تراثه من أبيه ، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا ، عباد الله ! القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم ، إنَّهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرَّبتم ،

والله ما أرادوا إلى هذا إلاّ شراً ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم[١] .

٩ ـ عمرو بن الحمق[٢] بن حبيب الخزاعي الكعبي . صحب النبيَّ الأعظم وحفظ عنه أحاديث ، وحظي بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم له لمّا سقاه لبناً وبقوله : اللهمَّ أمتعه بشبابه فاستكمل الثمانين من عمره ولم يرَ شعرة بيضاء[٣] أخرج حديثه البخاري في التعاليق ، وابن ماجة والنسائي وغيرهم ، وكان من أعوان حُجر بن عدي سلام الله عليه وعليهم ، ترجمه أبو عمر في الإستيعاب ، وابن الأثير في أُسد الغابة ، وابن حجر في الإصابة ، ولم أجد كلمة غمز لأيٍّ أحد فيه مع قولهم : كان ممَّن سار إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا وصار بعد ذلك من شيعة عليّ . وقولهم : إنَّه كان ممَّن قام على عثمان . وقولهم : كان أحد من ألَّب على عثمان .

وله يوم صفين مواقف مشكورة وكلم قيِّمة خالدة مع الأبد تُعرب عن إيمانه الخالص ، وروحه النزيهة الطاهرة ، راجع كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤ ، ٥٥١ .

قال إبن الأثير في أُسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ : قبره مشهورٌ بظاهر الموصل يزار ، وعليه مشهدٌ كبير ابتدأ بعمارته أبو عبدالله سعيد بن حمدان ـ وهو إبن عمّ سيف الدولة وناصر الدولة ابني حمدان ـ في شعبان من سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، وجرى بين السنَّة والشيعة فتنة بسبب عمارته .

١٠ ـ عروة بن الجعد ، ويقال : أبي الجعد البارقي الأزدي ، صحابيٌّ مرضيٌّ مترجم له في معاجم الصحابة : الإستيعاب ، أُسد الغابة ، الإصابة . روى حديث : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم . قال شبيب بن غرقدة : رأيت في دار عروة سبعين فرساً رغبة في رباط الخيل[٤] أخرج

(١) كتاب صفين ص ٢٧٩ ، تاريخ الطبرى ج ٦ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٥ ، الاصابة ج ٣ ص ٦٧٥ .

(٢) بفتح المهملة وكسر الميم .

(٣) اسد الغابة ج ٤ ص ١٠٠ ، الاصابة ج ٢ ص ٥٣٣ .

(٤) صحيح البخاري في المناقب باب قول الله تعالى : ﴿يعرفونه كما يعرفون أبنائهم﴾ .

حديثه أئمة الصحاح الستّ فيها .

١١ ـ أصعر بن قيس بن الحارث الحارثي : له إدراكٌ ذكره ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١٠٩ .

١٢ ـ كميل بن زياد النخعي ، كان شريفاً في قومه قتله الحجّاج سنة ٤٢ ، وثّقه ابن سعد ، وابن معين ، والعجلي ، وابن عمّار ، وذكره ابن حبّان في الثقات (١) .

١٣ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ، من رواة الصحاح الأربعة من الستة قال ابن معين : ثقة . وقال إبن أبي داود : كان أفقه الناس ، وأحسب الناس ، وأفرض الناس ، تعلّم الفرائض من عليّ قال ابن أبي خيثمة : قيل ليحيى : يُحتجّ بالحارث ؟ فقال : ما زال المحدِّثون يقبلون حديثه . وقال أحمد بن صالح المصري : ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن عليّ وأثنى عليه . ووثّقه ابن سعد .

وهناك مَن كذّبه والعمدة في ذلك الشعبي . قال إبن عبد البرّ في كتاب العلم : أظنُّ الشعبي عوقب بقوله في الحارث : كذّابٌ ، ولم يبن من الحارث كذبه ، وإنّما نقم عليه إفراطه في حبِّ عليّ .

وقال أحمد بن صالح : لم يكن الحارث يكذب في الحديث، إنّما كان كذبه في رأيه .

وقال الذهبي : والنسائي مع تعنّته في الرجال قد احتجَّ به والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب .

[تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٧]

فمحصَّل القول في الهمداني : انّه لا مغمز فيه غير نزعته العلويَّة الممدوحة عند الله وعند رسوله .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٧ .

٤٤ ـ تسيير الخليفة كعب بن عَبدة وضربه :

كتب جماعةٌ من القرّاء إلى عثمان منهم مَعقل بن قيس الرياحي ، وعبدالله بن الطفيل العامري ، ومالك بن حبيب التميمي ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وحجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ويُكنَّى أبا مطرف ، والمسيِّب بن نجبة الفزاري ، وزيد بن حصن الطائي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وزياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديّان الحارثي ، ومسلمة بن عبد القاري من القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة .

إنَّ سعيداً كثَّر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على ما لا يحلُّ في دين ولا يحسن في سماع ، وإنّا نُذكرك الله في أُمَّة محمَّد ، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك ، لأنَّك قد حملت بني أبيك على رقابهم ، واعلم أنَّ لك ناصراً ظالماً ، وناقماً عليك مظلوماً ، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نُشهد عليك الله وكفى به شهيداً ، فإنَّك أميرنا ما أطعت الله واستقمت ، ولن تجد دون الله مُلتحداً ولا عنه مُنتقذاً .

ولم يُسمِّ أحدٌ منهم نفسه في الكتاب وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنَّى أبا ربيعة وكتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمَّى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة ، فلمّا قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره فأراد ضربه وحبسه فمنعه عليٌّ من ذلك وقال : إنّما هو رسول أدَّى ما حُمل ، وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ، ويحوِّل ديوانه إلى الري . ففعل ثمَّ إنَّ عثمان تحوَّب وندم فكتب في إشخاصه إليه ففعل فلمَّا ورد عليه قال له : إنّه كانت منّي طيرة ثمَّ نزع ثيابه وألقى إليه سوطاً وقال : إقتص ، فقال : قد عفوت يا أمير المؤمنين ! .

ويقال : إنَّ عثمان لمّا قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه فأشخصه إليه مع رجل أعرابيّ من أعراب بني أسد فلمّا رأى الأعرابيُّ صلاته وعرف نسكه وفضله قال :

ليت حـظِّي من مسيـري بكـعب عـفـوه عنّي وغـفـران ذنـبي

فلمّا قدم به على عثمان قال عثمان : لأن تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه وكان شابّاً حديث السنّ نحيفاً ثمَّ أقبل عليه فقال : أأنت تعلّمني الحقَّ وقد قرأت كتاب الله وأنت في صلب رجل مشرك ؟ فقال له كعب : إنَّ إمارة المؤمنين إنّما كانت لك بما أوجبته الشورى حين عاهدت الله على نفسك في (أن) تسيرن بسيرة نبيِّه ، لا تقصِّر عنها وإن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك ، يا عثمان ! إنَّ كتاب الله لمن بلغه وقرأه وقد شركناك في قراءَته ، ومتى لم يعمل القارىء بما فيه كان حجَّة عليه . فقال عثمان : والله ما أظنّك تدري أين ربُّك ؟ فقال : هو بالمرصاد . فقال مروان : حلمك أغرى مثل هذا بك وجرَّأه عليك . فأمر عثمان بكعب فجرّد وضُرب عشرين سوطاً ، وسيَّره إلى دُباوند[١] ويقال : إلى جبل الدخان ، فلمّا ورد على سعيد حمله مع بكير بن حمران الأحمري فقال الدهقان الذي ورد عليه : لِمَ فُعل بهذا الرجل ما أرى ؟ قال بكير : لأنّه شريرٌ فقال : إنَّ قوماً هذا من شرارهم لخيار .

ثمَّ إنَّ طلحة والزبير وبّخا عثمان في أمر كعب وغيره وقال طلحة : عند غبّ الصدر يحمد عاقبة الورد . فكتب في ردِّ كعب رضي الله عنه وحمله إليه فلمّا قدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب ! إقتص . فعفا رضي الله عنهم أجمعين[٢] .

وعدَّ الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٧ من جملة ما انتقم به على عثمان : انَّه ضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال .

قال الأميني : ألا تعجب في أمر هذا الخليفة أنَّ مناوئيه كلّهم في عاصمة الخلافة وبقيَّة الأوساط الإسلاميَّة خيار البلاد وصلحاء الامَّة ؟ كما أنَّ من اكتنف به وأغراه بالأبرار هم المتهتّكون في الدين ، المفضوحون بالسمعة الشائنة ، رُوَّاد الشرّه ، وسماسرة المطامع ، من طُغمة الأمويِّين ومَن يقتصُّ أثرهم ، فلا ترى له

---

(١) بفتح المهملة وتضم ويقال : دنباوند ، ودماوند بالميم بدل الموحّدة : كورة من كور الريّ .

(٢) انساب البلاذري ج ٥ ص ٤١ - ٤٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٧ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ ، الصواعق ص ٦٨ ، واللفظ للبلاذري .

سوط عذاب يُرفع إلّا وكـان مصبُّه أُولئك الصالحـون ، كما أنَّـك لا تجد جميـلاً له يُسـدى ولا يداً مـوفـورة إلّا لأولئـك السـاقـطين ، فهـل بُعث الخليفـة (وهـو رحمـة للعـالمين) نقمةً على المؤمنين ؟ أم مـاذا كـانت حقيقـة الأمـر ؟ أنـا لا أدري لمـاذا أسخط الخليفـة كتاب القـوم فأراد بحـامله السوء من حبس وضـرب بعد يـأسـه عن معرفة كاتبيه لولا أنَّ عليّاً أمير المؤمنين حال بينه وبين ما يشتهيه ، وهل كـان الرجـل إلّا وسيطاً كلّف بالرسالة فأدّاها ؟ ولعلّه لم يكن يعلم ما فيها ، وليس في الكتاب إلّا التذكير بالله ، والتحذير عمّا يوجب تفريق الكلمة ، وإقلاق السَّلام ، وإظهار الطاعة بشرط طاعة الله والإستقامة الذي هو مأخوذٌ في الخليفة قبـل كلِّ شيء (وعليـه جرى انتخابـه يوم الشورى) وايقافه على مكان سعيد الشابِّ الغِرِّ من السعايـة التي خافـوا أن تكون وبالاً عليه ، وبالأخير وقع مـا خافـوا منه وحـذَّروا الخليفة عنـه ، والشهادة لاولئك المنفيِّين بالبراءة ممّا نُبزوا به وأنَّهم من أهـل الورع والفضـل والعفاف ، وانَّ تسييرهم لا يحلُّ في دين الله ، ويشوِّه سمعة الخليفة .

ولماذا أغضبه كتاب كعب ؟ وهو بـطبع الحـال لدة مـا كتبه القـوم من النصح الجميـل . ولماذ أمـر بإشخـاصه إلى المـدينة وضـربـه وجـازاه على نصحـه بجـزاء سنمار ؟

فهلّا انبعث الخليفة إلى التفـاهم مع القـوم فيما أظهـروا أنَّهم يتحرُّون مـا فيه صلاحه وصلاح الأُمَّة ؟ فإمّا أن يُقنعهم بما عنده ، أو يقتنع بما يبدونه ، فيرتفع ذلك الحـوار ، وتُدفـع عنه المثـلات ، لكنَّه أبى إلّا أن يستمـرَّ على ما ارتـآه وحبَّـذه لـه المحتفُّون به الـذين اتَّخذوه قنـطرة إلى شهواتهم ، ولـذلك لم يتفـاهم مع كعب إلّا بالغلظة فقال له : أأنت تعلّمني . الخ . أنا لا أدري موقع هذا الكـلام التافـه ، هل الكون في صُلب رجل مشرك يحطّ من كرامـة الإنسان وقـد آمن بالله ورسـوله ؟ إذن لتسرَّب النقص إلى الصحابة الذين نقلوا من أصلاب المشركين وارتكضوا في أرحام المشركات ، وكثير منهم أشركوا بالله قبـل إسلامهم ، لكن الإسـلام يجبُّ ما قبله ، وهل الأصلاب والأرحام إلّا أوعية ؟

ثمَّ السبق إلى قرّاء الكتاب العزيز هل هو بمجرَّده يرفـع من قدر الـرجل حتى إذا لم يعمل به كما أجاب به وفضّله كعب ؟

ولا أدري ما يريد الخليفة بقوله : والله ما أظنّك تدري أين ربُّك . هل هو يريد المكان ؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، وأيّ مسلم لا يعرف أنَّ ربَّه لا يُقلّه حيِّز ، فإنَّه حريٌّ بالسقوط ، وما أحسن جواب كعب من قوله : هو بالمرصاد ، فإن كان يريد مثل ما قاله كعب فلماذا احتمل انَّ مثل كعب الموصوف بالفضيلة والتقوى لا يعرف ذلك ؟ وهل يريد عندئذٍ إلاّ إهانة الرجل وهتكه ؟ .

ثمَّ ماذا كان في هذه المحاورة حتى عدَّ مروان سكوت الخليفة عنه من الحلم وكلام كعب من الجرأة وثوَّر الخليفة على الرجل ؟ وهنالك انفجر بركان غضبه فأمر به فجرّد وضُرب وسُيِّر ، وعوقب لنصحه وصلاحه ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليِّ العظيم .

لقد أراد القوم أن يزحزحوا التبعة عن عثمان فاختلق كلٌّ شيئاً من غير تواطؤ بينهم حتى يفتعلوا أمراً واحداً ، ففي ذيل هذه الرواية أنَّ الخليفة ندم على ما فعل وتاب بعد توبيخ طلحة والزبير إيّاه واستعفى الرجل فعفى عنه ، ولم يعلم المتقوِّل أنَّ خليفةً لا يملك طيشه حيث لا موجب له لا يُؤْتمن على دين ولا دنيا ، فإنَّ من الممكن عندئذ أن يقتحم المهالك حيث لا مُوبِّخ فيستمرّ عليها فيهلك ويُهلك ، وإنَّ ممّا قاله الخليفة نفسه يوم الدار عن الثائرين عليه : إنّهم يخيِّروني إحدى ثلاث : إمّا يقيدونني بكلِّ رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء ، فقلت لهم : أمّا إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطىء وتصيب فلم يُستقد من أحد منهم . الخ . وهذه الكلمة تعطينا أنّه ما كان يتنازل للإقادة حتى في أحرج ساعاته المشارفة لقتله ، فكيف بآونة السِّعة وساعة المقدرة ؟ فما يزعمه هذا الناحت لذيل الرواية من أنَّه تنازل لكعب لأنْ يقيده بنفسه لا يكاد يلائم مع هذه النفسيَّة ، ولو كان فعل شيئاً من ذلك لتشبَّث به في ذلك المأزق الحرج .

وهناك روايةٌ أُخرى جاء بها الطبري من طريق السري الكذّاب المتروك عن شعيب المجهول عن سيف الوضّاع المرميِّ بالزندقة المتَّفق على ضعفه[1] عن

---

(١) راجع ما مرّ في ج ٨ ص ١١١، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٧٧ - ٣٨٤ من كلمات الحفاظ حول رجال الاسناد .

محمَّد وطلحة انَّ كعباً كان يعالج نيرنجاً[١] فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقرَّ به فأوجعه، فدعا به فسأله فقال : إنَّما هو رفقٌ وأمرٌ يُعجب منه فأمر به فعزِّر وأخبر النّاس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنَّه قد جُدَّ بكم فعليكم بالجدِّ وإيّاكم والهزال فكان النّاس عليه وتعجَّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره فغضب فنفر في الذين نفروا فضرب معهم فكتب إلى عثمان فيه ، فلمّا سُيِّر إلى الشام مَن سُيِّر سُيِّر كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبدالله وكان دينه كدينه إلى دُنباوند لأنَّها أرض سَحرة فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد .

لعمري لئن طرَّدتني ما إلى التي | طمعت بها من سقطتي لسبيل
رجوت رجوعي يابن أروى ورجعتي | إلى الحقِّ دهراً غال ذلك غول
وإنَّ اغترابي في البلاد وجفوتي | وشتمي في ذات الإلّه قليل
وإنَّ دعائي كلَّ يوم وليلة | عليك بدُنباوندكم لطويل

فلمّا ولّى سعيد أقفله وأحسن إليه واستصلحه فكفره فلم يزدد إلاّ فساداً[٢] شوَّه الطبري صحيفة تاريخه بمكاتبات السري وقد أسلفنا في الجزء الثامن أنَّها موضوعةٌ كلّها ، اختلق الرجل في كلّ ما ينتقد به عثمان رواية تظهر فيها لوائح الكذب ، يريد بها رفاءً لما هنالك من فتق ، وهو الذي قذف أبا ذر ونظرائه من الصالحين ، غير مكترث لمغبَّة الكذب والإفتراء ، ومن ملامح الكذب في هذه الرواية أنَّ تسيير مَن سُيِّر إلى الشام مِن قرّاء الكوفة ونُسّاكها وضرب كعب إنَّما هو على عهد سعيد بن العاص لا الوليد بن عقبة كما زعمه مختلق الرواية .

وإنَّ كتاب عثمان إلى الوليد لا يصحّ ولم يؤثر في أيّ مِن مدوَّنات التاريخ والسير ولو كان تفرَّد به أُناس يوثق بهم لكان مجالاً للقبول ، لكن الرواية كما قيل :

صحاحهم عن سجاح عن مسيلمة | عن ابن حيّان والدوسيُّ يمليه
وكلّهم ينتهي إسناد باطله | إلى عزازيل مُنشيه ومنهيه[٣]

---

(١) النيرج والنيرنج : اخذ كالسحر وليس به .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٧ .
(٣) البيتان من قصيدة للشريف ابن فلاح الكاظمي .

على أنّه يقول فيها : إنَّ وليداً قرأه على رؤوس الأشهاد ، كأنّه يحاول معذرةً عمّا ارتكب من كعب ، وانَّه كان برضىً من المسلمين ، ولو صحّت المزعمة لكانت مستفيضة إذ الدواعي كانت متوفّرة على نقلها ، لكنهم لم يسمعوها فلم يرووها ، مضافاً إلى أنَّ المعروف من كعب بن عبدة انَّه كان من نسّاك الكوفة وقرّائها كما سمعته من كلام البلاذري وغيره لا ممَّن يتلهّى بالنيرنجات وأشباهها .

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ صاحب النيرنج ـ لو صدقت الأحلام ـ يُعزَّر ويعاقب ، ومُعاقر الخمور ـ وليد الفجور ـ لا يُحدُّ لشربه الخمر إلاّ بعد نقمة الصحابة على خليفة الوقت من جرّاء ذلك ، ثمَّ يكونُ مقيم الحدّ عليه غيره وهو مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام .

ولم يكن في اولئك المسيّرين مَن يسمّى مالك بن عبدالله وإنّما كان فيهم مالك بن الحارث الأشتر ، ومالك بن حبيب الصحابيّان كما تقدَّم ذكرهما .

وأبيات كعب تناسب أن يخاطب بها عثمان لا الوليد فإنّه هو ابن أروى بنت كريز وفيها صراحة بسبب اغتراب كعب وجفوته وشتمه ، وانَّها كانت في ذات الله ، يقول ذلك بملء فمه ولا يردُّ عليه رادّ بأنّها ليست في ذات الله وإنّما هي لأنّه كان يعالج نيرنجاً .

هكذا لعبت بالتاريخ يد الأهواء والشّهوات تزلّفاً إلى أُناس وانحيازاً عن آخرين ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

٤٥ ـ تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري الزاهد الناسك إلى الشام :

أخرج الطبري من طريق العلاء بن عبدالله بن زيد العنبري أنَّهُ قال : إجتمع ناسٌ من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلّمه ويخبره بأحداثه ، فأرسلوا إليه عامر بن عبدالله التميمي ثمَّ العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه فقال له : إنَّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أُموراً عظاماً فاتّق الله عزَّ وجلَّ وتب إليه وانزع عنها . قال له عثمان : انظر إلى هذا فإنَّ النّاس يزعمون أنّه

قارىءٌ ثمَّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات فوالله ما يدري أين الله . قال عامر : أنا لا أدري أين الله ؟ قال نعم ، والله ما تدري أين الله . قال عامر : بلى والله إني لأدري إنَّ الله بالمرصاد لك . فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان ، وإلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وإلى سعيد بن العاص ، وإلى عمرو بن العاص ، وإلى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه وما بلغ عنهم فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم : إنَّ لكلِّ امرىء وزراء ونصحاء وانّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي ، وقد صنع النّاس ما قد رأيتم ، وطلبوا إليَّ أن أعزل عمّالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبُّون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليَّ .

فقال له عبدالله بن عامر : رأيي لك يا أمير المؤمنين ! أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمّرهم في المغازي حتّى يذلُّوا لك ، فلا يكون همَّة أحدهم إلاّ نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه .

ثمَّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كنتَ تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف ، واعمل برأيي تصب . قال : وما هو؟ قال : إنَّ لكلِّ قوم قادة متى تهلك يتفرَّقوا ولا يجتمع لهم أمرٌ . فقال عثمان : إنَّ هذا الرأي لولا ما فيه .

ثمَّ أقبل على معاوية فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى لك يا أمير المؤمنين ! أن تردَّ عمّالك على الكفاية لما قِبَلهم وأنا ضامنٌ لك قِبَلي .

ثمَّ أقبل على عبدالله بن سعد فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى يا أمير المؤمنين ! انَّ النّاس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم .

ثمَّ أقبل على عمرو بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : أرى انَّك قد ركبت النّاس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل ، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً .

فقال عثمان : مالك قمل فروك ؟ أهذا الجدّ منك ؟ فأسكت عنه دهراً حتى إذا تفرَّق القوم قال عمرو : لا والله يا أمير المؤمنين ! لأنت أعزُّ عليَّ من ذلك ، ولكن : قد علمت أن سيبلغ النّاس قول كلِّ رجل منّا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا

بي فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شرّاً .

فردَّ عثمان عمّاله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على مَن قِبَلهم وأمرهم بتجمير النّاس في البعوث ، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاج إليه[١] .

وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥٧ : قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره : كان عامر بن قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز في حمله فحمله فلمّا قدم عليه فرآه وقد أعظم الناس إشخاصه وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده ، ألطفه وأكرمه وردَّه إلى البصرة .

وروى ابن المبارك في الزهد من طريق بلال بن سعد أنَّ عامر بن عبد قيس وُشي به إلى عثمان ، فأمر أن يُنفى إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء وبعث إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله ، فكان يقوم الليل كلّه ويخرج من السحر فلا يعود إلاّ بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها ويشرب من ذلك الماء ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه فقال : لا ارب لي في ذلك .

[الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٨٥]

وذكر ابن قتيبة في المعارف ص ٨٤ و١٩٤ ، وابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١ ، والراغب في المحاضرات ج ٢ ص ٢١٢ جملة ممّا نُقم به على عثمان وعدّوا منه : إنَّه سيَّر عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ، وقال ابن قتيبة : كان خيّراً فاضلاً .

قال الأميني : منظرٌ غريبٌ لعمرك في ذلك اليوم ، أليس من المستغرب أنَّ صلحاء البلاد مضطهدون فيه على بكرة أبيهم ؟ فمن راسفٍ تحت نير الإضطهاد ، ومن معتقل في غيابة الجبِّ ، ومن مغترب يجفل به من منفىً إلى منفى ، ومن منقطع عن العطاء ، ومن ممقوت ينظر إليه شزراً ، ومن مضروب تُدقّ به أضالعه ، إلى

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٤٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٠ .

مشتوم يُهتك في الملأ الديني لِماذا ذلك كلّه ؟ لأنّهم غضبوا للحق ، وأنكروا المنكر ، فهلاّ كان في وسع مَن يفعل بهم ذلك إقناعهم بالإقلاع عمّا ينكرونه وفيه رضا الله قبل كلّ شيء ، ومرضاة رسوله من بعده ، ومرضاة الامّة جمعاء ، وبه كانت تُدحر عنه المثلات وتخمد الفتن ، وكانت فيه مجلبة للمودّة ، ومكتسح للقلاقل ، وهو أدعى لجمام النفس ، وسيادة الأمن ، وإزاحة الهرج ، وكان خيراً له من ارتكاب العظائم بالنفي والضرب والشتم والإزعاج والجفوة ، ولو كان الخليفة يرى خطأهم في إنكارهم عليه فإنّه كان في وسعه أن يَعقد لهم محتفلاً للتفاهم ، فإمّا أن يتنازلوا عن بعض ما أرادوا ، أو يتنازل هو عن بعض ما يبتغيه ، أو يتكافئا في التنازل فتقع خيرة الكلّ على أمر واحد ، وكان عقد هذا المنتدى خيراً له ممّا عقده للنظر في شأن عامر بن عبد قيس ، وجمع خلقاً من أُصول الجور ، وجذوم الفتن ، وجراثيم العيث والفساد ، فروع الشجرة الملعونة ، وهم الذين جرّوا إليه الويلات بجورهم وفجورهم واستعبادهم الامّة وابتغائهم الغوائل ، وهملجتهم وراء المطامع ، فلم يُسمع منهم في ذلك المجتمع ولا في غيره إلاّ رأي مُستغش ، ونظرية خائن ، أو أفيكة مائن ، أو دسيسة لعين بلسان النبيِّ الأقدس مرّة بعد أُخرى ، وهو مع ذلك يراهم وزراءه ونصحاءه وأهل ثقته أولا تعجب من خلافة يكون هؤلاء وزراءها ونصحاءها و أهل ثقة صاحبها ؟ .

ثمّ انظر كيف كان التفاهم بين الرجلين : الخليفة وسفير المسلمين إليه ، هذا يذكّره بالتقوى والتوبة إلى الله وينهاه عن ارتكاب العظائم التي استعظمها المسلمون العلماء منهم والقرّاء والنساك وذوو الرأي والمسكة ، والخليفة يعدُّ ما استعظمته الامّة من المحقّرات ، ثمّ يهزأ به ويقذفه بقلّة المعرفة مشفوعاً ذلك باليمين كما قذف به كعباً وصعصعة بن صوحان وسمع منهما ما سمعه من عامر لأنّهم حملة العلم ، والعلم حرفٌ واحد كثّره الجاهلون .

والأعجب كيف يعير الخليفة إلى سعاية حمران بن أبان أُذناً واعية وقد رآه على الفاحشة هو بنفسه وذلك أنه تزوّج امرأة في العدّة فضربه ونفاه إلى البصرة[١]

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩١ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٠ .

وأسرَّ اليه سرّاً فأخبر به عبدالرحمٰن بن عوف ، فغضب عليه عثمان ونفاه[١] وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٥ : كان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد فلمّا قدم على عثمان كذب عن الوليد وقرَّظه ثمَّ إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له : الأمر جليل فأخبر مروان عثمان بذلك فغضب على حمران وغرَّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً .

كيف وثق خليفة المسلمين بخبر إنسان هذا شأنه من الفسق والتهوّر والله جلَّ إسمه يقول : ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا ، أن تصيبوا قوماً بجهالة**﴾ . الآية ؟ .

ثمَّ اعجب أنَّ حمران نفاه الخليفة على فسقه وأقطعه داراً لجمع شمله ، والعبد الصالح أبو ذر الغفاري الصادق المصدوق أُجفل إلى الربذة ، وتُرك في البرِّ الأقفر لا يأوي إلى مضرب ، ولا يظلّه خباء ، هذا من هوان الدنيا على الله .

وهل الخليفة عرف عامراً ومكانته في الامّة ومنزلته من الزهد والتقوى ومحلّه من التعبد والنزاهة ، فأصاخ فيه إلى قول الوشاة وأشخصه إلى المدينة مرَّة وسيّره إلى الشام على القتب أُخرى ، وأزرى به وأهانه حين مثُل بين يديه ؟ أو أنّه لم يعرفه ولا شيئاً من فضله ، فوثق بما قالوه ؟ وكان عليه أن يعرفه لمّا علم بسفارته من قِبَل وجهاء البصرة وأهل الحريجة والتقوى ، ذوي الحلوم الراجحة ، والآراء الناضجة ، فإنّهم لا يرسلون طبعاً إلاّ من يرضونه في مكانته وعلمه وعقله وتقواه . وهل كان فيما يقوله مغضبة أو أنَّه ما كان يتحرّى صالح الامَّة وصلاح من يسوسها ؟ .

إنَّ من العصيب أن نعترف بأنّه ما كان يعرف عامراً وصلاحه ، فقد كان يسير بذكره الركبان ، وهبَّت بأريج فضله النسائم في الأجواء والأرجاء ، وفي طيّات المعاجم والسير اليوم نماذج من تلكم الشهرة الطائلة عن عامر بين العباد وفي البلاد يوم ألزم نفسه أن يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[٢] فكانوا يعدُّونه من أولياء الله المقرَّبين ، وأوَّل الزهاد الثمانية ، وذكروا له كرامات ومكرمات .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٤ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٩ ، الاصابة ج ٣ ص ٨٥ .

أفمن الممكن إذن أن لا يعرفه الخليفة ؟ ولم يكن فيما ينكره إلّا ما أصفق على إنكاره أهل الحلّ والعقد يومئذٍ من الصالح العام في الحواضر الإسلاميّة كلّها ، غير أنّهم لم يجدوا كما أنّ عامراً لم يجد أُذناً مصغية لهتافهم ، فتكافىء دؤوب الخليفة على التصامم ودؤوب القوم على الإنكار حتّى استفحل الخطب ودارت الدوائر .

وهلمّ معي ننظر إلى رواية الضعفاء رواية كذّاب متروك عن مجهول منكر عن وضّاع متّهم بالزندقة متّفق على ضعفه : السري عن شعيب عن سيف بن عمر عن محمّد وطلحة : إنَّ عثمان سيَّر حمران بن أبان أن تزوّج امرأة في عدّتها وفرّق بينهما وضربه وسيَّره إلى البصرة ، فلمّا أتى عليه ما شاء الله وأتاه عنه الذي يحبُّ ، أذن له فقدم عليه المدينة ومعه قومٌ سعوا بعامر أنّه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة فألحقه عثمان بمعاوية فلمّا قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل أكلاً عربيّاً ، فعرف أنّ الرجل مكذوبٌ عليه فعرَّفه معاوية سبب إخراجه فقال : أمّا الجمعة فإنّي أشهدها في مؤخّر المسجد ثمَّ أرجع في أوائل الناس ، وأمّا التزويج فإنّي خرجت وأنا يُخطب عليَّ ، وأمّا اللحم فقد رأيت[1] .

أوَ لا تعجب من الذين اتّخذوا هذه الرواية مصدراً في تعذير عثمان عن نفي عامر وإشخاصه وهم يبطلون الرواية في غير هذا المورد بوجود واحد من رجال هذا السند الثلاثة ، لكنّهم يحتجّون برواياتهم جميعاً ها هنا ، وفي كلّ ما نقم به على عثمان ؟

ثمَّ لننظر فيما وُشي به على الرجل بعد الفراغ من النظرة في حال الواشي وهو حمران المتقدّم ذكره ، هل يوجب شيءٌ منها ذمّاً أو تعزيراً أو تأديباً أو تغريباً ؟ وهل هي من المعاصي المسقطة لمحلّ الإنسان ؟ أمّا ترك التزويج فلم يثبت حرمته إن لم يكن من باب التشريع وأخذه ديناً ، وإنّما النكاح من المرغّب فيه ، على أنّه كان لم يزل يخطب لنفسه لكنّه لا يجد من يلائمه في خفّه المؤنة ، أخرج أبو نعيم في

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩١ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٧ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٠ ، اسد الغابة ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٩ .

الحلية ج ٢ ص ٩٠ : إنَّ عامر بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة فقال : إنَّ أمير المؤمنين أمرني أن أسألك مالك لا تزوِّج النساء ؟ قال : ما تركتهنَّ وإنِّي لدائبٌ في الخطبة ، قال : ومالك لا تأكل الجبن ؟ قال : أنا بأرض فيها مجوس فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته . قال : وما يمنعك أن تأتي الامراء ؟ قال : إنَّ لدى أبوابكم طلّاب الحاجات فادعوهم واقضوا حوائجهم ، ودعوا من لا حاجة له إليكم .

وأخرج من طريق أحمد بن حنبل باسناده عن الحسن قال : بعث معاوية إلى عبدالله بن عامر أن انظر عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وامهر عنه من بيت المال ، فأرسل إليه انَّ أمير المؤمنين قد كتب إليَّ وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى مَن شئت وأمهر عنك من بيت المال . قال : أنا في الخطبة دائبٌ . قال : إلى مَن ؟ قال : إلى مَن يقبل مني الفلقة والتمرة .

وهذان الحديثان يكذِّبان ما جاء به السري ، ولو صحَّ ذلك فما وجه هذه المسألة في أيّام معاوية عن تزويج عامر ؟

وأمّا ترك اللحوم فليس من المحرَّم ايضاً وقد جاءت السنّة بتحليلها كلّها من غير ايجاب ، نعم تركها النهائي مكروهٌ إن لم يكن من باب التديّن ، وقد تستدعي المبالغة في الزهادة الذهول عن شؤون الدنيا بأسرها فلا يلتفت صاحبها إلى الملاذّ كلّها ، وكان مع ذلك لعامر عذر ، قال ابن قتيبة في المعارف ص ١٩٤ : وكان سبب تسييره أنَّ حمران بن أبان كتب فيه : انَّه لا يأكل اللحم ، ولا يغشى النساء ، ولا يقبل الأعمال ، فعرض بأنَّه خارجيٌّ ، فكتب عثمان إلى ابن عامر : أن أُدعُ عامراً فإن كانت فيه الخصال فسيِّره فسأله فقال : أمّا اللحم فإنِّي مررت بقصّاب يذبح ولا يذكر إسم الله ، فإذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها ، وأمّا النساء فإنَّ لي عنهنَّ شغلاً ، وأمَّا الأعمال فما أكثر مَن تجدونه سواي . فقال له حمران : لا أكثر الله فينا أمثالك ، فقال له عامر : بل أكثر الله فينا من أمثالك كسّاحين حجّامين .

وأمّا عدم الحضور للجمعة : فقد بيَّن عامر نفسه حقيقته لمعاوية وهو الصَّادق

الأمين على أنَّه كان له أن لا يحضر الجمعة والجماعة إن لم يرَ لمقيمها أهليَّة للإئتمام به ، وليس من المنكر ذلك في حقِّ الولاة الأُمويين يومئذٍ .

وعلى فرض صحَّة الرواية وكون كلّ ممّا نُبزبه حوباً كبيراً فكان من الميسور تحقيق حال الرجل من قِبَل والي البصرة كما وقع ذلك فيما مرَّ من رواية أبي نعيم بالنسبة إلى التزويج وأكل الجبن وإتيان الأُمراء . ولا أدري هل من الفرائض في الشريعة السمحاء أكل الجبن بحيث يوجب تركه التجسُّس والتفتيش ؟ وعلى كلّ فما الموجب لإجفال الرجل العظيم من مستقرٍّ أمنه على قتب إلى الشام منفى الثائرين علي الخليفة ؟ وأيُّ عقل يقبل تسييره وتعذيبه لتلك الامور التافهة ؟ نعم : الغريق يتشبَّث بِكلٍّ حشيش .

٤٦ ـ تسيير الخليفة عبدالرحمٰن الجمحي :

عُدَّ ممّن سيَّره الخليفة عبدالرحمٰن بن حنبل الجمحي . قال اليعقوبي : سُيّر عبدالرحمٰن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى القموس[١] من خيبر ، وكان سبب تسييره إيّاه أنَّه بلغه كرهه مساوىء إبنه وخاله وأنَّه هجاه .

وقال العلائي عن مصعب وأبو عمر في الإستيعاب انَّه لمّا أعطى عثمان مروان خمس مائة ألف من خمس أفريقيّة قال عبدالرحمٰن :

وأحلف بالله جهد اليمين ... ما ترك اللّه أمراً سُدى
ولكن جعلتَ لنا فتنة ... لكي نُبتلى بك أو تُبتلى
دعوت الطريد فأدنيته ... خلافاً لِما سنَّه المصطفى
وولّيت قرباك أمر العباد ... خلافاً لسنَّة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة ... آثرته وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري ... من الفيء أعطيته من دنا
فإنَّ الأمينين قد بيَّنا ... منار الطريق عليه الهدى

---

(١) كذا في لفظ اليعقوبي . وفي الاصابة : الغموص كما في الأَبيات . والصحيح : القموص . بالقاف المفتوحة وآخره صاد مهملة .

فما أخذا درهماً غيلة ولا قسّما درهماً في هوى[1]

فأمر به فحبس بخيبر، وأنشد له المرزباني في معجم الشعراء أنَّه قال وهو في السجن:

إلى اللّه أشكو لا إلى الناس ما عدا أبا حسن غلاًّ شديداً أُكابده
بخيبر في قعر الغموص كأنَّها جوانب قبر أعمق اللحد لاحده
أإن قلتُ حقاً أو نشدتُ أمانة قُتلت، فمن للحقِّ إن مات ناشده ؟

وكتب إلى عليّ وعمّار من الحبس:

أبلغ عليّاً وعمّاراً فإنَّهما بمنزل الرشد إنَّ الرشد مُبتدر
لا تتركا جاهلاً حتى يوقّره دين الإلّه وإن هاجت به مُرر
لم يبق لي منه إلّا السيف إذ علقت حبائل الموت فينا الصّادق البرر
يعلم بأنّي مظلومٌ إذا ذكرت وسط النديِّ حجاج القوم والعذر

فلم يزل عليٌّ يكلّم عثمان حتى خلّى سبيله على أنَّه لا يساكنه بالمدينة فسيَّره إلى خيبر فأنزله قلعة بها تسمّى «القموص» فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان وساروا إليه من كلِّ بلد فقال عبد الرحمٰن:

لولا عليٌّ فإنَّ اللّه أنقذني على يديه من الأغلال والصفد
لما رجوت لدى شدّ بجامعة يُمنى يديّ غياث الفوت من أحد
نفسي فداء عليّ إذ يخلّصني من كافر بعد ما أغضى على صمد

كان عبدالرحمٰن مع عليّ في صفّين قال الطبري من طريق عوانة: إنّه جعل ابن حنبل يقول يومئذٍ.

إن تقتلوني فأنا ابن حنبل أنا الذي قد قلت فيكم نعثل

راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٠، الإستيعاب ج ٢ ص ٤١٠، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٦، الإصابة ج ٢ ص ٣٩٥.

قال الأميني: هذا أحد المعذَّبين الذين أقلّتهم غيابة الجبِّ مُصفَّداً بالحديد

(١) قد تنسب هذه الابيات الى أسلم راجع ج ٨ ص ٣٠٠.

ولم يجهز عليه إلّا إنكاره المنكر ، وجنوحه إلى الحقّ المعروف ، والكلام فيه لدة ما كرّرناه في غير واحد من زملائه الصالحين ، وأحسن ما ينمّ عن سريرته شعره الطافح بالإيمان .

٤٧ ـ تسيير الخليفة عليّاً أمير المؤمنين :

لعلّ التبسّط في البحث عمّا جرى بين عثمان أيّام خلافته وبين عليّ أمير المؤمنين يوجب خدش العواطف ، وينتهي إلى ما يُحمد عقباه ، والتاريخ وإن لم يحفظ منه إلا النزر اليسير غير أنّ في ذلك القليل غنى وكفاية وبه تُعرف جليّة الحال ، ونحن نمرُّ به كراماً ، فلا نحوم حول البحث عن كلمه القوارص لعليّ عليه السلام ، البعيدة عن ساحة قدسه النائية عن مكانته الراقية التي لا يُدرك شأوها ، ويقصر دون استكناهها البيان .

أيسع لمن أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالكتاب وبما نزل من آية في سيّد العترة ، وصدّق بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبما صدع به من فضائل عليّ عليه السلام ، وجاوره مع ذلك حقباً وأعواماً بيت بيت ، ووقف على نفسيّاته الكريمة وهو على ضمادة من أفعاله وتروكه وشاهد مواقفه المبرورة ومساعيه المشكورة في تدعيم الدين الحنيف ، أيسع لمسلم هذا شأنه أن يخاطب أخا الرسول المطهّر بلسان الله بقوله : لِمَ لا يشتمك ـ مروان ـ إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه[1] ؟ ومروان طريد رسول الله وابن طريده ولعينه وابن لعينه .

أم بقوله له : والله يا أبا الحسن ! ما أدري أشتهي موتك ؟ أم أشتهي حياتك ؟ فوالله لئن متَّ ما أُحبّ أن أبقى بعدك لغيرك لأنّي لا أجد منك خلفاً ، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سُلّماً وعضداً ، ويعدّك كهفاً وملجأً ، لا يمنعني منه إلّا مكانه منك ومكانك منه ، فأنا منك كالإبن العاقّ من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقّه . إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٦ ؟ .

أم بقوله له . ما أنت بأفضل من عمّار ، وما أنت أقلّ استحقاقاً للنفي منه[2] ؟ .

---

(١) راجع ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٦٠ .
(٢) الفتنة الكبرى ص ١٦٥ .

أم بقوله له : أنت أحقُّ بالنفي من عمّار[١] ؟ .

أم بقوله الغليظ الذي لا يحبُّ المؤرِّخون ذكره ونحن سكتنا عن الإعراب عنه[٢]؟ .

وبعد هذه كلّها يزحزحه عليه السلام عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويُقلقه من عقر داره ويخرجه إلى ينبُع مرَّة أُخرى قائلاً لابن عبَّاس : قل له فليخرج إلى ماله بالينبُع ، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي .

ألا مُسائل الرجل عمَّا أوجب أولويّة الإمام الطاهر المنزَّه عن الخطل ، المعصوم من الزلل بالنفي ممَّن نَفاهم من الامَّة الصالحة ؟ أكان بزعمه عليٌّ عليه السلام شيوعيّاً إشتراكيّاً شيخاً كذّاباً كأبي ذر الصّادق المصدَّق ؟ أم كان عنده دُويبة سوء كإبن مسعود أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان الرجل يراه ابن متكاء ، عاضاً أير أبيه ، طاغياً كذّاباً يجترىء عليه ويُجرّىء عليه الناس كعمّار جِلدة ما بين عيني النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان يحسبه «معالجاً نير نجاً ككعب بن عبدة الصالح الناسك ؟

أم كان يراه تاركاً الجبن واللحم والجمعة والتزويج كعامر بن عبد قيس القارىء الزاهد المتعبِّد ؟

أم كان الإمام متكلّماً بألسنة الشياطين غير عاقل ولا ديِّن كصلحاء الكوفة المنفيِّين ؟

حاشا صنو النبيِّ الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهّره الجليل ، واتّخذه نفساً لنبيّه ، واختارهما من بين بريَّته نبيّاً ووصيّاً .

وحاشا اولئك المنفيُّون من الصحابة الأوَّلين الأبرار والتابعين لهم بإحسان عن تلكم الطامات والأفائك والنسب المفتعلة .

---

(١) راجع صفحة ٣٧ من هذا الجزء .

(٢) راجع ج ٨ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣ .

نعم كان يرى الرجل كلاًّ من أُولئك الصفوة البررة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طاغياً إتّخذ عليّاً عليه السلام سُلّماً ويعدّه كهفاً وملجأً يُدافع عنهم بوادر غضب الخليفة ، ويحول بينهم وبين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لِما ركبه من النهابير ، فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقّق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفي من أُولئك الرجال المنفيِّين ، ولولاه لكان يشفي منهم غليله ، ويتسنّى له ما كان يبتغيه من البغي عليهم ، والله يدافع عن الذين آمنوا وإنَّه على نصرهم لقدير .

على أنّه ليس من المعقول أن يكون من يأوي إلى مولانا أمير المؤمنين وآواه هو طاغياً كما يحسبه هذا الخليفة ، فإنَّه لا يأوي إلى مثله إلاّ الصالح الراشد من المظلومين وهو عليه السلام لا يحمي إلاّ من هو كذلك ، وهو وليُّ المؤمنين ، وأمير البررة ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وإمام المتقين ، وسيِّد المسلمين ، كلّ ذلك نصّاً من الرسول الصّادق الأمين وليتني أدري ممَّ كان يغتمّ عثمان من مكان أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة ؟ ووجوده رحمةٌ ولطفٌ من الله سبحانه وتعالى على الامَّة جمعاء لاسيما في البيئة التي تُقلّه ، يكسح عن أهلها الفساد ، ويكبح جماح المتغلّبين ، ويقف أمام نعرات المتهوِّسين ، ويسير بالناس على المنهج اللاحب سيراً سجحاً .

نعم : يغتمّ به سماسرة النهمة والشرَه فيروقهم بعاده ليهملج كلٌّ منهم إلى غاياته قلق الوضين . وما كان هتاف الناس به يومئذٍ إلاّ لأن يقيم أوَد الجامعة ، ويعدِّل الخطّة العوجاء ، ويقف بهم على المحجَّة الواضحة ، غير أنَّ ذلك الهتاف لا يروق من لا يروقه ذلك كلّه ، فالإغتمام به جنايةٌ على المجتمع الديني ، ووقوفٌ أمام سير الصالح العام .

ولعمر الله انَّ هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته ، وهتكت منه حجاب حرمته وكرامته ، وأطالت عليه ألسنة البذاءة والوقيعة فيه ، وعثمان هو الذي أزرى الإمام في الملأ الديني ، وصغَّره في أعين الناس وجرّأ عليه طغام الأمويِّين وسفلة الأعراب ، فباذأه أبناء أُميَّة وهم على آسال خليفتهم اتَّخذوه أُسوةً وقدوةً في شتيمته وقذيعته وآذوا نبيّهم في أخيه علم الهدى ،

﴿إنَّ الـذين يؤذون الله ورسولـه لعنهم الله في الدنيـا والآخـرة ، وأعـدَّ لهم عـذابـاً مُهينـاً ، والـذين يؤذون رسـول الله لهم عـذابٌ أليم ، والـذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثماً مبيناً﴾ .

٤٨ - آيةٌ نازلةٌ في الخليفة :

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق ابن عبـاس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك قالوا : نـزل قوله تعالى في سورة النجم ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ : **﴿أفرأيت الـذي تـولّى ، وأعطى قليـلاً وأكدى﴾**، **﴿أعنـده علم الغيب فهو يـرى﴾**(١) . نـزلت في عثمـان رضي الله عنه كـان يتصدَّق وينفق في الخيـر فقـال لـه أخـوه من الـرضـاعـة عبدالله بن أبي سرح : مـا هذا الـذي تصنع ؟ يـوشك أن لا يُبقي لـك شيئاً . فقـال عثمان : إنَّ لي ذنوباً وخطايا وإنّي أطلب بما أصنـع رضا الله تعـالى وأرجو عفـوه ، فقال له عبدالله : أعطني نـاقتك بـرحلها وأنـا أتحمَّل عنـك ذنوبـك كلّها . فـأعطاه وأشهـد عليه وأمسك عن بعض ما كـان يصنع من الصـدقة ، فـأنـزل الله تعـالى : **﴿أفرأيت الذي تولّى﴾** . الخ . فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله .

وذكـره مجمعٌ من المفسِّـرين وفي تفسيـر النيسـابـوري : معنى تـولّى : تـرك المركز يوم أُحد .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٨ ، تفسيـر القرطبي ج ١٧ ص ١١١ ، الكشاف ج ٣ ص ١٤٦ ، تفسير النيسابوري هامش الطبـري ج ٢٧ ص ٥٠ ، تفسير الشربيني ج ٤ ص ١٢٨ .

قـال الأميني : لا غرابـة من ابن أبي سرح وقـد تشـاكلت أحـوالـه يـوم كفـره وإسلامه وردَّته وزلفته من عثمـان على عهد خـلافته إن لهـج بهذه السخـافة التي لا تلائم أيّاً من نـواميس العدل . ولكن إن تعجب فعجبٌ قبـول عثمان تلكم الخـرافة منه ، ومنحه إيّاه ناقته برحلها على أن يحمل عنه ذنوبـه **﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى﴾**

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وطاوس وقتادة والضحّاك : أكدى : انقطع فلا يعـطي شيئاً . يقـال : البئر أكدت .

وإشهاده عليه وإمساكه عن الصدقات ، وحسبانه أنَّ ما قاله ذلك الساخر كائنٌ لا محالة ، كأنَّ بيد إبن أبي سرح أزمَّة الحساب، وعنده مقاليد يوم القيامة، وهو الخبير بما يكون فيه ، فأنبأه بأنَّ ذنوبه مُحيت بتلك المبادلة ، أو أنَّ عثمان نفسه كان يعلم الغيب ، فهو يرى أنَّ ما يقوله حميمه حقّ ، وكأنَّه نسي قوله تعالى : ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنَّهم لكاذبون ، وليحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليُسألنَّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون**﴾[(١)] وقوله تعالى : ﴿**مَن يعمل سوءاً يُجز به ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً**﴾[(٢)] وقوله تعالى : ﴿**فمَن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ومَن يعمل مثقال ذرَّة شرّاً يره**﴾[(٣)] وقوله تعالى : ﴿**كلُّ نفس بما كسبت رهينة**﴾[(٤)] ﴿**ومن يكسب إثماً فإنَّما يكسبه على نفسه**﴾[(٥)] ﴿**اليوم تُجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم**﴾[(٦)] ﴿**ولتجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون**﴾[(٧)] إلى آي كثيرة من أمثالها وهي كلّها تقرِّر حكم العقل بقبح أخذ أيِّ أحد بجريمة غيره .

والعدل يحكم بأنَّ إبن أبي سرح وهو مثال المآثم والمخازي إن حُمّل إثماً مِن جرّاء قولته هذه فإنَّما هو جرأته على الله تعالى وتصغيره عظمة نيران القسط الإلّهي ونهيه عن الصدقة لا ما سبق لعثمان إقترافه من السيّئات ، لكن هلمَّ معي إلى ضؤولة عقل مَن يصدّق تلكم المهزأة ، ويرتِّب عليها آثاراً عمليَّة حتّى ندَّد به الذكر الحكيم .

وهب أنّا غاضينا الراوي على عود الرجل إلى ما كان بعد نزول الآية الكريمة ، لكن ذلك لا يُجديه نفعاً يُزيح عنه وصمة ضعف الرأي وقوَّة الرعونة فيه ،

---

(١) سورة العنكبوت ؛ الآيتان : ١٢ ، ١٣ .
(٢) سورة النساء ؛ الآية : ١٢٣ .
(٣) سورة الزلزلة ؛ الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٤) سورة المدثر ؛ الآية : ٣٨١ .
(٥) سورة النساء ؛ الآية : ١١١ .
(٦) سورة غافر ؛ الآية : ١٧ .
(٧) سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٢ .

نعم : كان يُجديه لو لم يعبأ بتلكم الضلالة ، أو أنَّه عدل عنها بقوَّة التفكير لا بتوبيخ الوحي الإلّهي ، وليته لم يعدل فإنَّه عدل إلى ما عرفت من سيرته في الصدقات ، وجاء يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع .

٤٩ ـ الخليفة لا يعرف المخلص من النّار :

أخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٥٨ من طريق أحمد بن محمَّد أبي عليّ بن مكحول البيروتي قال : مرَّ عمر على عثمان بن عفّان فسلّم عليه فلم يردّ عليه السلام فجاء عمر إلى أبي بكر الصدِّيق فقال : يا خليفة رسول الله ! ألا أُخبرك بمصيبة نزلت بنا من بعد رسول الله ؟ قال : وما هي ؟ قال : مررت على عثمان فسلّمت عليه فلم يردّ عليَّ السَّلام . فقال أبو بكر : أوَ كان ذلك ؟ قال : نعم . فأخذ بيده وجاء إلى عثمان فسلّما عليه فردَّ عليهما السَّلام . فقال أبو بكر : جاءك عمر فسلّم عليك فلم تردَّ عليه ؟ فقال : والله يا خليفة رسول الله ! ما رأيته . قال : وفي أيِّ شيء كانت فكرتك؟ قال : كنت مفكّراً في رسول الله ﷺ فارقناه ولم نسأله : كيف الخلاص والمخلص من النّار ؟ فقال أبو بكر : والله لقد سألت رسول الله ﷺ فأخبرني فقال عثمان : ففرّج عنّا قال أبو بكر : قال رسول الله ﷺ : تمسَّكوا بالعروة الوثقى قول لا إلّه إلاّ الله .

قال الأميني : أكان في أُذن الرجل وقرٌ على عهد النبوَّة عمّا كان يتهالك دونه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويهتف به آناء الليل وأطراف النهار منذ بدء البعثة إلى أن لقي ربَّه من الإشادة بكلمة التوحيد ، وانَّ الإخلاص بها هو المنقذ الفذّ ، والسبب الوحيد للنجاة من الهلكة التي من ورائها النار ، وأنَّ **﴿من يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾**(١) **﴿فمَن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾**(٢) **﴿والذين آمنوا وعملوا الصّالحات أُولئك أصحاب الجنَّة﴾**(٣) و**﴿إنَّه مَن يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنَّة ومأواه النّار﴾**(٤) .

---

(١) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٢ .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٧٢ .

ألم يك يسمع نداءه صلى الله عليه وآله وسلم : قولوا لا إلّه إلّا الله تفلحوا؟[١] .

وقوله : مَن شهد أن لا إلّه إلّا الله ، وأنَّ محمَّداً رسول الله ، حرّم الله عليه النار .

وقوله : مَن قال : لا إلّه إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة .

وقوله : ما مِن أحد يشهد أن لا إلّه إلّا الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، صدقاً من قلبه إلّا حرَّمه الله على النّار .

وقوله : إنّي لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه فيموت على ذلك إلّا حرِّم على النّار : لا إلّه إلّا الله . إلى أحاديث كثيرة جمع جملة ضافية منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦٤ .

أو أنَّ الرجل كان يسمع هذه الكلمات الذهبيّة ، لكنَّه لا يعيرها أُذناً واعية فنسيها ؟ فإن كان لم يعِ هذه وهي أساس الدعوة فما الذي وعاه ؟ وما الذي تعقّله من نبيّ جاء وذهب ولم يعرِّف ما هو المخلص من النّار ؟ ولم يبعث إلّا لانتشال أُمّته منها ، وفي يده كتابه الكريم فيه تبيان كلّ شيء ، وأيّ نبيّ كان يحسبه عثمان ، نبيّ العظمة ؟ وعلى أيِّ أساس علا صُروح إسلامه ؟ وأيّ مسلم هذا يدرك أيّام دعوة نبيِّه كلّها ثمَّ يدركه صلى الله عليه وآله وسلم الموت ولم يعرف المسكين بعدُ ما ينجيه من النّار ؟ نعم : لم يأل نبيُّ الإسلام في تنوير سبل السّلام ، وإنقاذ البشر من النّار ، فماذا عليه إن لم تصادفه نفسٌ صاغية إلى تعاليمه فلم تحفظها ؟ .

٥٠ ـ ترك الخليفة التكبير في كلِّ خفض ورفع :

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال : صلّيت خلف عليّ صلاة ذكّرني صلاة صلّيتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين قال : فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبِّر كلّما سجد وكلّما رفع رأسه من الركوع فقلت : يا أبا نجيد مَن أوّل مَن تركه ؟ قال : عثمان رضي الله عنه حين كبر وضعف صوته تركه[٢] .

(١) تاريخ البخاري ج ٤ القسم الثاني ص ١٤ .
(٢) مسند احمد ج ٤ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ .

قال الأميني : سيوافيك البحث الضافي في الجزء العاشر إن شاء الله تعالى حول التكبيرة في الصّلاة عند كلّ رفع وخفض وأنّها سنّة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسالمت عليها الامّة ، وعمل بها الصحابة ، واستقرّ عليها إجماع أئمّة المذاهب ، وهذا الحديث يعطينا خُبراً بأنّ أوّل مَن تركها هو عثمان وتبعه معاوية وبنو أُميّة ، وما زال الناس على هذا المزن وتمرّنت عليه الامّة طوعاً أو كرهاً حتّى ضاعت السنّة الثابتة ونُسيت ، وكان مَن جاء بها يُعدُّ أحمقاً كأنّه ارتكب بأمرٍ شاذّ عن الشرع المقدّس ، والتبعة في ذلك كلّه على الخليفة البادي بترك سنّة الله التي لا تبديل لها . قال الزرقاني في شرح الموطّأ ج ٢ ص ١٤٥ : ولأحمد عن عمران : أوّل من ترك التكبير عثمان حين كبر ، وللطبري عن أبي هريرة : أوّل مَن ترك معاوية، ولأبي عبيد : أوّل من تركه زياد. ولا ينافي ما قبله لأنّ زياداً تركه بترك معاوية ، وكأنّه تركه بترك عثمان وقد حمله جماعةٌ من العلماء على الإخفاء . هـ .

وتبرير عمل عثمان بالحمل على الإخفاء يأباه صريح لفظ ترك . وإنّما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهويّ والإنتصاب لا عن جهره به ، والسائل إنّما يسأله عن أوّل مَن تركه لا عمّن خافت به أوّلاً ، ويزيّفه ما يأتي عن ابن حجر والشوكاني وغيرهما من قولهم كما سمعت عن الزرقاني : كان معاوية تركه بترك عثمان . ولم يؤثر عن معاوية غير الترك والتنقيص كما يأتي حديثه بلفظ نقص ، وقد اتّبع أثر عثمان في أُحدوثته فإلى الملتقى .

نتاج البحث :

هذه نُبذٌ قليلةٌ نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كشحاً عن ذكر مهمّات ما جرى في ذلك العهد المشحون بالقلاقل ، الطافح بالفتن ، المفعم بالهنابث ، وقد عرفناه جانياً بسترتلكم الحقائق ، جنوحاً إلى العاطفة ، سائراً مع الميول ، والتاريخ حرٌّ يجب أن يمضي مع الواقع وأن لا يلويه مع القصد تعصبٌ لأحد أو تحيّزٌ إلى فئة ، لكن القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم ، فطفقوا يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويُثبتون ما يوافق هواهم ، ويدّعون مالا يروقهم .

قال الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٠٨ : إنّ الواقدي ذكر في سبب مسير

المصريِّين إلى عثمان ونزولهم ذا خُشب اموراً كثيرة ، منها ما تقدَّم ذكره ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منِّي ذكره لبشاعته .

وقال في ج ٥ ص ١١٣ : قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه انَّهم جعلوها ذريعةً إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها .

وقال في ص ٢٣٢ : إنَّ محمَّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لمَّا ولي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيها ممّا لا يتحمَّل سماعها العامَّة .

ومرَّ في ج ٨ ص ٣٥٥ في ذكر ما جرى بين عليّ عليه السلام وعثمان قول المسعودي : فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أُحبُّ ذكره وأجابه عليٌّ بمثله .

وقال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٧٠ : قد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعةً إلى قتله لعلل دعت إلى ذلك .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٦ : وفي هذه السنة (يعني ٣٣) سيَّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام وإلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله رضي الله عنه فكان هؤلاء ممّن يؤلّب عليه ويُمالىء الأعداء في الحطِّ والكلام فيه وهم الظالمون في ذلك ، وهو البارُّ الراشد رضي الله عنه .

وقال في ص ١٧٧ : جرت أُمورٌ سنورد منها ما تيسَّر وبالله المستعان . ثمَّ ذكر من الأُمور ما راقه ويُلائم ذوقه ولم يذكر إلاّ سلسلة أكاذيب لم يصحّ شيءٌ منها .

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون ج ١ ص ٥ : أمّا نحن فلا يُطلب منّا أن نبدي رأينا في عثمان ، فهو صحابيٌّ عظيمٌ وله أثره الخالد في جمع القرآن وغير القرآن وله دينه السمح الذي لا تشوبه شائبة ، وما كان الدين ليحتّم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر التقشّف والزهد ، ولا يُطلب منّا أن نثبت ضعف الحكومة العثمانيَّة ، وإنّما يُطلب منّا أنّ نسرد الحوادث بإيجاز ، ولنا في تسلسل هذه الحوادث ودراستها وتقييد آثارها ما قد يسمح لنا بالتعرُّض له حين معالجتنا الكلام عن عصرنا فيما بعد (اهـ) .

ثمَّ ذكر ما جاء به اليعقوبي من الإيعاز إلى بعض ما نُقم به على عثمان فتخلّص عن البحث فيه بما أتى به إبن الأثير من رواية الطبري عن السري الكذّاب عن شعيب المجهول عن سيف المتروك الساقط المتَّهم بالزندقة أو عن أُناس آخرين أمثال هؤلاء .

أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلَّفة قديماً وحديثاً فإنّها أُلِّفت بيد أثيمة على ودائع العلم والدين ، ولعلَّ في المذكور في كتابنا هذا وهو قليلٌ من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيّات الخليفة من شتّى نواحيه ، ومبلغه من العلم ، ومقداره من التقوى ، ومداه من الرأي ، ومآثره من ناحية ملكاته ، وقد عرف كلَّ ذلك مَن عاصره وعاشره ، فكانت كلمتهم في حقِّه واحدة ، ورأيهم فيه فذّاً ، وأعمالهم معه كلٌّ يشبه الآخر ، ونحن نذكر لك نماذج ممّا لُفظ به من قول وعُمل به من فعل في ذلك الدور القاتم بالفجائع والفظائع فدونكها :

١ - حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :

١ - من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان : لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير أنَّ من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله مَن أنا خيرٌ منه ، ومَن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ منّي ، وأنا جامعٌ لكم أمره : إستأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكمٌ واقعٌ في المستأثر والجازع[١] .

قال إبن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ١٥٨ : قوله : غير أنَّ مَن نصره . معناه إنَّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه ، لأنَّ الذين نصروه كان أكثرهم فسّاقاً كمروان بن الحكم وأضرابه ، وخذله المهاجرون والأنصار .

٢ - من كلام له عليه السلام قاله لابن عبّاس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصورٌ يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع فقال عليه السلام :

يا بن عبّاس ! ما يريد عثمان إلاّ أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب[٢] أُقبل

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦ .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه . الغرب : الدلو العظيمة .

وأُدبر بعث إليَّ أن أخرج ثمَّ بعث إليَّ أن أقدم ،ثمَّ هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج ، والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً(١) .

٣ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٩٨ من طريق أبي حادة أنَّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول وهو يخطب فذكر عثمان فقال : والله الذي لا إلٓه إلّا هو ما قتلته ، ولامالأت على قتله ، ولا ساءني .

٤ ـ أخرج ابن سعد من طريق عمّار بن ياسر قال : رأيت عليّاً على منبر رسول الله ﷺ حين قُتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ولا نهيت عنه . الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٠١ .

وأوعز شاعر أهل الشام كعب بن جعيل إلى قول الإمام عليه السلام بأبيات له ألا وهي :

وما في عليّ لمستعتب ... مقالٌ سوى ضمِّه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب ... ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حذا شبهة(٢) ... وعمّى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ... ولا في النُهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سرَّه ... ولا بدَّ من بعض ذا أن يكونا(٣)

قال ابن أبي الحديد بعد ذكر الأبيات : ما قال هذا الشعر إلّا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين في عثمان يجري هذا المجرى نحو قوله : ما سرَّني ولا ساءني ، وقيل له : أرضيت بقتله ؟ فقال : لم أرض ، فقيل له : أسخطت قتله ؟ فقال : لم أسخط . وقوله تارةً : الله قتله وأنا معه . وقوله تارة أُخرى : ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله . وقوله تارةً أُخرى : كنت رجلاً من المسلمين أوردتُ إذا وردوا ، وأصدرتُ إذا صدروا . ولكلِّ شيء من كلامه إذا صحّ عنه تأويلٌ يعرفه أُولو الألباب .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦٨ .
(٢) في العقد الفريد : زوى وجهه .
(٣) كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٦٣ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ .

٥ ـ أخرج أبو مخنف من طريق عبدالرحمٰن بن عبيد : إنَّ معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن سمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه وأنا عنده (إلى أن قال بعد كلام حبيب وشرحبيل وذكر جواب مولانا أمير المؤمنين): فقالا أتشهد أنَّ عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ؟ فقال لهما : لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد أنَّ عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه بُرءاء . ثمَّ قاما فانصرفا فقال عليٌّ : **﴿إنَّك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاء إذا ولَّوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تُسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾** .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٢٧ واللفظ له ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٥ .

٦ ـ ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٤ في حديث قول عليّ عليه السلام لعثمان : يا عثمان ! إنَّ الحق ثقيلٌ مريء ، وإنَّ الباطل خفيفٌ وبيء ، وإنَّك متى تُصدق تسخط ومتى تُكذب ترضَ .

٧ ـ كان عليٌّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل إبنه الحسن إليه فلمّا أكثر عليه قال له : إنَّ أباك يرى أنَّ أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ، فكفَّ عنّا ، فلم يبعث عليٌّ إبنه في شيء بعد ذلك ، وذكروا أنَّ عثمان صلّى العصر ثمَّ خرج إلى عليّ يعوده في مرضه ومروان معه فرآه ثقيلاً فقال : أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما أُريد أن أتكلّم به ، والله ما أدري أيّ يوميك أحبّ إليَّ أو أبغض ، أيوم حياتك ؟ أو يوم موتك ؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدّك كهفاً ، ويتّخذك عضداً ، ولئن متَّ لأفجعنَّ بك ، فحظّي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاقّ ، إن عاش عقّه ، وإن مات فجعه ، فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه ، إمّا صديقٌ مسالم ، وإمّا عدوٌّ معاني ، ولا تجعلني كالمختنق بين السّماء والأرض ، لا يرقى بيد ولا يهبط برجل ، أما والله لئن قتلتك لا أُصيب منك خلفاً ، ولئن قتلتني لا تصيب منّي خلفاً ، وما أُحبّ أن أبقى بعدك . قال مروان : إي والله ، وأُخرى أنّه لا ينال ما وراء ظهورنا حتّى تكسر

رماحنا ، وتقطع سيوفنا ، فما خير العيش بعد هذا ؟ فضرب عثمان في صدره وقال : ما يدخلك في كلامنا ؟ فقال عليٌّ : إنِّي والله في شغل عن جوابكما ولكنِّي أقول كما قال أبو يوسف : فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٤ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٠]

٨ ـ في كتاب لمولانا أمير المؤمنين يجيب به معاوية بن أبي سفيان قال : وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إيّاهم والبغي عليهم ، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأمّا الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت ، وعمل به النّاس ما قد بلغك ، فقد علمت أنِّي كنت من أمره في عزلة إلّا أن تجنّى فتجنَّ ما شئت ، وأمّا ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم إليك فإنِّي نظرتُ في هذا الأمر وضربتُ أنفه وعينه فلم يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن غيّك لنعرفنَّك عمّا قليل يطلبونك ولا يكلّفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ولا برّ ولا بحر .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١٠٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٦ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٩ .

٩ ـ أخرج الطبري من طريق إسماعيل بن محمَّد : إنَّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقام رجل فقال : أقم كتاب الله ، فقال عثمان : إجلس فجلس حتّى قام ثلاثاً فأمر به عثمان فجلس فتحاثوا بالحصباء حتّى ما ترى السَّماء وسقط عن المنبر وحمل فأُدخل داره مغشيّاً عليه فخرج رجلٌ من حجَّاب عثمان ومعه مصحفٌ في يده وهو ينادي : **﴿إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيَعاً لستَ منهم في شيء إنَّما أمرهم إلى الله﴾** . ودخل عليٌّ بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشيٌّ عليه وبنو أُميَّة حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو أُميَّة بمنطق واحد فقالوا : يا عليّ ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين ، أما والله لئن بلغت الَّذي تريد لتُمرنَّ عليك الدنيا . فقام عليّ مغضباً .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٦٧ .

١٠ ـ ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٢ في حديث مساءلة

عمرو بن العاص راكباً : فقال له عمرو : ما الخبر ؟ قال : قتل عثمان ، قال : فما فعل الناس ؟ فقال : بايعوا عليّاً . قال : فما فعل عليٌّ في قَتْلة عثمان ؟ قال : دخل عليه وليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال : ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرَّني ولا ساءني . قال : فما فعل بقتلة عثمان ؟ فقال : آوى ولم يرضَ ، وقد قال له مروان : إن لا تكن أمرت فقد تولّيت الأمر ، وإن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين ، فقال عمرو بن العاص : خلط والله أبو الحسن .

١١ - روى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت عليّاً عليه السلام على منبر الكوفة وهو يقول : يا أبناء المهاجرين ! انفروا إلى أئمَّة الكفر ، وبقيَّة الأحزاب وأولياء الشيطان ، إنفروا إلى مَن يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالله الّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنَّهُ ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً[1] .

قال الأميني : طعن ابن أبي الحديد في هذا الحديث بمكان قيس[2] بن أبي حازم وقال : هو الذي روى حديث انّكم لترون ربَّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، وقد طعن مشايخنا المتكلّمون فيه وقالوا : إنَّه فاسقٌ ولا تُقبل روايته لأنَّه قال : إنِّي سمعت عليّاً يخطب على منبر الكوفة ويقول : انفروا إلى بقيَّة الأحزاب . فأبغضته ودخل بغضه في قلبي ومَن يبغض عليّاً عليه السلام لا تقبل روايته . ثمَّ حمله على فرض الصحَّة على إرادة معاوية من قوله : حمّال الخطايا فقال : لأنَّهم يحامون عن دمه ، ومَن حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه . اهـ .

ألا مُسائل الرجل عن أنَّ رواية حديث الرؤية أيُّ منقصة وحزازة فيها وقد أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده ؟ فهل طعن أحدٌ في اولئك الأئمَّة لروايتهم إيّاها ؟ .

ثمَّ لو كان مَن أبغض عليّاً عليه السلام فاسقاً غير مقبول الرواية - كما هو الحقُّ - فما

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩ .
(٢) من رجال الصحيحين : البخاري ومسلم .

قيمة الصحاح عندئذٍ في سوق الإعتبار؟ وما أكثر ما فيها من الرواية عن مناوئي أمير المؤمنين ومنهم نفس الرجل (قيس بن أبي حازم) فقد أخرج أئمَّة الصحاح أحاديث من طريقه وهو من رجالهم .

على أنَّ علماء الفنِّ من القوم مع قولهم بأنَّه كان يحمل على عليّ نصوا على ثقة الرجل وقالوا : متقن الرواية ، والحديث عنه من أصحِّ الإسناد ، وقال ابن خراش : كوفيٌّ جليلٌ . وقال ابن معين : ثقةٌ . وذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال ابن حجر : أجمعوا على الذهبي الإحتجاج به ومن تكلّم فيه فقد آذى نفسه .

[راجع تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٨٦]

وأمّا تأويل : (حمّال الخطايا) بإرادة معاوية منه فمن التافه البعيد عن سياق العربيَّة نظير تأويل معاوية الحديث الوارد في عمّار من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : تقتلك الفئة الباغية .

١٢ ـ كان مولانا أمير المؤمنين يخطب ويلوم الناس على تثبيطهم وتقاعدهم ويستنفرهم إلى أهل الشام فقال له الأشعث بن قيس : هلّا فعلت فعل ابن عفان ؟ فقال له : إنَّ فعل ابن عفّان لمخزاةٌ على من لا دين له ولا وثيقة معه ، إنَّ امرأ أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيفٌ رأيه ، مأفونٌ عقله ، أنت فكن ذاك ، إن أحببت فأمّا أنا فدون أن أُعطي ذاك ضرب بالمشرفيَّة الفصل[١] .

١٣ ـ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل مصرَ لمّا ولّى عليهم الأشتر :

من عبدالله عليٍّ أمير المؤمنين : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقِّه ، فضرب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكرٌ يُتناهى عنه[٢] .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٥٨ : هذا الفصل يشكل عليَّ تأويله

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٦٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

لأنَّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنَّهم غضبوا لله حين عُصي في الأرض ، فهذه شهادةٌ قاطعةٌ على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر . ثمَّ تأوَّله بما رآه تعسّفاً ، والتعسّف لا يغني عن الحقِّ شيئاً ولا تتمُّ به الحجَّة .

هَبْ ابن أبي الحديد تعسّف ها هنا وتأوّل فما يصنع ببقيَّة كلمات مولانا أمير المؤمنين وكلمات سائر الصحابة لدة هذه الكلمة وهي تربو على مئات ؟ فهل يسعنا أن نكون عسوفاً في كلِّ ذلك ؟ سل عنه خبيراً .

١٤ ـ من كلام لأمير المؤمنين قاله لعثمان لَمَّا اجتمع الناس إليه وشكوا إليه ما نقموه على عثمان فدخل عليه السلام عليه فقال :

إنَّ الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه ، إنّك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه وقد رأيتَ كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا ، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحقِّ منك ، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فالله الله في نفسك فإنَّك والله ما تُبصَّر من عمىً ، ولا تُعلّم من جهل ، وإنَّ الطرق لواضحةٌ ، وإنَّ أعلام الدين لقائمة ، فاعلم أنَّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ ، هُدي وهَدى ، فأقام سنَّةً معلومةً ، وأمات بدعةً مجهولةً ، وإنَّ السنن لنيِّرةٌ لها أعلامٌ ، وإنَّ البدع لظاهرةٌ لها أعلام ، وان شرَّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ، ضلَّ وضُلَّ به ، فأمات سنَّةً مأخوذةً ، وأحيا بدعةً متروكةً ، وإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ فيُلقى في نار جهنَّم فيدور فيها كما تدور الرحى ثمَّ يرتبط في قعرها ، وإنِّي أُنشدك الله أن تكون إمام هذه الامَّة المقتول فإنَّه كان يُقال : يُقتل في هذه الامَّة إمامٌ يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويُلبِّس أُمورها عليها ، ويُثبِّت الفتن فيها ، فلا يبصرون الحقَّ من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكوننَّ لمروان سيِّقةً يسوقك حيث شاء بعد جُلال

السنّ وتقضّي العمر ، فقال له عثمان : كلّم الناس في أن يؤجّلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه[1] .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٦ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٦ ، نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٨ .

١٥ ـ أخرج ابن السمّان من طريق عطاء انَّ عثمان دعا عليّاً فقال : يا أبا الحسن ! إنَّك لو شئت لاستقامت عليَّ هذه الامَّة فلم يخالفني واحدٌ . فقال عليٌّ : لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكفَّ الناس ، ولكنّي سأدلّك على أمر هو أفضل ممّا سألتني : تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر ، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحدٌ .

[الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٩]

١٦ ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشقشقيَّة قوله : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

مرَّت مصادر هذه الخطبة في الجزء السابع ص ٩٩ـ ١٠٣

١٧ ـ قال ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ : قال حسّان بن ثابت لعليّ : إنَّك تقول : ما قتلتُ عثمان ولكن خذلته ، ولا آمر به ولكن لم أنه عنه ، فالخاذل شريك القاتل ، والساكت شريك القاتل .

١٨ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٣ من طريق عبدالله بن عباس قال : إنَّ عثمان شكا عليّاً إلى العبّاس فقال له : يا خال ! إنَّ عليّاً قد قطع رحمي ، وألّب الناس إبنك ، والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي فبنو عبد مناف أحقُّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه ! قال عبدالله بن العبّاس : فأطرق أبي طويلاً ثمَّ قال : يا بن أخت ! لئن كنت لا تحمد

---

(١) سيأتي تمام الحديث في صور توبة الخليفة وحنثه إيّاها مرّة بعد اخرى .

عليّاً فما يُحمدك له ، وإنَّ حقّك في القرابة والإمامة للحقُّ الذي لا يُدفع ولا يُجحد ، فلو رقيت فيما تطأطأ أو تطأطأت فيما رقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : قد صيَّرت الأمر في ذلك إليك فقرِّب الأمر بيننا . قال : فلمّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه ، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه فلمّا رجع قال : يا خال ! أُحبّ أن تؤخِّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليَّ حتّى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثمَّ التفت إليَّ فقال : يا بُنيَّ ليس إلى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثمَّ قال : اللهمَّ أسبق بي الفتن ولا تبقني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه . فما كانت جمعة حتى هلك .

١٩ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٤ من طريق صهيب مولى العبّاس : إنَّ العبّاس قال لعثمان : أُذكِّرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ ، فقد بلغني أنَّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوَّل ما أُجيبك به أنّي قد شفعتك ، أنَّ عليّاً لو شاء لم يكن أحدٌ عندي إلاّ دونه ولكنَّه أبى إلاّ رأيه ، ثمَّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان ، فقال عليٌّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

٢٠ - من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية : أمّا بعد : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك ، وإنّي لأرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ، وفي ط ٢٨٥]

ولا تنس في الختام قول حسّان بن ثابت :

صبراً جميلاً بني الأحرار لا تهنوا ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
يا ليت شعري وليت الطير تُخبرني ... ما كان شأن عليّ وابن عفّانا
لتسمعنَّ وشيكاً في ديارِكُم ... اللّه أكبر يا ثارات عثمانا[1]

قال الأميني : يُعطينا الأخذ بمجامع هذه الأحاديث أنَّ الإمام عليه السلام ما كان يرى الخليفة إمام عدل يسوءه قتله ، أو يهمّه أمره ، أو يُسخطه التجمهر عليه ، بل

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ١٠٤ .

كان يعتزل عن أمره ويخشى أن يكون آثماً إن دأب على الدفاع عنه ، ولا يرى الثائرين عليه متحوِّبين في نهضتهم وإلّا لساءه ذلك فضلاً عن أن يسكت عنهم ، أو يطريهم كما سمعته من كتابه إلى أهل مصر ، أو يرى الخاذلين له خيراً ممَّن نصره ، ولو كان يراه إمام عدل فأقلّ المراتب أن يقول : إنَّ ناصره خيرٌ من خاذله . بل الشأن هذا في أفراد المسلمين العدول من الرعيَّة فضلاً عن إمامها .

وحديث شكاية عثمان إلى عمّه العبّاس المتوفّى سنة ٣٢ يُعلمنا بأنَّ الخلاف والتشاجر بينهما كانا قبل تجمهر الثائرين عليه في أواسط أيّام خلافته قبل وفاته بأعوام وقول أمير المؤمنين له : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت . فيه إيعازٌ إلى أنَّ إنكاره عليه السلام على الرجل لم يكن قطّ في الملك ، وما كان يرضى بشقِّ عصا المسلمين بالخلاف عليه في أمره ، وإنَّما كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يك يرى لنفسه بُدّاً من ذلك .

ولو أمعنت النظر فيما سردناه من ألفاظه الدريَّة لا نفتح عليك أبواب من رأي الإمام عليه السلام في الخليفة لم نوعز إليها ، ويُعرب عن رأيه فيه ما مرَّ في ج ٨ ص ٣٣٥ من خطبة له عليه السلام خطبها في اليوم الثاني من بيعته من قوله : ألا إنَّ كلَّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلَّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال . فلو كان الرجل إمام عدل عند الإمام عليه السلام لكان أخذه وردُّه وقطعه وعطاءه، حجّة لا يتطرَّق إليها الردُّ ، ولكن . . .

٢ ـ حديث عائشة بنت أبي بكر أُم المؤمنين :

١ ـ قال ابن سعد : لمّا حُصر عثمان كان مروان يُقاتل دونه أشدَّ القتال ، وأرادت عائشة الحجَّ وعثمان محصورٌ فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبدالرحمٰن بن عتاب فقالوا : يا أُمَّ المؤمنين ! لو أقمت فإنَّ أمير المؤمنين على ما ترين محصورٌ ومقامك ممّا يدفع الله به عنه . فقالت : قد حلبت ظهري ، وعرّيت غرائري ، ولست أقدر على المقام فأعادوا عليها الكلام فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم ، فقام مروان وهو يقول :

وحرَّق قيسٌ عليَّ البلا ... د حتَّى إذا استعرت أجذما

فقالت عائشة : أيُّها المتمثِّل عليَّ بالأشعار وددتُ والله انَّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رَحاً وانّكما في البحر ، وخرجت إلى مكّة .

وفي لفظ البلاذري : لَمّا اشتدَّ الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرحمٰن بن عتاب بن اسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجَّ فقالا لها : لو أقمتِ فلعلَّ الله يدفع بكِ عن هذا الرجل . فقالت : قد قرنتُ ركابي وأوجبتُ الحجَّ على نفسي ، ووالله لا أفعل . فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحرَّق قيسٌ عليَّ البلا   د حتّى إذا اضطرمت أجذما

فقالت عائشة : يا مروان ! وددت والله أنَّه في غرارة[١] من غرائري هذه وأنِّي طوَّقت حمله حتّى أُلقيه في البحر .

٢ - مرَّ عبدالله بن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا بن عبّاس ! إنَّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية . أخرجه البلاذري .

وفي لفظ الطبري : خرج ابن عبّاس فمرَّ بعائشة في الصلصل[٢] فقالت : يابن عبّاس ! انشدك الله فإنَّك قد أُعطيت لساناً إزعيلا أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكّك فيه النّاس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتجلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ ، وقد رأيت طلحة بن عبدالله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يلِ يسِرْ بسيرة ابن عمِّه أبي بكر رضي الله عنه . قال : قلت : يا أُمَّه ! لو حدث بالرجل حدثٌ ما فزع النّاس إلّا إلى صاحبنا . فقالت : إيهاً عنك إنِّي لستُ أُريد مكابرتك ولا مجادلتك . وحكاه ابن أبي الحديد عن تاريخ الطبري في شرح النهج غير أنَّ فيه : فقالت : يابن عبّاس ! انشدك الله فإنَّك قد أُعطيت فهماً ولساناً وعقلاً أن لا تخذِّل النّاس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم

(١) الغرارة بكسر المعجمة : الجوالق .
(٢) صلصل بالضم والتكرير : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها .

في عثمان ، واتجهت ورفعت لهم المنابر وتجلّبوا من البلدان لأمر عظيم قد حمّ ، وانَّ طلحة قد اتَّخذ رجالاً على بيوت الأموال ، وأخذ مفاتيح الخزائن ، وأظنّه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمّه أبي بكر . الحديث .

٣ ـ كانت عائشة وأمّ سلمة حجّتا ذلك العام (عام قتل عثمان) وكانت عائشة تؤلّب على عثمان فلمّا بلغها أمره وهي بمكّة أمرت بقبّتها فضربت في المسجد الحرام وقالت : إنّي أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر . رواه البلاذري .

٤ ـ أخرج عمر بن شبة من طريق عبيد بن عمرو القرشي قال : خرجت عائشة رضي الله عنها وعثمان محصورٌ فقدم عليها مكّة رجلٌ يقال له : أخضر ، فقالت : ما صنع الناس ؟ فقال : قتل عثمان المصريِّين . قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أيقتل قوماً جاؤوا يطلبون الحقَّ ويُنكرون الظلم ؟ والله لا نرضى بهذا . ثمَّ قدم آخر فقالت : ما صنع النّاس ؟ قال : قتل المصريُّون عثمان ، قالت : العجب لأخضر زعم أنَّ المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل : أكذب من أخضر . وأخرجه الطبري .

٥ ـ مرَّ في الجزء الثامن صفحة ١٥٥ : ان الشهود على الوليد بن عقبة بشربه الخمر استجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال : أما تجد مرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلاّ بيت عائشة . فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل . الحديث فراجع .

٦ ـ أسلفنا في هذا الجزء صفحة ٣٤ في مواقف عمّار : إنَّ عائشة لَمّا بلغها ما صنع عثمان بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمَّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعدُ ؟ فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى ما درى ما يقول . الحديث .

وقال أبو الفدا : كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه وكانت

تخـرج قميص رسول الله ﷺ وشعـره وتقول : هـذا قميصه وشعـره لم يبل وقـد بُلي دينه .

٧ ـ وفي كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه لَمّا قارب البصرة إلى طلحة والزبير وعائشة : وأنتِ يا عائشة فإنَّكِ خرجت من بيتكِ عاصيةً لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثمَّ تزعمين أنَّكِ تريدين الإصلاح بين المسلمين ، فخبّريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال ، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرَّمة ؟ ثمَّ إنَّكِ طلبتِ على زعمكِ دم عثمان وما أنتِ وذاك ؟ عثمان رجلٌ من بني أُميَّة وأنتِ من تيم ، ثمَّ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، ثمَّ تطلبين اليوم بدمه ؟ فاتَّقي الله وارجعي إلى بيتكِ ، واسبلي عليكِ ستركِ ، والسَّلام .

٨ ـ أخرج الطبري وابن قتيبة : انَّ غلاماً من جهينة أقبل على محمّد بن طلحة (يوم الجمل) وكان محمَّد رجلاً عابداً فقال : أخبرني عن قتلة عثمان فقال : نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث : ثلثٌ على صاحبة الهودج يعني عائشة ، وثلثٌ على صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة ، وثلثٌ على عليٍّ بن أبي طالب . وضحك الغلام وقال : ألا أراني على ضلال ولحق بعليّ وقال في ذلك شعراً :

سألت ابن طلحة عن هالك ... بجوف المدينة لم يُقبر ؟
فقال : ثلاثة رهطٍ هُمُ ... أماتوا ابن عفّان واستعبر
فثلثٌ على تلك في خِدرها ... وثلثٌ على راكب الأحمر
وثلثٌ على ابن أبي طالب ... ونحن بدويَّةٍ قرقر
فقلت : صدقت على الأوَّلين ... وأخطأت في الثالث الأزهر

٩ ـ أخرج الطبري من طريقين : إنَّ عائشة رضي الله عنها لمّا انتهت إلى سَرِف[1] راجعةً في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أُمّه فقالت له : مهيمْ ؟ قال : قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانياً .

---

(١) سرف بالفتح ثم الكسر : موضع على ستة أميال من مكة .

قالت : ثمَّ صنعوا ماذا ؟ قال : أخذها أهل المدينة بالإجتماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على عليٍّ بن أبي طالب . فقالت : والله ليت إنَّ هذه انطبقت على هذه إن تمَّ الأمر لصاحبك ردُّوني ردُّوني . فانصرفت إلى مكّة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنَّ بدمه . فقال لها إبن أُمِّ كلاب : ولِمَ ؟ فوالله إنَّ أوَّل من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1] . قالت : إنّهم استتابوه ثمَّ قتلوه ، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأوَّل . فقال لها إبن أُم كلاب[2] :

منكِ البداء ومنكِ الغِيَرّ ومنكِ الرياح ومنكِ المطَر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلتِ لنا : إنَّه قد كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع النّاس ذا تُدرإ يزيل الشبا ويُقيم الصَّعَرْ
ويلبس للحرب أثوابها وما من وفى مثلُ من قد غدر

فانصرفت إلى مكّة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فستَّرت واجتمع إليها الناس فقالت : يا أيُّها الناس ! إنَّ عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ووالله لأطلبنَّ بدمه .

١٠ ـ قال أبو عمر صاحب الإستيعاب : إنَّ الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودهاء ، لَمّا قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فأبى أن يأتيها ثمَّ أرسلت إليه فأتاها فقالت : ويحك يا أحنف ! بمَ تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ؟ أمن قلّة عدد ؟ أو أنّك لا تُطاع في العشيرة ؟ قال : يا أُم المؤمنين ! ما كبرت السنُّ ولا طال العهد وإنَّ عهدي بكِ عام أوّل تقولين فيه وتنالين منه . قالت : ويحك يا أحنف ! إنَّهم ماصوه موص الإناء ثمَّ قتلوه . قال : يا أُم المؤمنين ! إنِّي آخذٌ بأمرك وأنتِ راضية ، وأدعه وأنت ساخطة .

---

(١) في لفظ ابن قتيبة : فجر .

(٢) في لفظ ابن قتيبة : عذر والله ضعيف ، يا ام المؤمنين . ثم ذكر الابيات .

١١ - أخرج ابن عساكر من طريق أبي مسلم أنّه قال لأهـل الشام وهم ينـالون من عائشة في شأن عثمان ، يا أهل الشـام ! أضرب لكم مثلكم ومثـل امّكم هذه : مثلها ومثلكم كمثل العين في الرأس تؤذي صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلّا بالذي هو خيرٌ لها .

١٢ - قـال ابن أبي الحـديـد : قـال كـلُّ من صنَّف في السيـر والأخبـار : إنَّ عائشة كـانت من أشدِّ النـاس على عثمان حتّى انّهـا أخرجت ثـوباً من ثيـاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنصبتـه في منـزلهـا وكـانت تقـول للداخلين إليهـا : هـذا ثـوب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبـل وعثمـان قـد أبلى سنَّتـه . قـالـوا : أوّل من سمّى عثمـان نعثـلاً عائشة ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً .

١٣ - روى المـدائني في كتاب الجمـل قال : لَمّـا قُتل عثمـان كانت عـائشـة بمكّة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشكّ في أنَّ طلحة هو صاحب الأمر وقالت : بُعداً لنعثل وسحقاً ، إيه ذا الإصبع ! إيه أبـا شبل ! إيـه يابن عمّ ! لكـأنِّي أنظر إلى إصبعه وهو يبـايع لـه ، حثوا الإبـل ودعدعـوها . قـال : وقد كـان طلحة حين قُتـل عثمـان أخذ مفـاتيح بيت المـال وأخذ نجـائب كانت لعثمـان في داره ثمَّ فسد أمـره فدفعها إلى عليٍّ بن أبي طالب .

١٤ - قال أبو مخنف لـوط بن يحيى الأزدي في كتابـه : إنَّ عائشـة لمّا بلغهـا قتل عثمان وهي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول : إيه ذا الإصبع لله أبوك ، أما إنَّهم وجـدوا طلحة لهـا كفواً ، فلمَّـا انتهت إلى شراف[١] استقبلهـا عبيـد بن أبي سلمـة الليثي فقـالت له : مـا عندك ؟ قـال : قُتل عثمـان . قـالت : ثمَّ مـاذا ؟ قـال : ثمَّ حارت بهم الامور إلى خير محار ، بايعوا عليّاً . فقالت : لوددت أنَّ السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هـذا ، ويحك انـظر ماذا تقـول . قال : هـو ما قلت لـكِ يـا أُمَّ المؤمنين ! . فـولولت . فقـال لها : مـا شأنـكِ يا أُمَّ المؤمنين ؟ والله مـا أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحقّ ، ولا أرى لـه نظيـراً في جميع حـالاته ، فلمـاذا تكرهين ولايته ؟ قال : فما ردَّت عليه جواباً .

---

(١) راجع صفحة ٢٨٠ من الجزء الثامن ، وص ١٠٤ من هذا الجزء .

وقد روي من طرق مختلفة : إنَّ عائشة لَمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة قالت : أبعده الله ، ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد .

١٥ ـ قال : وقد روى قيس بن أبي حازم : إنّه حجَّ في العام الذي قُتل فيه عثمان وكان مع عائشةَ لَمّا بلغها قتله فتحمّل إلى المدينة قال : فسمعها تقول في بعض الطريق إيه ذا الإصبع . وإذا ذكرت عثمان قالت : أبعده الله . حتّى أتاها خبر بيعة عليّ فقالت : لوددت أنَّ هذه وقعت على هذه . ثمَّ أمرت بردِّ ركائبها إلى مكّة فرددت معها ورأيتها في سيرها إلى مكّة تخاطب نفسها كأنّها تخاطب أحداً : قتلوا ابن عفان مظلوماً . فقلت لها : يا أُمَّ المؤمنين ! ألم أسمعك آنفاً تقولين أبعده الله ؟ وقد رأيتكِ قبلُ أشدَّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً ، فقالت : لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

١٦ ـ قال : وروي من طرق أُخرى : أنّها قالت لمّا بلغها قتله : أبعده الله قتله ذنبه ،وأَقادهُ الله بعمله ، يا معشر قريش ! لا يسومنّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه ، إنَّ أحقَّ النّاس بهذا الأمر ذو الإصبع . فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت : تعسوا لا يردُّون الأمر في تيم أبداً . كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكّة كتباً أن خذّلي النّاس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان . وحملا الكتب مع إبن اختها عبدالله بن الزبير ، فلمّا قرأت الكتب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان ، وكانت أُمّ سلمة رضي الله عنها بمكّة في ذلك العام فلمّا رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاة عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرّتين .

١٧ ـ قال أبو مخنف : جاءت عائشة إلى أُمِّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها : يا بنت أبي أُميّة أنت أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنت كبيرة أُمّهات المؤمنين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك . فقالت أُمّ سلمة : لأمرٍ ما قلتِ هذه المقالة ؟ فقالت عائشة : إنَّ عبدالله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلمّا تاب قتلوه

صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا . فقالت : أنا أُمّ سلمة ، إنّكِ كنت بالأمس تحرِّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول ، وما كان إسمه عندكِ إلّا نعثلاً ، وإنّكِ لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . الحديث[١] .

١٨ ـ روى ابن عبد ربِّه عن العتبي قال : قال رجلٌ من بني ليث : لقيت الزبير قادماً فقلت : يا أبا عبدالله ما بالك ؟ قال : مطلوبٌ مغلوبٌ يغلبني إبني ويطلبني ذنبي ، قال : فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت : أبا إسحاق ! مَن قتل عثمان ؟ قال : قتله سيف سلّته عائشة ، وشحّذه طلحة ، وسمَّه عليٌّ . قلت : فما حال الزبير ؟ قال : أشار بيده وصمت بلسانه .

وفي الإمامة والسياسة : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره ، فكتب إليه سعد : إنّك سألتني من قتل عثمان ، وإنّي أُخبرك انّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمَّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غيَّر وتغيَّر وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا ، فنستغفر الله ، وأُخبرك أنَّ الزبير مغلوبٌ بغلبة أهله وبطلبه بذنبه ، وطلحة لو يجد أن يشقَّ بطنه من حبِّ الإمارة لشقَّه .

١٩ ـ وقال ابن عبد ربِّه : دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبدالله ! لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصل هَوْدَجي حتّى وصل بعضها إلى جلدي . قال لها المغيرة : وددت والله انَّ بعضها كان قتلكِ . قالت : يرحمك الله ولِمَ تقول هذا ؟ قال لعلّها تكون كفّارةً في سعيكِ على عثمان . قالت : أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أنّي أردت قتله ، ولكن علم الله إنّي أردت أن يُقاتل فقوتلت ، وأردت أن يُرمى فرُميت ، وأردت أن يُعصى فعصيت ، ولو علم منّي أنّي أردت قتله لقُتلت .

---

(١) فيه فوائد جمّة لا تفوت الباحث وعليه به .

٢٠ ـ وروى ابن عبد ربّه عن أبي سعيد الخدري قال : إنَّ ناساً كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكّة فمرَّ بنا عثمان فما بقي أحدٌ من القوم إلّا لعنه غيري فكان فيهم رجلٌ من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفة أجرأ منه على غيره فقال : يا كوفي ! أتشتمني ؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده قال : فقيل له : عليك بطلحة ، قال : فانطلق معه حتّى دخل على عثمان فقال عثمان : والله لأجلدنّه مائة سوط . قال طلحة : والله لا تجلده مائة إلّا أن يكون زانياً . قال : والله لأحرمنّه عطاءه . قال : الله يرزقه .

٢١ ـ قال ابن الأثير والفيروز آبادي وابن منظور والزبيدي : النعثل الشيخ الأحمق ونعثل يهوديٌّ كان بالمدينة . قيل شبّه به عثمان رضي الله عنه كما في التبصير ، ونعثل رجلٌ من أهل مصر كان طويل اللحية ، قال أبو عبيد : كان يشبه عثمان ، وشاتمو عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عثمان أنَّه كان يخطب ذات يوم فقام رجلٌ فنال منه فوذأه ابن سلام فاتّذأ فقال له رجلٌ : لا يمنعنك مكان ابن سلام أن تسبَّ نعثلاً فإنّه من شيعته ، وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عائشة : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً . تعني عثمان ، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكّة ، وفي حياة الحيوان : النعثل كجعفر : الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً .

٢٢ ـ روى البلاذري في الأنساب قال : خرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية تقول : قُتل عثمان رحمه الله . فقال لها عمّار بن ياسر : أنتِ بالأمس تحرِّضين عليه ثمَّ أنت اليوم تبكينه ؟ !

راجع طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥ ط ليدن ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٠ ، ٧٥ ، ٩١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٧ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣١٩ ، الإستيعاب ترجمة الأحنف صخر بن قيس ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٧ ، ٥٠٦ ، تذكرة السبط ص ٣٨ ، ٤٠ ، نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٦٦ ، اسد الغابة ج ٣

ص ١٥ : الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٧ ، القاموس ج ٤ ص ٥٩ ، حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٥٩ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣١٤ ، لسان العرب ج ١٤ ص ١٩٣ ، تاج العروس ج ٨ ص ١٤١ .

قال الأميني : هذه الروايات تُعطينا درساً ضافياً بنظريَّة عائشة في عثمان وأنَّها لم تكن ترى له جدارة تسنُّم ذلك العرش ، وبالغت في ذلك حتّى ودَّت إزالته عن مستوى الوجود . فأحبَّت له أن يُلقى في البحر وبرجله رحىً تجرّه إلى أعماقه ، أو أنَّه يُجعل في غرارة من غرائرها وتشدُّ عليه الحبال فيقذف في عباب اليمِّ فيرسب فيه من غير خروج ، أو أن يودي به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملأ معرَّة أحدوثاته ، ولذلك كانت تُثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثوبه ونعله ، ولم تبرح تؤلِّب الملأ الدينيَّ عليه وتحثهم على مقته وتخذِّلهم عن نصرته في حضرها وسفرها ، وإنَّها لم تعدل عن تلكم النظريَّة حتّى بعدما أُجهز على عثمان إلّا لمّا علمت من إنفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره وتضمر تقديمه منذ كانت تُرهج النقع على عثمان ، وتهيِّج الامَّة على قتله ، فكانت تروم أن تُعيد الإمرة تيميَّة مرَّة أُخرى ، ولعلّها حجَّت لبثِّ هاتيك الدعاية في طريقها وعند مجتمع الحجيج بمكّة ، فكان يُسمع منها قولها في طلحة : إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل ! إيه يابن عمّ ! لكأنِّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له ، وقولها : إيه ذا الإصبع ! لله أبوك ، أما إنَّهم وجدوا طلحة لها كفواً .

وقولها في عثمان : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، وقولها لابن عبّاس : إيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية ، وقولها بمكّة : بُعداً لنعثل وسحقاً ، وقولها لَمّا بلغها قتله : أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلّام للعبيد .

لكنّها لَمّا علمت أنَّ خلافة الله الكبرى عادت علويَّة واستقرَّت في مقرِّها الجديد بها ـ ولم يكن لها مع أمير المؤمنين عليه السلام هوى ـ قلبت عليها ظهر المجنِّ ، فطفقت تقول : لوددت أنَّ السَّماء إنطبقت على الأرض إن تمَّ هذا ، وأظهرت الأسف على قتل عثمان ورجعت إلى مكّة بعد ما خرجت منها ، ونهضت ثائرةً تطلب بدم عثمان لعلّها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق ، وإلّا فما هي من أولياء ذلك الدم ، وقد وُضع عنها قود العساكر ومباشرة الحروب ، لأنَّها امرأة خلقها

الله لخدرها ، وقد نهيت كبقيَّة نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم خاصَّة عن التبرُّج ، وقد أنذرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحذَّرها عن خصوص واقعة الجمل ، غير أنَّها أعرضت عن ذلك كلّه لما ترجَّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة ، وتصامت عن نبح كلاب الحوأب ، وقد ذكره لها الصّادق الأمين عند الإنذار والتحذير ، ولم تزل يقودها الأمل حتّى قُتل طلحة فألمَّت بها الخيبة ، وغلب أمر الله وهي كارهة .

٣ ـ حديث عبدالرحمٰن بن عوف أحد العشرة المبشَّرة ، شيخ الشورى ، بدريٌّ :

١ ـ أخرج البلاذري عن سعد قال : لَمّا توفِّي أبو ذر بالربذة تذاكر عليٌّ وعبدالرّحمٰن بن عوف فعل عثمان فقال عليٌّ : هذا عملك . فقال عبدالرَّحمٰن : إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي ، إنَّهُ قد خالف ما أعطاني .

٢ ـ قال أبو الفدا : لَمّا أحدث عثمان رضي الله عنه ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه روي أنَّه قيل لعبدالرحمٰن بن عوف : هذا كلّه فعلك . فقال : ما كنت أظنُّ هذا به ، لكن لله عليَّ أن لا أُكلّمه أبداً ، ومات عبدالرَّحمٰن وهو مهاجرٌ لعثمان رضي الله عنهما ، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحوَّل إلى الحائط ولم يُكلّمه .

٣ ـ روى البلاذري من طريق عثمان بن الشريد قال : ذُكر عثمان عند عبدالرّحمٰن بن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبدالرَّحمٰن : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بئر كانت يُسقى منها نعم عبدالرَّحمٰن بن عوف فمنعه إيّاها فقال عبدالرحمٰن : اللّهمَّ إجعل ماءها غوراً . فما وجدت فيها قطرة .

٤ ـ عن عبدالله بن ثعلبة قال : إنَّ عبدالرَّحمٰن بن عوف كان حلف ألا يكلّم عثمان أبداً .

٥ ـ عن سعد قال : إنّ عبدالرَّحمٰن أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، فصلى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص ، وتوفّي سنة إثنتين وثلاثين .

٦ - قال إبن عبد ربّه : لَمّا أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمَّد قيل لعبدالرَّحمٰن : هذا عملك . قال : ما ظننت هذا . ثمَّ مضى ودخل عليه وعاتبه وقال : إنَّما قدَّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إنَّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبدالرَّحمٰن : لله عليَّ أن لا أكلّمك أبداً . فلم يكلّمه أبداً حتّى مات وهو مهاجرٌ لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحوَّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه .

راجع أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٦ .

٧ - أخرج الطبري من طريق المسور بن المخرمة قال : قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبدالرَّحمٰن بن عوف فأرسل إلى المسور بن المخرمة وإلى عبدالرَّحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسَّمها عبدالرَّحمٰن في الناس وعثمان في الدار .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

٨ - قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : أُستجيبت دعوة عليّ عليه‌السلام في عثمان وعبدالرَّحمٰن فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين ، أرسل عبدالرَّحمٰن إلى عثمان يعاتبه (إلى أن قال) : لَمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبدالرَّحمٰن فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال : يابن عفان ! لقد صدَّقنا عليك ما كنّا نكذِّب فيك ، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجه عنّي يا غلام ! فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه ، فلم يكن يأتيه أحدٌ إلّا ابن عبّاس كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض ، ومرض عبدالرَّحمٰن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٥ ، ٦٦]

قول العسكري : أُستجيبت دعوة عليٍّ . إشارةٌ إلى ما ورد من قوله عليه‌السلام يوم

الشورى لعبدالرَّحمٰن بن عوف : والله ما فعلتها إلّا لأنَّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه دقَّ الله بينكما عطر منشم[١] .

ومنشم امرأة عطّارة من حمير ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : أشأم من عطر منشم فصار مثلاً .

وقول عبد الرَّحمٰن : لقد صدَّقنا عليك ما كنّا نكذِّب فيك . إيعازٌ إلى قول مولانا أمير المؤمنين يوم الشورى أيضاً : أما إنِّي أعلم أنَّهم سيولون عثمان ، وليحدثنَّ البدع والأحداث ، ولئن بقي لأذكرنَّك ، وإن قُتل أو مات ليتداولونها بنو أُميَّة بينهم ، وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون[٢] .

قال الشيخ محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٥ : لَمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ، ووجد عليه كبار الصحابة روي أنَّه قيل لعبد الرحمٰن : هذا عمل يديك . فقال : ما كنت أظنُّ هذا به ولكن لله عليَّ أن لا أُكلّمه أبداً ، ثمَّ مات عبدالرحمٰن وهو مهاجرٌ لعثمان ، حتَّى قيل : انَّ عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحوَّل إلى الحائط لا يكلّمه ، والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء .

وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٣٩ : كان عثمان بن عفّان مهاجراً لعبدالرَّحمٰن بن عوف حتى ماتا .

قال الأميني ، لا بدَّ أن يُسائل هؤلاء عن أشياء فيقال لهم : إنَّ سيرة الشيخين التي بويع عثمان عليها هل كانت تطابق سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو تخالفها ؟ وعلى الأوّل فشرطها مستدركٌ ، ولا شرط للخلافة إلّا مطابقة كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم ولا نقمة على تاركها إلّا بترك السنّة لا السيرة ، فذكرها إلى جانب السنَّة الشريفة كضمِّ اللّاحجَّة إلى الحجَّة ، أو كوضع الحجر إلى جنب الإنسان ، وعلى الثاني فإنَّ مِن الواجب على كلّ مسلم مخالفتها بعد فرض إيمانه بالله وبكتابه ورسوله واليوم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٣ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٤ .

الآخر ، فكان من حقِّ المقام أن ينكروا على عثمان مخالفة السنَّة فحسب . ولهذا لم يقبل مولانا أمير المؤمنين لَمّا ألقى إليه عبدالرَّحمٰن أمر البيعة على الشرط المذكور إلّا مطابقة أمره للسنَّة والإجتهاد فيها(١) .

وليت شعري إنَّه لَمّا شرط ابن عوف على عثمان ذلك هل كان يعلم بما قلناه من الموافقة أو المخالفة أو لا ؟ وعلى فرض علمه يتوجَّه عليه ما سطرناه على كلّ مِن الفرضين ، وعلى تقدير عدم علمه وهو أبعد شيء يُفرض فكيف شرط عليه ما لا يعلم حقيقته ، وكيف يناط أمر الدين وزعامته الكبرى بحقيقة مجهولة ؟ وما الفائدة في اشتراطه ؟

وللباقلاني في التمهيد ص ٢١٠ في بيان هذا الشرط وجهٌ نُجلُّ عنه ساحة كلِّ متعلّم فاهم فضلاً عن عالم مثله .

ثمَّ نأتي إلى عثمان فنحاسبه على قبوله لأوَّل وهلة ، هل كان يعلم شيئاً ممَّا قدَّمناه من النسبة بين السنَّة والسيرة أو لا؟ فهلّا شرط الأمر على تقدير الموافقة ؟ ورفضَه على فرض المخالفة ؟ وإن كان لا يعلم فكيف قبل شرطاً لا يدري ما هو ؟ ثمَّ هل كان يعلم يومئذٍ أنَّه يطيق على ذلك أو لا ؟ أوكان يعلم أنَّه لا يطيقه ؟ وعلى الأخير فكيف قبل ما لا يطيقه ؟ وعلى الثاني كيف أقدم على الخطر فيما لا يعلم أنَّه يتسنّى له أن ينوء به ؟ وعلى الأوَّل فلماذا خالف ما اشترط عليه وقبله ووفيت البيعة عليه ؟ وحصل القبول والرضا من الامَّة به ؟ ثمَّ جاء يعتذر لمّا أخذه ابن عوف بمخالفته إيّاها بأنَّه لا يطيق ذلك فقال فيما أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٦٨ من طريق شقيق : وأمّا قوله : ولِمَ أترك سنَّة عمر ؟ فإنّي لا أُطيقها ولا هو . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٦ .

وكيفما أُجيب عن هذه المسائل فعبرتنا الآن بنظريَّة عبدالرَّحمٰن بن عوف الأخيرة في الخليفة ، وهي من أوضح الحقائق لمن استشفَّ ما ذكرناه من قوله له : إنّي أستعيذ بالله من بيعتك . وقوله لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام : إذا شئت فخذ

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٧٥ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٠ ، تمهيد الباقلاني ص ٢٠٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٦ .

سيفك وآخذ سيفي . الخ . مستحلاً قتاله ، وقوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه . وقد بالغ في الإنكار عليه ورأيه في سقوطه أنَّه لم يره أهلاً للصَّلاة عليه وأوصى بذلك عند وفاته فصلّى عليه الزبير ، وهجره وحلف أن لا يكلّمه أبداً حتّى انَّه حوَّل وجهه إلى الحائط لمّا جاء عائداً ، وإنَّه كان لا يرى لتصرّفاته نفوذاً ولذلك لمّا بلغه إعطاء عثمان إبل الصدقة لبعض بني الحكم أرسل إليها المسور بن المخرمة وعبدالرَّحمٰن بن الأسود فأخذها فقسَّمها عبدالرَّحمٰن في النّاس وعثمان في الدار ، ولهذه كلّها كان يراه عثمان منافقاً ويقذفه بالنفاق كما ذكره ابن حجر في الصواعق ص ٦٨ وأجاب عنه متسالماً عليه بأنَّه كان متوحِّشاً منه لأنَّه كان يجيئه كثيراً . إقرأ واضحك. وذكره الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٧ فقال : أجاب عنه ابن حجر ولم يذكر الجواب لعلمه بأنَّه أُضحوكة .

ونسائل القوم بصورة أُخرى مع قطع النظر عن جميع ما قلناه : إنَّ ما اشترط على عثمان وعُقد عليه أمره هل كان واجب الوفاء ؟ أو كان لعثمان منتدحٌ عنه بتركه ؟ وعلى الأوَّل فما وجه مخالفة الخليفة له ؟ ولماذا لم يقبله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو عيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعارف بأحكامه وسننه وبصلاح الأُمَّة منذ بدء أمرها إلى منصرمه ، وهل يخلع الخليفة في صورة المخالفة ؟ فلماذا كان عثمان لا يروقه التنازل عن أمره لمّا أرادت الصحابة خلعه للمخالفة ؟ أو أنَّه لا يُخلع ؟ فلماذا تجمهروا عليه فخلعوه وقتلوه ؟ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العدول كلّهم في نظر القوم ، وإن كان لا يجب الوفاء به ؟ فلماذا لم يبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام لَمّا جاء بعدم الإلتزام بما لا يجب الوفاء به ؟ وما معنى اعتذار عبدالرَّحمٰن بن عوف في تقديمه عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه قبل متابعة سيرة الشيخين ولم يقبلها عليٌّ عليه السلام ؟ ولماذا ألزموا عثمان به ؟ ولماذا التزم به عثمان ؟ ولماذا تمَّت البيعة عليه ؟ ولماذا تجمهروا عليه لَمّا شاهدوا منه المخالفة ؟

﴿وَلَيُسئَلُنَّ يومَ القِيامَةِ عَمّا كَانُوا يَفتَرُون فيومَئِذٍ لا يَنفَعُ الذينَ ظَلمُوا مَعذِرَتُهم وَلا هُمْ يُستَعتَبون﴾[1] .

---

(١) سورة العنكبوت ؛ الآية : ١٣ ، سورة الروم ؛ الآية : ٥٧ .

٤ ـ حديث طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشّرة ، وأحد الستّة أصحاب الشورى :

١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في طلحة : والله ما استعجل متجرِّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يُطالب بدمه لأنّه مظنّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالِط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك ، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث : لئن كان ابن عفان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه . ولئِن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذِّرين فيه . ولئِن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع النّاس معه ، فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابه ، ولم تسلم معاذيره(١) .

قال إبن أبي الحديد في الشرح ج ٢ ص ٥٠٦ : فإن قلت : يُمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحة دم عثمان أوّلاً ثمّ تبدّل ذلك الإعتقاد بعد قتله فاعتقد أنّ قتله حرامٌ وأنّه يجب أن يقتصّ من قاتليه . قلت : لو اعترف بذلك لم يقسم عليٌّ عليه السلام هذا التقسيم وإنّما قسّمه لبقائه على اعتقاد واحد ، وهذا التقسيم مع فرض بقائه على اعتقاد واحد صحيحٌ لا مطعن فيه ، وكذا كان حال طلحة فإنّه لَمْ يُنقل عنه انّه قال : ندمت على ما فعلت بعثمان .

فإن قلت : كيف قال أمير المؤمنين : فما فعل واحدةً من الثلاث ؟ وقد فعل واحدة منها لأنّه وازر قاتليه حيث كان محصوراً . قلت : مراده : إنّه إن كان عثمان ظالماً وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ويمنعهم ممّن يروم دماءهم ، ومعلوم أنّه لم يفعل ذلك . وإنّما وازرهم وعثمان حيّ وذلك غير داخل في التقسيم . ا هـ .

٢ ـ أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر قال : قال عليٌّ لطلحة ـ وعثمان محصورٌ ـ : أنشدك الله إلّا رددت النّاس عن عثمان . قال : لا والله حتّى تعطي بنو أُميّة الحقَّ من أنفسها .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٣٢٣ .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ فقال : فكان عليٌّ عليه السلام يقول : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل .

٣ ـ أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد قال : حدّثني عبدالله بن عبّاس بن أبي ربيعة قال : دخلت على عثمان رضي الله عنه فتحدَّثت عنه ساعة فقال : يابن عبّاس ! تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام مَن على باب عثمان فسمعنا كلاماً ، منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم مَن يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فبينا أنا وهو واقفان إذ مرَّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال : أين ابن عديس ؟ فقيل : ها هوذا . قال : فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثمَّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال : فقال لي عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبيدالله ثمَّ قال عثمان : اللّهمَّ اكفني طلحة بن عبيدالله فإنّه حمل عليَّ هؤلاء وألّبهم ، والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يُسفك دمه ، إنّه انتهك منّي ما لا يحلُّ له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلّا في إحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجلٌ زنى بعد إحصانه فيرجم ، أو رجلٌ قتل نفساً بغير نفس . ففيمَ أُقتل ؟ قال : ثمَّ رجع عثمان . قال ابن عبّاس : فأردت أن أخرج فمنعوني حتّى مرَّ بي محمَّد بن أبي بكر فقال : خلّوه . فخلّوني . تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٢ ، الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٣ .

٤ ـ أخرج الطبري من طريق الحسن البصري : إنَّ طلحة بن عبيدالله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة : إنَّ رجلاً تتسق هذه عنه[١] وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عزَّ وجلَّ لغريرٌ بالله سبحانه ، فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسّمها حتّى أصبح فأصبح وما عنده منها درهم . قال الحسن : وجاء ها هنا يطلب الدينار والدرهم . أو قال : الصفراء والبيضاء .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨١ .

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد : عنده .

٥ - حكى ابن أبي الحديد عن الطبري : إنَّ عثمان كان له على طلحة خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة : قد تهيّأ مالك فاقبضه فقال : هو لك يا أبا محمَّد معونة لك على مروءتك . قال : فكان عثمان يقول وهو محصورٌ جزاء سنّمار(١) .

وقال ابن أبي الحديد : كان طلحة من أشدِّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك . روي أنَّ عثمان قال : ويلي على ابن الحضرميَّة - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرِّض على نفسي ، اللّهمَّ لا تمتِّعه به ولقِّه عواقب بغيه .

قال : وروى الناس الذين صنَّفوا في واقعة الدار : انَّ طلحة كان يوم قُتل عثمان مقنّعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام ، ورووا أيضاً : انّه لمَّا امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دارٍ لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوَّروا منها على عثمان داره فقتلوه . شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٠٤ .

٦ - روى المدائني في كتاب مقتل عثمان : إنَّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام ، وإنَّ عليّاً لم يبايع الناس إلاّ بعد قتل عثمان بخمسة أيّام ، وانَّ حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعليّ على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفرٌ يسيرٌ من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُعرف بحشِّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلمَّا صار هناك رجم سريره وهمُّوا بطرحه ، فأرسل عليٌّ إلى الناس يعزم عليهم ليكفّوا عنه ، فكفّوا فانطلقوا به حتّى دفنوه في حشِّ كوكب .

وأخرج المدائني في الكتاب قال : دُفن عثمان بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلاّ مروان بن الحكم وإبنة عثمان وثلاثة من مواليه فرفعت إبنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناساً هناك أكمنهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا : نعثل

---

(١) هذا الحديث أخرجه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٣٩ وليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد(فكان عثمان يقول وهو محصور : جزاء سنمار) .

نعثل . فقالوا : الحائط الحائط . فدفن في حائط هناك .

٧ ـ أخرج الواقدي قال : لَمّا قُتل عثمان تكلّموا في دفنه فقال طلحة : يُدفن بدير سلع . يعني مقابر اليهود . ورواه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٣ غير أنَّ فيه مكان طلحة : رجل .

٨ ـ أخرج الطبري بالإسناد قال : حُصر عثمان وعليٌّ بخيبر فلمّا قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق فقلت : لأنطلقنَّ معه ولأسمعنَّ مقالتهما ، فلمّا دخل عليه كلّمه عثمان فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد فإنَّ لي عليك حقوقاً حقُّ الإسلام وحقُّ الإخاء ، وقد علمت أنَّ رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك ، وبيّن حقَّ القرابة والصهر وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق ، فوالله لو لم يكن من هذا شيءٌ ثمَّ كنّا إنّما نحن في جاهليّة لَكان مُبطّاً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم . فتكلّم عليٌّ فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد : فكلّ ما ذكرتَ من حقّك عليَّ على ما ذكرت ، أمّا قولك : لو كنّا في جاهليّة لكان مُبطّاً على بني عبد مناف أن يبتزَّهم أخو بني تيم ملكهم ، فصدقت وسيأتيك الخبر . ثمَّ خرج فدخل المسجد فرأى أُسامة جالساً فدعاه فاعتمد على يده فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيدالله وهي رجّاسٌ من الناس فقام إليه فقال : يا طلحة ! ما هذا الأمر الذي وقعت فيه ؟ فقال : يا أبا حسن ! بعدما مسَّ الحزام الطبيين[1] فانصرف عليٌّ ولم يُحر إليه شيئاً حتّى أتى بيت المال فقال : افتحوا هذا الباب . فلم يقدر على المفاتيح فقال : اكسروه فكُسر باب بيت المال فقال : أخرجوا المال . فجعل يُعطي النّاس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع عليٌّ فجعلوا يتسلّلون إليه حتّى تُرك طلحة وحده ، وبلغ الخبر عثمان فسرَّ بذلك ، ثمَّ أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان فقلت : والله لأنظرنَّ ما يقول هذا فتتبّعته فاستأذن على عثمان فلمّا دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ! أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمراً فحال الله بيني وبينه ، فقال عثمان : إنّك والله ما

---

(١) أي : اشتدَّ الامر وتفاقم . كتب عثمان الى عليّ عليه السلام : قد بلغ السيل الزّبى وجاوز الحزام الطبيين . تاج العروس ج ١ ص ٢٢٢ .

جئت تائباً ولكنّك جئت مغلوباً ، الله حسيبك يا طلحة . تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٤ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ . تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ .

قال الأميني : هذا لفظ تاريخ الطبري المطبوع وقد لعبت به أيدي الهوى بالتحريف وزادت فيه حديث الإخاء بين عثمان وعليّ المتسالم على بطلانه بين فرق المسلمين ، كأنَّ القوم آلوا على أنفسهم بأن لا يدعوا حديثاً إلّا شوّهوه بالإختلاق ، وقد حكى ابن أبي الحديد هذا الحديث عن تاريخ الطبري في شرحه ج ٢ ص ٥٠٦ ولا توجد فيه مسألة الإخاء وإليك لفظه :

روى الطبري في التاريخ : إنَّ عثمانَ لَمّا حُصر كان عليٌّ عليه‌السلام بخيبر في أمواله فلمّا قدم أرسل إليه يدعوه فلمّا دخل عليه قال له : إنَّ لي عليك حقوقاً : حقَّ الإسلام ، وحقّ النسب ، وحقّ مالي عليك من العهد والميثاق ، ووالله إن لو لم يكن من هذا كلّه شيءٌ وكنّا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو تيم ملكهم يعني طلحة ، فقال له عليه‌السلام : سيأتيك الخبر . إلى آخر الحديث باللفظ المذكور .

وقد أسلفنا في الجزء الثالث ص ١٤٨ ـ ١٦٠ حديث المواخاة بأوسع ما يُسطر وفيه : إنَّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم هو الذي واخى أمير المؤمنين عليه‌السلام لا غيره .

٩ ـ ذكر البلاذري في حديث : إنَّ طلحة قال لعثمان : إنَّك أحدثت أحداثاً لَم يكن النَّاس يعهدونها ، فقال عثمان : ما أحدثت أحداثاً ولكنَّكم أظنّاء تفسدون عليَّ النّاس وتؤلّبوهم .

[الأنساب ج ٥ ص ٤٤]

١٠ ـ حكى البلاذري عن أبي مخنف وغيره : حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يُدخل عليه ، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرم ويُلبّي ويخرج فيأتي مكّة فلا يقدم عليه . فبلغهم قوله فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه حتّى يحكم الله بيننا وبينه ، واشتدَّ عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار ، ومنع من أن يُدخل إليه الماء

حتّى غضب عليٌّ بن أبي طالب من ذلك ، فأُدخلت عليه روايا الماء .

[الأنساب ج ٥ ص ٧١]

١١ ـ في رواية للبلاذري ص ٩٠ : كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر ، ومنع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليٌّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة : أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره يعني بئر رومة ، ولا تقتلوه من العطش . فأبى فقال عليٌّ : لولا أنّي قد آليت يوم ذي خُشب أنّه إن لم يُطعني لا أردُّ عنه أحداً لأدخلت عليه الماء .

وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ : أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يحرِّض الفريقين جميعاً على عثمان ، ثمَّ إنَّ طلحة قال لهم : إنَّ عثمان لا يبالي ما حضرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

١٢ ـ قال البلاذري : قالوا : مرَّ مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيدالله فقال : يا مجمِّع ما فعل صاحبك ؟ قال : أظنكم والله قاتليه . فقال طلحة : فإن قُتل فلا ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٤]

١٣ ـ وروى البلاذري في حديث : وسلّم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردُّوا عليه فقال . يا طلحة ! ما كنت أرى انّه أعيش إلى أن أُسلم عليك فلا تردّ عليَّ السَّلام .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٦]

كأنَّ هذه القضيَّة غير ما وقع في أيّام الحصار الثاني ممّا ذكره الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ قال : أشرف عثمان عليهم ذات يوم وقال : السَّلام عليكم . فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه إلاّ أن يردَّ في نفسه . وسيوافيك حديث جبلة بن عمرو الأنصاري ونهيه الناس عن ردِّ السَّلام على عثمان إذا سلّمهم .

١٤ ـ أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال : كان طلحة قد استولى

على أمر الناس في الحصار ، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب إلى عليّ بهذا البيت :

وإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي   وإلّا فأدركني ولمّا أُمزَّق(١)

وقال أبو مخنف : صلّى عليٌّ بالناس يوم النحر وعثمان محصورٌ فبعث إليه عثمان ببيت الممزّق ، وكان رسوله به عبدالله بن الحارث ففرّق عليٌّ الناس عن طلحة ، فلمّا رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان : يابن الحضرميَّة ! ألّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتّى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لا قَبل الله ممّن قبل عذرك .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٧]

١٥ ـ روى البلاذري بإسناده من طريق ابن سيرين أنّه قال : لم يكن من أصحاب النبيِّ ﷺ أشدَّ على عثمان من طلحة . الأنساب ج ٥ ص ٨١ ، وذكره ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٩ .

١٦ ـ أخرج ابن سعد وابن عساكر قال : كان طلحة يقول يوم الجمل : إنّا داهنّا في أمر عثمان فلا نجد شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه ، اللهمَّ خذ لعثمان منّي اليوم حتّى ترضى . طبقات ابن سعد ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤ ، تذكرة السبط ص ٤٤ .

١٧ ـ أخرج ابن عساكر قال : كان مروان بن الحكم في الجيش ـ يوم الجمل ـ فقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم ، فهو الذي رمى طلحة فقتله ، ثمَّ قال لأبان بن عثمان : كفيتك بعض قتلة أبيك ، وكان السهم قد وقع في عين ركبته ، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال : دعوها فإنّها سهمٌ أرسله الله .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤]

قال أبو عمر في الإستيعاب : لا يختلف العلماء الثقات في أنَّ مروان قتل طلحة يومئذٍ وكان في حزبه ، روى عبد الرَّحمٰن بن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحة يوم الجمل :

---

(١) هذا البيت للممزق العبدي شاش بن لها بن الاسود . وبه سمي الممزق .

نــدمت نـدامــة الكُسَعيِّ لمّـا شريت رضا بني جرم برغمي[١]

اللهمَّ خذ منّي لعثمان حتى يرضى .

«بيـان» الكسـع : حيٌّ من قيس عيـلان ، وقيـل : هم حيٌّ من اليمن رمـاة ، ومنهم الكسعيُّ الذي يضرب به المثل في الندامة وهو رجلٌ رامٍ رمى بعدما أسـدف الليل عِيراً فأصابه وظنَّ أنَّه أخطأه فكسَّر قوسه وقيل : وقطع إصبعه ثمَّ ندم من الغـد حين نظر إلى العِير مقتولاً وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكلِّ نادم على فعل يفعله . وإيّاه عنى الفرزدق بقوله :

نــدمت نـدامــة الكُسعيِّ لمّـا غــدت منّي مــطلّقــةً نــوار

وقال آخر :

نــدمت نـدامــة الكُسعيِّ لمّـا رأت عينــاه مــا فـعلت يــداه

وقيل : كان إسم الكُسعيِّ محارب بن قيس .

وأخـرج أبو عمـر من طريق ابن أبي سبـرة قال : نـظر مروان إلى طلحـة يـوم الجمل فقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . فرماه بسهم فقتله .

وأخرج من طريق يحيى بن سعيد عن عمِّه أنَّه قال : رمى مـروان طلحة بسهم ثمَّ التفت إلى أبان بن عثمان فقال : قد كفينا بعض قتلة أبيك .

وأخـرج من طريق قيس نقـلاً عن ابن أبي شيبة أنَّ مـروان قتل طلحـة ، ومن طريق وكيع وأحمـد بن زهير بـإسنادهمـا عن قيس بن أبي حازم حـديث : لا أطلب بثاري بعد اليوم . وزاد في «اسد الغابة» ما مرَّ من قول مروان لأبان .

وقـال ابن حجر في الإصـابة ج ٢ ص ٢٣٠ : روى ابن عسـاكر من طـرق[٢]

---

(١) هذا البيت معه ثلاثة أبيات أُخر ذكـرها ابن الاثيـر في اسد الغـابة ج ٣ ص ١٠٤ ، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٤٤ .

(٢) حذفتها يد الطبع الامينة على ودائع العلم حيا الله الامانة . لقد لعبت يد الشيخ عبد القادر بن بدران بتاريخ ابن عساكر لمّا هذبه ورتبـه على زعمه فـأخرجـه عما هـو عليه ، وجعله مسيخاً مشوّهاً بإدخال آرائه الساقطة فيه ، وأسقط منه أحاديث كثيرة متناً وإسناداً ممّا لا يروقه .

متعددة : إنَّ مروان بن الحكم هو الذي رماه فقتله ، منها : ما أخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارود بن أبي سبرة قال : لَمّا كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال : لا أطلب ثاري بعد اليوم فنزع له بسهم فقتله .

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم أنَّ مروان بن الحكم رأى طلحة في الخيل فقال : هذا أعان على عثمان فرماه بسهم في ركبته ، فما زال الدم يسيح حتّى مات . وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧٠ .

أخرجه عبد الحميد بن صالح عن قيس ، وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذٍ بسهم فوقع في عين ركبته ، فما زال الدم يسيح إلى أن مات .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧٠ من طريق عكراش قال : كنّا نقاتل عليّاً مع طلحة ومعنا مروان قال : فانهزمنا فقال مروان : لا أُدرك بثاري بعد اليوم من طلحة فرماه بسهم فقتله .

وقال محبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٥٩ : المشهور أنَّ مروان بن الحكم هو الذي قتله رماه بسهم وقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . وذلك أنَّ طلحة زعموا أنَّه كان ممَّن حاصر عثمان واشتدَّ عليه .

وأخرج البلاذري في «الأنساب» ص ١٣٥ في حديث عن روح بن زِنباع : إنَّه قال : رمى مروان طلحة فاستقاد منه لعثمان .

يوجد حديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيدالله أخذاً بثار عثمان في مروج الذهب ج ٢ ص ١١ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٧٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤ ، صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ١٣٢ ، أُسد الغابة ج ٣ ص ٦١ ، دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٤٧ ، تذكرة السبط ص ٤٤ ، مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٧ ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١ ، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٨٩ .

١٨ ـ أخرج ابن سعد بالإسناد عن شيخ من كَلب قال : سمعت عبدالملك بن مروان يقول : لولا أنَّ أمير المؤمنين مروان أخبرني أنَّه قتل طلحة ما

تركت أحداً من ولد طلحة إلّا قتلته بعثمان .

١٩ ـ أخرج الحميدي في النوادر من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن مروان قال : دخل موسى بن طلحة على الوليد فقال له الوليد : ما دخلتَ عليَّ قطُّ إلّا هممتُ بقتلك لولا أنَّ أبي أخبرني أنَّ مروان قتل طلحة .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٢]

٢٠ ـ أخرج الطبري في حديث : فقام طلحة والزبير خطيبين (يعني بالبصرة) فقالا : يا أهل البصرة توبةٌ بحوبة ، إنَّما أردنا أن يُستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نُرد قتله فغلب سفهاء النّاس الحلماء حتّى قتلوه . فقال النّاس لطلحة : يا أبا محمَّد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا . [تاريخ الطبري : ج ٥ ص ١٧٩]

٢١ ـ ذكر المسعودي في حديث وقعة الجمل : ثمَّ نادى عليٌّ رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمَّد ! ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . قال عليٌّ : قتل الله أولانا بدم عثمان[١] .

[مروج الذهب ج ٢ ص ١١]

٢٢ ـ لمّا نزل طلحة والزبير السبخة[٢] أتاهما عبدالله بن الحكيم التميمي لكتب كانا كتباها إليه فقال لطلحة : يا أبا محمد ! أما هذه كتبك إلينا ؟ قال : بلى . قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلّا هذه الدنيا ، مهلاً إذا كان هذا رأيك فَلِمَ قبلت من عليّ ما عرض عليك من البيعة ؟ فبايعته طائعاً راضياً ثمَّ نكثت بيعتك ، ثمَّ جئت لتدخلنا في فتنتك . الحديث[٣] .

٢٣ ـ قال ابن قتيبة : ذكروا أنَّه لَمّا نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة إصطفَّ لها النّاس في الطريق يقولون : يا أُمَّ المؤمنين ! ما الذي أخرجك من بيتكِ ؟ فلمّا أكثروا عليها تكلّمت بلسان طلق وكانت من أبلغ النّاس فحمدت الله وأثنت عليه ثمَّ

---

(١) لقد استجاب الله تعالى دعاء الامام عليه‌السلام فقتل طلحة في اسرع وقت .
(٢) السبخة بالتحريك موضع بالبصرة .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠ .

قالت : أيُّها النّاس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يُستحلَّ دمه[١] ولقد قُتل مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل ، وإنَّ من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثمّ يُردُّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطّاب . فمن قائل يقول : صدقت . وآخر يقول : كذبت . فلم يبرح النّاس يقولون ذلك حتّى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان . فقال لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال نعم . قال : فما ردَّك على ما كنت عليه ، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه ؟ وقد زعمتما أنَّ عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنَّ منه فأبيتما إلاّ أن تقدِّماه لقرابته وسابقته فبايعتماه ، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما ؟ قال طلحة : دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس ، فعلمنا حين عرض علينا أنّه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار ، وخفنا أن نردَّ بيعته فنقتل فبايعناه كارهين ، قال : فما بدا لكما في عثمان ؟ قال : ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إيّاه ، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلاّ الطلب بدمه . قال : ما تأمراني به ؟ قال : بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته ، قال : أرأيتما إن أتانا بعدكما مَن يدعونا إليه ما نصنع ؟ قالا : لا تبايعه . قال ما أنصفتما أتأمراني أن أُقاتل عليّاً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة مَن لا بيعة له عليكما ؟ اما إنّنا قد بايعنا عليّاً ، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا .

قال : ثمَّ تفرَّق الناس فصارت فرقةٌ مع عثمان بن حنيف ، وفرقةٌ مع طلحة والزبير . ثمَّ جاء جارية بن قدامة فقال : يا أمَّ المؤمنين ! لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتكِ على هذا الجمل الملعون ، إنّه كانت لكِ من الله حرمة وستر ، فهتكتِ سترك ، وأبحتِ حرمتكِ ، إنّه من رأى قتالكِ فقد رأى قتلكِ ، فإن كنت يا أُمّ المؤمنين ، أتيتينا طائعة ، فارجعي إلى منزلكِ ، وإن كنت أتيتينا مستكرهة ، فاستعتبي[٢] .

---

(١) أنّى هذا المحال والتمحل من قوارصها التي مرّت في ص ١٠١ ـ ١١٠ .

(٢) الامامة والسياسة ج ١ ص ٦٠ .

٢٤ ـ ذكر أبو مخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة[١] لمولانا أمير المؤمنين قوله : اللهمَّ إنَّ طلحة نكث بيعتي وألَّب على عثمان حتى قتله ثمَّ عضهني به ورماني اللهمَّ فلا تمهله ، اللّهمَّ إنَّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليَّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت[٢] .

٢٥ ـ أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٨٣ من طريق علقمة بن وقاص الليثي قال : لَمّا خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحبُّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بلحيته على زَوره[٣] فقلت : يا أبا محمَّد ! أرى أحبَّ المجالس إليك أخلاها وأنت ضاربٌ بلحيتك على زورك ، إن كرهت شيئاً فاجلس . قال : فقال لي : يا علقمة بن وقّاص ! بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً إنَّهُ كان منِّي في عثمان شيءٌ ليس توبتي إلّا أن يُسفك دمي في طلب دمه .

الوجه في هذه التوبة إن صحّت وكان الموؤود من النفوس المحترمة أن يسلّم نفسه لأولياء القتيل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه ، لا أن يلقح فتنة كبرى تُراق فيها دماءٌ بريئة من دم عثمان ، وتزهق أنفسٌ لم تكن هنالك في حَلّ ولا مرتحل ، فيكون قد زاد ضغثاً على ابّالة ، وجاء بها حشفاً وسوء كيلة .

٥ ـ حديث الزبير بن العوام أحد العشرة المبشَّرة ، وأحد أصحاب الشورى الستّ :

١ ـ أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل : خرج عليٌّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا فقال عليٌّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منّا . فقال عليٌّ : لستُ[٤] له أهلاً بعد عثمان رضي الله عنه ؟ قد كنّا

(١) ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٠١ .
(٢) يا لها من دعوة مستجابة أصابت الرجلين من دون مهلة .
(٣) الزور : الصدر وقيل : وسط الصدر . وقيل : أعلى الصدر . وقيل : ملتقى أطراف عظام الصدر .
(٤) في الكامل لابن الاثير : ألست .

نعدُّك من بني عبد المطلب حتّى بلغ إبنك ابن السوء ففرَّق بيننا وبينك . وعظَّم عليه أشياء فذكر أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ عليهما فقال لعليّ : ما يقول ابن عمّتك ؟ ليقاتلنّك وهو لك ظالمٌ[١] فانصرف عنه الزبير وقال : فإنّي لا أُقاتلك ، فرجع إلى إبنه عبدالله ، فقال : مالي في هذا الحرب بصيرة . فقال له إبنه : إنَّك قد خرجت على بصيرة ، ولكنّك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أنّ تحتها الموت فجبنت ، فأحفظه حتّى أرعد وغضب وقال : ويحك إنّي قد حلفت له ألاّ أُقاتله . فقال له إبنه : كفِّر عن يمينك بعتق غلامك (سَرجيس) فأعتقه وقام في الصفِّ معهم ، وكان عليٌّ قال للزبير : أتطلب منّي دم عثمان ؟ وأنت قتلته ، سلّط الله على أشدِّنا عليه اليوم ما يكره[٢] .

وقول عليّ عليه السلام للزبير : أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته . الخ . أخرجه أيضاً الحافظ العاصمي في زين الفتى . وفي لفظ المسعودي : قال عليٌّ : ويحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان . قال عليٌّ : قتل الله أولانا بدم عثمان .

قال الأميني : إنّما حلف الزبير على ترك القتال لأنَّه وجده بعد تذكير الإمام عليه السلام له الحديث النبويَّ ، وبعد إتمام الحجّة عليه بذلك محرَّماً عليه في الدين ، وأنَّه من الظلم الفاحش الذي استقلَّ العقل بتحريمه ، فهل التكفير بعتق الغلام يُبيح ذلك المحرَّم بالعقل والشريعة ؟ ويسوِّغ الخروج على الإمام المفترض طاعته ؟ لا . لكن تسويل عبدالله هو الذي فرَّق بين الزبير وبين آل عبدالمطلب ، وأباح له كلَّ محظور ، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النصِّ النبويِّ ، وصدَّق الخُبر الخَبر .

٢ - ذكر المسعودي في حديث : إنّ مروان بن الحكم قال - يوم الجمل - : رجع الزبير ، يرجع طلحة ، ما أُبالي رميت ها هنا أم ها هنا ، فرماه في أكحله فقتله .

[مروج الذهب ج ٢ ص ١١]

---

(١) هذا الحديث أخرجه جمع من الحفاظ كما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٢٤٠

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٠٤ ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٠ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٠٢ .

٣ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٤٠٤ : كان طلحة من أشدِّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك ، رووا أنَّ الزبير كان يقول : أُقتلوه فقد بدَّل دينكم . فقالوا له : إنَّ إبنك يحامي عنه بالباب . فقال : ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدىء بابني ، إنَّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً .

٤ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٦ من طريق أبي مخنف قال : جاء الزبير إلى عثمان فقال له : إنَّ في مسجد رسول الله ﷺ جماعةٌ يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك بالحقِّ ، فأخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبيِّ ﷺ ، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسِّلاح فقال : يا زبير ! ما أرى أحداً يأخذ بحقّ ، ولا يمنع من ظلم ، ودخل ومضى الزبير إلى منزله .

٥ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٤ : وجدت في كتاب لعبدالله عن الصالح العجلي ذكروا : انَّ عثمان نازع الزبير فقال الزبير : إن شئت تقاذفنا ؟ فقال عثمان : بماذا أبالبعير يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطبع خباب ، وريش المقعد ، وكان خباب يطبع السيوف ، وكان المقعد يريش النبل .

وقال ابن المغيرة بن الأخنس متغنّياً على قعود له :

حُكيم وعمّار الشجا ومحمّد ... وأشتر والمكشوح جرّوا الدواهيا
وقد كان فيها للزبير عجاجة ... وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا[1]

٦ ـ حديث طلحة والزبير :

١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في شأن الرجلين : والله ما أنكروا عليَّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وإنَّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنَّ لهم نصيبهم منه ، وإن كانوا وُلوه دوني فما الطلبة إلاّ قِبَلهم ، وإنَّ أوَّل عدلهم للحكم على أنفسهم ، وإنَّ معي لبصيرتي ما لبَّست ولا لُبِّس عليَّ ، وإنَّها للفئة الباغية فيها الحما والحُمة[2] .

[نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٤]

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصر ص ٦٠ ، ٦٦ .
(٢) قال ابن أبي الحديد : كنى عليّ عليه السلام عن الزوجة بالحمة . وهي : سم العقرب . والحما يضرب مثلاً لغير الطيب ولغير الصافي .

وفي لفظ أبي عمر في «الإستيعاب» في ترجمة طلحة بن عبيدالله : إنّي مُنيت بأربعة : أدهى النّاس وأسخاهم طلحة ، وأشجع النّاس الزبير ، وأطوع النّاس في النّاس عائشة ، وأسرع النّاس إلى الفتنة يعلى بن منية ، والله ما أنكروا عليَّ شيئاً منكراً ، ولا استأثرت بمال ، ولا ملت بهوى ، وانّهم ليطلبون حقّاً تركوه ، ودماً سفكوه ، ولقد ولوه دوني ، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه ، وما تبعة عثمان إلاّ عندهم ، وانّهم لهم الفئة الباغية . إلى قوله عليه السلام : والله إنَّ طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أنّي على الحقِّ وأنّهم مبطلون .

٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة : أمّا بعد : فإنّي أُخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ، إنَّ النَّاس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أُكثر استعتابه ، وأُقلُّ عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأُتيح له قومٌ فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرَهين ولا مجبَرين بل طائعين مخيَّرين .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٢ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٨]

قال إبن أبي الحديد في الشرح ج ٣ ص ٢٩٠ : أمَّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه (على عثمان) والوجيف : سير سريعٌ وهذا مثلٌ يقال للمستمرِّين في الطعن عليه حتى انَّ السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره ، والحداء العنيف أرفق ما يحرِّضان به عليه .

٣ - قال البلاذري : حدَّثني المدائني عن إبن الجعدبة قال : مرَّ عليٌّ بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدُف وتقول :

ظُلامة عثمان عند الزبير ... وأوتر منه لنا طلحهْ
هما سعراها بأجذالها ... وكانا حقيقين بالفضحهْ

فقال عليٌّ : قاتلها الله ، ما أعلمها بموضع ثأرها ؟

[الأنساب ج ٥ ص ١٠٥]

٤ - أخرج الطبري من طريق ابن عبَّاس قال : قدمت المدينة من مكّة بعد

قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيّام فجئت عليّاً أدخل عليه فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلّم عليَّ فقال : متى قدمت ؟ فقلت : الساعة . فدخلت على عليّ فسلّمت عليه فقال لي : لقيت الزبير وطلحة ؟ قال : قلت : لقيتهما بالنواصف . قال : مَن معهما ؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش . فقال عليٌّ : أما إنّهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون : نطلب بدم عثمان والله نعلم أنّهم قتلة عثمان .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٠]

٥ ـ أخرج الطبري عن عمر بن شبه من طريق عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال : لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال : أين تذهبون ؟ وثأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم[1] ثمَّ ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم . قالوا : بل نسير فلعلّنا نقتل قتلة عثمان جميعاً . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ أصدقاني . قالا : لأحدنا أيّنا اختاره الناس . قال : بل اجعلوه لولد عثمان فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه . قالا : ندعُ شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : أفلا أراني أسعى لأُخرجها من بني عبد مناف ؟ فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن اسيد فقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما رأى سعيد من كان ها هنا من ثقيف فليرجع فرجع . الحديث .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٨]

٦ ـ وفي كتاب كتبه ابن عبّاس إلى معاوية جواباً : وأمّا طلحة والزبير فإنّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه ، ثمَّ خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغي . كتاب نصر بن مزاحم ص ٤٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

٧ ـ قدم على حابس بن سَعْد سيِّد طيّ بالشام ابن عمّه فأخبره أنّه شهد قتل عثمان بالمدينة المنوَّرة وسار مع عليّ إلى الكوفة وكان له لسانٌ وهيبة فغدا به حابس إلى معاوية فقال : هذا ابن عمّي قدم من الكوفة ، وكان مع عليّ وشهد قتل عثمان

(١) يعني طلحة والزبير وأصحابهما .

بالمدينة وهو ثقةٌ فقال معاوية : حدِّثنا عن أمر عثمان . قال : نعم وليه محمَّد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر ، وتجرَّد في أمره ثلاثة أنفار: عدي بن حاتم ، والأشتر النخعي ، وعمرو بن الحمق ، ودبَّ(١) في أمره رجلان : طلحة والزبير ، وأبرأ الناس منه عليٌّ بن أبي طالب ثمَّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلّت(٢) النعل ، وسقط الرداء ، ووطىء الشيخ ولم يُذكر عثمان ولم يذكروه . الخ .

(الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٤ ، كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٩) .

٨ - أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٨ بإسناده عن إسرائيل بن موسى أنَّه قال : سمعت الحسن يقول : جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس : ما جاء بكم ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال الحسن : أيا سبحان الله ! أفما كان للقوم عقولٌ فيقولون : والله ما قتل عثمان غيركم ؟

٩ - لَمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حُفر أبي موسى(٣) قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذٍ عامل عليّ على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدؤلي فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت : أطلب بدم عثمان . قال : إنَّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحدٌ ، قالت . صدقت ولكنهم مع عليٍّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله ، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟ فقال لها : ما أنتِ من السوط والسيف ؟ إنَّما أنتِ حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمركِ أن تقرّي في بيتك ، وتتلي كتاب ربِّك ، وليس على النساء قتال ، ولا لهنَّ الطلب بالدماء ، وإنَّ عليّاً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً فإنَّهما إبنا عبد مناف . فقالت : لست بمنصرفة حتى أمضي لما

(١) لفظ ابن مزاحم : وجدّ في أمره رجلان .

(٢) وفي لفظ : ضاعت النعل

(٣) حفر ابي موسى هي ركايا حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة الى مكة بينها وبين البصرة خمس ليال .

قدمت إليه ، أفتظنُّ يا أبا الأسود انّ أحداً يقدم على قتالي ؟ قال : أما والله لتقاتلنَّ قتالاً أهونه الشديد . ثمَّ قام فأتى الزبير فقال : يا أبا عبدالله ! عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذٌ بقائم سيفك تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من إبن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك ؟ فذكر له دم عثمان ، قال : أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا . قال : فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول . فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيِّه مصرّاً على الحرب والفتنة . الحديث .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨١ .

١٠ ـ خرج عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً فقالا : نطلب بدم عثمان . فقال لهما : وما أنتما وذاك ؟ أين بنوه ؟ أين بنو عمِّه الذين هم أحقّ به منكم ؟ كلّا والله ، ولكنّكما حسدتماه حيث إجتمع النّاس عليه ، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له ، وهل كان أحدٌ أشدَّ على عثمان قولاً منكما ؟ فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمَّه . الحديث .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠]

١١ ـ لَمّا نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد ابن العاصي على نجيب له فأشرف على النّاس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكّأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها : أين تريدين يا أُمَّ المؤمنين ؟ قالت : أُريد البصرة . قال : وما تصنعين بالبصرة ؟ قالت : أطلب بدم عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معكِ ، ثمَّ أقبل على مروان فقال له : أين تريد أيضاً ؟ قال : البصرة . قال : وما تصنع بها ؟ قال : أطلب قتلة عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، إنَّ هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلمّا غلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة .

ثمَّ قال المغيرة بن شعبة : أيُّها النّاس إن كنتم إنَّما خرجتم مع أُمِّكم ؟ فارجعوا بها خيراً لكم ، وإن كنتم غضبتم لعثمان ؟ فرؤساؤكم قتلوا عثمان ، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً ، فبيِّنوا ما نقمتم عليه ، أنشدكم الله ، فتنتين في عام

واحد ؟ فأبوا إلّا أن يمضوا بالنّاس .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٥]

١٢ ـ لمّا نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف : نعذر إليهما برجلين . فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدّؤلي فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا : يا طلحة ! فأجابهما فتكلّم أبو الأسود الدّؤلي فقال : يا محمّد ! إنّكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله ، وبايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته ، فلم نغضب لعثمان إذ قُتل ، ولم نغضب لعليّ إذ بويع ، ثمَّ بدا لكم فأردتم خلع عليّ ونحن على الأمر الأوّل ، فعليكم المخرج ممّا دخلتم فيه . ثمَّ تكلّم عمران فقال : يا طلحة ! إنَّكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ، ثمَّ بايعتم عليّاً وبايعنا مَن بايعتم ، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا ؟ وإن كان خطأ ، فحظّكم منه الأوفر ، ونصيبكم منه الأوفى ، فقال طلحة : يا هذان إنَّ صاحبكما لا يرى أنَّ معه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه ، وأيم الله ليسفكنَّ دمه . فقال أبو الأسود : يا عمران ! أمّا هذا فقد صرَّح أنَّه إنّما غضب للملك . ثمَّ أتيا الزبير فقالا : يا أبا عبدالله ! إنّا أتينا طلحة . قال الزبير : إنَّ طلحة وإيّاي كروح في جسدين ، وإنَّه والله يا هذان ! قد كانت منّا في عثمان فلتات إحتجنا فيها إلى المعاذير ، ولواستقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه الحديث .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٦]

١٣ ـ من خطبة لعمّار بن ياسر خطبها بالكوفة فقال: يا أهل الكوفة ! إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أُمورنا ، إنَّ قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك ، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجّيهم فيه ، أحيا الله من أحيا ، وأمات مَن أمات ، وإنَّ طلحة والزبير كانا أوَّل من طعن وآخر من أمر ، وكانا أوَّل من بايع عليّاً ، فلمّا أخطأهما ما أمّلاه نكثا بيعتهما من غير حدَث . الحديث .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٩]

١٤ ـ روى البلاذري عن المدائني قال : ولّى عبدالملك علقمة بن صفوان بن المحرِّث مكّة فشتم طلحة والزبير على المنبر فلمّا نزل قال لأبان بن عثمان : أرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : لا والله ، ولكن سؤتني ، بحسبي بليَّة أن تكون شركاً في دمه .

[الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٢٠]

١٥ ـ أخرج أبو الحسن عليُّ بن محمَّد المدائني من طريق عبدالله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين منها قوله : بايعني هذان الرجلان في أوَّل مَن بايع ، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرِّقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم ، اللّهمَّ فخذهما بما عملا أخذةً واحدةً رابية ، ولا تنعش لهما صرعة ، ولا تقل لهما عثرة ، ولا تمهلهما فواقا ، فإنَّهما يطلبان حقّاً تركاه ، ودماً سفكاه ، اللّهمَّ إنِّي أقتضيك وعدك فإنّك قلت وقولك الحقّ لمن بُغي عليه لينصرنَّه الله ، اللهمّ فانجز لي موعدك ، ولا تكلني إلى نفسي إنَّك على كلِّ شيء قدير .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢]

١٦ ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ : فما بال طلحة والزبير ؟ وليسا من هذا الأمر بسبيل ، لم يصبرا عليَّ حولاً ولا أشهراً حتّى وثبا ومَرقا ، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أُمّاً قد فطمت ، ويحييان بدعةً قد أُميتت ، أدم عثمان زعما ؟ والله ما التبعة إلاّ عندهم وفيهم ، وإنَّ أعظم حجَّتهم لعلى أنفسهم ، وأنا راضٍ بحجَّة الله عليهم وعلمه فيهم . الحديث .

١٧ ـ من كلمة لمالك الأشتر : لعمري يا أمير المؤمنين ! ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيِّل ، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثتَ ولا جور صنعتَ ، زعما أنَّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فإنَّهما أوَّل من ألَّب عليه وأغرى الناس بدمه ، وأُشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا

منه لنلحقنّهما بعثمان فإنّ سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٣]

قال الأميني : انّ الأخذ بمجامع هذه الأخبار البالغة خمسين حديثاً يعطينا درساً ضافياً بأنَّ الرجلين هما أساس النهضة في قصّة عثمان ، وهما اللذان أسعرا عليه الفتنة ، وأنّهما لم يريا حرجاً في إراقة دمه ، وقد استباحا عندئذٍ ما يحرم ارتكابه في المسلمين إلاّ أن يكون مهدور الدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك ، فلم يتركاه حتى أوديا به ، وكان لطلحة هنالك مواقف مشهودة ، فمنع عنه الماء الذي هو شرعٌ سواءٌ بين المسلمين ، وانّه لم يردَّ على عثمان لَمّا سلّم عليه ومن الواجب ردُّ السّلام على كلِّ مسلم ، وقد منع عن دفنه ثلاثاً في مقابر المسلمين ، وقد أوجبت الشريعة الإسلاميّة المبادرة إلى دفن المسلم ، وقد أمر برمي الجنازة ورمي من يتولّى تجهيزها بالحجارة والمسلم حرمته ميتاً كحرمته حيّاً ، فلم يرض طلحة بالأخير إلاّ دفنه في مقبرة اليهود «حشّ كوكب» وهل لهذه الأعمال وجهٌ بعد حفظ كرامة صحبتهما ؟ والقول بعدالة الصحابة كلّهم ؟ وقبول ما ورد في الرجلين انّهما من العشرة المبشّرة ،إلاّ أن يُقال : إنّهما كانا يريان القتيل خارجاً عن حوزة المسلمين ، وإلاّ لردعتهما الصحبة والعدالة والبشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أيّ من ساقة المسلمين فضلاً عن خليفتهم .

ونحن في هذا المقام نقف موقف المتحايد ، ولسنا ها هنا إلاّ في صدد بيان آراء الصحابة الأوَّلين في عثمان ، وما أفضناه من رأيهما كان معروفاً عنهما في وقتهما ، ولم يزل كذلك في الأجيال المتأخِّرة عنهما حتّى العصر الحاضر ، إن كانت الآراء تُؤخذ من المصادر الوثيقة ، وكانت حرَّة غير مشوبة بحكم العاطفة ، نزهة عن الميول والشهوات .

وأمّا ما أظهراه من التوبة بعد أن نكثا البيعة الصحيحة المشروعة فقد قدَّمنا وجهها في ص ١٢٧ في طلحة ويشاركه في ذلك الزبير أيضاً ، فقد قفّيا الحوبة بالحوبة لا بالتوبة حسبا (إن كانا يصدقان) أنها تمحو السيّئة ، بل الحوبة الأخيرة

أعظم عند الله، فقد أراقا بها من الصفّين في واقعة الجمل دماءً تعدُّ بالآلاف بريئة من دم عثمان .

وهتكا حرمة رسول الله بإخراج حشيَّة من حشاياه من خدرها ، وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم نساءه عن ذلك ، وأوقفاها في محتشد العساكر وجبهة القتال الدامي ، وقصدا قتل إمام الوقت المفترض طاعته الواجب حفظه ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والله من ورائهم محيط .

٧ ـ حديث عبدالله بن مسعود الصحابيّ البدريّ العظيم :

مرَّ في هذا الجزء ص ١٩-٢٢ شطراً من أحاديثه المعربة عن رأيه السديد في عثمان وعمّا كان حاملاً بين جنبيه من الموجدة عليه ، وانَّه كان من الناقمين عليه يعيبه ويقدح فيه ، أفسد عليه العراق بذكر محدثاته ، وأخذه عثمان بذلك أخذاً شديداً وحبسه وهجره ومنعه عطاءه سنين وأمر به وأُخرج من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً ، وضُرب به الأرض فدقَّ ضلعه وضربه أربعين سوطاً .

وكان ابن مسعود على اعتقاده السيِّء في الرجل مغاضباً له حتّى لفظ نفسه الأخير وأوصى أن لا يصلّي عليه ، وفي الفتنة الكبرى ص ١٧١ : روي أنَّ ابن مسعود كان يستحلُّ دم عثمان أيّام كان في الكوفة ، وهو كان يخطب الناس فيقول : إنَّ شرَّ الامور محدثاتها ، وكلّ محدث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار[١] يعرض في ذلك بعثمان وعامله الوليد . اهـ .

هذا رأي ذلك الصحابيِّ العظيم في الرَّجل ، فبأيّ تمحُّل يتأتّى للباحث تقديس عثمان بعدما يستحلُّ دمه أو يشدِّد النكير عليه ويراه صاحب محدثات وبدع مثل إبن مسعود أشبه النّاس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمَّد نبيِّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم ؟

٨ ـ حديث عمار بن ياسر البدريِّ العظيم الممدوح بالكتاب والسنّة :

١ ـ من خطبة لعمّار خطبها يوم صفِّين قال :

(١) راجع ص ١٩ من هذا الجزء .

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنَّهم يطلبون بدم ظالم ، إنَّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو دَرَس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لإحداثه ، فقالوا : إنَّه لم يُحدث شيئاً ، وذلك لأنّه مكّنهم من الدُنيا فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يبالون لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنّهم يطلبون بدم ، ولكن القوم ذاقوا الدُنيا فاستحلوها واستمرأوها وعلموا : أنَّ صاحب الحقِّ لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها ، إنَّ القوم لم يكن لهم سابقةٌ في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتل إمامنا مظلوماً ليكونوا جبابرة وملوكاً ، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ . الخ .

وفي لفظ نصر بن مزاحم في كتاب صفِّين : امضوا (معي) عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله ، إنَّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان . إلخ . وله لفظٌ آخر يأتي بُعيد هذا .

وفي لفظ الطبري في تاريخه : أيُّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم إبن عفّان ويزعمون أنَّه قتل مظلوماً . إلخ .

راجع كتاب صفِّين لابن مزاحم ط مصر ص ٣٦١ ، ٣٦٩ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣ ، شرح إبن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٦ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٨١ .

٢ - خطب معاوية يوم وفد إليه وفدٌ[١] بعثه إليه أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال :

أمّا بعد فإنَّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إنَّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ، وصاحبكم يزعم أنَّه لم يقتله ، فنحن لا نردُّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنَّهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثمَّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

(١) كان فيه : عديّ بن حاتم ، يزيد بن قيس ، شبث بن ربعي ، زياد بن حفصة .

فقال له شبث بن ربعي : أيسرُّك يا معاوية ! أنَّك أُمكنت من عمَّار تقتله ؟ وفي لفظ ابن كثير : لو تمكّنت من عمّار أكُنت قاتله بعثمان ؟ فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أُمكنت[1] من إبن سميَّة ما قتلته بعثمان رضي الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان .

فقال شبث : وإلّه الأرض وإلّه السّماء ما عدلت معتدلاً . لا والذي لا إلّه إلّا هو ، لا تصل إلى عمَّار حتّى تندر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاءُ عليك برحبها . إلخ .

كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ٢٢٣ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٧ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥٨ .

٣ ـ أرسل أمير المؤمنين إبنه الحسن وعمّار بن ياسر إلى الكوفة فلمّا قدماها كان أوَّل مَن أتاهما مسروق بن الأجدع فسلَّم عليهما وأقبل على عمَّار فقال : يا أبا اليقظان ! علام قتلتم عثمان رضي الله عنه ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا[2] . فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين .

فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمَّه إليه وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! أعدوت[3] فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجّار ؟ قال : لم أفعل ولم يسؤني ، فقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال : يا أبا موسى ! لِمَ تُثبِّط الناس عنّا ؟ فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقت بأبي أنت وأُمّي ، ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّها ستكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب ، وقد جعلنا الله عزَّ وجلَّ إخواناً وحرَّم

---

(١) في لفظ ابن مزاحم : لو امكنني صاحبكم من ابن سمية .
(٢) أبشار جمع البشرة : أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان .
(٣) شرح ابن أبي الحديد : غدوت فيما غدا .

علينا أموالنا ودماءنا وقال : ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله بكم رحيماً﴾ . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ومَن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم﴾ . الآية . فغضب عمّار وساءه وقام وقال : يا أيُّها الناس إنَّما قال رسول الله له خاصَّة : أنت فيها قاعداً خيرٌ منك قائماً . وقام رجلٌ مِن بني تميم فقال لعمّار : أُسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان . الحديث[١] .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٨٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٧ .

٤ ـ قال الباقلاني في التمهيد ص ٢٢٠ : روي أنَّ عمّاراً كان يقول : عثمان كافرٌ . وكان يقول بعد قتله : قتلنا عثمان يوم قتلناه كافراً . وهذا سرفٌ عظيمٌ من خرج إلى ما هو دونه استحقَّ الأدب من الإمام . فلعلَّ عثمان انتهره وأدَّبه لكثرة قوله : قد خلعت عثمان وأنا بريءٌ منه ، فأدّى الأدب إلى فتق أمعائه ، ولو أُدّى الأدب إلى تلف النفس لم يكن بذلك مأثوماً ولا مستحقّاً للخلع ، فإمّا أن يكون ضربه باطلاً وإمّا أن يكون صحيحاً فيكون ردعاً وتأديباً ونهياً عن الإغراق والسرف ، وذلك صوابٌ من فعل عثمان وهفوةٌ من عمّار .

قال الأميني : هذه التمحّلات تضادُّ ما صحَّ وثبت عن النبيِّ الأقدس في عمّار ، ونحن لا يسعنا تكذيب النبيِّ الصادق الأمين تحفّظاً على كرامة أيِّ ابن أُنثى فضلاً عن أن يكون من أبناء الشجرة الملعونة في القرآن .

٥ ـ روى أبو مخنف عن موسى بن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال : أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذي قار حتّى نزلنا القادسيَّة فنزل الحسن وعمَّار ونزلنا معهما ، فاحتبى عمَّار بحمائل سيفه ، ثمَّ جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ، ثمَّ سمعته يقول : ما تركت في نفسي حزَّة أهمّ إليَّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمَّ أحرقناه بالنار .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٢]

---

(١) في هذا الحديث أشياء موضوعة حذف بعضها ابن الأثير في الكامل وزاد فيه أيضاً ، وهو من مكاتبات السري وكلها باطل فيها دجل .

٦ ـ جاء في محاورة وقعت بين عمَّار بن ياسر وعمرو بن العاص فيما أخرجه نصر في كتابه : قال له عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كلّ سوء . قال عمرو : فعليٌّ قتله ، قال عمّار : بل الله ربّ عليّ قتله وعليٌّ معه . قال عمرو : أكنت فيمن قتله ؟ قال : كنت معَ من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم . قال عمرو : فلِمَ قتلتموه ؟ قال عمّار : أراد أن يغيِّر ديننا فقتلناه ! فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل عثمان . قال عمّار : وقد قالها فرعون قبلك لقومه : ألا تسمعون ؟ . الحديث .

كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ٣٨٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٣ :

٧ ـ إنَّ عمّار بن ياسر نادى يوم صفين[1] : أين من يبغي رضوان ربِّه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد ؟ قال : فأتته عصابةٌ من الناس فقال : أيُّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنَّه قُتل مظلوماً ، والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله .

[كتاب صفّين : ص ٣٦٩]

وفي الفتنة الكبرى ص ١٧١ : فقد روي أنَّ عمّار بن ياسر كان يكفِّر عثمان ويستحلُّ دمه ويسمِّيه : «نعثل» .

قال الأميني : هذا الصحابيُّ البطل الذي عرفته في صفحة ٣٨ ـ ٤٦ من هذا الجزء عمّار بن ياسر المعنيّ في عدَّة آيات كريمة من الذكر الحكيم ، ومصبُّ الثناء البالغ المتكرّر المستفيض من صاحب الرسالة ، من ذلك : أنَّه مُلىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، وأنَّه مع الحقِّ والحقُّ معه يدور معه أينما دار ، وأنَّه ما عُرض عليه أمران إلَّا أخذ بالأرشد منهما ، وأنه من نفر تشتاق إليهم الجنَّة ، وانّه جلدة بين عينيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وانَّه تقتله الفئة الباغية ، فمعتقد هذا الرجل العظيم وهو متلفِّعٌ بهاتيك الفضائل كلّها في الخليفة ما تراه يكرّره من أنَّه كان ظالماً لنفسه ، حاكماً بغير ما أنزل الله ، مُريداً تغيير دين الله تغييراً أباح لهم قتله ، وأنَّه قتله الصالحون ،

---

(١) في شرح ابن أبي الحديدج ٢ ص ٢٦٩ : ناداه في صفين قبل مقتله بيوم ، أو يومين .

المنكـرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، إلى ما لهذه من عقائد تركتـه جازمـاً بما نطق به ، مصرّاً على ما ارتكبه ، معترفاً بأنّه كان مع المجهزين عليه ، متأسّفـاً على ما فاته من نبش قبره وإحراقه بالنار ، فلم يبرح كذلك حتى أخذ يقاتل الطالبين بثاره مع قاتليه وخاذليه ، مذعناً بأنَّ الثائرين لـه مبطلون يجب قتـالهم فلم يفتأ على هـذا المعتقد حتى قتلته الفئة الباغية . أصحاب معاوية ، وقاتله وسالبه وباغضـه في النار نصّاً من النبيِّ المختار صلى الله عليه وآله وسلم .

٩ ـ حديث المقداد بن الأسود الكندي فارس يوم بدر :

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٤٠ في بيعته عثمان واستخلافه : مال قومٌ مع عليٍّ بـن أبي طالب ، وتحـاملوا في القول على عثمـان ، فروى بعضهـم قـال : دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف تلهّف من كأنَّ الـدنيا كـانت له فسلبهـا وهو يقـول : واعجبـاً لقـريش ودفعهم هـذا الأمـر على أهـل بيت نبيِّهم ، وفيهم أوَّل المؤمنين ، وابن عمّ رسـول الله ، أعلم النـاس وأفقههم في دين الله ، وأعـظمهم عـنـاءً في الإسـلام ، وأبصـرهم بـالـطريق ، وأهـداهم للصـراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الظاهر النقيّ ، وما أرادوا إصلاحـاً للأُمَّة ، ولا صواباً في المذهب ، ولكنَّهم آثروا الدنيا على الآخـرة ، فبعداً وسحقـاً للقوم الظالمين .

فـدنوت منـه فقلت : مَن أنت يرحمـك الله ومَن هـذا الـرجـل ؟ فقـال : أنـا المقداد بن عمرو وهذا الرجل عليُّ بن أبي طالب ، قال فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر فأُعينـك عليه ؟ فقـال : يابن أخي ! إنَّ هـذا الأمر لا يُجـزي فيه الـرجـل ولا الرجلان ، ثمَّ خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك ، فقال : صدق أخي المقداد ، ثمَّ أتيت عبدالله بن مسعود فذكرت ذلك له ، فقال : لقد أخبرنا فلم نأل .

وذكـر ابن عبد ربِّـه في العقد ج ٢ ص ٢٦٠ في حـديث بيعة عثمـان : فقال عمّار بن ياسر (لعبد الـرَّحمٰن) : إن أردت أن لا يختلف المسلمون ، فبـايع عليّـاً ، فقال المقداد بن الأسـود : صدق عمّـار إن بايعت عليّاً قلنـا : سمعنا وأطعنـا . قال ابن أبي سـرح : إن أردت أن لا تختلف قريش ، فبـايع عثمـان ، إن بايعت عثمـان

سمعنا وأطعنا . فشتم عمّار إبن أبي سرح وقال : متى كنت تنصح المسلمين ؟ فتكلَّم بنو هاشم وبنو أميَّة فقال عمّار : أيُّها الناس إنَّ الله أكرمنا بنبيِّنا وأعزَّنا بدينه ، فأنَّى تُصرفون هذا الأمر عن بيت نبيِّكم ؟ فقال له رجلٌ من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يابن سميّة ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ؟ فقال سعد بن أبي وقاص : أفزع قبل أن يفتتن الناس ، فلا تجعلنَّ أيُّها الرهط على أنفسكم سبيلاً . ودعا عليّاً فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنَّة نبيِّه وسيرة الخليفتين من بعده ، قال : أعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ثمَّ دعا عثمان فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنَّة نبيِّه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال : نعم . فبايعه فقال عليٌّ حبوته محاباة ليس ذا بأوَّل يوم تظاهرتم فيه علينا ، أما والله ما ولّيت عثمان إلاّ ليردّ الأمر إليك ، والله كلّ يوم هو في شأن . فقال عبدالرَّحمٰن : يا عليّ لا تجعل على نفسك سبيلاً فإنِّي قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحداً ، فخرج عليٌّ وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله ، قال المقداد : أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحقِّ وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد ! والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال : لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . ثمَّ قال المقداد : ما رأيت مثل ما اوتي أهل هذا البيت بعد نبيِّهم ، ولا أقضى منهم بالعدل ، ولا أعرف بالحقِّ ، أما والله لو أجد أعواناً قال له عبدالرَّحمٰن : يا مقداد ! إتّق الله فإنِّي أخشى عليك الفتنة . وأخرج الطبري نحوه في تاريخه ج ٥ ص ٣٧ ، وذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٦٥ .

وفي لفظ المسعودي في المروج ج ١ ص ٤٤٠ : فقام عمّار في المسجد فقال : يا معشر قريش ! أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيِّكم ههنا مرَّة وههنا مرة فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ، وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما اوذي به أهل هذا البيت بعد نبيِّهم . فقال له عبدالرَّحمٰن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟ فقال : إنِّي والله لأحبّهم بحبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنَّ الحقَّ معهم وفيهم يا عبدالرحمٰن ! أعجب من قريش ـ وأنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت ـ قد

اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم ، أما وأيم الله يا عبدالرَّحمٰن ! لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إيّاهم مع رسول الله ﷺ يوم بدر . وجرى بينهم من الكلام خطبٌ طويل قد أتينا ذكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار .

ومرَّ في هذا الجزء ص ٣٥ : انَّ المقداد أحد الجمع الذين كتبوا كتاباً عدَّدوا فيه أحداث عثمان وخوَّفوه ربَّه وأعلموه أنَّهم مواثبوه إن لم يُقلع . راجع حديث البلاذري المذكور .

قال الأميني : لعلّك تعرف المقداد ومبلغه من العظمة ، ومبوَّأه من الدين ، ومثواه من الفضيلة ، قال أبو عمر : كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار . هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلّها ، أوَّل من حارب فارساً في الإسلام . كان فارساً يوم بدر ، ولم يثبت أنَّه كان فيها على فرس غيره ، وهو عند القوم أحد السبعة الذين أظهروا الإسلام ، وأحد النجباء الأربعة عشر وزراء رسول الله ورفقائه[(١)] سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوّاباً كما في حديث أخرجه أبو عمر في «الإستيعاب» .

وأنّى يسع للباحث أن يستكنه ما لهذا الصحابيِّ العظيم من الفضائل أو يدرك شأوه وبين يديه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء عليه : إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة ، وأخبرني أنَّه يحبّهم : عليٌّ . والمقداد . وأبو ذر . وسلمان[(٢)] ؟ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ الجنَّة تشتاق إلى أربعة : عليٌّ . وعمّار . وسلمان . والمقداد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٢ .

فهذا الرجل الدينيُّ الذي يحبّه الله ويأمر نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بحبِّه كان ناقماً على الخليفة واجداً على خلافته من أوَّل يومه ، متلهِّفاً على استخلافه تلهُّف من كأنَّ الدنيا كانت له فسلبها ، وكان يُثبِّط الناس ويُخذِّلهم عنه ، ويرى إمرته إمراً من الأمر

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٨٩ ، أُسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٢٩٠ ، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠ ، وابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٤٥٥ .

وإدّا ، يعتقدها ظلماً على أهل بيت العصمة ، ويستنجد أعواناً يقاتل بهم مستخلفيه كقتاله إيّاهم يوم بدر ، هذا رأيه في عثمان من يوم الشورى قبل بوائقه ، فكيف بعدما شاهد منه من هنات وهنات .

١٠ ـ حديث حجر بن عدي الكوفي ، سلام الله عليه ،وعلى أصحابه :

إنَّ معاوية بن أبي سفيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد : فإنَّ لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ، وقد قال المتلمس [١] :

لـذي الحِلم قبل اليـوم ما تُقـرع العصا   ومـا عُـلّم الإنـسـان إلاّ لـيـعـلـمـا

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم ،وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ، ويسعد سلطاني ، ويصلح به رعيّتي ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة : لا تتحمَّ عن شتم عليّ وذمّه ، والترحم على عثمان والإستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الإستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والإستماع منهم . فقال المغيرة : قد جرَّبت وجُرِّبت وعملت قبلك لغيرك فلم يُذمم بي دفعٌ ولا رفعٌ ولا وضعٌ ، فستبلو فتحمد أو تذمّ ثمَّ قال : بل نحمد إن شاء الله .

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً لا يدع ذمّ عليّ والوقوع فيه ، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار له والتذكية لأصحابه ، فكان حُجر بن عدي إذا سمع ذلك قال : بل إيّاكم فذمّم الله ولعن . ثمَّ قام فقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿**كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله**﴾ ، وأنا أشهد أنَّ من تذمّون وتعيرون لأحقُّ بالفضل ، وأنَّ من تزكّون وتُطرون أولى بالذمِّ . فيقول له المغيرة : يا حجر ! لقد رُمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك ،

---

(١) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة ، توجد ترجمته في (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ص ٥٢ ، وفي (المؤتلف والمختلف) ص ٧١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ .

يا حجر ! ويحك إتّق السلطان ، إتّق غضبه وسطوته ، فإنّ غضبة السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً ، ثمّ يكفّ عنه ويصفح ، فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول وكانت مقالته : اللهمّ إرحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فإنّه عمل بكتابك واتّبع سنّة نبيِّك ﷺ وجمع كلمتنا وحقن دماءَنا وقُتل مظلوماً ، اللهمّ فارحم أنصاره وأولياءه ومحبِّيه والطالبين بدمه . ويدعو على قتلته فقام حجر بن عدي فنعر نعرةً بالمغيرة سمعها كلّ مَن كان في المسجد وخارجاً منه وقال : إنّك لا تدري بمن تولّع من هرمك أيُّها الإنسان ! مر لنا بأرزاقنا وأُعطياتنا فإنّك قد حبستها عنّا وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك ، وقد أصبحت بذمِّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق والله حجر وبرَّ ، مُر لنا بأرزاقنا وأُعطياتنا ، فإنّا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدي علينا شيئاً وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه .

إلى أن هلك المغيرة سنة ٥١ فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثمّ صعد المنبر فخطب ثمّ ذكر عثمان وأصحابه فقرَّظهم وذكر قتلته ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة .

قال محمَّد بن سيرين : خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخَّر الصَّلاة فقال له حجر بن عدي : الصَّلاة . فمضى في خطبته ثمّ قال : الصّلاة فمضى في خطبته ، فلمّا خشي حجر فوت الصَّلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصا وثار إلى الصَّلاة وثار الناس معه ، فلمّا رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالناس ، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثَّر عليه فكتب إليه معاوية : أن شدَّه في الحديد ثمّ احمله إليَّ . فلمَّا أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه فقال : لا ، ولكن سمعٌ وطاعةٌ . فشُدَّ في الحديد ثمّ حُمل إلى معاوية . ساروا به وبأصحابه وهم :

١ ـ الأرقم بن عبدالله الكندي من بني الأرقم .

٢ ـ شريك بن شدّاد الحضرمي .

٣ ـ صيفي بن فسيل الشيباني .

٤ ـ قبيصة بن ضُبيعة بن حرملة العبسي .

٥ ـ كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر ثمَّ من قحافة .

٦ ـ عاصم بن عوف البجلي .

٧ ـ ورقاء بن سميٍّ البجلي .

٨ ـ كدام بن حيّان العنزي .

٩ ـ عبدالرَّحمٰن بن حسَّان العنزي .

١٠ ـ مُحرز بن شهاب التميمي من بني منقر .

١١ ـ عبدالله بن حوية السعدي من بني تميم .

وأتبعهم زياد برجلين وهما : عتبة بن الأخنس السعدي ، وسعيد بن نمران الهمداني ، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء (بينها وبين دمشق إثنا عشر ميلاً) فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإنَّ أمير المؤمنين يزعم أنَّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنّه قد عفى عن ذلك ، فابرأُوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم قالوا : اللّهمَّ إنّا لسنا فاعلي ذلك . فأمر بقبورهم فحفرت وأُدنيت أكفانهم ، وقاموا الليل كلّه يُصَلّون فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ! لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصَّلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أوَّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقِّ . فقال أصحاب معاوية : أمير المؤمنين كان أعلم بكم . ثمَّ قاموا إليهم فقالوا : تبرأُون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاّه ونتبرَّأ ممَّن تبرَّأ منه . فأخذ كلٌّ رجل منهم رجلاً ليقتله وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتّى قتلوا ستّة وهم .

١ ـ حُجر ٢ ـ شريك ٣ ـ صيفي ٤ ـ قبيصة ٥ ـ محرز ٦ ـ كدام .

أخذنا من القصّة ما يهمّنا ذكره راجع الأغاني لأبي الفرج ج ١٦ ص ٢ - ١١ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٤١ - ١٦٠ ، تايخ إبن عساكر ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٨١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٢ - ٢١٠ ، تاريخ إبن كثير ج ٨ ص ٤٩ - ٥٥ .

قال الأميني : هذه نظريَّة الصحابيّ العظيم حجر وأصحابه العظماء الصلحاء الأخيار في عثمان فكانوا يرونه أوَّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقِّ ، وكان حجر يراه من المجرمين فيما جابه به المغيرة بالكوفة ، وقد بلغ هو وزملاؤه الأبرار من ذلك حدّاً إستساغوا القتل دون ما يرونه ، وأبوا أن يتحوَّلوا عن عقائدهم ، وبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، فاستمرأوا جُرع الموت في سبيلها زُعافاً مُمقراً .

١١ ـ حديث عبدالرحمٰن بن حسّان العنزي الكوفي :

لمَّا قُتل حجر بن عدي سلام الله عليه وخمسة من أصحابه رضوان الله عليهم قال عبدالرَّحمٰن بن حسّان وكريم بن عفيف الخثعمي (وكانا من أصحاب حُجر) : إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه فبعث : إئتوني بهما فالتفتا إلى حجر فقال له العنزي : لا تبعد يا حجر ! ولا يبعد مثواك فنعم أخو الإسلام كنتَ . وقال الخثعمي نحو ذلك . ثمَّ مضى بهما فالتفت العنزي فقال متمثّلاً :

كفى بشفاة القبر بُعداً لهالك وبالموت قطّاعاً لحبل القرائن

فلمّا دخل عليه الخثعمي قال له : الله الله يا معاوية ! إنَّك منقولٌ من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤولٌ عمَّ أردت بقتلنا وفيم سفكت دماءنا ، فقال : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، أتتبرّأ من دين عليّ الذي كان يدين الله به ؟ وقام شمر بن عبدالله الخثعمي فاستوهبه ، فقال : هو لك غير أنِّي حابسه شهراً فحبسه ثمَّ أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان ، فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبدالرَّحمٰن بن حسَّان فقال له : يا أخا ربيعة ! ما تقول في

عليّ ؟ قال : أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحقّ قال : قتلت نفسك . قال : بل إيّاك قتلت لا ربيعة بالوادي (يعني أنّه ليس ثمَّ أحدٌ من قومه فيتكلّم فيه) فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه : إنَّ هذا شرُّ مَن بعثت به ، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها ، واقتله شرَّ قتلة . فلمّا قدم به على زياد بعث به إلى قيس الناطف فدفنه حيّاً .

الأغاني لأبي الفرج ج ١٦ ص ١٠ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٧٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٩ .

قال الأميني : أُنظر إلى تصلّب الرجل الدينيّ في معتقده في حقّ الرجلين : عليّ أمير المؤمنين ، وعثمان ، وكيف بلغ من ذلك حدّاً استباح فيه أن يُراق دمه دون أن يعدل عمّا عقد عليه ضميره ، وأخبتت إليه نفسه ، وكان يرى من واجبه الإشادة بما ذكر وإن أُريق عليه دمه الطاهر ، وأُسبلت نفسه الزكيّة .

١٢ ـ حديث هاشم المرقال :

خرج يوم صفّين (من عسكر معاوية) فتىً شابّ وهو يقول :

أنا ابن أرباب الملوك غسّانْ   والدائن اليوم بدين عثمانْ
أنبأنا أقوامنا بما كانْ   إنَّ علياً قَتَل ابن عفانْ

ثمَّ شدَّ فلا ينثني يضرب بسيفه ، ثمَّ جعل يلعن عليّاً ويشتمه ويُسهب في ذمّه ، فقال له هاشم بن عتبة : إنَّ هذا الكلام بعده الخصام ، وإنَّ هذا القتال بعده الحساب فاتّق الله فإنّك راجعٌ إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به ، قال : فإنّي أُقاتلكم لأنَّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي ، وانّكم لا تُصلّون ، وأُقاتلكم لأنَّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ؟ إنّما قتله أصحاب محمَّد وقرّاء الناس حين أحدثَ أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمَّد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين ، وما أظنُّ أنَّ أمر هذه الامَّة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قطُّ . قال الفتى : أجل أجل والله لا أكذب فإنَّ الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين ولا يزين . فقال له هاشم : إنَّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم

بـه . قال : أظنّـك والله قد نصحتني . وقـال له هـاشم : وأمّا قـولـك : إنَّ صـاحبنـا لا يصلّي . فهـو أوّل مَن صلّى مع رسـول الله ، وأفقهه في دين الله ، وأولاه بـرسـول الله ، وأمّا من ترى معه فكلّهم قارىء الكتاب ، لا ينامون الليل تهجّداً ، فلا يغـررك عن دينك الأشقياء المغرورون. قال الفتى : يا عبدالله ! إنّي لأظنّك امرأ صالحاً، وأظنّني مخطئـاً آثماً ، أخبرني هـل تجد لي من تـوبة ؟ قـال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك فـإنّه يقبـل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات ويحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهّرين . الحديث[١] .

قال الأميني : هذا هاشم المرقال الصحابيُّ المقدَّس ، وبطل الدين العظيم ، وهذا رأيه في عثمان وهو يبوح به في مـوقف قتال حصـل من جرّاء قتله ، مبـرِّراً فيه عمـل المجهزين عليـه ، ويرى أنَّـه خالف حكم الكتـاب وأحـدث أحـداثـاً أبـاحت لأصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم قتله وأنَّ مَن قتله هم أهل الدين والقرآن .

١٣ ـ حـديث جهجـاه بن سعيـد الغفـاري ممَّن بـايـع تـحت الشجرة[٢] :

ورد من طـريق أبي حبيبة أنَّـه قال : خـطب عثمان النـاس فقام إليـه جهجـاه الغفاري ، فصاح : يا عثمان ! ألا إنَّ هذه شارفٌ قد جئنا بهـا عليها عبـاءة وجامعـة فانزل فلندرِّعك العباءة ولنطرحك في الجامعـة ولنحملك على الشارف ثمَّ نـطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبَّحك الله وقبّح ما جئت به . قال أبو حبيبة : ولم يكن ذلك منه إلّا عن ملأ من الناس ، وقـام إلى عثمان خيـرته وشيعتـه من بني أُميَّة فحملوه فأدخلوه الدار .

وجاء من طريق عبدالرَّحمٰن بن حاطب قال : أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبيِّ ﷺ التي كان عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال لـه جهجاه : قم يا نعثل ! فانزل عن هذا المنبر . وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت شظية منها فيها فبقي الجرح حتى أصابته الأُكلة فرأيتهـا تدود ، فنـزل عثمان وحملوه

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصـر ص ٤٠٢ ، تاريخ الطبـري ج ٦ ص ٢٣ ، شرح ابن أبي الحديدج ٢ ص ٢٧٨ ، الكامل لابن الاثيرج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) الإستيعاب . أسد الغابة. الإصابة .

وأمر بالعصا فشدّوها فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلاّ خرجةً أو خرجتين حتّى حُصر فقتل .

وفي لفظ البلاذري : خطب عثمان في بعض أيّامه فقال لـه جهجاه بن سعيد الغفاري : يا عثمان! إنزل نـدرِّعك عباءةً ونحملك على شارف من الإبـل إلى جبل الدخان كما سيَّرت خيار الناس ، فقال له عثمـان : قبَّحك الله وقبَّح ما جئت بـه . وكان جهجاه متغيِّظاً على عثمان ، فلمَّـا كان يـوم الدار دخـل عليه ومعـه عصاً كـان النبيُّ ﷺ يتخصَّر بها فكسرها على ركبته فوقعت فيها الأُكلة .

راجع الأنساب للبـلاذري ج ٥ ص ٤٧ ، تـاريـخ الـطبـري ج ٥ ص ١١٤ ، الإستيعـاب في ترجمـة جهجاه ، الكـامل لابن الأثيـر ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحـديد ج ١ ص ١٦٥ ، الـرياض النضـرة ج ٢ ص ١٢٣ ، تـاريـخ ابن كثيـر ج ٧ ص ١٧٥ ، الإصابة ج ١ ص ٢٥٣ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ .

قال الأميني : الجهجاه من أهـل بيعة الشجـرة الذين رضي الله عنهم ورضـوا عنه بنصِّ الذكر الحكيم وهو يستبيح خلع عثمان ونفيه وتشهيره ملفـوفاً بعبـاءة مكبّلاً بالحديد إلى جبل الدخان ، ولا يتحرَّج من هتكه وكسر مخصرته ، وإنَّما قال ما قاله وفعل ما فعل بمحضر من المهاجرين والأنصـار ، فلم يؤاخذه على ذلـك أحدٌ منهم ولا ردَّ عليه رادٌّ ، فكأنَّه كان يُخبر عن صميم أفئدتهم ، وأظهـر ما أضمـروه ، وجاء بما أحبّوه حتّى قضى ما كان مقتضياً .

إنَّ حـدوث الجرح في ركبـة جهجـاه لـولـوج شيء من كسـرات العصـا فيهـا المتحـوّل أُكلة إن صحَّ فمن ولائـد الإتفاق وليس بكـرامـة للقتيـل ، كمـا أنّ وقـوع عبدالله بن أبي ربيعة المخـزومي والي عثمان على اليمن من مـركبه ومـوته وقـد جاء لنصـرة عثمـان لم يكن نقمـةً ولا نكبـةً لـه . قـال أبـو عمـر وغيـره : جـاء عبـدالله المخزومي لينصره لَمّا حُصر فسقط عن راحلته بقرب مكّة فمات[١] .

وقـال البلاذري في الأنسـاب ج ٥ص٨٧ :أقبل عبدالله المخزومي وكـان عامله

---

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٥١ ، أُسد الغابة ج ٣ ص ١٥٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥ .

على مخاليف الجند لينصره فلمّا انتهى إلى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله .

١٤ - حديث سهل بن حنيف :

أبو ثابت الأنصاري (بدريٌّ) .

١٥ - رفاعة بن رافع بن مالك :

أبو معاذ الأنصاري (بدريٌّ) .

١٦ - الحجاج بن غزية الأنصاري :

قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٨ : قال أبو مخنف في روايته : إنَّ زيد بن ثابت الأنصاري قال : يا معشر الأنصار ! إنَّكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته . فأجابه قومٌ منهم فقال سهل بن حنيف : يا زيد ! أشبعك عثمان من عضدان المدينة - والعضيدة نخلة قصيرة يُنال حملها - فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودعوه حتّى يموت فما أقرب أجله . فقال الحجّاج بن غزيَّة الأنصاري أحد بني النجّار : والله لو لم يبق من عمره إلّا بين الظهر والعصر لتقرَّبنا إلى الله بدمه .

وجاء رفاعة بن مالك الأنصاري ثمَّ الزرقي بنار في حطب فأشعلها في أحد البابين فاحترق وسقط ، وفتح النّاس الباب الآخر واقتحموا الدار .

وفي لفظ للبلاذري ص ٩٠ : قال زيد للأنصار : إنَّكم نصرتم رسول الله ﷺ فكنتم أنصار الله فانصروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرَّتين . فقال الحجّاج بن غزيّة : والله إن تدري هذه البقرة الصيحاء ما تقول ، والله لو لم يبق من أجله إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقرَّبنا إلى الله بدمه .

وقال ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣١٣ :روى الحجّاج بن غزيَّة عن أصحاب السنن حديثاً صرَّح بسماعه فيه من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في الحجِّ قال ابن المديني : هو الذي ضرب مروان يوم الدار حتّى سقط[1] .

---

(١) سيوافيك حديث ضربه مروان .

قال الأميني : نظريَّة هؤلاء الثلاثة ليست بأقلّ صراحة من نظريّات إخوانهم المهاجرين والأنصار في استباحة دم الخليفة وإزالته عن منصَّة ملك الإسلام الديني .

١٧ ـ حديث أبي أيوب الأنصاري من السابقين من جلّة الصحابة البدريِّين :

قال في خطبة له : إنَّ أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ قد استمع من كانت لـه أُذنٌ واعية وقلبٌ حفيظ ، إنَّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقَّ قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابن عمِّ رسول الله ﷺ ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيِّدهم بعده ، يفقّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلّين ، فوالله لكأنّكم صمٌّ لا تسمعون ، وقلوبكم غلفٌ مطبوعٌ عليها فلا تستجيبون ، عباد الله ! أليس إنَّما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ وقد شمل العباد ، وشاع في الإسلام ، فذو حقّ محرومٌ مشتومٌ عرضه ، ومضروبٌ ظهره ، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلقىً بالعراء ، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحقِّ ، ونشر العدل ، وعمل بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولّوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا وهم لا يسمعون ، إشحذوا السيوف وجدّدوا آلة الحرب ، واستعدّوا للجهاد ، فإذا دُعيتم فأَجيبوا، وإذا أُمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصّادقين .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٢ في طبع وفي آخر ص ١٢٨ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٣٦ .

قال الأميني : هذا أبو أيّوب الأنصاري عظيم الصحابة الذي اختار الله داره منزلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنصار ، وحسبه ذلك شرفاً ، وهو من البدريِّين وشهد المغازي كلّها ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أخذ شيئاً من كريمته الشريفة بقوله : لا يصيبك السوء يا أبا أيّوب ! وهذا يعمُّ الأسواء الظاهرة من قتل بهوان وأسر وسجن في مذلّة وأمراض مخزية من جذام وبرص وغيرهما واختلال في العقل ، والأسواء المعنويَّة من تزحزح عن الإيمان وتضعضع في العقيدة ، وانحياز عن الدين ، فهو رضوان الله عليه مكلوءٌ عن هذه كلّها بتلك الدعوة المجابة ، وهو

مع فضله هذا يعدُّ عهد عثمان عهد جور وعدوان ، ويعدّد ما حدث هنالك من البوائق النازلة على صلحاء الامّة كأبي ذر وعمّار وابن مسعود وغيرهم ممّا مرَّ تفصيله ، ولو لم يكن إلاّ شهادة أبي أيّوب لكفت حجّة في كلِّ مهمَّة ، فكيف وقد صافقه على ما يقول سروات المهاجرين والأنصار ؟ .

١٨ ـ حديث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، سيِّد الخزرج «بدريٌّ» :

١ ـ من خطبة له خطبها بمصرفي أخذ البيعة لأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه قال : الحمدلله الذي جاء بالحقِّ وأمات الباطل ، وكبت الظالمين ، أيُّها النّاس إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمَّد نبيِّنا ﷺ فقوموا أيُّها النّاس فبايعوا على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ .

٢ ـ من كتاب لمعاوية إلى قيس بن سعد قبل وقعة صفِّين : أمّا بعد : فإنَّكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفّان رضي الله عنه في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها ، أو شتيمة رجل ، أو في تسييره آخر ، أو في استعماله الفُتي ، فإنَّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنَّ دمه لم يكن يحلّ لكم ، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً ، فتب إلى الله عزَّ وجلَّ يا قيس بن سعد ! فإنَّك كنت في المجلبين على عثمان بن عفّان رضي الله عنه إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً .

فأمّا صاحبك : فإنّا استيقنّا أنّه الذي أغرى به النّاس وحملهم على قتله حتّى قتلوه وإنَّه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممَّن يطلب بدم عثمان فافعل ، تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرتُ ما بقيتُ ، ولمن أحببت مِن أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلني غير هذا ممّا تحبّ فإنَّك لا تسألني شيئاً إلاّ أُوتيته ، واكتب إليَّ برأيك فيما كتبت به إليك . والسَّلام .

فكتب إليه قيس :

أمّا بعد : فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضي الله عنه وذلك أمرٌ لم أُقارفه ولم أطف به . وذكرت صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ودسَّهم إليه حتّى قتلوه ، وهذا لم أطَّلع عليه ، وذكرت عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأوّل النّاس كان فيه قياماً عشيرتي . الخ .

وفي لفظ : فلعمري إنَّ أولي الناس في أمره عشيرتي . فلعمري إنَّ أوّل النّاس كان فيه قياماً عشيرتي ولهم أُسوة .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٩ ، جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٢٤ .

٣ ـ تحاور قيس بن سعد والنعمان بن بشير بين الصفَّين بصفِّين فقال النعمان : يا قيس بن سعد ! أما أنصفكم مَن دعاكم إلى ما رضي لنفسه ؟ إنَّكم يا معشر الأنصار أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقتلكم أنصاره يوم الجمل ، وإقحامكم على أهل الشام بصفّين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً ، كان هذا بهذا ، ولكنّكم خذلتم حقّاً ، ونصرتم باطلاً ، ثمَّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس ، شعلتم الحرب ، ودعوتم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم غير أنكاس عن حربكم . الكلام .

فضحك قيس وقال : والله ما كنت أراك يا نعمان تجترىء على هذا المقام ، أمّا المنصف المُحقّ فلا ينصح أخاه مَن غشَّ نفسه ، وأنت والله الغاشُّ لنفسه ، المبطل فيما نصح غيره .

أمّا ذكر عثمان فإن كان الايجاز يكفيك ، فخذه . قتل عثمان مَن لستَ خيراً منه ، وخذله من هو خيرٌ منك ، وأمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأمّا معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار . وأمّا قولك : إنّا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله ، نلقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا ، حتّى جاء الحقُّ وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن أُنظر يا

نعمان ! هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجاً ؟ وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟ ثمَّ انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك[١] ؟ ولستما والله بدريّين ولا عقبيّين[٢] ولا لكما سابقةٌ في الإسلام ولا آية في القرآن .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٥١١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٤ ، وفي ط ٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٨ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٩٠ .

٤ ـ قدم المدينة قيس بن سعد فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به وكان حسان عثمانيّاً فقال له : نزعك عليُّ بن أبي طالب وقد قتلت عثمان ، فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر . فقال له قيس : يا أعمى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ، أُخرج عنّي . تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : إنَّ فتى الأنصار وأمير الخزرج وابن أميرها قيس بن سعد الذي تقدّمت فضائله وفواضله في الجزء الثاني ص ٦٩ ـ ١١٠/ط ٢ تراه يتبجّح في كتابه إلى معاوية بأنَّ عشيرته الأنصار كانوا أوَّل الناس قياماً في دم عثمان ، وفي خطبته يرى أنَّ الحقَّ المحيى مع مولانا أمير المؤمنين ، وانَّ الباطل الذي أُميت كان في العهد البائد بقتل عثمان ، وأنَّ المقتولين في واقعة الدار هم الظالمون ، واعطف على هذه كلّها محاورته مع النعمان بن بشير بصفّين ، فالكلُّ لهجةٌ واحدةٌ من رئيٍّ في الدين والدنيا واحد .

١٩ ـ حديث فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري (بدريٌّ) :

أخرج مالك في الموطأ حديثه في باب (العمل في القراءة) وسكت عن إسمه ولم يسمِّه ، بل ذكره بلقبه «البياضي» وقال ابن وضاح[٣] وابن مزين[٤] : إنّما

(١) يعني به عمرو بن العاص .

(٢) يعني ممن بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة .

(٣) أبو عبد الله محّمد بن الحسين بن علي بن الوضاح الأنباري المتوفى ٣٤٥ .

(٤) كذا في الإستيعاب، وأسد الغابة، وشرح الموطأ للزرقاني، وفي الإصابة: ابن سيرين .

سكت مالك عن إسمه ، لأنّه كان ممّن أعان على قتل عثمان .

وعقّبه أبو عمر في «الإستيعاب» فقال : هذا لا يُعرف ولا وجه لما قالاه في ذلك ولم يكن لقائل هذا علمٌ بما كان من الأنصار يوم الدار .

الإستيعاب ترجمة فروة ، أُسد الغابة ج ٤ ص ١٧٩ ، الإصابة ج ٣ ص ٢٠٤ ، شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٥٢ .

قال الأميني : الذي يشهد ببطلان ما قالاه أنَّ ما حسبوه جريمة من فروة إن كان مسقطاً لعدالته ، فالإخراج عنه باطلٌ سمّاه أو لم يسمِّه ، وإن كان غير مسقط لها ، فهو مشمولٌ لما عمَّ الصحابة عند القوم من الفضل والعدالة ، وإنَّ روايته حجَّة يُؤخذ بها ولا يضرُّه إذن إلغاء الإسم ، ثمَّ إن كانت هذه الجريمة ممّا يُؤاخذ به صاحبه ، فهي عامَّة للأنصار كلّهم كما أوعز إليه أبو عمر بقوله : لم يكن لقائل هذا علمٌ بما كان من الأنصار يوم الدار . فيجب إسقاط رواياتهم أو السكوت عن أسمائهم جمعاء . وبالجملة : إنَّ هذا الأنصاريَّ البدريَّ عُدَّ ممَّن أعان على قتل عثمان ، ولم يشذَّ في رأيه عن الأنصار أو عن بقيَّة الصحابة أجمع .

٢٠ ـ حديث محمد بن عمرو بن حزم أبي سليمان الأنصاري :

أحد المحامدة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمَّداً . قال أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمته : يقال : إنّه كان أشدَّ الناس على عثمان المحمَّدون : محمَّد بن أبي بكر . محمَّد بن أبي حذيفة . محمَّد بن عمرو بن حزم .

٢١ ـ حديث جابر بن عبدالله أبي عبدالله الأنصاريّ الصحابيّ العظيم وقوم آخرين من الصحابة :

لَمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وأتته ولاية مكّة والمدينة ، وكان عبدالملك حين بعثه لقتال عبدالله بن الزبير عقد له على مكّة ولكنَّه أحبَّ تجديد ولايته إيّاها ، فشخص الحجّاج إلى المدينة ، واستخلف على مكّة عبد الرحمٰن بن نافع بن عبدالحارث الخزاعي ، فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفَّ بهم وقال : إنَّهم قتلة

أمير المؤمنين عثمان ، وختم يد جابر بن عبدالله برصاص وأيدي قوم آخرين كما يُفعل بالذمَّة ، منهم : أنس بن مالك ختم عنقه ، وأرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت . قال : كذبت . ثمَّ أمر به فختم في عنقه برصاص .

أنساب البلاذري ج ٥ ص ٣٧٣ ، تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٩ .

قال الأميني : تُعطي هذه الرِّواية أنَّ مؤاخذة الحجّاج لبقيَّة الصحابة وفيهم جابر - صاحب الحلقة في مسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يُؤخذ منه العلم كما في الإصابة ج ١ ص ٢١٣ - كانت لتدخُّلهم في واقعة عثمان بمباشرة أو تخذيل عنه أو بتقاعد عن نصرته ، نحن لا نقول بوثاقة الرجل فيما يرويه كما لا نقول بسداده فيما يرتئيه ، غير أنَّ الحالة تشهد أنَّ تلكم النسبة كانت مشهورةً بين الملأ فاحتجَّ بها الحجّاج على ما ارتكبه من إهانتهم ولم يظهر من القوم أيُّ إنكار لما رُموا به درءاً لعادية الطاغية ، لكنَّهم صبروا على البلاء وشدَّة النازلة ثباتاً منهم على ما ارتكبوه في واقعة الدار .

٢٢ - حديث جبلة بن عمرو[1] بن ساعدة الساعدي الأنصاري (بدريٌّ) :

أخرج الطبري من طريق عثمان بن الشريد قال : مرَّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعةٌ فقال : يا نعثل ؟ والله لأقتلنَّك ولأحملنَّك على قلوص جرباء ولأُخرجنَّك إلى حرَّة النار ، ثمَّ جاءه مرَّة أُخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه .

وأخرج من طريق عامر بن سعد قال : كان أوَّل من أجرأ على عثمان بالمنطق السيِّء جبلة بن عمرو الساعدي ، مرَّ به عثمان وهو جالسٌ في نديٍّ قومه وفي يد جبلة بن عمرو جامعةٌ ، فلمّا مرَّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة : لِمَ تردُّون على رجل فعل كذا وكذا ؟ قال : ثمَّ أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحنَّ هذه الجامعة

---

(١) قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٧ : قال الكلبي : هو رخيلة بن ثعلبة البياضي ، بدري .

في عنقك أو لتتركنَّ بطانتك هذه . قال عثمان : أيّ بطانة ؟ فوالله إنّي لا أتخيّر الناس . فقال : مروان تخيّرته ، ومعاوية تخيّرته ، وعبدالله بن عامر بن كريز تخيّرته ، وعبدالله بن سعد تخيّرته ، منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله دمه[١] قال : فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ١٧٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

وأخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٧ الحديث الأوّل باللفظ المذكور فقال : ثمَّ أتاه وهو على المنبر فأنزله ، وكان أوّل من اجترأ على عثمان وتجهّمه بالمنطق الغليظ وأتاه يوماً بجامعة فقال : والله لأطرحنّها في عنقك ، أو لتتركنَّ بطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلتَ ، وفعلتَ ، وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجَلَب بحكمه ويبيعه بسومه ، ويجبي مقاعد المتسوِّقين ، ويصنع صنيعاً منكراً ، فكلّم في إخراج السوق من يده فلم يفعل ، وقيل لجبلة في أمر عثمان وسُئل الكفّ عنه فقال : والله لا ألقى الله غداً فأقول : إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل .

وأخرج ابن شبه في أخبار المدينة من طريق عبدالرَّحمٰن بن الأزهر : إنَّهم لمّا أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو فانطلقوا إلى حشِّ كوكب فدفنوه فيه[٢] .

قال الأميني : إنّك جِدُّ عليم بما في هذا الرجل المبجَّل - البدريّ الذي أثنى عليه أبو عمر في «الإستيعاب» بقوله : كان فاضلاً من فقهاء الصحابة . وهو أحد الصحابة العدول الذين يُحتجُّ بما رووه أو رأوه - من شدَّة على عثمان وثبات عليها ، حتّى انّه يعدّ المحايدة يومئذٍ من الضلال الذي يأمر به السّادة والكبراء الضّالون ، ويهدّد عثمان ويرعد ويبرق وينهى عن ردّ السّلام عليه الذي هو تحيَّة المسلمين ، ومن الواجب شرعاً ردُّها ، وينزِّله عن منبر الخطابة إنزالاً عنيفاً بين الملأ ، ثمَّ لم

---

(١) هو عبد الله بن سعد راجع ما أسلفناه في ج ٨ ص ٣٢٤

(٢) الإصابة ج ١ ص ٢٢٣ .

يزل يستخفُّ به ويهينه ولا تأخذه فيه هوادة حتّى منعه عن الدفن في البقيع ، فدفن في حشِّ كوكب مقابر اليهود وكلُّ هذه لا تلتئم مع حسن ظنّه به فضلاً عن حسن عقيدته .

نعم : إنَّ جبلة فعل هذه الأفاعيل بين ظهراني الملأ الديني الصحابة العدول وهم بين مُتجمهرٍ معه ، ومُخذِّلٍ عن الخليفة المقتول ، ومتثبِّطٍ عنه ، وراضٍ بما دارت على الخليفة من دائرة سوء ، ما خلا شذّاذ من الأمويين الذين وصفهم جبلة في بيانه ، وقدَّمنا نحن تفصيل ما نزل من القرآن فيهم في الجزء الثامن[١] ولم تقم الجامعة الدينيَّة لهم ولآرائهم وزناً .

٢٣ ـ حديث محمد بن مسلمة أبي عبدالرحمٰن الأنصاري (بدريٌّ) :

أخرج الطبري من طريق محمّد بن مسلمة قال : خرجت في نفر من قومي إلى المصريّين وكان رؤساءهم أربعة : عبد الرَّحمٰن بن عديس البلوي ، وسودان بن حمران المرادي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وابن النباع[٢] قال : فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم ورأيت الناس لهم تبعاً ، قال : فعظَّمتُ حقّ عثمان ، وما في رقابهم من البيعة ، وخوّفتهم بالفتنة ، وأعلمتهم أنَّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً ، فلا تكونوا أوَّل من فتحه وأنَّه ينزع عن هذه الخصال التي نقمتم منها عليه وأنا ضامنٌ لذلك . قال القوم : فإن لم ينزع قال : قلت فأمركم إليكم . قال : فانصرف القوم وهم راضون فرجعت إلى عثمان فقلت : أخلني . فأخلاني فقلت : الله يا عثمان ! في نفسك ، إنَّ هؤلاء القوم إنّما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك ، لا ، بل هم يقوّون عدوّك عليك ؛ قال : فأعطاني الرضا وجزّاني خيراً قال : ثمَّ خرجت من عنده فأقمت ما شاء الله أن أُقيم ، قال : وقد تكلّم عثمان برجوع المصريّين وذكر أنَّهم جاؤوا لأمر فبلغهم غيره فانصرفوا . فأردت أن آتيه فأُعنّفه ثمَّ سكتُّ فإذا قائلٌ يقول : قد قدم المصريّون وهم بالسويداء[٣]

(١) راجع صفحة ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، ٢٦١

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفيما حكى عنه والصحيح : ابن البياع وهو عروة بن شييم الليثي .

(٣) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

قال : قلت : أحقٌّ ما تقول ؟ قال : نعم . قال : فأرسل إليَّ عثمان ، قال : وإذا الخبر قد جاءه وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب[1] فقال : يا أبا عبدالرَّحمٰن ! هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأي فيهم ؟ قال قلت : والله ما أدري إلاّ إنّي أظنّ أنّهم لم يرجعوا لخير قال : فارجع إليهم فارددهم قال : قلت : لا والله ما أنا بفاعل ، قال : ولِمَ قال : لأنّي ضمنت لهم اموراً تنزع عنها ، فلم تنزع عن حرف منها قال : فقال : الله المستعان قال : وخرجت وقدم القوم وحلّوا بالأسواف وحصروا عثمان وجاءني عبد الرَّحمٰن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه فقالوا : يا أبا عبدالرَّحمٰن ! ألم تعلم أنّك كلّمتنا ورددتنا وزعمتَ أنَّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره ؟ فقلت : بلى ، فإذا هم يُخرجون إليَّ صحيفة صغيرة وإذا قصبة من رصاص فإذا هم يقولون : وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان فأخذنا متاعه ففتّشناه فوجدنا فيه هذا الكتاب . الحديث يأتي بتمامه .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ .

قال الأميني : إنّك تجد محمّد بن مسلمة ها هنا لا يشك في أنَّ ما نقمه القوم على الخليفة موبقات يستحلُّ بها هتك الحرمات ممّن ارتكبها ، لكنّه كره المناجزة وحاول الإصلاح حِذار الفتنة المستتبعة لطامات وهنابث ، وسعى سعيه في ردِّ القوم بضمانه عسى أن ينزع الخليفة عمّا فرَّط في جنب الله ، وأن يكون ذلك توبة نصوحاً ، فلعلَّ الفورة تهدأ ، ولهيب الثورة يخبأ ، لكنّه لمّا شاهد الفشل في مسعاه ، وأخفق ظنّه بعثمان ، ورأى منه حنث الإلِّ ، وعدم النزوع عن أحداثه ، تركه والقوم ، فارتكبوا منه ما ارتكبوا ولم يجبه حينما استنصره ، ولم يُقم لطلبته وزناً ، ولم يرَ له حرمة يدافع بها عنه ، ولذلك خاشنه في القول ، فكان ما كان مقضيّاً .

٢٤ ـ حديث ابن عبّاس حبر الأُمَّة ابن عمِّ النبيِّ الأعظم (ص) :

١ ـ أخرج أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليّ

---

(١) واد على مسيرة ليلة من المدينة .

صلوات الله عليه من طريق طارق قال : جاء ناسٌ إلى ابن عبّاس فقالوا : جئناك نسألك فقال : سلوا عمّا شئتم فقالوا : أيّ رجل كان أبو بكر ؟ فقال : كان خيراً كلّه . أو قال : كالخير كلّه على حِدَّة كانت فيه . قالوا : فأيّ رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطائر الحذر الذي يظنُّ أنَّ له في كلِّ طريق شركاً . قالوا : فأيّ رجل كان عثمان ؟ قال : رجل ألهته نومته عن يقظته . قال : فأيّ رجل كان عليّ ؟ قال : كان قد مُلِىء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدةً مع قرابته من رسول الله ﷺ وكان يظنّ أن لا يمدَّ يده إلى شيء إلاّ ناله ، فما مدَّ يده إلى شيء فناله .

٢ - من كتاب لمعاوية إلى ابن عبّاس : لعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ، وأن يكون رأياً صواباً ، فإنّك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلحٌ فيمنعك منّي ولا بيدك أمان[١] .

فكتب إليه إبن عبّاس جواباً طويلاً يقول فيه : وأمّا قولك «إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له ، والسافكين له ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي» فأُقسم بالله لأنت المتربِّص بقتله ، والمحبُّ لهلاكه ، والحابس الناس قِبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتَّى بعثت إليه معذراً بإجرة أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتَّى يُقتل ، فقتل كما كنت أردت ثمَّ علمت عند ذلك أن النّاس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول قُتل مظلوماً ، فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثمَّ لم تزل مصوِّباً ومصعّداً وجاثماً ورابضاً تستغوي الجهّال وتنازعنا حقّنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت وإن أدري لعلّه فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين .

قال الأميني : إنَّ حبر الأُمَّة وإن لم يكن له أيّ تدخّل في واقعة الدار ، وكان أمير الحاجِّ في سنته تلك ، لكنّك تراه لا يشذّ عن الصحابة في الرأي حول الخليفة ، ولا يقيم له وزناً ، ولا يرى له مكانة ، ومن أجل ذلك أعطى المقام حقَّه في جواب السائل عن الخلفاء ، غير أنّه لم يصف عثمان إلاّ بما يُنبىء عن عدم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٤ ص ٥٨ . قال : كتبه اليه عند صلح الحسن، عليه السّلام، يدعوه إلى بيعته .

كفاءَته برقدته الطويلة الغاشية على يقظته ، وسُباته العميق الساتر لانتباهته ، ومن جرَّاء ذلك الإعتقاد تجده لم يهتم بشيء من أمره لمّا جاءه نافع بن طريف بكتاب[١] من الخليفة يستنجد الحجيج ويستغيث بهم ، على حين أنَّه محصورٌ ، فقرأه نافع على الناس بينما كان ابن عبّاس يخطب فلمّا نجزت قراءته أتمَّ خطبته من حيث أفضت إليه ، ولم يلو إلى أمر عثمان وحصاره ، ولم ينبس في أمره ببنت شفة ، وكان في وسعه أن يستثيرهم لنصرته ، وهل ذلك كلّه لسوء رأي منه في الخليفة ؟ أو لعدم الإهتمام في أمره ؟ أو لحسن ظنّه بالثائرين عليه؟ إختر ما شئت، ولعلّك تختار تحقّق الجميع لدى ابن عبّاس ، وكأنَّ عائشة شعرت منه ذلك فقالت يوم مرَّ بها إبن عبّاس في منزل من منازل الحجِّ : يابن عبّاس ! إنَّ الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية[٢] .

ومن جرّاء رأيه الذائع الشائع كان يحذر معاوية ويخاف بطشه ، ولمّا قال له أمير المؤمنين ﷺ : إذهب أنت إلى الشام فقد ولّيتكها . قال : إنِّي أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمنّه وعده الحديث[٣] .

وفي أثر ذلك الرأي كان يسكت عن لعن قتلة عثمان ولَمّا كتب إليه معاوية : أن اخرج إلى السمجد والعن قتلة عثمان . أجاب بقوله : لعثمان ولدٌ وخاصَّة وقرابة هم أحقّ بلعنهم منّي ، فإن شاؤوا أن يلعنوا ، وإن شاؤوا أن يمسكوا فليمسكوا[٤] .

٢٥ ـ حديث عمرو بن العاصي الذي عرَّفناكه في ج ٢ ص ١٤٢ - ٢٠٧ :

أخرج الطبري من طريق أبي عون مولى المسور قال : كان عمرو بن العاصي على مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصَّلاة ، واستعمل

---

(١) يأتي تفصيله في هذا الجزء عند ذكر كتب عثمان إن شاء الله .
(٢) راجع ما مر في هذا الجزء من حديث عائشة .
(٣) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٣ .
(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٨ .

عبدالله بن سعد على الخراج ، ثمَّ جمعهما لعبدالله بن سعد ، فلمّا قدم عمرو بن العاصي المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال : يابن النابغة ما أسرع ما قمل به جربّان جبَّتك ! إنّما عهدك بالعمل عاماً أوَّل ، أتطعن عليَّ ، وتأتيني بوجه ، وتذهب عنّي بآخر ؟ والله لولا أُكلة ما فعلت ذلك . فقال عمرو : إنَّ كثيراً ممّا يقول الناس وينقلون إلى ولا تهم باطلٌ ، فاتّق الله يا أمير المؤمنين في رعيَّتك ! فقال عثمان : والله لو استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك ، فقال عمرو : قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عنّي راضٍ فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكنّي لنتُ عليك فاجترأت عليَّ ، أمّا والله لأنا أعزُّ منك نفراً في الجاهليَّة وقبل أن ألي هذا السلطان ، فقال عمرو : دع عنك هذا فالحمدلله الذي أكرمنا بمحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وهدانا به ، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان فوالله للعاصي كان أشرف من أبيك[1] فانكسر عثمان وقال : ما لنا ولذكر الجاهليَّة ، وخرج عمرو ودخل مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاصي أباك ، فقال عثمان : دع هذا عنك ، مَن ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقدٌ عليه يأتي عليّاً مرَّة فيؤلّبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرَّة فيؤلّبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرَّة فيؤلّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلمّا كان حصر عثمان الأوَّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها : السبع ، فنزل في قصر له يقال له : العجلان وهو يقول : العجب ما يأتينا عن إبن عفان قال : فبينا هو جالسٌ في قصره ذلك ومعه إبناه محمَّد ، وعبدالله ، وسلامة بن رَوح الجذامي إذ مرَّ بهم راكبٌ فناداه عمرو : من أين قدم الرجل ؟ فقال : من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان . قال : تركته محصوراً شديد الحصار قال عمرو : أنا أبو عبدالله قد يضرط العير والمِكواة في النّار فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرَّ به راكبٌ آخر فناداه عمرو : ما فعل الرَّجل ؟ يعني عثمان . قال : قُتل . قال : أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة

---

(١) ليت شعري ما مكانة عفان من الشرف إن كان يفضل عليه العاصي الساقط المشرف بقوله تعالىٰ : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ كما مرّ تفصيله في الجزء الثاني ص ١٢٠/ط ٢ .

نكأتها ، إن كنت لأُحرِّض عليه حتّى إنّي لأُحـرِّض عليه الـراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح : يا معشر قريش ! إنّه كان بينكم وبين العرب بابٌ وثيقٌ فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نخـرج الحقّ من حافـرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحقّ شرعاً سـواء ، وكانت عنـد عمرو أُخت عثمـان لأُمّه أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها حين عزله [١] .

٢ ـ لمّا ركب علي وركب معه ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى أهل مصر في أوّل مجيئهم المدينة ناقمين على عثمـان ، وردّهم عنه فـانصـرفـوا راجعين ورجع عليٌّ عليه السلام إلى عثمان وأخبره أنّهم قد رجعوا ، حتّى إذا كان الغد جاء مروان عثمان فقال لـه : تكلّم وأعلم النّاس أنّ أهـل مصر قـد رجعوا ، وانّ مـا بلغهم عن إمامهم كان باطلاً ، فـإنّ خطبتـك تسير في البـلاد قبل أن يتحلّب النـاس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخـرج ، فلم يزل بـه مروان حتّى خـرج فجلس على المنبر فحمـدالله وأثنى عليه ثمّ قـال : أما بعـد : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّـا تيقّنوا أنّـه باطـلٌ ما بلغهم عنـه رجعـوا إلى بلادهم [٢] فنـاداه عمرو بن العـاصي من نـاحيـة المسجـد : إتّق الله يـا عثمان ! فإنّك قد ركبت نهابير [٣] وركبناها معك فتب إلى الله نتب ، فناداه عثمان : وإنّـك هناك يـابن النابغـة ؟ قملت والله جبّتك منـذ تركتـك من العمل ، فنـودي من ناحية أُخرى : تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ النّاس عنك . فرفع عثمـان يديـه مدّاً واستقبل القبلة فقال : اللهمّ إنّي أوّل تائب تاب إليك . ورجع إلى منـزله ، وخـرج عمـرو بن العـاصي حتّى نـزل منـزلـه بفلسـطين فكـان يقـول : والله إن كنت لألقى

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٨ ، ٢٠٣ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٧٤ ، الإمـامة والسيـاسة ج ١ ص ٤٢ ، الإستيعـاب ترجمـة عبد الله بن سعـد بن أبي سرح ، شـرح ابن أبي الحديـد ج ١ ص ٦٣ ، وأوعز اليه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٧٠ بصورة مصغرة جرياً على عادتـه فيما لا يروقه .

(٢) ما عذر الخليفة في هذا الكذب الفاحش على منبر النبي الأعظم وهـو بين يدي قبـره الشريف لعله يعتذر بأن مروان حثه عليه ولم يكن له منتدح من قبول أمره ، والملك عقيم .

(٣) النهابير والنهابر : المهالك : الواحدة : نهبرة ونهبور .

الراعي فأحرِّضه عليه . وفي لفظ البلاذري : يابن النابغة ! وإنَّك ممَّن تؤلِّب عليَّ الطغام ؟ وفي لفظ : قال عمرو : يا عثمان ! إنَّك قد ركبت بهذه الأُمَّة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل . وفي لفظ : ركبت بهذه الأُمَّة نهابير من الأُمور فركبوها منك ، وملت بهم فمالوا بك ، اعدل أو اعتزل .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٠ ، ١١٤ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٤ ، الإستيعاب ترجمة عثمان ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٨ ، الفائق للزمخشري ج ٢ ص ٢٩٦ ، نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٥ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٦ ، لسان العرب ج ٧ ص ٩٨ ، تاج العروس ج ٣ ص ٥٩٢ .

٣ ـ قال ابن قتيبة : ذكروا أنَّ رجلاً من همدان يقال له «برد» قدم على معاوية فسمع عمرواً يقع في عليّ فقال لـه : يا عمرو ! إنَّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه . فحقٌّ ذلك أم باطلٌ ؟ فقال عمرو : حقٌّ وأنا أزيدك أنّه ليس أحدٌ من صحابة رسول الله له مناقبُ مثل مناقب عليّ . ففزع الفتى فقال عمرو : إنَّه أفسدها بأمره في عثمان فقال برد : هل أمر أو قتل ؟ قال : لا ، ولكنه آوى ومنع ، قال : فهل بايعه الناس عليها ؟ قال : نعم . قال : فما أخرجك من بيعته ؟ قال : إتّهامي إيّاه في عثمان . قال له : وأنت أيضاً قد اتّهمت . قال : صدقت فيها ، خرجت إلى فلسطين . فرجع الفتى إلى قومه فقال : إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجَّة عليهم من أفواههم ، عليٌّ على الحقِّ فاتّبعوه .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٣]

٤ ـ أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤ من طريق الواقدي قال : لَمّا بلغ عمرواً قتل عثمان رضي الله عنه قال : أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع ، من يلي هذا الأمر من بعده ؟ إن يَلِه طلحة فهو فتى العرب سيباً ، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقَّ ، وهو أكره من يليه إليَّ .

٥ ـ أسلفنا في حديث طويل في الجزء الثاني ص ١٥٨ - ١٦١ من قول الإمام الحسن السبط الزكي لعمرو بن العاصي : وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت

سعَّرت عَليه الدنيا ناراً ، ثمَّ لحقت بفلسطين فلمّا أتاك قتله قلتَ : أنا أبو عبدالله إذا نكأت «أي قشرت» قرحةً أدميتها ، ثمَّ حبست نفسك إلى معاوية وبعت دينك بدنياه ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ودّ ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ، ولا غضبت له مقتولاً .

قال أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمة عبدالله بن سعيد بن أبي سرح : كان عمرو بن العاصي يطعن على عثمان ويؤلِّب عليه ويسعى في إفساد أمره ، فلمّا بلغه قتل عثمان وكان معتزلاً بفلسطين قال : إنِّي إذا نكأت قرحة أدميتها أو نحو هذا .

وقال في ترجمة محمَّد بن أبي حذيفة : كان عمرو بن العاص مذ عزله عثمان عن مصر يعمل حيله في التأليب والطعن على عثمان .

وفي الإصابة ج ٣ ص ٣٨١ : إنَّ عثمان لمّا عزل عمرو بن العاص عن مصر قدم المدينة فجعل يطعن على عثمان ، فبلغ عثمان فزجره ، فخرج إلى أرض له بفلسطين فأقام بها .

قال الأميني : لعلَّ ممّا يستغنى عن الإفاضة فيه مناوءة ابن العاصي لعثمان ورأيه في سقوطه ، وتبجُّحه بالتأليب عليه، ومسرَّته على قتله ، وقوله بملء فمه: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع . وقوله : إنِّي إذا نكأت قرحةً أدميتها . وهل الإحن بينهما استفحلت فتأثَّرت بها نفسيَّة ابن العاصي حتَّى انَّه اجتهد فأخطأ . أو أنَّه أصاب الحقّ ، فكان اجتهاده عن مقدَّمات صحيحة مقطوعة عن الضغائن الثائرة ، معتضدة بآراء الصحابة ، وأيّاً ما كان فهو عند القوم من أعاظم الصحابة العدول يرى في الخليفة هذا الرأي .

٢٦ ـ حديث عامر بن واثلة أبي الطفيل الشيخ الكبير الصحابيّ :

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية فأخبر معاوية بقدومه فأرسل إليه فأتاه وهو شيخٌ كبيرٌ فلمَّا دخل عليه قال له معاوية : أنت أبو الطفيل عامر ابن واثلة ؟ قال : نعم . قال معاوية : أكنت ممَّن قتل عثمان أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن ممَّن شهده فلم ينصره . قال : ولِمَ ؟ قال : لم ينصره المهاجرون

والأنصار . فقال معاوية أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقّاً واجباً وفرضاً لازماً ، فإذ ضيَّعتموه فقد فعل والله بكم ما أنتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتم . فقال أبو الطفيل : فما منعك يا أمير المؤمنين ! إذ تربَّصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام ؟ قال معاوية : أوَ ما ترى طلبي لدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال بلى : ولكنّي وإيّاك[1] كما قال عبيد بن الأبرص :

لأعرفنَّك بعد الموت تندبني وفي حياتي مَا زوَّدتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالرَّحمٰن بن الحكم فلمّا جلسوا نظر إليهم معاوية ثمَّ قال : أتعرفون هذا الشيخ ؟ قالوا : لا . فقال معاوية : هذا خليل عليٍّ بن أبي طالب ، وفارس صفّين وشاعر أهل العراق ، هذا أبو الطفيل . قال سعيد بن العاص : قد عرفناه يا أمير المؤمنين ! فما يمنعك منه ؟ وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال : فربَّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعاً ثمَّ قال : أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل ؟ قال : ما أُنكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وأنشد شِعراً :

فإن تكن العداوة قد أكنَّت فشرٌّ عداوة المرء السباب

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ! ما أبقى لك الدهر من حبِّ عليّ ؟ قال : حبّ أُم موسى وأشكو إلى الله التقصير . فضحك معاوية وقال : ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سألوا عنّي ما قالوا هذا . فقال مروان : أجل والله لا نقول الباطل .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٠١ ، الإستيعاب في الكنى ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٣ .

قال الأميني : أترى هذا الشيخ الكبير الصالح كيف يعترف بخذلانه عثمان ؟ ويحكي مصافقته على ذلك عن المهاجرين والأنصار الصحابة العدول ، غير متندِّم على ما فرَّط هنالك ، ولو كان يتحرّج هو ومَن نقل عنهم موافقتهم له لردعتهم

(١) كذا والصحيح كما في مروج الذهب . ولكنك وإياه .

الصحبة والعدالة عمّا ارتكبوه من القتل والخذلان ، ولو كان لحقه وإيّاهم شيءٌ من الندم لباح به وباحوا ، لكنّهم اعتقدوا أمراً فمضوا على ضوئه ، وإنّهم كانوا على بصيرة من أمرهم ، وما اعتراهم الندم إلى آخر نفس لفظوه .

٢٧ ـ حديث سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشَّرة ، وأحد الستَّة أصحاب الشورى :

١ ـ روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ قال : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره فكتب إليه سعد : إنّك سألتني من قتل عثمان وانّي أُخبرك أنّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غيَّر وتغيَّر وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله . الحديث مرَّ بتمامه ص١٠٨ .

٢ ـ عن أبي حبيبة قال : نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثمَّ خرج من عنده وهو يسترجع ممّا يرى على الباب فقال له مروان . الآن تندم ؟ أنت أشعرته . فأسمع سعداً يقول : أستغفر الله لم أكن أظنّ النّاس يجترؤون هذه الجرأة ولا يطلبون دمه ، وقد دخلت عليه الآن فتكلّم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك فنزع عن كلّ ما كُره منه وأعطى التوبة . وقال : لا أتمادى في الهلكة انَّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان : إن كنت تريد أن تذبَّ عنه فعليك بابن أبي طالب فإنّه متستّرٌ وهو لا يجبه . فخرج سعد حتّى أتى عليّاً وهو بين القبر والمنبر فقال : يا أبا الحسن ! قم فداك أبي وأمّي جئتك والله بخير ما جاء به أحدٌ قطّ إلى أحد ، تصل رحم ابن عمّك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر على ما نحبّ . قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال عليٌّ : تقبّل الله منه يا أبا إسحاق ! والله ما زلتُ أذبّ عنه حتّى إنّي لأستحيي ، ولكن مروان ومعاوية وعبدالله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى ، فإذا نصحته وأمرته أن يُنحّيهم استغشّني حتى جاء ما ترى . قال : فبينا هم كذلك جاء محمَّد بن أبي بكر فسارَّ عليّاً فأخذ

عليٌّ بيدي ونهض عليٌّ وهو يقول : وأيّ خير توبته هذه ؟ فوالله ما بلغت داري حتّى سمعت الهائعة : إنَّ عثمان قد قتل . فلم نزل والله في شرّ إلى يومنا هذا .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢١]

قال الأميني : يُتراءى للقارىء من هذه الجمل أنَّ سعداً خذل الخليفة على حين أنَّه مكثورٌ لا يُراد به إلاّ القتل وهو على علم منه أنَّه مقتولٌ لا محالة لما كان يرى أنّه غيَّر وتغيَّر ، وغير عازب عن سعد حينئذٍ حكم الشريعة بوجوب كلاءة النفس المحترمة للمتمكّن منها وهو يقول : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه . حتّى انّه بعد هدوء الثورة غير جازم بأنّه ارتكب حوباً في خذلانه فيقول : إن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله ، وعلى تقدير كونه إساءةً يراها من اللمم الممحوّ بالإستغفار ، ولعلَّ الشقَّ الأخير من كلمته مجاملة مع عمرو بن العاصي لئلاّ يلحقه الطلب بدم عثمان ولذلك ألقى المسؤوليّة على أُناس آخرين من عليّة الأُمّة ذكرهم في كتابه ، وعليه فصميم رأيه هو ما ارتكبه ساعة القتل من الخذلان .

٢٨ ـ حديث مالك الأشتر بن الحارث المترجم له فيما مرَّ ص ٥٨ ـ ٦٠ :

ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٦ : إنَّ عثمان كتب إلى الأشتر وأصحابه مع عبدالرَّحمٰن بن أبي بكر ، والمسور بن مخرمة يدعوهم إلى الطاعة ويُعلمهم أنّهم أوَّل من سَنَّ الفرقة ، ويأمرهم بتقوى الله ومراجعة الحقّ ، والكتاب إليه بالذي يُحبُّون .

فكتب إليه الأشتر :

من مالك الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سنَّة نبيِّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

أمّا بعد : فقد قرأنا كتابك فَانْهَ نفسك وعمّالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين نسمح لك بطاعتنا ، وزعمتَ أنّا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنّك الذي أرداك ، فأراك الجور عدلاً ، والباطل حقّاً ، وأمّا محبَّتنا فإن تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنِّيك على خيارنا ، وتسييرك صلحاءنا ، وإخراجك إيّانا من ديارنا ،

وتـوليتك الأحـداث علينا ، وأن تـولِّي مصرنـا عبدالله بن قيس أبـا موسى الأشعـري وحُذيفة فقـد رضيناهمـا ، واحبس عنّا وليـدك وسعيدك ومَن يـدعوك إليـه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله والسَّلام .

وخـرج بكتابهم يـزيد بن قيس الأرحبي ، ومسـروق بن الأجـدع الهمـداني ، وعبد الله بن أبي سبرة الجعفي ، وعلقمة بن قيس أبـو شبل النخعي ، وخـارجـة بن الصّلت البرجمي في آخرين . فلمّا قرأ عثمان الكتاب قـال : اللّهمَّ إنِّي تائبٌ وكتب إلى أبي موسى وحذيفة : أنتما لأهل الكوفة رضىً ولنا ثقة ، فتولّيا أمرهم وقـوما بـه بالحقِّ غفر الله لنا ولكما . فتولَّى أبو موسى وحُذيفة الأمر ، وسكّن أبو موسى النّاس وقال عتبة بن الوغل :

تصدَّق علينا يا بـن عفَّان واحتسب وأمِّـر علينـا الأشعـريَّ ليـاليـا

فقال عثمان : نعم وشهوراً إن بقيت .

قـال الأميني : نظريَّـة مالـك الذي عـرفته صحيفـة ٥٨ في عثمـان صـريحـةٌ واضحةٌ لا تحتاج إلى تحليل وتعليل ، وإنَّما أعطى من نفسه الرضا في كتابـه بشرط النزوع والتوبة ، لكنّه لمّا لم يجد للشرط وفـاءً بل وجد منه إصراراً على ما نقمه هـو والصحابة كلّهم تنشَّط للمخالفة ، وأجلب عليـه خيلاً ورجـلاً ، ولم يزل مشتـدّاً في ذلك حتّى بلغ ما أراد .

وسنوقفك على حقيقة أمر الخليفة من توبتـه بعد تـوبته في المستقبـل القريب إن شاء الله تعالى .

٢٩ ـ حديث عبدالله بن عكيم :

أخـرج ابن سعـد والبـلاذري بـإسنـادهمـا عن عبـدالله بن عكيم الجهني «الصحابي» قال : لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان . فقيـل له : يـا أبا معيـد وأعنت على دمه ؟ قال : إنِّي أعدُّ ذكر مساوئه إعانة على دمه .

طبقات إبن سعد ج ٣ ص ٥٦ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٠١ .

قـال الأميني : هذا الحـديث صريـحٌ في أنَّ الـرجـل كـان يعتقـد في عثمـان

مساويء ومثالب، وقد اطمأنَّ بثبوتها له ، فتحدَّث بها في الأندية والمحاشد إعانةً على دمه ، فكان ذلك من موجبات قتله ، ولم يزل معترفاً به بعد أن أُسيلت نفسه وأُريق دمه .

٣٠ ـ حديث محمد بن أبي حذيفة :

كان أبو القاسم محمَّد بن أبي حذيفة العبشمي من أشدِّ الناس تأليباً على عثمان ، وذكر البلاذري في الأنساب قال : كان محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة ، ومحمَّد بن أبي حذيفة ، خرجا إلى مصر عام مخرج عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها ، فأظهر محمَّد بن أبي حذيفة عيب عثمان والطعن عليه وقال : استعمل عثمان رجلاً أباح الرسول ﷺ دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال : ﴿**سأنزل مثل ما أنزل الله**﴾(١) .

وكانت غزاة ذات الصواري في المحرَّم سنة أربع وثلاثين وعليها عبد بن سعد ، فصلّى بالناس فكبّر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفزعه بها فقال : لولا إنَّك أحمق لقرَّبت بين خطوك ، ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره ، وجعل ابن أبي حذيفة يقول : يا أهل مصر ! إنّا خلّفنا الغزو وراءنا . يعني غزو عثمان .

إنَّ محمَّد بن أبي حذيفة ومحمَّد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ووافقا بمصر محمَّد بن طلحة بن عبيدالله وهو مع عبدالله بن سعد ، وإنَّ ابن أبي حُذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها ففاتته الصَّلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه ، فقيل : رجلٌ أبيض وضيء الوجه . فأمر إذا صلّى أن يؤتى به فلمّا رآه قال : ما جاء بك إلى بلدي ؟ قال : جئت غازياً ، قال : ومَن معك ؟ قال : محمَّد بن أبي بكر . فقال : والله ما جئتما إلاّ لتُفسدا الناس ، وأمر بهما فسجنا ، فأرسلا إلى محمَّد بن طلحة يسألانه أن يكلّمه فيهما لئلاّ يمنعهما من الغزو ، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح أفريقيَّة فأعدَّ لهما سفينة مُفردة لئلاّ يُفسد

---

(١) يعني بذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو صاحب يوم الفتح ، وفيه نزلت الآية كما مرّ في ص ٣٢٨ من ج ٨ .

عليه الناس ، فمرض ابن أبي بكر فتخلّف وتخلّف معه ابن أبي حذيفة ، ثمَّ إنَّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلّا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان فلمّا وافى ابن أبي سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه ، فشخص إلى المدينة وخلف على مصر رجلاً كان هواه مع إبن أبي بكر وابن أبي حذيفة ، فكان ممَّن شايعهم وشجَّعهم على المسير إلى عثمان .

قالوا : وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فأمر فوضع في المسجد وقال : يا معشر المسلمين ! ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه ؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه ، واجتمعوا إلى إبن أبي حذيفة فرأسوه عليهم ، فلمّا بلغ عثمان ذلك دعا بعمّار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به واستغفر الله منه وسأله أن لا يحقد عليه ، وقال : بحسبك من سلامتي لك ثقتي بك ، وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحَّة خبر إبن أبي حذيفة ، وحقّ ما بلغه عنه من باطله ، وأمره أن يقوم بعذره ، ويضمن عنه العُتبى لمن قدم عليه ، فلمّا ورد عمّار مصر[1] حرَّض الناس على عثمان ودهاهم إلى خلعه ، وأشعلها عليه ، وقوى رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر وشجَّعهما على المسير إلى المدينة ، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان يُعلمه ما كان من عمّار ، ويستأذنه في عقوبته ، فكتب إليه : بئس الرأي رأيت يابن أبي سرح فأحسن جهاز عمّار واحمله إليَّ ، فتحرَّك أهل مصر وقالوا : سُيِّر عمّار ، ودبَّ فيهم ابن أبي حذيفة ودعاهم إلى المسير فأجابوه[2] .

وذكر أبو عمر الكندي في أمراء مصر : انَّ عبدالله بن سعد أمير مصر كان توجَّه إلى عثمان لَمّا قام الناس عليه ، فطلب أُمراء الأمصار فتوجَّه إليه في رجب سنة ٣٥ واستناب عقبة بن عامر فوثب محمَّد بن أبي حذيفة على عقبة ـ وكان يوم ذاك بمصر ـ فأخرجه من مصر وغلب عليها ، وذلك في شوّال منها ، ودعا إلى خلع عثمان ، وأسعر البلاد ، وحرَّض على عثمان[3] .

(١) سنوقفك على انَّ بعث عمار الى مصر قط لا يصح .

(٢) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٤٩ ـ ٥١ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٣٣ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٧ ، الإصابة ج ٣ ص ٣٧٣ .

وأخرج من طريق الليث عن عبدالكريم الحضرمي كما في الإصابة ج ٣ ص ٣٧٣ : إنّ ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على أزواج النبيّ ﷺ في الطعن على عثمان كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثمَّ يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهور بيت في الحرّ ، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر ، ثمَّ يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ، ثمَّ يرسل رسلاً يخبروا بقدومهم فيأمر بتلقّيهم ، فإذا لقوا الناس قالوا لهم : ليس عندنا خبر ، الخبر في الكتب ، فيتلقّاهم ابن أبي حذيفة ومعه الناس فيقول لهم الرسل : عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من اُمّهات المؤمنين : إنّا نشكو إليكم يا أهل الإسلام كذا وكذا من الطعن على عثمان ، فيضجُّ أهل المسجد بالبكاء والدعاء ، فلمّا خرج المصريّون ووجّهوا نحو المدينة على عثمان شيّعهم محمَّد بن أبي حذيفة إلى عجرود ثمَّ رجع .

قال الأميني : أترى هذا الصحابيّ العظيم كيف يجدُّ ويجتهد في إطفاء هذه النائرة ولا يخاف فيما يعتقد أنَّه في الله لومة لائم ، غير مكترث لما بهته به العثمانيّون من اختلاق الكتب على اُمّهات المؤمنين ، وتسويد الوجوه بمواجهة الشمس ، ولم يزل على دأبه واجتهاده حتى قضي الأمر، واُزيحت المثلات ، وما نبزوه به من الإفتعال والتزوير هو حرفة كلِّ عاجز ، ولعلّه دُبّر في الأزمنة الأخيرة كما دُبّرت أمثاله في كلٍّ من الثائرين على عثمان ستراً على الحقائق الراهنة .

وهل من المستبعد أن تكتب في التأليب على عثمان صاحبة قول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً إنَّه قد كفر . وقائلة : وددت والله انَّك «يا مروان» وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلِّ واحد منكما رحاً وانّكما في البحر . وقائلة : بُعداً لنعثل وسحقاً . وقائلة : أبعده الله ، ذلك لما قدَّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد . وقائلة : يابن عبّاس إنَّ الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية . وهي كانت في الرعيل الأوَّل من الثائرين على عثمان بشتّى الحيل والطرق الثائرة .

هب أنَّهم بهتوا القوم بتلكم الأفائك لكن هل يسعهم إنكار تألّبهم على

الخليفة يومئذٍ ؟ وقد التزموا بعدالتهم ، والصحاح والمسانيد مشحونة بالإحتجاج بهم والإخراج عنهم ، نعم غاية ما يمكّنهم من التقوّل الحكم بالخطأ في الإجتهاد شأن كلِّ متقابلين في حكم شرعيّ ، وليس تحكّمهم هذا بأرجح من رأي مَن يرى أنّهم أصابوا في الإجتهاد وإجماع الصحابة يومئذٍ كان معاضداً لهم ، وهم يقولون : إنَّ أُمَّة محمَّد لا تجتمع على خطأ .

٣١ ـ حديث عمرو بن زرارة النخعي أدرك عصر النبيِّ (ص) :

قال البلاذري وغيره : إنَّ أوَّل من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعليّ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي ، وكميل بن زياد بن نهيك النخعي ، فقام عمرو بن زرارة فقال : أيُّها النّاس إنَّ عثمان قد ترك الحقَّ وهو يعرفه ، وقد أغرى بصلحائكم يولّي عليهم شراركم فبلغ الوليد فكتب إلى عثمان بما كان من ابن زرارة ، فكتب إليه عثمان : إنّ ابن زرارة أعرابيٌّ جلفٌ فسيِّره إلى الشام . وشيَّعه إلى الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد وهو عمُّ الأسود والأسود أكبر منه فقال قيس بن قهدان يومئذٍ :

أُقسم باللّه ربِّ البيت مجتهداً ... أرجو الثواب به سرّاً وإعلانا
لأخلعنَّ أبا وهب وصاحبه ... كهف الضَّلالة عثمان بن عفّانا

وقال ابن الأثير : هو ممَّن سيَّره عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق .

راجع الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٣٠ ، أُسد الغابة ج ٤ ص ١٠٤ ، الإصابة ج ١ ص ٥٤٨ ، ج ٢ ص ٥٣٦ .

قال الأميني : ليس على نظريَّة هذا الصحابيّ سترٌ يماط عنها ، ولا أنَّه كان يلهج بغير المكشوف حتَّى يُسدل عليه شيءٌ من التمويه ، فإنَّك لا تجد رأيه إلاّ في عدد آراء الصحابة جمعاء يومئذٍ .

٣٢ ـ حديث صعصعة بن صوحان سيِّد قومه عبدالقيس :

أخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ٤٢٤ من طريق حميد بن هلال العدوي قال : قام صعصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال : يا أمير

المؤمنين ! ملت فمالت أُمَّتك ، اعتدل يا أمير المؤمنين ! تعتدل أُمَّتك .

قال : وتكلم صعصعة يوماً فأكثر فقال عثمان : يا أيُّها النّاس إنَّ هذا البجباج ، النفَّاج ما يدري مَن الله ولا أين الله . فقال : أمّا قولك : ما أدري مَن الله . فإنَّ الله ربُّنا وربُّ آبائنا الأوَّلين ، وأمّا قولك : لا أدري أين الله . فإنَّ الله لبالمرصاد ، ثمَّ قرأ : ﴿**أُذن للذين يُقاتلون بأنّهم ظُلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير**﴾[1] . فقال عثمان : ما نزلت هذه الآية إلّا فيَّ وفي أصحابنا أُخرجنا من مكّة بغير حقّ .

وذكره الزمخشري في الفائق ج ١ ص ٣٥ فقال : البجباج : الذي يهبّر الكلام وليس لكلامه جهة ، وروي : الفجفاج . وهو الصيّاح المكثار . وقيل : المأفون المختال . والنفَّاج : الشديد الصلف .

وأوعز إليه إبن منظور في لسان العرب ج ٣ ص ٣٢ ، وقال : البجباج من البجبجة التي تفعل عند مناغاة الصبي ، وبجباج فجفاج كثير الكلام ، والبجباج : الأحمق ، والنفَّاج : المتكبِّر .

وكذا ذكره ابن الأثير في النهاية ج ١ ص ٧٢ ، والزبيدي في تاج العروس ج ٢ ص ٦ .

قال الأميني : هذا صعصعة الذي أسلفنا صفحة ٦٤ من هذا الجزء ذكر عظمته وفضله وبطولته وثقته في الدين والدنيا يرى أنَّ الخليفة مال عن الحقِّ فمالت أُمَّته ولو اعتدل اعتدلت ، وفي تلاوته الآية الكريمة في محاورته إيذان بالحرب ، وانّه ومَن شاكله مظلومون من ناحية عثمان منصورون بالله تعالى ، فهو بذلك مستبيحٌ لمنابذته ومناجزته ، لقد لهج صعصعة بهذه على رؤوس الأشهاد والخليفة على المنبر يخطب ، فلم يسمع إنكاراً أو دفاعاً من أفاضل الصحابة العدول .

٣٣ - حديث حكيم بن جبلة العبدي الشهيد يوم الجمل :

كان هذا الرجل العظيم صالحاً ديِّناً مطاعاً في قومه كما وصفه أبو عمر ،

(١) سورة الحج ؛ الاية : ٣٩ .

وأثنى عليه المسعودي بالسيادة والزهد والنسك . كان أحد زعماء الثائرين على عثمان من أهل البصرة كما يأتي . وقال المسعودي : إنَّ النّاس لمّا نقموا على عثمان ما نقموا سار فيمن سار إلى المدينة حكيم بن جبلة . وقال الذهبي : كان ممّن ألّب على عثمان رضي الله عنه . وجاء في مقال خفاف الطائي في الحديث عن عثمان : حصره المكشوح ، وحكم فيه حكيم ، ووليه محمّد وعمّار ، وتجرَّد في أمره ثلاثة نفر : عدي بن حاتم . والأشتر النخعي . وعمرو بن الحمق . وجدَّ في أمره رجلان : طلحة والزبير . الحديث .

وقال أبو عمر : كان ممّن يعيب عثمان من أجل عبدالله بن عامر وغيره من عمّاله . قال أبو عبيد : قطعت رجل حكيم يوم الجمل فأخذها ثمَّ زحف إلى الذي قطعها . فلم يزل يضربه بها حتّى قتله وقال :

يا نفس لن تراعي ... دعاك خير داعي
إن قطعت كراعي ... إنَّ معي ذراعي[1]

فالباحث يجد لهذا البطل الصالح الديِّن الزاهد الناسك قَدماً أيَّ قدم في التأليب على الخليفة ، وله خطواته الواسعة في استحلال دمه والتجمهر عليه ، وهو مع ذلك كلّه بعدُ صالحٌ يُذكر ويُشكر ويُثنى عليه ، ما اسودَّت صحيفة تاريخه بمناجزته الخليفة والوقيعة فيه ومقته والنقمة عليه ، ولم تتضعضع بها أركان صلاحه ، وما اختلَّ بها نظام نسكه ، ولا شوَّهت سمعته الدينيَّة ، ولا دنّست ساحة قدسه ، وهذه كلّها لا تلتئم مع كون الخليفة إمام عدل .

٣٤ - حديث هشام بن الوليد المخزومي أخي خالد :

مرَّ في ص ٣٥ من هذا الجزء قول الرجل لعثمان لمّا ضرب عمّاراً حتّى غُشي عليه : يا عثمان ! أمّا عليّ فاتّقيته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتّى أشفيتَ به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنَّ به رجلاً من بني أُميَّة

---

(١) راجع كتاب صفين لابن مزاحم ص ٨٢ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ١٢١ ، دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٨ ، ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٩ .

عظيم السرَّة . فقال عثمان : وإنّك لها هنا يا ابن القسريَّة ؟ قال : فإنَّهما قسريّتان ، وكانت أُمُّه وجدَّته قسريَّتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج .

ولهشام أبيات في عثمان ذكرها المرزباني في معجم الشعراء كما قاله ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٦٠٦ وذكر منها قوله :

لساني طويلٌ فاحترس من شدائه عليك وسيفي من لساني أطول

لعلَّ الباحث لا يعزب عنه رأي هذا الصحابي - العادل - في الخليفة ، ولا يجده شاذّاً عن بقيَّة الصحابة في إصفاقهم على مقته بعدما يراه كيف يجابه الرجل بفظاظة وخشونة ، ويقابله بالقول القارص ، ويهدّده بالهجاء والقتل ، غير راعٍ له أيّ حرمة وكرامة ، لا يحسب تلكم القوارص زوراً من القول ، وفنداً من الكلام ، بل يرى الخليفة أهلاً لكلِّ ذلك ، فهل يجتمع هذا مع كون الرجل إمام عدل عند المخزومي ؟

٣٥ - حديث معاوية بن أبي سفيان الأموي :

١ - من كتاب لأمير المؤمنين إلى معاوية : فسبحان الله ما أشدَّ لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتَّبعة ، مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة ، وعلى عباده حجّة ، فأمّا إكثارك الحجاج في عثمان وقتله فإنّك إنَّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك ، وخذلته حيث كان النصر له[1] .

٢ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك .

راجع ما مرَّ من حديث أمير المؤمنين .

٣ - ومن كتاب له عليه السلام إلى الرجل : قد أسهبت في ذكر عثمان ، ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، ولقد تربَّصت به الدوائر ، وتمنَّيت له الأماني ، طمعاً فيما ظهر منك ، ودلَّ عليه فعلُكَ .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١١]

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٢ .

٤ ـ من كتاب لابن عبّاس إلى معاوية : أمّا ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفان ، وكراهتنا لسلطان بني أُميَّة ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره ، حتّى صرت إلى ما صرت إليه ، وبيني وبينك في ذلك ابن عمِّك وأخو عثمان : الوليد بن عقبة .

كتاب نصر ص ٤٧٢ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

٥ ـ من كتاب لابن عبّاس إلى معاوية : وأمّا قولك : إنِّي من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلحٌ فيمنعك منّي ، فأُقسم بالله لأنت المتربّص بقتله ، والمحبُّ لهلاكه ، والحابس الناس قِبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث ويستصرخ ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً باجرة أنت تعلم أنَّهم لن يتركوه حتى يُقتل ، فقتل كما كنتَ أردتَ ، ثمَّ علمت عند ذلك أنَّ الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه وتقول : قُتل مظلوماً . فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين . مرَّ تمام الكتاب في صفحة ١٦٢ .

٦ ـ روى البلاذري في الأنساب قال : لَمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدُّه بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق وقال له : إذا أتيت ذا خُشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فإنّني أنا الشاهد وأنت الغائب ، قال : فأقام بذي خُشب حتى قُتل عثمان ، فاستقدمه حينئذٍ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه ، وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه . راجع شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٧ .

٧ ـ من خطبة لشبث بن ربعي يخاطب معاوية : إنَّهُ والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنَّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلاّ قولك : «قُتل إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه» فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل

لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب . الخ .

كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ٢١٠ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٤٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٢ .

٨ - من كتاب لأبي أيّوب الأنصاري جواباً لمعاوية : فما نحن وقتلة عثمان إنَّ الذي تربَّص بعثمان وثبَّط أهل الشام عن نصرته لأنت ، وإنَّ الذين قتلوه غير الأنصار .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٣ وفي ط ٨١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨١]

٩ - من كتاب لمحمَّد بن سلمة الأنصاري جواباً لمعاوية : ولئن كنت نصرتَ عثمان ميّتاً لقد خذلته حيّاً ، ونحن ومَن قِبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٦٠]

١٠ - في محاورة بين معاوية وأبي الطفيل الكناني : قال معاوية : أكنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا ، ولكنّي فيمن حضر فلم ينصره ، قال : فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة ؟ قال : منعني ما منعك إذ تربَّصت به ريب المنون وأنت بالشام ، قال : أوَ ما ترى طلبي بدمه نصرةً له ؟ قال : بلى ولكنَّك وإيّاه كما قال الجعدي :

لألقينَّك بعد الموت تندبني | وفي حياتي ما زوَّدتني زادا

راجع ما مرَّ في هذا الجزء ص ١٦٧

١١ - لَمّا أتى معاوية نعي عثمان وبيعة الناس عليّاً عليه السلام ضاق صدراً بما أتاه وتظاهر بالندم على خذلانه عثمان وقال كما في كتاب صفِّين ص ٨٨ :

أتاني أمرٌ فيه للنفس غمَّةٌ | وفيه بكاءٌ للعيون طويل
وفيه فناءٌ شاملٌ وخزايةٌ | وفيه اجتداعٌ للأُنوف أصيل
مصاب أمير المؤمنين وهذه | تكاد لها صمّ الجبال تزول
فلِلّه عيناً مَن رأى مثل هالك | أُصيب بلا ذنب وذاك جليل
تداعت عليه بالمدينة عصبةٌ | فريقان منها قاتلٌ وخذول

دعـاهم فصمُّوا عنه عند جـوابه وذاكم على مـا في النفـوس دليـل
ندمت على ما كان من تبعي الهوى وقصـري[1] فيـه حسـرةٌ وعـويـل

قـال الأميني : إنَّ زبدة مخض هـذه الكلمات المعتضـدة بعضـهـا ببعض أنَّ ابن هند لم يشذّ عن الصحابة في أمر عثمان ، وإنّمـا يفترق عنهم بـأنَّ اولئك كـانوا مهاجمين عليه أو خاذلين له ، وأمّا معاويـة فقد اختصَّ بـالخذلان والتخـذيل اللذين كان يروقه نتاجهما حتّى وقع ما كان يحبُّـه ويتحرّاه ، وحتّى حسب صفـاء الجوِّ لمـا كان يضمره من التشبّث بثارات عثمان ، والظاهر بعد الأخذ بمجامع هذه النقول عن أعاظم الصحابة وبعد تصوير الحادثة نفسها من شتّى المصادر : أنَّ لخذلان معاويـة أتمّ مـدخليَّة في انتهـاء أمـر الخليفـة إلى مـا انتهى إليـه ، والخـاذل غيـر بعيـد عن المجهز ، ومن هنا وهنـا يقول لـه الإمام عليه السلام : فـوالله ما قتـل ابن عمّك غيـرك . ويقول : ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خـذله سـواك ، إلى كلمات آخـرين لا تخفى عليهم نوايا الرجل ، فلو كان مستعجلاً بكتائبه إلى دخول المدينة ، غير متربّص قتل ابن عمّه لحامـوه ونصروه ، وكـان مبلغ أمره عنـدئذٍ إمّـا إلى الفوز بهم ، أو تـراخي الأمر إلى أن يبلغه بقيّة الأنصار من بـلاد أُخرى ، فيكـون النصر بهم جميعـاً ، لكن معاوية ما كان يريد ذلك وإنَّما كان مستبطِىء أجل الرجل ، طامعاً في تقلُّده الخلافة من بعده ، فتركه والقوم فهو أظلم الظالمِين إن كان قُتل مظلوماً كما قاله حبر الأُمَّة ، أو أنَّه من الصحابة العدول ـ كما يحسبه القوم ـ وهذا رأيه في الخليفة المقتول .

٣٦ ـ حديث عثمان نفسه :

دخل المغيرة بن شعبة على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال : يـا أمير المؤمنين ! إنَّ هؤلاء قـد اجتمعوا عليـك فإن أُحببت فـالحق بمكّة ، وإن أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ، ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام ، وإن أبيت فاخرج ونخرج وتحاكم القوم إلى الله فقال عثمان : أمّا ما ذكرت من الخـروج إلى مكّة فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول يُلحد بمكّة رجـلٌ من قريش عليـه نصف عـذاب هـذه الأُمَّـة من الإنس والجنِّ . فلن أكـون ذلـك الـرجـل إن شـاء الله . الحديث .

---

(١) قصري : أي حسبي يقال : قصرك : أي حسبك وكفايتك . كما يقال : قصارك وقصاراك .

وفي لفظ أحمد : يُلحد رجلٌ من قريش بمكّة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا إيّاه .

وفي لفظ الخطيب : يُلحد بمكّة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب الأُمَّة فلن أكونه .

وفي لفظ الحلبي : إنَّ ابن الزبير لَمّا قال لعثمان رضي الله عنه وهو محاصرٌ : إنَّ عندي نجائب أعددتها لك فهل لك أن تنجو إلى مكّة ؟ فإنَّهم لا يستحلّونك بها ، قال له عثمان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد رجلٌ في الحرم من قريش أو بمكّة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ٦٧ رجال إسناده كلهم ثقات ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٣٥ ، تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٢٧٢ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢١٠ ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٠ قال : ورواه أحمد ورجاله ثقات وله طرق ، الصواعق ص ٦٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٩ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ١٨٨ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، إزالة الخفا ج ٢ ص ٢٤٣ .

الإنسان على نفسه بصيرة :

تُعطينا هذه الرواية أنَّ ثقة عثمان بانطباق ما ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل الملحَد بمكّة على نفسه من جرّاء ما علم أنَّه مُرتكبه من الأعمال أشدَّ وأكثر من ثقته بإيمانه بما رووه له من البشارة بالجنَّة في العشرة المبشَّرة إلى فضائل أُخرى صنعتها له أيدي الولاء والمحبَّة ، على أنَّ هذه كلّها نصوصٌ فيه ، وأمّا ما خشي انطباقه عليه فهو واردٌ في رجل مجهول إستقرب الخليفة أن يكونه هو ، فامتنع عن الإنفلات إلى مكّة وآثر عليه بقاءه في الحصار حتى اودي به ، ولم يكن يعلم أنَّه يقتل بمكّة لو خرج إليها ، وعلى فرض قتله بها فمن ذا الذي أخبره أنَّه يكون هو ذلك الرجل ؟

كيف يخاف عثمان أن يكون هو ذلك الرجل وقد اشترى الجنَّة من

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرَّتين بيع الحقِّ : حيث حفر بئر رومة ، وحيث جهَّز جيش العسرة[١] ؟

كيف يخاف عثمان وقد عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّه يُقتل ويُبعث يوم القيامة أميراً على كلِّ مخذول ، يغبطه أهل المشرق والمغرب ، ويشفع في عدد ربيعة ومضر[٢] ؟

كيف يخاف عثمان وقد سمع وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أُمَّته به بقوله : عليكم بالأمير وأصحابه . وأشار إلى عثمان ؟ .

كيف يخاف عثمان وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن شأنه في الجنّة لَمّا سُئل : أفي الجنَّة برقٌ ؟ فقال : نعم والذي نفسي بيده إنَّ عثمان ليتحوَّل من منزل إلى منزل فتبرق له الجنّة[٣] ؟

كيف يخاف عثمان وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بمشهد منه ومسمع : ليس من نبيّ إلاّ وله رفيقٌ من أُمَّته معه في الجنَّة وإنَّ عثمان رفيقي ومعي في الجنَّة[٤] ؟

كيف يخاف عثمان وقد قال له صلى الله عليه وآله وسلم معتنقاً إيّاه : أنت وليّي في الدنيا والآخرة . أو قال : هذا جليسي في الدنيا ووليّي في الآخرة[٥] ؟

كيف يخاف عثمان بعدما جاء عن جابر أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ما صعد المنبر فنزل حتّى قال : عثمان في الجنَّة[٦] ؟ .

نعم : للباحث أن يجيب بأنَّ هذه كلّها أباطيل وأكاذيب لا يصحُّ شيءٌ منها فما ذنب عثمان ؟ وكيف لا يخاف والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ؟ .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٧ وصححه غير ممعن نظره في إسناده وعقبه الذهبي بتضعيف عيسى بن المسيب من رجال إسناده وقال : ضعفه أبو داود وغيره .

(٢) سيوافيك الحديث باسناده ومتنه كاملاً .

(٣) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٨٠

(٤) سيأتيك الحديث بإسناده وأنه باطل .

(٥) سنوقفك في هذا الجزء على أنه باطل لا يصح .

(٦) من أكاذيب جاء بها محب الطبري في رياضه ج ٢ ص ١٠٤ .

قريض يؤكد ما سبق :

ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٠٥ للأعور الشَّنِّي بشر بن منقذ يكنّى أبا منقذ أحد بني شن بن أقصى كان مع أمير المؤمنين يوم الجمل ، ترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص ٣٩ قوله :

بكت عين من يبكي ابن عفان بعدما ... نفى ورقَ الفرقان كلّ مكان
ثوى تاركاً للحقِّ متَّبع الهوى ... وأورث حرباً حَشَّها بطِعان
برئت إلى الرَّحمان من دين نعثل ... ودين ابن صخر أيُّها الرجلان

ويقال : ابن الغريرة النهشلي ، ويقال : الحباب بن يزيد المجاشعي[1] :
عليه أهل العراق :

وقال عليُّ بن الغدير المضرِّس الغنوي ، ويُقال: إهاب بن همام بن صعصعة المجاشعي :

لعمر أبيكِ فلا تكذبي ... لقد ذهب الخيرُ إلاّ قليلا
لقد فُتن الناسُ في دينهم ... وخلّى ابن عفّان شرّاً طويلا
أُعاذل كلَّ امرىء هالك ... فسيري إلى اللّه سيراً جميلا

راجع الأنساب ج ٥ ص ١٠٤ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٥٢ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٨٠ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٤٣ .

وأخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفِّين ص ٤٣٥ من رجز همام بن الأغفل يوم صفِّين قوله :

قد قرَّت العين من الفسّاق ... ومن رؤوس الكفر والنفاق
إذ ظهرت كتائب العراق ... نحن قتلنا صاحب المُراق
وقائد البُغاة والشقاقِ ... عثمان يوم الدار والإحراق[2]
لَمّا لففنا ساقهم بساقِ ... بالطعن والضرب مع العناق

---

(١) في تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٢٥٨ : الحتات بن يزيد .
(٢) إشارة إلى إحراق باب دار عثمان كما مرّ حديثه ويأتي .

وقال محمّد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي كما في كتاب صفّين ص ٤٣٦ :

نحن قتلنا نعثلاً بالسيرهْ إذ صدَّ عن أعلامنا المنيرهْ
يحكم بالجور على العشيره نحن قتلنا قبله المغيره(١)
نالته أرماحٌ لنا موتوره إنّا أُناسٌ ثابتو البصيره

وقال الفضل بن العبّاس مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن أبيات له :

أتطلب ثأراً لست منه ولا له وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو ؟
كما اتّصلت بنت الحمار بأُمّها وتنسى أباها إذ تُسامي أُولي الفخر
ألا إنَّ خير الناس بعد محمَّد وصيّ النبيِّ المصطفى عند ذي الذكر
وأوّل مَن صلّى وصنو نبيِّه وأوّل مَن أردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمّكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر
كفى ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله وأن يُسلموه للأحابيش من مصر

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٥١]

نادى عمرو بن العاص يوم صفّين بأعلى صوته :

يا أيُّها الجند الصليب الإيمانْ قوموا قياماً واستعينوا الرَّحمن
إنّي أتاني خبرٌ ذو ألوانْ(٢) إنَّ عليّاً قتل ابن عفّان
ردّوا علينا شيخنا كما كان

فردَّ عليه أهل العراق وقالوا :

أبت سيوف مذحج وهمدانْ بأن تردَّ نعثلاً كما كان
خَلقاً جديداً مثلَ خلق الرَّحمٰن ذلك شأنٌ قد مضى وذا شان

ثمّ نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته :

---

(١) هو المغيرة بن الاخنس المقتول يوم الدار مع عثمان كما يأتي حديثه .
(٢) في كتاب نصر : فأشجان .

رُدّوا علينا شيخنا ثمَّ بجلْ أو لا تكونوا حرّزاً من الأسل[١]

فردَّ عليه أهل العراق :

كيف نردُّ نعثلاً وقد قحلْ نحن ضربنا رأسه حتّى انجفل[٢]

وأبدل الله به خير بدل أعلم بالدين وأزكى بالعمل[٣]

شدَّ الأشتر مالك بن الحارث يوم صفِّين على محمَّد بن روضة وهو يقول :

لا يبعد الله سوى عثمانا وأنزل اللّه بكم هوانا

ولا يسلّي عنكم الأحزانا مخالفٌ قد خالف الرَّحمانا

نصرتموه عابداً شيطانا[٤]

٣٧ ـ حديث المهاجرين والأنصار :

١ ـ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى معاوية : زعمت أنَّك إنَّما أفسد عليك بيعتي خفري بعثمان ، ولعمري ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فأخاف على نفسي قصاص القاتل[٥] .

٢ ـ روى البلاذري عن المدائني عن عبدالله بن فائد انَّه قال : نظر ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى أهل الشام فقال : إنِّي لأبغضهم . فقال سعيد بن خالد بن

(١) في كتاب صفِّين : جزراً من الأسل . الجزر : قطع اللحم تأكله السباع . ألأسل : الرماح .
(٢) قحل : يبس فهو قاحل . انجفل : انقلب وسقط .
(٣) كتاب صفين ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٤٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٢ ، لسان العرب ج ١٤ ص ٧٠ ، تاج العروس ج ٨ ص ٧٧ .
(٤) كتاب صفين ص ١٩٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٣٠ . حذف منها الشطرين الأخيرين .
(٥) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٤ ، الكامل للمبرد : ج ١ ص ١٥٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٢ .

عمرو بن عثمان : تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك . قال : صدقت ، قتل أبي علوج الشام وجفاته وقتل جدَّك المهاجرون والأنصار .

[أنساب البلاذري ج ٥ ص ١٩٥ ، ٣٧٢]

٣ ـ قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٢ : ذكروا أنَّ أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفّين فوعظاه وقالا : يا معاوية ! عَلام تُقاتل عليّاً ؟ وهو أحقّ بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة ، لأنّه رجلٌ من المهاجرين الأوَّلين السابقين بالإحسان ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب ، أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحبَّ إلينا من الشام ولكن البقاء أحبَّ إلينا من الفناء ، والصَّلاح أحبّ إلينا من الفساد فقال : لستُ أزعم انّي أولى بهذا الأمر من عليّ ولكنّي أقاتله حتّى يدفع إليَّ قتلة عثمان فقالا : إذا دفعهم إليك ماذا يكون ؟ قال : أكون رجلاً من المسلمين : فأتيا عليّاً فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شورى . فقدما على عسكر عليّ فأتاهما الأشتر فقال يا هذان ! إنّه لم ينزلكما الشام حبُّ معاوية ، وقد زعمتما أنّه يطلب قتلة عثمان فعمّن أخذتما ذلك ؟ فقبلتماه ، أعمّن قتله ؟ فصدَّقتموهم على الذنب كما صدَّقتموهم على القتل . أم عمّن نصره ؟ فلا شهادة لمن جرَّ إلى نفسه ، أم عمّن اعتزل ؟ إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله ، أو عن معاوية ؟ وقد زعم أنَّ عليّاً قتله ، إتّقيا الله فإنّا شهدنا وغبتما ، ونحن الحكّام على مَن غاب . فانصرفا ذلك اليوم .

فلمّا أصبحا أتيا عليّاً فقالا له : إنَّ لك فضلاً لا يدفع ، وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السُّفهاء ، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان فإن فعلت ثمَّ قاتلك كنّا معك قال عليٌّ : أتعرفانهم ؟ قالا . نعم . قال : فخذاهم فأتيا محمَّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والأشتر فقالا : أنتم من قتلة عثمان وقد أُمرنا بأخذكم . فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا : نحن قتلنا عثمان . فقالا : نرى أمراً شديداً أليس عليّاً الرجل .

فانصرف أبو هريرة وأبو الدرداء إلى منزلهما بحمص فلمّا قدما حمص لقيهما عبدالرَّحمٰن بن عثمان وسأل عن مسيرهما فقصّا عليه القصَّة فقال : العجب منكما إنّكما من أصحاب رسول الله ﷺ ، أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما

ألسنتكما ، أتأتيان عليّاً وتطلبان إليه قتلة عثمان ؟ وقد علمتما أنَّ المهاجرين والأنصار لو حرَّموا دم عثمان نصروه ، وبايعوا عليّاً على قتلته ، فهل فعلوا ؟ وأعجب من ذلك رغبتكما عمّا صنعوا ، وقولكما لعليّ : إجعلها شورى واخلعها من عنقك ، وإنّكما لتعلمان أنَّ مَن رضي بعليّ خيرٌ ممَّن كرهه ، وانَّ من بايعه خيرٌ ممَّن لم يبايعه ، ثمَّ صرتما رسولي رجل مِن الطلقاء لا تحلُّ له الخلافة . ففشى قوله وقولهما فهمَّ معاوية بقتله ، ثمَّ راقب فيه عشيرته .

وفي لفظ ابن مزاحم في كتاب صفّين ص ٢١٣ ، خرج أبو امامة الباهلي وأبو الدرداء فدخلا على معاوية وكانا معه فقالا : يا معاوية ! عَلام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله لهو أقدم منك سلماً ، وأحقُّ بهذا الأمر منك ، وأقرب من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فعلامَ تُقاتله ؟ فقال : أُقاتله على دم عثمان ، وأنَّه آوى قتلته فقولوا له : فليقدنا من قتلته فأنا أوَّل مَن بايعه من أهل الشام ، فانطلقوا إلى عليّ فأخبروه بقول معاوية فقال : هم الذين ترون فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد لا يُرى منهم إلّا الحدق فقالوا : كلّنا قتله فإن شاؤوا فليروموا ذلك منّا .

٤ - مرَّ في صفحة ١٦٧ من حديث أبي الطفيل قول معاوية له : أكنت ممَّن قتل عثمان أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن ممَّن شهده فلم ينصره ، قال : ولِمَ ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار . الحديث فراجع .

٥ - قال شعبة : ما رأيت رجلاً أوقع في رجال أهل المدينة من القاضي أبي إسحاق سعد «بن إبراهيم بن عبدالرَّحمٰن بن عوف المدني الزهري المتوفى سنة ١٢٥» ما كنت أرفع له رجلاً منهم إلّا كذَّبه ، فقلت له في ذلك فقال : إنَّ أهل المدينة قتلوا عثمان .

[تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٨٣]

٦ - ذكر ابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٣١٩ قال : كان أبو مسلم الخولاني التابعي في المدينة فسمع مكفوفاً يقول : اللّهُمَّ العن عثمان وما ولد . فقال : يا مكفوف ! ألعثمان تقول هذا ؟ يا أهل المدينة ! كنتم بين قاتل وخاذل فكلّاً جزى الله شرّاً ، يا أهل المدينة ! لأنتم شرٌّ من ثمود ، إنَّ ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله ، وخليفة الله أكرم عليه من ناقته .

قال الأميني : غايتنا الوحيدة في نقل هذا الحديث إيقاف الباحث على موقف الصحابة من أهل المدينة وأنّهم كانوا بين قاتل وخاذل ، وأمّا رأي أبي مسلم الخولاني فيهم فتعرف جوابه من قول الأشتر قُبيل هذا .

٧ ـ قال الواقدي في إسناده : لمّا كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله ، وما النّاس فيه من عمّاله ، ويكثرون عليه ويسأل بعضهم أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ولا يُنكر ما يقال فيه إلّا زيد بن ثابت ، وأبو أُسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت الأنصاري ، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويعظه ، فأتاه فقال له إنَّ النّاس ورائي قد كلّموني في أمرك ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أُعرّفك شيئاً تجهله ، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه ، وإنَّك لتعلم ما نعلم ، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، لقد صحبتَ رسول الله ﷺ وسمعتَ ورأيتَ مثل ما سمعنا ورأينا ، وما ابن أبي قحافة وابن الخطاب بأولى بالحقِّ منك ، ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فالله الله في نفسك ، فإنّك لا تُبصّر من عمى ، ولا تُعلّم من جهل ، فقال له عثمان : والله لو كنت مكاني ما عنَّفتك ولا أسلمتك ولا عتبتُ عليك إن وصلت رحماً[1] وسددت خلّة ، وآويت ضائعاً ، وولّيت من كان عمر يولّيه ، نشدتك الله ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة، وليس هناك ؟ قال : نعم . قال : فلِمَ تلومني إن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ قال عليٌّ : سأُخبرك أنَّ عمر بن الخطاب كان كلّ مَن ولّى فإنّما يطأ على صماخه ، إن بلغه عنه حرفٌ جلبه ، ثمَّ بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل ، ضعفتَ ورفقت على أقربائك ، قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً . فقال

(١) انظر الى الرجل يحسب كلمته هذه تبرّر أعماله الشاذة عن الكتاب والسنة وتجعل أعطياته لأبناء أُمية من الغنائم والصدقات صلة للرحم ، ودفعه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى رجال الفتن والثورات المدلهمة سدّاً للخلة ، ورد الحكم وابناؤه مطرودي النبيّ الأعظم الى المدينة إيواء للضائع ، دع هو وحسبانه ، لكن العجب كل العجب أنه يروم إفحام مثل أُمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخزعبلات .

عليٌّ : لعمري إنَّ رحمهم منّي لقريبة ولكن الفضل في غيرهم . قال : أوَ لم يولّ عمر معاوية ؟ فقال عليٌّ : إنَّ معاوية كان أشدَّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفاء وهو الآن يبتزّ الامور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان . ويبلغك فلا تُغيِّر على معاوية .

راجع الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٦٠ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٣ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩١ .

٨ - أخرج ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٤٧/ط ليدن عن مجاهد قال : أشرف عثمان على الذين حاصروه فقال : يا قوم ! لا تقتلوني فإنّي والٍ وأخٌ مسلم - إلى أن قال - : فلمّا أتوه قال : اللهمَّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، قال مجاهد : فقتل الله منهم من قتل في الفتنة ، وبعث يزيد إلى المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاؤوا لمداهنتهم .

وقال حسّان بن ثابت فيمن تخلّف عن عثمان وخذله من الأنصار وغيرهم وأعان على قتله من أبيات له :

خذلته الأنصار إذ حضر المو ... ت وكانت وُلاته الأنصار
من عذيري من الزبير ومن طلحة إذ جاء أمرٌ له مقدار[1]
فتولّى محمَّد بن أبي بكر ... عياناً وخلفه عمّار
وعليٌّ في بيته يسأل النا ... س ابتداءً وعنده الأخبار
باسطاً للّذي يريد يديه ... وعليه سكينةٌ ووقار[2]

وقال حميد بن ثور أبو المثنّى الهلالي في قتل عثمان كما في تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٤٥٨ :

---

(١) في العقد الفريد :
من عذيري من الزبير ومن طلحة هاجا أمراً له اعصار .
(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ .

إنَّ الخلافةَ لمَّا أظعنت ظعنت ... من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
صارت إلى أهلها منهم ووارثها ... لَمّا رأى اللّه في عثمان ما انتهكوا
السافكي دمه ظلماً ومعصيةً ... أيّ دم لا هُدوا من غيِّهم سفكوا
والهاتكي ستر ذي حقّ ومحرمة ... فأيّ شرّ على أشياعهم هتكوا
والخيل عابسةٌ نضج الدماء بها ... تنعى ابن أروى على أبطالها الشكك
من كلِّ أبيض هنديّ وسابغة ... تغشى البنان لها من نسجها حبك
قد نال جلّهم حصرٌ بمحصرة ... ونال فتّاكهم فتكٌ بما فتكوا
قرَّت بذاك عيونٌ واشتفين به ... وقد تقرُّ بعين الثائر الدرك

٣٨ ـ كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور :

أخرج الطبري من طريق عبدالرحمٰن بن يسار أنّه قال : لَمّا رأى النّاس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة مِن أصحاب النبيِّ إلى، مَن بالآفاق منهم وكانوا قد تفرَّقوا في الثغور :

إنَّكم إنَّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزَّ وجلَّ تطلبون دين محمَّد ﷺ فإنَّ دين محمَّد قد أفسده من خلفكم وترك ، فهلمّوا فأقيموا دين محمَّد ﷺ . وفي لفظ ابن الأثير : فإنَّ دين محمَّد قد أفسده خليفتكم فأقيموه . وفي لفظ ابن أبي الحديد : قد أفسده خليفتكم فاخلعوه ، فاختلفت عليه القلوب . فأقبلوا من كلِّ أُفق حتى قتلوه[1] .

وأخرج من طريق محمَّد بن مسلمة قال : لَمّا كانت سنة ٣٤ كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله ويسأل بعضهم بعضاً : أن أقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد ، وكثر النّاس على عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون ليس فيهم أحدٌ ينهى ولا يذبُّ إلاّ نفير : زيد بن ثابت ، وأبو أُسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٥ ، الكامل لإبن الأثير ج ٥ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

عثمان ويعظه فأتاه فقال له : إنَّ الناس ورائي . إلى آخر ما مرَّ في ص ٩٨ .

٣٩ ـ كتاب المهاجرين إلى مصر :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من المهاجرين الأوَّلين وبقية الشورى إلى مَن بمصر من الصحابة والتابعين .

أمّا بعد : أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإنَّ كتاب الله قد بُدِّل ، وسنَّة رسول الله قد غيّرت ، وأحكام الخليفتين قد بُدِّلت، فننشد الله مَن قرأ كتابنا من بقيَّة أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلا أقبل إلينا وأخذ الحقَّ لنا وأعطاناه ، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحقَّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيّكم وفارقكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقّنا ، واستولي على فيئنا ، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبيّنا خلافة نبوَّة ورحمة وهي اليوم ملكٌ عضوضٌ مَن غلب على شيء أكله[1] .

٤٠ ـ كتاب أهل المدينة إلى عثمان :

أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١١٦ من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجُّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من الله ، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته . إلى آخر ما يأتي .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٢ .



تعلمنا هذه الأحاديث المتضافرة الواردة عن آحاد الصحابة من المهاجرين والأنصار أو عامَّة الفريقين ، أو عن جامعة الصحابة البالغة مائتين حديثاً أنَّه لم يشذّ عن النقمة على عثمان منهم أحدٌ ما خلا أربعة وهم : زيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وأسيد الساعدي . فمن مُجهز عليه إلى محبِّذ لعمله ، إلى محرِّض على قتله ، إلى ناشر لأحداثه ، إلى مؤلِّب عليه يسعى في إفساد أمره ، إلى متجاسر عليه بالوقيعة فيه ، إلى مُناقد في فعاله يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، إلى خاذل له بترك نصرته لا يرى هنالك في الناقمين الثائرين عليه منكراً ينهى عنه ، أو في جانب الخليفة حقّاً يتحيَّز إليه ، وهم كما مرَّ في ص ١٨٦ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى . فكان ذلك إجماعاً منهم أثبت من إجماعهم على نصب الخليفة في الصدر الأوَّل ، فإن كانت فيه حجَّة فهي في المقامين إن لم تكن في المقام الثاني أولى بالإتِّباع . ومن أمعن النظر فيما مرَّ ويأتي من النصوص الواردة عن مولانا أمير المؤمنين .

٢ ـ عائشة أمّ المؤمنين .

٣ ـ عبد الرَّحمن بن عوف . أحد العشرة المبشَّرة ورجالات الشورى .

٤ ـ طلحة بن عبدالله . أحد العشرة المبشَّرة .

٥ ـ الزبير بن العوام . أحد العشرة المبشَّرة .

٦ ـ عبدالله بن مسعود صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . «بدريٌّ» .

٧ ـ عمّار جِلدة ما بين عيني النبيِّ ، النازل فيه القرآن «بدريّ» .

٨ ـ المقداد بن أبي الأسود ، الممدوح بلسان النبيِّ الطاهر . «بدريٌّ» .

٩ ـ حجر بن عدي الكوفي الصالح الناسك .

١٠ ـ هاشم المرقال الذي كان من الفضلاء الخيار كما في «الإستيعاب» .

١١ ـ جهجاه بن سعيد الغفاري ، من رجالات بيعة الشجرة .

١٢ ـ سهل بن حنيف الأنصاري «بدريّ» .

١٣ ـ رفاعة بن رافع الأنصاري «بدريّ» .

١٤ ـ حجّاج بن غزيّة الأنصاري .

١٥ ـ أبو أيّوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «بدريّ» .

١٦ ـ قيس بن سعد الأنصاري ، أمير الخزرج الصالح «بدري» .

١٧ ـ فروة بن عمرو البياضي الأنصاري «بدريّ» .

١٨ ـ محمَّد بن عمرو بن حزم الأنصاري «بدري» .

١٩ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري .

٢٠ ـ جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري «بدريّ» .

٢١ ـ محمّد بن مسلمة الأنصاري «بدريّ» .

٢٢ ـ عبدالله بن عبّاس حبر الأُمّة .

٢٣ ـ عمرو بن العاصي .

٢٤ ـ عامر بن واثلة أبي الطفيل الكناني الليثي .

٢٥ ـ سعد بن أبي وقاص . أحد العشرة المبشَّرة .

٢٦ ـ مالك بن الحارث الأشتر . وهل موجودٌ كمالك ؟ قاله أمير المؤمنين .

٢٧ ـ عبدالله بن عكيم .

٢٨ ـ محمّد بن أبي حذيفة العبشمي .

٢٩ ـ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي .

٣٠ ـ صعصعة بن صوحان ، سيِّد عبدالقيس .

٣١ ـ حكيم بن جبلة العبدي الشهيد يوم الجمل .

٣٢ ـ هشام بن الوليد المخزومي .

٣٣ ـ معاوية بن أبي سفيان .

٣٤ ـ زيد بن صوحان ، من الخيار الأبرار كما في الحديث .

٣٥ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي المشرَّف بدعاء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

٣٦ ـ عديّ بن حاتم الطائي الصحابيّ العظيم .

٣٧ ـ عروة بن السعد الصحابيّ .

٣٨ ـ عبدالرَّحمٰن بن حسان العنزي الكوفي .

٣٩ ـ محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة . الممدوح بلسان مولانا أمير المؤمنين .

٤٠ ـ كميل بن زياد النخعي .

٤١ ـ عائذ بن حملة الطهوي التميمي .

٤٢ ـ جندب بن الزهير الأزدي .

٤٣ ـ الأرقم بن عبدالله الكندي .

٤٤ ـ شريك بن شداد الحضرمي .

٤٥ ـ قبيصة بن ضُبيعة العبسي .

٤٦ ـ كريم بن عفيف الخثعمي العامري .

٤٧ ـ عاصم بن عوف البجلي .

٤٨ ـ ورقاء بن سميّ البجلي .

٤٩ ـ كدام بن حيّان العنزي .

٥٠ ـ صيفي بن فسيل الشيباني .

٥١ ـ محزر بن شهاب التميمي المنقري .

٥٢ ـ عبدالله بن حويّة السعدي التميمي .

٥٣ ـ عتبة بن الأخنس السعدي .

٥٤ ـ سعيد بن نمران الهمداني .

٥٥ ـ ثابت بن قيس النخعي .

٥٦ ـ أصعر بن قيس الحارثي .

٥٧ ـ يزيد بن المكفكف النخعي .

٥٨ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني .

٥٩ ـ الفضل بن العبّاس الهاشمي .

٦٠ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي .

٦١ ـ زياد بن النضر الحارثي .

٦٢ ـ عبدالله الأصم العامري .

٦٣ ـ عمرو بن الأهتم نزيل الكوفة .

٦٤ ـ ذريح بن عباد العبدي .

٦٥ ـ بشر بن شريح القيسي .

٦٦ ـ سودان بن حمران السكوني .

٦٧ ـ عبد الرَّحمٰن بن عديس أبي محمّد البلوي .

٦٨ ـ عروة بن شييم ابن البيّاع الكناني الليثي .

٦٩ ـ كنانة بن بشر السكوني التجيبي .

٧٠ ـ الغافقي بن حرب العكي .

٧١ ـ كعب بن عبده ، الزاهد الناسك .

٧٢ ـ مثنى بن مخربة العبدي .

٧٣ ـ عامر بن بكير بن عبدياليل الليثي الكناني «بدريّ» .

٧٤ ـ عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي .

٧٥ ـ عبدالرَّحمٰن بن عبدالله الجمحي .

٧٦ ـ مسلم بن كريب القابضي الهمداني .

٧٧ ـ عمرو بن عبيد الحارثي الهمداني .

٧٨ ـ عمرو بن حزم الأنصاري .

٧٩ ـ عمير بن ضابىء التميمي البرجمي .

٨٠ ـ أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي .

إلى نظرائهم ممَّن مرَّ حديثه أو يأتي في هذا الجزء يزداد بصيرةً في انعقاد هذا الإجماع الذي لا محيد عن مؤدّاه ، ولا منتدح عن الجري معه ، ولا محيص عن أخذه حجَّة قاطعة ، وكيف لا ؟ وفيهم عُمد الصحابة ودعائمها ، وعظماء الملّة وأعضادها ، وذوو الرأي والتقوى والصلاح من البدريِّين وغيرهم ، وفيهم : أُمُّ المؤمنين وغير واحد مِن العشرة المبشَّرة ، ورجال الشورى ، فإذا لم يحتجّ بإجماع مثله لا يحتجُّ بأيِّ إجماع قطُّ ، ولو جاءت عن أحد من هؤلاء كلمةٌ واحدة في حقِّ

أي إنسان مدحاً أو ذمّاً لاتّخذوه حجّة دامغة ، فكيف بهم وقد اجتمعوا على كلمة واحدة ؟ .

وبهذه كلّها تظهر قيمة الكلم التافهة التي جاء بها القوم لإغراء الدهماء بالجهل أمثال ما في تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٢ من قوله : قال أيّوب والدارقطني : مَن قدَّم عليّاً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار . وهذا الكلام حقٌّ وصدقٌ وصحيحٌ ومليح . ا هـ . إقرأ واضحك أو إبك . فمن قدَّم عثمان على أيِّ موحّد أسلم وجهه لله وهو مؤمن بعد هذا الإجماع المتسالم عليه فضلاً عن مولى المؤمنين عليّ صلوات الله عليه فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، والصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان .

﴿لقد جاءك الحقُّ من ربّك فلا تكوننَّ من الممترين﴾[1] .

٤١ - قصّة الحصار الأوّل ، الإجتماع على عثمان من أهل الأمصار : المدينة ، الكوفة ، البصرة ، مصر :

أخرج البلاذري وغيره بالإسناد : التقى أهل الأمصار الثلاثة : الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام ، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة ، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخربة العبدي ، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتّاب بن عوف السكوني ثمَّ التجيبي ، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه ، وقالوا : لا يسعنا الرضى بهذا ، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلٌّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكّة من أهل الخلاف على عثمان إلى مَن كان على مثل رأيهم من أهل بلده ، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستمعوه ، فإن أعتب ، وإلاّ رأوا رأيهم فيه ففعلوا ذلك .

فلمّا حضر الوقت خرج الأشتر مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين ، وقال ابن قتيبة : أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق ، وكان أمراؤهم هو

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية :١٤٧ .

وزيد بن صوحان العبدي ، وزياد بن النضر الحارثي ، وعبدالله بن الأصم العامري ، وعلى الجميع عمرو بن الأهتم .

وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مائة من أهل البصرة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وفيهم : ذريح بن عبّاد العبدي ، وبشر بن شريح القيسي ، وابن المحرّش ـ ابن المحترش ـ وقال ابن خلدون : وكلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات .

وجاء أهل مصر وهم أربع مائة ، ويقال : خمس مائة ، ويقال : سبع مائة ، ويقال : ست مائة ، ويقال : ألف ، وفي شرح ابن أبي الحديد : كانوا ألفين . وكان فيهم : محمّد بن أبي بكر ، وسودان بن حمران السكوني ، وميسرة ـ ويقال قتيرة ـ السكوني ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وكان من رؤسهم وعليهم أُمراء أربعة :

١ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي . على رُبع

٢ ـ عبدالرَّحمٰن بن عديس أبو محمّد البلوي . على رُبع

٣ ـ عروة بن شييم بن البياع الكناني الليثي . على رُبع

٤ ـ كنانة بن بشر السكوني التجيبي . على رُبع

وعليهم جميعاً : الغافقي بن حرب العكي ، وكان يصلّي بالناس في أيّام الحصار ، قال الطبري : كان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعي ، وكان من أصحاب النبيِّ ﷺ ، وإلى عبدالرحمٰن بن عديس التجيبي .

فلمّا أتوا المدينة أتوا دار عثمان ، ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار منهم : عمّار بن ياسر العبسي وكان بدريّاً ، ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدريّاً ، والحجاج بن غزية وكانت له صحبة ، وعامر بن بكير وكان بدريّاً أحد بني كنانة .

وفي كتاب لنائلة امرأة عثمان إلى معاوية في رواية ابن عبد ربّه : وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير

فأمروهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزاعة ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب ، وهؤلاء كانوا أشدّ الناس عليه .

وفي حديث سعيد بن المسيب في الأنساب والعقد الفريد وغيرهما : وقد كانت من عثمان قبلُ هنات إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر : فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها ، وحنقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر .

وفي لفظ المسعودي : وفي الناس بنو زهرة لأجل عبدالله بن مسعود ، لأنّه كان من أحلافها ، وهذيل لأنّه كان منها ، وبنو مخزوم وأحلافها لعمّار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمّد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممّن لا يحمل ذكره كتابنا . فحصروا عثمان الحصار الأول[١] .

كتاب المصريّين إلى عثمان :

أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١١٦ من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل مصر بالسقيا[٢] أو بذي خُشب[٣] إلى عثمان بكتاب فجاء به رجلٌ منهم حتّى دخل به عليه فلم يردّ عليه شيئاً فأمر به فأُخرج من الدار ، وكان فيما كتبوا إليه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أمّا بعد : فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ، فالله الله ثمّ

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٤٩ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٦ ، ٥٩ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٦ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٤١ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٦ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٤١١ ، الصواعق: ص ٦٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) من أسافل أودية تهامة .

(٣) واد على مسيرة ليلة من المدينة كما مرّ .

الله الله ، فإنَّك على دنيا فاستتمَّ إليها معها آخرة ، ولا تلبس[1] نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا ، واعلم أنّا والله لله نغضب وفي الله نرضى ، وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مجلّحة مبلّجة ، فهذه مقالتنا لك وقضيّتنا إليك والله عذيرنا منك . والسَّلام .

عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنَّة وذلك في سنة ٣٥ هـ :

أخرج البلاذري من رواية أبي مخنف في الأنساب ج ٥ ص ٦٢ : انَّ المصريِّين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرَّة الاولى «إلى أن قال» : وأتى المغيرة بن شعبة فقال له : دعني آتِ القوم فأنظر ما يريدون ، فمضى نحوهم فلمّا دنا منهم صاحوا به : يا أعور ! وراءك ، يا فاجر ! وراءك ، يا فاسق ! وراءك . فرجع ، ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له : ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى ممّا ساءهم . فلمّا دنا منهم سلّم فقالوا لا سلّم الله عليك ، إرجع يا عدوَّ الله ! إرجع يا ابن النابغة ! فلست عندنا بأمين ولا مأمون فقال له ابن عمر وغيره : ليس لهم إلاّ عليّ بن أبي طالب فلمّا أتاه قال : يا أبا الحسن ! ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيِّه . قال : نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنَّك تفي لهم بكلِّ ما أضمنه عنك ، قال : نعم . فأخذ عليٌّ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك . قال : لا ، بل أمامي ، تُعطَون كتاب الله وتُعتبون من كلِّ ما سخطتم ، فعرض عليهم ما بذل عثمان ، فقالوا : أتضمن ذلك عنه ؟ قال : نعم . قالوا : رضينا . وأقبل وجوههم وأشرافهم مع عليّ حتّى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كلِّ شيء فقالوا : أُكتب بهذا كتاباً فكتب :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا كتابٌ من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين

---

(١) كذا ولعله : لا تنس نصيبك ، أخذاً من القرآن الكريم .

والمسلمين انَّ لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنَّة نبيِّه ، يُعطى المحروم ، ويُؤمن الخائف ، ويُردُّ المنفيُّ ، ولا تجمر[1] البعوث ، ويُوفر الفيء ، وعليٌّ بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء في هذا الكتاب .

شهد الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله ، وسعد بن مالك بن أبي وقّاص ، وعبدالله بن عمرو ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حُنيف ، وأبو أيوب خالد بن زيد .

وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين . فأخذ كلُّ قوم كتاباً فانصرفوا .

وقال عليٌّ بن أبي طالب لعثمان : أُخرج فتكلّم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأشهد الله ما في قلبك ، فإنَّ البلاد قد تمخَّضت عليك ، ولا تأمَن أن يأتي ركبٌ آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا عليّ إركب إليهم . فإن لم أفعل قلت : قطع رحمي ، واستخفَّ بحقِّي ، فخرج عثمان فخطب الناس فأقرَّ بما فعل واستغفر الله منه ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زلَّ فليُنب . فأنا أوّل من اتَّعظ ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردُّوني برأيهم ، فوالله لو ردَّني إلى الحقِّ عبدٌ لاتَّبعته وما عن الله مذهب إلّا إليه ، فسرَّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شاهت وجوهكم ما اجتماعكم ؟ أمير المؤمنين مشغولٌ عنكم ، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا ، وبلغ عليّاً الخبر فأتى عثمان وهو مُغضب فقال : أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بإفساد دينك ، وخديعتك عن عقلك ؟ وإنِّي لأراه سيوردك ثمَّ لا يُصدرك ، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمعاتبتك .

وقالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة : قد سمعت قول عليٍّ بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنَّه غير عائد إليك ، وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة ، فبعث إلى عليّ فلم يأته .

وأخرج ابن سعد من طريق أبي عون قال : سمعت عبدالرَّحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال : قبَّحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى

---

(١) تجمر الجيش : تحبس في أرض العدو ولم يقفل .

وبكى على المنبر حتّى استهلّت دموعه ، فلم يزل مروان يفتله في الذروة والغارب[١] حتّى لَفَته عن رأيه ، قال : وجئت إلى عليّ فوجدته بين القبر والمنبر ومعه عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وهما يقولان : صنع مروان بالناس ؟ قلت : نعم[٢] .

صورة اخرى من توبة الخليفة :

أخرج الطبري من طريق عليٍّ بن عمر عن أبيه قال : إنَّ عليّاً جاء عثمان بعد انصراف المصريِّين فقال له : تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ، ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة ، فإنَّ البلاد قد تمخّضت عليك فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول : يا عليّ إركب إليهم . ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً . ويقدم ركبٌ آخرون من البصرة فتقول : يا عليّ إركب إليهم . فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقّك . قال : فخرج عثمان وخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى النّاس من نفسه التوبة فقام فحمدالله وأثنى عليه بما هو أهله ثمَّ قال :

أمّا بعد : أيُّها النّاس فوالله ما عاب مَن عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلّا وأنا أعرفه ، ولكنّي منّتني نفسي وكذبتني ، وضلَّ عنّي رشدي ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زلَّ فليتب[٣] ومن أخطأ فليتب ولا يتمادَ في الهلكة ، إنَّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق ، فأنا أوَّل من اتَّعظ ، أستغفر الله عمّا فعلت ، وأتوب إليه ، فمثلي نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لئن ردَّني إلى الحقِّ عبدٌ لأستننَّ بسنّة العبد ، ولأذلنَّ ذلّ العبد ، ولأكوننَّ كالمرقوق إن مُلك صبر ، وإن عُتق شكر ، وما عن الله مذهبٌ إلّا إليه ، فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إليَّ ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي .

---

(١) لم يزل يفتل في الذروة والغارب . مثل في المخادعة ، أي يدور من وراء خديعته .

(٢) واخرج الطبري حديث ابن عون هذا وتبعه ابن الاثير وسيوافيك لفظه ، وأوعز اليه الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص ٥٣ .

(٣) كذا في تاريخ الطبري والصحيح ما مرّ في رواية البلاذري : من زل فلينب .

قال : فرقَّ الناس له يومئذٍ وبكى من بكى منهم وقام إليه سعيد بن يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ! ليس بواصل لك من ليس معك ، الله الله في نفسك ، فاتمم على ما قلت فلمّا نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً [(١)] ونفراً من بني أُميَّة ولم يكونوا شهدوا الخطبة فلمّا جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت ؟ فقالت نائلة إبنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبيَّة : لا بل اصمت فإنّهم والله قاتلوه ومؤثّموه ، إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها . فأقبل عليها مروان فقال : ما أنتِ وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوكِ وما يحسن يتوضّأ . فقالت له : مهلاً يا مروان ! عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه ، وأنَّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه ، أما والله لولا أنّه عمّه وأنّه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه . قال : فأعرض عنها مروان ثمَّ قال : يا أمير المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت ؟ قال : بل تكلّم . فقال مروان : بأبي أنت وأُمّي والله لوددت أنَّ مقالتك هذه كانت وأنت مُمنّع منيع فكنت أوَّل من رضي بها وأعان عليها لكنّك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطُبيين ، وخلف السيل الزبى ، وحين أعطى الخطّة الذليلة الذليل ، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوَّف عليها ، وإنّك إن شئت تقرَّبت بالتوبة ولم تقرِّر بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحي أن أُكلّمهم . قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم ؟ كأنَّكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه ، كلّ إنسان آخذٌ باذن صاحبه إلّا من أُريد[(٢)] جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنّا ، أما والله لئن رمتمونا ليمرنَّ عليكم منّا أمرٌ لا يسرّكم ولا تحمدوا غبّ رأيكم ، ارجعوا إلى منازلكم ، فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا ، قال : فرجع النّاس وخرج بعضهم حتّى أتا عليّاً فأخبره الخبر فجاء عليٌّ عليه السلام مغضباً حتّى دخل على عثمان فقال : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك[(٣)] عن دينك وعن عقلك

(١) هو سعيد بن العاص .

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفي الكامل : شاهت الوجوه الى من أُريد .

(٣) في لفظ البلاذري : إلّا بافساد دينك ، وخديعتك عن عقلك . وفي لفظ ابن كثير : إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك ، وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به .

مثل جَمَل الظعينة يُقاد حيث يسار به ؟ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه ، وأيم الله إنِّي لأراه سيوردك ثمَّ لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبتَ شرفك ، وغُلبت على أمرك .

فلمّا خرج عليٌّ دخلت عليه نائلة إبنة الفرافصة امرأته فقالت : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلّمي . فقالت : قد سمعت قول عليّ لك وانَّه ليس يعاودك ؟ وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقي الله وحده لا شريك له وتتّبع سنّة صاحبيك من قبلك ، فإنَّك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة ، وإنّما تركك النّاس لمكان مروان ، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإنَّ له قرابةً منك وهو لا يُعصى . قال : فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه ، وقال : قد أعلمته أنِّي لست بعائد . فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلّم . فقال : إنَّ بنت الفرافصة . فقالَ عثمان : لا تذكرنَّها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك . فكفَّ مروان[1] .

صورة أُخرى من التوبة :

من طريق أبي عون قال : سمعت عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال : قبّح الله مروان ، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مُخضلَّة من الدموع وهو يقول : اللهمَّ إنِّي أتوب إليك ، اللّهمَّ إنِّي أتوب إليك ، اللّهمَّ إنِّي أتوب إليك ، والله لئن ردَّني الحقّ إلى أن أكون عبداً قِنّاً لأرضينَّ به ، إذا دخلت منزلي فادخلوا عليَّ ، فوالله لا أحتجب منكم ولأُعطينَّكم ولأزيدنَّكم على الرضا ، ولأُنحينَّ مروان وذويه .

قال : فلمَّا دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله

---

(١) الأنساب للبلاذري : ج ٥ ص ٦٤ ، ٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عمّا كان يريد ، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيّام ما خرج استحياءً من الناس ، وخرج مروان إلى الناس فقال : شاهت الوجوه إلاّ مَن أُريد ارجعوا إلى منازلكم ، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه وإلاّ قرَّ في بيته . قال عبدالرَّحمن : فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر وأجد عنده عمّار بن ياسر ومحمَّد بن أبي بكر وهما يقولان : صنع مروان بالناس وصنع ، قال : فأقبل عليَّ عليٌّ فقال : أحضرتَ خطبة عثمان ؟ قلت : نعم . قال : أفحضرتَ مقالة مروان للناس ؟ قلت نعم . قال عليٌّ : عياذ الله يا للمسلمين ، إنِّي إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني وقرابتي وحقِّي ، وإنِّي إن تكلَّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث شاء بعد كِبَر السنّ وصحبة رسول الله ﷺ .

قال عبدالرّحمن بن الأسود : فلم يزل حتَّى جاء رسول عثمان ائتني فقال عليٌّ بصوت مرتفع عالٍ مغضبٍ : قل له : ما أنا بداخل عليك ولا عائد . قال : فانصرف الرسول فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً فسألت ناتلاً غلامه من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال : كان عند عليّ ، فقال عبدالرَّحمن بن الأسود : فغدوت فجلست مع عليّ عليه السلام فقال لي : جاءني عثمان بارحة فجعل يقول : إنِّي غير عائد وإنِّي فاعل ، قال : فقلت له . بعدما تكلّمت به على منبر رسول الله ﷺ وأعطيت من نفسك ، ثمَّ دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم ؟ قال : فرجع وهو يقول : قطعت رحمي وخذلتني وجرَّأت الناس عليَّ فقلت : والله إنِّي لأذبُّ الناس عنك ، ولكنِّي كلّما جئتك بهنَةٍ أظنُّها لك رضى جاء بأُخرى فسمعت قول مروان عليَّ واستدخلت مروان . قال : ثمَّ انصرف إلى بيته فلم أزل أرى عليّاً منكّباً عنه لا يفعل ما كان يفعل[1] .

عهد آخر بعد حنث الأول :

أخرج الطبري من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: كتب أهل المدينة

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٢ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٩٦ .

إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حقِّ الله ، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليٍّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردَّهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتَّى يأتيه أمداده فقال : إنَّ القوم لن يقبلوا التعليل وهم محمّلي عهداً وقد كان منّي في قدمتهم الاولى ما كان ، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به . فقال مروان بن الحكم : يا أمير المؤمنين ! مقاربتهم حتَّى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب ، فأعطهم ما سألوك ، وطاولهم ما طاولوك ، فإنَّما هم بغوا عليك فلا عهد لهم ، فأرسل إلى عليٍّ فدعاه فلمّا جاءه قال : يا أبا حسن ! إنَّه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان منِّي ما قد علمت ، ولست آمنهم على قتلي ، فارددهم عنِّي ، فإنَّ لهم الله عزَّ وجلَّ أن أُعتبهم من كلِّ ما يكرهون ، وأن أُعطيهم الحقَّ من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي ، فقال له عليٌّ : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، وإنِّي لأرى قوماً لا يرضون إلّا بالرضا وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الاولى عهداً من الله لترجعنَّ عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك ، ثمَّ لم تف لهم بشيء من ذلك فلا تغرَّني هذه المرَّة من شيء ، فإنِّي معطيهم عليك الحقَّ . قال : نعم فاعطهم فوالله لأفينَّ لهم . فخرج عليٌّ إلى الناس فقال : أيُّها الناس إنَّكم إنَّما طلبتم الحقَّ فقد أُعطيتموه إنَّ عثمان قد زعم أنَّه منصفكم من نفسه ومن غيره ، وراجعٌ عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه . قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنّا والله لا نرضى بقول دون فعل . فقال لهم عليٌّ : ذلك لكم . ثمَّ دخل عليه فأخبره الخبر ، فقال عثمان : إضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي في مهلة ، فإنِّي لا أقدر على ردِّ ما كرهوا في يوم واحد ، قال له عليٌّ : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك ، قال : نعم ، ولكن أجِّلني فيما بالمدينة ثلاثة أيّام . قال عليٌّ : نعم . فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجَّله فيه ثلاثاً على أن يردَّ كلَّ مظلمة ، ويعزل كل عامل كرهوه ، ثمَّ أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فكفَّ المسلمون عنه

ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه ، فجعل يتأهّب للقتال ويستعدُّ بالسلاح ، وقد كان اتَّخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس ، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة وهو على حاله لم يغيِّر شيئاً ممّا كرهوه ، ولم يعزل عاملاً ، ثار به الناس ، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريِّين وهم بذي خُشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتّى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان : ألم نفارقك على أنَّك زعمت أنّك تائبٌ من أحداثك ، وراجعٌ عمّا كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه ؟ قال : بلى أنا على ذلك . قال فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك ؟ الحديث(١) .

سياسة ضئيلة :

لَمّا تكلّم عليٌّ مع المصريِّين ورجَّعهم إلى بلادهم ورجع هو إلى المدينة دخل على عثمان وأخبره أنَّهم قد رجعوا فمكث عثمان ذلك اليوم حتَّى إذا كان الغد جاء مروان فقال له : تكلّم وأعلم النّاس أنَّ أهل مصر قد رجعوا ، وأنَّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً فإنَّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخرج . فلم يزل به مروان حتَّى خرج فجلس على المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد : إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم .

فناداه الناس من كلِّ ناحية : اتَّق الله يا عثمان ! وتب إلى الله . وكان أوَّلهم عمرو بن العاصي . قال : إتَّق الله يا عثمان ! فإنَّك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب إلى الله نتب . إلى آخر ما مرَّ في هذا الجزء صفحة ١٦٥ .

قصّة الحصار الثاني(٢) :

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال : لَمّا شخص المصريّون بعد

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٦ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٧١ ، ٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) مصادرها : الأنساب ج ٥ ص ٢٦ - ٦٩ ، ٩٥ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٣ - ٣٧ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٩ ، ١٢٠ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، ٧١ ،

الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة[١] أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له : من أنت ؟ فقال : رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد ، وأنا غلام أمير المؤمنين . وكان أسود فقال بعضهم لبعض : لو أنزلناه وفتّشناه ألّا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال بعضهم لبعض : خلّوا سبيله فقال كنانة بن بشر : أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا . فقالوا : سبحان الله أيكون كتابٌ في ماء ؟ فقال : إنَّ للنّاس حِيَلاً . ثمَّ حلَّ الإداوة فإذا فيها قارورةٌ مختومةٌ ، أو قال : مضمومة . في جوف القارورة كتابٌ في أنبوب من رصاص فأخرجه فقُرىء فإذا فيه :

أمّا بعد : فإذا قدم عليك عمرو بن بُديل فاضرب عنقه ، واقطع يدي ابن عُديس وكنانة ، وعروة ، ثمَّ دعهم يتشحّطون في دمائهم حتَّى يموتوا ، ثمَّ أوثقهم على جذوع النخل .

فيقال : إنَّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان ، فلمّا عرفوا ما في الكتاب ، قالوا : عثمانُ محَلٌّ ، ثمَّ رجعوا على بدئهم حتَّى دخلوا المدينة فلقوا عليّاً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليٌّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال : أمّا الخطّ فخطُّ كاتبي ، وأمّا الخاتم فعلى خاتمي ، قال عليٌّ فمن تتّهم ؟ قال : أتّهمك وأتّهم كاتبي . فخرج عليٌّ مغضباً وهو يقول : بل هو أمرك . قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بدءاً عند حُمران بن أبان ثمَّ أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه .

وفي لفظ جُهيم الفهري قال : أنا حاضرٌ أمر عثمان فذكر كلاماً في أمر عمّار . فانصرف القوم راضين ثمَّ وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق

شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٣ ، الصواعق ص ٦٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ ، واللفظ للبلاذري والطبري .

(١) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام . وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام

رؤساء المصريِّين ، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه بـه فحلف له أنَّـه لم يكتبه ولم يعلم به. فقال له عليٌّ : فمن تتَّهم فيه ؟ فقال : أتَّهم كاتبي وأتَّهمك يـا عليٌّ ! لأنَّك مُطاع عند القوم ولم تردّهم عنّي .

وجـاء المصريُّـون إلى دار عثمان فـأحدقـوا بهـا وقـالـوا لعثمـان وقـد أشـرف عليهم : يا عثمان ! أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف فقالوا : هذا شرٌّ ، يكتب عنك بما لا تعلمـه ، ما مثلك يلي أمـور المسلمين ، فاختلع من الخـلافة . فقـال : ما كنت لأنزع قميصاً قمَّصنيه الله ، أو قال : سربلنيه الله . وقالت بنو أُميّة : يا عليٌّ أفسدت علينا أمرنـا ودسست وألَّبت ، فقال : يـا سفهاء ! إنّكم لتعلمـون انَّه لا نـاقة لي في هـذا ولا جمـل ، وإنِّي رددت، أهـل مصـر عن عثمـان ثمَّ أصلحت أمـره مـرَّة بعـد أُخرى . فما حيلتي ؟ وانصرف وهو يقـول : اللهمَّ إنِّي بريءٌ ممَّـا يقولـون ومن دمه إن حدث به حدثٌ .

قال : وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على النّاس يقول فيـه : والله مـا كتبت الكتـاب ولا أمـرت بـه ولا علمت بقصَّتـه وأنتم مُعتبـون من كـلّ مـا ساءكم ، فأمِّروا على مصركم من أحببتم ، وهذه مفاتيـح بيت مالكم فـادفعوهـا إلى من شئتم ، فقالوا : قد اتّهمناك بالكتاب فاعتزلنا .

وأخرج ابن سعد من طريق جابـر بن عبدالله الأنصـاري قال : إنَّ عثمـان وجَّه إلى المصريِّين لمَّا أقبلوا يريدونه محمَّد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنـا فيهم فأعطاهم الرضى وانصرفوا فلمّا كانوا ببعض الطريق رأوا جملاً عليـه ميسم الصدقـة فأخذوه فـإذا غلامٌ لعثمـان ففتَّشوه فـإذا معه قصبـةٌ من رصاص في جـوف إداوة فيها كتـابٌ إلى عامـل مصر : أن إفعـل بفلان كـذا ، وبفلان كـذا ، فـرجـع القـوم إلى المدينة فأرسل إليهم عثمان محمَّد بن مسلمة فلم يرجعوا وحصروه .

صورة أُخرى :

عن سعيد بن المسيِّب قال : إنَّ عثمـان لمّا ولي كـره ولايته نفـرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ لأنَّ عثمان كـان يحبُّ قومـه ، فولي النـاس اثنتي عشرة سنـة ، وكان كثيراً ما يولِّي بني أُميّة ممَّن لم يكن له من رسول الله ﷺ صحبـة ، وكان يجـيء من

أمرائه ما يكره أصحاب محمَّد ، فكان يُستعتب فيهم فلا يعزلهم ، فلمّا كان في الحجج الآخرة استأثر ببني عمِّه فولاّهم وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر ، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلّمون منه ، وقد كانت من عثمان قبلُ هنات إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر ، فكان في قلوب هُذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها ، وحنقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر ، فلمّا جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح ، كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه ، فأبى أن ينزع عمّا نهاه عثمان عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله ، فخرج من أهل مصر سبع مائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم إبن أبي سرح في مواقيت الصّلاة إلى أصحاب محمَّد ، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن ينصفهم من عامله ، ودخل عليه عليٌّ بن أبي طالب وكان متكلّم القوم فقال له : إنَّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل ، وقد ادَّعوا قِبَله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم ، فإن وجب عليه حقٌّ فانصفهم منه . فقال لهم : اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم مكانه . فأشار النَّاس عليهم بمحمَّد بن أبي بكر الصدِّيق فقالوا : استعمل علينا محمَّد بن أبي بكر . فكتب عهده وولاّه ووجَّه معهم عدَّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح ، فشخص محمَّد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً فلمّا كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنَّه رجلٌ يَطلب أو يُطلب ، فقال له أصحاب محمَّد بن أبي بكر : ما قصَّتك ؟ وما شأنك ؟ كأنَّك هاربٌ أو طالبٌ . فقال لهم مرَّة : أنا غلام أمير المؤمنين ، وقال أُخرى : أنا غلام مروان ، وجَّهني إلى عامل مصر برسالة ، قالوا : فمعك كتابٌ ؟ قال : لا . ففتَّشوه ، فلم يجدوا معه شيئاً وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيءٌ يتقلقل فحرَّكوه ليخرج فلم يخرج فشقّوا الإداوة فإذا فيها كتابٌ من عثمان إلى ابن أبي سرح .

فجمع محمَّد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمَّ فكَّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : إذا أتاك محمَّد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمّد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء إليَّ

متظلّماً منك إن شاء الله ، فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمَّد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممَّن كان معه ، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة ، فجمعوا عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبيِّ ﷺ ثمَّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام وأقرأوهم الكتاب ، فلم يبق أحدٌ من أهل المدينة إلّا حنق على عثمان ، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمَّار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب النبيِّ ﷺ بمنازلهم ما منهم أحدٌ إلّا وهو مغتمّ لِما في الكتاب .

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمَّد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم ، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله ، وكانت عائشة تقرُصه كثيراً ، ودخل عليٌّ وطلحة والزبير وسعد وعمّار في نفر من أصحاب محمَّد ﷺ كلّهم بدريّ على عثمان ومع عليّ الكتاب والغلام والبعير فقال له عليٌّ : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم . قال : وأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحَلف بالله : ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمت شأنه فقال له عليٌّ : أفالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ فحلف بالله : ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجَّهت هذا الغلام إلى مصر قطُّ . وعرفوا أن الخطَّ خطُّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمَّد ﷺ من عنده غِضاباً وعلموا أنَّه لا يحلف بباطل إلّا أنَّ قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب ، وكيف يُؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقّ ؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منّا في أمر مروان ، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان .

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال : أفيكم عليٌّ ؟ فقالوا : لا . قال : أفيكم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ، ثمَّ قال ألا أحدٌ يبلِّغ عليّاً فيسقينا ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قِرَب مملوءةً ماءً فما كادت تصل إليه وجُرح بسببها عدَّة من موالي بني هاشم وبني أُميَّة حتّى وصلت .

لفظ الواقدي :

من طريق محمَّد بن مسلمة وقد أسلفنا صدره في ص ١٦٠ - ١٦١ وإليك بقيَّته : فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم . أمّا بعد : فإذا قدم عليك عبدالرَّحمٰن بن عديس فاجلده مائة ، واحلق رأسه ولحيته ، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري ، وعمرو بن الحمق ، فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن حمران مثل ذلك ، وعروة بن البيّاع الليثي مثل ذلك . قال : فقلت : وما يدريكم أنَّ عثمان كتب بهذا ؟ قالوا : فيفتات مروان على عثمان بهذا فهذا شرّ ، فيخرج نفسه من هذا الأمر . ثمَّ قالوا : انطلق معنا إليه فقد كلّمنا عليّاً ووعدنا أن يكلّمه إذا صلّى الظهر وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال : لا أدخل في أمركم ، وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو فقال مثل هذا ، فقال محمَّد : فأين وعدكم عليّ ؟ قالوا : وعدنا إذا صلّى الظهر أن يدخل عليه . قال محمَّد : فصلّيت مع عليّ ، قال : ثمَّ دخلت أنا وعليّ عليه فقلنا : إنَّ هؤلاء المصريِّين بالباب فأذن لهم ، قال : ومروان جالس فقال مروان : دعني جُعلت فداك أكلّمهم . فقال عثمان : فضَّ الله فاك أُخرج عنّي ، وما كلامك في هذا الأمر ؟ فخرج مروان وأقبل عليٌّ عليه قال وقد أنهى المصريّون إليه مثل الذي أنهوا إليَّ ، فجعل عليٌّ يُخبره ما وجدوا في كتابهم ، فجعل يُقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شوِّر فيه ، فقال محمَّد بن مسلمة : والله إنَّهُ لصادقٌ ، ولكن هذا عمل مروان ، فقال عليٌّ : فأدخلهم عليك فليسمعوا عذرك . قال : ثم أقبل عثمان على عليّ فقال : إنَّ لي قرابة ورحماً والله لو كنت في هذه الحلقة لحللتها عنك ، فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّهم يسمعون منك . قال عليٌّ : والله ما أنا بفاعل ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم . قال : فادخلوا .

قال محمَّد بن مسلمة : فدخلوا يومئذٍ فما سلّموا عليه بالخلافة فعرفت أنَّه الشرّ بعينه قالوا : سلامٌ عليكم ، فقلنا : وعليكم السّلام . قال : فتكلّم القوم وقد قدَّموا في كلامهم ابن عديس ، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمَّة وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين ، فإذا قيل له في ذلك

قال : هذا كتاب أمير المؤمنين إليَّ ، ثمَّ ذكروا أشياء ممّا أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه قال : فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلّا دمك أو تنزع ، فردّنا عليٌّ ومحمَّد بن مسلمة وضمن لنا محمَّد النزوع عن كلّ ما تكلّمنا فيه ، ثمَّ أقبلوا على محمَّد بن مسلمة فقالوا : هل قلت ذاك لنا ؟ قال محمَّد : فقلت : نعم ، ثمَّ رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزَّ وجلَّ عليك ويكون حجَّة لنا بعد حجَّة ، حتى إذا كنَّا بالبُوَيب[١] أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبدالله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا ، والمثل بنا في أشعارنا ، وطول الحبس لنا ، وهذا كتابك ، قال : فحمدالله عثمان وأثنى عليه ثمَّ قال : والله ما كتبت ولا أمرت ولا شوَّرت ولا علمت قال : فقلت وعليٌّ جميعاً : قد صدق . قال : فاستراح إليها عثمان فقال المصريّون : فمن كتبه ؟ قال : لا أدري . قال : أفيُجترأ عليك فيُبعث غلامك وجملٌ من صدقات المسلمين ، ويُنقش على خاتمك ، ويُكتب إلى عاملك بهذه الامور العظام وأنت لا تعلم ؟ قال : نعم . قالوا : فليس مثلك يلي ، إخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه . قال : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزَّ وجلَّ . قال : وكثرت الأصوات واللغط فما كنت أظنّ أنَّهم يخرجون حتّى يواثبوه قال : وقام عليٌّ فخرج فلمَّا قام عليٌّ قمت وقال للمصريين : اخرجوا فخرجوا ، ورجعت إلى منزلي ورجع عليٌّ إلى منزله فما برحوا محاصرته حتّى قتلوه .

وأخرج الطبري من طريق عبدالرحمن بن يسار : إنَّ الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي[٢] وهو الذي كان يدعو عليه أمير المؤمنين عليه السلام في قنوته مع أُناس كما مرَّ حديثه في ج ٢ ص ١٥٧ ، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٦٥ .

وأخرج من طريق عثمان بن محمَّد الأخنسي قال : كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه في الجمعة الاخرى .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٢]

---

(١) البويب : مدخل أهل الحجاز بمصر .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٥ :

الخليفة توّاب عوّاد :

أخرج الطبري من طريق سفيان بن أبي العوجاء قال : قدم المصريّون القدمة الاولى فكلّم عثمان محمّد بن مسلمة فخرج في خمسين راكباً من الأنصار فأتوهم بذي خشب فردَّهم ورجع القوم حتَّى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتابٌ إلى عبدالله بن سعد فكرّوا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلّف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كَتَبه وقال: هذا مُفتعلٌ . قالوا : فالكتاب كتاب كاتبك ؟ قال : أجل ، ولكنّه خرج بغير إذني . قالوا : فالجمل جملك قال : أجل ، ولكنّه أُخذ بغير علمي . قالوا : ما أنت إلاّ صادقٌ أو كاذبٌ ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لِما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقِّها ، وإن كنت صادقاً فقد استحققتَ أن تُخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك ، لأنَّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُقتطع مثل الأمر دونه لضعفه وغفلته ، وقالوا له : إنَّك ضربت رجالاً من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقِّ عندما يستنكرون من أعمالك ، فأقد من نفسك من ضربته وأنت له ظالمٌ ، فقال : الإمام يُخطىء ويُصيب فلا أُقيد من نفسي لأنِّي لو أقدت كلَّ من أصبته بخطأ أتى على نفسي قالوا : إنَّك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع ، فإذا كلّمت فيها أعطيتَ التوبة ثمَّ عدت إليها وإلى مثلها ثمَّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحقِّ ولامنا فيك محمَّد بن مسلمة ، وضمن لنا ماحدث من أمر ، فأخفرته فتبرَّأ منك وقال : لا أدخل في أمره ، فرجعنا أوّل مرَّة لنقطع حجَّتك ونبلغ أقصى الأعذار إليك نستظهر بالله عزَّ وجلَّ عليك فلحقنا كتابٌ منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنَّه كُتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخطِّ كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعتْ عليك بذلك التهمة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم ، والأثرة في القسم ، والعقوبة للأمر بالتبسُّط من الناس ، والإظهار للتوبة ثمَّ الرجوع إلى الخطيئة ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتّى نعزلك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ مَن لم يُحدث مثل ما جرَّبنا منك ، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا ، فإنَّ ذلك أسلم لنا منك ، وأسلم لك

منّا ، فقال عثمان : فرغتم من جميع ما تريدون ؟ قالوا : نعم . قال :

الحمدلله وأستعينه وأومن به وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ، أمّا بعد : فإنّكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء أمّا قولكم : تخلع نفسك . فلا أنزع قميصاً قمَّصنيه الله عزَّ وجلَّ وأكرمني به وخصَّني به على غيري ولكنّي أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإنِّي والله الفقير إلى الله الخائف منه .

قالوا : إنَّ هذا لو كان أوّل حدَث أحدثته ثمَّ تُبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك ولكنه : قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرَّة الاولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك ، وكيف نقبل توبتك ؟ وقد بلونا منك أنَّك لا تُعطي من نفسك التوبة من ذنب إلّا عدتَ إليه ، فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك ، فإن حال مَن معك من قومك وذوي رحمك وأهل الإنقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتَّى نخلص إليك فنقتلك ، أو تلحق أرواحنا بالله .

فقال عثمان : أمّا أن أتبرَّأ من الإمارة فأن تصلبوني أحبُّ إليَّ من أن أتبرَّأ من أمر الله عزَّ وجلَّ وخلافته . وأمّا قولكم : تقاتلون من قاتل دوني . فإنِّي لا آمر أحداً بقتالكم[١] فمن قاتل دوني فإنَّما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أُريد قتالكم لقد كنت كتبت إلى الأجناد[٢] فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق ، فالله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تُبقوا عليَّ : فإنّكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً . قال : ثمَّ انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب وأرسل إلى محمَّد بن مسلمة فكلّمه أن يردَّهم فقال : والله لا أكذب الله في سنة مرَّتين .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٠ ، ١٢١]

---

(١) لم يكن معه هناك غير بني أبيه حتّى يأمر أحداً بالقتال وهم ليسوا هناك وقد تحصنوا يوم قتله بكندوج أُم حبيبة كما يأتيك حديثه .

(٢) كان يتأهب للقتال ، ويستعد بالسلاح ، ويكتب الى الأجناد ، ويجلب الى المدينة الجنود المجندة من الشام ، وغيرها ، غير أنه كان يغفل الناس بكلماته هذه وستوافيك كتبه .

نظرة في أحاديث الحصـارين :

أوّل مـا يقع عليـه النـظر من هـذه الأحـاديث أنّ المجهـزين على عثمـان هم المهاجرون والأنصار من الصحابة ولم يشذّ عنهم إلاّ أربعة أسلفنا ذكرهم في صفحة ٢٠٦ وهم الذين أصفقوا مـع أهل مصـر والكوفـة والبصرة على مقت الخليفـة وقتله بعـد أن أعيتهم الحيل ، وأعـوزهم السعي في استتابتـه ، وإكفائـه عن الأحـداث ، ونـزوعه عمّـا هـو عليـه من الجـرائم وإنَّ في المقبلين من تلكم البـلاد من عـظمـاء الصحـابـة ، ومن رجـال الفضيلة والفقـه والتقى من التـابعين جمـاعــات لا يستهان بعـدَّتهم ، ولا يُغمـز في دينهم ، وهم رؤسـاء هـاتيـك الجمـاهيـر والمؤلِّبين على عثمان ، فمن الكوفيِّين :

١ ـ زيد الخير ، له إدراكٌ أثنى عليه النبيُّ الأعظم ، وانّه من الخيار الأبرار .

٢ ـ مالك بن الحارث الأشتر، له إدراك، أو قفناك على عظمته وفضله وموقفه من الإيمان ، ومبلغه من الثقة والصلاح .

٣ ـ كعب بن عبدة النهدي ، وقد سمعت عن البلاذري أنّه كان ناسكاً .

٤ ـ زياد بن النضر الحارثي ، له إدراكٌ .

٥ ـ عمرو بن الأهتم ، صحابيٌّ خـطيبٌ بليغٌ شـريفٌ في قومـه ، ترجمـه ابن عبد البرّ في «الإستيعاب» ، وابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة» .

وفي المصريِّين :

٦ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي ، صحب النبيَّ وحفظ عنـه أحاديث ، وحـظي بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم له كما مرَّ تفصيله ص ٦٧ .

٧ ـ عمرو بن بديل الخزاعي ، صحابيٌّ عادلٌ مترجمٌ في معاجم الصحابة .

٨ ـ عبدالله بن بديل الخزاعي : قال أبو عمر : كان سيِّد خزاعة وخزاعـة عيبة رسـول الله ﷺ ، وشهد حنينـاً والطائف وتبـوك ، وكان لـه قدرٌ وجـلالةٌ ، وكـان من وجوه الصحابة . راجع الإستيعاب ، وأُسد الغابة ، والإصابة .

٩ ـ عبدالرَّحمن بن عديس أبو محمّد البلوي ، صحب النبيَّ وسمع منه ، وكان ممَّن بايع تحت الشجرة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

١٠ ـ محمَّد بن أبي بكر ، وحسبك فيه ما في الإستيعاب والإصابة من أنَّ عليّاً «أمير المؤمنين» كان يُثني عليه ويفضّله وكانت له عبادة واجتهاد ، وكان من أفضل أهل زمانه .

ورئيس البصريِّين :

١١ ـ حكيم بن جبلة العبدي ، قال أبو عمر في «الإستيعاب» : أدرك النبيَّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وكان رجلاً صالحاً له دين مطاعاً في قومه . وقال المسعودي في المروج ج ٢ ص ٧ : كان من سادات عبد القيس وزهّادها ونسّاكها . وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين بقوله كما في الكامل ج ٣ ص ٩٦ :

دعا حكيم دعوة سميعه   نال بها المنزلة الرفيعه
يا لهف ما نفسي على ربيعه   ربيعة السامعة المطيعه
قد سبقتني فيهم الوقيعه

وإنَّ ما جرى في غضون تلكم المعامع ، وتضاعيف ذلك الحوار من أخذٍ وردٍّ وهتافٍ وقول ، كلّها تنمُّ عن صلاح القوم وتقواهم ، وانَّهم لم يغضبوا إلاّ لله ، ولا دعوا إلاّ إلى أمره ، ولا نهضوا إلاّ لإقامة الأمت والعوج ، وتقويم دين الله وتنزيهه عن المعرّات والأحداث ، ولم يجلبهم إلى ذلك الموقف مطمعٌ في إمارة ، أو نزعٌ إلى حكم أو هوىً في مال ، ولذلك كان يرضيهم كلّما يبديه الخليفة من النزول على رغباتهم ، والنزوع عن إحداثه، والإنابة إلى الله ممّا نقموا به عليه ، غير أنَّه كان يثيرهم في الآونة بعد الاخرى ما كانوا يشاهدونه من المقام على الهنات ، ونقض العهد مرة بعد مرة حتى إذا اطمأنّوا إلى أنَّ الرَّجل غير منكفىء عمَّا كان يقترفه ، ولا مطمئنّ عمّا كان يفعله ، فاطمأنّوا إلى بقاء التكليف عليهم بالوثوب ، فوقفوا لإزالة ما رأوه منكراً ذلك الموقف الشديد حتى قضي من الأمر ما كان مقدوراً .

ولو كان للقوم غاية غيرما وصفناه لَما أثنى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على المصريِّين منهم بقوله من كتاب كتبه إلى أهل مصر : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه ، وذهب بحقِّه ، إلى آخر ما مرَّ في صفحة ٩٧ ، ولما كانوا مذكورين في المعاجم والكتب بالثناء الجميل عليهم بعد تلكم المَواقف المشهودة ، ولو صدر عن أيِّ أحد أقلَّ ممّا صدر من أُولئك الثائرين على عثمان في حقِّ فرد من أفراد المسلمين فضلاً عن الخليفة لعدَّ جنايةً لا تغفر ، وذنباً لا يبرَّر ، وسقط صاحبه إلى هوَّة الضعة ، ولا تبقى له بعدُ حرمة ولا كرامة ، غير أنَّ . . . .

الثاني : من مواقع النظر في الأحاديث المذكورة : إنَّ الخليفة كانت عنده جرائم يستنكرها المسلمون وينكرونها عليه وهو يعترف بها فيتوب عنها ، ثمَّ يروغ عن التوبة فيعود إليها ، ولا أدري أنّه في أيِّ الحالين أصدق ؟ أحين اعترف بالأحداث فتاب ؟ أم حين عبث به مروان فرقى المنبر وقال : إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقَّنوا أنَّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم ؟

الثالث : إنّه أعطى العهود والمواثيق المؤكّدة على النزوع عمّا كان يرتكبه ممّا ينقمونه عليه وسجّل ذلك في صكوك يبثّها في البلاد بأيدي الناهضين عليه ، إذ كان على علم بأنَّ البلاد قد تمخَّضت عليه كما مرَّ في كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمَّ لم يلبث حتى نكثها بعدما ضمن له بالعمل على ذلك الضمان مثل مولانا أمير المؤمنين ومحمّد بن مسلمة ذلك الصحابي العظيم ، وقد شهدت ذلك الضمان أُمَّةٌ كبيرةٌ من الصحابة ، فكأنَّه ما كان يرى للعهد لزوماً ، ولا للضمان حرمة ، ولا للضامنين مكانة ، ولا لنكث العهد معرَّة ، ولعلّه كان يجد مبرِّراً لتلكم الفجائع أو الفضائح ، وعلى أيّ فالمسلمون «ويقدمهم الصحابة العدول» لم يرقهم ذلك المبرِّر ولا اعترفوا به ، فمضوا إلى ما فعلوه قُدماً غير مُتحوِّبين ولا متأثِّمين .

الرابع : إنّ التزامه في كتاب عهده في الحصار الأوَّل بالعمل بالكتاب والسنّة وهو في حيِّز النزوع عمّا كان يرتكبه قبل ذلك ، وقد أعتب بذلك المتجمهرين عليه المنكرين على أحداثه المنحازة عنهما ، يرشدنا إلى أنّه كان في أعماله قبل ذلك

الإلتزام محيدٌ عن الكتاب والسنّة ، وحَسب أيّ إنسان من الضعة أن تكون أعماله منتئية عنهما .

الخامس : إنَّ الطريد ابن الطريد ، أو قل عن لسان النبيِّ الأمين[1] : الوزغ ابن الوزغ ، اللعين ابن اللعين ، مروان بن الحكم كان يؤثّر في نفسيّات الخليفة حتى يحوِّله «كما قال مولانا أمير المؤمنين»[2] عن دينه وعقله ، ويجعله مثل الظعينة يقاد حيث يسار به . فلم يزل به حتى أربكه عند منتقض العهود ومنتكث المواثيق ، فأورده مورد الهلكة ، وعجيبٌ من الخليفة أن يتأثّر بتسويلات الرجل وهو يعلم محلّه من الدين وموقفه من الإيمان ، ومبوَّأه من الصِّدق والأمانة ، وهو يعلم أنّه هو وزبانيته هم الذين جرّوا عليه الويلات وأركبوه النهابير ، وأنّهم سيوردونه ثمَّ لا يصدرونه ، يعلم ذلك كلّه وهو بين الناب والمخلب وفي منصرم الحياة ، ومع ذلك كلّه لا يزال مقيماً على هاتيك الوساوس المروانيّة ، فيا للعجب !

وأعجب من ذلك أنّه مع هذا التأثّر يتّخذ نصح الناصحين له كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكثير من الصحابة العدول باعتاب الناس ورفض تمويهات مروان الموبقة له ظهريّاً فلا يُعير لهم بعد تمام الحجّة وقطع سُبل المعاذير أُذناً واعية ، وهو يعلم أنّهم لا يعدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويدعونه إلى ما فيه نجاته ونجاح الأُمَّة .

(لفت نظر) : وقع في عدِّ أيّام حصار عثمان خلافٌ بين المؤرِّخين فقال الواقدي : حاصروه تسعة وأربعين يوماً . وقال الزبير : حاصروه شهرين وعشرين يوماً . وفي رواية : انّهم حصروه أربعين ليلة . وقال ابن كثير : استمرَّ الحصر أكثر من شهر وقيل : بضعاً وأربعين . وقال الشعبي : كانت مدَّته اثنتين وعشرين ليلة . وفي رواية للطبري : كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين . وفي بعض الروايات : حصروه عشرين يوماً بعد قضيَّة جهجاه المذكورة ص ١٢٤ إلى أقوال أُخرى ، ولعلَّ كلٌّ منها ناظرٌ إلى ناحية من مدَّة أيّام الحصارين أو مدَّة أحدهما ،

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثامن ص ٢٦٠/ط ٢ .

(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء : صفحة ٢٠٥ .

ومن مدة نزول المتجمهرين حول داره ، ومن أيّام ضاق عليه الخناق ، ومُنع من إدخال الماء عليه ، وحيل بينه وبين اختلاف الناس إليه ، ومن حصار الثائرين عليه من الأمصار ، ومن إصفاق أهل المدينة معهم على الحصار . إلى تأويلات أخرى يتأتّى بها الجمع بين تلكم الأقوال .

كتب عثمان أيام الحصار[١] :

أخرج الطبري في تاريخه من طريق ابن الكلبي قال : إنّما ردَّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنّه أدركهم غلامٌ لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعضهم فلمّا أتوا عثمان قالوا : هذا غلامك ؟ قال : غلامي إنطلق بغير علمي ، قالوا : جملك ؟ قال : أخذه من الدار بغير أمري . قالوا : خاتمك ؟ قال : نقش عليه فقال عبدالرَّحمٰن بن عُديس التجيبي حين أقبل أهل مصر :

أقبلنَ من بلبيس والصعيدِ[٢]   خوصاً كأمثال القسيِّ عود
مُستحقبات حلق الحديد   يطلبن حقَّ اللّه في الوليد
وعند عثمان وفي سعيدِ   يا ربِّ فارجعنا بما نريد

فلمّا رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام :

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

أمّا بعد : فإنَّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة ، فابعث إليَّ من قِبلك من مقاتلة أهل الشام على كلِّ صعب وذلول .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٣ ، الأنساب ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٢ ،الكامل لابن الأثير ج ٥ . ص٦٧ ، ٧١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٤ ، الفتنة الكبرى : ص ٢٢٦ .

(٢) بلبيس : بكسر الباءين وسكون اللام : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . الصعيد : بلاد واسعة كثيرة بمصر يقال : إنها تسعمائة وسبع وخمسون قرية .

فلمّا جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم ، فلمّا أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كريز وإلى أهل الشام يستنفرهم ويُعظّم حقّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزَّ وجلَّ به من طاعتهم ومناصحتهم ووعدهم أن يجندهم جنداً وبطانة دون الناس ، وذكرهم بلاءه عندهم وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل فإنَّ القوم معاجلي .

فلمّا قرىء كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كريز البجلي ثمَّ القسري فحمدالله وأثنى عليه ، ثمَّ ذكر عثمان فعظّم حقّه ، وحضّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه ، فتابعه ناسٌ كثيرٌ وساروا معه حتّى إذا كانوا بوادي القرى[1] بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه فرجعوا .

وأخرج البلاذي من طريق الشعبي قال : كتب عثمان إلى معاوية : أن أمدَّني ، فأمدَّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كريز البجلي ، فتلقّاه النّاس بمقتل عثمان فرجع من الطريق وقال : لو دخلت المدينة وعثمان حيٌّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته ، لأنَّ الخاذل والقاتل سواء .

كتابه إلى أهل الشام :

قال إبن قتيبة : وكتب إلى أهل الشام عامَّة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصَّة :

أمّا بعد : فإنّي في قوم طال فيهم مقامي ، واستعجلوا القدر فيَّ ، وقد خيَّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل ، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني ، وبين أن أقيدهم ممَّن قتلت ، ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب ، فيا غوثاه يا غوثاه ، ولا أمير عليكم دوني ، فالعجل العجل يا معاوية ! وأدرك ثمَّ أدرك وما أراك تدرك .

كتابه إلى أهل البصرة :

وكتب إلى عبدالله بن عامر : أن اندب إليَّ أهل البصرة ـ نسخة كتابه إلى

---

(١) وادي القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

أهل الشام ـ فجمع عبدالله بن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم ، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضّونه على نصر عثمان والمسير إليه فيهم : مجاشع بن مسعود السلمي ، وكان أوّل مَن تكلّم وهو يومئذٍ سيّد قيس بالبصرة ، وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمي ، فخطب وحضّ النّاس على نصر عثمان ، فسارع النّاس إلى ذلك ، فاستعمل عليهم عبدالله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم حتّى إذا نزل النّاس الربذة ونزلت مقدّمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان .

وقال البلاذري : وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز ومعاوية بن أبي سفيان يُعلمهما أنَّ أهل البغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره فليس يُرضيهم بزعمهم شيءٌ دون قتله أو يخلع السربال الذي سربله الله إيّاه ، ويأمرهما بإغاثته برجال ذوي نجدة وبأس ورأي ، لعلَّ الله أن يدفع بهم عنه بأس من يكيده ويريده ، وكان رسوله إلى ابن عامر جُبير بن مُطعم ، وإلى معاوية المسور بن مخرمة الزهري ، فأمّا ابن عامر فوجَّه إليه مجاشع بن مسعود السلمي في خمس مائة أعطاهم خمس مائة خمس مائة درهم ، وكان فيمن ندب مع مجاشع زفر بن الحارث على مائة رجل ، وأمّا معاوية فبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري في ألف فارس ، فقدم حبيب أمامه يزيد بن أسد البجلي جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد القسري من بجيلة ، وبلغ أهل مصر ومن معهم ممَّن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدَّة عليه وجدّاً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل .

كتابه إلى أهل الأمصار :

أخرج الطبري وغيره وقالوا : كتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدُّهم :

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

أمّا بعد : فإنَّ الله عزَّ وجلَّ بعث محمَّداً بالحقِّ بشيراً ونذيراً ، فبلّغ عن الله ما أمره به ثمَّ مضى وقد قضى الذي عليه وخلّف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه ، وبيان الامور التي قدَّر فأمضاها على ما أحبَّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثمَّ أُدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ

من الامَّة ، ثمَّ أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن النّاس على غير طلب منّي ولا محبّة ، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتبع ، متبعاً غير مبتدع ، مقتدياً غير متكلّف ، فلمّا انتهت الامور ، وانتكث الشرُّ بأهله ، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرة فيما مضى إلاّ إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجّة ولا عذر ، فعابوا عليَّ أشياء ممّا كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبَّرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين ، وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عزَّ وجلَّ جرأةً حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحَرمه وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب ، فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو مَن غزانا بأُحد إلاّ ما يظهرون ، فمن قَدر على اللحاق بنا فليلحق .

فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول ، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن خديج السكوني ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو . الحديث .

كتابه إلى أهل مكة ومَن حضر الموسم سنة ٣٥ :

ذكر ابن قتيبة قال : كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكّة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكّة وابن عبّاس يخطب وهو يومئذٍ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى منْ حضرَ الحجَّ من المسلمين . أمّا بعد : فإنّي كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصورٌ أشرب من بئر القصر ، ولا آكل من الطعام ما يكفيني ، خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومَن معي ، لا أُدعى إلى توبة أقبلها ، ولا تُسمع منّي حجّة أقولها ، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلاّ قدم عليَّ فأخذ الحقَّ فيَّ ومنعني من الظلم والباطل .

قال : ثمَّ قام ابن عبّاس فأتمَّ خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه .

قال الأميني : هذا ما يمكننا أن نؤمن به من كتاب عثمان إلى الحضور في الموسم وهناك كتابٌ مفصَّل إلى الحاجّ يُنسب إليه يتضمّن آياً من الحكم والموعظة الحسنة يطفح عن جوانبه الورع الشديد في دين الله ، والأخذ بالكتاب والسنَّة ، والإحتذاء بسيرة الشيخين ، يبعد جدّاً عن نفسيّات عثمان وعمّا عرفته الامَّة من تاريخ حياته ، والكتاب أخرجه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٠ ـ ١٤٣ وراق الدكتور طه حسين ما وجد فيه من المعاني الراقية والجمل الرائقة ، والفصول القيِّمة فذكره في ملحق كتابه «الفتنة الكبرى» ص ٢٢٧ ـ ٢٣١ ذاهلاً عن أنَّ الكتاب لم يُروَ إلّا من طريق ابن أبي سبرة القرشي العامري المدني الوضّاع الكذّاب السابق ذكره في سلسلة الوضّاعين في الجزء الخامس ، قال الواقدي : كان كثير الحديث وليس بحجَّة ، وقال صالح بن أحمد عن أبيه : كان يضع الحديث . وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه : ليس بشيء كان يضع الحديث ويكذب ، وعن ابن معين ليس حديثه بشيء ، ضعيف الحديث ، وقال ابن المديني : كان ضعيفاً في الحديث ، وقال مرَّة : كان منكر الحديث . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال البخاري : ضعيفٌ . وقال مرَّة : منكر الحديث . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال ابن عدي : عامَّة ما يرويه غير محفوظ وهو في جملة من يضع الحديث . وقال ابن حبّان : كان ممَّن يروي الموضوعات عن الثقات لا يجوز الإحتجاج به . وقال الحاكم أبو عبدالله : يروي الموضوعات عن الأثبات[1] .

نظرة في الكتب المذكورة :

لقد تضمَّنت هذه الكتب أشياء هي كافية في إثارة عواطف المؤمنين على مَن كتبها ولو لم يكن له سابقة سوء غيرها . منها :

قوله عن المهاجرين والأنصار وليس في المدينة غيرهم : إنَّ أهل المدينة قد كفروا ، وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة . وقوله : فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأُحد . وهو يريد أصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم المشهود لهم جمعاء بالعدالة عند قاطبة أهل السنَّة ، ولقد صعَّدوا وصوَّبوا في إثبات ذلك بما لا مزيد عليه عندهم ،

(١) راجع تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٣٦٧ ـ ٣٧٢ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٧ .

ولا يزالون يحتجّون بأقوالهم وما يُؤثر عنهم من قول أو عمل في أحكام الدين ، كما يحتجّون بما يُؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السنّة ، ثقة بإيمانهم ، وطمأنينة بعدالتهم ، ويرون أنّهم لا ينبسون ببنت شفة ولا يخطون في أمر الدين خطوة إلّا بأثر ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسموع أو منقول ، أو مشاهدة عمل منه صلى الله عليه وآله وسلم يطابق ما يرتأونه أو يعملون به ، فهل على مؤمن هذا شأنه قذفٌ أثقل عليه من هذا ؟ أو تشويهٌ أمسُّ بكرامته من ذلك ؟ ولعمر الحقّ إنّه مَن يغضّ عن مثله فلا يستثيره خِلوٌ عن العاطفة الدينيَّة ، خِلوٌ عن الحماس الإسلامي ، خِلوٌ عن الشهامة المبدئيَّة ، خِلوٌ عن الغيرة على الحقّ ، خِلوٌ وخِلوٌ . ولذلك اشتدَّت الصحابة عليه بعد وقوفهم على هذا وأمثاله .

ثمَّ إنّه ليس لأحد طاعةٌ مفترضةٌ على أعناق المسلمين بعد الله ورسوله إلّا إمام حقّ يعمل بكتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمتجمهرون على عثمان وهم الصحابة أجمع كانوا يرون أنَّه تخطّاهما ، وأنَّ ما كان ينوء به من فعل أو قول قد عديا الحقّ منهما ، فأيّ طاعة واجبة والحال هذه ـ وحسبان القوم كما ذكرناه ـ حتى يُؤاخذوا على الخلف ؟

والبيعة إنَّما لزمت إن كان صاحبها باقياً على ما بويع عليه ، والقوم إنَّما بايعوه على متابعة الكتاب والسنَّة والمَضيّ على سيرة الشيخين ، وبطبع الحال إنّها تنتكث عند نكوص صاحبها عن الشروط ، وهو الذي نقمه المسلمون على خليفتهم ، فلا موجب لمؤاخذتهم أو منابذتهم ، وها هنا رأى المسلمون أنَّ الرجل زاد ضغثاً على أُبّالة ، فهو على أحداثه الممقوتة طفق يستثير الجنود عليهم ، ويعرِّضهم على القتل والنهب ، فتداركوا الأمر فأوردوه حياض المنيَّة قبل أن يجلب إليهم البليّة ، وتلافوا الأمر قبل أن يمسّهم الشرُّ ، وما بالهم لا تستثيرهم تلكم القذائف ؟ وهم يرون أنّهم هم الذين آووا ونصروا ولم يألوا جهداً في جهاد الكفّار حتى ضرب الدين بجرانه ، فمن العجيب والحالة هذه أن يشبَّهوا بالأحزاب والكفرة يوم أُحد .

(ومنها) : تلوُّنه في باب التوبة التي تظاهر بها على صهوة المنبر بملأ من

الصحابة ، وسجّل ذلك بكتاب شهد عليه عدّةٌ من أعيان الامّة وفي مقدّمهم سيّدنا أمير المؤمنين عليّ ، وكتب ذلك إلى الأمصار النائية كما تقدَّم في صفحة ٢٠١ وهو في كلِّ ذلك يعترف بالخطيئة ويلتزم بالإقلاع عنها ، لكنَّه سرعان ما نكث التوبة وأبطل المواثيق المؤكّدة بكتبه هذه ، إذ حسب أنَّ من يكتب إليهم سينفرون إليه مقانب وكتائب وهم أولياؤه ومواليه ، فنفى عنه المآثم التي شهد عليها أهل المدينة بل وأهل الأمصار من خيرة الامّة ، وهو يريد أن يقلّب عليهم ظهر المجن ، فيؤاخذ وينتقم وكأنّه نسي ذلك كلّه حتّى قال في كتابه إلى أهل مكّة : لا أُدعى إلى توبة أقبلها ، ولا تُسمع منّي حجّة أقولها .

يقول له المحامي عن المدنيّين : أوَ لم تُدع أيُّها الخليفة إلى التوبة فتبتَ على الأعواد وعلى رؤوس الأشهاد مرَّة بعد أُخرى ؟ لكنّهم وجدوك لا تقرُّ على قرار ، ولا تستمرُّ على مبدأ ، وشاهدوك تتلوَّن تلوُّن الحِرباء[1] فجزموا بأنَّ التوبة لا تُردعك عن الأحداث ، وأنَّ النزوع لا يزعك عن الخطايا ، وجئت تماطل القوم بذلك كلّه حتّى توافيك جيوشك فتهلك الحرث والنسل ، وتمكن من أهل دار الهجرة مثل يزيد بن كريز الذي يقول : لو دخلت المدينة وعثمان حيٌّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته . الخ . . .

عرف القوم أيُّها الخليفة نواياكَ السيِّئة فيهم ، وعرفوا إنحرافك عن الطريقة المثلى بإبعاد مروان إيّاك عنها كما قال مولانا أمير المؤمنين وهو يخاطبك : أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرُّفك عن دينك وعن عقلك ؟ وإنَّ مَثَلك مَثَل الظعينة يُقاد حيث يُسار به[2] فنهضوا للدفع عنهم وعن بيضة الإسلام من قبل أن يقعوا بين الناب والمخلب ، فوقع ما وقع وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ولنا ها هنا مناقشةٌ أُخرى في حساب الخليفة فنقول له : ما بالك تكرِّر أيُّها الخليفة قولك عن الخلافة : إنَّها رداء الله الذي كساني . أو انَّها قميصٌ سربلنيه

---

(١) الحرباء : ضرب من الزحافات تتلون في الشمس ألواناً مختلفة ، يضرب بها المثل في التقلب .

(٢) راجع ما مرّ في صفحة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من هذا الجزء .

الله . أو ما يماثل ذلك ؟ تطفح به كتبك أو يطفو على خطبتك ، ويلوكها فمك بين كلمك ، كأنّك قد حفظتها كلمة ناجعة لدينك ودنياك ، واتّخذتها ورداً لك كأنّك تحاذر في تركها النسيان غير أنّه عزب عنك محاسبة مَن تخاطبهم بها إيّاك ، فما جواب قومك إن قالوا لك ؟ متى سربلك الله بهذا القميص ؟ وقد مات من سربلك ، وانقلب عليك بعد قبل موته وعددته لذلك منافقاً ، وأوصى أن لا تُصلّي عليه أنت ، وكان يقول لعليّ أمير المؤمنين خُذ سيفك وآخذ سيفي إنّه قد خالف ما أعطاني ، وكان يحثّ الناس عليك ويقول : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه ، وحلف أن لا يكلّمك أبداً ، وقد دخلت عليه عائداً في مرضه فتحوّل إلى الحائط ولم يكلّمك[١] وهاجرك إلى آخر نفس لفظه . وتبعه على خلافك الباقون من أهل الشورى .

وكلّنا نحسب أنّ نصب الخليفة لا يجب على الله سبحانه إن كنّا مقتَفين أثر الشيخين وإنّما هو مفوَّضٌ إلى الامّة تختار عليها من شاءت ، وإن حدنا في ذلك من قول الله تعالى : ﴿**وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾[٢] ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾[٣] وعن نصوص النبيِّ الأعظم وقد مرَّ شطرٌ منها في غضون أجزاء كتابنا هذا .

فهل ترى أيُّها الخليفة أنّه كان يجب على الله سبحانه أنْ يمضي خيرة الأُمّة ؟ أكان في رأي الجليل إعوازٌ في تقييض الإمام بنفسه حتّى ينتظر في ذلك مشتبك آراء الأُمّة أو مرتبك أهوائهم فيمضي ما ارتأوه ؟ وبهذه المناسبة تنسب ذلك السربال إليه ؟ لا أظنّك أيُّها الخليفة يسعك أن تقرِّر ما استفهمناه ، غير أنّ آخر دعواك بعد العجز عن الجواب : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله .

وعلى كلٍّ لقد أوقفنا موقف الحيرة في أمر هذا السربال ومَن حاكه والنولِ الذي حِيك عليه ، فقد وجدنا أوّل الخلفاء تسربله بانتخاب غير دستوري ، بانتخاب

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء من حديث عبد الرّحمن بن عوف ص ١١١ - ١١٦ .

(٢) سورة ؛ القصص الآية : ٦٧ .

(٣) سورة ؛ الاحزاب الآية : ٣٦ .

جرَّ الويلات على الأُمَّة حتّى اليوم ، بانتخاب سوَّد صحيفة التاريخ وشوَّه سمعة السلف ، وقد تقمَّصه إبن أبي قحافة وهو يعلم أنَّ في الأُمة مَن محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرَّحى ، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير ، كما قاله مولانا أمير المؤمنين ثمّ مضى الأوَّل لسبيله فأدلى بها إلى إبن الخطّاب بعده ، فيا عجباً يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته [١] فتقمَّصه الثاني بالنصِّ ممَّن قبله وهو يعلم أنَّ في الأُمَّة من هو أولى منه كما قال مولانا أمير المؤمنين [٢] وسربلك إيّاه أيُّها الخليفة عبدالرحمٰن بن عوف وفي لسانه قوله لعليّ : بايع وإلاّ ضربت عنقك ، ولم يكن مع أحد يومئذٍ سيف غيره ، فخرج عليٌّ مغضباً فلحقه أصحاب الشورى قائلين : بايع وإلاّ جاهدناك [٣] . فأيٌّ من هذه السرابيل منسوجٌ بيد الحقِّ حتّى يصحَّ عزوه إليه سبحانه ؟ ولهذا البحث ذيولٌ ضافية حولها أبحاثٌ مترامية الأطراف ، حول خلافة الخلفاء من بني أُميَّة وغيرهم يشبه بعضها بعضاً ، ولعلّك في غنىً عن التبسّط في ذلك والإسترسال حول توثُّبهم على عرش الإمامة .

نعم : الخلافة التي يصحُّ فيها أن يقال : إنّها سربالٌ من الله سبحانه ، هي التي قيّض صاحبها المولى جلّت قدرته ، وبلّغ عنه نبيّه الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، هي التي أخبر بها النبيُّ الأعظم من أوّل يومه فقال : إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء [٤] فهي إمرةٌ إلٰهيَّة لا تتمُّ إلاّ بالنصِّ وليس لصاحبها أن ينزعها ، هي التي قرنت بولاية الله ورسوله في قوله تعالى : ﴿إنَّما وليّكم الله ورسوله والَّذين آمنوا﴾ [٥] وهي التي أكمل الله بها الدّين وأتمَّ بها النعمة [٦] وشتّان بينها وبين رجال الإنتخاب وإن كان دستوريّاً ؟

وأمّا ما ارتآه المتجمهرون وعبثت به الميول والشهوات ، فهي سلطةٌ عاديةٌ

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٩٨

(٢) يأتي حديثه بلفظه .

(٣) الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٢ .

(٤) مرّ حديثه في الجزء السابع ص ١٥٥

(٥) راجع ما مضى في الجزء الثاني ص ٤٧ ، والجزء الثالث ص ١٩٨ - ٢١٢

(٦) راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٢٧٥ - ٢٨٥

يفوز بها المتغلّبون ، وبيد الأُمّة حلّها وعقدها ، والغاية منها عندَ من يحذو حذو الخليفة في جملة من الصولات كلاءَة الثغور ، واقتصاص القاتل ، وقطع المتلصّص ، إلى آخر ما مرَّ تفصيله في الجزء السابع صفحة ١٥٢ - ١٧٣ وليس في عهدة المتسلّق على عرشه تبليغ الأحكام ، وترويض النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وتعليم الملكات الفاضلة ، وتربية الملأ في عالم النشور والإرتقاء ، فإنَّ تلكم الغايات في تلكم السلطات تحصل بمن هو خِلوٌ عن ذلك كلّه كما شوهد فيمن فاز بها عن غير نصٍّ إلّهيٍّ .

يوم الدار والقتال فيها :

أخرج ابن سعد في طبقاته ج ٥ ص ٢٥ /ط ليدن من طريق أبي حفصة مولى مروان قال : خرج مروان بن الحكم يومئذ يرتجز ويقول : مَن يبارز ؟ فبرز إليه عروة بن شييم بن البياع الليثي فضربه على قفاه بالسيف فخرَّ لوجهه فقام إليه عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي بسكّين معه ليقطع رأسه فقامت إليه أُمّه التي أرضعته وهي فاطمة الثقفيّة وهي جدَّة ابراهيم بن العربيِّ صاحب اليمامة فقالت : إن كنت تريد قتله ، فقد قتلته ، فما تصنع بلحمه أن تبضِّعه ؟ فاستحى عبيد بن رفاعة منها فتركه .

وروى عن عيَّاشِ بن عبَّاس قال : حدَّثني من حضر ابن البيّاع يومئذٍ يبارز مروان بن الحكم : فكأنّي أنظر إلى قبائه قد أدخل طرفيه في منطقته وتحت القباء الدرع ، فضرب مروان على قفاه ضربة فقطع علابي رقبته ووقع لوجهه فأرادوا أن يذففوا عليه فقيل : تبضعون اللحم ؟ فترك .

وأخرج البلاذري من طريق خالد بن حرب قال : لجأ بنو أُميَّة يوم قتل عثمان إلى أُمّ حبيبة[١] فجعلت آل العاص وآل أبي العاص وآل أُسيد في كندوج[٢] وجعلت سائرهم في مكان آخر ، ونظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في

---

(١) زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
(٢) كندوج : شبه المخزن في البيت .

مشيته فقال :بأبي وأمّي أمّ حبيبة ، ما كان أعلمها بهذا الحيّ حين جعلتك في كندوج ؟ .

قال : ومشى الناس إلى عثمان وتسلّقوا عليه من دار بني حزم الأنصاري ، فقاتل دونه ثلاثةٌ من قريش : عبدالله بن وهب بن زمعة بن الأسود[1] . وعبدالله بن عوف بن السبّاق[2] . وعبدالله [3] بن عبدالرَّحمٰن بن العوام ، وكان عبدالله بن عبدالرَّحمٰن بن العوام يقول : يا عباداللهِ ! بيننا وبينكم كتاب الله . فشدَّ عليه عبدالرَّحمٰن بن عبدالله الجمحي وهو يقول :

لأضربنَّ اليوم بالقرضابِ   بقيّة الكفّار والأحزاب
ضرب امرىء ليس بذي ارتيابِ   أأنت تدعونا إلى الكتاب ؟
نبذته في سائر الأحقاب

فقتله ، وشدَّ جماعةٌ من الناس على عبدالله بن وهب بن زمعة ، وعبدالله بن عوف بن السبّاق ، فقتلوهما في جانب الدار .

جاء مالك الأشتر حتَّى انتهى إلى عثمان فلم ير عنده أحداً فرجع فقال له مسلم بن كريب القابضي من همدان : أيا أشتر ! دعوتنا إلى قتل رجل فأجبناك حتّى إذا نظرت إليه نكصتَ عنه على عقبيك . فقال له الأشتر : لله أبوك أما تراه ليس له مانعٌ ولا عنه وازعٌ ؟ فلمّا ذهب لينصرف قال ناتل مولى عثمان : واثكلاه هذا والله الأشتر الذي سعَّر البلاد كلّها على أمير المؤمنين ، قتلني الله إن لم أقتله . فشدَّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من همدان : وراءك الرجل يا أشتر ! فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى ونادى الأشتر : يا عمرو بن عبيد إليك الرجل فاتبع عمرو ناتلاً فقتله .

---

(١) قال ابن الأثير في أُسد الغابة ج ٣ ص ٢٧٣ ، قتل يوم الجمل أو يوم الدار وقال ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٨١ : قتل يوم الدار .

(٢) هو عبد الله بن أبي مرة «أبي ميسرة» العبدري قتل مع عثمان كما في الإستيعاب ج ٢ ص ٣ ، والإصابة ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٣) ذكر أبو عمر في الإستيعاب وابن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة عبد الرَّحمن ، وابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٤١٥ : إنَّه ممّن قتل يوم الدار .

وقال مروان في يوم الدار :

وما قلت يوم الدار للقوم : حاجزوا رُويداً ولا اختاروا الحياة على القتل
ولكنّني قد قلت للقوم : قاتلوا بأسيافكم لا يوصلنَّ إلى الكهل

وفي رواية أبي مخنف : تهيَّأ مروان وعدَّة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا منه وحملوا على من دخل الدار فأخرجوهم . ورُمي عثمان بالحجارة من دار بني حزم بن زيد الأنصاري ونادوا : لسنا نرميك ، الله يرميك ، فقال : لو رماني الله لم يخطأني ، وشدَّ المغيرة بن الأخنس بالسيف وهو يقول :

قد علمت جاريةٌ عطبولُ لها وشاحٌ ولها جديل
أنّي لمن حاربت ذو تنكيل

فشدَّ عليه رفاعة بن رافع وهو يقول :

قد علمت خودٌ صحوبٌ للذيلْ ترخي قروناً مثل أذناب الخيلْ
أنَّ لقرني في الوغى منّي الويل

فضربه على رأسه بالسيف فقتله . ويقال : بل قتله رجلٌ من عرض الناس ، وخرج مروان بن الحكم وهو يقول :

قد علمت ذات القرون الميل والكفّ والأنامل الطفول
أنّي أروع أوّل الرعيل

ثمَّ ضرب عن يمينه وشماله فحمل عليه الحجّاج بن غزية وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطللْ واضحة الليتين قعساء الكفل
أنّي غداة الروع مقدامٌ بطل

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفه وخرَّ مروان لوجهه وجاءت فاطمة بنت شريك الأنصاريَّة من بلي - وهي أمّ ابراهيم بن عربي الكناني الذي كان عبدالملك بن مروان ولّاه اليمامة وهي التي كانت ربَّت مروان - فقامت على رأسه

ثمَّ أمرت به فحمل ، وأُدخل بيتاً فيه كُنة[١] وشدَّ عامر بن بكير الكناني وهو بدريٌّ على سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُميَّة فضربه بالسيف على رأسه ، وقامت نائلة بنت الفرافصة على رأسه ثمَّ احتملته فأدخلته بيتاً وأغلقت بابه[٢] .

وفي رواية الطبري من طريق أبي حفصة مولى مروان : لَمّا حُصر عثمان رضي الله عنه شمَّرت معه بنو أُميَّة ، ودخل معه مروان الدار فكنت معه في الدار ، فأنا والله أنشبتُ القتال بين الناس رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته وهو نيار الأسلمي فنشب القتال ، ثمَّ نزلت فاقتتل الناس على الباب ، فأرسلوا إلى عثمان أن أمكنّا من قاتله قال : والله ما أعرف له قاتلاً فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران ، فلمّا أصبحوا غدوا فأوَّل من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا قد فتح له من دار آل حزم ، ثمَّ دخلت الشعل على أثره تُنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب وقد اضطرم الخشب ، فأسمع عثمان يقول لأصحابه : ما بعد الحريق شيءٌ قد احترق الخشب واحترقت الأبواب ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره ، ثمَّ قال لمروان : إجلس فلا تخرج . فعصاه مروان فقال : والله لا تُقتل ولا يُخلص إليك وأنا أسمع الصوت ثمَّ خرج إلى الناس فقلت : ما لمولاي متَرَّك . فخرجت معه أذبُّ عنه ونحن قليل فأسمع مروان يقول :

قد علمت ذات القرون الميلِ والكفّ والأنامل الطفول
أنِّي أروع أوَّل الرعيلِ بفارهٍ مثل قطا الشليل

وقال أبو بكر بن الحارث : كأنِّي أنظر إلى عبد الرَّحمن بن عديس البلوي وهو مسندٌ ظهره إلى مسجد نبيِّ الله ﷺ وعثمان محصورٌ فخرج مروان فقال : مَن يبارز ؟ فقال عبد الرَّحمٰن بن عديس لفلان بن عروة[٣] : قم إلى هذا الرجل . فقام

(١) كنة بالضم : جناح يخرج من الحائط . والسقيفة تشرع فوق باب الدار : وقيل : هو مخدع أو رف يشرع في البيت .
(٢) الأنساب ج ٥ ص ٧٨ ـ ٨١ .
(٣) لعل الصحيح : عروة بن شييم البياع الليثي كما جاء في رواية الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٣٣ ومرّ في ص ٢٣٠ من رواية ابن سعد في طبقاته .

إليـه غـلامٌ شـابٌّ طـوال فـأخـذ رفيف الـدرع فغـرزه في منـطقتـه فـأعـوَر له عن ساقه فأهوى له مـروان وضربـه ابن عروة على عنقـه ، فكأنّي أنـظر إليه حين استدار وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفف عليه (إلى آخر ما مرَّ عن إبن سعد) .

ومن طـريق حسين بن عيسى عن أبيه قـال : لَمّا مضت أيّـام التشريق أطـافوا بدار عثمان رضي الله عنه ، وأبى إلاّ الإقامة على أمره ، وأرسل إلى حَشَمه وخاصّته فجمعهم فقام رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ يقال له : نيار بن عياض وكان شيخاً كبيراً فنادى : يا عثمان ! فأشرف عليه من أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتـزلهـم ، فبينا هو يراجعه الكـلام إذ رماه رجـلٌ من أصحاب عثمـان فقتله بسهم ، وزعموا أنَّ الـذي رماه كثيـر بن الصلت الكندي ، فقـالوا لعثمـان عند ذلـك : إدفع إلينـا قاتـل نيار بن عياض فلنقتله به . فقال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريـدون قتلي ، فلمّـا رأوا ذلك ثـاروا إلى بابـه فأحـرقوه ، وخـرج عليهم مـروان بن الحكـم من دار عثمان في عصابة ، وخرج سعيد بن العاص في عصابة ، وخرج المغيرة بن الأخنس الثقفي في عصابة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الذي حداهم على القتال أنَّه بلغهم أنَّ مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً وهي من المدينة على ليلة ، وأنَّ أهل الشـام قد توجَّهوا مقبلين فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الـدار فحمل المغيـرة بن الأخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجزاً :

قـد علمت جـاريـةٌ عُـطبـولُ   لهـا وشـاحٌ ولهـا حُـجـول
أنّي بنصـل السيف خَنشـليـل

فحمل عليه عبدالله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي وهو يقول :

إن تـكُ بـالسيف كمـا تـقـولُ   فـاثبت لِقـرنٍ مـاجـدٍ يصـول
بمشـرفيٍّ حـدُّهُ مصقـول

فضربه عبدالله فقتله ، وحمل رفاعة بن رافع الأنصاري ثمَّ الزُّرقي على مروان ابن الحكم فضربه فصرعه فنزع عنه وهو يرى أنَّه قد قتله ، وجرح عبدالله بن الـزبير جـراحات وانهـزم القوم حتى لجـأوا إلى القصر فـاعتصموا ببـابه فاقتتلوا عليه قتـالاً

شديداً فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري[١] في ناس من أصحاب عثمان فلم يزل الناس يقتتلون حتّى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثمّ نادى الناس ، فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتّى انهزموا وخلّي لهم عن باب الدار فخرجوا هُرّاباً في طرق المدينة ، وبقي عثمان في أُناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضي الله عنه[٢] .

وفرَّ خالد بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد يوم الدار ، وإليه أشار عبدالرَّحمٰن بن سيحان[٣] بقوله :

يلومونني إن جلت في الدار حاسراً ... وقد فرَّ منها خالدٌ وهو دارع[٤]
فإن كان نادى دعوةً فسمعتها ... فشلّت يدي واستكَّ منِّي المسامع

فقال خالد :

لعمري لقد أبصرتَهم فتركتهم ... بعينك إذ ممشاك في الدار واسع[٥]

وقال أبو عمر : قتل المغيرة بن الأخنس يوم الدار مع عثمان رحمه الله وله يوم الدار أخبارٌ كثيرة ، ومنها : انّه قال لعثمان حين أحرقوا بابه : والله لا قال الناس عنّا إنّا خذلناك وخرج بسيفه وهو يقول :

لمّا تهدَّمت الأبواب واحترقت ... يمّمت منهنَّ باباً غير محترق
حقّاً أقول لعبدالله آمره ... إن لم تقاتل لدى عثمان فانطلق
والله لا أتركه ما دام بي رمقٌ ... حتّى يزايل بين الراس والعنق
هو الإمام فلست اليوم خاذله ... إنَّ الفرار عليَّ اليوم كالسرق

---

(١) عدّه من قتلى يوم الدار أبو عمر في الإستيعاب وابن حجر في الإصابة .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٢ ، ١٢٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) كذا في الانساب وفي الإستيعاب والإصابة : أزهر بن سحبان .
(٤) في الانساب للبلاذري :
يلومونني في الدار إن غبت عنهم ... وقد فرّ عنهم خالد وهو دارع
(٥) الأنساب ج ٥ ص ١١٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ١٥٥ ، الإصابة ج ١ ص ١٠٣ ، ٤١٠ .

وحمل على النّاس فضربه رجلٌ على ساقه فقطعها ثمَّ قتله . فقال رجلٌ من بني زهرة لطلحة بن عبيدالله : قُتل المغيرة بن الأخنس . فقال : قُتل سيِّد حلفاء قريش . راجع «الإستيعاب» ترجمة المغيرة .

وقال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٨٨ : ومن أعيان من قُتل من أصحاب عثمان زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبدالله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة .

قال الأميني : لقد حدتني إلى سرد هذه الأحاديث الدلالة بها منضمَّة إلى ما سبقها من الأخبار على أنّه لم يكن مع عثمان من يدافع عنه غير الأمويِّين ومواليهم وحثالة ممَّن كان ينسج على نولهم تجاه هياج المهاجرين والأنصار فقتل من اولئك من قُتل ، وضمَّ إليه كندوج امّ حبيبة آخرين ، وتفرَّق شذّاذٌ منهم هاربين في أزقَّة المدينة ، فلم يبق إلّا الرجل نفسه وأهله حتّى انتهت إليه نوبة القتل من دون أيِّ مُدافع عنه ، فتحفَّظ على هذا فإنَّه سوف ينفعك فيما يأتي من البحث عن سلسلة الموضوعات .

(لفت نظر) : عَدُّ نيار بن عبدالله من أصحاب عثمان كما فعله ابن كثير غلطٌ فاحشٌ دعاه إليه حبّه إكثار عدد المدافعين عن الخليفة المقتولين دونه ، وقد عرفت أنّه كان شيخاً كبيراً حضر ذلك الموقف للنصيحة والموعظة الحسنة لعثمان فقتله مولى مروان بسهم ، فشبَّ به القتال ، وطولب عثمان بقاتله ليقتصَّ منه وامتنع عن دفعه فهاج بذلك غضب الأنصار عليه .

حديث مقتل عثمان إنّا لله وإنّا إليه راجعون :

أخرج الطبري في تاريخه وغيره من طريق يوسف بن عبدالله بن سلام قال : أشرف عثمان على النّاس وهو محصورٌ وقد أحاطوا بالدار من كلِّ ناحية فقال : أُنشدكم بالله جلَّ وعزَّ هل تعلمون أنّكم دعوتم الله عند مُصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخيّر لكم وأن يجمعكم على خيركم ؟ فما ظنّكم بالله ؟ أتقولون لم يستجب لهم وهنتم على الله سبحانه ؟ وأنتم يومئذٍ أهل حقّه من خلقه ، وجميع اموركم لم تتفرَّق . أم تقولون : هان على الله دينه فلم يُبال مَن

ولّاه ؟ والدين يومئذٍ يُعبد به الله ولم يتفرَّق أهله فتوكلوا ، أو تخذلوا وتعاقبوا ، أم تقولون : لم يكن أخذٌ عن مشورة ؟ وإنَّما كابرتم مكابرة ، فوكّل الله الأُمَّة إذا عصته ، لم تشاوروا في الإمام ، ولم يجتهدوا في موضع كراهته ، أم تقولون : لم يدر الله ما عاقبة أمري ؟ فكنت في بعض أمري مُحسناً ولأهل الدين رضىً فما أحدثت بعدُ في أمري ما يسخط الله وتسخطون ممّا لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسربلني سربال كرامته ، وأُنشدكم بالله هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدّمه الله لي ، وأشهدنيه من حقّه وجهاد عدوّه ؟ حقٌّ على كلٍّ من جاء من بعدي أن يعرفوا لي فضلها ، فمهلاً لا تقتلوني فإنّه لا يحلُّ إلّا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه أو كفر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيُقتل بها ، فإنّكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثمَّ لم يرفعه الله عنكم إلى يوم القيامة ، ولا تقتلوني فإنَّكم إن قتلتموني لم تصلّوا من بعدي جميعاً أبداً ، ولم تقتسموا بعدي فيئاً جميعاً أبداً ، ولن يرفع الله عنكم الإختلاف أبداً .

قالوا له : أمَّا ما ذكرتَ من استخارة الله عزَّ وجلَّ الناس بعد عمر رضي الله عنه فيمن يولّون عليهم ثمَّ ولّوك بعد استخارة الله ، فإنَّ كلَّ ما صنع الله الخيرة ، ولكن الله سبحانه جعل أمركَ بليَّة ابتلى بها عباده .

وأمَّا ما ذكرتَ من قِدمك وسبقك مع رسول الله ﷺ فإنَّك قد كنت ذا قِدَم وسلف وكنت أهلاً للولاية ولكن بدَّلتَ بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت .

وأمّا ما ذكرت ممّا يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فإنّه لا ينبغي ترك إقامة الحقِّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً .

وأمّا قولك : إنّه لا يحلُّ إلّا قتل ثلاثة ، فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمَّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمَّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقِّ ومنعه ثمَّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيتَ ، ومنعت الحقَّ وحُلتَ دونه وكابرت عليه ، تأبى أن تقيد من نفسك مَن ظلمت عمداً ، وتمسَّكت بالإمارة علينا ، وقد جُرت في حكمك وقسمك ، فإن زعمت أنَّك لم تُكابرنا عليه وانَّ الّذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنّما يقاتلون بغير

أمرك فإنَّما يقاتلون لتمسُّكك بالإمارة فلو أنَّك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

قال البلاذري وغيره : لمّا بلغ أهل مصر ومن معهم ممّن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدَّة عليه وجدّاً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل .

وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار ، وأمرهم بمنع من يدخل عليه والخروج من عنده ، وأن يُدخل إليه الماء ، وأتت أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بإداوة وقد اشتدَّ عليه الحصار فمنعوها من الدخول فقالت : إنَّه كان المتولّي لوصايانا وأمر أيتامنا وأنا أُريد مناظرته في ذلك ، فأذنوا لها فأعطته الإداوة .

وقال جبير بن مطعم : حصر عثمان حتَّى كان لا يشرب إلّا من فقير في داره فدخلت على عليّ فقلت : أرضيت بهذا أن يُحصر ابن عمَّتك حتَّى والله ما يشرب إلّا من فقير في داره ؟ فقال : سبحان الله أوَ قد بلغوا به هذه الحال ؟ قلت : نعم ، فعمد إلى روايا ماء فأدخلها إليه فسقاه .

ولمّا وقعت الواقعة ، وقام القتال ، وقُتل في المعركة زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس يقتتلون حتَّى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفّان ثمَّ نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتَّى انهزموا وخلّي لهم عن باب الدار فخرجوا هرَّاباً في طرق المدينة وبقي عثمان في أُناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضي الله عنه .

أخرج ابن سعد والطبري من طريق عبدالرَّحمٰن بن محمَّد قال : إنَّ محمَّد بن أبي بكر تسوَّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب ، وسودان بن حمران ، وعمرو بن الحمق ، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة فتقدَّمهم محمَّد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال : قد أخزاك الله يا نعثل ! فقال عثمان : لست بنعثل ، ولكن عبدالله وأمير المؤمنين . فقال محمَّد : ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان . فقال عثمان : يا بن أخي ! دع

عنك لحيتي ، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمّد : ما أُريد بك أشدّ من قبضي على لحيتك . فقال عثمان : أستنصر الله عليك وأستعين به ثمَّ طعن جبينه بمشقص[١] في يده .

وفي لفظ البلاذري : تناول عثمان المصحف ووضعه في حجره وقال : عباد الله ! لكم ما فيه ، والعتبى ممّا تكرهون ، اللهمَّ اشهد ، فقال محمَّد بن أبي بكر : الآن وقد عصيت قبلُ وكنتَ من المفسدين ، ثمَّ رفع جماعة قِداح كانت في يده فوجأ بها في خُشُشائه[٢] حتّى وقعت في أوداجه فحزَّت ولم تقطع ، فقال : عباد الله ! لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا .

وفي لفظ ابن كثير : جاء محمَّد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً فأخذ بلحيته فعالَ بها حتّى سمعت وقع أضراسه فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك .

وفي لفظ ابن عساكر : قال محمَّد بن أبي بكر : على أيِّ دين أنت يا نعثل ؟ قال : على دين الإسلام ، ولست بنعثل ولكنّي أمير المؤمنين . قال : غيَّرتَ كتاب الله . فقال : كتاب الله بيني وبينكم . فتقدَّم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنّا لا يُقبل منّا يوم القيامة أن نقول : ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل ، وشحطه بيده من البيت إلى باب الدار وهو يقول : يابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي .

قال ابن سعد والطبري : ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أُذن عثمان فمضت حتّى دخلت في حلقه ثمَّ علّاه السيف حتى قتله .

وفي رواية ابن أبي عون : ضرب كنانة بن بشر التجيبي جبينه ومقدَّم رأسه بعمود حديد خرَّ لجنبه ، قال الوليد بن عقبة أو غيره :

علاه بالعمود أخو تجيب فأوهى الرأس منه والجبينا[٣]

---

(١) المشقص : نصل السهم اذا كان طويلا غير عريض .

(٢) الخششاء : العظم الدقيق العاري من الشعر الناتيء خلف الاذن .

(٣) من المستغرب جداً انّ أبا عمر ابن عبد البر ذكر هذا البيت في «الإستيعاب» في ترجمة مولانا أمير المؤمنين بعد ذكر قتله وقال : قال شاعرهم :

علاه بالعمود أخو تجوب فأوهى الرأس منه والجبينا

وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرَّ لجنبه فقتله ، وأمَّا عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رَمَق فطعنه تسع طعنات ، وقال : أمّا ثلاث منهنَّ فإنّي طعنتهنَّ لله ، وأما ستّ فإنّي طعنت إيّاهنَّ لِما كان في صدري عليه .

وأقبل عمير بن ضابىء عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه ، وفي الإصابة : لمّا قتل عثمان وثب عمير بن ضابىء عليه فكسر ضلعين من أضلاعه . وقال المسعودي : وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابىء البرجمي وخضخض بسيفه في بطنه . وسيوافيك حديثٌ آخر عنه لدة هذا .

وفي لفظ الطبري وابن عبد ربِّه وابن كثير : ضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدَّم العين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه فألقت نائلة وابنة شيبة بن ربيعة زوجتاه بنفسهما عليه ، فقال ابن عديس : اتركوه . فتركوه ووطئتا وطئاً شديداً . وفي لفظ ابن كثير : في رواية : إنَّ الغافقي بن حرب تقدَّم إليه بعد محمَّد بن أبي بكر فضربه بحديدة في فِيه .

وذكر البلاذري من طريق الحسن عن وثاب وكان مع عثمان يوم الدَّار وأصابته طعنتان كأنَّهما كيَّتان قال : بعثني عثمان فدعوت الأشتر له فقال : يا أشتر ! ما يريد الناس منِّي ؟ قال : يخيِّرونك أن تخلع لهم أمرهم ، أو تقصَّ من نفسك وإلَّا فهم قاتلوك . قال : أمّا الخلع فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله ، وأمَّا القصاص فوالله لقد علمت أنَّ صاحبيَّ كانا يعاقبان ، وما يقوم بدني للقصاص ، وأمَّا قتلي فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً ولا تقاتلون عدوّاً جميعاً أبداً .

وقال وثاب : أصابتني جراحة فأنا أنزف مرَّة وأقوم مرَّة ، فقال لي عثمان : هل عندك وضوءٌ ؟ قلت : نعم فتوضَّأ ثمَّ أخذ المصحف فتحرَّم به من الفسقة فبينا هو كذلك إذ جاء رُويجل كأنَّه ذئبٌ فاطَّلع ثمَّ رجع ، فقلنا لقد ردَّهم أمرٌ ونهاهم ، فدخل محمَّد بن أبي بكر حتَّى جثى على ركبتيه ، وكان عثمان حسن اللحية ، فجعل يهزّها حتّى سُمع نقيض أضراسه ثمَّ قال : ما أغنى عنك معاوية ، ما أغنى عنك ابن عامر ، فقال : يا ابن أخي ! مهلاً فوالله ما كان أبوك ليجلس منّي هذا

المجلس ، قال : فأشعره وتعاوَنوا عليه فقتلوه .

وأخرج من طريق ابن سيرين قال : جاء ابنُ بديل إلى عثمان ـ وكان بينهما شحناء ـ ومعه السيف وهو يقول : لأقتلنَّه ، فقالت له جارية عثمان : لأنت أهون على الله من ذلك ، فدخل على عثمان فضربه ضربةً لا أدري ما أخذت منه .

راجع طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٥١ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٠ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٢ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٧٢ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٢ ، ٧٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٤٠١ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٧٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٤ ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٢ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٢١٥ ، إزالة الخفاء ج ٢ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢ .

تجهيز الخليفة ودفنه

أخرج الطبري من طريق أبي بشير العابدي قال : نُبِذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيّام لا يُدفن ، ثمَّ إنَّ حكيم بن حزام القرشي ثمَّ أحد بني أسد بن عبد العزى ، وجُبير بن مطعم كَلّما عليّاً في دفنه وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ، ففعل وأذن لهم عليٌّ ، فلمّا سُمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة ، وخرج به ناسٌ يسيرٌ من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُقال له : حُشُّ كوكب[1] كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلمّا خرج به على النّاس رجموا سريره وهمّوا بطرحه ، فبلغ ذلك عليّاً ، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفنَّ عنه ، ففعلوا فانطُلق به حتّى دفن رضي الله عنه في حشِّ كوكب ، فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتّى أفضى به إلى البقيع ، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتّى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين .

---

(١) قال أبو عمر في «الإستيعاب» وياقوت في «المعجم» والمحب الطبري في «الرياض» : كوكب رجل من الأنصار ، والحش : البستان .

ومن طريق أبي كرب ـ وكان عاملاً على بيت مال عثمان ـ قال : دُفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلاَّ مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه ، وأخذ الناس الحجارة وقالوا : نعثل نعثل ، وكادت تُرجم ، فقالوا : الحائط الحائط ، فدفن في حائطٍ خارجاً .

ومن طريق عبد الله بن ساعدة قال : لبث عثمان بعدما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثمَّ حمله أربعة : حكيم بن حزام ، وجبير بن مطعم ، ونيار بن مكرم ، وأبو جهم بن حذيفة . فلمّا وُضع ليصلىٰ عليه جاء نفرٌ من الصحابة يمنعونهم الصَّلاة عليه فيهم : أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي ، وأبو حيَّة المازني في عدَّة ومنعوهم أن يُدفن بالبقيع فقال أبو جهم : ادفنوه فقد صلّىٰ الله عليه وملائكته ، فقالوا : لا والله لا يُدفن في مقابر المسلمين أبداً ، فدفنوه في حشِّ كوكب ، فلمّا ملكت بنو أُميّة أدخلوا ذلك الحشّ في البقيع ، فهو اليوم مقبرة بني أُميّة .

ومن طريق عبد الله بن موسى المخزومي قال : لمّا قُتل عثمان رضي الله عنه أرادوا حزَّ رأسه فوقعت عليه نائلة وأُمّ البنين فمنعهم وصِحن وضربن الوجوه وخرقن ثيابهنَّ ، فقال ابن عديس : اتركوه ، فأُخرج عثمان ولم يُغسَّل إلى البقيع ، وأرادوا أن يصلّوا عليه في موضع الجنائز فأَبت الأنصار ، وأَقبل عمير بن ضابىء وعثمان موضوعٌ على باب فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : سجنتَ ضابئاً حتّى مات في السجن .

وأخرج ابن سعد والطبري من طريق مالك بن أبي عامر قال : كنت أحدَ حملة عثمان رضي الله عنه حين قُتل ، حملناه على باب وإنَّ رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به ، وإنَّ بنا من الخوف لأمراً عظيماً حتّى واريناه في قبره في حشِّ كوكب .

وأخرج البلاذري من رواية أبي مخنف : إنَّ عثمان رضي الله عنه قُتل يوم الجمعة فتُرك في داره قتيلاً ، فجاء جبير بن مُطعم ، وعبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ،

ومسور بن مخرمة الزهري ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي ليصلّوا عليه ويجنوه ، فجاء رجالٌ من الأنصار فقالوا : لا ندعكم تُصلّون عليه ، فقال أبو الجهم ، ألا تدعونا نصلّي عليه ؟ فقد صلّت عليه الملائكة ، فقال الحجّاج بن غُزَيَّة : إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله . قال : نعم حشرني الله معه ، قال ابن غزيَّة : إنَّ الله حاشرك معه ومع الشيطان ، والله إنَّ تركَ إلحاقك به لخطأٌ وعجزٌ . فسكت أبو الجهم ، ثمَّ إنَّ القوم أغفلوا أمر عثمان وشغلوا عنه ، فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه ودفنوه ، وأمَّهم جبير بن مُطعم وحملت أُم البنين بنت عُيينة بن حصن إمرأة عثمان لهم السراج ، وحُمل على باب صغير من جريد قد خرجتْ عنه رجلاه وأخرج حديث منع الصَّلاة عليه أبو عمر في «الإستيعاب» من طريق هشام بن عروة عن أبيه .

وقال : إنَّه لقيهم قومٌ من الأنصار فقاتلوهم حتّى طرحوه ، ثمَّ توطَّأ عمير بن ضابىء بن الحارث بن أرطاة التميمي ثمَّ البرجمي بطنه ، وجعل يقول : ما رأيت كافراً ألين بطناً منه ، وكان أشدَّ الناس على عثمان ، فكان يقول يومئذٍ : أرني ضابئاً ، أحيِ لي ضابئاً ليرى ما عليه عثمان من الحال . وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١٢٨ : جاء عمير بن ضابىء حتّى رفسه برجله .

قال البلاذري : ودفن عثمان في حشّ كوكب وهو نخلٌ لرجل قديم يُقال له : كوكب ، ثمَّ أقبل الناس حين دُفن إلى عليّ فبايعوه وأرادوا دفن عثمان بالبقيع فمنعهم من ذلك قومٌ فيهم أسلم بن بجرة الساعدي ، ويُقال : جبلة بن عمرو الساعدي ، وقال ابن دأب : صلّى عليه مسور بن مخرمة .

وقال المدائني عن الوقاصي عن الزهري : امتنعوا من دفن عثمان فوقفت أُمّ حبيبة بباب المسجد ثمَّ قالت : لتخلنَّ بيننا وبين دفن هذا الرجل أو لأكشفنَّ ستر رسول الله فخلّوا بينهم وبين دفنه .

وأخرج من طريق أبي الزناد قال : خرجت نائلة امرأة عثمان ليلة دُفن ومعها سراجٌ وقد شقَّت جيبها وهي تصيح : واعثماناه ، وا أمير المؤمنيناه ، فقال لها جبير بن مُطعم : اطفئي السراج فقد ترين مَن بالباب ، فأطفأت السراج وانتهوا إلى

البقيـع ، فصلّى عليه جُبيـر وخلفه حكيم بن حـزام ، وأبو جهم ، ونيـار بن مكرم ، ونـائلة وأُم البنين امـرأتـاه ونـزل في حفـرتـه نيـار وأبـو جهم وجُبيـر ، وكـان حكيم والامرأتان يُدلُّونه على الرجـال حتّى قُبر وبني عليـه وغموا قبـره وتفرَّقـوا . وفي لفظ أبي عمر : فلمّا دفنوه غيّبوا قبره ، وذكره السمهودي في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٩٩ من طريق ابن شبه عن الزهري .

وأخرج ابن الجوزي والمحب الطبري والهيثمي من طـريق عبد الله بن فـروخ قال : شهدت عثمـان بن عفان دفن في ثيـابه بـدمائـه ولم يغسَّل . وقـال المحب : خـرَّجه البخـاري والبغـوي في معجمـه . وذكـر ابن الأثيـر في «الكـامـل» وابن أبي الحديد في الشرح أنَّه لم يُغَسَّلْ وكفن في ثيابه .

وأخرج أبو عمر في «الإستيعاب» من طريق مالك قال : لَمّا قُتل عثمـان رضي الله عنه أُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام فلمّا كان من الليل أتـاه اثنا عشـر رجلاً[١] فيهم حـويطب بـن عبـد العزى ، وحكيم بن حـزام ، وعبد الله بن الـزبير فـاحتملوه فلمّـا صـاروا به إلى المقبـرة ليدفنـوه ناداهم قـومٌ من بني مازن : والله لئن دفنتمـوه هٰهنـا لنخبرنَّ الناس غداً . فاحتملوه وكـان على باب وإنَّ رأسـه على الباب ليقـول : طق طق ، حتّى صاروا به إلى حشّ كوكب فاحتفروا له وكانت عائشـة بنت عثمان رضي الله عنهما معها مصباحٌ في جرَّة ، فلمّا أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربنَّ الذي فيه عيناك فسكتت فدفن .

وذكره المحب الطبري في «الرياض» نقلاً عن القلعي ، وذكـر عن الخجندي أنَّه أقام في حشٍّ كوكب ثلاثاً مطروحاً لا يصلّى عليه .

وذكـر الصفـدي في تمـام المتـون ص ٧٩ عن مـالـك أنَّ عثمـان أُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام .

وقال اليعقوبي : أقام ثلاثاً لم يُدفن وحضر دفنه حكيم ، وجبير ، وحويطب ،

---

(١) أحاديث الباب مطلقة على أن الـذين تولـوا اجنانـه كانـوا أربعة . وقـال المحب الطبـري وقد قيل : إن الذين تولوا تجهيزه كانوا خمسة أو ستة . أربعة رجال وامرأتان نائلة وام البنين .

وعمرو بن عثمان ابنه ، ودُفن ليلاً في موضع يُعرف بحشّ كوكب ، وصلّى عليه هؤلاء الأربعة وقيل : لم يصلّ عليه ، وقيل : أحد الأربعة صلّى عليه ، فدفن بغير صلاة .

وقال ابن قتيبة : ذكروا أنَّ عبد الرّحمٰن بن الأزهر قال : لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لا عليه ولا له ، فإنّي لجالسٌ بفناء داري ليلاً بعدما قتل عثمان بليلة إذ جاءني المنذر بن الزبير فقال : إنَّ أخي يدعوك فقمت إليه فقال لي : إنّا أردنا أن ندفن عثمان فهل لك ؟ قلت : والله ما دخلت في شيء من شأنه وما أُريد ذلك ، فانصرفت عنه ثمَّ اتّبعته ، فإذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم ، وأبو الجهم ، والمسور ، وعبد الرّحمٰن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير فاحتملوه على باب وإنَّ رأسه ليقول : طق طق ، فوضعوه في موضع الجنائز فقام إليهم رجالٌ من الأنصار فقالوا لهم : لا والله لا تُصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : ألا تدعون نصلّي عليه ؟ فقد صلّى الله تعالىٰ عليه وملائكته . فقال له رجلٌ منهم : إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله ، فقال له : حشرني الله معه فقال له : إنَّ الله حاشرك مع الشياطين ، والله إن تركناكم به لعجز منّا . فقال القوم لأبي الجهم : أُسكت عنهم وكفَّ فسكت . فاحتملوه ثمَّ انطلقوا مسرعين كأنّي أُسمع وقع رأسه على اللوح حتّى وضعوه في أدنى البقيع فأتاهم جبلة بن عمرو الساعدي من الأنصار فقال : لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ولا نترككم تُصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : إنطلقوا بنا إن لم نصلِّ عليه فقد صلّى الله عليه ، فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حقّ حتّى إذا أتوا به جسر[1] كوكب حفروا له حفرة ثمَّ قاموا يُصلّون عليه وأمَّهم جبير بن مطعم ، ثمَّ دلّوه في حفرته فلمّا رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربنَّ الذي فيه عينيك فدفنوه ، ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً .

وقال ياقوت الحموي : لَمّا قتل عثمان أُلقي في حشّ كوكب ثمَّ دفن في جنبه .

---

(١) كذا في النسخة ، والصحيح : حش .

وذكر ابن كثير بعض ما أسلفناه نقلاً عن البلاذري فقال : ثمَّ أخرجوا بعبدي عثمان اللذين قتلا في الدار وهما : صُبيح ونُجيح رضي الله عنهما فدفنا إلى جانبه بحشّ كوكب ، وقيل : إنَّ الخوارج لم يمكّنوا من دفنهما ، بل جرّوهما بأرجلهما حتّى ألقوهما بالبلاط[1] فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيّام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله .

وذكر الحلبي في السيرة عن ابن ماجشون عن مالك : إنَّ عثمان بعد قتله أُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام ، وقيل ، أُغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيّام ، لا يستطيع أحدٌ أن يدفنه (إلى آخر ما مرَّ من حديث مالك) ولمّا دفنوه عفوا قبره خوفاً عليه أن يُنبش ، وأمّا غلاماه اللذان قتلا معه فجرُّوهما برجليهما وألقوهما على التلال فأكلتهما الكلاب .

وذكر ابن أبي الحديد وابن الأثير والدميري أنّه أقام ثلاثة أيّام لم يُدفن ولم يصلّ عليه ، وقيل لم يغسَّل ولم يكفَّن ، وقيل : صلّى عليه جبير بم مطعم ودُفن ليلاً .

وذكر السمهودي في وفاء الوفا عن عثمان بن محمَّد الأخنسي عن أُمّ حكيمة قالت : كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان : جبير ، حكيم ، أبو جهم ، نيار الأسلمي وحملوه على باب أسمع قرع رأسه على الباب كأنّه دباة ويقول : دب دب . حتّى جاؤوا به حشّ كوكب فدفن به ثمَّ هدم عليه الجدار وصُلّي عليه هناك .

طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٥٥ : أنساب البلاذري ص ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٩ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٠ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٣ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٦ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٩٠ ، ١٩١ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٤ ، وفاء الوفا للسمهودي ج ٢ ص ٩٩ ، السيرة

---

(١) البلاط من الأرض : وجهها ، أو منتهى الصلب منها . وفي لفظ الحلبي كما يأتي : التلال ولعله الصحيح .

الحلبية ج ٢ ص ٨٥ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٥ .

وقال الشاعر المفلق أحمد شوقي بك في دول العرب ص ٤٩ :

مَن لقتيل بالسفا[1] مكفّنِ مرَّت به ثلاثةٌ لم يُدفنِ
تعرضه نوادباً أرامله ويشفق النعش ويأبى حامله
قد حيل بين الأرض وابن آدما ونوزعت دار البقاء قادما

قال الأميني : إنَّ هٰهنا صحيفةً غامضة أقف تجاهها موقف السادر لا تطاوعني النفس على الركون إلى أيٍّ من شِقَّي الإحتمال اللذين يخالجان في الصدر ، وذلك أنَّ ما ارتكب من الخليفة في التضييق عليه وقتله بتلكم الصور المشدَّدة ، ثمَّ ما نيل منه بعد القتل من المنع عن تجهيزه وتغسيله ودفنه والصّلاة عليه والوقيعة فيه بالسباب المقذع وتحقيره برمي جنازته بالحجارة وكسر بعض أضلاعه ، يستدعي إمّا فسق الصحابة أجمع فإنَّهم كانوا بين مباشر لهاتيك الأحوال ، وبين خاذلٍ للمودى به ، وبين مؤلِّب عليه ، إلى مثبِّط عنه ، إلى راضٍ بما فعلوا ، إلى محبِّذٍ لتلكم الأهوال ، وكان يرنُّ في مسامعهم قوله تعالىٰ : **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحقِّ﴾** . وقوله تعالىٰ : **﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنَّما قتل الناس جميعاً﴾** . وقوله تعالىٰ : **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنَّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾** .

وما جاء في ذلك من السنَّة أكثر ، وما يؤثر عن نبيِّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم من وجوب دَفن موتى المؤمنين وتغسيلهم وتكفينهم والصَّلاة عليهم ، وإنَّ حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حيّاً ، فالقوم إن كانوا متعمِّدين في مخالفة هذه النصوص ، فهم فسّاقٌ إن لم نقل إنَّهم مرّاقٌ عن الدين بخروجهم على الإمام المفترض طاعته .

أو أنَّ هذه الأحوال تستدعي إنحراف الخليفة عن الطريقة المثلى ، وانَّ القوم اعتقدوا بخروجه عن مصاديق تلكم الأوامر والمناهي المؤكّدة التي تَطابق عليها الكتاب والسنَّة . وليس من السهل الهيِّن البخوع إلى أيّ من طرفي الترديد ! أمّا

---

(١) السفا : الغبار

الصحابة فكلّهم عدولٌ عند القوم يركن إليهم ويُحتجّ بأقوالهم وأفعالهم ويوثق بإيمانهم ، وقد كهربتهم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأخرج دَرَن نفوسهم ، وكان في المعمعة منهم بقايا العشرة المبشَّرة كطلحة والزبير ، ولطلحة خاصَّة فظاظات حول ذلك الجلاد ، إلى أُناس آخرين من ذوي المآثر نظراء عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، وعبد الله بن بُديل ، وكان بين ظهرانيهم إمام المسلمين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو المرموق يومئذٍ للخلافة ، وقد انثنت إليه الخناصر ، والأُمَّة أطوع له من الظلّ لذيه . أفتراه والحالة هذه سكت عن تلكم الفظائع وهو مطلٌّ عليها من كثَب وهو أعلم الناس بنواميس الشريعة ، وأهداهم إلى طريقها المهيع ، وهو يعلم أنَّ من المحظور إرتكابها ؟ لاها الله .

أو أنَّه عليه السلام أخذ الحياد في ذلك المأزق الحرج وهو مستبيحٌ للحياد أو لما يعملون به ؟ أنا لا أدري .

وليس من المستطاع القول بأنَّ معظم الصحابة ما كانوا عالمين بتلكم الوقائع ، أو أنَّهم ما كانوا يحسبون أنَّ الأمر يبلغ ذلك المبلغ ، أو أنَّهم كانوا غير راضين بهاتيك الأُحدوثة ، فإنَّ الواقعة ما كانت مُباغتة ولا غِيلة حتّى يعزب عن أحد علمها ، فإنَّ الحوار استدام أكثر من شهرين ، وطيلة هذه المدَّة لم يكن للمتجمهرين طلبة من الخليفة إلَّا الإقلاع عن أحداثه ، أو التنازل عن عرش الخلافة ، وكانوا يهدّدونه بالقتل إن لم يخضع لإحدى الطلبتين ، وكانت نعرات القوم في ذلك يتموَّج بها الفضاء ، وعقيرة عثمان في التوبة تارة وعدم التنازل أُخرى وتخويفهم بمغبّات القتل ثالثة تتسرَّب في فجوات الجوّ ، فلو كان معظم الصحابة منحازين عن ذلك الرأي لكان في وسعهم تفريق الجمع بالقهر أو الموعظة ، لكن بالرغم عمّا يزعم عليهم لم يؤثَر عن أحد منهم ما يثبت ذلك أو يُقرّ به ، وما أسلفناه من الأحاديث الجمَّة النامّة عن معتقدات الصحابة في الخليفة وفي التوثّب عليه تُفنِّد هذه المزعمة الفارغة ، إن لم نقل إنَّها تثبت ما يعلمه الكلّ من الإجماع على مقت الخليفة والتصافق على ما نقموا عليه والرضا بما نيل منه ، حتّى انَّ أحداً لم يُرو عنه أنَّه ساءه نداء قاتله حين طاف بالمدينة ثلاثاً قائلاً : أنا قاتل نعثل[1] .

---

(١) الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨ .

وأمّا ثاني الإحتمالين فمن المستصعب أن يبلغ سوء الظن بالخليفة هذا المدى ، وإن كانت الصحابة جزموا بذلك ، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، وقد أوقفناك على قول السيِّدة عائشة : اقتلوا نعثلاً قتله الله وقد كفر .

وقولها لمروان : وددت والله أنَّه في غِرارة من غرائري هذه وأنِّي طوَّقت حمله حتى أُلقيه في البحر .

وقولها لابن عبّاس : إيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية .

وقول عبد الرّحمٰن بن عوف للإمام أمير المؤمنين ﷺ : إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي ، إنَّهُ قد خالف ما أعطاني .

وقوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه .

وقوله له : لِلَّه عليَّ أنَّ لا أُكلّمك أبداً .

وقول طلحة لمجمع بن جارية لَمّا قال له : أظنّكم والله قاتليه : (فإن قُتل فلا ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل) .

وقد مرَّ أنَّ طلحة كان أشدَّ الناس على عثمان في قتله يوم الدار : وقتل دون دمه .

وقول الزبير : أُقتلوه فقد بدَّل دينكم .

وقوله : إنَّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً .

وقول عمّار يوم صفِّين : أُمضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله .

وقوله : ما تركت في نفسي حزَّة أهمّ إليَّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمَّ أحرقناه بالنّار .

وقوله : أراد أن يغيِّر ديننا فقتلناه .

وقوله : والله إن كان إلاّ ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله .

وقوله : إنَّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان .

وقول حجر بن عدي وأصحابه : هو أوَّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقِّ .

وقول عبد الرَّحمن العنزي : هو أوَّل من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحقّ .

وقول هاشم المرقال : إنَّما قتله أصحاب محمَّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمَّد هم أصحاب الدِّين ، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين .

وقول عمرو بن العاص : أنا أبو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأُحرِّض عليه حتّى إنِّي لأُحرِّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل .

وقوله له : ركبتَ بهذه الأُمَّة نهابير من الأُمور فركبوها منك ، وملت بهم فمالوا بك ، إعدل أو اعتزل .

وقوله : أنا عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع .

وقول سعد بن أبي وقاص : إنَّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقَّله طلحة ، وسمَّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه . إلخ .

وقول جهجاه الغفاري : قم يا نعثل ! فانزل عن هذا المنبر ، ندرِّعك عباءةً ، ولنطرحك في الجامعة ، ولنحملك على شارف من الإبل ثمَّ نطرحك في جبل الدخان .

وقول مالك الأشتر : إلى الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سنَّة نبيِّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

وقول عمرو بن زرارة : إنَّ عثمان قد ترك الحقَّ وهو يعرفه . الخ .

وقول الحجاج بن غزيَّة الأنصاري : والله لو لم يبق من عمره إلَّا بين الظهر والعصر لتقرَّبنا إلى الله بدمه .

وقول قيس بن سعد الأنصاري : أوّل الناس كان فيه «قتل عثمان» قياماً عشيرتي ولهم أُسوة .

وقول جبلة بن عمرو الأنصاري : يا نعثل ! والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قلوص جرباء ولأخرجنّك إلى حرَّة النار . وقوله وقد سُئل الكفّ عن عثمان : والله لا ألقى الله غداً فأقول : إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل .

وقول محمَّد بن أبي بكر له : على أيِّ دين أنت يا نعثل ؟ غيّرت كتاب الله . وقوله له : الآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين .

وقول الصحابة مجيبين لقوله : لا تقتلوني فإنّه لا يحلُّ إلاَّ قتل ثلاثة : إنَّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت ، قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقِّ ومنعه ثمَّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيتَ ، ومنعت الحقَّ ، وحلت دونه وكابرت عليه . الخ .

وقول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث من أبيات مرَّت ج ٨ ص ٣٣٦

وشبَّهته كسرى وقد كان مثله شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه

إلى كلمات آخرين محكمات وأُخر متشابهات ، يشبه بعضها بعضاً .

إنَّ في هذا المأزق الحرج لا بدَّ لنا من ركوب إحدى الصعبتين ، والحكم هو الفطرة السليمة مهما دار الأمر بين تخطئة إنسان واحد محتفّ بالأحداث ، وبين تضليل آلاف مؤلَّفة فيهم الأئمَّة والعلماء والحكماء والصالحون وقد ورد في فضلهم ما ورد كما نرتئيه نحن ، أو أنَّ كلهم عدولٌ يُحتجُّ بأقوالهم وأفعالهم كما يحسبه أهل السنَّة ، وإن كان في البين إجتهادٌ كما يحسبونه في أمثال المقام فهو في الطرفين ، والتحكّم بإصابة إنسان واحد وخطأ تلك الأُمَّة الكبيرة في اجتهادها ، تهورٌ بحتٌ ، وتمحّل لا يُصار إليه ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إنَّ الله يحبُّ المقسطين .

سلسلة الموضوعات
في قصة الدار وتبرير الخليفة والنظر فيها

١ ـ قال الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٩٨ : فيما كتب به إليَّ السري عن شعيب عن سيف عن عطيَّة عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أُمّه سوداء فأسلم زمان عثمان ، ثمّ تنقَّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجبٌ ممّن يزعم انّ عيسىٰ يرجع ويكذّب بأنّ محمّداً يرجع وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿**إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد**﴾ . فمحمّد أحقُّ بالرجوع من عيسى : قال : فقبُل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها ، ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنَّه كان ألف نبيّ ولكلِّ نبيٍّ وصيّ وكان عليٌّ وصيَّ محمّد . ثمّ قال : محمّد خاتم الأنبياء وعليٌّ خاتم الأوصياء . ثمّ قال بعد ذلك : من أظلم ممّن لم يُجز وصيَّة رسول الله ﷺ ووثب على وصيِّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأُمّة ثمَّ قال لهم بعد ذلك : إنّ عثمان أخذها بغير حقّ وهذا وصيُّ رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه وابدأوا بالطعن على أُمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر ، فبثَّ دعاته وكاتب من كان استفسد في الامصار وكاتبوه ودعوا في السرِّ إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كلِّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يضعون فيقرأ أُولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعةً ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويُسرّون غير ما يُبدون ، فيقول أهل كلّ مصر : إنّا لفي عافية ممّا ابتلى به هؤلاء إلاَّ أهل المدينة فإنَّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : إنّا لفي عافية ممّا فيه الناس ، وجامعه محمّد وطلحة من هذا المكان قالوا : فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ما جاءني إلاّ السَّلامة . قالوا : فإنّا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا

عليٌّ ، قالوا : نُشير عليك أن تبعث رجالاً ممَّن تثق بهم إلى الأمصار حتّى يرجعوا إليك بأخبارهم ، فدعا محمّد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أُسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمّار فقالوا : أيُّها النّاس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم ، وقالوا جميعاً : الأمر أمر المسلمين إلاَّ أنَّ أُمراءَهم يُقسطون بينهم ويقومون عليهم ، واستبطأ النّاس عمّاراً حتّى ظنُّوا أنَّه قد اغتيل فلم يفجأهم إلاَّ كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح يُخبرهم أنَّ عمّاراً قد استماله قومٌ بمصر وقد انقطعوا إليه منهم : عبدالله بن السوداء ، وخالد بن مُلجم ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر .

قال الأميني : لو كان إبن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن ، وشقِّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثه أُمراء الأُمَّة وساستها في البلاد ، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت ، فلماذا لم يقع عليه الطلب ؟ ولم يبلغه القبض عليه ، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة ، والتأديب بالضرب والإهانة ، والزجّ إلى أعماق السجون ؟ ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأُمّة من شرّه وفساده ، كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وهتاف القرآن الكريم يرنُّ في مسامع الملأ الديني : ﴿**إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أنْ يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[1] .

فهلاّ اجتاح الخليفة جرثومة تلكم القلاقل بقتله ؟ وهل كان تجهُّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أُمّة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ففعل بهم ما فعل ممّا أسلفنا بعضه في هذا الجزء والجزء الثامن .

هب أنَّ ابن سبأ هو الذي أمال الأمصار على مناوءة الخليفة فهل كان هو مختلقاً تلكم الأنباء من دون انطباقها على شيء من أعمال عثمان وولاته ؟ فنهضت

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٣ .

الأُمَّة وفيهم وجوه المهاجرين والأنصار على لا شيء ؟ أو أنَّ ما كان يقوله قد انطبق على ما كانوا يأتون به من الجرائم والمآثم ، فكانت نهضة الأُمَّة لاكتساحها نهضةً دينيَّة يخضع لها كلُّ مسلم ، وإن كان ابن اليهوديَّة خلط نفسه بالناهضين لأيِّ غاية راقته ، وما أكثر الأخلاط في الحركات الصحيحة من غير أن يمسَّ كونهم مع الهائجين بشيء من كرامتهم .

ولو كان ما أنهاه إليهم ابن سبأ عزواً مختلقاً فهلاّ - لمّا قدمت وفود الأمصار المدينة - قال لهم المدنيّون : إنَّ الرجل بريء من هذه القذائف والهنات وهو بين ظهرانيهم يرون ما يفعل ، ويسمعون ما يقول ؟ لكنَّهم بدلاً عن ذلك أصفقوا مع القادمين ، بل صاروا هم القدوة والأُسوة في تلك النهضة ، وكانوا قبل مقدمهم ناقمين عليه .

ونحن والدكتور طه حسين نصافق عند رأيه هٰهنا حيث قال في كتابه «الفتنة الكبرىٰ ص ١٣٤ : وأكبر الظنِّ أنَّ عبد الله بن سبأ هذا - إن كان كلّ ما يُروى عنه صحيحاً - إنَّما قال ما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغلَّ الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظنّ كذلك أنّ خصوم الشيعة أيّام الأمويِّين والعبّاسيين قد بالغوا في أمر عبد الله بن سبأ هذا ، ليشكّكوا في بعض ما نُسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية ، وليشنِّعوا على عليّ وشيعته من ناحية أُخرى ، فيردُّوا بعض أُمور الشيعة إلى يهوديّ أسلم كيداً للمسلمين ، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة ؟ وما أكثر ما شنع الشيعة على خصومهم في أمر عثمان وفي غير أمر عثمان ؟

فلنقف من هذا كلّه موقف التحفّظ والتحرّج والإحتياط ، ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجلٌ أقبل من صنعاء وكان أبوه يهوديّاً وكانت أُمُّه سوداء ، وكان هو يهوديّاً ثمَّ أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً ، ثمَّ أُتيح له من النجح ما كان يبتغي ، فحرَّض المسلمين على خليفتهم حتّى قتلوه ، وفرَّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً .

هذه كلّها أُمورٌ لا تستقيم للعقل ، ولا تثبت للنقد ، ولا ينبغي أن تقام عليها

أُمور التاريخ ، وإنّما الشيء الواضح الذي ليس فيه شكٌّ هو أنَّ ظروف الحياة الإسلاميَّة في ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأي وافتراق الأهواء ونشأة المذاهب السياسيَّة المتباينة ، فالمستمسكون بنصوص القرآن وسنَّة النبيِّ وسيرة صاحبيه كانوا يرون أُموراً تطرأ ينكرونها ولا يعرفونها ، ويريدون أن تُواجه كما كان عمر يواجهها في حزم وشدَّة وضبط للنفس وضبط للرعيَّة ، والشباب الناشئون في قريش وغير قريش من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الأُمور الجديدة بنفوس جديدة ، فيها الطمع ، وفيها الطموح ، وفيها الأثرة ، وفيها الأمل البعيد ، وفيها الهمّ الذي لا يعرف حدّاً يقف عنده ، وفيها من أجل هذا كلّه التنافس والتزاحم لا على المناصب وحدها بل عليها وعلى كل شيء من حولها . وهذه الأُمور الجديدة نفسها كانت خليقة أن تدفع الشيوخ والشباب إلى ما دفعوا إليه ، فهذه أقطارٌ واسعةٌ من الأرض تفتح عليهم ، وهذه أموالٌ لا تحصى تُجبى لهم من هذه الأقطار ، فأيّ غرابة في أن يتنافسوا في إدارة هذه الأقطار المفتوحة والإنتفاع بهذه الأموال المجموعة ؟ وهذه بلادٌ أُخرى لم تفتح وكلّ شيء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها ، فمالهم لا يستبقون إلى الفتح ؟ وما لهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد والغنيمة إن كانوا من طلّاب الدنيا ، ومن الأجر والمثوبة إن كانوا من طلّاب الآخرة ثمّ مالهم جميعاً لا يختلفون في سياسة هذا الملك الضخم وهذا الثراء العريض ؟ وأيّ غرابة في أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش إلى هذه الأبواب التي فتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد والسلطان والثراء ؟ وأيّ غرابة في أن يهم بمنافستهم في ذلك شباب الأنصار وشباب الأحياء الأُخرى من العرب ؟ وفي أن تمتلىء قلوبهم موجدةً وحفيظة وغيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم وبين هذه المنافسة ، ويؤثر قريشاً بعظائم الأُمور ، ويؤثر بني أُميَّة بأعظم هذه العظائم من الأُمور خطراً وأجلّها شأناً .

والشيءُ الذي ليس فيه شكٌّ هو أنَّ عثمان قد ولّى الوليد وسعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً ، وولّى عبد الله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى . وجمع الشام كلّها لمعاوية وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حدّ ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريشٌ وغيرها من أحياء العرب ، وولّى عبد الله بن

أبي سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص ، وكلّ هؤلاء الولاة من ذوي قرابة عثمان ، منهم أخوه لأُمّه ، ومنهم أخوه في الرضاعة ، ومنهم خاله ، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الأدنى إلى أُميّة بن عبد شمس .

كلُّ هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها ، وما نعلم أنَّ ابن سبأ قد أغرى عثمان بتولية من ولّى وعزل من عزل ، وقد أنكر النّاس في جميع العصور على الملوك والقياصرة والولاة والأُمراء إيثار ذوي قرابتهم بشؤون الحكم ، وليس المسلمون الذين كانوا رعيَّة لعثمان بدعاً من النّاس ، فهم قد أنكروا وعرفوا ما ينكر النّاس ويعرفون في جميع العصور . إنتهى حرفيّاً .

على أنَّ ما تضمّنته هذه الرواية من بعث عمّار إلى مصر وغيره إلى بقيَّة البلاد ممّا لا يكاد أن يُذعن به ، أو أن يكون له مقيلٌ من الصحّة ، ولم يُذكر في غير هذه الرواية الموضوعة المكذوبة على ألسنة رواتها المتراوحين بين زندقة وكذب وجهالة ، فإنَّ ما يعطيه النظر في مجموع ما روي حول مشكلة عثمان انَّ عمّاراً ومحمّد بن مسلمة لم يفارقا المدينة طيلة أيّامها ومنذ مبادئها إلى غايتها المفضية إلى مقتل عثمان ، وعمّار هو الذي كان في مقدَّم الثائرين عليه من أوَّل يومه الناقمين على أعماله ، وقد أراد نفيه إلى الربذة منفى أبي ذر بعد وفاته فيه رضوان الله عليهما فمنعته المهاجرون والأنصار كما مرَّ حديثه ، وكم وقع عليه في تضاعيف تلكم الأحوال تعذيبٌ وضربٌ وتعنيف ، وكان عثمان يعلم بكراهة عمّار إيّاه منذ يومه الأوَّل ، فمتى كان يستنصح عمّاراً حتّى يبعثه إلى البلاد فيحكي له أخبارها ، أو يستميله ابن سبأ وأصحابه ؟ وهذا ممّا لا يعزب علمه عن أيِّ باحث كما تنبَّه له الدكتور طه حسين في «الفتنة الكبرى» ص ١٢٨ حيث قال : أكاد أقطع بأنَّ عمّاراً لم يُرسل إلى مصر ولم يشارك هذين الفتيّين[1] فيما كانا بسبيله من التحريض وإنَّما هي قصّة اخترعها العاذرون لعثمان فيما كان بينه وبين عمّار قبل ذلك أو بعده ممَّا سنراه بعد حين . اهـ .

٢ ـ قال الطبري ص ٩٩ : كتب إليَّ السري عن شعيب عن سيف عن محمّد وطلحة وعطية قالوا : كتب عثمان إلى أهل الأمصار :

(١) يعني بهما : محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة .

أمّا بعد : فإنّي آخذ العمّال بموافاتي في كلّ موسم ، وقد سلّطت الأمّة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُرفع عليَّ شيء ولا على أحد من عمّالي إلاّ أعطيته ، وليس لي ولعيالي حقٌّ قبل الرعيّة إلاّ متروكٌ لهم ، وقد رفع إلى أهل المدينة أنَّ أقواماً يُشتمون ، وآخرون يُضربون ، فيا مَن ضُرب سرّاً وشتم سرّاً ، من ادَّعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقّه حيث كان منّي أو من عمّالي أو تصدَّقوا فإنَّ الله يجزي المتصدِّقين .

فلمّا قرىء في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا : إنَّ الأمَّة لتمخّض بشرّ ، وبعث إلى عمّال الأمصار فقدموا عليه عبد الله بن عامر ، ومعاوية ، وعبد الله بن سعد ، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً فقال : ويحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة ؟ إنّي والله لخائفٌ أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يُعصب هذا إلاّ بي ، فقالوا له : ألم تبعث ؟ ألم نرجع إليك الخبر عن القوم ؟ ألم يرجعوا ولم يشافههم أحدٌ بشيء ؟ لا والله ما صدقوا ولا برُّوا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً ، ولا كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء ، وما هي إلاَّ إذاعة لا يحلُّ الأخذ بها ولا الإنتهاء إليها . قال : فأشيروا عليَّ . فقال سعيد بن العاص : هذا أمرٌ مصنوعٌ يصنع في السرِّ فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم ، قال : فما دواء ذلك ؟ قال : طلب هؤلاء القوم ثمَّ قتل هؤلاء الَّذين يخرج هذا من عندهم . وقال عبد الله بن سعد : خُذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم فإنّه خيرٌ من أن تَدعهم . قال معاوية : قد ولّيتني فولّيت قوماً لا يأتيك عنهم إلاّ الخير والرجلان أعلم بناحيتيهما . قال : فما الرأي ؟ قال : حسن الأدب . قال : فما ترى يا عمرو؟ قال : أرى أنّك قد لِنت لهم ، وتراخيت عنهم ، وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتدُّ في موضع الشدَّة وتلين في موضع اللين ، إنّ الشدّة تنبغي لمن لا يألو الناس شرّاً ، واللين لمن يخلف الناس بالنصح ، وقد فرشتهما جميعاً اللين ، وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال : كلّ ما أشرتم به عليَّ قد سمعت ، ولكلّ أمر بابٌ يؤتى منه ، إنَّ هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمَّة كائن ، وإنّ بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاناة والمتابعة إلاّ في حدود الله تعالىٰ ذكره التي لا يستطيع أحدٌ أن يبادي بعيب أحدها ،

فإن سدَّه شيء فرفق فذاك والله ليفتحنَّ وليست وحد عليّ حجَّة حقّ ، وقد علم الله أنِّي لم آل الناس خيراً ولا نفسي ، ووالله إنّ رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرِّكها كفكفوا الناس وهِبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم ، وإذا تُعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها . فلمّا نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة ، ورجع ابن عامر وسعيد معه ، ولمّا استقلّ عثمان رجز الحادي :

قد علمت ضوامرُ المطيّ وضُمّراتُ عُوَّج القسيّ
إنّ الأمير بعده عليّ وفي الزبير خلفٌ رضيّ
وطلحة الحامي لها وليّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان : الأمير بعده صاحب البغلة ، وأشار إلى معاوية .

٣ - (وأخرج ص ١٠١ بالإسناد الشعيبي المذكور) :

كان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج : يا أمير المؤمنين ! إنطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبل لك به ، فإنَّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإنْ كان فيه قطع خيط عنقي . قال : فأَبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إيّاك . قال : أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند مساكنهم وأُضيّق على أهل دار الهجرة والنصرة ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ! لتغتالنّ ولتغزينّ . قال : حسبي الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا ايسار الجزور ! وأين ايسار الجزور ؟ الحديث بطوله .

٤ - (وأخرج ص ١٠٣ بالإسناد الشعيبي) :

لمّا كان في شوّال سنة ٣٥ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أُمراء المقلُّ يقول : ستمائة . والمكثر يقول : ألف . على الرفاق عبدالرَّحمٰن بن عديس البلوي . وكنانة بن بشر الليثي . وسودان بن حمران السكوني . وقتيرة بن فلان السكوني . وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكّي . ولم يجترؤوا أن يعلموا النّاس بخروجهم إلى الحرب ، وإنَّما خرجوا كالحجّاج ومعهم ابن السوداء . وخرج

أهل الكوفة في أربع رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي ، والأشتر النخعي ، وزياد بن النضرة الحارثي ، وعبدالله بن الأصم ، أحد بني عامر بن صعصعة ، وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم ، وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي ، وابن المحرش ابن عبد عمرو الحنفي ، وعددهم كعدد أهل مصر ، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي ، سوى مَن تلاحق بهم من النّاس ، فأمّا أهل مصر فإنّهم كانوا يشتهون عليّاً ، وأمّا أهل البصرة فإنّهم كانوا يشتهون طلحة ، وأمّا أهل الكوفة فإنّهم كانوا يشتهون الزبير، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتّى لا يشكّ كلّ فرقة إلاّ أنّ الفلج معها ، وأمرها سيتمّ دون الأخريين ، فخرجوا حتّى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناسٌ من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشب ، وناسٌ من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص[١] وجاءهم ناسٌ من أهل مصر وتركوا عامّتهم بذي المروّة ، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم وقالا : لا تعجلوا ولا تُعجّلونا حتّى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنّه بلغنا أنّهم قد عسكروا لنا فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ وانّ أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلّوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنرجعنّ إليكم بالخبر ، قالوا : إذهبا . فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبيّ ﷺ وعليّاً وطلحة والزبير[٢] وقالا : إنّما نأتمّ هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمّالنا ، ما جئنا إلا لذلك واستأذنا للنّاس بالدخول ، فكلّهم أبى ونهى وقال : بيضٌ ما يفرخنّ . فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوا عليّاً ، ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفرٌ فأتوا الزبير وقال كلّ فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلاّ كدناهم وفرّقنا جماعتهم ثمّ كررنا حتّى نبغتهم . فأتى المصريّون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت[٣] عليه حُلّة أفوافٍ مُعتمّ بشقيقة حمراء يمانيّة

(١) الأعوص موضع على أميال من المدينة يسيرة .

(٢) لا تنس ها هنا ما أسلفنا لك في هذا الجزء من حديث أم المؤمنين وعليّ أمير المؤمنين وطلحة والزبير .

(٣) أحجار الزيت : موضع بالمدينة داخلها قريب من الزوراء .

متقلّد السيف ليس عليه قميص ، وقد سرَّح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه ، فالحسن جالسٌ عند عثمان وعليٌّ عند أحجار الزيت فسلّم عليه المصريّون وعرَّضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال : لقد علم الصّالحون أنَّ جيش ذي المروة وذي خُشب ملعونون على لسان محمَّد ﷺ فارجعوا لا صحبكم الله [1] قالوا : نعم ، فانصرفوا من عنده على ذلك . وأتى البصريّون طلحة وهو في جماعة أُخرى إلى جنب عليّ وقد أرسل إبنيه إلى عثمان فسلّم البصريّون عليه وعرَّضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال : لقد علم المؤمنون أنَّ جيش ذي المروة في ذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمَّد ﷺ [2] وأتى الكوفيُّون الزبير وهو في جماعة أُخرى وقد سرَّح إبنه عبدالله إلى عثمان فسلّموا عليه وعرضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال : لقد علم المسلمون أنَّ جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمَّد ﷺ [3] .

فخرج القوم وأروهم أنَّهم يرجعون فانفشّوا عن ذي خُشب والأعوص حتّى انتهوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة ثمَّ يكرُّوا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم ، فلمّا بلغ القوم عساكرهم كرُّوا بهم فبغتوهم ، فلم يفجأ أهل المدينة إلّا والتكبير في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا : من كفَّ يده فهو آمن . وصلّى عثمان بالناس أيّاماً ولزموا بيوتهم ولم يمنعوا أحداً من كلام ، فأتاهم النّاس فكلّموهم وفيهم عليٌّ فقال : ما ردَّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ قالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا ، وأتاهم طلحة فقال البصريّون مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيّون والبصريّون : فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً. كأنَّما كانوا على ميعاد فقال لهم عليٌّ : كيف علمتم يا أهل الكوفة ! ويا أهل البصرة ! بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثمّ طويتم نحونا ، هذا والله أمرٌ أُبرم بالمدينة قالوا : فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا وهو في ذلك يُصلّي بهم وهم يصلّون خلفه ويَغشى من

---

(١) راجع ما مضى من حديث عليّ أمير المؤمنين تعرف جلية الحال .

(٢) راجع ما مرّ من حديث طلحة وصولته وجولته في تلك الثورة تعلم صدق الخبر .

(٣) راجع ما أسلفنا من حديث الزبير حتّى يتبين لك الرشد من الغي .

شاء عثمان وهم في عينه أدقّ من التراب ، وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام وكانوا زُمراً بالمدينة يمنعون الناس من الإجتماع . الخ .

قال الأميني : تُعطي هذه الرواية أنَّ الذي ردَّ الكتائب المقبلة من مصر والبصرة والكوفة هو زعماء جيش أحجار الزيت : أمير المؤمنين عليّ وطلحة والزبير يوم صاحوا بهم وطردوهم ورووا رواية اللعن عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم البدريّون وغيرهم من أصحاب محمَّد العدول ، فما تمكّنت الكتائب من دخول المدينة وقد أسلفنا إصفاق المؤرِّخين على أنَّهم دخلوها وحاصروا الدار مع المدنيِّين أربعين يوماً أو أكثر أو أقلَّ حتّى توسَّل عثمان بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان هو الوسيط بينه وبين القوم ، وجرى هنالك ما مرَّ تفصيله من توبة عثمان على صهوة المنبر ، ومن كتاب عهده إلى البلاد على ذلك ، فانكفأت عنه الجماهير الثائرة بعد ضمان عليّ عليه السلام ومحمّد بن مسلمة بما عهد عثمان على نفسه ، لكنَّهم ارتجعوا إليه بعدما وقفوا على نكوصه وكتابه المتضمِّن بقتل مَن شخص إليه من مصر فوقع الحصار الثاني المفضي إلى الإجهاز عليه ، وأنت إذا عطفت النظرة إلى ما سبق من أخبار الحصارين وأعمال طلحة والزبير فيهما وقبلهما وبعدهما نظرة ممعنة لا تكاد أن تستصحَّ دفاعهما عنه في هذا الموقف ، وكان طلحة أشدّ النّاس عليه ، حتّى منع من إيصال الماء إليه ، ومن دفنه في مقابر المسلمين ، لكن رواة السوء المتسلسلة في هذه الأحاديث راقهم إخفاء مناوءَةَ القوم لعثمان فاختلقوا له هذه وأمثالها .

٥ - (وأخرج ص ١٢٦ بالإسناد الشعيبي) :

آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة : إنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إنَّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنَّكم الفانية ، ولا تشغلنَّكم عن الباقية ، فآثروا ما بقي على ما يفنى ، فإنَّ الدنيا منقطعة ، وإنَّ المصير إلى الله ، اتَّقوا الله جلَّ وعزَّ فإنَّ تقواه جُنّة من بأسه ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

قالوا : لمّا قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته ، وعزم له المسلمون على الصبر والإمتناع عليهم بسلطان الله قال : اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنّي ، وأرسل إلى طلحة والزبير وعليّ وعدّة أن ادنوا فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال : يا أيُّها النّاس ! اجلسوا فجلسوا جميعاً المحارب الطارىء ، والمسالم المقيم فقال : يا أهل المدينة ! إني استودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي ، إنّي والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتّى يقضي الله فيَّ قضاه ، ولأدعنَّ هؤلاء وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتّخذونه عليكم دخَلاً في دين الله أو دنيا حتّى يكون الله عزَّ وجلَّ الصانع في ذلك ما أحبَّ ، وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلاّ الحسن ومحمّد وابن الزبير وأشباهاً لهم فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم ، وثاب إليهم ناسٌ كثيرٌ ولزم عثمان الدار .

٦ - (وروى ص ١٢٦ بالإسناد الشعيبي) :

قالوا : كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين فلمّا مضت من الأربعين ثماني عشرة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيّأ إليهم من الآفاق حبيب من الشام ، ومعاوية من مصر ، والقعقاع من الكوفة ، ومجاشع من البصرة ، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كلَّ شيء حتّى الماء ، وقد كان يدخل عليٌّ بالشيء ممّا يريد ، وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة ، فعثروا في داره بالحجارة ليرموا فيقولوا : قوتلنا وذلك ليلاً فناداهم : ألا تتّقون الله ؟ ألا تعلمون أنَّ في الدار غيري ؟ قالوا : لا والله ما رميناك قال : فمن رمانا ؟ قالوا : الله . قال : كذبتم إنَّ الله عزَّ وجلَّ لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطؤوننا ، وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه فسرح إبناً لعمرو إلى عليّ بأنّهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا وإلى طلحة والزبير وإلى عائشة رضي الله عنها وأزواج النبيِّ ﷺ فكان أوّلهم إنجاداً له عليٌّ وأُمُّ حبيبة ، جاء عليٌّ في الغَلس فقال : يا أيُّها النّاس! إنَّ الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادَّة فإنَّ الروم وفارس لتأسر فتُطعم وتسقي ، وما تعرَّض لكم هذا الرجل ، فبمَ تستحلّون حصره وقتله ؟ قالوا : لا والله ولا نعمة عين ، لا

نتركه يأكل ولا يشرب ، فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني . فرجع ، وجاءت أُمّ حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوةٍ فقيل : أمّ المؤمنين أُمّ حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها فقالت : إنّ وصايا بني أُميّة إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل . قالوا : كاذبة وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت بأُمّ حبيبة فتلقّاها النّاس وقد مالت رحالتها فتعلّقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها ، وتجهّزت عائشة خارجةً إلى الحجّ هاربة ، واستتبعت أخاها فأبى فقالت : أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلنّ . وجاء حنظلة الكاتب حتّى قام على محمّد بن أبي بكر فقال : يا محمّد ! تستتبعك أُمّ المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب إلى مالا يحلّ فتتبعهم ؟ ما أنت وذاك يابن التميميّة ؟ فقال : يابن الخثعميّة ! إنّ هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف . وانصرف وهو يقول :

عجبٌ لِما يخوضُ النّاس فيه ... يرومون الخلافة أنْ تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ... ولاقوا بعدها ذلّاً ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى ... سواءٌ كلّهم ضلّوا السبيلا

ولحق بالكوفة وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر ، وجاءها مروان بن الحَكم فقال : يا أُمّ المؤمنين ! لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل . فقالت : أتريد أن يُصنع بي كما صُنع بأُمّ حبيبة ، ثمّ لا أجد من يمنعني ، لا والله ولا أعير ولا أدري إلى ما يسلم أمر هؤلاء ، وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليٌّ وأُمّ حبيبة فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات عليهم الرقباء ، فأشرف عثمان على الناس فقال : يا عبدالله بن عبّاس ! فدُعيَ له فقال : إذهب فأنت على الموسم . وكان ممّن لزم الباب فقال : والله يا أمير المؤمنين ! لجهاد هؤلاء أحبُّ إليَّ من الحجّ ، فأقسم عليه لينطلقنّ فانطلق ابن عبّاس على الموسم تلك السنة ، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيّته فانصرف بها ، وفي الزبير اختلافٌ أأدرك مقتله أو خرج قبله ؟وقال عثمان : يا قوم ! **﴿لا يجر منّكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح﴾** . الآية . اللهمّ حل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبلُ .

قال الأميني : هذه الرواية مفتعلةٌ من شيعة عثمان المصطفِّين في إسنادها تجاه ما ثبت عن عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من جهودهم المتواصلة في التضييق على الرجل ، وإسعار نار الحرب والإجهاز عليه بما أسلفنا في هذا الجزء لكن أكدى الظنّ ، وأخفق الأمل أنَّ هاتيك الروايات أخرجها الأثبات من حَملة التاريخ ، وأصفق عليها المؤرِّخون وهذه تفرَّد بها هؤلاء الوضّاعون ، ومَن ذا الذي يعير سمعاً لها بعد الإخبات إلى التاريخ الصحيح ؟ وملأ اذنه هتاف عائشة : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر . إلى كلمات أخرى لها مرَّ مجملها في هذا الجزء ص ٢٤٩ وفصَّلناها في ص ١٠١ ـ ١١٠ .

وإنَّ تهالك طلحة دون التشديد عليه وقتله بكلِّ ما تسنَّى له ممّا لا يجهله مُلمّ بالحديث والتاريخ ، وكان يوم الدار مقنَّعاً بثوب يرميها بالسهام ، وهو الذي منع منه الماء ، وهو الذي حمل الناس إلى سطح دار ابن حزام فتسوَّروا منها دار عثمان ، وهو الذي منعه من أن يدفن في مقابر المسلمين ، وهو الذي أقعد لمجهِّزيه في الطريق ناساًيرمونهم بالحجارة ، وهو الذي قتله مروان ثمَّ قال لأبان بن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ، وهو الذي قال فيه وفي صاحبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : كان طلحة والزبير أهون سيرهما فية الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف .

ولو كان طلحة كما زعمه الوضّاعون فما معنى هتاف عثمان : اللهمَّ اكفني طلحة بن عبيدالله فإنَّه حمل عليَّ هؤلاء وألَّبهم . وقوله : ويلي على ابن الحضرميَّة ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرّض على نفسي ، اللهمَّ لا تمتِّعه به ولقّه عواقب بغيه .

وإلى الآن يرنُّ في الأسماع قول الزبير يومئذٍ : اقتلوه فقد بدَّل دينكم . وقوله : ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدىء بابني ، إنَّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً . وقوله لعثمان : إنَّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك بالحقِّ . الخ .

وإلى الآن في صفحات التاريخ قول سعد بن أبي وقاص : قتله سيف سلّته

عـائشة وشحّـذه طلحة ، وسمّـه عليٌّ ، قيل : فمـا حال الـزبير ؟ قـال : أشار بيـده وصمت بلسانه . إلى كلمات آخرين مرّت في هذا الجزء .

ولـو كان ابن عبّـاس كما اختلق عليـه هؤلاء فلماذا لم يكترث بكتاب عثمـان واستغاثته به لمّا أُلقي على الحجيج وهو أميرهم وهـو على منصّة الخـطابة ، فمضى في خطبته من حيث انقطعت ، ولم يتعرَّض لـذلك بشيء ، ولا اعتـدَّ بخطابـه حتّى جرى المقدور المحتَّم ؟ ولماذا كان يحـاذر بطش معـاوية بـه على مقتل عثمـان لمّا أراد أمير المؤمنين ﷺ أن يرسله إلى الشام ؟ .

راجع مصادر هذه كلّها فيما مرَّ من صفحات هذا الجزء .

٧ ـ **(وأخرج ص ١٢٨ بالإسناد الشعيبي)** :

قالوا : فلمّا بويع النّاس السـابقة فقـدم بالسّـلامة فـأخبرهم من المـوسم انَّهم يريدون جميعاً المصريِّين وأشياعهم ، وأنَّهم يريدون أن يجمعوا ذلـك إلى حجِّهم ، فلمّا أتاهم ذلـك مع مـا بلغهم من نفور أهـل الأمصار أعلقهم الشيـطان وقالـوا : لا يخرجنا ممّـا وقعنا فيـه إلاّ قتل هـذا الرجـل ، فيشتغل بـذلك النـاس عنّا ، ولم يبق خصلة يـرجون بهـا النجاة إلاّ قتله ، فـرامـوا البـاب فمنعهم من ذلـك الحسن وابن الـزبير ومحمّـد بن طلحة ومـروان بـن الحَكم وسعيد بن العـاص ومن كان من أبنـاء الصحابة أقـام معهم واجتلدوا فناداهم عثمـان : الله الله أنتم في حلّ من نصـرتي . فـأبوا ففتـح الباب وخـرج ومعه التـرس والسيفـلينهنههم فلمّا رأوه أدبـر البصـريُّـون وركبهم هؤلاء ونهنههم فتـراجعـوا وعـظم على الفـريقين وأقسم على الصحـابـة ليدخلن ، فأبوا أن ينصرفوا فدخلوا فأغلق الباب دون المصريِّين ، وقد كـان المغيرة ابن الأخنس بن شريق فيمن حجَّ ثمَّ تعجَّل في نفر حجّوا معه ، فأدرك عثمان قبل أن يُقتل وشهد المناوشة ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ، وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألاّ ندعهم حتّى نموت ؟ ، فاتَّخذ عثمان تلك الأيّـام القرآن نحباً يصلّي وعنده المصحف فـإذا أعيا جلس فقـرأ فيه ، وكـانوا يـرون القـراءة في المصحف من العبـادة ، وكـان القـوم الـذين كفكفهم بينـه وبين الباب ، فلمّا بقي المصريُّون لا يمنعهم أحـدٌ من الباب ولا يقـدرون على الدخـول

جاؤوا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجّج الباب والسقيفة حتى إذا احترق الخشب خرَّت السقيفة على الباب ، فثار على أهل الدار وعثمان يصلّي حتّى منعوهم الدخول ، وكان أوَّل من برز لهم المغيرة بن الأخنس وهو يرتجز :

قد علمت جاريةٌ عُطبول ذاتُ وشاح ولها جديل
أنّي بنصل السيف خنشليلُ لأمنعنَّ منكمُ خليلي
بصارم ليس بذي فلول

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول :

لا دينهم ديني ولا أنا منهمُ حتّى أسير إلى طَمارِ شَمام

وخرج محمَّد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن مَن حامى عليه بأُحد وردَّ أحزاباً على رغم مَعد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدار والموت واقبٌ بأسيافنا دون ابن أروى نُضارب
وكنّا غداة الروع في الدار نصرةً نُشافههم بالضرب والموت ثاقب

فكان آخر مَن خرج عبدالله بن الزبير أمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصيَّة بما أراد وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم فخرج عبدالله بن الزبير آخرهم فما زال يدَّعي بها ويحدّث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه .

٨ - (وأخرج ص ١٢٩ بالإسناد الشعيبي) :

قالوا : وأحرقوا الباب وعثمان في الصّلاة وقد افتتح ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ وكان سريع القراءة فما كرثه ما سمع وما يُخطىء وما يتتعتع حتّى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه ، ثمَّ عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ : ﴿**الذين قال لهم النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ . وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه :

قد علمت ذات القرون الميلِ والحلي والأنامل الطفول

لتصدقنَّ بيعتي خليلي بصارمٍ ذي رونقٍ مصقول
لا أستقيل إن أقلت قيلي

وأقبل أبو هريرة والناس مُحجمون عن الدار إلّا اولئك العصبة فدسروا فاستقبلوا فقام معهم وقال : أنا أُسوتكم . وقال : هذا يوم طاب أمضرب ـ يعني أنّه من القتال وطاب وهذه لغة حمير ـ ونادى : يا قومِ ! مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ، وبادر مروان يومئذٍ ونادى : رجلٌ رجلٌ . فبرز له رجلٌ من بني ليث يُدعى النباع[1] فاختلفا ضربتين فضربه مروان أسفل رجليه وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه فانكبَّ مروان واستلقى فاجترَّ هذا أصحابه ، واجترَّ الآخر أصحابه » فقال المصريّون : أما والله لا أن تكونوا حجَّة علينا في الامَّة لقد قتلناكم بعد تحذير فقال المغيرة : مَن بارزٌ ؟ فبرز له رجلٌ فاجتلدوا وهو يقول :

أضربهم باليابس ضرب غلام بائس من الحياة آيس

فأجابه صاحبه . . . وقال الناس : قُتل المغيرة بن الأخنس فقال الذي قتله : إنّا لله فقال له عبدالرَّحمٰن بن عديس : مالك ؟ قال : إنّي أتيت فيما يرى النائم فقيل لي : بشِّر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار . فابتليتُ به ، وقتل قباث الكناني نيار بن عبدالله الأسلمي ، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملأوها ، ولا يشعر الذين بالباب ، وأقبلت القبائل على أبنائهم فذهبوا بهم إذ غُلبوا على أميرهم وندبوا رجلاً لقتله ، فانتدب له رجلٌ فدخل عليه البيت فقال : اخلعها وندعك . فقال : ويحك والله ما كشفتُ امرأةً في جاهليَّة ولا إسلام ولا تغنّيت ولا تمنّيت ولا وضعت يميني على عورتي مذ بايعت رسول الله ﷺ ، ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عزّ وجلّ وأنا على مكاني حتّى يُكرم الله أهل السعادة ويُهين أهل الشقاء . فخرج وقالوا : ما صنعت ؟ فقال : علقنا والله ، والله ما ينجينا من الناس إلّا قتله وما يحلّ لنا قتله ، فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال : ممَّن الرجل ؟ فقال : ليثيٌّ . فقال : لست بصاحبي قال : وكيف ؟ فقال : ألست الذي دعا لك النبيّ ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا ؟ قال : بلى . قال : فلن تضيع . فرجع

(١) كذا والصحيح : البياع . وهو عروة بن شييم الليثي كما مرّ .

وفارق القوم ، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش فقال : يا عثمان ! إنّي قاتلك . قال : كلّا يا فلان ! لا تقتلني . قال : وكيف ؟ قال : إنَّ رسول الله استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دماً حراماً ، فاستغفر ورجع وفارق أصحابه ، فأقبل عبدالله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله ، وقال : يا قوم ! لا تسلّوا سيف الله عليكم فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ، ويلكم إنَّ سلطانكم اليوم يقوم بالدِرَّة فإن قتلتموه لا يقوم إلّا بالسيف ، ويلكم إنَّ مدينتكم محفوفة بملائكة الله والله لئن قتلتموه لتتركنَّها . فقالوا : يا بن اليهوديَّة ! وما أنت وهذا ؟ فرجع عنهم . قالوا : وكان آخر من دخل عليه ممَّن رجع إلى القوم محمَّد بن أبي بكر فقال له عثمان : ويلك أعلى الله تغضب ؟ هل لي إليك جُرمٌ إلّا حقّه أخذته منك فنكل ورجع .

قالوا :فلمّا خرج محمَّد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران السكونيّان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقرَّ بين يديه وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبَّت عليه نائلة إبنة الفرافصة واتّقت السيف بيدها فتعمَّدها ونفح أصابعها فأطنَّ أصابع يدها وولَّت فغمز أوراكها ، وقال : إنَّها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، ودخل غلمةٌ لعثمان مع القوم لينصروه ، وقد كان عثمان أعتق من كفَّ منهم فلمّا رأوا سودان قد ضربه أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت وأخرجوا مَن فيه ثمَّ أغلقوه على ثلاثة قتلى فلمّا خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا حتّى تناولوا ما على النساء ، وأخذ رجلٌ مُلاءة نائلة والرجل يُدعى كلثوم بن تجيب فتنحَّت نائلة فقال : ويح أُمّك من عجيزة ما أنمَّك ، وبصر به غلامٌ لعثمان فقتله وقُتل وتنادى القوم أبصر رجل من صاحبه ، وتنادوا في الدار : أدركوا بيت المال لا تسبقوا إليه ، وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيه إلّا غرارتان[1] فقالوا : النجاء فإنَّ القوم إنَّما يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه ، وماج النّاس فيه ، فالتانىء يسترجع ويبكي ، والطارىء يفرح ، وندم القوم وكان

---

(١) ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٨٩ وحرّفه وبدّله بقوله : فأخذوا بيت المال وكان فيه شيء كثير جدّاً .

الزبير قد خرج من المدينة فأقام على طريق مكّة لئلاّ يشهد مقتله ، فلمّا أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحم الله عثمان وانتصر له . وقيل : إنَّ القوم نادمون . فقال : دبَّروا دبَّروا ، ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ . الآية . وأتى الخبر طلحة فقال : رحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام وقيل له : إنَّ القوم نادمون . فقال : تبّاً لهم وقرأ : ﴿**فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾ . وأتى عليٌّ فقيل : قُتل عثمان : فقال رحم الله عثمان وخلف علينا بخير . وقيل : ندم القوم . فقرأ : ﴿**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر**﴾ . الآية . وطُلب سعد فإذا هو في حائطه وقد قال : لا أشهد قتله . فلمّا جاءه قتله قال : فررنا إلى المدينة فدنينا وقرأ : ﴿**الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً**﴾ ، اللهمَّ أندمهم ثمَّ خذهم .

٩ - (وأخرج ص ١٣١ بالإسناد الشعيبي) :

قال المغيرة بن شعبة لعليّ : إنَّ هذا الرجل مقتولٌ وإنّه إنْ قُتل وأنت بالمدينة إتَّخذوا فيك فاخرج فكن بمكان كذا وكذا ، فإنَّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس . فأبى وحُصر عثمان إثني وعشرين يوماً ثمَّ أحرقوا الباب وفي الدار أُناسٌ كثيرٌ فيهم عبدالله بن الزبير ومروان فقالوا : إئذن لنا . فقال : إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً فأنا صابرٌ عليه ، وإنَّ القوم لم يحرقوا باب الدار إلاّ وهم يطلبون ما هو أعظم منه ، فأُحرِّج على رجل يستقتل ويقاتل ، وخرج الناس كلّهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده فقال : إنَّ أباك الآن لفي أمر عظيم ، فأقسمت عليك لمّا خرجت . وأمر عثمان أبا كرب رجلاً من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلاّ غرارتان من ورق ، فلمّا أُطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعَّد محمَّد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان ، فلمّا دخل على عثمان هربا ، ودخل محمَّد بن أبي بكر على عثمان فأخذ بلحيته فقال : أرسل لحيتي فلم يكن أبوك ليتناولها ، فأرسلها ودخلوا عليه فمنهم من يجئه بنعل سيفه وآخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه في ترقوته ، فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله ، وكان كبيراً وغُشي عليه ودخل آخرون ، فلمّا رأوه مغشيّاً عليه جرُّوا برجله ، فصاحت نائلة وبناته ، وجاء التجيبي

مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه فوقته نائلة فقطع يدها ، واتكأ بالسيف عليه في صدره ، وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس ونادى منادٍ : ما يحلّ دمه ويحرّج ماله ؟ فانتهبوا كلّ شيء ، ثمّ تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا : الهرَب الهرَب ، هذا ما طلب القوم .

١٠ ـ (وأخرج ص ١٣٥ بالإسناد الشعيبي) :

لمّا حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجالٌ إلى الأمصار مجاهدين وليدنوا من العرب فمنهم من أتى البصرة ، ومنهم من أتى الكوفة ، ومنهم من أتى الشام . فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة ، إلّا ما كان من أبناء الشام فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلّا من كان بالشام فأخبروا عثمان بخبرهم فقام عثمان في الناس خطيباً فقال :

يا أهل المدينة ! أنتم أصل الإسلام وإنّما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدثٌ أحدثه إلّا سيَّرته ، ألا فلا أعرفنَّ أحداً عرض دون أُولئك بكلام ولا طلبٍ ، فإنَّ مَن كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلّم أحدٌ منهم بما عليه ولا له . وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أو شهر سلاح عصاً فما فوقها إلّا سيّره . فضجَّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنّهم يقولون : ما أحدث التسيير ألا إنَّ رسول الله ﷺ سيَّر الحكَم بن أبي العاص فقال : إنَّ الحكم كان مكّياً فسيَّره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف ، ثم ردَّه إلى بلده فرسول الله ﷺ سيَّره بذنبه ورسول الله ﷺ ردَّه بعفوه ، وقد سيَّره الخليفة من بعده وعمر رضي الله عنه من بعد الخليفة ، وأيم الله لآخذنَّ العفو من أخلاقكم ، ولأبذلنّه لكم من خلقي ، وقد دنت أُمورٌ ولا أُحبّ أن تحلّ بنا وبكم وأنا على وَجَل وحذَر فاحذروا واعتبروا .

قال الأميني : هذه سلسلةُ بلاء وحلقة أكاذيب جاء بها أبو جعفر الطبري في تاريخه بإسناد واحد أبطلناه وزيّفناه وأوقفناك عليه وعلى ترجمة رجاله في الجزء الثامن ص١١٢، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٨٥ ، أضف إليها ما ذكره المحبّ الطبري ممّا أسلفنا صدره في هذا الجزء صفحة ٢١٠ من طريق سعيد بن المسيب ممّا اتّفق

الرواة والحفّاظ والمؤرِّخون على نقله وجاء بعضٌ بزيادة مفتعلة وتبعه المحبُّ الطبري وإليك نصّها :

ثمَّ بلغ عليّاً أنّهم يريدون قتل عثمان فقال : إنّما أردنا منه مروان فأمّا قتل عثمان فلا ، وقال للحسن والحسين : إذهبا بسيفكما حتَّى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة إبنه ، وبعث عدَّة من أصحاب النبيِّ ﷺ أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ، فلمّا رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتّى خضب الحسن بن عليّ بدمائه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمّد بن طلحة ، وشُجَّ قنبر مولى عليّ ، ثمَّ إنَّ بعض من حصر عثمان خشي أن يغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة ، فأخذ بيد رجلين فقال لهما : إن جاء بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ، ولكن اذهبوا بنا نتسوَّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحدٌ ، فتسوَّروا من دار رجل من الأنصار حتّى دخلوا على عثمان ، وما يعلم أحدٌ ممّن كان معه ، لأنَّ كلّ من كان معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلّا امرأته فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وصرخت امرأته فلم يُسمع صراخها من الجلبة ، فصعدت إلى الناس فقالت : إنَّ أمير المؤمنين قُتل . فدخل عليه الحسن والحسين ومَن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً فانكبّوا عليه يبكون ، ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً فبلغ عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا وقال عليٌّ لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين ، وشتم محمَّد بن طلحة ، ولعن عبدالله بن الزبير ، وخرج عليٌّ وهو غضبان فلقيه طلحة فقال : مالك يا أبا الحسن ؟ ضربت الحسن والحسين ؟ وكان يرى أنَّه أعان على قتل عثمان . فقال : عليك كذا وكذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بيّنة ولا حجَّة . فقال طلحة : لو دفع مروان لم يُقتل . فقال عليٌّ : لو أخرج إليكم مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة . وخرج عليٌّ فأتى منزله وجاء الناس كلّهم إلى عليّ ليبايعوه ، فقال لهم : ليس هذا إليكم إنّما هو إلى أهل بدر

فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة ، فلم يبق أحدٌ من أهـل بدر إلّا قـال : ما نـرى أحقّ لها منك ، فلمّا رأى عليٌّ ذلك جاء المسجد فصعد المنبر وكـان أوّل من صعد إليه وبايعه طلحة والزبير وسعد وأصحاب محمَّـد ﷺ ، وطلب مروان فهـرب وطلب نفراً من ولد مروان وبني أبي معيط فهربوا[(١)] .

وفي لفظ المسعـودي في مروج الـذهب ج ١ ص ٤٤١ : لَمّـا بلغ عليّـاً أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسِّلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبيـر إبنه عبـدالله ، وبعث طلحة إبنـه محمَّداً وأكثـر أبناء الصحابة أرسلهم آبـاؤهم اقتداء بمن ذكـرنا فصـدّوهم عن الدار ، فـرمي من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجـرح الحسن وشجَّ قنبـر وجرح محمَّـد بن طلحة ، فخشي القوم أن يتعصّب بنو هاشم وبنو أُميَّة فتركوا القوم في القتـال على الباب ومضى نفـرٌ منهم إلى دار قـوم من الأنصار فتسـوَّروا عليها وكـان ممّن وصل إليـه محمَّد بن أبي بكر ورجلان آخران وعند عثمـان زوجته ، وأهله ومـواليه مشـاغيل بـالقتال ، فـأخذ محمَّـد بن أبي بكر بلحيتـه فقال : يـا محمَّد ! والله لـو رآك أبوك لساءه مكـانـك . فتراخت يده وخرج عنه إلى الدار ، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه ، وكـان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين .

فـدخل الحسن والحسين ومن كـان معهما من بني أُميَّـة فوجـدوه وقد فـاضت نفسـه رضي الله عنـه فبكـوا فبلغ ذلـك عليّـاً وطلحـة والـزبيـر وسعـداً وغيـرهم من المهاجرين والأنصار فاستـرجع القـوم ودخل عليّ الـدار وهو كـالوالـه الحزين فقـال لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على البـاب ؟ ولطم الحسن وضـرب الحسين وشتم محمَّـد بن طلحة ولعن عبـدالله بن الزبيـر فقال لـه طلحة : لا تضـرب يـا أبـا الحسن ! ولا تشتم ولا تلعن ، ولو دفع مروان ما قُتل ، وهرب مروان وغيره من بني أُميَّة وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال عليٌّ لزوجته نائلة بنت الفـرافصة : مَن قتله ؟ وأنت كنت معه . فقالت : دخل إليه رجـلان وقصَّت خبر محمَّـد بن أبي بكر ، فلم

---

(١) الرياض النضـرة ج ٢ ص ١٢٥ تاريـخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٠٨ ، نقلاً عن ابن عسـاكر ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، نقلاً عن الرياض .

ينكر ما قالت ، وقال : والله لقد دخلت وأنا أُريد قتله فلمّا خاطبني بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنّي ، والله ما كان لي في قتله سبب ، ولقد قُتل وأنا لا أعلم بقتله .

وروى ابن الجوزي في التبصرة[1] من طريق ابن عمر قال : جاء عليٌّ إلى عثمان رضي الله عنهما يوم الدار وقد أغلق الباب ومعه الحسن بن عليّ وعليه سلاحه فقال للحسن : أُدخل إلى أمير المؤمنين فأَقرئه السَّلام وقل له : إنَّما جئت لنصرتك فمرني بأمرك . فدخل الحسن ثمَّ خرج فقال لأبيه : إنَّ أمير المؤمنين يقرئك السَّلام ويقول لك : لا حاجة لي بقتال وإهراق الدماء قال : فنزع عليٌّ عمامةً سوداء ورمى بها بين يدي الباب وجعل ينادي : ﴿**ذلك ليعلم أنِّي لم أخنه بالغيب وأنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾ .

وعن شداد بن أوس ـ نزيل الشام والمتوفَّى بها في عهد معاوية ـ أنَّه قال : لمّا اشتدَّ الحصار بعثمان رضي الله عنه يوم الدار رأيت عليّاً خارجاً من منزله معتمّاً بعمامة رسول الله متقلّداً سيفه وأمامه إبنه الحسن والحسين وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم في نفر من المهاجرين والأنصار فحملوا على الناس وفرّقوهم ثمَّ دخلوا علي عثمان فقال عليٌّ : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ! إنَّ رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر ، وإنّي والله لا أرى القوم إلّا قاتلوك فمرنا فلنقاتل . فقال عثمان : أُنشد الله رجلاً رأى لله عزَّ وجلَّ عليه حقّاً وأقرَّ أنَّ لي عليه حقّاً أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فيَّ . فأعاد عليٌّ رضي الله عنه القول فأجاب عثمان بمثل ما أجاب ، فرأيت عليّاً خارجاً من الباب وهو يقول : اللهمَّ إنّك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود ثمَّ دخل المسجد وحضرت الصَّلاة فقالوا له : يا أبا الحسن ! تقدَّم فصلِّ بالناس ، فقال : لا أُصلّي بكم والإمام محصورٌ ولكن أُصلّي وحدي ، فصلّى وحده وانصرف إلى منزله فلحقه إبنه وقال : والله يا أبت ! قد اقتحموا عليه الدار قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، هم والله قاتلوه ،قالوا : أين هو يا أبا الحسن؟ قال : في الجنَّة والله زلفى ، قالوا : وأين هم يا أبا الحسن ؟ قال : في النّار والله . ثلاثاً .

---

(١) راجع تلخيصه قرة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٠ .

الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٧ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٢ .

ومن طريق محمَّد بن طلحة عن كناسة[١] مولى صفيَّة : شهدت مقتل عثمان فأخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش مضرَّجين بالدم محمولين كانوا يدرؤون عن عثمان وهم : الحسن بن علي وعبدالله بن الزبير ومحمَّد بن حاطب ومروان فقلت له : هل تدري محمَّد بن أبي بكر بشيء من دونه ؟ قال : معاذ الله دخل عليه فقال له عثمان : يابن أخي ! لست بصاحبي وكلّمه بكلام فخرج[٢] .

في الإسناد كنانة ذكره الأزدي في الضعفاء ، وقال : لا يقوم إسناد حديثه . وقال الترمذي : ليس إسناده بذاك . وقال أيضاً : ليس إسناده بمعروف[٣] .

وروى البخاري في تاريخه ج ٤ قسم ١ ص ٢٣٧ من طريق كنانة مولى صفيّة قال : كنت أقود بصفيَّة لتردَّ عن عثمان فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتّى قالت : ردُّوني ولا يفضحني هذا الكلب . وكنت فيمن حمل الحسن جريحاً ، ورأيت قاتل عثمان من أهل مصر يقال له : جبلة .

وقال سعيد المقبري عن أبي هريرة : كنت محصوراً مع عثمان في الدار فرمي رجلٌ منّا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! الآن طاب الضراب قتلوا رجلاً منّا . قال : عزمت عليك يا أبا هريرة ! إلاّ رميت بسيفك ، فإنَّما تراد نفسي ، وسألقى المؤمنين بنفسي اليوم ، قال أبو هريرة : فرميت بسيفي فلا أدري أين هو حتّى الساعة[٤] .

لم أقف على رجال إسناد هذه الاسطورة غير سعيد المقبري ، وهو سعيد بن أبي سعيد أبو سعد المدني ، والمقبري نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها .

---

(١) كذا في بعض النسخ والصحيح : كنانة .

(٢) الإستيعاب ج٢ ، ص ٤٧٨ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٥٠ .

(٤) الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤٢ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ .

قال يعقوب بن شيبة والواقدي وابن حبان : إنّه تغيَّر وكبر واختلط قبل موته بأربع سنين . راجع تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٨ ، ومتن الرواية أقوى شاهد على اختلاط الرجل ، فإنَّ أوَّل مَن رمى يوم الدار هو رجلٌ من أصحاب عثمان رمى نيار بن عياض الأسلمي وكان شيخاً كبيراً فقتله الرجل كما مرَّ في ص ٢٣٣ ومضى في ص ٢٣٢ : إنَّ أبا حفصة مولى مروان هو الذي أنشب القتال ورمى نيار الأسلمي ، ولعلّك تعرف أبا هريرة ومبلغه من الصدق والأمانة على ودائع العلم والدين ، وإن كنت في جهل من هذا فراجع كتاب أبي هريرة لسيِّدنا الحجَّة شرف الدين العاملي حيّاه الله وبيّاه ، ولعلَّ تقاعد أبي هريرة عن نصرة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حروبه الدامية كان لأنَّه لم يك يدري أين سيفه .

وعن أشعب بن حنين مولى عثمان : انَّه كان مع عثمان في الدار فلمّا حُصر جرَّ مماليكه السيوف فقال لهم عثمان : مَن أغمد سيفه فهو حرٌّ . فلمّا وقعت في أُذني كنت والله أوَّل مَن أغمد سيفه ، فأُعتقت .

قال الذهبي : هذا الخبر باطلٌ لأنَّه يقتضي أنَّ لأشعب صحبة وليس كذلك .
[لسان الميزان ج ٤ ص ١٢٦]

صورة مفصلة :

عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال : كنّا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصورٌ في الدار فقال : وبمَ يقتلونني ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلّا بإحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفساً بغير حقّ فيقتل بها ، فوالله ما أحببتُ لديني بدلاً منذ هداني الله تعالى ، ولا زنيتُ في جاهليَّة ولا إسلام ، ولا قتلتُ نفساً بغير حقّ ، فبِمَ يقتلونني ؟ فلمّا اشتدَّ عطشه أشرف على الناس فقال : أفيكم عليٌّ ؟ فقالوا : لا . فقال : أفيكم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ثمَّ قال : ألا أحدٌ يبلّغ عليّاً فيسقينا ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً فما وصل إليه حتّى جرح بسببها عدَّة من بني هاشم وبني أُميَّة ، فلمّا بلغ عليّاً أنَّ عثمان محاصرٌ يراد قتله قام خارجاً من منزله معتمّاً بعمامة رسول الله ﷺ متقلّداً سيفه وأمامه ابنه الحسن وعبدالله بن عمر في نفر

من الصحابة والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، ودخلوا على عثمان وهو محصورٌ فقال له عليٌّ كرّم الله وجهه : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ! إنّك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى ، وإنّي أعرض عليك خصالاً ثلاثاً إختر إحداهنّ : إمّا أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحقّ وهم على الباطل ، وإما أن تخرق باباً سوى الباب الذي هم عليه فتركب رواحلك وتلحق بمكّة فإنّهم لن يستحلّوك وأنت بها ، وإمّا أن تلحق بالشام فإنّهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أمّا أن أخرج إلى مكّة فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد رجلٌ من قريش بمكّة يكون عليه نصف عذاب العالم . فلن أكون أنا . وأمّا أن ألحق بالشام فلن أُفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ . قال : فأذن لنا أن نقاتلهم ونكشفهم عنك ، قال : فلا أكون أوّل مَن يأذن في محاربة أُمّة محمّد ﷺ ، فخرج عليٌّ وهو يسترجع وقال للحسن والحسين : إذهبا بسيفكما حتّى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير إبنه ، وبعث طلحة إبنه ، وبعث عدَّة من أصحاب محمَّد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ، فلمّا رأى ذلك محمَّد بن أبي بكر وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وغيره ، فخشي محمَّد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره ، لأنَّ كلَّ من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن في الدار عند عثمان إلاّ امرأته ، فنقّبوا الحائط فدخل عليه محمّد بن أبي بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته فقال له عثمان : والله لو رآك أبوك لساءه فعلك . فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، قيل : جلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتّى مات ، ووطأ عمير بن ضابىء على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه ، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس وصعدت امرأته فقالت : إنَّ أمير المؤمنين قد قُتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً وانتشر الدم على المصحف على قوله تعالى : **﴿فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم﴾** ، وبلغ الخبر عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتّى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً

فاسترجعوا ، وقال عليٌّ لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب على صدر الحسين ، وشتم محمَّد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير،وخرج وهوغضبانٌحتّىأتىمنزله، وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له : نبايعك فمدَّ يدك فلا بدَّ لنا من أمير . فقال عليٌّ : والله إنِّي لأستحي أن أُبايع قوماً قتلوا عثمان ، وإنِّي لأستحي من الله تعالى أن أُبايع وعثمان لم يُدفن بعدُ ، فافترقوا ثمَّ رجعوا فسألوه البيعة فقال : اللهمَّ إنِّي مشفقٌ ممّا أُقدم عليه فقال لهم : ليس ذلك إليكم إنَّما ذلك لأهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحدٌ من أهل بدر حتّى أتى عليّاً فقالوا : ما نرى أحداً أحقّ بها منك ، مدّ يدك نبايعك . فبايعوه ، فهرب مروان وولده ، وجاء عليٌّ وسأل امرأة عثمان فقال لها : مَن قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري دخل عليه محمَّد بن أبي بكر ومعه رجلان لا أعرفهما ، فدعا محمَّداً فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان فقال محمَّد : لم تكذب والله دخلت عليه وأنا أُريد قتله فذكر لي أبي فقمت عنه وأنا تائبٌ إلى الله تعالى ، والله ما قتلته ولا أمسكته . فقالت امرأته : صدق ولكنَّه أدخلهما عليه .

راجع أخبار الدول للقرماني هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٠ ـ ٢١٣ .

نظرة في الموضوعات :

هذه الموضوعات اختلقت تجاه التاريخ الصحيح المتسالم عليه المأخوذ من مئات الآثار الثابتة المعتضد بعضها ببعض ، فيضادّها ما أسلفناه في البحث عن آراء أعاظم الصحابة في عثمان وما جرى بينهم وبينه من سيء القول والفعل ، وفيهم بقيَّة أصحاب الشورى وغير واحد من العشرة المبشَّرة وعدَّة من البدريِّين ، وقد جاء فيه ما يربو على مائة وخمسين حديثاً راجع ص ٩٢ ـ ١٨٦ من هذا الجزء .

وتكذِّبها أحاديث جمَّة ممّا قدَّمنا ذكرها ص ١٨٦ ـ ١٩٢ من حديث المهاجرين والأنصار وأنَّهم هم قتلة عثمان .

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور من أنَّ الرجل أفسد دين محمَّد فهلمّوا وأقيموا دين محمَّد ﷺ .

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويقسمون له بالله إنّهم لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من الله .

ومن حديث كتاب المهاجرين إلى مصر أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإنّ كتاب الله قد بُدِّل ، وسنّة رسوله قد غُيِّرت . إلى آخر ما مرَّ في ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

ومن حديث الحصار الأوَّل المذكور في صفحة ١٩٨ ـ ٢٠٨ .

ومن حديث كتاب المصريِّين إلى عثمان إنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبةٌ مصرَّحة ، أو ضلالةٌ مجلحة مبلجة . إلى آخر ما مرَّ ص ٢٠٠ .

ومن حديث عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنَّة سنة ٣٥ كما مرَّ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

ومن حديث توبته مرَّة بعد أُخرى كما فصَّلناه ص ٢٠٢ ـ ٢٠٩ .

ومن حديث الحصار الثاني الذي أسلفناه ص ٢٠٨ ـ ٢٢٠ .

ومن حديث كتاب عثمان إلى معاوية في أنَّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة . إلى آخر ما سبق في صفحة ٢٢٢ .

ومن حديث كتابه إلى الشام عامَّة : إنِّي في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر فيَّ . وخيَّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل ، وبين أن أنزع لهم رداء الله . إلى آخر ما مرَّ ص ٢٢٢ .

ومن حديث كتابه إلى أهل البصرة المذكور صفحة ٢٢٣ .

ومن حديث كتابه إلى أهل الأمصار مستنجداً يدعوهم إلى الجهاد مع أهل المدينة واللحوق به لنصره كما مرَّ ص ٢٢٣ .

ومن حديث كتابه إلى أهل مكّة ومن حضر الموسم ينشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابه إلّا قدم عليه . الخ .

ومن حديث يوم الدار والقتال فيه ، وحديث مَن قُتل في ذلك المعترك ممّا مضى في ص ٢٣٠ ـ ٢٣٦ .

ومن حديث مقتل عثمان وتجهيزه ودفنه بحشّ كوكب بدير سلع مقابر اليهود المذكور ص ٢٣٦ ـ ٢٥٠ .

وممّا ثبت من أحوال هؤلاء الذين زعموا أنّهم بعثوا أبناءَهم للدفاع عن عثمان ، وأنّهم لم يفتأوا مناوئين له إلى أن قُتل وبعد مقتله إلى أن قُبر في أشنع الحالات ، أمّا عليٌّ أمير المؤمنين فمن المتسالم عليه أنّه لم يحضر مقتل الرجل في المدينة فضلاً عن دخوله عليه قُبيل ذلك واستئذانه منه للذبِّ عنه وبعد مقتله وبكائه عليه وصفعه ودفعه وسبّه ولعنه وحواره حول الواقعة ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٠ ردّاً على حديث : الظاهر أنَّ هذا ضعيفٌ لأنَّ عليّاً لم يكن بالمدينة حين حُصر عثمان ولا شهد قتله .

وقد سأله عثمان أن يخرج إلى ماله بينبع ليقلَّ هتف الناس باسمه للخلافة ، وكان ذلك مرَّة بعد أُخرى وفي إحداهما قال لابن عبّاس : قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أغتمُّ به ولا يغتمُّ بي . فأتى ابن عبّاس عليّاً فأخبره فقال عليه السلام : يابن عبّاس ! ما يريد عثمان إلاّ أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب أُقبل وأُدبر ، بعث إليَّ أن أخرج ، ثمَّ بعث إليَّ أن أقدم ، ثمَّ هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج .

وعليٌّ عليه السلام هو الذي مرَّ حديث رأيه في عثمان فراجع حتّى يأتيك اليقين بأنّه صلوات الله عليه لم يكن كالواله الحزين ، ولم يكن ذاهباً عقله يوم الدار ، ولا يقذفه بهذه الفرية الشائنة إلاّ من ذهبت به الخيلاء ، وتخبطه الشيطان من المسِّ ، وخبل حبُّ آل أُميّة قلبه واختبله ، فلا يبالي بما يقول ، ولا يكترث لما يتقوَّل .

وأمّا طلحة فحدِّث عنه ولا حرج ، كان أشدَّ الناس على عثمان نقمة ، وله أيّام الحصارين وفي يومي الدار والتجهيز خطوات واسعة ومواقف هائلة خطرة ثائرة على الرجل كما مرَّ تفصيل ذلك كلّه ، وإن كنت في ريب من ذلك فاسأل عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتسمع منه قوله : والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان إلاّ خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه

منه ، فأراد أن يغالط ممّا أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشكّ . وقوله : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل . إلى أقواله الأخرى التي أوقفناك عليها .

وسَلْ عنه عثمان نفسه وقد مرّت فيه كلماته المعربة عن جليّة الحال ، وسَلْ عنه مروان لماذا قتله ؟ وما معنى قوله حين قتله لإبن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ؟ وسَل عنه سعداً ومحمد بن طلحة وغيرهما ممّن مرَّ حديثهم .

وأمّا الزبير فإن سألت عنه مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام فعلى الخبير سقطت قال عليه‌السلام له : أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته ؟ سلّط الله على أشدّنا عليه اليوم ما يكره ، وقال فيه وفي طلحة : إنّهم يطلبون حقّاً هُم تركوه ، ودماً هُم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه ، وإن كان ولّوه دوني فما الطلبة إلاّ قِبَلهم . إلى آخر ما أسلفناه من كلماته عليه‌السلام .

وقد مرَّ قول ابن عبّاس : أمّا طلحة والزبير فإنّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه . وقول عمّار بن ياسر في خطبة له : إنَّ طلحة والزبير كانا أوّل مَن طعن وآخر من أمر . وقول سعيد بن العاص لمروان : هؤلاء قتلة عثمان معك إنَّ هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما ، فلمّا غُلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم والحوبة بالحوبة .

وأمّا سعد بن أبي وقاص فهو القائل كما مرَّ حديثه : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه ولكن عثمان غيَّر وتغيّر ، وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله .

وأعطف على هؤلاء بقيّة الصحابة الذين حسب واضعو هذه الروايات أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان ، وقد أسلفنا إجماعهم عدا ثلاثة رجال منهم على مقته المفضي إلى قتله ، وهل ترى من المعقول أن يمقته الآباء إلى هذا الحدّ الموصوف ثمَّ يبعثوا أبناءهم للمجالدة عنه ؟ إنْ هذا إلاّ اختلاق .

وهل من المعقول أنَّ القوم كانوا يمحضون له الولاء ، وحضروا للمناضلة عنه ، فباغتهم الرجلان اللذين أجهزا عليه وفرّا ولم يعلم بهما أحدٌ إلى أن أخبرتهم

بهما إبنة الفرافصة ولم تعرفهما هي أيضاً ، وكانت إلى جنب القتيل تراهما وتبصر ما ارتكباه منه ؟ .

وهل عرف مختلق الرواية التهافت الشائن بين طرفي ما وضعه من تحرِّيه تقليل عدد المناوئين لعثمان المجهزين عليه حتّى كاد أن يخرج الصحابة الآباء منهم والأبناء عن ذلك الجمهور ، وممَّا عزاه إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لمّا انثال إليه القوم ليبايعوه : والله إنِّي لأستحي أن أُبايع قوماً قتلوا عثمان . الخ ؟ وهو نصٌّ على أنَّ مبايعيه اولئك هم كانوا قتلوا عثمان وهُم هُم المهاجرون والأنصار الصحابة الأوَّلون الذين جاء عنهم يوم صفِّين لمّا طلب معاوية من الإمام عليه السلام قتلة عثمان وأمر عليه السلام بتبرّزهم فنهض أكثر من عشرة آلاف قائلين : نحن قَتَلته ، يقدمهم عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، ومحمَّد بن أبي بكر ، وفيهم البدريُّون ، فهل الكلمة المعزوَّة إلى الإمام عليه السلام لمبايعيه عبارةٌ أُخرى عن الرجلين المجهولين اللذين فرّا ولم يعرف أحدٌ خبرهما ؟ أو هما وأخلاطٌ من الناس الذين كانت الصحابة تضادّهم في المرمى؟ وهل في المعقول أن يلهج بهذا إلّا معتوه ؟

وهل نحت هذا الإنسان الوضّاع إن صدق في أحلامه عذراً مقبولاً لاولئك الصحابة العدول الذابِّين عن عثمان بأنفسهم وأبنائهم الناقمين على مَن ناوأه في تأخيرهم دفنه ثلاثاً وقد أُلقي في المزبلة حتّى زُجَّ بجثمانه إلى حشِّ كوكب ، دير سلع ، مقبرة اليهود ، ورُمي بالحجارة ، وشُيّع بالمهانة ، وكُسر ضلعٌ من أضلاعه ، واودع الجدث بأثيابه من غير غسل ولا كفن ، ولم يشيّعه إلّا أربعة ، ولم يمكنهم الصَّلاة عليه ؟ فهل كلُّ هذا مشروعٌ في الإسلام ، والصحابة العدول يرونه ويعتقدونه بأنَّه خليفة المسلمين ، وأنَّ من قتله ظالمٌ ، ولا ينبسون فيه ببنت شفة ، ولا يجرون فيه أحكام الإسلام ؟ أو أنَّهم ارتكبوا ذلك الحوب الكبير ومم لا يتحوَّبون متعمدين ؟ معاذ الله من أن يقال ذلك . أو أنَّ هذا الإنسان زحزحته بوادره عن مجاري تلكم الأحكام ، وحالت شوارده بينه وبين حرمات الله ، وشَرشَرت منه جلباب الحرمة والكرامة ومزَّقته تمزيقاً ، حتّى وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ؟ .

ومن الكذب الصريح في هذه الروايات عدُّ سعد بن أبي وقاص في الرعيل الأوَّل ممَّن بايع عليّاً عليه السلام وهو من المتقاعدين عن بيعته إلى آخر نفس لفظه وهذا

هو المعروف منه والمتسالم عليه عند رواة الحديث ورجال التاريخ ، وقد نحتت يد الإفتعال في ذلك له عذراً أشنع من العمل ، راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٦ .

ومن المضحك جدّاً ما حكاه البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٩٣ عن ابن سيرين من قوله : لقد قُتل عثمان وإنَّ في الدار لسبعمائة منهم الحسن وابن الزبير فلو أذن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة .

وعن الحسن البصري[1] قال : أتت الأنصار عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! ننصر الله مرَّتين نصرنا رسول الله ﷺ وننصرك . قال : لا حاجة لي في ذلك إرجعوا . قال الحسن : والله لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه .

أيّ عذر معقول أو مشروع هذا ؟ يُقتل خليفة المسلمين في عُقر داره بين ظهراني سبعمائة صحابيّ عادل وهم ينظرون إليه ، ومحمَّد بن أبي بكر قابضٌ على لحيته عال بها حتّى سُمع وقع أضراسه ، وشحطه من البيت إلى باب داره ، وعمرو بن الحمق يثب ويجلس على صدره ، وعمير بن ضابىء يكسر أضلاعه ، وجبينه موجوءٌ بمشقص كنانة بن بشر ، ورأسه مضروسٌ بعمود التجيبي ، والغافقي يضرب فمه بحديد ، ترد عليه طعنةٌ بعد أُخرى حتّى أثخنته الجراح وبه حياةٌ فأرادوا قطع رأسه فألقت زوجتاه بنفسهما عليه ، كلُّ هذه بين يدي أُولئك المئات العدول أنصار الخليفة غير أنَّهم ينتظرون حتّى اليوم إلى إذن القتيل وإلّا كانوا أخرجوهم من أقطار المدينة ، ولو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه . أين هذه الاضحوكة من الإسلام والكتاب والسنَّة والعقل والعاطفة والمنطق والإجماع والتاريخ الصحيح ؟! .

نظرة في المؤلّفات :

إنَّ ما سطرناه في عثمان إلى هذا الحدّ أساس ما علّوا عليه بنيان فضله ، وتبرير ساحته عن لوث أفعاله وتروكه ، وتعذيره في النهابير التي ركبها والدفاع عنه ، وقد أوقفناك على الصحيح الثابت ممّا جاء فيه ، وعلى المزيَّف الباطل ممّا وضع

---

(١) راجع إزالة الخفاء ج ٢ ص ٢٤٢ .

له ، ومِن جنايات المؤرِّخين ضربهم الصفح عن الأوَّل ، وركونهم إلى الفريق الثاني من الروايات فبنوا ما شادوه على شفا جُرف هارٍ ، فلم يأت بغيرها أيّ عثماني في العقيدة ، أمويّ في النزعة ، ضع يدك على أيٍّ كتاب لأحدهم في التاريخ والحديث مثل تاريخ الامم والملوك للطبري ، والتمهيد للباقلاني ، والكامل لابن الأثير ، والرياض النضرة للمحب الطبري وتاريخ أبي الفدا ، وتاريخ ابن خلدون ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والصواعق لابن حجر ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، وروضة المناظر لابن الشحنة الحنفي ، وتاريخ أخبار الدول للقرماني ، وتاريخ الخميس للديار بكري ، ونزهة المجالس للصفوري ، ونور الأبصار للشبلنجي ، تجده مشحوناً بتلكم الموضوعات المسلسلة ، أتوا بها مرسلين إيّاها إرسال المسلّم ، وشوَّهوا بها صحيفة التاريخ بعدما سوَّدوا صحائفهم ، وموَّهوا بها على الحقائق الراهنة .

وجاء بعد هؤلاء المحدثون المتسرِّعون وهم يحسبون أنَّهم يمحصون التاريخ والحديث تمحيصاً ، ويحلّلون القضايا والحوادث تحليلاً صحيحاً متجرِّدين عن الأهواء والنزعات غير متحيِّزين إلى فئة ، ولا جانحين إلى مذهب ، لكنَّهم بالرغم من هاتيك الدعوى وقعوا في ذلك وهم لا يشعرون ، فحملوا إلينا كلّ تلكم الدسائس في صور مُبهرجة رجاء أن تنطلي عند الرجرجة الدهماء ، لكن قلم التنقيب أماط الستار عن تمويههم ، وعرَّف الملأ الباحث أنَّهم إنَّما ردُّوا ما هنالك من بوائق ومخازي ، كما ردَّها يوماً بسوءته عمرو .

وأثبتوا فضائل بنيت على أساس منهدم ، وربطوها بعرى متفكّكة ، فهلمَّ معي نقرأ صحيفة من «الفتوحات الإسلاميَّة» تأليف مفتي مكّة السيِّد أحمد زيني دحلان ممّا ذكره في الجزء الثاني من سيرة الخلفاء الأربعة ص ٣٥٤ ـ ٥١٧ قال في ص ٤٩٢ تحت عنوان : ذكر ما كان لسيِّدنا عثمان من الإقتصاد في الدنيا وحسن السيرة : كان عثمان رضي الله عنه زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، عادلاً في بيت المال[١] لا يأخذ لنفسه منه شيئاً[٢] لأنَّه كان غنيّاً ، وغناه كان مشهوراً من حياة

---

(١) فلماذا نقم عليه الصحابة أجمع ؟ ولما ذا قتلوا ذلك الزاهد الراغب العادل ؟

(٢) راجع الجزء الثامن ص ٣٣٦ ٣٣٧

النبيّ ﷺ وبعد وفاته ، وكان كثير الإنفاق في نهاية الجود والسماحة والبذل في القريب والبعيد[١] وأنزل الله فيه :﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثمَّ لا يُتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿**أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربِّه**﴾[٣] . وقوله تعالى : ﴿**رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾[٤] .

وكان يخطب الناس وعليه إزارٌ غليظٌ عدنيٌّ ثمنه أربعة دراهم[٥] وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته يأكل الخلَّ والزيت ، قال الحسن البصري : دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متّكئاً على ردائه فأتاه سقّاءان يختصمان إليه فقضى بينهما ، وعن عبدالله بن شدّاد قال : رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة وهو يومئذٍ أمير المؤمنين وعليه ثوبٌ قيمته أربعة دراهم . وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان ؟ قال : كان قطري . قالوا : كم ثمنه ؟ قال : ثمانية دراهم . وكان رضي الله عنه شديد التواضع ، قال الحسن البصري : رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس إليه ، ثمَّ يجيء الرجل فيجلس إليه ، فيجلس هو كأنَّه أحدهم وروى خيثمة قال : رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين ، وفي رواية أُخرى لخيثمة أيضاً : رأيت عثمان يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصاة في جنبه فيقول الناس : يا أمير المؤمنين ! وكان يلي وضوءه في الليل بنفسه فقيل له : لو أمرت بعض الخدم لكفوك ، قال : لا ، الليل لهم يستريحون فيه ، وكان رضي الله عنه يعتق في كلِّ جمعة رقبة منذ أسلم إلاّ أن لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعها

---

(١) لا من كان يمتّ بالبيت الهاشمي ويحمل ولاء العترة كأبي ذر وعمار وابن مسعود ونظرائهم .

(٢) مرّ في الجزء الثامن ص ٨٠ بطلان هذا التقول على الله .

(٣) أسلفنا في هذا الجزء في ترجمة عمار القول الصحيح في نزول الآية .

(٤) مرّ في الجزء الثاني ص ٧٠ نزولها في عليّ وحمزة وعبيدة بن الحرث . وأخرج البخاري في صحيحه في التفسير ج ٧ ص ٩١ نزولها في أنس بن النضر وذكر ابن حجر نزولها في جماعة ولم يذكر فيهم عثمان ، راجع فتح الباري ج ٨ ص ٤٢٠ .

(٥) راجع ما رويناه في الجزء الثامن ص ٣٤٠

في الجمعة الاخرى . قال العلاّمة ابن حجر في الصواعق : إنَّ جملة ما أعتقه عثمان رضي الله عنه ألفان وأربعمائة . ومن تواضعه : إنَّه كان يردف غلامه خلفه أيّام خلافته ولا يعيب ذلك . وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلاّ هجعة من أوّله . وكان يختم القرآن كلَّ ليلة في صلاته . وكان كثيراً ما يختمه في ركعة ، وكان إذا مرَّ على المقبرة يبكي حتى تبتلَّ لحيته ، وكان من العشرة المبشّرين بالجنّة . ومن أصحاب النبيِّ ﷺ توفّي وهو عنهم راضٍ ، وكان من السابقين للإسلام ، فإنَّه أسلم بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة ، وشهد له النبيُّ ﷺ بالجنَّة والزهد في الدنيا ، فقد صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال : رحمك الله يا عثمان ! ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك[١] وكثرت الفتوحات في زمن خلافته فقد فتح في زمنه أفريقيَّة وسواحل الأردن وساحل الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك ، وكثرت أموال الصحابة في خلافته حتّى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف ، ونخلة بألف ، وعن الحسن البصري قال : كانت الأرزاق في زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيراً ، وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاماً يصلح العسكر وأخرج أبو يعلى عن جابر عن النبيِّ ﷺ قال : عثمان في الجنَّة وقال : لكلِّ نبيّ خليلٌ في الجنَّة وانَّ خليلي عثمان بن عفان . وفي رواية : لكلِّ نبيّ رفيقٌ في الجنَّة ورفيقي فيها عثمان بن عفان . وقال ﷺ : ليدخلنَّ بشفاعة عثمان سبعون ألف كلّهم استحقّوا النار الجنَّة بغير حساب . وأخرج أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه : أوَّل من هاجر إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله إنَّ عثمان لأوَّل من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوفى ، ولمّا زوَّج النبيُّ ﷺ بنته أُم كلثوم لعثمان قال لها : إنَّ بعلك لأشبه الناس بجدِّك ابراهيم وأبيك محمَّد ﷺ . وقال صلى الله عليه وآله وسلم :أشدُّ أُمّتي حياءً عثمان بن عفان . وقال ﷺ : إنَّ الله أوحى إليَّ أن أُزوِّج كريمتيَّ يعني رقيَّة وأُم كلثوم من عثمان . وقال ﷺ : إنَّ عثمان حيي تستحي منه الملائكة ، وقال ﷺ : إنّما يشبه عثمان بأبينا إبراهيم . وقال ﷺ : ما زوَّجت عثمان بأُمّ كلثوم إلاّ بوحي من السّماء . وقال ﷺ لعثمان : يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني

---

(١) هل تؤيد هذه الصحيحة المزعومة وما قبلها سيرة الرجل ؟ ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون .

انّ الله زوَّجك أُمّ كلثوم بمثل صداق رقيَّة وعلى مثل صحبتها ، وأخرج الترمذي عن عبدالرَّحمٰن بن خباب قال : شهدت النبيَّ ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان : يا رسول الله ! عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثمّ حضَّ على الجيش فقال عثمان : يا رسول الله ! عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول : ما على عثمان ما فعل بعد اليوم . وعن عبدالرَّحمٰن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينار حين جهَّز جيش العسرة فنثره في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقلّبها ويقول: ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم . وفي رواية عن حذيفة : إنَّها عشرة آلاف دينار فجعل رسول الله ﷺ يقلّبها ويقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، ما يُبالي عثمان ما عمل بعدها ! وأخرج الواحدي : إنَّ الله أنزل بسبب ذلك في حقِّ عثمان : **﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثمَّ لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذىً لهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون﴾**. وعن أبي سعيد الخدري قال : إرتقبتُ النبيَّ ﷺ ليلة من أوَّل الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول : اللهمَّ عثمان بن عفان رضيت عنه فارضَ عنه ، فما زال رافعاً يديه حتّى طلع الفجر . وعن جابر بن عطيّة قال . قال رسول الله ﷺ : غفر الله لك يا عثمان ما قدَّمت وما أخَّرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما هو كائن إلى يوم القيامة ! الخ . . .

هذه بلايا تمنَّتها يد الغلو في الفضائل ، مُنيت بها الامَّة ، وطمست تحت أطباقها حقائق العلم والدين ، وانطمست بها أنوار الهداية ، وستعرف انّها روايات مختلقة زيَّفتها نظَّارة التنقيب ولا يصحّ منا شيءٌ ، غير أنَّ المفتي دحلان على مطمار قومه أرسلها إرسال المسلّم ، وموَّهها على أغرار الملأ الدينيِّ ، ولا يجد عن سردها منتدحاً ، ذلك مبلغهم من العلم إن هم إلاّ يظنّون ، ولا تقف ما ليس لك به علمٌ إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسؤولاً .

الفتنة الكبرى :

واقرأ صحيفة من «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين قال في بدء كتابه : هذا حديثٌ أُريد أن أُخلّصه للحقِّ ما وسعني إخلاصه للحقِّ وحده ، وأن أتحرّى فيه

الصواب ما استطعت إلى تحرّي الصواب سبيلاً ، وأن أحمل نفسي فيه على الإنصاف لا أحيد عنه ولا أمالىء فيه حزباً من أحزاب المسلمين على حزب ، ولا أشايع فيه فريقاً من الذين اختصموا في قضيَّة عثمان دون فريق ، فلست عثمانيَّ الهوى ، ولست شيعة لعليّ ، ولست أفكّر في هذه القضيَّة كما كان يفكّر فيها الذين حاصر واعثمان واحتملوا معه ثقلها وجنوا معه أو بعده نتائجها .

وأنا أعلم أنَّ الناس ما زالوا ينقسمون في أمر هذه القضيَّة إلى الآن كما كانوا ينقسمون فيها أيّام عثمان رحمه الله ، فمنهم العثمانيُّ الذي لا يعدل بعثمان أحداً من أصحاب النبيِّ ﷺ بعد الشيخين ، ومنهم الشيعيُّ الذي لا يعدل بعليّ رحمه الله بعد النبيِّ أحداً لا يستثني الشيخين ولا يكاد يرجو لمكانهما وقاراً ، ومنهم من يتردَّد بين هذا وذاك يقتصد في عثمانيَّته شيئاً ، أو يقتصد في تشيّعه لعليّ شيئاً ، فيعرف لأصحاب النبيِّ مكانتهم ويعرف لأصحاب السابقة منهم سابقتهم ، ثمَّ لا يفضِّل بعد ذلك أحداً منهم على الآخر يرى أنَّهم جميعاً قد اجتهدوا ونصحوا لله ولرسوله وللمسلمين ، فأخطأ منهم من أخطأ وأصاب منهم من أصاب ، ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنَّهم لم يتعمدوا خطيئة ولم يقصدوا إلى إساءة ، وكلّ هؤلاء إنَّما يرون آراءهم هذه يستمسكون بها ويذودون عنها ويتفانون في سبيلها ، لأنَّهم يفكّرون في هذه القضيَّة تفكيراً دينيّاً ، يصدرون فيه عن الإيمان ، ويبتغون به ما يبتغي المؤمن من المحافظة على دينه والإستمساك بيقينه وابتغاء رضوان الله بكلِّ ما يعمل في ذلك أو يقول .

وأنا أريد أن أنظر إلى هذه القضيَّة نظرةً خالصةً مجرَّدة لا تصدر عن عاطفة ولا هوى ، ولا تتأثّر بالإيمان ولا بالدين ، وإنَّما هي نظرة المؤرِّخ الذي يجرِّد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات والعواطف والأهواء مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها الخ . . .

هكذا يحسب الدكتور ويبدي أنَّه لا يروقه النزول على حكم العاطفة ولا التحيُّز إلى فئة أو جنوح إلى مذهب ، وقد تجرّد فيما كتب عن كلِّ ذلك حتّى عن الإيمان والدين ، وزعم أنَّه قصّر نظرته في قضايا عثمان على البساطة ليتسنّى له

الحكم الطبيعي ، والقول في تلكم الحوادث على الحقائق المحضة ، هكذا يحسب الدكتور ، لكنّه سرعان ما انقلب على عقبيه كرّاً على ما فرّ منه ، فلم يسعه إلّا الرّكون إلى العواطف ومتابعة النزعات ، فلم يرتد إلّا إلى تلكم السفاسف التي اختلقتها سماسرة العثمانيّين ، ولم يسرح في مسيره إلّا مقيّداً بسلاسل أساطير الأوّلين التي سردها الطبري ومن شايعه أو سبقه بتلك الأسانيد الواهية والمتون المزيَّفة التي أوقفناك عليها في هذا الجزء وفيما سبقه من الأجزاء ، فلم نجد مائزاً بين هذا الكتاب وبين غيره من الكتب التي حسب الدكتور أنّ مؤلّفيها حدت بهم الميول والنزعات ، فما هو إلّا فتنةٌ كبرى كما سمّاه هو بذلك .

ترى الدكتور يحايد حذراً من أن يحيد عن مهيع الحقِّ ويجور في الحكم ، وزعم الحياد أسلم في اليوم الحاضر كما كان في الأمس الدابر ، فذهب مذهب سعد بن أبي وقاص الحائد في القضيَّة واتّبع أثره ، قال في ديباجة كتابه : عاش قومٌ من أصحاب النبيِّ حين حدثت هذه القضيَّة وحين اختصم المسلمون حولها أعنف خصومة عرفها تاريخهم فلم يشاركوا فيها ولم يحتملوا من أعبائها قليلاً ولا كثيراً ، وإنَّما اعتزلوا المختصمين وفرّوا بدينهم إلى الله ، وقال قائلهم سعد بن أبي وقاص رحمه الله : لا أُقاتل حتى تأتوني بسيف يعقل ويبصر وينطق فيقول : أصاب هذا وأخطأ ذاك .

فأنا أُريد أن أذهب مذهب سعد وأصحابه رحمهم الله ، لا أُجادل عن أُولئك ولا عن هؤلاء ، وإنّما أُحاول أن أتبيَّن لنفسي وأُبيِّن للناس الظروف التي دفعت أُولئك وهؤلاء إلى الفتنة ، وما استتبعت من الخصومة العنيفة التي فرَّقتهم وما زالت تفرِّقهم إلى الآن ، وستظلُّ تفرِّقهم في أكبر الظنِّ إلى آخر الدهر ، وسيرى الذين يقرأون هذا الحديث أنَّ الأمر كان أجلّ من عثمان وعليّ وممّن شايعهما وقام من دونهما ، وأنَّ غير عثمان لو ولي خلافة المسلمين في تلك الظروف التي وليها لتعرَّض لمثل ما تعرّض له من ضروب المحن والفتن ، ومن اختصام الناس حوله واقتتالهم بعد ذلك فيه . اهـ .

ها هنا نجد الدكتور جارياً على ما عهد إلى نفسه تجرَّد عن العواطف ، وجانب المبادىء الدينيّة ، وحايد الدين الحنيف حقّاً ، ونظر إلى القضيّة بالحريَّة

المحضة ، وحسبها فتنةً يحقُّ للعاقل أن يكون فيها كابن لبون لا ظهر لـه فيركب ولا ضـرع فيحلب ، ونعمَ الرأي هـذا لولا الإسـلام المقـدّس ، لـولا مـا جـاء بـه نبيّ العـظمة ، لـولا ما نـطق به كتـاب الله العزيـز ، لولا مـا تقتضيه فـروض الإنسـانيَّـة والعـواطف البشريّـة القاضيـة بخـلاف مـا ذهب إليـه الـدكتـور ، وإنّي لست أقضي العجب منـه ، ولست أدري كيف يُقدّس مـذهب ابن أبي وقاص ، أيسـوغ للباحث المسلم أن يصفح في تلكم القضايا عن حكم الدين المقدَّس ، ويشُذّ عمّا قرَّره نبيّ الإسلام ، ويسحق العواطف كلّها حتّى ما يستدعيه الطبع الإنساني والغريزة العادلـة في كسح الفساد والتفاني دون صالح المجتمع العام ؟ ألم يكن هنالك كتـابٌ ناطقٌ أو سنَّةٌ محكمةٌ أو شريعةٌ حاكمةٌ أو عقلٌ سليمٌ يبعث الملأ الدينيّ إلى الدفاع عن كلّ مسلم مُدَّت إليه يد الظلم والجور فضلاً عن خليفة الوقت الواجب طاعته ؟

ما الذي أحوج المتمسّك بعرى الدين الحنيف إلى سيف يعقل ويبصر وينـطق والله يقـول : **﴿فإن تنـازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والـرَّسول إن كنتم تؤمنـون بالله واليـوم الآخر﴾** ؟ **﴿ أوَ لم يكفهم أنّـا أنزلنـا عليك الكتـاب يُتلى عليهم﴾** ؟ **﴿ومـا أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيِّن لهم الذي اختلفوا فيه﴾** .

ما الذي أذهل الدكتور عن قول الصحابيِّ العظيم حذيفة اليمـاني : لا تضرّك الفتنـة ما عـرفت دينك إنّمـا الفتنة إذا اشتبـه عليـك الحقّ والبـاطـل ؟ وكيف يشتبـه الحكم في القضيَّـة على المسلم النابـه وهي لا تخلو عن وجهين ، فـإنّ عثمـان إن كان إماماً عادلاً قائماً بالقسط عاملاً بالكتاب والسنّة مرضيّاً عند الله ؟ فالخـروج عليه معلوم الحكم عنـد جميع فـرق المسلمين لا يختلف فيـه إثنـان ، ولا تشـذُّ فئـةٌ عن فئـةٍ ، وإن لـم يكن كـذلـك وكـان كمـا حسبـه أُولئـك العـدول من أصحــاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومرّت آراؤهم ومعتقداتهم فيه ؟ فـالحكم أيضاً بيِّنٌ مبـرهنٌ بالكتـاب العزيز كما استدلّ بذلك الثائرون عليه لمّا قال لهم : لا تقتلوني فإنّه لا يحلُّ إلاّ قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه . أو كفر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغيـر نفس فيقتل بها . فقالوا : إنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثـلاثة الـذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ، ثمَّ قاتل على بغيـه ، وقتل من حـال دون شيء

من الحقِّ ومنعه ثمَّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحقّ ، وحُلت دونه وكابرت عليه . الحديث «راجع ص ٢٣٧» .

فنحن لا نعرف وجهاً للحياد كما ذهب إليه ابن أبي وقاص في القضيَّة وفي المواقف الهائلة بعدها ، فالحياد - وإن راق الدكتور - تقاعدٌ عن حكم الله ، وتقاعسٌ عن الواجب الدينيِّ ، وخروج عمّا قرّرته الحنيفيَّة البيضاء ، نعم : الحياد حيلة أُولئك المتشاغبين المتقاعدين عن بيعة إمام المتقين أمير المؤمنين ، المتقاعسين عن نصرته ، المتحايدين عن حكم الكتاب والسنَّة في حروبه ومغازيه ، عذرٌ تترَّس به سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري ومحمّد بن مسلمة السابقون الأوَّلون من رجال الحياد الزائف ، و﴿الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ .

كتاب عثمان بن عفان :

وأعطف على كتاب عثمان بن عفان للمدرِّس في كلّية اللغة العربيَّة بمصر الأُستاذ صادق ابراهيم عرجون نظرةً ممعنةً حيث يقول في فاتحته : فهذا طرازٌ من البحث في سيرة ثالث الراشدين «عثمان» رضي الله عنه ، صوَّرت به حياته صورة لا أعيذها من إجمال غير مجحف بحقّ ، ولا أعضها عن تفصيل يظهر حجَّة أو يدفع شبهة .

وقد احتفلت فيه بتحقيق ما احتفَّ بهذه السيرة الأسيفة من عوامل اجتماعيَّة وسياسيَّة ، دفعت المجتمع الإسلامي دفعاً عاصفاً إلى أخطر انقلاب عرفه التاريخ في الإسلام .

وسيرة عثمان رضي الله عنه حريَّةٌ بالبحث الممحص الهادىء ، ليكشف منها ما سترته الأقاصيص العابثة من فضائل ، وما شوَّهته الروايات الغالطة من محاسن ، ويصحح ما غالطت بينها من حقائق ، ويزيف ما بهرجه المتقوِّلون من أكاذيب مزوّرة وحكايات باطلة .

وقد حاولتُ جهدي أن أتتبَّع الخطوط الأصيلة في حياة عثمان رضي الله عنه ، فلاءَمْتُ بينها حتّى ارتسمت منها هذه الصورة التي أرجو أن تكون لبنة بين

لبنات متساندة في دراسة حياة رجالات الإسلام ، وسير أبطاله الغرّ الميامين ، تبصرة وذكرى للمؤمنين والله وليٌّ التوفيق . ا هـ .

ثمَّ ألق نظرة أُخرى على مواضيع كتابه تجدها غير منطبقة على ما يقول في شيء منها ، وإنّما هي نعرات طائفيَّة ممقوتة ، وفضائل مفتعلة دسَّتها يد الغلو فيها ، وسفاسف موضوعة حبَّذت الشهوات اختلاقها ، كلّل أساطير السلف بزخرف القول ، وزخرف أباطيل الأوَّلين بالبيان المزوَّر ، لم نجد له فحصاً عن حال الأسانيد ، وتهافت المتون ، وفقه الحديث ، وطرق مواضيع مهمّة من فقه عثمان وأغاليطه وأحداثه وهو يروقه التقصّي عنها فلم يتقصَّ إلاّ بالتافهات لا سيَّما في المسائل الفقهيّة التي هو بمجنب عنها ،فنحت لها أعذاراً باردة ، أو أنّها أعظم من تلكم المآثم ، فلنمرَّ عليها كراماً . وما ظنّك بكتاب يكون من مصادره كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ذلك المتحذلق المختلق ، وكتاب الخضري ذلك الأُمويّ المباهت ، ومحاضرات كرد علي العثماني الشاميّ المناوىء لأهل بيت الوحي ، وأمثال هذه من كتب السلف والخلف ممّا لا يعرّج عليه ؟ وفيه الخلط والخبط ، وضوضاء الدجّالين ، ولغط المستأجرين .

ومن أعجب ما رأيت قوله ص ٤١ من الكتاب تحت عنوان «الكذب على ذلك رسول الله» : وفي هذه المرحلة من تاريخ الإسلام بُدئت أكاذيب الفرق والأحزاب فيما يكيد به بعضها لبعض ، حتى أخذت تلك الأكاذيب صورة الحجاج بأحاديث يتقوَّلها زعماء الفرق ورؤساء الأحزاب على سيِّدنا رسول الله ﷺ ، وقد كثر من هذه الأكاذيب ما زعموه كان في حقِّ الأئمَّة والخلفاء ، وقالت كلّ شيعة فيمن شايعته وفي منافسيه عندها ما شاء لها الهوى ، وتجاذب هذا النوع طرفي الإفراط والتفريط مدحاً وذمّاً ، واختلاقاً وتقوّلاً ، حتى غشّى سير هؤلاء الأجلاّء بغشاء من الغموض حجب الحقائق عن كثير من الناظرين .

وليس بأقلّ خطراً من ذلك ما اقترفوه في جنب القرآن الكريم من تأويلات محرّفة لآيات الله تعالى عن مواضعها ، ومن هنا وهناك تألّفت سلسلة الموضوعات والخرافات والأساطير التي ابتلي بها المسلمون ، وانتشرت بينهم التلبيسات الملتوية

والشبه الغامضة ، فشوّهت جمال الشريعة المطهّرة ، وحُشي بها كثيرٌ من كتب المؤلّفين المتقدّمين والمتأخرين ، حتّى أصبحت وبالاً على الدين ، وشرّاً على المسلمين ، وحائلاً دون نهضتهم وتقدّمهم ، وسلاحاً في أيدي خصوم الإسلام ، وعائقاً عن الوصول إلى كثير من الحقائق التاريخيّة والعلميّة والدينيّة ، ولولا توفيق الله تعالى رحمةً بهذه الامّة ، ورعايةً لهذا الدين الكريم ، لطائفة من أئمّة المسلمين المصطفين الأخيار ، انتهضوا لنقد الأسانيد وتنقيح الروايات ، وبهرجة الزائف منها، وحظر الرواية عن كلِّ صاحب بدعة في الإسلام ، لَما بقيت للإسلام صورته النيِّرة التي جاء بها القرآن الحكيم ، وأدّاها رسول الله ﷺ إلى أصحابه نقيّة صافية . اهـ .

هذه نفثات الأُستاذ الصَّادق ، وهذه حسراته وزفراته المتصاعدة وراء ضياع التاريخ الإسلامي ، وراء طمس الحقائق تحت أطباق الظلمات ، وراء تشويه الأساطير والمخاريق والأباطيل جمال الشريعة المطهّرة ، ولعمر الحقِّ لقد أحسن وأجاد ، والرائد لا يكذب ، غير أنَّ المنكين هو من أُسراء تلكم السلاسل المتسلسلة من الموضوعات والخرافات التي ابتلي بها المسلمون ، وعاقته الأغشية المدلهمَّة عن الوصول إلى الحقائق التاريخيَّة والعلميّة والدينيَّة ، وثبَّطته التلبيسات الملتوية عن نيل الصحيح الناصع من التاريخ والحديث ، فما أصاب من الحقِّ نيلاً ، وما أسعفته فكرته هذه على الطامات ولا قدر شعرة ، وما أوضحت له سبل النجاح ، وما هدته إلى المهيع اللائح ، فليته ثمَّ ليته كان يأخذ بأقوال اولئك الأئمَّة المصطفين الأخيار في نقد الأسانيد في الجرح والتعديل ، وكان يعمل بها ويتّخذها دستوراً لنفسه ، مقياساً فيما سطره من الأكاذيب والأفائك ، وليته كان يرحم هذه الامَّة ، ويرعى هذا الدين الكريم مثلما هم رحموا ورعوا ، وما زرَّف في تأليفه ، وما أعاد لأساطير الأوَّلين الخلقة جدَّتها بعد ألف وثلاثمائة عامٍ من عمرها .

وهل هو بعدما وقف على هذا الجزء ووجد كتابه مؤلَّفاً من سلسلة بلايا وحلقة أباطيل زيَّفها اولئك الأئمّة الذين هو اصطفاهم واختارهم وأثنى عليهم يقرع سنَّ الندم ويتَّبع سنن الحقِّ اللاحب ؟ أو أنَّه يلج فيما سوَّد به صحائف كتابه أو صحيفة تاريخه ويتمادى في عيِّه وليِّه ؟ وما التوفيق إلّا بالله .

كتاب إنصاف عثمان تأليف الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك :

هذا الكتاب أخدع من السراب ، صفرٌ من شواهد الإنصاف ، شرحه الاستاذ من سلسلة أخبار مدسوسة وروايات مختلقة ، وإن درس هو بزعمه تاريخ عثمان دراسة الحذر منها فقال في ديباجته ص ٤ : درسنا تاريخ عثمان وعصره والثورة عليه دراسة الحذر من الأخبار المدسوسة ، اليقظ لمواطن العبرة ، المرجع كلّ حدث إلى بواعثه الأصليَّة وإن رانت عليها الشبهات .

ولم نكتف بما قال المؤرِّخون ، بل مددنا بصرنا إلى أبعد مِن ذلك ، فحللنا شخصيَّته ، وبيَّنا مالها من صلة بالثورة عليه ، ودرسنا حال المسلمين وقد نعموا بالراحة والثراء وانساحوا في الأصقاع يخالطون الأعاجم ويصهرون إليهم ويتخلّقون بعاداتهم ، وحال قريش وما انتابها من تفرُّق وتنازع على الرئاسة ، وبيَّنا صلة ذلك بالتجنِّي على الخليفة ، وجلونا الفتنة التي أرثها في الأمصار أعداء عثمان وأعداء الإسلام ، ونخلنا ذلك كلّه وصفَّيناه ، واستخلصنا منه الأسباب الصريحة للفتنة .

ولم نغفل أن نعرض لما أُخذ على عثمان ، ولا أن ننتصف له حيث يستحقّ الإنصاف .

ومن حقّ عثمان أن تُخصَّص لدراسته ودراسة عصره عشرات الكتب ، فإنَّه الخليفة المهضوم الحقّ ، المظلوم في الحكم عليه ، على ماله من سابقة وفضل وإصلاحات ، وعصره عصر انتقال واضطراب وثورات سياسيَّة واجتماعيَّة .

ونحن وإن بالغنا في الإحاطة وتوقّي الزلل عرضة للتقصير ، ولكنّا اجتهدنا رأينا ، فنرجو أن نكون قد وُفِّقنا لإبراز صورةٍ واضحةٍ لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين ففيها عِظاتٌ وعِبر . والله المستعان . ا هـ .

هذه لفاظته ، وهذا حسن طويَّته وحرصه على النجاح ، غير أنَّك تجده في جمعه وتأليفه كحاطب ليل رَزَم في حزمته كلَّ رطب ويابس ، وجاء يخبط خبط عشواء من دون أيِّ فحص وتنقيب ، لا يفقه ولا ينقِّه ، لا يستصحب دراية في الحديث توقفه على الصحيح الثابت ، وتعرّفه الزائف البهرج ، ولا بصيرةً تميِّز له

الحوَّ من اللوِّ ، ولا علماً ناجعاً يجعجعه ويهديه إلى الفوز والنجاح ، ولا فقهاً ينجيه من غمرات تلكم المعارك الوبيلة ، ولا تثبُّتاً يُرشده إلى ما يُنقذه من تلكم التلبيسات الملتوية ، جوَّل في مضمار تلكم الطامات التي جاء بها الطبري وغيره وحسبها اصولاً مُسلّمة ، وأسند في آرائه إلى فضائل مفتعلة نتاج أيدي الأمويِّين نسباً ونزعة ، ومن المأسوف عليه جدّاً أنَّه أكدى وإن اجتهد رأيه ، ولم يظفر بأمله وإن بالغ في الإحاطة بزعمه ، وأبرز لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين صورة معقّدة معضلة تخلو عن كلِّ عِظة وعبرة .

بسط القول في عبدالله بن سبأ وعَزا إليه كلّ تلكم المعامع والثورات ، وحسبه مادَّة الفكرة الناقمة على الخليفة وأساسها الوحيد في البلاد ، ورأى معظم الصحابة أتباع نعرات ذلك المبتدع الغاشم ، وطوع تلبيس ذلك اليهوديِّ المهتوك ، قال في ص ٤٢ عند ذلك يجد ابن سبأ منفذاً إلى هذا الشيخ الزاهد (يعني أبا ذر) في عرض الدنيا فينشر آراءه في مجلسه ويغريه بالحكومة ويحرّضه على الأغنياء ، وصار يقول له : يا أبا ذر ! ألا تعجب لمعاوية يقول : المال مال الله ، ألا كلّ شيء لله ؟ كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو إسم المسلمين . ظلّ أبو ذر يدعو إلى الإشتراكيَّة المتطرِّفة بإرغام الأغنياء أن يساعدوا الفقراء ويتركوا أموالهم لهم ، واتَّخذ برَّ الإسلام بالفقراء سبيلاً إلى ذهاب المال من أربابه ، وما قصد الإسلام هذا بل كما قال الله تعالى : ﴿**والذين في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم**﴾ زيادة على الزكاة الشرعيّة. الخ . . .

وقال في ص ٦١ : أمّا عمّار فقد توجَّه إلى مصر وكان حاكمها مبغضاً من المصريّين لا يجدون حرجاً في رميه بكلّ نقيصة ، واستطاع أتباع ابن سبأ بحذقهم ومهارتهم في ذلك المكفهر أن يخدعوه بزخرف القول وزوره ، وكان مع هذا في نفس عمّار شيء من عثمان لأنّه نفذ فيه حكم الله لمَّا تقاذف هو والعبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، ولهذا لم يعد إلى الخليفة ، ولم يطلعه على شيء ممّا رأى ، ومال إلى اتباع ابن سبأ . اهـ .

هذه صفحةٌ من تلك الصورة الواضحة التي وُفِّق الاستاذ لإبرازها ، هذه هي

الغاية المتوخّاة التي بزعمه فيها عِظات وعِبر ، هل يدري القارىء عن أيّ أبي ذر وعمّار يحدّث هذا الثرثار المجازف ؟ حتى لا يبالي بما يقول ولا يكترث لما أسرف فيهما من القول ، ولست أدري لماذا اقتحم الرجل في هذه الأبحاث الغامضة الخطرة التي يتيه فيها الناقد البصر ؟ لِماذا اقتحم فيها مع ضؤولة رأيه وجهله بأحوال الرجال ومقادير أفذاذ الامّة ، وعدم عرفانه نفسيّات خيرة البشر وصلحاء الصحابة ومبلغهم من الدين ؟ لِماذا اقتحم فيها مع بُعده عن دراية الحديث ، وعلم الدين ، وفقه التاريخ ؟

تراه تشزّر وتعبّأ للدفاع عمّن شغفه حبّه بكل ما تيسّر له ولو بالوقيعة في عدول الصحابة أو في الصحابة العدول ، وقد بيّنا في الجزء الثامن ص ٤٠٣ حديث الرجل في أبي ذر وأنّه موضوعٌ عنعنه أُناس لا يعوّل عليهم عند مهرة الفنّ ، وفصّلنا القول في هذا الجزء في حديث عمّار وأنّه قطُّ لم يتوجّه إلى مصر ، وإنّ ما ركن إليه الاستاذ لا يصحُّ إسناده ، ونحاشي عمّاراً عن أن يحمل ضغينة على أحد لإنفاذه حكم الله فيه ، وهل الاستاذ طبّق المفصل في رأيه هذا وبين يديه الذكر الحكيم والآية النازلة في عمّار ؟ وفي صفحات الكتب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ملىء عمّار إيماناً إلى أخمص قدميه . وقوله : إنَّ عمّاراً مع الحقّ والحقُّ معه ، يدور عمّار مع الحقِّ أينما دار . وقوله : ما خُيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما . إلى أحاديث أُخرى مرّت في هذا الجزء ص ٣٨ ـ ٤٦ تضادُّ تلكم الخزعبلات .

وللأُستاذ في تبرير الخليفة كلماتٌ ضخمة موجزةٌ في طيِّها دسائس مطمورة ، وتمويهٌ على الحقائق التاريخيَّة ، يتلقّاها الدهماء بالقبول ولا يرى عن الصفح عنها مندوحة قال في ص ٣٥ : من المسلّم به أنَّ الوليد هذا عُيّن سنة ٢٥ هجريَّة وهي السنة الاولى من حكم عثمان ، وقد أجمع الناقدون والمؤرّخون على أنّه لم يقع منه خلال الست سنوات الاولى ما يسوِّغ توجيه النقد إليه ، إذ كانوا يرون رائده تحرّي المصلحة العامة ، وإسناد المناصب إلى الجديرين بها لا فرق بين قريب وبعيد . اهـ .

دعوى الإجماع والإتّفاق والإصفاق المكذوبة سيرةٌ مطّردة عند القوم جيلاً بعد جيل سلفاً وخلفاً ، وكتب الفقه والكلام والحديث والتاريخ مشحونة بهذه السيرة

الممقوتة ومن أمعن النظر في كتاب المحلّى لابن حزم ، وكتابه الفصل في الملل والنحل ، ومنهاج السنّة لابن تيمية ، والبداية والنهاية لابن كثير ، يجد مئات من الإجماعات المدّعاة المشمرجة ، والاستاذ اقتفى إثر اولئك الأمناء على ودائع العلم والدين وحذا حذوهم ، كأنّه لم يكُ يحسب أن يأتي عليه يوم يناقشه قلم التنقيب الحساب ، أو أنّه غير مكترث لأيّ تبعة ومغبّة .

أنّى من المتسالم عليه تولية الوليد سنة ٢٥ وإن هو إلّا قول سيف بن عمر كما نصّ عليه الطبري في تاريخه ج ٧ ص ٤٧ وزيّفه ، وعزاه ابن الأثير في الكامل إلى البعض ، وقد عرّفناك سيفاً في الجزء الثامن ص ١١١ وأنّه : ضعيفٌ متروكٌ ، ساقطٌ ، وضّاعٌ ، اتّهم بالزندقة . فالمعتمد عند المؤرّخين أنّ تولية الوليد كانت سنة ٢٦ .

ثمّ أنّى يصحّ كون السنة الـ ٢٥ هي السنة الاولى من حكم عثمان ، وإنّما توفّي عمر في أواخر ذي الحجّة سنة ٢٣ وبويع عثمان بعد ثلاثة أيّام من موت عمر ، فالسنة الاولى من حكم عثمان هي ٢٤ .

وأين وأنّى يسع لناقد أو مؤرّخ فضلاً عن إجماع الناقدين والمؤرّخين أن يحسب صفو الجوّ من بوائق عثمان وبوادره ونوادره خلال الستّ سنوات الاولى ، وهذه صفحات تاريخه في تلكم السنين مسودّةٌ بهنات وهنات ، بل التاريخ سجّل له من أوّل يوم تسنّم عرش الخلافة ، وقام نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، صرعةً وعثرةً لا تُستقال ، منها :

١ - أبطل القصاص لمّا استخلف ولم يقعد عبيدالله بن عمر وقد أتى عظيماً وقتل الهرمزان والجفينة وإبنة أبي لؤلؤة ، وأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتل ابن عمر أخذاً بالكتاب والسنّة ، غير أنّ عمرو بن العاص فلته عن رأيه ، فذهب دم اولئك الأبرياء هدراً . وكانت أوّل قارورة كُسرت في الإسلام بيد عثمان يوم ولي الأمر .

٢ - لمّا استخلف صعد المنبر وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجلس أبو بكر وعمر فيه ، جلس أبو بكر دونه بمرقاة ،

وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة ، فتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم : اليوم ولد الشرّ[١] .

٣ ـ ردّ الحَكمَ بن أبي العاص طريد النبيِّ الأقدس ولعينه إلى المدينة لمّا ولي الخلافة ، وبقي فيها حتّى لَعق لسانه ، وهذا الإيواء ممّا نُقم به على عثمان كما مرَّ حديثه في ج ٨ ص ٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤

٤ ـ ولّى الوليد بن عقبة سنة ٢٦ ، ٢٥ وعزل سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشِّرة ، وكان هذا في طليعة ما نقموا على عثمان[٢] ثمّ وقع ما وقع من الوليد مِن شرب الخمر وتقاعد الخليفة عن حدِّه . راجع الجزء الثامن ص ١٥١ ـ ١٥٦

٥ ـ هبته الوليد ما استقرض عبدالله بن مسعود من مال المسلمين لمّا قدم الوليد الكوفة وكان ابن مسعود على بيت المال ، حتّى نقم الخليفة على ابن مسعود وعزله وحبس عطاءه أربع سنين إلى أن مات سنة ٣٢ وجرى بينه وبين الخليفة ما مرَّ حديثه في هذا الجزء ، وهذا ممّا أخذت الامَّة خليفتهم به .

٦ ـ زاد الأذان الثالث في اوليات خلافته كما في تاريخ ابن كثير ، وقد فصَّلنا القول في أُحدوثته هذه في الجزء الثامن ص١٥٦ ـ ١٦١

٧ ـ وسَّع المسجد الحرام سنة ٢٦ وابتاع من قومٍ منازلهم ، وأبوا آخرون فهدم عليهم ودفع الأثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال : ما جرّأكم عليَّ إلّا حلمي . راجع الجزء الثامن ص ١٦١

٨ ـ أعطى خُمس الغنائم في غزوة أفريقيَّة الثانية مروان بن الحكم وهو مِن عمدة مآثم الخليفة ، وكان ذلك سنة ٢٧ من الهجرة الشريفة . راجع ج ٨ ص ٣٢٦ ـ ٣٣٠

٩ ـ حجَّ سنة ٢٩ وأتمَّ الصَّلاة في مكان القصر في عامه هذا كما في تاريخ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٤٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٨ .

(٢) دول الإسلام ج ١ ص ٩ ، البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥١ .

ابن كثيـر ج ٧ ص ١٥٤ ، وهذه الاحـدوثـة مـرَّت على تفصيلهـا في ج ٨ ص ١٢٧ . ١٥١

١٠ ـ أعـطى خُمس أفريقيّـة عبدالله بن سعد بن أبي سرح في غزوتها الاولى . راجع الجزء الثامن ص ٣٢٦

إلى بوادر وعثرات أُخرى صدرت من الخليفة خِلال الست سنوات الاولى كلّ منها يسوّغ توجيه النقد إليه ، وكان من أوَّل يومه مهما قـرع سمعه نقـدُ ناقـد أو نصحُ ناصح لا يصيخ إليه ، بل كان يؤاخذ مَن أغمز فيه ، ويسومـه سوء العـذاب ، وكان يُلقي العرى إلى بني أُميَّة في البلاد ، ويفوّض إليهم مقاليد الامور ، ويحسبه العلاج الوحيد في حلِّ تلكم المشاكل ، وتقصير خُطى أُولئك الناقدين الآمـرين بالمعـروف والناهين عن المنكر ، حتى تمخَّضت عليه البلاد ووغـرت القلوب ، واتَّسع الخـرق على الراقع .

وفي ظنِّي الغـالب أنَّ تقدُّم ثقـافة مصـر اليوم هـو الذي بعث أسـاتـذتهـا إلى الإكثـار في التأليف حـول عثمان وتـدعيم فضائله وفـواضله ، وشـططوا في إطـرائـه وبالغوا في الـذبِّ عنه بتلفيق الكـلام وتزويـره ، وتسطيـر الحدد من القـول ، وسرد المبـوَّق البهرج ، وذلـك روماً لتقـديس ساحتهم عمّـا اقترفتـه أيـدي سلفهم الثـائـر المتجمهـر على الخليفة ، إذ حسبـوه وصمةً شوَّهت سمات الخلف منهم والسلف ، وسوَّدت صحيفة تاريخ مصـر والمصريِّين ، فهـل يتأتّى أمـل الخلف بهذه الكُتيبـات المزخرفة ؟ لعلّه يتأتّى مثلما رام السلف تحقّق توبتهم بالحوبة ، لا يعلمون الكتـاب إلّا أمانيَّ وإن هُم إلّا يظنُّون .

نظرة في كتب أُخرى :

وقِسْ على هذه الكتب كتاب تاريخ الخلفاء تأليف الاستاذ عبدالوهّاب النجّـار المشحونة صفحاته بمرمَّعات الرواية وسقطات التاريخ . وكتاب عثمان للاستاذ عمـر أبي نصر ، ليس فيه إلّا أنَّه أعاد لما سبق إليه الشيـخ محمَّد الخضـري من نفسيّاتـه الأمويّة جدَّتها ، فما ينقمه الباحث من مواضيع جارٍ فيما بهرجه اللّاحق في كتابه .
وكتاب تاريخ الخلفاء الراشدين للاستاذ السيِّد علي فكري وهو الجزء الثـالث

من كتابه «أحسن القصص» وهذا أهدأ ما أُلّف في الموضوع ، ينمُّ عن سلامة نفس المؤلِّف ونزاهة قلمه ، وهو وإن ألَّفه من تلكم السلاسل الوبيلة من الموضوعات ، غير أنّه لا يتطرَّق إلى الأبحاث الخطرة ، ولا يقتحم المعارك المدلهمّة ، ممّا نُقم به على الخليفة من الطامّات والأحداث ، وما قيل في براءته عن لوثها ، وكأنه ترجم لخليفة خضعت الرقاب لعظمته ، وتسالمت الامّة عليه من جميع نواحيه ، ولم يطرق سمعه ما هنالك من حوارٍ وأخذٍ وردٍّ ، ونقدٍ ودفاعٍ ، وكأنَّ ما سطره في فضل الخليفة ، وكرم طباعه ، وسلامة نفسه ، اصولٌ موضوعةٌ لا يتوجّه إليها غمزٌ ولا انتقاد ، وستعرف حالها ومحلّها من الإعتبار ، فلا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه .

ذكر السيِّد الاستاذ ما جاء في مناقب عثمان من الحديث المختلق من دون أيِّ بحث وتنقيب ، من دون أيِّ نقض وإبرام ، إلى أن تخلّص من البحث عنه بقوله في ص ١٦٣ : بعد أن فتح المسلمون تلك الأقاليم واطمأنُّوا وكثرت عندهم الخيرات والأموال ، أخذوا ينقمون على الخليفة حيث رأى من الصالح للامّة عزل بعض الولاة فعزلهم ، وولّى مَن فيه الكفاية من أقاربه وذوي رحمه ، فظنَّ النّاس به ظنوناً هو بريءٌ منها ، وفشت الفتنة واستفحل أمرها ، حتى حضرت وفودٌ من الكوفة والبصرة ومصر في وقت واحد طالبين تولية غير عثمان ، أو عزل من ولّاهم على الأمصار .

وأخيراً استقرَّ الحال على إجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العمَّال ، وعلى ذلك اختار أهل مصر أن يولي عليهم محمَّد بن أبي بكر الصدِّيق ، فكتب عثمان لهم بذلك عهداً ورحلوا من المدينة مع واليهم الجديد ، وبينما هم ذاهبون رأوا عبداً من عبيد الخليفة على راحلة من إبله يستحثّها فأوقفوه وفتّشوه ، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة لعبدالله بن أبي سرح مضمونه :

إذا قدم عليك ابن أبي بكر ومن معه فاحتلْ في قتلهم .

فأخذوا الكتاب ورجعوا إلى المدينة ، وأطلعوا الخليفة عليه فأقسم لهم أنَّه ما فعل ولا أمر ولا علم فقالوا : هذا أشدّ ، يؤخذ خاتمك ، وبعيرٌ من إبلك ، وعبدٌ

من عبيدك وأنت لا تعلم ، ما أنت إلاّ مغلوبٌ على أمرك .طلبوا منه الإعتزال ، أو تسليم الكاتب فأبى ، فأجمعوا على محاصرته ، فحاصروه في داره ومنعوا عنه الزاد والماء أيّاماً عديدة . وهاجت الثوّار ، وكثر القيل والقال ، فطلب منه بعض الصحابة الإذن بالمدافعة عنه فلم يقبل ، ولم يأذن لأحد حتى انّه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه : مَن أغمد منكم سيفه فهو حرٌّ . استسلاماً للقضاء ، فتسلّق بعض الأشرار الدار ، ودخلوا عليه وقتلوه ، والمصحف بين يديه يتلوه فيه سورة البقرة فنزلت قطرة من دمه على : فسيكفيكهم الله وكان يومئذٍ صائماً . ا هـ .

ولعلَّ الاستاذ بعد الوقوف على هذا الجزء من كتابنا ينتبه لمواقع النظر في تأليفه فيميّز الحيَّ من الميت ، ويعرف الصحيح من المعلول ، ويَتَّبع الحقَّ والحقُّ أحقّ أن يُتَّبع .

وفي مقدَّم هؤلاء الأساتذة استاذ تاريخ الامم الإسلاميَّة بالجامعة المصريَّة ووكيل مدرسة القضاء الشرعيِّ الشيخ محمَّد الخضري صاحب المحاضرات ، وقد قدَّمنا في الجزء الثالث ص٣٠٧ - ٣٢٤ شيئاً ممّا يرجع إليه وإلى كتابه ، وعرَّفناك موقفه من الدجل والجناية على التاريخ الصحيح ، وبُعده عن أدب الدين ، عن أدب العلم ، عن أدب الإنسانيَّة ، وانَّ كتابه علبة السفاسف ، وعيبة السقطات ، وصحائفه مشحونةٌ بالأكاذيب والأفائك والنسب المفتعلة ، والآراء الساقطة ، فإن كان الإسلام هذا تاريخه فعلى الإسلام السَّلام .

عهد النبيّ الأقدس (ص) إلى عثمان :

١ - أخرج إمام الحنابلة أحمد في المسند ج ٦ ص ٨٦ ، ١٤٩ قال حدَّثنا أبو المغيرة «الحمصي» حدَّثنا الوليد بن سليمان «الدمشقي» حدَّثني ربيعة بن يزيد «الدمشقي» عن عبدالله بن عامر «الدمشقي» عن النعمان بن بشير «قاضي دمشق» عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلمّا رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان ! أقبلت إحدانا على الاخرى فكان من آخر كلمته أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان ! إنَّ الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني . ثلاثاً .

فقلت لها : يا أُمَّ المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنكِ ؟ قالت : نسيته والله ، ما ذكرته . قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أُمِّ المؤمنين : أن اكتبي إليَّ به، فكتبت إليه به كتاباً .

رجال الإسناد كلّهم شاميّون عثمانيّون وفي مقدّمهم النعمان بن بشير الخارج على إمام زمانه ومحاربه تحت راية الفئة الباغية ، وجاء فيه عن قيس بن سعد الأنصاري الصحابيِّ العظيم : إنّه ضالٌّ مضلٌّ . ومتن الرواية كما يأتي بيانه يُكذّب نفسها .

٢ ـ أخرج أحمد في المسند ج ٦ ص ١١٤ من طريق محمّد بن كناسة الأسدي أبي يحيى عن إسحاق بن سعيد الأموي حفيد العاص عن أبيه سعيد ابن عمِّ عثمان الذي كان بدمشق قال: بلغني انَّ عائشة قالت : ما أسمعتُ رسول الله إلّا مرَّة فإنَّ عثمان جاءه في نحر الظهيرة فظننت أنَّه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول : إنَّ الله ملبسك قميصاً تريدك أُمّتي على خلعه فلا تخلعه . فلمّا رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلّا خلعه علمت أنّه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه .

عمد رجال الإسناد أمويّون أبناء بيت عثمان بني أبيه ينتهي إلى عائشة وقد أوقفناك على حديثها في هذا الجزء ، وهو مع ذلك مرسلٌ لا يُعلم مَن بلّغه سعيد بن العاص ولعلّه أحد الكذّابين الوضّاعين .

٣ ـ أخرج الطبراني عن مطلب بن شعيب الأزدي عن عبدالله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف قال : كنّا عند شفى الأصبحي فقال : حدَّثنا عبدالله بن عمر قال : التفت رسول الله فقال : يا عثمان ! إنَّ الله كساك قميصاً فأرادك النّاس على خلعه فلا تخلعه ، فوالله لئن خلعته لا ترى الجنّة حتّى يلج الجمل في سمِّ الخياط .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٨ فقال : وقد رواه أبو يعلى من طريق عبدالله بن عمر عن أخته حفصة أُمّ المؤمنين . وفي سياق متنه غرابة والله أعلم .

رجال الإسناد :

١ ـ عبدالله بن صالح أبو صالح المصري كاتب الليث ، قال أحمد : كانَ أوَّل أمره متماسكاً ثمَّ فسد بآخره وليس هو بشيء . وقال عبدالله بن أحمد : سمعت أبي ذكره يوماً فذمَّه وكرهه . وقال صالح بن محمّد : كان ابن معين يوثقه وعندي أنّه كان يكذب في الحديث . وقال ابن المديني : ضربت على حديثه وما أروي عنه شيئاً . وقال أحمد بن صالح : متَّهمٌ ليس بشيءٍ . وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو زرعة : كذّابٌ . وقال أبو حاتم : الأحاديث التي أخرجها أبو صالح في آخر عمره فأنكروها عليه أرى أنَّ هذا ممّا افتعل خالد بن نجيح وكان أبو صالح يصحبه . الخ . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جدّاً يروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات ، وكان صدوقاً في نفسه وإنَّما وقعت المناكير في حديثه من قِبل جارٍ له كان يضع الحديث على شيخ عبدالله بن صالح ويكتب بخطّ يشبه خطَّ عبدالله ويرميه في داره بين كتبه فيتوهَّم عبدالله أنَّه خطّه فيحدِّث به .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٥٦ ـ ٢٦٠]

٢ ـ سعيد بن أبي هلال المصري قال أحمد : ما أدري أيَّ شيء يخلط في الأحاديث وقال ابن حزم : ليس بالقوي . وقال ابن حجر : لعلّه اعتمد على قول الإمام أحمد فيه .

[تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٩٥]

٣ ـ ربيعة بن سيف الإسكندراني . قال ابن حبّان : يُخطىء كثيراً . وقال ابن يونس : في حديثه مناكير . وقال البخاري : روى أحاديث لا يُتابع عليها . وقال النسائي : ضعيفٌ .

[تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٥٦]

٤ ـ أخرج أحمد من طريق سنان بن هارون عن كليب بن وائل عن ابن عمر قال . ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال : يُقتل فيها هذا المقنَّع يومئذٍ مظلوماً فنظرت فإذا هو عثمان بن عفّان .

[تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٨]

سنان بن هارون كوفيٌّ ، قال النسائي : ضعيفٌ . وقال الساجي : ضعيفٌ منكر الأحاديث . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جدّاً يروي المناكير عن المشاهير[1] وكليب بن وائل ضعّفه أبو زرعة كما في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٧ .

٥ ـ أخرج أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٤٥ من طريق موسى بن عقبة قال : حدَّثني جدِّي أبو أُمِّي أبو حبيبة أنّه دخل الدار وعثمان محصورٌ فيها ، وأنّه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له ، فقام فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّكم تلقون بعدي فتنةً واختلافاً ـ أو قال : إختلافاً وفتنة ـ فقال له قائلٌ من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه . وهو يشير إلى عثمان بذلك . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٩ فقال : تفرَّد به أحمد وإسناده جيِّدٌ حسنٌ ولم يخرجوه من هذا الوجه .

نحن لا نعرف جودة هذا الإسناد وحسنه وفيه جدّ أُم موسى وهو نكرةٌ لا يُعرف ولا يوجد له قطّ ذكرٌ في المعاجم . وهل من المعقول عزو هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جدّ عليم بأنَّ أصحاب عثمان هم : مروان ومَن يشاكله في العيث والفساد حِشوة بني أُميَّة ، حثالة أُمَّته صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أفمن الجائز أن يوصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُمَّته باتِّباع أُولئك الخابلين خلاف وجوه صحابته وعدولهم المتجمهرين على عثمان ؟ حاشا نبيّ العظمة عن هذه الأفائك .

٦ ـ أخرج الترمذي عن طريق سعيد الجريري[2] عن عبدالله بن شقيق عن عبدالله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض ؟ قلت : ما خار الله لي ورسوله . قال : إتّبع هذا الرجل فإنّه يومئذٍ ومن اتّبعه على الحقّ قال : فاتّبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم . فإذا هو عثمان بن عفّان .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٢) زاد ابن كثير ها هنا في الإسناد : عبدالله بن سفيان .

وأخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٠٩ من طريق سعيد الجريري بالإسناد المذكور ولفظه : كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنّها صياصي بقر ؟ قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله ، قال : وكيف تفعل في أُخرى تخرج بعدها كان الأولى فيها انتفاحة أرنب ؟ قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله ، قال : اتّبعوا هذا . قال : ورجلٌ مقفّى حينئذٍ قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ فقلت : هذا ؟ قال : نعم . قال : وإذا هو عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

قال الأميني : ستوافيك ترجمة سعيد الجريري في حديث ٢٥ من مناقب عثمان وانَّ روايته لا تصحّ لاختلاله ثلاث سنين . وأمّا عبدالله بن شقيق المنتهي إليه أسانيد الرواية فهو من تابعي أهل البصرة قال ابن سعد في الطبقات : كان عثمانيّاً وكان ثقة . وقال يحيى بن سعيد : كان سليمان التميمي سيّء الرأي في عبدالله . وقال أحمد بن حنبل ثقة وكان يحمل على عليّ . وقال إبن معين : ثقة من خيار المسلمين ، وقال إبن خراش : كان ثقة وكان عثمانيّاً يبغض عليّاً[1] .

ألا تعجب من توثيق الحفّاظ هذا الرجل المتحامل على عليّ أمير المؤمنين ومبغضه وعدّه من خيار المسلمين وبين أيدينا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الصحيح الثابت : لا يحبُّ عليّاً منافقٌ ولا يبغضه مؤمنٌ ، ولا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق ، وقول عليّ أمير المؤمنين الوارد في الصحيح : والذي فلق الحبَّة أوبرأ النسمة إنَّهُ لعهد النبيُّ الامي إليَّ أنّه لا يحبّني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلّا منافقٌ . وقوله : لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني . الحديث . وثبت عن غير واحد من الصحابة قولهم : ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليٍّ بن أبي طالب[2] .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٥٤ .

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٢٢٩ - ٢٣٤

وجاء في الصحيح مرفوعاً : لو أنَّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمَّ لقي الله وهو مبغضٌ لأهل بيت محمَّد دخل النار[١] .

وفي حديث : لو أنَّ عبداً عَبد الله سبعة آلاف سنة ثمَّ أتى الله عزَّ وجلَّ ببغض عليّ جاحداً لحقِّه ناكثاً لولايته لأتعس الله خيره وجدع أنفه .

وفي حديث : لو أنَّ عبداً عَبدَ الله عزَّ وجلَّ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدَّ في عمره حتى حجَّ ألف عام على قدميه ثمَّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمَّ لم يُوالك يا عليّ ! لم يشمّ رائحة الجنَّة ولم يدخلها .

وفي حديث : لو أنَّ عبداً من عباد الله عزَّ وجلَّ عَبدَ الله ألف عام بين الركن والمقام ثمَّ لقي الله عزَّ وجلَّ مبغضاً لعليّ وعترتي أكبَّهُ الله على منخره يوم القيامة في نار جهنّم .

وفي حديث : يا عليُّ ! لو أنَّ أُمَّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا وصلّوا حتّى يكونوا كالأوتار ثمَّ أبغضوك لأكبَّهم الله في النار[٢] .

وفي الصحيح على شرط الشيخين مرفوعاً : مَن أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ومَن أبغض عليّاً فقد أبغضني[٣] .

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٣٥ مرفوعاً : يا عليُّ طوبى لمَن أحبَّك وصدق فيك ، وويل لمَن أبغضك وكذب فيك .

وفي حديث مرفوعاً : أرسل رسول الله الأنصار فأتوه فقال لهم : يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هذا عليّ فأحبّوه بحبّي ، وأكرموه بكرامتي ، فإنَّ جبريل أمرني بالذي

---

(١) راجع ما مرَّ في الجزء الثاني ص٣٤٩

(٢) مرّت هذه الأحاديث بمصادرها في الجزء الثاني ص ٣٤٩ .

(٣) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٠ .

قلت لكم من الله عزّ وجلّ(١) .

وفي حديث مرفوعاً : إنَّ علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور مَن أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه أحبّني ، ومن أبغضه أبغضني(٢) .

وفي مرفوع : ألا مَن أبغض هذا (يعني عليّاً) فقد أبغض الله ورسوله ، ومَن أحبَّ هذا فقد أحبَّ الله ورسوله .

وفي حديث مرفوعاً : هذا جبريل يخبرني : إنَّ السعيد حقَّ السعيد مَن أحبَّ عليّاً في حياته وبعد موته ، وإنَّ الشقيَّ كلَّ الشقيِّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته .

إلى أحاديث مرَّت في الجزء الثالث ص ٤٧

وقبل هذه كلّها قوله تعالى : ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودَّة في القربى**﴾ . وقوله : ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً**﴾ . وقوله : ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة**﴾ . راجع الجزء الثاني فيما ورد في هذه الآيات الكريمة .

ولا تنسَ دعاء النبيِّ الأعظم يوم الغدير في ذلك المحتشد الرحيب بقوله : اللّهمَّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، اللّهمَّ من أحبَّه من الناس فكن له حبيباً ، ومن أبغضه فكن له مبغضاً .

وفي لفظ : اللهمَّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانصر من نصره ، وأعن مَن أعانه ، وأحبّ مَن أحبَّه .

وفي لفظ : اللّهمَّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وأحبّ مَن أحبّه ، وأبغض مَن أبغضه ، وانصر مَن نصره ، واخذل من خذله .

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٦٣ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧ .

وفي لفظ : اللهمَّ وال من والاه ، وعاد مَن عاداه ، وأحبَّ مَن أحبّه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر مَن نصره ، وأعزَّ مَن أعزَّه ، وأعن مَن أعانه .

وهناك ألفاظ أُخرى مرَّت في الجزء الأوَّل من كتابنا هذا .

فعبدالله بن شقيق أخذاً بمجامع تلكم النصوص شهادة الله ورسوله ، منافقٌ شقيٌّ عدوٌّ لله ولرسوله يبغضه المولى سبحانه ، لا خير فيه ولا في حديثه ، لا يُقبل ولا يُصدَّق في روايته ، أتعس الله خيره وجدع أنفه ، وأكبَّه على منخره يوم القيامة في نار جهنّم . دع الحفّاظ يقولون : ثقةٌ من خيار المسلمين .

٧ ـ أخرج أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٣ ، ٣٥ من طريق عبدالله بن شقيق البصري قال : حدَّثني هرم بن الحارث وأُسامة بن خزيم عن مرَّة البهزي قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنَّها صياصي بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه ـ أو : اتبعوا هذا وأصحابه ـ قال : فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا . فإذا هو عثمان بن عفَّان . فقال : هذا وأصحابه .

عرفت عبدالله بن شقيق وأنَّه منافقٌ لا يُؤخذ بحديثه ولا يُعوَّل عليه إن صدَّقنا النبيَّ الأقدس فيما جاء به .

٨ ـ أخرج أحمد في المسند ج ٦ ص ٧٥ من طريق فرج بن فضالة بإسناده عن عائشة قالت : كنت عند النبيِّ ﷺ فقال : يا عائشة ! لو كان عندنا مَن يُحدِّثنا . قالت قلت : يا رسول الله ! ألا أبعث إلى أبي بكر ؟ فسكت . ثمَّ قال : لو كان عندنا من يُحدِّثنا . فقلت : ألا أبعث إلى عمر . فسكت . قالت : ثمَّ دعا وصيفاً بين يديه فسارَّه فذهب قالت : فإذا عثمان يستأذن فأذن له فدخل فناجاه النبيُّ ﷺ طويلاً ثمَّ قال : يا عثمان ! إنَّ الله عزَّ وجلَّ مقمِّصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها له مرَّتين أو ثلاثاً . وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٠ من طريق فرج بن فضالة وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ عالي الإسناد ولم يخرجاه . وعقَّبه الذهبي في تلخيصه فقال : أنَّى له الصحَّة ومداره على

فرج بن فضالة ؟ .

أقول : فرج بن فضالة متَّفقٌ على ضعفه وعدم الإحتجاج به وستوافيك ترجمته في الحديث الـ ١٧ من مناقب عثمان في هذا الجزء إن شاء الله .

وأخرج أحمد في مسنده ج ٦ ص ٥٢ من طريق قيس بن أبي حازم عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ادعوا لي بعض أصحابي . قلت : أبو بكر ؟ قال : لا . قلت : عمر . قال : لا . قلت : ابن عمِّك علي ؟ قال : لا . قلت : عثمان ! قال : نعم فلمّا جاء قال : تنحّي . جعل يسارُّه ولون عثمان يتغيَّر فلمّا كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا : يا أمير المؤمنين ! ألا تقاتل ؟ قال : لا إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإنّي صابر نفسي عليه .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٨ ، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٩٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧ ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٦ ص ٢٠٥ نقلاً عن أحمد والأسانيد كلّها تنتهي إلى قيس بن أبي حازم قالوا : كان يحمل على عليّ عليه السلام ، وقال إبن حجر : والمشهور عنه أنّه كان يقدّم عثمان ولذلك تجنَّب كثيرٌ من قدماء الكوفيِّين الرواية عنه ، وكبر قيس حتّى جاوز المائة بسنين كثيرة حتّى خرف وذهب عقله .

[تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٨٨]

لنا أن نصافق الكوفيِّين على تجنّب الرواية عن قيس المتحامل على مولانا أمير المؤمنين إن اتَّبعنا الرسول الأمين في النصوص المذكورة قُبيل هذا ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ولا يسوغ لأيِّ باحث أن يعوِّل على رواية منافق شقيّ خرف وذهب عقله ، وقد مرَّ عن ابن أبي الحديد في صفحة ٩٦ من هذا الجزء قوله : وقد طعن مشايخنا المتكلّمون في قيس وقالوا : إنّه فاسقٌ ولا تُقبل روايته . الخ .

٩ - أخرج ابن عدي عن أبي يعلى عن المقدمي محمَّد بن أبي بكر عن أبي معشر يوسف بن يزيد البراء البصري عن ابراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عثمان : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أسرَّ إليه أنّه يُقتل ظلماً[1] .

---

(١) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٨٢ .

زيَّفه ابن عدي كما في الميزان وعدَّه من أحاديث عمر بن أبان التي كلّها غير محفوظة ، وأبان بن عثمان لم يسمع من أبيه كما قاله أحمد بن حنبل فكيف بعمر بن أبان ، وسنوقف على ترجمة أبي معشر وابراهيم بن عمر في المنقبة الثالثة من مناقب عثمان وانَّهما لا يعوَّل عليهما ولا يصحّ حديثهما .

١٠ ـ ذكر الذهبي في الميزان ج ١ ص ٣٠٠ من طريق أنس مرفوعاً : يا عثمان ! إنَّك ستلي الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها ، وصُم ذلك اليوم تفطر عندي .

قال الذهبي : في سنده خالد بن أبي الرحال الأنصاري عنده عجائب ، قال ابن حبّان : لا يجوز الإحتجاج به . وفي لسان الميزان ج ٦ ص ٧٩٤ قال : أبو حاتم : ليس بالقويِّ .

نظرة في أحاديث العهد :

هذه سلسلة روايات أصفق على وضعها دجّالون تتراوح أسانيدها بين أمويّ وشاميّ وبصريّ ، وبين عثمانيّ متحامل على سيِّد العترة ، وبين أُناس آخرين من ضعيف إلى كذّاب إلى متروك إلى ساقط . على أنَّ متونها أكثر عللاً من أسانيدها فإنَّ الخضوع لصحَّتها يستدعي الوقيعة في الصحابة كلّهم لأنَّ المنصوص عليه في غير واحد منها : انَّ الذين أجلبوا على عثمان وأرادوا خلعه أُناسٌ منافقون ، وفي بعضها : فإنَّ عثمان يومئذ وأصحابه على الحقِّ ، وعليكم بالأمين وأصحابه . وقد علمت أنَّ المتجمهرين عليه هُم الصحابة كلّهم المهاجرون منهم والأنصار ما خلا ثلاثة : زيد بن ثابت ، حسّان بن ثابت ، اسيد الساعدي . أو : هم وكعب بن مالك . وأُناسٌ من زعانفة الأمويِّين ، وأين هذا من الإعتقاد بعدالتهم جمعاء كما عند القوم ؟ ومن الخضوع لجلالة كثيرين منهم الذين علمت منهم نواياهم الصالحة ، وأعمالهم البارَّة ، والنصوص النبويّة الصادرة فيهم ، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه الكريم كما عند الأُمَّة أجمع ؟ .

ثمَّ إنَّ عثمان وإن كان يتظاهر بامتثال الأمر الموجود في هذه الروايات وغيرها بالصبر وعدم القتال غير أنّ عمله كان مبايناً لذلك لمكاتبته إلى الأوساط الإسلاميَّة يستجلب منها الجيوش لمقاتلة أهل

المدينة ، ويرى قتالهم قتال الأحزاب يوم بدر ، وينصُّ على أنّ القوم قد كفروا ، فلو اتّصلت به كتائب الأمداد يومئذٍ لألقحها حرباً زبوناً وفتنةً عمياء ، وإنّما كان ينكص عن النضال لإعواز الناصر لإصفاق الصحابة عليه عدا أُولئك الثلاثة وما كانوا يغنون عنه شيئاً ، ولا سيّما حسان بن ثابت الذي لم يكن يجسر أن يأخذ سلب القتيل الذي قتلته امرأةٌ[١] .

على أنّه لم يتقاعد عن المقاتلة أيضاً بمن كان معه من حثالة بني أُميّة فقد بذلوا كلَّ ما حووه من بسالة وشجاعة ، غير أنَّ القضاء الحاتم أخزاهم وحال بينهم وبين النجاح إلى أن لجأوا إلى أُمِّ حبيبة فجعلتهم في كندوج ثمّ خرجوا من المدينة هاربين .

ثمَّ هَبْ أنَّ عائشة كانت نسيت ما روته حين ألّبت الجماهير على عثمان وأمرت بقتله وسمّته نعثلاً كافراً فهل بقيّة الرواة وهم : عبدالله بن عمر وأبو هريرة ومرَّة البهزي وعبدالله بن حوالة وأبو سهلة وأنس أصفقوا معها على النسيان ؟ أو أنّهم ما كانوا يروونها يومئذٍ ثمَّ اقتضت الظروف أن يرووها ؟ أو أنّها اختلقت بعدهم على ألسنتهم ؟ .

ولو كان لهذه الكلمات المعزوّة إلى رسول الله ﷺ ـ من قوله : عليكم بالأمين وأصحابه ، وقوله : اتّبعوا هذا وأصحابه ، وقوله : إتّبع هذا الرجل فإنّه يومئذٍ ومن اتّبعه على الحقّ ـ مقيلاً من الصحّة لاستدعى أن يفيضها على الصحابة كلّهم لأنَّ قضيّتها أنّ تلك الفتنة الموعود بها من الفتن المضلّة ، وأنّ عثمان عندئذٍ في جانب الحقِّ ، وما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالذي يشحّ على أُمّته بالإرشاد إلى ما فيه هدايتهم وصلاحهم الديني ، وهو مقيّضٌ لذلك ومبعوثٌ لأجله ، فلماذا لم يروها غير هؤلاء؟ ولا عرفها غيرهم ولو بوساطتهم ؟ وكان إلقاؤها عليهم مسارةً لا يطّلع عليها أحدٌ ؟ ولماذا ترك هؤلاء الإحتجاج بها يوم الدار ؟ وفي القوم وهم الأكثرون مَن إن يسمع بها لا يتباطأ عن الخضوع للأمر النبويِّ المطاع ، أفلم يدبّروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين ؟ إن هذا إلّا اختلاق .

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا ص ٨٦

نظرة في مناقب عثمان
الواردة في الصحاح والمسانيد

إلى هنا سبرنا صحيفة من حياة عثمان ولا أدري أهي بيضاء أم غيرها ؟! لكن الباحث الممعن فيها يوقفه التنقيب على نفسيّاته ومقداره ، والغاية من هذا الإسهاب أن نجعل نتيجة هذا الخوض والبحث مقياساً في أمره نردُّ إليه كلّ ما يؤثر في حقّه فإن ساوى المقياس أثبتناه ، وإن طال أو قصر عنه عرفنا أنّه من الغلوّ في الفضائل .

وما سردنا إلى هنا من دعارة في الخلق ، وعُرامة في الطباع ، وعرارة في الشكيمة وشرَّة في الغرائز ، وفظاظة في الأعمال ، وتعسُّف في الحكم ، واتّباع للشهوات ، وميل عن الحقِّ ، ودناءة في النفس ، وسقطة في الرأي ، وسَرف في القول ، إلى الكثير المتوفر من أمثال هذه ممّا لا تحمد فعليّته ولا عقباه ، لا يدع الباحث أن يخضع لشيء ممّا قيل أو تقوّل فيه من الفضل قويت أسانيده أو وهنت .

كما أنّ آراء الصحابة الأوّلين التي زففناها إلى مناظرك في هذا الجزء من صفحة ٩٢ ـ ١٩٧ لا تدع مجالاً للبحث عن صحّة تلكم المفتعلات فضلاً عن إثباتها ، وإنّك تجد في مرسليها أو مسنديها لفائف من زبانية الميول والأهواء من بصريّ أو شاميّ أنهوا أسانيدهم في الغالب إلى موالي عثمان أو إلى رجال بيته الساقط ، وذلك ممّا يُعطي أنّها من صنائع معاوية للخليفة المقتول الذي اتّخذ أمره سُلّماً إلى ما كان يبتغيه من المرتقى ، وكان معاوية يهب القناطير المقنطرة لوضع الأحاديث في فضائل أبناء بيته الشجرة المنعوتة في القرآن ، من بني أُميَّة عامّة ، ومن آل أبي العاص خاصّة ، أضف إلى ذلك ما يكتنف أغلب تلك المتون من الموهنات التي لا يقاومها أيّ تمحُّل في تصحيحها ، وإليك نبذةٌ من تلكم الموضوعات :

١ ـ أخرج مسلم وأحمد من طريق عُقيل الأمويّ عن الليث العثماني عن يحيى بن سعيد الأمويّ عن سعيد بن العاص ابن عمِّ عثمان عن عائشة وعثمان قالا : إنَّ أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثمَّ انصرف ، ثمَّ استأذن عمر

فـأذن له وهـو على تلك الحال فقضى إليـه حاجتـه ثمَّ انصرف ، قـال عثمـان : ثمَّ استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : إجمعي عليك ثيابكِ . فقضيت إليـه حاجتي . ثمَّ انصرفت، فقالت عـائشة : يـا رسول الله ؟ مـالي لم أرك فزعت لأبي بكـر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ قـال رسول الله ﷺ : إنَّ عثمـان رجلٌ حيي(١) وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته(٢) .

٢ ـ أخرج مسلم وغيره من طريق عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه وسـاقيه فـاستأذن أبـو بكر فـأذن له وهـو على تلك الحال فتحدَّث ثمَّ استأذن عمـر فأذن لـه وهو كـذلك فتحـدَّث ، ثمَّ استأذن عثمـان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه ، فلمّا خرج قالت عائشة رضي الله عنها : دخل أبو بكـر فلم تهتش لـه ولم تبالـه ، ثمَّ دخل عمـر فلم تهتش له ولم تُبـاله ، ثمَّ دخـل عثمان فجلس وسوَّيت ثيابك ؟ فقال : ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة (٣) .

وأخـرج البخاري في منـاقب عثمـان حـديثاً وقـال في ذيله : زاد عـاصم إنَّ النبيَّ ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد كشف عن ركبتيه أو ركبته فلمّا دخل عثمان غـطّاهـا . قـال إبن حجـر في فتـح البـاري ج ٧ ص ٤٣ : قـال إبن التين : أنكـر الداودي هذه الرواية وقال : هذه الـرواية ليست من هـذا الحديث بـل دخل لـرواتها حديثٌ في حديث ، وإنّما ذلك الحديث : إنَّ أبا بكر أتى النبيَّ ﷺ وهو في بيته قد انكشفـفخذهفجلس أبو بكر ثمَّ دخل عمر ثمَّ دخل عثمان فغطّاها . الحديث .

قال الأميني : الحياء هو انقباض النفس عمّا لا يلائم خطَّة الشرف من الناحية الدينيَّة أو الإنسانيَّة ، وأصله فطريٌّ للإنسان ، وكماله اكتسابيٌّ يتأتّى بالإيمـان ، فهو يتدرَّج في الرقيّ بتدرُّج الإيمان والمعرفة ، فتنتهي إلى ملكة راسخة تأبى لصاحبهما التورّط في المخازي كلّها ، فيكون بها الإنسان محدوداً في أفعالـه وتروكـه وشهواتـه وميـوله وتنبسط تلكم الحـدود على الأعضاء والجـوارح وعلى النفس والعقـل ، فـلا

---

(١) حيي كغني : ذو حياء . وفي شرح مسلم : أي كثير الحياء .

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٧ ، مسند أحمد ج ١ ص ٧١ وج ٦ : ص ١٥٥ ، ١٦٧ .

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ٦٢ ، صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٦ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧٣ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٢ .

يسع أيّـاً منهـا الخروج عن حـدّه ، قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الإستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى[١] فكلّ عمـل خارج عن حـدود الدين والإنسـانيّة منـافٍ للحياء ، وهـو الرادع الـوحيـد عن الفحشاء والمنكر ، وعن كلّ ما يلوّث ذيـل الإنسانيّـة والعفّة والإيمـان من صغيرة أو كبيـرة ، ومن لم يستـح فله أن يفعـل مـا يشـاء ، وجـاء في الحـديث النبـويّ على المحدّث به وآله السّلام : إذا لم تستح فاصنع ـ فافعل ـ ما شئت[٢] .

وعلى هذا فكلٌّ من الفحش والبذاء والكذب والخيـانة والغـدر والمكر ونقض العهد والتخلّع والمجون وما يجري مجراها أضدادٌ للحياء ، وقـد وقع التقـابل بينهـا وبينه في لسان المشرّع الأعظم منها قولـه صلى الله عليه وآله وسلم : الحياء من الإيمـان والإيمان في الجنّة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار[٣] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : الحياء والعيّ من الإيمان وهما يقربان من الجنّة ويبـاعدان مِن النّـار ، والفحش والبذاء من الشيـطان وهما يقـربان من النّـار ويباعـدان من الجنّة ، أخرجه الطبراني كما في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٥ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عائشة ! لو كان الحياء رجلاً كان رجـلاً صالحـاً ، ولو كـان الفحش رجلاً كان رجل سوء . رواه الطبراني وأبو الشيخ كما في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٦ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ما كان الفحش في شيء إلاّ شانه ، ومـا كان الحيـاء في شيء إلاّ زانه أخرجه ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٥٤٦ ، والترمذي في الصحيح .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منـه الحياء ، فـإذا نـزع منه الحيـاء لم تلقه إلاّ مقيتـاً ممقتاً ، فـإذا لم تلقه إلاّ مقيتـاً ممقتاً نـزعت منـه

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٦ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه .
(٣) قال المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٥ : أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيـح ، والترمذي ،وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

الأمانة ، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلّا خائناً مخوناً ، فإذا لم تلقه إلّا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرّحمة لم تلقه إلّا رجيماً مُلعّناً ، فإذا لم تلقه إلّا رجيماً مُلعّناً نزعت منه ربقة الإسلام .

أخرجه ابن ماجة كما في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٦٧ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الحياء لا يأتي إلّا بخير[١] وقال المناوي في شرحه في فيض القدير ج ٣ ص ٤٢٧ : لأنَّ مَن استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربِّه أشدّ فلا يضيع فريضة ، ولا يرتكب خطيئة ، قال ابن عربي : الحياء أن لا يفعل الإنسان ما يخجله إذا عرف منه أنّه فعله ، والمؤمن يعلم بأنَّ الله يرى كلَّ ما يفعله ، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك ، وبأنّه لا بدَّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤدّيه إلى ترك ما يخجل منه ، وذلك هو الحياء فمن ثمّ لا يأتي إلّا بخير .

وقال : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حقّ الغير ، وقال بعض الحكماء : من كسا[٢] الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

إذن هلمَّ معي لنسبر حياة الخليفة - عثمان - علّنا نجد فيها مايصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له إن لم يُكفئنا الأياس منها بخفّي حنين ، فأرجع البصر كرَّتين فيما سردناه من أفعال الخليفة وتروكه ومحاوراته وأقواله ، ثمّ انظر هل تجد في شيء منها ما يُدعم هذه الدعوى له فضلاً عن أن يكون أحيى الناس ، أو أشدّ الامّة حياءً ، أو تستحيي منه الملائكة ؟

أيصلح شاهداً لذلك قوله لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : والله ما أنت عندي أفضل من مروان ؟ هلّا ان يعلم أنَّ الله عدَّ عليّاً في كتابه نفس النبيِّ الأقدس وقد طهّره بنصِّ الذكر الحكيم ، ومروان طريد ابن طريد ، وزغ ابن وزغ ، لعين ابن لعين ؟ راجع الجزء الثامن ص ٣٠٦

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجة والمنذري .

(٢) لعل الصحيح : من كساه الحياء ثوبه .

أو اتّهامه ذلك الإمام الطاهر سيِّد العترة بكتاب كتبه هو في قتل محمَّد بن أبي بكر وأصحابه وتعذيبهم وتنكيلهم ، فينكر ما كتب ويقول له عليه السلام : أتّهمك وأتّهم كاتبي مروان ؟ .

أو قوله للإمام عليه السلام : لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سُلّماً وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأ ؟ أو قوله له عليه السلام لمّا كلّمه في أمر عمّار ونفيه إيّاه : أنت أحقُّ بالنفي منه ؟ .

أو قوله لأصحابه مروان ومن كان على شاكلته يستشيرهم في أمر أبي ذر : أشيروا عليَّ في هذا الشيخ الكذّاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله ؟ وملأ مسامع الصحابة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ما أظلّت الخضراء ، وما أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر إلى كلمات أُخرى له صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء عليه ، راجع الجزء الثامن ص٣٦٣

أو قوله لعمّار لمّا سمع منه ـ رحم الله أبا ذر من كلِّ أنفسنا ـ : يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره ؟ وأمر فدفع في قفاه ، وعمّار كما عرفته في هذا الجزء ص ٣٨ إلى ٤٦ جلدة ما بين عيني رسول الله وأنفه ، وهو الطيِّب المطيّب ، مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، اختلط الإيمان بلحمه ودمه ، يدور مع الحقِّ حيث دار ، وقد جاء الثناء عليه في الذكر الحكيم .

إذا كان حقّاً ما يدّعيه عثمان لنفسه[1] من أنّه لم يمسّ فرجه بيمينه منذ بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً ليد النبيِّ الكريمة ؟ فليت شعري لماذا طفق يلوك بلسانه إسم أير ياسر أبي عمّار ؟ وطالما لهج بأحاديث النبوّة به ، ورتّل كتاب الله ترتيلاً ، أما كان عليه أن يكفَّ لسانه عن البذاءة كرامةً للكتاب والسنّة ، كما ادّعى كلاءة نفسه عن مسِّ فرجه كرامةً ليد النبوّة ؟ إن لم يُداهمنا هنالك من يُنكر دعواه في اليد قياساً على ما شوهد منه في اللسان مرّة بعد أُخرى .

أيصلح شاهداً لذلك قوله على صهوة المنبر بين ملأ المسلمين في ابن مسعود

---

(١) يأتي حديثه بتمامه .

لمّا قدم المدينة : ألا إنَّه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ؟ وابن مسعود أحد الذين أطراهم الكتاب العزيز ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدياً ودلاًّ وسمتاً . راجع ما مرَّ في هذا الجزء ص ٢٠ ـ ٢٥ .

أو قوله لعبد الرّحمٰن بن عوف : إنَّك منافق[١] ؟ وهو أحد العشرة المبشّرة فيما يحسبون .

أو قوله لصعصعة بن صوحان : البجباج النفّاج ؟ وهو ذلك السيِّد الخطيب الفصيح الديّن كما مرَّ في ٦٣ جزء .

أو شتمه المغيرة بن الوليد المخزومي لمّا دافع عن عمّار حينما ضربه عثمان حتّى غُشي عليه ؟

أو قوله في كتابه إلى معاوية: إنَّ أهل المدينة قد كفروا ؟ أو قوله في كتاب آخر له : فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأُحد ؟ وهو يريد الأنصار الذين آووا ونصروا ، والمهاجرين الذين صدَّقوا واتّبعوا ، وهم الذين يحسب أتباع الخليفة أنَّ كلّهم عدول ، ولم يكن بينهم متخلّف عن النقمة عليه إلاّ ثلاثة أو أربعة حفظ التاريخ ترجمة حياتهم الموصومة .

أو قوله في كتابه إلى الأشتر وأصحابه: إنّي قد سيَّرتكم إلى حمص ، فإنَّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً .

أو قوله المائن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم ؟ يقول ذلك بعدما عهد على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنَّة ، وكتب بهذا كتاباً وشهد عليه أُمّة من الصحابة بعدما اعترف بهناته بين الملأ وأظهر الندامة منها وتاب عنها ولذلك كلّه رجع المصريُّون وغيرهم من الثائرين عليه إلى بلادهم ، وكان يحنث عهده وينقض توبته بتلبيس أبالسته مروان ونظرائه ، فهل يفعل مثل هذا من تردّى بأبراد الحياء ؟

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ ، الصواعق: ص ٦٨ .

أو مقارفته ليلة وفاة أُمّ كلثوم كريمة النبيِّ الأقدس ؟ وكان ذلك ممقوتاً جدّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انَّه ألمح إليه بقوله : هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة ؟ فمنعه بذلك عن دفن حبيبته ، وألصق به هوان الأبد .

أو تربّعه على صهوة منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا استخلف ؟ وكان أبو بكر يجلس دون مقامه صلى الله عليه وآله وسلم بمرقاة ثمّ عمر دونه بمرقاة ، وكان من حقِّ عثمان الذي كان أشدّ حياءً من صاحبيه أن لا يطأ ذلك المرتقى ، وأن يتّبع ولا أقل سيرة الشيخين في الحياء والأدب ، لكنَّه .....

أو مخالفته الكتاب والسنَّة ؟ كما كتب المهاجرون الأوَّلون وبقيَّة الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين : أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها فإنَّ كتاب الله قد بُدّل ، وسنَّة رسوله قد غُيّرت[1] . وكتبوا إلى الصحابة في الثغور : إنَّ دين محمّد قد أفسده من خلفكم وترك ، فهلمُّوا فأقيموا دين محمَّد ﷺ ورفعت عائشة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تقول : تركت سنَّة رسول الله صاحب هذا النعل. وتقول: ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيِّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعدُ . وتقول : عثمان قد أبلى سنّة رسول الله . وتقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً إنَّهُ قد كفر . إلى كلمات أُخرى لها ولغيرها في مخالفة الرجل الكتاب والسنَّة .

أو إعرابه عن تلكم الآراء الشاذّة عن الكتاب والسنَّة في الصَّلاة والصِّلات والصدقات والأخماس والزكوات والحجّ والنكاح والحدود والديات بلهجة شديدة بمثل قوله : هذا رأيٌ رأيته . وقوله : لنأخذنَّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام هذا مال الله أُعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم . فقال له عليٌّ إذن تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه . وقال عمّار : أُشهد الله إنَّ أنفي أوَّل راغم من ذلك . أو قال : أنا والله أوَّل من رغم أنفه من ذلك . راجع صفحة ٢٩ من هذا الجزء .

---

(١) راجع ما مرَّ ص ١٩٢ من هذا الجزء .

أو حثّه الناس على الأخذ بتلكم الآراء المنتئية عن ناموس الإسلام المقدّس حتى قال له أمير المؤمنين لمّا قال له عثمان : لا تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت ؟ لم أكن لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس ؟ أو قال له : لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك . وكاد أمير المؤمنين يُقتل من جرّاء تلك الاحدوثة ، مرَّ حديثه في ج ٦ ص ٢٦١ وج ٨ ص ١٦٢

وقد فتح بذلك باب الجرأة على الله والتقوّل عليه بمصراعيه فجاء بعده معاوية ومروان وأبناء أبيه الآخرون يلعبون بدين الله لعبة الصبيان بالدُّوّامة[1] .

أو إيواؤه عبيدالله بن عمر لمّا قتل نفوساً أبرياء ولم يقتصّ منه ونقم عليه بذلك جلُّ الصحابة - لو لم نقل كلّهم - ممّن يُؤْبه به وبرأيه ؟!

أو تعطيله الحدَّ على الوليد بن عقبة لرحمه وقرابته منه وقد شرب الخمر وقاء في محراب المسجد الأعظم بالكوفة ، حتّى وقع التحاور والتحارش بين المسلمين ، واحتدم الحوار والمكالمة وتضاربوا بالنعال ؟ مرَّ في الجزء الثامن ص ١٥١ - ١٥٥ .

أو تسليطه بني أُميّة رجال العيث والفساد أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على رقاب الناس ونواميس الإسلام المقدّسة وتوطيده لهم الملك العضوض ؟ وتأسيسه بهم حكومة أمويّة غاشمة في الحواضر الإسلاميّة ؟ كما فصّلنا القول فيه في الجزء الثامن ص ٣٣٦ - ٣٧٠

أو ردُّه إلى المدينة وإيواؤه عمّه وأبناؤه وكان قد طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنزيهاً لتلك الأرض المقدّسة من أُولئك الأدناس الأرجاس ؟ .

أو تفويضه الصالح العام إلى مروان المهتوك ؟ وتطوّره في سياسة العباد بتقلّباته ؟ كأنَّ بيده مقاليد أُمور الامّة حتّى قال له مولانا أمير المؤمنين : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة يُقاد

---

(١) لعبة من خشب يلف الصبيّ عليها خيطاً ثمّ ينقضه بسرعة فتدوم أي تدور على الأرض . وفي اللغة الدارجة : مرصع . وشاخة .

حيث يُسار به ؟ وقال : ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك ، وإنّي لأراه سيوردك ثمَّ لا يُصدرك .

أو كتابه إلى وُلاته في قتل صلحاء الأُمّة وحبسهم وتنكيلهم وتعذيبهم ؟ .

أو تسييره عباد الله الصالحين من الصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان من معتقل إلى معتقل ، ونفيهم عن عقر دورهم من المدينة والبصرة والكوفة ، وإيذائهم بكلِّ ما يمكنه من ضرب ووقيعة وتنكيل ؟

مشـرَّدين نفـوا عن عقـر دارهم كـأنّهم قـد جنـوا مـا ليس يغتفـر

حتى هلك في تسييره سيِّد غفار أبو ذر الصدِّيق المصدَّق بعدما تسلّخ لحوم أفخاذه من الجهد في تسييره .

هذه نبذٌ يسيرة قرأناها في صحيفة حياء الخليفة ليعطي الباحثُ الممعن فيها للنصفة حقّها ، فيصدق السائل في جوابه ، فهل يجد في شيء منها دلالة على تلفُّح الرجل بشيء من أبراد الحياء ؟ أو يجدها أدلّة واضحة على فقده لهاتيك الملكة الفاضلة ؟ ويجده متردِّياً بضدِّ هذه الغريزة في كلِّ تلكم الأحوال ؟ وعلى هذه فقس ما سواها .

على أنَّ أبا بكر كان أولى بالإستحياء منه إن صحَّ ما مرَّ في الجزء السابع ص ٢٨٠ من رواية استحياء الله منه ، وتكذيبه نبيَّه استحياءً من أبي بكر(١) ؟ فكيف لم يهتش صلى الله عليه وآله وسلم له ولم يُبال به ويهتش لعثمان .

لنا كرَّةٌ ثانية لرواية الحياء من ناحية أُخرى فإنَّ مختلق هذه الأفيكة أعشاه الحبُّ المعمي والمصمّ حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أنَّ لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبيِّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ـ والعياذ بالله ـ حيث نسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم الكشف عن أفخاذه بمنتدى من صحابته غير مكترث لحضورهم حتّى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة فاستحى منه وسترها ، ونحن نقول أوّلاً : إنَّ هذا

---

(١) من المخازي المفتعلة كما مرَّ تفصيله .

الفعل ممّالا يرتكبه عظماء الناس ورجالات الامم وإنّما تجيء بمثله الطبقات الواطئة من أذناب الأعراب ، فنبيُّ العظمة الذي يهزأ بالطود في وقاره ، ويُزري بالبحر في معارفه ، وكان كما وصفه أبو سعيد الخدري ، أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها(١) وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . وقد أدَّبه الله تعالى فلم يدع فيه من شائنة ، وهذّبه حتّى استعظم خلقه الكريم بقوله تعالى : ﴿إنّك لعلى خُلق عظيم﴾ ، لا يستسيغ ذو لبٍّ مؤمن به وبفضله أن يعزو إليه مثل هذا التخلّع الشائن .

على أنَّ الشريعة التي صدع بها جعلت الأفخاذ عورة وأمرت بسترها ، أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده ج ٥ ص ٢٩٠ بالإسناد عن محمّد بن جحش ختن النبيِّ ﷺ : إنّ النبيَّ ﷺ مرَّ على معمّر بفناء المسجد محتبياً كاشفاً عن طرف فخذه فقال له النبيُّ ﷺ : خمّر فخذك يا معمّر ! فإنَّ الفخذ عورة .

وفي لفظ بإسناد آخر من طريق ابن جحش قال: مرَّ النبيُّ ﷺ وأنا معه على معمَّر وفخذاه مكشوفان ، فقال : يا معمَّر ! غطّ فخذيك فإنَّ الفخذ عورة .

وأخرجه البخاري بهذا الطريق وطريقي إبن عبّاس وجرهد في صحيحه باب ما يذكر في الفخذ ج ١ ص ١٣٨ ثمَّ ذكر من طريقي أنس أنَّ النبيَّ ﷺ حسر عن فخذه ، فقال : حديث أنس أسند ، وحديث جرهد أحوط ، وأخرجه من طريق ابن جحش في تاريخه ج ١ «قسم» ١ ص ١٢ ، وأخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ ، والحاكم في المستدرك ج ٤ ص ١٨٠ .

قال إبن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٤٤٨ : أخرجه أحمد والحاكم وصحّحه ، وأخرجه ابن قانع من وجه آخر عن الأعرج عن معمّر أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ به وهو كاشف عن فخذه. الحديث .

وقال العسقلاني في فتح الباري ج ١ ص ٣٨٠ : رجاله رجال الصحيح غير أبي كثير فقد روى عنه جماعةٌ لكن لم أجد فيه تصريحاً بتعديل ، وقد أخرج ابن قانع هذا الحديث من طريقه أيضاً . ووقع لي حديث محمَّد بن جحش مسلسلاً

---

(١) أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه باب صفة النبي ج ٥ ص ٢٠٣ ، ومسلم في صحيحه ج ٧ ص ٧٨ .

بالمحمَّدين من ابتدائه إلى انتهائه وقد أمليته في الأربعين المتباينة .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٥٢ عن أحمد والطبراني في الكبير فقال : رجال أحمد ثقاتٌ .

٢ ـ عن عليّ رضي الله عنه مرفوعاً : لا تُبرز فخذك ـ فخذيك ـ ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميِّت أخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ ، والحاكم في المستدرك ج ٤ ص ١٨٠ والبزّار كما في نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٨ .

٣ ـ عن جرهد الأسلمي قال : مرَّ رسول الله ﷺ وعليَّ بردة وقد انكشفت فخذي وقال : غطّ فخذك فإنَّ الفخذ عورة .

أخرجه البخاري في صحيحه كما سمعت تعليقاً ، ورواه مالك في الموطَّأ وأبو داود وأحمد والترمذي وقال : حسن . وذكره القسطلاني في إرشاد الساري عن مالك والترمذي فقال : وصحَّحه ابن حبّان ، وذكر الشوكاني في نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٠ تصحيح ابن حبّان إيّاه ، وأخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ من طريقين ، والحاكم في المستدرك ج ٤ ص ١٨٠ .

٤ ـ عن إبن عبّاس : مرَّ رسول الله ﷺ على رجل وفخذه خارجة . فقال : غطّ فخذيك ، فإنَّ فخذ الرجل من عورته .

أخرجه البخاري تعليقاً كما مرَّ ، ورواه الترمذي وأحمد في مسنده ج ١ ص ٢٧٥ ، والبيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ فقال : قال الشيخ : وهذه[1] أسانيد صحيحة يُحتجُّ بها ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ١٨١ .

٥ ـ أخرج الدارقطني في سننه من طريق عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ مروا صبيانكم بالصَّلاة في سبع سنين واضربوهم عليها في عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع ، وإذا زوَّج أحدكم أمته عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرَّة وفوق الركبة ، فإنَّ ما تحت السرَّة إلى الركبة من العورة .

---

(١) يعني أسانيد حديث ابن جحش وجرهد وابن عباس

وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٨٧ ولفظه : فلا ينظرنَّ إلى شيء من عورته فإنَّما أسفل من سرَّته إلى ركبتيه من عورته . وذكره الزيلعي في نصب الراية ج ١ ص ٢٩٦ نقلاً عن الدارقطني وأبي داود وأحمد والعقيلي فقال : وله طريق آخر عند ابن عدي في الكامل . وأخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٩ من أربعة طرق ، وذكره القسطلاني في إرشاد الساري ج ١ ص ٣٨٩ .

٦ - أخرج الدارقطني في سننه ص ٨٥ ، والبيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٩ من طريق أبي أيُّوب مرفوعاً : ما فوق الركبتين من العورة وما أسفل من السرَّة من العورة .

وذكره الزيلعي في نصب الراية ج ١ ص ٢٩٧ .

هذه الأحاديث أخذها الأعلام أئمَّة الفقه والفتيا وذهبوا إلى أنَّ الفخذ عورة وهو رأي أكثر العلماء كما قال النووي(١) والجمهور كما قاله القسطلاني والشوكاني(٢) قال ابن رشد في بداية المجتهد ج ١ ص ١١١ : ذهب مالك والشافعي إلى أنَّ حدَّ العورة مِن الرجل ما بين السرَّة إلى الركبة وكذلك قال أبو حنيفة . وقال قومٌ : العورة هما السوءتان فقط من الرجل ، وسبب الخلاف في ذلك أثران متعارضان كلاهما ثابتٌ ، أحدهما حديث جرهد : انَّ النبيَّ ﷺ قال : الفخذ عورةٌ . والثاني : حديث أنس أنَّ النبيَّ ﷺ حسر عن فخذه وهو جالسٌ مع أصحابه . ثمَّ ذكر قول البخاري المذكور .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ١ ص ٣٨٩ : قال الجمهور من التابعين وأبو حنيفة ومالك في أصحِّ أقواله ، والشافعي وأحمد في أصحِّ روايتيه ، وأبو يوسف ومحمَّد : الفخذ عورةٌ . وذهب ابن أبي ذئب وداود وأحمد في إحدى روايتيه والاصطخري من الشافعية وابن حزم إلى أنَّه ليس بعورة .

وفي الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ١٤٢ : أمّا عورة الرجل خارج الصَّلاة فهي ما بين سرَّته وركبته فيحلُّ النظر إلى ما عدا ذلك من بدنه مطلقاً عند

(١) فتح الباري ج ١ ص ٣٨٢ ، نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) إرشاد الساري ج ١ ص ٣٨٩ ، نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٠ .

أمن الفتنة . وفيه : قال المالكيَّة والشافعيَّة : إنّ عورة الرجل خارج الصَّلاة تختلف باختلاف الناظر إليه فبالنسبة للمحارم والرجال هي ما بين سرَّته وركبته ، وبالنسبة للأجنبيَّة منه هي جميع بدنه ، إلاّ أنَّ المالكيّة استثنوا الوجه والأطراف وهي الرأس واليدان والرجلان فيجوز للأجنبيَّة النظر إليها عند أمن التلذّذ ، وإلاّ منع ، خلافاً للشافعيَّة فإنَّهم قالوا : يحرم النظر إلى ذلك مطلقاً .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٩ بعد ذكر حديث عليّ أمير المؤمنين المذكور مرفوعاً ، والحديث يدلّ على أنَّ الفخذ عورة ، وقد ذهب إلى ذلك العترة والشافعي وأبو حنيفة ، قال النووي : ذهب أكثر العلماء إلى أنَّ الفخذ عورةٌ وعن أحمد ومالك في رواية : العورة القبل والدبر فقط «إلى أن قال :» والحقّ أنَّ الفخذ مِن العورة ، وحديث عليّ هذا وإن كان غير منتهض على الإستقلال ففي الباب من الأحاديث ما يصلح للإحتجاج به على المطلوب . وقال بعد ذكر حديث جرهد : الحديث من أدلَّة القائلين بأنَّ الفخذ عورة وهم الجمهور . ا هـ .

هب أنَّ النهي عن كشف الأفخاذ تنزيهيٌّ إلاّ أنَّه لا شكَّ في أنَّ سترها أدبٌ من آداب الشريعة ، ومن لوازم الوقار ، ومقارنات الأُبَّهة ، ورسول الله ﷺ أولى برعاية هذا الأدب الذي صدع به هو ، قال ابن رشد في تمهيدات المدوَّنة الكبرى ج ١ ص ١١٠ : والذي أقول به إنَّ ما روي عن النبيِّ عليه الصّلاة والسَّلام في الفخذ ليس باختلاف تعارض ومعناه أنَّه ليس بعورة يجب سترها فرضاً كالقبل والدبر وأنَّه عورة يجب سترها في مكارم الأخلاق ومحاسنها ، فلا ينبغي التهاون بذلك في المحافل والجماعات ولا عند ذوي الأقدار والهيئات ، فعلى هذا تستعمل الآثار كلّها واستعمالها كلّها أولى من اطِّراح بعضها . ا هـ .

فعلى كِلا التقديرين نحاشي نبيَّ العظمة والجلال أن يكشف عن فخذيه في الملأ غير مكترث للحضور ـ وهو أشدُّ حياءً من العذراء ـ ولا يأبه بهم حتّى أن يأتي رضيع ثدي الحياء ، وربيب بيت القداسة ، وليد آل أُميّة ، أشدُّ الامّة حياءً ، وقد قتلته أفعاله النائية عن تلك الملكة الفاضلة .

ولا يهولنّك وجود الرواية في الصحيحين فإنّهما كما قلنا عنهما علبتا السفاسف وعيبتا السقطات وفيهما من المخازي والمخاريق ما شوَّه سمعة التأليف ،

وفتَّ في عضد علم الحديث ، ولعلّنا سوف نُدعم ما ادّعيناه بالبرهنة الصادقة إن شاء الله تعالى ، وليتهما اقتصرا من الخزاية على رواية كشف الفخذ فحسب ولم يُخرجا تعرِّيه صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس ، أخرج البخاري في صحيحه باب بنيان الكعبة ج ٦ ص ١٣ ، ومسلم في صحيحه ج ١ ص ١٨٤ من طريق جابر بن عبدالله قال : لمّا بُنيت الكعبة ذهب النبيُّ ﷺ وعبّاس ينقلان حجارة ، فقال العبّاس للنبيِّ ﷺ : إجعل إزارك على عاتقك يقيك مِن الحجارة . ففعل ، فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السّماء ، ثمَّ قام فقال : إزاري إزاري فشدَّ عليه إزاره .

وفي لفظ لمسلم : إنَّ رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العبّاس عمّه : يا بن أخي ! لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة . قال : فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيّاً عليه ، قال : فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً .

وفي قصّة لابن هشام في السيرة ج ١ ص ١٩٧ قال : كان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي ، يُحدِّث عمّا كان يحفظه به في صغره وأمر جاهليّته أنّه قال : لقد رأيتُني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلّنا قد تعرَّى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنِّي لأُقبل معهم كذلك وأُدبر ، إذ لكمني لاكمٌ ما أراه لكمةً وجيعة ثمَّ قال : شدَّ عليك إزارك ، قال : فأخذته وشددته عليَّ ، ثمَّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزاري عليَّ من بين أصحابي .

هلمُّوا معي أيُّها المسلمون جميعاً نسائل هذين الرجلين - صاحبي الصحيحين - أهذا جزاء نبيِّ العظمة على جهوده ؟ وحقّ شكره على إصلاحه ؟ أهذا من إكباره وتعظيمه ؟ أصحيحٌ أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كان يمشي بين ملأ العمّال عارياً قد نضا عنه ثيابه ، وألقى عنه إزاره ، غير ساتر عن الحضور عورته ؟ وكان عمره صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ خمساً وثلاثين سنة كما قال ابن اسحاق[1] .

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٩ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٢٧ ، عيون الأثر ج ١ ص ٥١ ، وما في فتح الباري ج ٧ ص ٥ نقلاً عن ابن إسحاق أنّ عمره كان خمساً وعشرين سنة فغير صحيح والذي صحّ عنه خمس وثلاثون .

هب أنَّ رواة السوء أخرجوه لغاية مستهدفة لكن ما المبرِّر للرجلين أن يستصحّاه ويُثبتاه في صحيحهما كأثر ثابت ؟ من أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان أشدُّ حياءً من العذراء[١] ؟ وهل تجد في العذراء مَن يستبيح هذه الخلاعة ؟ لاها الله ، لا ها الله .

أوَ يحسبان صاحب هذا المجون غير نبيِّ الإسلام الذي نهى جرهداً ومعمّراً عن كشف فخذيهما لأنَّهما عورة ؟ أو ينهى صلى الله عليه وآله وسلم عن كشف الفخذ يوماً ويكشف هو عمّا فوقها يوماً آخر ؟ أوَ من الهيِّن أن نعتقد أنَّ الفخذ عورةٌ لكن ما يعلوها من السوءة ليس بعورة ؟ .

هلمَّ معي نعطف النظرة بين ما أثبته الصحيحان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ما جاء به أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٤ عن الحسن البصري أنّه ذكر عثمان وشدَّة حيائه فقال : إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه[٢] انظر إلى حياء نبيِّ العصمة والقداسة ، وحياء وليد الشجرة الملعونة في القرآن ، وشتّان بينهما ؟ .

أوَ ليس هذا النبيُّ الأعظم هو الذي سأله معاوية بن حيدة فقال له : يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : إحفظ عورتك إلّا من زوجتك أو ما ملكت يمينك . قال : فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : إن استطعت أن لا يراها أحدٌ فلا يرينها . قال : فإذا كان أحدنا خالياً ؟ قال فالله تبارك وتعالى أحقّ أن يُستحيا منه[٣] .

لقد أغرق صلى الله عليه وآله وسلم نزعاً في ستر العورة حتّى انَّه لم يرض بكشفها والمرء خال حياءً من الله تعالى ، واستدل به مَن قال : إنَّ التعرِّي في الخلاء غير جائز مطلقاً[٤]

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء صفحة ٣١٩ .

(٢) وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ، والمحب الطبري في الرياض ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) قال ابن تيمية في المنتقى : رواه الخمسة إلا النسائي . نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٧ .

(٤) راجع نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٧ .

لكن مَن عذيري من صاحبي الصحيحين حيث يحسبان أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كشفها بملأ مِن الأشهاد ؟ والله من فوقهم رقيب. وعلى فرضه ـ وهو فرض محال ـ فأين الحياء المربي على حياء العذراء ؟ وأين الحياء من الله ؟ غفرانك اللهمَّ هذا بهتانٌ عظيم .

هل يحسب الشيخان أنَّ ذلك الحياء فاجأه صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الوقائع أو الفظائع ، وما كان غريزة فيه منذ صيغ في بوتقة القداسة ؟ إن كانا يزعمان ذلك ، فبئس ما زعما ، وإنَّ الحقَّ الثابت أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان نبيّاً وآدم بين الروح والجسد[١] وقد اكتنفته الغرائز الكريمة كلّها منذ ذلك العهد المتقادم ، شرع سواء في ذلك وهو في عالم الأنوار ، أو : في عالم الأجنَّة ، وفي أدوار كونه رضيعاً وطفلاً ويافعاً وغلاماً وكهلاً وشيخاً ، صلى الله عليه وآله وسلم يوم وُلد ويوم مات ويوم يُبعث حيّاً .

أوَ ليس مسلم هو الذي يروي من طريق المسور بن مخرمة أنَّه قال : أقبلت بحجر ثقيل أحمله وعليَّ إزارٌ خفيفٌ فانحلَّ إزاري ومعي الحجر لم استطع أن أمنعه حتّى بلغت به إلى موضعه ، فقال رسول الله ﷺ : إرجع إلى إزارك فخذه ولا تمشوا عراة[٢] .

أفمن المستطاع أن يقال : إنَّه صلى الله عليه وآله وسلم ينهى مسوراً عن المشي عارياً ويزجره عن حمل الحجر كذلك ويرتكب هو ما نهى عنه ؟ إنَّ هذا لشيء عجاب .

وأعجب منه أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى أنَّ المشرك إذا شاهد الناظر المحترم لم يكشف عن عورته فكيف هو بنفسه ، جاء في السير في قصَّة الغار : إنَّ رجلاً كشف عن فرجه وجلس يبول فقال أبو بكر : قد رآنا يا رسول الله ! قال : لو رآنا لم يكشف عن فرجه .

[فتح الباري ج ٧ ص ٩]

---

(١) لهذا الحديث عدّة ألفاظ من طريق ميسرة وأبي هريرة وابن سارية وابن عبّاس وأبي الجدعاء ، وأخرجه ابن سعد ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري في التاريخ ، والبغوي ، وابن السكن ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية والدلائل ، وصحّحه الحاكم ، والترمذي حسنه وصححه ، وابن حبان في صحيحه ، وابن عساكر ، وابن قانع ، والدارمي في السنن ، راجع كشف الخفا للعجلوني ج ٢ ص ١٢٩ ، والجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٠٥ : وفي ط مشكول ج ١ ص ١٧٤ .

وأعجب من الكلّ أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى لعورة الصغير حرمة كما جاء في صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٥٧ من طريق محمّد بن عياض قال : رُفعت إلى رسول الله ﷺ في صغري وعليَّ خرقة وقد كشفت عورتي فقال : غطُّوا حرمة عورته فإنَّ حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير ، ولا ينظر الله إلى كاشف عورة .

وأنّى يصحُّ حديث الشيخين إن صحَّ ما مرَّ عن ابن هشام ص ٢٨٦ من قصّة لعبه صلى الله عليه وآله وسلم مع الغلمان في صغره وقد حلَّ إزاره وجعله على رقبته ، إذ لكمه لا كمٌ فأروعه ، وهتف بقوله : شدَّ عليك إزارك ؟ أبعد تلكم اللكمة وذلك الهتاف عاد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما نُهي عنه لمّا كبر وبلغ مبلغ الرجال ؟

وكيف يتّفق حديث الشيخين مع ما أخرجه البزّار من طريق ابن عبّاس قال : كان ﷺ يغتسل وراء الحجرات وما رأى أحدٌ عورته قطّ ، وقال : إسناده حسنٌ[١] .

وأبلغ من ذلك ما رواه القاضي عياض في الشفا ج ١ ص ٩١ عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قطُّ .

كوني أنتِ يا أُمّ المؤمنين حكماً عدلاً بيننا وبين رُواة السفاسف ، واحكمي قسطاً فيمن يعزو إلى بعلك المقدَّس ممّا يُربي بنفسه عنه كلّ سافل ساقط ، ويقولون : إنَّ رجلاً لم يرَ عورته قطُّ أحدٌ حتّى حليلته ، وأنتِ من أطلع النّاس على خلواته وسرّيّاته كان يحمل الحجر بين العمّال عارياً وقد حلَّ إزاره وجعله على منكبيه .

أيُّهما صحيحٌ عنكِ يا أُمَّ المؤمنين ممّا أسندوه إليك ؟ أحديثك هذا ؟ أم ما حدَّثت به ـ إن كنتِ حدَّثتِ به ـ من حديث عثمان مشفوعاً بما ثبت عن بعلكِ صلى الله عليه وآله وسلم من أنَّ الفخذ عورةٌ ؟ .

وكأنّي بأُمّ المؤمنين تقول : حسبك، أيُّها السائل لقد مُنيت بالكذابة كما مُني بها بعلي صلى الله عليه وآله وسلم قبلي ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلّا كذباً .

---

(١) راجع فتح الباري ج ٦ ص ٤٥٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٤ ص ٢٨٤ .

وسيعلم المبطلون غبَّ ما فرطوا في جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غلوّاً في فضائل أُناس آخرين ، ونعم الحَكم الله غداً والخصيم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم .

ليت شعري هل كانت عائشة تعتقد باستقرار ملكة الحياء في عثمان في كلِّ تلك المدَّة التي روت عن اولياتها حديث الفخذين ، وطفقت في أُخرياتها تثير الناس على عثمان وتقول فيه تلكم الكلم القارصة الفظَّة التي أسلفناها في هذا الجزء صفحة ١٠١ ـ ١١١ ولم تفتأ حتّى أوردته حياض المنيَّة ، وهل كانت ترى استمرار حياء الملائكة منه طيلة ما بين الحدَّين ؟! أو أنَّها ترتئي انفصام عراه بتقطُّع حلقات ما أثبتت له من ملكة الحياء ؟ ولذلك قلبت عليه ظهر المجن ، فإن كان الأوَّل فما المبرِّر للهجاته الأخيرة ؟ وإن كان غيره ، فالحديث باطلٌ أيضاً لأنَّ تبجيل عالم الملكوت لا يكون إلّا على حقيقة مستوعبة لمدَّة حياة الإنسان كلّها ، والتظاهر بالفضل المنصرم لا حقيقة له تكبرها الملائكة وتستحي من جهتها ، هذا إن لم تُعد أُمُّ المؤمنين علينا جوابها الأوَّل مرَّة أُخرى من أنَّها مُنيت بالكذابة كما أنّه جوابها المطَّرد في كلِّ ما يُروى عنها من فضل عثمان وأنَّ كلّها من ولائد عهد معاوية المحشوِّ بالأكاذيب والمفتريات طمعاً في رضائخه .

٣ ـ أخرج الطبراني من حديث أبي معشر البراء البصري عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عمر بن أبان عن أبيه أبان بن عثمان بن عفان قال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثمَّ استأذن عمر فدخل ، ثمَّ استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثمَّ استأذن عثمان بن عفّان فدخل ورسول الله ﷺ يتحدَّث كاشفاً عن ركبته فردَّ ثوبته على ركبته حين استأذن عثمان وقال لامرأته : استأخري فتحدَّثوا ساعة ثمَّ خرجوا فقالت عائشة : يا نبيَّ الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخّرني عنك ؟ فقال النبيُّ ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إنَّ الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريبٌ منّي لم يتحدّث ، ولم يرفع رأسه حتّى يخرج .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٣ فقال : هذا حديثٌ غريبٌ وفي سنده ضعفٌ وأوعز الذهبي إليه في الميزان ج ٢ ص ٢٥٠ فقال : قال البخاري : في

حديث عمر بن أبان نظر .

قال الأميني : هذه الرواية لـدة ما أسلفنـاه من مسلم وأحمد مشفـوعاً بتفنيـده وإبطاله ونزيدك هـا هنا : إنَّ البـراء أبا معشـر البصري ضعَّفـه ابن معين ، وقال أبـو داود : ليس بـذاك[١] وفيها ابـراهيم بن عمر بصـريٌّ أمويٌّ حفيـد الممدوح قـال أبو حـاتم : ضعيفـ الحديث . وقـال ابن أبي حاتم : تـركـ أبو زرعـة حديثـه فلم يقرأه علينا . وقال ابن حبّان : لا يحتجّ بخبـره إذا انفرد[٢] وقـال ابن عدي : حـدَّثنا أبـو يعلى عن المقدمي عن أبي معشر عن ابـراهيم بن عمر بن أبـان بأحـاديث كلّها غيـر محفوظة منها : إنَّ النبيَّ ﷺ أسرَّ إلى عثمان أنَّه يقتل ظلماً[٣] .

٤ ـ أخرج الطبراني من طريق أبي مـروان محمّد بن عثمـان الأموي العثمـاني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن مالـك عن أبي الزنـاد (مولى بنت عثمان) عن الأعرج عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : عثمـان حييٌ تستحي منه الملائكة[٤] .

قال الأميني : في الإسناد أبو مروان محمّد قال صـالح الأسـدي : يروي عن أبيه المناكير ، وقال ابن حبّان : يخطىء ويخالف[٥] .

وفيـه عثمان بن خـالد قـال البخاري : عنـده مناكيـر . وقال النسـائي : ليس بثقـة . وقـال العقيلي : الغـالب على حـديثـه الـوهم . وقـال أبـو أحمـد : منكـر الحـديث : وقال ابن عـدي : أحاديثـه كلّها غيـر محفوظـة . وقال السـاجي : عنده منـاكير غيـر معروفـة . وقال الحـاكم وأبو نعيم : حـدّث عن مالـك وغيره بـأحاديث مـوضوعـة[٦] وقال ابن حبّـان : يروي المقلوبـات عن الثقـات لا يجـوز الإحتجـاج بـه[٧] ، وقــال السـنـدي في شـــرح سنن ابن مــاجــة ج ١ ص ٥٣ فـي حــديث

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣٠ .
(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٤ ، لسان الميزان ج ١ ص ٨٦ .
(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٨٢ .
(٤) تاريخ ابن كثير ج ٧ : ص ٢٠٣ .
(٥) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٣٦ .
(٦) روايته هذه عن مالك من تلكم الموضوعات .
(٧) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١١٤ .

يأتي : إسناده ضعيفٌ فيه عثمان بن خالد وهو ضعيفٌ باتّفاقهم .

وقد فصّلنا القول قُبيل هذا في حياء الرّجل بما لا مزيد عليه وبذلك تعلم أنّ الحديث باطلٌ وإن صحّ إسناده فكيف به وإسناده أوهن من متنه .

٥ ـ أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٦ من طريق هشيم أبي نصر التمّار عن الكوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : أشدُّ أُمّتي حياءً عثمان بن عفان .

قال الأميني : تغمرني الحيرة في حياء أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومبلغها منه بعد أن كان عثمان أشدّها حياءً وبين يديك أفعاله وتروكه ، فعلى الأُمّة العفا إن صدقت الأحلام . نعم : هذا لا يكون ، ونبيُّ العظمة لا يسرف في القول ، ولا يجازف في الإطراء ، والإسناد باطلٌ لا يعوَّل عليه لمكان كوثر بن حكيم قال أبو زرعة : ضعيفٌ . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال أحمد بن حنبل : أحاديثه بواطيل ليس بشيء . وقال الدارقطني وغيره : مجهولٌ . وقال أبو طالب : سألت أحمد عنه فقال : ليس هو من عيالنا ، وكان أحمد إذا لم يرو عن رجل قال : ليس هو من عيالنا متروك الحديث وقال : ضعيفٌ منكر الحديث . وقال الجوزجاني : لا يحلُّ كتابة حديثه عندي لأنّه متروكٌ . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه غير محفوظة . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ضعيف الحديث . قلت : هو متروكٌ ؟ قال : لا ، ولا أعلم له حديثاً مستقيماً وهو ليس بشيء . وقال ابن أبي شيبة : منكر الحديث . وقال أبو الفتح والساجي : ضعيفٌ . وقال البرقاني والدارقطني : متروك الحديث . وذكره العقيلي والدولابي وابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء . ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٥٩ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩١ .

٦ ـ أخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٦ من طريق زكريّا بن يحيى المقري(٢) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :عثمان أحيى أُمّتي وأكرمها .

قال الأميني : ما خطر أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إن كان أحياها وأكرمها قتيل الصحابة العدول إثر هناته وموبقاته ، وليد الشجرة الملعونة في القرآن ، وليد أبي العاص

(٢) في النسخة : المنقري .

وقد صحَّ عنه ﷺ في ولده قوله : إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً . وقد كان بلاغهم ثلاثين يوم عثمان وهو أحدهم ورأسهم ، وأسلفنا في ذلك قول أبي ذر الناظر إليه وإليهم من كَثب . فهل يثمر الشوك العنب ؟ لاها الله .

أيحسب الباحث أنَّ النبيّ ﷺ أسرَّ بهذه المنقبة الرابية إلى ابن عمر فحسب من بين الصحابة ؟ أم أعلن بها في ملأ من أصحابه وكان في الآذان وقر ؟ أم سمعوها ونسوها من يومهم الأوّل ؟ أم حفظوها ونبذوها وراء ظهورهم يوم تركوا جثمان أحيى الأُمّة وأكرمها منبوذاً ثلاثة أيّام في مزبلة من غير دفن ؟ ثمّ دفنه عدَّة أُناس ليلاً وما أمكنهم تغسيله وتكفينه وتجهيزه والصَّلاة عليه ، دُفن في مقبرة اليهود بعدما رُجم سريره وكُسر ضلعٌ من أضلاعه ، وعُفي قبره خوفاً عليه من النبش .

على أنَّ الإسناد لا يصحُّ لمكان زكريا بن يحيى وهو ضعيفٌ وشيخه يخطىء في الإسناد والمتن وقد أخطأ في أحاديث كثيرة ، وغرائب حديثه وما ينفرد به كثيرٌ . راجع تاريخ الخطيب البغدادي وميزان الإعتدال ولسانه .

٧ ـ أخرج ابن عساكر في ترجمة عثمان من طريق أبي هريرة مرفوعاً : الحياء من الإيمان وأحيى أُمَّتي عثمان .

ضعَّفه السيوطي في الجامع الصغير وأقرَّه المناوي راجع فيض القدير ج ٣ ص ٤٢٩ .

لفت نظر : يُعطينا سبر التاريخ والحديث خُبراً بأنَّ السيرة المطَّردة لرجال الوضع والإختلاق في شنشنة التقوُّل والإفتعال في الفضائل هي العناية الخاصَّة بالملكات التي كان يفقدها الممدوح رأساً . والمبالغة والإكثار في كلّ غريزة ثبت خلافها ممّا عُلم من تاريخ حياة الرجل ومن سيرته الثابتة المشهورة ، فنجدهم يبالغون في شجاعة أبي بكر بما لا مزيد عليه حتى حسبوه أشجع الصحابة ، وقد شهد مشاهد النبيِّ ﷺ كلّها وما سلَّ فيها سيفاً ، ولا نزل في معترك قتال ، ولا تقدَّم لبراز أيِّ مجالد ، وما رُئي قطّ مناضلاً ، وما شوهد يوماً في ميادين الحراب منازلاً ، فأكثروا القول فيها وجاؤوا بأحاديث خرافة في شجاعته رجاء أن يثبت له منها

شيءٌ تجاه تلك الدراية الثابتة بالمحسوس المشاهد(١) .

ويبالغون في زهده وتقواه وجعلوا كبده مشوية من خوف الله والدخان يتصاعد مِن فمه إلى السّماء مهما تنفّس ، ولم يثبت له ميزٌ في العبادة ولم يُروَ عنه الإكثار مِن الصَّوم والصّلاة ومن كلِّ ما يقرِّبه إلى الله زلفى(٢) .

ويبالغون في علم عمر وجعلوه أعلم الصحابة في يومه على الإطلاق وأفقههم في دين الله ، وحابوه تسعة أعشار العلم ، راجحاً علمه علم أهل الأرض ، علم أحياء العرب في كفَّة الميزان ، وجاؤوا فيه بكثير لدة هذه الخرافات(٣) والرجل قد ألهاه الصَّفق بالأسواق عن علم الكتاب والسنّة ، وكلُّ النّاس أفقه منه حتّى ربّات الحجال أخذاً بقوله وهو الصّادق المصدَّق فيه(٤) .

ويبالغون في إنكاره الباطل وبغضه الغناء ونكيره الشديد عليه ، وقد ثبت مِن شكيمته أنّه كان يتعاطاه ويجوِّزه(٥) .

ولمّا وجدوا أنَّ التاريخ الصحيح وما ثبت من سيرة عثمان ينفي عنه ملكة الحياء ويُمثِّله للمجتمع بما يضادُّها ، نسجوا له هذا النسج المبرم ، وأتوا بالمخازي ووضعت يد الإفتعال فيها ما سمعت من الأفائك ، حتى جعلوه أشدَّ أُمّة محمَّد حياء وأحياها وأكرمها ، حيياً تستحي منه الملائكة . فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر وعلم عمر سالبةٌ بانتفاء موضوعاتها ، وهي فيهم تُضاهي أمانة معاوية وعلمه الواردين فيما يُعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : كاد أن يبعث معاوية نبيّاً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربِّي . وقوله : الأُمناء سبعةٌ : اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمَّد ومعاوية(٦) .

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٢٢٧ ـ ٢٤٤

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠

(٣) راجع ما مرّ في الجزء السادس ص١٠٧، ٣٨٧ ، والجزء الثامن ص ٨٧ .

(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء السادس من «نوادر الأثر في علم عمر» .

(٥) راجع ما مرَّ في الجزء الثامن ص٨٩ - ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤

(٦) راجع الجزء الخامس من الغدير ص٣٧٤

ويُعرب عن أمانة معاوية ومبلغه من هذه الملكة الفاضلة ما رواه أبو بكر الهذلي قال : إنَّ أبا الأسود الدؤلي كان يُحدِّث معاوية يوماً فتحرَّك فضرط فقال لمعاوية استرها عليَّ . فقال : نعم . فلمّا خرج حدَّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحَكم ، فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكلّ أجوف ضروطٌ . ثمَّ أقبل على معاوية فقال : إنَّ امرأً ضعفت أمانته ومروءَته عن كتمان ضرطة لَحقيقٌ بأن لا يؤمَن على أُمور المسلمين .

الأغاني ج ١١ ص ١١٣ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٣٥١ . محاضرات الرّاغب ج ٢ ص ١٢٥ .

٨ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٢ من طريق الدارمي عن سعيد بن عبد الله الجرجسي عن محمَّد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عمرو بن أبان بن عثمان (الممدوح) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُري الليلة رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر . فلمّا قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلنا : أمّا الرجل الصالح فرسول الله ، وأمّا ما ذكر من نوط بعضهم ببعض فهم وُلاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الحاكم : قال الدارمي : سمعت يحيى بن معين يقول : محمَّد بن حرب يسند هذا الحديث والناس يحدّثون به عن الزهري مرسلاً إنَّما هو عمرو بن أبان ولم يكن لأبان بن عثمان إبنٌ يقال له عمرو .

قال الأميني : ألا تعجب من رؤياً رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدَّث بها في ملأ الصحابة ولم يسمعها منه صلى الله عليه وآله وسلم إلّا جابر بن عبدالله وهو لم يرتِّب عليها أيّ أثر عمليّ ، ولم يروها عنه إلّا حفيد عثمان عمرو بن أبان الذي لم يكن له وجودٌ ، أو اختلف في أنّه كان أو لم يكن ؟ نعم : ينبغي حقّاً أن يكون مستدرك الصحيحين أمثال هذه التافهات .

٩ - أخرج ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٣ عن أبي مروان محمّد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن عبدالرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه (مولى عائشة بنت عثمان) عن الأعرج عن أبي هريرة إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لكلِّ نبيّ رفيق في الجنّة ورفيقي فيها عثمان بن عفان .

رجال الإسناد :

١ - أبو مروان مرَّ الإيعاز إليه ص ٣٢٩ .

٢ - عثمان بن خالد ، أسلفنا في هذا الجزء ص **٣٢٩** كلمات الحفّاظ فيه وأنّه ليس بثقة ، وأحاديثه كلّها غير محفوظة ، وحدَّث بأحاديث موضوعة لا يجوز الإحتجاج به . ورواه الترمذي من طريق طلحة بن عبيدالله وقال : غريبٌ ليس إسناده بالقويِّ وهو منقطعٌ .

٣ - عبدالرَّحمٰن بن أبي الزناد ، قال يحيى بن معين : ليس ممّن يحتجُّ به أصحاب الحديث ليس بشيء . وقال ابن صالح وغيره عن ابن معين : ضعيفٌ . وقال الدوري عن ابن معين : لا يحتجُّ بحديثه . وقال صالح بن أحمد عن أبيه : مضطرب الحديث . وعن ابن المديني : كان عند أصحابنا ضعيفاً . وقال النسائي : لا يُحتجُّ بحديثه. وقال ابن سعد : كان كثير الحديث وكان يضعف لروايته عن أبيه .

[تهذيب التهذيب ج ٦ ص١٧١]

وبع ذلك كلّه فإنّي أستغرب هذه الرفاقة وانَّ الرجل بماذا اختصَّ بها وحصل عليها من دون الصحابة المقدَّمين ذوي الفضائل والمآثر ، وفي مقدَّمهم صنوه صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه وهو نفسه في الذكر الحكيم ، وأخوه المخصوص به في حديث المواخاة المعربة عن المجانسة بينهما في النفسيّات ، وهو الذابُّ الوحيد عنه في حروبه ومغازيه ، ومثله الأعلى في العصمة والقداسة بصريح آية التطهير ، وباب مدينة علمه في الحديث المتواتر .

فبماذا اختصَّ عثمان بهذه الرفاقة دون عليّ أمير المؤمنين ؟ ألمشاكلته مع صاحب الرسالة العظمى في النسب أو الحسب في العلم والتقوى والملكات

الفاضلة ؟ أو لاتّباعه ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم من كتاب أو سنّة ؟ وأنت متى استشففت ما تلوناه في هذا الكتاب من موارد الخليفة ومصادره ، وأخذه وردّه ، وأفعاله وتروكه ، تعلم مبوّأه من كلّ هاتيك الفضائل وتجد من المستحيل ما أثبتته له هذه الرواية الواهية بإسنادها الساقط ، تعالى نبيُّ العظمة عن ذلك علوّاً كبيراً .

ولست أدري لماذا ردَّ الله دعاء نبيِّه الأعظم في أبي بكر الوارد فيما أخرجه ابن عدي من طريق الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ : اللّهمَّ إنّك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنّة[1] .

نعم : هذا كحديث ابن ماجة هما سواسية في البطلان ، في إسناده محمّد بن الوليد القلانسي البغدادي . كذّابٌ يضع الحديث كما مرَّ في سلسلة الكذّابين ج ٥ ص ٣٢٣ ، ومصعب بن سعيد يحدِّث عن الثقات بالمناكير ويصحّف ، وكان مدلّساً لا يدري ما يقول وستوافيك ترجمته ، وعيسى بن يونس مجهولٌ لا يعرف .

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٩٧ من طريق عبيدالله بن عمرو القواريري البصري عن القاسم بن الحكَم بن أوس الأنصاري عن أبي عبادة الزرقي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز فقال : أنشدك الله يا طلحة ! أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكان كذا وكذا وليس معه من أصحابه غيري وغيرك فقال لك : يا طلحة ! إنّه ليس من نبيّ إلّا وله رفيقٌ من أُمّته معه في الجنّة وإنَّ عثمان رفيقي ومعي في الجنّة ؟ فقال طلحة : اللهمَّ نعم . قال : ثمَّ انصرف طلحة .

وفي لفظ أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٤ بالإسناد نفسه عن أسلم قال : شهدت عثمان رضي الله عنه يوم حُوصر في موضع الجنائز ولو أُلقي حجرٌ لم يقع إلّا على رأس رجل فرأيت عثمان رضي الله عنه أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام فقال : أيُّها الناس أفيكم طلحة ؟ فسكتوا . ثمَّ قال : أيُّها النّاس أفيكم طلحة ؟ فسكتوا . ثمَّ قال : يا أيُّها النّاس أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٤١٨ .

عبيدالله فقال له عثمان رضي الله عنه : ألا أراك ههنا ما كنت أرى أنَّك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرَّات ثمَّ لا تجيبني أُنشدك الله يا طلحة ! تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا كذا ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك ؟ قال : نعم . فقال لك رسول الله ﷺ : يا طلحة ! إنّه ليس مِن نبيّ إلاّ ومعه مِن أصحابه رفيقٌ مِن أُمَّته معه في الجنّة ، وإنَّ عثمان بن عفّان رضي الله عنه هذا يعنيني رفيقي معي في الجنَّة ؟ قال طلحة : اللهمَّ نعم . ثمَّ انصرف .

صحَّحه الحاكم وعقَّبه الذهبي فقال : قلت : قاسم هذا قال البخاري : لا يصحُّ حديثه . وقال أبو حاتم : مجهولٌ . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣١٢ وحكى عن البخاري وأبي حاتم ما ذكره الذهبي .

وفي الإسناد عبيدالله القواريري روى عنه البخاري خمسة أحاديث فحسب ، ومسلم أربعين حديثاً[١] وقد سمع منه أحمد بن يحيى مائة ألف حديث[٢] فما حُكم ذلك الحوش الحائش ممَّا جاء به القواريري بعدما لم يأخذ البخاري ومسلم منه إلاّ عدَّة أحاديث وضربا عن كلِّ ذلك صفحاً ؟ ومن المستبعد جداً عدم وقوفهما عليها .

وفيه : أبو عبادة الزرقي عيسى بن عبدالرَّحمٰن الأنصاري قال أبو زرعة : ليس بالقويِّ . وقال أبو حاتم : منكر الحديث ضعيف الحديث شبيهٌ بالمتروك لا أعلمه روى عن الزهري حديثاً صحيحاً . وقال البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقال إبن حبّان : يروي المناكير عن المشاهير فاستحقَّ الترك . وقال العقيلي : مضطرب الحديث . وقال الأزدي : منكر الحديث مجهولٌ . وقال إبن عدي : عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه . وقال ابن حبّان أيضاً : لا ينبغي أن يحتجَّ بما انفرد به[٣] .

قال الأميني : ولا يكاد يصحُّ انصراف طلحة مع إصراره الثابت في التشديد على عثمان إلى آخر نفس لفظه الرجل ، ولم يقنعه الإجهاز عليه حتّى انَّه منعه عن الدفن في مقابر المسلمين ، وجعل ناساً هناك أكمنهم كميناً ورموا حملة جنازته

---

(١) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤١ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤١ .
(٣) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢١٨ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٠٠ .

بالحجارة وصاحوا : نعثل نعثل . وقال طلحة : يُدفن بدير «سلع» يعني مقابر اليهود ، ولذلك قال مروان لمّا قتل طلحة لأبان بن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ، ومروان كان شاهداً عليه من كثَب(١) .

ومن العجيب أنَّ هذه المناشدة كانت في ذلك المحتشد الرحيب بمسمع مِن أُولئك الجمِّ الغفير وكان لو أُلقي الحجر لم يقع إلاّ على رأس رجل لكنَّها لم تكفىء أحداً منهم ، فهل كانوا معترفين بها معرضين عنها ؟ فأين العدالة المزعومة فيهم ؟ أو أنَّهم عرفوا بطلانها وما صدَّقوا الرجلين في دعواهما فتركوها في مِدحرة الإِعراض ؟ أو لم تكن هنالك مناشدةٌ قطُّ ؟ وهو أقرب الوجوه إلى الحقِّ .

ولو فرضنا أنَّها أكفأت طلحة كما يحسبه مختلق هذه الرواية فإنَّه لم يكن إلاّ إكفاءً وقتيّاً ثمَّ راجع طلحة رشده فعرف أنّها حجَّة داحضة فاستمرَّ على ما ثار له ، وثبت عنه من الثبات على عمله وتضييقه .

هذه غاية ما يمكن أن يقال متى تجشَّمنا لوضع هذه المزعمة في بقعة الإمكان ، ومن المستصعب ذلك أو المتعذّر ، وقد أسلفنا أنَّ الرفاقة المزعومة ليس من السَّهل تصديقها لعدم المجانسة بين الرفيقين قطّ ولو كان من جهة .

والرفاقة كالأُخوَّة والصحبة ـ المنبعثة ثلاثتها عن التجانس في الخُلق والمزايا ـ تخصُّ بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء مرفوعاً : يا عليُّ أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنَّة(٢) وهذا التخصّص تعاضده البرهنة الثابتة ، ويؤيِّد بالإِعتبار .

١١ ـ أخرج أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٦٥ ، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٩٧ من طريق شيبان بن فروخ عن طلحة بن زيد الدمشقي عن عبيدة(٣) بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : بينما نحن في بيت ابن حشفة في نفر من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبدالرَّحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص

---

(١) راجع ما مرَّ في هذا الجزء ص ١١٦ ـ ١٢٦ .
(٢) تاريخ الخطيب ج ١٢ ص ٢٦٨ .
(٣) في النسخة ها هنا وفيما يأتي : عبيد . والصحيح ما ذكرناه .

رضي الله عنهم فقال رسول الله ﷺ : لينهض كلّ رجل منكم إلى كُفْئه فنهض النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عثمان فاعتنقه وقال : أنت وليّي في الدنيا والآخرة .

صحّحه الحاكم وعقّبه الذهبي في تلخيصه وقال : قلت : بل ضعيفٌ فيه طلحة بن زيد وهو واهٍ عن عبيدة بن حسان شويخ مقلٌّ عن عطاء . وقال السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣١٧ : موضوعٌ ، طلحة لا يحتجُّ به ، وعبيدة يروي الموضوعات عن الثقات . ا هـ .

وذكره المحبُّ الطبري في رياضه النضرة ج ٢ ص ١٠١ ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ ساكتين عمّا في إسناده من الغمز شأنهما في فضائل مَن يحبّانه ويواليانه ، ولا يخفى عليهما قول أحمد : طلحة بن زيد ليس بذاك قد حدَّث بأحاديث مناكير . وقوله : ليس بشيء كان يضع الحديث لا يعجبني حديثه . وقول البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقول النسائي أيضاً : ليس بثقة متروك . وقول صالح بن محمّد : لا يكتب حديثه . وقول ابن حبّان : منكر الحديث لا يحلّ الإحتجاج بخبره . وقول الدارقطني والبرقاني : ضعيفٌ . وقول أبي نعيم : حدّث بالمناكير لا شيء . وقول الآجري عن أبي داود : يضع الحديث . ونسبة ابن المدائني ايّاه إلى وضع الحديث . وقول الساجي : منكر الحديث[١] .

كما لا يخفى على الرجلين رأي الحفّاظ في عبيدة بن حسان قال أبو حاتم : منكر الحديث . وقال ابن حبّان : يروي الموضوعات عن الثقات . وقال الدارقطني : ضعيفٌ .

[لسان الميزان ج ٤ ص ١٢٥]

والغرابة في هذه المماثلة والولاية المنبعثة عنها في الدنيا والآخرة ، وهي ليست بأقلَّ من الرفاقة التي أسلفنا القول فيها قُبيل هذا ، وإنّ من المؤسف جدّاً المقارنة بين رسول العظمة وبين من لم يقم الصحابة الأوّلون - كلّهم فيما يرتأون - له وزناً ، ولا رأوا لحياته قيمة ، ولا حسبوا لتسنّمه عرش الخلافة مؤهّلاً ، فلم يزل

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٦٥ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٦ ، اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٨١ ، ٣١٧ .

ممقوتاً عندهم حتى كبت به بطنته ، وأجهز عليه عمله ، كما قاله مولانا أمير المؤمنين[١] ولم يفتأ الصحابة مصرّين على مقته حتى أوردوه حياض المنيّة ، ولم تبرح أعماله مؤكّدة لعقائد الملأ الديني في همزه ولمزه حتى وقع من الأمر ما وقع .

ولا يسع قطُّ لعارف عرفان وجه المكافأة بين نبيِّ العظمة وبين عثمان ، فإنَّها إن كانت من ناحية النسب ، فأنّى هي ؟ هذا من شجرة طيّبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء ، وذلك من شجرة ملعونة في القرآن .

وإن كانت من حيث الحسب ، ففرّق بينهما فيه بُعد المشرقين ولا حرج ، هذا حسيبٌ . وذلك مُقشَّب الحسب ؟ وإن كانت من جهة الملكات الفاضلة والنفسيّات الكريمة، فالمشاكلة منتفيةٌ وهما طرفا نقيض ، هذا ناصح الجيب ، واري الزند[٢] لعلى خلق عظيم ، والآخر يحمل منها بين جنبيه ما عرَّفناك حديثه .

ونحن إن أخذنا ما جاء به القوم من قضايا الملكات فالبون بينهما شاسعٌ أيضاً ، فالنبيُّ الأقدس مثلاً عندهم كما مرَّ كان يكشف في الملأ عن ركبتيه وعن فخذيه وعمّا هو بينهما وبين سرَّته ولم يكن يبالي . وعثمان إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلقٌ ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ، كما مرَّ في حديث الحسن ص ٣٢٦ .

وإن فرضت المشاكلة من جانب الأخذ بالدين والعمل بما فيه من أفعال أو تروك ، فالتباين بينهما ظاهرٌ وأيُّ تباين ، ﴿**ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً**﴾ ؟[٣] هذا رسول التوحيد أسلم وجهه لله وهو محسن ، يعبد ربَّه مخلصاً له الدين تحت راية لا إلّه إلّا الله ، وقُرط أُذنه قوله تعالى : ﴿**قل الله ثمَّ ذرهم**﴾ ، وورد لسانه : ﴿**وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت**﴾ .وأمّا عثمان فهو أسير هوى مروان ومعاوية وسعيد ومن شاكلهم من أبناء

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص٩٨

(٢) رجل ناصح الجيب أي صادق أمين ، نقي القلب لا غش فيه . ويقال . واري الزند . في المبالغة في الكرم والخصال المحمودة .

(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٢٨ .

بيته ، يسير مع ميولهم وشهواتهم ، حتى قال مولانا أمير المؤمنين : ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك، وإنَّ مَثلك مثَل جمل الظعينة سار حيث يُسار به[1] قدم ربَّه وقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً ، كسب سيِّئة وأحاطت به خطيئته .

إيه إيه يا نبيَّ العظمة أنزلك الدهر ثمَّ أنزلك حتّى جعلك كُفو عثمان بعدما اختارك ربّك واصطفاك من بريّته وجعلك لسان صدق نبيّاً ، هذا جزاؤك من أُمّتك جزاء سنمار ، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾ .

لفت نظر :

وضعت يد الأمانة الخائنة على ودائع الإسلام المقدَّس هذه الرواية تجاه ما صحَّ عن النبيِّ الأقدس في صنوه الطاهر أمير المؤمنين في حديث طويل عن إبن عبّاس من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام : أنت وليي في الدنيا والآخرة .

أخرجه أحمد في مسنده ج١ ص ٣٣١ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات كما مرَّ الإيعاز إليه في الجزء الأوَّل ص ٧٥ ، وفي الجزء الثالث ص ٢٤٥ رجاله :

١ ـ يحيى بن حمَّاد أبو بكر البصري ، أحد رجال الصحيحين ، وثَّقه ابن سعد وأبو حاتم وابن حبان والعجلي .

٢ ـ أبو عوانة الوضّاح اليشكري ، من رجال الصحيحين . وثَّقه أبو زرعة وأبو حاتم وأحمد وابن حبّان وابن سعد والعجلي وابن شاهين . وقال ابن عبد البرّ : أجمعوا على أنّه ثقةٌ ثبتٌ حُجَّة .

٣ ـ أبو بلج يحيى بن سليم الواسطي . وثَّقه ابن معين وابن سعد والنسائي والدارقطني وابن حبّان وأبو الفتح الأزدي .

٤ ـ عمرو بن ميمون أبو عبدالله الكوفي ، أدرك الجاهليّة ولم يلق

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ٢٠٥ .

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وثّقه العجلي وابن معين والنسائي وغيرهم . عن ابن عبّاس .

وأخرجه جمعٌ من الحفّاظ وذكره غير واحد من المؤلّفين ومنهم .

١ ـ الحافظ أبو عبدالرحمٰن النسائي المتوفّى سنة ٣٠٣ في الخصائص ص ٧ .

٢ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ كما في الفرائد والمجمع وغيرهما .

٣ ـ الحافظ أبو يعلى النيسابوري المتوفّى سنة ٣٧٤ كما في البداية والنهاية .

٤ ـ الحافظ أبو عبدالله الحاكم المتوفّى سنة ٤٠٥ في المستدرك ج ٣ ص ١٣٢ وصحّحه .

٥ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ كما في المناقب للخوارزمي .

٦ ـ أخطب خوارزم أبو المؤيد المتوفّى سنة ٥٦٨ في المناقب ص ٧٥ .

٧ ـ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١ في الأربعين الطوال والموافقات .

٨ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي المتوفّى سنة ٦٥٨ في كفاية الطالب ص ١١٥ .

٩ ـ الحافظ المحب الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣ ، ذخائر العقبى ص ٨٧ .

١٠ ـ شيخ الإسلام الحموئي المتوفّى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين .

١١ ـ الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفّى سنة ٧٧٤ في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٧ .

١٢ ـ الحافظ أبو الحسن الهيثمي المتوفّى سنة ٨٠٧ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ وصحّحه من طريق أحمد .

١٣ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفَّى سنة ٨٥٢ في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ .

١٤ ـ أبو حامد محمود الصالحاني كما في (توضيح الدلائل) لشهاب الدين أحمد .

١٥ ـ السيِّد شهاب الدين أحمد في (توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل) .

١٦ ـ الشيخ أحمد بن الفضل باكثير المتوفّى سنة ١٠٤٢ في وسيلة المآل .

١٧ ـ ميرزا محمَّد البدخشاني المتوفّى سنة ١١٢٣ في نزل الأبرار ص ١٦ ومفتاح النجا .

١٨ ـ شاه وليّ الله الهندي المتوفَّى سنة ١١٢٦ في إزالة الخفا ج ٢ ص ٢٦١ .

١٩ ـ الأمير محمَّد بن اسماعيل اليمني الصنعاني في الروضة النديَّة .

٢٠ ـ المولوي وليّ الله الهندي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في مرآة المؤمنين . وغيرهم .

هذا ما صحَّ عن النبيِّ الأعظم من قوله : أنت وليِّي في الدنيا والآخرة . فبدَّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم .

١٢ ـ أخرج البزَّار من طريق خارجة بن مصعب عن عبدالله بن عبيد الحميري البصري عن أبيه قال : كنت عند عثمان حين حُصر فقال : ها هنا طلحة ؟ فقال طلحة : نعم . فقال : أنشدتك الله أما علمت أنّا كنّا عند رسول الله ﷺ فقال : ليأخذ كلُّ رجل منكم بيد جليسه فأخذت بيد فلان ، وأخذ فلان بيد فلان ، حتّى أخذ كلُّ رجل بيد صاحبه وأخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال : هذا جليسي في الدنيا ووليِّي في الآخرة ؟ قال : اللهمَّ نعم .

وذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ عن ابن منده من طريق عبيد الحميري المذكور ساكتاً عمَّا في إسناده من العلّة ، كأنَّه ليس هو الذي حكى تلكم الآراء الواردة في جرح خارجة بن مصعب عن الحفّاظ وأئمّة الجرح والتعديل قال

في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٧٨ : قال الأثرم عن أحمد : لا يكتب حديثه . وقال عبدالله بن أحمد : نهاني أبي أن أكتب عنه شيئاً من الحديث . وقال الدوري ومعاوية وعبّاس عن ابن نمير : ليس بثقة ، ليس بشيء ، كذّابٌ ، ضعيفٌ . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال يحيى بن يحيى : يدلّس وقال النسائي : متروك الأحاديث ، ليس بثقة ، ضعيفٌ . وقال ابن سعد : إتّقى النّاس حديثه فتركوه . وقال ابن خراش وأبو أحمد : متروك الحديث . وقال الدارقطني : ضعيفٌ . وقال يعقوب : ضعيف الحديث عند جميع أصحابنا . وقال ابن المديني : هو عندنا ضعيفٌ . وقال أبو داود : ضعيفٌ ليس بشيء . وقال ابن حبّان : وقع في حديثه الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الإحتجاج بخبره . وذكره ابن الجارود والعقيلي وابن السكن وأبو زرعة وأبو العرب وغيرهم في الضعفاء .

وقال السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣١٧ : قال ابن حبّان : خارجة يدلّس عن الكذّابين ووقع في حديثه الموضوعات .

ولعلّنا أوقفناك على مقياس صحيح في أمثال هذه الرواية في ذيل الروايتين اللتين تُشبهانها قُبيل هذا ، فإنّك إذن لا تجد مقيلاً لها من الصحّة والإعتبار نظراً إلى متنها قبل أن تقف على ضعف إسنادها ، فدعها ومُرَّ بها كريماً ، وذر الوضّاعين في غلوائهم يرمون القول على عواهنه .

ولو كان طلحة سمع هذه المزعمة منه صلى الله عليه وآله وسلم واعترف بها يوم الحصار في ملأ الصحابة لَما كان يأخذ بخناق الرجل ويشدِّد عليه ، وما كان يثير عليه نقع الفتن حتّى يورده مورد المنيَّة ، ولم يك يمنع عنه إيصال الماء إليه ، ولم يرض بإنهاء أمره إلى القتل الذريع ، ولم يُرضه دفنه في مقابر اليهود .

لو كان طلحة يعرف شيئاً من هذه الرواية لَما استسهل ركوب ذلك المركب الصعب الجموح وهو صحابيٌّ عادلٌ أحد العشرة المبشَّرة كما يحسبون .

١٣ ـ أخرج ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٣ عن أبي مروان محمّد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفّان عن عبدالرَّحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة : إنَّ النبيَّ ﷺ لقي عثمان عند باب

المسجد فقال : يا عثمان ! هذا جبريل أخبرني انَّ الله قد زوَّجك أُم كلثوم بمثل صداق رقيّة على مثل صحبتها . ورواه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢١١ .

قال الأميني : أسلفنا فيما مرَّ صفحة ٣٢٩ أنَّ محمَّد بن عثمان يخطىء ويخالف ويروي عن أبيه مناكير ، وإنَّ أباه ليس بثقة وأحاديثه غير محفوظة ، وإنّه حدَّث بأحاديث موضوعة لا يجوز الإحتجاج به ، ومرَّ في صفحة ٣٤٣ أنَّ عبدالرَّحمٰن بن أبي الزناد : ليس ممَّن يحتجُّ به أصحاب الحديث ، وأنَّه ضعيف مضطرب الحديث لا يُحتجُّ بحديثه ، وعليك مراجعة ما فصَّلناه في الجزء الثامن ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧

١٤ ـ أخرج ابن عدي قال : حدَّثنا محمَّد بن داود بن دينار حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن حباب البصري حدَّثنا عمرو بن فائد البصري عن موسى بن سيار البصري عن الحسن البصري عن أنس مرفوعاً : إنَّ لله تعالى سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفَّان حيّاً ، فإذا قُتل جُرّد ذلك السَّيف فلم يُغمد إلى يوم القيامة . ورواه ابن عساكر بالإسناد .

قال السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣١٦ : موضوعٌ آفته عمرو بن فائد ، وشيخه كذّابٌ أيضاً .

قال الأميني : ألا تعجب من السيوطي ؟ يحكم ها هنا على الرواية بالوضع ويكذِّب راويه ويذكرها في تاريخ الخلفاء ص ١١٠ في عدِّ فضائل عثمان ويقتصر على قوله : تفرَّد به عمرو بن فائد وله مناكير . نعم هكذا يموِّهون على الحقائق ويغرون الناس بالجهل ، كان على الرجل أن يلغيها عن سياق عدِّ الفضائل ـ التي من طبعها أن يُحتجَّ بها ـ بعدما رآها موضوعة رواها كذّابٌ عن كذّاب ، غير أنّه لو اقتصر على ما يحتجُّ به في باب الفضائل ، وألغى ما لا يصحُّ منها سنداً أو متناً ، لما يجد هو وغيره فضيلة قطُّ لعثمان ، وهذا ممّا لا يروقه هو ولا يحبّذه قومه .

وللدارقطني ، وابن المديني ، والعقيلي ، وابن عدي ، والنسائي ،

والذهبي ، كلمات في جرح عمرو بن فائد وبطلان حديثه . راجع لسان الميزان ج ٤ ص ٣٧٢ .

وليحيى القطّان ، وأبي حاتم ، وابن عدي ، وابن معين ، والذهبي ، أقوال في تفنيد موسى بن سيار البصري وتكذيبه وبطلان حديثه . راجع ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢١١ ، ولسان الميزان ج ٦ ص ١٢٠ .

وفي الإسناد محمَّد بن داود الفارسي ، قال الذهبي في الميزان ج ٣ ص ٥٤ : من شيوخ ابن عدي ذكره فقال : كان يكذب . وذكر ابن حجر في اللسان ج ٥ ص ١٦١ حديثاً في فضل عليّ أمير المؤمنين فقال : هو من وضع محمّد بن داود بن دينار .

هذا شأن هذه المكذوبة غير أنَّ أُناساً من الغالين في الفضائل كالسيوطي والقرماني[1] وأحمد زيني دحلان[2] إتّخذوها حجّة عند ذكرهم فضائل عثمان مرسلين ايّاها إرسال المسلّم شأنهم في الموضوعات المفتعلة في الثناء على رجالاتهم .

١٥ ـ وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٣ من طريق أحمد بن كامل القاضي عن أحمد بن محمَّد بن عبدالحميد الجعفي عن الفضل بن جبير الورّاق عن خالد بن عبدالله الطحّان المزني عن عطاء بن السَّائب عن سعد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : كنت قاعداً عند النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل عثمان بن عفّان رضي الله عنه فلمّا دنا منه قال : يا عثمان ! تُقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على ﴿**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾ وتبعث يوم القيامة أميراً على كلِّ مخذول يغبطك أهل الشرق والغرب ، وتشفع في عدد ربيعة ومضَر .

قال الأميني : سكت الحاكم عن صحّة الحديث وأنصف الذهبي فقال في تلخيصه : كذبٌ بحت، وفي الإسناد أحمد بن محمَّد بن عبد الحميد الجعفي وهو المتّهم به . ا هـ .

---

(١) في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) في الفتوحات الإسلاميّة ج ٢ ص ٤٩٨ .

وشيخ الجعفي أيضاً لا يتابع على حديثه كما قاله العقيلي وحكاه عنه الذهبي في الميزان وابن حجر في لسانه ج ٤ ص ٤٣٨ .

إنَّ ممَّا يُقضى منه العجب أنَّ أحداً من الصحابة العدول لم يسمع هذا الحديث عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، كأنَّ المجلس الذي ألقى صلى الله عليه وآله وسلم فيه هذه الكلمة كان خلواً عنهم جميعاً ومن العجيب أيضاً أنَّه لم يروه أحدٌ منهم لصاحبه - إن كان سمعه أحدٌ - حتّى تتداوله الألسن فعسى أن يكون رادعاً عن التجمهر على عثمان والإتفاق على نبذه والجرأة على قتله ، نعم : لم يسمعه أحدٌ منه صلى الله عليه وآله وسلم عدا ابن عبّاس الذي كان صبيّاً في عهد النبوَّة لم يبلغ الحلم وقد توفي صلى الله عليه وآله وسلم وابن عبّاس ابن ثلاثة عشر سنة كما قاله الواقدي والزبير وصحَّحه أبو عمر في «الإستيعاب» أو عشر سنين كما روي عن إبن عبّاس نفسه من وجوه[1] أو أكثر منها ، وربما يُشكُّ في أنَّه هل كان يحسن التحمّل عندئذٍ أو لا؟ ولعلّه هو أيضاً كان شاكّاً في تحمّله هذا الحديث حيث جاءته استغاثة عثمان[2] وهو يخطب الحاجَّ يوم عرفة فتلاها نافع بن طريف فلمّا أتمَّها مضى ابن عبّاس في خطبته غير مكترث لاستغاثة الخليفة وهو بين الناب والمخلب ، على حين أنّه كان منصوباً من قِبله لإمارة الحاجِّ ، فلم يعرض لشيء من شأنه ولا للزوم الدفاع عنه ، وما ذلك إلّا لإصفاقه مع المجهزين عليه في الرأي وإلّا لكان من واجبه الحثّ على الذبِّ عنه ، وبيان وجوب إغاثته ، وملأ سمعه هذا الحديث الذي عُزي إليه وملأ فيه روايته - وحاشاه عن روايته - وكأنَّ الحضرة النبويّة نصب عينيه يتلقّى فيه الرواية ، وهو الذي يقتضيه عدله وتقواه .

وهناك شاهدٌ آخر لعدم إخباته إلى مضمون هذه الرواية وهو أنَّه لمّا بعثه عثمان أميراً على الحاجِّ لقيته عائشة في بعض المنازل فقالت له : يابن عبّاس ! إنَّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية[3] تعني عثمان ، فلم يُبد ابن عبّاس لها تجاه تلك الشدَّة تجهُّماً ولا قولاً ليِّناً كمن يوافقها على النزعة ، كما ردَّ عليها في حثّها على عدم التخذيل عن طلحة وجنوحها إلى تولّيه

(١) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٢٥٣ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ .
(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء صفحة ١٦٣ - ٢٢٢ .
(٣) راجع ما مرَّ في هذا الجزء صفحة ١٠٢ .

الأمر ، فلو كان إبن عبّاس يعرف في شأن عثمان شيئاً من هذه الرواية لرواه لها واتّخذه مستنداً في الدفاع عنه ، فجامع القول إنَّ الحبر لم يسمع ممّا تُقوّل عليه شيئاً ، وإنّما هو من مواليد العهد الأمويِّ بعد عهد ابن عبّاس .

وليس من المستسهل الكشف عن إمارة المخذولين يوم القيامة ، كما أنَّ مِن المستصعب جدّاً عرفان أعيانهم وأشخاصهم ، أفيهم أُولئك الصفوة الأبرار من الصحابة والتابعين أمثال أبي ذر وعمّار وابن مسعود ومالك الأشتر وزيد وصعصعة إبني صوحان وكعب بن عبدة وعامر بن قيس وآخرين من صلحاء المدينة والكوفة والبصرة الّذين خذلهم عثمان وأبناء بيته ؟ .

ولعلَّ في المخذولين الحَكم ومروان وآلهما وعبدالله بن أبي سرح وأبا سفيان وولده وأضرابهم الذين خذلهم الإسلام وآواهم عثمان وعزَّزهم وسلّطهم على صلحاء الامَّة من الصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان .

ونحن على يقين من أنَّ الشفاعة المزعومة التي لا تصدّقها سيرة عثمان ولا تساعدها البرهنة ويضادُّها نداء الكتاب الكريم إن حقّقت تُدنّس ساحة الجنَّة المقدَّسة بإدخال عثمان أرجاس آل أُميّة فيها كما يعرب عنه قوله الثابت المذكور في الجزء الثامن ص ٣٤٠ : لو أنَّ بيدي مفاتيح الجنَّة لأعطيتها بني أُميّة حتّى يدخلوا من عند آخرهم .

١٦ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٣ عن عبدالله بن إسحاق بن ابراهيم العدل[1] عن يحيى بن أبي طالب عن بشار بن موسى الخفاف البصري عن الحاطبي عبد الرَّحمٰن[2] بن محمّد عن أبيه عن جدِّه قال : لمَّا كان يوم الجمل خرجتُ أنظر في القتلى قال : فقام عليٌّ والحسن بن عليّ وعمَّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وزيد بن صوحان يدورون في القتلى قال : فأبصر الحسن بن عليّ قتيلاً مكبوباً على وجهه فقلّبه على قفاه ثمَّ صرخ ثمَّ قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون فرخُ قريش والله . فقال أبوه : مَن هو يا بُنيَّ قال : محمَّد بن طلحة بن

(١) كذا في النسخ والصحيح : المعدل .
(٢) كذا في النسخ والصحيح : عبد الرَّحمٰن بن عثمان بن محمد .

عبيدالله . فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شابّاً صالحاً ثمَّ قعد كئيباً حزيناً فقال له الحسن : يا أبت ! قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان . قال : قد كان ذاك يا بُنيَّ ! ولَوَددت أنّي متُّ قبل هذا بعشرين سنة . قال محمَّد بن حاطب : فقمت فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنّا قادمون المدينة والناس سائلونا عن عثمان فماذا نقول فيه ؟ قال : فتكلّم عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر فقاما وقالا فقال لهما عليٌّ ، يا عمّار ويا محمّد ! تقولان : إنَّ عثمان استأثر وأساء الأثرة وعاقبتم والله فأسأتم العقوبة ، وستقدمون على حَكم عدل يحكم بينكم ثمَّ قال : يا محمّد بن حاطب ! إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان فقل : كان والله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثمَّ اتّقوا وآمنوا ثمَّ اتَّقوا وأحسنوا والله يحبُّ المحسنين وعلى الله فليتوكّل المؤمنون .

قال الأميني : سكت الحاكم عمّا في إسناد هذه الاكذوبة من العلل ولم يصحِّحه ولم ينبس فيه بكلمة غمز ولا تصحيح ، واكتفى الذهبي فيه بقوله : بشّار بن موسى واهٍ ونحن نقول :

عبدالله بن إسحاق بن ابراهيم . قال الدارقطني فيه لين ، وذكره بذلك الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٩ ص ٤١٤ .

ويحيى بن أبي طالب قال فيه موسى بن هارون : أشهد أنّه يكذب عنّي . وقال مسلمة بن قاسم : تكلّم فيه الناس .

[لسان الميزان ج ٦ ص ٢٦٢]

وبشّار بن موسى البصري ، قال ابن معين : ليس بثقة . وقال : إنّه من الدجّالين . وقال أبو حفص : ضعيف الحديث . وقال البخاري : منكر الحديث وقد رأيته وكتبت عنه وتركت حديثه . وقال أبو داود : ضعيفٌ . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقويِّ عندهم . وذُكر عند الفضل بن سهل فأساء القول فيه[1] .

(١) تاريخ الخطيب ج ٧ ص ١١٩ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٤٠ .

وعبد الرَّحمٰن الحاطبي ضعَّفه أبو حاتم الرازي كما في ميزان الإعتدال للذهبي . ووالده عثمان لم أقف على ثناء عليه في معاجم التراجم .

فأيّ عبرة بما يرويه أو يرتئيه أمثال هؤلاء الدجّالين ؟ على أنَّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان على بصيرة من مسيره إلى حروبه كلّها ومنقلبه عنها وفي جميع ما ارتكبه فيها أو تركه ، وكلّ ذلك كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهد منه إليه عليه السلام ، وقد عُدَّ ذلك من فضائله ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحثُّ أصحابه على مناصرته يومئذٍ كما مرَّ تفصيله في الجزء الثالث ص٢٣٦ ـ ٢٤٥ وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : سيكون بعدي قومٌ يقاتلون عليّاً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ، ليس وراء ذلك بشيء[١] . وكان أبو أيُّوب الأنصاري وغيره من الصحابة يقول : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نقاتل مع عليّ الناكثين[٢] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحذِّر أُمَّ المؤمنين عائشة عن ذلك التبرُّج تبرُّج الجاهليَّة الاولى ويقول لها : يا حميراء ! كأنّي بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنتِ له ظالمة[٣] وقد صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم كما مرَّ في ج ٣ ص ٢٤١ قوله للزبير : إنك تقاتل عليّاً وأنت ظالمٌ له .

فكان مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مندفعاً إلى ما ناء به من أعباء تلكم الحروب بالأمر النبويِّ ، ولم يكن قطُّ قد غلب على رأيه فلان وفلان ، ولم يكن الإمام المجتبى المعصوم عن كلِّ زلَّة وهفوة بالذي ينهى أباه عمّا أمر به جدُّه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى ، ولا أمير المؤمنين عليه السلام بالذي يندم على ما نهض به من قمِّ جذور الفساد وقلع جذومه ، ولو سوَّغنا عليه الندم في هذه لسوَّغنا عليه فيما قتله في مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أشياع الكفر وزبانية الشرك والإلحاد ، فإذ كان سلام الله عليه في المقامين جميعاً منبعثاً بباعث إلٓهيّ ومصلحة

---

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢٤٠
(٢) راجع الجزء الثالث ص٢٤٢ ، ٢٤٥
(٣) راجع الجزء الثالث ص٢٣٨

دينيّة من استئصال شأفة العيث وقطع جراثيم الإلحاد ، فلا يطرق ساحته المقدَّسة الندم في أيّ من الحالين .

وأيُّ صلاح في محمَّد بن طلحة ؟ وقد شهر سيفه يُحارب إمام المسلمين وقد أمر بنصرته والجهاد معه ، فحاله حال أبيه في الزيغ والنكوص عن السنن اللاحب . هذه حقيقة الأمر لكن مهملجة الخلاف الوضّاعين شاؤوا أن يختلقوا ما يبرِّر أعمال الواثبين مع الهودج فقالوا ، ولكن أين ؟ وأنّى ؟ . . .

وكيف يصحُّ عن مولانا أمير المؤمنين ما اختلقوا عليه من قوله لمحمَّد بن حاطب ، وقد صدر عنه من فعل وقول قبل هذا الموقف وبعده ما يُعرب عن رأيه في عثمان ، ولا يصدِّق الخُبر الخَبر ، راجع ما مرَّ في هذا الجزء ص ٩٢ ـ ١٠٠، وفي الجزء الثامن ص ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، وفي الجزء السابع ص ٩٨

وهل تساعد سيرة الرجل أن يراه أمير المؤمنين من الذين **﴿آمنوا وعملوا الصالحات ثمَّ اتَّقوا وآمنوا ثمَّ اتَّقوا وأحسنوا﴾** . الآية . وهي التي أركبته النهابير، وسقته كأس المنيَّة ، والصحابة الأوَّلون وفي مقدَّمهم سيِّدنا الإمام عليه السلام كانوا مطبقين عن النكير والنقمة عليها ، ولأجلها تمخّضت البلاد عليه ، وهي التي أقعدت الصحابة عن نصرته والذبِّ عنه ، وهي التي زحزحت الأُمَّة الصالحة عن تجهيزه وتكفينه والصّلاة عليه ، وهي التي دفنته في مقابر اليهود بعدما بقي جثمانه في مزبلة أيّاماً وليالي تمرُّ به عواصف الذلِّ والهوان والملأ الديني ينظر إليه من كثب ، والناس قد بايعوا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وبيده مقاليد الامور يُسمع قوله ويُطاع ، وهو الذي يتحمّس لأمر ما ، يراه النّاس هيِّناً وهو عنده عظيم ، فيعاتب أصحابه ويقول في خطبته له : لقد بلغني أنَّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقُلبها وقلائدها ورعاثها[1] ما تمتنع منه إلّا بالإسترجاع والإسترحام ثمَّ انصرفوا وافرين ، ما نال رجلاً منهم كَلمٌ ، ولا أُريق لهم دمٌ ، فلو أنَّ إمرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به

(١) القلب : السوار . الرعاث جمع رعثة بالفتح : القرط .

عندي جديراً[١] هذا أمير المؤمنين وهذا مبلغ غيرته على الإسلام وأهله ولكن :

وابن عفّان حوله لم يجهّز ه ولا كفّ عنه كفُّ أذاها
لست أدري أكان ذلك مقتاً من عليّ ؟ أم عفّة ونزاها ؟

فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله . ولئن اتّبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا واقٍ .

١٧ ـ أخرج ابن أبي الدنيا من طريق فرج بن فضالة الدمشقي عن مروان بن أبي أُميّة عن عبدالله بن سلام قال : أتيت عثمان لأُسلّم عليه وهو محصورٌ فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخي ، مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة ـ قال : وخوخة في البيت ـ فقال : يا عثمان ! حصروك ؟ قلت : نعم . قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتّى رويت حتّى إنّي لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم[٢] .

قال الأميني : هذه السفسطة من آفات فرج بن فضالة الدمشقي قال أحمد : يحدّث عن الثقات أحاديث مناكير . وقال ابن معين : ضعيف الحديث . وقال ابن المديني : ضعيفٌ لا أُحدّث عنه . وقال البخاري ومسلم : منكر الحديث . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال أبو حاتم : لا يحتجُّ به . وقال أبو أحمد : حديثه ليس بالقائم . وقال الدارقطني : ضعيف الحديث . وذكر البرقاني حديثاً للدارقطني من طريق فرج بن فضالة فقال الدارقطني : هذا باطلٌ . فقال البرقاني : من جهة الفرج ؟ قال : نعم . وقال عبدالرَّحمٰن بن مهدي : حدّث بأحاديث منكرة مقلوبة . وقال الساجي : ضعيف الحديث . وقال الخطيب : لا يغترُّ أحدٌ بالحكاية المرويّة في توثيقه عن ابن مهدي فإنّها من رواية سليمان بن أحمد وهو الواسطي وهو كذّابٌ ، وقد قال البخاري : تركه ابن مهدي . وقال ابن حبّان : فرج بن فضالة

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٦٩ .
(٢) الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٨٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٨٢ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٧ .

يقلّب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحلُّ الإحتجاج به . وقال الحاكم : هو ممّن لا يُحتجُّ به[١] .

هذا فرج بن فضالة وأمّا شيخه مروان فلست أدري أيّ هيّ بن بيّ هو[٢] لم أقف في المعاجم على ترجمته ولم أجد له ذكراً لا في مشايخ ابن فضالة ولا فيمن يروي عن ابن سلام ، ولعلّه لم يولد بعدوكم في سلسلة أسانيد الفضائل أمثاله من أناس لا تعرفهم أُمّ الدنيا ، وما صوّرهم قلم التصوير ، وإنّما اختلق أسماءهم الغلوُّ في الفضائل .

ولست أدري هل أسرَّ عثمان بهذه المكرمة إلى ابن سلام فحسب ؟ أو أخبر بها هو أو ابن سلام جمهور الصحابة فوجدوها رؤياً لا تنهض للحجّة ، أو بلغتهم حينما مسَّ الحزام الطبيين ، وبلغ السيل الزبى ، واتّسع الخرق على الراقع ، حينما فاتت الخليفة نهزة الحجاج ، وتمّت عليه الحجّة وأصبح محجوجاً ، والأمّة مجتمعةٌ على مقته ، وقطع أُصول حياته وهي لا تجتمع على خطأ .

وفي الرواية موقع نظر أيضاً من ناحية صوم عثمان عند مَن أرّخ قتله بثاني أيام التشريق - كما في رواية أبي عثمان النهدي في أنساب البلاذري ج ٥ ص ٨٦ ، وقد رواه الواقدي أيضاً ، واختاره المبرّد في «الكامل» ج ٢ ص ٢٤١ ، وذكره أبو عمر في «الإستيعاب» ج ٢ ص ٤٧٧ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ، وابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٦٦ ، والعسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤١ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠٩ والدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ومن مؤلّفي اليوم الأُستاذ علي فكري في أحسن القصص ج ٣ ص ١٦٤ - وذلك أنَّ الصوم في أيام التشريق محظورٌ عند القوم ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعند مالك لغير المتمتّع[٣] وقال ابن العماد الحنبلي في الشذرات ج ١ ص ٤١ : قوله : قال لي النبيُّ ﷺ : وتفطر عندنا . معناه أوّل شيء تستعمله

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .
(٢) يقال : هيّ بن بيّ أو ؛ هيّان بن بيّان : أي مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .
(٣) المحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٨ ، نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٥٣ .

على الريق يكون عندنا لا أنّه فطر صائم إذ لم يكن يومئذٍ صائماً ، فإنّ يوم قتله كان ثاني أيّام التشريق ولا يجوز صومه . ا هـ .

وهذا التأويل يخالف ما أثنى به المؤرّخون على عثمان من أنّه كان يوم قتله صائماً ، وهو من المتسالم عليه عند القوم سلفاً وخلفاً حتى اليوم كما ذكره الأستاذ علي فكري في أحسن القصص ج ٣ ص ١٦٤ . ويضادُّ أيضاً صريح ما أخرجه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٨٢ من طريق ابن عمر عن عثمان قال : رأيت النبيَّ ﷺ في المنام فقال : يا عثمان ! أفطر عندنا . فأصبح صائماً وقتل من يومه .

وكذلك لا يلتئم هو وما أخرجه الهيثم بن كليب بالإسناد عن نائلة بنت الفرافصة «امرأة عثمان» قالت : لمّا حصر عثمان ظلّ اليوم الذي كان فيه قتله صائماً ، فلمّا كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي ـ وركيٌّ في الدار الذي يلقى فيه النتن ـ قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة ـ وذلك في السحر ـ فسألت الماء العذب . فأعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال : إنّي أصبحت صائماً ، قالت فقلت : ومن أين ولم أرَ أحداً أتاك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إنّي رأيت رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلوٌ من ماء فقال : إشرب يا عثمان ! فشربت حتى رويت ثمّ قال : ازدد فشربت حتّى نهلت ، ثمّ قال : أما إنّ القوم سينكرون عليك فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا . قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه[١] .

نعم : إنّ الحديثين لا يعوّل عليهما أيضاً لما في إسنادهما من داعية إلى الإرجاء يبغض أهل بيت نبيّه ، ومن مجهول منكر لا يُعرف ، ومن متحامل على أمير المؤمنين من الفئة الباغية ، فالحديثان كرواية ابن أبي الدنيا باطلان ، وما ذهب إليه القوم من أنّ الرّجل كان يوم قتله صائماً منقبةٌ مفتعلةٌ لا تصحُّ لاستنادهم فيها إلى تلكم الأباطيل التي اختلقتها يد الغلوّ في الفضائل .

١٨ ـ أخرج الحاكم وابن عساكر وغيرهما من طريق محمّد بن يونس الكديمي

(١) تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٣ .

أبي العباس البصري ، عن هارون بن اسماعيل الخزّاز أبي الحسن البصري ، عن قرَّة بن خالد السدوسي البصري ، قال : سمع الحسن البصري عن قيس بن عباد البصري قال : شهدت عليّاً رضي الله عنه يوم الجمل يقول كذا : اللّهمَّ إنّي أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وأرادوني على البيعة فقلت : والله إنّي لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أستحيي ممَّن تستحيي منه الملائكة . وإنّي لأستحيي من الله أن أُبايع وعثمان قتيلٌ على الأرض لم يُدفن بعدُ ، فانصرفوا فلمّا دُفن رجع النّاس إليَّ فسألوني البيعة فقلت : اللّهمَّ إنّي مشفقٌ لما أُقدم عليه ثمَّ جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين ! فكأنَّما صدع قلبي ، فقلت : اللّهمَّ خذ منّي لعثمان حتّى ترضى . وفي لفظ ابن كثير : فلمَّا قالوا : أمير المؤمنين . كان صدع قلبي وأمسكت(١) .

قال الأميني : ألا تعجب من الحاكم يذكر مثل هذه الأُضحوكة ويعدُّها ممَّا استدرك به على الصَّحيحين ويمرُّ بما فيها من اللغو كريماً ، ولعلَّ الذَّهبي عرف بطلانها غير أنَّه لمّا وجدها في منقبة عثمان سكت عنها نهائيّاً ولم يلخّصها ولم ينبس فيها ببنت شفة ، ويدَّخر ما في علبة علمه أو في كنانة جهله إلى تزييف حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» وأمثاله من الصحيح الوارد في فضائل مولانا أمير المؤمنين فيجابهها بكلِّ جلبة ولغط ، ولا تقصر عن أشواطهما خُطى ابن كثير في تاريخه فيستند إليها مستدلاً على ما يرومه من دحض الحقِّ وترصيف الباطل ، ونحن أسلفنا في الجزء الخامس ص ٣٢٤ في سلسلة الكذّابين والوضّاعين نزراً من أقوال الحفّاظ في جرح محمَّد بن يونس الكديمي وأنَّه كان يضع الحديث على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد وضع أكثر من ألف حديث وها هنا نبسط القول فيها :

قال الآجري : سمعت أبا داود ابن الأشعث يتكلّم في محمَّد بن سنان وفي محمَّد بن يونس يطلق فيهما الكذب . وقال ابن التمّار : ما أظهر أبو داود السجستاني تكذيب أحد إلاّ في رجلين : الكديمي وغلام خليل . وقال أبو سهل

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٩٣ .

القطّان : كان موسى بن هارون ينهى النّاس عن السماع من الكديمي ويقول : قد تقرّب إليّ بأنّي كتبت عن أبيك في مجلس محمّد بن القاسم الأسدي وما حدّث أبي قطّ عن محمّد بن القاسم الأسدي . وعن موسى بن هارون أنّه كان يقول ـ وهو متعلقٌ بأستار الكعبة ـ : اللهمَّ إنّي أُشهدك أنَّ الكديمي كذّابٌ يضع الحديث . وقال الشاذكوني : الكديمي وأخو الكديمي وابن الكديمي بيت الكذب . وقال أبو بكر الهاشمي : كنّا يوماً عند القاسم المطرّز وكان يقرأ علينا مسند أبي هريرة فمرَّ في كتابه حديث عن الكديمي فامتنع عن قراءته فقام إليه محمّد بن عبد الجبّار ـ وكان قد أكثر عن الكديمي ـ فقال : أيُّها الشيخ أُحبُّ أن تقرأه فأبى وقال : أنا أُحاسبه بين يدي الله يوم القيامة وأقول : إنَّ هذا كان يكذب على رسول الله ﷺ وعلى العلماء . وقال الدارقطني : الكديمي يُتَّهم بوضع الحديث وقال : ما أحسن القول فيه إلاّ من لم يخبر حاله ، وقال ابن حبّان : كان يضع الحديث لعلّه قد وضع على الثقات أكثر من ألف حديث . وقال ابن عدي : قد أُتّهم بالوضع وادّعى الرواية عمَّن لم يرهم ، ترك عامّة مشايخنا الرواية عنه ، ومن حدَّث عنه نسبه إلى جدّه لئلاّ يُعرف[1] وقال ابن عدي أيضاً : روى الكديمي عن أبي هريرة عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر حديثاً باطلاً ، وكان مع وضعه الحديث وادّعائه ما لم يسمع علّق لنفسه شيوخاً . وكان ابن صاعد وعبدالله بن محمَّد لا يمتنعان من الرواية عن كلّ ضعيف كتبا عنه إلاّ عن الكديمي فإنّهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره ، ولو ذكرت كلّما أنكر عليه وادّعاءه ووضعه لطال ذلك . وقال الحاكم أبو أحمد : الكديمي ذاهب الحديث تركه ابن صاعد وابن عقدة وسمع منه خزيمة ولم يحدّث عنه ، وقد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمّة الحديث[2] .

وذكر السيوطي في اللآلي المصنوعة عدَّة أحاديث في شتّى الأبحاث من طريق الكديمي فحكى فيها عن الحفّاظ الحكم بوضعها وقولهم : إنَّ آفتها الكديمي وإنّه كذّابٌ وضّاعٌ . وكأنّه نسي كلّ ما ذكره هنالك فأورد هذه الأُكذوبة في

---

(١) كما أن الحاكم يعرّفه بالقرشي ولم يذكر نسبته إلى الكديم لئلا يعرف .

(٢) راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥٣٩ ، والمصادر التي مرت في ج ٥ ص ٣٢٤

تاريخ الخلفاء ص ١١٠ محذوفة الإسناد وقال : أخرجه الحاكم وصحّحه . ألم تكن تلك الأقوال الجارحة في الكديمي نصب عينه عند عدِّ فضائل عثمان ؟ أم أنَّ فضائل الرجل لها حساب آخر يسوِّغ الغلوَّ فيها كلَّ كذب واختلاق ؟ على أنَّ الحاكم سكت عن هذه الأكذوبة ولم يُصحّحْها فنسبة التصحيح إليه لمحض إخراجه إيّاها في مستدرك الصحيحين وإلاّ فلا صراحة فيه بالتصحيح .

وبعد هذه كلّها فإنَّ المعلوم من نظريَّة مولانا أمير المؤمنين في عثمان كآراء بقيّة الصحابة فيه يفنّد نسبة هذه الأقاويل المختلقة إليه ، أليس من المضحك ما ينسب إليه صلوات الله عليه من قول : ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان . . الخ ؟ ليته عليه‌السلام بدل هذه الكلمة كان يخطو خطوة في التحفّظ على حرمة الرّجل وكرامته ، ويأمر ولده وذويه بتجهيزه وتكفينه والصّلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ، وليته كان يقيم له مأتماً ويؤبّنه ويذكره بالخير بعدما تسنّم منصّة الخلافة ، أو كان يحضر عند تربته ويقوم على قبره ويقرأ له الفاتحة ويأتي بسنّة الله التي جاءت في زيارة قبور المسلمين ، وأيّ مسلم لم تكن له معاظم واجبة المراعاة[١] ؟ .

وليته كان يسكت عنه يوم قام به وقعد[٢] وقال على رؤوس الأشهاد : قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الرّبيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

وقال في اليوم الثاني من بيعته في خطبة له : ألا إنَّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال ، فإنَّ الحقَّ القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوّج به النساء ، وفرّق في البلدان ، لرددته إلى حاله . الخ .

وليته كان لم يجابهه بقوله : ما رضيتَ من مروان ولا رضي منك إلاّ بتحرّفك

(١) يقال : له معاظم واجبة المراعاة . أي حقوقاً مستعظمة .
(٢) يقال : قام به وقعد : أي نشر عنه أخبار السوء .

عن دينك وعقلك ، وإنّ مثلكَ مَثَل الظعينة سار حيث يُسار به .

وليته كان لم يكتب إلى المصريِّين بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقّه ، فضرب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه .

وليته كان لم يقل : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ولا نهيت عنه . أو كان لم يقل : ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرَّني ولا ساءني .

وليته كان لم يخطب بقوله : من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خيرٌ منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ منّي .

وليته كان لم ينفر أصحابه إلى قتال طالبي دم عثمان بقوله على صهوة المنبر : يا أبناء المهاجرين انفروا إلى مَن يقاتل على دم حمّال الخطايا . الخ .

وليته لمَّا قال له حبيب وشرحبيل : أتشهد أنَّ عثمان قُتل مظلوماً . كان لم يجب بقوله : لا أقول بذلك[1] وليته وليته . . .

والعجب كلّ العجب من قول عليّ صلوات الله عليه «فلمّا قالوا : أمير المؤمنين صدع قلبي» لماذا صدع قلبه صلوات الله عليه ولم تكن لهذه التسمية جِدَّة ؟ وإنَّما سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وحكاه عن الله تعالى وعن جبرائيل عليه السلام وما صدع قلبه يوم ذاك ، فعليٌّ من أوَّل يومه هو أمير المؤمنين بنصٍّ من الصادع الأمين ، وما أنزل الله آية فيها يا أيُّها الذين آمنوا إلاّ وعليٌّ رأسها وأميرها[2] .

١٩ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ٤٧/ط ليدن عن محمَّد بن عمر عن عمرو بن عبدالله بن عنبسة بن عمرو بن عثمان عن محمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان عن ابن لبيبة قال : إنَّ عثمان بن عفَّان لمّا حُصِرَ أشرف عليهم من كوَّة في الطمار فقال : أفيكم طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : أُنشدك الله هل تعلم أنّه لمّا آخى

---

(١) راجع ما مرَّ في ج ٧ ص ٩٨ ، وج ٨ ص ٣٣٥ ، وج ٩ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص١١٥ ، ١١٧

رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين نفسه ؟ فقال طلحة : اللّهمَّ نعم . فقيل لطلحة في ذلك فقال : نشدني وأمر رأيته ألا أشهد به ؟

رجال الإسناد :

١ ـ محمَّد بن عمر . هو الواقدي ، راجع ترجمته في ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٠ .

٢ ـ عمرو بن عبدالله الأموي حفيد عثمان ، لم أجد له ذكراً في المعاجم ، ولعلَّ فيه تدليس .

٣ ـ محمَّد بن عبدالله الأموي حفيد عثمان ، قال البخاري : عنده عجائب ، وقال ابن الجارود : لا يكاد يُتابع على حديثه . وقال النسائي مرّة : ثقةٌ . وأُخرى : ليس بالقويِّ . راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٦٨ .

٤ ـ ابن لبيبة ويقال : ابن أبي لبيبة محمّد بن عبدالرَّحمٰن . قال ابن معين : ليس حديثه بشيء . وقال الدارقطني : ضعيفٌ . وقال آخر : ليس بالقويِّ[1] على أنَّ ابن لبيبة لم يشهد حصر عثمان ولم يروِ عن صحابيٍّ فحديثه عن عثمان وعليّ وسعد مرسلٌ ، يروي عن سعيد بن المسيّب وعبدالله بن عمرو بن عثمان وطبقتهما ، فالرواية مرسلةٌ ، وابن سعد جِدُّ عليم بأنَّ مثل هذه المفتعلة لا يخفى بطلانه على أيِّ أحدٍ سواءٌ أرسله أو أسنده .

وهلاّ يعلم مفتعل هذه الاضحوكة أنَّ أئمَّة الحديث وحفّاظه ورجال التاريخ أصفقت على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتَّخذ لنفسه أخاً يوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إلّا ابن عمِّه عليّ بن أبي طالب ؟ وهذا الذي يقتضيه الإعتبار بعدما نصَّ الكتاب العزيز على أنَّ عليّاً سلام الله عليه نفس النبيِّ الأقدس . وإنّهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً ، وإنَّ ولاية عليّ مقرونةٌ بولاية الله ورسوله[2] .

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٨٩ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٠١ .

(٢) راجع ما مرّ في ج ٢ ص ٦٥ ، وج ٣ ص ١٩٨ - ٢١٠

وبعدما ثبت أنّه سلام الله عليه صنو النبيّ الأعظم في الفضائل ، وشاكلته في النفسيّات ، ورديفه في الملكات الفاضلة ، ونظيره من أُمّته كما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم[١] وهو منه صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة رأسه من بدنه نصّاً منه صلى الله عليه وآله وسلم[٢] وهو منه صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلته من ربّه كما ورد عن أبي بكر مرفوعاً[٣] وهما من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتّى كما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم[٤] وهو الذي ثبت فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت منّي وأنا منك[٥] وهو الذي أنزله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه بمنزلة هارون من موسى ولم يستثن له ممّا اختصّه الله به إلّا النبوّة[٦] .

لقد أدّينا البحث عن حديث المؤاخاة حقّه في الجزء الثالث ص ١٤٨ - ١٦٤ وذكرنا هنالك خمسين حديثاً ممّا وقفنا عليه من أحاديث الإخاء الثابت بين النبيّ الأعظم وأخيه أمير المؤمنين ، وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : أنت أخي في الدنيا والآخرة . من طريق عمر وأنس وابن أبي أوفى وابن عبّاس ومحدوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبدالله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وغيرهم .

إنّما فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقيّة مآثر الإمام صلوات الله عليه فوضعوا تجاهها أُكذوبةً في أبي بكر وأنّه هو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٧] وأُخرى في عثمان وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بينه وبين نفسه . وثالثة في عليّ عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ آخى بينه وبين عثمان[٨] ورواة السوء يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٧ ص ١٢ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢ ، مصباح الظلام للدمياطي ج ٢ ص ٥٦ .

(٣) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣ .

(٤) سيوافيك حديثه إن شاء الله تعالى بألفاظه ومصادره .

(٥) صحيح البخاري كتاب المناقب ج ٥ ص ٢١٩ ، مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٤ ، ٣٥٦ ، صحيح الترمذي في المناقب ج ٢ ص ٢١٣ ، خصائص النسائي ص ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٦ ، تاريخ الخطيب ج ٤ ص ١٤٠ ، وراجع ما مضى في الجزء السادس ص ٣٩٥ - ٤٠٨

(٦) حديث المنزلة أخرجه أئمة الحديث بطرق صحيحة في الصحاح والمسانيد .

(٧) راجع ج ٣ من كتابنا هذا ص ١٤٨ ، والإصابة ج ١ ص ٣٥ وضعفه .

(٨) الرياض النضرة ج ١ ص ١٧ .

بين أبي بكر وبين عمر في المؤاخاة الاولى بمكّة[1] وبينه وبين خارجة بن زيد الأنصاري في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بالمدينة[2] وآخر بين عثمان وبين عبدالرحمن بن عوف في المؤاخاة بمكّة[3] وبينه وبين أوس بن ثابت يوم المؤاخاة بالمدينة[4] .

[illegible]ان قطُّ لا يُنشد بالمكذوب ، وطلحة لا يدّعي رؤية ما لم يره ، ولا يشهد بخلاف ما شاهده وعاينه ، إن كانا من عدول الصَّحابة صدقاً ، ومن المبشَّرين بالجنَّة حقّاً ، وأنت تعرف حكم هذه الدعاوي من الصحيح الثابت عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام انَّه كان يقول : أنا عبدالله وأخو رسوله لا يقولها أحدٌ غيري إلّا كذّاب . قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٣٥ : وقد جاء من غير وجه . وقال ابن حجر : رويناه من وجوه[5] وكان قول أمير المؤمنين هذا أخذاً بما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد - وفي لفظ : فإن حاجّك أحدٌ - فقل : أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدَّعيها بعدك إلّا كذّاب[6] .

وأوَّل من فتح باب التجرّي بمصراعيه على هذه الفضيلة الرابية هو عمر بن الخطاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش ، وقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا : إذن والله الذي لا إلّه إلّا هو نضرب عنقك . قال :

---

(١) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠ ، اسد الغابة ج ٢ ص ٢٢١ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٥ ، ١٧ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢١٧ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٦ ، عيون الأثر ج ١ ص ٢٠١ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢١٦ ، ٢١٨ .

(٣) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٥ ، ١٧ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢١٨ .

(٤) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٧ ، عيون الأثر ج ١ ص ٢٠١ ، الرياض النضرة ج ١ ص ٦١ .

(٥) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧ ، وراجع ج ٣ من كتابنا هذا ص ١٥٩ .

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١٥٢

إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله . قال عمر : أمّا عبدالله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا[1] .

أنا لست أخدش العواطف بالإعراب عن حكم إنكار عمر الأُخوَّة الثابتة بتلكم النصوص الصريحة الأكيدة وقد سمعها هو من الصَّادع الكريم في ذلك اليوم المشهود غير أنّي جدُّ عليم بأنَّ حجاج مولانا أمير المؤمنين كان أخذاً بما مرَّ قُبَيل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : فإن ناكرك أحد فقل : أنا عبدالله وأخو رسول الله . وهل قرع هذا سمع عمر أيضاً وجابهه مع ذلك بالشدَّة في النكير عليه ؟ أنا لا أدري ، **﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تُعرض عنهم فلن يضرُّوك شيئاً ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنَّ الله يحبُّ المقسطين﴾**[2] .

٢٠ ـ أخرج ابن عدي من طريق مصعب بن سعيد المصيصي عن عيسى بن يونس عن وائل بن داود عن البهيّ عن الزبير رضي الله عنه مرفوعاً : لا يُقتل قرشيٌّ بعد اليوم صبراً إلاّ قاتل عثمان فإن لم يفعلوا فابشروا بذبح مثل ذبح الشاة .

قل الأميني : ذكره الذهبي في الميزان ج ٣ ص ١٧٣ مع حديثين من طريق مصعب بن سعيد فقال : ما هذه إلاّ مناكير وبلايا .

وقال ابن عدي : يحدِّث مصعب عن الثقات بالمناكير ويصحّف وهو حرّاني[3] نزل المصيصة[4] وله غير ما ذكر والضعف على رواياته بيِّن . وقال ابن حبّان : كان مدلساً . وقال صالح بن جزرة : شيخٌ ضريرٌ لا يدري ما يقول[5] .

وفي الإسناد عيسى بن يونس قال الدارقطني : مجهولٌ . والبهيّ هو عبدالله أبو محمَّد مولى مصعب بن الزبير ولا يصحُّ روايته عن الزبير بل يروي عن عبدالله بن

---

(١) راجع ما مضى في الجزء السابع : ص ١٠٤.
(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٢ .
(٣) حران : قرية من قرى حلب .
(٤) مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم .
(٥) لسان الميزان ج ٦ ص ٤٣ .

الزبير ، وقال أبو حاتم في العلل : لا يحتجّ بالبهيّ وهو مضطرب الحديث .

٢١ ـ أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٧ من طريق حامد بن آدم المروزي عن عبدالله بن المبارك عن سفيان عن عثمان بن غياث البصري عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجلٌ فاستفتح الباب فقال : افتح له وبشّره بالجنّة على بلوى تصيبه . فإذا هو عثمان فأخبرته فقال : الله المستعان .

قال الأميني : هلاّ يعرف أبو نعيم مفتعل هذه الاكذوبة حامد بن آدم ؟ أو يعرفه بعُجَره وبُجَره غير أنَّ الغلوَّ في الفضائل يسوِّغ له ولقومه رواية كلِّ كذب مختلق في فضائل المستخلَفين بالإنتخاب الدستوري الذي لم تره عين الدُّنيا صحيحاً قطُّ .

أنّى يخفى على مثل أبي نعيم أنَّ حامد بن آدم كذَّبه الجوزجاني وابن عدي ، وعدَّه أحمد بن علي السليماني فيمن اشتهر بوضع الحديث . وقال أبو داود السبخي : قلت لابن معين : عندنا شيخٌ يقال له : حامد بن آدم . الخ . فقال : هذا كذّابٌ لعنه الله [1] .

على أنَّ عثمان لو كان مبشَّراً بالجنَّة ومصدِّقاً بوعد النبيِّ الأقدس لما كان في نفسه خيفة من أن يكون هو ذلك الملحد بمكّة الذي أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّ عليه عذاب نصف أهل الأرض كما مرَّ في صحيحة أحمد . وأعجب من هذا مهزأة جاء بها الخطيب ألا وهي :

٢٢ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ ص ١٥٧ من طريق الحسين بن حميد بن موسى العكّي قال : حدثنا حمّاد بن المبارك البغدادي قال : حدَّثنا اسماعيل بن أُميَّة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر قال : ما صعد النبيُّ ﷺ المنبر قطُّ إلاّ قال : عثمان في الجنّة . قال : قال الدارقطني : كذا قال حمَّاد بن المبارك عن عبدالله بن ميمون عن اسماعيل بن أُميّة عن ابن جريج ، وهذا الحديث

---

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٠٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١٦٣ .

إنّما يُعرف من رواية اسماعيل بن يحيى بن عبيدالله التيمي عن ابن جريج والله أعلم . وقال الذهبي في الميزان ج ١ ص ٢٨١ : خبرٌ غير صحيح . راجع لسان الميزان ج ٢ ص ٣٥٣ .

قال الأميني : لا تعجب من الخطيب يذكر مثل هذه السفسطة بهذا الإسناد الوعر ولم ينبس ببنت شفة ، ولم يُعرب عن حال رجاله عادته في فضائل كلٍّ من أعماه حبُّه وأصمّه ، وأنت تجد نقضه وإبرامه ، وجرحه وتعديله ، وتصويبه وتصعيده في مناقب آل الله صلوات الله عليهم .

أيخفى على مثل الخطيب قول مسلمة بن قاسم في الحسين العكّي : إنّه مجهول ؟ أم لا يهمّه وجود حمّاد بن المبارك في الإسناد ؟ وهو المجهول الذي لا يُعرف[1] أم عزب عنه قول البخاري في عبدالله بن ميمون : إنَّه ذاهب الحديث ؟ وقول أبي زرعة : إنّه واهي الحديث ؟ وقول أبي حاتم والترمذي : إنَّه منكر الحديث ؟ وقول ابن عدي : إنَّ عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه ؟ وقول النسائي : إنّه ضعيفٌ ؟ وقول أبي حاتم أيضاً : يروي عن الأثبات الملزقات ، لا يجوز الإحتجاج به إذا انفرد ؟ وقول الحاكم : إنّه يروي أحاديث موضوعة ؟ وقول أبي نعيم : إنّه روى المناكير[2] ؟ .

أم لا يروق الخطيب الجرح في اسماعيل بن أُميّة العبشمي الأموي وهو ابن عمِّ عثمان وقد جاء بالرّواية مختلقة في ابن عمّه الخليفة ؟ أم لا ينبِّهه ما حكاه عن الدارقطني إلى أنَّ اسماعيل لا يروي عن ابن جريج ؟ وإنَّما الراوي اسماعيل بن يحيى التيمي . أم أراد حفظ سمعة الصدِّيق أبي بكر في حفيده اسماعيل بن يحيى التيمي[3] والستر على قول صالح بن جزرة فيه : إنّه كان يضع الحديث . وقول الأزدي : إنَّه ركنٌ من أركان الكذب لا تحلُّ الرواية عنه . وقول أبي علي

---

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٨١ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٩ .

(٣) إسماعيل بن يحيى بن عبيدالله بن طلحة بن عبدالرَّحمٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة .

النيسابوري والدارقطني والحاكم إنّه كذّابٌ . وقول الحاكم : روى أحاديث موضوعة . وقول الدارقطني : إنّه كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما . وقول ابن حبّان : إنَّه كان يروي الموضوعات عن الثقات لا تحلُّ الرواية عنه بحال[١]؟ .

نعم : هذه كلّها بين يدي الخطيب غير أنَّ الغلوّ في الفضائل أبكمه فبكم[٢] وذكر الذهبي هذه الرواية في «ميزان الإعتدال» في ترجمة حمّاد بن المبارك ، وقال : خبرٌ غير صحيح .

ولو كان لهذا الخيال مقيلٌ من الصحّة لاستدعى أن يكون ما اختلق فيه من كون عثمان في الجنّة أهمّ ما صدع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعارف والأحكام والحِكَم فإنّا لم نجد ولا وجد واجدٌ شيئاً منها يهتمّ صلى الله عليه وآله وسلم له هذا الإهتمام ويصدع به على كلّ منبر صعده ، نعم كان يكرِّر بعض ما يصدع به في عدَّة مقامات للكشف عن أهميّته غير أنَّها ممّا تعدّه الأنامل ، حتَّى انَّ الصَّلاة التي هي عماد الدين لم يكرِّرها هذا التكرار المملّ .

وليت شعري هل كون عثمان في الجنّة من أُصول الدِّين وأُسس الإسلام التي لا تتمُّ الشريعة إلّا بها فطفق صلى الله عليه وآله وسلم يبالغ في تبليغه هذه المبالغة في كلِّ حين ؟ فهل هو حكمٌ شرعيّ ؟ أو حكمةٌ بالغة ؟ أو ملكةٌ فاضلة ؟ أو ناموس إلّهيّ يستحق هذا التأكيد والإصرار ؟

ثمَّ لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تبشير الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الجمَّة لهم بالجنّة ، فما الحاجة إلى هذا التهالك في تخصيصه بالذكر تهالكاً لم يشاهد له نظيرٌ في شيء ممّا بلّغه صلى الله عليه وآله وسلم عن ربِّه ؟

على أنّه لو كان صلى الله عليه وآله وسلم مرتكباً ذلك لوجب أن يسمعه منه جميع الصحابة حتى من حظي بالإصاخة إلى قيله ولو مرَّة واحدة طيلة حياته ، ووجب أن يتواتر الحديث منه صلى الله عليه وآله وسلم فلا يختصُّ بعزوه المختلق جابر ، ولم يك يسنده عنه أُناسٌ دجّالون ،

---

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ١١٧ ، لسان الميزان ج ١ ص ٤٤٢ .
(٢) بكم بكامة : سكت تعمداً .

وإنَّ من أهمِّ تلكم المنابر منبر يوم الغدير وقد حضره مائة ألف أو يزيدون ، فهل سمع أحدٌ من أحدهم من الأعالي والساقة يحدّث أنّه صلى الله عليه وآله وسلم هتف عليه بأنّ عثمان في الجنّة ؟ وهذه خُطب النبيِّ الأعظم هل تجد في شيء منها عمّا تقوّلوه حسيساً أو تسمع منه ركزاً ؟ وهل هؤلاء الصحابة البالغون مئات الالوف الذين سمعوا هذا المقال ووعوه تركوه وراء ظهورهم يوم الدار ؟ يوم قالوا له : والله أحلَّ الله دمك[1] يوم كتبوا إليه يدعونه إلى التوبة وحاجّوه وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه[2] يوم سلّم عليهم فما سمع أحداً مِنَ النّاس يردُّ عليه ، وكان فيهم مِن عُمد الصحابة مَن فيهم[3] يوم رفعت أُمّهم عقيرتها وهي تقول : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، إلى أيّام قصصنا عليك حوادثها ، أو أنّهم كلّهم نسوه فنالوا من الرجل ما نالوا ؟ وهل حصل لهم مُذكّرٌ من عند أنفسهم فلم يوافقوه على السماع ؟ أو لم يعيروا له أُذناً مُصغية ؟ هذا وهم عدول ، وانَّ ممّن سمع بطبع الحال هاتيك الكلمة نفس عثمان فلماذا كان يخاف من القفول إلى مكّة حذار أن يكون هو الذي سمع فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما مرَّ من أنّه يُلحد بمكّة رجلٌ عليه عذاب نصف أهل الأرض ؟

٢٣ ـ ذكر ابن كثير في تاريخه عند عدِّ مناقب عثمان عن اسماعيل بن عبدالملك عن عبدالله بن أبي مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتّى يبدو ضبعيه إلّا لعثمان بن عفّان إذا دعا له .

قال الأميني : حذف ابن كثير وغيره ممّن ذكر هذه المهزأة إسنادها وأرسلوها إرسال المسلّم ذاهلين عن أنَّ في ذكر اسماعيل بن عبدالملك كفاية من عرفان بقيّة رجاله قال ابن عمّار وأبو داود : ضعيفٌ . وقال ابن الجارود وابن معين والنسائي وأبو حاتم : ليس بالقوي . وقال عبدالرَّحمٰن بن مهدي : أُضرب على حديثه . وقال الفلاس وأبو موسى : كان عبدالرَّحمٰن ويحيى لا يحدّثان عنه . وقال ابن

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ١٩٢ .
(٣) راجع ما أسلفناه في حديث طلحة بن عبيدالله ص ١٢١

حبّان : كان يقلّب ما يروي(١) .

وأنا لا أدري أنَّ عائشة متى روت هذه الرواية ، قبل تكفيرها الرجل وتأليب الناس عليه ، ثمَّ نسيتها ؟ وسرعان ما تنسى أُمُّ المؤمنين ما حفظته كما نسيت أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها في مناوءة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعن كلاب الحوأب ونباحها ، أم أنّها روتها حين كانت تثير العواطف على عثمان وترهج عليه نقع الحروب حتى أوردته موارد الهلكة ؟ فاعجب إذن بالمناقضة بين روايتها وعملها دواليك وهي صحابيّة عادلةٌ أُمُّ الصحابة العدول كما يزعمون .

أم أنّها أسندتها بعد تلكم المعامع ؟ بعد أن سوَّل لها الناكثان النهضة للطلب بثاراته . فخرجا يجرّان حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تُجرُّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة ، فحبسا نساءهما في بيوتهما ، وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خدرها(٢) فثارت لتتدارك ذلك الحوب بما هو أكبر منه ، فخالفت القرآن الكريم فيما خصَّ زوجات النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرَّجن تبرُّج الجاهليَّة الاولى﴾** فكان من استقرارها في بيتها أن ركبت الجمل وقادت العساكر ، وباشرت الحرب بنفسها ، وعاشرت الرجال الأجانب ، ونبذت الكتاب وراء ظهرها ، ولم ترع لبعلها حرمة ولا كرامة .

وخالفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نواهيه المتعاقبة عن خصوص موقف الجمل كما مرَّت في الجزء الثالث ص ٢٣٧ - ٢٤٠ ، وعن مطلق مناوءة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربته فيما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم مستفيضاً كما أسلفنا نزراً منه في ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ وج ٢ ص ٣٤٨ - ٣٥١ ، وج ٣ ص ٤٧ ، ٢٣٠ - ٢٣٦ وج ٤ ص ٣٦٢ - ٣٦٥

نعم خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصاياه المؤكّدة بوصيِّه الطاهر حتّى جاء في حديث معمَّر : عائشة كانت لا تطيب نفساً لعليّ بخير . وفي حديث آخر : لكنَّها لا

---

(١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣١٦ .

(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء ص ١١٧ .

تقدر على أن تذكره بخير[١] .

والحديث صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢٢٨ من طريق معمّر عن الزهري عن عبيدالله بن عتبة أنَّ عائشة أخبرته قالت : أوَّل ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يمرّض في بيتها فأُذن له قالت : فخرج ويدٌ له على الفضل بن عبّاس ، ويدٌ على رجل آخر ، وهو يخطُّ برجليه في الأرض . قال عبيدالله فحدَّثت به ابن عبّاس فقال : أتدرون مَن الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة ؟ هو عليٌّ ، ولكن عائشة لا تطيب له نفساً .

وأخرجه البخاري في صحيحه في باب حدِّ المريض أن يشهد الجماعة ، غير أنّه حذف منه قول ابن عبّاس : «ولكنَّ عائشة لا تطيب له نفساً» وهذا شأن البخاري في كلِّ ما لا يروقه .

نعم عائشة لا تقدر أن تسمي عليّاً وتذكره بخير ، غير أنّها كانت تصيخ إلى مَن نال مِن عليّ عليه السلام وتأنس بالوقيعة فيه ولا تنهى عنها كما في صحيحة رجالها كلّهم ثقات أخرجها أحمد في مسنده ج ٦ ص ١١٣ من طريق عطاء بن يسار قال : جاء رجلٌ فوقع في عليّ وفي عمّار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة فقالت : أمّا عليّ فلست قائلةً لك فيه شيئاً ، وأمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يخيَّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما .

لِمَ يا أُمّاه لست قائلة شيئاً في عليّ ؟ أما سمعت أُذناك من بعلك حديثاً واحداً في فضله مثل ما سمعت في عمّار ؟ أما تجدين في كتاب الله ممّا نزل في عليّ ما يعادل حديثكِ في عمّار ؟ وفضل عليّ عليه السلام على عمّار كما قال حذيفة اليماني : فوالله لعليٌّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب ، وإنَّ عمّاراً من الأخيار[٢] .

لِم يا أُمّاه لا تكرهين أن يُقذع عندكِ عليٌّ عليه السلام ، وأنت التي كنت كارهة أن

---

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٣ .

يُسبَّ عندكِ حسّان بن ثابت ؟ وقد أخبر بذلك عروة قال : كانت عائشة تكره أن يُسبَّ عندها حسّان وتقول : إنّه الذي قال :

فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمّد منكم وقاء[١]

أما كانت عندك لمواقف عليّ المشكورة في مغازي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولمبيته على فراشه ليلة هجرته من مكّة وقد باهى الله به ملائكته ، قيمة وكرامة مقدار بيت شعر لحسّان ؟ وحسّان أنتِ أدرى به منّي . أي يا أُمّاه ؟ شنشنةٌ أعرفها من أخزم .

ومن رشحات ما كانت تحمله أُمُّ المؤمنين بين جنبيها من الضغينة على أوّل المسلمين وأولاهم بهم من أنفسهم قولها يوم سمعت بيعة الناس له : لوددت أنّ السّماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا .

وخالفت العقيدة الراسخة من حرمة قتال خليفة الوقت ، وليتني علمت ماذا يكون جواب أُمّ المؤمنين لو أُحفيت السؤال عن خطيئتها أيّهما أعظم ؟ إجهازها على عثمان أم محاربتها الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ؟ غير أنّها اليوم وقد كشف عنها الغطاء تجيب بأنّ الخطيئة كانت واحدة مرتكزة على سنام الجمل وتحت أستار الهودج ، وهل كانت روايتها هذه لتبرير عملها الأخير ؟ وقد جعلتها معذرة لها في ثورتها أو أنّها اختلقت عليها فأخرجتها رواة السفاسف أو حملة الأضغان على البيت النبويّ الطاهر ، أو سماسرة البيت الأمويّ الذين حاولوا نشر الفضيلة لهم ولو بالأفائك ؟

وكانت أُمّ المؤمنين عالمة جدّاً بأنّ قتل عثمان كان هيّناً عند الله ورسوله في جنب خروجها من عقر دارها كما قال لها جارية بن قدامة السعدي الصحابي : يا أُمّ المؤمنين ! والله لقتل عثمان بن عفّان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عُرضة للسّلاح ، إنّه قد كان لكِ من الله سترٌ وحرمة ، فهتكت سترك ، وأبحتِ حرمتك ، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلكِ ، إن كنتِ أتيتنا طائعة ، فارجعي إلى منزلك ، وإن كنتِ أتيتنا مستكرهة ، فاستعيني بالناس[٢] .

---

(١) راجع مسند أحمد ج ٦ ص ١٩٧ .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٠ .

ثمّ هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لعثمان بالثبات على الحق من اتّباع الكتاب والسنّة ؟ فلماذا لم يُستجب ذلك الدعاء فخالفهما ؟ وظهر ذلك منه حتّى عرفته عامّة الصحابة فأنكروه عليه حتّى قتلوه .

أو أنّه كان يدعو له بالتوفيق للتوبة ؟ فلماذا لم يوفّق ؟ فكلّما تاب رجع ، وكلّما عهد حنث ، حتّى عرف ذلك الثائرون عليه فلم يجدوا بُدّاً من إعدامه .

أو أنَّه كان يدعو له بالمغفرة وإن لم تكن توبته نصوحاً ؟ فذلك إغراءٌ بالجهل ، وترخيصٌ في المعصية ، وهو محالٌ على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

أو أنَّه كان يدعو له بدفع عادية الناس عنه على ما هو عليه من طاعة أو معصية ؟ فهبني قلت : إنَّه جائزٌ لكنَّ الدعاء لم يُستجب ، وما غناء بقاء رجل هو هكذا سالماً ؟ وهو لا يُقتصُّ أثره في صلاح ، ولا يُقتفى في طاعة ، ولا يُتَّبع في خير ، وإنَّما تورث سلامته تجرِّياً على المعاصي وولعاً بالميول والشهوات .

أو أنَّه كان يدعو له باليسار والثروة ليرغد عيشه ويُرغد عيش من لفَّ لفَّه واحتفَّ به ولو كان بالأثرة لنفسه وذويه على المسلمين عامة متعدِّياً حدود الله المأثورة في الأموال والصدقات ؟ فهل الدعاء لمثل هذا جائزٌ في الشريعة ؟ وهل يستسيغ العقل السليم الدعاء للحصول على المآثم ؟

أو أنّه كان يدعو له بنيل الخلافة ؟ وهذا إنْ صحّ قد استجيب غير أنَّ النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان بواسع علم النبوَّة بصيراً بمايؤول إليه أمر الرّجل وينوء به ممّا لا تحمده شريعةٌ أو عقيدة ، ولا يستتبع خلافته إلاّ وهناً في الدِّين ، وذهاباً لأُبَّهة الإمامة ، وقلقاً في مستوى الإسلام وعاصمة النبوَّة ، وتعكيراً لصفو الأُلفة بين أفراد المسلمين ، وفتّاً في عضدهم ، وهواناً على صلحاء الامَّة في الحواضر الإسلاميّة ، وتعطيلاً للأحكام ، وتعدِّياً للحدود ، ومن يتعدَّ حدود الله فاولئك هم الظالمون ، وكلُّ هذه ممّا عرفته منه الصحابة فتألّبوا عليه ، فما كان حاجة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في خليفة هو هكذا ؟ .

هذه محتملات الدعاء المزعوم ، ولنا ها هنا مساءَلةٌ أُخرى عن السبب الموجب لهذا الدعاء أوَّلاً وعن ظرفه ثانياً ، أهل كان الموجب له أعماله السابقة

على الدعاء ؟ أو ما ارتكبه في أُخريات أيّامه ؟ فجرٌّ على نفسه ومن اكتنفه الويلات من جرّائه ، أمّا الأخيرة فقد عرفت أنّها لا تنهض موجباً لذلك ، وأمّا سوابقه فسل عنه يوم بدر وتخلُّفه عنه وكان يُعيَّر بذلك طيلة حياته ، ووقع فيه عبدالرَّحمٰن بن عوف لذلك في أُخريات خلافته بملأ من الناس فأنهى إليه ذلك الوليد بن عقبة السكير الفاسق بلسان الوحي المبين[١] هنالك نحت له عذراً من تمريض رقيَّة بنت النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم[٢] لكن الصحابة ما كانوا يعرفون ذلك العذر المفتعل حتّى أولى الناس به أخوه بالمؤاخاة بمكة عبدالرَّحمٰن بن عوف ، ولو كان ما يقوله صحيحاً لعرفوه وهو بين ظهرانيهم غير منتأى عنهم .

وسل عنه يوم أُحد وفراره من الزحف وقد نزل فيه وفيمن فرَّ قوله تعالى «في سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥٥» : **﴿إن الّذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ الآية**[٣] .

وسل عنه ليلة وفاة أُم كلثوم واقترافه الذنب فيها ، وهتك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمته في صبيحتها بملأ من الصحابة بحرمانه من دفنها وهي زوجته وهو أحقُّ الناس بدفنها ، راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص ٢٧٥

وسل عنه ايواءه عبدالله بن أبي سرح وقد ارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشركين فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم الفتح وأمر بقتله ولو وُجد تحت أستار الكعبة ، لكنَّه فرَّ إلى أخيه من الرضاعة «عثمان» فآواه وغيَّبه ، وكان من واجبه قتله أينما وجده ، لكنه بدلاً عن ذلك أتى به إلى رسول الله فاستأمنه له فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً رجاء أن يقتله أحدٌ من الحضور لأنَّه ما كان يروقه صلى الله عليه وآله وسلم إسعافه ولا يرى لحياة ابن أبي سرح قيمة . راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص ٣٢٧

وسل عنه ايواءه ابن عمِّه المشرك معاوية بن المغيرة بن أبي العاص يوم حمراء

---

(١) مرّ تفصيل ذلك في ج ٨ ص ٣٢١ ـ ٣١٣

(٢) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ ، ٧٥ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٦ .

(٣) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ ، تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٤٥ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤١٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧ ، تفسير الخازن ج ١ ص ٣٠٧ .

الأسد لَمّا ظفر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه منها فأمر بضرب عنقه صبراً فلجأ إلى عثمان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمنه على أنَّه إن وُجد بعد ثلاث قتل فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعث صلى الله عليه وآله وسلم عمَّار بن ياسر وزيد بن حارثة وقال : إنّكما ستجدانه بموضع كذا وكذا فوجداه فقتلاه[1] .

وما أشبه فعلته هذه بإيوائه الحكم وابنه مروان في خلافته وهما طريدا رسول الله ولعيناه[2] ؟ فأمره سواسية في المبدأ والمنتهى .

هذا كلُّ ما علمناه من سوابق الرجل ولواحقه ، وشيءٌ منها لا يصلح أن يكون باعثاً للحبِّ والدعاء ، كما أنَّ شيئاً منها لا يترك للدعاء المزعوم ظرفاً يُستساغ له الدعاء فيه ، فزبدة المخض أنَّه من مختلق الدور الأمويِّ الذي لم يأل العبشميّون فيه جهداً في وضع الفضائل أو الرذائل .

نعم ذكروا له صلى الله عليه وآله وسلم دعوات عديدة لعثمان عند تجهيزه جيش العسرة ، ولعلَّ المتهالك في حبِّ عثمان ينحته موجباً لتلكم الدعوات ، والباحث جِدُّ خبير بأنّه لا يعدو شيئاً منها وهنٌ في الإسناد لضعف في رجاله أو إرسال فيه ، على اضطراب الروايات في كيفيَّة التجهيز وكميّة ما أنفقته يده فيه ، اضطراباً لا يعدوه الحكم بالبطلان في جميعها :

قال ابن هشام في السيرة ج ٤ ص ١٧٢ : أنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقةً عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها . حدَّثني من أثق به أنَّ عثمان بن عفّان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار . إلى آخر ما يأتي من حديثه .

وأخذ الطبري الجملة الاولى من قول ابن هشام وترك حديثه .

وعند الكلبي مرسلاً كما في أسباب النزول للواحدي ٦١ جهَّز بألف بعير بأقتابها وأحلاسها .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٥١ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٧ ، ٣٨ ، شرح الأشخر على بهجة المحافل ج ١ ص ٢١٣ .

(٢) راجع ترجمة الحكم وابنه مروان في الجزء الثامن من كتابنا هذا .

وعند قتادة مرسلاً : حمل على ألف بعير وسبعين فرساً .

وعند البلاذري بإسناد ضعيف مرسل: جهّزهم بسبعين ألفاً .

وعند الطبراني بإسناد ضعيف: مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية الذهب .

وعند أبي يعلى بسند ضعيف : جاء بسبعمائة أوقية ذهب .

وعند ابن عدي بسند واهٍ ضعيف جدّاً : جاء بعشرة آلاف دينار .

وعند أبي نعيم بإسنادين باطلين : جاء بألف دينار .

وعند أحمد وأبي نعيم بإسناد معلول : ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها .

وعند ابن عساكر مرسلاً : جهَّز ثُلث ذلك الجيش مؤنتهم .

وعند ابن الأثير ما ذكره الطبري وزاد عليه : قيل كانت ثلاثمائة بعير و دينار .

وعند عماد الدين العامري دعوى مجرَّدة : أنفق ألف دينار ، وحمل تسعمائة وخمسين بعيراً ، وخمسين فرساً .

وعند الحلبي صاحب السيرة قولاً بلا دليل : جهّز عشرة آلاف دينار غير ا والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلّق بذلك حتى ما تربط الأسقية .

وعند بعض كما في السيرة الحلبيَّة : أعطى ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقت وخمسين فرساً .

وفي رواية عند الحلبي : جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله فصُبَّت يديه . فقال : لعلَّ هذه العشرة آلاف غير التي جهَّز بها العشرة آلاف إنسان .

فترى كلّ واحد يكل ويزن ما أنفقه الرجل في جيش العسرة بكيلة مر وميزان كرامته ، وما تستدعيه سعة صدره ، ورحب ذات يده .

على أنَّ هناك أُناساً آخرين شاركوا مَن جهَّز الجيش وأربوا ، فلا أدري الموجب لاختصاص عثمان بتلكم الأدعية دونهم ؟ فمن أُولئك المجهِّ

العباس بن عبدالمطلب فإنّه حمل مالاً يقال إنّه تسعون ألفاً[١] وقال صلى الله عليه وآله وسلم : العبّاس عمُّ نبيّكم أجود قريش كفّاً وأحناه عليها . وفي حديث : أوصلها لها «مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٨» وأوّل من حمل ماله كلّه هو أبو بكر على زعم القوم فإنّه جاء بماله كلّه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل أبقيت شيئاً ؟ قال : الله ورسوله[٢] .

وهبْ أنَّ ما حمله أبو بكر كان نزراً يسيراً لكنّه أنفق بكلِّ ماله إن صدق الحديث وكمال الجود بذل الموجود . فما الذي أرجأه من الحظوة بالدعاء له ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراه أمنَّ الناس عليه بماله ؟ وقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٧٠ قوله : ليس أحد أمنّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة .

على أنَّ طبع الحال يستدعي أن يكون هناك منفقون آخرون لأنَّ عدد الجيش كان ثلاثين ألفاً وعشرة آلاف فرس وإثنا عشر ألف بعير عند كثير من المؤرِّخين ، وعند أبي زرعة كانوا سبعين ألفاً ، وفي رواية أربعين ألفاً[٣] وما ذكروه من النفقات لعثمان وغيره لا تفي بتجهيز هذا الجيش اللجب ، فلماذا حرم اولئك كلّهم من الدعاء وحظي به عثمان فحسب ؟ أنا أُنبئك لماذا ، وجد عثمان بعدما خُذل وقُتل أنصاراً ينحتون له الفضائل ، وتصرَّمت أيّام اولئك من غير نصير مفتعل .

وإليك جملةٌ ممّا روي في الباب وافية للنهوض بإثبات بطلان ما يُهتف به من المبالغة في أمر التجهيز المذكور، منها :

٢٤ ـ أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٩ من طريق حبيب بن أبي حبيب أبي محمّد البصري ـ كاتب مالك ـ عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال : لمّا جهّز النبيُّ ﷺ جيش العسرة جاء عثمان بألف دينار فصبّها في حجر النبيِّ ﷺ

---

(١) إمتاع المقريزي ص ٤٤٦ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٦٤ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٥ .

(٣) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٦٨٣ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١١ ، إمتاع المقريزي ص ٦٥٠ ، فتح الباري ج ٨ ص ٩٣ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٧٣ ، إرشاد الساري ج ٦ ص ٤٣٨ ، شرح بهجة المحافل ج ٢ ص ٣٠ .

فقال النبيُّ ﷺ : اللّهمَّ لا تنس لعثمان ، ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

قال الأميني : أتخفى على مثل الحافظ أبي نعيم أقوال أئمّة الفنِّ من قومه في حبيب كاتب مالك ؟ قال عبدالله بن أحمد ـ إمام الحنابلة ـ عن أبيه إنّه قال : حبيب ليس بثقة قدم علينا رجلٌ أحسبه قال من خراسان كتب عنه كتاباً . إلى أن قال : قال أبي : كان يكذب ، ولم يكن أبي يوثقه ولا يرضاه وأثنى عليه شرّاً وسوءاً .

وقال أبو داود : كان من أكذب الناس كان يضع الحديث . وقال أبو حاتم : متروك الحديث روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة . وقال النسائي والأزدي ، متروك الحديث، وقال ابن حبّان : كان يُدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم . وقال : أحاديثه كلّها موضوعةٌ وذكر له عدَّة أحاديث عن هشام بن سعد وغيره وقال : كلّها موضوعةٌ ، وعامّة حديثه موضوعُ المتن ، مقلوب الإسناد ، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات ، وأمره بيّنٌ في الكذب . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال سهل بن عسكر : كتبنا عنه عشرين حديثاً وعرضناها على ابن المديني فقال : هذا كلّه كذبٌ ، وقال النسائي : متروك أحاديثه كلّها موضوعةٌ عن مالك وغيره[1] .

وأخرجه أحمد من طريق ضمرة بن ربيعة الدمشقي الرملي ، قال الساجي : صدوقٌ يهم عنده مناكير ، وجاء ضمرة عن الثوري عن إبن دينار عن إبن عمر بحديث فأنكره أحمد وردَّه ردّاً شديداً ، وقال : لو قال رجلٌ إنَّ هذا كذب لَما كان مخطئاً .

وأخرجه الترمذي وقال : لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث . راجع تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٤٦١ . (ومنها) :

٢٥ ـ أخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٤ من طريق محمَّد بن أبي بكر المقدمي البصري عن محمَّد بن عبدالله الأنصاري البصري عن هلال بن حقٍّ

---

(١) راجع ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢١٠ ، تذكرة الموضوعات للمقدسي ص ٩٠ ، مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٧٤ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٨١ ، اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٨ ، ٢٣٠ ، خلاصة الكمال ص ٦٠ ، أسنى المطالب ص ٢١٦ .

البصري عن سعيد الجريري[١] البصري عن ثمامة القشيري قال : شهدت الدار يوم أُصيب عثمان رضي الله عنه فطلع عليهم إطلاعة فقال : أُدعوا لي صاحبيكم اللّذين[٢] ألَّباكم عليَّ فدُعيا له فقال : نشدتكما الله أتعلمان أنَّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال : من يشتري هذه البقعة من خالص ماله ؟ فيكون فيها كالمسلمين وله خيرٌ منها في الجنَّة . فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين ؟ وأنتم تمنعوني أن أُصلّي فيه ركعتين . ثمَّ قال : أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ لَمّا قدم المدينة لم يكن فيها بئرٌ يستعذب منه إلاّ رومة فقال رسول الله ﷺ : من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلى المسلمين ؟ وله خيرٌ منها في الجنَّة . فاشتريتها من خالص مالي ؟ فأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثمَّ قال هل تعلمون أنّي صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهمَّ نعم .

وذكره البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥ ، ٦ من طريق يحيى بن أبي الحجاج البصري عن سعيدالجريري وزاد : فأُنشدكما الله هل تعلمان أنّي جهَّزت جيش العسرة من مالي ؟ قالا : اللهمَّ نعم . قال : أُنشدكما الله هل تعلمان أنَّ رسول الله ﷺ كان بثبير ، أو قال : بحرّاء . فتحرَّك الجبل حتّى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال : أُسكن فما عليك إلاّ نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدٌ ؟ قالا : اللّهمَّ نعم .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٨ من طريق يحيى بن أبي الحجّاج عن الجريري عن ثمامة .

رجال الإسناد :

١ ـ محمَّد بن عبدالله الأنصاري : قال العقيلي : منكر الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : روى يحيى بن خذام عنه عن مالك بن دينار أحاديث منكرة والله أعلم الحمل فيه عليه أو على يحيى . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جدّاً يروي

---

(١) الجريري بضم الجيم وفتح الراء نسبة إلى جرير بن عباد .
(٢) يعني طلحة والزبير ، وقعت التسمية في غير واحد من أحاديث المناشدة وكلها أكاذيب .

عن الثقات ما ليس من حديثهم ، لا يجوز الإحتجاج به وقال ابن طاهر : كذّابٌ . وقال الحاكم النيسابوري : يروي أحاديث موضوعة . وقال أبو الفضل الهروي : ضعيفٌ . وقال الأزدي : منكر الحديث جدّاً روى عن مالك بن دينار أحاديث معاضيل .

[تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٥٦]

لا يحسب الباحث أنَّ محمد بن عبدالله الأنصاري هذا هو عبدالله البصري محمَّد بن عبدالله بن المثنّى فإنّه يروي عن سعيد الجريري بلا واسطة كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦ وج ٩ ص ٢٧٤ والذي يروي عنه بالواسطة هو هذا الأنصاري المترجم له .

٢ ـ سعيد أبو مسعود الجُرَيري وهو وإن كان ثقة في نفسه لكنَّه لا تصحُّ روايته لاختلاطه ثلاث سنين من عمره ، قال أبو حاتم : تغيَّر حفظه قبل موته فمن كتب عنه قديماً فهو صالحٌ . وقال يزيد بن هارون ربَّما ابتلانا الجريري وكان قد أنكر . وقال ابن معين عن ابن عدي : لا نكذب الله سمعنا من الجُرَيْري وهو مختلط . وقال ابن حبَّان : اختلط قبل أن يموت بثلاث سنين . وقال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس : أسمعت من الجريري ؟ قال : نعم . قال : لا ترو عنه ، يعني لأنَّه سمع منه بعد اختلاطه . وقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله إلاّ أنَّه اختلط آخر عمره .

[تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦]

٣ ـ يحيى بن أبي الحجّاج البصري في طريق البلاذري . قال النسائي وابن معين : ابن أبي الحجّاج ليس بشيء . وقال أبو حاتم : ليس بالقويِّ .

ونحن لو غاضينا العثمانيِّين على صحَّة هذه الرِّواية وأمثالها فإنّها تعود وبالاً على عثمان أكثر منها منقبة فإنَّ في صريحها أنّ الرجلين وهما من العشرة المبشَّرة ومن الستَّة أصحاب الشورى وفي الجبهة والسنام من الصحابة العدول «عند القوم» إعترفا له بما استنشدهما لكنَّهما لم يأبها بما حاوله عثمان من مفاد الرِّواية فاستمرّا على التأليب عليه والضغط والتشديد ، فهل هو مجابهة منهما لما ثبت عن الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟ «ويردُّه عدلهما وكونهما من العشرة» أو أنَّهما علما أنَّ الشيء حدث بعده شيءٌ أزاح موضوعه ؟ وإنَّما كان قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرحلة الإقتضاء من

آثار تلكم الأعمال الطبيعيَّة إذا استمرّ صاحبها على ما هو عليه في هاتيك الأحوال ، ولم يحدث موانع فإنّهما كانا يرتئيان حدوث موانع هنالك سالبة لأثر الإقتضاء . وبهذا الإعتقاد مضيا مصرّين على ما ارتكباه من أمر الخليفة ، وهما يريانه حائداً عن الصِّراط السويِّ .

ولعلَّ عثمان نفسه ما كان جازماً ببقاء تلكم الآثار التي كان نوَّه بها النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نظراً منه لما أحدث بعد ذلك من الحوادث ، ولذلك كان يحاذر أن يكون هو الرجل الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنّه يُلحد بمكّة رجل عليه نصف عذاب أهل الأرض كما مرّ حديثه الصحيح في ص ١٨١ من هذا الجزء .

ويشبه طلحة والزبير بل وعثمان نفسه بقيَّة الصحابة المجهزين عليه فيما بيّناه من الإعتقاد في حقِّ الرجل . فراجع ما قدَّمناه من أقوالهم وأعمالهم المذكورة في الجزء الثامن وفي هذا الجزء ص ٩٢ ـ ١٩٢ ، ولا تنس قولهم له في مناشدته المذكورة في ص ٢٣٦ : وأمّا ما ذكرت من قِدمك وسبقك مع رسول الله فإنّك قد كنت ذا قدم وسلف وكنت أهلاً للولاية ، ولكن : بدَّلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت .

وقولهم له : وأمّا قولك : إنّه لا يحلُّ إلاّ قتل ثلاثة فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقِّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعتَ الحقَّ ، وحُلت دونه ، وكابرت عليه . الخ .

ونظير هذه الأقوال الكثير المعرب عن آراء الصحابة فيه وفي أحداثه ، وكلّها تكذّب القول بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمِّي الرّجل شهيداً . نعوذ بالله من الإختلاق بلا تدبُّر (ومنها) :

٢٦ ـ أخرج سيف بن عمر في الفتوح منْ طريق صعصعة بن معاوية التيمي قال : أرسل عثمان وهو محصورٌ إلى عليّ وطلحة والزبير وغيرهم : فقال : احضروا غداً فأشرف عليهم وقال : أنشدكم الله ولا أنشد إلاّ أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : من حفر رومة فله الجنّة . فحفرتها ؟ ألستم

تعلمون أنّه قال : من جهّز جيش العسرة فله الجنّة . فجهزته ؟ قال : فصدّقوه بما قال .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٤ وقال : وللنسائي من طريق الأحنف بن قيس إنّ الذين صدّقوه بذلك هم : عليٌّ بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص .

ترى ابن حجر ها هنا ساكتاً عن الغمز في هذه الرواية وهو الذي جمع أقوال الحفّاظ في سيف بن عمر من أنّه ضعيفٌ ، متروكٌ ، ساقطٌ ، وضّاعٌ ، عامّة حديثه منكر ، يروي الموضوعات عن الأثبات ، كان يضع الحديث ، واتّهم بالزندقة «راجع ج ٨ ص ١١٢، ٣٨٥ من كتابنا هذا» .

وكأنّه أراد مِن عدِّ من صدَّق عثمان في دعواه إثبات فضيلة له ذاهلاً عن أنّ كثرة المصدّقين في المقامين على تقدير صحّة الخبر ـ وأنّى هي ؟ ـ تزيد عاراً وشناراً على الرّجل ، وتعود وبالاً عليه أكثر منها منقبةً كما مرَّ بيانه ، وإنّي لا أشكُّ في أنَّ الباحث بعد هذا البيان الضافي لا يُقيم لهذه المناشدة وزناً وإن خرّجه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ج ٤ ص ٢٣٦[(١)] وما أكثر بين دفّتي هذا الصحيح من سقيم يجب أن يُضرب به عرض الحائط كما هو الظاهر لدى من يراجع كتاب «أبو هريرة» لسيِّدنا الآية شرف الدين وغيره من تآليفه، وسنوقفك على جليَّة الحال في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى . (ومنها) :

٢٧ ـ أخرج أسد بن موسى في فضائل الصحابة عن قتادة البصري قال : حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرساً في العسرة .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ وقال : مرسلٌ . ولم يسمّ ابن حجر رجال الإسناد بين أسد بن موسى وبين قتادة وكذلك من قتادة إلى منتهى السند ، فالرواية مرسلةٌ من الطرفين ، ولعلَّ في مرحلتي السند أُناسٌ من الوضّاعين

---

(١) أخرجه من طريق أبي إسحاق السبيعي الشيعي المدلس وقد مرت ترجمته في ج ٧ ص ٣٠٩ وأنه ضعيف جداً لا يحتج بحديثه ، عن أبي عبدالرحمٰن العثماني .

المفضوحين ستر عليهم أسد بني مروان بذيل أمانته ، وراقه الإبقاء على كرامة الحديث بإسقاطهم ، وأسد بن موسى هو حفيد الوليد بن عبدالملك بن مروان الأمويّ قال النسائي مع توثيقه : لو لم يصنّف كان خيراً له . وقال ابن يونس : حدَّث بأحاديث منكرة وأحسب الآفة من غيره . وقال ابن حزم : منكر الحديث ضعيفٌ . وقال عبدالحقّ : لا يُحتجُّ به عندهم(١) (ومنها) :

٢٨ ـ أخرج أبو يعلى من وجه آخر فيه قال : فجاء عثمان بسبعمائة أُوقية ذهب. ذكره ابن حجر في الفتح ج ٥ ص ٣١٥ وقال : ضعيفٌ . وليته كان يذكره باسناده حتى كنّا نوقف الباحث على ترجمة رجاله الكذّابين . (ومنها) :

٢٩ ـ أخرج ابن عدي من طريق عمّار بن هارون(٢) أبي ياسر المستملي عن إسحاق بن ابراهيم المستملي عن أبي وائل عن حذيفة أنَّ رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاها فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له : غفر الله لك يا عثمان ! ما أسررتَ وما أعلنتَ وما أخفيتَ وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ ساكتاً عمّا في إسناده من العلل عاداته في فضائل من غمره حبُّه ، وأورده ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ فقال : سندٌ ضعيف جدّاً . وقال في ج ٧ ص ٤٣ : سنده واهٍ . وذكره القسطلاني في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ١٧٢ ساكتاً عن علله وعقَّبه الزرقاني بقول إبن حجر راجع شرح المواهب ج ٣ ص ٦٥ ، وستوافيك ترجمة بعض رجال الإسناد الضعفاء في هذا الجزء .

وذكر ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ وقال : روى الحسن بن عرفة عن محمّد بن القاسم الأسدي الشامي عن الأوزاعي الشامي عن حسان بن عطيَّة الدمشقي عن النبيِّ ﷺ مرسلاً أنَّه قال لعثمان : غفر الله لك ما قدّمت وما أخَّرت

---

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٩٧ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٦٠ .
(٢) في تاريخ ابن كثير : عمّار بن ياسر المستملي . والصحيح ما ذكرناه .

وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة .

قال الأميني : لو لم يكن في إسناد هذه الاكذوبة المرسلة إلّا محمَّد بن القاسم الذي كان عثمانيّاً كما قاله العجلي لكفاه وهناً ، أيخفى على ابن كثير المحتجّ بها قول النسائي في محمَّد بن القاسم : إنَّه ليس بثقة كذَّبه أحمد ؟ أم قول الترمذي : تكلّم فيه أحمد وضعَّفه ؟ أم قول أبي حاتم : ليس بقويّ لا يُعجبني حديثه ؟ أم قول أبي داود : إنَّه غير ثقة ولا مأمون أحاديثه موضوعة ؟ أم قول ابن عدي : عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه ؟ أم قول البراء : حدَّث بأحاديث لم يُتابع عليها ؟ أم قول الدارقطني : كذّابٌ ؟ أم قول ابن القاسم : أحاديثه موضوعةٌ ليس بشيء ؟ أم قول البخاري عن أحمد : رمينا حديثه ؟ أم قوله في موضع آخر : كذَّبه أحمد ؟ أم قول ابن حبّان : يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يجوز الإحتجاج به ؟ أم قول العقيلي : يُعرف ويُنكر ، تركه أحمد وقال : أحاديثه أحاديث سوء ؟ أم قول أبي أحمد الحاكم : ليس بالقويِّ عندهم ؟ أم قول البغوي : ضعيف الحديث ؟ أم قول الأزدي : متروكٌ[1] .

وهذا كافٍ في وهن السند وبطلانه ، وإن غضضنا الطرف عن بقيَّة ما فيه من الشاميِّين أعداء الحقِّ وأضداد العترة الطاهرة صلوات الله عليهم ، وما فيه من الإرسال الموهن للرواية ، ودع عنك ما في متنه ممّا يضادُّ الاصول المسلّمة من الترخيص في المعصية ممّا هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، فهو يوجب التجرّي على المعاصي فيما يستقبل الرجل من الأيّام ، وأيّ إنسان غير معصوم يقال له : إنَّ كلّ ما سوف ترتكبه من المآثم مغفورٌ لك . فلا تحدوه شهواته إلى توهين اقترافها ، واستسهال ركوبها ؟ والشهوة غريزة في الإنسان تقوده إلى مهاوي الهلكة كلّ حين ، والمعصوم من عصمه الله تعالى .

نعم حقّاً يقال : إنَّ سيرة عثمان تُصدِّق هذه الرواية فإنَّها لا تشبه إلّا سيرة مَن رُخّص بالمآثم ، وأُذن لاقتحام الطامات والموبقات ، وبُشِّر بغفران هناته وعثراته ، فكان غير مكترث لمغبَّة فعاله ، ولا مبالٍ

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٢٢ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٠٧ .

بمعرَّة مقاله .

وهب انَّ الحسنات يذهبن السيِّئات من غير حقوق النّاس والكبائر المخرجة عن الدين التي سلفت من الإنسان ، ولكن أيّ عمل بارّ في الشريعة «ولا أقول من أعمال عثمان فحسب» . يُبيح للمكلّف السيِّئات فيما يأتي من عمره إلى يوم القيامة ويبشره بالمغفرة فيها جمعاء ؟ وليس في ميزان الأعمال ما هو أرجح من الإيمان ومع ذلك فهو غير ممتاز عمّا سواه بمغفرة ما يأتي به صاحبه في المستقبل ، وإنَّما يجبُّ ما قبله ، ﴿**والذين آمنو وعملوا الصَّالحات وآمنوا بما نُزّل على محمَّد وهو الحقُّ من ربِّهم كفَّر عنهم سيِّئاتهم وأصلح بالهم**﴾[1] ، وإلاّ لبطلت المواعيد والعقوبات المتوجّه خطابها إلى المؤمنين أجمع .

وإنّا لم نجد في أعمال عثمان عملاً بارّاً يستدعي هذه المغالاة الخارجة عن اصول الإسلام ، غير ما أنفقه على جيش العسرة إن صحَّ من ذلك شيءٌ ، وما خسره على بئر رومة ، وقد علمت أنَّ جيش العسرة أنفق عليه غيره ما هو أكثر ممّا أنفقه هو ، وما أكثر من حفر الآبار وكرى الأنهار وسبَّل مياهها للمسلمين ، فلو كان عمل عثمان هذا يستدعي المغفرة إلى يوم القيامة لوجب أن يُغفر لاولئك الأقوام والامم ذنوبهم إلى ما بعد القيامة بفئام ، لكن الحظوظ ساعدت عثمان ولم تساعدهم . فتبصَّر واعجب .

وهل علمت الصحابة بهذا الغفران ثمَّ نقموا عليه ما كان ينجم منه من هنات بعد هنات فلم يغفروها له مخالفين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهم عدول ؟ أو أنَّهم سمعوا هذه الأفيكة ثمَّ أودعوها في محفظة الأباطيل ؟ غير أنَّ ظنِّي بها أنَّ ميلادها بعد واقعة الدار وأنَّها كانت في أصلاب الوضّاعين عند الحصارين ، وفي حشّ كوكب ، وفي مقبرة اليهود ، ولم تلدها بعدُ أُمّها العاقر ، حتّى فسح المجال لاستيلادها على أيدي قوابل عهد معاوية فما بعد .

٣٠ ـ أخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٠ عن بهز أبي الأسود البصري عن أبي عوانة الوضّاح البصري عن حصين عن عمرو بن جاوان البصري عن

---

(١) سورة محمد ؛ الآية : ٢ .

الأحنف بن قيس البصري قال : انطلقنا حُجّاجاً فمررنا بالمدينة فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال : النّاس من فزع في المسجد . فانطلقت أنا وصاحبي فإذا النّاس مجتمعون على نفر في المسجد قال : فتخلّلتهم حتى قمت عليهم فإذا عليّ بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي فقال : أها هنا عليٌّ ؟ قالوا : نعم . قال أها هنا طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : أها هنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : أُنشدكم بالله الذي لا إلّه إلّا هو أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال : مَن يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنّي قد ابتعته . فقال : إجعله في مسجدنا وأجره لك ؟ قالوا : نعم . قال : أُنشدكم بالله الذي لا إلّه إلا هو أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال : من يبتاع بئر رومة . فابتعتها بكذا وكذا فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنّي قد ابتعتها يعني بئر رومة فقال : إجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك ؟ قالوا : نعم . قال : أُنشدكم بالله الذي لا إلّه إلّا هو أتعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : مَن يجهِّز هؤلاء غفر الله له فجهَّزتهم حتّى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً ؟ قالوا : اللهمَّ نعم . قال اللهمَّ اشهد . اللهمَّ اشهد . اللهمَّ اشهد . ثمَّ انصرف . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٧ بالإسناد المذكور .

قال الأميني : زعم البصريُّون جند المرأة أنَّهم يسعهم تدارك تجمهر صلحاء البصرة على عثمان بتسطير أمثال هذه الأفائك المفتعلة ، وحسبوا أنَّهم يبرّرون ساحة الرجل من تلكم الهنات الموبقة التي سجّلها له التاريخ ، ذاهلين عن أنَّ صحَّة هذه الأساطير تزيد عليه وبالاً ، فبعدما سمع أعاظم الصحابة حجاجه هذا ، وقرعت سمعهم تلكم المناشدات وما أصاخوا إليها ، وما زحزحوا عمّا كانوا عليه من خذلانه إلى التأليب عليه إلى الوقيعة فيه بكلِّ ما يوهنه ويُزريه إلى قتله إلى كسر أضالعه إلى رمي جنازته إلى دفنه في مقابر اليهود ، وبعدما أصرَّت الامّة على مقته مجمعة على النقمة عليه وهي لا تجتمع على الخطأ كما يحسبون ، لم يبق للرجل أيّ قيمة في سوق الإعتبار وإن اخلتقت يد الإفتعال له ألف أُسطورة .

تحصَّل ممّا قدّمناه أنَّ الاجور المذكورة على تقدير الصحة كانت مرتَّبة على

الأعمال ولم تكن حقوقاً ثابتة للرّجال فهي تدور مع الأعمال إن لم يبطلها ما هو أقوى منها كما هو الحال في المقتضيات المقارنة بالموانع ، وكان معتقد القوم فيما استنشدهم عثمان أنّها مقرونة بها ، فلذلك لم يقيموا لكلّ ما استنشدهم فيه وزناً إن كانت للمزاعم حقيقة . (ومنها) :

٣١ ـ أخرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٧ من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبدالرَّحمٰن السلمي قال : لمّا حُصِر عثمان بن عفّان رضي الله عنه وأُحيط بداره أشرف على الناس فقال : أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على جبل حراء فقال : اسكن حراء فما عليك إلّا نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيد ؟ قالوا : اللهمَّ نعم . قال : أُنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة : من ينفق نفقة متقبّلة . والناس يومئذٍ معسرون مجهودون فجهزت ذلك الجيش من مالي ؟ قالوا : اللهمَّ نعم . ثمَّ قال : أُنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ رومة لم يكن يشرب منها أحد إلّا بثمن فابتعتها بمالي فجعلها للغني والفقير وابن السبيل ؟ قالوا : اللهمَّ نعم . في أشياء عدّدها .

في الإسناد أبو إسحاق السبيعي وقد مرَّ في الجزء السابع ص ٣٠٩ : إنّه مدلّسٌ أفسد حديث أهل الكوفة ، ضعيفٌ جدّاً لا يحتجُّ بحديثه . وأمّا أبو عبدالرَّحمٰن فهو عثمانيّ لا يعوَّل عليه ولا يركن إلى حديثه .

٣٢ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٠ عن المدائني عن عباد بن راشد البصري عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : من يجهّز هذا الجيش بشفاعة مُتقبَّلة ؟ فقال عثمان : يا رسول الله بشفاعة متقبّلة ؟ قال : نعم على الله ورسوله . قال : أنا أُجهزهم بسبعين ألفاً .

قال الأميني : هذا الجيش جهّزه الحسن البصري بعد سنين من وفاة النبيِّ الأقدس وقد ولد الرجل لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ولعلّه نظر إلى ذلك الموقف واسترق السمع من وراء ستر رقيق في صلب أبيه ، أو أوعز بإرسال الرواية إلى بطلانها ، وغير بعيد أن يكون عباد بن راشد هو الذي تقوّل بها على الحسن وهو بريءٌ منها . قال الدوري عن ابن معين : حديث عبّاد ليس بالقويِّ ولكن يكتب

(يعني للإعتبار) وقال الدورقي عن ابن معين : ضعيفٌ . وقال البخاري والأزدي : تركه يحيى القطّان . وقال أبو داود : ضعيفٌ . وقال النسائي : ليس بالقويِّ . وقال ابن المديني : لا أعرف حاله . وقال ابن البرقي : ليس بالقويِّ . وقال ابن حبّان كان ممَّن يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنّه كان المتعمّد فبطل الإحتجاج به ، روى عن الحسن حديثاً طويلاً أكثره موضوعٌ(١) . (ومنها) :

٣٣ ـ أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٨ من طريق ابراهيم بن سعدان عن بكر بن بكار البصري عن عيسى بن المسيب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : اشترى عثمان بن عفّان من رسول الله ﷺ الجنّة مرّتين بيع الخلق : حين حفر بئر رومة ، وحين جهّز جيش العسرة .

رجال الإسناد :

١ ـ بكر بن بكار أبو عمرو البصري قال ابن أبي حاتم : ضعيف الحديث سيء الحفظ له تخليط . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقويِّ . وقال أيضاً ليس بثقة . وقال أبو حاتم : ليس بالقويِّ . وذكره العقيلي وابن الجارود والساجي في الضعفاء(٢) .

٢ ـ عيسى بن المسيّب . قال يحيى والنسائي والدارقطني : ضعيفٌ ـ وقال أبو حاتم وأبو زرعة : ليس بالقويِّ . وتكلّم فيه ابن حبّان وغيره . وقال أبو داود ضعيفٌ ، وقال يحيى بن معين أيضاً : ليس بشيء . وقال ابن حبَّان : يقلّب الأخبار ولا يفهم ويخطىء حتى خرج عن حدِّ الإحتجاج به .

[لسان الميزان ج ٤ ص ٤٠٥]

والباحث جدُّ عليم بأنَّ الصحابة لم تكن على يقين من هذا البيع المزعوم وإلّا لما تجمهروا على مقت الرجل وخذلانه ، ولم يكن عثمان نفسه على ثقة بذلك أيضاً وإلّا لما كان حذيراً من أن يكون هو الملحد بمكّة الذي عليه نصف عذاب أهل الأرض كما مرَّ حديثه في هذا الجزء ص ١٨٢ . (ومنها) :

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٩٢ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ١٦٠ . تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٨ ،لسان الميزان ج ٢ ص ٤٨ .

٣٤ ـ أخرج أحمد في المسند ج ٤ ص ٧٥ ، وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٨ من طريقين أحدهما عن عبدالله بن جعفر عن يونس بن حبيب عن أبي داود . والآخر : عن فاروق بن الخطابي عن أبي مسلم الكجي عن حجّاج بن نصر[1] «أبي محمد البصري» قالا حدّثنا سكن بن المغيرة الأموي (البصري مولى آل عثمان) عن الوليد بن أبي هشام البصري عن فرقد بن أبي طلحة عن عبدالرَّحمٰن بن أبي خباب[2] السلمي البصري قال: خطب النبيُّ ﷺ فحثَّ على جيش العسرة فقال عثمان : عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . قال: ثمَّ حثَّ فقال عثمان : عليَّ مائة أُخرى بأحلاسها وأقتابها قال ثمَّ حثَّ فقال عثمان : عليَّ مائة أُخرى بأحلاسها وأقتابها . فرأيت النبيَّ ﷺ يقول بيده يحرّكها ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

قال الأميني : هلاّ مخبرٌ يخبرني عن هذا الصحابيِّ البصريِّ الذي لا يُعرف إلاّ بحديثه هذا ؟ ولا يعلم من تاريخ حياته شيءٌ غير اختلاقه هذه الرواية، ولا يروي عن النبيِّ الأعظم إلاّ هذه الخطبة المزعومة كما صرَّح به ابن عبد البرّ في «الإستيعاب»، وابن حجر في «الإصابة»، لم يسمعها صحابيٌّ قط غيره منه صلى الله عليه وآله وسلم .

ثمَّ يخبرني ذلك المخبر عمَّن انتهى إليه الإسناد أنَّ فرقد بن طلحة ، مَن هو ؟ ومتى ولد ؟ وأين وأنّى كان ؟ وما المعروف من ترجمته ؟ فكأنّي به وهو يجيبني بما قاله عليّ بن المديني : لا أعرفه[3] .

وهل تخفى على إمام أو حافظ في الحديث آراء رجال الجرح والتعديل في حجّاج بن نصير ؟ وقد ورد فيه قول ابن معين : ضعيفٌ . وقول عليّ بن المديني : ذهب حديثه كان الناس لا يحدّثون عنه ، وقول النسائي : ضعيفٌ . وقوله أيضاً : ليس بثقة ولا يُكتب حديثه . وقول ابن حبان : يُخطىء ويهم . وقول العجلي : كان معروفاً بالحديث ولكنّه أفسده أهل الحديث بالتلقين كان يلقن وأُدخل في حديثه

---

(١) كذا في النسخ والصحيح : نصير بضم النون مصغراً .
(٢) كذا في النسخ والصحيح : عبدالرحمٰن بن خباب .
(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٦٤ .

ما ليس منه فترك . وقول ابن سعد كان ضعيفاً . وقول الدارقطني والأزدي : ضعيفٌ : وقول أبي أحمد الحاكم : ليس بالقويِّ عندهم . وقول الآجري عن أبي داود : تركوا حديثه . وقول ابن قانع : ضعيفٌ ليِّن الحديث[1] .

وإنِّي أحسب أن الآفة من سكن بن المغيرة وأنَّه أدَّى حقوق آل عثمان ـ وهو مولاهم ـ باختلاق هذه المنقبة لعثمان ، ولا ينافي ذلك كونه صالحاً إمام جمعة وجماعة ، وكم وكم من صلحاء وضّاعين ، ومن أئمّة كذّابين ؟ راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا سلسلة الكذابين والوضاعين . و(منها) :

٣٥ ـ أخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٩ من طريق عمر بن هارون البلخي عن عبدالله بن شوذب البصري ثمَّ المقدسي عن عبدالله بن القاسم عن كثير بن أبي كثير البصري مولى سمرة[2] عن عبدالله بن سمرة عامل معاوية بن أبي سفيان على البصرة قال : كنت مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة فجاء عثمان بألف دينار فنثرها بين يدي رسول الله ﷺ ثمَّ ولّى قال : فسمعت رسول الله ﷺ وهو يقلّب الدنانير وهو يقول: ما يضرّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم .

وفي لفظ أحمد في المسند ج ٥ ص ٦٣ : ما ضرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم . يردِّدها مراراً .

وذكره ابن الجوزي في التبصرة كما في تلخيصها قرَّة العيون المبصرة ج ١ ص ١٧٩ .

قال الأميني ألا تعجب من حفّاظ يروون عن كذّاب خبيث مرسلين روايته إرسال المسلّم يمرُّون بها كراماً ؟ أيّ قيمة في سوق الإعتبار لرواية جاء بها عمر بن هارون ؟ وقد جاء فيه قول ابن سعيد : كتب الناس عنه كتاباً كبيراً وتركوا حديثه وقول البخاري : تكلّم فيه يحيى بن معين وقال : عمر بن هارون كذّابٌ قدم مكّة وقد مات جعفر بن محمّد فحدَّث عنه . وقول ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : تكلّم فيه ابن المبارك فذهب حديثه ، قلت لأبي : إنَّ الأشجَّ حدَّثنا عنه فقال : هو

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) وفي مسند أحمد : مولى عبدالرحمن بن سمرة عن عبدالرحمن بن سمرة .

ضعيف الحديث نخسه ابن المبارك نخسة . وقول قتيبة : قلت لجرير : إنَّ عمر بن هارون حدّثنا عن القاسم بن مبرور قال : نزل جبريل على النبيِّ ﷺ فقال : إنَّ كاتبك هذا أمين (يعني معاوية) فقال جرير إذهب إليه فقل له : كذبت . رواها العقيلي . وعن أحمد أنَّه قال : لا أروي عنه شيئاً وقد أكثرت عنه . وقول ابن مهدي : لم يكن له عندي قيمة حدَّثني بأحاديث فلمّا قدم مرَّة أُخرى حدَّث بها عن ابن عبّاس عن اولئك فتركت حديثه . وقول أبي زكريا: عمر بن هارون : كذّابٌ خبيثٌ ليس حديثه بشيء ، قد كتبت عنه وبتُّ على بابه وذهبنا معه إلى النهروان ، ثمَّ تبيَّن لنا أمره فحرَّقت حديثه ما عندي عنه كلمة . وقول ابن محرز عن ابن معين: ليس هو بثقة وبنحوه قال الغلابي عنه . وقال عنه مرَّة : ضعيفٌ . وقول أبي داود عنه : غير ثقة . وقول إبن أبي خيثمة وغيره عن ابن معين : ليس بشيء : وقول جعفر الطيالسي عن ابن معين : يكذب . وقول عبدالله بن علي بن المديني : سألت أبي عنه فضعَّفه جدّاً . وقول إبراهيم بن موسى : الناس تركوا حديثه . وقول الجوزجاني : لم يقنع الناس بحديثه . وقول النسائي وصالح بن محمَّد وأبي علي الحافظ : متروك الحديث . وقول الساجي فيه ضعفٌ وقول الدار قطني : ضعييفٌ . وقول أبي نعيم : حدَّث بالمناكير لا شيء[١] وقول العجلي : ضعيفٌ . وقول ابن حبّان : يروي عن الثقات المعضلات ويدَّعي شيوخاً لم يرهم[٢] .

وفي الإسناد : كثير بن أبي كثير ذكره العقيلي في الضعفاء ، وقال ابن حزم وعبد الحقِّ : إنَّهُ مجهولٌ ، ولو كان لتوثيق العجلي الرجل وزنٌ لما جهله الحافظان ولم يضعِّفه العقيلي ، وأيّ قيمة لثقة العجلي وهو يوثِّق عمر بن سعد قاتل الإمام السبط الشهيد ونظرائه من المهتوكين المفضوحين ؟

وفي طريق أحمد مضافاً إلى كثير ضمرة بن ربيعة وقد مرَّ فيه قول الساجي : صدقٌ يهم ، عنده مناكير . وروى ضمرة عن الثوري عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر حديثاً أنكره أحمد وردَّه ردّاً شديداً . وقال : لو قال رجلٌ : إنَّ هذا كذبٌ لَما

---

(١) ليت أبي نعيم كان على ذكر من رأيه هذا في الرجل حين أخرج من طريقه هذه المنقبة المزيّفة .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٥٠٢ ـ ٥٠٥ .

كـان مخطئـاً وأخرجـه الترمـذي وقال : لا يُتـابع ضمـرة عليه وهـو خطأ عنـد أهـل الحديث .

فهذه مكانة الرَّجل من الرِّواية وإن كان ثقةً مأمـوناً ، وأكبـر الظنّ أنَّ الآفـة في هذه الرواية من إبن سمرة وأنَّه اختلقها تقرُّباً إلى اعـطيات معـاوية وهبـاته التي كـانت تصل من دون وزن وكيل إلى وضّـاعي الأحاديث ورجـال الإختلاق الـذين لا خلاق لهم . و(منها) :

٣٦ - عن مسعـر عن عطيَّـة عن أبي سعيد قـال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أوَّل الليل إلى أن طلع الفجر رافعـاً يديـه لعثمان يقـول : اللهمَّ عثمان رضيت عنـه فارض عنه .

ذكـره ابن الجوزي في كتـابه (التبصـرة) كمـا في تلخيصـه[1] ج ١ ص ١٧٩ مـرسلاً إيَّـاه إرسال المسلّم ، وهـو أوَّل حديث ذكـره في فضـائـل عثمـان ، وذكـره الواحدي في أسباب النزول مـرسلاً ص ٦١ فـزاد : فأنـزل الله تعالى فيـه : ﴿**الَّذين ينفقـون أموالهم في سبيـل الله**﴾[2] وذكره ابن كثيـر في تـاريخـه ج ٧ ص ٢١٢ ولم يذكر من رجـال إسناده إلّا الثـلاثة المـذكورة ولعـلَّ هو ومَن رواه مـرسلاً وجـدوا في سلسلة السند أُناساً ساقطين لا يعبأ بهم ولا يحتجُّ بحديثهم ، وما راقهم إبطال هـذه المنقبة بإبداء علله بذكر أُولئك الرجال .

ومن العجب العجاب هذا الدؤوب منه صلى الله عليه وآله وسلم من أوَّل الليل إلى منتهى الفجر على الدعاء لعثمان الذي فوَّت عليه مرغّباته وفرائضه ، فإنَّ صلاة الليل والوتر كانت فـريضة عليـه صلى الله عليه وآله وسلم دون الأُمَّة[3] ولا أدري هـل نزل عليـه ﷺ وحيٌ جديـدٌ يـأمـره بـاستبدال نوافله وفرائضـه في تلك الليلة بدعـاء عثمان ؟ أو مـاذا كان فيهـا ؟ نعم : الذي يظهـر من السيوطي في الخصـائص الكبرى ج ٢ ص ١٦٤ - ١٧٠ ، إنَّ ذلـك الوحي لم ينزل ،وإنَّ الدعاء لعثمان لم يكن فضلاً عن استيعـابه الليـل كلّه فإنّـه ذكر

---

(١) الموسوم بقرّة العيون المبصرة تأليف الشيخ أبي بكر ابن الشيخ محمد الملا الحنفي .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية ٢٦٢ .

(٣) راجع الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٢٩ .

فيها كلُّ من دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمَّاهم حتّى يهوديّاً سمّت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعدَّ منهم عثمان .

ولو كان إنفاق عثمان في جيش العسرة موجباً للدعاء المستوعب ليله صلى الله عليه وآله وسلم كما يظهر من رواية الواحدي ، فإنفاق أبي بكر الذي أنفق كلَّ ما كان يملكه ذات يده ـ كما يحسبه القوم ـ كان يراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمنَّ الناس عليه بماله[1] يستوجب دعاءً مستغرقاً ليله ونهاره ، فأين ؟ وأنّى ؟ ولو كان كلُّ إنفاق في مهمَّة يستدعي دعاء الليل فكان عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقضي حياته ليلاً ونهاراً بالدعاء للمنفقين ، وما أكثرهم ؟ ولو كان صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه لعثمان فعليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يديم رفعهما في الدعاء لأبي بكر ولرجال الأنصار المكثرين من الإنفاق في السّلم والحرب ولغيرهم من أهل اليسار الذين بذلوا كنوزاً عامرة من الدرهم والدينار في مهامّ الإسلام المقدَّس والدعوة إليه والذبّ عنه .

وأمّازيادة الواحدي من نزول الآية الكريمة في عثمان فقد فصَّلنا القول فيه وأنَّه لا يصحُّ في الجزء الثامن ص ٥٧ . (بقيَّة مناقب عثمان) .

٣٧ ـ قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ : قال ليث بن أبي سليم (ابن زنيم القرشي مولاهم) : أوَّل من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقى ثمَّ بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أُمّ سلمة فلم يصادفه فلمّا جاء وضعوه بين يديه فقال : من بعث هذا؟ قالوا : عثمان . قالت : فرفَع يديه إلى السَّماء فقال : اللهمَّ إنَّ عثمان يترضّاك فارض عنه .

وذكره السيوطي في مسامرة الأوائل ص ٨٧ نقلاً عن البيهقي وابن عساكر من طريق ليث .

قال الأميني : خبص بن زنيم هذا الخبيص لعثمان بعد لأي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مات الرجل بعد المائة والأربعين من الهجرة ، ولم يدرك النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم نعرف الذي أخذ الرواية منه ممَّن شهد قصعة الخبيص وحضر

---

(١) راجع ما مضى في ج ٧ ص ٣٤٤ وج ٨ ص ٥٥ ، ٨٢

مشهد الدعاء كما لا يُعرف أحدٌ من بقيّة رجال الإسناد ، فالرواية مرسلةٌ من الطرفين .

أمّا ابن زنيم فقد جاء فيه عن عبدالله بن أحمد قال : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً منه في ليث وابن إسحاق وهمام ، لا يستطيع أحدٌ أن يراجعه فيهم . وقال ابن أبي شيبة وأبو حاتم والجوزجاني : كان ضعيف الحديث . وضعَّفه ابن سعد وابن معين وابن عيينة . وقال أحمد وأبو حاتم أيضاً وأبو زرعة : مضطرب الحديث لا تقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث . وقال يحيى : عامّة شيوخه لا يُعرفون. وقال ابن حبَّان : اختلط في آخر عمره فكان يقلّب الأسانيد ويرفع المراسل ، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم ، تركه القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد . وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالقويّ عندهم . وقال أبو عبدالله الحاكم : مُجمعٌ على سوء حفظه[١] .

ألا تعجب من حافظ كابن كثير يذكر رواية هذا شأنها وهذه عللها وذلك متنها المعلول ويرسلها إرسال المسلّم في مقام الحجاج ويعدُّها من فضائل عثمان ، ويأتي إلى حديث المؤاخاة الصحيح الثبت المتواتر الوارد من طرق مسندة معنعنة في الصحاح ويتخلّص منه بقوله[٢] : أسانيدها كلّها ضعيفةٌ لا يقوم بشيء منها حجّة . والله أعلم[٣] ويروي في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٧ نزول آية الولاية في عليّ عليه‌السلام فقال : هذا لا يصحُّ بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ، ولم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيّته[٤] حيّا الله الأمانة ، وقاتل الله الحبَّ المعمي والمصمّ .

ولو كان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يرفع يديه لكلِّ هديّة ولو كانت لقمة خبيص ، للزمه أن لا

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٦٨ .

(٢) راجع تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٥ .

(٣) مرّ حديث المؤاخاة بطرقها المفصلة في ج ٣ ص ١٨٤ - ٢٠٠ ومرّ الإيعاز إليه في هذا الجزء صفحة ٣٥٩ .

(٤) أسلفنا في ج ٣ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ تفصيل القول في نزول الآية في علي عليه‌السلام ، وصحة روايته ، وإطباق الفقهاء والمتكلمين والمحدّثين والمفسرين على ذلك .

ينزلهما في أغلب أوقاته لكثرة الهدايا إليه وكثرة مُهديها ، ولم تكن لعثمان ولخبيصه خاصَّةٌ توجب أداء حقّها دون المؤمنين عامّة وهداياهم .

٣٨ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٦ ص ٣٢١ من طريق عبدالله بن الحسن بن أحمد عن يزيد بن مروان الخلّال عن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ لكلِّ نبيّ خليلاً من أُمَّته وإنَّ خليلي عثمان بن عفّان .

قال الأميني : حسبك من عرفان رجال الإسناد كذّابان : الخلّال والملطي ، أمّا الخلّال فقال يحيى بن معين : الخلّال كذّابٌ . وقال الدارمي : وقد أدركته وهو ضعيفٌ قريبٌ ممّا قال يحيى . وقال أبو داود . ضعيفٌ . وقال الدارقطني : ضعيفٌ جدّاً[1] .

هذا مجمل القول في الخلّال وأمّا الملطي فقال أحمد : إسحاق من أكذب الناس وقال ابن معين : كذّابٌ عدوّ الله رجلُ سوء خبيث . وقال ابن أبي شيبة عنه : كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق بن نجيح . وقال إبن أبي مريم إنَّه من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال عمرو بن علي : كذّابٌ كان يضع الحديث . وقال الجوزجاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامّة ما أتى عن ابن جريح بكلٍّ منكر ووضعه عليه ، وهو بيِّن الأمر في الضعفاء وهو ممّن يضع الحديث . وقال النسائي : كذّابٌ . وقال إبن حبّان : دجّالٌ من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً . وقال البرقاني : نُسب إلى الكذب . وقال الجوزقاني كذّابٌ وضّاعٌ لا يجوز قبول خبره ولا الإحتجاج بحديثه ويجب بيان أمره. وقال أبو سعيد : مشهور بوضع الحديث . وقال إبن طاهر . دجّال كذّاب . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنَّه كان يضع الحديث[2] .

ومن العجب سكوت الخطيب عن هذه الرواية وعمّا في إسنادها من العلل

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣١٨ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٩٣ .
(٢) تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٢١ ـ ٣٢٤ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٥٢ .

وقد ذكر هو كثيراً من آراء الحفّاظ المذكورة في ترجمة إسحاق ولعلّه اكتفى بذكرها عن تفنيد الرِّواية صريحاً ، وكان مفتعلها لم يقف على المفتعلة الاخرى المرفوعة : لكلِّ نبيّ خليلٌ وخليلي سعد بن معاذ(١) ويضادُّ كلاهما ما جاء به البخاري في صحيحه ج ٥ ص ٢٤٣ من القول المعزوِّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لو كنت متَّخذاً خليلًا لاتَّخذت أبا بكر . وقد قدَّمنا الكلام حول ذلك في الأجزاء الماضية وأنّه موضوعٌ مختلق أيضاً .

٣٩ - روى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبدالملك قالت انتبه عمر «ابن عبدالعزيز» ذات ليلة وهو يقول: لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة . فقلت : أخبرني بها فقال : حتّى نصبح . فلمّا صلّى بالمسلمين دخل فسألته فقال : رأيت كأنّي دُفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنَّها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنّه الفضَّة فخرج منه خارجٌ فنادى : أين محمَّد بن عبدالله ؟ أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتّى دخل ذلك القصر ، ثمَّ خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصدِّيق ؟ فأقبل فدخل ، ثمَّ خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثمَّ خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفّان ؟ فأقبل فدخل ، ثمَّ خرج آخر فنادى : أين عليُّ بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثمَّ خرج آخر فنادى : أين عمر بن عبدالعزيز ؟ فقمت فدخلت فجلست إلى جانب أبي(٢) عمر بن الخطاب وهو عن يسار رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يمينه وبينه وبين رسول الله ﷺ رجلٌ فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثمَّ سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نورٌ لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبدالعزيز ! تمسَّك بما أنت عليه واثبت على ما أنت عليه ، ثمَّ كأنَّه أُذن لي في الخروج فخرجتُ فالتفتُ فإذا عثمان بن عفّان وهو خارجٌ من القصر وهو يقول : الحمدلله الذي نصرني ربِّي . وإذا عليٌّ في أثره وهو يقول : الحمدلله الذي غفر لي ربِّي . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٩ ص ٢٠٦ .

قال الأميني : أنا لا أزال أُرحِّب بقوم يُحاولون إثبات الحقائق بالأطياف ،

---

(١) كنز العمال ج ٦ ص ١٨٣ ، منتخب الكنز هامش مسند أحمد ج ٥ ص ٢٣١ .
(٢) عمر بن الخطاب جدّعمر بن عبدالعزيز من أُمّه ام عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب

ويجابهون ما ثبت في الخارج بالخيال ، فتصوّر لهم ريشة الأوهام عثمان منزَّهاً عن كلّ وصمة عرفتها فيه الصحابة العدول من أُمّة محمّد الناظرين إليه من كثب والمشاهدين أعماله الناقمين عليه بها ، وقد أهدروا دمه من جرّائها ، وهم الذين يُقتدى بهم وبأقوالهم وأفعالهم عند القوم ويُحتذى مثالهم ، وبأمثال هذه السفاسف يُجرِّؤن البسطاء على التورُّط في المآثم بالنظر إلى هذا الإنسان المغمور فيها في نظّارة مكبّرة تُريه منزَّهاً عن دنس كلّ حوب ، منصوراً من الله بعد أن خذلته الصحابة جمعاء .

ولهم هناك نظّارةٌ أُخرى تصغِّر المنظور إليه من إمام المسلمين وسيِّد الخلفاء خير البَشر بَعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام إلى حَدّ أَثبتوا له ذنباً مغفوراً له .

ألا من مسائل إيّاهم عن أنّه متى صدر هذا الذنب عن إمام المسلمين ؟ أحين عدَّه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه كما في الذكر الحكيم ؟ أم حين طهَّره الجليل بقوله تعالى : ﴿**إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيرا**﴾ أم حين قرن ولايته بولايته وولاية نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سبحانه : ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الَّذين يقيمون الصَّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ ؟[١] أم حين أكمل بولايته الدين وأتمَّ نعمته على المسلمين بقوله عزَّ من قائل : ﴿**أليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[٢] .

أم حين جعله صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالنّاس مِن أنفسهم كما هو أولى بهم مِن أنفسهم فرشّحه للخلافة الكُبرى في حديث الغدير المتواتر المقطوع بصدوره ؟ أمْ حين جعله عدل القرآن في حديث الثقلين الثابت المتواتر ؟ أمْ حين أنزله من نفسه بمنزلة هارون من موسى ، وفصَّل بينه وبين نفسه بالنبوَّة فحسب فقال : إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي[٣] ؟ أم أم إلى ألف أم .

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص١٩٨ - ٢٠١

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الأول ص ٢٧٦ - ٢٨٥

(٣) راجع ما مرّ في الجزء الثالث ص ٢٤٩ - ٢٥٢

على أنّه سلام الله عليه كان جِلس بيته والناس متجمهرون على عثمان لا يشاركهم في شيء من أمره ، ولعلّ في الفئة المهملجة من يَعدُّ ما كان ينوء به الإمام عليه السلام من نهي عثمان عمّا نقم عليه به من هنات وعثرات وأمره إيّاه بالمعروف والعمل بالكتاب والسنة فلا يجد منه أُذناً مصيخة حتّى قال : ما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبت شرفك وغُلبت على أمرك[١]، ذنباً مغفوراً له، ويعدُّه تقويةً لجانب الثائرين على الرجل ، وما هو من ذلك بشيء ، وإنّما أراد عليه السلام كشف المثلات عنه بإقلاعه عمّا كان يرتكبه من الموبقات ولكن على حدّ قول الشاعر :

أمرتكُم أمري بمنعرج اللوا   فلم تستبين النصح إلّا ضحى الغدِ

أو على حدّ قوله :

وكم سقتُ في آثاركم من نصيحة   وقد يستفيد الظنّة المتنصّح

فزهٍ زهٍ بهذه المعرفة وحيا الله العلم الناجع الذي يرى صاحبه الواجب ذنباً والمذنب منصوراً .

وأحسب أنّ الذي افتعل هذه الاكذوبة الخياليّة رجلٌ من بسطاء الأكراد أو الأعجامالبعداء عن العربيّة وإلّا فالعربيُّ الصميم لا يقول : الحمدلله الذي نصرني ربّي ، والحمدلله الذي غفر لي ربّي .

ولعمر بن عبدالعزيز منام أشنع من هذه المهزأة يحوي فصل الخصومات الواقعة بين الإمام أمير المؤمنين ومعاوية بن هند ، أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا أيضاً بالإسناد عن عمر بن عبدالعزيز قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده فسلّمت عليه وجلست ، فبينما أنا جالس إذا أُتي بعليٍّ ومعاوية ، فأُدخلا بيتاً وأُجيف الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج عليٌّ وهو يقول : قُضي لي وربِّ الكعبة ثمَّ ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غُفر لي وربِّ الكعبة[٢] .

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣٠ .

يظهر من الجمع بين المنامين أنَّ موقف أمير المؤمنين عليّ من عثمان كان كموقف معاوية من عليّ صلوات الله عليه، موقف الخروج على إمام الوقت، موقف البغي والجور، لا ضير إنّا إلى ربّنا منقلبون، والله هو الحَكم العدل يوم لا ينفع طيفٌ ولا خيال.

٤٠ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣ من طريق سعيد بن خالد عن صالح بن كيسان «أمويُّ النزعة مؤدّب ولد عمر بن عبدالعزيز» عن سعيد بن المسيب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال: هذا التقيُّ المؤمن الشهيد شبيه ابراهيم.

قال الأميني: كأنَّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، أو سعيد بن خالد الخزاعي المدني المجمع على ضعفه لم يجد في صحابة النبيِّ الأقدس من يتحمَّل عبء هذا السرف من القول والغلوِّ في الفضيلة فتركه مرسلاً مقطوع العرى بين سعيد بن المسيب المولود بعد سنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لعلَّ الباحث بعد قراءة ما سردناه من سيرة الممدوح وآراء الصحابة فيه وإصفاق الأُمَّة على النقمة عليه بأفعاله وتروكه الشاذَّة عن التقوى لا يخفى عليه أنَّ تشبيه الرجل بابراهيم النبيِّ عليه السلام جنايةٌ على المعصومين وسفهٌ من القول وتَرَهٌ، نعوذ بالله من التقوُّل بلا تعقّل.

ولو كان التشبيه بمن كان من الأنبياء مقتولاً لأمكن أن يتصوَّر له وجه شبه ولو مع ألف فارق. غير أنَّ نوبة الظلم عند وضع هذا الحديث كانت قد انتهت إلى خليل الله سلام الله عليه.

وإنِّي أحسب أنَّ مُصحصح هذه المهزأة قرع سمعه حديث التشبيه الوارد في مولانا أمير المؤمنين المذكور في الجزء الثالث ص ٤٢٦ ـ ٤٣١ وراقه من ذلك تشبيهه بخليل الرَّحمٰن فحابى الرجل بذلك، وقد أعماه الحبُّ عن عدم وجود وجه شبه ولو من جهة واحدة مع التمحُّل بين نبيّ معصوم خُصَّ بفضيلة الخلّة من المولى سبحانه وبين مَن قُتل دون هناته وسقطاته.

أنا لا أدري أنَّ هتاف النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا الذي سمعه سعيد بن المسيب المولود بعده هل سمعته عائشة ومع ذلك كانت تهتف بقولها : اقتلوا نعثلاً قتله الله فإنَّه قد كفر . وبقولها لابن عبّاس : يابن عبّاس ! إن الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية . وبقولها : ددت والله انَّه في غِرارة من غرائري هذه وانِّي طوّقت حمله حتّى أُلقيه في البحر ، وبقولها لمروان : وددت والله انّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رِجل كلّ واحد منكما رحاً وانّكما في البحر . وبقولها للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنَّته . وبقولها لمَّا بلغها نعيه : أبعده الله ذلك بما قدَّمت يداه وما هو بظلّام للعبيد . وبقولها : أبعده الله قتله ذنبه . وأقاده الله بعمله . يا معشر قريش ! لا يسومنَّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه[1] .

وهل سمع حديث التشبيه في عثمان اولئك الصَّحابة الذين سمعتَ أقوالهم وأفعالهم حول الرجل ؟ أو أنَّ الحديث كان باطلاً فلم يسمعه أحدٌ منهم ؟ الحَكَم في ذلك أنت أيُّها القارىء الكريم .

وأخرج رُواة السوء من طريق عائشة في التشبيه ما هو أعظم من هذا وأهتك لناموس الإسلام ونبيّه الأقدس وإليك نصّه :

عن المسيّب بن واضح السلمي الحمصي ، عن خالد بن عمرو بن أبي الأخيل السلفي الحمصي ، عن عمرو بن الأزهر العتكي البصري قاضي جرجان ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمّا زوج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أُمّ كلثوم قال لأُمّ أيمن خذي بنتي وزفّيها إلى عثمان واخفقي بالدف . ففعلت فجاءها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد ثالثة فقال : كيف وجدتِ بعلكِ ؟ قالت : خير رجل . قال : أما إنّه أشبه النّاس بجدِّكِ ابراهيم وأبيك محمّد[2] .

ذكره الذهبي في ميزان الإعتدال في ترجمة عمرو بن الأزهر فقال : هذا موضوعٌ . نحن نقول: رجال الإسناد :

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء من حديث عائشة ص ١٠١ - ١١١ .
(٢) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٨١ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٣٥٣ .

١ ـ المسيَّب بن واضح ، قال أبو حاتم : صدوقٌ يخطىء كثيراً فإذا قيل له لم يقبل وقال الدارقطني : ضعيف . وقال الساجي : تكلّموا فيه في أحاديث كثيرة . وقال عبدان : هو وعبدالوهّاب بن الضحّاك كلاهما سواء[١] وعبدالوهّاب كما مرَّ في الجزء الخامس ص ٢٤٢/ط ٢ : كذّابٌ يضع الحديث متروكٌ كثير الخطأ والوهم وكان معروفاً بالكذب في الرواية .

٢ ـ خالد بن عمرو ، كذّبه الفريابي ، ووهّاه ابن عدي وغيره ، وقال الدارقطني : ضعيفٌ . وقال ابن عدي : له أحاديث مناكير . وذكر الذهبي حديثاً من طريقه فقال : باطلٌ ومن بلايا الأخيل حديثٌ كذب في مشيخة ابن شاذان[٢] .

٣ ـ عمرو بن الأزهر العتكي ، قال أبو سعيد الحدّاد : كان يكذب مجاوبة ، وعن ابن معين أنَّه ليس بثقة ضعيفٌ ، وقال البخاري : يُرمى بالكذب . وقال النسائي وغيره متروكٌ ، وقال أحمد : كان يضع الحديث . وقال عبّاس الدوري عن يحيى : كان كذّاباً ضعيفاً. وقال الدولابي : متروك الحديث . وقال الجوزجاني : غير ثقة . ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٨١ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٣٥٣ .

وأعطف إلى هذه المكذوبة ما أخرجه ابن عدي من طريق زيد بن الحريش عن عمرو بن صالح قاضي رامهرمز عن العمري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : إنّا نشبّه عثمان بأبينا إبراهيم .

قال الذهبي : منكرٌ جدّاً ، وقال ابن عدي في ذكر عمرو بن صالح بعد هذا الحديث وله غير هذا ممّا لا يُتابع عليه .

٤١ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧ عن الحسين بن عليّ بن الأسود عن عبدالرَّحمن قال : قمت في الحِجر فقلت : لا يغلبني عليه أحدٌ الليلة فجاء رجلٌ من خلفي فغمزني فأبيت أن ألتفت ، ثمَّ غمزني فأبيت أن ألتفت ، ثمَّ غمزني الثالثة فالتفتُّ فإذا عثمان فتأخَّرت عن الحِجر فقرأ القرآن في ركعة ثمَّ انصرف .

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧١ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٤١ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٩٩ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١١٠ .

وأخرجه أبو نعيم بالإسناد في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ولفظه : قال عبدالرَّحمٰن : لأغلبنَّ الليلة على المقام، فلمّا صلّيت العتمة تخلّصت إلى المقام حتّى قمت فيه قال : فبينا أنا قائمٌ إذا رجلٌ وضع يده بين كتفي فإذا هو عثمان بن عفّان . قال : فبدأ بأُمّ القرآن فقرأ حتّى ختم القرآن فركع وسجد ، ثمَّ أخذ نعليه فلا أدري أصلّى قبل ذلك شيئاً أم لا ؟ .

قال الأميني : سل عن راوي هذه الفضيلة الحافظ ابن عدي أنّه قال قال الحسين بن عليّ كان يسرق الحديث ، وأحاديثه لا يُتابع عليها وسل عنه الأزدي فإنّه قال : إنّه ضعيفٌ جدّاً يتكلّمون في حديثه . وسل عنه أحمد إمام الحنابلة فإنّك تسمع منه ما سمعه أبو بكر المروزي لمّا سأله عنه من قوله : لا أعرفه[1] .

ثمَّ هلمَّ معي نسائل عبدالرَّحمٰن التيمي هلاّ كان من واجبه أن يُخبر ابن عمّه طلحة بن عبيدالله التيمي بهذه السيرة الصالحة يوم ضيَّق على صاحبها الخناق ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، يوم هتك حرمته ، وأباح دمه ، وأورده المنيّة ، ومنع جنازته عن أن تُدفن في مقابر المسلمين ؟ .

ولنا أن نسائل الممدوح «عثمان» ألم يكن في الحِجر مكاناً يسعه إلاّ موقف عبدالرَّحمٰن ؟ وهل كان له أن يَغمز الرجل مرَّة بعد أُخرى وهو في محراب الطاعة ؟ أو أن يزيحه عن مكانه والوقف لمن سبق ؟ وقد جاء في السّنة الشريفة من طريق جابر مرفوعاً : لا يقيمنَّ أحدكم أخاه يوم الجمعة ثمَّ ليخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول : أفسحوا [صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠] .

ومن طريق ابن عمر مرفوعاً : لا يقيم الرجلُ الرَّجلَ مِن مقعده ثمَّ يجلس فيه ولكن تفسّحوا وتوسَّعوا . وزاد في حديث ابن جريج قلت : في يوم الجمعة ؟ قال : في الجمعة وغيرها . صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٢ ، صحيح البخاري ج ٢ ص ٩٤ .

وفي لفظ لمسلم : لا يقيمنَّ أحدكم أخاه ثمَّ يجلس في مجلسه .

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٤٣ .

قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٨ ص ٤٧٩ : هذا النهي للتحريم فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحقّ به ، ويحرم على غيره إقامته منه لهذا الحديث .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٢ ص ١٦٩ : ظاهر النهي التحريم فلا يُصرف عنه إلاّ بدليل ، فلا يجوز أن يقيم أحداً من مكانه ويجلس فيه ، لأنَّ من سبق إلى مباح فهو أحقُّ به ، ولأحمد[١] حديث أنَّ الذي يتخطّى رقاب النّاس أو يفرّق بين إثنين بعد خروج الإمام كالجارِّ قصبه[٢] في النار ، والتفرقة صادقة بأن يزحزح رجلين عن مكانهماويجلس بينهما .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج ٣ ص ٣٠٦ . من سبق إلى موضع مباح سواءٌ كان مسجداً أو غيره في يوم الجمعة أو غيرها لصلاة أو لغيرها من الطاعات فهو أحقّ به ، ويحرم على غيره إقامته منه والقعود فيه .

فإقامة عثمان عبدالرَّحمٰن من مكانه الذي كان هو أحقّ به وغمزه إيّاه مرَّة بعد أُخرى محظورٌ محرَّمٌ شاذٌّ عن السنَّة الثابتة .

ثمَّ هل تسع الليلة لقراءة القرآن ختمة واحدة ؟ ولعلّها تسع بالتمحُّل من كون الليلة من ليالي الشتاء الطويلة ، ومن قدوم عثمان الحِجر بعد فريضة العشاء بلا فصل ، وأنّه كان طلق اللسان خفيفه ، وإن كنّا لا نعلم شيئاً من ذلك .

أليس عثمان هذا هو الذي صعد المنبر وأرتج عليه وقام مليّاً لا يتكلّم فقال : إنَّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً وإنّي لم أُزوّر له خطبة ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول[٣] : أيّ خطيب يعوزه الكلام ويفتقر إلى تزوير مقال وفي ذاكرته كلام الله المجيد ، وفيه بلغةٌ وكفايةٌ عن كلِّ تلفيق وترميق وترميغ .

وهلاّ كان على الرجل أن يعمل بالقرآن الذي كان يختمه في صلاته ؟ ألم يك في قرآنه قوله تعالى : **﴿الَّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد**

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٤١٧ .
(٢) القُصب بضم القاف : الظهر ، المعى ، ج : أقصاب .
(٣) راجع الجزء الثامن ص ١٩٩ ، ٢٠٠

احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[١] أو لم يكن أبو ذر وعمّار وابن مسعود والامّة الصالحة أمثالهم من المؤمنين ؟ وقد آذاهم بالنفي والضرب والتنكيل وبكلِّ ما كان يمكنه .

أما كان فيه قوله تعالى : ﴿الّذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم﴾ ؟ وقد آذى الرّسول في كريمته أُمّ كلثوم باقترافه ليلة وفاتها . وبإيواء مَن طرده ولعنه . وبإزراء صحابته الأكرمين وفي مقدَّمهم ابن عمِّه الطاهر . وبتبديل سنّته والحياد عن محجّته .

أما كان فيه قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم﴾ ؟ وقد خالف الله ورسوله ولم يطعهما ونبذ الكتاب والسنّة وراء ظهره في غير موضع من الأموال والصدقات والزكاة والصّلاة والصِّلات والقطائع والأوقاف والحجِّ والنكاح والحدود والديات[٢] .

أما كان فيه ذكرٌ لحدود الله ؟ أو لم يكن فيه قوله سبحانه : ﴿ومن يتعدَّ حدود الله فاولئك هم الظالمون﴾ ؟ وقد تعدّى الحدود ، ونسي العهود ، ونقض التوبة ، وحنث الإلّ ، وجاء بما لا يُحمد عقباه ، وأتى بنهابير أُوردته القتل الذريع ، وجرّت عليه الويلات كما جرَّتها على الأُمَّة حتى اليوم .

أما كانت في قرآنه آية المباهلة أو آية التطهير ؟ والله يعدُّ في الاولى عليّاً نفس النبيِّ الأعظم ، ويطهّره من الرجس بالثانية كما طهَّر نبيّه . وكان عثمان يرى مروان لعين رسول الله وطريده أفضل منه عليه‌السلام [٣] .

وليت الرجل ترك تلك التلاوة المتعبة والتزم بالعمل بالقرآن الكريم وأقام حدوده واقتصر من التلاوة على ما تيسَّر .

٤٢ - أخرج البلاذري في «الأنساب» ج ٥ ص ٧ عن خلف البزّار عن عبدالوهاب بن عطاء[٤] الخفاف البصري عن سعيد بن أبي عروبة أبي النضر

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٨ .
(٢) فصلنا القول في ذلك كله في الجزء الثامن .
(٣) مضى حديثه في الجزء الثامن ص ٣٤٦
(٤) في النسخة : عبدالوهاب عن عطاء والصحيح ما ذكرناه .

البصري عن ابن أخي[1] مطرف بن عبدالله بن الشخير عن مطرف البصري قال : لقيت عليّاً يوم الجمل فأسرع إليّ بدابته فقلت : أنا أحقُّ أن أُسرع إليك فقال : أحسب عثمان منعك من إتياننا فأقبلت أعتذر إليه فقال : لئن أحببته لقد كان أبرَّنا وأوصلنا .

رجال الإسناد :

١ ـ خلف البزّار ، الثقة الأمين السكّير . راجع من الجزء الخامس ص ٣٥٩

٢ ـ عبدالوهاب بن عطاء : قال المروزي : قلت لأحمد : عبدالوهاب ثقةٌ ؟ فقال : ما تقول ؟ إنّما الثقة يحيى القطّان . وقال الساجي : صدوقٌ ليس بالقويِّ عندهم وقال البخاري : ليس بالقويِّ عندهم وهو يحتمل . وقال النسائي : ليس بالقويِّ . وقال أبو حاتم : ليس عندهم بقويّ في الحديث . وقال ابن أبي شيبة : ليس بكذّاب ولكن ليس هو ممّن يُتّكل عليه . وقال الميموني عن أحمد بن حنبل : ضعيف الحديث . وقال البزّار : ليس بالقويِّ وقد احتمل أهل العلم حديثه[2] .

[تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٥١]

٣ ـ سعيد بن أبي عروبة . قال أبو حاتم : هو قبل أن يختلط ثقة . وقال دحيم : اختلط . وقال الأزدي : اختلط اختلاطاً قبيحاً . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ثمَّ اختلط في آخر عمره . وقال ابن حبّان : بقي في اختلاطه خمس سنين ولا يحتجُّ إلّا بما روى عنه القدماء مثل يزيد بن زريع وابن المبارك ، وقال عبدالوهاب (الراوي عنه) : خولط سعيد سنة ٤٧ وعاش بعدما خولط تسع سنين . وقال النسائي : من سمع منه بعد الإختلاط فليس بشيء . وقال ابن عدي : من سمع منه قبل الإختلاط فإنَّ ذلك صحيحٌ حجّةٌ ومن سمع منه بعد الإختلاط لا يُعتمد عليه . وقال أبو بكر البزّار : ابتدأ به الإختلاط سنة ١٣٣[3] .

---

(١) هوعبدالله بن هاني بن عبدالله بن الشخير البصري .

(٢) احتمال الحديث إنما هو للإعتبار كما جاء مصرحاً به في كثير من الضعفاء .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦٣ ـ ٦٦ .

فعلى الأخذ بقول أبي بكر البزّار في ابتداء اختلاطه وقول ابن حبّان من أنّه مات سنة ١٥٥ تربو أعوام اختلاطه على اثنتين وعشرين سنة . هذا أكثر ما قيل في مدَّة اختلاطه وأقلّه خمس سنين وبينهما أقوال أُخر .

هـذه علل الرِّواية إسناداً ، وأمـا هي من ناحيـة المتن فسل عنهـا مولانـا أمير المؤمنين ورأيه المدعوم في عثمان وقد أسلفناه في هذا الجزء ص ٩٢ ـ ٩٨ : أتـراه صلوات الله عليه يرى الرجل أبرَّهم وأُوصلهم ثمَّ يرفع عقيرته على صهوة الخطابة بمثل قوله فيه : قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمـون مال الله خضمـة الإِبل نبتـة الربيـع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته[1] .

وقوله فيه : إنَّ بني أُميَّة ليفوِّقونني تراث محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقاً[2] .

وقوله في إقطاعه وأُعطياته : ألا إنَّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلّ مال أعطاه من مـال الله فهـو مـردودٌ في بيت المـال ، فـإنَّ الحقَّ القـديم لا يبطله شيءٌ ، ولو وجـدتـه قد تزوّج به النسـاء ، وفـرِّق في البلدان لـرددتـه إلى حـالـه . راجع ج ٨ ص ٣٣٥

أنّى كانت صلات عثمان مشرعةً مرضيَّةً عند أمير المؤمنين حتى يثني بها عليه ويـراه أبرَّهم وأوصلهم ، وقـد أوقفناك في الجـزء الثامن على سـطر مهمّ من هبـاتـه ومدرِّها فاقرأ وتبصَّر .

٤٣ ـ أخـرج ابن عسـاكـر عن يـزيـد بن أبي حبيب كمـا في تـاريـخ الخلفـاء للسيـوطي ص ١١٠ ، أنّه قـال : بلغني أنَّ عامَّـة الركب الـذين سـاروا إلى عثمـان عامَّتهم جنُّوا. وفي لفظ القـرماني في أخبـار الدول هـامش الكامـل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٣ : إنَّ عامَّة مَن أشار إلى قتل عثمان جنُّوا .

قال الأميني : أليست هذه المهزأة من فنون الجنون ؟ أُنظر إلى عقـل من جاء

---

(١) راجع الجزء السابع : ص ٩٨ .
(٢) راجع الجزءالثامن : ص ٣٣٥

بها أوّلاً : (يـزيـد بن أبي حبيب) ثمّ أرجع البصـر كرّتين إلى عقـل اولئك الحفّـاظ الذين عدّوا مثل هذا الترّه التافه من فضائـل عثمان وكـراماتـه ، وإنّي أحسب أنّ في قول ابن سعد في تـرجمة يـزيد بن أبي حبيب : «أنّـه كان حليمـاً عاقـلاً» دفعاً لِمـا يدخل هاجسة القارىء من روايته هـذه ، لكنّه لا يثبت لـه العقل بعـدما حفـظها لـه التاريخ ، كيف يصـدّق ذو مسكة هـذه السفسطة والـركب السّائرون إلى عثمان تُعـدُّ بالآلاف من رجال الحواضر الإسـلاميـة وهم معـروفون مشهـورون ولم يُعرف أحـدٌ منهم بمـا قذفهم ابن حبيب ؟ ومـا الـذي أخفى مـا عـرف منهم الـرجـل على كـلّ الصحابة والتابعين في الأوساط ولم يعلم به إلّا هو فحسب ؟

على أنّـا نعرف جمـاهير من القـوم لا نشكّ ولا يشـكّ عاقـلٌ في ثبوت كمـال العقـل لهم إلى أن ماتوا أو قتلوا كسيدنـا عمّار بن يـاسر، ومالك الأشتـر ، وكعب بن عبـدة ، وزيد بن صـوحان ، وصعصعـة بن صوحـان ، وعمرو بن بُـديل الـورقـاء ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق ، إلى نظرائهم الكثيـرين وجلّهم من رجـال الصحاح والمسانيد أخرج أئمّة الحديث من طرقهم أحاديث جمّة وصحّحوهـا ، ولم يتوقّف أحدٌ منهم في شيء منها للجهل بصدورها قبل جنونهم أو بعده .

ولو أخذنا بلفظ القرماني فلا يشـذُّ من الجنون جـلّ الصحابـة من المهاجـرين والأنصـار إن لم نقل كلّهم لإطبـاقهم على قتل الـرجل وفي مقـدّمهم طلحة والـزبير وعمرو بن العاص والسيّدة عائشة أُمّ المؤمنين .

ولعمر الحـق إنّ المعتوه من شوّه صحيفة التاريخ بهذه الخزايات غلواً منه في فضائل الناس من الشجرة الملعونة في القرآن . والله هو الحكَم العدل .

٤٤ ـ أخـرج الواحـدي في أسباب النزول ص ٢١٠ قال : أخبـرنـا محمّـد بن ابـراهيم بن محمّد بن يحيى قـال : أخبرنا أبو بكـر الأنباري قـال : حدَّثنـا جعفـر بن محمّد بن شاكر قال : حدَّثنا عفان . قال : حدَّثنا وهيب . قـال : حدَّثنـا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن ابراهيم عن عكـرمة عن ابن عبّـاس قال : نـزلت : ﴿ضرب الله

مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾[١] في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرّاً وجهراً ومولاه أبو الخوراء الذي كان ينهاه فنزلت . ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾[٢] فالأبكم منهما الكَلُّ على مولاه هذا السيّد أسد بن أبي العيص . ﴿ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ هو عثمان بن عفّان رضي الله عنه . وبهذا الإسناد أخرجه البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣ .

وذكر ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٤١ مرسلاً عن عكرمة عن ابن عبّاس نزول : ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾ . الآية . في عثمان . وكذلك المحبُّ الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٠٣ .

قال الأميني : لعلَّ الباحث لا يطالبنا البحث عن إسناد هذه الاكذوبة التي حرَّفوا بها الكلم عن مواضعها ويراها شاهد صدق على قول سعيد بن المسيّب لبرد مولاه : يا برد ! إيّاك وأن تكذب عليَّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس[٣] .

ولك أن ترجع البصر كرَّتين ، وتمعن النظر دواليك في صحيفة تاريخ عثمان ، في أيِّ يوميه تجد منه ما يعاضد هذه الاسطورة ؟ ومتى كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ أمّا أيّامه مع النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فحسبك منها ما ذكرناه في الجزء الثامن ص ٢٣١ ، ٢٨٠ ، وفي هذا الجزء ص ٣٦٩ وأمّا أيّام خلافته فحدِّث عنها ولا حرج وقد سجَّل التاريخ له فيها هنات لا تغفر وعثرات لا تُقال . وقد وصف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تلكم الأيّام في كتابه إلى أهل مصر بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه ، وذُهب بحقّه ، فذهب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يُتناهى عنه . راجع ص ٩٧ من هذا الجزء .

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٧٥ وتمام الآية : ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ .

(٢) ﴿وهو كلّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ . تمام الآية . سورة النحل : ٧٦ .

(٣) معارف ابن قتيبة : ص ١٩٤ .

ووصفها أبو أيّوب الأنصاري بقوله : عباد الله أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ وقد شمل العباد ، وشاع في الإسلام ، فذو حقّ محرومٌ مشتومٌ عرضه، ومضروبٌ ظهره، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلقى بالعراء . إلى آخر ما مرَّ في هذا الجزء ص ١٢٥ .

أكان من العدل وعلى الصِّراط المستقيم إيواؤه طريد رسول الله ولعينه ؟ أم خضمه مع أبناء بيته مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ؟ أم أياديه عند أهل العيث والفساد وأعطياته من مال المسلمين أبناء بيته الساقط من فاسق مستهتر إلى لعين طريد إلى شابّ مُترف إلى أُغيلمة سفهاء ، وتسليطهم على ناموس الإسلام ورقاب المسلمين بتولِّيهم الأمر في البلاد وبين يديه قوله صلى الله عليه وآله وسلم من تولّى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أنَّ فيهم مَن هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسُنَّة رسوله فقد خان الله ورسوله جميع المؤمنين[1] ؟ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في صحيحة الحاكم من طريق ابن عباس : من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في صحيحة أُخرى من طريق أبي بكر : من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاماةً فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتّى يدخله جهنم .
[إزالة الخفا ج ١ ص ١٦]

أكان من العدل وعلى الصِّراط المستقيم إزراؤه صلحاء الامّة وعظماء الصحابة وإيذاؤهم بغيرما اكتسبوا وقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ، وهم بين مُسيَّر هالك في تسييره ، ومعذَّب في قعر السجون وظُلم المطامير ، ومشتوم مُهان يُنادى عليه بذلّ الإستحقاق ، ومضروب قد دُقّت بالضرب أضلاعه ، وآخر أُعذر متنه وفُتق بطنه ، ومحروم عن مال الله لأمره بالمعروف، وإنكاره المنكر ؟ أم سبّه الصحابة ـ العدول ـ وتكفيره إياهم بكتابه وخطابه ؟ أم مجابهته صنو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونفسه بتلكم القوارص ؟ أم عدّه مروان الوزغ الطريد اللعين أفضل من سيِّد العترة ؟ أم رأيه فيه سلام الله عليه بأنّه أولى الناس بالنفي من جوار النبيِّ الأقدس ؟ أم إبعاده إياه عن

---

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١١ .

المدينة مرَّة بعد أُخرى؟ أم نقضه العهود والمواثيق المؤكدة ؟ أم نبذهُ كتاب الله وراء ظهره ، وشذوذه عن السنَّة الشريفة في صلاته وصِلاته وحجِّه وزكاته وإدخال آرائه الشاذَّة في جميع ذلك ؟ أم أم إلى ما شاء الله .

هلا عرفت الصحابة عدل هذا الإنسان وكونه على الصِّراط المستقيم يوم حسبوه جائراً في الحكم ، حائداً عن العدل ، متنكّباً عن الصِّراط، باغياً ساعياً في الأرض فساداً ولم يبرحوا ناقمين مؤلِّبين عليه إلباً واحداً حتّى تمخَّضت عليه البلاد ، وأسعرت وراءه ناراً ، ولم تنطفىء إلّا باختلاسه وإخماد أنفاسه ؟ أو أنَّهم عرفوا ذلك غير أنَّ الضغائن حدتهم إلى ما ارتكبوا منه ؟ فأين إذن عدالة الصحابة .

وإن كان الرجل آمراً بالعدل وهو على صراط مستقيم فعهده على نفسه سنة ٣٥ بأن يعمل بالكتاب والسنَّة لماذا؟ وتوبته مرَّة بعد أُخرى على صهوات المنابر عمّاذا ؟ والتزامه بالإقلاع عمّا هو عليه وتغيير خطَّته لِماذا ؟ وما تلكم الأقوال من الصحابة الواقفين عليه وعلى أعماله من كثَب ، مثل قول عليّ أمير المؤمنين له : ما رضيت مِن مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به . وقوله : أذهبت شرفك وغُلبت على أمرك . وقول عمّار : أُمضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغيرما في كتاب الله .

وقول عمرو بن العاص لعثمان : ركبت بهذه الأُمَّة نهابير من الأُمور فركبوها منك وملت بهم فمالوا بك ، أعدل أو أعتزل .

وقول سعد بن أبي وقاص : لكن عثمان غيَّر وتغيَّر، وأحسن وأساء .

وقول مالك الأشتر: الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سُنَّة نبيِّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

وقول صعصعة بن صوحان له: ملت فمالت أُمَّتك ، اعتدل يا أمير المؤمنين ! تعتدلْ أُمَّتك .

وقول هاشم المرقال: إنَّما قتله أصحاب محمَّد وقرَّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب .

وقول عبدالرَّحمٰن العنزي : هو أوَّل من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحقِّ .

وقول أصحاب حجر بن عدي : هو أول من جار في الحكم ، وعمل بغير الحقِّ .

وقول الصحابة له : بلونا منك من الجور في الحكم ، والأثرة في القسم ، والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس .

وقول نائلة بنت الفرافصة زوجته له : إتّق الله وحده لا شريك له ، اتّبع سنّة صاحبيك من قبلك .

إلى كلمات كثيرة لأُمَّةٍ كبيرة من الصحابة مرَّت في هذا الجزء ، فنزول الآية الكريمة في عثمان لا تساعده تلكم الأقوال ، وتضادّه سيرته المعروفة ، هكذا يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به .

٤٥ ـ أخرج ابن عساكر كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٠ عن ابن عبّاس أنَّه قال : لو لم يطلب النّاس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السَّماء . وذكره القرماني في أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ٢١٤ .

قال الأميني : للباحث أن يُسائل راوي هذه المزعمة المرسلة المعزوَّة إلى حبر الأُمّة عن أنَّ الطلب بدم عثمان هل كان أمراً مشروعاً يرتضيه الله ورسوله ؟ أو كان غير ذلك ؟ فإن كان الأوَّل ؟ فلماذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعهد إلى عليّ أمير المؤمنين أن يقاتل الناكثين والقاسطين الطالبين بدم عثمان ؟ ويحثُّ عيون أصحابه على مناصرته عليه السلام متى واثبه القوم ؟ ويحذّر مناوئيه في المقامين وينهاهم عن قتاله عليه السلام ، ويصفهم بالظلم إن فعلوا ؟ راجع الجزء الثالث ص ٢٣٦ ـ ٢٤٣

ولماذا كان مولانا أمير المؤمنين يناضلهم ، فضلاً عن اشتراكه معهم في الطلب ؟ ولا يسلّم إليهم قتلة عثمان وآواهم ؟ وهو الذي يدور الحقُّ معه حيثما دار ، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا على النبيِّ الحوض[1] .

---

(١) راجع ما ذكرناه في الجزء الثالث ص٢٢٣ ـ ٢٢٧

وكيف كانت الصحابة العدول يقاتلون معه عليه السلام الثائرين بدم عثمان؟ وفي يوم الجمل تحت رايته عيون الصحابة ووجهاء الأُمّة ، وفي صفِّين شهد معه الإمامان السبطان الحسنان وممَّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان وخمسون كما في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ ويقال : ثمانمائة نفس فقتل منهم ثلاثمائة وستون نفساً[١] كان معه ثمانون بدريّاً على رواية ابن ديزيل والحاكم[٢] وجاء في خطبة سعيد بن قيس : سبعون بدريّاً[٣] وفي كلام لمالك الأشتر : قريب من مائة بدريّ[٤] ومن أُولئك الصحابة وفي مقدّمهم البدريُّون :

١ ـ أُسيد بن ثعلبة الأنصاري . بدريٌّ .

٢ ـ ثابت بن عبيد الأنصاري . بدريٌّ قتل بصفِّين .

٣ ـ ثعلبة بن قيظي بن صخر الأنصاري . بدريٌّ .

٤ ـ جبر بن أنس بن أبي زريق . بدريٌّ .

٥ ـ جبلة بن ثعلبة الأَنصاري الخزرجي . بدريٌّ .

٦ ـ الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي . بدريٌّ .

٧ ـ الحارث بن النعمان بن أُميَّة الأنصاري الأوسي . بدريٌّ .

٨ ـ حصين بن الحارث بن المطلب القرشي . بدريٌّ .

٩ ـ خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأَنصاري . بدريٌّ .

١٠ ـ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي . بدريٌّ قُتل بصفّين .

١١ ـ خليفة ـ ويقال : عليفة ـ بن عدي بن عمرو البياضي . بدريٌّ .

---

(١) الإستيعاب في ترجمة عمار ، الإصابة ج ٢ ص ٣٨٩ .

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٤ .

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٣ .

(٤) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤ .

١٢ ـ خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي . بدريٌّ .

١٣ ـ ربعي بن عمرو الأنصاري . بدريٌّ .

١٤ ـ رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .

١٥ ـ زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي . بدريٌّ .

١٦ ـ جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري السلمي . بدريٌّ .

١٧ ـ خباب بن الأرتّ أبو عبدالله التميمي . بدريٌّ .

١٨ ـ سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي . بدريٌّ .

١٩ ـ سماك بن أوس بن خرشة الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .

٢٠ ـ صالح الأنصاري . بدريٌّ .

٢١ ـ عبدالله بن عتيك الأنصاري . بدريٌّ .

٢٢ ـ عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري . بدريٌّ .

٢٣ ـ عمّار بن ياسر المطيَّب الطيِّب الشهيد بصفِّين . بدريٌّ .

٢٤ ـ عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .

٢٥ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي . بدريٌّ .

٢٦ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .

٢٧ ـ كعب بن عامر السعدي . بدريٌّ .

٢٨ ـ مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري . بدريٌّ .

٢٩ ـ أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوي المستشهد بصفِّين . بدريٌّ .

٣٠ ـ أبو حبة عمرو بن غزيَّة . بدريٌّ .

٣١ ـ أبو عمرة بشر بن عمرو بن محصن الأنصاري المستشهد بصفِّين . بدريٌّ .

٣٢ ـ أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفِّين . بدريٌّ .

٣٣ ـ أبو محمد الأنصاري . بدريٌّ .

٣٤ ـ أبو بردة هاني بن نيار ـ ويقال : نمر ـ بدريٌّ .

٣٥ ـ أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي . بدريٌّ .

٣٦ ـ أسود بن عيسى بن أسماء التميمي .

٣٧ ـ أشعث بن قيس الكندي كان أميراً على الميمنة يوم صفِّين .

٣٨ ـ أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي .

٣٩ ـ الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي .

٤٠ ـ أعين بن ضبيعة الحنظلي . أحد الأُمراء بصفِّين .

٤١ ـ بريد الأسلمي قتل بصفِّين وفيه يقول أمير المؤمنين :

جزى اللّه خيراً عصبةً أسلميَّةً ... حسان الوجوه صرّعوا حول هاشم
بريدٌ وعبداللّه منهم ومنقذ ... وعروة ابنا مالك في الأكارم

٤٢ ـ البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي .

٤٣ ـ بشر ـ بشير ـ بن أبي زيد الأنصاري .

٤٤ ـ بشير بن أبي مسعود الأنصاري .

٤٥ ـ ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري .

٤٦ ـ جارية بن زيد المستشهد بصفِّين .

٤٧ ـ جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي .

٤٨ ـ جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري .

٤٩ ـ جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري .

٥٠ ـ جندب بن زهير الأزدي الغامدي كان من أُمراء الجيش بصفِّين .

٥١ ـ جندب بن كعب العبدي أبو عبدالله الأزدي الغامدي .

٥٢ ـ الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .

٥٣ ـ حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفّين .

٥٤ ـ الحبشي بن جنادة بن نصر السلولي .

٥٥ ـ الحجّاج بن عمرو بن غزيّة الأنصاري .

٥٦ ـ حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير ، كان من الامراء يوم صفّين .

٥٧ ـ حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي .

٥٨ ـ حنظلة بن النعمان الأنصاري .

٥٩ ـ حيّان بن أبجر الكناني .

٦٠ ـ خالد بن أبي خالد الأنصاري .

٦١ ـ خالد بن أبي دجانة الأنصاري .

٦٢ ـ خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي كان من أُمراء عليّ يوم صفّين .

٦٣ ـ خالد بن الوليد الأنصاري، كان ممّن أُبلي بصفّين .

٦٤ ـ خرشة بن مالك بن جرير الأودي .

٦٥ ـ رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي .

٦٦ ـ ربيعة بن قيس العدواني .

٦٧ ـ ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي .

٦٨ ـ زبيد بن عبد الخولاني شهد صفّين مع معاوية وكانت معه الراية فلمّا قُتل عمّار تحوّل إلى عسكر عليّ عليه السلام أخذاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : عمّار تقتله الفئة الباغية .

٦٩ ـ زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي .

٧٠ ـ زيد بن جارية الأنصاري .

٧١ ـ زيد بن حيلة ـ بالمهملة والياء ويقال : بالمعجمة والموحّدة ـ

٧٢ ـ زياد بن حنظلة التميمي .

٧٣ ـ سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري استشهد يوم صفّين .

٧٤ ـ سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .

٧٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد .

٧٦ ـ سليمان بن صرد بن أبي الجون أبو المطرف الخزاعي ، كان أميراً على رجّالة الميمنة يوم صفّين .

٧٧ ـ سهيل بن عمرو الأنصاري ، قتل بصفّين مع عليّ عليه السلام .

٧٨ ـ شبث بن ربعي التميمي اليربوعي أب عبدالقدوس .

٧٩ ـ شبيب بن عبدالله بن شكل المذحجي .

٨٠ ـ شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك أبو المقدام الحارثي .

٨١ ـ شيبان بن محرث .

٨٢ ـ صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي .

٨٣ ـ صعصعة بن صوحان العبدي .

٨٤ ـ صفر بن عمرو بن محصن . وقُتل بصفّين .

٨٥ ـ صيفي بن ربعي بن أوس .

٨٦ ـ عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري . المستشهد بصفّين .

٨٧ ـ عائذ بن عمرو الأنصاري .

٨٨ ـ عامر بن واثلة بن عبدالله أبو الطفيل الليثي .

٨٩ ـ عبدالله الأسلمي ممَّن استشهد بصفّين وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين كما مرَّ ص ٤١٠ .

٩٠ ـ عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . قُتل بصفّين .

٩١ ـ عبدالله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم . كان على الميسرة يوم صفّين .

٩٢ ـ عبدالله بن خراش أبو يعلى الأنصاري .

٩٣ ـ عبدالله بن خليفة البولاني الطائي .

٩٤ ـ عبدالله بن ذباب بن الحارث المذحجي .

٩٥ ـ عبدالله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي .

٩٦ ـ عبدالله بن كعب المرادي، قُتل يوم صفّين وكان مِن أعيان أصحاب أمير المؤمنين .

٩٧ ـ عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي .

٩٨ ـ عبدالرَّحمٰن بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء يوم صفّين .

٩٩ ـ عبدالرَّحمٰن بن حسل الجمحي . قتل بصفّين .

١٠٠ ـ عبيد بن خالد السلمي .

١٠١ ـ عبيدالله بن سهيل الأنصاري .

١٠٢ ـ عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب .

١٠٣ ـ عبيد بن عمرو السلماني أبو عمرو صاحب ابن مسعود .

١٠٤ ـ عبد خير بن يزيد بن محمَّد الهمداني . من كبار أصحاب الإمام عليه السلام

١٠٥ ـ عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي .

١٠٦ ـ عروة بن زيد الخيل الطائي .

١٠٧ ـ عروة بن مالك الأسلمي قتل بصفّين وأثنى عليه الإمام عليه السلام كما مرَّ ص ٤١٠ .

١٠٨ ـ عقبة بن عامر السلمي .

١٠٩ ـ العلاء بن عمرو الأنصاري .

١١٠ ـ عليم بن سلمة الفهمي .

١١١ ـ عمرو بن بلال كان من المهاجرين .

١١٢ ـ عُمير بن حارثة الليثي .

١١٣ ـ عُمير بن قرة السلمي .

١١٤ ـ عمّار بن أبي سلامة بن عبدالله بن عمران .

١١٥ ـ عوف بن عبدالله بن الأحمر الأزدي .

١١٦ ـ الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي الخطمي . قُتل بصفّين .

١١٧ ـ قيس بن أبي قيس الأنصاري .

١١٨ ـ قيس بن المكشوح ، أبو شدّاد المرادي . من شهداء صفّين .

١١٩ ـ قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي .

١٢٠ ـ كرامة بن ثابت الأنصاري .

١٢١ ـ كعب بن عمر ، أبو زعنة .

١٢٢ ـ كميل بن زياد النخعي ، يقال : أدرك من الحياة النبويّة ثماني عشرة سنة وكان شريفاً مطاعاً ثقة .

[الإصابة ج ٣ ص ٣١٨]

١٢٣ ـ مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشتر .

١٢٤ ـ مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري .

١٢٥ ـ محمَّد بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء صفِّين .

١٢٦ ـ محمَّد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي يقال : قُتل بصفِّين .

١٢٧ ـ مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي ، كان على راية الأزد بصفِّين .

١٢٨ ـ معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي .

١٢٩ ـ المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب الهاشمي .

١٣٠ ـ منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة بن مالك ممَّن استشهد بصفِّين كما مرَّ في شعر مولانا أمير المؤمنين ص ٤١٠ .

١٣١ ـ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي . استشهد بصفِّين .

١٣٢ ـ نضلة بن عبيد الأسلمي أبو بريزة .

١٣٣ ـ النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقي .

١٣٤ ـ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال . كان صاحب الراية واستشهد بصفِّين .

١٣٥ ـ هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي . كان من أُمراء عليّ عليه السلام .

١٣٦ ـ وداعة بن أبي زيد الأنصاري .

١٣٧ ـ يزيد بن الحويرث الأنصاري .

١٣٨ ـ يزيد بن طعمة بن جارية بن لوذان الأنصاري الخطمي .

١٣٩ ـ يعلى بن أُميَّة بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي الحنظلي يقال : انَّه قُتل بصفِّين .

١٤٠ ـ يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي .

١٤١ - أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثمَّ الأبرهي قتل مع عليّ عليه السلام بصفّين .

١٤٢ - أبو ليلى الأنصاري والد عبدالرَّحمن .

١٤٣ - أبو جحيفة السوائي .

١٤٤ - أبو عثمان الأنصاري .

١٤٥ - أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري .

والإمام أمير المؤمنين قد أتمَّ الحجَّة يوم الجمل على طلحة بما أسلفناه في الجزء الأوَّل ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وعلى الزبير بما مرَّ في ج ٣ ص ٢٣٩ ما قاتلهما إلّا بعد إقامة الحجَّة عليهما ، ودحض أعذارهما المفتعلة ، فما وجدهما مخبتين إلى الحقّ مصيخين إلى ما اعترفا به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان موقفهما موقف المستهزىء اللاعب بالدين الحنيف ، جاء رجلٌ إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال : نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله شيئاً ؟ فقام طلحة ولم يجبه ، فناشد الزبير فقال : لا ، ولكن بلغنا أنَّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها[1] .

ولمّا بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير : ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ فإمّا بيّته وإمّا صبّحته لعلّي أقتله قبل أن يصل إلينا ، فلم يجبه أحد . فقال : إنَّ هذه لهي الفتنة التي كنّا نحدَّث عنها . فقال له مولاه : أتسمّيها فتنةً وتقاتل فيها ؟ قال : ويحك إنّا نُبصر ولا نَبصر ، ما كان أمر قطّ إلّا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإنّي لا أدري أمقبلٌ أنا فيه أم مدبرٌ[2] .

قد تحقّق يوم ذاك ما كان يحذر منه عمر بن الخطاب وصدَّق الخُبر الخَبر ، قال عبدالله بن عمر : جاء الزبير إلى عمر فقال لعمر : إئذن لي أن أخرج فأُقاتل في سبيل الله . قال : حسبك قد قاتلت مع رسول الله ﷺ فانطلق الزبير وهو يتذمّر فقال

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٣ .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٣ .

عمر : مَن يعذرني من أصحاب محمَّد ﷺ ؟ لولا أنِّي أمسك بفم هذا الشعب لأهلك أُمَّة محمَّد ﷺ[١] .

اللهمَّ ما كان ذنب حكيم بن جبلة وسبعين أبرياء آخرين من عبدالقيس قتلهم طلحة والزبير قبل وقوع الواقعة بعدما نادى مناديهما بالبصرة : ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممّن غزا المدينة فليأت بهم فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب فقتلوا . قال حكيم بن جبلة : لقد أصبحتم وإنَّ دماءكم لنا لحلالٌ بمن قتلتم من إخواننا ، أما تخافون الله عزَّ وجلَّ ، بما تستحلّون سفك الدماء ؟ قال ابن الزبير : بدم عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، قال : فالّذين قتلتموهم قتلوا عثمان ؟ أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبدالله بن الزبير : لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتّى يخلع عليّاً ، فقُتل حكيم بن جبلة وسبعون رجلاً من عبدالقيس[٢] .

فعلى الرجلين وامِّهما دم ستة آلاف أو يزيدون قتلى تلك الحرب الدامية ، ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها . من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً . ولنعم ما قال فتى بني سعد يوم ذاك :

صُنتم حلائلكم وقُدتم أُمّكم ... هذا لعمرك قلّة الإنصاف
أُمرتْ بجرِّ ذيولها في بيتها ... فهوت تشقُّ البيد بالإيجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطّيِّ والأسياف
هُتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبِّر عنهمُ والكافي[٣]

ولم يكن حول الجمل إلّا حُثالة من ذنابا الناس أهل الشرَه والترَه ـ من ضبّة والأزد ـ الذين كانوا يلتقطون بعر الجمل ويفتونها ويشمونها ويقولون : بعر جمل أُمِّنا ريحه ريح المسك . يأتي حديثه في مستقبل الأجزاء إن شاء الله . كما لم يكن في جيش معاوية إلّا ساقة الناس ورعائهم الّذين وصفهم مولانا أمير المؤمنين بقوله يوم ذاك :

---

(١) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٥٣ .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٦ .

انفروا إلى بقيّة الأحزاب ، انفروا بنا إلى ما قال الله ورسوله إنّا نقول : صدق الله ورسوله . ويقولون : كذب الله ورسوله(١) .

وقال سيِّدنا قيس بن سعد في كلام له : هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجاً(٢) ؟ .

وفي كلام لسيِّدنا عمّار بن ياسر : إنَّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين ، وإنَّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب(٣) .

وفي مقال لسيِّدنا مالك الأشتر : أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما يشكُّ في قتال هؤلاء إلّا ميت القلب(٤) .

ولم تكن الغايات في حرب معاوية تخفى على أيِّ أحد حتّى على النساء في خدورهنّ فهي كما قالت أُمّ الخير بنت الحريش : إنّها إحنٌ بدريَّةٌ ، وأحقادٌ جاهليَّةٌ ، وضغائن أُحديَّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ، ﴿**فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا إيمان لهم لعلّهم ينتهون**﴾(٥) .

وكيف يكون هذا الطلب مشروعاً والذين وتروا عثمان هم الصحابة العدول كلّهم حتّى انَّ طلحة كان أشدَّ الناس عليه ، حسب مروان أنّه أخذ منه ثاره برمية منه جرَّعته المنيَّة . وقد تثبَّط معاوية عن نصرته حتّى قتلوه ؟ .

وإن كانت النهضة بثارات عثمان غير مشروعة يمقتها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم - كما هو المتسالم عليه عند وجوه السلف - فكيف يُدرأ بها العذاب عمّن قام بها ؟

---

(١) أخرجه البزار بإسنادين كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٢) استدرجه : خدعه وأدناه .

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٦٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٦ .

(٤) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤ .

(٥) بلاغات النساء ص ٣٦ ، العقد الفريد ج ١ ص ١٣٢ ، نهاية الأرب ج ٧ ص ٢٤١ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ .

ولو صدقت الأحلام لوجب أن يكون أصحاب الجمل مكلوئين عن كلّ سوء لكن عوضاً عن ذلك وافاهم العذاب من شتّى النواحي وقُتّلوا تقتيلاً، وقطع الله أيدي الذين أخذوا بزمام الجمل حتّى وردوا الهلكة صاغرين .

وأمّا معاوية فسل عنه ليلة الهرير ·ويومه· فقد قُتل فيهما سبعون ألف قتيل ٤٥ ألفاً من أهل الشام و٢٥ ألفاً من أهل العراق[١] وهل استمرّ على الطلب بالثأر لمّا تمهّد له عرش الملك ؟ أو أنّه اقتنع بالحصول على سُلطة غاشمة وملك عضوض ؟ .

نعم : حصر هو تعقيبه بالأبرياء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فقتلهم أينما ثقفهم تحت كلّ حجر وشجر ، وأمّا ثأر عثمان فلم ينبس عنه بعدُ ببنت شفة فضلاً عن أن يثأر له ولم يُرم بالحجارة ، فدونك تاريخ معاوية ، فاقرأ واحكم .

٤٦ ـ أخرج الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٣٦٤ من طريق أحمد بن محمّد بن المغلس الحماني عن أبي سهل الفضل بن أبي طالب عن عبدالكريم بن روح البزاز عن أبيه روح بن عنبسة بن سعيد بن أبي عياش الأموي مولاهم البصري عن أبيه عنبسة[٢] عن جدّته «لأبيه» أمّ عياش وكانت أمة لرقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما زوّجت عثمان أم كلثوم إلاّ بوحي من السّماء .

قال الأميني : لا تعجب من إخراج الخطيب هذا الحديث المرمّع وسكوته عن علله فإنّه أسير صبابته إلى هوى آل أُميصة ، وقد أعمته عن آراء رجال الجرح والتعديل في أحمد بن محمّد ، وأنسته ما ذكره هو في ترجمة الرجل ، قال ابن عدي : ما رأيت في الكذّابين أقلّ حياءً منه . وقال ابن قانع : ليس بثقة . وقال ابن أبي الفوارس : كان يضع الحديث . وقال ابن حبّان : راودني أصحابنا على أن أذهب إليه فأسمع منه ، فأخذت جزءاً لأنتخب فيه فرأيته حدّث عن يحيى . . الخ . وعن

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٥٤٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٤ ، ٣١٢ ، فتح الباري ج ١٣ ص ٧٣ .

(٢) في النسخة : عن أبيه عن عنبسة . والصحيح ما ذكرناه .

هنّاد . الخ . فعلمت أنَّه يضع الحديث . وقال الدارقطني : كـان يضع الحـديث . وقـال الحـاكم : روى عن القعنبي ومسدّد وابن أبي أُويس وبشر بن الوليـد أحـاديث وضعها . وقد وضـع أيضاً المتون مع كذبـه في لقي هؤلاء . وقال الخـطيب نفسه : حدَّث عن أبي نعيم وغيره بأحاديث أكثـرها بـاطلة هو وضعهـا . وحكى عن بشر بن الحـارث ويحيى بن معين وعليّ بن معين وعليّ بن المـديني أخبـاراً جمعها بعـد أن وضعها في مناقب أبي حنيفة . وقال الـدارقطني أيضـاً : مناقب أبي حنيفـة موضوعة كلّها وضعها أحمد بن المغلس الحماني قرأته غير مرَّة . إلى كلمات آخرين[١] .

وفي الإسنـاد : عبدالكـريم بن روح أبو سعيـد البصـري ، قـال أبـو حـاتم : مجهـولٌ . وقال عمـرو بن رافع : دخلت عليه ولم أسمع منـه ويقـال : إنَّـه متـروك الحديث . وقال ابن حبّان : يخطىء ويخالـف .وضعّفه ابن أبيعاصم والدارقطني[٢] أضف إليه في الجهالة أباه وجدَّه وجدَّته، راجع ميـزان الإعتدال للذهبي والخـلاصة لابن الجزري .

وأخرجه ابن عـدي من طريق عميـر بن عمران الحنفي وعدَّه من بواطيله وأقره الذهبي وابن حجر ، وقال ابن عدي :والضعف على روايته بيِّن ، وقال العقيلي :في حديثه وهمٌ وغلط .

[لسان الميزان ج ٤ ص ٣٨٠]

نعم : أنـا لا أشكُّ في أنَّ كـلَّ ما فعله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أو لهـج به إنَّمـا هـو عن وحي منـزل من السَّماء فـإنَّه لا ينـطق على الهوى إن هـو إلاّ وحيٌ يوحى ، غيـر أنَّ المصلحـة في الإيحاء تختلف بـاختلاف الموارد ، فليس كلُّ صِلة منـه صلى الله عليه وآله وسلم أو برّ تدلُّ على فضيلة في المبرور فإنَّها قد تكون لإتمام الحجَّة عليه ، كما أنَّها في المقام لإيقاف الملأ الدينيِّ على أنَّ العداء المحتـدم في صدر العبشميِّين على بني هـاشم لا يزيحه أيُّ عطف وصِلة فإنَّه لا برَّ أوصل مـن المصاهـرة ولا سيما ببضعـة النبوَّة ،

(١) راجع المصادر المذكورة في الجزء الخامس ص ٢٦٥

(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٧٢ .

لكن : هل قدَّر ذلك زوج أُمِّ كلثوم ؟ أو أنَّه اقترف ليلة وفاتها[1] ولم يكترث للإنقطاع عن شرف النبوَّة ، حتى أهانه رسول العظمة بملأ من الأشهاد ، وحرَّم عليه الدخول في قبرها وهو في الظاهر أولى الناس بها بعد أبيها ؟

ولعلَّ كل صهر أو مواصلة وقع بين بني هاشم والأمويِّين كان من هذا الباب ، حاول الهاشميّون وفي مقدّمهم مشرّفهم صلى الله عليه وآله وسلم تخفيض نائرة الإحن وتصفية القلوب من الضغائن ، لكن هل حصّلوا على الغاية المتوخّاة ؟ أو انكفؤا على حدِّ قول القائل :

لقد نفختُ في جُذىً مشبوبةٍ　　وقد ضربتُ في حديد بارد

ولولا هذه المصاهرة وأمثالها لطالت الألسنة على الهاشميِّين لسبق المهاجرة والقطيعة بين الفريقين ، وحملوا كلَّ ما وقع بينهما على تلكم السوابق ، لكن الفئة الصالحة رواد الإصلاح درأوا عن أنفسهم هاتيك الشُبه بضرائب هذه المواصلات ، وعرَّفوا الناس أنَّ العقارب لُسَّبٌ من ذاتها ، فلا يُجدي معها أيُّ لين وزلفة .

ولعلّك ها هنا تجد الميزة بين الصهرين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصاحب سيِّدتنا امّ كلثوم ، وتعلم سيرة الإمام مع الصدِّيقة الطاهرة حتَّى قضت نحبها وهي عنه راضية ، كما أنَّه فارقها وهو عنها راضٍ ، وغادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا وهو راضٍ عنهما .

وانظر إلى آخر يوميهما هذا يقترف ليلة وفاة امّ كلثوم ما لا يرضي الله ورسوله ولا يهمّه فراقها ولا يشغله الهمُّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عن المفارقة ، وذلك يندب الصدِّيقة الطاهرة ويطيل بكاءه عليها وهو يقول : السَّلام عليك يا رسول الله ! عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ، قلَّ يا رسول الله عن صفيَّتك صبري ، ورقَّ عنها تجلّدي ، إلاّ أنَّ لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فقد استرجعت الوديعة ،

---

(١) مرّ حديثه في الجزء الثامن ص ٢٧٥ - ٢٧٨

وأُخذت الرهينة ، أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهَّد ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، وستنبئك إبنتك بتضافر امُّتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال هذا ، ولم يطل العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، والسَّلام عليكما ، سلام مودِّع لا قال ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملامة ، وإن أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين . ثمّ تمثّل عند قبرها فقال :

لكلِّ اجتماع من خليلين فرقةٌ وكلُّ الذي دون الممات قليل
وإنَّ افتقادي واحداً بعد واحد[1] دليلٌ على أن لا يدوم خليل[2]

٤٧ - أخرج الأزدي عن عبد الواحد بن عثمان بن دينار الموصلي عن المعافي بن عمران الثوري عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان : أنت من أصهاري وأنصاري ، وعهد عهده إليَّ ربّي انَّك معي في الجنّة .

قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبدالواحد ج ٢ ص ١٥٨ : خبرٌ باطلٌ ذَكره الأزدي .

٤٨ - أخرج الطبراني قال : حدَّثنا بكر بن سهل قال : حدّثنا محمَّد بن عبدالله بن سليمان الخراساني عن عبدالله بن يحيى الإسكندراني حدّثنا ابن المبارك عن معمَّر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : لَمّا طعن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت : يا أبت ! إنَّ النّاس يقولون : إنَّ هؤلاء القوم الذين جعلتهم في الشورى ليسوا برضى . فقال : أسندوني . فأسندوه فقال : عسى أن تقولوا في عثمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يموت عثمان يصلّي عليه ملائكة السَّماء . قلت : لعثمان خاصّة أو للنّاس عامَّة ؟ قال : بل لعثمان خاصّة . الحديث بطوله لكلِّ أحد من الستَّة أصحاب الشورى منقبة[3] .

قال الذهبي في الميزان : حديثٌ موضوعٌ . وقال ابن حجر في اللسان :

---

(١) وفي لفظ : وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد .
(٢) راجع أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٢٢ .
(٣) لسان الميزان ج ٥ ص ٢٢٦ .

الوضع عليه ظاهرٌ .

قال الأميني : بكر بن سهل الدمياطي ضعَّفه النسائي ، كما ذكره الذهبي ، في لسان الميزان : ومن وضعه قوله : بكرت يوم الجمعة فقرأت إلى العصر ثمان ختمات . ثمَّ قال : فاسمَع إلى هذا وتعجَّب . وقال مسلمة بن قاسم : تكلّم النّاس فيه ووضّعوه من أجل الحديث الذي حدَّث به عن سعيد بن كثير[١] . وفي الإسناد محمّد بن عبدالله مجهولٌ لا يُعرف .

٤٩ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١١ ص ١٦٩ من طريق عيسى بن محمَّد بن منصور الإسكافي عن شعيب بن حرب المدائني عن محمّد الهمداني قال حدَّثنا شيخٌ في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ عن النعمان بن بشير قال : كنّا عند عليٍّ بن أبي طالب فذكروا عثمان فقال عليٌّ : ﴿**إنَّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أُولئك عنها مبعدون**﴾ . هم عثمان وأصحاب عثمان ، وأنا من أصحاب عثمان .

قال الأميني : لنا أن نسائل الخطيب عن عيسى بن محمّد بن منصور الإسكافي مَن هو؟ وما محلّه من الإعراب ؟ وهو الذي ترجمه هو ولا يعرف منه إلّا إسمه ، ونسائله عن محمد الهمداني وعن شيخه الذي لم يسمّه هو ولا غيره كأنَّه لم يكن ولم يولد، وعن النعمان بن بشير ، مَن هو؟ وما خطره ؟ وما قيمة روايته ؟ وهو الخارج على إمامه يوم صفّين ومحاربه في صفّ الطغام الطغاة ، وهو الذي عرَّفه قيس بن سعد الأنصاري يوم ذاك بقوله له : وأنت والله الغاشّ الضالّ المضلّ ، وهو القائل لقيس : لو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكانت واحدة بواحدة ، ولكنّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً .

وهلاّ عليٌّ هذا هو الذي سأله عثمان أيّام حوصر أن يخرج إلى ينبع حتى لا يغتمَّ به ولا يغتمّ به عليٌّ ؟ وهلاّ هو ذلك القائل : والله الذي لا إلّه إلّا هو ما قتلته ، ولا مالأت على قتله ولا ساءني؟ والقائل : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٨٤ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٥٢ ، وج ٥ ، ص ٢٢٦ .

ولا نهيت عنه، ولا سرَّني ولا ساءني ؟ .

والقائل لأصحابه يوم صفِّين : انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة! إنَّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص أوزارهم شيئاً ؟ .

وهلّا هو الكاتب إلى أهل مصر بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه، وذهب بحقّه ، فضرب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر . الخ ؟ .

وهلّا هو ذلك الذي لم يشهد لعثمان أنّه قُتل مظلوماً ؟ كما مرَّ حديثه(١) .

وهلّا هو ذلك الخطيب القائل في خطبته الشقشقيّة : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه؟ إلى آخر ما مرَّ ج ٧ ص ٩٨ .

وما شأن أصحاب عثمان وفيهم مثل عليّ ـ أخذاً بهذه الرواية ـ لا يوجد له منهم ناصرٌ ؟ ولا يُسمع من أحدهم في أمره ركزٌ ؟ ولا ينبس أيٌّ منهم في الدفاع عنه ببنت شفة ؟ والرجل قُتل بين ظهرانيهم جهراً ، وأُلقيت جثّته في المزبلة ثلاثة أيّامٍ تجري عليه العواصف ، ثمَّ دُفن بأثوابه في مقابر اليهود ، ينادى عليه بذل الإستخفاف ، وقد أخذت الحجارة مجهّزيه ، وطمُّوا جثمانه خائفين مترقِّبين ، **﴿فمن أظلم ممَّن افترى على الله كذباً ليضلَّ الناس بغير علم، والله يعلم أنّهم لكاذبون﴾** .

٥٠ ـ إنَّ عثمان بن عفّان رأى درع عليّ رضي الله عنه يُباع بأربع مائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله عنها فقال عثمان : هذا درع عليّ فارس الإسلام لا يُباع أبداً ، فدفع لغلام عليّ أربعمائة درهم وأقسم أن لا يخبره بذلك وردَّ الدرع معه ، فلمّا أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كلِّ كيس أربعمائة درهم مكتوبٌ على كلِّ درهم : هذا درهم ضرب الرَّحمن لعثمان بن عفّان . فأخبر جبريل النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال : هنيئاً لك يا عثمان ! .

قال الأميني : ذكر الحلبي في سيرته ج ٢ ص ٢٢٨ عن فتاوى جلال الدين السيوطي أنّه سُئل عن صحّة هذه الرواية فأجاب بأنّها لم تصحّ . فقال : أي وهي

(١) تجد هذه الأحاديث في هذا الجزء ٩٢ ـ ٩٨ .

تصدِّق بأنَّ ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع . هـ . ومرّ في الجزء الخامس في سلسلة الموضوعات ص ٣٩٠ قول ابن درويش الحوت: إنّه كذب شنيعٌ .

(ختام المناقب) : قال الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٢٩ : فائدة : مَن كتب هذه الأسماء وغسل بها وجهه فإنّه لا يعمى ، ومَن كتبها وشربها على الريق لا ينسى ، ومن كتبها وشربها لا يعجز عن النساء ، وهم : عثمان بن عفّان . معاذ بن جبل . عبدالرَّحمٰن بن عوف . زيد بن ثابت . أُبيّ بن كعب . طلحة بن عبدالرَّحمٰن . تميم الدارمي رضي الله عنهم .

قال الأميني : فليمتحن مَن لا يخاف عن العمى والنسيان والعنن . أضف إلى هذه الأساطير أو المخازي ما مرَّ في الجزء الخامس من المناقب الموضوعة لعثمان خاصّة ص ٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٧

منتهى القول :

إلى هنا نُنهي القول عن فضائل عثمان التي اختلقتها وثّابة الشَّره ومُهملجة المطامع والشهوات في العصور الأمويّة طمعاً في رضائخ اولئك المقعين على أنقاض عرش الخلافة وأكثر هؤلاء شاميُّون أو بصريُّون الذين جُبلوا بحبّ العبشميِّين ، ومناوءة سروات المجد من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم ، فليس وضع تلكم الروايات عنهم ببعيد، ولعلَّ هناك من ضرائب ما ذكرناه أشياء لكن سبيلها سبيل هذه الطامَّات في الأسانيد والمتون ومنشأ الكلِّ هو المغالاة في الفضائل من غير تفهّم ولا رويّة .

ولعلَّ القوم في عذر ممّا هم عليه من عدم الأخذ بآراء الحفّاظ وأئمّة الفنِّ الواردة في باب الجرح والتعديل ، وعدم إجرائها في رجال تلكم المسانيد سلسلة البلايا والطامات التي اتّخذوها حجَّة في الفضائل ، وعلّوا عليها الدعوة إلى أُناس والتخذيل عن آخرين ، ولا مندوحة لاولئك من رواية مرمّعات الحديث ،والأخذ بالموضوع المختلق ، لأنَّهم إن جنحوا في باب الفضائل إلى الصحيح الثابت في التاريخ والحديث فحسب ، اقتصروا على ما صحَّ منها ، وصفحوا عن الباطل المزيَّف ، وتركوا كلَّ تلكم التلفيقات المخزية ، لتبقى تلكم الصحائف السوداء

بيضاء خالية فارغة عن كلّ مأثرة وفضيلة ، وهـذا عزيـزٌ عليهم جدّاً لا يحبِّـذه الحبُّ الـدفين ، ولا تسوّغه العصبيّـة ، وإذ زيّن لهم الشيـطان أعمـالهم فقـد جـاؤوا ظلمـاً وزوراً ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ، ويحسبون أنَّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون ، أُنظر كيف نبيِّن لهم الآيات أنّى يؤفكون .

المغالاة في فضائل الخلفاء الثلاثة

أبي بكر ، عمر ، عثمان

لقد أوقفناك على شيء من الغلوِّ الفـاحش في كلِّ فرد من هؤلاء، وعرَّفناك أنَّ كـلَّ ما لفَّقـه القوم ورمَّقه من الفضائـل إنَّما هي من مـرمّعات الحـديث لا يساعـدها المعروف من نفسيّاتهم وملكـاتهم ولا يتَّفق معها مـا سجَّل لهم التـاريخ مـن أفعـال وتروك ، وهلمَّ الآن إلى لون آخر ممّا تمنّته يد الإفتعـال يشملهم كلّهم، ولا نكترث من ذلك إلّا لما جاء بصورة الـرواية دون الأقـوال والكلمات ، فـإنَّ رمي القول على عواهنه ممَّا لا نهاية له ، وما حدت إليه الأهواء والشهوات لا تقف على حدّ ، فنمـرُّ بما جاء به أمثال أبناء حزم وتيميَّة والجوزي والجوزيَّة وكثير وحجر ومن لفَّ لفَّهم من السلف والخلف كراماً، فأنّى يسع لنـا التبسّـط تجاه مـزعمة نـظراء التفتازاني وأمثـاله قال في شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٩ : احتجَّ أصحابنـا على عدم وجـوب العصمة بـالإجماع على إمـامـة أبي بكـر وعمـر وعثمـان رضي الله عنهم مـع الإجمـاع على أنـهـم لم تجب عصمتهم وإن كانوا معصومين بمعنى أنَّهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها .

وقال أبو الثنـاء شمس الدين محمـود الإصبهاني المتكلّم الشهيـر في «مطالـع الأنظار»ص ٤٧٠ : ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيليَّة والإثنا عشـريَّة . لنـا : إمـامة أبي بكـر والامّة اجتمعت على كـونـه غيـر واجب العصمـة لا أقـول إنّـه غيـر معصوم . هـ . وأقرَّ عصمة عثمان الحافظ نور محمّد الأفغاني في كتابه «تاريخ مزار شريف» ص ٤ .

ونحن وضعنا أمامك صحائف من كتب أعمـال هؤلاء المعصومين التي قضـوا أكثرها على العادات الجاهليَّة ، وأوقفناك على أنَّ ما طابق منها عهد الإسـلام ممّا لا

يمكن أن يكون صاحبه عادلاً فضلاً عن أن يُعدَّ معصوماً ، ها هنا لا نحاول أكثر من لفت نظر القارىء إلى تلكم الصحائف من غير توسُّع نكرّره ، ففيما سبق في الجزء السادس والسابع والثامن من الطامّات والجنايات والأحداث والشنائع والفظائع ممّا لا تقرّره طقوس الإسلام ويشذُّ عن سنَن الكتاب والسنَّة غنى وكفاية.

وأمّا ما استنتجه التفتازاني من الاجماعين فمن أفحش أغلاطه . أمّا أوّلاً فلمنع الإجماع في كلّ من الثلاثة فإنَّ خلافة أبي بكر إنَّما تمَّت بعد وصمات سودَّت صحيفة تاريخه ، وأبقت على الأُمَّة عاراً إلى منصرم الدنيا ، لا تُنسى قطُّ بمرّ الجديدين وكرِّ الملوين ، إنَّما تمَّت ببيعة رجل أو رجلين أو خمسة ، ومن هنا حسبوا أنَّ الخلافة تنعقد برجل أو رجلين أو خمسة[1] مع تقاعد جمع كثير عنها من عمد الصحابة وأعيانهم كما فصّلناه في الجزء السابع ص١١١ثمَّ لم يجمعهم مع القوم إلّا الترعيد والترعيب ومحاشد الرجال وبروق الصوارم وكان من حشدهم اللهام رجالٌ من الجنّ رموا سعد بن عبادة أمير الخزرج .

وأمّا خلافة عمر فكانت بالنصِّ من أبي بكر مع إنكار الصحابة عليه ونقدهم إيّاه بذلك ، وكم أُناس كانوا يشاركون طلحة في قوله لأبي بكر : ما تقول لربّك وقد وليت علينا فظّاً غليظاً[2] .

وأمّا عثمان فنصبته الشورى على هنات بين رجال الشورى وعقد له عبدالرَّحمٰن بن عوف ولم يشترطوا كما قال الإيجي[3] إجماع مَن في المدينة فضلاً عن إجماع الأُمَّة نعم : عقد عبدالرَّحمٰن البيعة لصاحبه وسيفه مسلولٌ على رأس الإمام عليِّ بن أبي طالب قائلاً له : بايع وإلّا ضربت عنقك . ولحقه أصحاب الشورى قائلين بايع وإلّا جاهدناك .

[أنساب البلاذري ج ٥ ص ٢٢]

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء السابع ص ١٦٣- ١٦٦

(٢) مرّت كلمته في ج ٧ ص ١٧٥ . وراجع الرياض النضرة ج ١ ص ١٨١ كنز العمال ج ٦ ص ٣٢٤ .

(٣) مرّت كلمته في الجزء السابع ص ١٦٣

والتمحُّل بحصول الإجماع بعد ذلك تدريجاً لا يُجديهم نفعاً ، فإنَّ الخلافة قد ثبتت عندهم بالبيعة الاولى فجاء متمِّمو الإجماع بعد ذلك على أساس موطَّد .

وأمّا ثانياً : فإنَّ من الممكن على فرض التنازل مع التفتازاني أن يكون إجماعهم على خلافة الثلاثة لكونهم معصومين كما ينصُّ به هو ، وأمّا الإجماع المنقول عنهم بعدم وجوب العصمة فممّا لا طريق إلى تحصيله من آراء الصحابة ، فمتى سبر التفتازاني نظريّات السّلف وهم معدودون بمئات الالوف فعلم من نفسيّاتهم أنّهم لا يرون وجوب العصمة في خلفائهم وهم رهائن أطباق الثرى ؟ ومن ذا الذي كان يسعه أن يعلمها فينهيها إلى التفتازاني وهلمَّ جرّاً إلى دور الصحابة ؟ ومتى كانوا يتعاطون المسائل الكلاميّة ويتفاوضون عليها فيحفي هذا خبر ذاك ثمَّ ينقله إلى ثالث إلى أن يتسلسل النقل فيشيع ؟ والسابر لصحائف دور الخلافة الاولى منذ يوم السقيفة إلى يوم الشورى لا يجد لأمر العصمة في منتديات القوم ذكراً ولا يسمع منه ركزاً ، وإنّما اتَّخذوا أمر الخلافة كملوكيَّة يتسنّى لهم بها الحصول على أمن البلاد وحفظ الثغور وقطع السارق والإقتصاص من القاتل وما إلى هذه من لداتها كما فصَّلنا القول فيه تفصيلاً ج ٧ ص ١٥٨ وعلى ذلك جرى العلماء المتكلّمون فليس لهم في الشروط النفسانيّة من العلم والتقوى والقداسة أخذٌ ولا ردٌّ إلاّ كلمات سلبيَّة حول اشتراطها ، ومتى كانت الخلافة عند السلف إمرة دينيَّة حتى يبحثوا عن حدودها ؟ ولم تكن إلاّ سياسة وقتيَّة مدبَّرة بليل .

وأمّا ثالثاً : فإنّا لا نحتجُّ بالإجماع إلاّ بعد ثبوت حجيّته ، فإذا ثبتت فإنَّها لا تختصُّ بمورد دون آخر فيجب أن يكون حجَّة في الخلافتين معاً من أبي بكر وعثمان ذلك على نصبه ، وهذا على استباحة قتله ، والنقض بخروج ثلاثة أو أربعة من ساقة الأمويِّين أو ممَّن يمتُّ بهم ويحمل بين جنبيه نزعتهم في الإجماع على عثمان مقابلٌ بخروج أُمَّة صالحة عن الإجماع الأوَّل من أعيان الصحابة وفي طليعتهم سيِّد العترة وإمام الامَّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والإمامان الحسنان والصدِّيقة الطاهرة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً ، إلى غيرهم من بني هاشم والعمد والدعائم من المهاجرين والأنصار،ووفاقهم الأخير

مشفوعاً بالترهيب لا يُعدُّ وفاقاً ولا يكون متمِّماً للإجماع ، فإنَّهم كانوا مستمرِّين على آرائهم وإن ألجأتهم الظروف وحذار وقوع الفرقة إن شهروا سيفاً وباشروا نضالاً إلى المغاضاة عن حقِّهم الواضح والمماشاة مع القوم كيفما حلّوا وربطوا ، فهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد منصرم أيّام الثلاثة في رحبة الكوفة : أما والله لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة ، وانّه ليعلم أنَّ محلّي منها محلُّ القطب من الرحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمنٌ حتّى يلقى ربَّه ، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا ، حتَّى مضى الأوَّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده . ثمَّ تمثَّل بقول الأعشى :

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيَّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسُّها، ويكثر العثار فيها والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحّم ، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلوُّن واعتراض ، فصبرت على طول المدَّة ، وشدَّة المحنة ، حتَّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنِّي أحدهم ، فيالله وللشورى ! متى اعترض الريب فيَّ مع الأوَّل منهم حتَّى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنّي أسففت إذا أسفّوا وطرت إذ طاروا ، فصغى رجلٌ منهم لضغنه ،ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته[1] .

تُعرب هذه الخطبة الشريفة عن رأيه عليه السلام في الخلافة ، وكلُّ جملة منها تشهد على عدم العصمة المزعومة ، أو تمثّل اولئك المعصومين للملأ بعُجرهم

---

(١) راجع الجزء السابع ص ٩٨ - ١٠٢

وبُجرهم ، أضف إليها قوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية : ذكرت إبطائي عن الخلفاء ، وحسدي إيّاهم ، والبغي عليهم ، فأمَّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأمّا الكراهة لهم فوالله ما أعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت وعمل به الناس ما قد بلغك[١] .

وقوله عليه السلام من خطبة له لمّا أراد المسير إلى البصرة : إنَّ الله لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقُّ به من الناس كافّة ، فرأيت أنَّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم ، والناس حديثو عهد بالإسلام ، والدين يُمخض مخض الوطب . يفسده أدنى وهن ، ويعكسه أقلّ خلق ، فولي الأمر قومٌ لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثمَّ انتقلوا إلى دار الجزاء والله وليُّ تمحيص سيِّآتهم والعفو عن هفواتهم[٢] .

وقوله عليه السلام : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قُبض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي ، فبايع النّاس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ، ثمَّ إنَّ أبا بكر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي فبايع النّاس عمر بن الخطاب فبايعتُ كما بايعوا ، ثمَّ إنَّ عمر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي فجعلني من ستة أسهم فبايع الناس عثمان[٣] .

وقوله عليه السلام يوم قال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له : إذهب فادع لي عليّاً . فذهب إلى عليٍّ فقال : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال عليّ : لسريع ما كذبتم على رسول الله . فرجع فأبلغ الرِّسالة ثمَّ قال أبو بكر : عُد إليه فقل له : أمير المؤمنين يدعوك لتبايع . فجاءه قنفذ فأدى ما أُمر به فرفع عليٌّ صوته فقال : سبحان الله لقد ادَّعى ما ليس له . الحديث . الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ .

إلى كلمات أُخرى توقف الباحث على جليَّة الحال .

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ .
(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧١ .

فأين العصمة المزعومة ؟ ثمّ أين الإجماع المدَّعى عليها ؟ وأنّى كان الإجماع على الخلافة ؟ ومتى تحقّق ؟ وإن تمَّ الإجماع فيجب أن يحتجّ به في الخلافتين وصاحبيهما وإن أبطلناه ففيهما معاً .

ونحن لو اندفعنا إلى تفنيد أمثال هذه السفاسف المنبعثة عن الغلوِّ في الفضائل لضاق بنا المجال عن السير في مواضيع الكتاب على أنّها غير مُبتنية على أسس رصينة تستحقُّ أخذاً بها أو ردّاً عليها ، وإنّما ذكرنا هذه الاسطورة فحسب لأن نعطيك شيئاً من نماذج تلكم الأقاويل المسطَّرة بلا أيِّ تعقّل وتدبُّر ، فدونك شيئاً ممّا عزوه إلى الرِّوايات من فضائل الثلاثة :

١ ـ أخرج الإمام الفقيه المحدِّث الثقة[1] أبو الحسين محمَّد بن أحمد الملطي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧ في كتابه «التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع» ص ٢٣ قال : قال محمّد بن عكاشة رحمه الله أخبرني معاوية بن حمّاد الكرماني عن الزهري قال : مَن اغتسل ليلة الجمعة وصلّى ركعتين يقرأ فيهما (قل هو الله أحد) ألف مرّة رأى النبيّ ﷺ في منامه . قال محمّد بن عكاشة : فدمت عليه كلّ ليلة جمعة أُصلّي الركعتين أقرأُ فيهما (قل هو الله أحد) ألف مرّة طمعاً أن أرى النبيّ ﷺ في منامي فأعرض عليه هذه الاصول فأتت عليَّ ليلة باردة فاغتسلت وصلّيت ركعتين ثمَّ أخذت مضجعي فأصابني حلمٌ ، فقمت ثانية فاغتسلت وصلّيت ركعتين ، وفرغت منهما قريباً من الفجر فاستندت إلى الحائط وجهي إلى القبلة إذ دخل عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه كالقمر ليلة البدر وعنقه كابريق فضّة فيه قضبان الذهب على النعت والصفة، وعليه بردتان من هذه اليمانيَّة قد إتزر بواحدة وارتدى بأُخرى ، فجاء واستوفز على رجله اليمنى وأقام اليسرى فأردت أن أقول : حيّاك الله فبادرني وقال : حيّاك الله . وكنت أُحبّ أن أرى رباعيّته المكسورة فتبسّم فنظرت إلى رباعيّته فقلت : يا رسول الله ! إنّ الفقهاء والعلماء قد اختلفوا عليّ وعندي أُصولٌ من السنّة أعرضها عليك فقال : نعم . فقلت :

---

(١) كذا وصفوه وأنت تعرف صدق وصفه من حديثه .

الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله ، والنهي عمّا نهى الله عنه ، والإخلاص بالعمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشرّه مِن الله ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع أهل القبلة ، والصَّلاة على من مات من أهل القبلة سُنَّة ، والإيمان يزيد وينقص ، قولٌ وعملٌ ، والقرآن كلام الله ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من جور وعدل ، ولا يُخرج على الآمر بالسيف وإن جار ، ولا ينزل أحدٌ من أهل التوحيد جنَّة ولا ناراً، ولا يكفِّر أحدٌ من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا الكبائر ، والكفّ عن أصحاب محمّد ﷺ - فلمَّا أتيت : والكفّ عن أصحاب محمَّد ﷺ بكى حتّى علا صوته - وأفضل النَّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ . قال محمّد بن عكاشة : فقلت في نفسي في عليّ : ابن عمِّه وختنه . فتبسَّم عليه السلام كأنَّه قد علم ما في نفسي . قال محمَّد : فدمت ثلاث ليال متواليات أعرض عليه هذه الاصول كلّ ذلك أقف عند عثمان وعليّ فيقول لي عليه السلام : ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ . ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ : ثلاث مرّات . قال : وكنت أعرض عليه هذه الأُصول وعيناه تهملان بالدموع قال: فوجدت حلاوة في قلبي وفمي فمكثت ثمانية أيّام لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتّى ضعفت عن صلاة الفريضة فلمّا أكلت ذهبت تلك الحلاوة واللذَّة والله شاهدٌ عليَّ وكفى بالله شهيداً .

وقال أمير المؤمنين المتوكّل رحمه الله لأحمد بن حنبل رضي الله عنه : يا أحمد ! إنِّي أُريد أن أجعلك بيني وبين الله حجَّة فأظهرني على السنّة والجماعة وما كتبته عن أصحابك عمّا كتبوه عن التابعين ممّا كتبوه عن أصحاب رسول الله . فحدَّثه بهذا الحديث .

قال الأميني : نحن نجد الباحث في غنىً عن البحث عن هذه الاسطورة وما فيها من مضحكات الثكلى ، ونجلُّ أحمد عن أن يتَّخذها حجةً بينه وبين الله فيلقِّنها خليفة وقته ، ونُربي به عن تصديق مثل محمّد بن عكاشة الذي جاء فيه قول ابن عساكر بعد روايته هذه الرؤيا : قال سعيد بن عمرو البردعي : قلت لأبي زرعة : محمَّد بن عكاشة الكرماني . فحرَّك رأسه فقال : رأيته وكتبت عنه وكان كذّاباً .

قلت : كتبت عنه الرؤيا التي كان يحكيها ؟ قال : نعم كتبت عنه فزعم أنّه عرض على شبابة : الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص فيه أي به ، وأنّه عرض على أبي نعيم : عليٌّ ثمَّ عثمان فقال به وهو كذوبٌ ولا يحسن أنّه يكتب أيضاً ، يعني انّ شبابة لا يقول بذلك وكذا أبو نعيم قلت : أين رأيته ؟ قال : قدم هنا مع محمَّد بن رافع وكان رفيقه كنت أرى له سمتاً ولقيني محمَّد بن رافع فكره أن يقول فيه شيئاً وقال لي : لا يخفى عليك أمره إذا فاتحته فقلت : إن رأيت أن تفيدني شيئاً قال : نعم . ثمَّ كاد يصعق واضطرب بطنه فهالني ذلك ثمَّ أقبل عليَّ فقال : إنَّ أوَّل ما أملى عليَّ أن كذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليّ وعلى ابن عبّاس . الخ[1] .

وذكره الحاكم في الضعفاء فقال : منهم جماعةٌ وضعوا كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل أبي عصمة ومحمَّد بن عكاشة الكرماني ثمَّ نقل عن سهل بن السري الحافظ أنّه كان يقول : وضع أحمد الجويباري ومحمّد بن تميم ومحمّد بن عكاشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من عشرة آلاف حديث . راجع ما أسلفناه في سلسلة الكذّابين ج ٥ ص ٣١٩ ، ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ .

فرجلٌ هذا حاله وتلك صفته وذلك حديثه ليس بالمستطاع تصديقه على دعاويه المجرَّدة في المبادىء والمعتقدات ، العجب كلُّ العجب من الفقيه الثقة الذي يعتمد على مثلها من خزاية ، قاتل الله الحبَّ المعمي والمصمّ هو الذي حدى القوم إلى تفتين بسطاء الأُمَّة بمثل هذه الخزعبلات والله يعلم أنّهم لكاذبون .

٢ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥ عن خلف البزّار عن أبي شهاب الحنّاط[2] عن خالد الحذّاء البصري عن أبي قلابة البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ أرحمكم أبو بكر ، وأشدُّكم في الدين عمر ، وأقرؤكم أُبيّ ، وأصدقكم حياءً عثمان ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضكم

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٢٨٧ .

(٢) عبد ربّه بن نافع السكناني ، ثقة ليس بالقوي يهم في حديثه ويخطىء .

زيد بن ثابت ، وإنَّ لكلِّ أُمَّة أميناً وأمين هذه الامّة أبو عبيدة الجراح .

أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٣٢٥ محذوف الإسناد بلفظ : أرحم أُمتي أبو بكر ، وأشدّهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأفرضهم زيد ، وأقرأهم أُبيّ بن كعب . الخ .

ورواه في ج ٦ ص ١٩٩ من طريق أبي سعيد الخدري وعقبه : قال العقيلي : أسانيد هذه الأحاديث غير محفوظة والمتون معروفةٌ .

قال الأميني : ألا تعجب من أُسطورة جاء بها خلف البزّار الثقة الأمين العابد الفاضل السكّير . قال أبو جعفر النفيلي : كان من أصحاب السنّة لولا بليّةٌ كانت فيه : شرب النبيذ .

وذُكر خلف عند أحمد - إمام الحنابلة - فقيل : يا أبا عبدالله ! إنّه يشرب . فقال : قد انتهى إلينا علم هذا عنه ، ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين شرب أُو لم يشرب[1] .

والرواية نفسها شاهد صدق على ما انتهى إلى إمام الحنابلة علمه من خلف البزّار والَّذين أخذوها منه ورووها عنه إنّما أُقحمتهم فيها سكرة الهوى لا نشوة السّلافة .

ولتقديس ذيل هذا الثقة الأمين عن رجاسة النبيذ جاء الخطيب البغدادي بما رواه عن محمَّد بن أحمد بن رزق عن محمَّد بن الحسن بن زياد النقّاش قال : سمعت إدريس بن عبدالكريم الحدّاد يقول : خلف بن هشام يشرب من الشراب على التأويل فكان ابن أُخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيِّب**﴾ فقال يا خال ! إذا ميّز الله الخبيث أين يكون الشراب ؟ قال : فنكس رأسه طويلاً ثمَّ قال : مع الخبيث . قال : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث ؟ قال : يا بنيَّ امض إلى المنزل فاصبب كلَّ شيء فيه ، وتركه ، فأعقبه الله الصوم ، فكان يصوم الدهر إلى أن مات .

---

(١) إقرأ واحكم .

حبّذا هذا التنزيه لو صدقت الأحلام، وهو وإن كان معقولاً أحسن من رأي الإمام أحمد من أنّه الثقة الأمين شرب أو لم يشرب . فإنّه رأيٌ تافهٌ لا تساعده البرهنة ولا يوافقه الشرع والعقل والمنطق ، والله يقول : ﴿**يا أيُّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا**﴾[١] غير أنَّ من المأسوف عليه جدّاً بطلان إسناده لمكان محمَّد بن الحسن النقّاش فإنّه كذَّبه طلحة بن محمَّد ، ووهّاه الدارقطني ، ودلّسه أبو بكر ، وقال البرقاني : كلُّ حديثه منكر ، وذكر عنده تفسيره فقال : ليس فيه حديث صحيح . وكلّ هذه ذكرها الخطيب نفسه فبماذا يُنزِّه الرجل ؟ وأنّى يتأتّى له أمله ؟

وإنّي أشكر مَن انتهى إليه وضع هذه الأُكذوبة على أنّه لم يذكر مع القوم مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي هو أربى من كلّهم في جميع الصفات المذكورة فإنّه يُرفع عن أن يُذكر في عداده أيُّ أحد ، كما أنَّ فضائله أربى من أن تُذكر معها فضيلة .

وها هنا لا نناقش متن الرواية في الأوصاف التي حابت القوم بها ، فلعلَّ فيها ما هو مدعومٌ بالبرهنة ، فيشهد على كون أبي بكر أرحم الامّة إحراقه الفجاءة ، وغضُّه الطرف عن وقيعة خالد بن الوليد في بني حنيفة وخزايته مع مالك بن نويرة وزوجته[٢] وعدم اكتراثه لأمر الصدِّيقة فاطمة في دعواها ، وكانت له مندوحة عن مجابهتها باسترضاء المسلمين واستنزال كلّ منهم عن حصّته من فدك إن غاضينا القوم على الفتوى الباطلة والرواية المكذوبة في انقطاع إرث النبوَّة خلافاً لآيات المواريث المطلقة وإرث الأنبياء خاصة ، على أنَّ فاطمة سلام الله عليها وابن عمّها ما كانا يجهلان بما تفرَّد بنقله أبو بكر وصافقته على قوله سماسرته من الساسة لأمر دبّر بليل ، وأمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأُمّة وباب مدينة علم النبيّ ، والصدِّيقة فاطمة بضعته وما كان يشحُّ صلى الله عليه وآله وسلم عليها من إفاضة العلم ولا سيّما علم الأحكام وعلى الأخصِّ ما يتعلّق بها ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنَّها سوف تقيم الدعوى على صحابته المتغلّبين على فدك وأنَّها ستمنع عنها ويحتدم بينها وبينهم الشجار ، ويستتبع ذلك

---

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٦ .

(٢) راجع الجزء السابع ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣

انشقاقاً بين الأُمَّة إلى يوم القيامة ، فمن مزدلفة إلى بضعة النبوَّة ، ومن جانحة إلى مَن منعها عن حقِّها ، فكان من الواجب أن يسبق صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى ابنته بتفصيل حكم هذا شأنه قبل أبي بكر .

ألم تكن لأبي بكر مندوحة تصحِّح إقطاع فاطمة فدكاً وردَّها إليها حتّى لا يفتح باب السوءة على الأُمَّة كما ردَّها عمر إلى ورثة النبيِّ الأقدس ، وأقطعهما عثمان مروان وأقطعها معاوية مروان وعمرو بن عثمان ويزيد بن معاوية على الأثلاث ، إلى ما رأى فيها الخلفاء بعدهم من التصرُّف كتصرُّف الملّاك في أملاكهم[١] .

سَلْ عن صفة أبي بكر هذه فاطمة وهي صدّيقة يوم خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت ! يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة[٢] .

وسَلها عنها يوم لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لُمَّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ، ما تخرّم مشيتها مشية رسول الله حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثمَّ أنَّت أنَّةً أجهش لها القوم بالبكاء ، وارتجَّ المجلس[٣] .

وسلها عنها يوم قالت لأبي بكر : والله لأدعونَّ عليك بعد كلِّ صلاة أُصلّيها .

وسلها عنها يوم ماتت وهي واجدة على أبي بكر ، وهي التي طهَّرها الجليل بآية التطهير ، وصحَّ عن أبيها قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : فاطمة بضعةٌ منّي فمن أغضبها أغضبني ، يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها[٤] .

وقوله : فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني[٥] .

وقوله : إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها[٦] .

---

(١) راجع ج ٧ ص ٢٢٢

(٢) راجع ج ٧ ص ٩٣ .

(٣) راجع ج ٧ ص ٢١٩

(٤) راجع ج ٧ ص ٢٦٠ - ٢٦٦

(٥) راجع ج ٧ ص ٢٦٦

(٦) راجع ج ٧ ص ٢٦٦

وسَلْ عنها أمير المؤمنين وهو الصدِّيق الأكبر يوم قادوه كما يُقاد الجمل المخشوش إلى بيعة عمّت شومها الإسلام، وزرعت في قلوب أهلها الآثام ، وعنَّفت سلمانها ، وطردت مقدادها ، ونفت جندبها ، وفتقت بطن عمّارها ، وحرَّفت القرآن ، وبدَّلت الأحكام ، وغيَّرت المقام ، وأباحت الخمس للطلقاء ، وسلّطت أولاد اللعناء على الفروج والدماء ، وخلطت الحلال بالحرام ، واستخفَّت بالإيمان والإسلام ، وهدمت الكعبة ، وأغارت على دار الهجرة يوم الحرَّة ، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوءة ، وألبستهنَّ ثوب العار والفضيحة ، ورخَّصت لأهل الشبهة في قتل أهل بيت الصفوة وإبادة نسله ، واستئصال شأفته ، وسبي حرمه ، وقتل أنصاره ، وكسر منبره ، وإخفاء دينه ، وقطع ذكره . إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وسل عنها أمير المؤمنين يوم لاذ بقبر اخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي ويقول : يابن أُمّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[1] .

إلى غير هذه من دلائل كون أبي بكر أرحم الأُمَّة .

وأمّا كون عمر أشدَّهم في الدين فمن جليّة الواضحات انَّ الشدَّة في الدين ليست هي الفظاظة والغلظة فحسب وإنّما هي التهالك في التمسُّك بعروتي الكتاب والسنَّة والعمل بهما والأخذ والقيام بما جاء فيهما من الحدود ، وما أكثر ما خالفهما الرجل ونبذهما وراء ظهره واتَّخذ برأيه الشاذِّ عنهما ؟ ودع عنك ما جهله منهما . وما قيمة شدَّة بلا علم ؟ وما مقدار شدَّة مع التنكب عن أساسيّات الدين ؟ مع الخروج عن طقوس الإسلام ، مع التمسُّك بالأهواء والشهوات ؟ راجع نوادر الأثر في علم عمر من الجزء السادس ص ١٠٩ - ٣٨٩ فإنّك تجد هنالك شواهد قويَّة على إثبات هذه الصِّفة فاقرأها وتبصر .

وأمّا كون عثمان أصدقهم حياءً فيكفي دلالة عليه الجزء الثامن والتاسع من هذا الكتاب وكلُّ صحيفة منهما آية من آيات صفته تلك ، مضافاً إلى ما سردناه في هذا الجزء ص ٣١١ - ٣٢٧ من البحث الخاصّ في حيائه .

---

(١) راجع الجزء السابع ص ٩٤

وأما الثلاثة الباقون فلا نطيل البحث عن إثبات ما ذكر لهم ، ففيه تضييعٌ للوقت وشغلٌ عمّا هو أهمُّ من ذلك، ومن سَبَر كتابنا هذا عرف أعلم الأُمّة وأفرضها وأمينها وعلم أنَّه غيرهم ، فلا يدلِّس ساحة الأُمة بأمثال المذكورين، ولا يخاف عليه ممّا كان يَخاف النبيُّ الأقدس ﷺ على امَّته كما جاء عنه : أخاف على أُمَّتي من بعدي ضلالة الأهواء ، واتّباع الشهوات ، والغفلة بعد المعرفة . «أُسد الغابة ج ١ ص ١٠٨» .

٣- في كتاب المناقب من صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٤٩ عن محمَّد بن الحنفيّة قال : قلت لأبي : أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر . قلت : ثمَّ مَن ؟ قال : ثمَّ عمر . وخشيت أن يقول : ثم عثمان . قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلّا رجلٌ من المسلمين .

وفي لفظ الخطيب في تارخه ج١٣ ص٤٣٢ : قال قلت : يا أبت! من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: يا بُنيَّ أو ما تعلم ؟ قال : قلت : لا . قال : أبو بكر . قال : قلت: ثمَّ من؟ قال: يا بُنيَّ أو ما تعلم؟ قال: قلت: لا . قال ثمَّ عمر. قال: ثمَّ بدرته فقلت : يا أبت ! ثمَّ أنت الثالث . قال : فقال لي : يا بُنيَّ أبوك رجلٌ من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم .

قال الأميني : ليست هذه أوَّل سقطة من سقطات البخاري ، ومن عرف معتقد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الذين تقدَّموه وما استمرَّ عليه دأبه من التصريح بذلك المعتقد تارة والتلويح إليه أُخرى لا يشكُّ في أنَّ ما عُزي إليه بهتانٌ عظيمٌ .

وليس ابن الحنفيّة ذلك الذي لا يعرف أباه ولا نظريّته في القوم بعد اللتيا والتي حتى يسأله عن اولئك الرجال ثمَّ يخاف عن أن يقول في المرَّة الثالثة عثمان وهو يعرفه بعُجره وبُجَره لا محالة ، ويعلم أنّه هو أحد الثلاثين من بني أبي العاص الذين صحَّ فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً[1] .

لِماذا كتم أمير المؤمنين عليه السلام من ابن الحنفيّة رأيه هذا يوم مقتل عثمان لمّا

(١) راجع ما مرَّ في الجزء الثامن ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٥٥

أراد الإمام عليه السلام أن يأتي الرجل وينصره فأخذ ابن الحنفيّة بضبعيه أو بكفيه أو بحقويه يمنعه من ذلك(١) .

حاشا ابن الحنفيّة من الجهل بما جاء في أبيه الطاهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : إنّه خير البريّة، وإنّه خير البشر ، وإنّه خير من أتركه بعدي ، وإنّه خير الناس ، وإنّه خير الرجال ، وإنّه أحد الخيرتين(٢) ومحمّد بن الحنفيّة هو الذي كان ينشد شاعره كثير عزة بين يديه قوله :

أنت ابن خير الناس من بعد النبي   يابن عليّ سرْ ومَن مثل علي ؟(٣)

وأنّى تصحّ نسبة هذه المزعمة إلى عليّ عليه السلام وقد جاء عنه من عدّة طرق أنّه قال : حدّثني رسول الله ﷺ وأنا مسنده إلى صدري فقال : أي عليّ ! ألم تسمع قوله الله تعالى ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات هم خير البريّة﴾ ؟ أنت وشيعتك . وورد عن جابر : إنَّ أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كانوا إذا أقبل عليٌّ قالوا : قد جاء خير البريّة . راجع ما أسلفناه في ج ٢ ص٧٠ . أخرجه مضافاً إلى ما ذكرناه هنالك من المصادر ابن أبي حاتم في تفسيره ، قال السيوطي في لآليه ج ١ ص ١٢ : إلتزم ابن أبي حاتم أن يخرج في تفسيره أصحّ ما ورد ولم يخرج حديثاً موضوعاً البتّة . هـ .

ولو كان يرى أمير المؤمنين أنَّ أبا بكر خير الناس فلماذا تقاعد عن بيعته إلى أن توفيت سيِّدة النساء فاطمة ؟ وكان له وجه عند الناس أيّام حياتها كما أخرجه البخاري نفسه ، وصافقه على ذلك بنو هاشم ومَن وافقهم من غيرهم من وجوه الأمّة وأعيان الصحابة ، أوَ لم يكن فيهم من يعرف منزلة الصدّيق هذه ؟ وما بال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل الصدِّيقة الطاهرة على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة على خير البشر(٤) ؟ ولماذا لم يكن في مقال الدعاة إلى أبي

---

(١) الأنساب ج ٥ ص ٩٤ .
(٢) راجع ما مضى في الجزء الثاني ص ٧٦ ، وج ٣ ص ٤٢ ، ٤٤
(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٧٩ .
(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .

بكر أيضاً يوم السقيفة وبعده ما يومي إلى أنّه خير البشر ؟ بل كان رطب ألسنتهم : إنّه السبّاق المسنّ وثاني اثنين إذ هما في الغار[1] مشفوعاً كلٌّ ذلك بالإرهاب والترعيد . أفلم يدّبروا القول ، أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين ؟ .

هب أنَّ الصحابة يوم ذاك ما كانوا يعرفون منزلة الرجل ، فهلاّ نبّههم عليه أمير المؤمنين وأمرهم باتّباع خير الناس وفيهم من كان أطوع له من الظلّ لذيه ، فقمَّ بذلك جذوم الفتنة ، واستأصل جذورها ، وكسح الخلاف من بين المسلمين ، فلم يتركها فتنة عمياء تحتدم عليها الإحن ، وتتعاقب المحن ؟ حاشا مولانا أمير المؤمنين من كلِّ هذه ، لكنّه لم يعرف ما عُزي إليه من حديث خير النّاس ولا اعترف بمفاده طرفة عين ، بل كان صلوات الله عليه يرفع عقيرته بما يضادُّ هذه المزعمة في صهوات المنابر بين الملأ الدينيِّ ، وقد مرَّ شطرٌ من تلكم الكلم في هذا الجزء .

نحن ها هنا لسنا في مقام إثبات أنَّ عليّاً خير البشر بعد صنوه الطاهر صلّى الله عليهما وآلهما . كلاّ ثمَّ كلاّ .

ولسنا في صراط بيان المفاضلة بينه سلام الله عليه وبين خلفاء الإنتخاب الدستوري ، حاشا ثمَّ حاشا .

وإنّما يروقنا جداً أن نمركز لهذا الإنسان الكامل في الملأ الدينيِّ مكانة فرد من آحاد المسلمين ، ونجعلها كلمة سواء بيننا وبين القوم ، ونتصافق على هذا فحسب اللهمَّ غفرانك وإليك المصير .

يا حبّذا بعدما صدَّق القوم ما عُزي إليه صلوات الله عليه من قول : ما أنا إلاّ رجلٌ من المسلمين . أو قوله لابنه : يا بُنيَّ أبوك رجلٌ من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . كانوا يعدُّونه رجلاً منهم وأجروا عليه أحكام من آمن بالله وأسلم ، وكان له ما لهم وعليه ما عليهم . بل ليتهم كانوا اتّبعوا رأي عثمان فيه ويرون مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين بلسان النبيِّ الأقدس أفضل منه . وليتهم ساووا

---

(١) راجع الجزء السابع ص ١٠٩

بينه وبين سفلة الأعراب ، والطبقة الواطئة الساقطة من الصحابة ، لكن : أنّى ؟ ثمّ أنّى ؟ .

قل لي بربّك أيُّ مسلم شريف أو وضيع لُعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر ، ولم ينبس ابن أُنثى ببنت شفة في الدفاع عنه ؟

قل لي بربّك أيُّ مسلم سائد أو سوقة غير سيِّد العترة سُنَّ سبُّه في الجمعة والجماعة في الحواضر الإسلاميّة جمعاء ، وتختم بلعنه أندية الوعظ والخطابة ، ومَن نهى عن ذلك يُنفى عن عقر داره ؟ قال الجنيد بن عبدالرَّحمٰن بن عمرو : أتيت مِن حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصلّيت الجمعة ثمَّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخٌ يقال له : أبو شيبة القاصّ ، يقصُّ على الناس فرغَّب فرغبنا ، وخوَّف فبكينا ، فلمّا انقضى حديثه قال : اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فلعنوا أبا تراب عليه السلام ، فالتفتُّ إلى مَن على يميني فقلت له : فمن أبو تراب ؟ فقال : عليُّ بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله وزوج ابنته ، وأوَّل الناس إسلاماً ، وأبو الحسن والحسين . إلى آخر ما في تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧ . وفيه أنَّ الجنيد استنكر الأمر ولطم وجه الرجل فشكى إلى هشام بن عبدالملك فنفى الجنيد إلى السند فلم يزل بها إلى أن مات .

قل لي بربِّك أيّ عزيز تحت ظلّ النبوّة غير عزيزنا المفدّى ، أضهده نير المذلّة ، وأصبح ضُهدةً لكلِّ أحد ، جرّعته يد الإحن كاسات المحن ، حتّى سئم من حياته ، وصبر وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، يرى تراثه نهبا ؟ .

قل لي بربِّك أيّ صحابيّ غير عليّ عليه السلام لا يستقيم الأمر لامّة محمَّد إلاّ بسبّه ؟ يقال لمروان : ما لكم تسبُّونه على المنابر ؟ فيقول بملء فمه : إنَّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك(١) .

قل لي بربِّك أيّ موحِّد إسلاميّ في الملأ الدينيّ يُتبرَّأ منه في بيعة خليفة المسلمين بيع الله ورسوله سوى عليّ عليه السلام ؟ وقد اشترط معاوية البراءة منه عليه السلام

(١) الصواعق لابن حجر ص ٣٣ .

في بيعته[١] .

قل لي بربِّك أيّ إنسان ثقل إسمه على النـاس غير عليّ صلوات الله عليـه ؟ هذه عائشة لم تسمّه ولا تقدر على أن تذكره بخير، ولا تطيب له نفساً[٢] وكان معاوية أو عبدالملك بن مروان أو هما معاً يأمران ابن عبّاس أن يغيّر إسم ولده عليّ وكنيته[٣] وكان عليُّ بن الجهم السلمي يلعن أباه لأنّه سمّاه عليّاً[٤] .

قل لي بربّك أيّ رجل أسلم وجهه لله وهو محسنٌ غير أوّل المسلمين يُرى لاعنوه وشاتموه ومعاندوه وقاتلوه وخاذلوه متأوِّلين مجتهدين لا يستحقّون مقتاً ولا أخذاً ولا هواناً ولا عقاباً ؟ .

قل لي بربّك أيّ ابن أُنثى من أبناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة استحقّ شيعته ومحبُّوه وأهله وذووه في المجتمع السبَّ واللعن والقتل والسبي والإزراء والضرب والنكال والسوءة والحبس في ظلم المطامير وقعر السجون ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؟

الهضيمة كلّ الهضيمة دفاع ابن حجر عن مثل حَكَم بن أبي العاص طريد النبيِّ ولعينه وعن الوقيعة فيه بما تحقّق منه وعلم من الفاحشة ، وذبّه عنه لمكان كونه صحابيّاً[٥] .

الهضيمة كلّ الهضيمة ذبُّ ابن حزم عن عبدالرَّحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين وعدم تجويزه لعنه وتبريره عمله بأنَّهُ مجتهدٌ مخطىءٌ[٦] .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٨٥ .

(٢) مرّ الحديث بإسناد صحيح في هذا الجزء صفحة ٣٦٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٣٠ ، حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٠٧ ، الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٧ ، العقد الفريد ج ٣ ص ٢٨٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٨ ، تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٠ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٨ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) لسان الميزان ج ٤ ص ٢١٠ .

(٥) راجع ما مضى في الجزء الثامن ص ٢٩٥

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء الأول ص ٣٧٧

الهضيمة كلّ الهضيمة نصرة القاضي حسين الشافعي عمران بن حطّان مادح ابن ملجم قاتل الإمام الطاهر بقوله :

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

يحكم بعدم جواز لعنه زعماً بكونه صحابياً(١) ذاهلاً عن أنّ ابن حطّان لم يكن صحابيّاً وإنّما هو من رؤوس الخوارج الملعونين بلسان النبيّ الأقدس ، وُلد الرجل بعده صلى الله عليه وآله وسلم بمدّة .

الهضيمة كلّ الهضيمة تبرير ساحة معاوية الربا والخمور من دنس طامّاته وموبقاته وجناياته الكبيرة على الإسلام والمسلمين وقتله آلافاً من صلحاء أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة واحدة موجزة ، بأنّه كان مجتهداً متأوّلاً مخطئاً(٢) .

الهضيمة كل الهضيمة الإعتذار عمّا اقترفه يزيد الخمور والفجور ، وتنزيه ساحته من أرجاسه المكفّرة ، والنهي عن لعنه وذكره بالسوء بأنّه مسلم لم يثبت كفره وأنّه إمامٌ مجتهد(٣) .

إلى مناصرات ومدافعات عن أمثال هؤلاء بشروى تلكم الكلم الفارغة ، وأمّا سيّدنا المفدّى حبيب الله وحبيب رسوله فلسنا مغالين إن قلنا: إنّ الامّة كانت مصرّة على مقته ، مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولده إلّا القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ فيه ، فليت القوم أخذوا من بُخاريّهم وخطيبهم هذه الكلمة المعزوّة إلى أمير المؤمنين «ما أنا إلّا رجلٌ من المسلمين» ـ وإن كانت مختلقة ـ وأجروا عليه حكمها . لكن . لكن . . .

ثمَّ كيف تُعزى إليه سلام الله عليه هذه المفاضلة وقد جاء عن النبيّ الأقدس قوله لفاطمة الصدِّيقة : زوَّجتك خير أُمّتي ، أعلمهم علماً ، وأفضلهم حلماً ،

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ١٧٩ .
(٢) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٩ .
(٣) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣ ج ١٣ ص ٩ .

وأوَّلهم سلماً ؟ مرَّ في ج ٣ ص ٩٥/ط ٢ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : عليٌّ خير من أتركه بعدي .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : خير رجالكم عليُّ بن أبي طالب ، وخير نسائكم فاطمة بنت محمّد .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : عليٌّ خير البشر فمن أبى فقد كفر .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يقل عليٌّ خير الناس فقد كفر .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة سلام الله عليها : إنَّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منهم أباكِ فبعثه نبيّاً، ثمَّ اطلع الثانية فاختار بعلكِ .

وقوله لها : إنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك [1] .

وليت شعري كيف تصحُّ عنه هذه المفاضلة وقد اتَّخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له نفساً كما جاء في الذكر الحكيم ، وطهّره الجليل بآية التطهير ، وقرن بين ولايته وولاية رسوله وبين ولاية عليّ في نصِّ الكتاب الكريم ، وأنزله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه منزلة هارون من موسى ، ولم يستثن لنفسه إلّا النبوَّة ، واتَّخذه صلى الله عليه وآله وسلم أخاً لنفسه يوم المؤاخاة المُبتنية على أساس المشاكلة في الملكات والنفسيّات ، فكيف تتمُّ هذه كلّها وفي الأُمَّة مَن هو أولى منه ؟

ولست أدري كيف كان عليٌّ أمير المؤمنين أحبَّ الخلق إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الأُمَّة من هو خيرٌ منه ، وقد صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله في حديث الطير المشويِّ الآتي ذكره إن شاء الله . اللّهمَّ ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي . فأتاه عليٌّ عليه السلام .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة : إنَّ عليّاً أحبُّ الرجال إليَّ وأكرمهم عليَّ فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه .

---

(١) راجع ما مرّ في ج ٣ ص ٤٠ - ٤٣

وقوله : أحبّ الناس إليَّ من الرجال عليّ .

وقوله : عليٌّ أحبّهم إليّ وأحبُّهم إلى الله

لا تنسَ ها هنا قول عائشة : والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ . ولا قول بريدة وأُبيّ : أحبُّ الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة ومن الرجال عليٌّ[1] .

ثمَّ ما بال الصدِّيقة فاطمة تموت وهي واجدةٌ على أبي بكر وعمر وهما خيرا البشر ؟ ما بالها ونداؤها بعدُ في آذان الأُمَّة المرحومة وهي باكيةٌ لاذت بقبر أبيها وتقول : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ؟ .

ما بالها وقولها للخيِّرين : إنِّي أُشهد الله وملائكته انَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيَّ لأشكونّكما إليه ؟ وحديث أنينها بعدُ دائرٌ سائرٌ بين حملة التاريخ .

ما بالها وهي توصي بأن تدفن ليلاً ولا يُصلّي عليها أبو بكر ، ولا يحضر الخيّران تجهيزها وتشييعها؟ وهذا النبأ العظيم بعدُ يدور في أندية الرجال[2] .

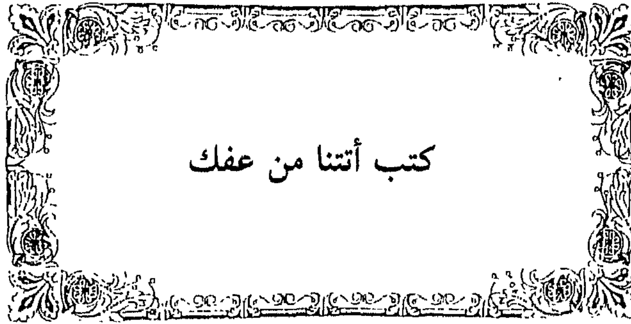
نعم : السرُّ في ذلك كلّه أنَّ الصدِّيقة كابن عمِّها أمير المؤمنين لا تعرف شيئاً من قول الزور ، ولعلَّ الواقف على الجزء السادس والسابع من هذا الكتاب يُطلُّ على كون الرجلين خير البشر بأقرب من هذا .

ونحن على يقين من أنَّ الباحث النابه الحرّ بعد الوقوف على ما في غضون الأجزاء الخمسة الأخيرة من العشرة الاولى من أجزاء كتابنا هذا لا يبقى له قطُّ ريب في أنَّ رواة هذه الأساطير المختلقة والقائلين بمغزاها والمخبتين إليها صمّاً وعمياناً هم الغلاة في الفضائل حقّاً ، فقد جاؤوا ظلماً وزوراً وإنَّ فريقاً منهم ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون ، **﴿فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ، فمن أظلم ممَّن كذب على الله وكذَّب بالصِّدق إذ جاءه ، فاصفح عنهم وقل سلامٌ فسوف يعلمون﴾ . ﴿وآخر دعوانا أن الحمدلله ربِّ العالمين﴾** .

---

(١) راجع ما مرّ في ج ٣ ص ٤١ ـ ٤٣

(٢) راجع ما مرَّ في ج ٧ ص٢٥٥ .



كتب أتتنا من عفك

أتانا كتابٌ من الشاعر الشريف السيِّد نعمة السيّد حسُّون البعّاج المحترم ، صدَّره بجمل الثناء الضافية على كتابنا «الغدير» وشفَّعها بقوله :

فأيُّ غدير جاء والبحر دونه ؟ غديرك بحرٌ لا يُساجله البحر
فإن قلتَ إنَّ البحر باهى بدرّه ففيه عقودٌ لا يُماثلها الدرُّ

ثمَّ ختمه بأبيات راجياً أنْ تنشر في هذا الجزء ألا وهي :

كتاب «الغدير» جليلٌ خطير فيه لعمري بلوغ الأربْ
ذكاءٌ وسرنا على ضوئها لقصد إليه الورى تقتربْ
أعبد الحسين ! ويا حاوياً جماع الكمال وعقد الأدب
فكيف أُحبّر فيك الثنا وأنت تُجدِّد مجد العرب
أعبد الحسين ! بمجد الحسين حباك المهيمن أسمى الرتب
فيا أيُّها السيِّد الفاضل الشريف الفعال المنيف الحسب
هلال الكمال بأُفق العراق توارى زماناً وعنّا احتجب
ومذ جاءنا بالغدير البشير بدى مشرقاً بعدما قد غرب
فقأت عيوناً غداة به أعدت لقوم ليالي الطرب
فهذا «الغدير» لنا منهلٌ لصادي الفؤاد شرابٌ عذب

وهــذا «الغـديـر» وربُّ الغـديـر يفـوق النضـار ومـا من عـجب
فـأين الجـواهـر منـه تكـون ؟ وأين الـلجين وأين الـذهـب
فـسفـر هـدىً فـاق أضـرابـه هـو الـرأس حقّـاً وهنَّ الـذنب
وجـدنـا «الغـديـر» لنـا شـافيـاً يـزيـل العنـاء وينفـي النـصب
وفيـه الكفـايـة عـن غـيـره ولا فـقـر بعـدُ إلى مَـن كـتب
فـإن كـنت تـنـوي بـه قـربـة هـنيئـاً فـهـذي أجـلُّ القُـرب
وإن كـنـت تـنـوي بـه غـايـة فقـد نلت فيـه لـذاك الـطلب

وله كتاب آخر إلينا ختمه بقوله :

دع المجدب الظامي يموت بدائـه ويجـرع من كأس النـدامة صـابـا
أيصـدر عن روض «الغدير» ومائـه ويتبـع وهمـاً نـائيـاً وسـرابـا ؟
ويحسب أن يـروي غليـل فؤاده ولمّـا يجد غير «الغدير» شرابـا ؟
فـدعـه يُـلاقي حتفـه هـو صـاديـاً ودعـه يـرى مـا يـرتضيـه يبـابـا

(كتاب آخر) :

تلقّيناه مِن الشّاعر العَلويِّ النبيل السيِّد يحيى السيِّد داود الشَرع صدره بقوله :

الـحـقُّ أبـلّ وضّـاحُ لـطالـبـه كـالـشمس بَـاديَـةٌ في الأفق لـلنـظر
والفضل يرجـع في العصر الحـديث لمن بـسفـره قـد أتـى عن مـحكـم السـور
ذاك (الأمينيُّ) قـد لاحت معاجـزه فكـان نور هـدىً في عـالم البشـر

وقفّاها بفصول الإطراء وختمه بأُرجوزة تربو على أربعين بيتاً يـذكر فيهـا كتاب «الغدير» وبعض مصادره ، أُرجأنا نشرها إلى آونة أُخرى .

(كتابٌ ثالث) :

أخذناه من الشاعر المبدع يحيى صالح الحلّي افتتح كتابه بقوله :

أنـرت بسفـرك هـذا الـجليـل طـريـق الهـدايـة لـلمجـحـف
وأوضحت أُكـذوبـة الجـاحـدين فـلاح لنـا مـنـه سـرٌّ خـفـي

ثمَّ سبك عقود القريظ، وسرد كلماً منثورة في إطـراء «الغديـر» وتخلّص منها

بأبيات على بحر رجز . فله وللشريفين الشكر المتواصل منّا غير مجذوذ .

(كتابٌ رابع) :

أتانا من الخطيب الشاعر الشيخ كاظم آل حسن الجنابي بعفك وإليك نصّه نظماً ونثراً :

سماحة العلاّمة الأكبر، شيخنا المعظّم الشيخ عبدالحسين الأميني المحترم .

بعد تقبيل أناملكم والسّلام عليكم والدعاء لكم بالخير أُقدّم إليكم أبياتاً نظمتها بدافع دينيّ لا أُريد أن أُقرِّظ بها كتاب (الغدير) الأغرّ الذي عجز عن تقريظه وإطرائه أعلام الفقه والفضيلة ، وفطاحل العلماء ، ولم يحط بوصفه عباقرة الكلام وصيارفة الأدب ، وكيف يطيق شاعرٌ مفلق أو ذو يراع ملهم أن يحدَّ نعته ويحيط بكنهه ، وهو نسيج وحده نسجته يد القدرة ، وصاغته كفّ العناية ، وصفحته عين اللطف ؟ فجاء بحمدالله فريداً في بابه ، بليغاً في خطابه ، أصاب قلب الغرض ، وكشف وجه الحقيقة وأماط عنها دياجير الظلم ، وغياهب الإجحاف ، فليس باستطاعتي والحالة هذه تقريظ مثل هذا الكتابُ العظيم الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا من خلفه ، ومَن أنا وما قدر إمكاني يا سيِّدي ! حتى أتصدى لمدح (الغدير) الذي نبت عن وصفه قرائح الشعراء وأقلام الكتّاب ؟

ولكنّي إنَّما أردت بأبياتي هذه إن راقت سيّدنا (الأميني) أَنْ يتفضّل بنشرها لتكون لي ذكرى خالدة بخلود غديرنا الصافي :

سألوني عن «الغدير» أُناسٌ ... أين كان «الغدير» قبل الأميني ؟
قلت : كان (الغدير) في سجن غيّ ... صفَّدته قيود إفك وَمين
وغدا في السجن من يوم خمّ ... يوم قال الإلٓه : أكملت ديني
قد أتاه «الأمينيُّ» لمّا دعاه ... مستعيناً فياله مِن معين
فجزاه الإلٓه خير جزاء ... أوضح الحقّ في كتاب مبين
وإذا (بالغدير) بين يدينا ... فيه تبيان كلِّ شيء دفين
فيه ما تشتهي النفوس وفيه ... ما تلذّ العيون رأي العيون

فـــرحـــة الصّـــادقين فيـــه وفـيـــه   تـــرحـــة الكـــاذبيـن حقّ اليقين
يـا كتـاب «الغـديـر» أبهجت منّا   مـــذ تـلـونـاك كـلَّ قـلـب حـــزين
سـوف تبقى بغـرَّة الـــدهـر نـــوراً   خـالـداً في الجـــود طـول السنين
ســـلام عـــلى مـــؤلّـــف ســـفـــر   فـاق فضـلاً رجـال كـلِّ القـــرون

[الشيخ كاظم آل حسن الجنابي]



الموضـوع الصفحـة

آراء الصحابة العدول في عثمان

الموضـوع	الصفحـة

الموضوع	الصفحة

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ

عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء العاشر

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص . ب . : ٧١٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

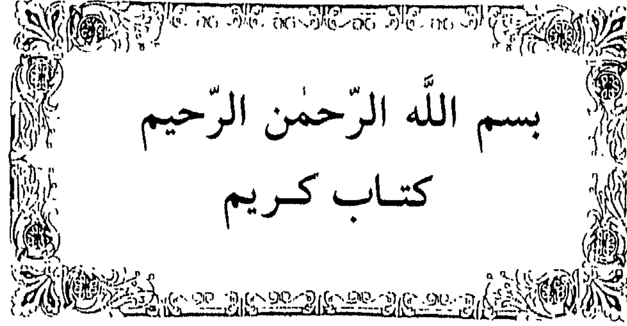
١٠

الطبعة الأولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



تفضـل به سيـدنا الشـريف الأجلّ ، العلم الحجة ، آية الله ، سماحة الحاج السيد صدر الدين الصدر ، نزيل (قُم المشرفة) ودفينها ، قدّس الله سره . ونوّر مضجعه .

[٢٤ ربيع الثاني ، ١٣٧٢ هـ]

بسمـــه تعـالى

شيخنا الإمام العلاّمة ، فضيلة الأستاذ ، حضرة الحاج ، الشيخ عبـد الحسين أحمـد الأميني النجفي ، أدام البـاري على مفـارق المسلمين ظـلالـه ، وكثّـر بين العلماء والأفاضل أمثاله .

أعرض لديه بعد السّـلام عليه : أخـذت كتاب «الغـدير : الجـزء الأوَّل ، من الطبعة الثّانية» ، وكانت الأُولىٰ بالتقدير بعد الطبعـة الأُولىٰ في (النجف الأشرف) ، وكنت أودُّ أن أكتب حول هذا السفـر الكريم ، كلمـة تُعرب عن مبلغ إرتيـاحي به ، ومكانته عندي ، ولكنّما عاقتني عوارض ، حـالت بيني وبين أُمنيَّتي ، أمّا الآن فقـد آن أنْ أُقدِّم كلمة ممّا لديَّ إلى تلك الحضرة ، معتذراً من التأخير .

تلقَّيت ذلك الكتاب القيِّم بيـد الشوق والإعجـاب ، فرأيتـه والحقُّ يُقال : مـا خضت بحراً إلاَّ وأخرجتَ منه أبهى اللؤلؤ والمرجان ، ولا جلت في مضمار إلاَّ ولك السبق والـرِّهان ، إنْ بحثتَ عن مـوضـوع ، جئتَ بمـا هـو الحقّ والصّـواب ، وإنْ أفضتَ في مورد ، أُرشدت إلى الحقيقة في كلِّ باب .

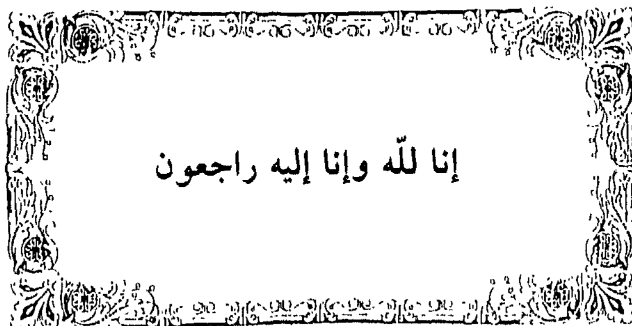
كتاب «الغدير» جمع بين التتبّع الوافي ، والتثبّت في النقـل ، وحسن النقد ، وأصالة الرأي ، وقلَّ ما اجتمعت هذه الخلال في كتاب ، وإنّ أضفت إليهـا خامسـة وهي : جودة السَّرد ، وحسن البيان ، رأيته بين أترابه ، «كأنّه علمٌ في رأسه نار» .

كتـاب «الغديـر» دائرة معـارف إسـلاميّـة ، تجـد فيهـا أنـواعـاً من الفضـائـل والمعارف ، ممّا خلت عنـه زبر الأوَّلين ، ولا غـرو ، فإنَّ مؤلّفـه الإمام العـلاّمة ، أحد مفاخر الطائفة ، وحسنةٌ من حسنات عاصمة العلم والدِّين «النجف الأشرف» .

«النجف الأشرف» : وما أدراك ما النجف الأشرف ؟ مدرسةٌ جامعة كبـرى في دنيا الإسلام ، منذ ألف سنة تقريباً ، لصاحبها وحامي حماها : مولانـا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طـالب ، باب مـدينة العلم الإلٓهيِّ ، ومـولانا المؤلّف من أعـلام متخرّجيها ، فلا بدع إنْ قلت : إنَّ كتاب «الغدير» هو الرِّسالـة النهائيَّـة التي يكتبها التلميـذ عند انتهـاء دراسته ، أو أُطـروحـةٌ نـال بهـا صـاحبهـا الشهـادة العـاليـة بين خـرِّيجيها ، وبالنظر إلى من أسّست تحت عنايته هـذه الكلّيّـة الكبـرى ، عليـه أفضـل الصَّلاة والسّلام ، جعل المؤلّف موضوع كتابه المقدّس «حديث الغـدير» على قـائله والمقـول فيـه ، أزكى الصَّلوات ، والتسليمـات ، مـا كـرَّ الجـديـدان ، واختلف الملوان .

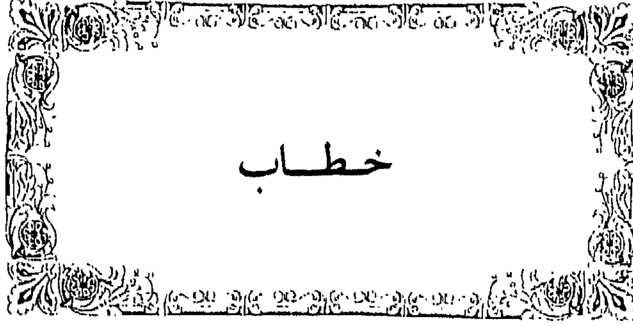
وفّق الله مؤلّفه وإيّانـا ، لخير الـدَّارين ، وسعادة النشـأتين ، والسَّلام عليـه ، ورحمة الله وبركاته .

قُم المشرَّفة/ السيّد صدر الدين الصدر



إنا لله وإنا إليه راجعون

ما كنّا نحسب أنَّ الدهر يلمّ بسروات المجد ، وقادة الإصلاح ، وصروح العلم ، ومناجم التقوى ، فيسير وراءَها سيراً حثيثاً ، يهدم هذا ، ويقلع ذاك ، ويذر الملأ الإسلامي حلف الويل والثبور ، وخدن الكآبة والثكل ، حتّى أوقفنا القدر الجاري على مصارع غير واحد من زعماء المذهب المؤثّرين في الفكرة الدينيّة الصالحة ، المتبوئين في مستوى التهذيب والثقافة الإسلاميَّة الراقية ، وأخيرهم سيّدنا آية الله ، الشريف الأجلّ الصدر ، صاحب هذا التقريظ ، فرأينا لزاماً أنْ نجدِّد ذكره الخالد بهذه الكلمات القصيرة ، تقديراً لموقفه العظيم الشَّامخ من العلم والدِّين ، ونرجىء تفصيل ترجمته إلى محلّه مِن شعراء القرن الرّابع عشر ، توفي قدّس الله سرّه ، يَوم العشرين من شهر ربيع الأوّل ، سنة (١٣٧٣ هـ) ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .



خطاب

تلقيناه من لدن شيخنا ، العلم العلامة الأوحد ، حجة الإسلام والمسلمين ، الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي النجفي ، أدام الله أيّام إفاضاته .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أيُّها العلاَّمة النحرير ، والبحّاثة الكبير ! .

سلامٌ عليكم ورحمة الله ، وبركاته ، ومغفرته ، وتحيّاته .

وبعد : فلئن وجد بين قرّائك الأكرمين من وافاه التوفيق ، فاستطاع أنْ يعبِّر لك عن شعوره تجاه كتابك الأغرّ الموسوم بـ «الغدير» فإنِّي من أُولئك القرّاء الذين لا محيد لهم عن الإعتراف بعجزهم عن إبداء شعورهم ، تجاه هذا الكتاب رغم حرصهم على إبدائه ، كأفضل ما يمكن أن يبدو شعور من شاعر ، وليس ذاك لاستعصاء البيان عليهم فيما يريدون ، وإنّما لطغيان شعورهم طغياناً تجاوز في مداه مستوى البيان ، فلم يعد في مقدور أحدهم أنْ يضبط شعوره في حدود هذه السطور ، مهما ذهب بعيداً ، أو إلى أبعد الحدود ، وكم قرأت للسّادة المقرِّظين من كلمات قيّمات حول كتابك الكريم ، فشكرت لهم في نفسي انصياعهم إلى تقديره جهد ، ما يستطيعه قلم التقدير ، غير أنَّ شيئاً من تلك الكلمات المشكورة ـ على ما تميّز بعضها من سموّ المعنى المقرون بسموِّ الذات ـ لم يجاد شعوري الطاغي تجاه

الكتـاب ، إلاَّ في قليـل من كثيـر ، ولم يـواكبـه إلاَّ إلى الحـدِّ الأدنى من تلك المسافات البعيدة المترامية التي لا بدَّ من قطعها قبل الوصول إلى الغاية المتوخّاة ، لذلك فقد رأيت ، غير متردّد ، أنَّ من الأفضل في هـذا المجال تجميـد البيان ، إلاَّ عن الإعتراف بالعجز عن البيان ، وأيّ غضاضة في هـذا الإعتراف وهـو لا يعدو في واقعة أن يكون إعترافاً بالعجز عن الإتيان بالمعجز ، وهل استـطاع الإتيان بـالمعجز غير الأنبياء من الناس ، أو نفرٌ ممّن اصطنعهم الله لدينه ، فأظهر آيته على أيديهم ، دون أنْ يجعلهم من الأنبيـاء ، كما أظهـر هذا الكتـاب على يديـك ، ليجعله آيتـك الخالدة على ممرّ الأعصار والدهور ، وحقّاً إنّه لآيتك الخالدة التي ستظلّ رمزاً على عبقـريّتك الفـذّة ، ونبوغـك الباهـر ، كلّما تصفّحت الأجيـال من كتـابـك الأغـرّ ، صفحاته الغرّاء ، واستجلت من خلال سـطوره النيّرة أيـاديك البيضـاء ، وتبيّنت من ثنـايا جهـوده الجبّارة مبلغ عنـائك في سبيـل الحقّ الذي ثُـرت لنصرتـه ، كما يثـور الفـارس المغـوار ، والبـطل الكـرّار ، حين يثـور للذبّ عن حـرمتـه ، والـذود عن كرامته ، فهنيئاً لك هذا الفوز العـظيم الذي جعـل منك بـطلاً من أبطال المؤمنين ، ونصيراً من أنصار هذا الدين ، وأسأل الله تعالىٰ بأحبّ خلقه إليـه ، وأعزّهم لـديه ، أنْ يمدّك بالعناية حتّى النهاية ،وأنْ يتعاهدك بالتوفيق إلى منتهى الطّريق ، فإنّـه وليُّ ذلك كلّه ، وما هو عن لطفه تعالىٰ ببعيد ، والسّلام عليكم أوّلاً وأخيراً ، ورحمة الله وبركاته .

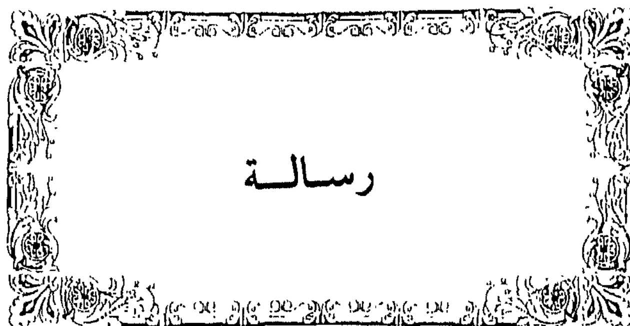
(٢٤ شهر رمضان ١٣٧١ هـ) **مرتضى آل ياسين**

المـرتــضى

شيخنا المرتضى صاحب التقريظ : هو شقيق العلمين الحجّتين آية الله الشيخ محمّد رضا آل ياسين الآنف ذكره ، الطيِّب الخالـد في مفتتح الجـزء الثّامن ، وُلـد قـدّس سـرّه سنـة ١٢٩٧ هـ ، وتـوفّي في ٢٨ رجب سنـة ١٣٧٠ هـ ، أرّخ وفـاتـه الخطيب الشهير الشيخ محمّد علي اليعقوبي النجفي بقوله :

رزيّـة الـدِّين حلّت في أبي حسـن   فـأبّـنـتـه رجـال الـعـلم والـديـن
امّ الكتـاب وياسين بكت جـزعـاً ،   أرّخ : ليـوم الـرضـا من آلِ يـاسين

والشيخ راضي آل ياسين ، صاحب الكتاب القيّم «صلح الحسن» ، الجامع لحقائق ودقائق دينيّة علميّة تاريخيّة ، يُعرب عن مبلغ مؤلِّفه من العلم ، وتضلّعه من الفضائل ، وتقدّمه في مضمار البيان ، وبراعته في التأليف ، ونبوغه في الأدب ، ولد طيّب الله مضجعه سنة ١٣١٤ هـ ، وتوفي أواسط ذي القعدة سنة ١٣٧٢ هـ .



أتتنا من العلاّمة الثقة المفضال ، السيّد محمّد ، نجل الشريف الأجل ، آية الله ، سماحة السيد مهدي الحسيني الشيرازي ، سلام الله على والد وما ولد .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿يثبِّت الله الَّذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ .

لم أفتأ تجيش نفسي بأن أكتب شكري ، وخالص ودادي ، إلى شيخي العلاّمة المفضال ، الحجّة المجاهد ، نابغة العصر «الأميني» الأمين ، أعزّ الله به المسلمين ، رافعاً إليه آيات الإطراء والثناء المتواصل ، فعاقني عن البدار إلى ذلك ، علمي بالقصور عن أداء تلك الوظيفة ، تلقاء بطل العلم والفضيلة .

لا يدرك الواصف المطري خصائصه   وإنْ يكن سابقاً في كلِّ ما وصفا

لكن حداني إلى ذلك ثقتي بجميل لطفه ، وكريم أخلاقه ، وها أنا ذا أُعالج يراعي بكلِّ حيلة ، لعلّه يسعفني بحاجتي ، وأكثر استمدادي من فكرتي ، فلا أراه يغني عنّي ، ويُعرب عمّا في خلدي ـ رغم شوقي إليه ـ تجاه ذلك الحبر العلم الأوحد .

سيّدي ! لقد سبرت سفرك الكريم القيّم ـ الذي كلّما نجم منه جزءٌ ، هفت إليه القلوب ، وتحنُّ إليه الأفئدة ، وانشرحت له الصدور ، بشوق فادح ، ورغبة لا

يُـدرك مداهـا ، فيُلتقى بابتهـاج وارتياح ـ فـألفيته فـذّاً في بـابـه في جـودة السَّـرد ، ورصـافة البيـان ، حسن السبك ، بـديع المـوضوع ، غـزير العلم النـاجـع ، رائـع الأُسلوب ، فائق النظام ، خالياً عن التعقيد والإبهام ، عليه رشاش الحقِّ ، ومـظاهر الصِّدق ، أعلامه قائمة ، وآياته واضحة ، ومعالمه لائحـة ، قويّ الحجّـة ، سديـد المحجّـة ، فهو للطائفـة الحقَّة بـرهان الحجـاج ، وسناد النضـال ، وسلّم الـرقيّ ، ووسـام التقدّم ، وصحيفـة الشـرف ، جئت فيـه بمحكم الآيـات ، وقيّم البيّنـات ، فشدتَ به في العالم الإسلامي حضـارة لها المكـانة والخلود ، مـا دامت السَّماوات والأرض ، تؤتي أُكلهـا كلّ حين بـإذن ربّها ، لِلَّه درُّ يـراعـك الثبت درَّت حلوبتـه ، ولِلَّه بلاءك في نزالك في ميادين الحقّ ، ومناهج الـرشاد ، وسبـل الدين الحنيف ، فقـد أوضحت الطريق المهيـع ، واستأصلت أُصـول الباطـل ، وقـطعت جُـزازتـه ، وأفضحت أُحدوثة أهله ، ووطئت صمـاخهم، وكذَّبت أنبـاءَهم ، ولا غرو من ذلـك وأنت أنت ، قـطنت في الوادي المقـدَّس ، وعكفت على باب مـدينـة العلم ، علم الـرَّسول الأسمىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ، تغـدو إليه وتـروح ، وتستقي من منهل العلم الفضفـاض النميـر الذي تـطفح بـه ضفّتاه ، ولا يتـرنّق جانبـاه ، ولا بدع ممّن ضـرب مـراعف الخلق حتى قالوا : لا إلٰه إلاَّ الله ، محمّد صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله ، أن يُربّى في مـدرسته الكبرىٰ ، وكلّيّته العالميّة ، وجامعه الأزهر ، من يجاهد بيراعـه وشيظ النفاق ، حتّى يشهـدوا بأنَّ عليّـاً أميـر المؤمنين وليّ الله ، ولا عجب ممَّن كـان يحـامي عن حـرم المسلمين ، أنْ ينصب في ثغور حصنه المنيع ، مرابطاً يناضل أهل الباطل ، ويقيّظ لحبالهم عصيّهم التي يخيّل إليهم من سحـرهم أنّها تسعى ، مَن يلقف مـا صنعوا ، إنَّما صنعوا كيد ساحر ، ولا يُفلح الساحر حيث أتى .

فللّه درّك يا شيخنا الأجلّ ! وعليه جزيل أجرك ، وليس ما أبدعته من الكتـاب المقدّس ، مقصوراً على الدفاع عن النبيِّ الأقـدس ، وأهل بيت الـرسالـة ، ومهبط الـوحي ، الذين أُذهب الله عنهم الـرِّجس ، وطهّرهم تـطهيـراً ، بـل دائـرة معـارف كبرى ، تحوي علماً جمّاً ،وحقائق ناصعة ، ودقائق ورقائق ، وأدباً مـوصوفـاً ، وهو موسوعة فيها مـا تشتهيه الأنفس ، وتلـذُّ الأعين ، وكان المجتمـع الديني في حـاجة ماسَّة إلى هذا الكتاب الناطق بالحقِّ في هذا القرن المطبق جهلاً وضلالاً ، لا زلت

مؤيّداً بروح القدس ، داعياً إلى الصَّلاح ، سراجاً منيراً للأُمَّة المسلمة ، فقد طبت نفساً وقلماً ، وخدمت الإسلام والمسلمين ، وفُقت وفاق كتابك العزيز على ماضي الكتب وحاضرها ، والحمد لله ربّ العالمين ، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

غرّة جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ .

كربلاء/محمّد بن مهدي

الحسيني الشيرازي

تقاريظ قيمة

١ ـ أخذنا بيد التكريم كلمة طيّبة ، مشحونة بالدرر والدراري ، لشيخنا الأجلّ ، بقيّة السّلف الصالح ، حجّة الإسلام ، آية الله ، سماحة الحاج ، الشيخ آغا بزرك الطهراني ، حيّاه الله وبيّاه ، صاحب التأليف الضخم الفخم «الذريعة في تصانيف الشيعة» ، فشكراً له وألف شكر .

٢ ـ تشرّفنا برسالة رائعة تفضّل بها الشريف المفضال ، حلف الفضيلة والصَّلاح ، خدن الورع والتقوى ، السيّد نور الدين الموسوي الجزائري ، نزيل (كربلاء المشرّفة) ، فله الشُّكر متواصلاً غير مجذوذ .

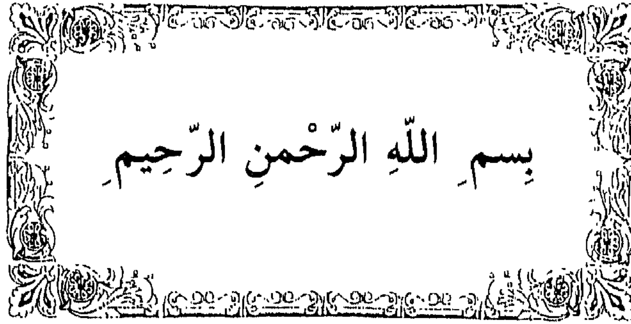
٣ ـ أتانا كتابٌ كريم ، من لدن شريف فذّ ، نسخة الفضيلة ، ومنبسق العلم والأدب ، ألا وهو السيّد جلال الدين الموسوي الطاهري نزيل (قم المشرّفة) ، يطفح من جوانب كتابه الأدب الرائق ، كما تتدفّق منه البلاغة والفصاحة ، فشكراً على يراعه الثبت ، ومزبره السيّال .

٤ ـ أُلقي إلينا خطابٌ يحوي جمل الثناء من النثر المنسجم ، والنظم المنضّد من صاحب الفضيلة ، والأدب الجمّ ، والورع الموصوف ، الشيخ موسى ابن العلاّمة الأوحد ، شيخنا الشيخ هادي المرندي الغروي ، حيّا الله الوالد وما ولد .

ولعلّي أتوفّق لنشر هذه الكلم القيّمة بنصّها وفصّها ، في مستقبل أجزاء كتابنا هذا ، والله وليُّ التوفيق ، وله الحمد .

الجزء العاشر

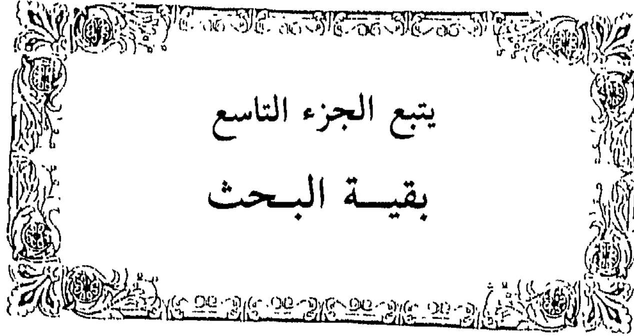
يحوي مناقب الخلفاء، والنظرة فيها متناً وإسناداً، ويتلوها بحثٌ حرّ عن المغالاة في فضائل معاوية، يوقف القارئ على نفسيّات الرَّجل وملكاته، ويميط الستر عن صحائف من تاريخ حياته السوداء، ويعرِّفه بعُجره وبُجره، ولسنا مجازفين في القول، متحازين عن الحقِّ، متعصِّبين بمبدأ أو عقيدة.



سُبحانَكَ نَحنُ نسبِّحُ بِحمدِكَ ، وَنُقدِّسُ لَكَ ، وَما لَنا لا نُؤمِن باللَّهِ وَمَا جاءنا مِنَ الحقِّ ، وَنَطمعُ أنْ يُدخلنا رَبُّنا مَعَ القومِ الصَّالِحينَ .

يَا أَيُّها النّاسُ قدْ جاءكم بُرهانٌ مِنْ رَبِّكم ، هذا بيانٌ للنّاسِ وَهُدىً وَموعظةٌ للمتّقين ، قَدْ جِئتكم بِالحِكمةِ ، ولأبيِّنَ لَكم بعضَ الذي تَختلفونَ فِيهِ ، وإنّا لنعلمُ أنَّ مِنكمْ مُكذِّبينَ ، وَما تَفرَّقَ الَّذِينَ أُوتوا الكتابَ إلاّ مِن بعدِ ما جاءتهم البيّنةُ ، خُذوا ما آتيناكم بِقوَّة ، وَاتَّبعوا أحسنَ ما أُنزلَ إليكم مِنْ رَبِّكم ، واتّبعوا مَنْ لا يَسألكم أجراً وَهُم مُهتدون ، نَحنُ نَقُصُّ عَليكَ نَبأهُم بِالحَقِّ ، وَاعتصموا بِحبلِ اللَّهِ جَميعاً وَلا تَفرَّقوا ، وَأَطيعوا اللَّهَ وَرَسوله ، وَلا تَنازعوا فَتفشلوا ، وَتَذهَبَ ريحُكُم ، وَلاَ تَكُونُوا كالذين تَفَرَّقوا ، واختلفوا ، مِنْ بَعدِ ما جاءتهُم البيّنات ، انّهم ألفوا آبائَهم ضالِّينَ ، فهُم عَلىٰ آثارِهم يُهرعونَ ، وَلقدْ ضَلَّ قَبلهُم أكثَرُ الأوَّلين ، يُحاجُّونَ في اللَّهِ مِنْ بَعدِ ما استُجيب لَه حجّتهم داحضة ، فَمَنْ حاجَّك فيه مِن بَعدِ ما جاءك مِن العِلمِ ، فَقُلْ : تَعالوا نَدع أبناءنا وَأبناءكُم ، ونِساءَنا وَنِسَاءَكُم ، وأنفسَنا وأنفسَكم ، ثُمَّ نَبتَهِل فنَجعلْ لَعْنَةَ اللَّهِ على الكاذبين .

(الأميني)



عن مناقب الخلفاء الثلاثة

٤ ـ أخرج البخاري في كتاب المناقب من صحيحه (ج ٥ ص ٢٤٣) باب فضل أبي بكر بعد النبيِّ ، من طريق عبد الله بن عمر ، قال : «كنّا نخيِّر بين الناس في زمن النبيِّ ﷺ ، فنخيِّر أبا بكر ، ثمَّ عمر بن الخطاب ، ثمّ عثمان بن عفّان ، رضي الله عنهم» .

وذكر في باب مناقب عثمان (ج ٥ ص ٢٦٢) عن ابن عمر أيضاً بلفظ : «كنّا في زمن النبيِّ ﷺ ، لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، ثمَّ نترك أصحاب النبيّ ﷺ لا نفاضل بينهم» . وبهذا اللّفظ حكاه الحافظ العراقي عن الصحيحين ، في (طرح التثريب ، ج ١ ص ٨٢) .

وأخرج في تاريخه (ج ١ قسم ١ ص ١٤)، بلفظ : «كنا في عهد النبي ﷺ وبعده نقول : خير أصحاب النبي ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان» .

وأخرج أحمد في مسنده (ج٢ ص١٤) عن ابن عمر ، قال : «كنا نعدّ ورسول الله ﷺ حيّ ،وأصحابه متوافرون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ثم نسكت» .

وأخرج ابن داود والطبراني، عن ابن عمر : «كنّا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ : أفضل أُمّة النبيّ ﷺ بعده أبو بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره»[1] .

(١) فتح الباري ج ٧ ص ١٣ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٢ ذكر زيادة الطبراني .

وروى ابن سليمان في (فضائل الصحابة) من طريق سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن ابن عمر : «كنّانقول : إذا ذهب أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، استوى الناس . فيسمع النبيّ ﷺ ذلك فلا ينكره»[١] .

وفي لفظ البزّار : «كنّا نقول في عهد النبيّ ﷺ : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان . يعني بالخلافة» [٢] وفي لفظ الترمذي : «كنّا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ»[٣] .

وفي لفظ البخاري في تاريخه ، ج ١ قسم ١ ص ٤٩ : «كنّا نقول في زمن النبيّ ﷺ : من يلي هذا الأمر بعد النبيّ ﷺ ؟ فيقال : أبو بكر ، ثمّ عمر ، ثمّ عثمان ، ثم نسكت» .

قال الأميني : هذه الرِّواية عمدة ما تمسّك به القوم ، فيما وقع من الإنتخاب الدستوري في الإسلام ، وقد اتّخذها المتكلّمون حجّة لدى البحث عن الإمامة ، واتّبع أثرهم المحدثون ، ولهم عند إخراجها تصويبٌ وتصعيد ، وتبجّحٌ وابتهاج ، وجاء كثيرون وقد أطنبوا وأسهبوا في القول لدى شرحها ، وجعلوها كحجر أساسي علّوا عليها أمر الخلافة الراشدة ، واحتجوا بها على صحّة البيعة التي عمَّ شومها الإسلام ، وحُفت بهنات ووصمات ، وشتّتت شمل المسلمين ، وفتّت في عضد الدين ، وفصمت عراه ، وجرّت الويلات على أُمّة محمّد حتى اليوم ، فلنا عندئذ أنْ نبسط القول ، ونوقف القارىء على جليّة الحال ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيَّ عن بيّنة ، والله وليّ التوفيق .

كان عبد الله بن عمر ، على العهد النبويِّ الذي ادّعى أنّه كان يُخيَّر فيه فيختار ، في إبّان شبيبته ، حتّى انّه كان لم يبلغ الحلم في جملة من سنيه ، ولذلك ردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الجهاد يوم بدر ، وأحد ، واستصغره ، وأجاز له يوم الخندق ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، كما ثبت في الصحيح[٤] ، وهو على جميع الأقوال في

---

(١) فتح الباري ج ٧ ص ١٣ .
(٢) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٥ .
(٣) صحيح الترمذي ج ١٣ ص ١٦١ .
(٤) صحيح البخاري ج ٦ ص ٧٤ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٦ ، عيون الأثر ج ٢ ص ٦ ، ٧ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٢ .

ولادته ، وهجرته ، ووفاته ، لم يكن متجاوزاً العشرين ، يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو في مثل هذه السنّ ، لا يُخيّر عادة في التفاضل بين مشيخة الصّحابة ، ووجوه الأُمّة ، ولا يُتّخذ حكماً يُمضى رأيه في الخيرة ، لأنّ الحكم الفاصل في مثل هذا يستدعي ممارسة طويلة ، ووقوفاً على تجاريب متتابعة ، مقرونة بعقليّة ناضجة ، وتمييز بين مقتضيات الفضيلة ، وعرفان لنفسيّات الرجال وقوّة في النفس لا يتمايل بها الهوى ، وابن عمر كان يفقد كلَّ هذه لما ذكرناه من صغر سنِّه يوم ذاك ، المانع عن كلِّ ما ذكرناه ، وروايته هذه أقوى شاهد على فقدانه تلكم الملكات الفاضلة ، قال أبو غسان الدوري : كنت عند عليّ بن الجعد فذكروا عنده حديث ابن عمر : «كنّا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ فنقول : خير هذه الأُمّة بعد النبيّ أبو بكر وعمر وعثمان فيبلغ النبيَّ ﷺ فلا ينكر» . فقال عليّ بن الجعد : انظروا إلى هذا الصبيِّ هو لم يحسن أن يطلّق امرأته يقول : كنّا نفاضل[1] ! .

ومن عرف ابن عمر ، وقرأ صحيفة تاريخه السوداء ، عرفه بضؤولة الرأي ، واتّباع الهوى ، وبفقدانه كلّ تلكم الخلل ، يوم بلغ أشدّه ، وكبر سنّه ، فضلاً عن عنفوان شبابه ، وسيوافيك نزرٌ من آرائه السخيفة .

دع ابن عمر ومن لفَّ لفّه ، يختار ويتقوّل ، **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة . وما كان لمؤمن ومؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[2] .

ودع البخاري ومَن حذا حذوه ، يصحّح الباطل ، ولا يعرف الحيَّ من الليِّ ، واسمع لغواهم ولا تخف طغواهم ، ولو اتّبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السّماوات والأرض ومن فيهنّ ، قد جئناك بآية من ربِّك ، والسَّلام على من اتّبع الهدى .

قال أبو عمر في (الإستيعاب) في ترجمة عليّ عليه السلام (ج ٢ ص ٤٦٧) : «من قال بحديث ابن عمر : كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ، ثمّ عمر ،

---

(١) تاريخ الخطيب ج ١١ ص ٣٦٣ .

(٢) سورة القصص ؛ الآية : ٦٨ ، سورة الاحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

ثمَّ عثمان ، ثمَّ نسكت . يعني فلا نفاضل ، وهو الذي أنكر ابن معين ، وتكلّم فيه بكلام غليظ ، لأنّ القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنّة ، من السلف والخلف ، من أهل الفقه والأثر ، إنَّ عليّاً أفضل الناس بعد عثمان ، رضي الله عنه ، وهذا ممّا لم يختلفوا فيه ، وإنّما اختلفوا في تفضيل عليّ وعثمان ، واختلف السلف أيضاً في تفضيل عليّ وأبي بكر ، وفي إجماع الجميع الذي وصفنا دليلٌ على أنَّ حديث ابن عمر وهمٌ وغلطٌ ، وأنّه لا يصحّ معناه ، وإن كان إسناده صحيحاً»(اهـ) .

وقال ابن حجر بعد ذكر محصّل كلام أبي عمر هذا : «وتعقّب أيضاً بأنّه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله ، عدم تفضيله على الدوام ، وبأنَّ الإجماع المذكور إنّما حدث بعد الزمن الذي قيّده ابن عمر ، فيخرج حديثه عن أن يكون غلطاً» (اهـ) .

عزب عن ابن حجر ومن تعقّب أبا عمر ، انَّ الإجماع الحادث المذكور ، لم يكن إلَّا لتلكم السوابق التي كان يحوزها مولانا أمير المؤمنين ، يوم سكت ابن عمر عن اختياره ، ولم تكن لها جدّة ؛ وإنّما هي هي التي أثنى عليها الكتاب والسنّة ، فيلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله بعد الثلاثة ، عدم تفضيله على الدوام ، فإنْ كان مدار الإجماع على اختياره عليه السلام يوم اختاروه ، هو وملكاته ونفسيّاته ، وسبقه في الفضائل والفواضل المفصّلة في الكتاب والسنّة ، فهي لا تفارقه عليه السلام ، وهو المختار بها على الكلِّ في أدوار حياته ، يوم فارق النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا ، وهلمَّ جرّا ، وإنْ كان المدار غير ذلك من الشيخوخة ، والكبر ، وأمثالهما ، فذلك شيءٌ لا نعرفه ، ولا نفضّله عليه السلام على غيره ، بهذه التافهات التي هي شرك القوم ، أقتنصت بها بسطاء أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم بيعة أبي بكر ، حتّى اليوم .

وليت من تعقّب ابن عبد البرِّ ، إنْ لم يكن يأخذ بكلِّ ما جاء في عليّ أمير المؤمنين من الكتاب والسنّة الصحيحة الثابتة ، كان يأخذ بما جاء به قومه عن أنس فحسب ، ثمَّ يحكم فيما جاء به ابن عمر ، قال أنس : «قال رسول الله ﷺ : إنّ الله إفترض عليكم حبّ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، كما افترض الصّلاة

والـزكاة والصـوم والحجّ ، فمن أنكـر فضلهم، فلا تقبل منه الصّـلاة ولا الزكـاة ولا الصوم ولا الحج»[١] .

[الرياض النضرة ج ١ ص ٢٩]

وشتّـان بين رأي ابن عمر ، وبين قـول أبيـه في عليّ عليه السلام : «هـذا مـولاي ومـولى كـلّ مؤمن ، من لم يكن مـولاه فليس بمؤمن ، راجـع مـا مـضـى ج ١ ص ٤٤٠

ولعـلّ القوم ستـراً على عوار إختيـار ابن عمر ، وتخلُّصـاً عـن نقد أبي عمـر المذكور ، اختلقـوا من طريق جعـدبة[٢] بن يحيى عن العـلاء بن البشير العبشمي ، عن ابن أبي أُويس ، عن مـالك ، عن نـافع ، عن ابن عمـر ، أنّه قـال : «كنّا على عهد رسول الله ﷺ نفاضل فنقول : أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ» .

واختلقوا من طريق محمّد أبي البلاط[٣] ، عن زهـد بن أبي عتاب ، عن ابن عمـر أيضاً : قـال : كنّـا نقـول في زمن النبيِّ ﷺ : بلي الأمر بعـده أبـو بكـر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، ثمَّ عليّ ، ثمَّ نسكت .

ولعـلّ الواقف على أجـزاء كتابنـا هذا ، وبـالأخصِّ الجـزء السـادس ، وهلمَّ جـرّا ، يعلم ويذعن ، بـأنَّ اختيار ابن عمـر ، ومن رأى رأيه ، بـاطـلٌ ، في غـايـة السخافة ، ولو كان معـظم الصحابـة لم يعدل بـأبي بكر أحـداً في زمن نبيّهم ، فما الّذي زحزحهم عن رأيهم ذلـك يوم السقيفـة ؟ وما الـذي أرجأهـم عن بيعتـه ؟ ومن أين أتـاهـم ذلك الخـلاف الفاحش الـذي جرَّ الأسـواء على الأُمّة حتّى اليـوم ؟ وقد عـرَّفناك في الجـزء السابـع ص ٩٢ ، ١١١ ، ١٦٣ [٤] أنَّ عيون الصحـابـة من

---

(١) أثبتنا قي محله : إن هذه المنقبة لا تصح في غير علي ، عليه السلام ، وهي فيمن سواه ، تخالف الكتاب والسنة والعقل والمنطق ، ولا تساعدها سيرتهم مدى حياتهم الدنيا .

(٢) جعدبة : متروك يروي عن العلاء مناكير ، والعلاء ضعيف حديثه غير صحيح . راجـع (لسان الميزان ج ٢ ص ١٠٥ وج ٤ ص ١٨٣) .

(٣) لا يُعرف ولا يدري رجال الجرح والتعديل من هو . (لسان الميزان ج ٥ ص ٩٦) .

(٤) وفي ص ٩١ - ٩٩ ، ١٠٨

المهاجرين والأنصار ، لمّا لم تكن تجد لأبي بكر يوم تقمّص الخلافة ، فضيلة يستحقُّ بها الخلافة ، وتدعم بها الحجّة على الناس في بيعته ، تقاعست وتقاعدت عنها ، وما مُدّت إليها منهم يدٌ ، ولم تكن لهم فيها قدمٌ ، وما بايعه يومها الأوّل إلاّ رجلين ، أو أربعة ، أو خمسة ،ثمّ حدت الأُمّة إليها الدعوة المشفوعة بالإرهاب والترعيب ، وما كان في أفواه الدعاة إليها إلاّ الترهيب بالقتل والضرب والحرق ، أو قولهم : إنَّ أبا بكر السبّاق المسنّ ، صاحب رسول الله في الغار ، وكانت هذه غاية جهدهم في عدِّ فضائل أبي بكر ، قال ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ١٧٨ : «وهي ـ فضيلة كونه ثاني اثنين في الغار ـ أعظم فضائله التي استحقَّ بها أن يكون الخليفة من بعد النبيّ ﷺ ، ولذلك قال عمر بن الخطاب : إنَّ أبا بكر صاحب رسول الله ، ثاني اثنين ، فإنّه أولى المسلمين بأُموركم» . اهـ .

ألا مسائل ابن حجر عن أنَّ صحبة يومين في الغار التي تتصوَّر على أنحاء ، وللقول فيها مجالٌ واسعٌ ، صحبةً ما أمكنت الرجل من أن يصف صاحبه لما جاءه اليهود وقالوا : صف لنا صاحبك . فقال : معشر اليهود لقد كنت معه في الغار كإصبعيَّ هاتين ، ولقد صعدت معه جبل حراء ، وانَّ خنصري لفي خنصره ، ولكن الحديث عنه ﷺ شديدٌ ، وهذا عليُّ بن أبي طالب . فأتوا عليّاً فقالوا : يا أبا الحسن ! صف لنا ابن عمّك ، فوصفه . الحديث[1] .

كيف استحقَّ الرجل بمثل هذه الصحبة الخلافة ، وصار بذلك أولى الناس بأُمورهم ؟ وأمّا صحبة عليّ عليه السلام إيّاه منذ نعومة أظفاره إلى آخر نفس لفظه صلى الله عليه وآله وسلم ، حتّى عاد منه كالظّل من ذيه ، وعُدَّ نفسه في الكتاب العزيز ؛ وقرنت ولايته بولاية الله ، وولاية نبيّه ، وجعلت مودّته أجر الرسالة ، فلم تستوجب إستحقاقه بها الخلافة والأولويّة بأُمور الناس ، بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ؟» إنَّ هذا لشيءٌ عجاب !!

وإنّي لست أدري إنَّ هذه المفاضلة المتسالم عليها بين الصحابة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لماذا نسيها أُولئك العدول بموته صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ولماذا لم يصفقوا

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٥ .

على ذلك الإختيار الذي كان يسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينكره ؟ ووقع الخلاف والتشاح والتلاكم والتشاتم والنزاع ، حتّى كاد أنْ يقتل صنو النبيّ الأعظم في تلك المعمعة ، ورأت بضعته الصدِّيقة ما رأت ، ووقعت وصمات لا تُنسى طيلة حياة الدنيا ، وأُرجىء دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ، وكانت الصحابة بمعزل عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن إجنانه ، وما حضر الشيخان دفنه(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم(٢) : «كان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً ، لأنّهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين ، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتّب عليه مفاسد عظيمة ، ولهذا أخّروا دفن النبيّ ﷺ ، حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهمَّ الأُمور ، كيلا يقع نزاعٌ في مدفنه ، أو كفنه ، أو غسله أو الصّلاة عليه أو غير ذلك» .

ثمَّ لو كان الأمر كما زعم ابن عمر من الإختيار فتقديم أبي بكر يوم السقيفة الرجلين : عمر وأبا عبيدة على نفسه وقوله : بايعوا أحد الرجلين . أو قوله : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيّهما شئتم . لماذا ؟ ولماذا قول أبي بكر لأبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور : هلّم أُبايعك فإنَّ رسول الله ﷺيقول : إنّك أمين هذه الأُمَّة ؟ .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٠]

ولماذا قول أبي بكر في خطبة له : «أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً» ؟ أو قوله : «ألا وإنّما أنا بشرٌ ولست بخير من أحد منكم فراعوني» ؟ . أو قوله : «إنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم» ؟ أو قوله : «أقيلوني أقيلوني لست بخيركم» (٣) .

ولماذا ورم أنف كلِّ الصحابة يوم اختيار أبي بكر عمر بن الخطاب للأمر بعده ، وأراد كلٌّ منهم أنْ يكون الأمر له دونه ؟(٤) .

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٩١

(٢) في كتاب الجهاد ، باب قول النبي : «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» ، عند قول علي ، عليه السلام ، لابي بكر : «لكنك استبددت علينا بالأمر ، وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله» .

(٣) راجع الجزء السابع ص ١٣٨

(٤) جاء في صحيحة مرت في ج ٥ ص ٤٣١، وج ٧ ص ١٩٢

ولماذا جابه طلحة بن عبيد الله ـ أحد العشرة المبشّرة ـ أبا بكر يوم استخلف عمر ، فقال طلحة : «ما تقول لربّك وقد ولّيت عليها فظّاً غليظاً» ؟ .

ولماذا ندم أبو بكر في أُخريات أيّامه عن خلافته قائلاً : «وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة ، كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً» ؟ راجع (ج ٧ ص ١٩٤) .

ولماذا أتى عمر أبا عبيدة الجرّاح يوم وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال : «أبسط يدك فلأُبايعك ، فإنّك أمين هذه الأُمّة على لسان رسول الله ﷺ» ؟ (١) .

وما الذي دعى عمر بن الخطاب إلى قوله لابن عبّاس : «أما والله يا بني عبد المطلب ، لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر» ، راجع (ج ١ ص ٤٠٢) .

ولماذا قال عمر لمّا طعن : «إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح ـ يعني عليّاً ـ فقال له ابن عمر : ما منعك أن تقدّم عليّاً ؟ قال : أكره أن أحملها حيّاً وميّتاً »؟(٢) .

ولماذا قال لأصحاب الشورى : «لله درّهم إنْ ولّوها الأُصيلع ، كيف يحملهم على الحقّ ، قالوا : أتعلم ذلك منه ولا تستخلفه ؟ قال : إنْ أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي ، وإنْ أترك فقد ترك من هو خيرٌ منّي»؟(٣) .

ولماذا تمنّى عمر يوم طعن سالم بن معقل أحد الموالي ، قائلاً : «لو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى ؟(٤) وفي لفظ الطبري : استخلفته . وفي لفظ

---

(١) أخرجه أحمد ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن الأثير ، وابن الجوزي ، وابن حجر ، والحلبي راجع : (كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٨ ، الغدير ج ٥ ص ٤٤٥) .

(٢) الأنساب ج ٥ ص ١٦ ، الإستيعاب في ترجمة عمر : ج ٤ ص ٤١٩ ، فتح الباري ج ٧ ص ٥٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٧٠ .

(٣) الرياض ج ٢ ص ٢٤١ .

(٤) التمهيد للباقلاني ص ٢٠٤ ، طرح التثريب ج ١ ص ٤٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٤ .

للباقلاني : لرأيت أنّي قد أصبت الرأي ، وما تداخلني فيه الشكوك .

ولِماذا كان يقول : «لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة الجرّاح» ؟[1] .

ولِماذا قال للقائلين له : (لو عهدت يا أمير المؤمنين) : «لو أدركت أبا عبيدة الجرّاح ثمَّ ولَّيته ، ثمَّ قدمت على ربّي فقال لي : لِمَ إستخلفته على أُمّة محمّد ؟ لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول : لكلِّ أُمّة أمين ، وإنَّ أمين هذه الأُمّة أبو عبيدة الجرّاح ، ولو أدركت خالداً ثمّ ولّيته ، ثمَّ قدمت على ربّي فقال لي : مَن استخلفت على أُمّة محمّد ؟ لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول لخالد : سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين»[2] .

ولماذا قوله : لو أدركت أبا عبيدة لاستخلفته ، وما شاورت ، فإنْ سئلت عنه ، قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله»؟[3] .

ومرَّ في (الجزء الخامس : ص ٤٧٣) «إنَّ عائشة قالت لعبد الله بن عمر : يا بنيَّ أبلغ عمر سلامي ، وقل له : لا تدع أُمَّة محمّد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإنّي أخشى عليهم الفتنة ، فأتى عبد الله فأعلمه فقال : ومَن تأمرني أن أستخلف ؟ لو أدركت أبا عبيدة الجرّاح باقياً لاستخلفته وولَّيته ؛ فإذا قدمت على ربِّي فسألني ، وقال لي : مَن وليت على امّة محمّد ؟ قلت : أي ربّ ! سمعت عبدك ونبيّك يقول : لكلّ أُمّة أمينٌ ، وأمين هذه الأُمّة أبو عبيدة بن الجرّاح . ولو أدركت معاذ بن جبل إستخلفته ، فإذا قدمت على ربّي فسألني : من ولَّيت على أُمّة محمّد ؟ قلت : أي ربّ ! سمعت عبدك ونبيَّك يقول : إنَّ معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة ، ولو أدركت خالد بن الوليد لولَّيته ، فإذا قدمت على ربِّي فسألني : مَن ولَّيت على أُمّة محمّد ؟ قلت :

(١) طبقات ابن سعد . ط ليدن/ج ٣ ص ٢٤٨ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٠٢ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٠ .

أي ربّ ! سمعت عبدك ونبيّك يقول : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه على المشركين» .

ولماذا ساوى عمر بين أصحاب الشورى ، ولمّا قيل له : استخلف . قال : ما أجد أحداً أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر ، أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، فسمّى عليّاً ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعداً ، وعبد الرّحمٰن ؟ ! .

[صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٦٧]

وأين هذا من قول عبد الرّحمٰن بن عوف لعليّ وعثمان : «إنّي قد سألت الناس عنكما ، فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً !» . وقوله : «أيّها الناس إنّي سألتكم سرّاً وجهراً بأمانيكم ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين : إمّا عليّ وإمّا عثمان ؟ !»(١) .

ولماذا بدأ عبد الرّحمٰن بن عوف بعليّ عليه السلام أوّلاً ، للبيعة وقدّمه على عثمان يوم الشورى ، غير أنّه اشترط عليه ، صلوات الله عليه ، القيام بسيرة الشيخين ، فلم يقبله وقبله عثمان فبايعه على ذلك ؟(٢) . وقد مرَّ الكلام حول هذا الشرط في (الجزء التاسع : ص ١١٣ ، ١١٥) .

ولماذا قال أبو وائل لعبد الرّحمٰن بن عوف : «كيف بايعتم عثمان وتركتم عليّاً ؟» أخرجه أحمد في مسنده ص ٧٥ .

ولماذا قال معاوية : «إنّما كان هذا الأمر لبني عبد مُناف ، لأنّهم أهل رسول الله ﷺ ، فلمّا مضى رسول الله ﷺ ولّى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك والخلافة . . .» . يأتي تمام كلامه في هذا الجزء .

ولماذا قال العبّاس عمُّ النبيّ لعليّ عليه السلام ، يوم قبض النبيّ ﷺ : «أُبسط يدك فلنبايعك» ؟(٣) .

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٠ ، تاريخ ابن كثير ص ١٦٤ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٧٥ ، تمهيد الباقلاني ص ٢٠٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٤ ، الصواعق ص ٦٣ ، فتح الباري ج ١٣ ص ١٦٨ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٤٥ .

ولماذا قال العبّاس لأبي بكر : «فإنْ كنت برسول الله طلبت ؟ فحقّنا أخذت . وإنْ كنت بالمؤمنين طلبت ، فنحن منهم ، متقدّمون فيهم . وإنْ كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنّا كارهين» ؟ إلى آخر ما مرَّ في (ج ٥) .

ولماذا تقاعد عمّار وشتم أبا سرح لمّا قال : إنْ أردت أنْ لا تختلف قريش ، فبايع عثمان ؟ . وخالف مقداد وجمعٌ آخر من عيون الصحابة عن بيعة عثمان ، وتمَّت بالإرهاب والترعيد ، وقال عمّار لعبد الرّحمٰن : إنْ أردت أنْ لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً . فقال المقداد : صدق عمّار إنْ بايعت عليّاً قلنا سمعنا وأطعنا[1] . وقال عليٌّ لعبد الرَّحمٰن : حبوته حبو دهر ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما ولّيت عثمان إلَّا ليردَّ الأمر إليك ، والله كلَّ يوم هو في شأن ؟ ! .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٧]

ولماذا قال سعد بن أبي وقاص لعبد الرَّحمٰن بن عوف : «إنْ كنت تدعوني والأمر لك ، وقد فارقك عثمان على مبايعتك ، كنت معك ، وإنْ كنت إنّما تريد الأمر لعثمان ، فعليٌّ أحقُّ بالأمر ، وأحب إليَّ من عثمان ، بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا» ؟ ! .

أنساب البلاذري ج ٥ ص ٢٠ ؛ تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٩ ، فتح الباري ج ١٣ ص ١٦٨ .

ولماذا قال الزبير : «لو مات عمر لبايعت طلحة ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلَّا فلتة فتمّت»؟ ![2] .

ولماذا جابه الزبير يوم قال عمر : أكلّكم يطمع في الخلافة بعدي بقوله ما الذي يبعدنا منها ؟ ولّيتها أنت فقمت بها ، ولسنا دونك في قريش ، ولا في

---

(١) تاريخ ابن جرير الطبري ج ٥ ص ٣٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٨ .
(٢) أصل الحديث في صحيح البخاري ، راجع شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٥٨ .

السابقة ، ولا في القرابة (شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٢) وأين يقع قول عليّ أمير المؤمنين عليه السلام على صهوة المنبر : «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى» ؟ ! (إلى آخر الخطبة الشقشقية) ، إلى كلمات أخرىٰ له ، تضادّ هذه المفاضلة .

ولماذا كان أبو عبيدة أحبّ إلى رسول الله بعد الشيخين من أصحابه ، كما في صحيحة جاء بها ابن ماجة في (سننه ج ١ ص ٥١) ، والترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٢٦) عن ابن شقيق قال : «قلت لعائشة رضي الله عنها : أيُّ أصحاب رسول الله ﷺ كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : أبو بكر . قلت : ثمّ مَن ؟ قالت : عمر . قلت : ثمَّ مَن ؟ قالت : أبو عبيدة ابن الجرّاح قلت : ثمّ مَن ؟ فسكتت» ؟ .

وأخرجها أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢١٨ ، وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ١٦١ .

وشتّان بين اختيار ابن عمر ، وبين ما جاء عن ابن أبي مليكة قال : «قيل لعائشة : من كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر . قيل لها : ثمّ مَن ؟ قالت : عمر . فقيل لها : ثمّ مَن ؟ قالت : أبو عبيدة . وانتهت إلى هذه» ؟ ![١] .

وأين كان ابن عمر عن أُناس كانوا يفضّلون بلال الحبشي على أبي بكر حتّى قال : «كيف تفضّلوني عليه ، وإنّما أنا حسنة من حسناته» ؟[٢] .

وأنّى اختيار ابن عمر من قول كعب بن زهير :

صهر النبيّ ، وخير الناس كلّهم ... وكلّ من رامه بالفخر مفخور
صلّى الصّلاة مع الأُمّي أوّلهم ... قبل العباد، وربّ النّاس مكفور

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٠ : تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦١ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٣١٤ .

ومن قول ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب :

ما كنت أحسب أنَّ الأمر منتقل عن هاشم ، ثمَّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتهم وأعلم النّاس بالآيات والسنن ؟
وآخر النّاس عهداً بالنبيِّ ، ومن جبريل عونٌ له في الغسل والكفن ؟
مَن فيه ما فيهمُ ما تمترون به ، وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّكم عنه ؟ فنعلمه ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن !!

ومن قول الفضل بن أبي لهب :

ألا إنَّ خير النّاس بعد محمّد مهيمنه التاليه في العرف والنكر
وخيرته في خيبر ، ورسوله بنبذ عهود الشرك فوق أبي بكر
وأوّل من صلّى ، وصنو نبيِّه ، وأوّل من أردى الغواة لدى بدر
فذاك عليُّ الخير من ذا يفوقه ؟ أبو حسن حلف القرابة والصهر

ومن قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث :

وكان وليُّ الأمر بعد محمّد عليٌّ ، وفي كلِّ المواطن صاحبه
وصيُّ رسول اللّه حقّاً ، وجاره ، وأوَّل من صلّى ، ومن لاَنَ جانبه

ومن قول النجاشي أحد بني الحرب بن كعب من أبيات له :

جعلتم عليّاً وأشياعه نظير ابن هند أما تستحونا ؟
إلى أفضل الناس بعد الرسول وصنو الرّسول من العالمينا
وصهر الرّسول ، ومن مثله إذا كان يوم يشيب القرونا ؟

ومن قول جرير بن عبد الله البجلي ، من أبيات له :

فصلّى الإله على أحمد رسول المليك تمام النعم
وصلّى على الطهر من بعده خليفتنا القائم المدّعم
عليّاً عنيت ، وصيّ النبيّ يجالد عنه غواة الأُمم
له الفضل ، والسبق ، والمكرما ت ، وبيت النبوّة لا يهتضم

ومن قول زجر بن قيس إلى خاله جرير :

جرير بن عبد الله لا تردد الهدىٰ وبايع عليّاً ، إنّني لك ناصح
فإنّ عليّاً خير من وطىء الحصى سوى أحمد ، والموت غادٍ ورائح

وممّا قيل على لسان الأشعث بن قيس الكندي :

أتانا الرّسول رسول الوصيّ عليّ المهذّب من هاشم
رسول الوصيّ ، وصيّ النبيّ ، وخير البريّة من قائم
وزير النبيّ ، وذو صهره ، وخير البريّة في العالم
له الفضل ، والسبق بالصّالحات ، لهدي النبيّ به يأتمي

وأنت ترى من جرّاء ذلك الإختيار الباطل الذي جاء به ابن عمر أنْ تدهورت السياسة ، فصار الإنتخاب نصّاً ، وانقلبت الدمقراطيّة - إن كانت - إلى دكتاتوريّة محضة رضيت الأُمّة أم غضبت ، ثمّ عاد الأمر شورىٰ ، ويا لَلّه وللشورىٰ ، وسيف عبد الرّحمٰن بن عوف هو العامل الوحيد يوم ذاك ، إلى أنْ أصبح ملكاً عضوضاً ، ووصلت النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء ، إلى رجال العيث والفساد ، إلى أبناء الخمور والفجور ، إلى أنْ تمكّن معاوية الخمر والربا ، من استخلاف يزيد العرّة والشرّه قائلاً : «مَن أحقّ منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه ؟ وما أظنّ قوماً ينتهون حتّى تصيبهم بوائق تجتثّ أُصولهم ، وقد أنذرت إنْ أغنت النذر»[١] .

لم يكن لأعيان الأُمّة ، ووجوه الصحابة ، وصلحاء الملّة ، وخيرة الناس في أمر تلكم الأدوار القاتمة ، حلّ ولا عقد ، بل كانوا مضطهدين مقهورين مبتزّين ، يرون حكم الله مبدّلاً ، وكتابه منبوذاً ، وفرائضه محرّفة عن جهات أشراعه ، وسنن نبيّه متروكة .

سبحانك اللّهم ما أجرأهم على الرّحمٰن ، وانتهاك حرمة النبيّ وكتابه ، باختيار يضادّه نداء القرآن الكريم ، كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون ؟ باختيار كذّبه ما جاء عن النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم من النصوص ، على اختيار الله عليّاً ،

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢١٧ .

وانّه أحد الخيرتين ، وانّه خير البشر بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، وانّه أحبّ الناس إلى الله وإليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وانّه منه بمنزلته من ربّه ، وانّه منه بمنزلة الرأس من جسده ، وانّه منه بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعده ، وانّ لحمه لحمه ، ودمه دمه ، والحقّ معه ، وانّ طاعته طاعته ، ومعصيته معصيته ، وانّه سلمٌ لمن سالمه ، وحربٌ لمن حاربه[1] ، وانّه ممسوسٌ في ذات الله[2] ، إلى نصوص كثيرة تضادّ اختيار ابن عمر ومن شاكله في تمنّي الحديث .

أليست هذه الأحاديث إلى أمثالها المعدودة بالمئات إنكاراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقولهم ـ إنْ كان هناك قول ـ : إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان استوى الناس ؟ .

أليست آي المباهلة والتطهير والولاية وأضرابها إلى ثلاثمائة آية النازلة في عليّ عليه السلام[3] ، تضادّ ذلك القول القارص .

﴿هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوي الظلمات والنور ·﴾[4] ، **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟﴾**[5] ، **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون﴾**[6] ، **﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً ؟﴾**[7] ، **﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن سوء عمله ؟﴾**[8] ، **﴿أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى ؟ أمّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم ؟﴾**[9] ، **﴿قل لا يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾**[10] ،

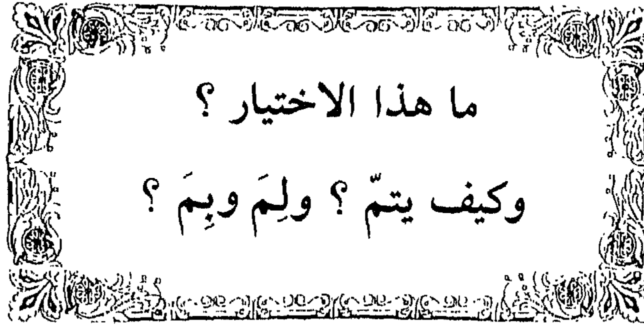
---

(١) كل هذه الأحاديث مرت في الأجزاء الماضية .
(٢) حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ج ١ ص ٢٣٠ .
(٣) تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٢٢١ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٠ .
(٤) سورة الرعد ؛ الآية : ١٦ .
(٥) سورة الزمر ؛ الآية : ٨ .
(٦) سورة السجدة ؛ الآية : ١٨ .
(٧) سورة هود ؛ الآية : ٢٤ .
(٨) سورة محمد ؛ الآية : ١٤ .
(٩) سورة الملك ؛ الآية : ٢٢ .
(١٠) سورة المائدة ؛ الآية : ١٠٠ .

﴿لا يستوي القاعدون من الرجال غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾[١] ، ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة﴾[٢] ، ﴿ما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[٣] ، ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟!﴾[٤] .

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٩٥ .
(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٢٠ .
(٣) سورة غافر ؛ الآية : ٥٨ .
(٤) سورة محمد ؛ الآية : ٢٤ .



ما هذا الاختيار ؟ وكيف يتمّ ؟ ولِمَ وبِمَ ؟

هل تدري ما الذي دعى ابن عمر إلى رمي القول على عواهنه ؟ إلى رمي الصحابة بعزوه المختلق ، ونسبة هذا الإختيار المبير إليهم ، وأنّهم تركوا المفاضلة بعد الثلاثة ، وأنّهم قالوا : ثمّ نترك أصحاب النبيّ ﷺ لا نفاضل بينهم . وقالوا : كنّا نقول : إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان استوى الناس ، فيسمع النبيّ ﷺ ذلك فلا ينكره ؟ .

أم هل تدري بماذا تتصوّر المفاضلة والخيرة ؟ وبِمَ تتمّ ؟ وأنّى تصحّ ؟ بعد ثبوت ما جاء في الصحاح والمسانيد مرفوعاً من أنَّ عليّاً عليه السلام كان أعظمهم حلماً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكثرهم علماً ، وأعلمهم بالكتاب والسنّة ، وأقدمهم سلماً ، وأوّلهم صلاة من رسول الله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأخشنهم في ذات الله ، وأقسمهم بالسويّة ، وأعدلهم في الرعيّة ، وأبصرهم بالقضيّة ، وأعظمهم عند الله مزيّة ، وأفضلهم في القضاء ، وأوّلهم وارداً عليّ الحوض ، وأعظمهم عناءً ، وأحبّهم إلى الله ورسوله ، وأخصّهم عنده منزلة ، وأقربهم قرابة ، وأولاهم بهم من أنفسهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقربهم عهداً به صلى الله عليه وآله وسلم[١] ، وجبريل ينادي : «لا فتىٰ إلاّ عليّ ، لا سيف إلاّ ذو الفقار»[٢] ، فهل يبقى هنالك موضوعٌ

(١) مرّت هذه الأحاديث كلها بمصادرها في طيات الأجزاء الماضية .

(٢) راجع الجزء الثاني : ص ٧٨

للمفاضلة بعد هـذه كلّها ، حتّى يخيّـر فيه الصبيُّ ابن عمـر ، أو غيره ، فيختـارون على عليّ غيره ؟ غفرانك اللّهُم وإليك المصير ! .

قال الجاحظ : لا يُعلم رجلٌ في الأرض متى ذُكر السبق في الاسـلام والتقدّم فيه ، ومتى ذُكرت النجدة والذبّ عن الإسـلام ، ومتى ذُكر الفقـه في الدين ، ومتى ذُكر الزهد في الأموال التي تتناصر النّاس عليها ، ومتى ذُكر الإعطاء في المـاعون ، كان مذكوراً في هذه الخصال كلّها إلاَّ عليٌّ رضي الله عنه .

[ثمار القلوب للثعالبي : ص ٦٧]

لستُ أدري كيف تـرك المخيّرون أصحـاب محمَّـد بعـد الثلاثـة لا تفـاضـل بينهم ؟ وبمــاذا استـوى النّــاس وفيهم العشــرة المبشّــرة ؟ وفيهم مَن رآه رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبيـه عيسى في أُمّتـه : هـدياً ، وبـرّاً ، ونسكـاً ، وزهـداً ، وصـدقـاً ، وجدّاً ، وخَلقاً ، وخُلقاً(١) .

وفيهم مَن كان صلى الله عليه وآله وسلم يراه جلدة ما بين عينيه وأنفـه ، طيّباً مـطيّباً ، قـد مُلىء إيماناً إلى مشاشه ، يدور مع الحقِّ أينما دار(٢) .

وفيهم مَن رآه صلى الله عليه وآله وسلم أثقل في الميزان من أُحد ، ويراه رجال الصّحابة : أشبه الناس هدياً ، ودلاّ ، وسمتاً ، بمحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم(٣) .

وفيهم مَن قرّبه صلى الله عليه وآله وسلم وأدناه ، وعلّمه علم ما كان وما يكون(٤) .

وفيهم مَن جـاء فيه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قـوله : «من أراد أن ينـظر إلى رجل نـوّر قلبـه فلينظر إلى سلمـان» . وقولـه : «إنّ الله عـزّ وجـلّ يحبّ من أصحـابي أربعـة أخبـرني أنّـه يحبّهم ، وأمـرني أن أحبّهم : عليّ ، أبـو ذر ، سلمـان ، المقـداد» ، وصحّ فيه قـولـه : «سلمـان منّـا أهـل البيت» . وقـال عليّ أمير المؤمنين :

---

(١) هو سيدنا أبو ذر راجع الجزء الثامن .

(٢) هو سيدنا عمار بن ياسر . راجع من الجزء التاسع صحيفة ٤٣ ـ ٤٨ .

(٣) هو سيدنا ابن مسعود . راجع من الجزء التاسع صحيفة ٢٣ ـ ٢٧ .

(٤) هو سيدنا حذيفة اليماني . راجع ج ٥

«سلمان رجلٌ منّا أهل البيت ، أدرك علم الأوّلين والآخرين ، ما لكم بلقمان الحكيم كان بحراً لا ينزف»[١] .

وفيهم العبّاس عمُّ النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الذي كان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يجلّه إجلال الولد والده ، خاصّة خصّ الله العبّاس بها من بين الناس ، وله قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «يا أبا الفضل ! لك من الله حتّى ترضى» . وخطب صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في قضيّة فقال : «مَن أكرم الناس على الله ؟ قالوا : أنت يا رسول الله قال : فإنّ العبّاس منّي وأنا منه» .
[مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٥]

وجاء في حديث استسقاء عمر بالعبّاس ، عام الرمادة[٢] ، أنَّ عمر خطب الناس ، فقال : «يا أيُّها الناس ! إنَّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كان يرى للعبّاس ما يرى الولد لوالده ، يعظّمه ويفخّمه ويبرُّ قسمه ، فاقتدوا أيُّها الناس برسول الله في عمِّه العبّاس ، واتّخذوه وسيلة إلى الله عزَّ وجلَّ فيما نزل بكم»[٣] .

وفيهم معاذ بن جبل ، وقد صحَّ فيه عند القوم قول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «إنَّه أعلم الأوَّلين والآخرين بعد النبيّين والمرسلين ، وإنَّ الله يباهي به الملائكة»[٤] .

وفيهم أُبيّ بن كعب ، وقد صحَّح الحاكم فيه قول أبي مسهر : «إنَّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سمّاه سيِّد الأنصار فلم يمت حتّى قالوا : سيِّد المسلمين»[٥] .

وفيهم أُسامة بن زيد ، حِبّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وقد جاء فيه عن ابن عمر نفسه في الصحيحين قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، لمّا طعن بعض الناس في إمارته ، وقد أمّره على جيش كان فيهم أبو بكر وعمر : «فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إنْ كان لخليقاً للإمارة ، وإنْ كان لمن أحبِّ الناس إليَّ ، وإنَّ هذا لمن

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٩٨ ـ ٢٠٣ .
(٢) راجع ما مرّ في الجزء السابع : ٣٣٨ ، ٣٣٩ .
(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ .
(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٧١ .
(٥) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٠٢ .

أحبّ النـاس إليّ بعده»[١] . وقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : أُسـامة أحبُّ إليَّ مـا حاشـا فاطمـة ولا غيرها» .

[مسند أحمد ج ٢ ص ٩٦ ، ١٠٦ ، ١١٠]

إلى أُناس آخرين يُعدّون في الرعيـل الأوّل من رجالات الفضـائل والفـواضل من أُمّـة محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم ، فهـل كـان ابن عمـر يعـرف هؤلاء الـرجـال ومبلغهـم من العـظمة ، ومـا ورد فيهم عن النبيِّ الأقدس ، من جمـل الثناء عليهم ، ثمَّ يسـاوي بينهم وبين مَن عداهم ، نظراء أبناء هند ، والنابغة ، والزرقاء .

فـإنْ كـان لا يـدري فتلك مـصيبـة وإنْ كـان يـدري فـالمصيبـة أعـظم

وكيف يتمُّ هذا الإختيار وقد عزى القـوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مـا من نبيّ إلَّا وقد أُعطي سبعة نجباء رفقاء ، وأُعطيت أنا أربعة عشر : سبعة من قريش : عليّ والحسن والحسين وحمزة وجعفر وأبو بكر وعمر . وسبعة من المهاجرين : عبد الله بن مسعود ، وسلمان ، وأبو ذر ، وحذيفة ، وعمّار ، والمقداد ، وبلال» ؟[٢] .

نعم لا يـرضى ابن عمـر أنْ يكـون عليٌّ أميـر المؤمنين أفضـل من أحـد من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، حتّى بعد عثمان وليـد بيت أُميّة ، قتيـل الصحابـة العدول ومخذولهم ،ولا يروقه أنْ يحكم بالمفاضلة بينه عليه السلام وبين ابن هند ، وإنْ كان عـالياً من المسـرفين ، يسمع آيـات الله تُتلى عليه ، ثمَّ يُصـرُّ مستكبراً كـأنْ لم يسمعها : كـأنَّ في أُذنيه وقـراً ، ولا بينـه وبين ابن النـابغـة الأبتـر ابن الأبتـر ، ولا بينـه وبين مغيـرة بن شعبة أزنى ثقيف ، ولا بينـه وبين أبناء أُميّـة أثمـار الشجـرة الملعـونـة في القرآن من وزغ طريد ، إلى لعين مثله ، إلى فاسق مستهتر ، إلى فاحش متفحّش ، ولا بينـه وبين سلسلة الخمّارين رجـال الخمور والفجـور في الجاهليَّـة أو ـ الإسلام نظراء :

---

(١) صحيـح البخاري ج ٥ ص ٢٧٩ ، صحيـح مسلم ج ٧ ص ١٣١ ، صحيح التـرمـذي ج ١٣ ص ٢١٨ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢١ ، وفي كنز العمال نقلا عن أحمد وتمام وابن عساكر من طريق علي ، عليه السلام .

أبي بكر بن شغوب .

[راجع الغدير ج ٧ ص١١٧]

أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري .

[مسند أحمد ج ٣ ص ١٨١، ٢٢٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٨٦ ، الغدير ج ٧ ص ١١٧] .

أبي عبيدة ابن الجرّاح .

[مسند أحمد ج ٣ ص ١٨١ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٨٦ ، شرح صحيح مسلم للنووي ج ٨ ص ٢٣ هامش إرشاد الساري ، مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٢] .

أبي محجن الثقفي .

[تفسير القرطبي ج ٣ ص ٥٧ ، الإصابة ج ٤ ص ١٧٥]

أُبيّ بن كعب .

[مسند أحمد ج ٣ ص ١٨١ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٨٦]

أنس بن مالك .

[غير واحد من الصحاح والمسانيد ، راجع الغدير ج ٧ ص ١١٥، ١١٨]

حسّان بن ثابت .

[تفسير القرطبي ج ٣ ص٥٦]

وهو القائل :

ونشــر بهــا فـتتــركـنــا ملوكــا وأُســداً مــا ينـهـنـهـنــا الـلقــاء

خالد بن عجير .

[الإصابة ج ١ ص ٤٥٩]

سعد بن أبي وقاص .

[سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٨٥ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٩٥ ، تفسير أَبي حيان ج ٤ ص ١٢ ، إرشاد الساري ج ٧ ص ١٠٤ ، تفسير الخازن ج ١ ص ٢٥٢ ، تفسير الألوسي ج ٢ ص ١١ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٧١] .

سليط بن النعمان .

[الإمتاع للمقريزي : ص ١١٢]

سهيل بن بيضاء :

[مسند أحمد ج ٣ ص ٢٢٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٩٠ ، الغدير ج ٧ ص١١٧]

ضرار بن الأزور .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣١ ، ١٣٣]

ضرار بن الخطاب .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٣٣]

عبد الرَّحمٰن بن عمر .

[المعارف لابن قتيبة : ص ٨٠ ، الغدير ج ٦]

عبد الرَّحمٰن بن عوف .

[أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٤٥ ، مستدرك الحاكم ج ٤ ص ١٤٢ . وكثير من التفاسير ، وفي الحديث تحريف أشار إليه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٣٠٧ ، راجع الغدير ج ٦ ص ٢٣٦/ط ١ ، وص ٢٥٢/ط ٢] .

عبد الله بن أبي سرح أخي عثمان من الرضاعة .

[كتاب صفين : ص ١٨٠]

عتبان بن مالك .

[تفسير الخازن ج ١ ص ١٥٢]

عمرو بن العاص .

[الغدير ج ٢ ص ١٦١]

قيس بن عاصم المنقري .

[تفسير القرطبي ج ٣ ص ٥٦]

كنانة بن أبي الحقيق .

[الإمتاع للمقريزي : ص ١١٢]

معاذ بن جبل .

[شرح صحيح مسلم للنووي ج ٨ ص ٢٣٢ هامش إرشاد الساري ، الغدير ج ٧ ص ١١٧] .

نعيم بن مسعود الأشجعي .

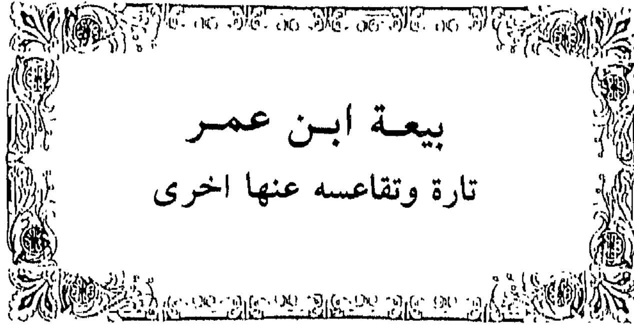
[الإمتاع للمقريزي : ص ١١٢]

نعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري .

الإستيعاب ج ١ ص ٣٠٨ ، أسد الغابة ج ٥ ص ٣٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٧٠] .

وليد بن عقبة أخي عثمان لأمّه .

[الغدير ج ٨ ص ١٥٥]



بيعة ابن عمر
تارة وتقاعسه عنها اخرى

هذه عقليَّة ابن عمر النابية عن إدراك الحقائق ، وهي التي أرجأته عن بيعة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وحدته إلى بيعة عثمان ، ولم يتسلّل عنه حتّى يوم مقتله بعدما نقم عليه الصحابة أجمع خلا شذاذاً منهم ، بل كان هو الذي أغرى عثمان بنفسه حتّى قتل كما جاءَ في (أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٦) «عن نافع قال : حدّثني عبد الله بن عمر ، قال : قال عثمان وهو محصور : ما تقول فيما أشار به عليَّ المغيرة بن الأخنس ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : قال : إنَّ هؤلاء القوم يريدون خلعك ، فإنْ فعلت وإلاَّ قتلوك ، فدع أمرهم إليهم . قال : فقلت : أرأيت إنْ لم تخلع هل يزيدون على قتلك ؟ قال : لا . قال : فقلت : فلا أرى أنْ تسنّ هذه السنَّة في الإسلام ، فكلّما سخط قومٌ أميرهم خلعوه ، لا تخلع قميصاً قمَّصكه الله» .

وفي إثر هذا جاء في الأثر : «إنّ عثمان لمّا أشرف على الناس فسمع بعضهم يقول : لا نقتله ولكن نعزله قال : أمّا عزلي فلا ، وأمَّا قتلي فعسى» .

وهذا من أتفه ما ارتآه ابن عمر ، فإنّ أمره عثمان أنْ لا يخلع نفسه خيفة أنْ يطّرد ذلك جارٍ في صورة عدم الخلع المنتهي إلى القتل الذي هو أفظع من الخلع ، وفي كلٍ منهما سقوط هَيبة السلطان ، وزوال أُبّهة الخلافة ، غير أنّ البقاء

مخلوعاً أخفُّ وطأة ، وأبعد عن مثار الفتن ، ومن المشاهد : الفتن الثائرة بعد قتل عثمان من قاتليه ، والحاضّين عليه ، والمتخاذلين عنه ، فمن قائلة : اقتلوا نعثلاً . قتل الله نعثلاً . تطلب ثأره ! ومؤلِّبَيْن عليه أخذا بضبعي الهودج ، يحثّان على الهتاف بثارات عثمان، وموِّها عليها نبح كلاب الحوأب ، ومتقاعد عنه بالشام حتى إذا أودى به كتّب الكتائب ، وخرج إلى (صفّين) وأزلف إليه من كان يقول لمّا بلغه أنّه محصور : أنا أبو عبد الله قد يضرط العير والمكواة في النار . ولمّا بلغه مقتله قال : أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع[1] قال هذا ثمّ طفق يثب مع معاوية يطلب الثّار ، وكان من ولائد وقعة (صفّين) : مقتل الخوارج بنهروان ، فمن جرّاء هذه المعامع كانت مجزرة كبرى لزرافات من الصحابة ، والتابعين ، ووجهاء الأمصار ، ورؤساء القبائل ، وصلحاء المسلمين ، وهل كانت هذه المفاسد إلاَّ ولائد ذلك الرأي الفطير الذي أسدى به ابن عمر للخليفة المقتول ، ولو كان سالم القوم كما أشار إليه المغيرة بن الأخنس ، فخلعوه ، بقي حلس بيته ، ولا ثائر ولا مشاغب ، وبقيت بيوت المسلمين عامرة ، ولم تكن تنتشر الفتن في البلاد .

قال ابن حجر في (فتح الباري ج ١٣ ص ١٠) : «إنتشرت الفتن في البلاد فالقتال بالجمل وبصفّين كان بسبب قتل عثمان ، والقتال بالنهروان بسبب التحكيم بصفّين ، وكلُّ قتال وقع في ذلك العصر ، إنّما تولّد عن شيء من ذلك ، أو عن شيء تولّد عنه» (اهـ) .

وقال في (ص ٤٢): «قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّ عثمان : بلاءٌ يصيبنه . هو ما وقع له من القتل الذي نشأت عنه الفتن الواقعة بين الصحابة في الجمل ، ثمّ في صفّين ، وما بعد ذلك» (اهـ) .

ونحن لا نعرف لابن عمر حجّة فيما ارتكبه من البيعة والقعود ، إلا ما نحته له ابن حجر في (فتح الباري ج ٥ ص ١٩) بقوله : «لم يذكر ابن عمر خلافة عليّ ، لأنّه لم يبايعه لوقوع الإختلاف عليه، كما هو مشهور في صحيح الأخبار ، وكان رأي

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثاني : ص ١٦٥ ، والجزء التاسع : ص ١٦٣ ـ ١٦٩ .

ابن عمر أنّه لا يبايع لمن لم يجتمع عليه الناس ، ولهذا لم يبايع أيضاً لابن الزبير ، ولا لعبد الملك في حال اختلافهما ، وبايع ليزيد بن معاوية ، ثمّ لعبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير» . (اهـ) .

وقال في الفتح أيضاً (ج ١٣ ص ١٦٥) : «كان عبد الله بن عمر في تلك المدّة إمتنع أن يبايع لابن الزبير ، أو لعبد الملك ، كما كان امتنع أنْ يبايع لعليّ أو معاوية ، ثمّ بايع لمعاوية لمّا اصطلح مع الحسن بن علي ، واجتمع عليه الناس ، وبايع لابنه يزيد بعد موت معاوية ، لاجتماع الناس عليه ، ثمّ امتنع من المبايعة لأحد حال الإختلاف إلى أنْ قتل ابن الزبير ، وانتظم الملك كلّه لعبد الملك فبايع له حينئذٍ» .

هذه حجّة داحضة موّه بها ابن حجر على الحقائق الراهنة ، لتغرير أُمّة جاهلة ، ولعلّه اتخذها ممّا جاء في الحديث من أنّه : «لمّا تخلّف عبد الله بن عمر عن بيعة عليّ عليه السلام ، أمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : بايع قال : لا أُبايع حتّى تبايع جميع الناس . قال له عليٌّ عليه السلام فأعطني حميلاً[1] أنْ لا تبرح : قال : ولا أعطيك حميلاً ! فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا قد أمن سوطك وسيفك ، فدعني أضرب عنقه ! قال : لست أُريد ذلك منه على كره خلّوا سبيله . فلمّا انصرف قال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد كان صغيراً وهو سيءُ الخُلق ، وهو في كبره أسوأ خُلقاً» . وروي أنّه أتاه في اليوم الثاني فقال : إنّي لك ناصح ، إنَّ بيعتك لم يرض بها الناس كلهم ، فلو نظرت لدينك ، ورددت الأمر شورى بين المسلمين ! فقال عليٌّ عليه السلام : ويحك ! وهل ما كان عن طلب منّي ؟ ألم يبلغك صنيعهم بي ؟ قم يا أحمق ، ما أنت وهذا الكلام ، فخرج ثمّ أتى عليّاً عليه السلام آت في اليوم الثالث فقال : إنّ ابن عمر قد خرج إلى مكّة يفسد الناس عليك ، فأمر بالبعثة في أثره ، فجاءت أُمّ كلثوم إبنته ، فسألته وضرعت إليه فيه ، وقالت : يا أمير المؤمنين ! إنما خرج إلى مكّة ليقيم بها ، وإنّه ليس بصاحب سلطان ، ولا هو من رجال هذا الشأن ، وطلبت إليه أن يقبل شفاعتها في أمر لأنّه ابن بعلها ، فأجابها وكفّ البعثة إليه ، وقال : دعوه وما أراد .

[جواهر الأخبار للصعدي : المطبوع في ذيل كتاب البحر الزخّار : ج ٥ ص ٧١] .

---

(١) الحميل كفعيل : الكفيل .

هلموا معي يا أُمّة محمّد ﷺ نسائل ابن عمر ، هلاّ بايع هو أبا بكر ولم يجتمع عليه الناس ، وانعقدت بيعته باثنين أو أربعة أو خمسة ، كما مرّ في (ج ٧ ص ١٦٣) ؟ والإختلاف هنالك كان قائماً على ساق ، وهو الذي فرّق صفوف الأُمّة حتّى اليوم ، وكان ابن عمر ينظر إليه من كثب ، ثمّ لحقتها موافقة الناس بالإرهاب في بعض ، وإطماع في آخرين ، وأمر دبّر بليل بين لفيف من زبانية الخلافة ، وتمّت بعد وصمات مرَّ الإيعاز إليها في (الجزء السابع : ص ٩١ - ١٠٤) تمّت وصدور أُمّة صالحة واغرة عليها ، وعلى من تقمّصها ، وهو يعلم أنَّ محلّ عليّ ﷺ منها محلَّ القطب من الرحى ، ينحدر عنه السيل ، ولا يرقى إليه الطير .

وأمّا أبوه فلم يثبت أمره إلاّ بتعيين أبي بكر إيّاه ، فيا عجباً يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطرا ضرعيها ، فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسّها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها[١] ، والناس متذمِّرٌ على المستخلف كلّهم ورمٌ أنفه من ذلك ، قائلين : ما تقول لربِّك وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً ؟ ثمَّ أُلحقت الناس به العوامل المذكورة .

وأمّا حديث الشورى ، وما أدراك ما حديث الشورى ؟ فسل عنه سيف عبد الرّحمٰن بن عوف الذي لم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره ، واذكر قوله لعليّ : «بايع وإلاّ ضربت عنقك !» . أو قوله له : «لا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً» كما ذكره البخاري والطبري وغيرهما[٢] وزاد ابن قتيبة : «فإنّه السيف لا غير» . أو قول أصحاب الشورىٰ لمّا خرج عليٌّ مغضباً ولحقوه : «بايع وإلاّ جاهدناك» [٣] ، أو قول أمير المؤمنين : «متى اعترض الريب فيَّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر ، لكنّي أسففت إذ أسفّوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجلٌ منهم لضغنه ، ومال آخر لصهره مع هنٍ وهنٍ . . . الخ»[٤] .

(١) جمل لمولانا أمير المؤمنين من خطبته الشقشقية (راجع ج ٧ ص ٩٨) .

(٢) صحيح البخاري : باب كيف يبايع الإمام ج ١٠ ص ٢٠٨ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٧ ، ٤٠ ، ص ٢٦ ، ١٦٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٠٢ .

(٣) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٢٢ .

(٤) راجع الجزء السابع ص ٩٨ .

لكن إبن عمر ـ على زعم ابن حجر ـ لا يرى كلَّ هذه خلافاً في خلافة القوم ، ولا في معاوية من إنجاز الأمر بعد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، بين السيف والمطامع ، وفي القلوب منه ما فيها ، إلى أنْ لفظ نفسه الأخير . هذا سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشَّرة، ومن رجال الشورى الستّ ، تخلّف عن بيعته ، دخل على معاوية فقال له : «السَّلام عليك أيّها ـ الملِك ، فقال له : فهلاّ غير ذلك ؟ أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فقال سعد : نعم إنْ كنّا أمّرناك وفي لفظ : نحن المؤمنون ولم نؤمّرك . فقال معاوية : لا يبلغني أنَّ أحداً يقول : إنَّ سعداً ليس من قريش إلاَّ فعلت به وفعلت ، إنَّ سعداً الوسط في قريش . ثابت النسب»[1] .

وهذا ابن عبّاس وهو يجابه معاوية ، ويدحض حجّته ، قال عبيد الله بن عبد الله المديني : «حجَّ معاوية فمرَّ بالمدينة ، فجلس في مجلس فيه سعد ، وفيه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العبّاس، فالتفت إلى عبد الله بن العبّاس فقال : يا أبا عبّاس إنَّك لم تعرف حقَّنا من باطل غيرنا ، فكنت علينا ، ولم تكن معنا ، وأنا ابن عمّ المقتول ظلماً ـ يعني عثمان ـ وكنت أحقّ بهذا الأمر من غيري . فقال ابن عباس : اللَّهُمَّ إن كان هكذا فهذا ـ وأومأ إلى ابن عمر ـ أحقّ بها منك لأنّ أباه قتل قبل ابن عمّك . فقال معاوية : ولا سواء إنَّ أباه هذا قتله المشركون ، وابن عمي قتله المسلمون . فقال ابن عبّاس : هم والله أبعد لك وأدحض لحجّتك . فتركه»[2] .

وأنكرت عائشة على معاوية في دعواه الخلافة ، وبلغه ذلك فقال : «عجباً لعائشة تزعم أنّي في غير ما أنا أهله ، وأنَّ الذي أصبحت فيه ليس لي بحقّ ، ما لها ولهذا يغفر الله لها ؟ ! إنّما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا الجالس ، وقد استأثر الله به . فقال الحسن بن علي عليه السلام أوَ عجب ذلك يا معاوية ؟ قال : أي والله . قال : أفلا أُخبرك بما هو أعجب من هذا ؟ قال : ما هو ؟ قال : جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجليك» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥]

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٥١ ، وج ٦ ص ١٠٦ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٠٧ .

وهكذا كان أكابر الصحابة مناوئين له في المدينة الطيّبة ، فأسمعوه النكير ، وسمعوا إدّاً من القول . ورأوا إمراً من أمره ، وشاهدوا منه أحداثاً وبدعاً في الدين الحنيف ، تخلد مع الأبد ، وعاينوا منه جنايات على الأُمّة الإسلاميَّة وصلحائها وعظمائها ، من هتك ، وحبس ، وشتم ، وسبّ مقذع ، وضرب ، وتنكيل ، وعذاب ، وقتل ، قطّ لا تُغفر له ـ وحاشا لله أن يغفرها له ـ دع عمر بن عبد العزيز يرىٰ في الطيف أنّه مغفور له[1] ـ وتذمّرت عليه صلحاء أُمّة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيه من لعنه والتخذيل عنه ، وأمره الصحابة بقتاله ، وتوصيفه فئته بالقسط وانّها الفئة الباغية ، وقوله السائر الدائر : «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»[2] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الخلافة بالمدينة ،والملك بالشام»[3] .

ليت شعري أين كان ابن عمر من هذه كلّها ، ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم الحاسم لمادَّة النزاع : «ستكون خلفاء فتكثر . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوابيعة الأول فالأوّل»[4] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[5] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأُمَّة ،

---

(١) سيوافيك تفصيله إن شاء الله تعالى .

(٢) كنوز الدقائق للمناوي ص ١٠ . أخرجه ابن عدي ، عن أبي سعيد ، والعقيلي من طريق الحسن وسفيان بن محمد من طريق جابر ، وغيرهم . وسيوافيك الكلام في اسناده إنْ شاء الله تعالى .

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢٢١ .

(٤) صحيح مسلم ج ٦ ص ١٧ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٠٤ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٤٤ عن الشيخين ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٥ عن الشيخين أيضاً ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٩٧ ، المحلى ج ٩ ص ٣٦٠ .

(٥) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٣ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٥٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٤٤ ، الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٨ ، المحلى ج ٩ ص ٣٦٠ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٥ .

وهي جميع ، فاضربوه بالسيف كائناً من كان» . وفي لفظ : «فاقتلوه»(١) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحد يريد أن يشقّ عصاكم، أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه»(٢) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص : «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليعطه إن استطاع . فإنْ جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر . قال عبد الرَّحمٰن بن عبد ربّ : فدنوت منه فقلت له : أُنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ! فأهوى إلى أُذنيه وقلّبه بيديه ، وقال : سمعته أُذناي ووعاه قلبي . فقلت له : هذا ابن عمّك معاوية يأمرنا أَنْ نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، ونقتل أنفسنا ، والله عزّ وجلّ يقول : **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً﴾** . قال : فسكت ساعة ثمَّ قال : أطعه في طاعة الله ، واعصه في معصية الله»(٣) .

قال النووي في (شرح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٨ ص ٤٣) : «قوله صلى الله عليه وآله وسلم : فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر . معناه : إدفعوا الثاني فإنّه خارجٌ على الإمام ، فإنْ لم يندفع إلاَّ بحرب وقتال ، فقاتلوه ، فإنْ دعت المقاتلة إلى قتله ، جاز قتله ، ولا ضمان فيه لأنّه ظالمٌ متعدّ في قتاله» .

قال : «قوله : فقلت له : هذا ابن عمِّك معاوية . إلى آخره . المقصود بهذا الكلام انَّ هذا القائل لمّا سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص ، وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأوَّل ، وأنَّ الثّاني يُقتل ، فاعتقد هذا القائل هذا الوصف في معاوية لمنازعته عليّاً رضي الله عنه ، وكانت قد سبقت بيعة عليّ ،

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٥٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٣ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٦٩ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٥ ، المحلى ج ٩ ص ٣٦٠ .

(٣) صحيح مسلم ج ٦ ص ١٨ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٦٩ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٦٧ ، المحلى ج ٩ ص ٣٦٠ .

فرأى هذا أنَّ نفقة معاوية على أجناده وأتباعه في حرب عليّ ، ومنازعته ومقاتلته إيّاه ، من أكل المال بالباطل ، ومن قتل النّفس ، لأنّه قتالٌ بغير حقٍّ فلا يستحقّ أحدٌ مالاً في مقاتلته» .

وقال (ص ٤٠) في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ستكون خلفاء فتكثر» ، الحديث : «معنى هذا الحديث : إذا بويع لخليفة بعد خليفة ، فبيعة الأوَّل صحيحةٌ يجب الوفاء بها ، وبيعة الثاني باطلةٌ يحرم الوفاء بها ، ويحرم عليه طلبها ، وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأوّل أم جاهلين ، وسواء كانا في بلدين أو بلد ، أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل ، والآخر في غيره ، هذا هو الصواب الذي عليه أصحابنا وجماهير العلماء ، وقيل : تكون لمن عقدت في بلد الإمام . وقيل : يقرع بينهم . وهذان فاسدان ، واتّفق العلماء على أنّه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد ، سواء اتّسعت دار الإسلام أم لا ، وقال إمام الحرمين في كتابه «الإرشاد»[1] : قال أصحابنا لا يجوز عقدها لشخصين ، قال : وعندي أنّه لا يجوز عقدها لاثنين في صقع واحد ، وهذا مجمعٌ عليه ، فإنْ بعد ما بين الإمامين وتخلّلت بينهما شسوع ، فللإحتمال فيه مجالٌ ، وهو خارجٌ عن القواطع . وحكى المازري هذا القول عن بعض المتأخرين من أهل الأصول ، وأراد به إمام الحرمين ، وهو قولٌ فاسدٌ مخالفٌ لما عليه السلف والخلف ولظواهر إطلاق الأحاديث والله أعلم» (اهـ) .

فكان من واجب ابن عمر نظراً إلى هذه النصوص أن يبايع عليّاً ولا يتقاعد عن بيعته ، وقد بايعه المهاجرون والأنصار ، والبدريّون ، وأصحاب الشجرة ، على بكرة أبيهم ، قال ابن حجر في (فتح الباري ج ٧ ص ٥٨٦) : «كانت بيعة عليّ بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجّة سنة (٣٥) فبايعه المهاجرون والأنصار ، وكلّ من حضر ، وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلّهم ، إلاّ معاوية في أهل الشام ، فكان بينهم بعدُما كان» (اهـ) .

---

(١) راجع الإرشاد : ص ٥٢٥/ طبع مكتبة الخانجي .

وكان من واجب الرجل قتال معاوية الخارج على الإمام الظاهر، إنْ كان هو عضادة الدين آخذاً بطقوسه، تابعاً سَننه اللاحب، مؤمناً بما جاء به نبيّه الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم بل الأمر كما قال عبد الله بن هاشم المرقال في كلمة له: «فلو لم يكن ثواب ولا عقاب، ولا جنّة ولا نار، لكان القتال مع عليّ أفضل من القتال مع معاوية ابن أكّالة الأكباد».

[كتاب صفّين: ص ٤٠٥]

متى اختلف في بيعة عليّ أمير المؤمنين اثنان من رجال الحلّ والعقد من صلحاء الأُمّة؟ ومتى تمّت كلمة الأُمّة في بيعة خليفة منذ أُسّس الإنتخاب الدستوري، مثل ما تمّت لعليّ عليه السلام؟ ولم يكن متقاعسٌ عن بيعته، سلام الله عليه، إلاّ شرذمة المعتزلة العثمانيّين، وهم سبعة وثامنهم ابن عمر، كما مرَّ في (الجزء السابع: ص ١٦٤)، فما الذي جعل بيعة أُناس معدودين لم تبلغ عدّتهم عشرة إجماعاً واتفاقاً في بيعة أبي بكر، وأوجب على ابن عمر اتّباعهم، وحُرِّم عليه التزحزح عنهم؟ وجعل إجماع الأُمّة من المهاجرين والأنصار، ورجال الأمصار، على بيعة عليّ أمير المؤمنين، وتخلّف عدّة تعدُّ بالأنامل عنها، خلافاً وتفرّقاً؟.

وليت ابن عمر إنْ كان لم يأخذ بحكم الكتاب والسنّة في الإستخلاف، كان يأخذ برأي أبيه فيه، وقد سمعه يقول: «هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثمّ في أهل أُحد، ثمَّ في كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق، ولا لمسلمة الفتح شيء»[١].

وقال في كلام له: «لا تختلفوا فإنّكم إن اختلفتم، جاءكم معاوية من الشام، وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم، وإنّ هذا الأمر لا يصلح للطلقاء، ولا لأبناء الطلقاء»[٢].

ولعلّ هذا الرأي كان من المتسالم عليه عند السلف، وبذلك احتج مولانا أمير المؤمنين على معاوية في كتاب له كتبه إليه بقوله: «واعلم أنّك من الطلقاء

---

(١) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٢٤٨، فتح الباري ج ١٣ ص ١٧٦، اسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٧.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥.

الـذين لا تحلُّ لهم الخـلافـة ، ولا تعقـد معهم الإمـامـة ، ولا يـدخلون في الشورىٰ»[١] .

وكتب ابن عبّاس إلى معاوية : «ما أنت وذكـر الخلافـة ؟ وإنّما أنت طليق ابن طليق ، والخلافة للمهاجرين الأوّلين ، وليس الطلقاء منهـا في شيء»[٢] وفي لفظ : «إنّ الخلافة لا تصـل إلاَّ لمن كان في الشـورى ، فما أنت والخـلافة ؟ وأنت طليق الإسلام ، وابن رأس الأحزاب ، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر» .

ومن كـلام لابن عبّاس يخـاطب أبا مـوسى الأشعري : ليس في معـاوية خلّةٌ يستحقُّ بهـا الخـلافـة ، واعلم يـا أبـا مـوسى ، أنَّ معـاويـة طليق الإسـلام ، وأنّ أباه رأس الأحزاب ، وأنّه يدّعي الخلافة من غير مشورة ، ولا بيعة»[٣] .

ومن كتاب لمسور بن مخرمة[٤] ، إلى معاوية : «إنّك أخطأت خطـأً عظيماً ، وأخطأت مواضع النصرة ، وتناولتها من مكان بعيد ، وما أنت والخلافـة يا معـاوية ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب ؟ فكفَّ عنّا فليس لك قبلنا وليٌّ ، ولا نصير»[٥] .

وفي مناظرة لسعنة بن عريض الصحـابي مع معـاوية : «منعت ولـد رسول الله ﷺ الخلافة ، وما أنت وهي ، وأنت طليق ابن طليق»؟ يأتي تمـام الحديث إنْ شـاء الله تعالىٰ .

وعاتب عبد الرَّحمٰن بن غنم الأشعري الصحـابي[٦] أبا هـريرة ، وأبـا الدرداء بحمص ، إذ انصرفا من عند عليّ ، رضي الله عنه ، رسولين لمعاويـة ، وكان ممّـا قـال لهما : «عجباً منكما كيف جـاز عليكما مـا جئتما بـه ، تدعـوان عليّـاً إلى أن

---

(١) الإمامة والسياسة :ص٧١ وفي ط : ٨١ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٣ وفي ط : ٢٨٤ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٨ ، وج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٥ ، وفي ط : ٩٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٥ .

(٤) نسب هذا الكتاب في (كتاب صفين : ص ٧٠) إلى عبد الله بن عمر ، وهو وهم ، والأبيـات التى كتبها رجل من الأنصار مع الكتاب ، تكذّب تـلك النسبة . فراجع .

(٥) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٥ ، وفي ط : ٨٥ .

(٦) قـال أبو عمـر في (الإستيعاب) : كـان من أفقه أهـل الشام ، وهـو الذى فقّـه عامـة التـابعين بالشام ، وكانت له جلالة وقدر .

يجعلها شورى ؟ وقد علمتما أنّه قد بايعه المهاجرون ، والأنصار ، وأهل الحجاز والعراق ، وإنَّ من رضيه خيرٌ ممّن كرهه ، ومن بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه ، وأيّ مدخل لمعاوية في الشورى ، وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة ؟ وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب . فندما على مسيرهما ، وتابا منه بين يديه»[1] .

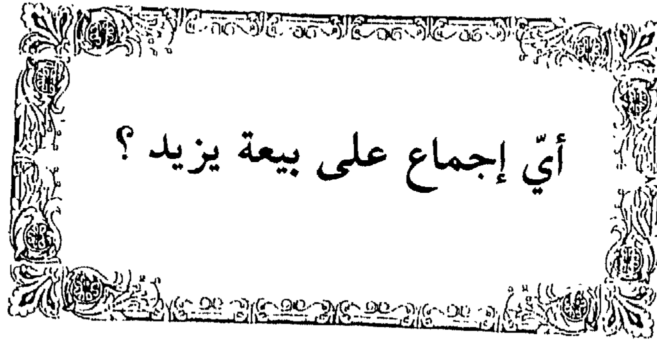
ومن كلام لصعصعة بن صوحان يخاطب به معاوية : «إنَّما أنت طليق ابن طليق ، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأن تصحّ الخلافة لطليق ؟ !»[2] .

فأين يقع عندئذ معاوية الطليق ابن الطليق من الخلافة ؟ وأيّ قيمة في سوق الإعتبار لرأي ابن عمر ؟ وما الذي يبرّر بيعته إيّاه إنْ لم يبرّرها عداء سيِّد العترة ؟ !

---

(١) الإستيعاب ترجمة عبد الرَّحمن : ج ٢ ص ٤٠٢ ؛ اسد الغابة ج ٣ ص ٣١٨ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٧٨ ؛ يأتي تمام الكلام في هذا الجزء إنْ شاء الله تعالى .



أيّ إجماع على بيعة يزيد ؟

ثمّ أيُّ إجماع صحيح من رجال الدين ، صحّح لابن عمر بيعة يزيد الممجوج عند الصحابة والتابعين ، المنبوذ لدى صلحاء الأُمّة ، المعروف بالخلاعة والمجون والخمور والفجور على حدِّ قول شاعر القضاة الاستاذ بولس سلامة في (ملحمة الغدير : ص ٢١٧) :

رافع الصوت داعياً للفلاحِ ... أخفض الصوت في أذان الصباح
وترفّق بصاحب العرش مشغو ... لٌ عن اللّه بالقيان الملاح
ألف «اللّه أكبر» لا يساوي ... بين كفّي يزيد نهلة راح
تتلظّى في الدنان بكراً فلم ... تدنس بلثم ، ولا بماء قراح

والأُمّة مجمعة على شرطيّة العدالة في الإمامة ، قال القرطبي في (تفسيره ج ١ ص ٢٣١) : «الحادي عشر ـ من شروط الإمامة ـ أنْ يكون عدلاً ، لأنّه لا خلاف بين الأُمّة أنّه لا يجوز أنْ تعقد الإمامة لفاسق ، ويجب أنْ يكون من أفضلهم في العلم لقوله ﷺ : «أئمّتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون» . وفي التنزيل في وصف طالوت : ﴿**إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**﴾ . فبدأ بالعلم ، ثمّ ذكر ما يدل على القوّة» .

وقال في (صفحة : ٢٣٢) : «الإمام إذا نصب ثمّ فسق بعد انبرام العقد ،

فقال الجمهور : إنَّه تنفسخ إمامته ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم ، لأنَّه قد ثبت أنَّ الإمام إنَّما يقام لإقامة الحدود ، واستيفاء الحقوق ، وحفظ أموال الأيتام والمجانين ، والنظر في أُمورهم إلى غير ذلك ، ممّا تقدّم ذكره ، وما فيه من الفسق يقعده عن القيام بهذه الأُمور والنهوض فيها ، فلو جوَّزنا أنْ يكون فاسقاً أدّى إلى إبطال ما أُقيم لأجله ، ألا ترى في الإبتداء إنّما لم يجز أنْ يعقد للفاسق لأجل أنّه يؤدِّي إلى إبطال ما أُقيم له وكذلك هذا مثله» (اهـ) .

أجل : المائة ألف المقبوضة من معاوية لتلك البيعة الغاشمة(١) ، جعلت الفرقة لابن عمر إجماعاً ، والإختلاف إصفاقاً ، كما فعلت مثله عند غير ابن عمر من سماسرة النهمة والشرَه ، فركضوا إلى البيعة ضابحين ، يقدمهم عبد الله ، فبايعه بعد أبيه ، وكتب إليه ببيعته ، ونصب عينه الناهض الكريم ، والفادي الأقدس ، الحسين السبط ، سلام الله عليه ، المتحلّي بآصرة النبوَّة ، وشرف الإمامة ، وعلم الشريعة ، وخلق الأنبياء ، والفضائل المرموقة ، سيّد شباب أهل الجنّة أجمعين ، وقد حنّت إليه القلوب ، وارتمت إليه الأفئدة ، فرحين بكسر رتاج الجور ، رافضين لمن بعده .

لكن الرجل لم يتأثّر بكلّ هذه ، ولم يرها خلافاً ، ونبذ وصيّة نبيّه الكريم وراء ظهره ، ولم يعبأ بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرض يُقال لها : كربلا . فمن شهد ذلك منكم فلينصره»(٢) نعم : نصر ذلك المظلوم قرّة عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتقرير بيعة يزيد . وحسبانها بيعة صحيحة ، كان ينهى عن نكثها عند مرتجع الوفد المدني من الشّام ، وقد شاهدوا منه البوائق والموبقات ، معتقدين خروجه عن حدود الإسلام قائلين : «إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطنابير ، ويضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامر الخُرّاب والفتيان ، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه . فتابعهم الناس»(٣) وقال ابن

(١) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص ٣١ .
(٢) الإصابة ج ٢ ص ٦٨ .
(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤ ؛ أنساب البلاذري ج ٥ ص ٣١ ، فتح الباري ج ١٣ ص ٥٩ . يأتي الحديث على تفصيله في هذا الجزء .

فليح : «إنَّ أبا عمرو بن حفص وفد على يزيد فأكرمه ، وأحسن جائزته ، فلمّا قدم المدينة قام إلى جنب المنبر ، وكان مرضيّاً صالحاً فقال : ألم أُحبّ ؟ ألم أُكرم ؟ والله لرأيت يزيد بن معاوية يترك الصَّلاة سكراً . فأجمع الناس على خلعه بالمدينة»[1] .

وكان مسور بن مخرمة الصحابيّ ، ممّن وفد إلى يزيد ، فلمّا قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر فكُتب إلى يزيد بذلك ، فكتب إلى عامله يأمره أنْ يضرب مسوراً الحدّ فقال أبو حرَّة :

أيشرب بها صهباء كالمسك ريحها ... أبو خالد ، والحدَّ يضرب مسور[2]

قد جبههم ابن عمر بما جاء هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما فصّلناه في (الجزء السابع : ص ١٦٧)، جمع أهل بيته وحشمه ومواليه وقال : «لا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد ، ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر ، فيكون صيلماً بيني وبينه» ، وفي لفظ البخاري : «إنّي لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر ، إلاَّ كانت الفيصل بيني وبينه» .

وتمسَّك في تقرير تلك البيعة الملعونة بما عزاه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول : إنَّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان . جهلاً منه بأساليب الكلام لما هو المعلوم من أنَّ مصداق هذا الكلّيّ هو الفرد المتأهّل للبيعة الدينيَّة بيع الله ورسوله ، لا من هو بمنتأى عن الله سبحانه ، وبمجنب عن رسوله ، كيزيد الطاغية ، أو والده الباغي .

ومهما ننس من شيء ، فإنّا لا ننسى مبدأ البيعة ليزيد ، على عهد ابن آكلة الأكباد ، بين صفيحة مسلولة ، ومنيحة مُفاضة ، أقعدت هاتيك مَن نفى جدارة الخلافة عن يزيد ، وأثارت هذه سماسرة الشهوات ، فبايعوا بين صدور واغرة ، وأفئدة لا ترى ما تأتي به من البيعة إلاَّ هزواً .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٨٠ .
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٣١ .

وفي لهوات الفضاء ، وأطراف المفاوز ، كلّ فارّ بدينه ، متعوّذين من معرّة هذه البيعة الغاشمة ، وكان عبد الله نفسه ممّن تأبّى عن البيعة[١] لأوّل وهلة ، من قبل أنْ يتذوّق طعم هاتيك الرضيخة ـ مائة ألف ـ وكان يقول : «إنّ هذه الخلافة ليست بهرقليّة ، ولا قيصريّة ، ولا كسرويّة ، يتوارثها الأبناء عن الآباء»[٢] . وبعد أنْ تذوّقه كان لم يزل بين اثنتين : فضيحة العدول عن رأيه في يزيد ، ومغبّة التمرّد عليه ، لا سيّما بعد أخذ المنحة ، فلم يبرح مُصانعاً حتى بايعه بعد أبيه ، ولمّا جاءت بيعته قال : «إنْ كان خيراً رضينا ، وإنْ كان بلاءً صبرنا»[٣] ونحت لذلك التريّث حجّة تافهة من أنّ المانع عن البيعة كان هو وجود أبيه . وكان ليزيد أنْ يناقشه الحساب بأنّ أباه لم يكن يأخذ البيعة له في عرض بيعته ، وإنّما أخذها طولية لما بعده ، لكنّه لم يناقشه لحصول الغاية .

هذه صفة بيعة يزيد منذ أوّل الأمر ، ولمّا هلك أبوه ازدلفت إليه روّاد المطامع ، نظراء ابن عمر ، في نهيق ورغاء ، يجدّدون ذلك الإرهاب والإطماع ، فمن جرّاء تقريرهم بيعة ذلك المجرم المستهتر ، وتعاونهم على الإثم والعدوان ، والله يقول : **﴿تعاونوا على البرِّ والتقوىٰ ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** ، وشقّهم عصا المسلمين ، وخلافهم الأُمّة الصالحة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، جهّز يزيد جيش مسلم بن عقبة ، وأباح له دماء مجاوري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأموالهم ، فاستباحها ثلاثة أيّام نهباً وقتلاً ، وقتل من حملة القرآن يوم ذاك سبعمائة نفس ، وحكى البلاذري : انّه قتل بالحرّة من وجوه قريش سبعمائة رجل وكسر ، سوى من قُتل من الأنصار ، وفيهم ممّن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة ، وممّن قُتل صبراً من الصحابة : عبد الله بن حنظلة ، غسيل الملائكة ، وقتل معه ثمانية من بنيه ، ومعقل بن سنان الأشجعي ، وعبد الله بن زيد ، والفضل بن العباس بن ربيعة ، وإسماعيل بن خالد ، ويحيى بن نافع ، وعبد الله بن

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٣ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٧٩ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٩٣ .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) لسان الميزان ج ٦ ص ٢٩٤ .

عتبة ، والمغيرة بن عبد الله ، وعياض بن حُمير ، ومحمّد بن عمرو بن حزم ، وعبد الله بن أبي عمرو ، وعبيد الله ، وسليمان إبنا عاصم ، ونجا الله أبا سعيد ، وجابراً ، وسهل بن سعد[1] . وقد جاء في قتلى الحرَّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّهم خيار أُمّتي بعد أصحابي»[2] . ثمَّ بايع من بقي على أنّهم عبيد ليزيد ، ومن امتنع قُتل[3] . ووقعت يوم ذاك جرائم وفجائع وطامّات ، حتّى قيل : إنّه قُتل في تلكم الأيّام نحو من عشرة آلاف إنسان سوى النساء والصبيان ، وافتضّ فيها نحو ألف بكر ، وحبلت ألف امرأة في تلك الأيّام من غير زوج[4] ، ولمّا بلغ يزيد خبر تلك الوقعة المخزية قال :

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[5]

فاتّبع ابن عمر في بيعة يزيد إجماع أُولئك الأوباش سفلة الأعراب ، وبقيّة الأحزاب ، ولم يعبأ بإجماع رجال الحلّ والعقد ، من أبناء المهاجرين والأنصار ؛ وخيرة الخلف للسلف الصالح وفيهم مَن فيهم ، فساهم يزيد وفئته الباغية في دم سبط الشهيد الطاهر ، ومن قُتل يوم الحرَّة ، وفي جميع تلكم المآثم التي جنتها يد يزيد الأثيمة ، والله يَعلم منقلبهم ومثواهم .

ألا تعجب من ابن عمر ، وهو يرى يزيد الكفر والإلحاد ، وأباه الغاشم الظلوم ، ومن يتلوهما في الفسوق ، صلحاء لا يوجد مثلهم ؟ أخرج ابن عساكر من عدَّة طرق كما قاله الذهبي ، وذكره السيوطي في (تاريخ الخلفاء : ١٤٠) عن ابن عمر انَّه قال : «أبو بكر الصدِّيق أصبتم إسمه ، عمر الفاروق قرنٌ من حديد أصبتم إسمه ، ابن عفان ذو النورين قُتل مظلوماً ، يُؤْتى كفلين من الرَّحمة ، ومعاوية وإبنه

---

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٤٢ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٥٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢١ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٧٣ ، وفاء الوفاء ج ١ ص ٩٣ .

(٢) الروض الأنف ج ٥ ص ١٨٥ .

(٣) لسان الميزان ج ٦ ص ٢٩٤ .

(٤) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢١ ، الإتحاف : ص ٢٢ ، وفاء الوفاء ج ١ ص ٨٨ .

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٤٢ .

ملكـا الأرض المقدّسـة ، والسفاح وسـلام ومنصور وجـابر والمهـدي والأمين وأميـر العصب كلّهم من بني كعب بن لؤيّ ، كلّهم صالحٌ لا يوجد مثله» .

وفي لفظ : «يكون على هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة : أبو بكر الصـدّيق أصبتم اسمه ، عمر الفاروق قرنٌ من حديد أصبتم اسمه ، عثمان بن عفّان ، ذو النورين ، قُتل مظلوماً ، أُوتي كفلين من الرّحمة ، ملك الأرض المقدّسة ، معاويـة وابنه ، ثمّ يكون السفّاح ومنصور وجابر والأمين وسلام[١] وأمير العصب لا يرى مثله ولا يـدرى مثله ، كلّهم من بني كعب بـن لـؤيّ فيهم رجـلٌ من قحـطان ، منهم مَن لا يكـون ملكه إلّا يومين ، منهم من يُقال له لتبايعنا أو لنقتلنّـك ، فإنْ لم يبـايعهم قتلوه» [كنز العمّال ج ٦ ص ٦٧] ومن جرّاء هـذا الرأي البـاطل ، قُتـل الصحابيُّ ابن الصحابيِّ محمّد بن أبي الجهم ، لمّا شهـد على يزيـد بشرب الخمـر كما في (الإصـابة ج ٣ ص ٤٧٣) .

أخبار ابن عمر ، ونوادره :

هذه عقليّة ابن عمر في باب الخلافة ، فمـا قيمة رأيـه وقولـه واختياره فيهـا ، وفي غيرها ، ولـه أخبارٌ تنمّ عن ضؤولـة رأيه ، وسخـافة فكـرته ، وأخبـارٌ تدلُّ على مناوءَته أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وانحيازه عنه ، وتحيّزه إلى الفئة الأمويّة الباغيـة ، فلا حجّة فيما يرتئيه في أيٍّ من الفئتين . ومن نماذج الفريق الأوّل من أخباره قوله : «ما أُعطي أحدٌ بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من الجماع ما أُعطيت أنا»[٢] وهو يُعطينا انّه رجـلٌ شهويٌّ لا صلة له بغيرها ، ومن ضعف رأيـه أنّه حسب رسـول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مثله ، بل أربى منه في الجماع ، جهلاً منه بأنّ ملكات صاحب الرّسالة ، وقواه كلّها ، كـانت متعادلة ثابتة على نقطة المركز ، قد تساوت إليها خطوط الدائرة ، فإذا آن لـه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنْ يفخر فخر بجميعها على حدّ واحد ، لا كابن عمـر شهوة قـويّة مهلكـة ، وعقليّة ضعيفة ، يباهي بالجماع ، وقد ترك غيره ، وهي التي كانت تحـذّر أباه من أنْ يـأذن

---

(١) سقط من هذا اللفظ «المهدي» وهو ثاني عشرهم .

(٢) نوادر الاصول للحكيم الترمذي : ص ٢١٢ .

له بالجهاد ، حين استأذنه له فقال : «أي بُنيّ انّي أخاف عليك الزنا»(١) فما قيمة رجل في مستوى الدين ، وهو يُمنع عن مواقف الجهاد ، حذراً من معرَّة شهوته الغالبة ، وسقطات شغبه وشبقه ؟ ! .

نعم : كان لابن عمر أنْ يُشبّه نفسه بأبيه ـ ومن يشابه أبه فما ظلم ـ إذ له كلمةٌ قيّمةٌ في النكاح ، تُعرب عن قوَّة شهوته : قال محمّد بن سيرين : قال عمر بن الخطاب : «ما بقي فيَّ شيءٌ من أمر الجاهليّة ، إلاَّ أنِّي لست أُبالي أيّ الناس نكحت وأيّهم أنكحت» . (أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٠٨ ، ورواه عبد الرزّاق كما في كنز العمّال ج ٨ ص ٢٩٧) .

ومن جرّاء تلك النزعة الجاهليّة التي كانت قد بقيت فيه ، قحم في مآثم سجّلها له التاريخ ، جاء عنه أنّه «أتى جارية له فقالت : إنِّي حائضٌ فوقع بها فوجدها حائضاً ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك ، فقال : يغفر الله لك يا أبا حفص ! تصدّق بنصف دينار»(٢) .

وسوّلت له نفسه ليلة الصيام ، قبل حليّة الرفث فيها ، وواقع أهله ، فغدا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أعتذر إلى الله وإليك ، فإنَّ نفسي زيّنت لي فواقعت أهلي ، فهل تجد لي من رخصة ؟ فقال : لم تكن حقيقاً بذلك يا عمر ! فنزلت : **﴿علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهنّ﴾** الآية(٣) .

وأخرج ابن سعد في (الطبقات الكبرى) : عن عليّ بن زيد : إنَّ عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فمات عنها واشترط عليها ألا تتزوّج بعده ، فتبتّلت فجعلت لا تتزوّج ، وجعل الرجال يخطبونها ، وجعلت تأبى ، فقال عمر لوليها : اذكرني لها فذكره لها ، فأبت على عمر أيضاً فقال عمر : زوّجنيها ، فزوّجه

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي : ص ١١٥ ، وفي طبع : ص ١٣٨ .

(٢) المحلى لابن حزم ج ٢ ص ١٨٨ ، سنن البيهقي ج ١ ص ٣١٦ ، كنز العمال ج ٨ ص ٣٠٥ نقلاً عن ابن ماجة ، واللفظ له .

(٣) تفسير الطبري ج ٢ ص ٩٦ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢٠ ، تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٩٤ ، وتفاسير اخرى .

إيّاها ، فأتاها عمر ، فدخل عليها ، فعاركها حتّى غلبها على نفسها ، فنكحها . فلمّا فرغ قال : أُف أُف أُفف بها ، ثمَّ خرج من عندها وترك لا يأتيها ، فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإنّي سأتهيّأ لك [١] .

أيصحّ عن رجلٍ هذا شأنه ما عزاه إليه الزمخشري في (ربيع الأبرار : ص ٦٨) من قوله : «إنّي لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبّحه وتذكره؟ !» .

(ومنها): «عن الهيثم عن ابن عمر أتاه رجل فقال : إنّي نذرت أنْ أقوم على حراء عرياناً يوماً إلى اللّيل . فقال : أُوف بنذرك . ثمَّ أتى ابن عباس فقال له : أوَ لست تصلّي ؟ قال له : أجل قال : أفعرياناً تصلّي ؟ قال : لا . قال : أوَ ليس حنثت ؟ إنّما أراد الشيطان أنْ يسخر بك ، ويضحك منك هو وجنوده ، إذهب فاعتكف يوماً ، وكفّر عن يمينك . فأقبل الرَّجل حتى وقف على ابن عمر فأخبره بقول ابن عبّاس فقال : ومن يقدر منّا على ما يستنبط ابن عبّاس ؟»[٢] .

هٰهنا يوقفنا السير على مبلغ الرجل من العلم بالأحكام ، أيُّ فقيه هذا لا يعرف حكم النذر ، وأنّه لا بدّ فيه من الرجحان في المنذور ، وأنَّ نذر التافهات وما ينكره العقل ، لا ينعقد قطّ ؟ وهل مثل هذا يُعدّ من المعضلات، حتى لا يقدر على عرفانه غير ابن عبّاس ؟ .

ويكفي الرجل جهلاً أنّه ما كان يحسن طلاق زوجته ، وقد عجز واستحمق كما في (صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨١) ولم يك يعلم أنّه لا يقع إلاّ في طهر لم يواقعها فيه[٣] ، وفي لفظ مسلم في (صحيحه ج ٤ ص ١٨١) : «إنّه طلّق امرأته ثلاثاً ، وهي حائض» .

ولذلك لم يره أبوه أهلاً للخلافة بعدما كبر ، وبلغ منتهى الكهولة ، لمّا قال

---

(١) طبقات ابن سعد ، كنز العمال ج ٧ ص ١٠٠ ، منتخب الكنز هامش مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٩ .

(٢) كتاب الآثار : ص ١٦٨ متناً ، وتعليقاً .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٧٦ ، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٩ ـ ١٨٣ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٥١ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ١٢٨ ، ١٤٥ .

له رجل استخلف عبد الله بن عمر . قال عمر : «قاتلك الله ! والله ما أردت الله بها ، أستخلف مَن لم يحسن أن يطلّق امرأته ؟»(١) وكأنّ عمر كان يجد إبنه يوم وفاته على جهله ذاك ، حين طلّق امرأته وهو شابٌّ غضّ ، أيّام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلاَّ فكلٌّ من الخلفاء بالإنتخاب الدستوري لم يكن عالماً بالأحكام من أوّل يومه إنْ غضضنا الطرف عن يوم تسنّمه عرش الخلافة ، وإلى أنْ أُودع مقرّه الأخير ، وعمر نفسه كان في المسألة نفسها لِدة ولده ، لم يك يعلم حكم ذلك الطلاق ، حتّى سأل عمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «مره فليراجعها ، ثمَّ ليتركها حتّى تطهر ، ثمَّ تحيض ، ثمَّ تطهر ، ثمَّ إنْ شاء أَمسك بعدُ ، وإنْ شاء طلق»(٢) فالمانع عن الإستخلاف هو الجهل الحاضر ، وهذا من سوء حظ ابن عمر ، يخصّ به ، ولا يعدوه .

وإنّي لست أدري أيّ مرتبة رابية من الجهل ، كان يحوزها ابن عمر ، حتّى عرفه منه والده الذي يمتاز في المجتمع الدينيِّ بنوادر الأثر(٣) ؟ فمن رآه عمر جاهلاً لا يُقدّر مبلغه من الجهل .

وممّا يدلّنا على فقه الرجل ، أو على مبلغه من إتّباع الهوى ، وإحياء البدع ، أو على نبذه سنّة الله ورسوله وراء ظهره ؛ إتمامه الصّلاة في السفر أربعاً مع الإمام ، وإعادته إيّاها في منزله قصراً ، كما في (موطأ مالك ج ١ ص ١٢٦) تقريراً للبدعة التي أحدثها عثمان في شريعة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، واتّبعه في أُحدوثته رجال الشرَه والترَه ، وحملة النزعات الأمويّة ، كابن عمر ، وأبناء البيت الأمويِّ ، كما فصلناه في (الجزء الثامن : ص ١٤٨) . وأخرج أحمد في (مسنده ج ٢ ص ١٦) عنه قوله : «صلّيت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمنى ركعتين ، ومع أبي بكر وعمر وعثمان صدراً من إمارته ، ثمَّ أتمَّ» .

ومن نوادر فقهه ما أخرجه أبو داود في (سننه ج ١ ص ٢٨٩) من طريق

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٤ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٧ ، الصواعق : ص ٦٢ ، فتح الباري ج ٧ ص ٥٤ وصحيحه .

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٩ .

(٣) ذكرنا جملة منها في (الجزء السادس : ص ١٠٩ - ٣٨٢) .

سالم : «إنَّ عبد الله بن عمر كان يصنع - يعني يقطع الخفّين - للمرأة المحرمة ثمَّ حدَّثته صفيّة بنت أبي عبيد : انَّ عائشة حدَّثتها : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان رخّص للنساء في الخفّين فترك ذلك» .

وأخرجه إمام الشافعيّة في كتابه «الأُم» إنّ ابن عمر كان يفتي النساء إذا أحرمْنَ أنْ يقطعن الخفّين ، حتّى أخبرته صفيّة ، عن عائشة ، انَّها تفتي النساء أنْ لا يقطعن ، فانتهى عنه .

(وأخرجه البيهقي في سننه ج ٥ ص ٥٢ باللفظين ، وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٩ بلفظ أبي داود) .

والأُمّة كما حكى الزركشي في (الإجابة : ص ١١٨) مجمعةٌ على أنّ المراد بالخطاب المذكور في اللباس : الرجال دون النساء ، وانّه لا بأس بلباس المخيط ، والخفاف للنساء .

(ومنها) : ما أخرجه الشيخان من أنّ ابن عمر كان يكري مزارعه على عهد رسول الله ﷺ ، وفي إمارة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وصدراً من خلافة معاوية ، حتّى بلغه في آخر خلافة معاوية ، أنَّ رافع بن خديج يُحدِّث فيها بنهي عن النبيِّ ﷺ ، فدخل عليه فسأله ، فقال : «كان رسول الله ﷺ ينهى عن كراء المزارع ، فتركها ابن عمر بعدُ ، وكان إذا سُئل عنها بعدُ ، قال : زعم رافع بن خديج انّ رسول الله ﷺ نهى عنها»(١) .

وفي التعليق على صحيح مسلم(٢) :«قوله : «وصدراً من خلافة معاوية» : قد أغرب في وصف معاوية بالخلافة ، بعدما وصف الخلفاء الثلاثة بالإمارة ، وأسقط رابعهم من البين ، مع أنّ الخلافة الكاملة خصيصتهم ، وعبارة البخاري : إنّ ابن عمر ، رضي الله عنه ، كان يكري مزارعه على عهد النبيّ ﷺ ، وأبي بكر ،

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٧ ، صحيح مسلم ج ٥ ص ٢١ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٤٦ ، ٤٧ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٦ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٧ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٩١ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ١٣٠ واللفظ لمسلم .

(٢) راجع صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٢/ من طبع محمد علي صبيح وأولاده .

وعمر ، وعثمان ، وصدراً من إمارة معاوية ، وكان معاوية كما ذكره القسطلاني في باب صوم عاشوراء يقول : أنا أوّل الملوك . وقال المناوي في شرح حديث الجامع الصغير (الخلافة بالمدينة ، والملك بالشام) وهذا من معجزاته ، صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، فقد كان كما أخبر . وقال في شرح حديثه (الخلافة بعدي في أُمتي ثلاثون سنة) : قالوا : لم يكن في الثلاثين إلّا الخلفاء الأربعة ، وأيّام الحسن (ثمَّ ملك بعد ذلك) لأنّ اسم الخلافة إنّما هو لمن صدَّق هذا الإسم بعمله للسنّة ، والمخالفون ملوك ، وإنّما تسمّوا بالخلفاء» . (اهـ) .

ولابن حجر حول الحديث كلمة أسلفناها في (ص ٤١) من هذا الجزء .

قال الأميني : ألا تعجب من ابن خليفة ، شبَّ ونمى ، وترعرع وشاخ ، في عاصمة الدين ، في محيط وحي الله ، في دار النبوَّة والرسالة ، في مدرسة الإسلام الكبرى ، بين ناشئة الصحابة ، وفي حجور مشيختهم ، بين أُمَّة عالمة استقى العالم من نمير علمهم ، واهتدى الخلائق بنور هداهم ، وبقي هذا الإنسان في ظلمة الجهل إلى أُخريات أيّام معاوية ، وعاش خمسين سنة بإجارة محرّمة ، وشدّ بها عظمه ومخّه ، ونبت بها لحمه وجلده ، حتّى حداه إلى السنّة رافع بن خديج الذي لم يكن من مشيخة الصحابة ، وقد استصغره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ؟ وكانت السنّة في المحاقلة والمخابرة تُروى في لسان الصحابة ، وفي بعض ألفاظه شدّةٌ ووعيد ، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جابر : «من لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب من الله ورسوله»[1] ، وجاءت هذه السنّة في الصحاح والمسانيد بأسانيد تنتهي إلى جابر بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وزيد بن ثابت[2] .

وليت ابن عمر بعدما علم الحظر فيما أشبع به طيلة حياته نهمته ـ وطبع الحال أنّه كان يعلّم بذلك ، ويرشد ويهدي ، أو يهلك ويغوي ، وكان غيره يقتصّ أثره لأنّه ابن فقيه الصحابة ، وخليفتهم الذي أوعزنا إلى موارد من فقهه ، وعلمه في

---

(١) سنن البيهقي ج ٦ ص ١٢٨ .

(٢) راجع سنن النسائي ج ٣ ص ٥٢ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ١٢٨ ـ ١٣٣ .

نوادر الأثر في الجزء السادس ـ كان يسأل عن فقهاء الأُمَّة ، أو عن خليفته معاوية ، عن حكم المال المأخوذ المأكول بالعقد الباطل .

أليس من الغلوِّ الفاحش ، أو الجناية الكبيرة على المجتمع الدينيّ ، أنّ يُعدّ هذا الإنسان من مراجع الأُمّة وفقهائها وأعلامها ، ومستقى علمها ، وممَّن يحتجّ بقوله وفعله ؟ وهل كان هو يعرف من الفقه موضع قدمه ؟ أنا لا أدري .

(ومنها) : ما أخرجه الدارقطني في سننه ، من طريق عروة ، عن عائشة أنَّه بلغها قول ابن عمر : في القُبلة الوضوء . فقالت : كان رسول الله ﷺ يقبِّل وهو صائمٌ ، ثمَّ لا يتوضّأ .

[الإجابة للزركشي : ص ١١٨]

(ومنها) : قوله في المتعة ، والبكاء على الميِّت ، وطواف الوداع على الحائض ، والتطيّب عند الإحرام ، وستوافيك أخبارها .

ويُعرب عن مبلغ الرجل من فقه الإسلام ، ما ذكره ابن حجر في (فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٩) من قوله : «ثبت عن مروان أنَّه قال لمّا طلب الخلافة فذكروا له ابن عمر فقال : ليس ابن عمر بأفقه منّي ، ولكنَّه أسنّ منّي ، وكانت له صحبة» .

فما شأن امرىء يكون مروان أفقه منه ؟ .

ولعلّ نظراً إلى هذه ، وما يأتي من نوادر الرجل ، أو بوادره في الفقه ، ترى إبراهيم النخعي لمّا ذُكر له ابن عمر ، وتطيّبه عند الإحرام قال : «ما تصنع بقوله ؟»[1] وقال الشعبي : «كان ابن عمر جيِّد الحديث ، ولم يكن جيِّد الفقه» ، كما رواه ابن سعد في (الطبقات الكبرى : ص ٨٩١ رقم التسلسل) .

هذا رأي الشعبي ، وأمّا نحن فلا نفرّق بين فقه الرجل وحديثه ، وكلاهما شرع سواء غير جيّدين ، بل حديثه أردأ من فقهه ، ورداءة فقهه من رداءة حديثه ، وكأنّ الشعبي لم يقف على شواهد سوء حفظه ، أو تحريفه الحديث ، فإليك نماذج منها :

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٨ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٦٧ .

١ ـ أخرج الطبراني من طريق موسى بن طلحة قال : «بلغ عائشة أنَّ ابن عمر يقول : إنّ موت الفجأة سخطٌ على المؤمنين . فقالت : يغفر الله لابن عمر إنّما قال رسول الله ﷺ : موت الفجاءة تخفيفٌ على المؤمنين ، وسخطٌ على الكافرين» .
[الإجابة للزركشي : ص ١١٩]

٢ ـ أخرج البخاري من طريق ابن عمر قال : «وقف النبيُّ ﷺ على قليب بدر ، فقال : هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً ؟ ثمَّ قال : إنّهم الآن يسمعون ما أقول ، فذكر ذلك لعائشة فقالت : قال رسول الله : إنّهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم حقٌّ» .

وفي لفظ أحمد في (مسنده ج ٢ ص ٣١) : «وقف رسول الله ﷺ على القليب يوم بدر فقال : يا فلان ! يا فلان ! هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقّاً ؟ أما والله إنَّهم الآن ليسمعون كلامي . قال يحيى : فقالت عائشة : غفر الله لأبي عبد الرّحمٰن، إنَّه وهم، إنَّما قال رسول الله ﷺ : والله إنَّهم ليعلمون الآن أنَّ الذي كنت أقول لهم حقّاً ، وإنَّ الله تعالىٰ يقول : ﴿إنَّك لا تُسمع الموتى وما أنت بمسمع مَن في القبور﴾ .

٣ ـ روى الحكيم الترمذي في (نوادر الأُصول) من طريق ابن عمر قال : «قال رسول الله ﷺ : اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ . قال أبو عبد الله : فتأوّل ناسٌ في هذا الحديث وقالوا : العرش سريره الذي حمل عليه ، واحتجّوا بحديث رووه عن ابن عمر أنَّه تأوَّله ، كذا حدَّثنا الجارود قال : حدَّثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : ذُكر يوماً عنده حديث سعد : إنَّ العرش يهتزُّ بحبِّ الله لقاء سعد ، قال ابن عمر : إنَّ العرش ليس يهتزُّ لموت أحد ، ولكنّه سريره الذي حمل عليه . قال : فهذا مبلغ ابن عمر ، رحمه الله ، من علم ما أُلقي إليه من ذلك ، وفوق كلِّ ذي علم عليم» (اهـ) .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك ج ٣ ص ٦٠٦) ، ولفظه : «قال ابن عمر : اهتزّ لحبِّ لقاء الله العرش . يعني السرير قال : ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ ، تفسّخت أعواده» .

وأنت تعرف سخافة هذا التأويل ممّا أخرجه البخاري ، والحاكم في

المستدرك ، من طريق جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، قـال : «سمعت رسول الله ﷺ يقـول : اهتزّ عرش[1] الرّحمٰن لموت سعد بن معاذ . فقال رجـلٌ لجابـر : فإنَّ البراء يقول : اهتزّ السرير . فقال : إنّه كان بين هذين الحيّين الأوس والخـزرج ضغـائن ، سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : اهتـزّ عـرش الـرّحمٰن لمـوت سعـد بن معاذ»[2] . وأخرجه مسلم بلفظ : «اهتزّ عرش الرَّحمٰن»[3] .

وفي (فتـح الباري ج ٧ ص ٩٨) : قـد جاء حـديث اهتزاز العـرش لسعد بن معـاذ ، عن عشـرة من الصحــابـة ، أو أكثـر ، وثبت في الصحيحين ، فـلا معنى لإنكاره .

٤ ـ في كتـاب «الإنصاف» لشـاه صاحب : «روى ابن عمـر عنه ﷺ ، من أنَّ الميّت يعـذّب ببكاء أهله عليـه ، فقضت عائشـة عليه بـأنّه لم يـأخذ الحـديث على وجهه ، مرَّ رسـول الله ﷺ على يهوديّـة يبكي عليها أهلهـا فقال ﷺ : إنّهم يبكـون عليها ، وإنّها تعـذَّب في قبرهـا . وظنَّ ـ ابن عمر ـ العـذاب معلولاً بالبكـاء ، وظنَّ الحكم عامّاً على كلِّ ميّت» .

وأخرج أحمد في (المسنـد ج ٦ ص ٢٨١) : عن عائشـة ، أنّه بلغهـا أنَّ ابن عمـر يحدِّث عن أبيـه أنَّ رسـول الله ﷺ قـال : الميت يعـذّب ببكـاء أهله عليـه . فقـالت : يرحم الله عمـر وابن عمر ، فـوالله ما همـا بكـاذبين ، ولا مكـذبين ، ولا متزيّدين ، إنَّما قال ذلك رسول الله ﷺ في رجل من اليهود ، ومرَّ بأهله وهم يبكون عليه ، فقال : إنّهم ليبكون عليه ، وإنّ الله ، عزّ وجلّ ، ليعذّبه في قبره . ولأحمد في مسنده لفظ آخر ، يأتي بعد بضع صحائف من هذا الجزء .

أسلفنـا الحـديث نقـلاً عن عـدّة صحـاح ومسـانيـد في (الجـزء السـادس : ص ١٨٥) وفصّلنا هنالك القول حول المسألة .

٥ ـ أخـرج البخـاري في كتـاب الأذان من (صحيحـه ج ٢ ص ٦) : «عن عبـد الله بن عمر ، أنَّ رسـول الله ﷺ قال : إنّ بـلالاً يؤذّن بليـل ، فكلوا واشـربـوا حتّى ينادي ابن أمّ مكتوم» .

---

(١) فصل ابن حجر القول في معنى الحديث في فتح الباري ج ٧ ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) صحيح البخاري في المناقب ج ٦ ص ٣ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٠ .

هذا الحديث ممّا استدركت به عائشة على ابن عمر ، وكانت تقول : غلط ابن عمر وصحيحه انّ ابن أُم مكتوم ينادي بليل ، فكلوا واشربوا حتّى يؤذِّن بلال ، وبهذا جزم الوليد وكذا أخرجه ابن خزيمة ، وابن المنذر ، وابن حبّان ، من طرق عن شعبة ، وكذلك أخرجه الطحاوي والطبراني ، من طريق منصور بن زاذان ، عن خبيب بن عبد الرَّحمٰن .

وفي لفظ البيهقي في (سننه ج ١ ص ٣٨٢) : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : إنَّ ابن أُمّ مكتوم رجلٌ أعمى ، فإذا أذَّن فكلوا واشربوا حتّى يؤذِّن بلال . قالت : وكان بلال يبصر الفجر . وكانت عائشة تقول غلط ابن عمر .

وقال ابن حجر : ادَّعى ابن عبد البرّ ، وجماعةٌ من الأئمَّة ، بأنّه مقلوبٌ ، وانَّ الصواب حديث الباب ـ يعني لفظ البخاري ـ وقد كنت أميل إلى ذلك إلى أنْ رأيت الحديث في صحيح ابن خزيمة من طريقين آخرين ، عن عائشة ، وفي بعض ألفاظه ما يبعد وقوع الوهم فيه ، وهو قوله : «إذا أذَّن عمرو ، فإنّه ضرير البصر ، فلا يغرنّكم ، وإذا أذَّن بلال فلا يطعمن أحدٌ» . وأخرجه أحمد[1] . وجاء عن عائشة أيضاً : إنّها كانت تنكر حديث ابن عمر وتقول : إنَّه غلط ، أخرج ذلك البيهقي من طريق الدراوردي ، عن هشام ، عن أبيه عنها ، فذكر الحديث ، وزاد : قالت عائشة : وكان بلال يبصر الفجر . قال : وكانت عائشة تقول : غلط ابن عمر .

[فتح الباري ج ٢ ص ٨١]

٦ ـ أخرج أحمد في (مسنده ج ٢ ص ٢١) من طريق يحيى بن عبد الرَّحمٰن بن حاطب قال : قال عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ : الشهر تسع وعشرون ، وصفق بيديه مرّتين ، ثمَّ صفق الثالثة ، وقبض إبهامه . فقالت عائشة : غفر الله لأبي عبد الرّحمٰن ، إنّه وهم ، إنّما حجر رسول الله ﷺ نساءه شهراً ، فنزل لتسع وعشرين ، فقالوا : يا رسول الله ! إنَّك نزلت لتسع وعشرين ، فقال : إنَّ الشهر يكون تسعاً وعشرين . وفي (ص ٥٦) : فقيل له فقال (ﷺ) : إنَّ

---

(١) في المسند ج ٦ ص ١٨٦ .

الشهر قد يكون تسعاً وعشرين . ورواه أبو منصور البغدادي ، ولفظه : «أُخبرت عائشة ، رضي الله عنها ، بقول ابن عمر ، رضي الله عنه : إنَّ الشهر تسع وعشرون ، فأنكرت ذلك عليه ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرَّحمٰن ، ما هكذا قال رسول الله ، ولكن قال : إن الشهر قد يكون تسعاً وعشرين» .

[الإجابة للزركشي : ص ١٢٠]

كان ابن عمر يعمل بوهمه هذا ، ويرى كلَّ شهر تسعاً وعشرين يوماً ، وكان يقول : «قال رسول الله : الشهر تسع وعشرون ، وكان إذا كان ليلة تسع وعشرين وكان في السّماء سحابٌ أو قتر ، أصبح صائماً»[١] .

٧ ـ أخرج الشيخان من جهة نافع قال : «قيل لابن عمر : إنَّ أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَن تبع جنازة فله قيراط من الأجر . فقال ابن عمر . أكثر علينا أبو هريرة ، فبعث إلى عائشة فسألها ، فصدَّقت أبا هريرة ، فقال ابن عمر : لقد فرطنا في قراريط كثيرة» .

وأخرج مسلم من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص ، انَّه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر ، إذ طلع خبّاب صاحب المقصورة ، فقال : يا عبد الله بن عمر : ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ إنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : مَن خرج مع جنازة من بيتها ، وصلّى عليها ، ثمّ تبعها حتى دُفن ، كان له قيراطان من أجر ، كلُّ قيراط مثل أُحد ، ومَن صلّى عليها ثمّ رجع ، كان له من الأجر مثل أُحد ، فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ، ثم يرجع إليه فيخبره بما قالت ، وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلّبها في يده ، حتّى رجع إليه الرّسول فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة. فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الإرض ، وقال : لقد فرطنا في قراريط كثيرة[٢] .

ولعلَّ الباحث لا يشكُّ إذا وقف على هذه الرِّوايات وأمثالها في أنّ رواية ابن

---

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ١٣ .

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٩ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٣ .

عمر لا تقلُّ عن فقاهته في الرداءة، ومن هذا شأنه في الفقه والحديث ، لا يعبأ به وبرأيه ، ولا يوثق بحديثه .

رأي ابن عمر في القتال والصلاة

(ومنها) : أخرج ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١١٠/ط ليدن) عن ابن عمر أنّه كان يقول : لا أُقاتل في الفتنة ، وأُصلّي وراء مَن غلب . وقال ابن حجر في (فتح الباري ج ١٣ ص ٣٩) : كان رأي ابن عمر ترك القتال في الفتنة ، ولو ظهر أنّ إحدى الطائفتين محقّة ، والأُخرى مبطلة . وقال ابن كثير في (تاريخه ج ٩ ص٥) : كان في مدة الفتنة لا يأتي أميراً إلاّ صلّى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله .

يُتراءى هٰهنا من وراء ستر رقيق ، تترّس ابن عمر بأُغلوطته هذه ، عن شعبة تقاعده عن حرب الجمل وصفّين ، مع مولانا أمير المؤمنين ، ذاهلاً عن أنَّ هذه جناية أُخرىٰ لا يُغسل بها دنس ذلك الحوب الكبير ، متى كانت تلكم الحروب فتنة ، حتّى يتظاهر ابن عمر تجاهها بزهادة جامدة ، لاقتناص الدهماء ؟ والأمر كما قال حذيفة اليماني ذلك الصحابي العظيم : «لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك ، إنّما الفتنة إذا اشتبه عليك الحقُّ والباطل»[1] .

أو كان ابن عمر بمنتأى عن عرفان دينه ؟ أو كان على حدّ قوله تعالىٰ : ﴿**يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها**﴾ ؟ وهل كان ابن عمر لم يعرف من القرآن قوله تعالىٰ : ﴿**وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإنْ بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله ، فإنْ فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إنّ الله يحبُّ المقسطين**﴾[2] وقد أفحمه رجلٌ عراقيٌ بهذه الآية ، وحيّره فلم يحر ابن عمر جواباً ، غير أنّه تخلّص منه بقوله : مالك ولذلك ؟ إنصرف عنّي . وسيوافيك تمام الحديث .

---

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٤٠ .
(٢) سورة الحجرات ؛ آية : ٩ .

هلاّ كان ابن عمر بان له الرشد من الغيّ ، ولم يك يشخّص الحقّ من الباطل ؟ وهلاّ كان يعرف الباغية من الفئتين ؟ وهل كان يزعم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن الفتن بعده ، وإنّها تغشى أُمّته كقطع الليل المظلم[١] ، وترك الأُمّة مغمورة في مدلهمّاتها ، هالكة في غمراتها ، ولم يعبّد لها طريق النجاة ، وما رشّدها إلى مهيع الحقّ ، ولم ينبس عمّا ينجيها ببنت شفة ؟ حاشا نبيُّ الرَّحمة عن ذلك ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم لم يُبق عذراً لأيّ أحد من عرفان الباغية من الطائفتين في تلكم الحروب ، ولم يك يخفي حكمها على أيّ دينيّ قال مولانا أمير المؤمنين : «لقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني ، وضربت أنفه وعينيه ، فلم أجد إلاّ القتال ، أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يرض من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوتٌ مذعنون ، لا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر ، فوجدت القتال أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنم»[٢] .

أكان في أُذن ابن عمر وقرٌ عن سماع ذلك الهتاف القدسيّ بمثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة : «كأنّي بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنتِ له ظالمة» .

وقوله لزوجاته : «كأنّي بإحداكنَّ قد نبحها كلاب الحوأب ، وإيّاك أن تكوني أنت يا حميراء» .

وقوله لها : «أُنظري أن لا تكوني أنت» .

وقوله للزبير : «إنّك تقاتل عليّاً وأنت ظالمٌ له» .

وقوله : «سيكون بعدي قومٌ يقاتلون عليّاً على الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ، ليس وراء ذلك شيءٌ» . [حقّاً جاهد ابن عمر في الخلاف على قول رسول الله هذا ، بلسانه ، وقلبه ، ما استطاع] .

---

(١) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٤٩ ، مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، كنز العمال ج ٦ ص ٣١ ، ٣٧ .

(٢) كتاب صفين : ص ٥٤٢ .

وقـوله لعليّ : «يـا عليّ ستقاتـل الفئة البـاغيـة ، وأنت على الحقّ ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس منّي» .

وقوله له : «ستقاتل بعدي الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين» .

وقوله له : «أنت فارس العرب ، وقاتل الناكثين ، والمارقين ، والقاسطين» .

وقـوله لأُمّ سلمـة لمّا رأى عليّـاً : «هذا والله قـاتل القـاسـطين ، والنـاكثين ، والمـارقين . وعهـده إلى عليّ عليه‌السلام أن يقـاتـل بعـده القـاسـطين والنـاكثين والمارقين»[1] .

وقـوله لأصحـابه : «إنّ فيكم من يقـاتل على تـأويل القـرآن كما قـاتلت على تنزيله قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ قـال : لا . قال عمـر : أنا هـو يا رسـول الله ؟ قال : لا ، ولكن خاصف النعل . وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها»[2] .

وقوله لعمّار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية» . وقد قتلته فئة معاوية .

وقول أبي أيُّوب الأنصاري ، وأبي سعيد الخدري ، وعمّار بن يـاسر : «أمـرنا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بقتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين . قلنـا يا رسـول الله ؟ أمرت بقتال هؤلاء مع مَن ؟ قال : مع عليّ بن أبي طالب» .

إلى أحاديث أُخرى ذكرناها في (الجزء الثـالث ص ٢٠٩ - ٢١٤) هب أنَّ ابن عمر لم يكن يسمع شيئاً من هذه الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، أوَ مـا كان يسمع أيضاً ، أو ما كان يصدّق أُولئك الجمّ الغفير من البدريّين ، أعـاظم الصحابـة الأوّلين الـذين حاربـوا النـاكثين والقـاسـطين ، ومـلأ فمهم عهـد رسـول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إليهم ، وأمره إيّاهم بقتال أُولئك الطوائف الخارجة على الإمام الحقّ الطاهر ؟ فـأيّ مين أعظم ممّا جاء به ابن عمر في كتاب له إلى معاويـة من قولـه : «أحدث (عليّ) أمراً لم يكن إلينا فيـه من رسول الله ﷺ عهـد ، ففزعت إلى الـوقوف . وقلت : إنْ كان هذا هدىً ففضل تركته ، وإن كان ضلالة ، فشرّ منه نجوت»[3] .

---

(١) راجع الجزء الثالث .

(٢) راجع ج ٧ ص ١٣٢ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٦٠ .

وهل ابن عمر كان يخفى عليه هتاف الصادع الكريم : «عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع عليّ ، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة؟» .

أو قوله : «عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه ، وعلى لسانه ، والحقُّ يدور حيثما دار عليٌّ» .

أو قوله لعليٍّ : إنَّ الحقَّ معك ، والحقُّ على لسانك . وفي قلبك ، وبين عينيك ، والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك ، كما خالط لحمي ودمي ؟» .

أو قوله مشيراً إلى عليّ : «الحقُّ مع ذا ، الحقُّ مع ذا ، يزول معه حيثما زال ؟» .

أو قوله :«عليٌّ مع القرآن ، والقرآن معه ، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض ؟» .

أو قوله لعليّ : «لحمك لحمي ، ودمك دمي ، والحقُّ معك ؟» .

أو قوله : «ستكون بعدي فتنة ، فإذا كان ذلك فالزموا عليَّ بن أبي طالب ، فإنّه أوَّل من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصدِّيق الأكبر ، وهو فاروق هذه الأمَّة ، يفرق بين الحقِّ والباطل ، وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين ؟»[١] .

أو قوله لعليّ وحليلته وشبليه : «أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم ؟» .

أو قوله لهم : «أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم ؟» .

أو قوله وهم في خيمة : معشر المسلمين أنا سلمٌ لمن سالم أهل الخيمة ، حربٌ لمن حاربهم ، وليٌّ لمن والاهم ، لا يحبُّهم إلاَّ سعيد الجدّ ، طيِّب المولد ، ولا يبغضهم إلاَّ شقيُّ الجدّ ، رديُّ الولادة ؟» .

---

(١) راجع الجزء الثالث ص ٤٢ ، ١٩٩ - ٢٠٢ - ٢١٠ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٦٥٧ ، الإصابة ج ٤ ص ١٧١ .

أو قوله وهو آخذ بضبع عليّ : «هذا أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصورٌ من نصره ، مخذولٌ من خذله ؟»(١) .

أو قوله في حجَّة الوداع في ملأ من مائة ألف أو يزيدون : «مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللَّهُمَّ والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله وأحبّ من أحبّه ، وأبغض من أبغضه ، وأدر الحقَّ معه حيث دار؟»(٢) .

إلى أخبار جمّة ملأت بين الخافقين ، فهل ابن عمر كان بمنتأى عن هذه كلّها ، فحسب تلكم المواقف حرباً دنيويَّة أو فتنةً لا يعرف وجهها ، قتالاً على الملك(٣) أو كان تُتلىٰ عليه ، ثمَّ يُصرّ مستكبراً ، كأن لم يسمعها ، كأنَّ في أُذنيه وقراً ، وعلى كلّ تقدير لم يك رأيه إلّا إجتهاداً في مقابل النصِّ ، لا يصيخ إليه أيّ دينيٍّ صميم .

ومن المأسوف عليه أنّ الرجل ندم يوم لم ينفعه النَدم عمّا فاته في تلكم الحروب ، من مناصرة عليّ أمير المؤمنين ، وكان يقول : «ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلّا أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية» . وفي لفظ : «ما آسىٰ على شيء إلّا أنّي لم أُقاتل مع عليّ الفئة الباغية» . وفي لفظ : «ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدّنيا ، إلّا أنّي لم أُقاتل مع عليّ الفئة الباغية» . وفي لفظ : قال حين حضرته الوفاة : «ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً ، إلّا أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه» . وفي لفظ ابن أبي الجهم : «ما آسى على شيء ، إلّا تركي قتال الفئة الباغية مع عليّ ، رضي الله عنه»(٤) .

وأخرج البيهقي في (سننه ج ٨ ص ١٧٢) من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر قال : «بينما هو جالسٌ مع عبد الله بن عمر ، إذا جاءه رجلٌ من أهل العراق فقال :

---

(١) راجع الجزء الأول ص ٣٥٣ وج ٨ ص ١١٨، أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٥٦٠ .
(٢) راجع ما مرّ في الجزء الأول من حديث الغدير .
(٣) راجع مسند أحمد ج ٢ ص ٧٠ ، ٩٤ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩٢ .
(٤) الطبقات الكبرى/ط ليدن ج ٤ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، اسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٢ .

يا أبا عبد الرّحمٰن : إنّي والله لقد حرصت أن أتّسم بسمتك ، وأقتدي بك في أمر فرقة الناس ، وأعتزل الشرّ ما استطعت وإنّي أقرأ آية من كتاب الله محكمة ، قد أخذت بقلبي ، فأخبرني عنها أرأيت قول الله تعالىٰ : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحبُّ المقسطين**﴾ . أخبرني عن هذه الآية . فقال عبد الله : ومالك ولذلك ؟ انصرف عنّي ، فانطلق حتّى توارى عنا سواده ، أقبل علينا عبد الله بن عمر ، فقال : ما وجدت في نفسي من شيء من أمر هذه الأُمّة ما وجدت في نفسي أنّي لم أُقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عزّ وجلّ» .

هذه حجّة الله الجارية على لسان ابن عمر ، ونفثات ندمه ، وهل أثّرت تلكم الحجج في قلبه ؟ وصدّق الخُبر الخَبر يوماً ما من أيّامه ؟ أنا لا أدري .

هلم معي إلى صلاة ابن عمر

وأمّا صلاته مع من غالب ، وتأمّر ، فمن شواهد جهله بشأن العبادات ، وتهاونه بالدين الحنيف ، ولعبه بشعائر الله ، شعائر الإسلام المقدّس، قد استحوذ عليه الشيطان ، فأنساه ذكر الله ، اعتذر الرجل بهذه الخزاية عن تركه الصّلاة وراء خير البشر أحد الخيرتين ، أحبّ الناس إلى الله ورسوله ، عليّ أمير المؤمنين ، المعصوم بلسان الله العزيز ، وعن إقامته إيّاها وراء الحجّاج الفاتك المستهتر ، وقد جاء من طريق سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل قال : اختلفت أنا وذر المرهبيّ(١) في الحجّاج فقال : مؤمنٌ . وقلت : كافرٌ . قال الحاكم : وبيان صحّته ما أطلق فيه مجاهد بن جبر ، رضي الله عنه ، فيما حدّثناه من طريق أبي سهل أحمد القطان ، عن الأعمش قال : «والله لقد سمعت الحجّاج بن يوسف يقول : يا عجباً من عبد هذيل (يعني عبد الله بن مسعود) يزعم أنّه يقرأ قرآناً من عند الله ، والله ما هو إلاّ رجزٌ من رجز الأعراب ، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه»(٢) وزاد ابن

---

(١) كان من عبّاد أهل الكوفة ، أحد رجال الصحاح الستة .

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٥٦ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٦٩ .

عساكر: ولأخلينّ منها المصحف ، ولو بضلع خنزير .

وذكر ابن عساكر في (تاريخه ص ٦٩) من خطبة له قوله : «إتّقوا الله ما استطعتم ، فليس فيها مثوبة ، واسمعوا وأطيعوا لأمير المؤمنين عبد الملك ، ، فإنّها المثوبة ، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد فخرجوا من باب آخر ، لحلّت لي دماءهم وأموالهم» .

على أنَّ ابن عمر هو الذي جاء بقوله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «في ثقيف كذّاب ومبير» . أو قوله : «إنّ في ثقيف كذّاباً ومبيراً»[1] . وأطبق الناس سلفاً وخلفاً ، على أنَّ المبير : هو الحجّاج .

قال الجاحظ : «خطب الحجّاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فقال : تبّاً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية ، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ؟ ألا يعلمون أنَّ خليفة المرء خير من رسوله»[2] ؟ .

وقال الحافظ ابن عساكر في (تاريخه ج ٤ ص ٨١) : «اختلف رجلان فقال أحدهما : إنَّ الحجّاج كافر ، وقال الآخر : إنّه مؤمن ضالّ . فسألا الشعبي فقال لهما : إنّه مؤمن بالجبت والطاغوت ، كافر بالله العظيم» .

وقال : «وسُئل عنه واصل بن عبد الأعلىٰ فقال : تسألوني عن الشيخ الكافر» .

وقال : «قال القاسم بن مخيمرة: كان الحجّاج ينتقض من الإسلام» .

وقال : «قال عاصم بن أبي النجود : ما بقيت لله تعالىٰ حرمة إلّا وقد انتهكها الحجّاج» .

وقال : «قال طاوس : عجبت لإخواننا من أهل العراق يسمّون الحجّاج مؤمناً» .

---

(١) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٦٤ ، وج ١٣ ص ٢٩٤ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٩١ ، ٩٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٥٠ .

(٢) النصائح لابن عقيل : ص ٨١/ط ٢ .

وقال الأجهوري : وقد اختار الإمام محمّد بن عرفة ، والمحققون من أتباعه ، كفر الحجّاج» .

[الإتحاف ص ٢٢]

دع هذه كلّها ، وخذ ما أخرجه الترمذي ، وابن عساكر ، من طريق هشام بن حسّان ، أنّه قال : أُحصي ما قتل الحجّاج صبراً ، فوجد مائة ألف وعشرون ألفاً[١] ، ووجد في سجنه ثمانون ألفاً محبوسون ، منهم ثلاثون ألف امرأة[٢] ، وكانت هذه المجزرة الكبرى ، والسجن العام بين يدي ابن عمر ، ينظر إليهما من كثب ، أدرك أيّام الحجّاج كلّها ، ومات وهو حيٌّ يذبح ويفتك .

أمثل هذا الجائر الغادر الآثم ، يتأهّل للإئتمام به ، دون سيِّد العرب ، مثال القداسة والكرامة ؟ .

وهل ابن عمر نسي يوم بايع الحجّاج ، ما اعتذر به من امتناعه عن بيعة ابن الزبير لمّا قيل له : «ما يمنعك أن تبايع أمير المؤمنين ـ ابن الزبير ـ فقد بايع له أهل العروض ، وعامّة أهل الشام ؟ فقال : والله لا أُبايعكم وأنتم واضعو سيوفكم على عواتقكم تصيب أيديكم من دماء المسلمين»[٣] .

هلّا كان ابن عمر ونصب عينيه ، ما كانت تصيبه يدا الحجّاج وزبانيته ، من دماء المسلمين ، دماء أُمّة كبيرة من عباد الله الصالحين ، دماء نفوس زكيّة من شيعة آل الله ؟ فكيف إئتمّ به وبايعه ؟ وبأيِّ كتاب ، أم بأيّة سنّة ساغ له حنث يمينه، يوم بايع ابن الزبير ، ومدَّ يده إلى بيعته ، وهي ترجف من الضعف ، بعدما بايعه رؤوس الخوارج أعداء الإسلام ، المارقين من الدين : نافع بن الأزرق ، وعطية بن الأسود ، ونجدة بن عامر[٤] ؟ .

(١) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٦٤ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٨٠ ، تيسير الوصول ج ٤ ص ٣٦ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٨٠ ، المستطرف : ج ١ ص ٦٦ .

(٣) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩٢ .

(٤) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩٣ .

ليتني أدري وقومي ، أفي شريعة الإسلام حكمٌ للغلبة يركن إليه المسلم في الصّلاة التي هي عماد الدين ، وأفضل أعمال أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أو أنَّ الإئتمام في الجمعة والجماعة ، يدور مدار تحقّق البيعة وإجماع الأمّة ، وعدم النزاع بين الإمام وبين مَن خالفه من الخوارج عليه ؟ أو أنَّ هاتيك الأعذار ـ أعذار ابن عمر ـ أحلام نائم ، وأمانيّ كاذبة لا طائل تحتها ؟ انظر إلى ضؤولة عقل ابن عمر ، يحسب أنَّ الأمّة تتلقّى خز عبلاته بالقبول ، وتراه بها معذوراً في طامّاته ، ذاهلاً عن أنّ هذه المعاذير أكثر معرَّة من بوادره ،و ﴿ **الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره** ﴾ .

كان الرجل يصلّي مع الحجّاج بمكّة كما قاله ابن سعد(١) ، وقال ابن حزم في (المحلّى ج ٤ ص ٢١٣) : كان ابن عمر يصلّي خلف الحجّاج ونجدة(٢) ، وكان أحدهما خارجيّاً، والثاني أفسق البريَّة . وذكره أبو البركات في (بدائع الصنائع ج ١ ص ١٥٦) .

أليس أحقّ الناس بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله ، وأعلمهم بالسنّة ؟ أليس من السنّة الصحيحة الثابتة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله فإنْ كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنّة ، فإن كانوا في السنّة سواءً فأقدمهم هجرةً ، فإنْ كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سلماً ؟ !»(٣) .

أم لم يكن منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنْ سرَّكم أنْ تُقبل صلاتكم ، فليؤمّكم خياركم ، فإنّهم وفدكم فيما بينكم وبين ربّكم ؟ !»(٤) .

أوَ لم يكن يسرّ ابن عمر أن تُقبل صلاته ؟ أم كان يروقه من صلاة الحجّاج أنّه وخطباؤه ، كانوا يلعنون عليّاً وابن الزبير؟(٥) أم كان يعلم أنَّ الصّلاة وغيرها من

---

(١) الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١١٠ .

(٢) نجده بن عامر ـ عمير ـ اليماني : من رؤوس الخوارج ، زائغ عن الحق ، خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية ، وقدم مكة ، وله مقالات معروفة ، وأتباع انقرضوا ، قتل في سنة سبعين . (لسان الميزان ج ٦ ص ١٤٨) .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٣٣ ، صحيح الترمذي ج ٦ ص ٣٤ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٩٦ .

(٤) نصب الراية ج ٢ ص ٢٦ .

(٥) راجع المحلى لابن حزم ج ٥ ص ٦٤ .

القربات ، لا تنجع لأيّ مسلم إلّا بالولاية لسيّد العترة ، سلام الله عليه[1] . وابن عمر على نفسه بصيرة ، ويراه فاقداً إيّاها ، بعيداً عنها ، فائتمامه عندئذ بالإمام العادل ، أو الجائر المستهتر ، سواسية ؟ .

إنْ كان الرجل يجد الغلبة ملاك الإئتمام ، فهلّا إئتمّ بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان هو الغالب في وقعة الجمل ، ويوم (النهروان) ؟ ولم يكن في (صفّين) مغلوباً ، وإنّما لعب ابن العاصي فيها بخديعته ، فالتبس الأمر على الأغرار ، لكنّ أهل البصائر عرفوها ، فلم يتزحزحوا عن معتقدهم طرفة عين ، وقبل هذه الحروب انعقدت البيعة بخليفة الحقّ من غير معارض ، ولا مزاحم ، حتّى يتبيّن فيه الغالب من المغلوب ، فكان إمام العدل عليه السلام هو المستولي على عرش الخلافة ، والمحتبي بصدر دستها ، فلماذا تركه عليه السلام ابن عمر ، ولم يأتمّ به ، وقد تمّ أمره ، بتمام شروط البيعة ، وملاك الإئتمام على رأيه هو ؟ !

ومَن نجدة الخارجي ؟ ومتى غلب على جميع الحواضر الإسلاميّة ؟ وما قيمته وقيمة الإئتمام به ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرِّف الخوارج بالمروق من الدين بقوله : «يخرج قومٌ من أُمّتي ، يقرأون القرآن ليست قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرأون القرآن يحسبون أنّه لهم ، وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة»[2] .

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «سيخرج قومٌ في آخر الزمان ، حُدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البريّة ، يقرأون القرآن ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»[3] .

(١) راجع الجزء الثاني : ص٣٤٩ .
(٢) صحيح الترمذي ج ٩ ص٣٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٧٠ ، وأخرجه مسلم ، وأبو داود ، كما في تيسير الوصول ج ٤ ص ٣١ .
(٣) أخرجه الخمسة إلّا الترمذي ، كما في تيسير الوصول ج ٤ ص ٣٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ١٧٠ .

وبقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «سيكـون في أُمّتي اختـلاف وفـرقـة ، قـوم يحسنـون القيـل ويسيئون الفعل ، يقرأون القرآن لا يجـاوز تراقيهم ، يمـرقون من الـدين كما يمـرق السهم من الرميّة ، ثمَّ لا يرجعون حتّ يرتدّ على فوقه، هم شـرُّ الخلق ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله ، وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كـان أولى بالله منهم . قالوا : يا رسول الله ! ما سيماهم ؟ قال : التحليق»[1] .

وبقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يخـرج من قِبل المشـرق قومٌ كـأنَّ هديهم هكـذا ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقـون من الدين كمـا يمرق السهم من الـرميّة ، ثمّ لا يرجعون إليه ووضع يـده على صدره ، سيمـاهم التحليق لا يزالـون يخرجـون حتّى يخرج آخرهم ، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم» .

[مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٤٧]

وبقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يـوشك أنْ يـأتي قوم مثـل هـذا ، يتلون كتـاب الله ، وهم أعداؤه ، يقرأون كتاب الله ، محلقة رؤوسهم ، فإذا خرجوا فاضربوا رقابهم» .

[المستدرك ج ٢ ص ١٤٥]

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ أقواماً من أُمّتي أشدّة ، ذلقة ألسنتهم بالقرآن ، لا يجـاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الـرميّة ، فـإذا لقيتموهم فـاقتلوهم ، فإنَّ المأجور من قتلهم» .

[المستدرك ج ٢ ص ١٤٦]

وبقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الخـوارج كلاب النـار»[2] من طريق صحّحـه السيوطي في (الجامع الصغير) .

فمـا قيمة صحابيّ ، لا ينتجع ممّا جاء عن النبيِّ الأقـدس صلى الله عليه وآله وسلم ، من الكثير الصحيـح في النـاكثين ، والقـاسـطين ، والمـارقين ؟ ولم يـر قطّ قيمـة لتلكم

---

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٤ ، مستـدرك الحاكم ج ٢ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٧١ ، وللشيخين عن أبي سعيد نحوه كما في تيسير الوصول ج ٤ ص ٣٣ .

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٥ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٧٤ .

النصوص ، ويضرب عنها صفحاً ولم يتبصَّر بها في دينه، ويتترّس تجاه ذلك الحكم البات النبويّ عن التقاعس عن تلك المشاهد بأنّها فتنة . ﴿**أحَسِبَ النّاس أن يُتركُوا أنْ يَقُولوا آمنّا وهُمْ لا يُفتَنون ؟**﴾[1] .

لقد ذاق ابن عمر وبال أمره ، بتركه واجبه من البيعة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، والتبرُّك بيده الكريمة التي هي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو خليفته بلا منازع ، وبتركه الإئتمام به ، والدخول في حشده ، وهو نفس الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، والبقيَّة منه ، بذلّ البيعة لمثل الحجّاج الفاجر ، فضرب الله عليه الذلّة والهوان ، هاهنا حتّى انّ ذلك المتجبّر الكذّاب المبير ، لم ير فيه جدارة بأن يناوله يده ، فمدَّ إليه رجله فبايعها . وأخذه الله بصلاته خلفه ، وخلف نجدة المارق من الدِّين ، وحسْبه بذينك هواناً في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى ، وكان من أخذه سبحانه إيّاه ، أنْ سلّط عليه الحجّاج فقتله ، وصلّى عليه[2] ، ويالها من صلاة مقبولة ، ودعاء مستجاب ، من ظالم غاشم ؟ .

معذرة أُخرى لابن عمر :

ولابن عمر معذرةٌ أُخرى ، أخرج أبو نعيم في (الحلية ج ١ ص ٢٩٢) من طريق نافع عن ابن عمر أنّه أتاه رجلٌ فقال : «يا أبا عبد الرَّحمٰن ؟ أنت ابن عمر وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما يمنعك من هذا الأمر؟ قال : يمنعني أن الله تعالىٰ حرَّم عليَّ دم المسلم قال : فإنّ الله عزَّ وجل يقول : ﴿**قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لِلّهِ**﴾ . قال : قد فعلنا . وقد قاتلناهم حتّى كان الدين للّه ، فأنتم تريدون أن تُقاتلوا حتى يكون الدين لغير الله» .

وأخرج في (الحلية ج ١ ص ٢٩٤) من طريق القاسم بن عبد الرَّحمن : «انَّهم قالوا لابن عمر في الفتنة الأُولىٰ : ألا تخرج فتقاتل ؟ فقال : قد قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتّى نفاها الله عزّ وجلّ من أرض العرب ، فأنا أكره أنْ أُقاتل من يقول لا إله إلاَّ الله» .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٢ .

(٢) الإستيعاب ج ١ ص ٣٦٩ ، اسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٠ .

دع ابن عمر يحسب نفسه أفقه من كلّ الصحابة من المهاجرين الأوَّلين ، والأنصار الذين باشروا الحرب مع أمير المؤمنين عليه السلام في تلكم المعامع ، ولكن هل كان يجد نفسه أفقه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث أمر أصحابه بمناصرة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فيها ، وأمره صلوات الله عليه بمباشرة هاتيك الحروب الدامية ، ونهى عن التثبّط عنها . وهل كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنَّ المقاتلين من الفئتين من أهل لا إلٰه إلاَّ الله ، فأمر بالمقاتلة مع عليّ عليه السلام ؟ أو عزب عنه علم ذلك ، فأمر بإراقة دماء المسلمين ؟ غفرانك اللَّهُمَّ .

وهل علم صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ نتيجة ذلك القتال أنْ يكون الدين لغير الله ، فحضَّ عليه ؟ أو فاته ذلك ، لكن علمه ابن عمر فتجنَّبه ؟ أعوذ بالله من شطط القول ! .

وما أشبه اعتذار ابن عمر اعتذار أبيه يوم أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل ذي الثديّة رأس الخوارج ، فما قتله ، واعتذر بأنّه وجده متخشّعاً ، واضعاً جبهته للّه . (راجع الجزء السابع : ص ٢٤٤) .

ثمّ إنّ كون الدين لغير الله ، هل كان من ناحية مولانا أمير المؤمنين علي ، وكان هو وأصحابه يريدونه ؟ أو من ناحية مناوئيه ومن بغى عليه من الفئة الباغية ؟ والأوَّل لا يتّفق مع ما جاء في الكتاب الكريم ، والسنّة الشريفة ، في حقّ الإمام علي عليه السلام ، وفي مواليه ، وتابعيه ، ومناوئيه ، وفي خصوص الحروب الثلاث ، كما هو مبثوث في مجلّدات كتابنا هذا ، وإنْ ذهل أو تذاهل عنها ابن عمر .

وإنْ كان يريد الثاني فلماذا بايع معاوية ، بعد أنْ تقاعد عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ؟ هذه أسئلة ووجوه لا أدري هل يجد ابن عمر عنها جواباً في محكمة العدل الإلٰهي ؟ لا أحسب ، ولعلّه يتخلّص عنها بضؤولة العقل المسقط للتكليف .

وأعجب من هذه كلها ما جاء به أبو نعيم في (الحلية ج ١ ص ٣٠٩) من قول ابن عمر : «إنّما كان مثلنا في هذه الفتنة ، كمثل قوم كانوا يسيرون على جادّة يعرفونها ، فبينما هم كذلك ، إذ غشيتهم سحابةٌ وظلمة ، فأخذ بعضهم يميناً ، وشمالاً ، فأخطأ الطريق ، وأقمنا حيث أدركنا ذلك ، حتّى جلّى الله ذلك عنّا ،

فأبصرنا طريقنا الأوّل ، فعرفناه وأخذنا فيه ، إنَّ هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان ، وعلى هذه الدنيا ، ما أبالي أنْ لا يكون لي ما يقتل[1] بعضهم بعضاً بنعلي هاتين الجرداوين» .

ليت شعري متى غشيت الأُمّة سحابةٌ وظلمةٌ ، فأقام الرَّجل حيث أدرك ذلك ؟ أعلى العهد النبويِّ ، وهو أصفى أدوار الجوّ الدينيِّ ؟ أم في دور الخلافة ؟ وقد بايع الرجل شيخ تيم وأباه ، وهما عنده خير خلق الله ، واحداً بعد واحد ، فلا يرى فيه غشيان الظلمة أو قبول السحابة ، واعطف على ذلك أيّام عثمان فقد بايعه ، ولم يتسلّل عنه حتّى يوم مقتله ، كما مرّ في (ص ٤٠ من هذا الجزء) ، فلم تكن أيّام عثمان عنده أيّام ظلمة وسحابة ، وإنّ كان من ملقحي فتنتها بما ارتآه ، فلم يبق إلاَّ عهد الخلافة العلويَّة ، وملك معاوية بن أبي سفيان :

أمّا معاوية فقد بايعه الرَّجل طوعاً . ورغبة ، وإن رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملكاً عضوضاً ، ولعن صاحبه . وبايع يزيد بن معاوية بعدما أخذ مائة ألف من معاوية ، فلم يبق دور ظلمة عنده إلاَّ أيّام خلافة خير البشر ، سيّد الأُمَّة ، مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وفيها أخذ بعضهم يميناً وشمالاً ، فأخطأ الطريق ، وكانت الأدوار مجلاة قبل ذلك ، وبعده أيّام إمارة معاوية ، ويزيد، وعبد الملك، والحجّاج ، فقد أبصر الرجل طريقه المهيع الأوّل عند ذلك ، فعرفه وأخذ فيه ، وبايعهم .

وهل هنا من يُسائل الرجل عن الذين أخطأوا الطريق ببيعتهم وانحيازهم ؟ هل هم الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ؟ وهم الصحابة العدول ، والبدريّون من المهاجرين والأنصار ، والأُمّة الصالحة من التابعين من رجالات المدينة المشرَّفة ، وغيرها من الأمصار الإسلاميّة . أو الذين أكبّوا على تلكم الأيدي العادية فبايعوها ؟ من طغام الشام ، سفلة الأعراب ، وبقيّة الأحزاب ، وأهل المطامع والشره . فيرى هل تحدوه القحّة والصلف إلى أن يقول بالأوَّل ؟ ونصب عينه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنْ تولُّوا عليّاً ، تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم» .

---

(١) في تعليق الحلية : المعنى ما يقتل بعضهم بعضاً عليه ، والله أعلم .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن تُؤمروا عليّاً ، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهديّاً ، يسلك بكم الطريق المستقيم» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنْ تستخلفوا عليّاً ، وما أراكم فاعلين ، تجدوه هادياً مهديّاً ، يحملكم على المحجّة البيضاء» . إلى أحاديث أُخرى أوعزنا إليها في (الجزء الأوّل : ص ٣١) .

أو أنَّ النصفة تُلقى على روعه فينطق وهو لا يشعر بما يقول ، فيقول بالثاني فينقض ما ارتكبه من بيعة القوم جميعاً ؟ .

ثمَّ إنَّ من غريب المعتقد ما ارتآه من أنَّ فتيان قريش كانوا يقتتلون على السلطان ، ويبغون بذلك حطام الدنيا ، وهو يعلم أنّ لهذا الحسبان شطرين ، فشطرٌ لعليّ أمير المؤمنين وأصحابه ، وهو الذي كانت الدنيا عنده كعفطة عنز ، كما لهج به ، صلوات الله عليه ، وصدّق الخُبر الخبَر ، وكانت نهضته تلك بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعهد منه إليه ، وإلى أصحابه ، كما تقدّم في هذا الجزء ، والجزء الثالث .

وشطرٌ لطلحة ، والزبير ، ولمعاوية ، أمّا الأوّلان : فيعرب عن مرماهما قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له : «كلّ واحد منهما يرجو الأمر له ، ويعطفه عليه ، دون صاحبه ، لا يمتّان إلى الله بحبل ، ولا يمدّان إليه بسبب ، كلّ واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه ، وعمّا قليل يكشف قناعه به ، والله لئن أصابوا الذي يريدون لينزعنَّ هذا نفس هذا ، وليأتينّ هذا على هذا ، قد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون ؟» .

ولمّا خرج طلحة والزبير وعائشة ، إلى (البصرة) ، جاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير وقال : على أيّكما أُسلّم بالإمارة ، وأُنادي بالصَّلاة ؟ فسكتا ، فقال عبد الله بن الزبير : على أبي . وقال محمّد بن طلحة : على أبي . فأرسلت عائشة إلى مروان : أتريد أن ترمي الفتنة بيننا ؟ أو قالت : بين أصحابنا ، مروا ابن أُختي فليصلِّ بالناس . يعني عبد الله بن الزبير .

[مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٥]

وأمّا معاوية : فهو الذي صدق فيه ظنّه ، بل تنجّز يقينه ، وقد عرفه بذلك أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتُعرّفه إيّاك بغايته الوحيدة ، ونفسيّته الذميمة كلماتهم ، وابن عمر لا يصيخ إليها ، وقد أصمّه وأعماه حبُّ العبشميِّين ، فاتّبع هواه وأضله ، وإليك نماذج من تلكم الكلم :

١ ـ قال هاشم المرقال مخاطباً أمير المؤمنين علياً عليه السلام : «سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله ، فأحلّوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانيّ ، حتى أزاغهم عن الهوى ، وقصد بهم قصد الرَّدىٰ ، وحبّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ، كرغبتنا في الآخرة الخ . . .» .

[كتاب صفين : ص١٢٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٨٢ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥١] .

٢ ـ ومن كلام لهاشم المر قال أيضاً : يا أمير المؤمنين ! فأنا بالقوم جِدّ خبير ، هم لك ولأشياعك أعداء ، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لا يُبقون جهداً مشاحّة على الدنيا ، وضِنّاً بما في أيديهم منها ، ليس لهم إربةٌ غيرها إلاّ ما يخدعون به الجهّال من طلب دم ابن عفّان ، كذبوا ليسوا لدمه ينفرون ، ولكن الدنيا يطلبون .

[كتاب ابن مزاحم ص١٠٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٧٨]

٣ ـ من خطبة ليزيد بن قيس الأرحبي : «إنّ المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإنَّ هؤلاء القوم والله ، ما إنْ يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ، ولا على إحياء حقّ رأونا أمتناه ، ولا يقاتلوننا إلاَّ على هذه الدنيا ليكونوا فيها جبابرةً وملوكاً ، ولو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً وسروراً ـ إذن لوليكم مثل سعيد[١] ، والوليد[٢] ، وعبد الله بن عامر[٣] ، السفيه يحدّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت ، ويأخذ مال الله ويقول : لا إثم عليّ فيه ، كأنّما أُعطي تراثه من أبيه .

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن امية والي معاوية على المدينة .

(٢) الوليد بن عقبة السكير أخو عثمان لامّه .

(٣) عبد الله بن عامر ولاّه معاوية على البصرة ثلاث سنين .

كيف ؟ إنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا عباد الله ! القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم فيهم لومة لائم ، إنَّهم إنْ يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم ، وهم مَن قد عرفتم وجرَّبتم ، والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلاَّ شرّاً ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم» .

[كتاب صفّين ص ٢٧٩ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٥] .

٤ ـ من مقال لعمّار بن ياسر بصفّين : «إمضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغيرما في كتاب الله ، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان . فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لأحداثه . فقالوا : إنّه ما أحدث شيئاً . وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا ، فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال ، والله ما أُظنّهم يطلبون دمه ، إنّهم ليعلمون أنّه لظالم ، ولكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمروها ، وعلموا لو أنّ صاحب الحقّ لزمهم ، لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيه منها ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قتل إمامنا مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً ، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان» .

[كتاب صفّين ص ٣٦١ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٦ ، واللفظ لابن مزاحم] .

٥ ـ من خطبة لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي : «يا أمير المؤمنين ! إنَّ القوم لو كانوا الله يريدون ، ولله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنّما يقاتلوننا فراراً من الأُسوة وحبّاً للأثرة ، وضنّاً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن في نفوسهم ، وعداوة يجدونها في صدورهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين ! بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم » .

[كتاب صفّين ص ١١٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٨١ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٤٨] .

٦ ـ من كلام لشبث بن ربعي مخاطباً معاوية : «إنّه والله لا يخفى علينا ما تغزو ما تطلب» . إلى آخر ما يأتي في هذا الجزء .

٧ ـ قال وردان غلام عمرو بن العاص له : «اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : عليٌّ معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض من الدنيا ، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوض الآخرة . فقال عمرو :

يا قاتل اللّه ورداناً وفتنته ... أبدى لعمرك ما في النفس وردان
لما تعرّضت الدنيا عرضت لها ... بحرص نفسي وفي الأطباع أدهان
نفس تعفّ، وأُخرى الحرص يقلبها، ... والمرء يأكل تبناً، وهو غرثان
أمّا عليٌّ فدينٌ ليس يشركه ... دنياً، وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعي دنياً على بصر، ... وما معي بالذي أختار برهان

إلى آخر أبيات مرّت في (ج ٢ ص ١٥٢) ، ومرّ لعمرو بن العاص قوله :

معاوي لا أُعطيك ديني ، ولم أنل ... بذلك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربح بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضرُّ، وينفع
وما الدين والدنيا سواء ، وإنّني ... لآخذ ما تُعطي ، ورأسي مقنّع

إلى آخر ما أسلفناه في (ج ٢ ص ٦٣) .

٨ ـ من كتاب لمحمّد بن مسلمة الأنصاري إلى معاوية : وأمّا أنت فلعمري ما طلبت إلّا الدنيا ، ولا اتّبعت إلّا الهوى . فإنْ تنصر عثمان ميتاً ، فقد خذلته حيّاً .

[كتاب صفّين ص ٨٦]

٩ ـ قال نصر : «لمّا اشترطت عكّ والأشعريّون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم[١] ، لم يبق من أهل العراق أحدٌ في قلبه مرضٌ ، إلّا طمع في معاوية ، وشخص بصره إليه ، حتىٰ فشا ذلك في الناس ، وبلغ ذلك عليّاً

(١) اشترطوا على معاوية أن يجعل لهم فريضة ألفي رجل في ألفين ألفين ، ومن هلك فابن عمه مكانه [كتاب صفين : ص ٤٩٣] .

فساءه ، وجاء المنذر بن أبي حميصة الوادعي[1] ، وكان فارس همدان وشاعرهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ عكّاً والأشعريّون طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم ، فباعوا الدين بالدنيا ، وإنّا رضينا بالآخرة من الدنيا ، وبالعراق من الشام ، وبك من معاوية ، والله لآخرتنا خيرٌ من دنياهم ، ولعراقنا خير من شامهم ولإمامنا أهدى من إمامهم ، فاستفتحنا بالحرب ، وثق منّا بالنصر ، واحملنا على الموت . ثمّ قال في ذلك :

إنَّ عكّاً سألوا الفرائض والأشـ ـعر سألوا جوائزاً بَثَنِيَّه[2]
تركوا الدين للعطاء وللفر ض فكانوا بذاك شرَّ البريَّه
وسألنا حسن الثواب من الـ ـلّه وصبراً على الجهاد ونيّه
فلكلٍّ ما سأله ونواه كلّنا يحسب الخلاف خطيَّه
ولأهل العراق أحسن في الحر ب إذا ما تدانت السمهريَّه
وَلأهل العراق أحمل للثقْـ ـل إذا عمَّت العباد بليّه
ليس منّا من لم يكن لك في الـ ـلّه وليّاً ، ياذا الوَلا والوصيَّه

فقال عليٌّ : حسبك رحمك الله ، وأثنى عليه خيراً وعلى قومه . وانتهى شعره إلى معاوية فقال معاوية : والله لأستميلنَّ بالأموال ثقات عليّ ، ولأقسمنَّ فيهم المال حتى تغلب دنياي آخرته .

[كتاب صفّين ص ٤٩٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٣]

١٠ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين إلى معاوية : «واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القِدم ولا في الولاية ، ولست تقول فيه بأمرٍ بيِّن تُعرف لك به أثرة ، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ، ولا عهد تدَّعيه من رسول الله ، فكيف أنت صانع ، إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا أبهجت بزينتها ، وركنت إلى لذّتها ، وخُلّي فيها بينك وبين عدو جاهد ملحّ ، مع ما عرض

(١) الوادعي : نسبة إلى وادعة : بطن من همدان .
(٢) البثنية : منسوبة إلى قرية بالشام بين دمشق وأذرعات ، وإليها تُنسب الحنطة البثنية ، وهي أجود أنواع الحنطة .

في نفسك ، من دنياً قد دعتك فأجبتها ، وقادتك فاتّبعتها ، وأمرتك فأطعتها ، فاقعس عن هذا الأمر ، وخُذ أُهبة الحساب ، فإنّه يوشك أنْ يقفك واقفٌ على ما لا يُجنّك منه مِجنّ ، ومتى كنتم يا معاوية ! ساسة للرعيَّة ؟ أو ولاةً لأمر هذه الأُمّة بغير قَدَمٍ حسن ؟ ولا شرفٍ سابق على قومكم ، فشمِّر لما قد نزل بك ، ولا تمكّن الشيطان من بغيته فيك ، مع أنّي أعرف أنّ الله ورسوله صادقان ، فنعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء ، وإلاَّ تفعل أُعلمك ما أغفلك من نفسك ، فإنّك مُترفٌ قد أخذ منك الشيطان مأخَذه ، فجرى مِنك مَجرى الدّم في العروق» .

[كتاب صفّين ص ١٢٢ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١٠] .

١١ ـ روي : «انّ الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لحبيب(١) بن مسلمة في بعض خرجاته بعد صفّين : يا حبيب ! رُبّ مسير لك في غير طاعة الله . فقال له حبيب : أمّا إلى أبيك فلا . فقال له الحسن : بلى والله ولقد طاوعت معاوية على دنياه ، وسارعت في هواه ، فلئن كان قام بك في دنياك ، لقد قعد بك في دينك ، فليتك إذ أسأت الفعل أحسنت القول ، فتكون كما قال الله تعالىٰ : ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً﴾ . ولكنّك كما قال الله تعالىٰ : ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾(٢) .

١٢ ـ قال القحذمي : «لمّا قدم معاوية المدينة ، قال : أيُّها النّاس ! إنَّ أبا بكر ، رضي الله عنه ، لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأمّا عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأمّا عثمان فنال منها ونالت منه ، وأمّا أنا فمالت بي وملت بها ، وأنا ابنها وهي أُمّي وأنا ابنها ، فإنْ لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم» .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٠]

إلى كلمات أُخرى تعرب عن مدى غايات معاوية ، وتر كاضه وراء حطام الدُّنيا ، وملكها العضوض .

---

(١) نزيل الشام كان مع معاوية في حروبه .

(٢) الإستيعاب ج ١ ص ١٢٣ . سورة المطففين ؛ الآية : ١٤ .

ابن عمر يحيي أحداث أبيه

هاهنا يوقفنا السبر عن أخبار ابن عمر على مواقف اتّباعه أحداث والده ، واتّخاذه آرائه الشاذّة عن الكتاب والسنّة ديناً ، بعد تبيّن الرشد من الغيِّ ، ما بالهم إذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها !

(منها) : ذكر الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٦٥) «عن ابن عمر لمّا سُئل عن المتعة ، قال : حرامٌ . فقيل : إنّ ابن عبّاس لا يرى بها بأساً . فقال : والله لقد علم ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر وما كنّا مسافحين» .

وأخرج البيهقي في (السنن الكبرى ج ٧ ص ٢٠٦) «عن عبد الله بن عمر أنّه سُئل عن متعة النساء فقال : حرامٌ ، أما إنّ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لو أخذ فيها أحداً لرجمه بالحجارة» .

إنّ الرجل متقوّلٌ على الله وعلى رسوله بحكمه الباتِّ بحرمة المتعة ، والسائل إنّما سأله عن دين الله ، لا عمّا أحدثه أبوه ، وهو في قوله هذا مكذِّبٌ لأبيه حيث يقول : «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما» . ويقول : «ثلاثٌ كنَّ على عهد رسول الله ، أنا محرِّمهنَّ ومعاقبٌ عليهنَّ : متعة الحجِّ . ومتعة النساء . وحيَّ على خير العمل» . ولم يستثن من ذلك العهد شيئاً ، ونسب التحريم إلى نفسه ، وقد عُدّ من اوليات عمر .

ومكذِّبٌ أيضاً ابن عبّاس وقاذفٌ إيّاه بأنّه كان يعلم حكم الله ، ويحكم بخلافه ، ويحلف بالله في قوله الفاحش ، وحاشى حبر الأُمّة عن هذه الطامّة الكبرى .

ومكذِّبٌ فحول الصحابة نظراء جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري ، وعمران بن حصين ، القائلين بإباحة المتعة في السنّة الشريفة ، وأنّهم تمتّعوا على عهد أبي بكر ، وشطر من خلافة عمر ، وانّ عمر هو الذي نهى عنها .

ومكذِّبٌ سيّد العترة أمير المؤمنين عليه السلام في عزوه النهي عن المتعة إلى عمر ، وقوله : «لولا نهيه عنها ما زنى إلّا شقيّ» .

على أنَّ النهي عن المتعة بخيبر ، يكـذِّبه إطبـاق الحفّاظ ، وشـرّاح البخاري على عـدم وجـود النّهي عنهـا يـومئـذ ، وقـد سبق القَـول عن السهيلي وأبي عمـر والزرقاني في (الجزء السّادس ص ٢٦٩) بأنّه وهمٌ وغلطٌ ، لا يعرفه أحـدٌ من أهل السير ، ورواة الأثر .

مـرَّ الكـلام حـول هـذا البحث ضـافيـاً في (الجـزء السـادس : ص ١٩٨ - ٢٣٧) .

(ومنها) : نهيه عن البكاء على الأموات إحتذاءً منه سيرة أبيه ، خلاف ما جاء في السنّة الشريفة من فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقـوله ، وتقـريره ، وكـان ذلك بعـد قيام الحجَّة عليهما كما مرّ في (الجزء السادس) ، وكـان الرجـل يقول : «مـرّ رسول الله ﷺ بقبـر فقال : إنّ هـذا ليعذّب الآن ببكـاء أهله عليه ، فقـالت عائشـة : غفر الله لأبي عبد الرّحمٰن إنّه وهم ، إنّ الله تعالىٰ يقول : ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخـرىٰ﴾ . إنّما قال رسول الله ﷺ : إنّ هذا ليعذّب الآن ، وأهله يبكون عليه»[١] .

فصَّلنـا القول في المسألة في (الجـزء السّادس : ص ١٩٢ - ٢٠١) وفي هذا (الجزء ص ٦٤ ، ٦٥) .

(ومنها) : استنكافـه من الحـديث عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخـذاً بـرأي أبيـه ، السابق ذكره في (ج ٦ ص ٢٩٤/ط ٢) ، قال الشعبي : «قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً ، فما سمعته يحدِّث عن رسول الله ﷺ إلاَّ حديثاً»[٢] .

(ومنها) : قوله في طواف الوداع على الحائض التي أفاضت حذو رأي أبيه ، خلاف السنَّة النبويّة الشريفة ، وكان على ذلك ردحاً من الزمن ، ثمّ لمـا لم يَر مَن وافقه في الرأي ، لم يجد بدّاً من البخوع للحقّ ، فأخبت إليه كما أسلفناه في(ج ٦ ص ١٤٠) .

---

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٣١ ، ٣٨ .

(٢) سنن الـدارمي ج ١ ص ٨٤ ، سنن ابن ماجـة ج ١ ص ١٥ ، مسنـد أحمـد ج ٢ ص ١٥٧ ، ولفظه : جالست ابن عمر سنتين ما سمعته روى شيئا عن رسول الله .

(ومنها) : حضّه النّاس على ما أحدثه أبوه من المنع عن السؤال عما لم يقع[١] وقوله : «يا أيّها الناس لا تسألوا عمّا لم يكن ، فإنّي سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمّا لم يكن»[٢] .

ألا تعجب من سوء حظّ أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنْ تدعم الاحدوثة فيها بالمسبّة ، وتنهى عن المعروف بالفسوق ؟ .

(ومنها) : قوله في المتطيّب عند الإحرام اقتداءً بأُحدوثة أبيه خلاف السنّة الثابتة ، أخرج البخاري ، ومسلم ، من طريق ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال : «سمعت ابن عمر يقول : لئن أصبح مطلياً بقطران ، أحبّ اليّ من أن أصبح محرماً أنضخ[٣] طيباً قال : فدخلت على عائشة فأخبرتها بقوله ، فقالت : طيّبت رسول الله ﷺ فطاف على نسائه ثمّ أصبح محرماً» .

وفي لفظ البخاري : «ذكرته لعائشة فقالت : يرحم الله أبا عبد الرَّحمن ، كنت أُطيِّب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثمَّ يصبح محرماً ينضخ طيباً» .

وفي لفظ النسائي : «سألت ابن عمر عن الطيب عند الإحرام فقال : لئن أُطلى بالقطران أحبُّ إليَّ من ذلك . فذكرت ذلك لعائشة فقالت : يرحم الله أبا عبد الرَّحمن ، قد كنت أُطيّب رسول الله ﷺ فيطوف في نسائه ، ثمَّ يصبح ينضخ طيباً[٤]» .

(ومنها) : ما أخرجه الشيخان[٥] من طريق مجاهد قال : «دخلت أنا وعروة

---

(١) مرّ البحث عنه في ج ٦ ص ٣٤٥

(٢) كتاب العلم لابي عمر ج ٢ ص ١٤٣ ، مختصر كتاب العلم : ص ١٩٠ .

(٣) النضخ بالخاء المعجمة : كاللطخ فيما يبقى له أثر يقال : نضخ ثوبه بالطيب . والنضح بالمهملة : فيما كان رقيقاً مثل الماء .

(٤) صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، صحيح مسلم ج ٤.ص ١٢ ، ١٣ ، سنن النسائي ج ٥ ص ١٤١ .

(٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٤ ، صحيح مسلم ج ٤ ص ٦١ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٧٣ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ، وفي تيسير الوصول ج ١ ص ٣٣٦ : أخرجه الخمسة الا النسائي .

ابن الزبير المسجد ، فإذا عبد الله بن عمر جالسٌ الى حجرة عائشة ، والناس يصلّون الضحى في المسجد فسألناه عن صلاتهم ، فقال : بدعة . فقال له عروة : يا أبا عبد الرَّحمن ! كم اعتمررسول الله ﷺ ؟ قال : أربع عمر إحداهنَّ في رجب ، فكرهنا أن نكذِّبه ونردَّ عليه وسمعنا استنان عائشة في الحجرة فقال عروة : ألا تسمعين يا امّ المؤمنين إلى ما يقول أبو عبد الرّحمن ؟ فقالت : وما يقول ؟ قال : يقول : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر إحداهنَّ في رجب . فقالت : يرحم الله أبا عبد الرَّحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلاّ وهو معه ، وما اعتمر في رجب قطُّ» .

الظاهر من الرواية أنَّ ابن عمر تعمَّد باختلاق عمرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجب وإنْ كره مجاهد ، وعروة ، أن يكذّباه ، وانّما فعل ذلك روماً لتدعيم ما تأوّل به رأي أبيه الشاذّ في متعة الحجِّ ، ممّا رواه أحمد في(مسنده ج ٢ ص ٩٥) من قوله : «إنَّ عمر لم يقل لكم ان العمرة في أشهر الحجِّ حرام، ولكنّه قال : إنّ أتمّ العمرة أنْ تفردوها من أشهر الحج» . فأراد ابن عمر بعزو عمرة رجب المختلقة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تأييداً لتأويله الذي يضادّ صريح قول أبيه : إنِّي أُحرِّمها وأُعاقب عليها . وقد فصّلنا القول فيها في(ج ٦) .

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اعتمر في رجب قطُّ كما جاء في حديث أنس ايضاً : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلّها في ذي القعدة[1] ، وأخرج ابن ماجة في(سننه ج ٢ ص ٢٣٣) من طريق ابن عبّاس قال : «لم يعتمر رسول الله ﷺ عمرة إلاّ في ذي القعدة» .

وكان ابن عمر يحسب أن رسول الله ﷺ اعتمر مرّتين ، فأنكرت عليه عائشة ايضاً ، ولعلّه كان قبل إنكارها السابق عليه ، أخرج أبو داود وأحمد[2] من طريق مجاهد قال : «سُئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٥ ، صحيح مسلم ج ٤ ص ٦٠ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣١٢ ، الإجابة للزركشي ص ١١٥ .

(٢) راجع سنن أبي داود ج ١ ص ٣١٢ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٧٠ ، ١٣٩ ، فتح الباري ج ٣ ص ٤٧٣ .

عـائشة : لقـد علم ابن عمر أنّ رسـول الله ﷺ ، قد اعتمـر ثلاثـاً سوى التي قـرنها بحجّة الوداع» .

ولعلّ الباحث يقرب من عرفان حقيقة ابن عمر إنْ أمعن النظر فيما أخرجه ابن عساكر من طريق إمام الحنابلة أحمد ، عن إبن أبـزي : انَّ عبد الله بن الـزبير قـال لعثمان يوم حصر : «إنّ عندي نجـائب قد أعـددتها لـك ، فهل لـك أَنْ تتحوّل إلى مكّة فيأتيك من أراد أَنْ يأتيك ؟ قال : لا ، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يلحد بمكّة كبشٌ من قريش اسمـه عبد الله عليـه نصف أوزار الناس ، ولا أراك إلاّ إيـاه ، أو عبد الله بن عمر» .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٤١٤]

وأخرج أحمد في (مسنده ج ٢ ص ١٣٦) : «أتى عبد الله بن عمـر ، عبد الله ابن الزبير فقال : يا ابن الـزبير ! إيّـاك والإلحادفي حـرم الله ، تبارك وتعـالى ، فإنّي سمعت رسـول الله ﷺ يقول : إنّـه سيلحد فيـه رجلٌ من قـريش ، لو وزنت ذنـوبـه بذنوب الثقلين لرجحت . قال فانظر لا تكونه» .

الفريق الثاني .

أمـا الفريق الثـاني من أخبار ابن عمـر فحدّث عنه ولا حرج ، تـراه لا يدعـه عداؤه المحتدم ، ونفسيَّتـه الواجـدة على أميـر المؤمنين ، أوحبّـه المعمي والمصمّ للبيت العبشمي ، أنْ يجري على لسانه اسم عليّ ، وذكر أيّـام خلافتـه ، فضلاً عن أنْ يبايعه ، مرّ حول حديث ذكرناه في هذا الجزء (صفحة ٤١) قـول ابن حجر : لم يذكر ابن عمر خلافة عليّ لأنه لم يبايعه لوقوع الإختلاف عليه . إلى آخر كلامه .

وسبق في (ص ٥٥) من طريق الحافظ ابن عسـاكر ، ذكـر ابن عمر الخـلافة الإسـلاميَّة وعـدّه خلفائهـا الإثني عشر من قـريش : أبو بكـر ، وعمـر ، وعثمـان ، ومعاوية ، ويـزيد ، والسفـاح ،ومنصور ، وجـابر ، والأمين ، وسـلام ، والمهدي ، وأمير العصب ، وقوله فيهم : «إنّ كلّهم صالحٌ لا يوجد مثله» .

أيّ نفسيَّة ذميمة ، أو عقليّة ساقطة ، دعت الرجل إلى هذه العصبيَّة ، عصبيّة الجاهليَّة الاولى ، هب أَنَّ خلافة أميـر المؤمنين كانت غيـر مشروعـة ـ العياذ بـالله ـ

ولكن هل كانت من السقوط على حد هو أسوأ حالاً من أيّام يزيد الطاغية الباغية ، وملكه العضوض الذي استساغ الرجل أنْ يلهج به دون عهد أمير المؤمنين وخلافته ؟ وهلاّ تسوغ تسمية أيّام الفراعنة والجبابرة لدى سرد تاريخ قصّة أو قضيّة ؟ وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندالقوم «إنّ الخلافة بعده صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون عاماً ، ثمّ ملك عضوض ، ثمّ كائن عتوّاً ، وجبريّة ، وفساداً في الأُمّة ، يستحلّون الفروج والخمور»(١) .

وهل كان على لسان الرجل عقال عيٍّ به عن سرد فضائل أمير المؤمنين ، وتبكّمت عليه ، ممّا ملأ بين الخافقين ، وقد نزلت فيه عليه السلام ثلاثمائة آية ، وجاءت في الثناء عليه آلاف من الحديث ، لم تروَ منها عن ابن عمر إلاّ نزرٌ يعدّ بالأنامل ، وذلك بصورة مصغّرة مشوّهة ، يضمّ آراءه السخيفة إليها مثل ما أخرجه أحمد في (مسنده ج ٢ ص ٢٦) عن ابن عمر قال : «كنّا نقول في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : رسول الله خير الناس . ثمّ أبو بكر ، ثمّ عمر ، ولقد اوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم : زوّجه رسول الله ابنته ، وولدت له . وسدّت الأبواب الا بابه في المسجد . وأعطاه الراية يوم خيبر» .

وفي حديث : «قيل لابن عمر : ما قولك في عليّ وعثمان ، رضي الله عنهما؟ فقال ابن عمر : أمّا عثمان : فقد عفى الله عنه فكرهتم أن تعفوا ، وأمّا عليّ فابن عمّ رسول الله وختنه»(٢) .

وتراه يوازن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، مع رسول الله ، ويزنهم بميزان قسطه الذي فيه ألف عين ، ثمّ يرفعه ، ولم تلحق الزنة عليّاً . أُخرجَ أحمد في (المسند ج ٢ ص ٧٦) من طريق ابن عمر قال : «خرج علينا رسول الله ذات غداة ، بعد طلوع الشمس ، فقال رأيت قبيل الفجر كأنّي أُعطيت المقاليد والموازين ، فأمّا المقاليد : فهذه المفاتيح ، وأمّا الموازين : فهي التي تزنون بها ، فوضعتُ في كفّة ، ووضعت امّتي في كفّة ، فوزنت بهم فرجحت ، ثمّ جيء بأبي بكر فوزن

---

(١) راجع الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١١٩ ، فيض القدير ج ٣ ص ٥٠٩ .
(٢) أخرجه البخاري .

بهم فوزن ، ثمّ جيء بعمر فوزن ، ثمّ جيء بعثمان فوزن بهم . ثمّ رفعت» .

يؤيّد ابن عمر بهذه الاسطورة رأيه في المفاضلة بين الصحابة ، وأنّه لا تفاضل بينهم بعد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وإذا ذهبوا استوى الناس

نعم : ثقيل على ابن عمر أن يذكر عليّاً بخير ، ويبوح بشيء من فضائله الجمّة ، وهو يأتي في غيره بما لا يقبله قطّ ذو مسكة ، ولا يساعده فيه العقل والمنطق مثل قوله : «كنت عند النبيّ ﷺ وعنده أبو بكر الصدّيق عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال ، فنزل عليه جبريل فقال : مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال ؟» إلى آخر ما مرّ في (ج ٥ : ص ٣٨٨) .

وقوله مرفوعاً : «لو وزن ايمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح (لسان الميزان ج ٣ ص ٣١٠) .

وقوله مرفوعاً : «أُتيت في المنام بعسّ مملوء لبناً ، فشربت منه حتّى امتلأت ، فرأيته يجري في عروقي ، فضلت فضلة فأخذها عمر بن الخطاب فشربها» . إلى آخر ما أسلفناه في (ج ٥ ص ٣٩٥) .

وقوله مرفوعاً : «أُحشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر ، حتّى أقف بين الحرمين ، فيأتيني أهل مكّة والمدينة» .

وقوله مرفوعاً : «هبط جبريل فقال : إنَّ ربَّ العرش يقول لك : لمّا أخذت ميثاق النبيّين أخذت ميثاقك ، وجعلتك سيّدهم ، وجعلت وزيرك أبا بكر وعمر» .

وقوله مرفوعاً : «لمّا أُسري بي إلى السماء ، فصرت إلى السَّماء الرّابعة ، سقطت في حجري تفّاحة ، فأخذتها بيدي ، فانفلقت ، فخرجت منها حوراء تقهقه ، فقلت لها : تكلّمي لمن أنت ؟ قالت : للمقتول شهيداً عثمان بن عفّان» .

وقوله مرفوعاً : «أما إنَّ معاوية يبعث يوم القيامة عليه رداءٌ من نور الإيمان» .

وقوله مرفوعاً : «إنّه أُوحي إليّ أَنْ أُشاور ابن أبي سفيان في بعض أمري» .

وقوله : «لمّا نزلت آية الكرسي قال رسول الله ﷺ لمعاوية : اكتبها فقال لي : مالي بكتبها إن كتبتها ؟ قال : لا يقرؤها أحدُ إلاّ كُتب لك أَجرها» .

وقوله مرفوعاً : «الآن يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنّة . فطلع معاوية ، فقال : أنت يا معاوية منّي وأنا منك ، لتزاحمني على باب الجنّة كهاتين . وأشار بإصبعيه» .

وقوله مرفوعاً : «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة . فطلع معاوية ، ثمّ قال من الغد مثل ذلك ، فطلع معاوية ، ثمّ قال من الغد مثل ذلك ، فطلع معاوية» .

وقوله : إنَّ جعفر بن أبي طالب أهدى إلى النبيِّ ﷺ سفرجلاً ، فأعطى معاوية ثلاث سفرجلات ، وقال : تلقاني بهنَّ في الجنّة .

إلى روايات اخرى أسلفناها في (الجزء الخامس) في سلسلة الموضوعات ، ونحن وإنْ ماشينا القوم هنالك ، وأخذنا بتلكم الطامّات أُناساً آخرين من رجال أسانيدها ، غير أنَّ ما صحّ عن ابن عمر من أخباره كحديث المفاضلة ، وما علم من نزعاته الوبيلة ، وما ثبت عنه من أفعاله وتروكه ، تقرّب إلى الذّهن أنه هو صائغ تلكم الصحاصح ، ولا رجحان لغيره عليه في كفّة الإختلاق والتقوّل ، كما أنَّ له في نحت الأعذار لمن انحاز إليهم من الأمويِّين قَدماً وقدماً ، وقد مرّ شطرٌ من شواهد ذلك ، ومنها ما أخرجه أحمد في (مسنده ج ٢ ص ١٠١) من طريق عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجلٌ من مصر يحجّ البيت ، قال : فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : قريش . قال فمَن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله ابن عمر . قال : يا ابن عمر إنّي سائلك عن شيء ، أو أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أنَّ عثمان فرّ يوم أُحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنّه غاب عن بدر فلم يشهده؟ قال : نعم . قال : وتعلم أنّه تغيّب عن بيعة الرضوان؟ قال : نعم . قال فكبّر المصريُّ ، فقال ابن عمر : تعال أُبيّن لك ما سألتني عنه ، أمّا فراره يوم أُحد فأشهد أنَّ الله قد عفى عنه وغفر له ، وأمّا تغيّبه عن بدر فإنّه كانت تحته إبنة رسول الله ﷺ وإنّها مرضت فقال له رسول الله ﷺ : لك أجر رجل شهد بدر أو سهمه . أمّا تغيّبه عن بيعة الرضوان : فلو كان أحد أعزّ ببطن مكّة من عثمان لبعثه ، بعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان ، فضرب بها يده وقال : هذه لعثمان . قال : وقال ابن عمر : اذهب هذا الآن معك . وأخرجه البخاري في (صحيحه ج ٦ ص ١٢٢) . وفي مرسلة عن المهلب بن عبد الله أنّه

دخل على سالم بن عبد الله بن عمر رجلٌ، وكان ممّن يحمد عليّاً ، ويذمُّ عثمان ، فقال الرجل : يا أبا الفضل ! ألا تخبرني هل شهد عثمان البيعتين كلتيهما : بيعة الرضوان وبيعة الفتح ؟ فقال سالم : لا . فكبّر الرجل ، وقام ، ونفض رداءَه وخرج منطلقاً ، فلمّا أنْ خرج قال له جلساؤه : والله ما أراك تدري ما أمر الرجل ، قال :أجل ، وما أمره ؟ قالوا : فإنّه ممّن يحمد عليّاً ، ويذمّ عثمان . فقال : عليَّ بالرجل . فأرسل إليه فأتاه فقال : يا عبد الله الصالح إنّك سألتني : هل شهد عثمان البيعتين كلتيهما : بيعة الرضوان وبيعة الفتح ؟ فقلت : لا . فكبّرت وخرجت شامتاً ، فلعلّك ممّن يحمد عليّاً ، ويذمّ عثمان ؟ فقال : أجل والله إنّي لمنهم ، قال : فاستمع منّي ثمّ اردد عليَّ فإنَّ رسول الله ﷺ لمّا بايع الناس تحت الشجرة ، كان بعث عثمان في سريّة ، وكان في حاجة الله ، وحاجة رسوله ، وحاجة المؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : ألا إنَّ يميني يدي ، وشمالي يد عثمان ، فضرب شماله على يمينه ، وقال : هذه يد عثمان ، وإنّي قد بايعت له ، ثمّ كان من شأن عثمان في البيعة الثانية : إنَّ رسول الله ﷺ بعث عثمان إلى عليّ فكان أمير اليمن فصنع به مثل ذلك .

إلى آخر الرواية وهي طويلة أخرجهاالمحبّ الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٤) وقد حذف إسنادها تحفّظاً عليها ، وفي متنها شواهد تدلّ على وضعها ، وانّها مكذوبةٌ مختلقة ، وهي تغنينا عن عرفان رجال السند .

وأخرج الحاكم في (المستدرك ج ٣ ص ٩٨) من طريق حبيب بن أبي مليكة ، قال : «جاء رجلٌ إلى ابن عمر ، رضي الله عنهما ، فقال : أشهد عثمان بيعة الرضوان؟ قال : لا . قال : فشهد بدراً ؟ قال : لا . قال : فكان ممّن استزلّه الشيطان قال : نعم . فقام الرجل ، فقال له بعض القوم : إنَّ هذا يزعم الآن انّك وقعت في عثمان . قال : كذلك يقول ؟ قال : ردّوا عليَّ الرجل ، فقال : عقلتَ ما قلتُ لك ؟ قال : نعم سألتك هل شهد عثمان بيعة الرضوان ؟ قلت : لا . وسألتك هل شهد بدراً ؟ فقلت : لا . وسألتك هل كان ممّن استزلّه الشيطان ؟ فقلت : نعم . فقال : أمّا بيعة الرضوان فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام فقال : إنَّ عثمان انطلق في حاجة الله ، وحاجة رسوله ، فضرب له بسهم ، ولم يضرب لأحد غاب غيره ،

وأمّا الذين تولّوا يوم التقى الجمعان ، إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ولقد عفى الله عنهم إنَّ الله غفورٌ حليم» .

ألا تعجب من هذه الأعذار المفتعلة الباردة ، وقد خفيت على الصحابة الحضور يوم بدر البالغ جمعهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً[١] ، وعلى الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفاً وأربعمائة ، أو أكثر[٢] لم يك يعلم بها إلاّ رجلين ، أحدهما ابن عمر الذي كان يوم بدر وأُحد صبيّاً لم يبلغ الحلم ، وقد استصغره رسول الله في اليومين ، وكان له يوم بيعة الرضوان ستّ عشرة سنة[٣]، وثانيهما نفس عثمان الغائب عن هاتيك المواقف ، فالرواية مدبّرة بين اثنين ، بين صبيّ وغائب ، يوم حوصر عثمان وتبعهما في بعضها أنس فحسب ، ومن الغريبِ جدّاً أَنَّ عبد الرَّحمن بن عوف أخا عثمان[٤]وصاحبه الذي أقعده دست الخلافة ، وكان حاضراً في بدر وأُحد لم يكن قرع سمعه شيءٌ من تلكم الأعذار إلى يوم حوصر عثمان ، ولو كانت بمقربة من الصحّة ، لكانت الألسن تتداولها ، والأندية لا تخلو عن ذكرها ، فجاء عبد الرّحمن ينتقد الرجل بعدم حضوره في الغزوتين ، وتركه سنّة عمر ، فبلغ ذلك عثمان فتخلّص عنه بما خلق له ابن عمر ، أو اختلق هو ، أخرج أحمد في (مسنده ج ١ ص ٦٨) من طريق شقيق قال : «لقي عبد الرّحمن بن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان ، رضي الله عنه ؟ فقال له عبد الرَّحمن : أبلغه : إنّي لم أفرّ يوم عينين ـ قال عاصم : يقول : يوم أُحد ـ ولم أتخلّف يوم بدر ، ولم أترك سنّة عمر ، رضي الله عنه ، قال : فانطلق فخَبّر ذلك عثمان ، رضي الله عنه فقال : أمّا قوله : إنّي لم أفرّ يوم عينين فكيف بذنب ، وقد عفا الله عنه ، فقال : **﴿إنَّ الّذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم﴾** ، وأمّا قوله : إنّي تخلّفت يوم بدر ، فانّي كنت أُمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حين ماتت ، وقد

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٧٤ في المغازي ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٧٢ ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٣ في تفسير سورة الفتح ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٧٦ .

(٣) راجع صفحة ١٨ من هذا الجزء .

(٤) آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما يوم المؤاخاة الاولى .

ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه ، فقد شهد . وأمّا قوله : إنّي لِمَ أترك سنّة عمر ، رضي الله عنه ، فإنّي لا أُطيقها ، ولا هو فأته ، وحدِّثه بذلك» .

دع ابن عمر يصوّر لبعث عثمان إلى مكّة صورة مكبّرة من أنّه لم يبعثه إلّا لأنّه أعزّ مَن في بطن مكّة[1] ، فإنَّ الواقف على القصّة جِدّ عليم ، بأنَّ تلك البعثة ما كانت لها صلة بالعزَّة والذلَّة ، فإنّها كانت إلى أبي سفيان يريد بها التخفيف من وطأته في استهواء قريش ، واستهدائه على استثارتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان طبع الحال يستدعي أن يبعث إليه رجلاً من حامّته ، يأمن من بطشه ، ويؤمّل تنازله له ، لما بينهما من واشجة الرَّحم والقرابة ، ولذلك انتخب لها عثمان ، إنْ لم يقل القائل : إنّه صلى الله عليه وآله وسلم إنَّما بعثه ليغيب عن بيعة الرضوان وفضلها ، حتّى لا يُقال غداً : إنَّ عدول الصحابة قد أجمعت على قتل رجل من أهل بيعة الرضوان .

ها هنا ننهي البحث عن حديث المفاضلة ـ الذي جاء به ابن عمر وصحّحه البخاري ـ وإنّه باطلٌ لا يعتمد عليه ، يخالف الكتاب ، والسنّة ، والعقل ، والقياس ، والإجماع ، والمنطق ، ونرجع إلى بقيّة ما جاء في المناقب :

٥ ـ عن أنس : «إنَّ النبيَّ ﷺ كان على حراء ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم ، فقال رسول الله ﷺ : أثبت حراء فما عليك إلّا نبيّ ، وصدّيق ، وشهيدان» .

قال الأميني : أخرجه الخطيب في (تاريخه ج ٥ ص ٣٦٥) من طريق محمد ابن يونس الكديمي ذلك الكذّاب الوضاع الذي وضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من الف حديث كما مرَّ في (الجزء الخامس) في سلسلة الكذابين (ص ٣٢٤) ، وفي هذا الجزء فيما يأتي .

عن قريش بن أنس الأموي البصري . قال ابن حبان : اختلط فظهر في

---

(١) كما مرَّ في ص ٩٤ .

حديثه مناكير فلم يجز الإحتجاج بأفراده . وقال البخاري : «إختلط ستَّ سنين»(١) .

عن سعيد بن أبي عروبة البصري قال ابن سعد : اختلط في آخر عمره . وقال ابن حبان بقي في اختلاطه خمس سنين ، ولا يحتجّ إلّا بما روى القدماء مثل يزيد بن زريع وابن المبارك . وقال الذهلي : عاش بعد ما خولط تسع سنين . وقال غيرهم : اختلط سنين لم يجز الإحتجاج بحديثه فيما انفرد(٢) .

هذا ما في إسناد هذه الاكذوبة من العلل ، غير أنَّ الخطيب مرَّ بها كريماً ، لا تسمع منه حولها ركزاً ، ولم ينبس فيها ببنت شفة ، عادته في فضائل من أعماه حبّه ، وأصمه .

٦ ـ أخرج الدارقطني في (سننه) : عن إسماعيل بن العبّاس الورّاق ، عن عباد بن الوليد أبي بدر ، عن الوليد بن الفضل ، عن عبد الجبّار بن الحجّاج الخراساني ، عن مكرم بن حكيم ، عن سيف بن منير ، عن أبي الدرداء قال : أربع سمعتهنَّ عن رسول الله ﷺ : لا تكفّروا أحداً من أهل قبلتي بذنب ، وإن عملوا الكبائر ، وصلّوا خلف كلِّ إمام ، وجاهدوا أو قال : قاتلوا ، ولا تقولوا في أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، إلّا خيراً قولوا : تلك أُمّة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»(٣) .

رجال الاسناد :

١ ـ الوليد بن الفضل المقبري : قال ابن حبان : يروي الموضوعات لا يجوز الإحتجاج به بحال ، وقال الذهبي : هو الذي حديثه في جزء ابن عرفة عن اسماعيل بن عبيد الله : إنَّ عمر حسنةٌ من حسنات أبي بكر ، رضي الله عنه . وإسماعيل هالك ، والخبر باطل ، وفي سنن الدارقطني : حدَّثنا إسماعيل بن العبّاس الورّاق ، حدّثنا عباد بن الوليد أبو بدر (وذكر الحديث بالإسناد المذكور)

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٧٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦٣ ـ ٦٦ .

(٣) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢٧٣ ، وج ٦ ص ٢٢٦ .

فقال : قال الدارقطني : من بعد عبّاد ضعفاء (يعني الوليد ، وعبد الجبّار ، ومكرم ، وسيف) .

وقال ابن حجر : لفظ الدارقطني بين عبّاد وأبي الدرداء ضعفاء ، فدخل فيهم عبد الجبّار ، كما دخل في قول العقيلي : إسناد مجهول ، ووقع هنا سيف بن منير ، وفي الرواية الاخرى : منير بن سيف ، فلعلّه انقلب . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه مجهولٌ ، وقال الحاكم ، وأبو نعيم ، وأبو سعيد النقاش : روى عن الكوفيين الموضوعات .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢٧٣ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٢٥]

٢ ـ عبد الجبّار بن الحجّاج الخراساني : ذكره ابن حجر في (لسان الميزان ج ٣ ص ٣٨٧) وذكر شطراً من الحديث بالإسناد وقال: هذا غير محفوظ ، وليس في هذا المتن إسنادٌ ثبت ، وضعّفه الدارقطني فإنّه ساق في السنن الحديث المذكور من الطريق المذكور ، لكنّه من رواية عباد بن الوليد الغُبَري[1] ، عن الوليد بن الفضل ، وقال : من بعد عبّاد ضعيفٌ ، فدخل عبد الجبار فيهم كما دخل ابن منير .

[لسان الميزان ج ٣ ص ٣٨٨]

٣ ـ مكرم بن حكيم الخثعمي : قال الذهبي في الميزان : روى خبراً باطلاً (يعني هذا الحديث) وقال : قال الأزدي : ليس حديثه بشيء .

وقال ابن حجر : وزاد (يعني الأزدي) انّه مجهولٌ ، والحديث مذكورٌ في ترجمة الوليد بن الفضل ، وقد ضعّفه الدارقطني أيضاً .

[الميزان ج ٣ ص ١٩٨ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٨٥]

٤ ـ سيف بن منير : قال الذهبي : يجهل وضعّفه الدارقطني لكونه أتى بأمر معضل عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، مرفوعاً : لا تكفروا أهل ملّتي وإنْ عملوا الكبائر . لكنّه من رواية مكرم بن حكيم أحد الضعفاء عنه .

---

(١) بضم المعجمة وفتح الموحدة المخففة .

وقال ابن حجر : وذكره الأزدي فقال : ضعيفٌ مجهولٌ يكتب حديثه ، وإسناد حديثه ليس بالقائم . وقال صاحب الحافل : رواه عنه مكرم بن حكيم ، وليس بشيء ، والحديث في سنن الدارقطني . (ميزان الإعتدال ج ١ ص ٤٣٩ : لسان الميزان ج ٣ ص ١٣٣) .

٧ ـ عن أنس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من نبيّ إلاّ وله نظيرٌ في امّتي ، فأبو بكر نظير إبراهيم ، وعمر نظير موسى ، وعثمان نظير هارون ، وعليّ بن أبي طالب نظيري .

قال الأميني : أخرجه ابن الأعرابي عن محمّد بن زكريا الغلابي البصري ، عن أحمد بن غسان الهجيمي ، عن أحمد بن عطاء أبي عمر . والهجيمي ، عن عبد الحكم عن أنس .

قال الذهبي في (الميزان ج ١ ص ٥٦) : «أخاف أن يكون الغلاّبي كذبه» ، وقال في (ج ٣ ص ٥٨) : هو ضعيفٌ . وقال ابن مندة : تكلّم فيه . وقال الدارقطني : يضع الحديث .

وذكر الحاكم في تاريخه حديثاً من طريق محمّد بن زكريا الغلابي فقال : رواته ثقات إلاّ محمّد بن زكريّا ، وهو الغلابي ، فهو آفته .

وفي الأسناد أحمد بن عطاء ، قال الدارقطني : متروكٌ . وقال الأزدي : كان داعية إلى القدَر متعبّداً مغفّلاً ، يحدّث بما لم يسمع ، وقال زكريًّا الساجي قبله مثله ، وقال ابن المديني : «أتيته يوماً فجلست إليه ، فرأيت معه درجاً يحدّث به ، فلمّا تفرَّقوا عنه قلت له : هذا سمعته ؟ قال : لا ، ولكنه اشتريته ، وفيه أحاديث حسان أُحدِّث بها هؤلاء ليعملوا بها وأرغّبهم ، وأُقرّبهم إلى الله ، ليس فيه حكمٌ ، ولا تبديل سنّة ، قلت له : أما تخاف الله تقرِّب العباد إلى الله بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » ؟ .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٥٦ ، ج ٣ ص ٥٨ ، لسان الميزان ج ١ ص ٢٢١ ، وج ٥ ص ١٦٨] .

٨ ـ ذكر المحبّ الطبري في (الرياض النضرة ج ١ ص ٣٠) : عن محمّد بن إدريس الشافعي قال : بسنده إلى النبيّ ﷺ قال : كنت أنا ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، أنواراً على يمين العرش ، قبل أن يخلق آدم بألف عام ، فلمّا خُلق أسكنّا ظهره ، ولم نزل ننتقل في الأصلاب الطاهرة إلى أن نقلني الله إلى صلب عبد الله ، ونقل أبا بكر إلى صلب أبي قحافة ، ونقل عمر إلى صلب الخطّاب ، ونقل عثمان إلى صلب عفّان ، ونقل عليّاً إلى صلب أبي طالب ثمّ اختارهم لي أصحاباً ، فجعل أبا بكر صدّيقاً ، وعمر فاروقاً ، وعثمان ذا النورين ، وعليّاً وصيّاً ، فمن سبَّ أصحابي فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبّ الله ، ومن سبَّ الله أكبّه في النار على منخره» ، أخرجه الملاّ في سيرته .

قال الأميني : نحن في إبطال هذا الحديث في غنى عن النظرة إلى إسناده المحذوف لكنّا مهما ذهلنا عن شيء فلا يفوتنا العلم بأنَّ الأصلاب الأمويّة غير طاهرة ، وإنّما هي الشجرة الملعونة في القرآن (راجع الجزء الثّامن ص ٣٠٠ ، ٣٠١) .

إنَّ الخيار مِن البريّة هاشم — وبنو اميَّة أرذَل الأشرارِ
وبنو اميّة عودهم مِن خروع ، — ولهاشم في المجد عود نضار
أمّا الدعاة إلى الجنان فهاشم ، — وبنو اميّة مِن دُعاةِ النّار
وبهاشم زكت البلاد ، وأعشبت ، — وبنو اميّة كالسراب الجاري

ذكرها الزمخشري في (ربيع الأبرار : باب ٦٦) لأبي عطاء أفلح السندي .

وتجد في غضون أجزاء كتابنا هذا نبذاً وافية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وبقية الصّحابة ، ممّا فيه غنى وكفاية في سقوط الأمويّين عن مستوى الإعتبار والنزاهة في الجاهليّة والإسلام ، على ما يؤثر عنهم في العهدين من المخازي والمخاريق المؤكّدة لذلك كلّه ، فنحن نحاشي رسول

الله ﷺ عن أن يصف تلكم الأصلاب بالطهارة في عداد الأصلاب الطاهرة التي تنقل فيها الرّسول الأطهر ، ووصيّه المطهر أمير المؤمنين علي ، عليهما وآلهما السلام . وهي الشجرة الطيِّبة التي أصلها ثابت ، وفرعها في السَّماء ، تؤتي أكلها كلَّ حين .

على أنّا لم نجد في أبي قحافة والخطّاب وأسلافهما ما يمكن أن يعدَّ من المآثرالبشريَّة ، فضلاً عن المآثر الدينيّة التي نقطع بعدم تحلّيهما بها ، فقد أسلفنا الكلام حول اسلام أبي قحافة في (الجزء السّابع ص ٣٥١ ـ ٣٦١) وأما الخطّاب فمن المقطوع به أنه لم يسلم ، وقد ثبت عن عمر قوله للعبّاس عمِّ النبيِّ ﷺ يوم أسلم : «يا عبّاس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من اسلام الخطاب لو أسلم»(١) .

وأما عفّان فسل عنه الكلبي والبلاذري ، فإنّ لهما في «المثالب» و«الأنساب» جملٌ تُعرب عن مجمل حقيقة الرجل ، دون تفصيلها .

وإنا أسلفنا القول حول الألقاب في (ج ٢ ص ٣٦٢ - ٣٦٤ و ج ٣ ص ٢٣٥) : وإنَّ الصدِّيق والفاروق من الألقاب الثابتة الخاصّة بمولانا أمير المؤمنين ﵇ ، وإنّما تداولتهما النّاس للرّجلين، وعند ذلك وضعوا مثل هذه المفتعلات .

ونحن لا نسترسل في بيان حكم سبّ الصّحابة ، لكنّا لو أخذنا بإطلاق هذه الرّواية وقلنا : إنَّ المخاطبين منهم كانوا مكلّفين بمفادها ، لأشكل الأمر في أكثر الصحابة الذين اطّرد بينهم السباب المقذع ، والوقيعة الفاضحة ، والعداء المحتدم حتّى انّه كان قد يؤول الأمر من جرّاء ذلك إلى المقاتلة ، فهل هؤلاء كلّهم يكبّون في النار على مناخرهم ؟ أنا لا أدري .

٩ ـ قال المحبُّ الطبري في (الرياض النضرة ج ١ ص ٢٤) : عن ابن يخامر السكسكي أنَّ رسول الله ﷺ قال : «اللّهُمَّ صلِّ على أبي بكر ، فإنّه يحبّك ، ويحبُّ رسولك ، اللّهم صلِّ على عمر ، فإنّه يحبّك ، ويحبّ رسولك ، اللّهم صلِّ

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢١ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٩ ، الشفاء للقاضي ج ٢ ص ١٨ .

على عثمان ، فإنه يحبّك ، ويحبُّ رسولك ، اللّهمّ صلِّ على أبي عبيدة بن الجراح ، فإنه يحبّك ، ويُحبّ رسولك، اللّهمَّ صلِّ على عمرو بن العاص ، فإنّه يحبّك ، ويحب رسولك» . أخرجه الخلعي .

قال الأميني : ليت المحبّ الطبري أوقعنا على إسناد هذا الحديث المبتور حتّى نعرف عدد مَن فيه من الوضّاعين ، وليته بعد أنْ موه الأمر في ذلك ، عرّفنا ابن يخامر السكسكي مَن هو أمن الصّحابة ؟ أم من التابعين ؟ أم ممّن بعدهم من طبقات الرجال ؟ وهل سمع هو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو أنّه موّه ودلّس ؟ أو أنّه بشرٌ لم يُخلق بعدُ ؟ .

وإنْ تعجب فعجبٌ أنّه حذف بين الأسماء من يُقطع بأنّه يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي استفاض النقل الصحيح بذلك عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم راجع (ج ٣ ص ٤١ ـ٤٣) وتقدَّم في (الجزء السابع : ص ٢٢٧) وفي صفحات هذا الجزء أحاديث جمّة ، تدلّ على أنّه أحبّ الناس إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن المعلوم إذن أنَّ هذه المرتبة من الحبِّ متبادلٌ بينه ، سلام الله عليه ، وبينهما ، ويدلّ على هذا التبادل بنحو الإطلاق قوله تعالى : ﴿**إنْ كنتم تحبُّون الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾ .

وكان في الصحابة أُناسٌ آخرون يتهالكون في المحبَّة لله ولرسوله ، لا يفوقهم مَن ذكر ، وإنْ نعتقد انّهم دون اولئك المنسيِّين بمنازل كثيرة ، كسلمان ، وأبي ذر ، والمقداد ، وعمّار ، والعبّاس عمّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى كثيرين من نظرائهم . لكنَّ نوبة الحبّ وصلت إلى الأبتر ، ابن الشائن الأبتر ، إلى ابن النابغة ، إلى ابن الأمة السوداء المجنونة الحمقاء التي كانت تبول من قيام ، ويعلوها اللّئام ، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً ، إلى ابن العاصي ، إلى ابن الجزّار ، إلى ابن دعيِّ ستّة ، إلى المدافع عن نفسه في معترك القتال بإسته ، إلى من رأى فحل زوجته على فراشه ، فلم يغر ، ولم ينكر ، إلى الوغد اللئيم ، إلى النكد الذميم ، إلى الوضيع الزنيم[١] إلى مناوىء الحقِّ ونصير الباطل ، إلى إلى . .

---

(١) تجد تفصيل هذه الجمل إلى أمثالها الكثيرة المعربة عن حقيقة ابن العاصي في (الجزء الثاني : ص ١٤٢ ـ ٢٠٧) .

نعم : وصلت نوبة الحبِّ إليه ، ولم تصل إلى من ذكرناهم من رجال الدين ، وأفذاذ الإسلام ، وأعاظم الامّة ، وصلحاء الصَّحابة .

إنْ دام هذا ، ولم يحدث به غيرٌ لم يُبك ميتٌ ، ولم يُفرح بمولود

نعم : راق ذلك السكسكي أومَن قبله من الوضّاعين ، ولم يرقهم غيره . وكم في صفحات تاريخ عمرو بن العاصي ، وقرنائه الأربعة ، شواهد دالّة على ما عزاهم إليه مختلق الرّواية من حبِّ الله ، وحبّ رسوله ، نكل الوقوف عليها إلى سعة باع الباحث .

١٠ ـ أخرج ابن عدي ، عن أحمد بن محمّد الضبيعي ، عن الحسين بن يوسف ، عن أبي هاشم أصرم بن حوشب ، عن قرّة بن خالد البصري ، عن الضحاك ، عن ابن عبّاس مرفوعاً : أنا الأول، وأبو بكر الثاني ، وعمر الثالث ، والناس بعدنا على السبق الأوّل فالأوّل .

قال الأميني : قال السيوطي في (اللآلي ج ١ ص ٣١١) : موضوع آفته أصرم .

وقال الذهبي : أصرم هالكٌ ، قال يحيى : كذابٌ خبيثٌ ، وقال البخاري ومسلم والنسائي : متروك الحديث ، وقال الدارقطني : منكر الحديث ، وقال السعدي : كتبت عنه بهمدان سنة اثنين ومائتين ، وهو ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : كان يضع الحديث على الثقات، وقال ابن المديني : كتبت عنه بهمدان ، وضربت على حديثه . وقال الفلاس : متروكٌ يرى الإرجاء .

وقال ابن حجر : أورد له العقيلي حديثاً عن زياد بن سعد وقال : لا يتابع عليه ولا يُعرف به ، وليس له أصلٌ من جهة يثبت . وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : هو متروك الحديث . وتكلّم فيه يحيى بن معين . وقال ابن المديني : لقيناه بهمدان ثمَّ حدَّث بعدنا بعجائب وضعّفه جدّاً ، وقال الحاكم والنقّاش : يروي الموضوعات . وقال الخليلي : روى عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عبّاس ، رضي الله عنهما ، مناكير ، وروى الأئمّة عنه ثمَّ رأوا ضعفه فتركوه .
[ميزان الإعتدال ج ١ ص ١٢٦ ، لسان الميزان ج ١ ص ٤٦١]

على أنَّ الضحّاك لم يسمع من ابن عبّاس كما في (تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٤٢) ، وكان شعبة لا يحدِّث عن الضحاك ، وينكر أنْ يكون لقي ابن عبّاس ، وقال يحيى بن سعيد : الضحّاك عندنا ضعيفٌ .

[تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٦٠]

١١ ـ أخرج ابن عساكر في (تاريخه ج ٦ ص ٤٠٥) : عن ابن عبّاس مرفوعاً : إنَّ أحبَّ أصهاري إليَّ ، وأعظمهم عندي منزلة ، وأقربهم من الله وسيلة ، وأنجح أهل الجنَّة أبو بكر . والثاني عمر يعطيه الله قصراً من لؤلؤة ، ألف فرسخ في ألف فرسخ ، قصورها ودورها ،ومجانبها وجهاتها ، وسررها وأكوابها ، وطيرها من هذه اللؤلؤة الواحدة ، وله الرضا بعد الرضا . والثالث عثمان بن عفان ، وله في الجنّة ما لا أقدر على وصفه ، يعطيه الله ثواب عبادة الملائكة ، أوَّلهم وآخرهم . والرابع عليّ بن أبي طالب ، بخٍ بخٍ مَن مثل عليّ ؟ وزيري عند [ ][1]وأنيسي عند كربتي ، وخليفتي في امّتي ، وهو منّي على دعاي ومَن مثل أبي سفيان ؟ لم يزل الدين به مؤيَّدا قبل أنْ يسلم وبعد ما أسلم ، ومَن مثل أبي سفيان ؟ إذا أقبلت من عند ذي العرش اريد الحساب ، فإذا أنا بأبي سفيان معه كاسٌ من ياقوتة حمراء يقول : «إشرب يا خليلي ، أعار بأبي سفيان ، وله الرضا بعد الرضا رحمه الله» .

قال الأميني : لقد أعرب عن بعض الحقيقة الحافظ ابن عساكر نفسه بقوله : هذا حديث منكر .

أيّ منكر هذا يَعدّ أبا سفيان ممّن لم يزل الدّين به مؤيَّداً قبل إسلامه وبعده ؟ فكأنَّه غير رأس المشركين يوم أُحد ، وغير مجهِّز جيش الأحزاب والمجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والرافع عقيرته ، وهو يرتجز بقوله : أعلِ هُبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ! ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان إنَّ لنا العزّى لا عزّى لكم ، فقال رسول الله :

---

(١) بياض في الأصل .

ألا تجيبونه ؟ فقالوا : يا رسول الله ! ما نقول ؟ قال : قولـوا : «الله مولانـا ولا مولى لكم»[١] .

وكأنه ليس من أئمة الكفر الذين نزل فيهم قـوله تعـالى : ﴿فقاتلوا أئمّـة الكفر إنهم لا ايمان لهم لعلّهم ينتهون﴾[٢][٣] .

وكأنَّه غير مَن أُريد بقوله عزّ وجلّ : ﴿إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله﴾[٤] .

أخرج نزولـه فيه ابن مـردويه من طـريق ابن عبّاس ، وعبـد بن حميد ، وابن جـرير وابـو الشيخ ، من طـريق مجاهـد ، وهؤلاء وغيـرهم ، من طـريق سعيـد بن جبيـر ، وابن جـريـر ، وابن المنـذر ، وابن أبي حـاتم ، وابـو الشيـخ ، من طـريق الحكم بن عتيبة[٥] .

وكأنه غير المعنيِّ هو وأصحابه بقوله تعالى : ﴿قل للذين كفروا إنْ ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإنْ يعودوا فقد مضت سنّة الأوّلين﴾[٦][٧] .

وكأنّه غير مَن مشى مع جمع من رجال قريش إلى أبي طالب قـائلين له : «إنّ ابن أخيك قـد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحـلامنا ، وضلّل آبـاءنا ، فـإمّا أن

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٩٦ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٨ ، تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٣٤ .

(٢) تفسير الطبـري ج ١٠ ص ٢٦٢ ، تاريـخ ابن عساكـر ج ٦ ص ٣٩٣ ، تفسير ابن جـزي ج ٢ ص ٧١ ، تفسير السيوطي ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٢١٨ ، تفسير الألوسي ج ١٠ ص ٥٩ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ١٢ .

(٤) سورة الأنفال ؛ الآية : ٣٦ .

(٥) تفسير الطبري ج ٩ ص ١٥٩ ، تاريـخ ابن عساكـر ج ٦ ص ٣٩٣ ، الكشاف ج ٢ ص ١٣ ، تفسيـر الـرازي ج ٤ ص ٣٧٩ ، تفسيـر ابن جـزي ج ٢ ص ٦٥ ، تفسيـر ابن كثيـر ج ٤ ص ٣٧ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٩٢ ، تفسيـر الشوكاني ج ٢ ص ٢٩٣ ، تفسير الألـوسي ج ٩ ص ٢٠٤ .

(٦) تفسير النسفي هامش تفسير الخازن ج ٢ ص ١٩٣ ، تفسير الألوسي ج ٩ ص ٢٠٦ .

(٧) سورة الأنفال ؛ الآية :

نكفّه عنّا ، وإمّا أن تخلي بيننا وبينه إلخ»[١] .

وكأنه ليس أحد المجتمعين بدار النّدوة ، الذين تفرّقوا على رأي أبي جهل ، من أن يُؤخذ من كلّ قبيلة شابّ ، فتى ، جليد ، نسيب ، وسط ، ثمّ يعطى كلّ منهم سيفاً صارماً ، فيعمدوا إلى رسول الله فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه[٢] .

وكأنّه غير من أنفق على المشركين يوم أُحد ، أربعين أوقية ، وكلّ أوقية اثنان وأربعون مثقالاً .

وكأنّه غير مَن استأجر ألفين من الأحابيش من بني كنانة ، ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى من استجاش من العرب[٣] .

وكأنّه غير من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد ، في صلاة الصبح ، بعد الركعة الثانية بقوله : «اللّهم العن أبا سفيان . وصفوان بن اميّة . والحارث بن هشام»[٤] .

وكأنّه غير مَن لعنه رسول الله في سبعة مواطن لا يتأتّى لأيّ أحد ردّها أوّ لها : يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً من (مكة) إلى (الطائف) يدعو ثقيفاً إلى الدين فوقع به وسبّه وشتمه ، وكذّبه وتوعّده . وهمّ أن يبطش به ، فلعنه الله ورسوله ، وصرف عنه .

الثانية : يوم العير إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي جائية من الشام ،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٧ ، ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ ، نصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ١٢٩ ، وأخرجه البخاري في المغازي ج ٢ ص ٥٨٢، وفي التفسير بلفظ فلاناً وفلاناً ، ولم يسم أحداً تحفظاً على كرامة أبي سفيان وشاكلته .

(٣) تفسير الطبري ج ٩ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، الكشاف ج ٢ ص ١٣ ، تفسير الرازي ج ٤ ص ٣٩٧ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٩٢ ، تفسير الألوسي ج ٩ ، ٢٠٤ .

(٤) تفسير الطبري ج ٤ ص ٥٨ ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، كما في نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٣٩٨ .

فطردها أبو سفيان ، وساحل بها ، فلم يطف المسلمون بها ، ولعنه رسول الله ، ودعا عليه ، فكانت وقعة بدر لأجلها .

الثالثة : يوم أُحد ، حيث وقف تحت الجبل ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعلاه ، وهو ينادي : أعلِ هُبل . مراراً ، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر مرّات ، ولعنه المسلمون .

الرابعة : يوم جاء بالأحزاب ، وغطفان ، واليهود ، فلعنه رسول الله ، وابتهل .

الخامسة : يوم جاء ابو سفيان في قريش ، فصدّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه ، ذلك يوم الحديبيّة ، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان ، ولعن القادة والأتباع وقال : «ملعونون كلّهم ، وليس فيهم من يؤمن ، فقيل : يا رسول الله ! أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللّعنة ؟ فقال لا تصيب اللعنة احداً من الأتباع ، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد» .

السادسة : يوم الجمل الأحمر .

السابعة : يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة ، ليستنفروا ناقته ، وكانوا إثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان[1] .

هذه المواطن السبعة عدّها الإمام الحسن السبط ، سلام الله عليه .

وكأنه غير مَن عدا على دور المهاجرين من بني جحش بن رئاب ، بعد ما هاجروا وباعها من عمرو بن علقمة ، وقيل فيه :

أبلغ أبا سفيان عن ... أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمِّك بعتَها ... تقضي بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله ربُّ ... الناس مجتهد القسامه
إذهب بها ، إذهب بها ... طوّقتها طوق الحمامه[2]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ، ص ١١٧ .

وكأنّه غير صاحب البائيّة يوم أُحد يقول فيها :

أُقاتلهم وأدّعي يا لَغالبٍ ... وأدفعهُم عنّي بركن صليب
فبكّي ، ولا ترعي مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمي من عبرة ، ونحيب
أباك وإخواناً له قد تتابعوا ... وحُقّ لهم من عبرةٍ بنصيب
وسلّي الذي قد كان في النفس إنّني ... قتلتُ من النجار كلّ نجيب
ومن هاشم قرماً كريماً ، ومُصعباً[1] ، ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنّني لم أشف نفسيَ منهُم ... لكانت شجاً في القلب ذات ندوب
فآبوا وقد أودى الجلابيب[2] منهُم ... بهم خدَبٌ من مُعبط وكئيب
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم ... كفاءً ، ولا في خُطّةٍ بضريب[3]

وكأنّه غير مَن كان يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزجّ الرمح قائلاً : ذُق عقق[4] .

[سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٤]

وكأنه غير مَن داس قبر حمزة برجله وقال : «يا أبا عمارة ! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف ، أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥١]

وكأنّه غير مَن قال لما رأى الناس يطؤون عقب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجسده : لو عاودت الجمع لهذا الرجل . فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدره ثمَّ قال : إذاً يخزيك الله .

[الإصابة ج ٢ ص ١٧٩]

وكأنّه غير مَن قال لعثمان يوم تسنّم عرش الخلافة : «صارت إليك بعدتيم

---

(١) عنى به سيدنا حمزة بن عبد المطلب .
(٢) الجلابيب : جمع جلباب : الإزار الخشن . كان الكفار من أهل مكة يسمون من أسلم مع النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، الجلابيب .
(٣) الخطة : الخصلة الرفيعة الضريب : الشبيه . راجع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢ .
(٤) عقق ، أي : يا عقق ، يريد يا عاق .

وعدي فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أُميّة ، فإنّما هو الملك ، ولا أدري ما جنّة ولا نار» .

[راجع ج ٨ ص ٣٣١]

وكأنه غير مَن دخل على عثمان بعدما عمي ، وقال : ها هنا أحد ؟ فقالوا : لا . فقال : اللّٰهُمَّ اجعل الأمر أمر جاهلية ، والملك ملك غاصبيّة ، واجعل أوتاد الأرض لبني أُميّة .

[تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٠٧]

وكأنه غير مَن عرَّفه أمير المؤمنين عليه‌السلام في كتاب له إلى معاوية بقوله : منّا النبيُّ ، ومنكم المكذِّب ، قال ابن أبي الحديد في (شرحه ج ٣ ص ٤٥٢) : يعني أبا سفيان بن حرب كان عدوّ رسول الله ، والمكذِّب له ، والمجلب عليه .

وكأنّه غير مَن جاء فيه قول أمير المؤمنين عليه‌السلام في كتاب له إلى محمد بن أبي بكر : قد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية .

وكأنّه غير مَن ذكره أمير المؤمنين بقوله في كتاب له إلى إبنه معاوية : «يابن صخر يابن اللّعين» . والإمام الطاهر عليه‌السلام في لعنه الرجل إقتفى أثر النبيِّ الأعظم ، وقد سمع منه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وهو يلعنه في مواطن شتّى .

وكأنّه غير مَن قال فيه عمر بن الخطاب : «أبو سفيان عدوّ الله ، قد أمكن الله منه بغير عهد ، ولا عقد ، فدعني يا رسول الله ! أضرب عنقه !» .

[تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٩٩]

وكأنّه غير مَن قال فيه عمر أيضاً : إنَّ أبا سفيان لقديم الظلم .

[الإصابة ج ٢ ص ١٨٠]

وكأنّه غير مَن أسلفنا ترجمته في (الجزء الثالث : ص ٢٧٥ - ٢٧٨) وفي (الثامن : ص ٣٣٠ - ٣٣٢) .

هذا مجمل حال الرجل في العهدين الجاهليّ والإسلاميّ ، أفبمثله أُيّد الدين قبل إسلامه وبعد إسلامه ؟ أو مثله يتولّى سقاية رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوم المحشر ، إذا أقبل من عند ذي العرش ؟ وهل مستوى العرش معبّأ لمثل أبي سفيان هذا ونظرائه ؟ إذن فعلى العرش ومَن بفنائه السَّلام .

ثمَّ اقرأ المجازفة في حساب عثمان الذي حاز في مزعمة ملفِّق هذه الرواية ثواب عباده الملائكة أوَّلهم وآخرهم ، اولئك الملائكة المعصومين ، وجنّة لا يقدر على وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو مَن قرأت صحيفة حياته في الجزء التاسع وقبله ، ووقفت على عقائد الصحابة العدول فيه ، وفي أحداثه ، وإجماعهم على إهدار دمه ، فلماذا ذلك الثواب ولماذا تلكم الجنّة ؟ ولماذا هذه العظمة في أبناء الشجرة المنعوتة في القرآن ؟ أعوذ بالله من السّرف في القول ، والغلوّ في الفضائل .

١٢ ـ أخرج ابن عساكر ، وابن مندة ، والخلعي ، والطبراني ، والعقيلي ، عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك ، عن أبيه ، عن جدّه قال : «لمّا رجع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مِن حجّة الوداع إلى المدينة ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : يا أيّها الناس ! إنّ أبا بكر لم يسؤني قطّ ، فاعرفوا ذلك له ، يا أيّها النّاس ! انّي راضٍ عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرَّحمن بن عوف ، والمهاجرين الأوّلين فاعرفوا ذلك لهم . أيّها النّاس ! إنَّ الله قد غفر لأهل بدر والحديبيّة . أيّها النّاس ! إحفظوني في أصحابي وأصهاري ، وفي أختاني لا يطلبنَّكم الله بمظلمة أحد منهم ، فإنّها ممّا لا توهب أيّها النّاس ! ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، وإذا مات أحدٌ من المسلمين فقولوا فيه خيراً»[١] .

قال الأميني : قال ابن عبد البرّ في (الإستيعاب ج ٢ ص ٥٧٣) : حديثه[يعني حديث سهل بن مالك] يدور على خالد بن عمرو القرشي الأموي ، وهو منكر الحديث ، متروك الحديث ، قال بعد ذكر الحديث : حديثٌ منكرٌ ، موضوعٌ ، يقال فيه : إنّه من الأنصار ولا يصحُّ ، وفي إسناد حديثه مجهولون ضعفاء ، معروفون ، يدور على سهل بن يوسف بن مالك بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، وكلّهم لا يُعرف .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٢٧ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٥٧٢ .

وقال ابن مندة : غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه . وقال العقيلي : إسناده مجهول لا يتابع عليه . والعجب من الحافظين ، وحكمهما بغرابة الحديث ، والجهل ، وقد أخرجاه من طريق خالد بن عمرو ، ومرَّ في (الجزء الثامن : ص ٧٢ ، ٧٣) عن أئمة الجرح والتعديل انّه كان كذّاباً وضّاعاً ، يتفرَّد عن الثقات بالموضوعات ، لا يجوز الإحتجاج بخبره ، أحاديثه موضوعةٌ باطلةٌ . وجزم الدارقطني في الأفراد بانَّ خالد بن عمرو تفرَّد بهذا الحديث .

وأخرجه سيف بن عمر ، وقد أسلفنا في (الجزء الثامن : ص١١٤، ٤١١) أقوال الحفاظ فيه ،وأنّه وضّاعٌ ، متروكٌ ، ساقطٌ ، متَّهمٌ بالزندقة ، عامّه أحاديثه منكرةٌ ، لم يتابع عليها .

وفي طرق الحديث مجاهيل منهم : محّمد بن يوسف المسمعي . قال الذهبي : لا يُدرى مَن هو . وقال العقيلي : لا يُتابع على حديثه . ومنهم : عليّ ابن محمّد بن يوسف . قال الضياء :لم أجد له ، ولا لشيخه . ومنهم : حبّان بن أبي تراب[1] أو : منان بن أبي ثواب[2] أو : قنان ابن أبي أيّوب[3] أو : قنار بن أبي أيوب[4] من رجال الغيب ، لا يعرف اسمه واسم أبيه ، فضلاً عن عرفان شخصيَّتهما .

ومن الوهم الغريب للطبراني إخراجه الرواية من طريق عليّ بن محمد بن يوسف المسمعي ، عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك ، وتبعه في ذلك الضياء في المختارة ، وقد أخرجها العقيلي من طريق محمد بن يوسف المسمعي والد علي المذكور في إسناد الطبراني ، عن حبان ، رقبان ، رقنار ، رمنان ، عن خالد بن عمرو الأموي ، عن سهل ، فطبقة عليّ تستدعي سقط ثلاثة من رجال إسناد الطبراني .

[راجع ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣ الإصابة ج ٢ ص ٩٠ ، لسان الميزان ج ٣ ص ١٢٣ ، ج ٤ ص ٢٦١ ، ج ٥ ص ٤٣٥] .

(١) كذا في لسان الميزان ج ٥ ص ٤٣٥ .
(٢) كذا في لسان الميزان ج ٣ ص ١٢٣ .
(٣) كذا في الإصابة ج ٢ ص ٩٠ .
(٤) كذا في لسان الميزان ج ٤ ص ٤٧٥ .

١٣ ـ عن عبادة بن الصامت قال : خلوت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : أيّ أصحابك أحبُّ إليك ، حتى أُحبَّ من تحبُّ كما تحبّ ؟ فقال : اكتم عليَّ يا عبادة حياتي ! فقلت : نعم ، فقال : أبو بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عليٌّ . ثمّ سكت ، فقلت : ثمَّ مَن يا نبيَّ الله ؟ فقال : مَن عسى أن يكون بعد هؤلاء إلاّ الزبير ، وطلحة ، وسعد ، وأبو عبيدة ، ومعاذ ، وأبو طلحة ، وأبو أيّوب ، وأنت يا عبادة ! وأُبيّ بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو مسعود ، وابن عوف ، وابن عفّان ، ثمَّ هؤلاء الرهط من الموالي : سلمان ، وصهيب ، وبلال ، وسالم مولى أبي حذيفة ، هؤلاء خاصّتي وكلُّ أصحابي عليَّ كريمٌ حبيب إليَّ ، وإن كان عبداً حبشيّاً . قال أبو عبد الله الصنابحي : قلت لعبادة : لم يذكر حمزة ولا جعفراً ، فقال عبادة : إنّهما كانا أُصيبا يوم سألت عن هذا إنّما كان هذا بآخرة أو كما قال .

[تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٣٨ ، وج ٧ ص ٢١٠]

قال الأميني : ألا تعجب من نبيِّ العظمة أن يتحاشى عن بيان ما يهمّ الأُمّة عرفانه ، ويعهد إلى السائل بأن يكتمه عليه في حياته ، وهو في أُخرياتها ؟ أليس هو القائل لعائشة فيما أخرجه الخجندي : «إنَّ عليّاً أحبّ الرجال إليَّ ، وأكرمهم عليَّ» . والقائل : «أَحبُّ النّاس إليَّ وأحبّهم إلى الله» ؟

هلاّ كانت الصحابة يعرفون أحبّ النّاس إليه صلى الله عليه وآله وسلم بعد تلكم الآيات والنصوص النبويّة الواردة في مولانا عليّ أمير المؤمنين ؟ أما صحَّ عن عائشة قولها : «والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ ، ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته» .

وهلاّ صحّح الحفاظ قول بريدة وأُبيّ بن كعب : «أحبّ النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النّاس فاطمة ، ومن الرجال عليّ»(١) .

ثمّ ما الذى أنسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعاظم صحابته الذين نزل فيهم القرآن ، وأثنى صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ، بما لا يزيد عليه ، كعمّه العبّاس ، وأبي ذر ، وعمّار ، والمقداد ، وابن مسعود ، إلى آخرين من أمثالهم ؟ وما الذي بخس حظّهم من

---

(١) راجع ما أسلفناه في (الجزء الثالث : ص ٤١ - ٤٤) .

حبّ نبيِّهم الأقدسِ إيّاهم مع تلكم الفضائل والفواضل الجمّة ، ولا يدانيهم فيها غيرهم ، حتّى جُلُّ المذكورين إنْ لم نقل كلّهم ، غير سيِّد العترة ؟

أفي وسع الباحث أنْ يرى أبا عبيدة ، حفّار القبور مثلاً ، أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أبي ذرّ الصدّيق ، شبيه عيسى في امّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هدياً ، وبرّاً ، ونسكاً ، وزهداً ، وصدقاً ، وجدّاً ، وخَلقاً ، وخُلقاً ؟ من أبي ذر الذي كان صلى الله عليه وآله وسلم يدنيه دون أصحابه إذا حضر ، ويتفقّده إذا غاب(١) .

أو من عمّار جلدة ما بين عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنفه . الطيّب المطيّب الذي ملىء إيماناً إلى مشاشه ، الذي خلط الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه ، خلط الإيمان بلحمه ودمه ، الذي كان مع الحقِّ والحقُّ معه يدور مع الحقِّ أينما دار(٢) .

أعوذ بالله من التقوّل والتحدّث بالزعمات بلا تعقّل .

١٤ ـ أخرج ابن عساكر في (تاريخه ج ٦ ص ١٧٣) من طريق سعيد بن مسلمة بن اميَّة بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي ، عن ابن عمر قال : «خرج علينا رسول الله ﷺ أو دخل المسجد وهو آخذٌ بيد أبي بكر وعمر ، أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، ثمَّ قال : هكذا نبعث يوم القيامة» . ورواه الترمذي .

قال الأميني : حذف بدران مهذِّب تاريخ ابن عساكر إسناد هذه الرواية ستراً على ما فيه من العلل ، ذاهلاً عن أنَّ في ذكر سعيد بن مسلمة غنى وكفاية ، وإسناده كما في «الميزان» عن سعيد ، عن إسماعيل بن اميَّة ، عن نافع ، عن إبن عمر . قال البخاري في تاريخه : سعيد بن مسلمة ، عن إسماعيل بن اميّة ، فيه نظر ، يروي عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، مناكير . وقال أيضاً : منكر الحديث . وقال مرَّة : ضعيفٌ . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث منكره . وقال الدارقطني : هو ضعيف الحديث لا يعتبر به . وقال ابن حبان : فاحش الخطأ ، منكر الحديث جداً(٣) .

---

(١) راجع الجزء الثامن : ص ٣٥٨

(٢) راجع الجزء التاسع : ص ٣٨ ـ ٤٥

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٧٤ ، ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٩١ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٨٣ .

وأخرجه الدارقطني من طريق الحارث بن عبد الله المديني ، مولى بني سليم ، عن اسحاق بن محمد الفروي الأموي ، مولى عثمان ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر . فقال : لا يصحّ والحارث هذا ضعيفٌ . أقول . وإسحاق الأموي وهّاه أبو داود جدّاً وقال : لو جاء بذلك الحديث عن مالك يحيى بن سعيد لم يحتمل له . وقال النسائي : متروك وقال أيضاً : ليس بثقة . وقال الدارقطني : ضعيف وقد روى عنه البخاري ويوبخونه في هذا . وقال الدارقطني أيضاً : لا يترك . وقال الساجي : فيه لين . روى عن مالك أحاديث تفرَّد بها . وقال العقيلي : جاء عن مالك بأحاديث كثيرة لا يتابع عليها . وقال الحاكم : عيب على محمد ـ يعني البخاري ـ اخراج حديثه وقد غمزوه[١] .

١٥ ـ أخرج ابن عساكر من طريق سليمان بن بلال بن أبي الدرداء عزيز[٢]بن زيد الأنصاري ، عن أبيه : انّه رأى النبيّ ﷺ ، وأبا بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، فقال : هكذا نكون ، ثمَّ هكذا نموت ، ثمّ هكذا نبعث ، ثمّ هكذا ندخل الجنّة .

[تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢٤٦]

قال الأميني : هذا الإسناد فيه وهمٌ واختلاطٌ من ناحية سليمان .

أولاً : فإنّ بلال بن أبي الدرداء لم يُذكر له ولد يروي عنه ، ولا يوجد له قطٌّ اسمٌ في المعاجم ، والصحيح : سليمان ، عن بلال ، عن أبيه ، وفي تلك الطبقة غير واحد كلّهم يسمّون سليمان بين كذّاب وضّاع ، وبين ضعيف ساقط متروك ، وبين مجهول منكر لا يُعرف . وفي الإسناد وهمٌ من ناحية بلال .

ثانياً : فإنّه لم يدرك النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرو عنه قال أبو زرعة : في الطبقة التي تلي الصحابة بلال بن أبي الدرداء توفي سنة ٩٢ ـ ٩٣ وكان قاضياً على دمشق في

---

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٩٣ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٤٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١٥٤ .

(٢) كذا في النسخ ، والصحيح المتسالم عليه : عويمر . هو أبو الدرداء المعروف .

ولاية يزيد وبعده ، حتّى عزله عبد الملك . ولعلّك تهتدي بذلك إلى مبلغه من الثقة والدين .

وبقية رجال السند المحذوفة أسماءهم لا نعرف أحداً منهم حتى نعطي النظر حقَّه ، وبمثلها من رواية لا يثبت حقّ ، ولا تعتبر فضيلةٌ .

١٦ ـ أخرج ابن عساكر في تاريخه (ج ٤ ص ٢٢٤) : من طريق الحسن بن محمد بن الحسن أبي علي الأبهري المالكي نزيل دمشق إلى شدّاد بن أوس مرفوعاً : « أبو بكر أرأف امّتي وأرحمها . وعمر بن الخطاب خير امّتي وأعدلها . وعثمان أحيى أُمتي وأكرمها وأصدقها وأبو الدرداء أعبد أُمّتي وأتقاها . ومعاوية أحكم أُمّتي وأجودها» .

وفي لفظ العقيلي من طريق بشير بن زاذان : عن عمر بن صبح ، عن ركن ، عن شدّاد بن أوس مرفوعاً : أبو بكر أوزن امّتي ، و(عمر) خير امّتي ، وعثمان أحيى امّتي ، ومعاوية أحكم امّتي .

[لسان الميزان ج ٢ ص ٣٧]

وفي لفظ السيوطي نقلاً عن العقيلي ايضاً : ابو بكر أوزن امّتي وأرحمها . وعمر خير امّتي وأكملها ، وعثمان أحيى امّتي وأعدلها ، وعليٌّ أوفى امّتي وأوسمها ، وعبد الله بن مسعود أمين امّتي وأوصلها ، وأبو ذر أزهد امّتي وأرقّها ، وأبو الدرداء أعدل امّتي وأرحمها ، ومعاوية أحلم امّتي وأجودها .

[اللآلي ج ١ ص ٤٢٨]

قال الأميني : قال الحافظ ابن عساكر : هذا الحديث ضعيف . ونحن على يقين من أنَّ الباحث بعد ما أوقفناه على ترجمة رجال الإسناد يحكم بالوضع لا بالضعف ، كما حكم به الحافظ وإليك الرجال :

١ ـ بشير بن زاذان . ضعّفه الدارقطني وغيره ، واتّهمه ابن الجوزي ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وذكره الساجي ، وابن الجارود ، والعقيلي ، في الضعفاء ، وقال ابن عدي : أحاديثه ليس لها نورٌ ، وهو ضعيفٌ غير ثقة ، يحدِّث عن جماعة ضعفاء ، وهو بيّن الضعف .

وقال ابن حجر في ترجمته بعد ذكر الحديث : ولا يتابع بشير بن زاذان على هذا ، ولا يُعرف إلّا به ، ولمّا ذكر له ابن الجوزي حديثاً في فضل الصّحابة قال : هو المتَّهم به عندي فإما أنْ يكون من فعله ، أو من تدليسه من الضعفاء . وقال ابن حبّان : غلب الوهم على حديثه حتّى بطل الإحتجاج به[١] .

٢ ـ عمر بن صبح أبو نعيم الخراساني ، قال ابن راهويه : أخرجتْ خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظيرٌ في البدعة والكذب : جهم بن صفوان . عمر بن صبح . مقاتل بن سليمان . وقال البخاري في التاريخ الأوسط : حدّثني يحيى اليشكري ، عن عليٍّ بن جرير ، سمعت عمر بن صبح يقول : أنا وضعت خطبة النبيِّ ﷺ ، وقال أبو حاتم ، وابن عدي : منكر الحديث . وقال ابن حبّان : يضع الحديث على الثقات لا يحلّ كتب حديثه إلّا على وجه التعجّب . وقال الأزدي : كذّابٌ . وقال الدارقطني : متروكٌ . وقال ابن عدي : عامَّة ما يرويه غير محفوظ ، لا متناً ، ولا إسناداً . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال العقيلي : ليس حديثه بالقائم ، وليس بالمعروف بالنقل . وقال أبو نعيم : روى عن قتادة ومقاتل الموضوعات .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٦٢ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٦٣]

٣ ـ ركن الشامي : وهّاه ابن المبارك ، وقال يحيى : ليس بشيء . وقال النسائي والدارقطني : متروك . وقال أبو أحمد الحاكم : يروي عن مكحول أحاديث موضوعة . وقال ابن الجارود : ليس بثقة . وعن ابن حماد : انّه متروك الحديث . وقال عبد الله بن المبارك : لئن أقطع الطريق أحبّ إليَّ من أن أروي عن عبد القدّوس الشامي ، وعبد القدّوس خيرٌ من مائة مثل ركن .

[تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٣٢٧ ، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٣٦ . ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٤٠ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٤٦٢] .

هذا شأن إسناد الرواية ونكل النظرة إليها متناً إلى سعة باع الباحث ثقةً بوقوفه على ما فصّلناه في أجزاء كتابنا هذا ممّا تُعرف به جليّة الحال .

---

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ١٥٢ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٧ .

لفظ آخر باسناد آخر :

عن عليٍّ بن عبد الله ، عن عليٍّ بن أحمد ، عن خلف بن عمرو العكبري ، عن محمد بن إبراهيم ، عن يزيد الخلّال ، عن أحمد بن القاسم بن مهران ، عن محمد بن بشير بن زاذان ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قال ، قال رسول الله ﷺ : «أبو بكر خير امّتي وأتقاها ، وعمر أعزّها وأعدلها ، وعثمان أكرمها وأحياها ، وعليّ ألبُّها وأوسمها ، وابن مسعود آمنها وأُعدلها، وأبو ذر أزهدها وأصدقها ، وأبو الدرداء أعبدها ، ومعاوية أحلمها وأجودها» .

قال السيوطي في (اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٤٢٨) : في هذا الطريق أيضاً مجروحون ، وقد خلط بشير بن زاذان في إسناده .

ونحن نقول : لو لم يكن في الإسناد من المجروحين إلّا يزيد الخلّال لكفاه علّة ، قال يحيى بن معين : كذّابٌ ، وقال أبو سعيد : قد أدركت يزيد هذا وهو ضعيفٌ قريب ممّا قال يحيى[١] . وقال أبو داود : ضعيفٌ ، وقال الدارقطني : ضعيفٌ جدّاً ، وقال ابن عدي : ليس بذاك المعروف[٢] .

١٧ ـ عن أنس بن مالك قال : بعث النبيّ ﷺ رجلاً من أصحابه يقال له سفينة ، بكتاب إلى معاذ إلى (اليمن) ، فلمّا صار في الطريق إذا بالسبع رابض في وسط الطريق ، فخاف أن يجوز ، فيقوم اليه ، فقال : أيها السبع إنّي رسول رسول الله إلى معاذ ،وهذا كتاب رسول الله . فقام السبع فهرول قدّامه غلوة ، ثمّ همهم ، ثمَّ صرخ وتنحّى عن الطريق ، فمضى بكتاب رسول الله إلى معاذ ، ثمَّ رجع بالجواب ، فإذا هو بالسبع ، فخاف أَنْ يجوز فقال : أيُّها السبع إنّي رسول رسول الله من عند معاذ ، وهذا جواب كتاب رسول الله من معاذ . فقام السبع ، فصرخ ، ثمَّ همهم ، ثمَّ تنحّى عن الطريق ، فلمّا قدم أَخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : أوَ تدرون ما قال أَول مرَّة ؟ قال : كيف رسول الله ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ؟ وأمَّا الثاني : فقال : إقرأ رسول الله ، وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان ،

(١) تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٣٤٨ : ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣١٨ .
(٢) لسان الميزان ج ٦ ص ٢٩٣ .

وعليّاً ، وسلمان ، وصهيباً ، وبلالاً ، منّي السّلام .

[تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٣١٤]

قال الأميني : مثل هذه الرواية التي فيها أعلام النبوّة ، وكرامة الخلفاء ، وفضل جمع من الصحابة ، لا بدَّ من أن تلوكه الأشداق ، وتتداوله الألسن ، وتكثر روايته في المجامع والأندية ، ولا تخصّ بحافظ الشام بين أئمة الحديث وحفّاظه ، وقد تفرَّد به ابن عساكر ، وقال إبن بدران في غير موضع : كلّ ما تفرّد به ابن عساكر فهو ضعيفٌ راجع (تاريخه ج ٤ ص ٢٣٦ ، وج ٥ ص ١٨٣ ، ١٨٤) ، وعلى الرواية نفسها من ملامح الإفتعال ما لا يخفى .

وماأعرف هذا السبع بالخلفاء حتى ذكرهم مرَّتين ، وأهدى إليهم السَّلام على ترتيب خلافتهم ، فكأنَّ علم الغيب أُلقي إلى السباع شطره ، فعرفوا خلفاء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أنْ يستخلفوا ، وعرفت من الصحابة أناساً ليسوا هم في الغارب والسنام ، كما أنّها جهلت بأُناس هم في الذروة العالية من جلالة الصحبة وعظمتها ، فحذفت عمّن سلّم عليهم أسماءهم وبلغ تزلّفها إلى الطبقة الواطئة من الموالي ، أو هكذا تكون رشحات عالم الغيب ؟ أم هكذا تخبط السِّباع خبط عشواء ؟ أم هذه كلّها جناية الغلوّ في الفضائل ؟ .

١٨ ـ أخرج ابن عساكر في (تاريخه ج ٢ ص ٨٥) : من طريق احمد بن محمد الأنصاري الجبيلي[1] عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : إن من له عند الله حقٌ فليأت ، قلنا : يا رسول الله ؟ ومن له على الله حق ؟ قال : من أحبَّ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومَن لم يُفضِّل عليهم أحداً .

قال الأميني : قال ابن عساكر : هذا الحديث غريبٌ جدّاً ، والعهدة فيه على أحمد بن محمد الجبيلي .

والأنصاري ترجمه الذهبي في (ميزان الإعتدال ج ١ ص ٧٣) فقال : ليس

---

(١) في لسان الميزان : الحنبلي .

بثقة نزل الجزيرة ،وهّاه ابن حبّان وغير واحد . وقال ابن حجر في (لسان الميزان ج ١ ص ٣٠٢) : حديث منكر .

ومتن الحديث كما ترى أقوى شاهد على بطلانه ، وانّما هو رأي ابن عمر فحسب ، يشذّ عن الكتاب والسنة ، كما فصّلنا القول حوله في الحديث الرابع ، فليضرب به عرض الحائط .

١٩ ـ أخرج ابن عساكر من طريق إبراهيم بن محمد بن أحمد القرميسيني ، عن انس بن مالك مرفوعاً : من أحبَّ أن ينظر إلى إبراهيم عليه السلام في خلّته ، فلينظر إلى أبي بكر في سماحته ، ومن أحبَّ أن ينظر إلى نوح في شدَّته ، فلينظر إلى عمر ابن الخطاب في شجاعته ، ومن أحبَّ أن ينظر إلى إدريس في رفعته ، فلينظر إلى عثمان في رحمته ، ومن أحبَّ أن ينظر إلى يحيى بن زكريّا في جهادته ، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب في طهارته .

[تاريخ الشام ج ٢ ص ٢٥١]

قال ابن عساكر : هذا الحديث شاذٌّ بالمرَّة ، وفي إسناده جماعةٌ ممَّن أمرهم مجهولٌ ، لا يعرف حالهم ، فلا يوثق بهم ، وهو إلى الوضع أقرب منه إلى الضعف . (ا هـ) .

قال الأميني : حذف ابن بدران مهذّب التاريخ سند الرواية ، وهو كما في (لسان الميزان ج ٤ ص ٣١٧) : القرميسيني عن عمر بن عليٍّ بن سعيد ، عن يونس ، عن محمد بن القاسم ، عن أبي يعلى ، عن محمد بن بكار ، عن ابن أبي ثابت البناني ، عن أنس .

وقال : قال عقبة : هذا إسناد عمر ، وفي إسناده غير واحد مجهول . وقال الذهبي في (الميزان ج ٢ ص ٢٦٦) : إسنادٌ مظلمٌ بخبر لم يصحّ .

٢٠ ـ عن عمر بن عبدالمجيد الميانشي ، حدّثنا مسلمة ، حدّثنا أبو سعد محمد بن سعيد الريحاني ، وعاش عشرين ومائة سنة ، قال : حدَّثنا أبو سالم عبد الله بن سالم ، وعاش مائة وثلاثين سنة ، حدّثني أبو الدنيا محمد[1] بن الأشج ، حدَّثني

(١) اسمه عثمان ، ومحمد تصحيف .

عليّ بن أبي طالب رفعه : ما كان رُفع العرش إلاّ بحبِّ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ . الحديث .

قال ابن السمعاني في حديث رواه بالطريق المذكور : هذا حديثٌ باطلٌ ، ورجاله مجاهيل .

[لسان الميزان ج ٣ ص ١٥٥]

وقال الذهبي : أبو الدنيا الأشج : كذّاب طرقيٌّ . وقال : حدّث بقلّة حياء بعد الثلاث مائة ، عن عليٍّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فافتضح بذلك ، وكذّبه النقّادون ، قال الخطيب : علماء النقل لا يثبتون قوله ، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وللحفّاظ فيه ، وفي بطلان حديثه ، كلمات صافيةٌ .

[راجع لسان الميزان ج ٤ ص ١٣٤ ـ ١٤٠]

٢١ ـ أخرج العقيلي في الضعفاء من طريق المقري ، عن عمر بن عبيد البصري أبي حفص الخزّاز ، عن سهيل بن ذكوان المدني ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، رفعه : أفضل هذه الامّة بعد نبيِّها أبو بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان .

قال الأميني : عمر بن عبيد ، ضعّفه أبو حاتم ، كان بيّاع الخمر ، كما ذكره ابن حبّان والذهبي[1] ، وفيه سهيل قال الدوري ، عن ابن معين : سهيل والعلاء ابن عبد الرَّحمن ، حديثهما قريبٌ من السَّواء ، وليس حديثهما بحجّة ، وقال : لم يزل أصحاب الحديث يثقون حديثه وقال : ضعيفٌ ، وسُئل مرَّة فقال : ليس بذاك ، وقال غيره : إنّما أخذ عنه مالك قبل التغير . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، ولا يحتج به . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطىء . وذكر العقيلي عن يحيى انّه قال : هو صويلح ، وفيه لينٌ .

[ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٦٤]

٢٢ ـ ذكر القاضي أبو يوسف في (الآثار ص ٢٠٧) : عن أبي حنيفة : إنَّ

---

(١) راجع ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٦٥ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٣١٦ .

رجلاً أتى عليّاً رضي الله عنه فقال : ما رأيت أحداً خيراً منك فقال له : هل رأيت النبيَّ ﷺ ؟ قال : لا . قال : فهل رأيت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ؟ قال : لا . قال : لو أخبرتني أنَّك رأيت النبيَّ ﷺ ضربت عنقك ، ولو أخبرتني انّك رأيت أبا بكر ، وعمر ، لأوجعتك عقوبة .

قال الأميني : إنَّك لو أمعنت النظر فيما ذكرناه في ترجمة أبي يوسف في (ج ٨ ص ٥٢ ، ٥٣) ، لأغناك عن مؤنة البرهنة على تفنيد هذه الرواية ، وما يجري مجراها .

على انَّها مضادَّةٌ لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنَّ عليّاً خير البشر ، وما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم من تأويل قوله سبحانه : ﴿اولئك هم خير البريَّة﴾ . بعليّ عليه السلام وشيعته[١] فالرواية مخالفةٌ للكتاب والسنَّة فأحرِ بها أنْ تضرب عرض الجدار . وإنّها على طرف نقيض مع نظريَّة أمير المؤمنين عليه السلام في نفسه ، عند مقايستها مع القوم ، فهو الذي يقول : «متى وقع الشكّ فيَّ مع الأوَّل ، حتى صرت أُقرن بهذه النظائر» . ويقول : «لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة ، وهو يعلم أنَّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى» . إلى كثير ممّا يشبه بعضه بعضاً من نظائر هذا القول . راجع غير واحد من أجزاء هذا الكتاب .

٢٣ ـ أخرج ابن عدي ، عن محمّد بن نوح ، حدّثنا جعفر بن محمّد الناقد ، حدّثنا عمّار بن هارون المستملي البصري ، أخبرنا قزعة بن سويد البصري ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عبّاس رفعه : ما نفعني مالٌ ما نفعني مال أبي بكر . وفيه : وأبو بكر وعمر منّي بمنزلة هارون من موسى .

وأخرجه من طريق ابن جرير الطبري ، عن بشير بن دحية عن قزعة بن سويد[٢] . أقول : في الإسناد عمّار المستملي الدلال ، قال أبو الضريس : سألت ابن المديني عنه فلم يرضه ، وقال ابن عدي : عامَّة ما يرويه غير محفوظ . وقال أيضاً : يسرق الحديث . وقال العقيليّ : قال لي موسى بن هارون : عمّار أبو ياسر

(١) راجع ما مرّ في : ج ٢ ص ٧٦ ، وج ٣ ص ٤٢

(٢) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٥ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٣ .

متروك الحديث . وقال الخطيب : سمع منه أبو حاتم ، ولم يرو عنه وقال : متروك الحديث وقال ابن حبّان : ربما أخطأ .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٥ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٧]

وفيه قزعة أبو محمّد البصري ، قال أحمد : مضطرب الحديث ، وقال أيضاً : شبه المتروك . وقال أبو حاتم : ليس بذاك القويّ محلّه الصِّدق ، وليس بالمتين ، يكتب حديثه ، ولا يحتجُّ به . وقال البخاري : ليس بذاك القويّ . وقال الآجري : سألت أبا داود عن قزعة فقال : ضعيفٌ كتبت إلى العبّاس العنبري أسأله عنه فكتب إليَّ : إنّه ضعيفٌ ، وقال النسائي : ضعيفٌ وقال ابن حبّان : كان كثير الخطأ ، فاحش الوهم ، فلمّا كثر ذلك في روايته سقط الإحتجاج بأخباره ، وقال البزار : لم يكن بالقويِّ . وقال العجلي ، فيه : ضعيفٌ[١] .

وفي إسناد الطبري بشر بن دحية ، ضعّفه الذهبي ، وقال بعد رواية هذا الحديث عنه : هذا كذبٌ ومَن بشر ؟ وقال : قزعة ليس بشيء[٢] .

٢٤ ـ أخرج الحافظ العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى) : من طريق الحاكم أبي أحمد ، عن أبي ميمون أحمد بن محمد بن ميمون بن كوثر بن حكيم الهمداني بحلب ، عن إسحاق بن ابراهيم بن الأخيل العبسي ، عن ميسر[٣]بن اسماعيل ، عن الكوثر بن حكيم الهمداني ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعاً : إنَّ أرأف امَّتي لها أبو بكر ، وإنَّ أجلّها في أمر الله لعمر ، وإنَّ أشدّها حياءً عثمان ، وإنَّ أقضاها لعليّ ، وإنَّ أقرأها لأُبيّ ، وإنَّ أفرضها زيد بن ثابت ، وإنّ أصدقها لهجة أبو ذرّ ، وإنّ أعلمها بالحلال والحرام لمعاذ بن جبل ، وإنَّ حبر هذه الأُمّة عبدالله بن عبّس ، ولكلِّ أُمّة أمين ، وأمين هذه الأُمَّة أبو عبيدة الجراح .

قال الأميني : في الإسناد مجاهيل يروي واحد عن آخر ، عن كوثر ، وهو

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٥ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) كذا والصحيح بشر بن إسماعيل . ولا يهمنا عرفان الصحيح من السقيم في المقام ، إذ بشر أيضاً كميسر ، مجهول منكر ، لا يعرف كما في (لسان الميزان) .

كما قال أبو زرعة : ضعيفٌ . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال أحمد بن حنبل: أحاديثه بواطيل ليس بشيء . وقال الدارقطني وغيره : مجهولٌ ، وقال : ضعيفٌ منكر الحديث ، وقال الجوزجاني : لا يحلّ كتابة حديثه عندي ، لأنّه متروك . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه غير محفوظ ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : ضعيف الحديث ، قلت : هو متروك ؟ قال : لا ، ولا أعلم له حديثاً مستقيماً ، وهو ليس بشيء ، وقال الساجي : ضعيفٌ . وقال البرقاني والدارقطني : متروك الحديث ، وقال الحاكم ، وأبو نعيم : روى أحاديث مناكير وذكره العقيلي والدولابي ، وابن الجارود ، وابن شاهين في الضعفاء ، وقال أبو الفتح : ضعيفٌ[١] .

٢٥ ـ أخرج الحافظ العاصمي في (زين الفتى) عن سلسلة مجاهيل ، تنتهي إلى عليّ بن يزيد ، عن أبي سعد البقّال ، عن أبي محجن قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ أرأف الناس بهذه الامّة أبو بكر الصدِّيق ، وأقواها بأمر الله عمر ، وأشدُّها حياء عثمان ، وأعلمها بفصل قضاء عليّ بن أبي طالب ، وأعلمها بحساب الفرائض زيد بن ثابت ، وأعلمها بناسخ من منسوخ معاذ بن جبل ، وأقرأها أُبيّ بن كعب ، ولكلّ أُمّة أمين ، وأمين هذه الامّة ابو عبيدة بن الجرّاح .

قال الأميني : من رجال الإسناد بعد المجاهيل عليّ بن يزيد ، وهو أبو الحسن الكوفي الأكفاني نظراً إلى طبقته ، قال أبو حاتم : ليس بقويّ منكر الحديث عن الثقات ، وقال ابن عدي : أحاديثه لا تشبه أحاديث الثقات ، وعامّة ما يرويه لا يتابع عليه[١] .

عن أبي سعيد البقّال الكوفي سعيد بن المرزبان الأعور : قال ابن معين : ليس بشيء لا يكتب حديثه ، وقال عمرو بن علي : ضعيف الحديث ، متروك الحديث ، وقال أبو زرعة : ليّن الحديث مدلّس ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : لا يحتجّ بحديثه ، وقال النسائي : ضعيفٌ ، وقال

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٥٩ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩١ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٩٥ .

أيضاً : ليس بثقة ولا يكتب حديثه ، وقال الدارقطني : متروك . وقال الساجي : صدوقٌ فيه ضعفٌ ، وقال العجلي : ضعيفٌ ، وقال ابن حبّان : كثير الوهم فاحش الخطأ[٢]وقال ابن حجر في (الإصابة ج ٤ ص ١٧٤) : أبو سعيد ضعيفٌ ، ولم يدرك أبا محجن .

عن أبي محجن الثقفي ، وما أدراك ما الثقفي : كان يُدمن الخمر، منهمكاً في الشراب ، حدَّه عمر في سبع مرّات ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ، وهو صاحب الشعر الدائر السائر :

إذا متُّ فادفنّي إلى جنب كرمة ... تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفننّي بالفلاة ، فإنّني ... أخاف إذا ما متُّ أنْ لا أذوقها

هذا أبو محجن فانظر ماذا ترى ، وأنت بين أمرين إمّا أن تأخذ بكتاب الله وفيه قوله تعالى : ﴿**إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا**﴾[١] وإمّا أنْ تجنح إلى ما جاء به القوم من خرافة : الصحابة كلّهم عدول . لا يستوي الحسنة ولا السيّئة ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة ، لا يستوي الخبيث والطيّب ، ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾ .

٢٦ ـ أخرج الحافظ العاصمي في (زين الفتى) بإسناده عن أبي علي الهروي ، عن المأمون ، عن أحمد بن سعد العبادي ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الأعلى بن مسافر ، عن الشعبي ، عن المصطلقي رجلٌ من بني المصطلق ، قال : بعثني قومي بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ يسألون إلى مَن يدفعون صدقاتهم بعد وفاته ، فلقيني عليُّ بن أبي طالب فسألني ، فقلت : أرسلني قومي بنو المصطلق إلى رسول الله يسألونه إلى مَن يدفعون صدقاتهم بعده ، فقال عليّ : إذا سألته فأخبرني ما قال لك . فأتى رسول الله فأخبره أنّ قومه أرسلوه يسألونه إلى مَن يدفعون صدقاتهم بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : إدفعوها إلى أبي بكر . فرجع المصطلقي إلى عليّ فأخبره ، فقال له عليّ : إرجع إليه فسائله إنْ كان أبو بكر

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٧٩ .
(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ٤٩ .

يموت إلى مَنْ يدفعونها ؟ فأتاه فسأله فقال : إدفعوها إلى عمر . فرجع إلى عليّ فأخبره فقال له عليٌّ : إرجع فقل له : إنْ كان عمر يموت إلى مَنْ يدفعونها ؟ فقال : إدفعوها إلى عثمان . فرجع إلى عليّ فأخبره ، فقال له عليٌّ : إرجع فسائله إلى مَن يدفعونها بعد عثمان ، فقال له ـ الرجل : إنّي لأستحي أن أرجع بعد هذا .

قال الأميني : هلم معي نقرأ صحيفة ممّا جاء في رجال إسناد هذه الرواية التي تُبنى عليها ، وعلى أمثالها الخلافة الإسلاميّة ، عند بعض رجالات القوم .

١ ـ أبو عليّ الهروي هو أحمد بن عبد الله الجويباري[1] قال ابن عدي : كان يضع الحديث لإبن كرام على ما يريده ، فكان إبن كرام يخرجها في كتبه عنه . وقال ابن حبّان : دجّال من الدجاجلة ، روى عن الأئمّة أُلوف أحاديث ما حدَّثوا بشيء منها . وقال النسائي : كذّابٌ . وقال الذهبي : ممّن يُضرب المثل بكذبه ، وقال البيهقي : إنّي أعرفه حقَّ المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ ، فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث وسمعت الحاكم يقول : هو كذّابٌ خبيث ، ووضع كثيراً في فضائل الأعمال ، لا تحلُّ رواية حديثه من وجه ، وقال الخليلي : كذّابٌ يروي عن الأئمّة أحاديث موضوعة ، وكان يضع لابن كرام أحاديث مصنوعة ، وكان إبن كرام يسمعها وكان مغفّلاً . وقال أبو سعيد النقاش : لا نعرف أحداً أكثر وضعاً منه . إلى كلمات اخرى لدة هذه .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٥٠، لسان الميزان ج ١ ص ١٩٣ ، اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٢١ . الغدير ج ٥ ص ٢٦٢] .

٢ ـ المأمون بن أحمد السلمي الهروي ، يروي عنه الجويباري ، قال ابن حبّان : دجّال . وقال ابن حبّان أيضاً : سألته متى دخلت الشام ؟ قال : سنة خمسين ومأتين ، قلت : فإنَّ هشاماً الذي تروي عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين ، فقال : هذا هشام بن عمّار آخر . وممّا وضع على الثقات (فذكر حديثاً) ثمَّ قال : وانّما ذكرته ليعرف كذبه لأنَّ الأحداث كتبوا عنه بخراسان . وقال أبو نعيم : خبيثٌ وضّاعٌ يأتي عن الثقات مثل هشام ودحيم بالموضوعات ، ومثله

(١) الجويبار : من أعمال الهراة ، ويعرف بستوق .

يستحقُّ من الله تعالى ، ومن الرسول ، ومن المسلمين ، اللعنة . وقال الحاكم في المدخل بعد ذكر حديث عنه : ومثل هذه الأحاديث يشهد من رزقه الله أدنى معرفة بأنّها موضوعةٌ على رسول الله ﷺ ، أو كما قال . وقال الذهبي : أتى بطامّات وفضائح .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٤ ، لسان الميزان ج ٥ ص ٧]

٣ ـ أحمد بن سعد العبادي : لا أعرفه ولم أجد له ذكراً في الكتب والمعاجم .

٤ ـ عبد الأعلى بن مسافر (الصحيح : ابن أبي المساور) الزهري ، أبو مسعود الجرّار الكوفي ، نزيل المدائن . قال ابن معين : ليس بشيء . زاد ابراهيم : كذّابٌ ، وعن ابن معين ايضاً ليس بثقة . وعن عليٍّ بن المديني : ضعيفٌ ليس بشيء . وقال ابن عمّار الموصلي : ضعيفٌ ليس بحجّة . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ جدّاً ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث يشبه المتروك ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو داود : ليس بشيء . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال في موضع آخر : ليس بثقة ولا مأمون . وقال ابن نمير : متروك الحديث . وقال الدارقطني : ضعيفٌ . وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالقويِّ عندهم . وقال الساجي : منكر الحديث . وقال أبو نعيم الإصبهاني : ضعيفٌ جدّاً ليس بشيء .

[تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٨]

٢٧ ـ أخرج البخاري في (تاريخه الكبير ج٤ ق ٢ ص ٤٤٢) : عن إسحاق ابن ابراهيم، عن عمرو بن الحارث الزبيدي ، عن ابن سالم ، عن الزبيدي قال حميد بن عبد الله ، عن عبدالرَّحمن بن أبي عوف، عن ابن عبد ربّه، عن عاصم بن حميد قال : كان أبو ذر يقول : إلتمست النبيَّ ﷺ في بعض حوائط المدينة ، فإذا هو قاعدٌ تحت نخلة ، فسلّم عليَّ النبيُّ ﷺ فقال : ما جاء بك ؟ فقال : جئت النبيَّ ﷺ فأمره أَنْ يجلس وقال : ليأتينا رجلٌ صالح فسلم أبو بكر ، ثمَّ قال : ليأتينا رجلٌ صالحٌ ، فجاء عمر فسلّم ، وقال : ليأتينا رجلٌ صالح فأقبل عثمان بن عفان ،

ثمَّ جاء عليٌّ فسلّم فردَّ عليه مثله ، ومع النبيِّ ﷺ حصيات فسبَّحن في يده ، فناولهنَّ أبا بكر فسبَّحن في يده ، ثمَّ عمر فسبَّحن في يده ، ثمَّ عثمان فسبَّحن في يده .

رجال الإسناد :

١ ـ إسحق بن إبراهيم الحمصي المعروف بابن زبريق : قال النسائي : ليس بثقة وقال محمد بن عون : ما أشك أنَّ إسحاق بن زبريق يكذب(١) .

٢ ـ عمرو بن الحارث الحمصي : قال الذهبي : لا تُعرف عدالته(٢) .

٣ ـ عبد الله بن سالم الشامي الحمصي : كان يذمُّه أبو داود لقوله : أعان عليٌّ على قتل أبي بكر وعمر(٣) ، فالرجل ناصبيٌّ ، لا يصغى إلى قيله ، وأحسب انّه آفة الرواية ، وهي كما ترى يطفح النصب من جوانبها .

٤ ـ حميد بن عبد الله ، أو حميد بن عبد الرحمن : مجهولٌ لا يعرف .

٥ ـ ابن عبد ربّه : إنْ كان هو محمد المروزي فهو ضعيفٌ كما في (لسان الميزان ج ٥ ص ٢٤٤) ، وإن كان غيره فهو مجهولٌ ، ونفس البخاري الذي ذكره لا يعرف منه إلّا أنّه[ابن عبد ربّه] ولا يسميه ، ولا يذكر له غير روايته هذه .

٦ ـ عاصم بن حميد الحمصي الشامي : قال البزار : لم يكن له من الحديث ما نعتبر به حديثه ، وقال ابن القطّان : لا نعرف انّه ثقةٌ(٤) .

٧ ـ أبو ذر الغفاري ، أنا لا أدري أنَّ أباذر هذا هل هو الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» ؟ أو الذي يقول فيه عثمان : انّه شيخٌ كذّابٌ ، ورآه أهلاً لأن يهلك في المنفى ؟ ولست أدري من الحَكم هٰهنا هل الذي يخضع لقول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أو

(١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢١٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ١٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٢٨ .
(٤) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٤٠ .

الذي يبرِّر موقف عثمان ويبرؤه عن كلِّ شِيَة ، وعلى كلّ ففي مَن قبَله من رواة السوء كفاية في تفنيد الحديث .

ولعلّ الباحث بعد قراءة ما سردناه من حديث أبي ذر ، ومواقفه ، ونقمته على عثمان ، وما جرى بينهما ، لا يذعن قطُّ بهذه الأفيكة ، ولا يصدِّق أن يكون أبو ذر الصّادق المصدَّق ، هو صاحب هذه الرواية المختلقة .

وهذا الإسناد الملفّق من رجال حمص[1] ، يذكّرني قول ياقوت الحموي في (معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤١) قال : ومن عجيب ما تأمّلته من أمر حمص ، فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل ، حتّى يضرب بحماقتهم المثل ، انَّ أشدَّ النّاس على عليّ ، رضي الله عنه ، بصفين مع معاوية كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه ، وجِدّاً في حربه ، فلمّا انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى انَّ في أهلها كثيراً ممّن رأى مذهب النُصيريّة ، وأصلهم الإماميَّة الذين يسبّون السلف ، فقد التزموا الضّلال أولاً وأخيراً ، فليس لهم زمانٌ كانوا فيه على الصواب .

لفظ آخر بإسناد آخر :

أخرج البيهقي ، عن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن عبدان ، عن أحمد بن عبيد الصفّار ، عن محمد بن يونس الكديمي ، عن قريش بن أنس ، عن صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، عن رجل يقال له : سويد بن يزيد السلمي [أو : الوليد بن سويد] قال : سمعت أبا ذر يقول : لا أذكر عثمان إلاّ بخير بعد شيء رأيته ، كنت رجلاً أتّبع خلوات رسول الله ﷺ ، فرأيته يوماً جالساً وحده ، فاغتنمت خلوته ، فجئت حتّى جلست إليه ، فجاء أبو بكر فسلّم عليه ، ثمَّ جلس عن يمين رسول الله ﷺ ، ثمَّ جاء عمر فسلّم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثمَّ جاء عثمان فسلّم ثمَّ جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات ، أو قال تسع حصيات ، فأخذهنَّ في كفّه فسبّحن حتّى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النخل ،

---

(١) بالكسر ثم السكون والصاد المهملة بلد كبير بين الشام وحلب ، في نصف الطريق ، يذكر ويؤنث .

ثمَّ وضعهنَّ فخرسن ، ثمَّ أخذهنَّ فوضعهنَّ في كفِّ أبي بكر فسبّحن حتّى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النخل ، ثمَّ وضعهنّ فخرسن ، ثمَّ تناولهنّ فوضعهنَّ في يد عمر فسبّحن حتّى سمعت لهنّ حنيناً كحنين النخل ، ثمَّ وضعهنّ فخرسن ، ثمَّ تناولهنَّ فوضعهن في يد عثمان فسبّحن حتّى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النخل ، ثمَّ وضعهنّ فخرسن ، فقال النبيُّ ﷺ : هذه خلافة النبوّة(١) .

قال الأميني : هذا الإسناد مضافاً إلى ما في رجاله من المجهول ، والضعيف، ومن تغير عقله(٢) ، وأسنده إليه مَن سمع عنه بعد اختلاطه ، كما في[تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٧٥]

فيه : محمد بن يونس الكديمي : وقد عرَّفناك ترجمته في (الجزء الخامس: ص٣٢٤ وانّه كذّابٌ وضّاعٌ ، من بيت عُرف بالكذب . كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى العلماء ، ولعلّه وضع على الثقات أكثر من ألف حديث .

إقرأ واعجب من خلافة تدعم بمثل هذه الخزاية ، ثمَّ اعجب من حفّاظ أخرجوها في تآليفهم محتجِّين بها ، ساكتين عنها ، وهم يعلمون ما فيها من العلل ، وإنَّ ربّك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون .

لفت نظر :

من عجيب ما نراه في هذه الرواية وأمثالها من الموضوعات في مناقب الثلاثة ، أو الأربعة ، تنظيم هذا الصفّ المنضّد ، كالبنيان المرصوص الذي لا اختلاف فيه . فلا يأتي قطُّ أوّلاً إلاّ أبو بكر ، وثانياً إلاّ عمر ، وثالثاً إلاّ عثمان ، ورابعاً إن كان لهم رابع إلاّ علي عليه السلام سبحان الله فكأنّهم متبانون على هذا الترتيب، فلا يتقدَّم أحد أحداً، ولا يتأخَّر أحدٌ عن أحد، ففي حديث التسبيح : جاء أبو بكر فسلّم ، ثمَّ جاء عمر فسلّم ، ثمّ جاء عثمان فسلّم ، ثمَّ جاء عليّ فسلّم .

---

(١) تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ١٣٢ ، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) هو قريش بن أنس المترجم في (تهذيب التهذيب) لابن حجر .

وفي حـديث البستـان عن أنس : جـاء أبـو بكـر ، ثمّ جـاء عمـر ، ثمّ جـاء عثمان[١] .

وفي حديث بئر أريس عن أبي موسى : جاء أبو بكر ، ثمّ جاء عمر ، ثمّ جاء عثمان[٢] .

وفي حـديث استئذانهم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهـو مضطجـع على فراشـه ، عن عائشة : استأذن أبو بكر ، ثمَّ جاء عمر فاستأذن ، ثمّ جاء عثمان فاستأذن .

[راجع ص٣١١ مـن الجزء التاسع]

وفي حديث الفخذ والركبة : استـأذن أبو بكـر ، ثمّ جاء عمـر فاستـأذن ، ثمّ جاء عثمان فاستأذن . كما مرّ في (الجزء التاسع ص٣١١) .

وفي حديث جابـر بالأسـواف : يطلع عليكم رجـل من أهل الجنّـة فطلع أبـو بكر ، ثمّ طلع عمر ، ثمَّ طلع عثمان .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٧]

وفي حديث حائط من حوائط المدينة : عن بلال ، جاء أبو بكر يستأذن ، ثمَّ جاء عمر ، ثمّ جاء عثمان .

[فتح الباري ج ٧ ص ٣٠]

وفي حديث التبشير بالجنّة : عن عبد الله بن عمر : جـاء أبو بكـر فاستـأذن ، ثمّ جاء عمر فاستأذن ، ثمَّ جاء عثمان فاستأذن[٣] .

وفي حديث خطبة الزهراء فاطمة سلام الله عليها : جاء أبو بكر ، ثمَّ عمـر ، ثمَّ عليّ .

[ذخائر العقبى ص ٢٧]

وفي حديث بناء مسجد المدينة ، عن عائشة : جاء أبو بكر بحجـر فوضعـه ،

---

(١) راجع الجزء الخامس ٤٠٣

(٢) راجع الصحيحين وغيرهما وحسبك تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢٠٤ .

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٢ .

ثمّ جاء عمر بحجر فوضعه ، ثمَّ جاء عثمان بحجر فوضعه[١] .

فهل هذا حكم القَدر يأتي بهم متتابعين ؟ أو قضيَّة التباني طيلة حياة النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا يقبلون إلاّ بهذا الترتيب ؟ أو هو من حكم الطبيعة فلا يختلف ولا يتخلف ؟ أو أنّه من ولائد الإتفاق ، لكنّه لم يتفاوت في أيّ من الموارد ؟ أو أنّه من مشتهيات الوضّاعين الذين يتحرّون ترتيب الفضيلة هكذا ؟ ولعلَّ القول بالأخير هو المتعين فحسب .

٢٨ ـ عن زيد بن أبي أوفى قال : دخلت على رسول الله ﷺ مسجده . وفي لفظ : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في مسجد المدينة ، فجعل يقول : أين فلان ؟ أين فلان ؟ فلم يزل يبعث إليهم ، ويتفقّدهم ، حتّى اجتمعوا عنده ، فلمّا توافوا عنده ، حمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : إنّي محدِّثكم حديثاً فاحفظوه وعوه ، وحدِّثوا به مَن بعدكم : إنَّ الله عزَّ وجلَّ اصطفى من خلقه خلقاً ثمَّ تلا : ﴿والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، خلقاً يدخلهم **الجنّة**﴾ ، وإنّي أُصطفي منكم من أُحبّ أن أصطفيه ، ومواخ بينكم كما آخى الله عزّ وجلّ بين ملائكته ، فقم يا أبا بكر ! فقام فجثا بين يديه فقال : إنَّ لك عندي يداً الله يجزيك بها ، فلو كنت متَّخذاً خليلاً لاتَّخذتك خليلاً ، فأنت منّي بمنزلة قميصي من جسدي ، وحرَّك قميصه بيده . ثمَّ قال : أُدن يا عمر ! فدنا منه فقال : لقد كنت شديد الشغب علينا يا أبا حفص ! فدعوت الله أنْ يعزَّ الإسلام بك ، أو بأبي جهل ، ففعل الله ذلك بك ، وكنت أحبّهما إلى الله ، فأنت معي في الجنَّة ثالث ثلاثة من هذه الامّة ، ثمَّ آخى بينه وبين أبي بكر .

ثمَّ دعا عثمان فقال : أُدن يا أبا عمرو ! فلم يزل يدنو منه حتّى ألصق ركبتيه بركبتيه فنظر رسول الله ﷺ إلى السّماء فقال : سبحان الله العظيم . (ثلاث مرّات) . ثمّ نظر إلى عثمان ، وكانت أزراره محلولة ، فزرَّها رسول الله ﷺ بيده ثمّ قال : إجمع عطفي ردائك على نحرك ، إنَّ لك شأناً في أهل السّماء ، أنت ممّن يرد عليَّ حوضي (وفي لفظ : يرد عليَّ يوم القيامة) وأوداجك تشخب دماً ، فأقول

---

(١) راجع الجزء الخامس : ص ٤٠٦ .

لك : مَن فعل بك هذا ؟ فتقول : فلانٌ وفلان ، وذلك كلام جبرئيل إذا هتف من السَّماء فقال : ألا إنَّ عثمان أميرٌ على كلّ مخذول . ثمَّ دعا عبد الرَّحمن بن عوف فقال : أُدن يا أمين الله ! أنت أمين الله ، وتسمّى في السَّماء : الأمين ، يسلّطك الله على مالك بالحق ، أما إنَّ لك عندي دعوة وعدتكها وقد أخَّرتها فقال : خرلي يا رسول الله ، قال : حملتني يا عبد الرَّحمن أمانة ! ثمَّ قال : إنَّ لك شأناً ياعبد الرَّحمن ! أما إنّه أكثر الله مالك ، وجعل يقول بيده : هكذا وهكذا ، ثمَّ آخى بينه وبين عثمان .

ثمَّ دعا طلحة والزبير فقال : أُدنوا منّي فدنوا منه . فقال لهما : أنتما حواريّ كحواري عيسى بن مريم ، ثمَّ آخى بينهما .

ثمَّ دعا عمّار بن ياسر وسعداً فقال : يا عمّار ! تقتلك الفئة الباغية ، ثمَّ آخى بينهما . ثمَّ دعا عويمر بن زيد أبا الدرداء وسلمان الفارسي ، وقال : يا سلمان ! أنث منّا أهل البيت وقد آتاك الله العلم الأوّل والآخر ، والكتاب الأوّل والكتاب الآخر ، ثمَّ قال : ألا أرشدك يا أبا الدرداء ؟ قال : بلى بأبي أنت وامّي يا رسول الله ! قال : إنْ تفتقدهم تفقدوك وإنْ تركتهم لا يتركوك ، وإن تهرب منهم يدركوك ، فاقرضهم عرضك ليوم فقرك ، واعلم أنّ الجزاء أمامك . ثمَّ آخى بينهما .

ثمَّ نظر في وجوه أصحابه فقال : أبشروا وقرّواعيناً ، أنتم أوّل من يرد عليّ الحوض وأنتم في أعلى الغرف ، ثمَّ نظر إلى عبد الله بن عمر وقال : الحمد لله يهدي من الضلالة من يحبُّ، ويلبس الضلالة على مَن أحبَّ ، فقال عليٌّ : يا رسول الله ! لقد ذهبتْ روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري ، فإنْ كان هذا من سخط عليَّ فلك العتبى والكرامة ، فقال رسول الله ﷺ : والّذي بعثني بالحقِّ ما أخّرتك إلّا لنفسي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير انّه نبيّ بعدي ، وأنت أخي ووارثي ، قال : يا رسول الله ! وما أرث منك ؟ قال : ما ورثت الأنبياء من قبلي . قال : ما ورثته الأنبياء من قبلك ؟ قال : كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم ، وأنت معي في قصري في الجنّة مع فاطمة ابنتي (وأنت أخي ورفيقي)[1]

(١) هذه الزيادة في بعض الألفاظ .

ثمَّ تلا رسول الله ﷺ : ﴿إخوانٌ على سرر متقابلين﴾ . الأخلّاء في الله ينظر بعضهم إلى بعض .

قال الأميني : قال أبو عمر في (الإستيعاب ج ١ ص ١٩١) في ترجمة زيد بن أبي أوفى : روى حديث المؤاخاة بتمامه إلّا أنَّ في إسناده ضعفاً .

وقال ابن حجر في (الإصابة ج ١ ص ٥١٠) : روى حديثه ابن أبي حاتم ، والحسن بن سفيان ، والبخاري في (التاريخ الصغير) من طريق ابن شرحبيل ، عن رجل من قريش ، عن زيد بن أبي أوفى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجد المدينة فجعل يقول : أين فلان ؟ أين فلان ؟ فلم يزل يتفقّدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده . فذكر الحديث في إخاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولحديثه طرقٌ عن عبد الله ابن شرحبيل، وقال ابن السكن : روي حديثه من ثلاث طرق ليس فيها ما يصحّ ، وقال البخاري : لا يعرف سماعُ بعضهم من بعض ، ولا يتابع عليه ، رواه بعضهم ، عن ابن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، ولا يصحّ .

وقفنا من طرق الرواية الثلاث المعزوّة إليها على طريقين أحدهما طريق أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان المجهول عن :

محمد بن يحيى بن اسماعيل السهمي التمّار : قال الدارقطني : ليس بالمرضيّ . عن نصر بن علي الثقة إنْ كان هو الجهضمي كما هو الظاهر . عن عبد المؤمن بن عباد ، ضعّفه أبو حاتم ، وقال البخاري : لا يتابع على حديثه ، وذكره السّاجي وابن الجارود في الضعفاء[1] . عن :

يزيد بن سفيان : قال الذهبي : ضعّفه ابن معين وقال النسائي : متروكٌ . وقال شعبة : لو يُعطى درهماً لوضع حديثاً . له نسخةٌ منكرةٌ ، تكلّم فيه ابن حبّان . وقال ابن حبّان : نسخةٌ مقلوبةٌ لا يجوز الإحتجاج به إذا انفرد لكثرة خطائه ، ومخالفة الثقات في الروايات ، وقال العقيلي في الضعفاء : لا يعرف بالنقل ولا يُتابع على حديثه[2]عن :

(١) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٥٦ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٧٦ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣١٢ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٨٨ .

عبد الله بن شرحبيل عن :

رجل من قريش : الله يعلم مَن الرجل ، وهل وُلد هـو أو لم يُخلق بعدُ ، عن زيد بن أبي أوفى .

رجال الطريق الثاني :

عبد الرَّحيم بن واقدالواقدي الخراساني الراوي ، عن شعيب الأعـرابي ، قال الخـطيب في (تـاريخـه ج ١١ ص ٨٥) : في حـديثـه منـاكيـر لأنهـا عن الضعفـاء والمجاهيل . عن :

شعيب بن يـونس الأعرابي من اولئـك الضعفاء ، أو المجـاهيل الـذين أوعـز إليهم الخطيـب في عبد الرَّحيم الواقدي ، عن :

موسى بن صهيب : قال ابن حجر في اللسان : لا يكاد يُعرف ، عن :

يحيى بن زكريّا : قـال ابن عدي : كـان يضع الحـديث ويسرق ، وذكـر ابن الجوزي حديثاً باطلاً وقال : هذا حديثٌ موضوعٌ بلا شكّ ، والمتّهم به يحيى ، قال يحيى بن معين : هو دجّالُ هذه الامّة(١) ، عن :

عبد الله بن شرحبيل ، عن رجل من قـريش : هذا الإنسـان الذي تنتهي إليـه أسانيد الرواية ، ولعلّه هو آفتها ، لم يُعرف مَن هو ، إن كان قد خُلق .

هـذه طرق الـرواية ، وتلك نصـوص البخاري ، وابن السكن ، وأبي عمـر ، وابن حجـر ، على بـطلانهـا ، وانّهـا ليس فيهـا مـا يصـحّ ، على أنَّ المؤاخـاة بين المهاجرين وقعت بمكّة قبل الهجـرة ، والتي حدثت بـالمدينـة بعد الهجـرة بخمسة أشهر ، هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصـار فأبـو بكر فيهـا أخو خـارجة بن زيـد الأنصاري ، وعمر أخو عتبان بن مالك ، وعثمان أخو أوس بن ثـابت ، والزبيـر أخو سلمة بن سلامة ، وطلحة أخو كعب بن مالك ، وعبد الـرَّحمن بن عوف أخـو سعد ابن الربيع(٢) .

---

(١) لسان الميزان ج ٦ ص ٢٥٣ .

(٢) راجع ما أسلفناه من المصادر في (الجزء التاسع : صفحة ٣٥٨) .

فقول مختلق الرواية : دخلت على رسول الله مسجده . أوقوله : خرج علينا رسول الله ، ونحن في مسجد المدينة . أقوى شاهد على اختلاقها .

وإنْ تعجب فعجبٌ إخراج غير واحد من الحفاظ هـذه الروايـة بين مَن أرسلها إرسال المسلّم ، محذوف الإسناد كالمحبّ الطبري في (الـرياض النضـرة : ج ١ ص ١٣) ، وبين مَن أسنـدها بهـذه الطرق الـوعـرة ، من دون أيِّ غمـز فيهـا كـابن عساكر في (تاريخه) والعاصمي في (زين الفتى) ، وأعجب من ذلك تـدعيم الحجّة على الخصم بهـا ، والـركـون إليهـا في تشييـد الأحـداث والمبادىء السـاقـطة قـال العـاصمي : في هذا الحـديث من العلم : إنَّ رسول الله ﷺ أثنى على أبي بكـر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وآخى بينهم ، وأشار إلى ما يصيب عثمان من القـوم ، ولم يجعله في ذلك مليمـاً ولا سمّـاه ذميمـاً ، فـلا ينبغي لمسلم أَنْ يبسط لسانه فيهم بما كان من بعضهم إلى بعض لأنّه ﷺ لم يؤاخ بينهم في الدنيا ، إلاّ وهم يكونون اخوة في الآخرة ، وفيه من العلم أيضاً : أَنَّ النبيَّ ﷺ سمّى المـرتضى أخاً ووارثاً ، ثمَّ بيّن إرثه وجعلـه كتاب الله وسنّة الـرسول ، ولم يجعـل فدكاً وخيبـر إرثاً منه ، تبيّن من ذلك بطلان قول الرافضة والله المستعان . (اهـ) .

ومن العجب جدّاً حسبان العاصمي انفتاح بابين من العلم له من هذه الروايـة الباطلة ، وأيّ علم هذا مصدره شكوكٌ وأوهام وأكاذيب ؟ أنـا لست أدري كيف راق العاصمي الإحتجاج بمثلها من رواية تافهة ، فضلاً عن أَنْ يستخرج منهـا كنز علمـه الدفين ، ويرجع إليها في الحكم كأنّه يستند إلى ركن وثيق ، ويغفل أو يغافل ، عن أنّه مرتكن إلى شفا جرف هار ، على أنَّا فنَّدنا في أجزاء كتابنا هذا أكثـر ما فيهـا من الفضائل .

ثمَّ إنَّ هذه المقولات التي تضمّنتهـا الروايـة ، على فرض صـدورها ، كـانت بمشهـد ومسمع من الصحـابة ، أو سمعهـا على الأقل كثيـرون منهم ، ومن اولئـك السامعين الذين وعوها طلحة ، والزبير ، وعمّار ، فلماذا لم يرجع إليها أحدٌ منهم ، يوم تشديـد الوطـأة على عثـمان ، وفي الحصارين ، وحـول واقعة الـدار؟ فهل اتّخـذوها ظهريّاً يومئذ مستخفّين بها ؟ حاشـاهم ، وهـم الصحابـة العدول كمـا يزعمـون ، أو

أنّهم نسوها كما نسيت مثلها امُّهم عائشة من حديث الحوأب[١] ، فلم يذكروها حتّى وضعت الفتنة أو زارها ، وهذا كما ترى ، ولعلّه لا يفوه به ذو مسكة .

وأمّا العلم الثاني الذي استخرج كنزه العاصمي من حصر إرث أمير المؤمنين علي من رسول الله بالكتاب والسنّة ، وفنّد حديث فدك وخيبر ، وشنّع على الشيعة بذلك فأتفه ممّا قبله ، فإنَّ الشيعة لا تدَّعي لأمير المؤمنين عليه السلام الإرث المالي ، ولا ادَّعاه هو صلوات الله عليه لنفسه ، يوم كان يطالبهم بفدك ، وإنّما كان يبغيها لأنّها حقٌّ لابنة عمّه الصدِّيقة الطاهرة ، سواء أكانت نحلة لها من أبيها كما هو الصحيح أو إرثاً على اصول المواريث التي جاء بها الكتاب والسنَّة ، على تفصيل عسى أن نتفرّغ له ، في غير هذا الموضع من الكتاب ، فمؤاخذة الشيعة بتلك المزعمة المختلقة تقوّلٌ عليهم ، وما أكثر ما افتعلت عليهم الأكاذيب ، فإنّ ما تدّعيه الشيعة من إرث الإمام عليه السلام عن مخلّفه ومشرِّفه صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يشذّ عمّا أجمعت عليه أهل السنَّة ، وهو من براهين الخلافة له عليه السلام ، قال الحاكم : لا خلاف بين أهل العلم أنَّ ابن عمّ لا يرث من العمّ ، فقد ظهر بهذا الإجماع أنّ عليّاً ورث العلم من النبيّ دونهم[٢] ، فهذه الوراثة الخاصّة لعليّ عليه السلام من بين الامّة ، عبارةٌ أُخرى عن الخلافة عنه صلى الله عليه وآله وسلم التي من أجلها كان الأُوصياء يرثون الأنبياء .

٢٩ ـ في الصحيحين[٣]من حديث محمد بن مسكين البصري ، عن يحيى ابن حسان البصري، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي موسى الأشعري، قال : توضَّأت في بيتي ثمّ خرجت ، فقلت : لأكوننَّ اليوم مع رسول الله ﷺ فجئت المسجد فسألت عنه فقالوا : خرج وتوجَّه هٰهنا ، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس فمكثت بها حتى علمت أنّ النبيّ ﷺ قد قضى حاجته وجلس ، فجئته فسلّمت عليه فإذا هو قد جلس على قُفّ[٤]بئر أريس[٥] فتوسَّطه ، ثمّ دلّى رجليه في البئر ، وكشف عن ساقيه ، فرجعت

(١) راجع الجزء الثالث : ص٢٣٦ - ٢٣٩

(٢) راجع الجزء الثالث : ص١٣٤

(٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ كتاب المناقب ، صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٨ ، ١١٩ كتاب المناقب .

(٤) قُفّ البئر : الدكة التى تجعل حولها .

(٥) بستان في قباء قرب المدينة المشرفة .

إلى الباب ، وقلت : لأكوننَّ بوّاب رسول الله ﷺ فلم أنشب أن دقّ الباب فقلت : مَن هذا ؟ قال : أبو بكر : قلت : على رسلك ، وذهبت إلى النبيِّ ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : إئذن له وبشِّره بالجنَّة ، قال : فخرجت مسرعاً حتّى قلت لأبي بكر : أُدخل ورسول الله ﷺ يبشّرك بالجنَّة ، قال : فدخل حتى جلس إلى جنب النبيّ ﷺ في القفّ على يمينه ، ودلّى رجليه ، وكشف عن ساقيه ، كما صنع النبيُّ ﷺ قال : ثمّ رجعت ، وقد كنت تركت أخي يتوضّأ ، وقد كان قال لي : أنا على إثرك ، فقلت : إنْ يُرد الله بفلان خيراً يأت به ، قال : فسمعت تحريك الباب، فقلت: مَن هذا؟ قال عمر. قلت: على رسلك، قال: وجئت النبيّ ﷺ فسلّمت عليه وأخبرته، فقال : إئذن له وبشِّره بالجنّة ، قال : فجئت وأذنت له وقلت له : رسول الله ﷺ يبشّرك بالجنَّة ، قال : فدخل حتّى جلس مع رسول الله على يساره ، وكشف عن ساقيه ، ودلّى رجليه في البئر، كما صنع النبيُّ ﷺ وأبو بكر . قال : ثمّ رجعت فقلت : إنْ يُرد الله بفلان خيراً يأت به ، يُريد أخاه ، فإذا تحريك الباب ، فقلت : مَن هذا ، قال : عثمان بن عفان ، قلت : على رسلك ، وذهبت إلى رسول الله فقلت : هذا عثمان يستأذن ، فقال : إئذن له وبشِّره بالجنَّة على بلوى تصيبه ، قال : فجئت فقلت : رسول الله ﷺ يأذن لك ويبشّرك بالجنّة على بلوى أو بلاء يصيبك ، فدخل وهو يقول : الله المستعان فلم يجد في القفّ مجلساً ، فجلس وجاههم من شقّ البئر ، وكشف عن ساقيه ، ودلّاهما في البئر ، كما صنع أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، قال سعيد بن المسيب : فأوّلتها قبورهم اجتمعت ، وانفرد عثمان .

قال الأميني : نحن لا نناقش في إسناد هذه الرواية للإضطراب الواقع فيه ، فإنّها تروى عن أبي موسى الأشعري كما سمعت ، وعن زيد بن أرقم ، وهو صاحب القصّة فيما أخرجه البيهقي في (الدلائل) ، وعن بلال ، وهو البوّاب في القضيّة ، فيما أخرجه أبو داود ، وعن نافع بن عبد الحرث ، وهو البوّاب ، كما في إسناد أحمد في (المسند ج ٣ ص ٤٠٨) ، ولا نضعّفه لمكان البصريِّين الذين لهم قَدم وقِدم في اختلاق الحديث ، ووضع الطامّات على الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نؤاخذ من رجاله سليمان بن بلال بقول ابن أبي شيبة : إنّه ليس ممّن يعتمد على

حـديثه[١] ولا نـزيّفها لمكان ابن أبي نمر لقـول النسـائي وابن الجـارود : إنّـه ليس بالقويّ ، وقول ابن حبّان : ربّما أخطأ ، وقـول ابن الجارود أيضـاً : كان يحيى بن سعيد لا يحدِّث عنه . وقول الساجي : كان يـرى القدَر[٢] . ولا نغمـز فيها بمكـان سعيـد بن المسيّب الذي مرّ الإيعاز إلى تـرجمته في (الجـزء الثـامن : ص٢٧)، ولا نتكلّم في منتهى السلسلة أبي موسى الأشعري الصّحابي ، إذ الصحابة كلّهم عـدول عند القوم ، وإنْ لا يسعنا الإخبات إلى مثل هذا الرأي البهرج المحـدث ، والصفح عن قول الإمام الطاهر أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في أبي مـوسى الأشعري وصـاحبه عمرو بن العاص : «ألا إنَّ هذين الرجلين اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، وأماتا ما أحيى القرآن ، واتبع كـلّ واحـد منهما هـواه بغير هـدى من الله فحكما بغيـر حجّة بيّنـة ، ولا سُنَّة مـاضيـة ، واختلفـا في حكمهما ، وكـلاهما لم يـرشد ، فبـرىء الله منهمـا ورسـولـه وصـالـح المؤمنين»[٣] فأيّ جرح أعظم من هذا ؟ وأيّ عدل يتصوّر في الرَّجل عندئذ ؟

ولا نقول أيضاً بـأنَّ عنايـة القوم بتخصيص الخلفـاء الثلاثـة من بين الصحابـة بـالبشارة بـالجنّة ، وإكثـارهم وضع الـرواية ، واختـلاق القصص فيها ، تنبؤنـا عن أسـرار مستسرَّة ، ونحن لا نميط الستـار عنها ، ولا تسـألـوا عن أشيـاء إنْ تُبـد لكم تسؤكم .

وإنما نقول : إنَّ هذه البشارة الصـادرة من الصّادع الكـريم إنْ سلّمت ، وكان المبشِّر مصدَّقاً عند سامعيها ، فلماذا كان عمر يسأل حذيفة اليمـاني ـ صاحب السـرِّ المكنون في تمييز المنافقين ـ عن نفسه ، وينشده الله أمن القوم هو؟ وهل ذُكـر في المنافقين ؟ وهل عـدَّه رسول الله منهم[٤] والسـائل جـدُّ عليم ، بـأنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، فهل يمكننا الجمع بين هذا السؤال المتسالم عليـه ، وبين

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٧٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٣٨ .

(٣) راجع الجزء الثاني : ص ١٥٥

(٤) تـاريخ ابن عسـاكر ج ٤ ص٩٧ ، التمهيـد للباقـلاني : ص ١٩٦ ، بهجة النفـوس لابن أبي جمرة ج ٤ ص ٤٨ ، إحياء العلوم ج ١ ص ١٢٩ ، كنز العمال ج ٧ ص ٢٤ .

تلك البشارة ؟ لاها الله ! .

وهل يتأتّى الجمع بين تلك البشارة ، وبين ما صحَّ عن عثمان من حديثا[١] اعتذاره عن خروجه إلى مكّة ، أيام حوصر بقوله : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد بمكّة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب هذه الامّة من الإنس والجنّ ، فلن أكون ذلك الرجل ؟ فهل هذا مقال مَن وثق بإيمانه بالله وبرسوله ، واطمأنَّ به ، وعمل صالحاً ، ثمّ اهتدى ، فضلاً عمّن بُشِّر بالجنّة بلسان النبيِّ الصّادق الأمين ؟

٣٠ ـ أخرج البيهقي في (الدلائل) : من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور ، عن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، عن عبد الرَّحمن بن بجيد[٢] ، عن زيد بن أرقم ، قال : بعثني رسول الله ﷺ فقال : انطلق حتى تأتي أبا بكر فتجده في داره جالساً محتبياً ، فقل : إنّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السَّلام ، ويقول : أبشر بالجنّة ، ثمَّ انطلق حتى تأتي (الثنيَّة) فتلقى عمر راكباً على حمار ، تلوح صلعته فقل : إنَّ رسول الله يقرأ عليك السَّلام ، ويقول : أبشر بالجنّة ، ثمّ انصرف حتى تأتي عثمان فتجده في السوق ، يبيع ويبتاع ، فقل : إنَّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السّلام ويقول : أبشر بالجنّة بعد بلاء شديد ، فذكر الحديث في ذهابه إليهم ، فوجد كلًّا منهم ، كما ذكر رسول الله ﷺ ، وكلًّا منهم يقول : أين رسول الله ؟ فيقول : في مكان كذا وكذا ، فيذهب إليه ، وإنّ عثمان لما رجع قال : يا رسول الله وأي بلاء يصيبني ؟ والذي بعثك بالحقِّ ما تغيبت [وفي لفظ : ما تغنّيت] ولا تمنّيت ، ولا مسست ذكَري بيميني منذ بايعتك ، فأيّ بلاء يُصيبني ؟ فقال : هو ذاك .

قال الأميني : إنّ الباحث في غنى عن عرفان رجال إسناد الرواية ، بعد وقوفه على ما أسلفناه في هذا الجزء (ص ٩٨) في ترجمة عبد الأعلى بن أبي المساور ، من أنّه كذّاب خبيثٌ ، دجّالٌ ، وضّاعٌ ، روى عن الأئمّة آلاف أحاديث ، ما حدّثوا

(١) راجع ص ١٨٢ ، من الجزء التاسع

(٢) بالباء والجيم الموحدتين ، والدال المهملة ، كما في (التقريب) .

بشيء منها ، ولا يعرف أحدٌ أكثر وضعاً منه ، وهو ممّن يُضرب المثل بكذبه .

فمثل هذا الإسناد يوصف في مصطلح الفنّ بالوضع ، لا بالضعف ، كما وصفه البيهقي بذلك .

[راجع فتح الباري ج ٧ ص ٢٩]

٣١ ـ أخرج ابن عساكر في (تاريخه ج ٤ ص ٣١٢) : من طريق أبي عمرو الزاهد ، عن علي بن محمد الصائغ ، عن أبيه ، انّه قال : رأيت الحسين ، وقد وفد على معاوية زائراً ، فأتاه في يوم جمعة ، وهو قائم على المنبر خطيباً ، فقال له رجلٌ من القوم : يا أمير المؤمنين ! إئذن للحسين يصعد المنبر ، فقال له معاوية : ويلك دعني أفتخر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمَّ قال : سألتك بالله يا أبا عبد الله ! أليس أنا ابن بطحاء مكّة ؟ فقال : أي والذي بعث جدّي بالحقّ بشيراً ، ثمَّ قال : سألتك بالله يا أبا عبد الله ! أليس أنا خال المؤمنين ؟ فقال أي والذي بعث جدّي نبيّاً ، ثمَّ قال : سألتك بالله يا أبا عبد الله ! أليس أنا كاتب الوحي ؟ فقال : أي والذي بعث جدّي نذيراً ، ثمَّ نزل معاوية ، وصعد الحسين بن علي ، فحمد الله بمحامد لم يحمده الأوّلون والآخرون بمثلها ، ثمّ قال : حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن جبرئيل ، عن الله تعالى : إنّ تحت قائمة كرسيّ العرش ورقة آس خضراء ، مكتوبٌ عليها : لا إلّه إلّا الله محمد رسول الله ، يا شيعة آل محمد ! لا يأتي أحدكم يوم القيامة يقول : لا إلّه إلّا الله إلّا أدخله الله الجنّة ، فقال له معاوية : سألتك بالله يا أبا عبد الله ! من شيعة آل محمد ؟ فقال : الذين لا يشتمون الشيخين أبا بكر وعمر ، ولا يشتمون عثمان ، ولا يشتمون أبي ، ولا يشتمونك يا معاوية .

قال الأميني : قال ابن عساكر : هذا حديثٌ منكر ، ولا أرى إسناده متّصلاً إلى الحسين . ونحن نقول : إنّه كذبٌ صراح ، وإسناده متفكّك العرى ، واهي الحلقات ، أمّا أبو عمرو الزاهد ، فهو الكذّاب صاحب الطامّات والبلايا الذي ألّف جزءاً في مناقب معاوية من الموضوعات كما أسلفناه في (الجزء الخامس : ص٣١٨) توفّي سنة (٣٤٥هـ) .

وأمّا شيخه علي الصائغ فهو ضعيفٌ جدّاً ، وصفه بهذا الخطيب في (تاريخه ج ٣ ص ٢٢٢) ، وضعَّفه الدارقطني كما في (لسان الميزان ج ٢ ص ٤٨٩) .

وأمّا والده فهو مجهولٌ لا يُذكر بشيء ، وهو في طبقة مَن يروي عن مالك المتوفّى سنة (١٧٩ هـ) .

فأين وأنّى رأى سيّدنا الحسين عليه السلام المستشهد سنة (٦١هـ) ؟ وكيف أدرك معاوية الذي هلك سنة (٦٠هـ) ؟ وهل كانت الرؤية والإدراك طيف خيال أو يقظة ؟

ثمّ لو صدَّقنا الأحلام ، فإنَّ مقتضى هذه الاسطورة أنْ لا يكون معاوية من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يدخلهم الله الجنّة ، لأنّه كان يقنت بلعن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وولديه الإمامين ، سيّدي شباب أهل الجنّة ، إلى جماعة من الصلحاء الأبرار ، وحسبه ذلك مخزاةً ، وهذا الأمر فيه ، وفي الطغام من بني أبيه المقتصِّين أثره ، وأتباعه المتَّبعين له على ذلك ، شرع سواسية .

ومن مقتضياتها أيضاً : خروج مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن اولئك الزمرة المرحومة ،لأنّه كان يقنت باللّعن على معاوية ، وحثالة مِن زبانيته . كبرتْ كلمة تَخرج مِن أفواههم .

ولازم هذا التلفيق إخراج من نال من عثمان ، فضلاً عمَّن أجهز عليه وقتله ، عن شيعة آل محمد ، وهم أعيان الصحابة ، ووجوه المهاجرين والأنصار ، العدول كلّهم عند القوم ، فضلاً عن التشيع فحسب ، وهل يجسر على هذا التحامل أحدٌ ؟ ففي قصارى القول إنَّ أصدق كلمة حول هذه المهزأة أنّه حديث زور لا مقيل له من الصحّة ، ولا يسوغ الإعتماد عليه .

٣٢ ـ روى الخطيب : عن أحمد بن محمد بن أبي بكر الأشناني ، عن محمد بن يعقوب الأصم ، عن السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن وائل بن داود ، عن يزيد[1] البهي ، عن الزبير مرفوعاً : اللّهم إنّك باركت لأمّتي في صحابتي ، فلا تسلبهم البركة ، وبارك لأصحابي في أبي

(١) كذا والصحيح : عبد الله . هو مولى مصعب بن الزبير .

بكر ، فلا تسلبه البركة ، وأجمعهم عليه ، ولا تنشر أمره ، اللّهم وأعز عمر بن الخطاب ، وصبّر عثمان بن عفّان ، ووفّق عليّاً ، واغفر لطلحة ، وثبّت الزبير ، وسلّم سعداً ، ووقّر عبد الرّحمن ، وألحق بي السابقين الأوّلين ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان .

قال الأميني : عقّبه الخطيب بقوله : موضوعٌ فيه ضعفاء أشدُّهم سيف ، وأوقفناك على ترجمة السري ، وشعيب ، وسيف ، من رجال الإسناد في (الجزء الخامس: ص ٢٨٣ ،٢٨٦) ويكفي كلُّ واحد منهم في اعتلال السند ، فضلاً عن أن يجتمعوا .

٣٣ ـ أخرج الخطيب قال : أخبرنا المبارك بن عبد الجبار ، أنبأنا أبو طالب العشاري ، حدَّثنا أبو الحسن محمد بن عبد العزيز البردعي ، حدّثنا أبو الحبيش طاهر بن الحسين الفقيه ، حدّثنا صدقة بن هبيرة بن علي الموصلي ، حدَّثنا عمر ابن الليث، حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدَّثنا موسى بن خلف ، حدَّثنا حمّاد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم بن أبي سعيد الخدري ، قال : بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ، إذ هبط جبرئيل ، فقال : السَّلام عليك يا محمد ! إنَّ الله قد أتحفك بهذه السَّفر جلة ، فسبَّحت السفر جلة في كفّه بأصناف اللغات فقلنا : تسبّح هذه السَّفرجلة في كفّك ؟ فقال : والَّذي بعثني بالحقِّ لقد خلق الله تعالى في جنّة عدن ألف ألف قصر ، في كلّ قصر ألف ألف مقصورة ، في كلِّ مقصورة ألف ألف سرير ، على كلِّ سرير حوراء ، تجري من تحت كلِّ سرير أربعة أنهار ، على كلّ نهر ألف ألف شجرة ، في كلّ شجرة ألف ألف غصن ، في كلّ غصن ألف ألف سفرجلة ، تحت كلِّ سفرجلة ألف ألف ورقة ، تحت كلِّ ورقة ألف ألف ملك ، لكلِّ ملك ألف ألف جناح ، تحت كلِّ جناح ألف ألف رأس ، في كلِّ رأس ألف ألف وجه ، في كلِّ وجه ألف ألف فم ، في كلِّ فم ألف ألف لسان تسبّح الله بألف ألف لغة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، وثواب ذلك التسبيح لمحبّي أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ .

قال السيوطي في (اللآلي ج ١ ص ٣٨٨) : موضوعٌ ، صدقة يحدِّث عن المجاهيل ، ومحمد بن جعفر ترك أحمد التحديث عنه ، وموسى متروكٌ .

ونحن نقول : لعلّ رواية هذه السفسطة وأمثالها ،هي التي جعلت المؤتمن الساجي سيّء الرأي في شيخ الخطيب المبارك بن عبد الجبّار ، فرماه بالكذب ، وصرَّح بذلك كما في (لسان الميزان ج ٥ ص ١٠) . وهي التي تعرِّفك بقيّة رجال الإسناد ، والعاقل قطّ لا يثق بمن تكون هذه روايته ، وإليك البيان .

١ ـ أبو طالب العشاري محمد بن علي بن الفتح : ذكر الذهبي له في (الميزان) أحاديث حكم بوضعها فقال : قبّح الله مَن وضعه ، والعتب إنّما هو على محدِّثي بغداد كيف تركوا العشاري يروي هذه الأباطيل . وقال بعد ذكر توثيق الخطيب إيّاه : ليس بحجّة .

[راجع ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٠٧]

٢ ـ أبو الحسن البردعي : قال الخطيب في (تاريخه ج ٢ ص ٢٥٣) : كتبت عنه ، وكان فيه نظر ، مع انّه لم يخرج عنه من الحديث كبير شيء .

٣ ـ أبو الحبيش الفقيه : مجهولٌ لا يعرف .

٤ ـ صدقة : مجهول لا يُذكر بخير ، ولا يُعرف بجميل .

٥ ـ عمر بن الليث : مجهولٌ منكرٌ .

٦ ـ محمد بن جعفر هو المدائني : قال أحمد : سمعت منه ، ولكن لم أروعنه قطُّ ، ولا أُحدِّث عنه بشيء أبداً ، وذكره العقيلي في الضعفاء ، وحكى قول أحمد ، وقال ابن قانع : ضعيفٌ ، وقال ابن عبد البرِّ : ليس هو بالقويِّ عندهم ، وقال أبو حاتم : يُكتب حديثه ولا يحتجُّ به(١) .

٧ ـ موسى بن خلف العمّي البصري : قال الآجري : ليس بذاك القويّ ، وعن ابن معين : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : أكثر من المناكير. وقال الدارقطني : ليس بالقويّ يعتبر به(٢) .

٨ ـ إبراهيم بن أبي سعيد الخدري : لم يُذكر لأبي سعيد إبنٌ بهذا الإسم ،

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٩٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٤٢ .

وأحسب أنّ الصحيح [إبراهيم النخعي عن أبي سعيد الخدري] ، والله العالم .

٣٤ ـ أخرج النّحاس في كتاب (معاني القرآن) قال : حدَّثنا أبو عبد الله أحمد ابن علي بن سهل ، قال : حدّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا يحيى بن الضُريس ، عن زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : إنَّ اعرابيّاً قام إلى رسول الله ﷺ في حجّة الوداع ، والنبيُّ ﷺ واقفٌ بعرفات على ناقته العضباء ، فقال : إنِّي رجلٌ مسلمٌ ، فأخبرني عن هذه الآية : ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، اولئك لهم جنّات عدن تجري من تحتهم الأنهار يُحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق**﴾الآية[1] . فقال رسول الله ﷺ : ما أنت منهم ببعيد ، ولا هم ببعيد منك ، هم هؤلاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، فأعلِم قومكَ أنَّ هذه الآية نزلت فيهم . ذكره القرطبي في (تفسيره ج ١٠ ص ٣٩٨) : وقد روينا جميع ذلك بالإجازة ، والحمد لله .

قال الأميني : ألا تعجب من رجل التفسير العظيم ، يروي بالإجازة مثل هذا الكذب الصراح بالإسناد الواهي ، ويحمد ربّه على تحريفه الكلم عن مواضعه ، وتقوُّله على ربِّه وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؟؟ ! أعوذ بالله من الرواية بلا دراية .

في الإسناد : أحمد بن علي بن سهل المروزي : ترجمه الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ٤ ص ٣٠٣) ، ولم يذكر كلمة في الثناء عليه ، كأنَّه لا يعرف منه إلاّ اسمه ، وذكره الذهبي في (الميزان) وذكر له حديثاً ، فقال : أورده ابن حزم وقال : أحمد مجهولٌ[2] .

وفيه محمَّد بن حميد ، أبو عبد الله الرازي التميمي : قال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير ، وقال البخاري : في حديثه نظرٌ ، وقال النسائي : ليس بثقة . وقال الجوزجاني : رديء المذهب غير ثقة . وقال فضلك الرازي : عندي عن ابن حميد خمسون ألفاً لا أُحدّث عنه بحرف . وقال صالح الأسدي : كان كلّما بلغه عن

---

(١) سورة الكهف ؛ الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) لسان الميزان ج ١ ص ٢٢٢ .

سفيان يحيله على مهران ، وما بلغه عن منصور ، يحيله على عمرو بن أبي قيس ، ثمَّ قال : كلُّ شيء كان يحدّثنا ابن حميد كنّا نتّهمه فيه . وقال في موضع آخر : كانت أحاديثه تزيد ، وما رأيت أحداً أجرأ على الله منه ، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلّب بعضها على بعض. وقال أيضاً : ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين : سليمان الشاذ كوني ، ومحمد بن حميد كان يحفظ حديثه كلّه . وقال محمد بن عيسى الدامغاني : لمّا مات هارون بن المغيرة ، سألت محمد بن حميد أنْ يخرج إليَّ جميع ما سمع ، فأخرج إليَّ جزازات ، فأحصيت جميع ما فيه : ثلاثمائة ونيفاً وستّين حديثاً .قال جعفر : وأخرج ابن حميد ، عن هارون بعدُ ، بضعة عشر ألف حديث . وقال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة : سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد ، فأومى بإصبعه إلى فمه ، فقلت له : كان يكذب ؟ فقال برأسه : نعم . فقلت له : كان قد شاخ لعلّه كان يعمل عليه ، ويدلّس عليه ، فقال : لا يا بنيّ كان يتعمّد ، وقال أبو نعيم بن عدي : سمعت أبا حاتم الرازي في منزله ، وعنده ابن خراش وجماعةٌ من مشايخ أهل الري وحفّاظهم ، فذكروا ابن حميد فأجمعوا على انّه ضعيفٌ في الحديث جدّاً ، وأنّه يحدّث بما لم يسمعه ، وأنّه يأخذ أحاديث أهل البصرة والكوفة ، فيحدّث بها عن الرازيِّين . وقال أبو العبّاس ابن سعيد : سمعت داود بن يحيى يقول : سمعت ابن خراش يقول: حدّثنا ابن حميد وكان والله يكذب .

وقال سعيد بن عمرو البرذعي : قلت لأبي حاتم : أصحّ ما صحّ عندك في محمد بن حميد الرازي ، أيّ شيء هو؟ فقال لي : كان بلغني عن شيخ من الخلقانيِّين : إنّ عنده كتاباً عن أبي زهير ، فأتيته فنظرت فيه فإذا الكتاب ليس هو من حديث أبي زهير ، وهو من حديث عليٍّ بن مجاهد ، فأبى أن يرجع عنه ، فقمت وقلت لصاحبي : هذا كذّاب لا يحسن أنْ يكذب . قال : ثمَّ أتيت محمد ابن حميد بعد ذاك ، فأخرج إليَّ ذاك الجزء بعينه ، فقلت لمحمَّد بن حميد : ممَّن سمعت هذا ؟ قال : من عليّ بن مجاهد ، فقرأه وقال فيه : حدّثنا علي بن مجاهد ، فتحيّرت ، فأتيت الشابَّ الذي كان معي ، فأخذت بيده ، فصرنا إلى ذلك الشيخ ، فسألناه عن الكتاب الّذي أخرجه إلينا ، فقال : قد استعاره منّي محمد بن حميد . وقال أبو حاتم : فبهذا استدللت على انّه كان يومي إلى أنّه أمر مكشوف .

وقال ابن خزيمة : لا يروى عنه ، وقال النسائي : ليس بشيء قال الكتاني : فقلت له : البتة ؟ قال : نعم . قلت : ما أخرجت له شيئاً ؟ قال : لا . وقال في موضع آخر : كذّاب وكذا قال ابن وارة ، وقال ابن حبّان : ينفرد عن الثقات بالمقلوبات(١) .

فمجمل القول في الرَّجل أنّه كذّابٌ مكثرٌ ، والذي أثنى عليه فقد خفي عليه أمره ، أو كان ذلك قبل ظهور ما ظهر منه من سوء حاله ، قال أبو العباس بن سعيد : سمعت داود بن يحيى يقول : حدّثنا عنه أبو حاتم قديماً ، ثمّ تركه بآخره . وقال أبو حاتم الرازي : سألني يحيى بن معين عن ابن حميد من قبل أن يظهر منه ما ظهر ، فقال : أيّ شيء ينقمون منه ؟ فقلت : يكون في كتابه شيء ، فيقول : ليس هذا هكذا ، فيأخذ القلم فيغيّره ، فقال : بئس هذه الخصلة . إلخ . وقال أبو علي النيسابوري : قلت لابن خزيمة : لو حدَّث الاستاذ عن محمد بن حميد ، فإنّ أحمد قد أحسن الثناء عليه ، فقال : إنّه لم يعرفه ، ولو عرفه كما عرفناه ، ما أثنى عليه أصلاً .

٣٥ ـ أخرج ابن عساكر من طريق عليّ بن محمد بن شجاع الربعي ، عن عبد الوهّاب الميداني الدمشقي ، عن محمد بن عبد الله بن ياسر ، عن محمد بن بكار ، عن محمد بن الوليد ، عن داود بن سليمان الشيباني ، عن حازم بن جبلة ابن أبي نصرة، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبي سعيدالخدري ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وعمر : والله إنّي لأُحبّكما بحبّ الله إيّاكما ، وإنّ الملائكة لتحبّكما بحبِّ الله لكما ، أحبَّ الله من أحبّكما ، وصل الله مَن وصلكما ، قطع الله من قطعكما ، وأبغض الله مَن أبغضكما في دنياكما وآخرتكما(٢) .

رجال الإسناد :

١ ـ عبد الوهّاب الميداني : قال الذهبي نقلاً عن الكتاني : كان فيه تساهلٌ ،

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٢٧ ـ ١٣١ .
(٢) لسان الميزان ج ٢ ص ٤١٨ ، ج ٥ ص ٢٢٩ .

واتّهم في لقي أبي علي بن هارون الأنصاري .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٦٠]

٢ ـ محمد بن عبد الله : في (الميزان ج ٣ ص ٨٥) : نكرةٌ وحديثه [يعني هذا الحديث] منكرٌ بمرَّة .

٣ ـ محمد بن بكار : لا يُعرف ، قال ابن حزم : إنّه مجهولٌ . وقال الذهبي : صحيحٌ انّه مجهولٌ .

[راجع ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣١]

٤ ـ محمد بن الوليد : أحسبه ابن أبان القلانسي . كذّاب كان يضع الحديث ، ومن أباطيله ما مرّ في هذا الجزء في فضيلة أبي بكر .

٥ ـ داود بن سليمان : قال الذهبي : قال الأزدي ضعيفٌ جدّاً .

[الميزان ج ١ ص ٣١٨]

٦ ـ خازم بن جبلة هو ووالده وجدّه ، مجاهيل لا يعرفون .

٣٦ ـ أخرج الأزدي ، عن محمد بن عمر الأنصاري ، عن كثير النواء ، عن زكريا مولى طلحة ، عن حسن بن المعتمر قال : سُئل عليّ عن أبي بكر وعمر ، فقال : إنّهما من الوفد السابقين إلى الله مع محمد ، ولقد سألهما موسى من ربّه فأعطاهما محمداً(١) .

قال الأميني : قال الذهبي في (الميزان ج ٣ص ١١٣) : خبر منكر ضعّفه الأزدي ، أقول : في الإسناد كثير النواء ، قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، بابه سعد(٢) بن طريف ، وقال الجوزجاني : زائغٌ . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال في موضع آخر : فيه نظر . وقال ابن عدي : كان غالياً في التشيّع مفرطاً فيه . وعن محمد بن بشر العبدي : لم يمت كثير النواء حتّى رجع عن التشيّع(٣) .

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٢١ .

(٢) سعد بن طريف : مفرط في التشيع ، ضعيف الحديث جداً ، قال ابن حبّان : كان يضع الحديث (راجع تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٧٣) .

(٣) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٥٢ ، لسان الميزان ج ٥ ص ٣٢١ ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤١١ .

وزكريا مولى طلحة وشيخه : مجهولان لا يعرفان ، هذا ما في الإسناد من العلل ، وليس في رجاله ثقة ولا واحد ، ومتن الرواية أقوى شاهد على بطلانها .

٣٧ ـ أخرج أحمد في (المسند ج ١ ص ١٩٣) : باسناده عن عبد الرَّحمن بن حميد ، عن أبيه ، عن عبد الرَّحمن بن عوف : انّ النبيّ ﷺ قال : أبو بكر في الجنّة ، وعمر في الجنّة ،وعليّ في الجنّة ، وعثمان في الجنّة ، وطلحة في الجنّة ، والزبير في الجنّة ، وعبد الرَّحمن بن عوف في الجنّة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنّة ، وسعيد بن زيد في الجنّة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنّة .

وبهذا الإسناد أخرجه الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٨٢ ، ١٨٣) وعن عبد الرّحمن بن حميد ، عن أبيه ، عن رسول الله نحوه . والبغوي في (المصابيح ج ٢ ص ٢٧٧) .

وأخرج أبو داود في (سننه ج ٢ ص ٢٦٤) : من طريق عبد الله بن ظالم المازني ، قال : سمعت سعيد بن زيد بن عمرو قال : لمّا قدم فلان الكوفة أقام فلان خطيباً ، فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال : ألا ترى إلى هذا الظالم ؟ فأشهد على التسعة انّهم في الجنّة (فعدّهم) قلت : ومَن العاشر ؟ فتلكأ هنيئة ثمّ قال : أنا .

وأخرج من طريق عبد الرَّحمن الأُخينس : انّه كان في المسجد فذكر رجلٌ عليّاً عليه‌السلام فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم انّي سمعته وهو يقول : عشرة في الجنّة : النبيّ في الجنّة ، وأبو بكر في الجنّة ، وعمر في الجنّة ، وعثمان في الجنّة ، وعليّ في الجنّة ، وطلحة في الجنّة ، والزبير بن العوام في الجنّة ، وسعد بن مالك في الجنّة ، وعبد الرَّحمن بن عوف في الجنّة ، ولو شئت لسميت العاشر قال : فقالوا : من هو؟ فسكت قال : فقالوا : مَن هو؟ فقال : هو سعيد بن زيد ، وبهذا الإسناد أخرجه الترمذي في (جامعه ج ١٣ ص ١٨٣ ، ١٨٦) ، وابن الديبع في (تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٦٠) ، وذكره بالطريقين المحبُّ الطبري في (الرياض النضرة ج ١ ص ٢٠) .

قال الأميني : نحن لا نرى في هذه الرواية أهميّة كبرى تدعم للعشرة المبشّرة

منقبة رابية ، تخصُّ بهم دون المؤمنين بعد ما جاء من البشائر الصادقة في الكتاب العزيز لكلّ من آمن بالله وعمل عملاً صالحاً ، وأنّه في الجنَّة .

﴿وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[١] .

﴿إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة﴾[٢] .

﴿إنّ الذين آمنوا وعملو الصّالحات وأخبتوا إلى ربّهم فأُولئك أصحاب الجنّة﴾[٣] .

﴿إنّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[٤] .

﴿إنّ الذين آمنوا وعملو الصّالحات فلهم جنّات المأوى﴾[٥] .

﴿ومن يعمل من الصّالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمنٌ فأُولئك يدخلون الجنّة﴾[٦] .

﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنّة﴾[٧] .

﴿ومَن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[٨] .

﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[٩] .

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار﴾[١٠] .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥ .
(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ١١١ .
(٣) سورة هـود : الآية :٢٣ .
(٤) سورة الحج ؛ الآية : ١٤ .
(٥) سورة السجدة ؛الآية : ١٩ .
(٦) سورة النساء؛ الآية : ١٢٤ .
(٧) سورة غافر ؛الآية : ٤٠ .
(٨) سورة الفتح ؛ الآية : ٧ .
(٩) سورة الطلاق ؛ الآية : ١١ .
(١٠) سورة التوبة ؛ الآية : ٧٢ .

وما أكثر من يدخل الجنّة من امّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد صحّ عن الصّادع الكريم : إنّ عليّاً وشيعته هم في الجنّة ، وبشّر صلى الله عليه وآله وسلم بذلك عليّاً عليه السلام [١] ، وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : آتاني جبريل فقال : بشّر امّتك انّه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة ، قلت : يا جبريل وإن سرق وإنْ زنى ؟ قال : نعم . قلت : وإنْ سرق وإنْ زنى ؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم وإنْ شرب الخمر[٢] .

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أبشروا وبشّروا من ورائكم : إنّه من شهد أنْ لا إلّه إلاّ الله صادقاً بها دخل الجنّة[٣] .

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : والذي نفسي بيده لتدخلنّ الجنّة كلّكم إلاّ من أبى ، أو شرد على الله شراد البعير . قيل : يا رسول الله ! ومن أبى أنْ يدخل الجنّة ؟ فقال : من أطاعني دخل الجنّة ، ومن عصاني دخل النار[٤] .

وصحّ عن جابر انّه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنّي لأرجو أنْ يكون من تبعني من أُمّتي ربع أهل الجنّة قال : فكبّرنا ثمّ قال : أرجو أنْ يكونوا ثلث الناس . قال : فكبّرنا ثمّ قال : أرجو أن يكونوا الشطر[٥] .

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ ربّي وعدني أنْ يدخل الجنّة من أُمّتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثمَّ يشفع كلّ ألف لسبعين ألفاً[٦] . إلى صحاح كثيرة لدة هذه .

فهؤلاء العشرة المبشّرة ، إنْ كانوا مؤمنين حقّاً ، آخذين بحجزة الكتاب والسنّة ، فهم من آحاد أهل الجنّة لا محالة ، كبقيّة من أسلم وجهه لله وهو محسن .

---

(١) الغدير ج ٣ ص ١٠٧.

(٢) أخرجه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبّان ، عن أبي ذر .

(٣) أخرجه أحمد ، والطبراني ، من طريق أبي موسى الأشعري .

(٤) أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في (مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٧٠) .

(٥) أخرجه أحمد ، والبزار ، والطبراني ، ورجال البزار رجال الصحيح ، وكذلك أحد إسنادي أحمد (مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٠٣) .

(٦) راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٠٥ ـ ٤١١ .

وهنالك أُناس من الصحابة غير هؤلاء العشرة ، خصّوا بالبشارة بالجنّة وبشّروا بلسان النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم منهم عمّار بن ياسر ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عن جبرئيل عليه السلام ، قوله بشّره بالجنّة حرمت النار على عمّار . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : دم عمّار ولحمه حرام على النار ، تأكله أو تمسّه .

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : أبشروا آل ياسر موعدكم الجنّة . وصحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ الجنّة تشتاق إلى أربعة : عليُّ بن أبي طالب ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والمقداد . وفي رواية : اشتاقت الجنّة إلى ثلاثة إلى علي وعمّار وبلال .

[الغدير : ج ٩]

وجاء في زيد بن صوحان عدّة أحاديث في انّه من أهل الجنّة .

[الغدير ج ٩ ص ٦٣]

وصحّ من طريق مسلم في عبد الله بن سلام انّه من أهل الجنّة .

[صحيح مسلم ج ٧ ص ١٦٠]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ : كأنّي بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس ، وإنَّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السّماء ، وإنّي ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة ، وعقيل ، وجعفر ، في الجنّة اخواناً على سُرر متقابلين ، أنت معي وشيعتك في الجنّة .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٣]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : إنّا أوّل أربعة يدخلون الجنّة : أنا ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وذرارينا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذرارينا ، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٤]

وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة . متّفقٌ على صحّته .

وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم : الحسن والحسين جدّهما في الجنّة ، وأبوهما في الجنّة ، وامّهما في الجنّة ، وعمُّهما في الجنّة ، وعمّتهما في الجنّة ، وخالاتهما في الجنّة ، وهما في الجنّة ، ومن أحبَّهما في الجنّة ، أخرجه الطبراني في االكبير والأوسـط .

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ جعفر بن أبي طالب في الجنّة ، له جناحان يطير بهمـا حيث شاء .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٢]

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم في عمرو بن ثابت الأُصيرم : إنّه لمن أهل الجنّة .

[المجمع ج ٩ ص ٣٦٣]

وروي عنه من قوله لعبد الله بن مسعود : أبشر بالجنّة . أخرجه الطبراني في - الأوسط والكبير .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أنا سابق العرب إلى الجنّة ، وصهيب سابق الروم إلى الجنّة ، وبلال سـابق الحبشـة إلى الجنـة ، وسلمـان سـابق الفـرس إلى الجنـة . أخـرجـه الطبراني وحسّنه الهيثمي .

وبشّر صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن الجموح أنَّه يمشي برجليه صحيحة في الجنّة ، وكانت رجله عرجاء . أخرجه أحمد ورجاله ثقات .

وبشّر صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بن قيس بـأنّه يعيش حميـداً ، ويقتل شهيـداً ، ويدخله الله الجنّة .

[المجمع ج ٩ ص ٣٢٢]

فمـا هذا المكـاء والتصدية ، والتصعيـد والتصـويب ، حـول روايـة العشـرة المبشـرة ، وجعلها عنـوان كلّ كـرامة لأُولئـك الرجـال ، واختصـاصهـا بـالعنـايـة ، وإلحـاقها بـأسماء العشـرة عند ذكـرهم ، وقصر البشـارة بالجنّـة على ذلـك الـرهط فحسب ، والصفـح عمّـا ثبت في غيـرهم من الـذين آمنـوا ، وكانـوا يتّقـون ، لهم البشـرى في الحياة الـدنيـا ، وفي الآخـرة لا تبـديـل لكلمـات الله ذلـك هـو الفـوز العظيم ؟ ! فلماذا حصر التبشير بالعشرة ؟ وعـدّ القول بـه من الإعتقاد الـلازم ،كما ذكره أحمد إمام الحنابلة في كتاب له إلى مسدد بن مسرهد قال : وأن نشهد للعشرة

أنّهم في الجنّة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرَّحمن ، وأبو عبيدة ، فمن شهد له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالجنّة شهدنا له بالجنّة ، ولا تتأتّى أن تقول : فلان في الجنّة ، وفلان في النار ، إلاّ العشرة الذين شهد لهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالجنّة [جلاء العينين :ص١١٨] لماذا هذه كلّها ؟ لعلّك تدري لماذا ، ونحن لا يفوتنا عرفان ذلك .

ولنا حقُّ النظر في الرِّواية من ناحيتي الإسناد والمتن .

أمّا الإسناد : فانّه كما ترى ينتهي إلى عبد الرَّحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد ، ولا يرويها غيرهما ، وطريق عبد الرَّحمن ينحصر بعبد الرَّحمن بن حميد بن عبد الرَّحمن الزهري ، عن أبيه ، عن عبد الرَّحمن بن عوف تارة ، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخرى ، وهذا إسناد باطل لا يتمّ نظراً إلى وفاة حميد بن عبد الرَّحمن ، فإنَّه لم يكن صحابيّاً ، وإنّما هو تابعيٌّ لم يدرك عبد الرَّحمن بن عوف ، لأنّه توفي سنة (١٠٥)[١] عن (٧٣) عاماً فهو وليد سنة (٣٢) عام وفاة عبد الرَّحمن بن عوف ، أو بعده بسنة ، ولذلك يرى ابن حجر رواية حميد عن عمر وعثمان ، منقطعة قطعاً[٢] وعثمان قد توفّي بعد عبد الرَّحمن بن عوف . فالإسناد هذا لا يصحّ .

فيبقى طريق الرواية قصراً على سعيد بن زيد الذي عدّ نفسه من العشرة المبشّرة ، وقدرواها في الكوفة ايّام معاوية ، كما مرّ النصّ على ذلك في صدر الحديث ، ولم تُسمع هي منه إلى ذلك الدور المفعم بالهنابث ، ولا رويت عنه قبل ذلك ، فهلاّ مسائلٌ هذا الصحابيّ عن سرّ إرجاء روايته هذه إلى عصر معاوية ، وعدم ذكره إيّاها في تلكم السنين المتطاولة ، عهد الخلفاء الراشدين ، وكانوا هم وبقيّة الصحابة في أشدّ الحاجة إلى مثل هذه الرواية ، لتدعيم الحجّة ، وحقن الدّماء ، وحفظ الحرمات في تلكم الأيّام الخالية ، المظلمة بالشقاق والخلاف ،

---

(١) كما اختاره أحمد ، والفلاس ، والحربي ، وابن أبي عاصم ، وابن خياط ، وابن سفيان ، وابن معين .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٦ .

فكأنّها أُوحيت إلى سعيد بن زيد ، فحسب يوم تسنّم معاوية عَرش الملك العضوض .

وفي ظنّي الأكبر أنّ سعيد بن زيد لمّا كان لا يتحمّل من مناوئي عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الوقيعة فيه ، والتحامل عليه ، ويجابه بذلك مَن كان ولاّه معاوية على الكوفة ، وكان قد تقاعس عن بيعة يزيد ، عندما استخلفه أبوه ، وأجاب مروان في ذلك بكلمة قارصة[1] أخذته الخيفة على نفسه من بوادر معاوية ، فاتّخذ باختلاقه هذه الرواية ترساً يقيه عن الإتّهام بحبّ علي عليه السلام ، وكان المتّهم بتلك النزعة يوم ذاك يعاقب بألوان العذاب ، ويسجن وينكل به ، ويقتّل تقتيلاً ، فأرضى خليفة الوقت بإتحاف الجنّة لمخالفي علي عليه السلام ، والمتقاعسين عن بيعته ، والخارجين عليه ، وجعل رؤسائهم في صفّ واحد ، لا يشاركهم غيرهم ، كأنّ الجنّة خلقت لهم فحسب ، ولم يذكر معهم أحداً من موالي عليّ وشيعته ، وفيهم مَن فيهم من سادات أهل الجنّة ، كسلمان ، وأبي ذر ، وعمّار ، والمقداد ، فنال بذلك رضى الخليفة وكان يُعطى لكلّ باطل مزيّف ، قناطير مقنطرة من الذهب والفضة . ولولا الصارم المسلول في البين ، وكان هو الحاكم الفصل يوم ذاك ، لما كان يخفى على أيّ سعيد وشقي ، أنّ متن الرواية يأبى عن قبولها ، وأنّ عليّاً قطّ لا يجتمع في الجنّة مع مَن خالفه وناوأه وآذاه ، والضدّان لا يجتمعان ، وسيرة علي عليه السلام غير سيرة اولئك الرهط ، وقد تنازل عن الخلافة يوم الشورى ، حذراً عن اتّباع سيرة الشيخين ، لمّا اشترط عليه في البيعة ، وأنكره بملء فمه ، وبعدهما وقع ما وقع بينه وبين عثمان ، وما ساءه قتله ، ولم يشهد بأنّه قتل مظلوماً ، وصحّت عنه خطبته الشقشقيّة ، ونادى في الملأ : ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلّ مال أعطاه من مال الله ، فهو مردودٌ في بيت المال[2] وبعده حاربه الناكثان وقاتلاه ، وقتلا دون مناوءته ، فكيف تجمعهم وعليّاً الجنّة ؟ أنا لا أدري . أيطمع كلّ امرىءٍ منهم أن يدخل جنّة نعيم ؟ كلاّ .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٢٨ .

(٢) راجع الجزء الثامن والتاسع من (الغدير) فيهما تفصيل ما أوعزنا إليه ههنا .

نظرة في المتن :

ولنا في متن الرواية نظرات وتأملات ، يزحزحنا عن الإخبات إلى صحّتها .

هل عبد الرَّحمن بن عوف المعزوّ إليه الرواية ، وهو أحد العشرة المبشّرة ، كان يعتقد بها ، ويصدّقها ، ومع ذلك سلّ سيفه على عليّ يوم الشورى قائلاً : بايع وإلاّ تقتل . وقال لعليّ عليه السلام بعد ما تمخّضت البلاد على عثمان : إذا شئت فخذ سيفك ، وآخذ سيفي ، إنّه قد خالف ما أعطاني . وآلى على نفسه أنْ لا يكلّم عثمان في حياته أبداً . واستعاذ بالله من بيعته . وأوصى أنْ لا يصلّي عليه عثمان . ومات وهو مهاجرٌ إيّاه . وكان عثمان يقذفه بالنفاق ، ويعدّه منافقاً[1] ، فهل تلائم هذه كلّها مع صحّة تلك الرواية ، وإذعان الرجلين بها ؟

وهل أبو بكر وعمر المبشران بالجنّة هما اللذان ماتت الصدّيقة بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي وجدى عليهما ؟ وهل هما اللّذان قالت لهما : إنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيَّ لأشكونّكما إليه . وهَل هما اللّذان تقول أُمُّ السبطين فيهما شاكية نادبة باكية بأعلى صوتها : يا أبتِ ! يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبي قحافة ! وهَل هما اللّذان نهبا تراث العترة ، وحقَّ فيهما قول أمير المؤمنين عليه السلام : «صبرتُ وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهباً» . وهَل أبو بكر هو الذي أوصت فاطمة سلام الله عليها أن لا يصلّي عليها ، وأن لا يحضر جنازتها ، فلم يحضرها هو وصاحبه . وهَل هو الذي قالت له كريمة النبيّ الأقدس الطاهرة المطهَّرة : لأدعونّ عليك في كلِّ صلاة أُصلّيها ! وهل هو الذي كشف عن بيت فاطمة ، وآذى رسول الله فيها[2] ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أَليم . وهَل وهَل إلى أن ينقطع النفس .

وهَل كان عمر يصدِّق هذه الرواية ، وكان عنده إلمامٌ بها ، وهو يناشد مع ذلك حذيفة اليماني العالم بأسماء المنافقين ، ويسأله عن أنّه هَل هو منهم ؟ وهَل

---

(١) راجع الجزء التاسع : ص ١١٤

(٢) مر تفصيل هذه كلها في الجزء السابع .

سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زمرتهم[١] ؟

وهلاّ كان على يقين من هذه البشارة ، يوم نهى عن التكنّي بأبي عيسى ، أيّام خلافته ، وقال له المغيرة : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنّاه بها فقال : إنّ النبيَّ غفر لـه ، وإنّا لا ندري ما يُفعل بنا ، وغيَّر كنيته ، وكنّاه أبا عبد الله[٢] ، فكيف كان لم يدر ما يُفعل به بعد تلكم البشارة إنْ صدقت ؟

وهلاّ كان هو الذي قاد عليّاً كالجمل المخشوش إلى بيعة أبي بكر ، وهو يقول: بايع وإلاّ تُقتل؟ وهلاّ كان هو الذي أنكر أُخوّة عليّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم ذاك ، وهي ثابتة له بالسنّة الصحيحة المتسالم عليها ؟ كما أنّه أنكر من السنّة شيئاً كثيراً نبى عن الحصر .

وهلاّ كان هو الذي أوصى بقتل مَن خالف البيعة يوم الشورى ؟ وهو جدُّ عليم بأنّ المخالف الوحيد لذلك الإنتخاب المزيّف ، هو عليّ أمير المؤمنين «دع هذا» أو أحدٌ غيره من العشرة المبشَّرة ؟**﴿ومَن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾**

وهَل كان عثمان يخبت إلى صحّة هذه الرّواية ، ويذعن بها وهو يقول بعدُ لمغيرة بن شعبة لمّا كلّفه أنْ يغادر المدينة إلى مكّة ، حينما حوصر به : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يلحد بمكّة رجل من قريش ، عليه نصف عذاب هذه الامّة ، فلن أكون ذلك الرَّجل[٣] ؟ وكيف كان لم ير عليّاً أفضل من مروان ؟ ومروان ملعونٌ بلسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عليه السلام هو المبشّر بالجنة**﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون﴾** .

وهَل طلحة والزبير هما اللّذان قتلا عثمان ، وألّبا عليه ، وكانا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، فأجلبا عليه

---

(١) الغدير ج ٦ ص ٢٨٦
(٢) راجع الغدير ج ٦ ص ٣٦٢
(٣) راجع الغدير ج ٩ ص١٨١ .

وضيّقا خناقه ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما ، وكانا أوّل مَن طعن ، وآخر مَن أمر ، حتّى أراقا دمه(١) .

وهَل هما اللّذان عرّفهما الإمام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : «كلٌّ منهما يرجو الأمر له ، ويعطف عليه دون صاحبه ، لا يمتّان إلى الله بحبل ، ولا يمدّان إليه بسبب ، كلّ واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه ، وعمّا قليل يكشف قناعه به» ؟ . إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء : ص ٥٨ .

وهَل هما اللّذان خرجا على إمام الوقت المفروضة عليهما طاعته ، ونكثا بيعته ، وأسعرا عليه نار البغي ، وقاتلاه وقُتلا ، وهما أبيَن مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» ؟ .

وهَل هما اللّذان قادا جيوش النكث على قتال سيّد العترة ، وأخرجا حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عقر دارها ، وترأسا الناكثين الذين حثّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً والعدول من صحابته على قتالهم ، وحضّهم على منابذتهم ؟ أفمن آذن نبيّ العظمة بحربه وقتاله ، ورآه من واجب الإسلام ، يعدّه صلى الله عليه وآله وسلم بعدُ من أهل الجنّة ؟ **﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ﴾**

وهَل الزبير هذا هو الذي صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله له : تحارب عليّاً وأنت له ظالم؟ فهل المحارب عليّاً وهو ظالمٌ إيّاه ، مثواه الجنّة ؟ ورسول الله يقول : «أنا حربٌ لمن حاربه ، وسلمٌ لمن سالمه» كما جاء في الصحيح الثابت . **﴿فما جزاء مَن يفعل ذلك منكم إلاّ خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب ، وما الله بغافل عمّا تعملون﴾** .

وهَل الزبير هو الذي قال فيه عمر : مَن يعذرني من أصحاب محمد ، لولا

---

(١) راجع الغدير ج ٩ ص ١١٦

أنّي أمسك لفم هذا الشعب لأهلك امّة محمد ﷺ(١) .

وقال له عمر يوم طعن : أمّا أنت يا زبير ! فوعق ، لقس ، مؤمن الرّضا ، كافر الغضب ، يوماً إنسان ، ويوماً شيطان ، ولعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدّ من شعير ، أفَرأيت إنْ أفضت إليك فليت شعري مَن يكون للناس يوم تكون شيطاناً ؟ ومَن يكون يوم تغضب ؟ أما وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الامّة ، وأنت على هذه الصفة(٢) .

وقال له أيضاً : أمّا أنت يا زبير فوالله ما لان قلبك يوماً ولا ليلة ، وما زلت جلفاً جافياً(٣) .

وهَل **طلحة** هذا هو الذي قتل عثمان ، وحال بينه وبين الماء ، ومنعه عن أنْ يُدفن في جبانة المسلمين ، وقتله مروان أخذاً بثار عثمان ، وهما بعدُ من العشرة المبشّرة ؟ غفرانك اللّهُمّ وإليك المصير .

وهَل **طلحة** هذا هو الذي أقام عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام عليه الحجَّة ، يوم الجمل ، باستنشاده إيّاه حديث الولاية [من كنت مولاه فعليٌّ مولاه] فاعتذر بما اعتذر من نسيانه الحديث ، لكنّه لم يرتدع بعدُ عن غيِّه بمناصرة أمير المؤمنين مع بيعته إيّاه ، ولا فوّض الحقّ إلى أهله ، حتّى أتى عليه سهم مروان فجرّعته منيّته ، وهو الخارج على إمام وقته ! أفهل ترى الإمام والخارج عليه كلًّا منهما في الجنّة ؟ .

وهَل **طلحة** هذا هو الذي نزل فيه قوله تعالىٰ : ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً**﴾(٤) .

---

(١) راجع الغدير ج ٩ ص ٣٦٦ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٢ .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٧٠ .
(٤) سورة الأحزاب ؛ الآية :٥٣ .

نزلت الآية الشريفة لمّا قال طلحة : أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ، ويتزوّج نساءنا من بعدنا ؟ فإنْ حدث به حدَث لنزوّجن نساءه من بعده . وقال : إنْ مات رسول الله ﷺ لتزوّجت عائشة وهي بنت عمّي ، فبلغ ذلك رسول الله فتأذّى به فنزلت .

أقبل عليه عمر يوم طعن وقال له : أقول أم أسكت ؟ قال : قل فإنّك لا تقول من الخير شيئاً . قال : أما إنّي أعرفك منذ أُصيبت اصبعك يوم أُحد والبا بالذي حدث لك ، ولقد ماتَ رسول الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم نزلتْ آية الحجاب .

قال أبو عثمان الجاحظ : إنّ طلحة لمّا أُنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممّن نقل عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم ، فسيموت غداً فننكحهنّ ! قال أبو عثمان : لو قال لعمر قائلٌ : أنت قلت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو راض عن الستّة ، فكيف تقول الآن لطلحة : إنّه مات عليه السلام ساخطاً عليك ، للكلمة التي قلتها ، لكان قد رماه بمشاقصه ، ولكن مَن الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا فكيف هذا[١] ؟ .

[راجع تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٢٨ ، فيض القدير ج ٤ ص ٢٩٠ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٦ ، تفسير البغوي ج ٥ ص ٢٢٥ ، تفسير الخازن ج ٥ ص٢٢٥ ، تفسير الألوسي ج ٢٢ ص ٧٤]

وهَل **سعد بن أبي وقاص** ، أحد العشرة المبشَّرة كان مذعناً بالرواية وصدقها ، وهو القائل لمّا سُئل عن عثمان ، ومن قتله ، ومَن تولّى كِبره : إنّي أُخبرك أنّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير ، وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ؟ فهل هذه كلّها تجتمع مع التصديق بتلك الرواية ؟ سبحان الذي جمع في جنّته الظالم والمظلوم ، والقاتل والمقتول ، والخليفة والخارجين عليه ، إن هي إلّا اختلاق .

وهل تصدّق في **سعد** هذه الرواية ، وهو المتخلّف عن بيعة إمام وقته ،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٢ ، ج ٣ ص ١٧٠

والمتقاعس عن نصرته بعدما تمّت بيعته ، وأجمعت عليها الأمّة ، وأصفق عليها البدريّون والمهاجرون والأنصار ، وحقّت كلمة العذاب على من نزعها من ربقته ؟ أفهل نزل في سعد كتاب من الله أخرجه عن محكمات الإسلام ، وبشّر له بالجنّة ؟ .

وهل يتراءى لك من ثنايا التاريخ وراء صحائف أعمال أبي عبيدة الجرّاح (حفار القبور بالمدينة) ما يؤهله لهذه البشارة ؟ ويدعم له ما يستحقّ به للذكر من الفضيلة غير ما قام به يوم السقيفة من دحضه ولاية الله الكبرى ، وتركاضه وراء الإنتخاب الدستوري ، واقتحامه في تلكم البوائق التي عمّ شومها الإسلام ، وهدّت قوائم الوئام والسّلام ، وجرّت الويلات على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى اليوم ، وهتكت حرمة المصطفى في ظلم ابنته بضعة لحمه ، وفلذة كبده ، واضطهاد خليفته ، واهتضام أخيه علم الهدى ؟ فكأنّها كانت كلّها قربات ، فأوجبت لابن الجراح الجنّة . **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصّالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون﴾**(١) .

نبأ يصكّ المسامع :

وجاء بعد لأي من عمر الدهر ، مَن لم ير في الرواية فضيلة رابية ، تخصّ العشرة ، نظراً إلى أنّ البشارة بالجنّة ، كما سمعت ، تعمّ المؤمنين جمعاء ، ولا تنحصر بقوم منهم دون آخرين ، ووجد فيها مع ذلك نقصاً من ناحية خلوّها عن ذكر عائشة أمّ المؤمنين ، فصبّها في قالب يروقه ، وصوّر لها صورة مكبّرة تخصّ بأولئك العشرة ، ولا يشاركهم فيها أحد ، وأسند إلى أبي ذر الغفاري أنّه قال : دخل رسول الله ﷺ منزل عائشة فقال : يا عائشة : ألا أبشرك ؟ قالت : بلى يا رسول الله ! قال : أبوك في الجنّة ورفيقه إبراهيم . وعمر في الجنّة ورفيقه نوح . وعثمان في الجنّة ورفيقه أنا . وعليٌّ في الجنّة ورفيقه يحيى بن زكريّا . وطلحة في الجنّة ورفيقه داود . والزبير في الجنّة ورفيقه إسماعيل . وسعد بن أبي وقاص في الجنّة ورفيقه

---

(١) سورة الجاثية ؛ الآية : ٢١ .

سليمان بن داود . وسعيد بن زيد في الجنّة ورفيقه موسى بن عمران . وعبد الرّحمٰن بن عوف في الجنّة ورفيقه عيسى بن مريم . وأبو عبيدة بن الجراح في الجنّة ورفيقه إدريس عليه‌السلام . ثمّ قال : يا عائشة أنا سيّد المرسلين ، وأبوك أفضل الصدِّيقين ، وأنت أُمّ المؤمنين[١] .

ليت لهذه الرواية إسناد معنعن ، حتّى نعرف واضعها ومختلقها على النبيّ الأقدس ، وليت مفتعلها يدري بأنّ الرفاقة بين اثنين تستدعي مشاكلتهما في الخصال ، وتقتضيها الوحدة الجامعة من النفسيّات والملكات ، فهل يسع لأيّ إنسان أنْ يقارن بين أُولئك الأنبياء المعصومين ، وبين تسعة رهط كانوا في المدينة في شيء ممّا يوجب الرفاقة ؟ وهل لبشر أنْ يفهم سرَّ هذا التقسيم في كلِّ نبيٍّ معصوم مع رفيقه الذي لا عصمة له ؟ ولعمر الحقِّ إنّ هذا الإنتخاب والإختيار في الرفاقة ، يضاهي الإنتخاب في أصل الخلافة الذي كان لا عن جدارة وتأمّل . ما عشت أراك الدهر عجباً ! .

لِماذا لم يكن عبد الله بن مسعود الذي صحّ عند القوم في الثناء عليه : إنّه كان أشبه الناس هدياً ، ودلاًّ ، وسمتاً ، بمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم[٢] رفيق رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ويرافقه عثمان ؟ .

ولِماذا لم يرافق عيسى بن مريم أبو ذر الثابت فيه : إنّه أشبه الناس بعيسى بن مريم هدياً ، وبرّاً ، وزهداً ، ونسكاً ، وصدقاً ، وجدّاً ، وخَلقاً ، وخُلقاً[٣] ، ويرافقه عبد الرَّحمٰن بن عوف ؟ .

ولِماذا رافق رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عثمان بن عفان ولا مشاكلة بينهما خَلقاً وخُلقاً ، وأصلاً ومحتداً ، وسيرةً وسريرة ، ولم يتّخذ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم جعفر بن أبي طالب رفيقاً له وقد جاء عنه قوله له : يا حبيبي ! أشبه الناس بخَلقي وخُلقي ، وخلقت من الطينة التي خُلقت منها ، وقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : أمّا أنت يا جعفر ، فأشبه خَلقك خَلقي ،

---

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٢٠ وقال : أخرجه الملا في سيرته .

(٢) راجع «الغدير» ج ٩ ص ٢٦

(٣) الغدير ج ٨ ص ٣٨٠ .

وأشبه خُلقك خُلقي ، وأنت منّي وشجرتي[١] ؟ .

ولماذا اختار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرفاقته عثمان ، ولم يرافق أبا بكر ، وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم عند القوم : لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر . وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم - في مكذوبة - أنّه كان يدعو ويقول : اللّهُمَّ إنّك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار ، فاجعله رفيقي في الجنّة[٢] ؟ .

ولماذا لم يكن عثمان رفيق إبراهيم ، وقد جاء في مناقبه - المكذوبة - انّه شبيه ابراهيم كما مرّ في (ج ٩ ص٣٩٢) .

ولماذا لم يكن عمر رفيق موسى ، وعثمان رفيق هارون ، وعليّ بن أبي طالب رفيق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أخذاً بما مرّ من مكذوبة أنس مرفوعاً : ما من نبيّ إلّا وله نظير في أُمّتي ، فأبو بكر نظير إبراهيم ، وعمر نظير موسى ، وعثمان نظير هارون ، وعليّ بن أبي طالب نظيري[٣] ؟ .

نعم : عزب عن مفتعل الرواية ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : يا عليّ أنت أخي ، وصاحبي ، ورفيقي في الجنّة ، وهذه الرفاقة والصحبة والأُخوّة تقتضيها البرهنة الصادقة ، وتعاضدها المجانسة بين نبيِّ العظمة وصنوه الطاهر ، في كلِّ خُلّة ومأثرة ، وهي التي جمعتهما في آية التطهير ، وجعلتهما نفساً واحدة في الذكر الحكيم ، وقارنت بين ولايتيهما في محكم القرآن ، وكلّ تلكم الموضوعات نعرات الإحن ، ونفثات الأضغان ، اختلقت تجاه هذه المرفوعة في فضل مولانا سيّد العترة أمير المؤمنين عليه السلام .

وهلمّ معي نسائل أبا ذر المنتهى إليه إسناد الرّواية وعائشة المخاطبة بها ، هل كانا على ثقة وتصديق بها ، وأنّها صدرت من مصدر الوحي الإلٰهي الذي لا ينطق عن الهوى أم لا ؟ ولئن سألتهما فعلى الخبيرين سقطت ، وأبو ذر هو الذي ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء أصدق منه ، وإذا أنت قرأت حديث ما جرى

---

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ .

(٢) الغدير ج٩ ص ٢٩٤

(٣) راجع ما مرّ في هذا الجزء : ص ١٠٠

بين عثمان وأبي ذر لوجدت سيّد غِفار في جانب جُنب عن هذه الرّواية ، ولمّا يحكم عقلك بأن يكون هو راويها ونداء أبي ذرّ في الملأ الديني وقد تنغّر على عثمان بعدُ ، يرنّ في أُذن الدنيا ، وقوارص لمزه وهمزه إيّاه ، بعد تُلوكه الأشداق في أندية الرِّجال ، وكلمه المأثورة الخالدة في صفحات التاريخ ، تضادّ ما عزي إليه من الرّواية ، وكلّ خطابه وعتابه إيّاه ، يُعرب عن أنّ أبا ذر قطّ لم يُؤمن بما اختلق عليه ، ولم يك يسمع من الصّادع الكريم ، وكان يحدّث الناس غير مكترث لبوادر عثمان ما كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : إذا كملت بنو أُميّة ثلاثين رجلاً، اتّخذوا بلاد الله دولاً ، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً . كان يحدّث عثمان بذلك ، وعثمان يكذّبه[1] ، ومن كذَّبه فقد كذَّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم يكن أبو ذر شاذاً عن الصّحابة في رأيه السيِّء ، ونقمته على عثمان ، بل نبأ المتجمهرين عليه من المهاجرين والأنصار ، والناقمين عليه من الحواضر الإسلاميّة ، والمجتمعين على وأده ، المحتجّين عليه بالكتاب العزيز ، يعطينا خُبراً بأنّ الرّواية لا تصحّ عندهم ، ولا يصدّقها رجلٌ صِدق منهم .

وهل نسيتها أُمّ المؤمنين المخاطبة بها ، أو تغاضت عنها يوم كانت تنادي في ملأ من الصحابة : اقتلوا نعثلاً قتله الله ؟ ويوم قالت لمروان : وددت والله انّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحاً ، وانّكما في البحر ! ويوم قالت : وددتُ والله انّه في غِرارةٍ من غرائري هذه ، وأنّي طوّقت حمله حتى أُلقيه في البحر ! ويوم قالت لابن عباس : إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً ، فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية . ويوم أخرجت ثوب رسول الله وهي تقول : هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنّته ! ويوم قالت لمّا بلغها نعيه : أبعده الله ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد ! ويوم قالت : بُعداً لنعثل وسحقاً![1] .

أيخبرك ضميرك الحرّ بأنّ صاحبة تلكم المواقف الهائلة ، كانت تصدّق تلك

---

(١) راجع الغدير ج ٩ ص١٠٢

الرواية ، وتؤمن بها ، وترى نعثلاً رفيق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنّة ؟ فاستعذ بالله من أنْ تكون من الجاهلين .

٣٨ ـ قال محمّد بن آدم : رأيت بمكّة أُسقفاً[1] يطوف بالكعبة ، فقلت له : ما الذي نزعك عن دين آبائك ؟ قال ـ تبادلت خيراً منه . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : ركبت البحر ، فلمّا توسّطناه انكسرت المركب ، فلم تزل الأمواج تدفعني ، حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر ، فيها أشجار كثيرة ، ولها ثمر أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وفيها نهرٌ عذبٌ ، فحمدت الله على ذلك وقلت : آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر ، حتى يقضي الله بأمره .

فلمّا ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش ، فطلعت على شجرة ، ونمت على غصن من أغصانها ، فلمّا كان في جوف الليل وإذا بدابّة على وجه الأرض تسبِّح الله وتقول : لا إلٰه إلاّ الله العزيز الجبَّار ، محمّد رسول الله النبيّ المختار ، أبو بكر الصدِّيق صاحبه في الغار ، عمر الفاروق فاتح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، عليٌّ سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضهم لعنة الله العزيز الجبّار ، ومأواه النار ، وبئس القرار .

ولم تزل تكرّر هذه الكلمات إلى الفجر فلمّا طلع الفجر قالت : لا إلٰه إلاّ الله الصادق الوعد والوعيد ، محمّد رسول الله الهادي الرشيد ، أبو بكر ذو الرأي السديد ، عمر بن الخطاب سورٌ من حديد ، عثمان الفضيل الشهيد ، عليٌّ بن أبي طالب ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضهم لعنة الربِّ المجيد .

ثمّ أقبلت إلى البرّ فإذا رأسها رأس نعامة ، ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير ، وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت على نفسي الهلكة ، فهربت فنطقت بلسان فصيح فقالت : يا هذا قف وإلاّ تهلك . فوقفت ، فقالت : ما دينك ؟ فقلت : دين النصرانيّة . فقالت : ويلك إرجع إلى ابن الحنفيّة ، فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجنّ لا ينجو منهم إلاّ من كان مسلماً ، فقلت : وكيف الإسلام ؟ قالت :

(١) الأُسقف والاسقفّ : فوق القسيس ، ودون المطران . والكلمة يونانية : ج أساقفة ، وأساقف .

تشهد أَنْ لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، فقلتها ، فقالت : أَتمّ إسلامك بالترحّم على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، رضي الله تعالىٰ عنهم .

فقلت : ومَن أتاكم بذلك ؟ قالت : قومٌ منّا حضروا عند رسول الله ﷺ سمعوه يقول : إذا كان يوم القيامة تأتي الجنّة فتنادي بلسان طلق فصيح : إلٰهي قد وعدتني أَنْ تشيّد أركاني . فيقول الجليل جلّ جلاله : قد شيّدت أي رفعت أركانك بأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وزيّنتك بالحسن والحسين .

ثمّ قالت الدّابة : أتريد أن تقعد هاهنا أم الرجوع إلى أهلك ؟ فقلت : الرجوع إلى أهلي . فقالت : إصبر حتّى تمرّ بك مركب ، فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجري ، فأومأت إليها فرفعوا إليَّ زورقاً ، فركبت فيه ثمّ جئت إليهم ، فوجدت المركب فيها إثنا عشر رجلاً كلّهم نصارى فقالوا : ما الذي جاء بك إلى هاهنا ؟ فقصصت عليهم قصّتي فعجبوا عن آخرهم وأسلموا جميعاً .

[مصباح الظلام للسيِّد محمّد الجراداني ج ٢ ص ٣٠]

قال الأميني : ابن آدم راوي هذه الأُغلوطة ، لا يعرفه الحفّاظ رجال الجرح والتعديل ، في أولاد آدم ، وإنّما عرّفوه بالجهالة ، ولا أحسب أنّ آدم أبا البشر ايضاً يعرف إبنه هذا ، ولا تدري الأُمّهات أيّ ابن بيّ هو ، والأُسقف صاحب القصّة وابن آدم هما صنوان في الجهالة لا يعرفهما آدميٌّ .

ونحن إنْ صدَّقنا متن الرّواية ، وذهبنا إلى ما ذهب إليه مسلم الجنِّ ، وأخبر به ولعنّا مبغضي الخلفاء الأربعة ، ورأينا مأواهم النّار ، فإلى من وجّهنا القوارص عندئذ ؟ وأين تقع من سبابنا أُمّة كبيرة من الصحابة العدول ، أو عدول الصحابة الذين كان بينهم وبين أيّ من هؤلاء الأربعة عداء محتدم ، وبغضاء لاهبة ؟ أنا هنا في مشكلة لا تنحلّ لي .

وعجبي من رعونة أُولئك الرهط من النّصارى الذين قبلوا من الأُسقف دعواه المجرّدة ، وأذعنوا بها ، وصدّقوه فيما جاء به عن وادي الجنّ ، وما كانوا مصدّقين نبأ الرسول الأمين ، عن إلٰه السمّاوات ، المحفوفة دعوته بأُلوف من الدلائل والبيّنات ، والمتلوّة بأنباء الكهنة ، والأساقفة ، والهتافات الكثيرة التي سجّلها

التاريخ ، كأنّهم سحرهم سجع دابة الجنّ الموزون في ورد ليله وسحره ، ووجدوه آية الحقِّ ، وشاهد الدعوى .

٣٩ ـ قال القرطبي في (تفسيره ج ٢٠ ص ١٨٠) : قال أُبيّ بن كعب : قرأت على رسول الله ﷺ **﴿والعصر﴾** ثمّ قلت : ما تفسيرها يا نبيّ الله ؟ قال : **﴿والعصر﴾** قسمٌ من الله أقسم ربّكم بآخر النهار **﴿إنّ الإنسان لفي خُسر﴾** أبو جهل **﴿إلاّ الّذين آمنوا﴾** أبو بكر **﴿وعملوا الصالحات﴾** عمر **﴿وتواصوا بالحقّ﴾** عثمان **﴿وتواصوا بالصبر﴾** عليّ رضي الله عنهم أجمعين . وهكذا خطب ابن عبّاس على المنبر موقوفاً عليه .

وذكره المحبّ الطبري في (رياضه النضرة ج ١ ص ٣٤) ، والشربيني في (تفسيره ج ٤ ص ٥٦١) .

قال الأميني : أيسوغ التقوُّل على الله وعلى رسوله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، بمثل هذه المهزأة المرسلة ؟ وهل ينبغي لمؤلّف في التفسير أو الحديث أن يسوِّد بها صحيفته ، أو صحيفة تأليفه ؟ وهل لنا في مثل المقام أنْ نطالبه بالسند ، ونناقش فيه بالإرسال ؟ وهلاّ ما في متن الرّواية ما يغنينا عن البحث عن رجالا الإسناد إنْ كان له إسناد ؟ وهل يوجد في صحائف أعمال أُولئك الرجال وسيرتهم الثابتة ، وفيما حفظه التاريخ الصحيح لهم ما يصدّق هذا التلفيق ؟ نعم : نحن على يقين من أنَّ الباحث يجد في غضون أجزاء كتابنا هذا شواهد كثيرة تتأتّى له بها حصحصة الحقّ . وهل يصدِّق ذو مسكة أن يخطب بمثل هذه الأفيكة ابن عبّاس حبر الأُمّة ؟ ويدنّس بها ساحة قدس صاحب الرّسالة الخاتمة ؟ .

على أنَّ المأثور عن ابن عبّاس من طريق ابن مردويه في قوله تعالىٰ : **﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾** أنّه قال : ذكر عليّاً وسلمان[١] ، ويؤيِّده قوله الوارد في قوله تعالىٰ : **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيّئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾** . قال : نزلت في عليّ يوم بدر ، فالذين اجترحوا السيِّئات : عتبة وشيبة والوليد ، والذين آمنوا وعملوا الصّالحات علي عليه السلام[٢] .

---

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٩٢ ومرّ في ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) تذكرة السبط : ص ١١ ، ومرّ في ج ٢ ص ٧٠ .

ومرَّ في (الجزء الثاني ص ٧١) من طريق ابن عباس قوله : لمّا نـزلت : ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أُولئك هم خير البـريّة﴾ . قـال صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ : هو أنت وشيعتك .

فرواية أُبيّ بن كعب أُختلقت تجاه هذه الأخبار التي يُساعدها العقل والمنطق والإعتبار .

ولصراحة الكذب في فصول هذه السفسطة ، لم يذكرهـا أحدٌ من المفسّـرين غير القرطبي والشربيني ، وهي بين أيديهم ، ولعلّ ابن حجر يـوعز إلى بـطلانها في (فتـح الباري ج ٨ ص ٣٩٢) بقـوله : تنبيـهٌ ، لم أر في تفسير هـذه السورة حـديثـاً مرفوعاً صحيحاً .

على أنَّ الـظاهر من سيـاق السورة ، أنّ الجُمـل التاليـة للّذين آمنـوا أوصـافٌ لهم ، لا انّها إعرابٌ عن أُناس آخرين ، غير مَن هو المراد من الجملة الأُولى .

٤٠ ـ أخـرج الواحـدي في (أسباب النـزول ص ٢٠٧) عن عبـد الـرَّحمٰن بن حمدان العدل ، قال : أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك ، قال : أخبـرنا عبـد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدَّثني محمّد بن سليمان بن خـالد الفحّـام ، قال : حـدَّثنا عليّ بن هـاشم عن كثير النـواء ، قـال : قلت لأبي جعفـر : إنَّ فـلانـاً حـدَّثني عن عليِّ بن الحسين ، رضي الله عنهمـا : إنَّ هـذه الآيـة نـزلت في أبي بكـر وعمـر وعلي ، رضي الله عنهم : ﴿ونـزعنا مـا في صدورهم من غـلّ إخـوانـاً على سـرر متقابلين﴾ : قال : والله إنّها لفيهم نزلت ، وفيهم[١] نزلت الآية ، قلت : وأيّ غـلّ هو ؟ قال غلّ الجاهليّـة ، إنَّ بني تيم ، وبني عدي ، وبني هاشم ، كان بينهم غلّ في الجاهليَّة . فلمّا أسلم هؤلاء القوم ، وأجـابوا ، أخـذت أبا بكـر الخاصـرة ، فجعل عليٌّ رضي الله عنـه يسخن يده ، فيضمـخ[٢] بها خـاصرة أبي بكـر ، فنـزلت هـذه الآية .

قال الأميني : لا تُدعم أيُّ مأثرة بمثل هذا الإسناد المركّب من مجهـول كعبد

(١) كذا في اسباب النزول . وفي الدر المنثور : وفيمن تنزل إلا فيهم ؟ .
(٢) في الدر المنثور : فيكوي .

الرَّحمٰن العدل ، ومحمّد الفحام ، وممّن خرف في آخر عمره[١] ، حتى كان لا يعرف شيئاً ممّا يُقرأ عليه ، كما قاله أبو الحسن بن الفرات[٢] وحكى الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ٤ ص ٤) عن أبي عبد الله أحمد بن أحمد القصري ، قال : قدمت أنا وأخي من القصر إلى بغداد ، وأبو بكر [أحمد بن جعفر] بن مالك القطيعي حيّ ، وكان مقصودنا درس الفقه والفرائض ، فأردنا السماع من ابن مالك ، فقال لنا ابن اللبان الفرضي : لا تذهبوا إليه فإنَّه قد ضعف واختلّ ، ومنعت إبني السماع منه ، قال : فلم نذهب إليه . وذكره ابن حجر في (اللسان ج ١ ص ١٤٥) ، وقال في (ج ٢ ص ٢٣٧) : إنّه شيخٌ ليس بمتقن .

ومن شيعيّ غالٍ[٣] وصفه بذلك الجوزجاني ، وابن حبّان ، ولعلّ الدارقطني ضعَّفه لذلك ، وذكره ابن حبّان في الضعفاء ، وإنْ ذكره في الثقات أيضاً .

وبعد هؤلاء كثير النواء الذي عرّفناكه قُبيل هذا (صحيفة ١٤٨) ، وانَّه ضعيفٌ زائغٌ منكر الحديث ، بابه باب سعد بن طريف الذي كان يضع الحديث ، وكان شيعيّاً مفرطاً ، ضعيفاً جدّاً عند القوم .

وفي تأويل قوله تعالىٰ : ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غلّ**﴾ . الآية أحاديث تافهة عندهم ، أعجب من رواية الواحدي منها :

قال الصفوري في (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧) : قال ابن عبّاس ، رضي الله عنهما ، في قوله تعالىٰ : ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غلّ**﴾ : أي من حقد وعداوة ، إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر ، فيجلس أبو بكر على كرسيّ ، وعمر على كرسيّ ، وعثمان على كرسيّ ، ثمَّ يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش ، فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء ، ثمَّ يؤتى بأربع كاسات : فأبو بكر يسقي عمر ، وعمر يسقي عثمان ، وعثمان يسقي عليّاً ، وعليٌّ يسقي أبا بكر ، ثمَّ يأمر الله جهنّم أن تتمخّض بأمواجها فتقذف الروافض على ساحلها ،

(١) هو أحمد بن جعفر بن مالك أبو بكر القطيعي .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٤١ .

(٣) هو علي بن هاشم .

فيكشف الله عن أبصارهم ، فينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون : هؤلاء الذين أسعدهم الله ، وفي رواية : فيقولون : هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم وشقينا نحن بمخالفتهم ، ثمّ يردّون إلى جهنّم بحسرة وندامة .

(ومنها) : من طريق الكلبي ، عن ابن عبّاس : **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ﴾** قال : نزلت في عشرة : أبو بكر . وعمر : وعثمان . وعليّ . وطلحة . والزبير . وسعد . وسعيد . وعبد الرّحمٰن بن عوف . وعبد الله بن مسعود .

ومن طريق النعمان بن بشير ، عن عليّ : **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾** . قال : ذاك عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وأنا .

هكذا يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، وهل من مسائل رواة هذه السفاسف عن الغلّ الذي نزع من صدور أُولئك المذكورين ، متى نزع ، وإلى أين ذهب ؟ وهذا الحديث والتاريخ يعلماننا أنَّ الغلّ المنتزع منهم بعد إسلامهم لم يزل مستقرّاً بينهم منذ يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما وقع هناك من حوار وشجار ، إلى الحوادث الواقعة حول واقعة الدار ، إلى المحتشد الدامي يوم الجمل ، أوَ ليست هذه كلّها منبعثة عن غلّ محتدم ، ووغر في الصدور ، وسخيمة في القلوب ، وبغضة مستثيرة ؟ أو ليس منها أن يستبيح الإنسان دم صاحبه ، وهتك حُرماته ، والوقيعة في عرضه ؟ فهل مع هذه كلّها صحيحٌ أنّه نُزع ما في صدورهم من غلّ ؟ .

والآيات المحرَّفة من هذا القبيل كثيرةٌ جدّاً ، لو تجمع يأتي منها كتاب ضخم ، غير أنّا لا يروقنا البحث عنها ، فإنَّه إطالةٌ من غير جدوى ، فهي بأنفسها وما فيها من تهافت ، وتفاهة كافية في إبطالها ، وما عساني أن أقول في مثل ما رووه في قوله تعالىٰ : **﴿وحملناه على ذات ألواح ودُسر تجري بأعيننا﴾** : إنَّ نوحاً عليه السلام لمّا عمل السفينة جاءه جبرائيل عليه السلام بأربعة مسامر مكتوب عل كلِّ مسمار عين : عين عبد الله وهو أبو بكر . وعين عمر ، وعين عثمان ، وعين علي ، رضي الله عنهم ، فجرت السفينة ببركتهم[1] .

وللقوم في تحريف الكتاب معارك دامية منها وقعة سنة (٣١٧ هـ) ببغداد بين

---

(١) نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٤ نقلاً عن (شوارد الملح) .

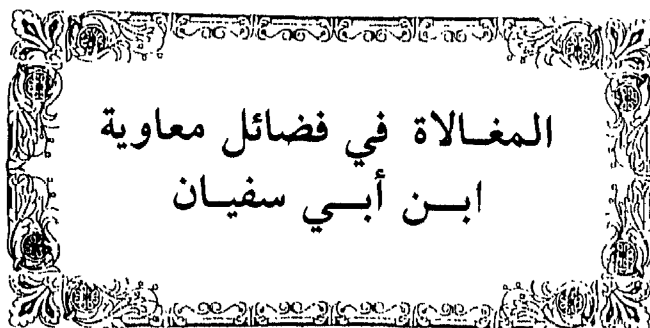
أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي ، وبين طائفة أُخرى من العامّة أيضاً ، اختلفوا في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾ . فقالت الحنابلة يجلسه معه على الإتحاد . وقال الآخرون : المراد بذلك الشفاعة العظمى . فاقتتلوا بذلك وقتل بينهم قتلى .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ١٦٢]

فخذ ما ذكرناه مقياساً لمئات الخرافات من أمثاله، تقوّلها على الله ألسنة الغلاة في الفضائل، واتّخذوا آيات الله هزواً ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ ، وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ، ثمّ يحرّفونه من بعدما عقلوه ، وهم يعلمون .

منتهى المقال : .

هذه نماذج من أفائك الوضّاعين في الفضائل ، حسبتها الأغرار حقائق ، فسوَّدوا بها صحائف من التفسير ، والحديث ، والتاريخ ، وموّهوا بها على الحقائق الراهنة ، وفككوا بها عرى الإسلام ، وشتّتوا شمل الأُمّة ، وفرّقوا صفوفها ، وكذّبوا واتّبعوا أهواءهم وكلّ أمر مستقرّ ، أردنا بسردها أن نعطيك مقياساً لما حاولوه من المغالاة نكتفي بها عن غيرها ، وهناك مئات من أمثالها ضربنا الصَّفح عنها تنزّهاً عن نبش المخاريق ، ونشر المخازي ، والباحث يجد شواهد صادقة على دعوانا في غضون (الرياض النضرة) عُلبة السفاسف والخرافات . و (الصواعق المحرقة) عيبة الأفائك والأكاذيب ، و (السيرة الحلبيّة) المشحونة بالموضوعات . و (نزهة المجالس) موسوعة الترّهات والصحاصح ، و (مصباح الظلام) ديوان كلّ حديث مفترى ورواية مفتعلة ، إلى تآليف جمّة من القديم والحديث ، فويلٌ لهم ممّا كسبت أيديهم ، وويلُ لهم ممّا يكتبون ، فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون ، وليُسألنّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون ، والله يعلم أنّهم لكاذبون .



كنّا نرتئي أنّ معاوية في غنى عن إفاضة القول في مخاريقه ، لما عرفته الأُمّـة من نفسيّته الموبوءة ، وأعماله الوبيلة ، وجرائمه الموبقة الجمّـة ، ورذائله الكثيرة ، ونسبه الموصوم ، وأصله اللئيم ، ومحتده الدنيء، وإنّ من يضع فيه المدائـح تندى جبهته عن سردها لمثله ، غير أنّا وجدنـا الأمل قـد أكدى ، والـظنّ قد أخفق ، وأنَّ القحّة والصلف لم يدعا لأُولئك الوضّاعين حدّاً يقفون عليه ، فحاولنا أنْ نذكر يسيراً من معـرِّفاتـه ، لإيقاف البـاحث على حقيقة الحـال فيما عـزوه إليه من الثنـاء ، غير مكتـرثين لهملجة ابن كثير ، والهتاف الـذي سمعه بعض السلف على جبـل بالشـام [ولعلّ الهاتف هو الشيطان] من أبغض معاوية سحبته الزبـانية إلى جهنّم الحـامية ، يرمى به في الحامية الهاوية .

ولا مبالين بطيف خيال ، ركن إليه ابن كثيـر أيضاً قـال : قال بعضهم : رأيت رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، ومعـاوية ، إذ جـاء رجلٌ فقال عمر : يـا رسول الله ! هـذا يتنقّصنا ، فكـأنّه انتهـره رسول الله ﷺ فقـال : يا رسول الله ! إنّي لا أتنقّص هؤلاء ، ولكن هذا ـ يعني معاوية ـ فقال : ويلك أوَ ليس هو من أصحابي ؟ قالها ثلاثاً ، ثمّ أخذ رسول الله حربة فناولها معاوية فقال : جابهه في لبّتـه . فضربـه بها . وانتبهت فبكـرت إلى منزلي فـإذا ذلك الـرّجل قـد أصابتـه الذّبحة من اللّيل ، ومات ، وهو راشد الكندي .

ولا معتدين برأي سعيد بن المسيّب : من مات محبّاً لأبي بكر ، وعمر ، وعثمان . وعلي ، وشهد للعشرة بالجنّة ، وترحّم على معاوية ، كان حقّاً على الله أن لا يناقشه الحساب[١] .

ولا بأضغاث أحلام جاءت عن عمر بن عبد العزيز ، وفيها قول معاوية : غفر لي وربِّ الكعبة . مرّ حديثها في (الجزء التاسع : ص ٣٩١) .

ولا معبئين بقول أحمد : ما لهم ولمعاوية ؟ نسأل الله العافية ! .

فلا نقيم أيَّ وزن لأمثال هذه السفاسف من آراء مجرّدة ، أو ركون إلى خيال ، أو إحتجاج بهاتف مجهول ، أو جنوح إلى طيف حالم تجاه ما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرّجل ، وما جاء فيه من الكلم القيّمة للسلف الصالح ، الناظرين إلى أعماله من كثب ، العارفين بعُجره وبُجره ، الواقفين على إعلانه وإسراره ، الناقدين لمخازيه ، المتبصّرين في أمره ، الخبيرين بنواياه في جاهليته وإسلامه ، وإليك نبذة منها :

١ ـ عن عليّ بن الأقمر عن عبد الله بن عمر . قال : خرج رسول الله من فجّ ، فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب ، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد ، والآخر سائق ، فلمّا نظر إليهم رسول الله قال : اللّهُمَّ العن القائد والسائق والراكب ! قلنا : أنت سمعت رسول الله ﷺ قال : نعم ، وإلاَّ فصمَّتا أُذناي ، كما عميتا عيناي[٢] .

وفي (تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧) : قد رأى صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان مقبلاً على حمار ، ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به ، قال : لعن الله القائد والراكب والسائق .

وإلى هذا الحديث أشار الإمام السبط فيما يخاطب به معاوية بقوله : أُنشدك الله يا معاوية ! أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اللّهُمَّ العن الراكب والقائد

---

(١) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٢) كتاب صفين ط مصر : ص ٢٤٧ .

والسائق[١] ؟ .

وإليه أشار محمّد بن أبي بكر في كتاب كتبه إلى معاوية بقوله : «وأنت اللّعين ابن اللّعين» . وسيوافيك الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

٢ ـ عن البراء بن عازب قال : أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله ﷺ : اللّهُمَّ العن التابع والمتبوع ، اللّهُمَّ عليك بالأُقيعس ، فقال ابن البراء لأبيه : من الأُقيعس ؟ قال : معاوية[٢] .

ومعاوية فظاظةٌ من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيثما لعن آكل الربا ، والخمر وشاربها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه . والرجل أعرف شخصيَّة بهذه المخازي كما سيوافيك حديثه .

٣ ـ أخرج أحمد في (المسند ج ٤ ص ٤٢١) ، وأبو يعلى ، ونصر بن مزاحم في (كتاب صفّين : ص ٢٤٦/ط مصر) من طريق أبي برزة الأسلمي ، والطبراني في الكبير من طريق ابن عباس : كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فسمع رجلين يتغنّيان ، وأحدهما يجيب الآخر . وهو يقول :

لا يزال حواري تلوح عظامه زوى الحرب عنه أنْ يجنّ فيقبرا

وفي لفظ ابن عباس :

ولا يزال جوادي تلوح عظامه ....

فقال النبيّ ﷺ انظروا مَن هما . قال : فقالوا : معاوية وعمرو بن العاصي ، فرفع رسول الله يديه فقال : اللّهُمَّ اركسهما ركساً ، ودعَّهما إلى النّار دعّا . وفي لفظ ابن عباس : اللّهُمَّ اركسهما في الفتنة ركساً .

وجاء الإيعاز إلى الحديث في (لسان العرب ج ٧ ص ٤٠٤) ، و(ج ٩ ص ٤٣٩) .

---

(١) سيوافيك تمام كلام أبي محمد السبط ، عليه السلام ، في هذا البحث .
(٢) كتاب صفين ط مصر : ص ٢٤٤ .

قال الأميني : لمّا لم يجد القوم غمزاً في إسناد هذا الحديث ، وكان ذلك عزيزاً على مَن يتولّى معاوية ، فحذف أحمد الإسمين وجعل مكانهما (فلان وفلان) واختلق آخرون تجاهه ما أخرجه ابن قانع في معجمه عن محمّد بن عبدوس كامل ، عن عبد الله بن عمر ، عن سعيد أبي العباس التيمي ، عن سيف بن عمر ، عن أبي عمر مولى إبراهيم بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن صالح شقران ، قال : بينما نحن ليلة في سفر ، إذ سمع النبيُّ ﷺ صوتاً ، فذهبت أنظر ، فإذا معاوية بن رافع ، وعمرو بن رفاعة بن التابوت ، يقول :

لا يزال جوادي تلوح عظامه ذوى الحرب عنه أنْ يموت فيقبرا

فأتيت النبيَّ ﷺ فأخبرته فقال : اللّهُمَّ اركسهما ودعّهما إلى نار جهنم دعّا ! فمات عمرو بن رفاعة قبل أنْ يقدم النبيُّ ﷺ من السفر .

قال السيوطي في (اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٤٢٧) : وهذه الرّواية أزالت الإشكال وبيَّنت أنَّ الوهم وقع في الحديث الأوّل في لفظة واحدة وهي قوله : ابن العاصي ، وإنّما هو ابن رفاعة أحد المنافقين ، وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين ، والله أعلم .

ألا مَن يُسائل هذا الضليع في فنِّ الحديث ، المتعهد لتنقيبه ، عن الإشكال في الحديث الأوّل ، من أين أتاه ؟ وما الذي ثقل عليه من لفظه حتى ذهب إلى الوهم فيه ؟ أفي مفاده شذوذٌ عن نواميس الشريعة ، أو فيه ما يخالف الكتاب والسنّة ؟ أو حطٌّ عن مقام رجل ينزَّه ذيله عن كلّ ما يُدنّس المسلم الصحيح ، ويشينه ويزري به ؟ أو مسٌّ بكرامة مَن قدَّس الإسلام ساحته عن كلّ طعن ومسبَّة ؟ هذا ابن هند ، وهو ابن النابغة ، وهما هما .

وهل نسي هاهنا ما عنده من الجرح في رجال هذا الإسناد الوعر ، لروايته التي أزالت عنه الإشكال الموهوم ، وبيّنت الوهم المزعوم الواقع في الحديث ، وسكت عمّا فيه من الغمز ؟ مرسلاً إيّاه إرسال المسلّم كأنّه جاء بالصحيح الثابت ، وفيه مع رجال مجاهيل سيف بن عمر الذي قال السيوطي نفسه في (اللآلي ج ١ ص ١٩٩) في غير هذا الحديث : إنّه وضّاع . وقال في (ص ٤٢٩) في حديث

آخر : فيه ضعفاء أشدّهم سيف . وقد فصّلنا القول في ترجمة الرجل في (ج ٥ ص ٢٨٦ و٢٨٧) : إنّه ضعيفٌ ، متروكٌ ، ساقطٌ ، كذّابٌ ، وضّاعٌ ، متهمٌ بالزندقة . أفبالموضوع المكذوب يزول الإشكال ويبيّن الوهم ؟ اللّهُمَّ غفرانك .

٤ ـ إنّ رسول الله ﷺ قال : يطلع من هذا الفجّ رجلٌ من أُمّتي يحشر على غير ملّتي . فطلع معاوية[1] .

وفي لفظ ابن مزاحم : يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلٌ يموت حين يموت على غير سنّتي .

[كتاب صفّين : ص ٢٤٧]

أخرجه الحافظ البلاذري في (الجزء الأوّل من تاريخه الكبير) قال : حدّثني عبد الله بن صالح ، حدّثني يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن طاووس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فقال : يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلٌ يموت يوم يموت على غير ملّتي . قال : وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أنْ يطلع فطلع معاوية .

وقال : وحدّثني إسحاق قال : حدّثنا عبد الرزّاق بن همام ، أنبأنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : كنت جالساً . الخ .

الإسناد :

قال العلاّمة السيِّد محمّد المكي بن عزوز المغربي : الحديث الأوّل رجاله كلّهم من رجال الصحيح ، حتّى ليث فمن رجال مسلم ، وهو ابن أبي سليم ، وإنْ تكلّم فيه لاختلاط وقع له في آخر أمره ، فقد وثقه ابن معين وغيره ، كما أفاده الشوكاني ، على أنَّ التوهم يرتفع بالسند الثّاني الذي هو حدَّثني إسحاق . الخ . لأنّ الراوي فيه عن طاووس عبد الله ابنه ، لا ليث ، والسّند متين ولِلّه الحمد[2] .

---

(١) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧ .

(٢) العتب الجميل : ص ٨٦ .

٥ ـ وفي الحديث المرفوع المشهور أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنَّ معاوية في تابوت من نار . في أسفَل درك منها ينادي : يـا حنّان يـا منّان الآن وقـد عَصيتُ قبلُ وكنت مِن المفسدين[1] .

٦ ـ عن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية : سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد مررت به : اللَّهُمَّ العنه ولا تشبعه إلَّا بالتراب[2] .

٧ ـ عن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إست معاوية في النار . فضحك معاوية وأمر بحبسه . رأجع تمام الحديث في (الجزء الثامن : ص٣٦٢) .

٨ ـ مرفوعاً : إذا ولي الأُمّة الأعين (كذا) الواسع البلعوم ، الذي يأكل ولا يشبع ، فلتأخذ الأُمّة حذرها منه . قال أبو ذر : أُخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه معاوية . وفي لفظ : لا يذهب أمر هذه الأُمّة إلَّا على رجل واسع السرم ، ضخم البلعوم .

[راجع ص٣٦٢ من الجزء الثامن]

٩ ـ أخرج نصر بن مزاحم في (كتاب صفّين) ، وابن عدي ، والعقيلي ، والخطيب ، والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود ، مرفوعاً : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه .

وفي لفظ : يخطب على منبري فاقتلوه .

وفي لفظ : يخطب على منبري فاضربوا عنقه .

وفي لفظ أبي سعيد : فلم نفعل ولم نفلح .

وقال الحسن : فما فعلوا ولا أفلحوا[3] .

---

(١) تاريخ الطبري ج ١١ ص٣٥٧ ، كتاب صفين : ص٢٤٣ واللفظ للأول .

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص٣٦٢

(٣) كتاب صفين : ص٢٤٣ ، ٢٤٨/ط مصر ، تاريخ الطبري ج ١١ ص٣٥٧ ، تاريخ الخطيب ج ١٢ ص١٨١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص٣٤٨ ، كنوز الدقائق للمناوي : ص١٠ ، اللآلي المصنوعة ج ١ ص٤٢٤ ، ٤٢٥ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص٤٢٨ .

قال الأميني ذكره السيوطي في (اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥) بعدّة طرق لابن عدي والعقيلي وزيّفها ، غير أنَّ البلاذري أخرجه بغير تلكم الطرق في تاريخه الكبير قال : حدّثنا يوسف بن موسى ، وأبو موسى إسحاق الفروي . قال : حدّثنا جرير بن عبد الحميد ، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، والأعمش ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه . فتركوا أمره فلم يفلحوا ، ولم ينجحوا .

رجال الإسناد :

١ ـ يوسف بن موسى أبو يعقوب الكوفي : من رجال البخاري ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن خزيمة ، في صحاحهم ، وثّقه غير واحد .

٢ ـ جرير بن عبد الحميد أبو عبد الله الرازي : من رجال الصحاح الستِّ ، مجمعٌ على ثقته .

٣ ـ إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي الكوفي : أحد رجال الصحاح الستّ متفقٌ على ثقته .

٤ ـ الأعمش سليمان بن مهران أبو محمّد الكوفي : أحد رجال الصحاح الستِّ ، ليس في المحدّثين أصدق منه .

٥ ـ الحسن البصري : أحد رجال الصِّحاح مجمعٌ على ثقته .

فلم يبق في الحديث غمزٌ إلّا من ناحية إرساله وهو لا يعدُّ علّة في مثل المقام إذ لا يهمّ القوم عرفان الصَّحابي الراوي للحديث، لعدالة الصحابة كلّهم عندهم . فالحديث صحيح لا مغمز فيه ، وإرساله يجبر بإسناد متّصل ، قال البلاذري :

حدَّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدَّثنا حجّاج بن محمّد ، حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري : إنَّ رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية فقلنا له : لا تسل السيف في عهد عمر ، حتى نكتب إليه ، قال : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه . قالوا : ونحن سمعناه ، ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر ، فكتبوا إليه

فلم يأتهم جوابٌ حتى مات .

رجـــال الإسنـــاد :

١ ـ إسحـاق بن أبي إسرائيـل أبو يعقـوب المروزي : من رجـال البخاري في (الأدب المفرد) وأبي داود ، والنسائي ، وثّقه ابن معين ، والدارقـطني . والبغوي ، وأحمد بن حنبل .

٢ ـ حجّاج بن محمّد المصيصي أبـو محمّد الأعـور : أحد رجـال الصحيحين وبقيّة الصحاح .

٣ ـ حمّـاد بن سلمـة أبـو سلمـة البصـري : من رجـال مسلم في صحيحـه ، والبخاري في التعاليق ، وبقيّـة أصحاب السنن ، أجمـع أئمّة أهـل النقل على ثقتـه وأمانته .

٤ ـ عليُّ بن زيـد بن جـدعــان أبــو الحسن البصــري : من رواة مسلم في (صحيحـــه) ، والبخــاري في (الأدب المفــرد) ، وأصحــاب السنن . شيعي ثقـةٌ صدوق .

٥ ـ أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي البصري : من رجال (صحيح مسلم) ، والتعاليق للبخاري . وبقيّة السنن ، وثّقه ابن معين ، وأبو زرعة ، والنســائي ، وابن سعد ، وأحمد بـن حنبل .

٦ ـ أبو سعيد الخدري : الصحابيّ الشهير :

وبهـذا الطريق ذكـره ابن حجر في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٢٤) فقـال : وأخـرجه الحسن بن سفيـان في مسنده ، عن إسحـاق ، عن عبد الـرزّاق ، عن ابن عيينـة ، عن عليّ بن زيد ، والمحفـوظ عن عبد الـرزّاق ، عن جعفر بن سليمـان ، عن عليّ ، ولكن لفظ ابن عيينـة : «فارجمـوه» . أورده ابن عدي ، عن الحسن بن سفيان .

وطـريق الحسن بن سفيان هـذا أيضـاً صحيـحٌ رجـالـه كلهم ثقـات ، وبهـذا الإسنـاد أخرجـه ابن عدي كمـا في (ميزان الإعتـدال ج ٢ ص ١٢٨) قال : حـدّثنا

الحسن بن سفيان ، قال : حدَّثنا ابن راهويه ، قال : حدَّثنا عبد الرزّاق ، عن ابن عيينة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ، مرفوعاً : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه .

قال : وحدّثنا ، محمّد بن سعيد بن معاوية بنصيبين ، حدَّثنا سليمان بن أيّوب الصريفيني ، حدّثنا ابن عيينة .

وثناه محمّد بن العباس الدمشقي ، عن عمّار بن رجاء ، عن ابن المديني ، عن سفيان (ابن عيينة) .

وثناه محمّد بن إبراهيم الإصبهاني ، حدَّثنا أحمد بن الفرات ، حدَّثنا عبد الرزّاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن ابن جدعان نحوه .

إسناد آخر :

وأخرجه ابن حبّان من طريق عباد بن يعقوب، عن شريك ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مرفوعاً : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١١٠]

رجال الإسناد :

١ ـ عباد بن يعقوب الأسدي أبو سعيد الكوفي : من رجال البخاري ، والترمذي ، وابن ماجة ، وثّقه ابن خزيمة ، وأبو حاتم . وقال الدارقطني : شيعيٌّ صدوق .

٢ ـ شريك النخعي الكوفي : من رجال مسلم في (صحيحه) ، والبخاري في التعاليق ، وأصحاب السنن الأربع ، وثّقه ابن معين ، والعجلي ، ويعقوب بن شيبة ، وابن سعيد ، وأبو داود ، والحربي .

٣ ـ عاصم بن بهدلة الأسدي الكوفي أبو بكر المقري : من رجال الصحاح الستّ ، متّفقٌ على ثقته .

٤ ـ زر بن حبيش الكوفي : مخضرمٌ أدرك الجاهليّة ، من رجال الصحاح الستّ .

٥ ـ عبد الله بن مسعود : الصحابي العظيم .

فالإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات . فللحديث طرقٌ أربعة صحيحة ، لا غمز فيها ، غير أنَّ ابن كثير حبَّبته أمانته أن لا يذكر من طرق الحديث إلَّا الضعيف كما أنَّ السيوطي راقه أن لا ينضّد في سلك لآلئه إلَّا المزيّف ، ساكتاً عن الأسانيد الصحيحة ، حفظاً لكرامة ابن هند .

وهذا الحديث معتضدٌ بحديث صحيح ثابت متسالم عليه ، ألا وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإن جاءَ أحدٌ ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر[1] .

وللقوم تجاه حديث «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» تصويبٌ وتصعيدٌ ، وجلبةٌ ولغطٌ ، رواه أُناس بالموحَّدة مع زيادة ، أخرجه الخطيب ، عن الحسن بن محمّد الخلال عن يوسف بن أبي حفص الزاهد ، عن محمّد بن إسحاق الفقيه ، عن أبي نضر الغازي ، عن الحسن بن كثير . عن بكر بن أيمن القيسي ، عن عامر بن يحيى الصريمي ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً : إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه ، فإنّه أمين مأمونٌ .

قال الخطيب : لم أكتب هذا الحديث إلَّا من هذا الوجه ، ورجال إسناده ما بين محمّد بن إسحاق ، وأبي الزبير كلّهم مجهولون[2] . ونصَّ الذهبي في (الميزان) ، وابن حجر في (لسانه) في ترجمة الحسن بن كثير ، وبكر بن أيمن ، وعامر بن يحيى : على أنّهم مجاهيل ، والأقوال في أبي الزبير محمّد بن مسلم المكّي متضاربةٌ من ناحية الجرح والتوثيق ، وصرّح بجهالة الإسناد ابن كثير في (تاريخه ج ٨ ص ١٣٣) .

---

(١) مر تفصيل هذين الصحيحين في هذا الجزء ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) كذا نجده في المطبوع من (تاريخ بغداد) وحكاه عنه حرفياً ابن حجر في (لسان الميزان ج ٢ ص ٢٤٧) ، وفي (اللآلي ج ١ ص ٤٢٦) نقلاً عن التاريخ بلفظ : قال الخطيب : محمد بن اسحاق كثير الخطاء والمناكير ، ومن فوقه إلى أبي الزبير ، كلهم مجهولون به .

وزيادة «فإنّه أمين مأمونٌ» أقوى شاهد على بطلان الرواية واختلاقها ، وقد فصّلنا القول في أمانة الرَّجل (ج ٥ ص ٣١٨ ، وج ٩ ص ٣٣١) .

وجاء آخر وهو جاهلٌ بتحريف مَن روى «فاقتلوه» بالموحَّدة . أو إنّه لم يرقه ذلك التحريف ، فوضع رواية في أنّ معاوية غير معاوية بن أبي سفيان . أخرج الحافظ ابن عساكر ، عن محمّد بن ناصر الحافظ ، عن عبدالقادر بن محمّد ، عن ابن إسحاق البرمكي ، عن أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، قال : قال لي أبو بكر بن أبي داود لمّا روى حديث «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» : هذا معاوية بن تابوت رأس المنافقين ، وكان حلف أن يبول ويتغوّط على منبره ، وليس هو معاوية بن أبي سفيان .

قال السيوطي في (اللآلي ج ١ ص ٤٢٥) بعد ذكر الرواية : قال المؤلّف : وهذا يحتاج إلى نقل ، ومَن نقل هذا ؟ قلت : قال ابن عساكر : هذا تأويلٌ بعيدٌ ، والله أعلم .

قال الأميني : هل عندك خبرٌ بتاريخ معاوية بن تابوت ؟ وانّه أيّ ابن بيّ هو ؟ ومتى ولدته أُمّ الدنيا ؟ وأنّى وُلد ؟ وأين وُلد ؟ ومن رآه ؟ ومن سمع منه؟ ومَن الذي أوحى خبره إلى أبي بكر بن أبي داود ؟ وهل هو أبرّ يمينه أو حنثها ؟ وهل رآه أصحاب النبيِّ ﷺ : على منبره وقتلوه ؟ أو لم يُر حتّى اليوم . ولن يُرى قطُّ إلى آخر الأبد ؟ .

ونظير هذا التأويل قد جاء في حديث فاطمة بنت قيس ، قالت لرسول الله ﷺ : إنَّ معاوية وأبا جهم خطباني ، فقال النبيُّ ﷺ : معاوية صعلوك لا مال له . حكى الرافعي أنّه ليس هو معاوية بن أبي سفيان الذي ولي الخلافة ، بل هو آخر .

[الإصابة / ٣ ص ٤٩٨]

نعم : هكذا أوّله الرافعي حبّاً لابن هند ، غير أنَّ النووي قال : وهذا غلطٌ صريح ، فقد وقع في (صحيح مسلم) في هذا الحديث : معاوية بن أبي سفيان .

قال الأميني : عرّفه مسلم بابن أبي سفيان في (صحيحه ج ٤ ص ١٩٥) ، وأبو داود في (السنن ج ١ ص ٣٥٩) ، والنسائي في (سننه ج ٦ ص ٢٠٨) ،

والطيالسي في (مسنده : ص ٢٢٨) ، والبيهقي في (السنن الكبرىٰ ج ٧ ص ٤٧١) .

فالتأويل بغير معاوية بن أبي سفيان غلطٌ صريحٌ ، كما قاله النووي .

ولابني كثير وحجر في تزييف حديث «فاقتلوه» خُطّةٌ أُخرىٰ ، قال ابن كثير في (تاريخه ج ٨ ص ١٣٣) : هذا الحديث كذبٌ بلا شكّ ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك ، لأنّهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم .

وقال ابن حجر في (تطهير الجنان)(١) يلزم على فرض صحّته نقيصة سائر الصحابة إن بلغهم ذلك الحديث ، أو نقيصة مَن بلغه منهم وكتمه ، لأنَّ مثل هذا يجب تبليغه للأُمّة حتى يعملوا به ، على أنّه لو كتمه لم يبلغ التابعين حتى نقلوه لمن بعدهم ، وهكذا فلم يبق إلاّ القسم الأوّل وهو أنْ يبلغهم فلا يعملون به ، وهو لا يتصوّر شرعاً إذ لو جاز عليهم ذلك ، جاز عليهم كتم بعض القرآن ، أو رفض العمل به ، وكلُّ ذلك محالٌ شرعاً ، لا سيّما مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «تركتكم على الواضحة البيضاء» . الحديث (اهـ) .

ما أحسن ظنَّ هؤلاء القوم بالصحابة ؟ وما أجمله لو كان يساعده المنطق لو لم يخالفه التاريخ الصحيح ، أو الثّابت المسلّم من سيرة الصحابة ، أو ما جاء عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم من أقواله التي تلقّتها الأُمّة بالقبول ، ورواها أئمّة الحديث في الصحاح والمسانيد ممّا أسلفنا شطراً منه في (الجزء الثالث : ص ٣٢٠ ، ٣٢١) .

وهَل عمل الصحابة أو عيونهم بأمره صلى الله عليه وآله وسلم في قتل ذي الثديّة ، بعدما عرّفه إيّاهم بشخصه ، وأنبأهم بهواجسه المكفّرة ، واعترف الرجل بها ؟ أو خالفوه ، وضيّعوا أمره ، ونبذوه وراء ظهورهم ، وهو بين ظهرانيّهم ؟ راجع ما مرَّ في (الجزء السّابع : ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦) .

وهل عملوا بما صحّ وثبت عندهم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» ؟ أو قوله : «من أراد أن يفرّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع

---

(١) هامش الصواعق المحرقة : ص ٦٠ .

فاضربوه بالسيف كائناً من كان» ؟ أو قوله : «فإن جاء آخر ينازعه ـ الإمام ـ فاضربوا عنق الآخر»؟ إلى صحاح أُخرى مرّت جملة منها في هذا الجزء : ص ٣٧ .

١٠ ـ جاء من طريق زيد بن أرقم ، وعبادة بن الصامت ، مرفوعاً : إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما فإنّهما لن يجتمعا على خير(١) .

١١ ـ ورد مرفوعاً : يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلٌ يموت حين يموت ، وهو على غير سنّتي . فطلع معاوية .

[كتاب صفين ، لنصر بن مزاحم]

١٢ ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية : «أتاني كتابك ، كتاب امرىء ليس له بصرٌ يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضّلال فاتّبعه» ـ إلى أن قال : ـ «وأمّا شرفي في الإسلام ، وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وموضعي من قريش ، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته» .

وفي لفظ : «فقد أتتني منك موعظةٌ موصلة ، ورسالةٌ محبّرة ، نمّقتها بضلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرىء ليس له بصرٌ يهديه ، ولا قائدٌ يرشده ، قد دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتّبعه ، فهجر لاغطاً ، وضلَّ خابطاً» .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٣ ، الكامل للمبرد ج ١ ص ١٥٧ ، وفي ط : ٢٢٥ ، كتاب صفين : ص ٦٤ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٧ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ٢٥٢ ، ج ٣ ص ٣٠٢] .

١٣ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرَّجل : «فاقلع عمّا أنت عليه من الغيِّ والضَّلال على كبر سنِّك ، وفناء عمرك ، فإنَّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يُصلح من جانب ، إلاَّ فسد من آخر ، وقد أرديت جيلاً من الناس كثيراً ، خدعتهم بغيِّك ، وألقيتهم في موج بحرك ، تغشاهم الظلمات ، وتتلاطم بهم الشبهات ، فجاروا عن وجهتهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وتولّوا على أدبارهم ،

---

(١) راجع الجزء الثاني : ص ١٥١

وعوَّلوا على أحسابهم ، إلاَّ مَن فاء من أهل البصائر ، فإنّهم فارقوك بعد معرفتك ، وهربوا إلى الله من مؤازرتك ، إذ حملتهم على الصعب ، وعدلت بهم عن القصد» .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٤١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٠]

١٤ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرجل : «فإنّ ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشَبَه ممّا أتى به أهلك وقومك الّذين حملهم الكفر ، وتمنّي الأباطيل على حسد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتّى صرعوا مصارعهم حيث علمت ، لم يمنعوا حريماً ، ولم يدفعوا عظيماً ، وأنا صاحبهم في تلك المواطن ، الصالي بحربهم ، والفالّ لحدِّهم ، والقاتل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة ، والمتبع إنْ شاء الله خلفهم بسلفهم ، فبئس الخلف خلف اتّبع سلفاً محلّه ومحطّه النار» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٠]

١٥ ـ من كتاب له ، سلام الله عليه ، إلى الرَّجل : أمّا بعد : فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشّيطان الرَّجيم الحقّ أساطير الأوّلين ، ونبذتموه وراء ظهوركم ، وحاولتم إطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ، ولعمري ليتمَّنَّ النور على كرهك ، ولينفذنَّ العلم بصغارك ، ولتجازينَّ بعملك ، فعث في دنياك المنقطعة عنك ، ما طاب لك ، فكأنّك بباطلك وقد انقضى ، وبعلمك وقد هوى، ثمَّ تصير إلى لظى ، لم يظلمك الله شيئاً ، وما ربّك بظلّام للعبيد .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥١ ، وج ٣ ص ٤١١]

١٦ ـ من كتاب له صلوات الله عليه إلى الرجل : «أمّا بعد : فإنّ مساوئك مع علم الله تعالىٰ فيك ، حالت بينك وبين أنْ يصلح لك أمرك ، وأن يرعوي قلبك ، يابن صخر يا بن اللّعين [وفي لفظ : يابن الصخر اللّعين] زعمت أنْ يزن الجبال حلمك ، ويفصل بين أهل الشكّ علمك ، وأنت الجلف المنافق ، الأغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرَّذل» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١١ ، وج ٤ ص ٥١]

١٧ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرَّجل : «قد وصلني كتابك ، فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالّتك ، وتخبط في عماية ، وتتيه في ضلالة، وتعتصم بغير حجّة ، وتلوذ بأضعف شبهة .

فسبحان الله ما أشدَّ لزومك للأهواء المبتدعة ، والحيرة المتّبعة ، مع تضييع الحقائق ، واطّراح الوثائق التي هي لِلّه تعالىٰ طلبة ، وعلى عباده حجّة» .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٤ . شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٧]

١٨ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرّجل لمّا دعاه إلى التحكيم : «ثمَّ إنّك قد دعوتني إلى حكم القرآن ، ولقد علمت أنّك لستَ مِن أهل القرآن ، ولا حكمه تريد ، والله المستعان .» .

[كتاب صفين : ص ٥٥٦ ،نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٦،شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٨]

١٩ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرجل : «أمّا بعد : فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأُمور ، فلقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل ، واقتحامك غرور اللين والأكاذيب ، من انتحالك ما قد علا عنك ، وابتزازك لما قد اختزن دونك ، فراراً من الحقِّ ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ، ممّا قد وعاه سمعك ، ومُلِىء به صدرك ، فماذا بعد الحقّ إلاَّ الضلال المبين» .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٥]

٢٠ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرجل : «متى كنتم يا معاوية ! ساسةً للرعيّة ؟ أو ولاة لأمر هذه الأُمّة بغير قدم حَسَن ؟ ولا شرفٍ سابق[1] على قومكم ، فشمِّر لما قد نزل بك ، ولا تمكّن الشيطان من بغيته فيك ، مع أنّي أعرف أنَّ الله ورسوله صادقان ، فنعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء ، وإلاَّ تفعل أُعلمك ما أغفلك من نفسك ، فإنّك مترفٌ قد أخذ منك الشيطان مأخذه، فجرى منك مجرى الدم في العروق» .

---

(١) في نهج البلاغة: باسق .

[كتاب صفّين : ص ١٢٢،نهج البلاغة ج ٢ ص١١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١٢]

٢١ ـ من كتاب له ﷺ إلى الرَّجل : «فاتّق الله فيما لديك ، وانظر في حقّه عليك ، وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته ، فإنَّ للطاعة أعلاماً واضحة ، وسبلاً نيّرة ، ومحجّة نهجةً ، وغايةً مطلوبةً يردها الأكياس ، ويخالفها الأنكاس ، من نكّب عنها جار عن الحقّ ، وخَبط في التيه ، وغيَّر الله نعمته ، وأحلّ به نقمته ، فنفسك نفسك ، فقد بيَّن الله لك سبيلك ، وحيث تناهت بك أُمورك فقد أجريتَ إلى غاية خسرٍ ومحلّة كفر وإنَّ نفسك قد أولجتك شرّاً ، وأقحمتك غيّاً ، وأوردتك المهالك ، وأوعرت عليك المسالك» .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦ ، ٣٧]

٢٢ ـ من كتاب له ﷺ إلى الرجل جواباً : «أمّا بعد : فإنّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرتَ من الإلفة والجماعة ، ففرّق بيننا وبينكم أمس أنّا آمنا وكفرتم ، واليوم أنّا استقمنا وفُتنتم ، وما أسلم مسلمكم إلاّ كرهاً ، وبعد أنْ كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله ﷺ حِرباً» .

ومنه : «وعندي السيف الذي أعضضته بجدِّك وخالك وأخيك في مقام واحد ، وإنّك والله ما علمتُ لأغلف القلب ، المقارب[1] العقل ، والأولى أن يُقال لك : إنّك رقيت سلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك ، لأنّك نشدت غير ضالّتك ، ورعيت غير سائمتك ، وطلبت أمراً لست من أهله ، ولا في معدنه ، فما أبعد قولك من فعلك ، وقريبٌ ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمنّي الباطل على الجحود بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فصرعوا مصارعهم حيث علمت ، لم يدفعوا عظيماً ، ولم يمنعوا حريماً ، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ، ولم تُماشها الهوينى»[2] .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٤]

---

(١) مقارب العقل : ناقصه ضعيفه .

(٢) أي : لم ترافقها المساهلة .

٢٣ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرّجل جواباً : «وأمّا قولك : إنّا بنو عبد مُناف ليس لبعضنا على بعض فضل ، فلعمري إنّا بنو أب واحد ، ولكن ليس أُميّة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب . ولا المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كاللصيق ، ولا المحقُّ كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدغل ، ولبئس الخلف خلفٌ يتّبع سلفاً هوى في نار جهنّم»[1] .

قال ابن أبي الحديد في شرح ذيل هذا الكلام (ج ٣ ص ٤٢٣) : هل يُعاب المسلم بأنَّ سلفه كان كفّاراً ؟ قلت : نعم إذا تبع آثار سلفه ، واحتذى حذوهم ، وأمير المؤمنين عليه السلام ما عاب معاوية بأنَّ سلفه كفّارٌ فقط ، بل بكونه متّبعاً لهم .

٢٤ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الرَّجل : «ما أنت والفاضل والمفضول؟ والسائس والمسوس ؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوَّلين ، وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات لقد حنّ قدحٌ ليس منها ، وطفق يحكم فيها مَن عليه الحكم لها ، ألا تربعُ أيُّها الإنسان على ظلعك ، وتعرف قصور ذرعك ؟ وتتأخّر حيث أخّرك القدَر ، فما عليك غلبة المغلوب ، ولا لك ظفر الظافر ، وإنك لذهّابٌ في التيه ، روّاغٌ عن القصد» .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٩ ، نهاية الأرب ج ٧ ص ٢٣٣]

٢٥ ـ من كتاب له عليه السلام إلى مخنف بن سليم : «إنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله ، واستأثروا بالفيء ، وعطّلوا الحدود ، وأماتوا الحقَّ ، وأظهروا في الأرض الفساد ، واتّخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين ، فإذا وليُّ الله أعظمَ أحداثهم ، أبغضوه ، وأقصوه ، وحرموه ، وإذا ظالمٌ ساعدهم على ظلمهم أحبّوه وأدنوه وبرّوه ، فقد أصرّوا على الظلم ، وأجمعوا على الخلاف ، وقديماً صدّوا عن الحقِّ ، وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٨٢]

٢٦ ـ من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاصي : «لا تجارين[2] معاوية في

(١) راجع ج ٣ ص ٢٧٨ .
(٢) في شرح النهج : لا تشرك .

باطله ، فإنَّ معاوية غمص[1] الناس ، وسفه الحقّ» .

[كتاب صفّين : ص ١٢٤ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٩ ، وج ٤ ص ١١٤] .

٢٧ ـ من كتاب له عليه السلام الى عمرو بن العاصي : «أمّا بعد : فإنّك تركت مروءتك لامرىء فاسق مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الحليم بخلطته ، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل : وافق شنٌّ طبقة ، فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك» . (راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا : ص ١١٨) وفيه قوله : «فإن يمكن الله منك ، ومن ابن آكلة الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على رسول الله ، وإنْ تعجزا وتبقيا بعدي ، فالله حسبكما ، وكفى بانتقامه انتقاماً ، وبعقابه عقاباً» .

٢٨ ـ من كتاب له ، صلوات الله عليه ، إلى محمّد بن أبي بكر وأهل مصر : «إيّاكم ودعوة الكذّاب ابن هند ، وتأمّلوا واعلموا أنّه لا سواء إمام الهدى ، وإمام الردى ، ووصيُّ النبيِّ وعدوُّ النبيِّ ، جعلنا الله وإيّاكم ممَّن يحبُّ ويرضى» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦ ، جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٤١]

٢٩ ـ من كتاب له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر وقد بعث إليه عليه السلام ما كتبه معاوية ، وعمرو إليه ، وسيوافيك نصّه : «قد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحابّين في عمل المعصية ، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة ، المنكرين[2] في الدنيا ، قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يضرّنك إرعادهما وإبراقهما» .

[تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٢]

٣٠ ـ من كتاب له عليه السلام إلى أهل العراق : «فأيقظوا رحمكم الله نائمكم ، وأجمعوا على حقّكم ، وتجرّدوا لحرب عدوّكم ، قد أبدت الرغدة عن الصريح ، وبانَ الصبح لذي عينين ، إنّما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ، واولي الجفاء ، ومَن

---

(١) غمص الناس : احتقرهم ولم يرهم شيئاً .

(٢) المنكرين بصيغة المفعول ، وفي شرح ابن أبي الحديد : والمتكبرين على أهل الدين .

أسلم كرهاً وكان لرسول الله ﷺ أنف الإسلام كلّه حرباً ، أعداء الله والسنّة والقرآن ، وأهل الأحزاب والبدع والأحداث ، ومَن كانت بوائقه تُتّقى ، وكان على الإسلام مخوّفاً ، أكلة الرشا وعَبدة الدنيا ، لقد أُنهي إليَّ أنّ ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه ، وشرط عليه أن يُعطيه إتاوةً هي أعظم ممّا في يديه من سلطانه ، ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ، وتربت يد هذا المشتري نصرة غادر فاسق بأموال المسلمين ، وإنّ منهم لمن قد شرب فيكم الخمر ، وجلد حدّاً في الإسلام[1] يُعرف بالفساد في الدين ، والفعل السيّء ، وإنّ فيهم من لم يُسلم حتى رُضخ له على الإسلام رضيخة[2] فهؤلاء قادة القوم ، ومَن تركتُ ذكر مساوئه من قادتهم ، مثل مَن ذكرت منهم ، بل هو شرٌّ وأضرّ ، وهؤلاء الذين ذكرت لو ولّوا عليكم ، لأظهروا فيكم الكبر ، والفخر ، والفجور ، والتسلّط ، بجبروته ، والتطاول بالغضب ، والفساد في الأرض ، ولاتّبعوا الهوى ، وما حكموا بالرشاد» [إلى قوله :] «أفلا تسخطون وتهتمّون أنْ ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم ، والأشرار والأراذل منكم ؟ فاسمعوا قولي ، وأطيعوا أمري ، فوالله لئن أطعتموني لا تغوون ، وإنْ عصيتموني لا ترشدون ، خذوا للحرب أُهبتها ، وأعدّوا لها عدّتها ، فقد شبّت نارها ، وعلا سنانها ، وتجرّد لكم فيها الفاسقون كي يعذّبوا عباد الله ، ويطفئوا نور الله ، ألا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء ، بأولى في الجدّ في غيّهم وضلالتهم ، من أهل البرِّ والزهادة والإخبات في حقّهم ، وطاعة ربّهم ، والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ، ما باليت ولا استوحشت ، وإنّي من ضلالتهم التي هم فيها ، والهدى الذي نحن عليه ، لعلى ثقة وبيّنة ، ويقين وبصيرة ، وإنّي إلى لقاء ربّي لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر ، ولكنّ أسفاً يعتريني ، وحزناً يخامرني أن يلي أمر هذه الأُمّة سفهاؤها وفجّارها ، فيتّخذوا مال اللّه دولاً ، وعباد الله خولاً ، والصالحين حَرباً ، والقاسطين حزباً» .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٧]

٣١ ـ من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه : «إنّ معاوية كالشيطان الرجيم يأتي

---

(١) يعني الوليد بن عقبة .

(٢) يعني معاوية . راجع جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٥١ .

المـرء من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، فـاحـذره ثمَّ احـذره ثمَّ احـذره ، والسَّلام» .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦٨]

٣٢ ـ من خطبة له ﷺ حين أمر أصحابه بـالمسير إلى حـرب معاويـة قال : «سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء السنن والقرآن ، سيروا إلى بقيّة الأحزاب قتلة المهاجرين والأنصار» .

[كتاب صفّين : ص ١٠٥ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٤٢]

٣٣ ـ من خطبة لـه ﷺ في الدعـوة إلى جهاد الـرجل : «نحن سـائرون إنْ شاء الله إلى من سَفه نفسه ، وتناول ما ليس له ، وما لا يدركه ، معاوية وجنده الفئة الباغية الطاغية ، يقودهم إبليس ، ويبرق لهم ببارق تسويفه ، ويدلّيهم بغروره» .

[كتاب صفّين : ص ١٢٦]

٣٤ ـ من خطبة لـه سلام الله عليه يوم (صفّين) : «ثمّ أتـاني النّاس وأنـا معتزل أمرهم فقالوا لي : بايع . فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بـايع فـإنّ الأُمّة لا تـرضى إلاَّ بك ، وإنّا نخاف إنْ لم تفعل أنْ يفتـرق الناس ، فبـايعتهم ، فلم يَرعني إلاَّ شقـاق رجلين قد بايعاني ، وخلاف معاوية إيّاي الذي لم يجعل الله له سـابقةً في الـدِّين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليقٌ ابن طليق ، وحزبٌ من الأحزاب ، لم يزل للّه ولرسوله وللمسلمين عدوّاً ، هو وأبوه ، حتّى دخـلا في الإسلام كـارهين مكرهين ، فعجبنا لكم[1] ولإجلابكم معـه ، وانقيادكم لـه ، وتدعـون أهل بيت نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم الـذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خـلافهم ، ولا أنْ تعدلـوا بهم أحداً من النـاس ، إنّي أدعـوكم إلى كتاب الله ، عـزَّ وجلَّ ، وسنّـة نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم ، وإمـاتـة البـاطـل ، وإحياء معالم الدين» .

[كتاب صفّين : ص ٢٢٧ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤ ،جمهرة الخطب ج ١ ص١٦١]

---

(١) عند ابن أبي الحديد : «فيا عجباً لكم» . الطبري : «فلاغرو الا خلافكم معه» .

٣٥ ـ من خطبة له عليه السلام يوم صفّين : «إنهدوا إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقار الإسلام ، وسيما الصالحين ، فوالله لأقرب قوم من الجهل قائدهم ومؤذنهم معاوية ، وابن النابغة ، وأبو الأعور السلمي ، وابن أبي معيط شارب الخمر ، المجلود حدّاً في الإسلام ، وهم أولى مَن يقومون فينقّصونني ويجذبونني ، وقبل اليوم ما قاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، والحمد لله وقديماً ما عاداني الفاسقون، فعبّدهم[1] الله ، ألم يفتحوا[2] ؟ إنَّ هذا لهو الخطب الجليل ، إنَّ فُسّاقاً كانوا غير مرضيّين ، وعلى الإسلام وأهله متخوَّفين ، خدعوا شطر هذه الأمّة ، وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزّ وجلّ ، اللّهُمَّ فافضض خدمتهم[3] ، وشتّت كلمتهم ، وأبسلهم بخطاياهم ، فإنّه لا يذلّ مَن واليتَ ، ولا يعزّ من عاديتَ» .

[تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤ ، كتاب صفّين : ص ٤٤٥]

٣٦ ـ من خطبة له عليه السلام بصفّين : «وقد عهد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً ، فلست أحيد عنه ، وقد حضرتم عدوّكم ، وعلمتم أنَّ رئيسهم منافق ابن منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيّكم معكم ، وبين أظهركم يدعوكم إلى الجنّة ، وإلى طاعة ربّكم ، والعمل بسنّة نبيّكم ، ولا سواء مَن صلّى قبل كلّ ذكر ، لا يسبقني الصّلاة مع رسول الله أحد ، وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليقٌ ، والله إنّا على الحقّ ، وإنّهم على الباطل ، فلا يجتمعن على باطلهم ، وتتفرّقوا عن حقّكم حتّى يغلب باطلهم حقّكم ، قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ، فإن لم تفعلوا يعذّبهم بأيدي غيركم» .

[كتاب صفّين : ص ٣٥٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٣ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٧٨]

٣٧ ـ من خطبة له عليه السلام : «أمّا بعد : فإنّ الله قد أحسن بلاءكم ، وأعزّ

---

(١) أي ذللهم . المعبد : المذلل .

(٢) الفتح : القهر ، والغلبة ، والتذليل .

(٣) أي : فرّق بينهم .

نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٠ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥١ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٣١] .

٣٨ ـ من خطبة له عليه السلام يستنفر الناس لقتال معاوية : «أيّها الناس استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، ودرك الوسيلة عنده ، قومٌ حيارى عن الحقِّ لا يبصرونه ، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاةٌ عن الكتاب ، نُكّبٌ عن الدين ، يعمهون في الطغيان ، ويتسكّعون في غمرة الضَّلال ، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوَّة ومن رباط الخيل ، وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً» .

[كتاب صفّين ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩] .

٣٩ ـ من خطبة له عليه السلام لمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح : «عباد الله ! إنّي أحقّ مَن أجاب إلى كتاب الله ، ولكنَّ معاوية ، وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن ، إنّي أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شرّ أطفال ، وشرَّ رجال ، إنّها كلمة حقّ يُراد بها الباطل ، إنّهم والله ما رفعوها إنّهم يعرفونها ولا يعملون بها ، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة ، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعةً واحدةً ، فقد بلغ الحقّ مقطعه ، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا» .

[كتاب صفّين : ص ٥٦٠ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٦] .

٤٠ ـ قيل لعليّ (سلام الله عليه) يوم صالح : أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون ؟ فقال عليٌّ : «ما أُقرّ لمعاوية ، ولا لأصحابه ، انّهم مؤمنون ، ولا مسلمون ، ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء لنفسه ولأصحابه ، ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه» .

[كتاب صفّين : ص ٥٨٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩١]

٤١ ـ كان عليٌّ عليه السلام إذا صلّى الغداة يقنت فيقول : «اللّهُمَّ العن معاوية ، وعمراً ، وأبا الأعور السّلمي ، وحبيباً ، وعبد الرَّحمٰن بن خالد ، والضحّاك بن قيس ، والوليد. وكانت عائشة تدعو في دبر الصّلاة على معاوية .

مرَّ الحديث بتفصيله في (ج ٢ ص ١٤٢) .

٤٢ ـ كتب معاوية كتاباً إلى أبي أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبر بذلك عليّاً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين! إنَّ معاوية كهف المنافقين كتب إليَّ بكتاب .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٠]

٤٣ ـ من كتاب لقيس بن سعد بن عبادة أمير الخزرج إلى معاوية مرَّ في (ج ٢ ص ١١١) : «أمّا بعد : فإنّما أنت وثن ابن وثن ، دخلت في الإسلام كرهاً ، وخرجت منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك» . ومنه : «ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه ، وأعداء الدين الذي دخلت فيه» .

وفي لفظ : «أمّا بعد : فإنَّما أنت وثنيّ ابن وثنيّ ، دخلت في الإسلام كرهاً ، وأقمت فيه فرقاً . وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حرباً لِلّهِ ولرسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدوّاً لِلّهِ ولنبيّه وللمؤمنين من عباده . . . الخ» .

٤٤ ـ من كلام لقيس لمّا بويع معاوية : «يا معشر النّاس ! لقد اعتضتم الشرّ من الخير ، واستبدلتم الذلّ من العزّ ، والكفر من الإيمان ، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ، وابن عمِّ رسول ربّ العالمين ، وقد وليكم الطليق ابن الطليق ، يسومكم الخسف ، ويسير فيكم بالعسف ، فكيف تجهل ذلك أنفسكم ؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون» ؟ (راجع ج ٢ ص ١١٥) .

٤٥ ـ من كتاب آخر لقيس إلى الرَّجل : «تأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم للزّور ، وأضلّهم سبيلاً ، وأبعدهم من رسول

الله وسيلة ، ولديك قومٌ ضالّون مضلّون ، طاغوت من طواغيت إبليس» (راجع ج ٢ ص ١١٠) .

٤٦ ـ كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية : «بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم . من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر . سلامٌ على أهل طاعة الله ممّن هو مسلمٌ لأهل ولاية الله .

أمّا بعد : فإنَّ الله بجلاله ، وعظمته ، وسلطانه ، وقدرته ، خلق خلقاً بلا عنت ، ولا ضعف في قوّته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنّه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم شقيّاً وسعيداً ، وغويّاً ورشيداً ، ثمّ اختارهم على علمه ، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فاختصّه برسالته ، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أمره ، وبعثه رسولاً مصدِّقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان أوّل من أجاب وأناب ، وصدّق ووافق ، وأسلم وسلّم أخوه ، وابن عمِّه ، عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ، فصدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلّ حميم ، فوقاه كلَّ هول ، وواساه بنفسه في كلّ خوف ، فحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل[1] ومقامات الروع ، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب لهُ في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ، وهو هو ، المبرّز السابق في كلّ خير ، أوّل الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيّة ، وأطيب الناس ذرّيّة ، وأفضل الناس زوجة ، وخير الناس ابن عمّ ، وأنت اللعين ابن اللعين ثمّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله ، وتجهدان على إطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتخالفان فيه القبائل ، على ذلك مات أبوك ، وعلى ذلك خلفته ، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك ، من بقيّة الأحزاب ، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والشاهد لعليّ مع فضله المبين ، وسبقه القديم ، أنصاره الذين ذُكروا بفضلهم في القرآن ، فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه عصائب وكتائب حوله ، يُجالدون بأسيافهم ويُهريقون دماءهم دونه ، يرون الفضل

---

(١) الازل : الضيق والشدة .

في اتّباعه ، والشقاء في خلافه ، فكيف ـ يا لكَ الويل ـ تعدل نفسك بعليّ ؟ وهو وارث رسول الله ، ووصيّه ، وأبو ولده ، وأوّل الناس اتّباعاً ، وآخرهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويُشركه في أمره ، وأنت عدوّه وابن عدوّه ؟ فتمتّع ما استطعت بباطلك ، وليمدد لك ابن العاصي في غوايتك ، فكأنّ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده ، وأيست من روحه ، وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور . وبالله وأهل رسوله عنك الغنَاء ، والسّلام على من اتّبع الهدى» .

[مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩ ، كتاب صفّين : ص ١٣٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٨٣ ، جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٤٢] .

٤٧ ـ من كتاب آخر لمحمّد بن أبي بكر إلى معاوية : «أنا أرجو أنْ تكون الدائرة عليكم ، وأنْ يهلككم الله في الوقعة ، وأنْ ينزل بكم الذلّ ، وأنْ تولّوا الدبر ، وإنْ تؤتوا النصر ، ويكن لكم الأمر في الدنيا ، فكم لعمري من ظالم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به ، وإلى الله مصيركم ومصيرهم ، وإلى الله مردُّ الأُمور ، وهو أرحم الراحمين» .

[تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٢]

٤٨ ـ قال معن بن يزيد بن الأخنس السّلمي الصحابي ممّن شهد بدراً لمعاوية : «ما ولدت قرشيّة من قرشيّ شرّاً منك» .

[الإصابة ج ٣ ص ٤٥٠]

٤٩ ـ من كتاب الإمام السبط أبي محمّد الحسن عليه السلام إلى معاوية : «فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية ! على أمر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه ، والله حسيبك فستردّ وتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربّك ، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك ، وما الله بظلّام للعبيد» .

[مقاتل الطالبيين : ص ٢٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٢ ، جمهرة الرسائل ج ٢ ص ٩] .

٥٠ ـ لمّا قدم معاوية المدينة ، صعد المنبر فخطب ، وقال : مَن ابن علي ؟ ومَن عليّ ؟ فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث بعثاً إلّا جعل له عدوّاً من المجرمين ، فأنا ابن علي ، وأنت ابن صخر ، وأُمّك هند ، وأُمّي فاطمة ، وجدّتك قتيلة وجدّتي خديجة ، فلعن الله ألأمنا حسباً ، وأخملنا ذكراً ، وأعظمنا كفراً ، وأشدّنا نفاقاً ، فصاح أهل المسجد : آمين آمين . فقطع معاوية خطبته ودخل منزله (١) .

وفي لفظ :

خطب معاوية بالكوفة حين دخلها ، والحسن والحسين ، رضي الله عنهما ، جالسان تحت المنبر ، فذكر عليّاً عليه‌السلام فنال منه ، ثمَّ نال من الحسن ، فقام الحسين ليردّ عليه ، فأخذه الحسن بيده فأجلسه ثمّ قام فقال :

«أيّها الذاكر عليّاً ! أنا الحسن ، وأبي عليٌّ ، وأنت معاوية ، وأبوك صخر ، وأُمّي فاطمة ، وأُمّك هند ، وجدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وجدّك عتبة بن ربيعة ، وجدّتي خديجة ، وجدتك قُتيلة ، فلعن الله أخملنا ذكراً ، وألأمنا حسباً ، وشرّنا قديماً وحديثاً ، وأقدمنا كفراً ونفاقاً . فقال طوائف من أهل المسجد : آمين»(٢) .

٥١ ـ أرسل معاوية إلى الحسن (السبط الزكي) يسأله أنْ يخرج فيقاتل الخوارج فقال الحسن : سبحان الله تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الامّة وأُلفتهم ، أفتراني أُقاتل معك ؟ .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦]

٥٢ ـ كتب الإمام السبط أبو عبدالله عليه‌السلام إلى معاوية : «أمّا بعدُ : فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّي أُمور لم تكن تظنّن بها رغبةً بي عنها ، وإنّ الحسنات لا يهدي لها ، ولا يُسدّد إليها ، إلّا الله تعالىٰ ، وأمّا ماذَكَرْتَ أنّه رُقّي إليك عنّي ، فإنّما رقّاه المَلّاقون المشّاؤون بالنميمة ، المفرّقون بين الجمع ، وكذب الغاوون المارقون ، ما أردت حرباً ولا خلافاً ، وإنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك

---

(١) المستطرف ج ١ ص ١٥٧ ، الإتحاف : ص ١٠ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٦ .

ومن حِزبك القاسطين المحلّين ، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم ! .

ألستَ قاتل حُجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ؟ فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكّدة[١] جرأةً على الله واستخفافاً بعهده ؟ .

أوَ لستَ بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة ؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العُصمُ نزلت من سقف الجبال ؟.

أو لستَ المدعي زياداً في الإسلام ، فزعمت أنهّ ابن أبي سفيان ، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّ الولد للفراش ، وللعاهر الحَجَر ، ثمَّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم ، ويقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جُذوع النخل ؟ .

سبحان الله يا معاوية : لكأنّك لستَ من هذه الأُمّة ؛ وليسوا منك ، أوَ لستَ قاتل الحضرمي[٢] الذي كتب إليك فيه زياد انّه على دين عليّ ، كرم الله وجهه ، ودين عليّ هو دين ابن عمّه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين : رحلة الشتاء والصيف ، فوضعها الله عنكم بنا منّة عليكم ، وقلتَ فيما قلت : لا تردنَّ هذه الأُمّة في فتنة . وإنّي لا أعلم لها فتنةً أعظم من إمارتك عليها ، وقلت فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد . وإنّي والله ما أعرف أُفضل من جهادك ، فإنْ أفعل فإنّه قربةٌ إلى ربّي ، وإنْ لم أفعله فأستغفر الله لديني ، وأسأله التوفيق لما يحبُّ ويرضى ، وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك[٣] فكدني يا معاوية ما بدا لك ، فلعمري لقديماً يُكاد الصالحون ، وإنّي لأرجو أنْ لا تضرّ إلّا نفسك ، ولا تمحق إلّا عملك ، فكدني ما بَدا لك، واتّق الله يا معاوية ! واعلم أنَّ لِلّه كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ، واعلم أنَّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة ، وأخذك بالتُهمة ، وإمارتك

---

(١) سيأتي بيان العهود المعزوة إليه في هذا الجزء إنْ شاء الله .
(٢) سيوافيك تفصيل قتل الحضرمي في هذا الجزء .
(٣) هذه الجملة لا توجد في كلام معاوية .

صبيّاً يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلاّ قد أوبقت نفسك ، وأهلكت دينك ، وأضعت الرعية . والسّلام» .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣١ وفي ط : ١٤٨ ، جمهرة الرسائل ج ٢ ص ٦٧]

٥٣ ـ خطب الإمام السبط الحسين الشهيد ، سلام الله عليه ، لمّا قدم معاوية المدينة حاجّاً ، وأخذ البيعة ليزيد ، وخطب ومدح يزيد الطاغية ، ووصفه بالعلم بالسنّة ، وقراءة القرآن ، والحلم الذي يرجح بالصمّ الصّلاب . فقام الحسين فحمد الله وصلّى على الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال :

«أمّا بعد يا معاوية : فلن يؤدّي القائل ـ وإنْ أطنب ـ في صفة الرّسول ﷺ من جميع جزءاً ، قد فهمت ما ألبست به الخلف بعد رسول الله ﷺ من إيجاز الصفة ، والتنكّب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ! فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضّلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعتَ حتّى بخلت ، وجرتَ حتى جاوزت ، ما بذلت لذي حقّ من أتمّ حقّه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر ، ونصيبه الأكمل ، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأُمّة محمّد ﷺ ، تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنّك تصف محجوباً أو تنعَتُ غائباً ، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهارشة عند التحارش ، والحمام السبّق لأترابهنّ ، والقينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهي ، تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أنْ تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر ممّا أنت لاقيه ، فوالله ما برحتَ تقدّم باطلاً في جور ، وحَنَقاً في ظلم ، حتى ملأت الأسقية ، وما بينك ، وبين الموت ، إلاّ غمضة ، فتقدّم على عمل محفوظ في يوم مشهود ، ولات حين مناص ، ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا تُراثاً ، ولقد ـ لعمر الله ـ أورثنا الرّسول ، عليه الصّلاة والسّلام ، ولادة ، وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرّسول ، عليه الصّلاة والسّلام ، فأذعن للحجّة بذلك ، وردّه الإيمان إلى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقلتم : كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية ! من طرق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أُولي

الأبصار» . الخطبة .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣ ، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٢٤٢]

٥٤ ـ من كلام لابن عباس ألقاه في البصرة : أيُّها النّاس ! استعدّوا للمسير إلى إمامكم ، وانفروا في سبيل الله خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنّكم تقاتلون المحلّين القاسطين الذين لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدينون دين الحقّ ، مع أمر المؤمنين . فقام إليه عمرو بن مرجوم العبدي فقال : وفّق الله أمير المؤمنين وجمع له أمر المسلمين ، ولعن المحلّين القاسطين الذين لا يقرؤون القرآن ، نحن والله عليهم حنقون ، ولهم في الله مفارقون» .

[كتاب صفّين ص ١٣٠ ، ١٣١]

٥٥ ـ من كلام لعمّار بن ياسر يوم صفّين : «يا أهل الإسلام ! أتريدون أن تنظروا إلى مَن عادى الله ورسوله وجاهدهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهر المشركين ، فلمّا أراد الله أن يُظهر دينه ، وينصر رسوله ، أتى النبيَّ ، صلّى الله عليه ، فأسلم ، وهو والله فيما يرى راهبٌ غير راغب ، وقبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم ، ومودّة المجرم ؟ ألا وإنّه معاوية ، فالعنوه لعنه الله ، وقاتلوه فإنّه ممّن يطفىء نور الله ، ويظاهر أعداء الله» .

[راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٧ ، كتاب صفّين : ص ٢٤٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٦] .

٥٦ ـ من مقال لعبد الله بن بديل يوم صفين : «إنَّ معاوية ادّعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ليدحض به الحقَّ ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وزيّن لهم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة ، ولبَّس عليهم الأمر ، وزادهم رجساً إلى رجسهم ، وأنتم والله على نور من ربّكم ، وبرهان مبين ، قاتلوا الطغام الجُفاة ولا تخشوهم ، وكيف تخشونهم وفي أيديكم كتابٌ من ربِّكم ظاهرٌ مبرورٌ ؟ أتخشونهم فالله أحقُّ أنْ تخشوه إنْ كنتم مؤمنين ، **﴿قاتلوهم يُعذِّبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾** . قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله ، وقد قاتلتهم مع

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والله ما هم في هذه بأزكى ، ولا أنقى ، ولا أبرّ ، قوموا إلى عدوّ الله وعدوّكم رحمكم الله» .

[تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩ ، كتاب صفّين : ص ٢٦٣ ، الإستيعاب في ترجمة عبد الله ج ١ ص ٣٤٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٣ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٧٦] .

٥٧ ـ من خطبة لسعيد بن قيس : «فوالله الذي بالعباد بصيرٌ ، أنْ لو كان قائدنا حبشيّاً مجدَّعاً ، إلّا أنَّ معنا من البدريين سبعين رجلاً ، وإنّما رئيسنا ابن عمّ نبيّنا ، بدريٌّ صِدق(١) ، صلّى صغيراً ، وجاهد مع نبيّكم كبيراً ، ومعاوية طليقٌ من وثاق الإسار ، وابن طليق ، ألا إنَّه أغوى جفاةً ، فأوردهم النار ، وأورثهم العار ، والله محلٌّ بهم الذلّ ، والصَّغار ، ألا إنّكم ستلقون عدوّكم غداً ، فعليكم بتقوى الله ، والجدّ والحزم ، والصِّدق والصبر ، فإنَّ الله مع الصابرين ، ألا إنَّكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجلٌ منكم رجلاً منهم إلّا أدخل الله القاتل جنّات عدن ، وأدخل المقتول ناراً تلظّى ، لا يفتَّر عنهم ، وهم فيه مبلسون .

[كتاب صفّين : ص ٢٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٣ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٧٩] .

٥٨ ـ من خطبة لمالك بن الحارث الأشتر يوم صفّين : «واعلموا أنّكم على الحقّ ، وأنَّ القوم على الباطل ، يقاتلون مع معاوية ، وأنتم مع البدريين قريبٌ من مائة بدريّ ، ومن سوى ذلك من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، أكثر ما معكم راياتٌ قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومع معاوية راياتٌ قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما يشكّ في قتال هؤلاء إلّا ميّت القلب ، فإنّما أنتم على إحدى الحسنيين : إمّا الفتح ، وإمّا الشهادة» .

[كتاب صفّين : ص ٢٦٨ ،شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٨٣] .

---

(١) أشار إلى أنَّ كونه بدرياً ، ليس ككون عثمان بدرياً بالتمحّل والتصنّع ، كما مرّ حديثه في هذا الجزء .

٥٩ ـ من مقال لهاشم بن عتبة المر قال : «سر بنا يا أمير المؤمنين ! إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله ، فأحلّوا حرامه ، وحرَّموا حلاله ، واستهوى بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأماني ، حتى أزاحهم عن الهدى ، وقصد بهم قصد الرَّدى ، وحبَّب إليهم الدنيا . ومنه : وهم يا أمير المؤمنين ، يعلمون منك مثل الذي نعلم ، ولكن كُتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين» .

[جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥١]

٦٠ ـ من خطبة لابن عبّاس بصفّين : «إنَّ ابن آكلة الأكباد ، قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على عليٍّ بن أبي طالب ، ابن عمِّ رسول الله وصهره ، وأوَّل ذَكر صلّى معه ، بدريٌّ قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كلّ مشاهده التي فيها الفضل ، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام ، واعلموا : والله الَّذي ملك الملك وحده ، فبان به ، وكان أهله ، لقد قاتل عليٌّ بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليٌّ يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية وأبو سفيان يقولان : كذب الله ورسوله . فما معاوية في هذه بأبرّ ولا أتقى ، ولا أرشد ولا أصوب منه في تلكم ، فعليكم بتقوى الله والجدّ ، والحزم والصبر ، وإنَّكم لعلى الحقِّ ، وإنَّ القوم لعلى الباطل» .

[كتاب صفّين : ص ٣٦٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤]

وسيوافيك حديث لعن ابن عبّاس معاوية يوم عرفة في المجتمع العامِّ .

٦١ ـ من أبيات لعلقمة بن عمرو يوم صفّين :

ما لابن صخر حرمةٌ تُرتجى ... لها ثواب اللّه بل مندمه
لاقيت ما لاقى غداة الوغى ... من أدرك الأبطال يابن الأمه
ضيّعت حقَّ اللّه في نصرةٍ ... للظالم المعروف بالمظلمه
إنّ أبا سفيان من قبله ... (إلى آخر الأبيات)

٦٢ ـ من شعر مجزأة بن ثور السدوسي الصحابي العظيم ، ارتجز به يوم صفّين :

أضربهم ولا أرى معاويه الأبرج العين[1] العظيم الحاويه
هوت به في النار أمٌّ هاويه جاوره فيها كلابٌ عاويه
أغوى طغاماً لا هدته هاديه

يروى هذا الرجز لعليّ عليه السلام في (مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥) وفيه : وقيل: إنّ هذا الشعر لبديل بن ورقاء ، وكذلك عزاه إليه ، سلام الله عليه ، في (لسان العرب ج ١٨ ص ٢٢٩) ، وذكر الطبري البيت الأوّل في (تاريخه ج ٦ ص ٢٣) ونسبه إلى أمير المؤمنين ، وذكر ابن مزاحم ثلاثة أشطر في (كتاب صفّين ص ٤٦٠) وعزاها إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وذكر الأشطر برمّتها في (ص ٤٥٤) ونسبها إلى مالك الأشتر ، ورواها لمجزأة بن ثور في (ص ٣٤٤) ، وذكرها ابن أبي الحديد في (شرحه ج ١ ص ٥٠٠) لمحرز بن ثور ، نقلاً عن نصر بن مزاحم ، وتعزى إلى الأخنس كما في (الإشتقاق : ص ١٤٨) .

٦٣ ـ قال أبو عمر في (الإستيعاب ج ١ ص ٢٥١) : لمّا قُتل عثمان وبايع الناس عليّاً ، دخل عليه المغيرة بن شعبة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! إنَّ لك عندي نصيحةً ، قال : وما هي ؟ قال : إن أردت أنْ يستقيم لك الأمر ، فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة ، والزبير بن العوام على البصرة ، وابعث معاوية بعهده على الشام ، حتى يلزمه طاعتك ، فإذا استقرَّت لك الخلافة ، فأدرها كيف شئت برأيك . قال عليٌّ : أما طلحة والزبير فأرى رأيي فيهما، وأمّا معاوية فلا والله لا أراني مستعملاً له ، ولا مستعيناً به ما دام على حاله ، ولكنّي أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أبى حاكمته إلى الله ، وانصرف عنه المغيرة مغضباً له لما لم يقبل منه نصيحته ، فلمّا كان الغداة أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ! نظرت فيما قلتُ لك بالأمس وما جاوبتني به فرأيت أنَّك وفّقت للخير ، وطلب الحقّ ، ثمّ خرج عنه فلقيه الحسن ، رضي الله عنه ، وهو خارج فقال لأبيه : ما قال لك هذا الأعور ؟ قال : أتاني أمس هكذا ، وأتاني اليوم هكذا ، قال : نصح لك والله أمس ، وخدعك اليوم ، فقال له عليٌّ : إن أقررتُ معاوية على ما في يده كنت

---

(١) البرج : سعة العين .

متّخذ المضلّين عضدا .

راجع ما أسلفناه في (الجزء السادس : ص ١٧٤) .

٦٤ ـ قال أبو عمر في (الاستيعاب) عند ترجمة حبيب بن مسلمة (ج ١ ص ١٢٣) : وروينا أنّ الحسن بن علي قال لحبيب بن مسلمة ، في بعض خرجاته بعد صفّين : يا حبيب ! ربّ مسير لك في غير طاعة الله . فقال له حبيب : أمّا إلى أبيك فلا . فقال له الحسن : بل والله لقد طاوعت معاوية على دنياه ، وسارعت في هواه ، فلئن كان قام بك في دنياك ، لقد قعد بك في دينك ، فليتك إذ أسأت الفعل ، أحسنت القول ، فتكون كما قال الله تعالىٰ : **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيّئاً﴾** ، ولكنّك كما قال الله تعالىٰ : **﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** .

٦٥ ـ عن أبي سهيل التميمي قال : حجّ معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يُقال لها : دارميّة الحجونيّة . وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأُخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها فقال : ما جاء بك يا ابنة حام ؟ فقالت : لست لحام إنْ عبتني ، أنا امرأةٌ من بني كنانة ، قال : صدقت أتدري لما بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلاّ الله ، قال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليّاً وأبغضتني ؟ وواليته وعاديتني ؟ قالت : أوَ تعفيني ؟ قال : لا أُعفيك . قالت : أما إذا أبيت فإنّي أحببت عليّاً على عدله في الرعيّة ، وقسمه بالسويّة ، وأبغضتك على قتال مَن هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ما ليس لك بحقّ ، وواليت عليّاً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء ، وحبّه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى . قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجزتك ؟ قالت : يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي . قال معاوية : يا هذه إربعي ! فإنّا لم نقل إلاّ خيراً ، إنّه إذا انتفخ بطن المرأة تمّ خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروي رضيعها ، وإذا عظمت عجزتها ، رزن مجلسها . فرجعت وسكنت ، قال لها : يا هذه هل رأيت عليّاً ؟ قالت : أي والله ، قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعت كلامه ؟

قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست ! قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أوَ تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها ، قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأُصلح بها بين العشائر ، قال : فإنْ أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محلَّ عليّ بن أبي طالب ؟ قالت : سبحان الله أو دونه ، فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منّي عليكمُ   فمن ذا الذي بعدي يؤمّل للحلم؟
خذيها هنيئاً، واذكري فعل ماجد   جزاك على حرب العداوة بالسِّلم

ثمَّ قال : أما والله لو كان عليّ حيّاً ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

[العقد الفريد ج ١ ص ١٦٢ ، بلاغات النساء لابن أبي طاهر : ص ٧٢]

٦٦ ـ دخلت أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ، على معاوية ، وهي عجوزٌ كبيرة ، فلمّا رآها معاوية قال : «مرحباً بك وأهلاً يا خالة ! فكيف كنت بعدنا ؟ فقالت : يابن أخي لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمِّك الصحبة ، وتسمّيت بغير اسمك ، وأخذت غير حقّك ، من غير دين كان منك ، ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود ، وردّ الحقّ إلى أهله ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبيّنا ﷺ هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، وتحتجّون بقرابتكم من رسول الله ﷺ ، ونحن أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنّا فيكم بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنّة وغايتكم النار» . الحديث .

[العقد الفريد ج ١ ص ١٦٤ ، بلاغات النساء : ص ٢٧]

٦٧ ـ من حديث طويل أسلفنا شطراً منه في ترجمة عمرو بن العاص (ج ٢ ص ١٥٨ ـ ١٦١) فتكلّم الحسن بن عليّ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمَّ قال : أمّا بعد : يا معاوية ! فما هؤلاء شتموني ، ولكنّك شتمتني ، فحشاً ألفته ، وسوء رأي عُرفت به ، وخلقاً سَيئاً ثبتَّ عليه ، وبغياً علينا

عداوةً منك لمحمّد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية ! واسمعوا فلأقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم .

أُنشدكم الله أيّها الرّهط أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كليهما وأنت بهما كافر ، تراها ضلالة ، وتعبد اللات والعزّى غواية ؟ وأُنشدكم الله هل تعلمون أنّه بايع البيعتين كليهما : بيعة الفتح ، وبيعة الرضوان ؟ وأنت يا معاوية ! بإحداهما كافر ، وبالأُخرى ناكث ؟ وأُنشدكم الله هل تعلمون أنّه أوّل الناس إيماناً ؟ وأنّك يا معاوية ! وأباك من المؤلّفة قلوبهم ، تسرُّون الكفر ، وتظهرون الإسلام ، وتستمالون بالأموال ؟ وأُنشدكم الله ألستم تعلمون أنّه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ؟ وأنّ راية المشركين كانت مع معاوية ، ومع أبيه ، ثمَّ لقيكم يوم أُحد ، ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفي كلِّ ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجّته ، وينصر دعوته ، ويصدّق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المواطن كلّها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط ؟ وأُنشدك الله يا معاوية ! أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اللّهُمَّ العن الراكب ، والقائد ، والسائق ؟ أتنسى يا معاوية ! الشعر الذي كتبته إلى أبيك لمّا همَّ أن يسلم ، تنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تسلمنّ يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالي ، وعمّي ، وعمّ الأُمّ ثالثهم ، ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننّ إلى أمر يكلّفنا ... والرّاقصات به في مكّة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة: لقد ... عاد ابن حرب عن العُزّى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر ممّا أبديت . وأُنشدكم الله أيُّها الرهط ! أتعلمون أنَّ عليّاً حرّم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنزل فيه : **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلَّ الله لكم﴾** . وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة ، فنزلوا من حصنهم ، فهزموا ، فبعث عليّاً بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله ، وحكم رسوله ، وفعل في خيبر مثلها . ثمَّ قال : يا معاوية ! أظنّك لا تعلم أنّي أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لمّا أراد أن يكتب كتاباً إلى بني جذيمة ، فبعث إليك ونهمك إلى أن تموت ، وأنتم أيّها الرَّهط نشدتكم الله ألا تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها ، أوّلها [فعدَّ المواطن التي ذكرناها ص ١٠٧، ١٠٨من هذا الجزء] .

[راجع تذكرة السبط : ص ١١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٢ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ٤٢٨] .

وفي لفظ سبط ابن الجوزي : وأنت يا معاوية ! نظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليك يوم الأحزاب فرأى أباك على جمل يحرّض الناس على قتاله ، وأخوك يقود الجمل ، وأنت تسوقه فقال : لعن الله الراكب ، والقائد ، والسائق ! وما قابله أبوك في موطن إلاّ ولعنه وكنت معه ، ولاّك عمر الشام فخنته ، ثمَّ ولاّك عثمان فتربّصت عليه ، وأنت الذي كنت تنهى أباك عن الإسلام حتّى قلت مخاطباً له :

يا صخر لا تسلمنّ طوعاً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركننَّ إلى أمر تقلّدنا والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر ، وأُحد ، والخندق ، والمشاهد كلّها ، تقاتل رسول الله ﷺ ، وقد علمت الفراش الذي وُلدت عليه . الحديث .

قال السبط في (التذكرة ص ١١٦) : قال الأصمعي والكلبي في المثالب : معنى قول الحسن لمعاوية : قد علمت الفراش الذي وُلدت فيه : إنَّ معاوية كان يُقال إنّه من أربعة من قريش : عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، مسافر بن أبي عمرو ، أبي سفيان ، العبّاس بن عبد المطلب . وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان ، وكان منهم من يتّهم بهند .

فأمّا عمارة بن الوليد : كان من أجمل رجالات قريش .

وأمّا مسافر بن أبي عمرو : فقال الكلبي : عامّة الناس على أنّ معاوية منه ، لأنّه كان أشدّ الناس حبّاً لهند ، فلمّا حملت هند بمعاوية ، خاف مسافر أن يظهر أنّه منه ، فهرب إلى ملك الحيرة ، فأقام عنده ، ثمَّ إنَّ أبا سفيان قدم الحيرة ، فلقيه مسافر وهو مريضٌ من عشقه لهند ، وقد سقى بطنه ، فسأله عن أهل مكة فأخبره ، وقيل : إنَّ أبا سفيان تزوَّج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكّة ، فقال له أبو سفيان :

انّي تزوَّجت هنداً بعدك ، فازداد مرضه ، وجعل يذوب ، فوصف الكيّ فأحضروا المكّاوي والحجّام ، فبين الحجّام يكويه إذ حبق الحجّام فقال مسافر : قد يحبق العير والمكواة في النار . فسارت مثلاً . ثمَّ مات مسافر من عشقه لهند .

وقال الكلبي : كانت هند من المغيلمات ، وكانت تميل إلى السودان من الرّجال ، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته قال : وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابة ، بين يدي معاوية ، وهو خليفة ، فقال يزيد لإسحاق : إنَّ خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّة . أشار يزيد إلى أنَّ أُمّ إسحاق كانت تتَّهم ببعض بني حرب ، فقال له إسحاق إنَّ خيراً لك أنْ يدخل بنو العبّاس كلّهم الجنّة . فلم يفهم يزيد قوله ، وفهم معاوية ، فلمّا قام إسحاق قال معاوية ليزيد : كيف تُشاتم الرّجال قبل أن تعلم ما يُقال فيك ؟ قال : قصدتُ شين إسحاق . قال : وهو كذلك أيضاً . قال : وكيف ؟ قال : أما علمت أنَّ بعض قريش في الجاهليّة يزعمون أنّي للعبّاس . فسقط في يدي يزيد . وقال الشعبي : وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هند يوم فتح مكّة بشيء من هذا ، فإنّها لمّا جاءت تبايعه ، وكان قد أهدر دمها ، فقالت : علام أُبايعك ؟ فقال : على أن لا تزنين . فقالت : وهل تزني الحرَّة ؟ فعرفها رسول الله ﷺ فنظر إلى عمر فتبسّم .

وقال الزمخشري في (ربيع الأبرار[1] ج ٣ : باب القرابات والأنساب وذكر حقوق الآباء والأُمّهات وصلة الرحم والعقوق) :

«وكان معاوية يعزى إلى أربعة : إلى أبي عمرو بن مسافر ، وإلى عمارة بن الوليد ، وإلى العبّاس بن عبد المطلب ، وإلى الصباح مغنّي أسود كان لعمارة . قالوا : وكان أبو سفيان ذميماً ، قصيراً ، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان ، شابّاً وسيماً ، فدعته هند إلى نفسها ـ وقالوا : إنَّ عتبة بن أبي عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً ـ وإنّما كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى (أجياد) فوضعته هناك ، وفي ذلك قال حسّان :

لمن الصبيُّ بجانب البطحاء   في الترب ملقى غير ذي مهد

---

(١) وقفت منه على عدة نسخ منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد رقم (٣٨٨) .

نـجـلـت بــه بـيـضـاء آنـسـة   من عبـد شمسٍ ، صلبـة الخـدِّ؟

وقال ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ١ ص١١١) : كانت هند تذكر في مكّة بفجور وعهر. وقال الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار): كان معاوية . وذكر إلى آخر الكلمة المذكورة فقال : والذين نزّهوا هنداً عن هذا القذف ، فذكر حديث الفاكهة الذي ذكره أبو عبيد معمّر بن المثنّى .

وفي كتاب لزياد بن أبيه ، مجيباً معاوية عن تعييره إيّاه بأُمّه سُميَّة : وأمّا تعييرك لي بسميَّة ، فإنْ كنتُ ابن سُميَّة فأنت ابن جماعة .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص٦٨]

٦٨ ـ أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه من طريق عبد الملك بن عمير ، قال : قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية فقال : من أنت ؟ قال : جاريه بن قدامة . قال : وما عسيت أن تكون هل أنت إلّا نحلة ؟ قال : لا تقل فقد شبّهتني بها حامية اللسعة ، حلوة البصاق ، والله ما معاوية إلّا كلبة تعاوي الكلاب ، وما اميّة إلّا تصغير أمة .

وأخرج عن الفضل بن سويد، قال: وَفَدَ جارية بن قدامة على معاوية، فقال له معاوية : أنت الساعي مع عليٍّ بن أبي طالب ، والموقد النار في شعلك ، تجوس قرى عربيَّة ، تسفك دماءَهم ؟ قال جارية : يا معاوية ! دع عنك عليّاً ، فما أبغضنا عليّاً منذ أحببناه ، ولا غششناه منذ صحبناه . قال : ويحك يا جارية ! ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية ! قال : أنت يا معاوية ! كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية . إلخ وذكره بطوله وما قبله السيوطي في (تاريخ الخلفاء : ص ١٣٣) .

وفي لفظ ابن عبد ربّه : قال معاوية لجارية : ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية ! قال : ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك معاوية ، وهي الأُنثى من الكلاب ! قال : لا امّ لك . قال : امّي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا ، قال : إنّك لتهدّدني ؟ ـ قال: أما والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا ـ إنّك لم تفتتحنا قسراً ، ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً، وأعطيناك سمعاً وطاعة، فإن وفيت لنا ، وفينا لك، وإنّ فزعت إلى

غير ذلك ، فإنّا تركنا وراءنا رجالاً شداداً ، وألسنة حداداً . قال له معاوية : لا كثّر الله في الناس أمثالك . قال جارية : قل معروفاً وراعنا ، فإنَّ شرّ الدعاء المحتطب . (العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٣ في مجاوبة الأُمراء والردّ عليهم) ، وذكره الأبشيهي قريباً من هذا اللفظ في (المستطرف ج ١ ص ٧٣) وما ذكرناه بين الخطّين من لفظه .

٦٩ ـ دخل شريك بن الأعور على معاوية ، وكان دميماً ، فقال له معاوية : إنّك لدميم ، والجميل خيرٌ من الدميم ، وانّك لشريك ، وما لله من شريك ، وإنَّ أباك لأعور ، والصحيح خيرٌ من الأعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال له : إنّك معاوية ، وما معاوية إلّا كلبةٌ عوت فاستعوت الكلاب ، وإنّك لابن صخر ، والسهل خيرٌ من الصخر ، وإنّك لابن حرب ، والسّلم خيرٌ من الحرب ، وإنك لابن أُميّة وما أُميّة إلّا أمة صغرت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ؟ ثمَّ خرج وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن حرب ... وسيفي صارمٌ ، ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوثٌ ... ضراغمة تهشُّ إلى الطعانِ
يعيِّر بالدمامة من سفاه ... وربّات الجمال من الغواني

[المستطرف ج ١ ص ٧٢]

قال الأميني : إنّ معاوية لمّا كانت تتوجّه إليه تلكم القوارص من ناحية اسمه ، ولعله كان لا ينسى معناها عند توجيه الخطاب إليه بذلك ، ولم يك له بدٌّ منها إذ سمّته بها هند، وما كان يسعه أن يخطّأها ، فبذل ألف ألف درهم لعبد الله بن جعفر الطيّار أن يسمّي أحد أولاده (معاوية)[1] زعماً منه بتخفيف الوطأة ، إن كان له سميٌّ في البيت الهاشمي . لكن خفي على المغفّل انَّ فناء آل هاشم لا يقصر عن فناء أصحاب الكهف ، فإنَّ كلبهم ما دنّس ساحتهم ، فأنّى تُدنّس الأسماء تلك الأفنية المقدَّسة التي منها بيوتٌ أذن الله أن ترفع ، ويُذكر فيها اسمه .

٧٠ ـ ومن خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام : «والله ما معاوية بأدهى منّي ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، ولكن لكل غدرة

---

(١) تاج العروس ج ١٠ ص ٢٦٠ .

فجرة ، ولكلّ فجرة كفرة ، ولكلّ غادر لواء يُعرف به يوم القيامة» .

ولابن أبي الحديد في (شرحه ج ٢ ص ٥٧٢ - ٥٨٩) كلمةٌ ضافيةٌ في شرح هذه الخطبة ، فيها فوائد جمّة من جهات شتّى ، ومنها كلمة الجاحظ أبي عثمان حول معاوية ، وقول أبي جعفر النقيب : إنَّ معاوية من أهل النار لا لمخالفته عليّاً ، ولا بمحاربته إيّاه ، ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ، ولا إيمانه حقّاً ، وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه ، ولم يسلم قلبه قطّ ، وإنَّما أسلم لسانه ، وكان يذكر من حديث معاوية ، ومن فلتات قوله ، وما حفظ عنه من كلام ، يقتضي فساد العقيدة شيئاً كثيراً . . . إلخ .

٧١ - لمّا قتل العبّاس بن ربيعة ، يوم صفّين ، عرار بن أدهم ، من أصحاب معاوية ، تأسّف معاوية على عرار ، وقال : متى ينطف فحلٌ بمثله ؟ أيُطلّ دمه ؟ لاها الله ذا . ألا لله رجل يشري نفسه ، يطلب بدم عرار ؟ فانتدب له رجلان من لخم . فقال : إذهبا فأيّكما قتل العبّاس براز اً ، فله كذا . فأتياه ودعواه إلى البراز فقال : إنّ لي سيّداً أُريد أنْ أؤامره ، فأتى عليّاً فأخبره الخبر فقال عليٌّ : والله لودَّ معاوية أنّه ما بقي من هاشم نافخ ضرمة ، إلّا طعن في نيطه[1] ، إطفاءً لنور الله ، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ، ولو كره الكافرون . الحديث .

[عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٨٠]

٧٢ - لمّا سلّم الحسن الأمر إلى معاوية ، قال الخوارج : قد جاء الآن ما لا شكَّ فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه . فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل ، حتّى حلّوا بالنخيلة عند الكوفة ، وكان الحسن بن علي ، قد سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة ، فلحقه رسوله بالقادسيّة ، أو قريباً منها ، فلم يرجع ، وكتب إلى معاوية : لو آثرت أن أُقاتل أحداً من أهل القبلة ، لبدأت بقتالك ، فإنّي تركتك لصلاح الامّة ، وحقن دمائها .

[الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٧]

---

(١) النيط : الوسط بين الأمرين .

٧٣ ـ قال الأسود بن يزيد : قلت لعائشة : ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة ، وكذلك غيره من الكفّار .

[تاريخ ابن كثير ج٨ ص ١٣١]

قال : أخرجه أبو داود الطيالسي ، وابن عساكر[1] .

تشبيه امّ المؤمنين معاوية بفرعون وغيره من الكفار في ملكه ، يُعرب عن جلية حال ذلك الملك العضوض ، ومالك أزمَّته ، وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة ، فأوردهم النار ، وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه الدنيا . لعنة ، ويوم القيامة ، بئس الرفد المرفود .

٧٤ ـ أخرج الحافظ ابن عساكر في (تاريخه ج ٦ ص ٤٢٥) : من طريق الشعبي ، قال : خطب الناس معاوية فقال : لو أنّ أبا سفيان ولد الناس كلّهم كانوا أكياساً ! فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال له : قد ولد الناس كلّهم من هو خيرٌ من أبي سفيان : آدم عليه السلام فمنهم الأحمق والكيِّس ، فقال معاوية : إنّ أرضنا قريبةٌ من المحشر . فقال له : إنّ المحشر لا يبعد على مؤمن ، ولا يقرب من كافر . فقال معاوية : إنّ أرضنا أرض مقدّسة . فقال له صعصعة : إنّ الأرض لا يقدّسها شيء ولا ينجّسها ، إنّما تقدّسها الأعمال . فقال معاوية : عباد الله اتّخذوا الله وليّاً ، واتّخذوا خلفاءه جنّة تحترزوا بها . فقال صعصعة : كيف وكيف ؟ وقد عطّلت السنّة ، وأخفرت الذمّة ، فصارت عشواء مطلخمّة ، في دهياء مدلهمّة ، قد استوعبتها الأحداث ، وتمكّنت منها الأنكاث ؟ فقال له معاوية : يا صعصعة ! لئن تقعى على ظلعك خيرلك من استبراء رأيك ، وإبداء ضعفك ، تعرض بالحسن بن علي عليّ ، ولقد هممت أنْ أبعث إليه . فقال له صعصعة : أي والله وجدتهم أكرمهم جدوداً ، وأحياكم حدوداً ، وأوفاكم عهوداً ، ولو بعثت إليه فلوجدته في

---

(١) ترى ابن كثير حكى هذا الحديث عن أبي داود الطيالسي ، وابن عساكر ، وقد حرفته يد الطبع عن مسند الأول ، وتاريخ الثاني ، لما فيه من طعن ام المؤمنين على معاوية .

الـرأي أريباً ، وفي الأمـر صليبـاً ، وفي الكـرم نجيبـاً ، يلذعـك بحـرارة لسـانـه ، ويقـرعك بمـا لا تستطيـع إنكاره . فقـال له معـاوية : والله لأجفينـك عن الوسـاد ، ولأشردنَّ بك في البـلاد ، فقال لـه صعصعة : والله إنّ في الأرض لسعـة ، وإنّ في فراقك لدعة ! فقـال معاويـة : والله لأحبسـنَّ عـطاءك . قال : إنْ كـان ذلك بيـدك فـافعل ، إنّ العـطاء وفضائـل النعماء في ملكـوت من لا تنفـذ خـزائنـه ، ولا يبيـد عـطاءه ، ولا يحيف في قضيّتـه ! فقـال لـه معـاويـة : لقـد استقتلت . فقـال لـه صعصعة : مهلاً ، لم أقل جهلاً ، ولم أستحـلّ قتلاً ، لاتقتـل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ، ومن قتل مظلوماً كان الله لقاتله مقيماً ، يرهقه أليماً ، ويجرعه حميماً ، ويصليه جحيماً .

٧٥ ـ لمّا ولي معاويـة بن يزيـد بن معاويـة ، صعد المنبـر ، فقال : إنّ هـذه الخلافة حبل الله ، وإنَّ جدّي معاوية نازع الأمر أهله ، ومن هو أحقّ به منـه ، عليّ ابن أبي طالب ، وركب بكم ما تعلمـون ، حتّى أتته منيّتـه ، فصـار في قبـره رهينـاً بـذنوبـه ، ثمَّ قلّد أبي الأمر ، وكـان غير أهـل له ، ونـازع ابن بنت رسـول الله ﷺ فقصف عمره ، وانبتر عقبه ، وصار في قبره رهيناً بذنوبه ثمَّ بكى .

[الصواعق لابن حجر : ص ١٣٤]

٧٦ ـ قال الحارث بن مسمار البهراني : حبس معـاوية صعصعـة بن صوحـان العبدي ، وعبد الله بن الكواء اليشكري ، ورجالاً من أصحاب علي ، مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية يوماً فقال : نشـدتكم بالله إلّا مـا قلتم حقّاً وصـدقاً ، أيّ الخلفاء رأيتموني ؟ فقال ابن الكواء : لولا انّك عزمت علينا ما قلنا ، لأنّك جبارٌ عنيدٌ ، لا تراقب الله في قتل الأخيار ، ولكنّا نقول : إنّـك ما علمنـا واسع الـدنيا ، ضيّق الآخـرة ، قريب الثـرى ، بعيـد المـرعى ، تجعـل الـظلمـات نـوراً ، والنـور ظلمات . فقال معاوية : إنّ الله أكـرم هذا الأمـر بأهـل الشام الـذابّين عن بيضته ، التـاركين لمحـارمـه ، ولم يكـونـوا كـأمثـال أهـل العـراق المنتهكين لمحـارم الله ، والمحلّين ما حرّم الله ، والمحـرِّمين ما أحـلَّ الله ! فقال عبـد الله بن الكواء : يـابن أبي سفيان ! إنَّ لكلّ كلام جواباً ، ونحن نخاف جبروتك ، فإنْ كنت تطلق ألسنتنـا ذبّينا عن أهل العراق بألسنة حداد ، لا يأخذها في الله لومة لائم ، وإلا فإنّا صابرون

حتى يحكم الله ، ويضعنا على فرجه ! قال : والله لا يطلق لك لسان .

ثم تكلّم صعصعة فقال : تكلّمت يابن أبي سفيان ! فأبلغت ، ولم تقصّر عمّا أردت ، وليس الأمر على ما ذكرت ، أنّى يكون الخليفة مَن ملك الناس قهراً ، ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً ؟ أما والله مالك في يوم البدر مضربٌ ولا مرمى ، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل (لا حلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ، ممن أجلب على رسول الله ﷺ ، وإنّما أنت طليقٌ ابن طليق ، أطلقكما رسول الله ﷺ ، فأنّى تصلح الخلافة لطليق ؟ فقال معاوية لولا انّي أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :

قابلت جهلهمُ حلماً ومغفرةً والعفو عن قدرة ضربٌ من الكرم

لقتلتكم !

[مروج الذهب ج ٢ ص ٧٨]

٧٧ ـ عن أبي مزروع الكلبي ، قال : دخل صعصعة بن صوحان على معاوية ، فقال له : يابن صوحان ! أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها ـ إلى أن قال ـ فأخبرني عن أهل الحجاز ؟ قال أسرع الناس إلى فتنة ، وأضعفهم عنها ، وأقلّهم عناء فيها ، غير أنّ لهم ثباتاً في الدين ، وتمسّكاً بعروة اليقين ، يتّبعون الأئمّة الأبرار ، ويخلعون الفسقة الفجّار . فقال معاوية : مَن البررة والفسقة ؟ فقال : يابن أبي سفيان ! ترك الخداع مَن كشف القناع ، عليٌّ وأصحابه من الأئمة الأبرار ، وأنت وأصحابك من اولئك .

إلى أن قال معاوية : أخبرني عن أهل الشام ؟ قال : أطوع الناس لمخلوق ، وأعصاهم للخالق ، عصاة الجبّار ، وحلفة الأشرار ، فعليهم الدمار ، ولهم سوء الدار . فقال معاوية : والله يابن صوحان ! إنّك لحاملٌ مديتك منذ أزمان إلّا أنّ حلم ابن أبي سفيان يردُّ عنك ! فقال صعصعة : بل أمر الله وقدرته ، إنَّ أمر الله كان قدراً مقدوراً[١] .

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٨ ، ٧٩ .

٧٨ ـ عن ابراهيم بن عقيل البصري ، قال : قال معاوية يوماً ، وعنده صعصعة ، وكان قدم عليه بكتاب عليّ ، وعنده وجوه الناس : الارض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي ، فقال صعصعة :

تمنّك نفسك ما لا يكون جهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية : يا صعصعة ! تعلّمت الكلام ؟ قال ، العلم بالتعلّم ، ومن لا يعلم يجهل ! قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أُذيقك وبال أمرك ! قال ، ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذي لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، قال ، ومن يحول بيني وبينك ؟ قال : الذي يحول بين المرء وقلبه ! قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير . قال : اتَّسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع[١] .

٧٩ ـ سئل صعصعة بن صوحان عن معاوية قال : صانع الدنيا فاقتلدها ، وضيّع الآخرة فنبذها ، وكان صاحب من أطعمه وأخافه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٢٤]

٨٠ ـ أخرج أبو الفرج الإصبهاني في (الأغاني ج ٣ ص ١٨) ، قال : أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثني أحمد بن معاوية ، عن الهيثم بن عدي ، قال : حجّ معاوية حجّتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلة يحجُّ عليها نساؤه وجواريه ، قال : فحجّ في إحداهما ، فرأى شخصاً يصلّي في المسجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : شعبة ابن غريض[٢] وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسوله ، فقال : أجب أمير المؤمنين . قال : أوَ ليس قدمات أمير المؤمنين قبلُ ؟ قال : فأجب معاوية ، فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة ، فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي بتيماء[٣] ؟

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٩ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) كذا في (الأغاني) والصحيح كما ضبطه ابن حجر في (الإصابة) : سعنه . بالمهملة والنون . ويقال بالمثناة التحتانية وعريض بالمهملة أيضاً .

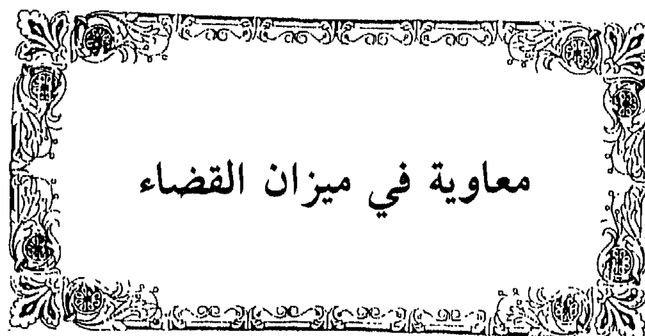
(٣) تيماء : محل بين الحجاز والشام .

قال : يكسى منها العاري ، ويرد فضلها على الجار قال : أفتبيعها؟ قال : نعم . قال : بكم؟ قال : بستين ألف دينار، ولولا خلّة أصابت الحيّ لم أبعها . قال : لقد أغليت . قال : أما لو كانت لبعض أصحابك ، لأخذتها بستمائة ألف دينار ثمَّ لم تبل . قال : أجل : وإذ بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي نفسه فقال : قال أبي :

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ماذا تؤبّنني به أنواحي ؟
أيقلن : لا تبعد فربّ كريهة فرّجتها ببشارة ، وسماح
ولقد ضربت بفضل مالي حقّه عند الشتاء ، وهبَّة الأرواح
ولقد أخذت الحقَّ غير مخاصم ، ولقد رددت الحقَّ غير ملاح
وإذا دعيت لصعبة سهَّلتها أُدعى بأفلح مرّة ، ونجاح

فقال : أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك قال : كذبت ولؤمت . قال أمّا كذبت فنعم ، وأمّا لؤمت فلم ؟ قال : لأنَّك كنت ميت الحقِّ في الجاهليَّة وميّتهُ في الإسلام : أمّا في الجاهليَّة فقاتلت النبيّ ﷺ والوحي ، جعل الله كيدك المردود ، وأمّا في الإسلام فمنعت ولد رسول الله ﷺ الخلافة ، وما أنت وهي ، وأنت طليق ابن طليق ؟ فقال معاوية : قد خرف الشيخ فأقيموه ، فأُخذ بيده فأُقيم .

وذكره ملخّصاً ابن حجر في (الإصابة ج ٢ ص ٤٣) من طريق آخر ، عن عبد الله بن الزبير وزاد : فقال : ما خرفت ، ولكن أُنشدك الله يا معاوية ! أما تذكر لمّا كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ ، فجاء عليٌّ فاستقبله النبيُّ ﷺ فقال : «قاتل الله من يقاتلك ، وعادى من يعاديك» ! فقطع عليه معاوية حديثه ، وأخذ معه في حديث آخر .



معاوية في ميزان القضاء

لعمر الحق إنّ واحدة من هذه الشّهادات كافيةٌ في تحطيم قدر الرجل ، والإسفاف بمستواه إلى الحضيض الأسفل ، فكيف بجميعها ؟ فإنّها صدرت من سادات الصّحابة وأعيانهم العدول جميعهم عند القوم ، فضلاً عن هؤلاء الذين لا يُشكّ في ورعهم ، وقداسة ساحتهم ، عن السقطة في القول والعمل ، ولا سيّما وفيهم الإمام المعصوم الخليفة حقّاً ، المطهّر بلسان الذكر الحكيم ، عن أيّ رجاسة ، الذي يدور الحقُّ معه حيثما دار ، وهومع القرآن والقرآن معه لن يفترقا حتى يردا الحوض(١) ، وقبل الجميع ما رويناه عن النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم في حقِّ هذا الإنسان .

فالرجل أخذاً بمجامع تلكم الشّهادات الصادقة للسلف الصالح ، محكومٌ عليه نصّ أقوالهم من دون أيّ تحريف ، وتحوير منّا ، بأنّه امرؤ ليس له بصرٌ يهديه ، ولا قائدٌ يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتّبعَهُ ، وما أتى به من ضلالة ليس ببعيد الشبه ممّا أتى به أهله المشركون الكفرة ، مصيره إلى اللّظى ، مبوّأه النار ، اللعين ابن اللعين ، الفاجرابن الفاجر ، المنافق ابن

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا .

المنـافق ، الطليق ابن الطليق ، الوثن ابن الوثن ، الجلف المنافق ، الأغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرذل ، يخبط في عماية ، ويتيه في ضلالة ، شديد اللزوم للأهواء المبتدعة ، والحيرة المتّبعة ، لم يكن من أهل القرآن ، ولا مريداً حكمه ، يجري إلى غاية خُسر ، ومحلّة كفر ، قد أولجته نفسه شرّاً ، وأقحمته غيّاً ، وأوردته المهالك وأوعرت عليه المسالك ، غمص الناس ، وسَفه الحقّ ، فاسقٌ مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الحليم بخلطته ، ابن آكلة الأكباد ، الكذّاب العسوف ، إمام الرّدى ، وعدوّ النبيِّ ، لم يزل عدوًّا لله والسنّة والقرآن والمسلمين ، رجل البدع والأحداث ، كانت بوائقه تُتّقى ، وكان على الإسلام مخوّفاً ، الغادر الفاسق ، مثله كمثل الشيطان يأتي المرء من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، لم يجعل الله له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، القاسط النابذ كتاب الله وراء ظهره ، كان شرّ الأطفال وشرّ رجال ، كهف المنافقين ، دخل في الإسلام كرهاً ، وخرج منه طوعاً ، لم يقدم إيمانه ولم يحدث نفاقه ، كان حرباً لله ولرسوله ، حزباً من أحزاب المشركين ، عدوّاً لله ولنبيِّه وللمؤمنين ، أقوَل الناس للزور ، وأضلّهم سبيلاً ، وأبعدهم من رسول الله وسيلة ، الغاوي اللّعين ، ليس له فضلٌ في الدين معروف ، ولا أثرٌ في الإسلام محمود ، عادى الله ورسوله وجاهدهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهر المشركين . فلمّا أراد الله أنْ يظهر دينه ، وينصر رسول ، أتاه فأسلم وهو والله راهبٌ غير راغب ، قبض رسول الله والرجل يُعرف بعداوة المسلم ، ومودّة المجرم ، يُطفي نور الله ، ويُظاهر أعداء الله ، أغوى جفاةً فأوردهم النار ، وأورثهم العار ، لم يكن في إسلامه بأبرّ وأتقى ، ولا أرشد ، ولا أصوب منه في أيّام شركه ، وعبادته الأصنام .

هذا معاوية عند رجال الدّين الصحيح ، الأبرار الصادقين ، وهذه صحيفة من تاريخه السوداء ، وتؤكّد هذه الكلم القيّمة ما يؤثر عن الرَّجل من بوائق وموبقات ، هي بمفردها حججٌ دامغةٌ على سقوطه ، عن مبوّأ الصالحين ، فإنّها لا تتأتّى إلاّ عن تهاون بأمر الله ونهيه ، وإغضاء عن نواميس الدين ، وشرائع الإسلام ، وتزحزح عن

سنّة الله ، وتعدّ وشذوذٍ عن حدوده ، ومَن يتعدَّ حدود الله فاولئك هُم الظالمون ، وإليك نزرٌ منها :

١ ـ معاوية والخمر

١ ـ أخرج إمام الحنابلة أحمد في (مسنده ج ٥ ص ٣٤٧) من طريق عبد الله ابن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية ، فأجلسنا على الفرش ثمّ أُتينا بالطعام فأكلنا ، ثمَّ أُتينا بالشراب فشرب معاوية ، ثمّ ناول أبي ثمّ قال : ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ ، ثمَّ قال معاوية : كنت أجمل شباب قريش ، وأجودهم ثغراً ، وماشيء كنت أجد له لذّة كما كنت أجده ، وأنا شابٌ غير اللبن ، أو إنسان حسن الحديث يحدّثني .

٢ ـ أخرج ابن عساكر في (تاريخه ج ٧ ص ٢١١) من طريق عمير بن رفاعة ، قال : مرّ على عبادة[1] بن الصامت ، وهو في الشام قطارة تحمل الخمر ، فقال : ما هذه ؟ أزيت ؟ قيل لا ، بل : خمرٌ تُباع لفلان ، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلاّ بقرها ، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام ، فأرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له : أما تمسك عنّا أخاك عبادة ؟ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمّة متاجرهم ، وأمّا بالعشيِّ فيقعد في المسجد ليس له عملٌ إلاَّ شتم أعراضنا أو عيبنا ، فأمسك عنّا أخاك ، فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال له : يا عبادة ! مالك ولمعاوية ؟ ذره وما حمل ، فإنّ الله يقول : ﴿**تلك أُمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم**﴾قال : يا أبا هريرة ! لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعلى أنْ نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم ، وعلى أن ننصره إذ قدم علينا يثرب ، فنمنعه ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ، ولنا الجنّة ، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ، ومن أوفى

---

(١) كان بدرياً عقبياً أحد نقباء الأنصار ، بايع رسول الله على أن لا يخاف في الله لومة لائم. (سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٧) .

بما بايع عليه رسول الله ﷺ وفى الله له بما بايع عليه نبيّه . فلم يكلّمه أبو هريرة بشيء .

٣ ـ وأخرج في (التاريخ ج ٧ ص ٢١٣) من طريق عمرو بن قيس قال : إنَّ عبادة أتى حجرة معاوية وهو بأنطرطوس[١] ، فألزم ظهره الحجرة ، وأقبل على الناس بوجهه ، وهو يقول : بايعت رسول الله ﷺ أن لا أُبالي في الله لومة لائم ، ألا إن المقداد بن الأسود قد غل بالأمس حماراً ، وأقبلت أوسق من مال ، فأشارت الناس إليها ، فقال : أيّها الناس ! إنّها تحمل الخمر ، والله ما يحلُّ لصاحب هذه الحجرة أن يعطيكم منها شيئاً ، ولا يحلُّ لكم أنْ تسألوه ، وإنْ كانت مقبلةً ـ يعني سهماً ـ في جنب أحدكم ، فأتى رجلٌ المقداد وفي يده قرصافة ، فجعل يتلّ الحمار بها وهو يقول : معاوية ! هذا حمارك شأنك به ، حتى أورده الحجرة .

٤ ـ وفد عبدالله[٢] بن أُميّة بن عبد شمس ، على معاوية فقرَّبه حتّى مسَّت ركبتاه رأسه ، ثمَّ قال له معاوية : ما بقي منك ؟ قال : ذهب والله خيري وشرّي ! فقال له معاوية : ذهب والله خيرٌ قليلٌ ، وبقي شرٌّ كثير ، فما لنا عندك ؟ قال : إنْ أحسنت لم أحمدك ، وإنْ أسأت لُمتك ، قال : والله ما أنصفتني ، قال : ومتى أنصفك ؟ فوالله لقد شججت أخاك حنظلة فما أعطيتك عقلاً ولا قوداً ، وأنا الذي أقول :

أصخر بن حرب لا نعدّك سيّداً ‏ ‏ ‏ فسد غيرنا إذ كنت لست بسيّد

وأنت الذي تقول :

شربت الخمر حتى صرت كلّاً ‏ ‏ ‏ على الأدنى ، ومالي من صديق
وحتّى ما أوسّد من وساد ‏ ‏ ‏ إذا أنسوا ، سوى الترب السحيق

ثمَّ وثب على معاوية يخبطه بيده ، ومعاوية ينحاز ويضحك .

---

(١) بلدة من سواحل بحر الشام ، هي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص . معجم .

(٢) أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ثم عاش بعد ذلك إلى خلافة معاوية . (الإصابة ج ٢ ص ٢٩١) .

رواها ابن عساكر في (تاريخه ج ٧ ص ٣٤٦) وقال ابن حجر في (الإصابة ج ٢ ص ٢٩١) : روى الكوكبي من طريق عبسة بن عمر ، وقال : وفد عبد الله بن الحارث على معاوية ، فقال له معاوية : ما بقي منك ؟ قال : ذهب والله خيري وشرّي ، فذكر قصّة . [يعني هذه] .

٥ ـ أخرج ابن عساكر في (تاريخه) ، وابن سفيان في (مسنده) ، وابن قانع ، وابن مندة ، من طريق محمد بن كعب القرظي ، قال : غزا عبد الرَّحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان ، ومعاوية أميرٌ على الشام ، فمرّت به روايا خمر ـ لمعاوية ـ فقام إليها برمحه ، فبقر كلَّ راوية منها ، فناوشه الغلمان حتّى بلغ شأنه معاوية ، فقال : دعوه فإنّه شيخٌ قد ذهب عقله . فقال : كلّا والله ما ذهب عقلي ، ولكن رسول الله ﷺ نهانا أنْ ندخل بطوننا ، وأسقيتنا خمراً ، وأحلف بالله ! لئن بقيت حتّى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله ﷺ ، لأبقرنّ بطنه ، أو لأموتنَّ دونه .

وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٤٠١ ، ولخّصه في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٩٢ ، وأخرجه ملخّصاً أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠١ ، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة ج ٣ ص ٢٩٩ باللفظ المذكور إلى (وأسقيتنا) فقال : أخرجه الثلاثة (يعني ابن مندة ، وأبو نعيم ، وأبو عمر) .

قال الأميني : لعلَّ في الناس مَن يحسب أنّ سلسلة الإستهتار بمعاقرة الخمور ، كانت مبدوَّة بيزيد بن معاوية ، وإنْ لم يحكم الضمير الحرّ بإنتاج أبوين صالحين في دار طنّبت بالصَّلاح والدين ، تخلو عن الخمور والفجور ، ولداً مستهتراً مثل يزيد الطاغية المتخصّص في فنون العيث والفساد ، لكن هذه الأنباء تُعلمنا أنَّ هاتيك الخزاية كانت موروثة له من أبيه الماجن المشيع للفحشاء في الذين آمنوا ، بحمل الخمور إلى حاضرته على القطار تارة ، وعلى حماره اخرى ، بملأ من الأشهاد ، ونصب أعين المسلمين ، وتوزيعها في الملأ الدينيِّ ، وهو يحاول مع ذلك أنْ لا ينقده أحدٌ ، ولا ينقم عليه ناقمٌ ، وكم لهذه المحاولة من نظائر ينبو عنها العدد ، ولا تقف على حدّ ، فهو وما ولد ، سواسية في الخمر ، والفحشاء ، والمجون ، وهذه هي التي أسقطته عند صلحاء الامّة ، وحطّته عن

أعينهم ، فلا يرون له حرمةً ، ولا كرامة ، ولا يقيمون له وزناً ، حتى انّه لمّا استخلف قام على المنبر فخطب الناس فذكر أبا بكر وعمر وعثمان ، ثمَّ قال : ولّيت فأخذت حتى خالط لحمي ودمي ، فهو خير منّي ،وأنا خير ممَّن بعدي . يا أيّها الناس ! إنّما أنا لكم جنّة ، فقام عبادة بن صامت فقال : أرأيت إن احترقت الجنّة ؟ قال : إذن تخلص إليك النار ، قال : من ذلك أفرّ ، فأمر به فأُخذ ، فأضرط بمعاوية ، ثمَّ قال : علمت كيف كانت البيعتان حين دُعينا إليهما ؟ دُعينا على أن نبايع على أن لا نزني ، ولا نسرق ، ولا نخاف في الله لومة لائم ، فقلتَ : أمّا هذه فاعفني يا رسول الله ، ومضيتُ أنا عليها ، وبايعت رسول الله ﷺ ، ولأنت يا معاوية أصغر في عيني من أن أخاف في الله عزّ وجلّ[١] .

وذكر معاوية الفرار من الطاعون في خطبته ، فقال له عبادة : أُمك هند أعلم منك[٢]. وسيوافيك قوله له : لا أُساكنك بأرض ، وقوله : لنحدّثنَّ بما سمعنا من رسول الله ، وإنْ رغم معاوية ، ما أُبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء ، وقال أبو الدرداء له : لا أُساكنك بأرض أنت بها .

ومن جرّاء هذه المكافحة والكشف عن عورات الرجل ، كتب معاوية إلى عثمان بالمدينة : إنَّ عبادة قد أفسد عليَّ الشام وأهله ، فإمّا أنْ تكفّه إليك ، وإمّا أنْ أُخلي بينه وبين الشام . فكتب إليه عثمان : أنْ أرحل عبادة حتّى ترجعه إلى داره من المدينة . فبعث بعبادة حتّى قدم المدينة ، فدخل على عثمان في الدار ، وليس فيها إلّا رجلٌ من السابقين ، أو من التابعين الّذين قد أدركوا القوم متوافرين ، فلم يفجع عثمان به ، إلا وهو قاعدٌ في جانب الدار ، فالتفت إليه ، وقال : مالنا ولك يا عبادة ؟ فقام عبادة بين ظهراني الناس فقال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ أبا القاسم يقول : إنّه سيلي اموركم بعدي رجالٌ يعرفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون ، فلا طاعة لمن عصى ، فلا تضلّوا بربّكم ، فوالذي نفس عبادة بيده ! إنّ فلاناً ـ يعني معاوية ـ لمن أُولئك . فما راجعه عثمان بحرف[٣] .

(١) تاريخ الشام لابن عساكر ج ٧ ص ٢١٣ .
(٢) أخرجه ابن عساكر والطبراني كما في تاريخ الشام ج ٧ ص ٢١٠ .
(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٢٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢١٢ .

وحذا معاوية في هذه الموبقة حذو أبيه أبي سفيان ، فإنّه كان يشرب الخمر وهو من أظهر آثامه وبوائقه ، وقد جاء في حديث أبي كريم السلولي الخمّار بالطائف أنّه نزل عنده ، وشرب ، وثمل ، وزنا بسميّة امّ زياد بن أبيه ، والحديث يأتي في استلحاق معاوية زياداً .

فبيت معاوية حانوت الخَمر ، ودكّة الفجور ، ودار الفحشاء والمنكر من أوّل يومه ، والخمر شعار أهله ، وما أغنتهم النذر إذ جاءت ، وهم بمجنب عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا بل هم أهله ـ لعنت الخمر وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وآكل ثمنها[١] .

وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : شارب الخمر كعابد وثن . وفي لفظ : مدمن خمر كعابد وثن[٢] . وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثلاثةٌ حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنّة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديّوث الذي يقرُّ في أهله الخبث[٣] .

وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثةٌ لا يدخلون الجنّة أبداً : الديّوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر[٤] .

وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : مَن شرب الخمر خرج نور الإيمان من جوفه .

وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : مَن شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنّم .

وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أنْ يسقيه من طينة

---

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ١٦١ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٧٤ ، جامع الترمذي ج ١ ص ١٦٧ ، مستدرك الحاكم ج ٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥ . وأخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٧١ ، وإبن أبي شيبة ، وإبن راهويه والبزار ، وابن حبّان ، راجع نصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجة ، وابن حبّان ، والبزّار ، وغيرهم ، راجع الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠٢ ، نصب الراية ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣) أخرجه أحمد ، والنسائي ، والبزار ، والحاكم وصححه . راجع الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠٤ .

(٤) أخرجه الطبراني ، وإبن المنذر في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠٤ وقال : «رواته لا أعلم فيهم مجروحاً» .

الخبـال قالـوا : يا رسـول الله ! وما طينـة الخبال ؟ قـال : عـرق أهـل النـار . أو : عصارة أهل النار .

وعن قـوله ﷺ : مَن شـرب حسوة من خمـر ، لم يقبل الله منـه ثلاثـة أيّـام ، صرفاً ولا عدلاً ، ومن شرب كـأساً ، لـم يقبـل الله صلاتـه أربعين صباحـاً ، ومدمن الخمر حقّاً على الله أنْ يسقيه من نهر الخبال قيل : يا رسول الله ! وما نهر الخبال ؟ قال صديد أهل النار[1] . إلى أحاديث كثيرة في الترهيب من هذا الرجس الذي كان يشربه معاوية ، ووالده، وولده .

٢ ـ معاوية يأكل الربا :

١ ـ أخـرج مالـك ، والنسائي ، وغيـرهما ، من طـريق عـطاء بن يسـار : إنَّ معاوية ، رضي الله عنه ، باع سقاية من ذهب ، أو ورق ، بأكثر من وزنها، فقال له أبـو الدرداء ، رضي الله عنـه : سمعت رسـول الله ﷺ نهى عن مثـل هـذا إلاّ مثـلاً بمثل . فقال معاوية : ما أرى بهذا بأساً . فقـال له أبـو الدرداء رضي الله عنـه : من يعذرني من معاوية ؟ أنا أُخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني عن رأيه ، لا أُساكنك بـأرض أنت بها ، ثمَّ قـدم أبو الـدرداء ، رضي الله عنه ، على عمـر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فذكر له ذلك ، فكتب عمر إلى معـاوية : أن لا تبـع ذلك إلاّ مثـلاً بمثل ، وزناً بوزن .

(راجع موطأ مالـك ج ٢ ص ٥٩ ، اختلاف الحـديث للشافعي هـامش كتابـه الامّ ج ٧ ص ٢٣ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٩ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٨٠) .

٢ ـ وأخـرج مسلم ، وغيره ، من طـريق أبي الأشعث ؛ قـال : غـزونـا غـزاةً وعلى النـاس معاويـة فغنمنا غنائم كثيرة ، فكـان فيما غنمنـا آنيةٌ من فضَّـة ، فأمـر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس ، فتسارع الناس في ذلك ، فبلغ عبادة بن الصامت ، فقام فقال : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بـالذّهب ، والفضّة بالفضّة ، والبرّ بالبُرّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بـالتمر ، والملح بـالملح ،

---

(١) راجع الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠١ ـ ١١٠ .

إلّا سواءً بسواء ، عيناً بعين ، فمن زاد أو ازداد ، فقد أربى ، فردَّ الناس ما أخذوا ، فبلغ ذلك معاوية ، فقام خطيباً فقال : ألا ما بال رجالٍ يتحدَّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كنّا نشهده ونصحبه ، فلم نسمعها منه ؟ فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصّة ثمَّ قال : لنحدِّثنَّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ ، وإنْ كره معاوية ، أو قال : وإنْ رغم ، ما أُبالي أنْ لا أصحبه في جنده ليلة سوداء .

[راجع صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٣ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٧ ، تفسير القرطبي ج ٣ ص ٣٤٩] .

٣ ـ وأخرج البيهقي ، وغيره ، من طريق حكيم بن جابر ، عن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الذهب الكفّة بالكفّة ، والفضّة الكفَّة بالكفّة حتّى خصّ أنَّ الملح بالملح ، فقال معاوية : إنَّ هذا لا يقول شيئاً . فقال عبادة ، رضي الله عنه : أشهد أنّي سمعت رسول ﷺ يقول ذلك .

وزاد النسائي : قال عبادة : إنّي والله ما أُبالي أن لا أكون بأرض يكون بها معاوية ، وفي لفظ ابن عساكر : إنّي والله ما أُبالي أن أكون بأرضكم هذه .

[راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣١٩ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٧ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٨ تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٠٦] .

٤ ـ وأخرج ابن عساكر في (تاريخه ج ٧ ص ٢١٢) : من طريق الحسن قال : كان عبادة بن الصامت بالشام ، فرأى آنية من فضّة ، يباع الإناء بمثلي ما فيه ، أو نحو ذلك ، فمشى إليهم عبادة، فقال : أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا عبادة بن الصامت ، ألا وإنّي سمعت رسول الله ﷺ في مجلس من مجالس الأنصار ، ليلة الخميس في رمضان ، ولم يصم رمضان بعده ، يقول : الذهب بالذهب ، مثلاً بمثل ، سواءً بسواء ، وزناً بوزن ، يداً بيد ، فما زاد فهو ربا ، والحنطة بالحنطة ، قفيز بقفيز ، يد بيد ، فما زاد فهو ربا ، والتمر بالتمر قفيز بقفيز ، يد بيد ، فما زاد فهو ربا . قال : فتفرّق الناس عنه . فأُتي معاوية فأُخبر بذلك ، فأرسل إلى عبادة فأتاه ، فقال له معاوية : لئن كنت صحبت النبيّ ﷺ

وسمعت منـه ، لقد صحبنـاه وسمعنا منـه . فقال لـه عبادة : لقـد صحبتـه وسمعت منـه ، فقال لـه معاويـة : فما هـذا الحديث الـذي تذكـره ؟ فأخبـره به ، فقـال لـه معاوية : أُسكت عن هـذا الحديث ، ولا تـذكره ! فقـال له : بلى ، وإنْ رغم أنف معـاوية ، ثمّ قـام فقال لـه معاويـة : مـا نجـد شيئـاً أبلغ فيمـا بيني وبين أصحـاب محمد ﷺ من الصفح عنهم !

٥ ـ عن قبيصة بن ذؤيب : إنَّ عبادة أنكر على معاوية شيئاً فقال : لا أُساكنك بأرض ، فرحل إلى المدينة فقال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره فقال له عمر : إرحل إلى مكانك ، فقبّح الله أرضاً لست فيها وأمثالك ، فلا إمرة له عليك .

[تـاريـخ ابن عســاكـر ، كمــا في كنـز العمّــال ج ٧ ص ٧٨ ، والإستيعـاب ج ٢ ص ٤١٢ ، أسد الغابة ج ٣ ص ١٠٦] .

قال الأميني ! إنَّ من ضروريّات الدين الحنيف ، الثابتة كتاباً وسنّة وإجماعاً ، حرمة الرِّبا ، وانّه من أكبر الكبائر قال الله تعالى : ﴿**الذين يأكلون الـرِّبا لا يقـومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ ذلك بأنّهم قالوا : إنّما البيع مثل الرّبا وأحل الله البيع وحرّم الرّبا**﴾[١] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الرِّبا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**﴾[٢] .

وتواترت السّنة الشريفة في المسألة، وبلغت حدّاً لا يسع لأيِّ مسلم ، ولو كان قرويّاً ، أنْ يدّعي الجهل به ، فضلاً عمّن يدّعي إمرة المؤمنين . ومنها :

١ ـ جـاء من غيـر طـريق : إنَّ رسـول الله ﷺ لعن آكـل الـرّبــا ، ومـوكّله ، وشاهديه ، وكاتبه[٣] .

---

(١) سورة البقرة ؛ الاية : ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٧٩ .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٠ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٨٣ ، جامـع الترمـذي ، المحلى ج ٨ ص ٤٦٨ ، سنن ابن مـاجـة ج ٢ ص ٤٠ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٥ ، ٢٨٥ ، التـرغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٤٧ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٦٨ .

٢ ـ صحّ عنه ﷺ : إجتنبوا السبع الموبقات . قيل : يا رسول الله ! وما هنّ ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاّ بالحقّ ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الرّبا . الحديث(١) .

٣ ـ أخرج البزّار من طريق أبي هريرة مرفوعاً : الكبائر سبعٌ : أوّلهن الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حقّها ، وأكل الرّبا .

٤ ـ أخرج البخاري ، وأبو داود ، عن أبي جحيفة : لعن رسول الله ﷺ : الواشمة والمستوشمة ، وآكل الرِّبا ، وموكله .

٥ ـ أخرج الحاكم بإسناد صحيح ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً : أربعٌ ، حقٌّ على الله أن لا يدخلهم الجنَّة ، ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الرّبا ، وآكل مال اليتيم بغير حقّ ، والعاقّ لوالديه .

٦ ـ أخرج الحاكم ، والبيهقي ، بإسناد صحيح من طريق ابن مسعود ، مرفوعاً : الرِّبا ثلاث وسبعون باباً ، أيسرها مثل أنْ ينكح الرَّجل أُمّه .

٧ ـ أخرج البزّار بإسناد صحيح ، مرفوعاً : الرّبا بضعٌ وسبعون باباً ، والشرك مثل ذلك .

٨ ـ أخرج البيهقي ، بإسناد لا بأس به ، من طريق أبي هريرة ، مرفوعاً : الرّبا سبعون باباً ، أدناها كالذي يقع على امّه .

٩ ـ أخرج الطبرني في الكبير ، عن عبد الله بن سلام ، مرفوعاً : الدرهم يصيبه الرَّجل من الرّبا ، أعظم عند الله من ثلاثة وثلاثين زنية يزنيها في الإسلام .

وعن عبد الله ، موقوفاً : الرِّبا إثنان وسبعون حوباً ، أصغرها حوباً كمن أتى امّه في الإسلام . ودرهمٌ من الرِّبا أشدّ من بضع وثلاثين زنية . قال : ويأذن الله بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة ، إلاّ آكل الرِّبا ، فإنّه لا يقوم إلاّ كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٧١ ، وفي ط ج ٥ ص ٥٠ ، المحلى لابن حزم ج ٨ ص ٤٦٨ ، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٤٧ .

١٠ ـ أخرج أحمد ، والطبراني ، في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، من طريق عبد الله بن حنظلة ، غسيل الملائكة ، مرفوعاً : درهم ربا يأكله الرجل ، وهو يعلم ، أشدُّ من ستّة وثلاثين زنية .

١١ ـ أخرج ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، من طريق أنس بن مالك ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فذكر أمر الرِّبا ، وعظَّم شأنه وقال : إنَّ الدرهم يصيبه الرّجل من الرِّبا ، أعظم عند الله في الخطيئة ، من ستّ وثلاثين زنية ، يزنيها الرّجل .

١٢ ـ أخرج الطبراني ، في الصغير والأوسط، من طريق إبن عبّاس ، مرفوعاً : من أكل درهماً من ربا ، فهو مثل ثلاثة وثلاثين زنية .

وفي لفظ البيهقي : إنَّ الرّبا نيف وسبعون باباً أهونهنّ باباً مثل من أتى امّه في الإسلام، ودرهمٌ من ربا ، أشدّ من خمس وثلاثين زنية .

١٣ ـ أخرج الطبراني في الأوسط ، من طريق البراء بن عازب ، مرفوعاً · الرِّبا اثنان وسبعون باباً ، أدناها مثل إتيان الرجل أُمّه .

١٤ ـ أخرج ابن ماجة ، والبيهقي ، وابن أبي الدنيا ، من طريق أبي هريرة ، مرفوعاً : الرّبا سبعون حوباً ، أيسرها أن ينكح الرّجل امّه .

١٥ ـ أخرج الحاكم ، بإسناد صحيح ، عن ابن عبّاس ، مرفوعاً : إذا ظهر الزّنا والرِّبا في قرية ، فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله .

وفي لفظ أبي يعلى ، بإسناد جيّد ، من طريق ابن مسعود : ما ظهر في قوم الزّنا ، والرِّبا ، إلاّ أحلّوا بأنفسهم عذاب الله .

١٦ ـ أخرج أحمد ، من طريق عمرو بن العاصي ، مرفوعاً : ما من قوم يظهر فيهم الرّبا إلاّ أُخذوا بالسنة(١) .

١٧ ـ أخرج أحمد ، وابن ماجة ، مُختصراً ، والإصبهاني من طريق أبي

(١) السنة : العام المقحط .

هـريرة ، مـرفوعـاً : رأيت ليلة أُسري بي ، لمّـا انتهينا الى السّماء السابعة ، فنـظرت فوقي ، فإذا أنا برعد وبروق ، وصواعق ، فأتيت على قوم بطونهم كالحيّات ، تُـرى من خـارج بطونهم ، قلت : يـا جبـريـل ! مَن هؤلاء ؟ قـال : هؤلاء أكلة الـرّبـا . وأخرج الإصبهاني ، من طريق أبي سعيد الخدري ، بلفظ قريب من هذا .

١٨ ـ أخـرج الطبـراني بـإسنـاد ، رواتـه رواة الصحيـح ، عن ابن مسعـود ، مرفوعاً : بين يدي السّاعة ، يظهر الرِّبا ، والزنا ، والخمر .

١٩ ـ أخرج الطبراني ، والإصبهاني ، من طريق عوف بن مالك ، مـرفوعـاً : إيّاك والذنوب التي لا تغفر ، [إلى أن قال :] وآكل الرّبا ، فمن أكل الرِّبـا بعث يوم القيامة مجنوناً يتخبّط ثمَّ قرأ : **﴿الذين يـأكلون الرِّبـا لا يقومـون إلاَّ كما يقـوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسِّ﴾** .

٢٠ ـ روى عبـد الله بن أحمد في زوائـده ، من طـريق عبـادة بن الصـامت ، مرفوعاً : والذي نفسي بيده ! ليبيّتنَّ أُناسٌ من أُمّتي على أشر وبطر ، ولعب ولهو ، فيصبحـوا قردةً وخنـازير ، بـاستحلالهم المحـارم ، واتّخاذهم القينـات ، وشـربهم الخمر ، وبأكلهم الرِّبا .

هذه جملةٌ من أحاديث الباب ، جمعها وغيرها الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٢٤٧ ـ ٢٥١) .

٢١ ـ صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خطبة له في حجَّة الوداع قولـه : ألا وإنَّ كلَّ شيء من أمر الجاهليَّـة موضـوعٌ تحت قدمي هـاتين ، وربا الجـاهليَّة مـوضوعٌ ، وأوّل ربا أضعه ربا العبّاس بن عبد المطلب ، وإنه موضوعٌ كلّه[1] .

٢٢ ـ وروى أئمّـة الحـديث ، واللفظ لمسلم ، عن أبي سعيـد الخـدري ، مرفوعاً : الذهب بالذهب ، والفضَّة بالفضَّة ، والبرّ بالبرّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل ، يداً بيد ، فمن زاد واستزاد فقـد أربى ، والآخذ والمعطي فيه سواء .

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٤١ ، سنن البيهقي ج ٥ ٢٧٤ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٨٣ .

[راجع صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٤ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٨] .

٢٣ ـ ومن طريق أبي سعيد ، مرفوعاً : لا تبيعوا الذهب بالذهب إلّا مثلاً بمثل ، ولا تشفّوا بعضها على بعض . ولا تبيعوا الورق بالورق إلّا مثلاً بمثل . الحديث .

[راجع صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٢ ، صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٨٨ ، كتاب الامّ للشافعي ج ٣ ص ٢٥ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٨ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ١٩٤] .

٢٤ ـ من طريق ابن عمر : الذهب بالذهب لافضل بينها ، بهذا عهد صاحبنا إلينا ، وعهدنا إليكم .

[كتاب الامّ للشافعي ، سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٧٩]

٢٥ ـ من طريق أبي هريرة ، مرفوعاً : الذهب بالذهب ، وزناً بوزن ، مثلاً بمثل ، والفضّة بالفضّة ، وزناً بوزن ، مثلاً بمثل ، فمن زاد أو ازداد ، فقد أربى .

[صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٥ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٨ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٣٤] .

٢٦ ـ من طريق عبادة بن الصامت ، مرفوعاً : الذهب بالذهب تبرها وعينها ، والفضّة بالفضّة تبرها وعينها ، والبرُّ بالبرّ مدى بمدى ، والشعير بالشعير مدى بمدى ، والتمر بالتمر مدى بمدى ، والملح بالملح مدى بمدى ، فمن زاد أو ازداد ، فقد أربى .

[سنن أبي داود ج ٢ ص ٨٥ ، وبلفظ قريب من هذا عن عبادة في كتاب الامّ للشافعي ج ٣ ص ١٢] .

وعلى هذه السنَّة الثابتة جرت الفتاوى قال القرطبي في (تفسيره ج ٥ ص ٣٤٩) : أجمع العلماء على القول بمقتضى هذه السنّة ، وعليها جماعة فقهاء المسلمين ، إلّا في البرّ والشعير ، فإنّ مالكاً جعلهما صنفاً واحداً .

وقال ابن رشد في (بداية المجتهد ج ٢ ص ١٩٤) : أجمع العلماء على أنَّ بيع الذهب بالذهب ، والفضّة بالفضّة ، لا يجوز إلّا مثلاً بمثل .

وفي (الفقه على المذاهب الأربعة ج ٢ ص ٢٤٥) : لا خلاف بين أئمّة المسلمين في تحريم ربا النسيئة ، فهو كبيرةٌ من الكبائر بلا نزاع ، وقد ثبت ذلك بكتاب الله تعالى ، وسنّة رسوله ، وإجماع المسلمين . الخ .

وفي (ص ٢٤٧) : أمّا ربا الفضل ، وهو أنْ يبيع أحد الجنسين بمثله ، بدون تأخير في القبض ، فهو حرام في المذاهب الأربعة .

هذا ما عند الله ، وعند المسلمين أجمع لكن معاوية بلغت به الرفعة مكاناً يقول فيه : قال الله ورسوله وقلت ، هما يحرّمان الربا بأشدّ التحريم ، ويستحلّه معاوية ، وينهى عن رواية سنّة جاءت فيه ، ويُشدِّد النكير عليها ، وعلى مَن رواها ، حتى يغادر الصحابيُّ الصالح من جرّائه عقر داره ، فماذا للقائل أنْ يقول فيمن يحادّ الله ورسوله ويستحلّ ما حرّماه، ويتعدّى حدودهما؟ أو يقول فيمن يسمع آيات الله تُتلى عليه ، ثمّ يصرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها .

ولئن صحّ للجاحظ إكفار معاوية ، لمحض مخالفته للسنّة الثابتة ، باستلحاق زياد كما سيوافيك شرحه ، فهو بما ذكرناه هنا ، وفي غير واحد من موارده ومصادره ، أكفر كافر .

ولنا حقُّ النظر إلى ناحية اخرى من هذه القصّة ، وهي بيع آنية الفضّة من دون كسرها المحرَّم في شريعة الإسلام تحريماً باتّاً لا خلاف فيه (راجع المحلّى لابن حزم ج ٨ ص ٥١٤) ، نعم : هذا حكم الإسلام ومعاوية لا يبالي به ، فيبيع ما يشاء كيف يشاء ، وسيرى وبال أمره ، يوم يقوم الناس لربّ العالمين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، والأمر يومئذ لله .

٣ ـ معاوية يتمّ في السفر :

أخرج الطبراني ، وأحمد ، بإسناد صحيح ، من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : لمّا قدم علينا معاوية حاجّاً، قدمنا معه مكّة قال : فصلّى بنا الظهر ركعتين ثمّ انصرف إلى دار الندوة ، قال : وكان عثمان حين أتّم الصّلاة ، فإذا قدم مكّة صلّى بها الظهر والعصر ، والعشاء الآخر ، أربعاً أربعاً ، فإذا خرج إلى منى وعرفات ، قصّر الصّلاة ، فإذا فرغ من الحجِّ وأقام بمنى أتمّ الصّلاة ، حتّى يخرج

من مكّة ، فلمّا صلّى بنا الظهر ركعتين ، نهض إليه مروان بن الحكم ، وعمرو بن عثمان ، فقالا له : ما عاب أحدٌ ابن عمّك بأقبح ما عبته به ، فقال لهما : وما ذاك؟ قال: فقالا له : ألم تعلم أنّه أتمّ الصّلاة بمكّة؟ قال: فقال لهما: ويحكما! وهل كان غير ما صنعت ؟ قد صلّيتهما مع رسول الله ﷺ ، ومع أبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، قالا : فإنّ ابن عمّك قد أتمّها ، وإنّ خلافك إيّاه له عيبٌ ، قال : فخرج معاوية إلى العصر فصلّاها بنا أربعاً[١] .

قال الأميني : أُنظر إلى مبلغ هؤلاء الرجال ، أبناء بيت أُميّة ، من الدين ، ولعبهم بطقوس الإسلام ، وجرأتهم على الله ، وتغيير سنّته ، وأحداثهم في الصّلاة ، وهي أفضل ما بُنيت عليه البيضاء الحنيفية ، وانظر إلى ابن هند ، حلف الخمر والرِّبا ، كيف يترك ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووجد هو عمله عليه ، ووافقه هو مع أبي بكر وعمر ، ثمّ يعدل عنه لمحض أنّ ابن عمّه غيَّر حكم الشريعة فيه ، وإنّ مروان بن الحكم طريد رسول الله ، وابن طريده ، الوزغ ابن الوزغ ، اللعين ابن اللعين على لسان النبيِّ العظيم، وصاحبه عمرو بن عثمان ما راقهما إتّباعه السنّة ، فاستهان مخالفتها دون أن يعيب ابن عمّه بعمله ، فأحيا أُحدوثة ذي قرباه ، وأمات سنّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، غير مكترث لما سمعته أُذن الدنيا عن ابن عمر : الصّلاة في السَّفر ركعتان ، من خالف السنّة فقد كفر[٢] فزهٍ به من خليفة للمسلمين ، وألف زهٍ .

٤ ـ أُحدوثة الأذان في العيدين :

أخرج الشافعي في كتاب (الأُم ج ١ ص ٢٠٨) ، من طريق الزهري ، قال : لم يؤذّن للنبيّ ﷺ ولا لأبي بكر، ولا لعمر ، ولا لعثمان في العيدين ، حتّى أحدث ذلك معاوية بالشام ، فأحدثه الحجّاج بالمدينة ، حين أُمِّر عليها .

وفي (المحلّى لابن حزم ج ٥ ص ٨٢) : أحدث بنو أُميّة تأخير الخروج إلى

---

(١) مرّ تفصيل الكلام حول ما أحدثه عثمان في صلاة المسافر ، خلاف سنة رسول الله ، عليه وآله وسلم ، في الجزء الثامن : ص ١٢٨ ـ١٤٩ ، وأسلفنا الحديث في ج ٨ ص ٣١٦ .

(٢) راجع ج ٨ ص ١٤٦ .

العيد ، وتقديم الخطبة قبل الصَّلاة ، والأذان ، والإقامة .

وفي (البحر الزخّار ج ٢ ص ٥٨) : لا أذان ولا إقامة لها [لصلاة العيدين] لما مرَّ ، ولا خلاف أنّه محدَث يب[1] ، أحدثه معاوية . (ابن سيرين) بل مروان ، وتبعه الحجّاج (أبو قلابة) بل ابن الزبير ، والمحدث بدعة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فهو ردٌّ وشرّها محدثاتها . وينادى لها : الصَّلاة جامعة .

وفي (فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ٣٦٢) : أُختلف في أوّل من أحدث الأذان فيها ، فروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح ، عن سعيد بن المسيب ، أنّه معاوية ، وروى الشافعي عن الثقة ، عن الزهري مثله ، وروى ابن المنذر ، عن حصين بن عبد الرَّحمٰن ، قال : أوَّل من أحدثه زياد بالبصرة . وقال الداودي : أوَّل من أحدثه مروان ، وكلّ هذه لا ينافي أنَّ معاوية أحدثه كما تقدَّم في البداءة بالخطبة .

وقال فيما أشار إليه في البداءة بالخطبة : لا مخالفة بين هذين الأثرين ، وأثر مروان ، لأنَّ كلاً من مروان وزياد ، كان عاملاً لمعاوية ، فيحمل على أنَّه ابتدأ ذلك ، وتبعه عمّاله[2] .

وقال القسطلاني في (إرشاد الساري ج ٢ ص ٢٠٢) ، أوّل من أحدث الأذان فيها معاوية . رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح ، زاد الشافعي في روايته : فأخذ به الحجّاج حين أُمِّر على المدينة ، أو زياد بالبصرة ، رواه ابن المنذر ، أو مروان ، قاله الداودي ، أو هشام قاله ابن حبيب ، أو عبد الله بن الزبير ، رواه ابن المنذر أيضاً . ويوجد في (شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٢٣) نحوه .

وفي (أوائل السيوطي : ص ٩) . أوّل من أحدث الأذان في الفطر والأضحى ، بنو مروان . أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي سيرين[3] ، وأخرج أيضاً عن ابن المسيب ، قال : أوّل مَن أحدث الأذان في العيدين معاوية ، وأخرج عن

---

(١) إشارة إلى سعيد بن المسيب .

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن : ص ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠١

(٣) كذا في النسخ والصحيح : ابن سيرين .

حصين ، قال : أوّل من أذّن في العيد زياد .

وفي (نيل الأوطار للشوكاني ج ٣ ص ٣٦٤) : قال ابن قدامة في المغني : روي عن ابن الزبير : أنّه أذّن وأقام ، وقيل : إنّ أوّل من أذّن في العيدين زياد . وروى ابن أبي شيبة في «المصنّف» بإسناد صحيح عن ابن المسيب قال : أوّل مَن أحدث الأذان في العيد معاوية .

قال الأميني : إنّ من المتسالم عليه عند أئمّة المذاهب عدم مشروعيّة الأذان والإقامة إلّا للمكتوبة فحسب ، قال الشافعي في كتابه (الأُمّ ج ١ ص ٢٠٨) : لا أذان إلّا للمكتوبة فإنّا لم نعلمه أُذّن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا للمتكوبة وأُحبّ أنْ يأمر الإمام المؤذّن أنْ يقول في الأعياد وما جمع النّاس له من الصّلاة : الصّلاة جامعة . أو : آن الصّلاة . وإن قال : هلمّ إلى الصّلاة ، لم نكرهه وإنْ قال : حيَّ على الصّلاة . فلا بأس ، وإنْ كنت أُحبّ أن يتوقّى ذلك ، لأنّه من كلام الأذان . الخ .

وعن مالك في (الموطأ ج ١ ص ١٤٦) : انّه سمع غير واحد من علمائهم يقول : لم يكن في عيد الفطر ، ولا في الأضحى نداء ولا إقامة منذ زمان رسول الله ﷺ إلى اليوم ، قال مالك : وتلك السنّة التي لا اختلاف فيها عندنا .

وقال الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٣ ص ٣٦٤) : أحاديث الباب تدلّ على عدم شرعيَّة الأذان والإقامة في صَلاة العيدين ، قال العراقي : وعليه عمل العلماء كافّة . وقال ابن قدامة في المغني : ولا نعلم في هذا خلافاً ممّن يعتدُّ بخلافه .

وقد تضافرت الأخبار الدالّة على هدي الرسول الأعظم في صلاة العيدين ، وأنّه ﷺ صلّاها بغير أذان ولا إقامة ، وإليك جملة منها :

١ ـ عن جابر بن عبد الله : شهدت مع النبيّ ﷺ يوم العيد ، فبدأ بالصّلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، ثمّ قام متوكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وحثّ على الطاعة ، ووعظ الناس وذكّرهم ، ثمّ مضى حتى أتى النساء فوعظهنّ وذكّرهنّ .

[صحيح البخاري مختصراً ج ٢ ص ١١١ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٨ ، سنن النسائي ج ٣ ص ١٨٦ ، سنن الدارمي مختصراً ومفصلاً ج ١ ص ٣٧٥ ، ٣٧٧ ،

وأخرجه بلفظ قريب من هذا من طريق ابن عباس في ص ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ١٧٣] .

٢ ـ عن جابر بن سمرة : صلّيتُ مع النبيِّ ﷺ العيد غير مرّة ولا مرّتين بغير أذان ولا إقامة .

[صحيح مسلم ج ٣ ص ٢٩ ، سنن أبي داود ج ١ ص ١٧٩ ، جامع الترمذي ج ٣ ص ٤ ، مسند أحمد ج ٥ ص ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٧ بألفاظ شتّى ، سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٨٤ ، فتح الباري ج ٢ ص ٣٦٢] .

٣ ـ عن ابن عبّاس ، وجابر ، قالا : لم يكن يؤذّن يوم الفطر ولا يوم الأضحى .

[صحيح البخاري ج ٢ ص ١١١ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٩ ، جامع الترمذي ج ٣ ص ٤ ، المحلى لابن حزم ج ٥ ص ٨٥ ، سنن النسائي ج ٣ ص ١٨٢ ، سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٨٤] .

٤ ـ عن ابن عباس : إنَّ رسول الله ﷺ صلّى العيد بلا أذان ولا إقامة ، وأبا بكر وعمر أو عثمان . شكَّ يحيى .

[سنن أبي داود ج ١ ص ١٧٩ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٨٦ ، قال الزرقاني في شرح الموطأ ج ١ ص ٣٢٣ : اسناده صحيح] .

٥ ـ عن عبد الرَّحمٰن بن عابس ، قال : سأل رجل ابن عبّاس : أشهدت العيد مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ولولا منزلتي منه ما شهدته من الصغر ، فأتى رسول الله ﷺ العلَم الذي عند دار كثير بن الصلت ، فصلّى ثمّ خطب ، ولم يذكر أذاناً ولا إقامة .

[سنن أبي داود ج ١ ص ١٧٩]

٦ ـ عن عطاء أخبرني جابر : أن لا أذان لصلاة يوم الفطر حين يخرج الإمام ، ولا بعدما يخرج ، ولا إقامة ، ولا نداء ، ولا شيء لا نداء يومئذ ، ولا إقامة .

[صحيح مسلم ج ٣ ص ١٩]

٧ ـ عن عبد الله بن عمر : خرج رسول الله ﷺ في يوم عيد ، فصلّى بغير

أذان ، ولا إقامة .

[سنن النسائي حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري ج ٢ ص ٣٦٢ ، والزرقاني في شرح الموطأ ج ١ ص ٣٢٣] .

٨ ـ عن سعد بن أبي وقّاص : انَّ النبيَّ ﷺ صلّى بغير أذان ولا إقامة .

[أخرجَهُ البزَّار في مسنده كما في فَتحِ البَاري ج ٢ ص ٣٦٢ ، ونَيل الأوطار ج ٣ ص ٣٦٣] .

٩ ـ عن البراء بن عازب : إنَّ رسول الله ﷺ صلّى في يوم الأضحى بغير أذان ، ولا إقامة .

أخرجه الطبراني في الأوسط كما في (الفتح ج ٢ ص ٣٦٢ ، ونيل الأوطار ج ٣ ص ٣٦٣) .

١٠ ـ عن أبي رافع : إنَّ النبيّ ﷺ كان يخرج إلى العيد ماشياً بغير أذان ولا إقامة .

أخرجه الطبراني في الكبير كما في (نيل الأوطار ج ٣ ص ٣٦٤) .

١١ ـ عن عطاء : إنّ ابن عبّاس أرسل إلى ابن الزبير أوّل ما بويع له انّه لم يكن يؤذّن للصّلاة يوم الفطر ، فلا تؤذّن لها ، قال : فلم يؤذِّن لها ابن الزبير يومه .

[صحيح مسلم ج ٣ ص ١٩ ، صحيح البخاري ج ٢ ص ١١١]

هذه شريعة الله التي شرعها في صلاة العيدين ، واستمرَّ عليها العمل في دور النبوّة ، ولم تزل متَّبعة على عهد الشيخين ، وهلمَّ جرّاً ، حتّى أحدث رجل النفاق بدعته الشنعاء ، وأدخل في الدين ما ليس منه ، فكان مصيره ومصير بدعته ومَن عمل بها إلى النار ، وكان على الأُمّة منه يوم أسود عند حشرها ، كما كان منه عليها يوم أحمر في دنياها ، فأيُّ خليفة هذا يجرُّ على قومه الويلات في النشأتين جمعاء ؟ وهذه وما شابهها من بدع الرجل تنمّ عن تهاونه بالشريعة ، وعدم التزامه بسننها وفروضها ، وإنّما كان يعمل بما يرتئيه وتحبّذ له ميوله ، غير مكترث لمخالفته الدين ، متى وجد فيه حريجة من شهواته ، ومدخلاً من أهوائه ، فحسب أنَّ في تقديم الأذان دعوة إلى الإجتماع ، وملتمحاً للأُبّهة ، وعزب عنه أن دين الله لا

يُقاس بهذه المقاييس ، وإنّما هو منبعثٌ عن مصالح لا يعلم حقائقها إلاّ الله ، ولو كانت لتلك المزعمة مقيلٌ من الحقّ ، لجاء بها نبيُّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم فدع معاوية يتورَّط في سيئاته ، ويُهملج في تركاضه إلى الضَّلال ، والله يعلم منقلبه ومثواه .

٥ ـ يصلي معاوية الجمعة يوم الأربعاء :

إنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفّين ، فتعلّق به رجلٌ من دمشق فقال : هذه ناقتي أُخذت منّي بصفّين . فارتفع أمرهما إلى معاوية ، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنّها ناقته ، فقضى معاوية على الكوفي ، وأمره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفي : أصلحك الله إنّه جملٌ وليس بناقة ! فقال معاوية : هذا حكمٌ قد مضى ، ودسّ إلى الكوفيّ بعد تفرّقهم ، فأحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع إليه ضعفه وبرّه ، وأحسن إليه ، وقال له : أبلغ عليّاً أنّي أُقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرِّق بين الناقة والجمل .

ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى(صفين) الجمعة في يوم الأربعاء ، وأعاروه رؤوسهم عند القتال ، وحملوه بها ، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص : إنَّ عليّاً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ، ثمّ ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن عليّ سنّة ينشأ عليها الصغير ، ويهلك عليها الكبير[١] .

قال الأميني : اشتملت هذه الصحيفة السوداء على أشياء تجد البحث عن بعضها في طيّات كتابنا هذا ، كاتّخاذ لعن عليّ أمير المؤمنين سنّة يدأب عليها ، وكتأويل عمرو بن العاص قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار : تقتلك الفئة الباغية ، بأنَّ عليّاً عليه السلام هو الذي قتل عمّاراً لإلقائه بين سيوف القوم ورماحهم ، وكبيان ما يُعرب عن حال أصحاب معاوية ومبلغهم من العقل والدين ، وهذه كلمة معاوية ومعتقده فيهم ، وهو على بصيرة منهم ، وقد كان يستفيد من أُولئك الهمج بضؤولة عقليّتهم ، وخور نفسيّاتهم ، وبعدهم عن معالم الدين ، ونواميس الشريعة

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٢ .

المقدّسة ، فيجمعهم ، على قتال إمام الحقّ تارة وللشهادة بأنّه عليه السلام هو الذي قتل عثمان طوراً ، إلى موارد كثيرة من شهادات الزور التي كان يُغريهم بها ، كقصّة حجر بن عدي وأمثالها .

والذي يهمّنا هاهنا أوّلاً حكمه الباطل على ناقة ، لم تكن توجد هنالك ، وإنّما الموجود جمل قد شاهده ، وعلم به ، وأنّه خارجٌ عن موضوع الشهادة ، لكنّه نفّذ الحكم الباطل المبتني على خمسين شهادة ، زورٌ كلّها ، ويقول بملء فمه : هذا حكمٌ قد مضى ! والحقيقة غير عازبة عنه ، ويتبجّح أنّه يقابل إمام الهدى عليه السلام بمائة ألف من أُولئك الحمر المستنفرة ، لكنّه لم يقابل إمام الحقّ بهم فحسب ، وإنّما كان يقابل النبيّ الأعظم ، ودينه الأقدس ، وكتابه العزيز ، بتلكم الرعرعة الدهماء .

ويهمّنا ثانياً تغييره وقت صلاة الجمعة عند مسيره إلى صفّين ـ في تلك السفرة المحظورة التي أُنشأت على الضدّ من رضى الله ورسوله ـ إلى يوم الأربعاء ، وإلى الغاية لم يظهر لي سرُّ هذا التغيير ، هل نسي يوم الجمعة فحسب يوم الأربعاء أنّه يوم الجمعة ؟ ومن العجب أنّه لم يذكره أحدٌ من ذلك الجيش اللجب ، ولا ذكّره منهم أحد . أو أنّه كان يبهضه ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل يوم الجمعة ، وفضل ساعاته ، والأعمال الواردة فيه ، وقد اتّخذه هو صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون من بعده عيداً ، تمتاز به هذه الأُمّة عن بقيّة الأُمم ؟ وما كان ابن هند يستسهل أنْ يجري في الدنيا سنّة للنبيّ متّبعة ، لم يولها إخلالاً وعيثاً ، فبدر إلى ذلك التبديل عتوّاً منه ، وما أكثر عبثه بالدين ، وحيفه بالمسلمين .

ولعلّه اختار يوم الأربعاء لما ورد فيه من أنّه أثقل الأيّام ، يوم نحس مستمر(١) فأراد أن يرفع النحوسة بصلاة الجمعة ، ولم يعبأ باستلزام ذلك تغيير سنّة الله التي لا تبديل لها ، والجمعة سيّد الأيّام خير يوم طلعت عليه الشمس(٢) .

وبهذا وأمثاله يُستهان بما يؤثر عن الرَّجل من تقديم وقت الجمعة إلى

---

(١) راجع ثمار القلوب : ص ٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٢) أخرجه الحاكم ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو داود .

الضحى[١] ووقتها المضروب لها في شريعة الإسلام الزوال لا غيره ، وهي بدل الظهر ، ووقتها وقتها وهذه سنّة رسول الله ﷺ الثابتة المتّبعة ، فعن سلمة بن الأكوع قال : كنّا نجمع مع النبيّ ﷺ إذا زالت الشمس ، ثم نرجع نتّبع الفيء[٢] .

وعن سلمة أيضاً قال : كنّا نصلّي مع النبيّ ﷺ يوم الجمعة ، وليس للحيطان فيءٌ يستظل به[٣] .

وعن جابر بن عبد الله لمّا سُئل متى كان رسول الله ﷺ يصلّي الجمعة ؟ قال : كان يصلّي ، ثمّ نذهب إلى جمالنا لنريحها حين تزول الشمس[٤] .

وعن أنس بن مالك قال : إنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي الجمعة حين يميل الشمس[٥] .

وعن الزبير بن العوام قال : كنا نصلّي مع رسول الله ﷺ الجمعة ثمَّ نبتدر الفيء ، فما يكون إلّا موضع القدم أو القدمين . وفي رواية أبي معاوية : ثمَّ نرجع فلا نجد في الأرض من الظلّ إلّا موضع أقدامنا[٦] .

وقال البخاري في صحيحه : باب وقت الجمعة إذا زالت الشمس ، وكذلك روي عن عمر ، وعلي ، والنعمان بن بشير ، وعمرو بن حُريث ، رضي الله عنهم .

وقال البيهقي في (سننه الكبرى ج ٣ ص ١٩١) : ويذكر هذا القول عن عمر ، وعليّ ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وعمرو بن حُريث ، أعني في وقت الجمعة إذا زالت الشمس .

---

(١) راجع فتح الباري ج ٢ ص ٣٠٩ ، نيل الأوطار ج ٣ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .
(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ٩ ، سنن البيهقي ج ٣ ص ١٩٠ ، نصب الراية ج ٢ ص ١٩٥ .
(٣) صحيح مسلم ج ٣ ص ٩ ، سنن البيهقي ج ٣ ص ١٩١ .
(٤) مسند أحمد ، سنن النسائي ، صحيح مسلم ج ٣ ص ٨ ، ٩ ، سنن البيهقي ج ٣ ص ١٩٠ ، المحلى ج ٥ ص ٤٤ .
(٥) صحيح البخاري ، مسند أحمد ، سنن أبي داود ، سنن النسائي ، سنن البيهقي ج ٣ ص ١٩٠ نصب الراية ج ٢ ص ١٩٥ .
(٦) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٩١ .

وقال ابن حزم في (المحلّى ج ٥ ص ٤٢) : الجمعة هي ظهر يوم الجمعة ، ولا يجوز أن تصلّى إلاّ بعد الزّوال ، وآخر وقتها آخر وقت الظهر في سائر الأيّام .

وقال ابن رشد في (البداية ج ١ ص ١٥٢) : أمّا الوقت فإنَّ الجمهور على أنَّ وقتها وقت الظهر بعينه ، أعني وقت الزّوال ، وانّها لا تجوز قبل الزّوال ، وذهب قومٌ إلى أنّه يجوز أن تصلّى قبل الزّوال ، وهو قول أحمد بن حنبل .

وقال النووي في (شرح صحيح مسلم)[١] بعد سرد بعض أحاديث الباب : قال مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وجماهير العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم : لا تجوز الجمعة إلاّ بعد زوال الشمس ، ولم يخالف في هذا إلاّ أحمد بن حنبل ، وإسحاق ، فجوّزاها قبل الزّوال ، قال القاضي : ورُوي في هذا أشياء عن الصحابة ، لا يصحّ منها شيءٌ إلاّ ما عليه الجمهور .

وقال القسطلاني : هو مذهب عامّة العلماء ، وذهب أحمد إلى صحّة وقوعها قبل الزّوال ، متمسّكاً بما روي عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي الله عنهم ، أنّهم كانوا يصلّون الجمعة قبل الزّوال من طريق لا تثبت[٢]

طرق ما تمسّك به أحمد تنتهي إلى عبد الله بن سيدان السّلمي ، زيّفها الحفّاظ لمكان ابن سيدان قال الزيلعي في (نصب الراية ج ٢ ص ١٩٦) : فهو حديثٌ ضعيفٌ . وقال النووي في الخلاصة : اتّفقوا على ضعف ابن سيدان . وقال ابن حجر في (فتح الباري ج ٢ ص ٣٠٩) : إنّه تابعيٌّ كبيرٌ ، إلاّ أنّه غير معروف العدالة ، قال ابن عدي: شبه المجهول وقال البخاري : لا يتابع على حديثه ، بل عارضه ما هو أقوى منه . ثمّ ذكر من عمل أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، على خلاف حديث ابن سيدان ، بأسانيد صحيحة .

فالسنّة الثابتة في توقيت الجمعة هي السنّة المتّبعة في صلاة الظهر ، وإقامة معاوية الجمعة في الضحى ، خروجٌ عن سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهديه ، وشذوذٌ عن سيرة السلف ، كشذوذه في بقيّة أفعاله ، وتروكه .

---

(١) هامش إرشاد الساري ج ٤ ص ١٦٢ .

(٢) إرشاد الساري ج ٢ ص ١٦٤ .

٦ ـ أُحدوثة الجمع بين الأُختين :

أخرج ابن المنذر عن القاسم بن محمّد : إنَّ حيّاً سألوا معاوية عن الأُختين ممّا ملكت اليمين يكونان عند الرَّجل يطؤهما ؟ قال : ليس بذلك بأسٌ ، فسمع بذلك النعمان بن بشير ، فقال : أفتيت بكذا وكذا ؟ قال : نعم . قال : أرأيت لو كان عند الرَّجل اخته مملوكته يجوز له أن يطأها . قال : أما والله لربما وددتني أدرك ، فقل لهم : اجتنبوا ذلك ، فإنّه لا ينبغي لهم . فقال : إنَّما الرحم من العتاقة وغيرها[1] .

قال الأميني : هذا الباب المرتج فتحه عثمان كما أسلفنا تفصيله في (الجزء الثامن ص ٢٦٢ ـ ٢٧٢) وقد عُدَّ ذلك من أحداثه ، ولم يوافقه عليه أحدٌ من السَّلف والخلف ، ممّن يُعبأ به وبرأيه ، حتّى جاء معاوية معلِّياً على ذلك البنيان المتضعضع ، معلّياً بما شذّ عن الدين الحنيف ، أخذاً بأُحدوثة ابن عمِّه ، صفحاً عن كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أتينا هنالك في بطلانه ، بما لم يبق معه في القوس منزع .

٧ ـ أُحدوثة معاوية في الديَّات :

أخرج الضحّاك في (الديات ص ٥٠) : من طريق محمّد بن إسحاق ، قال : سألت الزهري قلت: حدّثني عن دية الذمّي ، كم كانت على عهد رسول الله ﷺ ؟ قد اختلف علينا فيها . فقال : ما بقي أحدٌ بين المشرق والمغرب أعلم بذلك منّي ، كانت على عهد رسول الله ألف دينار وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، حتّى كان معاوية ، أعطى أهل القتيل خمسمائة دينار ، ووضع في بيت المال خمسمائة دينار .

وفي لفظ البيهقي في (سننه ج ٨ ص ١٠٢) : كانت دية اليهود والنصارى في زمن النبيِّ ﷺ مثل دية المسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان رضي الله عنهم ،

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٣٧ .

فلمّا كان معاوية ، أعطى أهل المقتول النصف ، وألقى النصف في بيت المال ، قال : ثمَّ قضى عمر بن عبد العزيز في النصف ، وألغى ما كان جعل معاوية .

وفي (الجوهر النقيّ) : ذكر أبو داود في مراسيله بسند صحيح ، عن ربيعة بن أبي عبد الرَّحمن ، قال : كان عقل الذمّي مثل عقل المسلم في زمن رسول الله ، وزمن أبي بكر وزمن عمر ، وزمن عثمان ، حتّى كان صدراً من خلافة معاوية ، فقال معاوية : إنْ كان أهله أُصيبوا به ، فقد أُصيب به بيت مال المسلمين ، فاجعلوا لبيت مال المسلمين النصف ، ولأهله النصف ، خمسمائة دينار ، ثمّ قتل رجلٌ من أهل الذمّة . فقال معاوية : لو أنّا نظرنا إلى هذا الذي يدخل بيت المال، فجعلناه وضيعاً عن المسلمين ، وعوناً لهم ، قال لمن هناك: وضع عقلهم إلى خمسمائة .

وقال ابن كثير في (تاريخه ج ٨ ص ١٣٩) : قال الزهري : مضت السنّة انّ دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية أوّل من قصّرها إلى النصف وأخذ النصف .

قال الأميني : تقدّم في (الجزء الثامن : ص ٢١٤) : إنّ دية الذميّ في دور النبوّة لم يكن ألفاً كما حسبه الزهري ، ولم يذهب إليه أحدٌ من أئمّة المذاهب إلاّ أبا حنيفة وإنَّ أوّل مَن جَعلها ألفاً هو عثمان ، وعلى أيِّ حالٍ فما ارتكبه معاوية فيه بدعٌ ثلاث :

١ ـ أخذ الدية ألفاً .
٢ ـ تنصيفه بين ورثة المقتول ، وبيت المال .
٣ ـ وضعه حصّة بيت المال أخيراً إنْ كانت الألف سنَّة ، ولبيت المال فيها حقّ .

فمرحىً بخليفة يجهل حكماً واحداً من الشريعة من شتّى نواحيه ، أو : يعلمه لكنَّه يتلاعب به كيفما حبّذته له ميوله ، وهو لا يقيم للحكم الإلٰهي وزناً ، ولا يرى لِلّه حدوداً لا يتجاوزها ، ويقول : لو أنّا نظرنا . إلخ . ولا يبالي بما تقوَّل على الله ، ولا يكترث لمغبّة ما أحدثه في الدين ، وفي الذكر الحكيم قوله تعالىٰ : **﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثمّ لقطعنا منه الوتين﴾**[1] .

(١) سورة الحاقة ؛ الآيات : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

٨ ـ ترك التكبير المسنون في الصّلوات :

أخرج الطبراني ، (وفي نيل الأوطار : الطبري) ، عن أبي هريرة : إنَّ أوَّل من ترك التكبير معاوية ، وروى أبو عبيد : إنَّ أوَّل من تركه زياد .

وأخرج ابن أبي شيبة ، من طريق سعيد بن المسيب أنَّه قال : أوَّل من نقّص التكبير معاوية(١) .

قال ابن حجر في (فتح الباري ج ٢ ص ٢١٥) : هذا لا ينافي الذي قبله ، لأنَّ زياداً تركه بترك معاوية . وكان معاوية تركه بترك عثمان(٢) ، وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء .

وفي (الوسائل إلى مسامرة الأوائل ص ١٥) : أوَّل من نقّص التكبير معاوية كان إذا قال : سمع الله لمن حمده . انحطّ إلى السجود ، فلم يكبّر ، وأسنده العسكري ، عن الشعبي ، وأخرج ابن أبي شيبة ، عن إبراهيم قال : أوّل من نقّص التكبير زياد .

وفي (نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٢٦٦) : هذه الروايات غير متنافية ، لأنَّ زياداً تركه بترك معاوية ، وكان معاوية تركه بترك عثمان ، وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء ، وحكى الطحاوي : إنَّ بني أُميّة كانوا يتركون التكبير في الخفض دون الرفع ، وما هذه بأوّل سنّة تركوها .

وأخرج الشافعي في كتابه (الأُمّ ج ١ ص ٩٣) من طريق أنس بن مالك ، قال : صلّى معاوية بالمدينة صلاة ، فجهر فيها بالقراءة فقرأ : بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم لأُمّ القرآن ، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها ، حتى قضى تلك القراءة ، ولم يكبّر حين يهوي حتى قضى تلك الصّلاة ، فلمّا سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين من كلّ مكان : يا معاوية ! أسرقت الصّلاة أم نسيت ؟ فلمّا صلّى بعد ذلك قرأ بسم الله

---

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٢١٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٣٤ ، نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٦٦ ، شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٤٥ .

(٢) أخرج حديثه أحمد في (مسنده) من طريق عمران ، كما يأتي في المتن بُعَيْد هذا .

الرَّحمٰن الرَّحيم للسورة التي بعد امّ القرآن ، وكبّر حين يهوي ساجداً .

وأخرج في كتاب (الأُمّ ج ١ ص ٩٤) . من طريق عبيد بن رفاعة : إنَّ معاوية قدم المدينة فصلّى بهم ، فلم يقرأ ببسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم ، ولم يكبر إذا خفض ، وإذا رفع ، فناداه المهاجرون حين سلّم والأنصار : أن يا معاوية ! سرقت صلاتك ؟ أين بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم ؟ وأين التكبير إذا خفضت ، وإذا رفعت ؟ فصلّى بهم صلاة أُخرى ، فقال : ذلك فيما الذي عابوا عليه .

وأخرجه من طريق أنس صاحب «الإنتصار» كما في (البحر الزخّار ج ١ ص ٢٤٩) .

قال الأميني : تنمّ هذه الأحاديث عن أنّ البسملة لم تزل جزءاً من السورة منذ نزول القرآن الكريم ، وعلى ذلك تمرّنت الأُمّة ، وانطوت الضمائر ، وتطامنت العقائد ، ولذلك قال المهاجرون والأنصار لمّا تركها معاوية : إنّه سرق ، ولم يتسنّ لمعاوية أن يعتذر لهم بعدم الجزئيَّة ، حتى التجأ إلى إعادة الصَّلاة مكلّلة سورتها بالبسملة ، أو إنَّه التزم بها في بقيَّة صلواته ، ولو كان هناك يومئذ قولٌ بتجرد السورة عنها لاحتجَّ به معاوية ، لكنّه قول حادث ابتدعوه لتبرير عمل معاوية ونظرائه من الأمويّين الذين اتّبعوه بعد تبيّن الرشد من الغيّ .

وأمّا التكبير عند كلّ هويّ وانتصاب ، فهي سنّة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عرفها الصحابة كافّة ، فأنكروا على معاوية تركها ، وعليها كان عمل الخلفاء الأربعة ، واستقرَّ عليها إجماع العلماء ، وهي مندوبةٌ عندهم ، عدا ما يؤثر عن أحمد في إحدى الروايتين عنه من وجوبها ، وكذلك عن بعض أهل الظاهر ، وإليك جملة ممّا ورد في المسألة :

١ ـ عن مطرف بن عبد الله ، قال : صلّيت خلف عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنا وعمران بن حصين ، فكان إذا سجد كبّر ، وإذا رفع رأسه كبّر ، وإذا نهض من الركعتين كبّر ، فلمّا قضى الصَّلاة ، أخذ بيدي عمران بن حصين ، فقال : قد ذكّرني هذا صلاة محمّد ، أو قال : لقد صلّى بنا صلاة محمّد ﷺ .

وفي لفظ لأحمد : قال عمران : ما صلّيت منذ حين . أو قال : منذ كذا كذا

أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذه الصَّلاة . صلاة عليّ .

وفي لفظ آخر له : عن مطرف ، عن عمران قال : صلّيت خلف عليّ صلاةً ذكّرني صلاةً صلّيتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين ، قال : فانطلقت فصلّيت معه ، فإذا هو يكبّر كلّما سجد ، وكلّما رفع رأسه من الركوع ، فقلت : يا أبا نجيد مَن أوّل من تركه ؟ قال عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، حين كبر ، وضعف صوته ، تركه .

[صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٧ ، ٧٠ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٨ ، سنن أبي داود ج ١ ص ١٣٣ ، سنن النسائي ج ٢ ص ٢٠٤ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، البحر الزخّار ج ١ ص ٢٥٤] .

٢ ـ عن أبي هريرة أنّه كان يصلّي بهم ، فيكبّر كلّما خفض ورفع ، فإذا انصرف قال : إنّي لأشبهكم صلاة برسول الله . وفي لفظ للبخاري : فلم تزل تلك صلاته حتّى لقي الله .

[راجع صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٧ بعدّة طرق وألفاظ ، سنن النسائي ج ٢ ص ١٨١ ، ٢٣٥ ، سنن أبي داود ج ١ ص ١٣٣ ، سنن الدارمي ج ١ ص ٢٨٥ ، المدوّنة الكبرى ج ١ ص ٧٣ ، نصب الراية ج ١ ص ٣٧٢ ، البحر الزخّار ج ١ ص ٢٥٥] .

٣ ـ عن عكرمة ، قال : رأيت رجلاً عند المقام يكبّر في كلّ خفض ورفع ، وإذا قام ، وإذا وضع ، فأخبرت ابن عبّاس ، رضي الله عنه ، قال : أو ليس تلك صلاة النبيّ ﷺ لا أُمّ لك ! .

وفي لفظ : عن عكرمة : صلّيت خلف شيخ بمكّة ، فكبّر ثنتين وعشرين تكبيرة ، فقلت لإبن عبّاس : إنّه أحمق فقال : ثكلتك أُمّك سنّة أبي القاسم ﷺ .

[صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ ، مسند أحمد ج ١ ص ٢١٨ ، البحر الزخّار ج ١ ص ٢٥٥]

قال الأميني : يظهر من هذه الرواية أنّ تغيير الأمويّين هذه السنّة الشّريفة ، وفي مقدّمهم معاوية ، كان مطّرداً بين الناس ، حتى كادوا أنْ ينسوا السنّة ، فحسبوا مَن ناء بها أحمقاً ، أو تعجّبوا منه ، كأنّه أدخل في الشريعة ما ليس منها ، كلّ ذلك

من جرّاء ما اقترفته يدا معاوية وحزبه الأثيمتان ، وجنحت إليه ميولهم وشهواتهم ، فبُعداً لأولئك القصيّين عمّا جاء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ ـ عن عليّ ، وابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي سعيد الخدري ، وغيرهم : إنّ النبيّ ﷺ كان يكبّر عند كلّ خفض ورفع .

[صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٠ ، سنن الدارمي ج ١ ص ٢٨٥ ، سنن النسائي ج ٢ ص ٢٠٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، المدوّنة الكبرى ج ١ ص ٧٣ ، نصب الراية ج ١ ص ٣٧٢ ، بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٠٧ ، منتقى الأخبار لابن تيميّة ، البحر الزخّار ج ١ ص ٢٥٤] .

٥ ـ أخرج أحمد ، وعبد الرزّاق ، والعقيلي ، من طريق عبدالرَّحمٰن بن غنم ، قال : إنَّ أبا مالك الأشعري [الصحابيّ الشهير بكنيته] قال لقومه : قوموا حتى أُصلّي بكم صلاة النبيّ ﷺ ، فصففنا خلفه وكبّر . إلى آخر الحديث المذكور بطوله في (ج ٨ ص ٢٢٠) ، وفيه : إنّه كبّر في كلّ خفض ورفع .

٦ ـ عن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب : كان رسول الله ﷺ يكبّر كلما خفض ورفع ، فلم تزل تلك صلاته حتى قبضه الله .

[المدوّنة الكبرى ج ١ ص ٧٣ ، نصب الراية ج ١ ص ٣٧٢]

٧ ـ في (المدوّنة الكبرىٰ ج ١ ص ٧٢) : إنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمّاله ، يأمرهم أن يكبّروا كلّما خفضوا ورفعوا في الركوع والسجود ، إلاَّ في القيام من التَشهّد بَعد الركعتين ، لا يكبّر حتّى يستوي قائماً ، مثل قول مالك .

هذه سنّة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تكبير الصَّلوات ، عند كلِّ هويّ وانتصاب ، وبها أخذ الخلفاء ، وإليها ذهبت أئمّة المذاهب ، وعليها استقرَّ الإجماع ، غير أنّ معاوية يقابلها بخلافها ، ويغيرها برأيه ، ويتّخذ الامويّون أُحدوثته سنّة متّبعة ، تجاه ما جاء به نبيُّ الإسلام .

قال ابن حجر في (فتح الباري ج ٢ ص ٢١٥) : استقرَّ الأمر على مشروعيّة التكبير في الخفض والرفع ، لكلّ مصلٍّ ، فالجمهور على ندبيّة ما عدا تكبيرة الإحرام ، وعن أحمد وبعض أهل العلم بالظاهر يجب كلّه .

وقال في (ص ٢١٦) : أشار الطحاوي إلى أنّ الإجماع استقرّ على أنَّ مَن

تركه فصلاته تامّة ، وفيه نظر لما تقدّم عن أحمد ، والخلاف في بطلان الصّلاة بتركه ثابتٌ في مذهب مالك ، إلَّا أنْ يريد إجماعاً سابقاً .

وقال النووي في (شرح مسلم) : إعلم أنّ تكبيرة الإحرام واجبةٌ ، وما عداها سنّة لو تركه صحّت صلاته ، لكن فاتته الفضيلة ، وموافقة السنّة ، هذا مذهب العلماء كافّة إلَّا أحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم ، في إحدى الروايتين عنه إنّ جميع التكبيرات واجبة .

وقال الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٦٥) : حكى مشروعيَّة التكبير في كلّ خفض ورفع عن الخلفاء الأربعة وغيرهم ، ومن بعدهم من التّابعين ، قال : وعليه عامّة الفقهاء والعلماء ، وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وجابر ، وقيس بن عباد ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، والثوري ، والأوزاعي ، ومالك ، وسعيد بن عبد العزيز ، وعامّة أهل العلم ، وقال البغوي في (شرح السنّة) : اتّفقت الأمّة على هذه التكبيرات .

وعن ابن عبد البرّ في (شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٤٥) : وقد اختلف في تاركه فقال ابن القاسم : إن أسقط ثلاث تكبيرات سجد لسهوه ، وإلَّا بطلت ، وواحدة او إثنتين سجد أيضاً ، فإنْ لم يسجد فلا شيء عليه ، وقال عبد الله بن عبد الحكم وأصبغ : إنْ سها سجد فإنْ لم يَسجد فلا شيء عليه ، وعَمداً أساء ، وصلاته صحيحة ، وعلى هذا فقهاء الأمصار من الشافعيين ، والكوفيين ، وأهل الحديث ، والمالكيّين ، إلَّا مَن ذهب منهم مذهب ابن القاسم .

٩ ـ ترك التلبية خلافاً لعليّ (ع) :

أخرج النسائي في (سننه ج ٥ ص ٢٥٣) ، والبيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ١١٣) : من طريق سعيد بن جبير قال : كان ابن عبّاس بعرفة فقال : يا سعيد ! ما لي لا أسمع الناس يلبّون ؟ فقلت : يخافون معاوية . فخرج ابن عبّاس من فسطاطه فقال : لبّيك اللَّهُمَّ لبيك ، وإن رغم أنف معاوية ، اللَّهُمَّ العنهم فقد تركوا السنّة من بغض عليّ .

وقال السندي في تعليق سنن النسائي : (من بغض عليّ) أي لأجل بغضه ،

أي وهو كان يتقيَّد بالسنن ، فهؤلاء تركوها بغضاً له .

وفي (كنـز العمّال) : عن ابن عبّـاس قال : لعن الله فـلاناً إنّـه كان ينهى عن التلبية في هذا اليوم يعني يوم عرفة ، لأنَّ عليّاً كان يلبّي فيه (ابن جرير) .

وفي لفظ أحمـد في (المسند ج ١ ص ٢١٧) : عن سعيـد بن جبير ، قـال : أتيت ابن عبّاس بعرفة ، وهو يأكل رمّاناً ، فقـال : أفطر رسـول الله بعرفـة ، وبعثت إليـه أُمّ الفضل بلبن فشـربه . وقـال : لعن الله فلانـاً ، عمدوا إلى أعـظم أيّام الحجّ فمحوا زينته ، وإنّما زينة الحجِّ التلبية . وحكـاه في (كنز العمّـال) : عن ابن جريـر الطبري .

وفي (تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣٠) : من طريق صحيح ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد ، عن ابن عبّاس ، أنّه ذكر معاوية ، وأنّه لبّى عشيّة عرفة ، فقال فيه قولاً شديداً ، ثمّ بلغه أنّ عليّاً لبّى عشيّة عرفة فتركه .

وقال ابن حزم في (المحلّى ج ٧ ص ١٣٦) : كان معاوية ينهى عن ذلك .

قال الأميني : إنّ السنّة المسلّمة عند القـوم ، استمرار التلبيـة إلى رمي جمرة العقبة ، أوّلها أو آخرها على خلاف فيه . وإليك ما يؤثر منها عندهم :

١ ـ عن الفضل : أفضت مع النبيِّ ﷺ من عرفات ، فلم يزل يلبّي حتّى رمى جمرة العقبة ، ويكبّر مع كلّ حصاة ، ثمَّ قطع التلبية مع آخـر حصـاة . وفي لفظ : لم يزل يلبّي حتّى بلغ الجمرة .

(صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٩ ، صحيـح مسلم ج ٤ ص ٧١ ، صحيح التـرمذي ج ٤ ص ١٥٠ ، قال : وفي الباب عن عليّ ، وابن مسعود ، وابن عبّاس ، سنـن النسائي ج ٥ ص ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، سنن ابن مـاجـة ج ٢ ص ٢٤٤ ، سنـن أبي داود ج ١ ص ٢٨٧ ، سنن الـدارمي ج ٢ ص ٦٢ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١١٢ ، ١١٩ ، كتـاب الأمّ ج ٢ ص ١٧٤ وقـال : وروى ابن مسعود عن النبيِّ مثله . (اهـ) . مسنـد أحمد ج ١ ص ٢٢٦ ، وأخرجه ابن خزيمة وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ مفسِّـرٌ لما أبهم في الـروايات الأخـرى[1] وقال التـرمذي : والعمـل على هـذا عنـد أهـل العلم من أصحـاب النبيِّ ﷺ وغيرهم) .

---

(١) نيل الأوطار ج ٥ ص ٥٥ .

٢ ـ عن جابر بن عبد الله وأسامة ، وابن عبّاس : إنَّ رسول الله ﷺ لزم التلبية ، ولم يقطعها حتّى رمى جمرة العقبة .

[راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٤٤ ، المحلّى ج ٧ ص ١٣٦ ، بدائع الصنائع ج ٢ ص ١٥٦] .

٣ ـ عن عبد الرَّحمٰن بن يزيد : إنَّ عبد الله بن مسعود لبّى حين أفاض من جمع ، فقيل له : عن أيّ هذا ؟ «وفي لفظ مسلم : فقيل : أعرابيّ هذا » فقال : أنسي الناس أم ضلّوا ؟ سمعت الذي أُنزلت عليه سورة البقرة ، يقول في هذا المكان : لبّيك اللَّهُمَّ لبيك .

[راجع صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦٣ . وفي ط ٤ : ٧١ ، ٧٢ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١٢٢ ، المحلّى ج ٧ ص ١٣٥ وصحّحه ، ورواه الطحاوي بإسناد صحيح كما في فتح الباري ج ٣ ص ٤٢٠ ، بدائع الصنائع ج ٢ ص ١٥٤] .

٤ ـ عن كُريب مولى ابن عبّاس : إنّ ميمونة أُمّ المؤمنين لبّتْ حين رَمَت الجمرة .

[كتاب الأُمّ ج ٢ ص ١٧٤ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١١٣ ، المحلّى ج ٧ ص ١٣٦]

٥ ـ عن ابن عبّاس : تلبّي حتى تأتي حرمك إذا رميت الجمرة .

[سنن البيهقي ج ٥ ص ١١٣]

٦ ـ عن ابن عبّاس أيضاً : سمعت عمر يلبّي غداة المزدلفة .

[المحلّى لابن حزم ج٧ ص ١٣٦]

٧ ـ عن ابن عبّاس أيضاً : سمعت عمر بن الخطاب يهلّ ، وهو يرمي جمرة العقبة ، فقلت له : فيما الإهلال يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وهل قضينا نسكنا بعدُ ؟ .

[كتاب الأُمّ مختصراً ج ٢ ص ١٧٤ ، سنن البيهقي ج ٥ ص ١١٣ ، المحلّى ج ٧ ص ١٣٦]

٨ ـ عن ابن عبّاس أيضاً : حججت مع عمر إحدى عشرة حجّة ، وكان يلبّي حتى يرمي الجمرة .

أخرجه سعيد بن منصور كما في (فتح الباري ج ٣ ص ٤١٩) .

٩ ـ عن ابن عبّاس أيضاً : التلبية شعار الحجّ ، فإن كنت حاجّاً فلبِّ حتى بدء حلّك ، وبدء حلّك أنْ ترمي جمرة العقبة .

أخرجه ابن المنذر بإسناد صحيح كما في (فتح الباري ج ٣ ص ٤١٩) .

١٠ ـ عن ابن مسعود : لا يمسك الحاج عن التلبية حتّى يرمي جمرة العقبة .
[المحلّى لابن حزم ج ٧ ص ١٣٦]

١١ ـ عن الأسود بن يزيد : انّه سمع عمر بن الخطاب يلبّي بعرفة .
[سنن البيهقي ج ٥ ص ١١٣ ، المحلّى ج ٧ ص ١٣٦]

١٢ ـ أخرج إبن أبي شيبة من طريق عكرمة يقول : أهلّ رسول الله ﷺ حتّى رمى الجمرة ، وأبو بكر ، وعمر .

[المحلّى ج ٧ ص ١٣٦]

١٣ ـ عن أنس بن مالك في الجواب عن التلبية يوم عرفة : سرت هذا المسير مع النبيِّ ﷺ وأصحابه ، فمنّا المكبّر ، ومنا المهلّ ، ولا يعيب أحدنا على صاحبه .

[صحيح مسلم ج ٤ ص ٧٣]

١٤ ـ عن عائشة، كانت تلبّي بعد عرفة .
[المحلّى ج ٧ ص ٣٦]

١٥ ـ عن عبد الرَّحمٰن الأسود : إن أباه صعد إلى ابن الزبير المنبر ، يوم عرفة ، فقال له : ما يمنعك أن تهلّ ؟ فقد رأيت عمر في مكانك هذا يهلّ . فأهلّ ابن الزبير .

[المحلّى لابن حزم ج ٧ ص ١٣٦]

١٦ ـ عن مولانا أمير المؤمنين إنّه لبّى حتى رمى جمرة العقبة .
[المحلّى ج ٧ ص ١٣٦]

١٧ ـ عن مولانا عليّ أيضاً : إنّه لبّى في الحجّ ، حتّى إذا زاغت الشمس من يوم عرفة ، قطع التلبية .

[أخرجه مالك في الموطأ ج ١ ص ٢٤٧ ، وقال : وذلك الأمر الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا . وذكره صاحب البحر الزخّار ج ٢ ص ٣٤٢] . .

١٨ ـ عن عكرمة : كنت مع الحسين بن علي عليه السلام فلبّى حتّى رمى جمرة العقبة .

هذه هي السنّة المتسالم عليها عند القوم ، وبها أخذت أئمّة الفقه والفتوى ، قال ابن حزم في (المحلّى ج ٧ ص ١٣٥) : لا يقطع التلبية إلاّ مع آخر حصاة من جمرة العقبة ، فإنّ مالكاً قال : يقطع التلبية إذا نهض إلى عرفة ، ثمَّ زيّف أدلّة مالك ، وأنت سمعت قول مالك قُبيل هذا ، وإنّه يخالف ما عزاه إليه ابن حزم .

وقال في (ص ١٣٦) : لا يقطعها حتى يرمي الجمرة ، وهو قول أبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبي سليمان .

وقال ملك العلماء في (البدائع ج ٢ ص ١٥٤): لا يقطع التلبية ، وهذا قول عامّة العلماء ، وقال مالك : إذا وقف بعرفة يقطع التلبية ، والصحيح قول العامّة .

وقال ابن حجر في (فتح الباري ج ٣ ص ٤١٩) : وباستمرارها قال الشافعي ، وأبو حنيفة ، والثوري ، وأحمد ، وإسحاق ، وأتباعهم .

وفي (نيل الأوطار ج ٥ ص ٥٥) : إنَّ التلبية تستمرّ إلى رمي جمرة العقبة ، وإليه ذهب الجمهور .

هذا ما تسالمت عليه الأُمّة سلفاً وخلفاً ، لكن معاوية جاء متهاوناً بالسنّة لمحض أن عليّاً عليه السلام كان ملتزماً بها ، فحدته بغضاؤه إلى مضادّته ، ولو لزمت مضادّة السنّة ، ومحو زينة الحجّ ، هذه نظريّة خليفة المسلمين فيما حسبوه ، وهذا مبلغه من الدين ومبوّأه من الأخذ بسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، فلهفي على المسلمين من متغلّب عليهم بإسم الخلافة ! .

وإنّي لست أدري أكان من السائغ الجائز لعن ابن عبّاس وهو محرمٌ في ذلك الموقف العظيم ، في مثل عرفة ، اليوم المشهود ، معاوية باغض عليّ أمير المؤمنين ، ومناوئه ، تارك سنّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ هلاّ كان حبر الأُمّة يعلم أنَّ الصحابة

كلّهم عدول ؟ أو انّ الصحابيّ كائناً من كان لا يجوز سبّه ؟ أو انّ معاوية مجتهدٌ ، وللمخطىء من المجتهدين أجرٌ واحد ؟ أنا لا أدري ، غير أنَّ ابن عبّاس لا يقول بالتافه ولا يخبت إلى الخرافة .

وما أظلم معاوية الجاهل بأحكام الله ! فإنّه يخالف هاهنا عليّاً عليه السلام وهو بكلّه حاجة وافتقار إلى علم الإمام الناجع ، قال سعيد بن المسيّب : إنَّ رجلاً من أهل الشام وجد رجلاً مع امرأته فقتله وقتلها ، فأشكل على معاوية الحكم فيه ، فكتب إلى أبي موسى ليسأل له عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، فقال له عليٌّ رضي الله عنه : هذا شيءٌ ما وقع بأرضي عزمت عليك لتخبرنّي ! فقال له أبو موسى : إنَّ معاوية كتب إليّ به أن أسألك فيه . فقال عليٌّ رضي الله عنه : أنا أبو الحسن إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمّته[١] .

[أخرجه مالك في الموطأ ج ٢ ص ١١٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٣١ ، تيسير الوصول ج ٤ ص ٧٣]

لفت نظر :

هذه النزعة الأمويّة الممقوتة، بقيت موروثة عند من تولّى معاوية ، جيلاً بعد جيل ، فترى القوم يرفعون اليد عن السنّة الثابتة ، خلافاً لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، أو إحياء لما سنّته يد الهوى تجاه الدين الحنيف . كما كان معاوية يفعل ذلك إحياءً لما أحدثه خليفة بيته الساقط تارة ، كما مرَّ في الإتمام في السَّفر ، ومواضع أُخرى ، وخلافاً للإمام آونةً كما في التلبية ، وغيرها .

قال الشيخ محمّد بن عبد الرّحمٰن الدمشقي في كتاب (رحمة الأُمّة في اختلاف الأئمّة المطبوع بهامش (الميزان للشعراني ج ١ ص ٨٨) : السنّة في القبر التسطيح ، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي . وقال أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد : التسنيم أولى لأنَّ التسطيح صار شعاراً للشيعة .

وقال الغزالي ، والماوردي : إنَّ تسطيح القبور هو المشروع لكن لمّا جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم .

---

(١) الرمة : الحبل الذي يقاد به الجاني .

وقال مصنِّف «الهداية» من الحنفيّة : إنَّ المشـروع التختّم في اليمين ، ولكن لمّا اتَّخذته الرافضة ، جعلناه في اليسار (اهـ) .

وأوّل من اتّخذ التختّم باليسار خلاف السنّة هو معاوية ، كما في (ربيع الأبرار للزمخشري) .

وقال الحافظ العراقي في بيان كيفيّـة إسدال طـرف العمامـة : فهل المشـروع إرخاؤه من الجانب الأيسر ، كما هو المعتاد ، أو الأيمن لشرفه ؟ لم أر مـا يدلّ على تعيين الأيمن إلاَّ في حديث ضعيف عند الطبراني ، وبتقدير ثبوته فلعلّه كان يرخيهـا من الجـانب الأيمن ، ثمّ يردُّهـا إلى الجانب الأيسـر ، كما يفعله بعضهـم ، إلاَّ أنّـه صار شعاراً للإماميّة فينبغي تجنّبه لترك التشبّه بهم .

[شرح المواهب للزرقاني ج ٥ ص ١٣]

وقال الزمخشري في (تفسيره ج ٢ ص ٤٣٩) : القياس جواز الصَّلاة على كلِّ مؤمن لقوله تعالىٰ : **﴿هو الذي يصلّي عليكم﴾** . وقوله تعالىٰ : **﴿وصـلّ عليهم إنَّ صلاتك سكنٌ لهم﴾** . وقـوله ﷺ : اللَّهُمَّ صـلّ على آل أبي أوفى . ولكن للعلماء تفصيـلاً في ذلك وهـو : إنّها إنْ كـانت على سبيل التبـع كقولـك : صلّى الله على النبيِّ وآله ، فلا كلام فيها ، وأمّا إذا أفرد غيـره من أهل البيت بـالصَّلاة ، كمـا يفرد هـو ، فمكـروهٌ لأنَّ ذلـك شعـار لـذكـر رسـول الله ﷺ ، ولأنّـه يؤدّي إلى الإتِّهـام بالرفض ، وقال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله ، واليوم الآخر فـلا يقفن مواقف التّهم .

وقال ابن تيميّة في (منهاجه ج ٢ ص ١٤٣) عند بيان التشبّه بالروافض : ومن هنا ذهب من الفقهاء الى ترك بعض المستحبّات إذا صـارت شعاراً لهم ، فإنّه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك ، لكن في إظهار ذلك مشـابهة لهم ، فـلا يتميّز السنّي من الرافضي ، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجـرانهم ومخالفتهم أعـظم من مصلحة هذا المستحبّ .

ثمّ جعل هذا كالتشبّه بـالكفّار في وجـوب التجنّب عن شعارهـم ، وسيـوافيك التفصيل في بيان هـذه كلّها ونـظرائها عنـد الكلام عن الفتـاوى الشاذَّة عن الكتـاب

والسنّة ، إنْ شاء الله تعالىٰ .

وقال الشيخ اسماعيل البروسوي في تفسيره (روح البيان ج ٤ ص ١٤٢) : قال في (عقد الدرر واللآلي)(١) : المستحبّ في ذلك اليوم - يعني يوم عاشوراء - فعل الخيرات من الصّدقة والصوم والذكر وغيرهما ، ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبّه بيزيد الملعون في بعض الأفعال ، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً . يعني لا يجعل ذلك اليوم يوم عيد ، أو يوم مأتم ، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبّه بيزيد الملعون وقومه ، وإن كان للإكتحال في ذلك اليوم أصلٌ صحيحٌ ، فإنّ ترك السنّة سنّة إذا كان شعاراً لأهل البدعة كالتختّم باليمين فإنّه في الأصل سنّة ، لكنّه لمّا كان شعار أهل البدعة والظلمة ، صارت السنّة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في (شرح القهستاني) .

ومن قرأ يوم عاشوراء ، وأوائل المحرّم ، مقتل الحسين ، رضي الله عنه ، فقد تشبّه بالروافض ، خصوصاً إذا كان بألفاظ مخلّة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين ، وفي كراهية القهستاني : لو أراد ذكر مقتل الحسين ، ينبغي أن يذكر أوّلاً مقتل سائر الصحابة ، لئلاّ يشابه الروافض .

وقال حجّة الإسلام الغزالي : يحرم على الواعظ وغيره ، رواية مقتل الحسين ، وحكايته ، وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم ، فإنّه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم ، وهم أعلام الدين ، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة ، ولعلّ ذلك لخطأ في الإجتهاد لا لطلب الرئاسة والدنيا كما لا يخفى . (اهـ) .

وقال ابن حجر في (فتح الباري ج ١١ ص ١٤٢) : تنبيهٌ : إختلف في السّلام على غير الأنبياء بعد الإتفاق على مشروعيّته في تحيّة الحيّ ، فقيل : يشرع مطلقاً . وقيل : بل تبعاً ولا يفرد لواحد لكونه صار شعاراً للرافضة . ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني .

---

(١) في فضل الشهور والأيام والليالي للشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الحموي ! الشهير بالرسّام .

١٠ ـ أُحدوثة تقديم الخطبة على الصّلاة :

قال الزرقاني في (شرح الموطأ ج ١ ص ٣٢٤) في بيان كون الصّلاة قبل الخطبة في العيدين : ففي الصحيحين : عن ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فكلّهم كانوا يصلّون قبل الخطبة ، واختلف في أوّل من غيَّر ذلك ، ففي مسلم عن طارق بن شهاب : أوّل مَن بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصَّلاة مروان ، وفي رواية ابن المنذر بسند صحيح ، عن الحسن البصري : أوّل من خطب قبل الصَّلاة عثمان ، صلّى بالناس ثمّ خطبهم ، أي على العادة ، فرأى ناساً لم يدركوا الصَّلاة ، ففعل ذلك أي : صار يخطب قبل الصّلاة .

وهذه العلة غير التي اعتلّ بها مروان ، لأنَّ عثمان راعى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة ، وأمّا مروان فراعى مصلحتهم في إسماعهم الخطبة ، لكن قيل : إنّهم في زمنه كانوا يتعمّدون ترك سماعهم ، لما فيها من سبّ مَن لا يستحقّ السبّ ، والإفراط في مدح بعض الناس ، فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه ، ويحتمل أنَّ عثمان ، فعل ذلك أحياناً ، بخلاف مروان ، فواظب عليه ، فلذا نسب إليه ، وعن عمر مثل فعل عثمان ، قال عياض ومن تبعه : لا يصحّ عنه . وفيه نظر لأنّ عبد الرزّاق ، وابن أبي شيبة روياه جميعاً عن ابن عيينة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، وهذا إسنادٌ صحيح ، لكن يعارضه حديثا ابن عبّاس ، وابن عمر ، فإن جمع بوقوع ذلك منه نادراً ، وإلاّ فما في الصحيحين أصحّ .

وأخرج الشافعي عن عبد الله بن يزيد نحو حديث ابن عبّاس ، وزاد حتّى قدم معاوية فقدَّم الخطبة ، وهذا يشير إلى أنَّ مروان إنّما فعل ذلك تبعاً لمعاوية ، لأنّه كان أمير المدينة من جهته ، وروى عبد الرزّاق ، عن ابن جريج ، عن الزهري : أوّل مَن أحدث الخطبة قبل الصّلاة في العيد معاوية ، وروى ابن المنذر ، عن ابن سيرين : أوّل مَن فعل ذلك زياد بالبصرة . قال عياض : ولا مخالفة بين هذين الأثرين ، وأثر مروان ، لأنَّ كلاًّ من مروان وزياد كان عاملاً لمعاوية ، فيحمل على أنه ابتدأ ذلك ، وتبعه عمّاله . (اهـ) .

وقال السكتواري في (محاضرة الأوائل ص ١٤٤) : أول من بدأ بالخطبة قبل الصّلاة معاوية ، وجرى ذلك في الأُمراء المروانيَّة كمروان وزياد ، وهو فعله بالعراق ، ومعاوية بالمدينة ، شرَّفها الله تعالى .

قال الأميني : مرَّ في (الجزء الثامن : ص ٢٠٠ ـ ٢٠٨) بيان السنَّة الثابتة في خطبة العيدين ، وانَّها بعد الصّلاة ، كما مضى عليه الرَّسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، واتّبعه الشيخان ، وعثمان ردحاً من أيّامه ، ثمّ حداه عيُّه عن تلفيق الخطبة بصورة مرضيّة ، فكانت الناس تتفرّق عن استماعها ، إلى تقديمها على الصّلاة ، ليمنعهم انتظارهم لها عن الإنجفال ، ثمّ اقتصَّ أثره عمّاله ، والمتغلّبون على الامّة من بعدُ ، من بني أبيه ، وإن افترقت العلّة فيهم عنها فيه ، فإنَّهم لمّا طغوا في البلاد ، طفقوا يسبّون أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في خطبهم ، فكان الحضور لا يستبيحون ذلك ، فيتفرَّقون ، فبدا لهم تقديمها لإسماع الناس .

وأوَّل من أحدث أُحدوثة السبِّ هو معاوية ، فالشنعة عليه في المقام أعظم ممّن بدَّل السنّة قبله ، فإنّه وإنْ تابع البادىء على البدعة ، غير أنّه قرنها بأُخرى شوهاء شنعاء ، فأمعن النظرة في تطبيق هذه البدعة بصورتها الأخيرة على ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : «من سبَّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبَّ الله»[1] . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوسٌ بذات الله»[2] . ثمَّ ارجع البصر كرّتين إلى أنّه هل يُباح لأيّ مسلم أنْ يجتهد بجواز سبّ مولانا أمير المؤمنين ، تجاه نصّ الكتاب العزيز في تطهيره وولايته ومودَّته ، وكونه نفس النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم ، تجاه هذا النصِّ الجليِّ الخاص له عليه السلام ، والنصوص العامّة الواردة في سباب المؤمن ، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «سباب المسلم فسوق»[3] ؟ ! وهل

---

(١) أخرجه الحفاظ بإسناد رجاله كلهم ثقات ، صححه الحاكم ، والذهبي .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٨ .

(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجة ، والنسائي ، والحاكم ، والدارقطني ، وغيرهم في الصحاح والمسانيد .

يشك مسلمٌ انَّ أمير المؤمنين أوَّل المسلمين ، وأولاهم بهم من أنفسهم ، وهو أميرهم وسيّدهم ؟ !

١١ ـ حدّ من حدود الله متروك :

ذكر الماوردي ، وآخرون : إنَّ معاوية أُتي بلصوص فقطعهم حتى بقي واحد من بينهم فقال :

يميني أمير المؤمنين أُعيذها ... بعفوك أنْ تلقى نكالاً يبينها
يدي كانت الحسناء لو تمَّ سترها ، ... ولا تعدم الحسناء عيناً يشينها
فلا خير في الدنيا ، وكانت حبيبة ... إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك . فقالت أُمّ السارق : يا أمير المؤمنين إجعلها في ذنوبك الّتي تتوب منها . فخلّى سبيله ، فكان أوّل حدّ ترك في الإسلام[١] .

قال الأميني : أفهل عرف معاوية من هذا اللّص خصوصيّة إستثنته من حكم الكتاب النهائيِّ العامّ ﴿**السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ ؟ ! أم أنّ الرأفة بأُمّه تركت حدّاً من حدود الله لم يُقم ؟ ! وفي الذكر الحكيم : ﴿**ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾[٢] . ﴿**تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون**﴾[٣] ﴿**ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يُدخله ناراً خالداً فيها**﴾[٤] .

أم أنّه كان لمعاوية مؤمِّنٌ من العقاب غداً وإنْ تعمّد اليوم بإلغاء حدّ من حدود الله ؟ وهل نيّة التوبة عن المعصية تبيح إجتراح تلك السيّئة ؟ إنّ هذا لشيءٌ عجابٌ ، ومَن ذا الذي طمّنه بأنّه سيوفّق للتوبة عنها ، ولا يحول بينه وبينها ذنوبٌ

---

(١) الأحكام السلطانية : ص ٢١٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣٦ ، محاضرة السكتواري : ص ١٦٤ .
(٢) سورة الطلاق ؛ الآية : ١ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٢٩ .
(٤) سورة النساء ؛ الآية : ١٤ .

تسلبه التوفيق ، أو عظائم تسلبه الإيمان ، أو استخفافٌ بالشريعة ينتهي به إلى نار الخلود ؟ ويظهر منه أنّ التعمّد باقتراف الذنوب بأمل التوبة ، كان مطرداً عند معاوية ، وهذا ممّا يخلّ بأنظمة الشريعة ، ونواميس الدين ، وطقوس الإسلام ، فإنّ النفوس الشريرة إنّما تترك أكثر المعاصي خوفاً من العقوبة الفعليّة ، فإنْ زُحزحت عنها بأمثال هذه التافهات لم يبق محظورٌ ، يُفسد النفوس ، ويقلق السّلام ، ويعكّر صفو الإسلام ، إلاّ وقد عمل به ، وهذا نقصٌ لغاية التشريع ، وإقامة الحدود الكابحة لجماح الجرأة على الله ورسوله .

وهب انَّ التوبة مكفّرةٌ للعصيان في الجملة ، ولكن مَن ذا الذي أنبأه انّها من تلك التوبة المقبولة ؟ ﴿**إنّما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثمَّ يتوبون من قريب فأُولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليماً حكيماً ، وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار ، أُولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً**﴾[(١)] .

١٢ ـ معاوية ولبسه ما لا يجوز :

أخرج أبو داود ، من طريق خالد ، قال : وَفَد المقدام بن معدي كرب ، وعمرو بن الأسود ، ورجل من بني أسد ، من أهل (قنسرين) إلى معاوية بن أبي سفيان ، فقال معاوية للمقدام : أعلمت انّ الحسن بن علي توفّي ؟ فرجع المقدام فقال له رجلٌ[(٢)] أتراها مصيبة ؟ فقال : ولِمَ لا أراها مصيبة ؟ وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره ، فقال : هذا منّي وحسينٌ من علي . فقال الأسدي : جمرةٌ اطفأها الله ، عزَّ وجلّ . قال فقال المقدام : أمّا أنا فلا أبرح اليوم حتى أُغيظك وأُسمعك ما تكره ، ثمّ قال : يا معاوية ! إنْ أنا صدقت فصدّقني . وإنْ أنا كذبت فكذّبني ! قال : أفعل . قال فأُنشدك بالله هل تعلم أنّ رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير ؟ قال :

---

(١) سورة النساء ، الآية :١٧ ، ١٨ .
(٢) في مسند أحمد ج ٤ ص ١٣٠ : فقال له معاوية : أتراها مصيبة . انظر إلى أمانة أبي داود .

نعم . قال : فأنشدك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لبس الذّهب؟ قال نعم . قال : فأُنشدك بالله هل تعلم أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها ؟ قال : نعم . قال فوالله لقد رأيت هذا كلّه في بيتك يا معاوية ! فقال معاوية : قد علمت أنّي لن أنجو منك يا مقدام[1] ! .

قال الأميني : هل يُرجى خيرٌ ممّن اعترف بكلّ ما قيل له من المحظورات المتسالم عليها التي ارتكبها ؟ فهلاّ أقلع عنها لمّا ذكر بحكمها الذي نسيه أو لم يعبأ به ؟ لكنَّ الرّجل طاغوتٌ يعمل عمل الفراعنة ، ولم يكترث لمغبّته ، ولم يُبالِ بمخالفة السنّة الثابتة ، فزهٍ به من خَليفة تولّى أمر الامّة بغير مرضاتها ، وتغلّب على إمرتها ، من دون أيّ حنكة .

قد جاء في كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص قوله : «فإنّك قد جعلت دينك تبعاً لدين امرىء ظاهرٍ غيّه ، مهتوكٍ ستره . . . إلخ» .

قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٤ ص ٦٠) : فأمّا قوله عليه السلام في معاوية «ظاهر غيُّه» : فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه ، وكلّ باغٍ غاوٍ . وأمّا «مهتوكٌ ستره» : فإنّه كان كثير الهزل والخلاعة ، صاحب جلساء وسمار ، ومعاوية لم يتوقّر ، ولم يلزم قانون الرياسة إلاّ منذ خرج على أمير المؤمنين ، واحتاج إلى الناموس والسكينة ، وإلاّ فقد كان في أيّام عثمان ، شديد الهتك ، موسوماً بكلّ قبيح ، وكان في أيّام عمر يستر نفسه قليلاً ، خوفاً منه ، إلاّ أنّه كان يلبس الحرير والديباج ، ويشرب في آنية الذهب والفضّة ، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاّة بهما جلال الديباج والوشي ، وكان حينئذ شابّاً ، وعنده نزق الصبا ، وأثر الشبيبة ، وسكر السلطان والإمرة ، ونقل الناس عنه في كتب السيرة انّه كان يشرب الخمر في أيّام عثمان في الشام ، وأمّا بعد وفاة أمير المؤمنين ، واستقرار الأمر له ، فقد اختلف فيه ، فقيل : إنّه شرب الخمر في ستر . وقيل : إنّه لم يشرب . ولا خلاف في أنّه سمع الغناء ، وطرب عليه ، وأعطى ووصل إليه أيضاً .

إقرأ وتبصّر .

---

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ١٨٦ .

١٣ ـ مأساة الإستلحاق سنة أربع وأربعين :

كانَ من ضروريّات الإسلام إلى هذه السنة (٤٤) ، إلى هذا اليوم الأشنع الذي تقدّم فيه ابن آكلة الأكباد ببدعته الخرقاء على ما قاله رسول الله ﷺ بملء فمه المبارك ، واتّخذته الامّة أصلاً مسلّماً في باب الأنساب : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» .

[جاء هذا الحديث من طريق أبي هريرة في الصحاح الست : صحيح البخاري ج ٢ ص ١٩٩ في الفرائض ، صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧١ في الرضاع ، صحيح الترمذي ج ١ ص ١٥٠ ، وج ٢ ص ٣٤ ، سنن النسائي ج ٢ ص ١١٠ ، سنن أبي داود ج ١ ص ٣١٠ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٤٠٢ ، ٤١٢] .

ومن طريق عائشة أخرجه الحفاظ المذكورون إلا الترمذي كما في نصب الراية للزّيلعي ج ٣ ص ٢٣٦ .

ومن طريق عمر وعثمان في سنن البيهقي ج ٧ ص ٤١٢ ، ومن طريق عبد الله بن عمر ، أخرجه أبو داود في اللعان ج ١ ص ٣١٠ ، وأخرجه أحمد في مسنده من غير طريق ج ١ ص ١٠٤ ، ج ٢ ص ٤٠٩ ، ج ٥ ص ٣٢٦ وغيرها .

وصحّ عند الامّة قول نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم : من ادّعى أباً في الإسلام غير أبيه ، فالجنّة عليه حرام[١] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من خطبة له بمنى : لعن الله من ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه ، الولد للفراش وللعاهر الحجَر . وفي لفظ :

الولد للفراش ، وللعاهر الحجَر ، ألا ومن ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه رغبة عنهم ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ[٢] .

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨ ، ٤٦ ، سنن البيهقي ج ٧ ص ٤٠٣ .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي . راجع مسند أحمد ج ٤ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، مسند أبي داود الطيالسي : ص ١٦٩ ، الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس من رجل ادّعى بغير أبيه ، وهو يعلم إلاّ كفر ، ومن ادّعى ما ليس له فليس منّا[١] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من ادّعى إلى غير أبيه ، لم يرح رائحة الجنّة ، وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً . أو : مسيرة سبعين عاماً[٢] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من ادّعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنّه غير أبيه ، فالجنّة عليه حرام [٣] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من ادّعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة[٤] .

لكن سياسة معاوية المتجهّمة تجاه الهتافات النبويّة ، أصمته عن سماعها ، وجعلت للعاهر كلّ النصيب ، فوهبت زياداً كلّه لأبي سفيان العاهر ، بعدما بلغ أشدّه ، لمّا وجد فيه من أُهبة الوقيعة في أضداده ، وهم أولياء عليّ أمير المؤمنين عليه السلام .

وُلد زياد على فراش عُبيد مولى ثقيف ، وربّي في شرّ حجر ، ونشأ في أخبث نشء ، فكان يقال له قبل الإستلحاق : زياد بن عبيد الثقفي ، وبعده زياد بن أبي سفيان ، ومعاوية نفسه كتب إليه في أيّام الحسن السبط ، سلام الله عليه : من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عُبيد ، أمّا بعد : فإنّك عبدٌ قد كفرت النعمة ، واستدعيت النقمة ، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر ، وإنَّ الشجرة لتضرب بعرقها ، وتتفرّع من أصلها ، إنّك لا أُمَّ لك ، بل لا أب لك ، يقول فيه :

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وعنهما البيهقي في السنن ج ٧ ص ٤٠٣ ، وابن المنذر في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١ .
(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣١ ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٤٧ ، الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١ .
(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجة ، كما في سنن البيهقي ج ٧ ص ٤٠٣ ، والترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١ .
(٤) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢ عن أبي داود .

أمس عبدٌ واليوم أميرٌ ، خطّةٌ ما ارتقاها مثلك يابن سميّة ، وإذا أتاك كتابي هذا ، فخذ الناس بالطاعة والبيعة ، وأسرع الإجابة ، فإنّك إنْ تفعل فدمك حقنت ، ونفسك تداركت ، وإلاّ اختطفتك بأضعف ريش ، ونلتُك بأهون سعي ، وأُقسم قسماً مبروراً أنْ لا أُوتى بك إلاّ في زمارة تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام حتى أُقيمك في السوق ، وأبيعك عبداً ، وأردُّك إلى حيث كنت فيه ، وخرجت منه . والسّلام[1] .

ثمّ لمّا انقضت الدولة الأمويّة ، صار يُقال له : زياد بن أبيه ، وزياد بن أمّه ، وزياد بن سميّة ، أُمّه «سميّة» كانت لدهقان من دهاقين الفرس بـ(زندرود) بـ(كسكر)، فمرض الدهقان ، فدعا الحارث بن كلدة ، الطبيب الثقفي ، فعالجه فبرأ ، فوهبه سميّة ، وزوّجها الحارث غلاماً له روميّاً يقال له : عبيد . فولدت زياداً على فراشه ، فلمّا بلغ أشدّه اشترى أباه عُبيداً بألف درهم فأعتقه ، كانت أُمّه من البغايا المشهورات بالطائف ذات راية .

أخرج أبو عمر ، وابن عساكر قالا : بعث عمر بن الخطاب زياداً في إصلاح فساد وقع باليمن ، فرجع من وجهه ، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها ، فقال عمرو بن العاصي : أما والله لو كان هذا الغلام قرشيّاً ، لساق العرب بعصاه . فقال أبو سفيان : والله إنّي لأعرف الذي وضعه في رحم أُمه ، فقال له عليُّ بن أبي طالب : ومن هو يا أبا سفيان ؟ قال : أنا . قال : مهلاً يا أبا سفيان . وفي لفظ ابن عساكر : فقال له عمرو : أُسكت يا أبا سفيان ! فإنّك لتعلم أنّ عمر إنْ سمع هذا القول منك ، كان سريعاً إليك بالشرِّ ، فقال أبو سفيان :

أما والله لولا خوف شخص ... يراني فيه من بين الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ، ... ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملتي ثقيفاً ... وتركي فيهمُ ثمر الفؤاد

فذلك الذي حمل معاوية على ما صنع بزياد[2] .

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦٨ .
(٢) الإستيعاب ج ١ ص ١٩٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤١٠ .

وفي (العقد الفريد ج ٣ ص ٣) : أمر عمر زياداً أن يخطب فأحسن في خطبته وجوّد ، وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب ، وعليّ بن أبي طالب ، فقال أبو سفيان لعليّ : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إنّه ابن عمّك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفتُه في رحم أُمّه سميّة . قال : فما يمنعك أنْ تدّعيه ؟ قال : أخشى هذا القاعد على المنبر ـ يعني عمر ـ أن يفسد عليَّ إهابي . فبهذا الخبر استلحق معاوية زياداً وشهد له الشهود بذلك . وهذا خلاف حكم رسول الله ﷺ في قوله : «الولد للفراش وللعاهر الحجَر» .

قال الأميني : لو كان معاوية استلحق زياداً بهذا الخبر ، لكان استلحاقه عمرو ابن العاص أولى . إذ ادَّعاه أبو سفيان يوم ولادته قائلاً : أما إنّي لا أشكّ أنّي وضعته في رحم أُمّه . واختصم معه العاص ، غير أنّ النابغة أبت إلاّ العاص ، لما زعمت من الشحّ في أبي سفيان ، وفي ذلك قال حسّان بن ثابت :

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت ... لنا فيك منه بيّنات الدلائل
ففاخر به إمّا فخرت ، ولا تكن ... تفاخر بالعاص الهجين بن وائل

إلى آخر ما مرَّ في (الجزء الثّاني ص ١٤٧) .

نعم : لكلّ بغي كان يتّصل بسميّة امّ زياد ، والنابغة امّ عمرو ، وهند امّ معاوية ، وحمامة أُمّ أبي سفيان ، والزرقاء امّ مروان ، وأضرابهنّ من مشهورات البغاء ، ويأتيهنّ أنْ يختصم في ولائدهنّ .

كتب معاوية إلى زياد يوم كان عامل عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : أما بعد فإنّ العشّ الذي ربّيت به معلومٌ عندنا ، فلا تدع أنْ تأوي إليه ، كما تأوي الطيور إلى أوكارها ، ولولا شيءٌ والله أعلم به ، لقلت كما قال العبد الصالح : ﴿**فلنأتينّهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنّهم منها أذلّة وهم صاغرون**﴾ . وكتب في آخر كتابه :

لله درّ زياد أيّما رجل ... لو كان يعلم ما يأتي ، وما يذر
تنسى أباك ، وقد حقّت مقالته ... إذ تخطب الناس ، والوالي لنا عمر
إفخر بوالدك الأدنى ، ووالدنا ... إنّ ابن حرب له في قومه خطر

إنّ انتهازك قوماً لا تناسبهم عدّ الأنامل عار ليس يغتفر
فانزل بعيداً ، فإنّ الله باعدهم عن كلِّ فضل به يعلو الورى مضر
فالرأي مطرق ، والعقل تجربة فيها لصاحبها الإيراد والصدر

فلما ورد الكتاب على زياد ، قام في الناس ، فقال : العجب كلّ العجب من ابن آكلة الأكباد ، ورأس النفاق ، يخوّفني بقصده إيّاي ، وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، أما والله لو أذن في لقائه أعرف الناس بضرب السيف . واتّصل الخبر بعليّ رضي الله عنه ، فكتب إلى زياد :

أما بعد : فقد ولّيتك الذي ولّيتك ، وأنا لا أزال له أهلاً ، وإنّه قد كانت من أبي سفبان فلتة من أمانيِّ الباطل ، وكذب النفس ، لا يوجب له ميراثاً ، ولا يحلّ له نسباً ـ وفي لفظ: لا تستحقُّ بها نسباً ولا ميراثاً ـ وإنَّ معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، فاحذر ثمّ احذر ، والسّلام .

فلمّا بلغ أبا بكرة أخا زياد لأمِّه سميّة : إنّ معاوية استلحقه ، وإنّه رضي ذلك ، آلى يميناً أن لا يكلّمه أبداً ، وقال : هذا زنا امّه ، وانتفى من أبيه ، ولا والله ما علمت سميَّة رأت أبا سفيان قطّ ، ويله ما يصنع بأُمِّ حبيبة زوج النبيِّ ﷺ ؟ (بنت أبي سفيان) أيريد أن يراها ؟ فإنْ حجبته ، فضحته ، وإنْ رآها ، فيا لها مصيبة ؟ يهتك من رسول الله ﷺ حرمة عظيمة . وحجَّ زياد في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أُمّ حبيبة ، ثمَّ ذكر قول أبي بكرة ، فانصرف عن ذلك . وقيل : إنّ امّ حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها .

قال أبو عمر : لما ادَّعى معاوية زياداً ، دخل عليه بنو اميّة ، وفيهم عبد الرّحمن بن الحكم ، فقال : يا معاوية ! لو لم تجد إلاّ الزنج لاستكثرتَ بهم علينا قلّة وذلّة ! فأقبل معاوية على مروان ، وقال : أخرج عنّا هذا الخليع . فقال مروان : والله إنّه لخليع ما يطاق . فقال معاوية : والله لولا حلمي ، وتجاوزي ، لعلمت أنَّه يطاق ، ألم يبلغني شعره فيَّ وفي زياد ؟ ثمَّ قال لمروان : أسمعنيه . فقال :

ألا أبلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب أن يُقال : أبوك عفّ ؟ وترضى أن يقال : أبوك زان ؟ !

فأشهد أنّ رحمك من زياد　　كرحم الفيل من والأتانِ
وأشهد أنّها حملت زياداً　　وصخرٌ من سميّة غير دان

هذه الأبيات تروى لزياد[١] بن ربيعة بن مفرغ الحميري الشاعر ، ومَن رواها له جعل أوّلها :

ألا أبلغ معاوية بن صخر　　مغلغلة من الرَّجل اليمان

وذكر الأبيات كما ذكرناها سواء . وروى عمر بن شبة وغيره : انّ ابن مفرغ لمّا وصل إلى معاوية ، أو إلى ابنه يزيد ، بعد أن شفعت فيه اليمانية ، وغضبت لما صنع به عباد ، وأخوه عبيد الله ، وبعد أن لقي من عباد بن زياد وأخيه عبيد الله ما لقي ، ممّا يطول ذكره . وقد نقله أهل الأخبار . ورواة الأشعار ، بكر ، وقال : يا أمير المؤمنين ! ركب منّي ما لم يركب من مسلم قطّ على غير حدث في الإسلام ، ولا خلع يد من طاعة ! فقال له معاوية : ألست القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب　　مغلغلة من الرّجل اليمان
أتغضب ان يُقال : أبوك عفّ؟　　وترضى أن يُقال : أبوك زان

فقال ابن المفرغ : لا والذي عظم حقّك ، ورفع قدرك ، يا أمير المؤمنين ! ما قلتها قطّ ولقد بلغني أنَّ عبد الرَّحمٰن بن الحكم قالها ، ونسب إليَّ . فقال أفلست القائل :

شهدت بأنّ أُمّك لم تباشر　　أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمراً فيه لبسٌ　　على وجه شديد وارتياع[٢] ؟

أوَ لست القائل :

إنَّ زياداً ونافعاً وأبا بكـ　　ـرة عندي من أعجب العجب
هم رجالٌ ثلاثةٌ خلقوا　　في رحم أُنثى ، وكلُّهم لأب[٣]
ذا قرشيٌّ كما يقول ، وذا　　مولى ، وهذا بزعمه عربي

---

(١) هو يزيد بن ربيعة الشاعر الشهير ، توجد ترجمته في الأغاني ج ١٧ ص ٥١ ـ ٧٣ .
(٢) هذه القصيدة كما قال أبو الفرج : طويلة . ذكر منها في الأغاني ج ١٧ ص ٦٦ تسعة عشر بيتاً .
(٣) ويروى : أُنثى مخالف النسب .

في أشعار قلتها في زياد وبنيه تهجوهم ، أغرب فلا عفا الله عنك ، قد عفوت عن جرمك ، ولـو صحبت زياداً لم يكن شيءٌ ممّا كان ، إذهب فاسكن أيّ أرض أحببت . فاختار الموصل .

قال أبو عمر : ليزيد بن مفرغ في هجو زياد وبنيه ، من أجل ما لقي من عبّاد بن زياد بخراسان ، أشعار كثيرة ، وقصّته مع عبّاد بن زياد ، وأخيه عبيد الله بن زياد ، مشهورةٌ . ومن قوله يهجوهم :

أعبّاد ما للّوم عنك محول ... ولا لك أمٌّ في قريش ، ولا أب
وقل لعبيد اللّه : ما لك والدٌ ... بحقّ، ولا يدري امرؤ كيف تنسب[1]

قال عبيد الله بن زياد : ما هُجيت بشيء أشدّ عليَّ من قول ابن مفرغ :

فكّر ففي ذاك إن فكّرت معتبرٌ ... هل نلت مكرمة إلاَّ بتأمير ؟ !
عاشت سميّة ما عاشت ، وما علمت ... أنّ ابنها من قريش في الجماهير

وقال غيره :

زياد لست أدري من أبوه ... ولكنّ الحمار أبو زياد

ورُوينا : انّ معاوية بن أبي سفيان قال حين أنشده مروان شعر أخيه عبد الرّحمٰن : والله لا أرضى عنه حتّى يأتي زياداً فيترضّاه ، ويعتذر إليه . وأتاه عبد الرّحمٰن يستأذن عليه معتذراً ، فلم يأذن له ، فأقبلت قريش على عبد الرَّحمٰن بن الحكم ، فلم يدعوه حتّى أتى زياد ، فلمّا دخل فسلّم عليه فتشاوس[2] له زياد بعينه ، وكان يكسر عينه ، فقال له زياد : أنت القائل ما قلت ؟ فقال عبد الرَّحمٰن : وما الذي قلت ؟ فقال : قلت ما لا يُقال . فقال عبد الرَّحمٰن : أصلح الله الأمير إنَّه لا ذنب لمن أعتب، وإنّما الصفح عمَّن أذنب ، فاسمع منّي ما أقول قال : هات . فأنشأ يقول :

---

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني ج ١٧ ص ٥٩ من بائية ابن المفرغ هذه إثني عشر بيتاً .
(٢) من شاس : نظر بمؤخر عينه ، تكبراً ، أو تغيظاً .

إليك أبا المغيرة تبت ممّا جرى بالشام من جور اللسان
وأغضبت الخليفة فيك حتّى دعاه فرط غيظٍ أنْ لحاني
وقلت لمن لحاني في اعتذاري إليك الحقّ شأنك غير شان
عرفت الحقّ بعد خطاء رأيي وما ألبسته غير البيان
زياد من أبي سفيان غصنٌ تهادى ناضرٌ بين الجنان
أراك أخاً ، وعمّاً ، وابن عمّ فما أدري بعينٍ ما تراني
وأنت زيادةٌ في آل حرب أحبّ إليَّ من وسطي بناني
ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ظفرت بما تأتي اليدان

فقال له زياد : أراك أحمق مترفاً شاعراً صنع اللسان ، يسوغ لك ريقك ساخطاً ، ومسخوطاً ، ولكنّا قد سمعنا شعرك وقبلنا عذرك ، فهات حاجتك . قال : كتاب إلى أمير المؤمنين بالرضى عنّي . قال : نعم . فكتب كتاباً أخذه ومضى حتى دخل على معاوية ، ففضّ الكتاب ورضي عنه ، وردّه إلى حاله ، وقال : قبّح الله زياداً ألم ينتبه له إذ قال :

وأنت زيادة في آل حرب ....

قال أبو عبيدة : كان زياد يزعم أنّ أُمّه سميّة بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرّغ يردّ ذلك عليه :

فأُقسم ما زياد من قريش ، ولا كانت سميّة من تميم
ولكن نسل عبد من بغيّ عريق الأصل في النسب اللئيم(١)

وأخرج الطبري في (تاريخه ج ٦ ص ١٢٣) : بإسناده عن أبي إسحاق : إنّ زياداً لمّا قدم الكوفة قال : قد جئتكم في أمر ما طلبته إلاَّ لكم . قالوا : أُدعنا إلى ماشئت . قال : تلحقون نسبي بمعاوية . قالوا : أمّا بشهادة الزور فلا ، فأتى البصرة فشهد له رجلٌ .

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٥١ ـ ٦٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٨ ، تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٠٦ ـ ٤٢٣ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ . تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٥ ، ٩٦ . الإتحاف ص ٢٢ .

قال ابن عساكر ، وابن الأثير : كان أبو سفيان صار إلى الطائف فنزل على خمّار يُقال له أبو مريم السلولي ، وكانت لأبي مريم بعد صحبة ، فقال أبو سفيان لأبي مريم بعد أن شرب عنده : قد اشتدّت بي العزوبة، فالتمس لي بغيّاً . فقال : هل لك في جارية الحارث بن كلدة ، سُميّة إمرأة عُبيد ؟ فقال : هاتها على طول ثديها ، وريح إبطيها . فجاء بها إليه فوقع بها ، فولدت زياداً ، فادّعاه معاوية .

وروى ابن عساكر : عن ابن سيرين ، عن أبي بكرة قال : قال زياد لأبي بكرة : ألم تر أنَّ أمير المؤمنين أرادني على كذا وكذا ، وولدت على فراش عُبيد وأشبهته ، وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ قال : من ادّعى لغير أبيه فليتبوّأ مقعده من النار . ثمّ جاء العام المقبل وقد ادّعاه . وقال محمَّد بن إسحاق : كنّا جلوساً عند أبي سفيان ، فخرج زياد فقال : ويل أُمّه لو كان له صلب قوم ينتمي اليهم[١] .

ولمّا بويع معاوية ، قدم زياد على معاوية ، فصالحه على ألفي ألف ، ثمّ أقبل فلقيه مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وضمن له عشرين ألف درهم ، ليقول لمعاوية : إنَّ زياداً قد أكل فارس برّاً وبحراً ، وصالحك على ألفي ألف درهم ، والله ما أرى الذي يُقال إلاَّ حقّاً . فإذا قال لك : وما يُقال ؟ فقل : يُقال : إنّه ابن أبي سفيان ففعل مصقلة ذلك ، ورأى معاوية أن يستميل زياداً ، واستصفى مودّته باستلحاقه، فاتّفقا على ذلك وأُحضر الناس ، وحضر من يشهد لزياد ، وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي ، فقال له معاوية : بِمَ تشهد يا أبا مريم؟ فقال : أنا أشهد أنَّ أبا سفيان حضر عندي ، وطلب منّي بغيّاً ، فقلت له : ليس عندي إلاَّ سُميّة . فقال : إئتني بها على قذرها ووضرها . فأتيته بها فخلا معها ، ثمّ خرجت من عنده ، وإنَّ إسكتيها ليقطران منيّاً . فقال له زياد : مهلاً أبا مريم إنّما بعثت شاهداً ، ولم تبعث شاتماً . فاستلحقه معاوية[٢] .

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٢ ، تاريخ ابن عساكر ج٥ ص ٤٠٩ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٩١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩٤ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٦ ، تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٠٩ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٩٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٧٠ ، الإتحاف للشبراوي ص ٢٢ .

وفي (العقد الفريد ج ٣ ص ٣) : يُقال : إنَّ أبا سفيان خرج يوماً وهو ثملٌ إلى تلك الرّايات ، فقال لصاحبة الراية : هل عندك من بغيّ ؟ فقالت ماعندي إلاّ سُميّة قال : هاتها على نتن إبطيها . فولدت له زياداً على فراش عُبيد .

فوجد زياد نفسه بعد حسبه الواطىء ، ونسبه الوضيع ، بعد أن كان لا يُعزى إلى أب معلوم ، عمراً طويلاً ، يقرب من خمسين عاماً(١) فيقال له : زياد بن أبيه . أخا ملك الوقت ، وابن من يزعم أنّه من شرفاء بيئته ، وقد تسنّى له الحصول على مكانة رابية ، فأعرق نُزعاً في جلب مرضاة معاوية المحابي له بتلك المرتبة الّتي بمثلها حابت هند إبنها المردَّد بين خمسة رجال ، أو ستّة من بغايا الجاهليّة ، لكن آكلة الأكباد ألحقت معاوية بأبي سفيان لدلالة السحنة والشبَه ، فطفق زياد يلغ في دماء الشيعة ، ولمعاوية من ورائه تصديةٌ ومكاء ، وإنَّ غلواء الرَّجل المحابي أعمته عن استقباح نسبة الزنا لأبيه ، يوم استحسن أن يكون له أخ مثل زياد ، شديد في بأسه ، يأتمر أوامره ، وينتهي إلى ما يودّه من بوائق وموبقات ، ولم يكترث لحكم الشريعة بحرمة مثل ذلك الإلحاق ، واستعظامها إيّاه ، ولا يصيخ إلى قول النبيِّ الصادق صلى الله عليه وآله وسلم ، قال يونس بن أبي عبيد الثقفي لمعاوية : يا معاوية ! قضى رسول الله ﷺ : إنّ الولد للفراش وللعاهر الحجَر . فعكست ذلك ، وخالفت سنّة رسول الله ﷺ ، فقال : أعد . فأعاد يونس مقاله هذا ، فقال معاوية : يا يونس ! والله لتنتهينَّ أو لأطيرنَّ بك طيراً بطيئاً وقوعها(٢) .

انظر إلى إيمان الرجل بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإخباته إلى حديثه بعد استعادته ، وعنايته بقبوله ، ورعايته حرمته ، والحكَم في هذه الشنيعة كلّ ذي مسكة من علماء الأمّة ، وذوي حنكتها ، ومؤلّفيها ، وكتّابها .

قال سعيد بن المسيب : أوّل(٣) قضيّة ردَّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية ،

---

(١) قيل : ولد عام الفتح سنة ثمان . وقيل : عام الهجرة . وقيل : قبل الهجرة . وقيل : يوم بدر .

(٢) الإتحاف للشبراوي : ص ٢٢ .

(٣) ليست بأول قارورة كسرت في الإسلام ، وإنّما ردّ من يوم السقيفة ، وهلمّ جرّاً إلى يوم الإستلحاق من قضايا رسول الله ، ما يربو على العدّ .

قضاء فلان ، يعني : معاوية في زياد .

وقال ابن يحيى : أوّل حكم ردّ من أحكام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحكم في زياد .

وقال ابن بعجة : أوّل داء دخل على العرب قتل الحسن« سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم» ، وادّعاء زياد[١] .

وقال الحسن : أربع خصال كنّ في معاوية ، لو لم يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة ، لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً ، يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير . وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الولد للفراش وللعاهر الحجَر» . وقتله حُجراً ، ويلاً له من حُجر وأصحاب حُجر قالها مرّتين[٢] .

وقال الإمام السبط الحسن الزكيّ عليه السلام لزياد في حضور من معاوية ، وعمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم : وما أنت يا زياد ! وقريشاً ؟ لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ، ولا فرعاً نابتاً ، ولا قديماً ثابتاً ، ولا منبتاً كريماً ، بل كانت أُمّك بغيّاً ، تداولها رجال قريش ، وفجّار العرب ، فلمّا ولدت لم تعرف لك العرب والداً ، فادّعاك هذا - يعني معاوية - بعد ممات أبيه ، مالك افتخار ، تكفيك سُميّة ، ويكفينا رسول الله ﷺ وأبي عليُّ بن أبي طالب ، سيّد المؤمنين ، الذي لم يرد على عقبيه ، وعمّي حمزة سيّد الشهداء ، وجعفر الطيّار ، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة[٣] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤١٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٣١ ، أوائل السيوطي : ص ٥١ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٨١ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٠٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣٠ ، محاضرات الراغب ج ٢ ص ٢١٤ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤١ .

(٣) المحاسن والمساوىء للبيهقي ج ١ ص ٥٨ .

وفد زياد على معاوية فأتاه بهدايا وأموال عظام ، وسفط مملوء جوهراً ، لم ير مثله . فسرّ معاوية بذلك سروراً شديداً ، فلمّا رأى زياد ذلك صعد المنبر فقال : أنا والله يا أمير المؤمنين ! أقمت لك معر العراق ، وجبيت لك مالها ، وألفظت إليك بحرها ، فقام يزيد بن معاوية فقال : إنْ تفعل ذلك يا زياد ! فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عُبيد إلى حرب بن أُميّة . فقال معاوية : إجلس فداك أبي وأمّي[1] .

وقال السكتواري في (محاضرة الأوائل ص ١٣٦) : أوّل قضية ردَّت من قضايا رسول الله ﷺ علانية ، دعوة معاوية زياداً ، وكان أبو سفيان تبرَّأ منه وادَّعى أنَّه ليس من أولاده ، وقضى بقطع نسبه ، فلمّا تأمّر معاوية ، قرّبه واستأمره ، ففعل ما فعل زياد بن أبيه يعني ابن زنيّة ، من الطغيان والإساءة في حق أهل بيت النبوّة ، وقال في (ص ١٦٤) : كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى معاوية يقول : هذا ابن أبي سفيان كسرى العرب[2] ، لأنّه كان أوّل من ردّ قضية من قضايا رسول الله ﷺ حين هجر ، وزياد بن أبيه أوّل من أساء إساءةً تفرَّد بشينها بين الأُمم ، في حق أهل البيت ، رضي الله عنهم .

وقال في (ص ٢٤٦) : كان قد تبرّأ من زياد أبو سفيان ، ومنع حقّه من ميراث الإسلام ، بحضرة الصّحابة ، رضي الله عنهم ، فلا زال طريداً حتّى دعاه معاوية ، وقرّبه ، وأمّره ، وردّ القضيّة ، وهي أول قضيّة من قضايا الإسلام ردّت ، ولذا صارت بليّة شنيعة ، ومحنة فاحشة بين الأُمّة ، وأبغض الوسائل تعدّيه على أفضل الملّة وأحبّ العترة . (اهـ) .

ولا أحسب أنَّ أحداً من رجالات الدين ، يشذُّ عمّا قاله الجاحظ في (رسالته النابتة في بني أُميّة ص ٢٩٣) : فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبدَّ على بقيّة الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين ، في العام الذي

---

(١) المجتنى لابن دريد : ص ٣٧ .
(٢) قول عمر هذا في معاوية ذكره جمعٌ : راجع الإستيعاب ج ١ ص ٢٥٣ ، أُسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٦ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٣٤ .

سمّوه «عام الجماعة» ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام فرقة وقهر ، وجبريّة وغلبة ، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسرويّاً ، والخلافة منصباً قيصريّاً ، ولم يعدّ ذلك أجمع الضلال والفسق ، ثمَّ ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل ما رتّبنا ، حتى ردَّ قضيّة رسول الله ﷺ ردّاً مكشوفاً ، وجحد حكمه جحداً ظاهراً ، في ولد الفراش ، وما يجب للعاهر ، مع إجماع الأُمّة على أنّ سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً ، وانّه إنّما كان بها عاهراً ، فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار (اهـ) .

ولو تحرَّينا موبقات معاوية المكفّرة له ، لوجدنا هذه في أصاغرها ، فجلّ أعماله ـ إن لم يكن كلّه ـ على الضدّ من الكتاب والسنّة الثابتة ، فهي غير محصورة في مخالفته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» .

١٤ ـ بيعة يزيد أحد موبقات معاوية الأربع[1] :

إنَّ من موبقات معاوية وبوائقه ـ وهو بكلّه بوائق ـ أخذه البيعة لابنه «يزيد» على كُرهٍ من أهل الحل والعقد ، ومراغمة لبقايا المهاجرين والأنصار ، وإنكار من أعيان الصحابة الباقين ، تحت بوارق الإرهاب ، ومعها طلاة المطامع لأهل الشرّه والشهوات .

كان في خَلد معاوية يوم استقرّت له الملوكيّة ، وتمَّ له الملك العضوض ، أنْ يتّخذ ابنه وليّ عهده ، ويأخذ له البيعة ، ويؤسّس حكومةً أمويَّة مستقرّة في أبناء بيته ، فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ، يُعطي الأقارب ، ويُداني الأباعد[2] ، وكان يبتلعه طوراً ، ويجترُّ به حيناً بعد حين ، يمُهّد بذلك السبيل ، ويسهّل حزونته ، ولمّا مات زياد سنة (٥٣) وكان يكره تلك البيعة ، أظهر معاوية عهداً مفتعلاً ـ على زياد ـ فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده ، وأراد

---

(١) راجع كلمة الحسن البصري المذكورة قبيل هذا : صفحة ٢٧٠ .
(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٢ .

بذلك أن يسهِّل بيعة يزيد كما قاله المدائني[١] .

وقال أبو عمر في (الإستيعاب ج ١ ص ١٤٢) : كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن وعرض بها ، ولكنّه لم يكشفها ، ولا عزم عليها إلاَّ بعد موت الحسن .

قال ابن كثير في (تاريخه ج ٨ ص ٧٩) : وفي سنة ستّ وخمسين ، دعا معاوية النّاس إلى البيعة ليزيد ولده ، أن يكون وليَّ عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة[٢] بن شعبة ، فروى ابن جرير ، من طريق الشعبي : أنّ المغيرة كان قد قدم على معاوية ، وأعفاه من إمرة الكوفة ، فأعفاه لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلمّا بلغ ذلك المغيرة كأنّه ندم ، فجاء إلى يزيد بن معاوية ، فأشار عليه بأن يسأل من أبيه أن يكون وليَّ العهد ، فسأل ذلك من أبيه فقال : مَن أمرك بهذا ؟ قال : المغيرة . فأعجب ذلك معاوية من المغيرة ، وردّه إلى عمل الكوفة ، وأمره أنْ يسعى في ذلك ، فعند ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يستشيره في ذلك، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد ، وإقباله على اللعب والصيد ، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك ، وهو عُبيد بن كعب النميري ـ وكان صاحباً أكيداً لزياد ـ فسار إلى دمشق ، فاجتمع بيزيد أوّلاً ، فكلّمه عن زياد ، وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك ، فإنَّ تركه خيرٌ له من السعي فيه ، فانزجر يزيد عمّا يريد من ذلك ، واجتمع بأبيه ، واتّفقا على ترك ذلك في هذا الوقت . فلمّا مات زياد ، شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الآفاق بذلك .

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٢ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧٠ .
(٢) توفي المغيرة سنة خمسين ، وقدم على معاوية في سنة خمس وأربعين ، واستعفاه من الإمرة وهي سنة بدوّ فكر بيعة يزيد في خلد معاوية بإيعاز من المغيرة .

صورة أُخـــرى :

في بدء بدئها :

كان ابتداء بيعة يزيد وأوّله من المغيـرة بن شعبة ، فـإنَّ معاويـة أراد أن يعزلـه عن الكوفةويستعمل عوضه سعيد بن العاص ، فبلغه ذلك فقال : الرأي أنْ أشخص إلى معاوية ، فـأستعفيه ليـظهر للنـاس كراهتي للولايـة ، فسار إلى معـاوية ، وقـال لأصحـابه حين وصـل إليه : إنْ لم أكسبكم الآن ولايـة وإمارة ، لا أفعل ذلك أبداً ! ومضى حتّى دخل على يزيد ، وقال لـه : إنّه قـد ذهب أعيان أصحـاب النبيّ ﷺ ، وكبـراء قريش ، وذوو أسنـانهم ، وإنّما بقي أبنـاؤهم ، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيـاً ، وأعلمهـم بالسنّـة والسياسـة ، ولا أدري ما يمنـع أمير المؤمنين أن يعقـد لك البيعة ؟ قال : أو ترى ذلك يتمّ ؟ قال : نعم . فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة ، فأحضر المغيرة ، وقال له : ما يقول يزيد ؟ فقال : يا أميـر المؤمنين ! قد رأيت ما كان من سفك الدماء ، والإختلاف بعد عثمان[١] ، وفي يزيد منك خلفٌ ، فـاعقد لـه ، فإن حـدث بك حـادثٌ كان كهفـاً للناس ، وخلفـاً منك ، ولا تسفـك دماء ، ولا تكون فتنة ! قال : ومَن لي بهذا ؟ قال : أكفيك أهل الكوفة ، ويكفيـك زياد أهل البصْرة ، وليس بعد هـذين المصرين أحدٌ يخالفـك . قال : فـارجع إلى عملك ، وتحـدَّث مع مَن تثق إليـه في ذلـك ، وتـرى ونـرى . فـودَّعـه ورجـع إلى أصحابه فقالوا : مَه . قال : لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أُمّـة محمّد ، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً . وتمثّل :

بمثلي شـاهدي نجـوى ، وغـالى بي الأعـداء ، والخصم الغضـابـا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة ، وذاكر من يثق إليه ، ومن يعلم أنّه شيعة لبني أُميّة أمر يزيد ، فأجابوا إلى بيعته ، فـأوفد منهم عشـرة ، ويُقال : أكثـر من عشرة .

---

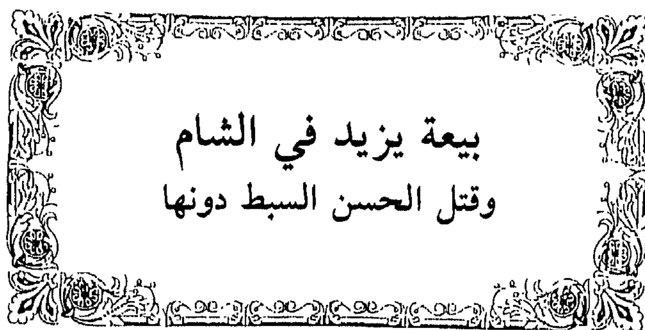
(١) ألا مسـائل المغيـرة عن أن هذا الشقـاق ، والخلاف ، وسفـك الدمـاء المحرّمـة ، في عـدم الإستخلاف ، هل كان يعلمها رسـول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فلماذا تـرك امّته سـدى ، ولم يستخلف كما زعمه هو والسياسيون من رجال الإنتخاب الدستوري ؟

وأعطاهم ثلاثين ألف درهم ، وجعل عليهم ابنه موسىٰ بن المغيرة ، وقدموا على معاوية ، فزيّنوا له بيعة يزيد ، ودعوه إلى عقدها . فقال معاوية : لا تعجلوا بإظهار هذا ، وكونوا على رأيكم ، ثمَّ قال لموسى : بكم إشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بثلاثين ألفاً . قال : لقد هان عليهم دينهم ، وقيل : أرسل أربعين رجلاً ، وجعل عليهم ابنه عروة ، فلمّا دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا : إنَّما أشخصهم إليه النظر لأُمّة محمَّد ﷺ ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ! كبرت سنّك ، وخفنا انتشار الحبل ، فانصب لنا علماً ، وحدّ لنا حداً ننتهي إليه . فقال : أشيروا عليَّ . فقالوا : نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين . فقال : أو قد رضيتموه ؟ قالوا : نعم . قال : وذلك رأيكم ؟ قالوا : نعم ، ورأي مَن ورائنا . فقال معاوية لعروة سرّاً عنهم : بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بأربعمأة دينار . قال : لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً ، وقال لهم : ننظر ما قدمتم له ، ويقضي الله ما أراد ، والأناة خيرٌ من العجلة فرجعوا .

وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد ، فأرسل إلى زياد يستشيره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري وقال له : إنّ لكلّ مستشير ثقة ، ولكلّ سرّ مستودع ، وإنَّ الناس قد أبدع بهم خصلتان : إذاعة السرّ ، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضوع السرّ إلاَّ أحد رجلين : رجلُ آخرة يرجو ثوابها ، ورجل دنيا له شرف في نفسه ، وعقل يصون حسبه ، وقد خبرتهما منك ، وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف : إنَّ أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا ، وإنّه يتخوّف نفرة الناس ، ويرجو طاعتهم ، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم ، ويزيد صاحب رسلة وتهاون ، مع ما قد أُولع به من الصيد ، فالق أمير المؤمنين وأدِّ إليه فعلات يزيد وقل له : رويدك بالأمر فأحرى لك أن يتمَّ لك ، لا تعجل فإنَّ دركاً في تأخير خيرٌ من فوت في عجلة . فقال له عُبيد : أفلا غير هذا ؟ قال وما هو؟ قال : لا تفسد على معاوية رأيه ، ولا تبغض إليه إبنه ، وألقي أنا يزيد فأُخبره أنَّ أمير المؤمنين كتب إليك ، يستشيرك في البيعة له ، وأنّك تتخوَّف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه ، وانَّك ترى له ترك ما ينقم عليه ، لتستحكم له الحجَّة على النّاس ، ويتمّ ما تريد ، فتكون قد نصحت أمير المؤمنين ، وسلمت ممّا تخاف من أمر الأُمّة .

فقال زياد : لقد رميت الأمر بحجره ، أشخص على بركة الله ، فإن أَصَبْتَ فما لا ينكر ، وإنْ يكن خطأ فغير مستغشّ ، وتقول بما ترى ، ويقضي الله بغيب ما يعلم ، فقدم على يزيد فذكر ذلك له ، فكفَّ عن كثير ممّا كان يصنع ، وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتؤدة ، وأن لا يعجل ، فقبل منه ، فلمّا مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد ، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم ، فقبلها فلمّا ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر : إنَّ ديني إذن لرخيصٌ . وامتنع[1] .

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٦٩، ١٧٠ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .



بيعة يزيد في الشام
وقتل الحسن السبط دونها

لمّا اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق ، بإحضار منه ، وكان فيهم الأحنف بن قيس ، دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، فقال له : إذا جلستُ على المنبر ، وفرغتُ من بعض موعظتي وكلامي ، فاستأذني للقيام ، فإذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالىٰ ، واذكر «يزيد» وقل فيه الذي يحقُّ له عليك من حسن الثناء عليه ، ثمّ ادعني إلى توليته من بعدي ، فإنّي قد رأيت وأجمعت على توليته ، فأسأل الله في ذلك ، وفي غيره الخيرة ، وحسن القضاء . ثمَّ دعا عبد الرّحمٰن بن عثمان الثقفي ، وعبدالله بن مسعدة الفزاري ، وثور بن معن السّلمي ، وعبد الله بن عصام الأشعري ، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك ، وأن يصدّقوا قوله ، ويدعوه إلى يزيد . ثمَّ خطب معاوية ، فتكلّم القوم بعده على ما يروقه من الدعوة إلى يزيد ، فقال معاوية : أين الأحنف ؟ فأجابه ، قال : ألا تتكلّم ؟ فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إنَّ الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف ، وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ! فاعرف من تسند إليه من يدك ، ثمّ اعص أمر من يأمرك ، لا يغررك مَن يشير عليك ، ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة ، إنَّ أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيّاً .

فغضب الضحّاك ، فقام الثانية ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أصلح الله أمير المؤمنين إنَّ أهل النفاق من أهل العراق ، مروءتهم في أنفسهم الشقاق ، وأُلفتهم في دينهم الفراق ، يرون الحقَّ على أهوائهم ، كأنّما ينظرون بأقفائهم ، اختالوا جهلاً وبطراً ، لا يرقبون من الله راقبة . ولا يخافون وبال عاقبة ، اتّخذوا إبليس لهم ربّاً . واتّخذهم إبليس حزباً ، فمن يقاربوه لا يسرّوه ، ومَن يفارقوه لا يضرّوه ، فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين ! في نحورهم ، وكلامهم في صدورهم ، ما للحسن وذوي الحسن في سلطان الله الذي استخلف به معاوية في أرضه ؟ هيهات ولا تورث الخلافة عن كلالة ، ولا يحجب غير الذكر العصبة ، فوطّنوا أنفسكم يا أهل العراق ! على المناصحة لإمامكم ، وكاتب نبيّكم وصهره ، يسلم لكم العاجل ، وتربحوا من الآجل .

ثمَّ قام الأحنف بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين! إنّا قد فررنا[1] عنك قريشاً ، فوجدناك أكرمها زنداً ، وأشدَّها عقداً ، وأوفاها عهداً ، قد علمت أنّك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قعصاً ، ولكنّك أعطيت الحسن بن عليّ من عهود الله ، ما قد علمت ، ليكون له الأمر من بعدك ، فإنْ تف فأنت أهل الوفاء ، وإنْ تعذر تعلم والله أنَّ وراء الحسن خيولاً جياداً ، وأذرعاً شداداً ، وسيوفاً حداداً ، إن تدنُ له شِبراً من غدر ، تجد وراءه باعاً من نصر ، وإنَّك تعلم أنَّ أهل العراق ما أحبّوك منذُ أبغضوك ، ولا أبغضوا عليّاً وحسناً منذُ أحبّوهما ، وما نزل عليهم في ذلك خَبَرٌ من السّماء ، وانَّ السيوف التي شهروها عليك مع عليّ يوم صفّين لعلى عواتقهم ، والقلوب التي أبغضوك بها لَبين جوانحهم ، وأيم الله إنّ الحسن لأحبّ إلى أهل العراق من عليّ .

ثمّ قام عبد الرَّحمٰن بن عثمان الثقفي فأثنى على يزيد ، وحثَّ معاوية إلى بيعته ، فقام معاوية فقال :

---

(١) فر عن الأمر : بحث عنه .

أيُّهـا الناس ! انَّ لإبليس من النـاس اخوانـاً وخُلّانـاً ، بهم يَستعـدّ ، وإيّـاهـم يستعين ، وعلى ألسنتهم ينـطق ، إن رجـوا طمعـاً أو جفـواً ، وإن استُغني عنهم أرجفـوا ، ثمّ يُلقحـون الفتن بـالفجـور ، ويشققـون لهـا حـطب النفـاق ، عيّـابـون مـرتابـون ، إنْ لَووا عـروة أمر حنفـوا ، وإن دُعوا إلى غيّ أسـرفوا ، وليسـوا أُولئك بمنتهين ، ولا بمقلعين ، ولا متّعظين ، حتّى تصيبهم صواعق خـزي وبيل ، وتحـلّ بهم قوارع أمر جليل ، تجتث أُصولهم كاجتثاث أُصول الفقع[١] ، فأولى لأُولئك ثمّ أولى ، فإنّا قد قدَّمنا وأنذرنا إنْ أغنى التقدّم شيئاً ، أو نفع النُذُر[٢] .

فدعا معاوية الضحّاك ، فولّاه الكوفة ، ودعا عبد الرّحمٰن ، فولّاه الجزيرة .

ثمَّ قام الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ! أنت أعلمنـا بيزيـد في ليله ونهـاره ، وسرّه وعـلانيته ، ومـدخله ومخرجـه ، فإنْ كنت تعلمـه لِلّه رضاً ، ولهـذه الأُمّة ، فلا تشاور الناس فيه ، وإنْ كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تزوِّده الـدنيا وأنت صائرٌ إلى الآخرة ، فإنه ليس لك من الآخرة إلّا ما طـاب ، واعلم أنّه لا حجَّـة لك عنـد الله إن قدَّمْـتَ يـزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من همـا ، وإلى مـا هما ، وإنّما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربَّنا وإليك المصير[٣] .

قال الأميني : لمّا حسَّ معاوية بدء إعرابه عمّا رامه من البيعة ليزيد ، أنّ الفئة الصالحة من الأُمَّة قطّ ، لا تخبت إلى تلك البيعة الـوبيلة ، ما دامت للحسن السبط الزكيِّ ، سلام الله عليه ، باقيةٌ من الحياة ، على أنَّه أعطى الإمـام مواثيق مؤكّـدة ، ليكـون له الأمـر من بعده ، وليس لـه أنْ يعهد إلى أيّ أحـد ، فرأى تـوطيد السبـل لجـروه في قتل ذلـك الإمام الـطاهر ، وجعـل ما عهـد له تحت قـدميـه ، قـال أبـو الفرج : أراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شيءٌ أثقل عليـه من أمر الحسن بن علي ، وسعد بن أبي وقاص ، فدسَّ إليهما سمّاً فماتا منه[٤] .

---

(١) الفقع بالفتح والكسر : البيضاء الرخوة من الكمأة .
(٢) النذر : الإنذار . قال تعالى : ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ .
(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٢ .
(٤) مقاتل الطالبيين ص ٢٩ .

وسيوافيك تفصيل القول في أنّ معاوية هو الذي قتل الحسن السبط ، سلام الله عليه .

عبد الرحمٰن بن خالد[1] في بيعة «يزيد» :

خطب معاوية أهل الشام ، وقال لهم : يا أهل الشام ! إنّه كبرت سنّي ، وقرب أجلي ، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم ، وإنّما أنا رجلٌ منكم فروا رأيكم . فاصفقوا واجتمعوا وقالوا : رضينا عبدالرّحمٰن بن خالد بن الوليد ، فشقّ ذلك على معاوية ، وأسرّها في نفسه ، ثمّ إنَّ عبد الرَّحمٰن مرض ، فأمر معاوية طبيباً عنده يهوديّاً يُقال له : إبن أثال . وكان عنده مكيناً ، أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات ، ثمَّ دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق ، مستخفياً هو وغلام له ، فرصدا ذلك اليهوديّ ، فخرج ليلاً من عند معاوية ، فهجم عليه ومعه قومٌ هربوا عنه ، فقتله المهاجر . وفي الأغاني : انَّه قتله خالد بن المهاجر ، فأُخذ وأُتي به معاوية فقال له : لا جزاك الله من زائر خيراً قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور ، وبقي الآمر[2] .

قال أبو عمر بعد ذكر القصّة : وقصّته هذه مشهورةٌ عند أهل السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها ، ذكرها عمر بن شبه في أخبار المدينة وذكرها غيره .

قال الأميني : وقعت هذه القصّة سنة ٤٦ وهي السنة الثانية من هاجسة بيعة يزيد . . .

سعيد بن عثمان سنة خمس وخمسين :

سأل سعيد بن عثمان معاوية أن يستعمله على خراسان ، فقال : إنَّ بها

---

(١) أدرك النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قال أبو عمر في الإستيعاب : كان من فرسان قريش وشجعانهم ، كان له فضل ، وهدى ، وحسن وكرم ، إلاّ أنّه كان منحرفاً عن علي ، عليه السلام . وقال ابن حجر في الإصابة : كان عظيم القدر عند أهل الشام .

(٢) الإستيعاب ترجمة عبد الرّحمٰن ، الأغاني ج ١٥ ص ١٣ : تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٢٨ واللفظ لأبي عمر .

عبيد الله بن زياد[١] . فقال : أما لقد اصطنعك أبي ، ورفاك حتّى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يُجارى إليه ، ولا يُسامى ، فما شكرت بلاءه ، ولا جازيته بآلائه ، وقدّمت عليّ هذا - يعني يزيد بن معاوية - وبايعت له ، ووالله لأنا خيرٌ منه أباً وأُمّاً ونفساً . فقال معاوية : أمّا بلاء أبيك فقد يحقّ عليَّ الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أنّي طلبت بدمه حتى تكشّفت الأُمور ، ولست بلائم لنفسي في التشمير ، وأمّا فضل أبيك على أبيه ، فأبوك والله خيرٌ منّي ، وأقرب برسول الله ﷺ ، وأمّا فضل أُمّك على أُمّه فما ينكر امرأة من قريش خيرٌ من امرأة من كلب ، وأمّا فضلك عليه ، فوالله ما أُحبّ أنّ الغوطة دَحَست ليزيد رجالاً مثلك ! فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ! ابن عمك، وأنت أحقُّ مَن نظر في أمره ، وقد عتب عليك لي فأعتبه[٢] .

وفي لفظ ابن قتيبة : فلمّا قدم معاوية الشام ، أتاه سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان شيطان قريش ولسانها ، قال : يا أمير المؤمنين ! على مَ تبايع ليزيد وتتركني ؟ فوالله لتعلم أنّ أبي خير من أبيه ، وأُمّي خيرٌ من أُمّه ، وأنا خيرٌ منه ، وإنّك إنّما نلت ما أنت فيه بأبي . فضحك معاوية وقال : يا بن أخي أمّا قولك : إنّ أباك خيرٌ من أبيه . فيوم من عثمان خيرٌ من معاوية . وأمّا قولك : إنّ أُمّك خيرٌ من أُمّه ففضل قرشيّة على كلبيّة فضلٌ بيّن . وأمّا أن أكون نلت ما أنا فيه بأبيك : فإنّما هو الملك يؤتيه الله من يشاء ، قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بنو العاصي ، وقامت فيه بنو حرب، فنحن أعظم بذلك منّةً عليك. وأمّا أنْ تكون خيراً من يزيد: فوالله ما أُحبّ أنّ داري مملوءة رجالاً مثلك بيزيد ، ولكن دعني من هذا القول ، وسلني أُعطك . فقال سعيد بن عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين ! لا يعدم يزيد مزكّياً ما دمت له ، وما كنت لأرضى ببعض حقّي دون بعض ، فإذا أبيت فاعطني ممّا أعطاك الله .

---

(١) سار إلى خراسان في اخريات سنة (٥٣) وأقام بها سنتين ، كما رواه الطبري في تاريخه ج ٦ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧١ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ .

فقال معاوية : لك خراسان ! قال سعيد : وما خراسان ؟ قال : إنّها لك طعمة وصلة رحم . فخرج راضياً وهو يقول :

ذكرت أمير المؤمنين ، وفضله ... فقلت: جزاه اللّه خيراً بما وصل
وقد سبقت منّي إليه بوادرٌ ... من القول فيه آية العقل، والزلل
فعاد أمير المؤمنين بفضله، ... وقد كان فيه قبل عودته ميلْ
وقال: خراسان لك اليوم طعمة ... فجوزي أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه ... لما نالني من ملكه فوق ما بذل

فلمّا انتهى قوله إلى معاوية ، أمر يزيد أن يزوّده ، وأمر إليه بخلعة ، وشيّعه فرسخاً[1] .

قال ابن عساكر في (تاريخه ج ٦ ص ١٥٥) : كان أهل المدينة يحبّون سعيداً ، ويكرهون يزيد ، فقدم على معاوية فقال له : يا بن أخي ما شيءٌ يقوله أهل المدينة ؟ قال : ما يقولون ؟ قال : قولهم :

واللّه لا ينالها يزيدُ ... حتّى يعضّ هامه الحديد
إنّ الأمير بعده سعيدُ

قال : ما تنكر من ذلك يا معاوية ؟! والله إنَّ أبي لخيرٌ من أبي يزيد ، ولأُمّي خيرٌ من أُمّه ، ولأنا خيرٌ منه ، ولقد استعملناك فما عزلناك بعدُ : ووصلناك فما قطعناك ، ثمّ صار في يديك ما قد ترى فحلأتنا عنه أجمع . فقال له : أمّا قولك . الحديث .

وقال : حكى الحسن بن رشيق قصّة سعيد مع معاوية بأطول ممّا مرّ ـ ثمّ ذكر حكاية ابن رشيق ـ وفيها : فولاه معاوية خراسان ، وأجازه بمائة ألف درهم .

كتب معاوية في بيعة يزيد

كتب معاوية إلى مروان بن الحكم : إنيّ قد كبرت سنّي ، ودقَّ عظمي ، وخشيت الإختلاف على الأُمّة بعدي ، وقد رأيت أن أتخيّر لهم من يقوم بعدي ،

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٧ .

وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردّون عليك .

فقام مروان في الناس ، فأخبرهم به ، فقال الناس : أصاب ووفّق ، وقد أحببنا أن يتخيّر لنا ، فلا يألو . فكتب مروان إلى معاوية بذلك ، فأعاد إليه الجواب يذكر «يزيد» فقام مروان فيهم وقال : إنَّ أمير المؤمنين قد اختار لكم ، فلم يأل ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده .

فقام عبد الرّحمٰن بن أبي بكر فقال : كذبت والله يا مروان ! وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأُمّة محمّد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقليّة ، كلما مات هرقل قام هرقل .

فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه : **﴿والذي قال لوالديه أُفّ لكما﴾** الآية . فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب ، وقالت : يا مروان ! يا مروان ! فأنصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه فقالت : أنت القائل لعبد الرّحمٰن إنّه نزل فيه القرآن ؟ كذبت والله ما هو به ، ولكنّه فلان بن فلان ، ولكنّك أنت فضضٌ من لعنة نبيّ الله[1] .

وقام الحسين بن علي ، فأنكر ذلك ، وفعل مثله ابن عمر ، وابن الزبير ، فكتب مروان بذلك إلى معاوية ، وكان معاوية قد كتب إلى عمّاله بتقريظ يزيد ووصفه ، وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار ، فكان فيمن أتاه محمّد بن عمرو بن حزم من المدينة ، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة ، فقال محمّد بن عمرو لمعاوية : إنَّ كل راع مسؤول عن رعيّته ، فانظر من تولي أمر أُمّة محمّد ، فأخذ معاوية بهر[2] حتى جعل يتنفّس في يوم شاتٍ ، ثمّ وصله وصرّفه .

وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد ، فدخل عليه فلمّا خرج من عنده قال له :

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن : ص٢٩٧ ، ٢٩٩

(٢) البهر : إنقطاع النفس من الإعياء .

كيف رأيت ابن أخيك ؟ قال : رأيت شباباً ونشاطاً ، وجلداً ومزاحاً ، ثمّ إنّ معاوية قال للضحّاك بن قيس الفهري : لمّا اجتمع الوفود عنده : إنّي متكلمٌ فإذا سكتُّ فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد ، وتحثّني عليها . فلمّا جلس معاوية للناس ، تكلّم فعظّم أمر الإسلام ، وحرمة الخلافة وحقّها ، وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر ، ثمّ ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة ، وعرض ببيعته ، فعارضه الضحاك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ! إنّه لا بدّ للناس من والٍ بعدك ، وقد بلونا الجماعة والأُلفة، فوجدناهما أحقن للدماء ، وأصلح للدهماء ، وآمن للسبل ، وخيراً في العاقبة ، والأيّام عوج رواجع ، والله كلّ يوم هو في شأن ، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه ، وقصد سيرته على ما علمت ، وهو من أفضلنا علماً وحلماً ، وأبعدنا رأياً ، فولّه عهدك ، واجعله لنا علماً بعدك ، ومفزعاً نلجأ إليه ونسكن في ظلّه . وتكلّم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك ، ثمّ قام يزيد بن المقنع العذري فقال : هذا أمير المؤمنين وأشار إلى معاوية ، فإنْ هلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، ومَن أبى فهذا ، وأشار إلى سيفه ، فقال معاوية : إجلس فأنت سيّد الخطباء . وتكلّم من حضر من الوفود .

فقال معاوية للأحنف : ما تقول يا أبا بحر ؟ فقال : نخافكم إنْ صدقنا . ونخاف الله إنْ كذبنا ، وأنت أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسرِّه وعلانيته ، ومدخله ، ومخرجه ، فإنْ كنت تعلمه لِلّهِ تعالىٰ وللأُمّة رضا ، فلا تشاور فيه ، وإنْ كنت تعلم فيه غير ذلك ، فلا تزوّده الدنيا ، وأنت صائرٌ إلى الآخرة ، وإنّما علينا أنْ نقول : سمعنا وأطعنا .

وقام رجلٌ من أهل الشام فقال : ما ندري ما تقول هذه المعديّة العراقيّة ، وإنّما عندنا سمعٌ وطاعةٌ ، وضربٌ وازدلاف . فتفرّق الناس يحكون قول الأحنف ، وكان معاوية يعطي المقارب ، ويُداري المباعد ، ويلطف به ، حتّى استوثق له أكثر الناس ، وبايعه[1] .

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢١٤ ـ ٢١٦ .

صــورة أخـرىٰ :

قالوا : ثمَّ لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن ، رحمـه الله ، إلَّا يسيراً أنْ بـايع ليـزيد بـالشـام ، وكتب بيعتـه إلى الآفـاق ، وكـان عـامله على المـدينـة مـروان بن الحكم ، فكتب إليـه يذكـر الذي قضى الله بـه على لسانـه من بيعة يـزيد ، ويـأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم ، من أهل المدينة ، يبايعوا ليزيد .

فلمّا قرأ مروان كتاب معاوية ، أبى من ذلك ، وأبته قريشٌ ، فكتب لمعاوية : إنَّ قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك ، فـأرني رأيك . فلمّـا بلغ معاويـة كتاب مروان عرف ذلك من قبله ، فكتب إليه يـأمره أنْ يعتـزل عمله ، ويخبره أنّـه قد ولّى المدينة سعيد بن العاص ، فلمّا بلغ مروان كتاب معاوية أقبل مغاضباً في أهل بيته ، وناس كثير من قومه ، حتّى نزل بأخـواله بني كنـانة ، فشكـا إليهم وأخبرهم بـالذي كان من رأيه في أمر معاوية ، وفي عزله ، واستخلافـه يزيـد ابنه عن غيـر مشاورة ، مبـادرة له ، فقـالوا : نحن نبلك في يـدك ، وسيفـك في قـرابـك ، فمن رميتـه بنـا أصبناه ، ومن ضربته قطعناه ، الرأي رأيك ، ونحن طوع يمينك .

ثمَّ أقبل مروان في وفد منهم كثير ممّن كان معه من قومـه ، وأهل بيتـه ، حتى نزل دمشق ، فخرج حتى أتى سدَّة معاويـة ، وقد أذن للنـاس ، فلمّا نـظر الحاجب إلى كثرة مَن معه من قـومه ، وأهـل بيته ، منعـه من الدخـول ، فوثبـوا إليه فضـربوا وجهـه حتَّى خلى عن الباب ، ثمّ دخـل مروان ، ودخلوا معـه حتى إذا كان معـاوية بحيث تناله يده ، قال بعد التسليم عليه بـالخلافـة : إنّ الله عظيمٌ خـطره ، لا يقدر قـادرٌ قدره ، خلق من خلقـه عبـاداً جعلهم لـدعـائم دينـه أوتـاداً ، هم رقبـاؤه على البـلاد ، وخلفاؤه على العبـاد ، أسفر بهم الـظلم ، وألّف بهم الـدين ، وشـدَّد بهم اليقين ، ومنـح بهم الظفـر ، ووضع بهم من استكبـر ، فكان من قبلك من خلفـائنا يعرفون ذلـك في سالف زمـاننا ، وكنّـا نكون لهم على الـطاعة اخـواناً ، وعلى من خـالف عنّا أعـواناً ، يُشـدّ بنا العضـد ، ويُقـام بنـا الأوَد ، ونُستشـار في القضيّـة ، ونستـأمـر في أمـر الـرعيّـة ، وقـد أصبحنـا اليـوم في أُمـور مستخيـرة ، ذات وجـوه مستديرة ، تفتح بأزمَّـة الضَّلال ، وتجلس بـأسوأ الـرجال ، يؤكـل جزورهـا ، ونمق

أحلابها ، فما لنا لا نستأمر في رضاعها ، ونحن فطامها ، وأولاد فطامها ؟ وأيم الله لولا عهودٌ مؤكّدة ، ومواثيق معقّدة ، لأقمت أوَد وليّها ، فأقم الأمر يابن أبي سفيان ، واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أنَّ لك في قومك نظراً ، وانّ لهم على مناوأتك وزراً .

فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً ، ثمّ كظم غيظه بحلمه ، وأخذ بيد مروان ، ثمّ قال : إنَّ الله قد جعل لكلِّ شيء أصلاً ، وجعل لكلِّ خير أهلاً ، ثمّ جعلك في الكرم منّي محتداً ، والعزيز منّي والداً ، اخترت من قروم قادة ، ثمّ استللت سيّد سادة ، فأنت ابن ينابيع الكرم[١] ، فمرحباً بك وأهلاً من ابن عمّ ، ذكرت خلفاء مفقودين شهداء صدّيقين ، كانوا كما نعتَّ ، وكنت لهم كما ذكرت ، وقد أصبحنا في أمور مستخيرة ، ذات وجوه مستديرة ، وبك والله يابن العمّ نرجو استقامة أوَدها ، وذلولة صعوبتها ، وسفور ظلمتها ، حتّى يتطأطأ جسيمها ، ويركبَ بك عظيمها ، فأنت نظير أمير المؤمنين بعده وفي كلِّ شيء عضده ، وإليك بعد عهده ، فقد ولّيتك قومك ، وأعظمنا في الخراج سهمك ، وأنا مجيزٌ وفدك ، ومحسنٌ رفدك ، وعلى أمير المؤمنين غناك ، والنزول عند رضاك .

فكان أوّل ما رزق ألف دينار في كلِّ هلال ، وفرض له في أهل بيته مائة مائة .

كتاب معاوية إلى سعيد :

إنّ معاوية كتب إلى سعيد بن العاص ، وهو على المدينة يأمره أنْ يدعو أهل المدينة إلى البيعة ، ويكتب إليه بمن سارع ممّن لم يسارع ، فلمّا أتى سعيد بن العاص الكتاب ، دعا الناس إلى البيعة ليزيد ، وأظهر الغلظة ، وأخذهم بالعزم والشدّة ، وسطا بكلِّ مَن أبطأ عن ذلك ، فأبطأ الناس عنها إلّا اليسير لا سيّما بني هاشم ، فإنّه لم يجبه منهم أحدٌ ، وكان ابن الزبير من أشدّ الناس إنكاراً لذلك ،

---

(١) قايس بين هذه الإطراءات الفارغة المكذوبة ، وبين قوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لذلك الطريد ابن الطريد ، الوزغ ابن الوزغ ، اللعين ابن اللعين . ونحن لو أعطينا لمعاوية حقّ المقام لقلنا : مكره أخوك لا بطل .

ورداً له ، فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية :

أمّا بعد : فإنّك أمرتني أنْ أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين ، وأنْ أكتب إليك بمن سارع ممّن أبطأ ، وإنّي أُخبرك أنّ الناس عن ذلك بطاء ، لا سيّما أهل البيت من بني هاشم ، فإنّه لم يجبني منهم أحدٌ ، وبلغني عنهم ما أكره ، وأمّا الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير ، ولست أقوى عليهم إلاّ بالخيل والرجال ، أو تقدم بنفسك فترى رأيك ، والسّلام .

فكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس ، وإلى عبد الله بن الزبير ، وإلى عبد الله بن جعفر ، والحسين بن عليّ ، رضي الله عنهم ، كتباً ، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ، ويبعث بجواباتها ، وكتب إلى سعيد بن العاص :

أمّا بعد : فقد أتاني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ، ولا سيّما بني هاشم ، وما ذكر ابن الزبير ، وقد كتبت إلى رؤسائهم كتباً ، فسلّمها إليهم ، وتنجز جواباتها ، وابعث بها حتّى أرى في ذلك رأيي ، ولتشدّ عزيمتك ، ولتصلب شكيمتك ، وتحسن نيّتك ، وعليك بالرِّفق ، وإيّاك والخرق ، فإنّ الرّفق رشدٌ ، والخرق نكدٌ ، وانظر حسيناً خاصّة ، فلا يناله منك مكروهٌ ، فإنّ له قرابة ، وحقّاً عظيماً ، لا ينكره مسلمٌ ، ولا مسلمة ، وهو ليث عرين ، ولست آمنك إنْ تشاوره أن لا تقوى عليه . فأمّا من يرد مع السباع إذا وردت ، ويكنس إذا كنست ، فذلك عبد الله بن الزبير ، فاحذره أشدّ الحذر ، ولا قوّة إلاّ بالله ، وأنا قادمٌ عليك إن شاء الله . والسَّلام[1] .

قال الأميني : يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . نعم : والحقُّ إنَّ للحسين ، ولأبيه وأخيه ، قرابة وحقّاً عظيماً ، لا ينكره مسلمٌ ولا مسلمةٌ ، إلاّ معاوية وأذنابه الذين قلّبوا عليهم ظهر المجنّ ، بعد هذا الإعتراف الذي جحدوا به ، واستيقنته أنفسهم ، بعد أن حلبت الأيّام لهم درّتها ، فضيّعوا تلك القرابة ،

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٦ .

وأنكروا ذلك الحقَّ العظيم ، وقطعوا رحماً ماسّة إنْ كان بين الطلقاء وسادات الأُمّة رحمٌ .

هيهات لا قرَّبت قربى ، ولا رحم يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
كانت مودَّة سلمان له رحماً ولم يكن بين نوح ، وابنه ، رحم[1]

كتاب معاوية إلى الحسين (ع) :

أمّا بعد : فقد انتهت إليّ منك أُمورٌ لم أكن أظنّك بها رغبة عنها ، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك ، وشرفك ، ومنزلتك التي أنزلك الله بها ، فلا تنازع إلى قطيعتك ، واتّق الله ، ولا تردنَّ هذه الأُمّة في فتنة ، وانظر لنفسك ودينك وأُمّة محمّد ، ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون .

فكتب إليه الحسين رضي الله عنه :

أمّا بعد : فقد جاءني كتابك ، تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّي أُمورٌ ، لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها . وإنّ الحسنات لا يهدى لها ، ولا يسدِّد إليها ، إلّا الله تعالى ، وأمّا ما ذكرت أنّه رقى إليك عنّي ، فإنّما رقاه الملاّقون المشّاؤون بالنميمة ، المفرِّقون بين الجمع ، وكذب الغاوون المارقون ، ما أردت حرباً ولا خلافاً ، وإنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين ، المحلّين ، حزب الظالم ، وأعوان الشيطان الرجيم . إلى آخر الكتاب[2] .

كتاب معاوية إلى عبد الله بن جعفر :

كتب إلى عبد الله : أما بعد : فقد عرفت أثرتي إيّاك على مَن سواك ، وحُسن رأيي فيك ، وفي أهل بيتك ، وقد أتاني عنك ما أكره ، فإن بايعت تُشكر ، وإنْ تأْبَ تُجبر ، والسَّلام .

---

(١) من قصيدة للأمير أبي فراس الشهيرة .

(٢) مرَّ بتمامه في هذا الجزء : صفحة ١٩٧ .

فكتب إليه عبد الله بن جعفر :

أمّا بعد : فقد جاءني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من أثرتك إيّاي على من سواي ، فإنْ تفعل فبحظّك أصبتَ ، وإنْ تأبَ فبنفسك قصَّرت ، وأمّا ما ذكرت من جبرك إيّاي على البيعة ليزيد ، فلعمري لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك وأباك على الإسلام ، حتى أدخلناكما كارهَين غير طائعين والسَّلام .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨]

وكتب معاوية إلى عبد الله بن الزبير :

رأيت كرام الناس إنْ كفَّ عنهمُ ... بحلم، رأوا فضلاً لمن قد تحلّما
ولا سيّما إنْ كان عفواً بقدرة ... فذلك أحرى أنْ يجلَّ ، ويعظما
ولست بذي لؤم فتعذر بالذي ... أتيته من اخلاق مَن كان ألوما
ولكنَّ غشّاً لست تعرف غيره ، ... وقد غشَّ قبل اليوم إبليس آدما
فما غشَّ إلاَّ نفسه في فعاله ... فأصبح ملعوناً ، وقد كان مكرما
وإنِّي لأخشى أنْ أنا لك بالذي ... أردت ، فيجزي اللّه مَن كان أظلما

فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية :

ألا سمع اللّه الذي أنا عبدة ... فأخزى إلٓه الناس من كان أظلما
وأجرى على اللّه العظيم بحلمه ... وأسرعهم في الموبقات تقحّما
أغرَّك أن قالوا : حليم بعزَّة ... وليس بذي حلم ، ولكن تحلّما
ولو رمت ما أنْ قد عزمت وجدتني ... هزبر عرين يترك القرن أكتما
وأقسم لولا بيعة لك لم أكن ... لأنقضها : لم تنج منِّي مسلما

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨]

بيعة يزيد في المدينة المشرّفة :

حجّ معاوية في سنة (٥٠هـ) ، واعتمر في رجب سنة (٥٦هـ) وكان في كلا السّفرين يسعى وراء بيعة يزيد ، وله في ذلك خطوات واسعة ، ومواقف ومفاوضات مع بقيّة الصّحابة ، ووجوه الأمة ، غير أنَّ المؤرِّخين خلطوا أخبار الرّحلتين بعضها ببعض ، وما فصّلوها تفصيلاً .

الـــرحلـة الأُولـــى :

قال ابن قتيبة : قالوا : إستخار الله معاويـة ، وأعرض عن ذكـر البيعة ، حتّى قـدم المدينـة سنة خمسين ، فتلقّـاه الناس . فلمّـا استقـرّ في منـزلـه ، أرسـل إلى عبـد الله بن عبّاس ، وعبـد الله بن جعفر بن أبي طـالب ، وإلى عبـد الله بن عمـر ، وإلى عبـد الله بن الزبيـر ، وأمر حـاجبه أنْ لا يـأذن لأحد من النـاس ، حتّى يخرج هؤلاء النفـر . فلمّا جلسـوا تكلّم معاويـة فقال : الحمـد لِلّه الذي أمـرنا بحمـده ، ووعدنا عليـه ثوابـه ، نحمده كثيـراً كما أنعم علينـا كثيراً ، وأشهـد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنَّ مـحمّـداً عبده ورسـوله . أمّـا بعد : فـإنّي قد كبـر سني ، ووهن عظمي ، وقرب أجلي ، وأوشكت أنْ أُدعى فأُجيب ، وقد رأيت أن أُستخلف عليكم بعـدي يزيـد ، ورأيته لكم رضـا ، وأنتم عبـادلـة قـريش وخيـارهـا ، وأبنـاء خيارها ، ولـم يمنعني أن أُحضر حسناً وحسيناً ، إلاّ أنّهما أُولاد أبيـهمـا ، علـى حسن رأيي فيهما ، وشديد محبّتي لهما ، فردّوا على أمير المؤمنين خيراً ، يرحمكم الله ! .

فتكلّم عبد الله بن العبّاس فقال :

الحمد لِلّه الذي ألهمنا أنْ نحمده ، واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحـده لا شريـك له ، وأنّ محمّـداً عبده ورسـوله ، وصلّى الله على محمّد ، وآل محمّد .

أمّا بعد : فـإنّك قـد تكلّمت فأنصتنـا ، وقلت فسمعنا ، وإنَّ الله جـلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه اختار محمّداً ﷺ لرسالته ، واختاره لوحيه ، وشـرّفه على خلقـه ، فأشرف الناس من تشرّف به ، وأولاهم بالأمر أخصّهم به ، وإنَّما على الأُمّـة التسليم لنبيّهـا إذ اختاره الله لهـا ، فإنّـه إنّما اختـار محمّـداً بعلمـه ، وهـو العليم الخبيـر ، وأستغفر الله لي ولكم .

فقام عبد الله بن جعفر فقال :

الحمد للّه أهل الحمد ومُنتهاه ، نحمده على إلهامنا حمده ، ونـرغب إليه في تأدية حقّه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله واحداً صمداً ، لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً ، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله ﷺ . أمّا بعدُ : فإنَّ هذه الخلافة إنْ أُخذ فيها بالقرآن ، فأُولوا

الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . وإن أُخذ فيها بسنَّة رسول الله ، فأُولوا رسول الله ، وإنْ أُخذ بسنّة الشيخين أبي بكر وعمر ، فأيُّ الناس أفضل وأكمل ، وأحقُّ بهذا الأمر من آل الرَّسول ؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيّهم ، لوضعوا الأمر موضعه ، لحقِّه وصدقه ، ولأُطيع الله ، وعُصي الشيطان ، وما اختلف في الأُمّة سيفان ، فاتّق الله يا معاوية ! فإنّك قد صرت راعياً ، ونحن الرعيّة ، فانظر لرعيّتك ، فإنَّك مسؤول عنها غداً ، وأمّا ما ذكرت من ابني عمّي . وتركك أن تحضرهما ، فوالله ما أصبت الحقَّ ، ولا يجوز لك ذلك إلاَّ بهما ، وإنَّك لتعلم أنَّهما معدن العلم والكرم ، فقُلْ أو دع ، وأستغفر الله لي ولكم .

فتكلّم عبد الله بن الزبير فقال :

الحمد لِلّه الذي عرّفنا دينه ، وأكرمنا برسوله ، أحمده على ما أبلى وأولى ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله . وأنَّ محمّداً عبده ورسوله . أمّا بعد : فإنَّ هذه الخلافة لقريش خاصَّة ، تتناولها بمآثرها السنيَّة ، وأفعالها المرضيَّة ، مع شرف الآباء ، وكرم الأبناء ، فاتّقِ الله يا معاوية ! وأنصف من نفسك ، فإنَّ هذا عبد الله بن عبّاس ، ابن عمِّ رسول الله ﷺ ، وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ، ابن عمِّ رسول الله ﷺ ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمّة رسول الله ﷺ ، وعليٌّ خلّف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم مَن هما ، وما هما ، فاتّق الله يا معاوية ! وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك .

فتكلّم عبد الله بن عمر فقال :

الحمد لِلّه الذي أكرمنا بدينه ، وشرّفنا بنبيّه ﷺ ، أمّا بعد : فإنَّ هذه الخلافة ليست بهرقليَّة ، ولا قيصريَّة ، ولا كسرويَّة ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنتُ القائم بها بعد أبي ، فوالله ما أدخلني مع الستَّة من أصحاب الشورى ، إلاَّ أنَّ الخلافة ليست شرطاً مشروطاً ، وإنَّما هي في قريش خاصَّة ، لمن كان لها أهلاً ، ممَّن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ، مَن كان أتقى وأرضى . فإنْ كنتَ تريد

الفتيان من قريش ، فلعمري إنَّ يزيد من فتيانها ، واعلم أنَّه لا يغني عنك من الله شيئاً .

فتكلم معاوية فقال :

قد قلتُ وقلتم ، وإنَّه قد ذهبت الآباء ، وبقيت الأبناء ، فإبني أحبُّ إليَّ من أبنائهم ، مع أنَّ ابني إنْ قاولتموه وجد مقالاً ، وإنَّما كان هذا الأمر لبني عبد مُناف ، لأنَّهم أهل رسول الله ﷺ ، فلمّا مضى رسول الله ﷺ ولّى الناسُ أبا بكر وعمر ، من غير معدن الملك والخلافة ، غير أنّهما سارا بسيرة جميلة ، ثمَّ رجع الملك إلى بني عبد مُناف ، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد أخرجك الله يا بن الزبير ، وأنت يا بن عمر ، منها ، فأمّا ابنا عمّي هذان فليسا بخارجين من الرأي إنْ شاء الله .

ثمَّ أمر بالرحلة ، وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ، ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأُعطياتهم ، ثمَّ انصرف راجعاً إلى الشام ، وسكت عن البيعة ، فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦]

قال الأميني : لم يذكر في هذا اللفظ ما تكلّم به عبد الرَّحمن ، ذكره ابن حجر في (الإصابة ج ٢ ص ٤٠٨) قال : خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد ، فكلّمه الحسين بن علي ، وابن الزبير ، وعبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ، فقال له عبد الرَّحمٰن : أهرقليّة ؟ كلّما مات قيصر كان قيصر مكانه ، لا نفعل والله أبداً .

صورة أُخرىٰ :

من محاورة الرحلة الأُولىٰ :

قدم معاوية المدينة حاجّاً[1] ، فلمّا أنّ دنا من المدينة ، خرج إليه الناس يتلقّونه ما بين راكبٍ وماشٍ ، وخرج النساء والصبيان ، فلقيه الناس على حال طاقتهم ، وما تسارعوا به في القوت والقرب ، فلان لمن كافحه ، وفاوض العامّة

(١) من المتسالم عليه أنّ معاوية حجّ في سنة خمسين .

بمحادثته ، وتألّفهم جهده ، مقاربة ومصانعة ليستميلهم إلى ما دخل فيه الناس ، حتى قال في بعض ما يجتلبهم به أهل المدينة : ما زلت أطوي الحزن من وعثاء السفر بالحبِّ لمطالعتكم ، حتى انطوى البعيد ، ولانَ الخشن ، وحقّ لجار رسول الله أن يُتاق إليه . فردَّ عليه القوم : بنفسك ودارك ومهاجرك أما إنّ لك منهم كإشفاق الحميم البرّ والحفيِّ ! حتى إذا كان بالجرف ، لقيه الحسين بن علي ، وعبد الله بن عبّاس ، فقال معاوية : مرحباً بابن بنت رسول الله ، وابن صنو أبيه . ثمَّ انحرف إلى الناس فقال : هذان شيخا بني عبد مُناف . وأقبل عليهما بوجهه وحديثه ، فرحّب وقرَّب ، وجعل يواجه هذا مرَّة ، ويضاحك هذا أُخرى . حتى ورد المدينة .

فلمّا خالطها لقيته المشاة ، والنساء ، والصبيان ، يسلّمون عليه ويسايرونه ، إلى أن نزل ، فانصرفا عنه ، فمال الحسين إلى منزله ، ومضى عبد الله بن عبّاس إلى المسجد ، فدخله ، وأقبل معاوية ومعه خلقٌ كثيرٌ من أهل الشام ، حتى أتى عائشة أُمّ المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده ، لم يدخل عليها معه أحدٌ ، وعندها مولاها ذكوان ، فقالت عائشة : يا معاوية ! أكنت تأمن أن أُقعد لك رجلاً فأقتلك كما قتلت أخي محمّد بن أبي بكر ؟ فقال معاوية : ما كنت لتفعلين ذلك . قالت : لِمَ ؟ قال : لأنّي في بيت أمن ، بيت رسول الله . ثمَّ إنَّ عائشة حمدت الله ، وأثنت عليه ، وذكرت رسول الله ﷺ ، وذكرت أبا بكر وعمر ، وحضّته على الإقتداء بهما ، والإتّباع لأثرهما ، ثمَّ صمتت ، قال : فلم يخطب معاوية ، وخاف أن يبلغ ما بلغت ، فارتجل الحديث ارتجالاً ثمَّ قال :

أنت والله يا أُمّ المؤمنين ! العالمة بالله وبرسوله ، دللتنا على الحقِّ ، وحضضتنا على حظِّ أنفسنا ، وأنت أهلٌ لأن يُطاع أمرك ، ويُسمع قولك ، وإنَّ أمر يزيد قضاءٌ من القضاء ، وليس للعباد الخيرة من أمرهم ، وقد أكّد النّاس بيعتهم في أعناقهم ، وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم ، أفترى أنْ ينقضوا عهودهم ومواثيقهم ؟ !

فلمّا سمعت ذلك عائشة علمت أنّه سيمضي على أمره ، فقالت : أمّا ما

ذكـرت من عهود ومـواثيق فاتّق الله في هؤلاء الـرهط ، ولا تعجـل فيهم ، فعلّهم لا يصنعون إلّا ما أحببت .

ثمَّ قام معاوية ، فلمّا قـام قالت عـائشة : يـا معاويـة ! قتلت حُجراً وأصحـابه العابدين المجتهدين ! فقال معاوية : دعي هـذا ، كيف أنا في الـذي بيني وبينك ، وفي حوائجك ؟ قالت : صالح . قال : فدعينا وإيّاهم حتى نلقى ربّنا !!

ثمَّ خرج ومعه ذكوان ، فاتّكـأ على يد ذكـوان ، وهو يمشي ويقـول : تالله إن رأيت كاليوم قطّ خطيباً أبلغ من عائشة بعـد رسول الله ! ثمَّ مضى حتى أتى منـزله ، فأرسل إلى الحسين بن علي فخلا به فقـال له : يـابن أخي قد استـوثق الناس لهـذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، يابن أخي ! فما أربك إلى الخلاف ؟ قـال الحسين : أرسل إليهم فـإنْ بايعـوك كنتُ رجـلاً منهم ، وإلّا تكن عجلت عليَّ بأمر . قال : نعم . فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحداً ، فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلاً بالطريق فقال : يقول لك أخوك ابن الزبير : ما كان ؟ فلم يزل بـه حتى استخرج منه شيئاً .

ثمَّ أرسل معاوية إلى ابن الزبير ، فخلا به فقال لـه : قد استـوثق الناس لهـذا الأمر غير خمسة نفر من قريش ، أنت تقودهم ، يابن أخي فما أربك إلى الخلاف ؟ قال : فأرسل إليهم فإن بايعوك كنت رجـلاً منهم ، وإلّا تـكـن عجلت عليَّ بأمـر . قال : وتفعل ؟ قال : نعم . فأخذ عليه أنْ لا يخبر بحديثهما أحداً .

فـأرسل بعـده إلى ابن عمر ، فـأتـاه وخـلا بـه ، فكلّمـه بكـلام هـو ألين من صاحبيه ، وقـال : إنّي كرهت أن أدع أُمّـة محمّد بعـدي كالضـأن لا راعي لها[1] ، وقـد استـوثق النـاس لهـذا الأمـر غيـر خمسـة نفـر أنت تقـودهم ، فمـا أربـك إلى الخلاف ، قال ابن عمر : هل لك في أمر تحقن به الدماء ، وتدرك به حاجتـك ؟ !

(١) أتصدّق أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ترك أُمّته كـالضأن ، لا راعي لهـا ، ولم يرض بـذلك معـاوية ؟ ! حاشا نبيّ الرحمة عن أنْ يـدع الامة كمـا يحسبون ، غيـر أنهم نبذوا وصيتـه وراء ظهورهم ، وجروا الويلات على الامّة حتى اليوم !

فقال معاوية : وددت ذلك . فقال ابن عمر : تبرز سريرك ثمّ أجيء فأُبايعك على أنّي أدخل فيما اجتمعت عليه الأُمّة ، فوالله لو أنّ الأُمّة اجتمعت على عبد حبشيّ لدخلت فيما تدخل فيه الأُمّة . قال : وتفعل ؟ قال : نعم ثمَّ خرج .

وأرسل إلى عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر فخلا به قال : بأيِّ يد أو رجل تقدم على معصيتي ؟ فقال عبد الرّحمٰن : أرجو أن يكون ذلك خيراً لي . فقال معاوية : والله لقد هممت أن أقتلك . فقال : لو فعلت لأتبعك الله في الدنيا ، ولأدخلك في الآخرة النار . ثمّ خرج .

بقي معاوية يومه ذلك يُعطي الخواصَّ ، ويُدني بذمّة الناس ، فلمّا كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراش ، فوضع له ، وسوّيت مقاعد الخاصّة حوله ، وتلقاءه من أهله ، ثمّ خرج وعليه حلّةٌ يمانيّةٌ ، وعمامةٌ دكناء ، وقد أسبل طرفها بين كتفيه ، وقد تغلّف وتعطّر ، فقعد على سريره ، وأجلس كتّابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به ، وأمر حاجبه أنْ لا يأذن لأحد من النّاس وإنْ قرب ، ثمّ أرسل إلى الحسين بن علي ، وعبد الله بن عبّاس . فسبق ابن عبّاس ، فلمّا دخل وسلّم عليه ، أقعده في الفراش على يساره ، فحادثه مليّاً ثمَّ قال : يابن عبّاس لقد وفَّر الله حظّكم من مجاورة هذا القبر الشريف ، ودار الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم ! فقال ابن عبّاس : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ، وحظّنا من القناعة بالبعض ، والتجافي عن الكلِّ ، أوفر . فجعل معاوية يحدِّثه ، ويحيد به عن طريق المجاوبة ، ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع ، حتّى أقبل الحسين بن علي ، فلمّا رآه معاوية ، جمع له وسادة كانت عن يمينه ، فدخل الحسين ، وسلّم ، فأشار إليه ، فأجلسه عن يمينه ، مكان الوسادة ، فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن ، وأسنانهم ، فأخبره ، ثمَّ سكت ، ثمَّ ابتدأ معاوية فقال :

أمّا بعد : فالحمد لِلّه وليِّ النعم ، ومنزل النقم ، وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله المتعالي عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً ، وأنَّ محمّداً عبده المختصّ المبعوث إلى الجنِّ والإنس كافّة ، لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فأدّى عن الله ، وصدع بأمره ، وصبر عن الأذى في جنبه ، حتى أوضح دين الله ، وأعزَّ أولياءه ، وقمع المشركين ، وظهر أمر الله وهم

كارهون ، فمضى ، صلوات الله عليه ، وقد ترك من الدنيا ما بذل له ، واختار منها الترك لما سخر له ، زهادةً واختياراً لِلّه ، وأنفة واقتداراً على الصبر ، بغياً لما يدوم ويبقى ، فهذه صفة الرّسول ﷺ ثمّ خلفه رجلان محفوظان ، وثالث مشكوك ، وبين ذلك خوض طول ما عالجناه مشاهدةً ، ومكافحةً ، ومعاينةً وسماعاً ، وما أعلم منه فوق ما تعلمان ، وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه ، وقد علم الله ما أُحاول به من أمر الرعيَّة من سدّ الخلل ، ولمّ الصَّدع بولاية يزيد ، بما أيقظ العين ، وأحمد الفعل ، هذا معناي في يزيد ، وفيكما فضل القرابة ، وحظوة العلم ، وكمال المروءة ، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ، ما أعياني مثله عند كما ، وعند غير كما ، مع علمه بالسنَّة ، وقراءة القرآن ، والحلم الذي يرجح بالصمّ الصلاب ، وقد علمتما أنّ الرَّسول المحفوظ بعصمة الرِّسالة قدَّم على الصدّيق والفاروق ، ودونهما من أكابر الصحابة ، وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل ، من لم يقارب القوم ، ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ، ولا سنَّة مذكورة ، فقادهم الرجل بإمرة ، وجمع بهم صلاتهم ، وحفظ عليهم فيئهم ، وقال ولم يقل معه ، وفي رسول الله ﷺ أُسوةٌ حسنة ، فمهلاً بني عبد المطلب ، فأنا وأنتم شعبا نفع وجدّ ، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما ، فما يقول القائل إلاَّ بفضل قولكما ، فردّا على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما ، وأستغفر الله لي ولكما .

كلمة الإمام السبط :

فتيسَّر ابن عبّاس للكلام ، ونصب يده للمخاطبة ، فأشار إليه الحسين ، وقال : على رسلك ، فأنا المراد ، ونصيبي في التُّهمة أوفر ! فأمسك ابن عبّاس ، فقام الحسين ، فحمد الله ، وصلّى على الرَّسول ، ثمّ قال :

أمّا بعد : يا معاوية ! فلن يؤدّي القائل وإنْ أطنب في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءاً ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله ، من إيجاز الصفة ، والتنكّب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ! فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضّلت حتّى أُفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتّى بخلت ، وجرت حتّى جاوزت ، ما بذلت لذي حقّ من أتمّ

حقِّه بنصيب ، حتّى أخذ الشيطان حظَّه الأوفر ، ونصيبه الأكمل ، وفهمتُ ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لامّة محمّد ، تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنّك تصف محجوباً ، أو تنعت غائباً ، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ ، وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبّق لأترابهنّ ، والقينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهي ، تجده ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أنْ تلقى الله بوزر هذا الخلق ، بأكثر ممّا أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدّر باطلاً في جور ، وحنقاً في ظلم ، حتّى ملأت الأسقية ، وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة ، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ، ولات حين مناص ، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا ، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول ﷺ ولادة ، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرَّسول ، فأذعن للحجّة بذلك ، وردَّه الإيمان إلى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقلتم : كان ويكون ، حتّى أتاك الأمر يا معاوية ! من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أُولي الأبصار . وذكرت قيادة الرَّجل القوم بعهد رسول الله ﷺ وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرَّسول ، وبيعته له ، وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله فقال ﷺ : لا جرم معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري ، فكيف يحتجّ بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصّواب ؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابع ، وحولك من لا يؤمن في صحبته ، ولا يعتمد في دينه وقرابته ، وتتخطّاهم إلى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه ، وتشقى بها في آخرتك ، إنَّ هذا لهو الخسران المبين ، وأستغفر الله لي ولكم .

فنظر معاوية إلى ابن عبّاس فقال : ما هذا يابن عبّاس ؟ ولما عندك أدهى وأمرّ . فقال ابن عبّاس : لعمر الله إنَّها لذريَّة الرَّسول ، وأحد أصحاب الكساء ، ومن البيت المطهّر ، فاله عمّا تريد ، فإنَّ لك في الناس مقنعاً حتّى يحكم الله بأمره ، وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية : أعود الحلم التحلّم ، وخيره التحلّم عن الأهل ، انصرفا في حفظ الله . ثمّ أرسل معاوية إلى عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ، وإلى عبد الله بن عمر ، وإلى عبد الله بن الزبير فجلسوا ، فحمد الله ، وأثنى عليه معاوية ثمّ قال :

يا عبد الله بن عمر ! قد كنت تحدّثنا أنّك لا تحبّ أن تبيت ليلة ، وليس في عنقك بيعة جماعة ، وإنّ لك الدنيا وما فيها ، وإنّي أُحذّرك أن تشقّ عصا المسلمين ، وتسعى في تفريق ملئهم ، وأن تسفك دماءهم ، وإنّ أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء ، وليس للعباد خيرة من أمرهم ، وقد وكّد الناس بيعتهم في أعناقهم ، وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم . ثمّ سكت .

فتكلّم عبد الله بن عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه . ثُمّ قال :

أمّا بعد : يا معاوية ! قد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، ليس إبنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في إبنك ، فلم يحابوا في هذا الأمر أحداً ، ولكن اختاروا لهذه الأُمّة حيث علموهم . وإنْ تحذّرني أن أشقّ عصا المسلمين ، وأُفرّق ملأهم ، وأسفك دماءهم ، ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله ، ولكن إن استقام الناس ، فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أُمّة محمّد .

فقال معاوية : يرحمك الله ، ليس عندك خلافٌ ، ثمّ قال معاوية لعبد الرَّحمٰن بن أبي بكر نحو ماقاله لعبد الله بن عمر ، فقال له عبد الرَّحمٰن :

إنّك والله لوددنا أنْ نكلك إلى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذي نفسي بيده ، لتجعلنّها شورى أو لأُعيدها جذعة ، ثمّ قام ليخرج فتعلّق معاوية بطرف ردائه ثمّ قال : على رسلك ، اللّهُمَّ اكفنيه بما شئت ، لا تظهرنَّ لأهل الشام . فإنّي أخشى عليك منهم . ثمّ قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر ، ثمّ قال له : أنت ثعلب روّاغ كلمّا خرجت من جُحر انجحرت في آخر ، أنت ألّبت هذين الرجلين ، وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه .

فقال ابن الزبير : أتريد أن تبايع ليزيد ؟ أرأيت إن بايعناه أيّكما نطيع ؟ أنطيعك ؟ ! أم نطيعه ؟ ! إنْ كنت مللت الخلافة فاخرج منها ، وبايع ليزيد ، فنحن نبايعه . فكثر كلامه وكلام ابن الزبير ، حتّى قال له معاوية في بعض كلامه : والله ما أراك إلاّ قاتلاً نفسك ، ولكأنّي بك قد تخبّطت في الخبالة . ثمّ أمرهم

بالإنصراف واحتجب عن النّاس ثلاثة ايّام ، لا يخرج ، ثمّ خرج فأمر المنادي أن ينادي في النّاس : أنْ يجتمعوا لأمر جامع ، فاجتمع الناس في المسجد ، وقعد هؤلاء[1] حول المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمَّ ذكر يزيد وفضله ، وقراءته القرآن ، ثمَّ قال : يا أهل المدينة ! لقد هممت ببيعة يزيد ، وما تركت قرية ولا مدرة ، إلاَّ بعثت إليها ببيعته ، فبايع الناس جميعاً ، وسلّموا وأخّرت المدينة بيعته ، وقلت : بيضته وأصله ، ومن لا أخافهم عليه ، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدر أن يصله ، والله لو علمت مكان أحد هو خيرٌ للمسلمين من يزيد لبايعت له .

فقام الحسين فقال : والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأُمّاً ونفساً ! فقال معاوية : كأنّك تريد نفسك ؟ فقال الحسين : نعم أصلحك الله . فقال معاوية : إذاً أُخبرك ، أمّا قولك خيرٌ منه أُمّاً فلعمري أُمّك خيرٌ من أُمّه ، ولو لم يكن إلاَّ أنّها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهنَّ ، فكيف وهي ابنة رسول الله ﷺ ، ثمَّ فاطمة في دينها ، وسابقتها ، فأُمّك لعمر الله خيرٌ من أُمّه . وأمّا أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ، فقضى لأبيه على أبيك . فقال الحسين : حسبك جهلك ، آثرت العاجل على الآجل . فقال معاوية : وأمّا ما ذكرت من أنّك خيرٌ من يزيد نفساً ، فيزيد والله خيرٌ لأُمّة محمّد منك . فقال الحسين : هذا هو الإفك والزور ، يزيد شارب الخمر ، ومشتري اللهو ، خيرٌ منّي ؟ فقال معاوية : مهلاً عن شتم ابن عمّك ، فإنّك لو ذُكرت عنده بسوء لم يشتمك .

ثمَّ التفت معاوية إلى النّاس وقال : أيّها الناس قد علمتم أنَّ رسول الله ﷺ قُبض ولم يستخلف أحداً ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، وكانت بيعته بيعة هدى ، فعمل بكتاب الله ، وسنّة نبيّه ، فلمّا حضرته الوفاة رأى أنْ يجعلها شورى بين ستّة نفر اختارهم من المسلمين ، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله ، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كلُّ ذلك يصنعون نظراً للمسلمين ، فلذلك

---

(١) يعني المتخلفين عن بيعة يزيد .

رأيت أن أُبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الإختلاف ، ونظراً لهم بعين الإنصاف[1] .

رحلة معاوية الثانية وبيعة يزيد فيها :

قال ابن الأثير : فلمّا بايعه أهل العراق والشام ، سار معاوية إلى الحجاز ، في ألف فارس . فلمّا دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أوّل الناس ، فلمّا نظر إليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً ، بدنة يترقرق دمها والله مهريقه ، قال : مهلاً فإنّي والله لست بأهل لهذه المقالة . قال : بلى ولشرّ منها ، ولقيه ابن الزبير ، فقال : لا مرحباً ولا أهلاً ، خبّ ضب تلعة ، يدخل رأسه ، ويضرب بذنبه ، ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ، ويدقّ ظهره ، نحياه عنّي . فضرب وجه راحلته . ثمَّ لقيه عبد الرّحمٰن بن أبي بكر . فقال له معاوية : لا أهلاً ولا مرحباً ، شيخٌ قد خرف وذهب عقله ، ثمّ أمر فضرب وجه راحلته ، ثمَّ فعل بابن عمر نحو ذلك ، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتّى دخل المدينة ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم على منازلهم ، ولم يروا منه ما يحبّون ، فخرجوا إلى مكّة ، فأقاموا بها ، وخطب معاوية بالمدينة ، فذكر يزيد فمدحه ، وقال : مَن أحقُّ منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه ؟ ! وما أظنّ قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتثُّ أُصولهم ، وقد أنذرت إن أغنت النذر . ثم أنشد متمثّلاً :

قد كنت حذَّرتك آل المصطلقْ وقلت : يا عمرو أطعني وانطلق

إنّك إنْ كلّفتني ما لم أطقْ ساءك ما سرّك منّي من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثمّ دخل على عائشة ، وقد بلغها أنّه ذكر الحسين وأصحابه فقال : لأقتلنّهم إنْ لم يبايعوا . فشكاهم إليها فوعظته ، وقالت له : بلغني أنّك تتهدّدهم بالقتل ؟ فقال : يا أُمّ المؤمنين ! هم أعزّ من ذلك ، ولكنّي بايعت ليزيد وبايعه غيرهم ، أفترين أن أنقض بيعة قد تمّت ؟ قالت : فارفق بهم فإنّهم يصيرون إلى ما تحبّ إنْ

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٩ ـ ١٥٥ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧٠ واللفظ لابن قتيبة .

شاء الله . قال : أفعل . وكان في قولها له : ما يؤمنك أن أُقعد لك رجلاً يقتلك ، وقد فعلت بأخي ما فعلت ـ تعني أخاها محمّداً ـ فقال لها : كلّا يا أُمّ المؤمنين ! إنّي في بيت أمن . قالت : أجل . ومكث بالمدينة ما شاء الله .

ثمّ خرج إلى مكّة فلقيه الناس ، فقال أُولئك النفر : نتلقّاه فلعلّه قد ندم على ما كان منه . فلقوه ببطن مرّ ، فكان أوّل من لقيه الحسين ، فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً يا بن رسول الله ! وسيّد شباب المسلمين . فأمر له بدابّة فركب وسايره ، ثمّ فعل بالباقين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم ، حتّى دخل مكّة ، فكانوا أوّل داخل ، وآخر خارج ، ولا يمضي يوم إلّا ولهم صلة ، ولا يذكر لهم شيئاً حتى قضى نسكه ، وحمل أثقاله وقرب مسيره .

فقال بعض أُولئك النفر لبعض : لا تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبّكم ، وما صنعه إلّا لما يُريد ، فأعدّوا له جواباً . فاتّفقوا على أَنْ يكون المخاطب له ابن الزبير .

فأحضرهم معاوية وقال : قد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لأرحامكم ، وحملي ما كان منكم ، ويزيد أخوكم وابن عمّكم ، وأردت أن تقدّموه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تعزلون وتأمرون ، وتجبون المال وتقسّمونه ، لا يعارضكم في شيء من ذلك ، فسكتوا ، فقال : ألا تجيبون ؟ مرّتين .

ثمّ أقبل على ابن الزبير فقال : هات لعمري إنّك خطيبهم ، فقال : نعم نخيّرك بين ثلاث خصال قال : أعرضهنّ . قال : تصنع كما صنع رسول الله ﷺ ، أو كما صنع أبو بكر ، أو كما صنع عمر ، قال معاوية : ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً ، فارتضى الناس أبا بكر ، قال : ليس فيكم مثل أبي بكر ، وأخاف الإختلاف . قالوا : صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر ، فإنّه عهد إلى رجل من قاصية قريش ، ليس من بني أبيه فاستخلفه ، وإنْ شئت فاصنع كما صنع عمر ، جعل الأمر شورى في ستّة نفر ، ليس فيهم أحد من ولده ، ولا من بني أبيه .

قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ قال : لا . ثمّ قال : فأنتم ؟ قالوا : قولنا

قوله . قال : فإنّي قد أتقدّم إليكم أنّه قد أُعذر مَن أنذر ، إنّي كنت أخطب منكم فيقوم إليّ القائم منكم فيكذّبني على رؤوس الناس ، فأحمل ذلك وأصفح ، وإنّي قائمٌ بمقالة فأُقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها ، حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجلٌ إلّا على نفسه . ثمّ دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : أقم على رأس كلِّ رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كلِّ واحد سيفٌ ، فإنْ ذهب رجلٌ منهم يردُّ عليَّ كلمة بتصديق أو تكذيب ، فليضرباه بسيفهما .

ثمَّ خرج وخرجوا معه ، حتّى رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمَّ قال : إنَّ هؤلاء الرَّهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يبتزُّ أمر دونهم ، ولا يفضى إلّا عن مشورتهم ، وإنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوا على اسم الله . فبايع الناس وكانوا يتربّصون بيعة هؤلاء النفر ، ثمَّ ركب رواحله وانصرف إلى المدينة ، فلقي الناس اولئك النفر فقالوا لهم : زعمتم انّكم لا تبايعون فلِمَ رضيتم وأعطيتم وبايعتم ؟ قالوا : والله ما فعلنا . فقالوا : ما منعكم أن تردّ واعلى الرَّجل ؟ قالوا : كادنا وخفنا القتل . وبايعه أهل المدينة ثمَّ انصرف إلى الشام وجفا بني هشام فأتاه ابن عبّاس فقال له: ما بالك جفوتنا ؟ قال : إنَّ صاحبكم ـ يعني الحسين عليه السلام ـ لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه . فقال : يا معاوية ! إنّي لخليقٌ أن أنحاز إلى بعض السواحل ، فأُقيم به ، ثمَّ أنطق بما تعلم ، حتى أدع الناس كلّهم خوارج عليك . قال : يا أبا العبّاس تعطون وترضون وترادون(١) .

وجاء في لفظ ابن قتيبة : إنَّ معاوية نزل عن المنبر ، وانصرف ذاهباً إلى منزله ، وأمر من حرسه وشرطته قوماً أن يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة ، وهم : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عبّاس ، وعبد الرَّحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية قال : إنّي خارجٌ العشيّة إلى أهل الشام فأُخبرهم أنَّ هؤلاء النّفر قد بايعوا وسلّموا ، فإنْ تكلّم أحدٌ منهم بكلام

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢١ ـ ٢١٨ ، ذيل الأمالي ص ١٧٧ ، جمهرة الرسائل ج ٢ ص ٦٩ واللفظ لابن الأثير .

يصدِّقني أو يكذّبني فيه ، فلا ينقضي كلامه حتّى يطير رأسه ، فحذَّر القوم ذلك .

فلمّا كان العشيُّ ، خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر ، وهو يضاحكهم ويحدِّثهم وقد ألبسهم الحلل ، فألبس ابن عمر حلّة حمراء ، وألبس الحسين حلّة صفراء ، وألبس عبد الله بن عبّاس حلّة خضراء ، وألبس ابن الزبير حلّة يمانيّة ، ثمّ خرج بينهم ، وأظهر لأهل الشام الرضا عنهم ـ أي القوم ـ وأنَّهم بايعوا ، فقال : يا أهل الشام ! إنَّ هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين ، فوجدهم واصلين مطيعين ، وقد بايعوا وسلّموا ذلك ، والقوم سكوتٌ لم يتكلّموا شيئاً حذر القتل ، فوثب أُناسٌ من أهل الشام فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إن كان رابك منهم ريبٌ فحل بيننا وبينهم كي نضرب أعناقهم . فقال معاوية : سبحان الله ما أحلّ دماء قريش عندكم يا أهل الشام ! لا أسمع لهم ذكراً بسوء فإنّهم قد بايعوا وسلّموا ، وارتضوني فرضيت عنهم ، رضي الله عنهم ، ثمَّ ارتحل معاوية راجعاً إلى مكّة وقد أعطى الناس أُعطياتهم ، وأجزل العطاء ، وأخرج إلى كل قبيلة جوائزها وأُعطياتها ، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء .

فخرج عبد الله بن عبّاس في أثره حتّى لحقه بالروحاء ، فجلس ببابه ، فجعل معاوية يقول : مَن بالباب ؟ فيقال عبد الله بن عبّاس فلم يأذن لأحد ، فلمّا استيقظ قال : مَن بالباب ؟ فقيل : عبد الله بن عبّاس فدعا بدابّته فأُدخلت إليه ، ثمّ خرج راكباً ، فوثب إليه عبد الله بن عبّاس فأخذ بلجام البغلة ، ثمَّ قال : أين تذهب ؟ قال : إلى مكّة . قال : فأين جوائزنا كما أجزت غيرنا ؟ فأوما إليه معاوية فقال : والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء ، حتّى يبايع صاحبكم . قال ابن عبّاس : فقد أبى ابن الزبير فأخرجت جائزة بني أسد ، وأبى عبد الله بن عمر ، فأخرجت جائزة بني عدي ، فما لنا إنْ أبى صاحبنا ، وقد أبى صاحب غيرنا .

فقال معاوية : لستم كغيركم ، لا والله لا أُعطيكم درهماً حتّى يبايع صاحبكم ، فقال ابن عبّاس : أما والله لئن لم تفعل لألحقنّ بساحل من سواحل الشام ، ثمّ لأقولنّ ما تعلم ، والله لأتركنّهم عليك خوارج . فقال معاوية : لا بل أُعطيكم جوائزكم ، فبعث بها من الروحاء ، ومضى راجعاً إلى الشام (الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٦) .

قال الأميني : إنَّ المستشفَّ لحقيقة الحال من أمر هذه البيعة الغاشمة جدّ عليم أنّها تمّت برواعد الإرهاب ، وبوارق التطميع ، وعوامل البهت والإفتراء ، فيرى معاوية يتوعّد هذا ، ويقتل ذاك ، ويولّي آخر على المدن والأمصار ، ويجعلها طعمة له ، ويدرُّ من رضائخه على النفوس الواطئة ذوات الملكات الرذيلة ، وفي القوم مَن لا يؤثّر فيه شيءٌ من ذلك كلّه ، غير انّه لا رأي لمن لا يطاع ، لكنّ إمام الهدى ، وسبط النبوَّة ، ورمز الطهارة والإباء ، لم يفتأ بعد ذلك كلّه مصحراً بالحقيقة ، ومصارحاً بالحقِّ ، وداحضاً للباطل مع كلِّ تلكم الحنادس المدلهمّة ، أصغت إليه أُذنٌ أم لا ، وصغى إلى قيله أحدٌ ، أو أعرض ، فقام بواجب الموقف رافعاً عقيرته بما تستدعيه الحالة ، ويوجبه النظر في صالح المسلمين ولم يثنه اختلاق معاوية عليه ، وعلى مَن وافقه في شيء من الأمر ، ولا ما أعدَّه لهم من التوعيد والإرجاف بهم ، ولم تك تأخذه في الله لومة لائم ، حتّى لفظ معاوية نفسه الأخير رمزاً للخزاية ، وشية العار ، ولقي الحسين عليه السلام ربّه وقد أدّى ما عليه ، رمزاً للخلود ومزيد الحبور في رضوان الله الأكبر .

نعم : لقي الحسين عليه السلام ربّه وهو ضحيّة تلك البيعة ـ بيعة يزيد ـ كما لقي أخوه الحسن ربّه مسموماً من جرّاء تلكم البيعة الملعونة التي جرَّت الويلات على أُمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واستتبعت هدم الكعبة ، والإغارة على دار الهجرة يوم الحرّة ، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوءة ، وأعظمها رزايا مشهد الطفّ التي استأصلت شأفة أهل بيت الرَّحمة ، صلوات الله عليهم ، وتركت بيوت الرسالة تنعق فيها النواعب ، وتندب النوادب ، وقرَّحت الجفون ، وأسكبت المدامع ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

نعم : تمت تلك البيعة المشومة مع فقدان أيِّ جدارة وحنكة في يزيد ، تؤهله لتسنّم عرش الخلافة على ما تردّى به من ملابس الخزي ، وشية العار ، من معاقرة الخمور ، ومباشرة الفجور ، ومنادمة القيان ذوات المعازف ، ومحارشة الكلاب ، إلى ما لا يتناهى من مظاهر الخزاية ، وقد عرفته الناس بذلك كلّه منذ اولياته ، وعرَّفه به أُناسٌ آخرون ، وحسبك شهادة وفدٍ بعثه أهل المدينة إلى يزيد وفيهم : عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، وعبد الله بن أبي عمرو المخزومي ،

والمنذر بن الزبير ، وآخرون كثيرون من أشراف أهل المدينة ، فقدموا على يزيد فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وأعظم جوائزهم ، وشاهدوا أفعاله ، ثمّ انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلاّ المنذر ، فلمّا قدم الوفد المدينة قاموا فيهم ، فأظهروا شتم يزيد وعتبه ، وقالوا : إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطنابير ، ويضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويُسامر الحُرّاب ، وهم اللصوص والفتيان وإنّا نشهدكم انّا قد خلعناه فتابعهم الناس(١) .

وقال عبد الله بن حنظلة ، ذلك الصحابيّ العظيم ، المنعوت بالراهب ، قتيل يوم الحرّة يومئذ : يا قوم ! اتّقوا الله وحده لا شريك له ، فوالله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السّماء ، إنَّ رجلاً ينكح الامّهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصّلاة ، والله لو لم يكن معي أحدٌ من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً(٢) .

ولمّا قدم المدينة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلاّ بنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم(٣) .

وقال المنذر بن الزبير لمّا قدم المدينة : إنَّ يزيد قد أجازني بمائة ألف ، ولا يمنعني ما صنع بي أن أُخبركم خبره ، والله إنَّه ليشرب الخمر ، والله إنَّه ليسكر حتّى يدع الصّلاة(٤) .

وقال عتبة بن مسعود لابن عبّاس : أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر ، ويلهو بالقيان ، ويستهتر بالفواحش ؟ قال : مَه فأين ما قلت لكم ؟ وكم بعده من آت ممّن يشرب الخمر أو هو شرٌّ من شاربها ، أنتم إلى بيعته سراع ، أما والله إنّي لأنها كم ،

---

(١) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٤٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢١٦ ، فتح الباري ج ١٣ ص ٥٩ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٧٢ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٧٢ ، الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٤٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٩٩ .
(٤) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٤٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢١٦ .

وأنا أعلم أنّكم فاعلون ،حتى يصلب مصلوب قريش بمكّة ـ يعني عبد الله بن الزبير[١] ـ .

نعم : لم يك على مخازي يزيد من أوّل يومه حجابٌ مسدول ، يُخفيها على الأباعد والأقارب ، غير أنَّ أقرب الناس إليه وهو أبوه معاوية ، غضَّ الطرف عنها جمعاء ، وحسب انّها تخفى على الملأ الدينيِّ بالتمويه، وطفق يذكر له فضلاً وعلماً بالسياسة ، فجابهه لسان الحقِّ وإنسان الفضيلة ، حسين العظمة ، بكلماته المذكورة في (صفحة ٢٩٦ و ٢٩٨) ومعاوية هو نفسه يندّد بابنه في كتاب كتبه إليه ومنه قوله . :

إعلم يا يزيد ! أنَّ أوَّل ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة ، وآلائه المتواترة ، وهي الجَرحة العظمى ، والفجعة الكبرى : ترك الصَّلوات المفروضات في أوقاتها ، وهو من أعظم ما يحدث من آفاتها ، ثمَّ استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السرِّ ، فلا تأمن نفسك على سرِّك ، ولا تعتقد على فعلك ، الكتاب[٢] .

فنظراً إلى ما عرفته الأُمَّة من يزيد من مخازيه وملكاته الرذيلة ، عدَّ الحسن البصري استخلاف معاوية إيّاه من موبقاته الأربع ، كما مرّ حديثه في (صفحة ٢٧٠) .

١٥ ـ جنايات معاوية في صفحات تاريخه السوداء :

إنَّما نجتزىء منها على شيء يسير ، يكون كأنموذج ممّا له من السيِّئات التي ينبوعنها العدد ، ويتقاعس عنها الحساب ، ويستدعي التبسّط فيها مجلدات ضخمة ، فمنها : دأبه على لعن مولانا علي أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وكان يقنت به في صلواته كما مرّ حديثه في (الجزء الثاني : ص ١٥٧)

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٦٧ .

(٢) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨٧ .

واتّخذه سنّة جاريةً في خطب الجمعة والأعياد ، وبدّل سنّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة العيدين المتأخّرة عن صلاتهما ، وقدّمها عليها لإسماع الناس لعن الإمام الطاهر ، كما مرّ تفصيله في (الجزء الثامن : ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) وأوعزنا إليه في هذا الجزء (ص ٢٥٥) وكان يأمر عمّاله بتلك الاحدوثة الموبقة ، ويحثُّ الناس عليها ، ويوبِّخ المتوقفين عنها ، ولا يصيخ إلى قول أيِّ ناصح وازع .

١ ـ أخرج مسلم والترمذي ، عن طريق عامر بن سعد بن أبي وقّاص ، قال : أمر معاوية سعداً فقال : ما منعك أن تسبَّ أبا تراب ؟ فقال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسبَّه ، لأن تكون لي واحدةٌ منهنَّ ، أَحبُّ إلي من حمر النعم ـ فذكر حديث المنزلة . والراية . والمباهلة ـ وأخرجه الحاكم وزاد : فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتّى خرج من المدينة[1] .

وفي لفظ الطبري من طريق ابن أبي نجيح قال : لمّا حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلمّا فرغ إنصرف معاوية إلى دار الندوة ، فأجلسه معه على سريره ، ووقع معاوية في عليّ ، وشرع في سبِّه ، فرجف سعد ثمَّ قال : أَجلستني معك على سريرك ، ثمَّ شرعت في سبّ عليّ ، والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ ، أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، إلى آخر الحديث ، وفيه من قول سعد : وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ونهض !

قال المسعودي بعد رواية حديث الطبري : ووجدت في وجه آخر من الروايات ، وذلك في كتاب عليِّ بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار ، عن ابن عائشة وغيره : إنَّ سعداً لمّا قال هذه المقالة لمعاوية ، ونهض ليقوم ، ضرط له معاوية ، وقال له : أُقعد حتّى تسمع جواب ما قلت ، ما كنت عندي قطّ ألأم منك الآن ، فهلّا نصرته ؟ ولِمَ قعدت عن بيعته ؟ فإنّي لو سمعت من النبيّ ﷺ مثل الذي سمعت فيه ، لكنت خادماً لعليّ ما عشت ، فقال سعد : والله إنّي لأحقُّ

(١) راجع صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ ، صحيح الترمذي ج ١٣ ص ١٧١ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٩ .

بموضعك منك . فقال معاوية : يأبى عليك بنو عذرة . وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة[١] .

وفي رواية ذكرها ابن كثير في (تاريخه ج ٨ ص ٧٧) : دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال له : مالك لم تقاتل عليّاً ؟ فقال : إنّي مرّت بي ريحٌ مظلمةٌ ، فقلت: أَخ أَخ ، فأنختُ راحلتي حتّى انجلت عنّي ، ثمّ عرفت الطريق فسرت . فقال معاوية : ليس في كتاب الله أَخ أَخ ، ولكن قال الله تعالى . **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾** . فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية ، فقال سعد : ما كنت لأُقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، غير أنّه لا نبيّ بعدي . فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ فقال: فلان وفلان وأُمّ سلمة . فقال معاوية : أما إنّي لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت عليّاً .

قال : وفي رواية من وجه آخر : إنّ هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجّة حجّها معاوية ، وإنّهما قاما إلى أُمّ سلمة فسألاها ، فحدّثتهما بما حدّث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل هذا اليوم ، لكنت خادماً لعليّ حتّى يموت ، أو أموت .

قال الأميني : لقد أفك معاوية في ادّعائه عدم إحاطة علمه بتلكم الأحاديث المطّردة الشائعة ، فإنّها لم تكن من الأسرار التي لا يطّلع عليها إلاّ البطانة والخاصّة ، وإنّما هتف بهنّ صلى الله عليه وآله وسلم ، على رؤوس الأشهاد، أمّا حديث الراية فكان في واقعة خيبر ، وله موقعيّته الكبرى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله . الحديث .

فاستطالت أعناق كلّ فريق ليروا أيّ ما جد يعطاها ؟

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٦١ وحكى شطراً منه سبط ابن الجوزي في تذكرته: ١٢ .

فلم تـزل النفـوس مشــرئبّة متتلّعــة إلى من عنـاه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى جيء بـأمير المؤمنين عليه السلام ومُنـح الفتح من سـاحة النبـوّة العظمى ، فـانطبق القـول ، وصدقت الأُكرومة ، وعلم الغزاة كلّهم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يريد غيره .

هب أنَّ معاوية يوم واقعة خيبر ، كان عـداده في المشركين ، ومـوقفه مـع مَن يُحـادّ الله ورسولـه ، لكن هـلاّ بلغـه ذلـك بعـدمـا حـداه الفَـرَق إلى الإستسـلام ؟ والحديث مطّردٌ بين الغزاة وسائر المسلمين ، وهم بين مشاهد له ، وعالم به .

وأمّا حديث المنزلة فقد نطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موارد عديدة، منها غـزاة تبـوك على ما مـرَّ تفصيله في (الجزء الثـالث ص ٢٤٨) وقـد حضـرهـا وجـوه الصحابة وأعيانهم ، وكلّهم علموا بهـاتيك الفضيلة الـرابية ، فـالإعتذار عن معـاوية بأنّه لم يحضرها لإشراكه يومئذ مدفوعٌ بما قلناه في واقعة خيبر .

ومن جملة موارده يوم غدير خمّ الذي حضره معاوية ، وسمعـه هو ومـائة ألف أو يزيدون ، لكنّه لم يعه بدليل أنّه ما آمن به ، فحارب عليّاً عليه السلام بعده ، وعاداه ، وأمـر بلعنه محـادَّة منه لله ولـرسولـه ، وعقيرة رسـول الله المرفـوعة بقـوله صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ : «اللّهمَّ وال من والاه ، وعـاد من عـاداه ، وانصـر من نصـره ، واخـذل من خذله» . بعدُ ترنُّ في أُذن الدنيا .

ومن موارده يوم المؤاخـاة كما أخـرجه أحمـد بإسنـاده ، عن محدوج بن زيـد البـاهلي ، قـال : آخى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهـاجـرين والأنصـار ، فبكى عليّ عليه السلام ، فقـال رسـول الله : مـا يبكيـك ؟ فقـال : لم تـؤاخ بيني وبين أحـد . فقال : ادَّخرتك لنفسي ، ثمَّ قال : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى[1] .

ومنهـا يـوم كـان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار أُمّ سلمـة ، إذ أقبـل عليٌّ عليه السلام يـريـد الدخول على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أُمّ سلمة ! هل تعرفين هذا ؟ قـالـت : نعم هذا علي فقال سيط لحمه بلحمي ، ودمه بدمي ، وهو منّي بمنزلة هارون من مـوسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي (راجع الجزء الثالث : ص ١٥٣) .

---

(١) راجع ما اسلفناه في الجزء الثالث : ص ١٥٢ .

على أنّ حديث المنزلة قد جاء من طريق معاوية نفسه ، رواه في حياة عليّ عليه السلام فيما أخرجه أحمد في مناقبه ، من طريق أبي حازم كما في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٥) .

وأمّا نبأ المباهلة : فصحيحٌ أنّ معاوية لم يُدركه لأنّ الكفر كان يمنعه عند ذلك عن سماعه ، غير أن القرآن الكريم قد أعرب عن ذلك النبأ العظيم ، إنْ لم يكن إبن حرب في معزل عن الكتاب والسنّة ، على أنَّ قصّتها من القضايا العالمية ، وليس من المستطاع لأيّ أحد أنْ يدَّعي الجهل بها .

وهنا نماشي ابن صخر على عدم اطّلاعه على تلكم الفضائل إلى حدٍّ إخبار سعد إيّاه ، لكنّه بماذا يعتذر وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾الآية ؟ ! وبماذا يعتذر بعد ما رواه قبل يوم صفّين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار : تقتلك الفئة الباغية ؟ وبماذا يعتذر بعد علمه بتلكم الأحاديث بأخبار صحابيّ معدود عند القوم في العشرة المبشّرة ، وبعد إقامة الشهود عليه ؟ ! ومن هنا تعلم أنَّه أفك مرّة اخرى بقوله «أما إنّي لو سمعتُ من رسول الله ما سمعتَ في عليّ ، لكنتُ له خادماً ما عشتُ» . لأنّه عاش ولم يرتدع عن غيِّه ، وحارب أمير المؤمنين عليه السلام حيّاً وميّتاً ، ودأب على لعنه والأمر به ، حتّى أجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

نعم : إنّه استمرّ على بغيه ، وقابل سعداً في حديثه بالضرطة ، وهل هي هزء منه بمصدر تلكم الأنباء القدسيّة ؟ أو بخضوع سعد لها ؟ أو لمحض أنّ سعداً لم يوافقه على ظلمه ؟ أنا لا أدري غير أنَّ كفر معاوية الدفين ، لا يأبى شيئاً من ذلك ، وهلاّ منعه الخجل عن مثل هذا المجون ، وهو ملك ؟ وبطبع الحال إنّ مجلسه يحوي الأعاظم والأعيان .

من أين تخجل أوجهٌ أمويَّةٌ   سكبت بلذّات الفجور حياءَها ؟

٢ ـ لمّا مات الحسن بن عليّ ، عليهما السلام ، حجّ معاوية فدخل المدينة ، وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله ﷺ ، فقيل له : إنّ هَهنا سعد بن أبي وقّاص ، ولا نراه يرضى بهذا ، فابعث إليه وخذ رأيه ، فأرسل إليه ، وذكر له

ذلك ، فقال : إنْ فعلت لأخرجنّ من المسجد ، ثمّ لا أعود إليه ، فـأمسك معـاوية عن لعنـه ، حتّى مات سعـد ، فلمّا مـات لعنه على المنبـر ، وكتب إلى عمّـالـه أن يلعنـوه على المنـابـر ، ففعلوا فكتبت أُمّ سلمـة زوج النبيّ ﷺ إلى معـاويـة : إنّكم تلعنون الله ورسولـه على منابـركم ، وذلك أنّكم تلعنـون عليَّ بن أبي طالب ، ومن أحبّه ، وأنا أشهد أنّ الله أحبّه ورسوله . فلم يلتفت إلى كلامها .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠١]

٣ ـ قال معاوية لعقيل بن أبي طـالب : إنَّ عليّاً قـد قطعـك ، وأنا وصلتـك ، ولا يرضيني منك إلاّ أن تلعنه على المنبر قال : أفعل . فصعد المنبر ثمّ قـال ، بعد أن حمـد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيِّـه ﷺ : أيّهـا النـاس إنَّ معـاويـة بن أبي سفيـان قد أمـرني أن ألعن عليَّ بن أبي طالب فـالعنوه ، فعليـه لعنة الله والمـلائكـة والنـاس أجمعين . ثمّ نزل فقـال له معـاوية : إنّـك لم تبيِّن مَن لعنت منهما بيِّنـه . فقال : والله لا زدت حرفاً ، ولا نقصت حرفاً ، والكلام إلى نيّة المتكلّم .

[العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٤ . المستطرف ج ١ ص ٥٤]

٤ ـ بعث معاوية إلى عبيد الله بن عمر ، لمّا قدم عليه بالشام ، فأتى فقـال له معـاوية: يـابن أخي! إنَّ لك إسم أبيـك، فانـظر بملء عينيـك، وتكلّم بكلِّ فيـك، فأنت المأمون المصدّق ، فاصعد المنبر واشتم عليّاً ، واشهد عليه أنّه قتل عثمـان . فقال : يا أمير المؤمنين ! أمّا شتمه فإنّه عليّ بن أبي طالب ، وأُمّـه فاطمـة بنت أسد ابن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه ، وأمّا بأسه فهو الشجاع المطرق. وأمّا أيامه فمـا قد عـرفت ، ولكنّي ملزمه دم عثمـان . فقال عمـرو بن العـاص : إذاً والله قـد نكأت القرحة[١] .

٥ ـ روى ابن الأثير في (أُسد الغابة ج ١ ص ١٣٤) : عن شهر بن حوشب ، أنّه قال : أقام فلان[٢] خـطباء يشتمـون عليّاً ، رضي الله عنـه . وأرضاه ، ويقعـون

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٩٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٦ .
(٢) يعني معاوية .

فيه ، حتّى كان آخرهم رجلٌ من الأنصار ، أو غيرهم يقال له : أنيس . فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : إنّكم قد أكثرتم اليوم في سبِّ هذا الرجل وشتمه ، وإنّي أُقسم بالله أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّي لأشفع يوم القيامة لأكثر ممّا على الأرض من مدر وشجر . وأُقسم بالله ما أحد أوصل لرحمه منه ، أفترون شفاعته تصل إليكم ، وتعجز عن أهل بيته ؟ ! . وذكره ابن حجر في (الإصابة ج ١ ص ٧٧) .

٦ ـ بينما معاوية جالسٌ في بعض مجالسه ، وعنده وجوه الناس فيهم : الأحنف بن قيس ، إذ دخل رجلٌ من أهل الشام ، فقام خطيباً ، وكان آخر كلامه أن لعن عليّاً ، فقال الأحنف يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا القائل لو يعلم أنَّ رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتّق الله يا أمير المؤمنين ! ودع عنك عليّاً ، فلقد لقي ربّه ، وأفرد في قبره ، وخلا بعمله ، وكان والله المبرور سيفه ، الطاهر ثوبه ، العظيمة مصيبته . فقال له معاوية : يا أحنف ! لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت ما ترى ، وأيم الله لتصعدنَّ المنبر فتلعننّه طوعاً أو كرهاً ! فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ! إنْ تعفني فهو خيرٌ لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا يجري شفتاي به أبداً . فقال ! قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله لأنصفنّك في القول والفعل . قال : وما أنت قائلٌ إن أنصفتني ؟ قال : أصعد المنبر فأحمد الله وأُثني عليه ، وأُصلّي على نبيّه محمد ﷺ ثمَّ أقول : أيّها الناس إنَّ أمير المؤمنين معاوية أمر أن ألعن عليّاً ، وإنَّ عليّاً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، فادّعى كلُّ واحد منهما أنّه بُغي عليه ، وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله . ثمَّ أقول : اللّهم العن أنت ، وملائكتك ، وأنبياؤك ، وجميع خلقك ، الباغي منهما على صاحبه ، والعن الفئة الباغية ، اللّهم العنهم لعناً كثيراً ، أمّنوا رحمكم الله . يا معاوية ! لا أزيد على هذا ولا أُنقص حرفاً ، ولو كان فيه ذهاب روحي . فقال معاوية : إذاً نعفيك يا أبا بحر .

[العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٤ ، المستطرف ج ١ ص ٥٤]

٧ ـ في كتاب (المختصر في أخبار البشر) للعلاّمة اسماعيل بن عليٍّ بن محمود : كتب الحسن إلى معاوية واشترط عليه شروطاً ، وقال : إنْ أجبت إليها

فأنا سامعٌ مطيعٌ ، فأجاب معاوية إليها ، وكان الذي طلبه الحسن أَنْ يُعطيه ما في بيت مال الكوفة ، وخراج دار أبجرد من فارس ، وأن لا يشتم عليّاً ، فلم يجب إلى الكفّ عن شتم عليّ ، فطلب الحسن أن لا يُشتم عليٌّ وهو يسمع ، فأجابه إلى ذلك ثمَّ لم يفِ به .

[راجع أيضاً تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٢ ، كامل إبن الأثير ج ٣ ص ١٧٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٤ ، تذكرة السبط ص ١١٣ ، إتحاف الشبراوي : ص ١٠] .

٨ ـ جاء قيس بن عبّاد الشيبانيّ إلى زياد ، فقال له : إنَّ امرأ منّا ، من بني همام ، يُقال له : صيفي بن فسيل ، من رؤوس أصحاب حُجر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد فأُتي فقال له زياد : يا عدوّ الله ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب . قال ، ما أعرفك به ؟ قال : ما أعرفه قال : أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : بلى . قال : فذاك أبو تراب . قال : كلّا ذاك أبو الحسن والحسين عليه السلام .

وفيه : قال زياد : لتلعننّه أو لأضربنّ عنقك . قال : إذاً تضربها والله قبل ذلك ، فإن أبيتَ إلّا أَنْ تضربها رضيتُ بالله وشقيتَ أنت . قال : ادفعوا في رقبته . ثمَّ قال . أوقروه حديداً أو أُلقوه في السجن . ثمَّ قتل[1] مع حُجر وأصحابه سنة (٥١/ هـ) وسيوافيك الحديث بتمامه إنْ شاء الله تعالى .

٩ ـ خطب بُسر بن أرطاة على منبر البصرة ، فشتم عليّاً عليه السلام ، ثمَّ قال : نشدت الله رجلاً علم أنّي صادقٌ إلّا صدّقني ، أو كذّبني . فقال أبو بكرة : اللّهمّ إنّا لا نعلمك إلّا كاذباً . قال : فأمر به فخنق .

[تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٦]

١٠ ـ استعمل معاوية كثير بن شهاب على (الريّ) وكان يكثر سبَّ عليّ على منبر (الريّ) ، وبقي عليها إلى أن ولي زياد الكوفة فأقرّ عليها .

[كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٩]

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٤٩ ، الأغاني ج ١٦ ص ٧ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٤ ، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٥٩ .

١١ ـ كان المغيرة بن شعبة ، لمّا ولي الكوفة ، كان يقوم على المنبر ، ويخطب وينال من عليّ عليه السلام ، ويلعنه ويلعن شيعته ، وقد صحّ أنّ المغيرة لعنه على منبر الكوفة مرّات لا تحصى ، وكان يقول : إنّ عليّاً لم ينكحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته حبّاً ، ولكنّه أراد أن يكافىء بذلك إحسان أبي طالب إليه . وصحّ عند الحاكم والذهبي أنّ المغيرة سبَّ عليّاً فقام إليه زيد بن أرقم ، فقال : يا مغيرة ! ألم تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن سبّ الأموات ؟ فلِمَ تسبّ عليّاً وقد مات[1] ؟

[راجع مسند أحمد ج ١ ص ١٨٨ ، الأغاني ج ١٦ ص ٢ ، المستدرك ج ١ ص ٣٨٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦٠] .

قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة ، فقام صعصعة بن صوحان ، فتكلّم فقال المغيرة : أخرجوه فأقيموه على المصطبة ، فليلعن عليّاً . فقال : لعن الله من لعن الله ، ولعن عليَّ بن أبي طالب . فأخبروه بذلك فقال : أُقسم بالله لتقيِّدنّه . فخرج فقال : إنَّ هذا يأبى إلاّ عليّ بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله . فقال المغيرة : أخرجوه أخرج الله نفسه .

[الأذكياء لابن الجوزي : ص ٩٨] .

١٢ ـ أخرج ابن سعد عن عمير بن اسحاق قال : كان مروان أميراً علينا ـ يعني بالمدينة ـ فكان يسبُّ عليّاً كلّ جمعة على المنبر وحسن بن علي ، يسمع فلا يردُّ شيئاً ثمّ أرسل إليه رجلاً يقول له : بعليّ ، وبعليّ ، وبعليّ ، وبك ، وبك ، وبك ، وما وجدت مثلك إلاّ مثل البغلة يقال لها : مَن أبوك ؟ فتقول : امّي الفرس . فقال له الحسن : إرجع إليه فقل له : إنّي والله لا أمحو عنك شيئاً ممّا قلت بأنّ أسبّك ، ولكن موعدي وموعدك الله فإن كنتَ صادقاً جزاك الله بصدقك ، وإن كنتَ كاذباً فالله أشدُّ نقمة .

[تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٢٧ ، راجع الجزء الثامن ترجمة مروان] .

---

(١) حديث النهي عن سبّ الأموات أخرجه البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٢٦٤ .

وكان الوزغ إبن الوزغ يقول لمّا قيل له : ما لكم تسبُّون عليّاً على المنابر ؟ : إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك .

[الصواعق المحرقة : ص ٣٣] .

١٣ ـ إستنـاب معـاوية على المـدينـة عمـرو بن سعيـد بن العـاص بن اميّـة الأمويّ ، المعروف بـالأشدق الـذي جاء فيـه في (مسند أحمـد ج ٢ ص ٥٢٢) من طريق أبي هريرة ، مرفوعاً : ليرعفنّ على منبري جبّارٌ من جبابـرة بني اميّة ، يسيـل رعافه . قال : فحدّثني مَن رأى عمرو بن سعيد رعف على منبر رسول الله ﷺ حتّى سال رعافه[1] .

كان هذا الجبّار ممّن يسبّ عليّاً ﵇ على صهـوة المنابـر ، قال القسـطلاني في (إرشـاد الساري في شـرح صحيح البخـاري ج ٤ ص ٣٦٨) ، والأنصـاري في (تحفة الباري في شرح البخاري) المطبـوع في (ذيـل إرشـاد السـاري) في الصفحـة المذكورة : سمّي عمـرو بالأشـدق لأنّه صعـد المنبر ، فبـالغ في شتم عليّ ، رضي الله عنه ، فأصابته لقوةٌ ـ أي داء في وجهه ـ .

وعمرو بن سعيد هو الذي كـان بالمـدينة يـوم قتل الإمـام السبط ﵇ . قال عوانة بن الحكم : لما قُتل الحسين بن علي ، دعـا عبيد الله بن زيـاد ، عبد الملك ابن أبي الحرث السلمي ، وبعثه إلى المـدينة ، ليبشّـر عمـرو بن سعيـد ، فـدخـل السلمي على عمـرو ، فقال : مـا وراءك ؟ فقال : مـا سـرَّ الأميـر قتـل الحسين بن عليّ ! فقـال : ناد بقتله . فنـاديت بقتله فلم أسمع والله واعيـة قطُّ مثل واعيـة نساء بني هاشم في دورهنَّ على الحسين ، فقال عمرو وضحك :

عـجّـت نـســاء بـنـي زيــاد عـجّـة ... كعجيـج نسـوتنـا غـداة الأرنب[2]

ثمّ قال عمرو : هذه واعيةٌ بـواعية عثمـان بن عفّان . ثمّ صعـد المنبر فـأعلم

---

(١) وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٣١١ .

(٢) وقعة الأرنب كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان والبيت المذكور لعمرو بن معد يكرب .

الناس قتله[١] . وفي مثالب أبي عبيدة : ثمّ أومأ إلى القبر الشريف ، وقال : يا محمد ! يوم بيوم بدر . فأنكر عليه قومٌ من الأنصار .

كان أبو رافع عبداً لأبي أُحيحة سعيد بن العاص بن اميّة ، فأعتق كلٌّ من بنيه نصيبه منه إلا خالد بن سعيد ، فإنّه وهب نصيبه للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما ولي عمرو بن سعيد بن العاص المدينة ، أيّام معاوية ، أرسل إلى البهيِّ[٢] بن أبي رافع ، فقال له : مولى مَن أنت ؟ فقال : مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فضربه مائة سوط ، ثمّ تركه ثمّ دعاه فقال : مولى مَن أنت ؟ فقال : مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضربه مائة سوط ، حتّى ضربه خمسمائة سوط . فلمّا خاف أن يموت قال له : أنا مولاكم .

[كامل المبرّد ج ٢ ص ٧٥ ، الإصابة ج ٤ ص ٦٨]

١٤ ـ أخرج الحاكم من طريق طاوس ، قال : كان حُجر بن قيس المدري من المختصّين بخدمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال له عليٌّ يوماً يا حُجر ! إنّك تقام بعدي فتؤمر بلعني فالعنّي ولا تبرأ منّي[٣] . قال طاوس : فرأيت حُجر المدري وقد أقامه أحمد بن ابراهيم خليفة بني اميّة في الجامع ، ووكّل به ليلعن عليّاً ، أو يُقتل . فقال حُجر : أما إنّ الأمير أحمد بن ابراهيم أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه لعنه الله . فقال طاوس : فلقد أعمى الله قلوبهم حتّى لم يقف أحدٌ منهم على ما قال .

[المستدرك ج ٢ ص ٣٥٨]

قال الأميني : لم يزل معاوية وعمّاله دائبين على ذلك ، حتّى تمرّن عليه الصغير ، وهرم الشيخ الكبير ، ولعلّ في اوليات الأمر كان يوجد هناك من يمتنع عن القيام بتلك السبّة المخزية ، وكان يسع لبعض النفوس الشريفة أن يتخلّف عنها .

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٨ ، كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٩ .

(٢) في الكامل : عبيد الله بن أبي رافع .

(٣) صح عن أمير المؤمنين قوله : إنكم ستعرضون على سبي فسبوني ، فإنْ عرضت عليكم البراءة مني فلا تبرأوا مني ، فإنّي على الإسلام . (مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٥٨) .

غير أنَّ شدّة معاوية الحليم في إجراء أُحدوثته ، وسطوة عمّاله الخصماء الألدّاء على أهل بيت الوحي ، وتهالكهم دون تدعيم تلك الإمرة الغاشمة ، وتنفيذ تلك البدعة الملعونة ، حكمت في البلاء حتّى عمّت البلوى ، وخضعت إليها الرقاب ، وغللتها أيدي الجور تحت نير الذلّ والهوان ، فكانت العادة مستمرّة منذ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى نهي عمر بن عبد العزيز ، طيلة أربعين سنة ، على صهوات المنابر ، وفي الحواضر الإسلاميّة كلّها من الشام ، إلى الري ، إلى الكوفة ، إلى البصرة ، إلى عاصمة الإسلام المدينة المشرَّفة ، إلى حرم أمن الله مكّة المعظّمة ، إلى شرق العالم الإسلامي وغربه ، وعند مجتمعات المسلمين جمعاء ، وقد مرّ في الجزء الثاني قول ياقوت في (معجم البلدان) : لُعن عليٌّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، على منابر الشرق والغرب ، ولم يُلعن على منبر (سجستان) إلاّ مرّة ، وامتنعوا على بني أُميّة حتى زادوا في عهدهم : وأن لا يُلعن على منبرهم أحدٌ ، وأيّ شرف أعظم من إمتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم ، وهو يُلعن على منابر الحرمين : مكّة والمدينة . (اهـ) .

وقد صارت سنّة جارية ، ودُعمت في أيّام الأمويّين سبعون ألف منبر ، يُلعن فيها أمير المؤمنين عليه السلام (١) ، واتّخذوا ذلك كعقيدة راسخة ، أو فريضة ثابتة ، أو سنّة متّبعة يُرغب فيها بكلّ شوق وتوق ، حتّى انّ عمر بن عبد العزيز لمّا منع عنها لحكمة عمليّة ، أو لسياسة وقتيّة ، حسبوه كأنه جاء بطامّة كبرى ، أو اقترف إثماً عظيماً .

والذي يظهر من كلام المسعودي في (مروجه ج ٢ ص ١٦٧) ، واليعقوبي في (تاريخه ج ٣ ص ٤٨) ، وابن الأثير في (كامله ج ٧ ص ١٧) ، والسيوطي في (تاريخ الخلفاء : ص ١٦١) ، وغيرهم ، أنّ عمر بن عبد العزيز إنّما نهى عن لعنه عليه السلام في الخطبة على المنبر فحسب ، وكتب بذلك إلى عمّاله ، وجعل مكانه : ﴿**ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾الآية . وقيل : بل جعل مكان ذلك : ﴿**إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾الآية . وقيل : بل جعلهما جميعاً ،

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء الثاني : ص ١٢٦ ، ١٢٧

فاستعملها الناس في الخطبة .

وأما نهيه عن مطلق الوقيعة في أمير المؤمنين ، والنيل منه عليه السلام ، وأخذه كلّ متحامل عليه بالسبِّ والشتم ، وإجراء العقوبة على مرتكبي تلكم الجريرة ، فلسنا عالمين بشيء من ذلك ، غير أنّا نجد في صفحات التاريخ أنّ عمر بن عبد العزيز كان يجلد مَن سبّ عثمان ومعاوية ، كما ذكره ابن تيميّه في كتابه (الصارم المسلول : ص ٢٧٢) ولم نقف على جلده أحداً لسبّه أمير المؤمنين عليه السلام .

دع عنك موقف أمير المؤمنين عليه السلام من خلافة الله الكبرى ، وسوابقه في تثبيت الإسلام ، والذبّ عنه ، وبثّه العدل والإنصاف ، وتدعيمه فرائض الدين وسننه ، ودعوته إلى الله وحده ، وإلى دينه الحنيف ، وتهالكه في ذلك كلّه حتّى لقي ربّه مكدوداً في ذات الله .

دع عنك فضائله وفواضله ، والآي النازلة فيه ، والنصوص النبويّة المأثورة في مناقبه ، لكنّه هل هو بدعٌ من آحاد المسلمين الذين يحرم لعنهم وسبابهم ، وعليه تعاضدت الأحاديث ، واطّردت الفتاوى ؟

وحسبك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «سباب المسلم فسوق» .

أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد ، والبيهقي ، والطبري ، والدارقطني ، والخطيب ، وغيرهم من طريق ابن مسعود ، وأبي هريرة ، وسعد بن أبي وقاص ، وجابر ، وعبد الله بن النعمان .

[راجع الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٩٤ ، وفيض القدير ج ٤ ص ٨٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «سباب المسلم كالمشرف على الهلكة» .

أخرجه البزّار من طريق عبد الله بن عمرو بإسناد جيِّد ، كما قاله الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٩٤) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يكون المؤمن لعّاناً» .

أخرجه الترمذي وقال : حديثٌ حسن . وسمعت نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن سبِّ

الأموات : (ص ٣١٤) .

على أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع غضِّ الطرف عن طهارة مولده ، وقداسة محتده ، وشرف أرومته ، وفضائله النفسيّة والكسبيّة ، وملكاته الكريمة ، هو من العشرة الذين بُشّروا بالجنّة ـ عند القوم ـ ولا أقلَّ من أنّه أحد الصحابة الذين يعتقد القوم فيهم العدالة جميعاً[1] ، ويحتجّون بأقوالهم وأفعالهم ، ولا يستسيغون الوقيعة فيهم ، ويشدّدون النكير على الشيعة لحسبانهم أنّهم يقعون في بعض الصحابة ، ورتّبوا على ذلك أحكاماً ، قال يحيى بن معين : كلُّ من شتم عثمان ، أو طلحة ، أو أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دجّالٌ ، لا يُكتب عنه ، وعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين[2] .

وعن أحمد إمام الحنابلة : خير الامّة بعد النبيِّ ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر ، وعثمان بعد عمر ، وعليّ بعد عثمان ، ووقف قومٌ ، وهم خلفاء راشدون مهديُّون ثمّ أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فإنْ تاب قبل منه ، وإنْ ثبت أعاد عليه العقوبة ، وخلّده في الحبس ، حتى يموت أو يراجع .

وعنه أيضاً : ما لهم ولمعاوية نسأل الله العافية . وقال : إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتّهمه على الإسلام .

وعن عاصم الأحول قال : أُتيت برجل قد سبّ عثمان قال : فضربته عشرة أسواط قال : ثمّ عاد لما قال ، فضربته عشرة اخرى . قال : فلم يزل يسبّه حتى ضربته سبعين سوطاً .

وقال القاضي أبو يعلى : الذي عليه الفقهاء في سبِّ الصحابة إنْ كان

---

(١) قال النووي في شرح مسلم هامش الإرشاد ج ٨ ص ٢٢ : «إنَّ الصحابة ، رضي الله عنهم ، كلهم هم صفوة الناس ، وسادات الامّة ، وأفضل ممن بعدهم ، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم ، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم ، وفيمن بعدهم كانت النخالة» .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٩ .

مستحلاً لذلك كفر ، وإنْ لم يكن مستحلاً فسق ، ولم يكفر ، سواءٌ كفَّرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم ، وقد قطع طائفةٌ من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سبّ الصحابة ، وكفر الرافضة .

وقال أبو بكر بن عبد العزيز في (المقنع) : فأمّا الرافضي فإنْ كان يسبّ فقد كفر فلا يُزوَّج[1] .

وقال الشيخ علاء الدين أبو الحسن الطرابلسي الحنفي في (معين الحكام فيما يتردّد بين الخصمين من الأحكام : ص ١٨٧) : من شتم أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ أبا بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو عليّاً ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص ، فإنْ قال : كانوا على ضلال وكفر ، قُتل . وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس ، نكل نكالاً شديداً .

وعد الذهبي في كتاب (الكبائر : ص ٢٣٣) منها : سبّ أحد من الصحابة ، وقال في (ص ٢٣٥) : فمن طعن فيهم ، أو سبّهم ، فقد خرج من الدين ، ومرق من ملّة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلّا عن إعتقاد مساوئهم ، وإضمار الحقد فيهم ، وإنكار ما ذكره الله في كتابه من ثنائه عليهم ، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم ، وفضائلهم ، ومناقبهم ، وحبّهم ، ولأنّهم أرضى الوسائل من المأثور ، والوسائط من المنقول ، والطعن في الوسائط طعنٌ في الأصل ، والإزدراء بالناقل إزدراءٌ بالمنقول ، وهذا ظاهرٌ لمن تدبّره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته ، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبيِّ ﷺ : إنَّ الله اختارني واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً ، وأصهاراً ، فمن سبّهم فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة ، صرفاً ولا عدلاً .

ولهم في سبّ الشيخين وعثمان تصويبٌ وتصعيدٌ ، قال محمد بن يوسف الفريابي : سُئل «القاضي أبو يعلى» عمّن شتم أبا بكر ؟ قال : كافرٌ . قيل :

(١) الصارم المسلول ص ٢٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

فيصلّى عليه ؟ قال : لا . وسأله كيف يُصنع به وهـو يقول : لا إلّـه إلّا الله ؟ قال : لا تمسّوه بأيديكم إدفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته .

[الصّارم المسلول : ص ٥٧٥]

وقال الجرداني في (مصباح الظلام : ج ٢ ص ٢٣) : قال أكثر العلمـاء : من سبَّ أبا بكر وعمر كان كافراً .

وقال ابن تيميّة في (الصـارم المسلول : ص ٥٨١) : قال إبـراهيم النخعي : كان يُقال شتم أبي بكر وعمر من الكبائر . وكذلك قـال أبو إسحـاق السبيعي : شتم أبي بكـر ، وعمر من الكبـائر التي قـال الله تعالى : ﴿**إن تجتنبـوا كبـائـر مـا تنهـون عنه**﴾ .

وقُتل عيسى بن جعفر بن محمد ، لشتمه أبا بكر وعمـر وعائشـة ، وحفصة ، بأمر المتوكّل على الله . قاله ابن كثير في (تاريخه ج ١٠ ص ٣٢٤) .

وفي (الصـارم المسلول : ص ٥٧٦) : قال أحمـد في روايـة أبي طـالب في الرجل يشتم عثمان : هذا زندقة .

هب أنّ هذه الفتاوى المجرّدة من مسلّمات الفقـه ، وليس للباحث أن يُنـاقش أصحـابهـا الحسـاب ، ويـطالبهم مـدارك تلكم الأحكـام من الكتـاب والسنّـة ، أو الاصول والقواعد، أو القياس والإستحسان، ولا سيّما مدارك جملة من خصوصيّاتها العجيبة الشاذّة عن شريعة الإسلام ، لكنّها هـل هي مخصوصـةٌ بغير رجـالات أهل البيت فهي منحسرةٌ عنهم ؟ !

ولعلّ فيهم من يجاثيـك على ذلك فيقـول : نعم هي منحسرةٌ عن عليّ عليه السلام وابنيه السبطين سيّدا شباب أهـل الجنّة ، لأنَّ ابن هنـد كان يقـع فيهم ، ويلعنهم ، ويُلجىء الناس إلى ذلك بأنواع من الترغيب والترهيب ، فليس من الممكن تسـريبها إليه لأنّه كاتب الوحي ، وإنْ كان لم يكتب غير عدّة كتب إلى رؤساء القبائل في أيّام إسلامه القليلة من أُخريات العهـد النبويّ ، وهـو خال المؤمنين لمكـان امّ حبيبة من رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لـكنّـه لـم يسمّـوا بذلـك غيره من اخـوة أزواج النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كمحمَّـد بن أبي بكـر ، وليس لـه مبـرّرٌ إلاّ أنَّ محمـداً كـان في الجيش العلوي ،

ومعاوية حاربه ، صلوات الله عليه ، فهي ضغائن قديمة ! انفجر بركانها أخيراً عند منتشر الأحقاد ، ومحتدم الإحن ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون .

وهل سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله المزعومة في قوله : لا تسبّوا أصحابي . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . كانت مختصّة بغير المخاطبين بها في صدر الإسلام من الصحابة ؟ ! أو انّها عامّةٌ مطّردةٌ ؟ ! كما يقتضيه كونها من الشريعة الإسلاميّة المستمرّة إلى أنْ تقوم الساعة ، وقد حسبوها كذلك لأنّها متخذةٌ من السنّة المخاطب بها ، وقد جاء في بعض طرق الرواية الاولى عند مسلم : إنّه كان بين خالد بن الوليد ، وبين عبد الرَّحمن بن عوف ، شيءٌ فسبّه خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبّوا أصحابي ، وفي رواية أنس : قال أُناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ : إنّا نسبُّ . فقال رسول الله ﷺ : مَن سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين[1] .

فليس من المعقول أنْ يكونوا مستثنين من حكم خوطبوا به ، لولا أنَّ الميول والشهوات قد استثنتهم .

أو كان أمير المؤمنين عليه السلام مستثنى من بين الصّحابة عن شمول تلكم الأحكام ؟ فلا تجري على من نال منه عليه السلام ، أو وقع فيه .

أضف إلى هذه كلّها : إنَّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كان أحد الخلفاء الرّاشدين عندهم ، وبالإجماع المتسالم عليه بين فرق الإسلام كلّها ، وللقوم فيمن يقع فيهم أحكامٌ شديدةٌ ، ومنهم مَن قال كما سمعته قُبيل هذا بكفر من سبَّ الشيخين ، وزندقة من سبَّ عثمان ، وقد جاء في الصحيح الثابت قوله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي[2] .

فهلم معي نسائلهم عن المبرِّر لعمل معاوية والأمويّين منتسباً ونزعةً ،

(١) كتاب الكبائر للذهبي : ص ٢٣٥ .
(٢) مرّ معناه الصحيح في الجزء السادس : ص ٣٨٧

وتابعيهم المجترحين لهذه السيّئة المخزية ، وعن المغضين عنهم الذين أخرجوا إمام العدل صنو محمد ، صلّى الله عليهما وآلهما ، عن حكم الخلفاء ، وعن حكم الصحابة ، بل عن حكم آحاد المسلمين ، فاستباحوا النيل منه على رؤوس الأشهاد ، وفي كلُ منتدى ومجمع ، من دون أيّ وازعٍ يزعهم ، فإلى أيٍّ هوّة أسفّوا بالإمام الطاهر عليه السلام ؟ حتّى استلبوه الأحكام المرتّبة على المواضيع الثلاثة : الخلافة . الصحبة . الإسلام . ولم يقيموا له أيّ وزن ، وما راعوا فيه أيّ حقّ ، وما تحفّظوا له بأيّة كرامة ، وهو نفس الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وزوج إبنته ، وأبو سبطيه ، وأوّل من أسلم له ، وقام الإسلام بسيفه ، وتمّت برهنة الحقّ ببيانه ، واكتسحت المعرّات عن الدّين بلسانه وسنانه ، وهو مع الحقّ والحقّ معه ، وهو مع القرآن والقرآن معه ، ولن يفترقا حتّى يردا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحوض ، وما غيَّر وما بدّل ، حتى لفظ نفسه الأخير ، وهم يمنعون عن لعن الأدعياء ، وحملة الأوزار المستوجبين النار ، ويذبّون عن الوقيعة في أهل العرّة والخمور والفجور ، من طريد إلى لعين ، إلى متهاون بالشريعة ، إلى عائث بالأحكام ، إلى مبدِّل للسنّة ، إلى مخالف للكتاب ، ومخالف للهوىٰ، إلى ، إلى ، إلى . إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

نعم . لعمر الحقِّ كان الأمر كما قال عامر بن عبد الله بن الزبير ، لمّا سمع ابنه ينال من عَليّ عليه السلام : يا بنيَّ إيّاك وذكر عليّ ، رضي الله عنه ، فإن بني أُميّة تنقّصته ستّين عاماً ، فما زاده الله بذلك إلّا رفعة .

[المحاسن والمساوىء للبيهقي ج ١ ص ٤٠]

﴿يُريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يُتمّ نوره﴾[١] .

١٦ ـ قتال ابن هند عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام :

نحن مهما غضضنا الطرف عن شيء في الباب ، فلا يسعنا أن نتغاضى عن أنّ مولانا أمير المؤمنين ، هو ذلك المسلم الأوحدي ، الذي يحرم إيذاؤه وقتاله ،

(١) سورة الصف ؛ الآية : ٨ .

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد إحتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ، ومن المتسالم عليه عند امّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله : سباب المسلم - المؤمن - فسوق ، وقتاله كفر . وقد اقترف معاوية الإثمين معاً ، فسبّ وقاتل سيّد المسلمين جميعاً ، وآذى أوّل من أسلم من الامّة المرحومة ، وآذى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والذين يؤذون الله لهم عذابٌ أليم ، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد آذى الله ، ﴿**إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**﴾ .

على أنّه ، سلام الله عليه ، كان خليفة الوقت يومئذ ، كيفما قلنا أو تمحّلنا في أمر الخلافة وكان تصدّيه لها بالنصّ ، وإجماع أهل الحلّ ولعقد ، وبيعة المهاجرين والأنصار ، ورضى الصحابة جمعاء ، خلا نفر يسير شذّوا عن الطريقة المثلى ، لا يفتّون في عضد جماعة ، ولا يؤثّرون على إنعقاد طاعة ، بعثت بعضهم الضغائن ، وحدت آخر المطامع ، واندفع ثالث إلى نوايا خاصّة رغب فيها لشخصيّاته .

وكيفما كانت الحالة فأمير المؤمنين عليه السلام وقتئذ الخليفة حقّاً ، وإنّ مَن ناوأه وخرج عليه ، يجب قتله ، وإنّما خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وأهان سلطان الله ، ويلقى الله ولا حجّة له ، وقد جاء في النصّ الجليّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الامّة ، وهم جميعٌ ، فاضربوا رأسه بالسيف كائناً من كان» .

وفي لفظ : «فمن رأيتموه يمشي إلى امّة محمد فيفرّق جماعتهم فاقتلوه» .

وفي لفظ الحاكم : فاقتلوه كائناً من كان من الناس . (راجع صفحة ٤٥ . ٢٨) من هذا الجزء .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن أتاكم ، وأمركم جمعٌ على رجل واحد ، يريد أن يشقّ عصاكم ، أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه» .

[راجع ص ٤٦ من هذا الجزء]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : مَن خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهليّة ، ومن قاتل تحت راية عميّة ، يغضب للعصبيّة ، أو يدعو إلى عصبيّة ، أو

ينصر عصبيّة ، فقتل فقتلته جاهليّة ، ومن خرج على امّتي يضرب برّها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهدها ، فليس منّي ولست منه[١] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ، ولا حجّة له ، ومَن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية»[٢] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : مَن خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلّا أَنْ يراجع ، ومَن دعا دعوة جاهليّة ، فإنّه من جثا جهنّم ، قال رجلٌ : يا رسول الله ! وإنْ صام وصلّى ؟ قال : نعم وإنْ صام وصلّى ، فادعوا بدعوة الله الذي سمّاكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله[٣] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٤] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ليس أحدٌ يفارق الجماعة قيد شبر ، فيموت ، إلّا مات ميتة جاهليّة»[٥] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهليّة»[٦] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن أهان سلطان الله في الأرض ، أهانه الله»[٧] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ طريق معاوية نفسه : «مَن فارق الجماعة شبراً دخل النار»[٨] .

---

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢١ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٦ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٩٦ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٩ .

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٦ .

(٣) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٤٧ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ١١٧ صدر الحديث .

(٤) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٧ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ١١٧ .

(٥) صحيح البخاري باب السمع والطاعة للإمام، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٧ .

(٦) تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٩ نقلاً عن الشيخين .

(٧) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٦٩ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٩ .

(٨) مستدرك الحاكم ج ١ ص ١١٨ .

وقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «مَن فارق الجماعة ، واستذلّ الإمارة ، لقي الله ولا حجّة له عند الله»[١] .

وقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «إسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدٌ حبشي ، كأنَّ رأسه زبيبة»[٢] .

أوَهَل ترى معاوية في خروجه على أمير المؤمنين عليه‌السلام ألف الجماعة ، ولازم الطاعة ، أو انّه باغٍ أهان سلطان الله ، واستذلَّ الإمارة الحقّة ، وخرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة وخلع ربقة الإسلام من رأسه ؟ النصوص النبويّة ، تأبى الاّ أن يكون الرّجل على رأس البغاة ، كما كان على رأس الأحزاب يوم كان وثنيّاً ، وما أشبه آخره بأوّله ، ولذلك أمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أمير المؤمنين بقتاله ، وإنّ من يقتل عمّاراً هي الفئة الباغية ، ولم يختلف اثنان في أنّ معاوية نفسه لم يتأثّر بتلك الشية ، ولم تثنه عن بغيه تلكم القتلة ، وأمثالها من الصلحاء الأبرار الذين ولغ في دمائهم .

أضف إلى ذلك أنَّ معاوية هو الخليفة الأخير ببيعة طغام الشام وطغاتهم ، إنْ كانت لبيعتهم الشاذّة قيمة في الشريعة ، وقد حتّم الإسلام قتل خليفة مثله بقول نبيّه الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» .

وقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : ستكون خلفاء فتكثر قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأوّل فالأوّل ، وأعطوهم حقّهم .

وقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإنْ جاء أحدٌ ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر .

وهذه الأحاديث الصحيحة الثابتة[٣] ، هي التي تصحّح الحديث الوارد في معاوية نفسه ، وإن ضعف إسناده عند القوم ، من قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «إذا رأيتم معاوية

---

(١) مستدرك الحاكم ج ١ ص ١١٩ .

(٢) صحيح البخاري باب السمع والطاعة ، صحيح مسلم ج ٦ ص ١٥ واللفظ للبخاري .

(٣) راجع صفحة ٤٥ ، ٤٦ ، ٣٢٤ من هذا الجزء .

على منبري فاقتلوه»[١] . وهو المعاضد بما ذكره المناوي في (كنوز الدقائق : ص ١٤٥) من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من قاتل علياً على الخلافة فاقتلوه كائناً من كان» .

وبعد أن تراءت الفئتان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وطغمة معاوية ، حكم فيهم كتاب الله تعالى بقوله : **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾**[٢] وبها استدلّ أئمّة الفقه كالشافعيّ على قتال أهل البَغي[٣] وأصحاب معاوية هم الفئة الباغية بنصٍ من الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[٤] .

وقال محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفّى (١٨٧هـ) : لو لم يقاتل معاوية عليّاً ظالماً له ، متعدياً باغياً ، كنّا لا نهتدي لقتال أهل البغي .

[الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٦]

قال القرطبي في (تفسيره ج ١٦ ص ٣١٧) : في هذه الآية دليلٌ على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام ، أو على أحد من المسلمين .

وقال : قال القاضي أبو بكر بن العربي : هذه الآية أصل في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأوّلين ، وعليها عوّل الصحابة ، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملّة ، وإيّاها عنى النبيّ ﷺ بقوله : تقتل عمّاراً الفئة الباغية . وقوله عليه السلام في الخوارج : يخرجون على خير فرقة ، أو على حين فرقة . والرواية الاولى أصحّ لقوله عليه السلام : تقتلهم أولى الطائفتين إلى الحقّ ، وكان الّذي قبلهم عليّ بن أبي طالب ، ومَن كان مَعه . فتقرّر عند علماء المسلمين ، وثبت بدليل الدِّين ، أنَّ عليّاً ، رضي الله عنه ، كان إماماً ، وأنَّ كلّ من خرج عليه باغٍ ، وأَنَّ قتاله واجبٌ حتّى يفيء إلى الحقِّ ، وينقاد إلى الصلح . (اهـ) .

وقال الزيلعي في (نصب الراية ج ٤ ص ٦٩) : وأمّا إنَّ الحق كان بيد عليّ

---

(١) راجع صفحة ١٧٧ من هذا الجزء .
(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ٩ .
(٣) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٧١ .
(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث .

في نوبته ، فالدليل عليه قول النبيّ ﷺ لعمّار : «تقتلك الفئة الباغية» . ولا خلاف أنّه كان مع عليّ ، وقتله أصحاب معاوية ، قال إمام الحرمين في كتاب (الإرشاد) : وعليّ ، رضي الله عنه ، كان إماماً حقّاً في ولايته ، ومقاتلوه بغاةٌ ، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظنَّ بهم قصد الخير وإن أخطأوه ، وأجمعوا على أنّ عليّاً كان مصيباً في قتال أهل الجمل ، وهم طلحة ، والزبير ، وعائشة ، ومَن معهم ، وأهل صفّين ، وهم معاوية وعسكره ، وقد أظهرت عائشة الندم . (اهـ)[1] .

وحقّاً قالت عائشة : ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الامّة من هذه الآية : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾[2] . وامّ المؤمنين هي أوّل من رغبت عن هذه الآية ، وضيّعت حكمها ، وخالفتها ، وخرجت من عقر دارها ، وتركت خدرها ، وتبرّجت تبرّج الجاهليَّة الاولى ، وحاربت إمام زمانها ، ولعلّها ندمت وبكت حتّى بلّت خمارها ، ولما . . .

ومن هنا وهناك ، كان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يوجب قتال أهل الشام ويقول : لم أجد بدّاً من قتالهم ، أو الكفر بما أُنزل على محمد ﷺ . وفي لفظ : ما هو إلّا الكفر بما نزل على محمد ، أو قتال القوم[3] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر وجوه أصحابه ، كأمير المؤمنين ، وأبي أيّوب الأنصاري وعمّار بن ياسر ، بقتال النّاكثين ، والقاسطين ، والمارقين ، وقد مرّت أحاديثه في (الجزء الثالث ص ٢١٢ ـ ٢١٥) وكان من المتّفق عليه عند السّلف : إنَّ القاسطين هُم أصحاب معاوية .

فبأيِّ حجّة ، ولو كانت داحضة ، كان معاوية الذي يجب قتله وقتاله ، يستسيغ محاربة عليّ أمير المؤمنين ؟ وبين يديه كتاب الله ، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، إنْ

---

(١) هكذا حكاه الزيلعي عن الإرشاد ، وأنت تجده محرّفاً عند الطبع ، راجع الإرشاد : ص ٤٣٣ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ١٧٢ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٥٦ .

(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ٩٤ ، كتاب صفين : ص ٥٤٢ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٥ ، الشفا للقاضي عياض ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٣ ، البحر الزخّار ج ٥ ص ٤١٥ .

كان ممّن يقتصّ أثرهما وفي الذكر الحكيم قوله سبحانه : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[١] ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هُم الكافرون﴾[٢] ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾[٣] ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هُم الظالمون﴾[٤] .

فلم يكن القتال أوّل فاصل لنزاع الأُمّة قبل الرّجوع إلى محكمات الكتاب ، وما فيه فصل الخطاب من السنَّة المباركة ، ولذلك كان مولانا أمير المؤمنين يُتمّ عليهم الحجّة بكتابه ، وخطا به منذ بدء الأمر برفع الخصومة إلى الكتاب الكريم ، وهو عدله ، وكان يخاطب وفد معاوية ويقول : ألا إنّي أدعوكم إلى كتاب الله ، عزَّ وجلَّ ، وسنَّة نبيّه . (تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤) ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية ومَن قبله من قريش قوله : «ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنّة نبيّه ، وحقن دماء هذه الامّة» .

[شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩]

فلم يعبئوا به إلّا بعدما اضطرّوا إلى التترّس به ، وقد أخبر بذلك الإمام قبل وقوع الواقعة ، فيما كتب إلى معاوية : «وكأنّي بك غداً ، وأنت تضجّ من الحرب ، ضجيج الجمال من الأثقال ، وستدعوني أنت وأصحابي إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم ، وتجحدونه بقلوبكم . . .»

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١١ ، ج ٤ ص ٥٠]

وفي كتاب آخر له ﷺ إليه : وكأنّي بجماعتك تدعوني ـ جزعاً من الضرب المتتابع ، والقضاء الواقع ، ومصارع بعد مصارع ـ إلى كتاب الله ، وهي كافرةٌ جاحدة ، أو مبايعة حائدة (نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢) .

فقد صدَّق الخُبر الخبر ، واتّخذوه جُنّة مكراً وخداعاً ، يوم رفعت

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .
(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٤ .
(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٧ .
(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٥ .

المصاحف ، وكانوا كما قال مولانا أمير المؤمنين يومئذ : «عباد الله ! إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية ، وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن ، إنّي أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شرَّ أطفال وشرّ رجال ، إنّها كلمة حقّ يُراد بها الباطل ، إنَّهم والله ما رفعوها ، إنّهم يعرفونها ولا يعملون بها ، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة»[١] .

ولم يأل الرسول الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم جهداً في تحذير المسلمين عن التورّط في هذه الفتنة العمياء بخصوصها ، ويعرِّفهم مكانة أمير المؤمنين ، ويكرِّههم مسّه بشيء مِنَ الأذىٰ من قتال ، أوسبّ ، أولعن ، أوبغض ، أوتقاعد عن نصرته ، ويحثّهم على ولائه ، واتّباعه ، واقتصاص أثره ، والكون معه ، بعدما قرن الله ولايته بولايته ، وولاية الرّسول وطاعته بطاعتهما ، فقال : ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[٢] وقوله تعالى :[٣] ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول واولي الأمر منكم**﴾[٤] .

لكن معاوية لم يقنعه الكتاب والسنّة ، فباء بتلكم الآثام كلّها ، وجانب هاتيك الأحكام الواجبة جمعاء ، فكان من القاسطين وهو يَرأسهم ، ﴿**وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا**﴾[٥] .

نعم : لم يقنع معاوية قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنّه لا نبيَّ بعدي» .

وقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهمَّ وال مَن والاه ، وعاد مَن عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل مَن خذله» .

---

(١) راجع ما أسلفناه من كلمات الإمام ، عليه‌السلام ، ففيها المقنع لطالب الحق .

(٢) راجع ما فصلناه في الجزء الثاني ص ٧١ ، وص ٧٨ . وج ٣

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٤) صحيح البخاري باب التفسير ، كتاب الأحكام . صحيح مسلم ج ٦ ص ١٣ .

(٥) سورة الجنّ ؛ الآية : ١٥ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومَن أطاع عليّاً فقد أطاعني ، ومَن عصى عليّاً فقد عصاني» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض ، فانظروني ، بمَ تخلّفوني فيهما» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن يريد أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنَّة الخلد ، الّتي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب ، فإنّه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ ربَّ العالمين عهد إليَّ عهداً في عليٍّ بن أبي طالب فقال : إنَّه راية الهدى ، ومنار الايمان ، وإمام أوليائي ، ونور جميع من أطاعني» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «عنوان صحيفة المؤمن : حبُّ عليٍّ بن أبي طالب» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لمّا نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين : «أنا حربٌ لمن حاربكم ، وسلمٌ لمن سالمكم» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «عليٌّ منّي وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له : «أنت وليّي في كلّ مؤمن بعدي» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث : «عليٌّ أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ المحجَّلين إلى جنّات ربِّ العالمين ، أفلح من صدَّقه ، وخاب من كذَّبه ، ولو أنَّ عبداً عبد الله بين الركن والمقام ، ألف عام ، وألف عام ، حتّى يكون كالشنّ البالي ، ولقى الله مبغضاً لآل محمد ، أكبّه الله على منخره في نار جهنّم» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له : «لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ، ولا يبغضك إلاّ منافقٌ» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ، آخذاً بيد الحسن والحسين : «من أحبّني وأحبَّ هذين وأباهما ، وأُمّهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «عليٌّ منّي بمنزلة رأسي من بدني» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «والـذي نفسي بيده لا يبغضنـا أهل البيت أحـدٌ إلاّ أدخله الله النار» .

وقـوله صلى الله عليه وآله وسلم لـه : «يـا علي طـوبى لمن أحبَّـك وصـدق فيـك ، وويـلٌ لمن أبغضك ، وكذب فيك» .

وقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أحبَّني فليحبَّ عليّـاً ، ومن أبغض عليّـاً فقـد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ، عزَّ وجلَّ ، ومن أبغض الله أدخله النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوسٌ بذات الله» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : هذا أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصـورٌ من نصره ، مخـذولٌ من خذله .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن آذى عليّاً فقد آذاني» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني» .

وقـولـه صلى الله عليه وآله وسلم : «اوحي إليَّ في عليّ ثـلاث : إنّـه سيّـد المسلمين ، وإمـام المتّقين ، وقائد الغُرِّ المحجَّلين» .

وقـولـه صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن سبَّ عليّـاً فقـد سبّني ، ومن سبّني فقـد سبَّ الله عـزَّ وجل ، ومَن سبَّ الله كبّه الله على منخريه في النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لو أنَّ عبداً عبـد الله سبعة آلاف سنـة ، ثمَّ أتى الله عزَّ وجـلَّ ببغض عليٍّ بن أبي طالب ، جاحداً لحقّه ، ناكثاً لولايته ، لأتعس الله خيره ، وجدع أنفه» .

وقـولـه صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ عليه السلام : «سجيّتـه سجيّتي ، ودمـه دمي ، وهــو عيبـة علمي ، لـو أنَّ عبـداً من عبـاد الله ، عـزّ وجـل ، عبـد الله ألف عـام ، بين الـركن والمقام ، ثمَّ لقي الله ، عزَّ وجلَّ ، مبغضاً لعليٍّ بن أبي طالب ، وعترتي ، أكبّه الله على منخره ، يوم القيامة ، في نار جهنَّم» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ : «يـا عليّ ! لو أنّ أُمّتي صـاموا حتّى يكـونوا كـالحنايـا ،

وصلّوا حتى يكونوا كالأوتار ، ثمّ أبغضوك ، لأكبّهم الله في النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يجوز أحدٌ الصِّراط إلاّ من كتب له عليٌّ الجواز» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يجوز أحدٌ الصِّراط إلاّ ومعه براءَة بولايته ، وولاية أهل بيته ، يشرف على الجنّة ، فيدخل محبِّيه الجنّة ، ومبغضيه النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «معرفة آل محمد براءةٌ من النار ، وحبُّ آل محمد جوازٌ على الصِّراط ، والولاية لآل محمد أمانٌ من العذاب» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يا أيُّها الناس ، أُوصيكم بحبِّ ذي قرنيها : أخي ، وابن عمّي عليّ بن أبي طالب ، فإنّه لا يحبُّه إلاّ مؤمن ، ولا يبغضه إلاّ منافق» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «سيكون بعدي قومٌ يقاتلون عليّاً ، على الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ، ليس وراء ذلك شيءٌ» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ : «أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيّين ، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين . قال : ومَن عدوّي ؟ قال : من تبرّأ منك ولعنك» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح : من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إلزموا مودّتنا أهل البيت ، فإنّه من لقي الله ، عزَّ وجلَّ . وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لو أنَّ رجلاً صفن بين الرُّكن والمقام ، فصلّى وصام ، ثمّ لقي الله وهو مبغضٌ لأهل بيت محمد ، دخل النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ الله جعل أجري عليكم المودَّة في أهل بيتي ، وإنّي سائلكم غداً عنهم» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية عليّ» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة ، وأغصانها في الدنيا ، فمن تمسّك بنا اتّخذ إلى ربّه سبيلا» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد خيّم خيمة ، وفيها عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين : «معشر المسلمين أنا سلمٌ لمن سالم أهل الخيمة ، حربٌ لمن حاربهم ، وليّ لمن والاهم ، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ ، طيب المولد ، ولا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدِّ رديء المولد» .

٤٠ ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين يوم القيامة ، ونصب الصراط على جسر جهنّم ، ما جازها أحدٌ حتّى كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب» .

هذا مولانا أمير المؤمنين ، وهذا غيضٌ من فيض ، ممّا جاء في ولائه وعدائه ، فأيّ صحابيّ عادل ، عاصر نبيَّ الرحمة ، ووعى منه هاتيك الكلمات الدريّة ، وشاهد مولانا عليه السلام ، وعرف انطباقها عليه بتمام معنى الكلمة ، ثمّ ينحاز عنه ، ويتّخذ سبيلاً غير سبيله ، فيبغي به الغوائل ، ويتربص به الدوائر ، ويقع فيه بملء فمه ، وحشو فؤاده ، ويرميه بقذائف الحقد والشنآن ؟ ! لعلّك لا تجد مسلماً هو هكذا غير من ألهته العصبية ، عن الهدى ، وتدهورت به إلى هوَّة الشهوات السحيقة ، ولعلّك لا تجد ذلك الرَّجل البائس إلاّ ابن أبي سفيان ، المجابه للكتاب والسنّة ، بعد الإنكار بقلبه بالهزء والسخريّة بلسانه ، فعل مردة الوقت وطواغيت الامّة ، فتراه عند ماروى له سعد بن أبي وقّاص أحد العشرة المبشّرة ، أحاديث ممّا سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ عليه السلام ، ونهض ليقوم ، ضرط له معاوية استهزاءً ، كما مرَّ حديثه في هذا (الجزء : ص ٣٠٧) .

وحينما ذكر له أبو ذر الغفاري ذلك الصادق المصدّق ، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إست معاوية في النار . جابهه بالضحك ، وأمر بحبسه .

ولمّا بقر عبد الرَّحمن بن سهل الأنصاري روايا خمر لمعاوية ، وبلغه شأنه قال : دعوه فإنّه شيخٌ قد ذهب عقله[1] . يستهزىء إنكاره على تلك الكبيرة

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء : ص ٢٢١ .

الموبقة ، وليت شعري بِمَ هذا الهزء والسخريّة ؟ أبالصحابيِّ العادل ؟ أم بمن استند إليه في حكمه بتحريم الخمر ؟ أم بالشريعة التي جاءت به ؟ إنَّ ابن آكلة الأكباد بمقربة من كلِّ ذلك ، أو إنّه لا يدين الله بذلك الحكم البات ؟

ولمّا سمع من عمرو بن العاص ما حدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من قوله لعمّار : «تقتلك الفئة الباغية» . قال لعمرو : إنّك شيخٌ أخرق ، ولا تزال تحدِّث بالحديث ، وأنت ترحض في بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنّما قتله عليٌّ وأصحابه ، جاؤوا به حتّى ألقوه بين رماحنا . وقال : أفسدت عليَّ أهل الشام ، أكلّ ما سمعت من رسول الله تقوله[1] ؟

أهذا هزءٌ ؟ أم أنَّ معاوية بلغ من السفاهة مبلغاً يحسب معه أنَّ أمير المؤمنين هو قاتل عمّار ، إذن فما قوله في سيِّد الشهداء حمزة ، وجعفر الطيّار[2] ؟ أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهما يوم ألقاهما بين رماح المشركين وسيوفهم ؟ لا تستبعد مكابرة الطاغية بقوله : إنَّ رسول الله قتلهما . أو انَّ الرَّجل وجد حمراً مستنفرة فألجمها وألجم مراشدها بتلكم التمويهات ؟ وكلّ هذه معقولة غير مستعصية على استقرار أعمال معاوية وأفعاله .

ثمَّ ماذا يعني بقوله : أفسدت عليّ . . . أيريد كبحاً أمام جري السنّة الشريفة ؟ أو يروم إسدال غطاء على مجاليها ؟ أو الإعراض عن مدلولها ، لأنَّه لا يلائم خطّته ؟ ولا يستبعد شيء من ذلك ممّن طبع الله على قلبه ، وهو ألدّ الخصام .

ولمّا حدَّثه عبادة بن الصامت حديث حرمة الرّبا[3] وقد نطق بها القرآن الكريم فقال : أُسكت عن هذا الحديث ، ولا تذكره . فقال عبادة : بلى وإنْ رغم

---

(١) أسلفنا تفصيله في الجزء الأول : ص٣٨٤

(٢) بهذا أجاب الإمام أمير المؤمنين ، عليه السلام ، عن كلام الرجل كما في (تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٧٧) .

(٣) مرَّ حديثه في هذا الجزء : ص ٢٢٥ .

أنف معاوية . ولمّا سمع من عبادة حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنَّ هذا لا يقول شيئاً . فلم يك يرى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً يعبأ به ويُصاخ إليه ، ويُعدَّل عليه .

ولمّا قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري (١) فقال له معاوية : يا أبا قتادة ! تلقاني الناس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار ! ما منعكم ؟ قال : لم يكن معنا دواب . فقال معاوية : فأين النواضح ؟ قال أبو قتادة : عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر . قال : نعم يا أبا قتادة ! قال أبو قتادة : إنَّ رسول الله ﷺ قال لنا : إنّا سنرى بعده أَثرة . قال معاوية : فما أمركم به عند ذلك ؟ قال : أمرنا بالصبر . قال : فاصبروا حتّى تلقوه . قال عبد الرَّحمن بن حسّان حين بلغه قول معاوية :

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... أمير المؤمنين عنّي كلامي
فإنّا صابرون ومنظروكم ... إلى يوم التغابن والخصام(٢)

وحقُّ القول : إنّ المخذول لا يخضع لهتاف النبوَّة ، ولا انّهم سوف يلقون صاحبها ، ويرفعون إليه ظلامتهم ، فيحكم لهم على من استأثر عليهم ، وحسبه ذلك إلحاداً وبغياً .

وفي رواية : إنَّ أبا أيّوب أتى معاوية فشكا إليه أنَّ عليه ديناً ، فلم يرمنه ما يحبُّ فرأى أمراً كرهه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّكم سترون بعدي أثرة . قال : فأيّ شيء قال لكم ؟ قال : أمرنا بالصبر . قال : فاصبروا . قال : فوالله لا أسألك شيئاً أبداً(٣) .

وفي لفظ : دخل أبو أيّوب على معاوية فقال : صدق رسول الله إنّكم سترون بعدي أثرة ، فعليكم بالصبر . فبلغت معاوية فقال : صدق رسول الله أنا أوّل من صدَّقه . فقال أبو أيّوب : أجرأة على الله ، وعلى رسوله ؟ لا أُكلّمه أبداً ، ولا

---

(١) في رواية ابن عساكر : عبادة بن صامت الأنصاري .

(٢) الإستيعاب ج ١ ص ٢٥٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢١٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٣٤ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤١ .

يأويني وإيّاه سقف بيت .

[تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٢] .

وفي لفظ الحاكم : إنَّ أبا أيّوب أتى معاوية فذكر حاجة له فجفاه ، ولم يرفع به رأساً ، فقال أبو أيّوب : أما إنَّ رسول الله ﷺ قد أخبرنا أنّه سيصيبنا بعده أثرة قال : فبم أمركم ؟ قال : أمرنا أن نصبر حتّى نرد عليه الحوض . قال : فاصبروا إذاً . فغضب أبو أيّوب ، وحلف أنلا يكلّمه أبداً . [الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٥٠]

وحضر أبو بكرة مجلس معاوية فقال له : حدِّثنا يا أبا بكرة : فقال : إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الخلافة ثلاثون ، ثم يكون الملك ، قال عبد الرحمن بن أبي بكرة : وكنت مع أبي ، فأمر معاوية فوجىء في أقفائنا ، حتّى أُخرجنا[1] .

ولعلّك تعرف خبيئة ضمير معاوية بما حدَّثه ابن بكار في (الموفقيات) عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي قال : سمعت المدائني يقول : قال مطرف بن المغيرة : وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية ، فكان أبي يأتيه يتحدَّث عنده ، ثمَّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية . ويذكر عقله ، ويعجب ممّا يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة ، فأمسك عن العشاء فرأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة ، وظننت أنّه لشيء حدث فينا ، أو في عملنا فقلت له : ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة ؟ قال : يا بني ! إنّي جئت من عند أخبث الناس . قلت له : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنّك قد بلغت منّا يا أمير المؤمنين ! فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً ، فإنّك قد كبرت ، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيءٌ تخافه ! فقال لي : هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أنْ يقول قائل : أبو بكر ، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد ، وشمر عشر سنين ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل : عمر ، ثمّ ملك أخونا عثمان ، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ما عمل ، وعُمل به ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره ، وذكر ما فعل به ، وإنَّ أخا هاشم يصرخ به في كلِّ يوم خمس مرّات : أشهد أنَّ محمداً رسول الله .

---

(١) أخرجه ابن سعد كما في النصائح الكافية : ص ١٥٩/ط ١ .

فأيّ عمل يبقى مع هذا لا أمّ لك ، والله إلا دفنا دفناً[١] ؟ !

فهل تجد إذن عند معاوية إذعاناً بما جاء من الكتاب في عليّ عليه السلام ؟ أو تراه مخبتاً إلى شيء من الكثير الطيّب الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في الثناء على الإمام الطاهر ، حينما عاداه وأبغضه ، ونقّصه وسبّه ، وهتك حرماته ، وآذاه ، وقذفه بالطامّات ، وحاربه وقاتله ، وتخلّف عن بيعته ، وخرج عليه .

أوَ ترى أن يسوغ لمسلم صدّق نبيّه ، ولو في بعض تلكم الآثار والمآثر ، أنْ يبوح بما كتبه ابن هند إلى الإمام عليه السلام من الكلم القارصة ، بمثل قوله في كتاب له إليه عليه السلام :

«ثمَّ تركك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها : إن المدينة لتنفي خبثها ، كما ينفي الكير خبث الحديد . فلعمري لقد صحَّ وعده ، وصدق قوله ، ولقد نفت خبثها وطردت عنها من ليس بأهل أنْ يستوطنها ، فأقمت بين المصرين ، وبعدتَ عن بركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة ، وبمجاورة الخورنق والحيرة ، عوضاً عن مجاورة خاتم النبوّة .

ومن قبل ذلك ما عيّبت خليفتي رسول الله ﷺ أيّام حياتهما ، فقعدت عنهما ، وألّبتَ عليهما ، وامتنعتَ من بيعتهما ، ورُمتَ أمراً لم يرك الله تعالى له أهلاً ، ورقيتَ سلّماً وعراً ، وحاولت مقاماً دحضاً[٢] وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً ، ولعمري لووليتها حينئذ لما ازدادت إلاّ فساداً واضطراباً ، ولا أعقبت ولايتكها إلا انتشاراً، وارتداداً، لأنّك الشامخ بأنفه ، الذاهب بنفسه ، المستطيل على الناس بلسانه ويده .

وها أنا سائرٌ إليك في جمع من المهاجرين والأنصار ، تحفّهم سيوفٌ شاميَّة ، ورماحٌ قحطانيّة ، حتّى يحاكموك إلى الله ، فانظر لنفسك وللمسلمين ، وادفع إليّ قتلة عثمان ، فإنّهم خاصّتك وخلصاؤك ، المحدقون بك ، فإنْ أبيت إلاّ سلوك

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤١ .
(٢) مكان دحض بالفتح ويحرك : زلق .

سبيل اللجاج ، والإصرار على الغيِّ والضلال ، فاعلم أنَّ هذه الآية إنّما نزلت فيك وفي أهل العراق معك: **﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلِّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾** .

وقوله في كتاب له : «وإن كنت موائلاً ، فازدد غيّاً إلى غيك ، فطالما خفَّ عقلك ، ومنّيت نفسك ما ليس لك ، والتويتَ على مَن هو خيرٌ منك ، ثمّ كانت العاقبة لغيرك ، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك» .

وقوله في كتاب له أيضاً : «فدعني من أساطيرك ، واكفف عنّي من أحاديثك ، وأقصر عن تقوّلك على رسول الله ﷺ ، وافترائك من الكذب ما لم يُقل ، وغرور مَن معك ، والخداع لهم ، فقد استغويتهم ، ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ، ويعلموا أنّ ما جئت به باطلٌ مضمحلٌّ» .

وقوله من كتاب آخر له : «فما أعظم الرين على قلبك ، والغطاء على بصرك ، الشره من شيمتك ، والحسد من خليقتك» .

وقوله في كتاب له إليه عليه السلام : «فدع الحسد ، فإنّك طالما لم تنتفع به ، ولا تفسد سابقة جهادك بشرّة نخوتك ، فإنَّ الأعمال بخواتيمها ، ولا تُمحّص سابقتك بقتال من لاحقَّ لك في حقّه ، فإنّك إنْ تفعل لا تضرّ بذلك إلاّ نفسك ، ولا تمحق إلاّ عملك ، ولا تبطل إلاّ حجّتك ، ولعمري إنَّ ما مضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقاً لما اجترأت عليه من سفك الدماء ، وخلاف أهل الحقّ ، فاقرأ السورة التي يذكر فيها الفلق ، وتعوَّذ من نفسك ، فإنّك الحاسد إذا حسد» .

وقوله من كتاب له إليه عليه السلام : «فلمّا استوثق الإسلام وضرب بجرانه ، عدوت عليه ، فبغيته الغوائل ، ونصبت له المكائد ، وضربت له بطن الأمر وظهره ، ودسستَ عليه ، وأغريت به ، وقعدت ـ حين استنصرك ـ عن نصره ، وسألك أن تدركه ، قبل أن يمزّق ، فما أدركته ، وما يوم المسلمين منك بواحد ، لقد حسدت أبا بكر ، والتويت عليه ، ورُمتَ إفساد أمره ، وقعدت في بيتك ، واستغويت عصابة من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته ، ثمّ كرهت خلافة عمر وحسدته ، واستطالت

مدّته ، وسُررت بقتله ، وأظهرت الشماتة بمصابه ، حتى انّك حاولت قتل ولده ، لأنّه قتل قاتل أبيه ، ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمّك عثمان . . . إلخ» .

وقوله في كتاب له إليه عليه السلام : «أمّا بعد : فإنّا كنّا نحن وإيّاكم يداً جامعة ، وأُلفة أليفة ، حتّى طمعت يا بن أبي طالب ! فتغيّرت وأصبحت تعدّ نفسك قويّاً على من عاداك ، بطغام أهل الحجاز ، وأوباش أهل العراق ، وحمقى الفسطاط ، وغوغاء السواد ، وأيم الله لينجلينّ عنك حمقاها ، ولينقشعنّ عنك غوغاؤها انقشاع السّحاب عن السّماء» .

«قتلتَ عثمان بن عفّان ، ورقيت سلّماً أطلعك الله عليه مطلع سوء ، عليك لا لك ، وقتلت الزبير وطلحة ، وشرّدت أُمّك عائشة ، ونزلت بين المصرين فمنّيت وتمنّيت ، وخيل لك أنّ الدنيا قد سخّرت لك بخيلها ورجلها ، وإنّما تعرف أُمنيّتك ، لو قد زرتك في المهاجرين من الشام بقيّة الاسلام ، فيحيطون بك من ورائك ، ثمّ يقضي الله علمه فيك ، والسّلام على أولياء الله[1]» .

فأيُّ أحد من غوغاء الناس ومن جهلة الأُمّة يحسب في صاحب هذه الكلمات المخزية نزعة دينيّة ؟ أو حياء وانقباضاً في النفس ، ولو قيد شعرة ؟ أو بخوعاً إلى كتاب الله ، وهو يطهّر أهل البيت ، وعليٌّ سيد العترة ، ويراه نفس النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرن ولايته بولاية الله ، وولاية رسوله وطاعته ، بطاعتهما ؟ !

نعم : هكذا فليكن رضيع ثدي هند ، وربيب حجر حمامة ، والناشىء تحت راية البغاء ، ووليد بيت اميّة ، وثمرة تلك الشجرة الملعونة في القرآن ، هكذا يسرف معاوية في القول ، ويجازف مفرطاً فيه ، وما يلفظ من قول إلّا ولديه رقيبٌ عتيد ، وهو سرف الفؤاد لا يعبأ بما تلقته الامّة بالقبول من قول نبيِّها في عليّ عليه السلام : «أنت الصدِّيق الأكبر ، أنت الفاروق الذي تفرق بين الحقِّ والباطل ، وأنت يعسوب الدين» .

---

(١) توجد هذه الكتب على تفصيلها في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١ ، ٤١٢ ، ٤٤٨ ، وج ٤ . ص٥٠ ، ٥١ ، ٢٠١ ، وهي مبثوثة في جمهرة الرسائل : ص ٣٩٨ ـ ٤٨٣ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «عليٌّ مع الحقِّ ، والحقُّ مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة» .

إلى مئات أو أُلوف ممّا جاء في عليّ عليه السلام بلسان سيّد العالمين نبيّ الامّة صلى الله عليه وآله وسلم .

بلغ الطاغية من عداء سيِّد العترة حدّاً لا يستطيع أنْ يسمع اسمه عليه السلام ، وكان ينهى عن التسمية به ، يُروى أنّ علي بن أبي طالب (ع) افتقد عبد الله بن العباس فقال : ما بال أبي العباس لم يحضر ؟ فقالوا : ولد له مولود ، فلمّا صلّى عليٌّ قال : امضوا بنا إليه ، فأتاه فهنّاه فقال : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ، ما سمّيته ؟ قال : أو يجوز لي أن أُسمّيه حتى تسمّيه . فأمر به فأُخرج إليه فأخذه ، وحنّكه ، ودعا له ، ثمّ ردّه إليه وقال : خذه إليك أبا الأملاك قد سمّيته عليّاً، وكنّيته أبا الحسن . فلمّا قام معاوية قال لابن عبّاس : ليس لكم اسمه وكنيته ، قد كنّيته أبا محمد . فجرت عليه[1] . فكان بنو أُميّة إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ قتلوه[2] . فكان الناس يبدّلون أسماء أولادهم ، قاله زين الدين العراقي .

١٧ ـ هنات وهنابث في ميزان ابن هند :

١ ـ لمّا قتل نعيم بن صهيب بن العليّة فأتى ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث بن العلية معاوية ، وكان معه ، فقال : إنَّ هذا القتيل ابن عمِّي ، فهبه لي أدفنه . فقال : لا ندفنهم ، فليسوا أهلاً لذلك ، فوالله ما قدرنا على دفن عثمان معهم إلاّ سرًّا قال : والله لتأذننَّ لي في دفنه ، أو لألحقنَّ بهم ، ولأدعنّك . فقال له معاوية : ويحك ترى أشياخ العرب لا

---

(١) كامل المبرد ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣١٩ .

تواريهم، وأنت تسألني دفن ابن عمّك . ثمَّ قال لـه : ادفنه إنْ شئت أو دع . فـأتاه فدفنه[(١)] .

٢ ـ لمّا قتل عبد الله بن بديل ، أقبل إليه معاوية ، وعبد الله بن عـامر ، حتى وقفا عليه ، فأمّا عبد الله فألقى عمامته على وجهه ، وترحَّم عليـه ، وكان صديقـه ، فقـال معاويـة : إكشف عن وجهه . فقـال : لا والله لا يمثّـل بـه وفيَّ روح . فقـال معاوية : إكشف عن وجهه فإنّا لا نمثّل بـه ، فقد وهبتـه لك[(٢)] . وذكـر النسَّابـة أبو جعفر البغدادي في (المحبَّر ص ٤٧٩) ممّا كتبـه معاويـة إلى زياد بن سلمـة : «من كان على دين عليّ ورأيه ، فاقتله وامثل به» يأتي الحديث بتمامه .

٣ ـ قد كان معاوية (يـوم صفّين) نذر في سبي نسـاء ربيعة ، وقتـل المقاتلة ، فقال في ذلك خالد بن المعمَّر :

تمنّـى ابن حـرب نـذرةً فـي نسـائنـا ... ودون الـذي ينـوي سيـوفٌ قـواضب
ونـمنـح مـلكـاً أنت حـاولـت خلعـه ... بني هـاشم قـول امـرىء غيـر كـاذبِ[(٣)]

٤ ـ ذكـر البـاوردي أنَّ عميـر بن قـرَّة الليثي الصحـابي ممّن شهـد صفّين من الصحابة ، وكان شديداً على معاوية وأهل الشّام ، حتى حلف معاوية ، لئن ظفر به ليذيبنّ الرصاص في اذنيه[(٤)] .

هـذه هنات مـوبقة ، ومحـظورات مسلّمة ، من بـوائق إبن هند الكثيـرة ، قد ارتكبها ، أو صمّم أن يقترفهـا في (صفّين) ، فهل من الـدِّين الحنيف منعه عن دفن من قتل تحت راية الحقّ مع أمير المؤمنين عليه السلام ، مع وجوب الإسـراع في دفن كلّ مؤمن ؟ فهل كان أُولئك الصلحاء من الصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسـان ، عند معاوية ، خارجين عن الدين ؟ أو أنّه كان يتّبـع فيهم هواه المـردي ، ويشفي بذلـك

(١) كتاب صفين لابن مزاحم : ص ٢٩٣/ط مصر . تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٩ .
(٢) كتاب صفين : ص ٢٧٧/ط مصر ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦ .
(٣) كتاب صفين ص ٢٣١/ط مصر .
(٤) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٣٥ .

غيظه منهم على نصرتهم الحقّ ؟ وكم عند معاوية من مخازي أمثال هذه تقع عن الدين المبين بمعزل ؟ !

أفهل تسوغ مثلة المسلم المخالف هواه هوى ابن آكلة الأكباد ؟ والمثلة محرَّمةٌ حتّى بالحيوان حتّى بالكلب العقور[١] ، فكيف بصلحاء المؤمنين؟ وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مثل بالحيوان[٢] .

وقد جاء حديث النهي عن المثلة ، من طريق عليّ أمير المؤمنين ، وأنس ، وابن عمر ، وعبد الله بن يزيد الأنصاري ، وسمرة بن جندب ، وزيد بن خالد ، وعمران بن حصين ، ومغيرة بن شعبة ، والحكم بن عمير ، وعائذ بن قرط ، وأبي أيّوب الأنصاري ، ويحيى ابن أبي كثير ، وأسماء بنت أبي بكر .

وأحاديثهم مبثوثة في صحيحي البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، والسنن الكبرىٰ للبيهقي ، ومسند أحمد ، ومعجم الطبراني . راجع (نصب الراية للزيلعي ج ٣ ص ١١٨ ـ ١٢١) .

فما المسوِّغ عندئذ لابن هند مثلة من كان على دين عليّ ورأيه ، ودينه هو دين محمد الذي جاء بالإسلام المقدّس ؟

وهل ينعقد نذر المعصية بسبي نساء ربيعة المسلمات ، إنْ تغلّب عليهم لولاء بعولتهنَّ عليّاً أمير المؤمنين ؟ وهو محرَّمٌ في شرع الإسلام ، ولا ينعقد النذر إلاّ في طاعة ، ولا أقلّ من الرجحان في متعلّق النذر ، كما مرّ بيانه في (الجزء الثامن : ص ١٠٣) ، فبأيّ كتاب ثمَّ بأيّة سنّة يسوغ هذا النذر لصاحبه إنْ كان من أهلهما ، ويسع له أن يقول : لله عليَّ كذا ؟ .

وهل يجوز في شرع الإسلام اليمين بإذابة الرصاص في أُذن مسلم صحابيّ عادل ، لا يتّبع أهواء معاوية ، ولا يخبت إلى ضلالاته ؟ وهل كان يحلف الرجل

---

(١) أخرجه الطبراني من طريق علي أمير المؤمنين وذكره الزيلعي في نصب الراية ج ٣ ص ١٢٠ ، والسرخسي في الشرح الكبير ج ١ ص ٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : باب ما يكره من المثلة ، من طريق ابن عمر .

بـإلّه محمـد وعليّ ، صلوات الله عليهما وآلهمـا ، وهما وربّهمـا برآء عن مثـل هذا الحلف وصاحبه ؟ أو كان يقصد إلّه آبائه دعائم الشرك وعبدة (هبل) ، حملة الاوزار المستوجبين النّار ؟ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

١٨ ـ قذائف موبقة في صحائف ابن آكلة الأكباد :

ها هنا في أيِّ كفّة تجد معاوية وأعماله الشـاذّة عن الإسلام ؟ فهـل تراه أثقـل ميزانه بالصّالحـات ؟ أو أنّه خفّفهـا بكلّ مـوبقة مهلكـة ؟ وأنّه كـان يطفّفهـا ويخفّف المكيال كيفما وزن وكال ، وليت ابن هند أدلى بما عنده من الشبَه في هذه القضيَّة ـ قتـاله عليّـاً عليه السلام ـ لنمعن النـظر فيهـا إمعـان استشفـاف لمـا ورائهـا ، لكنّـه فـات المخـذول أنْ يدلي بشيء من ذلـك لا تعارضـه البرهنـة . ولا يفنّده المنـطق ، غير أمرين أراد بهما تلويثاً لساحة قدس الإمـام ، وإن كان هـو كشف عن عورتـه ساعـة عرف الناس كذبه في الأمرين جميعاً .

الأوّل : نسبة الإلحاد إليه ، سلام الله عليه ، وانه لا يصلّي ، هذا وقد وضح الإسـلام بسيفه ، وقـامت الصَّلاة بـأيده ، يمـوِّه بذلـك على الرعـرعة الـدهمـاء من الشاميِّين .

قال الجاحظ : إنَّ معاوية كان يقول في آخر خطبته : اللهمَّ إنَّ أبا تراب ألحد في دينك ،وصدَّ عن سبيلك ، فالعنة لعناً وبيلا ، وعذِّبه عذاباً أليما . وكتب بـذلك إلى الآفـاق فكانت هـذه الكلمات يُشـاد بهـا على المنـابـر إلى أيّـام عمـر بن عبـد العزيز[1] .

وأخرج ابن مزاحم أنّ يوم صفّين ، برز شابٌ من عسكر معاوية ، يقول :

أنـا ابـن أربـاب الـملوك غسّـان ... والـدائـن اليـوم بـديـن عـثـمـان
أنـبـأنـا أقـوامـنـا بـمـا كـان ... إنَّ عـليّـاً قـتـل ابـن عـفّـان

ثمَّ شدّ ، فلا ينثني يضرب بسيفه ، ثمّ جعل يلعن عليّاً ، ويشتمـه ، ويسهب في ذمّه ، فقال له هاشم المرقال : إنَّ هذا الكلام بعـده الخصام ، وإنَّ هـذا القتال

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء الثاني : ص ١٢٦

بعده الحساب ، فاتق الله ، فانّك راجع إلى ربِّك ، فسائلك عن هذا الموقف ، وما أردت به ، قال : فإنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي ، وإنّكم لا تصلّون ، وأُقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا ، وأنتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ؟ إنّما قتله أصحاب محمد وقرّاء الناس ، حين أحدث أحداثاً ، وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين . وما أظنُّ أنَّ أمر هذه الامّة ، ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قطّ . قال الفتى : أجَلْ أجَلْ ، والله لا أكذب فإنَّ الكذب يضرّ ولا ينفع ، ويشين ولا يزين ! فقال له هاشم : إنَّ هذا الأمر لا علم لك به ، فخلّه وأهل العلم به . قال : أظنّك والله قد نصحتني . وقال له هاشم : وأمّا قولك : إنَّ صاحبنا لا يصلّي فهو أوّل من صلّى مع رسول الله ، وأفقهه في دين الله ، وأولاه برسول الله . وأمّا مَن ترى معه فكلّهم قارىء الكتاب ، لا ينامون الليل تهجّداً ، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون . قال الفتى : يا عبد الله إنّي لأظنّك امرأً صالحاً ، وأظنّني مخطئاً آثماً ، أخبرني هل تجد لي من توبة ؟ قال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك ، فإنّه يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيّئات ويحبُّ التوّابين ، ويحبُّ المتطهّرين . قال : فذهب الفتى بين الناس راجعاً . فقال له رجلٌ من أهل الشام : خدعك العراقيّ . قال : لا ، ولكن نصحني العراقيّ[1] .

كان المخذول يشوّه سمعة الإمام الطيّبة ، بتلكم القذائف الشائنة ، طيلة حياته ، ولمّا استشهد ، سلام الله عليه ، لم يرفع اليد عن غيّه وبغيه ، فجاء يُري الامّة الغوغاء انَّ ما كان من عدائه المحتدم للإمام عليه السلام ، إنّما كان عن أساس ديني لله وفيه ، فكتب إلى عمّاله :

سلامٌ عليكم ، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إلّه إلّا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوّكم ، وقتلة خليفتكم ، إنّ الله بلطفه وحُسن صنعه ، أتاح لعليٍّ بن أبي طالب رجلاً من عباده ، فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرّقين

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم : ص ٤٠٢ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٨ .

مختلفين ، وقد جاءنا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فأقبلوا إليَّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدَّتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الثأر ، وبلغتم الأمل ، وأهلك الله أهل البغي والعدوان[1] ولما دخل إبن عبّاس على معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام قال : الحمد لله الذي أمات عليّاً[2] .

ما أغلف قلب هذا الرجل الذي يحسب أنَّ عبد الرّحمن بن الملجم من عباد الله ، وقد قيّضه المولى سبحانه للنيل من إمام الهدى ، ويعدُّ ذلك من لطفه وحسن صنعه ، وابن ملجم هو ذلك الشقيُّ المهتوك الخارجيّ الجاني على الأُمّة جمعاء ، بقتل سيِّدها نفس الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وآتيها بخسارة الأبد ، وهو أشقى الآخرين في لسان النبيِّ الكريم ، أو أشقى الامَّة في حديثه الآخر ، وأشدّ الناس عذاباً يوم القيامة ، وعاد قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه «أشقى» كلقب يُعرف به أشقى مراد ، حيث انَّه إطّرد ذكره به في موارد كثيرة من الحديث والتاريخ[3] .

وليت شعري أيّ إلّه يحمده معاوية في موت عليّ أمير المؤمنين ؟ ألإلّه جعل مودَّة عليّ أجر الرسالة في محكم الذِّكر الحكيم ؟

ألإلّه اتّخذ عليّاً نفساً لنبيِّه في قصَّة المباهلة ؟

ألإلّه أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ ولاية علي عليه السلام ، وإنّه إنْ لم يفعل فما بلّغ رسالته ؟ .

ألإلّه يرى بولاية علي عليه السلام إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضاه سبحانه ؟

ألإلّه أوحى لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ ثلاث : إنّه سيّد المسلمين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجلين ؟

---

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٣ ، جمهرة رسائل العرب ج ٢ ص ١٣ .

(٢) تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ص ٨ .

(٣) راجع الجزء الأول من كتابنا : ص٣٧٨ .

ألإلّه عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ انّه راية الهدى ، ومنار الإيمان ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ؟

ألإلّه كان عليّ أحبّ خلقه إليه بعد نبيّه كما جاء في حديث الطير ؟

ألإلّه كان يحبُّ عليّاً ، وعليٌّ يحبّه في حديث خيبر ؟

ألإلّه اختار عليّاً وصيّاً لنبيّه بعد ما اختاره نبيّاً ، فهو أحد الخيرتين من البشر ، كما جاء في النصّ النبويّ ؟

ألإلّه دعاه صاحب الرِّسالة الخاتمة ، حينما قال في مائة ألف أو يزيدون : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهمَّ والِ مَن والاه ، وعاد مَن عاداه ، وانصر مَن نصره ، واخذل مَن خذّله ؟

أيسوغ مثل هذا الحمد والثناء لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وصدَّق نبيَّ الإسلام وما جاء به ؟ أم هل يتصوّر توجيهه إلى ربِّ محمد وعليّ ؟ وقد تمّت بهما كلمة الله صدقاً وعدلاً ، وقامت بهما دعائم الدِّين الحنيف ، وبسعيهما أدركت الامَّة المرحومة سعادة الأبد .

نعم : له مسرحٌ إن وجّه إلى «هبل» إلّه آباء معاوية وإلّهه إلى أُخريات أيّام النبوّة إن لم نقل إلى آخر نفَس لفظه معاوية ، وقد كان مرتكزاً في أعماق قلبه ، ومزيج نفسه ، طيلة ما لهج بأمثال هذه الأقاويل المخزية .

ثمَّ أيّ مسلم يبلغ أمله عند قتل إمام الحقّ ، ووأد خطّة الهدى ؟ إلاَّ من ارتطم في الضَّلالة ، وسبح في الإلحاد سبحاً طويلاً .

وأمّا قوله : وأهلك الله أهل البغي والعدوان : فانظر واقرأ قول العزيز الحكيم : كبرت كلمة تخرج من أفواههم . يلهج بهذه الكلمة كأنّه بمجلب عن البغي والعدوان ـ وهو ولفيفه هم الفئة الباغية بنصّ النبيّ الأعظم ـ وهو يندّد بمن يحسب أنّه تردّى بهما . نعم : حنّ قدحٌ ليس منها . هل الباغي هو من خرج على إمام زمانه يناضله وينازله ؟ أو انَّ إمام الوقت ـ المعصوم بنصّ الكتاب ـ هو الباغي ؟

«والعياذ بالله» وإنْ كان القوم أعداؤه وهو عدوّ لهم ، فهم أعداء الله وأعداء رسوله ، بغير واحد من النّصوص النبويّة ، وقد شملتهم دعوة صاحب الرسالة المتواترة : «وعاد مَن عاداه ، واخذل مَن خذله» .

نـظـرة
فيما تشبث به معاوية في قتال علي (ع)

الثاني من الأمرين اللذين تشبّث بهما ابن آكلة الأكباد ، في تثبيط الملأ عن نصرة الإمام عليه السلام ، وتأليبهم إلى قتاله : إنّ عنده ثار عثمان ، وعليه ترته ، وللحاكم في هذه القضية أنْ ينظر أوّلاً إلى أنَّ معاوية نفسه لم يشهد وقْعَةَ عثمان ، حتى يبصر المباشر لقتله ، وإنّما تثبّط عن نصرته بل كان يحبِّذ قتله طمعاً في أن ينال الملك[1] بعده بحججه التافهة .

وثانياً : إلى أنَّ أمير المؤمنين ، سلام الله عليه ، كان غائباً عن المدينة المنوّرة عند وقوع الواقعة[2] ، فكيف تصحّ مباشرته لقتل أو قتال ؟ ! أو كان ساكناً في عقر داره بالمدينة ، لا له ولا عليه .

وثالثاً: إلى شهادات الزور المتولّدة من دسائس ابن حرب ، ترمي أبرأ الناس من ذلك الدم المراق ، بإيعاز من ابن النابغة ذلك العامل الوحيد في قتل عثمان ، وقد سمعت عقيرته أُذن الدنيا : أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع[3] .

قال الجرجاني : لمّا بات عمرو عند معاوية ، وأصبح أعطاه مصر طعمة له ، وكتب له بها كتاباً وقال : ما ترى ؟ قال : إمض الرأي الأوّل . فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة ، فأدركه فقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه . ثمَّ قال : ما ترى في عليّ ؟ قال : أرى فيه خيراً ، أتاك في هذه البيعة خير أهل العراق ، ومن عند خير الناس في أنفس الناس ، ودعواك أهل الشام إلى

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء التاسع : ص١٧٩ ـ ١٨٢
(٢) مرّ حديثه في الجزء التاسع : ص٢٧٨ .
(٣) انظر ما فصلناه في الجزء التاسع : ص ١٦٤ ـ ١٦٦

ردّ هذه البيعة خطرٌ شديد ، ورأس أهل الشام شُرحبيل بن السمط الكندي ، وهو عدوّ لجرير المرسل إليك ، فأرسل إليه ، ووطّن له ثقاتك ، فليُفشوا في الناس : إنّ عليّاً قتل عثمان ، وليكونوا أهل الرضا عند شُرحبيل ، فإنّها كلمةٌ جامعة لك أهل الشام على ما تحبُّ ، وإنْ تعلّقت بقلب شُرحبيل ، لم تخرج منه بشيء أبداً .

فكتب إلى شرحبيل : إنَّ جرير بن عبد الله ، قدم علينا من عند عليٍّ بن أبي طالب بأمر فظيع ، فاقدم . ودعا معاوية يزيد بن أسد ، وبُسر بن أرطاة ، وعمرو بن سفيان ، ومخارق بن الحارث ، وحمزة بن مالك ، وحابس بن سعد الطائي ، وهؤلاء رؤوس قحطان واليمن ، وكانوا ثقات معاوية وخاصّته ، وبني عمّ شرحبيل ابن السمط ، فأمرهم أن يلقوه ويُخبروه : إنَّ عليّاً قتل عثمان ، فلمّا قدم كتاب معاوية على شرحبيل ، وهو بحمص استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه ، فقام اليه عبد الرّحمن بن غنم الأزدي ، وهو صاحب معاذ بن جبل ، وختنه ، وكان أفقه أهل الشام فقال : يا شرحبيل ! إنَّ الله لم يزدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم وإنّه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس ، ولا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ، إنّه قد أُلقي الينا قتل عثمان ، وإنّ عليّاً قتل عثمان[1] فإنْ يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار ، وهم الحكّام على الناس ، وإنْ لم يكن قتله فعلام تصدّق معاوية عليه ؟ لا تهتك نفسك وقومك ، فإن كرهت أنْ يذهب بحظّها جرير ، فسر إلى عليّ فبايعه على شامك وقومك ، فأبى شرحبيل إلاّ أن يسير إلى معاوية ، فبعث إليه عياض الثمالي وكان ناسكاً :

يا شُرحُ يابن السَّمط إنّك بالغٌ ... بودِّ عليّ ما تريد من الأمر
ويا شُرحُ إنَّ الشام شأمك ما بها ... سواك ، فدع قول المضلّل من فهر
فإنَّ ابن حرب ناصبٌ لك خدعةً ... تكون علينا مثل راغية البكر[2]

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد : إنّه قد ألقى إلى معاوية : إن عليّاً قتل عثمان ، ولهذا يريدك .

(٢) الراغية : الرغاء ، البكر : ولد الناقة . مثل يضرب في التشاؤم . انظر (ثمار القلوب : ص ٢٨٢) .

فـإنْ نـال مـا يـرجـو بنـا كـان ملكنـا ... هنيئاً لـه ، والحـرب قـاصمـة الـظهـر
فـلا تبغين حـرب الـعـراق فـإنّهـا ... تـحـرّم أطهـار الـنسـاء من الـذُّعـر
وإنَّ عـليّـاً خيـر من وطيء الـحصى ... من الهـاشـميّين الـمـداريـك للوتـر
لـه في رقـاب النـاس عهـدٌ ، وذمّـةٌ ، ... كعهـد أبي حفص ، وعهـد أبي بـكـر
فبـايـع ، ولا تـرجـع على العقب كـافـراً ... أُعـيـذك بـالله العـزيـز من الـكفـر
ولا تسمعن قـول الـطغـام ، فـإنّمـا ... يـريـدوك أن يُلقـوك في لجّـة البحـر
ومـاذا عـليهـم أنْ تـطاعـن دونـهـم ... عليّـاً بـأطـراف المثقّفـة السُّمـر ؟
فـإن غَـلبـوا كـانـوا علينـا أئمّـة ، ... وكنّـا بحمـد الله من ولـد الـظهـر[1]
وإنْ غُلبـوا لم يُصْـلَ بـالحـرب غيـرنـا ، ... وكـان عـليٌّ حـربنـا آخـر الـدَّهـر
يـهـون على عُـليـا لـويٍّ بـن غـالـب ... دمـاء بني قحـطان في ملكهم تجـري
فـدع عنـك عثـمـان بن عـفّـان إنّنـا ... لك الخير ، لا نـدري ، وإنّك لا تـدري
عـلى أيِّ حـال كـان مصـرع جنـبـه ... فـلا تسمعن قـول الأُعيـور ، أو عمـرو

قال : لمّا قدم شُرحبيل على معاوية ، تلقّاه النـاس فأعـظموه ، ودخـل على معاوية فتكلّم معاوية ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمّ قـال : يا شُـرحبيل ! إنَّ جـرير ابن عبد الله يدعـونا إلى بيعـة عليّ ، وعليٌّ خير النـاس[2] لولا انّـه قتل عثمـان بن عفّـان ، وقد حبست نفسي عليـك ، وإنّمـا أنـا رجـلٌ من أهـل الشـام ، أرضى مـا رضوا ، وأكره ما كرهوا .

فقـال شُرحبيـل : أُخرج فـانظر . فخـرج فلقيه هؤلاء النفـر المـوطّؤون لـه ، فكلّهم يخبره بأنّ عليّاً قتل عثمـان بن عفّان . فخـرج مغضباً إلى معـاوية فقـال : يا معاوية أبَى الناس إلاّ أنَّ عليّاً قتل عثمان ، ووالله لئن بايعت له لنخرجنّك من الشـام أو لنقتلنّك . قال معاوية : ما كنت لأُخالف عليكم وما أنا إلاّ رجلٌ من أهل الشام . قال : فرُدّ هذا الرجل إلى صاحبه إذاً . قال : فعرف معاوية أنَّ شُرحبيـل قد نفـذت بصيرته في حرب أهل العراق ، وأنَّ الشام كلّه مع شرحبيل !

---

(١) يقال : فلان من ولد الظهر ، بالفتح : أي ليس منا . وقيل معناه : إنه لا يلتفت إليه .

(٢) هل تجتمع كلمة الرجـل هذه مـع سبابـه المقذع عليّـاً وقوارصـه التي أوعزنـا إليها ؟ هـذا هو النفاق وهكذا يكون المنافق ذالسانين ووجهين .

فخرج شُرحبيل فأتى حصين بن نمير فقال : إبعث إلى جرير فليأتنا فبعث إليه حصين : أن زرنا ، فإنَّ عندنا شرحبيل بن السمط ، فاجتمعا عنده ، فتكلم شرحبيل فقال : يا جرير !أتيتنا بأمر ملفّف[1] لتُلقينا في لهوات الأسد ، وأردت أن تخلط الشام بالعراق ، وأطرأت عليّاً وهو قاتل عثمان ، والله سائلك عمّا قلتَ يوم القيامة . فأقبل عليه جرير فقال : يا شرحبيل ! أما قولك : إنّي جئت بأمر ملفّف . فكيف يكون أمراً ملفّفاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، وقوتل على ردّه طلحة والزبير ؟ ! وأمّا قولك : إنّي ألقيتك في لهَوات الأسد . ففي لهواتها ألقيت نفسك ، وأمّا خلط العراق بالشام فخلطهما على حقّ خيرٌ من فرقتهما على باطل . وأمّا قولك : إنَّ عليّاً قتل عثمان . فوالله ما في يديك من ذلك إلّا القذف بالغيب من مكانٍ بعيد ، ولكنّك ملت إلى الدنيا ، وشيءٌ كان في نفسك على زمن سعد بن أبي وقّاص .

فبلغ معاوية قول الرّجلين ، فبعث إلى جرير فزجره ، ولم يدر ما أجابه أهل الشام ، وكتب جرير إلى شرحبيل :

شُرحبيل يا بن السمط لا تتبع الهوى ... فما لك في الدنيا من الدين من بَدلْ
وقل لابن حرب : ما لك اليوم حرمة ... تروم بها ما رمتَ فاقطع له الأمل
شُرحبيل إنَّ الحقّ قد جدَّ جدّه ... وإنّك مأمونُ الأديم من النّغَل
فأرودْ ولا تفرط بشيء نخافه ... عليك ، ولا تعجل ، فلا خير في العجَل
ولا تك كالمجري إلى شرِّ غاية ... فقد خُرق السِّربال ، واستنوَق الجمل
وقال ابن هند في عليّ عضيهة ... وَلله في صدر ابن أبي طالب أجل
وما لعليّ في ابن عفّان سقطةٌ ... بأمر ، ولا جلبٍ عليه ، ولا قتل[2]
وما كان إلّا لازماً قعر بيته ... إلى أن أتى عثمان في بيته الأجل
فمن قال قولاً غير هذا فحسبه ... من الزور ، والبهتان ، قول الذي احتمل
وصيُّ رسول الله من دون أهله ، ... وفارسه الأولى به يُضرب المثل[3]

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد : ملفق .

(٢) في شرح ابن أبي الحديد : بقول ولا مالا عليه ولا قتل . الممالأة : المساعدة .

(٣) في شرح ابن أبي الحديد : «ومن باسمه في فضله يضرب المثل» .

فلمّا قرأ شُرحبيل الكتاب ذعر وفكّر ، وقال : هذه نصيحةٌ لي في ديني ودنياي . ولا والله لا أُعجّل في هذا الأمر بشيء وفي نفسي منه حاجة ، فاستتر له القوم ولفّف له معاوية الرِّجال ، يدخلون إليه ويخرجون ، ويُعظّمون عنده قتل عثمان ويرمون به عليّاً ، ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلقة ، حتى أعادوا رأيه ، وشحذوا عزمه ، وبلغ ذلك قومه ، فبعث إبن اخت له من بارق ـ وكان يرى رأي عليٍّ بن أبي طالب ، فبايعه بعدُ ، وكان ممّن لحق من أهل الشام ، وكان ناسكاً ـ فقال :

لعمر أبي الأشقى ابن هند لقد رمى ... شُرحبيل بالسَّهم الذي هو قاتله
ولفّف قوماً يسحبون ذيولهم ... جميعاً ، وأولى الناس بالذنب فاعله
فألفى يمانيّاً ضعيفاً نخاعه ... إلى كلِّ ما يهوون تُحدى رواحله
فطأطأ لها لمّا رموه بثقلها ، ... ولا يُرزق التَّقوى من الله خاذله
ليأكل دنيا لابن هند بدينه ... ألا وابن هند قبل ذلك آكله
وقالوا : عليٌّ في ابن عفّان ، خدعةً ... ودبَّت إليه بالشنان غوائله
ولا والذي أرسى ثبيراً مكانه ! ... لقد كُفَّ عنه كفّه ووسائله
وما كان إلاّ من صحاب محمد ، ... وكلّهمُ تغلي عليه مراجله

فلمّا بلغ شُرحبيل هذا القول قال : هذا بعيث الشيطان ، الآن امتحن الله قلبي ، والله لأسيرنَّ صاحب هذا الشعر ، أو ليفوتنّني . فهرب الفتى إلى الكوفة ، وكاد أهل الشام أن يرتابوا .

وبعث معاوية إلى شُرحبيل بن السَّمط فقال : إنّه كان من إجابتك الحقَّ ، وما وقع فيه أجرك على الله ، وقبله عنك صلحاء الناس ما علمت ، وإنَّ الأمر الذي قد عرفته لا يتمُّ إلاّ برضا العامَّة ، فسر في مدائن الشام ، وناد فيهم : بأنَّ عليّاً قتل عثمان، وأنّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه، فسار فبدأ بأهل حمص ، فقام خطيباً ، فقال : يا أيُّها الناس ! إنَّ عليّاً قتل عثمان بن عفّان ، وقد غضب له قومٌ فقتلهم ، وهزم الجميع ، وغلب على الأرض ، فلم يبق إلاّ الشام ، وهو واضعٌ سيفه على عاتقه ، ثمَّ خائضٌ به غمار الموت حتّى يأتيكم ، أو يحدث الله أمراً ، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية ، فجدّوا وانهضوا ، فأجابه الناس إلاّ

نسّاك أهل حمص ، فإنّهم قاموا إليه فقالوا : بيوتنا قبورنا ومساجدنا ، وأنت أعلم بما ترى ، وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها ، لا يأتي على قوم إلّا قبلوا ما أتاهم به ، فبعث إليه النجاشي بن الحارث وكان صديقاً له :

شُرحبيل ما للدِّين فارقت أمرنا ... ولكن لبغض المالكيّ جرير
وشحناء دبّت بين سعد وبينه ، ... فأصبحت كالحادي بغير بعير
وما أنت إذ كانت بجيلة عاتبت ... قريشاً ، فيا للّه بُعد نصير
أتفصل أمراً غبتَ عنه بشبهة ، ... وقد حار فيها عقل كلّ بصير
بقول رجالٍ لم يكونوا أئمّة ... ولا للّتي لقّوكها بحضور
وما قول قوم غائبين تقاذفوا ... من الغيب ما دلّاهمُ بغرور
وتترك أنَّ الناس أعطوا عهودهم ... عليّاً على أنسٍ به ، وسرور
إذا قيل : هاتوا واحداً يُقتدى به ... نظيراً له ، لم يفصحوا بنظير
لعلك أن تشقى الغداة بحربه ... شُرحبيل ما ما جئته بصغير[1]

[راجع كتاب صفّين لنصر بن مزاحم : ص ٤٩ ـ ٥٧ . الإستيعاب ترجمة شُرحبيل ج ١ ص ٥٨٩ . اسد الغابة ج ٢ ص ٣٩٢ . الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٩ . شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠] .

فبهذه الصّورة البشيعة من الشّهادات المزوَّرة ، والكتب المختلقة ، تمّت بيعة معاوية لقتال عليّ أمير المؤمنين .

ورابعاً : إلى أنّ عثمان قتله رجالٌ مجتهدون من المهاجرين والأنصار ، ووجوه أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم العدول ، بعد إقامة الحجّة عليه ، وإثبات شذوذه عن الكتاب والسنّة ، وإهدار دمه بحكم الكتاب[2] ، فليس على القوم قودٌ ولا قصاصٌ ، ولم يك مولانا أمير المؤمنين إلّا رجلاً من المهاجرين ، أورد كما أوردوا ، وأصدر كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى .

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد : «فليس الذي قد جئته بصغير» .
(٢) راجع ما مرّ في الجزء التاسع : ص ١٩٨ ـ ٢٤٢ .

وقد كتب بهذا أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية[١] ، وجاء الحجاج به في كلمات غير واحد من الصحابة ، مثل قول الصحابيّ العظيم هاشم المرقال المذكور(ج ٩ ص ١٥١) وفي هذا الجزء (ص ٣٤٤) ، وقول عمّار بن ياسر الممدوح بالكتاب والسنّة الذي أسلفناه في (ج ٩ ص ١٣٩)، وقول أبي الطفيل الشيخ الصحابيّ الكبير الآنف في (ج ٩ ص ١٦٩) : وقول عبد الرّحمن بن عثمان السابق في (ج ٩ ص ١٨٩) ، فما ذنب عليّ عليه السلام إنْ آواهم ونصرهم وأيّدهم ، ودفع عنهم عادية الباغين .

وخامساً : إلى أنَّ الذين كانوا في جيش أمير المؤمنين عليه السلام ، أو الذين تحكّمت بينه وبينهم آصرة المودَّة ، لم يكونوا كلّهم قتلة عثمان ، ولا باشروا شيئاً من أمره ، ولم يكن لأكثرهم في الأمر وِردٌ ولا صدَر ، وإنَّما كان فيهم من اولئك الصحابة العدول ، أُناسٌ معلومون ، آووا إلى إمام الحقِّ ، فبأيِّ حجّة شرعيّة كان ابن صخر يستبيح قتل الجميع ، واستقرأهم في البلاد بعد مقتل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وقبله ، فقتّلهم تقتيلاً ؟ !

وسادساً : إلى أنَّ معاوية لم يكن وليّ دم عثمان وإنَّما أولياؤه ولده ، وإنْ كان لهم حقّ القصاص ، فعجزوا عن طلبه ، فعليهم رفع الأمر إلى خليفة الوقت ، وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، لينظر في أمرهم ، ويحكم بحكم الله الباتِّ ، وهو أقضى الامّة بنصِّ الرَّسول الأمين .

نعم : كانت لمعاوية تراةٌ عند أمير المؤمنين عليه السلام بأخيه حنظلة بن أبي سفيان ، وجدِّه لأُمّه عتبة بن ربيعة ، وخاله الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وأبناء عمّه العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة ، وعقبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أُميّة . لكنّه لم ينبس عنهم ببنت شفة ، لأنّها ما كانت تنطلي عند المسلمين ، فإنّهم وثنيّون مشركون ، حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذاقوا وبال أمرهم ، وإنَّما تترَّس بدم عثمان بضرب من السيرة الجاهليّة ، من صحَّة قيام أيّ فردٍ من أفراد العشيرة بدم

---

(١) راجع ما أسلفناه في ج ٩ ص ١٨٨ ـ ١٧٤ .

أيّ مقتول منها ، وإنْ بعدت بينهم الرَّحم والقرابة ، وهذه السيرة غير المشروعة ، كان يرنُّ صداها في مسامع أهل الشام ، البعداء عن مبادىء الدِّين وطقوسه ، ومن ثمَّ استهواهم معاوية ، واستحوذ عليهم بذلك التدجيل ، ولم تكن تلك الحرب الزبون ، إلّا انّها إحنٌ بدريّة ، وأحقادٌ جاهليّة ، وضغائن أُحديّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس ، ولم تك تخفى هذه الغاية على أيِّ أحد حتّى المخدَّرات في الحجال[1] .

وسابعاً : إلى أنَّ أوّل واجب على معاوية ، أن يتنازل إلى ما لزمه من البيعة الحقَّة ، فيدخل في جماعة المسلمين ، ولا يشقّ عصاهم بالتقاعس عنها ، ثمَّ يرفع الخصومة إلى صاحب البيعة ، فيرى فيه رأيه ، كما جاء في كتاب لأمير المؤمنين إلى معاوية من قوله :

«وأمّا قولك : إدفع إليَّ قتلة عثمان . فما أنت وذاك ؟ وها هنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك[2] ، فإنْ زعمتَ أنّك أقوى على طلب دم عثمان منهم فارجع[3] إلى البيعة التي لزمتك [لأنّها بيعةٌ شاملةٌ لا يستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها النظر] وحاكم القوم إليَّ»[4] .

وفي كتاب آخر له ﷺ كتبه إليه :

«وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فإنْ أنت رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثمَّ حاكمت القوم إليَّ ، حملتك وإيّاهم على كتاب الله ، وأمّا تلك التي تريدها فهي خدعة الصبيِّ عن اللّبَن .

ولعمري يا معاوية ! لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّني أبرأ النّاسِ من دم

---

(١) انظر ما مرّ من كلمة امّ الخير في الجزء التاسع : ص ٤١٩

(٢) في رواية المبرد : «وبعد : فما أنت وعثمان ؟ إنّما أنت رجل من بني اميّة ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه» .

(٣) في رواية المبرد : «فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثمّ حاكم القوم إليّ» .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٨ ، الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٢٥ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٨ ، ج ٣ ص ٣٠٠ .

عثمان ، ولتعلمنَّ أنّي كنتُ في عزلة عنه ، إلاّ أنْ تتجنّى (١) فتجنَّ ما بدا لك»(٢) .

وثامناً : إلى أن طلحة والزبير ، قد نهضا قبل معاوية بتلك الغاية التي هو راميها ، وأخرجا حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خدرها ، وحاربهما الإمام عليه السلام بعد ما أتمَّ عليهما الحجّة ، وكتب إليهما : وقد زعمتما أني قتلتُ عثمان ، فبيني وبينكما مَن تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة(٣) ثمَّ يُلزم كلُّ امرىء بقدر ما احتمل ، وزعمتما أنّي آويت قتلة عثمان ، فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ، ثمَّ يُخاصموا إليَّ قتلة أبيهم ، وما أنتما وعثمان ؟ إن كان قُتل ظالماً أو مظلوماً ، وقد بايعتماني ، وأنتما بين خصلتين قبيحتين : نكث بيعتكما . وإخراجكما أُمّكما(٤) .

وكتب عليه السلام إلى معاوية : «إنَّ طلحة والزبير بايعاني ، ثمَّ نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كردّتهما ، فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما ، حتّى جاء الحقُّ ، وظهر أمر الله ، وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون»(٥) .

فهلاَّ كانت بحسْب معاوية تلكم الحجج ؟ ! وقد طنَّ في أُذن الدنيا قول أمير المؤمنين عليه السلام : ما هو إلاّ الكفر ، أو قتال القوم . فهلاّ عرف الرّجل وبال أمر أصحاب الجمل ، ومغبّة تلك النخوة والغرور ، والتركاض وراء الأهواء والشهوات ، بعد قتل آلاف مؤلّفة من الصالح والطالح ، من أهل الحقِّ والباطل ؟ فإشهاره السيف لإزهاق النفوس ، بريئة كانت أو متّهمة ، من رجال ، أو نساء ، أو أغلمة ، وقتل أُمم وزرافات ، تُعدُّ بالآلاف ، بإنسان واحد قتله المجتهدون العدول من امّة محمد ، بعد إقامة الحجّة عليه ، إنّما هو ممّا حظرته الشريعة ، ولم يُعرف له مساغٌ من الدّين ، وكان ابن هند في الأمر كما كتب إليه الإمام عليه السلام : «لستَ

(١) تجنى عليه : إدّعى عليه ذنباً لم يفعله . فتجنَّ : أي تستره وتخفيه .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨١ ، العقد الفريد ج ٢ ص٢٨٤ ، نهج البلاغة ج٢ ص٧، ١٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٨ ، ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٣) نظراء سعد بن أبي وقاص ، عبد الله بن عمر، محمد بن مسلمة .

(٤) نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٢ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٦٢ .

(٥) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٤/ط مصر . العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٤ . الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨١ . شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٨ ، ج ٣ ص ٣٠٠ .

تقول فيه بأمر بيّن يُعرف له أثر ، ولا عليك منه شاهد ، ولستَ متعلّقاً بآية من كتاب الله ، ولا عهد من رسول الله»(١) .

وتاسعاً : إلى أنَّ ما حكم به خليفة الوقت يجب اتِّباعه ، ولا يجوز نقضه ، فقد كتب عليٌّ عليه السلام إلى معاوية في كتاب له : «وأمّا ما ذكرتَ من أمر قتلة عثمان ، فإنّي نظرت في هذا الأمر ، وضربت أنفه وعينه ، فلم أره يسعني دفعهم إليك ، ولا إلى غيرك ، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك ، وشقاقك ، لتعرفنّهم عمّا قليل يطلبونك ، لا يكلّفونك أن تطلبهم في برّ ولا بحر»(٢) .

فهلّا كان ذلك نصّاً من الإمام عليه السلام على أنّه لا مساغ له لأن يدفع قتلة عثمان لأيِّ انسان ثائر ، وانّ طلب ذلك منه غيّ وشقاق ، فهل كان معاوية يحسب أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يتنازل عن رأيه إذا ما ارتضاه هو ؟ أو يعدل عن الحقّ ويتّبع هواه ؟ حاشا ثمَّ حاشا ، أوَلم يكن من واجب معاوية البخوع لحكم الإمام المطهّر بنصِّ القرآن ، والإخبات إلى رأيه الذي لا يفارق القرآن ؟ كيف لا ؟ وقد صحَّ عند القوم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روايات تمسّكوا بها في اتّباع نظراء معاوية ويزيد ، من أئمّة الضّلال ، وامراء الجور والعدوان ، مثل ما عُزي إليه صلى الله عليه وآله وسلم : «يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي ، ولا يستنّون بسنّتي ، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس . قال حذيفة : قلت : كيف أصنع يا رسول الله ! إنْ أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير ، وإنْ ضُرب ظهرك ، وأُخذ مالك ، فاسمع وأطع» (٣) .

وسأل سلمة بن يزيد رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ! أرأيت إنْ قامت علينا أُمراء يسألونا حقّهم ، ويمنعونا حقّنا ، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثمّ سأله فأعرض عنه ، ثمّ سأله فجذبه الأشعث بن قيس فقال ﷺ : إسمعوا وأَطيعوا فإنّما عليهم ما

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم : ص ١٢٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١٢ .
(٢) كتاب صفين : ص ٩٦ ، ١٠٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٩ .
(٣) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٠ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٧ .

حمّلوا وعليكم ما حُمِّلتم»(١) .

هذا رأي القوم في أُمراء الشرّ والفساد ، فما ظنّك بالإمام العادل المستجمع لشرائط الخلافة الذي ملأت الدنيا النصوص في وجوب اقتصاص أثره ، والموافقة لآرائه ، وكلّ ما يرتئيه من حقّ واضح ؟ !

وعاشراً : إلى أنَّ قاتل عثمان المباشر لقتله اختلف فيه كما مرّ تفصيله في الجزء التاسع ، ويأتي أيضاً بين جبلة بن الأيهم المصري . وكبيرة السكوني . وكنانة بن بشر التجيبي . وسودان بن حمران . ورومان اليماني . ويسار بن غياض . وعند ابن عساكر يقال له : حمال(٢) فقتل منهم مَن قُتل في الوقت ، ولم يكن أحدٌ من الباقين في جيش الإمام ﷺ ولا ممّن آواهم هو ، فلم يكن لأحد عند غيرهم ثأر، وأمّا الذين آواهم الإمام ﷺ ، فهم المسبّبون لقتله من المهاجرين والأنصار ، أو المؤلِّبون عليه من الصّحابة العدول ، ولم يشذّ عنهم إلاّ اناسٌ يعدّون بالأنامل .

وبعد هذه كلها هلاّ كانت لتبرئة مولانا أمير المؤمنين ﷺ نفسه من دم عثمان ، وقد كتبها إلى طلحة والزبير ومعاوية ، ولتبرئة الأعيان من الصحابة إيّاه منذ مقتل عثمان إلى أن استحرّ القتال في واقعة (صفّين) ، وقد كتبوها إلى طلحة ، والزبير ، ومعاوية ، ومن لفّ لفّهم ، قيمة توازن عند معاوية شهادات الزّور التي لفّقها هو من أُناس لاخلاق لهم ، وثبّتتها حيله ودسائسه ، وأجراها ترغيبه وترهيبه ؟ وقد علم هو أنَّ أمير المؤمنين مَن هو ، وصلحاء الصحابة الذين وافقوه على التبرئة والتبرير مَن هم ، ومَن اولئك الطغمة الثائرين لخلافه ، والمجلبين عليه ، جير : كان يعلم كلّ ذلك لكنّه الملك والسلطان ، وهما يبرّران لصاحب النهمة ، والشره ، كلّ بائقة وموبقة .

---

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ١٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٨ .
(٢) الصواعق : ص ٦٦ .

١٩ ـ دفاع ابن حجر عن معاوية بأعذار مفتعلة :

أنت إذا قضيت الوطر عن معاوية ومعاذيره التافهة في هذه المعمعة ، فهلمّ معي إلى ناصره الأخير ـ ابن حجر ـ الذي فاتته النصرة بالضرب والطعن ، فطفق يسوِّد صحيفة من صحائفه الشوهاء ، بأعذار مفتعلة في (صواعقه) ، يتصوَّل بها كمن يُدلي بحجج قاطعة ، وإبن حجر، وإنْ لم يكن أوّل مَن نحت تلكم الأعذار ، وقد سبقه إليها اناسٌ آخرون من أبناء حزم ، وتيميّة، وكثير ، غير أنّ ما جاء به ابن حجر ، يجمع شتات ما تترّس به القوم دفاعاً عن ابن هند ، وزاد هو في طنبوره نغمات .

قال في (الصواعق ص ١٢٩) : ومن اعتقاد أهل السنّة والجماعة : أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ ، رضي الله عنهما ، من الحروب ، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة ، للإجماع على حقّيتها لعليّ كما مرّ(١) . فلم تهج الفتنة بسببها ، وإنّما هاجت بسبب أنّ معاوية ومن معه طلبوا من عليّ تسليم قتلة عثمان إليهم ، لكون معاوية ابن عمّه ، فامتنع عليٌّ ظنّاً منه أنّ تسليمهم إليه على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر عليّ ، يؤدّي إلى اضطراب وتزلزل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام ، سيّما وهي في ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها ، فرأى عليٌّ ، رضي الله عنه ، أنَّ تأخير تسليمهم أصوب إلى أنْ يرسخ قدمه في الخلافة ، ويتحقّق التمكّن من الامور فيها على وجهها ، ويتمّ له انتظام شملها ، واتّفاق كلمة المسلمين ، ثمّ بعد ذلك يلتقطهم واحداً فواحداً ، ويسلّمهم إليهم ، ويدلّ على ذلك أنّ بعض قتلته عزم على الخروج على عليّ ومقاتلته ، لمّا نادى يوم الجمل ، بأنْ يخرج عنه قتلة عثمان ، وأيضاً فالذين تمالأوا على قتل عثمان كانوا جميعاً كثيرة ، كما علم ممّا قدّمته في قصّة محاصرتهم له ، إلى أنْ قتله بعضهم ، جمع من أهل مصر قيل : سبعمائة ، وقيل : ألف ، وقيل : خمسمائة ، وجمع من الكوفة ، وجمع من البصرة وغيرهم ، قدموا كلّهم المدينة ، وجرى منهم ما جرى ، بل ورد انّهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف ، فهذا هو الحامل لعليّ ، رضي

---

(١) ذكره في الصواعق : ص ٧١ .

الله عنه ، عن الكفّ عن تسليمهم ، لتعذّره كما عرفت .

ويُحتمل أنّ عليّاً ، رضي الله عنه ، رأى أنّ قتلة عثمان بغاة ، حملهم على قتله تأويلٌ فاسدٌ ، استحلّوا به دمه ، رضي الله عنه ، لإنكارهم عليه اموراً كجعله مروان ابن عمّه كاتباً له وردّه إلى المدينة ، بعد أن طرده النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منها ، وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال ، وقضيَّة محمد بن أبي بكر ، ظنّوا انّها مبيحةٌ لما فعلوه جهلاً منهم وخطأ ، والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل ، لا يؤاخذ بما أتلفه في حال الحرب ، عن تأويل ، دماً كان أو مالاً ، كما هو المرجّح من قول الشافعي ، رضي الله عنه ، وبه قال جماعة آخرون من العلماء ، وهذا الإحتمال وإنْ أمكن لكن ما قبله أولى بالإعتماد منه . . . إلخ .

قال الأميني : هب انّ عثمان قُتل مظلوماً بيد الجور والتعدّي .

وأنّه لم يك يقترف قطّ ما يهدر دمه .

وأنّ قتله لم يقع بعد إقامة الحجّة عليه ، والأخذ بكتاب الله في أمره .

وأنّه لم يُقتل في معمعة بين آلاف مكردسة من المدنيّين ، والمصريّين ، والكوفيّين ، والبصريّين .

ولم تكن البلاد تمخّضت عليه ، وما نقم عليه عباد الله الصالحين .

وأنّ قاتله لم يُجهل من يوم أودى به ، وكان مشهوداً يُشار إليه ، ولم يكن قتيل عمّيّة[١] ، لا يُدرى من قتله ، حتى تكون ديته من بيت مال المسلمين .

ولم يُقتل الذين باشروا قتله ، وكان قد بقي منهم باقية يقتصّ منها .

وأنّ المهاجرين والأنصار ، ما اجتمعوا على قتله ، ولم تكن لاولئك المجتهدين العدول يدٌ في تلك الواقعة ، ولم يشارك في دمه عيون الصّحابة .

وأنّ أهل المدينة ليسوا كاتبين إلى مَن بالآفاق من أصحاب رسول الله ﷺ ، إنّكم إنّما خرجتم أنْ تجاهدوا في سبيل الله ، عز وجلَّ ، تطلبون دين محمد ﷺ ،

(١) بكسر العين والميم المشدّدة مع تشديد الياء .

فإنَّ دين محمد قد أفسده من خلفكم ، وترك ، فهلمّوا فأقيموا دين محمد ﷺ .

وأنّ المهاجرين لم يكتبوا إلى مَن بمصر من الصّحابة والتابعين : أن تعالوا إلينا ، وتداركوا خلافة رسول الله ، قبل أن يسلبها أهلها ، فإنّ كتاب الله قد بُدِّل ، وسنّة رسول الله قد غُيّرت ، وأحكام الخليفتين قد بُدّلت . إلى آخر ما مرّ (ج ٩) .

وأنّ طلحة ، والزبير ، وأُمّ المؤمنين عائشة ، وعمرو بن العاص ، لم يكونوا أشدّ الناس عليه ، ولم يكن لهم تركاضٌ وراء تلك الثورة .

وما قرع سمع الدنيا نداء عثمان : ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً ، وهو يروم دمي ، يحرِّض على نفسي .

وأنَّ طلحة لم يقل : إنْ قُتل ـ عثمان ـ فلا ملكٌ مقرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مرسلٌ ، وأنّه لم يمنع الناس عن إيصال الماء إليه .

وأنَّ مروان لم يقتل طلحة دون دم عثمان ، ولم يُؤثر عنه قوله يومئذ : لا أطلب بثأري بعد اليوم .

وأنَّ الزبير ما باح بقوله : أُقتلوه فإنّه غيَّر دينكم ، وإنَّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً .

وأنَّ عائشة ما رفعت عقيرتها بقولها : أُقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ! وانّها لم تقل لمروان : وددت والله انّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رِجل كلٍّ واحد منكما رَحاً ، وانّكما في البحر ! ولم تقل لابن عبّاس : إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية !

وأنَّ عمرو بن العاص لم يقل : أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع ، إنْ كنت لأُحرِّض عليه حتّى أنّي لأحرِّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل !

وأنَّ سعد بن وقاص لم يبح بقوله : أمسكنا نحن ، ولو شئنا دفعناه عنه !

وأنَّ عثمان لم يبق جثمانه مُلقى ثلاثاً في مزبلة ، لا يُهمُّ أمره أحداً من المهاجرين والأنصار ، وغيرهم من الصّحابة العدول .

وأنّ طلحة لم يك يمنع عن تجهيزه ودفنه في مقابر المسلمين ، وأنه لم يُقبر في حشِّ كوكب جبّانة اليهود ، بعد ذلّ الإستخفاف .

وأنّ ما أسلفناه في الجزء التاسع ، من حديث أُمّة كبيرة من الصحابة ، وفيهم العمد والدعائم ، كلّ ذلك لم يصحّ .

وأنّ إمام الوقت ليس له العفو عن قصاص ، كما عفى عثمان عن عُبيد الله بن عمر ، حين قتل هرمزان ، وجُفينة بنت أبي لؤلؤة ، بلا أيِّ جريرة .

وأنّ معاوية لم يك يتثبّط عن نصرته ، ولم يتربّص عليه دائرة السوء ، ولم يشهد عليه عيون الصّحابة ، بأنّ الدم المهراق عنده، وأنّه أولى رجل بأن يُقتصّ منه ، ويؤخذ بدم عثمان .

وأن عثمان لم يكن له خلفٌ يتولّى دمه غير معاوية .

وأن عليّاً عليه السلام هو الذي قتل عثمان ، أو آوى قاتليه .

وأنّ معاوية لم يك غائباً عن ذلك الموقف ، وكان ينظر إليه من كثب ، فعلم بمن قتله ، وبمن انحاز عن قتله .

وأنّ ما ادّعاه معاوية لم يكن إفكاً وبهتاً وزوراً من القول ، متّخذاً عن شهادة مزوّرة واختلاق .

وأنّ هذه الخصومة لها شأن خاصٌ ، لا ترفع كبقيّة الخصومات إلى إمام الوقت .

وأنّ قتال معاوية إنّما كان لطلب قتلة عثمان فحسب ، لا لطلب الخلافة ، وأنّه لم يك يروم الخلافة في قتاله بعد ما كان يعلم نفسه أنّه طليقٌ وابن طليق ، ليس ببدريّ ، ولا له سابقة ، وانّه لا يستجمع شرائط الخلافة ، وانّه لم تؤهِّله لها الخيرة ، والإجماع ، والإنتخاب .

هب أنّ الوقائع هكذا وقعت ـ يابن حجر ـ ؟ ! واغضض عن كلّ ما هنالك من حقائق ثابتة على الضدِّ ممّا سُطر[١] ، فهلّا كانت مناوءة معاوية مع خليفة وقته

(١) راجع الجزء التاسع حتى تقف على حقيقة الأمر .

الإمام المنصوص ، والمجمع عليه خروجاً عليه ؟ ! وهلاّ كان الحزب السفياني بذلك بغاة أهانوا سلطان الله ، واستذلوا الإمارة الحقّة ، وخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم ؟ ! فاستوجبوا إهانة الله ، يجب قتالهم ودرأهم عن حوزة الإيمان ، وكانوا مصاديق للاحاديث المذكورة في أوّل هذا البحث (ص ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

إنّ معاوية لم يكن خليفة ، ولا انعقدت له بيعة ، وإنّما كان والياً عمّن تقدّم من الذين تصرّمت أيّام خلافتهم ، فلزمته بيعة أمير المؤمنين وهو بالشام ، كما كتب إليه بذلك الإمام عليه السلام ، وكان تصدّيه للشؤون العامّة ، والياً على أهل ناحيته ، محتاجاً إلى أمر جديد ، أو تقرير لولايته الاولى ، من خليفة الوقت ، وكلّ ذلك لم يكن ، إنْ لم نقل : إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام عزله عمّا تولاّه ، وإنّه ، سلام الله عليه ، أوفد عليه من يبلّغه عنه لزوم الطاعة ، واللحوق بالجماعة ، كما أنّه عليه السلام كتب إليه بذلك .

«حديث الوفود»

وفد علي (ع) الأوّل :

أوفد الإمام عليه السلام في أوّل (ذي الحجّة سنة ٣٦) بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي ، على معاوية ، وقال : ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة . فأتوه ودخلوا عليه فتكلّم بشير بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا معاوية ! إنَّ الدنيا عنك زائلةٌ ، وإنّك راجعٌ إلى الآخرة ، وإنَّ الله ، عزّ وجلّ ، محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدّمت يداك ، وإنّي أُنشدك الله ، عزّ وجلّ ، أن تفرّق جماعة هذه الامّة ، وأنْ تسفك دماءها بينها .

فقطع عليه الكلام وقال : هلاّ أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال بشير : إنَّ صاحبي ليس مثلك ، إنَّ صاحبي أحقُّ البريّة كلّها بهذا الأمر في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام والقرابة من رسول الله ﷺ . قال : فيقول ماذا : قال : يأمرك بتقوى الله ، عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمّك إلى ما يدعوك إليه من الحقِّ ، فإنّه أسلم لك في دنياك ، وخيرٌ لك في عاقبة أمرك .

قال معاوية : ونُطل دم عثمان ، رضي الله عنه ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً .

فتكلّم شبث بن ربعي ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

يا معاوية ! إنّي قد فهمت ما رددت على إبن محصن ، إنّه والله ما يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلاّ قولك : «قُتل إمامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه» فاستجاب له سفهاءُ طغامٌ ،وقد علمنا أنّك قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبّ متمنّي أمر وطالبه ، الله ، عزّ وجلّ ، يحول دونه بقدرته ، وربّما أُوتي المتمنّي أُمنيّته وفوق امنيّته ، ووالله مالك في واحدة منهما خير ، لئن أخطأت ما ترجو ، إنّك لشرّ العرب حالاً في ذلك ، ولئن أصبت ما تمنّى ، لا تصيبه حتّى تستحقّ من ربّك صلي النار ، فاتّق الله يا معاوية ! ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

فتكلّم معاوية ، وكان من كلامه : فقد كذبت ولُوِّمت أيّهاالأعرابيُّ الجلف الجافي ، في كلِّ ما ذكرت ووصفت ، إنصرفوا من عندي ، فإنّه ليس بيني وبينكم إلاّ السيف ، وغضب ، وخرج القوم ، وأتوا عليّاً ، وأخبروه بالذي كان من قوله(١) .

وفد علي (ع) الثاني :

ولمّا دخلت سنة (٣٧) توادعا على ترك الحرب في المحرّم إلى انقضائه ، طمعاً في الصّلح ، واختلف فيما بينهما الرّسل في ذلك من دون جدوى ، فبعث علي عليه السلام عديّ بن حاتم ، ويزيد بن قيس ، وشبث بن ربعي ، وزياد بن حنظلة إلى معاوية . فلمّا دخلوا عليه ، تكلّم عديّ بن حاتم ، فحمد الله ، ثمَّ قال :

أمّا بعد : فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله ، عزَّ وجلَّ ، به كلمتنا وأُمّتنا ، ويحقن به الدماء ، ويؤمن به السبل ، ويُصلح به ذات البين ، إنَّ ابن عمّك سيّد

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٤٢ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٦ .

المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله ، عزَّ وجلَّ ، بالذي رأوا ، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك ، فانته يا معاوية ! لا يصبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل .

فقال معاوية :

كأنَّك إنَّما جئت متهدِّداً ، لم تأت مصلحاً ، هيهات يا عديُّ ، كلّا والله ، إنّي لابن حرب ما يقعقع لي بالشَّنان[1] . أما والله إنّك لمن المجلبين على ابن عفّان ، رضي الله عنه ، وإنّك لمن قتلته ، وإنّي لأرجو أن تكون ممّن يقتل الله ، عزَّ وجلَّ ، به ، هيهات يا عديُّ بن حاتم ! قد حلبتُ بالساعد الأشدّ .

فقال له شبث بن ربعي وزياد بن حنظلة : أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك ، فأقبلتَ تضرب الأمثال ، دع ما لا ينتفع به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يعمّنا وإيّاك نفعه .

وتكلّم يزيد بن قيس فقال :

إنّا لم نأتك إلّا لنبلّغك ما بُعثنا به إليك ، ولنؤدي عنك ما سمعنا منك ، ونحن ـ على ذلك ـ لن ندعَ أن ننصح لك ، وأنْ نذكر ما ظننّا أنَّ لنا عليك به حجّة ، وأنَّك راجعٌ به إلى الالفة والجماعة ، إنَّ صاحبنا مَن قد عرفت ، وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنّه يخفى عليك ، إنَّ أهل الدِّين والفضل لم يعدلوا بعليّ ، ولن يميِّلوا بينك وبينه فاتّق الله يا معاوية ! ولا تخالف عليّاً ، فإنّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعمل بالتقوى ، ولا أزهد في الدنيا . ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه .

فتكلّم معاوية وقال :

أمّا بعد : فإنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إنَّ صاحبكم قتل خليفتنا ،

(١) القعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت . والشنان جمع شنّ بالفتح : القرب البالية . وإذا قعقع بالشنان للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا حقيقة له .

وفرَّق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنَّه لم يقتله ، فنحن لانردُّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنَّهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثمَّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شبث : أيسرُّك يا معاوية ! أنّك أمكنت من عمّار تقتله ؟ فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ؟ لو أُمكنت من ابن سُميَّة ما قتلته بعثمان ، رضي الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان . فقال شبث :

وإله الأرض وإله السَّماء ما عدلت معتدلاً ، لا والذي لا إله إلاّ هو ، لا تصل إلى عمّار حتّى تندر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها .

فقال له معاوية : إنَّه لو قد كان ذلك ، كانت الأرض عليك أضيق ، وتفرَّق القوم عن معاوية .

فلمّا انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن حنظلة التميمي ، فخلا به . فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أمّا بعد : يا أخا ربيعة ، فإنَّ عليّاً قطع أرحامنا ، وآوى قتلة صاحبنا ، وإنّي أسألك النصر بأُسرتك وعشيرتك ، ثمَّ لك عهد الله ، جلّ وعزَّ ، وميثاقه ، أن أُوليك إذا ظهرت ، أيّ المصرين أحببت . قال زياد : فلمّا قضى معاوية كلامه ، حمدت الله ، عزَّ وجلَّ ، وأثنيت عليه ثمَّ قلت :

أمّا بعد : فإنّي على بينة من ربّي ، وبما أنعم عليّ ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين . ثمَّ قمت(١) .

وروى ابن ديزيل ، من طريق عمرو بن سعد ، بإسناده : أنَّ قرَّاء أهل العراق ، وقرَّاء أهل الشام ، عسكروا ناحية ، وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وأنَّ جماعة من قرّاء العراق منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٨ .

قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم ، جاؤوا معاوية فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان . قالوا : فمن تطلب به ؟ قال : علياً . قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ، وآوى قتلته . فانصرفوا إلى عليّ ، فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أنّي لم أقتله ، فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده ، فقد أمر رجالاً ، فرجعوا إلى عليّ فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا فقال معاوية : فإنْ كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان ، فإنّهم في عسكره وجنده . فرجعوا ، فقال عليٌّ : تأوّل القوم عليه القرآن في فتنة ، ووقعت الفرقة لأجلها ، وقتلوه في سلطانه ، وليس لي عليهم سبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إنْ كان الأمر على ما يقول ، فما له أنفذ الأمر دوننا من غير مشورة منّا ، ولا ممّن ها هنا ؟ فرجعوا إلى عليّ فقال عليٌّ : إنّما الناس مع المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم ، وأمر دينهم ، ورضوا وبايعوني ، ولست أستحلُّ أنْ أدع مثل معاوية يحكم على الامّة ، ويشقّ عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : ما بال مَن ها هنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا ، فقال عليٌّ : إنّما هذا للبدريّين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدريٌّ إلّا وهو معي ، وقد بايعني ، وقد رضي ، فلا يغرنّكم من دينكم وأنفسكم(١) .

ها هنا تجد الباغي متجهّماً تجاه تلك الدعوة الحقّة ، كأنّه هو بمفرده ، أو هو وطغام الشام ، والأجلاف الذين حوله ، بيدهم عقدة أمر الامّة ، تنحلُّ وتُعقد بمشيئتهم والمهاجرون والأنصار والبدريّون من الصحابة قطّ ، لا قيمة لهم ، ولا لبيعتهم وجماعتهم ، عنده في سوق الإعتبار ، يقول : إنّ الجماعة معه ، وإنّ الطاعة لا يراها هو ، على حين أنّهما حصلتا له ، صلوات الله عليه ، رضي به ابن هند ، أو أبى ، وإنّ الجماعة التي كانت لعليّ عليه السلام وبيعتهم إيّاه ، كانت من سروات المجد ، وأهل الحلّ والعقد ، من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الأمصار والبلاد ، ولم يتحقّق إجماعٌ في الإسلام مثله ، وأمّا التي كانت لمعاوية في حسبانه

---

(١) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٨ .

فمن رعرعة الشام ، وروّاد الفتن ، وسماسرة الأهواء ، ولم يكن معه كما قال سيّدنا قيس بي سعد بن عبادة : إلاّ طليقاً أعرابيّاً ، أو يمانيّاً مستدرجاً ، وكان معه مائة ألف ما فيهم من يفرِّق بين الناقة والجمل ، كما مرَّ حديثه في (ص ٢٣٧) ، فأيّ عبرة بموقف هؤلاء ؟ وأيّ قيمة لبيعتهم بعد شذوذهم عن الحقِّ ، ونبذهم إيّاه وراء ظهورهم ؟ .

مَن يكن ابن آكلة الأكباد وزبانيته ، حتى يكون لهم رأيٌ في الخلافة ؟ ويطلبوا من أمير المؤمنين اعتزال الأمر ، وردّه شورى بين المسلمين ، بعد ، أنَّ العمد والدعائم من المسلمين رضوا بتلكم البيعة ، وعقدوها للإمام الحقِّ ، على زهد منه عليه السلام فيها ، لكنّهم تكاثروا عليه كعرف الفرس ، حتى لقد وُطيء الحسنان ، وشقّ عطفاه ، فكان تدخُّل الطليق ابن الطليق في أمر الامّة الذي أصفق عليه رجال الرأي والنظر ، تبرّعاً منه من غير طلب ولا جدارة ، بل كان خروجاً على الإمام الذي كانت معه جماعة المسلمين ، وانعقدت عليه طاعتهم ، فتبّاً لمن شقَّ عصاهم ، وفتَّ في عضدهم .

وابن هند إن لم يكن ينازع للخلافة ، كما حسبه ابن حجر ، فما كانت تلك المحاباة وتغرير وجوه الناس ، ورجالات الثورات ، بولايات البلاد ؟ فترى يجعل مصر طعمة ، لعمرو بن العاص ، وله خطواته الواسعة وراء قتل عثمان ، ويعهد على زياد التميمي أن يولّيه أي المصرين أحبَّ إذا ظهر ، غير أنَّ التميمي كان على بيّنة من ربّه ، فيما أنعم الله عليه ، لم يك ظهيراً للمجرمين ، وكذلك قيس بن سعد الأنصاري ، كتب إليه معاوية يعده بسلطان العراقين ، إذا ظهر ما بقي ، ولمن أحبَّ قيس سلطان الحجاز ما دام له سلطان[1] ، وقيس شيخ الأنصار ، وهم المتسربلون بالحديد يوم الجمل قائلين : نحن قتلة عثمان .

ولنا حقّ النظر في قوله لشبث بن ربعي : وما يمنعني من ذلك والله ، لو أُمكنت من ابن سُميّة ما قتلته بعثمان إلخ . من الذي أخبر معاوية عن عمّار ، وعن قتله عثمان ومولاه ناتل؟ وكان معاوية يومئذ بالشام ، ولينظر في البيّنة التي حكم بها

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٨ .

على عمّار ، ولعلّها قامت بشهادة مزوَّرة زوَّرها نفس معاوية ، جرياً على عادته في أمثال هذه المواقف .

وإنْ صدق في دعواه ، وكان الأمر كما قرَّره هو ، فلا قود عندئذ ، إذ عمّار من المجتهدين العدول ، لا يقتل إنساناً إلّا مَن هدر الإسلام دمه ، يُتّبع أثره ، ولا يُنقض حكمه ، كيف لا ؟ وقد ورد الثناء عليه في خمس آيات فصَّلناها في (ج ٩ ص ٣٩ ـ ٤٢) ، وجاء عن النبيّ الأعظم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ عماراً مُلىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحقِّ حيث زال ، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مُلىء إيماناً إلى مشاشه . وفي لفظ : حُشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنيه إيماناً» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ عماراً مع الحقِّ ، والحق معه ، يدور عمّار مع الحقِّ أينما دار ، وقاتل عمّار في النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا اختلف الناس ، كان ابن سُميّة مع الحقِّ» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «دم عمّار ، ولحمه ، حرامٌ على النار أنْ تطعمه» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما لهم ولعمّار ؟ يدعوهم إلى الجنّة ، ويدعونه إلى النار ، إنَّ عمّاراً جلدة ما بين عينيّ وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرَّجل ، فلم يُستبق فاجتنبوه» .

نعم : صدق معاوية في قوله : ما يمنعني من ذلك ؟ وأيّ وازع للإنسان عن قتل عمّار ، إذا ما صدَّق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله هذه ، وقوله : «ما لقريش وعمّار يدعوهم إلى الجنّة ، ويدعونه إلى النار ، قاتله وسالبه في النار» .

وقوله : من عادى عمّاراً عاداه الله ، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله ، ومن يسفه عمّاراً يسفهه الله ، ومن يسبُّ عماراً يسبّه الله ، ومن يحقِّر عمّاراً حقّره الله ، ومن يلعن عمّاراً لعنه الله ، ومن ينتقص عماراً ينتقصه الله»[1] .

(١) راجع تفصيل هذه الأحاديث في الجزء التاسع : ص ٤٣ ـ ٤٧ .

وفد معاوية إلى الإمام (ع) :

وبعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه ، وتكلّم حبيب ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمَّ قال :

أمّا بعد : فإنَّ عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، كان خليفة مهديّاً ، يعمل بكتاب الله ، عزَّ وجلَّ ، ويُنيب إلى أمر الله تعالىٰ ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه ، رضي الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان ـ إنْ زعمت أنّك لم تقتله ـ نقتلهم به ، ثمَّ اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُولّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم .

فقال له عليُّ بن أبي طالب : وما أنت لا أُمَّ لك والعزل ، وهذا الأمر ؟ أُسكت ، فإنَّك لست هناك ، ولا بأهل له . فقام ، وقال له : والله لتريَنّي بحيث تكره . فقال عليٌّ : وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك ؟ لا أبقى الله عليك إنْ أبقيتَ عليَّ ، أحقرةً وسوءاً ؟ إذهب فصوِّب وصعِّد ما بدا لك .

وقال شرحبيل : إنّي إنْ كلّمتك فلعمري ما كلامي إلّا مثل كلام صاحبي قبلُ ، فهل عندك جوابٌ غير الذي أجبته به ؟ فقال عليٌّ : نعم ، لك ولصاحبك جوابٌ غير الذي أجبته به ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمَّ قال :

أمّا بعد : فإنّ الله جلَّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ بالحقّ ، فأنقذ به من الضّلالة ، وانتاش به من الهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثمَّ قبضه الله إليه ، وقد أدّى ما عليه ﷺ ، ثمّ استخلف الناس أبا بكر ، رضي الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر ، رضي الله عنه ، فأحسنا السيرة ، وعدلا في الامَّة ، وقد وجدنا عليهما أنْ تولّيا علينا ، ونحن آل رسول الله ﷺ ، فغفرنا ذلك لهما ، وولي عثمان ، رضي الله عنه ، فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثمَّ أتاني الناس ، وأنا معتزلٌ أُمورهم ، فقالوا لي : بايع . فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإنَّ الامَّة لا ترضى إلّا بك ، وإنّا نخاف إنْ لم تفعل أنْ يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلّا شقاق رجلين قد بايعاني ، خلاف معاوية الذي لم يجعل الله ، عزَّ وجلَّ ، له

سابقةً في الدين ، ولا سلف صدقٍ في الإسلام ، طليق ابن طليق ، حزبٌ من هذه الأحزاب ، لم يزل لله ، عزَّ وجلَّ ، ولرسوله ﷺ ، وللمسلمين عدوّاً ، هو وأبوه ، حتّى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو إلاّ خلافكم معه ، وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيّكم ﷺ الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ، ولا خلافهم ، ولا أنْ تعدلوا بهم من الناس أحداً ، ألا إنِّي أدعوكم إلى كتاب الله ، عزَّ وجلَّ ، وسنّة نبيِّه ﷺ وإماتة الباطل ، وإحياء معالم الدين ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، ولكلّ مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

فقالا : إشهد أنَّ عثمان ، رضي الله عنه ، قُتل مظلوماً . فقال لهما : لا أقول : إنّه قتل مظلوماً ، ولا انّه قُتل ظالماً . قالا : فمن لم يزعم أنَّ عثمان قُتل مظلوماً ، فنحن منه برآء . ثمَّ قاما فانصرفا ، فقال عليٌّ : إنّك لا تُسمع الموتى ، ولا تسمع الصمّ الدعاء ، إذا ولّوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، إنْ تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون[1] .

أنباءٌ في طيّات الكتب
تُعرب عن مرمى معاوية

هلمَّ معي ننظر في شطر من كتب ابن حرب المعربة عن مرماه الذي كان تركاضه وراءه ، هل فيها إيعازٌ ، أو تلويح ، أو تصريح بغايته المتوخّاة في نزاعه الإمام الطاهر عليه السلام ، وأنّه كان يروم الخلافة ، ويحوم حولها ، وينازع الأمر أهله ؟ رغم إنكار ابن حجر إيّاه إنكاراً باتّاً ، نصرةً له .

إنَّ النعمان بن بشير ، لمّا قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان ، تذكر فيه دخول القوم عليه ، وما صنع محمد بن أبي بكر عن نتف لحيته ، في كتاب رققت فيه ، وأبلغت حتّى إذا سمعه السامع بكى ، حتّى يتصدّع قلبه . وبقميص عثمان مخضباً بالدم ممزّقاً ، وعقدت شعر لحيته في زر القميص ، قال : فصعد المنبر معاوية بالشام ، وجمع الناس ، ونشر عليهم القميص ، وذكر ما صنعوا بعثمان ،

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٨ .

فبكى الناس ، وشهقوا حتّى كادت نفوسهم أنْ تزهق ، ثمَّ دعاهم إلى الطلب بدمه ، فقام إليه أهل الشام ، فقالوا : هو ابن عمّك ، وأنت وليّه ، ونحن الطالبون معك بدمه ، فبايعوه أميراً عليهم ، وكتب ، وبعث الرسل إلى كور الشام ، وكتب إلى شُرحبيل بن السمط الكندي ، وهو بحمص ، يأمره أنْ يبايع له بحمص ، كما بايع أهل الشام ، فلمّا قرأ شُرحبيل كتاب معاوية ، دعا أُناساً من أشرف أهل حمص ، فقال لهم : ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممَّن يبايع لمعاوية أميراً ، وهذه سقطة ، ولكنّا نبايع له بالخلافة ، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة ، فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ، ثمَّ كتب إلى معاوية : أمّا بعد : فإنك أخطأت خطأ عظيماً حين كتبت إليَّ أن أُبايع لك بالإمرة ، وإنَّك تريد أنْ تطلب بدم الخليفة المظلوم ، وأنت غير خليفة ، وقد بايعت ومَن قبلي لك بالخلافة .

فلمّا قرأ معاوية كتابه ، سرّه ذلك ، ودعا الناس ، وصعد المنبر ، وأخبرهم بما قال شُرحبيل ، ودعاهم إلى بيعته بالخلافة ، فأجابوه ، ولم يختلف منهم أحدٌ فلمّا بايع القوم له بالخلافة ، واستقام له الأمر ، كتب إلى عليّ[(١)] .

وفي حديث عثمان بن عبيد الله الجرجاني ، قال :

بويع معاوية على الخلافة ، فبايعه الناس على كتاب الله ، وسنّة نبيِّه ، فأقبل مالك بن هبيرة الكندي ـ وهو يومئذ رجلٌ من أهل الشام ـ فقام خطيباً ، وكان غائباً من البيعة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخدجتَ هذا الملك ، وأفسدت الناس ، وجعلت للسفهاء مجالاً ، وقد علمت العرب أنّا حيٌّ فعال ، ولسنا بحيٍّ مقال ، وإنّا بعظيم فعالنا على قليل مقالنا ، فابسط يدك أُبايعك على ما أحببنا وكرهنا .

فقال الزبرقان بن عبد الله السكوني :

معاوي أخدجتَ الخلافة بالتي ... شرطت فقد بوّالك الملك مالك
ببيعة فصلٍ ، ليس فيها غميزةٌ ، ... ألا كلُّ ملك ضمّه الشّرط هالك
وكان كبيت العنكبوت مذبذباً ... فأصبح محجوباً عليه الأرائك

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٦٩ ، ٧٠ .

وأصبح لا يرجوه راجٍ لعلّة ، ولا تنتحي فيه الرِّجال الصعالك
وما خير ملك يا معاوية ! مُخدج تجرِّع فيه الغيظ ، والوجه حالك
إذا شاء ردَّته السكون ، وحميرٌ ، وهمدان ، والحيّ الخفاف السكاسك(١)

جرت بين الإمام ، وبين معاوية ، مكاتبات نحن نأخذ من تلكم الكتب ما يخصّ بالموضوع . كتب إليه في أوّل ما بويع له بالخلافة :

أما بعد : فقد علمتَ إعذاري فيكم ، وإعراضي عنكم ، حتى كان ما لا بدَّ منه ، ولا دفع له ، والحديث طويل ، والكلام كثير ، وقد أدبر ما أدبر ، وأقبل ما أقبل ، فبايع مَن قِبلك ، وأقبل إليَّ في وفد من أصحابك ، والسَّلام .

وفي لفظ :

أمّا بعد : فإنَّ الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي ، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع ، فإذا أتاك كتابي فبايع لي ، وأوفد إليَّ أشراف أهل الشام قبلك .

وفي لفظ ابن قتيبة : أمّا بعد : فقد ولّيتك ما قبلك من الأمر والمال ، فبايع مَن قبلك ، ثمَّ أقدم إليَّ في ألف رجل من أهل الشام .

فكتب معاوية : أمّا بعد : فإنّه :

ليس بيني ، وبين قيس عتابٌ غير طعن الكُلى ، وضرب الرِّقاب

ومن كتاب له إلى معاوية : وقد بلغك ما كان من قتل عثمان ، رحمه الله ، وبيعة الناس عامّة إيّاي ، ومصارع الناكثين لي ، فادخل فيما دخل الناس فيه ، وإلاّ فأنا الذي عرفت ، وحولي مَن تعلمه . والسَّلام .

وممّا كتب إليه مع جرير البجلي : فإنَّ بيعتي بالمدينة لزمتك ، وأنت بالشّام ، لأنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردَّ ، وإنّما الشورى للمهاجرين

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم : ص ٩٠ .

والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل ، وسمّوه إماماً ، كان ذلك لله رضاً ، وإنْ خرج عن أمرهم خارجٌ بطعن ، أو بدعة ، ردّوه إلى ما خرج عنه ، فإنْ أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولّى ، وأصلاه جهنّم وساءت مصيرا .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإنَّ أحبَّ الامور إليَّ قبولك العافية ، إلا أنْ تتعرَّض للبلاء ، فإنْ تعرَّضت له قاتلتك ، واستعنت بالله عليك ، وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فإنْ أنت رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثمَّ حاكمت القوم إليَّ ، حملتك وإيّاهم على كتاب الله ، وأمّا تلك التي تريدها فهي خُدعة الصبيّ عن اللّبن .

واعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلُّ لهم الخلافة ، ولا تُعقد معهم الإمامة ، ولا يدخلون في الشورى ، وقد بعثت إليك وإلى مَن قبلك ، جرير بن عبد الله البجلي ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ، ولا قوَّة إلّا بالله .

قَدِم جرير على معاوية بكتاب عليّ ، فلمّا أبطأ عليه معاوية برأيه استحثّه بالبيعة ، فقال له معاوية : يا جرير ! إنّ البيعة ليست بخُلسة ، وإنّه أمرٌ له ما بعده ، فأبلعني ريقي ، ودعا أهل ثقته ، فاستشارهم ، فقال له أخوه عُتبة : إستعن على هذا الأمر بعمرو بن العاص ، فإنّه مَن قد عرفت ، فكتب معاوية إلى عمرو ، وهو بفلسطين :

أمّا بعد : فقد كان من أمر عليّ ، وطلحة ، والزبير ، ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة ، وقدم علينا جرير بن عبد الله ، في بيعة عليّ ، وقد حبستُ نفسي عليك ، فاقدم على بركة الله ، أُذاكرك أُموراً لا تعدم صلاح مغبَّتها ، إنْ شاء الله .

فقال معاوية لجرير : إنّي قد رأيت رأياً . قال جرير : هات . قال : اكتب إلى عليّ أنْ يجعل لي الشام ومصر جباية ، فإنْ حضرته الوفاة ، لم يجعل لأحد من بعده في عنقي بيعةً ، وأُسلّم إليه هذا الأمر ، وأكتب إليه بالخلافة . قال جرير : اكتب ما شئت . فكتب إلى عليّ يسأله ذلك ، فلمّا أتى عليّاً ، كتاب معاوية ، عرف أنّها خدعة منه ، وكتب إلى جرير بن عبد الله :

أما بعد : فإنَّ معاوية إنّما أراد بما طلب ألّا يكون لي في عنقه بيعةٌ ، وأن يختار من أمره ما أحبّ ، وأراد أن يريِّثك ويبطئك حتّى يذوق أهل الشام ، وقد كان المغيرة بن شعبة أشار عليَّ ، وأنا بالمدينة أن أستعمله على الشام ، فأبيت عليه[1] ، ولم يكن الله ليراني أن أتّخذ المضلّين عضدا ، فإنْ بايعك الرَّجل وإلّا فأقبل ، والسَّلام[2] .

ولمّا فشا كتاب معاوية في العرب ، كتب إليه أخو عثمان لامِّه ، الوليد بن عقبة :

معاويَ إنَّ الشام شامك فاعتصم ... بشامك ، لا تُدخل عليك الأفاعيا
وحام عليها بالصَّوارم والقنا ، ... ولا تكُ موهون الذراعين وانيا
وإنَّ عليّاً ناظرٌ ما تُجيبه ... فأهدِ له حرباً تشيب النَّواصيا
وإلّا فسلِّمْ ، إنَّ في السِّلم راحةً ... لمن لا يريد الحرب ، فاختر معاويا
وإنَّ كتاباً يابن حرب كتبته ... على طمع يُزجي إليك الدَّواهيا
سألتَ عليّاً فيه ما لن تناله ... وإن نلته لم تبق إلّا لياليا
وسوف ترى منه التي ليس بعدها ... بقاءٌ ، فلا تكثر عليك الأمانيا
أمثل عليّ تعتريه بخدعةٍ ، ... وقد كان ما جرَّبتَ من قبلُ كافيا ؟

وكتب إلى معاوية أيضاً :

معاويَ !إنَّ الملك قدُجبَّ غاربه ، ... وأنت بما في كفِّك اليوم صاحبه
أتاك كتابٌ من عليّ بخطّةٍ ... هي الفصل فاختر سلمه ، أو تحاربه
فلا ترجُ عند الواترين مودَّة ، ... ولا تأمن اليوم الذي أنت راهبه
وحاربه إنْ حاربتَ حرَّ بن حرَّة ، ... وإلّا فسلِّمْ لا تدبُّ عقاربه
فإنَّ عليّاً غير ساحب ذيله ... على خدعةٍ ، ما سوَّغ الماء شاربه

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السادس : ص ١٧٤

(٢) كتاب صفين : ص ٣٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٢ ، وفي (ط ٧٢) ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٦ ، ٢٤٩ ـ ٢٥١ .

فـلا تـدعنَّ الملك ، والأمـر مقبلٌ ، وتـطلب مـا أعيَت عـليـه مـذاهبـه
فـإنْ كنتَ تنـوي أن تجيب كـتـابـه فـقبِّـح مـمـليـه ، وقبِّـح كـاتبـه
وإنْ كـنتَ تـنـوي أن تـردَّ كتـابـه ، وأنـت بـأمـرٍ لا محـالـة راكـبـه
فـألقِ إلى الـحيِّ اليمـانين كـلمـة عـدوٌّ ، ومـالاهـم عـليـه أقـاربـه
أفـانين : منهم قـاتـل ، ومحـرِّضٌ ، بـلا تـرة كـانـت ، وآخـر سـالبـه
وكنت أميـراً قبـلُ بـالشـام فيكمُ ، فحسبي وإيّـاكم من الـحقِّ واجبـه
تجيبـوا [ومن أرسى ثُبيـراً مكـانـه] تَـدافـعَ بـحـرٍ لا تُـردُّ غـواربـه
فـأقلل وأكثر ، مـا لهـا اليـوم صـاحبٌ سـواك ، فصرِّح لستَ ممَّن تـواربـه(١)

فأقام جرير عند معاوية ثلاثـة أشهر . وقيـل : أربعة . وهـو يماطله بـالبيعة ، فكتب عليّ إلى جرير :

سلامٌ عليك ، أمّا بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فـاحمل معـاوية على الفصـل ، وخذه بالأمر الجزم ، وخيِّره بين حربٍ مجلية ، أو سلمٍ مخزية ، فإن اختار الحرب فأنبذ إليهم على سواء إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين ، وإن اختـار السِّلم فخذ بيعتـه وأقبل إليَّ ، والسَّلام .

فكتب معاوية إلى عليّ جواباً ، عن كتابه مع جرير :

أمـا بعـد : فلعمـري لـو بـايعـك القـوم الـذين بـايعـوك ، وأنت بـريءٌ من دم عثـمان ، لكنت كـأبي بكـر ، وعمـر ، وعثـمان ، رضي الله عنهم أجمعـين ، ولكنَّـك أغـريت بـدم عثـمان المهـاجرين . وخـذَّلت عنه الأنصـار ، فأطـاعـك الجـاهـل ، وقـوي بـك الضعيف ، وقـد أبى أهل الشّام إلاّ قتالك ، حتّى تدفع إليهم قتلة عثمـان ، فإنْ فعلت كـانت شورى بين المسلمين ، وإنّما كان الحجـازيّون هم الحُكّـام على الناس ، والحقُّ فيهم ، فلمّـا فارقوه كان الحكّام على الناس أهل الشـامِ ، ولعمري مـا حجّتك عليَّ ، كحجّتـك على طلحة والزبير ، لأنّهما بايعاك ، ولم أُبايعك ، ومـا حجّتك على أهـل الشام ،

---

(١) المواربة : المخادعة والمداهاة .

كحجّتك على أهل البصرة ، لأنَّ أهل البصرة أطاعوك ، ولم يطعك أهل الشام .

فكتب إليه الإمام ﷺ :

زعمتَ أنّك إنّما أفسد عليك بيعتي خُفري[١] بعثمان ، ولعمري ما كنت إلاّ رجلاً من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا ، وما كان ليجمعهم على ضلال ،ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرتُ فلزمتني خطيئة الأمر ، ولا قتلتُ فأخاف على نفسي قصاص القاتل .

وأمّا قولك : إنَّ أهل الشام هُم حكّام أهل الحجاز ، فهاتِ رجلاً من قريش الشّام يُقبل في الشورى ، أو تحلُّ له الخلافة ، فإنْ سمّيت كذَّبَكَ المهاجرون ، والأنصار ، ونحن نأتيك به من قريش الحجاز . فارجع إلى البيعة التي لزمتك ، وحاكم القوم إليَّ .

وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة والزبير ، فلعمري فما الأمر هناك إلاّ واحد ، لأنّها بيعةٌ عامّة ، لا يتأتى فيها النظر ، ولا يُستأنف فيها الخيار .

ومن كتاب كتبه معاوية إلى عليّ ﷺ في أواخر حرب صفين :

فإنْ كنت ـ أبا حسن ـ إنّما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صحّت خلافتك ،لكنت قريباً من أن تُعذر في حرب المسلمين، ولكنّها ما صحّت لك ، أنّى بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوها ؟ وخف الله وسطواته ، واتّق بأسه ونكاله ، واغمد سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتهم الحرب ، فلم يبق منهم إلاّ كالثمد[٢] في قرارة الغدير . والله المستعان .

فكتب عليٌّ ﷺ إليه كتاباً منه :

وأما تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام ، فلعمري لو كنتُ

---

(١) الخفر : نقض العهد . الغدر .
(٢) الثمد : الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف .

الباغي عليك ، لكان لك أن تحذِّرني ذلك ، ولكنّي وجدت الله تعالى يقول : ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ . فنظرنا إلى الفئتين ، أمّا الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها ، لأنَّ بيعتي لزمتك ، وأنت بالشام ، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة ، وأنت أمير لعُمر على الشّام ، وكما لزمت يزيدَ أخاك بيعة عمر ، وهو أميرٌ لأبي بكر على الشّام .

وأمّا شقُّ عصا هذه الامَّة ، فأنا أحقّ أنْ أنهاك عنه ، فأمّا تخويفك لي من قتل أهل البغي : فإنَّ رسول الله ﷺ أمرني بقتالهم وقتلهم ، وقال لأصحابه : إنّ فيكم مَن يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلتُ على تنزيله . وأشار إليَّ ، وأنا أولى مَن اتّبع أمره ، وأمّا قولك : إنَّ بيعتي لم تصحّ ، لأنَّ أهل الشام لم يدخلوا فيها ، فكيف ؟ وإنّما هي بيعةٌ واحدةٌ ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يُثنّى فيها النظر ، ولا يُستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعنٌ ، والمُروّي[1] فيها مُداهن ، فاربع على ظلعك ، وانزع سربال غيِّك . واترك ما لا جدوى له عليك ، فليس لك عندي إلاّ السيف ، حتى تفيء إلى أمر الله صاغراً ، وتدخل في البيعة راغماً ، والسّلام .

ومن كتاب لمعاوية إلى عليّ عليه السلام :

فدع اللجاج والعبَث جانباً ، وادفع إلينا قتلة عثمان ، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ، ليتّفقوا على من هو لله رضا ، فلا بيعة لك في أعناقنا ، ولا طاعة لك علينا ، ولا عُتبى لك عندنا ، وليس لك ولأصحابك إلاّ السيف .

فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب منه قوله :

وزعمت أنَّ أفضل النّاس في الإسلام فلانٌ وفلانٌ ، فذكرت أمراً إنْ تمّ اعتزلك كلّه ، وإنْ نقص لم يلحقك ثلمه ، وما أنت والفاضل والمفضول ؟ والسائس والمسوس ؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء ، والتمييز بين المهاجرين الأوّلين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات لقد حنَّ قدحٌ ليس منها ، وطفق

---

(١) روّى في الأمر : نظر وفكر ، أي الذي يفكر ويروّي فيها ويبطيء عن الطاعة ، مداهن اي : منافق .

يحكم فيها مَن عليه الحكم لها ، ألا تربَعْ أيّها الإنسان ! على ظلعك ؟ وتعرف قصور ذرعك ، وتتأخّر حيث أخّرك القدَر ؟ فما عليك غلبة المغلوب ، ولا لك ظفر الظافر .

ومنه قوله عليه السلام :

وذكرت أنّه ليس لي ولأصحابي عندك إلاّ السيف ، فلقد أضحكتَ بعد استعبار ، متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين ، وبالسيوف مخوَّفين ؟ ! ؟ ! فلبِّث قليلاً يلحق الهيجا حمَل[1] ، فسيطلبك من تطلب ، ويقرب منك ما تستبعد ، وأنا مُرقلٌ نحوك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطعٍ قتامهم متسربلين سرابيل الموت ، أَحبُّ اللّقاء إليهم لقاء ربِّهم ، وقد صحبتهم ذرِّيَّة بدريّة ، وسيوف هاشميَّة ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك ، وخالك ، وجدك ، وأهلك ، وما هي من الظالمين ببعيد .

ولمّا نزل عليّ عليه السلام الرقَّة ، قالت له طائفة من أصحابه : يا أمير المؤمنين ! اكتب إلى معاوية ومَن قبله من قومك ، فإنّ الحجّة لا تزداد عليهم بذلك إلاّ عظَما . فَكتب إليهم :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية ومَن قبله من قريش :

سلامٌ عليكم ، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعدُ : فإنّ لله عباداً آمنوا بالتنزيل ، وعرفوا التأويل ، وفقهوا في الدين ، وبيَّن الله فضلهم في القرآن الحكيم ، وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرَّسول ، تكذِّبون بالكتاب ، مجمعون على حرب المسلمين ، مَن ثقفتم منهم حبستموه ، أو عذَّبتموه ، أو قتلتموه ، حتّى أراد الله تعالى إعزاز دينه ، وإظهار أمره ، فدخلت العرب في الدِّين أفواجاً ، وأسلمت له هذه الامّة طوعاً وكرهاً ، فكنتم فيمن دخل في هذا الدِّين إمّا رغبةً أو رهبةً ، على حين فاز أهل السبق بسبقهم ، وفاز المهاجرون الأوّلون بفضلهم ، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدّين ، ولا فضائلهم في

---

(١) حمل ، هو حمل بن سعدانة الصحابي شهد صفين مع معاوية .

الإسلام ، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله ، وأولى به ، فيحوب ويظلم ، ولا ينبغي لمن كان له عقل أنْ يجهل قدره ، ويعدو طوره ، ويُشقي نفسه بالتماس ما ليس بأهله ، فإنّ أولى الناس بأمر هذه الامّة ، قديماً وحديثاً، أقربها من الرّسول ، وأعلمها بالكتاب ، وأفقهها في الدّين ، أوّلهم إسلاماً ، وأفضلهم جهاداً ، وأشدّهم بما تحمله الأئمّة من أمر الامّة اضطلاعاً ، فاتّقوا الله الّذي إليه ترجعون ، ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون ، واعلموا أنَّ خيار عباد الله : الذين يعملون بما يعلمون ، وإنَّ شرارهم : الجهّال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم ، فإنَّ للعالم بعلمه فضلاً ، وإنّ الجاهل لا يزداد بمنازعته العالم إلاّ جهلاً ، ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، وحقن دماء هذه الامّة ، فإنْ قبلتم أصبتم رشدكم ، واهتديتم لحظّكم ، وإنْ أبيتم إلاّ الفرقة وشقّ عصا هذه الامّة ، لم يزدادوا من الله إلاّ بعداً ، ولا يزداد الربّ عليكم إلاّ سُخطاً ، والسّلام .

[راجع الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، كتاب صفين : ص ٣٤،٣٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ـ ٦٥ ط مصر ، كامل المبرد ج ١ ص ١٥٥ ، ١٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٣ . وفي ط : ٢٨٤ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٧ ، ٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٩٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٧٧ ، ١٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ وج ٣ ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٩ ، نهاية الأرب ج ٧ ص ٢٣٣ . ومرّ بعض هذه الكتب بتمامه في هذا الجزء] .

قال الأميني : ألم تعلم أيّها القارىء الكريم عقيب ما استشففت هذه الكتب المتردّدة ، بين إمام الحقّ ، ورجل السوء «معاوية» أنّه حين يسرُّ حسواً في ارتغاء ، محتجّاً بقتل عثمان تارة ، وبإيواء قاتليه تارةً أُخرى ، وبطلبه حقن الدماء ، كمن لا يبتغيه هو ، إنّه كان لا يبتغي إلاّ الخلافة ؟ وإنّه يعدو إليها ضابحاً ، ويُضحّي دونها كلّ غالٍ ورخيص ، ويهب دونها الولايات ، ويمنح تجاهها المنائح ، ويهب الرضائخ ، ويستهوي بها النفوس الخائرة ، ومهملجي نهمة الحاكميّة ، ويستهين بيعة المهاجرين والأنصار ، وهم إلبٌ واحد لبيعة إمام الهدى ، صلوات الله عليه ، ويحسبهم قد فارقوا الحقَّ ، وخبطوا في العمى ، ويرجّح كفَّة الشّام على كفّة عاصمة الإسلام ، وأهلوه هم الصّحابة العدول من المهاجرين والأنصار ، على أنّه ليس للطليق ابن الطليق أنْ يتدخّل في شأن هم أثبتوا دعائمه ، وشيّدوا معالمه ،

ومَن الذي منحه النظر في أمر هذا شأنه ؟ ومتى كان له ولطغام الشام أن يجابهوا إمرة الحقّ التي نهض بها أهل الحلّ والعقد ؟ ولم يباشر الحرب هنالك إلّا بعد أن أتمّ الإمام عليه الحجّة ، وألحب له الطريق ، وأوقفه على حكم الله الباتّ ، وأمره النهائيّ ، غير أنّ معاوية في أُذنه وقر عن سماع كلم الحقّ والبخوع لها ، والملك عقيمٌ .

تصريحٌ لا تلويح يُعرب عن مرمى ابن هند

مرّ في سالف القول (ص ٣٧٤) انّ معاوية قال لجرير : يجعل عليٌّ له الشام ومصر جباية ، ويكون الأمر له بعده ، حتى يكتب إليه بالخلافة ، وكتب بذلك إليه ، وكتب إليه يسأله إقراره على الشام فكتب إليه عليٌّ :

أمّا بعد : فإنّ الدنيا حُلوةٌ خضرة ، ذات زينة وبهجة ، لم يَصْبُ إليها أحدٌ إلّا شغلته بزينتها ، عمّا هو أنفع له منها ، وبالآخرة أُمرنا ، وعليها حُثثنا ، فدع يا معاوية ما يفنى ، واعمل لما يبقى ، واحذر الموت الذي إليه مصيرك ، والحساب الذي إليه عاقبتك ، واعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً ، حال بينه وبين ما يكره ، ووفّقه لطاعته ، وإذا أراد بعبد سوءاً أغراه بالدنيا ، وأنساه الآخرة ، وبسط له أمله ، وعاقه عمّا فيه صلاحه ، وقد وصلني كتابك ، فوجدتك ترمي غير غرضك ، وتنشد غير ضالّتك ، وتخبط في عماية ، وتتيه في ضلالة ، وتعتصم بغير حجّة ، وتلوذ بأضعف شُبهة .

فأمّا سؤالك المتاركة ، والإقرار لك على الشام ، فلو كنتُ فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس ، وأمّا قولك : إنّ عمر ولّاكه ، فقد عزل من كان ولّاه صاحبه[١] وعزل عثمان مَن كان عمر ولّاه[٢]، ولم يُنصب للنّاس إمامٌ إلّا ليرى من صلاح الأُمّة ، ما قد كان ظهر لمن قبله ، أو أُخفي عنه عيبُه ، والأمر يحدث بعده الأمر ، ولكلّ والٍ رأيٌ واجتهاد[٣] .

وكتب الرجل إليه ثانية ـ قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة ـ يسأله إقراره على الشام ، وذلك أنّ عليّاً قال : لَأُناجزنّهم مصبحاً . وتناقل الناس كلمته ،

(١) يريد خالد بن الوليد، كان ولّاه أبو بكر ، فعزله عمر .

(٢) عزل عثمان عمال عمر كلهم ، غير معاوية .

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٧ .

ففزع أهل الشام لذلك ، فقال معاوية : قد رأيت أَنْ أُعاود عليّاً ، وأسأله إقراري على الشام ، فقد كنت كتبت إليه ذلك ، فلم يجب إليه[١] ، ولأكتبنّ ثانية ، فألقي في نفسه الشكّ والرقّة ، فكتب إليه :

أمّا بعد : فإنّك لو علمتَ وعلمنا ، أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغتْ ، لم يَجنها بعضنا على بعض ، ولئن كنّا قد غُلبنا على عقولنا ، لقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونُصلح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك بيعةٌ وطاعةٌ ، فأبيت ذلك عليّ ، فأعطاني الله ما منعتَ ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإنّي لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو ، ولا أخاف من الفناء إلّا ما تخاف ، وقد والله رقّت الأجناد ، وذهب الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضلٌ إلّا فضلٌ لا يُستذلُّ به عزيز ، ولا يسترقُّ به حرٌّ ، والسّلام .

فأجابه عليّ عليه السلام :

أمّا بعد فقد جاءني كتابك ، تذكر أنّك لو علمتَ وعلمنا أنَّ الحرب تبلغ بناوبك ، لم يجنها بعضنا على بعض ، فإنّي لو قُتلت في ذات الله ، وحَييت ، ثمّ قُتلت ثمَّ حييت ، سبعين مرَّة ، لم أرجع عن الشدَّة في ذات الله ، والجهاد لأعداء الله ، وأمّا قولك : إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم على ما مضى، فإنّي ما تنقّصت عقلي ، ولا ندمت على فعلي ، وأمّا طلبك إليَّ الشام ، فإنّي لم أكن لأُعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأمّا قولك : إنَّ الحرب قد أكلت إلّا حُشاشات أنفس بقيت ، ألا ومن أكله الحقُّ فإلى الجنَّة ، ومن أكله الباطل فإلى النار . الكتاب[٢] .

وكتب معاوية إلى ابن عبّاس :

أمّا بعد : فإنّكم معشر بني هاشم ، لستم إلى أحد أسرع منكم بالمساءة إلى

(١) كذب الرجل ، وقد أجابه الإمام (ع) بما سمعت ، غير أنه كتمه على أصحابه خوفاً من أن يهتدي به بعض إلى الحق ، ويفارق الباطل .
(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٨ وفي ط ٩٥ ، كتاب صفين : ص ٥٣٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٠ ، ٦١ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٢٤ .

أنصار ابن عفّان ، حتّى انّكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما بدمه ، واستعظامهما ما نيل منه ، فإن كان ذلك منافسةً لبني أُميّة في السّلطان ، فقد وليها عديٌّ وتيم[1] ، فلَم تنافسوهم ، وأظهرتم لهم الطاعة .

وقد وقع من الأمر ما قد ترى ، وأدالت هذه الحرب بعضنا على بعض ، حتى استوينا فيها ، فما يُطمعكم فينا يُطمعنا فيكم ، وما يؤيسنا منكم يؤيسكم منّا ، ولقد رجونا غير الذي كان ، وخشينا دون ما وقع ، ولستم ملاقينا اليوم بأحدَّ من أمس ، ولا غداً بأحد من حدِّكم اليوم ، وقد قنعنا بما في أيدينا من ملك الشام ، فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق ، وأبقوا على قريش ، فإنّما بقي من رجالها ستّة : رجلان بالشام ، ورجلان بالعراق . ورجلان بالحجاز ، فأمّا اللذان بالشام فأنا وعمرو . وأمّا اللذان بالعراق فأنت وعليٌّ . وأمّا اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر[2] ، فإثنان من الستّة ناصبان لك ، واثنان واقفان فيك ، وأنت رأس هذا الجمع ، ولو بايع لك الناس بعد عثمان ، كنّا إليك أسرع منّا إلى عليّ .

فكتب إبن عبّاس إليه :

أمّا بعد : فقد جاءني كتابك ، وقرأته ، فأمّا ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة إلى أنصار عثمان ، وكراهتنا لسلطان بني اميّة ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره ، حتى صرتَ إلى ما صرتَ إليه ، وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك ، وأخو عثمان ، الوليد بن عقبة ، وأمّا طلحة والزبير ، فإنّهما أجلبا عليه ، وضيّقا خناقه ، ثمّ خرجا ينقضان البيعة ، ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث ، وقاتلناك على البغي ، وأمّا قولك : إنّه لم يبق من قريش إلاّ ستّة ، فما أكثر رجالها ، وأحسن بقيّتها ، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ، ولم يخذلنا إلاّ من خذلك ، وأمّا إغراؤك إيّانا بعديّ وتيم ، فإنَّ أبا بكر وعمر خيرٌ من عثمان ، كما أنَّ عثمان خيرٌ منك ، وقد بقي لك منّا ما ينسيك ما قبله ، وتخاف ما بعده ، وأمّا قولك : إنّه لو بايعني الناس استقمت : فقد بايع الناس عليّاً وهو خيرٌ منّي فلم تستقم له ، وما أنت وذكر الخلافة يا معاوية ؟ وإنّما أنت طليق وابن طليق ،

---

(١) يعني أبا بكر وعمر .

(٢) يعني سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر .

والخلافة للمهاجرين الأوّلين ، وليس الطلقاء منها في شيء ، والسّلام[1] . وفي لفظ ابن قتيبة : فما أنت والخلافة ؟ وأنت طليق الإسلام ، وابن رأس الأحزاب ، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر .

وخطب معاوية بَعد دخوله الكوفة ، وصلح الإمام السبط ، سلام الله عليه ، فقال : يا أهل الكوفة ! أترانى قاتلتكم على الصّلاة والزّكاة والحجّ ؟ وقد علمت أنّكم تصلّون وتُزكّون وتحجّون . ولكنّني قاتلتكم لأتأمّر عليكم ، وعلى رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك ، وأنتم كارهون ، ألا إنّ كلّ مال أو دم أُصيب في هذه الفتنة ، فمطلولٌ ، وكلّ شرط شرطته ، فتحت قدميَّ هاتين .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣١ واللّفظ للأوّل] .

قال معروف بن خربوذ المكّي : بينا عبد الله بن عبّاس جالسٌ في المسجد ، ونحن بين يديه ، إذ أقبل معاوية ، فجلس إليه ، فأعرض عنه ابن عبّاس ، فقال له معاوية : مالي أراك معرضاً ؟ ألستَ تعلم أنّي أحقُّ بهذا الأمر من ابن عمّك ؟ قال : لِمَ ؟ لأنه كان مسلماً وكنت كافراً ؟ قال : لا ، ولكنّي ابن عمِّ عثمان . قال : فابن عمّي خيرٌ من ابن عمّك . قال : إنّ عثمان قُتل مظلوماً . قال : وعندهما ابن عمر فقال ابن عبّاس : فإنَّ هذا والله أحقّ بالأمر منك . فقال معاوية : إنَّ عمر قتله كافرٌ ، وعثمان قتله مسلمٌ . فقال ابن عبّاس : ذاك والله أدحض لحجّتك .

[مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٦٧) .

قال الاميني : إنَّ هذه الكلم لتعطي القارىء دروساً ضافية من تحرّي معاوية للخلافة لا غيرها ، من أوّل يومه ، ولم يكن في وسع ابن آكلة الأكباد دفع شيء ممّا كتب إليه من ذلك ، وإنّه كان يريد على فرض قصوره ، النيل لكلّ الامنيّة ، القناعة ببعضها ، فيصفو له ملك الشام ومصر ، وللإمام عليه السلام ما تحت يده من الحواضر الإسلاميّة وزرافات الأجناد ، عسى أنْ يتّخذ ذلك وسيلة للتوصّل إلى بقيّة الأمل في مستقبل أيّامه ، وكانت هذه القسمة ابتداعاً في أمر الخلافة الإسلامية ، وتفريقاً بين صفوفها ، لم تأل إلى سابقة في الدين ، ولا أمضاها أهله في دور من الأدوار ، وإنّما هي فصمةٌ في الجماعة ، وتفريقٌ للطاعة ، وتفكيكٌ لعرى الإسلام ، وتضعيفٌ لقواه ، وبيعةٌ عامّة تلزم القاصي والداني ، لا يُستثنى منها جيلٌ

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٥ ، وفي ط : ٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

دون جيل ، ولا يجوز إنحياز امّة عنها دون امّة ، وإنّما هو الخليفة الأخير الذي أوجبت الشريعة قتله ، كما مرَّ حديثه الصحيح الثابت ، وإنّه هو معاوية نفسه ، فما كان يسع الإمام عليه السلام والحالة هذه إلّا قتال هذا الطاغية ، أو يفيء إلى أمر الله .

فكرة معاوية لها قدم

إنَّ رأي معاوية في خلافة الإمام عليه السلام ، لم يكن وليد يومه ، ولا بنت ليلته ، وإنَّما كان مناوئاً منذ فرّق بينهما الإسلام ، وقُتل في يوم واحد أخوه ، وجدّه ، وخاله ، بسيف عليّ عليه السلام ، فلم يزل يلهج ويهملج في تفخيذ الناس عنه ، صلوات الله عليه ، من يوم قتل عثمان ، بعث رجلاً من بني عُميس ، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام ، وفيه :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان .

سلامٌ عليك . أمّا بعد : فإنّي قد بايعت لك أهل الشام ، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحَلب(١) ، فدونك الكوفة والبصرة ، لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب ، فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين ، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك ، فأظهر الطلب بدم عثمان ، وادعوا الناس إلى ذلك ، وليكن منكما الجدّ والتشمير ، أظفر كما الله ، وخذل مُناوئكما .

فسُرَّ الزبير بهذا الكتاب ، وأعلم به طلحة ، ولم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية ، وأجمعا عند ذاك على خلاف عليّ عليه السلام .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٧٧] .

قال الأميني : انظر إلى دين الرجل وورعه ، يستسيغ أن يخاطب الزبير بإمرة المؤمنين لمحض حسبانه أنّه بايع له أجلاف أهل الشام ، ولا يقول بها لأمير المؤمنين حقّاً علي عليه السلام ، وقد تمّت له بيعة المسلمين جمعاء ، وفي مقدّمهم الزبير نفسه ، وطلحة بن عبيد الله ، الذي حاباه معاوية ، ولاية العهد ، بعد صاحبه ، فغرّهما

---

(١) استوسق : إجتمع . الحلب : اللبن المحلوب .

على نكث البيعة ، فذاقا وبال أمرهما ، وكانت عاقبتهما خسراً .

وأنت ترى أنّ الطلب بدم عثمان قنطرة النزاع في الملك ، ووسيلة النيل إلى الأمانيِّ من الخلافة الباطلة ، أوحاه معاوية إلى الرَّجلين ، وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم .

ويدعو الرجل لمناوئي عليّ ﷺ بالظفر ، وعليه ﷺ بالخذلان ، والصَّادع الكريم يقول في الصحيح المتّفق عليه : «اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله» .

وكتب إلى الزبير أيضاً :

أمّا بعد : فإنّك الزبير بن العوام ، إبن أبي خديجة[١] ، وابن عمَّة[٢] رسول الله ﷺ وحواريّه ، وسلفه[٣] وصهر أبي بكر ، وفارس المسلمين ، وأنت الباذل في الله مهجته بمكّة عند صيحة الشيطان ، بعثك المنبعث ، فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت ، تخبط خبط الجمل الرَّديع ، كلّ ذلك قوَّة إيمان ، وصدق يقين ، وسبقت لك من رسول الله ﷺ البشارة بالجنة ، وجعلك عمر أحد المستخلَفين على الأُمَّة .

واعلم يا أبا عبد الله : أنّ الرعيَّة أصبحت كالغنم المتفرِّقة لغيبة الراعي ، فسارع ـ رحمك الله ـ إلى حقن الدماء ، ولمِّ الشَّعث ، وجمع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، قبل تفاقم الأمر ، وانتشار الامّة ، فقد أصبح الناس على شفا جُرُف هارٍ ، عمّا قليل ينهار إنْ لم يُرأب ، فشمّر لتأليف الأُمة ، وابتغ إلى ربّك سبيلا ، فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أنَّ الأمر للمقدَّم ، ثمَّ لصاحبه من بعده ، جعلك الله من أئمّة الهدى ، وبُغاة الخير والتقوى ، والسَّلام .

ألا مسائل ابن هند عن قوله : إنَّ الرعيَّة أصبحت كالغنم المتفرِّقة . . . إلخ .

---

(١) خويلد أبو خديجة زوج الرسول (ص) جد الزبير بن العوام بن خويلد .

(٢) امّ الزبير : هي صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله .

(٣) السلف : زوج اخت إمرأته . تزوّج الزبير أسماء بنت أبي بكر ، وتزوّج رسول الله أُختها عائشة .

لماذا أصبحت ؟ ومتى أصبحت ؟ وكيف أصبحت ؟ وراعيها الذي يرقبها ، ويرقب كلّ صالح لها ، ويشمر على درء كلّ معرّة عنها ، هو صنو رسول الله ، ونفسه ، الإمام المنصوص عليه ، وقد أجمعت الامّة على بيعته ، لولا أنّ معاوية يكدِّر الصفو ، ويقلق السّلام ، ويفرِّق الكلمة بدسائسه وتسويلاته ، فمثله كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام كمثل الشيطان ، يأتي المرء من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، لم يجعل الله له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ،

وكتب إلى طلحة :

أمّا بعد : فإنّك أقلّ قريش في قريش وتراً ، مع صباحة وجهك ، وسماحة كفّك ، وفصاحة لسانك ، فأنت بإزاء مَن تقدَّمك في السابقة ، وخامس المبشّرين بالجنّة ، ولك يوم أُحد وشرفه وفضله ، فسارع ـ رحمك الله ـ إلى ما تُقلّدك الرعيَّة من أمرها ، ممّا لا يسعك التخلّف عنه ، ولا يرضى الله منك إلّا بالقيام به ، فقد أحكمتُ لك الأمر قِبَلي ، والزبير فغير متقدِّم عليك بفضل ، وأيُّكما قدَّم صاحبه فالمقدَّم الإمام ، والأمر من بعده للمقدَّم له ، سلك الله بك قصد المهتدين ، ووهب لك رُشد الموفَّقين ، والسّلام .

قال الأميني : لمسائل ها هنا أن يحفي لمعاوية السؤال عن أنَّ ما تبجّح به للزبير وطلحة من الفضائل التي استحقّا بها الخلافة ، هل كان عليٌّ عليه‌السلام خلواً منها ؟ يذكر لهما البشارة بالجنّة ، وانَّ زبيراً أحد اولئك المبشّرين ، وأنَّ طلحة خامسهم ، فهلّا كان عليٌّ عليه‌السلام عاشرهم ؟ فلماذا سلخها عنه ، وحثّهما بالمبادرة إليها حتى لا يسبقهما إليها إبن أبي طالب ؟ ! ؟ ! وإنْ كانت تلكم البشارة ـ المزعومة ـ بمجرَّدها كافية في إثبات الجدارة للخلافة ؟ فلماذا أخرج عنها سعد بن أبي وقّاص ؟ وهو أحد القوم المبشّرين ، وكان يومئذ حيّاً يُرزق ، ولعلَّ طمعه فيهما كان آكد ، فحلب حلباً له شطره .

والأعجب قوله لطلحة : فأنت بإزاء من تقدَّمك في السابقة . فهلّا كان أمير المؤمنين أوّل السابقين وأولاهم بالمآثر كلّها ؟ وهلّا ثبت عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم

قوله : السبّاق ثلاثة : السابق إلى موسى يوشع . وصاحب ياسين إلى عيسى . والسابق إلى محمد عليّ بن أبي طالب[١] ؟ .

وهلاّ صحّ عند امّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ عليّاً أوّل من آمن بالله ، وصدّق نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وصلّى معه ، وجاهد في سبيله ؟

وإنْ كان لطلحة يوم أُحد ، وشرفه ، وفضله ، فلعليّ عليه السلام مغازي الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّها من بدر ، وأُحد ، وخيبر ، والأحزاب ، وحُنين ، ويوم حمراء الأسد[٢] . هب أنّ معاوية كان في أُذنه وقرٌ من شركه ، لم يسمع نداء جبريل ورضوان ، يوم ناديا :

لا فتى إلاّ عليّ لا سيف إلاّ ذوالفقار[٣] .

فهل كان في بصره عمى كبصيرته ، لا يبصر نضال عليّ ونزاله في تلكم المعارك الدامية ؟ نعم معاوية لا يرى مواقف عليّ عليه السلام فضلاً وشرفاً ، لأنّه هو الذي أثكل امّهات بيته ، وضرب أقذلة أخيه وجدّه وخاله ، وأبناء بيته الساقط بسيفه البتّار ، وإلى هذا يومي قوله لطلحة : «فإنّك أقلّ قريش في قريش وترا» .

ومن كتاب له إلى مروان :

فإذا قرأتَ كتابي هذا فكن كالفهد ، لا يُصطاد إلاّ غيلةً ، ولا يتشازر إلاّ عن حيلة ، وكالثعلب لا يفلت إلا روغاناً ، واخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكفّ ، وامتهن[٤] نفسك إمتهان مَن ييأس القوم من نصره وانتصاره ، وابحث عن امورهم بحث الدجاجة عن حَبِّ الدخن عند فقاسها[٥] وأنغل[٦] الحجاز ، فإنّي مُنغل الشام ، والسّلام .

---

(١) راجع الجزء الثاني :ص٣٥٥

(٢) راجع ما مرّ في الجزء السابع : ص٢٢٩ - ٢٣٣ .

(٣) انظر الجزء الثاني : ص ٧٤ .

(٤) إمتهنه : إحتقره وابتذله .

(٥) فقس الطائر بيضه : كسرها وأخرج ما فيها .

(٦) نغل الأديم كفرح : فسد في الدباغ . أنغله : أفسده .

قال الأميني : هذه شنشنة معاوية منذ بلغه أمر الإمام عليه السلام ، وانعقاد البيعة له ، فوجد نفسه عند الامّة في معزل عن المشورة ، أو اعتضاد في رأي ، وأنَّ البيعة لاحقَته لا محالة ، فلم يجد منتدحاً عن إقلاق الأمر على صاحب البيعة الحقّة ، وأنْ يستدني منه أمانيَّه الخلّابة بتعكير الصفو له عليه السلام ، فطفق يفسد ما اطمأنّ إليه من الأمصار ، ويوعز في كتبه إلى إفساد الرأي ، وتفريق الكلمة ، وهو ضالّته المنشودة .

وإنْ تعجب فعجبٌ أخذه البيعة لطلحة والزبير ، واحداً بعد آخر . وقد ثبت في أعناقهما بيعة الإمام عليه السلام ، وكانت هذه البيعة إبّان ثبوت بيعتهما ، كما ينمُّ عنه نصُّ كتبه إليهما ، ثمَّ ومَن هو معاوية حتى يرشّح أحداً للخلافة بعد انعقاد الإجماع لخليفة الحقِّ ؟ ولم يكن هو من أهل الترشيح حتّى لو لم تنعقد البيعة المذكورة .

على أنَّ الغبيَّ لم يهتد إلى أنَّ أخذ البيعة لهما مستلزمٌ لنكثهما عن البيعة الاولى ، وما غناء إمام ناكث عن مناجح الامّة ومصالحها ، مع أنّهما ، على تقرير صحّة البيعة ، يكون كلٌّ منهما ثاني الخليفتين الذي يجب قتله بالنصوص الصحيحة الثابتة[١] ، فهل هناك خليفةٌ على المسلمين يجب إعدامه ؟ .

مناظراتٌ وكلمٌ

١ ـ قال أبو عمر في الإستيعاب[٢] كان عبد الرَّحمن بن غنم ـ الصحابي ـ من أفقه أهل الشام ، وهو الذي فقَّه عامَّة التابعين بالشام ، وكانت له جلالة وقدر ، وهو الذي عاتب أبا هريرة ، وأبا الدرداء بحمص ، إذا انصرفا من عند عليّ ، رضي الله عنه ، رسولين لمعاوية ، وكان ممّا قال لهما : عجباً منكما ، كيف جاز عليكما ما جئتما به ، تدعوان عليّاً إلى أنْ يجعلها شورى ، وقد علمتما أنّه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، وأهل الحجاز ، والعراق ، وإنَّ من رضيه خيرٌ ممَّن كرهه ، ومن بايعه خيرٌ ممَّن لم يبايعه ؟ وأيّ مدخل لمعاوية في الشورىٰ ، وهو من الطلقاء

---

(١) ترجمة عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري ج ٢ ص ٤٠٢ ، أُسد الغابة ج ٣ ص ٣١٨ .

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٥٤٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٣ .

الـذين لا تجـوز لهم الخـلافـة ؟ وهـو وأبـوه من رؤوس الأحــزاب . فنـدمــا على مسيرهمـا ، وتابـا منه بين يديه ، رحمة الله عليهم .

٢ ـ خـرج رجلٌ من أهـل الشـام ـ يـوم صفين ـ ينـادي بين الصفَّين : يـا أبـا الحسن ! يـاعلي أبـرز إليَّ . فخـرج إليـه عليٌّ حتى إذا اختلف عنقا دابتيهمــا بين الصفَّين فقال : يا عليّ إنَّ لك قِدماً في الإسلام وهجرة ، فهل لـك في أمر أعـرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء ، وتأخير هذه الحروب حتّى ترى من رأيك ؟ فقال لـه عـليٌّ : ومـاذاك؟ قـال : تـرجـع إلى عــراقـك ، فنخــلّي بينـك وبــين العـراق ، ونــرجـع إلى شـامنـا ، فتخـلّي بيننـا وبـين شـامنـا . فقـال لـه عـليٌّ : لقــد عـرفت إنّمــا عـرضت هــذا نصيحة وشفقة ، ولقـد أهمَّني هذا الأمـر ، وأسهرني ، وضربت أنفـه وعينه ، فلم أجـد إلاَّ القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ ،إنَّ الله ، تبـارك وتعــالىٰ ، لم يرض من أوليــائـه أن يُعصى في الأرض وهم سكـوتٌ مذعنـون ، لا يأمـرون بالمعـروف ، ولا ينهون عن المنكر ، فوجدت القتال أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنّم[1] .

٣ ـ قال عتبة بن أبي سفيان لجعدة بن هبيرة : يا جعدة ! إنّا والله مـا نزعم أنَّ معاوية أحقّ بالخلافة من عليّ ، لولا أمره في عثمان ، ولكنَّ معـاوية أحقّ بـالشام ، لرضا أهلها به ، فاعفوا لنا عنها ، فوالله ما بـالشام رجـلٌ به طـرقٌ إلاّ وهو أجـدّ من معـاوية في القتـال ، ولا بالعـراق مَن له مثـل جدِّ عليّ في الحـرب ، ونحن أطـوع لصاحبنا منكم لصاحبكم ، وما أقبح بعليّ أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس ، حتّى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب .

فقال جُعدة : أمّا فضل عليّ على معاوية فهذا ما لا يختلف فيـه إثنان ؛ وأمّـا رضاكم اليوم بالشام ، فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل ، وأمّا قولك : إنّه ليس بالشّام من رجل إلاّ وهو أجدّ من معاوية ، وليس بالعراق لرجل مثل جدّ عليّ ، فهكـذا ينبغي أن يكـون ، مضى بعلي يقينه ، وقصّـر بمعاويـة شكه ، وقصـدُ أهل الحقّ خيـرٌ من جهد أهل الباطل . الحديث .

[كتاب صفّين : ص ٥٢٩/ط مصر ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠١] .

٤ ـ من خطبة لعبـد الله بن بديـل الخزاعي يـوم صفين : إنَّ معاويـة ادَّعى ما

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء .

ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ليدحض به الحقَّ ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وزيّن لهم الضّلالة ، وزرع في قلوبهم حبّ الفتنة ، ولبّس عليهم الأمر وزادهم رجساً إلى رجسهم .

[تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩ ، كتاب صفين لابن مزاحم : ص ٢٦٣ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٢٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٣] .

٥ ـ من كلمة لعبد الله أيضاً يخاطب بها أمير المؤمنين عليه السلام :

يا أمير المؤمنين ! إنَّ القوم لو كانوا لله يريدون ، أو لله يعملون ، ما خالفونا ، ولكنَّ القوم إنّما يُقاتلون فراراً من الاسوة ، وحبّاً للأثرة ، وضنّاً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحنٍ في أنفسهم ، وعداوةٍ يجدونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم .

ثمّ التفت إلى الناس فقال : كيف يبايع معاوية عليّاً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة في موقف واحد ؟ والله ما أظنّ أنْ يفعلوا .

٦ ـ من خطبة ليزيد بن قيس الأرحبي بصفين : إنَّ هؤلاء القوم ما إنْ يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ، ولا على إحياء حقّ رأونا أمتناه ، ولا يقاتلوننا إلّا لهذه الدنيا ، ليكونوا فيها جبابرة وملوكاً . إلى آخر ما مرّ في (ص ٨٢) .

٧ ـ من كتاب لسعد بن أبي وقاص إلى معاوية :

أما بعد : فإنَّ أهل الشورى ليس منهم أحدٌ أحقَّ بها من صاحبه ، غير أنّ عليّاً كان من السابقة ، ولم يكن فينا ما فيه ، فشاركنا في محاسننا ، ولم نشاركه في محاسنه ، وكان أحقّنا كلّنا بالخلافة ، ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه ، حيث شاء لعلمه وقدره ، وقد علمنا أنّه أحقّ بها منّا ، ولكن لم يكن بدٌّ من الكلام في ذلك والتشاجر ، فدع ذا وأمّا أمرك يا معاوية ، فإنّه أمر كرهنا أوّله وآخره ، وأمّا طلحة والزبير ، فلو لزما بيعتهما لكان خيراً لهما ، والله تعالى يغفر لعائشة امّ المؤمنين (الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٦) .

٨ ـ من كتاب لمحمّد بن مسلمة إلى معاوية :

ولعمري يا معاوية ! ما طلبت إلّا الدنيا ، ولا اتّبعت إلّا الهوى ، ولئن كنت نصرت عثمان ميّتاً ، لقد خذلته حيّاً ، ونحن ومن قِبلنا من المهاجرين والأنصار ، أولى بالصّواب . [الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٧]

إلى كتابات وخطابات لجمع من صلحاء السّلف، يجدها الباحث مبثوثة في فصول هذا الجزء من كتابنا .

قال الأميني : هذه كلمات تامّات ممّن كانوا يرون معاوية ، ويشهدون أعماله ، وقد عرفوا نفسيّاته ومغازيه ، منذ عرفوه وثنيّاً ومستسلماً ، حتى وقفوا عليه من كثَب ، وقد تعالى به الوقت بل تسافل حتى طفق يطمع مثله في الخلافة الإسلاميّة ، وبينهما ذاك البون الشاسع ، وخلال الفضل التي تخلّى عنها ، والملكات الرذيلة الذي حاز شية عارها ، والبرهنة الناصعة التي أكفأته عنها بخفّي حُنين ، وهؤلاء وإن اختلفت كلماتهم ، لكنّها ترمي إلى مغزى واحد من عدم كفاءة الطاغية لما يرومه من إمرة المسلمين ، أو ما يتحرّاه من حكومة الشام خلافة مختزلة عن الخلافة الإسلاميّة الكبرى المنعقدة لأهلها يومئذٍ ، أو إنّه لا يتحرّى إلّا إمرة مغتصبة ، وما لها من مفعول أثرةً وثراءً ، أو إنّه منبعث عن ضغائن وإحن ممّا أصاب أهله وذويه من الإمام عليه السلام ، فقتّلوا تقتيلاً تحت راية الأوثان ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

ولم يكن لمعاوية وأصحابه مرمى غير الإسفاف إلى هذه الهوّات السّحيقة ممّا خفي على هؤلاء الحضور ، واستكشفه من بعدهم المهملجون وراء الحزب السفياني ، الحاملون ولاء ذلك البيت الساقط ، وأنت ترى أنّه لا يُقام في سوق الدين لشيء منها أيّ قيمة ، ولا تكون لها أيّ عبرة ، فدحضاً لدعوة الباطل ، وسحقاً لشره الإستعباد .

وكان ابن هند الجاهل بنفسه ـ والإنسان على نفسه بصيرة ـ يرى نفسه أحقّ بالخلافة من عمر كما جاء في ما أخرجه البخاري في (صحيحه)[1] عن عبدالله بن

(١) في كتاب المغازي ، (باب غزوة الخندق) ج ٦ ص ١٤١ .

عمر قال : دخلت على حفصة ونسوانها ، تنطف ، قلت : قد كان من أمر الناس ما ترين ، فلم يجعل لي من الأمر شيءٌ . فقالت : إلحق فإنّهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة . فلم تدعه حتى ذهب . فلمّا تفرّق الناس خطب معاوية [١] قال : مَن يُريد أن يتكلّم في هذا الأمر ، فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحقّ به منه ، ومن أبيه . قال خبيب بن مسلمة : فهلاّ أجبته ؟ قال عبدالله : فحللت حبوتي وهممت أن أقول : أحقّ بهذا الأمر منك مَن قاتلك وأباك على الإسلام . فخشيت أن أقول كلمة تفرِّق بين الجمع ، وتسفك الدم ، ويحمل عنّي غير ذلك ، فذكرت ما أعدّ الله في الجنان . قال خبيب : حُفظتَ وعُصمتَ ! .

أين كان ابن عمر عنّ هذه العَقليّة التي حُفظ بها وعُصم ، يوم تقاعس عن بَيعة أمير المؤمنين الإمام الحقّ ، بعد إجماع الأُمَّة المسلمة عليها ، ولم يخش أن يقول كلمة تفرِّق بين الجمع ، وتسفك الدم ؟ ففرّق الجمع ، وشقّ عصا المسلمين ، وسُفكت دماءٌ زكية ، والله من ورائهم حسيب .

ولم تكن الخلافة فحسب هي قصوى الغاية المتوخّاة لمعاوية ، بل ينبئنا التاريخ عن أنَّه لم يكُ يتحاشى عن أن يعرفه الناس بالرِّسالة ، ويقبلونه نبيّاً بعد نبيِّ العظمة .

روى ابن جرير الطبري بالإسناد : إنّ عمرو بن العاص أُوفد إلى معاوية ، ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : اُنظروا إذا دخلتم على ابن هند ، فلا تسلّموا عليه بالخلافة ، فإنّه أعظم لكم في عينه ، وصغّروه ما استطعتم ، فلمّا قدموا عليه ، قال معاوية لحجّابه : إنّي كأنّي أعرف ابن النابغة ، وقد صغّر أُمري عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد ، فتعتعوهم أشدّ تعتعة ، تقدرون عليها ، فلا يبلغني رجلٌ منهم إلاّ وقد همته نفسه بالتلف ، فكان أوّل من دخل عليه رجلٌ من أهل مصر يقال له : ابن الخياط ، فدخل وقد تعتع فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ! فتتابع القوم على ذلك، فلمّا خرجوا قال لهم عمرو : لعنكم الله نهيتكم أن

---

(١) قال ابن الجوزي : كان هذا في زمن معاوية لما أراد أن يجعل إبنه يزيد وليّ عهده . (راجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٣) .

تسلّموا عليه بالإمارة فسلّمتم عليه بالنبوّة[١] .

ولعلّ هذه الواقعة هي بذرة تلك النزعة الفاسدة التي كانت عند جمعٍ ممّن تولّى معاوية بعد وفاته . قال شمس الدين البناء المقدسي[٢] في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٣٩٩) وفي أهل اصفهان بلهٌ وغلوّ في معاوية ، ووُصف لي رجلٌ بالزهد والتعبّد ، فقصدته وتركت القافلة خلفي ، وبتّ عنده تلك الليلة ، وجعلت أُسائله إلى أن قلت : ما قولك في (الصّاحب)[٣] فجعل يلعنه ، ثمّ قال : إنّه أتانا بمذهب لا نعرفه . قلت وما هو؟ قال : يقول : معاوية لم يكن مرسلاً : قلت : وما تقول أنت ؟ قال : أقول كما قال الله عزّ وجلّ : **﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾** ، أبو بكر كان مرسلاً ، وعمر كان مرسلاً ، حتى ذكر الأربعة ثمَّ قال : ومعاوية كان مرسلاً . قلت : لا تفعل ، أمّا الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكاً ، وقال النبيُّ ﷺ : الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة ، ثمَّ تكون ملكاً . فجعل يشنّع عليَّ وأصبح يقول للناس : هذا رجلٌ رافضيٌّ ، فلو لم أُدرك القافلة لبطشوا بي ، ولهم في هذا الباب حكايات كثيرة .

هب أنَّ القوم أُخذت منهم الرهبة مأخذها، فلم يلتفتوا إلى ما يقولون ، لكن هذا الذي يدّعي الخلافة عن رسول الله بملكه العضوض ، هلّا كان عليه أنْ يردعهم عن ذلك التسليم المحظور ؟ أو يسكّن روعتهم ، فيرجعوا إلى حقِّ المقام ، لولا أنَّ معاوية لم يكن له في مبوّأه ذلك ضالة إلّا الحصول على الملوكيّة الغاشمة باسم الخلافة المغتصبة ؟ لأنّه لا يبلغ أُمنيّته إلّا بها ، فلا يبالي أسُلّم عليه بالربوبيّة ، أو الرّسالة ، أو إمرة المؤمنين ، وقد حاول إرغام ابن النابغة فيما توسّمه منه في مُقتبله ذلك ، فبلغ ما أراد ، فحالت نشوة الغلبة بينه وبين أن يجعل لأمره الإمر ، أو إمرته الخرقاء صورة محفوظة .

يأنس ابن هند بذلك الخطاب الباطل ، ولم يُشنّع على من يسلّم عليه

---

(١) راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٨٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٤٠ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي المولود سنة (٣٣٦هـ) ، والمتوفى نحو (٣٨٠هـ) .

(٣) هو الوزير الشيعي الوحيد الصاحب بن عباد المترجم له في الجزء الرابع : ص ٤٢/ط ٢ .

بالرّسالة ، غير أنّه لم يرقه أنْ يذكر نبيّ الإسلام بالرّسالة ، ويزريه بذكر إسمه ، وهو يعلم أنّ العظمة لا تُفارقه ، والرّسالة تلازمه ، ذكر الحفّاظ من محاورة جرت بين معاوية وبين أمد بن أبد الحضرمي[١] أنَّ معاوية قال : أرأيت هاشماً ؟ قال : نعم والله طوالاً حسن الوجه يقال : إنّ بين عينيه بركة . قال : فهل رأيت أُميّة ؟ قال نعم رأيته رجلاً قصيراً أعمى يقال : إنّ في وجهه شرّاً أو شؤماً . قال : أفرأيت محمّداً ؟ قال : ومَن محمّدٌ ؟ قال : رسول الله . قال : أفلا فخمت كما فخمه الله ، فقلت : رسول الله ؟[٢] .

التحكيم لماذا ؟

إنَّ آخر بذرة بذرها ابن النابغة لخلافة معاوية المرومة منذ بدء الأمر ، وإنْ تستّر بها آونة على الأغبياء ، وتترّس بطلب دم عثمان دون نيل الأُمنيَّة بين القوم آونة أُخرى ، حين سولت له نفسه أنْ يستحوذ على إمرة المسلمين بالدسائس ، فأوّل تلكم البذرة أو القنطرة الأُولى الطلب بدم عثمان ، وفي آخر الحيل الدعوة إلى تحكيم كتاب الله واستقضائه في الواقعة ، بعدما نبذوه وراء ظهورهم ، وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يدعوهم ـ منذ أوّل ظهور الخلاف بينه وبين ابن هند ، ومنذ نشوب الحرب الطاحنة[٣] ـ إلى التحكيم الصحيح الذي لا يعدو ، محكمات القرآن ونصوصه ، لولا أنَّ ابن النابغة وصاحبه يُسيّران على الأُمّة غدراً ومكراً ، وعلى إمام الحقِّ خيانة وظلماً ، غيرما يتظاهران به من تحكيم الكتاب ، فوقع هنالك ما وقع من لوائح الفتنة ، ومظاهر العدوان ، بين دهاء ابن العاصي وحماريّة الأشعري ، بين قول أبي موسى لابن العاصي : لا وفّقك الله غدرت وفجرت[٤] ، إنّما مثَلك كمثل الكلب ، إنْ تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، وبين قول ابن العاصي

---

(١) أحد المعمرين قد أتى عليه من السن يوم إستقدمه معاوية ستون وثلاثمائة سنة ، ترجمه ابن عساكر في تاريخ الشام ، ومترجمو الصحابة ، في معاجمهم .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص١٠٣ ، أُسد الغابة ج ١ ص ١١٥ .

(٣) راجع ما أسلفناه في هذا الجزء : صفحة ٣٢٨ .

(٤) وفي لفظ ابن قتيبة : «مالك ؟ عليك لعنة الله ، ما أنت الا كمثل الكلب» . وفي لفظ ابن عبد ربه : «لعنك الله ، فإن مثلك كمثل الكلب» .

لأبي موسى : وإنّك مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً[١] فوئد الحقّ ، وأُودي بالحقيقة ، بين شيطان وغبيّ ، فكان من المتسالم عليه بين الفريقين أنّ الخلافة هي المتوخّاة لكلّ منهما ، ولذلك انعقد التحكيم ، وبه كان يلهج خطباء العراق وأمرائهم عند النصح للأشعري ، وزبانية الشّام المنحازة عن ضوء الحقّ ، وبلج الإصلاح . فمن قول ابن عبّاس للأشعري :

إنّه قد ضُمَّ إليك داهية العرب ، وليس في معاوية خَلّة يستحقُّ بها الخلافة ، فإنْ تقذف بحقّك على باطله ، تُدرك حاجتك منه ، وإنْ يطمع بباطلُه في حقّك ، يُدرك حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى ! أنَّ معاوية طليق الإسلام ، وأنّ أباه رأس الأحزاب ، وأنّه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة ، فإن زعم لك أنَّ عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق ، استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ، ويوجره[٢] ما يكره ، ثمّ استعمله عثمان برأي عمر ، وما أكثر من استعملا ممّن لم يدّع الخلافة ، واعلم أنَّ لعمرو مع كلّ شيء يسرّك خبأً يسوؤك ، ومهما نسيت فلا تنس أنَّ عليّاً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنّها بيعة هدى ، وأنّه لم يقاتل إلّا العاصين والناكثين .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٥]

ومن قول الأحنف بن قيس له : أُدع القوم إلى طاعة عليّ . فإنْ أَبوا فادعهم أنْ يختار أهل الشّام من قريش العراق من أحبّوا ، ويختار من قريش الشّام من أحبّوا[٣] .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٥ ، كتاب صفين : ص ٦٢٨/ط مصر ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٩١ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٠ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢ ، كامل الأثير ج ٣ ص ١٤٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٨ .

(٢) وجره الدواء أو جره إيّاه : جعله في فيه . أوجره الرمح : طعنه. ووجره : أسمعه ما يكره .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٩ ، وفي ط : ص ١١٢ ، نهاية الأرب ج ٧ ص ٢٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٦ .

ومن قول شريح بن هانىء للأشعري : إنّه لا بقاء لأهل العراق إنْ ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إنْ ملكهم عليّ ، فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الأمر حقّاً ، وقد كانت منك تثبيطة أيّام الكوفة والجمل ، فإنْ تشفعها بمثلها ، يكن الظنُّ بك يقيناً ، والرجاء منك يأساً ، ثمّ قال :

أبا موسى رُميت بشرٍّ خصم ... فلا تُضع العراق فدتك نفسي
وأعط الحقَّ شامهم ، وخذه ، ... فإنَّ اليوم في مَهَل كأمس
وإنَّ غداً يجيء بما عليه ... كذاك الدهر من سعدٍ ، ونحسٍ
ولا يخدعك عمرو ، إنَّ عمراً ... عدوُّ الله مطلع كلِّ شمسٍ
له خُدعٌ يحار العقل منها ... مموّهة مزخرفة بلبسٍ
فلا تجعل معاوية بن حرب ... كشيخٍ في الحوادث غير نكسٍ
هداه اللّه للإسلام فردا ... سوى عِرس النبيِّ ، وأيّ عرسٍ (١) ؟

ومن قول معاوية لعمرو بن العاص : إنْ خوّفك العراق فخوِّفه بالشام ، وإنْ خوّفك مصر فخوِّفه باليمن ، وإن خوّفك عليّاً فخوّفه بمعاوية .

ومن جواب عمرو بن العاص لمعاوية : أرأيت إن ذكر عليّاً ، وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ، ما أقول ؟ فقال معاوية : قل ما تريد وترى .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٩ ، وفي ط : ١١٣]

قال الأميني : هذه صفة الحال ، ومُصاص الحقيقة ، من نوايا أهل العراق ، وأهل الشّام ، من طلب كلّ منهما الخلافة ، وإثباتها لصاحبه ، ودونه تحقّق الخلع والتثبيت ، وعليه وقع التحكيم حقّاً أو باطلاً ، ولم يكن السّامع يجد هنالك قطّ من دم عثمان ركزاً ، ولا عن ثاراته ذكراً ، وإنّما تطامنت النفوس على تحرّي الخلافة

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٩ ، وفي ط : ص ١١٣ ، كتاب صفّين ص ٦١٤ ، ٦١٥/ط مصر . شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٥ .

فحسب ، ولقصر النزاع على الخلافة مُحيت إمرة المؤمنين عند ذكر إسم مولانا الإمام عليه السلام ، عن صحيفة الصلح .

فلقد تمخّضت لك صورة الواقع من أُمنيّة معاوية الباطلة في كلّ من هذه العناوين الستّة المذكورة المدرجة تحت :

١ ـ حديث الوفود .

٢ ـ أنباء في طيّات الكتب .

٣ ـ تصريحٌ لا تلويح .

٤ ـ فِكرة معاوية لها قِدم .

٥ ـ مناظرات وكلم .

٦ ـ التحكيم لماذا .

فأين يقع منها كلمة ابن حجر ، وحكمه الباتّ، بقصر النزاع بين الإمام عليه السلام وبين ابن هند ، على طلب ثارات عثمان ، لا الخلافة ؟ لتبرير عمل الرّجل الوبيل الذي قتل به ما يناهز السبعين ألفاً ، ضحيّة لشهواته ومطامعه ، وهو يحسب أنّه لا يوافيه مناقشٌ في الحساب ، أو ناظرٌ إلى صفحات التاريخ نظر تنقيب وإمعان ، وكأنّه لا يخجل إن جاثاه منقّبٌ ، أو واقفه مجادلٌ ، كما أنّه لا يتحاشى عن موقف الحساب يوم القيامة ، وإنَّ الله سبحانه لبالمرصاد .

ونختم البحث بكلمة الباقلاني ، قال في (التمهيد ص ٢٣١) : إنّ عقد الإمامة لرجل على أن يقتل الجماعة بالواحد ، لا محالة خطأ لا يجوز ، لأنّه متعبّد في ذلك بإجتهاده والعمل على رأيه ، وقد يؤدّي الإمام إجتهاده إلى أن لا يقتل الجماعة بالواحد ، وذلك رأي كثير من الفقهاء ، وقد يكون ممّن يرى ذلك ، ثمَّ يرجع عنه إلى إجتهاد ثان ، فعقد الأمر له على ألاّ يقيم الحدّ إلاّ على مذهب من مذاهب المسلمين مخصوصٍ ، فاسدٌ باطلٌ ممّن عقده ، ورضي به .

وعلى أنه إذا ثبت أن علياً ممّن يرى قتل الجماعة بالواحد ، لم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلّا بأن تقوم البيِّنة على القتلة بأعيانهم ، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه يطالبوا بدم أبيهم ووليّهم ، ولا يكونوا في حكم مَن يعتقد أنّهم بغاةٌ عليه ، وممّن لا يجب استخراج حقّ لهم، دون أنْ يدخلوا في الطاعة ، ويرجعوا عن البغي وبأن يؤدّي الإمام اجتهاده إلى أنّ قتل قتلة عثمان لا يؤدّي إلى هرجٍ عظيم ، وفساد شديد ، قد يكون فيه مثل قتل عثمان ، أو أعظم منه ، وانَّ تأخير إقامة الحدّ إلى وقت إمكانه ، وتقصّي الحقِّ فيه ، أولى وأصلح للامّة ، وألمُّ لشعثهم ، وأنفى للفساد والتهمة عنهم .

هذه امور كلّها تلزم الإمام في إقامة الحدود ، واستخراج الحقوق ، وليس لأحد أنْ يعقد الإمامة لرجل من المسلمين بشريطة تعجيل إقامة حدّ من حدود الله ، والعمل فيه برأي الرعيّة ، ولا للمعقود له أن يدخل في الإمامة بهذا الشرط ، فوجب اطّراح هذه الرواية[1] لو صحّت ، ولو كانا قد بايعا على هذه الشريطة ، فقبل هو ذلك ، لكان هذا خطأ منهم ، غير أنّه لم يكن بقادح في صحّة إمامته ، لأنّ العقد له قد تقدّم هذا العقد الثاني ، وهذه الشريطة لا معتبر بها ، لأنّ الغلط في هذا من الإمام الثابتة إمامته ليس بفسق يوجب خلعه وسقوط فرض طاعته عند أحد . الكلام .

حججٌ داحضةٌ

إسترسل ابن حجر في تدعيم ما منّته به هواجسه ، إقتصاصاً منه أثر سلفه ، في تبرير أعمال معاوية القاسية، والإعتذار عنه بما ركبه من الموبقات ، وتصحيح خلافته بإسهاب في القول ، وتطويل من غير طائل في (الصواعق ص ١٢٩ ـ ١٣١) بما تنتهي خلاصة ما لفّقه إلى أمرين :

---

(١) يعني ما روي عن طلحة ، والزبير ، من قولهما : بايعناك على أن تقتل قتلة عثمان .

أحدهما القول باجتهاده في جملة ما ناء به وباء بإثمه ، من حروب دامية ، ونزاع مع خليفة الوقت ، إلى ما يستتبعانه من مخاريق ومرديات من إزهاق نفوس بريئة تعدُّ بالآلاف المؤلّفة(١) ، وفيهم ثلاثمائة ونيف من أهل بيعة الشجرة ، وجماعة من البدريِّين(٢) ولفيف من المهاجرين والأنصار ، وعدد لا يستهان به من الصحابة العدول ، أو التّابعين لهم بإحسان ، وهو يحسب أنَّ شيئاً من هذه التلفيقات يبرّر ما حظرته الشريعة في نصوصها الجليّة من الكتاب والسنّة ، وأنّ الإجتهاد المزعوم نسق حول معاوية سياجاً ، دون أنْ يلحقه أيُّ حوب كبير ، وأسدل عليه ستاراً عمّا اقترفه من ذنوب وآثام تجاه النصوص النبويّة ، ولم يعلم أنّه لا قيمة لاجتهاد هذا شأنه ، يتجهّم أمام النصّ ، ويتهجّم على أحكام الدين الباتّة ، وطقوسه النهائيّة ، بلغ الرّجل أنَّ الإجتهاد جائز على الضدِّ من اجتهاد المجتهدين ، وما تعقّل أنّه غير جائز على خلاف الله ورسوله .

وقصارى القول إنّه ليس عند ابن حجر ومن سبقه إلى قوله ، أو لحقه به(٣) ، ضابطٌ للإجتهاد يتمُّ طرده وعكسه ، وإنّما يُمطّط مع الشهوات والأهواء ، فيُعذَر به خالد بن الوليد في فجائع بني حنيفة ، ومالك بن نويرة شيخها الصالح وزعيمها المبرور ، وفضائحه من قتل الأبرياء ، والدخول على حليلة الموؤود غيلةً وخدعة(٤) .

ويُعذَّر به ابن ملجم(٥) المرادي ، أشقى الآخرين ، بنصّ الرّسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم

(١) قال ابن مزاحم : اصيب بصفين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، وأُصيب بها من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . (كتاب صفين : ص ٦٤٣) ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٧٤ ، وقال : قاله غير واحد ، وزاد أبو الحسن بن البراء : «وكان في أهل العراق خمسة وعشرون بدريّا» . وعلى ما ذكر من عدد القتلى ذكره ابن الشحنة في (روضة المناظر) هامش الكامل ج ٣ ص ١٩١ ، وصاحب تاريخ الخميس في ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٢) راجع ما مرّ في الجزء التاسع : ص ٤٠٥

(٣) نظراء الشيخ علي القاري ، والخفاجي في شرحي الشفا ج ٣ ص ١٦٦ .

(٤) راجع الجزء السابع : ص ١٨١ ـ ١٩٤

(٥) راجع الجزء الأول : ص ٣٧٧

على ما انتهكه من حرمة الإسلام ، وقتل خليفة الحقّ ، وإمام الهدى ، في محراب طاعة الله الذي اكتنفته الفضائل ، والفواضل ، من شتّى نواحيه ، واحتفّت به النفسيّات الكريمة جمعاء ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قاله ، من كثير طيّب ، عداه الحصر ، وكبى عنه الإستقصاء ، وهو قبل هذه كلّها نفس النبيّ الطاهرة في الذكر الحكيم .

قال محمد بن جرير الطبري في التهذيب : أهل السير لا ندافع عنهم إنّ عليّاً أمر بقتل قاتله قصاصاً ، ونهى أن يمثل به ، ولا خلاف بين أحد من الامّة أنّ ابن ملجم قتل عليّاً متأوّلاً مجتهداً ، مقدّراً على أنّه على صواب ، وفي ذلك يقول عمران بن حطّان :

يا ضربةً من تقيّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي أفكّر فيه ، ثمّ أحسبه ... أوفى البريّة عند اللّه ميزانا

[سنن البيهقي ج ٨ ص ٥٨ ، ٥٩]

ويبرّر به عمل أبي الغادية[١] الفزاري قاتل عمّار ، الممدوح على لسان الله ، ولسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الصحيح الثابت قوله صلى الله عليه وآله وسلم له : «تقتلك الفئة الباغية» . وقد مرّ في (ج ٩ ص ٣٩) ويبرّأ به ساحة عمرو بن العاص[٢] عن وصمة مكيدة التحكيم ، وقد خان فيها امّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكسر شوكتها ، وقد قال مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فيه وفي صاحبه الشيخ المخرف :

«ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين ، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، واتّبع كلّ واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير حجّة بيّنة ، ولا سنّة ماضية ، واختلفا في حكمهما ، وكلاهما

---

(١) راجع الجزء الخامس : ص ٤٢٨
(٢) راجع تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٨٣ .

لم يرشد ، فبرىء الله منهما ، ورسوله ، وصالح المؤمنين» .

ويُحبَّذ به ما ارتكبه يزيد الطاغية[١] من البوائق والطامّات ، من استئصال شأفة النبوّة ، وقتل ذراريها ، وسبي عقائلها ، التي لم تُبق للباحث عن صحيفة حياته السوداء إلاّ أنْ يلعنه ويتبرّأ منه .

ويقدَّس به أذيال المتقاعدين[٢] عن بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، على حين اجتماع شروط البيعة الواجبة له ، فماتوا ميتة جاهليَّة ، ولم يعرفوا إمام زمانهم .

وينزَّه به السابقون الذين أوعزنا إلى سقطاتهم في الدين والشريعة في (الجزء ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) بأعذار عنهم لا تقلّ في الشناعة عن جرائرهم . إلى أمثال هذه ممّا لا يُحصى .

نعم : هناك موارد جمَّة ينبو عنها الإجتهاد ، فلا يُصاخُ إلى مفعوله ، لوقوف الميول والشهوات سدّاً دون ذلك ، فلا يدرأبه التهمة عن المؤلِّبين على عثمان ، وهم عدول الصحابة ، ووجوه المهاجرين والأنصار ، وأعيان المجتهدين ، الذين أخذوا الكتاب والسنَّة من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم عند ابن حزم المبرِّر لفتكة أشقى مراد بإجتهاده المشوم : فسّاق ملعونون ، محاربون ، سافكون دماً حراماً عمداً[٣] ، وعند ابن تيميَّة : قومٌ خوارج مفسدون في الأرض ، لم يقتله إلاّ طائفةٌ قليلةٌ باغيةٌ ظالمةٌ ، وأمّا السّاعون في قتله فكلّهم مخطئون بل ظالمون باغون معتدون[٤] وعند ابن كثير : أجلافٌ أخلاطٌ من الناس ، لا شكّ أنّهم من جملة المفسدين في الأرض ، بغاة خارجون على الإمام ، جهلةٌ متعنّتون خونةٌ ظلمةٌ مفترون[٥] وعند ابن حجر : بغاةٌ كاذبون ملعونون معترضون لا فهم لهم ، بل ولا

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣ ، ج ١٣ ص ١٠ فيه قول أبي الخير القزويني : إنه إمام مجتهد .

(٢) راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٥ ـ ١١٨ .

(٣) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٦١ .

(٤) منهاج السنة ج ٣ ص ١٨٩ ، ٢٠٦ .

(٥) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

عقل[1].

ولو كان للإجتهاد منتوجٌ مقرّر، فلِمَ لم يُتَّبع في إرجاء أمير المؤمنين عليه السلام أمر المتَّهمين بقتل عثمان إلى ما يراه من المصلحة، فينتصب للقضاء فيه على ما يقتضيه الكتاب والسنّة فشنّت عليه الغارات يوم الجمل، وفي واقعة صفّين، وكان من ذيولها وقعة الحروريِّين، فلم يُتَّبع اجتهاد خليفة الوقت الذي هو باب مدينة علم النبيّ، وأقضى الامَّة بنصّ من الصّادق المصدَّق، لكنّما اتّبع اجتهاد عثمان في العفو عن عبيد الله بن عمر في قتله لهرمزان، وبنت أبي لؤلؤة، وإهدار ذلك الدم المحرّم من غير أيّ حجّة قاطعة، أو برهنة صحيحة، فلو كان للخليفة مثل ذلك العفو، فلِمَ لم يجر حكمه في الآوين إلى مولانا أمير المؤمنين، من المتجمهرين على عثمان؟ ولم يكن يومئذ من المقطوع به ما سوف يقضي به الإمام من حكمه الباتّ، أيُعطي دية المقتول من بيت المال لأنَّه أُودي به بين جمهرة المسلمين، لا يُعرف قاتله كما فعله في أربد الفزاري[2]، أو أنَّه يراهم من المجتهدين «وكانوا كذلك» الّذين تأوّلوا أصابوا أو أخطأوا، أو أنّه كان يرى من صالح الخلافة، واستقرار عروشها، أن يرجىء أمرهم إلى ما وراء ما انتابه من المثلات، وما هنالك من إرجاف وتعكير، يُقلقان السّلام والوئام، حتّى يتمكّن من الحصول على تدعيم عرش إمرته الحقَّة المشروعة، فعلى أيّ من هذه الأقضية الصحيحة كان ينوء الإمام عليه السلام به، فلا حرج عليه ولا تثريب، لكن سيف البغي الذي شهروه في وجهه، أبى للقوم إلّا أن يتّبع الحقّ أهواءَهم، وماذا نقموا عليه، صلوات الله عليه، من تلكم المحتملات! حتّى يسوغ لهم إلقاح الحرب الزبون التي من جرّائها تطايرت الرؤوس، وتساقطت الأيدي، وأُزهقت نفوس بريئة، وأُريقت دماءٌ محترمة، فبأيّ اجتهاد بادروا إلى الفرقة، وتحملوا أوزارها، ولم تتجلّ لهم حقيقة الأمر، ولباب الحقّ، لكنّهم ابتغوا الفتنة، وقلّبوا له الامور، ألا في الفتنة سقطوا.

---

(١) الصواعق المحرقة: ص ٦٧، ٦٨، ١٢٩.

(٢) راجع كتاب صفين: ص ١٠٦، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٧٩.

ومن أعجب ما يتراءى من مفعول الإجتهاد في القرون الخالية : أنّه يبيح سبَّ عليّ أمير المؤمنين ، وسبَّ كلِّ صحابيّ احتذى مثاله ، ويجوِّز لأيِّ أحد كيف شاء وأراد لعنهم ، والوقيعة فيهم ، والنيل منهم ، في خطب الصَّلوات ، والجمعات والجماعات ، وعلى صهوات المنابر ، والقنوت بها ، والإعلان بذلك في الأندية والمجتمعات ، والخلأ والملأ ، ولا يلحق لفاعلها ذمٌ ولا تبعةٌ ، بل له أجرٌ واحد لإجتهاده خطأ ، وإنْ كان هو من حثالة الناس ، وسفلة الأعراب ، وبقايا الأحزاب ، البعداء عن العلوم والمعارف .

وأمّا عليٌّ وشيعته فلا حقَّ لهم في بيان ظلامتهم عند مناوئيهم ، والوقيعة في خصمائهم ، ومبلغ إسفافهم إلى هوَّة الضلالة على حدِّ قوله تعالى **﴿لا يحبُّ الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم﴾**(١) وليس لأحدهم في الإجتهاد في ذلك كلِّه نصيبٌ ، ولو كان ضليعاً في العلوم كلّها ، فإن أحدٌ منهم نال من إنسان من أُولئك الظالمين فمن الحقِّ ضربه وتأديبه ، أو تعذيبه وإقصاؤه ، أو التنكيل به وقتله ، ولا يأبه باجتهاده المؤدِّي إلى ذلك صواباً أو خطأ ، وعلى هذا عمل القوم منذ أوّل يوم أسّس أساس الظلم والجور ، وهلم جرّاً حتى اليوم الحاضر . راجع معاجم السيرة والتاريخ فإنّها نعم الحكم الفصل ، وبين يديك كلمة ابن حجر في (الصواعق ص ١٣٢) قال في لعن معاوية : وأمّا ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبِّه ولعنه ، فله فيه أُسوةٌ بالشيخين ، وعثمان ، وأكثر الصحابة ، فلا يُلتفت لذلك ، ولا يُعوَّل عليه ، فإنّه لم يصدر إلاّ من قوم حمقى ، جهلاء ، أغبياء ، طغاة ، لا يبالي الله بهم في أيِّ وادٍ هلكوا ، فلعنهم الله ، وخذلهم ، أقبح اللعنة والخذلان ، وأقام على رؤوسهم من سيوف أهل السنَّة ، وفي حججهم المؤيَّدة بأوضح الدلائل والبرهان ، ما يقمعهم عن الخوض في تنقيص اولئك الأئمَّة الأعيان . (انتهى) .

أتعلم مَن لعن ابن حجر ؟ وإلى مَن تتوجه هذه القوارص ؟ انظر إلى حديث لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاوية ، وأحاديث لعن عليّ أمير المؤمنين ، وقنوته بذلك في صلواته ، ولعن ابن عبّاس ، وعمّار ، ومحمد بن أبي بكر ، ودعاء امّ المؤمنين

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١٤٨ .

عائشة عليه في دبر الصلاة ، وآخرين من الصحابة ، إقرأ واحكم .

الإجتهاد ماذا هو ؟

وممّا يجب أنْ يبحث عنه في المقام هو أنْ يفهم معنى الإجتهاد الذي توسّعوا فيه حتّى سُفكت الدماء من أجله وأُبيحت ، وغصبت الفروج، وانتهكت المحارم ، وغُيّرت الأحكام من جرّائه ، وكاد أن يكون توسّعهم فيه أن يردَّ الشريعة بدءاً إلى عقب ، ويفصم عروة الدين، ويقطع حبله .

ثمَّ لننظر هل فيه من الإستعداد والمنّة لتبديل السنن المتّبعة التي لا تبديل لها ؟ وهل هو من مِنَح الله سبحانه على رعاء الناس ودهمائهم ، فيتقحّمونه كيف شاء لهم الهوى ؟ أو أنَّ له أُصولاً متّبعة لا يعدوها المجتهد من كتاب وسُنّة ، أو تأوّل صحيح إن ماشينا القوم في إمضاء الإجتهاد تجاه النصِّ ، أو انّه اتسعت الفَسحة فيه ، وأُطلق الصراح حتّى نزى إليه كلُّ أرنب وثعلب ، وتحرّاه كلُّ بوّال على عقبيه ، أو أعرابيٌّ جلفٌ جافٍ؟ أنا لا أكاد أن أُسوِّغ للعلماء القول بتصحيح مثل هذا الإجتهاد . وإنّما المتسالم عليه بينهم ما يلي :

قال الآمدي في (الإحكام في اصول الأحكام ج ٤ ص ٢١٨) : أمّا الإجتهاد ، فهو في اللغة عبارةٌ عن استفراغ الوسع في تحقيق أمر من الامور ، مستلزم للكلفة والمشقّة ، ولهذا يُقال : إجتهد فلانٌ في حمل حجر البزّارة ، ولا يُقال : إجتهد في حمل خردلة .

وأمّا في اصطلاح الاصوليّين فمخصوصٌ باستفراغ الوسع في طلب الظنِّ بشيء من الأحكام الشرعيّة ، على وجه يُحسّ من النفس العجز عن المزيد فيه .

وأمّا المجتهد فكلُّ من اتّصف بصفة الاجتهاد ، وله شرطان :

الشرط الأوّل : أنْ يعلم وجود الربِّ تعالى ، وما يجب له من الصفات ، ويستحقّه من الكمالات ، وأنّه واجب الوجود لذاته ، حيٌّ ، عالمٌ ، قادرٌ ، مريدٌ ، متكلّم ، حتى يتصوّر منه التكليف ، وأن يكون مصدِّقاً بالرسول ، وما جاء به من الشرع المنقول ، بما ظهر على يده من المعجزات ، والآيات الباهرات ، ليكون

فيما يسنده إليه من الأحكام محقّقاً ، ولا يشترط أنْ يكون عارفاً بدقائق علم الكلام ، متبحّراً فيه كالمشاهير من المتكلّمين ، بل أنْ يكون مستند علمه في ذلك بالدليل المفصَّل ، بحيث يكون قادراً على تقريره ، وتحريره ، ودفع الشبَه عنه ، كالجاري من عادة الفحول من أهل الاصول ، بل أَن يكون عالماً بأدلّة هذه الامور من جهة الجملة ، لا من جهة التفصيل .

الشرط الثاني : أن يكون عالماً عارفاً بمدارك الأحكام الشرعيّة وأقسامها ، وطرق إثباتها ، ووجوه دلالاتها على مدلولاتها ، واختلاف مراتبها ، والشروط المعتبرة فيها، على ما بيّناه ، وأَنْ يعرف جهات ترجيحها عند تعارضها ، وكيفيّة استثمار الأحكام منها ، قادراً على تحريرها وتقريرها ، والإنفصال عن الإعتراضات الواردة عليها ، وإنّما يتمُّ ذلك بأن يكون عارفاً بالرُّواة وطرق الجرح والتعديل ، والصحيح والسقيم ، كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وأن يكون عارفاً بأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ في النّصوص الأحكاميّة ، عالماً باللغة والنحو ، ولا يشترط أن يكون في اللغة كالأصمعي ، وفي النحو كسيبويه ، والخليل ، بل أن يكون قد حصل من ذلك على ما يُعرف به أوضاع العرب ، والجاري من عاداتهم في المخاطبات ، بحيث يميز بين دلالات الألفاظ من المطابقة ، والتضمين ، والإلتزام ، والمفرد والمركب ، والكليّ منها والجزئيّ ، والحقيقة والمجاز ، والتواطؤ والإشتراك ، والترادف والتباين ، والنصّ والظاهر ، والعامّ والخاصّ ، والمطلق والمقيَّد ، والمنطوق والمفهوم ، والإقتضاء والإشارة ، والتنبيه والإيماء ، ونحو ذلك ممّا فصّلناه . ويتوقّف عليه استثمار الحكم من دليله .

وذلك كلّه أيضاً إنّما يُشترط في حقّ المجتهد المطلق المتصدّي للحكم والفتوى، في جميع مسائل الفقه ، وأمّا الإجتهاد في حكم بعض المسائل، فيكفي فيه أنْ يكون عارفاً بما يتعلّق بتلك المسألة ، وما لا بدَّ منه فيها ، ولا يضرُّه في ذلك جهله بما لا تعلّق له بها ، ممّا يتعلّق بباقي المسائل الفقهيّة ، كما أنَّ المجتهد المطلق قد يكون مجتهداً في المسائل المتكثّرة ، بالغاً رتبة الإجتهاد فيها ، وإنْ كان جاهلاً ببعض المسائل الخارجة عنها ، فإنّه ليس من شرط المفتي أنْ يكون عالماً بجميع أحكام المسائل ومداركها ، فإنَّ ذلك ممّا لا يدخل تحت وسع البشر ، ولهذا نُقل

عن مالك أنّه سُئل عن أربعين مسألة ، فقال في ستٍّ وثلاثين منها : لا أدري .

وأمّا ما فيه الإجتهاد : فما كان من الأحكام الشرعيّة دليله ظنّياً . فقولنا «من الأحكام الشرعيّة» تمييز له عمّا كان من القضايا العقليّة ، واللّغويّة ، وغيرها . وقولنا «دليله ظنيّاً» تمييز له عمّا كان دليله منها قطعيّاً ، كالعبادات الخمس ونحوها ، فإنّها ليست محلاًّ للإجتهاد فيها ، لأنّ المخطىء فيها يُعد آثماً ، والمسائل الإجتهاديّة ما لا يُعدُّ المخطىء فيها باجتهاده آثماً . (اهـ) .

وقال الشاطبي في (الموافقات ج ٤ ص ٨٩) ما ملخّصه : الإجتهاد على ضربين :

الأوّل : الإجتهاد المتعلّق بتحقيق المناط ، وهو الذي لا خلاف بين الامّة في قبوله ، ومعناه أن يثبت الحكم بمدركه الشرعيِّ لكن يبقى النظر في تعيين محلّه .

فلا بدَّ من هذا الإجتهاد في كلِّ زمان ، إذ لا يمكن حصول التكليف إلاّ به ، فلو فرض التكليف مع إمكان ارتفاع هذا الإجتهاد لكان تكليفاً بالمحال ، وهو غَير ممكن شرعاً ، كما أنّه غير ممكن عقلاً .

وأمّا الضرب الثاني : وهو الإجتهاد الذي يمكن أنْ ينقطع فثلاثة أنواع :

أحدها : المسمّى بتنقيح المناط ، وذلك أن يكون الوصف المعتبر في الحكم مذكوراً مع غيره في النصِّ فينقّح بالإجتهاد حتى يميّز ما هو معتبرٌ ممّا هو ملغى .

الثاني : المسمّى بتخريج المناط ، وهو راجعٌ إلى أنَّ النصَّ الدالّ على الحكم لم يتعرّض للمناط ، فكأنّه أُخرج بالبحث ، وهو الإجتهاد القياسي .

الثالث : وهو نوعٌ من تحقيق المناط المتقدّم الذكر لأنّه ضربان : أحدهما ما يرجع إلى الأنواع لا إلى الأشخاص ، كتعيّن نوع المثل في جزاء الصيد ، ونوع الرقبة في العتق في الكفّارات ، وما أشبه ذلك . والضرب الثاني : ما يرجع إلى تحقيق مناط فيما تحقّق مناط حكمه ، فكأنَّ المناط على قسمين : تحقيق عامّ ،

وهو ما ذكر . وتحقيق خاصّ من ذلك العامّ .

إنّما تحصل درجة الإجتهاد لمن اتّصف بوصفين : **أحدهما** : فهم مقاصد الشّريعة على كمالها . **والثاني** : التمكّن من الإستنباط بناء على فهمه فيها .

أما الأوّل فقد مرَّ في كتاب المقاصد أنّ الشريعة مبنيَّةٌ على اعتبار المصالح ، وأنَّ المصالح إنّما اعتبرت من حيث وضعها الشّارع كذلك ، لا من حيث إدراك المكلّف إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات ، واستقرَّ الإستقراء التامّ انّ المصالح على ثلاث مراتب ، فإذا بلغ الإنسان مبلغاً ، فهم عن الشارع فيه قصده في كلِّ مسألة من مسائل الشريعة ، وفي كلِّ باب من أبوابها ، فقد حصل له وصفٌ هو السبب في تنزّله منزلة الخليفة للنبيّ ﷺ في التعليم ، والفتيا ، والحكم بما أراه الله .

وأمّا الثاني : فهو كالخادم للأوّل ، فإنّ التمكّن من ذلك ، إنّما هو بواسطة معارف محتاج إليها في فهم الشريعة أوّلاً ، ومن هنا كان خادماً للأوَّل ، وفي استنباط الأحكام ثانياً ، لكن لا تظهر ثمرة الفهم إلّا في الإستنباط. فلذلك جعل شرطاً ثانياً ، وإنَّما كان الأوّل هو السبب في بلوغ هذه المرتبة ، لأنّه المقصود ، والثاني وسيلة .

هذا هو الإجتهاد عند الاصوليّين وأمّا الفقهاء فهو عندهم مرتبةٌ راقيةٌ من الفقه يقتدر بها الفقيه على ردِّ الفرع إلى الأصل ، واستنباطه منه ، والتمكّن من دفع ما يعترض المقام من نقدٍ وردّ ، وإبرامٍ ونقض ، وشُبهٍ وأوهام .

قال الآمدي في (الإحكام ج ١ ص ٧) : الفقه في عرف المتشرّعين مخصوصٌ بالعلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعيّة الفروعيَّة بالنظر والاستدلال .

وقال ابن نجيم في (البحر الرائق ج ١ ص ٣) : الفقه اصطلاحاً على ما ذكره النسفي في شرح المنار تبعاً للأُصوليِّين : العلم بالأحكام الشَّرعية العمليَّة المكتسبة من أدلّتها التفصيليَّة بالإستدلال .

وفي (الحاوي القدسي) : إعلم أنَّ معنى الفقه في اللغة الوقوف والإطلاع ،

وفي الشريعة الوقوف الخاصّ ، وهو الوقوف على معاني النصوص ، وإشاراتها ، ودلالاتها ، ومضمراتها ، ومقتضياتها ، والفقيه اسمٌ للواقف عليها .

وقال : الفقه قوة تصحيح المنقول ، وترجيح المعقول ، فالحاصل : إنَّ الفقه في الاصول علم الأحكام من دلائلها ، فليس الفقيه إلّا المجتهد عندهم .

وأمّا إستمداده فمن الأُصول الأربعة : الكتاب ، والسنّة ، والإجماع ، والقياس المستنبط من هذه الثلاثة ، وأمّا شريعة من قبلنا فتابعة للكتاب ، وأمّا أقوال الصحابة فتابعةٌ للسنَّة ، وأمّا تعامل الناس فتابعٌ للإجماع ، وأمّا التحرّي واستصحاب الحال ، فتابعان للقياس ، وأمّا غايته فالفوز بسعادة الدارين .

وقال ابن عابدين في (حاشية البحر ج ١ ص ٣) : في تحرير الدلالات السمعيَّة لعليٍّ بن محمد بن أحمد بن مسعود نقلاً عن (التنقيح) : الفقه لغة : هو الفهم والعلم ، وفي الإصطلاح : هو العلم بالأحكام الشرعيَّة العمليَّة بالإستدلال .

وقال ابن قاسم الغزّي في (الشرح ج ١ ص ١٨) : الفقه هو لغةً الفهم ، واصطلاحاً العلم بالأحكام الشرعية العمليَّة المكتسبة من أدلتها التفصيليّة .

وقال ابن رشد في مقدّمة (المدوَّنة الكبرى ص ٨) : فصلٌ : في الطريق إلى معرفة أحكام الشرائع ، وأحكام شرائع الدين تدرك من أربعة أوجه :

أحدها : كتاب الله ، عزّ وجلَّ ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد .

والثاني : سنّة نبيّه الذي قرن الله طاعته بطاعته ، وأمرنا باتّباع سنّته . فقال عزَّ وجلَّ :

﴿وأطيعوا الله والرّسول﴾ . وقال : **﴿من يطع الرّسول فقد أطاع الله﴾** . وقال : **﴿وما آتاكم الرَّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** . وقال : **﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكنَّ . من آيات الله والحكمة﴾** . والحكمة السنّة . وقال : **﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ﴾** .

والثالث : الإجماع الذي دلَّ تعالى على صحته بقوله : **﴿ومن يشاقق**

الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين فولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً﴾ . لأنّه عزَّ وجلَّ توعّد باتّباع غير سبيل المؤمنين ، فكان ذلك أمراً واجباً باتّباع سبيلهم ، وقال رسول الله ﷺ : لا تجتمع أُمتي على ضلالة .

والرّابع : الإستنباط ، وهو القياس على هذه الاصول الثلاثة التي هي الكتاب والسنّة والإجماع ، لأنَّ الله تعالى جعل المستنبط من ذلك علماً ، وأوجب الحكم به فرضاً ، فقال عزَّ وجلَّ : **﴿ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** وقال عزَّ وجلَّ : **﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقِّ لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** . أي بما أراك فيه من الإستنباط والقياس ، لأنَّ الذي أراه فيه من الإستنباط والقياس هو ممّا أنزل الله عليه ، وأمره بالحكم به حيث يقول : **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾** .

نظرة في اجتهاد معاوية :

ها هنا حقٌّ علينا أن نميط الستر عن اجتهاد معاوية ، ونناقش القائلين به في أعماله ، أفهل كانت على شيء من النواميس الأربعة : الكتاب . السنّة . الإجماع . القياس ؟ أو هَل علم معاوية علم الكتاب ؟ وعند مَن درسه ؟ ومتى زاوله ؟ وقد كان عهده به منذ عامين[1] قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل كان يميِّز بين محكماته ومتشابهاته ؟ أو يفرِّق بين مجمله ومبيّنه ؟ أو يمكنه الحكم في عمومه وخصوصه ؟ أو أحاط خبراً بمطلقه ومقيّده ؟ أو عرف شيئاً من ناسخه ومنسوخه ، إلى غير هذه من أضراب الآي الكريمة ، ومزايا المصحف الشريف الداخل علمها في استنباط الأحكام منه ؟ ! .

إنَّ ظروف معاوية على عهد استسلامه ، لا يسع شيئاً من ذلك ، على حين أنّها تستدعي فراغاً كثيراً لا يتصرَّم بالسنين الطوال ، فكيف بهذه الاويقات اليسيرة التي تُلهيه في أكثرها الهواجس والأفكار المتضاربة من نواميس دينه القديم «الوثنيّة» ، وقد أتى عليها ما انتحله من الدين الجديد «الإسلام» فأذهب عنه

---

(١) هو وأبوه وأخوه من مسلمة سنة الفتح كما في (الإستيعاب) ، وكان ذلك في أُخريات السنة الثامنة للهجرة، ووفاة النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، في اوليات سنة (١١هـ) .

هـاتيك ، ولم يجىء بعـدُ هـذا على وجهـه بحيث يـرتكـز في مخيّلتـه ، ويتبـوّأ في دماغه .

وكان قد سبقه جماعة إلى الإسلام وكتابه ، وهم بين حِكَم النبيِّ ومحكماته ، وإفاضاتـه وتعاليمـه ، وهـم لا يُبارحـون مُنتديـات النبوَّة وهتـافها بـالتنزيـل والتأويـل الصحيح الثابت ، قضـوا على ذلك أعـواماً متعـاقبة ، ومُـدداً كثيرة ، فلم يتسنَّ لهم الحصـول على أكـثر من تلكم المبادىء وانكفؤا عنهـا صفر الأكفّ ، خـاوين الوطـاب ، انـظر إلى الـذي حفظ سورة البقـرة في اثني عشرة سنـة ، حتّى إذا تمكّن من الحفظ بعد ذلك الأجل المذكور نحر جزوراً شكـراً على ما أُتيـح له من تلك النعمـة بعد جهـود جبّارة ، والله يعلم ما عـاناه طيلة تلكم المدَّة من عنـاء ومشقَّة ، وهـذا الرجـل ثاني الامّة عند القوم في العلم والفضيلة ، وكان من علمـه بالكتـاب أنّه لم يـعِ تنصيصه على مـوت النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمّا سمـع قولـه تعالى : ﴿**إنّـك ميّتٌ وإنّهم ميّتـون**﴾ . ألقى السيف من يـده ، وسكنت فورتـه ، وأيقن بـوفـاتـه صلى الله عليه وآله وسلم كمن لم يقـرأ الآيـة الكـريمـة إلى حينـه ، وإن تقس مـوارد علمـه بـالكتـاب ونصـوصـه ، قضيتَ منهـا العجب ، وأعيتك الفكرة في مبلغ فهمه ، وماذا الذي كان يُلهيه عن الخُبرة بـأُصول الإسـلام وكتابـه ! ولئن راجعت فيما يؤول إلى هـذا الموقف (الجـزء السـادس) من هذا الكتاب ، رأيت العجب العجاب .

وليس من البعيد عنه أوّل رجل في الإسلام عنـد القوم الـذي بلغ من القصور والجهل بالمبادىء والخواتيم ، والأشكال والنتائـج ، حدّاً لا يقصـر عنه غمـار الناس والعاديِّين منهم الذين أشرقت عليهم أنوار النبوَّة منذ بزوغها ، ولعلّك تجد في الجزء السابع من هذا الكتاب ما يلمسك باليد ، يسيراً من هذه الحقائق .

وأنت إذن في غنىً عن استحفاء أخبار كثير من اولئك الأوَّلين الـذين لا تعزب عنـك أنباؤهم في الفقـه ، والحديث ، والكتـاب ، والسنّـة ، فكيف بمثـل معـاويـة الملتحق بالمسلمين في اخريات أيّامهم ؟ وكـانت تربيتـه في بيت حافـل بالـوثنيّة ، متهالك في الظلم والعدوان ، متفانٍ في عادات الجاهليّة ، ترفُّ عليه رايات العهارة وأعلام البغاء ، وإذا قرع سمع أحـدهم دعاءٌ إلى وحي ، أو هتـافٌ بتنزيـل ، جعل

إصبعه في أُذنه ، وراعته من ذلك خاطرةٌ جديدة لم يكن يتهجّس بها منذ آبائه الأوَّلين .

نعم : المعروفون بعلم الكتاب على عهد الصّحابة أُناسٌ معلومون ، وكانوا مراجع الامّة في مشكلات القرآن ومغازيه ، وتنزيله وتأويله ، كعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن العبّاس ، وأُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت .

وأمّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فهو عدل القرآن ، والعالم بأسراره وغوامضه ، كما أنَّ عنده العلم الصحيح بكلِّ مشكلة ، والحكم البـاتّ عند كلّ قضيّة ، والجواب الناجع عند كلِّ عويصة ، وقد صحَّ عند الامّة جمعاء قوله الصادق المصدَّق ، صلوات الله عليه : «سلوني قبل أن لا تسألوني ، لا تسألوني عن آية في كتاب الله ، ولا سنّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنبأتكم بذلك .

[راجع الجزء السادس : ص ١٩٣/ط ٢]

السنّة :

وماذا تحسب أن يكون نصيب معاوية من علم الحديث الذي هو سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله وفعله وتقريره ؟ لقد عرَّفنا موقفه منها قوله هو فيما أخرجه أحمد في (مسنده ج ٤ ص ٩٩) من طريق عبد الله بن عامر قال : سمعت معاوية يحدِّث وهو يقول : إيّاكم وأحاديث رسول الله ﷺ إلاّ حديثاً كان على عهد عمر . لماذا هذا التحذير عن الأحاديث بعد أيّام عمر ؟ ألأنّ الإفتعال والوضع كثرا بعده ؟ أم لأنَّ الصحابة العدول الموثوق بهم على عهد عمر وما قبله ، منذ تصرّم العهد النبوي ، سُلبت عنهم الثقة بعد خلافة عمر؟ فكأنّهم ارتدّوا ـ العياذ بالله ـ بعده كذّابين وضّاعين، ولازمه الطعن في أكثر الأحاديث وعدم الإعتداد بمدارك الأحكام ، لأنَّ شيئاً كثيراً منها انتشر بعد ذلك الأجل ، وما كانت الدواعي والحاجة تستدعيان روايتها قبل ذلك ، على أنَّ الجهل بتاريخ إخراجها ، هل هو في أيّام عمر أو بعدها ، يوجب سقوطها عن الإعتبار لعدم الثقة برواتها وروايتها ، ولم تكن الرواة تُسجل تاريخ ما يروونه حتّى يُعلم أنَّ أيّاً منها مُحاطٌ بسياج الثقة ، وأيّاً منها منبوذٌ وراء سورها .

وما خصوصيّة عهد عمر في قبول الرِّواية ورفضها ؟ ألأنّ الحقائق تمحَّضت

فيه ؟ ومن ذا الذي محّضها ، أم لأنّ التمحيص أفرد فيه الصحيح من السقيم ؟ ومن ذا الذي فعل ذلك ؟ أم أنَّ يد الأمانة قبضت على السنّة عندئذ ، وعضّتها بالنواجذ حرصاً عليها ، فلم يبق إلاّ لبابها المحض ؟ فمتى وقعت تلكم البدع والتافهات ؟ ومتى بدّلت السنن ؟ ومتى غيّرت الأحكام ؟ . [راجع الجزء السّادس ، وهلم جرّاً]

ولعلَّ قول معاوية هذا في سنّة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم كاف في قلّة اعتداده بها ، أو أنّه كان ينظر إليها نظر مستخفّ بها ، وكان يستهين بقائلها مرَّة ، ويضرط لها إذا سمعها مرَّة اخرى ، وينال من رواتها بقوارص طوراً ، وينهى راويها عن الرواية بلسان بذيّ بكلّ شدَّة وحدَّة ، إلى أشياء من مظاهر الهزء والسخريّة[1]فما ظنّك بمن هذا شأنه مع السنّة الشريفة ؟ فهل تُذعن له أنّه يعبأ بها ، ويحتجُّ بها في موارد الحاجة ، ويأخذها مدركاً عند عمله ؟ أو ينبذها وراء ظهره ؟ كما فعل ذلك في موارده ومصادره كلّها .

وإنَّ حداثة عهد معاوية بالإسلام ، وأخذه بالرِّوايات بعد كلّ ما قدَّمناه ، وما كان يُلهيه عن الإصاغة إليها طيلة أيّامه من كتابة ، وإمارة وملوكيّة ، وإن حياته في دور الإسلام كلّها كانت مستوعبة بضروب السياسة ،وإدارة شؤون الملك والنزاع والمخاصمة دونه ، فمتى كان يتفرَّغ لأخذ الرِّوايات ، وتعلّم السنن ؟ ثمَّ من ذا الذي أخذ عنه السنّة ؟ والصحابة جلّهم في منتأى عن مباءته «الشام» ولم يكن معه إلاّ طليقاً أعرابيّاً ، أو يمانيّاً مستدرجاً ، وهو يسيء ظنّه بجملة الصحابة المدنيِّين حملة الأحكام ، ونقلة الأحاديث النبويّة ، ويقول بملء فمه : إنّما كان الحجازيّون هم الحكّام على الناس ، والحقُّ فيهم ، فلمّا فارقوه كان الحكّام على الناس أهل الشام[2] ، وعلى أثر ظنّه السيء وقوله الآثم كان يمنع هو وأُمراءه عن الحديث ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يظهر ممّا أخرجه الحاكم في (المستدرك ج ٤ ص ٤٨٦) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص لمّا قال له نوف: أنت أحقُّ بالحديث منّي أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ هؤلاء قد منعونا عن الحديث يعني الامراء . وجاء في حديث : إنَّ معاوية أرسل إلى عبد الله بن عمر ، فقال : لئن

---

(١) راجع تفصيل كل هذه فيما أسلفناه في هذا الجزء : ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨ .

(٢) راجع صفحة ٣٧٧ من هذا الجزء .

بلغني انّك تحدّث لأضربنّ عنقك[1] .

وعلى ذلك الظنّ أهدر دماء بقيّة السلف الصالح ، وبعث بسر بن أرطأة إلى المدينة الطيّبة ، فشنّ الغارة على أهلها ، فقتل نفوساً بريئة ، وأراق دماء زكيّة ، واقتصّ أثره من بعده جروه يزيد في واقعة الحرّة ، ومن يشابه أبه فما ظلم .

نظرة في أحاديث معاوية :

إن لنا حقّ النظر في شتّى مناحي رواياته ، لقد أخرج عنه أحمد في (مسنده في الجزء الرابع ص ٩١ ـ ١٠٢) مائة وستّة أحاديث ، وفيها من المكرّر .

١ ـ حديث إذا أراد الله بعبده خيراً يفقّهه في الدّين : كرّره ست عشرة مرّة في ص : ٩٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠١ .

٢ ـ حديث تقصير شعر النبيّ بمشقص ، مكرّرٌ عشرة مرّات في ص : ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٢ .

٣ ـ حديث حكاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأذان كرّره سبع مرّات في ص : ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٠ .

٤ ـ حديث عقوبة شرب الخمر مكرّرٌ خمس مرّات في ص : ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١ .

٥ ـ حديث وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر جاء في ص : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٠ .

٦ ـ حديث كبّة الشعر يوجد في ص : ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ .

٧ ـ حديث مناشدته عن أحاديث جاء في ص : ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ .

٨ ـ حديث صوم عاشوراء في ص : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٤٨ .

٩ ـ حديث حبّ الأنصار يوجد في ص : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٠ .

١٠ ـ حديث من أحبّ أن يمثّل له قياماً في ص : ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٠ .

١١ ـ حديث النهي عن لبس الذهب والحرير يوجد في ص : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

١٢ ـ حديث منقبة المؤذّنين في ص : ٩٥ ، ٩٨ .

١٣ ـ حديث إنّما أنا خازن ص : ٩٩ ، ١٠٠ .

١٤ ـ حديث العمري جائزة ص : ٩٧ ، ٩٩ .

١٥ ـ حديث سجدة السّهو لكلّ منسيّ ص : ١٠٠ ، ١٠٠ .

١٦ ـ حديث التبعيّة في الرُّكوع والسجود ص : ٩٢ ، ٩٨ .

١٧ ـ حديث النهي عن ركوب الخزّ والنمار ص : ٩٣ ، ٩٣ .

فالباقي من أحاديثه من غير تكرير سبعة وأربعون حديثاً ، وهل تسدّ هي فراغ الإستنباط في أحكام الدين لأيِّ مجتهد ؟ مع أنَّ فيها ما ليس من الأحكام مثل رواية انَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر توفّي كلٌّ منهم وهو ابن ثلاث وستين ، وقوله : رأيت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يمصُّ لسان الحسن . إلى أمثال ذلك . ولقد آن لنا أن ننظر نظرةً أخرى في غير واحد من متون أحاديثه فمنها :

١ ـ إنَّ معاوية دخل على عائشة فقالت له : أما خفت أن أُقعد لك رجلاً يقتلك ؟ فقال : ما كنت لتفعليه وأنا في بيت أمان ، وقد سمعت النبيَّ ﷺ يقول . يعني : الإيمان قيد الفتك . كيف أنا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك ؟ قالت : صالح قال : فدعينا وإيّاهم حتّى نلقى ربّنا عزَّ وجلَّ .

[مسند أحمد ج ٤ ص ٩٢]

قال الأميني : إنّه ينمُّ عن أنَّ أُمَّ المؤمنين كانت تستبيح دم الرَّجل بما ارتكبه من الجرائم والمآثم ، وسفك دماء زكيّة ، ونفوس مُزهقة بريئة ، حتّى انها كانت ترى من المعقول السائغ أن تُقعد له رجلاً فيقتله ، فأقنعها بأنّه في بيت أمان ،

وداخل في ذمّتها ، وأنَّ ما بينه وبينها صالح ، وأرجأ الموافاة للجزاء إلى يوم التلاقي بيه وبين الناس .

ويُستشف من هذه أنّه لم يكن عند معاوية درءاً لِما كانت أُمّ المؤمنين تنقمه عليه ، وإلاّ لكان للرجل أن يتشبَّث به في تبرير أعماله وتبرئة نفسه دون التافهات .

وإنْ تعجب فعجبٌ إقتناع أُمّ المؤمنين من معاوية ، بأنَّ بينه وبينها صالح ، وإن لم يكن صالحاً بينه وبين الله ، ولا صالحاً بينه وبينها ، لأنّه قاتلُ أخيها «محمّد بن أبي بكر» وكان على عنق معاوية ذلك الدم الطاهر ، وإنْ غضّت الطرف عنه أُخته لأنَّ بينه وبينها صالح ، كما أنّها غضت الطرف عن دم حُجر وأصحابه ، وهو من موبقات إبن آكلة الأكباد ، وطالما نقمت عليه ذلك ، وكانت توبّخه ، لكن بـرّره ذلك الصالح بينهما بلا عقل ولا قود ، وأمّا دم عثمان فما غضَّت عنه أُمّ المؤمنين مهما لم يكن بينها وبين عليّ عليه السلام صالح ، وهل يحتجّ معاوية يوم القيامة في موقف العدل الإلّهيّ متى خاصمه محمّد ، وحُجر ، وأصحابه ، وآلاف من الصلحاء الأبرار ، ممّن سفك دماءهم بأنَّ بينه وبين عائشة صالح ؟ وهل يفيده هذا الحجاج ؟ أنا لا أدري .

أما كان لعائشة أن تفحم الرّجل بأنّ الإيمان لو كان قيد الفتك «وهو قيد الفتك» فلماذا لم يقيّده ؟ وقد فتك بآلاف من وجوه المؤمنين ، وأعيان الأُمّة المسلمة ، ولم يأمن من فتكه أهل حرم أمن الله «مكّة» ولا مجاورو بيت أمانه «المدينة» ولعلَّ أُمّ المؤمنين كانت تنظر إلى إيمان الرّجل من وراء ستر رقيق ، ولم تجده إيماناً مستقرّاً ـ إنْ لم نقل إنّها وجدته مستودعاً ـ يقيّد صاحبه ، ويسلم المسلمون بذلك من يده ولسانه ، وقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[1] .

٢ ـ عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لمّا قدم علينا معاوية حاجّاً ، قدمنا

(١) أخرجهما البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والطبراني ، وابن داود . راجع فيض القدير ج ١ ص ٢٧٠ .

معه مكّة فصلّى بنا الظهر ركعتين ، ثمَّ انصرف إلى دار الندوة، وكان عثمان حين أتمَّ الصَّلاة إذا قدم مكّة ، صلّى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً ، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصَّر الصَّلاة ، فإذا فرغ من الحجِّ ، وأقام بمنى أتمَّ الصَّلاة ، حتى يخرج من مكّة، فلمّا صلّى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم ، وعمرو بن عثمان ، فقالا له : ما عاب أحدٌ ابن عمِّك بأقبح ما عبته به ، فقال لهما : وما ذاك ؟ قال : فقالا له : ألم تعلم أنّه أتمَّ الصلاة بمكّة ؟ فقال لهما : ويحكما ، وهل كان غير ما صنعت ؟ قد صلّيتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، قالا : فإنَّ ابن عمّك قد كان أتمّها ، وإنَّ خلافك إيّاه له عيب ، قال : فخرج معاوية إلى العصر ، فصلّاها بنا أربعاً .

[مسند أحمد ج ٤ ص ٩٤]

قال الأميني : أنا لا أدري أنَّ الشائنة ها هنا تعود إلى فقه معاوية ؟ أم إلى دينه ؟ حيث يتعمَّد الإتمام حيثما قصَّر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واتّخذته الأُمَّة سنَّة متَّبعة ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وقد صحَّ عن عبدالله مرفوعاً : الصَّلاة في السفر ركعتان ، من خالف السنّة فقد كفر . لكن الرَّجل خالف الجميع ، وجابه حكم الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم نزولاً منه إلى رغبة مروان الطريد ابن الطريد ، وعمرو بن عثمان ؟ صوناً لسمعة ابن عمّه عثمان ، مبتدع هذه الأُحدوثة ، فإن كان هذا فقه الرجل في الحديث ، فمرحباً بالفقاهة ، أو أنَّ ذلك مبلغه من الدين ، فبعداً له في موقف الديانة .

[راجع الجزء الثامن : ص ١٢٩ ـ ١٥٤ ، ٣١٥]

٣ ـ عن الهنائي قال : كنت في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ عند معاوية ، فقال معاوية : أُنشدكم الله أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير ؟ قالوا : اللهمَّ نعم .

إلى أن قال :

قال : أُنشدكم الله تعالى أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن الجمع بين حجّ وعمرة ؟ قالوا : أمّا هذا فلا! قال : أما إنَّها معهنَّ .

وفي لفظ :

قال : وتعلمون أنّه نهى عن المتعة ـ يعني متعة الحجّ ـ قالوا : اللهم لا .

[راجع المسند ج ٤ ص ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٩]

قال الأميني : هذا معطوفٌ عى ما قبله ، فإنَّ حرص الرَّجل على إحياء البدع تجاه السنَّة النبويّة الثابتة ، أوقفه ها هنا موقف المكابر المعاند ، فقد أسلفنا في (الجزء السادس ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٣ ـ ٢٥٠) : إنَّ متعة الحجِّ نزل بها القرآن الكريم ، لم ينسخ حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحبه ، وكان عليها العمل أيّام أبي بكر ، وصدراً من أيّام عمر ، حتى منع عنها . وعليه فاقتصاص معاوية أثر ذلك المحرِّم «بالكسر» يجلب الطعن إمّا في فقهه هو، وجهله بالسنَّة ، أو في دينه ، والجمع أولى ، والثَّاني أقرب إليه .

٤ ـ من طريق حمران يحدِّث عن معاوية قال : إنّكم لتصلّون صلاة لقد صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يصلّيها ، ولقد نهى عنهما ، يعني الركعتين بعد العصر . (ج ٤ ص ٩٩ ، ١٠٠) .

قال الأميني : عرفت ـ في (الجزء السادس ص ٢٠ ٢ ـ٢٢٣) ـ أنَّ الصَّلاة بعد العصر كانت مطّردة على العهد النبويِّ، يصلّيها هو صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن يدعهما سرّاً ، ولا علانية ، وما تركهما حتّى لقي الله تعالى ، وصلاّهما أصحابه إلى أنْ منع عنهما عمر، واحتجّت الصحابة عليه بأنّها سنّة ثابتة ، ولا تبديل لسنَّة الله ، غير أنَّ الرجل لم يصغ إلى قولهم ، وطفق يمضي وراء أُحدوثته ، وجاء معاوية وقد زاد في الطنبور نغمة ، وعزى إلى رسول الله النّهي عنهما ، وهل هذا مقتضى جهله بالسنّة ؟ أو مبلغه من الفقه والدين ؟ فاسمع القول ، واقض بالحقِّ لك أو عليك .

٥ ـ من عدَّة طرق عن معاوية مرفوعاً : من شرب الخمر فاجلدوه ، فإنْ عاد فاجلدوه ، فإنْ عاد فاجلدوه ، فإن عاد الرابعة فاقتلوه .

[أخرجه في ج ٤ ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١]

قال الأميني : إنِّي واقف ها هنا موقف التحيُّر ، ولا أدري هل كان معاوية عاملاً بمفاد هذا الحديث يوماً من أيّامه أُبّان خلافته وإمارته وقبلهما ؟ أو كان يناقضه

كمناقضته بكثير من الأحكام ؟ ولئن كان خاضعاً لما فيه من الحكم الباتّ ، لَما حُملت إليه روايا الخمر قطاراً، ولما حملها إليه حماره الذي كان يصاحبه ، ولا ادَّخرها في حجرته ، ولا اتّخذ متجراً لبيعها ، ولا شربها هو ، ولا يعربد بشعره فيها وهو سكران، ولا قدَّمها إلى وفوده ، ولا استخلف جروه السكّير بمرأى منه ومسمع ، ولا أضاع حدَّ الله على مَن يشربها وينتشي بها ، وحديث معاوية هذا مع جودة سنده ، وإخراج مثل أحمد ، والترمذي ، وأبي داود ، إيّاه ، لم يأخذ به ، وبمفاده أحدٌ من أئمّة الفقه ، وضربوا عنه صفحاً لتفرّد معاوية بروايته ، وهو لا يؤتمن على حديثه . هذا موقفه مع السنّة التي اتّخذها هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قلّتها ، فما ظنّك بالكثير الذي لم يبلغه منها .

٦ ـ عن أبي إدريس قال : سمعت معاوية ، وكان قليل الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره إلاّ الرَّجل يموت كافراً أو الرَّجل يقتل مؤمناً متعمّداً .

[المسند ج ٤ ص ٩٩]

وقد جاءكما يأتي في (الجزء الحادي عشر) من كتاب له كتبه إلى عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار .

قال الأميني : هل هذان الحديثان اللّذان رواهما معاوية حجّة له أو عليه ؟ والحقيقة جليّةٌ لا يخفيها ستار ، فإنّك جدُّ عليم بالذي باء بإثم تلكم الدماء المهراقة منذ يوم صفّين ، وبعده ريثما تُتاح له الفرص مع مهبِّ الريح ، وتحت كلّ حجر ومدر ، وعلى الروابي والثنيّات ، وعدد الرَّمل والحصى ، عند كلّ هاتيك دمٌ مسفوكٌ ، ونفسٌ مزهقة ، وأوصالٌ مفصولةٌ ، وحرماتٌ مهتوكةٌ ، وهل شيءٌ من تلكم البوائق يُباح بآية من الكتاب ؟ أو يبرَّر بسنّة صحيحة ؟ أو يحبذ بشيء من معاقد إجماع المسلمين ؟ وهل هناك قياسٌ ينتهي إلى شيء من هذه المبادىء الإجتهاديّة ؟ وهل معاوية يُحسن شيئاً منها أو يُتقنها ؟ وأين وأنّى له الرأي والإجتهاد ؟ أو هو مجرمٌ جاهلٌ ، وباغ ظلومٌ ، وثان الخليفتين اللذين بويعا في عهد ، فيجب قتال هذا ، وقتل ذاك ، بالنصوص النبويّة ، فلا يرقب فيه إلٌّ ولا

ذمّة ، فلا ذمّة لمهدور الدَّم ، ولا حرمة لمن يجب إعدامه في الشريعة ، أين هو والخلافة ، حتّى يستبيح الدِّماء الزاكية دون شهواته ومطامعه ؟ وهل تدري أيَّ دماء سفكها ؟ وأيَّ حرمات انتهكها ؟ نعم : إقترف بها إراقة دماء المهاجرين والأنصار من الصحابة العدول ، والتابعين لهم بإحسان ، وباء بإثم دماء البدريِّين ومئات من أهل بيعة الشجرة الذين رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، وفيهم مثل عمّار الذي قتلته الفئة الباغية ـ فئة معاوية ـ ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، وثابت بن عبيد الأنصاري ، وأبي الهيثم مالك بن التيهان، وأبي عمرة بشر الأنصاري ، وأبي فضالة الأنصاري كلُّ هؤلاء من البدريِّين ، وفيهم حُجر بن عدي راهب أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وثمَّ البطل المجاهد مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، والعابد الصّالح محمّد بن أبي بكر .

وقبل هذه كلّها استبشاره بدم الإمام المقدَّس الخليفة عليه ، وعلى الأُمّة جمعاء ، مولانا أمير المؤمنين ، وسروره بذلك ، وعدُّه ذلك من لطيف صنع الله .

وما ظنّك بمجرم يكون عنده دم الإمام السبط الزكيّ ، أبي محمّد الحسن عليه السلام بدسِّ السمِّ إليه ؟ ! وقد استبشر لمّا باء بإثمه ، وناء بجرمه ، فسيؤاخذ بما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه كلّها .

٧ ـ من طريق أبي صالح ، عن معاوية ، مرفوعاً : «من مات بغير إمام ، مات ميتة جاهليّة» .

[المسند للإمام أحمد ج ٤ ص ٩٦]

قال الأميني : ها هنا نسائل أنصار معاوية وأودّاءه عن أنَّ أيَّ موتة مات هو بها ، وعن أيِّ إمام مات وعلى عنقه بيعته ؟ ومَن الذي اخترم الرَّجل وقد طوَّقته ولايته ؟ وهل كان هناك إمامٌ يجب طاعته وبيعته بالنصِّ والإجماع غير مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يوم بارزه وكاشفه ؟ وألقح دون مناوءته الحرب الزبون ، ونازعه في أمر الخلافة ، وخلع ربقة الإسلام من عنقه ، أو يوم استبشر بقتل الإمام عليه السلام وهي الطامّة الكبرى ؟ والمصاب بها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أو يوم افتجعت به الصدِّيقة الكبرى فاطمة بشظيّة قلبها الإمام السبط المجتبى بسمّ من معاوية مدسوس إليه ؟

فهل بايعه يومئذٍ وهو خليفة الوقت بالجدارة والنصّ وإجماع لا يستهان به من بقايا رجال الحلّ والعقد ؟ أو أنّه ناوأه في الأمر ، وغدر به ، وكاده ؟ لمّا ظهر من أجناده الخوَر والفشل ، وقلّبوا على إمام الحقِّ ظهر المجنّ ، وحدت بهم المطامع والميول إلى أنْ يسلّموه لمعاوية إنْ قامت الحرب على أشدِّها ، فالتجأ الإمام إلى الصُّلح صوناً لدماء شيعته ، وإبقاءً على حياة ذويه .

فهل كان معاوية طيلة هذه المدد في ذُكر من روايته هذه ؟ وهل علم أنّه طوى تلكم السنين ، وليس في عنقه بيعةٌ لإمام ؟ وأنّه لا يحلّ لمسلم أنْ يبيت ليلتين ليس في عنقه لإمام بيعة ؟[1] وانّه إن مات والحالة هذه ، مات ميتة جاهليَّة ؟ أو أنّه كان يرى من فقهه استثناءه من هذه الكليّة التي لم يستثن منها الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم أحداً ؟ أو انَّ جهله بالأحكام وبنفسه، كان يُطمعُهُ في أن يكون هو الخليفة المبايع له ، والمطاع بأمر الله ورسوله ؟ وهيهات له ذلك ، وهو طليق ابن طليق ، ولم يؤهِّله لها علمٌ ولا حنكة ، ولا نصّ ولا إجماع ، إلاّ شَرهُ مُنهّم ، وطمعٌ زائغ ، وحلومٌ مُطاشة ، أو أنَّ الرَّجل كان لم يكترث لأن يموت ميتة جاهليّة على ولاية سواع وهبل ؟ .

لفت نظر :

إنَّ حديث معاوية : «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة» . أخرجه الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١٨) ، وأبو داود الطيالسي في (مسنده ص ٢٥٩) من طريق عبدالله بن عمر وزاد : ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجّة له .

وهذا الحديث معتضدٌ بألفاظ أُخرى من طرق شتّى منها :

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «من مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهليّة» .

(أخرجه مسلم في صحيحه ج ٦ ص ٢٢ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٥٦ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥١٧ ، والحافظ الهيثمي في المجمع

---

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٣٥٩ .

ج ٥ ص ٢١٨ ، واستدلَّ بهذا اللفظ شاه وليّ الله في إزالة الخفاء ج ١ ص ٣ على وجوب نصب الخليفة على المسلمين إلى يوم القيامة وجوباً كفائيّاً .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن مات وليس عليه طاعة ، مات ميتة جاهليّة» .

أخرجه أحمد في (مسنده ج ٣ ص ٤٤٦ ، والهيثمي في المجمع ج ٥ ص ٢٢٣) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات ولم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهليّة» .

ذكره التفتازاني في (شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٥) وجعله لِدة قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول واولي الأمر منكم﴾ في المفاد . وبهذا اللفظ ذكره التفتازاني أيضاً في (شرح عقائد النسفي المطبوع سنة ١٣٠٢) غير أنّ يد الطبع الأمينة على ودائع العلم والدين حرَّفت من الكتاب في طبع (سنة ١٣١٣) سبع صحائف يوجد فيها هذا الحديث . وحكاه الشيخ علي القاري صاحب المرقاة في خاتمة (الجواهر المضيّة ج ٢ ص ٥٠٩) ، وقال في (ص ٤٥٧) : وقوله عليه السلام في (صحيح مسلم) : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» معناه : من لم يعرف من يجب عليه الإقتداء والإهتداء به في أوانه .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات مات ميتة جاهليّة .

أخرجه مسلم في (صحيحه ج ٦ ص ٢١ ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٥٦ ، وذكر في تيسير الوصول ج ٣ ص ٣٩ نقلاً عن الصحيحين للشيخين من طريق أبي هريرة) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من فارق الجماعة شبراً ، فمات ، فميتة جاهليّة» .

أخرجه مسلم في (صحيحه ج ٦ ص ٢١) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات ولا إمام له ، مات ميتة جاهليَّة» .

ذكره أبو جعفر الإسكافي في خلاصة (نقض كتاب العثمانيّة للجاحظ : ص ٢٩) ، وذكره الهيثمي في (المجمع ج ٥ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥) بلفظ : «من مات

وليس عليه إمام ، فميتته ميتة جاهليّة» . وبلفظ : «من مات ، وليس عليه إمام ، مات ميتة جاهليّة» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات وليس لإمام جماعة عليه طاعة ، مات ميتة جاهليّة» .

أخرجه الحافظ الهيثمي في [مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١٩] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أتاه من أميره ما يكرهه فليصبر ، فإنَّ من خالف المسلمين قيد شبر ، ثمّ مات ، مات ميتة الجاهليّة» .

[شرح السير الكبير ج ١ ص ١١٣]

هذه حقيقةٌ راهنة أثبتتها الصحاح والمسانيد فلا ندحة عن البخوع لمفادها ، ولا يتمّ إسلام مسلم إلّا بالنزول لمؤدّاها ، ولم يختلف في ذلك إثنان ، ولا أنّ أحداً خالجه في ذلك شكّ ، وهذا التعبير ينمُّ عن سوء عاقبة من يموت بلا إمام ، وأنّه في منتأى عن أيِّ نجاح وفلاح ، فإنَّ ميتة الجاهليّة إنّما هي شرّ ميتة ، ميتة كفر وإلحاد ، لكنّ هنا دقيقة لا بدّ من البحث عنها وهي : إنَّ الصديقة الطاهرة المطهّرة بنصِّ الكتاب الكريم التي يغضب الله ورسوله لغضبها ، ويرضيان لرضاها ، ويؤذيهما ما يؤذيها ، قضت نحبها ، وليس في عنقها بيعة لمن زعموا أنّه خليفة الوقت ، ومثلها بعلها ، طيلة ستّة أشهر أيّام حياة حليلته ، كما جاء في الصحيحين وفيهما : كان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة ، فلمّا توفّيت استنكر عليٌّ وجوه الناس[1] . قال القرطبي في المفهم : كان الناس يحترمون عليّاً في حياتها كرامة لها ، لأنّها بضعة من رسول الله ، وهو مباشر لها ، فلمّا ماتت وهو لم يبايع أبا بكر ، انصرف الناس عن ذلك الإحترام ، ليدخل فيما دخل فيه الناس ، ولا يفرّق جماعتهم . (ا هـ) .

---

(١) صحيح البخاري (كتاب المغازي) ج ٦ ص ١٩٧ ، صحيح مسلم (كتاب الجهاد) ج ٥ ص ١٥٤ .

فالحقيقة ها هنا مردَّدة بين أنَّ الصديقة ، سلام الله عليها ، عزبت عنها ضروريَّةٌ من ضروريّات دين أبيها ، وهي أولاها وأعظمها ، وقد حفظته الأُمَّة جمعاء ، حضريّها وبدويّها ، وماتت ـ العياذ بالله ـ على غير سنّة أبيها ، وبين أنْ لا يكون للحديث مقيلٌ من الصحّة ، وقد رواه الحفظة الأثبات من الفريقين ، وتلقّته الأُمّة بالقبول ، وبين أنَّها ، سلام الله عليها ، لم تك تعترف للمتقمّص بالخلافة ، ولا توافقه على ما يدّعيه ، ولم تكن تراه أهلاً لذلك ، وكذلك الحال في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام .

فهل يسع لمسلم أن يختار الشقَّ الأوَّل ويرتئي لبضعة النبوَّة ، ولزوجها نفس النبيِّ الأمين، ووصيّه على التعيين ، ما يأباه العقل والمنطق ، ويبرأ منه الله ورسوله ؟ لا ، ليس لأحد أن يقول ذلك .

وأمّا الشقّ الثاني ، فلا أظنّ جاهلاً يسفّ إلى مثله بعد استكمال شرائط الصحَّة والقبول ، وإصفاق أئمّة الحديث ، ومهرة الكلام ، على الخضوع لمفاده ، وإطباق الأُمم الإسلاميَّة على مؤدّاه .

فلم يبق إلاّ الشقُّ الثالث ، فخلافةٌ لم تعترف لها الصدِّيقة الطاهرة ، وماتت وهي واجدةٌ عليها ، وعلى صاحبها ، ويجوِّز مولانا أمير المؤمنين التأخّر عنها ، ولو آناً ما، ولم يأمر حليلته بالمبادرة إلى البيعة ، ولا بايع هو ، وهو يعلم أنَّ من مات ولم يعرف إمام زمانه ، وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهليّة ، فخلافةٌ هذا شأنها حقيقةٌ بالإعراض عنها ، والنكوص عن البخوع لصاحبها .

٨ ـ مِن طريق أبي أُميّة عمرو بن يحيى بن سعيد ، عن جدِّه : إنَّ معاوية أخذ الأداوة بعد أبي هريرة ، يتبع رسول الله ﷺ بها ، واشتكى أبو هريرة ، فبينا هو يوضّىء رسول الله ﷺ رفع رأسه مرَّة أو مرَّتين ، فقال : يا معاوية ! إنْ وليت أمراً فاتّق الله ، عزَّ وجلّ ، واعدل . قال : فما زلت أظنُّ أنّي مبتلى بعمل ، لقول رسول الله ﷺ ، حتى ابتليت .

[المسند ج ٤ ص ١٠١]

قال الأميني : إنَّ من المأسوف عليه أنَّ الرجل نسي هذه الوصيّة النبويّة في

عهديه جميعاً من الإمارة والملك العضوض ، أو أنّه كان يذكرهـا غير أنّـه لم يكترث لها ، فلم يدع شيئاً من مظاهر العدل والتقوى إلاّ وتركه ، ولا أمراً من موجبات الإثم والعدوان إلاّ وارتكبه ، وإنَّ البحث لفي غنىً عن سـرد تلك المآثم والجـرائم ، وقد كرَّرنا بعضها في أجزاء هذا الكتاب ، وفي حيطة سعة الباحث الوقوف عليها كلّها .

فليته كان يذكر تلك الوصيّة الخالدة يوم تثبط عن نصرة عثمان حتّى أُودي به ، ويوم كاشف إمام الوقت أميـر المؤمنين عليه السلام بالحـروب الطاحنـة ، وجابـه ولاية الله الكبـرى بكلّ مـا كان يسعـه عناده ومكـائـده ، ونـاوأ الصّحـابـة العـدول ، بـالقتـل والتشريد ، واضطهد صلحاء الأُمّة بكلِّ ما في حوله وطوله ، من إخافـة وإرجـاف ، وقتل ذريع ، وأخذٍ بالظنون والتّهم ، أوَ كـان من العدل والتقـوى شيءٌ من هذه ؟ أو كـان منهما بيـع الخمـر وشـرابهـا وأكـل الـرّبـا ، واستلحـاق زيـاد بـأبي سفيـان ، واستخلاف يزيد ؟ ولعلّك أعرف بيزيد من غيرك ، كما أنَّ مستخلفـه كان أعـرف به من كلِّ أحد .

ولعلَّ من أظهر مصـاديق عدلـه وتقواه دأبـه على سبِّ الإمام الـطاهر ، ولعنـه على صهوات المنابر ، وقنوته بذلك في صلواته ـ الّتي كـانت تلعنه ـ وحمله النّـاس على ذلك بالحواضر الإسلاميَّة وأوساطها ، طول حياته ، حتّـى كانت بدعة مخـزية مستمرَّة في العهد الأمويِّ كلّها ، بعد أن اخترمته المنيّة .

وليتني كنت أدري أنَّه ماذا كان يفعله ممّا يخالف العَدل والتّقوى ، لولا وصيّـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيّاه ؟ أو أنّـه «والعياذ بـالله» لو كـانت الوصيّـة بخلاف مـا سمعـه منه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فهل كان يُتاح له أكثر وأشنع ممّا فعل ؟ .

٩ ـ من غير طريق ، عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدِّين ، وفي لفظ : من يرد الله به خيـراً يفقّهه في الـدين . وفي بعض الألفاظ : وكان معاوية قلّما خطب إلاّ ذكر هذا الحديث في خطبته[1] .

قال الأميني : كان من قضيّة هذا السِّماع ووعيه ، والإكثار من روايته حتى انّه

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٣٥٩ .

جاء مكرَّراً في (مسند أحمد) ستّ عشرة مرّة، ومـا كان يخـطب معاويـة إلّا وذكره ، التأثّر بمفاده ، والتهالك في التفقّه في الـدِّين ، والحرص على مـا كان يسمعـه ، أو يبلغه عن رسول الله ﷺ ، في مبادىء الفقه وغاياته، فما هذا الـذي قهقره عن ضبط ما هنالك من حِكَم وأحكام ؟ وأبعـده عن مستقى السنّة ذلـك البون الشّـاسع الـذي تركه أجهـل خلق الله بأحكـامه ، عـدا ما خـالفه وبـاينه ، من أحـاديث كانت حجّـة عليه ، بعيداً عن مغازيه وأعماله ، وعدا طفائف لا يعود العالم بهـا فقيهاً في دينـه ، متبصِّراً في أمره ، كـلُّ ذلك ينمّ عن أنَّ الـرَّجل لم يُـرد الله به خيـراً ، ولا فقّهه في دينه ، وليس ذلك من ابن هند ببعيد .

١٠ ـ من طريق محمّد بن جبير بن مطعم ، يُحدِّث : انَّه بلغ معاوية وهو عنده في وفـد من قريش ، أنَّ عبـدالله بن عمرو بن العـاص يحدِّث أنَّـه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية فقام فأثنى على الله عزَّ وجلَّ ، بما هو أهله ، ثمَّ قال : أمّا بعد : فإنّه بلغني أنَّ رجالاً منكم يحـدِّثون أحـاديث ليست في كتاب الله ، ولا تؤثـر عن رسـول الله ﷺ ، أُولئك جهّـالكم ، فإيّـاكم والأمانيّ التي تضـلّ أهلهـا ، فـإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ هذا الأمر في قـريش لا ينازعهم أحـدٌ إلّا أكبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين .

قـال الأميني : لقد غلط معـاوية في فهم الحـديث على تقدير صحّته ، فـإنَّ الّذي ذكر عبد الله بن عمرو أنَّ ذلـك الكائن ملك ، ولم ينصّ على أنّـه خليفة ، وكم في الدهر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملوكٌ من غيـر قريش ؟ ومن الجـائز أن يكـون ذلك الملك الموعود به من أصحاب الملك العضوض ، فما ردّه بـه معاويـة من أنَّ الذين يجب أَنْ يكونوا من قريش هُم الأئمّة الذين لا ينازعون في أمرهم ما أقامـوا الدين ، فمعـاوية ومن اهتـدى مثالـه ممّن لـم يقيموا الـدين بل نـاوؤوه وبـاينـوه ، خـارجـون عنهم ، وها هنا تسقط مطامع معاوية وأمانيه التي أضلّتـه من انطبـاق الروايـة عليه ، وعلى نـظرائه ، وإنْ لم يكـونوا قحـطانيّين ، فأولى بـه من تحذّره عن تخلّف نسبـة قحطان عنه ، أخذه الحذر عن موانع الخلافة ، التي لا تبارحه ، أوَ كـانت الخلافـة في الطلقاء ؟ أو كانت في غير البدريِّين ؟ أو كان يشترط فيها فقدان العدل والتقـوى في الخليفة ؟ أو كان لآكلة الأكباد ورايتها نصيبٌ من خلافة الله ؟

وإن تعجب فعجبٌ أنّ الرجل يعدُّ عبدالله بن عمرو من الجهّال ، وهو الّذي جاء فيه عن أبي هريرة : إنّه أكثر النّاس حَديثاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان يكتب الحديث ، وفي لفظ أبي عمر : أحفظ حديثاً . وقال : كان فاضلاً حافظاً عالماً ، قرأ الكتاب واستأذن النبيّ ﷺ في أن يكتب حديثه ، فأذن له ، وهو الذي أثنى عليه ابن حجر بغزارة العلم ، والإجتهاد في العبادة[1] .

نعم : يقع معاوية في الرَّجل كمن ملأ إهابه علماً ، وشحن الطروس والسطور ، فقهاً وحديثاً ، ذهولاً منه عن أنَّ الأُمَّة المنقّبة حفظت عليه حديث عبادة بن الصَّامت من قوله له : إنَّ أُمّك هند أعلم منك[2] .

هذا معاوية ومبلغه من العلم بالسنَّة .

الإجماع :

قد عرفت آنفاً أنَّ من مدارك الإجتهاد في الأحكام الشرعيَّة ومبادئها : الإجماع ولعلَّ أقسط تعاريفه ما قاله الآمدي في (الإحكام ج ١ ص ٢٨٠) : إنّه اتّفاق جملة من أهل الحلِّ والعقد من أُمّة محمّد في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع .

فهلمّ ولننظر إلى معاوية وأقواله ، وتقوّلاته وأعماله ، وجرائمه وفقهه ، واجتهاده ، هل يقع شيءٌ منها في معقد من معاقد الإجماع ؟ وأين أُولئك الفقهاء ، وأهل الحلّ والعقد في الفقه والدِّين الذين أصفقوا مع معاوية على ما عنده من بدع وتافهات ؟ ومَن كان منهم يومئذٍ ليطلو سقطات معاوية الشاذَّة بالإجماع ؟ وهل كان مباءة الفقهاء يومئذٍ في غير المدينة المنوّرة من الصحابة الأوَّلين ، والتابعين لهم بإحسان ، وفي بلاد غيرها انتشروا منها إليها ، وكلّهم كانوا في منتأىً عن إبن هند وآرائه ، ولم يزل هو يناوئهم ويضادُّهم في القول والعمل ، ويتحرّى الوقيعة فيهم .

---

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٠٧ ، اسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٥٢ ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٣٧ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢١٠ .

نعم : كان يصافقه على مخاريقه حثالةٌ من طغام الشّام الذين حدتهم النهمة والشرَه ، وهملجت بهم المطامع والشّهوات ، فما قيمة اجتهاد يكون هذا أحد مبادئه ؟ .

القياس :

المعتبر من القياس عند أئمّة السنّة والجماعة : أن يكون المناط منصوصاً عليه في الكتاب والسنّة ، أو مخرَّجاً عنهما بالبحث والإستنباط إمّا بنوعه أو بشخصه[١] ، ولم نجد في اختيارات معاوية شيئاً من تلكم المناطات في المقيس عليه ، منصوصة أو مستنبطة يصحّ القياس في المقيس ، ويجوز التعويل عليها ، نعم : كانت عنده أقيسةٌ جاهليّةٌ ، أراد تطبيق أحكام الإسلام بها .

أيّ اجتهاد هذا ؟ !

لعلّك إلى هنا عرفت معنى الإجتهاد الصحيح ، وحقيقته ، ومبانيه ، عند أئمّة الإسلام من رجالات الفقه وأُصوله ، وألمسك باليد بُعد معاوية عن كلٍّ ذلك بُعد المشرقين ، فهلمّ معي نقرأ صحيفة مكرَّرة من أفعال هذا المجتهد الطاغية ، وتروكه التي اجتهد فيها ويرى أبناء حزم وتيميّة ، وكثير ، وحجر ، ومن لفّ لفّهم ، أنّ الرجل لم يلحقه ذمٌّ ، وتبعةٌ من تلكم الهفوات ، بل يحسبونه مأجوراً فيها لكونه مجتهداً مخطئاً .

ألا تقول أيّ اجتهاد جوّز على هذا المجتهد ، أو أوجب عليه وعلى كلّ مسلم بأمره ، رضي بذلك أم أبى ـ سبَّ مثل مولانا أمير المؤمنين عليّ ، صلوات الله عليه ، والقنوت بلعنه في الصّلوات ، والدعاء عليه وعلى الإمامين السبطين[٢] ، والصلحاء الأخيار معه ؟!

هل اجتهد هذه الأُحدوثة من آية التطهير والمباهلة أو من المئات النازلة في عليّ عليه السلام ؟ أو من الآلاف من السنّة الشريفة المأثورة عن صاحب الرّسالة صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) راجع الكلمات التى أسلفناها في هذا الجزء تحت عنوان : (الإجتهاد ماذا هو) .

(٢) راجع الجزء الثاني : ص ١٢٤ . ١٢٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨

من فضائله ومناقبه ؟ أو من الإجماع المعقود على بيعته واتّخاذه خليفةً مفترضةً طاعته ؟ ولئن تنازلنا عن الخلافة له ، فهل هناك إجماعٌ على نفي إسلامه ، ونفي كونه من أعيان الصحابة العدول ، حتّى يستسيغ هذا المجتهد ـ رضيع ثَدْي هند المتفيء تحت رايتها ـ الوقيعة فيه ، والنيل منه ؟ .

وهل هناك قياسٌ يخرِّج ملاكه من مبادىء الإجتهاد الثلاثة التي قامت بسيف عليّ ، واعتنقتها الأُمَّة بأسه ، وعرفتها ببيانه ، يسوِّغ للرَّجل ما تقحّم فيه ؟ نعم : كانت تراتٌ وإحنٌ بين القبيلتين ـ أبناء هاشم وبني أُميّة ـ منذ العهد الجاهليِّ ، وكان من عادات ذلك العهد وتقاليده ، نيل كلٍّ من الفئتين المتخاصمتين من الاخرى كيفما وقع ، وأينما أصاب ، وريثما انتهز الفرصة مَن تمكّن من الإنتقام ، سواءُ حمل المنكوب شيئاً من الظلامة أولا ، فيقتل غير القاتل ، ويعذِّب غير المجرم ، ويُؤاخذ غير الجاني ، شنشنةٌ جاهليّةٌ ثبت عليها الجاهلون ، واستمرّوا دائبين عليها حتى بعد انتحالهم الإسلام ، وإلى مثل هذا القياس كان يطمح معاوية «المجتهد في أعماله واجتهاده» .

أي اجتهاد يسوغ له دأبه على لعن الإمام المفدّى ، على صهوات المنابر ، وفي أدبار الصَّلوات ، حتّى غيّر سنّة الله بتقديم خطبة صلاة العيدين عليها ، لإسماع الناس سبابه ، وكان يوبّخ الساكتين عن لعنه بملء فمه ، وصراحة لهجته ؟ فبأيِّ كتاب ، أم بأيّة سنّة ، أو إجماع ، أو قياس ، كان يستنبط هذا المجتهد الآثم إصراره على تلكم البدع المخزية ؟

أيّ اجتهاد يُحتِّم عليه استقراء كلِّ من والى عليّاً أمير المؤمنين في الحواضر والأمصار وتقتيلهم ، وتشريدهم ، والتنكيل بهم ، وتعذيبهم بأشدِّ العذاب ، ولم يرقب فيهم ذمَّة الإسلام ولا إلَّه ، ولم يُراع فيهم حرمة الصحبة وصونها ؟ أوَ يساعده على ذلك شيءٌ من الآي الكريمة ؟ أو أثارةٌ من السنَّة الشريفة ؟ أو إجماعٌ من أهل الدين ؟ وأين هم ؟ ! [وهم كلُّهم مناوؤو معاوية ومنفصلون عن آرائه] أو أنَّ هناك قياساً خُرِّج ملاكه من تلكم الحجج الثلاث ؟

أيُّ اجتهاد يُبيح له قذف عليّ بالإلحاد والغيِّ والبغي ، والضّلال

والعدوان والخبث والحسد ، إلى طامّات أُخرى ؟ أوَ تحسب أنّك تجد حجّة على شيء من ذلك من مطاوي الكتاب الكريم ؟ أو من تضاعيف السنّة النبويّة ؟ أو من معاقد إجماع الأُمّة ؟ والأُمّة على بكرة أبيها تعلم أنّ شيئاً من هاتيك المفتريات ، والنسب المائنة ، لم تُكتسح عنها إلّا ببيان الإمام وبنانه ، وسيفه ولسانه ، ولو قام للدين مثالٌ شاخصٌ لما عداه أن يقوم بصورة عليّ عليه السلام ومثاله .

أيّ اجتهاد يحبِّذ له المسرَّة والإستبشار بقتل أمير المؤمنين ، وولده الحسن الزكيِّ إمامي الهدى ، صلوات الله عليهما ، والتظاهر بالجذل والحبور على مصيبة الدين الفادحة بهما ، ويُري لصاحبه قتل عليّ عليه السلام من لطف الله وحسن صنعه ، وزعم قاتله أشقى مراد من عباد الله ؟ وأنت جِدّ عليم بأنّ فقه الكتاب الكريم في منتأى عن هذه الشقوة ، كما أنّ السنّة الكريمة في مبتعد عن مثلها من قساوة ، ودع عنك معقد إجماع الأُمّة النائي عن هذه الفظاظة ، وملاكات الشريعة منصوصةً ومستنبطةً البائنة لتلك الصَّلافة . نعم : قياس الجاهليّة الاولى يضرب على وتره ، ويغنّي في وتيرته .

أيُّ اجتهاد يُرخِّص هتك حرمات مكّة والمدينة ، وشنَّ الغارة على أهلها لمحض ولائهم عليّاً عليه السلام ويُشرِّع نذر قتل نساء ربيعة ، لحبِّ رجالهم أمير المؤمنين ، وتشيّعهم له عليه السلام ؟ !

أيُّ اجتهاد يُحلّل مُثلة مَن قُتل تحت راية عليّ عليه السلام يوم صفّين ، وقد كان قتال الفئة الباغية بعهد من رسول الله وأمره ؟ ! كما فصّلنا القول فيه في (الجزء الثالث) .

أيُّ اجتهاد يمنع إمام الحقّ وآلافاً من المسلمين عن الماء المباح ، ويُعطي لمعاوية حقَّ القول : بأنَّ هذا والله أوَّل الظفر ، لاسقاني الله ولا سقى أبا سفيان إنْ شربوا منه أبداً حتى يُقتلوا بأجمعهم عليه ؟ ![1] .

أيُّ اجتهاد يجوِّز بيع الخمر وشربها ، وأكل الربا ، وإشاعة الفحشاء ، وقد

---

(١) كتاب صفين : ص ١٨٢ ، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٢٨ .

حرَّمها كتاب الله وسنّة نبيّه ، ويتلوهما الإجماع والقياس ؟ !

أيّ اجتهاد يحثُّ الناس بإعطاء الإمارة والولايات ، وبذل القناطير المقنطرة ، لمن لا خلاف لهم ، على عداء أهل بيت النبيِّ الأقدس ، وبغضهم ، والنيل منهم ، ومن شيعتهم ؟ !

أيّ اجتهاد يُراق به دم مَن سكت عن لعن عليّ ، ولم يتبرأ منه ، ولو كان من جلّة الصحابة ، ومن صلحاء أُمّة مُحَمَّد ، كحجر بن عدي وأصحابه ، وعمرو بن الحمق ؟

أيّ اجتهاد يؤدِّي إلى خلاف ما ثبت من السُّنّة الشريفة ، ويصحّح إدخال ما ليس منها في الأذان والصَّلاة ، والزّكاة ، والنكاح ، والحجِّ ، والديات ، على التفصيل الذي مرّ في هذا الجزء .

أيّ اجتهاد يُغيّر دين الله وسنّته ، لمحض مخالفته عليّاً عليه‌السلام كما مرَّ (ص ٢٤٧) .

أيّ اجتهاد يُنقض به حدّ من حدود الله لاستمالة مثل زياد بن امّه ، وجلب مرضاته باستلحاقه بأبي سفيان ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجَر ؟ !

أيّ اجتهاد يُحابي خلافة الله ، ليزيد السكّير المستهتر ، ويستحلُّ به دماء مَن تخلّف عن تلك البيعة الغاشمة ؟ !

أيّ اجتهاد يشترط البراءة من أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام ، في عقد البيعة للطليق ابن الطليق ؟ !

أيّ اجتهاد تُدعم به الشهادات المزوّرة ، والفرية ، والإفك ، والكذب ، وقول الزور ، والنسب المختلقة ، والمكر ، والخديعة ، لنيل الأمانيِّ الوبيلة المخزية ؟ !

أيّ اجتهاد يجوّز إيذاء رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في أهل بيته وعترته ، وإيذاء أولياء الله وعباده الصالحين ، من الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان ، وفي مقدّمهم

سيّدهم ، وفي الذكر الحكيم قوله تعالى : **﴿الذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم﴾** . **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾** . وجاء عن الصادع الكريم : «من آذى مسلماً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ»(١) وقوله عن جبريل عن الله تعالى : «من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة . ومن عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب» .

وقوله: «من آذى لي وليّاً فقد استحلّ محاربتي» وقوله : «من أهان لي وليّاً فقد استحلّ محاربتي» . وقوله : «من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالعداوة» . وقوله : «من عادى لي وليّاً فقد ناصبني بالمحاربة»(٢) .

أيّ اجتهاد يُري صاحبه نقض الإلّ وحنث العهد ، من السهل الهيّن في جميع موارده ومصادره ؟ !

أيّ اجتهاد يُجابه به سنّة رسول الله ، وما يؤثر عنه بالهزء ، والإزدراء ، والضرطة ؟ كما فصّل في (ص ٣٣٤ ـ ٣٣٦) .

أيّ اجتهاد يُفسد البلاد ، ويُضلّ العباد ، ويشقّ عصا المسلمين ، بالشذوذ عن الجماعة ، وخلع ربقة الإسلام عن البيعة الحقّة ، ومحاربة إمام الوقت بعد إجماع الأُمّة من أهل الحلّ والعقد ، من المهاجرين والأنصار على بيعته ؟ !

إلى غير هذه من اجتهادات باطلة ، وآراء سخيفة تافهة ، ليس لها في مستوى الصّواب مقيلٌ ، ولا لها في سوق الدين اعتبارٌ ، يعذّر صاحبه ، وكلّها مباينة للكتاب ، مضادّةٌ مع السنّة الثابتة الصحيحة ، ونقضٌ للإجماع الصحيح المتسالم عليه ، والقياس الذي نُصّ في المقيس عليه ، على ملاك الحكم في أيّ من الكتاب والسُنّة ، أو انّه مستنبط بالإجتهاد والتظنّي فيهما .

وهل وقف الباحث في جملة ما سبره من الأحكام والعلل ، على اجتهاد يكون هذا نصيبه من تحرّي الحقّ ؟ !اللّهمّ إنّها ميولٌ وأهواء ، ومطامع وشهوات ، تُزجي

---

(١) راجع الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٤٧ .
(٢) راجع الحاوي للفتاوي ج ١ ص ٣٦١ ـ ٣٢٤ .

بصاحبها إلى هوّات المهالك ، وهل هذا يُضاهي شيئاً من اجتهاد المجتهدين ؟ !

على أنَّ جملةً من المذكورات ممّا لا مساغ لـلإجتهاد فيـه ، ولا يتطرَّق إليـه الرأي والإستنباط ، لأنَّ الحكم فيها ملحقٌ بالضـروريّات من الـدين ، وممّا لا يسـع فيه الخلاف فمن حاول شيئاً من ذلـك ، فقد حـاول دفاعـاً للضروريِّ من الـدين ، واستباح محظوراً ثـابتاً من الشـريعة ، كمن يستبيـح قتل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بـاجتهاده ، أو يروم تحليل حرام من الشريعة ، دون تحليله شقّ المرائـر ، واستمراء جُـرع الحتف المبير .

من هو هذا المجتهد ؟

أهو إبن آكلة الأكباد ـ نكّس الله رايتها ـ الهاتك لحرمات الله ، المعتدي على حدوده ، المجرم الجاني ؟ .

يحسب أبنـاء حزم ، وتيميَّـة ، وكثير ، ومن لفَّ لفّهم أنَّـه مجتهـدٌ مـأجـورٌ ، ويقول إبن حجر : إنّه خليفة حقّ ، وإمام صدق .

هكذا يقول هؤلاء ، ونحن لا نقول باجتهادهم ، بل نقول بما قاله المقبلي(١) في كتابه (العَلم الشّامخ في إيثار الحقِّ على الآباء المشـايخ : ص ٣٦٥) : مـا كان عليٌّ ، رضي الله عنـه ، وأرضاه إلاّ إمـام هـدى ، ولكنّـه ابتلى وابتلي بـه ، ومضى لسبيله حميـداً ، وهلك به مَن هلك ، هذا يغلو في حبّـه ، أو دعوى حبّـه ، لغرض لـه ، أعظمهم ضـلالاً من رفعه على الأنبيـاء ، أو زاد على ذلـك ، وأدنـاهم مَن لم يرض له بما رضي لنفسه ، لتقديم إخوانـه ، وأخدانـه عليه في الإمـارة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وآخـر يحطّ من قدره الرفيع ، أبعدهم ضـلالاً الخوارج الـذين يلعنـونـه على المنابر ، ويرضون على ابن ملجم شقيّ هذه الأُمّة ، وكذلك المـروانيّة ، وقـد قطع الله دابـرهم ، وأقربهم ضَـلالاً الّـذين خـطّؤوه في حـرب النّـاكثين ، والله سبحـانـه

---

(١) الشيخ صالح بن مهدي المتوفى (١١٠٨هـ) .

يقول : ﴿فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾ . فإنْ لم تصدق هذه في أمير المؤمنين ففي مَن تصدق ؟

مع أنَّهم بغوا بغياً محقّقاً بعد استقرار الأمر له ، ولا عذر لهم ، ولا شبهة إلّا الطلب بدم عثمان ، وقد أجاب ، رضي الله عنه ، بما هو جواب الشريعة فقال : يحضر وارث عثمان ويدّعي ما شاء ، واحكم بينهم بكتاب الله تعالىٰ ، وسنّة رسوله ﷺ . أو كما قال فإن تصحّ هذه الرِّواية ، وإلّا فهي معلومةٌ من حاله ، بل من حال من هو أدنى النّاس مِن المتمسّكين بالشريعة، وأمّا أنّه يقطع قطيعاً من غوغاء المسلمين الذين اجتمعوا على عثمان خمسمائة وأكثر ، بل قيل : إنّهم يبلغون نحو عشرة آلاف كما حكاه ابن حجر في الصواعق ، فيقتلهم عن بكرة أبيهم ، والقاتل واحد ، أربعة ، عشرة ، قيل : هما إثنان فقط . وذكره في الصّواعق أيضاً ، فهذا ما يعتذر به عاقلٌ ، ولكن كانت الدعوى باطلة والعلّة باطلة ، خلا أنّ طلحة ، والزبير ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، ومن يلحق بهم مِن تلك الدرجة التي يقدر قدرها من الصحابة ، لا يشكّ عاقلٌ في شبهة غلطوا فيها ، ولو بالتأويل لصلاح مقاصدهم .

وأمّا معاوية والخوارج ، فمقاصدهم بيّنةٌ ، فإنْ لم يقاتلهم عليٌّ فمن يُقاتل ؟ أمّا الخوارج فلا يرتاب في ضلالهم إلّا ضالٌّ ، وأمّا معاوية فطالب ملك، اقتحم فيه كلَّ داهية ، وختمها بالبيعة ليزيد ، فالذي يزعم أنّه اجتهد فأخطأ ، لا نقول : اجتهد وأخطأ . لكنّه إمّا جاهلٌ لحقيقة الحال مقلّد ، وإمّا ضالٌّ اتَّبع هواه ، اللّهمّ إنّا نشهد بذلك .

ورأيت لبعض متأخّري الطبريّين في مكّة رسالة ذكر فيها كلاماً عزاه لابن عساكر وهو : أنَّ النبيّ ﷺ أخبر أنَّ معاوية سيلي أمر الأُمّة ، وأنّه لن يُغلب ، وانّ عليّاً ، كرّم الله وجهه ، قال يوم صفّين : لو ذكرت هذا الحديث أو بلغني لما حاربته .

ولا يبعد نحو هذا ممّن سلّ سيفه على عليّ ، والحسن ، والحسين ، وذرّيتهما، والراضي كالفاعل، كما صرّحت به السنّة النبويّة، إنّما استغربنا وقوع هذا

الظهور حكاية الإجماع من جماعة المتسمِّين بالسنَّة ، بأنّ معاوية هو الباغي ، وانَّ الحقَّ مع عليّ ، وما أدري ما رأي هذا الزاعم في خاتمة أمر عليّ بعدما ذكر ، وكذلك الحسن السبط ، رضي الله عنهما ، وترى هؤلاء الذين ينقمون على عليّ قتاله البغاة ، يحسنون لمن سنَّ لعنه على المنابر ، في جميع جوامع المسلمين ، منذ وقته إلى وقت عمر بن عبدالعزيز اللّاحق بالأربعة الرّاشدين ، رضي الله عنه وعنهم ، مع أنَّ سبّ عليٍّ فوق المنابر ، وجعله سنّة تصغر عنده العظائم . وفي (جامع المسانيد) في مسند أُمِّ سلمة رضي الله عنها : أيُسَبُّ رسول الله ﷺ فيكم ؟ قلت : معاذ الله . قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَن سَبَّ عليّاً فقد سبَّني . الكلام .

ولعلّك إن نظرت إلى ما سردناه من سيرة هذا المجتهد الجاهل الضالّ ، تأخذ لك مقياساً لمبلغ علمه ، وقسطه المتضائل من الإجتهاد في أحكام الله ، وأنّه منكفىءٌ عنه ، فارغ الوطاب ، صفر الأكفّ عن أيٍّ علم ناجع ، أو عمل نافع ، بعيداً عن فهم الكتاب ، والتفقّه في السنّة ، والإلمام بأدلّة الإجتهاد .

نعم : لم يكن معاوية هو نسيج وحده في الجهل بمبادىء الإجتهاد وغاياته ، وإنّما له أضرابٌ ونظراء سبقوه أم لحقوه في الرأي الشائن ، والإجتهاد المائن ، ممّن صحّح القوم بدعهم المحدثة ، وآراءهم الشاذّة عن الكتاب والسنّة بالإجتهاد ، وتترّسوا في طامّاتهم بأنّهم مجتهدون[١] .

ولعلّك تعرف مكانة هذا المجتهد «خليفة الحقِّ وإمام الصدق» من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيّاه وأباه وأخاه . ومن قنوت أمير المؤمنين في صلاته بلعنه ، ومن دعاء أُمّ المؤمنين عائشة عليه دبر صلاتها .

ومن إيعاز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وولده السبط الزكيّ ، أبي محمّد ، سلام الله عليه ، والعبد الصّالح محمّد بن أبي بكر ، إلى لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخزي ، ومن لعن ابن عبّاس ، وعمّار إيّاه .

---

(١) يوجد جمع من اولئك المجتهدين في غضون أجزاء كتابنا هذا .

ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمع غناءً وأُخبر بأنّه لمعاوية ، وعمرو بن العاصي : اللّهمَّ اركسهم في الفتنة ركساً ، اللهم دعَّهم إلى النار دعّاً .

ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد رآه مع ابن العاصي جالسين : إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ، ففرِّقوا بينهما ، فإنّهما لا يجتمعان على خير .

ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه . المعاضد بالصحيح الثابت من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما . وفي صحيح : فإنْ جاء أحدٌ ينازعه فاضربوا الآخر .

ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : يطلع عليكم من هذا الفجِّ رجلٌ يموت وهو على غير سنّتي فطلع معاوية[1] .

ومن قول أمير المؤمنين له : طالما دعوت أنت وأولياءك أولياء الشيطان الرجيم الحقّ أساطير الأوّلين ونبذتموه وراء ظهوركم . وحاولتم إطفاء نور الله بأيديكم ، وأفواهكم ، والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون .

ومن قوله عليه السلام : إنَّك دعوتني إلى حكم القرآن ، ولقد علمتُ أنَّك لست من أهل القرآن ، ولا حكمه تريد .

ومن قوله عليه السلام : إنَّه الجلف المنافق ، الأغلف القلب ، المقارب العقل .

ومن قوله عليه السلام : إنَّه فاسقٌ مهتوكٌ ستره .

ومن قوله عليه السلام : إنَّه الكذّاب إمام الرَّدى ، وعدوّ النبيِّ ، وإنَّه الفاجر ابن الفاجر ، وإنَّه منافق ابن منافق يدعو الناس إلى النّار . إلى كلمات أُخرى مفصَّلة في هذا الجزء .

ومن قول أبي أيوب الأنصاري : إنَّ معاوية كهف المنافقين .

ومن قول قيس بن سعد الأنصاري : إنّه وثن إبن وثن ، دخل في الإسلام كرهاً وخرج منه طوعاً ، لم يقدم إيمانه ، ولم يحدث نفاقه .

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٢٤٧ .

ومن قول معن السّلمي الصحابيّ البدريّ له : ما ولدت قرشيّةٌ من قرشيّ شرّاً منك .

ومن أقوال الإمام الحسن السبط ، وأخيه الحسين ، صلوات الله عليهما ، وعمّار بن ياسر ، وعبدالله بن بديل ، وسعيد بن قيس ، وعبدالله بن العبّاس ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وجارية بن قدامة ، ومحمّد بن أبي بكر ، ومالك بن الحارث الأشتر[١] .

هذا مجتهدنا الطليق عند أُولئك الأُطايب ، وعند الوجوه والأعيان من الصحابة الأوّلين العارفين به ، على سرّه وعلانيته ، المطّلعين على أدوار حياته ، طفلاً ، ويافعاً ، وكهلاً ، وهمّاً ، وأنت بالخيار في الأخذ بأيٍّ من النظريّتين : ما سبق لله ولرسوله وخلفائه ، وأصحابه المجتهدين العدول ، أو ما يقول هؤلاء الأبناء ومن شاكلهم من المتعسّفين الناحتين للرّجل أعذاراً هي أفظع من جرائمه .

الأمر الثاني :

ثاني الأمرين اللذين ينتهي إليهما دفاع ابن حجر عن معاوية قوله في (الصواعق ص ١٣٠) : فالحقُّ ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذٍ ، وانّه بعد ذلك خليفة حقّ وإما صدق ، كيف؟ وقد أخرج الترمذي وحسّنه ، عن عبدالرّحمن بن أبي عميرة الصحابي ، عن النبيِّ ﷺ انّه قال لمعاوية : اللهمَّ اجعله هادياً مهديّاً .

وأخرج أحمد في (مسنده) عن العرباض بن سارية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللّهُمَّ علّم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف، والطبراني في الكبير، عن عبدالملك بن عمر ، قال : قال معاوية : ما زلت أطمع في الخلافة مذ قال لي رسول الله ﷺ : يا معاوية ! إذا ملكت فأحسن .

فتأمّل دعاء النبيِّ ﷺ في الحديث الأوّل ، بأنّ الله يجعله هادياً مهديّاً ،

---

(١) مرّ تفصيل هذه كلها في هذا الجزء .

والحديث حسنٌ كما علمت فهو ممّا يحتجّ به على فضل معاوية ، وإنّه لا ذمّ يلحقه بتلك الحروب لما علمت أنّها مبنيّةٌ على اجتهاد، وإنّه لم يكن له إلّا أجرٌ واحد ، لأنَّ المجتهد إذا أخطأ لا ملام عليه، ولا ذمَّ يلحقه بسبب ذلك لأنّه معذورٌ ، ولذا كتب له أجرٌ .

وممّا يدلّ لفضله الدعاء له في الحديث الثاني ، بأنْ يعلّم ذلك، ويوقى العذاب ،ولا شكّ أنَّ دعاءه ﷺ مستجابٌ، فعلمنا منه أنّه لا عقاب على معاوية فيما فعل من تلك الحروب ، بل له الأجر كما تقرّر ، وقد سمّى النبيّ ﷺ فئته المسلمين ، وساواهم بفئة الحسن في وصف الإسلام ، فدلَّ على بقاء حرمة الإسلام للفريقين ، وانّهم لم يخرجوا بتلك الحروب عن الإسلام ، وانّهم فيه على حدّ سواء ، فلا فسق ولا نقص يلحق أحدهما لما قرّرناه من أنَّ كلاً منهما متأوّل تأويلاً غير قطعيّ البطلان ، وفئة معاوية ، وإنْ كانت هي الباغية ، لكنّه بغيٌ لا فسق به ، لأنّه إنّما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه .

وتأمّل إنّه ﷺ أخبر معاوية بأنّه يملك وأمره بالإحسان ، تجد في الحديث إشارة إلى صحّة خلافته ، وانّها حقّ بعد تمامها له بنزول الحسن له عنها ، فإنَّ أمره بالإحسان المترتّب على الملك يدلّ على حقيّة ملكه وخلافته ، وصحّة تصرّفه ونفوذ أفعاله من حيث صحّة الخلافة لا من حيث التغلّب ، لأنَّ المتغلّب فاسقٌ معاتبٌ ، لا يستحقّ أن يبشّر ، ولا أن يؤمر بالإحسان فيما تغلّب عليه ، بل إنّما يستحقّ الزجر والمقت والإعلام بقبيح أفعاله ، وفساد أحواله ، فلو كان معاوية متغلّباً لأشار له ﷺ إلى ذلك ، أو صرّح له به ، فلمّا لم يُشر فضلاً على أن يصرّح ، إلّا بما يدلّ على حقيقة ما هو عليه ، علمنا أنّه بعد نزول الحسن له خليفة حقٍّ وإمام صدق . (ا هـ) .

(هذا نهاية جهد ابن حجر في الدفاع عن معاوية)

قال الأميني : إنَّ الكلام يقع على هذه الرّوايات من شتّى النواحي ، ألا وهي :

١ ـ النظر إلى شخصيّة معاوية ، وتصفّح كتاب نفسه المشحون بالمخازي ، ثمَّ نعطف النظر في أنّه هل تلكم الصحائف السوداء تلائم أن يكون صاحبها مصبّاً

لأقلّ منقبة له يُعزى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فضلاً عن هذه النسب المزعومة ؟ أو : لا ؟ ولقد أوقفناك على حياته المشفوعة بالمخاريق ، ممّا لا يكاد أن يجامع شيئاً من المديح والإطراء ، أو أن تُعزى إليه حسنة ، ولا أحسب أنّك تجد من أيّام حياته يوماً خالياً من الموبقات ، من سفك دماء زاكية ، وإخافة مؤمنين أبرياء ، وتشريد صلحاء لم يدنّسهم إثم ، ولا ألمّت بساحتهم جريرة ، ومعاداة للحقّ الواضح ، ورفض لطاعة إمام الوقت ، والبغي عليه وقتاله ، إلى جرائم جمّة يستكبرها الدين والشريعة ، ويستنكرها الكتاب والسنّة ، ولا يتسرّب إلى شيء منها الإجتهاد ، كما مرَّ بيانه .

٢ ـ من ناحية عدم ملاءمة هذه الفضائل المنحوتة ، لما رُوي وصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يُؤثر عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن جمع من الصحابة العدول ، فإنّه ممّا لا يتّفق معها في شيء ، وقد أسلفنا من ذلك ما يناهز الثمانين حديثاً في هذا الجزء (ص ١٧٣ ـ ٢١٦) .

فإنّك متى نظرت إليها ، واستشففت حقائقها ، دلّتك على أنَّ رجل السّوء ـ معاوية ـ جماع المآثم والجرائم ، وانّه هو ذلك الممقوت عند صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم ومَن احتذى مثاله من خلفائه الرّاشدين ، وأصحابه السابقين الأوّلين المجتهدين حقّاً المصيبين في اجتهادهم .

٣ ـ إنّا وجدنا نبيَّ الرَّحمة صلى الله عليه وآله وسلم ، ونظرنا في المأثور الثابت الصحيح عنه في طاغية الشام ، والأمر بقتاله ، والحثّ على مناوءته ، وتعريف من لاث به ، بأنّهم الفئة الباغية ، وأنّهم هم القاسطون ، وعهده إلى خليفته أمير المؤمنين عليه السلام على أن يناضله ، ويكتسح معرّته ، ويكبح جماحه ، وقد علم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه سيكون الخليفة المبايع له ، الواجب قتله ، وأنّه سيكون في عنقه دماء الصلحاء الأبرار التي لا يبيحها أيُّ اجتهاد نظراء حُجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق ، وأصحابهما ، وكثير من البدريّين ، وجمع كثير من أهل بيعة الرضوان ، رضوان الله عليهم .

فهل من المعقول أنّه صلى الله عليه وآله وسلم يرى لمعاوية ، الحالة هذه ، قسطاً من الفضيلة؟ أو حسنة تضاهي حسنات المحسنين ؟ ويوقع الأُمّة في التهافت بين كلماته المعزوّة

إليه هذه ، وبين ما صارح به وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وممّا أوعزنا إليه. وزبدة المخض أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم ينبس عن هاتيك المفتعلات ببنت شفة ، ولكن القوم نحتوها ليطلوا على الضعفاء ما عندهم مِن طلاءٍ مبهرج .

٤ ـ ما قاله الحفّاظ من أئمّة الحديث ، وحملة السنّة ، من أنّه لم يصحّ لمعاوية منقبة ، وسيوافيك بُعيد هذا نصّ عباراتهم عند البحث عن فضائل معاوية المختلقة .

٥ ـ النظر في إسناد ومتن ما جاء به إبن حجر ، وعلّى عليه أُسس تمويهه على الحقائق ، وبه طفق يرتئي معاوية خليفة حقّ ، وإمام صدق .

الرواية الاولى :

أمّا ما أخرجه الترمذي وحسّنه ، عن عبدالرَّحمٰن بن أبي عميرة ، مرفوعاً : اللّهمَّ اجعله هادياً مهديّاً واهد به[1] . فإنَّ كون إبن أبي عميرة صحابيّاً في محلّ التشكيك ، فإنّه لا يصحّ ، كما أنَّ حديثه هذا لا يثبت ، قال أبو عمر في (الإستيعاب ج ٢ ص ٣٩٥) بعد ذكره بلفظ : اللّهمَّ اجعله هادياً مهديّاً ، واهده واهد به : عبدالرَّحمٰن حديثه مضطربٌ ، لا يثبت في الصحابة ، وهو شاميٌّ ، ومنهم مَن يوقف حديثه هذا ولا يرفعه ، ولا يصحّ مرفوعاً عندهم . وقال : لا تثبت أحاديثه ، ولا تصحّ صحبته .

ورجال الإسناد كلّهم شاميّون وهم : أبو مسهر الدمشقي . ٢ ـ سعيد بن عبدالعزيز الدمشقي . ٣ ـ ربيعة بن يزيد الدمشقي . ٤ ـ إبن أبي عميرة الدمشقي . وتفرّد به ابن أبي عميرة ، ولم يروه غيره ، لذلك حكم فيه الترمذي بالغرابة بعدما حسّنه ، وإبن حجر حرّف كلمة الترمذي ، حرصاً على إثبات الباطل ، فما ثقتك برواية تفرّد بها شاميّ ، عن شاميّ ، إلى شاميّ ثالث إلى رابع مثلهم أيضاً ، ولا يوجد عند غيرهم من حملة السنّة علمٌ بها ، ولم يك يومئذٍ يتحرّج الشاميّون من الإفتعال لما ينتهي فضله إلى معاوية ، ولو كانت مزعمة باطلة ، على حين أنّ

---

(١) هذا لفظ الحديث في جامع الترمذي ج ١٣ ص ٢٢٩ .

أمامهم القناطير المقنطرة لذلك العمل الشائن ، ومن ورائهم النزعات الأمويّة السائقة لهم إلى الإختلاق ، لتحصيل مرضاة صاحبهم . فهناك مُرتكم الأباطيل والرِّوايات المائنة .

على أنَّ هذا المزعوم حسنه كان بمرأى ومشهد من البخاريِّ ، الذي يتحاشى في صحيحه عن أن يقول : باب مناقب معاوية. وإنّما عبّر عنه بباب ذكر معاوية . وكذلك من شيخه إسحاق بن راهويه الذي ينصّ على عدم صحّة شيء من فضائل معاوية . ومن الحفّاظ : النسائي ، والحاكم النيسابوري ، والحنظلي ، والفيروز آبادي ، وابن تيميّة ، والعجلوني وغيرهم ، وقد أطبقوا جميعاً على أنّه لم يصحّ لمعاوية حديث فضيلة ، ومساغ كلماتهم يُعطي نفي ما يصحّ الإعتماد عليه لا الصحيح المصطلح في باب الأحاديث ، فلا ينافي شمول قولهم على حسنة الترمذي المزعومة مع غرابتها ، فإنّهم يقذفون الحديث بأقلّ ممّا ذكرناه في هذا المقام ، ولو كان لهذه الحسنة وزن يقام «كحسنات معاوية» لأعزوا إليها عند نفيهم العامّ .

وإنّ مفاد الحديث لممّا يُربك القارىء ويغنيه عن التكلّف في النظر إلى إسناده فإنّ دعاء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مستجابٌ لا محالة ، كما يقوله ابن حجر ، ونحن في نتيجة البحث والإستقراء التامِّ لأعمال معاوية ، لم نجده هادياً ولا مهديّاً في شيء منها ، ولعلّ ابن حجر يُصافقنا على هذه الدعوى ، وليس عنده غير أنَّ الرجل مجتهدٌ مخطىءٌ في كلِّ ما أقدم وأهجم ، فله أجرٌ واحدٌ في مزعمته ، ولا يلحقه ذمٌّ وتبعةٌ لاجتهاده ، وقد أعلمناك أنّ عامّة أخطائه وجرائمه ممّا لا يتطرّق إليه الإجتهاد ، على ما أسلفنا لك انّه ليس من الممكن أن يكون معاوية مجتهداً ، لفقدانه العلم بمبادىء الإستنباط ، من كتاب وسنّة ، وبُعده عن الإجماع ، والقياس الصحيح .

أو هَل ترى أنَّ الدعاء المستجاب كهذا يُقصد به هذا النوع من الإجتهاد المستوعب للأخطاء في أقوال الرَّجل وأفعاله ؟ حتّى انّه لا يُرى مصيباً في واحد منها ، وهل يحتاج تأتّي مثل هذا الإجتهاد إلى دعاء صاحب الرِّسالة ؟ فمرحباً بمثله من اجتهادٍ معذِّر ، وهداية لا تبارح الضَّلال .

ثمّ مَن الـذي هداه معـاوية طيلة أيّـامه ، وأنقـذه من مخالب الهلكـة ؟! أيَعدُّ منهم ابن حجـر بُسر بن أرطـاة الذي أغـار بأمـره على الحرمين ، وارتكب فيهمـا ما ارتكبه من الجرائم القاسية ؟!

أم ضحّاك بن قيس الّذي أمـره بالغـارة على كلِّ مَن في طـاعة عليّ عليه السلام مِن الأعراب ، وجاء بفجائع لم يعهدها التاريخ ؟!

أم زيـاد بن أبيه ، أو أُمِّـه ، الـذي استحـوذ على العـراق ، فـأهلك الحـرث والنّسل ، وذبح الأتقياء ، ودمَّر على الأولياء ، وركب نهابير لا تُحصى ؟!

أم عمرو بن العاص الذي أطعمه مصر ، فباعه على ذلك دينه بدنيـاه ، وفعل من الجنايات ما فعل ؟!

أم مـروان بن الحكم الـطريـد اللّعين ، وابنهمـا الـذي كـان لعنـه عليّاً أميـر المؤمنين على منبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عدَّة أعوام إحدى طامّاته ؟!

أم عمرو بن سعيد الأشدق ، الجبّار الطاغي ، الذي كان يبالـغ في شتم عليّ أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وبغضه إيّاه ؟!

أم مغيـرة بن شعبة أزنى ثقيف الـذي كان ينـال من عليّ عليه السلام ، ويلعنه على منبر الكوفة ؟!.

أم كثير بن شهاب الـذي استعمله على (الري) ، وكـان يكثر سبّ عليّ عليه السلام أمير المؤمنين والوقيعة فيه ؟!

أم سفيـان بن عوف الّـذي أمره أنْ يـأتي هيت ، والأنبار ، والمـدائن ، فقتـل خلقاً ، ونهب أموالاً ، ثمّ رجع إليه ؟!

أم عبدالله الفزاري الذي كان أشدَّ الناس على عليّ عليه السلام ، ووجَّهـه إلى أهل البوادي فجاء بطامّات كبرى ؟!

أم سمـرة بن جندب الذي كان يحرِّف كتاب الله لإرضائه ، وقتـل خلقـاً دون رغباته لا يُحصى ؟!

أم طغام الشّام وطغاتها ، الذين كانوا يقتصّون أثر كلّ ناعق ، وانحاز بهم هـو عن أيّ نعيق ، فأوردهم المهالك ؟!

أهذه كلّها من ولائـد ذلك الـدعاء المستجـاب ؟ اللهمّ ، لا . ولو كان مكـان هذا الدعاء من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ العياذ بـالله ـ قولـه : اللّهُمَّ اجعله ضالاً مضـلاً . لما عداه أن يكون كما كان عليه من البدع والضلالات .

ولو كان لهذا الدعاء المزعـوم نصيبٌ من الصِّدق ، لمـا كان يعـزب علمه عن مثـل مولانـا أمير المؤمنين ، وولـديه الإمـامين ، وعيون الصحابة ، الـذين كانـوا لا يبـارحون الحقَّ كـأبي أيّوب الأنصـاري ، وعمّار بن يـاسر ، وخـزيمة بن ثـابت ذي الشهادتين ، ولما عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حربه وقتـاله ، ولمـا عرّف فئتـه بالبغي والقسط .

ولو كان السَّلف الصالح يرى شيئاً زهيداً من هداية الرجل واهتدائه ، أثر ذلـك الدعاء المستجاب ، لما كانوا يعرِّفونه في صريح كتابـاتهم وخطابـاتهم ، بالنفـاق ، والضَّلال ، والإضلال .

وللسيّد العلاّمة ابن عقيل كلمةٌ حول هذه المنقبة المزيّفة ، ونعمّا هي قال في (النصائح الكـافية ص ١٦٧) : وهـا هنا دلالـةٌ على عدم استجـابة الله هـذه الدعـوة لمعاوية ، لو فرضنـا صحّة الحـديث ، من حديث صحيـح أخرجـه مسلم عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سألت ربّي ثلاثاً فـأعطاني اثنتين ، ومنعني واحـدة . سـألت ربّي أن لا يهلك أُمّتي بالسنـة فأعـطانيها ، وسـألته أن لا يهلك أُمّتي بالغـرق فأعطانيها . وسألته أنْ لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها . تعـرف بهذا الحـديث وغيره شدَّة حرصه صلى الله عليه وآله وسلم على أنْ يكون السِّلم دائماً بين أُمّته ، فدعا الله تـارةً أن لا يكون بأس أُمّته بينهم ، كما في حديث مسلم ، وتارةً أنْ يجعل معاوية هادياً مهديّاً ، لأنّـه بلا ريب يعلم أنَّ معاوية أكبر من يبغي ويجعـل بأس الأُمَّـة بينها ، فمـآل الدعـوتين واحـدٌ ، وعدم الإجـابة في حـديث مسلم تستلزم عـدمهـا في حـديث الترمـذي ، والمنـاسبة بـل التـلازم بينهمـا واضـحٌ بيّن ، وفي معنى حـديث مسلم هـذا جـاءت أحاديث كثيرة ، ومرجعها واحد .

الرواية الثانية :

اللّهمَّ علّمه الكتاب والحساب ، وقه العذاب .

في إسنادها الحارث بن زياد ، وهو ضعيفٌ مجهول كما قاله ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، وابن عبدالبرِّ ، والذهبي ، كما في (ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٠١) ، و(تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٢) ، و(لسان الميزان ج ٢ ص ١٤٩) . وهو شاميٌّ غير مكترث لرواية الموضوعات في طاغية الشام .

وإنَّ متنه لفي غنىً عن أيِّ تفنيد ، فإنَّ المراد به إمّا علم الكتاب كلّه أو بعضه ، ونحن لم نجد عنده شيئاً من علم الكتاب فضلاً عن كلّه ، فإنَّ أعماله وتروكه مضادّةٌ كلّها لمحكمات الذكر الحكيم ، من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإيذاء أهل بيته ، وصلحاء أُمّته ، ولا سيّما صنوه وخليفته المفروض طاعته الذي هو نفسه ، ومطهّر عن أيِّ رجاسة في نصوص من الكتاب العزيز .

ومن إيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا إثماً ، لمحض ولائهم مَن قرن الله ولايته بولايته ، وولاية رسوله .

ومن القتل الذريع للصُّلحاء الأبرار ، لعدم نزولهم على رغباته الباطلة ، وميوله وأهوائه .

ومن الكذب الصراح ، وكل فرية ، وبهت ، وإفك ، وقول زور ، طفح الكتاب بتحريمها النهائيِّ .

ودع عنك بيع الخمر وشربها ، وأكل الرّبا ، وتبديل سنّة الله التي لا تبديل لها متى ما خالفت خطّته السيّئة ، وتعدّيه حدود الله ، ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون ، إلى طامّات ، صافقت على خطرها الكتاب ضرورة الدين .

فالإعتقاد بجهله بكلِّ هذه الموارد ، وما شاكلها ، خيرٌ له من علمه بها ، ومروقه عنها ، وخروجه عن حكم الكتاب ، ونبذه إيّاه وراء ظهره ، كما ذهب إليه مولانا أمير المؤمنين ، وأُمَّةٌ صالحةٌ من الصحابة ، فالدعاء المزعوم له قد عدته الإجابة في كلِّ وردٍ له ، وصَدَر .

وأما بعض الكتاب ، فما عسى أن يجديه نفعاً ، إن كان يؤمن ببعض ، ويكفر ببعض ؟ ولو كان يعرف من الكتاب قوله تعالى : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي**﴾ .

وقوله تعالى : ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾ وقوله تعالى : ﴿**إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتَّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ**﴾ وقوله تعالى : ﴿**الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ . لو كان يعرف شيئاً من أمثال هذه من كتاب الله ، لكان يعرف حدَّه ، ولم يتعدَّ طوره .

وممّا لا نشكّ فيه أنَّ ابن حجر الذي يقول : لا شكَّ أنَّ دعاءه ﷺ مستجابٌ لا يؤوّل الرِّواية بأنّه أُريد بها علم الكتاب لا العمل به ، وإنْ أبى الزاعم إلاّ ذلك، فيا هبلته الهبول !

وإنّا لا نعلم معنى «الحساب» وعلمه الذي جاء في هذه الرِّواية معطوفاً على الكتاب ، فإمّا أن يُراد به تطبيق أفعاله وتروكه على نواميس الشريعة المقرَّرة ، أو علمه بكلّ ما يُحاسب عليه الله عباده ، فيخرج من العهدة من غير تبعة ، أو أنّه يُحاسب نفسه قبل أن يُحاسب بكلّ قول وعمل ، أو أنّه يقسم بالسَّوية فيعطي كلَّ ذي حقّ حقَّه ، ولا يحيف في مال الله ، ولا يميل في اعطيات الناس بمحاباة أحد ، وقطع آخر ، من غير تخطٍّ عن سنن الحقّ ، أو أنّه يعرف فروض المواريث الحسابيّة ، أو أنه يعلم بقواعد الحساب العدديَّة من الجمع ، والضرب ، والتقسيم ، والتفريق والجبر والمقابلة ، والخطأين إلى أمثالها من أُصول علم الحساب .

أمّا ما قبل الأخيرين ، فإنَّ الرَّجل كان يأثم بغير حساب ، ويقتل بغير حساب ، ويكذب بغير حساب ، ويحيف بغير حساب ، ويجهل من معالم الدين بغير حساب ، وإنَّ أخطاءه في الإجتهاد «المزعوم» بغير حساب ، ويُعطي ويمنع من

غير حجّة بغير حساب ، فياله من دعاء لم يقرن بالإجابة في مورد من الموارد ! .

وأمّا قواعد علم الحساب ، ويلحق بها فروض المواريث ، فماذا الذي نجم منها بين معلومات معاوية وفتاواه ؟ غير جهل شائن مستوعب لكلّ ما ناء به من كلّ فرض وندب ، ولم تُعهد له دراسةٌ لهذه العلوم والقواعد ، حتّى تتحقّق بها إجابة الدعوة ، بتوفيق إلٰهيّ .

وأمّا جملة «وقه العذاب» فإنْ صحّت الرواية ، فإنّها تشبه أن تكون ترخيصاً في المعصية ، لرجل مثل معاوية يلغ في المآثم ، ويتورّط بالموبقات ، ويرتطم في المهالك ، فليس فيما سبرناه وأحصيناه من أفعاله وتروكه ، إلّا جنايات للعامّة ، وميول وشهوات في الخاصّة ، وحيف وميل في الحقوق ، وبسط وقبض ، وإقصاء وتقريب من غير حقّ ، فلا يكاد يخلو ما ناء به من مآثم أو عد الله تعالى فاعله بالنار ، أو محظور في الشريعة ، يمقت صاحبها ، أو عمل بغيض يمجّه الحقّ ، ويزورّ عنه الصّواب ، أو بدع محدثة في منتأى عن رضا الربّ ، وتشريع الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن كان يوقى مثل هذا الإنسان عن العذاب المجرّىء له على الهلكات ، فأين مصبّ التوعيدات المعدّة لمن عصى الله ورسوله ؟ إنَّ الله لا يخلف الميعاد ، **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصّالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾** .

فالخضوع لمثل هذه الرواية على طرف النقيض من مسلّمات الشريعة بتحريم ما كان يستبيحه معاوية ، ولذلك كان يراه مولانا أمير المؤمنين ، ووجوه الصحابة الأوّلين ، من أهل النار(١) ، مع أنّ هذا الموضوع المفتعل كان بطبع الحال بمرأى منهم ومسمع ، إلّا أن يكون تاريخ إيلاده ، بعد صدور تلكم الكلم القيِّمة .

ولو كان مثل معاوية يُدرأ عنه العذاب، ويُدعى له بالسّلامة منه ، وحاله ما علمتَ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بها منك ، من كلّ أحد ، وعنده من حقوق الناس ما لا يحصى ممّا لا تدركه شفاعة أيّ معصوم من دم مسفوك ، ومن مال

---

(١) راجع الكلمات التى أسلفناها في هذا الجزء .

منهوب ، ومن عرض مهتوك ، ومن حرمة مُضاعة ، فما حال مَن ساواه في الخلاعة ، أو من هو دونه في النفاق والضّلال ؟ وأيّ قيمة تبقى سالمة لتوعيدات الشريعة عندئذٍ ؟ لاها الله ، هذه أُمنيّة حالم قطّ ، لا تتحقّق ، إلاّ أنْ تكون تلك المحاباة تشريفاً لابن أبي سفيان ، بخرق النواميس الإلّهيّة، والخروج عن حكم الكتاب والسنّة ، تكريماً لراية هند ، ومكانة حمامة ، إذن فعلى الإسلام السَّلام .

أفمن الحقّ لمن له أقلُّ إلمامةٍ بالعلم والحديث ، أن يركن إلى أمثال هذه التافهات ولا يقتنع بذلك حتّى يحتجّ بها لإمامة الرجل عن حقّ ، وصدق خلافته ؟ كما فعله ابن حجر في (الصواعق) ، وفي هامشه (تطهير الجنان : ص ٣٢) ، وكأنّه غضّ الطرف عن كلّ ما جاء في حقِّ الرَّجل ، من حديث ، وسيرة ، وتاريخ ، وأغضى عن كلّ ما انتهى إليه من الأُصول المسلّمة في الإسلام ، وحرمات الدين . نعم : الحبُّ يعمي ويصمّ .

الرواية الثالثة :

إذا ملكت فأحسن .

فهي وما في معناها من رواية : إنْ وليت فاتّق الله واعدل[1] ورواية : أما إنّك ستلي أمر أُمّتي بعدي ، فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم ، واعف عن مسيئهم ، تنتهي طرقها جميعاً إلى نفس معاوية ، ولم يشترك في روايتها أحدٌ غيره من الصحابة ، فالإستناد إليه في إثبات أيِّ فضيلة له من قبيل استشهاد الثعلب بذنبه ، على أنَّ الرجل غير مقبول الرواية ، ولا مرضيّها ، فإنّه فاسقٌ فاجرٌ ، منافقٌ كذابٌ ، مهتوكٌ ستره بشهادة ممّن عاشره وباشره ، وسبر غوره ودرس كتاب نفسه ، وفيهم مثل مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وآخرون من الصَّحابة العدول ، وقد تقدّم نصُّ كلماتهم في هذا الجزء (ص ١٨٤ ـ ٢١٦) وتكفي في الجرح واحدة من تلكم الشهادات ، المحفوظة أهلها بالتورُّع عن كلِّ سقطة في القول ، أو العمل ، فكيف بها جمعاء ؟ .

---

(١) مرّ الكلام حول هذه الرواية في ص ٤٢٤ من هذا الجزء .

وتؤيِّد هاتيك الشهادات بما اقترفه الرجل من الذنوب ، وكسبته يده الأثيمة من جرائر وجرائم ، ولفّقها في سبيل شهواته من شهادات مزوّرة ، وكُتب افتعلها على أناس من الصحابة ، ونسب مكذوبة كان يريد بها تشويه سمعة الإمام ، صلوات الله عليه ـ وأنّى له بذلك ؟ ـ إلى آخر ما أوقفناك على تفاصيله .

وإن أخذناه بما حكاه إبن حجر في (تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٩) عن يحيى بن معين من قوله : كلُّ من شتم عثمان ، أو طلحة ، أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، دجّالٌ لا يكتب عنه ، وعليه لعنة الله والملائكة ، واناس أجمعين . إلى كلمات أُخرى مرّت (ص ٣١٩) من هذا الجزء ، فمعاوية في الرعيل الأوّل من الدجّالين الذين لا يُكتب عنهم ، وعليهم لعنة الله والملائكة ، والناس أجمعين، إذ هو الذي فعل ذلك المحظور بمثل مولانا أمير المؤمنين وشبليه الإمامين ، وحبر الأُمّة عبدالله بن العبّاس ، وقيس بن سعد وهؤلاء كلّهم أعيان الصحابة ووجهائهم ، لا يعدوهم أيّ فضل سبق لأحدهم ، ولا ينتأون عن أيِّ مكرمة لحقت بواحد منهم ، وكان معاوية قد استباح شتمهم ، والوقيعة فيهم ، وفي كلِّ صحابيّ إحتذى مثالهم ، في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يقنعه ذلك حتى قنت بلعنهم في صلواته ، ورفع عقيرته به على صهوات المنابر ، وأمر بذلك حتّى عمّت البليّة البلاد والعباد ، واتّخذوها بدعةً مخزية إلى أن لفظ نفسه الأخير ، واحتقبها من بعده خزاية موبقة ، ما دامت لآل حرب دولة، واكتسحت معرَّتهم من أديم الأرض .

أفمثل هذا السبّاب الفاحش المتفحّش ، تجوز الرواية عنه ، ويخضع لما يرويه في دين أو دنيا ؟!

على أنَّ في إسناد رواية «إن ملكتَ فأحسن» عبد الملك بن عمر: وقد جاء عن أحمد : انّه مضطرب الحديث جدّاً ، مع قلّة روايته ، ما أرى له خمسمائة حديث ، وقد غلط في كثير منها . وقال ابن منصور : ضعّفه أحمد جدّاً . وعن ابن معين : مخلط . وقال العجلي تغيّر حفظه قبل موته . وقال ابن حبّان : مدلّس[١] .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤١٢ .

وفيه : اسماعيل بن ابراهيم المهاجر : ضعّفه ابن معين ، والنسائي ، وابن الجارود ، وقال أبو داود : ضعيفٌ ضعيفٌ ، أنا لا أكتب حديثه . وقال أبو حاتم : ليس بقوي . وقال ابن حبّان : كان فاحش الخطاء . وقال السّاجي : فيه نظر(١) .

فلمكان الرجلين نصَّ الحافظ البيهقي على ضعفها ، وأقرَّه الخفاجي في (شرح الشفا ج ٣ ص ١٦١) ، وعلي القاري في (شرحه هامش شرح الخفاجي ج ٣ ص ١٦١) .

وأمّا مؤدَّى هذه الروايات الثلاث ، فكبقيّة أخبار الملاحم ، لا يستنتج منها مدح لصاحبها ، أو قدح ، إلاّ إذا قايسناها بأعمال معاوية المباينة لها في الخارج ، المضادَّة لما جاء فيها من العهد والوصيّة ، فلم يكن ممّن ملك فأحسن ، ولا ممّن ولي فاتّقى وعدل ، ولا ممّن قبل من محسن ، وعفا عن مسيء ، فماذا عسى أن يُجديه مثل هذه البشائر ـ وليست هي ببشائر بل إقامة حجّة عليه ، وهو غير متّصف بما أُمر به فيها ؟ وكلُّ ما ناء به في منتأى عن الإحسان والعدل والتقوى ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنّه لا يعمل بشيء من ذلك ، لكنّه أراد إتمام الحجّة عليه ، على كونها تامّة عليه بعمومات الشريعة وإطلاقاتها ، فأين هي من ـ التبشير بأنَّ ما يليه من الملك العضوض، ملوكيّة صالحة ، فضلاً عن الخلافة ، عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الملك قوله : إنَّ فيه هنات ، وهنات ، وهنات(٢) . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : يا معاوية ! إنّك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدت أن تفسدهم(٣) ، إلى كلمات أُخرى فيه ، وفي ملكه .

ولو كان ابن حجر ممّن يعرف لحن الكلام ، ومعاريض المحاورات ، ولم يكن في أُذنه وقرٌ ، وفي بصره عمى ، لعلم أنَّ الروايات المذكورة بأن تكون ذموماً لمعاوية ، أولى من أن تكون مدائح له ، لما قلناه ، وإلاّ لما أمر صلى الله عليه وآله وسلم بقتله إذا رُئي على منبره ، ولما أعلم الناس بأنّه وطغمته هم الفئة الباغية المتولِّية قتل عمّار ،

---

(١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٧٩ .
(٢) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١١٦ .
(٣) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٩٩ .

ولما رآه وحزبه من القاسطين الذين يجب قتالهم، ولما أمر خليفته حقّاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقتاله ، ولمّا حثَّ صحابته العدول بمناضلته ومكاشفته ، ولمّا ولمّا . . .

ولو كانت هذه الرِّوايات صادقةً ، وكانت بشائر ، وقد عرفتها صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ، فلماذا كان ذلك اللوم والتأنيب له من وجوه الصحابة ؟ لمّا منّته هواجسه بتسنّم عرش الخلافة ، والإقعاء على صدر دستها ، وليس ذلك إلّا من ناحية إدِّعائه ما ليس له ، وطمعه فيما لم يكن له بحقّ ، ونزاعه في أمر ليس للطلقاء فيه نصيب .

هذه عمدة ما جاء به ابن حجر في الدفاع عن معاوية، وأمّا بقيَّة كلامه المشوَّه بالسباب المقذع ، فنمرُّ بها كراماً ، إقرأ واحكم .

هاهنا قصّرنا عن القول
وأمسكنا عن الإفاضة بانتهاء الجزء العاشر ،
وأرجأنا بقيّة البحث عن موبقات معاوية إلى الجزء الحادي
عشر ، وسيوافيك في المستقبل العاجل
إنْ شاء الله تعالى
والحمدلله أوّلاً وآخراً ، وله الشكر



الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة